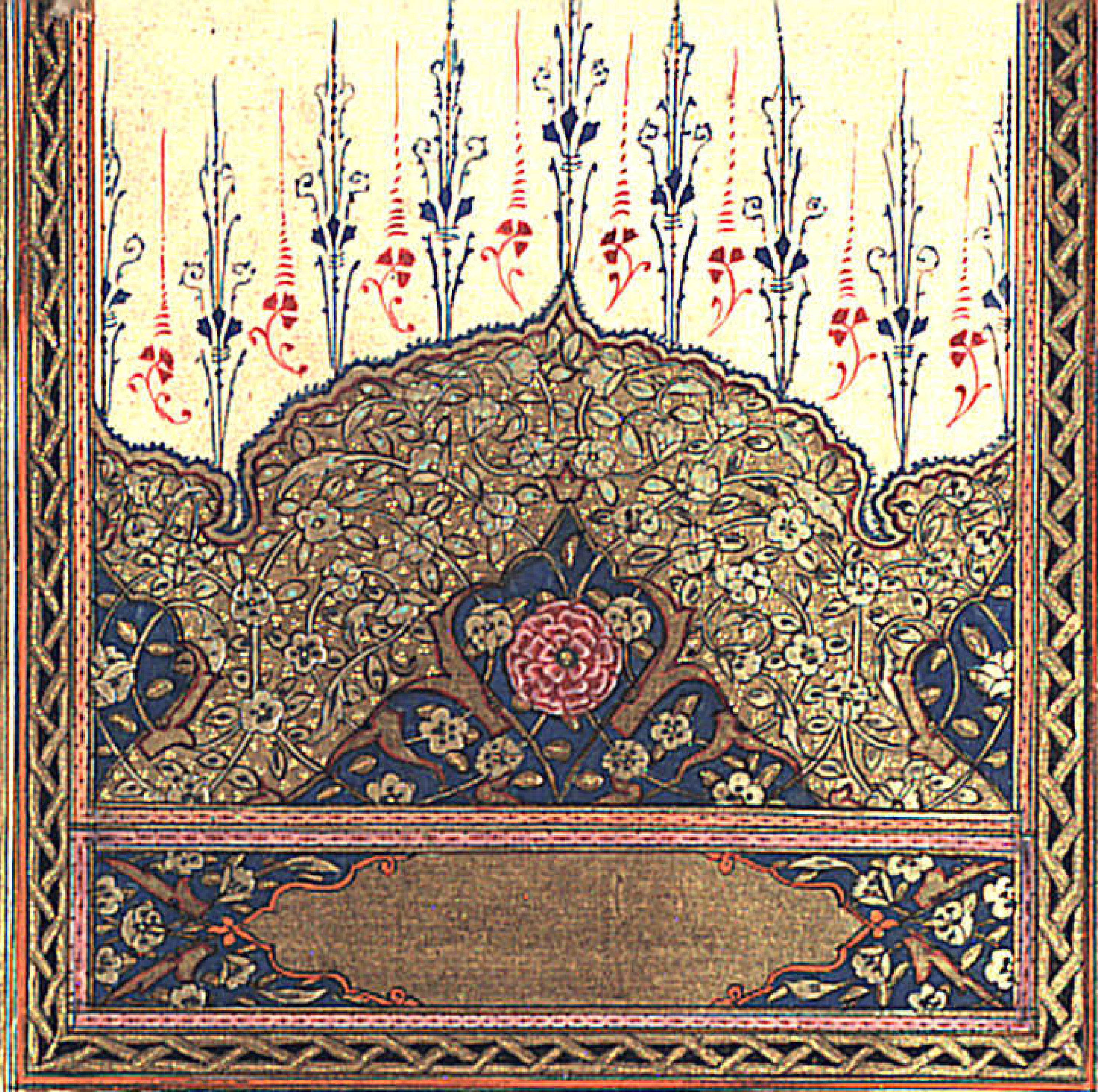


تأويلات الامام ابى منصور
الماتريدي

٢٥







بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام ابو منصور رضي الله تعالى عنه الفرق بين التاويل والتفسير هو ما قيل التفسير للصحابة و
والتاويل للفقهاء ومعنى ذلك ان الصحابة شهدوا المشاهد وعلموا الامر الذي نزل فيه القران فتفسير الاية
منهم لما عاينوا وشهدوا اذ هو حقيقة الامر وهو كالمشاهدة لا تنبغي الا ممن علم ومنه قيل من فسر القران
برايه فليتبوأ لانه فيما يفسر يستشهد على الله به واما التاويل فهو بيان منتهى الامر ماخوذ من آل يؤول اي يرجع
ومعناه كما قال ابو زيد لو كان هذا الكلام غيره توجه الى كذا وكذا من الوجوه فهو توجيه الكلام الى ما يتوجه
اليه ولا يقع التشديد في هذا مثل ما يقع في التفسير اذ ليس فيه الشهادة على الله لانه لا يخبر عن المراد ولا يقول
اراد الله به كذا او عنى ولكن يقول يتوجه هذا الى كذا وكذا من الوجوه هذا مما يتكلم به البشر والله اعلم
ما صحته عن الحكمة ومثاله ان اهل التفسير اختلفوا في قوله الحمد لله قال بعضهم ان الله حمد نفسه وقال بعضهم
امر ان يحمد فمن قال عنى هذا دون هذا فهو المفسر له واما التاويل فهو ان يقول يتوجه الحمد الى الثناء و
المدح له والى الامر بالشكر لله والله اعلم بما اراد فالتفسير ذو وجه واحد والتاويل ذو وجوه فاتحة الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل الحمد لله احتمل ان يكون جل ثناؤه حمد نفسه ليعلم الخلق سبحانه الحمد
بذاته فيحمدوه فان قيل كيف يجوز ان يحمد نفسه ومثله في الخلق غير محمود قيل له لوجهين احدهما انه استحق
الحمد بذاته لا باحد فيكون في ذلك تعريف الخلق ما يلزمهم له به بما اثنى على نفسه ليثنوا عليه وغيره انما
يكون ذلك له بحق وعز فعليه توجيه الحمد اليه لا الى نفسه لا يستوجبه بها بل الله مع حقيق للمثلث اذ لا عيب
بجنسه ولا الله تعالى به فيدخل في ذلك نقصانا ولا هو مامور بشيء والعبد لا يخلو عن عيوب بجنسه وافات تحل به
ويمدح بالايثار ويذم بتركه وفي ذلك يمكن النقصان وحق لمثله الفزع الى الله تعالى والتضرع اليه ليتغمده برحمته
وينجيا وزعن صفته وعلى ذلك معنى التكبر يحمد ربنا ولا يحمد غيره اذ ليس للعبد معنى يستقيم تكبره اذا هم جميعا
اكفاء من طريق المحنة والخلقة وما ادرك احد منهم من فضيلة او رفعة فبالله ادركها لا بنفسه فعليه تنزيه
الرب والفزع اليه بالشكر لا بالتكبر على امثاله تعالى عن ذلك الوصف متعال ويحتمل ان يكون قوله الحمد لله على
الاضمار الامر اي قوله والحمد لله لان الحمد يضاف الى الله فلا بد من ان يكون له علينا فامر بالحمد ذلك ثم يخرج
ذلك على وجهين احدهما ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الحمد لله اي الشكر لله بما صنع الى خلقه
فيخرج تاويل الاية على هذا الترتيب على الامر بتوجيه الشكر اليه وذلك يتضمن الامر ايضا بكل الممكن من الطاعة
على ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له اليس قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا فقيل انواع الطاعات شكرا له فمن اطاع الله تعالى فقد شكر له فيخرج تاويل الاية على
هذا والوجه الثاني ان يخرج مخرج الثناء على الله عز وجل والمدح له والوصف بما يستحقه والتنزيه عما لا يليق
به من التوجيه النعم اليه وقطع الشركة عنه في الانعام والافضال على عباده وعلى ذلك ما روى عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد
الحمد لله رب العالمين قال سبحانه وتعالى حمدني عبدي فجعل الحمد هذا الحرف وصير منه ثناء لوجهين
احدهما انه نسب الربوبية اليه في جميع العالم وقطعها عن غيره والثاني انه يجيء ذلك صلوة والصلوة
اسم للثناء والدعاء وذلك خلاف الذم ونقيضه وفي الوصف بالبراءة من اللوم مدح وثناء بغاية
المدح والثناء ولذلك يفرق القول بين الشكر والحمد اذا امرنا بالشكر للناس بما جاء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لم يشكر الله صير بمعنى المجازات والحمد بمعنى الوصف بما هو اهله فلم يستحب الحمد الا لله
وبالله التوفيق وقوله رب العالمين روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سيد العالمين والعالم
كل من دب على وجه الارض وقد يتوجه الرب الى الربوبية لا الى السودد اذ يستقيم القول برب كل
شيء من بني ادم وغيره نحو رب السموات والارض من التربية ورب العرش ونحوه غير مستقيم القول
لسيد السموات ونحوه وقد يتوجه اسم الرب الى المالك اذ كل من ينسب اليه الملك يسمى انه مالكه ولا يسمى
انه سيد الا في بني ادم خاصة واسم الرب يجمع ذلك كله لذلك كان التوجيه الى الملك اقرب وان احتمل
المروي عن ابن عباس رضي الله عنه اذ هو في الحقيقة سيد من ذكر وربهم والله الموفق ثم اختلف اهل
التفسير في العالمين فمنهم من رد الى كل ذي روح دب على وجه الارض ومنهم من رد الى كل ذي روح في
الارض وغيرها ومنهم من قال لله كذا وكذا عالما والتاويل عندنا ما اجمع اهل الكلام ان العالمين اسم
بجميع الانام والخلق جميعا وقول اهل التفسير يرجع الى مثله الا انهم ذكروا اسماء الاعلام واهل الكلام
ما يجمع ذلك وغيرهم ثم العالم اسم للجميع وكذلك الخلق ثم تعريف ذلك بالعالمين والخلايق يتوجه الى جمع
الجمع من غير ان يكون في التحقيق تفاوت وقد يتوجه الى عالم كل زمان وكذا خلق كل زمان على حكم تجدد
العالم وبالله التوفيق وفي ذلك ان الله عز وجل ادعى لنفسه العالمين كلهم من تقدم وتاخر ومن كان
ويكون لم يقدر احد ان ينطق بالتكذيب يدعي شيئا من ذلك لنفسه دل ذلك ان رب غيره ولا خالق
لشيء من ذلك سواه اذ لا يجوز ان يكون حكيما او الها ينشئ ويبدع ولا يدعيه ولا يعقل ما كان منه حتما
كان لغيره وبنفسه قام ذلك لا بغيره وعلى ذلك معنى قوله تعالى وما معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
فهذا مما في انسان التدبير واجتماع التضاد وتعلق حوائج بعض لبعض وقيام منافع بعض ببعض على تباعد
بعض من بعض وتضادها دليل واضح على ان مدبر ذلك كله واحد وانه لا يجوز كون مثل ذلك من
غير علم والله المستعان قوله الرحمن الرحيم اسمان ماخوذان من الرحمة لكنه روي فيهما رفيقان احدهما
ارق من الاخر وكان الذي روى عنه هذا اراد به لطيفان احدهما الطف من الاخر دليل ذلك وجهان
احدهما مجيء الاثر في ذلك اللطيف في اسماء الله تعالى مما نطق به الكتاب ولم يذكر في شيء من ذلك
رقيق ومعنى اللطيف في استخراج الامور الخفية وظهورها له كقوله انها ان تك مثقال حبة من خردل
فتكن في صخرة الى قوله لطيف خبير والله التوفيق والثاني ان اللطيف حرف يدل على البر والعطف
والرقة على رقة الشيء الذي نقيض الغلظ والكثافة كما يقال فلان رقيق القلب واذا قيل
فلان لطيف فانما يراد به بار عاطف فلذلك يجوز لطيف ولا يجوز رقيق وكذلك فسر من فسر
الرحمن العاطف على خلقه بالرزق وذهب وهم الاول الى اللطافة وذلك بعيد وانما هو من اللطف وقوله
احدهما ارق من الاخر بمعنى اللطف يحتمل وجهين احدهما التحقيق بان اللطف باحد الحرفين احفظ واللين
واوفر واكمل فذلك رحمته بالمؤمنين انه يقال رحيم بالمؤمنين على تخصيصهم بالهداية لدينه ولذلك ذكرا معه
وان اشركهم في الرزق فيما يراهم الا ترى انه لا يقال رحمان بالمؤمنين وجائز القول رحيم بهم وكذلك
لا يقال رحيم بالكافر مطلقا وبالله التوفيق ووجه اخر ان احدهما الطف من الاخر كانه وصف الغاية
في اللطف حتى يتعذر وجه ادراك ما في كل واحد منهما من اللطف او بوصف يقع الغاية عما يتضمنه كل
حرف وبالله التوفيق ثم في هذا ان اسم الرحمن هو المخصوص به الله لا يسمى به غيره والرحيم يجوز تسمية غيره
به فلذلك يوصف ان الرحمن اسم ذاتي والرحيم فعل وان احتمل ان يكونا مشتقين من الرحمة ودليل ذلك
انكار العرب الرحمن ولا احد منهم انكر الرحيم حيث قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وذلك قوله قل
ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا يدل على انه ذاتي لا فعل وان كان الفعل صفة الذات اذ محال
صفته بغيره لما يوجب ذلك الحاجة الى غيره ليحدث له الثناء والمدح وفي ذلك تخلق الخلق لنفع الامتناع

وهو عن ذلك متعال بل بنفسه مستحق بكل حمد ومدح ولا قوة الا بالله وروي في خبر القسمة ان العبد
اذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي و
ذكر انه قال في الاول بالتمجيد وفي الثاني بالثناء وذلك واحد لان معنى الثناء والوصف بالمجد و
الكرم والجود والتمجيد هو الوصف بذلك وبالله التوفيق ثم اجمع ان قوله مالك يوم الدين انه يوم
الحساب والجزاء وعلى ذلك القول انا لمدينون وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق وهو الجزاء
ومن ذلك قول الناس كما تدين تدان وجائز ان يكون مالك يوم الدين على جعل ذلك اليوم ولما يد
ان اليوم اذن به بتعبير حقيقته وعظم مرتبته وجليل موقعه عند ربه في الاية دليل دلالة وصفا لرب
يملك ما ليس بموجود لوقت الوصف بملكه وهو يوم القيمة ثبت ان الله تعالى بجميع ما يستحق الوصف به
يستحق بنفسه لا بغيره ولذلك قلنا هو خالق لم يزل ورحيم لم يزل وجواد لم يزل وسميع لم يزل
وان كان ما عليه وقع ذلك لم يكن وكذلك نقول هو رب كل شيء وله كل شيء في الاول وان كانت الاشيا
حادثة كما قال مالك يوم الدين اليوم وان كان اليوم بعد غير حادث وبالله التوفيق قوله اياك نعبد
فهو الله اعلم على اضمار الامر اي قل ثم لم يجعل له ان يستثني في القول به بل الزمه القول بالقول فيه
ثم هو يتوجه وجهين احدهما المجاد القول به على الخبر عنه له فيجب ان لا يثني في التوحيد وان من يستثني
عن شك يستثني والله تعالى اعلم وصف المؤمنين بقوله انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم
يرتابوا الاية وكذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افضل الاعمال فقال ايمان لا شك فيه والثاني
عن احوال التي تردد في ذلك لكنه اذا كان ذلك على اعتقاد المذهب لم يجز فيه اذ المذهب لا تعتقد
للابد لذلك لم يجز الثنيا فيه في الابد وبالله التوفيق ثم قوله اياك نعبد يتوجه وجهين احدهما الى
التوحيد وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كل عبادة في القران فهو توحيد والوجه
الاخر ان يكون على كل طاعة ان يعبد الله بها واصلها يرجع الى واحد لما على العبد ان يوحد الله تعالى في كل
عبادة لا يشرك فيها احدا بل يخلصها فيكون موحدا لله تعالى بالعبادة والدين جميعا وعلى ذلك قطع الطمع
والخوف والحوائج كلها عن الخلق وتوجيه ذلك الى الله تعالى بقوله انتم الفقراء الى الله والله هو الغني
الحميد وعلى ذلك المؤمن لا يطمع في الحقيقة باحد غير الله ولا يرفع الا اليه الحوائج ولا يخاف الا من
الوجه الذي يخشى ان الله جعله سببا لموصول بلاء من بلاياه اليه على يديه فعلى ذلك يخافه او يرجو
ان يكون الله تعالى جعل بسبب ما دفعه اليه على يديه فبذلك يرجو ويطمع فيكون ذلك من الضالين
فيكون في ذلك التعوذ من جميع انواع الذنوب والاستهداء الى كل انواع البر ثم التسمية هي اية من القران
وليست من فاتحة القران دليل جعلها اية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب
لاعلمنك اية لم تنزل على احد قبل الا على سليمان بن داود فاخرج احدى قدميه ثم قال باي اية تفتتح بها
القران قال بسم الله الرحمن الرحيم فقال هي هي ففي هذا انها اية من القران وانها لو كانت من السور لكان
يعلمه بفاتحة وانه اية واحد ولو كانت منها ايضا لكان لا يجعلها مفتاح القران بل يجعلها من السور ثم
الظاهر ان من لم يتكلف تفسيرها عند ابتداء السور ثبت منها ولذلك ترك الامة الجهر بها على العلم
بانه لا يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهرها ثم يخفي ذلك على من معه وان يكون فعلوا ثم
يضيعون سنة بلا نفع يحصل لهم في توارثت الامة تركها فيما يحتمل ان يكون الجهر سنة ثم يخفى
فيكون في ضل الناس دليل واضح انها ليست من السور ودليل اخر على ذلك ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الله انه قال قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله
الى قوله مالك يوم الدين فقال هذا لي وهي ثلث ايات وقال بعد قوله اهدنا الى اخرها هذا العبدي
ثبت انها ثلث ايات لتستوي القسمة ثم قال في قوله اياك نعبد واياك نستعين هذا بيني وبين عبدي
نصفين فثبت انها اية واحدة فصارت بغير التسمية سبعا وذلك قول الجميع انها سبع ايات معا
لم يذكر في خبر القسمة فثبت انها دونها سبع ايات وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه
انه قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلم يكونوا
يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عمر وجماعة وهو
الامر المعروف في الامة مما جاء في قصة السحر ان العقد كانت احدى عشرة وقرء عليها المعوذتين

دون

دون التسمية فكذا غيرها من السور معها اذ جعلت مفتاحا كانت كالتعوذ والله الموفق والاصل
عندنا ان المعنى الذي تضمنته فاتحة القران فرض على جميع البشر اذ فيه الحمد والوصف له بالمجد والتوحيد
له والاستعانة به وطلب الهداية وذلك كله يلزم كافة العقلاء من البشر اذ فيه معرفة الصانع
على ما هو معروف والحمد له على ما يستحقه اذ هو المبتدي بنعمه على جميع خلقه واليه فقر كل عبد وحاجة
كل محتاج فصارت لنفسها بما جمعت الخصال التي بينا فريضة على عباد الله ثم ليست في حق الصلوة فريضة
وذلك نحو التسبيحات بما فيه من تنزيه الله والتكبيرات بما فيها من تعظيمه فريضة لنفسها اذ ليس
لاحد ان لا ينزه ربه ولا يعظمه من غير ان يوجب ذلك فرضيتها في حق الصلوة وفي خص كل يجعل له
هي فيه لا من طريق توضيح الفرضية من غير طريق الذي ذكرت ثم هي ليست بفريضة في حق القراءة
في الصلوة لوجوه احدها ان فرضية القراءة عرفنا بقوله فاقرؤا ما تيسر من القران وفيها
الدلالة لوجهين احدهما انه قد يكون غيرها ايسر والثاني ان فرضية القراءة في هذه الاية من
حيث الامتنان بالتخفيف علينا والتيسير ولو لم تكن فريضة لم يكن علينا في التخفيف منه اذ لنا
الترك ثم لا يجيز في فاتحة القران والاية التي عرفنا الفرضية فيما نحن ما يختار من الايسر ثبت انها
رجعت الى غيرها وبالله التوفيق والثاني ان نبي الله اخبر عن الله انه جعل بها في حق الثناء
وهو ما ذكر في خبر القسمة فصارت بقراءته بذلك الحق فلم يخلص لها حق القراءة بل الحق بها حق الدعاء
والثناء وليس ذلك من فرايض الصلوة وبالله التوفيق والثالث ما روي عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم احيى ليلة بقوله ان تعذبهم فانهم عبادك الاية به كان
يركع وبه يسجد وبه يقعد فثبت انه لا يتعين قراءتها في الصلوة مما يرد الخبر الذي فيه ان ارجع
فصل فانك لم تصل ان قال له وقت التعليم اقرأ ما تيسر عليك فثبت ان المفروض ذلك وايضا
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلوة الا بفاتحة الكتاب ثم روي عنه بيان
محلها ان كل صلوة لم يقرأ فيه بفاتحة الكتاب فهي خداج نقصان غير تمام والفاسد لا يوصف
بالنقصان وانما الموصوف بمثله ما جاز مع النقصان وبالله التوفيق ثم خص فاتحة القران
بالتامين بما سمى بالذي ذكره خبر التسمية وغير الفاتحة وان كان فيه الدعاء فانه لم يخص بهذا الاسم
لذلك لم يجهر بها فالسبيل فيه ما ذكرنا في التسمية مما كان هو اخلص لمعنى الدعاء منها ثم السنة في جميع
الدعوات المخافتة والاصل ان كل ذكر يشترك فيه الامام والقوم فسنته الا لحاجة الاعلام وعذابهم قوله
ولا الضالين فيزول معناه وسبيل مثله المخافتة مما جاء به مرفوعا ومتواترا وخبر الجهر السبق كما كان يسمعهم
في صلوة في النهار احيانا ويحتمل الاعلام انه كان يقرء به وبالله التوفيق قد جمعت هذه مما الا من الخبر ثم كل
خصلة منها يجمع جميع خصاله الخبر منها ان في الحرف الاول من قوله الحمد لله رب العالمين شكر الجميع النعم
وتوجيها لها الى الله لا شريك له ومدن له باعل ما يحتمل المدح وهو ما ذكرنا من عموم نعمه والاية تجمع براتبه
ثم فيه الاقرار بوحدانيته في انشاء البرية كلها وتحقيق الربوبية له عليها بقوله رب العالمين وكل واحد
منها مما يجمع خصال الخير للدارين ويوجب الفائز به عن صدق القلب دون الدارين ثم الوصف لله عز
وجل بالاسمين يتعالى عن ان يكون لاحد من معناهما حقيقة او يجوز ان يكون منه لاستحقاق نحو الله و
الرحمن ثم الوصف له بالرحمة التي بها نجاة كل ناج والسعادة كل سعيد وبها ينفى المهالك كلها معما من
رحمته خلق الرحمة التي بها تعاطف بينهم وتراحمهم ثم الايمان بالقيمة بقوله مالك يوم الدين مع الوصف
بالمجد وحسن الثناء عليه ثم التوحيد وما يلزم العباد من اخلاص العبادة له والصدق فيها مع جعل
كل رفعة وشرف منا له عز وجل ثم رفع جميع الحوائج اليه والاستعانة به على قضائها والظفر بها على
طمانية القلب وسكونه ان لا خيبة عند معونته ولا زيغ عند عصمته ثم الاستهداء الى ما يرضيه و
العصمة عما يغويه في حادث الوقت على العلم بانه لا اضلال مع لاحد من هدايته في التحقيق الرجاء والخوف
من الله لا من غيره وعلى ذلك جميع معاملة العباد ويكل سببهم على الرجاء من الله تعالى ان يكون جعل ذلك
سببا به يصل الى مقصوده ويظفر بمراده ولا قوة الا بالله وقوله واياك نستعين فذلك طلب المعونة من
الله تعالى على جميع قضاء حوائجه دينا ودنيا ويحتمل ان يكون هو على اثر الفزع الى الله بقوله اياك نعبد على
طلب التوفيق لما امر به والعصمة عما حذره عنه وكذلك الامر البين في الخلق من طلب التوفيق والمعونة

عن الله والعصمة عن المنهي عنه جرد به سنة الاخبار والله الموفق ثم لا يصلح هذا على قول المعتزلة لان تلك
المعونة على اداء من كلف قد اعطى اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا قد بقي شيء مما به اداء ما كلف عند الله
وطلب ما اعطى كما ان الغطية كفران فيصير كان الله امران يكفر نعمه ويكتمها ويطلبها منه تعنتا وظن مثله
بالله كفر ثم لا يخلو من ان يكون عند الله ما يطلب فلم يعطه التمام اذا او ليس عنده فيكون طلبه استهزاء به
اذ من طلب الى اخر ما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ به في العرف مما كان الذي يطلب اما ان يكون لله ان
لا يعطيه مع التكليف فيبطل قولهم اذ لا يجوز ان يكلف وعنده ما به الصلاح في الدين فلا يعطي او ليس له
ان لا يعطي لكانه قال اللهم لا تجر ومن هذا علمه بربه فالاسلام اولى به وهذا مما كان لا يدعو الله
احد ما المعونة الا ويطمئن قلبه انه لا يدل عند المعونة ولا يرفع عنها العصمة وليس مثله يملك الله
عند المعتزلة ولا قوة الا بالله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الخبر القسمة بقوله
هذا بيني وبين عبدي نصفين وذلك يحتمل ان يكون كل حرف من ذلك بما فيها جميعا الفزع الى الله
بالعبادة والاستعانة ودفع الحاجة اليه ويحتمل ان يكون الحرف الاول لله بما فيه عبادته وتوحيد
والثاني للعبد بما فيه طلب معونة وقضاء حاجة ويؤيد ذلك بقية السورة انه اخرج على الدعاء
وقال الله عز وجل ههنا لعبدي ما سأل **وقوله** اهدنا قال ابن عباس رضي الله عنه ارشدنا والارشاد
والهداية واحد بل الهداية في حق التوفيق اقرب الى فهم الخلق من الارشاد بما هي اعم في تعارفهم
ثم القول بالهداية يخرج على وجوه ثلثة احدها البيان ومعلوم ان البيان قد تقدم من الله
لا احد يريد به ذلك لمضي ما به البيان من كتاب وسنة والى هذا تذهب المعتزلة والثاني التوفيق
له والعصمة عن زيغه وذلك معنى قولهم اللهم اهدنا فيمن هديت وقوله الصراط صراط الذين وصفهم
الى اخر السورة ولو كان على البيان ما قاله المعتزلة فهو والمغضوب عليهم في ذلك سواء ثبت
انه على ما قلنا دون ما ذهبوا اليه والثالث ان يكون على طلب حق الهداية لنا اذ نسب اليه من جهة
الفعل وكما يفعله خلق كانه قال اخلق لنا هدايتنا وهو الاهتداء منا وبالله التوفيق ثم تاويل طلب
الهداية ممن قد هداه الله يتوجه وجهين احدهما طلب الثبات على ما هداه الله وعلى هذا معنى زيادات
الايمان انها بمعنى الثبات عليه وذلك كرجلين ينظران الى شيء فيرفع احدهما بصره عنه جاز القول
بازدياد نظر الاخر ووجه اخر على ان في كل حال يخاف على المرء ضد الهدى فيهديه مكانه ابدا فيكون له
حكم الابتداء اذ في كل وقت ايمان منه دفع به ضده وعلى ذلك قوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله
الاية ونحو ذلك من الايات وقد يحتمل ايضا معنى الزيادة هذا النوع وبالله التوفيق واما الصراط
فهو الطريق والسبيل في جميع التاويل وهو قوله وان هذا صراطي الاية وقوله قل هذه سبيلي
ثم اختلفوا فيما يراد به فقال بعضهم هو القران وقال بعضهم هو الايمان وايهما كان فهو القائم الذي
لا عوج له والقيم الذي لا اختلاف فيه من لزمه وصل الى ما ذكر وبالله التوفيق **وقوله** المستقيم
قيل هو القائم بمعنى الثبات بالبراهين والادلة لا يزيله شيء ولا ينقضه جحود كيد الكائدين ولا حيل
المرتابين وقيل المستقيم الذي يستقيم بمن تمسك به حتى ينجيه ويدخله الجنة وقيل المستقيم يعني يستقام به
كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به يدل عليه قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية فالمستقيم
هو المتبع له وبالله التوفيق ثم ذكر من انعم عليهم ولله على كل مؤمن نعم بالهداية وما ذكر دليل
على ان الصراط هو الدين لانه انعم به على جميع المؤمنين لكن تاويل من يرد الى الخصوص يتوجه وجهين
احدهما انه انعم عليهم بمعرفة الكتب والبراهين فيكون على التاويل الثاني من القران والادلة و
الثاني ان يكون لهم خصوص في الدين قدموا على جميع المؤمنين كقوله داود وسليمان الحمد لله الذي فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين وعلى هذا الوجه يكون اهدنا ووجه اخر وهو المخصوص الذي خص به
كثيرا من المؤمنين من بين غيرهم لكن الثنيا يدل على حرف الارادة الى جملة المؤمنين اذ انصرف الى
غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله انعمت عليهم على قول المعتزلة ليس لله على احد من المؤمنين
نعمة ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين اذ لا نعمة من الله على احد الا الاصلح في الدين والبيان
للسبيل المرضي وتلك قد كانت على جميع الكفرة فيبطل على قولهم الثنيا والله الموفق ثم اختلف في
المغضوب عليهم ولا الضالين منهم من قال هو واحد اذ كل ضال قد استحق الغضب عليه وكل مغضوب

عليه استحق الوصف بالضلال ومنهم من قال المغضوب عليهم هم اليهود وانما خصوا بهذا بما كان منهم من
تمرد وعتو لم يكن ذلك من النصارى نحو انكارهم بعيسى وقصدهم قتله مما لم يكن ذلك من النصارى ثم قولهم
في الله يد الله مغلولة الاية وقولهم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير الاية وقوله لتجدن
اشد الناس الاية وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استفهامهم وشدة تعنتهم وظهور النفاق
فاستحقوا بذلك اسم الغضب عليهم وان كانوا شركاء غيرهم في اسم الضلال وبالله التوفيق وفي هذا
وجه اخر وهو ان يحمل الذنوب على وجهين منها ما يوجب الغضب وهو الكفر ومنها ما يوجب اسم الضلال
وهو ما دونه كقول موسى فعلتها اذا وانا ورؤية الهداية لا صلها والتعوذ به من كل ضلال ومن
جميع ما يوجب مقته وغضبه وبالله النجاة والخلاص مما في خبر القسمة وعظيم جليل من رب العالمين
في اجابة العبد مما يرفع اليه من الحوائج اذ قال قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين ثم صير اخر السورة
لعبده وليس في صلواتها سوى اظهار الفقر ودفع الحاجة وطلب المعرفة والاستهداء الى ما ذكر من
التعوذ عما وصف وليس ذلك مما يوصف به العبد انه لو ثبت ان له في ذلك اجابة به ربه فيما امره
ووعده فلا يحتمل بحد امره العبد بالذي تضمنه اول السورة فقام به العبد مع لومه وجفائه والله
بكرمه وجوده لا يخل له ما وعد لا يكون هذا البتة وقد قال ادعوني استجب لكم وغير ذلك مما فيه
الانجاز وانه لا يخلف الميعاد ثم قد جمل بما جاء من الحديث في تلاوته ان قدمه على التورية والانجيل و
عدله ثلثي القران وجعله شفاء من انواع الادواء للدين والنفس والدنيا وجعله معاذا من كل
ضلال وملجاء الى كل نعمة وبالله نستعين مما اوضح في الاسماء التي لقب فيها فاتحة القران عظيم موقعه
وجليل قدره وهو ان سماه فاتحة القران بما به يفتتح القران وكذلك روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان يفتتح القراءة به وسمي فاتحة الكتاب بما به يفتتح كتابة المصاحف والقران وسمي
ام القران لما يأمر غيره في القراءة وقيل الام بمعنى الاصل وهو ان لا يحتمل شيء مما فيه النسخ ولا الرفع
فصار اصلا وسمي الثاني في الركعات ولا قوة الا بالله وفي قوله اهدنا الى اخره وجهان سوى ما ذكرنا
اذ قوله اهدنا الصراط المستقيم دعاء كاف عما تضمن الى اخر السورة اذ ليس فيها غير تفسير هذه الجملة
احدهما تذكير نعم الله على الذين يقبلونه دينه في قلوبهم والتوفيق لهم بذلك وافضاله عليهم بما ليس
عليه والثاني تعوذهم عن كل زيغ ومقت وضلال وذنب والتجاؤهم اليه بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

سورة البقرة بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله الم فيه وجوه وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قوله الم انا الله اعلم وقيل انه قسم اقسم
بهذه الحروف المقطعة مفتاح السورة وقيل كل حرف من هذه الحروف كناية عن اسم من اسماء الله الالف
الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل ان اللام الامر والميم مجده وقيل ان الالف هو الله واللام جبريل
والميم محمد وقيل انها من التنبيه لتفصل بين المنظوم من الكلام والمنثور ونحو ذلك وقيل
ان تفسير هذه الحروف المقطعة من نحو ذكرها على اثرها نحو قوله ذلك الكتاب هو تفسير الم
والر الله لا اله الا هو والمص كتاب انزل اليك والر كتاب والر تلك ايات كل ما يلحق بها فهو تفسيرها
وقيل ان فيها بيان غايات بقاء هذه الامة من حساب الجمل لكنهم عدوا بعضها وتركوا البعض وقيل
انها من المتشابه الذي لا يطلع على علمه خلقه [illegible] وانه ان يمتحن عباده بما شاء من المحن وقيل انهم
كانوا لا يستمعون هذا القران كقوله لا تسمعوا لهذا القران [illegible] فلما سمعوا هذه الحروف المقطعة استمعوا اليها فبلغتهم الحجة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ولا قوة الا بالله ليعلم الخلق قدرة الله وان له ان يضمن ماشاء فيما شاء على ما عليه امر الحلاوة من الاشياء التى كادت العقول واسباب الادراك تقصر عنها وكنهها التى يدركها كل احد وبين الامرين فصل ذلك امر تركيب الكلام ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون بمعنى اسم السورة ولله تسميتها بما شاء وكما سمى كتبه وعلى ذلك منتهى اسماء الانبياء خمسة احرف وكذلك امر السور دليل ذلك وصل كل سورة فتحت بها بالتى كانت تبنى بها ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون على التشبيب على ما ذكرنا للتفصيل بين المنظوم من الكلام والمنثور فى المتعارف ان المنظوم فى المشاهد يشبب فيخرج عن المقصود بذلك الكلام فعلى ذلك امر الكلام المنزل الا تراه انه خرج على ما عليه فنون الكلام فى المشاهد الا انه على وجه ينقطع له المثال من كلامهم فتنله امر التشبيب ولا قوة الا بالله وجائز ان يكون الله امتحن الله على ما اراد ليمتحن عباده بالوقف فيها وتسليم المراد فى حقيقة معناه والذى له يزول ذلك ويحترف انه من المتشابه وفيها جاء تعلق الملحدة ولا قوة الا بالله ويحتمل ان يكون اذ علم الله من تعنت قوم واعراضهم عنه وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه انزل على وجه يبعثهم على التامل فى ذلك بما جاء بالعجيب الذى لم يكونوا يعرفون ذلك اما لعندهم انه كاحدهم او تسبيل الطعن اذ خرج عن المعهود عندهم فتلا عليهم ما يضطرهم الى العلم بالنزول من عند من يملك تدبير الاشياء ولذلك اعترضوا لهذا الاحرف بالتامل فيها من بين الجميع ولا قوة الا بالله وقيل انه دعا خلقه الى ذلك والله اعلم بما اراد وقوله ذَٰلِكَ الْكِتَابُ اى ذلك الكتاب اشارة الى ما عنده وذلك شايع فى اللغة جايز بمعنى هذا وقيل ذلك بمعنى ذلك اشارة الى ما فى ايدى السفرة والبررة وقوله لَا رَيْبَ فِيهِ قيل فيه وجوه لكن الحاصل يرجع الى وجهين اى لا ارتابوا فيه انه من عند الله وقيل لا ريب فيه انه منزل على ايدى الامناء والثقات وقوله هُدًى قيل فيه بوجهين هدى اى بيانا ووصفا فلو كان المراد هذا فالمتقى وغيرالمتقى سواء والثانى هدى اى رشدا وجه ودليلا ثم اختلفوا فى الدليل فقال الدليل والدال والدليل انما يكون دليلا بالاستدلال لانه فعل المستدل مشتق من الاستدلال كالضرب من الضارب وغيره وقال غيرهو لا الدليل بنفسه دليل وان لم يستدل به لانه حجة والحجة حجة وان لم يحتج بها غيران الدليل يكون دليلا بالاستدلال ومن لم يستدل به فلا يكون له دليلا وان كان بنفسه دليلا بل يكون عليه عمى وحيرة كقوله واذا ما انزلت سورة فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا وقوله لِلْمُتَّقِينَ قيل فيه بوجهين يؤمنون بالله غيبا ولم يطلبوا منه ما طلب الامم السالفة من انبيائهم كقول بنى اسرائيل لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة والثانى يؤمنون بغيب القران وبما يخبرهم القران من الوعد والوعيد والامر والنهى والبعث والجنة والنار والايمان انما يكون بالغيب لانه تصديق والتكذيب انما يكون عن الخبر والخبر يكون عن غيب لا عن مشاهدة والاية تنقض قول من يقول بان جميع الطاعات ايمان لانه اثبت لهم اسم الايمان دون اقامة الصلوة والزكوة بقوله الذين يؤمنون بالغيب وقوله وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ يحتمل وجهين يحتمل الصلوة المفروضة يقيمونها باتمام ركوعها وسجودها والخشوع والخضوع فيها واخلاص القلب فى النية على ما جاء فى الخبر انظر من تناجى ويحتمل الحمد لله والثناء عليه فان كان المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع فى الدنيا والاخرة وقوله وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ من الاموال يحتمل فرضا ونفلا ويحتمل ومما رزقناهم من القوى فى الانفس وسلامة الجوارح ينفقون يحيون والله اعلم وقوله وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ يحتمل وجهين الى ما انزل اليك من القران ويحتمل ما انزل اليك من الاحكام والشرايع التى ليس ذكرها فى القران وقوله وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يحتمل وجهين ايضا يعنى الكتب التى انزلت على ساير الانبياء عليهم السلام ويحتمل الشرايع والاخبار سوى الكتب والله اعلم وقوله وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ بمعنى يؤمنون والايقان بالشئ هو العلم به والايمان هو التصديق لكنه اذا ايقن امن به وصدق به لعلمه به لان طايفة من الكفار كانوا على ظن من البعث كقوله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين فاخبر عز وجل عن حال هؤلاء انهم على يقين ليسوا على الظن والشك كاولئك وقوله أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ قيل على صواب ورشد من ربهم وقيل انهم على بيان من ربهم لكن البيان ليس المؤمن احق به من الكافر لانه بين للكافر جميع ما يحتاج اليه اما من جهة العقل واما جهة السمع فظهر بهذا ان الاول اقرب الى الاحتمال من الثانى وقوله وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قيل فيه بوجوه وقيل الباقون فى نعم الله ابدا والخير وقيل الظافرون بحاجتهم يقال افلح اى

ظفر مجاز وقيل المفلحون هم السعداء يقال افلح اى سعد وقيل المفلحون الناجون فقال افلح اى نجا وكله يرجع الى واحد كقوله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وكله واحد من زحزح عن النار فقد فاز ومن ادخل الجنة فقد فاز فكذلك الاول وقوله إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ هذا والله اعلم فى قوم خاص علم الله انهم لا يؤمنون فاخبر عز وجل رسوله بذلك فكان كما قال وفيه اية النبوة ويحتمل ايضا انهم لا يؤمنون ما داموا فى كفرهم كقوله والله لا يهدى القوم الظالمين والكافرين ما داموا كافرين ظالمين وقوله خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ روى عن الحسن ان للكافر حدا اذا بلغ ذلك الحد وعلم الله منه انه لا يؤمن طبع على قلبه حتى لا يؤمن وهذا فاسد على مذهب المعتزلة لوجهين احدهما ان مذهبهم ان الكافر مكلف وان كان قلبه مطبوعا عليه والثانى ان الله عز وجل عالم بكل من يؤمن فى اخر عمره وبكل من لا يؤمن ابدا بلغ ذلك الحد ولم يبلغ فعلى ما يقول الحسن ابهام انه لا يعلم ما لم يبلغ ذلك والمعتزلة يقولون ان قوله وطبع وختم بعلم علامة فى قلبه انه لا يؤمن كاعلام الكتب والرسايل ولكن عندنا خلق ظلمة الكفر فى قلبه والثانى خلق الختم الطبع على قلبه اذ فعل فعل الكفر مخلوق عندنا فخلق ذلك الختم عليه وهو كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى خلق الاكنة وغيره من الايات والاصل فى ذلك انه ختم على قلوبهم لما تركوا التامل والتفكر فى قلوبهم فلم يفقه وعلى سمعهم لما لم يسمعوا قول الحق والعدل فخلق التقبل عليه وخلق على ابصارهم الغطاء لما لم ينظروا فى انفسهم ولا فى خلق الله ليعرفوا زوالها وفناءها وتغير الاحوال ليعلموا ان الذى خلق دائم لا يزول ابدا وقوله وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ اخبار منهم انهم قالوا ذلك بالسنتهم قولا واظهروا خلاف ما فى قلوبهم فاخبر عز وجل نبيه عليه السلام انهم ليسوا بمؤمنين اى بمصدقين بقلوبهم وكذلك قوله من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وكذلك قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية هذه الايات كلها تنقض على الكرامية لانهم يقولون الايمان قول باللسان دون التصديق فاخبر عز وجل عن جملة المنافقين انهم ليسوا بمؤمنين لما لم ياتوا بالتصديق وهذا يدل على ان الايمان تصديق بالقلب والكرامية يقولون بل هم مؤمنون وقوله يُخَادِعُونَ اللَّهَ لا يقصد احد قصد مخادعة الله لكنهم كانوا يقصدون مخادعة المؤمنين واولياء الله فاضاف الله ذلك الى نفسه لعظم قدرهم وارتفاع منزلتهم عند الله وهو كقوله ان تنصروا الله ينصركم والله لا يحتاج ان ينصر ولكن كانه قال ان تنصروا اولياء الله ينصركم وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عبد الله والله لا يبايع ولكن اضاف ذلك الى نفسه لعظم قدر نبيه وعلو منزلته عند الله فكذلك الاول اضاف مخادعتهم اولياءه الى نفسه لعلو منزلتهم عند الله وقدرهم لديه والمخادعة هو فعل اثنين لخداع هؤلاء ولجحود المؤمنين لذلك معنى ذكر المفاعلة والله اعلم وقوله وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ اى حاصل خداعهم ووباله يرجع اليهم والثانى انهم يحضرون لهم الموافقة ليامنوا فلحقهم خوف دائم بذلك الخداع فى الدنيا وما يشعرون اى ما يشعرون ان حاصل الخداع يرجع اليهم فى الاخرة والثانى وما يشعرون ان الله يظهر ويطلع نبيه ما اضمروا فى قلوبهم والله اعلم وقوله فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يقال شك ونفاق سمى عز وجل المنافقين مرضى لاضطرابهم فى الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول ويضمرون الخلاف لهم بالقلب فكان حالهم كحال المريض الذى هو مضطرب بين الموت والحيوة اذ المريض يشرف المآل على الموت ويرجو الاقبال منه ثانيا فهو مضطرب بين ذلك فكذلك هم لما كانوا مضطربين فى دينهم سماهم مرضى واما ساير الكفرة فانهم لم يضطربوا فى الدين بل اظهروا بالقول على ما اضمروا بالقلب فسماهم موتى لما لم ينتفعوا بحياتهم ولم يكتسبوا الحيوة الدايمة وسمى المؤمنين احياء لما انتفعوا بحياتهم واكتسبوا الحياة الدايمة لموافقتهم باللسان والقلب جميعا لدين الله عز وجل والله اعلم وقوله فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا اختلف فى تاويله قالت المعتزلة هو التخلية بينهم وبين ما اختاروا واما عندنا على خلق افعال زيادة الكفر والنفاق فى قلوبهم لما زادوهم فى كل وقت من اظهار الموافقة للمؤمنين بالقول واضمار الخلاف لهم بالقلب خلق عز وجل تلك الزيادة من المرض فى قلوبهم باختيارهم وقد ذكرنا الوجه فى ذلك فيما تقدم فى قوله اهدنا وقوله وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لان عذاب الدنيا قد يكون ولا الم فيه فاخبر الله عز وجل ان عذاب الاخرة عذاب شديد عظيم ليس كعذاب الدنيا وقوله وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بالمخادعة للمؤمنين واظهار الموافقة لهم بالقول

واضمار الخلاف لهم بالقلب والاستهزاء بهم عند الخلوة والقول فيهم بما يليق بهم وعبادة غير الله وفي
فساد اكبرائهم هم المفسدون لما اضمروا من الخلاف لهم والمخادعة والاستهزاء بهم وقوله وَلَٰكِن لَّا
يَشْعُرُونَ اي لا يشعرون اي حاصل ذلك يرجع اليهم والثاني لا يشعرون ان ما كانوا يفعلون لفساد
فان كان هذا فهو ينقض قول من يقول بان الحجة لا يلزم الا بالمعرفة وهو قول الناسي لانه عز وجل
اخبر لفساد صنيعهم وان لم يشعروا به وهو كقوله ايضا ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون اخبر
بحبط الاعمال وان كانوا لا يعلمون وقوله وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ يحتمل الايمان يكون
في المنافقين ويحتمل في اهل الكتاب فاذا كانت في المنافقين فكان قوله امنوا يا اهل النفاق امنوا
في السر والعلانية كما امن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في السر والعلانية جميعا وهو كقوله فان امنوا
بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان كان في اهل الكتاب ففيه الامر بالايمان الذي هو ايمان وعم التصديق
والايمان وعندنا هو التصديق بالقلب دليله قول جميع اهل التاويل والادب انهم فسروا امنوا صدقوا
في جميع القران وقوله أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ الاية السفه هو ضد الحكمة وهو العمل بالجهل على العلم
انه يبطل والجهل هو ضد العلم والسفه هو الشتم يقول الرجل لاخر يا سفيه وقوله أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ
يقول بعض المتكلمين ان هذا شتم من الله لهم جوابا عن المؤمنين ويستجيزون ذلك على الجواب واذ
لم يجز على الابتداء كالمكر والكيد والاستهزاء والجزاء ونحوه نعمل ذلك هذا واما عندنا فهو غير جائز لا
من شتم اخر بذم عليه وهو عمل السفهاء فاخبره عز وجل انهم هم الذين يعملون بالجهل على علمهم
ان دينهم الذي يدينون به باطل وان الدين الذي يدين به المؤمنون حق وقوله وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ قيل
قيل فيه بوجهين احدهما لا يعلمون انهم هم السفهاء والثاني لا يعلمون ما يحل بهم من العذاب لذلك
والله اعلم وقوله وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا امنا اظهروا لهم
الموافقة في العلانية ويضمرون لهم الخلاف في السر واذا خلوا الى شياطينهم يعني الكهنة سموا
بذلك لبعدهم عن الحق يقال شطن اي بعد وقيل ان كل عات ومتمرد يسمى شيطانا لعتوه وتمرده كقوله
شياطين الانس والجن سموا بذلك لعتوهم وتمردهم ادمن قولهم ان الشياطين اضلهم من الجن
وقيل سموا شياطين لانه كان مع كل كاهن شيطان يعمل بامره فسموا باسمائهم وذلك جائز في اللغة
والله اعلم وقوله إِنَّا مَعَكُمْ قيل فيه وجهان اي معكم في النصرة والمعونة والثاني انا معكم اي على
دينكم لا على دين اولئك والله اعلم وقوله إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ باظهار الموافقة لهم في العلانية و
اظهار الخلاف لهم في السر وقوله اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ قيل فيه بوجوه قيل اي يجزيهم جزاء الاستهزاء
وكذلك قوله يخادعون الله وهو خادعهم اي يجزيهم جزاء المخادعة وكذلك قوله ومكروا ومكر الله
اي يجزيهم جزاء المكر يحمل على الجزاء لما لا يجوز اضافة المكر والخداع والاستهزاء ومبتداء الى الله تعالى
لانه مذموم من الخلق الا على المجازاة فكيف من الله تعالى عز وجل وقال بعضهم يجوز اضافة الاستهزاء
الى الله تعالى وان كان لا يجوز من الخلق بعضهم بعضا كالتكبر يجوز لله ولا يجوز للخلق لان الخلق هم
اشكال بعضهم لبعض وامثال والله عز وجل لا شكل ولا مثل وكذلك الاستهزاء يجوز له ولا يجوز
لغيره لان الاستهزاء هو الاستخفاف فلا يحل ان يستخف عمن هو مثله في الخلقة وما خلق له من الاحداث
والغير والله تعالى يتعالى عن ذلك والاول اقرب والله اعلم او اضاف الاستهزاء المؤمنين بهم الى نفسه
كما ذكرنا في المخادعة ثم اختلف في كيفية الاستهزاء فقال الكلبي هو ان يفتح لهم باب من الجنة فيدنوا
منه ثم يغلق دونهم ذلك النور فيتحيرون وهو قولهم انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نورا وقيل ان يجعل لهم في الدنيا ما ينتفعون به من القرابة النعم ظاهرا على ما اظهروا لهم
الموافقة في العلانية ويحرم ذلك لهم في الاخرة باضمارهم الخلاف في السر وقوله وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون كقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون غير ان
هذه في المنافقين والاولى في الكفرة وهي تنقض على المعتزلة قولهم لانهم ليقولون ان الله لا يقدر
ان لا يقدر ان يستنقذهم في حال الاختيار وانما يقدر الاستنقاذ منهم في حال الاضطرار فاخبر عز وجل
ان يستنقذهم على فعل الطغيان وقوله وَيَمُدُّهُمْ اي يخلق فعل الطغيان فيهم ويحتمل ان يخذلهم ويتركهم
لما اختاروا من الطغيان الى اخر عمرهم ويحتمل انه لم يهديهم ولم يوفقهم في هذا اضافة المد الى الله

واضافة

واضافة المد الى الطغيان لا يضاف اليه الا المدح والمدح يكون بالاوجه الثلثة التي بينا وفي هذا انه اذ كان
هو الذي يمدهم في الطغيان قدر على ضده من فعل الايمان فدل ان الله تعالى خالق فعل العباد اذ من قولهم ان
القدرة التامة هي التي اذا قدر على شيء قدر على ضده والعمه الحيرة في اللغة وقوله أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا
الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ اي اختاروا الضلالة على المدعو اليه وهو الهدى من غير ان كان عندهم الهدى فتركوه
بالضلالة وهو كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات من غير ان كانوا فيه فكذلك
الاول تركوا الهدى بالضلالة ابتداء وقيل الضلالة الهلاك اي اختاروا ما به يهلكون على ما به نجاتهم
وان كانوا لا يقصدون شراء الهلاك بما به النجاة كقوله فما اصبرهم على النار ولكن فما اصبرهم على عمل يستوجبون
به النار وكذلك قوله بئسما اشتروا به انفسهم اي بئسما اختاروا ما به هلاك انفسهم على ما به نجاتهم و
في هذه الاية دلالة جواز البيع بغير لفظة البيع لانهم كانوا يتلفظون باسم البيع ولكن كانوا يتركون
الهدى بالضلالة وكل من ترك الاخر شيئا له يبدل باخذه منه فهو بيع وان لم يتكلموا بكلام البيع و
كذلك قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية وهو بذل الاموال والانفس له بالموعود الذي
وعد لهم وهو الجنة وقوله فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ اي ما ربحوا في تجارتهم لان التجارة لا تربح وقد يسمى الشيء
باسم سببه وهو كقوله وجعل النهار مبصرا والنهار لا يبصر لكن بالنهار يبصر وذلك شايع في اللغة
جائز تسمية الشيء باسم سببه ثم في قوله فما ربحت تجارتهم نفى الربح دون الاصل في الظاهر غير ان
النفي على وجهين نفي شيء يوجب اثبات ضده وهو نفي الصفة كقولك فلان عالم نفيت الجهل عنه و
فلان جاهل نفيت العلم عنه ونفي شيء لا يوجب اثبات ضده وهي نفي الاعراض لانك اذا نفيت اللون
لم يوجب ضده ذلك اللون وقوله فما ربحت تجارتهم نفي الاصل كانه قال بل خسرت تجارتهم او وجب اثبات
ضده دليله بئسما اشتروا به انفسهم وبئسما كانوا يعملون وقوله مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا
اختلف فيه قيل انها نزلت في المنافقين لانها على اثر ذكر المنافقين وهو قوله واذا لقوا الذين
امنوا الاية وقيل انها نزلت في اليهود لانه سبق ذكر اليهود وهو قوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون الاية ويحتمل نزولها في الفريقين جميعا روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان هذا
من المكتوم فلا يحتمل ما قال لانه مثل ضرب الله الامثال انما تضرب لتفهم وتقرب الى الفهم ما بعد منه
فلو حمل على ما قال لم يفهم مراده وما قرب الى الفهم شيا الا ان يريد
من المكتوم انه لم يعلم فيمن نزل فهو محتمل والله اعلم وقوله عز وجل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا
الاية يحتمل ان يكون الاضافة الى من ذكر من المنافقين بقوله ومن الناس من يقول امنا بالله و
الاية وقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا الاية وذلك يخرج على وجوه احدها انهم قصدوا
قصد المخادعة باولياء الله والاستهزاء بهم ففضحهم الله تعالى بذلك في الدنيا والاخرة فاما في الدنيا
هتك سترهم واطلع على ذلك اولياءه فعادت اليهم المخادعة وعوقبوا بما اطلع على ضميرهم وبما ارادوا
بذلك الا من فاعقبهم الله خوفا دائما كما وصفهم الله يخشون الناس الاية وقال يحسبون كل صيحة
عليهم وقال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت وقال فاذا جاء
الخوف رايتهم ينظرون اليك الاية وقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم الاية او ان يكونوا
طلبوا باظهار الموافقة في الدين الشرف فيهم والعز وكذلك عند الكفرة بما اظهروا انهم يخادعون
بذلك المؤمنين ويستهزؤن بهم فعلموا انهم كذلك يظهرون للمؤمنين حالهم فطردوا من بينهم فقال
الله ما هم منكم ولا منهم وقال مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء الاية فزال عنهم ما التمسوا من
الشرف والعز وابدل لهم به الهوان والذل فمثلهم في ذلك مثل مستوقد نار ليستضيء بضوءها
وينتفع بحرها فاذهب الله بضوئه في ذهب ما كان يامل من الاستنارة والانتفاع واعقبه الله
الخوف الاحتراق لو دنا منها ما طلب بذلك من شرف الوقود في الايام الثاني او ما يصلح
من الاغذية بذهاب البصر فيكون ذلك معنى قوله وهو خادعهم والله يستهزئ بهم اذا عوقبوا
بالخذف عما قصدوا به الامن والذل بما طلبوا به العز وكذلك مستوقد النار الذاهب نوره والله
اعلم وعلى ذلك قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروا الضلالة لما رجعوا
الى شياطينهم بالهدى الذي قد اظهروه عند المؤمنين فيكون تحقيق استهزاء الله بهم وبخادعتهم

اياهم فعل وليا نرىهم بما اخبروا من سرائرهم وبما خطوا اقدارهم وذللوا فى اعينهم فاضيف ذلك الى الله
اذ به فعلوا كما اضيف مخادعتهم المؤمنين اليه اذ عن دينه فادعوهم والله اعلم وعلى هذا التاويل امكن ان يخرج قول
من زعم ان الاية نزلت فى الكافرين انهم كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وجدوا نعته فى التورية
والانجيل انه يأمرهم بالمعروف الاية وقوله محمد رسول الله الى اخر السورة وقال عز وجل يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وقوله وكانوا يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كانوا المستوقد النار راى طالب
الوقود يستضئ به فلما ظفر به اذهب الله نوره بعد معرفتهم بمنفعة نور النار فلم ينتفع به فكذلك لما كفروا
عند بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدا من انفسهم وبغيا اذ كان من غيرهم او خشيت منهم على ملكهم
ومأكلتهم بعد العلم منهم بعظم المنفعة فيه ولا قوة الا بالله وما فى الاخرة فصد والمخادعة المؤمنين
ورموا لانهم فى الظاهر مشاركتهم اياهم فى المنافع ويجد المغانم والتوارث والتناكح وخالفوهم فى الباطن
فكذلك الله اشركهم فى المنافع الظاهرة الحاضرة فى الدنيا وخالفهم بمنافع دينه فى الباطن الغائب
وهى الاخرة اراهم المشاركة مع المؤمنين فى الدنيا وصرفها عنها فى الاخرة فجا اذقهم الموافقة فى الظاهر
مع المخالفة فى الباطن فكذلك مستوقد النار اظهر من نفسه الرغبة فى ضوءها بالايقاد وقد اذهب
الله تعالى بنوره بعد فذهب عنه منفعة عند ظنه انه يصل اليها كالمنافقين فى الاخرة اذ ظنوا فى الدنيا
انهم شركاءهم فى الاخرة لو كانت ولذلك قالوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم وقوله
الم نكن معكم الاية فذلك وجه الاستهزاء بهم والمخادعة انه اشركهم فى احكام الدنيا وخالفهم فى احكام
الاخرة وذلك اشتراء الضلالة بالهدى على معنى اختيارهم ما فيه الهلاك على ما فيه نجاتهم وعلى ذلك
يخرج تاويل من صرفها الى اهل الكتاب لانهم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا امنوا بكتبهم وقد كانت
فيها نعته الشريف فلما وصلوا الى منافع الايمان بالبعث اليهم وشاهدوا اكفروا به فحرموا بحرمان
منافع كتبهم وايمانهم عند معاينة الجزاء كما ردوا ايمانهم به عند المشاهدة والله اعلم وروى عن
ابن عباس رضى الله عنهما انه ضرب تاويل هذه الاية والتى تتلوها من قوله او كصيب من السماء الى قوله
ومن الناس من يعبد الله على حرف ولذلك والله اعلم انهم قوم لا يعرفون الله حق المعرفة فيعبدونه
حق الربوبية لرغبتهم ولا يؤمنون بالاخرة فيكون عملهم للعواقب ولا يعرفون غير الدنيا ومنافعها
فجعلوا دينهم وعبادتهم ثمنا لها فاذا ارادوا فى دين الاسلام الغنائم والسلامة او تجاراتهم مربحة فاطمأنوا بها
واجتهدوا بالسعى فيها واذا اصابتهم الشدة والبلايا او تجاراتهم مخسرة صرفوا الى غير ذلك الدين فمثلهم
المستوقد نارا انه يجتهد فى الايقاد ما دام يطمع فى نور النار ومنافع حرها ومصالح الاطعمة فاذا ذهب نور
بصره ابغض النار بما يخشى من الاحتراق بالدنو منها وبما يذهب من منافع حينئذ انه لا يكن استوقد كالمنافق
فيما استقبله المكروه فى الاسلام تمنى ان لم يكن اسلم قط وذلك قوله وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون
فى الاعراب وقوله لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا وقولهم قد اخذنا امرنا من قبل وقوله قد انعم الله
على اذ لم اكن معهم شهيدا وكذا البرق الذى يضئ للمشى المرء فى ضوئه وكذلك المنافق اذا راى خيرا فى
الاسلام مشى اليه واذا اظلم عليه قام متحيرا حزينا ان لا يكون اختار السلوك والله الموفق قال ابو
ابو بكر الاصم مثل من يظهر الايمان فيما يتزين بنوره فى الناس مثل مستوقد فيما يستضئ دخول النار بنورها
ثم يذهب الله نوره وفى الاخرة كما اذهب فى الستر وكذلك اذهب الله نور المستوقد فيذهب به التزين
بالنور قال وقيل ذا لعن كما يقال اذهب الله نوره اى الذى كان يظهره فيبقى المنافق فى ظلمات الاخرة
والمستوقد فى ظلمات العمى والليل ثم قال جعل الدعا الى الاسلام كالصيب وما فيه من الجهاد كظلمة الليل
وما فيه من الغنيمة كالبرق وجعل اصابعهم فى الاذان من سماع ما فى الاسلام من الشدائد نحو جعل
ذلك من الصواعق يكاد البرق يخطف ابصارهم اى ما فى الاسلام من الغنيمة يدعوهم اليه واذا اظلم
عليهم بالشدائد قاموا وصدوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لذهب باذان
اصمهم واعماهم وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ضوء البرق والنار ليس بدائم فشبه به ايمان
المنافق انه عن سريع يزول وقال القتبى كان المنافق فى ظلمة الكفر فاهتدى بما اعطى من النور كمستوقد
النار بنوره فى ظلمة الليل وكذلك السالك فى ظلمة الليل فلما ذهب نوره او سكن لمعان البرق رجع الى
حيرته من الظلمة والاصل فى هذا الباب ان الله تعالى خلق هذه النار محنة اهلها وجعل لهم دارا يجزيهم فيها

من لولاهى لكان يكون خلق هذه النار بما فيها عبثا ان يكون خلق الخلق للفناء بلا عواقب لهم وذلك عبث فى
العقول لان كل سارع فيما لا عاقبة له عابث وفيما لا يريد يكون معنى فى العقل هازل ولذلك قال
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فاذا كان كذلك صارت هذه الدار دليلا لاخرى فجعل
ذلك ضرب للاخرى مثلا بالمعروف من هذه بهذه عرفت تلك ولهذا خلق الله الممتحنين بحيث بالموت
ويتلذذون ليعرفوا قدرها الالام التى اوعدوا واللذات التى رغبوا فعل ذلك ضرب الله مثل من عمى
عن الاخرة وصم عن سماع ما يرغب فيها او عمى عن امر الله ونهيه اولحق بالاعمى والاصم والميت ونحو
ذلك للذهاب منافع البصر والسمع والحيوة اذ هى مخلوقة ليعرف بها ما غاب عنها بالتامل والتدبر
فاذا اعقل عن ذلك سمى بالذى ذكرنا وبينا انه لولا الاخرة ودار الجزاء لم يكن يخلق شىء من ذلك حكم
نعقلها نحن فعلى ذلك ضرب للذهاب نور القلب الذى به يبصر العواقب وينتفع فيها بذهاب نور البصر
فى زوال منافع الدنيا مما يبصر بنوره وكذلك امر السمع وغيره فكان على ذلك اخرج امكان المثلين اخراج جمعا
على الكفرة والمنافقين فاذا ذهب النور حقيقة عنه وهو نور البصر لم ينتفع بنور النار على قيام النار بنور
لكل ذى بصر وكذلك سائر منافع النار فكذلك اذا ذهب عنه نور بصر القلب وحيوته لم ينتفع بنور الاخرة و
جزائها وكذلك الذى ذهب عنه ضوء البرق بقى متحيرا اذ به يبصر الطريق كن يذهب عنه بصر القلب
يبصر عواقب الاشياء بل الذى قصد السلوك بالبرق والاستضاءة بنور النار واذا ذهب كان اعظم حسرة
وامنن خوفا من النار وشدة المطر وجنب الطريق من الذى لم يعرف فى الابتداء نفع النار والبرق وكون
المطر على شدة رغبة فيه والنار بما ذهب عنه وكذلك المنافق فى الاخرة ان لم يكن منه ما اظهر اذ ثم يرد
الى درك الاسفل ولا قوة الا بالله وكذلك الكافر لم يبصر بما اعطاه من البصر عواقب البصر الظاهر
ولا يسمع لما انعم عليه من السمع عواقب السمع احق ذلك ان يودى ذلك ادركه الى العقل ليغيره به
انه لم يخلق شىء من ذلك بالاستحقاق لا يحتمل عقله الاحاطة بكنه ما فيه من الحكمة فيعلم عظم نعمة الله
تعالى وخروجه مثله عن العبث فيقوم باداء شكره وبذلك يصير به الى الجزاء فى العواقب ولا قوة الا بالله
وقوله صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ يحتمل وجهين احدهما صم لانه ختم على اذانهم وعلى سمعهم وعلى قلوبهم
فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ويحتمل انه صم بكم عمى لما لم ينتفعوا باسماعهم وابصارهم و
قلوبهم ثم اختلف فى جواز اضافة لفظ الاستهزاء الى الله تعالى فاجاز قوم وان كان ذلك قبيحا من
الخلق لما قبح منهم بما لا احد يستهزا باحد اما بجهله او لقبح فى الخلقة الا والمستهزء نحو هذه يحتمل ذلك لولا
انعام الله تعالى عليه الذى قد اغفل عنه باشتغاله بما ذكرنا لعل الاغفال عن هذا اوحش وافحش من
حال المستهزئ به ولذلك قال عز وجل لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم الاية وذلك نحو التكبر
انه قبيح من الخلق عالهم اشكال فى الحدث وانا رالتصحة واحتمال كل منهم بما احتمل غيره وجائز اضافة
الى الله تعالى بتعاليه عن الاشباه والاشكال والاحاطة احتمال ما احتمل غيره وبه يقول حسن النجار وفى
قوم ذلك لا على الاحوال تصرف فهم السامع الى معنى الاستهزاء نحو ان يذكر على اثر فعل له جزاء فيفهم
منه جزاء الاستهزاء كذكر السيئة فى الجزاء والمكر ونحو ذلك ثم يخرج فيما نحن على اوجه احدها ما بينا و
الثانى ما ينسب اليه فعل المامور نحو قول المؤمنين للمنافقين فى الاخرة ارجعوا وراءكم وقول اهل الجنة
ودعائهم اهل النار بالخروج لو ثبت ما ذكره الكلبى وقول الملائكة فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال
وغير ذلك ثم ما ذكر من الظلمات يخرج على وجوه ثلثة احدها ظلمات كفرهم بقلوبهم اذا اظهروا الايمان
اولا والثانى المتشابه فى القرآن وهو الذى تعلق به كثير من المشركين حتى نزل قوله فاما الذين
فى قلوبهم زيغ الاية والثالث ما فى الاسلام من الشدائد والافزاع من الجهاد والحدود وغير ذلك وامكن
صرف الاول والاخر الى الفريقين الكافر والمنافق وصرف تاويل المتشابه الى الكافر على انا جينا ان كل
من ذلك خطاء ويدل اخر الاية وهو قوله والله محيط بالكافرين على ان المثل لهم الا ان المنافق شريكهم
فى الكفر والله الموفق وجائز ان يكون المثل المضروب بالاية انما هو القوم الذين شهدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا قبل بعثته صنفين صنف يحمل الكتاب الذى هو عندهم بما جاءت به الرسل
لكنهم قد غيروا ما فى كتبهم من دين الله واحكامه حتى خلطوا ذلك وابدعوا غير الذى جاءت به الرسل
من الدين والاحكام قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا الاية وقوله قد جاءكم رسولنا يبين لكم وقوله

ان الذين فرقوا دينهم الاية ومنهم من ابدع الكتاب ونسبه اليهم كقوله فان فريقا منهم يلوون السنتهم بالكتاب
الاية بين ما ظهر من التفرق فيهم ومن القول في انبيائهم وفي الله سبحانه ومعلوم ان دين الرسل واحد
غير مختلف وما كان من الفترة اندرست الكتب وذهبت الرسل فسادوا في ظلمة الضلالة وحيرة
الزيغ وذاهوا في سبيل الشيطان وانقطع من بين اظهرهم الائمة الذين يوثق بهم في الدين بما ليس لاحد
برهان يشهد له بالتمسك بسبيل الانبياء والاعتصام بكتبهم اذ كلهم يدعي ذلك وقد ظهر فيهم القول
المختلف والتناقض الذي لا يحتمله الحكمة ولا يصبر عليه العقل وصف لا يحمل الكتاب ولا يومن بنبي
من الانبياء بل يعبدون الاوثان والنيران والاحجار وما يهوون مما لا يملك الضر ولا النفع لهم شرع
بل هم حيارى لا يعرفون معبودا ولا يبصرون طريقا ولبس فيهم من اذا فزعوا اليه دلهم على المحجة ولا
اطلعهم على الحق بل هم في الضلالة تائهين وفي الظلمات متحيرين فاحوج الفريقين جميعا ما حل بهم من الحيرة
والشبه الى من يشفيهم من داء الضلالة بنور الهدى ومن ظلمة الاختلاف بضياء الائتلاف ويخرجهم
من سبيل الشيطان الى سبيل الله ويدلهم على معرفة المعبود الحق لئلا يتخذوا من دونه اربابا عند شدة
حاجتهم رسولا واكرمهم بما اراهم من الايات التي يعلمهم انه الهم به عليهم ليستنقذهم من الضلالة انهم
اطاعوه وشكروا نعمة الله فكانوا كقوم بلوا بظلمات الليل والسحاب فتحيروا فيها بما حالت الظلمة بينهم وبين
حاجاتهم وتعذر عليهم التوجه في وضع اقدامهم فتاهوا فدفعهم الجهد الى استيقاد النار ليبلغوا حوائجهم
ويامنوا العطب في وضع الاقدام وكقوم بلوا في شدة الجوع والعطش لضيق الزمان وجدبه فاستغاثوا من
ملك كشف ذلك عنهم فاغاثهم بالمطر ثم منهم من عرف نعمة من انعم عليهم بالوعد واغاثهم بالمطر فتلقوا
نعمه بالشكر فاحسنوا من الهلاك ووصلوا الى حوائجهم بالنار والمطر وذلك مثل من اتبع محمدا صلى الله عليه
وسلم وعرف نعمة الله تعالى وشكره ومنهم من يطفي نور النار بالكفران والجهل بالمنعم به عليه ونسي ما كان عليه
وهو قوله تعالى واذا مس الانسان ضر اباب فيها ذكر ما ثبت وقوله واذا مسكم الضر في البحر الاية فاذهب الله
نوره فلم ينتفع بنور النار ولا وصل الى الحاجة التي بها يقضي وذلك مثل الذي كفر بالمحمد صلى الله
صلى الله عليه وسلم انهم لم ينتفعوا به ولا قضوا حاجاتهم بل زادهم ذلك ظلمة وحيرة كمستوقد النار اذا
ذهب بصره كذلك قوم بلوا في الشكوك في الطريق عند شدة الظلمة ولم يبلغوا النعمة بالشكر من الرحم
الذي جعل لهم لوضع نور البرق فاذهب نوره وسكن لمعان البرق فعادوا الغياث له هلاكا والمطر
الذي رحمة عليه بلاء فمثله من كان برسول الله صلى الله عليه وسلم واعترض على الاستماع اليه ولا
قوة الا بالله **وقوله** يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ والخطاب يحتمل الخصوص والعموم وقوله اعبدوا
وحدوا ربكم جعل العبادة عبارة عن التوحيد لان العبادة التي هي لله لا يكون ولا تخلص له الا
بالتوحيد ويقال اعبدوا اي اجعلوا عبادتكم لله لا تعبدوا غيره في كلا الناويلين يرجع الى الكفرة
ويقال اعبدوا اي اطيعوا له والعبادة جعل العبد كلية لله قولا وعملا وعقدا وكذلك التوحيد
والاسلام والطاعة يرجع الى الائتمار لانه يجوز ان يطاع غير الله ولا يجوز ان يعبد غير الله لانه
كل من عمل بامر آخر فقد اطاعه كقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا كل من عمل بامر آخر فهو عابد له
وبالله نستعين ثم بين الذي امر بالتوحيد اياه والعبادة له خالصا فقال الذي خلقكم وخلق الذين
من قبلكم والذين تعبدون انهم لم يخلقكم ولا خلق الذين من قبلكم فكيف تعبدونهم دون الذي خلقكم
وبالله التوفيق **وقوله** لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ يحتمل وجهين يحتمل يتقون المعاصي والمناهي والمحارم التي
حرم الله عليكم فاذا كان هذا هو المراد فذلك راجع الى المومنين ويحتمل قوله تتقون الشرك وعبادة غير
الله تعالى فذلك راجع الى الكفرة قال الشيخ الاحسن في الامر بالتقوى والتوحيد ان يجعل عادا وفي
الخبر عن التقوى خاصا لعلكم اي كي تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا بين الذي امر بالتوحيد له
وتوجيه العبادة اليه واخلاص النية له فقال الذي فرش لكم الارض تنتفعوا بها وتقضوا حوائجكم
فيها من انواع المنافع من المنام عليها واتخاذ المستقر والمسكن فيها والسماء بناء والسماء كل ما علا
وارتفع كما يقال للسقف البيت سماء لارتفاعه وسماه السماء بناء وان كان لا يشبه بناء الخلق حتى يعلم
ان البناء ليس اسم ما يبني الناس خاصة ثم بين بقوله وانزل من السماء ماء اي وجهوا العبادة الى
الذي ينزل لكم من السماء ماء عند حوائجكم ولا تعبدوا من تعلمون انه لم يخلقكم ولا انزل لكم من السماء

ماء ولا اخرج لكم من ذلك الماء ثمرات يكون رزقا لكم بل هو الله الواحد الذي لا شريك له ولانه يخلقكم
ويرزقكم ويخرج لكم من ذلك الماء المنزل من السماء رزقا تاكلونه وماء عذبا تشربونه وفي الاية دلالة ان
المقصود في خلق السماء والارض وانزال الماء منها واخراج هذه الثمرات وانواع المنافع بنو ادم و
هم المستمتعون فيها بدلالة قوله جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وما ذكر من المخرج والمنزل منها
وما ذكر في اية اخرى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقوله سخر لكم الليل والنهار و
سخر لكم الفلك مما يكثر ذلك من الايات اضاف ذلك كله الينا ثم جعل عز وجل بلطفه منافع السماء
متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما من المسافة حتى لا يخرج الارض شيئا الا بما ينزل من السماء
من الماء ليعلم ان منشئ السماء من منشئ الارض لانه لو كان منشئ هذا غير منشئ الاخر لكان لا يعني
لاتصال منافع هذا بمنافع الاخر على بعد ما بينهما وليتوهم كون الاختلاف من احدهما للاخر فاذا كان ذلك
دل على ان منشئهما واحد لا شريك له ولانه ثم زعم قوم ان الاشياء كلها حل الناطق غير محظور عليه
حتى يجيء ما يحظر فاستدلوا بظاهر هذه الاية بقوله رزقا لكم وبقوله كلوا مما في الارض حلالا طيبا
وقال اخرون لا يدل على ذلك على الاباحة وذلك ان الاشياء لم نص لنا من كل الوجوه فهو على الحظر
حتى يجيء الاباحة ولان الاشياء لا تحل الا باسباب تتقدم فظهر الحظر قبل وجوه الاسباب فهو على
ذلك حتى تجيء ما يحل ويبيح ان يقال خلق هذه الاشياء للمحنة امتحانا بها او فتنة فتنا بها كقوله
انما اموالكم واولادكم فتنة وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف الاية ولان في العقل ما يدفع حمل
الاشياء كلها على الاباحة لما في ذلك فساد الخلق وتفانيهم فبين بكل منهم ملكا على حدة بسبب يكتسب
لئلا يحملهم على التفاني والفساد وبالله نستعين **وقوله** وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان لا ند ولا عدل ولا شكل
لما راكم من انشاء هذه الاشياء فلم تروا ذلك ممن تعبدونه شيئا والثاني وانتم تعلمون لما انشاء فيكم
من الاشياء ما لو تدبرتم وتفكرتم وتاملتم علمتم انه لا ند له ولا مشكل له كقوله وفي انفسكم افلا تبصرون
وقوله عز وجل وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا من القران انه مختلق مفترى وانه ليس منهم لقولهم
ان هذا الا اختلاق وقولهم ما هذا الا افك مفترى وما هذا الا سحر مفترى **وقوله** فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِنْ مِثْلِهِ اي انتم وهو سواء في الجوهر والخلقة واللسان ليس هو اولى بذلك منكم اعني في الاختلاق
وقوله وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ اي استعينوا بالهتكم الذين تعبدونها من دون الله حتى تعين لكم على
مثله ان كنتم صادقين في مقالتكم انه مختلق مفترى ويقال ادعوا شركاءكم يعني شركاءكم وخطباءكم
ليعينوكم على اتيان مثله ويقال ادعوا شهداءكم من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة على
الرسل لشاهدة انه مختلق مفترى **وقوله** فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا يحتمل وجوها يحتمل انهم اقروا على
اثر ذلك العجز عن اتيان مثله من غير تكلف ولا اشتغال كان منهم لما رفع عز وجل عن اطماعهم اتيان مثله
ثم اجتهدوا وكل جهدهم وتكلفوا كل جهدهم على اطفاء النور ليخرج قولهم على الصدق بانه مختلق مفترى و
يظهر كذبا الرسول صلى الله عليه وسلم انه كلام رب العالمين فدل اقرارهم ما عجز اتيان مثله وترك
اشتغالهم بذلك انه كلام رب العالمين منزل على نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم **وقوله** فَاتَّقُوا النَّارَ
الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ الوقود بالنصب الحطب وبالرفع هو النار اخبرهم عز وجل ان حطبها الناس
كلما احترقوا اعيدوا وبدلوا كقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا والحجارة فيه وجهان قيل هي الكبريت
وقيل الحجارة بعينها للصلابة بينها وشدتها اشد احتراقا واكثر حرا **وقوله** أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ من الاية دلالة على
انها لم تعد لغير الكافرين وهي تنقض على المعتزلة قولهم حيث خلدوا اصحاب الكبيرة في النار ولم يطلقوا
اسم الكفرة انها اعدت للكافرين ايضا وان كان تعذيب المومن بمعاص يرتكبها او وزر حملها وفواحش
تعاطاها وذلك ان الله تعالى يعذب من يشاء بما شاء وليس الى الخلق الحكم من ذلك كقوله ولا يشرك في
حكمه احدا فان قالوا ان اطفال المشركين في الجنة والجنة لم تعد لهم وانما اعدت للمومنين ثم جاز دخول
غيرهم فيها وتخليدهم وكذلك النار وان كانت معدة للكافرين جاز لغير الكافرين التعذيب والتخليد
فيها كقوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم الاية شرط الكفر بعد الايمان ثم من
يشاء على الكفر والذي كفر بعد الايمان سواء في التخليد فيقال لهم ان كل كافر يشهد خلقته على
وحدانيته فاذا ترك النظر في نفسه واختار الاعتبار فصار ككفر بعد الايمان لانه لم يكن مومنا ثم

كفروا واما قولهم فى الاطفال فانهم انما اخلدوا فى الجنة جزاء لهم من ربهم ولله ان يعطى الجزاء من شاء بلا فعل
ولا صنع كان منه فضلا وكرامة وذلك فى العقل جائز اعطاء الثواب بلا فعل على الافضال والاكرام فاما
التعذيب فانه جائز فى العقل بلا ذنب يرتكبه والله اعلم وقوله وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الاية
قول من جمع جميع الطاعات ايمانا لما اثبت لهم اسم الايمان دون الاعمال الصالحات غير ان البشارة لهم
وذهاب الخوف عنهم انما اثبت بالايمان بالاعمال الصالحات ويحتمل الاعمال الصالحات عمل القلب و
هو ان يأتى بايمان خالص لله لا كايمان المنافق بالقول دون القلب وقوله أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يعنى لبساتين وقوله من تحتها الانهار قيل فيه بوجوه قيل ان البساتين ليست هى
اسم الارض والبقعة خاصة ولكن ما يجمع من الاشجار وما ينبت فيها من الالوان العروش المثمرة فعند ذلك
يسمى بستانا وقوله تجرى من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها واغراسها الانهار وقيل من تحتها بما يقع
البصر عليها وذلك امره عند الناس واهل وابلك وقيل ايضا من تحتها اى من تحت ما علا ولا تحت الجلد
فكذلك من تحت ما علا من القصور والغرف والله اعلم وقوله كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا
الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ قيل هو بوجوه رزقنا من قبل فى الدنيا اى هذا الذى وعدنا فى الدنيا اى فى
الجنة هذا وقيل رزقنا من قبل هم فى الجنة قبل هذا وقوله وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا قيل فيه وجوه قيل
متشابها فى المنظر مختلفا فى الطعم وقيل متشابها فى الطعم مختلفا فى رأى العين والالوان من
الفواكه ما يتلذذ بالنظر اليها دون التناول منها وقيل متشابها فى الحسن والبهاء وقوله وَ
لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ من سوء الخلق والدناءة ليس كنساء الدنيا لا يسلمن عن ذلك وقيل مطهرة
من الامراض والاسقام وانواع ما يبتلى به فى الدنيا من الاذى والوسخ والحيض وقيل مطهرة لصفاء
جوهرها كما يقال يرى مخ ساقها من كذا وكذا وقيل مطهرة مختارة مهذبة وقوله وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اى
مقيمون ابدا فالاية ترد على الجهمية قولهم لانهم يقولون بفناء الجنة وفناء ما فيها يذهبون الى الله
تعالى هو الاول والاخر والباقى ولو كانت الجنة باقية غير فانية لكان ذلك تشبيها لكن ذلك وهم عندنا
لان الله تعالى هو الاول بذاته والاخر بذاته والباقى بذاته والجنة وما فيها باقية بغيرها ولو كان فيما ذكر
تشبيه لكان فى العالم والسميع والبصير تشبيه ولكان فى الخلق ايضا فى حال البقاء تشبيه فاذا لم يكن
فيما تقدم تشبيه وايضا فان الله تعالى جعل الجنة دار مطهرة من المعايب كلها لما سماها دار قدس ودار
سلام ولو كان اخرها للفناء كان فيها اعظم المعايب اذ المراد لا يهنأ بعيش اذ انقض عليه بزوال فلو
كان اخره للزوال كان نعمة منغصة على اهلها فلما ستره عن العيوب كلها وهذا العيوب كذلك كان التخليد
لاهلها اولى بها وقوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا كان هذا والله اعلم يخرج
جوابا على اثر قول قائله الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره بعض اهل التاويل فقالوا ما
يستحيى ربك ان يذكر البعوض والذباب ونحوها ما يصغر فى نفسه وملوك الارض لا يذكرون ذلك
ويستحيون فقال عز وجل جوابا لقولهم ان الله لا يستحيى الاية لان ملوك الارض انما ينظرون الى هذه
الاشياء بالاستحقار لها والاستذلال فيستحيون ذكرها على الانكاف والانفة والله عز وجل لا يستحيى
من ذلك لان الاعجوبة فى الدلالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته فى خلق الصغير من الجثة والجسم
اكبر من الكبار منها والعظام لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب وتركيب
ما يحتاج اليه الفم والانف والرجل واليد والمدخل والمخرج ما قدروا ولعلهم يقدرون ذلك فى العظام
من الاجسام والكبار منها فلذلك لم ينظروا اليها لما فيها من الاعجوبة واللطافة ولكن نظروا الحقارة
والخساسة انفا منهم وانكافا ثم اختلف اهل الكلام فى اضافة الحياء الى الله تعالى فقال قوم يجوز ذلك
بما روى فى الخبر ان الله تعالى لا يستحيى ان يعذب من شاب فى الاسلام ولانه يجوز كالتكبر والاستهزاء
والمخادعة وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم وقال اخرون لا يجوز اضافته الى الله تعالى لان تحته الانكاف
والانف وذلك عن الله تعالى منفى ولكن الحياء هو الرضاء ههنا والحياء الترك اى لا يترك ولا يدع
وقوله فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ اى علموا ان ضرب المثل بما ذكر من صغار الاجسام
والجثة حق لما نظروا فيها من الاعجوبة والحكمة واللطافة واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا
مثلا لم ينظروا فيها من الاعجوبة والحكمة ولكن نظروا الخساسة والحقارة وقوله يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا الاية

ننقض على المعتزلة قولهم لانه جواب قولهم ماذا اراد الله مثلا فقال اراد ان يضل بهذا المثل كثيرا واراد
ان يهدى به كثيرا اضل به من علم انه يختار الضلالة ويهدى به من علم انه يختار الهدى اراد من كل ما علم منه انه
يختار ويوثر والله اعلم وهم يقولون بل اراد ان يهدى به الكل ولكنهم لم يهتدوا والثانى يضل به كثيرا اى خلق
فعل الضلالة من الضال وخلق فعل الاهتداء من المهتدى وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ
اى ما يضل بهذا المثل الا الفاسق الذى لا ينظر الى ما فيها من الاعجوبة واللطافة فى الدلالة وقوله الَّذِينَ
يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ عهد الله يكون على وجهين عهد خلقه لما انشأ هذه خلقه كل احد على وحدانية
الرب كقوله وفى انفسكم افلا تبصرون وكقوله اولم يتفكروا فى انفسهم الاية انه ان نظر فى نفسه وتامل
عرف ان له صانعا وانه واحد لا شريك له وعهد رسالة الانبياء والرسل عليهم السلام كقوله وقال الله انى معكم
لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلى الاية وكقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية
فنقضوا العهدين جميعا عهد الخلقة وعهد الرسالة وقوله وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ يحتمل وجهين
يقطعون الايمان ببعض الرسل وقد امروا بالوصل كقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقيل يقطعون ما امر الله
ان يوصل من صلة الارحام وقوله ويفسدون فى الارض قيل فيه بوجهين يفسدون بما يأمرون وكقوله
يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقيل يفسدون اى يتعاطون بانفسهم فى الارض بالفساد كقوله
ويسعون فى الارض فسادا وقوله أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ يحتمل ايضا وجهين خسروا لما فات عنهم وذهب
من المنى والامانى فى الدنيا وروى عن الحسن انه قال فى قوله تعالى هم الخاسرون اى قذفوا انفسهم باختيارهم
المكون بين اطباق النار فذلك هو الخسران المبين وقوله كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ يحتمل
وجوها كيف من ابن ظهرت لكم الحجة ان تعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها انه حق ولم يظهر لكم
منها انشاء بعد الموت ولا الاماتة بعد الاحياء وقيل كيف تكفرون بالبعث بعد الموت وكنتم امواتا يعنى
نطفا فاحياكم وانتم لا تنكرون انشاء الاول فكيف تنكرون البعث والاحياء بعد الموت وفى العقل
ان خلق الخلق للفناء والاماتة من غير قصد العاقبة عبث ولعب لان كل بان بنى للنقض فهو
عابث وكذلك كل ساع فيما لا عاقبة فهو عابث هازل فكيف تجحدون فعله عز وجل اذ لم يجعل للخلق
دارا للجزاء والعقاب كان فى خلقهم اياهم عابثا هازلا خارجا عن الحكمة تعالى الله عما يقولون الظالمون
علوا كبيرا وقوله ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ اى تعلمون انكم ترجعون اليه وكذلك المصير والماب والثانى ترجعون
الى ما اعدّ لكم من العذاب احتج عليهم بما اخبر لهم الله انه انشاهم بعد الموتة الاولى ان يبعثهم بعد
الموتة الاخرى ثم اليه ترجعون كما ترجعون الى علمكم اليه ترجعون وقوله هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا قيل انه صلة قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا اى كيف تكفرون بالذى خلق لكم
ما فى الارض ما يدلكم على وحدانيته ليس شئ من الارض الا وفيه دلالة وحدانيته كيف تكفرون
بالذى خلق لكم ما فى الارض نعما من غير ان كان وجب لكم عليه حق من ذلك لتشكروا له عليها فكيف
وجهتم انما لتشكر فيها الى غيره ويحتمل خلق لكم ما فى الارض محنة ممتحنكم بها فى الدنيا ليبلوكم
ايكم احسن عملا ثم تجزون فى دار اخرى كيف انكر البعث وفى بيان حكمة خلق الخلق فى الدنيا للفناء
والاحياء للاخرة حكمة وفى انكارها ذهاب الحكمة وقوله ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ قيل فيه وجوه قيل
استوى الدخان كقوله ثم استوى الى السماء وهى دخان وقيل استوى تم كقوله بلغ اشده واستوى
اى تم وقيل استوى اى استولى ولا اصل عندنا فى قوله ثم استوى الى السماء واستوى على العرش وغيرها
من الايات من قوله وجاء ربك الاية وقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الاية من الايات التى فيها
المتشبهة انما فيها تحقيق وصف الله تعالى بما يستحق كثير من الخلق الموصوف بالمتشابه فى الحقيقة انها
تحتمل وجوها احدها ان نصفه [illegible] بالذى جاء به التنزيل على ما جاء ونعلم انه لا يشبه على ما ذكر من العقل
فيه بغيره لانك بالجملة تعتقد ان الله ليس كمثله شئ وانه لا يجوز ان يكون هو مثله فى شئ الا انه يوجد
حدثه فيه او تقدم ذلك الشئ من الوجه الذى اشبه الله تعالى من ذلك موضوع بالعقل والسمع جميعا ثم يجوز ان
يعد المضامين عند الوصف بالعقل كونه واحدا سميعا بصيرا قديرا لما عليه امر الخلق للنصير بذلك احد
[illegible] واذا بطل هذا بطل التشابه والتشبيه ولزم امر السمع والتنزيل على ما اراد الله وبالله التوفيق ان
يكن فيه معان تخرج الكلام مخرج الاختصار والاكتفاء بمواضع افهام فى تلك المواضع على تمام البيان

وذلك نحو قوله وجاء والملك اى بالملك وذلك كقوله اذهب انت وربك اى بربك فقاتلا اذ معلوم
انه يقاتل بربه فيفهم منه ذلك وكذلك معلوم ان الملائكة يأتون فكانه بين ذلك يدل عليه قوله
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وكذلك هل ينظرون الا ان يأتيهم الله الاية ومما يوضح انه لم
يكن احد اعتقدا وتصور في وجه النظر الا اتيان الرب ومجيئه ولا كان بنزوله وعد ينتظر وكان
ينزل الملائكة كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى الاية وقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق وما
كانوا اذا منظرين فيما ذكرنا عظم امرهم وجليل شأنهم ومثله في قوله الرحمن على العرش استوى معناه
وجهان احدهما ان يكون معنى العرش الملك الاستوى التمام الذي لا يوصف بنقصان او الاستيلاء
عليه وان لا سلطان لغيره ولا تدبير لاحد فيه والثاني ان يكون العرش على الخلق وارفعه وكذلك
تقدره الاوهام فيكون موصوفا بعلوه على التعالي عن الامكنة وانه على ما كان قبل كون الامكنة وهو
فوق كل شئ اى بالغلبة والقدرة والجلال عز الملكة ولا قوة الا بالله واصله ما ذكرنا انه لا يتقدر
فعله بفعل الخلق ولا وصف بوصف الخلق لانه اخبر انه ليس كمثله شئ وقوله فسويهن سبع سموات
مرة قال فسويهن ومرة قال خلق سبع سموات ومرة قال فقضاهن سبع سموات الاية ومرة قال
بديع السموات وكله يرجع الى واحد قال الشيخ رضي الله عنه القول فيما يتوجه اليه مما تضمن
قصة ادم عليه السلام من سورة البقرة والكشف عما قال فيها اهل التفسير من غير شهادة لاحد منا
لاصابة جميع ما فيه من الحكمة او القطع على تحقيق شئ ووجهوا اليه بالاحالة لكن الغالب مما
يحتمله تدبير البشر ويبلغه مبلغ علمنا مما يجوز ان يوصف به اهل المحنة وان كان تنزيه الملائكة عن
كل معنى فيه وحشة اولى بما وصفهم الله من الطاعة له بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وقوله وقالوا اتخذ الله ولدا الى قوله لا يسبقونه بالقول الاية وقوله يخافون ربهم
من فوقهم الاية وقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويفعلون ما يؤمرون ومما
جاءت به الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصف طاعتهم لله وموافقتهم على العبادة
وما لا يذكر من احد من الرسل وصف مثل بالمعصية بل انما ذلك يذكر عن بعض السلف مما
لا لوم فيه لتعنته في فروع الدين فضلا من ان يبسط اللسان في ملائكة الله سبحانه وبالله
المعونة والعصمة قال الله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و
يسفك الدماء زعم قوم ان هذا زلة منهم لم يكن ينبغي لهم ان يقابلوا قوله اني جاعل في الارض خليفة
بهذا المخرج الاستعتاب بقولهم اتجعل ونحن نفعل كذا كالمنكرين لفعله والرد ولذلك بقوله عز
وجل اني اعلم ما لا تعلمون انه لو كان في ذلك طرف من الجهل يجد دعن مثله فانه لم يتبع قولهم هذا
ومعلوم عندهم ان يكون هو يعلم ما لا يعلمون وان ذلك بما امتحنهم بالانباء من اسماء الاشياء
مقرونا بقوله ان كنتم صادقين ولولا انه سبق منهم ما استحقوا عليه التوعد لم يكن لذلك
الشرط عند القول بانبئوني باسماء هؤلاء فائدة معا يوضع موضع التوبيخ والتهدد ومنهم
من قال ان قوله اتجعل فيها قول ابليس من يفسد فيها قول ابليس هو الذي تعرض بهذا القول
وان كان الكلام مذكورا باسم الجماعة لانه جائز خطابا لواحد على ارادة الجماعة وذكر الجماعة على
ارادة الواحد وان كان خطاب الله تعالى مع جملة ملائكته حيث قال ربك واذ قال ربك للملائكة الاية
قوله انبئوني بكذا وهو يعلم انهم لا يعلمون ذلك ولا يحتمل ان يأمرهم بذلك وهم لا يعلمون ولو تكلفوا
الاخبار لحقهم الكذب في ذلك ثبت ان ذلك على التوبيخ والتهدد لما فرط منهم ويكشف عن ذلك
ايضا عند اعترافهم بان لا علم لهم الا ما علمهم الله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض الاية
ولو لم يكن ما استحقوا به التأديب والتنبيه عن غفلة سبقت منهم لم يكن لذلك كثير معنى اذ لا
يخفى على الله عز وجل ما ذكر من الكفرة الاشقياء فضلا من الكرام البررة ولكن قد يعاتب الاخيار
عند الهفوة والزلة بما يحل من خوف التنبيه والتوبيخ نحو قوله اتقوا النار التي للكافرين وقوله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لاذقناك ضعف الحيوة الاية ولملائكته ومن يقل منهم اني اله
من دونه واستجازوا امكان العصيان عند المحنة ودليل المحنة ما بينا من الفضل بالارض والخوف
المذكور وما مدحوا بعبادتهم لله تعالى وما اوعدوا لو ادعوا الالهية ولما لم يحتمل ان يحمدوا على العبادة في

والطاعة فيما كان فعلهم على الخبر والشر ولا يعظم المحنة فيما لا يمكن للمعصية ولا يحتملها البنية اذ
الطاعة هي اتقاء المعصية وقال ايضا لا يعصون الله ولا يقال لمثله لمن لا يحتمل مثل المعصية ثبت
ان المعاصي منهم ممكنة ولذلك خطر طاعاتهم وعظم قدر عباداتهم والممتحن مخوف منه الزلة والهفوة
بل المعصية وكل بلاء الا ان يعصمه الله تعالى ويحفظه وذلك من الله افضاله واحسان لا يستحق قبله
ولا يلزمه احد من خلقه فجائز الا بتلاوة به معا في زلة امنا لهم من ترك الرجاء بالخلق وقطع الاياس
والحث على الفزاع الى الله تعالى بالعصمة والمعونة اذ لم يقم لطاعته احد وان جل قدره عند ما وكل الى
نفسه بما يعلم الله انه يخاف في شئ الخلاف لا اله الا التضرع اليه وينضرع اليه وعلى ذلك معنى ذلة الرسل
عليهم السلام وزعم قوم ان ذلك ليس منهم بالزلة بل الله تعالى عصمهم عنها ويكون قوله اتجعل فيها
من يفسد فيها يخرج على وجهين احدهما على السؤال بعد ان اعلمهم الله انهم يفعلون فقالوا كيف يفعلون
ذلك وقد خلقتهم ورزقتهم واكرمتهم بانواع النعم نحن اذ خلقتنا نسبح بذلك ونقدس لك او كيف
يحتمل عقولهم عصيانا مع عظم نعمتك عليهم ونحن معاشر الملائكة يأبى علينا العقول ذلك فقال الله
عز وجل اني اعلم ما لا تعلمون اى امتحنهم بما ركب فيهم الشهوات التي تغلبها على انفسهم تعتريهم على
انواع الغفلة ويصعب عليهم التيقظ الكثيرة الاعداء لهم وغلبت الشهوات فلما عظمت المحنة عليهم
يكون منهم ذلك وهو الوجه يخرج على سؤال الحكمة في خلق من يعصيه فاخبر انه يعلم ما لا تعلمون اذ
بذلك بيان الاولياء والاعداء وبيان ان الله تعالى لا يخلق من يخلق لحاجة له او لمنفعة له اذ لو كان
كذلك لم يخلق من يخالف في القول الذي امره وانما خلق الخلق بعضهم لبعض عبرا وعظة فيكون في
عقوبة العصاة ووعيدهم مزجر لغيرهم وموعظة ولغير ذلك من الوجوه والوجه الاخر ان يكون المعنى
من قوله اتجعل فيها على الايجاب اى انت تفعل ذلك اذ ليس عليك في خلق من يعصيك ضد ولانك في
خلق من يطيعك نفع جل ثناءك من ان يكون فعلك لاحد هذين وذلك كقوله افي قلوبهم مرض ام
ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله الاية على ذلك لا على استفهام معا يحتمل اى الالف زايدة كقوله ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس وقوله ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين بمعنى انكم وتذييد وذلك
يرجع الى الاول قال ومعنى قوله اني اعلم ما لا تعلمون من الاختبار فيهم ولذلك ذكرهم عند سؤال الانبياء بما
اعلمهم من عظيم امتنانه على ادم ان جعله بمعنى نبيا الى الملائكة بالاسماء ولم يكن يبلغ توهمهم ان في البشر ما
يحتاج المخلوقون من النور الذي هو سبب رفع الاستار عن الاشياء وجلاء الاشياء به ثم يحتاجون
في اقتباس العلم الى من هو جوهر التراب والماء الذي هو اصل الستر والظلمة فاراهم الله بذلك ليعلموا
ان ليس طريق المعرفة والعلم بالاشياء الخلقة ولكن لطف الله وامتنانه ولا قوة الا بالله وقال قوم كان
منهم من استحق العتاب من طريق الخطر بالقلوب لا من طريق الزلة التي هي العصيان ولكنهم يعاتبون على
امثال ذلك وان لم تبلغ بهم المعصية لعلو شأنهم والعظم قدرهم كما قد عاتب الله تعالى نبيه عليه السلام
في اشياء وان لم يكن ذلك منه معصية كقوله عفا الله عنك الاية وقوله ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم وقوله واذ تقول للذي انعم الله عليه الاية ولم يكن اثم في ذلك وقال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
الاية لانه من غير ان كان منه عصيان فمثل ذلك امر الملائكة ثم تكلموا في معنى ذلك فمنهم من يقول ظنوا
انهم اكرم الخلق على الله وانه لا يفضل احدا عليهم ومنهم من يقول ظنوا انهم على من جميع من يخلق من جوهر
النار او التراب من حيث ذكرت من جوهرهم او لعظم عبادتهم وعلمهم بان في الجن والانس عصاة فلهذا
امتحنهم بالعلم ثم بالسجود ولاظهار علو البشر وشرفه وعظم ما اكرموا من العلم ومنهم من قالوا بقوله ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك قبل بامرك وقيل بمعرفتك وقيل بالثناء عليك ان كانوا اضافوا ذلك الى
انفسهم دون ان يذكروا عظم منة الله عليهم بذلك واختصاصه اياهم بالتوفيق له اذ كيف ذكروا من نعت
البشر ما فيهم دون ان يحمدوا الله بما وفقوا له او يدعوا للبشر بالعصمة والمغفرة مما ابتلوا ولذلك والله اعلم
صرفوا شغلهم من بعد الى الاستغفار من في الارض ونصر اولياء الله ولا قوة الا بالله ومن الناس من اخبر
في ذلك الا ابليس سألهم لو فضل ادم عليهم وامروا بالطاعة له ما يصنعون فاضمر الله عز وجل انه علم ما كتم
ابليس من العصيان واظهروهم من الطاعة وهذا شئ لا يعلم حقيقته لان المعاتبة كانت في جملة الملائكة
والمخاطبة بالانباء وما الحق به وامر بالسجود كان في غيره ولم يحتمل ان يكونوا يؤاخذون بسؤال ابليس اللعين
ولكنهم يحتمل وجوه العتاب الاخبار فيما لم يبلغوا العصيان والله الموفق وقوله انبئوني باسماء هؤلاء الاية

امر ولكنه يحتمل التوعد والمعاتبة على ما بينا وذلك في القرآن كثير وان كان في الحقيقة امر ففيه دلالة
جواز الامر فيما لا يعلمه المامور اذا كان بحيث يحتمل العلم به تبين له اذا طلب واستوجب لتبة التعلم والبحث
ان يكونوا انبهوا حتى لا يسبق اليهم عند اعلام آدم ان ذلك من حيث بد ذكونه لو تكلفوا او اراد ان يريهم
اية عجيبة تدل على نبوته ذكرهم عجزهم عن ذلك والزمهم الخضوع لادم عليه السلام في افادة ذلك العلم له
كما قال عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى ذكره او لا حاله وحال عصاه ليعلم ما اراه مما في يده من اية
نبوة وعلى نبينا عليه الصلوة والسلام وقوله اني جاعل في الارض خليفة وقال قوم يريد به آدم عليه
السلام يخلف الملائكة في الارض ومن تقدمه من الجان وذلك بعيد لانهم قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ولم يكن ادم عليه السلام بالذي كان يفسد في الارض ويسفك الدماء بل كان يسبح بحمده ويقدس له
ولكن يحتمل ان يريد ادم وولده الى يوم القيمة ان يجعل بعضهم لبعض كقوله ويجعلكم خلفاء الارض
ويجعلهم خلفاء من ذكروا ان صح الذي قالوا وجائز ان يكونوا على وجه الارض اذ هي مخلوقة لهم
قرارا ومهادا ومعادا وهم جعلوا سكانها وعمارها ان يكونوا خلفاء في امضاء احكام الله تعالى ودينه
كقوله لداود عليه السلام انا جعلناك خليفة في الارض فجعله لذلك ليحكم بين اهلها بحكم الله ولا
يتبع الهوى وبذلك آدم بنوا ادم وقوله وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا يحتمل ان يكون علم الهام ويحتمل ان
يكون علم بارسال ملك من غير الذين امتحنوا به وفي ذلك تثبيت احد وجهين اما ان يكون العلم بالاسماء
حقيقة ضرورة يقع عند النظر في الاسباب التي هي ادلة ووقوعه عند التامل فيها نحو وقوع الدرك
بالبصر عند النظر وفتح العين واما ان كان الله فعل التعلم الذي يعلم المراد فيما يضاف فيه الى الله تعالى
الله علم وكذا قوله علم البيان وكذا قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولا يحتمل هذه الاسباب لما كان
له كلها ولم يكن يعلم حقيقة ليؤذنه وكذلك قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا والله الموفق وقوله
ان كنتم صادقين في المعاني التي ذكروا واذ كنتم مذ خلقتم موصوفين بالصدق او على التحذير
القول بلا علم وكانه قال واصدقوا واحذروا القول بالجهل وفي ذلك انهم لم يتكلفوا بالقول في شيء
او لم يعلمهم الله تعالى قال ابو بكر عبد الرحمن بن كيسان ان هذا يبطل قول المنجمة والقافة يدعوهم
على الغيب بلا تعليم او عدهم من الله تعالى وفي قصة ادم عليه السلام دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بما علم بما في غير القرآن من الكتب السماوية من غير ان عرف بالاختلاف اليهم او معرفة السنن التي بها
ذكرت في كتبهم ذكرها على ما لم يدع احد له العلم بها التكبر عليه بالله علم ذلك وفيها دلالة فضل
ادم الى البشر اذ احوج ملائكته اليه لاقتباس اصل الاشياء وهم العلم الذي كل خبر له كالتابع به وتصلح
وينفع ولا قوة الا بالله وفيها دلالة محنة الملائكة بوجهين احدهما تعليمهم العلم الذي هو احق شيء
يحتمل الخبر اذ قد يلهم المراد ربما من غير تكلف وهم قد امروا به مما قدم ما يخرج مخرج التهدد في القول
من قوله انبؤني وذلك فيما لا محنة فاسد مما سبق من دليل المحنة والثاني فيما امرهم بالسجود لادم
عليه السلام من الى كافرا بليسا وفي ذلك ايضا دليل فضل ادم عليه السلام اذ جعل موضع عبادة خيار
خلق الله وبه التوفيق وفي ذلك ان السجود ليس بنفسه عبادة اذ قد يجوز السجود لاحد من الخلق
كما امر به لادم عليه السلام كقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم ولم يجز الامر بالعبادة لادم عليه
السلام والله اسم المعهود ولو جاز لاحد ذلك لكان غير الله الهة دليل ذلك تسمية العرب كل شيء
يعبد دونه الها ولا قوة الا بالله ثم السجود يحتمل الخضوع كما قال تعالى يسجد له من في السموات والارض
الاية والنجم والشجر يسجدان فان كان المراد منه الخضوع له والتعظيم فذلك يحتمل وجهين احدهما ان الله
لما اذ فضله عليهم بما اطلعه على علوم خصه بها امرهم بالخضوع والتعظيم وذلك الحق على كل محتاج الى
اخر ما به رجاء النجاة او درك العلو والكرامة ان يعظمه ويجله ويخضع له والثاني انه امتحنهم بوجه
يظهر قدر الطاعة لان الخضوع لمن يعلوا امره ويجل قدره امر سهل عليه طبع الخلق فاذا كان في التقدير
المامور بالخضوع الله دونه بالرتبة او شكله او لم يكن بينهم كثير تفاوت اشتدت المحنة في مثله بالطاعة
له والخضوع فامتحنهم الله به حتى تظهر الخاضع لله والمسلم لحقه والمنكر لنفسه وهو ابليس على ذلك الغالب
من اتباع الانبياء عليهم السلام والذين يابون ذلك ان الذي يحملهم على الاباء عظمهم في انفسهم وظنهم
انهم احق بان يكونوا متبوعين والله اعلم والوجه الثاني ان يكون المراد من ذكر السجود يخرج على
على وجهين احدهما ان يحمل السجود تحية الزم الملائكة تحية ادم به وهو ابتداء ما اكرم به اهل الانس

واليه

واليه مرجع جملة المؤمنين في الجنة ان يأتيهم الملائكة بالتحيات والتحف وان اختلف نفس التحيات وفي
ذلك دليل بين ان السجود ليس بعبادة في نفسه اذ قد يؤمر به للبشر ولا يجوز الامر بعبادة غير الله فيكون
السجود لغيره من حيث الفعل والعبادة به لله كغيره من المعروف يصنع الى الخلق ومثله امر سجود بسجود
يعقوب واولاده ليوسف عليه السلام والله اعلم والثاني ان يكون السجود له بمعنى التوجه اليه وهو في
الحقيقة لله تعالى نحو السجود الى الكعبة لله تعالى تعظيما له وتبجيلا للكعبة وتخصيصا من بين البقاع كذلك
امر السجود لادم عليه السلام تعظيما له وتبجيلا من بين سائر البشر كلاهما سيان ثم قد ثبت نسخ السجود للخلق
بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان يحل لاحد ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها ولما
السجود في العبادة عبادة للمسجود له واعترافا يعرف بالاقرار بعبادة عظماء هم ومن يعبدونه من دون الله
فيصير ذلك المعنى هو السابق في القلوب وذلك مما لا يحتمل لاحد دون الله فنهى كذلك وان لم يكن بنفسه
عبادة المسجود له في الحقيقة كما نهى عن اشياء لما يتصل بها من الوحشة وان لم يكن ذلك في الحقيقة محتملا له
فكذلك الامر الاول كما نهى عن سب من يعبد من دون الله خوف سب الله ويؤمر باموره ليست بنفسها قربة ليتوصل
بها الى القربة كالسعي الى الحج والجمعة ونحو ذلك وفيه ان السنة تنسخ الكتاب لان السجود لادم عليه السلام
في الكتاب ومثله السجود ليوسف ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فحرم فدل ان السنة تنسخ
الكتاب وقول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم يشبه ان يكون السابق الى
وهمهم معنى او فطر فعل مما كان بالله خرج من ان يعقلوا حكمته ان بما لم يبلغهم العلم بها او يخطر ببالهم انه
تعالى كيف يامرهم وهو يعلم انهم لا يعلمون بها او خطر ببالهم من غير تحقيق ذلك ولكن على ما يبلى به الاخيار
كقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية او كما يخلو به الممتحن من الخواطر التي تبلغ
المحنة بهم المجاهدة بها في دفعها وان لم يكن لهم لا يخطر ببالهم صنع فقالوا سبحانك تنزيها عما خطر ببالهم
وسبق الى وهمهم ووضعوا بانه عليم لا يخفى عليه شيء حكيم لا يخطئ في شيء ولا يخرج فعله عن الحكمة وبالله
التوفيق والعصمة وفي الاية منع التكلم في الشيء الا بعد العلم به والفزع به الى الله عن القول به الا بعلم
وهذا هو الحق الذي يلزم كل من عرف الله وبه امر تعالى نبيه عليه السلام فقال ولا تقف ما ليس لك به علم الاية
وسئل ابو حنيفة رضي الله عنه عن الارجاء ما بدوه فقال فعل الملائكة اذ سئلوا عن امر لم يعلموه فوضعوا
ذلك الى الله تعالى ومعنى الارجاء نوعان احدهما محمود وهو ارجاء صاحب الكبائر بحكم الله تعالى فيهم لما يشاء
ولا ينزلهم نارا ولا جنة لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والارجاء المذموم
هو الجبر ان يرجى الافعال الى الله تعالى لا يجعل للعبد فيه فعلا ولا تدبير شيء ذلك وعلى المروي حيث قال صنفان
من امتي لا ينالهم شفاعتي القدرية والمرجئة والقدرية هي التي لم تر لله في فعل الخلق تدبيرا ولا له عليه
قدرة التقدير والمرجئة هي التي لم تر للعبد فيما ينسب اليه من الطاعات والمعصية فعلا البتة فابطلت
الشفاعة لهما وجعلت المذهب الا وسط بينهما وهو الذي تحقق للعبد فعلا ولله تقديرا ومن العبد تحركا
بخير وشر ومن الله خلقه وذلك في المعقول مما عليه طريق العدل والحق انه بين التفريط والتقصير
كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وكذلك قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا الاية ولا قوة الا بالله قال ابن جريج قال سجود الملائكة لادم ايماء ولم يكن يحل وضع الوجه بالارض
لاحد وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان سجود الملائكة سجود تحية ولم سجود عبادة وعن قتادة قال
كانت الطاعة لله والسجدة لادم عليه السلام اكراما له به والله اعلم ثم اختلف في ابليس قال بعضهم هو من الملائكة
وقال اخرون لم يكن من الملائكة وهو قول الحسن والاصم ذهبوا ذلك الى وجوه احدها ما ذكر عز وجل عن
طاعة الملائكة له بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية وقال لا يسبقونه بالقول الاية وقال لا يستكبرون عن
عبادته ولا يستحسرون الاية وصف الله عز وجل طاعتهم له وائتمارهم اياه فلو كان اللعين الرجيم منهم لا طاعة
كما اطاعوه له والثاني قوله خلقتني من نار وخلقته من طين والملائكة انما خلقوا من النور والثالث قوله تعالى
كان من الجن ولم يقل من الملائكة فدل هذه الايات انه لم يكن من الملائكة ثم قال في قوله فسجدوا الا ابليس انه
قد يجوز الاستثناء من غير نوع المثنى منه نحو ما يقال دخل اهل الكوفة هذه الدار الا رجلا من اهل المدينة وذلك
جائز في اللغة ويستدل بالاستثناء ان الامر كان عليهم جميعا في الاصل وكان الامر بالسجود له والملائكة جميعا كقوله ثم
افيضوا من حيث افاض الناس وان كان هناك امر الناس كالاضافة فكذا الاول والله اعلم وذهب من قال انه من

من الملائكة انه لما يذكر في قصته من القصص مع كثرة التكرار لها في القران وغيره من الكتب لسا لغفلة انه
لبس منهم وليس فيما ذكر من الايات ما يدل انه لم يكن منهم لان قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ولو لم يتوهم منهم العصيان والخلاف لله تعالى لم يكن للمدح بالطاعة والخضوع له معنى الا ترى الى
قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية مع ما ذكرنا انهم يمتحنون الممتحنون بانواع المحن
وكل ممتحن في شيء يجوز تكون المعصية منه والخلاف فيه واما قوله وكان من الجن يحتمل اي صار من الجن
وقيل الجن اراد به الملائكة سموا جنا لاستتارهم على الابصار كقوله واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم واما
قوله خلق الملائكة من النور وابليس من النار فهو واحد لانه اخبر عز وجل انه خلقه من نار وقيل المارج
هو لهبها مما ليس في القران ولا في الخبر انهم انما خلقوا من النور ولم يخلقوا من غيره ثم اختلف في ابليس
انه لم كفر بالله قيل انه كفر لما امر بالامر بسجود من فوقه لمن هو دونه حكمه وقيل كفر لما راى في ان الله تعالى
وضع الامر في غير موضع الامر وراه جورا فكفر به وقيل كفر لما ابى الايتمار بالسجود واستكبر فكفر وقيل كفر
لما اضمر اضلال الخلق الى الطاعة فيما امره به واستكبر على ادم لما راى لنفسه فضلا عليه بقوله خلقتني من نار
وخلقته من طين وقوله وكان من الكافرين اي صار كقوله انه كان فاحشة وكقوله وكان من الغاوين
اي صار وقيل كان في علم الله تعالى انه سيكفر وقوله قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ قد ذكرنا فيما تقدم
ان الجنة هي اسم البقعة التي نعت بالاشجار والفردوس وانواع النبات دليله قوله وكلا منها رغدا حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة كذلك ايضا ظاهر معروف عند الناس ان لا يسمى كل بقعة من الارض بستانا
ولا جنة حتى يجتمع فيها ما ذكرنا ثم لا يدرى ما تلك الجنة التي امر ادم وحوا بالكون والمقام فيها التي
وعد المتقون او جنة من جنات الدنيا اذ ليس من الاية بيان ذلك وفي الاية دلالة ان الشرط في الذكر
قد يضمر ويكون شرطا بلا ذكر لانه قال لا تجوع فيها ولا تعرى ثم قد جاع وعرى حين عصى فدل ان العصمة
كان شرطا فيه ثم معنى الامر من الله تعالى لادم وزوجته بالسكنى في الجنة والمقام فيها وامرهما بالتناول
من جميع ما فيها الا الشجرة نهى عن التناول منها وامر بالاجتناب عنها فقوله ولا تقربا هذه الشجرة وذلك
صورة الممتحن ان يؤمر بشيء وينهى عن شيء وقوله رغدا اي سعة يقال ارغد فلان اذا وسع عليه وكثر
ما له وقوله وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ اي لا تاكلا دليله قوله فكلا منها ولانه بالقربان ما يوصل الى
التناول والغذ لا يا في تسمية الشيء باسم سببه ثم اختلف في تلك تلك الشجرة فقال بعضهم هي
شجرة العنب ولذلك تجعل للشيطان فيها خطا لما عصيا ربهما بها وقيل انها كانت شجرة الحنطة ولذلك
غذاء ادم عليه السلام وحوا وغذاء اولادهما منه الى يوم القيمة ليقاسوا جزاء العصيان والخلاف له
وقيل انها شجرة العلم لما علموا من ظهور عورتهما ولم يكونا يعلما قبل ذلك وهو قوله بدت لهما
سواتهما والله اعلم والقول فيما بينا لا يجوز الا من طريق الوحي ولا وحي في تلاوتهما ولا يجوز القطع
على شيء من ذلك ثم احتمل معنى النهي عن التناول منها وجوها احدها ايثار الغير عليه وقد يكون
هذا ان ينهى الرجل عن التناول عن شيء ايثار الاخر عليه ويحتمل النهي عن التناول من الشيء لما يكون
فيه لما يخاف الضرر به لا على جهة الايثار ولكن اشفاقا عليه ورحمة ويحتمل ايضا التناول من الشيء
على جهة الحرمة فاذا كان ممكنا هذا محتملا على ادم وحوا على التناول منها لما اشتبه عليهما ولم يعرفا
معنى النهي بانه نهي حرمة او نهي ايثار غيره عليهما او نهي داء لانهما لو كانا يعلمان ذلك النهي نهي
حرمة لكانا لا يتناولان ولا يتناولان وبالله التوفيق ثم في الاية دلالة على ان الحال التي تكون فيه للانسان
في سعة ورغد تشتد على الشيطان اللعين لانه انما تعرض لادم وحوا بالوسوسة التي وسوس
اليهما ليزيل تلك الحال عنهما وانما يبلى بالسعة والرخاء ثم لما لحقه من الشدائد والبلايا فيما كسبت ايدينا
لقوله ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم الاية ترد على بعض المتقشفة قولهم بتحريم الطيبات
والزينة وقوله فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ اي ضارين لان كل ظالم ضار بنفسه بالدارين جميعا وقوله فَأَزَلَّهُمَا
الشَّيْطَانُ عَنْهَا اي دعاهما وزين لهما الى سبب الزلة والاخراج منها الى ان تولى اخراجهما وازلالهما
وقد ذكرنا ان الاشياء باسم اسبابهم او الاسباب باسم الاشياء وذلك ظاهر معدود في اللغة غير
ممتنع تسمية الشيء باسم سببه ثم تكلم فيما اجاب ادم من الشجرة وفيما بينهما وفي جهة النهي عنها فقال
قوم الاكل منها وهو ناس لعهد الله نسيان ترك الذكر والى ذلك قوم واحتج الحسن بان نسيانه نسيان

تضييع

تضييع واتباع الهوى لا نسيان الذكر بوجهين احدهما ما جرى في حكم الله تعالى من العفو عن النسيان الذي
هو ترك الذكر وان لا يلحق صاحبه العصيان وقد عوتب هو به ونسبه الى العصيان بقوله وعصى ادم ربه فغوى
مما تقدم القول فيه ان يكونا من الظالمين والثاني انه عدوه وقد ذكر لو كان ناسيا حيث قال ما نهاكما ربكما
عن هذه الشجرة الاية وقوله وقاسمهما وقوله فدلاهما بغرور ولو كان نسيان الذكر لم يكونا ليعيروا با
لقسم والاغراء عن ذلك ولا وصفا بان استزلهما الشيطان ونحو ذلك فثبت انه كان نسيان تضييع
وذلك لقوله وكذلك اليوم تنسى وقوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وغير ذلك مما ذكر فيه
النسيان ومعناه التضييع سمي به لما كان كل منسي متروك وترك اللازم تضييع او بما ينسى به ويغفل عما
يحل به من نقمة الله فسمي به كما وصف ذنب المؤمن بجهالة الجهلة بما يحل به لا بجهله بحقيقة فعله ويحتمل
من حيث لا يقصد بذلك عصيان الرب او طاعة الشيطان والى ذلك يصرف بعض وجوه النسيان
لا حقيقته ومن يقول بانه كان على النسيان فهو يخرج النسيان على وجوه احدها انه لكثرة ما كان بينه
وبين عدوه من التراجيع لتشغل قلبه بوجوه الدفاع له والفكر في الاسباب التي بها النجاة ويتخلص من
مكايده حتى انساه ذلك عن ذكر العهد والسبب الذي يدفع الاشياء عن الاوهام في الشاهد كثرة
الاستعمال وانما كان النسيان عذرا في الامور وسببا للعفو لانه لا يخرج الاحذ به عن الحكمة وذلك معلوم
في الشاهد ان من اقبل على امر واخذ في تحفظه وتذكره يسهل عليه ذلك واذا احب ذلك مع الاشتغال بغيره
من الامور صعب عليه بل الغالب في مثله النسيان وجائز معاتبة ادم مع ذلك وتسميته عصيانا بوجهين احدهما
انه لم يكن امتحن بانواع مختلفة يتعذر عليه وجه الحفظ في ذلك وانما امتحن بالانتهاء عن شجرة واحدة
بالاشارة اليها فجائز ان لا يعذر في مثله وكذلك النسيان فيما تعذر في الشاهد انما تعذر في النوع الذي
يبلى به ويكثر به النوازل الا ترى انه يعذر بالسلام في الصلوة وترك التسمية في الذبيحة ونحو ذلك
ولا يعذر في الاكل في الصلوة وفي الجماع في الحج ونحو ذلك فمثله الامر الذي نحو فيه والثاني جائز اخذ
الاخيار ومعاتبة الرسل بالامر الخفيف اليسير الذي لا يؤخذ بمثل ذلك غيره لكثرة نعم الله تعالى عليهم
وعظم منة عندهم كما اوعدوا التضاعف في العذاب على ما كان من غيره وعلى ما ذكر في امر يونس عليه
السلام بالعقوبة بماء لعل ذلك من عظيم خيرات غيره اذا فارق قومه عما عاين من المناكير فيهم وفعل
مثله من احد ما يوصف به غيره وكذلك ما عوتب محمد صلى الله عليه وسلم فيما خطر بباله تقريب اجلة الكفرة
اشفاقا عليهم وحرصا على اسلامهم ومن يتبعهم على ذلك مما لعل من دونه لا يعد له شيء من خيراته
بالذي عوتب به وبالله التوفيق الثالث انه لما عوتب بالذي يجوز ابتداء المحنة به ولمثله خلقه حيث
قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة لكنه يكرمه وبالذي هو دخلقه من تقديم احسانه والنعمة
في الابتداء على الشدائد والشرور وان كان له التقديم بالثاني وذلك في جملة قوله وبلوناهم بالحسنات
والسيئات وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة واليه ترجعون وعلى ما في ذلك من مبالغة غيره الزجر
من المعاصي وتعظيم خطره في القلوب الاجودي ابو البشر واولي الرسل منهم على ما فضله بما امتحن ملائكته
بالتعلم منه والسجود بذلك القدر من الزلة ليعلم الخلق انه ليس في امره هوادة ولا في حكمه محاباة
فيكونون ابدا على حذر من عقوبته والفزع اليه بالعصمة عما يوجب مقته وان لا يكلهم الى انفسهم
اذ علموا بابتلاء من الذي ذكرت محله في قلوبهم بذلك القدر من الزلة ولا قوة الا بالله والثاني
ان يكون حفظ النهي عنه لكنه خطر بباله لا يلحقه فيه وصف العصيان وتسمى قوله فتكونا من الظالمين
وقد ذكر النهي في وقت الفعل لكن يستحق الوصف بالفعل من النهي لعله سبق الى وهمه غير جهة
التحريم اذ يكون النهي على اوجه احدها للحرمة والثاني نهي عما فيه من الداء وعلمه في اكله ضرر وهذا
معروف في الشاهد بما عليه الطباع نهي قوم عن اشياء محالة هي لهم ما يؤذي ويضر فيحتمل ان سبق الى
وهمه بذلك لما وعد له في ذلك من عظيم النفع تحمل ما خوف به الى وعد على سبق وجه النهي الى ما وجد من
حيث الضرر والمشقة وتسمى قوله فتكون من الظالمين وذكروا عرف ان الظلم قد يقع على الضرر كقوله
كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا لم ينقص منه شيئا والنقصان في النفس ضرر وعلى ذلك عامة
اهل التفسير الظلم في القران انه الضرر واسم الضرر باخذ ضرر الداء وضرر المأثم وان كانت حقيقة وضع
الشيء في غير موضعه ولا قوة الا بالله وقد يحتمل النهي ان يخرج مخرج المنع ليكون غيره هو الذي يبدأ به

ويحض ذلك لغيره لا على التحريم نحو الامر بالمعروف فيما يمنع الرجل ولده عن التناول لما يريد به على التحريم
واذا احتمل ذالم يبن له عظيم ما في ذلك من البركة من غفران عاين عدوه ليعلم ان ذلك ضيعه وجائز ان
يسبق اليه ان ذلك اشارة ثلث او الهام في النفس على ما يكون لكثير من الاخيار لا انه من وحي عدوه قد عنه
نفسه الى الاكل فيكون كالناسي والجاهل بحقيقته وجه النهي وان كان تعمد اكله ولا قوة الا بالله
والامثل في هذا ان فعله عليه السلام ان كان على نسيان العهد على الذكر له فان الذي اصابه عقوبة
وان كان بالذي يكون به المحنة فلولا ان الله يعاقبه على ما فعله لم يكن تغير عليه نعمة بعذاب انعم
عليه وقد قال انه لا يغير نعمة التي انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم ومما لا يحتمل العقوبة بالتغير
لم يكن ليفعل بعد وعد ذلك سعيا قد اخرنا للظلم اذ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
الاية وقد قال الله تعالى فعصى ادم ربه فغوى وقد كان قال لهما فتكونا من الظالمين فكان فيما يلي به
وجهان احدهما ان ذلك لم يزل عنهما اسم الايمان ولا ان عيا اليه بعد فعلهما ذلك ثبت انه الاكل
ذنب يزيل اسم الايمان وان الذنب لا يتحقق فيه الكذب فيما اعتقد ان لا يعصي الله في
شيء وفي ذلك فساد الخوارج المعتزلة وبان ان قوله ومن يعص الله ورسوله يدخله نارا على كل عصيان
ولا الوعيد بالظلم المطلق بوجه كل ظلم وكل عصيان وغواية بل يلزم منه تفسير هذه الحروف على ما يليق به
ومن يريد بها الجمع في كل الايام خارج على المعروف من احكام الله تعالى في اهل المآثم والثاني انه قد عوقب
بوجه لا يحتجز منها لما ليستحبه المعتزلة كبير يزيد اسم الايمان من نحو شرب قطرة من الخمر او تدق محصنة
او اخذ عشرة دراهم من مال الحر وكذلك فعل اولاد يعقوب عليه السلام ثم لم يخبر واحدا على دعوى خروج
من ذكرت من دين الله لزم بطلان قولهم معما كان من قولهم ان الصغيرة لا يجوز في الحكمة التعذيب
عليها ولا الكبيرة العقد عنها وقد كان عذب آدم عليه السلام بانواع العذاب لما لو لم يكن سوى ما ظهر
فعلهما على رؤس الخلائق لكان عظيما ثم اختلف في الوجه الذي به منهم من يقول لما كان من سلبه من
الكسوة وهم لبسوا باهل الجنة وقيل رحمة للخلق لئلا ييأسوا ولا يزال لولايته بكل ذنب وقيل ليعلم الخلق
بهذا ان لا يقوم احد بتعاهد نفسه عما يدعو اليه هواه وكلا الى نفسه فيكون ذلك سبب الزجر الخلق عن الميل
الى انفسهم في شيء من الخير والفزع اليه بالعصمة عن كل شيء وقيل بل يحق المحنة اذ هي تردد صاحبها بين الخذلان والالاء
وبين احوال المختلفة لا يختار الا بتبصير بحيث يأمن الزلل وانما ذلك بحفظ الله ومنه لا يدبر احد وجهده وان
كان الله مع توفيق على قدر الجهد وعصم على قدر الرغبة اليه والاعتصام ولا حول ولا قوة الا بالله وليس ينتبه
الى ذلك حل الذنب اذا كانت نفسه تحمل له على جنبه باعثة في مثله لولا نعمة الرب كما قال يوسف عليه السلام
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الاية وقال لا يكن كل نفس الا عليها ثم اختلف في
ماهية الشجرة قيل انه شجر العنب وجعل للشيطان فيها نصيبا بل بدءا بوا البشر وانهم وقيل حنطة فيها يحمل
غذاه ولده لهذا بالراحة الكد وبالتنعم لبؤس وقيل شجرة العلم اذ بدت لهما سوآتهما فعلما بها الامر الذي
لهما في ذلك وفرحا الى ما يستران به من الورق فكان اصل ان هذا فزع ما يعلم بالخير من عند عالم الغيب
وليس بنا الى تعرف حقيقته حاجة وانما علينا معرفة قدر المعصية فتعصم بالله منها والطاعة فرغب فيها
وبالله العصمة ولا اصل فيه ان الله تعالى فرق بين دار المحنة ودار الجزاء اذ لا يجمع بينهما بل يزيل البلوى فيكشف
محقق الذنب الذي لا راحة فيه واللوم الذي لا تنغيص فيه جزاء والبر ذا منها بحمة والله ولا قوة
الا بالله وقوله تعالى فتكونا من الظالمين اي تصيران منهم وكذلك القول في ابليس وكان من الكافرين اي
صار منهم ويحتمل ممن يكونون كذلك اذ في علم انهم يصيرون ممن في علم كذلك مع جواز القول بتحقيق
الحرف كقوله تبارك الله احسن الخالقين لان خالق اغيره ثم اختلف في الوجه الذي وصل اليه الشيطان للتدبير
الوسوسة فقال الحسن كان آدم عليه السلام في السماء وابليس في الارض ولكنه وصل اليه
بالسبب الذي جعل الله له ذلك وقال قوم كان حاطبه في رأس الجنة وقيل كان تصور بغير صورة كان
عند قوله ان هذا عدو لك الاية فاعترته ولو عرفه لما اغتر به بعد ان حذره الله عنه والله اعلم كيف
كان ذلك اختلف في الوجوه يوسوس الى بني ادم فمنهم من يقول يجري من ابن آدم الدم كما يجري الدم
فيقابل وجه بصره بقلبه فيقذف فيه ومنهم من يقول هو بحيث جعلت له قوة العيان الخطر
بباله المقذف في قلبه من الوجه الذي جعل له وذلك لا يعلمه البشر ومنهم من يقول ان النفس

كانها

كانها سابة له في الجسد دائرة في جميع الافاق لولا الجسد الذي يحبسه لكان له الانتشار على ما يظهر في
حال النوم عند سكون حسه ومن ذلك سلطان فكره الرجل من في اقصى بقاع الارض حتى يصير له كالمقابل
حتى ذلك فيكون قدحه وقذفه ونحن نقول وبالله التوفيق انا لا نعلم حقيقة كيفية ذلك لكن الله تعالى
جعل للحق اعلاما وكذلك للباطل وكل معنى يدعو الى الباطل ويحجب عن الحق فهو عمل الشيطان يجب التعوذ
فيه والفزع اليه وان لم يعلم كيفية ذلك قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
وقال عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وقال الحسن في قوله ما نهاكما ربكما
عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقد علم ادم ان الملائكة افضل وقد علم ان
لا خلود يكون معه وقد اخبر انه يموت وقد علم انه لا يكون ملكا وقد خلق من طين والملائكة من نور
ولكن يكون على فضل الملائكة وقاسمهما حلف لهما في وسوسة انه يقول ذلك عن نصحه فاتبعاه
في الاكل لا على عنه ما ذكر اذ لو كان عن قبول لكان ذلك اعظم من الاكل ولكن اكل على الشهوة واتباع
الهوى ولو صدقاه في ذلك لكفرا وكان هذا اعظم من الاكل ولم يقل لهما ذلك فيهما لاجل ذلك شيء
وذلك كما يقول الرجل لآخر في شيء يشتهي عليه او يقطع لو فعلت لا نفعل بك وبك فيقدم عليه انه يقدم
لشهوته لا على التصديق له في ذلك وكذا من يذكر احداث امرأة يحبها وايثارها اياه فيأتيها بشهوة
لا بتصديق للآخر فشبه امر آدم فيما وسوس اليه الشيطان وهو الذي يذكر الحسن يوجب ان يكون آدم
كان يعلم ان ذلك كان من الشيطان عدوه وذلك لاقدام اقدم على اثر ما ذكر على وصف انه كان يعلم امره قطع
يوجب فعله على العلم بالنهي انه لا ينال به خيرا ولا يصل بذلك الى فضل بل اتبع الشيطان بما هو واشتهى وهذا
لو كان يشهده كان قطعا ان يدعيه على ان البشر ومن قد فضله بالذي سبق ذكره بل لو قيل له انه لم يكن
علم انه من عدوه او الهاه على ما يكون بك خيارا وكان اسمع عن الصورة التي اراها من قبل كان اقرب
واحق ان يظن به من ان يذكر الذي ذكر ومتى يكون الاقدام بجهة تخير لا على طمع في ذلك بل لا ينكر ان يكون له
ولكن على ما بينا وليس من ذلك الوجه الوحشة في الدين ثم قد ذكر ملكين والكلام في الفضل وغير الفضل
على قوله لا معنى له لانه يجعل فعلهم خيرا ومن فعله خير لا ترتفع درجة ولا تعلو قدره ثم يجعل الفضل لهم
بالخلقة فكيف كان يطمع في ذلك ولم يكن هو يخلقهم ولهذا انكر ان يكون منهم عصيان اذ خلقوا من
نور ومن لا يعصي بالخلقة فانه لا يحمد ولو كان يحب الحمد يجب في كل موات وكل حيوان لا يعصي بالخلقة وذلك
بعيد وجائز ان يكون آدم عليه السلام طمع ان يكونا ملكين بان يجعل على ما عليه طبيعتهم من العصمة او الاكتفاء
وبذكر الله وطاعته عن جميع الشهوات والله قادر على ان يجعل البشر على ذلك على ما يوجد فيهم من معصوم ومخذول
ليعلم ان الخلقة لا توجب شيئا مما ذكر ولا قوة الا بالله ثم الاصل ان معرفة موت البشر وما عنه فلق كل
شيء انما هو سمعي ليس هو حسي ولا في الجوهر دليل الفناء والله ان يميت من شاء ويبقي من شاء فقول
الحسن انه علم ذلك نعت بشبات الجن عن الله ينتهي اليه انه كان بلغه في ذلك الوقت وكذلك امر الملائكة
وحال الاضداد محبة الذكر وظهور العصمة ترف بالمحنة والمشاهدة يمنعها ولا قوة الا بالله ثم ذكر الحسن
في خلال ذلك ان آدم عليه السلام قد علم ان الملائكة لا يموتون لا ادري ما هذا اهو عقد اعتقد وجرى على
لسانه لان مثل هذا لا يعلم الا بما لا يعلم لا يرتاب في ذلك انه جاء عن الله ولا قوة الا بالله وقوله فَأَزَلَّهُمَا
الشَّيْطَانُ عَنْهَا اي دعاهما وزين لهما الى سبب الزلة والاخراج منها لان تولى اخراجهما واذلالهما وقد ذكرنا ان
قد يسمي الاشياء باسم اسبابها والاسباب باسم الاشياء وذلك ظاهر معروف في اللغة غير ممتنع تسمية الشيء
باسم سببه والله اعلم وقوله مِمَّا كَانَا فِيهِ من الخصب والسعة والنعيم والتي انزلهما الله تعالى فيها واباح لهما
التناول فيما فيه ثم اختلف في وسوسة الشيطان لادم وحوا عليهما السلام فيم كان ومن اين كان ولما
ذا كان قيل انه كان في السماء فوسوس لهما من رأس الحية حسدا منه لما راهما يتقلبان في نعم الله تعالى ويتمات فيه
فاشتد ذلك عليه وقيل انه كان في الدنيا فوسوس لهما من بعد والله اعلم ثم اختلف في ان له سلطانا على القلوب
ويوسوس في صدورهم من بعد فقال بعضهم له سلطان على القلب على ما جاء انه يجري في الانسان مجرى الجلد
واللحم مجرى الدم وقيل انه لا سلطان له على القلوب ولكنه يقذف فيهم من البعد ويدعوهم الى الشر بما
يرى في الانسان من الاحوال من حال الخير والشر وكان تلك الاحوال ظاهرة من اثر الخير والشر فاذا راى
ذلك فعند ذلك يوسوس ويدعو الى الشر وعلى ذلك قوله عز وجل وما كان لي عليكم من سلطان

الا ان دعوتكم اخبر انه لا سلطان له علينا سوى الدعاء لنا وهو لا يشبه والله اعلم ثم قيل فيمن عصى ربه
ابليس فقد اطاع الشيطان قيل بل فان قال فاذا اطاع ان لا يكفر قيل لانه ليس بقصد قصد طاعة الشيطان
وان كان في عصيان الرب طاعته وكذلك روي عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه سئل عن ذلك فاجاب بمثل
هذا الجواب والاصل ان الفعل الذي لم يرد ليس هو لنفس نعمل الطاعة للشيطان ليصير به مطيعا انما يجعله
طاعة القصد بان يجعل طاعة له وقد ذال ذلك وان سر جوابه وفرح كما سر بنزوال السرور فيهما والذة
وان كان ذلك بفعل من لا يجوز وصف من فعل ذلك بطاعة الشيطان ولا قوة الا بالله وقوله وَقُلْنَا
اهبطوا قيل الهبوط هو النزول في موضع كقوله اهبطوا مصرا اي انزلوا فيه ويحتمل الهبوط منها هو
النزول من المكان المرتفع الى المتحدر والدون من المكان قوله بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ قيل يعني ابليس
واولاده وآدم واولاده بعضهم لبعض عدو والعداوة فيما بيننا وبينهم ظاهرة وقيل بيننا وبين
الحيات عداوة طبع والعداوة التي بيننا وبين ابليس عداوة اختيار واراد الطبع بنفر عن كل موذ
ومضر وبالله التوفيق وقوله وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ تقرون فيها كقوله وجعل لكم الارض قرارا وقوله
وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ اي متاعا لكم الى القضاء اجالكم ويحتمل متاعا لكم لانقضاء الدنيا وانقطاعها وقوله
فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ اي اخذ وقيل من ربه كلمات فتاب عليه قيل فيه وجوها قيل فتاب عليه
اي وفق له التوبة وهداه اليها فتاب كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفق لهم التوبة فتابوا وقيل خلق فعل
التوبة منه فتاب كما قلنا في قوله هداه اليها فتاب اي خلق فعل الاهتداء فاهتدى وقيل تاب عليه اي
تجاوز وقيل ان التوبة هي الرجوع رجع آدم عن عصيانه فرجع هو الى الغفران والتجاوز وبعضه قريب من
بعض وفي الاية انه انما تاب عليه لكلمات تلقاها من ربه والاية تنقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون
ان من ارتكب صغيرة فهي مغفورة له لا يحتاج الى الدعاء ولا الى التوبة فادم عليه السلام دعا بكلمات تلقاها
عنه فتاب عليه ولو كان مغفورا له ما ارتكب لكان الدعاء فضل وتكلف وبالله التوفيق والكلمات هي
ما ذكرت في سورة اخرى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الاية وقوله إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
اي قابل التوبة وقيل اي موفق التوبة وهادي بها كقوله غافر الذنب وقابل التوب وقد ذكرنا
في قوله فتاب عليه ما احتمل فيه الرحيم بالمؤمنين ورحيم بالتائبين وقوله قلنا اهبطوا منها
جميعا ذكر هبوطهم جميعا فاذا هبطوا فرادى لم يخرجوا من الامر بل كانوا في الامر والذكر لا يصير
الجمع في الفعل شرطا وقوله فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى اي ليأتينكم وهذا جائز في اللغة وقوله فَمَن تَبِعَ
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اي من تبع هداي ودام عليه حتى مات فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون وكذلك قوله فمن تبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة اذا مات عليه وهذه الاية
والتي تليها والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ينقض على الجهمية
يقولون بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيهما فلو كانت الجنة تفنى وتنقطع ما فيها لكان فيها خوف
وحزن لان من خاف في الدنيا زوال النعمة وخوفها يحزن عليه وينقص ذلك ولهذا وصف الدنيا
بالخوف والحزن لما يزول ولا يبقى فاخبر عز وجل ان لا خوف عليهم فيها خوف التنغيص ولا حزن اي حزن
فوات النعمة ولا هم يحزنون دل انها باقية وان نعيمها دائمة لا يزول وكذلك اخبر عز وجل ان الكفار
في النار خالدون وان عذابها اليم شديد فلو كان لهم رجاء النجاة منها هان ذلك وبالله التوفيق
وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم يحتمل وجوها يحتمل قوله اذكروا نعمتي التي قسمت
لكم بدون غيركم من نحو ما جعل منكم الانبياء والملوك كقوله وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا
من العالمين ويحتمل اذكروا نعمتي يعني النجاة من فرعون حيث كان يستعبدكم ويستخدمكم ويستحيي نساءكم
كقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم الاية ويحتمل اذكروا نعمتي من نحو ما اعطاهم عز وجل
المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك من دون غيرهم وقيل نعمته نعمة محمد صلى الله عليه وسلم بعث
وقت اختلافهم في الدين وتفرقهم فيما كانت عليه من مضى من النبيين ليدلهم على الحق من ذلك
ويؤلف بينهم بالبيان كما اخرجهم الاختلاف الى من يقوم بذلك من وجه يعلم صدقه في ذلك
نعمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة منه عليهم اذ بطاعته نجاتهم ولا قوة الا بالله ويحتمل اذكروا
نعمتي اي وجهوا شكر نعمتي الي ولا توجهوا ما الى غيري فان كان هذا هو المراد منهم وغيرهم فيه اذ على

كل منعم

كل منعم ان يوجه شكر نعمة الى ربه وكان الامر بذكر النعمة والله اعلم امرا بعرفانها في القلب انها منه لا الذكر
باللسان اذ لا سبيل الى ذكر كل ما انعم عليه سوى الاعتراف بالعجز عن اداء شكر واحدة منها طول عمره وقوله
وَأَوْفُوا بِعَهْدِي قد ذكرنا فيما تقدم ان عهد الله على وجهين عهد خلقه لما جعل في خلقه كل احد دلائل تدل
على معرفته وتوحيده وانه لم يخلقه للعبث ولا يتركه سدى وعهد رسالة على لسان الرسل كقوله تعالى
اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وكقوله واذ اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وميثاق
اوتوا الكتاب وقوله اوف بعهدكم الذي وعدتكم وهو الجنة كقوله لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم
جنات الاية ويقال اوفوا بعهدي الذي اخذ على النبيين بقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه فيكون عهده تبليغ ما بين في كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم
والاقرار به والنصر له اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقوله واياي فارهبون اي اخشوا سلطاني و
قدرتي وقيل اخشوا عذابي ونقمتي وقيل اخشوا نقض عهدي وكتمان نعت نبي محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله وآمنوا بما انزلت على نبي محمد صلى الله عليه وسلم من القران مصدقا لما معكم اي موافقا لما معكم
من الكتب من التورية والانجيل وغيرهما وهم قد عرفوا موافقته كتبهم اذ لم يتكلفوا جمع هذا الى كتبهم
ومقابلته بعضه ببعض ويحتمل قوله مصدقا اي موافقا لما معكم من الكتب وليس لما قال صنف من الكفرة
وهم الصابئون ان الانجيل نزل بالرخص والتورية نزلت بالشدائد فقالوا باثنين لما لم يروا انزال الكتب
بعضها على الرخص وبعضها على الشدائد من واحد حكيم فقال عز وجل مصدقا اي موافقا للكتب وانها
انما نزلت من واحد لا شريك له وان كان فيه شدائد ورخص اذ لله ان ينهى هذا عن شيء ويأمر اخر وينهى
في وقت ويأمر به في وقت وليس فيه خروج عن الحكمة ان يأمر احدا او ينهاه في وقت واحد وفي حال واحد
وفي شيء واحد ثم في الاية دلالة ان المنسوخ موافق للناسخ غير مخالف له لان من الاحكام والشرائع ما كان
في كتبهم ثم نسخت لنا فلو كان فيها خلاف لظهر القول منهم انه مخالف وانه غير موافق وكذلك في القران
ناسخ ومنسوخ فلو لم يكن بعضه مخالفا لبعض كقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
وقوله ولا تكونوا اول كافر به قيل فيه بوجهين قيل لا تكونوا اول قدوة يقتدى بكم في الكفر وقيل اي
لا تكونوا اول كافر فيما آمنتم به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به فيلحقهم من سن السنن لقوم مما يكونون
هم بمعنى الحجة لغيرهم اذ كانوا اعرف به وابصر بما معه من الادلة والبراهين فيقتدي بهم من لم يشهد و
لا علم فيكون عليهم لو كفروا ما على اول من كفر ولا قوة الا بالله مما يحملهم فيه وصف العنت والتمرد
والله الموفق وقوله وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي قيل يحيى قال الحسن لا بآيات في جميع القران هي الذين كقوله اشتروا
الضلالة بالهدى واما عندنا فهي الحجج وقد ذكرنا ان اسم الشراء قد يقع من اختيار شيء بشيء ان لم يتلفظ
بلفظ الشراء وقوله وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ اي اتقوا عذابي ونقمتي ويحتمل سلطاني وقدرتي وقد ذكرناه وقوله
وَلَا تَلْبِسُوا يحتمل وجوها لا تشتروا الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا اي لا تلبسوا هو تلبيس الحق بالباطل ويحتمل
لا تلبسوا اي لا تشبهوا الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا اي لا تكتموا ويحتمل لا تلبسوا اي لا تمحوا نعت محمد صلى
الله عليه وسلم ولا تشبروا غيره وكله يرجع الى واحد ثم الحق يحتمل وجوها يحتمل محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته
ويحتمل الحق القران ويحتمل الحق الايمان والباطل هو الظلم والكفر والله اعلم وقوله وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
لما ذكر هو ونعته في كتابهم انه حق انه كان محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات او القران
او الايمان لكن تعاندون وتكابرون وقوله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يحتمل وجوها يحتمل الامر
باقامة وايتاء الزكوة امرا بقبول الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة المدعوة اليهما كقوله فان تابوا
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ليس هو اخبار عن اقامة فعلهما ولكن القبول لهما والايمان
بهما ويحتمل ان يكون الامر باقامة الصلوة والزكوة وامرا كونهم على حال تكون صلوتهم صلوة وزكوتهم
زكوة قال كونوا في حال تكون صلوتكم صلوة وزكوتكم زكوة في الحقيقة لان الاية نزلت في بني اسرائيل
وهم كانوا اهل الكتاب وكانوا يصلون ويتصدقون ولكن صلوتهم وزكوتهم لم تكن لله لما لم يأتوا
بايمانهم فامروا ان يأتوا بالايمان ليكون صلوتهم تلك صلوة في الحقيقة ويحتمل الامر باقامة الصلوة والزكوة
امرا باقامتها باسبابها وشرائطها من نحو الطهارة واللباس واخلاص النية له وذلك راجع الى المؤمنين
ويحتمل الامر بالصلوة والزكوة امر المعنى فيهما وهو الخضوع والطاعة والثناء عليه وذلك على كل احداث

ويحيي من الاحياء اي تركوهن احياء فلم تقتلوهن وقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل البلاء ممدود
هو النعمة كانه فيما نجيكم من فرعون واله نقمة عظيمة وقيل البلاء مقصور هو الابتلاء والامتحان كانه
قال في استعباده اياكم واستخدامه امتحان عظيم وقوله واذ فرقنا بكم البحر قيل فرقنا اي جعلنا لكم البحر
فرقا اي طرقا تمرون فيه وقيل افرقنا اي جاوزنا بكم البحر وقوله عز وجل واذ واعدنا موسى اربعين كان الوعد لهم
والله اعلم وعدان احدهما من الله عز وجل بصرف موسى اليهم مع التورية كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي
صدقا او وعدا اخر كان من موسى بانصرافه اليهم بالتورية على راس اربعين ليلة كقوله فاخلفتم موعدي
وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده يحتمل اتخذتم اي عبدتم فاستوجبوا ذلك التعيير واللائمة بعبادة العجل لا باتخاذ
نفسه ويحتمل اتخذتم العجل الها فاستوجبوا ذلك باتخاذهم الها كقوله واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا
جسدا له خوار فقال هذا الحكم واله موسى وهذا كانه اقرب وقيل اتخذتم اي صنعتم والله اعلم وقوله وانتم
ظالمون قيل في الظلم بوجوه قيل ان كل فعل يستوجب له الفاعل عقوبة فهو ظلم وقيل ان كل عمل لم يؤذن له
فهو ظلم وههنا حيث فعلوا ما لم يؤذن لهم الى الظلم لانهم ظلموا انفسهم وقيل ان الظلم هو وضع الشيء
في غير موضعه فسموا بذلك لانهم وضعوا الالوهية في غير موضعها وهذا كانه والله اعلم اقرب وقوله ثم
عفونا عنكم من بعد ذلك لانه ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يزعمون ان الله اذا علم من احد انه يؤمن برهة
في اخر عمره وان طال او يكون من نسله من يؤمن الى اخره لا بد لم يكن له ان يميته ولا له ان يقطع نسله فاذا كان
على الله ان يبقيهم ولا يقطع نسلهم لم يكن للامتنان عليهم ولا للافضال وطلب الشكر منهم معنى فعل عز
وجل ما عليه ان يفعل وكل من فعل ما عليه ان يفعل لم يكن فعله فعل امتنان ولا فعل افضال لانه عز وجل
من عليهم بالعفو لا بانهم لانه لو اهلك وقطع تناسلهم انقرضوا وتفانوا ولم يبقوا لذلك فالمنة عليهم
حصلت لذلك طلبهم بالشكر له والله اعلم واذا كان هذا ما وصفنا دل ان ليس على الله ان يفعل الاصلح
لهم في الدين وبالله التوفيق وقوله لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا وكذلك قوله وما خلقت الجن و
الانس الا ليعبدون اي لكي يوحدون وذلك يحتمل ان يشهد خلقته كل احد على وحدانيته وكذلك يشكر
خلقه كل احد له ويحتمل عبادة الاختيار بوحدانيته والشكر له بما انعم عليه وافضل عليه وذلك يرجع الى
من يعبد ويوحد ويحتمل خلقهم ليامرهم بالعبادة والشكر له من احتمل منهم الامر بذلك وقوله واذ اتينا موسى
الكتاب يعني التورية والكتاب اسم لكل مكتوب وقوله والفرقان قيل سميت فرقانا لما فرق وبين فيها
الحلال والحرام وكل كتاب فرق فيه الحلال والحرام فهو فرقان وقيل يسمى فرقانا فيه بين الحق والباطل
وهما واحد وقيل سميت التورية فرقانا لما فيها المخرج من الشبهات وقيل لانه على الاضمار كانه قال واذ اتينا
موسى الكتاب يعني التورية ومحمد صلى الله عليه وسلم الفرقان كقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده
وقوله لعلكم تهتدون فالكلام فيه كالكلام في قوله لعلكم تشكرون لقد ذكرنا ما اسكن والله اعلم وقوله عز
وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم بعبادتكم العجل الى عبادة ربكم وقيل ارجعوا عن اتخاذ العجل
الها الى اتخاذ خالقكم الها وقوله عز وجل فاقتلوا انفسكم قال الفقيه ابو منصور رحمه الله لولا اجماع اهل
التفسير على صرف ما امر الله اياهم بقتل انفسهم على حقيقة والا لم نكن نصرف الامر بقتل انفسهم على حقيقة
القتل لان الامر بالقتل كان بعد التوبة ورجوعهم الى عبادة الله والطاعة له والخضوع دليله قوله عز وجل
ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فظهر
بهذا انهم تابوا قبل ان يؤمروا بالقتل وقد شرع على لسن الرسل قتال الكفرة حتى يسلموا فلا يجوز ذلك
ان اسلموا فيخص الارسال للقتل خاصة لا الدين والله اعلم ولان القتل هو عقوبة الكفر لا عقوبة الاسلام
وخاصة قتل استيصال على في الخبر ان قتل سبعون الفا في يوم واحد وذلك استيصال واهلاك ولم يهلك
الله قوما الا في حال الكفر والعناد اذ الاسلام سبب درء القتل واسقاطه لان من يقتل لكفره اذا
اسلم سقط القتل عنه وزال وكذلك اذا اسلم وتاب ومات عليه يعاقب في الاخرة لكفره في الدنيا فعل
ذلك يجب ان لا يعاقب هؤلاء في الدنيا بالقتل بعد التوبة والرجوع الى عبادة الله تعالى وطاعته ونصرف
الامر بالقتل الى اجتهاد انفسهم بالعبادة والطاعة له واحتمال الشدائد والمشقة لتفريطهم في عصيان
ربهم باتخاذهم العجل الها وعبادتهم اياه دون الله وذلك جار في الناس يقال فلان يقتل نفسه في كذا
لا يعنون حقيقة الامر ولكن اجتهاده نفسه في ذلك واتعابه اياها واحتمال الشدائد والمشقة

فيه

فيه قيل ذلك بصرف الامر بقتل انفسهم الى ما ذكرنا المعنى الذي وصفنا والله اعلم ثم اصرف ذلك الى حقيقة
القتل ان احتمل وجهان احدهما ان يجوز ان الابتداء محنة من الله تعالى لهم بالقتل لا عقوبة لما سبق من العصيان
وقد له ان يمتحنهم ابتداء بقتل انفسهم كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم الاية
على ما قيل كثير من المتاولين في ذلك انه له ان يمتحنهم في جميع انواع الامانة فعل ذلك له ان يامرهم بقتل
انفسهم وفيه امانة معاينة كالاستسلام لعظيم ما دعوا اليه من بذل النفس [illegible]
الامر بالذبح ويذل ولده النفس في ذلك فيكون في ذلك الفداء وفاء وتوبة لا حقيقة القتل والله اعلم والثاني
يجوز ذلك لان عقوبة الدنيا وعقوبات الدنيا وثوابها محنة كالامتحان بعد التوبة والرجوع الطاعة
الله بالجهاد ومحنة وامتحان عقوبات الاخرة وثوابها ليست بمحنة لانها ليست بدار امتحان ولذلك جاز
التعذيب في الدنيا بعد التوبة ولم يجز في الاخرة اذا مات على التوبة والله اعلم ثم قيل في قوله فاقتلوا
انفسكم بوجوه قيل امر ابتداء ان لا تعبسن بالقتل والتسليم له فصار وكان قد قتلوا انفسهم ويجوز
ان يكون الامر بقتل انفسهم امر المجاهدة الاعداء وان كان فيما قتلهم كما قال ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم الاية هو مذكور ذلك في التورية وكذا قول لا يسفكون دماءكم نهى عن القتل الذي فيه قتل انفسهم
وقد قيل في قوله لا تقتلوا انفسكم معناه لا يقتلون كما تقول انفسكم وعليه هذا التاويل
ابو بكر قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم والله الموفق وقيل امر بعضا بقتل بعض كقوله سلموا على انفسكم
تحية اي يسلم بعضكم على بعض وقيل امر كل من عبدة العجل بقتل والله اعلم وقوله ذلكم خير لكم قولان
التوبة خير لكم عند خالقكم وقيل قتل انفسكم خير لكم من لزوم عبادة العجل ويحتمل عبادة الرب عز وجل
خير لكم من عبادة العجل والله اعلم وقوله فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقد ذكرنا المعنى في ذلك
فيما تقدم وفي بذل انفسهم القتل والعرض عليه وكف ايديهم عن الرفع المحاربة فيه وجهان احدهما انه كانهم
ابلغ ما علم الخلق في البهائم والدواب وذلك ان موسى عليه السلام استنقذهم من خدمة فرعون واله ونجاهم
من الشدائد التي كانت عليهم وعرفهم الوعيد واراهم من الايات العجيبة من اليد العصا واليد البيضاء وفرق
البحر واهلاك العدو وفيه وتفجير الانهار من حجر واحد وغير ذلك من الايات ما يكثر ذكرها لو كانت
واحدة منها لكفتهم ودلتهم على صدقه ونبوته ثم مع ما اراهم من الايات اذا فارقهم دعاهم السامري الى عبادة
العجل واتخذه الها فكانوا هذا الحكم واله موسى فنسي فاجابوه الى ذلك واطاعوه وكان هرون صلوات الله
على نبينا وعليه فيهم يقول يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني فلم يجيبوه [illegible]
ولا اكثروا اليه [illegible] هرون من احتيال الناس لهم فلولا انهم كانوا مطيعون فيما احتاج في البهائم والدواب
[illegible] وامثال الايات التي كانت فاذا كان فيهذا [illegible]
الى بذل انفسهم القتل والله اعلم ويجوز ذلك وقوله فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وعلى ذلك جعلت
ايات موسى كلها حسية لا عقلية اذ عقولهم كادت تقصر عن فهم المحسوس وركد فضلا من المستدل عليه
والله اعلم والثاني يحتمل ان راوا الثواب بابصارهم في الاخرة وكرمه ما بهم فهان ذلك عليهم وخف كما روي
ان امرأة فرعون لما علم فرعون بعبادتها ربها وطاعتها له امر ان يعاقب باشد العقوبات فضحكت
في تلك الحال لما رات مقامها في الجنة وكرمه بها فهان ذلك عليها وسهل فعل ذلك يحتمل بذل هؤلاء
انفسهم والصبر عليه لذلك والله اعلم وقوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال
بعضهم قال الذين اختارهم موسى سبعين رجلا لن نصدقك بالرسالة والتورية حتى نرى الله جهرة يخبرنا
انه انزل عليك ويحتمل لن نؤمن لك انه اله ولا نعبد حتى نراه جهرة عيانا فاحتج من ينفي الرؤية في الاخرة
بهذه الاية حيث اخذتهم الصاعقة لما سألوا الرؤية قالوا فلو كان يجوز ان يرى لكان لا تاخذهم الصاعقة و
لا استوجبوا بذلك العذاب والعقوبة واما عندنا فليس في الاية دليل نفي الرؤية بل فيها اثباتها ودل
ان موسى عليه السلام لما سالوا الرؤية لم ينههم عن ذلك ولا قال لهم لا تسألوا هذا وكذلك سأل هو ربه
الرؤية فلم ينهه عنها بل قال ان استقر مكانه فسوف تراني وذا حرف الوعد لا يجوز ذلك لو كان لا يحتمل لانه
كفر ومحال ترك النهي عنه وكذلك ما روي في الاخبار من سؤال الرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قالوا نرى ربنا لم يات النهي عن ذلك ولا الرد عليهم فلو كان لا يكون لنهوا عن ذلك ومنعوا
وانما اخذ هؤلاء الصاعقة ليس لسؤالهم سؤال استرشاد وانما سألوا سؤال التعنت دليل التعنت فيما جاء

من الايات من وجه الكفاية لم ينسف لذلك اخذتهم الصاعقة والله اعلم وان يقال اخذتهم الصاعقة
بقولهم لن نؤمن لك لا بقولهم حتى نرى الله جهرة وسنذكر هذه المسئلة من موضعها ان شاء الله تعالى
وقوله الصاعقة قيل الصاعقة كل عذاب فيه هلاك لكن الهلاك على ضربين هلاك الابدان وهلاك الانفس
وهلاك العقل والذهن كقوله وخر موسى صعقا قيل مغشيا وفيه هلاك الذهن والعقل وكذلك قوله فصعق
من في السموات ومن في الارض اي غشي والله اعلم وقيل الصعقة صياح شديد وقوله وانتم تنظرون قيل
بوجهين قيل يعلمون ان الصاعقة قد اخذتهم واهلكتهم بقولهم الذي قالوا فكونوا انتم على حذر من ذلك
القول وقيل وانتم تنظرون الخطاب لاولئك الذين اخذتهم الصاعقة اي تنظرون الى الصاعقة وقت
اخذها لكم اي لم تاخذكم فجاءة ولا بغتة ولكن عيانا نهارا والله اعلم وقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم
تشكرون يذكرهم عز وجل عظيم منة عليهم وجزيل عطائه لهم ببعثهم بعد الموت وتظليل الغمام عليهم وانزال
المن والسلوى من السماء لهم وذلك مما خصوا به دون غيرهم ثم ما كان لنا من الموعود في الجنة فكان ذلك
لهم في الدنيا معاينة من نحو البعث بعد الموت ومن الظل الممدود والطير المشوي والثياب التي كانت لا تبلى
عليهم ولا تتسخ فذلك كله مما وعد لنا في الجنة وكان لهم في الدنيا معاينة بما يعنون مما كان لهم هذا لم يجيبوا
الى ما دعوا ولا ثبتوا على ما عهدوا وذلك لقلة عقولهم وغلظ افهامهم ونشوهم على اخلاق البهائم والدواب
والله اعلم وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم يحتمل وجهين يحتمل ما لم يجعل لهم الفضل على حاجتهم فاباح لهم
القدر الذي لهم اليه حاجة وسماه طيبات ويحتمل انه سماه طيبات لما لا يشوبهم ولا يؤذيهم ولا اذى يصير
ليس كطعام الدنيا مما لا يسلم عن ذلك والله اعلم وقد قيل الطيب هو المباح الذي يستطيبه الطبع وتتلذذ
النفس وقوله وما ظلمونا هم الاية وقد ذكرنا معنى الظلم فيما تقدم وقد يحتمل وجها اخر وهو النقصان كقوله
كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم ينقص عنه وفاصله ما ذكرنا ان الظلم هو وضع الشيء
في غير موضعه وكل ما ذكرنا الى واحد وقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية اختلف في تلك القرية قيل انها
بيت المقدس كقوله ادخلوا هذه الارض المقدسة التي كتب الله لكم امروا بالدخول فيها والمقام هنالك
لسعة عيشهم فيها ورزقهم اذ هي الموصوف بالسعة والخصب وقيل ان تلك القرية التي امروا بالدخول
فيها والمقام هنالك قرية على انقضاء التيه والخروج منها غير ان ليس لنا الى معرفة تلك القرية حاجة وانما
الحاجة الى معرفة الخلاف الذي كان منهم وما يحقهم بترك الطاعة له والائتمار والله اعلم وقوله وكلوا منها
حيث شئتم رغدا والرغد قد ذكرنا فيما تقدم انه سعة العيش وكثرة المال وقوله وادخلوا الباب سجدا يحتمل
المراد من الباب حقيقة الباب وهو باب القرية التي امروا بالدخول فيها ويحتمل من الباب القرية نفسها لا حقيقة
الباب كقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية ذكر القرية ولم يذكر الباب وذلك في اللغة شائع جائز يقال فلان
دخل في باب كذا لا يعنون حقيقة الباب ولكن كونه في امر هو فيه وقوله سجدا يحتمل المراد من السجود حقيقة
السجود فيخرج على وجوه يخرج على التحية لذلك المكان ويحتمل على الشكر لما اهلك اعداءهم الذين كانوا
فيها كقوله ان فيها قوما جبارين ويحتمل حقيقة لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان بني اسرائيل امروا بالدخول سجدا فدخلوا متحرفين فما اصابهم انما اصابهم بخلافهم امر الله
ويحتمل الكناية عن الصلوة اذ العرب قد تسمي السجود صلوة كانهم امروا بالصلوة فيها ويحتمل الامر بالسجود لا حقيقة
السجود والصلوة ولكن امر بالخضوع له والطاعة والشكر على اياديه التي اسدى اليهم واوسع من سعة العيش
والتصرف فيها في كل حال والله اعلم وقوله وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم قيل بوجهين قيل الحطة هو قول
لا اله الا الله سميت حطة لانها تحط كل خطيئة كانت من الشرك وغيره فكانهم امروا بالاسلام والايمان
وقيل قولوا حطة اي اطلبوا المغفرة والتجاوز عما ارتكبوا من المآثم والخطايا والندامة على ما كان منهم فكانهم
امروا ولا يأتوا بالسبب الذي به يغفر الذنوب وهو الاستغفار والتوبة والندامة على ذلك والله اعلم
وذلك يحتمل الشرك والكبائر وما دونها ذكر عز وجل مرة خطايا ومرة خطيات ومرة قال ادخلوا ومرة
قال اسكنوا ومرة قال فانزلنا ومرة قال فارسلنا والقصة واحدة حتى يعلم ان ليس في اختلاف الالفاظ
والالسن تغيير المعنى والمراد ان الاحكام والشرائع التي وضعت لم توضع للاسامي والالفاظ ولكن
للمعاني المدرجة والمودعة فيها والله اعلم وقوله وسنزيد المحسنين يحتمل المراد من المحسنين المسلم
الذي كان اسلم قبل ذلك ويحتمل الذي اسلم بعد قوله قولوا حطة وكان ذكرنا الى ذلك الوقت الزيادة

يحتمل التوفيق بالاحسان من بعد كقوله فاما من اعطى واتقى الاية ويحتمل الثواب على ما ذكر من قوله
اولئك يؤتون اجرهم مرتين الاية وقوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم قوله بدل يحتمل
احداث ظلم بعد ان لم يكن والخلاف لما امرهم به عز وجل ويحتمل تشبثهم على غير الذي قيل لهم ولم يبين
ما ذلك القول الذي بدلوا وليس لنا الى معرفته ذلك القول حاجة انما الحاجة الى معرفة ما يكون منهم
بالتبديل ونزل العمل بامره والخلاف له فقد تولى الله بيان ذلك بفضله وبالله التوفيق وقوله
فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء قيل الرجز هو العذاب المنزل من السماء على ايدي الملائكة كعذاب
قوم لوط وغيره وعذاب ينزل من السماء الا على ايدي احد من نحو الصاعقة والصيحة ونحوهما وقوله
بما كانوا يفسقون مرة ذكر يظلمون وهو واحد وفي هذه الاية التي ذكرنا والانباء التي وصفنا دلالة رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم واثبات نبوته وذلك ان اهل الكتاب كانوا عرفوا هذه الانباء بكتبهم وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك بمشهدهم كما في كتابهم ولم يكن ظهر منه اختلاف اليهم ولا درس كتابهم
فدل انه بالله عرف وكان فيها تسكين قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والصبر عليه والظهور الخلاف له
من قومه ونزل طاعتهم اياه وان ذلك ليس باول خلاف له من قومه ولا اول تكذيب بل كان من الامم
السالفة لانبيائهم ذلك فصبروا عليه فاصبر انت كما صبروا هم كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل
لهم الاية وقوله واذ استسقى موسى لقومه يعني طلب الماء لقومه عند حاجتهم اليه فاوحى الله تعالى اليه ان
اضرب بعصاك الحجر قد ذكرنا فيما تقدم ان الله عز وجل قد اراهم من عصاه ايات عجيبة من نحو الثعبان الذي
كان يلقف ما يافكون كقوله فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون وقوله فاذا هي ثعبان مبين ومن ضربه
البحر بها حتى انفلق كقوله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ومن ضربه الحجر بها وانفجار العيون منه
وغير ذلك من الايات مما يكثر ذكرها عز وجل من ايات رسالته وايات نبوته وفيما اراه من عجيب اياته
دلالة حدث العالم وابداعه لا من شيء لانه عز وجل قد اخرج بلطفه من حجر يبس في نفسه مما يحمل من مكان
الى مكان من الماء ما يكفي للخلق لا يحصى عددهم وفجر منه انهارا لكل فريق نهر على حدة ثم لا يحتمل كون ذلك
الماء بكليته فيه لصغره وخفته ولا كان ينبع ذلك من اسفله فاذا كان هذا كما ذكرنا ان الله عز وجل كان
ينشي ذلك الماء فيه ويحدث من لا شيء لان ذلك الحجر لم يكن من جوهر الماء ولا من اصله فاذا كان قادرا
على هذا القادر على انشاء العالم لا من شيء سبق ولا اصل تقدم وكذلك ما اراهم عز وجل من العصا الثعبان
والحية لم يكن من جوهرها ولا اصلها ولا تولدها منها بل انشاء ذلك وابدع بلطفه والله الموفق
وقوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قيل كانوا اثني عشر سبطا بقوله عشر نقيبا وهم بنو يعقوب فجعل
لكل سبط نهرا على حدة فاقتسم كل فريق الى ابيهم الذي كانوا منه ولم ينضموا الى اعمامهم وبني اعمامهم
نفيه المواريث لا تنصرف الى غيره الا بالاباء الا بعد انقطاع اهل الاتصال بالاباء وفيه دلالة ان القوم في
الصحارى والبراري ينزلون مجتمعين غير متفرقين ولا متباعدين وان كان ذلك انفع لهم واهون
عليهم من جهة الرعي والريح وسعة المنازل وفي الاول سبق المعنى الذي وصفنا والله اعلم وقوله قد
علم كل اناس مشربهم اي موردهم وفيه دلالة قطع التنازع ورفع الاختلاف من بينهم لما بين لكل فريق
منهم موردا على حدة ولو كان مشتركا لخيف وقوع التنازع والاختلاف بينهم قطع الارحام والانساب
وبالله التوفيق وقوله كلوا يعني المن والسلوى وقوله واشربوا من الماء الذي اخرج لهم من الحجر وكلاهما
رزق الله الذي ساقه اليهم من غير تكلف ولا مشقة وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل لا تسعوا
في الارض بالفساد ويحتمل لا تعثوا اي لا تفسدوا لان العثو هو الفساد نفسه كانه قال لا تفسدوا في
الارض وتكونوا مفسدين وقوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد قيل فيه بوجوه قيل اول
ما انزل المن فعند ذلك قالوا لن نصبر على طعام واحد ثم انزل السلوى وقيل كانوا يتخذون من المن
القرص فيكون مع السلوى فهو طعام واحد فقالوا لن نصبر عليه ويحتمل ان يكون طعامهم في اليوم مرة
فطلبوا الاطعمة المختلفة والله اعلم وقوله فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها قال بين لنا معنى اضافة الاضافة الاشياء الى الله عز وجل يخرج لما يخرج
التعظيم لذلك الشيء المخصوص من ذلك قوله بيت الله ورسول الله وناقة الله هذا كله يخرج مخرج
التعظيم بهذه الاشياء باضافة كلية الاشياء الى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم الرب واجلاله نحو ما قال

رب كل شئ وخالق كل شئ ورب السموات والارض ونحوه هذا كله وصف تعظيم الرب واجلاله و
قد اختلف في الثوم هو الثوم وكذلك روي في قراءة عبد الله انه قرء وثومها وقيل الثوم هو البر
وقوله اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قيل في ادنى في القيمة وقيل ادنى في الخطر و
الرغبة وقيل ادنى في المنافع وقيل ادنى لما لا يصل بهذا اليهم الا بالمونة والمشقة وذلك لهم
بلا مونة ولا مشقة فهو خير وكل يرجع الى واحد والله اعلم ويحتمل ادنى اي ادون واذل ولا شك
ان ما طلبوا وسالوا ادون الذي كان لهم ويحتمل اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
قد اعطوا لو كان ذلك اصلح لهم في الدين لم يكن موسى ليلومهم عليه ثبت انه لم يكن ثم اعطوا
ذلك ثبت ان الله تعالى قد يجوز له في الحكمة فعل ما كان غيره اصلح لهم في الدين ولا قوة الا بالله
وقيل اهبطوا مصرا قيل المصر المعروف وقيل مصر من الامصار لان ما طلبوا لا يوجد الا في الامصار وبالله
التوفيق وقوله فان لكم ما سالتم من الاطعمة المختلفة ان كان المراد منه المراد وان كان الاطعمة المختلفة فهو
كما قال وقوله فضربت عليهم الذلة قيل فيه بوجوه قيل الذلة ذلة احتمال المونة والشدايد لما سالوا من الاطعمة
المختلفة وقيل الذلة ذلة الجزية والصغار بعصيانهم ذلهم وقيل ذلة الكسب والعمل لان الاول كان ياتيهم
من غير كسب ولا مونة والمسكنة قيل ذل الفقر والحاجة وقيل قطع رجائهم عن الاخرة لما عصوا ربهم
وقوله وباءوا بغضب من الله قيل فيه بوجوه قيل باءوا رجعوا وقيل استوجبوا وقيل اقروا وكله يرجع الى واحد
وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله قد ذكرنا فيما تقدم ان الايات هي الحجج التي اعطى الرسل واجراها على
ايديهم وقال الحسن هي دين الله وقوله ويقتلون النبيين بغير الحق يحتمل ان يكون هذا في غيرهم لانه لم يكن في زمن
موسى نبي سوى هرون وهم لم يقتلوه الا ان يقال ان ذلك كان من اولادهم بعد موسى او كان ذلك من غيرهم
سوى هولاء واولادهم على ان قتل الانبياء في بني اسرائيل كان ظاهرا حتى قيل قتل في يوم كذا نبيا ولم يذكر قتل
رسل من الرسل وذلك والله اعلم لقوله انا لننصر رسلنا ولقوله انهم لهم المنصورون اخبر انه لم ينصرهم
وانهم منصورون ومن كان الله بامره فهو المنصور ابدا ولان الرسل هم الذين اوتوا الايات من المعجزة فلم
يكن لهم استقبال الرسل بذلك الايات التي كانت معهم واما الانبياء فلم يكن معهم تلك الايات المعجزة وانما
كانوا يدعون الخلق الى دين بالايات التي كانت معهم بذلك كان ما ذكر والله اعلم قال قوم لم يقتل احد من
الرسل وانما قتل الانبياء ودون الرسل فان كان كذلك فعلى ذلك يخرج ما ذكرنا من الايات وان لم يكن
فالنصر كان بالحجج والايات فكانت تلك للكل وعلى ذلك لا دلالة في كون الايات مع الانبياء وغير كونها
وان لم يكن لهم ابتداء شرع ولا نسخ بل على الدعاء الى ما سبق من الشرايع وكانت اياتهم كايات الرسل
او دلالات العصمة مما كان بهم حفظ الكتب السماوية بلا تبديل والله اعلم بالحق في ذلك ونعتصم بالله
عن بسط اللسان في ذلك بالتدبير دون شئ ظهر على لسان الرسل والقول فيهم بشئ كانت اية لكل ولا
لكن الله تعالى قد اقام حجته لكل على قدر الكفاية والتمام وقوله ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
الاية قيل ان اليهود والنصارى وهولاء جايز ان يكون لهم تعلق بظاهر هذه الاية لانهم يقولون انا امنا
وامنا باليوم الاخر فليس علينا خوف ولا حزن لكن الجواب لهذا وجوه احدها انه ذكر المومنين بقوله
ان الذين امنوا وايمانهم ما ذكر في اية اخرى وهو قوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد منهم وهم قد فرقوا بين الرسل بقولهم نومن
ببعض ونكفر ببعض وفرقوا بين الكتب ايضا امنوا ببعض وكفروا ببعض فهولاء الذين ذكرهم
عز وجل في هذه الاية هم الذين امنوا بجميع الرسل وبجميع الكتب ولكنهم لا يومنون بالله ولا يعرفون في
الحقيقة وان يقال ذكر عمل الصالحات والكفر ببعض الرسل ليس من عمل الصالحات لذلك بطل تعلقهم
بهذا والله اعلم وقيل في ذلك على التقديم والتاخير كانه قال ان الذين هادوا والنصارى من امن منهم
بالله واليوم الاخر والذين امنوا الاية والمعتزلة تعلق ايضا بظاهر قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وصاحب الكبيرة عليه خوف وحزن فلو كان مومنا لكان لا خوف عليه ولا حزن انه اخبر ان المومن لا خوف
عليه ولا حزن فدل انه يخرج من ايمانه اذا ارتكب كبيرة فقال لهم لم ينف عنهم الخوف والحزن في كل الوقت
فيحتمل عليه خوف في وقت ولا خوف عليه في وقت اخر لان كل مومن خوف البعث وفزعه حتى الرسل
بقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا لشدة فزعهم من هول ذلك اليوم فاذا

دخلوا الجنة ونزلوا منازلهم ذهب ذلك الخوف والفزع عنهم فمثل ذلك المومن يكون له خوف في وقت
ولا خوف عليه في وقت اخر والله اعلم واختلف في الصابئين قيل الصابئون قوم يعبدون الملائكة و
يقرون الزبور وقيل انهم قوم يعبدون الكواكب وقيل هم قوم بين المجوس والنصارى وقيل هم قوم بين
اليهود والمجوس وقيل هم قوم يذهبون مذهب الزنادقة يقولون بالاثنين لا كتاب لهم ولا علم لنا بهم وقوله
واذ اخذنا ميثاقكم قد ذكرنا فيما تقدم ان ميثاق الله وعهده على وجهين عهد خلقة وعهد فطرة و
عهد رسالة ونبوة قوله واذ اخذنا ميثاقكم في التورية ان يعملوا بما فيها فنقضوا ذلك العهد لما
راوا فيها الحدود والاحكام والشرايع كرهوا فرفع الله الجبل فوقهم فقبلوا ذلك ويحتمل ما ذكرنا من
عهد خلقة وفطرة فنقضوا ذلك وقوله خذوا ما اتيناكم بقوة قيل خذوا التورية بالجد والمواظبة وقيل
بقوة يعني بالطاعة له والخضوع ثم احتج بعض المعتزلة بهذه الاية على تقدم القدرة الفعل لانه امرهم
عز وجل بالقبول له والاخذ والعمل بما فيها فلو لم يعطهم قوة الاخذ والقبول له قبل الاخذ له الفعل لكان
لا يامرهم بذلك لانهم يقولون لا قوة لنا على ذلك فدل انه قد اعطاهم قبل ذلك لكنه غلط عندنا لانه
لو اعطاهم القوة قبل الفعل ووقت الامر به ثم تذهب عنهم تلك القوة وقت الفعل لكان الفعل بلا قوة
اذ من قولهم ان القوة لا تبقى وقتين فدل انها تحدث بحدوث الفعل لا يتقدم ولا يتاخر ولكن يكون
معا ولانها سميت قدرة الفعل فلو كانت تتقدم الفعل لم يكن لاضافة الفعل اليها معنى والله اعلم
والاصل في ذلك ان الله تعالى قال خذوا ما اتيناكم بقوة ومن المعلوم ان المراد بذلك الاخذ بقوة
الاخذ ثم فيه وجهان احدهما ان الاخذ قوة غير التي للترك والثاني انه ذكر الاخذ بقوة فاذا لم تكن
بها انه يرى ان الوقت اذا تباعد لم يحتمل بما تقدم من القوة او تاتي قبله وقت واحد وقوله واذكروا
ما فيه قيل فيه بوجوه قيل اذكروا واحفظوا ما فيه من امره ونهيه ولا تضيعوه لعلكم تتقون المعاصي
والماثم ويحتمل اذكروا ما فيه من التوحيد والايمان لعلكم تتقون الشرك والكفر ويحتمل اذكروا
ما فيه من الاحكام والشرايع ويحتمل الثواب والعقاب والوعد والوعيد وكله واحد وقوله ثم
توليتم من بعد ذلك يعني من بعد القبول دل هذا على انهم كانوا قبلوا ذلك مرة قبل ان ياتيهم موسى
عليه السلام بها فلما اتاهم ورأوا التشديد والمشقة ابوا قبولها وتركوا العمل بما فيها من الاحكام
والشرايع فخوفوا برفع الجبل فوقهم فتقبلوا ذلك والله اعلم وقوله فلولا فضل الله عليكم ورحمته يحتمل
وجوها فضل الله عليكم الاسلام ورحمته القران فضل الله عليكم محمد صلى الله عليه وسلم بعثنا لكم رسولا
ليجمعكم ويولف بينكم ويدعوكم الى دين الله الحق بعد ما كنتم في فترة من الرسل وانقطاع من الدين
والعمل ويحتمل فضل الله عليكم لما انجاكم من العذاب ولم يرسل عليكم الجبل والا ماتوا لذهبتم انتم وقيل
فضل الله عليكم لما اعطاكم التورية ووفقهم على قبولها والا لكنتم من الخاسرين وبعضه قريب من بعض
وقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا فيه دلالة اثبات محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ولقد علمتم ان محمدا صلى
الله عليه وسلم لم يكن يعلم الذين اعتدوا منكم في السبت ولا كان علم ما فعل بهم ثم علم ذلك فان اعلم بالله
عز وجل لانه لم يكن قرء كتابكم ولا كان يختلف الى احد ممن يعرف ذلك فبالله عز وجل عرف ذلك وبه علم
فدل انه رسول الله اليكم ويحتمل قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين اي علمتم ما اصاب اولئك باعتدائهم يوم السبت بالاصطياد وكنتم تقولون نحن ابناء الله
واحباؤه يعني ابناء رسل الله ورجاؤه فلو كان كما تقولون لم يكن يجعلهم قردة وهي اقبح خلق الله
ودوحه ادمثل ذلك لا يفعل الاحباء والابناء وان يحمل على التجديد لهولاء لئلا يكذبوا محمدا صلى الله
عليه وسلم ولا يعصوه في امره فيصيبكم ما اصاب اولئك بتكذيبهم موسى وعصيانهم امره والله اعلم
ثم سبب تحريم الاصطياد في السبت كان والله اعلم لما قيل ان موسى اراد ان يجعل يوما خالصا للطاعة
له والعبادة فيه وهو يوم الجمعة فخالفوه امره ونهيه وقالوا ويحتمل ذلك اليوم السبت لانه لم يخلق
لعل تحريم الاصطياد فذلك اليوم لذلك وحرم لوامرة عقوبة لهم نهوا عن الاصطياد في ذلك اليوم فاصطادوا
وعلى ذلك تاويل قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يعني يوم الجمعة وقيل اختلفوا فيه يعني في
الله ثم اختلف في قوله كونوا قردة قال قوم قوله كونوا قردة من الاصل على ذهاب الانسانية منهم
وقيل حول لجوهرهم الى جوهر القردة على ابقاء الانسانية فيهم من الفهم والعقل لانه قيل ان الذين كانوا

ينهون هم عن الاصطياد فى ذلك اليوم دخلوا عليهم فيقولون لهم الم ننهكم عن ذلك ونزجركم فاياتوا اى نعم و
دموعهم يقتضى على خدودهم فلوكان التحويل على ذهاب جميع الانسانية منهم لكانوا لا يفهمون ذلك ولا حزنوا
على ما لان لكل ذى جوهر راض بجوهره الذى خلقه الله سبحانه بسريه ولان تحويله اياهم قردة عقوبة لتكذيبهم فى
التكذيب وجرأتهم على الله ليعلموا ذلك ويروا انفسهم اقبح خلق الله واوحشه وفيه نقض قول المعتزلة لانهم
يقولون ليس فى خلق الله قبيح فلو لم يكن فى خلق الله قبيحا لم يكن لتحويل صورتهم من صورة الانسان الى اقبح معنى
ليروا قبح انفسهم عقوبة لهم لما عصوا امر الله ودخلوا فى نهيه وقوله فجعلناها نكالا قيل الهاء راجعة الى
القرية التى كانوا فيها وقوله لما بين يديها من اهل القرية وما خلفها من حواليها وقيل اراد بالها القرية لما بين يديها
من القرى وقيل اراد بالها العقوبة والنكال لما بين يديها يعنى لما مضى من الذنوب وما خلفها يعنى ما بقى والله
اعلم وقوله خاسئين يعنى قيل الخاسى الصاغر وقيل الخاسى الذليل وقيل البعيد وكله يرجع الى واحد والله اعلم
وقوله واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قيل قتيل قتل فى بنى اسرائيل والقى على باب غيرهم
فسادعوا فيه واختلفوا فامر الله نبيه موسى عليه السلام ان يذبحوا بقرة فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
فاضربوا ببعضها ذلك الميت فيحيى فيقول من قتلنى قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
قال بعضهم كفروا بهذا القول لانهم سموه هازئا ومن سمى رسولا من الرسل هازئا لكفر الا ترى انهم قالوا
فى الآخر الآن جئت بالحق دل ان ما قال لهم اول مرة ليس بحق عندهم وليس هذا بشئ ولا يحتمل ما قالوا
ولكن يحمل على المجازاة كانهم قالوا اتجازينا بهذا لما مضى منا وسبق من العصيان بل والخلاف لك لما لم يعلموا
انه من عند الله يامر بذلك وهذا وامثاله على المجازاة جائز على ما ذكرنا من الاستهزاء والمخادعة والمكر كله على
المجازاة جائز وكقول نوح لقومه انا نسخر منكم كما تسخرون على المجازاة فكذلك الاول واما الاستهزاء فيما بين
الخلق فهو جهل يسخر بعضهم ببعض بجهل باحوال انفسهم اذ كلهم سواء من جهة الجوهر والخلقة وتركيب الجوارح
وتصوير الصور وتمثيلها الا ترى ان موسى اجاب لهم عن الهزو بالجهل فقال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
دل ان الهزو فى الخلق لجهل فيهم وبالله التوفيق ثم استدل قوم بهذه الآية على عموم الخطاب وقت فرع النسخ
لانه امرهم بذبح بقرة لم يبين لهم كيفيتها ولا ما فيها وقت الخطاب الا بعد البحث والسؤال عنها فثبت انه على العموم
الا ترى ما روى فى الخبر لو عمدوا الى ادنى بقرة يجزيهم لكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم لكن هذا
لا يصح لانه دعوى على الله بحدوث شئ فى امره وبدو فى حكمه فذلك كفر لا يقول مسلم فضلا عن
ان يقوله رسول من الرسل تاويل هذا انه قال انه يقول كذا فلو كان الاول على غير ذلك لكان
بدا لله فيما امر وفسر بما لم يكن اراد وذلك معنى البداء بل معنى الرجوع عن الاول مما ارادوا التغيير له
بغيره ولا قوة الا بالله ثم فى الآية دليل خصوص الخطاب من وجهين احدهما اخذ كل آية خرجت
فى الظاهر على العموم وهو مرادها انه ظهر الخصوص فهو بدء وحدوث فى الاحكام والشرايع فذلك
حال من جهل العواقب والنهايات تعالى الله عن ذلك ومعنى سؤالهم بذهاب الريب لهم البيان
بما اريد جعل ذلك آية فوقع عندهم ان لا كل بقرة تصلح للآيات ولذلك لم يسألوا موسى عن تفسيرها
الا ان الله تعالى هو الذى يعلم الآيات والحرف الثانى هو الاول الذى قلنا اليه انصرف المراد فى
الابتداء لما يوجبه وان الامر بالذبح فى الابتداء كان على ما الامر اليه وظهر لكنهم امروا بالسؤال
عنها والبحث عن احوالها ليصلوا الى المراد فيه الا انه احدث لهم ذلك بالسؤال وعلى ذلك ما
روى ان صلة الرحم تزيد فى العمر لما علم من عبده انه يصل رحمه جعل مدة عمره اكثر مما لو علم انه
لا يصل لانه يجعل اجله الى وقت فاذا وصل رحمه زاد على ذلك لا على ما يقوله المعتزلة ان الله
تعالى يجعل لكل احد اجلا فاذا وصل امات فى العبد الاجلين واذا لم يصل جعل اجله الاول فهذا
امر من يجهل العواقب فاما من كان عالما بالعواقب فلا لانه بدو ورجوع عما تقدم من الامر ثم
استدل بهذه الآية بقبول اولياء المقتول وهم لا وجه احدهما لا يقبل قول القتيل قبل خروج الروح
منه ان قوما قتلى فى قطع من الميراث واغرام الدية والثانى كان آية عظيمة لهم لم يكن ذلك اخبرهم والثالث
ان اولياء المقتول تدكانوا قبل ان يحيى يدعون عليهم المقتل فلو كان لهم حق القبول لم يحتج الى تلك الآية
والرابع ان قبول قول الميت احق من قبول قول الولى لان الولى ينتفع بقوله والميت لا ينتفع بقوله
شيا ثم القتيل لا يقبل قوله فى شريعتنا فكذلك الولى والله الموفق ثم وجه وحكم جعل البقرة آية دون

غيرها من البهايم وجهان احدهما ما روى ان رجلا كان يا بوا لديه والثانى انهم يعبدون البقور
والعجاجيل وجب ذلك لهم بقوله واشربوا فى قلوبهم العجل ثم تابوا وعادوا الى عبادة الرب وما
اراد الله ان يمتحنهم بذبح ما حبب لهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان فى قلوبهم من حب
البقور والعجاجيل والله اعلم وقوله لا فارض يقول ليست بكبيرة ولا بكر ولا مسانة عوان بين ذلك
بين الشابة والكبيرة وقيل لا فارض لا بكبيرة على ما ذكرنا ولا بكر اى ولا تلد عوان بين ذلك اى قد
ولدت بطنا او بطنين وقوله صفراء قيل صفراء الذى تضرب على الى السواد وذلك لشدته وقيل
الصفراء من الصفرة المعروف وقوله فاقع لونها قيل صادق تسر الناظرين تعجب الناظرين وقيل فاقع
لونها صفرة اللطيف واللون والله اعلم وقوله لا ذلول تثير الارض قيل لم يذللها العمل اى لم تدرع
عليها ولا هى مما يبقى عليها اى بقرة وحشية صعبة تثير الارض ولا تسقى الحرث وقيل لا ذلول الارض
اى بقرة وحشية تثير الارض ولكن اثارة الارض لم تذللها لصعوبتها وشدتها وقوله وما كادوا
يفعلون قيل فيه بوجوه ما كادوا يفعلون خوفا على انفسهم ان يفتضحوا لظهور القاتل وقيل وما
كادوا يفعلون لغلاء ثمنها والاول اقرب والله اعلم وقيل انهم استقصوا فى تلك البقرة والسؤال من
احوالها والاستقصاء فى الشئ اى يكون للمدافعة والله الموفق وقوله وانا ان شاء الله لمهتدون
وقوم موسى مع اغلظ افهامهم ورقة عقولهم اعرف لله واجهل توحيدا من المعتزلة لانهم قالوا
ان شاء الله لكنا من المهتدين والمعتزلة يقولون قد شاء الله ان يهتدوا وشاء انهم اى لا يهتدوا
فعلت مشيئتهم على مشيئة الله تعالى فى قلوبهم فنعوذ بالله من السرف بالقول والجهل فى الدين وفى قوله
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة دليل لابى حنيفة رضى الله عنهم واصحابه اى من حلف لا ياكل لحم بقرة
فاكل لحم ثور حنث لان الله تعالى ذكر البقرة ثم بين فى آخره ما يدل انه اراد به الثور بقوله لا ذلول
تثير الارض والثور هو الذى يثير الارض ويسقى الحرث دون الانثى منها لذلك كان الجواب
على ما ذكرنا الآن بكونهم كانوا يحرثون بالانثى منها كما يحرث اهل الزمان بالذكر فحينئذ لا يكون
دليل لما ذكرنا والله اعلم واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فى الآية دليل
مراد الخصوص وان خرجت فى الظاهر مخرج العموم لانه قال عز وجل قتلتم وانما قتله واحد وقال و
الله مخرج ما كنتم تكتمون وانما كان كتمه الذى قتله لذلك قلنا ان لا ينصرف مراد الآية الى العموم
بلفظ العموم ولا الى الخصوص بلفظ الخصوص الا بعد تمام الدليل والبرهان على ذلك والله الموفق
وقوله فقلنا اضربوه ببعضها قال بعضهم حتى يتخذها الايمن لكن هذا لا يعلم الا بالخبر عن الله تعالى
ولكن يقال ببعضها بقدر ما فى الكتاب وقوله كذلك يحيى الله الموتى اى هكذا يحيى الله الموتى
لا يتوهمون احياءه بضرب بعض البقرة عليه وكذلك قوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور فكما احياء الارض بعد موتها بالمطر المنزل
من السماء يقدر على احياء الموتى وبعثهم على الوجه الذى لا يظنون ولا يتوهمونه والله اعلم ويحتمل
احياء ذلك القتيل لهم لما لم يكونوا اطمانوا على احياء الموتى فاراهم الله عز وجل ذلك ليطمانوا و
يستقروا على ذلك ولا يضطربوا فيه والله اعلم ويريكم آياته يحتمل يريكم آيات وحدانيته ويحتمل
يريكم آيات احياء الموتى وآيات البعث ويحتمل آياته فيما تحتاجون اليه كما ارى من تقدمكم عند
حاجاتهم ويحتمل يريكم آياته آيات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو خبر عن الغيب واوضح آيات الرسالة
الخبر عن الغيب وذكر القصة على الذى يعلم ان الاختراع لا يبلغ ذلك ليعلموا انه بالله علم انه اذا
لم يذكر له خط كتاب ولا اختلاف الى من عنده على انه لو كان مسموعا منهم ليجرى على مثلها القول
بالزيادة والنقصان ولكن منعهم الله تعالى عن ذلك اذ علموا صدقه اشفاقا على انفسهم ان ينزل
عليهم نقمة الله وقوله لعلكم تعقلون لكى تعقلوا وحدانيته وتعلمون الله قادر على احياء الموتى
بعد الموت وقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة ضرب الله لقلوبهم مثلا
بالحجارة وشبهها بها لتساويهما وشدة صلابتها وانها اشد قسوة من الحجارة وذلك ان من الحجارة
مع صلابتها وشدتها مع فقد اسباب الفهم والعقل وزوال الخطاب منها تخضع له وتتصدع كقوله
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقوله فلما تجلى ربه للجبل الآية وقلب الكافر

مع وجود اسباب الفهم والفعل وسعة العقول لايخضع له ولايلين وكذلك اخبر الله عز وجل جعل من الجبال
منافع للخلق مع صلابتها وشدتها حتى يتفجر منه الانهار والمياه وقلبا لكافر مع احتمال ذلك واسكانه
لا منفعة منه لاحد وبالله التوفيق ثم وجه حكمة ضرب قلوبهم مثلا بالحجارة وتشبيهها دون غيرها
من الاشياء الصلبة من الصفرة والحديد وغيرها وذلك والله اعلم ان الحديد يلينه النار وكذلك الصفر
حتى يضرب منها الاوانى والحجر لايلينه النار ولا شئ لذلك شبه قلبا لكافر وهذا والله اعلم فى قوم انهم
لا يؤمنون ابدا وقوله وما الله بغافل عما تعملون تخرج على الوعيد ابلغ الوعيد والوعظ حين ذكرهم علمه
بما يعملون وقوله افتطمعون ان يؤمنوا لكم الاية وان خرجت على عموم الخطاب فالمراد منها الخصوص وهو
الرسول صلى الله عليه وسلم والى هذا يذهب اكثر اهل التفسير وقيل ان المراد منها بعموم الخطاب العموم
يعنى النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانها خرجت على النهى عن طمع الايمان منهم كانه قال لا تطمعوا
فى ايمانهم كقوله افانت تنقذ من فى النار اى لا ينقذ وكقوله افانت تسمع الموتى اى لا تسمع الموتى
وقوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه الاية لقائل ان يقول ايش فيما كان فريق منهم
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ما يجب ان يدفع الطمع عن ايمان هؤلاء فهو والله اعلم الوجهين احدهما
انهم كانوا اصحاب تقليد كقوله انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فاخبر عز وجل ان
هؤلاء وان راوا الايات العجيبة فانهم لا يؤمنون ابدا لانهم اصحاب تقليد لا ينظرون الى الحجج والايات
والثانى انهم مع كثرة ما عاينوا من الايات وشاهدوا من العجايب فى عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يطمع فى ايمانهم فكيف طمعتم انتم فى ايمان هؤلاء وهم اتباعهم والله اعلم ولهذا وجهان اخران
احدهما كانه قال لا نطمع فى ايمانهم لانهم فى علم الله على ما عليه من ذكروا الثانى ان هؤلاء كانوا خيرا
من هؤلاء وارغب فى الحق منهم ثم لم يؤمنوا مع سماع الحجج ويجب به الايمان فكيف نطمع فى ايمان هؤلاء
وقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه انه من عند الله ويعلمون انه رسول الله وانه حق وقوله واذا لقوا
الذين امنوا قالوا امنا قد ذكرنا فيما تقدم انها فى المنافقين نزلت وقوله واذا خلا بعضهم الى بعض يحتمل
يحتمل وجهين يحتمل خلا بعض المنافقين الى بعض قالوا اتحدثونهم بكذا ويحتمل خلا المنافقون الى اليهود وقوله
اتحدثونهم بما فتح الله قيل افتح الله قضى الله وقيل فتح الله قضى الله وقيل من الله عليكم ان التورية وكله
يرجع الى واحد وقوله ليحاجوكم به اى باعترافكم عند هؤلاء ويحتمل على اضمار رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانه قال ليحاجوكم باقراركم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل على معنى ليحاجوكم به عند ربكم اى فى
ربكم اذ العرب تستعمل حروف الخفض بعضها فى موضع بعض ويحتمل عند ربكم اى يوم القيمة ويكون ليحاجوكم
بما عند الله اى بالذى جاءكم من عند الله لكن القائل ان يقول ما معنى ذكر المحاجة عند ربكم والمحاجة
يومئذ لا يكون الا عنده ولا يكون ليحاجوكم بها عند الله اى بالذى جاءكم من عند الله قيل لانا ذلك
اشهد اظهارا واقل كتمانا لما سبق منهم الاقرار بذلك ولذلك نهوا عن ذلك لانهم كانوا ينهون اولئك
عن الاقرار بالايمان عند المؤمنين واظهار ما فى التورية من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته
وقوله افلا تعقلون ان هذه حجة لهم عليكم حيث تعترفون به وتظهرون نعته وصفته ثم لا تتابعوه
ويحتمل افلا تعقلون انه حق وقوله اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فى التلاوة من الكذب
والتكذيب له وما يعلنون لاصحابه من التصديق له والايمان وقيل ما تسرون من كتمان نعته وصفته
وما تظهرون من اظهار نعته وصفته الذى فى التورية ويحتمل ما يسر هؤلاء لهم من النهى عن اظهار
ما فى التورية وما يعلن هؤلاء للمؤمنين من اظهار نعته وصفته والله اعلم وقوله ومنهم اميون لا يعلمون
يقول من اليهود من لا يقرء التورية ولا يعرفها الا ان يحدثهم العلماء والرؤساء عنها والامى الذى
لا يكتب ولا يقرء عن كتاب لكنه يقرء لا عن كتابة كالنبى صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولا يقرء عن كتابة
كقوله ولا تخطه بيمينك ويقال ايضا الذى لا يقرء ولا يكتب لا عن كتابة ولا عن غير كتابة وقوله الا امانى
قيل احاديث باطلة تحدث لهم وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقيل الا امانى يعنى الا كذبا وقال
الكسائى الا امانى الا تلاوة كقوله الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته يعنى فى تلاوته وقوله وان هم
الا يظنون يقول ما هم الا ظن يظنون فى غير تعيين واصله اى لا يعلمون علم الكتاب انما عندهم امانى
النفس والشهوات كقوله ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب

بايديهم

بايديهم قيل الويل الشدة وقيل الويل واد فى جهنم وقيل الويل كل مكروب وملهوف يقول له ويل له بكذا
وقوله يكتبون الكتاب بايديهم يحتمل وجهين يحتمل يكتبون بجحود نعته وصفته عن التورية ويحتمل يكتبون
يحدثون كتابة على خلاف نعته وصفته ثم يقولون هذا من عند الله فيكون الكتابة فى هذا اثبات كقوله كتب فى
قلوبهم الايمان والمثبت هو ذلك الملحق ليظن انه كذلك فى الاصل وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا قد ذكرنا هذا
فيما تقدم وقوله فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ذكر لهم ثلث ويل باحداث كتابة
نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحوه وتغييره والثانى بقولهم هذا من عند الله والثالث وويل لهم
مما يكسبون من المأكلة والهدايا وقوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اجمع اهل التفسير والكلام
على صرفهما الايام المعدودة المذكورة فى هذه الاية الى ايام عبادة العجل وذلك لا معنى له لوجهين احدهما
ان هؤلاء لم يعبدوا العجل وانما عبدا اباؤهم فلا معنى لصرف ذلك الى هؤلاء والثانى لو صرف ذلك الى اباءهم
الذين عبدوا العجل لم يحتمل ايضا لانهم قد تابوا ورجعوا عن ذلك فلا معنى للتعذيب على عبادة العجل
بعد التوبة والرجوع الى عبادة الله تعالى كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ويصرف الايام
المعدودة الى العمر الذى عصوا فيه لما لم يروا التعذيب الا على قدر وقت العصيان والذنب او
لما لم يكونوا يرون التخلية فى النار ابدا او لما هم عند انفسهم كما اخبر الله عنهم بقوله لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى وكقولهم نحن ابناء الله واحباؤه يقولون انا لا نعذب ابدا انما نعذب الابنه
والحبيب حبيبه يعذب فى وقت قليل ثم يرضى ويدخل الجنة ولكن عقوبة الكفر ابدا والتخليد فيها لا وقت
وكذلك ثواب الايمان للابد لا لوقت لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد لا لوقت فعلى ذلك جزاؤه للابد
لا لوقت واما من ارتكب ذنبا من المسلمين بشهوة تغلبه فى وقت فيرتكبه ثم يتركه فانما يعاقب ان
عوقب على قدر ما ارتكب فى وقت لانه لم يرتكبه للابد لذلك افترقا والله اعلم وقوله قل اتخذتم عند الله
عهدا والعهد يحتمل هو عندكم خبر عن الله تعالى انكم لا تعذبون ابدا ولكن اياما معدودة فان كان لكم
هذا فهو لا يخلف عهده والثانى اى اتخذتم عند الله عهدا اى لكم اعمال صالحة عند الله فوعدكم بها
الجنة فهو لا يخلف وعده اى ليس لكم واحد من هذين لا خبر عن الله بانه لا يعذبكم ولا اعمال صالحة وعد
بها الجنة وقوله ام تقولون على الله ما لا تعلمون هذا الكذاب من الله عز وجل اياهم بذلك القول كانه
قال بل تقولون على الله ما لا تعلمون الا ترى انه قال من كسب سيئة واحاطت به خطيئته يقول من كسب
يعنى شركا واحاطت به اى مات عليها فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا يموتون فيها ولا يخرجون
منها وقيل احاطت به بقلبه وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لانه قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله
واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل قد ذكرنا عهد الله ميثاقه انه يكون على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد
رسالة ونبوة وقوله لا تعبدون الا الله يحتمل وجهين يحتمل لا تجعلون الالوهية الا الله ويحتمل نفس
العبادة اى لا تعبدون الا الله ولا تعبدوا الاصنام والاوثان وغيرها وقوله وبالوالدين احسانا
برا بهما وعطفا عليهما وانصافا لهما كقوله ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة الاية وكقوله وصاحبهما فى الدنيا معروفا فان قيل ان الامر بالاحسان فيما بين
الخلق يخرج مخرج الافضال والتبرع لا على الوجوب واللزوم خبر ان الاحسان يجوز ان يكون الفعل
الحسن نفسه كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين استوجبوا هذا بالفعل الحسن لا بالاحسان
الى الله تعالى وفعل الحسن فرض واجب على كل احد والثانى ان الاحسان اليهم يجوز ان يكون من حق
الله عليهم وحق الله عليهم لازم وعلى ذلك صلته القرابة والمحارم والانفاق عليهم من حق الله
عليهم وهو لازم فهذا ينقض على الشافعى قوله انه لا يوجب النفقة الا على الوالدين ولا يتكلم فى الاباء
والامهات بالقرابة ولا يسموا بهذا الاسم فدل انه اراد به غير الوالدين والله اعلم وقوله واليتامى
والمساكين يحتمل على النفل من الصدقة والفرض جميعا وقوله وقولوا للناس حسنا يحتمل وجوها يحتمل
لا تكتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته ولكن اظهروها ويحتمل الدعاء الى شهادة ان
لا اله الا الله ويحتمل اقامتها فى مواقيتها بتمام ركوعها وسجودها وخشوعها ويحتمل ان يكون فى
حال يكون لكم الصلوة والتزكية وقوله واتوا الزكوة يحتمل الوجوه التى ذكرنا بها فى الصلوة وقوله
ثم توليتم الا قليلا منكم الاية ظاهرة وقوله واذ اخذنا ميثاقكم قد ذكرنا الميثاق والعهد فى غير موضع

وقوله لا تسفكون دماءكم يحتمل وجهين اى لا تسفكون دماءكم فيسفك دماءكم فتصيرون كانكم سفكتم
دماءكم ويحتمل لا يسفك بعضكم دماء بعض كقوله فسلموا على انفسكم اى يسلم بعضكم على بعض وذكر نفسر
في هؤلاء وان كان في اوائلهم بوجهين احدهما لما رضى هؤلاء باهل ابائهم والثانى بقولهم انا وجدنا
اباءنا على امة الاية وقوله ولا تخرجون انفسكم يحتمل ايضا وجهين يحتمل ولا يخرج بعضكم بعضا ويحتمل لا
تخرجوا غيركم من ديارهم فيخرجون من دياركم على ما ذكرنا في قوله لا تسفكون دماءكم والله اعلم وقوله
ثم اقررتم وانتم تشهدون يحتمل ثم اقررتم بالعهد والميثاق وتشهدون في التورية وقوله ثم انتم
هؤلاء تقتلون انفسكم يحتمل الوجهين اللذين ذكرتهما في قوله لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم
وقوله تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اى تعاونوا عليهم تعاون بعضكم بعضا بالاخراج وهو الظلم
والعدوان وهو محرم عليكم اى ذلك الاخراج محرم عليكم وقوله وان ياتوكم اسارى تفادوهم الاية
وان كانت موخرة في الذكر فهى مقدمة كانه قال تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم وان ياتوكم اسارى
تفادوهم وقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض امنوا بالمفادات من الاسارى وكفروا بالاخراج
وسفك الدماء ويحتمل الايمان ببعض ما في التورية وكفروا ببعضها وهو نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
اذ لم يكن على موافقة مرادهم ويحتمل ان فادوا اسراهم من غيرهم وسبى ذرارى غيرهم وقوله فما جزاء من يفعل
ذلك منكم الا خزى في الحيوة الدنيا اجلاء بنى النضير من ديارهم واخراجهم الى الشام وقيل مقاتلة بنى قريظة
وسبى ذراريهم وذلك الحرب وقع بينهم والله اعلم ويحتمل قوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في
الحيوة الدنيا ولكن لا يما تبون في الدنيا بل تردون الى اشد العذاب في الاخرة وان استوجبوا ذلك
في الدنيا كقوله انما نؤخرهم ليوم الاية وقوله وما الله بغافل عما تعملون وعيد قد ذكرنا ذلك فيما تقدم
وقوله اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة يحتمل انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل خروجه
وبعثه فلما بعث على خلاف مرادهم كفروا به فذلك اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة ويحتمل ابتداء اختيارهم
الضلالة على الهدى والحيوة الدنيا على الاخرة من غير ان امنوا به والله اعلم وقوله ولقد اتينا موسى الكتاب
يعنى التورية وهو ظاهر وقوله وقفينا من بعده بالرسل وقيل وقفينا اردفنا وهو من القفا قفا يقفو
وقيل اتبعنا رسولا على اثر رسول كقوله واتبعنا بعضهم بعضا واحدا على اثر واحد وقوله واتينا عيسى
ابن مريم البينات قيل البينات الحجج وقيل العجائب التى كانت تجرى على يديه من خلق الطين واحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وانباءما ياكلون وما يدخرون وقيل البينات الحلال والحرام ثم الرسل في انفسهم
حفظوا حججا فلم يحتج الى كل قوم يقولون بدليل وبيان على صدقهم لانهم في انفسهم حجة واما سائر الناس
فليسوا بحجج في انفسهم فلابد لكل قول يقولون ان ياتوا بدليل يدل على صدقهم وبيان يظهر الحق من الباطل
والصواب من الخطاء والصدق من الكذب وبالله التوفيق وقوله وايدناه اى قويناه بروح القدس اختلف
قيل روح القدس جبريل وفي الاصل القدوس لكن طرحت الواو للتخفيف وتاييده هو ان عصمة على حفظه
حتى لم يدن منه شيطان فضلا ان يدنوا بشىء والله اعلم وقيل ايدناه بروح القدس يعنى بالروح روح
الله ووجه اضافته عيسى الى الله عز وجل تعظيما له وتخصيصا وذلك ان كل خاص يضيف الى الله عز وجل
اضيف تعظيما لذلك الشىء وتفضيلا له كما يقال لموسى كليم الله ولعيسى روح الله ولابرهيم خليل الله
على التعظيم والتفضيل واذا اضيف الكل الى الله عز وجل فانما يضاف تعظيما له عز وجل وتنزيها كقوله رب
السموات والارض اضيف عمل الاشياء الى الله فهو يخرج على تعظيم الرب تعالى والتبجيل له وقوله افكلما
جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون في ظاهر هذه الاية انهم كذبوا
فريقا من الرسل وقتلوا فريقا منهم ويقول بعض الناس انهم قتلوا الانبياء ولم يقتلوا المرسلين لقوله
انا لننصر رسلنا وبقوله انهم لهم المنصورون اخبر انه ينصرهم ومن كان الله ناصره فهو لا يقتل ومن يقول
انهم قتلوا الرسل والانبياء فيقول يحتمل قوله انا لننصر رسلنا في رسول دون رسول في نصر الله
فهو لم يحتمل او كان ما ذكر من النصرة لهم كان بالحجج والايات ثم في الاية دليل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
عليه افضل الصلوات واكمل التحيات ونبوته لانه اخبرهم بتكذيب بعض الرسل وقتل بعضهم فسكتوا
عن ذلك فلولا انهم عرفوا انه رسول عرف ذلك بالله لما لم يسكتوا عن ذلك وقوله وقالوا قلوبنا
غلف يعنى في اكنة عليها الغطاء فلا نفقه ما تقول ولا نفقه ما تحدث تدعوا وزوا الخطاب عن انفسهم

كراهية ما سمعوا فاكذبهم الله بقوله بل لعنهم الله اى طردهم بكفرهم وعندهم وتعزيلهم في تكذيبا لرسول واعتاذ
اياه لان قلوبهم تحمل لا يفهمون على ما يخاطبون كما يزعمون ولكن ذلك لترك التفكر والتدبر فيها وقيل قلوبنا غلف
يعنى اوعية تفهم وتعى ما يقال ويخاطب ولكن لا يفهم ما تقول ولا نفقه ما تحدث فلو كان حقا وصدقا لفهمت
عليه يدعون ابطال ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وذلك نحو ما قالوا لشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول
وقوله فقليلا ما يؤمنون قيل فيه بوجهين قيل فقليلا اى قليل منهم يؤمنون بالرسل عليهم السلام وقوله ولما
جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم فلولا انهم عرفوا ان هذا الكتاب هو موافق لما معهم من الكتاب
غير مخالف له والا لاظهروا الخلاف لو عرفوا ذلك وتكلفوا على اطفاء هذا النور ورفعه فدل سكوتهم عن
ذلك وترك اشتغالهم بذلك انهم عرفوا موافقته لما معهم من التورية ففيه اية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله وكانوا من قبل يستفتحون يستنصرون على الذين كفروا يستنصرون على الذين كفروا قبل ان يبعث محمد صلى
الله عليه وسلم يقولون اللهم انصرنا بحق نبيك الذى تبعثه فلما لم يجيئهم على هواهم ومرادهم كفروا به فلعنة الله على
الكافرين وقوله بئسما اشتروا به انفسهم يقول اشتروا به يقول ما اشتروا به ما هلاكهم بما به نجاتهم وذلك
انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فكان ايمانهم به نجاتهم في الاخرة فكفروا به وذلك هلاكهم وبالله التوفيق
وقيل بئسما باعوا به انفسهم بعرض يسير من الدنيا بعذاب في الاخرة ابدا وقوله بغيا قيل حسدا منهم وذلك
قد هوان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم من اولاد اسرائيل لانهم كانوا منه فلما بعث من اولاد اسماعيل عليه
السلام والعرب كانت من اولاده كفروا به وكتموا نعته حسدا منهم ما انزل الله من فضله يعنى النبوة
والكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل بغيا اى ظلما ظلموا انفسهم بكفرهم بمحمد عليه السلام وتكذيبهم اياه
وقوله فباؤا قد ذكرنا فيما تقدم قوله بغضب على غضب يحتمل وجهين قيل استوجبوا الغضب من الله بكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم على اثر غضب بكفرهم بعيسى عليه السلام وبما جاء به وقيل استحقوا اللعنة بعصيان بعد
عصيان وبذنب على اثر الذنب والله اعلم وقوله واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم
من القران قالوا نؤمن بما انزل علينا يعنى التورية وهم لم يكونوا امنوا بالتورية لانهم لو كانوا امنوا بها
لكان في الايمان بها ايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما انزل عليه وايمان بجميع الانبياء عليهم السلام
والرسل وبجميع ما انزل عليهم عليهم السلام لان فيها الامر بالايمان بجميع الرسل وبكتبهم لانه قال مصدقا لما
معهم وهو الحق فاله فالايمان بواحد منهم ايمان بجميع الكتب اذ بعضها موافق لبعض وقوله ويكفرون بما وراءه
قيل وراء التورية كفروا بالانجيل والفرقان كانه قال كفروا بالله وراءه يعنى وراء موسى بعيسى ومحمد صلوات
الله عليه وسلامه كانه قال من وراءه صلى الله عليه وسلم وقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين
فان قالوا انا لم نقتل الانبياء ونحن مؤمنون قيل لهم انكم وان لم تتولوا القتل فقد رضيتم بصنيع اولئك
واتبعتم لهم فيما ندهوا بقتل محمد صلى الله عليه وسلم مرارا لذلك اضيف اليهم وقيل اخبر عز وجل نبيه سيدنا محمدا
صلى الله عليه وسلم غاية سفههم وعندهم ومكابرتهم في تكذيب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا اليهود
الى الايمان به وبما انزل اليه فقالوا ائتنا بالايات والقربان كما كانت الانبياء من قبل ياتون بها قومهم يقول
الله تعالى عز وجل قد كانت الانبياء من قبل تجئ بما تقولون الى ابائكم من الايات والقربان فكانوا يقتلونهم فيقول
الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لهم لم تقتلون يقول لم قتل اباؤكم انبياء الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقد
جاؤا بالايات والقربان ان كنتم صادقين بان الله عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان
تاكله النار وقد جاؤا به فلم تقتلوهم فهو والله اعلم انهم اتخذوا حزم المحاجة من اوائلهم وان علموا بما ظهرت
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث وانتم تقلدونهم فيقلدونهم لو ادركتم كما قتلتموهم وان علمتم بما عاينتم
اذ لا حجة لكم والله اعلم وقوله ولقد جاء موسى بالبينات والبينات ما ذكرنا فيما تقدم من الايات والمعجزات
والحجج العجيبة والبراهين الظاهرة على رسالته ونبوته وصدق ما يدعوهم اليه مما يدل كله انه من عند الله
ثم مع ما جاءهم موسى بها عبدوا العجل واحدوه الها وكفروا بالله يعزى نبيه عليه الصلوة والسلام لئلا
يظن انه اول مكذب من الرسل ولا اول من كفر به حتى لا يضيق صدره بما يقولون ويستقبلونه بما يكره و
بالله التوفيق كقوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقوله واذ اخذنا ميثاقكم و
رفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة قد ذكرنا فيما تقدم ما فيه مقنع ان شاء الله تعالى وقوله و
واسمعوا يحتمل وجهين يحتمل اسمعوا اى اجيبوا ويحتمل اسمعوا اطيعوا لكن هذا فيما بين الخلق جائز السمع و

والطاعة واما اضافة الطاعة الى الله عز وجل لا يجوز ان يقال اطاع الله واما التبع فانه يجوز لقوله سمع الله
لمن حمده قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك لم يكن على اثر قولهم سمعنا ولكن بعد ذلك باوقات لانه قيل لما نزلت
التورية لما فيها من الشدائد والاحكام رفع الله الجبل عليهم فقبلوا خوفا عن ان يرسل عليهم الجبل وقالوا
اطعنا فلما ازال الجبل دعاء الى مكانه فعند ذلك قالوا وعصينا وهو كقوله ثم توليتم من بعد ذلك فالتولي
منهم كان بعد ذلك باوقات وقوله واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قيل اشربوا اى جعل في قلوبهم حب عبادة
العجل بكفرهم بالله عز وجل وقيل سقوا حب العجل وقيل ان موسى لما احرق العجل ونسفه في اليم جعلوا يشربون
منه بحبهم العجل وقيل لما احرق ونسف في اليم جعلوا يحسون الماء حتى اصفرت وجوههم وقيل انهم لما راوا
في التورية ما فيها من الشدائد قالوا عند ذلك عبادة العجل اهون مما فيها من الشرائع وكله يرجع الى واحد
وذلك كله اثار الحب وقوله قل بئسما يامركم به ايمانكم قيل قل يا محمد بئسما يامركم به ايمانكم بالعجل الكفر بالله عز وجل
وقيل ان اليهود ادعوا انهم مؤمنون بالتورية فقال قل بئسما يامركم اى بالتورية اذ كفرتم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقد وجدتموه فيها نعته وصفته وقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا
الموت وذلك ان اعداء الله تعالى كانوا يقولون الجنة لنا في الاخرة بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى وكقولهم كونوا هودا او نصارى وكقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا وكقولهم نحن ابناء
الله واحباؤه فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ان كانت لكم الدار الاخرة كما تزعمون انكم ابناء الله
واحباؤه كما تقولون فتمنوا الموت وذلك ان المراد لا يكره الانتقال الى داره والى مستانه بل يتمنى ذلك وكذلك
المرء لا يكره القدوم على ابيه ولا على حبيبه ولا يخاف نقمته ولا عذابه بل يجد عنده الكرامات والهدايا فان
كان كما تقولون فتمنوا الموت حتى تنجوا من غم الدنيا ومن تحمل الشدائد التي فيها ان كنتم صادقين في زعمكم
بان الاخرة لكم وانكم ابناء الله واحباؤه فان قيل انكم تقولون الاخرة للمؤمنين ثم لا احد منهم يتمنى الموت
في معنى الاحتجاج عليهم بذلك وذلك على المؤمنين كهو عليهم قيل الوجهين احدهما ان المؤمنين لم يجعلوا
لانفسهم من الفضل والمنزلة عند الله على ما جعلوهم لانفسهم فكان في تمنيهم صدق ما ادعوا لانفسهم
وفي الامتناع عن ذلك ظهور صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ما ذكرنا انهم ادعوا انهم
ابناء الله واحباؤه وفي تمنيهم الموت وصرفهم الى الحبيب والاب الذي ادعوه ولا احد يرغب وينفر
عن حبيبه وابيه فدل امتناعهم عن ذلك على كذبهم في دعاويهم وبالله المستعان فان سئلونا عن
عن قوله فتمنوا الموت انهم اذا تمنوا ليس كان انقضاء عمرهم بدون الاجل الذي جعل لهم وفي ذلك
تقديم الاجال الذي كان اجلا وقال الله تعالى لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون قيل ان علم
منهم في سابق علمه وان ليسه انهم لا يتمنون جعل اجلهم ذلك ولو علم منهم انهم يتمنون الموت لكان
يجعل اجلهم ذلك وكذلك هذا الجواب لما روي ان صلة الرحم تزيد في العمر انه كذلك يحتمل في الا
لا ان يجعل اجله الى ثم اذا وصل رحمه يزيد على ذلك الاجل وينقص بتمني الموت عن الاجل المجعول
المضروب له وبالله التوفيق وقوله ولن يتمنوه ابدا فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم وذلك انه اخبر عز وجل انهم لا يتمنونه ابدا فكان قال فدل انه من عند الله علم ذلك وقوله بما قدمت
ايديهم من الذنوب والعصيان والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحسد له وهم والله اعلم عرفوا عن صنيعهم
وما لهم عند الله من العذاب والجزاء لكنهم حملوا ذلك على التعنت والمكابرة والشقوة لذلك لم يتمنوا والله
الموفق وقوله والله عليم بالظالمين هو على الوعيد كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما
يؤخرهم ليوم ويحتمل عليم بالظالمين بما يفضحهم بالحجج ويظهر كذبهم في الدنيا دليلا يظن احد انه عن غفلة بما
خلقهم عن علم منه عما يعملون خلقهم ليعلم انه لا ينفع له بخلقهم لولا ذلك لا يضر وقوله ولتجدنهم يعني
اليهود احرص الناس على حيوة وعلى كراهية الموت قد احرصهم على حيوة الدنيا انهم كذبوا فيما يدعون
ويزعمون وقوله ومن الذين اشركوا يعني المجوس اى هم احرص الناس على حيوة الدنيا من المجوس لان المجوس
لا يؤمنون بالبعث وبالقيامة وهم يؤمنون بهما فهم مع ايمانهم بالبعث وتصديقهم بالقيمة احرص على حيوة
الدنيا من المجوس الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالقيمة وقيل انه على الابتداء ولا اختلاف بقوله ومن الذين
اشركوا يعني المجوس الف سنة لانهم يقولون فيما بينهم الف سنة تاكل النيروز والمهرجان ويقولون بالفارسية
هزار سال نوه فاخبر الله تعالى ان طول العمر في الدنيا لا ينجيه من العذاب في الاخرة ولا يباعده منه وهو قوله

وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر وهو كقوله افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى
عنهم ما كانوا يمتعون وقوله والله بصير بما يعملون هو على الوعيد ايضا وقوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله
على قلبك باذن الله مصدقا وذلك ان اليهود قالوا لو كان الذي ينزل على محمد بالوحي ميكائيل لتابعناه ولامنا به
لان ميكائيل هو الذي ينزل بالغيث والرحمة وجبريل هو المنزل بالعذاب والحرب والشدائد فهو عدو لنا لذلك
لا نتبعه وفي جهة العداوة بينهم وبين جبريل وجه اخر وهو انهم قالوا ان جبريل رسل بالوحي والرسالة في
اولاد اسرائيل لكنه انزلها في اولاد اسمعيل عداوة لنا وبغضا لذلك نصبوا العداوة بينه وبينهم والله
اعلم بذلك فاكذبهم الله تعالى بزعمهم فقال نزله على قلبك باذن الله لا كما يقول اليهود وما ينزل من العذاب
والشدائد انما ينزل بامره لا من تلقاء نفسه وذاته ثم كان اظهارهم عداوة جبريل لاعتقادهم عداوة الله
عز وجل لكنهم لم يجترؤا على عداوة الله على التصريح فدل الله على الكناية عن عداوة الله تبارك وتعالى ويدل
هذا على ان الروافض طعنوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث طعنوا وقوله نزله على قلبك باذن الله
يقول الباطنية ان القران لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحرف التي نقراها ولكنه الهام نزل
على قلبه ثم هو يصوره ويرسمه ذا الحرف ويعبر به ويخبر بالعربية التي نقرؤها فلو كان على ما تقولون لزال موضع
الاحتجاج عليهم بما اتى به معجزا كقوله انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اذ
كان لهم ان يقولوا انزل على لسان العجمي لكنه غيره ذلك بلسانه وكذلك قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به مخافة
النسيان والذهاب وكذلك قوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه فدلت هذه الاية كلها على
قولهم وفساد مذهبهم وبعدهم عن دين الله المستقيم وقوله وهدى وبشرى للمؤمنين هدى من الضلالة
وبشرى للمؤمنين بالجنة وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله الاية يحتمل وجهين يحتمل من كان عدوا
لله وملائكته ورسله ويحتمل افتتاح العداوة به دون هؤلاء على التعظيم لهم وفضل المنزلة عند الله وحسن
الماب لديه كقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول معنى اضافة ذلك اليه على التعظيم له
والافضال لله لا على جعل ذلك لله منفردا فعلى ذلك افتتاح العداوة به على ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولقد
انزلنا اليك ايات بينات ما فيها من الحلال والحرام وما يؤتى وما يتقى وما ينهى وما يؤمر ويحتمل الايات التي
انزلها عليه لينصر بها على المعاندين له والمكابرين والله اعلم وقوله اوكلما عاهدوا عهدا يقول كلما عاهدوا عهدا
نبذه فريق منهم يحتمل العهود التي اخذت عليهم في التورية ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يكفروا به بعد الايمان
او اخذ عليهم ان لا يكتموا نعته وصفته الذي في التورية لاحد فلم يفوا بذلك ونقضوا تلك المواثيق والعهود
التي اخذت عليهم ثم في الاية دلالة تحمل القران صحته لانه قال نبذه فريق منهم ولو كان في كتبهم ما ادعوا من
الحجة والاتباع لاتوا به معارضا لدفع ما احتج به عليهم فثبت انهم كانوا كذبة في دعاويهم حيث امتنعوا عن
معارضته وقوله وما يكفر بها الا الفاسقون وقوله ولما جاءهم رسول من عند الله
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم من الكتاب اى نعته الذي في التورية موافق لمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه في التورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقران فنبذوا
التورية والقران واخذوا الكتاب السحر الذي كتبه الشياطين ويحتمل ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم كان
موافقا لما معي من الرسل غير مخالف لهم لان الرسل كلهم امنوا به وصدق بعضهم بعضا وقوله نبذ فريق
من الذين اوتوا الكتاب كتاب يحتمل كتاب الله التورية على ما ذكرنا ويحتمل كتاب الله القران العظيم والله اعلم
وقوله كانهم لا يعلمون اى يعلمون ولكن تركوا العمل به والايمان بما معهم كانهم كانوا لا يعلمون لما لم ينتفعوا
بعلمهم خرج فعلهم فعل من لا يعلم احبارهم نبذوا ونبذ من لا يعلم لا انهم لم يعلموا ولكن نبذوه سفها وتعنتا
والله اعلم وقوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين قيل تتلوا ما كتبت الشياطين من السحر وقيل تتلوا من التلاوة
وقيل ما تتلوا اى ما تروي الشياطين من السحرة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وهو يرجع الى واحد ولانه في
موضع الاحتجاج على اليهود لانهم ادعوا ان الذي هم عليه اخذوه من سليمان عليه السلام فان كان كفرا فقد كفر سليمان
فاخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان سليمان ما كفر ولكن الشياطين كفروا بما علموا الناس من السحر
ويحتمل لكن اتباع الشياطين كفروا باعتقادهم السحر وعلمهم به بتعليم الشياطين فنسبت ذلك الى الشياطين
بما بهم كفروا كما نسبت عبادة الاصنام الى الشياطين بما بهم عبدوا والله اعلم روي عن ابن عباس رضي الله عنه
قال كان اصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الاعظم فكان يكتب كل شيء بامر سليمان ويدفنه تحت كرسيه

فلما مات سليمان اخرجت الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا وكذبا فقالوا هذا الذى كان يعمل به
سليمان فاكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبونه حتى انزل على محمد صلى الله عليه
وسلم واتبعوا ما تتلوا الشياطين الاية وقال بعضهم ان الشياطين ابتدعت كتابا من السحر والامر العظيم
ثم افشته فى الناس وعلمه اياهم فلما سمع ذلك سليمان تتبع تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه كراهية ان
يتعلمها الناس فلما قبض نبى الله سليمان عليه السلام عمدت الشياطين الى تلك الكتب فاستخرجتها من مكانها
وعلموها الناس واخبروهم انه علم كان سليمان يكتمه ويستاثره فعذر الله نبيه سليمان وبراه من ذلك
على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر الاية وقيل ايضا
لما مات سليمان عليه السلام وقع فى الناس اوصاب واوجاع فقال الناس لو كان سليمان عليه السلام
حيا عنده فرج وظهرت الشياطين فقالوا نحن ندلكم على ما كان يعمل به سليمان عليه السلام فكتبوا كتبا فجعلوها
فى البيوت فاستخرجوا الكتب التى كتبت لهم الشياطين من السحر والسجع فقالوا هذا ما كان يعمل به سليمان
فانزل الله عز وجل وما كفر سليمان الاية فلا ندرى كيف كانت القصة غير اليهود تركت كتب الانبياء والرسل
واتبعوا كتب الشياطين وما دعوهم اليه من السحر والكفر وبالله التوفيق وفيه دلالة رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم بما اخبرهم عن قصصهم على ما كانت عليه فدل انه كان عرف ذلك بالله عز وجل وفى ذلك ان قد نسب
الى سليمان عليه السلام ما براه الله من عدوان يبين ما نبه ذكره الله عز وجل لوجهين دلالة لرسوله وتكذيبا
للذين نحلوه بما هو كفر وقوله على ملك سليمان اى فى ملكه الى كان ذلك الوقت هو وقت ظهورهم ثم سخرهم
الله عز وجل لسليمان فامكن ذلك منهم القاه على السن المعاندين لسليمان فى السر فرده عنه بعد الوفاة
فكذبهم الله عز وجل وبرا نبيه عليه السلام وبين كيف كان بدوه فانما بينها للخلق لئلا يتبعوا فى الرواية
كل من لغى الشئ اذ وقد يكون من امثالهم اختراع الروايات والزام السامعين الامور المعاندة من الرسل و
رد ما لا يوافق ذلك من الرواية ولذلك ابطل اصحابنا خبر الخاص فيما يبلى به العام وقوله وما انزل على
الملكين قيل وما انزل على النفى والجحد معطوفا على قوله وما كفر سليمان وقيل وما انزل على الملكين واكد
انزل على الملكين ببابل وقيل سمى بابل لما تبلبلت به الالسن يعنى اختلف فلا يعلم ذلك الا بالسمع ثم اختلف
فى هاروت وماروت فقال الحسن لم يكونا ملكين ولكنهما كانا رجلين فاسقين متمردين وذلك ان الله
عز وجل وصف ملائكته بالطاعة له والائتمار بامره بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية وكقوله لا يسبقونه
بالقول الاية وكذلك الحسن يقول انه لم يكن من الملائكة وقد ذكرنا هذه المسئلة فيما تقدم ثم عارض نفسه
بقولهما فلا تكفر فقال انا المخبر بمثله اذا عرف ولوع السامع له وبما يعرض مثله على العلم منه انه يفعل و
لا يرتدع عن ذلك يقال ذلك ترغيبا منه والله اعلم ومنهم من يقول كانا ملكين لكنهما علما الاسم الاعظم
فيقضيان به الحوائج الى ان حل بهما ما حل وبهذا يحتج فى بلعم بقوله واتل عليهم نبا الذى اتيناه اياتنا
فانسلخ منها فاتبعه الشيطان الاية ثم اختلف بعد هذا على اوجه قال بعضهم لم يكن ذلك منهما سحر بل
هو تعويذ الغرية بعد رعليه وقال قائلون ما انزل على الملكين انزلكاه ما حسنا صوابا لكنه خلط بالذى
لقنهم الشيطان فصار سحرا وقال اخرون بل كان هو فى نفسه سحر يعلمان الناس ذلك لكنه لا ينهى عن
تعليمه ولا يكفر الذى يعلم انها ينهى عن الاعتقاد له فكان كالكفر الذى يعلم لا ينهى عن ذلك لانه ما لم
يعلم لم يعلم قبحه وفساده ولكن انما ينهى عن الاعتقاد فى تعلم والله اعلم ثم نقول ان قولها لا تكفر على
الاختيار وكلمة السحر جار عليهما فى اللسان من غير صنع لهما فيه والله اعلم وقوله وما هم بضارين به
من احد الا باذنه قيل الا بعلم بقضائه وقيل بخذلانه وتخليه وقيل بمشيته وارادته وانما ظاهر الاذن
وهو يخرج على الاباحة فالعقل يدفعه وقيل انه لا يصل الى هاروت وماروت احد من بنى ادم وانما
يختلف بينهم شيطان فى كل مسئلة والله اعلم ثم السحر يكون على وجهين سحر يكفر صاحبه فان كان ذلك منه
بعد الاسلام فيقتل به صاحبه لانه ارتداد منه وسحر لا يكفر به صاحبه فلا يقتل به الا ان يسعى فى
بالفساد من قتل الناس واخذ الاموال فهو كقاطع الطريق بحكم حكمهم من القتل وسائر العقوبات
واذا تاب قبلت توبته الا ترى ان سحرة فرعون لما راوا الايات امنوا بالله تعالى وتابوا فالتوبة لا يطمع مثل
هذا التوبة من المسلم الذى نشا على الاسلام حيث وعدهم فرعون بقطع الايدى والارجل والصلب
وانواع العذاب فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون وذكر عن ابى حنيفة رضى الله عنه فى الساحرة

انها لا تقتل وذكر عنه مرة انها تقتل وقال فى الساحر بالقولين فاما ما روى عنه ضبه بالقتل يحمل
السحرة فهو على ما ذكرنا من قتله الناس بالسحر فهو كالساعى فى الارض بالفساد لا بغير السحر او كفر
بسحره وبعد الاسلام فيقتل كالمرتد عن الاسلام وما ذكر عنه انه لا يقتل فهو اذا لم يكن سحره وسحر كفر و
لا يسعى بالقتل فى الارض لم يقتل به ثم قوله فى الساعى فى الارض بالفساد انه اذا تاب قبل ان يقدر
عليه سقط عنه القتل فكذا الساحر فاما الذى هو لاجل الكفر يلزم القتل قبل التوبة وبعد القدرة عليه وعلى
هذا يخرج قوله فى الساحرة ايضا فيما قال انها لا لما كان سحرها سحر كفر والنساء لا يقتلن للكفر للسعى
فى الارض بالفساد كالرجل والله اعلم وقال بعض الناس لا يقبل توبة الساحر وهو غلط واحق من يقبل
توبته الساحر اذ هو ابلغ فى تميز ما هو حجة مما لا حجة وهذا هو الاصل ان المدعى للنبى على عهد الانبياء انما
استقبلهم بمثله الانبياء عليهم السلام فهو احق من يلزمهم الايمان به لعلمهم بالحق منه والعوام منهم
لا يعرفون الا ظاهر ما يلزمهم من تصديق الحجج والله اعلم وقوله ويتعلمون ما يضرهم فى الدنيا ولا ينفعهم
فى اخرتهم وقوله ولقد علموا يعنى اليهود فى التورية لمن اشتراه يعنى اختاره فى السحر وقيل يتعلمون
ما يضرهم فى اخرتهم ولا ينفعهم ان عملوه ولقد علموا لمن اشتريه يقول لقد علمت اليهود ان فى التورية
اية لمن اختار السحر وقوله فى الاخرة من خلاق يقول نصيب فى الثواب وقيل ما له فى الاخرة اى ما له عند
الله وجهه وقوله ولبئس ما شروا به انفسهم اى بئس ما باعوا به انفسهم يعنى اليهود والذين
يعلمون الفرقة والسحر وقيل ما شروا به يقول ما باعوا به انفسهم ولكنهم لا يعلمون اى لو علموا انهم
بم باعوا انفسهم من العذاب الدائم لعلموا بئس ما باعوا به ولو انهم امنوا بتوحيد الله واتقوا
الشرك لمثوبة يقول لو كان ثوابهم عند الله خيرا من السحر والكفر لو كانوا ولكنهم لا يعلمون
علما لا انتفاع به وهو كقوله صم بكم عمى ليسوا بصم ولا بكم ولا عمى فى الحقيقة ولكنهم صم من حيث لا
ينتفعون به اذ الحاجة من العلم والبصر والسمع الانتفاع به فاذا ذهبت المنافع بهما فكان لا علم
معه ولا بصر له ولا سمع حيث لا ينتفع ولا عمل به والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا قيل كانت الانصار فى الجاهلية يقولون هذا الرسول صلى الله عليه وسلم فنهاهم
الله تعالى ان يقولوها وقيل كانت اليهود تقول للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا من الرعونة من قولك للرجل
يا ارعن وللمراة يا رعنا وكان الحسن يقراها راعنا بالتنوين وقال الكلبى كان فى كلام اليهود راعنا سبا
قبيحا يسب بعضهم بعضا وكانوا ياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون راعنا ويضحكون فنهى المؤمنين
عن ذلك لئلا يتخذ فالهم وقوله وقولوا انظرنا قيل فهمنا يقول بين لنا وقال مقاتل اى اقصدنا وقيل
ان الامر بالانظار يقع موقع التشفع فى النظرة الوجهين بالصحبة مرة وبالخطاب ثانيا فقولهم
انظرنا لما لم يبلغ افهامنا القدر الذى يعنى ما يخاطبنا به والثانى عما قصور فهمنا لهم عما يستحقه من
الصحبة وبالايجاب له صلى الله عليه وسلم فاما الامر براعنا فهو استعمال فى الظاهر بالمراعاة وذلك
يخرج على التكبر عليه وترك التواضع والخضوع وقوله واسمعوا اى اجيبوا وقيل اطيعوا له وقيل
وقيل واسمعوا اى سمعوا ادعوا وقوله ما يود اى ما يريد وما يتمنى الذين كفروا من اهل الكتاب
اليهود والنصارى ولا المشركين ما يودونه لا ان ينزل عليكم من خير من ربكم من ربكم يحتمل و
جهين احدهما انهم كانوا يهوون ويحبون ان يبعث الرسول من اولاد اسرائيل وهم كانوا
من نسله فلما بعث من اولاد اسماعيل عليه السلام على خلاف ما احبوا وهووا لم تطب انفسهم بذلك
بل كرهت وابت اشد الاباء والكراهية والثانى لم يحبوا ذلك لما كانت لهم الرياسة بخروجه صلى الله
عليه وسلم والله اعلم وقوله من خير قيل الخير النبوة وقيل الخير الاسلام وقيل الخير الرسول عليه السلام والله اعلم
وقوله والله يختص برحمته من يشاء الاية ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان على الله تعالى
ان يعطى لكل الاصلح فى الدين فى كل وقت وكل زمان فلو كان عليه ذلك لم يكن للاختصاص معنى ولانه
والثانى قال والله ذو الفضل العظيم والمفضل عند الخلق هو الذى يعطى ويبذل ما ليس عليه لا ما
عليه لان من عليه شئ فاعطاه او قضى عليه من الدين لا يوصف بالافضال فدل انه استوجب ذلك
الاختصاص وذلك الفضل لما لم يكن عليه ذلك ولو كان كان عليه لكان يقول ذو العدل لا ذو الفضل
وبالله التوفيق وقوله ما ننسخ من اية او ننسها قال بعض اهل الكلام ما ننسخ من اللوح المحفوظ او ننسها

نترك قراءتها وتلاوتها فيجوز رفع عينها ويجوز رفع حكمها وابقاء عينها لا وجه احدها ظهور المنسوخ
فبطل قول من انكر النسخ اذ وجدوا من انكر ذلك فانما انكر لجهل بالمنسوخ لان النسخ بيان الحكم الى
وقت ليس على البداء على ما قالت اليهود والثاني ان للتلاوة فيما فضل كما للعمل فيجوز رفع فضل العمل
وبقاء فضل التلاوة والثالث على جعل الاول في حالة الاضطرار والثاني في وقت السعة كقوله حرمت
عليكم الميتة ثم يجوز ان يرفع عنها فتنسى ذكرها كما روى عن عمر رضي الله عنه انه قال كنا نعدل سورة
الاحزاب بسورة البقرة حتى يرفع ايات منها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة واما قوله
نات بخير منها او مثلها فاختلف فيه قيل نات بخير منها اى اخف واهون على الابدان كقوله وعلى
الذين يطيقونه ان الامر بالصوم كان لوقت دون وقت اذ رجع الحكم عند الطاقة الى غيره وكذا
ما كان من الحكم في تحريم الاكل عند النوم والجماع وكذا تحريم الميتة لم يرد فيها الاباحة والحل عند
الضرورة لكنا نعرفه بالحرمة وذلك اخف واهون والله اعلم وقيل نات بخير منها في الثواب في العاقبة
وقيل نات بخير منها في المنفعة ومثلها في المنفعة وقيل نات بخير منها وهو ان يظهر لكم الخير
وهو كالصلوة الى بيت المقدس كان لهم مثل ما لليهود في حق الايتمار ما كان ظهر لهم الاخير في وقت
ظهور الامر واتبعهم الخير وظهر عنده فتبين اى ان اتباعه لم يكن لاجل حق المتابعة بل لما كان عنده
الحجة فاما من جعله خيرا على البدن فاستدل بها الاخرى رخصة واباحة وردودها التخفيف ومن استدل
على ان النسخ ابدا يرد على ما هو غليظ فعورض بقوله فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت فابدل
بعقوبة اشد من الاول وهو الرجم بقوله خذوا عني ويحتمل قوله نات بخير منها يعني اقوى منها في الزام
الحجة او مثلها ولا شك انه ما يعترف هو اقوى حالة الاعتراض في لزوم الحجة على ما غاب عن
الابصار فيكون قوله نات بخير منها على هذا الوزن الى نات بحجة هي اقوى واكثر من الاولى في
القوة فان قيل ما الحكمة في النسخ وما وجهه قيل محنة يمتحن بها خلقه بما يشاء في اي وقت شاء
يامر بامر في وقت ثم ينهى عن ذلك ويامر باخر وليس في ذلك خروج عن الحكمة ولا كان كذلك منه
لبدا بيدوله بل لم يزل عالما بما كان ويكون حكيما يحكم بالحق والعدل فنعوذ بالله من السرف في القول
وقوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير يحتمل ان يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد بالخطاب الذين
سبق ذكرهم في قوله ما يود الذين كفروا الاية انه قادر على انزال الخير على من يشاء واختصاص
بعض على بعض وتفضيل بعض على بعض ويحتمل ان يكون المراد في الخطاب له عليه السلام على حقيقة
العلم على التذكير والتنبيه اى علم انت ان الله على كل شيء قدير وهو كقوله فاعلم انه لا اله الا الله
على حقيقة العلم ويحتمل على الاعلام والاجهار لقوله وقد ذكرنا وعلى ذلك يخرج قوله الم تعلم ان
الله له ملك السموات والارض اى من كان يملك ملك السموات وملك الارض يملك تخصيص بعض
على بعض وتفضيلهم فيها ويحكم ما يشاء ويحدث الامر ما اراد والله اعلم ويحتمل نزوله على اثر نوازل
لم تذكر فيه وذلك في القران كثير وانما يقال هذا الحرف عند ضيق القلب تسكينا له ومعنى تخصيص
السموات والارض بالملك له لمنتهى علم الخلق بهما وان كان له ملك الدنيا والاخرة وبالله التوفيق
وقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يدل هذا على انه خرج على اثر نوازل وان لم تذكر
وقوله ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل سؤال تعنت لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة وقيل انهم سألوا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سئل قوم موسى وقيل سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل الصفا لهم ذهبا ان كان ما يقوله حقا وقيل سألوا لهم
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكانوا يسألون سؤال تعنت لا سؤال استرشاد واهتداء
وقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وذلك كله واحد وقوله فقد ضل سواء السبيل من عدل عن الطريق
وقيل عدل عن قصد الطريق وقيل اخطأ قصد طريق الهدى وكله واحد وقوله ود كثير من اهل
الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا انهم كانوا يجهدون كل جهدهم حتى يضلوا ويرتدوا
ادين اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن دين الله الاسلام الى ما هم عليه كقول الله تعالى ودت
طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وكقوله ان تطيعوا فريقا من
الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وقوله يردوكم على اعقابكم الاية الاية وذلك

والله

والله اعلم لحذف قوتهم ورياستهم التي كانت لهم وذهاب منافع التي ينالون من الاتباع والسفلة فودوا
ردهم وصرفهم الى دينهم ثم احتجت المعتزلة علينا بظاهر قوله حسدا من عند انفسهم قالوا دلت الاية على
ان الحسد ليس من عند الله بما نفاه عز وجل عنه واضافه الى انفسهم بقوله حسدا من عند انفسهم قيل
صدقتم في زعمكم بان الحسد ليس من عند الله وكذلك نقول ولا نجيز اضافة الحسد اليه بحال ولكن
نقول لخلق فعل الحسد من الخلق وكذلك نقول في الانجاس والاقذار والحيات والعقارب ونحوها
انه لا يجوز ان يضاف الى الله تعالى فيقال يا خالق الانجاس والحيات والعقارب وان كان ذلك كله خلقه
وهو خالق كل شيء فعلى ذلك نقول بخلق فعل الحسد وفعل الكفر من العبد ولا يجوز ان يضاف الى الله
تعالى ثم يقولون في الطاعات والخيرات كلها انها من عند الله غير مخلوقة فليس كانت العلة في الذي
لا يكون مخلوقا انه ليس هو من عند الله ليجب القول من عنده بخلقه ما هو من عنده ثم لم يقولوا به
فبان ان ما يقولون فاسد باطل ليس بشيء ثم جهة الحسد ما ذكرنا انهم احبوا ان يكون الرسالة فيهم
وان يكون من عنده بسعة كقوله لولا انزل عليه كنز وكقوله لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم فلهذين الوجهين يخرج حسدهم قوله من عند انفسهم اى من قبلها لان الله تعالى يامر من عنده لما
يخلق ولكن بما يامر ويلزم ويلزم الا ترى ان الانجاس كلها والخبائث والشياطين كلهم مخلوقة وان لم يجز
نسبتها الى الله تعالى بمعنى انه من عنده كذلك ما ذكر من الحسد على انه معلوم انهم لم يكونوا يدعون من
دون الله خلقا فبذلك الوجه ينكر عليهم بل كانوا يدعون الامر في كل نسبوا الى الله تعالى فعل ذلك
وردا لغيتا والله اعلم وقوله من بعد ما تبين لهم اى بين لهم في التورية ان محمدا صلى الله عليه وسلم
نبي وان دينه الاسلام كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاعفوا واصفحوا يحتمل النهي عن مكافات
ما يوذون في الدنيا ثم لم ينسخ وقيل فيه نهي عن قتالهم حتى ياتي امر الله في ذلك ثم جاء بقوله قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله الاية وقيل حتى ياتي الله بامره اى بعذابه والله اعلم وقوله ان الله على كل شيء
قدير من التعذيب والانتقام وبكل شيء ولم ينسخ هذا وقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وذكر الله
عز وجل الامر باقامة الصلوة وايتاء الزكوة في القران تكرارا كثيرا حتى كانت لا تخلو سورة الا وذكرها
فيها في غير موضع وذلك لعظم شانهما وامرهما وعلو منزلتهما عند الله وفضل قدرها وعلى ذلك جعلهما
شريعة في الرسل صلوات الله عليهم وسلامه الا ترى الى قول ابرهيم على نبينا وعليه السلام رب اجعلني
مقيم الصلوة ومن ذريتي وقوله لموسى وهرون ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا الى قوله واقيموا الصلوة
وقول عيسى واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم
الزكوة وذلك والله اعلم ان الصلوة قربة فيما بين العبد وبين ربه يجمع جميع افعال الخير وفيها غاية منتهى
الخضوع له والطاعة من القيام بين يديه والمناجاة فيه والركوع له والسجود على الارض وتعفير الوجه
فيها حتى لو ان احدا ممن خلص دينه لله لو اعطي ما في الدنيا ان يعفر وجهه بالارض لاحد من الخلق ما فعل
وبالله التوفيق والزكوة فيما بين العبد وبين الخلق لتالف القلوب واجتماعها وفيها اظهار الشفقة
لهم والرحمة لذلك عظم الله شانهما وشرف امرهما واعلى منزلتهما وذلك قرنهما بالايمان في المواضع
كلها واثبت بين الخلق الاخوة بهما بقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين
ثم هما لكونهما بالعقل لان الصلوة تجمع جميع انواع خيرات الافعال وفيها غاية الخضوع له والخشوع
على ما ذكرنا وذلك مما يوجبه العقل وان لم يرد فيه السمع وكذلك الزكوة فيها تزكية الانفس وتطهيرها
وذلك مما في العقل واجب فان قيل ما الحكمة في وجوبهما قيل اظهار ما انعم الله على العبد من الاموال والسعة
فيها وما اعطاهم من سلامة الجوارح عن جميع الافات يخرج مخرج الامر باداء شكر ما انعم عليهم عز وجل فان قيل
في وجوبهما فيما اعطى منهما يعني من النفس والمال دون غيره قيل لان الوجوب من غيره يخرج مخرج المعارضة
والمبادلة لا مخرج اداء الشكر والله اعلم ثم الحكمة في ايجاب الصلوة وغيرها من العبادات ان الله تعالى
انعم عليهم بنعمة تسليمهم بالجوهر وسخر لهم جميع ما في الارض وبسط عليهم النعم حتى صار كل منهم لا يبصر غير
نعمه من غير استحقاق منهم شيئا من ذلك لزمهم الشكر عليها ثم كانت الصلوة تجمع استعمال جميع الجوارح
فيما لله فيها القيام شكر الله بما فيها توافر احوال نفسه بالاختيار بما هي عليه بالاضطرار والخلقة
والقلب بالنية والخوف والرجاء واحضار الذهن والعقل بالتعظيم والتبجيل ليكون كل شيء منه في

في شكر لما له فيه من شيوع النعمة والله اعلم وكذلك بالاموال فضلوا في صنع الدنيا واستمتعوا بلذيذ
العيش فاموالا بالاخراج لله معا يخرب هذه الارض بما فيها بجميع البشر الزم من ذلك صحته من لم علك
يستووا في الاستمتاع بالتصبير لهم من الوجه الذي علم الله لهم في ذلك صلاح الدارين والاخرة
الا بالله وقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله الاية يخرج على خلاف قول المعتزلة لان
يقولون ان من ارتكب كبيرة ثم اقام الصلوة واتى الزكوة وجاهد في سبيل وحج بيت الحرام وقدم خيرات
كثيرة فانه لا يجد ما قدم شيئا ولكن يحبط ما قدم من شر وذلك ليس من فعل الكريم والجواد والا كذلك
وصف الله نفسه بل وصف نفسه على خلاف ما وضعوهم فقال اولئك الذين يتقبل عنهم احسن
ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وهم يقولون لا نقبل عنهم ما قدموا من الخيرات ولا نتجاوز عن سيئاتهم
وذلك سرف في القول فنعوذ بالله من السرف في القول والحكم على الله وبالله التوفيق وقوله
ان الله بما تعملون بصير بما قدمتم من الخير والشر تنبيه منه عز وجل ليكونوا على حذر من الشر وترغيب
منه لهم بالخيرات والله اعلم وقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى يحتمل هذا وجهين
ان قالوا ذلك جميعا لما ارادوا الناس الموافقة فيما بينهم ليرغبوا في دينهم وينفروا عن دين
الاسلام وان كانوا في الباطن على الخلاف والعداوة ويحتمل ان يكون ذلك القول من كل فريق في
نفسه لا عن كل الفريقين جميعا على الموافقة دليله قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ
وقالت النصارى ليست اليهود على شئ دل الاية ان ذلك القول لم يكن من الفريقين جميعا على الموافقة
ولكن كان من كل في نفسه على غير موافقته عنهم ولا مساعدة والله اعلم ثم في الاية دليل لزوم الدليل
على النافي لانهم نفوا دخول غيرهم الجنة بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فطولبوا
بالبرهان بقوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين انه لن يدخل فيها سواكم فان قيل انهم اذا نفوا
غيرهم فيها ادعوا لانفسهم الدخول فانما طولبوا بالبرهان على ما ادعوا ليس على ما نفوا لا يحتمل
قيل ذا لانهم لم يذكروا دخول انفسهم تصريحا انما نفوا دخول غيرهم وهو يقول لا يدخل هذه
الدار الا فلان وفلان ليس فيه ان فلانا وفلانا يدخلونها ولكنه فيه نفى دخول غيرهما او نقول
نفوا دخول غيرهم تصريحا وادعوا لانفسهم الدخول مستدلا وانما يطلب الحجة على مصرح قولهم
لا على مستدل لهم الا ترى ان الجواب من الله عز وجل بالاكذاب والرد عليهم خرج على ما نفوا
دخول غيرهم وهو قوله بلى يدخل الجنة من اسلم وجهه لله وهو محسن الا ترى الى ما روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا نكاح الا بشهود ليس فيه اثبات النكاح اذا كان ثم
شهود ولكن فيه نفى النكاح بغير شهود تصريحا الا ترى ان من قال لا نكاح الا بشهود لا يسأل
ان لم قلت ان النكاح يجوز بالشهود ولكن يسأل ان لم قلت انه لا يجوز بغير شهود فكذلك قوله
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ليس فيه اثبات الدخول لهم تصريحا وفيه نفى دخول
غيرهم تصريحا والله اعلم وقوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن قد قلنا انه خرج مخرج الرد عليهم
والانكار بحكمهم على الله فقال بلى يدخلها من اسلم وجهه لله وهو محسن ثم اختلف في قوله اسلم
وجهه لله قيل اخلص دينه لله وعمله وقيل اسلم نفسه لله وقد يجوز ان يذكر الوجه على ارادة
الذات كقوله كل شئ هالك الا وجهه يعني الا هو وقيل اسلم وجه امره الى دينه فاخلص وبعضه
قريب من بعض اسلم نفسه لله اى بالعبودية كقوله ورجلا سلما لرجل وذلك معنى الاسلام
ان تخلص نفسك لله لا تجعل لاحد شركا من عبوديته ولا من عبادته قوله فله اجره عند ربه ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون قد ذكرنا متضمنها فيما تقدم وقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ
وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب فان قيل كيف عابهم بهذا القول وقد
امر نبيه عليه السلام في اية اخرى ان يقول لهم ذلك قل يا اهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التورية
قيل امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم انهم ليسوا على شئ اذا لم يقيموا التورية فاما اذا اقاموا
التورية وفيها امرهم بالاسلام واتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهم على شئ ومعنى هذا
الكلام والله اعلم ان قال لهم كيف قلتم ذلك وعندكم الكتاب مبين لكم ومميز الحق من الباطل
ويرفع من بينكم الاختلاف لو تأملتم وتدبرتم فيه ويحتمل ان كل فريق منهم للفريق الاخر ذلك انهم

ليسوا

ليسوا على شئ اكذبهم الله تعالى ورد عليهم بلى من اسلم منهم فهو على شئ لانه كان اسلم منهم فهم على شئ لانه كان
اسلم من اوائلهم ويحتمل انهم ليسوا على شئ على نفس دعاويهم وقولهم في الله بما لا يليق وهم على شئ في تكذيب
بعضهم بعضا بما قالوا وقيل لما قالت اليهود ليست النصارى على شئ من الدين قال الله يا محمد اتبع ديننا فانهم
ليسوا على شئ وكذلك قول الفريق الاخر لاولئك ثم اختلف في الاسلام قيل الاسلام هو الخضوع وقيل
الاسلام هو الاخلاص بالافعال وهو ان يسلم نفسه لله او يسلم دينه لا يشرك فيه وقوله قال الذين كذلك
لا يعلمون مثل قولهم قيل لا يعلمون الذين لا كتاب لهم وهم مشركوا العرب وقيل الذين لا يعلمون هم الذين
لا يقدرون على تلاوة القران والكتاب وتمييزها فيه وهم جهالهم سوى عز وجل بينهم في القول من علم
منهم ومن لم يعلم لان من علم منهم لم ينتفع بعلمه فكان كالذى لم يعلم شيئا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في
قوله صم بكم عمى انه سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بالايات والاسباب التى اعطاهم الله عز وجل والله
اعلم وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة بالعذاب لاختلافهم فيما بينهم وبقولهم في الله بما لا يليق
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله ومن اظلم يقول لا احد اظلم لنفسه ولا اوضع لها ممن منع
مساجد الله ان يذكر فيها اسمه اختلف فيه قيل مساجد الله الارض كلها لان الارض مساجد الله كقوله
صلى الله عليه وسلم جعلت لى الارض مسجدا وطهورا منع اهل الكفر اهل الاسلام ان يذكروا فيها اسم الله وان
يظهروا فيها دينه وقوله وسعى في خرابها وهو كقوله ويسعون في الارض فسادا ويخرج قوله ما كان
لهم ان يدخلوها اى لا يدخلون البلدان والامصار الا بالخوف او بالعهد كقوله الا بحبل من الله وحبل
العهد ويحتمل قوله ما كان لهم ان يدخلوها ما كان ينبغى لهم بما عليهم من حق الله وتعظيمه ان يدخلوا
المساجد الا خائفين وجلين لما كانت هى بقاع اتخذت لعبادة الله ونسبت اليه تعظيما لها فدخلوا مخربين
لها مانعين اهلها من عبادة الله فيها مساجد الله مسجد الحرام وذلك لما حالوا بينها وبين دخول محمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه فيها حتى رجعوا من عامهم ذلك ثم فتح الله عز وجل مكة لهم فصار لا يدخل
مشرك فيها الا خائفا كقوله عز وجل انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل
اراد بمساجد الله بيت المقدس قيل ان النصارى استعانوا ببخت نصر وهو رئيس المجوس حتى خربوا وهدموا
المساجد وقتلوا من فيها من اهل الاسلام ثم اهل الاسلام بعد ذلك بزمان مساجد وكان لا يدخل نصراني فيها
الا خائفا مستخفيا وقوله لهم في الدنيا خزى قيل الخزى الجزية ويحتمل القتال ولهم في الاخرة عذاب عظيم
وقوله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وقيل ان رهطا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم [illegible] وذلك قبل ان يصرف القبلة الى الكعبة فحضر وقت الصلوة فاشتبه عليهم
فتحروا فمنهم من صلى الى المشرق ومنهم من صلى الى المغرب صلوا الى الجهات مختلفة فلما بان لهم ذلك قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا عن ذلك فنزلت الاية فاينما تولوا فثم وجه الله وهذا يدل
على الشافعي قوله لانه يقول ان صلى الى جهة القبلة بتحر ثم [illegible] وليس في الاية ذكر جهة دون جهة
بل فيها ذكر المشرق والمغرب فيخرج قوله على ظاهر الاية ثم ما عندنا في الاشياء والتحري وانها تعقد القصد
فهو قوله وجه منقطع وروى عن ابن عمر ان قوله ولله المشرق والمغرب الاية نزلت في التطوع على
في الاسفار ولكن عندنا على ما ذكرنا في الكل والله اعلم وقوله فثم وجه الله اختلف فيه قيل ثم قبلة
وجه الله وقيل ثم قبل الله وقيل ثم وجه الله ثم الله على ما ذكرنا من جواز التكلم بالوجه على ارادة الذات
اى ليس هو عن غائب وقيل ثم رضاء الله وقيل ما يتقرب به وجه الله وقيل ثم وجه الله الذى وجهكم
اليه اذ المعنى التقصير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكل الناس انما اطعمك الله وسقاك
وقيل فيه ثم يلوكم فيما قصدتم بفعل الصلوة من وجه الله ورضاه اذا ظن قربه ثم العوض في القبلة
اصابة عينها ولكن اغلب الظن والتحرى لانه ليس لنا الى اصابة عينها سبيل اذ سبيل معرفتها الا
بالمعاينة والاحاطة ليس كالمياه والاثواب وغيرها من الاشياء لان هذه الاشياء في الاصل طاهرة
والنجاسة عارضة فيطلع باغلبها على ما هى في الاصل واما امر القبلة فانما يبنى على الاجتهاد والقصد دون
اصابة عينها والله اعلم وقوله ان الله واسع عليم قيل الواسع الغنى وقيل الواسع الجواد حيث جاد عليهم
بقبول ما ابتغوا به وجه الله وحيث وسع عليهم امر القبلة عليهم بما قصدوا وقوله وقالوا اتخذ الله
ولدا سبحانه فيه تنزيه نزه نفسه عما قالوا وصفه بما لا يليق ورد عليهم ومعناه والله اعلم ان اتخاذ

الولد والبنى فى الشاهد انما يكون لاحد وجوه ثلثة يحوجه الى ذلك اما الشهوات تغلبه فيقضيها به
واما الوحشة تاخذه فيحتاج الى من يستانس به او لدفع عدو يقهره فيحتاج الى من يستنصره به ويستغيث
فاذا كان عز وجل يتعالى عن ان تمسه حاجة او ياخذه وحشة او يقهره عدو لاى شئ يتخذ ولدا وقوله
بل له ما فى السموات والارض رد على ما قالوا بان من ملك السموات وما فيها وملك الارض وما فيها
لا تمسه حاجة ولا يقهره عدو اذ كل ذلك ملك له يجرى فيهم تقديره ويمضى عليهم امره وتدبيره وانما
يرغب الى مثله اذا اعترض له شئ مما ذكرنا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فان عورض
بالخلة قيل ان الخلة تقع على غير جوهر من صاحب الخلة والولد لا يكون الا من جوهره والى هذا يذهب
الحسين والثانى ان الخلة تقع لافعال تكتسب ويستفيد منه فيعلو امره وترتفع مرتبته فيستوجب
بذلك الخلة بمعنى الجزاء واما الولد فانه لا يقع عن افعال تكتسب بل بذاته وما به استحقاقه يكون
من مولده وقد نفى عن نفسه ما به يكون بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة والثالث ما
قاله الروندى انه لا بد من ان يدعى الى التسمى والى التحقيق اذ فى الخلة تحقيق ما به يسمى فلم يحتمل قوله
بل له ما فى السموات والارض وجها اخر وهو ان يقال ان ما فى السموات وما فى الارض كلهم عبيده
واماؤه فانتم مع شدة حاجتكم الى الاولاد ولا تستحسنون ان تتخذوا عبيدكم واماءكم اولادا فكيف
تستحسنون ذلك لله عز وجل وتنسبون اليه مع غنائه عنه وبالله التوفيق وقوله كل له قانتون قيل فيه
بوجوه وقيل ان كل من فى السموات والارض من الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الذين قالوا
اتخذهم الله ولدا قانتون له مقرون له بالربوبية والعبودية لانفسهم له وقيل قانتون مطيعون
متواضعون وقيل القانت هو القائم لكن القائم يكون على وجهين يكون القائم المنتصب على الاقدام
ويكون القائم على الامر والحفظ ثم لا يحتمل الارادة بالقانت ههنا المنتصب بالقدم فرجع الى الطاعة
وحفظ ما عليه وهو كقوله وهو القائم على كل نفس بما كسبت من الحفظ والرزق ويحتمل تنزيه الخلقة
كل احد تنزه ربه عن جميع ما يقولون فيه او ان يقال كل له قانتون فى الخلقة كقوله ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله وقوله بديع السموات والارض ابتدعهما ولم يكونا شيئا والبديع والمبدع واحد وهو
الذى لم يسبقه احد فى انشاء مثله وكذلك سمى صاحب الهوى مبتدعا مثل ما لم يسبقه فى فعله احد
ثم فيه الحجة على هؤلاء الذين قالوا اتخذ الله ولدا يقول ان من قدر على خلق السموات والارض من
غير شئ ولا سبب كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب والثانى ان يقال ان من له القدرة على خلق
ما يصعب ويعظم فى اعينكم باقل الاحرف عندكم كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب وقوله واذا
قضى امرا قيل واذا حكم حكما فانما يقول له كن فيكون وقيل اذا قضى امرا يعنى باهلاك قوم واستئصالهم
فانما يقول له كن فيكون ليس هو قول من الله اذ كن بالكاف والنون ولكنه عبارة باوجز كلام
يؤدى المعنى التام المفهوم اذ ليس فى لغة العرب كلام التحقيق بحرفين يؤدى الى المعنى المفهوم
اوجز من هذا وما سوى ذلك فهو من الصلوة والادوات فلا يفهم معناها والله اعلم ثم الاية ترد
على من يقول بان خلق الشئ هو ذلك الشئ نفسه لانه اذا قضى امرا وذكر كن فيكون ولو كان
التكوين والمكون واحدا لم يحتج الى ذكر كن فى موضع العبارة عن التكوين فالكون تكوينه فيكون
المكون فدل انه غيره ثم لا يخلو التكوين اما ان لم يكن يحدث ام كان فى الازل فان لم يكن يحدث
فاما ان حدث بنفسه ولو جاز ذلك فى شئ لجاز فى كل شئ او باحداث اخر فيكون احداث باحداث
الى ما لا نهاية وذلك فاسد ثبت ان الاحداث والتكوين ليس بحادث وان الله تعالى موصوف فى
الازل انه محدث بكون ليكون كل شئ فى الوقت الذى اراد كونه فيه وبالله التوفيق وقوله وقال
الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية قيل فيه بوجوه قيل الذين لا يعلمون يعلمون فى
الحقيقة ولكن سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بعلمهم وقيل لا يعلمون توحيد ربهم ومشركوا العرب
قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم هلا يكلمنا الله او تاتينا اية فيخبرنا بانك رسوله وقيل الذين لا
يعلمون لولا يكلمنا الله اى لا يعلمون انهم لم يبلغوا المبلغ الذى يتمنون تكليم الله اياهم وقيل
لا يعلمون انهم قد كلمهم واخبرهم بالوحى وانباء رسوله صلى الله عليه وسلم ايات على رسالته
لكنهم يعاندون وقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم قيل الذين من قبلهم بنو اسرائيل

قالوا

قالوا موسى مثل ما قال مشركوا العرب لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا
وقيل اليهود سألوا مثل سؤال النصارى وقيل النصارى سألوا مثل سؤال اليهود والله اعلم وقوله تشابهت
قلوبهم بالكفر والتعنت وقيل تشابهت قلوبهم فى المقالة يشبه بعضهم بعضا فى السؤال لانهم سألوا سؤال
تعنت لا سؤال مسترشد وقوله كذلك قال الذين من قبلهم يحتمل وجهين احدهما هذا القول والثانى ان سألوا
سؤال تعنت لا سؤال مسترشد ان الله قد اثبت ايات الارشاد لمن يبتغى الرشد ولا قوة الا بالله وقوله قد بينا
الايات لقوم يوقنون قيل بينا امر محمد صلى الله عليه وسلم بالايات والحجج التى اقامها انه رسول لمن آمن به
وصدق ولم يعاند وقوله انا ارسلناك بالحق قيل انا ارسلناك يا محمد لتدعوهم الى الحق وهو التوحيد
وقيل بالحق بالحجج والايات بشيرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا لمن عصاه وخالف امره بالنار وقيل بالحق الذى
لله على الخلق والحق الذى لبعض على بعض لتدعوهم اليه وتدلهم عليه وقوله ولا تسأل عن اصحاب
الجحيم وجائز ان يكون بمعنى لا تسأل بعد هذا عنهم ولم تذكر انه سأل عنهم بعده فيكون ذلك اية له بما هو
خبر عن علم الغيب قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليت شعرى ما فعل ابواى فانزل الله هذه
الاية وفيها القضاء لا تسأل بسبب الثناء وهو ما ذكرنا ويحتمل وجها اخر اى لا تشتغل باصحاب الجحيم فان
ذلك تكلف منك وشغل وفيها لغة اخرى برفع الثاء ولا تسأل عن اصحاب الجحيم اى لا تسأل انت
يا محمد عن ذنوب اصحاب الجحيم وهو قوله ولا تسألون عما كانوا يعملون وكقوله عليه ما حمل وعليكم ما
حملتم وكقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ونحوه وقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم قيل الملة السنة كقوله بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله وكقوله تعالى واتبع ملة ابراهيم حنيفا
وقيل الملة الدين كقوله عليه السلام ولا يتوارث اهل الملتين وقيل الملة هنا القبلة وهو كقوله ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم آيس عز وجل رسوله صلى الله
عليه وسلم عن اتباع اولئك دينه وقبلته لانهم يختارون الدين والقبلة بهوى انفسهم لا بقبول الحق
وظهوره ولزوم الحجة وذلك ان النصارى انما اختاروا قبلتهم المشرق لان مكان الحبل الذى كان فيه
عيسى فى ناحية المشرق بقوله اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا واليهود اختاروه قبلتهم ناحية
المغرب لان موسى عليه السلام كان بناحية الغرب لما اعطى الرسالة وكلمه ربه كقوله وما كنت بجانب
الغربى اذ قضينا الى موسى الامر واما اهل الاسلام فانما اختاروا الكعبة شرفها الله قبلة بالامر لا اتباعا
لهواهم والعقل يوجب ان يكون الكعبة قبلة اذ هى مقصد الخلق من افاق الدنيا فلما احتج فى الصلوة
الى التوجه كان احق ذلك الموضع الذى جعل للخلق مقصدا اخرى ثم قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اخبر عز وجل رسوله ان ليس فى وسعك ارضاء هؤلاء لاختلافهم فى
الدعاوى فى الملل فان قيل كيف نهى رسوله عن اتباع ملتهم على علم منه ان لا يتبع قيل لان العصمة
لا تزيل المحنة انما تقع فى العصمة لوجهين احدهما ان لما مضى لا توجب عصمته فى الحادث والثانى
ان احق من ينهى عن الاشياء من اكرم بالعصمة اذ على زوال النهى يرتفع عنه جهة لانه يصير برفع النهى
مباحا فلهذا لا يدل القول على نهى ما فيه ارضاؤهم وان كان فى الاصل معصوما عنه وبالله التوفيق وفى
ازالة الامر والنهى ازالة فائدة العصمة لان العصمة هو ان يعصم فى الامر حتى يؤديه وفى النهى عنه وبالله
التوفيق وقوله قل ان هدى الله هو الهدى قيل ان دين الله الذى اختاره بالامر واتباع الايات والحجج هو الدين
لا كما اختاروا ولذلك بهوى انفسهم واستعمال الايات والحجج بالرد والانكار والمعاندة يحتمل ان يكون الخطاب فى
قوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم والبيان اصحابه ومن دخل فى دينه وسبيل لا هو وذلك
كثير فى القران يخاطب هو والمراد غيره وقوله ما لك من الله من ولى ولا نصير ناصر من ولى يتولى الدفاع
عنك ولا نصير يمنعك من العذاب ويحتمل ينصرك فتغلب به سلطان الله فيما يريد تعذيبك وقوله
الذين اتيناهم الكتاب قيل الكتاب اراد به القران ومن حمله على التورية والانجيل قال فيه اضمار وكانه
قال الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون اى اذا تلوا حق تلاوته فحينئذ كيف يؤمنون به
وقيل يتلونه حق تلاوته يعنى يعملون به حق عمله ولا يكتمون نعته صلى الله عليه وسلم ولا يحرفونه اولئك
يؤمنون به وهم الذين اسلموا منهم وقيل يتبعونه حق اتباعه وهو واحد ومن حمله على القران فالذين
يتلونه حق تلاوته اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات قيل الابتلاء

والامتحان في الشاهد استفادة علم خفي عليه من الممتحن والمبتلى به ليقع عنده علم ما كان ملتبسا عليه وفي
الغائب لا يحتمل ذلك اذ الله عز وجل في الازل عالم بما كان وبما يكون في اوقاته ابدا ثم يخرج الابتلاء منه الى
وجوه احدها ان يخرج مخرج الامر بالشيء او النهي عنه لكن الذي ذكر يظهر بالامر والنهي فسمي ابتلاء من
الله والثاني ليوجد ما قد علم الغيب علم الله انه يوجد موجودا وليكون ما قد علم انه سيكون كائنا
وعلى هذا يخرج قوله حتى نعلم المجاهدين منكم حتى نعلمه موجودا كما علم انه يوجد كما قال عالم الغيب والشهادة
علم الغيب علم انه موجود وعلم الشهادة علم به موجودا حتى يوجد الذي علم انه يجاهد منهم مجاهدا
ويصير صابرا ثم اختلف في الكلمات التي ابتلاه بها فقال بعضهم الكلمات التي ذكرت في سورة الانعام
وهو قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا وراى القمر بازغا وراى الشمس بازغة هي الحجج التي اقامها على
قومه وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه وقيل ابتلاه بعشر فعلهن خمسة في الراس وخمسة في الجسد
لكن هذا ليس كبير حكمة اذ يفعل هذا كل واحد ولكن الحكمة فيه هي ما قيل ان ابتلاه بالنار حيث القي
فيها فصبر حتى قال له جبريل الك حاجة فقال له اما منك فلا وابتلي باسكان ذريته الوادي الذي
لا ماء فيه ولا زرع ولا غرس وابتلي بالهجرة من عندهم وتركهم هنالك وهم صغار لا ماء معهم ولا زرع
ولا غرس وابتلي بالهجرة الى الشام وابتلي بذبح ولده ابتلي باشياء لم يبتل احد من الانبياء بمثله فصبر على ذلك
ففي مثل هذا يكون وجه الحكمة وفيه لغة اخرى واذ ابتلى ابرهيم بالرفع ربه بالنصب الابتلاء معناه والله
اعلم انه سال ربه كلمات فاعطاهن وهو تاويل مقاتل وهو انه قال اجعلني للناس اماما قال نعم واجعل
هذا المكان امنا قال نعم واجعلنا مسلمين لك قال نعم قال وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب
الرحيم قال نعم واجعل هذا البلد امنا قال نعم قال وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم
الاخر قال نعم مثل هذا سال ربه هذا فاعطاهن اياه وقوله اني جاعلك للناس اماما يحتمل جعل رسولا
يقتدي به لان اهل الاديان مع اختلافهم يدينون به ويقرون بنبوته يحتمل اماما من الامامة والخلافة
وقوله ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين فان قيل كيف كان قوله لا ينال عهدي الظالمين جوابا
لقوله ومن ذريتي وكانت الرسالة في ذريته ابدا حتى كقوله وجعلها كلمة باقية في عقبه قيل يحتمل
قوله ومن ذريتي احب ان تكون الرسالة تدوم في ذريته ابدا حتى لا تكون بين الرسل فترات فاخبر انه
في ذريته من هو ظالم فلا ينال الظالم عهده ويحتمل ان يكون سؤاله جعل الرسالة في اولاد اسماعيل
لان العرب من اولاد اسماعيل فاخبر ان في اولاده ظالم فلا ينال له وان العهد ما ذكرنا هو الرسالة والحج
وقال الحسن لا ينال الظالم في الاخرة العهد ويحتمل ان يكون المراد من ذلك ومن ذريتي فاخبر ان فيهم
من لا يصلح لذلك ويحتمل ان يريد به الامامة لا النبوة وقد كانت هي في نسل كل الفرق النبوة كانت فيهم يحتمل
ان يكون قصد خصوصا من ذريته ممن علم الله ان فيهم من لا يصلح لذلك ولا يحتمل ان يريد به الامامة
لا النبوة وقد ذكرنا وقال الانسان قيل له انه من ذريتك لكن لا ينال من ذكر ولهذا اخص بالدعاء من
امن منهم دون من كفر وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا قيل المثابة المجمع وقيل المثابة المرجع
يثوبون يرجعون وقيل يحجون وقوله مثابة للناس وانما هو فعل العباد لانهم يامنون ويثوبون
اخبر انه جعل ذلك ففيه دلالة خلق افعال العباد ثم بين فيه عز وجل شدة اشتياق الناس اليه
وتمنيهم الحضور بها مع احتمال الشدائد والمشقة ويحتمل المون مع بعد المسافة والخطرات فدل
ان الله تعالى بلطفه وكرمه حبب ذلك الى قلوب الخلق وانه جعل من ايات الربوبية والوحدانية وتدبير
سماوي لا من تدبير البشرية وفيه دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ اخبر عما كان ثبت انه اخبر
عن الله عز وجل وقوله وامنا لمن دخله من عذاب الاخرة وقيل امنا لكل محترم اوى اليه من القتل
وغيره كقوله ومن دخله كان امنا عن كل ما ارتكب واما عندنا فانه ان قتل خيلا ثم التجأ الى الحرم
لا يقتل ما دام فيه لانه لا يقتل للكفر هنالك فعن ذلك القصاص لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة حرام بتحريم الله اياها يوم خلق
الله السموات والارض لا تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها
ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها وما روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لو ظفرت بقاتل عمر في الحرم
ما قتلته واذا قتل في الحرم يقتل به هنالك والوجه فيه ان اقامة مثله عليه فيما يرتكبه في الحرم

احق اذ هي كفارة ليتزجر عما ارتكبه واحق ما يقع فيه الزجر مثله ما هو فيه من المكان واذا قتل في غير الحرم
ثم التجأ الى الحرم قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يخرج من الحرم وابو يوسف رضي الله عنه جعل ذلك للسلطان
ذهب الى انه قال واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل كما قال وان قاتلوكم فيه فا وجب لا يخرج
من حيث حل قتيل لم يخرج من الحرم اذ لم يخرج منه كما لم يقتل فيه او تقول انما لا اخراج للقتل قصدا ما لم يبيح
فعله فيه كان ذكالصيد يخرج يلزم فيه ما يجب بالقتل فيكله في موضع الحظر وبعد وفاته لو اخرج لم يامن بالحرم
بل زيد في عقوبته اذ الاخراج عقوبته فقد زيد عليه ما لم يجز في الكفار الذين نهوا عن قتلهم اخراجهم
للقتل كذلك القاتل وذهب الاحرار الى انه يخرج لاقامة الحد عند ابي حنيفة رضي الله عنه وان لم يرتكب فيه و
اخراج المرتكب به اقل في الحكم من اقامته عليه فيه لان اخراجه للقتل يرتفع من الحد لانه يصل الى قتله و
لما في القتل عقوبة واحدة وفي الاخراج عقوبتان ثم لم يلزمه العقوبة الواحدة وهي القتل اذ لم يقتل فيه
كان من ان لا يلزمه العقوبتان احق وقوله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى اختلف في مقام ابرهيم عليه
السلام منهم جعل الحرم كله مقامه يصلى اليه بمقامه هنالك او لاده ومنهم من جعل المسجد مقامه لانه
كان مقام عبادته فهو المتصل ومنهم من جعل من ما ظهر من مقامه وهو موضع ركوبه ونزوله لما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما قدم مكة مقام الركن اليماني فقال عمر يا رسول الله الا نتخذ مقام
ابرهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعندنا القبلة البيت بقوله تولوا وجوهكم
شطره وقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس اي مقاما للقيام للعبادات وقوله وعهدنا الى
ابرهيم واسماعيل فيه الامر بيناه وقوله ان طهرا بيتي يحتمل التطهير لوجهين احدهما من الاصنام والاوثان
التي كانت هنالك وعبادة غير الله والانجاس ويحتمل التطهير عن كل انواع الاقذار وعن كل انواع المكاسب
على ما روي في جملة المساجد وقوله للطائفين قيل الطائف هو القادم سمي طائفا لدخوله بطوافه وقيل
لاستحباب الطواف لذلك قال اصحابنا الطواف للقادم افضل من الصلوة والصلوة للمقيم افضل والعاكف
المقيم والركع السجود منهما جميعا وقيل العاكفون المجاورون وقوله واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا
هذا البلد امنا قد ذكرنا الوجه في قوله امنا وقوله وارزق اهله من الثمرات فاعلم ان المكان
ليس بمكان زرع ولا عنب دعا وسال ربه ان يرزق اهله عطف على اهله وعلى كل من يجاب اليه من الافاق
ثم خص المؤمنين بذلك لوجوه احدها انه لما امرهما بتطهير البيت عن الاصنام والاوثان ظن انه
لا يجعل لشركاء اهله لا يمان هنالك مقاما فخص لهم بالدعاء وسؤال الرزق والثاني انه اراد ان يجعل
انه من ايات الله ليرغب الكفار الى دين الله فيصيروا امة واحدة فكان كقوله ولولا ان يكون الناس
امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية ووجه اخر قيل لما كان قيل له لا ينال عهدي الظالمين فلعله
خشي ان يخرج ذلك مخرج المعونة لهم على ما فيه العصيان وفي ذلك ان لا باس ببيع الطعام من الكفرة
ولا يصير ذلك كالمعونة على ما هم عليه ويحتمل الدعاء المبهم للكفرة والفجر اذ ذلك اسم من يعبد
غير الله وقوله ومن كفر فامتعه قليلا للنعم لان الدنيا دار محنة لا توجب النظر الى المستحق للنعم
من غير المستحق ولا الى الولي من العدو في الدنيا واما الاخرة فهي دار جزاء ليست بدار المحنة فيوجب
النظر الى المستحق للنعم من غير المستحق ومعنى قوله قليلا لان الدنيا كلها قليل ثم الامتحان على وجهين
امتحان بالنعم وامتحان بالشدائد وقد قرا فامتعه على معنى دعاء ابرهيم عليه السلام ومن كفر فامتعه
بالجزم فان قيل لهم لا كان تفاضل الامتحان بتفاضل النعم وانما يعقل فضل الامتحان بفضل العقل
ويعلم ان المؤمن هو الفضل بالعقل كيف لا يقع فضل ما به يمتحن وهو النعم لان العقل الذي به يدرك
الحق واحد لا تفاضل فيه لاحد ثم العقل الذي به يمتحن واحد فهما متساويان فيما به درك الحق
لا ان احدهما يدركه فيتبعه والاخر يدركه فيعانده فهو من حيث معرفته ذو عقل اعرض عنه
فسمي معاندا ان من لا عقل له يسمى مجنونا وقوله ثم اضطره الى عذاب النار ذكر الاضطرار وهو
كقوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم وهو السوق وكقوله ونسوق المجرمين انهم يساقون اليها
ويدعون لا انهم ياتونها طوعا واختيارا وقوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا
تقبل منا امر ابرفع البيت وبنائه فضلا ثم سالوا ربهما ان يتقبل منهما فهكذا الواجب على كل مامور
بعبادة او قربة اذا فرغ منها واداها ان يتضرع الى الله ويبتهل ليقبل منه وان لا يرد عليه ليطيع

سعيه وقوله وبئس المصير اى بئس ما صاروا اليه وقوله انك انت السميع العليم لدعائهم العليم بما نووا
واضمروا وقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك والاسلام قد ذكرنا فيما تقدم انه يتوجه الى وجوه احدها
هو الخضوع والتذلل والثانى هو الاخلاص ثم اختلف اهل الكلام فى الاسلام فقال بعضهم انه يتجدد فى كل
وقت لذلك سئلوا ذلك وهو كقوله تعالى يايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله معناه امنوا بالله فى حادث
الوقت لانه يأتى فعل الكفر فى كل وقت فبترك الكفر يتجدد الايمان وعلى ذلك يخرج تاويلنا فى الزيادة بقوله
زادتهم ايمانا يتجدد له ويزداد فى حادث الوقت وقال اخرون سؤالهم الاسلام سؤال الثبات عليه والدوام
وقد ذكر ان العصمة لا ترفع خوف الزوال ومثل هذا الدعاء والسؤال على قول المعتزلة يكون عبثا لانه لا
يملك اعطاء من سئلوا عندهم بل هم الذين يملكون ذلك فيخرج السؤال فى هذا عندهم مخرج اللعب والعبث
فنعوذ بالله من السرف بالقول والزيغ عن الهدى ثم الايمان هو التصديق بالقلب يتجدد فى كل وقت
فلا وقت لا يخلو القلب عنه فى حال سكون او حال حركة والله اعلم وقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك قيل
ان الامة المسلمة هى امة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لم يكن من اولاد اسماعيل رسول سوى محمد صلى الله
عليه وسلم فسئلا ان يجعل من ذريتهما رسولا وامة مسلمة خالصة له وانما الرسل كانوا من اولاد
اسحاق ومن نسله والله اعلم وقوله وارنا مناسكنا وقيل فى قوله وارنا مناسكنا يريد الارادة فى
يوم القيمة يدل عليه قراءة عبد الله وارهم مناسكهم وفى قراءة غيره على ضم الرؤية الى نفسه والنسك
هو القربة وافعال الحج سمى مناسكا ثم لا يحتمل ان يسئلوا ذلك من غير امر سبق منه عز وجل بذلك لانه
ليس من الحكمة سؤال ايجاب فعل عبادة او قربة بغير امر فدل انه قد سبق منه بذلك امر لكنه لم يبين
لهما فسئلا تعليم ماهيتها وكيفيتها فعلمهما جبريل ذلك ففيه دلالة تاخير البيان عن وقت قرع السمع
الخطاب الا ترى انه امر بالنداء بالحج ولم يعلم والثانى ان ادم والملائكة قد كانوا حجوا هذا البيت قبل ابرهيم
عليه السلام فدل ان الامر به قد سبق والثالث قوله فى نفس الحج ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا ثم لا يحتمل لزوم الكلفة بالخروج قبل وجوب الحج لما لم يامر بفعل ما له ايجاب الحقوق والنوافل
لكنها اوجب شكرا لما نعم فدل ان الحج كان واجبا قبل الخروج وقد تاخر لامكان فعله البيان والله
اعلم واحتج بقوله اقيموا الصلوة ان ظاهره يوجب حضورها لزم بر ما اداه اسمع على تاخر ماهيته
وكذلك الزكوة وكذا ظاهر قوله ولله على الناس حج البيت واحتج ايضا قال القائل وسؤاله
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اوقات الصلوة ففعله فى يومين وقد كان يمكنه تعليمه وقت السؤال
لكنه اخر فدل ان البيان يجوز تاخره عن وقت قرع الخطاب السمع ثم فى تاخير البيان محنة المخاطب بما
امر فى تعلم العلم مراد ما تضمن الخطاب والله اعلم وذكر فى امر الحج عند كل نسك من المناسك معانيا
لكنها ذكرت الاحوال كانت فى البيان ادم وامر ابرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام وقد كان الحج
قبلهم وقد ذكر فى امر الرمل انه كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ليعلم بر قوتهم حتى قال
عمر رضى الله عنه على اهز كتفى وليس احد اراه لكنى اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم او كما قال رضى الله عنه
وقد ذكر ذلك فى قصة ابرهيم عليه السلام انه رمل ولم يكن فى وقته من كان ذا الفعل لاجله وكذلك غيره
من الانبياء عليهم السلام الا انا نقول جعل الله كذلك لعلمه بالحاجة الى ذلك فى وقت فقد جعل ذلك نسكا
فحفظ ذلك على حق النسك وان لم يكن المعنى معادنا له فى كل وقت على ما قيل ان سبب الرحم تزيد فى العمر بعض
جعل الله اجله ذلك بما علم انه يصل الرحم فيكون نصحا لغيره الى تلك المدة لذلك وكما يكتب شقيا وسعيدا
فى الازل للوقت الذى فيه يكون كذلك ونحو ذلك والله اعلم الموفق ثم الاصل ان الله جل ثناؤه جعل على عباده
فى كل الانواع التى تتقلب فيها البشر للمعاش او لانواع اللذات لتكون العبادة منهم فى كل نوع مقابل
ما يختار ذلك شكرا لما مكن عن مثله لما يتلذذ به ويتعيش اذ كل لذة نعمة خص الله بها صاحبها بلا تقدم
سبب يستوجبها العبد فلزم فى الحكمة الشكر لمن اسدى اليه تلك النعمة وعلى ذلك يجد التقلب من حال
القيام الى حال القعود والاضطجاع امر عام فى البشر من انواع اللذات فمثله يكون العبادة بذلك النوع
عامة نحو الصلوة وعلى ذلك الرق والعبودة لازم لا يفارق فمثله الاعتراف به والاعتقاد دائم لا حالة
يخلو منه وعلى ذلك امر اعطاء النفس شهوتها من المطاعم ونحو ذلك لا يعم الاوقات عموم التقلب من
حال الى حال اذ لا يخلو عنها المرء وان كانت مختلفة فجعلت عبادات الصيام فى خاص الاوقات ثم لم يجد

ما بين امتدادا افتراضيا ففى ذلك جعل الصوم عن الصيام لم يجعل كذلك بل فى كل سنة معا قد يدخل الصيام
فى كثير من الامور ثم للناس فى الاموال معاش وبها تلذذ ومنها قوة لا بد منه فلو ارتفاق بمثله لازم
لا يحتمل جعل القربة سوى ان جعل بعينه قربة اذ فرض على المرء الاستمتاع به ومنها فضل فيه جعل فرضه
التصدق لانه له بحق التلذذ لا بحق ما لا بد منه وكذلك نوع تقلب الاحوال فى النفس التى هى بحق الضرورة
لم يجعل لمثل ذلك فعل قربة يؤديها سوى ما به حيوته وذلك يجعل بحكم الفرض عليه ولا بد به وكذلك
امر الصيام لم يجعل على قدر من القوة ولكن فضل مودة فى الاحتمال لكن الزكوات هى من حقوق
ما يجوز ان يكون هى لغير من عليه البذل الى غيره وحقوق الافعال لا يحتمل ان يصير لسبب الذى
له به يجب ان يكون لغيره فيجب عليه فجعل فرض ذلك الفعل فى نفسه وهى تجب للاحوال لوجهين
احدهما ان فيها حقوق شائع على نحو النفاق فاخرت هى الى الحول تخفيفا او لما هى تجب فيما له حكم
الفضل والفضل ما يفضل عن الحاجة والحاجات تتجدد فى اوقات لانها تتابع لا تظهر فى مثله الفضل
الا بمدة بينة اكثرها ثم فرض الحج جعل فى العمر مرة لانه فى حق الاسفار المديدة التى لا يختار مثلها
للذات الا فى النوادر فلم يوجب مثله الا فاسا فاوجب فى جميع العمر مرة وقد اوجب فى الاموال
فى كل سنة لان ارباب الاموال قد يتقلبون فى البلاد النائية رغبة فى فضول اللذات فلذلك يجوز فرض
مثل ذلك امر الجهاد على ان الجبال كالذى لا بد من الاقوات اذ فى ترك ذلك الخوف غلبة الاعداء وفيها
تلف الابدان والاديان ففرض على قدر ما فرض من الاقوات لما بينت من العلل ثم كانت احوال اهل السفر
يكون على غير المعروف من احوال المقيمين فى حق الزراعة والرق وحق الانبساط والنشاط فعلى ذلك فرض
الامرين نحو الجهاد فيه انواع ما وعد فى غيره من التعب وكذلك امر الحج وعلى مثل هذا يخرج رمى الجمار
والرمل والسعى ونحو ذلك تجعل ذلك فى حق الاسفار سنة وان كان مثل ذلك عد فى غير ذلك عبثا اذ
بها تخرج العبادات على ما عليه احوال العباد بانفسهم لولا العبادات والله اعلم ثم جعل ذلك فى امكنة
متباعدة الاطراف اذ هو بحق امر الاسفار يجب فى العهود فجعل النسك بنفسه بالذى به يقطع الاسفار
ولا قوة الا بالله ووجه اخر من المعتبر انه ان العبادات جعلت انواعا منها ما يبلغ القيام بحقها انعاما
فصاعدا لم يجز ان يجعل وقته ينتقص عن احتمال فعله ولا وقت من طريق الاشارة احج لمختلف الاحوال
بعد سقوط اعتبار العمر السنة ثم فعل الحج قد تمتد ذلك ويجاوز ولم يجعل ذلك وقتا له وانما جعل العمر
لما لا وقت يشار اليه لا وجميع ما فيه مما يحتمله العام الاخر وما يقدمه ويأخره ثم فى العمر احوال لا يحتمل
اضافتها الى لان ما يضاف الى عام فذلك لكل عام وليس ما يضاف الى العمر موجود بحق الاصول تجعل
ذلك وقته والله اعلم ثم الزكوات هى تجب للاموال سوى ما لكسب عدد وفضل غنى ولكن على ذلك يكتسب
لاحوال الحيوة لا لما يخلف فلم يمتد امرها الى العمر على انها جعلت حقا للفقراء ومتى اريد جعل الوقت العمر
يصير لغيره ويجب فيه ما يجب فى الاول فتبطل الزكوة ويبقى الفقراء بلا عيش اذا الله يفضله قدر اقوات الخلق
ثم فضل الخلق فى الاملاك حتى كان بعضهم بحيث لا يملك شيئا وبعضهم يجاوز ما له اضعاف عمره ثبت ان ذلك
له بما تقتضى به كفاية الفقراء فلا بد ان يجعل لذلك مدة يتوسع كذلك الفريقان جميعا ثم كانت الاقوات التى
هى مجعولة للخلق يتجدد فى كل عام على ذلك اذ جعلت اقوات الفقراء فى اموال الاغنياء تجعل فى كل عام على ذلك
اذ جعلت اقوات الفقراء فى اموال الاغنياء على انه اذ جعلت اقوات الخلق فى بركات السماء والارض جعلها
الله تجدده بتجدد الاعوام ولا قوة الا بالله والصلوة والصيام عبادات يلزم قوى الابدان فعلى ما يختلف
قواهما اختلفا فى الامر بهما والترك وفى القراءة الرخص لكن الصلوة ليس فيها مكايدة ولا مدافعة اللذات
اذ لا سبيل الى مثلها متتابعا ولا يسير اللذة الماء والشهوة وجعا فيبطل حق التتابع وقدر المرء ومن
من الصلوة لا يشتغل عما يقوم بها النفس والصيام يضاد ذلك ويضر فى البدن فجعل عبادة الصلوة
يوم وعبادة الصيام فى اوقات مراخية اذ هى تضاد معنى المجعول له الاغذية بين اقامة الابدان وفى الضياء
خوف فنا بها لذلك استعين بطول الاغتذاء على اوقات الصيام ولا قوة الا بالله وان شئت قلت ان
الله انعم على البشر بما هو غذاء وقوام وبما هو لذة وشهوة ثم انعم عليهم بما هو لهم به دفعة وجاه عند
الخلق وهى الاموال فالزمهم فى كل نوع من هذه الانواع عبادات وعلى ذلك وقع كل نوع منها القوت
النعمة التى هى المرغوبة المختارة فى الطبيعة الى ما يدوم تلك يدعو العقل ببذل ما ينقطع منه ثم جعلت

قوى النفس بشهواتها ونعم الاموال بانواع الكد والجهد فعلى ذلك خفف حقوق الاموال فلم يجعل
الا فى الفضل الذى لاختيارهم ان لا يبلغوا بالجهد ذلك ففى ذلك جعلت الحقوق على ما يحتمل النوع
لهم من الترتيب مع اليسر الذى اخبر الله انه يريد بهم ذلك لا العسر والله اعلم وقوله وتب علينا انك انت
التواب الرحيم دل سؤاله التوبة ان الانبياء عليهم السلام قد يكون منهم الزلات والعثرات على غير قصد
منهم ثم فيه الدليل على ان العبد قد يسال عن زلة يتعمدها ولم يقصدها لانهم سئلوا التوبة مجملا
ولو كان سبق منهم شى علموا به وعرفوه لذكروه وعرفوه فدل سؤالهم التوبة مجملا على ان العبد مسئول
عن زلات لم يتعمدها وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا من جنسهم من البشر لان الاقرب الى المعرفة
والصدق ممن كان من غير جنسهم كقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رسولا الاية ويحتمل رسولا منهم
اى من قومهم ومن جنسهم وبلسانهم لا من غيرهم ولا بغير لسانهم والله اعلم كقوله لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز وقوله يتلوا عليهم اياتك قيل الايات هى الحجج وقيل الايات هى الدين ويحتمل تدعوهم الى
توحيدك والله اعلم وقوله ويعلمهم الكتاب يعنى القران ما امرهم به ونهاهم عنها ونحو ذلك والحكمة قيل
الفقه بقوله يعلمهم الكتاب وما فيه من الفقه وقيل الحكمة ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وقيل
الحكمة هى السنة ههنا وقيل الحكمة هى الاصابة وبعض هذا قريب من بعض وبالله التوفيق وقال الحسن
الحكمة هى القران اعاد القول به يعنى تكرارا وقال ابن عباس رضى الله عنه الحكمة الفقه وقوله ويزكيهم
قال ابن عباس رضى الله عنه يا خذ زكوة اموالهم فذلك يزكيهم كقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وقيل يزكيهم الى ما به زكوة انفسهم وقيل يزكيهم بالعمل الصالح فان قال لنا قائل ممن
ينتحل مذهب الاعتزال ليس الله عز وجل اضاف التزكية والهداية الى رسوله ولم يكن منه هو
حقيقة فعل التزكية والهداية ولا خلق ذلك منه كيف قلتم ايضا فيما اضاف ذلك الى نفسه
انه ليس فيه خلق ولا حقيقة سوى الدعاء والبيان على ما لم يكن فى اضافته ذلك الى رسوله
سوى الدعاء والبيان قيل ذلك على ما قلتم انه اضاف ذلك الى رسوله بقوله ويزكيهم وبقوله
وانك لتهدى الى صراط مستقيم وكقوله ولكل قوم هاد غير انه جعل الى نفسه فضل هداية لم
يجعل ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم واثبت الزيادة تزكية لهم لم يثبت ذلك لرسوله عليه السلام
كقوله انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء فدل اضافته تلك الزيادة التى
الى نفسه على ان له فضل فعل ليس ذلك لرسوله وهو خلق فعل الاهتداء وفعل التزكية والله
التوفيق وبعد فان الرسول لا يحتمل ان يملك قدرة فعل احد بعد رد عليه ولو اراده ولو اقدرهم
الله على الفعل حتى قدروا لجاز ان يكون له عليه قدرة وتحقيقها جواز خلق ذلك له ومثله تحت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله وقوله انك انت العزيز الحكيم اى لا
شى يعجزه والعزيز بذاته وكل شى دونه غير عزيز ذليل وقيل العزيز المنيع قيل العزيز المنتقم من اعدائه
والحكيم هو المصيب فى فعله والحكيم فى امره ونهيه والحكيم هو الذى احكم كل شى جعله دليلا على
وحدانيته ثم ذكر بعض مفسرين على المناسك فقال سميت العرفات لما قيل له عرفت وما لما
قيل له تمنه ورمى الجمار لما استقبل ابرهيم الشيطان فرمى فهذه العلل لا تطمئن بها القلوب وتنزع عنها
الطباع الا ترى انه ذكر فى قصة ادم فعل ذلك جملة فزال المعنى الذى ذكر فى ابرهيم عليه
السلام ثم قد ذكر فى الخبر ان الملائكة قالت لادم حججنا قبلك بالفى عام فثبت انهم قد فعلوا
هذا كله ثم يمكن نصب الحكمة فيه من طريق العقل وهو ان الحج قصد لزيارة ذلك المكان
امر بمختلف الافعال الواقع بها الزيارة كالصلوة ان الخضوع بعينه امر فيها باحضار العقل وهو
ان الحج لزيارة ذلك المكان الافعال المختلفة من حال الخضوع ثم المريد يخضع مرة بالقيام
ومرة بالركوع ومرة بالسجود امر باحضار مختلف الافعال التى فيها المروة على ان الصلوة كما
تخالف الحج افعالها فعل المعاش امر باحضار حالة تذكره الوقوف والخضوع لله موقفا بين
ذلك الحالة وحالة المعاش ولهذا يقتضى فى كل مكان ثم افعال الحج فى ظاهرها الى افعال
المعاش وما اليه وقع القصد لا عينها فيما ان فيه تكلف المعاش ولهذا ما لا يقتضى
فى كل مكان وقوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم ثم اختلف فى الملة قيل الملة والدين السنة

وقيل الاسلام وكله واحد وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله الا من سفه نفسه اى بما يعمل من عمل
السفه نفسه اى بنفسه فكان انتصابه لانتزاع حرف الخافض وقيل جهل نفسه فيضعها فى غير موضعها
ولقد اصطفيناه فى الدنيا بالنبوة والرسالة والعصمة ويحتمل ما اجراهم فى الدنيا ثناء حسن لم ينقص من
جزائهم فى الاخرة وانه فى الاخرة لمن الصالحين فى المنزلة والثواب ويحتمل لمن الصالحين لمن المرسلين ويحتمل
ان يكون بشره فى الدنيا انه كان لمن الصالحين فى الاخرة فيكون فى ذلك وعد له بصلاح الخاتمة كما وعد
محمدا صلى الله عليه وسلم مغفرة ما تقدم من الذنب وما تاخر وفى ذلك ايضا وعد بصلاح الخاتمة والله اعلم
فاخبر عما كان يعمله ويجوز تفاضلهم فى الاخرة على ما كانوا عليه وقوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين قيل اخلص ويحتمل امر باشد اسلام على ما ذكرنا من تجدده فى كل وقت بهمه ثم يحتمل ان يكون وحيا
اوحى اليه ان قل كذا فقال به فان كان وحيا فهو على ان يسلم نفسه لله ويحتمل ان يكون اسلام القلب بتمام
الخلقة بالاسلام كما ان كان على هذا فهو على الاسلام دون توحيد ويحتمل اسلام خلقة كقوله الست بربكم
قالوا بلى بخلقة وعلى ذلك يخرج قوله لابراهيم واذن فى الناس بالحج فدعاهم فاجابوه فى اصلاب ابائهم
اجابة الخلقة وقت كونهم وقيل يحتمل امر بابتداء الاسلام كقوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى
ثم قال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا يكون جواب قوله اسلم والله اعلم وقوله
ووصى بها يعنى بالملة والملة يحتمل ما ذكرنا ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين
وهو الاسلام ردا على قول اولئك الكفرة ان ابرهيم كان على دينهم لان اليهود زعمت انه كان على دينهم
يهوديا وقالت النصارى بل كان على النصرانية وعلى ذلك كانوا لغيرهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا فلما
ادعى كل واحد من الفريقين انه كان على دينهم اكذبهم الله عز وجل فى قولهم ورد عليهم ذلك فقال
قل يا محمد ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما فعل ذلك قوله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
الا وانتم مسلمون اخبر عز وجل ان دينه كان دين الاسلام وهو الذى اصطفاه له والدين الذى اختاره وهم من
اليهودية والنصرانية لقوله تعالى ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى اى ليس له وقوله ام كنتم شهداء
يقول ان كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اى ما كنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت ويحتمل ان يكون
ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه بدين اليهودية
فانزل الله تعالى ام كنتم شهداء اى كنتم شهداء وصية يعقوب بنيه اى شهدوا وصية يعقوب
بنيه فكيف قلتم ذلك ثم اخبر عز وجل عن وصية يعقوب بنيه فقال ما تعبدون من بعدى قالوا
نعبد الهك واله ابائك ابرهيم الاية ونحن له مسلمون يعنى مخلصون بالتوحيد وبجميع الكتب والرسل
ليس كاليهود والنصارى يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ثم يدعون ان دليل دين ابرهيم
ودين بنيه ثم فى الاية دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الاخبار التى قالوا من غير
نظر منهم فى كتبهم ولا سماع منهم ولا يعلم دل انه بالله علم وعنه اخبر وقوله قولوا امنا بالله وما
انزل الينا الاية فلا يستثنى على من يستثنى فى ايمانه لانه امرهم ان يقولوا قولا باتا لا استثناء فيه ولا
شك وكذلك قوله فان امنوا بمثل ما امنتم به ثم يحتمل ان يكون ردا على اولئك الكفرة حيث فرقوا بين
الرسل امنوا ببعضهم وكفروا ببعض وكذلك امنوا ببعض الكتب وكفروا ببعضها فامر الله عز وجل
المؤمنين ودعاهم الى ان يؤمنوا بالرسل كلهم والكتب جميعا لا يفرقون بين احد منهم كما فرقوا اولئك
اولئك الكفرة ويحتمل ان يكون ابتداء تعليم الايمان من الله عز وجل بهم بما ذكر من الجملة ثم اختلف
فى الحنيف قيل الحنيف المسلم وقيل الحنيف الحاج وقيل كل حنيف ذكره مسلم فهو الحاج وكل حنيف لم
يذكر بعده مسلم فهو مسلم وقال الحنيف المائل الى الحق والاسلام وقوله فان امنوا بمثل ما امنتم
روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال لا تقرا فان امنوا بمثل ما امنتم به فان الله ليس له مثل ولكن
اقرا فان امنوا بالذى امنتم به او بما امنتم به وكذلك فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه فان امنوا
بمثل ما امنتم به تصديقا لذلك وعلى ذلك قوله ليس كمثله شى ان الكاف دايرة اى ليس مثله شى
وهو فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه كذلك ويحتمل امنوا بلسانهم بمثل ما امنتم بلسانكم من الرسل
والكتب جميعا فقد اهتدوا ويحتمل بمثل ما امنتم به اى بلسان غير لسانهم فقد اهتدوا وقوله تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون والله اعلم لما ادعوا ان ابرهيم ومن

ذكر من الانبياء كانوا على دينهم فقال عند ذلك لا تسئلون انتم عن دينهم واعمالهم ولاهم يسئلون عن
دينكم واعمالكم بل كل يسأل عن دينه وما يعمل به وقوله فانما هم في شقاق قيل الشقاق هو الخلاف
وقيل الشقاق هو الخلاف الذي فيه العداوة والله اعلم فسيكفيكهم الله هذا وعيد من الله عز وجل
لهم ووعد وعد نبيه بالنصر له وان اولئك كانوا يتناصرون بعضهم ببعض فوعد له عز وجل
النصر له بقتل بعضهم واجلاء اخرين الى الشام وغيره وقوله صبغة الله قيل دين الله وقيل فطرة
الله كقوله كل مولود يولد على الفطرة وقيل فطرة الله وقيل صبغة الله حجة الله التي اقامها
على اولئك وقيل صبغة الله سنة الله ثم يرجع قوله ومن احسن من الله صبغة اى دينا وسنة
وحجة تدرك بالدلائل التي يصيبها واقامها به ليس دينا اولئك الذين اسس على الحيرة والغفلة
بلا حجة ولا دليل فيه ان النصارى كانوا يصبغون اولادهم في ماء ليطهرهم بذلك فقال الله عز وجل
صبغة الله يعني الاسلام هو الذي يطهرهم لا الماء وقوله ونحن له عابدون قيل موحدون وقيل
مسلمون مخلصون ويحتمل ونحن عبيده وقوله قل اتحاجوننا في الله روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اولى بالله منكم فانزل الله في ذلك قل
اتحاجوننا في الله وقيل في الله يعني في دين الله اى اتحاجون وتخاصمون في دين الله وهو ربنا وربكم اى
اتحاجون في الله مع علمكم واقراركم انه ربنا وربكم بقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم قيل لنا ديننا ولكم دينكم كقوله لكم دينكم ولي دين ويحتمل لنا اعمالنا لا تسئلون
انتم عنها ولكم اعمالكم ولا نسأل نحن عن اعمالكم كقوله ولا تسئلون عما كانوا يعملون ونحن له مخلصون دينا
وعملا لا نشرك فيه غيره وقوله ام يقولون قيل بل تقولون وقيل على الاستفهام في الظاهر ايقولون لكنه
على الرد والانكار عليهم وذلك ان اليهود قالوا ان ابرهيم وبنيه ويعقوب وبنيه كانوا هودا او نصارى
قال الله تعالى قل يا محمد انتم اعلم بدينهم ام الله مع اقراركم انه ربكم لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
ومعنى الاستفهام هو تقرير ما قالوه كالرد عليهم والانكار ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله
قيل الشهادة التي عنده عليهم كانوا مسلمين ولم يكونوا على دينهم وقيل الشهادة التي عندهم بالاسلام
انه دين الله وانه حق وقيل الشهادة التي كانت عندهم محمد صلى الله عليه وسلم نبي الله في كتابهم واخذ
عليهم المواثيق والعهود بقوله لتبيننه للناس ولا تكتمونه وكذبوه وقيل ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله في قول اليهود لابرهيم عليه السلام وما ذكر من الانبياء كانوا هودا او نصارى
فيقول الله عز وجل لا تكتموا الشهادة ان كان عندكم علم بذلك وقد علم الله انهم كاذبون وقيل الاسباط
بنو يعقوب سموا اسباطا لانه ولد لكل رجل منهم امة وقوله وما الله بغافل عما تعملون خرج على الوعيد
اى لا تحسبوا انه غافل عما يعملون ويجوز ان يكون لم ينبئهم على غفلة مما يعملون بل على علم بما يعملون خلقهم
ليعلم ان ليس له في شيء من عمل الخلق له حاجة ليخلقهم على رجاء النفع له ولا قوة الا بالله خلقهم وهو
يعلم يعصونه وقوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الاية قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله
سيقول السفهاء من الناس هذا والله اعلم حيا وعدكان وعد عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحوله
الى الكعبة من بيت المقدس واخبار عما يقول له اليهود قبل ان يحول وقيل ان يقولوا له شيئا الا ترى
الى قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء انه لو لم يكن فيها وعد بتحويل القبلة من بيت المقدس
الى الكعبة لكان تقلب وجهه الى السماء بذلك تخيير منه وتحكم عليه وليس لاحد على الله التخيير
والتحكم عليه في الاحكام والشرائع ولان غيرها فدل انه على الوعد لهم ما فعل والله اعلم ثم فيه اثبات
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان اخبره على ما اخبر من التحويل الى الكعبة وذلك انهم لا يرون
نسخ الشرائع والاحكام لانه كالبدا والرجوع عنها وذلك فعل من يجهل عن عواقب الامور كبان بنى بناء
نقضه يجهل منه به لكنهم لكن ذلك منهم جهل بمعرفة النسخ وقدره ولو عرفوا ما النسخ ما نفوا ام
نسخ الشرائع والاحكام واما النسخ عندنا فهو بيان منتهى الحكم الى وقت ليس فيه بدا ولا النقض
لما مضى بل تجديد حكم في وقت بعد انقضاء حكم على بقاء الاولى لوقت كونه ليس على ما فهمت اليهود
من البدا والنقض لما مضى كالبناء الذي وصفوا وبالله التوفيق وان كانت الاية في غير اليهود من
اهل مكة على ما يقول بعض اهل التفسير فقالوا لما رجع محمد صلى الله عليه وسلم الى قبلته الاولى

يرجع الى ديننا قال الله عز وجل قل يا محمد لله المشرق والمغرب والامكنة كلها والنواحي يامر بالتوجه الى
اى ناحية شاء شرقا وغربا فالطاعة له في الايتمار لامره والقبول لدعائه لا للتوجه نحو المشرق ونحو
الغرب لهواهم وتمنيهم تمنوا لان اليهود جعلوا قبلتهم المغرب اتباعا لهواهم لا اتباعا لامر ربه
وكذلك النصارى اتخذوا المشرق قبلة لهوا انفسهم فاخبر الله تعالى على المؤمنين انهم يأتمرون بامر
الله حيثما امروا توجه نحوه وقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هذا على المعتزلة لانهم اخبر عز وجل
انه يهدي من يشاء ولا جائز ان يهدي وهو لا يهديهم يقولون شاء ان يهدي ولكن لا يهتدون فقوله
من يشاء على مشيئة الهداية ليست للكل على ما قالت المعتزلة ان هدايته بيان وذلك للجميع وفيه دليل
نسخ السنة بالكتاب لان القبلة الى بيت المقدس لم تكن مذكورة في الكتاب بل عملوا على سنة الاولين
الماضين وهذا على الشافعي لانه لا يرى نسخ السنة بالكتاب الا بعد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم به
فاذا عمل به صار سنة فهو نسخ السنة بالسنة لا نسخ السنة بالكتاب فهذا منه قبيح فاحش وفيه
نبذ الكتاب وهجره وقد نهينا عنه والتحكم على الله عز وجل لانه لم يجعل الكتاب من القدر ما يقع فيه الزجر على ما
كان عليه انما لو لا عمله صلى الله عليه وسلم فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الهدى ولكن لم نعرف
ما النسخ وما قدره ولو علم لما قال بمثله وهو عندنا ما ذكر من بيان منتهى الحكم الى وقته والله جل جلاله
نصب الاحكام والشرائع في كل وقت بين ذلك مرة بالكتاب وتارة على لسان المصطفى صلى الله عليه
وسلم وبالله التوفيق ولما جعل له صلى الله عليه وسلم ان يبين به نسخ الكتاب فيه تلك الشريعة فلذلك في
غير من لنا والله اعلم وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا وكذلك لا يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
على العطف على ما سبق من الخطاب وهو والله اعلم معطوف على قوله قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابرهيم الاية كانه قال كما وفقكم على الايمان بما ذكر وهداكم الاسلام كذلك جعلكم امة وسطا
يعني عدلا لتكونوا شهداء على الناس ثم اختلف في قوله على الناس قيل على معنى اللام اى للناس وهذا
جائز في اللغة شائع كقوله وما ذبح على النصب اى للنصب وقيل على معنى على ان تشهدوا على الامم للانبياء
على تبليغ الرسالة ويشهد الرسول لهم بالعدالة وفيه دليل قبول شهادة اهل الاسلام على اهل الكفر ورد
شهادتهم علينا لانه لو قبلت شهادتنا عليهم على التبليغ ثم شهدوا اولئك بانهم لم يبلغوا لكان فيه تناقض
فدل ان شهادتنا تقبل عليهم ولا تقبل شهادتهم علينا والله اعلم وقوله لتكونوا شهداء على الناس الذين ابوا
اجابة الرسل ويكون الرسول شهيدا عليكم ان تجحدوا الرسالة وذلك كقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا
الاية اضاف الله اليه جعلهم امة وسطا ثبت ان الله في فعل ذلك فعل بذكر منه والله اعلم وكذلك جعلناكم
امة وسطا قالوا وسطا العدل اخبر عز وجل انه جعل هذه الامة عدلا والعدل هو المستحق الشهادة والقبول
لها ففيه الدلالة على جعل هذا الاجماع حجة لانه وصفها بالعدالة وصيرها من اهل الشهادة فاذا اجتمعوا
على شيء وشهدوا به لزم قبول ذلك والحكم بما شهدوا والشهادة فيه انه من عند الله وضح لهم ذلك
والثاني قال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين اخبر ان فيهم صدقة يلزم اتباعهم والثالث ما قال عز وجل ومن
يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ولا يجوز الوعيد في مثله اذا لم يكن ذلك هو الحق عند الله والرابع قوله
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول امر عز وجل عند التنازع الى الرد الى كتاب الله والى سنة
رسوله صلى الله عليه وسلم فدل انه اذا لم يتنازع لم يجب الرد الى ما ذكر والله اعلم وقوله لتكونوا شهداء
على الناس وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يسأل الله تعالى يوم القيمة الامم عن تبليغ الانبياء
رسالة الله اليهم فينكرون ثم يأتي بهذه الامة يشهدون عليهم بالتبليغ فذلك قوله لتكونوا شهداء على
ويشهد الرسول عليهم يعني لهم بالعدالة والتزكية والله اعلم قال الشيخ رضي الله عنه وفي قوله لتكونوا
شهداء على الناس وجهان احدهما على الكفرة وفي ذلك دليل قبول شهادة المسلمين عليهم ورد شهادتهم
عليهم لما بينا من فيزول منفعة الشهادة عليهم والثاني ليكونوا من شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
شهودا على من يكون بعدهم وفي ذلك دليل نهي من تأخر الصحابة رضوان الله عليهم عن الخلاف لهم وكون
الرسل شهيدا عليكم اذا خالفتموه وعصيتموه وقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب فهذا والله اعلم لما كانوا في المتابعة على قسمين منهم من يتبع لما وافق هواه و
منهم من يتبعه لما علم انه الحق من عند الله فامتحنهم الله عز وجل ليتبين لهم ويقع علم ذلك عندهم من

المتبع له بهواه ومن المتبع له بامر الطاعة وقيل ايضا في قوله الا لنعلم من يتبع الرسول قيل ليعلم ما قد علم
انه يكون كاينا وليعلم ما قد علم انه يوجد وقيل انه يجوز ان يراد بالعلم المعلوم معناه والله اعلم الا ليكون
المتبع له والمنقلب على عقبيه ثم الاصل في هذا ونحوه من قوله حتى نعلم المجاهدين منكم انا لا نصف الله تعالى
بالعلم في الخلق على غير الحالة التي الخلق عليها لانا وصفناه بالعلم على غير الحال الذي عليها الخلق يؤدي
الى وصفه بالجهل لانه لا يجوز ان يقال نعلم من الساكن في حال السكون حركة او الساكن في حال الحركة
او نعلم من الجالس قياما او القائم جلوسا وكذلك لا يجوز ان يقال يعلم من العدم موجودا او من الموجود
معدوما في حال وجوده لانه وصف بعلم ما ليس وهو محال وبالله العصمة وقيل ان كل علم يذكر على حدوث
المعلوم يذكر بذكر الوقت للحدث لان لا يفهم بذكره قدم المعلوم في الازل واذا وصفنا الله بما هو حقيقة
بلا ذكر الخلق مع ذلك نصفه به في الازل لتعاليه على التغير والزوال وعن الانتقال من حال الى حال
ولا قوة الا بالله وقوله وان كانت لكبيرة يعني تحويل القبلة ثقيلة على من كان اتباعه لهواه دون امر ربه
الا على الذي يتبع امر الله فيها ويعتقد طاعته فانها ليست بثقيلة عليه ولا كبيرة وقوله وما كان
الله ليضيع ايمانكم قال بعض اهل التفسير ان قوما صلوا الى بيت المقدس ثم ماتوا على ذلك قبل تحويل
القبلة الى الكعبة قالوا اضاعت صلوتهم التي صلوا اليها اشفاقا عليهم لكن هذا بعيد لا يحتمل
لان الذي اعتقد الاسلام من الصحابة رضي الله عنهم وعرف موقع امر الله وامر رسوله لا يجوز
ان يخطر ببالهم هذا او يعلمون لو خطر ببالهم حتى يسئلوا عن ذلك بل كانوا اعلم بالله من ان يجد عدو
الله منهم ذلك ولانهم قوم يأمرون بامر الله وطاعته ويموتون على التصديق وعلموا انهم يؤمنون
ثم يشكرون في احوالهم لكن ان كان ثم سؤال فهو من اليهود الذين اعتقدوا بطلان التناسخ في الاحكام
والشرايع فكانوا يحتجون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر منهي عن التفريق والاختلاف ثم يدعوهم
الى ذلك او قوم من الكفرة اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وافرطوا في التكذيب له والخلاف والمعاندة
فارادوا الاسلام فظنوا ان ما كان منهم من العصيان والتكذيب يمنع قبول الاسلام فانزل الله عز وجل
وما كان الله ليضيع ايمانكم لما كان منكم في حال الكفر الا ترى ان اخر الاية دل عليه وقوله ان الله
بالناس لرؤف رحيم اخبر انه رحيم يتجاوز عمن تاب او قد علموا ان لا تناسخ في الدين ولا اختلاف فيه فظنوا
ان نسخ الاحكام وتبديلها يوجب اختلافا في الدين وتفرقا فيه فنقول ان الايمان في الاصل بالذي
لا يقع على اعتقاد الصلوة الى جهة دون جهة بل يقع على الايتمار فالايمان من الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين الذين ماتوا على اعتقاد الايتمار فهم مؤمنون باعتقاد الايتمار الى بيت المقدس مؤمنون
باعتقاد الايتمار الى الكعبة فلا يفرق ولا اختلاف في الايمان اذ في الاصل به وقع الاعتقاد للايتمار
وبالله التوفيق ثم وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم تاويله اي لا يضيع ايمانكم بالصلوة الى بيت المقدس
ولو كان على الصلوة فهو لوجهين احدهما انها قامت بالايمان فهو سبب لها وقد يذكر الشيء باسم سببه
والثاني ان اليهود عرفوه ايمانا فورد الخطاب على ما عندهم معروف كقوله فراغ الى الهتهم لا ان كان ثم الهة
لكن لما عندهم وكذلك قوله فتبارك الله احسن الخالقين لا ان كان ثم خالق سواه ولكن لما عرفوا كل
صانع خالقا فخرج الخطاب على ما عرفوهم فعل ذلك الاول والله اعلم وقوله قد نرى تقلب وجهك في السماء
قد ذكرنا انه يخرج على الوعد له وقوله قبلة ترضيها قال بعض المفسرين انه كان يقلب بصره الى السماء
لما كان ان يكون قبلته قبلة اليهود ولكن هذا بعيد لان مثل هذا لا يظن باحد من المسلمين فكيف
برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يقال كره كراهة الطبع والنفس واما كراهة الاختيار فلا يحتمل وقيل
انه كان حبب اليه الصلوة حتى لا يصبر عنها وقد نهى عن الصلوة الى بيت المقدس ولم يومر بعد بالتوجه الى
غيرها فكان تقلب وجهه الى السماء رجاء ان يؤمر بالتوجه الى غيرها او ان يقال قبلة ترضيها لانها
كانت قبلة الانبياء من قبل فلا شك انه كان يرضاها وهذا جائز في الكلام يقول الرجل لا جزاء عطك شيئا
ترضاه وان لم تظهر منه الكراهية في ذلك لا الرد وقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وقد ذكرنا القول
في القبلة والاختلاف فيه ما تقدم وقوله وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يحتمل قوله
انه الحق وجهين احدهما على ان تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة حق لكنهم يعاندون ويتبعون هواهم
ويحتمل ان على ما بين لهم في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم الرسول انه حق وما الله بغافل عما يعملون

وهو على

وهو على ما ذكرنا انه على الوعيد والتهديد والله اعلم وقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا
قبلتك الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ولا يتابعون محمدا صلى الله عليه وسلم في قبلته حيث لا ينبه عن
متابعتهم اياه لانها لو كانت في اهل كلهم لكان لهم الاحتجاج على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوى الكذب
عليه لان من اهل الكتاب من قد امن فدل انهم لم يفهموا من عموم اللفظ عموم المراد ولكن فهموا من عموم اللفظ
خصوصا وكان ظاهرا في اهل الاسلام واهل الكفر جميعا المعنى الذي وصفنا لك فظهر انه لا يجوز ان
يفهم من مخرج عموم اللفظ عموم المراد وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه متى موضع
الاخبار بلا باس عن الاتباع له ولا يوصل الى مثله الا بالوحي عن الله عز وجل وفيه ان كثرة الايات
وعظيها في نفسها لا يحجز المعاند عن اتباع هواه والاعتقاد لما يخالف هواه وقوله وما انت بتابع
قبلتهم فيه الوعد له بالعصمة في حادث الوقت وما يتلوه ويحتمل قوله وما انت بتابع قبلتهم
اي وما للشان تتابعهم في القبلة وهذا التاويل كانه اقرب لما خرج اخر الاية على الوعيد له بقوله ولئن
اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم الاية وقد ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهي ويحتمل ان يكون
الخطاب غيره وقوله الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم لان الاولاد انما توقف بلا علوم واسباب
تتقدم قبل ذلك معرفة الرسل عليهم السلام انما تكون بالدلائل والاعلام وقد كانت تلك الدلائل والاسباب
في رسول الله ظاهرة لكنهم تعاندوا وتناكروا وكتموا بعد معرفتهم به انه الحق دليله وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون والكتمان ابدا انما يكون بعد العلم بالشيء لان الجاهل بالشيء لا يوصف بالكتمان
وروي عن عبد الله بن سلام انه قال اعرفه اكثر مما اعرف ولدي لاني لا ادري ما احدث النساء
بعدي وفيه الدلالة ان نعته وصفته كانت غير مغيرة يومئذ وانما غيره بعد حيث اخبر عنهم انهم
كتموا ذلك قبل لا يعلمون لا يؤمنون وهو على ما بيناه من نفي بذهاب نفعه وجائز ان يكونوا عرفوه
بما وجدوه بنعته في كتبهم كما قال الله عز وجل الرسول النبي الامي الذي يجدونه الاية وقوله فلا تكونن من
الممترين يحتمل ان يكون الخطاب له والمراد غيره ويحتمل هو وان كان يعلم انه لا يمتري لما ذكرنا في غير موضع
ان العصمة لا تمنع النهي عن الشيء وقوله ولكل وجهة هو موليها قيل فيه بوجوه قيل هو موليها يعني
الله موليها ويحق لها وقيل هو يعني المصلي هو موليها وقيل ولى اقبل وادبر هو موليها هو مستقبلها
ويقال في قوله ولكل وجهة هو موليها لكل ملة من المسلمين قبلكم جعلت قبلتها الكعبة وقوله فاستبقوا
الخيرات قيل فيه بوجوه قيل بادروا لان اسم السبق لغة بالخيرات والطاعات وقيل استبقوا هو
اسم الازدحام يقول تبادر بعضكم بعضا بالخيرات ويحتمل اي استبقوا في امر القبلة والتوجه اليها
عن كثير من الكفرة والله اعلم ورسوله وقوله اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا قيل اينما كنتم يقبض الله
ارواحكم من البقاع البعيدة والامكنة الخفية وقيل اينما تكونوا اي في اي حال كنتم عظاما ناخرة
او بالية او رفاتا يجمعكم الله ويحييكم ولا يبعد عليه ذلك وهو كقوله اذا كنا عظاما ورفاتا
انا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة اخبر ان شدة الحال عندكم لا يبعد عليه ولا يشتد من الاحياء
والاماتة وقوله ان الله على كل شيء قدير من جميع ما ذكرنا من الاشياء المتفرقة واحياء العظام البالية
وقوله ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام تقول والله اعلم حيث ما كنت من المدائن والبلدان و
فول وجهك شطر المسجد الحرام شطره تلقاه ونحوه وجهه وهذا يبطل قول من يقول ان الحرم قبلة لمن
ناى عن البيت وبعد من اهل الافاق حيث بينه صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى شطر المسجد الحرام حيث
ما كانت من البلدان وبالله العصمة والتوفيق قال الشيخ رحمه الله ذكر المسجد ومعناه موضعا منه
عرف ذلك بالتحصن عنه من البقاع البعيدة والامكنة الخفية لا بالنظر ولا ذكر وصل البيان به
وقوله وانه للحق من ربك قيل وانه تحويل القبلة هو الحق من ربك وقيل وانه يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم هو الحق من ربك ويحتمل انه يعني القران هو الحق من ربك وقوله ومن حيث خرجت على ما ذكرنا
وقوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خاطب الكل وامرهم بالتوجه اليه حيثما كانوا لا
يكون هو المخصوص به دونهم له وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة تاويل هذا الكلام والله اعلم
انه لما اختار اليهود ناحية المغرب قبلة والنصارى ناحية المشرق بهواهم فانزل الله عز وجل والله

والله المشرق والمغرب الاية يهدي من يشاء وقال فاينما تولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله فيطمع عدا
وحجاجهم لما بين في كتب لهم انه يحولهم وذلك معنى قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ثم اختلف في قوله
للناس عليكم حجة ثم اختلف في قوله للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا وقيل لئلا يكون للناس يعني اهل
اهل الكتاب عليكم حجة فيقولوا ليس هذا الوصف في كتبهم انه يصلي الى بيت المقدس وقتا ثم يتحول
الى الكعبة الا الذين ظلموا منهم يقول الا من ظلم منهم عليكم في الكلام بلا حجة ولا دليل ومثل هذا جايز
في الكلام يقول الآخر ليس لك علي حجة الا ان تظلمني بلا حجة وقال الفراء هذا كما يقول الرجل لآخر
الناس لك حامدون الا الظالم المتعدي عليك صواب في المعنى خطاء في العربية وذكر بيتا يدل
على الجواز وما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروان يعني ولا دار مروان وقيل ايضا
الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم على القطع من الاول والابتداء بهذا اي لا تخشوا الذين قالوا في الضرر
لكم ولكن اخشوني في ترككم اياها وان يقال لا تخشوهم بالقتال والغلبة فذلك لهم منة امن عن
الاعداء وعلى هذا يخرج قوله ولاتم نعمتي عليكم يعني لا من امن من الاعداء او اراد بالنعمة كل نعمة
من الاسلام والنصر وغيره ولعلكم تهتدون القبلة وتهتدون الارشاد والصواب وقوله
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم كما حرف لا يبيح ذكره الا على تقدم كلام اذ هو حرف عطف ونسق والله
الله كما ارسلنا اليكم رسولا وانعم عليكم بمعرفة وحدانيته وبمعرفة محاجة الكفرة وانعم عليكم باكرام
اياكم محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك يجب عليكم ان تذكروه وتشكروا له ويحتمل على التقديم والتاخير
على ما قاله اهل التفسير كانه قال فاذكروني كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وذلك في القرآن كثير قال الفراء يحتمل
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اذكركم فيكون فيه جواب لذلك جزم وهذا كقول الرجل كما احسنت فاحسن
وقوله ويعلمكم الكتاب وهو القرآن والحكمة قيل فيه بوجوه قيل الحكمة الفقه وقيل الحكمة الحلال والحرام
وقيل الحكمة المواضع وقيل الحكمة هي الاصابة ومنه سمي الحكيم حكيما لانه مصيب وقال الحسن الكتاب والحكمة
واحد وهو على التكرار كقوله تلك آيات القرآن وكتاب مبين وهو واحد وقوله ويزكيكم قال ابن عباس رضي الله
عنه يأخذ زكوة اموالكم فيه زكوتهم وقيل يزكيهم يدعوهم الى ما به زكوة انفسهم وصلاحها وهو
التوحيد وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون كالتوحيد والشرايع والمحاجة
مع الكفرة وما اكرمهم محمد صلى الله عليه وسلم وما انعم عليهم من انواع النعم وقوله رسولا منكم خاطب
العرب وذكرهم بما انعم عليهم من بعث الرسول فيهم ومنهم وانزال الكتاب بلسانهم وهم كانوا يتمنون
ذلك كقولهم او يقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فمن عليهم بذلك وبه استوجبوا
الفضيلة على غيرهم وكفى بهم فضلا وقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير الاية وقوله
فاذكروني قيل بالطاعة في الدنيا اذكركم في الآخرة بالتجاوز عن سيئاتكم وقيل اذكروني في النعمة
اذكركم في الضيق والشدة وقيل اذكروني في الخلوات اذكركم في ملاء الناس واذكركم في ملاء من
الملائكة ويحتمل اذكروني بالشكر بما انعمت عليكم اذكركم بالزيادة عليها والله اعلم وقوله واشكروا لي
ولا تكفرون اي وجهوا شكر نعمتي الي ولا تشكروا غيري ويحتمل اشكروا لي اي وجهوا العبادة الي
ولا تعبدوا غيري والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة الاية قد ذكرنا تاويل
هذه الاية فيما تقدم وقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء قيل فيه بوجوه قيل ان
العرب كانت تعرف الموتى من انقطاع ذكره اذ لم يبق له احد يذكر به نحو الولد وغيره فيقولون عند
موت هؤلاء ان ذكرهم قد انقطع فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم انهم مذكورون في ملاء الملائكة
وقال الحسن ان ارواح المؤمنين تعرض على الجنان وتعرض الارواح الكفرة على النيران فيكون لارواح الشهداء
افضل لذة ما لا يكون لغيرهم من الارواح ويكون لارواح آل فرعون فضل الم يعرضها على النار ما لا
يكون لغيرهم من الكفرة ذلك فاستوجبوا اسم الحياة بفضل لذة ما يجدون من اللذة على غيرهم اخبر عز وجل
ان ارواحهم في الغيب تتلذذ مثل تلذذهم على ما كانوا عليه في الاجساد في دنياهم هذه وقيل ان الشهيد
حي عند ربه كما عرف في اللغة ان الشهيد هو الحاضر اخبر عز وجل انهم حضور عند ربهم وان غابوا عنكم
وقيل ان الحياة والموت على ضروب فمنها الحيوة الطبيعي والحيوة العرضي فالحيوة العرضي هو اليقظة
وهو الحيوة بالدين كقوله او من كان ميتا فاحييناه وكقوله في الحيوة بالعلم انه ميت بالجهل والحيوة

الطبيعي

الطبيعي هو الذي به قوام النفس والموت الطبيعي هو الذي به فوات النفس والشهادة هو الذي به اكتساب
الحيوة في الآخرة سمي به حيا والله اعلم ويحتمل قوله ولا تقولوا اموات لما ينزل بعضكم عن الموت ولكن قولوا احياء
ليرغب انفسكم في الجهاد اذ هو يزيد الحيوة الدنيا والذين معا يحتمل ان يكون الله بفضله يجعل لهم ما كان لهم لو كانوا
احياء يعملون فكانهم احياء فيما جعلت لهم حيوة الدنيا والله اعلم وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وما
ذكر فيه تذكير من الله عز وجل الخلق لئلا يجزعوا على ما يصيبهم من انواع ما ذكر من المصايب وفي كل نوع من ذلك
ايضا اضمار شيء من نحو قوله وشيء من الخوف وشيء من الجوع والله اعلم لان الله عز وجل اخبر في غير اي من القرآن انه
خلقهم للموت والفناء وان ما اعطاهم من الدنيا والزينة فيها كله للفناء والفوات بقوله خلق الموت
والحيوة ليبلوكم ايكم الاية وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها الى قوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا اخبر ان الدنيا وزينتها للفناء فمن عرف ان ذلك كله دون ما ذكر وليعلموا ان ما اعطاهم من الحيوة
والصحة والسلامة لم يكن اعطاهم تخولهم بل الافضال والاحسان وقد جعل ذلك المدة لا لانه يدفعها
في غير تلك المدة لغيرهم لا لهم فعرفوا به منته لو ثبت وحقه وقت الاخذ ثم يحتمل ما ذكر من الخوف وجهين
على وجهة العبادة من نحو الامر بمجاهدة العدو والقتال معه ويحتمل لا على جهة العبادة وكذلك الجوع
يحتمل الجوع الذي فيه عبادة وهو الصوم ويحتمل ما يصيبهم من المجاعة في القحط ما اصاب اهل مكة سنين
وكذلك قوله ونقص من الاموال يمتحنهم باداء الزكوة والصدقة ويحتمل الهلاك بنفسها وكذلك الانفس
يحتمل التصرف على الوجهين اللذين ذكرناهما وكذلك الثمرات ثم لا يحتمل خصوص الامتحان بما ذكر دون غيره لانهم
كلهم عبيد له ان يمتحنهم باجمعهم بجميع انواع المحن لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه لما عرفهم ان كل ذلك انما خلق
للفناء فالبعض منه كذلك ليخف ذلك عليهم والله اعلم ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبشر الذين صبروا على
المصايب التي امتحنهم بها عز وجل ولم يجزعوا عليها وقالوا انا لله وانا اليه راجعون فيه الاقرار بوحدانيته
عز وجل والبعث بعد الموت وقيل ان هذا الحرف خص به هذه الامة دون غيرها من الامم لانه لم يذكر هذا
الحرف عن الامم السالفة الا ترى ان يعقوب عليه السلام على كثرة ما اصابه من المحن والمصايب والحزن
على يوسف لم يذكر هذا الحرف عنه ولكن قال يا اسفى على يوسف ولو كان لهم هذا لظهر منهم على ما ظهر عنه
فدل انه مخصوص لهذه الامة والله اعلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال من استرجع جبر الله
مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضى به ثم الصبر هو حبس النفس على الجزع على ما يفوت اذ هو
كل الله عز وجل مستعار عند الخلق والجزع على فوت ما لغيره محال الا ترى الى قوله عز وجل لكيلا تاسوا على ما
فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم نهانا ان نحزن على ما يفوت عنا اذ هو في الحقيقة ليس لنا وان نفرح بما اتانا اذ هو في
الحقيقة لغيرنا والله الموفق وقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم قيل الصلوة من الله عز وجل يحتمل
وجوها يحتمل الرحمة والمغفرة ويحتمل الصلوة منه مباهاة الملائكة جوابا لهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها كيف قلتم هذا وفيهم من يقول كذا وقيل الصلوة منه الثناء عليهم اي كرامة تبلغ كرامة ثناء الله عليهم
وقوله ورحمة قال بعضهم الرحمة والصلوة واحد وهو على التكرار وقيل الرحمة النعمة وهي الجنة وقوله واولئك
هم المهتدون شهد الله عز وجل بالاهتداء لمن فوض امره الى الله ويسلم لقضائه وتقديره السابق وهو كاين
لا محالة لقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها قال الشيخ رحمه الله
وقوله لنبلونكم بشيء من الخوف نبلوهم بالذي كان به عالما ليكون به ما علمه يكون بالامر والنهي يحق المحنة وهو
كما يستخبر عما هو خبير بما كانت المحنة في الشاهد لاستخراج الخفيات يكون بالامر والنهي فاستعمل في الامر
والنهي وان كان لا يخفى عليه شيء بل هو كما قال عالم الغيب والشهادة ثم له جعل الغيب شاهدا فخرجت به
المحنة ليعلم ما قد علمه غايبا شاهدا اذ هو موصوف بذلك في الازل وبالله التوفيق ثم كان العبد
بجميع ما هو له من السعة والسلامة فهو لله في الحقيقة لكنه بفضله وكرمه يعامل عبيده معاملة
من ليس له ما كان يطلب منه ويامره فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية وقال
اقرضوا الله قرضا حسنا الاية ليكون ذلك اطيب لانفسهم وارغب لهم في البذل لما طلب منهم وان كان له
اخذ ذلك منهم بلا شيء يعدهم عليه فعلى ذلك قال عز وجل لنبلونكم بالذي ذكر بدلهم على ان ذلك منه
فيعلموا انه فيما كان وعد الاشتراء منهم وطلب منهم البدل بجزيل العوض لهم فيخف ذلك عليهم ويطيب
انفسهم او ان يكون يذكرهم او لانه يبتليهم بالذي ذكر ليطيبوا انفسهم ولا يتكلفوا ذلك من قلوبهم

يتحيرون عند الابتلاء بذلك وكذا كل خارق للطبع اذا كان عن رياضة اياه واشعاره به قبل النزول كان
ذلك ايسر عليه من ان يأتيه وذلك من حيث لم يعلم به مما كان في ذلك خطر بالقلوب بنسبة مثله الى الخلق
والتشام بهم فقدم الله في ذلك البيان ليعلموا ان ذلك بالذي جرى به الموعد وذلك كقوله ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية فبين ان ذلك مكتوب عليهم ليطيب الانفس ونطمئن القلوب
عليه الاصل في هذا ان جميع ما ذكر ابتلوى به في تحقيق ليس بحق للعبد بل هو امتنان من الله وافضال
منه وانه لم ينشئه ولا احياه نشوء الابدية وحياة السرمدية فعل ذلك جميع ما انعم عليه واذا سكن
العبد على هذا الذي جبل عليه امر نفسه وما ملك عليه سهل عليه ذهابه وطابت به نفسه مما يعلم
انه انعم عليه لوقت ثم هو نعم ولغيره فيكون المأخوذ منه في الحقيقة لغيره وان كان الله عز وجل
ذكر في الابتداء والمصائب فهو على ما اخبرت من كرمه فيما يعامل عبيده عز وجل ولا قوة الا بالله وقوله
بشيء من الخوف والجوع فهو على اضمار الشيء في كل حرف اذ هو بحق العطف على ما تقدم فكانه قال بشيء من
الخوف وبشيء من الجوع ولا قوة الا بالله ثم يتوجه ما اخبر من البلوى الى وجهين احدهما ان يبلوه
بعباده فيها ما ذكر والثاني ان يبلوه بالذي لا على عباده يدفع اليه وذلك ان يبلوه بالجهاد وفيه
الخوف او يبلوه بانواع اوصاب تحل به فيخاف عند ذلك على نفسه والجوع ان يبلوه بالصيام الذي
فيه ذلك او بقلة الاتراب وعلو الاسعار ونقص من الاموال بكون في الجهاد والحج والزكوات والمؤن
المجعولة في الاموال ويكون في الخسران في التجارات وما يلحق انواع المكاسب من الجوائح والانفس
يكون بالجهاد ومحاربة الاعداء ويكون بانواع الامراض والثمرات يرجع الى قلة الانزال وقصور الايدي
عما به ينال ومفارقة الاوطان للجهاد والحج ونحو ذلك مما فيه ثم الله سبحانه اخبر انه يبلوهم بشيء مما
ذكرنا لا بالكل دل انه عز وجل لم يقطع عليهم كل المخارج بل جعل لهم في كل نوع من ذلك مسلكا وان كان
في ذلك نقصا وضررا وجائز بلوغ ذلك تمام ما في كل نوع لكنه بلطفه قرب اليهم فيما خوفهم وجه
الرجاء وعلى ذلك جميع افعال ذي المحن انها مقرونة بالخوف والرجاء وكذلك هم في انفسهم ولا قوة
الا بالله ثم ان الله دلهم على ما عليهم من الحق فيما اخبر انه يبلوهم به بحرف البشارة والوعد الجزيل
الذي يسهل بمثله البذل لمن لا حق له فكيف ومن له كلية ذلك فقال الله تعالى وبشر الصابرين فقال
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون هدى الله عبده على الاعتماد بحرف التوحيد عند
المصيبة اذ جعل التوحيد داخلا في ذلك الحرف وفيه التبري من ان يكون له في حكم او راي وبذل النفس له
ليحكم فيها بما يشاء **وقوله** انا لله كانه قال انا لنا فيما ليس لنا حكم ولا تدبير وانما يكون الحكم في كل ملك لمن
يملكه وبمثله هذا يقدر على كف الانفس عن الجزع وحملها على ما يكره **وقوله** وانا اليه راجعون فكانه اذ اليه
مرجعنا لا فرق ان ترجع المعجلة او بالتفاريق بل في التفريق علينا الابتلاء وفضل القبول منا البعض
دون البعض الكل وفي ذلك تذكير النفس عاقبتها ليكون كمن تقدم بنشاء مما به قوامه الى مكان قراره وقد
انتهى الخبر بالبلوغ فمعلوم ان ذلك اطيب لنفسه واسكن بقلبه من ان يكون جميع ذلك معه بالله التوفيق
وجملة ذلك ان هذه الدنيا ان شئت لا بها ولكن ليكتسب بها الاخرة وجعل كل شيء منها ذا بلوغ فانيا
ليستال به الدائم الباقي فهذا الان حق كل فيما يصيبه الذي الذي انشئ وما له ليس فيعلم انه بلغ في تجارته
غايتها من الربح وانه باع الشيء الفاني بالباقي مما كان كل شيء مأوف بآفات الفناء والهلاك فابدله
المأوف بالذي لا آفة فيه فيجب في التدبير ان لا يعد مصيبة بل هو على التزود والدفع الربح لكن البشر
جعل على طباع نافرة عن كل الام جاهل بالعواقب التي لعلها يرغب فيها كل احد لا ان ينفر عنها وانه المستعان
فان قال قائل هذا الاسترجاع خص به هذه الامة اذ قال يعقوب يا اسفى على يوسف الاية والله اعلم
ان كان فهو موضع التلقين والتعليم ان قولوا ذلك لو ان هذا المعنى مما يحتمل ان يكون يعقوب
لا يحققه بل حققه بقوله فصبر جميل الاية وقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وهو مع ذلك قد
كان بالخبر يوسف وبما اوحى اليه انه كان قد علم انه لم يهلك بعد ولم يوجد منه الى حيث يرجع هو
اليه من البعث بعد الموت ولا قوة الا بالله ثم بين الله عز وجل ما يكرمهم اذ فيه الحكمة ويدنوا الفضائل
مما دل عليه ايضا بقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله الاية فقال اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال في موضع اخر انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب

نكان من فضله ان سمى ما وعدهم على الصبر اجرا ومعلوم ان لو كان ذلك حقا لله عليهم بالسابق من نعمه مع عظم
منته لكنه سمى افضل به اجرا له مما كان العبد يعمل لنفسه ولا يحتمل ان يستحق به الاجر لولا الانعام منه
جل ثناؤه بهم وعد له في حال فعله بخصال ثلث احدها ان عليه صلوته وصلوته يحتمل مباهاته الملائكة تعظيما
لما بذل عبده له وخضع لحكمه عليه وهوان قالوا ونحن نسبح بحمدك الاية فيخبرهم ان هذا قد سبح حقه المصيبة
وخضع لحكمه بالاسترجاع ويحتمل مغفرته والجابا للثواب الجزيل له بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
لمغفرة من الله ورحمة الاية وقوله يرزقون فرحين لما اتاهم الله من فضله وقوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم
الى ما ذكر من الافضال والله الموفق ويحتمل ثناؤه وذكرهم في اخبار عباده كقوله ولا تقولوا لمن يقتل في
سبيل الله الاية وقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية مما يرجى له من زيادة الهدى في
الدنيا بقوله والذين جاهدوا فينا الاية وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والرحمة قد يرجع الى النعم
اكرمته بذلك الاسترجاع ويحتمل النعمة او رحمة يبعثهما في قلوب العباد حتى يحبونه بها او خلف نعطيه في
الدنيا ثم شهد الله لهم بالهداية وذلك يحتمل ان يكون اهتدوا للدينه ولما من عليهم في المصيبة من التسليم
لله ويحتمل الاهتداء الطريق الجنة على نبيه انه وعد للشهداء ولا قوة الا بالله **وقوله** ومن يؤمن بالله يهد
قلبه للاسترجاع وقد روى عن نبي الله انه قال لم يعط الاسترجاع من كان قبلكم فهو على بينا من القول به
واما حق التسليم فقد كان في توقيت وقت الصبر ثم روى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر عند
الصدمة اولى وقد روي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مصيبة
وان طال عهدها فيجدد لها العبد بالاسترجاع الا جدد الله ثوابها كلما استرجع فلعل هذا لمن احسن القبول
وقت المصيبة او رجع عما كان فرط منه وتاب فالاول في غير ذلك والله الموفق ثم في الاية وجوه من
المعتبر احدها ما يلزم العبد من المصائب وما يستوجبه اذا وفي بما عليه والثاني في ذلك بيان ان النعمة
والامن وحفظ القدر لاحد ليس لازم في الحكمة لكنها انعام من الله وله الابتلاء باخذه اذ لو كان عليه
لم يكن يلزمه الشكر في ذلك والله الموفق والثالث ان الله تعالى ذكر انه بلاء العباد بالذي ذكر ومعلوم ان
ذلك يجري على ايدي العباد بهم فاضاف ذلك الى نفسه ثبت ان له في ذلك تدبيرا حتى يبلوهم به والله اعلم وفيه
ان الله تعالى قال نبلوكم بكذا ولم يكن كان يومئذ ثم كان ذلك وكذلك قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
يأتكم الاية ثم بلوا بذلك ليعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بالله وتبين ايضا انه بموضع ذة
البشارة بما يعظم على الخلق ويقتضي المراد في الطبع لم يحتمل ان يخبرهم لولا الامر به وطاعة الله في ذلك وايضا
انه ذكر الخوف فيعلم ان الخوف من الخلق لا يوهن الاعتقاد وكذلك قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
فعل ذلك الرجاء والطمع وجملته ان امر الدنيا محمول كله على اسباب لا انها توجب ولكن الله تعالى اجرى احكامه
عليها فيكون الخوف والرجاء في التحقيق من الله تعالى ان يكون جعل ذلك سببا والله الموفق وايضا ان جميع
المصائب في الدنيا ليست كلها عقيبا لاثام بل الله تعالى الابتلاء بالحسنات والسيئات ايضا لا يدل على وهن عقد
المصاب ولا ذلة بها وعلى ذلك امتحان الانبياء والرسل عليهم السلام ولكن على وجهين احدهما ان يكون الله يريد
محي ولينه لذاتها الدنيا لينالها مرغبة في الاخرة والثاني ان يكون لهم بعد ذلات لا يسلم عنها البشر فيبتلوا
فيبعثوا يوم القيمة ولا ذلة بقيت مما يجزيهم تلك ولا قوة الا بالله وانما كذلك جعلت المحنة حال دل **وقوله**
ان الصفا والمروة من شعائر الله ان عصوهما من اللازم في نسكه وكذلك صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصفا وقال يبدأ بما بدأ الله وقد قال الله تبارك وتعالى لا جناح عليه ان يطوف بهما الاية ولم يقل بينهما فمن
يصعد الصفا والمروة فلم يطف بهما مما قال الله تعالى لا تحلوا شعائر الله وفي ترك صعودهما احلال شعائر الله
اذ قد بين الله انهما من شعائره وما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بينهما على ناقته ومعلوم
ان ناقته لا يصعدهما فهو عندنا للعذر فعل ذلك دلالة فانه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صعدها
واستقبل البيت وقال نبدأ بما بدأ الله دليل ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه طاف بينهما
على ناقته وبالبيت لعذر به ولا يحتمل ايضا ان يكون بغير عذر وهو المغلب بالسعي لما فيه من فعل السعي والا
لا يسعى وقال الشافعي روى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وبين الصفا
والمروة على ناقته ليرى الناس وقال خبر جابر اولى من خبر ابن جبير فكانه وقع عنده انه عن ابن جبير وذلك
عن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه وهو اولى لان العذر كان من لا يعرف بالنظر من بعد وانما يعرف

بالقامل او بالمخبر من بعد ذو العذر وعلى هذا خرج خبر ابن عباس رضي الله عنهما على ان خبر جابر لو صح على ما روى
فهو لما ذكرنا انه يرى الناس فكانه اراد ان يعلمهم وذلك عذر له صلى الله عليه وسلم اذ خرج مخرج التبليغ و
ذلك كالتعليم عليه لازم فهو بتركه يلزم عليه فذلك عذر والثاني انه يجوز ان يكون فعله ذلك ليس
هو فعل ما كان عليه اذ قد ذكر الذي كان عليه انه كيف يفعله فكان ذلك لمكان الدلالة للخلق بذلك
هو الامر المتواتر من صنيع الحج والعمرة ان الاولاد لا يفعلون ما يفعل الحاج لا على فعل الحج ولكن على التعليم فعل
ذلك انه المروى عنه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
اى اشباها في التسمية او اعدا لا في العبادة او شركاء في الحقوق بقوله هذا لله بزعمهم الاية يسفههم
بما عبد واما قد صنعوه بالصناعة او النحت وزينوا بانواع الزينة واعرضوا بذلك عن عبادة من عرفوه
بشهادة جميع العالم بهم وعلموا انه لا يملك شيئا مما عبدوه ضرا ولا نفعا بل لو كان يجوز العبادة لغير
الله لكان اولئك الذين اتخذوا او من المتخذين ثم بين عظم سفههم عليهم بجهلهم بعبادتهم وعجزها
عن الدفع عنها ثم قاموا بنصرها والدفع عنها سفها بغير علم يحبونهم كحب الله يتوجه وجهين اى
كحبهم الله لما ادعوا انهم بذلك يتقربون الى الله ويكون حب المؤمنين الله معناه يحبونهم عبادتهم
كما يحب المؤمن عبادة الله والذين امنوا اشد حبا لله اى العبادة منهم لعبادة الاوثان من حيث
لا يوثر المؤمن على عبادة الله اعنى في اختيار لا فيما يوجد ظاهر الاحوال في الدارين جميعا وهم
يتركون عبادة الاوثان بوجوه مما يعجب منها او باد في شيء من متاع الدنيا بعد فان الحب يخرج
على الثناء وعلى العبادة والطاعة وعلى التبجيل والتعظيم وقد يخرج على ميل القلوب نحب الكفرة
منها وهو حب الجسد الى ما الذي يتولده الشهوة او يستحسنه النفس وحب الله من المؤمنين
من هذين الوجهين بل هو من الوجوه التي ذكرنا وقد كان حب الهيبة والرغبة اذ علموا النعم كلها
من الله تعالى وعلموا ان السلطان والعز لله ولا احد ينال شيئا من ذلك الا بالله فاوجب ما عنده
من النعم الرغبة وما له من السلطان الهيبة فذلك طريق حب المؤمنين مع ما ظهر من اياديه التي
لا تحصى وافضاله التي لا تحاط والعلم بهما موجبا تعظيم الامور والمبادرة بالقيام بها مع الاداء
المطهرة تعاليه عن تقدير العقول وتصوير الاوهام فيكون في الحقيقة في تعظيم انواره وحسن صحبة نعمه ومعرفة
حقوقه لا في توهم ذاته واشعار القلب ما يعقله ليرجع المحبة الى ذلك بل هو فيما ذكرت ولذلك امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وهو ان من احسن محبة الجار
والرفعة عظم رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم وانقيادا لما يدعوه اليه وان كان في ذلك هلاكه
وتعظيما لامره وتبجيلا فكيف فيما نجاته وفوزه في الدارين والله الموفق وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم
يتوجه وجهين احدهما الاذن في الاكل ما تستطيبه النفس وتتلذذ لتكون ارضى واشكر لله فيما انعم عليه
ويكون على ارادة الحلال بقوله الطيبات فيكون في الاية دليل كون المرزوق حلالا لاوجها اذ قيل من
ذا لم يعقل كلوا اذا ولو كان كلوا الرزق حلالا لكان يقول كلوا مما رزقناكم والله اعلم انه من حق المحنة المتكفر
مما يحرم ويحل مما ترغب لديه النفس وتزهد فيها برجيع ذلك كله في الحلال الرزق ليكون من الامر في المحنة
ذلك حق المحنة والله الموفق وقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فمحتمل غير باغ على الكله ولا عاد على حد
الله ادحرمه عليه في عرجال الاضطرار وتفسير باغيا في الاكل عاديا عادا بالحل عدا الله ويحتمل ان يكون غير باغ ولا عاد
تفسيرا لقوله فمن اضطر كقوله محصنات غير مسافحات الاية ويحتمل غير باغ ولا عاد في مجاوزته في الاكل الحد
المحمول من اقامة المهجة ورفع الضرورة فاكل بشهوة والحاجة الجوع خاصة ويحتمل غير باغ على المسلمين ولا عاد
عليهم لكون تصريح النهي عن الانتفاع بالشيء حرمة حكمها صاحبها هتك لحرمتها كان مباحا له كما روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا صلوة للمراة الناشزة ولا للعبد الابق وذلك نهي عن الاباق والنشوز لا
فتله لو كان نهيا فكيف ولا نهي ولكن ذكرنا كاهة على صفة لم يذكر الحل والتحريم في الابتداء مع تلك الصفة
وجعله ان بقيه لا يحرم ما قد احل بالجوع بالاتفاق فكذلك ما احل بالسبب دليل ذلك امرا الكفرة و
سائر الفسقة اذا لم يحرم عليهم شيء من ذلك والثاني النهي عن قتله وقوله ان الصفا والمروة من شعائر الله
فيه دلالة ان الصعود على الصفا والمروة من شعائر الله لا الطواف بينهما خاصة على ما قاله قوم ثم قوله
قوله لا جناح عليه ان يطوف بهما ولم يقل ان يطوف بينهما ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الله قال

انه قال نبدا بما بدا الله ثم صعد الصفا فان عورض بما روي انه طاف بينهما على ناقته ولم يصعد قيل له يحتمل
انه لم يصعد لما كانت الناقة لا تقدر الارتفاع بهما ولا الصعود وكان به عذر فنزل الصعود للعذر وقد يباح
الاشياء في حال العذر ما لا يباح في غير تلك الحال ثم اختلف في الطواف بينهما بعد ما قيل ان الجناح فيه
لوجهين احدهما ما قيل كان بالصفا صنم وبالمروة صنم فتحرجوا لمكانهما وقيل كان بينهما اصنام لذلك كانت
تحرجهم ثم قال الشافعي ان السعي بينهما فرض حتى لو ترك الحاج خطوة منه وانى اقصى بلاد المسلمين امر بالعود
ليصنع قويه موضعها ويحطوتلك الخطوة واحتج بما روت صفية بنت داود انها سمعت امراة سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ان الله كتب عليكم السعي بين الصفا والمروة فاسعوا وهو بالى مرة
قول المراسيل لوهم الغلط ومرة يحتج بامراة لا يعرف ولا يذكر اسمها والوجه فيه ان ثبت وصح ان الكتاب
يحتمل غير ما قاله وهو ان يقال كتب اى حكم كقوله في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين في كتاب الله عليكم قيل به
حكم الله عليكم وقال اخرون ليس بفرض ولا لازم واحتجوا بما ذكر في حرف ابي لا جناح عليه ان لا يطوف بهما
ولا يذكر ذلك في شيء واجب والثاني ان هذه اللفظة لفظة رخصة ولا يرخص بترك ما فرض او لازم ثم
الجواب عن الحرف الاول ان الذات وعما تزاد وما تنقص ولا يوجب زيادتها ولا نقصانها تغير حكمها كقوله
يبين الله لكم ان تضلوا اى لا تضلوا ومثل هذا ومثل هذا كثير في القران والثاني ما ذكرنا ان المسلمين
كانوا يتحرجون عن الطواف بينهما لمكان الاصنام فبين عز وجل ان لا حرج عليهم عليهم في ذلك لا انه ليس
الجناح يدفع الحرج في تركه واما عندنا فهو لازم لانه نوع ما لا يتبرع به والاصل عندنا انما لا يتبرع به
يخرج الامر به مخرج الوجوب واللزوم كالطواف وسجود التلاوة وكالوتر والاضحية وغيره وقد روي عن
عائشة رضي الله عنها انها قالت ما تم حج امرئ قط الا بالسعي فهو وصف بالنقصان لا وصف بالفساد
فرق بين التمام من النقص وبين الجواز من الفساد وقوله فان الله شاكر عليم عامل الله عز وجل بكرمه ولطفه
عبادة معاملة من لا حق له في اموالهم وانفسهم حيث وعد قبول اليسير من العمل والاعطاء الجزيل من الثواب
وحيث طلب منهم الاقراض ووعد لهم العظيم من الجزاء لمن لا حق له فيها بقوله واقرضوا الله قرضا حسنا
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا وحيث خرج القول منه في الابتلاء و
الامتحان مخرج الاعتذار لهم كان لا حق له فيه بقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف الاية ثم بشرهم بالجنة
على ما له اخذه وذلك من غاية اللطف والكرم قيل شاكرا اى يجزيهم جزاء الخطير بعمل اليسير وقيل يقبل
القليل ويعطي الجزيل وهو واحد وقوله ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات قيل البينات هي
الحجج اى كتموا ما انزل الله من الحجج التي كانت في كتبهم وقيل كتموا ما بين في كتبهم من نعت محمد صلى الله
عليه وسلم وصفته وجائز ان يكون البينات ما بين للخلق مما عليهم ان ياتوا ويتقوا من الاحكام من
الحلال والحرام وقوله والهدى قيل الثواب والرشد وقيل الهدى ما جاءت به انبياؤهم من شان
محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل وقوله من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب اختلف في الناس قيل هم اليهود كتموا بعد ما بين لهم وقيل بينا للمؤمنين ما كتمهم
اليهود من نعته ودينه ويحتمل البيان بالحجج والبراهين ويحتمل البيان بالخبر اخبر المؤمنين بذلك وقوله
اولئك يلعنهم الله قال بعض اهل الكلام اللعن هو الشتم من الله تعالى لكنا لا نستحسن اضافة لفظ الشتم
اليه لان المضاف اليه الشتم يكون مذموما به في المعروف مما جبل عليه الخلق ونقول اللعن هو الطرد
في اللغة طردهم عز وجل عن ابواب الخير وقوله ويلعنهم اللاعنون يعني الداعين عليهم باللعن سموا لذلك
اللاعنين ويحتمل يستبعدهم عن الخيرات وانواع البر وقيل هم البهائم اذا قحطت السماء واجدبت الارض قالت البهائم
منعنا القطر بذنوب بني ادم لعن الله عصاة بني ادم وقوله الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا قيل تابوا عن الشرك
واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم وبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين تابوا عن الكتمان و
اصلحوا ما افسدوا وبينوا ما كتموا فاولئك اتوب عليهم بقبول توبة من يتوب وقيل يتوب عليهم اى يوفقهم على
التوبة وقيل الرحيم هو المتجاوز عن ذنبهم في هذا الموضع وقيل الكاشف عن كربهم وقوله ان الذين كفروا و
ماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله قيل لعنة الله هو ادخاله اياهم النار خالدين فيها ولعنة الملائكة
قوله اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات جوابا لما سالوهم من تخفيف العذاب كقوله ادعوا ربكم يخفف عنا
يوما من العذاب وكقوله ربنا اخرجنا منها فان عدنا الاية فتقول لهم الملائكة اخسؤوا فيها ولا تكلمون

هذا ما قيل من لعنة الملائكة وقيل لعنة الناس اجمعين انهم لما طلبوا من اهل الجنة الماء بقوله ان افيضوا
علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين هذا لعنة الناس والله اعلم وقوله
ولا هم ينظرون قيل لا يقالون ولا يردون الى ما تمنوا كقوله او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل وقيل
لا ينظرون لا يؤجلون قيل لا ينظر اليهم خزان النار بالعذاب وقوله والهكم اله واحد ذكر هذا الاسم
لان كل معبود يعبد عند العرب يسمون الها كقوله فراغ الى آلهتهم وكقوله أفرايت من اتخذ الهه
هواه لهذا ذكر ان الهكم الذي يستحق الالوهية والعبادة واحد بذاته لا واحد من جهة العدد
كالخلق ذو اعداد وازواج واشكال بل واحد بذاته وبجلاله وعظمته وارتفاعه وتوحده عن شبه الخلق
وجميع معانيهم يقال فلان واحد زمانه يراد لارتفاع امره وعلو مرتبة لا بحيث العدد مثله كثير وقوله
والهكم اله واحد فيه اثبات اله واحد وفي قوله لا اله الا هو نفي غيره من الالهة فان قيل لم كان هذا دليلا
وهو في الظاهر دعوى قيل له دليل وحدانيته في قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار خلق السموات وجعل فيها منافع وخلق الارض وجعل فيها منافع للخلق ثم جعل منافع السماء
متصلة بمنافع الارض لبعد ما بينهما اذ لا منفعة للخلق في منافع احدهما الا باتصال منافع الاخرى
بها من نحو ما جعل من معرفة الطرق في الارض بالكواكب وانضاج الاعناب والثمار وينعها
بالشمس والقمر وجعل احياء الارض واخراج ما فيها من النبات من المأكول والمشروب والملبوس
بالامطار فدل اتصال منافع احدهما بالاخر وتعلقها به على ان منشئهما واحد لانه لو كان من اثنين
لكان هذا قطع الاخر فاذا لم يكن ولكنه اتصل دل انه فعل واحد فهو ينقض على الثنوية والزنادقة
قولهم وكذلك يدل اختلاف الليل والنهار على ان جاعلهما واحد لانه لو كان اثنان لكان اذا اتى
احدهما بالنهار منع الاخر بالليل وفيه ذهاب عيش الخلق وفي ذهابه بقائهم وفسادهم فدل
انه واحد والثاني انه جعل للخلق في الليل والنهار منافعا وجعل بعضها المتصلة ببعض متعلقة
مع تضادهما كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فدل
اتصال منافع احدهما بالاخر مع اختلافهما وتضادهما ان محدثهما واحد وفيه دلالة حدوث العالم
لما ذكرنا من تغيرها وزوالها من حال الى حال فدل تغيرها وزوالها على انها حدث ودل انه
جعل هذه الاشياء بابتدائها وعجزها على قدرة منشئها على ان بها محدث والثاني ان كل واحد منهما
اعني الليل والنهار يصير بمجيء الاخر مغلوبا فلو كانت ثم لغير فيه تدبير والا ما احتمل ان يصير مغلوبا
بعد ما كان غالبا فدل ان لهما محدث وانه واحد وفيه دلالة البعث والحيوة بعد الموت لانه
الليل ياتي على النهار فيتلفه ويذهب به حتى لا يبقى فيه من اثر النهار شيء وكذلك النهار
ياتي على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من اثر الليل شيء ثم وجد بعد ذلك كل واحد منهما على ما وجد
في الابد ومن غير نقصان ولا تفاوت فدل انه قادر على انشاء ما اماته واتلفه وان لم يبق له اثر
على ما قدر من ايجاد ما اتلف وانشاء ما اذهب من الليل بالنهار ومن النهار بالليل وان لم يبق له
اثر وقوله واختلاف الليل والنهار قيل اختلافهما لما جعل احدهما مظلما والاخر مضيئا وقيل اختلافهما
لنقصانهما وزيادتهما اذ ما ينقص من احدهما يزداد في الاخر فدل انتقاصهما على ان منشئهما واحد
لانه لو كان من اثنين يمنع كل واحد منهما صاحبه من الزيادة والنقصان وبالله التوفيق ولتغير
ولا يجري كل عام الا على ما جرى في العام الاول وقوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
فالاية تنقض على المعتزلة قولهم لانه عز وجل جعل الفلك التي تجري في البحر من اياته والمعتزلة جعلوها
من ايات النجارين لان الفلك قبل ان يعمل فيها وتنحت لا يسمى فلكا ولكن يسمى خشبا فلو لم يكن عمل
العباد وفعلهم فيها من مصنوعه من مخلوقه لزال به موضع الحجاج وتسميته باسم الايات فدل
ان له فيها صنعا وتقديرا حيث صار من عجيب اياته ثم فيه الحجة وهو ان الطباع تنفر من معالجة البحر
بالاطلاع على امواجه واهواله واداهم من عظم اياته بما يجريه في البحر على الحفظ والامر الواقع لهم فدل
انه من عند قادر لطيف خبير وفيه ايضا دلالة وحدانيته وذلك ان اهل البر لهم الانتفاع باهل البحر
على تباعد ما بينهما وتضادهما فدل ان محدثهما واحد ثم فيه دلالة اباحة التجارات مع الخطرات على
على احتمال المشقات وتحمل المؤنات وفي ذلك دلالة النبوة لان يعلم ان اتخاذ السفن وما فيه من

المنافع

المنافع لا يقوم له تدبير البشر فثبت انه علم ذلك بمن علم جواهر الاشياء وما يصلح الاشياء وما لا
يصلح وفي الحاجة الى ذلك ايجاب القول بالرسالة للبشر وقوله وما انزل الله من السماء من ماء
فاحيا به الارض فيه دلالة فضل العلو على السفلي لان ما ينزل من السماء من الماء ينزع بالخروج
من الارض مخرجا مختلفا منه ما هو عذب ومنه ما هو اجاج وما هو مر فدل ذا فضل العلو على السفلي
وقوله فاحيا به الارض بعد موتها قد ذكرنا هذا ان فيه دلالة البعث وقوله وبث فيها قيل خلق وقيل
بسط وقيل فرق من كل دابة قيل جعل فيها من كل جوهر الدابة منها ما جعل ماكولا منتفعا بها من كل
انواع المنافع ليدلهم ويرغبهم على ما وعد لهم في الجنة ومنها ما جعل غير ماكول ولا منتفع بها بل
جعلها اعداء لهم ليدلهم على تحذير ما اوعدوا وحذروا في النار وقوله وتصريف الرياح وجهين يحتمل
مرة خسارة العذاب ومرة للمنافع لانه جعل فيها منافع كثيرة للخلق بها تجري السفن في البحار وتثير السحاب
في الهواء وبها ينقى الاشياء وبها يتميز ما للخلق من الدواب مما يكثر ثم يعلم من عظم لطفه انه جعل الهواء
مجالا لا يقر فيها شيء وان لطف والسحاب مع غلظه وكثافته جعل الهواء مع لطافتها ورقتها مقرا
للسحاب حتى يعلم انه ليس لغير الله فيه تدبير ويحتمل تصريف الرياح صرفه اياها مرة صبا ومرة دبورا
ومرة جنوبا ومرة شمالا ومرة يمينا ومرة شمالا للمنافع ثم فيه دلالة انها من الاجسام لا من الاعراض لانه
جل وعز جعلها ما سية مانعة الابصار عن تمام في جهتها ولكن تلك صفة الاجسام لا صفة الاعراض لكن
لا نرى للطافتها فدل انها من الاجسام ما يرى وما يمس كالهواء لا يرى ولا يمس وهو من الاجسام
كالذرة التي في الشمس ترى ولا تمس ثم دلهم عز وجل ان الذي يسخر السحاب بالرياح التي جعلها في الهواء
وما فيها من المنافع التي تقدم ذكرها على ان مدبرها واحد اذ لو كان التدبير من عند اثنين لاوجب
التناقض في التدبير اذ يعمل كل منهما على خلاف ما عمله الاخر ويدبر كل منهما لينقض تدبير الاخر
اتساق التدبير واتفاق الصنعة واحكامها دليل ان الحكيم هو الواحد الذي دعاكم هذه الاشياء الى
الاقرار بوحدانيته والزمتكم العبودية له بما اودع له في كل هذه المصنوعات من ادلة وحدانيته
وايات ربوبيته ولهذا قال لايات لقوم يعقلون ليعتبروا بما فيها من الادلة والحجج اذ من لا يعقل
جهة الحكمة في خلق هذه الاشياء ثم خلقت ولما ذا خلقت وما الحكمة فيها لا يستوي عليها خلقها
وغير خلقها ثم فيه لا اله الا ما خلق في السموات والارض والليل والنهار والرياح والسحاب خلقها
ليدلهم على وحدانيته وربوبيته وجعلها مسخرة لله لهم وبالله التوفيق وقوله ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا قيل فيه بوجوه قيل يتخذ يعبد من دون الله اندادا وقيل يتخذ من دون الله
اندادا في التسمية وقيل يتخذ الجواهر التي يصنع او ينحت ونحو ذلك مما يتعلق كونهم بصنيعهم يسمونهم
اندادا انهم تركوا عبادة الذي به قامت لهم كل نعمة وسلم لهم كل خير وعبدوا ما قد اتخذوا بالعاجات
ولا قوة الا بالله وقوله يحبونهم كحب الله قيل يحبون عبادة الانداد وطاعتهم كحبهم كعبادة الله و
طاعته لانهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
قيل يحبون عبادة الانداد كحب المؤمنين عبادة ربهم وقيل يحبون الهتهم كما يحب الذين امنوا ربهم
ثم قال والذين امنوا اشد حبا لله منهم لالهتهم قيل والذين امنوا اشد حبا لاجل الله وقيل والذين
امنوا اشد حبا لله اي اشد اختيارا للطاعة واكثر ايتمارا واعظاما واجلالا لا لامر من اعظامهم
واجلالهم لهم الهتهم والله اعلم ثم المحبة محبة الشهوة والميل اليه وهو في الخلق لا يحتمل في الله ومحبة
الطاعة والايثار للامر والاعظام فهو في الله يحتمل وقوله ولو يرى الذين ظلموا قرئ بالياء والتاء
جميعا ومن قرا بالتاء جعل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ولو ترى الذين ظلموا يا محمد
لشهدت وايقنت ان القوة لله جميعا ومن قرا بالياء يقول ولو يرى الذين ظلموا في الدنيا اذ راوا العذاب
يعلمون ان القوة لله جميعا يحتمل لو علم الذين ظلموا اذا علموا عذاب الاخرة يعلمون ان القوة لله جميعا
ويحتمل المراد من قوله يرى اي يدخل كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى اي لمن يدخلها ويصليها وقوله
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا يعني الرؤساء من الذين اتبعوا يعني الاتباع والسفلة تبرأ
بعضهم من بعض القادة من الاتباع والاتباع من القادة وهو كقوله قالت اخريهم لاولاهم
ربنا هؤلاء اضلونا الاية وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل الاية وكقوله قال

الذين استكبروا للذين استضعفوا والذين استضعفوا للذين استكبروا مثل هذا وكقوله يوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض الاية وقيل اذ تبرا الذين اتبعوا يعني الشياطين من الذين اتبعوا الانس وقيل تبرء
الله كلا فدا اوثانهم لن تغني عنهم شيئا ولا شركاؤهم الذين اضلوهم ولا اشرافهم شغلوا عنهم حين
عاينوا النار وقوله وتقطعت بهم الاسباب قيل الارحام والانساب كقوله فلا انساب بينهم
وكقوله يوم يفر المرء من اخيه الاية وقيل تقطعت بهم الاسباب يعني العهود والايمان التي كانت
بينهم في الدنيا وقيل تداخلهم في الدنيا وتوادهم لم ينفعهم شيئا لانهم كانوا يتواصلون
ويتوادون في الدنيا رجاء ان ينفع بعضهم بعضا كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين وكذلك قوله يريهم الله اعمالهم وقيل يريهم الله اعمالهم التي لم يريدوا بها الله
حسرات عليهم اي حسرت عليهم وندامة وقيل كل عمل عملوه ارادوا به غير وجه الله كان ذلك
عليهم حسرت يوم القيمة وقيل اعمالهم التي عملوها في الدنيا تصير حسرات عليهم حين يرفع الله
لهم الجنة فينظرون الى مساكنهم التي كانت لهم وباسمائهم تخيرهم وباسماء غيرهم قال وهذا
عندي لا يصح ان يجعل الله لاحد نصيبا في الجنة ثم يحرمه ولكن هذا على اصل التوحيد ان اطاع الله
الجنة ومن عصاه النار فهو على ان هؤلاء لو اطاعوا كان لهم نصيبا في الجنة وهؤلاء لو عصوا
كان لهم نصيبا في النار ويكون ذكر النصيب لهؤلاء في الجنة هو الذي ادعوه لانفسهم كما قالوا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فيحرمون وتورث عنهم ما ذكروا ان لهم في الجنة كما
قال الله تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وقوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
طيبا قيل فيه بوجوه قيل انهم كانوا يحرمون التناول من اشياء والانتفاع من نحو البحيرة والسائبة
والوصيلة والحامي فيقول لهم لا تحرموا الانتفاع بها لما انزل الله تعالى فقال كلوا مما في الارض حلالا
طيبا ولا تتقوا بها فان الله لم يحرمها عليكم كقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
الاية وقيل خلق في الارض ما هو حلال وما هو حرام فاباح التناول من الحلال ونهى عن الحرام
وقيل ان قوما يحرمون التناول من الرفيع من الطعام والرفيع من الملبوس ويتناولون
من الدون والرثة فنهوا عن ذلك ولا يحتمل ان يراد بالطيبات الحلال منها ولكن ما تطيب النفس
من التناول لان النفس لا تتلذذ بالتناول من كل حلال ولكن انما تطيب مما هو هنا الذواق
والله اعلم وعلى ذلك قوله قل من حرم زينة الله الاية فيكون كان الله في الارض حلالا وحراما
ثم ما حل طيب ودون فامر باكل ما طاب من ذلك اذا قدر عليه لانه على قدر طيبه يعظم
محله في القلب وعلى ذلك يرغب نفسه بالشكر لمن انعم به عليه والتعظيم لمن اكرمه بالذي
طابت له به النفس والله اعلم وقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان قيل اثار الشيطان وقيل وساوس
الشيطان وقيل سنن الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فهو يرجع الى واحد وقوله انه لكم
عدو مبين وذكر في موضع اخر وسماه وليا بقوله اولياؤهم الطاغوت فالوجه انه يريهم
في الظاهر الموالات ولكنه يريد في الباطن اهلاكهم فاذا كان كذلك فهو في الحقيقة عدو وجائز
ان يكون اولياؤهم اي هو اولى بهم اذ عملوا ما عملوا بامره اولياؤهم لما انهم في الفعل وشاركهم
في الشر وكانوا في الحقيقة لهم اعداء اذ ذلك هلاكهم ولا قوة الا بالله وقوله ان كيد الشيطان
كان ضعيفا لانه يوسوس ويدعو فان اطاعوا والا ليس له عليه سلطان سوى ذلك فهو ضعيف
لان من لا ينفذ على رعيته سوى قوله فهو ضعيف لوصف بالضعف والله اعلم ويكون ضعيفا
على من تامل مكايده ويحفظ اخوانه وقوله انما يأمركم بالسوء والفحشاء قيل يحتمل ان يكون السوء
هو الفحشاء والفحشاء هو السوء لما ان كل واحد منهما يشتمل على كل نوع من الاثام ويحتمل ان يكون
السوء ما خفي من المعاصي والفحشاء ما ظهر منها وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد
من نحو الزنا وشرب الخمر وغيره وقيل الفحشاء ما يفحش في العقل والسوء ما ينتهي بالنهي عنه
وقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يخرج على الاول وهو السوء والفحشاء بامرهم بذلك فيقولوا
الله امرنا بها ويحتمل قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ما قالوا ان الله حرم هذه الاشياء
او القول على الله ما لا يعلمون بما لا يليق به من الولد والشريك وغيره والله اعلم وقوله واذا قيل

لهم

لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يحتمل هذا وجهين يحتمل اباؤهم كانوا اوصوهم
ان لا يفارقوا دينهم الذي هم عليه فقالوا عند ذلك لا ندع وصية ابائنا كقوله اتواصوا به بل هم
قوم طاغون او كانوا قوما سفهاء اصحاب التقليد فقالوا انا قلدنا اباءنا فلا نقلد غيرهم وقوله
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون يخرج هذا الكلام وجهين اي تقلدون انتم اباءكم
وان كانوا لا يعقلون شيئا ويحتمل ولو كان اي وقد كان اباؤكم لا يعقلون شيئا فكيف تقلدونهم
وهو كقوله قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي وقد جئتكم اذ ان يقال من جعل
اباءكم قدوة يقتدى بهم وقوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع قيل فيه بوجهين
قيل مثلنا ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق اي يصوت بما لا يسمع الا دعاء ونداء يسمعون الصوت
ولا يفقهون ما فيه وقيل ينعق بمعنى ينعق ذكر الفاعل على ارادة المفعول كقوله فهو في عيشة
راضية اي مرضية فعلى ذلك الاولى وهو في اللغة جائز جاز وقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون سماهم
بذلك وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك لما لم ينتفعوا بها اذ الحاجة من هذه الاشياء الانتفاع بها
ولذلك سماهم سفهاء لما لم ينتفعوا بعلمهم وعقلهم وقوله يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم دل ان الذين كان لهم الاكل وامرهم بالتناول منه هو الحلال ثم فيه الدليل على ان من
الرزق ما هو طيب حلال وما هو خبيث حرام اذ لو لم يكن طيبا لكان لا يشترط فيه ذكر الطيب
بل يقول كلوا مما رزقنا فان قيل ما الحكمة في الامتحان يجعل الخبيث رزقا لهم قيل هذا اصل المحنة
في كل شيء يجعل لهم الغذاء فيما يامرهم بالامتناع عنه ويجعل لهم قضاء الشهوة في المحرم يامرهم بالكف
وهو الظاهر من المحن وقوله واشكروا الله على ما اباح لكم من الطيبات ان كنتم اياه تعبدون
اي ان كنتم منه ترون ذلك ويحتمل ان كنتم اياه تعبدون اي اياه توحدون ويحتمل ان كنتم من
تعبدونه اياه تقصدون فاجعلوا عبادتكم له خالصة لا تعبدوا غيره ليكون له ولا قوة الا بالله
وقيل ان يعني اذا شرتم عبادتم فاشكروا له ويحتمل قوله فاشكروا الله على جميع ما انعم عليكم من
الدين والنبي والقران وغير ذلك من النعم اي كونوا له شاكرين وقوله انما حرم عليكم الميتة
ذكر الميتة فمعناه حرم عليكم الاكل والتناول منها فان كان كذلك فليس فيه حرمة ما لا يؤكل
الانتفاع به ونحو الصوف والشعر والعظم ونحوه الا ترى ان هذا الذي من الشاة وهي حية
وابين منها لم تصر ميتة لا يجوز الانتفاع به وغيره من اللحم اذا ابين منها صار ميتة لما روي في الخبر
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فى الاصل لعين الشئ ولا يتكلم فيها بحل ولا حرمة بحيث العين بل الحل والحرمة هى الواردة عليها من جهة
حق الحرمة ثم الحرمة ترتفع بالضرورة فيبقى عينه على ما كان فى الاصل ومن قال بحرمة عينها وبحل التناول
منها ذهب الى ان الحرمة حدثت لما كانت ميتة ومهلا لغير وجه الله فحدوث الحل للضرورة يدل على
ان العلة كانت هى الضرورة فى حق رفع حرمة عينها الا انه ابيح التناول منها للضرورة على بقاء الحرمة
ولكن يجبان لا يتكلم فى هذا ومثله بحرمة العين وحلها بعد ان يكون الاباحة للضرورة اذ لله ان يحل
علينا محرمة فى حال الاضطرار دوله ان يحرم عينها ويحل التناول منها للاضطرار فالتكلم فيه فضل و
تكلف وبالله التوفيق ثم المسئلة فى الباغى والعادى يحرم عليه التناول منها فى حال الاضطرار
ام لا قال بعض اهل العلم يحرم ذلك عليه لاوجه احدها لانه ظالم وفى المنع عن التناول منها زجر
عن الظلم وفى الاباحة عن التناول منها اعانة على الظلم لذلك حرم عليه والثانى ان القاتل عوتب
عند ما ياوى الى الحرم بترك المواكلة والمشاربة والمجالسة الى انه يضطر فيخرج عقوبة فكذا هذا
يحرم عليه التناول منه عقوبة له الى ان ينزجر وقال انه قد استحق بالبغى على اهل الاسلام العقوبة العظيمة
ويعاقب بهذا ايضا ثم من قول هذا الرجل فى الباغى انه اذا اتلف اموال اهل العدل لا يتعرض له بها
ولا يغرم وكذلك العادل اذا اتلف اموال اهل البغى لا غرامة عليه والغرامة نوع من العقوبات فى
سقوط الغرامة وان كان احدهما ظالما كيف لا استدل ايضا فى هذا وما الذى يوجب التفرقة بينهما ثم
نقول هذا المخالف لنا ان الباغى المقيم يمسح لنا يوما وليلة واذا سافر لم ترخص له المسح وهو فى
الحضر رخصة كهى فى السفر فالا له حرام احدى الرخصتين على اباحة الاخرى مع وجود الظالم والبغى
فقال لان الضرورة طريق التناول فيه رخصة لا ترخص الظالم اذ هو تخفيف والاصل فى المسئلة
ان الباغى على اهل الاسلام لا يامر باحكام اهل الاسلام اذ لو ابتم امر بالكف عن بغيه واذا لم يأتمر
فى ذا لا شك انه لا يأتمر فى التناول ولا انا نؤمر بما فيه العبث ولا ترجره النهى عن التناول اذ على العلم
بحرمة البغى ما اشتهت نفسه فكيف ينتهى للحرمة فيما اضطرت اليه نفسه ولم يملك الغلبة عليها فى
شهوتها ايثارا لها كذلك انطار لها للكف لا معنى لاحداث الحرمة عليه ببغيه واصله قوله عز وجل ولا
تقتلوا انفسكم وقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة حرم عليهم القاء انفسهم الى المهالك وتقتلهم لا تغير
وفى دفع هذه الرخصة عن اباحة تحريم وهو اعظم منه عليه فلم يفعل واما قال بانه من قتل فاوى الى
الحرم فان اهله يمتنعوا عن مواكلته ومشاربته ولم يمنه هو فى تفقده الاكل والشرب اذ لا يقدر احد
منعه عن ذلك فالقول فى مثله تكلف فكذا الاول والله اعلم ثم المسئلة فى القدر الذى يجوز ان يتناول
منها تعقدنا ان الاباحة كانت للاضطرار فهو على القدر الذى له الدفع والازالة وذلك بدوره ما فيه
شدة المجاعة وذلك الاصل فى انتفاع الضرورة وقوله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب يحتمل
وجهين يحتمل ان كتموا ما فى كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ويحتمل ما كتموا من الاحكام التى الشرايع
من نحو الحدود والرجم وغير ذلك من الاحكام وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ويشترون به ثمنا قليلا
قد ذكرنا تاويل هذا فيما تقدم وقوله اولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار يحتمل وجهين اى ما ياكلون
فى دنياهم الا ما اوجب ذلك لهم فى الاخرة اكل النار ويحتمل ما ياكلون فى دنياهم الا اكلوا فى الاخرة على
النار وقوله ولا يكلمهم الله قيل لا يكلمهم بكلام خير ولكن يكلمهم بخبر كقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل
لا يكلمهم غضبا عليهم يقال فلان لا يكلم فلانا لما غضب عليه وقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى قيل استحبوا الضلالة على الهدى وقيل اختاروا العذاب على المغفرة وما قاله الكلبى فهو احسن
انهم اشتروا اليهودية التى هى تحصل عذابا بالايمان الذى يحصل مغفرة وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ايضا وقوله
فما اصبرهم على النار قيل فما ادومهم فى النار وقيل فما اصبرهم على عمل الذى يوجب لهم النار وقيل فما اجراهم
على عمل اهل النار وقيل ما عملهم باعمال اهل النار وقال الحسن فما لهم عليهم صبر ولكن ما اجراهم على النار
وقد يقال لمن يطول حبسه فما اصبرك على الحبس لا على حقيقة الصبر يكون على وجوه جنبه وقوله وان الذين
اختلفوا فى الكتاب اى فانهم بغوا والا فقد اختلف اهل الايمان والكفر ولكن اراد والله اعلم بالاختلاف
الخلاف اى خالفوا الكتاب ولم يعملوا به لفى شقاق بعيد قيل لفى خلاف بعيد وقيل لفى ضلال طويل
وقيل لفى عداوة بعيدة فيرجف البعيد فى الوعيد اياس كانه قال لا انقطاع له وقوله ليس البر ان

تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب قيل ليس البر فى نفس التوجه الى ما ذكر دون الايمان ويحتمل ليس البر
فى ذلك ولكن البر لما يقصد اليه او قد يقع ذلك الجوارح بعض يخرج على القربة ويحتمل ليس البر فى التوجه الى
كذا ولكن فى الايتمار لامره والطاعة له والبر هو الطاعة فى الحقيقة وقيل ليس البر تحويل الوجه الى المشرق
والمغرب ولكن البر ما ثبت فى القلب من طاعة الله وصدقه الجوارح وقيل ليس البر ان تصلوا ولا ان تعملوا
غير الصلوة كل ذلك يرجع الى واحد وجملته ان يقال ليس البر كله ذلك لكن ما ذكر ان ذلك الوجه استقطعوه
حتى قال الله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك والثانى ان يكون ذلك بنفسه
ليس برا وانما صار برا بالامر به او بما ذكر من الايمان والخيرات فلو زال عنه الوجهان سقط فعله ان يكون
برا وقوله ولكن البر من امن بالله بانه واحد لا شريك يعنى صدق بالله بانه واحد لا شريك له واليوم
الاخر وصدق بالبعث الذى جزاء الاعمال وصدق بالكتب والملائكة والنبيين والبر تاويلان احدهما
ما قيل والثانى على الاضمار كانه قال ليس البر بر من يدلى وجهه ولكن البر بر من امن بالله كما قال اجعلتم
سقاية الحاج بالايمان من امن بالله وقيل اجعلتم صاحب السقاية كمن امن بالله وقيل البر بمعنى البار من
يحول وجهه قبل كذا ولكن البار من امن بالله الاية وقوله واتى المال على حبه قيل اعطى على حبه وقيل
على قلته اثر غيره على نفسه كقوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل اى ذوى قرابته
وفيه دلالة ان الافضل ان يبدأ بالصلة قرابته ثم باليتامى لان على جميع المسلمين حفظهم ولانهم
اضعف فيبدأ بهم قيل المساكين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس المسكين الذى
يرده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذى لا يجد ما يغنيه
ولا يسأل الناس ولا يفطن به فيتصدق عليه وابن السبيل قيل هو الضيف ينزل وقيل هو المنقطع
حاج اغاز وقيل هو المجتاز وهو واحد وفى الرقاب قيل هم المكاتبون واقام الصلوة واتى الزكوة
ظاهر والموفون بعهدهم اذا عاهدوا يحتمل العهود التى بينهم وبين الناس ويحتمل العهود التى فيما
بينهم وبين ربهم وقد ذكرنا العهد من الله تعالى ما هو فيما مضى وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه
والموفين على النسق الاول اذا عاهدت عهدا بلسانك تفى به بعملك وفعلك ثم ليس فى القران اية
اجمع لشرايط الايمان من هذه وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الايمان
فقرء هذه الاية وقوله والصابرين فى البأساء والضراء قيل فى الاية تقديم وتاخير السائلين وفى الرقاب
والصابرين وعلى هذا يخرج حرف ابن مسعود رضى الله والموفون بعهدهم وقوله البأساء وهو
وهو الفقر والضراء قيل هو المرض وحين البأس قيل عند القتال وقوله اولئك الذين صدقوا فى
ايمانهم انهم مؤمنون وصبروا على طاعة ربهم واولئك هم المتقون وقيل الذين صدقوا فى ايمانهم
واولئك هم المتقون وروى عن عمرو بن شرحبيل انه قال من عمل بهذه الاية فهو مستكمل الايمان
قال الفقيه تمام كل شئ باجتماع ما يزينه الا ترى ان المصلى اذا اقتصر على فرايضها لم يتم له وقوله
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الاية قيل نزلت الاية فى حيين من العرب
كان وقع بينهما حرب وقتال وكان لاحدهما فضل وشرف على الاخرى فارادوا بالعبد منهم
الحر منا وبالانثى منهم الذكر فانزل الله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ثم هى
منسوخة لان فيها قتل غير القاتل نسخها قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا
يسرف فى القتل قيل لا يسرف اى لا تقتل غير القاتل وليك وقيل لا يسرف اى لا يمثل وقيل لا تسرف
فى القتل اى لا تقتل انت اذ هو منصور فثبت بهذا نسخها اذ لم يؤذن بقتل غير القاتل وقوله ايضا
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس ولا يحتمل نفسا غير القاتل بقتل بنفس دليله قوله فمن تصدق
فهو كفارة له ولا يتصدق على غير القاتل ثبت انها منسوخة بما ذكرنا والثانى قال ولكم فى القصاص
حيوة لما اذا هم بقتل اخر يذكر قتل نفسه به فيرتدع عن قتله فيحيى به النفسان جميعا فلو لزم قتل غير
القاتل لم يكن فيه حيوة اذ لا يخشى تلف نفسه ثم هذا يدل على وجوب القصاص بين الحر والعبد
وبين الكافر والمسلم اذ لو لم يجعل بينهما قصاص لم يرتدع احد عن قتلهم اذ يخشى تلف نفسه ثم
قد قال انهم يتقلبون بهم والله اعلم هذا فيما يجعل الاية ابتداء لا فى الحيين الذين ذكروا ثم يقال
ليس فى ذكر شكل بشكل تخصيص الحكم فيه وجعله شرطا ونفيه فى غير شكله دليله ما روى عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة
وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم بالحجارة ثم اذا زنى البكر بالثيب وجب ذلك الحكم فدل
في ذكر شكل بشكل تخصيص في الحكم ولكن فيه ايجاب الحكم في كل شكل اذا ارتكب ذلك وهو انه يقتل
الحر اذا قتل آخر والحرية لا تمنع الاقتصاص لفضله وكذلك العبد اذا قتل حرا يقتل به والرق
لا يمنع ذلك للذل الذي فيه وكذلك الانثى تقتل اذا قتلت اخرى ولا يمنع ما فيها من الضعف في وجوب
القصاص وبالله التوفيق ولو وجه آخر وهو انه قال الانثى بالانثى من الاماء اماء وقد امرهم
بالاقتصاص بينهن فلئن وجب تخصيص ما ذكرها ما وجب ان يذكر عاما ما ذكر فيه العموم الاسم في
احدهما وخصوص القول في الآخر قيل ليس هكذا لو كان في ذكر الوفاق في الاسم مع الحق من ذلك
الموجه المذكور او ذكر في الخلاف لم يدخل فيما ذكر في الوفاق ما ليس منه فاذا دخل علم ان ذكر
الوفاق في الخلاف في حق او قال ما ليس من شكله بمحل واحد ثم يقال ان نفس العبد للعبد في حق
الجناية لا للمولى انما للمولى في نفسه الملك والمالية الا ترى ان العبد لو اقر على نفسه بالقصاص
اخذ به ولو اقر عليه مولاه لم يؤخذ به فدل ان نفسه له لا للمولى فكان كنفس الحر فيجب ان يقتل
الحر به اذ هو ساوى الحر في حق النفس فيجب ان يستوي بينهما في حق القصاص وقال بعض الناس
لا يقتل الحر بالعبد لانه افضل منه ثم هو يقول انه يقتل الذكر بالانثى وهو افضل وقال ان القصاص انما
ذكر في المؤمنين ثم قال بالعموم والزم قتل الكافر بالمؤمن ولم يذكر في القصاص الكافر وترك القصاص
للكافر من المؤمن على عموم ايجاب القصاص على المؤمنين فاذا جاز ترك القصاص على ما ذكر فيه القصاص
وادخال من لم يذكر في حق الاقتصاص ما يجب ان كان مثله في الذي ذكر عقيب ذكر الحق وهم باجمعهم
تحت الايجاب مذكورين ثم الاناث بالاناث مع اختلاف الاحوال يلزم القصاص كيف لا لزم مثله
في الاحرار والاصل في هذا ان يعتبر في الانفس المساوات الا ترى ان الانفس تقتل بنفس واحدة
وهكذا روي عن عمر رضي الله عنه انه قتل رجالا بامرأة وروي انه قتل سبعة نفر بامرأة وقال
لو تمالا له اهل صنعاء لقتلتهم وقال روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقتل مسلم
بكافر ثم قال صاحب هذا القول لو ان كافرا قتل كافرا ثم اسلم القاتل يقتل به فهو قتل مسلما
بكافر اذ الاسلام يطهره ولم يقتل مسلما فاسقا ارتكب الكبيرة بالكافر اذا القتل بفسقه
والمسلم احق ان يقتل بالكافر من الكافر بالمسلم وكذلك ان المسلم هتك حرمة الاسلام بقتل
الكافر لانه اعتقد باعتقاد دين الاسلام حرمة دم الذمي وهو بقتله كمستخف بمذهبه واما
الذمي فانه لا يعتقد باعتقاد مذهبه حرمة دماء اهل الاسلام فهو ليس بقتل المسلم كمستخف
بمذهبه والمسلم كمستخف بدينه على ما ذكر لذلك كان احق بالقصاص من الكافر الا ترى ان من
قتل في الحرم قتل به لانه هتك حرمة الحرم كالمستخف به واذا قتل خارجا منه ثم التجاء اليه لم يقتل
حتى يخرج منه لانه ليس لمستخف له والاول مستخف لذلك افترقا فكذلك الاول والله اعلم والخبر
عندنا يحتمل وجهين احدهما ان قوما قتل بعضهم بعضا في الجاهلية فاسلم بعضهم فاراد
اولياؤه ان يأخذوا من اسلم منهم بالقصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل مسلما
بكافر كان وكل دم كان في الجاهلية فهو موضوع تحت قدمي هذا والثاني انه اراد بالكافر
المستأمن لانه قال لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده فنسق قوله ذو عهد على المسلم
فكان معناه لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد به فكل كافر لا يقتل به ذو عهد في عهده لم يقتل
به المسلم فالذمي يقتل به ذو العهد لذلك يقتل به المسلم والمسلم اذا قتل مستأمنا لم يقتل
وكذلك الذمي فدل بما ذكرنا انه اراد بالكافر المستأمن لا الذمي والله اعلم **وقوله** فمن عفي له
من اخيه شيء اختلف في تأويله فقال بعضهم هو القاتل انه اعفي له معناه عنه فيتبع الولي باخذ
الدية بالمعروف شاء القاتل او ابى احتج بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل اختصم
اليه في قاتل اخيه فقال العفو عنه قال لا قال اتأخذ الدية قال لا قال القود قال نعم عرض عليه الدية
ولو كان غير حقه لم يعرض عليه وقال في بعض الاخبار ولي القتيل بين خيرتين بين قتل واخذ دية
واما عندنا تأويل قوله فمن عفي له من اخيه شيء ليس هو القاتل لانه يكون معفوا عنه ولانه

لا يتبع

لا يتبع احد وهو المتبع بل هو الولي لانه هو المعفو له لا القاتل حيث امر بالاتباع بالمعروف كانه قال فمن
بذل له واعطي من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وذلك جائز في اللغة العفو بمعنى البذل والاعطاء
على ما قيل خذ ما اتاك عفوا صفوا اي فضلا وكذلك روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه
قال فمن عفي له اي اعطي له والحق عندنا هو القود لا غير على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال العمد قود الا ان يعفو وقد روي في بعض الاخبار الا عن تفادي والمفادات هو فعل اثنين
فلا يأخذه الا عن تراض واصطلاح منهما جميعا وفي الآية دلالة ان الحق هو القصاص لا غير بقوله
كتب عليكم القصاص اخبر ان المكتوب عليه والمحكوم القصاص فلو كان له الخيار من القصاص
والعفو واخذ الدية سواء والى لكان لا يكون مكتوبا عليه القصاص ويذهب فائدة قوله كتب عليكم
القصاص انما كان يكون عليه احدهما كما لا يقال في الكفارة بان المكتوب عليه العتق بل احد
الثلاثة فلما قال كتب القصاص ان اخذ الدية كان كالخلف عنه وما روي عنه صلى الله عليه وسلم حيث
قال لولي القتيل العفو عنه قال لا فقال اتاخذ الدية قال لا انما عرض عليه الدية لما علم ان القاتل
يرضى بذلك على ما روي ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته ببغض زوجها
فقال لها اتردين عليه حديقته قالت نعم وزيادة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الزيادة فلا
وانما قال لها ذلك لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يرضى بطلاقها اذا ردت عليه حديقته
فعل ذلك الاول ولو كانت لفظة العفو تعبر عن الزام الدية ما احوجه الى ذكر الاشارة الى العفو
مرة والى اخذ الدية ثانيا فثبت ان ليس للذي يعفو ان يأخذ الدية بالعفو وقيل في قوله فمن عفي له
من اخيه شيء فاتباع بالمعروف اصلها انها نزلت في دم بين نفر يعفو احدهم عن القاتل ويتبع الآخرون
بالمعروف في نصيبهم لانه ذكر الشيء وهو العفو عن بعض الحق فالزم الاتباع للآخرين عند عفو بعض
حقه ثبت ان العفو لا يلزم الدية وروي عن عمر وعبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم
انهم اوجبوا في عفو بعض الاولياء للذين لم يعفوا الدية على ترك السؤال عن عفى انك عفوت بديه ولو
كان ثم حق ذكروه لم يدل ان العفو لا يوجب الدية والله اعلم ثم لا يخلو اما ان يكون حقه القصاص
ثم له تركه بالدية فهو الزام بدل حق قاتل قتل آخر من غير رضاه وذلك مما لم يعقل في شيء او كلاهما
فهو ايضا كذلك لا يكون لاحدهما الا باجتماعهما او احدهما وهو مجهول فالعفو عنه يبطل حقه اذ
العفو ترك وقال ان في اخذ الدية احياء النفس التي امر الله باحيائها وفي الامتناع عن اداء الدية
اليه والبذل له اذن بالقتل من قول الجميع ان احدا لو قال لآخر اقتلني انه لا يحل اذنه فاذا كان معنى
الامتناع عن اداء الدية هو اذن بالقتل لم يأذن له ابعد القياس والتشبيه لان فيما نحن فيه اذن
بالقتل وظهر الامر وفيما ذكرت لم يظهر حيث قال كتب عليكم القصاص فاني يشبه هذا بذلك و
يقاس عليه او ان يقال لو كان الامر كما ذكرت لكان يجيء ان يكون الصلح على كل شيء ما له وفيه تلف
نفسه ان ليس له منعه ومن قول الجميع ان له المنع وجائز وقوع الصلح على ما فيه تلف ماله ثبت
ان ما يقوم له وهم بعد فان الذي ذكرت تدبير لا لزام ولو كان ذلك لازما لكان بقتله ببذله نفسه
فيعزم فاعل ذلك وهذا كما يفنى الرجل يشرا ما به قوام نفسه عند الضرورة الا انه يلزم لو ابى ذلك قتل
دينه بمعنى ان في ذلك تلف نفس تلك قيمته قبله الاول وما روي في التخيير بين اخذ الدية وما ذكر
فهو والله اعلم على بيان الحل والرخصة على ما قيل ان من حكم التوراة القتل ولا يجوز لهم العفو ولا
الدية ومن حكم اهل الانجيل العفو لا تقبل بالقصاص ولا تؤخذ الدية فحكم الله عز وجل على اهل القرآن
ان جعل لهم القتل مرة والعفو ثانيا واخذ الدية تارة فدل انه يخرج مخرج بيان الحل والرخصة اذا طاب
به نفس من عليه ذلك ببذله اذا طلب ولا يوجب قطع الخيار من الآخر ولهذا ما نقول في قوله
ففدية من صيام او صدقة وقوله في التخيير في الكفارة ان ذلك الى من عليه اذا كان من كلا الجانبين
يعتبر رضاهما جميعا والله اعلم **وقوله** ذلك تخفيف من ربكم ورحمة كما ذكر في اباحة العفو في حكم
القرآن ولم يكن في حكم غيره من الكتب واخذ الدية او القتل ولم يكن في التوراة والانجيل الا واحد
ويحتمل ان كان في التوراة هذا وهذا كما قال فمن تصدق به فهو كفارة له ويحتمل انه ذكر القول شرعا
لنا فمن تصدق لنا خاصة وقوله ورحمة فيه دلالة انه لا يقطع صاحب الكبيرة عن رحمة الله لانه اخبر

ان التخفيف رحمة في الدنيا فاذا لم يؤيسهم في الدنيا عن رحمته فلا يؤيسهم في الاخرة عنها وقوله
فمن عفي له من اخيه شيء دلالة ان لا يزول اسم الايمان بارتكاب الكبيرة من غير اخوة النسب
دل انه اخوه في الدين لانه سماه اخاه كذلك قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما ابقى لهم اسم الايمان بعد البغي والقتل دل ان ارتكاب الكبيرة لا تخرجه من الايمان
وهذا يرد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان من ارتكب كبيرة اخرجه من الايمان وما ذكر
من التخليد في قتل العمد يخرج على وجهين احدهما الاستحلال قتله او يتعمد دينه والا فيخرج
الايمان على التشافعين في الظاهر ولم يجعل على ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** فمن اعتدى بعد
ذلك قيل من اعتدى على القاتل بعدما عفي عنه او بعدما اخذ الدية وقيل بعد ذلك اي من
بعد النهي عن قتله وقيل اذا ادى من نفسه العفو ثم اخذ الدية ثم اراد قتله فهو الاعتداء
ثم اختلف بعد هذا بوجهين قال قوم اذا فعل ذلك بترك القصاص فيه للعذاب المذكور
في الاخرة اذا اقتص ارتفع عنه العذاب الاليم وان لم يقتص فلا وجائز عندنا ان يكون
العذاب الاليم في الدنيا اذا لم يخلق شيء من العذاب اوالقتل هو الغاية من الالم والوجع
والله اعلم **وقوله** ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب قيل فيه بوجهين والا نظام القصاص
لا يكون حيوة لكن قيل من تفكره في نفسه قتلها اذا قتل اخر ارتدع عن قتله فيحيى النفسان جميعا
والثاني من نظر فرأى اخر يقتل بغيره امتنع عن قتل كل احد ففيه الحيوة للانفس جميعا ولهذا نقول بوجوب
القصاص في الانفس كلها وان اختلف اذ لو لم يجعل بين الانفس على اختلاف الاحوال قصاص لم يكن في
القصاص حيوة فاحق من يجعل فيه القصاص عند مختلف الاحوال لما يغضب للتزييف على الوضيع فيحمله
على قتله فجعل القصاص او لما يستخف به واما الوارث لما يطمع وصوله الى مال مورثه فيحمله على قتله فسبب
القتل ليس ما يذكر لكنه بشدة الغضب الى دفع المورث زيادة وهو ما يصل الى ماله ودفع الكافر من
استحقاقه بذنبه من المقتول فطلب فيه المعنى الذي فيه الاحياء وهو حرمان الميراث فمن هذا التقدير
نقتل المسلم بالكافر لان المسلم قد يستخف بالكافر في دار حربه فيحمله استخفافه اياه على قتله ففيه معنى
يدعوا الى الفناء فيجب ان يقتص من المسلم بالكافر لتحقيق معنى الحيوة وعلى هذا التقدير نقتل الحر بالعبد
لان الحر يستخف بالعبد فيدعوه استخفافه به على قتله فهو يقتل او نقول بقتل الولد بالوالد لما يستعجل
الوصول الى ملكه فيحمله على قتله فلزم حفظ ما لاجله الحيوة ثم في الولد شفقته ومحبة تمنع الوالد
عن قتل ولده لذلك انتهى عنه القصاص وهذا معنى قوله عليه الصلوة والسلام لا يقاد الوالد بولده
وبالله التوفيق قال الشيخ رضي الله عنه الوالد يحب ولده لانه يرغب ان يكون له ولد واما الولد فانه
يحب والده له لنفسه ومنافع له فاذا كان الولد لم يقتص منه **وقوله** كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان
ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين تكلم فيه باوجه قيل انه منسوخ لما بين عز وجل في اية اخرى من
حق الميراث ومنهم من قال لم ينسخ ثم قيل فيه بوجهين قيل انه قد كان ذلك لان الناس كانوا احديث
عهد في الاسلام ليسلم الرجل ولا يسلم ابواه فبقوله كتب اذا وقع على من كان لا يرث ومنهم من يقول بانها
كانت للوارث ولم ينسخ الى وانما يقع الامر في غير ميراث ممن ذكر لكن في ذلك ذكر كتب وذلك الايجاب ولا
يحتمل ان يفرض عليهم صلتهم مع التحذير عن اتخاذهم اولياء بقوله لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء وقوله لا
تجد قوما يؤمنون بالله واليوم يوادون الاية في لزام الفرضية من حيث المعروف ابناء الموالاة والزام المحبة
والتحذر وجوده لك تثبت ان الاية فيمن يتوارثون اليوم لكن نسخت والله اعلم ومنهم من يقول لا ولكنه
وقع على من كان يرث وعلى من كان لا يرث بقوله كتب عليكم فهو كان مكتوبا عليهم مفروضا في حق الوصاية
ثم من راى نسخه استدل بقوله يوصيكم الله في اولادكم ذكر فيه الوصاية على بيان كل ذي حق حقه
فليس الذي اوصى الله يمنع وصاية التي كتب عليهم لكن في الاية دليل لم ينسخ بهذه لوجهين احدهما بقوله
يوصيكم فهو وصية ذكره كذكر الوصاية في الاول ففيه جعل حق كالحق المجعول لهم اذ لم يذكر ذلك الوصية
مع الميراث ثم نفاه والوجه الاخر انه قال من بعد وصية توصون بها او دين فجعل حكم الارث على ذكر
الوصية والارث بعد الوصية فبان ان لها حكم البقاء حيث قيل فيه بوجهين قال قائلون قوله يوصيكم
الله في اولادكم لم يجعل ميراثا الا هو من اهل الميراث فحدوث الارث لا يمنع حق القطع عنه بالمكتوب الاول

ومنهم

ومنهم من جعل ذلك فيمن كان وارثا فورود البيان من بعد يقطع عنه المكتوب لرتم من الناس من
ادعى نسخ هذا بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا
ولو جعل الوصية له مع ما جعل الله لهم فيه من النصيب حفوا به الكثير دون القليل فثبت ان ذلك
الكتاب رفع عنهم مما جعل لهم الحق في الذي قل او كثر مما لوجد فيه عندنا فهو انه ان لم يكن نسخ بهذه الايات
على ما قاله بعض الناس فهو منسوخ بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية للوارث
فبين انه قد كان اعطى ذا حق حقه على رفع ما كانت لهم من الوصاية ثم اختلفوا في الخبر الذي روي ان الله تبارك
وتعالى قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية للوارث قال قائلون لا يجوز ورود النسخ على الاية اذ السنة لا ترد
على نسخ الكتاب وقال اخرون لا ولكنه من اخبار الاحاد على قولكم لا ترد على نسخ خبر مثله فكيف على كتاب
رب العالمين فاما الاول فان السنة لا تعمل في نسخ الكتاب فقد سبق القول فيه ان الذي حملهم على
هذا هو جهلهم بموقع النسخ والا لو علموه ما انكروه وهو ما قلنا ان النسخ بيان منتهى الحكم الى وقت
المجعول له واما من قال بانه من اخبار الاحاد فان الاصل في هذا ان يقال انه وان جاء بالرواية من الاحاد
ومن حيث علم العمل به متواتر ومن اصلنا ان المتواتر بالعمل هو ادفع خبر يعمل اذ المتواتر المتعارف
قرنا بقرن مما عمل الناس به لم يعلموا به الا لظهوره وظهوره يغني الناس عن روايته لما علموا فلو
عن الخفاء ولهذا نقول في الخبر جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كل ذي ناب من السباع
فرد به الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من اخبار الاحاد هو من حيث الرواية من الاحاد
ولكنه من حيث تواتر الناس العمل به صار بحيث يوجب علم العمل فلم يجز ان يجتمع الامة على شيء علموا كله من
كتاب او سنة غير ما ورد فيكونوا قد اجمعوا على تضييع كتاب او سنة فكذا هذا لا يجوز ان يجتمع الناس
على ترك الوصية للوارث وثم كتاب نسخه او سنة اخرى يلزم العمل به فلهذا قلنا بنسخه والله اعلم
وقوله فمن بدله بعدما سمعه قيل فيه بوجهين فمن بدل هذه الوصاية المكتوبة للوالدين ان كان هذا اراد
بقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الاية فانما اثمه عليه ويحتمل من بدل الوصية بعدما سمعه من الموصي
فانما اثمه على الذين يبدلونه ثم يحتمل بعد هذا وجهين يحتمل انه اراد تبديل الوصي بعد موت الموصي ويحتمل
تبديل من حضر الموصي ذلك الوقت من الشهود وغيره **وقوله** فمن خاف من موص جنفا او اثما قيل فيه
بوجهين فمن خاف اي علم من الموصي ظلما وجورا على الورثة بالزيادة على الثلث فلا اثم عليه في تبديله
ومنعه ورده الى الثلث وقت وصاية الموصي ويحتمل فمن خاف اي علم من الموصي خطاء وجورا بعد
وفاته بالوصية فلا اثم عليه في تبديله ورده الى ما يجوز من ذلك ويصح وهو الواجب على الاوصياء
ان يعملوا لما يجوز في الحكم وان كان الموصي اوصى بخلاف ما يجيزه الحكم ويوجبه قال الشيخ رحمه الله وكان
صرف الخوف الى العلم اولى اذ هو تبديل الوصية وقد نهى عنه واذن به للجور فاذا لم يعلم فهو تبديل
بلا عذر وقد يحتمل الحذف حق العلم اذا غلب الوجه فيه كما اذن للاكراه اظهار الكفر وذلك في حقيقته
خوف اما في التحقيق علم العلم بغلبة وجه الوفاء في ذلك **وقوله** ان الله سميع اي يسمع المقالة ود
عليم بجوره وظلمه او عليم بتبديله والله اعلم **وقوله** فاصلح بينهم يعني بين الورثة بعد موت الموصي ورد
ما زاد على الثلث بين الورثة على قدر ما اصابهم **وقوله** ان الله غفور رحيم بجور الموصي وظلمه اذا بدل
الموصي ورده الى الحق ويحتمل غفور رحيم لمن رد على الموصي صفة وميله في حال وصايته والله اعلم
والاصل في امر الوصاية للوارث ان ايات المواريث لم تكن نزلت في اول ما لهم حاجة الى معرفة ذلك
فيجوز ان يكون في الابتداء كانت الوصايا بالحق الذي اليوم هو ميراث يبين ذلك ما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ابني سعد قتل باحد وقد كانت استوفى عمهما على ميراثه فسالتاهما عن
ذلك فقال لم ينزل في شيء ثم دعاهم واعطاهما ما بين الله في كتابه في قوله يوصيكم الله الاية
وكذلك كان للنساء الحول في تركة الازواج وصية لهن فعل ذلك كان الامر بالوصية فقال
عز وجل يوصيكم الله كالمبين بما كان قد اوجب النبيين على الميت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ومما يبين ذلك انه معلوم ان يكون الوصية
للوارث ليست تثبت فيما هي له لانه اليوم فيكون حصول الوصية بنصيب بعض الورثة وعلى ذلك
الوجه لا تجوز وصية الميت لاحد فكذلك للورثة هذا ويبين انها كانت في وقت لم يبين الميراث

ثلاء يكون الوصية لمن يثبت له وميت بنصيب غيره في التحقيق فكان يجوز نسخ ثم بطل ببيان السنة اذ ليس
في متلو القران حقيقة ذلك بحق الانتزاع وانما يكون ذلك بحق الانتزاع منه والنسخ ومعناه ما او نتزاع
ابعد عن الاحتمال منه بالسنة ولا قوة الا بالله ثم حق المتواتر عندنا يقع ظهورا لحمل الشئ على غير ظهور
المنع منهم والتكثير عليهم في العمل وفي هذا وجود ذلك من طريق العمل ثم القول ايضا من الائمة بالقول
به بلا تنازع ظهر فيهم معا قد ذكر الله في المواريث غير مضار وصية من الله تخصيص الورثة ضد مضارة
بغير واستعمال الراي فيما قد تولى قسمة على غير الذي قسم والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا كتب
عليكم الصيام هؤلاء الايات فيهن فرضية بقوله كتب وابد ذلك الابدال فيها الاعصار لعذر والامر
بالقضاء وذلك ليس بشرط الاداب مع الامتنان علينا بقوله عز وجل يريد الله بكم اليسر اي يريد بكم
الاذن لكم في الفطر للعذر ولو كان غير فرض بدوه لم يكن الفطر للعذر بموضع الرخصة مع شرطه اكمال
العدة في القضا معنى وفي ذلك لزوم حفظ المتروك لئلا يدخل التقصير في قضاء وعلى ذلك اجماع الامة
ثم بين عز وجل انه لم يكن هذه الامة مخصوصة في الصيام بل هي احق من فيه استعمل العفو والصفح بما
حضهم بان جعلهم خير امة اخرجت للناس واخبر انه لم يجعل عليهم في الدين حرج ولا الزمهم العبادات
الشاقة تفضلا منه عليهم وتخصيصا لهم اذ جعلهم شهداء على الناس فقال عز وجل كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لكي كما يحتمل وجهين يحتمل العذر الذي كتب عليهم ويحتمل الفرضية في الجملة
لا عين ما فرض عليهم من حيث الاشارة الى ذلك ولذلك اختلف في الكاف في قوله كما انها [illegible] وحقيقة
ثم اختلف في ماهية ذلك الصيام فمن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من جعله صوم عاشوراء وايام
البيض ثم استعملوا النسخ فذلك بصيام الشهر وقد روي مرفوعا ان صوم شهر رمضان نسخ كل صيام
كان روي عن جماعة في امر صوم عاشوراء انا كنا نصومه حتى نزل صوم الشهر فلم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يامرنا به ولا ينهانا واصل هذا انه كان يصام لو كان ابتداء الاية عليه بحق الفرض
فابدل ذلك بصوم الشهر فارتفع عنه الفرضية على ما اذا كان يخرج منه بعداء لم يكن معه فرضية
القضاء ومن الفضل فيه اذا نسخ لم يكن من حيث نفس الصوم ان مثله من النسخ يكون بغير الصوم
ولا بصوم ثبت انه في نسخ الفرضية فبقي فيه حق الادب والفضل وتبين النسخ وان ذلك غير صوم الشهر
الذكر في صوم الشهر بقوله فمن كان منكم مريضا الاية ولو كان الكل واحدا لكان الذكر في موضع منه
كافيا من الاعادة فثبت انها على تناسخ الصيام وقد روي معاذ رضي الله عنه انه قال احيل الصيام
ثلث احوال وبين الخبر على وجهه ذلك ويحتمل ان يكون المراد منه صوم الشهر ويكون تكرار الذكر في آخر
بمكان وقع الفداء او المكان ذكر حق الامتنان بالنسبة والتحريض على حفظ العدد والله الموفق واي
ذلك كان فليس بنا حاجة الى معرفة حقيقة ذلك لان كيفية الابتداء لم نكلف وانما كلفنا ما بقي
فرضه وهو صيام الشهر الذي لم يختلف في ذلك ثم قد خاطب جل ثناؤه بالصيام من قد امن بقوله
يا ايها الذين امنوا فكان فيما خطب وجهان احدهما انه خاطب من المؤمنين فوقع المخاطبون [illegible]
الاسم باخذهم اذا لم يذكر عن احد انه ظن خروجه من منكم الاية من حيث لم يكن وفاء بما به يستحق الاسم
وكذلك سائر العبادات الافعال وهذا من اوضح ما يجب به العلم ان الايمان ليس باسم الجميع لقرب بل
تحقيقه بصير افعال القرب قربا وفيه انه لم يقل يا ايها الذين قلتم نحن مؤمنون به صلى الله تعالى عليه وسلم
دلالة ظاهرة هجر هذا القول وانه من تلقين الشيطان ليبطل عليهم عقدهم كما يبطل كل عقد يستعمله فيه
صاحبه بما اراد الزامه العقد والله اعلم والثاني ان الله خص بالعبادات المؤمنين وانهن لا يلزمن
غيرهم فيها الاعتقاد لا الافعال التي هي تقوم بالاعتقاد وليس الاعتقاد بواجب لكان تلك الافعال حتى
يكون كالاسباب التي توجب بايجاب افعال بها يقوم بل له اوجب غيره الا ترى انه لا يجوز ان يرتفع
ذلك عن الخلق بحال من الاحوال في الدنيا والاخرة مع ارتفاع غير ذلك من العبادات ثبت ان الامر بذلك
يجب نفسه لا لغيره مع عدمه ثبت ان المعنى الذي ثبت به بصير الامر له لا احتمال فعل العبادات لذلك
لا يجوز الامر بشئ منها دون دون ذلك وله وجهان يجيئون الامر ايضا احدهما العقل انه من البعيد ان يكون
من لم يقبل العبودة ولا اقر بالرسالة تؤمر بالعبادة واتباع الرسول بحق الرسالة بل يقول الزموا بها
اليه ولهذا يكون الثاني وهو كما احال الناس المناظرة في الرسل مع منكري الصانع والمرسل فمثله الاول

بل يجب كل قربة اذ لا يكون الا به والله اعلم والثاني القول بان من اسلم بعد اوقات العبادات لا يلزمه القضاء
ثم لذلك وجهان من المعتبر احدهما انهم اذا لم يدخلوا في خطاب القضاء بما ليس معهم في الحال ما يحتمل معه
القضاء فكذلك خطاب الابتداء اذ هو الذي به لزم القضاء في الاسلام والله اعلم والثاني انه لا يلزم القضا
بعد الاسلام ولا يجوز الابتداء في حاله فكان ذا تكليف لم يجعل الله للمكلف وجه القيام وقد برء الله عن جعل
الوجه من التكليف بقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما بين الله تعالى بقوله فامتعه قليلا ثم
اضطره الى عذاب النار ان ما للكافر يتمتع في الدنيا لا العبادات في ذلك والله الموفق فثبت في الاية التي
ذكرنا دخول جميع المؤمنين في الخطاب اذ بين الرخصة الذي العذر في الافطار على وجوب القضاء فاذا لم
يحتمل خروج من له العذر في الفطر عن ان يتضمنه الخطاب وجه لزم القضاء ثبت ان من لا عذر له داخل
ولا يسعه الفطر وعلى هذا جاء ممن ابتلي بالجماع نهارا انه صلى الله عليه وسلم اكد عليه الامر والزمه الكفارة
على غير سؤال عن احوال سوى ما علم من حاله انه ليس بمريض ولا مسافر فكان في ذلك دليل تاكيد الفرض
وفي ذلك ايجاب الكفارة بتعديه على الصيام عن حال لا يحتمل الارخاص اذ قد كان تلك البلية في الليالي فلم
يؤمر بها من حيث كانوا يملكون ابتغاء الرخصة لانفسهم لولا النوم وفي ذلك ان فرض الصيام يعم المؤمنين
ثم قال الله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه والشهر اسم للكل لو كان المراد واجبا اليه لكان الصيام في
غيره لانه عند مجوم غيره بتم شهوده ثم بينا فيقض لانه قال فليصمه ومحال ان يصوم في غير ابتداء فرجع التاويل
الى ان من شهد منكم شيئا من الشهر فليصم من اعترض الجنون فيه فهو ممن قد تضمنه الخطاب ويجوز في
حالة الفرض ايضا اذ لو شهد ليلة الصيام فعزم على الصيام يجوز له فرضه فدخل في حق الخطاب ثم
اعرضه في سائر الليالي عذر منع النية لا عذر منع الصيام فيقضيه اذ هو اهل الحكم الاية التي ذكرنا
والصيام بذلك الفرض على ما وصفنا ففاته بفوت النية كمن كان فوت لعذر المرض والسفر والحيض
ونحو ذلك بعد ان علم انه ممن تضمنه الاية فعليه قضاؤه وعلى ذلك في الصبي والكافر لم يدخلا في
معنى الاية ولا كانا يحتملان في حال قضاء فرضي الصيام فالقضاء في غيره عن ذلك لا يمين في حق المرض
لذلك لم يلزم وقد روي عن محمد رحمه الله على هذا ان من ادرك مجنونا ثم افاق في بعض الشهر انه لا يقضي
ما مضى على ما ذكرت وعن ابي حنيفة رضي الله عنه في هذا انه يقضي ان كان في اول الشهر بالغا لما
اخبرت ان صيامه لم يجز لعدم النية والصبي والكافر بنفسه ومن فوته لعدم النية فهو داخل
في حكم فرضه فعليه القضاء والله الموفق ومن جن الشهر كله لا يقضي لشرط الشهود وهو لم يشهد
شيئا منه مع امكان الاسقاط بدليل اخر وان كان نحو الخطاب في الظاهر قد اقتضاه على مثل المريض الذي
لا يصح والمسافر الذي لا يقيم والله الموفق وفي قوله اياما معدودات دلالة ان الابتداء في غير صوم
الشهر اذ صوم الشهر يحفظ بالاهلة لا بالايام الاية لكن الله تعالى اذ اعلم الامر الظاهر في الخلق انهم يعدون
بالايام وان كان لهم عن ذلك غنى وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الشهر هكذا وهكذا
من اصابع يديه كلتاهما وعقد ابهامها في اخر مرات وجاء عن غير واحد انهم قالوا ما كنا نصوم على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وعشرين اكثر مما نصوم ثلثين فجائز ذكر قوله اياما معدودات يعني بعدها
الخلق والله الموفق وقوله لعلكم تتقون ما حرم عليكم من انواع اللذات بكف الانفس عن الذي به يدوم
البهائم الا غدية او تتقون نقمة الله في الاخرة ومخالفته في الفعل في الدنيا وقد جعل الله جل ثناؤه عبادا
اعوانا للعابدين بها عن الكف عن المعاصي والخلاف له في الشهوات فقال استعينوا بالصبر والصلوة ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وغير ذلك والله الموفق والاصل ان العبادات تذكر اصحابها عظم
احوالهم في اوقات فيها من المقام بين يدي الجبار وتطلعهم على الموعود لهم في المعاد وهما امران عظيمان
احدهما في الزجر بما يعلم من عظم المقام واطلاع الواحد القهار عليه والثاني في الترغيب بما يشعر قلبه
من لذة الموعود ما يضمحل لديه كل لذة دونه وتنقطع شهواته التي تحول بينه وبين ما وعد الله اعلم ثم
قال لمن كان منكم مريضا الاية من غير ان ذكر فطرا او لا اشار الى ما ذكر من السفر والمرض الذي جعلا له
تاخير الصيام الى ايام اخر ولا اشار الى اعين تلك الايام وكذلك قال مثله فيما كان عرفا الوقت لابتداء
الصيام بقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر على اثر المعرف له بقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه
لكن الفطر يعرف انه مضمر فيه بالعقل والسمع تماما السمع فما جاء من الاثار في الاذن بالافطار و

وللسفر والمرض دل ان في ذكر العدة من ايام اخر اضمار فطر والله اعلم والعقل ان الله تعالى جعل
المرض والسفر سببا للرخص فلا يجوز ان يصير سببا لزيادة فرض على ما كان قبل اعتراضهما على ان قوله
يريد الله بكم اليسر دليل انه لو كان يلزمه ابدا القضاء مع فرض فعل الصوم لكان ذلك عسرا وحرجا
في الدين وقد اخبر الله تعالى انه لم يجعل علينا الحرج في الدين وعلى ذلك قال بعض الناس يلزمهما القضاء
ان افطرا ولا يحتج بما لم تذكر في القران الا فطار وذكر عدة من ايام اخر كان يحتمل الوقت لهما غير
غير الذي هو لغيرهما يؤيد ذلك المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصيام في السفر
كالمفطر في الحضر القضاء فكذلك الصائم في السفر ولكن الاية عندنا على الاضمار وعلى ذلك يجري
ذكر الرخص على اثر ذكر الحظر كقوله عز وجل حرمت عليكم الميتة الى قوله عز وجل فمن اضطر غير باغ
ولا عاد الاية من غير ذكر الاكل انه على اباحته وقال الله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله ثم قال الله عز وجل
فان احصرتم ولم يذكر منه الاحلال لكنه معلوم انه على الشك ما لم يوجد اذ لا يكون العذر بسبب
الزيادة في الفرض وكذلك قوله عز وجل ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله ثم قال عز وجل فمن
كان منكم مريضا الاية وذلك اطلاق الحلق ثم يلزمه الفداء لان الاذى والمرض يلزمانه فكذلك الاول
ثم الاصل انه لا احد يلزم فرض صيام الشهر في غيره اذ لم يدرك الشهر وقد امر من نحن في ذكره بان
انه لزمه بادراك الشهر لادراك وقت الامكان بلا عذر وقال فعدة من ايام اخر وقال ولتكملوا العدة
ليعلم ان الذي يلزمه بالشهر في اوقات الامكان ودل على ما يلزم الاحداث لطهارة الاوقات عبادة
لا تقوم دونها وفعل الجنايات لاوقات الحلول وان تاخرت فتلك امر الشهر دليله ما بينا وما ثبت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته فعل الصيام في ذلك الوقت والفطر جميعا ثبت ان الصوم
يجوز على ان المرض والسفر اذ هما لا ينفيهما لا ينافيان الصيام بما جاز معهما وقد امر به المتمتع وهو
مسافر فليس ذلك على حاضري المسجد الحرام وذبح الصيد والمتأذي بهما لا يتصادان الصيام ثم كان القضا
عن الشهر بظاهر التلاوة فبان انه يجوز فيهما واذا جاز ثبت ان التاخير رخصة والفضل في الفعل والله
اعلم واخبر على من يجهده الصيام حتى خيف عليه وكذلك ما جاء من الاثر ان ليس من البر الصيام في
السفر والله اعلم وعلى هذا يخرج قول اصحابنا في المكره على الفطر انه ان كان مريضا او مسافرا لا يسعه
ان لا يفطر لما جاء في ذلك من الوعيد في الفعل في السفر في حال الضرورة ويسعه لو كان صحيحا مقيما
لما لم يذكر له الرخصة ويلزمه فيه القضاء مما فيه اذ لم يكن ظهر الاذن في تلك الحال كان كف تعظيما
لامره ودينه من غير ان ذكر له في الدين النهي عنه فهو في سعة وليس كالمكره على اكل الميتة ما ليس
ذلك بذي بدل وما لا بدل له نحو اتلاف مال اخر واكل الميتة ولان علة الاضطرار وليست علة الفطر
في السفر تلك اذ قد يجوز لا له فهو عذر النفس لا ضرورة النفس مكانه غير معقول العلة وفيه
تعظيم الدين وليس في اكل الميتة وما ذكر ولا قوة الا بالله ثم السفر الذي به المرض اجمع انه لم يرد به
المكان لما جاء الفطر في الامصار ثبت ان النفس السفر حقيقته الظهور والخروج عن الاوطان و
قد تكون مثله في الخروج عن الاوطان وقد تكون مثله في الخروج الى الضياع ونحوه ولم يؤذن في
الفطر ثبت انه راجع الى الحد وعلى ذلك متفق القول ثم كان الحد المرخص عندنا الخروج على قصد
سفر ثلاثة ايام الخصال ثلثا احدها الاجماع على ان هذا الحد مرخص ودونه تنازع والتنازع يوجب
النظر لان الفتوى بالرخص وفي ذلك امر بفعل الصيام والثاني يجيء الخبر من وجهين احدهما في
تقدير مسح السفر ثلاثة ايام ومعلوم انه جعل للسفر حدا ووقتا لفعل رخصة المسح واوقات
الافعال على اختلاف فيها يتفق على انها لا تقصر عن احتمال الافعال على الوفاء وليس مما لم يدخل الليالي
في حق السفر عبرة وان كانت متوسعة على قطع الطريق والسير فيها فان دوام السير يجحف صاحبه
ويهلكه وفي ذلك منع السفر ثبت ان اوقات السعي والسير مشترطة داخلة في حق السفر لذلك
صارت الليالي كالمعفوة فتكون محيطا بما فيها من فعل المسح والثاني ما جاء من الاثر في النهي عن
ثلاث ايام الا المحرم وهو النهي لما جاء النهي فيما دونه تنازع لم يوجب الرخصة للاشكال في حق
ما له الرخصة على ما كان لما له النهي والله اعلم والوجه الثالث ان السفر حد والنهايات في اغلب
الثلاث فكذلك بالايام اذ هما يسافر وقال موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني

قد بلغت من لدني عذرا واما المرض فلم يجز ان يكون اسمه سببا للرخصة اذ ربما كان المرض يخفف الصيام ويسهل عليه
بسبيل فيه ومن التعبد الترخيص بما يسهل فيه الفعل والتضييق لما يشتد فثبت انه ليس له اسم المرض وعلى ذلك
الاجماع فهو والله اعلم قد يخاف ان يزداد له بترك الاكل الداء ويضيع على المرء اكتساب الداء وتعاطي لصاحبه من خطر
له الفطر بذلك وذلك معنى البشرية اذ به تخفيف ما به او منع ما يعتريه من الضرر ولهذا ما اخص اصحابنا لمن به امد
يخاف الزيادة فيه وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يفطر المريض والحبلى اذا
خافت ان تضع ولدها والمرضع اذا خافت الفساد على ولدها ثبت ان الرخصة لما يخاف من فساد فيه ولا قوة الا
بالله وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مات من طعام او شراب
هو يقدر فله النار وبالله المعونة **وقوله** وعلى الذين يطيقونه قال قائلون يطيقون الفداء وذلك في الابتداء
في المسافر والمريض ان له ان يقضي في ايام اخر وان يفدي وفيه ان يصوموا خير لكم ان تقضوا الصيام والله اعلم
اذ قد يحتمل ايضا ان كانت الرخصة من قبل فيجب عليه الصيام بالخيار وبين ان يصوم وبين ان يفدي والصوم
خير على ما ذكر في الاية ثم نسخ ذلك ان كان على التاويل الاول بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الاية انه
الزم القضاء على كل حال وان كان الثاني فقوله فليصمه انه الزم الفعل على حال وبمثل ذلك خبر معاذ في احالة
الصيام انه كان للمرء خيار بين الفطر والفداء وبين الصيام ثم نسخ في قوله وان تصوموا خير لكم على انه
ذكر السفر والمرض دلاله جعل الصيام في ليس خيرا من الفطر والفداء والقضاء في فور وان احتمل الذي
ذكرت والله اعلم ثم لا دلالة على النسخ في الوجه الذي ذكرت متفق القول على ان المطلق لم يكن له الخروج من
ذلك بالفداء فبذلك يعرف النسخ مما ثبت من قطع الاية على القضاء في احد الوجهين وفعل الصيام في الاخر وعلى
ذلك معتبر القوم في النسخ الثاني الذي لا يقوم للعتقاد ان له الفطر والفداء لان الصوم قد ثبت انه يحتمل الوفاء
بالفداء لكن نسخ بالصيام فاذا ارتفع الصيام بالعجز عن حمل الخطاب بعادات الاحوال وهم المشايخ جاز ان يخاطبوا
بالصيام بالعجز جواعنه بالفداء وعلى ذلك ما جاء من الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بالصيام عن الميت
انه الصيام الذي هو صيام من لا يحتمل فعله وهو الفداء والله اعلم وقد قرئ يطوقونه بمعنى يكلفونه ولا
يطيقونه لكن في الاية وان تصوموا خير لكم ولو كان لا يطيقونه لا يرجون فيه الا ان يشترط فيه طاقة الجهد
والله اعلم **وقوله** عز وجل فمن تطوع خيرا من زيادة فداء او ما يستزيد من الخيرات التي لم يفترض تعود به الخير
او تطوع فيما اذن له في الفداء بالصوم والله اعلم وروي عن عائشة رضي الله عنها انه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا تسموا شهر رمضان فانما هو اسم من اسماء الله تعالى انسبوه على ما انسبه لكم القران **وقوله**
عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه اضاف عز وجل الفعل الى الشهر بقوله فليصمه فلذلك اذا قصد به صوم
الشهر جاز الصوم وان لم ينو الفرض سوى ما ذكرنا وكذلك سائر الفرائض نحو الظهر والعصر ينوي ذلك
فيكون ذلك على ما جعله الله من فرض وان لم ينو الفرض ولا قوة الا بالله وعلى ذلك من نوى بالصيام غير
صيام الشهر جاز عن صيام الشهر لما امرنا بصيام الشهر ولم نؤمر بان نجعل ذلك لشيء سواه والشهر موجود
لنفسه لا يحتاج صاحبه الى ان يوجه كان من ذلك على كل حال وكذلك كل حق معين في شيء لم يزل عنه نيته
الى غيره كمن يامر انسانا ان يشتري شيئا بعينه لم يتحول عنه بالنية على ان ذلك كالظهر والعصر ونحو ذلك فمحال
على تحقيق ذلك قصد غيره وبعد فان كلا يجمع ان لا يجوز غيره فثبت ان استحقاق الشهر بصومه لا يستحق غيره
غيره من الصيام فجاز عنه وعلى ذلك اجاز ابو حنيفة في السفر غيره من حيث اذن له في تاخير هذا وغيره
عليه نحو صوم الظهار والقتل ولا رخصة له في تاخير هذا وغيره فرض عليه نحو صوم الظهار والقتل ولا
رخصة له في تاخيره فجاز فيه اذ هو وقت صيام حول الى وقت غيره فصار هذا الوقت بالحكم لغيره وليس
كنية المتطوع لانه في موضع الرخصة وفي العمل قد يكون له مقدار المتطوع من الفضل على غيره فهو اولى به
ولما قد يجوز الفعل بروية نفل فكانه لم ينو النفل فهو رجل لم يعمل برخصة الله بل عمل بوجه العزم ولا قوة
الا بالله **وقوله** عز وجل لعلكم تتقون قيل تتقون الاكل والشرب والجماع ويحتمل تتقون المعاصي لان
النفس اذا جاعت شبعت عن جميع ما تهوى وتشتهي واذا شبعت تمنت الشهوات وتمنى ما تهوى و
ويحتمل تتقون عذاب الله وعقابه والله اعلم **وقوله** فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر الزم
بعض الناس على المريض والمسافر قضاء عدة الايام وان صاموا فاستدلوا بظاهر الاية تعالى لو اوجب
عليهم القضاء على غير ذكر الاضمار فيها واحتجوا ايضا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لصايم في السفر كالمفطر في الحضر فقد حقق له حكم الافطار حتى ان الاصوب له فدل انه لم يجز لكان كالمقديم
للصوم عن وقته وانما عندنا فهو على اضمار الافطار كانه قال فمن كان منكم مريضا او على سفر فافطر فعدة
من ايام اخر وهو كما ذكر عز وجل في المتاذي من كان به اذى من راسه ففدية اي من كان به اذى فحلق
من راسه ففدية وكما قال في المضطر فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ومثله كثير في القران فلا يجوز
لاحد ان يأتي في ذلك ولان المرض والسفر اعذار رخص الافطار فيها تخفيفا وتيسيرا على اربابها فلو كان
على ما قال هو لكان فيه تضييق عليهم ولانه اذا قضى في عدة من الايام انما يقضي عن ذلك الوقت فلم يجز
الفعل في ذلك الوقت وفي تلك الحال لكان لا يأمر بالقضاء عن ذلك الوقت ولا عن تلك الحال فدل
انه على ما ذكر والله اعلم واصله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صام في السفر وروي انه
افطر وروي عن الصحابة انهم صاموا في السفر ولو كان لا يجوز لكان لا معنى لصومهم واما قوله الصايم
في السفر كالمفطر في الحضر فهو عندنا اذا كان الصوم اجهده وضعفه لزمه ان يفطر صار كالذي افطر
في الحضر والله اعلم وروي عن انس رضي الله عنه انه قال الصوم افضل والفطر رخصة وقوله تعالى وعلى
الذين يطيقونه قرء بعضهم وعلى الذين يطيقونه فمعناه يكلفونه وقال بعضهم لا يطيقونه لكن هذا لا
يحتمل وذلك انه قال وان تصوموا خير لكم دل ان قوله لا يطيقونه لا يحتمل وقيل كان اول ما نزل الصوم
كان من شاء صام ومن شاء افطر واطعم مسكينا كل يوم فلما نزل صوم شهر رمضان نسخ ما كان قبله عمن يطيق الصوم
وبقيت الرخصة لمن لا يطيق من نحو الشيخ الفاني والحبلى والمرضع اذا خافت على ولدها وقيل وعلى الذين يطيقونه اي
الفدية وقيل وعلى الذين يطيقونه ثم عجزوا فدية طعام مسكين كل يوم وقيل ان المريض والمسافر ان شاء افطر
وقضيا وان شاء افطرا وفديا لكن ذلك كله منسوخ بما ذكرنا بنزول شهر رمضان وروي عن انس رضي الله
عنه انه قال احيل الصوم احوال ثلاثة مرة يقضى ومرة يطعم ومرة يصام ثم نسخ هذا كله ثم الاصل
في هذا ان من عجز عن قضائه جعل له الخروج بالفداء بعجزه عن ابتدائه من نحو الشيخ الفاني وغيره
ومن يعجز عن قضائه لم يجعل له الخروج بالفداء من نحو المرضع والحبلى والمريض والمسافر لانهم لم يعجزوا
عن غير المفروض والبدل ابدا انما يجب اذا عجز عن اتيان الاصل والله اعلم وقوله فمن تطوع خيرا ام
يحتمل زيادة التطواف ويحتمل نفس الحج ويحتمل اصل التطوع ان كل ما يتطوع به فهو خير له اذا تطوع
في الاصل خير **وقوله** عز وجل شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وقوله عز وجل و
الفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان المخرج في الدين من الشبهة والضلالة قال ابن
عباس رضي الله عنهما نزل الى السماء الدنيا من اللوح جملة في شهر رمضان في ليلة القدر في ليلة
مباركة جملة واحدة ثم انزل بعد ذلك على مواقع النجوم ارسالا في الشهور والايام على قدر الحاجات
وقوله عز وجل هدى للناس يهتدون به الطريق المستقيم وقيل بيان للناس من الضلالة وبينات
فيه حجج للناس اذا تاملوه وقيل البينات اي فيه الحلال والحرام والاحكام والشرائع وقوله تعالى
والفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان المخرج في الدين من الشبهة والضلالة **وقوله** عز
وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه يحتمل قوله فمن شهد منكم الشهر وهو مقيم صحيح
فليصمه ثم رخص للمريض والمسافر الافطار بقوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر ويحتمل قوله فمن شهد منكم الشهر اي شهد منكم بعقله فليصمه ثم يحتمل ان يكون
فريضة الصوم بقوله عز وجل فليصمه ويحتمل لا بهذا ولكن بقوله ولتكملوا العدة لما مضى لا على
حق الفرضية والثاني قال يريد الله بكم اليسر بما رخص المريض والمسافر الافطار ولو كان غير فرض
لم يكن لما ذكر من الامتنان علينا بالتيسير معنى لان المنة لا تذكر فيما له تركه فدل انه فرض ويحتمل ان يكون
فرضيته قوله عز وجل كتب عليكم الصيام لان قوله كتب قيل فرض فدل هذه الايات على انه فرض ثم اختلف
في قضاء ما فات منه برخصة الافطار في السفر وفي المرض قال بعضهم لا يجوز الا متتابعا وكذلك روي
في حرف ابي بن كعب في قوله فعدة من ايام اخر متتابعات واما عندنا فانه يجوز متتابعا ومتفرقا
اتباعا لما روي عن جماعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا ان شاء تابع وان شاء فرق
وروي ان عليا رضي الله عنه قال تابع لكنه ان فرق جاز ثم من علي وعبد الله بن عباس وابي سعيد
الخدري وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم واخر لسندا ذكرنا انهم قالوا يجوز ذلك ولا يحتمل ان كان

التتابع

التتابع شرطا فيه خفي ذلك على هؤلاء وتركوه الى عرفوه فدل انه لا يصح ذكرا التتابع شرطا فيه وليس كالذكر
التتابع في صوم كفارة اليمين في حرف ابن مسعود رضي الله عنه لانه لا يخالفه احد من الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين في ذلك فصار كالمتلو وههنا قد خالف ابيا في حرفه فلم يصر كالمتلو لذلك فافترقا والله اعلم
وافترقا وقراءة ابي ان ثبت عنه فهو على الادب لما ذكر من اجماع الصحابة رضي الله عنهم وبما انه وجب بوقت
وكل ذي وقت فليس التتابع بشرط فيه من غير ذلك الوقت ولو كان التتابع شرطا لكان حق الافطار
يلزم الكل حتى يكون القضاء موصولا او لا ابتداء فاذا فاما اذا جاز التفريق بين بعض له حكم الابتداء و
بعض له حكم القضاء لجاز في غيره من الابعاض اذ كل ذلك له في الابتداء جاز الفصل والترك فصار حق
كل يوم في القضاء لنفسه لا لغيره اذ كذلك حقه في ترك القضاء والفصل في الابتداء ولا قوة الا بالله
وما ذكر من المسائل فهو مبنية على هذا الذي ذكرت ان التتابع للفصل لا يحتمل اعتراض رخصة التفريق
على امكان الجمع ثبت ان الجمع شرط فيه وما نحن فيه يحتمل صوم كل يوم على الانفراد ان يؤخر فعله في الشهر
بالرخصة عن غيره كذلك القضاء والله اعلم ونحو لو كان التتابع شرطا لم يكن لقوله فعدة من ايام اخر وقوله
عز وجل ولتكملوا العدة كثير فائدة لان في التتابع شرط الجملة لا ان يتكلف له العد وعلى الرجل ان يتم المدة
التي للقضاء لا ان يحفظ الحساب لاكمال العدة والله اعلم والاصل ان كل صوم يؤمر بالتتابع بحيث الفعل
يكون التتابع شرطا فيه حيث ما كان الفعل وكل صوم يكون التتابع بحيث الوقت فبفوت ذلك الوقت
يسقط حق التتابع وتمام على هذا المسائل اذا قال لله علي ان اصوم شعبان فلزمه ان يصوم متتابعا لكنه اذا
فات شيء منه يقضي ان شاء متتابعا وان شاء متفرقا لان التتابع بحيث الوقت فيسقط لسقوطه ولو قال
لله علي ان اصوم شهرا متتابعا يلزمه ان يصوم متتابعا لا يخرج من نذره الا به لان التتابع ذكر للصوم فهو لا
يسقط عنه ابدا والثاني ما قال عز وجل يريد الله بكم اليسر واليسر رخصة لم يجز ان يفعل فيه ما هو عسر و
ضيق وهو التتابع والله اعلم ثم في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه دلالة انه اذا صام عن غيره لم يجز لانه
اضاف عز وجل الصوم الى الشهر واشار اليه بقوله عز وجل فليصمه فلو جاز له ان يصوم عن غيره لكان فيه صرف
الى غير ما جعله الله وفي ذلك خوف اعتراض لامره واشراك في حكمه ونسأل الله العصمة من الزيغ عن الحق والميل
عز وجل يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قالت المعتزلة من صام في السفر وفي المرض فعل ما لم يرد الله لان الله
عز وجل اخبر انه لم يرد العسر وانما اراد اليسر فاذا صام في المرض وفي السفر اراد العسر والله تعالى اخبر انه لم
يرد ذلك انه فعل ما لم يرد الله [illegible] عندنا ان قوله يريد الله بكم اليسر معناه اراد الله بكم اليسر [illegible]
الافطار في السفر لانهم اجمعوا على ان الصوم في السفر افضل [illegible]
[illegible] **وقوله** عز وجل يريد الله بكم اليسر [illegible]
[illegible]
[illegible] **وقوله** [illegible]
ولتكبروا الله على ما هداكم [illegible]
[illegible] لعلكم تشكرون [illegible]
[illegible] **وقوله** واذا سألك عبادي عني فاني قريب [illegible]
[illegible]
[illegible] **وقوله** اجيب دعوة الداع [illegible]

رضي الله عنه في قوله ادعوني استجب لكم اي وحدوني اغفر لكم وقيل اجيب دعوة الداع على حقيقة الاجا
وقوله فليستجيبوا لي اي الى ما دعوتهم يحتمل على ما ذكرنا في قوله اجيب لكم اذا استجبتم لي بالطاعة
والائتمار ويحتمل اجيب لكم اذا اخلصتم الدعاء لي ويحتمل على ما ابتداء الامر بالتوحيد كانه قال وعد وفي
الا ترى انه قال وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون اذا فعلوا ذلك وقوله احل لكم ليلة الصيام سماه ليلة
الصيام الليل مضافا الى يومه كانه قال ليلة يوم الصوم وان لم يكن فيها صوم اي الحقيقة لان الاد
الصيام فيها بالنهار على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال منتظر الصلوة ما دام ينتظرها
وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه اضاف الصوم الى الشهر يدخل فيه الليل والنهار لان
اسم الشهر يجمع الليل والنهار لان اسم الشهر يجمع الليل والنهار جميعا وقوله الرفث الى نسائكم
قيل الرفث الجماع وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل الرفث هو حاجات الرجال الى النساء
من نحو الجماع والمس والتقبيل وغيره وقوله هن لباس لكم وانتم لباس لهن قيل هن ستر لكم عما لا
يحل وانتم ستر لهن ايضا ضعف الرجل بالمراة والمراة بالرجل وقيل سكن لكم وانتم سكن لهن يسكن الزوج
بالزوجة والزوجة بالزوج وهو كقوله وجعلنا الليل لباسا اي سكنا وجعل لكم الليل لتسكنوا
فيه ويحتمل ان يكون احدهما لباسا للاخر بالليالي والله اعلم وقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
تختانون وتخونون واحد قيل نزلت الاية في شان عمر رضي الله عنه وذلك ان الناس اذا صاموا ثم
نام احد منهم حرم عليهم الطعام والجماع حتى يفطر من الغد فواقع عمر رضي الله عنه امراته يوما بعد ما
نام او نامت فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فنزل قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
اي تظلمون لان كل خاين ظالم لنفسه فتاب الله عليه وعفى عنه ثم رخص لهم المباشرة بقوله فالان
باشروهن على الرخصة هو على الاباحة لا على الامر به وقوله وابتغوا اي ابتغوا ما كتب الله لكم قيل فيه
بوجوه قيل ما كتب الله لكم من الولد وقيل ما كتب الله لكم من ليلة القدر وما فيه من نزول الرحمة وقيل
ابتغوا اي ابتغوا ما كتب الله لكم من الرخصة والاباحة في الجماع وفي ليلة الصيام والاكل بعد النوم و
هو كما جاء من لم يقبل رخصتنا كما يقبل عزايمنا فليس منا وقوله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الفجر ذكر عن عدي بن حاتم انه قال كنت اصنع خيطين تحت وسادتي بعد نزول هذه الاية
احدهما ابيض والاخر اسود فكنت انظر فيه حتى ما تبين لي ان اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فقال ان وسادك لعريض يعني ان الفجر هو المعترض في الافق وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم الفجر المستطيل انما الفجر المستطير في الافق وروي انه قال الفجر فجران
فجر مستطيل في السماء وفجر مستطير في الافق فهو الذي يحرم الطعام على الصائم ويحل الصلوة و
روي انه قال لا يغرنكم اذان بلال فانه انما يؤذن بالليل ليوقظ نائمكم ويرجع قائمكم وفي بعض
الاخبار قال لا يغرنكم اذان بلال عن سحوركم فانه انما يؤذن بليل وكلام نحو هذا والاصل في هذا ان
الله عز وجل جعل حد الصيام من وقت تبين وقت النهار عند بزوغ الشمس واباح من وقت تبين النهار الطعام
والشراب والجماع تخفيفا منه وقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اختلف في المباشرة قيل
المباشرة عني به الجماع وما دون الجماع فانما نهوا عنها وقيل المباشرة كناية عن الجماع ثم قوله ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد فيه اذ له من وجه الاية كانها نزلت في نهي الا ان كانوا يباشرون
نساءهم في المساجد لان المساجد كان احل عندهم من ان يجعلوها مكانا للوطي للنساء ولكن والله اعلم
ان الاعتكاف هو اللبث في مكان باخذ الحق في نفسه عند عكوفه المسجد وخروجه منه فذكر ان
العكوف نفسه يحرم الجماع في الاحوال كلها ليس كالصوم الذي يحرمها لا دون حال في الوقت الذي
لم يكونوا فيها ليعلموا ان حكم المقام في المساجد اخذ لهم ويلزمهم فيها ولو لم يكن شرطا في ذلك لكان قوله
وانتم عاكفون او لم يكونوا في المساجد فيتطرق النهي للمباشرة والله اعلم وفيه دليل ان الاعتكاف
لا يكون الا في المسجد حيث خص المساجد دون غيرها من الامكنة وفيه دليل ان المعتكف قد يخرج
معتكفه لكنه لا يخرج الا لما لا بد منه على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يخرج الا لحاجة
انسان وحاجة الانسان يحتمل وجهين يحتمل لما يرتفع اليه من الحوائج ويحتمل حاجة الانسان الحاجة المعروفة
التي لا يحتمل فصادها في المسجد ثم الضرورة تقع بالخروج في العكوف بوجهين مرة في نفسه ومرة في

افعال يكتسبها وبهذا يقول اصحابنا رحمهم الله في فرضية الخروج الى الجمعة لان من اعتكف على ان لا يشهد
الجمعة لا يؤذن له في ذلك ما لا يجوز ان يؤذن بايجاب قربة هي ليست عليه بتضييع اخرى هي عليه
لذلك كان ما ذكرنا فان قيل روي انه كان يخرج لاتباع الجنازة وعيادة المريض قيل ان ثبت هذا فهو
اذ خرج لوجه اذن له بالخروج لذلك الوجه فخرج ثم عاد مريضا او شهد جنازة وذلك جايز لو كان
يؤذن لذلك لكان يؤذن لكل قربة اذ الجنازة اذا شيعها لكان يسقط فرض التشييع فاذا لم يؤذن في غير
هذا وهذا مثل ذلك اوكد وانه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك دليل ان الخبر على ما ثبت
والله اعلم وروي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت من السنة ان لا يخرج المعتكف من معتكفه دل
هذا من عايشة رضي الله عنها ان الخبر على ما ذكرنا ان ثبت وقوله ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد فيه دليل على ان الاعتكاف يكون في جميع المساجد لانه عم المساجد وما روي
ان لا اعتكاف الا في المسجد الحرام ان ثبت فهو على التناسخ لان النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف في مسجد
المدينة فدل فعله انه منسوخ والله اعلم وقوله تلك حدود الله فلا تقربوها قيل تلك المباشرة معصية
فلا تقربوها في الاعتكاف فحد الامر ان لا تقربوها وقيل انه جعل لكل طاعة وامر ونهي حدا وغاية فلا
يجاوز ولا يقصر عنه وقيل تلك الفرايض الله وقيل تلك سنن الله وكان الاول اقرب وقوله ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام قيل لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تدلوا بها الى
الحكام وقرئ ابي فتدلوا بها الى الحكام وجهان على الاضمار كقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل و
تكتموا الحق اي ولا تكتموا وقيل لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بان تلبسوا على الحكام وتقيموا على ذلك
حججا باطلة على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن
بحجته من بعض فمن قضيت له على اخيه المسلم فكانما قضيت بقطعة من النار وقوله ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل مال اخيه كماله ونفس اخيه كنفسه لقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فاذا
اكل مال اخيه بالباطل لزمه مثله فجعل كاكل ماله بباطل وجعل قتل نفس اخيه بالباطل كقتل نفسه
بالباطل لانه اذا قتله بباطل قتل به ثم من الناس من استدل بهذا على ابي حنيفة رضي الله عنه حيث
فيما يقول بمضي المعتقد اذا شهدا الشهود على ذلك عند الحاكم وقضى به في الظاهر ان الشهود زور و
قال ولا تاكلوا وما روي من الوعيد للاخذ مكان ما اخذ قطعة من النار فاذا لم يحل ذلك لم
يمض العقد غير ان الاصل عندنا في كل ما لو احتج الخصمان على ذلك لسبب جعل ذلك لهما فاذا
الحاكم بذلك السبب نفذ لتاكلوا فريقا من اموال الناس يعني طائفة من اموال الناس وقوله
يسالونك عن الاهلة يحتمل قوله اي يسالونك عن الاهلة ويحتمل يسالونك انهم يسالونك
من بعد فان كان على هذا ففيه دليل رسالته كان كما اخبر من السؤال ثم معنى السؤال عن الاهلة
والله اعلم هو انهم لما راوا الشمس تطلع دائما على حالة واحدة وراوا القمر يختلف الاحوال من
الزيادة والنقصان تحملهم ذلك السؤال عن حال القمر فاخبر عز وجل انه جعل الهلال لمعرفة الحق الاو
والاجال والمدد ومعرفة وقت الحج لانه لو جعل معرفة ذلك بالايام لاشتد حساب ذلك عليهم
وتعذر معرفة السنين والاوقات بالايام فجعل عز وجل بلطفه ورحمته الاهلة ليعرفوا بذلك
الاوقات والاجال ويعرفوا وقت الحج ووقت الزكوة طلبا للتخفيف والتيسير عليهم ثم قال
مواقيت الحج جعل الاهلة كلها وقتا للحج ولهذا ما قال اصحابنا انه يجوز الاحرام في الاوقات كلها
على ما يجوز ابقاء الاحرام في الاوقات كلها واما افعال الحج فانها لا تجوز الا في وقت فعل الحج وهو
قوله الحج اشهر معلومات فانما هي على افعال فيه دليله قوله فمن فرض فيهن الحج ولا نعرض من الحج
في غير الاحرام دل انه عني به افعال الحج وقد جاء انه سمى الاحرام عن الانفراد حجا وسمى الطواف بالبيت
حجا وقال الحج عرفة وسمى الذبح حجا حيث قال افضل الحج العج والثج وانما سمي كل منها حجا لما جعل لها
اوقاتا معلومة يؤدى فيها واما الاحرام فانه جعل الاشهر كلها وقتا بقوله يسالونك عن الاهلة
قل هي مواقيت للناس والحج وقوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها لا معنى لعطف هذا على
الاول الا على اضمار السؤال كانهم سئلوه عن الاهلة وعن اتيان البيوت من ظهورها فاخبر ان ليس
البر في اتيان البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ثم اختلف في قصة هذا الكلام قال بعضهم ان

بعض العرب اذا احرم احدهم لم يدخل في بيته من بابه ولكن يدخل من ظهر البيت مخافة تعظيم الاحرام
اذا دخل من بابه وقيل ان بعض العرب اذا خرج احدهم الحاجة فلم يقض حاجته فرجع لم يدخل
البيت من بابه ولكن كان يدخل من وراء ظهره يكره دخول بيت غير منجح يتطيرون به وتيمنا لون
قصدا ثانيا فقال الله عز وجل ليس البر فيما تصنعون ولكن البر من اتقى واتبع امر الله وانتهى
عما نهى عنه وياتي البيوت من ابوابها ويحتمل ان يكون على التمثيل والبر ليس على التحقيق كقوله هم
نبذوه وراء ظهورهم وكقوله فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فهو ليس
على حقيقة الطرح وراء الظهر ولكن كانوا لا يسمعون كلام الله ولا يعبئون به وكذلك كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمعونه ولا يكترثون اليه فاخبرانهم كالمنبوذ المطروح وراء الظهر
بالمرمى على بر فعل ذلك الاول اخبرانه ليس البر في ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والايتمار بامره اى
ليس فعل البر مخالفة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن البر في الاتباع له والايتمار بامره وقال اهل التاويل ان
المراد من الابواب هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه والبيوت وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم
امروا باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند علي رضي الله عنه ما جاء انه قال انا مدينة العلم
وعلي بابها فمن اراد الدخول في البيت لابد من ان ياتي الباب فيدخل من الباب لكن الجواب لقولهم
على قدر ما تاولوا انه ذكر البيت وذكر الابواب ايضا والبيوت كثيرة والابواب كذلك ايضا فعلى وغيره
من الصحابة من نحو ابي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم اجمعين فيه شرع سواء الا ترى انه قال انا
مدينة الحكمة والمدينة لا يعرف لها باب واحد بل يكون لها ابواب فدل ان تاويلهم في علي رضي الله عنه
خاصة لا يصح وبالله العصمة **وقوله** واتقوا الله اى اتقوا ولا تعصوه ولا تتركوا امره وانتهوا
من مناهيه **وقوله** وقاتلوا في سبيل الله دينه وطاعته اى في اظهار دينه قيل هي اول اية
في الامر بالقتال وقيل اول اية نزلت في الامر بالقتال قوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
ويحتمل انه اخبر كانهم نهوا ولا انه اذن لهم احيانا فلا يدرى ايهما اول ولكن فيه الاذن في القتال
والنهي عن الاعتداء ههنا قيل هو نهي عن قتل الذراري والنساء والشيخ الفاني على ما جاء انه
بعث سرية اوصى لهم ان لا يقتلوا وليدا ولا شيخا وقيل نهاهم ان يقاتلوهم في الشهر الحرام
الا ان يبدؤهم المشركون بالقتال والله اعلم **وقوله** والله لا يحب المعتدين انه لا يحب الاعتداء
لم يحب من اعتدى **وقوله** اقتلوهم حيث ثقفتموهم قيل لفظ الحيث يعبر عن المكان ففيه اذن
بقتلهم في جميع الامكنة وفي تعظيم الامكنة تعميم الاوقات فهو على عموم المكان لا فيما استثنى
من المسجد الحرام مطلقا واما قوله يسالونك عن الشهر الحرام فالاستثناء فيه مفيد فلم
يخرج عن ذلك العام والله اعلم ثم منهم من جعل لهم القتل في الحرم وفي الشهر الحج بظاهر هذه
الاية ومنهم من قال لا تقتل فيهما جميعا وقال اصحابنا رحمهم الله يقتل في اشهر الحرم ولا يقتل
في الحرم الا ان يبداهم بالقتال فحينئذ تقتلهم وكذلك يقولون فيمن قتل اخرثم التجاء
الى الحرم لم تقتل فيه ولكن لا يواكل ولا يشارب ولا يجالس حتى يضطر فيخرج فتقتل واذا
قتل في الحرم يقتل فعلى ذلك لا يقاتل في الحرم الا ان يبدؤهم بالقتال فعند ذلك يحل القتل
وانما لم يحل القتال في الحرم لا ان يبدؤا وهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم
يبيح القتل في الامكنة كلها بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه استثنى الحرم
دون غيره من الاماكن واما قوله يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير بظاهر
هذه الاية يحرم القتال في اشهر الحج لكن فيه دليل حل القتال بقوله والفتنة اشد من القتل يعني
بالفتنة الشرك جعل القتل فيه كبيرا ثم اخبر ان الشرك فيه اكبر واعظم من القتل فالاصل عندنا
ان الابتلاء اذا كان من وجهين يختار الايسر منهما والاخف فلذلك قلنا انه يختار القتل في الحرم
على بقاء الفتنة وهو الشرك اذ هو اكبر واعظم والله اعلم **وقوله** واخرجوهم من حيث اخرجوكم يحتمل
قوله اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم عام الحديبية ويحتمل انه امرهم بان يضيقوا عليهم ويضطروهم
على الخروج كل نفس اهل مكة بهم ويحتمل الاخراج على ما جاء الا لا يحجن مشرك بعد عامي هذا ويحتمل
ان يمنعوهم عن الدخول فيه كقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وكقوله يخرجهم

من

من الظلمات الى النور والمنع عن الشرك اخراجا **وقوله** والفتنة اشد من القتل اى الشرك اعظم جرما
عند الله من القتل فيه **وقوله** ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم
فاقتلوهم كما ذكرنا ان هذا وقوله واقتلوهم كله يخرج على المجازات لهم فيه لغة اخرى ولا تقتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فاذا قتلونا لا سبيل لنا ان نقتلهم فما معنى هذا قيل يحتمل قوله
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم اى اذا قتلوا واحدا منكم فحينئذ تقتلوهم او لا تقتلوهم حتى يبدؤهم
بقتلكم او ان يقول لا تقتلوهم حتى يقتلوا بعضكم فاذا فعلوا ذلك فحينئذ تقتلونهم والله اعلم
وقوله كذلك جزاء الكافرين اى هكذا جزاء من لم يقبل نعم الله ولم يستقبلها بالشكر ويحتمل كذلك
جزاء من بدء بالقتال في الحرم ان يقتل **وقوله** فان انتهوا فان الله غفور رحيم يحتمل وجهين فان انتهوا
عن الشرك واسلموا يغفر لهم الله برحمته ويحتمل فان انتهوا عن بدء القتال واسلموا فان الله يرحمهم
ويغفر لهم ذنوبهم **وقوله** وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة انما امرنا بالقتال مع الكفرة ليسلموا
فان قيل اين الحكمة في قتل الكفرة وهو في النظام غير مستحسن في العقل قيل انا نقاتلهم ليسلموا
ولا نقاتلهم الا ان ياتوا الاسلام فاذا ابوا ذلك فلم نقتلهم لا يسلمون ابدا لذلك قتلناهم
اذ في القتل ذهاب الفتنة ويحتمل قاتلوهم حتى تكون فتنة على وجه الارض ان تطهر من الشرك وزوال قوم
الفتنة عنهما العذاب اى قاتلوا حتى لا يقدروا عليه كفار **وقوله** ويكون الدين لله اى ليكون الدين دين
الله في الارض لا الشرك والدين الحكم **وقوله** فلا عدوان الا على الظالمين فان قيل فاذا صار الدين كله
لله فلم ظالم ههنا فيه معنى هذا الكلام قيل يحتمل لا عدوان الا على الظالم الذي احدث الظلم من بعد
ويحتمل لا عدوان الا على من بقي منهم مع الظلم فان قيل فلم سمي عدوانا والعدوان هو ما لا يحل قيل
لانه جزاء العدوان وان لم يكن هو في الحقيقة عدوان فسمي باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة وان
لم يكن هو سيئة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وكما سمي جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن في الحقيقة اعتداء
فكذلك الاول **وقوله** الشهر الحرام بالشهر الحرام قيل خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام يريد مكة
فصده المشركون عن دخولها فجاء من عام قابل في الشهر الحرام فدخلها واقام ثلاثا وقضى عمرته التي
فاتته في العام الاول فسميت عمرة القضاء فذلك تاويل قوله والحرمات قصاص هذه الثانية صارت
قصاصا بالاول وقيل ان اهل الجاهلية كانوا يعظمون الشهر الحرام ولا يقاتلون فيه فلما ان ظهر الاسلام
عظم اهل الاسلام ايضا ولم يقاتلوا فيه حتى جعل الكفار يغيرون على اهل الاسلام ويستنصرون عليهم
حتى نسخ ذلك وامروا بالقتال فيه بقوله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم انه قال ما هتكتم من حرمة الشهر فقصاص لما هتكوا **وقوله** فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم قد ذكرنا هذا فيما تقدم **وقوله** واتقوا الله يحتمل اتقوا مخالفة الله او اتقوا عذاب
الله **وقوله** واعلموا ان الله مع المتقين يعني مع المؤمنين جملة ويحتمل اتقوا القتال في الحرم قبل ان يبدؤهم
فان الله مع المتقين في النصر والمعونة لهم **وقوله** وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
قيل فيه بوجوه قيل بالانفاق ترغيبا بالخروج الى الجهاد والا فكل منفق على نفسه بما يعلم حاجته
اليه ولا يلقي نفسه في الهلاك من حيث منع الانفاق وقيل في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هو
ان يذنب ذنبا ثم ييأس عن العفو عنه وقيل وانفقوا اى لا تظنوا بالانفاق مخافة الفوت في
الوقت الثاني فانه يخلف لكم ما انفقتم وقيل انفقوا اى اعينوا اصحابكم ولا تلقوهم الى التهلكة
بترك المعونة لهم بالانفاق والتجهيز لهم وقيل تصدقوا فان فيه حيوة ابدانكم وانفسكم **وقوله** واحسنوا
قيل احسنوا الى اصحابكم بالاعانة والتصدق وقيل احسنوا الظن بالله في الانفاق وقيل احسنوا الظن
بربكم في الخروج الى الغزو ويحتمل احسنوا اى اسلموا وعلى ذلك يخرج قوله ان الله يحب المحسنين يعني المؤمنين
وقوله واتموا الحج والعمرة لله اختلفوا في تاويله وفي قراءته قال بعض الناس العمرة فريضة بهذه الاية لانه امر
باتمامها كما امر باتمام الحج وقيل هي الحجة الصغرى واما عندنا فهي ليست بفريضة وليس في قوله اتموا
الحج والعمرة لله دليل فريضة لانا لا نعرف فرضية الحج بهذه الاية ولكن انما عرفنا بقوله ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا ثم في الامر بالاتمام وجوه احدها انهم كانوا يفتتحون الحج بالعمرة فامروا
باتمامها على ما روي عن عمر رضي الله عنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا انهى عنهما

ما عاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء والثاني انهم كانوا لا يجعلون العمرة لله فامروا بجعلها لله
دون ذلك وروي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا واتموا الحج والعمرة لله فان من تمامها ان تحرم من
دويرة اهلك واحتج اصحابنا رحمهم الله ايضا بما روي عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله
العمرة واجبة هي قال لا وان تعتمر خير لك وروي ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحج مكتوب
والعمرة تطوع وفي بعضها قال الحج جهاد والعمرة تطوع وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الحج فريضة والعمرة
تطوع وعن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله اكل اهلك يرجع بحجة وعمرة غيري قال انفري فانه
يكفيك الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا والاصل الذي احتج اصحابنا ايضا يقتضي من النظر وذلك ان الله تعالى
فرض الصلوة والزكوة والصيام في اوقات خصها بها واجمع اهل العلم ان المتطوع بالصدقة والصلوة
والصيام يفعل ذلك متى شاء ثم اجمعوا ان العمرة لا وقت لها فدل ذلك على انها تطوع اذ لو كانت فريضة
كان لها وقت مخصوص يفعل فيه كغيرها من الفرايض فان قيل ان الحج المتطوع مخصوص بوقت كمخصوص
المفروض منه فكما لا يدل المخصوص الذي في الحج المتطوع على وجوبه فكذلك العموم الذي في العمرة لا يدل
انها تطوع قيل وجدنا الفرض كله مخصوصا بوقت ووجدنا التطوع على ضربين منه ما هو مخصوص
كالحج ومنه ما هو غير مخصوص كالصلوة والصيام والصدقة فلما لم نجد في الفرض ما ليس بمخصوص بوقت
تطوع غير فرض واحتجوا ايضا بانا وجدنا العمرة تفعل في اشهر الحج ولم نجد صلوتين يفعلان في وقت
واحد فريضتين ولكن يفعل الصلوة التطوع وقت الفريضة ثبت لما جاز ان يجمع بين فعل الحج و
العمرة في وقت واحد انها تطوع كالصلوة التي تفعل في وقت الظهر وغيرها واحتج من جعلها فريضة بانا
قالوا لم نجد شيئا يتطوع به الا وله اصل في الفرض فلو كانت العمرة تطوعا كان لها اصل في الفرض قيل العمرة
انما هي الطواف والسعي ولذلك اصل في الفرض فرض الحج مع انا وجدنا الاعتكاف تطوعا وليس له
اصل في الفرض فكذلك العمرة والاصل بان كل ما يبتدئ الله ايجابه على عباده فانه يوجب فعلها باوقات
او يجعل لادائها اوقات والعمرة ليس لوجوبها وقت ولا لادائها ثبت انها ليست مما اوجبها الله
وقوله فان احصرتم فما استيسر من الهدي الاية على الاضمار كانه قال والله اعلم فان احصرتم عن الحج فاردتم
ان تحلوا فاذبحوا ما استيسر من الهدي اذ الاحصار نفسه لا يوجب الهدي لكنه اذا اراد الخروج منه
يخرج بهدي وعلى ذلك يخرج قوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر كانه قال والله اعلم
من كان منكم مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر وكقوله او به اذى من راسه ففدية من صيام
معناه والله اعلم او به اذى من راسه ففدية ولا لكون الاذى في راسه لا يوجب عليه الفدا حتى تزيل
كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه اي من اضطر فاكل منها غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه و
والاضطرار نفسه لا يوجب الاثم ثم اختلف اهل العلم في الاحصار ما هو وبمن وبم يكون وهل يحل روي
عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اذا احصر الرجل من مرض وحبس وكسر واشبه ذلك بعث الهدي
وواعد يوم النحر مكث على احرامه حتى ان يبلغ الهدي محله وعليه الحج والعمرة جميعا من قابل عن ابي الزبير
وعروة بن الزبير قال المحصر من كل شيء يحبسه عدو ومرض وروي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل ومعنى قوله فقد حل اي جاز له ان يحل بغير دم لان الله
تعالى اذن له في الاحلال بدم وهذا عندنا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل وادبر النهار وغابت
الشمس فقد افطر الصايم معناه فقد حل له الافطار وذلك الاول حل له ان يحل ثم قال بعض اهل اللغة من نحو
الكسائي وابي معاذ قالوا ان الاحصار من المرض والحصر من العدو فان قيل روي عن ابن عباس رضي
الله عنه وابن عمر رضي الله عنهما انهما قالا لا حصر الا حصر العدو ولكن في هذا نسخ الكتاب بقولها
ان ثبت وهو لا يرى نسخ الكتاب بالسنة فضلا ان يراه بقول واحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم معما
تركت قولهما لانه روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال ذهب الحصر ثم يقال للشافعي رحمه الله اذا جاز ان
يجعل المراة بمنزلة المحصر من غير ان يخاف عدوا لكنها لما منعها من له ان يمنعها جعلتها محصرة فهلا جعلت
المريض مثلها وان كان النص في القران جاء في المحصر من العدو فعلى زعمك فقال لان المراة حبسها من له ان
يحبسها فمن اشبهها الا من حبسه عدو وليس له ان يحبسه فيقال له المريض امرضه من له ان يمرضه فاحمله
شبهها الا من الذي حبسه عدو وليس له ان يحبسه او فرق من المراة والمريض فقال بل بينهما فرق قد ذلك

ان الخايف يجد ويخاف القتل على نفسه وقد اباح الله تعالى للخايف في القتال ان يتحيز الى فئة فينتقل بذلك
من الخوف الى من قبل له كما رخص للخايف في ذلك فقد رخص للمريض ان لا يحضر القتال فان الرخصة لم اكثر
من الرخصة للخايف فان قال ان المريض لا نسأ بالعقود والخايف يا من قيل له ان الرخصة التي جعلت للاعتاد
لا يحمل لترشيحها ويكون الرخصة لمرضه المشقة فيقال له ايضا قد جعلت المراة محصرة اذا منعها زوجها وهي لا
تخاف القتل على نفسها فبطلت علته وانتقضت فان قال انكم لم تجعلوا من ضل الطريق محصرا وهو ممنوع من المضي
على وجهه فما الفرق بينه وبين المريض فيقال لم نجعل الضال عن الطريق محصرا لم يجز له ان يحل من احرامه الا
بدم يوجهه الى الحرم فيذبح عنه واذا وجد من يذهب الى الحرم فذبح هديه فليس بضال لانه قد وجد دليلا
يدله على طريقه فلذلك افترقا وبعد فان المرض احق ان يكون عذرا في ذلك من العدو وغيره لانه يقاتل
العدو والسباع فيدفع عن نفسه الاحصار والمرض لا سبيل له الى دفعه دل انه احق ان يجعل عذرا
وقال بعضهم يكون محصرا من الحج ولا يكون من العمرة لان الحج مما يحتمل الفوت والعمرة لا واما عندنا فانه
يكون محصرا منهما جميعا لان الله عز وجل ذكر الاحصار على اثر ذكر العمرة بقوله واتموا الحج والعمرة لله
فان احصرتم فما استيسر من الهدي وروي في الخبر برواية ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت الشريف فنحر هديه وحلق راسه بالحديبية وقوله
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فيه دلالة ان المحصر يبقى حراما على حاله لا يحل حتى ينحر عنه
الهدي واختلف اهل العلم اين يذبح الهدي فعندنا انه لا يجوز ان يذبح الا في الحرم روي عن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال يبعث بهدي ويواعدهم يوما فاذا نحر عنه حل وعن ابن عباس رضي الله عنهما مثل
ذلك وعن ابن الزبير رضي الله عنه مثل ذلك وعن ابن الزبير رضي الله عنه وعروة بن الزبير رضي الله
عنه ان المحصر يبعث بالهدي فاذا نحر عنه حلق وظاهر القران يدل على ما روي عن هؤلاء لان الله تعالى
قال ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فجعل للهدي محلا يبلغه وبين موضع فقال هديا بالغ
الكعبة وكانت الكعبة محلا لجزاء الصيد فالدم المحصر قال الشيخ رضي الله عنه المحل اسم الموضع الذي
يحل فيه ولو كان كل موضع له محلا لم يكن ذكر المحل فايدة واحتج من خالف اصحابنا رحمهم الله بما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي يوم الحديبية في الحرم برواية مروان بن الحكم وعن ابن عباس رضي
الله عنه قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية فحال المشركون بينه وبين دخول مكة وجاء
سهيل بن عمرو يعرض عليهم الصلح فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يسوقوا البدن حتى ينحر
حيث شاء ولا يتوهم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يهدي الهدي في الحل وقد اطلق له المشركون
ان ينحرها حيث شاء وهو يقرب الحرم بل هو فيه وروي عن مروان والمسور بن مخرمة قالا نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحديبية في الحل وكان يصلي في الحرم فهذا يبين انه كان قادرا ان ينحر هديه في الحرم حيث
يصلي كان يصلي ولا يحتمل ان يترك الهدي في الحرم وهو على ذلك قادر ولان الحديبية مكان يجمع الحل
والحرم جميعا فانما ذبح في الحرم لا في الحل لما ذكرنا انه لا يحتمل ان يذبح في وليس سبيل الذبح في الحرم فان قيل
حل النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من احصاره بغير دم قلنا ليس الامر عندنا هكذا لانه لا يتوهم
على النبي عليه الصلوة والسلام ان يكون يحل بغير دم وقد امر الله المحصر بالدم فان قال كذلك قال
وليس في حديث صلح الحديبية انه نحر ومن وانما نحروا واحدا فما وجه ذلك عندكم قيل وجه ذلك عندنا
والله اعلم ان الهدي حبس عن سبيله وانت تزعم ان من باع هديه فهو مسي قيل لان النبي صلى الله عليه وسلم
الذي ساق قد كان هديا بمتعة او قران فلما منع من البيت سقط عنه دم القران فجاز له ان يجعله من دم
الاحصار فان قيل فكيف قلنا ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ال الهدي عن سبيله وانت تزعم ان من باع هديه
فهو مسي قيل لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصرف الهدي عن نحره لله والتقرب به اليه وانما صرفه للسنة
الى ما هو افضل منها واوجب فكان ذلك في فعله متبعا والذي باعه صرفه عن سبيله وترك ان ينحره
بعد ان كان نوى به فكان مسيا ومما يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم حل الهدي لاحصاره لما روي انه
لم يحلق حتى نحر هديه وقال يا ايها الناس انحروا وحلوا ثم مسئلة ما يجب على المحصر بالحج والعمرة من القضاء
اذا حل فمن قول اصحابنا اذا كان محرما بالحج يلزمه الحج مكان الاول وعمرة بتفويت الحج قال الله تعالى فاذا
امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج اختلف اهل العلم في تاويل ذلك فروي عن ابن عباس رضي الله عنه فيما

يكون الرجل محصرا انه قال فاذا امنتم من الخوف او المرض فمن تمتع بالعمرة اى اعتمر فى اشهر الحج كانه يقول ان عليه لاحلال له بغير الطواف عمرة فان اخرها حتى يقضيها مع الحج فى اشهره فعليه الجمعة بينهما دم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال فى رجل اهل بعمرة فاحصر بهدية فاذا بلغ الهدى محله حل فان اعتمر من وجهه ذلك فما بدا فليس عليه هدى وان اعتمر من قابل بعد حج فليس عليه هدى فان وصلها بالحج من قابل فعليه هدى والحاج اذا احصر فانه يبعث بهدى فاذا بلغ محله حل وان اعتمر من وجهه ذلك اذا برئ فانه يحج من قابل وليس عليه الهدى فان لم يرد البيت حتى يحج وجعلها سفرا واحدا كان عليه هدى اخر سفران وهدى او هديان وسفر وقال قوم عليه حج واحد وروى عن ابن عباس رضى الله قال امر الله بالقصاص فياخذ منكم العدد اى حجة بحجة وعمرة بعمرة وروى فى خبر عمر رضى الله عنه وعن النبى صلى الله عليه وسلم لما قال فقد حل وعليه الحج من قابل هذا يدل على قول ابن عباس رضى الله عنه لانه قال وعليه الحج من قابل ولم يذكر عمرة الا انه قد يجوز ان يكون عليه العمرة وان لم يذكر فى الحديث كما ان الدم عليه واجب فعلى ذلك العمرة يجوز وجوبها وان لم يذكر انما ايجابهم العمرة لفسخ الحج بغير طواف وحجة كما حجه فان كان التاويل فى قوله فمن تمتع بالعمرة اى بالعمرة التى لزمته باجلاله كما قال ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير رضى الله عنهم فكفى بحجة وان كان تاويل الاية غير ذلك فانا وجدنا من يفوته الحج يلزمه ان يطوف بالبيت ثم يحج بعد ذلك قضاء الحج فارجعوا على المحصر عمرة مكان الطواف الذى يجب على من يفوته الحج واجبوا الحج لما دخل فيه فان قيل يجب ان يسقط عنه العمرة التى تجب على من يفوته الحج لان الذى يفوته الحج لا يحل منه بدم وانما يحل بالطواف والمحصر قد حل بالدم فقام الدم الذى لزمه يحل به مقام الطواف فى الذى يفوته الحج قيل له ان المحصر لو لم يذبح عنه هديا احتاج اى يقوم على احرامه حتى يصل الى البيت فيطوف به ولو الى سنين ثم يحج بعد ذلك مكان الحجة التى دخل فيها فجعل له ان يتعجل الى الخروج من احرامه ويوخر الطواف الذى لزمه بدم يهريقه فبالدم جاز له ان يحل ولم يبطل الطواف عنه واذا لم يبطل الدم عنه الطواف ولم يجعل بدلا عنه فهو عليه ان ياتى به باحرام جديد فيكون ذلك عمرة فان قيل الدليل على ان الدم الذى يحل به المحصر جعل عليه لتعجيل الاحلال ولم يجعل قيل لان اهل العلم اجمعوا على ان الذى يفوته الحج ليس له ان يفسخ الطواف الذى لزمه بدم يهريقه يجعله بدلا عن الطواف فدل انه انما يهريق الدم ليتعجل به الى الاحلال لا بدلا عن الطواف والله اعلم

وقوله فما استيسر من الهدى روى عن على وابن عباس رضى الله عنهما انهما قالا الشاة واصحابنا رحمهم الله يرون الشاة تجزى بالمتعة والاحصار والفدية والحجة لهم فى ذلك ما ذكرنا من قول الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكعب بن عجرة النسك شاة واجماع الناس على انها مجزية فى الاضحية ثم المسئلة فى المحرم اذا حلق راسه من اذى رخص الله تعالى للمتاذى حلق راسه بفدى بقوله ففدية من صيام او صدقة او نسك روى فى الخبر عن كعب بن عجرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كعب ايوذيك هوام راسك قلت نعم يا رسول الله قال فاحلقه واذبح شاة او اطعم ستة مساكين وقال كعب فى نزلت هذه الاية ثم اختلف اهل العلم فى الذبح اين يذبح قال اصحابنا رضى الله عنهم لا يجوز ان يذبح الفدية الا بمكة واما الصدقة والصوم فانه ياتى به حيث شاء وذلك عندهم بمنزلة هدى المتعة لان هدى المتعة انما وجب بجمعه بين الحج والعمرة فى سفر واحد ولانه لو شاء ان يفرد لكل واحد منهما سفرا فعل فبا اخذه بالرخصة لزمه دم وكذلك دم الفدية انما وجب لاخذه بالرخصة فى حلق راسه فصار سبيل الدمين سواء يجبان بمكة وكذلك دم الاحصار انما وجب لانه اخذ بالرخصة فى حلق راسه فحل من احرامه ولا يجوز ان يذبح الا بمكة فدم الفدية ايضا كان انما وجب لانه رخص له فى حلق مثل ذلك والصدقة ثلثة اصوع على ستة مساكين على ما ذكر فى خبر كعب رضى الله عنه فاما الصوم فان المتمتع اذا لم يجد هديا صام ثلثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجع فاجمعوا على انه يصوم السبعة بمكة وفى غيرها فصوم الفدية كذلك وكذلك الثلثة الايام اذا صامها بعد احرامه بالعمرة عندنا وبعد احرامه بالحج مما الفينا بمكة او بغيرها فهى مجزية وكذلك صيام الفدية يجزيه حيث صام قياسا على صوم التمتع فاما الصدقة فان الشافعى ذكر انها لا تجزى الا بمكة وقال لان اهل الحرم ينتفعون بها كما ينتفعون بالهدى فيقال له ارايت ان ذبح الهدى بغير مكة ثم تصدق به على اهل الحرم هل يجزيه ذلك فان قال لا قيل له قد بطلت علتك حيث لم يجز التصدق على اهل الحرم بان ان الدم خص بان يهراق فى الحرم لان الله تعالى قال حتى يبلغ الهدى

محله فاما الصدقة فهى مجزية حيث كانت ثم اختلف فى الذى يحلق قبل ان يذبح بغير اذى فقال ابو حنيفة رضى الله عنه يجب عليه دم والحجة له ان الله تبارك وتعالى منع المحصر من الحلق حتى يبلغ الهدى محله فان حلق راسه لاذى فعليه دم اخر لان الاية الكريمة فى الحلق فى المحصر فاذا كان الذى يصيبه الاذى فى راسه قبل الوقت الذى اذن له فيه فدية بل الذى يحلق راسه بغير اذى احرى ان يكون عليه الفدية وابو حنيفة رضى الله عنه يزيد فى التغليظ عليه يقول لا يجزيه غير الدم ويجبر صاحب الاذى بين الدم والصدقة والاطعام كما اخبره الله تعالى فتنزيل القران شهد بمذهبه وخالفه جماعة من اهل العلم فيمن حلق قبل ان يذبح وليس بمحصر ووافقوه فى المحصر واحتجوا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما سئل عن رجل حلق قبل ان يذبح فقال اذبح ولا حرج لكن قوله افعل ولا حرج يرجع الى الاثم دون الكفارة افعل اى لو فعلت لم يكن عليك الحرج لان الكفارة قد تجب فى اشياء يفعلها الرجل خطاء وعلى جهة الجهل انما يجب فى ذلك فلا حجة لمن احتج بهذا الحديث فى زوال الكفارة واصله فى ذلك ان احوال الضرورة سبب تخفيف الحكم وتيسيره لم تجز ايجاب ذلك الحكم فى غير احوال الضرورة والعذر وعلى هذا يخرج قولهم فى جميع الاصول ان الحكم فى حال الاضطرار والعذر خلاف ما هو فى حال الاختيار ولهم على هذا مسائل مما يكثر عددها وفى الاية دليل لزوم الفداء على المتدهن لان الله تعالى قال فمن كان منكم مريضا وقد ذكرنا ان فيه اضمارا ثم مرض فاحاجة المريض فى حال مرضه الى الدهن فصار كانه مذكور فى الاية والله اعلم

وقوله فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى وقد ذكرنا هذا وما فيهم

وقوله فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فى الحج اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم من حين يحرم اخرها يوم عرفة وعن ابن عمر رضى الله عنه قال لا تصوم حتى يحرم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ما بين الاهلال ويوم عرفة وعن على رضى الله تعالى عنه قال فصيام ثلثة ايام فى الحج قبل يوم التروية ويوم عرفة فان فات ذلك صام ثلثة ايام بعد ايام التشريق انما تاخيره الصوم حتى يكون اخره يوم عرفة لما لعله يجد الهدى ومثال ذلك ما امر المتيمم نحو ذلك يوخر الصوم حتى يكون اخره يوم عرفة رجاء ان يجد الهدى وانما ما اختلفوا فيه من صيامهن حلا لا بعد العمرة فان لم يجز ذلك الى ان الله تعالى قال ثلثة ايام فى الحج فتاول ذلك على الاحرام ويجوز ان يكون معناه فى اشهر الحج الا ترى ان الله يقول الحج اشهر معلومات معناه والله اعلم ان الحج يفعل فى هذه الاشهر ولفعله اشهر معلومات فلما احتملت الاية ما ذكرنا وجدنا السنة فى المتمتع ان يحرم بالحج عشية التروية كذلك روى عن جابر بن عبد الله قال قدمنا مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلين بالحج لاربع ليالى مضين من ذى الحجة فطاف البيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل لانه كان ساق الهدى وامر من لم يسق الهدى ان يطوف ويسعى ويقصر ثم يحل فلما كان يوم التروية امرهم ان يلبوا بالحج فاذا كنا نامر المتمتع ان يحرم بالحج عشية التروية فكيف يصوم الثلاثة الايام بعد ذلك وانما بقى له يوم واحد فقال قد دل ما وصفنا انه يجوز له ان يصوم هن حلا لا بعد العمرة والله اعلم

وقوله وسبعة اذا رجعتم اختلف فيه قيل اذا رجع من منى وقيل اذا اتى وقت الرجوع وقيل اذا رجعتم الى اهليكم

وقوله تلك عشرة كاملة قيل تلك العشرة وان كانت متفرقة فهى كالموصولة فى حق الحج وقيل تلك العشرة كاملة عن الهدى وفيه اى يكمل بها حق الدم وقيل تلك عشرة كاملة فى حق الثواب اى ثوابها كثواب الهدى والله اعلم

وقوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام جعل الحكم الذى ذكره فى المتمتع والمحصر لمن لا يحضر اهله المسجد الحرام عن ابن عباس رضى الله عنه قال ليس على اهل مكة هدى فى المتعة ولان اهل مكة لو كانوا كغيرهم لم يكن المخصوص معنى واذا كان المعتمر فى اشهر الحج انما رجع الى اهله ثم حج من عامه ذلك فلا هدى عليه فالمكى مقيم فى منزله بعد عمرته فهو احرى ان لا يجب عليه دم المتعة انه حج من عامه ذلك ولكنه ان تمتع فعليه دم الحلال لانه لانه منهى عن التمتع ثم اختلف فى حاضريهم قال اصحابنا رحمهم الله كل من كان من اهل المواقيت فما دونها الى مكة فلهم ان يدخلوها بغير احرام فهم جميعا حكم حاضرى المسجد الحرام وروى عن ابن عمر رضى الله عنه انه خرج من مكة يريد المدينة فلما بلغ قديدا بلغه ان بالمدينة جيشين من جيوش الفتنة فرجع فدخلها بغير احرام وعندنا اذا جاوز جميع المواقيت ثم رجع فعليه الاحرام وقال اخرون ليس حاضرى المسجد

الحرام الا اهل الحرم واما الدليل لاصحابنا رحمهم الله ما ذكروا اما قولنا ليس عليهم احصار لان الاحصار
هو الجيش والحيلولة بينهم وبين وقوفهم بمكة فاذا كانوا هم فيها فادرون على الطواف بالبيت في كل وقت
لذلك بطل الاحصار وقوله الحج اشهر معلومات عن ابن عمر رضي الله عنهما الحج اشهر معلومات شوال
وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وعن ابن عباس رضي الله عنه مثله وعن الحسن مثله والشعبي ومجاهد و
جويبر وابرهيم مثله عن عبد الله قال شوال وذو القعدة وذو الحجة ويرى ان عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه اراد ما ارادوه الاولون لانه لا يبقى بعد ايام منى من مناسك الحج فكيف يكون الايام التي بعد
النفر ايام الحج لا عمل فيها للحجاج ثم المسئلة فيمن يحرم بالحج قبل اشهر الحج ما عليه وهل يجوز احرامه عن ابن
عباس رضي الله عنه قال من سنة الحج ان لا يحرم بالحج الا في اشهر الحج وعن جابر رضي الله عنه قال لا يحرم بالحج
قبل اشهر الحج واتبعوا في كراهيتهم ما روي عن السلف عن ذلك لكنهم يقولون ان احرم واحتج بعد اصحابنا
في ذلك بان قال للحج ميقات وقت واجمعوا ان من احرم بالحج قبل الميقات فاحرامه صحيح فعلى ذلك من احرم
قبل وقته فاحرامه صحيح وقال بعضهم الحج اشهر معلومات الاشهر كلها كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله
اثنى عشر شهرا وهي الاشهر كلها وهي معلومة وهي كقوله يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج
فان كان هذا على تاويل الاية ففيه دليل جواز الاحرام بالحج في الاشهر كلها وقال الاخرون الحج اشهر معلومات
اى في اشهر معلومات وهو ما ذكرنا من قول جماعة من السلف قالوا شوال وذو القعدة وعشر من ذي
الحجة غير انه يتوجه وجهين احدهما ان فعل الحج اشهر معلومات دليله قوله فمن فرض فيهن الحج سماه حجا
بعد سبب الالزام فثبت ان ما بعد الاحرام حج والوجه الثاني بان الحج اشهر معلومات لا يدخل فيها غيره
ثم ادخل فيها العمرة احصه دليله قوله دخلت العمرة في الحج هكذا فيكون معناه الحج اشهر اى لفعله اشهر معلومات
والله اعلم وقوله فمن فرض فيهن الحج اختلف فيما به كفرض الحج قال بعضهم اذا نوى الحج صار محرما لبى او لم يلب و
قال اخرون اذا نوى ان يعمل جميع ما امر وان ينتهي عن جميع ما نهي صار بذلك محرما واما عندنا فان تاويل قوله
فمن فرض فيهن الحج اى لبى فيهن بالحج دليله ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر رضي
الله عنهم اجمعين انهم قالوا فمن فرض فيهن الحج اى لبى واما بالنية مجردا فانه لا يكون محرما وما روي ايضا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعايشه رضي الله عنها وقد راها ما لك فقالت انا قضيت عمرتي والفاني
الحج عاركا فقال ذلك شيء كتبه الله تعالى على بنات ادم حجي وقولي ما يقول المسلمون في حجهم فبين قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعايشه رضي الله عنها حجي وقولي ما يقول المسلمون في حجهم ان التلبية واجبة اذا كان
المسلمون يفعلون وامر عايشه رضي الله عنها باتباعهم فيها وعن عايشه رضي الله عنها قالت لا يحرم الا من
اهل ولبى قالت هذه الاحاديث النبوية على ان التلبية فرض الحج وعن هؤلاء الائمة وامثالهم الذين نأخذ منهم
الذين فلا يجوز مخالفتهم ولا العدول عن سبيلهم وقال اصحابنا رحمهم الله ان خرج مع بدنته وقلدها و
نوى الاحرام فهو محرم ويقوى ذلك الفعل منه مقام التلبية والحجة لذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه رضوان الله عليهم اجمعين في حجة لما امرهم بان يحلوا العمرة فقالوا له انك لم تحل قال اني قلدت
الهدي فلا احل من احرامي الى يوم النحر وقال لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سبقت الهدي فاخبر
النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي منعه من الحل تقليده الهدي وان ذلك قام مقام الاحرام لوجوده
بعد الطواف وروي عن علي وعبد الله وجابر رضي الله عنهم انهم قالوا اذا قلد فقد احرم وكذلك
قال ابن عباس رضي الله عنه اذا قلد وهو يريد الحج والعمرة فقد احرم وما روي عن عايشه رضي الله عنها لا محرم
الا من اهل ولبى فذلك عندنا في الذي لم يقلد بدنته ولا يخرج معها لا يصير محرما الا انه ما روي عن عايشة
رضي الله عنها قالت بان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث بهديه ومعهم فلا يحرم عليه شيء وقوله فلا رفث قيل الرفث
جميع حاجات الرجال الى النساء وقال ابن عباس الرفث الجماع وابن عمر رضي الله عنه مثله واجمع اهل العلم ان
المحرم لا يجوز له ان يقبل امرته ولا يمسها بشهوة ويوجبون على من فعل ذلك دما وروي عن ابن عمر رضي الله
انه اذا باشر المحرم امراة اهراق دما وعن علي رضي الله عنه قال اذا قبل المحرم امراته فعليه دم وسئلت عايشة
رضي الله عنها عما يحل للمحرم من امراته فقالت يحرم عليه كل شيء سوى الكلام وقوله ولا فسوق قيل الفسوق
السب وقيل هو كل فسق والفسق حقيقة الخروج من امر الله تعالى ففسق عن امر ربه اى خرج وقوله ولا جدال
في الحج قيل المراد وذلك ان العرب كانت تاخر الاشهر الحرم وتعجل وفي ذلك نزل انما النسيء زيادة في الكفر فبين

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان السنة استدارت كهيئتها يوم خلق السموات والارض فمن ذلك استقر
وقت الحج الى حيث جعل لا يتقدم ابدا ولا يتاخر فلا تمار وا فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا تجادل صاحبك
حتى تغضبه واشباه الامور والله اعلم بتاويل الاية ان الله سبحانه وتعالى امر بحفظ اللسان والفرج في الاحرام عن
كل ما يذكر من فسوق ومعصية ومجادلة ومخاصمة وعن الرفث بالفعل والقول لانه يروى ان الفضل ابن
عباس كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم وكان الفتى يرمق النساء وينظر اليهن وجعل النبي صلى الله
عليه وسلم ان هذا يوم من ملك سمعه وبصره ولسانه غفر له وكما قال وروي انه قال من حج فلم يرفث
ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله ويجزيه ترغيب منه في كل خير وقوله
وتزودوا قيل تزودوا للحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم عن المسئلة ولا تخرجوا بلا زاد لتكونوا عيالا على
الناس ويحتمل ان يكون الامر بالتزود للمعاد يدل عليه قوله فان خير الزاد التقوى تقول ان تقوى الله
خير الزاد من زاد الدنيا وقوله واتقون يا اولي الالباب يحتمل اتقون المعاصي والمناهي وكل فسق ويحتمل
على التقديم والتاخير كانه قال تزودوا يا اولي الالباب واتقون في المسئلة من الناس وقوله ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم قيل التجارة وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يتحرجون من التجارة في عشر من ذي الحجة
فلما ان كان الاسلام امتنع اهل الاسلام من التجارة واحبوا ان يكون خروجهم للحج خاصة دون ان يختلط
غيره من الاعمال فرخص الله عز وجل التجارة للحاج وطلب الفضل وروي عن ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا
سأله فقال انا قوم نكري ويزعمون انه ليس لنا حج فقال الستم تحرمون وتنفقون فقال بلى فانتم حجاج قال جاء
رجل النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ما سألتني عنه فنزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله واصحابنا رحمهم الله يرون حج الاجير والتاجر تاما وظاهر
القول يدل على ذلك وكان عند القوم ان الاستيجار على الطاعة لا يجوز امرا ظاهرا حتى سئلوا في هذا واصله
ان الحج لا يمنع افعال غيره فاشبه الصوم ويجوز فيه الاجارة كذا في هذا واما الصلوة فهي مانعة لما سواها
من الافعال فاختلفا وقوله فاذا افضتم من عرفات قيل ان اهل الجاهلية كانوا يفيضون من عرفات قبل
الشمس ومن مزدلفة بعد طلوع الشمس فامر اهل الاسلام بالخلاف في الحالين جميعا ان يجعلوا الافاضة
من عرفة بعد الغروب ومن المزدلفة قبل طلوع الشمس والله اعلم وفي الخبر خالفوهم في الرجعتين جميعا
والافاضة هو الاسراع في المشي في اللغة وقيل الافاضة الانحدار وقوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام
يعني المزدلفة ويحتمل قوله فاذكروا الله وجهين يحتمل صلوة المغرب والعشاء ويحتمل الدعاء فيهما
جميعا وقال ابن عباس رضي الله عنه المشعر الحرام الجبل وما حوله وهو الجبل الذي يوقف عليه
يقال له قزح وسمي جمعا ايضا لانه يجمع بين المغرب والعشاء في وقت العشاء وقيل سمي جمعا لانه
اجتمع فيه ادم وحوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه سمي العرفات عرفات لان جبريل صلوات الله
عليه لما علم ابراهيم المناسك كان يقول له عرفت عرفت والله اعلم وقوله واذكروه كما هداكم يحتمل وجوها
يحتمل الامر بالذكر امرا بالشكر له على ما انعم عليهم من انواع النعم ويحتمل اذكروه كما هداكم وارشدكم لامر
المناسك ويحتمل الامر بالتوحيد كانه قال وحدوه كما وفقكم لدينه وعلى هذا يخرج قوله وان كنتم من
قبله لمن الضالين عن الهدى وعن المناسك وعن معرفة النعم والشكر والله اعلم قال الشيخ رضي الله
عنه الهدى على وجهين هدى عرف ليوحدوه وهدى وفق الطاعة وقوله ثم افيضوا من حيث افاض
الناس قيل ان اهل الحرم كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون نحن اهل حرم الله لا نفيض كغيرنا فانزل
الله فيهم يامرهم بالوقوف بعرفات والافاضة منها من حيث افاض غيرهم من الناس وذكر عن
عايشه رضي الله عنها انها قالت كانت قريش ومن كان على دينها يقفون بالمزدلفة ولا يقفون
بعرفة فانزل الله ثم افيضوا من حيث افاض الناس وفيه دليل ان الوقوف بعرفة فرض وعلى ذلك
جاءت الاثار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ومن ادرك عرفة بليل وصل معنا
بجمع فقد تم حجه ويحتمل في قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس معنى اخر وهو انهم راوا غيرهم
من اهل الافاق اذا قصدوا على الاحرام من وراء الحرم وهم احرموا بالاحرام فلما خصوهم بذلك
ظنوا ان قضاء غيره من المناسك في الحرم والله اعلم قال الشيخ ابو منصور محمد بن محمد رحمه الله امرنا الافاضة
بحرف ثم بعد ذكر المزدلفة والافاضة من عرفات متقدم المزدلفة فبان ان حرف ثم مما قد يبتدا به

ايضاً وقوله فاذكروا الله كذكركم اباءكم قيل فيه بوجهين قيل انهم في الجاهلية كانوا اذا قضوا
المناسك يجتمعون في مكان ويذكرون اباءهم ومناقبهم يفتخرون بذلك فلما اسلموا امرهم ان
يذكروا ربهم في الاسلام كذكرهم اباءهم في الجاهلية او اشد ذكرا فانه اولى بذلك من الاباء
وقيل ان يكونوا يذكرون اباءهم ما انعم عليهم اباؤهم واحسنوا اليهم فقال اذكروا الي فيما تذكرون
اباءكم الذي انعمت عليكم وعلى اباءكم فاجعلوا ذلك لي دون اباءكم وقوله فمن الناس من يقول
ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق قيل الاية في قوم لا يؤمنون بالبعث والاحياء بعد الموت
خيرات الدنيا ولم يطلبوا الخيرات في الاخرة فاعطوا ما سألوا من حسنات الدنيا وهو كقوله
من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب ومن كان يريد حرث الاخرة نزد له
في حرثه اي نؤتي حرث الدنيا والاخرة فمن كان ركونهم الى الدنيا وميلهم اليها لم يركنوا
الى دعاء غيرها واما من امن بالبعث والاحياء بعد الموت فانهم سألوا خيرات الدنيا والاخرة جميعا
بقوله ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار طلبوا حسنات
حسنات الدنيا لان الدنيا جعلها محل الزاد للاخرة لانه انما جعلها لهم لما خلقهم للاخرة كقوله وتزودوا
فان خير الزاد التقوى ثم اختلف في الحسنة في الدنيا وفي الاخرة الحسنة قيل حسنة الدنيا العلم والعبادة
وحسنة الاخرة الجنة والمغفرة وقيل حسنة الدنيا النصر والرزق وحسنة الاخرة الرحمة والرضوان
وكله واحد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عبادا يحيون في عافية ويموتون
في عافيته ويدخلون الجنة في عافيته قيل يا رسول الله بم قال بكثرة قولهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وقوله والله سريع الحساب قيل فيه بوجوه قيل تقديم وتاخير
كانه قال حسابه سريع قيل سريع لما ان الابطاء في الحساب يكون للتفكر فيه والاستذكار وحفظ
عقد الاصابع او يشغل شغله فالله سبحانه تعالى عن ذلك ان يوصف به او يشغله شيء وقيل سريع اي قريب
كان قد جاء كقوله اقتربت الساعة وكقوله اقترب الوعد الحق وكقوله اتى امر الله اي قرب وقيل كناية عن
عذاب شديد اي شديد العقاب والعذاب وهو كقوله من نوقش بالحساب عذب وقوله واذكروا
الله في ايام معدودات قيل انه يحتمل وجهين قيل انه اراد بالايام المعدودات ايام النحر والذبح اي اذكروا
الله بالنحر والذبح وايامكم فهو عند ابي حنيفة رحمه الله يوم النحر ويومان بعده وقيل اراد بالايام
المعدودات ايام رمي الجمار دليله قوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه وهي ايام التشريق وهي ثلثة
ايام بعد النحر وروي عن علي رضي الله عنه انه قال الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده
اذبح في ايها شئت وافضلها اولها وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه والله اعلم وقوله فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه قيل من تعجل في يومين بعد يوم النحر ليومين ينفر من منى قبل غروب الشمس فلا اثم
عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس واقام الى الغد يوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه
لا يحتمل فيرمي الجمار ثم ينفر فلا اثم عليه وقيل فمن تعجل في يومين من ايام التشريق فلا اثم ومن تاخر
الى اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه ثم لا يحتمل قوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
ومن تاخر فلا اثم عليه ان يكونا جميعا على الرخصة التعجيل والتاخير جميعا فلا يلحقه الاثم بكليهما لانه
اذا كان التعجيل هو الرخصة فالتاخير لا يكون رخصة وان كان التاخير الرخصة فالتعجيل ليس رخصة
لكن الوجه فيه والله اعلم ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال فمن تعجل في يومين غفر له
ومن تاخر غفر له ما كان له من الاثم والذنب في اليوم الذي اخر والله اعلم ويحتمل انه خيره اي ان
فعل ذا او ذا فلا اثم عليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال في قوله فلا اثم عليه رجع مغفورا له
وقوله لمن اتقى قيل فيه بوجوه قيل لمن اتقى قتل الصيد في الاحرام وعلى ذلك قوله واتقوا الله فلا
تستحلوا قتل الصيد في الاحرام وقال ابن عباس رضي الله عنهما لمن اتقى معاصي الله جملة وقيل لمن
اتقى جميع ما يحرم عليه الاحرام من الرفث والفسوق والجدال وغيرها وعلى ذلك قوله واتقوا الله
واعلموا انكم اليه تحشرون خوفهم عز وجل يتقوا في كل وقت كل معصية خرج الخطاب في الظاهر للمؤمنين
ويحتمل ان يكون للكفار ايضا بامرهم ان يتقوا الشرك واشراك غيره في افعالهم لما اوعدهم بالحشر و
والجزاء لاعمالهم وقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا قيل ان رجلا من الكفار كان

ياتي

ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره انه يحبه وكان يعد له الايمان والمتابعة له في دينه ويحلف على
ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه ذلك ويدنيه في المجلس وفي قلبه خلاف ذلك فانزل الله
عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله الاية وقيل انها نزلت في المنافقين لانهم كانوا يرون من انفسهم
الموافقة له في الدين ويظهرون انهم على دينه ومذهبه ويضمرون الخلاف له في السر والعداوة ويحلفون
على ذلك فانزل الله ومن الناس من يعجبك قوله الاية والله اعلم وقوله وهو الد الخصام قيل اشد الخصام
وقيل اجدل بالباطل وقيل اظلم في الخصومة لا يستقيم ابدا وقوله واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد قيل فيه بوجوه قيل ويهلك الحرث اي يقتل النساء وهي حرث
كقوله نساؤكم حرث لكم وفي اهلاك النساء اهلاك النسل وقيل اراد بالحرث الحرث نفسه وهو الزرع
والنسل الدواب يحرق الحرث ويعقر الدواب وكل حيوان وقيل انهم كانوا يسعون بالفساد ويعملون
بالمعاصي فيمسك الله عنهم المطر فيهلك كل شيء من الناس وغيرهم ويحتمل قوله ويهلك الحرث قتل ولد
ادم وفي اهلاكهم اهلاك كل حرث لانهم هم الذين يحرثون ويتناسلون والله اعلم وقوله والله لا يحب
الفساد ظاهر وقوله واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم قيل له اتق الله عن صنيعك وهو السعي
في الارض بالفساد حملته الحمية على الاثم تكبرا منه قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فحسبه جهنم يقول
والله اعلم اعرض عنه واتركه وصنيعه فان جهنم مصيره ومأواه وما روي عن عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه انه قال ان ابغض الناس من يقال له اتق الله فيقول عليك نفسك وقوله ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله يحتمل يشري نفسه ابتغاء اي يهلك نفسه اي يبيع نفسه في عبادة الله وطاعته
لذلك شراه اياها ويحتمل يشري نفسه ابتغاء اي يبذل نفسه للجهاد في سبيل الله وهو كقوله
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله وهو كقوله ان
الله اشترى فهؤلاء بذلوا انفسهم لذلك فتقبل الله عز وجل بذل الجنة لهم فهو الشرى والله
اعلم وهو ما روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه القى نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
ما هم المشركون قتله دلالة وفيه ان ابا بكر رضي الله عنه كان اشجع الصحابة واصلبهم وان كان ضعيفا
في نفسه لما لم يتجاسر احد من الصحابة على مثله وما روي انه ايضا انه خرج لقتال اهل الردة وحده فدل
هذا كله انه كان اشجعهم واصلبهم في الدين قيل ان الاية نزلت في صهيب ابتاع دينه باهله وماله على ذلك
وقوله والله رؤف بالعباد يحتمل ان اراد كل العباد وهو ان الكافر اذا اسلم واخلص دينه لله يتعمده
في رحمته ويقبل منه ذلك ويتجاوز عنه عما كان منه في الشرك والكفر والله اعلم ويحتمل ان اراد بالعباد
المؤمنين خاصة رحيم بهم وقوله يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة فيه لغتان السلم بالكسر والنصب
من قرأ بالكسر فهو الاسلام ومن قرأ بالنصب فهو الصلح كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما الى اخر الاية فان قيل كيف امر بالدخول وهم فيه لانه خاطب المؤمنين بقوله يا ايها الذين
امنوا قيل بوجوه احدها انه يحتمل قوله يا ايها الذين امنوا بالسنتهم امنوا بقلوبكم ويحتمل يا ايها الذين
امنوا ببعض الرسل من نحو عيسى وموسى وغيرهم من الانبياء امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل امره اياهم
بالدخول امر بالثبات عليه وقيل انه تعالى انما امرهم به للايمان بحكم التجدد والحدوث في كل وقت
لانه فعل والافعال تنقضي ولا تبقى كانه قال يا ايها الذين امنوا فيما مضى من اوقات امنوا في
حادث وعلى هذا يخرج تاويل قوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله وقوله ولا تتبعوا
الشيطان انه لكم عدو مبين قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات
اي ملتم وتركتم من بعد ما ظهر لكم الحق فاعلموا ان الله عزيز حكيم قيل عزيز اي منتقم يمهلكم وتركتم
الحق بعد الظهور ويحتمل عزيز اي غني عن طاعتكم لم يعبادتكم اياه وقيل عزيز من يقهر ولا يذل ولا يغلب
لان العزيز نقيض الذليل وقيل عزيز لا يقدر احد ان يصل اليه او يقهره الا ذليل بنفسه كما يقال عزيز
لا يرام وقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل فيه بوجوه قيل ان يأتيهم
الله بامره وهو قول الحسن وقيل يأتيهم اي امر الله وهو كقوله او يأتي امر ربك او يأتي بعض ايات ربك
على اضمار الامر فيه وقيل قوله في ظلل الفي بمعنى الباء كانه قال يأتيهم الله بظلل من الغمام وذلك جائز استعمال
الفي مكان الباء لانهما جميعا من حروف الخفض والعرب تفعل ذلك ولانا في الاصل في هذا ونحوه ان

ان اضافة هذه الاشياء الى الله عز وجل لا توجب حقيقة وجود تلك الاشياء منه على ما يوجد من الاجسام
لا يجوز اضافته الى ما يوجد منه تحقيق ذلك نحو ما يقال جاء الامر فليع وجاء الحق وزهق الباطل
وجاء فلان بامر كذا وجاءكم رسول فذكر المجيء الاتيان لا على تحقيق وجود ذلك منه فعل ذلك يخرج ما اضاف
عز وجل الى نفسه من المجيء والاتيان والاستواء ليس على تحقيق الاتيان والمجيء والاستواء منه على ما يكون
من الاجسام وفي الشاهد ان ملوك الارض يضيفون الى انفسهم ما حل بامرهم من غير ان يتولوها بانفسهم
كذلك اضاف جل ذكره امر القيمة الى نفسه لفضل ذلك الامر ثم الاصل ان الاتيان والانتقال والزوال
في الشاهد انما يكون لكلفتين اما لحاجة بدت فيحتاج الى الانتقال من حال الى حال والزوال من مكان
الى مكان ليقضيها او لسلامة وحشة تلحقه فينتقل من مكان الى مكان لينفي عن نفسه ذلك وهذان
الوجهان في ذي المكان والله تعالى عن المكان كان ولا مكان فالله تعالى عن ان تمسه حاجة او ياخذه سامة
فبطل الوصف بالاتيان والمجيء والانتقال من حال الى حال او مكان الى مكان وبالله التوفيق وقيل ان
النص قد ورد بالاستواء والمجيء وورد الخبر بالنزول والرؤية ثم قد ورد السمع بان ليس كمثله
شيء لزم نفي التشبيه فيما ورد عن ذاته ولزم الاقرار بما جاء من عنده من غير طلب الكيفية له والتفسير
فالسبيل فيه الايمان بالتنزيل والكف عن التفسير والله اعلم وفي الشاهد الاتيان في العرض ظهوره
وفي الجسم نقله من مكان الى مكان وهو على ذكره جل ان يوصف بجسم او عرض كذلك اتيانه لا يشبه اتيان
الاجسام والاعراض ويكون اتيان لا يعرف كيفيته وكما جاز ان يكون هو شيئا بدليل لا يشبهه عرض
ولا جسم والله اعلم وقوله سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة يحتمل وجوها ان يكون امر عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم بسؤاله اياهم عما اتاهم من الايات على اثر سؤال كان منهم بطلب الايات فقال سلهم يا محمد
كم اتيناهم اياهم واجدادهم من الايات على يدي موسى فكفروا به ولم يؤمنوا فانتم وان اتيناكم ايات لا تؤمنون
ايضا يخبر نبيه عليه السلام ان سؤالهم انكان سؤال تعنت لا سؤال قبول وتصديق والله اعلم
ويحتمل ان يكون لا على اثر سؤال كان منهم ولكن على الابتداء ان سل علماء بني اسرائيل الاية ويحتمل سؤال
لا على الامر به في التحقيق والتبيين انك لو سالتهم لاخبروك او يكون المراد من ذلك في الذين تضيق
صدورهم عند الاخبار انهم لو جاءتهم الايات التي سالوا عنها لا يؤمنون ليخبروا بذلك فتطمئن
لذلك قلوبهم ويزول عنها الخطرات وانواع الوساوس والله اعلم وقوله ومن يبدل نعمة الله من
بعد ما جاءته قيل نعمة الله دين الله من بدله بعد ظهوره وبيانه وقيل نعمة الله يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم اي من كفر به بعد ما علم انه رسول الله ويحتمل نعمة الله النعم المعروفة التي كان اتاهم من المن
والسلوى والغمام وغيره عالم يؤت احدا من العالمين مثله فان الله شديد العقاب يخوفهم عز وجل
وحذرهم على تبديل ذلك وتركه والكفر بنبيه صلى الله عليه وسلم بعد معرفتهم انه حق والله اعلم ويكون
تبديل نعمة بتوجيه الشكر الى غيره وهو ان يعبد غيره والله اعلم وقوله زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
قال الحسن زين لهم الشيطان ذلك وكذلك وكذلك قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم لكن معناه
والله اعلم ان زين لهم ثم التزيين يكون بوجهين بزينة الطبع لقرب الشهوات والعقل لقيام الادلة
فيكون التزيين بالثواب واما ما زين للذين كفروا الحيوة الدنيا لما ركب فيهم من الشهوات وميل
الطبع اليه واما الوجهات الوجهان منهما للمؤمنين وقوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة يحتمل
وجهين يحتمل فوقهم في الحجة يقول الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ويحتمل فوقهم
في الجزاء والثواب وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل وجوها يحتمل بغير حساب بغير منة
ويحتمل بغير حساب لا على قدر الاعمال ولكن على قدر الشهوة وزيادة عليها لان رزق الجنة على ما ينتهي اليه
الشهوات ورزق الدنيا مقدر على قدر الحاجة والقوة اذ لا احد يبلغ معناه في الدنيا وهي المودي ويحتمل
بغير حساب اي من غير ان ينقص ذلك عن ملكه وخزائنه وان عظم عطاياه وكثرة منا له ليس كخزائن
المخلوقين ينقص بالدفع وتنفد والله اعلم وقوله كان الناس امة واحدة قال ابو موسى الاشعري رضي الله
واخر معه من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قالا كان الناس امة واحدة كلهم كفارا الى ان بعث الله
عز وجل فيهم النبيين وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما كان الناس امة واحدة مؤمنين كلهم زمن
نوح عليه السلام الذين كانوا في السفينة الى ان اختلفوا من بعد فبعث فيهم النبيون وقال بعضهم

كان الناس امة واحدة زمن ادم مؤمنين الى ان نزل الكتاب عليهم وبعث فيهم الرسل ولو قيل
بغير هذا كان اقرب قوله كان الناس امة واحدة يعني صنفا واحدا ومعنى الامة معنى الصنف كقوله
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم يعني اصنافا ثم خص الله تعالى صنفا
ببعث الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم من بين غيرها من الاصناف تفضلا لهم واكراما ببعث كل رسول
الى قومه فيهم كفار وفيهم مؤمنون لان الارض لا تخلوا من ولي او نبي كقوله ولقد كرمنا بني ادم
ليعلموا ان ساير اصناف الخلق خلقوا لهم ولحاجتهم وهو قول الحسن وكذلك قول ابي حنيفة رضي الله عنه
ان الارض لا تخلوا عن نبي او ولي والله اعلم وقوله فبعث الله النبيين مبشرين لمن اطاعه ومنذرين
لمن عصاه وجاز ان يكون البشارة والنذارة حملة له عن الوقوع بما به يقعان مختلف كقوله
انما تنذر من اتبع الذكر وقوله نذيرا للعالمين وقوله ليحكم بين الناس بالحق يحتمل قوله ليحكم وجهين
يحتمل ليحكم الكتاب المنزل عليهم بالحق فيما بينهم وهو كقوله لتنذر الذين ظلموا قرء بعضهم
بالياء وقرا اخرون بالتاء فمن قراء بالياء جعل الكتاب هو المنذر ومن قراء بالتاء جعل الرسول
هو المنذر فكذلك في هذا الحكم الكتاب بينهم بالحق ويحكم الرسول بالكتاب فيما بينهم بالحق وقوله
فيما اختلفوا فيه يحتمل قوله فيه وجوها يحتمل فيه في محمد صلى الله عليه وسلم
ويحتمل في دينه ويحتمل ما اختلفوا فيه في كتابه وقوله وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد
ما جاءتهم البينات اي ما اختلفوا فيه الا من بعد ما جاءتهم البينات والعلم اما من جهة العقل
واما من جهة السمع والكتب والخبر واما من جهة المعاينة والمشاهدة لكنهم تعاندوا وكابروا
وكفروا به بغيا بينهم وقيل ظلما منهم ظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله فهدى الله الذين امنوا
لما اختلفوا فيه تاويله والله اعلم اي هدى الله الذين امنوا ولم يختلفوا من بين الذين اختلفوا
ويحتمل هدى الله من انصف ولم يعاندوا ولم يهتد الذين عاندوا ولم ينصفوا وقوله باذنه قيل بامره
وقيل بعضهم لكن قوله بامره لا يحتمل ولكن باذنه اي بمشيته وارادته وقوله والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم فيه دلالة انه من شاء ان يهتدي فاهتدى ومن يشاء ان يهتدي
لم يهتد لانه لو كان شاء ان يهتدوا جميعا على ما يقول المعتزلة لكان يقول والله يهدي الى صراط
مستقيم ولم يقل من يشاء على انه شاء ايمان من امن ولم يشاء ايمان من لم يؤمن فالاية تنقض على
المعتزلة قولهم انه شاء ان يؤمنوا لكن امن بعضهم ولم يؤمن البعض وفي قوله فبعث الله النبيين
دلالة [illegible] البعث والاتيان والمجيء والانتقال من مكان الى مكان والزوال من موضع
الى موضع لانه ذكر البعث وهم كانوا بين ظهرانيهم [illegible] الوجود لا غير وقوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة قيل معنى قوله ام حسبتم على اسقاط الميم ام حسبتم وقيل ام يعني بل حسبتم ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم [illegible] سنن الذين خلوا
من قبلكم من البلاء والمحن التي اصابت الماضين من المؤمنين وقوله ام حسبتم الاية ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة قبل ان تبتلوا كما ابتلي من قبلكم [illegible]
والله اعلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من قبلكم مستهم الباساء والضراء وقوله وزلزلوا حتى [illegible]
[illegible] وقوله حتى يقول الرسول والذين امنوا معه [illegible] متى نصر الله قيل فيه وجهين
قيل يقول الرسول والمؤمنون جميعا متى نصر الله ثم يقول الله الا ان نصر الله قريب وقيل يقول
المؤمنون متى نصر الله ثم يقول الرسول الا ان نصر الله قريب ويحتمل هذا في كل رسول [illegible]
[illegible] في رسول دون رسول على ما قال بعض اهل التاويل
[illegible] وقوله يسئلونك
ما ذا ينفقون قل ما انفقتم من خير [illegible] الجواب [illegible] السؤال عما ينفق فخرج
الجواب على [illegible]

يكونوا سالوا سؤالين احدهما عما ينفق والثاني على من ينفق فخرج احدهما الجواب على ما كان من
السؤال عما ينفق وهذا ايضا جائز كثير في القران ان يكثر السؤال ويخرج الجواب لبعض ولم يخرج
لبعض ويكون جواب سؤال مم ينفق في قوله قل العفو فيكون على ما ذكر والله اعلم ويدل لما قلنا
انه كان ثمه سؤالان احدهما عما ينفق والاخر على من ينفق ما روي عن عمرو بن الجموح الانصاري
رضي الله عنه انه قال يا رسول الله كم ننفق على من ننفق فانزل الله يسئلونك ماذا ينفقون
الاية ثم اختلف في هذه النفقة قال بعضهم هذه النفقة كانت نفقة تطوع فنسخت بالزكوة وقيل
هذه النفقة صدقة يتصدقون بها على الوالدين والاقربين الذين يرثون فنسختها اية المواريث
وقيل فيه الامر بالانفاق على الوالدين والاقربين عند الحاجة وكان هذا اقرب والله اعلم وفيه
دلالة لزوم نفقة الوالدين والمحارم وفي قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
من قبلكم الاية وفي قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وجه اخر وهو
انهم والله اعلم ظنوا لما اتوا بالايمان ان يدخلوا الجنة ولا يبتلون بشيء من المحن والفتن و
انواع الشدائد فاخبر عز وجل ان في الايمان المحن والشدائد لا بد منها كقوله حفت الجنة
بالمكاره والنار بالشهوات والله اعلم وكقوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون ولان الايمان من حيث نفسه ليس بشديد لانه معرفة حق وقول صدق
ولا فرق بين الصدق والكذب ومعرفة الحق والباطل في احتمال المؤمن والايمان نحو النفس الهوى
والطبع وذلك في انواع المحن **وقوله** كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم الاية فالكراهة المذكورة ههنا والمحنة كراهة الطباع والنفس لا كراهة الا[illegible]
ولا يكون في كراهة الطباع لان طبع كل واحد ينفر عن القتال والمجاهدة مع العدو ولانهم كرهوا
ذلك كراهة اختيار ولانه لا يحتمل ان يكون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرون
بالقتال والمجاهدة مع العدو ثم يكرهون عما امروا اختيارا منهم لان ذلك داب اهل النفاق
ثبت انه على ما ذكرنا من نفور كل طبع عن احتمال الشدائد والمشقة وكراهية **وقوله** وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم يحتمل هذا في القتال خاصة وهو ان كرهوا
كرهوا القتال لما فيه من المشقة والشدة وهو خير لكم لما فيه من الفتوح والظفر وسعة العيش
ومنال الثواب والدرجات في الاخرة وعسى ان تحبوا شيئا يعني القعود عن الجهاد وهو شر لكم
لما فيه من اجتراء العدو والاسر والقتل والذل والصغار وقطع الثواب في الاخرة هذا
يحتمل هذا في كل امر يحب في الابتداء ويكون عاقبته شرا له ويكره امرا فيكون عاقبته خيرا له
هذا لجهلنا بعواقب الامور وخواتمها ليعلم انه ليس لنا من التدبير في شيء والله اعلم **وقوله**
والله يعلم وانتم لا تعلمون اي والله يعلم ما هو خير لكم في العواقب من هو شر لكم وانتم لا تعلمون
وقوله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه كبير معناه والله اعلم يسالونك عن القتال في الشهر
الحرام وفي المسجد الحرام قل قتال فيه كبير لو لم يكن من الكفرة ما ذكر من الصد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والكفر به واخراج اهله لكن [illegible] القتال فيه كبيرا بل الكفر
فيه اكبر من القتل [illegible] والله اعلم ذكر هذا [illegible] ثم جعل الكفر
اكبر من هذا كله [illegible]
[illegible] القتال بنفسه كبير [illegible] ثم فيه نقض على المعتزلة
بوجهين احدهما [illegible] ذكر القتل وجعل الكفر اكبر منه [illegible]
الكفر والله اعلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **وقوله** و
لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم فيه دلالة اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر انهم يفعلون كذا فكان كما قال [illegible] عز وجل **وقوله** ان استطاعوا

ولكن

يكن لا يستطيعون ان يردوكم عن دينكم [illegible] اياس الكفرة عن ردهم اولا الى دينهم وامن هولاء عن
الرجوع الى دينهم وقيل [illegible] لو قدروا ان يردوكم عن دينكم الى دينهم لفعلوا اخبر عز وجل عما ودوا
ان استطاعوا لكن الله [illegible] اكرمهم وبشرهم من النصر واظهار الدين لا يستطيعون على ذلك اظهر بقوله
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم الاية **وقوله** ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم ذكر احباط الاعمال بالموت على الكفر ولم يحبط بالكفر دون الموت والوجه فيه
ان لا يحتمل ان يكون الموت هو سبب احباط الاعمال بل الكفر بنفسه اذ وجدنا الموت لا صنع فيه
للعبادة والكفر فيه لهم اختيار [illegible] حبطا بما لا صنع له فيه دل ان الكفر هو المحبط لا الموت
ولكن ذكر الموت في هذا لما فيه تمام الحبط ولا يبطل ما يرجى له منفعة بحسناته لانه اذا كفر حبط
تلك الحسنات فابطلها فاذا اسلم بعد ذلك ندم على [illegible] ذلك [illegible] مقابل لسيئاته بحسنات
فهو بحالة الانتفاع بها كما قال تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات **وقوله** فاولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فذهاب التعظيم والاجلال والثناء الحسن الذي يستوجب بالخير
والدين عند الناس فاذا ارتد عن الاسلام حبط ذلك كله وصار على اعين الناس اخف من الكلب و
الخنزير واما حبطه في الاخرة فذهاب ثواب اعماله وكان ما يستوجب المرء من الثواب انما يستوجب بما
ياتي من الاعمال ويحضرها عند الله لا بالعمل بنفسه الا ترى الى قوله من جاء بالحسنة فله كذا وقوله ومن
ياته مومنا فله كذا دل هذا ان الثواب انما يستوجب باحضاره واتيانه به عند الله لا بالعمل بنفسه
والله اعلم **وقوله** ان الذين امنوا تضمن قوله امنوا الايمان بالله والايمان بجميع الرسل والكتب التي انزلها
على رسله والايمان بجميع ما جاء به الرسل من الرسالات وغيرها **وقوله** والذين هاجروا والهجرة يكون
على وجهين الهجرة المعروفة التي كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكقوله ومن يهاجر في
سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الاية ثم روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا هجرة بعد فتح مكة والهجرة الثانية الاثام والاجرام فهي لا تنقطع
ابدا وقال الحسن في قوله ومن يهاجر اي بالعداوة منه لمن كفر بالله وقال ابو بكر رضي الله عنه ان يهجر قومه
ودواده ويخرج الله **وقوله** وجاهدوا في سبيل الله المجاهدة تكون على وجوه مجاهدة العدو ومجاهدة الشيطان
ومجاهدة النفس اولئك يرجون رحمة الله فيه دلالة على ان الذي يحق رجاءه بعمل ما ذكر وقوله رحمة الله
وجهين الرحمة الجنة والرحمة المغفرة **وقوله** والله غفور رحيم لما كان منهم من التقصير فيما ذكر من المجاهدة
والمهاجرة **وقوله** يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس قل فيهما اثم كبير بعد الحرمة
ومنافع للناس قبل الحرمة واثمهما بعد الحرمة اكبر من نفعهما قبل التحريم والمنفعة في الميسر بعضهم ينتفع
وبعضهم يخسر وهم القمار وذلك ان نفرا كانوا يشترون الجزور فيجعلون لكل رجل منهم سهما ثم يقترعون
فمن خرج سهمه برئ من الثمن حتى يبقى اخرهم رجلا فيكون ثمن الجزور عليه وحده ولا حق له في الجزور
ويقسم الجزور بينهم وقيل يقسم بين الفقراء فذلك الميسر ثم قال فيهما اثم كبير في ركوبهما لان فيهما
ترك الصلوة وترك ذكر الله وركوب الفواحش ثم قال ومنافع للناس يعني التجارة واللذة والربح ثم اختلف
فيه قال قوم ان الخمر محرمة بهذه الاية حيث قال اثم كبير والاثم محرم بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما
ظهر منها وما بطن والاثم والبغي وقال قوم لم تحرم بهذه الاية حيث قال اثم كبير اذ فيها ذكر النفع ولكن
حرمت بقوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس والرجس محرم وقال من عمل الشيطان وعمل
الشيطان محرم ثم اخبر في اخرها انه لوقع بينكم العداوة والبغضاء ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة
وذلك كله محرم والاصل عندنا في هذا انهم اجمعوا على حرمة الميسر مما كان فيه من الضرر الذي ذكرنا
والله اعلم وقال الشيخ رحمه الله في قوله يسئلونك عن الخمر والميسر ولم يبين في السؤال انه عن اي امرهما
كان السؤال ولكن استخراج حقيقة ذلك عن الجواب قل فيهما اثم كبير كان السؤال عما فيهما فقال فيهما
كذلك وعلى ذلك قوله يسئلونك عن اليتامى كان السؤال عما يحل في اموالهم من المخالطة وانواع
المصالح وكذلك عن المحيض كان عن غشيان الحيض اذ في ذلك جرى الجواب لم يبين في السؤال لما
في الجواب دليله اولما كان الذين سالوا عرفوا بما يوصل بهم الى حقيقة ذلك والله اعلم وقيل هذه الاية
دل على حرمتهما بما قال فيهما اثم كبير وقد قال تعالى قل انما حرم ربي الفواحش الى قوله والاثم ثبت ان

الاثم محرم واكثر السلف على ان الحرمة فيهما ليست بهذه الاية ولكن بقوله انما الخمر والميسر وقوله فيهما
اثم كبير من نحو ما بين حد السكر والميسر في سورة المائدة من وقوع العداوة والبغضاء والصد عما ذكر
وفيهما منافع في ذلك الوقت بوجوه اما في الخمر الى ان يسكر وفي التجارة فيها وفي الميسر لما كان يفرق
ما فيه ذلك على الفقراء وما فيه على التجارة ونحو ذلك وعلى التاويل الاول تخريج قوله قل فيهما اثم كبير
اي في الشرب والعمل اذ حرما ومنافع كثير قبل ان يحرما والله اعلم ثم الذي علينا ان نعرف حرمتهما اليوم
ان كانت في هذه الاية اذ لم تكن فنهي الاستمتاع بهما وبعد ذلك وقد بين الله الكافي من ذلك في سورة
المائدة وجاءت الاثار في تحريمها على ما في الميسر من الخطر والجهالة التي جاءت الاثار على كون اشباهها في
حكم الربوا وفي الخمر ما لا يتخذ للمنافع وانما يتخذ للهو والطرب وكل ذلك مما نهينا عنه معا في ذلك من
ذهاب العقل الذي هو اعز ما في البشر وعليه النعمة في اهله تحقيق لمن عقل اتقاه لو كان احلالا لما
في ذلك من التبذير كيف وقد ظهرت الحرمة ثم كان معلوما علة حرمة الخمر اذا سكر منه الشارب ثم جاء به
القران وليست تلك العلة في شرب القليل منه فلم يلحق بحق القليل غيرها والحق بالكثير كل شراب يعمل
ذلك العمل لما فيه المعنى الذي ذكر اذ كان الخمر لا يتخذ في المتعارف للمصالح والانتفاع المنافع بل يتخذ لما ذكر
من اللهو والطرب ولا يستعمل شربها الا المعروفون بالفسق فيكون حرمة الخمر لعينها لما ذكرت من قصد
العواقب بها وكل جوهر لا يتخذ لا يقصد باتخاذ ذلك فهو غير محرم بعينه والله اعلم وقوله ويسلونك
ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل عن القوت وذلك ان اهل الذرع كانوا يتصدقون ما يفضل من قوت
سنة واهل الفلوت يتصدقون ما يفضل عن قوة الشهور واهل الحرف والاعمال يتصدقون بما يفضل
عن قوت يوم ثم نسخ ذلك بما روي عن انس بن مالك رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الزكوة نسخت كل صدقة كانت وصوم شهر رمضان نسخ كل صوم كان والاضحية نسخت كل دم كان
فان ثبت هذا فهو ما ذكرنا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كان هذا قبل ان يفرض الصدقة
دليل ذلك ظهور اموال كثيرة لاهلها في الصحابة رضي الله عنهم الى يومنا لم يخرجوا من املاكهم ولا
تصدقوا بها ولا انكر عليهم فثبت ان الامر في ذلك منسوخ او هو على الادب وقوله كذلك يبين الله لكم
الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة قيل اما في الدنيا فيعلمون انها دار بلاء وفناء واما في الاخرة
فهي دار جزاء وبقاء فيعرفوا بما فيه منهما وقال الحسن اي والله ومن تفكر فيهما ليعلم ان الدنيا
دار بلاء وان الاخرة دار بقاء عن ابن عباس رضي الله عنهما لعلكم تتفكرون في الدنيا يعني في زوالها
وفنائها واقبال الاخرة وبقائها بل يعلم بالتفكر ان الدنيا للزوال علم انها هي للتردد لدار القرار فيسعى
سعيه الى التقديم وجهده في رعاية رقبة واعتاقها ولا قوة الا بالله وفي قوله كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون دلالة جواز تاخير البيان لانه امر بالتفكر والتدبر وحصل لهم عند الفكر الوصول الى
المراد في الخطاب فدل انه يتاخر عن وقت قرع الخطاب السمع وقوله ويسلونك عن اليتامى
قل اصلاح لهم كان في السؤال اضمار لانه قال يسلونك عن اليتامى ولم يبين في اي حكم واضماره
والله اعلم ان يقال يسلونك عن مخالطة اليتامى يبين ذلك قوله وان تخالطوهم دل قوله و
ان تخالطوهم ان السؤال كان عن المخالطة وكذلك قوله يسلونك عن الخمر والميسر ولم يبين في اي
حكم فكانه قال يسلونك عن شرب الخمر والعمل بالقمار والميسر ثم قال فيهما اثم كبير دل
قوله قل فيهما اثم كبير ان السؤال كان عن شرب الخمر والعمل بالميسر وهذا جائز في اللغة
وفي القران كثيرا ان يكون في الجواب بيان السؤال انه ثم كانت وان لم يذكر في السؤال كقوله
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة دل ما ذكر من الفتيا ان الاستفتاء كان عن الميراث
وكذلك قوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى
النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن الى قوله وان تقوموا لليتامى دل قوله وان تقسطوا في اليتامى
ان السؤال كان عن نساء اليتامى وهذا جائز وربما يخرج الجواب على اثر نوازل فيعرف مراده
بالنوازل دون ذكر السؤال ثم السؤال يحتمل وجهين يحتمل ان يكون عن مخالطة الاموال والانفس جميعا
بقوله قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم فانما عليهم والله اعلم على سؤال المخالطة انما قيل لما نزل
قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الى قوله سعيرا وقوله فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها

اسرافا وبدارا اشفق المسلمون من خلطة اليتامى فعزلوا طعامهم وخدمهم وثيابهم فشق ذلك عليهم
جميعا فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية يسألونك عن اليتامى الاية
وفي الاية دليل جواز المناهدات والمواكلات في الاسفار وغيرها حيث اباح لهم المخالطة بامر اليتامى
فاذا احتمل ذلك مال الصغار من اليتامى فاحتماله في مال الكبير اشد اذ مال الكبير يحتمل الاباحة
والاذن ومال الصغير لا وفي الاية دليل جواز القليل من المعروف واليسير منه في ملك الصغير واحتماله
ذلك لانه جعل عز وجل اباح لهم المخالطة مع اليتامى على العلم في الاستيفاء مبلغ الكبير بل يقصر عنه
وفيه دليل ان علة الربوا ليس هو الاكل على ما قاله بعض الناس ولكن هو الكيل والوزن لانه اباح لهم
المخالطة في الماكول من الطعام والمشروب من الشراب على غير كيل ولا وزن على العلم قصور الصغار
عن الاستيفاء فاذا الكبير وبلوغه مبلغه فلو كان علته الاكل على غير كيل ولا وزن على العلم من قصور
الصغير عن الاستيفاء لكان لا يبيح لهم اكل الربوا فدل ان علة الربوا ليس الاكل ولكن هو الفضل على الكيل
او الوزن في الجنس وفيه دليل جواز بيع التمرة بالتمرتين لخروجه عن الكيل وهكذا كل شيء خرج عن
الكيل والوزن لترك الناس مكايلته وموازنته واذا كان كيليا يجوز بيع واحد باثنين والله اعلم
وفيه دليل ان لا باس بان يؤدب الرجل اليتيم بما هو صلاح له وذلك كما يؤدب ولده وان يعلمه
بما فيه الاعتياد بمحاسن الاخلاق والتوسيع كما امر بالصلوة اذا بلغ سبعا والضرب عليها اذا بلغ
سبعا والضرب عليها اذا بلغ عشرا اعتبارا الا ترى انه روي في الخبر شر الناس الذي ياكل وحده
وفي المخالطة التخلق بالاخلاق الحسنة وفي تركها التخلق بالاخلاق السيئة وفي تركها التخلق بالاخلاق
السيئة والاعتياد بعادة السوء وقوله قل اصلاح لهم خير فيه دليل اضمار وهو طلب الصلاح لهم انما
بالتولي لهم في اموالهم والنظر لهم بما يعف نفعا لهم او طلب التخلق بالاخلاق الحسنة والاعتياد بعادة
المحمودة فذلك اصلاح خير بل الحكم الصلاح لهم اخير لهم بما يعود نفع ذلك اليهم والا فظاهر الصلاح
حسن لكل احد فلا وجه لتخصيصهم به فدل انه على طلب النفع والنظر لهم والله اعلم ثم اوعدهم
عز وجل بقوله والله يعلم المفسد من المصلح اي والله اعلم يعلم طالب النفع والنظر لهم من طالب الفساد
والاسراف في اموالهم وقوله ولو شاء الله لاعنتكم قيل يضيق عليكم ولم ياذن لكم بالمخالطة معهم وقيل لاثمكم
فلم يرخص لكم في الخلطة وقيل لاحرجكم وهو واحد واصل العنت الاثم كقوله عزيز عليه ما عنتم يعني اثمتم وقوله
ان الله عزيز حكيم فيه وعيد لهم على ما ذكرنا والله اعلم وقوله فاخوانكم في الدين رغبهم عز وجل بما اخبر انهم
اخوانهم في الدين بطلب الصلاح والنظر والنفع لهم او يستوجب بعضهم قبل بعض المعونة لهم والحفظ
والصلاح كقوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم دل قوله اخوانكم في الدين على ان الصغير قد يقع والدين
في امر الدين ويجوز منهم التدين اذا عقلوه وان لم يكونوا بلغوا والله اعلم وقوله ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن اختلف في تاويل الاية فقال قائلون الحظر على كل مشركة ومشركة كتابية او غير كتابية ثم نسخ
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب فالاماء على الحظر لانه انما استثنى الحرائر دون الاماء بقوله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وقال اخرون هو على المشركات خاصة دون الكتابيات فتدخل كل كتابية
حرة كانت او امة لان الاستثناء اذا كان عن جملة الاديان دين الكتابيات لم يحتمل دخول بعض اهل ذلك
الدين دون بعض والذي يدل عليه وقوله ولامة مؤمنة خير من مشركة فجعل الامة المؤمنة خيرا بالنكاح
من المشركة ومن قوله انه بالقدرة على طول الحرة الكافرة لا يباح له نكاح الامة المؤمنة فبان ان موقع
الاية ليس على التناسخ على ما يقوله على ان الاماء يدخلن تحت قوله عز وجل والمحصنات دليله قوله فاذا
احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فثبت بتعففهن فيستوجبن
اسم الاحصان وقد جعل شرط الحل هو ذكر الاحصان وقوله ايضا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن
تحصنا وقوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم استثنى الاماء من جملة المحصنات دل انهن دخلن
في الخطاب وقد اجمع على انهن يحل لنا بالسبي وكل مذكور في الكتاب يستوي الحل فيه الا من جهة العدد
فاذا ابيح لنا تزويج الكتابيات فهن كالحرائر ثبت انه محكوم بحكمهن في النكاح فبطل قول من ابطل نكاح
الاماء اذا ثبت ان الاية بخلاف ما قال وبالله التوفيق ثم الاية تضمنت احكاما
منها ان من قول اصحابنا رحمهم الله ان المناهي لا توجب الحرمة والثاني ان الاية كيف كان نحملها على

الخصوص في بعض احق والعموم في بعض ويخرج الخطابين واحد والثاني ان في الاية ذكر المنع لعلة وهو
الدعوة الى النار فكيف لم يلزم حفظ ما لاجله وجب المشقة على وجوه وهذا هو الاصل ان يحفظ الاحكام المعلقة
بالعلل ما دامت توجد العلل والرابع البيان في قول النكاح اذ الاولياء خرج الخطاب بقوله ولا تنكحوا المشركين
واما قولنا في النهي فان النهي يوجب الانتهاء ولكن لا يوجب الحرمة الا بدليل يقوم على مراد الحرمة في النهي لما
رايناه من المناهي كثيرة لم توجب الحرمة فلو كان نفس النهي موجبا ذلك لوجب ان يوجب في كل ذلك فلما لم
يوجب ذلك دل ان نفسه لا توجب الحرمة لكن الدليل هو الموجب الحرمة واما قولهم وسبوا لهم عن الخصوص
والعموم قد لنا جائز عندنا خروج الاية على العموم يعقل بها الخصوص وهو كثير في القران مما لا يحتاج الى
ذكره وشرحه من ذلك قوله لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وامنتم برسلي عقل ايجاب تعظيم الرسل
والانبياء الكل وبعضها الخاص وكذا قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول
الله ولا يرغبوا ان التخلف غير موجود في بعض احاد الاصحاب وان حق النهي عن الرغبة عن نفسه اخذ الجميع فعل ذلك
ههنا يجوز خروجه عاما يخص بالمعقول واما قولهم وجوب الحكم لعلة وهو الدعاء الى النار فله وجهان احدهما
ان الكتابي اذ يكتاب يعتقد على الزام الدين بالدعاء اليه ففيه رجاء الاسلام وغيرهم من اهل الشرك لا طمع
بمثله والثاني ان علة الحظر قوله اولئك يدعون الى النار والزوجات لا يدعون اذ ذاهبهن الى ذلك بل الازواج
هم الاصل في الدعاء وهم الامراء على الزوجات والزوجات بين الاتباع الازواج والمذلون في ايديهم لذلك ابيح
ثم الاصل بان النكاح جعل لامرين اما لابقاء النسل واما للتحصن والتعفف عن السفاح ثم ينكح من لا تنسل
فما بقي الا وجه المنع عن السفاح ثم الدعاء الى النار اعظم من السفاح بهذا المرج النكاح ثم الدلالة على تخصيصها
وجهان احدهما قول الخصوم بالنسخ انه ورد على بعض دون بعض وما ذلك الا التخصيص والثاني ان ذكر ذلك
في الكتابيات لم يجز بحيث اظهار ما يحل وما يحرم او شرط نكاحهن انما هو عند العجز عن الحراير فجرى الذكر فيهن
ذهي الاصول في عقود النكاح وان الاماء وجبلات في حق النكاح وانما جرى الذكر في حلهن بملك اليمين
لذلك ترك ذكرهن مما يجوز دخول الاماء في قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب لما اوجب لهن
العفة والتحصن بقوله فاذا احصن فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وبقوله محصنات غير مسافحات
واما قولهم خاطب الاولياء في النهي بقوله ولا تنكحوا المشركين وخاطب الاولياء ايضا في الامر بالنكاح الايامى بقوله
وانكحوا الايامى منكم فدل ان الولي شرط في جواز النكاح فجوابنا انه انما خاطب الاولياء في النهي عن النكاح لما
ان العرف في الامة ان يتولى النساء بانفسهن بل الاولياء هم الذين يتولون عليهن النكاح برضاهن
وامرهن وتدبير لذلك خرج الخطاب الاولياء مع انه ليس في تخصيص بالخطاب دليل اخراج النساء ولان
النكاح الا ترى انه ذكر في الاية الصلاح بقوله والصالحين من عبادكم واماءكم لم يشرط ذلك شرطا
في الجواز فعل ذلك الاول وهذا يدل ايضا على انه ليس في تخصيص المحصنات من الكتابيات حصر نكاح
الاماء منهن والثاني ان قوله ولا تنكحوا المشركات يحتمل ان يكون في السفهاء خاصة نهي الاولياء عن
تزويج السفهاء من المسلمين والمشركات من غير الكتابيات فاذا كان محتملا ما ذكرنا لم يكن لمخالفنا
الاحتجاج به علينا في ابطال نكاح المراة نفسها دون وليها والله اعلم وقوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن اختلف فيه قال قوم هن في غير الكتابيات يبين ذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات
الى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فنسخ الكتابيات الاحلال على ما لم يختلف فيه
احوال الحل من اول الاسلام الى الابد ولا قبل ذلك نحو الطيبات من الطعام من طعام المؤمنين واهل
الكتاب ونحو المحصنات من المؤمنات فمثله الكتابيات اذ لا يسبق نكاحهن على ما ذكر ولو كان التاويل
هذا كانت الاية منطقة بان لا تنكحوا المشركات غير الكتابيات فلا يكون في الاية تحريم الاماء من اهل
الكتاب ولا النهي عن ذلك وانما يعرف ان يكون يجوز او لا بدليل اخر سوى هذه الاية فان قيل
على ذلك لم كانت انه الاحلال في التخصيص بذكر المحصنات دليلا على حرمة نكاح الاماء قيل لا وجه
احدها ان ذكر الحل في حال لا يدل على حرمة في غيره ولو كان ذا يدل لكان يجب ان يكون حكم ما لا يذكر فيه
وذلك فاسد اذا اشبع وهو دليل الحكم فيما لا يشبع فيه لا يشبع فيه بالمعنى الذي يمنع فيه والله اعلم
وابدل ذلك قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن ثم محصنين ولا
بايتين اجورهن فمثله الاول والثاني انه منسوق على مثله في المنات ثم لم يكن ذلك في المؤمنات على

تحريم الاماء فمثله في الكتابيات فان قيل لما بين في اماء المؤمنات قبل تحريم احد ان ذلك على نسخ
هذه الاية تثبت انه ليس في الذكر في المحصنات تحريم الغير كذلك في المنسوق على ذلك مما كان
في مثل هذا الاستدلال على الحرمة لكان في قوله ولا تنكحوا المشركات اذا وقع عليهن الكتابيات فيدل
على الاحلال فيكون ذكر الحرمة في نوع دليل الحرمة في غيره على مثل ذلك ذكر الحل في نوع وفي ذلك تناقض
الادلة والله اعلم ووجه اخر ان المحصنات يحتمل ان يريد بهن العفائف واهل الضلوع لا الاماء قد يستحقهن
هذا الاسم كقوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن وقوله محصنات غير مسافحات وقوله
والمحصنات من النساء الاية وانما استحقهن الاسم فهن في الايات احق نظيرها الاخرى والله اعلم وبعد فانا
نقول اكثر ما فيه ذلك النهي عن تزوج الاماء من اهل الكتاب فان النهي في ذلك لا يدل على الحرمة
لانه معلوم المعنى لانه يقع النهي عن نكاح الاماء انه لكان دون الاول والثاني مما لحظه الآثار
وجلوتهم بالموالي وذلك مما ينفر عنه الطباع ثم كان النساء الاثبات جميع ذلك فيهن موجود ولهن
قايم وقد يحق او لا دهن اعظم الشيء الذي يستخف على ان ثم لم يمنع النهي عن نكاحهن ما هو
نفاد الطباع لا سيما في ذلك انه لا يكون الحرمة فيه امر الاماء والله الموفق ثم دليل حلهن انه كل امرأة
حرمت لنفسها فسوى وجه الحل بهن في ملك اليمين والنكاح وكل امرأة كان حرمها بالحق فيختلف فيها
المكان دان كانت هي محللة بملك اليمين ثبت انها لم تحرم لنفسها فهي تحل بالنكاح كما علمنا ليس
على هذا الاصل امر الحر بسائب والمحارم ونحوهما والله اعلم وقال قوم الاية في جميع المشركات الكتابيات
ثم نسخت الكتابيات بالاية التي في سورة المائدة وكان النسخ شرط الاحصان فبقيت الاماء على الحرمة ذلك
دليل ذلك وجهان احدهما قوله ولا تنكحوا المشركين انه يدخل في ذلك الكتابي وغيره فكذا في الاول
والثاني قوله اولئك يدعون الى النار الاية والثاني ان الكتابي مشرك في الحقيقة اذ هو مما لا يبغ
والكتابي في الدعاء اليها وغيره سواء فذلك كان على ما ذكرت فنحن نقول في ذلك وبالله التوفيق
ليس فيما ذكر دليل على ما ادعى لانه جائز خروج اية واحدة في امرين يختلف موقعهما من الخصوص و
والعموم بالدليل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم الاية انه يجوز والتخلف عنه لعذر ولا يجوز
الرغبة عنه بحال وقال في قوله لئن اقمتم الصلوة الاية ليس كل ذلك مما يقتضي عمومه الخلق
وان كان الظاهر في الكل بالمخرج واحد ثم ذكرت من الاية دليل الفصل والثاني انه يجوز ان يكون
الاية في غير اهل الكتاب دليل ذلك الامر المعروف ثم التفريق في التسمية وان كانوا في الشرك
مجتمعين قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين وقال ان الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم الاية وغير ذلك مما قد فصل الله في التسمية وان كانوا
في حقيقة الشرك مجتمعين فجائز ان يكون الاية على ذلك ثم حرم تزويج المسلمات من اهل الكتاب
لا بهذه الاية لكن بغيرها من الادلة الا ترى انه لا تترك مما لبث اهل الاسلام تحت ايديهم لا
بهذه الاية فمثله امر النكاح والله اعلم في الاية دليل ذلك وهو قوله ولامة مؤمنة خير من مشركة
الاية وكل يجمع ان لا يحل نكاح الامة المؤمنة على حرة الكتابية فلو كانت هي مرادة في هذه الاية لكان
نكاح من هو خير منها في النكاح لا يحرم عليه حتى ان الذي يقول بهذا التاويل يحرم الطول بالكتابية
فضلا عن نكاحها ولا قوة الا بالله وقوله اولئك يدعون الى النار دليل ان الاماء غير داخلات
في الخطاب لانهن لا يدعون بل الغالب عليهن ان يتبعن ويجبن لمن هن تحتهن فيما دعين اليه لا ان يدعون
هذا الامر المتعارف والله اعلم ثم نقول اجمل كان الاية فنزلت في الكتابيات فان الكتاب في جميع ما
جرى به الذكر في حقوق النكاح والطلاق والاحكام تضمن خطاب الاحرار خاصة فيما ابهم وعرف امر
الحرمة في الاماء والعبيد بالادلة العقلية مما دل عليه احكام السمع فكذا هذا والله الموفق وقوله
ولا تنكحوا المحموم على التحريم فان اتفاق الامة وان احتمل ما هو بهذا المخرج على غير التحريم على ان الله قد
بين بقوله اذا جاءكم المؤمنات الى قوله لا جناح عليكم ان تنكحوهن الاية ان النكاح قد انفسخ حيث
لغير الازواج التزويج وفي قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم انه الاستمتاع بذوات
الازواج اذا سبين ولا تمسكوا بعصم الكوافر ذكر جملة النساء ونهى الرسل عن التمسك بعصمهن واسم
الشرك اسم تفريق بالاطلاق واسم الكفر للجملة على ما قال وقال الذين كفروا الاية وقال ان الذين

كفروا من اهل الكتاب الاية وغير ذلك مما جمع فى اسم الكفر وفرق باسماء المذاهب وجعل اسم الشرك
فى التفريق فدلت هذه الايات على الحرمة فى قوله ولا تنكحوا الاية ويدل قوله فى اخر الاية اولئك يدعون
الى النار على ذلك ومعلوم ان اول دعائهم الى النكاح فصير ذلك سببا للنار وما يوجبها حرام ثم فيها
دلالة عموم الاية فى المذكورات فى تعارف الخلق ان الرجال هم الذين يدعون النساء والنساء تبعهم
وذلك المعنى فى رجال اهل الكتاب وغيرهم سواء فيكون الحرمة فيهم سواء وعلى ذلك المروي من الخبران
رجلا اسلم وعنده ثمانى نسوة واختان فاسلمن دل انهن يتبعن الرجال لا انهن يدعون الى ما يحبون من الدين
والله اعلم ثم الدليل على ان النهى ايضا نهى تحريم قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن انه لو لا خبث فيهن
فى الحقيقة يوجب حرمة الاستمتاع لكان لا ينهى عن التناكح وذلك من ابلغ اسباب دعوتهم الى
الاسلام بما ذكرت من الفرق فى طاعتهن الازواج فيما يختارون من الدين فى المتعارف بمن دون
بينهن الخبر وخاصة ذلك فى المشركات احق فى الحل منه فى الكتابيات اذ هن انما اخذن دينهن عن ابائهن
بالاعتياد والتقليد ومعلوم ان الاعتياد هى ما فيه رضاء الازواج ايثار ذلك على ما فيه رضاء الاباء
حتى يؤثرنهم عليهم بما جعل الله بينهم مودة ورحمة والكتابيات اخذن دينهن بما اعلمن انه دين
وانهم امروا بالتمسك به فاذا نهوا عن نكاح المشركات وابيحوا نكاح الكتابيات واسلامهن بالنكاح
ارجى ثبت ان ذلك كان لخبث نهوا وقد حرم الله الخبائث والله اعلم ثم الله سبحانه ومع اخبر انه حرم
الخبائث واحل الطيبات فلولا ان فيما حرم خبث يحتمل الموقوف عليه وفيما احل طيب لسود الحرمة
والحل له كان كذلك لم يحتمل التسمية فى وصفا التحريم والتحليل هو لا غير وهذا كما وصف المؤمن
بالحيوة والسمع والبصر والكافر بضد ذلك بما فى كل معنى ذلك لا انه اسم لقب دون ان يكون له
حقيقة له يسمى مثله الذى ذكرت ثم كان الخبث يكون من وجهين من حيث الاحوال ومن
الافعال ولذا سمى الكفر خبثا وكذا الخمر والميسر وذلك كله بخبث الافعال وعلى ذلك يجوز ان
يكون تحريم تزويج المسلمات المشركين بخبث الفعل وهو خوف وقوع الكفر اذ هن يتبعن الرجال
فيما يؤثرون من الافعال ويتقلدونهن الدين فيكون التحريم لهذا الخوف اذ هو الوجه الذى عليه جرى
حرمات النكاح من ذلك نحو نكاح ما كثر عددهن بقوله وان خفتم ان لا تقسطوا فنبع عن الحسن واكثر الخوف
وقوع الجور الذى هو فى العقل خبث ونكاح الامة بعد الحرة ان الطبع ينفر عن مناكحة من تخالط الرجال
وتخلو بهن لا يؤمن عليه السفاح فما يؤثر مثلها عند النفا بالحرة عند عنها الا الامر حدث بينهما لما يبعث
ذلك على الجور فنهوا عن ذلك وكذلك نكاح المحارم بما قد يجرى من الامور فى النكاح مما يحمل على تضييع
الحدود وانواع النشوز الذى يمنع ذلك القيام بحق النسب والصلة فيكون فى ذلك تضييع الفرض وكذلك
محارم المراة وعلى هذا يجب تحريم المسلمة عن الكتابى وغيره بخوف وقوع فعل الخبث بينهما وهذا الكفر ولم
النهى عن نكاح الزانية والزانى على ذلك لانه ليس فى الطباع احتمال اتباع احدهما الاخر فى ذلك الوجه
بل ينفر عن ذلك اشد النفار فلو تحقق ذلك فيه هذا فهو على الادب بما يلحق الولد الطعن وصاحبه ليشتم به
لا ان يلحقه وصف هو لغفة ما انه لا يمكن اخر يكون النهى نهى تحريم بل كان على الارشاد بما يلحق من الطعن
دون ما ان يحدث من تعدى حد وجور فى الفعل وعلى ذلك امر نكاح الامة والله اعلم ثم وجه التفضيل
بين الكتابية والمشركة والله اعلم فى اباحة التناكح ان المشركة اثرت فعل البهيمى فى الذين على فعل البشرى
والكتابية اثرت فعل البشرى وهو ما يدعوا اليه العقل لا الطباع لانهن يرجعن فى الاختيار الى
الايمان بالرسل لكن انهى لهن انهم نهوا عن الايمان بمن يدعوهن الله فاعتقدن على ذلك بالاثار
عندهن من الحجج كما اعتقدنا نحن بان لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لكن خبرنا صحيح خبرهم فاسد
والا فوجه الاعتقاد على ما فى العقل ذلك واما المشركة لم تختر ذلك بحجة انما كان بوجود الاباء على ذلك
من غير الالتجاء الى ما فى العقل اتباعه كما قالوا انا وجدنا اباءنا على امة الاية فحرم علينا نكاحها بحجب الاختيار
واتباع فعل البهيمى وايثاره على فعل البشرى والله اعلم وعلى ذلك لو اسلمت لم يعظم درجة اسلامها
لولا انا نرجو من رحمة الله ان الله اذا قبلت هى الاسلام بالاعتياد ينير قلبها فيشرح صدرها للحق
لكان لا يكون لاسلامها فضل حمد والله الموفق ووجه اخر ان الكتابية لما امنت بكتب الانبياء عليهم
السلام فى الجملة فقد امنت بذلك بالرسل جميعا لكنها كذبت من كذبت لما وقع الخبر عندها مخالف

الحقيقة فامكن ان تنبه عن حقيقة ذلك بالكتاب الذى امنت به ليكون ايمانها فى الحقيقة ايمان بمن
كذبته بالمتنان فى ذلك الكتاب بتصديق والمشركة احتيج فيها الى ابتداء الالزام لا ان كان معها ما به
اللزوم مما قد وجد ايمانها به والله اعلم وعلى هذا لا يسلم للزنديق الكتاب اذا اختاره لانا نعلم انه
يظهر ذلك لا انه فى الحقيقة يختار ذو كتابنا مصدق كتابهم فلم يخبر ان نظهر له به التصديق التكذيب
ليرجع الى ذا هذا بقبول الاخر فلذلك لم يحل ذبائحهم والله اعلم ودل النهى عن النكاح والانكاح حتى يكون
الايمان ان الايمان معروف عندهم يعلمون به حقيقته والله اعلم وفى خطابات الاولياء فى قوله ولا تنكحوا
يحتج على الامر المعروف من الله فى الذى اليهم حق التولية او على ان الحق لهن عليهم فى التزويج اذا دعونهم
عن ذلك ليعلم ان لا حق يجب لهم ذلك والله اعلم وقوله يدعوا الى النار ويحتمل وجهين احدهما المنع عما
يدعو بعضهم بعضا الى عبادة غير الله وذلك دعاء الى النار كما قال انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب
السعير بما يوجب الفعل الذى يدعوا اليه ذلك فكانما دعوا الى ذلك اذ هو المقصود من الثانى وعلى
ذلك تسمية الجزاء باسم العمل الذى له الجزاء والله اعلم ويحتمل يدعون فى التناكح للهو واستكثار الاتباع
فى المعادات لله تعالى ومعادات اوليائه بالتناكح والله تعالى يدعوا له الى التعفف واستكثار الاتباع
على ما ينال به مغفرته ورحمته والله الموفق وقوله اولئك يدعون الى النار يعنى يدعون الى عمل الذى
يستوجب به النار والله يدعوا الى الجنة يعنى الى عمل الذى يوجب الجنة والمغفرة وقوله باذنه ويبين اياته
للناس لعلهم يتذكرون وقوله ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا دل جوابه على ان السؤال
كان عن قربان النساء فى الحيض او كان عن موضع الحيض فاخبر انه اذى والعرب تفعل ذلك ربما
ان يفهم من الجواب مراد السؤال وربما تبين المراد فى السؤال واذا جاز ان يتبع ظرف وقت الاذى
بالاتصال والله اعلم ولا يحتمل ان يكون الامر بالاعتزال يقع على اعتزال الابدان والانتجاس بالاتفاق
اذ كل يجمع ان له ان يمسها باليد وان يقبلها وغير ذلك الا انهم اختلفوا فى موضع الاستمتاع قال
ابو حنيفة رضى الله عنه يستمتع بها ما فوق السرة وما تحت الركبة ويجتنب غير ذلك وقال محمد رضى الله عنه
يجتنب شعار الدم على ما جاء عن عائشة رضى الله عنها انها قالت تتقى شعار الدم وله ما سوى ذلك ثم
دل هذا الخبر على ان النهى فى الموضع الذى فيه الاذى دليله والاية قل هو اذى وحجة ابى حنيفة ما روى
انه قال لها ما تحت السرة وله ما فوقها وما روى ان ازواج الرسول صلى الله عليه وسلم اذا حضن ان يتزرن
ثم يضاجعهن واما محمد رحمه الله فانه ذهب الى ما ذكرنا انه انما ينهى عن قربان ذلك الموضع للاذى
واما الموضع الذى لا اذى فيه لا باس ويجوز ان ينهى عن قربان هذه الاعضاء من نحو الفخذ وغيرها لاتصالها
بالموضع الذى فيه الاذى ويحتمل ان يكون ذكر الاذى كناية عن الموضع الذى وعلى ذلك روى عن عائشة
رضى الله عنها انها سئلت عما يحل للرجل من امراته وهى حائض فقالت يحل له كل شئ الا النكاح وسئلت عما
يحل للمحرم من امراته فقالت لا يحل له شئ الا الكلام وقوله ولا تقربوهن اى لا تجامعوهن حتى يطهرن ذكر فيه
لغتان فى حرف بعضهم بالتشديد وفى حرف اخرين بالتخفيف لمن قرا بالتخفيف فهو عبارة عن انقطاع
الدم ثم من قول اصحابنا رحمهم الله تعالى ان المرءة اذا كانت ايامها عشرا حل لزوجها ان يقربها قبل ان
تغتسل واذا كان ايامها دون العشر لم يحل له ان يقربها الا بعد الاغتسال ويحتمل ان يكون الاية فيما كانت
ايامها دون العشر فى اللغتين اذ الغالب كان على ان الحيض لا يحيط بكل وقت على ما روى ان تحيض فى علم
الله من الشهر ستا او سبعا فعلى ذلك انه انما يحل قربانها بالاغتسال قال الشيخ رحمه الله فى قوله ولا
تقربوهن حتى يطهرن انه على ما روى العشر من المدة الغالب كان على ان لا يمتد الى اكثر الوقت ولا يقصر
عن الاقل على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى النساء هن ناقصات العقل و وصف نقصان
بهن ان تحيض احداهن فى الشهر ستا او سبعا وصفتهن جملة بنقصان الدين ثم ذكر ما بين فى التفسير عن
ثبت ان ذلك كان الغالب فى الجملة حتى خرج عليه الجواب انه لا يمتد الى الاكثر ولا يقتصر على الاقل والله اعلم
وايد هذا ان الخبر عن ابتداء الاية انه الاذى وامر بالاعتزال ثم جعل لها بعد الانقطاع قبل الاغتسال حكم الاذى
فلم يجز ان يجعل الحكم لما ليس بحقيقته حكم الاذى فيجعل للطهر الذى هو ضد ذلك الحكم والله اعلم ومما يبين
لذلك حكم الاذى فى العشر ان كان الوقت يضيق عنه فى رفع الصلوة هكذا فى ايام الريان والله اعلم وعلى ما ذكرنا
من العرف ينصرف امر الوقت انها لو اخرت الاغتسال عن وقت الصلوة كان الزوج ان يقربها لزمها من

قضاء الصلوة وهذا النوع عن الاذى لا يمنع لزوم القضاء وخص الخطاب على الوقت بالعرف
انهن لا تأخرت وبما ذكرت عن لزوم القضاء الذي يمنعه حكم الاذى وبذلك صار غسل الحيض
كغسل غيره من الاحداث وهو لا يمنع القربان والله اعلم اتيان الادبار وما عليه اتفاق الآثار وبما
خص المكان بالامر بالقربان وبما امر بالاعتزال للحيض ولو كان يحل غشيانهن في الادبار لم يكن للامر بالاعتزال
معنى اذ قد بقي احد الموضعين من المقصود وبغشيان لو احتمل والله اعلم والاصل في ذلك ان الحل في الابتداء
لم يتعلق بقضاء الشهوات ولكان تنحيز لها وانما القضاء الشهوات خاصة فاما الدنيا فانما جعلت
لقضاء الحاجات اذ بها يكون بقاء النسل والاولاد وبها يكون قوام الابدان ودوام الحيوة الى القضاء
الاعمال وركبت فيهم الشهوات لتبعثهم على قضاء ذلك الحاجات اذ لولا الشهوات لكان كل امر من
ذلك على الطباع يكون كالاذى ويثير الكراهة والمحنة الشديدة فخلق الله فيهم الشهوات ليدوم ما به
جرى تدبيره في امر العالم ولا يتعلق الحاجات باتيان الاتيان الادبار ولو احلت نكاح الحل
محل الشهوات خاصة والدنيا لم يخلق لها فذلك لا يحل بها حل معا لو كان يحتمل ذلك لاحتمل التناكح
في نوع فاذا لم يحتمل بان ان ذلك انما جعل للنسل والله اعلم الموفق وقال بشر اذ حرم الغشيان للحيض
بما هو اذى وهو يكون على ما يعتاد فالذي الدبر مجراه والذي منه يخرج من الاذى او اخبث و
وذلك قائم في كل الاوقات كقيام الحيض في اوقاته فالحرمة لذلك اشد ذكر بوجه امكن ان يبسط
ما قال على الذي وصفت والله اعلم وقوله فأتوهن من حيث امركم قيل فيه بوجوه قيل معنى قوله
من حيث امركم الله لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا مصليات ويحتمل لا تأتوهن حيضا
ولكن فاتوهن في الذي الذي اباح لكم اتيانها وهو القبل ولا تأتوهن في ادبارهن وفيه
اذ حيث يعبر به عن مكان ان يكون من حيث امرهم ان يبتغوا الذي يقوله وابتغوا ما كتب الله لكم وقوله ان
الله يحب التوابين من الذنوب متطهرين من الاحداث والاذى والثاني من فعل هذا قبل النزول
المتطهرين انفسهم بالتكفير والتواب هو الرجاع عما ارتكب والتارك على العود الى ذلك غير مصر
على الذنب ويحتمل التواب الذي لا يرتكب الذنب وقوله نساءكم حرث لكم وهو المزرع وفيه دليل النهي
عن الاعتزال عنها لان المزرع اذا ترك سدى فيضيع ويخرب وفيه دليل ان الاباحة في اتيان النساء
طلب التناسل والتوالد لا قضاء الشهوة لانه سمى ذلك حرثا والحرث ما يحرث فيتولد من ذلك الولد
وفيه دليل ان الاتيان في غير موضع الحرث محرم منهي وعلى ذلك جاءت الآثار انها سميت اللوطية الصغرى
وما جاء انه نهى عن اتيان النساء في محاشهن يعني في ادبارهن وفي بعض الاخبار اتيان النساء كذا وقوله
فأتوا حرثكم انى شئتم يعني على اي جهة شئتم بعد ان يكون في المزرع ولا باس في الاعتزال عنها اذا اذنت
لما ذكرنا ان الامر بذلك امر بطلب النسل لا قضاء الشهوة فاذا كان كذلك كفيها ان لا يحتمل مشقة تربية
واما الزوج فانما عليه المؤنة وذلك تما ضمن لكل ذي روح بقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
لذلك نهى هو عن الاعتزال دون اذنها ولم تنه هي على الاذن عن ذلك والله اعلم واما الاعتزال
عن الاماء وملك اليمين فانه لا باس لانه لا يطلب النسل من الاماء في المتعارف لذلك لم يكره ولان
في احياهن اتلاف وللرجال ان لا يتلف ملكه اتفاقا والله اعلم والاصل ان الشهوات مجعولة
لما بها امكان قضاء الحاجات التي يقضي بها جرى تدبير العالم وبه يكون دوام النسل وبقاء الابدان
والحاجة يحتمل الوقوع في الادبار لذلك لم يحل فيها وقوله وقدموا لانفسكم قيل فيه بوجهين
قيل قدموا العمل الصالح وقيل قدموا لانفسكم من الولد يحفظونه عند النزع عما لا يجب وقوله
واعلموا انكم ملاقوه ما قدمتم من العمل الصالح فتجزون على ذلك كقوله وما تقدموا لانفسكم من
خير تجدوه عند الله ويحتمل قوله انكم ملاقوه اي ملاقوا ما وعدكم من وعده ووعيده وقوله ولا
تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية قيل كان الرجل يحلف ان لا يصنع المعروف ولا تبر ولا يصلح بين
الناس واذا امر بذلك قال اني حلفت على ذلك يقول لا تحلفوا على امر هو لي معصية ان لا تصلوا
القرابة وان لا تبروا وان لا تصلحوا بين الناس وصلة القرابة خير لكم من الوفاء باليمين
في معصية الله تعالى والعرضة العلة يقول لا تعللوا اي لا يمنعكم ان تبروا او ما ذكر وقوله
والله سميع عليم حرفان يخرجان على الوعيد سميع بمقالتكم وايمانكم عليم بارادتكم في حلفكم وقال

الشيخ

الشيخ رحمه الله في قوله لا يؤاخذكم باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكسب القلوب لا يكون عقد
ولا حنث انما هو تعمد الكذب كقوله ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم فعل ذلك امر يمين
اللغو والتعمد وهذا بين ان اليمين يكون في موجود لا فيما يوجد اذ فيه وصفا للمأثم وفيما يكون لم يكسب قلبه
ما يأثم بالخطاء ويأثم في غير اللغو بالتعمد ثم قال لا يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وبين ان المؤاخذة يكون
هنا بالكفارة وفي الاول بالاثم وفي اللغو لا يؤاخذ بهما فلزم تسليم البيان لما جاء في كل ذلك ثم جميع
المؤاخذ في كسب القلب بالاثم ولزوم التوبة فكذا في هذا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امر اللعان انه قال ان احدكما كاذب فهل منكما من تائب ومعلوم كذب احدهما ولزوم التوبة معا في تركه
الوعيد الشديد من الغضب واللعن ولو كانت فيه كفارة لكان لا سبيل الى العلم بها الا بالبيان فهو
احق ان يبين انها غير واجبة على انها تجب بالحنث عقيب العقد بدفعه وكان ههنا ملو فيما له فهو
يتعد على نحو جميع المحرمات التي تفسخ الاشياء فهو عند الابتداء يمنع ولبس ذلك كالطلاق ونحوه قد يكون
بلا شرط واليمين لا يصح الا به ولم يكن فانفرد قوله والله وقد يخرج مخرج الاستخفاف الحلف بالله كاذبا
والجراءة على الله فحق ان يكون كفرا لولا ان المؤمن يخطر بباله ما يحمله على ذلك دون قصد الاستخفاف به على
ذلك امر اللعان انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل احدكما كافر فهل منكما من يؤمن لانهما لم يقصدا القصد
فكذا كل حالف على تعمد الكذب والله الموفق وقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم قال سعيد بن جبير
هذا محمول على قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي يؤاخذكم بنقض ايمانكم التي حلفتم بها لانها معصية الله
ولكن مؤاخذكم بحفظها والمعنى فيها ثم اختلفوا في اللغو ما هو قال بعضهم هو لا سم وقيل هو الغلط ثم
اللغو المذكور الذي اخبر ان مؤاخذة على صاحبه يحتمل ان لا يؤاخذه بالاثم ويحتمل ان لا يؤاخذه بالكفارة
بما يعقد ثم ذكر في الآية الثانية لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولو
حمل على انه لا يؤاخذ في هذا ايضا بالاثم وقع الكلام بحيث لا يفيد فيه هذا التكرار والاصل عندهم بان حمله على
ما يفيد احق من حمله على ما لا يفيد فثبت ان الاول في نفي الاثم والثاني في نفي الكفارة على هذا القول في
الغموس انه لعظم الوزر والاثم لم يلزم ان يكفر فليس فيه الكفارة وله وجه آخر وهو ان سبب الحنث في
اللغو والغموس تلاقي العقد فلم يصح بر اليمين لا باليمين لان الحنث نفسه ليسقط اليمين فاذا لاقى الحنث
اليمين منع صحتها ووجوبها فاذا كانت هذه اليمين غير صحيحة في العقد فلم تلزم الكفارة لم وجبها عن
ثم لم يزل عنه في الغموس الاثم لتضمن الكذب قال الفقيه رحمه الله والقياس عندي في التعمد بالحلف
على الكذب ان يكفر ولهذا ان الحقد الوزر جعلت للتعظيم تعالى بالحلف فيها والحالف بالغموس مخبر وعلى
الله تعالى مستخف به ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحلف بالاباء والطواغيت لان في ذلك
تعظيم لهم وتجليل فالحالف بالغموس في الذي هو مخبر ومستخف فالوزر له بالجراءة لازم ثم المعتمد مخبر
مستخف بالله تعالى على المعرفة لا يسع فيسلك سبيل اهل النفاق اظهارهم ما فيه استخفاف وان كان سببا
للتعظيم للاستخفاف لزمهم العقوبة بذلك كذا الاول ولكنه بالحلف خروج فعله على الجراءة للوصول الى
معناه وشهوته لا للتمسك به وعلى ذلك يخرج قول ابي حنيفة رضي الله عنه في سؤال السائل ان العاصي
مطيع للشيطان ومن اطاع الشيطان كفر فكيف لا تكفر العاصي فقال لانه خرج فعله في الظاهر مخرج الطاعة
لا ان القصد يكون طاعته وانما يكفر بالقصد لا بما يخرج فعله فعل معصية فكذا الاول والله اعلم وعلى
ذلك في امر اللعان من القول بان احدكما كاذب فهل منكما تائب فخفيه وجهان انه لم يأمر بالايمان ولا قال
احدكما كافر فثبت انه لا يكفر والثاني انه امر بالتوبة وقد يعلم من كذب ان عليه ذلك معا في القرآن من
اللعن والغضب ولم يأمر بالكفارة وهي لا تعلم الا بالبيان فهي احق ان تبين لو كانت واجبة والله اعلم
والاصل عندنا في اليمين الغموس انه اثم وعليه التوبة كفارة وهكذا في كل يمين في عقدها معصية ان
يلزمه الكفارة وهي التوبة واما الكفارة التي تلزم في المال فهو لا يلزم الا بالحنث بالاثم والحنث نفسه
اثم لذلك لم تجز الا بالحنث وما روينا من الاخبار من قوله من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها
فليكفر بيمينه ثم ليأت الذي هو خير انه اذا كان يمينه بمعصية يصير باليمين انما فليكف بالتوبة
فان قيل الحلف بالطلاق والعتاق والحج بالماضي يلزم كيف لا يلزم منه الكفارة قيل لان الطلاق

وانفاق والمع يلزم دون ذكرنا قال على جهة اوات طالق اوهو حر لو قال والله الغمرة دون ذكر ذلك
الفعل لا يكون يمينا ولا يلزمه شئ لذلك افترقا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله الايلاء معلوم في اللغة
انه اليمين وكذلك كان ابن عباس رضي الله عنه يقرء للذين يقسمون وما هو اليمين من الحكم لا يوجب
لغيرها نحو الكفارة التي تجب بالحنث فيها انه يجب له على كل حال على اى وصف كانت اليمين فكذلك حكم
الايلاء وهو قول عبد الله وابن عباس رضي الله عنهما وروى عن على رضي الله عنه التفريق بين
الغضب والرضاء ثم واجب التربص للمولى في كانت يمينه بدون اربعة اشهر فهو بعد المدة
ليس بمولى فلم يلزمه الحكم الذي جعل الله للايلاء الا ترى انه في المدة ذكر الفئ وهو لو وجد منه
لم يجب عليه ما في النفوس من الكفارة فكذا بمضى المدة لا يلزمه الطلاق وهو بقول على وابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهم يقول يلزمه حكم يمين يوم وابن عباس رضي الله عنه يقول الايلاء
يمين الابد وذلك عندنا على ارادة الايمان ولو جعل شرطا لكان الحكم يلزمه بمضي اربعة الاشهر
فلا وجه للزيادة عليه وهو قول عبد الله يلزمه بدونه ثم اختلف الصحابة رضي الله عنهم في الوقف
بعد الاربعة الاشهر على اتفاقهم على لزوم طلاق او حنثه بمضي المدة ثم لا يجوز ان يخلف بحق الطلاق
فيلزم لذلك كان الطلاق فاحق معاذ ذلك زيادة في المدة للتربص وجميع المدة التي جعلت بين الزوجين
لم يحتمل الزيادة عليها لما جعلت له المدة فئه مع الطلاق وهذا على ان الله تعالى حذر نقض اليمين
بقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها والحلق في هذا اربعة اشهر بما روى في قراءة ابي فان فاءوا
فيهن نفى ذلك حكم النهى له اخذ والله اعلم **وقوله** وان عزموا الطلاق كقوله فامسكوهن بمعروف
وليس ذلك على احدا ثم بعد مضي المدة كذلك الاول والله اعلم **وقوله** سميع لايلائه عليم بتحقيق
حكم انه لم يفاليها مما كان كذلك بذاته كانه قال عن علم بما يكون من خلقه وبما به صلاحهم وما اليه
مرجعهم خلقهم وهو السميع بجميع ما به تناجوا واسروا واجهروا والله الموفق ثم الدليل على ان
المراد من قوله ثلاثة قروء وان احتمل الطهر يرجع الى الحيض ووجوه احدها ان ثلاثة اسم لتمام
العدد فيصير كانه قال ثلاثة اطهار ولو اراد به الطهر وثلاث حيض لو اراد به الحيض ثم هم على اختلاف
تفقوا انه بالحيض ثلاثة وبالطهر طهران وبعض الاول ثبت ان الحيض اولى مما كان فيه الاحتياط
ان احتمل الوجهين ان يدخلا جميعا في الحق لا يزال بعد ان ثبت الا بالبيان ويبين ذلك ان في الخبر تلك
العدة التي امر الله ان تطلق لقبلها النساء انه الحيض حتى يكون قبله الطهر مما يحتمل عدة فصل
الطلاق لا الانقضاء ببين ذلك ما روى ان عدة الامة حيضتان وهي عدة الحرة ووقت طلاق
الحرة فبان ان العدة اثنان والثاني ذكر الحيض عند ذكرا لبدل وذلك حكم الابدال ان يذكر بها
عند ذكرها والثالث قوله فاذا بلغن اجلهن والبلوغ اسم للتمام وفاسد المراجعة من بعد الاسراف
عليه وهو بالطهر لا يعلم حتى يرى الدم لان الطهر لا غاية له وذلك يمنع على قولهم الرجعة فثبت ان
الحيض له الغاية وان لم ينقطع الدم وقت وبما كان الطلاق وقت ابتداء الحرمة وذلك ووقت
ينقضي العدة وقت تمام ذلك فهو الطهر مما ينقضي سبب الملك بالطلاق ووقته الطهر ونفيه
الملك بنقضي العدة فيجب ان يكون وقته الطهر على حق جميع الفروع مع الاصول والحاق التوابع
بالمتبوعين ولا قوة الا بالله **وقوله** للذين يولون من نسائهم تربص اربعة اشهر والايلاء عن اليمين
في اللغة يدل على ذلك حرف ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه حيث قرا للذين يقسمون
من نسائهم ثم اختلف فيه على وجوه قال ابن مسعود رضي الله عنه الايلاء على يوم فقط واما التربص
باربعة اشهر لانه لم يذكر في الكتاب للايلاء مده وانما ذكر المدة للتربص الى ذهاب ابن مسعود رضي الله عنه منه
وقال ابن صاحب رضي الله عنه الايلاء على الابد وذهب في ذلك الى ان الايلاء كان طلاقا القوم في الطلاق
تبعه على الابد وقال اخرون من ترك القربان في حال الغضب فهو مولى وان لم يحلف لكان هذا ليس بشئ
لان الله تعالى ذكر الايلاء والايلاء هي اليمين دليله ما ذكرنا وروى عن على بن ابي طالب رضي الله عنه
ان رجلا وسئله انه حلف ان لا يقرب امراته سنتين فقال هو ايلاء وانها تبين اذا مضت اربعة
اشهر فقال انما حلفت ذلك المكان ولدا فقال لا يكون قوله في ذلك ايلاء اذا كان عاصيا وان كان

ايلاؤه وترك قربانه اياها مكان لولده لم يرد ذلك ايلاء ثم لا يجوز ان يحمل ما حمل هؤلاء اما ما حمل على بن
ابي طالب رضي الله عنه واعتباره بالعصيان وغير العصيان فالايلاء هو اليمين والايمان لا تختلف
وجوبها وجوب احكامها في حال العصيان وفي حال الطاعة فكذلك حكم الايلاء ولو حمل على
ما حمل ابن مسعود رضي الله عنه لكان لا يبقى الايلاء بعد مضي اليوم فاذا لم يكن يمين بعد
اليوم لم يبق حكمها ولو حمل على ما قال ابن عباس رضي الله عنه لكان لا فائدة لذكر التربص
فاذا بطل ما ذكرنا ثبت قولنا ان مدة الايلاء اذا قصرت عن اربعة اشهر لم يلزمه حكم الايلاء
ولو كان على الابد لكان لا فائدة لذكر المدة وان لا يعتبر العصيان ولا الطاعة ولا الغضب
ولا الرضاء على ما ذكرنا وروي في بعض الاخبار انه قال الايلاء ليس بشئ معناه ما قبل انه
الايلاء كان طلاق القوم فقوله ليس بشئ يقع للحال دون مضي المدة قبل ان يفي اليها في المدة
قال اصحابنا رحمهم الله اذا مضت اربعة اربعة اشهر وقع الطلاق وقال قوم يوقف فان فاء
اليها ولا تطلق عليه واحتجوا في ذلك الى ان الله تعالى ذكر الفئ بعد اربعة الشهر بقوله تربص اربعة
اشهر فان فاؤا لذلك كان له الفئ بعد مضي الاشهر وروى في بعض الاخبار الوقف فيه وروى
عن عمر رضي الله عنه وعلى وعثمان وعائشة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم في المولى اذا مضت اربعة
فاما الا يفي واما ان يطلق الى هذا يذهبون لكن هذا يحتمل ان يكون من الراوى دون ان يكون ما قال
الصحابة واما عندنا ان قولهم ذكر الفئ بعد تربص اربعة اشهر فذلك لا يوجب الفئ بعد مضيها
الا ترى الى قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ليس انه ممسكا بعد مضي الاجل ولكن
معناه اذا قرب انقضاء اجلهن فامسكوهن فعلى ذلك جعل لهم اذا قرب انقضاء اربعة اشهر
واما ما روى من الوقف فليس فيه الوقف بعد مضي اربعة اشهر يحتمل الوقف في الاربعة اشهر
واما عندنا فانها تبين اذا مضت اربعة اشهر لما روى عن سبعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثمانية انهم قالوا اذا مضت اربعة اشهر بانت منه منهم عمر وعلى وابن مسعود وعثمان وابن
عباس وجابر وزيد بن ثابت رضوان الله عليهم اجمعين فاتبعناهم ثم اختلف في الطلاق
اذا وقع قال قوم هو رجعي وهو قول اهل المدينة فهو على قولهم لغو لان الزوج يقوم الى
الحاكم فيطلق عليه الحاكم ثم كان له حق المراجعة فيكلفون الحاكم الحنث واما عندنا فهو بائن
وعلى ذلك جاءت الاخبار روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا مضت اربعة اشهر فهي تطليقة
بائنة وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وروى عن ابي في قوله فان فاؤا فيهن يعنى في الاربعة
الاشهر فان الله غفور رحيم فثبت انه جعل الرحمة والمغفرة فيها والثاني قوله ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها ولو لم يجعل له القربان والنقض في المدة لكان لا سبيل له الى نقضها بعد مضي
المدة اذ هي تتاكد فثبت انه لا عبرة ويلزم من قوله وان الله غفور رحيم يحتمل وجهين يحتمل بما
جعل له الخروج مما ضيق على نفسه لانا لا نطول عليه المدة ويحتمل ان المغفرة كانت بما ارتكب بما اذا
مضى عليه وحده وانه مستحق للمغفرة العقوبة نغفر له صنيعه ورحمه بان يجاوز عنه ما فعل
وان عزموا الطلاق روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال عزيمة الطلاق مضي اربعة اشهر وقد ذكرنا
قول الصحابة رضي الله عنهم ان عزيمة الطلاق اربعة اشهر فان الله سميع بالايلاء عليم بترك الفئ
وعليهم بما اراد بالايلاء والله اعلم والفئ الجماع وهو الرجوع في الحاصل لانه حلف ان لا يقربها رجوع
عن ذلك وهكذا روى عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا الفئ الجماع **وقوله** والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء اختلف الناس في الاقراء قال بعضهم هي الاطهار وقال اخرون هي
الحيض وهو قولنا وعلى ذلك اختلف الصحابة قال عمر وعلى وعبد الله رضي الله عنهم هي الحيض
قالت عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر رضي الله عنهم هي الاطهار وبه اخذ اهل المدينة وقالوا قلنا
ذلك بالسنة والاخبار عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والنسا والمناقضة اما السنة فقوله
لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليطلقها وهي طاهرة او حامل من غير جماع فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها
النساء فدل ان العدة التي تطلق لها النساء هي الاطهار لكن الجواب لهذا من وجهين احدهما انه جعل
ذلك عدة الطلاق لا عدة عن الطلاق والعدة للطلاق غير العدة عن الطلاق وكذا نقول في الطهر

الذي تطلق فيها النساء انها عدة للطلاق لا عينها والثاني ان من قول الرجل ان له الايقاع في اخر اجزاء الطهر
وقد ذكر في الخبر الطلاق لقبل عدتهن ولو كان المعنى به الطهر لكان الطلاق في اخر اجزاء الطهر لا في القبل
فثبت ان القول بجعل الطهر عدة عن الطلاق بعيد وقال باللسان وهو قول الناس قرء الماء في حوضه
وقرء الطعام في شدقه اجتمع والطهر سبب جمع الدم لكن عندنا الطهر جبلة واصل وعليها خلقت
وانشئت والحيض عارض فاذا كان في الرحم دم خرج واذا كانت على اصلها خلقتها طاهر لان الطهر يحصل الدم
فاذا كان هذا ما ذكرنا بطل احتجاجه باللغة واللسان وانما المناقضة هو ان يقول جعلتم هي معتدة مع زوال
الاذى عنها ما لم تغتسل في بقاء حق الرجعة واما دعوى المناقضة فهو بعيد لان الكتاب جعلها باقية
لم تحس على حكم الاذى فاذا كان فيه طعن فعلى الكتاب وقال ذكر الله تعالى ثلثة قروء باسم التذكير لا باسم
التانيث فدل انه اراد الاطهار يقال ثلثة رجال وثلث نسوة فاذا ادخل فيه الهاء عقل انه اراد الطهر
قيل ان اللغة لا تمتنع عن تسمية شيء واحد باسم التذكير والتانيث كالبر والحنطة ونحو ذلك انا لم نكن
من ذي روح فاذا كان كذلك فلا دلالة فيه من حال الى حال لكان يقال للنجم ان الطلع ثرا فيكون الاسم للظهور
لا للتقدمة او لهما جميعا فلا دلالة في دلالة في ذلك واما الاصل عندنا قوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن
فامسكوهن بمعروف امر بالامساك عند بلوغ اجلهن ثم لا يخلو بلوغ الاجل من ان يكون بالاشراف على اول
اجزاء الطهر وعند انتهائه فان كان على انتهاء الطهر فلا غاية ترعى له لينقطع عليه الحكم وان كان على الاشراف
على دل عنده ايضا كذلك ثم لو حمل على الانتهاء ايضا يبعد لما عرف ذلك بالحيض الذي ينقطع جهة الامساك
حمل على ما عرف والله اعلم والثاني قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن كذا اتفقنا فيه انه يكون
على تبدل وان لم يعرف ذكر الامساك في الاشياء الا على الاصول حيث ذكر ثبت ان المبدل من ذلك انما هي
الحيض المجعول اصولا هو نقض العدة وهو الحيض واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم عدة الامة حيضتان ثبت
ان الاصل تام تنقضي العدة هو الحيض وقال الشافعي قوله عدة الامة حيضتان اي قرءان والقرءان هما الطهران
فيقال لم يلتفت في العقل وامرك في الحجاج فهمت من الحيض القرء وهو وضع هذا اهل اللسان بالسماع
من المفهوم له مع في ذلك تجهيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اللسان وهو وضع العرب واعلم النشر
عبر عن الطهر بالحيض ووجه اخر انا اتفقنا انه لو طلق في بعض الطهر فالتسمية منه عدة ومثله من الاعتداد
قروء ونصف والكتاب اوجب الاعتداد بالثلث فثبت ان الامر بالاعتداء امر بالحيض لا بالاطهار
للمعنى الذي وصفنا وان كان القرء اسم الطهر والحيض في اللغة ثم الاصل في المسئلة ان اول الابتداء
الحل لزوجها ولغيره بالطهر وكذلك نهاية الحل انما جعلت بالاطهار ثم الاصل ان ابتداء حرمتها على
الزوج الاول بالطهر فيجعل انتهاء الحرمة في مثله بالطهر وحاصل هذا انه جعل نهاية الحل فيه وفي
غيره بما به ابتداء الحل فكذا نهاية الحرمة فيه وغيره بما به ابتداءها اذا ثبت ان المنظور في الحل والحرمة
في الابتداء بالابتداء وجب ان يكون المنظور في الحل والحرمة بالانتهاء ثم في قوله والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلثة قروء وفي قوله فاعتزلوا النساء في المحيض وفي قوله يسألونك عن اليتامى قل
اصلاح لهم خير وان تخالطوهم في هذه الايات دلالة تاخير البيان حيث لم يبين ما الاقراء ولم يبين
الاعتزال من اي موضع ومن اي مكان ولم يبين المخالطة فيما ذا في اي شيء فالاختلاف فيه باق الى يوم
التناد فبطل قول من ينكر تاخير البيان وثبت قول من اقربه وبالله التوفيق وقوله ولا يحل لهن ان
يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر في الاية دلائل احدها ان ذكر
حرمة الكتمان فيما امر ليس بشرط فيه دون غيره اذ قد يلزم ذلك من هو غير مؤمن اذ هو غير
مستحسن في العقل ففيه الدليل على ان الحكم الموجب لعلة يجوز لزومه فيما ارتفع عنه تلك العلة
وعدمت وهو كقوله واصلحوا ذات بينكم الى قوله ان كنتم مؤمنين وقد يلزم صلاح ذات البين في
غير الايمان وكذا قوله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين وقد يلزم ترك الربوا للمعاهد
وقد يجوز ذلك للمسلم في غير داره فدل ان الحكم اذا ذكر لعلة في احد لا يمنع لزوم ذلك في غير المذكور
قال الشيخ رحمه الله فيه دليل على ان اضافة الحكم الى سبب لا يمنع حقه ارتفاعه وفيه دليل ان لا يحل
ذلك لمن قياس في الخلق لان حقه التصديق واظهار الحق وفي الكتمان والتكذيب ترك ما فيه من
التشهد والله اعلم ثم اختلف في قوله ما خلق الله في ارحامهن قال بعضهم الحمل والحيض وكذلك روي

عن علي وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم انهم قالوا ما خلق الله في ارحامهن الحبل والحيض فثبت
ان موضع الحيض الرحم ثم الرحم يشتغل بالحبل عن خروج الدم فبان ان الحامل لا تحيض دعى ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم انما ذلك دم عرق انقطع وهو الامر الظاهر المتعارف في النساء ان الحبل يحبس الامر وقال بعض
اهل التاويل ما خلق الله في ارحامهن الحبل خاصة دون الحيض يوجهين احدهما انهن في الجاهلية يكتمن
في ذلك فيلحقن بغير الاباء فاوعدن على ذلك بعد الاسلام فثبت ان الحيض لا يحتمل والثاني ان الحيض
لا ينسب كونه في الرحم فاذا كان غير منسوب اليه لم يحتمل كونه فيه والله اعلم لكن لوجد فيه ما ذكرنا
من قول الصحابة وما فيه من الدلالة انهن مؤتمنات فيما يخبرن لوجهين احدهما ما جاء من ان الامانة
ان تؤتمن المرأة فرجها والثاني لولا انها تؤتمن بقبض حيضها فيما لا وعد على الكتمان ثم يحتمل الكتمان من
وجهين احدهما ان يكتمن ذلك ليستوجبن به الانفاق من عند ازواجهن بقولهن العدة باق وذلك
بكتمان الحيض حيضا ويحتمل ما قاله بعض اهل التاويل من ابقاء حق الرجعة ويحتمل قول ابي حنيفة رحمه
في كتمانها اذا قال في المرأة اذا جاءت بولد في العدة له فشهدت امرأة على الولادة والحبل لم
يكن ظاهرا ان يقبل قولها ادعى امرت بالاظهار والكتمان اردت تهمة في القبول ويحتمل ان
لا يحل لهن ان يكتمن الحبل فيلحقن بغيرهم من الازواج والله اعلم وقوله وبعولتهن احق بردهن
في ذلك يحتمل وجهين يحتمل انهن لا يملكن الرجعة ولا يمنع ازواجهن عن المراجعة عن ذلك الى
بعولتهن ويحتمل احق بردهن في نكاح في العدة لا في حق الرجعة ان الزوج يملك نكاحها في العدة
وغيره من الناس لا يملك كقوله ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله وقوله وبعولتهن
فيه دليل ان قوله والمطلقات يتربصن انما عني به المطلق طلاقا لم ينقطع نفسه بجهة العدد
وقوله في ذلك ان ارادوا اصلاحا يحتمل اصلاح ما بينهن ويحتمل ان ارادوا امساكهن بالمعروف
كقوله ولا تمسكوهن ضرارا فهو ممسك لها وان كان مضرا ثم الاصل في هذا انه وان قال
فامساك بمعروف ليس على ان يصير ممسكا لها بغير المعروف كقوله ولا تمسكوهن ضرارا فهو
ممسك لها وان كان مضرا ثم الاصل في هذا انه وان قال فامساك بمعروف ليس على ان لا يصير
ممسكا لها بغير المعروف واحق هذا انه ليس في القول بان لا تفعلوا دليل الجواز والفساد اذا فعل
ذلك ثم اختلف في قوله اي في الوقت الذي يحدثه وفي ذلك لو ردوا والله اعلم وقوله ولهن
مثل الذي عليهن بالمعروف روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اني احب ان تزين لامرأتي
كما احب ان تتزين لي لان الله تعالى يقول ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقال الاخرون لهن من
الكفاية ما عليهن من الخدمة وقال غيرهم لهن من الحق في المهر بتسليم الازواج اليهن ما عليهن من تسليم
الابضاع الى الازواج فيدل هذا على ان الخلوة والتسليم منها يحمل قبض الحق منها لزوجها وقيل ولهن مثل الذي
عليهن الحقوق ما يلزمهن من حقوق الازواج يلزم مثلها على الازواج لهن وان كانت مختلفة وقوله وللرجال
عليهن درجة قيل هو الطلاق بيد الرجل وليس بيدها وقيل في الامارة والامر وقيل بما فضل الله به عليها من الجهاد
والميراث وغيره وقيل لهم من الفضيلة من الولايات والشهادات والعقل وذلك ليس لهن وقيل ليس للحق
وقيل فضيلة في الحق وبما ساق اليها من المهر قال الشيخ ابو منصور رحمه الله في قوله ولهن مثل الذي عليهن الا
من الحقوق على الازواج ثم يحتمل حقوقهن المهر والنفقة ويحتمل ما اتبع من قوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان ويحتمل قضاء ما لها من الحوائج خارج البيت مما به قوام دينها ووقايتها عن النار وعليها من الحقوق
مقابل الاول البذل له وان لا يوطئن فرشهن احدا ومقابل الثاني ان يحسن اليهم في القول الحسان والقول
المعروف الذي فيه بطيب نفسه كما وصف الحميرة من هي من اذا نظرت اليها سرتك واذا دعوتها اجابتك
ويحفظك في النفس والمال ومقابل الثالث ان لا تتلقاه بمكروه ولا تقابله بما يضجره ويغضبه مع الخدمة
وكفاية الداخل مما به قوام دينه والله اعلم والدرجة التي ما له من الملك فيها والفضل في الحقوق عليها وما
جعل قواما عليها وغير ذلك والله اعلم ويحتمل ما لهن من قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وعليهن بذلك
حقهم المعروف والاحسان اليهم فيما يبغون من الخدمة وكفاية داخل البيت وحفظ ما له عندها والله اعلم
وقوله الطلاق مرتان فيه دلالة انه يطلق بشيئين مرتين وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان ان
الرجعة بعد طلاقهن بذكره مرتين وفيه ان المطلق في الطهر الثالث من غير رجعة مطلق للسنة لما

غير بين الامساك والتسريح من غير مراجعة وهو على ما ذكرنا لانه يقول ليس له ان يزيد على تطليقة واحدة
او ان يراجع والتسريح باحسان هو التطليقة الثالثة كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن التسريح باحسان هو التطليقة الثالثة فان قيل اليس الحكمة في ذكر المعروف في الامساك والاحسان
في التسريح قيل وذلك لان في التسريح قطع الحقوق التي اوجبها النكاح وامر عند قطعها عنها بالاحسان اليها ابتداء
والاحسان ابدا انما يكون عند ابتداء الفعل لا عند المكافات واما المعروف في الامساك في النكاح اوجب ذلك
لقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل الميثاق الغليظ الحقوق التي اوجب النكاح وهذا والله اعلم وجه الحكمة
والمعروف ما عرف في النكاح والاحسان ما هو يبتدى مما لم يعرف وقوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن
شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فظاهر
هذه الاية الكريمة يوجب ابتداء الخطاب للازواج ثم اخرها موجبا الخطاب لهن جميعا ثم اخرها يوجب
الخطاب لغير الازواج يحفظ عليهما حدود النصيحة فيشبه ان يكون في الاية الاضمار فيها الحكمين فيكون كقوله
وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فيكونان هما اللذان يحفظان عليهما الحدود المحدود
ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله للحكام لانهم هم الذين يتولون النظر في امور
الناس ليقوموهم على حفظ حدود الله ثم الفتوى عندنا ان في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا
اذا كان النشوز والفعل من قبل الزوج فانه لا يحل اخذ شيء على الخلع اصلا لا بقوله وان اردتم استبدال زوج
مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا واما اذا كان النشوز من قبلها فانه لا باس ان ياخذ قدر
المهر ويكره الزيادة ويجوز اما قدر المهر فانه لا باس اذا كان النشوز من قبلها استدلالا بقوله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به ذكر رفع الجرح عن الذي هو فيما عنده نهي في غير هذا وهو المولى لذلك قلنا انما يجوز اذا
كان النشوز من قبلها قدر المهر واما الزيادة فانه يكره استدلالا بما روي في الخبر ان امرأت اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكرت بغض زوجها فقال اتردين عليه حديقته فقالت نعم وزيادة فقال اما
الزيادة فلا ففيه الدلالة ان النشوز اذا كان من قبلها فانه يجوز قدر المهر وقال ابن داود وخالف الشافعي
ظاهر الكتاب فيما جعل له اخذ ما حظر في الزيادة والكتاب رفع الجرح عن اخذ ما حظر لم يجعل له بغير
بقوله لا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله قال ابن شريح ما ذلك الا اخذ
في الطلاق فانما ذلك في الطلاق ذكرها لانه ليس في الاية ذكر الطلاق واستدل بقوله فان طبن لكم
عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فجعل له اكل ما اخذ بالوصف الذي ذكره ثم كان له اخذ ما بذل
في غير الطلاق فمن ذلك في الطلاق وفي الطلاق احق والله اعلم والاصل عندنا جواز ما بذلت اخره مما ابيح
الرجل ان كان له ذلك في غير الطلاق وهو الطلاق اجوز لانها تنتفع غير انه يكره لما الفضل لما ذكر من
الاية والخبر ثم يجوز هو لانه تبادل كالعقود التي تكره لمعنى لم يتضمن على الجواز فكذا هذا والاصل
بان الطلاق بالبذل بينهما وهو لم يملك البينونة مطلقا لم يملكه بما شرط فثبت انه يملك واصله انه بالطلاق
ويصرفها اليها ما ملك عليها بالعقد ما تنتفعت فازاء ما بذلت لذلك سلم للزوج ما اخذ والله اعلم قال
ويكره اخذ الزيادة بما فيه رفع النكاح فيصير اخذ ما اخذ بالدعا على ما يفضل عليه ليس بازائه بدل
وذلك وصف الربوا والله اعلم ثم اختلف في قوله الا ان يخافا فقيل عما يعني الرجل والمرأة وقيل على
الحكام ان لا يقيما حدود الله وعلى ذلك فان خفتم الا يقيما حدود الله قيل علمتم وقيل الخوف هو الخوف
نكانه اقرب لان العلم يكون فيما مضى من الحال انهما اقاما حدودا ولم يقيما واما الخوف في حادث الوقت
امكن لانه لا يعلم باليقين لذلك كان ما ذكرنا وهو كقوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وقوله
فلا جناح عليهما فيما افتدت به اختلف فيه قال بعضهم اراد بقوله عليهما عليه خاصة وهذا جائز في اللغة
باضافة الشيء الى الاثنين والمراد واحد منهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما
ومثله كثير وقال اخرون اراد حينئذ المرءة بالفدا والزوج نهي عن اخذ شيء مما اتاها بقوله ولا يحل لكم
ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا ثم اباح ورفع الجرح منه بالاخذ على الشرط وقيل اراد بذلك الزوج
خاصة وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله تلك حدود الله فلا تعتدوها قيل اذا لم يفهم يجد من حدود الله
نحا الى ما يفهم من حد الخلق كيف فهم من استواء الرب ومجيئه من قوله استوى على العرش وجاء
ربك ما فهم استواء الخلق ومجيئهم في الاستواء والمجيء الى احتمال معان ان ينفي عنه التشبيه اكثر

من

من احتمال الحدود في الشاهد فاذا لم يفهم من هذا ذاك لم يجز ان يفهم من الاول ما فهموا وقد قال ليس كمثله
شيء وقوله حدود الله قيل احكام الله والسنة وقيل اوامره ونواهيه وقيل ادابه وهو واحد
وقوله ومن يتعد حدود الله يحتمل وجهين يحتمل حدود الله سبحانه تهاونا فيكفر بتعديه ذلك فهو ظالم ظلم
كفر ويحتمل يتعد تجاوز امر الله وما نهاه غير مستحق لها فهو ظالم لنفسه غير كافر وقوله فان طلقها فلا
تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره هذه الاية رجعت الى الاول قوله الطلاق مرتان فان طلقها بعد التطليقتين
تطليقة اخرى فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قيل
التطليقة الثالثة وعلى ذلك جاء الخبر وهو واحد عندنا يدل عليه ايضا قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره
يحتمل عقد النكاح خاصة دون الجماع من الثاني اذ ليس في الاية ذكر الدخول بها واما عندنا فهو على فعل
الجماع في النكاح الثاني يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام حتى تذوق من عسيلته ويذوق من
عسيلتها فيكون النكاح مضمرا وهو اولى لان الاية في عقوبة الاول ولا يشتد عليه النكاح حتى يتصل به
الوطء وفيه دلالة على كراهة التطليقة الثالثة انه هي لا تحل له بعدها الا بعد دخول زوج اخر بها
وذلك مما ينفر عنه الطبع ويكرهه وقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا فيه دليل على ان في التراجع ايجاب
عقدهما جميعا فدل على قطع رجعته الثاني المحل للزوج الاول وذلك لان رجعته فيه لغيره وقوله
وبعولتهن احق بردهن اضاف الرد الى الازواج فذلك انهم ينفردون بردهن ثم ذكر الكتاب لا تحل له
حتى تنكح زوجا غيره جعل سبب الحل على الازواج الاول نكاح الثاني لم يجز ان ينهى عنه وقد جعل سبب رفع
الحرمة اذ في هذا في احكام الله تعالى لا يوجد ولا يستقيم وهو كالوضوء فيما جعل سببا لاستقامة الصلوة
لم يجز ان يجعل سببا لها ثم يكره الاقدام عليه وينهى عنه وكالتحريم اذ جعل سببا للدخول بها في الصلوة لم
يجز النهي عنها دونها قوامها كذا هذا لما جعل سببا لرفع الحرمة به لا يجوز ان ينهى عنه ثم فيه دلالة جواز
نكاح المحلل فان سئلنا عن قوله لعن الله المحلل والمحلل له قيل كون اللعن لاجل النكاح على قصد الفراق
والطلاق ليس لاجل التحليل على الاول ورفع الحرمة عنه دليله قوله عليه الصلوة والسلام ان الله لا يحب
كل ذواق بطلان وذلك قصده الفراق بالنكاح اذ النكاح بني في الاصل على البقاء والدوام عليه وفيه
التعفف وفي الطلاق زوال ما به يقصد فليس الحقه ما الحقه من اللعن ثم المحلل له بما طلب بنكاح
الزوج الثاني ما ينفر عنه الطباع ويكرهه من عودها اليه بعد مضاجعة غيره اياها واستمتاعه بها
منع لهذا المعنى عن ايقاع الثالثة لكي اذا تفكر حرمتها عليه الا بنكاح اخر انزجر عن ذلك ثم العقد
نفسه لا ينفر عنه الطباع ولا يكرهه ثبت ان الدخول شرط فيه ليكون زجرا ومنعا عن ارتكابه وقوله فلا جناح
عليهما ان يتراجعا يخرج على الترخيص وذلك والله اعلم ان الطلاق يحرمها عليه ويبينها منه كما تحرم
عليه هي بانواع الحرم فاخبر عز وجل واباح له النكاح بعد وقوع الحرمة ان هذه الحرمة ليست كغيرها من
الحرم التي لا تنقع ابدا والله اعلم وقوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او
سرحوهن بمعروف وقال وبعولتهن احق بردهن ذكر في الاية الاولى الامساك المعروف هو امساكها
على ما كان من الملك ذكر في الاية الاخرة الرد لا يكون الا بعد الخروج من الملك هذا هو الظاهر الاية
لكن بعض اهل العلم يقولون انه تمسكها على الملك الاول ويردها من الحرمة الى الحل لان من مذهبهم ان
الطلاق يوجب الحرمة ولا يخرجها من ملكه وهذا جائز ان تحرم المرأة على زوجها وهي بعد في ملكه
فاذا كان كذلك فامر بامساك على الملك الاول وبالرد من الحرمة الى الحل وهو قول اهل المدينة اي يردها
من العدة الى ما لا عدة ويمسكها بلا عدة واما عندنا فهو واحد يحدث الامساك قوله ولا تمسكوهن
ضرارا ولو لم يكن الامساك سوى القصد اليه لكان لم يكن بالقصد اليها ضرار وهو فيما امر بالامساك
بالمعروف فيه وجهان احدهما هو ان يمسكها على ما كان يمسكها من قبل من مراعاة الحقوق ومحافظة
الحدود ويحتمل ما قيل ان لا يطول عليها العدة على ما ذكر في القصة من تطويل العدة عليها وفيه نزلت
الاية وفيه دلالة ان الزوج يملك جعل الطلاق بائنا بعدما وقع رجعيا لانه يصيرها بائنا بترك المراجعة
فعل ذلك يملك الحاق البينونة من بعد وقوعه فيصير بائنا والله اعلم وقوله ولا تمسكوهن ضرارا
لتعتدوا قال الشيخ رحمه الله الاصل عندنا في المناهي انها لا تدل على فساد العقل ولا تشهد بالنهي
على الفساد كقوله ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وعلى ذلك قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا

لتعتدوا انه يصير ممسكا لها وان كان فيه ضرار لها وهكذا هذا في كل ما يشبه هذا من قوله ومن لم
يستطع منكم طولا انه اذن بالفعل في حال فهى واذا وجب نهيا في الفعل فذلك لا يدل على الفساد و
حال اخرى وقوله ولا تتخذوا ايات الله هزوا معناه والله اعلم اى لا تخلوا بايات عمل من يخرج فعله بها
مخرج فعل الهازى لانه معقول ان اهل الايمان والتوحيد لا يتخذون ايات الله هزوا ولا يقصدون
الى ذلك وقيل انهم في الجاهلية كانوا يلعبون بالطلاق والعتاق ويمسكونهم بعد الطلاق والعتاق
على ما كانوا يمسكون قبل الطلاق وقبل العتاق فنهوا عن ذلك بعد الاسلام والتوحيد ثم اختلف
في ايات الله قيل حجج الله وقيل احكام الله وقيل دين الله ويحتمل ايات الله الايات المعرفة وقوله
واذكروا نعمة الله عليكم يحتمل وجوها يحتمل النعمة ههنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو من اعظم النعم
ويحتمل النعمة الاسلام وشرايعه ويحتمل النعمة التى انعمها على خلقه جملة النعمة على ثلثة اوجه
النعمة بالاسلام يقتضى منه المحافظة ونعمة الخاص يقتضى الشكر جملة يقتضى منه التوحيد وقوله
وما انزل عليكم من الكتاب وهو القران فيه دلالة ان الكتاب هو المنزل ليس كما يقول القرامطة
لانهم يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم الف القران وانما كان يوحى اليه كما يتوهم الرجل بشىء فيجعله
كلاما وقوله والحكمة اختلفوا فيه قيل الفقه وقيل الحلال والحرام وقيل الحكمة والاصابة اصابة
موضع كل شىء منه وقيل الحكمة المواعظ وقيل الحكمة القران وهو من الاحكام والاتقان كانه قال
عزوجل اذكروا ما اعطاكم من الفقه والاصابة والكتاب المحكم المتقى الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وقوله يعظكم به قيل بالقران واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شىء عليم فيه تخويف وتحذير
ليعلموا ان كل شىء في علمه وانه لا يعزب عنه شىء وبالله العصمة وقوله واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف اختلف في تاويله قال قائلون
فيه فساد النكاح دون الاولياء واحتجوا بان قالوا قال الله تعالى ولا تعضلوهن ولا ينهى عن الفعل
من غير ان يملك اذا لقول فيما لا يملك غير مار لعضلها فثبت انه عامل وان له فيه حق الى ان نهى بيت
ان قوله لا تعضلوا منع اذ لو يحتمل معناه لم يكن ضارا به وقال اخرون فيه دليل جواز نكاحهن دون
الاولياء لانه تعالى قال ان ينكحن واستدلوا بان النكاح على وجود العضل يجوز ولو كان العضل بسبب المنع
في الجواز لم يحتمل جوازه اذا فات وفيه ان العضل اذا لم يكن جاز للنساء تولى النكاح واحتجوا ايضا بما
اضاف النكاح اليهن بقوله ان ينكحن ازواجهن وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف و
اضاف النكاح الى الاولياء على ارادة ادخال الصغار والثانى على وجوب الحق لهن عليهم لا الاختيار
عليهن ثم الاصل بان كل نكاح اريد بالذكر الصغار واضيفا الانكاح الى الاولياء كقوله وانكحوا الايامى
منكم والصالحين وقوله ولا تنكحوا المشركات ولا تنكحوا المشركين مما احتمل دخول البالغين في هذا
دليله قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به والفدية لا تصلح من الصغار وقوله ان يتراجعا ان
ظنا ان يقيما حدود الله والصغار لا يخاطبن باقامة حدود الله وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن
في انفسهن بالمعروف وان كان متاخرا في الذكر بهذا قيل ان وقوع الانكاح بالاضافة في الصغار الى
الاولياء وفي الكبار اليهن ثم ذكر الكفارة والمهر وجرى اضافة الى الاولياء لذلك كان لهم
التعرض في نسخة ثم قوله اذا تراضوا بينهم بالمعروف راجع ذلك الى المهر لان التراضى فعل اثنين
والمهر يعرف بهما لان القصة في امراة بعينها وكانت ظهر كفارة زوجها لها وقال في الكفارة لا
جناح عليكم فيما فعلن ووجود الكفارة انما تكون من احد الجانبين فذكر ذلك مضافا الى الاولياء لم
دونهم والاصل في مسئلة النكاح ان الحق في النكاح لها على الولى لا للولى عليها دليله ما يزوج على
الولى اذا عدم ويجبر عليه اذا وجد وزوج عليه اذا ابى وهى لا تجبر بارادة الولى اذا ابت فثبت ان
الحق لها قبله ومن تزوج حتى نفسه في عقد له قيل اخر لم يوجب ذلك فساده والله اعلم وقوله فلا
تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن فيه دليل على ان النهى عن العضل انما كان ان الازواج كانوا لهن دليله قوله
ازواجهن ولا يسمى الازواج الا بعد النكاح ويدل ايضا قوله واذا طلقتم النساء ذكر الطلاق فدل
انه كان في ازواج كان لهن ويحتمل ان يكون في الابتداء من غير ان كان ثم نكاح وجايز تسمية الشى باسم
ما يؤل الامر اليه لقربه لحال لهن منهم وانما اهل التفسير باجمعهم قالوا ان الاية نزلت في اخت معقل بن

يسار ان زوجها طلقها وانقضت عدتها ثم اراد الزوج ان يتزوجها ثانية وهوى المراة ذلك فعضل
اوليا الا زوجها اياه فنزل قوله ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن ويحتمل المعنى الذى ذكرناه والله اعلم
وقوله ذلك يوعظ به قيل ينهاه به كقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اى ينهاكم وقيل يوعظ به اى
يؤمر به وقوله ذلكم ازكى لكم واطهر قيل رضعن انفسهن حيث هدين ازكى واطهر لكم من العضل من ذلك
ولعل العضل يحمل على الفساد والريبة وقيل المراجعة خير لكم من الفرقة واطهر لقلوبكم من الريبة وقوله
والله يعلم من حب كل واحد منهما صاحبه وانتم لا تعلمون ذلك ويحتمل قوله والله يعلم ثم صلاحكم و
انتم لا تعلمون ذلك وقوله والوالدات يرضعن اولادهن قال بعضهم هى المطلقات يرضعن اولادهن وهو
كقوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن ذكر ههنا الاجر وذكر هناك الرزق والكسوة
وهى واحد وقال اخرون لا ولكن قوله والوالدات يرضعن اولادهن من المنكوحات وقوله فان ارضعن لكم
فاتوهن هن المطلقات دليل ذلك ذكر الاجر في احديهن والرزق والكسوة في الاخرى على ان المنكوحة اذا اشترطت
على رضاع ولدها منه لم يستوجب الاجر ويستوجب قبل الزوج والرزق والكسوة فدل هذا على ان ذكر الاجر
في المطلقات وذكر الرزق والكسوة في المنكوحات فان قيل فانه ذكر الرزق والكسوة في المنكوحة في الرضاع
وقد يستوجب ذلك في غير الرضاع قيل فانه ذكر الرزق والكسوة فيه والله اعلم لانها تحتاج الى فضل طعام
وفضل كسوة لكان الرضاع الا يرى انه لها ان تفطر لذلك فثبت ان لها فضل حاجة في حال الرضاع ما لا يقع
تلك الحاجة في غير حال الرضاع فخرج ذكر الرزق والكسوة فيه والله اعلم ذكر تلك الزيادة والفضل والله
اعلم وفي القران دليل ان مؤنة الرضاع على الاب من وجه احدها قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى
والثانى قوله وعلى المولود له رزقهن والثالث قوله لمن اراد ان يتم الرضاعة فثبت الحق على الوالد الى
ان ذكر فيه ابتداء الاجر وفيه دلالة على ان شرط الطعام والكسوة للظئر يجوز قوله وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن غير ان الكسوة لا يجوز الا بالعلوم الجنس والطعام لان الظئر لا تكسى كسوة الاهل
وتطعم طعامهم فلا بد في الكسوة من اعلام جنسه اذ لا يجوز ان يكون كسوة واحدة لها وللاهل ويجوز
في الطعام ذلك لان الكسوة ليست بذى غاية تعرف فاحتيج الى ذكر الجنس ليقع في حد قرب المعرفة و
العلم واما الطعام ذو غاية عند الناس غير متقارب والاستقصاء عندهم لذلك جاز هذا ولم يجز الاخر الا ان يعلم الجنس
فاذا علم الجنس فحينئذ يصير عندهم كالطعام والله اعلم قال الشيخ رحمه الله يدل على جوازه بولده وعلى الوارث
مثل ذلك اى والله اعلم مثل ما على المولود له ويكون ذلك بعد موته لذلك يجوز شرط الكسوة والطعام
في الرضاع وقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ليس فيه جعل الحولين شرطا في الرضاع
لوجوه احدها قوله لمن اراد ان يتم الرضاعة فلو لم يحتمل الزيادة والنقصان لم يكن لقوله لمن اراد معنى والثانى
الارادة والقدرة ربما يذكر على غير ارادة وقدرة في الحقيقة ولكن على ارادة تحقيقة الفعل دليله قوله
صلى الله عليه وسلم من اراد الحج فليفعل كذا ومن استطاع ان يفعل كذا فليفعل ليس ذلك على ارادة القدرة
والارادة ولكن هذا والله اعلم على معنى فعل كذا فليفعل كذا فكذلك الاول ليس على حقيقة الارادة ولكن
تذكر ذلك لما لم يكن الفعل الا بقدرة وارادة والله اعلم والثالث لا يخلو الحولين من ان يقدرا بالاهلة فقد
ينقص عن سنتين او ان يقدرا بالايام فتطرد على المعروف من الوقت فثبت بانه بحيث الاحتمال لما ذكرنا ان
يحتمل لمن اراد ان يزيد حتى يتم او لمن اراد لا يقتصر على التمام على ان الاتم ليس في حق الحرمة لكنها في حق
الفعل اذ قد يجوز يجب الحرمة لا الحولين وروى عن ابن عباس رضى الله عنه في تاويل قوله وحمله وفصاله
ثلثون شهرا وفصاله في عامين قال ان كان الحمل ستة اشهر وفصاله في عامين وان كان تسعة اشهر ففصاله
لما فى فدل هذا على ان الحولين ليس بشرط في الفطام ولا وقت له لا يجوز الزيادة عليه ولا النقصان
والله اعلم وقوله وعلى المولود له رزقهن قد ذكرنا انه قيل بوجهين قيل انه في المطلقة وقيل انه في
المنكوحة وثم للتاعل انه في المنكوحة والله اعلم وقوله لا تكلف نفس الا وسعها قال قوم قوله الا وسعها الا
ما يسع وقيل لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان بالامر يحل ويسع فكان كانه قال لا تكلف الا ما تكلف ذلك لا يكون
وقال قوم قوله الا وسعها بحق طاقتها وقدرتها وهذا اشبه ومعناه لا يكلف الزوج بالانفاق عليها
والكسوة الا ما يحتمل ملكه وان كانت حاجتهم تفضل عما يحتمل ملكه لم يفرض عليه الا ما احتمله ملكه
والله اعلم كقوله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها ثم اختلف في تحريم الرضاع في حال الكبر قال قوم يحرم وروى

في ذلك احاديثنا وقال اصحابنا رحمهم الله لا يحرم ذهبوا في ذلك الى اثار رويت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه عليه السلام سئل عن الرضاع فقال ما انبت اللحم وانشز العظم وفي بعضها الرضاع وفي بعضه لا رضاع
بعد الفصال وروي عن علي بن ابي طالب وابن عباس رضي الله عنهم انهما قالا لا رضاع بعد الحولين وعن
علي وابن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا لا رضاع العظام او الفصال لتلك منا وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار انه دخل على عائشة رضي الله عنها وعندها رجل فراى عائشة رضي الله
عنها الكراهة في وجهه فقالت انه اخي من الرضاعة او عمي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انظرن
ما الرضاعة انما الرضاعة من المجاعة وروي عن ابي موسى الاشعري ان رجلا قال له ان امراتي رضعت
الحرم علي فقال ثم فبلغ ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فاتاه فقال انت تفتي بكذا فقال نعم فقال كذبت
او كلام نحو هذا انما الرضاعة عن المجاعة الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا رحمهم الله في نفي تحريم الرضاع بعد
الفطام وبعد الكبر واصله ان ينظر فان كان غذاؤه باللبن او اغلب غذائه فهو يحرم واذا كان بالطعام
او غالب غذائه به فهو لا يحرم واصله ما ذكر في الخبر ما انبت اللحم وانشز العظام فهو يحرم فاذا كان غذاؤه بالطعام
سوى اللبن فالطعام والذي ينبت اللحم وينشز العظم فلم يحرم ثم الاصل بان كل مذكور على الكمال والتمام لا
يمنع عن احتمال الزيادة والنقصان دليله قوله صلى الله عليه وسلم من ادرك عرفة بليل وصل معناه يجيء فقد
تم حجه وقوله انا فعلت هذا فقد تمت حجه وقوله فاذا فعلت هذا فقد تمت صلوتك وصفهن بالتمام والحج
باقية ثم قدر ابو حنيفة الزيادة لستة اشهر ذهب في ذلك الى ان الفطام انما يعترض في حال وهو
حال الحر والبرد ما لو منع الرضاع منه لاورث هلاك الصبي وتلفه لما لم يعود بغيره من الطعام
ففيه خوف هلاكه فاذا كان فيه خوف هلاكه كما ذكرنا استحسن ابو حنيفة رضي الله عنه ابقا
بعد الحولين لستة اشهر ادعي هذين الحالين يدور السنة والله اعلم وقال زفر بزيادة سنة ذهب
في ذلك الى انه لما جاز ان يزاد بالاجتهاد على حولين اشهر جاز ان يزاد بالاجتهاد على الحولين
لسنة قال الشيخ رحمه الله وعلى ما زيد على المذكور من الحبل مثل اقل الحبل ولما احتمل الاقل الانتقال
الى الوسط يحتمل الوسط الانتقال الى الاكثر وذلك في قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقوله لا تضار
والدة بولدها يحتمل وجهين لا تضار الوالدة في ترك الانفاق عليها ويحتمل لا تضار والدة بولدها
بانتزاع الولد منها وهي تريد امساكه وقوله ولا مولود له بولده كذلك يحتمل وجهين لا يضار الوالد بولده
في ردها الولد عليه ورميه اليه بعد ما الف الولد الام ويحتمل لا تضار الوالد في تحميل فضل النفقة عليه
وملكه لا يحتمل ذلك بل انما يحمل عليه ما احتمله ملكه وقوله ولا مولود له بولده فيه دليل انه انما سمي والدا
على المجاز ليس على التحقيق لانه لم يلد هو وانما ولد له فثبت ان الرجل يستحق اسم الفعل بفعل غيره وكل مولود
له يستحق اسم الفاعل وان لم يكن هو نحو ما سمي والدا وان لم يلد هو وانما ولد فيه دلالة ان من حلف لا يفسق
ولا يطلق فامر غيره ففعل حنث وجعل كانه هو الفاعل والله اعلم وقوله وعلى الوارث مثل ذلك اختلف
في تاويله قال بعضهم هو معطوف على قوله لا تضار والدة بولدها معناه ان لا تضار الوارث ايضا اليتيم
وقال اخرون هو معطوف على الكل على النفقة والكسوة والمضارة قال غيرهم هو راجع الى النفقة والكسوة
دون المضارة وهو قولنا لوجهين احدهما ان نسق الكلام انما هو على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
نسق على حرف على اولى من نسقه على حرف لا يصح ادخل على قوله لا تضار لكان ما لوازمه من الكلام انما
هو الوارث مثل ذلك والثاني انه لو حمل على اضرار من الوارث بالولد في الميراث لقال وعلى المورث
بحق الميراث فلا ضرر يقع فيه بل يقع الانفاق فاذا ثبت ان حمله عليه احق ثم في قوله وعلى الوارث
قال بعضهم اراد بالوارث الوالد والام والجد ولا يدخل ذو الرحم المحرم فيه ذهبوا في ذلك الى ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ذلك واما اصحابنا رحمهم ذهبوا الى ما روي عن عمر رضي الله
عنه انه اوجب النفقة على العم وقال لو لم يبق من العشيرة الا واحد لاوجب عليه النفقة وروي ايضا
زيد بن ثابت رضي الله عنه انه قال في قوله وعلى الوارث مثل ذلك النفقة على كل ذي الرحم المحرم على قدر
مواريثهم فاتبعنا الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك وفي الكتاب دليل وجوب النفقة على المحارم وهو قوله
لا جناح عليكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباءكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم الى قوله او صديقكم
فانما تاكل بحق لا بالرضاع الا يرى انه ياكل من بيت الاجنبي اذا بذل ورضي فلو لم يكن اكله من بيت هؤلاء

يجئ لم يكن بالتخصيص فان عورض بالضد بين انه لا يرض عليه لا نقطعت الصدقة بينهما ثم للقائل ان يقول
كيف لا اوجبت النفقة على كل وارث على ظاهر الاية قيل الاية مخصوصة بالانفاق لان المراة وارثة ولا نفقة
عليها نفقة الزوج دل انه اراد وارثا دون وارث وهو الوارث من الرحم المحرم والله اعلم وقوله فان
ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما قيل فان ارادا الابدان فصال الصبي وفطامه
بدون الحولين ليس لهن الا تراضيهما جميعا واتفاقهما على ذلك وبعد تمام الحولين فانه اذا اراد احدهما
واما الفصال قبل الحولين فصال غير تمام ذكره الكتاب فلا يفصل الا باجتماعهما واتفاقهما على ذلك وما
بعد الحولين هو على تمام النص فجاز ذلك الراي واحد منهما وما قبله لا يجوز الا براتهما جميعا واصله انه بالحولين
قد ظهر التمام والكفاية ثم بالنص وما دونه نعلم بالاجتهاد ثم عند التنازع يزول موضع بيان الصواب فيوال
الحد المذكور سما في القرآن للتمام ذكر ارادة الفرد دل الفصل التشاور والله اعلم ثم ان الزوجين يحكمان على انفسهما
برضاع ولدهما لانه يحتج الى نظر غيرهما ولا الى راي اخر لما لا يجوز ان يعدم شفقتهما جميعا عن ولدهن واما اذا كان
الحكم لغيرهما فلا بد من ان يحكم غيره دليله قوله يحكم به ذوا عدل منكم وكقوله فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فهذا
الحكم على غيرهن وكذلك احتج الى غيرهما وذلك الزوجان يحكمان على انفسهما وينظران لولدهما لذلك افترقا والله
اعلم والجناح والحرج واحد وهو الضيق ومعناه اي لا يضيق ولا تبعة عليهما ولا اثم اذا ارادا فطامه بدون الحولين
وقوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم فيه دلالة جواز الرضاع بعد الحولين وحرمته لانه
ذكر في قوله فان ارادا فصالا لا بتراضيهما بدون الحولين اذ ذكر الرضاع في الحولين بقوله لمن اراد ان يتم الرضاعة
وذكر الفصال بدون الحولين بقوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما محصل قوله ان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
بعد الحولين وهذا يدل لابي حنيفة رضي الله عنه ويقوي مذهبه ويحتمل ان يكون الاية في جواز استرضاع غير
الامهات اذا ابت الام رضاعه وهو كقوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وقوله اذا سلمتم يعني اذا سلمتم لامر
الله ما اتيتم اي قبلتم ليس هو على الاباء ولكن على القبول دليل ذلك قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة فخلوا سبيلهم فعن ذلك الاول وان اتيتم اي قبلتم الاباء ما عهدوا وهو الاجر وقد يكون ما اتيتم
عقدتم الاباء هو الاعطاء والعطية عقدتم التسليم عليه وذلك دليل لقوله من يفرق بين قوله اعطيني
كذا فلم يقبضه والله اعلم واتقوا الله فيما امركم بالانفاق والكسوة ونهاكم من الاضرار احدهما صاحبه وقوله
واعلموا ان الله بما تعملون بصير هو وعيد على ما سبق من الامر والنهي وقوله والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا قيل هي ناسخة لقوله متاعا الى الحول غير اخراج فان
خرجن فلا جناح عليكم لها وان كانت مقدمة في الذكر تلك مؤخرة فاربعة اشهر وعشرا ناسخة لتلك الى
هذا يذهب عامة اهل التاويل الا ترى الى ما جاء ان امراة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
احدكن كانت تجلس حولا في منزلها ثم تخرج عند راس الحول فترمي ببعرة فثبت ان ما كان ذلك مما تقدم
الامر به نسخ بالثاني وقال اخرون انه قد اثبت في الاية متاعا ووصية ثم ورد النسخ على وصية كانت
للوارث بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والا كانت
الاعتداد والواجب اللازم هو اربعة اشهر وعشرا وامكن ان يستدل بقوله فان خرجن اذ كانت
على اثر قوله غير اخراج فان خرجن كان النهي على الاخراج دون الخروج وهذا اصل في الوصايا المتاع
ان لا يمنع الوراثة ان اخبر على التسليم وفيه لا يترد لا له جواز الوصية بالسكنى اذا بطلت بحق
الميراث لا بحق الوصية والله الموفق وهو جاء في من لم ينسخ له الوصية وامكن الاستدلال
بالاية على عدة الوفاة بالحبل ان ثبت ما روي انه يكون اربعين يوما نطفة واربعين يوما
علقة واربعين يوما مضغة ثم ينفخ فيه الروح في العشر فاذا كان ما ذكرنا امرت تتربص اربعة
اشهر وعشرا لتبين الحبل ان كان بها واذا كان بهذا معنى المدة فاذا ولدت بدون انقضائها لعدة
والله اعلم فان قيل الامة اليس يختلف الحرمة في تبيين الحبل ثم لم تجعل عدتها اربعة اشهر
وعشرا فاذا لم تجعل ذلك كيف لا يبان ان الامر ينص اربعة اشهر وعشرا الا لهذا المعنى قيل لوجهين
احدهما ان الحرائر هن الاصول في النكاح فيهن تجري الحكمة فيخرج الخطاب لهن والثاني انها حق
احداث الحرة والحقوق التي تاخذ الحرائر هن الاصل في النكاح اذا صرف ذلك الى ان الامة تاخذ
نصف ما تاخذ الحرائر والثالث انه لا يقصد اجالهن لما فيه رق الولد واكتساب الذل

وأولاده وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال تعتد أبعد الأجلين احتياطاً ذهب في ذلك إلى أنه لا
يوضع في الطلاق ولم يذكر في الوفاة فيحتمل أن يكون ذلك في الوفاة كهو في الطلاق ويحتمل أن لا يكون
فأمرها بذلك احتياطاً وأما عندنا فما روي عن عمر وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم أنهم قالوا إذا وضعت
ما في بطنها وزوجها على السرير انقضت عدتها وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة مات
عنها زوجها وكانت حاملاً فوضعت بعد ذلك بأيام فأذن لها بالنكاح ثم الأمر بالإحداد أربعة أشهر
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على
ميت فوق ثلاثة أيام إلا المرأة على زوجها فإنها تحد أربعة أشهر وعشراً فإن قيل أليس وجب ذلك
على المطلقة والخبر إنما جاء في الموت فهو فوت النعمة في الدين وذلك الفوت في الطلاق كهو في الموت
ألا ترى أنه لم يجب ذلك في موت أبيها ولا في موت ولد أنه لم يجب للموت نفسه ولكن لفوت النعمة في
الدين ألا ترى أنه روي في الخبر أن المرأة الصالحة مفتاح الجنة فأمرت بإظهار الحزن على ما فات منها من
النعمة بترك الزينة والتشوف إذ النكاح نعمة ثم المدخول بها سواء في وجوب المهر والعدة وترك الزينة
وإظهار الحزن على فوت النعمة وأما المطلقة قبل الدخول بها لم يلزم ذلك لأن العدة لم تلزمها فيجدد لها
النعمة لما لها أن تنكح للحال فتكتسب نعمة والله أعلم ألا ترى أن الصبي الصغير إذا مات عن امرأة يلزمها
أربعة أشهر وعشراً دل على أن وجوبه للفوت والله أعلم **وقوله** فيما فعلن في أنفسهن في الأكفاء بمهر مثلهن
قد ذكرنا هذا فيما تقدم **وقوله** لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء قيل التعريض هو أن يروي
من نفسه عن الرغبة فيما يكفي به من الكلام على ما ذكر في الخبر أن فاطمة بنت قيس استشارت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لها إذا انقضت عدتك فآذنيني فاستأذنته في رجلين كانا خطباها فقال لها أما
فلان فإنه لا يرفع العصا عن عاتقك وأما فلان فصعلوك لا شيء له فعليك بأسامة بن زيد فكان قوله فآذنيني
كناية خطبات إلى أن أشار على أسامة دون ما ذكره أهل التأويل أن تجمله وإنك لتعجبني وما أجاوز إلى
غيرك وإنك لنافعة مثل هذا لا يحل أن يشافه لامرأة أجنبية لا يحل له أن نكاحها وفي الآية دلالة أن لا بأس
المتوفى عنها زوجها الخروج بالنهار وهذا لا يحل أن يشافه الأمهات أجنبية لا يحل له نكاحها لما ذكر من التعريض
لأن الرجل لا يأتيها منزلها فيعرض لها ولكن المرأة قد تخرج من منزلها فيعرض لها ولكن المرأة قد تخرج من
منزلها فتصير في مكان احتمال التعريض فعند ذلك يقول لها ما ذكرنا وعلى ذلك جاءت الآثار روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة مات زوجها فأتته فاستأذنته في الاكتحال لم يأذن إنه نهاها عن الخروج وإنما
ما روي عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما بالإذن لهن بالخروج بالنهار والنهي عن البيتوتة في غير منزلهن
لأن المتوفى عنها زوجها مؤنتها على نفسها فلا بد لها من الخروج وأما المطلقة فإن مؤنتها على زوجها
فالزوج هو الذي يكفي مؤنتها وتزويج عليها لذلك افترقا والله أعلم ثم التعريض لا يجوز في المطلقة
والثاني أن في تعريض المطلقة اكتساب عداوة ويقضي فيما بينه وبين زوجها إذ العدة من حقه دليله
أنه إذا لم يدخل بها لم يلزمها العدة وأما المتوفى عنها زوجها لزمتها العدة وإن لم يدخل بها لذلك يجوز
التعريض المتوفى عنها زوجها في المطلقة قال الشيخ رحمه الله ولأن زوجها في الطلاق يعلم ما يحدث بينهما
الضغن والمكروه في الحال وليس ذلك في الوفاة **وقوله** أو أكننتم في أنفسكم يعني أخفيتم تزويجها في السر علم الله
أنكم ستذكرونهن سراً وعلانية وقيل يعني الخطبة في العدة **وقوله** ولكن لا تواعدوهن سراً قيل فيه بأوجه
قيل لا يأخذ وأمنهن عهداً أن لا يتزوجن غيركم وقيل لا تواعدوهن سراً يعني الزنا في اللغة وقيل السر
الجماع فتقول أتيتك الأربعة والخمسة ونحوه ثم قال إلا أن تقولوا قولاً معروفاً يقول لها قولاً لينا حسناً
ولا يقول لها قولاً يحملها على الزنا أو على ما يظهر من نفسها الرغبة فيه على ما ذكر في الآية فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذي في قلبه مرض وأن يعد لها عدة حسنة وأن يبرد ويحسن إليها لترغب فيه ولا يقول لها ما لا
يحل ولا يجوز والله أعلم **وقوله** ولا تعزموا عقدة النكاح قيل هو على الإضمار كأنه قال لا تعزموا عقد النكاح
وقيل لا تعزموا لا تعقدوا النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله يعني بالكتاب ما كتب عليها من العدة حتى تنقضي ذلك
فيه دليل حرمتها على الأزواج لبقية الملك فالخطاب للأجنبيين لا للأزواج إذ للأزواج الإقدام على النكاح
وإن كن في عدة منهم قال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح حمل على التحريم وإن احتمل الذي هو
بهذا المخرج غير التحريم لاتفاق الأمة على صرف المراد إليه لقوله في يبلغ الكتاب أجله أي ما كتب عليها من

التربص

التربص ولما كان النهي عن ذلك بما لزمها العدة للزوج الأول فهي باقية بها على ما سبق من النكاح المحرم لا
على غيره فكذلك بقية الحرمة ولهذا جاز لمن له العدة للزوج الأول فهي باقية فيها النكاح إذ لا يجوز أن
يمنع حقه والله أعلم **وقوله** واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وهو حرف وعيد أي يعلم ما تضمرون
في القلوب وتظهرون باللسان من التعريض فاحذروه ولا تخالفوا أمره ونهيه واعلموا أن الله غفور
حليم فيه أطماع المغفرة وإمهال العقوبة من ارتكب النهي وخالف أمره والله أعلم واعلموا أنه يحذره علمه
بما في أنفسهم ليكونوا أبداً مراقبين له فيما أسروا وليعلموا أنهم مؤاخذون بما أضمروا من المعاصي والخلاف
وإن الذين لا يؤاخذ به العبد هو الخطر بالبال لا بالعزم عليه والاعتقاد ثم أخبر أنه غفور رحيم ليعلموا
أن إنشاء ذلك ما غفره وأنهم قد استوجبوا بفعلهم الخزي لكن الله بفضله ستره عليهم ليشكروا عظيم
نعمه ولئلا ييأسوا من رحمته فيستغفروه وذكر حليم لئلا يغتروا بما لم يؤاخذ وأخر ما أضمروا في ذلك
الوقت فيظن الغفلة عنهم كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون **وقوله** لا جناح عليكم
إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن فيه دليل رخصة طلاق غير المدخولات بهن في الأوقات كلها إذ لا
يتكلم بنفي الجناح إلا في موضع الرخصة ولم يخص وقتاً دون وقت وأما المدخولات بهن فإنه عز وجل
ذكر الطلاق فيهن وقتاً بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن لذلك قال أصحابنا رحمهم الله لا بأس للرجل أن
يطلق امرأته في حال الحيض إذا كان لم يدخل بها ووجهه أنه إذا كان تعرف وقت طهرها مما سبق من
الدخول بها فأمر بالطلاق في ذلك الوقت ليكون أدعى إلى المراجعة إذا ندم على طلاقها وأما التي لم تدخل
بها لا يعرف وقت طهرها لما لم يسبق منه ما به يعرف ذلك الوقت فلم يؤمر بحفظ ذلك الوقت
ولأنه إذا لم يدخل بها فإن الطلاق بينهما سنة فجعل كل الأوقات له وقتاً للطلاق لما لم يجعل لدخول الأجل
قبلها ليكون بعض الأوقات له أدعى إلى ذلك والله أعلم والثاني أن المدخول بها يتوهم علوقها منه فجعل
للطلاق فيها وقتاً يستبين حالها الحامل أم لا لئلا يندم على طلاقها لذلك كان الجواب ما ذكر والله أعلم وفيه
دليل رخصة طلاق المبين منه إذا لم يملك إمساكها عندنا للندامة لأن الطلاق قبل الدخول تبين
المرأة من زوجها والأصل في الأمر جعل الطلاق في وقت يخليها للأزواج كل الأوقات في غير المدخول
بها وقت الحل **وقوله** أو تفرضوا لهن فريضة معناه ولم يفرضوا لهن فريضة كأنه عطف على قوله لا جناح
عليكم إلى قوله عز وجل ما لم تمسوهن دليله قوله ومتعوهن دل الأمر بالمتعة أن قوله تعالى أو تفرضوا لهن
معناه لم تفرضوا لهن ودل قوله عز وجل فنصف ما فرضتم أن ذلك في غير المفروض لها حيث وجب في المفروض
نصف المفروض وجب ثم المتعة ثم محل في القياس أن يوجب في غير المفروض نصف مهر المثل إلا المتعة لأنه
إذا دخل بها أوجب كل المفروض عند الدخول بها ونصف المفروض عند عدم الدخول بها لكن أوجب المتعة
لوجهين أحدهما أن مهر المثل إنما يقدر بها إذا دخل بها لم يعرف الزوج ما قدر مثلها لم يعرف المنصف من ذلك
والثاني أنهم أوجبوا المتعة تخفيفاً وتيسيراً لأن الحاكم يجمعه فضل كلفة وعناء في تعرف حالها وحال
نسائها إذ مهر المثل إنما يعتبر بنائها ولبس ذلك في المتعة والله أعلم ثم قدر المتعة بغير شأنه اعتبار
بقدرها لأنه لو اعتبر شأنه قدرها أوجب لها أغناها وغناء أهلها ومهر المثل لا يبلغ ذلك فكان في
ذلك تفضيل المتعة على مهر المثل وقد ذكرنا أن المتعة أوجب تخفيفاً ولو نظر إلى قدرها دون قدره
لكلف الزوج ما لا طاقة له به ولا وسع لذلك وجب النظر إلى قدره اعتباراً بقدرها والله أعلم **وقوله**
أو تفرضوا لهن فريضة أو نسق على قوله ما لم تمسوهن فهو على ما تفرضوا لهن فريضة وعلى ذلك قوله
إذا نكحتم المؤمنات الآية وعلى هذا إجماع القول في جواز النكاح بغير تسمية وفي ذلك دليل أن قوله تعالى
أن تبتغوا بأموالكم محصنين الآية هو ما ينبغي من النكاح بالمال لا تسمية المال فيكون النكاح موجباً له
به يوصل إلى حق الاستمتاع لا بالتسمية ولهذا كان لها حق حبس نفسها عنه حتى يسلم إليها ما منع من الملك
إلا بمهر به مسمى أو غير مسمى كقوله تعالى والمحصنات من المؤمنات إلى قوله عز وجل إذا آتيتموهن وقوله تعالى
إنا أحللنا لك الآية والأزواج بالنكاح بلا تسمية لم يفسد بفساد التسمية بل الذي فسد في أعلى الحال له
فإنه لم يكن وعلى ذلك اتفاق فيما تزوج المرأة على ما لا يحل من خمر أو ميتة أو نحو ذلك أنه يجوز فيكون في

في ذلك امران احدهما ان ما لا يحتمل جوازه بالشرط لا يفسد والثاني ان يبين موضع النهي عن الشغار
انه غير مفيد الفصل لانه في جعل ذلك بدلا لا بضع والله لم يجعل التسمية شرطا لجوازه ليفسد لفسادها
والله اعلم ثم جعل الطلاق قبل المماسة سببا لاسقاط بعضها او جب العقد هو والله اعلم لما يوصل
اليه كمال ما له قصد النكاح اذ هو محصول التعفف وحقيقته في اسكان الاستمتاع لا بالعقد ولولا
ذلك لما جعل النكاح ولم يبطل كل المهر لما تغلب في الملك الذي له البدل اذ هو في الحقيقة للملك لا للاستمتاع
دليل ذلك ما لا يزداد بكثرة الاستمتاع فثبت انه بدل الملك فالتغلب فيه اذ ليس هو بسبب لفسخ المسبب
الموجب للملك الذي له وجب البدل بل هو تغلب فيه لم يدفع عند البدل كله والله اعلم فاوجب عز وجل نصف
المهر واسقط نصفه بما فقد احد القصدين ووجد آخر والله اعلم ثم اذا لم تكن التسمية جعل الله تبارك
وتعالى المتعة مقابلة نصف المسمى عند التسمية وان كان لو تركنا والتدبير بعد بيان الواجب فيما لهم تسمية
مهر المثل نحو وجوب المسمى فيما سمى لكان الذي تغلب علينا لوهم انا لا ندرك تدبيرنا غير نصف مهر المثل
فتولى الله سبحانه بيان ذلك ليعلم الناس والله اعلم ان الله بين كلما للخلق اليه حاجة على قدر ما يحتمل
وسعهم ويبلغه عقولهم وان الذي لا يحيط به قدرهم بين لهم بالاشارة اليه تفضلا منه على عباده ليؤلف
بينهم ويمنعهم عن التنازع والله اعلم ثم لم يبين لنا ماهية المتعة بالاشارة اليه ومعلوم ان قدر
الذي يبين فيما علم قصور التدبير عن الاحاطة بدرك ذلك النوع من الحكمة فيما لم يبين فهو والله اعلم
ان القول تبلغه وانه بالتدبير فيما تبين وجه الوصول اليه ولا قوة الا بالله ثم قد بين ان الحق آكد
عند التسمية منه فيما لم تكن بوجهين احدهما بقوله تعالى على الموسع قدره فيما كان الطلاق قبل المماسة
وعند التسمية اوجب نصف المسمى احمله وسعه او لا ومعلوم ان الاحتمال على قدر الوسع اخف مما كان
يجب احتماله عند الخروج من الوسع والله اعلم والثاني بما علم من وقوع الاختلاف يكون بين الامة فيما لا
تسمية اذا مات احد الزوجين في حق اكمال المهر وارتفاع ذلك بما كان ثم التسمية هو الدليل على ان الحق
في احد الوجهين اوكد منه في الآخر على ان العقود والفسوخ كلها تثبت لها عند التسمية ابدل ولا يجب
بشيء من ذلك بنفس العقد البدل حتى يستوفي في بعض ذلك ولا يجب بشيء في البعض على كل حال
فثبت به ما ذكرت فاوجب ما ذكرت ان لا ابراد بالمتعة نصف مهر المثل اذ قد ثبت بالبيان الاول
ان التدبير لا يوجب الزيادة عليه بالبيان الثاني ان الامر فيه محمول على التيسر والتخفيف ومن
البعيد المجاوزة بالامر المؤسس بالتسهيل في التغليظ ولم يبين لنا ماهية المتعة ومعروف ان المتعة
هي التي يتمتع بها واذ مهر المثل مما قد يتمتع به فجعلنا نصف المثل نهاية المتعة مما هو النهاية
فيما كان مبنيا فلا يجاوز بها ذلك ومما فيه وجهان احدهما احالة وجوبها اكثر من مهر مثلها
فيكون الدخول بها سببا لاسقاط الحق وقد جعل الله سببا لمنع السقوط فثبت ان مهر المثل معتبر
في المتعة والثاني انها بحكم البدل عن ذلك دليله احدهما ان المطابقة كانت بمهر المثل والطلاق
سببا لاسقاط حقوق النكاح لا لايجابها فثبت ان المتعة كانت مكان ما فيه المطابقة لا ان احدث
الوجوب بالطلاق والثاني انه متى وجب مهر المثل لم يوجد بها نحو ان يدخل بها فثبت انها كانت
بدلا فلا يزاد البدل مما كان التحويل الى غير نوع مهر المثل انما هو والله اعلم لما قد يتعذر تعرفه
وان لم يعرف ذلك بالاجتهاد والفحص عن احوالها ومحلها ومحل قومها وفي ذلك مؤن وتكلف ثم بعد
العلم بذلك لا بد من الاجتهاد في التوسط من ذلك ثم في امرها منهم فجعل الله تفضله من الوجه الذي
ليس سبيل العلم به عن ذلك التكلف او لو رفع هو الى الحاكم امكنه الوصول الى العلم به بدون ما ذكرت
من النظر فكان ذلك والله اعلم نحو ما فرض الله تعالى من زكوة الابل فيها اذا صار بحيث لو كانت فيها
لكانت جزاء يتعذر اخذ مثله ثم التسليم الى الشراء فجعل في ذلك بدلا على ان الذي عليه لو خرج بتسليم
العين جاز في مثله ما نحن فيه وهذا هو وجه جعل الله متعة على انها كانت واجبة نحو الامساك
لو رام ذلك اذ عليه النفقة والكسوة فاذا طلقها فجعلت هي مكان مهر المثل اذا فات السبب الذي
كانت تجب بحقها فجعلت واجبة بحق غيرها حتى لا تقع في الطلاق وجوب امر لم يكن فيما تقدم لو

لو ابد به الامساك ومن البعيد ان يراد كسوة المرأة على مهرها ونصف مهرها في الحق ولا قوة الا بالله ثم ليس في
ظاهر الآية ابطال المهر فيما لم يسم ولا التنصف فيما سمي وانما في الاول بالمتعة والثاني ببيان ان لها نصف الفرض
والقول بان نصف هذا العبد لفلان او لفلان كذا من الحق او يبطل عنه الحق وجملة او عن النصف الآخر بذلك
القول بل فيه بيان ذلك انه له وغيره متروك لدليله ولا قوة الا بالله وكذلك قوله تعالى فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها ليس في ذلك ان لا عدة عليهن ولكن فيه ان لا عدة لهم ويجوز ان يكون عليها لا له وكذلك عندنا
العدة هي التي عقيب الخلوة لا يملك هو فيها امساكها ويلزمه المؤن فكانها عليه لا له في المعتبر فلما ذكرت يبطل
قول من ادعى ان القول بالمهر والعدة فيما لا مماسة فيه خلاف الظاهر والله اعلم مع ما لو كان في الظاهر ذلك
لا يمكن ان يكون من المسيس الا مكان لا حقيقته دليل ذلك انه لو وجدت القبلة والمعانقة في ملاء من الخلق
لوجد المسيس في الحقيقة ولم يجب به ذلك فثبت ان المراد من ذلك معنى في المسيس لا ما يحقه اسمه ثم الذي يؤيد
انه الامكان والاجتماع وجهان احدهما قوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية فاعظم احد شيء مما
اتاها لما كان من افضاء بعضكم الى بعض والافضاء في اللغة معروف انه الانضمام لا المجامعة فما كانت المجامعة
الى الازواج يضاف فعلها وفي هذا اضافة الافضاء الى كل واحد منهما ثبت انه في معنى ذلك من كل واحد منهما
نحو الذي من الآخر وذلك يكون في الاجتماع خاصة والله اعلم والثاني وجود القول من خمسة من خيار الصحابة
الخلفاء رضوان الله عليهم اجمعين ممن دونهم لما لا يحتمل خفاء الآيات عليهم ومن شهد الخطاب لحق بهم الحقيقة
من المراد وان يسألوا عن ذلك من ان يطلعهم على حقيقته اذ كان بحيث احتمال الخفاء والخلفة تحيادا الذين يعملوا
انهم ائمة الخلق وعلى الاقتداء بهم حث الامة مما في ذلك عدول عن الظاهر وقول الذي لا يحتمل فهمه
عنه فثبت ان كان ذلك منهم عن بيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن دليل شهوده اظهر المراد و
لا قوة الا بالله على ان في الآية لو كان في تصريح جماع لكان يلزم ذلك بالخلوة لوجهين سوى ما ذكرت
احدهما جرى احكام الكتاب والسنة في البذل لاشياء مقصودة اسما وتحقيقا يستوجب حق الوفاء بها
بحق شرط الله القبض في الرهان والقتال في المغانم والايتاء في الاجور والمهود والخروج الى الهجرة وامر ذويها
ابرهيم عليه الصلوة والسلام لما اسلما لامر الله فعل ذلك امر الخروج من الامانات بقوله ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها ولو كان لا يخرج الا باد الى اهلها ولو كان لا يخرج الا ياد قال في الايدي
في الحقيقة لكان لا سبيل الى القيام بما كلف الله وعلى ذلك اجماع القول في الاجارات اذا امكن الانتفاع
بها والله اعلم والثاني ان النساء لا يملكن بين تسليم ما عليهن من الحق ومحال ان يلزمهن من الحق اكثر
مما ذكر لكن الله تعالى وسعهن فثبت ان ليس عليهن غير الذي فعلن فتستوجبن ما لهن وعلى ذلك قوله تعالى ولهن مثل
الذي عليهن ثم قد اجمع على وجوب المهر في موت احدهما ان الموت لا يسقط وان لم يكن ثم دخول فهو والله اعلم ان
المقصود بالنكاح الملك وقيام الزوجية الى موت احدهما وان ذلك الاستمتاع وقد وجد تمامه وقد بينا ان المهر
للملك لا للنفس الاستمتاع فوجب كماله وان مات احدهما لما بلغ الملك نهايته وعلى هذا يخرج قولنا فيما لم يسم لها
المهر اذ مهر المثل انما هو بدل الملك دليله انه يوجب لها المطالبة به عند قيامه وان لم يسم به واسلم ما بينا
من تعلق هذا الملك بالبدل حكما وان لم يكن تعلق به شرطا وقد وجد ثم وعلى هذا روي عن ابن مسعود رضي
الله عنه في ذلك وقام معقل بن سنان وقال نشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في بروع بنت واشق
بمثل الذي قضيت انت ففرح عبد الله لموافقته وانه ما روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت ذلك
فعلى ذلك ان القول بالنكاح ان تبذل المرأة نفسها له ليستمتع بها فاذا جاءت الخلوة وجد تمام المقصود منها
بالنكاح على ما وجد في موت احدهما فيجب كمال المهر كما وجب بالوطء ويستوي في ذلك مهر المثل والمسمى والله اعلم
وعلى ذلك فيما لم يوجب جعله بدل المنفعة اذ هو قيمة البضع وكقيمة الاشياء باتلاف فيها ولم يوجد فيهما
وعندنا انه وان كانت قيمة ذلك فهي بدل لا انتفاع نفسه اذ لا يجب الزنا ثبت ان الملك يجب او لشبهة
وقد وجد في الاول على تمام ما يحتاج اليه المقصود وجب على ما مر بيانه والله اعلم واوجب قوم في المسماة بعد
النكاح نصفا اذا طلق قبل الدخول استدلالا بظاهر الآية ولكن التسمية عند الناس انما تكون في العقد فيما
لا يعرف لها وجود غيرها وهي التسمية في العقد فهي المرادة بالخطاب اذ هي المعروفة في الفرض ثم غيرها نحو
الاستدلال فان الزم الدليل حق التسمية في العقد ولا لا ثم وجد جميع الاسباب التي تحتمل الاعتبار جعل
ذكر الفرض بعد السبب كلا ذكر فيه امر النكاح فاوجب فساد التسمية فلم يجب المسمى من بعد لاجل انه يجب

الدليل وقد قام دليل الوجوب عند وجود ما له حكم الدخول بها يجب عند ذلك والا لا لانه وجه لزوم القول لما
يخرج على احوال احديها ان هذا التسمية اذا جازت يجب مهر المثل اذ في كل سبب ليس له عوض بالحكم لم يجز ثم كان مهر المثل
يسقط قبل الدخول بها كذلك الواجب به والله اعلم وايضا ان الحكم يوجب مهر المثل لبدفع اليها اذ لها حق الامتناع
الاية فاصطلحوا على ما سيأتي بعد له حق ما في الحكم ذلك وهو التبيين ولو بينه الحاكم لكان يسقط قبله
هذا والله اعلم والثالث انه معلوم انه لو كان الذي في علم الله تعالى من طلاقها لكان ظاهرا وقت التسمية حقها
عليه المتعة ولم يكن يجب النظر الى مهر مثلها الا من تحديد المتعة فكذلك اذا ظهر والله اعلم وامكن
ان يقال الاصل في ذلك ان المتعة ليس يوجبها الطلاق ولكن النكاح يوجب ثم كان الواجب بالنكاح
مجهول لا يدرى وهو مهر المثل والمتعة اذ لا يجوز ان يجبا ولا ان يوجب بطلاق احدهما ما هو بيان
ذلك ان الواجب في الحقيقة احدهما لكن لما سقط لبه مهر المثل في الظاهر ولها التسمية عند ما عرف
في النكاح انه للدوام ثم هو للاستمتاع بمحل الامر على ذلك الظاهر به اجيزت التسمية فلما ورد الطلاق
قبل الدخول ظهر حقيقة الواجب فبطل الذي كان يجب المهر في ان الواجب في علم الله المتعة والله اعلم وعلى
هذا اصل هذا المعتبر امر المعروض الظاهر انه نوع الابمان وذلك مما لا يزداد ولا ينقص فيجب بالطلاق نصف
مهرهن ثم اذا كان من نوع لا يزداد فينقص فيحدث احد الوجهين فليس في الكتاب تسمية ذلك النوع
على المعروف ولا القضاء فيه بشئ ومعلوم ان ذلك لو كان في يدي الزوج ليجب نصف ذلك فيما كان بالطلاق
قبل الدخول فيها فيصير بحكم المفروض وان لم يكن مما كان حدث من الحق او مما كان في حكم الله ان الحق في ذلك
النصف اذ ذلك حكم الطلاق قبل الدخول بها على حق المنصوص فيكون الذي حدث من النصف حقه او
بما كان ذلك مهرا والحادث يحتمل جعله مهرا فهو فيه على ما عليه معتبر الحقوق من كون الفروع الاصول
فاذا كان ذلك بعد القبض فقد انقضى امر الحق وحدث ما حدث على ملكها اذ على ذلك يحدث فقلنا لو نقص
المهر في العين لكان نصف النصف له بحق بعض القبض فيه ثم انتقض العقد واذا كان كذلك لا يخلو امر الربا
من ان يرد عليه فيرجع بشئ لم يسلم اليها وذلك فضل على ما اخذ من الحق يأخذه بالحكم فيكون ربا لانه
لم يسلم اليه ثم المعنى الذي هو لها فيه فيكون اخذه بلا عوض في عقد التبادل فيصير ربا ولو لم يكن على
فسخ القبض في المهر والعقد فيصير ذلك لما فضل من اجل قد فسخ العقد فيه مما لم يكن لها الا بدل بلا بدل
وذلك وصف الربا وقد حرم الربا فيجب في الضرورة كالهالك فيجب نصف القيمة لزوال معنى الربا
والله اعلم وعلى ما ذكرت يخرج قول ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله في العتق والهبة انه يظهر الواجب في الحكم وعند
ابي حنيفة رضي الله عنه ذلك في حق النقض يصير كذلك دليله ما لم يكن يجوز فيه تقلب الزوج لو كان منه ثم نقض
لا يرد على ما ليس له حكم المهر فيبقى ذلك للمرأة على ما كان لها قبل الطلاق اذ الطلاق نقض الملك في المهر وليس
ذلك بمهر والله اعلم قال الشيخ رحمه الله والمذكور من المتعة فيما بعد الدخول يحمل ما عليه في حال النكاح من الكسوة
والنفقة الى تمام العدة فيكون الاية في ذكر النفقة بعد الفراق اذ لا يجوز ان يكون الطلاق سببا لايجاب
حق غير واجب قبله ويحتمل ان يكون في حق المتبرع شرط عليه فيكون متبرعا بالاحسان على ما رغب فيه المدخول
من الاتمام اذ لا يجوز ان يكون ذلك بدلا فيكون لملك واحد بدلين مع ما جعل الله الطلاق سببا لتخفيف الحقوق
على الزوج ورفع المؤنة ورد الامر الى الغنى بالامر بقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته لم يحتمل به الوجوب
فيصير سببا لالتزام المؤنة ولا قوة الا بالله وقوله حقا على المحسنين فيه دليل لابي حنيفة رضي الله عنه
حيث قال ان الذي اذا تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يدخل بها لا متعة لها لان الله تعالى
انما اوجب المتعة على المحسنين والذمي ليس بمحسن والدليل على ان المتعة اوجبت تخفيفا ومهر المثل لا
ان مهر المثل وجب على المرء احتمله ملكه او لم يحتمل والمتعة لم تلزم الا ما احتمله ملكه فبان انها اوجبت
تخفيفا فاذا كان تخفيفا لم يزد على مهر المثل والثاني ان المتعة اوجبت بدلا عن نصف مهر المثل ثم لا
جائز ان يراد بالبدل المبدل كما قيل في سائر الابدال والله اعلم وهي ثلثة ابواب لانه يخرجها واذا تخرج
المرأة من المنزل انما تخرج بثلاثة ابواب فان قال لنا قائل ان الكتاب ذكر المتعة المطلقة قبل المماسة
اذ لم يفرض لها فرض وذكر انه في نصف المفروض اذا طلقها قبل المماسة وانتم وجبتم كل المسمى وكل مهر المثل
اذا خلا لها ولم يمسها قيل في الاية بيان وجوب نصف المهر في حال وبيان وجوب المتعة في حال وليس
في بيان وجوب النصف نفي وجوب الكل لانه اذا قيل لفلان نصف هذا الشئ ليس فيه ان النصف

الاخر

الاخر ليس له فاذا كان ما ذكرنا ليس لمخالفنا الاحتجاج علينا بظاهر الكتاب ولا النسبة الى مخالفة الاية فصار
معرفة ذلك بتدبير اخرى جهة الكتاب مع انه لا يوجب المهر كله لعين المسيس لكنا نحن وهو اتفقنا
جميعا على ايجابه لا بالكتاب والله اعلم وان شئت قلت ان الخلوة لا يوجب كما ان الصداق وانما يوجبه
صحة العقد دليله مطالبة المرأة الزوج بكماله بعد صحة النكاح قبل ان وجوبه لا بالخلوة ولكن بصحة
العقد فالكلام انما وقع في اسقاط البعض فيسقط اذا قام دليل الاسقاط والله اعلم وان
شئت قلت ان المرأة لا تملك سوى تسليم نفسها اليه فالعقد انما وقع على ما يقدر على تسليم اليه ليس
على ما يقدر على تسليم الاستمتاع اليه اذ لو كان العقد واقعا على ذلك لكان يبطل لان من باع ما لا يقدر
على تسليمه الى المشتري يبطل العقد باصله فهي عندنا النكاح اذا جعل واقعا على تسليم الاستمتاع البركات
بالطلاق كالبيع للمعنى الذي وصفنا والله اعلم ثم اختلف في المرأة التي مات عنها زوجها ولم يدخل بها و
لا فرض لها مهرا روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما انه قال لها مهر مثلها وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قضى لبروع بنت واشق بمهر مثلها وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لها
المتعة بكتاب الله تعالى وقال لا ندع كتاب الله تعالى بقول اعرابي ذهب والله اعلم الى ان الكتاب ذكر المتعة في
الطلاق ثم كان ذلك الحكم في غير الطلاق كهو في الطلاق في نحو ذلك والفرقة التي وقعت بالموت توجب
المتعة فيه كوجوبها في الفرقة الواقعة في غير الطلاق كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء
ذكر المطلقات ثم كانت التي وقعت الفرقة عليها بغير طلاق يلزمها ما يلزم المطلقة ومثل ذلك كثير مما
مما يكثر ذكره والله اعلم واما عندنا فانه لا يلزم المتعة ولكن يلزم مهر المثل لوجوه احدها قوله تعالى
للمطلقات من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ذكر في الطلاق قبل الدخول نصف
المفروض وفي الدخول كل المفروض فصل ذلك ما اوجب من الحكم في التي لم يدخل بها ولم يسم لها مهرا دون
ما اوجب في حكم الدخول والله اعلم والثاني ان المقصود بالنكاح انما يكون الى الموت حدا للزوجين فاذا كان
كذلك فالزم كل المسمى وكل مهر المثل والله اعلم والثالث الخبر الذي ذكرنا قضى بمهر المثل وخبر امثال هؤلاء
مقبول اذا كان البنية في مثل بلية خاصة اذ مثل هذا لا يبتلى الا الخواص من الناس لذلك كان ما ذكر وقوله
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ذهب قوم الى ظاهر الاية انه ذكر
فيها نصف ما فرضتم لهن فريضة ولم تخص الفرض في العقد دون المفروض بعد العقد فكله مفروض فلها
نصف المفروض سواء كان المفروض في العقد او بعد العقد وعلى ذلك قال قوم ان الرجل اذا تزوج امرأة
على جارية ودفعها اليها فولدت عندها ولدا ثم طلقها قبل الدخول بها ان له نصف الجارية لان الله تعالى
قال فنصف ما فرضتم وانتم لا تجعلون له ما فرضتم في الظاهر ظاهر الكتاب اما الجواب لمن جعل المفروض بعد
العقد كهو في العقد فيما جعل لها نصف ما فرض فان الخطاب من الله تعالى انما خرج في المفروض بعد العقد
انما يتعارف في العقد فخرج الخطاب على هو المتعارف فيهم وهو المفروض فيجعل لها نصف ذلك وما يفرض بعد العقد
وانما يفرض بحق مهر المثل فاذا وجد الدخول وجوب ذلك والا لم يجب واما جواب من قال بانه اذا تزوجها على
جارية ودفعها اليها فولدت ولدا ان له نصف ما فرض فانا نقول ان الاية ليست في الفرض الذي معه الاخر
ولدا وغيره الا ترى ان الجارية اذا كانت عند الزوج فولدت ولدا فان لها نصف الجارية ونصف الولد لو
لم يكن في الفرض وقت العقد فكذلك الاية ليست في الجارية التي ولدت عندها ولكن في الفرض لا زيادة
معه ثم لا يخلو اما ان يجعل له نصف الجارية لها دون الولد فقد انتقض العقد في الاصل فيبقى الولد بلا اصل
فذلك ابوا ويجعل له نصف الجارية مع نصف الولد وهو غير مفروض والله وتعالى انما جعل له
نصف ما فرض فبطل قول من قال ذلك والله اعلم قال الشيخ رضي الله عنه وقوله حقا على المحسنين قيل
يريد به المؤمنين فيكون في هذا التأويل دلالة على ما قاله ابو حنيفة رضي الله عنه ان لا يلزم الذمي
المتعة وقيل على من قصدهم الاحسان الى الازواج ويتقون الخلاف لما كان عليه النكاح من امساك
بمعروف او تسريح باحسان والله الموفق واحتمل قوم في حق العدة وكذا الميراث ذكر فيه الطلاق لا على
تخصيص الحكم له بل يجعل ما يكون تسريحها قبله يكون ذكر المماسة لا على تخصيص ولكن كل ما يكونه فيه
تحقيقها ولا قوة الا بالله قال وقدرت المتعة في الاخبار بالعدد الذي كان يمنعها بالامساك اذ لا
بد من كسوتها ليعلم ان ليس للفراق من ذلك الحق بطلق او بما به يخرجها من منزله فامر ان لا يمنعها الماء

او جب عند العموم فيما لا تسمية فيه الشيء الخطير وهو الذي يمنعها واقل ما تمنع هي له ثلاثة اثواب وفيما سمي امر عند ذلك بالعقد ومحبة لا يحث على العقد ولا يرغب بين الزوجين الى الفضل فتلة دل ان ذلك حد قد يجري بمثله التنازع فيرغبون في ابقاء ذلك واختيار ما به التالف على ان ذلك للرجل ثناء وقد جعل بقاء النكاح بالانموال وبها احل وقال في ذي العذر ومن لم يستطع منكم طولا الاية ولو كانت تجبة طول غيره لكان لا احد يعجز عنها فيشترط ذلك في تزويج المملوكة وبخاصة على قوله من لم يبح الا بالضرورة فمن راى يفصل الحبة يتوفى الاستمتاع فضلا من ان يتخيرثم على ذلك قال في الاماء واتوهن اجورهن بالمعروف والحبة معلوم انها انكر من المنكر فثبت ان الحرام يرجع بين ويظهر في اهل الحاجة وان القول يجعل الحبة مهرا تاما ووصف ملكها بملك الطول قول لا يجوز لا معنى له وبعد فان الناس اجمعوا على انها لا تملك المعروف بعضها والبدل للزوج بلا بدل يلزمه فصار كمنذلى العقد على ما ليس لها وخطا القليل في مثله والكثير في المنع واحد فقياس ذلك ان لا يكون الحظ من مهر مثلها والحبة لا تكون مهر مثل احد امراة في العالم فلا يجي ان يجوز الحظ ولكن اجيز العشرة بالاتفاق ولم يجوز الاكثر التنازع وقد بينا الفساد من طريق التدبير والله اعلم وقوله الا ان يعفون فيل المرأة او يعفوا الذي بيده عقدة النكاح اختلف فيه قال علي و ابن عباس رضي الله عنهما وقال قوم هو الولي ويمكن ان يكون قول بانه الولي لما ان المهور في الابتداء كانت للاولياء دليل ذلك قول شعيب لموسى اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج شرط المهر بنفسه وكما روي من الشغار ثم نسخ من بعد وصار ذلك للنساء بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فلا تاخذوا منه شيئا وقوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة ولانهم اجمعوا ان لا يجوز لانه المعروف في ملك الاخر الا باذنه فعلى ذلك لما ثبت ان المهر لها لا يجوز للولي المعروف فيه وقوله الا ان يعفون يعني المراة تترك النصف ولا تاخذ منه شيئا او يعفوا الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج يحمل لها كل الصداق بقول كانت في حبالتي ومنعتها من الازواج وتترك المرأة لها النصف تقول لم ينظر الي عورتي ولا تمتع بي وهو على الافضال وعلى ذلك يخرج قوله ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تنسوا الفضل الذي في ابتداء الامر لان امر النكاح في الابتداء منه على التشفع والافضال فرغبهما عز وجل على ختم ذلك على الافضال على ما بنى عليه والله اعلم وفيه دلالة على ان العفو هو الفضل في اللغة وهو البذل تقول العرب عفوت لك اي بذلته فان كان العفو هو البذل فكان قوله عفي له تترك له وبدل فاتباع بالمعروف يكون فيه دليل قول اصحابنا في ذلك وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى معناه والله اعلم حق على المتقي ان يرغب فيه وكذلك قوله حقا على المحسنين ان يرغب فيه ثم لاضافة ذلك الى الرجال وجهان احدهما لما انهم هم الذين تركوا حقهم ومن عندهم جاء هذا التقصير الثاني ان في تسليم ذلك من الرجال الكمال وهم في الاصل موصوفون بالكمال من عندهم يستوفي ما فيه الكمال قال الشيخ رحمه الله وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى يحتمل اشتراك الزوجين في ذلك لا معنى الاخذ بالعفو والفضل اولى لمن يريد اتقاء دناءة الاخلاق واولى الفضل ممن اكرم باتقاء الخلاف لله ويحتمل الازواج بما قد تضمنوا الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان فهو اقرب الى وفاء ذلك واتقاء الخلاف على ان سبب الفراق جاء منه فذلك اقرب لاتقاء الجفاء منهم واظهر للعذر لهم فيما اختاروا والله اعلم وقوله ان الله بما تعملون بصير حرف وعيد عما فيه التعدي ومجاوزة الحدود والخلاف لامره وقوله حافظوا على الصلوات و المحافظة هي المفاعلة هو فعل اثنين فهو والله اعلم انه اذا حفظها على وقتها ولم يسه عنها حفظته هو كما ذكر في اية اخرى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه ان الصلوة تامر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر فعل ذلك اذا حفظها على اوقاتها مع احكامها وسننها ولم يدخل ما ليس فيها من الكلام والالتفات وغير ذلك مما نهي عنه حفظته وكذلك قوله وسارعوا وسابقوا من المفاعلة فاذا بادر اليها بدرت اليه وبالله التوفيق وقوله والصلوة الوسطى اختلف فيه قال بعضهم قوله والصلوة الوسطى اراد كل الصلوة دون صلوة وهو والله اعلم ان الصلوة هي الوسطى هي من الدين وهو على ما جاء الايمان كذا وكذا بضعة علاها كذا وادناها كذا فيحتمل ذلك وقوله والصلوة هي الوسطى من الدين ليست باعلاها ولا بادناها ولكنها الوسطى من الدين وقال اخرون والصلوة الوسطى هي صلوة العصر وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هي العصر وذكر في حرف

حفصة

حفصة رضي الله عنها ايضا هي صلوة العصر وقال قائلون هي الفجر وذهبوا في ذلك الى ان النهار يجمع الصلوتين والليل بطرفيه كذلك بالفجر اوسطها وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هي الفجر وقال اخرون هي الظهر ذهبوا في ذلك الى انها انما تقام وسط النهار فسميت بذلك وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال هي صلوة الظهر ومن قال هي العصر ذهب في ذلك الى ما روي من الخبر والى ان العصر هي الواسطة من صلوتي النهار وصلوة الليل لان الصلوتين بالنهار قبلها وصلوتين بعدها بالليل فهي الواسطة والقياس ان يكون هي المغرب لان الظهر سميت اولى والعصر يكون الثانية فالمغرب هي الواسطة لكن لم يقولوا به وفيه دلالة ان الصلوة وتر لان الشفع ما لا وسطى له ثم جهة الخصوصية انها كانت عصرا فهو ما ذكر ان الكفرة حملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوة الظهر فلم يتهيأ لهم اقامتها فقالوا احفظوا عليهم هي اكرم عليهم من انفسهم واموالهم فظهر بهذا ان لها فضل وخصوصية من عند الله ورسوله وما روي ان الخبر نعتا قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته العصر وتر اهله وماله وان كانت فجرا فان الكتاب ذكرها بقوله ان قرآن الفجر كان مشهودا ولما قيل ان ملكي الليل والنهار يشهدونها فذكرت لها الخصوصية والفضل ومن قال انها الظهر ذهب الى خصوصيتها وفضيلتها ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي قبل الظهر اربعا اذا زالت الشمس وقال ان ابواب السماء تفتح في ذلك الوقت قال الشيخ رحمه الله في قوله والصلوة الوسطى يتكلم فيه بوجهين احدهما ان الصلوة هي الوسطى من امر الدين فهي على ان الارفع من امر الدين هو التوحيد والايمان وذلك هو الذي لا يرتفع بعذر ولا يسقط بسقوط المحنة اذ ذلك في الدارين جميعا وعولا خلوص ونفي جميع معاني الخلق به عمن توحده ويؤمن به وسائر العبادات قد يتقدم مع وجود السبل الدنيا والمعاش منها وفي حالها والذي به قوامها التوحيد لانه الصلوة مما بها جميع ما ذكرت في حال فعلها فيما به فعلها فهي تشبه بالايمان من هذا الوجه ثم تسقط للاعذار ولا يجب في غير دار المحنة على ما عليه امر غيرها من العبادات فصارت بذلك الوسطى من امر الدين وهو الموفق والثاني ان يكون هي صلوة من جنسها فتذكر بحرف التخصيص لا من الجملة لوجهين احدهما البيان جملة الفرائض انها وتر لا الشفع اذ لا وسطى للشفع فيكون في ذلك بطلان قال قوم انكروا العدد لها قدم زعموا انها صلوتان في الجملة والله اعلم ان يراد به الما لتفضيل الصلوة من الصلوة في الحث على فعلها والترغيب في محافظتها ويحتمل ان يكون ذلك معروفا عند الذين خوطبوا اما بالاسم او بالحال من النوازل لانه لا يحتمل ان يرغب في فعل لا يعلم حقيقته ذلك والله اعلم ثم يكون لاختلاف من لم يشهد النوازل التي عرفت المراد فقال كل مبلغ جهده فيما ادى اليه رايه من الترغيب في الفعل انه على ذلك لكنهم اختلفوا فمنهم من اعتبر بالبركات فقال اكثرها اربع واقلها ركعتان والوسطى منها ثلاثة فصرف التاويل الى المغرب واستدل في الترغيب في تعجيلها والمبادرة في فعلها حتى لم يؤذن بالاشتغال عنها عند هجوم وقتها لنافلة ولحاجة وذلك بعض ما يعرف من معنى المحافظة وهي ان الصلوة جعلت متصلات الاوقات وهي الوسطى منهن والله اعلم وقوم ردوا الى الصلوة الفجر بما في ذلك من الترغيب والتخصيص بالامر كقوله وقران الفجر الاية وما اخبر من شهود ملائكة الليل والنهار ولان وقتها الوسط من احوال الخلق اذ احوالهم يكون مرة والانتشار ثانيا وبذلك ختم اوقات السكون وافتتاح احوال الانتشار ووسط الشيء وهو الذي فيه حط الحواشي وقد وجد في وقت هذه الصلوة والله اعلم ومنهم من صرف الى العصر بما جاء في ذلك من الترغيب ومن الوعيد في ترك ذلك وختم احوال الزلات التي تدخل في الكتاب فيكون بالتوبة عنها والاستغفار منها ولا قوة الا بالله وقوله حافظوا على مخاطبة الجملة على الاشتراك اذ المفاعلة اسم ذلك على تضمن الترغيب في الجماعات او على لزوم كثرة عدد الصلوة او على ما خرج الامر بالمسارعة الى الخيرات والمسابقة لها وكل ذلك والله اعلم على ان سميت الظهر اولى فعلى ذلك يكون المغرب الوسطى وقوله وقوموا لله قانتين قيل خاشعين خاضعين فيها لا يدخل فيها ما ليس منها وعلى ذلك روي عن زيد بن ارقم انه قال كنا نتكلم في الصلوة فلما نزل قوله وقوموا لله قانتين مطيعين امرنا بالسكوت في صلوتهم خاشعين ساهين ونهينا عن الكلام على ذلك سمي الدعاء قنوتا وقال اخرون قانتين مطيعين وذلك ما قيل ان اهل الاديان يقومون في صلوتهم خاضعين ساهين فامر اهل الاسلام ان يقوموا مطيعين والقنوت هو القيام على ما روي انه سئل عن افضل الصلوة فقال طول القنوت واصل

القنوت ما ذكره هو القيام غير الذي يقوم لاخر يقوم في الخضوع والخشوع والسكوت وليس في الاية امر
بذلك في الصلوة غير ان اهل التاويل صرفوا الى ذلك لانها ذكرت على اثر ذكر الصلوة وكذلك قوله
فان خفتم فرجالا او ركبانا ليس فيه ان ذلك في الصلوة لكنهم الزموها ذلك في الصلوة اثر الصلوة
ثم اختلف فيه قالوا ركبانا على الدواب حيث ما توجهت بهم الدواب يصلون عليها في حال السير
والخوف وعلى ذلك جاءت الاثار من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين وفعل الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين في النوافل فتكون الفرايض عند العذر به
مرادة بالاية بل على ما ظهر فعل النوافل في غيره بالسنة واما قوله فرجالا لما اختلف فيه قال
قائلون فرجالا لا مشاة وهو من الرجل وترجل مشى راجلا واما عندنا فهو على المعروف من الصلوة على
الارجل والاقدام قياما وقعودا لا ايزال عن الظاهر المعروف الذي عرف الفعل به على ما عرف من
الصلوة على الارجل وقوله وركبانا على ما عرف من الركوب وهو في حال السير ولم تر الصلوة تقوم مع المشي
فان قيل صلوة الخوف فيها مشي فقال قيل ان المشي في فعل الصلوة لانهم في الوقت الذي يمشون لا يفعلون
فعل الصلوة وهو كما يقولان الصلوة لا تقوم مع الحدث فاذا احدث فيها فذهب ليتوضا ليس هو في وقت الحدث
مصلي وان بقي في حكم الصلوة فعلى ذلك المشي في صلوة ليس هو في فعل الصلوة وان كان باقيا على حكم الصلوة
والله اعلم وقوله فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم يحتمل قوله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون وقوله فاذكروا
الله يحتمل ان يصرف الى الصلوة اي صلوا كما علمكم ان تصلوا في حال الامن ويحتمل ان يصرف الى غيره من الاذكار في
كقوله ولذكر الله اكبر ويحتمل ان يصرف الى الشكر اي اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واشكروها لكقوله فاذكروني
اذكركم والله اعلم وفي قوله علم الانسان وعلم القران وعلم البيان دليل ان الله صنع في فعل العباد حيث اضاف
التعليم الى نفسه وهو ان خلق التعليم منه اذ لو لم يكن منه صنع ذلك المعلم دون البيان فدل اضافته اليه
على ان له فيه فعل نعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الهوى قال الشيخ رحمه الله في قوله فاذكروا
الله كما علمكم من الصلوة في حال الامن معلوم تقدم الامر بالصلوة وتعليم حدودها فوسع في الرخصة في
التخفيف بحال العذر ويحتمل اذكروا الله بشكر انعامه كما علمكم من الشكر له في النعم واي ذلك كان فهو
فهو الذي علمهم بعد ان كانوا غير عالمين به والله اعلم ودل اضافته التعليم في هذا اليه وكذلك
في قوله علم البيان وقوله وما علمناه الشعر على وجود الاسباب من الله قوله في الامرين على ان كان
من الله في احد الامرين ما ليس منه في الاخر ومعنى الاسباب فيهما واحد ثبت انه على خلق فعل التعليم
ونفيه والله اعلم وقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا يحتمل على نسخ الوصية خاصة دون نسخ العدة وان الامر بالاعتداد في الايتين امر واحد
اشهر اربعة اشهر وعشرا ونسخ الوصية باية الميراث وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث
فيه دلالة ان الموصى خيار بين قبول الوصية وبين ردها وفيه ان له ان يردها اذ قيل بقوله غير اخراج
فان خرجن اذن في الخروج ردها وذلك بعد القبول وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف
والله عزيز حكيم قد ذكرنا انها تحتمل وجهين يحتمل ما فعلن في انفسهن من التشريف والتزين كذلك
روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنهما لا جناح عليهن ان تشرفن وتزين ويلتمسن الازواج ويحتمل وضعهن
انفسهن في كفو بمهر المثل والله اعلم وقوله وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين يحتمل الاية ان
يكون في المطلقات المدخولات بهن وقد فرض لهن ان يامر الازواج بالمتعة ندبا لا وجوبا على ما روي عن
الحسن بن علي رضي الله عنهما انه متع بعشرة الاف على ما روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما انه متع
بعشرة الاف على ما روي عن ابن [illegible] انهما قالا ان كنت من المتقين او من المحسنين فمتعها فهو امر ادب الا
امر ايجاب يجبر على ذلك وان كانت في المطلقة التي لم يدخل بها ولا فرض لها صداقا فهو على ما يقوله
وهي واجبة يجبر على ذلك فيخرج هذه الاية والتي قبلها قوله ومتعوهن على الموسع قدره على المقتر قدره
على مخرج واحد غير ان في احديهما بيان قدر المتعة وليس في الاخرى سوى ما ذكر ويحتمل وجه اخر وهو
ان الامر بالمتعة امر بالانفاق عليها والكسوة لها اذا دخل بها ما دامت في العدة او على الاختيار على ما
ذكرنا لا على الايجاب اذ لو كان على الوجوب لكان في ذلك ايجاب بدلين الصداق والمتعة ولم يعرف عقد
من العقود اوجب بدلين فكذلك هذا والله اعلم والثاني ان الطلاق سبب اسقاط لا سبب ايجاب

فاذا

فاذا كان كذلك لم يجز ان يوجب بسبب الذي هو سبب الاسقاط لذلك لم يوجب والله اعلم وقوله كذلك
يبين لكم اياته ما سبق ذكره من الاحكام من الامر بالاعتداد والانفاق عليهن والتمتيع وغير ذلك لعلكم
تعقلون امره ونهيه قال الشيخ رحمه الله في قوله كذلك يبين الله لكم اياته اي كما بين في هذا يبين في جميع
ما يعلم لكم الى بيان ذلك قدر ما اراد من البيان من بيان كفاية او مبالغة ليعلم ان جميع ما اليه بالخلق حاجة
داخل تحت البيان يوصل الى ذلك بقدر ما يحتمله العقول على ما يكرم الله المجاهدين فيه في طلب مرضاته ولا قوة الا
بالله وقوله الم تر حرف تعجب وتنبيه ليتامل فيما يلقى اليه بما اريد الانباء عنه او فيما قد كان سبق الانباء
عنه ليتجدد بالنظر فيه عهدا وعلى ذلك المعروف من استعمال هذه الكلمة وكذلك وجدنا وبه الى المنزل
الى العلم به ثانيا والى النظر فيه ثانيا على اختلاف ما قيل وفيه كل ذلك والله اعلم وقوله الم تر الى الذين
خرجوا من ديارهم الوف حذر الموت قوله الم ترا ولم تخبر ولم تنظر مثل هذا انما يقال عن المحجوبة فالقصة
فيه والله اعلم جواب قوله لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اخبرهم الله عز وجل عن قصة هؤلاء ان جهلهم
باجالهم اولئك حملهم على هذا القول مثل جهل بني اسرائيل باجالهم حملهم على الخروج حذر الموت فلم ينفعهم
ذلك بل ليسوا كذا هذا قال بعضهم ثم اختلف في قصة هذا قال بعضهم خرجوا فرارا من الجهاد في سبيل
فاماتهم الله ثم احياهم وامرهم ان يخرجوا الى الجهاد في سبيل الله وقال اخرون وقع الطاعون في قريتهم
فخرج اناس وبقي اناس ممن خرج اكثر ممن بقي فنجى الخارجون وهلك الباقون فلما كانت الثانية خرجوا باجمعهم
الا قليلا فاماتهم الله ثم احياهم فلا ندري كيف كانت القصة فان كانت القصة في الظاهر من الجهاد وفي
سبيل الله وله نظير في الايات قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
وقوله لن ينفعكم الفرار الاية وقوله قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ومثله كثير في القران
وان كانت في الطاعون فقد جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كنتم في ارض وفيها
وباء فلا تخرجوا وان الفرار الخاص ان لم يكونوا فيها فتدخلوا فاصابهم فاماتهم الله يظنون انهم اذ لم يكونوا
فيها لم يصبهم ذلك ففي الوجهين نسيان القضاء وقد جاء ان لا عدوى ولا هامة فان قيل روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا مر على حائط مائل اسرع المشي كيف نهى عن الخروج عن ارض فيها وباء و
طاعون قيل ان كل ما كان تخرجه تخرج انه وفيها اهله كهم فذلك لا يموت الا بما سبق منهم فحق مثله الفرار
الى الله لا الى غيره واما الانكسار للحائط فليس لامر سبق منه فجاز ان ياخذ منه حذره وهذا الفرق بينهما
والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ويجوز ان يكون فعله صلى الله عليه وسلم ليعلم ان مثله من الخوف لا يعد نقصانا
في الدين وذلك كالعدة تتخذ للحرب والاغذية للبدن لا على ظن بالله انه لا يملك الحيوة دونها او فيهن العدد
وبكى على الذاهب والايتام اذ قد جعل الذي حبب فيه والذي جبى والله اعلم وقوله ان الله لذو فضل على
الناس حين احياهم بعد ما اماتهم وذلك فضل منه واذا فضل على الناس بكل نعمة انعمها عليهم يستحق الشكر
من الخلق بذلك هذه الاية على المعتزلة اذ قالوا ليس لله ان يفضل لخلقه الا الاصلح لهم في الدين ولو فضل
غير ذلك كان جائرا فاذا كان هذا عليه فاني يكون الافضال وانما يقال ذو فضل وذو [illegible] اذا اعطى ما ليس عليه
واما من اعطى ما كان عليه لا يقال انه تفضل ومن كان يقضي انما عليه لا اخر لا يستوجب الشكر بذلك لا تقضي
ما كان عليه قضاؤه فكذلك الله تعالى اذا اخبر انه ذو فضل وذو من لم يكن ذلك عليه فاستوجب الشكر على الخلق
بذلك وبالله التوفيق ثم الكلام في ان اولئك ماتوا باجالهم او لا باجالهم قالت المعتزلة لم يكن اجالهم ان
لكل احد اجلين ان قتل فاجله كذا وان مات فكذا قيل ذلك تاجيل من لا يعلم انه يقتل او يموت فاذا علم الله انه يموت
لم يكتب له اجل القتل وكذلك ما روي ان صلة الرحم تزيد في العمر اذا كان في علم الله في الازل انه يصل الرحم فكتب عمره
ازيد ممن يعلم في الازل انه يقطع ولا يصل اذ لو حمل ذلك على ما يقولونه هم يخرج فعله فعل جهل من يجهل العواقب
فان قيل فلم يلزم القاتل اذا قتل غيره بغير حق حل له لانه كتب اجل المقتول بقتله هو معصية بما علم الله انه يفعله
به وكتاب الاجال هو بيان النهايات والاعمال وقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا عامل الله تعالى بلطفه و
كرمه معاملة من لا حق في اموالهم لا كمعاملة العباد بعضهم بعضا وان كانوا العبيد واموالهم كلهم له حيث طلب
منهم الاقراض بعضهم من بعض ثم وعد لهم الثواب على ذلك فقال فيضاعفه له اضعافا كثيرة ثم لما سمع
اليهود ذلك قالوا ان اله محمد فقيرا وهو قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقرء
قالوا لما راوا الستره على بعض الناس فقالوا انما يفعل ذلك لبخل حيث قالوا يد الله مغلولة فراد المنع

اما للبخل واما للفقر كما كذبهم الله فى قولهم ذلك فقال والله يقبض ويبسط قيل يقتر ويبسط ويوسع و
قيل يقبض ما اعطى اى ياخذ ويبسط ويترك ما اعطى ولا ياخذ منه شيئا وقيل انها نزلت فى ابى الدحداح
وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تصدق بصدقة فله مثلها فى الجنة فقال ابو الدحداح ان
تصدقت بحديقتى فلى مثلها فى الجنة فقال نعم قال وام الدحداح معى قال نعم والصبية معى قال نعم
فرجع ابو الدحداح فوجد ام الدحداح والصبية فيها فقام على باب الحديقة فنادى يا ام الدحداح
انى جعلت حديقتى هذه صدقة واشترطت مثلها فى الجنة وام الدحداح والصبية فيها معى قالت
بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت ثم خرجوا منها فتركوا ماكانوا اجتنبوا منها وسلموا الحديقة
للنبى صلى الله عليه وسلم فنزل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الاية قال الشيخ رحمه الله قوله من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا الاية فى توجيه الاية اليه ثم منهم من يوجهها الى جميع المحاسن يؤثرها ويختارها
الله فله اضعاف ذلك فى الموعود اجلا وعاجلا ثم الاجل ما وعد والعاجل ثنا والناس وجلالة القدر له
فى القلوب متعارف ذلك الاخبار وسماه قرضا لما هو اسم المعروف فيذكره وحفظ نعمه عليه ان قبله قول
المعروف بالشكر له فى ذلك وان كان ذلك فعاله عليه والله اعلم والثانى ليعرف الخلق كيفية الصحبة
والمعاشرة بينهم ان الله تعالى عامل عبده فيما هو له معاملة من يستحق الشكر منه لما يبدى اليه من النعم لله
حقيقة ذلك ليعقل الحكماء الامثل ذلك فى معاملة الاخوان فيما كان نعمه فى الحقيقة اوجب واحق ليعظموا
المعروفين بالمعروف فاكرمهم الله تعالى بالاسماء الجليلة ولا قوة الا بالله ومنهم من يوجهها الى الصدقة خاصة
سماها قرضا لوجوه احدها ان جعل معاملة الفقراء والتصدق عليهم معاملة الله تفضيلا لهم على ما نسب
مخادعة المؤمنين الى الله تعالى تعظيما لهم فتسمية الصدقة ثم وعد فيه العوض ليصير صدقة بمعنى الاقراض اذ يرجع فى عوض
فيزول وجه الامتنان على الفقير بما ياخذ منه البدل وبالله التوفيق والثانى سمى ذلك قرضا بما هو له على ما هو لله
الله تعالى عود به عباده بالذى عرفوا به وجوده حتى سمى تسليم الذى له فى الحقيقة قرضا كالتسليم الى من لا حق له فى
الحقيقة وعلى ذلك امر الشراء بقوله ان الله اشترى من المؤمنين الاية والله اعلم والثالث انه ذكرهم وجه الفضل
فى الصدقات والموقع لها ليكون ذلك تبيانا لعظم منة الفقير عليه اذ وصل به الى الله ذكره الله وجل محله عنده
فيصير عنده لحدا لاعوان له والانصار على عظيم الموعود وجليل القدر عند الله فيحمده على ذلك ويشكره دون ان يمن عليه
او يؤذيه والله الموفق وقوله الم تر الى الملاء من بنى اسرائيل اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فى هذه
الاية التى قبلها قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم دلالات اثبات رسالة محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات
لان القصص فيهم كانت ظاهرة فى اهل الكتاب ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلف الى احد منهم ولا نظر الى كتبهم
ثم لخبر على ما دل انه عرف ذلك عز وجل ثم فيه دلالة ان كل نبى منهم كان انما يشاور الاشراف من قومه والرؤساء
منهم ولهم يصرف تدبير الامور والى السفلة منهم والرذالة وفيه دلالة ان كل نبى كان انما يشاور ايضا الا
شراف من قومه ان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه لم يكونوا يتولون الجهاد والقتال بانفسهم ولكن
الملوك هم الذين يتولون ذلك ثم الملوك هم الراجعون الى تدبير الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام
فى امر الدين والاخرة حيث سألوا ملكا يقاتلون معه عدوهم ذكر ان كفار بنى اسرائيل قهروا مؤمنيهم فقتلوهم
وسبوهم واخرجوهم من ديارهم وابنائهم فمضوا زمانا ليس لهم يقاتل عدوهم فقالوا لنبى لهم وهو من نسل
هرون بن عمران اخى موسى ابعث لنا ملكا نقاتل عدونا فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم استخبارا عن
سؤالهم الذى سألوا احق هو ام شئ اجروه على السنتهم من غير تحقيق لئلا يستوجبوا العذاب بتركهم ذلك اذا اجيبوا
واعطوا ما سألوا وتمنوا لما عرف من شدة القتال مع العدو والجهاد فى سبيل الله كراهة ذلك فى كل قوم الى
ان بينوا انهم عن حق سألوه لما بينوا العلة التى حملتهم على ذلك وغاية رغبتهم فيها وما لاجله كان السؤال قالوا
وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا من القتل واخذ المال وسبى الذرارى فلما كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم فيه دلالة على انه قد كان فى هذه من قوله لم تقولون ما لا تفعلون من كراهة القتال
والجهاد فى سبيل الله وقيل تولوا الا قليلا منهم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا لم يتولوا انما سألوا ثم قال نبيهم
ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قيل سمى طالوتا لطوله وقوته وقوله انى يكون له الملك علينا يتوجه مثل هذا
الكلام وجهين احدهما على الانكار ولا يحمل على الانكار لانه كفر والثانى على الاسترشاد و
طلب العلم لهم منه فى ذلك من جهة جعله له ملكا لما قد عرفوا لا يستوجب الملك ولا يولى الا احد رجلين

اما بالوراثة من الاباء او بالسعة فى المال لذلك قالوا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
لانهم كانوا ابناء الملوك وارباب الاموال ثم بين لهم عز وجل من جهة الاختيار ليس ليهم وان
الملك ليس بما ذكرنا دون غيره بل الله عز وجل يختار من يشاء لذلك باسباب سوى ما ذكروا بفضل
علم وبفضل قوة حيث قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ثم عند ان الملك
يحتاج الى فضل قوة ثم يحتمل قوله بسطة فى العلم علم الحرب والقتال ويحتمل علم الاشياء الاخر على حفظ
الرعية وغيره قال الشيخ رحمه الله فى قوله انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه فهو
الله اعلم اى متى جعل له الملك علينا او كيف يكون له الملك علينا ونحن بظاهر الاسباب التى تحقق
الملك فيكون بها احق بالملك منه فبين ان المعنى الذى له صار احق بالملك منهم فى ذلك والله اعلم
والحرف وان كان مما يتعارف فى الانكار فليس هو كذلك فى الحقيقة اذ قد اخبرهم من هو نبى عندهم
ومن تقرر عنده نبوة احد لا يحتمل تكذيبه اياه فى هذا والله اعلم ويحتمل كون اهل النفاق فيهم تكون
منهم الانكار ايضا كما كان امثال ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد سؤالهم الاية حتى قال
ان اية ملكه كذا والله اعلم ويؤيد ذلك كثرة مخالفتهم اياه لما امتحنوا بالنهر والله الموفق وفى هذا د
ذلك دلالة جواز الايات لغير الرسل اذ كان فيه تصديق الرسل فيكون فى التحقيق كايات لهم ظهرت
على السن غيرهم او ايديهم ومن اراد بها ادعاء الرسالة لنفسه فيعجز عن ذلك بل لا يكرم الله بها من
يعلم انه يدعو الى تصديق الكتاب الكذب ومضادة الرسل وبهذا يجاب لمن يعارض بمن يتعلم القران
قربا فى موضع لا يعرف فيحتج به فى نبوته معا فى ذلك وجه تمتع الاحتجاج به من ذلك ما فيه من الاخبار
عن الاسولة والانباء عن امور لا توجد هناك والله اعلم وبما لا يعلم اوله انه عمن يعلم تقدم منه
الى من هو حجة او عن وحى اليه اذ لم يكن امتحن من قبل والحجة ما يخرج من المضاد وحمل الطبيعة
بكرم بها وحيث الدعوة بلا سبب سبق منه فى مثله ولا عناية ولا قوة الا بالله وبعد فانه قد ظهر
فى جميع لسانه ذلك اللسان ممن لا يطاق الدفع لمثله ولا انكار وانتشار الاتى به فيظهر بذلك كذبه
ويفتضح عند الدعوى قبل المحنة والتامل فيما جاء به الان ياتى به من ليس ذلك لسانه ولا معنى الاحتجاج
به فى امثالهم والله الموفق وقوله والله واسع عليم اى غنى يغنى من يشاء ويعطيه عليهم من يصلح للملك
وقوله وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت كانهم سألوا نبيهم ما اية ملكه ان ياتيكم التابوت
تحمله الملائكة ذكر فى القصة ان التابوت تكون مع الانبياء اذا حضروا قتالا قدموا التابوت من بين
ايديهم الى العدو وليستنصرون به على عدوهم وفيه سكينة كانها رأس هرة واذا ان ذلك الرأس سمع
التابوت انين ذلك الرأس دف نحو العدو وهم يمضون معه ما مضى فاذا استقر ثبتوا خلفه فلما حرت بنو
اسرائيل وعصوا الانبياء سلط الله تعالى عليهم عدوهم واخذوا منه التابوت لما سمعوا او ملوا منه ثم رد
عليهم بعد زمان طويل وجعل ذلك اية من ايات ملك طالوت فلا ندرى كيف كانت القصة ثم اختلف فى
قوله سكينة من ربكم قيل سكينة ريح هفافة فيها صورة كوجه الانسان وقيل السكينة لها وجه كوجه
الهرة لها جناحان فاذا تصوتت عرفوا النصرة وقيل السكينة طست من ذهب يغسل فيه قلوب الانبياء
وقيل فيه اى فى التابوت سكينة وكيفيتها حاجة وقوله وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون قيل
البقية فيه رضاض الالواح وهو كسرها وثياب موسى وهرون وقيل عصا وعصى هرون وقيل البقية قفيز
من رمل الترنجبين الذى كان ياكله بنو اسرائيل فى الارض التيه ويقال فيه سنة موسى وهرون وعملهما
والله اعلم بذلك وفى الاية دليل جرى الاية على ايدى الاولياء لما اعطى طالوت اية للملك يشبه ايات
الانبياء حيث اخبر انه كان تحمله الملائكة اياه لكن تلك الايات فى الحاصل تكون للانبياء يجريها الله تعالى
على ايدى الاولياء الا ان يكون للاولياء ذلك ثم من ادعى من الاولياء بتلك الايات النبوة لنفسه
يعجزه الله تعالى عن ذلك ويخرج الاية من ان تصير اية نحو من اتى مدينة من المدائن التى لم يبلغ اهلها هذا
القران ولا عرفوه ولا سمعوا ذلك من احد فجعل يقراه ذلك عليهم عن ظهر قلبه وادعى بذلك
رسالة لنفسه اسمع اهل ذلك البلدان يصدقوه فيما ادعى ام لا فقال لاصحابنا رحمهم الله جوابا لعله
بان فى القران ما يظهر به كذب هذا المدعى فى دعوته من نحو قوله بينا لو تلك عن كذا ومن نحو الاخبار
والحكايات والقصص التى فيها ما لا يحتمل كونها الا بتقدم اسباب فتكذيب ذلك فلم يلزمهم تصديقه

ذ بالله العصمة فالثاني قالوا اذا ادعى ذلك بر تحج الله عز وجل عن ملاو ديه واجرائه على لسانه وادعاء ما ادعى
بذلك وكان هذا اقرب والله اعلم **وقوله** فلما فصل طالوت بالجنود اي من المدينة قيل هم سبعون الفا وقيل
كانوا مائة الف سار بهم في حر شديد فنزل في فقرة من الارض فاصابهم عطش شديد فسألوا طالوت
الماء فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر وقيل من شرب منه فليس مني اي ليس معي على عدوي اي لا
يخرج معي ويجوز ليس مني ومن اتباعي وشيعتي وجائز ان يكون به ظهور النفاق والصدق مني في الدين
ومن لم يطعمه فانه مني يقول معي على عدوي فيه دليل ان يسمى الشراب باسم الطعام والطعام باسمه
وقوله الا من اغترف غرفة بيده استثنى الغرفة كانه قال ممن شرب منه فليس مني الا غرفة ففيه جواز
الثنا لكلام المتقدم وان كان دخل من حرف الثنا وصرف الاول شئ اخر وهو بدل لاصحابنا رحمهم الله
حيث قالوا فيمن اقر فقال لفلان علي كر حنطة وكر شعير الا نصف كر حنطة انه يصدق ويلزمه من الحنطة
نصف كر ويحتمل ان يكون الثنيا على ما يليه قوله ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة وقيل شرب
شراب الدواب والغرفة هي شرب **وقوله** فشربوا منه الا قليلا وقيل القليل ثم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا
اغترفوا غرفة ولحق بايديهم وكانت الغرفة يشرب منها هو وخدمه ودوابه وقيل انما استثنى الغرفة
باليد لئلا يكرعوا اكراع الدواب فحصل بعضهم ذلك فرد طالوت العصاة منهم فلم يقطعوا معه وقطع
معه الثلثمائة والثلاثة عشر رجلا وهو قوله فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم
بجالوت وجنوده قيل هو قول بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لانهم اكثر منا
وكان مائة الف وهم ثلثمائة وثلاثة عشر والله اعلم بذلك العدد **وقوله** قال الذين يظنون انهم ملاقوا
الله قيل الذين يعلمون ويقرون بالبعث كم من فئة قليلة عددهم وقيل الذين يخشون انهم يقتلون
لانهم ظنوا انفسهم على الموت فطابت انفسهم بالموت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة **وقوله**
باذن الله قال بعضهم باذن الله اي بامر الله لكنه لا يحتمله الغلبة بالامر ولكن باذن الله عندنا
بنصر الله والله مع الصابرين بالنصر والمعونة لهم **وقوله** ولما برزوا لجالوت وجنوده يعني لقتالهم
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا يقول اجيب ويقول اللهم علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
وهكذا الواجب على كل من لقي العدو ان يدعو بمثل هذا قول المعتزلة لا معنى لهذا الدعاء لانه قد كان
فعل الاصلح فاستجاب الله دعاءهم وهزم عدوهم وهو قوله فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت
قال بعضهم باذن الله بامر الله لكنه لا يحتمل لانهم كانوا يقاتلون بالامر ولا يهزمون بالامر وقال
اخرون بعلم الله كان في علمه في الازل انهم يهزمونهم وقيل بامر الله وهو اقرب والله اعلم وقيل في
القصة ان داود عليه السلام كان راعيا وكان له سبعة اخوة مع طالوت خرجوا معه للقتال ولما
ابطا خبر اخوته على ابيهم ارسل داود اليهم ينظر ما امرهم ويأتيه بخبرهم قال فاتاهم وهم في الصفوف
وبرز جالوت فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق لخرج الي بعضكم فقال لاخوته
اما فيكم احد يخرج الى هذا الاقلف قال فقالوا اسكت فذهب داود ما تصنعون عن نصر هذا الاقلف
قال طالوت الجمه ابنتي وجعل له نصف ملكي فقال داود لطالوت فانا اخرج اليه قال فاعطاه طالوت
درعه وسيفه فلما خرج في الدرع برجافي الارض لان طالوت كان اطول منه قال فلما قال داود
انا اخرج اليه وسيفه قال فلما قال لجالوت من انت قال انا داود بن فلان فعرفه طالوت ورأى انه
اجله اخوته قال فاخذ داود العصا ثم خرج الى جالوت فرمى بثلاثة احجار فقلن يا داود خذنا معك
ففيها ميتة جالوت فاخذها ثم مضى نحوه وعلى جالوت بيضة هي ثلثمائة رطل فقال له جالوت
اما ان ترميني واما ان ارميك فقال له داود بل انا ارميك فرماه بها فاصابه في اخرها فوقعت
في صدره فنفذته فقتله وقتل الحجر بعد ما نفذ اناسا كثيرة وهزم الله جنوده وهو قوله فهزموهم
وهو قوله فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت والقصة طويلة فلا ندري كيف كانت
وليس لنا الى معرفتها حاجة **وقوله** واتاه الله الملك والحكمة فالملك يحتمل علم الحرب وسياسة
القتال اذ لم يكونوا يقاتلون الا تحت ايدي الملوك وهو كقوله وشددنا ملكه واتيناه الحكمة
ويحتمل الملك بما عقد له من الخلافة كقوله انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق وذكر انا الله الامرين لما كان من قرب زمانه على ما عليه ابتداء الاية ان الملك يكون فيه نبي

مجمعا

مجمعا جمعا له فيكون على ذلك نا وبل الحكمة انها النبوة والحكمة قيل هو الفقه وقيل هي النبوة وقد تقدم
ذكره **وقوله** وعلمه مما يشاء قيل صنعة الدرع كقوله والنا له الحديد وقيل كلام الطير وتسبيح الجبال
وذلك مما خص به داود دون غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويحتمل وعلمه مما يشاء اشياء اخر
وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض اختلف فيه قال بعضهم دفع بالكفار بعضهم
ببعض شرهم على المسلمين لما سلط بعضهم ببعض وجعل بعضهم ببعض اعداء الى ان لم يتفرغوا عن انفسهم للمسلمين
والا كان في ذلك فساد الارض وقال اخرون دفع بالرسل والانبياء شرهم عن المسلمين وكما هم بهم وقال
غيرهم دفع بالمؤمنين بعضهم عن بعض دفع بالمجاهدين في سبيل الله عن القاعدين عن الجهاد والاغلب المشركون
على الارض وقيل يدفع بالمصلي عمن لا يصلي وبالمزكي عمن لا يزكي وبالحاج عمن لا يحج وبالصائم عمن لا يصوم ثم
اختلف في قوله لفسدت الارض قيل لو لم يدفع بعضهم ببعض لقتل بعضهم بعضا واهل فريق فريقا وفي
ذلك تفانيهم وفسادهم وفي ذلك فساد الارض وقال اخرون لو لم يدفع لفسدت الارض واراد بفساد
الارض فساد اهلها لانه لو لم يدفع لغلب المشركون على اراضي الاسلام واهلها فاذا غلبوا افسدوا اهلها وقال
لفسدت الارض اذا غلب المشركون عليها هدمت المساجد والصوامع ففيه فساد الارض والله اعلم **وقوله**
ولكن الله ذو فضل على العالمين بدفع ذلك كله عن المسلمين وعلى قول المعتزلة ليس هو بذي فضل على اهل لان
عليه ان يفعل ذلك وان يدفع ذلك كله عن المسلمين من قولهم فاذا كان عليه ذلك لا يصير هو لما يدفع فضلا
ولا منتا فنعوذ بالله عن السرف في القول **وقوله** تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق يحتمل قوله ايات الله
ما ذكره من قتل داود جالوت باحجار ذكر في القصة مع ضعف داود وقوة جالوت على ما قيل ان قامته
كان قدر ميل وبيضته كانت ثلثمائة رطل ويحتمل ما ذكر من قيام القليل الكثير لانه قيل الاجنود جالوت مائة
الف وجنود طالوت ثلثمائة وثلاثة عشر وذلك من الايات ويحتمل جميع ما قص الله عليه في القران من خبر
الامم السالفة والله اعلم وفي قتل داود جالوت وقتل القليل الكثير دليل انهم لم يقتلوا لقوة انفسهم
ولكنهم بالله وبنصره اياهم قال الشيخ رحمه الله من ايات وحدانيته قتل داود جالوت مع ضعف داود
وقوة صدره **وقوله** تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية يحتمل تفضيل بعضهم على بعض ما ذكر منهم
من كلم الله ومنهم من اتخذه خليلا ومنهم من سخرت له الريح والطير ما كان في الانبياء مثله ويحتمل بعضهم
على بعض في الحجاج والحجج على القوم لانه فيهم من كان اكثر محاجة لقومه واعظم حججا وهو ابراهيم صلوات الله
عليه وسلامه وموسى ويحتمل التفضيل التمكين في الارض مكن لبعضهم ما لم يكن للباقين ويحتمل
في الشفاعة ورفع الدرجات ويحتمل بعضهم على بعض في الرسالة لان منهم من ارسل الى الانس والجن
جميعا ومنهم من ارسل الى الانس خاصة ومنهم من ارسل الى نفر والله اعلم وقد ذكرنا ان لا يكون
من الله تفضيل بعض الرسل على بعض على قول المعتزلة لانه فعل ما عليه ان يفعل وكل من فعل ما
عليه ان يفعل فانه لا يوصف بالفضل والافضال دل انه ليس على ما يقولون ويذهبون اليه **وقوله**
وايدناه بروح القدس قد ذكرناه فيما تقدم **وقوله** ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم
البينات هذه الاية والايات من بعدها قوله ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله ولكن الله يفعل ما يريد
على المعتزلة لانه اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا ما اقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا ولكن اقتتلوا
والاقتتال هو فعل اثنين وفيهم من اقتتل لما دليله قوله ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من
كفر ثم قال ولو شاء الله ما اقتتلوا اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا واخبر انه يفعل ما يريد ثبت الفعل
في الارادة ومنهم من يقولون لا يفعل ما يريد وكذلك قوله ولو شاء الله ما اختلفوا اخبر انه لو شاء
الله ما اختلفوا اخبر انه لو شاء ما اختلفوا وهم يقولون شاء ان لا يختلفوا ولكن اختلفوا عن
المجوز صرفها لانه الى مشية القسر والجبر وانما المشية التي ذكرها الله تعالى معروفة في الناس فلا يجوز صرفها
الى غير المشية المعروفة الا بعد تقدم ذكر او بيان انها هي المرادة وقوله ما اقتتلوا ولا اختلفوا
فجعلهم على امر واحد ودين واحد كقوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة والمعتزلة يقولون
لو شاء ان يصيروا امة واحدة ولكن لم يصيروا فنعوذ بالله من السرف في القول في الله فيما لا يليق به
وقوله يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم يحتمل الامر بالانفاق امر بتقديم الطاعات والمسابقة
الى الخيرات قبل ان ياتي يوم يمنعه ويعجزه عن ذلك وهو الموت ويحتمل امره بالانفاق من الاموال

في الطاعة من قبل ان يأتي يوم القيامة لابيع فيه قبل لا فداء ولا شفاعة يحتمل قوله ولا خلة اي
اي لا ينفع خليل خليله كما ينفع في الدنيا وكذلك لا شفيع ينفع شفاعته كما ينفع في الدنيا ويحتمل لاخلة
ولا شفاعة احد لاحد ولا عمل احد لاحد ويحتمل قوم لابيع فيه انهم يملكون جميع انفسهم من الله تعالى
ما داموا احياء فاذا ماتوا لم يملكوا كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية كلا
وان خرج الخطاب للمؤمنين فالموصوف فيها وصفا للكافرين لكن فيها زجر للمؤمنين عن صنيع مثل صنيع
الكفار وقوله الله لا اله الا هو قيل الله هو اسم المعبود ولذلك تسمي العرب كل معبود الها ومعناه هو
والله اعلم الذي يستحق العبادة ويجوز ان يعبد هو الله الذي لا اله الا هو لا الذي يعبدونه انتم من
الاوثان والاصنام التي لا ينفعكم عبادتكم اياها ولا يضركم ترككم العبادة لها ويحتمل ان يكون على الاضمار
ان قولوا الله الذي لا اله الا هو لانهم كانوا يقرون بالخالق ويقرون بالله كقوله عز وجل ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله وكقوله قل من رب السموات السبع الاية وقل من بيده ملكوت
كل شيء سيقولون لله فاذا كانوا يقرون به فاخبرهم ان الذين يقرون به ويسمون هو الله الذي لا اله
الا هو الحي القيوم ويحتمل ان يكون للقوم من اهل الاسلام رضي الله عنهم وامنوا به ولم يعرفوا نعتة
وصفته الحي القيوم المذكور وقوله الحي القيوم قيل الحي بذاته لا بحيوة هي غيره وكل الخلق احياء بحيوة هي
غيرهم حلت فيهم لا بد من الموت والله عز وجل تعالى عن ان يحل فيه الموت لا يجري بذاته وجميع الخلائق
احياء لا بذاتهم تعالى الله عز وجل عما يقول الملحدون علوا كبيرا وان كان يوصف بالشاهد
بالحيوة فحصل ذلك للعظمة له والجلال والرفعة يقال فلان حي وكذلك الارض سماها الله تعالى
حية اذا اهتزت وانبتت لرفعتها على اعين الخلق فهو اشد سماها وتعالى العظمة وكذلك الارض
سماها الله حية لاجل العظمة والرفعة والكبر وما يكون في المواطن كلها كما سمى الشهداء احياء لانهم
مذكورون في الملأ من الخلق ويحتمل الحي حيا لا يغفل عن شيء ولا يسهو ولا يذهب عنه شيء ولا
يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء والله العصمة وقوله القيوم القائم على مصالح
اعمال الخلق وارزاقهم وقيل القيوم على كل شيء يحفظه ويعاهده كما يقال فلان قائم على امر فلان
يعنون انه يحفظه امره وقيل لا يذهب عنه شيء وقيل هو الحي القيوم اي لا يغفل عن احوال
الخلق وقوله لا تأخذه سنة ولا نوم قيل السنة النعاس وقيل السنة بين النوم واليقظة
وسمي وسنان وقيل هي ريح تجيء قبل الراس فتغشى العينين فهو وسنان بين النائم واليقظان ويحتمل
قوله لا تأخذه سنة ولا نوم على نفي الغفلة والسهو عنه اذ لا تأخذه معا وبعلمه بالمعهود ابدا
عنه وصفه الحي القيوم كقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة على نفي الغفلة ويحتمل لا نفي عن نفسه
ذلك لان الخلق انما يأمنون ويتعشقون طلبا للراحة والمنفعة اما لدفع حزن او وحشة فاخبر
انه ليس بالذي يحتاج الى راحة او الى دفع حزن او وحشة وقيل لا يفتر ولا ينام قال الشيخ رحمه الله
والنوم والسنة دلالات على غفلته من حلاته وعلى حاجته الى ما ضمنه ذلك من تجزئه عنها
فلذلك ينفيهما عن نفسه بالعلو عن الذي ولاعليه من الوجوه وقوله له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي على ذلك الظاهر له لا تأخذه سنة ولا وحشة ولا معنى بدل على الغنى
والحاجة ولا قوة الا بالله وقوله له ما في السموات وما في الارض وخبر ان له ما في السموات وما في
الارض عبيده واماؤه وليس كما قالوا ان الله والملائكة بنات الله علي بل كلهم عبيده واماؤه والذكر
لا يتخذون ولدا من عبيدهم واماءهم فانه احق ان لا يتخذ وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه اي لا احد يجري على الشفاعة الا باذنه اي لا احد يجري على الشفاعة الا باذنه
ثم اختلف في الشفاعة قالت المعتزلة لا يكون الشفاعة الا لاهل الخيرات خاصة الذين لا ذنب لهم
او كان لهم ذنب فتابوا عنه ذهبوا في ذلك الى ما ذكر الله تعالى في قوله الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك اخبرانهم يستغفرون للذين تابوا واتبعوا فاذا كان الاستغفار
في الدنيا للتائبين الذين امنوا وتابوا فكذلك الشفاعة انما تكون في الاخرة على هؤلاء واما قلنا
ان الشفاعة تكون لاهل الذنوب لان من لا ذنب له لا يحتاج الى الشفاعة وقوله للذين امنوا وتابوا

ابتغوا

واتبعوا سبيلك يكون لهم ذنوب في احوال التوبة فاما يغفر لهم ذنوبهم التي كانت لهم فقد ظهر الاستغفار لكل
الذنوب فدل ذلك على ان الشفاعة قال قبل ما ساء اعلم قال لعبده ان عملت علا تستوجب به الشفاعة قال حرفا
عن عمله لا يستوجب بالشفاعة من يستحق جنته الطاعة والمعصية قبل الطاعة فدل ذلك ان الشفاعة لا تكون الا
لاهل الطاعة والخير لا لاهل المعصية قبل ان الشفاعة التي يستوجبها اهل الذنوب انما يستوجبونه بالطاعات
التي كانت لهم حالة الشفاعة لان اهل الايمان وان ارتكبوا اثاما ومعاصي فان لهم طاعات قبلت الطاعات
قبلت الطاعات ما يستوجبون الشفاعة كقوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فالشفاعة بخيره وقالوا ان
في الشاهد لاحد في الاخر لان الشفاعة هو ان يذكر من مناقب احد عند احد وخيره ليس سواه كذا قالوا
والجواب لهم من وجهين احدهما انا لما ذكر في ان الله ينبا خبرات المشفع له لجهلها لا هذا باحواله فيذكر خبره له
ليعرفه بها ليشفع فيه والله شاعر فلا تعريف والثاني ان في ذكر خيراته لحاجة تنفع لهم في شفعها لا يكون
في الاخرة خاصة والله تعالى عن الحاجة بالعباد لذلك اختلف والله اعلم على انا قائل ان يجمع ماذكر
في هذه الاية اولها الى اخرها كلها دعوى لها والدليل على ذلك الدعوى قبل ان يكون دليله ما تقدم ذكر
من قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الاية والثاني من الكرامات ان تكلم بالانبياء
معه في حدوث العالم وحاجته الى المحدث فاذا اثبت حدوث العالم فعند ذلك في اثبات الصانع وعلو
وبالله التوفيق وفي قوله واحد ليس من حيث العدد لان كل ذي عدد يحتمل الزيادة والنقصان ويحتمل التطويل
والعرض والنصر والكسر ولكن يقال ذلك واحد من حيث العظمة والجلال والرفعة كما يقال فلان واحد
زمانه وواحد قومه يعنون سلطانه عليهم جائز القول بهم لا يعنون من جهة العدد لان مثله فيهم كثير من
حيث العدد والله اعلم وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء هذا على المعتزلة لانهم لا يصفون به بالعلم
وقد ذكر ان له العلم ثم احتمل على علم الغيب وقال اخرون على الاشياء كلها لا يعلمون الا ما يعلمهم الله من ذلك
كقول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ومن قال علم الغيب فهو كالذي قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول وقوله وسع كرسيه السموات والارض قال بعضهم وسع علمه وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
وقال اخرون كرسيه قدرته وهو وصف بالقدرة والعظمة وقيل وسع كرسيه والكرسي هو اصل الشيء يقال
كرسي كذا والمراد منه انه المعتمد والمرجع للخلق وذلك بالعظمة والقوة ويقال وسع كرسيه هو خلق من
خلقه وقيل ان الكرسي هو الكرسي لكن خلقه يكون ما يشاء من خلقه فعلى ذلك لا يمنع من قوله وسع
كرسيه وغيره من الايات ما يفهم من الخلق بقوله ليس كمثله شيء ولا يؤده حفظهما قيل لا يثقل عليه وهو قول
ابن عباس رضي الله عنهما وروي عنه ايضا انه قال لا يثقل عليه وقيل لا يعجزه وقيل لا يعاجز بحفظه شيئا مثال
الخلق وقوله وهو العلي العظيم العلي عن كل ما هو محتاج الى العرش وكرسي العظيم عن ان يحاط به وقال ابن
عباس رضي الله عنهما وسع كرسيه قال علمه الى قوله ولا يؤده حفظهما كلا شيء في علمه لا يؤده حفظه شيء
والله اعلم قال الشيخ رحمه الله لسيء من جميع احوال الخلق وشيمهم والعلي القاهر والغالب لا اكراه في الدين
اي لا يجوز في الدين فان كان التاويل هذا فهو على بعض دون بعض وقوله لا اكراه في الدين قال بعضهم نزل
في المجوس واهل الكتاب اليهود والنصارى انه يقبل منهم الجزية ولا يكون على الاسلام ليس كمشركي
العرب انه لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف لا يقبل منهم الجزية فان اسلموا والا قتلوا وعلى ذلك روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كتب الى المنذرين فلان اما ان تؤمن فلا تقبل منهم الا الاسلام او السيف فاما
اهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية وعلى ذلك نطق به الكتاب بقاتلوهم ويسلمون وقال قوم قوله
لا اكراه في الدين اي لا دين يقبل من ذلك بل يسوق ذلك بامان وقد اكراه والثاني ان الرشد قد تبين من الغي وبيت
ذلك لكل اصحى اذا قبل الدين قبل عن بيان وظهور عن اكراه وقال اخرون في الدين اي
لا اكراه في هذه الطاعات بعد الاسلام لان الله تعالى حبب هذه الطاعات في قلوب المؤمنين فلا يكرهون
على ذلك ومعناه ان في الامم المتقدمة الشدائد والمشقة وتدفع الله عز وجل بعد الشدائد عن هذه الامة
وحفظها عليهم دليله قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
به وقوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ومثل ذلك كثيرة كانت على الامم السالفة ففيه تخفيف على
هذه الامة تخفيفه فانما كانت مخففة عليهم لا يكرهون على ذلك وقال اخرون هو منسوخ بقوله امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقال

اخرون ان قوما من الانصار كانت ترضع لهم اليهود فلما جاء الاسلام اسلم الانصار وبقي من عند اليهود من
ولد الانصار على دينهم فارادوا ان يكرهوهم فنزلت الاية لا اكراه في الدين من خرج وقوله قد تبين الرشد من
الغي يعني قد تبين الاسلام من الكفر بالله فلا تكرهوهم على ذلك وقوله فمن يكفر بالطاغوت اختلف فيه قيل الطاغوت
الشياطين وقيل كل ما يعبد من دون الله فهو طاغوت من الاصنام والاوثان التي دون الله وقيل الكا
الكهنة التي يدعون الناس الى عبادة غير الله يكفر هؤلاء وتكذيبهم قال الشيخ رحمه الله ومن جملته من يكفر
بالذي يدعو الى عبادة غير الله ويكذبه في ذلك ويؤمن بالذي يدعو الى عبادة الله ويصدقه انه داع الى
حق وقوله ومن يؤمن بالله فيه دلالة ان الايمان بالله هو ايمان بالانبياء والرسل والكتب جميعا اذ لم يذكر
معه غيره والكفر بالذي ذكرت ينبئ حقيقة الايمان بالله لان من امن به وبامره ونهيه وشرايعه لكن الذي
قال لا نفرق بين احد من رسله لقول قوم حيث قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض والا كان في الايمان بالله
ايمانا بجميع ذلك وقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى يحتمل هذا وجهين يحتمل فقد عقد لنفسه عقدا وثيقا
لا انفصام لذلك العقد ولا انقطاع لا تقوم الحجة ببعضه ويحتمل فقد استمسك بالعروة الوثقى بنصره
اياه بالحجج والبراهين النيرة التي من اعتصم بها لا انفصال عنه ولا الزوال ثم فيه نقض على المعتزلة لانه
اخبر عز وجل ان من امن بالله فقد استمسك بكذا والمعتزلة يقولون صاحب الكبيرة يخلد في النار وهو مؤمن
فاي عروة اوهى من هذا على قولهم وان له زوال وانقطاع من ثوابه الذي وعد له عز وجل بايمانه
وتصديقه به وبالله العصمة وقوله سميع لقولهم عليم بثوابهم ويقال سميع بايمانهم عليم بجزاء ايمانهم والله اعلم
وقوله الله ولي الذين امنوا قيل الولي الحافظ وقيل الولي الناصر وهو ناصر المؤمنين وحافظهم وقيل سمي وليا لانه
تولى امور الخلق من النصر والحفظ والرزق وغيره وعلى ذلك يسمى الولي والي لما يلي امور الناس وقيل قوله الله
ولي الذين امنوا اي اولى بهم اليه رجاؤهم وطمعهم وهو الذي يكرمهم وان الطاغوت اولى بالكافرين كما قال
فالنار مثوى لهم اي اولى بهم والله اعلم وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقوله يخرجهم بمعنى اخرجهم و
جائز هذا في اللغة يفعل بمعنى فعل وفعل بمعنى يفعل جاز فيها غير ممتنع عنه وقوله يخرجهم من الظلمات الى
النور من النور الى الظلمات هو ابتداء لم يكونوا عليه ليس ان كانوا فيه ثم يخرجهم كقوله رفع السموات بغير عمد
ترونها رفعها ابتداء ليس ان كانت موضوعة ثم رفعها فعل ذلك الاول والاية تنقض على المعتزلة قولهم
ومن قولهم ان جميع ما اعطى المؤمن من الاخراج من الكفر اعطى مثله الكافر فكانهم يقولون اخرجهم
جميعا من الظلمة وعليه اخراج الكافر ايضا من الظلمات اذ ذلك هو الاصلح له وعليه ان يعطي الخلق ما هو الاصلح
لهم في الدين فاذا كان هذا قولهم فهو ولي الكفرة والمؤمنين جميعا على قولهم اذ هو السبب الذي ذكر الولاية
للمؤمنين يعطي ايضا الكفرة فان قالوا انه اضاف الكفر الى الطاغوت وانتم تضيفونه الى الله عز وجل قيل هو ناقض
الكفر اذ لا نضيف ذلك اليه الكفر انما نقول انه خلق فعل الكفر او خلق فعل النور ومن المؤمن نورا على
انه ان كان هذا في الكفرة فما القول في الفصل الاول من قولكم انه منعم على المؤمن ثم لا نعمة فيه على المؤمن
الا بالامر والا قدار ومنه موجود للكافر في كفره على قولكم ثم لا نعمة تقع في الامر والدعاء
للمؤمن الا ويقع مثله للكافر اذ هو في الامر والدعاء كالمؤمن سواء ولا قوة الا بالله وليس في القول
بانه خالق فعل كل احد على ما عليه امنا نسبة الكفر اليه بل انما يضيف الخبر اليه بما منه فيه من الافضال على
الشكر له فدل انه له عز وجل في المؤمن فضل صنع ليس ذلك له في الكافر والكفر في اللغة الستر وكذلك الظلمة
هي الستر يقال كفرت الشيء اي سترته وكذلك يقال ليل مظلم لانه يستر ضوء النهار ونوره فيستر الاشياء
عن ابصار الخلق قال الشيخ رحمه الله في قوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم الاية دلت الاية على ان كان من
الله الى الذين كفروا به كان ايمانهم ولو لم يكن الا الامر والاقدار والبيان على ما قالت المعتزلة لكان كل ذلك
عندهم الى الكفرة فلا وجه لتخصيص المؤمنين مما ذكره وجعل الطاغوت اولياء بالكافرين ومنع الله الى
كل واحد ولم يكن من الله الزيادة فاذا كان الذي ذكر لهم في نفسهم فلا وجه للامتنان بذلك ومن
البعيد ذكر الامتنان فيما به الالزام والامر وما ذكرت المعتزلة انما هي اسباب الالزام ولولا ذلك كان اليسر عليهم
واقل لاثمة فكيف يمن بها ثبت ان كان منه فضل ليس ذلك في اعدائه فيه استوجب الحمد منهم ولهذا
يضاف اليه الخيرات على الشكر له وتوجيه الحمد اليه ولا يضاف اليه الشرور وما ليس في ذلك شكر انما
منه الحمد لانه بما علم ايثار الكافر عداوته واختياره الكفر فلذلك لم يجز الاضافة اليه والاضافة اليه جعل

شانه لا باسم الملتقى يخرج مخرج التعظيم والخضوع من العبد بالحمد له والشكر ولا يجوز مثله فيما ليس فيه ذلك نحو
ما لا يضاف اليه الانجاس الخبائث والجواهر القبيحة وان كانت من طريق الخلقة جرى عليه تدبيره وخرجت
على تقديره فعل ذلك افضل للخلق وعلى ذلك القول بانه رب كل شيء ثم على الاشارة لا يوصف بذلك في
الاشياء الخاملة المستخف بها فثبت الاول والله اعلم وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين والكافرين يحتمل
ذلك نحو ذلك يخرج على وجوه احدها انه لا يهديهم وقت اختيارهم ذلك ويكون على ان لا يخلق منهم فعل
الهداية وهم يختارون فعل الضلال ويحتمل من في علمه انه لا يهتدي فيرجع المراد به الى الخاص ويحتمل لا يهدي
طريق الجنة في الاخرة من كفر بالله في الدنيا ويحتمل لا يجعلهم في حكمهم كقوله ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم الاية وقوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ذكر ان الكفرة هم اصحاب النار وذكر في
اية اخرى ان الملائكة اصحاب النار لا الملائكة لكنه ذكر الملائكة اصحاب النار لما يتولون تعذيب الكفرة فيها
فسماهم بذلك وذكر الكفرة اصحاب النار لانهم هم المعذبون فيها والملائكة معذبوهم بها والله اعلم وقوله
الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه قد ذكرنا ان قوله الم انما يفتتح به الاعجوبة كقوله الم تر الى ربك كيف مد
الظل وقوله الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وفيه اباحة التكلم في الكلام والمناظرة فيه والحجاج بقوله
حاج ابرهيم في ربه ورد على من منع التكلم فيه وذلك لانا امرنا بدعاء الكفرة جميعا الى وحدانية الله تعالى
والاقرار له بذلك والمعرفة له انه كذلك الانبياء باجمعهم امروا وندبوا لدعاء الكفرة الى شهادة
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فان دعوناهم الى ذلك لا بد من ان يطلبوا منا الدليل على ذلك والبيان
عليه والوصف له كما هو والتقرير عندهم انه كذا فلا يكون ذلك الا بعد المناظرة والحجاج فيه لذلك
قلنا ان الاحتباس بالتكلم والمناظرة فيه وفيه دلالة على اباحة المحاجة في التوحيد وفيه الاذن بالنظر في
النظر لانه حاجه لينظر والله اعلم وقوله ان اتاه الله الملك قال الاكثر ان قوله ان اتاه الله الملك هو ابرهيم
عليه السلام لا ذلك الكافر كقوله لا ينال عهدي الظالمين اخبر ان عهده لا ينال له الظالم والملك عهده
لكنه غلط عندنا لوجوه احدها ان ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه ما حاج بالملك والثاني ان الاية ذكر
في محاجة ذلك الكافر ابرهيم ولو كان غير ملك وكان ابرهيم عليه السلام وهو الملك لم يقدر المحاجة مع
ابرهيم عليه السلام وترك اذ لا محاجة الا عن ملك دل انه هو الذي كان الملك والثالث قال انا احيي وامي
ثم قيل انه جاء برجلين فقتل احدهما وترك الاخر فلو لم يكن ملكا لم يتأت له ذلك بين يدي ابرهيم اذ كان
ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه هو الذي اتاه الله الملك فدل ان المراد به ذلك الكافر ثم الملك يكون
في الخلق باحد امرين اما الفضل والشرف والعز والسلطان والدين واما من جهة الاموال والظفر عليها
والقهر والغلبة فان لم يكن له الملك من جهة الاول لكان له ذلك بفضول الاموال لذلك كان ما ذكرنا
والله اعلم قال الشيخ رحمه الله اعطى الملك ليمتحن به كما يعطي الغناء والنعمة فيمتحن بها وقوله اذ قال ابرهيم
ربي الذي يحيي ويميت وكان هذا من ابرهيم عليه السلام والله اعلم عن سؤال سبق منه ان قال له ذلك
الكافر من ربك الذي تدعوني اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت والا لا يحتمل ابتداء الكلام بهذا على غير
سبق سؤال كان منه وهو ما ذكر في قصة فرعون حيث دعاه موسى الى الايمان بربه قال فمن ربكما يا موسى
قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فعل ذلك الاول وقوله انا احيي واميت فقتل احدهما وترك
الاخر على ما قيل في القصة قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قال بعض
الجدليين هذا من ابرهيم عليه السلام صرف المحاجة الى غير ما كان ابتداء بها ومثله في الظاهر انقطاع وحيد عن
الجواب لان جوابه ان يقول انا افعل كما فعلت وان يقول له ان هذا الحي كان حيا ولكن احي هذا الميت لكنه صلوات الله
عليه فعل هذا ليظهر عجزه على الناس لان ذلك كان منه تمويها وتلبيسا على قومه اخذ قلوبهم فاراد ابرهيم
صلوات الله عليه ان يظهر عليه من الحجة ما هو اظهر واعجز له واخذ للقلوب والثاني اراد ان يريد ان هذا مما قدر
عليه بغيره اذ الذي لم يجعل له القدرة عليه لم يقدر عليه ثم لما ثبت عجزه في الاخرة والله اعلم وقيل بان هذا
من ابرهيم انتقال من حجة الى حجة ليس بانقطاع وهو جائز وقوله فبهت الذي كفر قيل انقطع وتحير وقوله
والله لا يهدي القوم الظالمين ذكر الظالم لان الظلم هو وضع الشيء في غير محله حيث هذا اللعين الحجاج في غير
موضعه وقوله او كالذي مر على قرية قيل هو نسق على قوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم وقيل نسق على قوله انا احيي
واميت لانه بذلك انكر البعث ثم اختلف في المار على قرية قال بعضهم كافر قال ذلك وقال اخرون لا ولكن قال

ذلك مسلم وقال اكفر اهل النا وبل هو عزير فان كان قائل ذلك كافرا فهو على انكار البعث والاحياء وان كان مسلما فهو على معرفة كيفية الاحياء ليس على الانكار وهو كقول ابرهيم عليه الصلوة والسلام رب ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى وليس لنا الى معرفة قائله حاجة انما الحاجة الى معرفة ما ذكر فى الاية والله اعلم وقوله وهى خاوية على عروشها قيل خالية عن سكانها وقيل خاوية ساقطة سقوفها عاحيطانها على سقوفها فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها هو على ما ذكرنا وقوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه اراد والله اعلم ان يرى الاية فى نفسه والاية هى اية البعث ويحتمل ان يكون الاية فى المتاخرين وقوله كم لبثت سئل منه جل وعلى الاجتهاد بظاهر الحال الذى ظهر عنده ليظهر انه اجتهد بدليل وتغيره على ما بدركه وسعه فبان ان المجتهد يحل له الاجتهاد بما يدرك فى ظاهر الحال وان كان حكم فيه الاجتهاد بالغيب قال الشيخ رحمه الله واراد بقوله كم لبثت التنبيه كقوله لموسى وما تلك بيمينك يا موسى ليريه الاية من الوجه هو اقرب الى الفهم متوجهة الاعجوبة فيه بوجهين مرة باماتة الحمار اذ من طبعه الدوام ومرة بابقاء طعامه ومن طبعه التغير والفساد عن سريع حمل فى بقاء طعامه وحفظه من الفساد اية ومن طبعه الفساد وفى احياء حماره بعدما مات ومن طبعه البقاء ما نادعته نفسه فى كيفية الاحياء فى بقية نفسه وقيل اوحى نفسه فاراه ذلك فى حماره وقيل انه اراه ذلك فى ولده لانه اتى شابا الى ولده شيوخ وذلك اية قال الشيخ رحمه الله فى قوله ثم بعثه قال كم لبثت الاية فان قال قائل كيف سأله عن لبثه وقد علم انه لم يكن علم به واتى ذلك اخباره بقوله لبثت يوما او بعض يوم قال قائل لبثت مائة عام قيل القول بكم لبثت يحتمل وجهين وكذلك القول بقوله بل لبثت مائة عام احدهما على قول الذى الية وتعلق اسمع هو والثانى ان يكون على جد تنبه نفسه عن لبثه فى حال تأمل فى ذلك احوال نومه واخذ عما عاين من احوال الوقت الذى كان فيه مما كان ابتداء وقت نومه فقال بل الذى ذكرتم لما تأمل شان الحمار واستخبر عن الاحوال قالت له نفسه بل لبثت مائة ثم انعم نظره فى حماره وما راى من تغير احواله وان شاء الله تعالى على ما ذكر وكل ذلك تحرعما حدثته نفسه هى بعيدة على التفكر فى احواله والتظر فيما عاين من امر الحمار وكان علم ان ذلك موت فيه لكنه استقل ذلك باشهد نفسه لما عاينتها على ما كانت عليها فلما تأمل شان حماره علم انه رفع الى ايات عجيبة فرجع الى الله تعالى بالذى وصف فى القران والله الموفق ولو كان على قول فان فى السؤال عما يعلم السائل يجهل المسؤل وجهين احدهما الامتحان على ما به ظهور احوال الممتحن من الاجتهاد فى تعريف الحقائق بالاستدلال والخضوع له بالاعتراف بقصوره عن الاحاطة به كفعل الملائكة عند قوله انبئونى باسماء هؤلاء بقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا والاول كما فعل صاحب هذا انه قال يوما او بعض يوم ومثله امر اصحاب الكهف والله اعلم والثانى ان يراد بالسؤال التقرير عنه ومتيقنا لما يراد به الاطلاع على الاية كما قال لموسى وما تلك بيمينك يا موسى الاية وهذا فيما كان السؤال فى الظاهر خارج فى الحقيقة مخرج المحنة نحو ما ذكرنا فى امر الملائكة وامر موسى عليه السلام فان السؤال الذى هو فى حق السؤال انما هو فى حق الاستخبار ليعلم ما عليه حقيقة الحال بالسؤال لكن الذى ذكرت فيما كان سبيله ان يكون من له الامتحان ولا قوة الا بالله وقوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه قيل لم يات عليه السنون نامى كانه لم يات عليه السنون وقيل لم يتسنه لم يتغير ولم ينتن والاول اشبه لانه يقال من التغير ولتنتن لم يتسن وقوله وانظر الى طعامك كيف ننشزها وهو من الاحياء بالراى وهو من الارتفاع والنصب وفيه لغة اخرى ننشرها وهو من الاحياء وننشرها من النشر وقوله فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شئ قدير بالنصب صرف قوله انى يحيي هذه الى المسلم ومن قرء بالخفض صرفا الى الكافر يقول الله اعلم ان الله على كل شئ قدير ويحتمل ان يصرفها الى المسلم واعلم على الاخبار كانه قال ما كنت اعلمه غيبا شاهدته وفى هذه الايات اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان هذه القصص كانت ظاهرة بينهم ولم يكن له اختلاف اليهم ولا النظر فى كتبهم ثم اخبر على ما كان ليعلم انه انما علم ذلك بالله عز وجل ثناؤه وقوله واذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال بعضهم كان ابرهيم عليه السلام مؤمنا بالله يحيي الموتى ولكن احب ان يعاين ذلك لان الخبر لا يكون عند ابن ادم كالعيان على ما قيل ليس

الخبر

الخبر كالمعاينة وقيل يحتمل سؤاله عما يبين لنا زعمته نفسه وحدثته فى كيفية الاحياء وقد تنازع النفس وتحدث بما لا حاجة لها اليه من حيث نفسه ليقع له فضل علم ومعرفة وقيل ليطمئن قلبى واعلم انك قد استجبت فيما دعوتك واعطيتنى الذى سألتك وقيل اولم تؤمن اى اولم توقن بالخلة التى جعلتك قال بلى سأل ان يريه على الخلة وقيل اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى بانك دعوتنى الذى اردتك ويحتمل ان يكون ابرهيم عليه السلام اراد بسؤاله ذلك ان يكون له اية حسية لان ايات ابرهيم كانت عقلية وايات سائر الانبياء كانت عقلية حسية فاحب صلوات الله عليه ان يكون له حسية على ما لهم كسؤال ذكريا ربه حيث قال رب اجعل لى اية قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا جعل له اية حسية فمن ذلك سؤال ابرهيم عليه السلام وقوله فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك معناه وجهين اليك كقول الرجل وجهك الى اى حول وجهك وروى فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه فصرهن اليك قيل هو التقطيع فقيل فصرهن اضممهن وقوله مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة الاية يحتمل ضرب مثل النفقة فى سبيل بالحبة التى ذكر وجهان احدهما ان يبارك فى تلك النفقة فيزداد ويلمو على مائة فى حبة واحدة فصارت سبع مائة واكثر والثانى قادرى الصدقة تتلف وتتلاشى فى ايدى الفقراء فقالوا كيف ربى وهى تالفة فقال تربى كما تربى الحبة فى الارض بعد ما تلفت فيها وفسدت فصارت مائة وزيادة فمن ذلك الصدقة فى طاعة الله والنفقة فيما يزكى وان كانت تالفة وقيل انها منسوخة بالفرايض لكن هذا لا يحتمل لانه وعد فى الاخرة والوعد لا يحتمل النسخ الا بعد نسخ عين الصدقة بغيرها فاما الوعد فهو حاله والله اعلم وقوله والله واسع عليم قيل غنى وقيل جواد يوسع على من يشاء وقوله الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله قال المفسرون انها دخول الجهاد بهذا والله اعلم لان عدوا اذا خرجوا لقتال المسلمين خرجوا الشيطان وسلكوا سبيله وطريقه والمؤمنون انما خرجوا سلكوا طريق الله تعالى وينصر اوليائه واوليائه كذلك كان التخصيص له لقولهم وان كان يحتمل ان يسمى الطاعات كلها والخيرات سبيل الله وطاعته كقوله الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله الاية وقوله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى قيل منا على اذاء للفقراء واذى له ثم قيل منه على الفقير عدم ما انفق عليه وتصدق واذاه ويوبخه عليه بذلك وانما منه على الله كقوله يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد ذكرنا وبينه فيما تقدم وقوله قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى قيل قول معروف كلام حسن يدعوا الرجل لاخيه بظهر الغيب وقيل قول معروف يستغفر الله لذنوبه فى السر ومغفرة له ويتجاوز عن مظلمة وقيل قول معروف الامر بالمعروف خير ثوابا عند الله من صدقة فيها اذى فان قيل كيف جمع بين قول المعروف ومغفرة وبين الاذى والمن فقال خير من كذا واحدهما خير والاخر شر وانما يفعل هذا اذا كانا خيرين فيقال ايهما خير قيل معناه والله اعلم هذا خير لكم من ذلك وهو كقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فى دنياكم وان لم يكن اللهو والتجارة من جنس ما عند الله فمن ذلك الاول ويحتمل الاية على الابتداء لا على الجمع هذا خير وهذا شر قال الشيخ رحمه الله ووجه ذلك ان الصدقة قربة وهى خير فاذا اتبعها الاذى ابطلها فيكون قول معروف اى رد جميل السائل خير من اجابة فى البذل ثم الرد بالاذى لان هذا ينفى وان كان لا ينتفع به الاخر والصدقة لا وان كان ينتفع بها الفقير والله اعلم وقوله والله غنى عن صدقاتكم حليم لا يعجل بالعقوبة عليكم بالمن والاذى ان يقول للسائل خذه لا بارك الله فيه لك وقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ما ذكرنا من جهة البطلان والله اعلم ان الله عز وجل وعد لمن تصدق الثواب عليها بقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقال واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه وقال فى اية اخرى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وان كانت تلك الاموال فى الحقيقة له اعطاهم الثواب على ذلك فاخبران من اعطى اخر شيئا ببذل لا يمن عليه كالمبادلات التى تجرى بين الناس ان لا يكون لبعض على بعض جهة المن اذا اخذ بدل ما اعطاه او ان يقال ان الاموال كلها لله تعالى فانما اعطى اخر ما له لا يستوجب ذلك حمدا ولا منا ثم اختلف فى قوله كالذى ينفق ماله رئاء الناس قال بعضهم هم منافقون كانوا ينفقون اموالهم رئاء دليله قوله ولا يؤمن بالله واليوم الاخر شبه الصدقة الذى فيها من واذى بالصدقة التى فيها رئاء والله اعلم وقوله ان الصدقة التى فيها من واذى

لم يبتغ بها وجه الله وجد الله مكانا لصدقته التي يتبعها الزيادة لا يبتغي بها وجه الله تعالى عز وجل والدار
الآخرة ثم ضرب المثل للصدقة المبتغى بها الرياء والصدقة التي يتبعها المن والأذى بالصفوان الذي عليه تراب
وهو الحجر الأملس فقال كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا قيل الوابل المطر الشديد العظيم القدر وفي
ضرب الأمثال تعريف ما غاب عن الأبصار بما هو محسوس وذلك أن الصفوان الذي به ضرب المثل والتراب محسوس
ومن التراب يحصل الأغذية للخلق والدواب ثم الثواب الذي وعد للصدقة ليس بمحسوس بل هو غائب فعرف
الغائب بالمحسوس فقال لما كان التراب الذي به يكون الأغذية يذهب بالمطر الشديد حتى لا يبقى له أثر فكذلك
الثواب الذي يكون للصدقة يذهب ويتلاشى حتى يبطل بها بالمن والأذى والرياء كما أذهب المطر التراب الذي
على الصفوان فصار صلدا لا شيء عليه من التراب وقوله والله لا يهدي القوم الكافرين قالت المعتزلة لا
يهدي القوم الكافرين بكفرهم الذي اختاروا وقلنا نحن لا يهدي وقت اختيارهم الكفر ويهديهم الإيمان
وفي قوله قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وله وجه آخر أن يحتمل قوله معروف هذه
التسبيحات والثناء والحمد والمغفرة ستر ما ارتكب من المأثم وقوله خير أي أحب إلي لبذل من صدقة تتبعها
أذى والله أعلم وقوله ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم الآية في
الأمثال التي ضربها الله تعالى وذكرها في القرآن وجوه أحدها جواز قياس ما غاب من الحكم عن المنصوص
إذا جمعهما معنى واحد والثاني أن علوم المحسوسات والمشاهدات هي علوم الحقائق وهي الأصول التي بها يستدل
ويتوصل إلى معرفة الغائب والثالث فيها إثبات رسالة محمد أفضل الصلوات وأكمل التحيات وذلك أن
العرب لا يضرب الأمثال ولا كانت تعرفها في أمر التوحيد وتعريف ما غاب عن حواسهم من أمر القيمة ونحو
ذلك ثم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل الفرقان وذكر فيه الأمثال ليذكرهم ثم أن الأمثال
ليعلموا أنه إنما عرفها بالله عز وجل لا أنه أنشأ هذا القرآن من تلقاء نفسه وذلك من آية نبوته ورسالته ومع
ذلك جعل عدم الكتابة وإنشاء الشعر من آيات نبوته ورسالته ولأن من عادة العرب إنشاء الشعر
والكتابة ويفضلون أربابها على غيرهم لئلا يعرف هو بها ويقولون أنه أخذ من الكتب واختلق من نفسه
كقوله تعالى ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون والرابع فيها دلالة أن الله على خالق الدنيا وما فيها
من المحاسن والخبائث والأعالي والخسائس حيث ضرب مثل الرفيع بالرفيع والخسيس بالخسيس فدل أنه خالق
هذه الأشياء كلها هو الله تعالى لا شريك له ولا شبيه ثم شبه الصدقة التي هي لله عز وجل مرة بالربوة من
من الأرض وهي المرتفعة منها ومرة بالحبة التي تنبت كذا وكذا سنبلة وفي كل سنبلة كذا كذا حبة ومرة
بالأضعاف المضاعفة كقوله فيضاعفه له أضعافا كثيرة فهو والله أعلم لما علم عز وجل رغبة الناس مرة في
العدد في الدنيا ومرة في البساتين المرتفعة أرضها وتربتها ليشرفوا على غيرهم من الخلائق والبقاع ومرة
في الكثير من الأشياء والعظيم منها رغبهم عز وجل في الصدقة بما ذكرنا من الأشياء لعلمه برغبتهم فيها
ليرغبوا في ذلك والله أعلم وعلى ذلك حرم الله تعالى الصدقات على رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه كان يرغب
الناس في الصدقة لئلا يظنوا فيه ظن السوء ويقولون أنه إنما يرغبهم فيها لينتفع هو بها وقوله تثبيتا من
أنفسهم قيل تصديقا كقوله فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى وقيل تثبيتا أي يقينا بالإسلام يتثبتون في
مواضع الصدقة وقيل تثبيتا في الصدقة إذا كانت لله أمضى وتصدق بها وإن خالطه شيء أمسك والله أعلم
وقوله كمثل جنة بربوة قيل الربوة المرتفع من الأرض وقيل الظاهر المستوي من المكان وقوله فآتت أكلها
يعني الجنة ضعفت في ثمرها في الحمل ضعفين حين أصابها والجني كذلك الذي ينفق ماله لله في غيره من يرى بها
يضاعف نفقتها كثرت النفقة أو قلت وقيل يضاعف الله المنفق الأجر مرتين وقوله فأصابها وابل قد ذكرنا
أنه المطر الشديد العظيم القطر وقوله فطل والطل هو المطر الضعيف وقيل هو الطش من المطر وهو
الرذاذ مثل الندى لا تزال الجنة خضرا دائما ثمرها أقل أو أكثر وقوله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل و
أعناب الآية ليس لهذا الخطاب جواب لأن جوابه أن يقول يود أو لا يود ولكن الخطاب من الله تعالى يخرج على وجوه
ثلاثة خطاب يفهم مراده وقت قرعه السمع وخطاب لا يفهم مراده إلا بعد النظر فيه والتفكر والتدبر وهو
وهو كقوله فلا يتدبرون القرآن وكقوله عز وجل ذلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ويعقلون
وخطاب لا يفهم مراده إلا بالسؤال عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من له علم في ذلك كقوله تعالى
فاسأل به خبيرا وكقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون فإذا كان ما ذكرنا فيحتمل أن ما نزل من

الجواب بالخطاب إنما نزل للطلب والبحث عنه والتفحص ثم إن هذا الخطاب يحتمل أن يكون في أهل النفاق وذلك
أن المنافق يرى من نفسه الموافقة لأهل الإسلام في الظاهر وهو مخالف لهم في السر وعنه أنه يستحق
الثواب بذلك وقت الثواب كان كصاحب الضيعة التي ذكرت في الآية أن صاحبها يغرس فيها الغرس وينبت
فيها النبات في حال شبابه وقوته ورجاء أن يصل إلى الانتفاع بها في وقت الحاجة والضعف فإذا بلغ
ذلك واحتاج حيل بينه وبين الانتفاع فيها فكذلك المنافق الذي كان دينه لمنافع في الدنيا وسعة لها
إذا بلغ إلى وقت الحاجة حرم ذلك وكذلك هذا في الكافر لأنه رأى بنفسه النفع بعمله لوقت تأمله ثم
كصاحب الضيعة ثم عند بلوغه الحاجة حرم عند ذلك لاعتراض من الآفة وهو كقوله تعالى والذين كفروا
أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الآية لأن الكافر بما يدين من الدين إنما يدين بما يرجى لينتفع
بما أمله في الدنيا والمؤمن إنما يدين لما يدين لينتفع بما أمله ويطمع في الآخرة فرجاء الكافر في غير موضعه لذلك
كان ما ذكر والله أعلم ثم الأمثال التي ضرب ينتفع بها المؤمنون لأن نظرهم في الأمثال من المعنى المدرج
والموعود فيها لم ينظروا إلى عين الأمثال لا إلى ما فيها فاستحقروها واستبعدت عقولهم ذلك
لذلك قال الآيات لقوم يتفكرون يعقلون ووجه ضرب هذا المثل وهو أن الكافر يحرم أجره عند فقره
وأحوج ما كان إليه كما حرم هذا نفع بستانه عند فقره وأحوج ما كان إليه حين كبرت سنه وضعف قوته ولا
حيلة له يومئذ وقوله إعصار قال ابن عباس الإعصار ريح فيها سموم وقيل الإعصار ريح فيها نار تحرق الأشجار
وقيل هي الريح تسطع إلى السماء وهي أشد قال الشيخ رحمه الله في قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة الآية معناه
والله أعلم أن يكون إذ لا يود أحد أن يكون له جنة ينال منافعها في وقت قوته وغناه بقوته عنها ويغيرها
من وجوه المعاش ثم يحرم نفعها لوقت الحاجة إليها بضعف بدنه وارتكاب مؤن الذرية فلذلك لا ترضوا
من أنفسكم في وقت قوتها وغناها الغفلة عنها لوقت حاجتها إلى الأعمال والاضطرار إلى ثوابها والله أعلم
وأن يكون المعنى من ذلك أن لا تغتروا بظاهر أحوالكم في الدنيا وبما تنالون من المنافع بالذي أظهرتم من
موافقة المؤمنين كما عشر من ذكرت بجنسه في خاص عنه ذلك لتلك الحال فيخرج ذا مثل ضرب المثل للمنافق
ويحتمل أن يكون ذلك مثل لمن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ممن يؤمن بالبعث أن الذي ينال بالكفر به من الرياسة
والعز كالذي ذكر من صاحب الجنة أنه لا يود ذلك الابتداء بما يعلم تلك العاقبة فكذا ما ينبغي أن يعلم لهم
عواقب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم أن يؤثروا الذي نالوا بعد علمهم بشرة تلك العاقبة والله أعلم
والمثل يخرج على غير ذكر الجواب فيه لما قد جرى له البيان لحمله بالمبعوث فيها أو بما في الحال التي نزلت له الآية
دليل التعريف أو بما أراد الله امتحان السامعين بالتأمل في الآية ليتبين لكل ذي عقله فضله وليكرم به
أهل التدبر في آياته فيصرف وجوه من دونهم إليهم في التعبد وعن دائهم والاعتماد على إشاراتهم والله
أعلم ووجه ذلك أن أفعال ذوي الاختيار يكون للعواقب وما إليه مرجع الفاعل مقصودا في الابتداء
فيبين لمن أغفل عنه بالذي عرف من خبره المسرور بجنته انكشف له عاقبتها حتى لعله يود أنه لم يكن
تلك ليكون سروره بما يحمد عاقبته فمن هذا الأمر الأفعال التي تغفل عن عواقبها إذا صار إليها والله
الموفق وقوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض فيه دليل وجوب
الزكوة في أموال التجارة بقوله ما كسبتم لأن أموال التجارة هي التي تكسب وليس في كتاب الله وجوب الزكوة
في أموال التجارة في غير هذا الموضع وليس فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ذكر عن بعض
الصحابة رضي الله عنهم القول به فيحتمل أن يكون ما قالوا بهذه الآية وأما زكوة الفضة والذهب والمواشي
لها ذكر في الكتاب والسنة والزكوة تجب فيها لعينها اكتسب فيها أو لم يكتسب وأما أموال التجارة فإن
الزكوة تجب فيها بالاكتساب وفيه دليل أن النفقة المذكورة فيه لازمة واجبة لأنه قال إلا أن تغمضوا
فيه ذكر الإغماض لا يذكر في المعروف إنما يذكر في اللازم والواجب الذي لا يخرج له عنه إلا بالأداء والإغماض
عفو وصفح والرضا بدون الحق ثبت أنه على اللزوم وفيه دليل وجوب الحق في الرطاب والخضرات لأنه ذكر
في الآية الحبوب والرطاب مما يخرج من الأرض وأما الحبوب وإنما يخرج من الأصل الذي من لدن كالرطاب
والخضرات أولى بوجوب الحق من غيره بظاهر الآية قال الشيخ رحمه الله والوجوب في الحبوب بما كانت تخرج
عن الحقوق بظاهر هذه الوجوب في التي تخرج من الأرض وأما أبو يوسف ومحمد رحمهما الله فإنهما قالا لا يجب
قوله أخرجنا لكم من الأرض يعني من الأصل الذي يخرج لكم من الأرض كقوله قد أنزلنا عليكم لباسا يواري

ولا ينزل من السماء اللباس كما هو ولكن اراد الاصل الذي به يكون اللباس وكذلك قوله خلقكم من تراب
وهو لم يخلقنا من تراب وهو لم يخلقنا من التراب وانما الاصل من التراب وهو ادم عليه السلام فمثل ذلك
الاول والله اعلم والوجه منه انه من الله علينا بما اخرج لنا من الارض من انواع ما اخرج بحبه تلقى
في الارض فيفسد فيها فيخرج منه النبات بلطفه لا صنع لاحد فيها وتلك المنة لا يكون على اربابها خاصة
دون الفقراء كهي على اربابها لانه اخرجه رزقا للكل فيستحق الفقراء والاغنياء جميعا ومن ثم جاز
وجوب العشر على الصغير الا ترى الى قوله افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون فبين انهم
ينبتونه ام نحن المنبتون وانما بعد النبات فيشترك العباد فيه بالسقي والحفظ وغيره لذلك كان ما ذكرنا
والله اعلم وفي قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه دلالة على ان
لا يتصدق بالردي عن الجيد فاذا تصدق به يلزمه فضل ما بين الردي الى الجيد على قول محمد رحمه الله تعالى
قوله ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يجوز ولا يجب اداء ذلك وذلك ان
الله تعالى اطمع الناس فيه بدل ذلك اذا تغامضوا فهو احق ان يطمع فيه القبول لكرمه ولطفه ولانه
ليس لصفة بكال ويوزن من وقوعه فيه لا يلزمه فضل لصفة وقوله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء قوله يعدكم الفقر في الدنيا بالتصدق والانفاق ويامركم بالفحشاء بترك الصدقة ويحتمل
يعدكم الفقر في الدنيا بطول الامل وفناء المال ويامركم بالفحشاء بسوء الظن بربه والله يعدكم مغفرة
بالصدقة وفضلا وذكرا في الدنيا ويحتمل قوله والله يعدكم مغفرة في الاخرة وفضلا في الدنيا
يعني خلفا وقيل مغفرة لكم وفضلا لمفقركم وقوله والله واسع عليم اي غني يقدر اخلاف ما انفقتم
عليهم بجزاء صدقاتكم ويحتمل ما تنفقون من الصدقة والحبة وفي قوله والله واسع عليم وغني حميد
ونحوه ليعلموا انه انما رغب الناس على الصدقات والنفقات ابتلاء ومحنة منه لا لحاجة وفقر وقوله
يؤتي الحكمة من يشاء قيل الحكمة في هذا الموضع معرفة القران وتفسيره وهو قول ابن عباس رضي
الله عنه وكذا روي مرفوعا وقيل الحكمة الفهم في القران وقيل الحكمة الفقه وقيل النبوة وقيل الحكمة
هي الاصابة وفيه دليل جواز الاجتهاد وانه مصيب في اجتهاده قال الشيخ رحمه الله في قوله يؤتي
الحكمة من يشاء اختلف في تاويل الحكمة في هذه قال قوم هي القران وهو على ما وصفه نورا وهدى ورحمة
وشفاء والنور هو الذي يبصر به حقائق الاشياء وبالهدى يدرك كل وثيق كل تلف وبالروح يحيى كل
ذي روح وبالشفاء يبرئ كل سقيم ويزال كل افة والذي هذا وصفه هو الخير وبالله المعونة و
قال قوم الحكمة هي الاصابة بحقيقة كل شيء وينال كل خير وذلك هو الخير الكبير وبالله العصمة و
قال بعضهم الحكمة هي السنة كانه اكرم رسوله صلى الله عليه وسلم بالذي سلكه نجا ومن حاد عنه هلك
وفي الاصل قيل الحكمة في التحقيق وضع كل شيء موضعه ودفع كل حق الى مستحقه وقيل هي من احكام الامور
واتقانها وذلك مقارب لما يضاد الحكمة السفه وهو في العقل والاضطراب في الامور والله اعلم وقال
قوم الحكمة في القران هي فهم الحدود والشرائع وهو الذي به يدرك الموافقة والمخالفة من طريق الحقائق
لا من طريق الظواهر وذلك عمل الحكماء ورعاة الدين ولا قوة الا بالله وقال قوم هي الفقه والفقه معرفة
الشيء بمعناه الدال على نظيره وهو الذي يوصل الى معرفة الغائب بالشاهد والغامض بالظاهر وفرع
بالاصل ولا قوة الا بالله اي هذه الوجوه كانت الحكمة بذلك يجمع خير الدارين لو حفظ حقه والذي هذا
وصفه فهو الخير الكثير وبالله المعونة وفي الاية دلالة ان الله لا يولي كلا الحكمة وان الحكمة وان كانت
فعل الحكيم فباعطاء الله تعالى اياها وانه لا يجوز ان يعطيها احد ثم لا ينالها المعطى وهذه الوجوه كلها تخالف
راي المعتزلة وقوله فقد اوتي خيرا كثيرا من حفظ النفس في الدنيا عن جميع الافات وفي الاخرة عن
دفع العقوبات وما يذكر الا اولوا الالباب يعني ما يتعظ بما ذكر الا ذوو الفهم والعقل وفي الاية نقض
على المعتزلة لانه قال يؤتي الحكمة من يشاء ثم قال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكل احد تؤتى
بعضا دون بعض فلو كان على الله تعالى ان يعطي الاصلح في الدين لكان يؤتي الكل ويبطل الفضل ومن قال
يؤتى غيرها فكان خلاف ما في الكتاب وقوله وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر يحتمل نفقة المحارم
ويحتمل النفقات التي تجري بين الخلق ويحتمل المفروض من الصدقات ويحتمل غيرها ثم روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله او نذرتم من نذر قال النذر لم يسم فكفارته كفارة يمين

ومن نذر نذرا في المعصية كفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لم يطقه كفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا اطاقه
فليف به فيه تنبيه وتذكير ان الله يعلم ما في قلوبهم وينذرهم ليخلصوا في النفقة ويخلصوا وفوا النذر وقوله
فان الله يعلمه قيل يقبله وقيل يامر بالوفاء له ويحتمل قوله يعلمه اي يعلم ما وفيتم فيه فيجزيكم على ذلك
ويحتمل يعلم ما اردتم بصدقاتكم ونذوركم وقوله وما للظالمين من انصار في الاخرة يعني يجيرهم من
العذاب وقيل ما للظالمين من شفيع يشفع لهم وناصر ينصرهم لانهم ما نصروا الاولياء في الدنيا ليعينهم
وقوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال بعضهم هي الفريضة
وقال اخرون هو تطوع وهو اوجه وقال غيرهم قوله ان تبدوا الصدقات هي الفريضة وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء هي التطوع قال الشيخ رحمه الله يحتمل اخفاءه في التطوع والابداء في فرض لما اخبر في الاخفاء
انه اخير ولا يكون التطوع خيرا من الفريضة ومن حمله على الفريضة يستحب ان يظهروا الزكوة المفروضة ليقتدى
به ويرغبوا الناس عليها ومنهم من يستحب الاخفاء ابتداء ويظهرونه في الانتهاء شيا ان الصدقة نفسها والا
فتداء وفي الاخفاء وجوه احدها الصدقة ان الاخر شرك المراة وسلامه منها والثالث الكف عن المن والاذى
ومنهم من حمل قوله ان تبدوا الصدقات على الفريضة وان تخفوها على التطوع وذهب الى ان الفريضة ليس
فيها الرياء لانه لا شيء فيه فضول فيها الابتداء والاظهار واما التطوع ففيه الرياء لانه معروف
ليس عليه والاخفاء له واسلم والله اعلم وقوله والله بما تعملون خبير فيه وعيد وتحذير انه يعلم ما
تسرون وما تعلنون في الصدقة ويحتمل تعملون خبير من جزائكم للصدقة قال ابن عباس رضي الله
عنه في قوله ان تبدوا الصدقات الاية جعل الله تعالى صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا
وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرائض والنوافل
في الاشياء كلها وفي بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصدقة السر تطفي غضب الرب وصنائع
المعروف تدفع مصارع السوء وصلة الرحم تزيد في العمر عن الحسن قال الابتغاء على العمل وذلك ان العبد
ليعمل العمل سرا فيكتب له عمل السر فلا يزال به الشيطان حتى ينسخ من عمل السر الى عمل العلانية ثم لا يزال به
الشيطان حتى يحب ان يحمد ويكتسب من عمل العلانية في الرياء وقوله ويكفر عنكم سيئاتكم فيه دليل ان من
السيئات ما يكفرها الصدقة ومنها ما لا يكفر وقيل من هنا صلة فيه اطماع تكفير السيئات كلها بالصدقة
كقوله ان الحسنات يذهبن السيئات وهو نقض على المعتزلة لانهم لا يرون تكفير الكبائر بغير التوبة
عنها ولا التعذيب على الصغائر فاما ان كانت الاية في الكبائر فيبطل قولهم لا يجوز بغير التوبة او
في الصغائر فيبطل قولهم انها مغفورة اذا وعدت بالصدقة لانهم يخلدون صاحب الكبائر في النار
والله تعالى اطمع له تكفير السيئات كلها بالصدقة والله الموفق وقوله ليس عليك هديهم ولكن الله
يهدي من يشاء اخبر انه ليس هداهم وعليه البيان والتبليغ فدل ان هداه غير هدى البيان وذكر
وهو التوفيق على الهدى والتحقيق له هذا يرد على المعتزلة وكذبهم لان كل الهدى البيان ولو كان كل الهدى
بيانا لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك ذلك انه عليه البيان فدل انه لا يملك الهدى مراد في الاية
فهو على ما ذكرنا من التوفيق ويحتمل قوله ليس عليك هديهم اي حساب ترك اهتدائهم كقوله ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وانما عليك وقوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم
خيرا عاجلا فلانفسكم يعني فلا نفسكم الثواب قيل قوله فلانفسكم يعني منفعة لكم وفي قوله وما
تنفقوا من خير فلانفسكم دلالة على انهم كانوا يتحرجون بالتصدق على قرابتهم من الكفار خشية ما
يقع من التعاون على ما اعتدوا من الدين والكاسب لكل اهل دين انما يقع من العقلاء فكانما ينفقون
به لاجل الذين فبين جل وعلا ان ذلك ينفع لكم ولانفسكم وتكفير ما ارتكبتم ثم في الاية دلالة جواز التصدق
على الكفار دليل جواز دفع الكفارات اليهم بقوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم فهو دليل لاصحابنا
لا نرجعن هذه الصدقة مكروهة وقوله يوف اليكم يعني يوفوا عليكم ثواب صدقاتكم وان كان التصدق
على الكفرة وقوله وانتم لا تظلمون في حرمان الثواب والجزاء وقوله للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
في سبيل الله يعني حبسوا بالفقر عن الجهاد كقوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج والعرب
تستعمل حروف الخفض بعضها في موضع بعض ويحتمل قوله احصروا في سبيل الله اي حبسوا انفسهم في طاعة الله
لا يجدون ما يتجرون ولا يحترفون ولا ما يكتسبون وقوله لا يستطيعون ضربا في الارض للتجارة وقوله لا

لا يسألون الناس إلحافا فيحتمل وجهين أي لا يظهرون السؤال أي لا يسألون كقوله لا تنفعهم شفاعة أي لا
يشفع لهم فإن كان على السؤال فإنهم إذا سألوا لم يلحفوا دليله قوله صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه بابا من
المسألة فتح الله عليه بابا من الفقر ثم ذكر في الخبر من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله إن كان في المعنى
فعيد باحد التعريضين بين يدي أهل الجود والسخاء وقوله تعرفهم بسيماهم يعني بسيماء التخشع وقيل سيماء
الفقر لا يسألون الناس إلحافا وقيل تعرفهم بسيماهم أي فيحسبهم لا يسألون الناس إلحافا أي إلحافا ولا غير
إلحاح وقوله الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم كذا قيل هي النفقة على الخيل المحبسة
للجهاد ينفقون ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها ولا اعتداد وعن علي وأبي بن أمامة رضي الله عنهما هي
النفقة في سبيل الله وعن ابن عباس رضي الله عنه قال في علف الخيل والنفقة عليها وقيل نزلت في نفقة
عبد الرحمن بن عوف في جيش العسرة وقيل نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لم يكن عنده من
المال غير أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم علانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي
حملك على هذا قال حملني أن أستوجب على الله الذي وعد فيّ فنزلت فيه هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس
ابن شماس الأنصاري فلا ندري فيمن نزلت وليس لنا إلى معرفة المنزول فيه حاجة سوى أنه وصفهم
بالجود والسخاء نفقتهم على الناس ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها ولا من ولا أذى وفيه نفي الرياء
من نفقتهم لأنه عود نفسه الفعل في جميع الأوقات لم يراء وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لأن
نعيم الدنيا مشوب بالحزن والخوف فأخبر أن نعيم الآخرة لا يشوبه حزن ولا خوف لذلك كان ما ذكر
والله أعلم وقوله الذين يأكلون الربوا قال بعضهم ليس على حقيقة الأكل ولكنه كان على الأخذ كقوله
وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه فإذا كان هذا على الأخذ فقوله تعالى لا يقومون إلا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس هو على التمثيل ليس على التحقيق فأما الآخر هو على نفس الأكل وما ذكر من العقوبة
لما أكلوا من الربوا لا يقوم يوم القيمة كما يقوم المجنون المختنق وقال غيرهم ذلك لاستحلالهم الربوا و تخبطهم
[illegible] وعدهم في الحكم في تحريمهم الربوا بقولهم قالوا إنما البيع مثل الربوا ثم جوز لهم ذلك بأنهم قالوا
إنما البيع [illegible] الربوا فيه دليل جواز القياس في العقل لأنه لو لم يكن في العقل جواز لم يكن لقولهم إنما البيع
مثل الربوا معنى لكنهم لم يعرفوا معنى المماثلة المماثلة على الوجهين مماثلة أسباب ومماثلة أحوال فالمماثلة
التي هي مماثلة أحوال هي ابتداء محنة في العقل لا يقاس على غيره نحو أن يقال لأحد وأن يقال لم لا يقاس القيام
على القعود ولا القعود على القيام إنما هو محنة لا يلزم غير المخاطب به وأما مماثلة الأسباب فهي
مماثلة الأحوال نحو أن يقال لم حرم السكر في الخمر فحيث ما وجد السكر يحرم لأنه يجيء على العقل فكل شيء يجيء منه
فهو محرم التناول منه وقوله إنما البيع مثل الربوا يقولون لما جاز أن يباع ثوبا يساوي عشرة بأحدى عشرة
كيف لا جاز أن يباع عشرة بأحدى عشر وقيل كان الرجل منهم إذا حل ما له على صاحبه طالبه فيقول المطلوب
للطالب زدني في الأجل وأزيد لك على مالك فيفعلان ذلك ويقولون سواء إذا قيل لهم هذا ربوا قالوا هي
سواء الزيادة في البيع والزيادة عند محل البيع فأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال ليس هكذا ويحتمل فيه
ابتداء محنة أن حل ما هو بيع لا ما هو ربوا ثم قوله تعالى وأحل الله البيع وحرم الربوا فقائل يقول إن
المحرم منه قدر الربوا وأما العقد فإنه يجوز لما ليس فيه ربوا لكن الأصل عند أصحابنا أن الدرهم الزائد يأخذ
كل درهم من العشرة قسطا منه وجزءا من أجزائه كل درهم منه فلا سبيل إلى إمضاء العقد لأخذ أجزائه كل
درهم من الذي فيه العقد وهو ربوا وفيه وجه آخر وهو أنه ختم الكلام على قوله وإن تبتم فلكم
رؤس أموالكم ولا يرد رأس المال في العقد قد مضى ثم معرفة الربوا من غير الربوا إنما يعرف بإرادة
بدل ثم فيه دلالة أن حرمة الربوا كان ظاهرا عندهم حتى حكوا وكان حرمته فيما بينهم كهو فيما بين أهل
الإسلام لذلك قال أبو حنيفة رضي الله عنه أن لا يجوز بيع الربوا فيما بين أهل الإسلام وبين أهل
الذمة وعلى ذلك خرج الخطاب منه عز وجل بقوله لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة وقوله فمن جاءه موعظة
من ربه قيل بيان تحريم الربوا وقيل فمن جاءه نهي في القرآن من ربه في تحريم الربوا ويحتمل الموعظة
هي التذكير لما سبق منه فيتذكر فيرجع عن صنيعه وقوله فله ما سلف قيل فيه بوجهين قيل ما سلف له
في الجاهلية صار مغفورا له وهو كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل قوله ما سلف ذلك
أن الكافر إذا تاب ورجع عن صنيعه يرجع إلى أن يعود إليه إلى فعله أبدا ويندم على كل سيئة ارتكبها

يمحق

يمحق الله كل سيئة كانت منه حسنة وهو كقوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله وأمره إلى الله
في حادث الوقت إن شاء عصمه وقوله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون استدلت المعتزلة بها على أن
أهل الكبائر لا يخرجون من النار [illegible]
الاستحلال مما يدل عليه قوله والله لا يحب كل كفار أثيم [illegible]
لكن لأن العود وقوله يمحق الله الربوا ويربي الصدقات قيل [illegible] ولكن أصل المحق هو رفع
البركة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات الآية ظاهر وقوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا إن كنتم مؤمنين
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قال أصحابنا رحمهم الله أن فوت القبض عن البيع يوجب فساد العقد كما كان فوت قبض الربوا في ذلك العقد
مع قبض الربوا الذي يدل عليه قوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم وأوجب الفسخ فيه حتى أوجب رد رؤوس الأموال
وفي الآية دليل وجه آخر وهو أنه جعل حدوث الحرمة المانعة للقبض يرتفع به العقد في فساد العقد فمن ذلك يجعل
حدوث شيء نحو عقد معقود قبل القبض كالمعقود عليه فاستحق حصته من الثمن وقوله وذروا ما بقي من الربوا
قوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم فيه دلالة أن ما جرى بين أهل الإسلام وأهل الحرب من المبايعات والعقود
ثم أسلموا يرد وما أخذوا قبل الإسلام لا يرد وذلك أن الربوا الذي قبضوا قبل الإسلام لم يؤمر برده فعلى ذلك
ما أخذوا قبل أخذ الإسلام لم يجب رده ورأس المال فإنما أخذوا للرد فعلى ذلك ما أخذ بعضهم من بعض
دينا أو قرضا وجب رده ففيه دليل بقول أصحابنا رحمهم الله بما ذكرنا والله أعلم وقوله فإن لم تفعلوا
فأذنوا بحرب من الله ورسوله عن ابن عباس رضي الله عنه قال فمن كان مقيما على الربوا مستحلا له لا ينزع
عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع عنه وإلا ضرب عنقه وقوله فأذنوا فيه لغتان بالقطع و
الوصل فمن قرأ بالقطع فهو على الأمر بالإعلام المستحيلة أنه يصير حربا له بالاستحلال ومن قرأ بالوصل فهو
على العلم كأنه قال للمؤمنين إنه حرب لنا وقوله لا تظلمون ولا تظلمون عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله وإن
تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون أي لا تظلمون فتربون ولا تظلمون فتنقصون وقتادة رضي
الله عنه يقول يبطل الربوا ويبقى رؤوس الأموال وقوله وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة عن ابن
عباس رضي الله عنهما إلى ميسرة قال هذا المطلوب وهو في الربوا وفيه دلالة جواز المقلب في البيع
الفاسد لأنه جعل لأرباب الأموال النظرة إلى ميسرة من عليه المال فلو كان له حق أخذه حيث ما وجد
بعدما تناسخت الأيدي أو كان له حق تضمين من هو غني لم يكن لإنظار العسر إلى وقت الميسرة معنى و
لكن يختار تضمين أيسرهم وأغناهم إذا كان يقدر فله خصومة وإذا كان شرط سقطت الخصومة كما قوله
في الذي عن معسرا أو عن أجل ثم النظر بالاختيار ممن له الحق لأنه يكون هكذا شاء هو وإلى دليله قوله
صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق اليد واللسان أما اللسان فيتقاضاه وأما اليد فيلزم ذمه بها ويحبسه لكنه
إذا أجل فقطع على نفسه حق اللسان واليد إلى أن يمضي ذلك الوقت ثبت له حق اللسان واليد وقوله
وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون يعني برؤوس الأموال إذا ظهر إعساره وعن الضحاك قال في قوله وأن
تصدقوا خير لكم قال أخذ رأس المال أحسن وتركه أحسن وإنما الصدقة على المعسر فأما على الموسر فلا وفيه
دليل جواز صدقة الدين وهبته ممن عليه دين وهو الأخير له إذا ظهر إعساره وفقره والله أعلم وقوله
واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية قال عامة أهل التأويل إن هذه الآية آخر ما نزلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم كذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فإن ما ذكروا فهو والله أعلم أنه رغبهم في ذكر
ذلك اليوم لما في ترك ما ذكر بطول الأمل وطول يورث الحرص ويورث البخل ويشغله عن إقامة العبادات
والطاعات فإذا كان كذلك فأحق ما يختم القرآن هذا البلاغ يتركوا ذكر ذلك اليوم فيستقلوا عن

منزلة فالجزاء والله اعلم قال الشيخ رحمه الله بصير كانه قال اتقوا وعيده تعالى وجميع ما يعدكم وما الزمكم
من الحق وقوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فيه دليل جواز السلم من قوله اذا تداينتم بدين
لان المداينة هو فعل اثنين وهو السلم نفسه لانه دين من الجانبين جميعا وعلى ذلك روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اشهد ان السلم المضمون مما اجازه الله تعالى في كتابه
الكريم ثم تلا هذه الاية فاما الخبر الذي جاء انه نهى عن الدين بالدين فان ذلك على فوت القبض فيه
دليل جواز ما كان دينا بدين اذا قبض احد الجانبين وقال اخرون قوله اذا تداينتم بدين هو
بيع كل دين الى اجل مسمى فهو يسمى التداين كما يسمى البائع والمشتري المتبايعان لان كل واحد
منهما بائع في وجه ومشتر في وجه فعل ذلك المداينة والتداين والله اعلم وقوله الى اجل مسمى فالعرف
في الاسلام عند الناس ان لا يخلو عن الاجل فصار الاجل بالعرف شرطا في جواز السلم وان لم يوجد
لان الرجل لا يسلم السلف ليؤديه حالة الاسلاف لان الحاجة هي التي تحمله على الاسلاف فهو انما يسلف
ليؤديه في وقت ثان لانه لو كان عنده حاضرا لا يحتاج الى غيره ولكنه يبيعه فيصل الى حاجته ولا
يتحمل المؤنة العظيمة فصار بالعرف كانه باجل فيفسد لترك بيان الاجل والله اعلم وعلى ذلك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم ثم امر عز وجل
بالكتاب في التداين بقوله فاكتبوه وذلك والله اعلم لانه وصل الى حاجته بقبض راس المال والاخر لم يصل
فلعل ذلك يحمله على انكار الحق والجحود فامر عز وجل بالكتابة احترازا عن الانكار وجحود الحق لانه اذا تذكر
انه كتب واشهد عليه يرتدع عن الانكار والجحد فهو كما ذكرنا في قوله ولكم في القصاص حيوة لانه اذا
ذكر انه يقتل ارتدع عن قتل غيره فكذلك انه اذا ذكر انه مكتوب عليه يمتنع عن الانكار والجحود لما يخاف
ظهور كذبه وفضيحته على الناس والله اعلم ولا كذلك مع العين لان كل واحد منهما لا يصل الى حاجته لانما
يصل به الاخر فليس هنالك للانكار معنى لذلك لم يؤمر بالكتابة في بيع الاعيان وامر في المداينة والله
اعلم ويحتمل الامر بالكتابة في التداين وجه اخر هو انه يجوز ان ينسى فينكر ذلك او ينسى بعضه ويذكر
بعضا فامر بالكتابة لئلا يبطل حق الاخر بترك الكتابة ولا كذلك بيع العين لذلك افترقا قال الشيخ
رحمه الله والنسيان يعقب التنازع والمنازعة يوجب التخالف وفيه الفساد فامر بالكتابة لدفع ذلك وللوفاء
بالحق ودفع الخصومات والله اعلم ولا يحتمل ان يفرض الكتابة واكثر ما فيه ان يحفظ الحق ومن له
تركه كذلك ان لا يعتقد مما ليست في عقد او نسخ فيتكلم فيها بوجوب واختيار وانما هي للحق فلذلك فعل
ذلك والله اعلم ثم اختلف في الكتابة قال بعضهم هي واجبة لازمة واستدلوا على وجوبها بقوله
الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها اخبر برفع الجناح في التجارة
الحاضرة فلو كانت في المداينة غير واجبة لم يكن لدفع الجناح فيها معنى فدل انها لازمة في المداينة
حيث دفع الجناح منها واما عندنا فهي ليست بواجبة لانه قال عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا
كاتبا فرهان مقبوضة ثم امر قال فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته ذكر الرهن بدلا عن
الكتابة ثم ذكر ترك الرهن بالائتمان فاذا كان له ترك الاصل [illegible] بالائتمان هو بدل الكتابة فعل ذلك
ترك الكتابة بالائتمان اذ اصله معروضا لم يحتمل ترك بدله بالائتمان فاذا ذلك له دل انه ليس بمعروض
ولا لازم والله اعلم وقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل فهذا لان الكاتب مأمون عليه فهو ذي حق ما
يلتمس منه لا يزيد على ما املي عليه بالنصيحة واداء الامانة وهكذا الواجب على كل محكم بين اثنين ان
يحكم بالعدل والنصيحة واداء الامانة كقوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل كقوله يحكم به
ذوا عدل منكم وكقوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب
قال بعضهم هذا وذلك ان الكتبة كانوا في صدر الاسلام قليلا فنهوا عن ترك الكتابة اذ في ذلك
بطلان حقوق الناس وذهابها واما اليوم فلا باس بالاباء عليها لم يجد من يكتب له بالاجر فلو [illegible] يبطل
حقه وفيه وجه اخر هو ان قوله ولا يأب الكاتب اذا كتب بالعدل اي له ترك الكتابة لكنه اذا كتب
لا يكتب الا بالعدل والله اعلم وقوله كما علمه الله هو نقض على المعتزلة لانهم يقولون يكتب وان لم يعلمه الله
والله عز وجل اخبر انه يكتب بتعليم الله اياه ولو كان التعليم من الله اعطاء الاسباب لم يكن لقوله
وما علمناه الشعر معنى انه قد اعطى اسبابه والعدل ما ذكرنا ان لا يزيد على الحق ولا ينقص منه واصل

العدل

واصل العدل هو وضع الشيء موضعه وقوله وليملل الذي عليه الحق ما عليه وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا
ففيه دلالة على ان القول قوله قدر الحق حيث اوعد فيما املى الكاتب ان لا ينقص من حق الطالب شيئا وقوله فان
كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع قال بعضهم هذا كله واحد السفيه والضعيف والذي لا
يستطيع ان يمل وقال الاخرون بل يختلف السفيه هو الصغير هو المريض الذي لا يقدر ان يمل والذي لا يستطيع
هو الجاهل الذي لا يعرف ثم اختلف في الولي قال بعضهم الولي هو صاحب الحق يمل بالعدل بين يدي من عليه الحق
لئلا يزيد على ذلك شيئا فان زاده او نقصه انكر عليه صاحبه وقال اخرون الولي هو الوصي الصغير او ذو النسب
منه ثم المسئلة في الحجر قال ابو حنيفة رضي الله عنه الحجر لا يمنع عقوده وقال محمد بن الحسن لا يجوز عقوده
ولكن الولي هو الذي ذلك استدلالا بظاهر قوله فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع
ان يمل هو فليملل وليه بالعدل فانما جعل الاملاء الى الولي لا اليه ولو كان يجوز املاؤه لكان لا معنى يجعل
ذلك الى غيره دل انه لا يجوز واما ابو حنيفة رضي الله عنه فانه ذهب الى انه يجوز بقوله اذا تداينتم بدين
اجاز تداينه فدل ان الحجر لا يمنع العقد عليه ولا تداينه ولان السفيه لم يستفد الاذن من السلطان
انما استفاده عن الله تعالى ولا يجوز حجر من لم يستفد الاذن منه وقوله واستشهدوا شهيدين من
رجالكم لم يجعل الاشهاد شرطا في جواز البيع ولكنه معطوف على قوله فاكتبوه امر عز وجل بالاشهاد
في البيع والتداين للمعنى الذي ذكرنا ان ترك الاشهاد والكتابة يحمله على الانكار وجحود الحق
فاذا كان هنالك شهود وكتاب يمتنع عن الانكار ويخوف ظهور الكذب ولم يصر شرطا في جواز
التداين لان الاشهاد انما ذكر بعد المداينة والمبايعة وكذلك الكتابة فهو لما ذكرنا ان الانسان
في طبعه النسيان والسهو فامر بالاشهاد والكتابة لئلا ينسى ويحمله ترك الاشهاد والكتابة على
الانكار واما الامر بالاشهاد في النكاح نفسه دليله قوله لا نكاح الا بشهود لذلك صار شرطا في
عقد النكاح ولم يصر شرطا في المبايعة ووجه اخر هو ان الشهادة في النكاح بدفع تهمة الزنا عنهما و
قد يخرج البدن في الاحوال والحاجة الى الشهادة في البيع الى ما يتعقب فيه من توهم وقوع التنازع
له بدل ملكه للاخر من غير عقد بيع ليس لها بدل فرجها له من غير عقد النكاح لذلك صار الاشهاد شرطا
في البيع والله اعلم وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان في الاية
دلالة ان من قضى بالشاهد واليمين قضى بخلاف ظاهر الكتاب وهو ايضا خلاف السنة لان قوله
[illegible]

في الحدود غير مقبولة نحو الوكالات والكفالات فمن ذلك شهادتهن لما كان تجوازها بحكم البدل لم تقبل
ولأنهن جعلن على السهو والغفلة ونقصان العقل والدين لقوله انهن ناقصات عقل فإذا كان كذلك أورث
ذلك شبهة في الحدود وما فيها الذي لذلك لم يقبل والله أعلم ولأن شهادتهن إنما ذكرت فيما ينبغي به
الإعلام والإعلان لا الإسرار فمن ذلك تقبل شهادتهن فيما ينبغي ذلك المعنى وأما الحدود وما يلزم بها
ذلك إنما ينبغي فيه الإسرار والستر لذلك قلنا بأن شهادتهن تجوز في النكاح والطلاق والعتاق لأن
النكاح ينبغي فيه الإعلان على ما جاء أعلنوا النكاح لذلك قبلت والله أعلم وحكي أن الخصم أجاز شهادة
النساء بالانفراد في كل شيء ما خلا الحدود والقصاص لذلك قبل بالرجال ولأن شهادة النساء أخرت
في الأصل توسيعا فلا يجوز أن يرد فيما بتوسيع وتقبل فيما يضيق وأمر النكاح والطلاق في الشهادة أوسع
فهو أحق أن يقبل **وقوله** واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان فإن قال
كيف جاز استشهاد المرأتين عند وجود الرجلين والله أعلم أمر باستشهاد الرجلين عند الحاكم للشهادة لا أن
بالإشهاد عليها لذلك قال عز وجل فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان أي تكلف النساء حضور أبواب القضاء
ومجالسهم لأداء الشهادة إلا عند العجز عن وجود الرجال لما في ذلك هتك أستارهن وكشف عوراتهن والله أعلم
والثاني أن الله تعالى ذكر امرأتين وأقامهما مقام رجل واحد والرجل الذي قامت امرأتان مقامه هو قائم
أبدا موجود وله أن يشهد عددا على ذلك الحق لذلك جازت شهادتهن وإن كانت هناك رجال والله أعلم
فإن قيل ما الحكمة في ذكر رجلين دون ذكر العدد أو ذكر واحد قيل لوجوه أحدها ذكر على قدر الأشياء و
مراتبها عند الناس فإذا كان أمرا عظيما قطيعا لا تقبل فيه إلا إشهاد عدد نحو الزنا كقوله فإن لم يأتوا بأربعة شهداء
الآية وإذا كان خسيسا سهلا عند الناس تقبل قول الفرد نحو ما كان أو عبدا من نحو الاستئذان والدخول على آخر
ونحوه ثم الأموال وغيرها هي المتوسطة المترددة من هذين فقبل الوسطة من الشهادة ولم يقبل دونها
والله أعلم ووجه آخر قيل إنه ذكر ذلك عبادة لا لمعنى المودع فيه ولكن سمعا فهو على ما ذكر لا يطلب معناه
والثالث أن الواحد لم تقبل شهادته في الحقوق بالانفراد لأنه ينتفع بها لأنه من صدق في قوله يلذذ
فيصدقهم إياه فمن ذلك لم يقبل قول المدعي في دعواه وإن كان عدلا لما ينتفع بالتصديق وقبول قوله
فيه فإذا كانا اثنين صار يلذذ كل واحد منهما وانتفاعه لصاحبه فحصلت الشهادة خالصة صافية فقبلت
والله أعلم والرابع أن الإنسان مطبوع على السهو والغفلة فإذا كان فرديا يخاف عليه النسيان ثم يضم
إليه ليذكر كل واحد منهما صاحبه إذا نسيه وعلى ذلك يخرج قوله فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان أن
تضل إحداهما الأخرى لما ذكرنا أنهن جبلن وطبعن على فضل السهو والغفلة ثم يضم غيرها إليها إذا سهت
وغفلت عنها ثم اختلف في قوله شهيدين من رجالكم قال أصحابنا رحمهم الله يرجع الخطاب إلى الأحرار
خاصة دون العبيد والكفرة لأن الخطاب في الابتداء للمؤمنين بقوله يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم
بدين الآية تخرج الكفار من خطاب الآية لذلك لم تقبل شهادتهم على أهل الإسلام وأما
العبيد فلم يدخلوا تحت هذا الخطاب لوجوه أحدها ما ذكرنا أن ظاهر الخطاب الأحرار دون العبيد لما لا يملكون
لهم التداين والتبايع فمن ذلك خطابا الشهادة فإن قيل أليس العبيد يملكون التبايع والتداين قيل
يملكون بالإذن والتولية لا يملكون أنفسهم فمن ذلك لا تقدر على التدين وغيره يملك الكفار ثم لم تجب قبول
شهادتهم ولا دخلوا تحت ذلك الخطاب فكذلك العبيد والثاني ما قال عز وجل ولا يأب الشهداء إذا ما
دعوا ثم لا يملك العبيد الإجابة لكل ما دعوا إليه لحق السادات فمن ذلك ليس عليهم الإجابة في الشهادة
لحق السادات والله أعلم والثالث أن الله تعالى قسم الشهادة قسمة الميراث بقوله فإن لم يكونا
رجلين فرجل وامرأتان وقال في الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين ثم لا حظ للعبيد في الميراث فمن ذلك لا حظ
في الشهادة والرابع أن الولايات تجري مجرى الشهادات والتمليكات ثم لا ولاية لا يكون العبد على
غيره ولا تمليك فمن ذلك الشهادة إذ فيها ولاية تمليك الحاكم الحكم والله أعلم وعلى هذا بطلت
شهادة الكفار على أهل الإسلام لما لا ولاية لهم عليهم والخامس أن الشهود بين حالين بين أن
يصدقوا فتمضي شهادتهم وبين أن يكذبوا فيضمنوا ولما كان العبيد إذا كذبوا في شهادتهم لم
يضمنوا لأن ضمان الشهادة معروف لأنه لا بدل بإزائه فمن لم يكن من أهل الشهادة وكل أنهم
ليسوا من أهل الشهادة وعلى ذلك قلنا لا يجوز شهادة الفاسق والمحدود في القذف وإنهما

من أهل الشهادة فيه لأنهما من أهل اللعان وإن كانت شهادتهما ردت لتهمة الكذب في سائر الحقوق وأما
وأما العبد فليس هو من أهل الشهادة بحال المعنى الذي وصفنا والله أعلم والقياس أن تجوز شهادة
العبيد لأنها من حق الله دليله قوله وأقيموا الشهادة لله وقوله كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
فإذا كانت من حق الله وحقوق الله لا يختلف العبيد والأحرار فيها فيجب أن تقبل شهادتهم لكنها
لم تقبل للوجوه التي ذكرناها والله أعلم **وقوله** فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان أي ما لم فتذكر إحداهما
الأخرى قد ذكرنا فيما تقدم أنهن جبلن وطبعن على فضل سهو وغفلة ضمت إليها أخرى لتذكر الشهادة
إذا نسيت وفي الآية دلالة أن الرجل إذا نسي الشهادة ثم ذكر فتذكر يجوز أن يشهد وأما إذا أخبر
بالشهادة ولم يتذكر لم يجز له أن يشهد لقوله فتذكر إحداهما الأخرى إذ لم يقل فتخبر إحداهما الأخرى
وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه دلالة أن من المسلمين من لا يكون مرضيا وكذلك فيهم من يكون
عدلا ومن لا يكون عدلا دليله قوله وأشهدوا ذوي عدل منكم لو لم يكن فيهم مرضيا وغير مرضي
لكان يقول وأشهدوا رجلين منكم ولم يشترط فيه العدالة والرضاء وهو على المعتزلة لأنهم
يقولون المسلم لا يكون غير عدل ولا غير مرضي وفي الآية التي ذكرنا دلالة ما قلنا والله أعلم وفي
قوله ممن ترضون من الشهداء دلالة أن الشهود إذا شهدوا على المدعى عليه بالحق وهم مرضيون عنده
يجب أن يؤدي إليه حقه لأنا قلنا إن قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم أمر باستشهادهم عند الحاكم
فإذا كان كذلك فهو دليل ما قلنا والله أعلم **وقوله** ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا للإشهاد وقيل ولا يأبوا إذا
ما دعوا للأداء وهذا أشبه لأن الشهود لا يقولوا أحضر الخصم هاهنا لنشهد له عليه فأما لا أحضر الحكام
الذي هو فيه وليس هذا القول في الأداء إنما الإشهاد ولا يكون عند الحاكم لذلك كان أولى كقوله ولا
تكتموا الشهادة ولا يجد من يشهدهم ولا يجد من يشهد له غيرهم والله أعلم **وقوله** ولا تسأموا أن تكتبوه
صغيرا أو كبيرا إلى أجله فيه دلالة جواز السلم في الثياب لأنه يقال ويوزن لا يقال فيه الصغير والكبير
ولا يكتب صغيرة ولا كبيرة إنما يقال ذلك في المعدود **وقوله** ذلكم أقسط عند الله يقول أعدل عند الله وأقوم
للشهادة والحجة **وقوله** وأدنى أن لا ترتابوا أقرب إلى دفع الظنون والشكوك الذي يحملكم على التناكر والتنازع
الذي عاقبته الفتح وهذا إنما أمر عز وجل بالكتابة فيه والإشهاد وذكر كل صغير وكبير لئلا يقع بينهم في
العاقبة تنازع وتناكر فيحمل ذلك الحاكم على فسخ العقد بينهما وعلى ذلك نصبوا الأجل فيه شرط الخيار
ووقوع التنازع الذي حكم الفسخ في الآخرة والله أعلم **وقوله** إلا أن تكون تجارة حاضرة الآية استثنى عز وجل
التجارة الحاضرة بترك الكتابة والإشهاد والرهن وغيره وذلك كما ذكرنا أنفا أن الديون والقروض
تنسى وتشتبه على الناس فلذلك أمر بالكتابة فيها والإشهاد ولا كذلك التجارات الحاضرات وعلى ذلك
أمر ظاهر بين الناس أنهم يكتبون ويشهدون في الديون والقروض ولم يفعلوا ذلك في التجارات الحاضرات
المدارات فيما بينهم لارتفاع ما يخاف وقوعه في الديون والقروض وخلا منها عن ذلك والله أعلم **وقوله**
تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها يقول يدا بيد وليس فيها الخيار لقبض في المجلس **وقوله**
وأشهدوا إذا تبايعتم أمر عز وجل بالإشهاد جميعا والأمر بالكتابة لمحافظة الحقوق ومعاهدة كل قليل وكثير
فيه والأمر بالإشهاد للوجوب والأمر بالرهن أمر بالوفاء والرهن والكتابة والإشهاد كل ذلك يمنع صاحب
عن الإنكار والجحود ويذكر عند النسيان والسهو عند ذلك كله تنقطع التنازع فيما بينهما في المتعقب والله أعلم
وقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد اختلف فيه قال بعضهم لا يضار الكاتب ولا الشهيد لا يشغل الكاتب ولا
الشهيد يقول له اكتب لي واشهد لي على كذا وهو يجد غيره وقال آخرون لا يضار كاتب وصاحب الحق فيكتب
ما لا ينبغي أن يكتب بالزيادة والنقصان وكذلك الشاهد لا يزيد على الحق شيئا ولا يكتم الشهادة أيضا فهو
أقرب والله أعلم فإن قيل إذا كان المعنى راجعا إلى ما ذكرت أن لا يزيد الكاتب ولا ينقص الأول لا يضار
رده فطرحت إحداهما فإذا طرحت انقلبت علامة الطرح إذ هكذا عن الأخبار وعن ابن عباس رضي الله عنهم
أنه قال الإضرار أن يقول الرجل للرجل وهو عنه غني إن الله أمرك أن لا تأبى إذا ما دعيت فتضاره بذلك **وقوله**
وإن تفعلوا أي تضاروا فإنه فسوق بكم هذا يدل على أن التأويل هو ما ذكرنا من النهي عن الزيادة والنقصان
والتحريف والكتمان إذ في ذلك خروج عن الأمر والفسق هو الخروج عن الأمر كقوله ففسق عن أمر ربه و
على المعنى الأول **وقوله** واتقوا الله في المضارة من الزيادة والنقصان والكتمان ويعلمكم الله الحكم والأدب وما يحل

وما لا يحق والله بكل شيء عليم حرف وصدق وقوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة قد ذكرنا فيما
تقدم في الامر بالكتابة والاشهاد انهما والله اعلم الحفظ الحقوق ما حل منها وما دون وان لا يحملهم على الانكار
والجحود وان يذكرهم ذلك حتى لا ينسوا فجعل ذلك الامر بالرهان لئلا يؤخروا قضاء الديون ويذكروه ولا
ينسوا والله اعلم ثم فيه دلالة ان لا يجوز الرهن الا مقبوضا لان الرهن يقبض للامر لانه اذا كان مقبوضا
محبوسا عن صاحبه عن جميع انواع منافعه ذكره وتقاضاه لقضاء دينه اذا كان في يدي المرتهن يتقاضاه على ذلك
لذلك قلنا انه لا يجوز الا مقبوضا والثاني انما يقبض ليستوفي منه الدين ولا يستوفى الا بعد القبض او يأخذ
ليأخذ الدين منه من غير حبس فيه ولا منع عنه ووجه آخر فيما لا يجوز الرهن الا مقبوضا لانه جعل وثيقة فلو جاز ان
يكون وثيقة وهو في يد الراهن غير محبوس ولا ممنوع عن منافعه فدل ما ذكرنا من طلب الناس بعضهم من بعض
الرهون انهم طلبوا وثيقة فاذا كان وثيقة فهو انما يكون وثيقة اذا كان في يدي المرتهن محبوسا عن صاحبه
الا ترى ان الكتاب امر باداء الامانة اذا امن بعضهم بعضا بغير رهن فلو كان الرهن يكون رهنا في يدي
الراهن لذكر فيه اداء الامانة في الرهن ولم يجر لذكر القبض وجه لذلك قلنا الرهن لا يجوز الا ان يكون مقبوضا
محبوسا عن منافع صاحبه وقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته فيه دلالة ضمان الرهن
لانه استيفاء الدين من الرهن بما ذكر الاداء فيما امن بعضهم بعضا بلا رهن ولم يذكر الاداء فيما فيه الرهن فلولا
انه حصل في الرهن استيفاء الحق والدين والا لذكر الاداء فيه كما ذكر في الرهن فدل انه مضمون به اذا هلك هلك
به والله اعلم وايضا قوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه فيه دليل لقولهم في
الشركات انه يجب الشركاء على تقوى الله واداء الامانة كما ذكر عز وجل بتقوى الله واداء الامانة فيما اؤتمن ولا
تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه ذكر اثم القلب والاثم موضعه القلب لكنه يشيع في الجوارح ويظهر على
ما روي ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح البدن واذا فسدت فسد البدن قال الشيخ رحمه الله فيه دلالة
ان المأثم يعمل القلب باي شيء كان فلذلك وصف القلب بانه آثم وهو كقوله يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكذا
قوله ولكن ما تعمدت قلوبكم الآية وقوله لله ما في السموات وما في الارض هو ظاهر ان ما في السموات والارض
كلهم عبيده واماؤه ردا على قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وقد ذكرنا الوجه فيما
تقدم في غير موضع وقوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله من استدل على نسخها بقوله فيغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء لكنه لا يحتمل لانه وعد وخبر بالمحاسبة والوعد لا يحتمل النسخ لانه خلف وبداء
تجهيل بالعواقب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثم اختلف فيه قال الحسن هو على ما عزم لا على ما خطر بالنفس
وكذا قوله من هم ويحتمل على التقديم والتأخير ان تخفوا ما في انفسكم او تبدوه يحاسبكم به الله ويحتمل ايضا ان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وعزمتم عليه واعتقدتم لا على الخطر فيه او حديث النفس على ما روي من هم بحسنة
فله كذا ومن هم بسيئة تكتب ليس على ما يخطر فيه وتحدث النفس به ولكن على العزم عليه والاعتقاد وكذلك
قوله ولقد همت به وهم بها همت هي به هم عزم وهو هم بها هم خطر والمرء غير مؤاخذ بما يخطر في القلب ويحدث
النفس به انما يؤخذ على ما عزم واعتقد عليه والله اعلم وقوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فيه
دليل لما قلنا انه على العزم والاعتقاد عليه لما ذكرنا من العفو والعقوبة عليه وقوله آمن الرسول بما
انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
يحتمل وجهين يحتمل آمن بنفس المنزل بما انزل اليه انه من عند الله وكذلك المؤمنون ايضا آمنوا بما انزل
اليه انه من عند الله ويحتمل قوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه انه من عند الله بما في المنزل اليه وكان
فيه ما ذكرنا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى قوله واليك المصير وكذلك المؤمنون آمنوا بجميع ما في
المنزل وهو ما ذكرنا وفيه دليل ان الايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ايمان بجميع الرسل
والكتب كلها والملائكة والبعث والجنة والنار وفيه دلالة نقض قول من يشك في ايمانه ويستثني
لانه عز وجل شهد لهم بالايمان فلا يخلو الاستثناء اما ان يكون لشكهم في ايمانهم بما امروا وفي الذي اخبر الله
عنه بما كان ففيه الويل لهم وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه شهد لهم بالايمان وهم نفوا عنهم
الاسم الذي شهد الله لهم به بالايمان وبالذي ذكر وكل صاحب كبيرة من مؤمن بجميع ما ذكر وقد
سماهم الله به مؤمنين وشهد لهم به والله الموفق فان قيل فقد ذكر الطاعة في اخرها وقيل ذكر الطاعة
في الاجابة وتلك الاجابة شهد لهم فيلزمهم ما شهد الله لهم جل وعلا بما اجابوا لا نفرق بين احد من

رسله

رسله ويحتمل ان يكون هذا خبرا اخبر الله عز وجل عن المؤمنين انهم قالوا لا نفرق بين احد من رسله كما فرق
اليهود والنصارى وقوله وقالوا سمعنا واطعنا يحتمل سمعنا واطعنا قولك ودعاءك واطعنا في الاجابة و
يحتمل سمعنا القرآن واطعنا ما فيه والله اعلم وقوله غفرانك ربنا اي اغفر لنا ذنبنا واليك المصير اي المرجع
وهذا جمع جميع شرائط الايمان لذلك قلنا ان الايمان بالقرآن ايمان بجميع الكتب والانبياء والبعث
وغيره وبالله العصمة والنجاة لا يكلف الله نفسا الا وسعها اختلف فيه قال الحسن قوله وسعها
الا ما يحل ويسع لكن بعض الناس يقولون هذا بعيد لا يحتمل الآية اذا كلف على وسع فاذا كان كذلك
لم يكن لقوله معنى قيل له هو كقوله احل لكم الطيبات اذا احل طيب احل فكذا الاول وقد ذكرنا
الامرين جميعا وتاويل ثان الا وسعها لا طاقتها وكذلك قول المعتزلة بتقدم الفعل واما عندنا
فانها على وجهين استطاعة الاحوال والاسباب واستطاعة الافعال اما استطاعة الاحوال
والاسباب فانها تتقدمها وعلى ذلك يقع الخطاب دليله قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا قيل يا رسول الله وما الاستطاعة قال الزاد والراحلة ثم كل جميع الامر كان بأقصى
بلاد المسلمين قد تلزمه فرض الحج على علم كل منهم ان تلك الاستطاعة لو صرفت الى استطاعة الافعال
لم يبق الى وقت وجود الافعال ثم قد لزمه ذلك فبان ان الكلفة انما تقع الى استطاعة الاحوال والاسباب
وكذلك الكلفة في جميع الطاعات فان قيل قد يقع هذا على الخروج فيوجد الفعل عقيب قوة الخروج قيل لو
كان كذلك لكان لا يلزم فرض الحج الا بالخروج ولو ترك الخروج او اكتساب الخروج يلزمه فرض الحج فلا يلزم
عليه فرض الحج فثبت انه لا يحتمله بل هو على ما قال له اصحابنا رحمهم الله انها استطاعة الاحوال وتلك
تتقدم لما ذكرنا والله اعلم واما استطاعة الافعال فانها تحدث بحدوث الافعال وتتلو كالاوقات
التي لا تبقى في وقت ثان فهي كالوقت الذي لا يبقى في وقت ثان والله اعلم فان سألنا عن التكليف ان يكون
فيما لا يطاق فجوابنا انه فيما ضيعنا عنه فلا وفيما لم نمنع وضيعنا بشغلنا بغير فبلى ثم الكافر بما اعطي من القوة
والاستطاعة شغل نفسه بغير وضع ما اعطي من القوة فاذا ضيع لم يكن تكليفه ما لا يطيق ثم ننظر
احق بالقول بتكليف ما لا يطاق نحن ام قول المعتزلة ان القوة على الفعل ليوجده في الوقت الثاني
ثم في الوقت جعلوه غير قادر عليه بقدرة توجد جعلوه ايضا غير قادر على الترك للفعل والمتعاد
على الامر في النظام بشيء يفعله في وقت ان لا يقع الامر به وقت ما يسمعه ويقرع الخطاب السمع
ثانيا في ثان من الوقت محصل عندهم الامر على الوقت الذي هو غير قادر فيه فاي تكليف على الطريق
والوسع ابين مما قالوا وبالله التوفيق ثم اخص من هذا ما قالوا ان القدرة تتقدم الفعل والفعل هو
الذي يدل على وجود الولاية وهو في وقت الايجاد الفعل ان كان كفرا معادي وان كان ايمانا موالي
فحمل القول على ان الموالاة والمعاداة ابدا تقع في غير وقت الانتهاء والايتمار ثم قولهم في قوله
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا انه على الجبر ولا يحتمل ذلك لانه قد اوجب لكل ذلك حرف
بالجبر في الخلقة ونحو قوله وله اسلم من في السموات والارض طوعا او كرها فقد الزمهم الاسلام هو
بالخلقة بانه لنا في على الاختيار فقولهم في استطاعة واحدة لفعلين خطاء لان من قولهم ان الاستطاعة لا تبقى
ثم وجود الفعلين معا في وقت باستطاعة واحدة محال ووجود تلك الاستطاعة لاحد الفعلين لعدم الامر
مستحيل لعدم البقاء ووجوده عندهم على البدل محال لما هو الاصل لاحدهما لا يخرجنا انه خطاء وفي قوله لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت دلالة ان الله تعالى انما يأمر عبيده وينهى لمنافع لهم والضر يلحقهم لا لمنافع يكون له بالامر
فيأمر او يضر يلحقه فينهى فيكون في الائتمار منفعة وفي النهي دافع مضرة كما يكون في الشاهد ان من امر بشيء انما يأمر
لمنفعة يتأمل فيه وينهى عن شيء لدفع ضرر يخافه وتعالى الله عن ذلك قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قيل فيه بوجهين
قيل ان نسينا بمعنى تركنا كقوله نسوا الله فنسيهم وقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي اي ترك وقوله اخطأنا بمعنى ارتكبنا
ما نهينا وقيل انه على حقيقة النسيان والخطاء كانه على الاضمار الا ان قولوا لا تؤاخذنا ثم اختلف بعد هذا قال المعتزلة
امر بالدعاء بهذا تعبدا وتقربا اليه وكذلك قوله ربنا وآتنا ما وعدتنا الآية وكذلك امر لرسوله قل رب احكم بالحق ونحوه
خرج الدعاء به مخرج التعبد والتقرب لان رسوله صلى الله عليه وسلم اخبر ان لا تؤاخذنا بالنسيان والخطاء وقوله انه
لا يخلف الميعاد وكذلك معلوم انه لا يحكم الا بالحق وكذلك قوله واستغفر لذنبك وقد اخبر انه تعالى قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر ولكنه على ما ذكر والى هذا يذهب المعتزلة واما الاصل عندنا فهذا انه جائز في الحكمة ان يعاقب

على النسيان والخطاء ان يجتهدوا في حفظ حقوقه وحدوده وحرماته لئلا ينسوا الا ترى ان الله تعالى اوجب
على قاتل الخطاء الكفارة ثم قال توبة من الله فلو لم يكن لوجوب الكفارة عليه والتوبة معنى دل انه جائز
الحكمة المؤاخذة به والثاني قوله عز وجل وما انسانيه الا الشيطان وفعل الشيطان مما يتقى ويحذر لله
كان ما ذكر والله اعلم لانه لو اجتهد عن فعل السهو والنسيان سلم عنه فجائز ان ينال السلامة عنها
اذا بالجهد يسلم عنه وبالغفلة يقع فيه ولنا لما ذكرنا ان النسيان هو الترك والخطاء هو ارتكاب
المنهي والتارك لامر الله والمرتكب لنهيه يستوجبا العقاب عليه والله اعلم فيصح الدعاء على ذلك لئلا
يلحقهم العذاب بترك ذلك الامر وارتكاب المنهي فان قيل ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم رفع النسيان
والخطاء وما استكرهوا عليه قيل انما جاء هذا في الكفر خاصة لا في غيره وذلك ان القوم كانوا حديث العهد
بالاسلام يجري على السنتهم الكفر على النسيان والخطاء وكذلك يكرهون على الكفر فيجبرون على السنتهم
مخافة القتل فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان ذلك مرفوعا عنهم قال الشيخ رحمه الله وبعد فان في الخبر العفو
فيكون في ذلك دليل جواز الاخذ ولعل الوعد بالعفو مغفرة وبالبشرى الدعاء فكذلك يدعون وذكرت
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بهذا فاوجب ان لا يامر احدا ان يدعو ابتداء والله اعلم واما قوله ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك ففيه وجهان احدهما انه وعد المؤمنين جنة الجنة فسئوال كل منهم ان يجعله من تلك الجنة
التي وعدهم الجنة والثاني يسئلون الختم على ما به يستوجب الموعود واما الامر بالاستغفار فهو يخرج على وجهين
احدهما ما روي سوف يغفر له مدحوبة فهو على استيجاب اولئك المغفرة ثم نعل ذلك استغفاره ليغفر
ادمته والمغفرة في اللغة هي التغطية والستر كانه سئل الستر عليه بعد التجاوز عنه قال الشيخ رحمه الله ثم الاصل
ان الاستغفار هو طلب المغفرة فلو كان لا يجوز له التعذيب فيكون التعذيب وقوله نصير السؤال في التحقيق
سؤال ان يجيروا ما لا يسع المحنة وكذلك لو كان مغفورا له كان الحق فيه التشكر لما انعم عليه وفي ذلك كتمان
النعمة والمحنة كتمان نعم الله وكفرانها محال لذلك لا بد ان يكون في الايات مما يكون معه المحنة من المعنى والله
اعلم واما قوله عز وجل قل رب احكم بالحق قيل الحق ههنا هو العذاب كانه امر ان يسال بانزال العذاب عليهم
وقيل احكم بحكمك الذي هو الحق فاذا كان ما ذكر يحتمل دل انه ليس على ما ذهب اليه اولئك والله اعلم وقوله
ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قيل الاصر هو العهد ويقول لا تحمل علينا عهدا تعذبنا بتركه
ونقضه كما حملته على الذين من قبلنا وكان من قبلهم اذا اخطؤا خطيئة حرم الله عليهم على نحوها مما احل لهم
الطيبات كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكاصحاب الاخدود وغيرهم فخاف
المسلمون ذلك فقالوا ربنا ولا تحمل علينا اصرا تحرم علينا الطيبات واصل الاصر الثقل والشدائد التي كانت عليهم
نحو ما كان توبتهم الامر بقتل بعضهم بعضا كقوله اقتلوا انفسكم وقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به يحتمل وجهين
يحتمل ان لا تحمل ما لا طاقة لنا به من القتل والهلاك اذ في ذلك افنائهم وفي الفناء ذهاب طاقتهم قال
الشيخ رحمه الله انما تشتغل عما امرنا فيكون كالدعاء بالعصمة والله اعلم ويحتمل ان يراد به طاقة الفعل وهي
لا يتقدم عندنا الفعل والله اعلم قوله واعف عنا قيل اتركنا على ما نحن عليه ولا تعذبنا وقوله واغفر لنا وارحمنا
اي استر لنا والغفر الستر ولذلك سمي المغفرة مغفرة لانه يستر وستر الذنب هو اعظم النعم قوله انت مولانا قيل
اولى بنا وقيل انت حافظنا وقيل انت ولينا وناصرنا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم قوله فانصرنا على القوم الكافرين
يحتمل المرتدين ويحتمل الشياطين اي انصرنا عليهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله قال بعضهم تفسيره ما وصل به من قوله الم ذلك الكتاب هو تفسير الم والم الله لا اله الا هو
تفسير الم والمص كتاب نزل عليك وجميع ما وصل الحروف المقطعة فهو تفسيرها ولله ان يسمي بتفسيره ما شاء
اسمي مجيدا كقوله ذو العرش المجيد وسمي القرآن مجيدا كقوله بل هو قرآن مجيد وقال بعضهم حروف المقطعة هي
مفتاح السورة وقال اخرون ان كل حرف منها اسم من اسماء الله تعالى ومنهم من يقول بانها من المتشابه
التي لا يوقف عليها ومنهم من يقول التشبيب او من عادة العرب ذلك وقد مضى الكلام فيه في قوله
الم ذلك الكتاب بما يكفي وقوله الحي القيوم هو الحي بذاته وكل حي سواه حي بحياة هي غيره فاذا كان حيا بذاته
لم يوصف بالتغاير والزوال ولما كان حي سواه بغيره احتمل التغاير والزوال وكان الحياة عبادة يعرف
بها من عظم شانه وشرف امره عند الخلق الا ترى ان الله تعالى وصف الارض بالحيوة عند نباتها لما يعظم قدرها
ويشرف لها عند النبات وكذلك المؤمن حي لعلو قدره عند الناس فكذلك سبحانه سمى حيا لعظمه و

وكبرياته وعلى هذا يخرج قوله في الشهداء حيث قال ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء
اي مكرمون معظمون مشرفون عند ربهم وقوله الحي القيوم قال بعضهم هو القائم على كل نفس بما كسبت
وقال الاخرون القيوم الحافظ وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه هو القيام كله يرجع الى واحد القائم
والقيوم والقيام يقال فلان قائم على امر فلان اي يحفظه حتى لا يغيب عنه من امره وروي عن ابن
عباس رضي الله عنه انه قال ان اسم الله الاعظم الحي القيوم وقوله نزل عليك الكتاب ظاهر بالحق
قيل فيه بوجوه يحتمل بالحق الذي هو الحق بنفسه حجة بجعوله واية معجزة البشر العرب عن ان يعارضوه
او ياتوا بمثله ويحقق عن كل اية من عند الله الا من اعرض عنه وكابر وعاند وقيل بالحق اي بالتبيين
والعدل وقيل بالحق الذي لله عليهم وما يكون لبعضهم على بعض ثم قال مصدقا لما بين يديه اي موافقا لما قبله
من الكتب السماوية وهي غير مختلفة ولا متفاوتة وفيه دلالة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه
اخبر انه موافق لتلك الكتب غير مخالف لها ولو كان على خلاف ذلك لكلفوا اظهار موضع الخلاف فاذا لم
يفعلوا ذلك دل انهم عرفوا انه من الله وان محمدا رسوله لكنهم كابروا عاندوا وقوله وانزل التورية والانجيل
من قبل هدى للناس وانزل القرآن من بعد وقال بعضهم هدى للناس اي بيانا لهم وحجة على من عمى اذ لا
يحتمل ان يكون له هدى وعليه حجة حين الهلاك انما يكون حجة له وهدى اذا اهتدى وعليه اذا نزل
الاهتداء فبان انه بخلاف ما يقوله المعتزلة وقوله وانزل الفرقان قد ذكرنا فيما تقدم انه انما سمي
فرقانا لوجهين احدهما لما فرق اياته وفرق انزاله والثاني لما يفرق بين الحق والباطل وبين الحلال
والحرام وبين ما يتقى وبين ما يؤتى فعلى هذا كل كتاب مبينا فيه الحلال وبين ما يتقى ويؤتى والانجيل
فيه سمي انجيلا لما عمل وهو من الاملاء في اللغة وقيل سمي التورية تورية من اوريت الزند وهو
كذلك والله اعلم وقوله ان الذين كفروا بايات الله قيل بحجج الله وقيل كفروا بايات الله اي بالله لانهم
اذا كفروا باياته كفروا به وكذلك الكفر بدينه كفر به والبراءة من دينه براءة منه والبراءة من
رسوله براءة منه وقوله والله عزيز ذو انتقام قيل فيه بوجهين قدرة وانتقام لاوليائه من اعدائه وقيل ذو الانتقام
ذو انتصار على الاعداء وقيل ذو بطش شديد وقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وهو
وعيد كانه والله اعلم قال لا يخفى عليه ما في السموات وما في الارض من الامور المستورة الخفية فكيف
يخفى عليه اعمالكم وافعالكم التي هي ظاهرة عندكم ويحتمل انه لم يخف عليه ما بطن وخفي في الاصلاب والارحام
والارحام كيف يكون ... هو الذي يصوركم في الارحام
وصورها كما يشاء وكيف شاء وهو ظلمات ثلاث وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء فيه دليل
نقض من يقول بالتناسخ لانه جعل علم التصوير في الارحام لنفسه لم يجعل لغيره كيف عرف
تصوير الاول على ان قالوا الله انه على صورة وعلى تصويره وانه من مائه اختلف في خلق الاشياء قال
بعضهم يخلق الفروع من الاصول وهي اسباب للفروع وقال الاخرون يكون باسباب فان كان
الاشياء يكون باسباب من نحو الانسان من النطفة ثم تكون علقة ثم مضغة فدل انه يخلق
الخلق كيف شاء من شيء ولا من شيء وقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات اختلف فيه قيل المحكمات هن الناسخات والمتشابهات
من المنسوخات غير معمول بهن وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال الاخرون المحكمات هن ثلاث ايات في سورة الانعام
قوله قل تعالوا اتل ما حرم الى قوله تتقون وما ذكر في سورة بني اسرائيل من قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا
اياه الى اخره هي الايات مستحكمة لانها توحيد وايمانا بالله وغيره من المتشابه وقيل
قيل المحكمات هي التي يعرفها احد بظاهرها وتاويلها والمتشابه هو المبهم الذي يعرف عند البحث فيه و
الطلب وقيل المحكمات ما يوقف على تفهيم مراده والمتشابه هو الذي لا يوقف عليه فيها فمنع خلقه
الخلق من النسيان في المحكم منه ولكن يلزم الايمان به وهو من الله محنة على عباده وقد لا يحي خلقه بالنهاية
من انواع المحن لانها ... لا يفهم مرادها ويحتمل ان يكون المحكمات هي ما ظهر فيه حكم
الاسلام حتى لم يختلفوا فيها والمتشابه ما اشتبه على الناس فاختلفوا فيه
ما ادى ظاهره ... بالظاهر ... والاخرون
ظاهر ... توقف على المتشابه بمعرفة المحكم وقال الاخرون

المحكم هو الواضح المبين فلو كان على ما قالوا لم يكن الاختلاف للناس فيه وادعاء كل ان الذي هو عليه هو
المحكم لانه لو كان ظاهرا بينا لتمسكوا به ولم يقع بينهم اختلاف فيه دليل ونقض على المعتزلة انهم يقولون
بالاصلح في الدين انه لا يفعل الا ذلك لم تبين لهم المحكم من غير المحكم ولو تبين كان اصلح لهم في الدين امتحانا وابتلاء
منه والله اعلم لكن لا يخرج من الحكمة ثم قالوا في لا امر حق لك لا يأمر الا ان يفعل بهم ما ليس باصلح لهم في
الدين امتحانا وابتلاء منه لكن لا يخرج من الحكمة ثم قالوا في لا امر حق لك ان لا يأمر الا بالطاعة لم فيه
الاصلح وقد يفعل ما هو حكمة في حق المحنة وان كان غير ذلك اصلح لهم في الدين بمعنى اقرب وادعى اليه والله
الموفق وقال قوم المحكم ما في العقل بيانه والمتشابه ما لا يدرك في العقل وانما يعرف بمعونة السمع وقال
قوم المتشابه فيما فيه احكام من امر ونهي وحرام وحلال وانما ذلك فيما ليس بالناس حاجة الى العلم به نحو
الانباء عن منتهى الملك وعن عدد الملوك وعن الاحاطة بحقيقة الموعود ونحو ذلك ولا قوة الا بالله لكن
امكن ان يكون سمي متشابها بما تشابه على اولئك القوم حقيقة ما راموا من الوجه الذي طلبوا وقد بينا الحق
في امر المتشابه وما يجب في ذلك من القول وبالله العصمة والنجاة **قوله** هن ام الكتاب يحتمل وجهين ام الكتاب
اي اصل الكتاب ويحتمل ام الكتاب اي المتقدم على غيرها وعلى هذا يخرج ام القرى اعني مكة لانها هي المتقدمة
على غيرها من القرى ويحتمل هي اصل القرى كما سمي فاتحة الكتاب ام القرآن لانها اصل او لانها هي المتقدم على
غيرها من السور والله اعلم ويحتمل قوله هن ام الكتاب اي مقصود الكتاب يعني المحكمات والمتشابه
بما فيه شبه من غيره فهو متشابه كقوله ان البقر تشابه علينا وكذلك المشكل سمي مشكلا لما يدخل فيه شكل
من غيره فسمي مشكلا فكذلك المتشابه يدخل فيه شبه غيره فصار متشابها والله اعلم **قوله** فاما الذين في
قلوبهم زيغ قيل ميل عن الحق وقيل الزيغ هو الريب والشك فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
ولو كان ثم اتباع الشيء اتباع ما فيه من المراد وعلى هذا يقولون في قوله يتلونه حق تلاوته اي يتبعونه
حق اتباعه وكذلك قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم والمتشابه قد انزل الينا من ربنا فيجب متبعه في الحقيقة
فثبت ان لم يكن ثم اتباع في الحقيقة وانه لو كان لعدلوا ولكنه كان والله اعلم اتباع الاراء في التاويل بالاراء
الفاسدة الا ترى انهم طلبوا بالتاويل منتهى ملك هذه الامة وفي الوقوف عليه وقوف على علم الساعة وسبب القيامة
وذلك علم لم يطلع الله الرسل على ذلك فضلا ان يطلع عليه غيرهم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل ان يكون اتباعهم نظرهم
فيما يقصر فهمهم عن ادراك في الوقوف عليه ولو كان نظرهم في المحكم من ذلك لكان لهم في ذلك بلوغ وكفاية
فيما اليهم حاجة ولا قوة الا بالله قال الشيخ رحمه الله فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وذلك ه
منهم او كان ذلك اعتقادهم فان كان المراد من ذلك في الكفرة فهو الاول وان كان في اصحاب الهوى من الذين
يدينون دين الاسلام فهو الثاني وكذلك نجد كل ذي مذهب في الدين ممن اعتقد حقيقة الامر في قوله اتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الاية وقوله ان هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل الاية يتعلق بظاهر الاية ويدعي انها محكمة بما عنده انه المحق بعد ان اجهد نفسه في طلب الحق وسوى
غير ذلك عليه فان كان ذلك فحقه التسليم لما عليه تواريث الامة ظاهرا على ما روي عن نبي الله صلى الله
عليه وسلم انه اخبر ان تفترق الامة ثم اشار التمسك الى ما عليه هو واصحابه رضي الله عنهم فعل ذلك المتوارث
فيجب جعله محكما وبيانا لما اختلف عليه ولا قوة الا بالله ويكون المبتدع في ابتغاء تاويله يريد التلبيس على
من لزم تلك الجملة وكذلك لاهل حيل في الدين من فرع عليه كذا الشرائع وترك الاشتغال بتاويل ما اعترضه
لكان متبع المحكم عند الامة معطيا المتشابه حقه ولا قوة الا بالله وان كان هو الاول فقد ذكرنا ان ذلك في
استخراج منتهى ملك هذه الامة وان نهاية الساعة والعلم به لم يطلع عليه الرسل فضلا عن دونهم وان
كان ذلك في اشياء يقصر عقول الضعفاء عن الاحاطة بذلك فيريدون بذلك التلبيس على العوام واهل العبادة
فاخبر عز وجل بما ذكر انه لا يعلمه الا الله كان ذلك فيما يعلمه غيره اولا فان كان اطلعه فبالله علم لان في العقول
بلوغ ومعنى الاتباع ما قد بينا **قوله** فيتبعون ما تشابه منه اي من القرآن يقول ما اشتبه حسابهم ابتغاء الفتنة وقيل
الفتنة الكفر ويحتمل الفتنة المحنة اي يمتحنون اهل الاسلام **قوله** وابتغاء تاويله يقول وابتغاء تاويل ما كتب الله
عز وجل بهذه الامة من المدة لهم والوقت واصل التاويل هو المنتهى قال الله تعالى وما يعلم تاويله الا الله اي ما يعلم
منتهى ملك الامة ثم المتشابه ان كان مما يوقف عليه فيه فهو وان كان مما يعرفه اهل المعرفة ويعلم بالواضح
فهو هو واصل هذا ان كل ذي مذهب ليه اسلام يدعي على خصمه بما ذهب اليه من الحجاج بالايات لو وقوع

في المتشا

في المتشابه ولنفسه الوقوع في الواضح وعنده الا ما ذهب اليه هو الحق فلو فرق بين ان يدعي عليه ذهابه
الى غير الحق او تعديه الى المتشابه وترك الواضح فسبيله مثله التفحص والبحث عما ذهبا اليه ان جاء شيء ه
يضطر العقل الى قبوله سلم له ما جاء به والا فخصمه منه في دعوى مثله في الوقوع في المتشابه بمثل دعواه
وقوله وما يعلم تاويله الا الله قال قوم موضع الوقف على قوله والراسخون ثم ابتداء فقال يقولون امنا به
كل من عند ربنا يقولون بمعنى قالوا امنا به بما عرفنا وذلك جائز في اللغة يقول بمعنى قال وقال الاخرون
موضع الوقف على قوله الا الله ثم استانف الكلام فقال الراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند
المحكم والمتشابه وغيره قيل الراسخون هم المدارسون وقيل المتثبتون رسخ بمعنى ثبت وقيل الراسخون
التائبون تقادم رسخ في العلم ونبع فيه فان قيل ما الحكمة في انزال المتشابه قيل انه كان مما يعلم فهو يحتمل وجهين يحتمل
ليعلم فضل العالم على غير العالم ويحتمل ان جعل عليهم طلب المراد فيه التفحص عنه او ودع فيه وان كان مما لا يعلم يحتمل
المحنة متمنهم في ذلك بالوقف فيه اذ المراد المحنة ولله ان يمتحن عباده بجميع انواع المحن **وقوله** وما يذكر الا اولو
الالباب اي ما يتعظ الا ذوو الحجى والعقل **وقوله** ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فيه وجهان على المعتزلة انه
اضاف الزيغ الى نفسه وهو حرف مذموم عند الخلق اذا قيل فلان زائغ فلان زاغ عن الحق فاذا اضاف الله عز
وجل الى نفسه حرف الزيغ دل ان فيه معنى سوى ظاهره حتى جاز اضافته اليه وهو ان تخلق منهم فعل الزيغ و
كذلك هذا في الضلال واضاف ايضا الهداية الى نفسه بقوله بعد اذ هديتنا فلو كان الهدى البيان على
ما يقوله المعتزلة لم يجز اضافته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هو علينا البيان لانه بعث مبينا فاذا لم يجز
ذلك دل ان فيه معنى سوى البيان وهو التوفيق والعصمة حتى جاز اضافته اليه ولا يجوز الى غيره والله الموفق
والثاني انهم سالوا العصمة عن الزيغ والضلال فلو كان عليه ان يفعل وان يبذل لهم العصمة لم يكن السؤال
عن ذلك معنى دل انه مفضل فيه يبذل ذلك لهم والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله ربنا لا تزغ قلوبنا
الاية فيه وجهان احدهما انه لو لم يكن الا الاصلح في الدين فتركه جور فالقول ربنا لا تزغ قلوبنا لا يخلو
من ان يكون الازاغة اصلح له وهو يدعو بانه لا يجوز وتعالى الله عن خوف الجور ومن خاف جور الله فهو
غير عارف به والثاني ان الداعي فيما حيل عليه الخلق يدعو على من انه لو اجاب لكان لا يزيغ قلبه وكذلك سؤال
العصمة والهداية ولهذا يؤمر به ايضا ولو كان يكون معه زيغ لكان لا فضل في الامر بين الدعاء بالازاغة وان
كان لا تزيغ في الخوف مع الامر بين قائم والله الموفق وفي ذلك ايضا وجهان اخران احدهما ان الازاغة اذا
اضيف الى احد يخرج الشتم له والتعيير ثبت ان فيما اضيف الى الله تبارك وتعالى معنى ليس فيما اضيف
الى غيره وهو والله اعلم الازاغة من كل احد فعل هو زيغ بنفسه فيه ذم من الله ليس فيكون فيه خلق
فعل الزيغ ليس بزيغ وان كان فعله زيغ والله اعلم وفيه ان خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء وانه يكون فيه
من الله ما يوصف بالازاغة ويصير لديه الاخر زائغا ولا شيء يوجد يكون كذلك سوى خلق فعل الازاغة
من العبد والله الموفق والثاني في قوله بعد اذ هديتنا ولو لم يكن من الله في الهداية سوى البيان لكان
يبيع ذلك لكل كافر ويجوز الاضافة الى الرسل فاذا لم يصح ذلك ولم يجز ثبت ان ثمه فضل وهو خلق فعل
الهداية والتوفيق الذي معه الابتداء لا محالة وبالله التوفيق والمعونة **وقوله** وهب لنا من لدنك رحمة و
الرحمة يحتمل وجوها يحتمل الهدى والاسلام اذ به يستفاد ويحتمل الجنة ويحتمل انهم سالوه كل رحمة قال ابو بكر
الاصم الرحمة النعمة في الدنيا والثواب في الاخرة اللذات الوهاب فهو على قول المعتزلة ليس بوهاب
لان الوهاب هو الفضل الذي يهب ويبذل ما ليس عليه وهو على قولهم عليه ان يعطي الخلق كل ما هو
اصلح لهم في الدين فالاية تكذيبهم وترد عليهم قولهم الوحش فالله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ويحتمل هب لنا
ما نستوجب به الرحمة وهو عمل الخير كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين **وقوله** ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب
فيه فيه اقرار بالايمان والبعث بعد الموت **وقوله** ان الله لا يخلف الميعاد في هذا خاصة ان يراد به القيمة والبعث
ويحتمل لا يخلف الميعاد في كل شيء مما يصيب الخلق من الخير والشر والفرح والحزن والاسف يقولون انه كان موعد
وعيد وانه كان مكتوبا عليهم ولهم انه لا يكون على خلاف ما كان مكتوبا عليهم ليصبروا على الشدائد والمصائب
فلا يجزعوا عليها ولا يحزنوا وليشكروا على الالاء والنعماء ولا يفرحوا عليها وهو كقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتاكم **قوله** ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وذلك انهم كانوا يستنصرون
باولادهم واموالهم في الدنيا ويستغيثون بهما على غيرهم فظنوا يستنصرون بهم في الاخرة ويدفعون بهم عن انفسهم

العذاب وهو كقولهم قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبر الله عز وجل ان اموالكم واولادكم
لا تغني عنكم من عذاب الله شيئا واولئك هم وقود النار اي حطب النار فهو والله اعلم ان الانسان اذا وقع في
النار في هذه الدنيا لا يحترق احتراق الحطب ولكنه يذوب ويسيل منه الصديد فقال عز وجل انهم يحترقون
في النار في الاخرة احتراق الحطب لا احتراق الانسان في الدنيا لانها اشد بطشا واسرع اخذا والم احتراقا
وعلى هذا يخرج قوله والله شديد العقاب ليس كعذاب الدنيا انه ليس على الانقضاء والفناء ولكن على الدوام
فيها والخلود وابد الابدين نعوذ بالله منها **وقوله** كدأب ال فرعون قيل كعمل ال فرعون وكصنيعهم وكله
واحد ثم يحتمل بعد هذا وجهين يحتمل صنيع هؤلاء عملهم بل كصنيع ال فرعون ومن كان قبلهم بموسى في التكذيب
والتعنت ويحتمل صنيع هؤلاء بما يلحقهم من العذاب بالتكذيب والتعنت فالحق اولئك من العذاب بتكذيبهم
الرسل وتعنتهم عليهم والله شديد العقاب قد ذكرنا **وقوله** قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس
المهاد والله اعلم في قوم قد علم عز وجل انهم لا يؤمنون ابدا لذلك قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ان قل لهم
ستغلبون وتحشرون الاية والا فلو يحتمل ذلك الوعيد والله اعلم لان من الكفار من يسلم ومن لا يسلم
وقوله قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة فان قال قائل ما في فئة قليلة وهي فئة كثيرة وهي فئة المشركين
حيث غلبت فئة المسلمين وهم قليل فئة المشركين وهم كثير يوم بدر وقد يكون لاهل الكفر اذا كانوا قليلا و
فغلبوا على اهل الاسلام اية قليل ليست الاية في الغلبة خاصة لكن الاية فيها والله اعلم من وجوه احدها
ان غلب المسلمين مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم وخروجهم لا على وجه الحرب والقتال والمشركين مع قوة ابدانهم
وكثرة عددهم واستعدادهم للحرب وخروجهم على القتال اية وعلم العدو ان ليس لهم فئة ولا لهم رجاء المدد و
ان لا غياث لهم من البشر وذلك اية الجراءة وعلامة الشجاعة ومعدنهم والله اعلم والثاني انما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ من ترابه فرماه على وجوههم وقال شاهت الوجوه فامتلأت اعينهم
من ذلك وعموا حتى انهزموا فصار اية والثالث ما قيل ان ابا جهل قام فدعا فقال اللهم انصر احق ديننا واوصل
فانصره وجعل الغلبة والهزيمة على الاخر فاستجيب فكانت غلبة والهزيمة عليهم فكان اية والرابع ما كان
الملائكة المسلمين وبعثهم الله عز وجل مددا لنصرة المؤمنين على الكافرين يوم بدر فذلك اية ووجه اخر
ما ذكرنا وهو ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا خرجوا شبه العير بغير سلاح غير مستعدين لذلك
فكان ما ذكروا والله اعلم قال الشيخ في ذكر القليل في الاعين من الجانبين اية عظيمة اذ هي حسية والحواس تؤدي
عن المحسوسات حقايقها فجعلها الله بحيث لا تؤدي لما قال ليقضي الله امرا كان مفعولا فيحتمل ان يكون المراد
ذكر من الاية في امر الفئتين هذا والله اعلم **وقوله** يرونهم مثليهم راي العين وبعض القراءات ترونهم بالتاء يرى
المؤمنون اولئك مثلي انفسهم لا كثرهم كانوا ثلاث امثال على ما روي في القصة وهذا لما جعل الحق
عليهم قيام الواحد من المسلمين بالاثنين منهم مع ضعفهم بجهدهم في العبادات وبلوغهم الغاية من
احتمال الشدائد في المشقات اخبر عز وجل بمعرفتهم امر اهل الحرب وشدة رغبتهم في تعلمهم ما يحتاجون
في الحرب والقتال ولهذا قالوا ان الله عز وجل علم المؤمنين جميع ما يحتاجون في الحرب من الادب
وغيرها في الكتاب كقوله اذا لقيتم فئة فاثبتوا امرهم بالثبات ثم قال فلا تولوهم الادبار وقال
ولا تنازعوا فتفشلوا فجعل التنازع الواقع بينهم على خلاف بعضهم بعضا سبب الهزيمة ففيه امر بالاجماع
وجعل التدبير واحدا اذا الطاعة لامامهم **وقوله** ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وانما كان عبرة لما
ذكرنا من خروج المؤمنين بقلة عددهم وضعف ابدانهم بلا استعداد للحرب والقتال انما هو خروج شبه
العير وخروج اولئك بالعدة مع قوة ابدانهم وكثرة عددهم وطمع المدد لهم ولم يكن للمسلمين ذلك
ففي مثل غلبة المؤمنين الكافرين والظفر بهم والنصر لهم عليهم على الوصف الذي وصفنا هو عبرة واية لاولي
الابصار والعبرة **وقوله** زين للناس حب الشهوات اي الشهوات من النساء والبنين وما ذكر الى اخره قال الحسن
والله ما زينها الا الشيطان ولا احد اذم لها ولا امثلها من الله تعالى واليه يذهب المعتزلة لكن الاصل في هذا
في امثاله عز وجل زين هذه الاشياء والتزيين من الله سبحانه وتعالى يقع لوجهين وكذلك الكراهة ايضا
تقع لوجهين تزين في الطباع والطبع ترغب فيما يتلذذ ويشتهي وان لم يكن في نفسه حسن وتزين في
العقل فلا يتزين في العقل الا فيما يستحسنه بنفسه او الامر الحمل العاقبة ونحو ذلك ثم جعل
العقل ما نهاه واذا امر غبا له الطبع ويميل لان الطبع ابدا يميل ويرغب الى ما هو الذ وانهى واخف

عليه

عليه وينفر عما يضر ويؤلم والعقل لا ينفر الا عما هو القبيح ويرغب فيما هو الحسن في نفسه وعلى ذلك
يخرج قوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ليس على ما كراهة العقل ولا
على شهوة العقل لكن على كراهة الطبع وشهوته وكذلك قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم ليس
على كراهة الاختيار ولكن على كراهة الطبع لان كراهة الاختيار وكذلك رغبة الاختيار وفيها
تجري الكلفة اعني على اختيار العقل لا اختيار الطبع بما يميل ويرغب في الالذ وينفر عن المضار وقيل
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما اخبر انهم لا يؤمنون لما وجدنا في نفسنا حرجا فالاية ان الخطاب والكلفة انما يكون على اختيار
العقل وكراهته لا على اختيار الطبع لذلك قلنا انه يجوز التزين في الطبع من الله تعالى وكذلك الكراهة في الطبع
تكره من الله تعالى واما قولهم ان الشيطان هو الذي زينها فان عنوا انه يزينها لهم اي يرغبهم ويدعوهم اليها ويريهم
زينتها نعم وان عنوا انه يزينها بحيث نفسها لهم فلا لان الله تعالى وصف الشيطان بالضعف ونفى عنه
صنع القدرة بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا فلو جعلنا له التزين لهم على ما قالوا لم يكن كيده على ما
وصفه عز وجل بالضعف ولكن كان قويا ولكنه يدعوهم اليها ويرغبهم فيها ويريهم المزين لهم ثم دعاءه
اياهم وحيلته في ذلك وقوته من حيث ما لا يطلع عليه بقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فالعدو
الذي يرى هو من يعاديه ولا يرى هو كان يجب ان يكون احذر منه واخوف ممن يرى ووجه اخر ان الشهوات
التي اضاف التزين اليها لا اختلاف بينهم في انها مخلوقة لله تعالى فما بقي للشيطان الا الدعاء اليها والترغيب
فيها وفيه وجه اخر انه لو لم يجعل هذا مزينا من الله دال موضع استدلال الشاهد على الغائب وبالدنيا على الاخرة
نوعين مستحسنا ومستقبحا وجعل ذلك عادا لما وعد ووعد فلم يكونا منه لم يصح موضع التخيير لانه جعل ووعد
بلطفه بحكم كل مرغوب في الدنيا ويدعوا اليه من جوهره في الاخرة حسنة ليرغب الناس هذا الى ما في الجنة بحسنه ولطفه
ورايته ويدعوهم الى ترك ما في الدنيا من الفاني الى نعيم دائم ابدا فلو جعل هذا من تزيين الشيطان لعنه الله
ومصنوعة لهم بذهب عظيم موضع الاستدلال الذي ذكرنا فدل انه مزين منه عز وجل تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا ثم امتحنهم الله عز وجل وما زين لهم الطباع لما ركب لهم من العقول لو فرة ليختاروا ما حسن
في العقول وتزين على ذلك جرت الكلفة والخطاب لا بما مالت به الطباع ونفرت عنه العقول وبالله التوفيق ثم
في الاية دلالة وجوب الحق في كل ما ذكر في الاية من المال وكذلك الخيل واما في النساء والبنين فلما امتنوا بهم
وجب عليهم النفقة كذلك والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة وجب في النساء عليهم
النفقة وكذلك البنين وجب في الذهب والفضة حقا ثم ذكر الخيل المسومة ان كان المراد منها جعلها
سائمة لذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه ان في الخيل صدقة ثم اختلف في المسومة قال بعضهم هي السائمة
الراعية وقال الاخرون هي المعلمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما المسومة الراعية وقال غيرهم المعلمة وهي
الحسان ثم اخبر انما ذكر في الاية هو متاع الدنيا [illegible]
[illegible]
تجري من تحتها الانهار [illegible]
القناطير منهم من يقول [illegible]
[illegible]
[illegible]
وقوله خالدين فيها وازواج مطهرة من الافات كلها من الاخلاق السيئة والاقذار والعيوب كلها [illegible]
[illegible]
[illegible] **وقوله** الذين يقولون ربنا اننا
[illegible]
[illegible]
[illegible] **وقوله** الصابرين
على طاعة الله وقيل الصابرين على اداء الفرائض [illegible] والمصائب والشدائد [illegible]
النفس عن جميع ما نهى [illegible] **وقوله** والصادقين [illegible] في ايمانهم وقيل [illegible]

فجميع ما يقولون ويخبرون والمنفقين يحتمل الانفاق ما لزم في اموالهم من الزكوة والصدقات ويحتمل المتفقين
المؤدين حقوق بعضهم بعضا من حق القرابة والصلة والقانتين قيل القانت الخاضع وقيل القانت المطيع وقيل
الخاشع وكله يرجع الى واحد واصله القيام وكل من قيام الانكران مطيعا وخاشعا وخاضعا وصبرا وقيل القانت
المقر كقوله كل له قانتون اى مقرون وقال قتادة والصابرين الذين صبروا على الطاعة وفقه وصبروا عن معاصيه
والصادقين الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم وصدقوا في السر والعلانية والقانتين هم
المطيعين والمستغفرين بالاسحار المنفقين معنى نفقته اموالهم في سبيل الله والمستغفرين كلا سحار وقيل المصلين
بالاسحار وقيل المسلمين في اوائل الليل والمستغفرين في اخره واصلا الاستغفار طلب المغفرة مما ارتكب مع الدالة
على ندامة القلب والعزيمة على ترك العود الى مثله ابدا ليس كقوله انما ليس تستغفر الله من غير ندامة القلب و
الاستغفار في الحقيقة طلب المغفرة باسبابها ليس ان يقول بلسانه اغفر لي كقوله نوح عليه السلام استغفروا
ربكم امر بالتوحيد ثم اخبر عز وجل ان الجنة هي للصابرين والصادقين الى اخر ما ذكر الله تعالى قوله شهد الله
انه لا اله الا هو قيل فيه بوجوه قيل شهد الله شهادة ذاتية اى شهد بذاته انه لا اله الا هو اذ في ذاته ما تقبل الشهادة
بمثله له من الالوهية والربوبية وليس ذلك في ذات غيره وبالله العصمة وقيل شهد الله بما خلق من الخلائق
انه لا اله الا هو اى خلق من الخلائق ما يشهد خلقه كل احد وحدانيته والحكمة التي تنظروا في خلقهم وتدبروا
فيها وكذلك الملائكة واولوا العلم شهدوا انه لا اله الا هو على ما ذكرنا انه اذا خلقة الملائكة واولو العلم
يشهد على وحدانيته فشهدوا على ذلك الا الجهال فانهم لم ينظروا في انفسهم ولا يتفكروا في انفسهم
فلم يشهدوا ايه لانه امر الرسل والانبياء عليهم السلام بان يقولوا لا اله الا الله فقد قوله وامره بشهادة
منه ويحتمل شهادة القول كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي وذلك من الله الربوبية ومن الخلق
العبودية فيجيبان يعرف الربوبية من العبودية فيفيد لا له حلق الايمان ثم قال انه غير مخلوق لم يعرف
ذا من ذلك وبالله التوفيق وقيل شهد الله علم الله انه لا اله الا هو وكذلك الملائكة واولوا العلم انه
لا اله الا هو فان قال لنا ملحد كيف صح وهو دعوى قيل لا دعوى من ظهر صدقه في شهادته اذ شهد فهو
مقبول وهو بما ادعى من الالوهية والربوبية اذا لم يستقبله احد ظهر صدقه وكل كذب له في دعواه
وبالله النجاة وقوله قائما بالقسط اي حافظ ومتولي كقوله قائم على كل نفس بما كسبت اي حافظا ومتولى
كما يقال فلان قائم على امر فلان اى حافظ لامره ومتعاهد لاسبابه وقال الشيخ رحمه الله وقيل عادل ذلك
لا يجوز لان ثمه معنى القيام كقوله قوامين بالقسط مقسطين لان ثمة القيام فيه معنى يستبين الوجهان بهم
والله اعلم وقوله ان الدين عند الله الاسلام قال قائلون ان الدين الذي هو حق من بين الاديان هو الاسلام
لان كل احد منهم ممن دان دينا يدعي انه هو دين الله الذي امره به قال لقوم ان الدين الذي امره كلهم
من عند الله لانهم كان مع اختلافهم مقرين بالايمان لكن بعضهم لا يقرون بالاسلام فاخبر عز وجل ان الدين
الذي امر به وهو التوحيد هو الاسلام لاغيره الا يرى انه قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما اخبر عز وجل ان ابرهيم عليه السلام ليس على دين سوى دين الاسلام والاسلام هو الله
على ما ذكرنا فيما تقدم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة شهدوا واولوا
العلم ان الدين عند الله الاسلام وانه قائم بالقسط هو العدل في جميع القرآن وقوله وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب يحتمل وجهين يحتمل الاختلاف التفرق اى تفرقوا في الكفر كقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
الاية ويحتمل الاختلاف نفس الاختلاف في الدين كقوله ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر اخبر انهم
اى لم يختلفوا من جهل ولا عن علم وبيان كقوله الا من بعد ما جاءهم العلم يحتمل وجهين يحتمل قوله الا من بعد
ما جاءهم العلم اى لم يختلفوا الا من بعد ما علموا وعرفوا ويحتمل لم يختلفوا الا من بعد ما اتوا البيان
وتدبروا لو وقع العلم لهم بذلك والبيان لكنهم تعنتوا وكابروا فاختلفوا في ذلك
تفسير قوله وجاء ربك وقوله ان ياتيهم الله ونحوه والانتقال من حال الى حال ومن مكان الى مكان
مجئ العلم لا يوصف بالمجئ والذهاب وكذلك قوله قد جاء الحق وزهق الباطل فيها لا يوصف بالمجئ
الاجسام وذهابهم بالانتقال والتحول من مكان الى مكان ولا يعرف ذلك ولا يبصر ذلك فيه فصل ذلك لا
جائز ان يصرف قوله وجاء ربك واستوى على العرش ونحوه الى المعروف من استواء الخلق ومجيئهم لتعاليه
عن ذلك قال والمجئ ولا يكون عن الانتقال خاصة بل يكون مرة ذلك واخرى غيره كذلك الاتيان والله اعلم

وقوله

وقوله بغيا بينهم قيل حسدا بينهم لانهم طمعوا ان يبعث الرسول من بني اسرائيل على ما بعث سائر الرسل
بعد اسرائيل منهم فلما بعث من غير بني اسرائيل حسدوه وخالفوا دينه الاسلام ويحتمل بغيا من البغي وهو
الجور وقوله ومن يكفر بايات الله من المختلفين فان الله سريع الحساب كانه على الاضمار ان قل يا محمد ومن
يكفر بايات الله من بعد ما جاءهم العلم والبيان فان الله سريع الحساب وله ثلاثة اوجه لان ظاهر
الجواب على اضمار ان يكون ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب اي العذاب والله اعلم سمي
لان بعد الحساب عذاب لقوله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب فجعل الحساب عذابا ثم اخبر
عز وجل انه سريع الحساب لا كحساب الذي يكون بين الخلق لان الخلق يشغلهم اسباب ويمنعهم اشياء
يحتاجون الى التفكر والتدبر والله تعالى عن ان يشغله شئ ويمنعه معنى جل الله عن ذلك وقيل على التقريب
حسابه سريع كان قد جاء القريب والله اعلم قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو شهادة ربوبية
لا يتوهم له كيفية ولا يخطر بالبال له المائية ولا يحتمل الوصول الى حقيقة ذلك بالتفكر ولا يحتمل
بلوغ العقل والوقوف على ذلك اذ هو خلق قصر عن الاحاطة بمائية نفسه وعن ادراك وجه قيامه
بالذي ركب وتحديد من حيث نفسه وهو تحت جميع ما ذكرت اذ هو خلق وحد تجري عليه التدبير ودخل
تحت التقدير فالربوبية احق ان يتحير عنها الاوهام ويحل عن توهم ادراكها الافهام وعلى ذلك امر تكوين
الله الاشياء على شهوده الاشياء التي هي تحت التكوين فالعبارة لا على توهم معنى يحتمله الافهام او تبلغه
العقول وانما هو عبادة بها جعل لا يقف على العبارات عن المتعال عن صفات الخلق المحق له المبادك
من جهاتهم الا من حيث المفهوم في الخلق للتقريب الى الافهام دون تحقيق المفهوم مما عن العبارة
عنه قدرة العبارات في الاخبار عن الله سبحانه وتعالى وعلى هذا القول الله والرحمن وجميع ما يتعارف
الخلق من الاسماء على ما يقرب من الافهام المراد بها لا تحقيق الحروف اذ تعالى تحت تركيب الكلام
زائيف العبارة وهذا معنى معرفة وحدانيته من جهة ضرورات توجب المعرفة على الوصف بالسبحانية
له عن معاني جميع المعروفين وبالله العصمة والمعونة ثم تحتمل ان يؤذن في العبارة عن ذلك بما
هو العطف والدفع المتوهم توهم ما لعل المقلب عند ذكر الشهادة فضل خيرة يبس عند تلك العبارة
وذلك يخرج على وجوه في الاحتمال لما يسعه عقولنا دون القطع على شئ وبما وقع عندنا يمكن الرجوع اليه
والله سبحانه اعلم من ذلك بشهادة الخلائق كلهم بما فيها من اثار الصنعة ودلالة الربوبية وشهادة
الالوهية يكون شهادته بالذي ذكر بان لا اله الا هو في كل شئ سواه هذه الشهادة بالصنعة التي
جعلها هو فيه له والله اعلم والثاني ان يكون بذاته متعاليا عن جميع معاني من سواه من المعاني التي ادخلها
اسم مربوب وظهر كل شئ في الحقيقة له عند توهم المعبود ولا يستحق غيره غيرا اثار الحدثية وجها المدخلة
تحت القدرة والتدبير وهو بذاته متعال عن كلية الجهات والمعاني التي بها كانت بعد ان لم يكن ورباب
صارت مربوبة عبيدا وهو متعال ايضا عن الوصف بالجهات والمعاني بل هو خلق الخلق ولا قوة الا
بالله ويحتمل شهد علم وكذا كل من شهد الشئ فقد علم بخبر خلقته بانه العالم وانه واحد لا شريك له
اله الكل وخالقهم ليعلموا انما علمهم انه كما اخبر وذلك في نقض قول كثير ممن يتقون عن الله تعالى انه عالم
وشاهد كل شئ والله الموفق ويحتمل شهد على الخلائق ان يكون عليهم القول والاعتقاد انه لا اله غيره
بمعنى قضى وامر والله الموفق وليس فيما جمعه الله بشهادة من ذكر توهم معنى شهادة من ذكر معا فيه يحتمل
مما جمع شهادة من ذكر وجهان احدهما فضل من ذكر شهادته عند ذكر شهادته على نحو قوله واعلموا انما
غنمتم من شئ فان لله خمسه الاية انه ذكر ما له وان كان الخلق كله بوجهين احدهما بما جعل ذلك لوجوه العباد
كما اضاف اليه المساجد على انها وغيرها له وذكر في الملائكة الذين عنده وفي امر القيمة واليه المصير ونحو
ذلك اما مخصوص لما ذكر من الاوقات في فضل وغير جعل له او لما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنسب اليه او كان لكلية المعاني للعبادة فله امر شهادات من ذكر بها بشهادة الله تفضيلا وذلك دد
تخصيصا من بين الخلائق والله اعلم والثاني على كون الشهادة من الاخبار يحق الامر لنسبه اليه كما نسب
اليه كتابة الالواح ونفخ جبرائيل الروح بما كان منه امر به فكذا فعله في الاضافة اليه والله اعلم ثم حق
ذلك فيما على التحقيق ان يفهم ما عن الله ربوبية وعن العبد عبودية على جميع ما يضاف الى الله انه يفهم عن
غير الوجه الذي يضاف الى الخلق فله امر الشهادة والله اعلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال

شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام على معنى جعل الرحلة في الكلام وحقيقته شهد الله انه
لا اله الا هو والملائكة ومن ذكر ان الدين عند الله الاسلام في الحقيقة جعل كلية الاشياء لله تعالى
بانه ربها وخالقها على ما هي عليها خالصة عن الشركاء وقد قيل الاسلام خضوع وقيل الاخلاص وهو
يرجع الى ما بينا وذلك قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما والايمان هو
التصديق لله تعالى بما اخبر انه رب كل شيء وانه له الخلق والامر وقيل هو التصديق بما جاءت به الرسل
وذلك يرجع الى ما بينا ايضا والله اعلم وقوله قائما بالقسط قيل هو عادل لا يجوز لان للقيام
معنى في ذلك كقوله كونوا قوامين بالقسط بمعنى كونوا عادلين مقسطين والله اعلم وقيل قيام
تولي وحفظ وكناية وتدبير كما يقال فلان قائم بامر كذا او على توهم انتصاب وعلى ذلك قوله افمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت وقوله فان حاجوك ولم يقل فيما ذا حاجوك فيحتمل والله اعلم ان يكون
هذا بعد ما علم الله انهم لا يؤمنون ولا يقبلون الحجة امره بترك المحاجة فقوله فقل اسلمت
وجهي لله وكذلك من اتبعني اسلموا انفسهم لله كقوله وتول عنهم فاعرض عنهم اياسة عن
ايمانهم وامره بترك المحاجة معهم وقوله فقد اسلمت وجهي لله اي اخلصت ثم يحتمل قوله وجهي لله
اي نفسي لله لا اشرك فيها احدا ولا اجعل لغير الله فيها حقا على ما جعل الكفار في انفسهم شركاء
وارباباً قال الشيخ رحمه الله وقيل الاسلام ان يجعل نفسه خالصا لله تعالى سالمة لا شركة فيها
لاحد كما قال ورجلا سلما لرجل والايمان هو التصديق لشهادة الربوبية لله من نفسه
وغيره لانه ما من شيء الا وفيه شهادة الربوبية وقوله ومن اتبعني اي من اتبع ديني فقد اسلموا
انفسهم لله تعالى ايضا لم يشركوا فيها شركاء وارباباً ويحتمل قوله وجهي لله اي اسلمت امر ديني وعلى الله وكذلك
من اتبعني واتبع ديني فقد اسلموا اعمالهم واموالهم لله كقوله تعالى وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما ومن اتبعني اي ومن معي وقوله وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
وقيل الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى والاميين العرب الذين لا يقرؤن الكتاب ولا لهم كتاب ءاسلمتم
ءانتم لله كما اسلمت انا وجهي لله ومن اتبعني فان اسلموا فقد اهتدوا واخلصوا وجوههم لله واعمالهم وان تولوا
فانما عليك البلاغ اي ان ابوا ان يسلموا فليس عليك الا البلاغ كقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء وما
من حسابك عليهم من شيء وكقوله ان عليك الا البلاغ وعلينا الحساب وقوله والله بصير بالعباد هو حرف وعيد
قيل بصير غير غافل وقيل بصير بجزاء اعمالهم وقيل بصير بما اسروا واعلنوا وفي كل وجه وعد ووعيد قال الشيخ
رحمه الله في قوله فان حاجوك فلم يبين فيما ذا وقد يجوز ترك الاخبار عن القصة بوجهين احدهما بعلم اهله
والثاني بما في الجواب دليله قوله يستفتونك ويسألونك في غير موضع على غير البيان انه عما ذا وهو والله اعلم
داخل تحت ذلك الوجهين ثم يحتمل ان يكون المحاجة قد كثرت فيما قال فان حاجوك والحجة قد ظهرت فيه
فكانوا يعودون مرة بعد مرة عود تعنت وعناد فاكرم الله رسوله بالاعراض عن محاجتهم ذلك بما ظهر تعنتهم
فقال فقل اسلمت وجهي لله على الاعراض عن محاجتهم والله اعلم وعلى ذلك يخرج معنى الامر بالتولي عنهم في غير
موضع ويحتمل ان يكون المحاجة في عبادة الواحد القهار والاوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله فبين
جل ثناؤه في ذلك بالذي يقول لهم هو ومن اتبعه على ذلك نحو قوله لكم دينكم ولي دين وقوله لا حجة
بيننا وبينكم الاية ونحو ذلك والله اعلم وقوله ان الذين يكفرون بايات الله قيل بايات الله التي في كتابهم
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وقيل بايات الله بالقران ومحمد صلى الله عليه وسلم ويقتلون يحتمل
قوله ويقتلون اي يهمون ويريدون قتلهم كقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم لو كان على حقيقة القتل اذا قاتلونا
لم نقدر على قتلهم وكقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا كذا اي اذا اردتم ان تقوموا الى الصلوة
لانه اذا قام الى الصلوة لا يقدر على الغسل فكذلك اوله ويحتمل ان يريد الرضاء بقتل اباءهم الانبياء
فاضاف ذلك اليهم وقيل انه اراد اباءهم الذين قتلوا الانبياء وقيل جاء انهم كانوا يقتلون الف نبي كل يوم
قال لا اعرف هذا فان صح فهو على انهم تمنوا ذلك او قتلوا انبياء والنصارى قتلوا انبياء لما كان بني بعضهم بعضا
والله اعلم وقوله فبشرهم بعذاب اليم لو كان اراد اباءهم كيف يامر رسوله صلى الله عليه وسلم بالبشارة وهم موتى
دل هذا على ان التاويل هو الاول انهم ابقتلهم ورضوا بصنيع اباءهم والله اعلم والبشارة المطلقة انما تستعمل
في السرور والخيرات خاصة الا ان يكون مقيدة فحينئذ يجوز في غيرها كقوله فبشرهم بعذاب اليم قيد هذا

هذا لذلك قال اصحابنا رحمهم الله ان ليست الحقايق اولى من المجاز ولا الظاهر اولى من الباطن الا بدليل على ما
صرفت اشياء كثيرة عن حقايقها بالعرف من نحو الايمان وغيرها وقوله اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
يحتمل وجوها يحتمل ايمانهم التي فعلوا قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث كفروا به فبطلت تلك الاعمال
ويحتمل ما كانت لهم من الاعمال من صلة المحارم والقربات والصدقات فبطلت لما لا قوام لها الا بالايمان فلما
لم يأتوا به بطلت وقوله في الدنيا والاخرة اما في الاخرة فثوابها واما في الدنيا محمدها وثناءها ويحتمل في
الدنيا ثواب الدنيا كقوله من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة والله اعلم قال
الشيخ رحمه الله في قوله ان الذين يكفرون بايات الله فالايات اعلام وحجج وهي انواع منها حسيات
نحو الخلائق في الدلالة على وحدانيته بها حجة توضح بها رسالتهم ومنها السمعيات وهي التي جاءت بها
الرسل من الاسامي لا سبيل الى الوقوف عليها الا بالتعلم بل تعليم او ما يعلم حقيقة ذلك الا الله
ليعلم ان الله هو الذي اطلعهم عليها فيكون اية لهم والله اعلم ومنها العقليات وهي التي تعرف بالمحن
والبحث عنها انما بها الوصل الى معرفة التوحيد والرسالة ثم قد جعلها كلها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم من يكفر بها يخرج على وجهين احدهما الكفران لحقيقة الايات ان يكون لهن لما اثبت له وهن من
الوجوه التي ذكرت فقضى الله تعالى لمن يكفر بها بما ذكرت لتعنتهم ومعاندتهم والله اعلم والثاني ان يريد بالكفر
بالايات الكفر بمن له الايات فنسب الى الايات لما بها يعلم الحقيقة كما ينسب الاشياء الى اسبابها التي بها
يوصل اليها فذلك المعنى الكفر بالايات ثم كانت السماوية وما فيها من النعوت وما اعجزهم عن اتيان مثل
القران وعن ذلك من الحسيات والله اعلم فعلى ما ذكرنا يخرج معنى الكفر بالايات لانها بحيث يأخذها الحواس
ويحيط بها الاوهام والعقول ويحكى على انهن ايات للذي ذلكم عليه او على الكفر بالذي له ايات توجب
تحقيقه والله اعلم وقوله فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وقال في ذلك الكتاب لا ريب فيه وقد ارتاب
فيها اكثر اهل الارض قيل قوله لا ريب فيه يتكلم به على تثبيت المقول به عند قائله لا على نفي الشك عن كل
من سمعه ارادة التاكيد فعل ذلك لكن ان يخرج معناه اذ هو مخاطبة على ما عليه كلامهم وكذلك قولهم
ابدا على دوامه واستدادته على حقيقة الابدية وكذلك يقولون هذا امر قديم وامر قديم على حقيقة القدم
التي تخرج على الكون بعد ان لم يكن والله اعلم والثاني على انه لا يرتاب فيه المتأمل المنصف بما جعل الله لذلك
من الايات وعليه الادلة التي من تدبرها فيها ظهرت له حتى يصير كالمعاين ولا قوة الا بالله والثالث ان
يخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوم مخصوصين بما كانوا ارتابوا فيه بعد علمهم بصدقه ليعرف به
تعنتهم ويؤيسه عن الطمع فيهم ولا قوة الا بالله وقوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله الم تر انما
يتكلم به لاحد معنيين اما للتعجب من الامر العظيم يقول الرجل للاخر الم تر فلانا يقول كذا ويعمل كذا فيقول
ذلك له لتعظيم ما وقع عنده واما للتنبيه فايهما كان ففيه تحذير المؤمنين عن مثل صنيعهم كقوله ولا تكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من الاية حذر المؤمنين ان يكونوا مثل اولئك الذين اوتوا الكتاب ولا يخالفوا كتابهم
كما خالفوهم وقوله يدعون الى كتاب الله يحتمل ان يكون اراد بالكتاب التورية على ما قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لهم اسلموا تهتدوا ولا تكبروا فقالوا نحن اهدى واحق بالهدى منك وما ارسل الله رسولا بعد موسى
عليه السلام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التورية والانجيل فانه مكتوب فيهما نعتي وان رسول
الله فابوا ذلك خوفا واشفاقا على ظهور كذبهم وقيل اراد بالكتاب القران دعوا اليه لانه مصدق لما معهم من
الكتاب فابوا ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات الايام التي عبد اباءهم العجل فظنوا انهم
انما يعذبون بقدر ما عبد اباءهم العجل وانهم لا يخلدون في النار لانهم زعموا انهم ابناء الله واحباؤه ويحتمل
ان يكون اباءهم قالوا لهم انكم لا تعذبون في النار الا قدر عبادتنا العجل فاخبر عز وجل ان قد غرهم في دينهم
ما كانوا يفترون ثم خوفهم قال فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وقوله قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الاية يحتمل قوله مالك الملك وجهين احدهما مالك الملك كل ملك في الدنيا
حقيقة الملك والثاني ان الملك له يؤتي من يشاء من ملكه وينزع ممن يشاء الملك وهو المالك لذلك و
القادر عليه والاية ترد على قدرية قولهم لانهم يقولون ان الله لا يعطي الكافر الملك وهو قد اخبر عز وجل
انه يؤتي من يشاء الملك وقد الكافر له الملك فان قالوا اراد بالملك الدين قيل ان اراد الدين فقد اخبر
عز وجل ايضا انه ينزع فكيف يستقيم على قولكم في الاصلح هذا ثم في الاية تقول لمن قرأ مالك يوم الدين

بالالف لانه اعم واجمع لانه قال مالك الملك وهو اعم والثاني ان الملك انما يعبر عن الولاية والسلطان والمالك
انما يعبر عن حقيقة الملك ومن له في الشيء حقيقة الملك فله ولاية التغلب والتصرف فيه وولاية السلطان
ولا كل من له ولاية السلطان يكون له ولاية التغلب فيه لذلك كان بالالف اقرب ومن قرا الملك يوم
الدين بغير الف ذهبا في هذا كقوله الملك يومئذ لله يحكم بينهم ومن الملك يقال ملك لذلك كان ما ذكر
والله اعلم والمالك على الاطلاق لا يقال الا لله واما العبد فانه يقرن الشيء فيقال رب الدار ومالكها
ورب الدابة ومالكها والله اعلم وقوله قل اللهم مالك الملك قال قايلون الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خاصة وقال اخرون الخطاب بذلك لكل عاقل وهو كقوله قل هو الله احد الى اخر الاية ذلك الخطاب
لكل احد لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقال الشيخ رحمه الله هو خطاب ولكنه بالبلوغ ليقوله
كل احد لانه لو خوطب به ولم يذكر قل عند قراءته وقوله قل اللهم قال قايلون اللهم يعني يا الله اتيهم وقال
اخرون الله على القطع امنا اقصدنا بالخير والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله قل اللهم مالك الملك
الاية فكان الله عز وجل امتحن من رغب في الملك او نال حظا منه ان يصرفوا وجه الرغبة اليه او يروا
حقيقة ما نالوه منه فيوجهوا اليه الشكر ويخضعوا له بالعبادة والطاعة فيما امرهم به لينالوا شرف ما
ويدوم له عزه وذلك كقوله من كان يريد ثواب الدنيا والاخرة ليريهم ان الذي يملك هذا النوع الذي
رغبت فيه انفسكم ومنعتكم عن القيام بحقه هو الذي يملك ذلك فاليه فاصرفوا سعيكم وبشكره
استديموا الذي له اخترتم كذا حكم فانه يملك ذلك دون غيره وجملة ذلك في قوله وما بكم من نعمة
فمن الله ومعقول فيما عليه طبع البشر وعليهم دعاهم عقولهم ان كل شيء يؤثره انفسهم كان الذي يحق عليهم
طلبه عند من به يوصل اليه ولاختيارهم ما به يبلغون ما يؤملونه من انواع الحيل التي تقربهم الى ذلك
فتله يلزم امر الملك ولذات الدنيا وتقرر في قلوبهم وجود ذلك لقوم لو كان ينال بالتدبير والحسن
السياسات وطلب ذلك من الوجوه التي يطلب بها البشر لم يكن الذي لهم ذلك باحق من غيرهم بل كان
فيمن حولهم اولى بذلك واحق ان يكون في ذلك متبوعا لا تابعا من الذين قالوه ليعلم ان الذي يملك
دفع ذلك الى احد وتمليكه احدا غير الذي صرفوا كدحهم وجعلوا له سعيهم فيكون لله في كل امر مما عليه
امر البشر امر عظيمة وعلامة لطيفة على تفردهم بملك ذلك وتوحيد بالتدبير فيه لمن له بصيرة و
ولمن يمتحن عباده وعلى ذلك اذا ثبتت في ذلك ادلة التوحيد ولزوم الاعتبار به ليعرف من له الحق
ثبت القول ببطلان ما ينكره كثير من المعتزلة ان الملك الذي له جبابرة والسعة التي تصل الى الكفرة
لم يكن نالوه بتقدير الله ولا وصلوا اليه بتدبيره اذ حقه ما ذكرت من عظم ما فيه من النعم ليلزمهم
ارفع محن واعلى الشكر وله ان يبلو بالحسنات كما وعد عز وجل وجملته ان الدنيا اذ هي دار محنة ومكان
ابتلاء فليس ان يعطي منه على الاستحقاق ولا يمنع على العقوبة وان احتمل الدفع والمنع لذلك ولكن له
المحن والمحنة اكثرها على المخالفة الاهواء وتحمل المكاره ويكون ذلك على الاعطاء ما يعظم في انفسهم و
التمكين ليمتحنوا فتتبين الايثار والترك لوجه الله والرغبة فيمن اليه حقيقة ملك كل شيء او الميل
الى من اليه انواع التقرب والمخادعات من غير تحقيق ولا قوة الا بالله وعلى ذلك قوله ان اتاه الله الملك
يبين ذلك احتجاجه على ابرهيم عليه السلام بالذي ذكروا اعضاه ابرهيم ولو كان الذي اتاه الملك هو
ابرهيم عليه السلام لم يكن ليجري على تلك المقالة بقوله انا احيي واميت ولا قوة الا بالله ثم على قول
المعتزلة ان الله تعالى انما يشاء ان يؤتي الملك اولياءه وينزع عن اعدائه في الجملة فكيف ادعى لنفسه هذا
السلطان والملك وكان الوجود على ضد ذلك الظن المعتزلة ان الملاحدة فطعن ما هو يوجب الشبهه في حجج
التوحيد وضح مما اعطاهم المعتزلة بهذا القول وتمكنهم الطعن في نقض ما ادعت الوحدة من علو المرتب
وقد رتبه وجلاله بالغ ما لقنهم المعتزلة بما ليست يوجبا التوحيد واستترت بستره في الظاهر لغلبة
الملحدة هذا ليظنوا انهم بلغوا ما به نقض التوحيد ودفع حجج اهله جل الله عما وصفته الملحدة وتعالى والعصمة
والنجاة ولما اعطتهم المعتزلة في الجملة بسفههم به ابليس حتى كانوا به بمثله يحتجون فيظنون انهم احق بالنبوة
منهم بما اعطوا من الملك والمروءة في الدنيا فظنوا انهم اجل عند الله تعالى وارفع في المنزلة منهم لم يكن ليؤثرهم
بالرسالة عليهم لكن اولئك حقيقة احتيالهم لنعم الله ونيل ما نالوا من الملك والشرف به والمعتزلة زاعمة ان الله
ذلك عن الله ليزيلوا عنهم ما لزمهم من الشكر له والطاعة لمن بعثه الله ونسأل الله تعالى تمام النعمة في

في الدين والدنيا وقوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وقوله تخرج الحي من الميت ونحو ذلك و
جوه من الادلة احدها ان يعلم ان الله عز وجل فيما يخلق لا يخلق على معونة الاسباب وتوليد الطبايع لان
الاسباب يكون بموضع الاشكال وكذلك الطباع يولد الذي في جوهره نحو الماء يولد الحرارة والبارد يولد
البرودة فبين الله تعالى انه ينشاء على احوال النظار ليعلم ان القادر على اجتماع ما شاء ثم شاء بلا معونة
من ذلك ولا توليد ولا قوة الا بالله والوجه الثاني انه جرى تقديره ذلك على ما لا تفاوت له ولا اختلاف
في اختلاف الاعوام لاعلم انها سواء على التدبير لحكمه على ذلك العزيز الحكيم الذي لا يعجزه شيء ولا
عليه امر وليعلم ان الذي قدر على ذلك واحد اذ لم يختلف ولم تتباين فيض ولا قوة الا بالله وايضا
انه قد صير كل جوهر احداث الاخر كانه لم يكن قط ولا كان بقي له اثر ثم رده بالوصف الذي كان حتى لا يبقى
منه شيء حتى لا سبيل الى العلم بالتفصيل بينهما ليعلم ان قدرته على البعث بعدما بقي كل الاجزاء والاثار
ولا قوة الا بالله وايضا انه اذا بنى الامر على ما فيه من عظم الحكمة وعجيب التدبير لم يجز ان يكون فعله خارج
عن العبث لم في رفع المحنة وابطال الرسالة في تعليم ما في ذلك من الحكمة وما يلزم بمكان ذلك التدبير
من الشرك والمعرفة لم من الترغيب فيما ملك من النعمة والترهيب عما عنده من النقمة ابطال الحكم و
وتقريب العالم معاذكرت على العبث وذلك فاسد في العقول وموجود في الجواهر عظيم حكمة فتثبت بها
بذلك العبادة والرسالة والجزاء ولا قوة الا بالله وقوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الى
اخره يحتمل وجهين ان يؤتي ابتداء من غير ان كان اتاهم مرة وكذلك تنزع اي تمنع ابتداء من غير ان كان
ثم نزع كقوله رفع السموات ابتداء من غير ان كانت موضوعة فرفعها وكقوله يخرجهم من الظلمات
الى النور اخراج الابتداء الا ان كانوا فيها ثم اخرجهم فعل هذا ذلك وعلى ذلك قوله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل ايلاج الابتداء لا ان كان احدهما في الاخر كقوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الى يوم القيمة والنهار سرمدا اخبر انه لم يجعل واحدا منهما وكذلك قوله تخرج الحي من الميت وتخرج
الميت من الحي من غير ان كان فيه ويحتمل هذا كله ان كان يؤتي الملك بعد ان لم يكن ويعز بعد الذل وينزع الملك
بعد ان كان ويذل بعد كان العز وكذا قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ان يدخل بعد هذا و
هذا في هذا وقوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ان يخرج في الاحوال من ميت الانفعال من حي لا احوال
يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن من على ما سمى الله تعالى الكافر ميتا والمؤمن حيا في غير موضع
من القران وقيل يخرج حي الجوهر من ميت الجوهر وميت الجوهر من الجوهر وقيل يخرج الحي من المني ويخرج المني من الحي
وقيل البيضة وقيل النخلة من النواة والنواة من النخلة والحب من السنبلة والسنبلة من الحبة وقوله
وترزق من تشاء بغير حساب يعرف الخلق عدده ومقداره وقيل بغير تبعة ولا مطلبة اي لا يحاسبهم
فيما اعطاهم ويحتمل بغير حساب اي لا يعطيهم بحساب اعمالهم ولكن يتفضل عليهم فالعدل ويحتمل بغير
حساب في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما عدد ارفارسية مرتبة وعن مقاتل لا يقدر ذلك غيره
يقول ليس فوق ملك محاسبي والله اعلم وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين يحتمل
وجهين يحتمل لا يتخذ اي لا يكونوا اولياء وان اتخذوا اولياء بل هم لهم اعداء كقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الاخر الاية ويحتمل على النهي اي لا تتخذوا اولياء كقوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وكقوله
لا تتخذوا اليهود والنصارى وقوله الا ان تتقوا منهم تقاة اختلف فيه قيل الا ان يكون بينكم وبينهم
قرابة ورحم فيصلون ارحامهم من غير ان تتولوهم في دينهم على ما جاء عن علي رضي الله عنه انه قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لما مات ابوه ابو طالب ان عمك الضال توفي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذهب فواره ويحتمل قوله الا ان تتقوا على انفسكم منهم تقاة الا ان تخافوا منهم فتظهرون لهم ذلك مخافة الهلاك
وقلوبكم على غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه التقية التكلم باللسان وقلب مطمئن بالايمان وقوله
ويحذركم الله نفسه قيل عقوبته وقيل نقمة يقول الرجل لاخر احذر فلانا انما يريد نقمته فعلى ذلك قوله يحذركم
الله نفسه عقوبته وبوايقه التي يكون لما نفسه ذلك به لا بغيره والله اعلم وقوله قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه ويحتمل ما يخفوا من الاية الكفار وتبدوه يعلمه الله فيه اخبار ان في قلوبهم شيئا ويحتمل ان يكون
اراد جميع ما يخفون وتبدون ويعلم ما في السموات وما في الارض الاية وقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من
خير محضرا قيل تجد ثواب ما عملت من خير حاضرا لان عمله انما كان للثواب لا للنفس لعمل وما عملت من سوء

تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يحتمل ما عملت من سوء تجده مكتوبا تجاوزه عنه لان الله عز وجل وعد
المؤمنين واطمع لهم قبول حسناتهم والتجاوز عن سيئاتهم كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن
ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فيجد المؤمن ثواب ما عمل من خير حاضرا ويتجاوز عن سيئاته واما الكافر
فيجد عقاب ما عمل من سوء في الدنيا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا فلا يتجاوز عنهم ويبطل خيراتهم
امدا بعيدا قيل بعيدا من حيث لا يرى وقيل بعيدا تود ليت ان لم تكن ما من نفس مؤمنة ولا كافرة الا
ود البعد عن ذنبه وان لم يجئ ويحذركم الله نفسه قد ذكرناه وقوله والله رؤوف بالعباد ان اراد رأفة
الاخرة يعني بالمؤمنين خاصة ان اراد رأفة الدنيا فهو بالكل قال الشيخ رحمه الله في قوله والله رؤوف
بالعباد فالرحمة من الله على نشأته والرأفة نوعان احدهما في حق الابتداء ان خلق خلقا ركب فيهم
ما يميزون به بين مختلف الامور ويجمعون بين المؤتلف ثم لم يأخذ كلا منهم بما استحق من العقوبة
وامهل للتوبة والرجوع اليه وهذه الرحمة رحمة عامة لا يخلو عنها عبد والرحمة في حق الجزاء من التجاوز
والمغفرة وايجاب الثواب للعمل فهذه لا ينالها اعداؤه لما يوجب التجهل في التفريق بين الذي جعل في
العقول التفريق ولما يكون وضع الاحسان في غير اهله والاكرام لمن عرفنا لكرمه ولما في الحكمة تعذيبهم
تخويفا وزجرا فيما يختارون وبما لهم من تعرف واعتقد الموالات بكان هو اعظم في قلوبهم وطاعته من جميع اللذات
الذين وان يبتلون بالمعاصي على الجهالة او على رجاء الرحمة والعفو اذ هو كذلك في شرطهم الذي به والوه بالعبد
فهي رحمة خاصة اي في المؤمنين وبالعباد الذين ابذلوا انفسهم له بالعبودية بحق الاختيار وان كانوا يخلفون
على ذلك في احوال والله الموفق وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قيل ان ناسا كانوا يقولون
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لنحب الله حبا شديدا فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين فيها بحجته
علما وقيل ان اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فانزل الله تبارك وتعالى قل يا محمد قل ان كنتم تحبون فاتبعوني
في ذلك ان ملكا من الملوك يحب رسوله ويتبعه في امره ويؤثر طاعته بحبه فاذا اظهر ثم انتم بعثكم رسوله
وتركتم اتباعه في امره وايثار طاعته ظهر انكم تكذبون في مقالكم نحن ابناء الله واحباؤه لان من احب اخر يحب المتصلين
ورسوله وحبيبه والمحبة ههنا الايثار بالفعل طاعة من يحبه فيما احبه وكرهه والطاعة له في جميع امره والله
اعلم وقوله اطيعوا الله والرسول الاية قد تقدم ذكرها وقوله ان الله اصطفى ادم اختلف فيه قيل اصطفى ادم ونوحا
ومن ذكر بالرسالة والنبوة وقيل اختيارهم في النبوة والعمل الصالح والاخلاص قال الشيخ رحمه الله الاصطفاء ان يجعلهم
صافيا من غير تكدر بالدنيا وغيرهم اختيارهم لامر بين لامر الاخرة ولامر المعاش لانه الى قوله انا معاشر الانبياء
لا نورث لمدة موت العبد لسببه وقال الشيخ رحمه الله ايضا في قوله ان الله من ذكر فهو والله اعلم ذكر الله
اولياءه ولاه من صفته ثم اعداءه واهل الشقا ترغيبا فيما استوجبوا الصفوة وتحذيرا عما به صاروا اهل الشقا
فيما امران يتولدان عن اختيار البشر ويتقدمان باسبابها اهل المحن لا بنفس الخلقة والجوهر فصار الذكر للمعنى الذي
ذكرت وعلى ذلك وجه ذكر عواقب الفريقين في الدنيا وما اليه مصيرهم في المعاد وعلى هذا ما ضرب الله من
الامثال بانواع الجواهر الطيبة والخبيثة في العقول والطبايع ترغيبا وترهيبا وعلى هذا جميع امور الدنيا انها
كلها عبر ومواعظ وان كان فيها شهوات ولذات والام واوجاع ليعلم انها خلقت لا لها لكن لامر عظيم كان ذلك هو
المقصود من مدبر العالم اذ بالعواقب يذم اهل الاختيار ويحمدون فجعل الله عواقب الحكماء واهل الاحسان
حميدة لذيذة ترغيبا فيها وعواقب السفهاء واهل الاساءة ذميمة وخيمة ترهيبا فيها فخرج جميع فعل الله
على الحكمة والاحسان وان تختلف في اللذة والكراهة على طريق الحكمة في الجزاء وفي الابتداء المحنة الا ان
المحنة تكون مختلفة والجزاء نوع لما هو كذلك في الحكمة والاحسان وكذلك سبق من اهل الاختيار والجزاء على
من له وعليه حكمة واحسان اعني بالاحسان فيما يجوز الامتحان بالجزاء ويحق التشكر لما اولى واول وحكمة فيما
لا زماء ذلك في التغيير ولا قوة الا بالله وقوله ذرية بعضها من بعض قيل بعضها من بعض في الذنب ومن ذرية
ادم عليهم السلام وقيل بعضهم من ذرية بعض وقيل بعضهم من جوهر بعض فلا تنكروا والله اعلم بما عليكم
بعضكم من بعض يمنع المؤمن التعظم على العبد واختلف في الذرية على بعضهم الذرية الاولاد والاباء كقوله
ذرية من حملنا مع نوح وكانوا الاولاد والاباء والذرية ماخوذة من ذرو ويذرو هو الخلقة وقيل الذرية
الاولاد خاصة يقال ذرية انما يراد بذلك اولاده خاصة دليله قوله هب لي من لدنك ذرية طيبة وقوله اني
اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم الاولاد واختلف في الال قيل رجل المنفصلون به قيل ال ابناءه

وقيل اقرباءه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل تقي فهو من آل محمد وقيل آل عمران من ولد سليمان بن
داود عليه السلام وقوله اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا لما اخبر عز وجل انه
اصطفى آل عمران واختارهم على سائر العالمين وكان افضل في صفوه واختياره ان جعلت امرأة عمران
ما في بطنها محررا والمحرر هو المعتق من المعاش بالعبادة وقيل المحرر هو الذي يعبد الله خالصا مطيعا
لا يشغله شيء عن عبادته فارغا لذلك وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقيل المحرر هو الذي يكون لله
صافيا وقيل المحرر هو من خدم المسجد وقوله اني نذرت ما في بطني محررا جعلت ما في بطنها لله خالصا من يطلب
منه الاستيناس به ولا ينتفع الناس من اولادهم وذلك من الصفوة التي ذكر عز وجل وهكذا الواجب
على كل احد انه اذا طلب ولدا ان يطلب للوجه الذي طلبت امرأة عمران وزكريا قال رب هب لي من لدنك ذرية
طيبة وما سأل ابراهيم عليه السلام هب لي من الصالحين وكقوله والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
الاية هكذا الواجب ان يطلبوا من الاستيناس والاستنصار والاستعانة بامر المعاش بهم وقوله فتقبل مني انك انت
السميع العليم اي تقبل مني قرباني وما جعلت لك خالصا انك انت السميع لدعائي العليم بقصدي في التحرير وقيل
السميع المجيب لدعائي العليم لنيتي وقوله فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى ومعنى قولها اني وضعتها انثى مع علمها ان الله هو عالم
بما في بطنها وبما وضعتها وجهان احدهما اعتذار للامر لكن تحريرا في ذلك الزمان الا الذكور من الاولاد عند رب
اني وضعت لا يصلح للوجه الذي ذكرت والثاني ان الانسان اذا رأى شيئا عجيبا قد ينطق بذلك وان كان
لا يعلم لا غيره بما علم هو وانه رأى هو ويحتمل ان الجنة زينها الى منافعها اذا وضعت الانثى للذات لا تصلح
لذلك ويحتمل قولها اني وضعتها انثى للتعريض لاجابة الله تعالى فيما تصدقت من طاعته بالنذر وان لم يكن صلحت لما
نصدت رضا حسبت في قبولها بقوله فتقبلها ربها بقبول حسن تحريرا تقبل لو كان ذكرا في الاخبار والاكرام
وصفتها خير نساء العالمين وقوله وليس الذكر كالانثى اختلف فيه قيل ان ذلك قولها قالت وليس الذكر كالانثى على
اثر قولها اني وضعتها انثى لا يحتاج الانثى الى فضل حفظ وتعاهد والقيام باسبابها ما لا يحتاج الذكر وقيل ان ذلك
قول الله عز وجل لما قالت اني وضعتها انثى جوابا وليس الذكر كالانثى بالصفات والله اعلم وقوله اني سميتها مريم وفيه دلالة
ان التسمية الى الامهات في الاناث دون الاباء ثم التجأت الى الله تعالى حيث اعاذتها من الشيطان الرجيم وفيه دلالة
ان الذكور يكونون من ذرية الاناث لانه لم يكن منها الا عيسى عليه السلام وقوله فتقبلها ربها بقبول حسن
يحتمل قوله فتقبلها ربها بقبول حسن ان اعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم على ان سالت ويحتمل ان تجعلها
تستحق للتحرير وما جعلت وان كانت انثى وقوله وانبتها نباتا حسنا يحتمل انبتها نباتا حسنا ان لم يجعل للشيطان اليها
سبيلا ويحتمل ان رباها تربية حسنة ان لم يجعل رزقها وكفايتها بيد احد من الخلق بل هو الذي تولى ذلك
ذلك لما بعث اليها من الوان الرزق كقوله وجد عندها رزقا وكقوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا
جنيا وقوله وكفلها زكريا فيه لغتان احدهما بالتخفيف والاخرى بالتشديد من قرأ بالتخفيف فمعناه ضمها زكريا الى
نفسه ومن قرأ بالتشديد فمعناه اي الله عز وجل ضمها الى زكريا وقوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها
رزقا قيل وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال زكريا انى لك هذا قيل فيه بوجهين
قيل استخبار عن موضعه او كيف لك هذا على الاستيصاف انكارا عليها وانها لم يدخل عليها غيره ولا يقوم بكفايتها
سواه فوقع في قلبه ان لعل احدا من البشر يأتيها بذلك وقيل انه قال ذلك تعجبا منه لما رأى من الفاكهة والطعام
في غير حينه عن غير رقعة والله اعلم تعجبا منه لذلك ثم قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب
اي يرزق من حيث لا يحتسب وقوله هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة قيل فعند ذلك دعا
زكريا ربه لما طابت نفسه الخاسية تحدث بالولد لما يهب له لكنه لم يدع لما رأى نفسه متغيرة عن الحال التي يطمع منها
فرأى ان السواد في مثل ذلك ان السواد لا ينبغي فلما رأى عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف
غير متغيرة عن حالها علم عند ذلك ان السواد يصلح واستجاب الدعاء في غير حينه فذلك معنى قوله هنالك دعا زكريا
ربه والله اعلم ويحتمل انه لما رأى ما اكرمت امرأة عمران في قبول دعوتها وتبليغ ابنتها في الكرامة مبلغ الذي رأى فيها
مما يبلغ امثال الانفس لا تبلغ ذلك دعا الله عز وجل ان يكرمه حتى يبقى له الاثرية والذكر وان كانت تلك الحال لا
لا تطمع الانفس فيها رغب عليه السلام مع ما كان قدره الله عز وجل ما شاء من خير وان كان لا تحمل على طلب الاكرام كل ما
يبلغه قدره حتى رأى ما هو في الاجوبة قريب لما كانت نفسه تبغي والله اعلم بالمعنى الذي سأل وقوله وتحقيق من لدنك
ذرية طيبة انك سميع الدعاء مجيب الدعاء وقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب دل هذا ان المحراب هو موضع

الصلوة ان الله يبشرك بيحيى فيه دلالة لقول اصحابنا رحمهم الله ان الرجل اذا حلف ان لا يبشر فلانا فارسل اليه غيره
بشيره يحنث في يمينه لانه هو المبشر وان كان المؤدي غيره الا ترى ان البشارة ههنا اضيفت الى الله تعالى فكان هذا
كذلك هذا وقوله مصدقا بكلمة من الله قيل عيسى عليه السلام كان كلمة من الله فيحيى صدقه برسالته وقيل اول
من صدق بعيسى يحيى بن زكريا ولهذا وقع على النصارى شبهة حيث قالوا ابن الله كقوله بكلمة من الله وروح منه
ظنوا انه في معنى فيه لكن ذلك انما يذكر اكراما لهم واجلالا ولا يجب ذلك ما قالوا الا ترى ان الله عز وجل قال
وما بكم من نعمة فمن الله ونحو ذلك لم يكن فيه ان النعمة منه في شيء فعلى ذلك الاول وقوله وسيدا وقيل سيدا في
العلم والعبادة وقيل السيد الحليم ههنا وقيل السيد الذي يطيع ربه ولا يعصيه فكذلك صلوة الله عليه وقيل
السيد الحسن وقيل السيد التقي وقيل اشتق يحيى من اسماء الله هكذا من حي والله عز وجل هو الذي سماه يحيى و
كذلك عيسى هو الذي سماه مسيحا بقوله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام وكذلك
اكراما لهما وتجوز لا على ما سمي ابرهيم خليل الله ومحمد حبيب وموسى كليم الله اكراما لهم واجلالا فكذلك الاول
وجائز ان يكون يحيى مما حيي به الدين قال الشيخ رحمه الله قوله يحيى قيل سمي به لما يحيى به الدين والمروة ويحيى
به العلم والحكمة ويحيى به الاخلاق الفاضلة والاعمال المرضية ولهذا والله اعلم سمي سيدا لان السؤدد في
الخلق يكسب بهذا النوع من الاحوال وسمي مسيحا بما مسح بالبركة وتبارك في كل شيء بمسحه بيده فجاز في
يحيى والله اعلم وحقيقة السؤدد انه يكتسب بالاخلاق الحسنة والافعال المرضية وجائز ان يكون عليه
السلام جمعهما فيه فسمي به والله اعلم والاصل في هذا ونحوه ان الاسماء انما جعلت للتعارف وليعلم بها
المقصود فالكف عن التكلف في المعنى الذي سمى الله اسلم وان في الجملة يختار ما يحسن منه في الاسماع دون
ما يقبح على المقال او على الرغبة في ذكره ما يختار من كل شيء والله اعلم وقوله وحصورا قيل الحصور الذي
لا ماء له ولا شهوة وقيل هو الماخوذ من النساء والممنوع منهن وقيل هو الذي لا يشتهي النساء وكله
واحد والله اعلم ونبيا من الصالحين ذكر انه من الصالحين وان كان كل نبي لا يكون الا صالحا على ما انه
كل نبي صديقا وان كان لا يكون الا صديقا ووجه ذكره صالحا انه كان يتحقق فيه ذلك لان غيره من الخلق
وان كان يستحق بجهة والانبياء صلوات الله عليهم يتحقق ذلك فيهم من الوجوه كلها والثاني دعا بان يلحق
بالصالحين في الاخرة والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ما ذكر في كل نبي انه كان من الصالحين يخرج على اوجه على
جميع الصلاح وعلى البشارة لهم في الاخرة انهم يلحقون باهل الصلاح وعلى انهم منهم لولا النبوة ليعلم ان
النبوة انما يختار فالذين ... ثم لهم وصف الصلاح وعلى الوصف بانهم كذلك على السنة الناس وان الذين
رد عليهم بعد علمهم لصلاحهم او على الوصف لهم بكمال الوصف بالصديق وان كان كل نبي كذلك ... لذلك
حد عند الله ذلك اراد لم يكن اطلع غيره عليه والله اعلم وجائز ان يكون يحيى بالاخلاق المحمودة والافعال
المرضية ولذلك سمي سيدا وجملته ان الله يسمي من شاء بما شاء وليس لنا تكلف طلب المعنى فيما سمى الله
الجواهر به اذ الاسماء للتعريف لكن يختار الاسماء الحسنة في السمع على التفاؤل والله اعلم وقوله وروح الله
كلمة كقوله خليل الله وحبيبه وذبيح الله وكليم الله ليس على توهم معنى بل المعنى الخلقة ويوجب المعنى
الربوبية والنبوة وذلك على ما قيل من بيوت الله وعلى ما قيل لدينه نور الله وقيل الفرايضة حدود الله
لا على معنى يخرج عن جملة خلقه بل على تخصيص لذلك في الفضل على اشكاله وذلك كما قال لمحمد صلى الله عليه
وسلم واما بنعمة ربك فحدث وقال في الجملة وما بكم من نعمة فمن الله لا على ما توهمت النصارى في المسيح
في المسيح فتليه الا ولا قوة الا بالله وقوله ويكلم الناس في المهد وكهلا بشارة ببقائه الى ان يصير كهلا
وفيه وجه اخر وهو ان في ذلك بيان ان كلامه في المهد كلام مختار اذ ذلك وصف كلام الكهل ليعلم ان قوله
اني عبد الله الى اخره انما هو حقيقة للخشوع والانباء عنه لا على خلقه كنطق الجوارح في الاخرة والله اعلم او يكون
انه له دائمة اولم يكن على ما عليه امر البشر من التغيير على ان الجوهرية تزول على الفناء بحو العصا فما تعود
الى حالها فالبد ونحو ذلك ليحصل هو نوع من الايات الحسية بالدوام ولا قوة الا بالله قال رب انى يكون لي
غلام وقد بلغني الكبر لانه يحتمل هذا الكلام وجوها احدها على الانكار ان لا يكون لكن ههنا لا يحتمل لانه
كان اعلم بالله وقدرته ان تتعلق به او يخطر بباله والثاني انى يكون لي غلام اي كيف وجهه وسببه وكذلك
قوله انى لك هذا وقوله انى يحيى هذه الله بعد موتها وانى يكون له الملك علينا اي كيف وجهه وما سببه
والثالث انى يكون لي غلام في الحال التي انا عليها او ارد الى الشباب فيكون لي الولد هذان الوجهان محتملان

وانما

وانما الاول فانه لا يحتمل وقوله وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر وذكر في سورة مريم قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ذكر على التقديم والتاخير وكذلك قوله ثلاثة ايام الا رمزا وثلاث ليال
والقصة واحدة ذكر على التقديم والتاخير وعلى اختلاف الالفاظ واللسان دل ان ليس على الخلق حفظ اللسان
واللسان انما عليهم حفظ المعاني المدرجة والموعودة فيها وبالله التوفيق ويعلم انه لم يكن على كل اللسانين
ولم يكن بهذا اللسان وقوله قال كذلك الله يفعل ما يشاء وقوله كان كذلك ربك هو علي هين واختلف في اللسان
وقوله قال رب اجعل لي اية طلب من ربه اية لما لعله لم يعرف ان تلك البشارة الملائكة او وساوس فطلب اية
ليعرف ان تلك البشارة بشارة الملائكة من الله عز وجل لا بشارة ابليس لانه لا يقدر ان يفتعل في الابن الا انها
تغير الخلقة والجوهر وهم لا يقدرون على ذلك دعا لعلهم يقدرون على الافتعال في البشارة الا ترى ان ابرهيم
صلوات الله على نبينا وعليه لما نزل به الملائكة لم يعرفهم بالكلام رهابوه حتى قال انكم قوم منكرون حتى قالوا
انا ارسلنا الى قوم لوط فذهب ذلك الروع منه بعدما اخبروه انهم ملائكة رسل الله ارسلهم اليه وقوله
قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا قال بعض اهل التفسير حبس لسانه عقوبة له لقوله انى يكون لي غلام
وقد بلغني الكبر لكن ذلك خطاء والوجه فيه منعه من تكلم الناس ولم يمنعه عن الكلام في نفسه الا ترى انه
امره ان يذكر ربه ويسبح بالعشي والابكار كقوله واذكر ربك وسبح بالعشي والابكار ويحتمل ان يكون اراه اية
في نفسه من نوع ما كان سؤاله اذ كان عن العلم بالولد في غلبة حينئذ فاراه بمنع اللسان وعلى احوال الاحتمال
يكون اية الاولى وقيل في قوله اجعل لي اية انه طلب اية يعلم بها يعلق الولد وجعلها ليعرف متى بانيها وقوله
الا رمزا قيل الرمز تحريك الشفتين وقيل هو الايماء بشفتيه وقيل هو الاشارة بالراس وقيل هو الاشارة
باليد والله اعلم بذلك وقوله واذ قالت الملائكة يا مريم قال اهل التفسير هو جبريل عليه السلام لكن ذلك
لا نعلم الا بالخبر فان صح الخبر فهو كذلك والا لم نقل من كان في الملائكة قال ذلك وقوله ان الله اصطفيك
ان صفاها للعبادة بنفسه وخصها له ما لم يكن ذلك لاحد من النساء فيكون ذلك صفوتها وقيل اصطفاها
بولادة عيسى عليه السلام اذ اخرج منها نبيا جبارا كانفا على خلاف ولادة البشر وقوله وطهرك قيل من
الاوثان والفواحش وقيل وطهرك من مس الذكور وما اخذ فيه به واصطفاك على نساء العالمين هو
ما ذكرنا من صفوتها ان جعلها للعبادة نفسه خالصا او ما قدر لدنت من غلمان على خلاف ذلك البشر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة خطوط ثم قال هل تدرون
ما هذه قالوا الله ورسوله اعلم قال خير نساء العالمين اربع مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وخديجة
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وقوله يا مريم اقنتي لربك يحتمل وجهين الامر بالقنوت
القيام ثم الامر بالسجود ذاتي الصلوة ثم الامر بالركوع مع الراكعين وهو الصلوة بجماعة فيه الامر
بالصلوة بالجماعة على ما هو علينا لانه قال واركعي مع الراكعين وعلى ذلك روي في الخبر انه سئل عن افضل الصلوة
فقال طول القنوت ويحتمل انه امر بالركوع ثم بالسجود فيكون السجود وان تقدم ما ذكره على الركوع فانه ليس في
تقديم ذكر شيء ولا تاخير شيء في الذكر دلالة وجوب الحكم كذلك وقيل القنوت هو الخضوع والطاعة كقوله
وكل له قانتون اي خاضعين مطيعين فان قيل كيف امرت بالركوع مع الراكعين قيل كانوا والله اعلم ذوي
قرابة ورحم الا ترى انهم كيف اختصموا في ضمها وامساكها حتى اراد واحد منهم ضمها الى نفسه وانه الاحق
بذلك ودل ان بينهم رحما وقرابة وقيل في قوله اقنتي اطيلي الركوع في الصلوة والله اعلم قال الشيخ
رحمه ويحتمل مع الراكعين اي ممن يركع ويخضع له بالعبادة على الاجتماع والله اعلم كيف كان الامر وقوله
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي من اخبار الغيب لم تشهدهم وانت يا محمد لم تحضر بل نحن نعلمك
وذكرنا انه فيه دلالة ثم في ذلك وجوه الدلالة احدها انه اراد ان يخبره عن صفوة هؤلاء وصنيعهم
ليكونوا على علم من ذلك والثاني فيه دلالة اثبات رسالته لانه اخبر على ما كان من غير ان اختلف الى احد او اعلم
احد من البشر على علم منهم ذلك دل انه انما علم ذلك بالله عز وجل والثالث ان يتامل وجه الصفوة لهم
انهم بالوه فيجهدوا في ذلك والله اعلم يبقى ذلك للغير ابيانا عن رفع الحاجة الى ان ظهر ذلك بالقاء
الاقلام وقوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم على جرية الماء فذهبت الاقلام كلها مع الجرية الا قلم
زكريا فانه وقف على وجه الماء وقيل طرحوا اقلامهم في الماء وكان من شرطهم ان من صعد قلمه فهو لنا
مع الجرية فهو احق بها ومن سفل قلمه مع الجرية فهو المقروع فصعد قلم زكريا وتسفلت اقلامهم فعند

ذلك ضمها ذكريا الى نفسه ثم من الناس من احتج بجواز القرعة والعمل بها بهذه الاية حيث ضمها ذكريا مريم
الى نفسه لما خرجت القرعة لكن القرعة الانبياء للتبين الاحق من غيره لوجهين لحق الوحي والثاني
لظهور اعلام في نفس القرعة ما يعلم انه كان بالله ذلك لا بنفسه كارتفاع القلم على الماء ومثل
ذلك ليكون للقلم والمحق من المبطل وفيما بين سائر الخلق لدفعهم لسهم فهي لا تدفع ابدا ويحتمل
استعمال القرعة فيها لتطييب الانفس بذلك او علموا ذلك بالوحي فليس اليوم وحي لذلك بطل
الاستدلال بجواز العمل بالقرعة اليوم والله اعلم او كان ذلك اية والاية لا يقاس عليها غيرها
نحو قول قتيل بني اسرائيل اية ليس به معتبر في جواز قول قتيل اخر قبل الموت وقوله اذ قالت
الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح يحتمل بكلمة منه ان يقال كن فكان بغير
اب ولا سبب ولا سائر البشر لم يكونوا الا بالاباء والاسباب من النطفة ثم العلقة ثم من مضغة
مخلقة على وصف عز وجل في كتابه وكان امر عيسى عليه السلام على خلاف ذلك ويحتمل بكلمة منه ما
ذكر انه كلم الناس في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب الاية ذلك مما خص به عيسى وهو بكلمة من الله
قال ذلك فان قيل ما معنى قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا والكهل مما تكلم الناس قيل لانه كلامه
في المهد اية والاية لا تدوم كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم الاية وانما يكون ذلك مرة لانها
تشهد وتنطق ابدا فاخبر ان تكليم الناس في المهد وان كانت اية فانه ليس بالذي لا تدوم ولا يكون
الاخرة والثاني امن من الله لمريم وبشارة بها عن وفاته الى وقت كهولته والله اعلم وقوله اسمه
المسيح قال ابن عباس رضي الله عنهما انما المسيح المبارك اي مسح بالبركة وقيل سمي مسيحا لانه كان يمسح
عين الاعمى والاعور فيبصر وقيل المسيح العظيم لكنه والله اعلم بلسانهم فيقال ما المسيح بلسانهم
وقوله وجيها في الدنيا بالمنزلة ومكينا في الاخرة ومن المقربين في الدرجة والرفعة ومن كان وجيها
في الدنيا والاخرة وهو مقرب فيهما وقوله قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر عرفت مريم ان الولد يكون بمس
البشر وعلمت انها لا تتزوج ابدا لانها كانت محررة لله مخلصة له في العبادة والله اعلم ويحتمل قولها انى يكون لي
ولدا اي من اي وجه يكون لي ولد بالطبيعة لانها بشرت بان يهب لها ولدا فقالت من اي وجه يكون لي ولد بالهبة
ولم يمسسني بشر ثم قال كذلك الله يخلق ما يشاء تاويله ما ذكر في سورة مريم حيث قالت انى يكون لي غلام
ثم قال كذلك قال ربك هو علي هين اي يخلق الخلق على حين باب وبغير اب وبمس بشر وبغير مس بشر وبسبب
وبغير سبب على ما خلق ادم بغير اب ولا ام فعل ذلك يخلق بتوالد بعض من بعض وبغير توالد بعض من بعض
لخلق الليل والنهار يخلق بلا توالد احدهما من الاخر فكذلك يخلق ولدا من غير اب ولا مس بشر وبالله الحول
والقوة وقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي اذا قضى امرا بتكوين احد وتكوين شيء فانما يقول له كن
لا يثقل عليه ولا يصعب خلق الخلق وتكوينهم كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي خلق الخلق كلهم
ابتداء وبعثهم بعد الموت كخلق نفس واحدة انه يقول كن فيكون وانما يثقل ذلك على الخلق ويصعب الموانع تمنعهم
والاشغال تشغلهم فاما الله سبحانه وتعالى عن ان يشغله شغل او يمنعه مانع او يحجب عنه حجاب وقوله فانما يقول له
كن فيكون ذكر والله اعلم هذا الحرف لانه ليس في كلام العرب حرف اوجز منه بغير فيفهم معناه الا ان كان زمنه
عز وجل كاف ونون وحرف وهجاء او صفة يفهم فيه حقيقة او يوصف هو بمعنى من معاني كلام الخلق
وصفاتهم او يكون لتكوينه وقت او مدة او حال او يكون تكوينه على ما يكون من الخلق انما هو اوجز حرف يفهم
معناه بالعبادة اخبار منه عز وجل الخلق عن سرعة نفاذ امره ومشيئته وقوله ويعلمه الكتاب بشارة منه لها
ايضا انه يعلم الكتاب ثم اختلف في الكتاب قيل الكتاب هو الخط ههنا بيده ويحتمل الكتاب الكتاب نفسه التورية
والانجيل ويحتمل الكتاب كتبا للنبيين والحكمة وقيل الحكم بين الخلق وقيل الفقه وقيل الحرام والحلال وقيل
السنة والحكمة هي الاصابة وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله ورسولا الى بني اسرائيل اي يجعله رسولا الى بني اسرائيل
وهي ايضا بشارة لها منه وكان عيسى صلوات الله على نبينا وعليه من اول امره الى اخره اية لانه ولد من
غير اب على خلاف ما كان سائر البشر يكلم الناس في المهد واقربا لعبودية لله ولم يكن لاحد من البشر تلك
وابراء الاكمه والابرص واحيى الموتى وانباء ما كانوا ياكلون ويدخرون وما كان له ماوى ياوي اليه ولا عيش
يتعيش هو به والبشر لا يخلو عن ذلك ثم القى شبهه على غيره فقتل به ورفع هو الى السماء وذلك كله اية وكانت
ايته كلها حسية يحلها كل احد وايات رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه افضل الصلوة واكمل التحيات كانت

حسية وعقلية اما الحسية هو انشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه وكلام الشاة المسمومة وقطع مسيرة شهر
في ليلة وغير ذلك من الايات مما يكثر عددها هذه كلها كانت حسية واما العقلية فهذا القران الذي نزل عنه
وهو بين اظهرهم وهم فصحاء وبلغاء وحكماء يتلى عليهم فاتوا بسورة من مثله الاية وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلو كان بهم طاقة او قدرة ان ياتوا بمثله لم
ليجهد والكل جهد وتكلفوا كل تكلف حتى يطفئوا هذا النور ويتخلصوا عن قتلهم وسبي ذراريهم واستحياء نسائهم فلما لم
يفعلوا ذلك دل انه كان اية معجزة عجزوا جميعا عن اتيان مثله فاية اية يكون اعظم من هذه وبالله المعونة والنجاة وقوله
اني قد جئتكم باية من ربكم اي بعلامة اني رسول منه اليكم ثم فسر الاية فقال اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ
فيه فيكون طيرا باذن الله قوله اني اخلق لكم هو على التخليق والتكوين لان الخلق ليس هو من فعل المخلوق وانما هو من
فعل الله عز وجل لان التخليق هو الاخراج من العدم الى الوجود وذلك فعل الله سبحانه وتعالى لا يقدر الخلق على ذلك
فهو على المجاز الا ترى انه قال في اخره ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وليس الى الخلق تحليل شيء ولا تحريمه انما
ذلك الى الله عز وجل فمعناه اي اظهر لكم حل بعض ما حرم عليكم فعلى ذلك قوله اني اخلق لكم من الطين كهيئة
الطير اي اظهر لكم بيدي ما خلق الله من الطين طائرا فيكون اية لرسالتي اليكم وكذلك الايات ليس مما ينشئ
الانبياء ولكن تظهر على ايديهم وانما لم يجز اضافة التخليق الى الخلق لما ذكرنا انه اخراج الشيء من العدم الى الوجود
وذلك ليس الى الخلق والثاني ان التخليق هو اخراج الشيء على التقدير وفعل العبد انما يخرج على تقدير الله لا
يخرج على تقديره لذلك لم يجز اضافة ذلك الى الخلق الا على المجاز والله اعلم قال الشيخ رحمه الله اسم المجاز والحقيقة
والتخليق فعل حقيقة خاصة وايات الانبياء عليهم السلام هي التي تخرج على خلاف الامر المعتاد فيما بينهم يجريها الله
سبحانه ويجيء على ايديهم ان ذلك لم يكن بهم اي كان ذلك بالمرسل الذي ارسلهم ليدل على صدقهم ولا منة الا بالله
وابراء الاكمه والابرص باذني هو من ايات النبوة لخروجها عن الامر المعتاد فيما بينهم فان قيل ان احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص من ايات النبوة لعجزهم عن اتيان مثله وخروجه عن المعتاد فيما بينهم ولكن ما انباء ما ياكلون
وما يدخرون لم كان من ايات النبوة ويجوز ان يكون ذلك من منجم قيل له جوابان ان كان يكون مثل ذلك بالنجوم
احدهما انه معلوم الايات فصار اية لما ضم اليها والثاني ان هذا وان كان يعلم بالنجوم فعيسى صلوات الله على نبينا
وعليه لما علم قومه انه لم يختلف الى احد في تعلم علم النجوم ثم عرف ذلك وانباهم بذلك دل انه انما علم ذلك بالله
فكان اية وبالله التوفيق مما كان في قومه اطباء وحكماء وبصراء لم يدع احد شيئا من هذه الايات التي جاء بها عيسى عليه
السلام دل ان ذلك اشتغالهم في ذلك على اقرارهم بانها اية سماوية لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا به قال
الشيخ رحمه الله الخلق اسم المجاز والحقيقة والتخليق حقيقة خاصة وقوله باذن الله قيل بامر الله وقيل بمشيئة الله
واختلف في الاكمه عن مجاهد قال الاكمه الذي يبصر بالنهار لا يبصر بالليل وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاكمه
الاعمى الممسوح العين وقيل هو الذي ولد من امه اعمى لا يتكلف احد من الاطباء ابراء مثله ولا اشتغل بدوائه
دل انه عرف ذلك بالله تعالى الاطباء يتكلفون في دفع العلل العارضة الحادثة واما ما كان خلقه من جبلة فلا وقوله
ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين قيل قال ان هذا اية لكم ان كنتم صدقتم اني رسول الله اليكم وقيل قال ان في ذلك
لاية لكم في رسالتي ان كنتم مؤمنين بالرسل ويحتمل ان كنتم تؤمنون اي بالايات انها تعرف ما جعلت له والله اعلم
وقوله وجئتكم باية من ربكم الاية ما ذكر وقوله فاتقوا الله يحتمل فاتقوا الله في تكذيبي في الايات واطيعون
في تصديقي وقوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ظاهر قد ذكرنا فيما تقدم وقوله فلما احس
عيسى منهم الكفر قيل احس علم وقيل احس راى وهو كقوله تحس منهم من احد وقيل احس اي وجد وهو قول
الكسائي وقيل عرف وهو كله واحد ثم قوله احس منهم الكفر قال من انصاري الى الله يحتمل والله اعلم ان قومه
لما سالوه ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم اية رسالته وصدقه فعل الله عز وجل وانزل عليهم المائدة
ثم اخبر ان من كفر منهم بعد انزال المائدة يعذبه عذابا لا يعذبه احدا فكفروا به فعلم ان العذاب ينزل عليهم فاحب ان
يخرج من امن به لئلا ياخذهم العذاب فقال من انصاري الى الله يؤيد ذلك قوله فامنت طائفة من بني اسرائيل
وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم الاية ويحتمل ان يكونوا اظهروا الاسلام وكانوا في الحقيقة على خلاف
ذلك فلما علم ذلك منهم وقد هموا على قتله قال عند ذلك من انصاري الى الله احب ان يكون معه انصار مع الله ينصره
فنصر المؤمنون من غيرهم فنصرهم الله على اعدائهم فيظهر المؤمنون من عدوهم قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم
فاصبحوا ظاهرين ومن الناس من يقول انه لم يكن في سنة عيسى عليه السلام الا باحة القتال وفي الاية اشارة الى ذ

بقوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين على عدوهم فلا يخلوا اما ان يكون قتالا او عليه بحجة او شيء
مما يقهرهم والله اعلم وقوله قال الحواريون نحن انصار الله اختلف في الحواريين قال بعضهم هم
القصارون القصارون للثياب ويبيضونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال انما سموا الحواريين
لبياض ثيابهم وكانوا يصيدون السمك وقيل الحواري الوزير والناصر والخاص على ما جاء من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريين وحواري فلان وفلان ذكر نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين وانما اراد والله اعلم الناصر والوزير ويحتمل ان يكونوا سموا بذلك لصفاء قلوبهم وهم اصفياء عيسى
عليه السلام وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والله اعلم بهم وقوله نحن انصار الله ان الله
تعالى من ان ينصر ولكن يحتمل نحن انصار الله اي انصار دين الله او انصار اوليائه تعظيما وكذلك
قوله ان تنصروا الله ينصركم ان الله لا ينصر ولكن ينصر دينه او رسله او اولياءه وهو كقوله
يخادعون الله ان يخادع ولا يمكن ولكن لما خادعوا اولياءه ودينه اضافة ذلك الى نفسه فعلى ذلك
لما نصروا دين الله دينه ووليه اضاف الى نفسه وقوله امنا بالله واشهد بانا مسلمون الاية ينقض
قول من يجعل الايمان غير الاسلام لانهم اخبروا انهم مسلمون لم يفرقوا بينهما وكذلك قوله فاخرجنا
من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لم يفصل بينهما وجعلهما واحدا وكذلك
قول موسى لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين لم يجعل بين الايمان
والاسلام فرقا وهو قولنا ان العمل فيهما واحد لان الايمان تصديق بانه عند الله والاسلام ان يجعل
نفسك لله سالما وقيل الايمان اسم ما بطن والاسلام اسم ما ظهر الا ترى انه اجاز في الاسلام اشهاد
وفي الايمان التصديق وقوله ربنا امنا بما انزلت يعني والله اعلم بما انزل من الكتب التي انزلها على
الرسل جميعا فان ارادوا بما انزلت على عيسى عليه السلام فالايمان بواحد من الكتب او بواحد من الرسل
ايمان بالكتب كلها وبالرسل جميعا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ومكروا ومكر الله نبي الله عيسى عليه
السلام حيث كذبوا وهموا بقتله ومكر الله اي جزاهم جزاء مكرهم والاحرف المكر مذموم عند الخلق فلا
يجوز ان يسمي الله به الا في موضع الجزاء كقوله فمن اعتدى عليكم والاعتداء منتهي غير جايز كقوله ولا
تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكان قوله فاعتدوا عليه فهو جزاء الاعتداء فيجوز فعل ذلك هو
المكر والخداع الاستهزاء لا يجوز ان يسمى به فيقال ماكر وخادع ومستهزئ لانها حروف مذمومة
عند الناس فيشتم بعضهم بعضا بذلك لا يجوز ان يسمى الله به الا في موضع الجزاء بالله العصمة وقوله
والله خير الماكرين اي خير المجازين اهل الجور بالعدل واهل الخير بالفضل وقيل المكر انهم كذبوا وهموا بقتله
ومكر الله حيث رفع الله عيسى عليه السلام والقى شبهه على رجل منهم حتى قتلوه فذلك خير لعيسى عليه
السلام من مكرهم وقيل مكروا اي قالوا ومكر الله قال الله وقولهم الشرك وقال لهم قولوا التوحيد والله
خير الماكرين اي خير القائلين قال الشيخ رحمه الله والله خير الماكرين بما بالحق يمكر وما ياخذ من استحق الاخذ
وهم لا والله اعلم والمكر هو الاخذ بالغفلة والله ياخذهم بالحق من حيث لا يعلمون فسمي مكرا كذلك كما يقال
سبحانه الله وهو لا يستطها دون لكن لا يراد به هذا في الله وقوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك اختلف فيه
قيل هو على التقديم والتاخير ورافعك الي ثم متوفيك بعد نزولك من السماء ولكن هو التقديم والتاخير
ولم يكن في الذكر فهو سواء لانا قد ذكرنا انه ليس في تقديم الذكر ولا في تاخيره ما يوجب الحكم كذلك لانه كم
من مقدم في الذكر هو مؤخر في الحكم ومن مؤخر في الحكم هو مقدم فاذا كان كذلك لم يكن في تقديم ذكر الحكم
ولا في تاخيره ما يدل على ايجاب الحكم كذلك قوله الله يتوفى الانفس حين موتها انما هو قبض الارواح فيحتمل
الاول كذلك ويحتمل توفي الجسم اي متوفيك من الدنيا اي قابضك وليس بوفاة موت عن ابن عباس
رضي الله عنهما اني متوفيك اي متوفيك او مميتك وهو ما ذكرنا ليعلم انه ليس بمعبود وقوله ورافعك الي
هو على تعظيم عيسى عليه الصلوات والسلام ليس على ما قالت المشبهة باثبات المكان له لانه لو كان في
قوله ورافعك الي يوجب ذلك يوجب ان يكون اهل الشام اقرب اليه لان ابرهيم صلوات الله عليه قال
اني ذاهب الى ربي ذاهب الى الكوفة اليه قريب منه كقوله ثم الي مرجعكم دل هذا ان ما قالوا محال فاسد
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولكن على التبجيل والتعظيم اعني المضاف اليه والاصل في هذا
ان الخاص اذا اضيف الى الله تعالى فانما يراد به تعظيم ذلك الخاص نحو ما قال بيت الله على تعظيم البيت وناقة الله

على تعظيم

على تعظيم الناقة ونحوه مما يكثر وقوعه واذا اضيف الجماعة اليه فهو على ارادة تعظيم الرب جل ثناؤه نحو رب العالمين
وله ملك السموات والارض ونحوه كله على ارادة تعظيم الرب جل ثناؤه وقوله ومطهرك من الذين كفروا قيل فيه
بوجوه قيل مطهرك من اذى الكفرة ومن بين اظهر المخالفين من الكفر والفواحش ويحتمل ويطهرك مما قالوا
فيك وقوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا يحتمل يجعله فوق الذين كفروا بالقهر والغلبة والقتل
ويحتمل بالحجة ويحتمل في المنزلة والدرجة في الاخرة ويحتمل ومطهرك بقتل الكفرة من وجه الارض على ما ذكر في بعض
القصة انه ينزل من السماء فلا يبقى على وجه الارض كافر الا وهو يقتله مع الذين اتبعوه فذلك تطهيره
وجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا وقوله ثم الي مرجعكم ذكر هذا والله اعلم وان كان المرجع للكل اليه في كل
حال لانهم يقرون ويعترفون في ذلك اليوم الى المرجع اليه وكانوا ينكرون ذلك في الدنيا وهو كقوله الملك يومئذ
لله الملك كان له في ذلك اليوم وفي غير ذلك اليوم ولكن معناه لا ينازعه احد يومئذ في ملكه ويقرون له بالملك
والملك وفي الدنيا انكروا ملكه وهو كقوله وبرزوا لله جميعا كلهم بارزون لله في كل وقت لكنهم انكروا بروزهم
في الدنيا ويقرون يومئذ بالبروز له فكذلك الاول والله اعلم وقوله فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون يحتمل احكم فيكم
من الحق منكم من المبطل ويحتمل احكم بينكم اي اجزيكم على قدر اعمالكم وقوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا
وانا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية ويحتمل احكم بينكم اي اجزي كلا بعمله على ما يستوجبون وقوله في الدنيا قيل
القتل والجزية وفي الاخرة العذاب قال الشيخ رحمه الله في قوله اني متوفيك ورافعك الي فقوله متوفيك يحتمل متوفي
الموت بالقبض روحه كقوله يجمع البشر تكذيبا لمن ظن انه الله وابنه لا يحتمل ان يموت ونذا لزمهم هذا ايضا
ظاهرين وان كان فيما عليه خلقته وجوهره ثم يقلبه من حال الى حال في نفسه ومكان الى مكان في القرار والحاجة كفاية
لمن يعقل الحقايق ويلخصه لمن تامل الاشياء عن احدهما قوله ما المسيح ابن مريم وقوله عيسى بن مريم حتى انطق لسان
كل منهم ومعلوم احالة ابن البشر الها او ولدا لاله اذ هو يكون اصغر منها وذلك اية حدثه وكذلك قوله في المهد اني عبد الله
الى اخر ما ذكر معا لو احتمل ذلك لكان ادم عليه السلام هو الاصل وهو المقدم وهو الذي لا يعرف له والدان احق
اذ هو بجوهره فهو لله لا غير وذلك واصفا الاولاد والله اعلم والثاني في قوله كانا ياكلان الطعام فاخبر عن حاجته
وغلبة الجوع عليه وفقر نفسه الى ما يقيمها من الاغذية ثم في ذلك حاجته الى الخلاء واختياره الامكنة القذرة
لقضاء حاجته وبالله التوفيق والثاني على تبعيده بنفسه من بين اظهر اعدائه واقع الى ما به شرفه وتطهيره مما كان
يجري منهم من الكفر والقراع الفساد وختمه من بين البشر على وجه انه يكون له عليهم من احوال لظهوره الى اخر حاله
مقامه فيهم ليكون اوضح لمتبعيه في الايات وعلى مخالفيه في قطع العذر ولا قوة الا بالله وفي الدعاء الى المباهلة
دلالة ظهور التعنت والعناد وفي تخلفهم عن ذلك دليل علمهم بنبوته وخوفهم مما قد وعدوا بالنزول
عليهم ثم لزوم مع ذلك ما كانوا عليه من السفه والعناد ليعلم ان الحيل عن اعتداد المعاند منقطعة ومعلوم ان
الدعاء الى المباهلة لا يكون في اول احوال الدعوة وانما يكون بعد توفير الحجة وقطع الشبهة ففي ذلك بيان انه
كانت ثمة محاجة حتى بلغ الامر هذا وعلى ذلك امر القتال انه لم يوضع في اول احوال الارسال وفي الحال التي للعقول
ونحو وجه القبول من طريق النصف والعقل وانما كان عند ظهور معاندتهم وكثر سفههم حتى هموا بالقتل و
اكثروا الاذى واكرهوا اقواما على الكفر واخرجوا رسول رب العزة من بين اظهرهم بما راموا قتله وطرحوا اصحابه
من بلادهم حتى تحصنوا بالغيران باذن الله عند ذلك بالقتال وفتح الفتوح ليكون اية في كل وجوه الايات ظاهرة
وحجة بينة وفي ذلك جواز محاجة الكفرة في التوحيد والرسالة لكن على ما قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن
ولا يمارونهم الامراء ظاهرا ينهى التعمق والخوض فيما يقصر عنه الافهام وان كان معلوما ان لله حججا ظاهرة هم
غامضة ولا قوة الا بالله وفي ذلك تعليم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انه يكون ذلك باللطف والرفق بدي
المقصود به ليقرب عنده الحجة ويزيل عنده الشبهة من الوجوه الذي يحتمله عقله ويبلغه فهمه فان راه تعالى دي
يوحه ويخوفه بالذي في ذلك من الوعيد فان رايته يكابر عرفت شوم طبعه وسوء عنصره فتداركه بالتعليم
من والحبس فان تقع ذلك والا كف شره وضره وتطهير الارض فانه النهاية في القبح والغاية فيما يحق من معاملة السفهاء
والله اعلم لكنه على منازل لا يحتمل انتهاء كل انواع المآثم الى هذه الغاية بل فيما كان اعظمها دون هذا كثير والله اعلم
لذلك يلزم تعرف مقادير الاثام او لا يعرف بها ويحتمل كل انجر من العقوبة فيه والزجر به ولا قوة الا بالله وقوله
والله لا يحب الظالمين لانه لا يحب الظلم وقوله ذلك نتلوه عليك قيل ذلك الذي ذكر في هذه الاية نتلو عليك
يا محمد من الايات والذكر الحكيم وقيل الحكيم اي من نظر فيه وتفكر يصير حكيما والنهار مبصرا اي يبصر فيه والله اعلم

وقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب قيل في القصة ان نصارى من اهل نجران قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا انك تشتم صاحبنا عيسى ابن مريم عليه السلام تزعم انه عبد وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكمه
والابرص ويخلق من الطين طيرا فارنا فيما خلق الله عبدا مثله يعمل هذا والنصارى في الحقيقة مشبهة وقدرية
فانما حملهم على ذلك ظنهم في قول ابرهيم صلوات الله عليه حيث قال ربي الذي يحيي ويميت ظنوا ان عيسى
لما قال اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير انه رب واله لان ابرهيم عليه الصلوة والسلام اخبر ان ربه
الذي يحيي ويميت فسموا عيسى الها بهذا وهم كانوا يرون عيسى ياكل ويشرب وينام فلولا انهم عرفوا الله
عز وجل والا ما شبهوه به تعالى عن ذلك واما القدرية فلما لم يروا الله في افعال العباد اغيارا وادلة للخلق
خاصة فلما راوا من هذا عليه السلام ظنوا انه رب لما لم يروا ذلك من غيره ولو كانوا عرفوا الله حق المعرفة
لعلموا ان لم يكن من عيسى الا تصوير ذلك الطير وتمثيله ويكون مثله من كل احد وانما الحياة كان من الله
عز وجل اجراه بيدي عيسى عليه السلام تصديره فقط وذلك ما كان من ابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من
الله عز وجل اجراه على يديه المنبوته لانهم ادعوا له الربوبية من وجهين لكونه من غير اب ولاياته ثم قوله
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم يحتمل وجهين والله اعلم احدهما ان الله عز وجل صور صورة آدم من طين
ثم جعل فيه الروح لم يخبر ان يقال انه صار ادم حيا من نفسه لوجود صورته كيف جاز لكم ان تقولوا ان عيسى
لما صور ذلك الطير من الطين صار محييا له بتصويره اياه دون احياء الله تعالى اياه والله اعلم والثاني ان ادم
عليه السلام خلق لا من اب وام ثم لم تقولوا انه رب واله كيف قلتم في عيسى انه اله وان خلق لا من اب اذ عدم
الابوة في ادم لم توجب ان يكون ربا كيف اوجب عدم الابوة في عيسى كونه ربا والها والله الموفق وانما
كان عيسى بقوله كن كما كان ادم ايضا يكن من غير اب وقوله كن قد ذكرنا انه اوجز كلام في لسان العرب
بغير تيوديه المعنى فيفهم المراد لا ان كان من الله عز وجل كاف ونون او وقت او حرف او يوصف كلامه
شيء مما يوصف به كلام الخلق تعالى الله عن ذلك وقوله فيكون يحتمل وجهين يحتمل يكون بمعنى كان والعرب تستعمل
ذلك ولا تابى والثاني ان يكون الكائنات باسبابها واوقاتها التي اراد كونها على ما اراد واصل ذلك اذا ذكر
الله ووصف يذكر بلا ذكر وقت في الازل واذا ذكر الخلق معه يذكر الوقت والوقت يكون للخلق بقوله
خالق لم يزل وخالقه في وقت خلقه وقوله الحق من ربك فلا تكن من الممترين يحتمل هذا وجوها يحتمل ان
يكون الخطاب لكل احد قال عيسى ما قالوا اي لا تكن من الممترين في عيسى انه عبد الله ليس انه نبيه ورسوله
اليكم ويحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وهكذا عادة ملوك الارض انهم ارادوا ان
يعرفوا رعيتهم شيئا يخاطبون اعقلهم وافضلهم وارفعهم منزلة وقدرا عندهم استخفافا منهم مخاطبة
كل وضيع وسفيه فكذلك الله عز وجل خاطب نبيه اعظاما له واجلالا والله اعلم ويحتمل ما ذكرنا فيما تقدم
ان العصمة لا تمنع ولا النهي بل تزيد امرا ونهيا وان كان يعلم انه لا يكون من الممترين وقوله فمن حاجك فيه
من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الاية دعاهم صلى الله عليه وسلم المباهلة فالمباهلة
في لغة العرب الملاعنة دعاهم الى الدعاء باللعنة على الكاذبين فامتنعوا عن ذلك خوفا منهم بخوف
اللعنة يدل امتناعهم عن ذلك انهم عرفوا كذبهم لكنهم تعاندوا وكابروا ولم يقروا بالحق وقوله ان
هذا لهو القصص الحق يعني الخبر الحق وقوله وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم ظاهر قد ذكرنا
فيما تقدم والله اعلم وقوله الحق من ربك يحتمل خبر الحق في امر عيسى عليه السلام انه كان بشرا نبيا
فلا تكن من الممترين اي لا يحملك شدة لجاجتهم وكثرتهم في القول فيه بهذا الوصف على الشك في الخبر
الذي جاءك عن الله كقوله لعلك تارك بعض ما يوحى اليك الى اخره على الموعظة لا على انه يكون كذلك
او على ما سبق ذكره والله اعلم ويحتمل الحق من ربك اي كل حق نهوا عن الله جائز اضافته اليه والباطل
من الوجه الذي هو باطل فلا تكون في ذلك من الممترين والله اعلم جائز ان لا يقول جعل الله ذلك
الفعل ممن فعله باطلا ولا يقال الباطل من الله والله اعلم وقوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم يعني كلمة الاخلاص والتوحيد سواء بيننا وبينكم اي عدل اي تلك الكلمة قال بيننا وبينكم
لانهم كانوا يقرون ان خالق السموات والارض بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
وكذلك يقرون ان خالقهم الله بقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله لكن منهم من يعبدون
الاوثانا ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومنهم من يجعل له شركاء واندادا اشركهم

في عبادته

في عبادته فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان لا يجعلوا عبادتهم الى غير الذي انعم عليهم اذ لا عبادة
الا الله الذي اقروا جميعا انه خالق السموات والارض وانه ربهم وان لا يصرفوا عبادتهم الى غير
الذي انعم عليهم اذ العبادة هي شكر وجزاء ما انعم عليهم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله ان العبادة لواحد اهون واخف من العبادة لعدد وان صرف
العبادة الى من انعم عليكم اولى من صرفها الى الذي لم ينعم عليكم اذ ذلك جور وظلم في العقل ان ينعم
احد على اخر فيشكر غيره قال الشيخ رحمه الله العدل في اللغة وضع الشيء في موضعه وفي الاخلاص
العبادة لله والتوحيد ذلك وهذا معنى سواء وجائز ان يكون كلمة يستوي فيها انها عدل مما
شهد لنا بهذا كل انواع الحجج وقوله فان تولوا يحتمل تولوا عن طاعة الله وتوحيده وصرف العبادة اليه
فقل كذا ويحتمل فان تولوا عن المباهلة والملاعنة فقل اشهدوا بانا مسلمون اي المخلصون العبادة له
صارفون الشكر الى ما انعم علينا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله فان تولوا عن قبول دعوتهم اليه من الاجتماع
على الكلمة وقوله يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم قيل وذلك ان اليهود قالوا ان ابرهيم كان على ديننا
اليهودية والنصارى ادعت انه كان على دينهم ومذهبهم ليس على دين الاسلام فنزل قوله لم تحاجون
في ابرهيم يعني في دين ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده يعني
من بعد ابرهيم وهو يحتمل وجهين يحتمل ان التورية والانجيل انما نزلا من بعده وانتم لم تشهدوه يعني ابرهيم حتى
تعلموا انه كان على دينكم لم تقولون بالجهل انه كان على دينكم ويحتمل ما انزلت التورية والانجيل الا من بعده
اي ان التورية والانجيل انما نزلا بعد موته وكان فيهما انه كان حنيفا مسلما افلا تعقلون انه كان حنيفا
مسلما ثم اكذبهم الله عز وجل فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان
من المشركين قال الشيخ رحمه الله في هذه الاية دلالة انهم علموا انه كان مسلما ادعوا ما ادعوا متعنتين
حيث لم يقابلوا الكتابهم بالذي ادعوا من نعته ويخالف ما ادعى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نعته
وفي دلالة الرسالة اذ في دعواهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف نعته بهم بما ادعوهم غير الذي
ادعى فثبت انه عرف بالله وذلك علم الغيب والله الموفق وقوله ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم
تحاجون فيما ليس لكم به علم وهو ما ذكرنا وفيه دلالة جواز المحاجة في الدين على العلم به وانما نهى هؤلاء
عن المحاجة فيما لا علم لهم الا ترى ان الرسل عليهم السلام حاجوا قومهم حاج ابرهيم عليه السلام قومه في الله
ويحكي ذلك قوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه وموسى عليه السلام حاج قومه وما من نبي الا وقد حاج
قومه في الدين فذلك قول من يابى المحاجة في الدين قال الشيخ رحمه الله وابدى الحق انه كذلك يحجج البشر عن ايراد مثله
وعجزهم عن المقابلة بما ادعوا ما ادعوا انهم عرفوه بالله وقوله ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
والذين امنوا وهكذا يكون في العقل ان من اتبع اخر واطاعه فهو اولى به وانما الحاجة الى التتبع بحرمة المتبع
والمطيع انه ذا وذا فاخبر عز وجل ان الذين امنوا النبي صلى الله عليه وسلم هم المتبعون له اولى به وقوله والله
ولي المؤمنين اختلف فيه قيل الولي الحافظ وقيل الولي الناصر وقيل هو اولى بالمؤمنين وقد ذكرنا فيما تقدم
وقد يكون وليهم بما رفع عنهم سفه اعدائهم في ابرهيم واظهر الحق في قولهم قال الشيخ رحمه الله في قوله تعالى
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية وفي قوله لم تلبسون الحق بالباطل الاية نوع من الاداب التي خص بالخطاب
بها اهل الكتاب وجوه من المعتبر احدها ان الذين خوطبوا بهذا الاسم معروفين وانه قصد به غير اهل التورية
والانجيل ولا ذكرت نار وتهما فحق المحاجة على غيرهم ثبت ان المجوس ليسوا باهل الكتاب وان المراد من ذكر
اهل الكتاب وان المراد من ذكر اهل الكتاب غيرهم وان اخذ الجزية من المجوس ليس مما تضمنهم قوله من الذين
اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون لكن بدليل اخر وهو ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وعلى ذلك يدل قوله ان تقولوا انما انزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا الا ليعلم ان الكتاب المعروف واهله هؤلاء وان كانت ثم كتب وصحف والله اعلم والثالث
ان الله خص اهل الكتاب بانواع الحجج وجعل المحاجة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوضح انه وان كان مرسلا
الى جميع البشر كان له التخصيص في المحاجة وعلى ذلك عامة سورة الانعام في محاجة اهل الشرك على ان اهل المدينة
كانوا اهل الكتاب واهل مكة كانوا اهل الشرك فحاج كلا بالذي هو احق ان يكلم فيه وان كانت الحجة تلزم الفريقين
لان تعلمه اهل الشرك اكثرها في التوحيد وامر البعث وعلى وجوده فيه في اهل الكتاب بعض المشاركة لهم ومحاجة

اهل الكتاب بما فى كتبهم وفيه وجهان احدهما العلم بما قد غاب عنه التسبب الذى يوصل اليه بالكسب ليعلم انه وصل اليه
بالوحى فيكون من ذلك الوجه حجة على الفريقين والثانى ظهور سفه اهل الكتاب بوجه يسقط عندنا تامل الريبة
والمحن الذى كان يمنعهم ذلك عن اتباعه وذلك فيما مدح كتبهم وشهد لها بالصدق والحق واظهار الايمان بها ثم
ليعلم انه ليس بينا الرسل والكتب اختلاف فى الدعاء الى عبادة الله وتوحيده وان اولئك انما كذبوا للتسلم لهم
الرياسة ثم نبيح ذلك ظاهرا اهل الشرك المكذبين لكتبهم ورسلهم ليعلم كل ذى عقل شبههم وتمردهم فى الباطل
اذا ظاهروا اعداءهم فى الدين على من الذى ظهروا الاية فى الذين ولى له فيكون فى ذلك ابلغ الزجر لمنعهم واعظم الحجة
عليهم فيما اثروا من السفه وتركوا الحق والله اعلم وفى ذلك وجه اخر ان اهل الشرك قد عرفوا حاجاتهم الى اهل
الكتاب فى امور الدين وما عليه امر السياسة فيصير ما يلزم اولئك من الحجة لازمة لهم فى المحاجة بالذى فى كتبهم لزوم
الحجة معا عليهم فى ذلك لما قد اقسموا بالله جهد ايمانهم الاية ابلغ الحجة فى محاجة اهل الكتاب اذ تمنوا ان يكون منهم
ثم يزيد فكان قد بلغ المبلغ الذى له ظهر عاحصوا من الحجج وشاركوا اولئك فى جميع ما به كان افتخارهم عليهم ودعوى
الفضل والله اعلم معا لم يكن له اللسان الذى به ظهر كتبهم لغير لسانهم ليعلم انه ادرك ذلك بمن له حقيقة كتبهم
والله اعلم وفى ذلك وجه اخر انه حاجهم بوجهين احدهما بالموجود فى كتابهم والمعروف عند المنبهم من النعت
بكلمة التى دعاهم اليها من التوحيد وعبادة من له الخلق والامر واخبار ما فى كتبهم من انواع البشارات به
ومن موافقة الكتاب وعلى ذلك امر ابرهيم عليه السلام وغيرهم ليكون اعظم فى الحجة واقطع لمشغب والله اعلم
والثانى بما قد صرفوا من كتبهم وبدلوا من احكامهم وصرفوا من صفته ونعته ونعت امته ليعلم كل متامل انه لا
يعلم ذلك بهم اذ لا يحتمل ان يكون منهم هتك استارهم والاطلاع على اسرارهم عا لانبيائهم دفع ذلك ولا المقابلة
فى ذلك ليعلم كل الخلائق من انقيادهم او لان ذلك لابد ركه الا بمن له العلم بكل سر ونجوى ولا قوة الا بالله معا فى
ذلك وجهان من المعتبر احدهما ان ذلك الزمان لم يكن زمان حجاج ونظر فى امر الدين وتناهى فى امر الدنيا وتفاخر
بكثرة الاموال والمواشى فبعث الله محمدا رسولا صلى الله عليه وسلم منشاه من بين اظهرهم دعاهم الى ترك التقليد فى
الدين واتباع الحجج التى لا يبلغها اهل الحجاج بعقولهم دون ان يكون لهم المعونة من علم الوحى وما فيه من حكم الرب
تكيف والقوم اصحاب التقليد باغنيهم الذين دعوا علم الكتب المنزلة واما نفقة فيما بابائهم فيما نشاوا عليه من
الحق لا يشذ عنهم على ما فى ذلك من الاختلاف الذى يمنعهم الامرين جميعا لكنهم اذا لم يكونوا اهل نظر فى الدين
ومحاجة فيه لم يعرفوا ان ذلك يمنعهم التقليد فاظهر لهم الحجج واتباعهم بالمودع من حجاج انبيائهم فى كتبهم
والزمهم ان فى ابائهم من يلزم التقليد كانوا احق بذلك بما كان عندهم ان اباءهم كانوا على دينهم بما بين من تغييرهم
وتبديلهم وتركوا الواجب عليهم من حق الاتباع والله اعلم والثانى اذ ظهر فيهم الاختلاف فناقضتهم على ادعاء كل منهم
ان ذلك هو الذى كان عليه الانبياء والرسل فى اهل الكتاب وما جاءت غيرهم بما ليس عندهم الا راء اباء ليس
عندهم فضل على القول ثم كانت معلوما عند الاختلاف والتفرق فصارت الحاجة قد عمتهم والعلم بهم فى لزوم الاحكام
الى من يدلهم على الحجة ويعرفهم الحق قد تقرر عندهم فبعث الله بفضله من اظهرهم بما انطق به لسانه من الحجاج و
الزام من عمله بما غير وحفظ مما كان عليهم واباءهم فكان ذلك اظهر البيان واولى ما يعرف من افضال الله عليهم
بالاغاثة والامتنان عليهم بالفرج مما قد مستهم اليه الحاجة ودعتهم الى العلم به الفاقة والله الموفق وفى الفصل الاول
نوع حرف لم نذكره وهو ان دعاهم الى الزهد فى الدنيا بعد الركون اليها والى الاخرة فى الدين بعد ظهور التفاخر بينهم
بتكثير العشائر وتقابل القبائل والتصاحب بجميع ما اتسعوا عليه بما قد رعندهم ما اليه ترجع عواقب امورهم و
قام بذلك على خفه العادة ومخالفة الطبيعة التى يعلم ان ذلك فى مثل ذلك العصر امر سما وبتخارجة عن وسع
البشر ليكون اقطع لعذرهم واسكن لقلوبهم اليه فلله الحمد على ذلك وقوله يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
الاية فيها باوجه احدها انها العدل وهى كلمة التوحيد وكان عدلا بالاتفاق الا انسن اذ ليسئلوا عن خلق السموات
والارض فى الفزع اليها بالاجابة شهادة الخلقة على وحدانية من له الخلق والامر والله اعلم ومن هذا الوجه
امكن الاحتجاج جميع الخلق وان خص به اهل الكتاب والله اعلم والاخرى ان يستوى فيها انها احق وعدل وهى عبادة
الواحد الذى لم يختلف فى انه معبود دون وان كل من عبد غيره ظن ان يكون له العبادة بعيده فيرجع الى
حقيقته دون ان يكون بيننا وبينه من يعلم انه لا يستحق العبادة وهذا المعنى يلزم الجميع ايضا والثالث ان
يكون الى كلمة ظهر انها عدل فى كتابهم بما جاءت رسلهم ونزلت بها كتبهم ولا قوة الا بالله وقوله ودت طائفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم ذكر فى القصة ان المشركين اخذوا عمارا وحذيفة فقالوا لهم ديننا افضل دينكم

وافضل من الاديان كلها فنزل هذه الاية والاشبه ان يكون مثل هذا من رؤساء اهل الكتاب وعلمائهم هم الذين
يتولون مثل هذا العلم واما الجهال منهم والرذلة فانهم لا يفعلون هذا والله اعلم وقوله لو يضلونكم وما يضلون
الا انفسهم الاضلال قيل فيه بوجوه قيل الاضلال هو الاهلاك اراد وان يحل ذكرهم ولا يذكرون بعدهم ابدا
كما يحل ذكر اولئك وقيل الاضلال هو الاهلاك وقيل الاضلال هو التحير كل ضال الطريقا فهو متحير وما يضلون
الا انفسهم اوما يحلون الا ذكر انفسهم وما يشعرون اى وما يشعرون انهم يهلكون انفسهم او يتحيرون وما
يشعرون ماذا عليهم فيما ودوا من اليم العقاب والله اعلم ويقال نزلت فى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
وقوله يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون قوله وانتم تشهدون يحتمل وجوها يحتمل وانتم تشهدون
تلك الايات وتعاينونها وتعلمون انها ايات لكن يكابرون ويعاندون ولا تؤمنون بها ويحتمل وانتم تشهدون
اى وانتم تعلمون ما فى التورية والانجيل من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ويحتمل غيرها من الايات التى
جاء بها وقال بعضهم لم يكفرون بدين الله وانتم تعلمون بدلالة الخلقة وشهادة كتبهم ان دين الله دين التوحيد
حق وقوله يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم فى الاية دلالة جواز هتك الستر وافشاء
المكنون والمكتوم من الامر اذا كان فى ذلك تحذير لغيرهم عن مثله وترغيب لهم فى المحمود من الفعل ثم فيه دلالة
اثبات رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه يخبرهم عما كانوا يكتمون ويسترون فيما بينهم وذلك من الطلوع
اياه على ذلك وانتم تعلمون ذلك الا ترى انهم لم ينقضوا له بشئ من ذلك فيقولون متى كتمنا الحق ومتى لبسنا
الحق فدل انهم علموا انه حق وانه رسول الله عليه الصلوة والسلام وذلك قوله وانتم تعلمون ثم علم ذلك يكون
بان كان ذلك فى كتابهم او علموا بالايات المعجزة يحتمل قوله وانتم تعلمون ما جزاء من لبس الحق بالباطل وكتمه
والله اعلم ويحتمل وانتم تعلمون انكم تلبسون الحق بالباطل وقوله وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذى
انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره قيل فيه بوجوه قيل قوله امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه
النهار واكفروا اخره يعنى باول امر محمد صلى الله عليه وسلم لا النهار نفسه وذلك ما روى فى القصة ان
بعضهم كان يقول لبعض ان محمدا كان على قبلتنا وقبلته بيت المقدس ويصلى اليها فامنوا انتم به واكفروا
اخره يعنى اخر امره يعنون قبلة البيت الحرام الكعبة اى اكفروا بقبلته التى يصلى اليها الان وهى الكعبة
وقيل ان بعضهم يقول لبعض امنوا بمحمد فى اول امره حتى يؤمن جميع العرب ثم اكفروا به فى اخر امره فيقولون
لما لم كفرتم به ورجعتم عن دينه فنقول لهم انا وجدنا فى التورية نعت نبى وصفته فحسبنا هذا فامنا به
فاذا ذلك لم يكن نعته ولا صفته فرجعنا عن دينه وكفرنا به حتى يرجعوا جميعا عن دينه فذلك قوله امنوا
بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وقيل ايضا ان رؤس اليهود قالوا للسفلة صدقوا بالقران
وبمحمد صلى الله عليه وسلم وجه النهار يعنى اول النهار يعنى صلوة الغداة فاذا كان صلوة العصر اكفروا به
فقولوا لهم ان قبلة بيت المقدس كانت حقا فى ذا بعد الحق الا الضلال ليرجعوا عن دينهم فلا ندرى
كيف كانت القصة ولكن فيه دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا انه كان يخبرهم بما يضمرون
فى انفسهم ويسترون فذلك من اطلاع الله تعالى اياه ويحتمل قوله امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه
النهار اى اظهروا لهم الاسلام والموافقة ولا تؤمنوا به فى الحقيقة يدل على ذلك قوله ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم فى الحقيقة اى امنوا به ظاهرا واما فى الحقيقة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقال الشيخ رحمه الله
فى قوله وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار الاية يحتمل
وجهين احدهما حقيقة النهار ثم يتوجه وجهين احدهما امر القبلة خاصة فيريدون بذلك المحاجة ذا
بالموافقة فى احد الوقتين عليهم فيما خالفوا فى ذلك وان علموا ان ذلك حق يشبهوا على الضعفة انه
لا يريد ان ينتقل من دين الى دين ومذهب الى مذهب وان من لزم الدين الاول والمذهب الاول احق
الموافقة فيه مرة ولما لم يؤمن من البقاء على الثانى وهو كقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم
عن قبلتهم التى كانوا عليها وعلى ذلك انكروا جواز نسخ الشرائع سفها منهم اذ ليس معنى التناسخ الا اختلاف
العادات لاختلاف الاوقات وذهب المعنى قائم واما تناسخ الاحوال فى كل على العبادات فيها المصلحة
ومن يقتدهم عالما بالذى به الاصلح فى كل وقت فله ذلك والثانى انه يكون الذى اول النهار الذى عليه انزل
بما فيه وصف رسلهم وكتبهم من الهدى والبيان او وصف اوائلهم فى رعاية الحق وتعاهد الدين
فامروا بالايمان بذلك ليروا قومهم ان قد ثبت وصف من تقدم بما ذكروا انهم على تلك وضيعه فيما

اخبر من تبديل من بدل منا وابلهم وتحريفهم الا ان كانوا كذلك لما لزمهم التقليد في الامرين والله اعلم
وحقيقه انه اذا عرف حال الاوائل لانهم فعل ذلك اهل الاخر ومن به كانت المعرفة الزمهم التصديق في
الامرين جميعا معا ان في القران وصف بتصديق كتبهم فخفيهم فيما فيما هو ومقابلة كتب انبيائهم لتكون هي
القاضية والمشتبهة للحق انه على ما دعوا او ادعى عليهم وقد ظهرت تعنتهم بمظاهرتهم للمنكرين لكتبهم المكذبين
برسلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تصديقه وشهادة كتابه ليعلم المتامل عنادهم بغيا وحسدا
كما اخبر الله تعالى عنهم ولو وجدا الاخر منا ويل الاية ان يراد ما اخبر عنهم اول مرة واخره لاحقيقة ما من
النهار ثم ذلك يخرج على وجهين احدهما ان يكون دعاه في اول الامر الى التوحيد والايمان بالكتب المتقدمة
وهم يدعون الى ذلك وعلى ذلك كانوا قبل ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم واخر ذلك مما تبين من
تحريفهم وتعنتهم لما اخذهم البغي وغلبهم الحسد وخافوا على رياستهم واشفقوا على ملكهم وخراج
الشيخ واظها وكثير مما قد كتم اوائلهم تكذيبه في هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك من ائمتهم اصطلحوا
على الايمان بذلك حتى يعلم كلهم وحرصهم على قبول الحق ثم يكفرون به ليكون الاول ذريعة لهم
في الثاني انهم ظنوا انه على الحق اذا عقلوا له فلما تبين لهم باطله رجعوا عن ذلك فاطلع الله
نبيه عليه السلام على ما اسروا ليصير ما ظنوا انه حجة لهم حجة عليهم وجملة ذلك انا لا ندري ما السبب الذي
كان منهم لقول فيما كان ولكنه قد بان ان ذلك كان منهم اسرارا اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون
حجة له وزجرا لهم عن كل انواع التبديل في شان رسوله عليه افضل الصلوات بما يهتك عليهم فيفتضحون عند
من رامو استزادهم وليسقط رياستهم والله الموفق وقوله قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
اختلف فيه قيل هو على التقديم والتاخير قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم كان على اثر قوله ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم يقول بعضهم لبعض ما انزل الله كتابا مثل كتابكم ولا بعث نبيا مثل نبيكم قالوا ذلك
حسدا منهم وقيل ان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين لما نزل قوله قل ان الهدى
هدى الله قال لهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يقول دين الله الاسلام هو الدين ان يؤتى يقول
لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم من دين الاسلام والكتاب الذي فيه الحلال والحرام والله اعلم
ويحتمل ان يكون قال لن يؤتى احد من الانبياء قبلي من الايات مثل ما اوتيت اذا لان اياتهم كانت
كلها حسية يفهمها كل احد وايات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت حسية وعقلية لا يفهمها
كل احد الخواص من الناس وغيرهم وقوله او يحاجوكم عند ربكم راجع الى قوله ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم فيحاجوكم به عند ربكم انهم قد امنوا به مرة واقروا له وهو كقوله واذا لقوا الذين امنوا
قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم انهم
كانوا يظهرون لهم الاسلام والايمان ثم اذا خلوا قالوا انما نحن مستهزءون فقال بعضهم لبعض لا
تظهروا لهم الاسلام فيحاجوكم عند ربكم في الاخرة وقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء هذه الاية على المعتزلة لانهم يقولون ان الفعل ليس
بيد الله وكذلك الاختصاص انما ذلك بيد الخلق لان من قولهم ان ليس على الله ان يفعل الا ما هو
اصلح لهم في الدين ليس له ان يؤتي احدا فضلا ولا له ان يخص احدا برسالة الا من هو مستحق
لذلك مستوجب له فذلك الفضل والاختصاص انما استوجبوا بانفسهم لا بالله على قولهم ففي الحقيقة
الفضل عندهم كان بيدهم لا بيد الله بذلك اذ الفضل عند الخلق هو فعل ما ليس عليه لا ما عليه فنعوذ
بالله من السرف في القول والزيغ عن الرشد قال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
يحتمل ان يكون في السر وان اعطيتم لهم الظاهر ويحتمل ان يكون بعدما اظهرتم الكفر اخره ويحتمل لا تؤمنوا
بما جاء به الا لاجل من تبع دينكم فيكون عندهم قرة يتقرر عندهم بالذي فعلتم انكم اهل الحق فيكلم
كيف ما تصير دولة اليد ويحتمل لا تؤمنوا لا تصدقوا فيما يخبركم عن اوائلكم الا من تبع دينكم على المنع من
تصديق الرسول فيما يخبرهم عن التحريف والتبديل وقوله ان الهدى هدى الله يحتمل وجهين احدهما
البيان هو ما بين الله اذ هو الحق كل ما فيه الصرف عنه وتلبيس وتمويه ويحتمل ان يكون الدين هو الذي
دعا اليه مما وضحه وانار برهانه الدين الذي دعا اليه المحرفون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي لن يؤتى
والله اعلم من الكتاب والحجج ويحتمل ان يكون صلة قوله ان الهدى هدى الله وهو دينه او قرا لا او دعا

اليه

اليه ثم يقول ان يؤتى يعني لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم اهل الاسلام من الحجج والبينات التي توضح ان
الحق في ايديكم وقوله او يحاجوكم عند ربكم فان كان هو صلة الاول فانه يعني ليحاجوكم اذا امنتم بما دعوا اليه
فيحاجوكم بذلك عند ربكم اي انما امنتم بالذي جاءكم من عند ربكم فيصير ذلك حجة لهم عليكم وان كان صلة
الثاني فهو على انهم لا يؤتون مثل ما اوتيتم من الحجج ليحاجوكم بما عند ربكم في ان الذي هو عليه حق لما قد ظهر تعنتهم
وتحريفهم والله اعلم ثم بين السبب الذي هو بذل كل الخير وفضل والله اعلم وقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء وقوله والله يختص برحمته من يشاء ينقض على المعتزلة قولهم بوجهين احدهما انهم لا يرون لله ان يختص
احدا بشيء فيه صلاح غيره صرفه عن ذلك الغير بل ان فعل ذلك كان محابيا عندهم وبخيلا بل في الابتداء لم يكن
ذلك وانما يعطي بالاستحقاق ومن استحق يلزمه وقد ذكر بحرف الامتنان وعندهم ايضا ليس له ان الاشياء اولا
يعطي ذو معنى الذكر الذي ذكر معا صار ذلك والله اعلم والثاني ان الذي يجب عليه ان يبذل كله الاصلح في الدين
وانه ان قصر احدا عن ذلك كان جائرا ثم الافضل للعبد ما اعطى حتى تعطيه فيما امره فيكون الفضل في الحقيقة
في يد العبد يؤتي نفسه ان شاء والله الموفق وقوله ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك والقنطار
ما تقدم ذكره ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك وصف عز وجل عن اهل الكتاب بعضهم باداء الامانة وبعضهم
بالخيانة وليس المراد من الاية والله اعلم القنطار نفسه ولا الدينار ولكن وصفهم بان فيهم امانة وخيانة قلت الخيانة
او خطت وكذلك الاثر الا ترى انه يستحق الذم بدون القنطار والدينار اذا خان وكذلك يستحق الحمد اذا ادى
بدون ذلك دل انه لم يرد به التقدير ولكن على التمثيل وهو كقوله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ليس على
ارادة الذرة ولكن على التمثيل لعمل الخير والشر وجزاءه وان قل كذلك الاول وفيه دلالة لجواز العمل بالاجتهاد ولما
ذكرنا انه لم يرد القدر الذي ذكره ولكن المعنى فيه بالاجتهاد يعرف لا بالنصوص وعلى الشافعي رضي الله عنه
ان الدينار عنده يستكثر عليه مدحه عند المثير والله تعالى جعله مستقلا وفيه دلالة ايضا جواز شهادة بعضهم
لبعض وعلى بعض ان كانت فيهم نزلت على ما قاله بعض اهل التاويل لانه وصف عز وجل بعضهم بالامانة بالمال
وان كانت الامانة لهم في الدين والشهادة امانة والله اعلم ويحتمل ان يكون الاية فيمن اسلم منهم وصف
بالامانة ومن لم يسلم وصفهم بالخيانة على ما ذكر عز وجل في اية اخرى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
وصف عز وجل من امن منهم بالعدالة والهدى ووصف الكفار بالخيانة في غيرها من القران ويحتمل ان يكون
الاية فيما يعملوا وفيما جرى بينهم وبين المسلمين من المداينة من غير رهن ولا كفالة وهو كقوله فان امن
بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته امرهم باداء الامانة فيما ائتمنوا وقوله الا ما دمت عليه قائما قيل حتى
ملازما مواظبا الحاحا اما متقاضيا ومن عامل من المسلمين لما من هذه المعاملة بخيانة دخل له هذا النهي والله عند
وقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل قالوا ذلك لانهم كانوا يستحلون اموال المسلمين ظلما
يقولون لم يحل علينا في كتابنا لا حرمة لهم حرمة اموالنا علينا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه واراد وا
بالاميين العرب اذ ليس لهم كتاب وقيل ذلك لاستحلالهم بان قالوا ليس علينا فيهم سبيل واراد وا
بالاميين المسلمين على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب وقيل
قالوا لا حرج علينا في حبس اموالهم في التوراة فاكذبهم الله عز وجل بقوله ويقولون على الله الكذب بان ليس
في كتابهم حرمة اموالهم عليهم سبيل وهم يعلمون انهم يكذبون على الله عز وجل وقوله بلى من اوفى بعهده
يحتمل قوله بلى ردا على قولهم ليس علينا في الاميين سبيل بل عليكم سبيل فيهم ثم ابتدأ الكلام فقال
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين اي هؤلاء الذين يحبهم الله لا انتم ويحتمل قوله بلى من اوفى
بعهده الذي عليه في التوراة من اداء الامانات واظهار نعته صلى الله عليه وسلم وصفته التي فيها وتحريم
محاربيه وظلم الناس وترك الوفاء حتى نقض العهد وصدق الله ورسوله ولم يكتم نعته وصفته
فان الله يحبهم والله اعلم وقوله ان الذين يشترون بعهد الله قيل عهد الله امره ونهيه ويحتمل هذا العهد ما
عهد في التوراة ان لا يكتموا نعته وصفته ولكن يظهرون ذلك للناس ويقرونه ويبينونه ثمنا قليلا ايمانهم التي
حلفوا كذبا ان ليس نعته وصفته فيها خيانة وجابا منا فيهم ويحتمل ان حلفوا كذبا فاخذوا اموال الناس
بالباطل والظلم وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين ليقطع بها مال
امرئ مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان ورد هذه الاية ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم الاية والعهد
والايمان يكون سواء الا ترى الى قوله عز وجل واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان الاية

ويحتمل عهد الله ما تتلو عن الله وما الزمهم الله والايمان ما حلفوا والله اعلم وقوله اولئك الذين
لا خلاق لهم في الاخرة لا نصيب لهم في الاخرة مما ذكروا ان لهم عند الله من الخيرات والحسنات كقوله
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وقوله ولا يكلمهم الله يحتمل وجهين يحتمل انه اراد بذلك كلام
الملائكة الذين ياتون المؤمنين بالتحية والسلام من ربهم لقوله والملائكة يدخلون عليهم من
كل باب سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون الاية وقوله لا يكلمهم الملائكة على ما تكلم المؤمنين ذو
اضاف ذلك الى نفسه على ما ذكرنا فيما تقدم من اضافة النصرانية على ارادة اوليائه فكذلك هذا او
ان يكون الله عز وجل كان قد كلمهم بتكليم الملائكة اياهم لانهم رسله فكان كقوله وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فصيره يبعث الرسل كان قد كلمهم هو فكذلك
الاول ويحتمل ان يكون الله عز وجل يكرم المؤمنين في الجنة بكلامه كما كلم موسى في الدنيا فلا يكلمهم كما كلم
المؤمنين ويحتمل لا يكلمهم بالرحمة سوى ان يقول اخسئوا فيها ولا تكلمون وكقوله ولا ينظر اليهم يوم
القيمة وقوله ولا ينظر اليهم نظر رحمة كما ينظر الى المؤمنين بالرحمة وقوله ولا يزكيهم اي لا يجعل لهم
ثوابا ويحتمل ان يكون هذا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا فقال لا يزكيهم اي لا يزكوا اعمالهم وقوله
وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب اي كانوا يحرفون السنتهم بالكتاب على التعظيم والتبجيل لتحسبوه
من الكتاب المنزل من السماء وما هو من الكتاب الذي نزل من السماء ويقولون هو من عند الله وما هو
من عند الله بل هم كتبوه بايديهم وهو كقوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من
عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم يكذبون على الله وان ذلك ليس هو من عند الله وقوله
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة اي ما كان لبشر اختاره الله الذي قال وتبين انهم
اعاضوا تواد بينهم الذي فيه عبادة غير الله الى انبيائهم كذبا وان الله يجعل رسالته عند من يعصمه
عن مثله بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته لا يجعلها حيث تخان ويكتم والله الموفق وهذه الاية تنقض
على الباطنية قولهم لانهم يقولون ان الله لا يؤتي البشر الكتاب والنبوة انما يؤتي النفس البسيطة
وهي الروحانية لما انها تحصل في قلوب الانبياء وتؤيدهم حتى يؤلفوا كقوله نزل به الروح الامين على
قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين فاذا ثبت ذلك في قلوب الرسل تقدم الكتب والصحف
لا يقدر غير الرسل على ذلك ثم الناس ياخذون ذلك منهم فالاية تكذبهم وترد عليهم قولهم حيث اخبر
يؤتي البشر الكتاب والحكمة والنبوة وكذلك عيسى عليه السلام في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب
وجعلني نبيا وفي الاية دليل عصمة الرسل والانبياء عليهم السلام عن الكفر بقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وخاصة في عصمة رسولنا محمد صلى الله
عليه وسلم قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وقال والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا شرط في المؤمنين اكتساب ما يستوجبون به الاذى ولم يشترط
في النبي صلى الله عليه وسلم دل انه لا يكون منه اكتساب ما يستوجب به الاذى ويكون من المؤمنين بشرطه
فيهم ذلك والله اعلم وقوله ولكن كونوا ربانيين معناه اي ولكن يقول لهم كونوا ربانيين ثم اختلف
في ربانيين قيل متعبدين لله بالذي يعلمون الكتاب وبالذي به يدرسون وقيل الربانيين العلماء الحكماء
وقيل حكماء علماء وقيل علماء فقهاء وهو واحد ثم فيه دلالة ان الرجل قد يدرس ويعلم ما لا يفقه ولا
يعلم معناه لا كل من يدرس شيئا ويعلم اخره يكون فقيها فيه ويعرف ما اودع فيه من المعنى وفيه دلالة
جواز الاجتهاد دلالة ان يوصل الى ما فيه من المعنى وتعقد بالاجتهاد والله اعلم وقوله ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اختلف فيه قيل ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة اربابا لانهم
يقولون ان الله امرهم بذلك كقوله تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله
امرنا بها وقيل ان عيسى وعزير ممن ذكر لا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا من دون الله
وقد عصمهم بالنبوة وقوله ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون يحتمل وجوها يحتمل ايامركم الله
اذ انتم مسلمون له بالخلقة لانه شهد خلقة كل احد وحدانيته كقوله وله اسلم من في
السموات والارض ويحتمل بعد اذ انتم مسلمون اي سلمتم له والتزمتم ثم كفرتم به
بعدما كانوا مخلصين له ويحتمل قوله بعد اذ انتم مسلمون بعد اذ دعاكم الى الاسلام فاجاب

بعضكم وقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الاية قال مجاهد هذا خطأ من
الكتاب على ما ذكر في اية اخرى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لان الميثاق لا يؤخذ على
النبيين ان يصدقوا لكنه يجوز هذا ثم اختلف فيه قيل ميثاق الاول من الانبياء يصدق بما جاء
الاخر منهم المراد ذلك وقيل اخذ الله ميثاقا على النبيين اي يصدق بعضهم بعضا وان يبلغوا كتاب الله
ورسالته الى قومهم ففعلوا ثم اخذوا مواثيق قومهم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه
وينصروه قيل اخذ الله على النبيين ميثاقا على ان يبلغوا الرسالة الى قومهم ويدعوا الناس الى دين
الله قال الكسائي فيه وجهين احدهما يقول ميثاق الذين منهم النبيون وهم بنوا اسرائيل و
كل ميثاق ذكره الله تعالى في القران لاهل الكتاب فانما يراد به بنوا اسرائيل والثاني ذكره كما ذكرنا
من تصديق بعضهم بعضا وتبليغ كتاب الله الى قومهم وقوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم اخذ عليهم الميثاق
بان اخذوا على قومهم المواثيق ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا خرج وينصروه وقوله قال ااقررتم قال الله تعالى
للانبياء ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري قيل هو عهدي والاصر قيل هو العهد قالوا اقررنا بالعهد لتؤمنن به
ولتنصرنه وقال الله تعالى فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين يقول الله تعالى وانا على اقراركم بمحمد عليه الصلوة والسلام
من الشاهدين وقيل قال الله فاشهدوا انا قد اخذت عليكم بالعهد وانا معكم من الشاهدين انكم قد اقررتم
بالعهد يقول الله تعالى فمن تولى بعد ذلك العهد والاقرار بنقض العهد والرجوع من الاقرار فاولئك هم
الفاسقون وقوله افغير دين الله يبغون كانه يتوجه الى وجوه يرجع الى اعتقاد المذهب في الاصل ويرجع
الى الحكم والخضوع كقوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ويرجع الى الجزاء ثم قوله افغير دين الله يبغون كل منهم
يبغي دينا هو دين الله ويدعي ان الدين الذي هو عليه دين الله لكن هذا والله اعلم كل من في الابتداء يبحث
دين الله في نفسه لكي يبان له من بعد ومن ظهر له بالايات والحجج انه ليس على دين الله هو الاسلام فلم
يرجع اليه ولا اعتقده ولزم غيره بالاعتناد والمكابرة فهو باغ غير دين الله من الاحكام والتوحيد ويحتمل
افغير دين الله يبغون اي افغير ما في دين الله من الاحكام والتوحيد ويحتمل افغير دين الله يدينون وليس
على الاستفهام ولكن على الايجاب انهم في صنيعهم يبغون غير الذي هو دين الله كقوله اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء الاية وكقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم الاية وقوله وله
اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل وجوها يحتمل اسلم اي استسلم وخضع له بالخلقة اذ في خلق
كل دلالة وحدانيته ويحتمل وله اسلم من في السموات يعني الملائكة وكل من في الارض المؤمنون الذين اسلموا لله
طوعا وكرها يعني اهل الاديان يقرون ان الله ربهم وهو خلقهم كقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله
اسلم منهم وهم في ذلك مشركون عن ابن عباس رضي الله عنه قال من في السموات اسلموا طوعا واما اهل الارض
فمنهم من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها مخافة السيف وعن ابن عباس رضي الله عنه ايضا قال طوعا من ولد
في الاسلام وكل من اسلم ولم يولد في الاسلام فهو كره وقيل منهم من اسلم طوعا ومنهم من جبروا عليه والاسلام
هو تسليم النفس لله خالصا لا يشرك فيها غيره كقوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما
لرجل الاية ان ما ذكرنا والله اعلم والاسلام هو اسم الخضوع وكل منهم قد خضعوا ولم يجبر احد ان يخرج وقوله قل امنا
بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم الاية هذا والله اعلم وذلك ان اليهود والنصارى لما امنوا ببعض الرسل
وكفروا ببعض كقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض امر الله تعالى المؤمنين ان يؤمنوا بالرسل جميعا فامنوا بهم جميعا
وقالوا لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون والاسلام ما ذكرنا والله اعلم وقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه اختلف فيه فلن يقبل منه حسنات من يبغي غير دين الاسلام في الدنيا وهو كقوله ومن يكفر بالايمان
اي بالمؤمن به فقد حبط عمله ويحتمل من اتى بدين سوى دين الاسلام فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين
قال الشيخ رحمه الله في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه يحتمل يبتغي يطلب فلن يقبل منه كانه نهى
عن ذلك ان يقصد بالدين التقرب الى الله تعالى فاخبر ان ذلك لا يقبله لنصرف الطلب الى غير ذلك وذلك كان اولى
من عبادة الاوثان وغيرها لتقربهم الى الله زلفى فاخبر انه لا يقرب لنصرف الطلب الى حقيقة ذلك الدين على الاديان
كانت معروفة بالنفس الكرهة عن قبول اسم الاسلام لدينهم وادعوا ان دينهم هو دين الله فاخبر الله تعالى ان
دينه هو الاسلام وان من يبتغي الدين لدين الله به غيره فان الله لا يقبل منه والله اعلم ويحتمل الابتغاء الارادة
فيكون فيه تحقيق الدين اذ هي تجامع الفعل فكانه قال من دان غير دين الاسلام فلن يقبل منه وان قصد

به الله بالدين والله الموفق ابو ذلك قوله وهو فى الاخرة من الخاسرين ابو يعنى اى بغيره والله اعلم **وقوله** كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق الاية فالاية تحتمل وجوها تحتمل ان يهدى الله قوما معاندون يكابرون فيه غير خاضعين والا متواضعين انما يهتدى من خضع له وتواضع فاما من عاند وكابر فلا يهديه ويحتمل ان هذا فى قوم مخصوصين علم الله منهم انهم لم يؤمنون ابدا فاخبر الله تعالى انه لا يهديهم واما من علم انه يؤمن وتاب فانه يهديهم بقوله الا الذين تابوا واصلحوا الاية اطمع من تاب واصلح ان يهديه ويغفر له ويحتمل ان لا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا على كفرهم كقوله لا يهديهم طريقا الا طريق جهنم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل ان لا يهديهم فى وقت اختيارهم الضلالة وقيل بما اختاروا من الضلالة لا يهديهم اى لا يثيبهم والله لا يهدى القوم الظالمين قال الشيخ رحمه الله دل قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم ان دين الاسلام هو الايمان والكفر مقابلة من الاضداد وكيف يهدى قبل كفرهم وقيل فى وقت اختيارهم وقيل ذلك فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون وكانت همتهم التعنت والمخالفة والله اعلم **وقوله** والله لا يهدى القوم الظالمين الاية ترد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان الهدى البيان فالبيان للكل قالوا يتقدم الفعل فلو كان متقدما لكان اعطاء الهدى للظالم فاخبر عز وجل انه لا يهدى الظالم وهم يقولون لا بل يهدى الظالم فذلك خروج عليه واما على قولنا فان التوفيق والقدرة انما يكون معه فكان قولنا موافقا للاية قال الشيخ رحمه الله فى قوله والله لا يهدى فلو لم يكن الهدى غير البيان فلقد هداهم اذا على قول المعتزلة **وقوله** اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله قيل لعنة الله عذاب الله وقيل لعنة الله هى الاياس من رحمته وعفوه واللعن هو الطرد فى اللغة ولعنة الملائكة ما قيل فى اية اخرى قوله ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا الاية وقيل لعنة الملائكة قولهم لهم ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون الى اخره وقيل يدعوا عليهم باللعن وقيل لعنة المؤمنين قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فذلك لعنهم عليهم **وقوله** الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم يحتمل على قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم ذكر الكفر بعد الايمان ثم ذكر التوبة فقال الا الذين تابوا الاية اصح لهم المغفرة والرحمة بالتوبة بعد الكفر بقوله فان الله غفور رحيم وما قيل فى القصة ايضا ان نفرا ارتدوا عن دين الاسلام ثم تاب بعضهم ولم يتب البعض فنزل قوله الا الذين تابوا الاية وفيه دلالة قبول توبة المرتدين لان قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك الاية قيل فى القصة وقوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم الاية اختلف فيه قيل كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا اى ماتوا على ذلك فذلك زيادتهم الكفر وقيل ان الذين كفروا بعيسى بعد الايمان بالرسل جميعا ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم لن تقبل توبتهم قيل لن تقبل توبتهم التى تابوا مرة ثم تركوها وقيل لن تقبل توبتهم التى ظهروا باللسان ولما كان فى قلوبهم اى ليست لهم توبة الا ان يكون توبة منهم فتركوا كقوله لن تقبل شفاعتهم وقيل هم قوم علم الله انهم لا يتوبون ابدا فاخبر انه لا يقبل توبتهم كقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقيل لا تقبل توبتهم عند الموت كقوله لما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل اخبر انه لا ينفع الايمان فى ذلك قوله لن تقبل توبتهم فى ذلك الوقت اذا داموا على الكفر الى ذلك الوقت قال الشيخ رحمه الله فى قوله ان الذين بعد ايمانهم لن يقبل توبتهم ذلك فى قوم مخصوصين اى لا يكون منهم كقوله ولا تقبل لهم شفاعة اى لا شافع لهم ويحتمل عند رؤية فعل الله وجزاء فعله عند القيمة ومعاينة يدل على ذلك الاية التى تقدمت **وقوله** ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا الاية قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به يقول لو كان معهم لافتدوا به انفسهم ما قبل منهم لا يكون كقوله لا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى لا يكون لهم شفيع ان كان لهم شفعاء فيشفعون فلا تقبل شفاعتهم ولكن لا يكون لهم فهذا يدل على ان قوله لن تقبل توبتهم اى لا يتوبون والله اعلم وروى عن ابن مالك رضى الله عنهما ان النبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كانت لك ملء الارض ذهبا ان كانت

مقتديا فيقول نعم يا رب فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك **وقوله** لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يحتمل ان يكون الاية والله اعلم فى كفار منعهم عن الاسلام الزكوة والصدقات التى تجب فى الاموال كقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا الاية الى قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون اخبر عز وجل لن تنالوا الاسلام حتى تنفقوا مما تحبون من الاموال وكقوله الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ويحتمل الاية بالمؤمنين رغبهم عز وجل فى انفاق ما يحبون كقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه الاية اخبر ان البر ما ذكر من الايمان به وايتاء المال فى حبه وروى عن انس رضى الله عنه قال لما نزل قوله تعالى لن تنالوا البر الاية قال طلحة يا رسول الله حائطى الذى فى مكان كذا وكذا فهو لله ولو استطيع اسرها اعلنته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعله فى قرابتك وقراباتك وروى عن عمر رضى الله عنه انه لما نزل هذا اعتق جارية ثم اختلف فى البر قيل البر هو الجنة ههنا وقيل البر الاسلام ان كان فى الكافرين وقيل لن تنالوا درجات الجنة وما عند الله من الثواب الا بانفاق ما تحبون **وقوله** وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم ففيه دليل قبول القليل من الصدقة لانهم يمتنعون عن قليل الصدقة استحقارا فاخبر انه بذلك عليم وان قل بعد ان يكون ذلك لله عز وجل والله اعلم **وقوله** كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان الاية قال ابن عباس رضى الله عنهما وكان الطعام كله حلالا الا الميتة والدم ولحم الخنزير الا ما حرم اسرائيل على نفسه يعنى يعقوب حرم على نفسه لحم الابل والبانها وكان من احب الطعام اليه ان ثبت ما ذكر فى القصة ان يعقوب عليه السلام اقبل يريد بيت المقدس فلقيه ملك فظن يعقوب انه لص فعالجه يصارعه حتى اضاء له الفجر فلما اضاء لهما الفجر غمز الملك فخذ يعقوب فهيج عليه عرق النساء فكان يبيت الليل ساهرا من وجعه فاقسم لئن شفاه ذلك من الله فى الغداية ويحتمل فامر الله نبيه ان قل لهم فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين ان ذلك التحريم من الله فى التورية ويحتمل ان يكون التحريم كان بظلم منهم كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات الاية ثم انكر والتحريم ذلك بظلم هم فدعوا باحضار التورية ليظهر كذبهم فابوا ذلك فلا ندرى كيف كانت القصة ولكن فيه اثبات دلالة رسالة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر عما اسروا واظهر ما كتموا قال ابو زيد انما قدر اهل الكتاب على تغيير كتابهم والزيادة فيه والنقصان ولم يكن لاحد تغيير القران عن وجهه او زيادة فيه او نقصان منه لان كتبهم تشبه كلام غيره من الحكماء فغيروا بغيره من كلام الحكماء واما القران فهو اية معجزة لم يقدروا على تحريفه ولا تبديله وان علم انه كان كما ذكروا لا فهو والله اعلم ليهتك عليهم استارهم وليظهر منهم ما كتموا فيه اثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم **وقوله** قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا الاية قد ذكرنا فيما تقدم **وقوله** ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا قيل فيه بوجوه قيل ان اول بيت مبارك وضع للناس هو بكة وقيل اول مسجد وضع للناس مكة وقيل يريد ببكة البقعة اى اول بقعة خلق الله هو مكة ومنها دحيت الارض وقيل ان ادم عليه الصلوة والسلام لما اهبط حج فيه قال له جبريل عليه السلام قد حج فيه الملائكة قبلك بالفى عام وقيل خلق الله البيت قبل الارض بالفى عام فى اختلف فى قوله بكة الزحام وقيل البكة موضع البيت وسائر القرية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال مكة من فج الى التنعيم الحرم وبكة من البيت الى البطحاء وقيل بكة الكعبة حيث يبك الناس اى يزحم بعضهم بعضا ما وراءها **وقوله** مباركا وقيل يغفر فيه الذنوب الخطايا وهدى للعالمين فيه ايات بينات ويحتمل قوله فيه ايات بينات ما لو تاملوا لهديهم وذلك ان الله عز وجل خلق هذا البيت بين الجبال فى ارض ملساء قليلة الانزال والمرع لا ماء فيه ولا شجر ولا نزهة ما لا يرغب الخلق الى مثله ثم جعل قلوب الناس تميل وتهوى اليه افئدتهم من غير ان كان فيه ايات بينات ما ذكر مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا وذلك اياته والله اعلم وقوله ومن دخله كان امنا ظاهرة يقتضى ثم دخل الحرم امن لان من لم يجئ فهو امن ان دخل من الحرم وغيره وانما الاية على ما يخص بالامن اذا دخل الحرم دون غيره وقد روى عن جماعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوافق هذا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا اصاب الرجل الحد فى الحرم اقيم عليه وان اصابه فى غير الحرم ثم التجأ اليه لا يحدث ولا يجالس ولا يؤاكل ولا يبايع حتى يخرج منه فيؤخذ فيقام عليه الحدود وروى عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال لو وجدنا قاتل ابينا فى الحرم

لم تقتله وروى عن الحسن رحمه الله انه قال في قوله ومن دخله كان امنا كان هذا في الجاهلية فاما الاسلام
فلم يزده الا شدة في اصحاب الحد في غيره ثم الاسلام لم يرفع ذلك الامن بل كان امن العبد في حال الاسلام
كهو في الجاهلية فعلى ذلك الامن الذي كان في الجاهلية هو بان غير زايل في الاسلام واصحابنا رحمهم الله ان
يذهبوا الى ما روى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما ولما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما حلت لي
ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يحتش حشيشها اخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان مكة بعد الاسلام حرام كما كانت قبله وانها كانت لم تحل له ساعة من نهار فاذا كان الملتجى
اليها قبل الاسلام فالواجب ان يكون امنا بعد الاسلام حتى يخرج منها وحجة اخرى وهو ان الله تعالى
اباح لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل المشركين جميعا بل فرض ذلك عليه الا اهل مكة فانه لم يحل له قتلهم
الا ساعة من نهار فتفضل مكة على غيرها بما اختصها به من التحريم فلا يبعد ان لا يقام على من التجا اليها في
الاسلام اذا كانت حبانية اقل من كفر اهلها ولم يحل قتالهم الا ساعة من نهار وفي الفرق من قتل فيها
وفي غيرها ثم التجا اليه وجه اخر قول الله تعالى ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم
فاقتلوهم اباح لهم القتل عند المسجد الحرام اذا اقتتلوا فعل ذلك يقام الحد اذا اصاب وهو فيه واذا اتى
وهو في غيره ثم لجا اليه لم يقم كما لم يقاتلوا وهذا فرق حسن واضح بحمد الله وعونه قال الشيخ رحمه الله
في قوله عز وجل ومن دخله كان امنا يحتمل ان يكون خبرا من الحرم في قديم الدهر انه كان على بني الخلق من
الحروب يامنون بالحرم اذا التجوا اليه وذلك كقوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم
فيكون ذلك من عظيم ايات الله تعالى ان الجاهلية على عظيم بدلوا من الاسود وغيروا من الذين منعهم
الله تعالى عن هذا التغيير حتى يثبت لكل من يشهده ان الله له هذا السلطان وبه قام هذا التدبير العظيم
العلم بحقايق الاشياء ووضع كل شي موضعه وعلى ذلك قال بعض اهل التاويل في قوله ذلك لتعلموا ان الله
يعلم قد جعل جل ثناؤه ذلك كالمامن في الشرع والطبع فما جاءت الرسل واما الطبع فما تنافر الناس حتى صار
ذلك الى الصنيع الذي يؤدي به الاخذ والى انواع الاشياء التي قامت بالجوهر تلك البقعة من النبات
لا بالاسباب تكتسب ولهذا كره بيع رباع مكة واخص في بيع ما يحدث فيه من البنات والله اعلم وذلك قوله
وجعلنا كذا على لزوم ذلك الحق لانه مذكور بحرف الامتنان والاحتجاج له ولا يجوز تغير الذي هذا وصف
والله اعلم ويحتمل كان صار امنا اي وجب له الامان ومعلوم ان الذين لم يلزمه القتل كان امنا دون
دخوله فثبت ان ذلك فيمن لزمه وايد ذلك قوله ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام فهم قوم قد سبق
منهم الكفر وقت القتل بالكفر لم يؤخذهم حق الشرع على ما سبق من الكفر في وقت لم يكن ذلك جزاء
في الدنيا الا ان يحدث القتال فعلى ذلك من لزمه الا فيه فهو يامن به والله اعلم واصله انه اضاف
الامان الى نفسه بقوله كان امنا وكل احق يتلف فله امان بالدخول فيه وكل حق في اقامة احياء
ما جعلت الحياة ليقع مثله فهو يقام ليكون زجرا له وتكفيرا على بقاء الامن بقي نفسه ورد ما لي ما
لابد انه التجا اليه للهرب عن حكم الله تعالى او كلوما ان بالله ليصل الى اقامة احكام الله تعالى امنا وفي
اقامته هذا ايضا والله اعلم وقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فرض الله تعالى
الحج بهذه الاية على من استطاع اليه سبيلا ولم يبين ما السبيل وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة وهكذا يقول علماؤنا ان الاستطاعة والسبيل هو الزاد
والراحلة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الناس اذا كان بينه وبين الحج بحر لم يلزم
الحج فكانه ذهب الى ظاهر الاية من استطاع اليه سبيلا فجعل البحر واشباهه مزيلا للاستطاعة فخالف ما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاستطاعة فقال الزاد
والراحلة لان النبي صلى الله عليه وسلم هو المبين عن الله فعلينا اتباعه في قوله وفعله وتفسيره الاية ولكنا
نجعل من يحول بينه وبين البيت معذورا في التاخير ولا باثم ان شاء الله اذا لم يقدر على الوصول الى البيت
بعله على ما جعل التاخير في غيرها من العبادات عندنا لا عذار دالعلل ولا باثم في الاية دلالة ان لا يلزم المراة
الحج الا بالمحرم لان المراة ان وجدت الزاد والراحلة فانها تحتاج الى من يركبها وينزلها ولا تقدر على ذلك
الا بغيرها وهكذا الموقف بهن فاذا كان كذلك جعل كانها غير واجدة الراحلة والله اعلم وفيه دلالة ان العبد

اذا حج ثم اعتق لزمه حجة الاسلام لانه لا يملك الزاد والراحلة فاذا لم يملك الزاد والراحلة لم يجز ذلك من حجة
الاسلام وكذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ايما عبد حج ولو عشر حجج فعليه اذا اعتق حجة الاسلام وليس
كالحر الفقير يحج ثم ايسر جاز ذلك من حجة الاسلام ففرقوا بينهما وان كانا في زوال الحج في الابتداء سواء وذلك
ان الفقير اذا بلغ ذلك المكان صار غنيا ولزمه الفرض لانه يحتاج حينئذ الى زاد وراحلة واما العبد اذا حضر ذلك
المكان لم يعتق لذلك افترقا وفي ذلك حجة اخرى ما اجمع اهل العلم ان فقيرا حضر القتال ضرب له بسهم كامل كما
يضرب لمن كان فرض الجهاد ولازما له ولو ان عبدا شهد الوقعة وصح له ولم يكن له سهم الحر فافترق حال الفقير
والعبد في الجهاد والضرب في السهم فعلى ذلك تفترق حالهما في الحج والله اعلم وقال بعض اهل العلم ان الشيخ الذي
لا يستمسك على الراحلة اذا وجد غيره يحج عنه يلزمه فرض الحج فما ينكر من قال في المراة بمثله فاحتج بما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابي شيخ ادركته فريضة
الحج وهو لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة فيجزي ان احج عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان
على ابيك دين فقضيته عنه اكان يقبل منك قال نعم قال فالله اولى يحج البيت وكلام نحوه ولكن ليس في الخبر انه فريضة
الحج انما ادركته فريضة الحج قبل ذلك فكذلك يقول علماؤنا ان الحج اذا وجب فاخر اداءه حتى اعسر لم يسقط عنه
الحج وكذلك اذا وجب عليه الحج فلم يحج حتى كبر فصار لا يستمسك على الراحلة ان يوصي ان يحج عنه ويحتمل ايضا عندنا انه رخص
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج عنه متبرعا الا انه الزمه الحج في ذلك الوقت الذي لا يثبت الا على الراحلة
وعندنا انه لا يلزمه لانه اذا لم يستمسك على الراحلة فلا رحلة له ثم من قول هذا القائل الامر لزمه فرض الحج فله التاخير
وفي التاخير فوت ادراك المنية ومن قوله انه لو اخر حتى مات يصير فاسقا يجعل له رخصة التاخير ثم يفسقه
فكان يجعل له الرخصة في الفسق فذلك قبيح وحشو من القول سمج واما عندنا فانه لا يبيح له التاخير في اول الحول
الا ان كان على تمام شرط الاختيار كغيره من العبادات التي لزمت من نحو الصلوة والصيام وغيرهما لا يبيح التاخير
فعل ذلك الحج ثم قول الشافعي رحمه الله ان على الكافر الحج والصلوة والصيام في حال كفره فاذا اسلم سقط ذلك عنه
فذلك عندنا لعب وعبث في دين الله تبارك وتعالى غير جائز ان يلزمه فرض في حال لا يجوز له فعله فاذا جاء سبب الجواز
يسقط عنه ذلك وفي الاية دلالة ان الحج انما كان فرضا على المؤمنين خاصة بقوله ومن كفر بالحج فان الله غني
عن العالمين فلو كان هو على الكافر كما هو على المسلم لم يكن لقوله معنى دل انه لازم والله امر بالعبادات باسم المؤمنين
ثم المسئلة بيننا وبين المعتزلة في الاستطاعة قالت المعتزلة يكون قبل الفعل لان الله تعالى فرض الحج وامر
بالخروج اليه اذا قدر على الزاد والراحلة على ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا لم يقدر لم يلزمه
فدل انها تتقدم واما عندنا فهي على وجهين احدهما استطاعة الاسباب والاحوال والثاني استطاعة
الافعال فان استطاعة الاحوال والاسباب يجوز تقدمها من نحو الزاد والراحلة والجوارح السليمة واما
الافعال فانها لا يكون الا مع الفعل لانها استطاعة الفعل وسببه لا يكون الا معه والوقت في الحج للفعل
الحج لا للايجاب لانه لو كان للايجاب لكان له ان لا يخرج ولا يأتي ذلك المكان فيجب عليه الحج ولانه لا اية
لو لم يلزمه بالوقت ثمه لا يمكن فعله به دون المكان فيجئ ان لا يلزمه الا بحضور ذلك فلا يلزمه الخروج ابدا
اذ الحج غير لازم ولانه ليس على العبد ان يتكلف باكتساب ايجاب العبادات وعليه ان يجهد في اداء الواجب
عليه ثم الاوقات على اقسام ثلثة وقت الايجاب والاداء جميعا نحو الصلوة والصيام ونحوهما ووقت
الاداء وهو الحج انما وجوبه بالزاد والراحلة واما الوقت فهو لم يعط قدره فعل الحج لانه لا يقدر على فعله
اذا كان فيما ذكرنا دل ان قدرة الفعل لا يتقدم الفعل وقدرة الاحوال تتقدم لما ذكرنا والله اعلم
وقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين في الاية دلالة ان الله تعالى عز وجل اذا امر عباده بامر ليس بامر
لحاجة العبد لانه غني بذاته لا حاجة تمسه ولذا الامر فيما بين الخلق فانما هو لحاجة بعضهم لبعض اما
منفعة او دفع مكروه فذلك معنى قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ثم اختلف في قوله ومن كفر
عن ابن عباس رضي الله عنه ومن كفر قال من زعم انه لم ينزل وعن الحسن من كفر قال من زعم ان الحج ليس
بواجب وقيل ومن كفر بالله قال هو الذي ان حج ولم يرج ثوابه وان جلس عقابه وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال من استطاع اليه سبيلا والسبيل ان يصح بدن العبد وان يكون ثمن زاد وراحلة من غير ان يجحف
فرقال ومن كفر يقول ومن كفر بالحج فلم ير حجه برا ولم تركه ماثما ولله على الناس حج البيت دلالتان احدهما
في الوجوب بقوله ولله على الناس وايد ذلك قوله ومن كفر وما جاء من الاثر واتفاق القول والثانية

جعل البيت شرطا للقيام لما هو في قوله على الناس ذلك فيكون فيه دليل لزوم الطواف تفسيره في قوله
وليطوفوا بالبيت العتيق وكذلك ايده قوله فمن حج البيت او اعتمر وايد ايضا ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال في امراة نفست احابستنا هي قيل انها افاضت وعلى ذلك اتفاق القول بلزوم
الطواف والله اعلم فلما دل ان الطواف لازم لم يخل اما ان يكون الطواف المبدا به في الحج والذي
يختم به والذي يبدا لا يلزم كل الناس ثبت ان الفرض هو الذي يختم به وهو قوله من استطاع اليه سبيلا
وجب جعل السبيل له والامكان شرطا للوجوب اذ الاية في ذكر الوجوب لا الفعل وعلى ذلك جميع
العبادات جعل الامكان في وجوبها شرطا بالسمع بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وغير ذلك
مما ذكر في كل نوع من العبادات من الاستطاعة وكذا حق هذا بالفعل وذلك يخرج على وجهين استطاعة
الفعل من القدرة التي تحدث لا محالة ما سلمت الاسباب الا ان يكون منع منه الفعل الاعراض عنها
بالشغل بغير ذلك لا فتال او استغال ذلك بالفعل فيكون فوت الاستطاعة بتضييعه لا عذر
بفوت ما كان المكلف بفوته فوت العلم به على الامكان وان كان لا توم دونه الذي يويد ان هذه الاستطاعة
ليس بشرط في الايجاب انها لا يبقى ثم محال وجودها في حال لو اريدا قامة الحج لا بهتاء وذلك يحوك
يكون في اقصى البلاد من مكة ومعلوم القدرة التي بها يكون الفعل ثبت معه ومحال تكليف بالخروج ولا
امر بالحج فكانه يامر بتكليف سببا لا ايجاب ثبت ان قد يجب الحج لا بتلك القوة وكذلك يجوز في الكفارات
استعمال الابدال في حال العجز وان كان لا يعلم ان العجز يمتد الى اخر ما يقوم به الاصل بل على ظهور ان لا
يمتد بمضي البدل ثبت ان لا غيره لفقد قدرة الفعل ووجودها في التكليف والله اعلم والثاني يراد
بالاستطاعة سلامة الاسباب ولا يجوز التكليف دونها بالفعل لانه ممنوع ومحال امر الممنوع عن الفعل
كالاعمى والمقعد ونحو ذلك والى مثل هذا نصرف شرط الاستطاعة هو اللازم في العقل كالعرب
بحق الشرك لما انعم على المامور فاذا منع عنه السبب الذي هو النعمة لم يحتمل ان يومر بالشكر ولا نعمة والله اعلم
وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال الزاد والراحلة والله الموفق وعلى
ما ذكرت يخرج قول ابي حنيفة رضي الله عنه وجوب الحج وان لم يدرك وان لم يدرك الوقت الذي فيه يقوم الحج
على بالزمه وان لم يكن اصحابا لمكان الذي فيه يقام والله اعلم بظاهر الاية مما ذكرنا من بيان الاثر واصله ان
في الحج جعل لجواز الفعل ادهو لوقات لا يحتمل في غيره وكل فعل يجوز في غير وقته فيما يقرب من الوقت به كان احق الجواز
فاذا لم يجزها وجاز في مثله من القابل ثبت انه يجوز لا للوجوب وايد ذلك ما لا يوصف بالقضاء متى دى ولو كان
في الاول واجبا لوقت الاول لكان يكون في الثاني قاضيا فاذا لم يكن ثبت انه ليس لوجوبه وقت والله اعلم **وقوله**
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وايات الله ما ذكرنا فيما تقدم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران والحج والله
شهيد على ما تعملون وهو حرف وعيد وتنبيه نبههم عن سنيعهم ليكونوا على حذر من ذلك **وقوله** لم تصدون عن
سبيل الله من امن يبغونها عوجا يحتمل قوله لم تصدون عن سبيل الله من امن من الاتباع الذي كان ايمانهم
ان تقليدا لا ايمان بالعقل لان من كان ايمانه بالفعل هو لا يصد ولا يصرف عنه ابدا لما عرف حسن الايمان و
وحقيقته بالعقل فهو لا تدرك ابدا واما من كان ايمانه ايمان تقليد فلم يكن ايمانه حقيقة فله يصد عنه
الا ان من من الله عليه فينشرح صدره حتى يكون على نور منه وذلك احد وجوه اللطف والمقلد غير معتقد ورد
لما معه ما لو استعمله لاوضح له الطريق واراه قبح واثم من التقليد والله الموفق ويحتمل قوله لم تصدون عن سبيل الله
من امن اي لم تصدون فصدهم عن سبيل الله وهم لا يرجعون الى دينكم ايا س منه ايا هم عن ان يرجعوا عن سبيل
الله وهم لا يرجعون الى دينكم ايا س منه اياهم عن ان يرجعوا من دينهم الذي عليه كقوله اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي فيه اياس الكفرة عن رجوع المسلمين الى دينهم وقيل كانوا يعرفون المومنين
عن الحج **وقوله** تبغونها عوجا والعوج غير طريق الحق وهو الزيغ والعدول عن الحق **وقوله** وانتم شهداء اي
وانتم تشهدون واحد وفي حرف حفصة رضي الله عنه وانتم شهداء على الناس **وقوله** وما الله بغافل
عما تعملون هو حرف وعيد وتنبيه لان من علم ان عليه رقيب وحافظ يكون احذر واخوف ممن لم يكن
عليه ذلك قال الشيخ رحمه الله وفيه انه لا غفلة بالذي يكون منكم خلقكم ولكن ان لا تعلموا انه لا لحاجة
خلقكم بل لاظهار الغنى والسلطان جل جلاله وعم نواله **وقوله** يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا
من الذين اوتوا الكتاب الاية يحتمل وجوها احدها معلوم ان المومنين لا يطيعون الكفار بحال في

الكفر ولكن معناه والله اعلم ان يدعوهم الى شي لا يعلمون ان في ذلك كفر نهاهم ان يطيعوهم اليه كفروا وانتم لا تعلمون
ويحتمل النهي عن طاعتهم نهاهم عن ان تطيعوهم وان كان يعلم انهم لا يطيعونهم كما نهى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غير اي من القران كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وكذلك هذا قال الشيخ رحمه الله ويشبه
ان تكون الاية في عرض امور عظام ترغب فيها فليكفر بها فحذر عن ذلك بما بين من الاعتقاد والحساب في اية اخرى
لتعلموا ان ذلك تجارة خسرة وقد كانت لهم ولاهل كل دين ومذهب هذا الاعتقاد والله اعلم وعلى ذلك قوله وكيف
تكفرون على ان الذي اراكم الرسول صلى الله عليه وسلم انه للعقول واروح للابدان مما وعدوه مع سوالنا والله
اعلم **وقوله** وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وهو على وجه التعجب ظاهره ولكنه على طلب الحجة في كفرهم
وفيكم رسوله يدفع عنكم الشبهة التي عرضت لكم بالقاء الكفار اليكم ومن يعتصم بالله اي من جعل الله عز
وجل ملجاء له ومفزعا اليه عند الشبه والاشكال فقد هدي الى صراط مستقيم اي يحفظه عن الشبه ويرشده الى
صراط مستقيم والله اعلم ويحتمل ومن يعتصم بالله يتمسك بالذي جاء من القران فقد هدي الى صراط مستقيم
وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حق تقاته ان يطاع
فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر ولا ينسى واراد حق تقاته ما يحتمل وسع الخلق وروي عن انس رضي الله عنه يقول
لا يتقي الله احد حق تقاته حتى يخزن من لسانه ويعد من كلامه من عمله واتقوا الله اطيعوا الله حق طاعته وقيل ان
هذا نسخها قوله اتقوا الله ما استطعتم الاية لكن لا يحتمل ان يامر الخلق بشي ليس في وسعهم القيام به ثم
نسخ بما يستطاع ولكن اصله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله على عباده حقا ولعباده عليه حقا
وحق الله على عبده ان يعبد الله ولا يشرك غيره فيه وحق العبد على الله ان يدخله الجنة اذا عبده ولم يشرك غيره فيه
احدا فيكون هذا تاويلا للاية ان قوله اتقوا الله ولا تكفروا فيكون فيه الامر بالايمان والنهي عن الكفر لانه ليس في
وسع احد ان يتقي الله حق تقاته في كل العبادة الا ترى الى ما روي من امر الملائكة مما وصفوا من عبادتهم انهم لا
يفترون ولا يسامون ثم يقولون ما عبدناك حق عبادتك واذا كان احد لا يبلغ ذلك فلا يحتمل تكليف مثله وجمله
ان ذلك ليس بذي حد وغاية فلذلك والله اعلم الامر فيه يرجع الى الاسلام او في نفي حق الاشراك خاصة لان في جميع
الاحوال والافعال دليله ما ختم به الاية وفي وسع الخلق ان لا يشركوا احدا في عبادة الا ترى انه قال ولا تموتن الا
وانتم مسلمون وفي ظاهر الاية النهي الى الموت الا مسلما وليس في الموت صنع للخلق والمعنى والله اعلم اي كونوا في حال اذا
ادركم الموت كنتم مسلمين فالنهي فيه نهي عن الكفر والامر بالاسلام حتى اذا ادركه وهو مسلم والله اعلم قد يكون
على بيان ان عذر عند الموت وان اشتد امره بالذي ليس بالاسلام وروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال
اكثر ما يسلب الايمان عند الموت كان الشيطان يطمعه في امر لو اعطاه ما طلب ويحتمل قوله اتقوا الله حق تقاته اي
احذروا عذاب الله حق حذره واحذروا نقمته كقوله يحذركم الله نفسه بمعنى نقمته **وقوله** واعتصموا بحبل الله جميعا
اختلف فيه قيل حبل الله يعني القران وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه قال الحبل الجماعة وانما هلكت الامم
الخالية بتفرقها امر بالكون مع الجماعة ونهى عن التفرق لان اهل الاسلام هم الجماعة الا ترى انه قال
في اية اخرى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وصف اهل الدين الاسلام
بالجماعة واهل الاديان غيرها بالتفرق وعن ابن مسعود رضي الله عنه ايضا قال الحبل الله الجماعة وروي في
الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فارق الجماعة قد شبر فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه
يعني حبل الاسلام وروي عنه ايضا ان الشيطان ذئب كذئب الغنم ياخذ الشاذة والقاصية والناحية واياكم و
والشعاب وعليكم بالجماعة وهذا المسجد وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال دعا في النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة ثلث مرات ثم قال يكون في امتي اختلاف كيف تصنع يا رسول الله اذا كان كذلك قال عليكم بكتاب فان فيه
نبا وخبر ما بعدكم وهو حكم فيما بينكم من بدعه من جبار قصمه الله ومن ترك الهدى في غيره يضله الله وهو
حبل الله المتين وامره الحكيم فهو الصراط المستقيم وهو الذي لا يختلف فيه الالسنة ولا يخلقه كثرة الرد و
ولا تنقضي عجائبه وقيل حبل الله دين الله والحبل هو العهد كانه امر بالتمسك بالعهود التي في القران القيام
بوفائها والحفظ لها ونهى عن التفرق كما تفرق الامم الخالية واختلفت في الاديان **وقوله** واذكروا نعمة الله عليكم
اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الف بين قلوبكم بالاسلام وقيل بالقران ولم يكن
ذلك الدين نفسه ولكن بلطف من الله من به على اهل دينه واخبر ان التاليف بين قلوبهم لان التفرق يوجب
التباغض والتباغض يوجب التقاتل وفي ذلك التفاني وعلى قول المعتزلة ليس من الله على المسلم من النعمة

الا ومثلها يكون على الكافر لان الهدى والتوفيق عندهم البيان فذلك البيان للكافر كهو للمسلم
وعلى قولهم لا يكون من الله اعظم نعمة لانهم لا يجعلون لله في الهداية فعل انما ذلك من الخلق واما عندنا
فانما يكون الاسلام بهدايته اياه فذلك من اعظم النعم عليه وقوله فاصبحتم بنعمته اخوانا اي
صرتم بنعمته اخوانا وقوله وكنتم على شفا حفرة من النار اي كنتم اشفيتم حفرة من النار وهو القرب
منها لولا انه من بالاسلام ويحتمل ان يكون على الكون فيها او الوقوع لا القرب كقوله لترون الجحيم لعين
على الرؤية خاصة ولكن على الوقوع فيها وكقوله ذوقوا العذاب ليس على البعد منها ولكن على الكون
فيها ومثله كثير فيرجع على الوقوع فيها وقوله حفرة كانه قال كنتم على شفا درك من دركات النار
فانقذكم منها وهذا ايضا على المعتزلة لان على قولهم هم الذين ينقذون انفسهم لا الله على ما ذكرنا
والله اعلم قال الشيخ رحمه الله تعالى يقول ان كان الله تعالى عندهم قد جمع بين الكفرة والبررة في بذل الاصلح
لهم في الدين وليس منه غير ذلك فلا يحتمل ان يمن عليهم بما تالف بنعمة والتي منه موجود مع المتفرق
على اولئك فالفوا بنعمتهم وبعد فان النعمة لو كانت دينا فالذي كان منه حق عليه وذلك فعلهم بلا تفضل
منه فيه والله اعلم وفي قوله وكنتم على شفا حفرة الاية ان قد يلزم خطاب الايمان حين الفرقة لانهم في
ذلك الوقت كانوا حتى نقذوا والله الموفق وقوله كذلك يبين الله لكم اياته اذ كنتم اعداء في
الجاهلية والكفر متفرقين وصرتم اخوانا في الاسلام كلهم واحدة لعلكم تهتدون لكي يعرفوا نعمة
ومنة قال الشيخ رحمه الله وقد يكون كذلك يبين الله لكم اياته فجاهدتم الاوقات لتكونوا فيها مهتدين
كما اهتديتم فيكون في ذلك وعد التوفيق والبشارة بالثبات والله اعلم وقوله ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله ولتكن منكم امة يحتمل ان يكون هذا خبرا
في الحقيقة وان كان في الظاهر امرا فان كان خبرا ففيه دلالة ان الجماعة منهم اذا قاموا على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر سقط ذلك عن الاخرين لانه ذكر فيه حرفا للتبعيض وهو قوله منكم امة الاية
ويحتمل ان يكون على الامر في الظاهر والحقيقة جميعا ويكون قوله منكم صلة فان كان على هذا ففيه ان على كل
ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وذلك واجب كانه قال كونوا امة يامرون بالمعروف الاية لانه ذكر
عز وجل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في اي كثيرة من كتابه منها هذا ولتكن منكم امة الاية ومنها
قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وذم من تركهما بقوله
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وروي عن عكرمة ان ابن عباس رضي الله عنه
قال له قد اعياني ان اعلم ما فعل بمن امسك عن الوعظ فقلت انا اعلمك ذلك اقرءوا الاية الثانية انجينا
الذين ينهون عن السوء فقال لي اصبت فاستدل ابن عباس رضي الله عنه بهذه الاية على ان الله اهلك من
عمل السوء من لم ينه عنه ممن يعلم فيحمل والله اعلم الممسكين عن نهي الظالمين مع الظالمين في العذاب وقد
روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم تقرءون هذه الاية يا ايها الذين امنوا
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ان الظالم
لم ياخذوا على يده اوشك ان يعمهم الله بعقاب وعن جرير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الرجل يكون في القوم ويعمل فيهم بمعاصي الرحمن وهم اكثر منه واعز ولو شاءوا ان ياخذوا
على يده لاخذوا على يده فيذهبوا له فيعذبهم الله به وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لتامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليعمكم الله بعقاب من عنده ثم لتدعونه
ولا يستجيب لكم وعن سعيد الخدري يذكر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليسال العبد يوم القيامة
حتى يقول ما منعك اذا رايت منكرا اي تنكره فاذا الله لقى عبدا حجته فقال اي رب وثقت بك وفرقت
من الناس وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال اجتمع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله اذا رايت ان قلنا بالمعروف حتى لا يبقى بالمعروف الا ما عملنا به وانتهينا من المنكر
حتى لا يبقى ايسعنا ان لا نامر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر وان لم ننتهوا عنه ولا ينبغي للرجل ان يقول
لست ممن يعمل بالمعروف كله وينهى عن المنكر كله فامر غيري وانهاه فان فعله المعروف واجب عليه فهو
المقصر في واجب ان تقصر في غيره وقوله كنتم خير امة اخرجت للناس يحتمل وجوها يحتمل كنتم اي صرتم
خير امة اظهرت للناس بما تدعوا الخلق الى النجاة والخير ويحتمل كنتم خير امة في الكتب السالفة بانكم تامرون

بالمعروف

بالمعروف وتنهون عن المنكر ويحتمل تكونون خير امة ان امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ويحتمل كنتم صرتم خير امة
وكانوا كذلك هم خير ممن تقدمهم من الامم حجهم الله في نصر دينه واظهار كلمته ولا اشفاق على رسوله حتى
احب اليهم من انفسهم ويرونه اولى والله الموفق اختلف في المعروف والمنكر قيل المعروف كل مستحسن في العقل فهو معروف
وكل مستقبح فيه فهو منكر ويحتمل الامر بالمعروف هو الامر بالايمان والنهي عن المنكر هو المعنى عن الكفر هو النهي عن الكفر دليله
قوله وتؤمنون بالله الاية يؤمنون هم ويامرون غيرهم بالايمان وينهون عن الكفر وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا لان التفرق هو سبيل الشيطان ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله من بعد ما جاءهم البينات والبينات
هي الحجج التي اتى بها ويحتمل بيان ما في كتابهم من صفة رسولنا صلى الله عليه وسلم ونعته الشريف ويحتمل تفرقوا فانهم لم
الله واوضح لهم الرسل فابدعوا لانفسهم الاديان بالاهواء فتفرقوا بذلك وعرفنا ان الخير كله في الاتباع من جعله الله
حجة له دليلا عليه وداعيا اليه ولا قوة الا بالله واولئك لهم عذاب عظيم دل هذا ان السبل هو الذي يدعوا الشيطان
اليها وقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الاية وصف الله عز وجل وجوه اهل الجنة بالبياض هو غاية ما يكون به
الصفاء من كل الالوان يظهر في البياض ووصف عز وجل وجوه اهل النار بالسواد فهو شبيه بالظلمة وقد يحتمل
ان يكون المراد من وصف البياض والسواد ليس نفس البياض والسواد ولكن البياض هو كناية عن شدة السرور
والفرح والسواد كناية عن شدة الحزن والاسف وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووصف وجوه اهل
الجنة بالضحك وليس على حقيقة الضحك ولكن وصف بغاية السرور والفرح وكذلك وجوه اهل وصفها بالغبر
والقتر وهو وصف شدة الحزن والله اعلم وقوله اكفرتم بعد ايمانكم يحتمل وجوها يحتمل كفرتم بعد ما امنتم بمحمد صلى الله
عليه وسلم قبل ان يبعث بوجودكم نعته وصفته في كتابكم وعلى هذا قال بعض اهل التاويل والذين يحاجون في الله من بعد
ما استجيب له اي من بعد استجابة كثير منهم من الاجلة والكبراء الذي لا يعرفون بالتعنت في الدين ولا بالتقليد والله اعلم
ويحتمل قوله اكفرتم انتم بعد ان امن منكم فرق لان منهم من قد امن ومنهم من كفر فقال لمن كفر اكفرتم انتم وقد
امن منكم نفر الا ترى انه قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق والله اعلم وكقوله فامنت طائفة من بني اسرائيل
وكفرت طائفة وقيل اراد بالايمان الذي قالوا حين اخرجوا من ظهر ادم وفي الاية رد قول المعتزلة بتخليد
اهل الكبائر في النار واخراجهم اياهم من الايمان من غير ان ادخلوهم في الكفر لانه عز وجل لم يجعل الا فريقين بياض
الوجوه وسواد الوجوه فبياض الوجوه هم المؤمنون وسواد الوجوه هم الكافرون لانه قال اكفرتم فاصحاب الكبائر
لم يكفروا بارتكابهم الكبيرة ولم يجعل الله تعالى فرقة ثالثة وكذلك قال عز وجل فريق في الجنة وفريق في السعير
لم يجعل الخلق الا فريقين وهم جعلوا فرقا كقوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن فان قيل ذكر في الاية الكفر بعد الايمان
ثم لم يكن فيه منع دخول من لم يكفر بعد الايمان فاستمع ان لا يكون فيه منع دخول صاحب الكبيرة جوابنا ما
سبق ان خلقة كل كافر تشهد على وحدانية الله تعالى لكنهم كفروا بالسنتهم وذلك كفر بعد الايمان فلم يخبر ان يدخل
في الاية من لم يكن كافرا في حكم الكافر وبالله التوفيق وقوله فذوقوا العذاب في الظاهر امر لكنه في الحقيقة
ليس بامر لان العذاب لا يذاق وانما يدرك هو كانه قال اعلم ان عليكم العذاب وقوله تلك ايات الله نتلوها عليك
بالحق الاية يحتمل ايات الله وبراهينه ويحتمل ايات الله القران بالحق ببيان الحق ويحتمل بالحق بالدين والدين
هو الحق قال الشيخ رحمه الله بالامر بالدعاء الى الحق ويحتمل بالحق الذي لله على عباده وبعضهم على بعض وقوله
وما الله يريد ظلما للعالمين والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فاذا كان ما في السموات وما في الارض كله له
ومن وصف بالحق بالظلم انما وصف لانه يمنع حق بعض فيجعل لغير المحق فالله يتعالى عن ذلك وقوله وما الله يريد ظلما
للعالمين اي لا يريد ان يظلمهم وان شئت قلت الارادة صفة لكل فاعل في الحقيقة فكانه قال لا يظلمهم وانما يظلمهم
شره البدا لنفس ومن يريد نفع نفسه كان الغني بذاته متعال عن ذلك وقوله والى الله ترجع الامور اي اليه يرجع امر كل واحد
فلا يحتمل الظلم وجود الظلم منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس وقال خير الناس
انفعهم للناس وتامرون بالمعروف اي تامرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله والاقرار بما انزل الله وتقاتلون
عليه ولا اله الا الله هو اعظم المعروف والمنكر هو التكذيب فهو انكر المنكر وعن علي رضي الله عنه انه قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو قال نصرت
بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعل التراب لي طهورا وجعلت امتي خير الامم قال الشيخ رحمه الله كنتم
خير امة اخرجت له وجهان اي كنتم على لسن الرسل في الكتب المتقدمة خير امة ويحتمل اي كنتم صرتم بايمانكم برسول
الله صلى الله عليه وسلم واتباعكم ما معه خير امة على وجه الارض لانهم امنوا ببعض وكفروا ببعض وقوله تامرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر يتوجه الى وجوه ثلاثة المعروف هو المعروف في العقول اى الذى يستحسنه العقول اى
والمنكر هو الذى تستقبحه العقول وانكرته ويحتمل ان يكون المعروف هو الذى عرف بالايات والبراهين انه حسن والمنكر ما
عرف بالحجج انه قبيح ويحتمل ان المعروف هو الذى جرى على لسن الرسل انه حسن والمنكر هو الذى انكروه ونهوا عنه فعلى
هذه الوجوه يخرج تاويل الاية والله اعلم وقوله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم لا شك ان الايمان خير لهم من الكفر ولكن
معناه والله اعلم انهم انما ابوا الايمان وتمسكوا بالكفر لوجهين احدهما انهم كانوا اهل عز وشرف فيما بينهم واهل دراسة
الكتب ينتابهم الناس ويختلفون اليهم بحوائجهم فخافوا ذهاب ذلك عنهم اذا امنوا فاخبر الله عز وجل انهم ان امنوا
لكان خيرا لهم من الذكر والشرف والعز في اهل الايمان اكثر مما لهم في اهل الكفر الا ترى ان من امن منهم من رؤساء الكفرة
وعلمائهم كان لهم من الذكر والشرف في الايمان ما لم يكن لاحد مات منهم على الكفر نحو عبد الله بن سلام ومن اسلم منهم نحو
كعب وغيره من الاحبار وانما كانوا من علمائهم لم يكونوا من علماء اهل الايمان من الذكر والعز والشرف ما لم ينل احد
منهم مات على الكفر بل خمل ذكرهم وانتشر في الالسنة فضائل اهل الايمان والاسلام والله اعلم والثاني انهم كانوا
ابوا الاسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم واختاروا المقام على الكفر خوفا واشفاقا على ما لهم من المنافع
والمنال ان يذهب ذلك عنهم بالاسلام فاخبر عز وجل انهم لو امنوا لكان خيرا لهم في الاخرة اذ ذاك ينقطع
ويذهب عن قريب والذى لاهل الايمان في الاخرة باق دائم لا يزول ابدا لما كان الذى تنال بالايمان غيب وكذلك
يحق بالكفار من جزاء الكفر غيب اشد عليهم الكفر والتدبر فلا يمنعهم عن الشهوات وينغص عليهم اللذات فاخبروا
ما هو ترا انفسهم وتلذذوا على التدبير مما كان ادراك الغايب بالشاهد امر عسير لا يوصل اليه الا بفضل الله
ولم يكن عليه ذلك لا يسقط معنى الافضال والانعام ويصير حقا مما كان منهم بتقديم الجفاء وايثار
زهرة الدنيا والبهجة الفانى على الموعود والله اعلم وقوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون كذلك كانوا كانت
المؤمنون اقل والكفار اكثر والله اعلم وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار فيه بشارة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين والامن لهم عن اذى المشركين وضررهم الا الاذى باللسان وهو كقوله
تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب وقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم الاية
ونحوه من الايات التى فيها البشارة لاهل الايمان بالنصر لهم على عدوهم وقوله لن يضروكم الا اذى الاية
دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر بذلك قبل ان يكون فكان على ما اخبر فدل انه انما علم ذلك
بالله عز وجل وقوله ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ضربت
عليهم المسكنة وليس فيه الذلة وفي حرف حفصة ضربت عليهم المسكنة والذلة ثم اختلف في الذلة
قيل هي الجزية التى ضربت عليهم وهي ذلة كقوله عن يد وهم صاغرون لانهم كانوا يانفون عنها وقوله اينما
ثقفوا اى وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس يعني بعهد من الله وعهد من الناس يكون تحت
ذمة يؤدون الجزية وكذلك تاويل ابن عباس رضي الله عنه بحبل من الله وحبل من الناس اى بعهد من
الله وعهد من الناس وقال مقاتل رضي الله عنه والناس في هذا الموضع النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ويحتمل
قوله وضربت عليهم الذلة بكفرهم فيما بين المسلمين بعد ما كانوا اهل ذكر وشرف وعز فيما بينهم اينما ثقفوا
اى لا يجدون الا بحبل من الله وحبل من الناس بالاسلام اى لا يظفرون بهم ولا يوجدون الا ان يلجئوا
نفوسهم على انفسهم وقوله وباؤا بغضب من الله قيل استوجبوا غضبا من الله بكفرهم وقيل رجعوا وقيل
وجب عليهم الغضب وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم وقوله وضربت عليهم المسكنة وهي الحاجة و
والفقر وما ذكرنا انهم ظاهروا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قربهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعدهم بالمشركين فاذلهم الله تعالى بذلك وجعلهم اهل حاجة وضعة فيما بين المسلمين بعد ما كانوا اهل
عز وشرف فيما بينهم وهو كقوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
الاية قال الشيخ رحمه الله ويحتمل رجوع الاية الى الخاص منهم وهم الذين ذكر الله في قوله وانزل الذين ظاهروهم
الاية وغير ذلك مما يصير فيه المسلمون يعرف حقيقة المراد من شهد النوازل وعرف الاسباب التى حادث
البشارات ويحتمل ان الله تعالى جعل كل حاجة الى ما يبقى وهي الدنيا حاجة لا بقاء لها ولا منفعة في الحقيقة
فهي حاجة ثم انهم لا ذلك بهم حاجة ويحتمل ان الله معما وسع عليهم الدنيا جعل في قلوبهم خوف
الفقر واعظم الحاجات فهي المسكنة وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وانا الله ما ذكرنا في غير موضع
وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق وجوها يحتمل ان الذين قد قتلوا

الانبياء بغير حق وهؤلاء رضوا بذلك وان كانوا لم يتولوهم بانفسهم فاضاف الله تعالى ذلك اليهم لانهم شركوا في
صنيعهم برضاهم وهو كقوله من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا ويحتمل ان يكونوا قصدوا وقصد قتل محمد
صلى الله عليه وسلم فاذا قصدوا ذلك كانهم قصدوا الانبياء كلهم كما ذكرنا في قوله من قتل نفسا الاية ويحتمل ان يكونوا هموا بقتل
محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون غيرهم بابائهم اذ اهم قلدوهم في الدين فيبين سوء صنيعهم بالانبياء عليهم السلام ليعرفوا
سفههم وسفه كل من قصد تقليدهم والله اعلم ويحتمل ان يكونوا قتل اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فاضاف اليه وهو
كما اضاف مخادعتهم المؤمنين الى نفسه وكما اضاف نصر اوليائه اليه وان كان الله لا يخادع ولا ينصر وعلى ذلك اضاف
القتل اليه لقتلهم الاتباع والله اعلم وقوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله الاية اى لا يستوى
من امن منهم يعني من اهل الكتاب ومن لم يؤمن منهم او منهم من قد امن فصار ذا امة قائمة قيل عدله ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقيل امة قائمة على حدود الله وفرائضه وطاعته وكتابه لم يحرفوه وقيل
امة قائمة مهتدية وهم الذين امنوا منهم وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل
واطراف النهار امة محمد صلى الله عليه وسلم يصلون ولم يكن هذا للامم السالفة وفي حرف حفصة ليس اهل الكتاب ليسوا
منهم امة قائمة كقوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم كذا واما
الذين فسقوا فماواهم النار الاية وقوله وهم يسجدون ويحتمل قوله وهم يسجدون اى يصلون ويحتمل يسجدون يخضعون والسجود
هو الخضوع يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف اى يؤمنون بانفسهم ويامرون غيرهم بالايمان ويدعون اليه
وينهون عن المنكر يعني الكفر ويحتمل يامرون بالمعروف كل معروف وينهون عن المنكر كل منكر وقد ذكرنا هذا ويسارعون
في الخيرات كلها واولئك من الصالحين وقيل مع الصالحين في الجنة قال الشيخ رحمه الله ومن ذلك فعله فهو مسارع في
وقوله وما يفعلوا من خير فلن يكفروه اى لن يرد ذلك عليكم بل يقبل بل يجزون به في الاخرة قال الشيخ رحمه الله اى كيف تكفروه
وهو الشكور الذى يقبل اليسير ويعطي الجزيل وهو في حرف ابن حفصة فلن تتركوه اى لن تتركوه دون ان يجزوا عليه وانى
تل ذلك كقوله وان تك بشاعتها معناه والله اعلم ما ذكروا لن يتركم اعمالكم وقيل لن يبطلكم وقيل انه ينفعكم وقيل فلن يضيع
عليكم بل يشكر ذلك لهم يعني فلن يضيع عند الله والله اعلم والله عليم بالمتقين ظاهر وقوله ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا قال الشيخ رحمه الله فهو والله اعلم ان مثله يكون للناصر في الدنيا بكن الذى كان فيها لا ينفع
في الاخرة بل يكون كما قال الله عز وجل يوم يفر المرء الاية ثم لا مال له ثم ولا لو كان فينفع وذلك انهم ظنوا ان كثرة الاموال
والاولاد تمنعهم من عذاب كقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبر عز وجل ان كثرة الاموال والاولاد
لا تغني عنهم من عذاب الله شيئا وقوله عز وجل مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
ضرب مثل نفقة الكفار التى ينفقونها بريح فيها صر اصابت حرث قوم وذلك والله اعلم انهم كانوا ينفقون ويعملون جميع
جميع الاعمال من عبادة الاصنام والاوثان ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فحسبوا ان تلك الاعمال والنفقات
التى انفقوها في شدة الناس تنفعهم في الاخرة وتقربهم الى الله فاخبر انها لا تنفع فكان كالريح التى فيها صر وبرد ظنوا
ان فيها رحمة وشفاء ينفع زروعهم ويحيوها فاذا فيها نار وحرقتهم كما ظنوا من اعمالهم ونفقاتهم التى في الدنيا
بالاخرة قربة وزلفة اليه فاذا هي مهلكة لا بدانهم كالريح التى فيها صر كانت مهلكة محرقة لزروعهم وحرثهم والله اعلم
والصر هو البرد الشديد وقيل الصر الصوت كقوله فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقيل هي الصوت وقيل مثل ما ينفقون
في الصد عن سبيل الله وفي قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله الذين ينفقون اموالهم ليصدوا الاية اى يندمون
على ما انفقوا اتاسف صاحب الزرع على ما كان انفق فيه والله اعلم وقوله وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون والظلم
ما ذكرنا هو وضع الشيء في غير موضعه فهو والله اعلم قال هم الذين وضعوا انفسهم في غير موضعها لان وضع الله
انفسهم ذلك الموضع لانهم عبيد وامر الله ولم يجعلوا انفسهم خالصين صالحين لله فهم الذين ظلموا انفسهم حيث
اسلموها لغير الله وعبدوا دونه فذلك وضعها في غير موضعها لان وضعها موضعها هو ان يجعلوها خالصة لله
سالمة له وقيل ناصر والله اعلم بعبادتهم غيره وبكفرهم به ابما ضروا انفسهم اذ لا حاجة له الى عبادتهم والله الموفق
قال الشيخ رحمه الله تقديم وتاخير واصل ذلك ان الله قد وضع كل نفس الخلقة بموضع العبودة فجعلوها عبدة
غيره وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم اختلف فيه قيل نهى الله المؤمنين ان يستخلصوا
المنافقين او يتخذوهم ويتولوهم دون المؤمنين وقيل في حرف حفصة لا تتخذوا بطانة من دون انفسكم يعني
من دون المؤمنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نهى الله المؤمنين ان يتخذوا اليهود والنصارى والمنافقين
بطانة دون اخوانهم من المؤمنين فيحدثونهم ويفشون اليهم سرهم دون المؤمنين والبطانة قيل هم الاخلاء

ويجعلونهم موضع اخفاء سرهم قال الشيخ رحمه الله والنهي عن اتخاذ الكافر بطانة لوجهين احدهما المعروف به اذ كل
يعرف بمن يصحبه والثاني المثل يمكر به عدوه انه حسن العشرة وحسن الصحبة معوا فيه الاسقاط معا به ويستعان
على امر الذي والاغفال عن حقه وقوله لا يالونكم خبالا يقولون لا يتركون عهدهم من فساد امركم وقوله
ودوا ما عنتم اي ودون ويتمنون ما اثمتم قال الشيخ رحمه الله اي ودوا ان يشاركوهم في اشياء يوبقكم ويعنتكم
عليه وقيل العنت المشقة اي ذلك قصدهم كالاية التي تلوهم وقوله قد بدت البغضاء من افواههم من قال
ان اول الاية في المنافقين يقول قوله قد بدت البغضاء من افواههم ما ذكر في اية اخرى ولتعرفنهم في
لحن القول انهم كانوا يعرفون المنافق في لحن كلامه قال الشيخ رحمه الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم
ما كان من التعزية بقوله ان الناس قد جمعوا لكم واظهار السرور بكتبهم وان منكم لمن ليبطئن الاية وقوله وما تخفي
صدورهم اكبر وذلك كانوا يظهرون الموافقة لهم ويضمرون العداوة والخلاف لهم والسعي في هلاكهم
بما كانوا يضمرون اكثر مما يظهرون ومن قال بان الاية في الكفار فهو ظاهر وقوله قد بدت البغضاء من افواههم
من الشتيمة والعداوة ويضمرون اكثر من ذلك من الفساد والشرور والله اعلم وقوله قد بينا لكم الايات
ان كنتم تعقلون ويحتمل قوله ان كنتم تعقلون الايات يحتمل ان كنتم تنتفعون بعقولكم لانه عز وجل ذكر في غير
اي من القران انهم لا يعقلون وقد كان لهم لكنهم لم ينتفعوا نفى عنهم العقل راسا وقوله ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم من قال ان اول الاية في المنافقين فهذا يدل له ويشهد لانه قال واذا لقوكم قالوا امنا الاية
يقول ها انتم يا هولاء المسلمين تحبونهم يعني المنافقين ولا يحبونكم على دينكم قال الشيخ رحمه الله وفي
بيان ان اولئك قوم يحبهم المؤمنون اما بظاهر الايمان او بظاهر الحال منهم من طلب مودتهم فاطلع الله
المؤمنين على سرهم لئلا يغتروا بظاهرهم وليكون حجة لهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم بما اطلعه الله
على ما اسروا والله اعلم ومن قال ان اول الاية في الكفار يحمل قوله ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم على
الابتداء والقطع من الاول لانه وصفهم بصفة المنافقين وسماهم بسفههم وليس في الاول ذلك
وقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم هو على التمثيل عند شدة الغضب فلان يعض
الانامل على فلان وذلك اذا بلغ الغضب غايته قال الشيخ رحمه في قوله قل موتوا بغيظكم انما كان تغيظهم لما كان
للمسلمين من السعة والنصر والتكثر والعز فيكون في دعاء لهم بتمام ذلك حتى لا يروا فيهم الغير والله اعلم
وفي حرف حفصة قل موتوا بغيظكم لن تضروا شيئا ان الله عليم بذات الصدور على الوعيد وقوله ان تمسسكم
حسنة تسؤهم قال ليس هذا وصف المنافقين في الظاهر لانهم كانوا يظهرون عند الخيرات لكنه يحتمل انهم كانوا
يبطنون الخيرات تكون لهم او للمؤمنين وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ذكر في القصة انهم اذا راوا المسلمين
الظفر على عدوهم والغنيمة ليسوءهم ذلك واذا راوا القتل والهزيمة عليهم يفرحون به ويسرون وقيل اذا راوا
المؤمنين الخصب والسعة ساءهم واذا راوا لهم القحط والجدب وغلاء السعر فرحوا به لكن هذا يحتمل في كل خير
راوا لهم اهتموا لذلك وفي كل مصيبة ونكبة راوا لهم فرحوا بها وقوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيئا اخبر ان المؤمنين اذا اتقوا وصبروا لا يضركم كيدهم شيئا حتى يعلم ان ما يصيب المؤمنين انما يصيب
بما كسبت ايديهم وقوله ان الله بما تعملون محيط على الوعيد وقوله واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين
مقاعد للقتال قوله تبوئ قيل تهيئ للمؤمنين امكنة القتال وقيل تبوئ تنزل المؤمنين وقيل تبوئ للمؤمنين تتخذ
للمؤمنين مقاعد لقتال المشركين وقيل تبوئ توطن وقيل تسند القتال كله يرجع الى واحد ثم اختلف في اي حرب
كان واي يوم قال اكثر اهل التفسير كان ذلك يوم احد وقيل انه كان يوم الخندق وقيل كان يوم الاحزاب ولا نعلم
ذلك ولا يجب ان يصح انه كان يوم كذا لكن في ذلك ان الائمة هم الذين يتولون امر العسكر ويختارون لهم المقاعد عليهم وتعاهد
احوالهم ودفع الخلل والفساد عنهم ما احتمل وسعهم وعليهم طاعة الائمة وقبول الاشارة من الامام وذلك
في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ذكر مقاعد القتال في هذه الاية لكن الذين لم
من ذلك في اية اخرى ذكر الصف بقوله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
وذكر في اية اخرى الثبات بقوله عز وجل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والاصل انهم امروا بالثبات
فالاحسن ان يختار لهم امكنة لهم معونة على الثبات والله اعلم بقوله اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا فيه رخصة الجولة على العدو باجتهاد وان كان فيها تولي الادبار
ويحتمل ان يكون اراد بالمقاعد الاماكن والمواطن للقتال والله اعلم وقوله والله سميع عليم يحتمل سميع لمقالتكم

عليم بسرائرهم ويحتمل سميع بذكركم الله والدعاء له لانهم امروا بالذكر له والثبات للعدو ولقوله عز وجل فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا وعليم بنياتكم ويحتمل قوله سميع عليم البشارة من الله تعالى عز وجل بالنصر لهم والامن عن ضرر عدوهم
كقوله تعالى عز وجل لموسى وهارون فقولا له قولا لينا الاية قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى ثم قال عز وجل
لا تخافا انني معكما اسمع وارى امنهما من عدوهما بقوله عز وجل اسمع وارى فعلى ذلك يحتمل ذا في قوله عز وجل
سميع عليم ويكون سميع اي اسمع دعاءكم بمعنى اجيب واعلم ما به نصركم وظفركم والله اعلم وقوله اذ همت طائفتان
ان تفشلا قوله همت يحتمل ان همومهم خطر ويحتمل ان همومهم عزم وكذلك هذا التاويل في قوله ولقد همت به وهم بها
همت هي به وهم عزم وهم بها خطر وهم الخطر يقع من غير صنيع من صاحبه وهم العزم يكون بالعزيمة والقصد وقوله
همت اي تمنتاه والفشل ليس مما ينهى عنه لانه يقع من غير فعله لكنه والله اعلم هموا ان يفعلوا فعل الفشل وذكر
في القصة ان الطائفتين احدهما كانت من بني كذا فلا يجب ان نذكر والان يقرؤهم بذلك وكانوا يقولون نحن
كنا فعلنا وما يجب ان لا يكون في قوله والله وليهما ظهر لنا ولاية الله ولو لم يكن لم يظهر وقوله والله وليهما قد
ذكرنا هذا في غير موضع ان الولي قيل هو الناصر وقيل هو الحافظ وقيل انه اولى بهم قال الشيخ رحمه الله المؤمن
يعلم علم اليقين ان من نصره الله لا يغلبه شيء ومن يخذله الله لا ينصره شيء وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
حق على المؤمنين ان لا يتوكلوا الا على الله عز وجل قال الشيخ رحمه الله فتوكل اي اعتمد على وعد واجتهد في الوفاء بما
عهد وفوض كل امره الى الله اذ علم انه يحيله لله واليه مرجعه وبهذه الجملة عهد ان ينصر دينه ولا يولي عدوه دبره
والله اعلم وقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة يذكرهم عز وجل ان لا يتوكلوا الى انفسهم لكثرتهم ولقوتهم
ولعدتهم ولا يتقوا باحد سواه بل على الله يتوكلون واليه يلجؤون وبه يثقون لانه اخبر انهم كانوا ضعفاء فنصرهم
وامدهم بالملائكة حتى قهروا عدوهم مع ضعفهم وقلة عددهم يوم بدر ويوم احد كانوا اقوياء كثيرة العدد
فوكلوا الى انفسهم فكانت الهزيمة عليهم وقوله فاتقوا الله يعني اتقوا معاصيه لعلكم تشكرون فيه دليل ان
الشكر انما يكون في طاعته معا واتقاء المعاصية وان المحنة انما تكون في الشكر لما انعم عليه والتكفير لما سبق
منه من الجفاء والغفلة والله اعلم وقوله اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة
منزلين وذكر في سورة الانفال بالف من الملائكة مردفين فاختلف فيه قيل كانوا عشرة الاف لانه نذكر
مرة ثلاثة الاف ومرة خمسة الاف ومرة الف مردفين فيكون الفان فذلك عشرة الاف وقيل كانوا تسعة الاف
ثلاثة الاف وخمسة الاف والف وقيل كانوا كلهم خمسة الاف ثلاثة الاف والفان مددا لهم ثم اختلف فيه
قال بعضهم كان يوم احد وقال اخرون يوم بدر وقوله فاستجاب لكم ربكم اني ممدكم بالف من الملائكة يوم بدر
ولا ندري كيف كانت القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة سوى ان فيه بشارة للمؤمنين بالنصر لهم
والمعونة بقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به جعل في ذلك تسكين قلوب المسلمين ثم اختلف
في قتال الملائكة قال بعضهم قاتل الملائكة الكفار وقال اخرون لم تقاتلوا ولكن جاؤوا بتسكين قلوبهم
ما ذكر في الاية ولا يحتمل التعليل لانه ذكر في الاية ويقللكم في اعينهم ولو كانوا يقاتلون لم يكن لما تقلل معنى
ولان الواحد منهم كان يكفي المشركين الا ترى ان جبريل عليه السلام كيف دفع قريات لوط الى السماء فقلبها فدل
انه لما ذكرنا والله اعلم وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم احد فلا ندري كيف كان الامر وقوله مسومين
قيل منزلين ومسومين سواء ومن الارسال من التسويم وقيل معلمين بعلامة وذلك والله اعلم ليعلم المؤمنون
حاجتهم الى العلامة لان الملائكة يحتاجون الى العلامة وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد سومت وقوله وما النصر الا من عند الله ليعلم ان في النصر لطفا من الله
لا يوصل اليه بشيء من خلقه لانه نفاه عنهم مع مدد الملائكة للعلم ان كل منصور على اخر انما كان ذلك من الله
عز وجل وقوله ليقطع طرفا من الذين كفروا الاية قال قتادة كان يوم بدر قتل صناديدهم وقادتهم في الشر وقيل
طرفا من الذين كفروا يعني اهل مكة وقوله او يكبتهم قيل يخزيهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الكبت الهزيمة
وقيل الكبت هو الصرع على وجهه وقوله فينقلبوا خائبين والخائب هو الذي لم يظفر بحاجته اي رجعوا ولم يصيبوا
ما املوا قال الشيخ رحمه الله ما ذكر من حضور الملائكة الحرب فهو والله اعلم في حق محنة الملائكة ونعمة ان
يمتحنهم بما شاء من الحضور والمعونة والكف عن ذلك او الدعاء لهم والبيان بالنصر وبما شاء الله من الوجوه التي
يمتحن بها عباده وفيهم من قد امتحنهم على الارزاق والازواج والامطار والاعمال وانواع الاذكار ولا فعل
اذ هم خلق اصطفاهم واختارهم لعبادته وطاعته في جميع ما يامرهم ليحق به قدرهم ويعلم رتبتهم ثم لو اذن لهم

بالمعونة اعانوا المؤمنين على قدر الاذن لهم اذ هم على ما وصفهم الله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله يسبحون
له بالليل والنهار وهم لا يسأمون وغير ذلك ما وصفهم بالطاعة له والاتباع لامره وما اكرمهم من هيبة
جلاله وخوف عقابه صلوات الله عليهم اجمعين ثم كان للمؤمنين من حضورهم انواع البشارات فيما لم يكن اذن لهم
بالقتال وانواع الاوبات فيما قد اذن لهم على ما ذكر من امر بدر وغيره مما اخبر الله عز وجل من ارسال جنده
وهزيمة اعدائه بمنه وفضله من ذلك ما قال الله عز وجل اذ يوحي ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا
الاية ان يكون الله يؤيدهم بما به تشجيع قلوب المؤمنين على ما قدام من اعداء من انواع الوسواس التي لديها
قلوبهم وتزل اقدامهم فيه فتمكن اولياؤه في تشجيع وتسكن في قلوبهم وتثبت اقدامهم والله اعلم والثاني ان
يكون الذي جبل عليه الخلق ان يكون كل احد عند معاينة الحاجة الى دعائه ويحتمل وسعه من معونة عليه
قبل وجه ارغب فيكون للمؤمنين بحضورهم رجاء النصر بدعائهم ويخرج قوله انا لننصر رسلنا الاية وقوله تعالى
وما جعله الله الا بشرى لكم والله اعلم او كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصرهم يبشرهم بحضورهم فيكون
لهم بذلك فضل ثبات وفراد حياء منهم بما عملوا على ذلك ان يكون لهم فضل قوة بذلك واقبال على الامور المهمة
واذا اكثروا على ذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم ولعلهم ايضا بما يعلمون انهم اطاعوا الله وثبتوا لاعدائه اذ لهم النصر
والدفع فكان ذلك بعض ما يستبشرون وعلى ذلك اكثر ما يلي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهزيمة انما كان
يصرف قلوبهم الى بعض ما جبل عليه البشر من حب الدنيا والاعجاب بالكثرة ونحو ذلك ثم اعظم الاعلام في ذلك
ما قال الله عز وجل وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله فيكون والطمانينة
بالذي جبل عليه البشر على ما يثبت ويكون النصر من عند الله الذي متى اراد نصر احد لن يغلب تلك اعوانه
او كثرت وذلك لطف من الله العزيز العليم يريهم النصر من الوجه الذي لا يعلمه الا هو وفي حال لا نفس من
انفسهم ان يقوم لعدوهم ليعلموا اعظم لطفه الذي بمثله ارتفعت درجات الاخيار وشرفت منازلهم ولو
كان لهم بالاذن على ما ذكر من قوة جبريل عليه السلام في قلب قريات لوط بجناح واحد لم يكن يقوم لمثله اهل
الارض فضلا من عدد يسير منهم ولكنهم لا يتقدمون بين يدي الله والله لم يكن اذن لهم في القتال عند
كل مشهد والله اعلم وقوله عز وجل ليس لك من الامر شيء انما ذلك الى الواحد القهار الذي لا شريك له
ولانه كقوله يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله وقوله او يتوب عليهم او يعذبهم الاية فيه
انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم معنى قولا وفعلا حتى ترك قوله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم ولكنا
لا نعلم ذلك المعنى غيرا انه قيل في بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم شج يوم احد وجهه وكسرت رباعيته
فدعا عليهم فنزل قوله ليس لك من الامر شيء وقيل ان سرية من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا
الى قتال المشركين يقاتلونهم حتى قتلوا جميعا فشق على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بقتلهم فدعا عليهم
باللعنة يعني على المشركين اربعين يوما في صلوة الغداة فنزل قوله ليس لك من الامر شيء وعن ابن عمر رضي
الله عنهما انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد اللهم العن ابا سفيان اللهم العن فلانا حتى لعن نفرا منهم فنزل
قوله ليس لك من الامر شيء الاية وقيل ان نفرا من المسلمين انهزموا فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل ليس لك من الامر شيء فامره بكف الدعاء عنهم والله اعلم بالقصة في ذلك وقوله او يتوب عليهم او يعذبهم
فان كانت القصة في الكفار فكانه طلب التوبة والهدى وافرط في الشفقة فقال ليس لك من الامر شيء وتنق
عليهم فيهديهم بدينه او يعذبهم على كفرهم فانهم ظالمون كقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشاء فان كان في المؤمنين فقوله او يتوب عن ذنبهم الذي ارتكبوا او يعذبهم بذنبهم ولا يعفو عنهم والله اعلم
بذلك وقوله ولله ما في السموات وما في الارض الاية فيه دلالة ما ذكرنا في قوله ليس لك من الامر شيء انما
الى الله الذي له ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفي قوله ليس لك من الامر شيء
لجواز العمل بالاجتهاد لانه صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد لا بالامر حتى منع عنه قال الشيخ رحمه الله قوله ليس لك
من الامر شيء يحتمل ان يكون على اثر ما جبل عليه البشر بما راى في ذلك صلاح الخلق وما عليه التدبير بحيث الا
فقيل هذا وان يكون على رايت فليس لك من امر هذا شيء وانما الذي اليك التبليغ عن ذلك والاعراض والله اعلم
ما كان ويحتمل ان يكون ابتدا القول به من غير ان سبق ما يعاتب عليه او يمنع منه ليكون ابدا منتظرا نحو
الاذن له في كل شيء والامر ولا يطيع نفسه في شيء لم يسبق له البشارة به على ان النهي والوعيد امر ان جاز ان
وان كان قد عصم عن ركوب النهي ووجوب الوعيد اذ هنالك يظهر رتبة العصمة ولا قوة الا بالله والظاهر ان

يكون الزاما استعجل ذلك من دعاء الهلاك والهداية بقبول الحق والخضوع فتقول ليس لك شيء من ذلك في
احد على اي شارة انما ذلك الى الله يصنع فيهم ما عنده من الثواب والتعذيب على قدر ما يعلم من اقبالهم على
الطاعة له او نفادهم عنها والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة قوله لا تاكلوا
الربوا كقوله وذروا ما بقي من الربوا ففيه نهي عن الاخذ كقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فعلى ذلك
قوله لا تاكلوا الربوا اي لا تاخذوا وقوله اضعافا مضاعفة فان قيل ما معنى النهي على المضاعفة وغير المضاعفة
حرام لكنه يحتمل هذا وجوها يحتمل ان يكون هذا قبل تحريم الربوا فنهوا عن اخذ المضاعفة ويحتمل قوله ولا تاكلوا
اي لا تكثرون اموالكم باخذ المضاعفة ويحتمل اضعافا مضاعفة اي لا تصروا على استحلال الربوا فيتضاعف
عليه اخرا لابد ويحتمل اضعافا مضاعفة تضعيف العذاب ويحتمل ما قيل كان احدهم يبايع الرجل الى اجل فاذا
حل الاجل زاد في الربح وزاد الاخر في الاجل كان الربوا الجاهلية قال الشيخ رحمه الله في قوله لا تاكلوا الربوا
يحتمل الاكل لانه نهاية كل كسب ويحتمل الاخذ كقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه وقوله وذروا ما بقي من الربوا
وقوله اضعافا مضاعفة في الاخذ اي لا تاخذوا لتكثروا اموالهم وتقصدوا بذلك تضاعف اموالكم الى غير
حد وليس فيه ان القليل ليس بحرام لكن ذلك هو مقصود اهله فنهوا عن ذلك وحرمة القليل بغير ذلك
من الايات ويحتمل ان يكون في نازلة عليها خرج النهي لا على الاذن بدون ذلك ولو كان على حقيقة الاكل
فهو على النهي عن التوسيع بالربوا او على العود الى ما لا ربوا فيه وان كان في ذلك ضيق والله اعلم ويحتمل
ان يكون في الاية اضمار فيقول لا تاكلوا الربوا فانكم ان اكلتموه بعد العلم بالتحريم تضاعف عليكم المأثم
وعقوبات قد جعل الله للربوا اعلاما دلت على ما غلظ شأنها نحو ما وصف من لا ينتهيه بالخروج بحرب الله
وحرب رسوله عليه السلام وبالتخبط يوم القيمة وانتفاخ البطن وما جرى في معاقبة اليهود بتحريم
اشياء بمكان ذلك وقوم شعيب ما حل بهم بلزمهم بتعاطي الربوا واتقوا الله ولا تاخذوا الربوا ولا تستحلوه
لعلكم تفلحون وقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين فيه دلالة انها انما اعدت للكافرين لم تعد لغيرهم
فذلك يرد على المعتزلة خلود اصحاب الكبيرة في النار والله لما قال انها اعدت للكافرين وهم يقولون
ولغير الكافرين قال الشيخ رحمه الله في قوله اعدت للمتقين يحتمل للذين اتقوا الشرك كقوله هدى للمتقين
ويحتمل للذين اتقوا جميع انواع المعاصي فان كان التاويل هو الاول فكل من لم يستحق بفعله اسم الكفر فهو
في الاية اذ قال في النار اعدت للكافرين لم يجز ان يكون هي ابدا لغيرهم لوجهين احدهما انه لا يجوز ان يكون
الجنة المعدة للمؤمنين تكون لغيرهم فكذلك النار المعدة للكافرين وهذا اولى بجواز القول في ايجاب الجنة
لمن لا يكون منه الايمان نحو الذرية وفساد القول فيهم بالنار والله اعلم والثاني انها لو جعلت لغيرهم اعدت
لغيرهم لكان لا يكون الكفر فضل هيبة ولفعله فزع في القلوب بوجوب ذلك ومعلوم ان ذلك بالعواقب لا
بنفس الفعل فثبت انه لا يجب خلود من ليس بكافر فيها لمن اعدت له والغير اثر ويحذر لا لتحقيق ذلك كله
والله اعلم وان كان التاويل هو الثاني من اتقى جميع المعاصي فيكون لذلك بعد عباد ثان احدهما ان قد ظهر اهل
الجنة واهل النار وبينهم قوم لمن تبلغ بهم الذنوب الشرك فيدخلون في الوعيد بالنار المعدة لهم ولا اتقوا
جميع المعاصي فيكونون في الوعد المطلق بمن اعدت له الجنة فحقه الوقف فيهم حتى يظهر ذلك في قوله ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وفي قوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وقوله واخرون
اعترفوا بذنوبهم وغير ذلك من الايات العفو والمغفرة وما كان ذلك ولجاني الحكمة فيكون القائم يستحق
وصفا العدل لا العفو والمغفرة ثبت ان ذلك فيما قد وجب او يكون فيمن يجزيهم غيرهم وهم يدخلون الجنة اذا
اخبر انه لا يجزي السيئة الا بمثلها وبالتخليد مضاعفة ذلك من وجهين احدهما انه عذاب الكفر وهذا دون والثاني
منع لذة الحسنة بكليتها بل حتى ذلك ان يكون كقوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الاية ان يجزي بالامرين جميعا
ولا قوة الا بالله والثاني انه قد جاء بمقابل السيئة من الحسنات ومقابل كل انواع من المعاصي من الطاعات وقد
على الحسنة عشر امثالها المحال ان يقال مثل الذي دون الشرك من السيئات الشرك في احباط العمل ولا يقابل
مثل الذي دون الايمان في احباط الذنوب ويجب له الجنة ثم مع ذلك الايمان الذي لا ارفع منه وهو الذي
بعثه على الخوف والرجاء وقت الاساءة وعلى انه لو خشي على نفسه كل بلاء ورجاء كل يقع في الكفر برتبة لم يوثر
ذلك مما وعد على الحسنة عشر امثالها ثم يبطل لذة ذلك كله ويلزم الخلف القول فيه بالكرم والعفو والرحمة
ولا قوة الا بالله وقوله واطيعوا الله والرسول ذكروا الله اعلم طاعة الرسول لان من الناس من لا يرى طاعة

الرسول فامر عز وجل بطاعة رسول الله لئلا يخالفوا امر الله وامر رسوله وان من اطاع الله ولم يرَ طاعة رسوله
فهو لم يطع الله في الحقيقة ويحتمل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما بين في سنة او دعا او بلغ والقصد في الاية
الى فرض طاعة الرسول واسمعوا الرسول في امره ونهيه كما اطعتم الله في امره ونهيه وقوله وسارعوا الى
مغفرة من ربكم يحتمل ان يكون هذا موصولا بقوله عز وجل لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة فيكثروا ا
موالكم وحقيقته وسارعوا الى ما فيه وعد المغفرة من ربكم بالاجابة له الى ما دعا والقيام به بحق
الوفا وقوله واتقوا الله في استحلال الربوا لان من استحل محرما فقد كفر وحقيقته اتقوا ما اوعدكم
ربكم عليه النار واصل التقوى الطاعة الايتمار بامر المطاع في كل امر فمن اطاع الله فيما امر واطاع رسوله رحم ثم في
الطاعة رحمة الخلق على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لن تدخلوا الجنة حتى تراحموا قالوا ا
كلنا نرحم يا رسول الله قال ليس رحمة الرجل ولده ولكنه رحمة عامة وقوله اطيعوا الله في تحريم الربوا واطيعوا
الرسول في تبليغه اليكم تحريم الربوا والنهي عن ذلك لعلكم ترحمون اي ارحموا الناس وترحموا هم بترك اخذ الربوا
ترحمون انتم وتنجون من النار ومن عذاب الله ثم قال وسارعوا الى مغفرة من ربكم اي بادروا بالتوبة والرجوع
عن استحلال الربوا والترك عن اخذه والمغفرة هي فضل الله لكنه والله اعلم كانه قال بادروا الى الاسباب التي
بها تستوجبون المغفرة من ربكم والمغفرة هي الستر في اللغة ثم يحتمل وجهين ان لا يهتك استاركم في الاخرة
اذا جئتم ويحتمل ان ينسى عليكم سيئاتكم في الجنة لان ذكر المساوي في الجنة ينقص عليه نعمة فاخبر عز وجل انه
ينسيهم مساويهم في الجنة لئلا ينقص ذلك عليهم والله اعلم وقوله وجنة عرضها السموات والارض وبادروا
ايضا بالتوبة عن استحلال الربوا الى جنة عرضها السموات والارض فهي ضرب مثل الجنة مضروبا للسموات والارض
والله اعلم ذكرهوان السموات والارض احوالا ليست تلك الاحوال لغيرها من الخلايق بقوله عز وجل لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وذلك انها عندهم من اشد الخلايق واقواها فقال ان الذي قدر على انشاء السموات والارض
ما هو اشد واقوى واصلب لقادر على انشاء ما هو دونه وهو هذا العالم الصغير ووصف ايضا السموات والارض
بالغلظ والكثافة والشدة لقوله عز وجل سبع سموات شدادا غلاظا ثم اخبر عز وجل انها مع غلظها وكثافتها
تكاد ان تنشق لعظيم ما قالوا بان لله ولدا وشريكا بقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا ليعلموا اعظم القول وقبحه لئلا يقولوا في الله ما لا يليق به ووصف ايضا السموات والارض
بالدوام الى وقت بعد فنائها في اوهام الخلق وان كانا فانيان بقوله عز وجل خالدين فيها ما دامت السموات والارض
فاذا كان للسموات والارض ما ذكرنا من الاحوال عند الخلق ليست تلك الاحوال لغيرها من الخلايق من شدتها
وقوتها وصلابتها وكثافتها وسعتها شبه وعرض جنة وسعتها لسعة السموات والارض وعرضها كما هما عند
الخلق ليسا بذوي نهاية وغاية كما وصف اهل الجنة واهل النار بالدوام السموات والارض وان كانا فانيان غير دائمين
ابدا لبعد فنائهما عن اوهام الخلق فعلى ذلك الاول والله اعلم وفيه دلالة ان الجنة ذو نهاية المكان والعرض
وان لم يكن بذي نهاية الوقت وغاية لانه ذكر العرض لها وكل ذي عرض والله اعلم ولو لم يكن ذو نهاية من حيث
العرض وكان الله غير موصوف بالقدرة على الزيادة ومن زوال حده وصف ذلك انقطع عنه الطمع واضمحل الرجال
ويعد فان ثم دارا اخرى سوى الجنة فاوجب ذلك نهاية الجنة من حيث العرض اذ كان غير جنة دار اخرى مثلها في
ارتفاع نهايات الوقت وجائز وجود امرين مختلفين على اتفاق في الوقت ومحال وجودهما في مكان واحد واتفاق
بمكان لذلك نهايتهما وان زالت عنهما نهاية الوقت وقوله عز وجل اعدت للمتقين والاتقا هو من الطاعة في كل
امره ونهيه فيذكر له ذلك ويحذره فيمنعه من مخالفة او يذكر نعمته واحسانه فيمنعه ذلك عن ارتكاب ما نهي عنه حياء
منه والثالث يذكر نقمته وعذابه في مخالفة امره ونهيه ويخاف ذلك عذاب الله ونقمته قال الشيخ رحمه الله وقوله
عز وجل اعدت للمتقين ثم فسر الذين يتقون الى اخر ذلك فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد من اعدت لهم
جميع الذين ذكروا لنا في ان يريد باعدت للمتقين الذين اتقوا الشرك بالذي اخبر عز وجل بقوله ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف ثم وصفهم بالذي ذكرهم من الاشيا المحمودة لان ذلك بالجملة شرط لان تعد له الجنة حتى يحرم
من لم يبلغ ذلك فان كان على الاول فكانه وصف نهاية من اعدت وقد يجوز ان يكون لهم اتباع في الشركة فان
لم يبلغوا تلك الرتبة بفضل الله او بما اعطي من ذلك فيهم من الشفاعة او بما يشاركوا اولئك في اصل اعتقاد
بقبول ذلك وان كان منهم تقصير على انه قد يذكر في كل امر من الامور العظيمة والنهاية في ذلك على مشاركة من دونهم
لهم في ذلك وعلى ذلك ما ذكر من بعث الرسول الى الطاعة على دخول من دونه في ذلك وعلى مخاطبة اهل الجدال

قاصر بيانه

في ذلك ودخول من دونهم في الحق وكذلك ذكر الخطاب في اهل الرفعة والعلو على تضمن من دونه ذلك
فكذلك الاول وكذلك الله سبحانه ذكر في القران من الكفرة الذين جمعوا مع الكفر والعناد والتمرد وذكر اهل الايمان
لهم مع ذلك الخيرات منا منه ان ذكر هؤلاء باعلى ما استحقوا من الثناء والاول باعلى ما به يصير بمقته من غير تقصير
في اصل الوعد والوعيد الا من حيث التشديد والتفصيل فمنه الاول ايد ذلك قسمة اهل الجنة قسمين
واصحاب اليمين ثم قال في الذين من ذكر الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد بين في اخر ذلك ما يدل على ذلك و
هو من ذكر من الذين ياتون الفواحش والظلم ثم لم يصروا على ما فعلوا ويكون في ذلك وجهان احدهما ان الله تعالى
بمنه يوفقه بما يرضيه في اخر امره ويختمه به ان كان في وقت ارتكابه ما ارتكب وتقصيره فيما قصر معتقد لما اول ربه
خائفا عظمته راجيا رحمته متعرضا لما عرفه من الكرم والعفو فيكون هو شريك من ذكر في الخاتمة وان كان منه تخلف
عنه في الابتداء والله اعلم وان يكون يجزيه لما قصر وفرط حتى يطهره مما كان من الخلط فيرجع الى ما وافقه الاول
من جهة الاعتقاد فيكون حينئذ لمن جمع ذلك الجمع فيكون الذي ذكره وبالعفو والجود اذ جعل الجزاء وطريقة الجود
والكرم لا طريق الاستحقاق والله اعلم وان كان على معنى الثاني فالاية تخرج مخرج الترغيب في جميع تلك الاوصاف و
تكون الجنة في الاطلاق معدة للمتقين الذين اتقوا الشرك والدرجات وما فيها من الفضائل والمراتب على
قدر ما ينبغي من انواع الخلاف في الافضال ويتوسل الى الله تعالى بالمبادرة والمسارعة الى ما فيه الرغائب
وعلى ذلك امر الوعد تفضيله الدرجات في الجنة وتفريق الدركات في النار على ما اعدت النار في الجملة للكفرة
ويتفاوت اهلها بتفاوت الافعال من الخلاف والله الموفق السبب الذي به يستعان على التقوى
ثلاث احدها ان يذكر المرء عظمته وجلاله وقدرته عليه في كل احواله فيتقي مخالفته بالهيبة والاجلال
والثاني ان يذكر عظم منته عليه ونعمه عنده وعيادته التي يتقلب فيها فيمتنع عن عصيانه حياء منه والثالث ان
يذكر نفسه عظم نقمته الموعودة وعذابه المعدة لاهل الخلاف فيتقيه اشفاقا على نفسه والله الموفق وجملة ذلك
ان من تامل ما اليه مرجعه والذي منه بدؤه وما فيه متقلبه من اول احواله الى منتهى حاله حتى صير ذلك كله
كالعيان له فقد سهل عليه وجه التقوى لما عند ذلك تذهب شهواته ويضمحل امانيه والله الموفق وقوله عز وجل الذين
الذين ينفقون في السراء والضراء قيل السراء الرخاء والضراء الشدة وقيل السراء السعة والضراء الضيق وهو واحد
وقيل السراء ما يسرهم الانفاق من نحو الولد وغيره ويسره الانفاق عليه والضراء بضده وعلى تاويل الاول ان الانفاق
في حال الرخاء والسعة ايسر واهون على المرء من الانفاق في حال الضيق والعسر فاذا انفق في الاحوال
استوجب ذلك المدح والله اعلم والسبب الذي يسير عليه الامر وجهان احدهما علم بان الذي في يديه في الحقيقة
في يدي الله فهو يصرف ذلك حيث يصرفه لم يخرجه من يده في يده والثاني يعلم بجود ربه وقدرته حيث يكون
ذلك فيما به قضاء حاجته والوصول الى منفعته مما يعلم بالجود كثرة الاستمتاع بما لا يملك للمنتفع به من حرمان
ذي الملك ذلك فيه قال الشيخ رحمه الله في قوله الذين ينفقون في السراء والضراء يحتمل فيما يسرهم ويضرهم
او في حال يسر وعسر او حال بلاء ونعمة ثم السبب الذي يسهل سبيل الانفاق في تلك الاحوال وان كانت الذي
ذكر في تسهيل التقوى هذا وجوه ثلاث احدها ان ترى ما في يديك لمن له يديك امتحنك بحق ذلك وحفظه و
اذا بذلته ارتفعت عنك مؤنة الحفظ ومراعاة الحق على ما لم يكن زال عنك نفعه الذي كان له وقت كونه في يدك
اذ هو بعد البذل في يد من يدك قبله في يده فكانه لم يخرج من يدك بحيث النفع وانما سقطت عنك ما ذكرت من
المؤنة اذ معلوم وجود ذلك في الظاهر لا منتفع به ومن لا ملك له في الشيء منتفع به على العلم بالسواء الا
على من له بذله والله اعلم والثاني ان تشعر قلبك جوده بمن اتى على ما عنده وقدرته على اعطائه اياه من خزائنه
التي لا تنفد ولا يتعذر عليه فينفق بذلك ونعلم انه لك على الايصال اليه فيما لم يكن اوصله وعلى ذلك في ما اعطا
في القدرة واحد فهون عليه ذلك والله اعلم الثالث ان يعلم ان الذي عليه جل واليه دفع ليس للوقت الذي فيه
ولكن ليتزود لمعاده ويكتسب به الحياة الدائمة والمنفعة التي لا تنفد فيصير كبايع الشيء باضعاف ثمنه او بادخار
ما فيه فكان رغبته كمن ما يتهيأ الى مكان يحتمله او يحمل الشيء في مسكنه لوقت حاجته فالمثله انزال الشيء
في تطبيعه والذي شيء في العقل ولا قوة الا بالله ثم الاصل في قوله اعدت للمتقين ان من لم يبلغ بما بين تكب
من المعاصي الكفر لم يمتنع من احتمال التسمية المتقين على الارادة خصوص من التقوى وهو ممتنع عن احتمال التسمية
بالكفر على ما صرف الاية في اعداد النار الى خصوص او عموم فثبت به خروج صاحب الكبائر عن اهل الاسم الذي له
اعدت النار ولم يثبت خروجه عن اهل الاسم الذي له اعدت الجنة فالقول فيه بالقطع في النار دا فاذلك في الجنة

حاسد با وجه احدها انه الاشكال فيما يحرم الجوة والاحاطة بان النار لم يذكر انها اعدت له ادخل فيها فيكون في
ذلك اسقاط شهادة ثبت بيقين بالشك وايجاب شهادة لم تجب بالخيال والثاني ان يكون في ذلك اسقاط اسم العفو
والرحمة اذ لو لم يجعل لمثله لبطل ان يكون موضع لما في غيره استحقاق والله اعلم والثالث ما فيه اسقاط الموازنة واقسام
المقابلة مع ما جاء به الآيات والكتب التي تقر الموازين التي توزن بها وما يلزم من مخالفة القوم ما لكي تم الذي امرنا ان نسعد
بما قد جاء من التجاوز عن السيئات والتفضيل للحسنات من واحد وفي ذلك تطلب ذلك والله اعلم وقوله والكاظمين
الغيظ روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله امنا وايمانا و
والغيظ كانه يتردد بين الحزن والغضب والحزن على من فوقه والغضب على من دونه والغيظ بين ذلك مدحهم
عز وجل بترديدهم ذلك وغيظهم في اجوافهم وقوله والعافين عن الناس اي عمن ظلمه وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا ومن عفا عن الناس عن مظلمة فقد احسن بذلك كما تعافوا د
يحسن كذا ولا يحسن وقوله عز وجل والله يحب المحسنين والاحسان يحتمل وجهين يحتمل العلم والمعرفة ويحتمل ان يفعل
فعلا ليس عليه من نحو المعروف والايادي الذي ليس عليه انما فعله الا افضالا ذكر ههنا المحسنين وحيد والخبر في
الاية الاولى ان الجنة اعدت للمتقين بقوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
ثم قال اعدت للمتقين واخبر ان النار اعدت للكافرين ثم اختلفوا فيه قال بعضهم من لم يكن من المتقين لم تعد الجنة
فهو ممن اعدت له النار وهو قول الخوارج والبغات وقال آخرون انه اخبر في النار اعدت للكافرين فهو اذا
لم يكن كافرا ممن اعدت له الجنة وقال غيرهم اخبر ان النار اعدت للكافرين واخبر ان الجنة اعدت للمتقين في صنف
المتقين فهم الذين اتقوا معاصيه وتركوا مخالفة امره ونهيه فاذا كان قوم لهم مساوي لم يدخلوا في الحذف
قوله عز وجل اعدت للمتقين ولا دخلوا في قوله اعدت للكافرين فيكون لهم موضعا بالنار وما عندنا فانه
يرجى دخول من ارتكب المساوي من المؤمنين كقوله عز وجل وجنة عرضها كما اعدت للمتقين بقوله عز وجل
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم خلط العمل الصالح ما يعمل السيئ ثم وعد
التوبة بقوله عز وجل عسى الله ان يتوب عليهم والعسى من الله واجب والثاني في قوله عز وجل اولئك الذين نتقبل
عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فاذا تجاوز لم يبق لهم مساو فصاروا من اهل هذه الآية اعدت
للمتقين وقوله ايضا والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم قالوا
ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اخبر انهم اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم وقد ذكرنا فيما تقدم انهم لاي معنى ظلموا انفسهم حيث لم يسلموا انفسهم خالصين والظلم هو وضع
الشيء في غير موضعه فاذا لم يسلموا له وضعوا انفسهم في غير موضعها لذلك صاروا ظلمة انفسهم وذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم اي طلبوا لذنوبهم مغفرة واقروا انه لا يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ذنوبهم
والاصرار هو لد وام عليه ثم اخبر ان جزاء هؤلاء المغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها الى آخر ما ذكر دلت هذه الآيات على تأييد قولنا ان اهل المساوي والفواحش اذا تابوا واصروا
اعدت لهم الجنة وان لم يكونوا من المتقين من قبل فانه اذا تجاوز الله عن سيئاتهم وعفا عنهم بما هو عفو
غفور والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية يحتمل
ان يكون الظلم غير الفاحشة ويحتمل ان يكونا واحدا في المراد اذ قد يكون في المعنى ان كل عاص ظالم لنفسه
يعني ضرها ويبخس حظها اذا فعل ما هو ليس له الفعل ووضع اختياره في غير موضعه وهما معنيا
الظلم وكذلك من تعدى حق الله او اثم ما يزجره العقل والشرع فقد فحش وذلك معنى الظلم الذي
وصفت اذ فعل ما ليس له واختياره غير الذي له هو الذي يزجره العقل والشرع والله اعلم ويحتمل
التوبيخ وهو ان الظلم يجمع كل وجوه الخلاف في عظم او صغر ولذلك قد نسب ذلك الى زلات الاخيار نحو ما
قيل لآدم عليه السلام وحواء في اكل الشجرة فتكونا من الظالمين وقيل في الشرك انه الظلم القوم
الظالمون والفواحش ما ظهر وتبين قبحه لا ما تنازلا او كثر في الذنوب وعلى ذلك سمي النقصان ظلما بقوله عز وجل
ولم تظلم منه شيئا وقد يوصف العيب والنقصان بالفحش لكنه اذا كثر وظهر قبحه في الزلات ونحوه كما تغلب
في المخلوقات من المباح ونحوه في الدرجة والله اعلم ثم ليس بنا حاجة الى معرفة المقصود بالذكر في الآيات لما فيها
الرجوع عن ذلك وطلب المغفرة لكل انواع المآثم بالتوبة يغفر بما وعد الله في الشرك والزنا والقتل فما دونه بقوله
يضاعف له العذاب يوم القيامة الى تمام الآية والله اعلم وقوله اذا فعلوا فاحشة يحتمل الفاحشة ما فحش قبحه

العقل وقبح وقال آخرون كل محرم منهي فهي فاحشة والاول كان اقرب لانه الشيء ما لم يبلغ في الفحش والقبح غايته
فانه لا يقال فاحشة واذا بلغ الغاية فحينئذ كالطيب انه ذلك اذا بلغ غايته في الحق والدين فاما ان يقال لكل
الحل في الاطلاق طيبا فلا فكذلك الفواحش لا يقال لكل محظور محرم انما يقال ما بلغ في القبح والفحش غايته
واما ان يقال ذلك محرم منهي وبالله التوفيق والطيب ما استطابه الطبع فاذا بلغ طيبه غايته في الطبع فهو طيب
والله اعلم وقوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن يحتمل احكاما والاحكام يكون على وجهين حكم يجب لهم وهو الثواب
عند الطاعة واتباع الحق وعذاب يحل بهم عند الخلاف والمعصية ويحتمل السنن الاحكام المشروعة فسيروا في الارض
حتى تروا آثار من كذب الرسل وما حل بهم من العذاب بالتكذيب او سيروا الارض اي سلوا من يعلم ما الذي حل بهم
حتى يخبركم وما مضى من الهلاك في الامم الماضية فهذا تنبيه من الله عز وجل اياهم انكم ان كذبتم الرسول فيحل بكم ما قد حل
بمن كان قبلكم وان اطعتم الرسول صلى الله عليه وسلم فلكم من الثواب ما لهم فاعتبروا به كيف كان جزاؤهم بالتكذيب وما
في القرآن مثل هذا فمعناه لو سألت لاخبرك وقيل سيروا في الارض اي تفكروا في القرآن يخبركم عن الامم الماضية فكانكم
سرتم في الارض وما في القرآن مثل هذا فمعناه لو سألت لاخبرك فان فيه خبر من كان قبلكم من الامم وما لهم
من الثواب بالتصديق والطاعة وما عليهم من العقاب بالتكذيب والله اعلم وفي قوله عز وجل قد خلت من قبلكم
سنن يحتمل في المكذبين بالرسل والمصدقين فسيروا في الارض يحتمل لو سرتم فيها لرأيتم آثارهم ولعرفتم بذلك
ما اليه يرجع عواقب الفريقين ويحتمل الامر بالتامل في آثارهم والنظر في الانباء عنهم ليكون له به العبر وعام عليه
زجر ويحتمل سنن الموضوع من الاحكام ونحوه انه يمتحن من قبلهم ليعلموا ان الذي يأتي به ليس ببديع بل على ذلك
امر من تقدمهم كقوله ما كنت بدعا من الرسل وكقوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل والله اعلم
وقوله عز وجل هذا بيان للناس يحتمل هذا بيان يعني القرآن هو بيان للناس وهدى من الضلالة وموعظة للمتقين
اي يتعظ به المتقون ويحتمل بيان للناس ما ذكر من السنن التي في الامم الخالية دل قوله عز وجل وتلك الايام نداولها
بين الناس ان الله جعل الدولة الى اهل الشرك فعل وتدبير اضاف ذلك اليه ما بال الدولة ثم ذلك معصية وفيه
دليل ثبت جواز كون ما هو فعل معصية الى الله من طريق التخليق والتقدير والله اعلم اذ ذلك لهم بما هم
عصاة والله اعلم وقوله ولا تهنوا ولا تضعفوا لمحاربة العدو ولا تحزنوا بما يصيبكم من الجراحات والقروح
كقوله تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح ويحتمل عز وجل ولا تهنوا في الحرب وانتم تعلمون الله اذهم لا
يضعفون فيها وهم يطيعون الشيطان وقوله عز وجل ولا تحزنوا على ما فاتكم من اخوانكم الذين قتلوا ويحتمل ما
اصابكم من القروح والجراحات لا تمنعكم عن قتال العدو ولكم الاجر والشهادة وقوله عز وجل وانتم الاعلون
المحققون بالحجج وقيل وانتم الاعلون في النصر اي ترجع الامر اليكم ويحتمل ان النصر لكم ان لم تضعفوا في الحرب ولم
تعصوا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ويحتمل وانتم الاعلون لكم الشهادة اذا قتلتم واحياء عند الله
وهم اموات وقوله عز وجل ان كنتم مؤمنين اذ كنتم مؤمنين ليس على شرط ولكن على الخبر كقوله عز وجل لا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله وان كنتم مؤمنين بالوعد والخبر وقوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله لا يختلف فيه قيل ان يمسسكم قرح في آخر الامر يعني في احد فقد مس المشركين قرح مثله يوم بدر كو هذا و
الله اعلم على التسكين ليعلموا انهم لم يخصوا بذلك وقوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس يحتمل الايام دولها
يوما للمؤمنين يوما عليهم وذلك ان الامر بمجاهدة العدو والقتال معهم محنة من الله عز وجل يمتحنهم ويبتليهم مرة
بالظفر لهم والنصر على عدوهم ومرة بالظفر للعدو عليهم كقوله عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وكقوله وبلوناهم
بالحسنات والسيئات يمتحن عباده بجميع انواع المحن بالخير مرة وبالشر ثانيا ويحتمل المداولة ايضا كقوله تعالى
وبلوناهم بالحسنات والسيئات وجها آخر وهو ان الظفر والنصر لو كان ابدا للمؤمنين لكان الكفار اذا اسلموا اسلموا
حسا ولكن انما امنوا ايمان قهر وكره وجبر لما يخافون على انفسهم من الهلاك اذا ارادوا الدولة والظفر للمؤمنين
وان كان الظفر والنصر ابدا للكفار فلعلهم يظنون انهم المحقون فتمنعهم ذلك عن الاسلام ويحتمل ان للمؤمنين
انما يصيب بمعصية سبقت منهم او خلاف كان منهم من ترك امر او ارتكاب نهي والله اعلم فان يطعن طاعن من
الملحدة في قوله عز وجل ان تنصروا الله ينصركم وقوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم اليس وعد لكم ان نصر دينه
ينصركم ولخبر ايضا انه ان ينصركم فلا غالب لكم فاذا نصر دينه فلم ينصركم اليس يكون خلفا في الوعد وان نصركم
فغلبتم يكون كذبا في الخبر قيل لهذا جواب من اوجه قيل يحتمل قوله عز وجل ان تنصروا دين الله في الدنيا ينصركم في الآخرة
بالحجج كقوله انا لننصر رسلنا والذين امنوا الآية وكقوله عز وجل ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وقيل ان

تنصروا دين الله ولم يعصوا الله فيه ينصركم فلا غالب لكم وقيل يحتمل ان تنصروا دين الله جملة ينصركم كقوله صلى الله
عليه وسلم لن يغلب اثنى عشر الفا من قلة كلمتهم واحدة وكقوله عز وجل واتاكم من كل ما سألتموه وقيل ان تنصروا دين
الله ينصركم اى يجعل الظفر والنصر في العاقبة لكم وكذلك كان وان كان في ابتداء الامر الغلبة على المؤمنين فان
العاقبة لهم في الحروب كلها ومقدار ما كان عليهم انما كان لامر منهم اما اعجابا بالكثرة كقوله تعالى اذ اعجبتكم كثرتكم
فلم تغن عنكم شيئا واما خلاف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس دلالة
ان كان من الله معنى لديه يكون الغلبة لهم بقوله عز وجل ان ينصركم فلا غالب لكم وكان هو يجعل ابدا الدولة
لاحد الفريقين وقد اخبر انه يجعل لهما ومعلوم ان كانت الدولة بالغلبة فثبت ان من الله في صنيع العباد له
اضيف اليه صنيعهم والله اعلم ثم معلوم ان الغلبة لو كانت للمسلمين كان ذلك الزم للحجة واظهر للدعوة
وادعى الى الاجابة وفيها كل صلاح فثبت ان ليس في المحنة شرط اعطاء الاصلح والله اعلم وفي قوله عز وجل وتلك
الايام نداولها بين الناس رد قول الاصلح حيث قالوا ان الله لا يفعل الا الاصلح في الدين يقال لهم اى صلاح للمؤمنين
في دولة الكافرين على المؤمنين وقوله عز وجل وليعلم الله الذين امنوا اى ليعلم ما قد علم بالغيب انه يؤمن بالامتحان
مؤمنا شاهدا وليعلم ما قد علم انه يكون كائنا وجائزا ان يراد بالعلم المعلوم كقوله الصلوة امر الله اى بامر الله وفي
قوله عز وجل وليعلم الله الذين امنوا المثبتة تخرج على اوجه احدها انما وصفت الله به اذا ذكرت معه الخلق تذكر وقت
يكون للخلق لئلا يتوهم قومه واذا وصفت الله تعالى بلا ذكر الخلق وصفته به في الازل نحو ان تقول عالم قادر سميع
في الازل فاذا ذكرت المسموع والمقدور عليه والمعلوم ذكرت وقت كونه لئلا يتوهم القوم على الاخر وعلى هذا
عندنا القول بخالق رازق ونحو ذلك والله اعلم والثاني على تسمية معلومه علما في مجاز اللغة وذلك كما سمى غدا
الله في القران امره وسمى الناس الصلوة وغيرها من العبادات امره على معنى انها تفعل بامره وكذلك ما سميت الجنة
رحمته على ان كان بها فيكون ليعلم الله الذين امنوا اى ليكون الذين امنوا على ما علمه يكون والله اعلم والثالث ليعلم الله
الذين امنوا في الغيب شهودا اذ هو عالم الغيب والشهادة وتحقيق ذلك لا يجوز بحادث العلم وذلك نحو من يعلم الغد
يكون بعلمه بعد الغد وان لم يكن له حدوث العلم قد كان على هذا قبل ليعلمه كائنا وقت كونه ما قد علمه يكون قبل كونه
والله اعلم وقال بعض اهل التاويل يكون الذي علمه يكون بالمحنة ظاهرا موجودا وهو يرجع الى ما بينا وقال بعضهم
ليراه وهذا من صاحبه ضل ان الاحكام في الرؤية العلة المبرهو عن الشبه ابعد وعشو من عرف الله حق المعرفة
عما واحد ولا اصل في هذا ونحوه في الاضافة الى الله تعالى انها كانت بالاحرف المجعولة المتعارف في الخلاف ثم هي
تؤدي عن كل ما يضاف اليه ويشار اليه ما كان عرف من حال ذلك قبل الاضافة لا ان يقدر عنه الاضافة معنى
لا يعرف به لولا ذلك على ما عرف من الاشتراك في اللفظ والاختلاف في المعنى فمن ذلك امر الاضافة الى الله تعالى
ويوضح ذلك ما لا يفهم احد من قوله عز وجل تلك حدود الله ما فهم من اضافة الحدود الى غيره وكذلك بيت الله
وعباد الله روح الله وكلمته ونحو ذلك فمثله ما نحن فيه وجائز في الحي ان يوصف الله بانه لم يزل عالم يكون كل ما يكون
كيف يكون وفي وقت كونه كائنا بعد كونه قد مضى كونه على تحقيق التغيير في احوال الذي يكون لا في الله
سبحانه وتعالى اذ تغير الاحوال واسبغها لتمام من ايات الله واماراتا لصفة قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم قيل فيه بوجهين احدهما لم يعلم وهو يخرج على وجهين احدهما على اثبات انه
علم لم يجاهدوا كقوله الناس ما يشاء الله كان وما لم يشاء لم يكن اى ما شاء الله ان لا يكون والثاني انه عالم
بكل شئ فلو كان منكم جهاد لكان يعلم وانما يعلمه لانه لم يكن وعلى ذلك قوله عز وجل فما تنفعهم شفاعة
الشافعين اى ليس لهم والثاني قوله عز وجل ولما يعلم بمعنى الا كقوله عليها حافظ بالتشديد بمعنى الا
عليها حافظ فيكون معنى الا يكن ام حسبتم ان تدخلوا الجنة لا تدخلوها الا ان يعلم الله مجاهدتكم اى حتى تجاهدوا
فيعلم الله ذلك منكم موجودا والله اعلم وكذلك قوله عز وجل ويعلم الصابرين اى ليعلم ما قد علم انه يصبر صابرا
وكذلك قوله وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين اى ليعلمن الذين قد علم انهم صدقوا صادقين وليعلم
الذين قد علم انهم يكذبون كاذبين كذلك قوله عز وجل حتى يعلم المجاهدين اى حتى يعلم ما قد علم انهم يجاهدون مجاهدين
واصله قوله عز وجل عالم الغيب والشهادة ليعلم شاهدا ما قد علم غائبا والله اعلم وقوله عز وجل ويتخذ منكم شهداء
اى يستشهدون في سبيل الله بايدي عدوهم ويحتمل ويتخذ منكم شهداء على الناس كقوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس وفيه دلالة انهم لا يستوجبون بنفس الايمان والشهادة على الناس حتى يظهر
الشيا نتوا العدالة في انفسهم وقوله عز وجل وليمحص الله الذين امنوا اى يمحص ذنوبهم وسيئاتهم وقوله عز وجل ويمحق

الكافرين اى يهلكهم ويستاصلهم وقوله عز وجل وليمحص الله الذين امنوا ما ذكرنا من تمحيص الذنوب على ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف محاء الذنوب ويمحق الكافرين اى يهلكهم ولا يكون السيف تمحيصا لهم
لكفرهم بل يهلكهم في النار وقوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قيل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ولما بمعنى الا بمعنى لا يدخلون الجنة الا ان الله الذين جاهدوا منكم وهو كقوله عز وجل ان
كل نفس لما عليها حافظ من قرء بالتشديد يكون معناه الا عليها حافظ ومن قرء بالتخفيف فمعناه لعليها
حافظ وما صلة وفي قوله عز وجل ايضا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة اى ظننتم ذلك ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم وقال في موضع اخر ولما اصابتكم مصيبة الا بمعنى ولم تجاهدوا ولم يصبكم مثل الذي ذكر ففي ذلك
وعد ان يصيبوا اولئك الذين خاطبهم به ما اصاب من تقدمهم وان الله قد يعلم انهم يجاهدون قبل الموت وعلى هذا
قال قوم في تاويل قوله عز وجل صدقوا ما عاهدوا الله ان يدخلوا الجنة اذا اصاب مثل الذي قوله عز وجل كل نفس لما
عليها حافظ بالتشديد الا عليها حافظ فيكون بمعنى الاضمار اى لا تدخلوا الا ان يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقد بينا
ما في العلم في الحرف الاول على ان له وجهان ايضا احدهما ان الله لم يزل بذلك وهو العالم بكل شئ فلو كان لكان يعلم والثاني
ان يعلموا اذ يكون لم يجاهدوا وبعد سيجاهدون على ما بينا والله اعلم وقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه قيل
فيه بوجهين قيل قوله عز وجل ما تمنون ما فيه الموت وهو القتال وقيل تمنون الموت نفس الموت ثم يحتمل وجوها
يحتمل يتمنون اشفاقا على دينهم الاسلام لئلا يخرجوا من الدنيا على غير دينهم الذي هو عليه ويحتمل ان يكونوا تمنوا الموت
الموت لينجوا ويتخلصوا من تعذيب الكفار اياهم وتعييرهم على ما قيل ان اهل مكة كانوا ليعذبونهم ليطلبوا النجاة منهم
والخلوص والله اعلم وقيل يتمنون الموت اى يتمنون الشهادة لما سمعوا لها من عظيم الثواب وجزيل الاجر تمنوا ان
يكونوا شهداء لله عز وجل احياء عند ربهم والله اعلم وقيل في قوله عز وجل تمنون الموت وذلك حين اخبر الله
عز وجل عن قتلى بدر وما هم فيه من الخير فتمنوا يوما مثل يوم البدر فاراهم الله يوم احد فانهزموا فعوتبوا بذلك
تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه يعني يوم احد وقوله عز وجل فقد رايتموه يحتمل ايضا وجوها يحتمل فقد
رايتم اسباب الموت واهواله ويحتمل فقد رايتم اصحابكم الذين قتلوا بين ايديكم على تاويل من صرف قوله عز وجل
تمنون الموت الى القتال والله اعلم وقوله عز وجل وانتم تنظرون يحتمل وانتم تنظرون الى الموت يعني الى موت اصحابكم
او الى القتال ويحتمل وانتم تنظرون اى تعلمون انكم كنتم تمنون الموت والله اعلم وقوله عز وجل وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يحتمل هذا وجهين يحتمل والله اعلم ان يقول لهم
انكم لما امنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لم تؤمنوا به لان محمدا صلى الله عليه وسلم ولكن امنتم بالذي
ارسله اليكم والمرسل حي وان كان محمد صلى الله عليه وسلم قتل او مات على زعمكم فكيف انقلبتم قال الشيخ رحمه الله
وفي الاية خبر بالانقلاب من علم الله انه يرتد بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل من يرتد منكم
عن دينه والشاكرون الذين جاهدوا وهم قد اخبر الله تعالى انهم يحبهم ويحبونه وقال الحسن ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه كان والله اعلم امام الشاكرين ويحتمل وجها اخر وهو ان من كان قبلكم من قوم موسى وعيسى
عليهما السلام كانوا يكذبون رسلهم ما داموا احياء حتى قال لهم موسى عليه السلام يا قوم لم تؤذونني وقد
تعلمون اني رسول الله اليكم وكذلك قال عيسى عليه الصلوة والسلام يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم
مصدقا الاية فاذا ماتوا ادعوا انهم على دينهم وانهم صدقوهم فيما دعوهم اليه وان لم يكونوا على ذلك فلم
ينقلبوا على اعقابهم فكيف تنقلبون انتم على اعقابكم ان مات محمد صلى الله عليه وسلم او قتل والانقلاب على الاعقاب
على الكناية والتمثيل ليس على التصريح وهو الرجوع الى ما كانوا عليه من قبل من المؤمنين وقوله عز وجل ومن ينقلب
على عقبيه فلن يضر الله شيئا اى من ارتد بعد الاسلام فلن يضر الله شيئا لانه لم يستعملهم لنفسه ولكن
استعملهم ليستوجبوا بذلك الثواب الجزيل في الاخرة فانما يضرون بذلك انفسهم لا انه تعالى والثاني انه
انما يامرهم ويكلفهم لحاجة انفسهم لا انه يامر لحاجة نفس الامر فاذا لم ياتمروا لحق ضرر نفس ذلك الامر فاذا
كان الله سبحانه وتعالى عن ان يامر لحاجة وانما يامر لحاجة المامور فاذا ترك امره ضر نفسه وبالله التوفيق وسيجزي
الله الشاكرين قيل الموحدين لله وقيل الذين امنوا وجاهدوا يجزيهم في الاخرة وكل متمسك بامر الله وموقن
بامره فهو شاكر وقوله عز وجل وما كان لنفس ان تموت الا باذن يحتمل قوله الا باذن الله اى لا يموت الا بقبض
المسلط على قبض الارواح روحه كقوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ان مات او قتل ويحتمل الا باذن
الله ولا بعلم الله كتابا مؤجلا قيل وقتا موقتا لا يتقدم ولا يتاخر او قتل ما لم يستوف رزقها واجلها وقيل

وقيل فاثابكم غما بعصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتركهم المركز والغنيمة
وفي قوله عز وجل فاثابكم غما بغم وهو غم الهزيمة والنكبة بالغم الذي ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عصيانهم اياه واهمالهم المقعد الذي امرهم بالمقام فيه وقيل غما بالغم الذي له تركوا المركز وهو ان غمهم اغتنام
اصحابهم وقيل غم الاعتذار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغم الذي جفوه به حيث مالوا الى الدنيا وعصوه
فيما امرهم وقيل غما على اثر غم نحو القتل والهزيمة والارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقة ان يكون
احد الغمين جزاء والاخر ابتداء وفي ذلك تحقيق الذلة والجزاء وذلك كقوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقوله عز وجل لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم يعني من الفتح والغنيمة ولا
ما اصابكم من القتل والهزيمة ويحتمل قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا ما اصابكم فيها من انواع الشدائد
بما ادخلتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغم بعصيانكم اياه والله خبير بما تعملون على الوعيد ثم انزل عليكم
من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم قيل فيه بوجهين قيل الطائفة التي
اتاهم النعاس هم المؤمنون سمعوا بانصراف العدو عنهم فصدقوا الخبر فناموا لامن الخوف اذ غلب يمنع النوم واما
الطائفة التي قد اهمتهم انفسهم المنافقون لم يصدقوا الخبر فلم يذهب عنهم الخوف فلم ينعسوا وذلك كقوله
عز وجل يحسبون الاحزاب لم يذهبوا الاية وقيل كانت الطائفتان جميعا من المؤمنين لكن احدهما قد اتاها النعاس
لما امنوا من العدو والاخرى لا لعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم امره منع ذلك النوم عنهم
ان كيف تلقون رسول الله وكيف تعتذرون اليه والله اعلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال النعاس
في الصلوة من الشيطان وفي القتال امنة من الله وقوله عز وجل يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية قيل يظنون
بالله ان لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه ذا في عز المؤمنين وقيل يظنون بالله غير الحق ظنونا كاذبة انهم
اهل شرك وريبة في امر الله يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقوله يقولون هل لنا من الامر
الامر من شيء قيل يقول بعضهم لبعض هل لنا من الامر من شيء يعني بالامر النصر والغنيمة وقيل قالوا ذلك
للمؤمنين قل ان الامر كله لله يعني النصر والفتح كله بيد الله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك والذين يخفون
قولهم لو اقمنا في منازلنا ههنا وقيل يقولون لو كان لنا من الامر شيء قالوا ليس لنا من الامر من شيء
انما الامر الى محمد ولو كان الامر لنا ما خرجنا الى هؤلاء حتى قتلنا ههنا قال الله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز
الذين كتب عليهم القتال الى مضاجعهم قيل لو كنتم في بيوتكم كما تقولون لبرز يعني يخرج من البيوت الذين كتب
عليهم القتل لظهر الذين كتب عليه حيث كان وقيل اذا كتب على احد القتل لاتاه ولو كان في البيت وكقوله
اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقيل متى كتب الله على قوم القتل فلم يموتوا ابدا وفي هذا
بيان ان الاجال المكتوبة هي التي تنقضي بها الاعمال ان كان بقتل فقتل وان كان موتا فموت لا على ما قالت المعتزلة
ان القتل تعجيل عن اجله المكتوب له وعليه والله اعلم وقوله عز وجل وليبتلي الله ما في صدوركم والابتلاء هو
الاستظهار كقوله عز وجل يوم تبلى السرائر تبدى وتظهر وذلك يكون بوجهين يظهر بالجزاء مرة ومرة بالكتاب
يعلم الخلق من كانت سريرته حسنة بالجزاء وكذلك اذا كانت سيئة او يعلم ذلك بالكتاب وقوله تعالى وليبتلي الله
ما في صدوركم اي ليظهر الله للخلق ما في صدورهم مما مضى وليجعله ظاهرا لهم وليمحص ما في قلوبكم من الذنوب و
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الابتلاء والتمحيص هما واحد وقوله عز وجل والله عليم بذات الصدور ويقول هو عالم
عما في صدورهم من سرائرهم ولكن يجعلها ظاهرا عندكم ويحتمل الابتلاء ههنا الامر بالجهاد ليعلم المنافق منهم
من المؤمن والله اعلم وقوله الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يعني ان الذين انصرفوا عن عدوهم مدبرين منهم
منهزمين يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا اي انما
انهزموا ولم يثبتوا خوفا ان يقتلوا بالثبات خلفوا الله وعليهم عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا
ان يقتلوا وعليهم معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا من الله تعالى عز وجل ولقد عفى الله عنهم بما خافوا الله
بعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل قوله عز وجل انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ان اللعين
لما رآهم اجابوه الى ما دعاهم من اشتغالهم بالغنيمة وترك المركز وعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعاهم الى الهزيمة فانهزموا وتولوا عدوهم ويحتمل قوله ببعض ما كسبوا اي بكسبهم قال الله عز وجل وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم فكذلك هذا والله اعلم ان الله غفور حليم قيل توبتكم وعفى عنكم حليم لم يأخذ وقت
عصيانكم ولا وقت فائتكم وحليم بتأخير العذاب منكم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا

لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا الاية اختلف فيه قيل نهى كالذين كفروا وقال بعضهم نهى المؤمنين ان
يكونوا كالذين كفروا في السر والعلانية وقالوا لاخوانهم يعني المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقيل لا تكونوا
كالمنافقين قالوا لاخوانهم يعني لبعضهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقيل يعني المؤمنين تولوا وهم كانوا
اخوانهم في النسب وان لم يكونوا اخوانهم في الدين والمذهب لا حاجة لنا الى معرفة قائله من كان ولكن
المعنى ان لا يقولوا مثل قولهم لمن قتل وقوله اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا على اسقاط الالف وقوله ليجعل الله
ذلك حسرة في قلوبهم اي يجعل ذلك القول الذي قالوا حسرة يتردد في اجوافهم ويجعل قوله ليجعل الله ذلك حسرة
يوم القيامة كقوله اعمالهم حسرات عليهم وقوله والله يحيي ويميت اي والله يحيي من ضرب في الارض غزا ويميت من
اقام ولم يخرج غازيا اي لا يتقدم الموت بالخروج في الغزو ولا يتأخر بالمقام وترك الخروج دعاهم الى التسليم انما
هي انفاس معدودة وارزاق مقسومة واجال مضروبة ما لم يبلغها ويستوفاها وتنقضي اجلها لا يأتيها والله
بما تعملون بصير وقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير ان الموت ان كان لا بد نازل بكم
فقتلكم او موتكم في طاعة وجهاده خير من ان ينزل بكم من غير طاعة الله سبيله ومغفرة من الله خير مما يجمعون
من الاموال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون ان متم على فراشكم او قتلتم في سبيل الله فاليه تحشرون وقت
فمماته والله اعلم اي ان لم تقدروا على ان لم تحشروا اليه كيف تقدرون ان لا ينزل بكم الموت وان اقمتم في بيوتكم
والله اعلم وقوله فبما رحمة من الله لنت لهم يحتمل هذا وجهين يحتمل فرحمة من الله عليك لنت لهم فيجب ان يكون الانسان
رحيما على خلقه على ما جاء في الخبر قال لاصحابه لن تدخلوا الجنة حتى تراحموا فقيل كلنا نرحم يا رسول الله فقال ليس
تراحم الرجل ولده او اخاه ولكن تراحم بعضهم بعضا او كلام نحو هذا وما جاء من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس
منا وما جاء من يرحم اهل الارض لم يرحم اهل السماء وكما قال الله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
الاية وقد امر الله عباده ان يعاملوا بعضهم بعضا رحمة واللين لا حدا المعاندة والمكابرة حيث اذا امر بالقتال كقوله
لموسى وهرون حيث ارسلهما الى فرعون فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكان اللين من القول انفذ
في القلوب واسرع الى الاجابة وادعى الى الطاعة من الخشن من القول وذلك ظاهر في الناس لذلك امر الله عز وجل
رسلهم باللين من المعاملة والرحمة على خلقه وجعله سببا للرقة بقوله ولو كنت فظا في القول غليظ القلب
لا نفضوا من حولك لو كنت في الابتداء فظا غليظا لتفرقوا ولم يجتمعوا عندك وقوله فاعف عنهم بأذاهم اياك ولا
بكافيهم واستغفر لهم فيما بينهم وبين ربهم ويحتمل قوله فاعف عنهم واستغفر لهم بما عصوك ولا ينتقم منهم
وكذلك امر الله المؤمنين جملة ان يعفو عنهم وان لا ينتقموا منهم بقوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره
وكان اولى لاهل المؤمنين قوله واستغفر لهم كما قال الله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون الاية وقوله
ايضا واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات لا يجوز ان يأمر بالاستغفار لهم ثم لا يفعل واذا فعل لا يجاب
فدل انه ما ذكرنا والله اعلم وكذلك دعا ابرهيم صلوات الله عليه وسلم ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم
الحساب ودعا نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات لا يجوز ان يدعو هؤلاء
الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ثم لا يجاب لهم وقوله عز وجل وشاورهم في الامر امر الله عز وجل نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يشاور اصحابه في الامر فيه وجوه ثلاثة احدها انه لا يجوز ان يأمره فيما فيه النص وانما يأمره فيما لا
نص فيه دليل جواز العمل بالاجتهاد والثاني لا يخلو امره بالمشاورة اما لعظم قدرهم وعلو منزلتهم عند الله او
لفضل العقل ورجحان اللب فكيف ما كان فلا يجوز لمن دونهم ان يسووا انفسهم بهم ولا يجوز ايضا ان يأمر
نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين ثم لا يعمل برأيهم دل انهم اذا اجتمعوا كان الحق
لا يشذ منهم وقال بعضهم انما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم في امر الحرب والقتال وعن الحسن رضي الله عنه
قال انزل الله تعالى وشاورهم في الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله غنيان عن مشاورتكم ولكنه اراد
ان يكون سنة لامته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقرأ وشاورهم في بعض الامر وقيل امر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يشاور اصحابه في الامور وهو يأتيه وحي السماء لانه اطيب لانفس القوم فان القوم اذا شاور
بعضهم بعضا فارادوا بذلك وجه الله عزم الله لهم على رشده وقيل ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا امرا اسيدها
ان يقطع امرا دونهم لا يشاورهم في الامر شق عليهم فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يشاورهم في الامر اذا اراد
فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم وفي بعض الاخبار قيل يا رسول الله ما الحزم قال ان تستشير ذا الرأي
ثم تطيعه وكان يقال ما هلك امرؤ عن مشورة ولا سعد بتوحده الشور الذي لا يستشير وجعل ثم امر وقوله عز وجل

فاذا عزمت فتوكل على الله اى لا تتكلن الى نفسك ولا تعتمدن على احد ولكن اعتمد على الله وكل الامر فيه فان امضى
ذلك الامر بعد المشاورة فامض لامرك فان كان فى امر الحرب على ما قيل فهو والله اعلم لا تعجبن بالكثرة ولا ترين
النصر ولكن اعتمد بالنصر على الله كقوله تعالى اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا والله اعلم بما اراد بذلك كقوله
وما النصر الا من عند الله وقوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم بيد الله من كان ناصره فلا يغلبه العدو ومن بعد
وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم اى يترككم والنصر يحتمل وجهين يحتمل المعونة والمنع كقوله تعالى وما لهم من ناصرين
وقوله عز وجل ان ينصركم الله اى اعانكم الله فلا يغلبكم العدو وان يخذلكم فلم يعنكم فمن ذا الذى اعانكم سواه
من المنع اى منع عنكم العدو فلا غالب لكم وان يخذلكم ولم يمنعكم فمن ذا الذى اعانكم بمنعكم من بعده والخذلان
فى الحقيقة هو ترك المامور منه ما امل منه واستعمل فى هذا كما استعمل الابتلاء على غير حقيقته وقوله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون هو على الامر فى الحقيقة كانه قال وعلى الله فتوكلوا ايها المؤمنون والمتوكل هو الاعتماد عليه
وتفويض الامر اليه لا الى الكثرة والاسباب التى تقوم بها على نحو القوة والعدة والنصر والغلبة وفيما تشاهد
انما يكون عند الخلق بثلاث اما بكثرة واما بفضل قوة بطش واما بفضل تدبير ورأى فى امر الحرب وجميع
نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلبته على عدوه انما كان لا بذلك ولكن بالتوكل عليه وتفويض
الامر دل ان ذلك كان بالله عز وجل وذلك من ايات نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل وما كان
لنبى ان يغل فيه قراءتان نصب الياء ورفع الغين ونصب الغين ومن قراء نصب الياء فذلك يحتمل وجهين
يحتمل ما كان لنبى ان يغل اى لم يكن لنبى من الانبياء غل قط وهو احق من لا يتهموا الغلكم به فكيف تتهمونه هذا
بالغلول وقيل ان ناسا من المنافقين خشوا ان لا يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة بينهم فطلبوا
القسمة فنزلت هذه الاية وقيل قالوا اعدل يا محمد فى القسمة فنزل هذا ويحتمل قوله وما كان لنبى ان
يغل اى قد كنتم عرفتموه من قبل ان يرسل فما عرفتموه من قبل ان يرسل فما عرفتموه خان قط وقد فكيف يحتمل
الخيانة له بعدما ارسل هذا لا يحتمل ومن قراء بالرفع فهو ايضا يحتمل وجهين اى يتهم بالغلول فى الغنيمة فهو
يرجع الى التاويل الاول ويحتمل قوله ان يغل ان يخان فى الغنيمة لا يجوز ولا يحل ان يخان النبى فى الغنيمة فانه
يطلع على ذلك لتطلع الله ورسوله على ما جاء فى بعض الاخبار انه يغير فقال انه فى عذاب قيل بماذا يا رسول الله
فقال انه كان احد من الغنيمة قدر درهمين او نحوه ويحتمل خصوص الغنيمة بما تناوله الغال الحق بما لا يعرف له صاحب
كالمال الذى لا مالك له وربما يباح التناول منه للحاجة والاخذ بغير البدل بوجه لا يحتمل مثلك اكل الحل
من ذلك وقوله عز وجل يأت بما غل يوم القيمة وهكذا كل من اخذ من مال غيره بغير اذن ياخذ به وقال
بعض الناس وانما خص الغنيمة بفضل وعيد لان الغلول فيها يجحف بحق الفقراء واهل الحاجة وبعض ذلك اصناف
الخلق وسائر الاموال ليس كذا وقيل انما جاء الوعيد فى هذا انهم كانوا اهل نفاق يستحلون الغلول فى الغنيمة
والاخذ منها وهذا كان اشبه وعن ابن عباس رضى الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فغلوا
راس ذهب فنزلت الاية وما كان لنبى ان يغل وعن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا قال فقدت قطيفة حمراء يوم
بدر فما اصيب من المشركين فقال الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها لنفسه فانزل الله تعالى وما كان
لنبى ان يغل وقوله عز وجل افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله قيل افمن لم يغل ولم ياخذ من الغنيمة شيئا
كمن اخذ منها ليسا سواء رجع احدهما برضوان الله والاخر بسخطه ويحتمل افمن اتبع رضوان الله افمن اطاع الله واتبع
امره كمن عصى الله واتبع هواه ليسا بسواء وقوله عز وجل هم درجات عند الله والدرجات والله اعلم ما يقصدها
اهلها والدركات ما يدركهم من غير ان يقصدوها كالدرك فى العقود يدرك من غير قصد وقيل الدرجات
ما يعلو والدركات ما يسفل والله اعلم فهذا فى التسمية المعروفة ان سميت النار دركات والجنة درجات وحقيقة
ذلك واحد والاية تدل على امرين وقوله عز وجل لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وجه
المنة فيما بعث الرسل عليهم من البشر ولم يرسلهم من الملائكة ولا من الجن وجوه ان كل جوهر يالف بجوهره ويسكن
اليه ما لم يالف بجوهر غيره ولا ينضم الى جنس اخر فاذا كان كذلك والرسل انما بعث لتاليف قلوب الخلق وجمعهم
والدعاء الى دين يوجب الجمع بينهم ويدفع الاختلاف من بينهم فاذا كان ما وصفنا بعثوا من جوهرهم وجنسهم
ليالفوهم وينضموا اليهم والله اعلم والثانى ان الرسل لابد لهم من ان يقيموا الايات والبراهين لرسالتهم فاذا كانوا
من غير جوهرهم وجنسهم لا تظهر لهم الايات والبراهين لما يقع عندهم انهم انما ياتون ذلك بطباعهم دون ان
ياتوها بغير اعطائهم اياها ذلك والثالث ان ليس فى ذلك وسع البشر معرفة غير جوهرهم وغير جنسهم من

نحو الملائكة والجن لان رجحان البشر لا يرونهم فاذا كان كذلك بعثوا منهم ليعرفوهم وليظهر لهم الحجة والله اعلم ثم
المنة الثانية حيث بعثهم من نسبهم وجنسهم لم يبعثهم من غيرهم وذلك انهم اذا بعثوا من غير قبيلتهم و
جنسهم لم يظهر لهم صدقهم وكلا امانتهم فيما ادعوا من الرسالة فبعثهم منهم ليظهر صدقهم وامانتهم
لما ظهر صدقهم وامانتهم فى غير ذلك فيدل ذلك لهم انهم لما لم يكذبوا بشئ قط ولا خانوا فى امانة لا يكذبون
على الله والثانى انهم اذا كانوا من غير نسبهم فلعلهم اذا اتوا باية او براهين يقولون ان كان ذلك تعليم
من احد واختلاف الى احد فمن يفتعل بمثل هذا بعثهم الله منهم ليعلموا انهم اذا لم يتعلموا من احد ولا اختلفوا
فيه انهم انما علموا ذلك بالله تعالى لا باحد من البشر والله اعلم الا ان ما اتى به موسى صلوات الله عليه من الايات من نحو
العصا واليد البيضاء وغير ذلك لو كان سحرا فى الحقيقة لكان من اعظم ايات رسالته لانه لم يختلف الى احد فى
تعليم السحر قط وقد نشأ بين اظهرهم فكيف ولم يكن سحرا فدل ان الله على خلقه منة عظيمة فيما بعث الرسل من
نسبهم وقرابتهم وممن نشأ بين اظهرهم للمعنى الذى وصفنا والله اعلم وقيل قوله رسولا من انفسهم اى من العرب
معلوم النسب منا ليعلموا انه انما اتى به ما اتى سماويا وحيا وان لا يرتابوا فى رسالته وفيما يقوله كقوله ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون الاية وقوله عز وجل يتلوا عليهم اياته يحتمل اعلام رسالته ونبوته ويحتمل الايات
الحجج والبراهين هما واحد ويحتمل ايات القران وقوله عز وجل ويزكيهم يحتمل التزكية من الزكاء والنماء
وهو ان اظهر ذكرهم وافشى شرفهم ومذاهبهم حتى صاروا ائمة يذكرون ويقتدون بهم بعد موتهم كقوله تعالى
قد افلح من زكيها اظهره ولم يجعل ذكرهم الا ترى انه قال وقد خاب من دسيها اى اخفاها واخملها ويحتمل يزكيهم اى
يطهرهم بالتوحيد وقيل يزكيهم اى ياخذ منهم الزكوة ليطهرهم وقوله عز وجل ويعلمهم الكتاب والحكمة انه ينصرف
الى وجوه وقد ذكرنا فى غير موضع وقوله عز وجل وان كانوا اى وقد كانوا من قبل لفى ضلال مبين وقد ذكرنا
بالضلال انه يتوجه الى وجوه الى الهلاك والى الحيرة والى الخمول والذكر وغيره وقوله عز وجل اولما اصابتكم مصيبة
يوم احد حيث قتل منكم سبعون فقد اصبتم مثليها يوم بدر قتلتم سبعين وقيل ان ذلك كله يوم احد كانت
الدائرة والهزيمة على الكفرة فى ابتدائه ثم هزم المؤمنين بقوله ان اصابكم فى اخره ما اصاب فقد اصابهم مثليها
مثليها يذكرهم هذا لهم والله اعلم على التسلى بما اصيبوا ليتسلى بذلك عنهم او يذكرهم نعمه عليهم بما اصيب المشركون مثلى ذلك
ليشكروه عليها وليعلموا انهم انما عوقبوا بذلك وقوله عز وجل قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم كانه يعاتبهم بتركهم
الاشتغال بالتوبة عما ارتكبوا من عصيان ربهم والخلاف لنبيهم صلى الله عليه وسلم اذ مثل ذلك الكلام لا يكون الا من
[illegible]

نافقوا لما ذكرنا فيما تقدم ليعلم ما قد علم انهم يؤمنون ويصبرون على البلايا والقتال لصابرين محتسبين كذلك ليعلم
ما قد علم انهم ينافقون ولا يصبرون منافقين غير صابرين ولا محتسبين وقوله عز وجل وقيل لهم تعالوا قاتلوا
في سبيل الله او ادفعوا قوله او ادفعوا يحتمل وجوها يحتمل او ادفعوا اي كثروا السواد لان المشركين اذا راوا سواد المؤمنين
كبيرا يرهبهم ذلك ويخوفهم كقوله عز وجل واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
ويحتمل او ادفعوا العدو عن انفسكم لما لعلهم يقصدون نفس المؤمنين المقاتلين او ادفعوا عن اموالكم وذراريكم
يقصدون ذلك او ادفعوا عن دينكم وقد يقصدون ذلك اقرب منهم للايمان يعني المنافقين اخبر انهم الى الكفر
اقرب من الايمان فكفروا والى الكفر من الكفر كل ذلك لغة وفي حرف حفصة الى الكفر اقرب اي هم الى الكفر اقرب
زناديه والله اعلم ان المنافقين كانوا لا يعرفون الله عز وجل ولا كانوا يعبدونه فانما هم عباد النعمة يميلون
الى حيث ما له النعمة ان كانت مع المؤمنين فيظهرون من انفسهم الوفاق لهم وان كانت مع المشركين فمعهم
كقوله عز وجل الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم الاية وكقوله عز وجل ومن الناس
من يعبد الله على حرف الاية واما الكفار فانهم كانوا يعرفون الله لكنهم كانوا يعبدون الاصنام والاوثان
لوجهين احدهما لما اتخذوها اربابا والثاني انهم يطلبون بذلك تقربهم الى الله زلفى كقولهم ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى لكنهم اذا اصابتهم الشدة ولم يروا فيما عبدوه الفرج عن ذلك فزعوا الى الله عز وجل كقوله تعالى
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فاذا ذهب ذلك عنهم عادوا الى دينهم الاول وقوله عز وجل واذا
مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه الاية واما المؤمنون فهم في جميع احوالهم في حال الرخاء والشدة والضراء
والسراء صابرين على مصايبهم وشدايدهم قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقوله عز وجل هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان يحتمل هذا وجوها احدها كانوا كذا لانهم كانوا يقولون للمؤمنين الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وذكروا للكافرين استحواذهم عليهم على المؤمنين فذلك اية الاقرب منهم
ويحتمل اقرب منهم للايمان لان ما اظهروا من الايمان كذب والكفر بنفسه كذب فما اظهروا من الايمان فهو كذب
الى الكذب الذي هم عليه اقرب وهو الكفر وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان قال هم
يومئذ يسرون الكفر ويظهرون الايمان وسر العبد اولى من علانيته وفعله اولى به من قوله يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم وهو قولهم وقيل هم منهم اقرب لانهم كانوا في الحقيقة كفارا على دينهم وفي قوله تعالى هم
للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يحتمل الذم واخس كقوله عز وجل ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة
لاتوها فيكون الوصف بالقرب على الوقوع والوجوب كقوله عز وجل ان رحمة الله قريب من المحسنين اي هم
بهم وبالله التوفيق وذلك لانهم كانوا اهل نفاق والكفر لم يكن يفارق قلوبهم وما كان من ايمانهم كان
بظاهر اللسان ثم قد يفارقها في اكثر اوقاتهم والله اعلم وقد يكون على القرب من حيث كانوا شاكين في الامر
والشك في امر الكفر والايمان تارك للايمان اذ حقيقته تصديق عن معرفة والكفر قد يكون بالتكذيب وبالامر
بما يكذب ولا فلذلك كان الكفر اقرب لهم او لانهم وهم به احق ان يعرفوا ما جعل الله لهم من اعلام ذلك
في لحن القول ثم في افعال الخير ثم في افعال الجهاد وبما يظهر منهم من اثار الكفر في الاقوال والافعال بما
جاء به القران والله اعلم فان قيل في قوله اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند
انفسكم كيف عم هؤلاء بالعقوبة وانما كان العصيان والخلاف في الامر من بعضهم لا من الكل لما خرج لهم
ذلك مخرج الامتحان والابتلاء لا لاخراج الجزاء لفعلهم ولله ان يمتحن عباده ابتداء بانواع المحن من غير ان
منهم خلاف في الامر وعصيان وكل عقوبة خرجت مخرج جزاء عصيان او خلاف في امر لم يواخذ غير مرتكبها لقوله
عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى وما خرج مخرج الامتحان جاز ان يعمهم لما ذكرنا ان له ابتداء اذا ان كان
ما كان منهم بمعونة غيرهم فعمهم لذلك كقطاع الطريق وكسر ان ان يعمهم العقوبة جميعا من اخذ ومن لم ياخذ
ومن تولى ومن لم يتولى فكذلك هذا او كانوا جميعا كنفس واحدة فعمهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل الذين
قالوا لاخوانهم قيل لاخوانهم في الدين ومعارفهم من المنافقين لو اطاعونا ولم يخرجوا الى الجهاد ما قتلوا
وقيل لاخوانهم في النسب والقرابة وليسوا باخوانهم في الدين والولاية كقوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا ليس
باخيهم في الدين والولاية كقوله عز وجل ولكن كان اخوهم في النسب والقرابة لو اطاعونا وقعدوا عن الخروج
في الجهاد ما قتلوا في الغزو ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ان قل لهم فادرؤا عن انفسكم الموت اعادهم ادفعوا
عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين انهم لو قعدوا في بيوتهم ما قتلوا فمعناه والله اعلم ان من قتل في سبيل

الله

الله فمكتوب ذلك عليه ومن مات في بيته فمكتوب عليه فاذا لم يقدر رد ما قد كتب ما كتب عليكم من الموت كيف زعمتم
انهم لو قعدوا ما قتلوا وهو مكتوب عليهم كالموت وفي هذه الاية رد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان من قتل
مات قبل اجله وقيل ان يستوي اجله فهم واليهود فيما انكروا الله عليهم قولهم لو اطاعونا ما قعدوا ما قتلوا
سواء بقوله فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين وقوله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا قيل فيه بوجوه قيل ان المنافقين قالوا الذين قتلوا باحد وبدر اموات كسائر الموتى بل احياء عند ربهم وقيل قالوا
ان من قتل لا يحيى ابدا ولا يبعث فقال عز وجل بل يحيون ويبعثون كما يحيى ويبعث غيرهم من الموتى وقيل ان العرب كانت
تسمي الميت من انقطع ذكره اذا مات ولم يذكر اي لم يبق له احد يذكر به فقالوا اذا قتل هؤلاء ماتوا اي لا يذكرون فاخبر
الله عز وجل انهم مذكورون في ملاء الملائكة وملاء البشر وهو الظاهر المعروف في الخلق ان الشهداء مذكورون
عندهم وقيل قوله قوله عز وجل بل احياء عند ربهم اي يجري اعمالهم بعد قتلهم كما يجري في حال حيوتهم فهو كالاحياء
فيما يجري لهم ثواب اعمالهم وجزاؤهم ليسوا باموات وقيل ان حياتهم حيات كلفة وذلك انهم اخبروا باحياء انفسهم
في الاخرة فعل المؤمنين ذلك احيوا انفسهم في الاخرة فسموا احياء لذلك والكفار لم يحيوا انفسهم بل اماتوها فسمي اولئك
احياء والكفار موتى وقيل سمى هؤلاء احياء لانهم انتفعوا بحيوتهم وسمى الكفار امواتا لما لم ينتفعوا بحياتهم الا ترى
انه عز وجل سماهم مرة صم بكم عمي لما لم ينتفعوا بسمعهم ولا ببصرهم ولا بلسانهم ولم يسم بذلك المؤمنين لما انتفعوا
بذلك كلهم فعلى ذلك سمي هؤلاء احياء لما انتفعوا بحيوتهم واولئك موتى لما لم ينتفعوا بحياتهم والله اعلم وقال الحسن
ان ارواح المؤمنين يعرضون على الجنان وارواح الكفار على النار فيكون لارواح الشهداء افضل لذة ما لا يكون
لارواح غيرهم من الكفرة ذلك فاستوجبوا بفضل اللذة على غيرهم اسم الحيوة الا ترى انه قال تعالى يرزقون فرحين بما اتاهم
الله عز وجل من فضله وقيل ان الناس كانوا يقولون فيما بينهم من قتل شهيد او لحد مات فلان ومات فلان فقال عز وجل
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات وقوله عز وجل يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله روي عن مسروق قال
سالت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية قال سئلت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم عند الله في حواصل طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة وايها شاءت
ثم تاوي الى قناديلها والحديث طويل وقوله عز وجل ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه ينزل عليهم صحف مكتوب فيها من يلحق بهم من الشهداء فبذلك فبذلك يستبشرون وقيل
يستبشرون لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وامرهم باحد فقوا عليه من الكرامة والفضل والنعم الذي اعطاهم الله
وقيل يستبشرون يعني يفرحون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يعني من بعدهم من احوالهم في الدنيا وفيما لا استشهدوا ولم
يلحقوا وقيل لم يلحقوا بهم من خلفهم الذين يدخلون في الاسلام من بعدهم والاستبشار هو الفرح او طلب البشارة
بانهم طلبوا البشارة كانهم طلبوا البشارة لقومهم ليعلموا بكراماتهم عند الله ومنزلتهم كقوله من قال ليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقيل الحيوة على ضربين حيوة الطبيعي وحيوة العرضي وكذلك الموت
على وجهين موت الطبيعي وموت العرضي على وجوه احدها حيوة الدين والطاعة كقوله عز وجل او من كان ميتا
فاحييناه وحيوة العلم والبصيرة واليقظة سمي العالم حيا والجاهل ميتا وحيوة الزينة والشرف على ما سمى الله تعالى
الارض ميتة في حال يبسها وحيوة في حال خروج النبات منها بقوله عز وجل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
ان الذي احياها وحيوة الذكر واللذة فجاز ان يكون الله تعالى لما اخبر انهم احياء ذلك ان يكون لهم حيوة من هذه الوجوه
التي ذكر ولذة او حيوة زينة وشرف او حياة العلم لهم باهل الدنيا على ما كان لهم قبل ذلك او حيوة دين وعبادة
ان يجري عليهم اعمالهم قبل الشهادة وان كانت اجسادهم في الحقيقة ميتة في احكام الدنيا وهذا يقوي قولنا في المرتد
انه اذا لحق بدار الحرب يحكم في نفسه وماله بحكم الموتى في قسمة المواريث وقضاء الديون وغيرها وان كان في الحقيقة
حيا على ما حكم في اموال الشهداء وانفسهم بحكم الموتى في حكم الدنيا لا يعودون الى الدنيا وان كانوا عند ربهم احياء
فعلى ذلك الحكم في نفس المرتد وامواله بحكم الموتى لما لا يعود الى دارنا وان كان هو في الحقيقة حيا عند الله لما جاز
ان يكون حيا عند الله ميتا عندنا جاز ان يكون ميتا عندنا حيا عند الله والله اعلم وحيوة الطبيعي هو حيوة
ما به يقوم النفس وموت الطبيعي هو هلاكه وموته والله اعلم وبعدها العرضي هو جهله والله اعلم وقوله
عز وجل يستبشرون بنعمة من الله وفضل يحتمل نعمة من الله وفضل اي بدين من الله كقوله تعالى فاصبحتم بنعمته
اخوانا قيل بدينه ويحتمل بنعمة من الله الجنة وفضل زيادات لهم وكرامات من الله عز وجل وقوله عز وجل
وان الله لا يضيع اجر المحسنين اي لا يضيع من حسناتهم وخيراتهم وان دق وصغر كقوله عز وجل يتقبل عنهم احسن

ما عملوا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية وقوله عز وجل استجابوا لله والرسول قيل اجابوا
الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم الى ما دعاهم اليه واطاعوا فيما امرهم به من بعد ما اصابهم القرح اي الجرح قيل
دعاهم الى بدر الصغرى بعد ما اصابهم ما اصابهم من القروح والجراحات فاجابوه فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول
الآية وقوله عز وجل للذين احسنوا منهم بالاجابة بعد ما اصابتهم الجراحة واشهدوا القتال معه واتقوا الخلاف
له وترك الاجابة ويحتمل اتقوا النار وعقوبته اجر عظيم في الجنة وثواب جزيل والله اعلم وقوله عز وجل الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الآية قيل المنافقون قالوا لاصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ما انهزم كفار مكة ولو ادبرهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يخوفونهم حتى لا يتبعوهم
على اثرهم فذلك عادتهم لم يزل كقوله تعالى ما زادوكم الا خبالا الآية اي فسادا وقيل انه انما قال ذلك
لهم نعيم بن مسعود ولا ندري كيف كانت القصة وقوله عز وجل فزادهم ايمانا لما وجدوا الامر
على ما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدهم لا على ما قال اولئك فزادهم ذلك ايمانا اي تصديقا زادهم قيل
جرأة وشجاعة وقوة على ما كانوا من قبل في الحرب والقتال ويحتمل زادهم ذلك في ايمانهم قوة وصلابة وتصديقا يقينا
وقيل قوله عز وجل زادهم ايمانا اي تصديقا ويقينا بجرأتهم على عدوهم ويقينهم بربهم واستجابتهم لنبيهم
صلى الله عليه وسلم فان قال قائل ما معنى قوله سبحانه وتعالى زادهم ايمانا على اثر قوله عز وجل الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وذلك قول لا يحتمل ان يزيد الايمان وليس كقوله عز وجل اذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا لانها حجج والحجج تزيد التصديق وتحدث او تدعو الى الثبات على ذلك فيزيد الايمان
فقولهم اخشوهم كيف يزيد قيل يخرج ذلك والله اعلم على وجوه احدها انهم اذا علموا انهم اهل النفاق وانهم
يخوفون بذلك وقد كان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصنيعهم فكذبوهم بذلك واقبلوا الى امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجابة لامره وتصديقا بوعده ومجانبة لاعتزازهم باخبار اعدائه والنزول على قولهم
فكان ذلك منهم وعند ذلك زائدا في ايمانهم سعيا في تكذيبهم وذلك نحو قوله عز وجل واما الذين في قلوبهم
الآية اذا ازداد تكذيب آيات الله رجسا فمثله تكذيبا لمكذب بالآيات لذلك يزيد ايمانا والله اعلم والثاني ان
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرهم بتفرق اعداء الله وتشتت امرهم اخبرهم المنافقون بالاجتماع
فصاروا الى ما نعتهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا الامر على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك من انباء الغيب والانباء عن الغيب من اعظم آيات النبوة فزادهم ذلك ايمانا والله اعلم وذلك قوله
عز وجل افمن اتبع رضوان الله الآية والثالث لما لم يغتروا بقول المنافقين ولا تصدوا لذلك ولا استضعفوا انزل
الله تعالى سكينة على قلوبهم ليزيد لهم بذلك ايمانا وكقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين الآية
وبالله التوفيق ثم معنى زيادة الايمان يخرج على وجوه احدها يحق الابتداء في حادثة الوقت اذ له حكم التجدد
في حق الافعال بما هو لكل بر ناهل وعلى ذلك قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا الآية فيكون في ذلك يحق الزيادة على
ما مضى وان كان يحق التجدد في حق الحادث والفرد والثاني ان يكون له الثبات عليها اذ يجيء الشيء يوجب لزومه
والدوام عليه فيسمى ذلك زيادة ويحتمل ان يكون يزداد له في امره بصيرة وعلى ما رغب فيه اقبالا والحرقة مراعاة
فيكون في ذلك زيادة في قوته او في نوره او زينته ونمائه وذلك امر معروف ويحتمل ان يكون ذلك داع الى المحافظة
حقوق والتمسك بادلة الوفاء بشرائطه فيزيد ذلك فضله كما عدت صلوة واحدة في التحقيق لقيامها في ذلك من
حفظ الحقوق ومراعاتها والله اعلم وقوله عز وجل قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فزعوا الى الله تعالى لما راوا من صدق وعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور كذب قول المنافقين ان الناس قد جمعوا لكم الآية وقالوا ذلك عند قول المنافقين
اياهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فوضوا امرهم الى الله تعالى وسلموا اي راوا النصر منه رضاء منهم بكل ما يصيبهم كقوله
عز وجل الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون مدحهم الله عز وجل بما اسلموا انفسهم لله كذلك
هذا وقوله عز وجل والله ذو فضل عظيم اي ذو من عظيم بدفع المشركين عن المؤمنين وقوله عز وجل فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل يحتمل النعمة نعمة الدين على ما ذكرنا وقيل انقلبوا بنصر من الله والغنيمة ويحتمل النعمة من الله الامن
من العدو لان المنافقين كانوا يخوفونهم بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل النعمة الجنة والفضل
الزيادة بعد ذلك وقيل انصرفوا باجر من الله وفضل ربحوا ما اشتروا به من السوق لم يمسسهم سوء ولا قتل
ولا هزيمة وقوله عز وجل واتبعوا رضوان الله ورضاء رسوله صلى الله عليه وسلم وقيل اتبعوا طاعته ورضاءه و
يحتمل نعمة من الله وفضل الزيادة في الايمان وهو الشجاعة والقوة فيه وقوله لم يمسسهم سوء بما كانوا يخوفونهم

بقوله

بقوله ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله اي رجعوا الى محمد صلى الله عليه
وسلم وقوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون يخوف اولياءه واعداءه
لكن اعداءه لا يخافونه واولياؤه كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع لكن اتبع كان يقبل انذاره
ومن لم يتبع الذكر لا وان كان ينذر الفريقين جميعا فمن ذلك الشيطان كان يخوف اولياءه واعداءه جميعا لكن اعداءه
لا يخافونه واولياؤه يخافونه ويحتمل قوله يخوف اولياءه اي باوليائه وجائز هذا في الكلام كقوله لينذر يوم
الجمع اي بيوم الجمع الا ترى انه قال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم فمن ذلك قوله يخوف اولياءه
اي باوليائه والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه يخوفكم اولياءه وهذا يؤيد تاويل من تاول يخوف باوليائه
والله اعلم وقوله عز وجل فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين اي لا تخافوه لمخالفتكم اياه وخافوني اي خافوا
مخالفتكم امري كقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه اخبر
انه ليس له سلطان على الذين آمنوا انما سلطانه على اوليائه لذلك قال لا تخافوه لما ليس له عليكم سلطان وبالله
العصمة وقوله عز وجل ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يحتمل الآية وجهين يحتمل ولا يحزنك الذين ظاهروا
غيرهم من المشركين عليك فان الله ينصرك فيخرج بها مخرج البشارة له بالنصر على اعدائه والغلبة عليهم ويحتمل
ايضا وجها آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشتد عليه كفرهم بالله عز وجل ويحزن لذلك كقوله
تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين فيخرج قوله لا يحزنك مخرج تسكين الحزن ودفعه عنه والسلى على
ذلك لا مخرج النهي اذ الحزن ياخذ الانسان ويأتيه من غير تكلف ولا صنع وكقوله تعالى لا تحزن ان الله معنا هو
على مخرج التسكين والدفع لا على النهي فكذلك الاول وكقوله تعالى لام موسى عليه السلام لا تحزني وقوله عز وجل
انهم لن يضروا الله شيئا يحتمل قوله لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله عز وجل
وانما ضرر ذلك عليهم كقوله تعالى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ويحتمل لن يضروا الله شيئا في فعلهم
وعملهم نفع ولا في تركه ذلك عليه ضرر انما المنفعة في عملهم والضرر في تركه عملهم عليهم والله اعلم وقوله عز وجل
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة هذه الآية تنقض على المعتزلة قولهم لان الله تعالى يقول اراد ان لا يجعل لهم في
الآخرة حظا والمعتزلة يقولون بل اراد ان يجعل لهم حظا في الآخرة اذ يقولون اراد لهم الايمان وبالايمان يكون لهم
الحظ في الآخرة فثبت بالآية انه لم يكن اراد لهم الايمان والآية في قوم خاص علم الله تعالى انهم لا يؤمنون ابدا فاراد
ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولو كان على ما تقوله المعتزلة بانه اراد ان يجعل لهم الحظ في الآخرة لما اراد لهم ان
يؤمنوا ولكن لم يؤمنوا لكان حاصل قولهم اراد الله ان لا يجعل لمن اراد ان يؤمن في الآخرة وذلك جور عندهم
وبالله التوفيق وقوله عز وجل ولهم عذاب عظيم وذكر مرة اليم وذكر مرة شديد لان التعذيب بالنار اشد العذاب
في الشاهد وعظيمه لذلك وعدها في الغائب وجعل شرابهم وطعامهم ولباسهم منها فنعوذ بالله من ذلك وقوله
عز وجل ان الذين اشتروا الكفر بالايمان وقد ذكرناه وقيل هذا فيما تقدم لن يضروا الله شيئا ما ذكرنا انه على الوجهين
للذين سميناهما والله اعلم وقوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الآية اختلف في قراءتها قرا
بعضهم بالتاء وبعضهم بالياء فمن قرا بالتاء صرف الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تحسبن يا محمد انما نملي لهم
خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم فالآية على المعتزلة لكنهم تاولوا بوجهين احدهما على التقديم والتاخير
كانه قال ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم فقال لهم لو جاز جعل الآية التي فيها
على ما حملتم عليه وصرفتم اليه جاز حمل جميع الآيات التي فيها وعد المؤمنين وصرفها الى الكافرين وما كان فيها وعيد
للكافرين الى المؤمنين اذ لا فرق بين هذا وبين جعلكم الخير مكان الاثم والاثم مكان الخير وبين جعل الوعيد والوجه الثاني
قالوا اخبر الله تعالى عما يؤول امرهم في العاقبة لا ان كان في الابتداء كذلك قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم
عدوا وحزنا ومعلوم انهم لم يلتقطوا ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن اخبار عن حال امره في العاقبة ان صار لهم عدوا
وحزنا وكذلك يقال للرجل سرقت لتقطع وقتلت لتقتل وهو لم يسرق ليقطع ولا قتل ليقتل ولكن اخبار عن حال امره
وحاله في العاقبة فكذلك الاول لكن الاخبار عما يؤول الامر يخرج مخرج التنبيه عن السهو والغفلة في الابتداء والله سبحانه
وتعالى يتعالى عن ذلك فيخرج ذلك مخرج التحقيق في الابتداء لا مخرج الاخبار عما يؤول الامر في العاقبة وبالله التوفيق والثاني ان
من اراد امرا يعلم انه لا يكون فهو يجهل بذلك او العبث والله سبحانه تعالى عن الجهل بالعواقب والعبث في الفعل دل انه
كان يملي ما اراد لا ما لم يرد ولو كان الله سبحانه وتعالى عما يقول ملحدة اراد هو اصلح لهم في الدين والخير لم يكن لنهي رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الاعجاب ما اعطى الكفرة من الاموال والاولاد بقوله سبحانه وتعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الآية دل

قد يعطى ما ليس هو باصلح فى الدين ولا اخير والله اعلم وقال الشيخ رحمه الله فى قوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى
لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقوله عز وجل فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
بها الاية وقوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ونحو ذلك من الايات
فيها وجهان على المعتزلة احدهما فى الاصلح ان الله تعالى لو فعل بالخلق بشيء غير اصلح لهم فى الدين فى حال المحنة كان ذلك
جورا ومعلوم ان الفعل بهم ليزدادوا اثما لا يبلغ فى الصلاح فى الدين الفعل بهم ليزدادوا به برا معلوم انه لو كان
كذلك لم يكن يجوز ان يحذر رسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فيقول لا تعجبك كذا فكانه قال لا تعجبك انه هو
صلاح فى الدين ثم يؤكد ذلك ذلك بانه لهم ذلك ليعذبهم بها ثم يشهد على من حسبه ما حسبته المعتزلة بانهم
لا يشعرون فكان ذلك شهادة منه تعالى عز وجل على كل من وافق فى هذا الرأى اولئك الكفرة انهم لا يشعرون ومعلوم
ان الجبابرة والفراعنة لو لم يجعل الله تعالى لهم تلك الحواشى من الملك والقوة لم يكن ليتجبروا على دعوى الربوبية ويبلغوا
فى المأثم ما بلغوا فيكون قوت ذلك اصلح فى الدين وقد قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن الاية ثم كان معلوما انه اذا كان لما يجعل ذلك للكفرة يكفرون فلو جعل المؤمنين يؤمنون ثم لم يجعل
كذلك والله اعلم والثانى ذلك قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها الاية والثانى ان الارادة اذ هى صفة لكل فاعل
مختار فى الحقيقة وقد اخبر وجه اعطى ثبت انه اراد ذلك ممن كان المعنى لم من فعل كان لا احد لا يخرج على ما اراده
ولا يبلغ به ما لو فعل انه يكون من جهل او سفه فالاول يكون فيه على ظن ان يكون ذلك فيكون والثانى اذا علم
ان لا يكون ابدا ان يكون بما شاء سفيها جل الله تعالى عن الوجهين ثبت انه فعل لما علم انه يكون لا لغيره ليحقق به وصف
جهل او سفه وبهما سقوط الربوبية ثم وجهت المعتزلة الاية الى وجهين احدهما على التقديم والتأخير بمعنى ولا
يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم ليزدادوا اثما انما نملى لهم ليزدادوا خيرا وذلك فاسد لوجهين احدهما لو كان
جعل الخير شرا والشر خيرا بالتأويل وصرف الاية عن شأنها ونظمها لجاز ذلك فى كل وعد ووعيد وامر ونهى وتخبير
وتحريم فيصير كل امور الدين مقلوبا والثانى انه لو كان كذلك لكان يجب ان يعجب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
او مثل ذلك ولكانوا فيما حسبوا ان ذلك خير لهم يشعرون معا قيل ولا يحسبن بالياء فى بعض القراءة ومتى كان يجب
الكفرة ذلك شرا اخبرنا اتوا على الحسبان والله الموفق والثانى قالوا اللام للخبر عما يئول الامر اليه كقوله تعالى فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لا لذلك التقطوا ولكن يقول للسارق سرقت لتقطع يدك وكما يقال لدوا للموت
وابنوا للخراب والذى قالوه انما هو تنبيه وايقاظ لقوم لا يذكرون عواقب الامور فيحرصون عليها عن غفلة بالعواقب
فان الله سبحانه وتعالى فمحال ان يكون امره على ذلك ليكون فيما يذكره ذلك الا ترى ان احدا لا يقول ولدت للموت
وبنيت للخراب لانه لا لذلك يفعل وان كان انه يئول وانما هو قول للوعظ لهم بما ذكرت كذلك بطل هذا وكر
قوم فرعون لم يقل ليكون لهم عند الله تعالى وبما اراد الله وكان ذلك ولا قوة الا بالله وقد بينا ما فى الحكمة بحقيقة
من طريق الاعتبار ولا قوة الا بالله واصل فى ذلك ان الله تعالى عالم بمن يؤثر عداوته ويعاند اياته ان لا يكون
منه ذلك لحاجة فى موالاته او اجتلاب او غلبة عليه فى بعض ما يريد جل الله عن هذا الوصف وقوله عز وجل وما
كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث قيل فيه بوجوه قيل لا يدع الله المؤمنين على ما انتم عليه ايها
المنافقون ولكن يمتحنكم بالجهاد وبانواع المحن ليظهر المنافق من المؤمن وقيل ليظهر الكافر لهم من المؤمن والمصدق
وقيل فيه بوجه اخر وذلك ان المنافقين كانوا يطعنون لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزؤن بهم
سرا فقال الله عز وجل لا يدع المؤمنين على ما انتم عليه من الطعن فيهم والاستهزاء بهم ولكن يمتحنكم بانواع المحن
لتفتضحوا وليظهر نفاقكم عندهم ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم حتى يميز
الخبيث من الطيب اى لا يدع المؤمنين على ما انتم عليه من النفاق والكفر فى دار واحدة ولكن يجعل لكم دارا اخرى
يميز فيها الخبيث من الطيب يجعل الخبيث فى النار والطيب فى الجنة كقوله عز وجل ليميز الله الخبيث من الطيب
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم الاية وقوله عز وجل وما كان الله ليطلعكم على الغيب قيل
فيه بوجهين قيل انهم كانوا يقولون لا نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى الانبياء كقولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما
اوتى رسل الله ومثل قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا فنص ذلك قوله ما كان الله ليطلعكم على
الغيب الا من اجتباه لوحيه وجعله موضعا لرسالته ان لا يجعلكم رسلا اذ علم الغيب انه من ايات رسالته والله اعلم
وقيل ان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فيسترقون فياتون باخبارها الى الكهنة قبل ان يبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ان الكهنة يخبرون بها غيرهم من الكفرة فانزل الله سبحانه وتعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب بعد ما

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا كما كنتم تطلعون على اخبار السماء قبل بعثه ولكن الله يجتبى من رسله من
يشاء اى يصطفى من يشاء فيجعله رسولا فيوحى اليه ذلك اى ليس الوحى من السماء الى غير الانبياء عليهم الصلوة
والسلام ويحتمل قوله يجتبى من رسله من يشاء اى لا يطلع احدا منكم على الغيب الا من اجتباه منكم لرسالته و
يحتمل قوله يجتبى من رسله من يشاء اى لا ينسخ شرايعه واحكامه برسول اخر نحو ما بين موسى الى عيسى عليهما
السلام انه كان فيما بينهما نبى لم يجعل له احكام سوى احكامه عليه السلام التى تلك الاحكام والشرايع وكذلك ما بين
عيسى الى محمد عليهما الصلوة والسلام فاجتبى هؤلاء لابقاء شرايعهم واحكامهم والله اعلم وقوله عز وجل
فامنوا بالله ورسله ظاهر وان تؤمنوا برسله كلهم وتتقوا المعاصى فلكم اجر عظيم ويحتمل ان تؤمنوا وتتقوا
الشرك فلكم كذا وقوله عز وجل ولا يحسبن اوتوا الكتاب ان ما يؤتون من المال وبما يلون من النيل وكتمان
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وتحريفهما ان ذلك خير لهم بل هو شر لهم فى الدنيا والاخرة ولو لم يكتموا كان
خيرا لهم فى الدنيا ذكرا وشرفا وفى الاخرة ثوابا واجرا وقيل نزلت فيما نعى الزكوة بخلا منهم وشحا فذلك وعيد لهم و
الاول اشبه والله اعلم وان كان فى الزكوة قبل الجحود بها كقوله تعالى لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون وقوله
عز وجل سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة فان كان على التاويل الاول من كتمان نعته وصفته فهو والله اعلم يطوق
ذلك فى عنقه يوم القيمة ليعرفه كل احد كقوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه وان على التاويل الثانى
قيل ان الزكوة التى منعها تصير حية ذكرا شجاعا اقرع ذو زبيبتين يطوق بها فى عنقه فتنهشه بنابيه حتى يفنيها
من راسه حتى يقضى بين الناس فلا يزال معه حتى يساق الى النار والله اعلم وقوله عز وجل ولله ميراث السموات
والارض فى الاية دلالة ان اهل السموات يموتون ليس على ما يقوله القرامطة انهم لا يموتون لان الله اخبر ان له ميراث السموات
والارض هذا الذى يخلفنا الورثة لما ذكرنا انكم وجميع ما فى ايديهم لله تعالى عز وجل ملك له وعبيد الارض
انه روى فى الخبر لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر ولا المولى من عبده ما يكون للمولى من عبده ميراثا
وان كان العبد وماله بين المولى فعلى ذلك الاول سمى الله عز وجل ذلك ميراثا له وان كانوا هم عبيده وما فى ايديهم
له والله اعلم قال الشيخ رحمه الله فى قوله تعالى ولله ميراث السموات والارض وكانت له لا يحتمل الميراث لوجهين احدهما
على الاخبار عن ذهاب احدهما وبقاء الله عز وجل بعدما ذهب وصف الوارث ان يكون لمن له البقاء بعد فناء من تقدم
والله عز وجل هو الباقى بعد فناء الكل معا والثانى لتفرده بما هو له فى الحقيقة من قبله بالميراث من حيث ملك التمتع
والانتفاع بذلك وعلى ذلك المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم
الكافر ولا المولى من عبده وليس ذلك فى الحقيقة ميراث ان كان فى حال الحيوة ولكن كان ولابد لا انتفاع بزوال
وعلى مثل هذا وراثة المسلمين الجنة لا على انتقال من غيرهم اليهم ولكن على وصولهم الى جالهم وعلى وراثة لو كان
من لم يؤمن منهم ما دخلوا انها انهم يقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فصارت ميراثا لغيرهم ما
ادعوا انها لهم والله اعلم والثانى ان يعلم كل بالموت حقيقتها انها له فاستيقنت اليه بالميراث عنهم كما قال تعالى
عز وجل يرثون وانا نحن نرث الارض واليه المصير والمرجع ونحو ذلك من غير غيبة عنه ولكن مما يعلم كل اذ ذلك وكذلك
قوله عز وجل والامر يومئذ لله وهو فى الحقيقة فى كل يوم له ولا قوة الا بالله وفى التذكر والاخبار انها له ميراث
تحريض على الانفاق اذ لا تزداد هى فى الحقيقة لهم الا ما ينفقون ويتزودون ما دون ما يمسكون
وفيه منع الامساك وذلك كقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض
الاية والله بما تعملون خبير وعيد منه عز وجل اياهم وقوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء قيل لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الاية قالت اليهود ان ربكم يستقرض منكم
ونحن اغنياء وليس فى الاية بيان ان ذلك القول انما قاله اليهود وغيرهم من الكفرة ولكن فيه انهم قالوا ذلك
فلا ندرى من قال ذلك ولا يجوز ان يشار الى احد بعينه الا ببيان ثم يحتمل هذا القول وجوها يحتمل ان يكون
قالوا ذلك او ابائهم على ما قال فى قتل الانبياء عليهم السلام وهؤلاء لم يقتلوا ولكن انما قتلهم اوائلهم اضيف
ذلك اليهم رضاء منهم بصنيعهم فكذلك القول الذى قاله من يحتمل ما ذكرنا ويحتمل ان يكون هؤلاء قالوا ذلك لحكمة
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدتهم او قالوا ذلك فى سر فان قالوا ذلك اوائلهم فانه يحتمل و
جهين يحتمل ان يكون الله تعالى اعلم ذلك رسوله تعييرا اياه وتسكينا الصبر على اذى الكفار حيث قالوا فى الله فكيف
فيه والله اعلم ذلك ليكون ذلك اية من ايات رسالته وان كانوا قالوا ذلك لحكمة اصحابه صلى الله عليه وسلم ففيه
ايضا وجهان احدهما ما ذكرنا من التسكين والصبر على اذاهم والثانى ليعلم ان جميع ما يقولون محفوظ عليهم

ليس بغايب ولا غافل عنه كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم الاية
لكنه يؤخر ذلك الى وقت وان كانوا قالوا ذلك سرا ففيه ايضا وجهين احدهما ما ذكرنا ان يكون اية
من ايات النبوة ليعلموا انه انما علم بالله علم منهم انه لم يكن فيما بينهم من ينبي الخبر اليه والثاني خرج على التعزية له
والتصبير على اذاهم ثم معنى قوله تعالى اقرضوا الله قرضا حسنا ومن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يحتمل وجهين
احدهما لئلا يمنوا على الفقراء انما يتصدقون عليهم اذ يعلمون انه ليس بفقير ولا يحتاج الى غيرهم فيستقرض لفقره
ولحاجته ولكن من اقرض لا لحاجة له في ذلك بقرض ولا فقر ولكن ليكون ما له عنده محفوظا في الشاهد فانه
لا يمن المقرض عليه بل تكون المنة للذي عنده القرض حيث يحفظه ما له في الشاهد فمن ذلك المال الذي يقرضون
ويتصدقون على الفقراء ويكون محفوظا عند الله ليوم حاجتهم اليه فلا منة يكون على الفقير والله اعلم والثاني
انباء على وجوده وكرمه لان العبد وما في يده له فلو راد ان ياخذ جميع ما في يده لكان له ذلك ثم يطلب منه بدله
يضاعف على ذلك والثالث ان المولى في الشاهد اذا طلب من عبده القرض يكون في ذلك شرف للعبد وعظم
فعل ذلك الله سبحانه وتعالى اذ طلب من عبده القرض على علم منه في انه غني بذاته لا يجب ان يمن عليه وفي ذلك شرفه
وتعظيمه والله اعلم وقوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال اهل التفسير قالته اليهود وفي
ذلك تنبيه لتشنيعهم وشدة سفههم حتى زعموا ان يد الله مغلولة لكن ليس في الاية بيان القائلين ولا في
التنبيه الى احد نفع سوى خوف الكذب لو لم يكن ذلك منهم لكنهم قالوه والاغلب على مثله ان يكونوا قالوه
سرا يكون في اظهاره اية الرسالة وكانت الاوايل يقولون فيكون في ذلك اذ لا يحتمل ان يصير لمثله
يقال لبعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الا ان يكون في وقت امرا بالكف فيكون في ذلك بيان قدر حلم
الله تعالى مع عظم ما سمعوا من القول وحجة ان في ذكر ذلك دعاء الى الصبر على اذاهم وسوء قولهم اذ هم مع تقلبهم
في نعم الله تعالى عليهم بانهم لما نالوا خيرا الا بالله تعالى اجتراء عليه بمثل هذا القول وبلغ عندهم هذا والله
جل ثناؤه مع قدرته وسلطانه يحكم عنهم ليوم وعدهم فيه الجزاء فمن ليس منه اليهم نعمه ولا تقدم عليهم منه
كرامة احق بالصبر لاذاهم والاعراض عن مكافاتهم وعلى ذلك قوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله الاية وقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله عز وجل
سنكتب ما قالوا قيل سيجزيهم جزاء ما قالوا وقيل سنحفظ ما قالوا وثبتت وسائرهم كقوله عز وجل وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه والله اعلم وقوله عز وجل وقتلهم الانبياء بغير حق قد ذكرنا هذا فيما تقدم انه يحتمل
ان قتل اوائلهم فاضيف اليهم لرضاهم بفعلهم كقوله عز وجل من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا
لرضاه بقتله فان قيل ما الحكمة في قوله وقتلهم الانبياء بغير حق والانبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا
يرتكبون ما يجب به قتلهم كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الاية اطلق القول فيه من غير
ذكر اكتساب شيء يستوجب به ذلك وشرط في المؤمنين اكتساب ما يستوجبون به كقوله والذين يؤذون المؤمنين
بغير ما اكتسبوا الاية فكيف ذكر ههنا بغير حق وهم لا يكتسبون ما يستوجبون به القتل قيل يحتمل قوله بغير حق
اي بغير حاجة لانهم كانوا يقتلون بلا منفعة تكون لهم في قتلهم على ما قيل انهم كانوا كذا نبيا ثم يهيج لهم
سوق فاذا كان كذلك يحتمل قوله بغير حق اي بغير حاجة كقول لوط عليه السلام ان هؤلاء بناتي هن اطهر لكم
فقالوا ما لنا في بناتك من حق اي من حاجة والله اعلم ويحتمل قوله عز وجل وقتلهم الانبياء اي قصدوا قصد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكادوا قد قتلوه او قتل اصحابه رضوان الله عنهم فاضيف اليه والله اعلم وقوله
عز وجل فنقول ذوقوا عذاب الحريق وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل ذلك بما قدمت ايديكم ذكر الايدي لما بالايدي
يقدم وان لم يكن هذا مقدما باليد في الحقيقة وكذلك قوله بما كسبت ايديكم لما باليد يكتسب والله اعلم
وقوله عز وجل الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان قيل انهم لما دعوا الى الاسلام
يعني اليهود قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار وكان ذلك اية في بني
اسرائيل فسال اليهود من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذلك وقيل كان من قبلنا في الامم الخالية ذلك
فسالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولكن لم يكن القربان من ايات النبوة والرسالة انما كانت
فهو ايات التقوى كقوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني ادم اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر
قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين كان القربان من ايات التقوى الا ترى انه قال يا محمد قد جاءكم رسل
من قبلي بالبينات وبالذي قلتم يعني فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول

الا يكونوا اي ان كان ذلك من ايات النبوة لم قتلتم الانبياء والذين اتوا به ولم قتل اوايلكم الانبياء اذا اتوا بالقربان
ان كنتم صادقين انه من اية النبوة او ان ان كنتم صادقين انه عهد اليكم اي لا تؤمنوا حتى ياتي بقربان والله اعلم
وفي قوله عز وجل ايضا قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فهو والله اعلم
ادعوا ان اوايلهم ادعوا الذي ذكر وان العهد وهم تبعوا اولئك فعرفهم صنيع من يدعون بهم ليحتجوا ليكون لهم
فيه اية ما يكذبهم بما احتجوا بوصية المتقدمين في ذلك فيبطل عذرهم اذ هم قتلوهم فلا يجوز تصديقهم على العهد ادعوا
ذلك فيبطل عذرهم اذ هم قتلوهم ولا يجوز تصديقهم وتقروا انهم لم يخبروا بالعهد من عذرا ان كن بانه باطل فيبطل حجاجهم على ان في الاية انما يتقبل الله من
المتقين فيحمل ذلك انه التقى لا اية النبوة والاصل فيه انا لما عرفنا ايات الرسل عليهم الصلوة والسلام لا
يذكر فيها القربان شيئا ان الدعاء ليس هو بعهد جاء به الرسل عليهم الصلوة والسلام ولكنه حيل السفهاء بتلقين
الشياطين وحيهم لذلك لم يجب الذي ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل فان كذبوك يا محمد في القول وما جئت
من ايات تدل وتوضح انك رسول الله وانك صادق في قولك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات يعزي
نبيه صلى الله عليه وسلم ويصبره يصبر على اذاهم وتكذيبهم اياه كما صبروا اولئك على اذاهم وتكذيبهم كقوله عز وجل
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية وفي قوله تعالى فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك وجوه احدها ان
يصبر على ذلك لما له فيه اخوان صبروا على عظم ذلك عليهم وذلك في قوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
والثاني على دفع الحذر عنه في ترك الابلاغ ان ذلك لم يمنع من تقدمه والثالث على الانبياء انهم اصحاب تقليد
في التكذيب لا ان يكذبون عن محنة وظهور فذلك اقبل للتاذي به وليتوهم الارتياب في الانبياء ليسبقن
من حضر وضد فهم ان ذلك منهم على الاعتياد والتقليد دون المحنة والظهور والله اعلم وقوله عز وجل
بالبينات قد ذكرناها فيما تقدم من غير موضع وقوله عز وجل والزبر قيل احاديث الانبياء عليهم بالنبوة على
ما يكون وقيل الزبر الكتب اي جاءوا بالبينات والزبر يعني الكتب والكتاب المنير قيل والزبر والكتاب واحد وقيل
الكتاب المنير هو الذي فيه الحدود والحرام والاحكام المكتوب عليهم والمنير هو الذي انار قلب كل من تمسك بالهدى
كما قيل في الفرقان انه يفصل ويفرق بين الحق والباطل والله اعلم وسمى كتب الله كلها فرقانا ومنيرا لما يفرق بين
الحق والباطل ويبين السبيل والله اعلم وقوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت فيه ولا بل احدها دليل اثبات الرسالة
لانه ليس في العقول ان لا تبقى هذه الانفس ابدا ولا تدوم ولا فيها اثار رفعانها وجود العلم من كل منهم بالموت والتسليم
له والاقرار منهم ان كل نفس تموت يدل انما عرفوا ذلك وايقنوا به من خبر السماء بالوحي والله اعلم ثم ان كل حي
يتلذذ بحيوته ويجد التالم به ويكره ويبغضه دل ان هذا العالم لم يكن بالطباع ولكن كان بغيره لما يتلذذ
طبع كل منهم بالحيوة ويكره الموت ويبغض اذ لو كان به لكان يختار ما يتلذذ به ويدفع ما يكره ودل ان غيره
انشا ذلك وخلق الذي ذكر خلق الموت والحيوة الاية وفي ذلك بطلان قول اصحاب الطبايع وايضا ان كل نفس يجتمع فيها
الطبايع المختلفة المتضادة التي من طبعها التنافر لم يجز ان يكون بنفسه يجتمع دل ان لها جامعا وايضا ان العالم لو
كان بنفسه وطبعه لاختار كل بنفسه احوالا احسن الاحوال والذهاب فبطل به الشرور والقبايح فدل وجود ذلك
على كونه بغيره ثم فيه ان ذلك الغير الذي كان به العالم واحد ولا عدد اذ لو كان بعدد لم يحتمل وجود العالم على
الطبايع المختلفة واليهم المتفرقة لما يجمع هذا فرق الاخر وما اثبت هذا نفى الاخر وفي ذلك هنا فساد الربوبية
فدل وجوده على ما ذكرنا انه واحد لا عدد فلنسق تدبيره ونفذ امره معا كان الامر المعتاد بين الملوك في الشاهد
ان من فعل هذا نقض الاخر ما رام هذا ايجاده يريد الاخر اعدامه وما ابقى هذا اراد الاخر افناءه وفي ذلك
تناقض وتناف فدل الوجود على ان الذي به كان واحد لا عدد ثم يحمل على الاصطلاح منهم لانه يدل على العجز
والجهل ان العجز والجهل هو الذي حملهم على الاصطلاح فالعاجز والجاهل لا يصلح ان يكون الها وبالله التوفيق
ثم الدلالة على حكمه وعلمه ما لم انعاين شيئ ولا بشاهد الا فيه حكمة عجيبة دلالة بديعة مما يعجز الحكماء عن
ادراك شيء ما هيئة وكيفية خروجه على ما خرج وعلم كل احد منهم بتصور علمه على ما عنده من الحكمة والعلم عن ادراك
كنه ذلك فيما ذكرنا وخروج الفضل منها الحكماء دلالة الحكمة مبدعه وخالقه وبالله التوفيق ثم الدلالة انه لم يخلق
الخلق للفناء خاصة ولكن خالق الفواتيت تامل ويرجى ويخاف ويحمد وخروج فعل كل احد في الشاهد من الحكمة
الى ما يبني للفناء والمنقص فاذا كانت الحكمة التي هي حرية تخرج فعله عن الحكمة اذا كان ذلك الفناء والهلاك خاصة وخروج
كل عن ملك اخرجها وحان ان يكون سفيها لا حكمة والله الموفق فالذي تطمئن به القلوب يموت كل نفس ويرات
حكم الفقر الاحيان ان يحدهم على ما اليسل في الجوهر دليله ولا في العقل امتناعه انه عرف ذلك بمنزلة التدبير فيها

بالوحي اليه وفي ذلك ايجاب القول بالرسول ثم دل قهر جميع الحكماء ولهم على حب الحيوة لهم وبغض الموت
عندهم على خروج جميع الاحياء عن تدبيرهم وفي خروج الاموات اذ هم تحت تدبير الاحياء ثم في طمانينة كل
قلب على الموت دلالة التدبير للواحد اذ لو كان لاكثر لجرى التمانع وابطال الوارد من الحق وفي ذلك
اثبات ما كانت كل نفس تحت امر يقهرها ويحوجها الى امور تعلم ان مدبرها هيأها على ذلك وطبعها
وانه العليم بما به صلاحها وقوامها واليه حاجتها وعلى ذلك جبلها ليظهر عظم حكمته وتعاليه عن
الشريك في التدبير والمعونة في التقدير ثم لا يحتمل انشاء مثله على جرى عليه من حكمة في موت كل ان كان
انشاؤها للفناء لا لعاقبة اذ فيه ما تدبير فعل واحد للفنا خاصة من حكماء البشر يخرج من معنى الحكمة ويدل على
حمق صاحب ذلك وسفهه فكيف العالم الذي كانت حكمة الحكماء جزء منها وعقل العقلاء بعض منها احق وادى
ثبت انها انشئت ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ويوم يجزى كل نفس بما عمل وذلك قوله تعالى
كل نفس ذائقة الموت الاية وقوله انما توفون اجوركم يوم القيمة لما ذكرنا انهم لها خلقوا اعني الاخرة
للجزاء والثواب وقوله عز وجل فمن زحزح عن النار قيل بعد ونحا عنها وادخل الجنة فقد فاز قيل فاز ونجا وقيل
سعد وقيل وقيل الغاير السابق وقيل فاز غنم واصل الفوز النجاة اى نجا مما يخاف ويحذر ويظفر بما يأمل
ويرجو وقوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وحياة الدنيا كقوله عز وجل انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وحيوة الدنيا لعب ولهو وغرور والاخرة
ليست بلعب ولا لهو والغرور وهو ان يرى الشيء في ظاهره حسنا مموها يغتر بها كل ناظر اليها ظاهرا
فاذا نظر في باطنها وجدها قاتلة مهلكة نعوذ بالله من الاغترار بها وقيل الحيوة الدنيا على ما عند اولئك
الكفرة لعب ولهو وعند المؤمنين حكمة وقوله عز وجل لتبلون في اموالكم وانفسكم يحتمل الابتلاء في
الاموال والانفس ان يبتلوا بالنقصان فيها كقوله عز وجل ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص
من الاموال والانفس الاية ويحتمل ان يبتلوا بما جعل فيها من العبادات من نحو الزكوة في الاموال والصدقات
والحقوق التي جعل فيها وفي الانفس من العبادات من الصلوات والجهاد والحج وغيرها من العبادات والله اعلم
وقوله عز وجل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب يعني الذين هم علم بالكتاب ولا علم لهم اذى كثيرا اي
تسمعون انتم من هؤلاء اى كثيرا على ما سمع اخوانك الذين كانوا من قبلك من اقوامهم اذى كثيرا كقوله عز وجل
فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك وقوله عز وجل وان تصبروا على اذاهم وتتقوا مكافاتهم على ما صبر
اولئك واتقوا مكافاتهم كان ذلك من عزم الامور هذا يحتمل وقيل لتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من
قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ومن الذين اشركوا يعني العرب اذى كثيرا بنصب الحروب فيما بينهم و
القتال والسب وغير ذلك وان تصبروا على ذلك والطاعة وتتقوا معاصي الرب فان ذلك يعني من
عزم الامور وقوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب اي الذين اوتوا العلم بالكتاب واذا اخذ الميثاق
لتبيننه اي ليبينوا للناس ما في الكتاب من الامر والنهي وما يحل وما يحرم وغير ذلك من الاحكام ولا يكتموا ذلك ويحتمل
ان اخذ عليهم الميثاق ان يبينوا للناس نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ولا يكتموا بالتحريف وترك البيان وقوله
عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم اي لم يعملوا بما فيه ولا بينوا للناس كالمنبوذ وراء ظهورهم واشتروا به
ثمنا قليلا الاية قد ذكرنا معناه في غير موضع وعن علي رضي الله عنه قال ما اخذ الله ميثاقا على اهل الجهل بطلب
العلم حتى اخذ ميثاقا من اهل العلم لان العلم كان قبل الجهل وقوله عز وجل لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا
بما غيروا من نعت محمد عليه افضل الصلوة وصفته في كتابهم وكتموه عليهم الكتاب واعجابا للناس في ذلك وحمدهم
على ذلك وقيل ان اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وليس ذلك
في قلوبهم فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم المسلمون ما صنعتم فيقولون عرفناه
فصدقناه فيقول المسلمون احسنتم بارك الله فيكم يحمدهم المسلمون على ما اظهروا من الايمان وهم يحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا وقيل انهم قالوا نحن اهل الكتاب الاول والعلم واهل الصلوة والزكوة ولم يكونوا كذلك
واحبوا ان يحمدوا على ذلك والله اعلم بالقصة وفي قوله ايضا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا الاية دلالة ما دام الله عباده واوعدهم عليه اليم عقابه فيما احبوا الحمد على ما لم يفعلوا نقض لمذهب
عن قول المعتزلة في قولهم ليس لله في الايمان تدبير سوى الامر والاصلح وقد اوجب ان يحمد عليه بقوله عز وجل
البعث ويقوله عز وجل ولكن الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في غير

موضع من القران ولا قوة الا بالله قال الله تعالى والله على كل شيء قدير امتدح جل ثناؤه بادخال كلية الاشياء تحت
قدرته وبه خوف من عاند نعمته والطمع في جميع له عظيم ثوابه فلئن جاز اخراج شيء تحت القدرة عن قدرته لا يحتمل الخوف
عما خوف والرجاء فيما اطمعه ولم يظهر على ذلك قدرته الا بقوله وهو على كل شيء قدير وما لا صنع لاحد في شيء الا
باقداره ومحال ان يقدر على ما لا يقدر هو عليه او يزول به قدرته لما فيه ما ذكرت فذلك تحلينا في بطلان في قول
المعتزلة باخراج افعال صنع الخلق عن قدرة الله وامتناعه عن تدبيره ولا قوة الا بالله عز وجل ان في خلق السموات
والارض الى قوله عز وجل لايات لاولي الالباب فعقل وبالله نستعين اخبر الله عز وجل ان فيما ذكر ايات لمن ذكر
ومعلوم ان الايات انما احتج اليها المعرفة امور غابت عن الحواس يوصل اليها بالتامل والبحث عن الوجوه التي
لها جعلت تلك الاشياء المحسوسة التي تعني من له اللب دخولها تحت الحواس عن تكلف العلم بها التدبير علم الحواس
هو علم الضرورات واوائل علوم البشر التي منه ترتقي الى درجات العلوم فيلزم طلب ذلك فيبطل به قول
من قال العلوم كلها ضرورات لا تقع بالاسباب ولا يلزم الخطاب دون تولي الرب انشاء العلم في القلوب تحقيقا
ما فيه الخطاب اذ ذلك يرفع حق الطلب ويستوي فيه الموصوف باللب وغير الموصوف والمتفكر في الامر و
غير المتفكر قال الله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض الاية وفي ذلك دليل ان المقصود بما اظهر ويعلم
ما جعل في الذي دليله وعلمه وهذا الكل انواع العلوم ان منها ظاهر مستغن بظهوره عن الطلب وحتى يطلب علم
في الذي ظهر من اثره يعني عنه التامل والله اعلم وفي ذلك لزوم دليل التوحيد باللب اذ صيرها ايات لمن له ذلك
واول درجات الايات ان يعرف منشئها وجاعلها ايات الله اعلم لوردل اتصال منافع السماء والارض على تباعد
ما بينهما حتى قام بها وحيي جميع من ركب على وجه الارض وانتفع للشيء ثم في اتصال الليل بالنهار وفي منافع كل حي على
قضاء ما بينهما حتى صارا كالشكلين والسماء والارض كالقرنين على ان منشئهما وذلك كله واحد وانه لو خلقه الاشياء اختلفوا
لمنافعين التدبير ويبطل وجوه النفع وان الذي انشاء ذلك علم كيف تدبر الايصال المنافع واجتماعهما بغير على
بينهما وانه حكيم وضع كل شيء على ما لو تريد الحكماء فيه لم يكن يعرف انصا لا اقرب في المنافع على اختلاف في الجواهر
وتضاد في الاحوال ابلغ من ذلك بل يقصر حكمتهم عن الاحاطة بوجه الحكمة والنظر يطرف منها الا بمعونة من دبر
ذلك سبحانه هو الدليل على قدرته وهو سلطانه او سخر ذلك كلها البذل ما فيها من المنافع لمن جعلها له وجعل
لبعض على بعض سلطان وقهر ليعلم ان التدبير يرجع الى غير ذلك ويعلم ان من قدر على ذلك وعلم بخلق المنتفعين
بما خلق على اي تدبير يخلق ذلك وباي وجه تصل كل خلق في ذلك الى منافعه بها وبالذي سوى معاشهم وعلى اي
تدبير ولهم عليه لقادر على اعاده مثله والزيادة منه عن انواع ذلك اذ كل امر لمحق الابتداء كان ذلك العبد عن
ما له حق الاعتداد بعبره اوا الاعادة مما كان في اعادة الليل والنهار وجعل كل من ذلك كالذي مضى ان كان الذي
مضى مرة دلالة كافية البعث والقدرة عليه والله الموفق ومنها انها جعلت على تدبير يعرف صاحبها ومنشئها
وانه دبرها على ما فيها وجود الحكمة التي صارت الحكمة جزء منها وفنون العلم التي تنال بالتامل فيها ما يوضح ان
الذي دبرها حكيم عليم مما فيهما من اثار الاحكام والاتقان الكافية في الانباء عن الانشاء للحكمة وان الذي ابدع
ذلك ليس بعابث ولا سفيه ثم معلوم ان الفعل للهلاك والفناء غير داخل في الحكمة ثبت ان ذلك غير مقصود
فصار المقصود من ذلك وجها يبقى فثبت ان مع هذه دارا اخرى تبقى فهي المقصود وجعلت تحق الجزاء وفي ذلك
لزوم المحنة والقول بالرسالة ليعلم بالوحي كيفية وجوه المحنة مما لم يحل بشيء من ان يكون منه ما يستحق ذلك
فثبت انه في حق الابتداء ولازم الشكر النعم في العقول فيجب به وجهان احدهما القول بالرسل لبيان وجوه
الشكر اذ النعم مختلفة وحال الشكر يتفاضل على قدر النعم وكذلك النعم تتفاضل على قدر تفاضل متوليها لا بد
من بيان ذلك ممن يعرف حقيقة مقادير النعم وعلو لمحق المنعم وبالله التوفيق ثم في ذلك ايات الرسالة والتوحيد
وحكمته وعلمه وعلوه له عن الاشباه والشركاء بها عن احتمال الشرك في صنعه والشبه على ان كلفته كل من
سواه تحت القدرة وهو المتعالي عن ذلك وفيه دلالة البعث لما ذكرت عقوبة الكفران وقد يخرج المعروف
به سليماء يفا في النعم وفي الحكمة والعقل عقوبة لو ان يكون ثمة دار اخرى معا كان يخلق الخلق لا لمن
يعرف الحكمة من السفه والولاية من العداوة والخير من الشر والرغبة من الرغبة لا معنى له لما فيه تضييع
الحكمة وجمع بين الذي حقه التفريق في الحكمة والعقل وذلك اثر السفه ومحال كونه من الحكمة صفته
والعدل نعتته فلزم به خلق المحن بالذي ذكرت فصار جميع الخلائق للمحن ثم لا بد من ترغيب وترهيب وعلى
مثله جبل محل المحن فلزم به القول بالدار الاخرى وهو البعث ليكون احدهما يحق ابتداء النعم والاخرى يحق

استحقاق الجزاء وان كان الله مكلف بلوغ جزاء السابق من النعم ولا قوة الا بالله والمعاقبة واجبة في الحكمة للجفاء والكفران
وبالله التوفيق وقوله عز وجل ولا تحسبنهم بمفازة من العذاب قيل ببعيد من العذاب وقيل بمفازة اي بنجاة من
العذاب هو ما ذكرنا من الفوز انه الظفر على ما يخاف ويحذر اي لا تحسبهم بنجاة من العذاب بل لهم عذاب اليم وقوله عز وجل
ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير يحتمل والله اعلم ان يكون هذا جوابا لقولهم لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير اي كيف جاز نسبة الفقر اليه والحاجة وله ملك ما في السموات والارض وتنسبه الغنى
الى انفسكم وانتم عبيده واماؤه وما في ايديكم لعبيد يكون لمولاه او ان يكون جوابا لقولهم وقالوا اتخذ الله ولدا اي كيف
يجوز ان يتخذ ولدا وله ملك ما في السموات والارض وما فيهما كلهم عبيده واماؤه والولد في الشاهد انما يتخذ
لاحد وجوه ثلاثة اما لوحشة اصابته فيستأنس به او الحاجة تبدو له فيدفع به او لقهر او الغلبة يخاف من عدوه
فيستنصر به على اعدائه ويرث ملكه اذا مات فاذا كان الله له ملك السموات والارض يتعالى من ان يصيبه شيء
من ذلك كيف جاز لكم ان تقولوا اتخذ ولدا وان كان الخلق كلهم عبيده واماؤه وانتم لا تتخذون الاولاد من عبيدكم
واماءكم كيف زعمتم انه اتخذ ولدا من عبيده وقوله عز وجل والله على كل شيء قدير رد على المعتزلة لانهم يقولون
لا يقدر خلق فعل العبد وعلى قولهم غير قادر على اكثر الاشياء وهو قد اخبر انه على كل شيء قدير وقوله عز وجل ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب في الاية وجوه احدها انه خلق
للبشر ولما فيهم لا انه خلقهما لانفسهما لا منفعة لهما بخلقه اياهما حتى يكون خلقه لا منفعة احد وللفناء خاصة
عبث فاذا كان ما ذكرنا انه لا منفعة لهما في خلقهما دل انه انما خلقهما لمنافع البشر وسخرهما لهم ثم جعل منافع
السماء مع بعدها من الارض متصلة بمنافع الارض حتى لا يقوم منافع الارض الا بمنافع الاخرى فيصيرهما
كالمتصلين لاتصال منافع المنافع مع بعد ما بينهما فدل ان الذي انشاهما واحد وكذلك اختلاف الليل والنهار
هما مختلفان احدهما مظلم والاخر مضيء يأتيان لاعمار وتقريبان الاجال في رأي العين متشابه ولا تشاكل احدهما نور
والاخر ظلمة وهما متضادان ثم خلقهما لمنافع البشر والمقصود بخلقهم بني ادم لا انفسهم على ما ذكرنا انه
لا منفعة لهم في خلقهم ثم تخصيصهما مع تفاوتهما وتضادهما كالشكلين لاتصال منافع بعضها ببعض دل ان
منشئهما واحد وانه عليم حكيم حيث جمع بين المتضاد من وجه كالشكلين وهما لعلم وحكمة وتدبير صار كذلك
وفيهما دلالة البعث لانهما يفنيان حتى لا يبقى من الليل اثر حتى يجيء النهار فيذهب النهار حتى لا يبقى من النهار
اثر فيجيء الاخر لا انه يكون كذلك فاذا كان كذلك كان قادرا على خلق الليل وانشائه من غير اثر بقي من النهار وكذلك
قادر على انشاء النهار من غير ان بقي من الليل اثر فلذلك لقادر على ان ينشئ الخلق ثانيا ويحييهم وان فنوا وهلكوا
ولم يبق منهم اثر فاذا كان من خلق السموات والارض وما فيهما لمنافع البشر وهو المقصود في خلقهما لا غيرهم
من الخلق بقي لما ركب فيهم من العقول والبصر الذي بهما يميزون بين المنافع والمضار وبين الخبيث والطيب
وبين الحسن والقبيح ولم يركب ذلك في غيرهم من الخلائق لا بد من امر ونهي بامر باشياء وينهى عن اشياء ثم
يمتحنهم على ذلك اذ هم اهل التمييز والفهم والبصر فاذا كان ما ذكرنا لا بد ايضا من دار اخرى للجزاء يكرم المطيع له
فيها والولي ويعاقب العدو فيها والعاصي ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وقعودا وعلى جنوبهم يحتمل هذا لما جعل الله تعالى على العبد في كل حال نعمة ليست تلك في غيرها من الاحوال لان جعل
القيام نعمة في قضاء حوائجه وتقلبه في تلك الحال وجعل القعود راحة له عند الاعياء وكذلك الاضطجاع
فاستأدهم بالشكر له في كل نعمة على حال من تلك الاحوال ومدحهم على ذلك اذا فعلوا ويحتمل ان يكون تعالى امرهم
ان يذكروه في حال الرخاء والشدة وفي الضراء والسراء لا في حال على ما يفعله بعض خلقه يذكرونه في حال
الشدة والضراء ولا يذكرونه في حال الرخاء والسرور يذكرونه في حال الشدة والبلاء فمدح المؤمنين انهم
يذكرونه في كل حال لا على ما يفعله اهل الشرك على ارادة نفس القيام ونفس القعود والاضطجاع ويكون
على كل حال وفي كل وقت والله اعلم وقيل انها في رخصة صلاة المريض يصلي قائما ان استطاع والا فقاعدا
ان لم يستطع والا فمضطجعا وكذلك روي عن ابن مسعود رضي الله عنهما انه قال عز وجل ويتفكرون في خلق
السموات والارض اذ في خلقهما دليل وحدانيته وشهادة ربوبيته ربنا ما خلقت هذا باطلا اي عبثا ولكن
خلقتهم دليلا على وحدانيتك وشاهدا على ربوبيتك وقوله عز وجل سبحانك هو التنزيه والتنزيه
هو ابعاد عن العيوب وتبرئته منه وتطهير مما يقول الكفار وهو حرف تقدم عند حاجات ترفع اليه ودعوات
يدعى بها وقوله عز وجل ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته قيل اذللته وفضحته واهنته وما للظالمين

من انصار

من انصار اي مانع يمنع عنهم العذاب ويدفع ويحتمل الانصار الاعوان اي ليس لهم اعوان يعينونهم فيما لا حق وقوله
عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان يحتمل هذا الوجهين احدهما على حقيقة السمع ان سمعوا مناديا ينادي
يدعوهم الى الايمان وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران كلاهما يدعوان الخلق الى الايمان بالله ويحتمل قوله سمعنا
اي عقلنا وعقل كل احد يدعو الى التوحيد والايمان به وقيل سمعوا دعوة الله فاجابوها وصبروا عليها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما المنادي محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرأ لانذركم به ومن بلغ الاية وعن غيره المنادي هو
القران يدعوهم ان امنوا بربكم فامنا ربنا فيه دلالة ان الايمان ليس هو جميع الطاعات على ما يقول بعض الناس
ولكنه فرد تصديق لانه لما قال لهم امنوا بربكم لم يطلبوا التفسير ولا قالوا اي اشياء ولكن اجابوه اجابة موجزة
فقالوا امنا ربنا ثم فيه دلالة ان لا استثناء في الايمان لانهم اطلقوا القول في الاخبار عن ايمانهم من غير ذكر حرف
الثنيا دل ان الايمان مما لا يحتمل الثنيا وقوله عز وجل ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا قيل قولهم اغفر لنا
ذنوبنا التي فيما مضى من عمرنا وكفر عنا سيئاتنا اي اعصمنا فيما بقي من عمرنا او وفقنا للحسنات التي يكفر سيئاتنا
لما قد يلزم العبد التكفير لما اساء وقيل المغفرة والتكفير كلاهما سواء لان المغفرة هو الستر وكذلك التكفير و
لذلك سمي الزراعون كفارا لسترهم البذر في الارض وكذلك الكافر لستره الحق بالباطل وستر جميع ما انعم الله عليه
بتوجيه الشكر الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل وتوفنا مع الابرار يحتمل قوله توفنا مع الابرار ويحتمل و
توفنا من الابرار ثم اختلف في البر قيل هو الذي لا يؤذي احدا وقيل الابرار الاخيار ويحتمل توفنا على ما عليه
توفيت الابرار وتوفنا وانا ابرار والبر الطاعة والتقوى وترك المعصية وقوله عز وجل ربنا واتنا ما وعدتنا
على رسلك قيل فيه بوجهين قيل واتنا عن السن رسلك على اضمار السن كقوله عز وجل وبشر المؤمنين بان
لهم من الله فضلا كبيرا وقيل ما وعدتنا على رسلك اي ما جعلت عليهم من الاستغفار للمؤمنين كقوله فاعلم
واستغفر لذنبك وللمؤمنين وكقول ابراهيم عليه السلام ربنا اغفر لي ولوالدي الاية وكقول نوح عليه السلام
رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ثم بيننا وبين المعتزلة كلام في الاية قالت
المعتزلة يجوز الدعاء والسؤال عنده بما قد اعطى وما عليه ان يعطي نحو ما ذكر من السؤال بما وعد وما وعد لا
شك انه يعطي وانه لا يخلف الميعاد ونحو قوله عز وجل قل رب احكم بالحق وهو لا يحكم بالجور واما عندنا ان
السؤال عما عليه ان يعطي يخرج مخرج الدعاء له ربنا لا تجر ولا تظلم انه هذا لا يقال الا لمن يخاف الجور منه والظلم
الا تعلم ان ذلك عليه والسؤال عما اعطى يخرج مخرج كتمان ما اعطى وليس عنده ما يعطيهم فيخرج مخرج السخرية
بدلك ذلك يبطل السؤال والله اعلم ثم تأويل الاية عندنا على وجوه احدها قوله وما وعدتنا على رسلك يحتمل
اي بجوار الوعد منه لرسله باستغفار الرسل اذا كان من المؤمنين استغفار وسؤال كقوله ولو انهم اذ
ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الاية وعدهم المغفرة باستغفار الرسول
اذا كان منهم استغفار وسؤال يقول احمل دعائي دعاء من جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم مستغفرا
فاستغفر له وكقوله ايضا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا والثاني يحتمل ان يكون الوعد لهم
اذا ماتوا على ذلك فالدعاء كانهم والسؤال انه اذا اماتهم يثبت لهم على الايمان على ما كانوا احياء والمغفرة والثالث
حينئذ يكون لهم الا ترى انه قال من جاء بالحسنة فله كذا ولم يقل من عمل بها فله كذا ولكن ذكر مجيئه فعل ذلك
ذلك الاول ثم يحتمل ما ذكرنا والله اعلم وفيما ذكرنا من تأويل الاية في الابتداء كفاية من ذلك والله اعلم والثالث
يدعون ليجعلهم من الجملة الذين كان لهم الوعد اذ الوعد غير مبين من هو فسالوا ان يجعلهم في تلك الجملة
والله اعلم وقوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم هذا يدل على ان الوعد لهم كان مقرونا بشرط السؤال لانه
قال فاستجاب لهم والاستجابة تكون على اثر السؤال كقوله عز وجل واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان الاية وقوله عز وجل اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض
قيل من الخلق كلهم لكن يعجل جزاء اعمال الكفرة في الدنيا كقوله عز وجل وهم فيها لا يبخسون واما المؤمنون
في الدنيا والاخرة واما الكافرون فانما يعطيهم ابتداء ليس بجزاء وقوله عز وجل نوف اليهم اعمالهم فيها
نردها عليهم وهم لا يبخسون اجورهم وقيل قوله منكم اشارة الى المؤمنين خاصة كقوله عز وجل والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم من بعض الاية وقوله عز وجل فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي الاية
هاجروا الى الله تعالى ورسوله طوعا واخرجوا من ديارهم اي اضطروهم حتى خرجوا من ديارهم فهاجروا واوذوا
في سبيلي اي في طاعتي وقاتلوا حتى قتلوا ويحتمل هذا كله اي هاجر بعضهم طوعا وبعضهم اخرجوا من ديارهم حتى

هاجروا وقاتل بعض حتى قتلوا وقاتل بعض ولم يقتلوا وقتل بعض ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
الاية تاويلها ظاهر وقوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل يحتمل تقلبهم وجوها
وذلك نعمة من الله عليهم لتركهم يتجرون في البلدان مع كفرهم بربهم والثاني اعطاءهم اموالا ينتفعون
بها ويتلذذون والثالث ما اخر عنهم العذاب والهلاك الى وقت يقول لا يغرنك يا محمد ذلك انما هو
متاع يسير ثم مصيرهم الى النار كقوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية وكقوله ولا تحسبن الذين
كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما الاية قال وليس الاغترار في نفس التقلب لانه
جهد ومشقة ولكن لما فيه من الامن والسعة والقوة دليله قوله تعالى عز وجل متاع قليل ثم قال لكن
الذين اتقوا منهم وسعيهم للاخرة متاع لا ينقطع وقوله عز وجل لكن الذين اتقوا ربهم يعني الشرك
لهم جنات تجري من تحتها الانهار الى اخر ما ذكر نزلا من عند الله يحتمل ان يكون الاخر ما ذكر في بعض
القصة ان بعض المؤمنين قالوا ان الكفار في خصب ورخاء ونحن في جهد وشدة فنزل لا يغرنك تقلبهم
في ذلك انما هو متاع قليل وذلك ثوابهم في الدنيا واما ثواب الذين اتقوا ربهم جنات تجري من تحتها
الانهار الى اخر ما ذكر وقوله عز وجل وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم يعني القرآن
وما انزل اليهم يعني التورية ثم اختلف في نزوله قال بعضهم نزل في شان عبد الله بن سلام واصحابه
اقروا بانه واحد لا شريك له وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه الاية وقيل نزل في
شان النجاشي وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي
قال ناس من المنافقين ليصلي على حبشي مات في ارض الحبشة فانزل الله تعالى عز وجل وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله الاية وعن الحسن انه قال لما مات النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفروا لاخيكم
قالوا يا رسول الله نستغفر لعلج فانزل الله سبحانه وتعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الاية وقيل
كما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المنافقون صلى على من ليس من اهل دينه فانزل الله الاية
وعن الزهري عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشي
فكبر الله اربع تكبيرات وصفنا في المصلى خلفه وكان مات بالحبشة قال والنوازل على وجهين منها نزل
بسببه خيرا وسعة فله فيه فضل لانه مفتاح الخير ومن نزل بسببه ضيق فعليه فضل لوم كانه
مفتاح الضيق واما الاحكام فانه ينظر الى ما فيه نزل فيشترك فيه الخلق ولا يجوز ان يقال
نزل في شان فلان انما نزل كما في شان فلان لا في شانه وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اصبروا قيل على
اداء الفرايض والعبادات وقيل اصبروا على البلايا والمصايب والشدايد وصابروا في الجهاد عدوكم وقيل
اصبروا على امر الله وفرايضه وصابروا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكونوا له وصحبه في المواطن وعن الحسن قال
امروا ان يصبروا على دينهم الذي ارتضى الله لهم وهو الاسلام ولا يدعوا دينهم لشدة ولا لرخاء ولا لضراء ولا
لسراء حتى يموتوا وكونوا صابروا الكفار حتى يكونوا يملوا عن دينهم وامروا ان يرابطوا المشركين وقيل اصبروا
على الجهاد وصابروا لعدوكم ورابطوا اي داوموا على دينكم واتقوا الله لعلكم تفلحون قال واصبروا في نفسه
خاصة في طاعة يصبر عليها ومصيبة يصبر عنها وفي بلوى والمصابرة مع غيره وقد يكون كل واحد على التعيين
لانه لا يخلو عن مصابرة عدو فيما يطيع ربه وقيل رابطوا مع عدوكم ما قاموا واتقوا الله فيما امركم به فلا تدعوا ذلك مع

مع نبيكم وذروا ما نهاكم عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم في كل ما كان الخطاب في الكفرة ذكر الله سبحانه وتعالى على اثره حجج وحدانيته
ودلائل ربوبيته لانهم لم يعرفوا ربهم من نحو ما ذكر يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الاية
وكقوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الاية وكقوله عز وجل يا ايها الناس
ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ونحوه كثير ذكر الحجج والدلائل التي بها يوصل الى معرفة الصانع وتوحيده
لينظروا فيها وليتفكروا وليعرفوا بها الفهم والفهم وفي كل ما كان الخطاب للمؤمنين حجج الوحدانية ولا دلائل الربوبية
لانهم قد عرفوا ربهم قبل الخطاب ولكن ذكر على اثره نعمة الله انعمها عليهم وثوابه الذي اعد لهم نحو قوله يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا الى اخر ما ذكر نعمته التي انعمها عليهم
وكقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين الى ما ذكر على هذا ويخرج الخطاب في الاغلب وقوله

اتقوا

اتقوا ربكم قيل اتقوا عذابه ونقمته وقيل اتقوا عصيانه في امره ونهيه وقيل اتقوا الله بحقه في امره ونهيه
وقوله الذي خلقكم من نفس واحدة اضاف خلقنا الى ادم اذ الانسان في النطفة قال وذلك اضاف خلقنا
الى ادم وان لم نكن انفسنا مستخرجة منه على امرين احدهما جواز اضافة الشيء الى الاصل الذي اليه المرجع
وان بعد ذلك عن المراجع اليه على التوالد والتناسخ والثاني انا لم نكن بابداننا فيه وان اضيف خلقنا اليه اذ لو
كنا فيه لكنا مستحق الاخراج لا بحق الخلق منه وذلك يبطل قول من يجعل صورة الانسان في النطفة مع الاحالة
ان يكون معنى في التراب او النطفة اذ هما من الموات الخارج من احتمال الدرك ونحن احياء دراكون والله اعلم وقوله
عز وجل وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اي فرق ونشر واظهر منهما اولادا كثيرا ذكورا واناثا وقوله عز وجل
واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قوله تساءلون به اي اتقوا الله الذي تساءلون بعضكم من بعض الحوايج و
الحقوق به يقول اسالك بوجه الله وبحق الله وبادم ويسال بعضكم من بعض بالرحم يقول الرجل لاخيه اسالك بالرحم
وبالقرابة ان تعطي وقوله والارحام روي عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الارحام
في الارحام وصلوها وقرئ بالنصب والخفض والارحام فمن قرا بالنصب يقول اتقوا الله ولا تعصوه واتقوا الارحام
ولا تقطعوها ومن قرا بالخفض يقول اتقوا الله الذي تساءلون به وبالارحام وروي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اتقوا الله وصلوا الارحام فانه اتقى لكم في الدنيا وخير لكم في الاخرة والاية في الظاهر على العظة والتنبيه و
كذلك قوله ان الله كان عليكم رقيبا هو على التنبيه والايقاظ وقوله عز وجل واتوا اليتامى اموالهم يحتمل هذا و
جهين احدهما احفظوا اموالهم الى ان يخرجوا من اليتم فاذا خرجوا من اليتم اعطوهم اموالهم ويحتمل قوله عز وجل
واتوا اليتامى اي انفقوا عليهم من اموالهم او وسعوا عليهم النفقة ولا تضيقوها لينظروا الى اموالهم غير
واتوا يعني اموال الوقت المزوج من اليتم اي احفظوا ليوتوا وقوله عز وجل ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب لا تاخذوا
الخبيث فتتركوا لهم ما وعد لكم في الاخرة بحفظ اموالهم وقيل لا تاخذ الجياد من ماله وتعطي من ماله فذلك
تبدل الخبيث بالطيب وقيل لا تاكلوا الخبيث وهو اموال اليتامى وتذروا الطيب وهو اموالكم اتقا فا
على اموالكم ان يفنى وقيل لا تاكلوا الحرام مكان الحلال لان اكل مال اليتيم حرام واكل مالك حلال فنهى ان يبدلوا
الخبيث بالطيب ويحتمل لا تاخذ ماله وهو خبيث ليوخذ منك الذي لك وهو طيب ويحتمل لا تاكلوا ذلك
ابقاء لاموالكم التي جعلها الله تعالى لكم بما حرمها الله خبيثا ويحتمل لا تاكلوا اموالهم في الدنيا فيكون نارا تاكلونها وتتركون
الموعود لكم في ابقاء الخبيث لقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية وقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
يحتمل هذا والله اعلم وجهين يحتمل قوله اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم اي لا تخلطوا اموالهم مع اموالكم
فتاكلوها فيه نهي عن الخلط والجمع ويحتمل اموالهم الى اموالكم فيه النهي عن اكل اموالهم باموال انفسهم
تبعا كقوله عز وجل لا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله عز وجل ولا تاكلوا اموالكم بمعنى لا تجمعوها
اليها فتاكلونهما معا ويحتمل مع اموالكم والله اعلم وقوله تعالى انه كان حوبا كبيرا قيل جورا وقيل الحوب الاسم و
الواحد وقيل خطأ وقيل ذنبا كبيرا وقيل اثما وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقوله عز وجل وان
خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع اختلف في تاويله قيل انهم كانوا
من اموال اليتامى ويخرجون منها الكثرة ما جاء من الوعيد فيها فنزل هذا فان خفتم وتحرجتم من اموال اليتامى
ويتحرجون منها الكثرة ما جاء من الوعيد فيها فنزل هذا فان خفتم وتحرجتم من اموال اليتامى فكذا فتحرجوا من الزنا
وانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية عن عائشة رضي الله عنها انها قالت نزلت في يتامى من يتامى النساء تكون
عند الرجال فيكون اليتيمة لشوهها عند الرجل وهي ذات مال فلا ينكحها لشوهها ضنا بمالها الى ان تموت فيرثها وان
نكحها امسكها على غير عدل منه في اداء حقها الميراث لا دون لها سواه يطالبه بحقها فانزل الله تعالى فان خفتم
ان لا تقسطوا في اليتامى فذروهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء وروي عنها ايضا انها سئلت عن هذه
الاية فقالت نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها وينقص من صداقها فنهوا عن نكاحهن
الا ان يقسطوا في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن من النساء قالت عائشة رضي الله عنها واستفتى الناس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله تعالى ويستفتونك في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن
فانزل الله لهم في هذه الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال وكان رغبوا فيها في نكاحها ونسبها في اكمال الصداق
واذا كانت مرغوبا عنها في قلة مالها تركوها واخذوا غيرها من النساء قالت فلما تركوها حين يرغبون
عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقيل

لما انزل الله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية ترك المومنون مخالطة اليتامى حتى تنزهوا عنها فشق ذلك عليهم فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مخالطتهم وكان يكون عند الرجل عدد من النساء ثم لا يعدل بينهن فانزل الله تعالى فان خفتم الجور فى مخالطة اليتامى فكذلك خافوا جميع النساء وترك التسوية بينهن فى النفقة والجماع ثم من الناس من يبيح نكاح التسع بقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع فذلك تسعة واما عندنا وعنده لا يحتمل ذلك لان معنى قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع لانه قال وان خفتم الا تعدلوا فواحدة استثنى الواحدة اذا خاف ان لا يعدل بينهن فلو كان ما ذكر لكان لا معنى لاستثناء واحدة منهن ولكن يقول وان خفتم ان لا تعدلوا بين التسع او سبع فلم يثبت الا واحدة دل ان التاويل ما ذكرنا مثنى وثلاث ورباع على الانفراد والثانى ما ذكر فى القصة انه كان عدد من النساء عشرا او اكثر واقل فخرج ذلك على بيان ما يحل من العدد وذلك اربعة وروى ان رجلا اسلم وتحته ثمان نسوة فاسلمن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اختر منهن اربعا وفارق البواقى والخبر فى بيان منتهى ما يحل من العدد ولكن يجد الحل فاحتمل ان يختار اربعا على استقبال النكاح وقوله عز وجل فان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى الاية قيل فيه بوجوه احدها انه قال ان خفتم الجور فى كفالة اليتامى فاتقيتموها فخافوا فى كفالة النساء فلا تكثروا منهن والثانى انهم اذ خفتم فى اموال اليتامى فتحرجتم من اموالهم لكم اشفاقا على انفسكم ان تاكلوا منها فخافوا النساء مواقعتهن من وجه يحرم عليكم فانكحوهن والثالث انه اذا خفتم الجور فى يتامى النساء لو تزوجتموهن من حيث ليس معهن من يمنعكم من ظلمهن فانكحوا من غيرهن ممن اذا خرجتم فيهن منعتم من ذلك لكنه معلوم ان الحد فى عدد النساء لخوف الجور وما علم الله من عجز البشر على ما جبل عليه الخبر انه لا يقوم بوفاء الحق فى اكثر مما ذكر وقوله عز وجل وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ليس على الحكم والحتم ولكنه ادب لانه لو ان خاف ان لا يعدل فتزوج اربعا جاز وهو مثل الذى نهى عن المراجعة وامر بالقصد فيها والعدل فان فعل ذلك ثم راجعته فهو صحيحة وكذلك الامر بالطلاق فى العدة والنهى فى غير العدة ثم اذا طلق فى غير العدة وقع فكذلك الاول وقوله فان خفتم ان لا تعدلوا فى القسم والجماع والنفقة فواحدة او ما ملكت ايمانكم ان خفتم ان لا تعدلوا فى واحدة لانه ليس للاماء قسم سادتهن حق الجماع والقسم يطئ ما شاء كان خال هذا وهذا لما ليس لاكثر من غاية حله ان يجمع ما شاء من الاماء فى ملكه وليس له ان يجمع بالنكاح اكثر من اربع ولو كان التاويل ما ذهب اليه لم يكن لقوله او ما ملكت ايمانكم وجه وفيه ادنى بتكثير العيال معا ان كثرة العيال معدودة من الكرم اذا احسن اليهم لم يحتمل ان يزهد فيه وقوله عز وجل ذلك ادنى ان لا تعولوا قال بعض اهل العلم ان قوله تعالى ان تعولوا من كثرة العيال وهو قول الشافعى رحمه الله تعالى لكن هذا لا يستقيم فى اللغة لانه يقال فى كثرة العيال اعال يعيل اعالة فهو معيل ولا يقال عال يعول وانما يقال ذلك فى الجور فان قيل روى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ابدا بمن تعول لكن تاويله والله اعلم ابدأ بمن يلزمك نفقته اى ابدأ بمن تجبره جبرا بترك النفقة عليه وكذلك يقال عال يعول عولا اذا انفق على عياله وليس من كثرة العيال فى شئ الا ترى ان على الرجل ان يبدأ بمن يعول فلو كان قوله ذلك ادنى ان لا تعولوا من العيال لكان المتزوج واحدة ذا عيال وان قول الله تعالى ان لا تعولوا والمتزوج واحدة يعولها فدل بما ذكرنا ان قوله ان لا تعولوا اى لا تجوروا ولا تميلوا على ما قيل وعن عايشة رضى الله عنها ان لا تعدلوا ان تميلوا وعن ابن عباس رضى الله عنهما مثله والعول هو المجاوزة عن الحد ولذلك سمى الحساب الذى ازداد على اصله عولا لمجاوزته الحد فعل ذلك العول ههنا هو المجاوزة عن الحد الذى جعل له وهو الجور وقوله وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ليس بشرط المتفق للقول ولانه لا حاجة لمعرفة حد الخوف الذى يجعل شرطا للحل دون عدل يخاف ادنى خوف بل جميع امورنا الذين هو على الخوف والرجاء ولانه يوجب جميع النساء عن محل الحل النكاح ويحرم اذ لا يعرف ذلك ومتى حرم عليها ولا يحتمل ان يجعل للحل شرطا لا يوصل الى حقيقته وللظهور فى الامة على الابقاء على النكاح فضلا من خوفه معا فى قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الاية ظاهره وكذلك قوله وان امرأة خافت من بعلها الاية وقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما وقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وقوله عز وجل واتوا النساء صدقاتهن نحلة عن ابن رضى الله عنه نحلة قال المهر وقيل النحلة الفريضة اى اتوهن فريضتهن وقيل نحلة اى عطية من الله لهن وهو من النحل وقيل نحلة الدين اى من الدين ان تؤتوا النساء صدقاتهن ليس على ما كانوا يفعلون فى الجاهلية يزوجون النساء بغير مهور وفيه ان لا هل الكفر النكاح الخبر بهن وقوله عز وجل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وفى الاية دلالة جواز هبة المرأة من زوجها

وفساد من لا يجيز هبة المرأة بالحال الداونبقى فى بيته سنة فيجوز امرها فى الاية ايضا دليل ان المهر لها حيث اضاف الاحلال والهبة اليهن بقوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وفيه دليل ايضا ان هبة الديون والبراءة منها جائزة كما جازت هبة المرأة مهرها وهو دين وقيل فيه وجه اخر وهو ان الاباء فى الجاهلية والاولياء كانوا ياخذون مهور النساء ثم امرهم عز وجل ان لا ياخذوا ذلك وحكم بان المهر للمرأة دون وليها الا ان تهبه لوليها فيحل حينئذ وقوله عز وجل فكلوه هنيئا مريئا لا داء فيه مريئا لا اثم فيه وقيل الهنى هو اللذيذ المشتهى الذى عند تناوله ويسره والمرئ الذى يحمد عاقبته ثم الحكمة فى ذكر الهنى والمرئ ههنا وجهان احدهما ما ذكر فى الوباء من الوعيد لاخذه منها بقوله عز وجل منه شيئا اتاخذونه بهتانا الى قوله بعضكم الى بعض الاية يمتنعوا عن قبول ذلك للوعيد الذى ذكر فى الايات والثانى ان الامتناع عن قبول ما بذلت الزوجة يحمل على حدوث ويورث ضغاين وذلك سبب قطع الزوجية فيما بينهما وقيل قوله عز وجل واتوا النساء صدقاتهن نحلة يعنى بطيبة انفسكم يقول لا تعطوهن مهورهن وانتم كارهون ولكن اتوهن وانفسكم بها طيبة اذ كانت المهور لهن دونكم وقوله فان طبن لكم اى بما طابت به انفسهن من غير كره فهو حلال وعن علقمة انه قال لامرأته اطعمينى من الهنى والمرئ وعن على رضى الله عنه قال اذا اشتكى احدكم فليسال امرأته ثلثة دراهم من صداقها ثم ليشترى بها عسلا ثم يشربه بماء السماء فيجمع الله تعالى الهنى والمرئ والشفاء والماء المبارك وفى قوله ايضا عز وجل فكلوه هنيئا مريئا ان النفقة من مالها اذا طابت وصف بالهنى مرتعا عما يشتغل الطبع عن مالها كراهة الامتنان او بما كان عليه كفايتها او بما جرى من الوعيد الشديد فى منع مهورها او بما يتجنبه فيبدل له او بما يوهم الطبع ان مالها والرغبة فى النكاح اولى طيبه الله تعالى وصفه بغاية ما يحتمل المال وفيه بيان جواز معروفها وترغيب فى حسن المعاشرة بينهما حتى ابقى ذلك بعد الفراق بقوله عز وجل الا ان يعفون او يعفوا الذى بيده عقدة النكاح الاية وذلك احد ما يورث المحبة والمودة ويديمها ان جعل الله بينهما ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها مسئلة فى العبد لا يتزوج اكثر من اثنين روى عن عبد الله بن عتبة رضى الله عنهم انه قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لا يحل للعبد ان ينكح فوق اثنين وعن عبد الرحمن بن عوف انه قال يتزوج العبد اثنين وعن عمر رضى الله عنه انه قال قال ابن مسعود رضى الله عنهما ما يحل العبد من النساء قال اثنين قال عمر رضى الله عنه ذلك ارى وعن الحكم قال اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان العبد لا يجمع من النساء فوق اثنين فهذا لا ستة نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعلى وابن مسعود والفضل بن عباس والانصارى رضوان الله عليهم اجمعين اتفقوا على ان العبد يتزوج اثنين ولا يتزوج اكثر مما ذلك وايضا عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وعن عايشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة تطلق تطليقتين وتعتد حيضتين فان احتج محتج بعموم الاية ان الله تعالى قال مثنى وثلاث ورباع ولم يذكر عبدا لاحرا فهو على عمومه قيل فى الاية دليل ان الخطاب للاحرار وهو قوله سبحانه وتعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء فهو على من له النكاح بنفسه والعبد يكون له النكاح بغيره بقوله عز وجل وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وكان الخطاب بنكاح العبد مواليهم ليس له ان ينكح المرأة الا باذن مولاه ومولاه يزوجه اذا شاء بغير امره فانما الخطاب لمن له ان يتزوج اذا شاء والعبد من ذلك خارج الا ترى انه قال عز وجل او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك ملك اليمين فدل ان الخطاب راجع الى الاحرار دون العبيد فان قيل فقد جعلتم للعبد ان يطلق الحرة لانا لم نجعل له من الطلاق مثل الذى جعلتموه للحر فيجب ان يجعلوا له من تزوج النكاح النساء مثل الذى يجوز للحر قيل الفرق بينهما ان الطلاق عندنا بالنساء لان الحر يطلق امرأته الامة تطليقتين فتحرم عليه والتزويج بالرجال لا ينظر فيه الى النساء فللعبد ان يتزوج النصف من تزويج الحر كما ان عدة الامة وطلاقها على النصف من عدة الحرة على ما روينا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكون العبد فى ان ينكح شيا نصف ما للحر من الاربع وروى الحسن انه قال فى قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم يعنى الكبار وقيل لا تؤتوا السفهاء اموالكم فيكونوا قياما عليكم ولكن كونوا انتم قياما عليهم وقيل لا تؤتوهم اموالكم فيكونوا اربابا عليكم وكونوا اربابا باموالكم عليهم ومن صرف التاويل الى اليتامى حمل معنى قوله عز وجل اموالكم كقوله لا تقتلوا انفسكم وكقوله فسلموا على انفسكم يريد تزورونه فى البيوت فعلى ذلك اضافة اموال اليتامى الى الاولياء وقوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية فالسفيه فى الحقيقة من يجعل على الجهاد كان جاهلا فى الحقيقة او لا لما خذ يلفت العالم به فاسمع الحدود وتعطل الاحكام

الذمية وعلى ذلك ما جاء في الكتاب بتسفيه علماء اهل الكتاب ثم تسمية الجهال بذلك لان الجهل هو السبب الباعث
على فعل السفه فقوله تعالى لا تؤتوا السفهاء اموالكم يحتمل ذلك الوجهين اي الامرين كان ففيه التحذير للمعنى
الذي بين من قوله التي جعل الله لكم قياما انه كانت قياما للمعاش او للمعاد او لهما وطريق الانفاق في الوجهين
والامساك لهما التدبير ومراعاة الشرع وتعاهد الاسباب والوجها نحميها بمنعها الوفاء بما جعلت
له الاموال لحذر من التهم بها عن تضييع ذلك التسليم الى من ذكر مما يكون في ذلك اتباع من يستحق ان يكون
متبوعا لمن حقه ان يجعل تابعا وذلك خارج عن حد الحكمة وما يحمد العقل ثم قد صرفت الاية الى النساء
بما جعل من انه التدبير وهو الذي النساء هن تحت ايدي الرجال في الامور مع وصف الرجال انهم قوامون
على النساء وصرفت ايضا الى الصغار بما حتم من حفظ اموال مثلهم الكبار وجعلوا الكفو ليس عند ليبا الغير
احق بذلك وحقيقة السفه ما ذكرت وجائز ان يكون المقصود بالذكر من ذكر الصغار والسفهاء بما
خاطب من حذر بالدفع الى من ذكر رزق اولئك وكسوتهم ولا يجب رزق الجهال والسفهاء على غيرهم
فيكون ما ذكر والا عراد الاية وان كان المعنى الذي قصد بالاية التي ذكرتهم قد يستحقون لما غلب تلك
الاحوال على هؤلاء حمل من ذكرت قواما عليهم وقد ذكرت عن الحسن انه صرف الاية الى الكفار وكان يتا
ول في القيام بامر الدين والكفار لا يجوز الاستعانة بهم فيه ولم يجعل المال عندهم مما يكره العقلا
تسليطا لكفر العقول لجهلهم بحق شرع الاسلام فيها فيتلف دفع الاموال اليهم وقوله عز وجل التي جعل الله
لكم قياما عن ابن عباس رضي الله عنهما التي جعل الله لكم قياما يعني قوام امركم ومعيشتكم وهو هكذا هو
جعل الله هذه الاموال اعز بذلخلق بها يقوم دينهم وابدانهم وقوله عز وجل وارزقوهم فيها واكسوهم
يقول لا تؤتوهم ولكن ارزقوهم انتم واكسوهم وقيل يقول انفقوا عليهم منها واطعموهم وقيل اضاف الاموال
الى الدافعين لا الى المدفوعة اليهم دل على وجوب نفقة الولد وكسوته على الرجل وقوله عز وجل وقولوا لهم
قولا معروفا قيل عدة حسنة جميلة سافعل وساكسوه قيل امروهم بالمعروف وانهوا عن المنكر وقيل علموهم
الادب والدين وقولوا لهم كلام البر واللين واللطف وقوله عز وجل وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح
اختلف فيه قال بعضهم قوله عز وجل حتى اذا صرف حتى صلة وتاويله وابتلوا اليتامى اذا بلغوا النكاح
وهو قول الشافعي رحمه الله يجعل الابتلاء بعد البلوغ ويحتمل ان يكون المراد بالابتلاء قبل البلوغ لوجهين
احدهما ابتلي الايتام قبل بلوغ بانواع العبادات ليعتادوا بها ويتأدبوا ويعرفوا حقوق الاموال و
قدرها ويحفظوها اذا بلغوا لانهم اذا ابتلوا بعد البلوغ لم يعرفوا ما عليهم من العبادات والفرائض وقت
وكان في ذلك تضييع حقوق الله وفرائضه اذ لا سبيل لهم الى القيام بها حتى البلوغ فامر الاولياء و
ان يبتلوهم قبل البلوغ حتى اذا بلغوا بلغوا عارفين لما عليهم من العبادات والحقوق حافظين لها الا ترى
الى ما روي في الخبر انه امر الاب ان يأمر ولده بالصلوة اذا كان ابن سبع وامر بالضرب والتاديب اذا
كان ابن تسع وبالتفريق في المضاجع وهو من حقوق الخلق فهذا ليعتادوا ويأخذوا الاداب قبل البلوغ
حتى اذا بلغوا عرفوا ما عليهم وهان القيام بها واذا لم يعودوا قبل ذلك يشتد عليهم القيام باقامة العبادة
واداء الحقوق فعل ذلك الاول ووجه اخر ان يبتلى عقولهم بشيء من اموالهم يتجرون بها ويتقلبون
فيها لينظروا هل يقدرون على حفظ اموالهم عند حدوث الحوادث والنوائب ففيه دليل جواز
الاذن في التجارة في حال الصغر لانه لا يظهر ذلك الا بالتجارة وان كان المراد بالابتلاء بعد البلوغ و
الكبر فهو ايضا يحتمل وجهين يحتمل العلم بها بنفسه ويمتحن بها العلم والعمل ولا تضيعوها في غير موضعها
وقوله ان حرف حتى صلة انه لو جاز له ان يجعل هذا الرشد صلة فيه اذ لا فرق بين هذا وبين الاول ان
يجعل صلة ثم اختلف في قوله تعالى فان انستم منه رشدا فادفعوا اليهم اموالهم قال بعضهم هو ان يصير
هو من اهل الشهادة فحينئذ يدفع اليه المال فعل قوله يجب ان تنزع الاموال من ايدي الفساق لانه لانهما
لهم من قوله ان اليتيم من اهل الكفر لا يدفع اليه المال الا بعد استيناس الرشد منه فلو كان شرط الرشد
هو شهادة لكان الكافر لا يدفع اليه لما لا يقبل الشهادة ما لزم الكفر على احد دل ان الرشد ليس ما ذكر ولكن
قيل من العقل والحفظ لماله والاصلاح وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فان انستم منه
رشدا قال اذا ادرك الحلم وعقل ووقار وهو يقول ايضا في قوله تعالى منهم رشدا ان الله سبحانه وتعالى يقول
اختبروا اليتامى من عند الحلم فان عرفتم منهم رشدا في حالهم والاصلاح في اموالهم فادفعوا اليهم اموالهم

وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما فان احستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وفي حرف حفصة وابتلوا
اليتامى في اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح بعد كبرهم ثم لا يخلو منع الاموال منهم من اوجه ثلثة اما ان يمنع لفرط
البذل والانفاق جزافا وسخاوة وحسن الظن بالله انه عز وجل يرزقهم ويعطيهم خلف نفقتهم وهذا لا يحتمل
لان هذا من اخلاق الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه فلا يحتمل النهي عن ذلك او يمنع لغاية شهوتهم و لقضاء
وطرهم وحاجتهم فينفقون الاموال ليصلوا الى ذلك فانهم منعوا عن اموالهم تبينا ولو ان من اموال غيرهم
ويتغافلون ما لا يحل ويحبسون فلا يحتمل ان يمنعوا لذلك او ان يمنع منهم الاموال لا فتر عقلهم ونقص في ذهنهم
فان كان لهذا فانه يمنع اموالهم عنهم فيجب ان يمنع ابدا لا وقت في ذلك ولا سنن الا بعد ارتفاع ذلك وزواله
عنهم وهذا الوجه يمنع منه حتى يونس منه الرشد ثم جعل ادراكه وبلوغه بالاحتلام لان كل جارحة من جوارح
الانسان يجوز استعمالها الا الفرج منها فانه لا يقدر على استعمالها الا صاحبها فجعل الاحتلام علم البلوغ و
ادراكه لذلك وهذا انا لم يعمل لاكراه بالزنا فان عليه الحد لان الاكراه لا يحل عليه فانما كان بفعل منه لا الوالي
فانه اذا اكره اخر بالزنا ففعل لم يلزم عليه الحد لما جعلنا ذلك كالعلم بالسبب الذي يحل وكذلك لو اكره في وطء امرأة
لزمه العقر ولا يرجع على المكره ولو اكره على اتلاف حال من اموال فاتلف يرجع على المكره للمعنى الذي وصفنا ولهذا ما وقع
طلاق المكره ونكاحه وعتاقه لان هذه الاشياء انما تقع باللسان واللسان مما لا يحل عليه الاكراه لذلك جاز والله
اعلم وانما البيوع والاشربة والعقود كلها سوى هؤلاء يكون بالتسليم والقبض دون النطق باللسان والتكلم
بها فالاكراه ما يحل فيها لما امكن استعمالها غيره لذلك افترقا وهذا ما قلنا ان الايمان يكون بالقلب دون اللسان
لانه اذا اكره حتى يكفر فاجرى كلمة الكفر على لسانه وكان قلبه مطمئنا بالايمان لم يكفر فاذا اطمأن قلبه بالكفر كفر
لان الاكراه لا يحل على القلب ولا يصير المكره مستعملا له انما المستعمل هو لا غير كذلك كان الجواب ما ذكرنا ومعنى
الاحتلام بلوغا هو امكان استعمال سائر الجوارح دونه يعني الفرج الا بعد الكبر وما كان المعروف من الاباء والاولاد
وما كان مما يجري الامر بابتغاء المكتوب من الولد يكون بعد البلوغ ويبعد ذلك الا في الوقت الذي لو ابتغي لوجد
والقدر عليه ولبين ذلك الا في خروج الماء الشهوة ثم يكون في المتعارف الاحتلام عن ذلك فجعل علما له ولذلك
قيل حتى اذا بلغوا النكاح ثم فرق في حق الكتاب بين اللسان وغيره من حيث لا يملك احد فهو لسان اخر حتى ينطق
دون ان تعمله فيه بغير سبب يجري القلم من الاقرار بالبلوغ وهذا معنى ما جعل سببه عما لا يعلمه غيره ليكون اول
احوال البلوغ ما كان النطق فعل من يجري في جنسه الخطاب وكان انما تصل امره بالسبب الذي خص به التميز
من العقل اذا كان العقل قد يعرف بالمحنة والاحلام فامرنا بالابتلاء من حيث العقول ولم يؤمر من حيث
بل يقبل قوله في ذلك ودل قبول قول من بلغ بالاخبار عن احتلامه وبه يجري القلم ويلزم الحقوق قال فقبله
يجري في ذلك الوقت وبخاصة على قول من يرى الابتلاء بعد الادراك انه لو لم يقبل فيه يبتليه ثم انه جاز
قوله لزم كل امر علق به وعلى ما ذكرت من اول ما علق به القول في حق البلوغ دليل انما الحكم العقول بالعقل
تمام العقل بالبلوغ اذ به يجري القلم ودل ما ذكرت من امتناع الانسان من سلطان غير صاحبه عليه على لزوم كل حق معلق
به على الاكرام اذ لا يلزم بغيره وهو لا يجري عليه ثم كل امر يكون لانه يصير الانسان سببا فيه به كالمعلم عنه وهو مما يجري
عليه القهر ويعلم قوته فيه فيبطل والله اعلم وقوله تعالى ولا تأكلوها اسرافا وبدارا هو كل ما نهي عنه وقيل الاسراف
هو الاكل بغير حق وكان الاسراف هو المجاوزة عن الحد وهو كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا وكان القتر مذموما فعل
ذلك الاسراف في النفقة في مال اليتيم وقوله تعالى اسرافا وبدارا قيل البدار هو المبادرة وكلاهما لغتان كالجدال
والمجادلة وهو ان يبادر باكل مال اليتيم خشية ان يكبر فيحول بينه وبين ماله وهو قول ابن عباس رضي الله عنه
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما ولا تأكلوها اسرافا وبدارا خشية ان يكبروا وقوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاطلق الله تعالى لولي اليتيم بظاهر الاية اذا كان فقيرا ان يأكل بالمعروف من غير اسراف
وذلك هو الوسط منها وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا سأله فقال ليس لي مال ولي يتيم فقال
كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متأثل مالك بماله وفيه دليل ان الغني لا يجوز له ان يأكل مال اليتيم وان الفقير انما
اكل منه انفق نفسه لا اسراف فيها وعن عمر رضي الله عنه قال اني انزلت نفسي من مال الله منزلة مال
اليتيم ان استغنيت استعففت وان احتجت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وروي ابن عباس رضي الله عنهما قال
الوصي اذا احتاج وضع يده مع ايديهم ولا يكتسي عمامة وعن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى ومن كان
فقيرا فليأكل بالمعروف وقالت يأكل والي اليتيم من مال اليتيم اذا كان يقوم له على ماله ويصلح اذا كان محتاجا وقيل

يأكل قرضاً فيرد عليه اذا ايسر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقيل يأكل بالمعروف يحبس ماله
نفسه حتى لا يفتقر الى مال اليتيم وقيل يأكل اذا كان يعمل له ويقوم عليه وقيل يأكل قرضاً الا ترى الى
قوله تعالى فاشهدوا عليهم امر بالاشهاد عليهم عند الدفع ولو كان امانة في يده لم يحتج الى الاشهاد في الدفع
ولكن يجوز ان يأمر بالاشهاد لاحكام الوصي نفسه ولكن لا يجوز ان يحدث بينه وبين ورثة الوصي خصومة
فيشهد ليدفع تلك الخصومة عنهم قيل الاكل بالمعروف هو ما يسد به جوعته ويواري عورته وقوله
بالله حسيباً قيل شهيداً اي احد من ماله وانفق ويحتمل قوله حسيباً محاسبه في الآخرة اذا لم يحاسب اليتيم
في الدنيا وقوله عز وجل للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب الآية يحتمل ان يكون
الآية والله اعلم نزلت بسبب ما لم يكن يورث اهل الجاهلية الاناث والنساء والصغار ويجعلون المواريث
للذين لا انسان من الرجال الذين يطيقون ويحوزون الغنيمة فنزلت الآية بتوريث الرجال والنساء جميعاً وقيل
ان الآية نزلت في شأن رجل يقال اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك بنات وامرأة فقام رجلان من بني عمه
وهما وصيان فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً فجاءت امرأة اوس بن ثابت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فشكت واخبرت بالقصة فقال لها ارجعي في بيتك حتى انظر ما يحدث الله في ذلك فانصرفت فنزل قوله
تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية وقيل
في شأن امرأة ابن سعد ان سعداً استشهد باحد وترك ابنتين وامرأة فاحتوى اخ سعد على مال سعد ولم
يعط امرأة ولا الابنتين شيئاً فاختصمتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرتا بالقصة فقال لها لم
ينزل الله علي في حكم شيئاً ثم نزلت الآية فاخذ من عمهما ثلثي المال ورده اليهما ودفع الثمن الى المرأة وترك البقية
للعم والله اعلم ان فيهم كان نزولها وفي هذا الخبر دليل ان للابنتين الثلثان كالثلاث فصاعداً ليس
كما قال بعض الناس ان لهما النصف لان الله تعالى انما جعل للثنتين الثلثين ثم يحتمل الآية وجهين بعد هذا
يحتمل ان يكون المراد الاولاد خاصة لا غير فيدخل كل ولد وولد البنات وولد البنين لان كلهم اولاده
ويحتمل ان يكون المراد منها الرجال والنساء فيدخل ذوو الارحام في ذلك فلما لم يدخل بنات البنات في ذلك
وهم اولاد دل انه اراد النساء والرجال جميعاً لا الاولاد خاصة وفيه دلالة نسخ الوصية للوارث لانه
قال عز وجل للرجال نصيب وللنساء نصيب الى قوله مفروضاً اي معلوماً بما اوجب في كل قليل ثم قال
في قوله نصيباً مفروضاً قيل ذا يرجع الى ما بين فرضه وهم اصحاب الفرائض دون العصبات فيكون على ما
انصاد الى حقه من حيث الاسم في القرآن ويحتمل ما بين وقد جرى فيه ذكر حقين احدهما حق العصبة
كما ذكر في الاب والاخوة والاولاد وحق اصحاب الفرائض ولو كان على ذلك فقد يتضمن الفرض ما يحتمل بالا
الاشارة اليه والدلالة لان اكثر من يوصى بحق العصبة هو ما لا نص فيه والذي فيه النص هو في الاولاد
والاخوة خاصة والوالد وقيل يتضمن كل الاقرباء على اختلاف الدرجات فيكون ايضاً مدلولاً عليه ويؤيد هذا
التأويل قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض من المؤمنين والذين هاجروا فاولئك هم الذين
لهم اخوة الدين والهجرة فاذا بقي في الرحم احد لم يصرف ذلك الى المؤمنين وقد قدم حقهم على المؤمنين
والمهاجرين بالرحم لذلك هم اولاد معاً للزوم صرف ذلك بحق الايمان اليهم فيصير الدفع اليهم بحق الجوار
والى غيرهم شك عند فنائهم فالدفع اليه اوليهم اولى بوجهين احدهما عموم الكتاب على تحقيق حق الكل انه
شهادة دون ادخال حكم انه في حكم اخرين بلا ضرورة والثاني الاجماع من الوجه الذي ذكرت مع اتفاق اكثر الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين والفتوى الى يومنا هذا وقوله عز وجل واذا حضر القسمة اولوا القربى قيل فيه بوجهين
من اراد بالقسمة قسمة المواريث عين الورثة بعد موت الميت وقيل اراد به قسمة الموصي وهو الايصاء
يوصي ويرسل ذكر من الاقرباء واليتامى والمساكين بشيء فالخطاب للموصي ومن قال بقسمة المواريث فالخطاب
للورثة ان كانوا كباراً يعطون هؤلاء شيئاً ويردونهم بشيء وان كانوا صغاراً يقول لهم الوصي قولاً معروفاً
بعد لهم حسنة الى وقت خروج الانزال والى وقت البيع باعوها ثم اختلف المتأولون فيها قال بعضهم هي منسوخة
وقال الآخرون هي محكمة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومن قال منسوخة قال نسخها آية المواريث وقوله عز وجل
يوصيكم الله في اولادكم الآية كأنهم كانوا يوصون الاولاد والاباء والامهات كقوله عز وجل كتب عليكم اذا حضر احدكم
ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ آية المواريث وصية الموصي ومن قال هي محكمة مثبتة وهو
قول ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم لانه المعروف والبر والاحسان وذلك مما لا يحتمل النسخ وقيل

ان عبد الله

ان عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يدع في الدار مسكيناً ولا ذا قرابة الا قسم له من ميراث
ابيه وتلا هذه الآية واذا حضر القسمة الآية فذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنهما فقال ما اصاب ليس ذلك له
انما ذلك في الوصية يريد الميت ان يوصي لهم وقوله عز وجل فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً قيل اذا كان
المال كثيراً رضخ واعطى شيئاً واذا كان قليلاً اعتذر اليهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقيل ان من يرث
ان يرضخ ويعطي لمن لا يرث شيئاً وهو قول الحسن ويقال لهم قولاً معروفاً والقول المعروف يحتمل ما ذكرنا
ان يعطي لهم ان كانوا كباراً اعني الورثة ويعدوا لهم عدة ان كان المال ضياعاً الى وقت خروج الانزال والغلات
او الى وقت خروج الثمن او يعطي الورثة ان كانوا كباراً ان يعتذر اليهم الوصي ان كانوا صغاراً وقوله
عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم قيل هو الرجل الذي يحضره الموت وله ولد
صغار فيقول له الآخر اوص بكذا واعتق كذا او افعل كذا ولو كان هذا الميت لاحب ان يترك لولده الخوف
هذا القائل بقوله فليتقوا الله وامر ان يقول له مثل ما يحب ان يقال له في ولده بالعدل بقوله عز وجل
وليقولوا قولاً سديداً وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره
اتق الله وامسك عليك لولدك الصغار والضعفاء ليس احد احق بمالك منهم ولا توص مما لك شيئاً فنهى ان
يقال له ذلك لما لو كان هو الموصي وله ورثة صغار ضعفاء احب ان يقال له ذلك فكذلك لا يقول هو له والاولى
انسبه وقوله عز وجل وليقولوا قولاً سديداً قيل عدلاً بان امر ان يوصي بما عليه من الدين والوصية ولا يجوز في
الوصية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نهى عن من حضر منهم مريضاً عند الموت ان يأمره ان ينفق ماله
في العتق والصدقة او في سبيل الله ولكن يأمره ان يبين ماله وما عليه من دين الحق وقوله عز وجل ان الذين
يأكلون اموال اليتامى اي استحلالاً فاذا استحل كفر فذلك الوعيد له وقيل ظلماً اي غصباً والاكل هو عبارة
عن الاخذ كقوله لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة انما هو نهي عن اخذه وكذلك قوله الذين يأكلون الربا و
قوله وذروا ما بقي من الربا انما هو نهي عن قبض الربا فعلى ذلك الاكل في هذه الآية عبارة عن الاخذ و
الاستحلال ومن حمل الآية على الغصب حمل الوعيد عليه الا ان يتوب او شاء الله ان يعذب من يشاء من ارتكب من
عباده محرماً كما جعل الوعيد على المستحل الا ان يتوب وقيل انه على التمثيل ان الذي يأكل من مال اليتيم كانه يأكل
ناراً لخبثه ولشدته وعن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله في الضعيفين
من هما يا رسول الله قال اليتيم والمرأة فان الله ايتمه واوصى به وابتلاه وابتلى به وقيل في قوله فليتقوا الله
وليقولوا للميت اذا جلس اليه قولاً سديداً اي عدلاً في وصيته ولا يجوز من عدل في وصيته عند موته تركه كما
وجد ماله في سبيل الله فقام سعد بن ابي وقاص فسأل النبي صلى الله عليه وسلم كم يوصي الرجل قال ماله
فقال الثلث والثلث كثير لان تدع عيالك اغنياء خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تصدق عليكم بثلث اموالكم زيادة في اعمالكم عند وفاتكم وقوله عز وجل يوصيكم
الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين قيل قوله يوصيكم وقد سمى الله تعالى الميراث فريضة في غير اي من القرآن
بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب ثم قال نصيباً مفروضاً وقال ايضاً في آخر
هذه الآية فريضة من الله ولانه شيء تولى الله ايجابه من غير اكتساب اهله فهو كالفرائض التي اوجبها الله على عباده
من غير اكتساب اهلها فعل ذلك سمى هذه فريضة لان الله تعالى اوجبه والله اعلم وقيل قوله يوصيكم الله في اولادكم
ان يبين الله في اولادكم الى آخر ما ذكر وفيه نسخ الوصية للوالدين والاقربين في قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم
ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين ودليل نسخه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية للوارث ثم قيل ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد
والاناث وانما كانوا يورثون الرجال ويحوز الغنيمة فنزل قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان الآية في بيان
الحق للاناث في الميراث وكذلك قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فيه بيان حق الميراث
للذكور والاناث جميعاً وقيل تأويل هذه الآية ما بين في ذوي الارحام وان كانوا مختلفين في سبب ذلك
وان الآية التي بعدها من قوله يوصيكم الله في اولادكم الى آخر الآية التي فيها ذكر المواريث فسر بها مبلغ النصيب
الذي اوجبه الله للنساء والرجال في آيات الاولى مجملاً واجمعوا ان الرجل اذا مات وترك ولداً ذكوراً واناثاً
فالمال بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ويحتمل قوله في اولادكم اولاد موتاكم وهذا جائز في اللغة لانه لا يجوز ان
يفرض على الرجل قسمة الميراث في اولاده وهو حي دل انه اراد اولاد الموتى ويحتمل لم يكونوا يورثون الاناث

من الاولاد والضعفاء منهم مخاطب الجملة بذلك لئلا يحرموا الاناث من الاولاد والضعفاء يوصيكم
الله في اولادكم اي في اولاد من مات منكم اذ لا يحتمل خطاب الحي ما ذكر في ولده فهذا ان كان تاويل يوصي
يفرض ويامر وان كان تاويل ذلك يبين فذلك جائز بعد ان يجري الحي ما بين الله في اولاده بعد موته
في ماله وذلك ينبغ الوصية لا يزيل حق البيان ولما يمكن دفع القسمة وتحصيل الوصية على بعض لبعض
وذلك بعيد اذ لا يمكن في غيرهم ثم من الناس من راى نسخ الوصية للوارث بقوله للرجال نصيب مما ترك
الوالدان الاية كان الاية اوجب الميراث فيما قل او كثر فلو كانت الوصية تجب للوالدين بقوله تعالى كتب عليكم
اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية الاية لكان الميراث لا يجب فيما يفضل منه لكن الاية اذا لم تمنع الوصية
للاجنبي وهو يصرف السهم المفروض الى ما يفضل من الوصية فتبقى للوارث لكن في الاية دلالة على رفع الكتا
اذ في الاولى انها كتبت فلما اوجب الحق في كل وكثيرا لم يبق معه الفرض والوجوب ولكن يجب الفضل ثم كان حق
الوالدين ومن ذكر بحق اللزوم وقد سقط ذلك وبر كان يجوز فلما سقط الحق جاء في الخبر ان لا وصية للوارث
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية للوارث فسقط الحق بالاية من الوجه
الذي يثبت والنفل يقول لا وصية من هذا الوجه الذي ذكرت يسقط حق الوصية بالقران لكن فقد ذكر
للمراة لا يعرف الوجوب بقوله متاعا الى الحول ثم سقط ايضا الخبر الذي وقوله اذ ليس في الاية ذكر المراة بما ذكر
فيها ميراث الاولاد والاقربين وقد بقي حق المتاع اذ له ان يوصي لغير الورثة لكن ذكر في ميراث المراة و
كقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية من الله والوصية معه مكتوبة على ما للوالدين و
الاقربين ثم اشرك الزوجين في ميراث الوالدين والاقربين مما قل او كثر كقوله النصف والربع والثمن مما ترك
وقد بينا ان الاية نسخت ما ذكرت فصارت ناسخة للامرين جميعا فهذا من جهة الاستخراج في حق النسخ
على انه على مذهبنا السنة كافية في بيان نسخ الحكم بنية الكتاب اذ هو بيان منتهى الحكم من الوقت وقد جعل
الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحيث البيان بما في القران وقوله عز وجل للذكر مثل حظ الانثيين فيه دلالة
ان المال كله للذكر من الولد اذا لم يكن ثمة انثى لانه جعل للذكر مثل ما جعل للانثى النصف اذا لم يكن معها ذكر
بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف فدل ان للذكر من الولد اذا لم يجعل للانثى عند الجمع له ذلك نحو
الكل في حال الانفراد الكل وقوله عز وجل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك قال بعضهم بين الحق لما فوق
اثنتين ولم يبين للاثنتين ولهما النصف الذي ذكر للواحدة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما واما عندنا
فان للاثنتين ما للثلاث فصاعدا فيكون بيان الحق للثلاث بيانا للاثنتين لان الله تعالى جعل حق ميراث
الواحدة من الاخوات النصف بقوله تعالى وله اخت فلها نصف ما ترك كما جعل حق الابنة النصف اذا لم يكن
معها ذكر بقوله وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس ثم جعل للاختين
الثنتين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فاذا نزلت الاخوات منزلة البنات في استحقاق
النصف اذا كانت واحدة واستحقاقا للثلثين اذا كانت اثنتين فصاعدا فعن ذلك نزل بيان الحكم في الاختين
منزلة بيان الحكم في الابنتين فيبين بقوله فوق اثنتين واثنتان فما فوقهما وقيل يبين الكتاب الاستواء بين
الابنة الواحدة والاخت الواحدة ليعلم استواء حق الولد وولد الاب ثم بين في الاخوات الثنتين
الثلثان وفي البنات لما فوقهما ليكون الذكر في الاختين دليلا على ابنتين وفيما ذكر من البنات على
ما ذكر من الاخوات وايد ذلك امر الاجتماع بين البنين والبنات وان كثروا بالاخوات مما كان معلوما
ان بنات الرجل احق من بنات ابيه ايد ذلك ان بنات ابنه قد يرثن وبنات ابن ابنه لا فلا يجوز ان يكون
الاختين اكثر حقا من الابنتين وفي الاغلب ان يجعل لهن ميراث هؤلاء وايد ذلك انه ما دام يوجد في
الاولاد من له فرض لا فضل لم يصرف الى اولاد الاب ثبت انهم بمعنى الخلف من هؤلاء على ما ذكرت
جاءت الاثار واجتمع عليه اهل الفتوى وقوله عز وجل ولابويه لكل واحد منهما السدس ان كان له
ولد اختلف فيه قال بعضهم اراد بالولد الذكور خاصة لانه جعل للابوين لكل واحد منهما السدس
اذا كان الولد ذكرا اما اذا كان الولد انثى فللاب يكون الثلث واما عندنا فان اسم الولد يجمع الذكور
والاناث جميعا وبعد فانه اذا كان الولد ههنا ذكرا او انثى فينظر ان كان ذكرا يكون لكل واحد من الابوين السدس
والباقي للولد وان كانت انثى فلها النصف وللابوين السدسان والباقي للاب على ما جاء في الخبر ما بقيت هم
الفرائض فلاولى رجل ذكر وقالت الروافض الباقي للابنة ذهبوا في ذلك الى ان الذي يقابل الابنة هو الابن

والذي

والذي يقابل الاب هي الام فالذي يقابل الابنة هو اولى بالجر اذ الميراث من الذي يقابل الام وهو الاب فعلى
ذلك الذي يقابل الابن وهي الابنة اولى بذلك من الذي يقابل الام وهو الاب واما عندنا فان الاب اولى بذلك
من الابنة لان للاب حقين حق فريضة وحق عصبة اما حق الفريضة فبقوله ولابويه لكل واحد منهما السدس
واما حق العصبة فبقوله عز وجل وورثه ابواه فلامه الثلث جعل الباقي له فله حقين اولى بذلك من ذي
حق واحد فالابنة ليس لها الا حق الفريضة لذلك كان الاب اولى وفي الخبر دلالة ان حكم الابنتين وما فوقهما
سواء وهو الثلثان ما روي عن جابر بن عبد الله قال جاءت امراة ثابت بن قيس بابنتين الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا ثابت بن قيس اصيب معك يوم احد وقد اخذ عمهما مالهما و
ميراثهما ولم يدع لهما شيئا الا اخذه فما ترى يا رسول الله فوالله لا تنكحان الا ولهما مال فنزل قوله تعالى
يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعم الجاريتين اعطهما الثلثين
واعط امهما الثمن ذلك ما بقي ثم في الاية دلائل احدها يخرج الخطاب على العموم والمراد منه خاص لانه
ذكر الاولاد والولد قد يكون على غير دينه فلا يرث وقد يكون على غير دينه فلا يرث وقد يكون مملوكا
فلا يرث روي في الخبر لا يتوارثون اهل ملتين وما روي لا يرث المسلم الكافر المسلم ولا العبد مولاه
وذلك في الحقيقة ليس بميراث ولكن ما للعبد يكون لمولاه وفي هذا دليل جواز الاستثناء من غير نوعه
حيث استثنى العبد وذلك في الحقيقة ليس بميراث وفي الاية دليل جواز القياس والفكر فيها لان الاية
لان ميراث الابنتين مستدل عليهما غير منصوص وكذلك ميراث الذكور من الاولاد بانفراد مستدل
عليه غير منصوص وما يحوز الاب من الميراث بحق العصبة مستدل عليه لا منصوص وما يستحق بالفريضة
فهو منصوص عليه وهكذا كل من يستحق شيئا بحق الفريضة فهو منصوص عليه فدل ان ما ترك ذكره
انما ترك للاجتهاد والتفكر فيه والاعتبار وفيه دليل انه يجوز ان لا يطلع الله عباده على الاشياء
بقوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اذ لم يبين انهم اقرب نفعا دل قوله وورثه ابواه
فلامه الثلث ذكر وراثتهما ولم يبين حق الاب انه جعل عصبة يرد اليه الفضل فيظهر للاب بهذه الاية
من قوله سبحانه وتعالى يوصيكم الله الى اخرها امران احدها حق العصبة والثاني حق الفرض بقوله تعالى
لكل واحد منهما السدس ان كان له ولد ثم بعد هذا فيه امران احدهما انه اذا ثبت له حق العصبة وقد
بين الله تعالى نصيب الابنة انه النصف ونصيب الاب مع الولد ان له السدس فرعمت الشيعة ان
الفضل يرد الى الابنة ولد ولم يذكر له مع الولد الا السدس وعندنا يرد الى الاب لانه لم يذكر للابنة
الا النصف ثم قد جعل للاب عصبة فيما له حق الفضل عن المفروض ولم يجعل للابنة ذلك كان الرد
الى الاب احق مما يحتمل ان كان له ولد وولد ذكر ثم حرمة الام بالابنة اذ هي تحرم بالاخوات والبنات
احق اذ هن اقرب والثاني انه انه جعل للاب السهم من وجهين ثم الذي له في احد الوجهين صار
للجد دون اولاده وبين الاولاد الاب الحق وابقاء حق الجد لما بين لولده فعلى ذلك ما له من الوجه الثاني
وهو اولى لان حق العصبات يخرج على الحاق الابعدين فيه بالاقربين وحق الفرائض لا حق بين ثم صار
الجد اباه في حقه من الفرض اذا لم يكن هو فمثله في حق العصبة ثم فيه وجه انه انه اتبع ذلك الذكر
ذكر الزوجين وذكرهما مع الولد ولم يذكر معهما الولد فثبت ان امرهما يدخل في حالهما فيما كان لا في
حالهما اي الزوجين وايد ذلك قوله انه بقي حالهما مع الزوجين مع الولد على ما كان عليه دون الزوجين مع الولد
على ما كان عليه دون الزوجين معه فعلى ذلك حالهما بلا ولد وفي ذلك وجوب صرف حقهما الى ما فضل كما ذكر
في قوله وورثه ابواه فيكون الفضل بينهما على ما كان عليه بالكل لولا الزوجان وقوله فان كان له اخوة فلامه السدس
اختلف في حكم الاية من اوجه ثلاثة قال بعضهم لا تحجب الام عن الثلث اخوان ولا اختان حتى يكون ثلاثة لان الله تعالى
قال اخوة واقل الاخوة ثلاثة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال الاخوة تحجب الام عن الثلث الذكور ولا تحجب
الاناث لان الله تعالى ذكر الاخوة والاخوة اسم الذكور دون الاناث اذ الاناث اسم على حدة وهو الاخوات لذلك
حجب الذكور ولم تحجب الاناث واما عندنا فان الاخوة اسم الذكور والاناث جميعا في الحكم وان لم يكن اسم لهما جميعا
في الحقيقة الا ترى ان الله تعالى ذكر الاخوة ثم جعل بالتفسير اسم لهما جميعا بقوله وان كانوا اخوة رجالا ونساء
دل ان اسم الاخوة يجمع الذكور والاناث جميعا في الحكم كذلك تحجب الام عن الثلث ذكورا كانوا او اناثا واما قولنا بان
الاثنين يحجبانها عن الثلث ما روي عن علي وعبد الله وزيد بن ثابت انهم قالوا تحجب الاخوان الام عن الثلث كما

يحجبها الثلاثة وجعلوا الاخوين اخوة وفرايض على اختلاف فيها اتفقت في ان حكم الاثنين وحكم الاكثر كذلك في
حق الحجاب ولله حجة اخرى وهي ان الله تعالى حكم في الكلالة اذا كان واحدا ان له السدس فان كانوا اكثر من ذلك
فهم شركاء في الثلث فجعل حكم الاثنين والثلاثة واحدا يشتركون في الثلث فوجب ان يكون حكم الاثنين والثلاثة
من الاخوة في حجب الام عن الثلث سواء وحجة اخرى وهي ان الله تعالى جعل للاختين من الاب والام الثلثين وسوى
بين حكم الاختين والثلث في الميراث فجعل ذلك يجب ان يستوي حكم الاخوين والثلاث في حجاب الام عن الثلث
ثم المسئلة بيننا وبين الروافض ان الاخوة من الام لا تحجب الام عن الثلث لانهم منها فمن البعيد ان يحجبوها
ويمنعوها ذلك عنها او يجعلون ذلك لغيرها يتصلون بالام وينفعون غيرها وقد قال الله تعالى اباؤكم و
وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله والثاني ان الحجاب قد يجوز ان يقع بمن يحصل له ما حجب
عنها نحو الاخوة من الاب والام اذا حجبوا الام عن الثلث وقع لهم ذلك واما الاخوة من الام فان وقع
لهم الحجاب لم يحصل لهم ذلك المحجوب منها فلا يحتمل الحجاب بهم واما عندنا فانه ليس لهم بحق القرب والبعد
ما يحجبون ولكن بحق الميت فاذا كان ما ذكرنا سواء كانوا من قبل الام او من قبل الاب في حق الحجاب و
الثاني ان المواريث جعلت بحق الابتداء لا بحق المورثين لا يحتمل ان يختار المورث من هو البعيد من هو اقرب
نحو من يموت عن ابنة وابن عم لا يحتمل ان يختار ابن العم على الابنة في النصف فثبت انه على الابتداء
ونقول في الاخوة في الام انهم في الحجاب كالاخوة من الاب والام وان كان الحق لغيرهم لما ان الاخوة لما
تفرقت فيهم ذكرت وكذلك الاولاد فلوكان الحجاب يفترق لكانت الحاجة الى الذكر لازما او يجعل
الامر للنظر فيما له اصل له في الاثر ولا اصل له في هذا بالتفريق بل قد جمع ذلك بين الاخوة والاخوات على ما
في ذلك من اختلاف الحقوق ثبت ان تغير الحجاب من الحقوق ليس باصل له والاصل ان ذلك لوكان
على اعتبار الحق فهو بحق الميت لا بحق الابوين لانه لم يعرف الحجاب بحق من لاحق لهم سوى الاب فبان انه
بمعنى حق الميت يقع الحجاب والمعنى منه واحد ولوكان حجاب الاخوة من الاب بالاب لكان الاب اذا
حجب الام فاذا كان هؤلاء يحجبان اذا ان ولد لا يحجب وانها اذ هو بحق الميت وقوله عز وجل من بعد وصية
يوصي بها او دين ذكر الله تعالى الوصية قبل الدين واجمع اهل العلم ان الدين يبداء به قبل الوصية
والميراث وروي عن علي رضي الله عنه قال يقرؤن الوصية قبل الدين وقضى محمد عليه الصلوة والسلام
بالدين قبل الوصية عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين قبل الوصية
والوصية قبل الميراث واجمعوا انه اذا قضي الدين الى اهل الوصايا وصاياهم ان تجاوزا الثلث فيرد
الى الثلث ان لم يجز الورثة ويقسم الثلثان بين الورثة على فرايض الله تعالى وليس معنى قول الله
سبحانه وتعالى من بعد وصية توصي بها او دين ان يخرج الثلث فيبداء بدفعه الى الموصى لهم
ثم يدفع الثلثان الى الورثة لان الموصى له شريك الورثة ان هلك من المال شيء قبل القسمة
ذهب من الورثة والموصى له جميعا ويبقى سائر المال بالشركة بينهم ولكن معناه بعد وصية اعلموا
ان الميراث يجري في المال بعد وضع الوصية من جملته اذا كان الثلث او دونه وان لم دفع ذلك
الى اصحاب الوصايا لم يذكر في الاية قدر الدين والوصية ومن قولهم ان الدين اذا احاط بالتركة
منع الميراث والوصية اذا لم يحط لم يمنع الوصية يجوز قدر الثلث ولا يجوز اكثر من الثلث الا ان
يجيز الوارث والاية لم تخص قدرا من الدين دون قدر وكذلك الوصية لكن تفسيره وما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الثلث والثلث كثير وما روي في خبر اخر ان الله تعالى
تصدق عليكم بثلث اموالكم عند وفاتكم زيادة في اعمالكم لم يجعل له اكثر من ذلك وما روي
في خبر اخر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر وعثمان رضي الله عنهم الحسن اقتصادا والز
جهدوا الثلث حيف ثم الوصية جواز الاستحسان والافضال من الله تعالى والقياس يبطلها
وذلك ان الله تعالى لم يملك الخلق اعين الاموال وانما جعل الانتفاع لهم بها الا ترى انهم نهوا عن اضاعتها
ولو كان اعين المال لهم لكان لا معنى للنهي عن اضاعتها ولو كان اعين المال لهم لكان لا معنى للنهي
دل انه انما جعل لهم الانتفاع الى وقت موتهم وبالموت ينقطع الانتفاع بها فينظر من الاحق بها بعد
الموت الغريم صاحب الدين او الوارث الا جوازا الوصية الافضال من الله تعالى على عباده بقوله صلى الله
عليه وسلم ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم عند وفاتكم دل هذا الخبر انه جوازها الافضال والاستحسان

منه

منه العباده والله اعلم وقوله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين يدل على ان ما ليس بدين ولا يوصي به الميت
فانه لا يخرج من ماله ويبطل عنده نا في هذا الجنس الحج يكون على الاصل والنذور والزكوة واشباه ذلك ليس شيئا
منها دين فاذا لم يوص الميت بها فلا يجب ان يودي من التركة الا ان يتبرعها الورثة فان قال قائل هي دين
كسائر الديون قيل له ارايت ان كان عليه دين وزكوة يبداء بالدين او تقسم التركة بالحصص فاذا قال بالحصص قيل له
كله فان قال يبداء بالدين قيل له لوكانت الزكوة دينا كدين الناس كانت اسوتها في القضاء فان قال اجعل
الزكوة اسوة في القضاء مع الديون قيل له ما تقول في رجل افلس وعليه ديون حل لهم غرمائه فان
قال نعم قيل فان كانت عليه زكوة هل تضرب لها بسهم فان قال لا قيل كيف ضربت لها بسهم بعد الموت فاشبهت
ماله ولم تضرب لها بسهم في الحيوة ان كانت كسائر الديون بعد الموت فيجب ان يكون كسائر الديون في الحيوة
ان الزكوة حاله واجبة على من كان عنده مال فحال عليه الحول فاستهلكه وليس يجوز له تاخير قضاء الديون وفي
… الثلث يبداء … على ان يجب ان يبداء بالدين قبل الزكوة بعد الموت فان قيل قد روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم للمراة التي سالت هل تحج عن ابيها ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته الم يكن يجزئه عنه
فعلى ان الحج دين قيل له ليس فيه دلالة على الوجوب عليها بما فيه لا تحج الحج عن الميت ويقبل انه كان قضاء
ماهو كدين من ديون العباد قضاء صحيحا له الحج الذي هو دون ذلك في التاكيد لغيره ان يقبل كانها … هذا
والله اعلم ودليل اخر ان الزكوة لا يجوز ان يودي عن الميت اذا لم يوص بها لان الزكوة لا يودي الا بنية المزكي
والنية تحل العقب ولاخلاف في انه لا يسع عن الميت ولا يصام عنه فلم يجز ان يقضي عن الميت على الابد
ان يجوز ان يقوم بنية الورثة في اداء الزكوة مقام نية الميت قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل من بعد وصية
يوصي بها او دين ظاهره ان يقوم الوصية على الميراث لكن اجمع ان الابتداء بالدين حق الميراث ولكن يوزع
المتاويل على وجوه احدها ان قوله سبحانه وتعالى يوصيكم الله الى قوله من بعد كانه سوى انه … كانهم
توصوا اوصاكم الله بكذا والثاني ان يكون بعد وصية اي من بعد ما اوصيتم ويكون الميراث بعد الايصاء
ويحتمل من بعد ان كان عليكم الايصاء والدين امركم بالمواريث فيكون فيه نسخ قوله من بعد وصية يوصي
بها او دين غير مضار وصية من الله فدل هذه الاية على حجر بعض الوصايا بقوله عز وجل غير مضار لكن يحتمل
ان يكون المضارة يبطل الفضل ويحتمل ان لا يبطل لقوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا في الرجعة على امضاء الرجعة على
ذلك لكن الاضرار في الرجعة مقصود وفي هذا مقصود فيمكن التفريق بين الامرين فتعالى عز وجل تلك حدود الله
الايتين واوعدهم على تعدي هذه الحدود لا يحتمل مع جواز الفعل واكد ذلك قوله فمن خاف من موص جنفا
او اثما فاصلح بينهم الاية ولو كان يجوز لكان يملك صحة الاصلاح فثبت ان من الوصايا ما يبطل مما كان الله ذكر
في المواريث فريضة من الله فلا يملك ابطال فريضة الله وبالاذن منه يجوز فعله لذلك يبطل بعد وصايا
والاصل في ذلك ان الاموال نسبت للاحياء وخلقت لمنافع الاحياء فكانهم ملكوا منافعها الى انقضاء اجلهم
ثم صارت الى من بهم به ملكوها يجعلها لمن يشاء يضعها حيث يشاء وقد بين عز وجل انها لمن ومن احق بها فسار
الموصي كانه اوصى بحق من بين ان يحفه … غير ان تفضل الله عليه في ذلك من شي والا فذلك كسائر الاملاك
التي ثبت اربابها لم يكن لغيرهم فيها حق الا يجعل او جعل من لم فعل ذلك هذا قد جاء عن الله بيانه بحده بعدان جعل
هذه ايات جعل الحق الى الثلث فذلك له صدقة من الله تعالى في الفضل لصاحب المحمول له جاز والا فالله اعلم
فجعلت للوصية حدا ولم يجعل للدين لان الدين مما يتصل بحوائجه في حال حيوته اوهو يلزم بالاسباب التي بها معه
وعدا ثم صار مقدما على المتروك في الحكم وانما جعلت المواريث في المتروك مما كان الغرماء احق بملكه في
حيوته يعجز عن كثير من التصرف في … هم ولولم لا استمنعوا من المداينات الا بوثايق يكونهم احق بها بعد
الوفات من الورثة او يمتنعون من المداينات وفي ذلك تقصير القوة والاعدية عن معنى الاجل وهو به …
فجعلت الديون كانها استحقت الاملاك في حال الحيوة فلم يجيء سهم التركة وليست كالعبادات لانها
تجب في الفضول عن الحاجات والديون وفي الاصول فليست العبادات ما التي تمنع الوفاء بالاجال ولكان
ياذ بابها اليها تلك الضرورات فانما هي تحق القرب وهي عمل الاحياء فاذا ماتوا زال الامكان وجرت في الاموال
المواريث وكذا المعروف من الدين المذكور في القران في قوله من بعد وصية يوصى بها او دين ان العباد
لا توصف بالديون ولا نفهم من اطلاق القول بالديون فصارت بمعنى الفضل عن الوصايا وان الديون التي
ان توصل وهو الحقيقة ان لا يكون للموصي على عبده دين فتكون المذكور دينا في الافعال كما ذكرت العبادات دين

في الاخرة لا في حقيقة الدم مما كانت هي لله وقد جعل الله له فريضة لا قوام باعيانهم لا يمنع عنهم الا
بالوصية كما جعل للوصي وعلى ان العبادات لا تقوم الا بالنيات ولا يؤدى عن احد في حيوته الا بامره
وان احتمل قيام بعضهما عن بعض وسائر الديون تجوز ودونه فعل ذلك بعد الوفات وان كان كل ما يودى
اليه فهو الذي حدث به الوصية وقبحاه الحدها مما كانت العبادات لا تحتمل لحوق الاموات ولا الايجاب
عليهم في اموالهم ثبت انها حقوق للحيوة خاصة والديون تحتمل فهي حقوقهم في الحالين ثم قد ذكر في الدين
غير مضار بل الديون اقربا الى حروف المنيا ومعلوم انه لا يقع منه في الديون الظاهرة المعلومة مضارة
بالورثة ان كان يقع في الغرماء اذ لم يوخذ منه بلا ايصاء ولا يحتمل التي من حيث الزمان لما فيه الزام المكاسب
في اوقات العجز لقضاء الديون فثبت ان ذلك لا يعرف من الديون وانما يرجع فيها الى قوله فبطل بالذي ذكرنا
جواز اقراره الى كل حال لكل احد اذ لا ضرر يقع من حيث فعله فيرد وقد بينا ان المضارة في هذا تمنع الجواز
فثبت ان من الاقرار ما لا يجوز فقال اصحابنا رحمهم الله لا يجوز اقراره لبعض الورثة وقت الاياس من نفسه
لانه وقت الايثار والسخاء مما عنده من المال ولا يبطل وصية للوارث مما يخرج مخرج الايثار فيحتمل
اذا اخبرنا اقراره فيمن لنظره ولم تمنع الوصية لا ينتفع بل يذهب الكل وفي الاول لم يكن يذهب والله اعلم
ثم الاصل انه يجبر في الكل بحق الامانة ووصية بحق الملك ثم جعل في ورثته كمن لا ملك له اذ قد يقصد به
التفضيل والتخصيص الى القرية فعل ذلك فيما خاف في الامانة يجعل كمن لا امانة له لما يخرج على ما بينا و
اسقاطا لاخبار للتوهم من الامناء اوجد في الاحكام ومن اسقاط المعروف عن الاملاك والله اعلم و
على ذلك فيما كان تسطيه ديون ظاهرة فربتقي الضرر باهلها ببعض من له تبشاة عناية وفيما بينهما حقوق
تجب البعث على المعروف وصلة وقت التسخاء بما له ذي العلم بانه عن الانتفاع به عاجز فيتركهم ذلك بينهم في
الحقوق التي ظهرت ثم كانت عبادات الاحوال قد يقام عن الاموات بالاجر ولا يقام عبادات الافعال
بوجهين احدهما جواز بعض عن بعض باحدا النوعين فيما العباد بلا امر في الحيوة ولا يجوز في الاخر فمثله العبادات
بالامر والثاني ان السبب الذي به تجب عبادات الاموال لا يحول فصل ذلك حق القيام بالاحكام وعلى ذلك
البنات اذ ليست من الحقوق التي تتصل بالاموال في شيء من الاموال لم يقم احد عن احد لذلك لم يجز ان يامر فيكون
الامر بالاجر لما امر نابه والله اعلم وقوله عز وجل اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اختلف فيه قال
بعضهم هذا في الدنيا وهو ان يلزم الابن نفقة والده عند الحاجة والقيام بامره والاب يلزمه ان ينفق على
ولده في حال صغره وعند الحاجة اليه والقيام بحفظه وتعاهده فاذا كان ما ذكرنا لم يدر ايهما اقرب نفعا
نفع هذا لهذا ويحتمل ان يكون قال لا تدرون انتم اي نفع اقرب اليكم نفع الاباء او نفع الابناء فان كان
التاويل ما ذكر ففيه دلالة بطلان شهادة الولد لوالده اذا اخبر ان هذا نفعا في مال هذا ولهذا في
مال هذا فاذا ثبت النفع لم تقبل شهادة من ينتفع بشهادته هذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه انه لا يجوز لـ
الوكيل بالبيع والشراء ان يبيع من ابيه وابنه ووالدته لما ينتفع ببيعه وبالشرى منه وكذلك قالوا اذا
اشترى من هؤلاء ليس له ان يبيع مرابحة الا ان يبين لانه ينتفع به وقيل هذا في الاخرة وروي عن ابن عباس
رضي الله عنه اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يقول اطوعكم لله من الاباء والابناء وارفعكم
درجة عند الله يوم القيمة لان الله سبحانه وتعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض وقيل قوله لا تدرون
انتم في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا في الاخرة في الدرجات الوالد لولده والولد لوالده انهم في الدنيا لا يدرون
ايهم اقرب لصاحبه نفعا في الاخرة حتى يرجعوا في الاخرة قال فان كان الوالد ارفع درجة في الجنة من ولده
رفع الله تعالى اليه ولده في درجته لتقر بذلك عينه وان كان الولد ارفع درجة من والده رفع الله الوالد
الى الولد في درجته لتقر بذلك اعينهم يرفع الاسفل الى الاعلى والادون الى الافضل وهو كقوله سبحانه
وتعالى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم يعني الاباء من عملهم من شيء او
يحتمل ان يكون هذا في الشفاعة او لا يدرى ما ذلك النفع وما مقداره او يحتمل قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم
نفعا ليس على حقيقة الاقرب ولكن على الكبر والعظم وقد يتكلم بهذا كقوله وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها
ليس على ان اية اكبر من اخرى ولكن على وصفا لكل منها بالكبر فعلى ذلك قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
على وصف كل منهم بالنفع على الاعظام والاكبار والله اعلم ويحتمل قوله اقرب لكم نفعا اي اوجب كقوله ان
رحمت الله قريب من المحسنين اي واجب للمحسنين وغيره من الايات وقوله عز وجل فريضة من الله يعني الله تعالى

المواريث فرايض لما ذكرنا لانه كان بايجاب الله تعالى لا باكتساب اذ لم يملك الخلق اعين هذه الاموال ولكنه
انما ملكهم المنافع منها الى وقت وفاتهم فاذا ماتوا صار ذلك المال للذي جعل الله له لذلك تسمى فرايض
وقوله عز وجل ان الله كان عليما حكيما يعني باحوالهم فاذا ماتوا وبمعاشهم ومصالحهم وما يصلح لهم وما لا يصلح
حكيما بما فرض من قسمتها بينهما والحكيم هو المصيب واضع كل شيء موضعه والظالم هو واضع الشيء في غير موضعه
وقوله عز وجل نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد الى اخر ما ذكر فيه مراد الخصوص
وان كان مخرج الخطاب عام لان الزوج او الزوجة اذا لم يكن على دين صاحبه وعلى وصفه لم يجز بينهما التوارث
دل ان ليس لاحد الاحتجاج بعموم المخرج على ما ذكرنا في الولد والوالد والام وغيرهم انه اذا لم يكن بعضهم
على وصف بعض لم يجز بينهما التوارث دل على عموم المراد ثم الاية معطوفة على ما سبق من الايات لانها
ذكرت بحرف العطف والنسق بقوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد والثمن ان كان لكم
ولد بين في الاية الاولى الام وميراث الاولاد ولم يبين ميراث الازواج ثم بين في هذه الاية نسق على الاول
دل ان الازواج والزوجات اذا كانوا معهم فان الحكم لا يختلف فيهم يكون للام الثلث اذا لم يكن هناك
ولا اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا والسدس ان كان له ولد واثنان من الاخوة والاخوات يكون لها
مع هؤلاء ثلث ما بقي حيث نسق هذه على الاولى وقوله عز وجل وان كان رجل يورث كلالة اختلف
في الكلالة قال بعضهم الكلالة الميت الذي لا ولد له وعن الحسن رحمه الله عليه انه قال الكلالة الاخوة
والاخوات من الاب والام او الاخوات من الاب والام او الاخوة والاخوات من الاب ذهب في ذلك الى ما ذكر
في الاية الاخرى قوله ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف
ما ترك فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الى اخر ما ذكر والنصف انما يكون للاخت من الاب وذلك
كلالة دل انها الاخوة والاخوات من الاب وروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال الكلالة
ما دون الولد والولد وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال لقد اتى علي زمان وما ادري ما الكلالة الا
وان الكلالة ما لم يكن ولد ولا والد وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الكلالة ما خلا الولد والوالد
وروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال في خطبته الا ان الاية التي انزلها الله تعالى في اول سورة
النساء في بيان الفرائض انزلها في الولد والوالد والاخيرة والثانية انزلها في الزوج والمرءة والاخوة
من الام والاية التي ختم بها سورة النساء انزلها في الاخوة من الاب والام والاية التي في سورة
الانفال في ذوي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله مما جرت من الرحم من العصبة وروي
عن عمر رضي الله عنه انه قال اذا كانت الكلالة اسم ما يقع على الاخوة من الاب والام وهو ما ذكرنا
في قول ابي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما ان الكلالة ما عدا الوالد والولد فكانوا يذهبون والله
اعلم ان الاعمام وبني الاعمام يرجعون في النسب مع الميت الى جده وقد تكلفهم الاب والام
فسبيلهم في ذلك سبيل الاخوة والاخوات الذين تكللهم الاب والام الا انهم لما كانوا ابعد من
النسب من الاخوة والاخوات لم يرثوا معهم فاجمعوا ان معنى قول الله سبحانه وتعالى ان امرؤ
هلك ليس له ولد وله اخت في الاخت من الاب والام او من الاب اذا مات الرجل لا ولد له
ذكر ولا انثى يعطى الاخت النصف تسمية فقال قوم الشيعة الاية تدل على انه ان ترك ابنة واختا
ان المال كله للابنة ولا شيء للاخت لان الله تعالى جعل لها الميراث اذا لم يكن له ولد فسوى الذكر
والانثى من الاولاد وليس الامر كما قالوا لانا اذا جعلنا للابنة النصف وجعلنا ما بقي للاخت فلم
نعطها ما اعطيناها بالتسمية الا ترى انه لو كانتا اختين كان لهما عند الثلثان ما بقي ولو جعلنا ذلك لهما تسمية
اعطيناهما الثلثين لان الله تعالى جعل لهما الثلثين بالتسمية وليس سبيل ما تاخذه الاخت بالتسمية لا
ينقص سهامها شيئا ما تاخذه من الباقي بغير تسمية الا ترى ان الله تعالى جعل للابوين السدسين مع الولد فان
كانت ابنة واما فلهم النصف وما بقي للاب فقد اعطينا الاب اكثر مما سمى الله تعالى ولكنا لم نعطه
الزيادة بالتسمية فلم يلزمنا الخلاف في زيادته فان خالفونا في ذلك قيل قد سبق لذلك جواب بما يدل
على ان الاب بالباقي اولى من الابنة لذلك لم نذكره في هذا الموضع فان قال الابنة اولى بما زاد على النصف
لان الله تعالى قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فكانت الابنة احق بذلك من غيرها قيل له ان
قول الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض انما اوجب انهم اولى ببعض من الاجنبيين بين ذلك

قوله تعالى من المؤمنين والمهاجرين لانهم كانوا يتوارثون بالهجرة فنسخ الله تعالى ذلك وجعل الميراث لذوي
القرابة وليس في الاية دليل على ان الاقرب اولى بالميراث عن هو ابعد منه في القرابة وقال الله هو يرثها
ان لم يكن لها ولد يقول والله اعلم الاخ من الاب يرث الاخت المال كله اذا لم يكن لها ولد ويرث من الاخ
النصف اذا كان هو الميت وقال الله سبحانه وتعالى فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فاجمعوا ان الرجل
والمرأة اذا مات احدهما وترك اخا واختا فما زاد على ذلك من الذكور والاناث كان الميراث بينهم للذكر
مثل حظ الانثيين فهذا ما نص الله تعالى عليه في فرايض المواريث وقد تكلم اهل العلم في الرد والعول والميراث
في ذوي الارحام فاما ميراث ذوي الارحام بعضهم اولى ببعض فمن زعم ان المال للبيت فلم يجعل بعض
الارحام اولى ببعض بل جعل القربا والبيت من اولى الارحام فكان قول المواتين عندنا اولى وهو قول عمر
وعلي وعبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الا زيد بن ثابت رضي الله
عنه فانه جعل ذلك لبيت المال فان قيل ان قول الله سبحانه وتعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
انما هو فيمن سماه الله لهم سهاما قيل في الحجة دليل انه في غير الذي سمى الله لهم سهاما ما روي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه كتب الى ابي عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ورسوله
ولي من لا ولي له والخال وارث من لا وارث له وروي ايضا ان عمر رضي الله عنه قضى للخالة بالثلث
وللعمة بالثلثين وعن ذر بن حبيش عن عمر رضي الله عنهما انه قسم الميراث بين العمة والخالة وعن عبد الله
رضي الله عنه قال الخالة والدة وعن علي رضي الله عنه انه قال في العمة والخالة للعمة الثلثان وللخالة
الثلث فاخذ علماؤنا في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الجلة من الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين وكان ذلك موافقا لظاهر الاية وعمومها وكان اتباع ذلك عندهم اولى من غيره فاما الكلام في
العول فان ابن عباس رضي الله عنهما كان ينكره ويقول لا نعول الفريضة وعلي وعبد الله وزيد بن ثابت
يقولون بعول الفرايض وروي عن الحارث قال ما رايت احدا قط احسب من علي بن ابي طالب رضي الله عنه
اتاه ات فقال يا امير المومنين رجل مات وترك ابنته وابويه وامراته ما للامراة قال صار ثمنها
تسعا وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره ان ينقص الاب من السدس وقد سمى الله تعالى له السدس
ثم لم يمض على هذا الاصل لانه قال في الابنتين مما سمى الله لهما فلم كانت اولى بالنقصان ثم كذا من غيرهما
وسائر الصحابة ادخلوا النقصان على كل وارث بقدر نصيبه لئلا يلحق النقصان على بعض وياخذ البقية
بكمال نصيبهم وجعلوا ذلك كقوم اوصى لهم رجل بوصايا تجاوز الثلث اذ اجمعت على ان يقسم الثلث
بينهم بالحصص وكقوم صح لهم دين على ميت وترك لا تفي بما لهم جميعا اسوة يلحق كل واحد منهم النقصان
بقدر حصته واما الرد فان عليا رضي الله عنه وعبد الله رضي الله عنه فالاية على اختلاف فيهما فيمن يرد عليه وسبيل
ذوي الارحام لان ذا الرحم بباقي المال اولى من الاجنبيين بقول الله سبحانه وتعالى واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض من لا رحم له غير سهمه وليس في الزوج والزوجة خلاف بين اهل العلم انه لا يرد عليهما ولا
في الاية الرد على غير من اهل السهام ومنع الرد عليهما لانه عز وجل ذكر للابوين السدسين اذا كان له
ولد وسمى للام الثلث اذا لم يكن له ولد ولم يسم للاب شيئا فيرد الباقي عليه وكذلك سمى للذكر من الاولاد
مع الاناث نصيبا بقوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ولم يسم لهم شيئا في حال الانفراد
فيرد الكل عليهم ولم يترك للزوجين ذكر تسمية سهامهما في حال بل ذكر سهاميهما في الاحوال كلها في حال الولد
وفي حال الذي لا ولد له فلذلك منع دليل الرد عليهما وقوله عز وجل غير مضار وصية من الله وفي قراءة وصية
من الله حتى يعلم انهما واحد ثم ذكر المضارة في ميراث الاخوة والاخوات ولم يذكر في الولد والوالد والزوج
والزوجة فهو والله اعلم يحتمل وجهين يحتمل انه ذكر في هذا لانه به ختم المواريث فيكون تلك المضارة كانت هي
كالمذكورة في الاولاد والوالدين والازواج الذي لذلك ختم ويحتمل انه ذكر ههنا المضارة ولم يذكر فيما ذكرنا
لما في الطبع يقصد الرجل الى مضارة الاخ والاخت ومن بعد منه ولا يقصد في المتعارف الى مضارة الاباء
والاولاد ومن ذكرنا فاذ جاء النهي في مضارة من يقصد في الطبع يقصد الرجل مضارته فلان ينهى
عنها فيما لا يقصد في الطبع احق ثم بيان المضارة في الوصية ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
والثلث كثير وقوله ذلك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون وما روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل الخير سبعين سنة فاذا اوصى حاف

في وصية

في وصيته فتختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل
الجنة ثم يقول ابو هريرة رضي الله عنه اقرؤوا ان شئتم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله الى قوله عذاب
مهين وما روي في الثلث وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الاضرار في الوصية من الكبائر ثم قرا تلك
حدود الله الى اخره خالف في الوصية وقوله عز وجل فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه
ثم الاضرار قد يكون ايضا اذا اوصى للوارث ولم يعرض للباقين لانه اضر بالوصية لبعض ورثته الباقين فلا
فرق بين ان يضر بعض الورثة وبين ان يضر الورثة كلهم ففيه دليل بطلان الوصية لبعض الورثة دون بعض
ثم الاضرار قد يكون بالدين على ما يكون بالوصية لانه اذا اقر المريض لبعض الورثة بدين فان اقراره لا يجوز كالا
يجوز وصيته والاقرار بالدين احق ان لا يجوز من الوصية لان الاقرار في المرض جوازه بحق الامانة اذ يجوز جواز
الشهادة والشهادة امانة والوصية جوازها بحق الملك فاذا بطل الوصية لوارثه فاقراره له في المرض احق
ان يبطل وعلى ذلك اذا كان عليه دين في الصحة فاقر بدين غرماء الصحة اولى بدينهم من غرماء المرض
لان في ذلك اقرار الغرماء الصحة لان دينهم قد يتعين في ماله ويتحول من الذمة الى التركة الا ترى انه
ليس له ان يقضي غريما فاذا كان ما ذكرنا لم يكن قسمة المال بين غرماء الصحة وبين من اقر لهم بالدين
في المرض اذ فيه الاضرار بهم اذ قد تعين حقهم فلا فرق ان يكسب الضرر على الوارث وبين ان يكسب الضرر
على الغرماء واذا باع شيئا بقيمته في المرض او استقرض فانه يجوز ويبدا به لانه يعمل للغرماء اذ يقضي ديونهم
مما اخذ وان تزوج او استاجر فيكون اسوة الغرماء لانه لم يعمل لهم انما يعمل لنفسه وليس فيه اكتساب الضرر
على الغرماء فيكون اسوة ثم اذا اضر ثم ورد ذلك الضرر وينفسخ فان قيل ان الرجل قد ينهى عن الاضرار في
نفسه وماله ولو فعل فيجوز قيل ان الاضرار اذا حصل في ملكه او في نفسه ينهى ويجوز لانه لم يفض على
وان احصل في ملك غيره لم يجز ورد وههنا انما حصل في ملك الورثة والغرماء لذلك بطل ولا يوصي باكثر
من الثلث ولا يوصي لوارث ولا يقر بحق ليس عليه مضارة للورثة وقوله عز وجل وصية من الله يحتمل قوله
وصية من الله اي الذي نهى عن المضارة وصية ويحتمل الذي فرض عليكم من المواريث وصية من الله
وفريضة منه والله اعلم وقوله عز وجل والله عليم بمن ضار الورثة وزاد على الثلث ويعلم لم يضار حليم لا
يعجل بالعقوبة على من ضار وعلم العليم والحليم ان يكونا سواء لان ضد الحكيم سفيه وكذلك الحليم وقوله عز
وجل تلك حدود الله قيل فرايض الله التي امر بها من قسمة الميراث ويحتمل حدود الله ماخذ لما حتى
لا يجوز تجاوزها ثم لما فهم من حد الخلق كيف شم من قوله استوى على العرش واستوى الى السماء ما فهم
من استواء الخلق فاذا لم يفهم من حدود الله ما فهم من حد الخلق لم يجز ان يفهم من استوى الله ما يفهم من استواء
الخلق وكذلك لا يفهم من رؤية الرب ما يفهم من رؤية المخلوق ولا يفهم من مجيئه مجيء الخلق ولا من نزوله نزول
الخلق على ما يفهم من قوله تعالى حدود الله والخلق اذ لا فرق بين هذا وبين الاول وقوله عز وجل حدود الله
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وقوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله [illegible]
[illegible]
[illegible]
بعصي الله ورسوله ويتعد حدوده [illegible] فقد تعدى حدوده ومن تعدى حدود

فقد عصى الله ومن يعص الله ورسوله فاذا لم يزاجره امرا ونهيه نهيا وتعدى حدوده يعني احكامه و
شرايعه اي لم يرها حقا يدخله نارا خالدا فيها وله ما ذكر قوله عز وجل واللاتي يأتين الفاحشة من
نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قيل هذان الحكمان في اول
الاسلام الاول منهما المرأة والثاني للرجل وقيل ان الاذى كانت في الرجل والمرأة وان الحبس كانت
في حبس المرأة ويحتمل ان يكون الاذى كانت في الرجل والمرأة وان الحبس كانت في حبس المرأة و
يحتمل ان يكون الاذى في البكر في الرجل والمرأة جميعا وان الحبس في الثيب في الرجل والمرأة جميعا
ويحتمل ان يكون الاذى في الرجال خاصة فيما يأتي الذكر ذكرا على ما كان من فعل قوم لوط وان الحبس
في الرجال والنساء جميعا فان كان الاذى في الرجال خاصة ففيها حجة لابي حنيفة رضي الله عنه
حيث لم يوجب على من يعمل عمل قوم لوط الحد ولكن اوجب التعزير والاذى وهو منسوخ ان كان في هذا
وان كانت في الاول فهي منسوخة ثم اختلف بما به نسخ فقال قوم نسخ بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة لكن عندنا هذا لا يجوز ان يجمع بين حكميهما فكيف يكون به النسخ ولكن النسخ عندنا بالخبر
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر و
الثيب بالثيب البكر يجلد وينفى والثيب يجلد ويرجم ففيه دليل حكم نسخ القرآن بالسنة فان قيل
في الآية دليل وعد النسخ بقوله او يجعل الله لهن سبيلا فانما صار منسوخا بما وعد في الآية من
النسخ لا بالسنة قيل ما من آية وسنة كان من حكم النسخ الا ولو عد فيه النسخ وان لم يكن
مذكورا لان الله عز وجل لا يجعل الحكم في الشيء لا بد ثم ينسخ لانه بدء وذلك فعل البشرية لا فعل
الربوبية فاذا كان ما ذكرنا فلا فرق بين ان ينسخه بوحي فيكون قرآنا يتلى وفيه اخبار كثيرة روي
انه رجم ماعزا لما اقر بالزنا مرارا ورجم ايضا غيره ما روي ان عسيفا لرجل زنا بامرأته وقال اقض
بيننا بكتاب الله تعالى وقال واغد يا انيس على امرأة هذا فان هي اعترفت فارجمها وعن عمر رضي الله عنه
قال خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة
انزلها الا وان الرجم حق اذا احصن الرجل وقامت البينة او اعترف ان قرأناها الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجما بعده وقال قوم الرجم بين
اليهود والنصارى كهو بين المسلمين كالجلد بالآية ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديا
قيل انه رجم بحكم التورية الا ترى انه روي انه دعا بالتورية ودعا علماءهم فامرهم ان يقرؤا عليه فوضعوا
ايديهم على الموضع فيه ذكر الرجم فغيروا ثم فقال ابن سلام انهم كتموا يا رسول الله ثم قرأ فامر برجمهم ولا
شك ان القرآن نسخ حكم التورية لذلك لم يقم عليهم الرجم فان قال قائل ان الحد يقام على من عمل قوم لوط
بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قيل لا يحتمل وجوب الحد عليه بذلك لانه
يختلف حكم هذا من هذا في الحرمة ووجوب المهر وغير ذلك فلا يحتمل ان يعرف حكم شيء مخالف له في جميع
احكامه وجميع الوجوه وقوله عز وجل واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم في الآية دليل جواز القياس
لانه ذكر الحكم في النساء ولم يذكر في الرجال وذلك الحكم وهما لا يختلفان في هذا الحكم ما يلزم المرأة في
ذلك الفعل يلزم الرجل مثله دل ان مما ترك ذكره في المنصوص والاستخراج منه وقال قوم ان على الثيب الجلد
والرجم جميعا ذهبوا في ذلك الى ما روي عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني
قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر يجلد وينفى والثيب بالثيب يجلد ثم يرجم اوجب الجلد والرجم على الثيب
واما عندنا فانه لا يوجب مع الرجم الجلد لما روينا من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
رجم ماعزا ولم يذكر انه جلده وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغد يا انيس على امرأة
هذا فان اعترفت فارجمها لم يذكر هنا الجلد والاخبار كثيرة في هذا وروي انه قال من اصاب
من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله الذي ستره عليه فانه من ابدى لنا صفحته اقمنا عليه
حد الله ثم يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب يجلد ويرجم في اختلاف الاحوال يجلد في حاله
او يجلد ثيب ويرجم آخر لانه لا كل ثيب يرجم لانه اذا كان ثيبا غير محصن لا يرجم دل انه على ما ذكرنا او يحتمل
قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر يجلد وينفى والثيب بالثيب اي البكر مع البكر والثيب فيكون
ثيبا يجلد وثيب آخر يرجم ثم اختلف اهل العلم في نفي البكر فقال قوم النفي ثابت واجب وعندنا

ان كان فهو منسوخ والدليل لنسخه ما روي في خبر زيد بن خالد وكان الرجل بكرا لم يذكر انه نفي وما روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نفى رجلا فارتد ولحق بالروم فقال لا انفي بعده احدا ابدا وما روي انه قال
كفى بالنفي فتنة وان كان فهو عقوبة وليس بحد كحبس الدعارة وغيره والدليل على ان النفي ليس بحد
ان الله سبحانه وتعالى قال في الاماء فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من
العذاب والامة لا تنفى لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زنت امة احدكم فليجلدها
ثم اذا زنت فليبعها ولو بضفير امر بجلدها ولم يأمر بالنفي ولو كان حدا لامر به كما امر بالجلد دل انه ليس بحد
في الحر ولانه اوجب على الاماء نصف ما اوجب على الحرائر ولا نصف للنفي دل انه ليس بحد ولا يجب ذلك
وكان فهو حبس وفي الحبس نفي او ينفيان شيئا اصابا لان كل من راهما يذكر فعلهما فينفيان بذلك انه حد
ولكن ينسيا ذلك ولا يذكر وقوله ايضا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله تعالى فان تابا واصلحا
يخرج على وجهين لو كانت الآيتان في الزنا احدهما ان يكون في جميع الاناث الحبس وفي الذكور الايذاء و
لذلك جمع من الجميع في الخبر الذي به النسخ فارتفع الحبس والاذى جميعا وذلك معقول فاديب الرجل به
انه خبر له وحبس المرأة اقطع لوجوه الزنا او ان تكون الآية الاولى في المحصنات من نساء المحصنين بالمعنى
والآية الثانية في الذكور وعلى تضمن الاناث بالمعنى لكن جرى الذكر على ما ظهر من فضل صيانة الابكار
وفي الاناث ما تدينا وحياء الافتضاح اوبما الغالب عليهن التصون من المحارم والحفظ عن قرب الذكور
ليس بشيء من ذلك في الذكور ولا في الثيبات من الناس على انه بعد بلوغ النساء في قلة الحياء الى ان يعلن
حتى يشهد اربع والغالب عليهن ان لا يحتمل هذا القدر من العدد ثم الدلالة على دخول الكل قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا وذكر لهن على ما جرى به الذكر في
القرآن ثم جمع في التفسير بين الكل ثبت ان الذكر قد يعم الكل وذلك يبطل تأويل من صرف الآية الى
الابكار من الاناث والذكور حتى يحتمل وجوه مثل ذلك بعد النكاح على الخلوة للازواج بهن والاطلاع
على ما فيه السببية الدائمة والبعار اللازم له ثم كشف ذلك بجميع محارمها ثم خوف الانتشار به
ظاهر وكيف يحتمل في مثل ذلك تلك الحال التي تمكن من ذكر بحضرة من ذكر دون ان ينضم الى زوجها
فتأويل من وجه الآية الى الابكار خارج عن المعروف ثم المروي من السنة ثم رجع عليه اهل التأويل
عن صاحبه على هذا جهله بان لا يجوز بيان نسخ حكم بينه الكتاب بالسنة وتحكم على الله تعالى
وعلى رسوله بحجر هذا النوع وقوله عز وجل واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن
اربعة الآية ومعلوم ان عقوبة الزنا تولاها الائمة فكان الخطاب عليهم خرج ثم قد اثبت انفسا
حسنة منهن ولم يأذن في اقامة عقوبتها حتى يستحضر اربعة فيشهدون بها فعن هذا ان ليس للائمة
تولي حد الزنا بعلمهم حتى يكون ثم شهود وفي ذلك لزوم حق الستر الى اقصى ما ينتهي اليه من اعلان
الفعل من الزنا اذ ذلك امر معلوم فيما يحل ان لا يفعل الا في احوال الخلوات التي تعلم حقيقة ذلك
الو لم يكون ما يتم من حيث الكون دونه فانما هو غالب الظن فالذي لا يحل من ذلك ان يكون بحيث لا يعلم
حقيقته ابدا يدل على ذلك جميع الامور التي منها المباح والمحظور منه ابعد من الظهور والعلم من المباح
فعل ذلك امر هذا معنى ابدا ما جعل من هذا الرأي وجهين احدهما الزجر عن هتك هذا النوع من الستر حتى
خرجت شهادة من رمى بذلك بما هتك ستر الله والثاني تحمل الشين بفاعل ذلك ولزوم النسبة صاحب
ذلك وذلك غلة معنى لزوم الشين وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اصاب من هذه
القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فانه من ابدى لنا صفحته اقمنا عليه حد الله فاذا بلغ الفعل الذي حد ما ذكرت
من العقوبة من نهاية الستر النهاية من الاعلان حتى ظهر ذلك الجماعة بفعل من يشتبه فعليه ما ذكرت
استحق ما ذكرت من العقوبة بجراءته على ذلك محله وبغلة حياته حيث اظهر الذي ذلك حقه الستر عقوبة ذلك
الفعل فالزم من اليه ذلك القيام به لله ثم جعل الله في ذلك عقوبات مختلفة على اختلاف اوقات الفعل
واحواله على ما علم من مصلحة الخلق بها وزجرهم وتكفيرهم بها ثم ان الله سبحانه وتعالى جعل اول عقوبة الزنا
في انواع من الخلق ظاهرا يكتسبون به عرض الدنيا وفي ذلك في الاماء حتى قال سبحانه وتعالى ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء الآية وحتى كانوا يدعون الانساب في اولاد الزنا من الاماء حتى بلغ من ظهور ذلك
ان يا يأذن به الحرائر في الطرق تعاميا عن حالهن فنزل قوله سبحانه وتعالى يا ايها النبي قل لازواجك

وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وان كان هذا حالهم فى ذلك
الوقت عليهم خوف مواقعة الزنا وكذلك على الحراير لكثرة ما يؤذين او يسمعن وذلك معنى يبعث من شهوته هم
نفسه وقلة تفكره فى امر عاقبته بما ينزل به او يشينه وقد ركبت هذه الشهوة فى كل البشر فخفف الله عقوبته فى الابتداء
ان جعل فى حبس لا امساك فى البيوت ثم صار ذلك الى الضرب لما ان يحرج الناس وعظم ذلك فى اعينهم وجعل فى الشتم
به المدلس فرا عظم موقعه عند الله وانتهوا عن فعله وقد جعل فى ذلك فى بعض الاحوال الرجم وهى الحال التى
يزول فيها كل وجوه العذر ويرتفع جميع معانى الشبه لعظم امره والثانى ان السبب الباعث على ذلك قرب
بعض ببعض على عظم الشهوة فتغلب عليهم الامر واستعدتهم الشهوة حتى وقعوا ذلك ثم فى الحبس وجهات
احدها الكف عن المعنى الذى يدعوا اليه من الاختلاط وتلاقى الابصار والثانى ما فيه من فصل ضجر وتضييق
الحال اذ جعل ذلك الى الموت فيكون فى ذلك عقوبة من حيث الضجر ومعونة على الكف عنه بالحبس حتى لا يقع
بصر ذكر على انثى والثالث ان يكون فى الحبس ترغيب الارحام فى الحفظ والزام القرابة بعد ما يزجر عن تضييع
حقوق الزجر ويدعوا الى القيام بالكفاية اذا ضيق على الفاعل ذلك وذلك قبل المواقعة الاستعلام
عن الاحوال والجهد والحفظ اذ فى ذلك بعض عقوبة اهل الاتصال من تكليف الامساك والقيام بالكفاية
فيكون ابلغ فى العفاف واقرب الى الصلاح وعلى مثل ذلك جعل امر العاقل ليقوم اهل الصلاح فى كل قبيلة
فى كف اهل الفساد والله اعلم ثم لما انقطعت العادات وقام الناس بالقاهد وتفرق الزيغان حتى لا
يؤذن بالاجتماع لا ان يكون ثم جبل على الاياس من ذلك واتى على قطع الشهوة منهن فجعل فى ذلك حد
وفى ذلك لهن سبيل وذلك والله اعلم يخرج على وجه يجب التامل فى الوجه الذى سمى ما نسخ به الاذى
فى ذلك وذكر فيما ذكر حد مرة ورجم ثانيا ومعلوم ان المعقول به له السبيل والرجم والحد اشد عليهم من
الحبس وقد روى عن نبى الرحمن صلى الله عليه وسلم خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر
بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب يجلد ويرجم فهو والله ان بهذه الشريعة على سبيلهن لا
ان وجب على المحبوسات اقامة ذلك بما قد حبس بالزنا ولكن فى هذه تخلية السبيل على انهن اذا زنين
فعل بهن ذلك على رفع الحبس عنهن اذا حبس بما لم يبين حد ذلك فاذا بين ذلك زال ولا احد حتى يكون
منها ذلك فالسبيل المجعول لهن تخلية السبيل ثم بين الحكم فى الحادث ووجه اخر ان السبيل فى
الحقيقة مجعول لمن كلف امساكهن وان اضيف اليهن بما فيهن ضيق عليهم الامر وذلك كقوله
تعالى فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن والمال الايامى الاجر لكى بمعنى فيهن ذكر الاجر فاضيف
اليهن وعلى نحو ما اضيف اهل القرى الى القرى بالتسمية فاخرجت على تسمية القرى واذا كان المراد اهل
ذلك فى تسمية الاهل التذكير والقرية التانيث فكان جعل المامورين بالامساك فى ان يقيموا الحد
وزوال عنهم مؤنة الامساك والقيام بالكفاية والثالث ان يكون فى طول الحبس ضجر وضيق وحيلولة بين
المحبوس والشهوات كلها بينه وبين الاحباب ويحتمل مثله مرة ايسر على النفس واهون من دوام
الذل والقهر ثم لا يخلص عن ذلك الا بما فى الاول يكون ثمرة فلذلك سمى والله اعلم ذلك سبيلا لهن
ثم دل الخبر الذى ذكرت على امرين احدهما ان الحبس وان كان مذكورا فى النساء خاصة فهو فى
جميع الزنات لانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا فى الذكور
والاناث فى المحصنين وغيرهم جميعا ليعلم ان الحكم يجمع الكل وان كان الذكر فيهن وذلك كما ذكر حد المماليك
فى الاماء وهذا الزنات فى حد المحصنات والحكم يجمع الذكور والانثى من حيث اتفاق المعنى الذى له جعل
فيه فيما نحن فيه والثانى بيان نسخ المذكور من الحكم فى الكتاب بالسنة وذلك لوجهين احدهما انه
لم يوجد على الترتيب الذى ذكر فى القران معا ذكر تخلية السبيل وليس بمذكور فى شىء من القران
ثبت ان ذلك كان بوحى غير القران والثانى انه عليه الصلوة والسلام قال خذوا عنى خذوا عنى ثم
اخبر جعل الله لهن السبيل فدل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى خذوا عنى انه عنه بيان جعل الله
وهكذا معنى النسخ انه بيان جعل الله مدة حكم الاول بما يحدث فيه الحكم وليس قول من يقول فى هذا
فى القران وعد بقوله عز وجل حتى يجعل الله لهن معنى لان كل شىء فى حكم الله انه ينسخه فالوعد فى حكمه قائم
الا ان يقول قائل لا يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان وعد الحكم وانما يصدق ببيان وعد الشرط
فيحتاج ان يحدث منه ايمانا والله الموفق معما اذا جاز ان بعد النسخ المذكور فى القران حقيقة لا فيه يجوز

ان

ان نسخ المذكور وحقيقته لا فيه وبعد فان من يقول هذا بعنه عليه جهله بمعنى النسخ انه البيان عن منتهى حكم
المذكور من الوقت ولا دليل الا الرسول صلى الله عليه وسلم بيان منتهى الحكم من النوع فتلك الوقت ثم انه كان
هذا اول الاسلام فى الاسلام ثبت به نسخ الحكم بالتوبة والعفو اذا كان فيه الرجم وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر الرجم بحكم التوبة وقال انا اول من احيا سنة اماتوها وانا ثبت ان ذلك حكم التوبة ثم ثبت
نسخ حكمه فلا يقام عليهم الرجم الا بعد البيان معلنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اشرك بالله
فليس بمحصن واثر اخبار بالرجم فى القران المحصن وقال فهو عقوبة الحبس فى الاناث خاصة واما فى الذكور فهو
الاذى باللسان والتعزير بقوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية وهو قول حيث كانت النساء يحبسن فى
البيوت واكن حفظهن عن الزنا وتسليمهن الى الاولياء [illegible] اذا حبسوا لحولت نوبتهم
الى غيرهم فيكون عقوبة فعلهن تلزم غيرهم والراحة تكون لهم وانما النساء فونهن فى الاصل غيرهن تعليس
فى الحبس زيادة على غيرهن فذلك عقوبة لهن سوى كان الرجال بحيث يكفى تغييرهم وذلك ابلغ ما يزجر العقلاء
ويحتمل ان يكون ذلك فى الرجال خاصة اذ كان ذكر عن قوم لوط العقوبة وقد علم الله سبحانه وتعالى حاجة الخلق
الى معرفة عقوبة ذلك اذ قد جعل الله تعالى لاتيان النساء حقوقا وحرمات واحكاما ليست فى اتيان الذكور
عن خلاف ذلك فلم يحتمل ان ينزل ذكر عقوبة للذكور فى الزنا بعد ان فرق احكام الامرين فيسه ان يكون
الاية فى ذلك وابتداء ذلك عز وجل انه سبحانه وتعالى قال فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ولم يذكر فى ذلك جعل
السبيل وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فى اقسام الزنا ثبت ان ذلك فيكون عقوبة
عقوبة الاولى فى ذلك اخف من الحد فذلك عقوبة الثانية مما يكون فيما يؤذيان بتوبيخ وهو تعزير وذلك
هو الباقى ابدا اذا لم يظهر معنى النسخ وابدا الذى ذكرت استواء الذكور والاناث فى جميع عقوبات الزنا فى
قديم الدهر وحديثه المماليك والاحرار والابكار وعلى ذلك امرنا بالتاويل لا امروا لنفى المذكور فى الخبر يحتمل
وجوها احدها ما ذهب اليه الخصوم من جملة عقوبات وانه النفى من البلد لكن الحدود اذ جعلت كفارات له
جعلن زواجر وفى الزنا بخاصة اذا امر فيه بالحبس ابدا قطع السبيل اليه وكفى الاشخاص والاخراج من البلد
ان يكى وذلك لو كان عقوبة فهو على الحبس فيمتنع عن وجوه الاجتماع على ما كان من قبل فينفى ذلك العدد منه
لظهور خشوع التوبة وقد يحتمل الايراد بالنفى قطع الذكور ورفع المشتبه فينفى لينسى ذلك فلا يعتبر بذلك و
كذلك فى الاماء ولا فى الكفرة اذ ما فيهم من الذل اعظم مما لا يجب بنسب من ذكرت حد ليعلم تعليم موقع ذلك
فى الاحرار ولو كان على العقوبة فهو منسوخ بما جرت السنة فى الاماء بجلدهن من غير ذكر الحبس وقال الله سبحانه
وتعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والمذكور فى الثيب يحتمل يجلد فى حال ويرجم فى حال اذ لا كل ثيب
تجلد وان كان ثم نسخ بما ذكر من خبر ماعز وغيره وقوله عز وجل فآذوهما قيل فآذوهما بالحد وقيل نال ذوهما بالتعيير
وان تابا واصلحا كفوا عن ذلك وقيل سبوهما لكن ذا قبيح والتعبير اقرب وقوله عز وجل انما التوبة على الله للذين
يعملون السوء بجهالة يحتمل قوله انما التوبة على الله للذين كذا اى توفيق التوبة وهدايته على الله سبحانه
وتعالى اذا كانت نفسه ترغب فيها وتميل اليها على الله ان يوفقه ذلك اذا علم الله منه انه يتوب ويحتمل قوله
انما التوبة على الله سبحانه اى قبول التوبة على الله سبحانه اذا انقلب ورجع عما كان فيه وارتكبه وفى قوله ايضا
انما التوبة على الله لمن ذكر يحتمل قبولها بمعنى ان الذى لا يسوف التوبة ولا ينتظر بها وقت المنع عن ركوب
ما عنه يتوب والاياس من امكان العود الى ما عنه يتوب الله فالله يقبلها اذا كان ذلك دابه وعادته وان
بلغ ذلك الضيق بامر دفع اليه او كان يتوب من قريب من الذنب فان لا يستخف به فيقولنا الرجوع لعله
سبالاته فلا يقبلها ممن هذا وصف توبته وحال استحقاقه بالذنب والثانى يكون توفيق التوبة والهداية
اليه ممن يفزعه ذنب ويبعثه على الرجوع الى الله تعالى والتعرض لرحمته واحسانه ولا يوفق من لا يبالى بالذنب
يذكر ويتضرع اليه وقيل الاول فى الصغاير والثانى فى الكباير والثالث فى الكفر بان صاحب الصغيرة ارق
قلبا واخص ذكرا له ورجوعا الى ربه وصاحب الكبيرة اقسى قلبا من الاول والثالث فهو لا يندم الا بعد شدة
وبعد طول المحنة وضيق القلب فليس على الله قبول توبته من توبته فى تلك الحال ولا توبة من
بان منه ما الاصلح بالذى عليه قبول ذلك ولكن بفضله ورحمته يقبل وتوفيق له بما كان منه من الخيرات
والحسنات التى هن اسباب التقرب الى الله سبحانه وتعالى والكافر لا يقبلها اذ هؤلاء يتوب حتى يموت
فيستيقن بالعذاب والله اعلم ويحتمل ان يكون هذه الاخرة فى الكبار فيكون فيهم من يظهر التوبة عند

الضرورة والدفع الى الحال التي يزول عنه وسع الامكان وياس من الامهال ليصل الى ما له كان يذنب فالله
لا يقبل توبته اذ ليس في الحقيقة توبته توبة ممكن بل توبة مضطر وتوبة دفع ما حل به اذ هو وقت يشغل عن
عن الاستدلال وعن التوقف عن الاسباب من جهة التامل والنظر ولا يرى غير الذي اقبل عليه بطلب له
الخلاص بالذي يبذل والله اعلم وقوله عز وجل يعملون السوء بجهالة هذا ايضا يحتمل جهل الفعل يقع منه
من غير قصد ويحتمل قصد الفعل والجهل بموقع الفعل والعمل بجهالة يخرج على وجوه يكون عن غلبة تغلب عليه
شهوته فيعمل ذلك العمل على طمع منه انه سيتوب من بعد ويصير رجلا صالحا على ما فعل اخوة يوسف قالوا او
اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين سماهم جهلة بذلك في اية اخرى حيث قال لهم
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون ويحتمل العمل بالجهالة عقوبة عمله على ذلك وكذلك الخطأ
والنسيان على وجهين خطاء الفعل وهو الذي ليس بصواب ولا رشد وخطاء القصد قصد الفعل وهو الذي
قصد احدا فاصاب غيره والنسيان على وجهين ايضا نسيان ترك وهو الذي يجوز ان يضاف الى الله سبحانه ودفع
من هذا الوجه قيل نزل قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الاية في المؤمنين وقوله وليست
التوبة للذين يعملون السيئات الى اخر الاية في الكافرين وقيل فيهما جميعا في المؤمنين والثالثة في الكفار وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من تاب قبل ان يغرغر نفسه ويعاين الملائكة قبل الله توبته والاصل في هذا ان توبة الكافر تقبل اذا كان توبة
اختيار واما اذا كانت توبته توبة اضطرار ودفع فانها لا تقبل ابدا لقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل اذا كان ايمانه ايمان دفع واضطرار عند معاينة العذاب فانه لا يقبل ابدا وايضا وهو ايضا كايمان
فرعون حيث قال حتى اذا ادركه الغرق امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل الاية لم يقبل ايمانه
لانه ايمان دفع واضطرار فعلى ذلك كان الايمان ايمان دفع واضطرار فانه لا يقبل ابدا وكقوله فلما راوا باسنا
قالوا امنا بالله وحده وقوله عز وجل وليست التوبة يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الان هم الذين يتوبون عند معاينتهم الموت اخبر انه لا يقبل توبتهم لانهم يتوبون في الاخرة
دفع العذاب عن انفسهم كقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قال بعضهم كان يجوز لهم ان يرثوا النساء طوعا لانه انما نهى ان يرثوهن
كرها فكان فيه دليل جواز لهم ان يرثوا النساء طوعا لانه انما نهى ان يرثوهن كرها فكان فيه دليل
جواز وراثتهن طوعا واما عندنا فانه ليس فيه دليل جواز وراثتهن طوعا وان كان النهي انما كان في
حال الكره لان الاصل عندنا ان ليس في خطر الحكم في حال دليل اباحته في حال اخرى ولا في اباحته
في حال دليل حظره في حالة اخرى ولا في حله في حال دليل حرمته في حال اخرى ولا في حرمته في حال دليل
حله في حال اخرى دليل ذلك قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس على ان لهم ان يقتلوا
اذا لم يخشوا الاملاق وقوله عز وجل انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وقوله فان خفتم
الا تعدلوا فواحدة والقصة في الاية ما قيل ان الرجل اذا مات وترك امرءة كان اولياؤه احق
بامرءته من ولي نفسها ان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها فنزلت الاية في ذلك وقيل ايضا
كانوا في اول الاسلام اذا مات الرجل اخذ اقرب الناس منه فيلقي على امرءته ثوبا فخيرت نكاحها
طوعا وكرها فنزلت الاية في ذلك والاية عندنا خرجت مخرج بيان التحريم على ما كانوا يفعلون دليل
ذلك قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف نهى الابناء ان ينكحوا ما نكح اباؤهم من
النساء فدل ان النهي كان في الحال جميعا في حال الكره والرضاء والله اعلم وفي قوله لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها الاية تحتمل حرمة وراثتهن ابدا وان ذكر كرها لاوجه احدها ان ليس في ذكر الحرمة في وجه او ذكر
الحكم دلالة تخصيص الحال كقوله سبحانه وتعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقوله فان خفتم الا
تعدلوا فواحدة وقوله عز وجل انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن انهن يحللن وان لم يؤتين
اجورهن واذا لم يصر ذلك شرطا فيما ذكرنا قال الله عز وجل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها والله
اعلم والثاني ان يكون الوراثة ابدا يكون كرها تجب الميراث شاء من شاء وله اولاد اذا كان هذا وجه الوراثة
قد ذكره ذلك سواء والثالث انهم كانوا يتوارثون النكاح وهو امر لا يحتمل الانقسام ولا عند الاشتراك
الاستمتاع فكان ذلك على تراض منهم لواحد او ان يكون فيما كانت الوراثة يرجع الى واحد فيكون ذلك

يجي

يجيء النكاح لا الميراث فاذا حرم النكاح في حق من يرث من الذكور وهم الاباء والابناء فبطل الميراث ولو كان
يجوز ان يورث ثم دلت هذه الاية في قطع وراثة منافع الابضاع ادوم من ملك الاجارات وان فيجب
ان يكون قطع الاجارات اولى ودليل اخر على بطلان الوراثة ان المرءة قد ترث الميراث فيكون وراثة بعض
نفسها فيبطل من حيث يراد اثباته وقوله عز وجل لا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين
بفاحشة مبينة اختلف فيه قال بعضهم هو المعطوف على وهو ما ذكرنا من الوراثة نهاهم ان يعضلوهن
لتذهبوا بما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة قيل لم يكن يومئذ عقوبة اذا اتت المرءة بفاحشة
سوى اخذ المهور منها وكانوا يمسكونها على الوراثة فاذا اتت بفاحشة اخذ ما اتاها ثم يسرحها
فان قيل انما نهاها عن الوراثة فالولي اذا ورثها وانت هي نفسها فيبطل بذلك والنهي لذلك قيل
لو كان لذلك فالمرءة اذا كانت ممن لا يرث عن الزوج مملوكة يجيء ان يحل ذلك اذ لا وراثة فاذا لم
يجز دل انها خرجت على بيان التحريم والله اعلم وقيل في قوله عز وجل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما اتيتموهن على الابتداء ليست على الاول نهى الزوج ان ياخذ منها ما اتاها من المهر الا ان ياتين
بفاحشة مبينة اختلف في قوله تعالى بفاحشة قال بعضهم هو الزنا وهو ما ذكرنا وقال اخرون
الفاحشة ههنا هو النشوز اي اذا نشزت فلا باس ان ياخذ منها ما اتاها وقيل هو ما ذكره عز
وجل في اية اخرى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا لا تاخذوا منه شيئا الا ان يخافا الا
يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به نهى الازواج ان ياخذوا منهن شيئا الا عند ما يخافا
الا يقيما حدود الله فحينئذ اباح اخذ ما افتدت به فعلى ذلك قوله فلا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وما ذكر من النشوز وخوف ترك اقامة حدود الله
فعند ذلك اباح لهم اخذ ما اتاها والله اعلم وقوله عز وجل وعاشروهن بالمعروف اختلف فيه قيل هو
كقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف وكقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح
باحسان وقيل وعاشروهن بالمعروف في كلامها وبرها والانفاق عليها والاحسان اليها والاحتمال عما
لا يليق بها من الشتم والايذاء وغير ذلك بالمعروف يحتمل بالفضل ويحتمل كما قالوا فعل بك مثل ذلك
لم ينكره بل تعرفه وتقبله وقوله عز وجل فان كرهتموهن قيل فيه بوجهين قيل كرهتم صحبتهن من قبحهن
ودمامتهن او سوء خلقهن فصبرتم على ذلك يجعل الله فيه خيرا كثيرا قيل يهب لكم منهن اولادا
تقر بهم اعينكم او يعطي لكم في الاخرة ثوابا جزيلا بصحبتكم اياهن وقيل في قوله عز وجل فان كرهتموهن
اي كرهتم فراقهن ويجعل الله تعالى في الفراق خيرا كثيرا كقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
وقوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا من الذهب وعن
ابن عباس رضي الله عنه قال ان كرهت امراتك او اعجبتك غيرها فطلقت هذه وتزوجت تلك
فاعط هذه مهرها وان كان قنطارا والقنطار اثنى عشر الف درهم والف دينار وقيل القنطار
الف ومائتا دينار فهذا على التمثيل ليس على التقدير ووجه النهي والوعيد في ذلك والله اعلم وما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان النساء عندكم عوان اتخذتموهن بامانة الله تعالى
واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى فوعد عز وجل الازواج في غير اي من القران عن اخذ مهور النساء و
من الاموال لضعفهن في انفسهن والرجال القوامون عليهن لما يبسط الازواج في اموالهن اشفاقا
عليهن ولما اخذ منها مهرها بقيت له المنفعة بلا بدل لكنه اجبر له ذلك لانه تقلب في الملك وكل من
تقلب في ملكه ببدل ياخذه جاز له ذلك وقوله عز وجل اتاخذونه بهتانا قيل ظلما بغير حق وقيل اذا
طلقها لا يضارها بكذب لتفتدي منه مهرها واثما مبينا ويحتمل ان يكون البهتان والاثم واحدا وقوله
عز وجل وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض وقيل الافضاء هو الجماع والاشبه ان يكون
الافضاء الاجتماع لانه اضاف اليهما جميعا فهو بالاجتماع اشبه واليه اقرب فيجب المهر بالاجتماع
والخلوة فيها والجماع فعل الزوج يضاف اليه خاصة وقوله عز وجل واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل
عقدة النكاح وقيل هو ما ذكرنا في قوله تعالى امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الميثاق الغليظ
ما ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله في النساء فانكم انما اتخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله وانهن عندكم عوان لا يملكن من امرهن شيئا وقال النبي صلى الله عليه وسلم

يا ايها الناس ان لكم على نسائكم حقا وان لهن عليكم حقا وان من حقكم عليهن ان لا يوطين فرشكم ولا
ياذن بيوتكم لاحد تكرهونه ولا ياتين بفاحشة مبينة فانهن فعلن ذلك فقد احل الله لكم ان تضربوهن
ضربا غير مبرح بغير شاين وان من حقهن عليكم الكسوة والنفقة بالمعروف وقيل ان رجلا سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يحل لنا من نسائنا وماذا يحرم علينا منهن فقال صلى الله عليه وسلم حرثك
فاته ان شئت ولا تضرب الوجه ولا تقبحه ولا تهجرها الا في بيتها واطعمها اذا اكلت واكسها اذا اكتسيت و
قيل الميثاق الغليظ ما اقروا به من قول الله واسكوهن او سرحوهن بمعروف **وقوله** عز وجل ولا تنكحوا
ما نكح اباؤكم من النساء حرم الله تعالى على الابناء نكاح نساء الاباء وذلك انهم كانوا يعلمون في الجاهلية
ما قيل في القصة ان ابا قيس توفي فعمد ابنه يقال له محصن فتزوج امرأة ابيه فنهى الله تعالى عن ذلك ثم
فقال عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وقيل ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج سالا سيفه فقيل له ما شانك فقال ان رجلا تزوج بامرأة ابيه فهذا اذا تزوجها مستحلا لها
فهو يكفر لذلك كان قصد قتله ولذلك حرم الله سبحانه وتعالى ان نكاح نساء الابناء بقوله تعالى وحلائل
ابنائكم **وقوله** عز وجل الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا اى انكم اذا انتهيتم عن ذلك في الاسلام
يغفر لكم ما قد سلف وان كان فاحشة اى صار فاحشة في الاسلام ومقتا قيل بغضا وساء سبيلا
اى بئس المسلك تزوج نساء الاباء ويحتمل ان يكون الاية في الطلاق اذا كان الرجل يطلق امرأته
ثم يندم على طلاقها فيتزوجها ابنه فيمقت ذلك الاب ويبغض **وقوله** عز وجل وساء سبيلا اى
بئس السبيل نكاح امرأة ابيه حيث مقت ابيه الملك **وقوله** عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
الاية وجهين يحتمل حرم عليكم الاستمتاع بامهاتكم وبناتكم واخواتكم وما ذكر والجماع بهن ويحتمل
حرمة النكاح اى حرم عليكم نكاح امهاتكم وبناتكم واخواتكم فان كان هذا اراد فلا يحرم النكاح نفس
النكاح ولكن يحرم لما به يوصل الى الاستمتاع بالشباع والبه يقصد فدل انه يحرم الجمع بين الاختين
في الاستمتاع في ملك اليمين ولا يحرم الجمع بينهما في العقد ثم ذكر الحرمة في الامهات والبنات ذكر
في الجدات وان علون في البنات وان سفلن لانه ذكر الحرمة في العمات والخالات والعمات من ولد
الجد والخالات من ولد الجدات فانما ذكرت في الاولاد والحرمة في الاخوات والاخوة فعل ذلك
ذكر الحرمة في الامهات ذكر الحرمة في البنات وبنات البنات لما ذكرنا او ان يقال ان بنات البنات
وان سفلن قد دخلن فذكر الحرمة نصا وكذلك ام الام وان علت قد دخلت في الخطاب عز وجل
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة ذكر الامهات من الرضاعة والاخوات ولم
يذكر البنات قال انما يذكر البنات من الرضاعة البنات لذلك لم يذكر وذلك الاختلاف بيننا وبينهم
في لبن الفحل عندنا لبن الفحل محرم وعند بشر لا يحرم ولبن الفحل ذكر الله سبحانه وتعالى الحرمة في النسب
بيننا وبين بيان احاطة حقيقة وذكر الحرمة في الرضاع وبين بيان كفاية لا بيان احاطة فاما ان ترك
للاجتهاد والاستنباط من المذكور وقد اجمعوا جميعا ان بنات الاخوة والاخوات والاخوات من الرضا
كالذكر في الاولاد فعلى ذلك يجب ان يكون ذكر الحرمة في الامهات من الرضاعة ذكرا في بناتها او ترك
بيان ذلك للسنة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
وما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء عمي من الرضاعة فاستاذن علي فابيت ان اذن له حتى
اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال
انه عمك فاذني له فقلت يا رسول الله انما ارضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه عمك فليلج عليك فقالت عائشة رضي الله عنها وذلك بعد ان ضرب علينا الحجاب وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه سئل عن رجل له امرأتان او جارية وامرأة فارضعت هذه جارية وهذه غلاما
هل يصلح للغلام ان يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد وعن عمرة عن عائشة رضي الله عنها انها
اخبرتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها وانها سمعت رجلا يستاذن في بيت حفصة
رضي الله عنها قالت عائشة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله هذا رجل يستاذن في بيتك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اراه فلانا لعم حفصة من الرضاعة فقالت عائشة رضي الله عنها
يا رسول الله لو كان فلان حيا لعمها من الرضاعة دخل علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

نعم

نعم ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة وعن علي رضي الله عنه لا تنكح من ارضعته امرأتك امرأة ابيك
ولا امرأة اخيك ولا امرأة ابنك وعن عائشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابي القعيس فاستاذن عليها
وهو عمها من الرضاعة بعد ان نزل الحجاب قالت فابيت ان اذن له فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبرته بالذي صنعت فامرني بان اذن له على وجه اخرى من النظر بان الله تعالى حرم الابنة على ابيها
وعلى جدها والابنة حدثت عن ماء الاب بعينه ولم تحدث عن ماء الجد ولكن الجد سبب ماء الاب الذي
حدثت عنه الابنة قال فاللبن وان كان حدوثه من الام فان سبب كونه هو الاب فيجب ان تحرم المرأة
التي ارضعتها امرأته عليه اذا كان سببا لذلك اللبن كما يحرم المضع اذا كان سببا على التي ارضعته ثم
بقيت مسئلتان احديهما في التقدير والاخرى في الجد وما في التقدير فعموم قوله سبحانه وتعالى وامهاتكم
اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة لم يخص قدرا دون قدر وروي عن علي وعبد الله قال الرضعة
الواحدة تحرم فان قيل روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان فيما نزل عشر رضعات ثم صرن
الى خمس فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو فيما يقرأ وقيل لسنا فيما نجد في القران اية الناسخ ولا
اية المنسوخ ولا يجوز ان يغادر من القران شيء فلا نترك ما نجده ثابتا في القران محفوظا برواية لعلها
قد غلطت فيها وروي عنها انها قالت تحرم من الرضاع ما انبت اللحم والدم وروي عنها ايضا انها
قالت لا تحرم المصة والمصتان ولا الاملاجة والاملاجتان فذلك لابن عمر رضي الله عنه فقال حكم الله اولى وخير
او كلام نحو هذا من حكيها وعن عمرو بن دينار قال سالت ابن عمر رضي الله عنه فذكر شيئا من الرضاع
فقال لا اتعلم الا ان الله تعالى حرم الاختين من الرضاعة قال فقلت ان امير المؤمنين ابن الزبير يقول
لا يحرم المصة والمصتان ولا الاملاجة ولا الاملاجتان لما لم يتحقق بالمصة والمصتين ان اللبن قد حار
في جوف الصبي ووصل اليه فلذلك لم يحرم به واما المسئلة في الحد ان الرضاع في الكبر لا يحرم عندنا وما
روي في خبر عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم دخل عليها فراى عندها رجلا فتغير وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقالت انه عمي من الرضاعة فقال انظرن ما الرضاعة
انما الرضاعة من المجاعة وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرضاع ما انبت اللحم
انما يكون في الصغر لان امعاء الصبي تكون ضيقا لا يحتمل الطعام لضيقه واما فتقه باللبن عليها
على ما وصفه عز وجل لبنا خالصا سائغا للشاربين فاذا كان غذاؤه انما يكون باللبن الذي
وصفنا كانت كفاية مجاعته به وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم انما الرضاعة من المجاعة
وكذلك ما روي الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم وفي الكبر لا ينبت اللحم ولا ينشز العظم وروي
زاد ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرمة تحرم كما تحرم
حولان كاملان فان ثبت هذا فهو الاصل في ذلك والمعتمد عليه فان عورض بما في خبر سالم حيث
قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضعي سالما خمس رضعات تحرمي عليه فقيل هذا يحتمل
وجهين يحتمل ان يكون ذلك لسالم خاصة دون غيره من الناس فاذا كان كذلك لا يقاس عليه غيره
ويحتمل ان يكون منسوخا بما روينا من الاخبار المرفوعة والموقوفة بايجاب الحرمة بالقليل منه والكثير
وقوله عز وجل وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن الاية
اجتمع اهل العلم في الربيبة على انها لا تحرم على الرجل الذي كان تزوج امها وطلقها قبل الدخول
بها او ماتت وانما تحرم عليه اذا دخل بها واختلف في ام المرأة اذا لم يدخل بالابنة حتى ماتت منه
قال اصحابنا رحمهم الله هي حرام عليه كان دخل بالام او لم يدخل وقال اخرون شرط الدخول في اخر القصة
راجع الى الربيبة والام جميعا فلما لم يدخل بواحدة منهما حل له ان يتزوج بالاخرى اذا فارقها وهو
القياس الظاهر في الكتاب في امر الشرط والثنيا ان يكون الشرط فيهما جميعا لانه قال الله تعالى وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر امهات النساء وربائب النساء
ثم شرط الدخول بهن فيجب ان يكون الشرط لاحقا بهما جميعا وكذلك روي عن علي رضي الله عنه
قال هي بمنزلة الربيبة وعن جابر قال تنكح امهات النساء وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه افتى
في امرأة تزوجها رجل فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت قال لا باس ان يتزوج امها فلما اتى المدينة
رجع فاتاهم فنهاهم عن ذلك فقيل انها ولدت او لا فقال ولو ولدت الى هذا يذهبون او لئك

هو الظاهر من الاية واحتج بعض اصحابنا في ذلك ان الشيء الملحق في اخر الكلام ربما يلحق الكل مما تقدم من الكلام وربما يقع على ما يليه فلما كان غير ملحق على الكل من المذكور وقع على ما يليه فان قيل يلحق على ما تقدم من الذكر بما لا يحتمل ليس على ما لا يحتمل الا ترى ان الله تعالى قال حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله الى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم ثم يلحق الكل ولا وقع على ما يليه خاصة ولكنه لحق على ما احتمل عليه فعل ذلك في هذا لم يلحق الكل لانه لا يحتمل ووقع على الام والربيبة لانه يحتمل واحتج اصحابنا رحمهم الله ايضاً ان الحرمة قد تثبت بقوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم الى قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم فلا تستحق بالشك وفي الربيبة لم يثبت الا بالشرط فلا تحرم بالشك وقيل ايضاً ان الدخول لو كان شرطاً في الام والربيبة جميعاً لاكتفى بذكر نساء الامهات والربائب فيقول امهات نسائكم من ربائبكم اللاتي دخلتم بهن ولم يحتج الى ان يذكر ربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن على ما اكتفى بذا الحرمة في الانساب والرضاع في الاصول على الشعوب فلما لم يكتف بذلك دل ان الربائب مخصوصات بالشرط دون الامهات ومما بين ذلك ان الربيبة لو لم يذكر لم يجز ان يبقى من الكلام وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن ولو لم يذكر الامات ضيق من الكلام وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن كان كلاماً تاماً فدل ذلك على ان قوله تعالى من نسائكم انما هو في الربائب دون الامهات واصله ما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل تزوج امرءة فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت عنده فلا باس بان يتزوج ابنتها وايما رجل تزوج امرءة فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت عنده فلا يحل له ان يتزوج امها وعن ابن عباس وعمران بن حصين في امهات نسائكم فالاية مبهمة وقال اكثر اهل العلم اذا تزوج الرجل امرءة ودخل بها لم يجز له ان يتزوج ابنتها وان لم يكن ربيبة وفي بيته وحجره ومما في ذلك بمنزلتها لو كانت في حجره ربيها واجمعوا جميعاً ان الجمع بين المرءة امها وابنتها في الجماع في ملك اليمين حرام وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن ذلك فقال ما احب ذلك فان قال قائل ان الخطاب كما ذكرت يدل على ان الشرط في الدخول بالامهات انما هو سبب الربائب في يكون حكم الامهات حكم الربائب كما كان حكم الحلايل الابناء حكم نساء الاباء قيل لا يجوز ان يقاس المنصوصات على بعض وانما يقاس ما لا نص فيه على المنصوص فبطل ذلك الاعتلال والله اعلم ثم يجب ان ينظر الى الحكمة اوجبت تحريم بتحريم الجمع بين محارم الرجال ومحارم النساء وروي عن انس رضي الله عنه قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بوا يكرهون الجمع بين القرائب في النكاح وقالوا لانه يورث الضغائن ادكلام نحو هذا تحصل له بالاخوة بين منهم فقال ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم روي مرفوعاً انه لا تنكح المرءة على عمتها ولا على خالتها وروي في بعضها انه يوجب القطيعة وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كره الجمع بين بني عم وقال لا احرم ولكن اكره لانه يوجب القطيعة فلم يحرم لان صلة القرابة فيما بينهما ليست بمفترضة والصلة بين المحارم مفترضة فالجمع بينهما يحمل على القطيعة يحرم وعلى ذلك في نساء الاباء وحلائل الابناء اذا فارق من هولاء واحد امراته فلعله يندم على ذلك فيريد العود اليها فاذا تزوجها ابوه او ابنه اورث ذلك فيما بينهما الضغائن والقطيعة لذلك حرم والله اعلم وكذلك هذا المعنى في الابنة اذا طلقها ثم تزوج بامها على الضغينة فيما بينهما واما اذا تزوج الام ثم فارقها قبل ان يدخل بها حل له ان يتزوج بابنتها لان الام تؤثر ابنتها لان الام على نفسها في المتعارف فلا يحمل ذلك على القطيعة والابنة لا تؤثر امها على نفسها بل تؤثر نفسها على امها كذلك كان ما ذكروا ما اذا دخل بالام لم يحل له ان ينكح بالابنة لانه يذكر استمتاع هذه فيكون جامعاً بينهما في الاستمتاع لذلك حرم ثم اختلف في الجماع والدخول بها اذا كان من غير اشد قال اصحابنا رحمهم الله يحرم الحلال ويمنع نكاح الربيبة كما يمنع الحلال وقال قوم لا يحرم ولا يمنع النكاح الربيبة واستدلوا في ذلك بقول الله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم لان الله تعالى حرم ربائب النساء اذا دخل بالامهات والمزني بها ليس بزوجة للزاني فلا يحرم ابنتها لكنه لا حجة لهم في ذلك وذلك ان الله تعالى عز وجل

الذكر الدخول ولم يذكر النكاح ولا خص الدخول في النكاح بل ذكر الدخول وهو على كل دخول رشداً كان او سفاحاً والسفاح احق في الحرمة من الحلال اذ حكم اغلظ واشد فعل ذلك في ايجاب الحرمة من الحلال يحق وان يكون اشد واغلظ وهو لو كان ذكر الدخول ههنا في النكاح لم يكن فيه ما يمنع وجوب الحرمة اذا كان في غير النكاح الا ترى الى قول الله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم والربيبة التي لا يكون في حجر الرجل مثلها في الحرمة ولم يجعل قوله تعالى في حجوركم خصوصاً فيها دون ما اشبهها وكذلك يجوز ان لا يجعل قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن خصوصاً الدخول بالزوجات دون ما اشبههن وهي الموطوءات معاً ذكرنا ان ليس في الاية دكرناه لذلك لم يجئ فيه دليل الحظر في غيره وبعد فانا قد ذكرنا فيما تقدم ان ليس في خطر شيء في حال الحظر في غير تلك الحال والحرمة من ذلك الاستمتاع انه اذا استمتع بالاخرى ولا يحل له ان يتزوج بالاخرى الا ترى الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر الى فرج امرءة وابنتها ومعلوم انه لا ينظر الى فرجيها في وقت واحد وانما ينظر في وقتين فهو والله اعلم اذا نظر الى فرج الاخرى يذكر نظره الى فرجها في وقت نظره الى فرج هذه فهو كالقاضي وطره فيهما كذلك في الزنا كهو في النكاح والله اعلم على انهم اجمعوا ان من وطئ امة له ان يتزوج ابنتها فدل ان الدخول بهما في النكاح وفي غير النكاح سواء وانه محرم وما اجمعوا عليه ايضاً انه اذا وطئ امرءة في النكاح الفاسد لشبهة حرمت ابنتها عليه وهو وطئ حرام فدل هذا على ان التحريم انما يكون بالاستمتاع بها لا غير وروي ايضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر الى امرءة لم تحل له امها ولا ابنتها وعن عمران بن حصين في رجل زنى بام امرءته قال حرمت عليه امرءته وعن عبد الله قال لا ينظر الله الى رجل نظر الى فرج امرءة وابنتها الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا رحمهم الله تعالى وقوله عز وجل وامهات نسائكم وربائبكم الاية الاصلات الله سبحانه وتعالى بين المحرمات في الانساب ببيان الابلاغ وفي غير الانساب ببيان الكفاية اذ بين في الانساب الحرمة في الطرفين في اللواتي علون وسفلن نحو الامهات والبنات ثم اللواتي ينفصلن بالاباء والامهات نحو العمات والخالات ثم في اللواتي يشتركن الطرفين بالاسم كالاخوات وذكر في الرضاع من الانفس احد الطرفين وفي الشعوب ما يشتركن الطرفين على الاكتفاء بذكر طرف من الانفس عن الطرف الاخر وبذكر المشترك من الشعوب على الاكتفاء به عن ذكر المنفردات فعل ذلك ان امر الانفس في الخطاب المحرمات فلما ذكر في ذلك الامهات والبنات جميعاً على ما ذكر في الواحد فيما كان المذكور في نوعه يحق الكفاية من البيان لا يحق الابلاغ دل ان ذلك لما يريد بالتفريق من الامرين وايد ذلك خبر عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقاويل جماعة الصحابة معاً كان في ذلك امكان شبهة تحقيقه انه لو اقتصر على ابتداء الاية الحرمة بالعقد لايراد ذلك بالشك على ان الوجه الاعتبار الاستواء في الحرمة قبل الدخول ليكون حرمة الابنة على الام في زوجها حرمة الام عليها على ما عليها امرأة الابن من الاب في زوجته لكن فرق من حيث اساءة الرجل في الاختيار اذا اختار الام على الابنة ان علم او الغفلة ان لم يكن علم وحق مثله الزجر عنه والتوبيخ عن مثله فجعل له مفارقتها الابنتها وقد يعلم بذلك قبل الدخول على ان المدخول مذكر له ماكان بها وقد حرم ذلك الجمع حرمة ابدية ما ينبغي ان يجعل عما ذكر وسبيل الحظر بالقلب والله اعلم وليس امر الابن والاب هذا اذ لهما في الابتداء الاختيار والايثار وكل يؤثر الذي له على الذي هو لغيره وفي النساء وانما يجب بعد الخطاب وليس منهن عرض لذلك لم يعتبر حالهن على ان الامهات في العرف يؤثرن لذات بناتهن على لذاتهن فلا يلحقهن في الفراق لاجل البنات غضاضة ويلحق للبنات فلذلك فرق وانما بعد الدخول فهو موجب الحرمة لا من حيث الايثار اذ من جهة حرام او حلال يوجب ذلك فلذلك اختلف الامران قال بعض دل تخصيص ذكر الاصلاب في حلائل الابناء على دفع حرمة نساء الرضاع او على ان لا يكون الابن الا من الصلب ونحن نقول لا دلالة فيه على ما ذكرنا لو استدل به على الكون كان اقرب ذخص ذكر الاصلاب ولو لم يكن الابن الا من الصلب لكان القول بحلائل الابناء ابنائكم كافياً عن ذكر الاصلاب مما جنبه وجوب الالحاق لقوله يحرم من الرضاعة ومعلوم ان الحرمة من الولادة بما كان سبباً له فكذلك يصير رضعاً لما كانت هي رضعة وان لم يكن من حقيقة الارضاع لما كان هو بسبب ما فيه وروي اللبن والله ذلك امر اسماء الابناء بل حلائل اسماء البنات وان لم يكونوا الصلب للاتصال به بالنسب على العقد ما ذكرنا احق والله اعلم عما يجوز ان يعمل لصار الرضاع ولادا في الحكم بالخبر فيصير الصلب بالحكم نحو قوله تعالى واولوا الارحام

بعضهم اولى ببعض ثم قد يعتبر منهم الولاء في الحجاب للمباعد ان الولاء لحمة كلحمة النسب ويصير ذو نسب ورحم
بالحكم بما ذكر من الخبر فسلم الاول مما قد قيل ان فائدة ذكر الصلب ان لا يتحقق حرمة حلائل ابناء التبني بالاصلاب.
ولذلك قال والله اعلم فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقوله
سبحانه وتعالى حرمت عليكم امهاتكم الى قوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين اذ يحتمل التحديد في الجمع في العقد والجمع
في الملك والجمع في الاستمتاع ويحتمل في جنس الاستمتاع ويحتمل ان لا يرجع المراد الى معنى من ذلك ولكن يرجع الى
الكل ثم كان الاستمتاع بهما مرة واحدة غير ممكن فانه كانت فيه محرمة فهو بمعنى هنالك يوجد في حال الجمع لا
ان الخطاب باخذه اذ هو غير ممكن وجوده ولا يتهيا احتماله ليقصد بالخطاب نحوه ولكن من خاطب يجوز ان يخاطب
بجمل فيه تحريمه وان لم ينص عليه في الخطاب ثم الملك المطلق والعقد المطلق قد يوجدان غير محرمين نحو عقده به ملك
يمين ثبت ان المقصود لو كان ملكا او عقدا فهو مفيد نحو ملك النكاح او عقد ملك النكاح وقد جمع على دخول
هذا في حق الخطاب اذ قد اجمع على من جمع بين الاختين في النكاح انه لا يصح واجمعوا انه لو تزوج بعقدين ان
نكاح الثانية فاسد من غير ان كان جمع في العقد بل في الملك لو ثبت العقد في الثانية واذا ثبت الحرمة بهذا
العقد والملك لم يكن العقد ملك اليمين ولا الملكه ولا العقد اذ كل ذلك على الانفراد لا يحل هذا الفعل فيجب ان
يكون المعنى من ذلك الاستمتاع والجمع في الفعل به غير ممكن فثبت انه المعنى قد وصف الجمع بالاستمتاع وذلك
على وجوه احدها عقد الاستمتاع وهو عقد النكاح اذ عقد ملك اليمين قد يوجد ولا يوجب حق الاستمتاع
وملك النكاح اذ هو لا يخلو من ان يوجب ذلك الحق ثم كان نفس الاستمتاع بحقه احق من الاسباب الموجبة
له والعقد مما يوجب الاستمتاع نفسه فهي احق ان يكون شرطا للمنع به هو اولى اذ قد يمنع الاستمتاع بملك اليمين
الحل ولا الملك ولا السبب فاذا وجب المنع في النكاح لما هو سبب له فهو لان يجب بحقيقة احق وان شئت قلت
اذ لم يتفرد الحلق لنوع من السبب دون ان يشاركه غيره من الاسباب لزم ان يكون حقيقة السبب محارمها هو الا
لا ينطلق وبما قد ثبتنا الحرمة والله اعلم وايضا ان عقد النكاح قد حرم عليه وعليها الكل الذي حرم عليه في
وعليها في الكل ثم معلوم ان بملك الزوج فيها ما يحل لغيره من الفراق بحضرة فعله فلما دخل يخرج عن ذلك
بما احدث له فيها الاستمتاع بها حقا بعد الفراق ابقاها على ما سبق من الوصل به فراى فعل ذلك ما فيه
من الحق اذ ذلك واجب بما فيه الشرك على انها في بقية ملك له بنكاح عملت فيها بقية ملكه عمل صلة ملكه
فثبت فيه وقد الحق بعض من انكر حرمة الجمع في العتق بالواطي حرمة ما ترك منها من اللبن على احتمال دون الولد
عما هو كان سبب في ذلك كانت حرمة العتق احق بذلك والاصل ان الحرمة قد ثبت بالنكاح فلما وقعت الفرقة
اشكل زوالها فلا يزال بالشك مما في الازالة تعليق الحرمة بالحل او بالملك خاصة وقد بينا وجوبها لا لتلك
الوجوه ثم الاصل في النكاح ان المقصود منه الاستمتاع ومحله يحل هو وبحرمته فيجب ان يكون هو الاصل
التحريم والتحليل وعلى هذا يحرم كثيرا من الاماء في حق الاستمتاع بهن وان لم يحرم فيهن الملك ويحرم الاستمتاع
في ذلك وان كان الملك لا يوجب الحرمة فاذا ثبت ان الاستمتاع احق في التحريم والعتق احق الاستمتاع
اوجبها فيجب ان يكون هي محرمة لذلك لم يجز نكاح الاخت فيها مما كانت موجبة فيها اكثر مما يوجب في
ملك اليمين ثم كان الاستمتاع بملك اليمين محرما الاستمتاع بالاخت فالعتق التي هي مجعوله لتاكيد الحرمات
وقطع المجعول لها خاصة احق ان يمنع والله اعلم وعلى ما بينا ثبت ان الاستمتاع هو الاصل في التحريم
سوا له وقع من وجه يحل او لا فيهن الحرمة حرمة الانفس لا حرمة الجمع اولا انه يقع له جمع ثم الاصل
في ذلك ان يعلق الحرمات بالمحرم من الاعيان اظهر منه بالمحللة منها ثم كان الاستمتاع بالاعيان المحللة
توجب حرمة الامهات والبنات فهو في المحرم احق معنى لا يحلو ان يكون الحرمة لا تجب الا فيما يحل فيجب
ان لا يجب في النكاح الفاسد ولا في وطي جارية بعد وطي الابن او الملك فيها ايضا زايل النسب فيجب
ان لا تجب الحرمة فيما لا يكون منه نسبا وفي وقت لا يمكن او بايجاب الحقوق فيجب ان لا تجب في مماسة الانثى
دون الفرج او للاستمتاع خاصة فيجب سواء حال السفاح والنكاح وقوله عز وجل دخلتم بهن قال بعضهم
هو كناية عن الجماع لكنه عندنا الدخول بها هو اخذه بدها في ادخالها في جمع موضع الخلوة والجماع لا نفس
الجماع كما يقال فلان دخل بفلان في موضع كذا لا يراد به عين الدخول به المعروف وهو اخذ اليد ولكن
قيد بذلك قلنا بانه اذا ادخلها في موضع وخلا بها وجب كمال المهر نظاهر الانه زوجها الحرمة والله اعلم
وقوله عز وجل اللاتي في دخلتم بهن كني به عن الجماع من حيث لا يكون الجماع الا بالدخول بها ممكنا ما يستحق بها

الا لحقيقة الدخول بالاخر ليس لجماع ولا يصح القول به مطلقا دون ذكر المكان الا في المراة بما يعلم انها لمكان
الدخول ثم يدخل فجايز ان يكون في الحرمة على حق الكناية والمراد منه الجماع وجايز على حقيقة الدخول بها لمكان
ان الذي هو النظام وهذا الثاني يكون باخذ يدها او شي منها يكون هذا الداخل بها الا هي ووجوده لا يكون
الا للشهوة فيكون هو المذكور للحرمة فاذا لم يظهر حقيقة المراد يجب الاحتياط في ايجاب الحرمة من كل وجه
وتحقيق هذا او هو ظاهر له وله ادلة ثلثة احدها ما روى ملعون من نظر الى فرج امراة وابنتها اذ ذكر
اللعن بالنظر فلولا ان نظر الاول قد حرم الثاني لم يلحقه به اللعن ثم النظر دون اللمس في العبادات والاحكام
فالمراد هو في ايجاب الحرمة والثاني ما بينا ان علة الحرمة الاستمتاع ومعلوم ان معناه في القبلة والمباشرة
اعلى منه في السبب الذي يعنى به الاستمتاع وهو النكاح وقد اوجب له فالقبلة احق ان يوجب لها وذلك
كما اوجب بسبب الحدث وهو النوم حكمه ثم لا يجب الا في حال وقد يجب لنفس الحدث على كل حال فكذلك سبب
الاستمتاع من حقيقة والله اعلم والثالث ان كل انواع الاستمتاع في الحرمة والحل متصل بالجماع والمماسة
في حقوق الاملاك فعل ذلك في منع الاملاك وتحرمها على انه يبعد ان يكون المراة ان يستمتع بها ولدها
وكذلك بابنتها دون الفرج او ان يكون من لا يقدر على الايلاج لعنة اوجب يرتفع عن الحرمة ابدا فيستمتع
بالام وابنته ويستمتع بهما ابدا وذلك بعيد فيجب الحرمة من الوجه الذي ذكرت وقوله عز وجل وحلائل
ابنائكم الذين من اصلابكم يحتمل ان ذكر الصلب وجوها يحتمل ان يكون ذكر الصلب ليعلم ان الحرمة في حليلة
الولد كهي في ولد الصلب وكذلك الحرمة في حليلة ابن الرضاع كهي في حليلة ابن الصلب على ما كانت في
محارم الرضاع وانه لم يذكر وهو ان ذكر امهات الرضاع واخواته ولم يذكر غيرها ثم دخل ما دون ذلك
في الحرمة فعل ذلك هذا وقال بشر دل تخصيص الاصلاب على منع حرمة حليلة الابن من الرضاعة اذ لا يكون
من الرضاعة ابن قلنا لو لم يكن من الرضاع ابن لم يكن لذكر الصلب معنى ولا فائدة دل انه يكون من الرضاع
ابن على ما يكون من النسب وان الحرمة من الرضاع كهي في النسب وان كانوا في الحقوق مختلف نحو العتاق حقوق
بعض على بعض يوجب لبعض في اموال بعض النفقة وحقوق مثله لا يوجب في محارم الرضاع وذلك و
الله اعلم ان الرضاع انتفاع والنسب حدوث نفس بعضهم من بعض فاذا كان كذلك لم يوجب الرضاع الا حرمة
الانتفاع خاصة وهو الاستمتاع واما النسب فهو كون الولد منه وحدوث نفسه منه فاوجب مع ذلك حقوق
ولان في اثر بعضهم في بعض مماليكا وعبيدا قهرا وغلبة لم يوجب ذلك فلم يحصل بعضهم في بعض
لذلك كان الجواب ما ذكر وقيل انه ذكر ابناء الاصلاب وذلك ان النبي عليه الصلوة والسلام تزوج امراة
زيد بن حارثة بعد ما طلقها وقد كان تبناه فعابه المنافقون على ذلك وقالوا تزوج رسول الله امراة
ابنه فانزل الله تعالى وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله عز وجل وان تجمعوا بين الاختين الا
ما قد سلف يحتمل قوله سبحانه وتعالى وان تجمعوا بين الاختين وجوها يحتمل الجمع بينهما في العقد وقد
اجمعوا انه اذا لم يجمع بينهما بالعقد ولكن تزوج احديهما ثم تزوج اخرى لم يحل له نكاح الاخرى دل انه
لم يرد به الجمع في العقد ويحتمل الجمع في الملك وقد اجمعوا ايضا ان له الجمع بينهما في ملك اليمين فدل انه
اراد الجمع بينهما في الاستمتاع واذا استمتع احديهما بنكاح يحل له ان يتزوج اختها والا في عدة منه
في طلاق بائن ان الاستمتاع هو الذي حبسها عن الازواج فكان كالجمع بينهما في الاستمتاع ولان المعنى الذي
به حرم به الجمع في ذلك النكاح ذلك اذا كانت في عدة منه كوجوده وهو خوف القطيعة فيما بينهما والله اعلم
ولان اكثر احكام الزوجات قائم بينهما نحو الاسكان والانفاق عليها والحاق الولد وغير ذلك من الحقوق
وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن رجل طلق امراة ثم قبل ان تنقضي عدتها حتى تزوج اختها ففرق على ما
بينهما وجعل الصداق بما استحل من فرجها وقال لا تحل الاخرى عدتها وهو خاطب عن زيد بن ثابت انه سئل
عن رجل تحته اربع نسوة فطلق احديهن ثلاثا اي تزوج رابعة فقال لا حتى ينقضي التي عدة طلق وعن
عايشة رضي الله عنها مثله واختلف في الجمع بين الاختين من ملك اليمين عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن
المراة واختها من ملك اليمين هل يوطاه بعد الاخرى قال ما احب ان اجيزهما جميعا ونهى عنه وعن ابن
مسعود رضي الله عنه انه حث في الاختين من ملك اليمين فقال لا يحل احدكم ملك اليمين عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال يحرم جميع الاماء ما يحرم من جميع الحراير الا العدد وعن ابن عمر رضي الله عنه انه سئل
عن رجل له امتان اختان وقع على احديهما ايقع على الاخرى قال لا ما دامت في ملكه واجمعوا ايضا على انه

ان تزوج بامراة فاشترى اختها لم تحل له ان يطاها الى هذا ذهب اصحابنا رحمهم الله تعالى ثم اطلق
امراته وانقضت عدتها او ما تحل له ان يتزوج اختها ولم يحل له ان يتزوج بامها وذلك والله اعلم
بان الحرمة في الاخت في نفسها وليس في ولدها والحرمة في الام والابنة في انفسهما وفي ولدهما
فلما كانت الحرمة في الاخت من وجه وفي الام من وجهين ففيهما كانت الحرمة من وجه كانت الحرمة
للجمع لا حرمة تابيد وفيما كانت من وجهين حرمة جمع وحرمة تابيد وفيما لانها تادت الى اولادها
وفي الاخت لم تتاد ولذلك اختلفا وقوله عز وجل الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما يحتمل الا ما قد
سلف قبل التحريم في الجاهلية فانهم اذا انتهوا عن ذلك في الاسلام يغفر الله لهم ويحتمل قوله الا
ما قد سلف انه كان فاحشة يحتمل كان في ذلك الوقت فاحشة ويحتمل كان فاحشة اي صار فاحشة في
الاسلام وقوله عز وجل والمحصنات من النساء الا ما ملكت اختلف في تاويله قال ابن مسعود رضي الله
عنه والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم قال ذوات الازواج من المسلمين والمشركين وقال علي
رضي الله عنه ذوات الازواج من المشركين فذهب عبد الله في تاويل الاية الى ان بيع الامة طلاقها تحل
للمشتري وطؤها وان السبي الكتابية والمشركة يحلها لمولاها وان كان لها زوج في دار الحرب وذهب علي رضي الله
عنه الى ان الاية نزلت في المشركات وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كل ذات زوج اتيانها زنا الا ما سبيت
وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال وقعت في سهمي يوم اوطاس يوم اوطاس جارية
فبينا انا اسوقها رفعت راسها الى الحاد فقالت ذاك زوجي فانزل الله سبحانه وتعالى والمحصنات من
النساء الا ما ملكت ايمانكم الاية قال ابو سعيد رضي الله عنه فاستحللنا فروجهن بها بين ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه في حديثه ان الاية في المشركات ذات الازواج وكان حديثه يقوي قول علي بن ابي طالب رضي الله
عنه ومن وافقه وقيل ايضا في تاويل الاية والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم قال والمحصنات من النساء
حرام على الرجال الا ما ملكت يمينك قال ملك يمينه وعن ابي قلابة قال ما سبيتم من النساء اذا سبيت المراة
ولها زوج من قومها فلا باس ان يطاها وعن ابن عباس رضي الله عنهما والمحصنات من النساء
قال لا يحل ان يتزوج فوق اربع نسوة وما زاد عليهن وهو عليه حرام كامه وابنته واخته الا ما ملكت ايمانكم
الاماء فانه على اربع واكثر من اربع وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه الا ما ملكت ايمانكم هن نساء كن يسبين
يهاجرن ولا يهاجر ازواجهن جمعناهن في هذه الاية ثم انزل الله تعالى عز وجل في الممتحنة فلا جناح ان تنكحوهن
اذا اتيتموهن اجورهن فاحللن لنا بعد ان يتزوجهن وفيه نهي في الزنا واباح التزويج وصح التاويلين
واولاهما بالقبول ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه ولما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وظاهر القران يدل على ان ذلك هو الحق لان الله تعالى فصل في غير الموضع الذي
بين التزويج وملك اليمين فجعل ملك اليمين الاماء الا ترى الى قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم قال
لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج فهو ان الاتيان يدلان على ان قول الله سبحانه وتعالى
في اية المحصنات الا ما ملكت ايمانكم على غير الازواج كما روي عن الجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
الذين ذكرناهم ثم الكلام بين علي وابن مسعود رضي الله عنهما ونحن نعلم ان ابن مسعود رضي الله عنه اوجب
على الامة اذا باعها مولاها ولها زوج العدة اذا كان قد دخل بها وانها عنده لا تحل لمولاها حتى تنقضي عدتها
فلم يجعلها حلالا للمولى الثاني بملكه اياها فكان قول علي رضي الله عنه اشبه بظاهر الاية لانه تاويل الاية على
متزوجة تحل بالملك لمولاها في حال الملك من قول عبد الله اذ جعلها تحرمه وان كانت مملوكة حتى تنقضي عدتها
وفي ذلك وجه اخر وهو ان الله تعالى قال والمحصنات الا ما ملكت ايمانكم وعند الله يحرمها على البائع ويحلها
للمشتري ولم يخص الله تعالى احدا من المالكين وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه حمل الاية على امراة كانت
مزوجة سبيت فاحلها الله هي لمالكها فلم يعزل بين حال المملوكة هذا مع موافقة الحديث الذي رواه
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وظاهر الاية يدل على ان المسورة ذات الزوج لا عدة عليها وهو قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن
اجورهن فامر ان لا يردهن اليهن وينكحن لما جاز ان يتزوج الحرة اذا خرجت مسلمة ولا عدة عليها حلت اذا
سبيت فملكت قبل ان تعتد والثاني انما كانت حرة فابطل السبي حكم الحرية والزوجية فكذلك يبطل حكم
العدة هذا كله اذا سبيت ولم يكن معها زوجها فاما اذا سبيت وزوجها معها فان الفرقة لا تقع

بينهما

بينهما الرق لعدم الاجتماع بينهما واذا فات الاجتماع بين الزوجين واليأس عن الانتفاع وقعت الفرقة
فيما بينهما وهذا يبطل قول من يقول انه تقع الفرقة فيما بينهما للرق والثالث ان العدة حق من حقوق الزوج
يبين ذلك قول الله سبحانه وتعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فلا يجوز ان يبقى للحربي على المسلمة الحادثة
الى دار الاسلام حق فاذا لم يكن عليها العدة لها ان تتزوج وسبيل الامة المسبية سبيل الحرة لان حكم
الاسلام قد جرى عليها تحت المولى وان كانت لها في دار الحرب زوج ومن الدليل ايضا على ان المسبية ذات
الزوج يحل تزوجها ووطؤها لمولاها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج صفية ابنة حيي بن اخطب
في رجوعه من خيبر قبل المدينة ومعلوم انها كان لها زوج كبير وان عدتها منه لو كانت واجبة لم ينقض
في تلك المدة فهذا بين الا عدة على مسبية من زوجها المقيم في دار الحرب ولا على مسلمة اذا خرجت من
دار الحرب واقام زوجها هنالك وقوله عز وجل من النساء الاية قيل فيه باوجه ثلاثة احدها في
المسبية وذات الازواج وكذلك روي عن علي وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما فيكون فيه امران احدهما
الحرمة على الازواج والثاني ارتفاع العدة احدهما حقا للحربي وحقه في نفسه لا يمنع الاسترقاق ولو كانت
حرمة الاستمتاع قتله في زوجته لكن يدخل على هذا سبي الزوج معها ان الرق قد ثبت فيهما ولم يبطل النكاح
فيجاب لهذا بوجهين احدهما الاستحسان من حيث يلزم المولى حق الانكاح بقوله وانكحوا الايامى منكم
والصالحين الاية فلم يبطل عليه التجديد وليس في هذا في سبي الزوجة اذ لا تعصف لها به وهو دار الحرب
والثاني ان يكون الزوج وحق الرق انما يجب اذا اخرج المورمن يده نفسه والمملوك في يكون له يد في النكاح
نكاحها لم يخرج من يده اذا سبي معها واذا لم يسبيا لا يكون لمن في دار الحرب يد في دار الاسلام وفي حق
الاية عبارة اخرى انها اذا سبيت دونه انقطعت عنها عصمة الزوج وقد جعل الله تعالى انقطاع عصمة
يبيح غيره لقوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن وقد جعل ذلك ايضا
في الزوج سببا لقطع عصمة بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وعصمة الزوجين عصمة مشتركة
اخرج بلا يعود وكذلك المختلف لئلا يخرج فبطلت العصمة بينهما واحل الناسخ ولو خرجا معا لا فصله
امر السبي وتاويل اخر ان قوله تعالى والمحصنات من النساء الاية الى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية
الاية على ان لا يحل وراء الاربع الا ملك يمين وعلى هذا في غير ذات الازواج وقد روي مثله عن ابن عباس
رضي الله عنهما ويكون في ذلك بيان ما كان تحرمه من حيث العدد ويختص في النكاح فان كان النكاح و
ملك اليمين فيما كانت الحرمة من حيث المنكوحة يستوي من حيث كانت حرمة العدد يخص العقد بما فيه
من الحقوق التي له يقوم لها الا بشر قد عصم وقد ملك اليمين لا يجب فيه ذلك وما كانت الحرمة بحيث نفس
المراة يستوي لاستواء الملكين في حق الحل والحرمة ووجه اخر قيل المحصنات هي الحرائر وما ملكت ايمانكم
بالنكاح فمذهب من يقول بهذا الى ما لم ولم يذكر الايمان ولكن قال والمحصنات من النساء الا ما ملكتم
فيكون التحريم في غير النكاح لكنه بعيد على المعهود من الكلام انه لا يتكلم به الا في ملك اليمين خاصة و يحول
حمل الامرين من الاماء على خطر وطي الزانيات على الوالي واختاروا المتعففات منهن لمكان الاولاد وقوله
تعالى كتاب الله عليكم قيل كتب الله عليكم ما ذكر مما حرم في هؤلاء الانات وقال الكسائي نصب لكتاب الله
على قوله حرم كذا واحل كذا كتاب الله عليكم على الامر يقول عليكم كتاب الله دونكم كتاب الله اتبعوا كتاب
الله في نحو هذا المعنى وقيل كتاب الله عليكم يقول هذا احرام الله عليكم في الكتاب وقيل هذا التحريم من
النكاح قضاء الله عليكم في الكتاب وقوله عز وجل واحل لكم ما وراء ذلكم اختلف فيه قيل ما وراء ذلكم
اي ما سوى ذلكم وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما دليله قوله ويكفرون بما وراءه اي سواه وقيل
ما وراء ذلكم اي ما قبله وامامه وهو كقوله وكان وراءهم ملك وهو كان امامهم وقيل وراء ذلك
اي بعد ذلك وخلفه وهو ظاهر ومن قال سوى ذلك يقول احل لكم ما سوى ذلكم الذي حرم عليكم
ما لم يسم لكم ومن قال وراء ذلكم امام ذلك وقبله وهو ما ذكر قبل هذه المحرمات قوله فانكحوا ما طاب
لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ومن قال ما وراء بعد اي ما بعد الاربعة الاصناف المحرمة المحرمات
بالنسب والمحرمات بالرضاع والمحرمات بالظهر والمحرمات بالجمع يقول احل لكم ما بعد هؤلاء اربعة اصناف
وقيل في قوله والمحصنات من النساء هن المتعففات من الاماء الا ما ملكت ايمانكم من الاماء المسافحات
الزانيات كانه قال فاستمتعوا بالمتعففات منهن ولا تستمتعوا بالزانيات لانه يلبس عليكم النسب وهو كقوله تعالى

ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وقوله واحل لكم ذلكم ان تبتغوا باموالكم بين الله تعالى ان النكاح لا يكون الا ببدل يكون مالا لانه قال باموالكم وفي الاية دلالة ايضا على ان ما يملك ولا يقع عليه اسم المال لا يكفي مهرا لانه قال ان تبتغوا باموالكم ولا يسمى الدانق والحبة مالا ولو كانت الحبة مالا وكانت التمرة مالا فثبت بما وصفنا من دلالة الاية ان المهر لا يكون من الاملاك فان قيل روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل قد زوجتها بما معك من القران قيل تاويله عندنا والله اعلم بما معك من القران ولا يجوز ان يكون السورة مهرا بدليل الكتاب لانها ليست بمال وكذلك كل شيء ليس بمال ولا يكون له قيمة فلا يجوز ان يكون مهرا وكذلك قوله سبحانه وتعالى فنصف ما فرضتم يدل على ان السورة وما لا يتقوم لا يكون مهرا وروي عن انس بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تزوج على وزن نواة من الذهب يكون دينارا فان قيل قد بين في الخبر قيمتها ثلاثة دراهم وثلث لكن لا ندري من كان المقوم وتفسيره حجة على علمائنا حتى نعلم ذلك مما قال قوم ان النواة عشرة دراهم وهو ما قال ابرهيم فان قيل روي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعطى في نكاح ملء كفه طعاما او دقيقا او سويقا فقد استحل وكذلك نقول اصحابنا رحمهم الله ولكن يتم لنا عشرة دراهم ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم ولا شيء عليه سوى ذلك سيما يقول المخالف لنا اذا كان المهر يتمول لم يكن مهرا وملء الكف من الطعام لا يتمول وان جعل ذلك مهرا فقد ترك اصله ان لا يتمول فليس بمهر وكذلك جاء روي صلى الله عليه وسلم قال زوجتكها بما معك من القران ولم يذكر ان ليس عليه سوى ذلك واهل العلم مجمعون على ان السورة لا تكون مهرا ومن الحجة لعلمائنا ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهر دون عشرة وروي عن علي رضي الله عنه قال لا يكون المهر اقل من عشرة وعن ابن عمر رضي الله عنه مثله على ان اهل العلم اجمعوا ان النكاح لا يكون الا ببدل وانه خالف سائر الاملاك التي توهب ويتصدق بها بغير بدل وكل يجعل لذلك حدا وان اختلفوا في ذلك القدر والحد وكل يقول ايضا ان النافة لا يكون مهرا فذهب اصحابنا ان الفروج لا تملك الا ببدل لم يجعل البدل الا ما اجمعوا عليه وهو عشرة دراهم اذا كان النكاح مخصوصا ان لا يملك الا ببدل دون غيره من الاملاك **وقوله** عز وجل محصنين غير مسافحين قيل مسافحين بكل زانية وقيل محصنين اي عفائف الفروج وغير مسافحين في العلانية بالزنا وكانه امر عز وجل ابتغاء النكاح بالاموال ونهى عن الاستمتاع بغير مال وقيل المسافح الذي يزني بكل امرأة يجدها والمسافحة كذلك تزني بكل احد والمتخذات اخدان هن اللاتي لا يزنين الا باخدانهن والسفاح من العقل ما ظهر وعلى مسلمه في المتعة **وقوله** تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ذهب قوم الى جواز المتعة بهذه الاية يقولون ذكر الاستمتاع بهن ولم يذكر النكاح وذكر الاجر بعد الاستمتاع والمهر انما يجب في النكاح بالعقد يؤخذ الزوج او لا بالمهر ثم يستمتع بها فهو بالمتعة والاجارة اشبه كقوله تعالى فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن امر بايتاء الاجر اذا ارضعن ذلك لما ذكرنا الاستمتاع بهن وامر الاخير لا المهر دل انها نزلت في المتعة واما عندنا فانها نزلت في النكاح ولبيان ما تقدم من الذكر وهو قوله واحل لكم ما وراء ذلكم نكاحا وقوله محصنين متناكحين غير مسافحين غير زانين وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم كل ذلك يدل انه في النكاح وكذلك قوله فما استمتعتم به منهن في النكاح فاتوهن اجورهن وقد سمى الله المهر اجرا فقوله انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وقال فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن واما قولهم ذكر ايتاء الاجر بعد الاستمتاع والمهر يجب بالنكاح فهو على التقديم والتاخير كانه قال فاتوهن اجورهن اذا استمتعتم بهن كقوله تعالى اذا طلقتم النساء فطلقوهن اي طلقوهن اذا طلقتم لعدتهن ونحو ذلك كثيرا وقال ابو بكر الاصم ولست قوله فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن نحلة واذا لم يدخلوا بهن فالنصف بالاية الاخرى فهو فائدة ذكر الاجور والاستمتاع وهو بالنكاح اشبه واولى من المتعة لما ذكرنا من تحريم الاجناس من المحرمات في اولها واباحتها في اخرها واراد ذلك او بين ايضا ان الاستمتاع هذا النكاح وان الاجر هو المهر لما ذكرنا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال رحم الله عمر ما كانت المتعة الا رحمة رحم الله بها امة محمد فلولا نهاه عنها ايا ما زنى الا اشقى وكان يراها حلالا ولا وكان يقول في حرف الى اجل مسمى وروي عنه انه قال ان الناس هذا قد اكثروا في المتعة فقال انها لا تحل الا لمن اضطر اليها كالميتة والدم ولحم الخنزير فدل قوله انها بمنزلة الميتة على انه رجع عن قوله الاول فان كانت المتعة في حال غير الضرورة حراما فهي في حال الضرورة حرام وانما احل الله

الخمر في الضرورة اذا خاف الرجل على تلف نفسه وليس في ترك الوطي تلف نفسه وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فما استمتعتم به منهن قال نسخها يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الاية هذا يدل على انه رجع عن قوله الاول ومن الدليل على تحريمها قوله سبحانه وتعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فحرم الله تعالى من الاجماع ما عدا ملك اليمين والمتعة ليست بملك نكاح ولا ملك يمين فهي داخلة في التحريم ومن الدليل على تحريمها ما روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه انه نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الانسية وعن سبرة الجهني عن رسول الله صلى الله عليه انه نهى عن متعة النساء يوم فتح مكة وعن ابن عمر رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن متعة النساء وعن اكل لحوم الحمر الاهلية وفي خبر اخر انه كان قائما بين الركن والمقام وهو يقول اني كنت اذنت لكم في المتعة فمن كان عنده شيء فليفارقه ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيئا فان الله عز وجل قد حرمها يوم القيمة وعن ابن عمر رضي الله عنه يقول في المتعة لو تقدمت فيها لرجمت وعن عبد الله قال المتعة متعة النساء منسوخة نسخها الطلاق والصداق والعدة والمواريث والحقوق التي تجب في النكاح وعن عائشة رضي الله عنها انها اذا ذكرت المتعة قالت والله ما نجد في كتاب الله الا النكاح والاستسرار ثم تلو هذه الاية والذين هم لفروجهم حافظون الاية وعن عمر رضي الله عنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا انهى عنهما واعاقب عليهما فانكر قوم على عمر رضي الله عنه اقراره انهما فعلا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاه عنهما لكن الجواب في ذلك لكم انه علم بنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء وما نزل فيها من نص القران فكان وعيده لا خفاء من فعلها لعلمه بانها منسوخة وقوله عز وجل فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن يحتمل الاجارة ويحتمل التشريع بالنكاح انه اذا كان بعد الاستفتاح يوفيهن كالمهر لانه ذكر المهر في النكاح والبعض بعد الطلاق فتبين الكل في هذا وايد هذا التاويل ما كان عليه ذكر المحرمات والاحلال انه كله بالنكاح وكذلك على ذلك قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان كله في النكاح لا في الاجارة ووصف انه يبغي ونهى عن ذلك بقوله والذين هم لفروجهم حافظون ذكر ان مبتغي وراء ذلك باغيا وهذا لو عرف حكم الكتاب فما ذكرته له ناسخ ولو عرف بالاخبار الاباحة روينا معروفا بها النهي فمن رام الاخذ بطرف منها على الاغضاء من الطرف الثاني والمنع عما قال به ثم امتناع الامة عن العمل على ظهور الحاجة ونفود الطباع عن قبول مثله من احد بالمتصدين باصر على الحق ثم ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال نسخها الطلاق والعدة ان الاول كان نكاحا يعني المدة ابطله ارتفاع احكام النكاح عنه **وقوله** عز وجل ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة في الاية دلالة ان الزيادة في المهر جائزة لان الفريضة هي التسمية فان قيل قوله فيما تراضيتم معناه قوله الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح هو ان تبذل المراة من مهرها شيئا او الزوج لها قيل لو كان ذلك كذلك برضاها يعني رضا زوجها وقال تراضيتم به فجعل للزوج في الرضاء نصيبا والله اعلم ان الزوج اذا زاد على المهر ذلك جائز فهذا التراضي انما يكون منهما جميعا في الحالين وذلك اصل الزيادة في المهر والثمن في البيع واشباه ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب ام سلمة ويقول ان كان ابما لك ان ازيدك في الصداق زدتك وان ازيدك زيدا للنسوة وروي عن علي رضي الله عنه قال زدها فهو اعظم للبركة وروي عن عثمان وعمار كذا وقد دل الكتاب والسنة وقول الصحابة على جواز ذلك فهو الحق على ذلك جمهور المسلمين في بياعاتهم وتجاراتهم ومن الدليل ايضا على جواز الزيادة في الثمن والمهر وانها تصير كانها مسماة في عقدة البيع ان رجلا لو اشترى من رجل عبدا بيعا باتا ثم ان احدهما جعل لصاحبه الخيار يوما نقض البيع ان نقضه جائز ويصير ذلك كالخيار المشروط في اصل البيع وكذلك رجل اشترى عبدا بالف درهم حالة ثم ان البائع اجل المشتري في الثمن شهرا كان الاجل جائزا ويصير كانهما سميا الاجل في عقد البيع فوجب ان يكون الزيادة بعد البيع في الثمن كانها كانت في عقد البيع **وقوله** عز وجل ان الله كان عليما حكيما فيما حرم واحل حكيما حيث وضع كل شيء موضعه **وقوله** عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم وقال عز وجل ذلك لمن خشي العنت منكم فقال بعض اهل العلم لا يجوز تزوج الامة حتى يعجز عن نكاح الحرة ويخشى مع ذلك العنت فاذا اجتمع الامران فحينئذ يحل له ان يتزوج الامة ولا يجوز

ان يكون تاويل الاية في عدم وذلك ان الاماء اعز وجودا في يوم من الحرائر ويجد الرجل حرة يتزوجها بادنى
شيء ما لم يجد بمثله الامة لا ان يقال الاية وفي ذلك الزمان اوجد والحرائر وان مؤنة الاماء و
مهورهن اقل فخرج الخطاب على ذلك وانه ما نزل قوله سبحانه وتعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم رغبا للسادات في تزويج الاماء بشيء يسير فعند ذلك نزل له قوله تعالى ومن لم يستطع
منكم طولا الاية والا لامر الظاهر ما ذكرنا انهن اعز وجودا من الحرائر واكثر مؤنة وان الحرائر اهون
وجودا ومؤنتهن اقل او بان يكون الاية في الانفاق عليهن ليس في ابتداء النكاح وهو ان الرجل
اذا تزوج حرة لزمه ان ينفق عليها شيئا وافيا فاذا عجز عن الانفاق عليها يطلقها ويتزوج بامة
اذ نفقة الامة على سيدها ونفقة الحرة عليه فامر ان يطلق الحرة التي نفقتها على سيدها هذا اشبه
والله اعلم بما قاله او لئلا اذ ان يقال انه اراد بالنكاح الوطء لا العقد والتزويج على ما قال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه والنكاح اسم للوطء والتزويج جميعا قال الله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
وتاويله الوطء فكذلك الاول ومعنى قول علي رضي الله عنه حيث حمل الاية على الوطء لانه لا يتزوج الامة
على الحرة كانه منعه من ذلك لانه قادر على وطء الحرة ويتزوج الحرة على الامة بقول يتزوج الامة ولم
يكن قادرا على وطء الحرة فجاز نكاحها وان كانت الحرة في ابتداء النكاح والتزويج على ما قالوا فليس فيها
حظر نكاح الاماء وبطلانه في حال الطول والقدرة لانه اباح نكاحهن في حال عدم الطول والقدرة
ومن اصلنا ان ليس في اباحة الشيء وحله في حال دلالة حظره ومنعه في حال اخرى دليله قوله اذ ولئك
اتيتم اجورهن ليس فيه انه لا يحل لها ما لم يؤت اجورهن وقوله تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما
ملكت ايمانكم ليس فيه حظر الاربع وان خاف لا يعدل فهذا يدل على ان حظر الشيء ومنعه لا يوجب الحظر
في حال اخرى واباحة الشيء في حال حله لا يوجب منعه وحرمته في حال اخرى على ان المخالفة لما لم
يجعل الايمان المذكور في الاية شرطا لقوله تعالى ان ينكح المحصنات المؤمنات اذ لم يصر الايمان شرطا
في جواز نكاح الاماء كيف صار الطول والقدرة شرطا فيه اذ من قوله ان ليس له ان ينكح الامة
اذا كان له طول نكاح المحصنة الكتابية لانه يقول لان الله تعالى شرط فيهن الايمان بقوله من
فتياتكم المؤمنات فاذا لم يصر الايمان شرطا في المحصنات كيف شرطا في الاماء وذلك كله عندنا ليس بشرط
فان قال قائل ان قول الله تعالى فمن لم يستطع فاطعام كذا ليس صار ذلك شرطا حتى لا يجوز غيره اذا كان له
طول العتاق وقدرة الصوم ما ينكر ان يكون الاول مثله قيل صار ذلك شرطا فيه لانه فرض لزمه
بشرط لم يكن له الخروج والتعدي الى غيره واما النكاح فليس هو بفرض لزمه بوجود الطول و
القدرة والعتاق وما ذكر لزمه بوجود الطول والقدرة عليه ويجوز الطعام لكن لم يسقط الفرض
الذي لزمه عند ذلك صار شرطا والاول لم يصر فان قال ما معنى الاية على الاختيار والادب او على
الانفاق الذي ذكرنا او ان لا يختار نكاح الامة على نكاح الحرة اذا كان له طول الحرة على ما جاء عن عمر
رضي الله عنه قال ايما حر تزوج امة فقد ارق نصفه وايما عبد تزوج حرة فقد اعتق نصفه لا يحتاج نكاح الا
له الى طول الحرة سبيل ويجيء ان يكون قوله ذلك لمن خشي العنت منكم ان لا يحتمل على الزنا ولكن
يحمل على مخالطتهن الناس واسترقاق الاولاد فاذا امنه السيد عن استرقاق الولد وعن ترك الاختلاط
بالناس فعند ذلك يتزوجها اذ قلوب الناس لا يحتمل الاختلاط ازواجهن بالناس واسترقاق
الاولاد وتحمل العنت على هذا اشبه من الزنا ومن الدليل ايضا على ان لا يعتبر الطول على التزويج على ما قالوا
اذا تزوج امة ثم قدر على تزوج الحرة لم يفسد نكاح الامة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما فعل ذلك الطول
في الابتداء على نكاح الحرة لا يمنع جواز نكاح الامة والله اعلم على ان عدم الطول في الاصل لا يمنع نكاح
الحرة اذ شيء يلزم الذمة وعدم النفقة يمنع الامساك عنده فدل ان الاية لعدم نفقة الحرة اشبه واقرب
من طول مهر الحرة في الابتداء على ما ذكرنا فالاصل ان كان يجوز شرطا لاضطرار فان ارتفاع الضرورة يمنع
البقاء واذا لم يمنع بان انه لا على الحل بالضرورة وعلى ذلك يختار لمن تحته حرة مفارقة الامة اذا يا مساكها
ان الولد الذي يتخرج في العقد اختاره ومخالطة الزوجة في الطبع نفادمه فمثله في الابتداء والله اعلم
مما قال الله تعالى ان تصبروا خير لكم وليس عن الذي فيه الضرورة شرط الصبر ثم الطول واحد فيهن يملك
المال وهو غائب عنه يخشى العنت الى ان يبلغ ذلك انه لا يمنع النكاح وجميع ما له الحرمة يستوي غيبته ذلك

وحضرته كنكاح الامة على الحرة والاخت على الاخت ونحو ذلك معا لو كانت خشية العنت يصير سبب الحل في
شيء لكان ملك الحرة التي هي عنه غائبة اذا لم يصر الضرورة مبيحة فاذا بان ان الحرمة لنفس النكاح في
الوجود والحل لعدمه لا للسبيل الى ذلك وعدم السبيل ثم قوله عز وجل ذلك لمن خشي العنت انما هو الضيق
كقوله ولو شاء الله لاعنتكم اي يضيق عليكم بمخالطة الايتام والاثم كقوله سبحانه وتعالى عزيز عليه
ما عنتم وكل رجل فيه وسع الاستمتاع فهو يخشى الاثم فيجيء ان يباح له على كل حال او يرجع الضيق
فيكون المقصود منه الامساك دون العقد والله اعلم ثم خشية الزنا ان يحتمل ان يصير شرطا للحل وقد
حصل له عقوبة فيها ابلغ الزجر بمحل غفل عن رجم او حد بل يفرض عليه ابقاء ذلك بكل وجوه الامكان ومعلوم
ان الله فيحمل عنه بغير النكاح سبيلا في الامتناع ايضا وقد جاء ايضا الامر بالصيام بانه له وجاء
وانما خشية ذلك خشية خطر لا حقيقة فلم يجز ان يجعل عذرا لرفع الحرمات ويقدر عليه بالمباح من
الصيام القول في قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات الاية يقول وبالله التوفيق يحتمل
الاية وجهين احدهما طول عقد النكاح مذكور ايضا في نكاح الامة بقوله واتوهن اجورهن بالمعروف
ومعلوم وجود الحرة بالمهر الذي يوصف في المعروف من المهور بل لعل ذلك في الحرائر اوجد اذ قد جاز
نكاح الحرائر بالاشياء الضعيفة ومعروف وجودهن في كل عصر بدون ما يوجد مثله الاماء فمحال
ان يشترط في نكاح الاماء عدم ما لا يوجد السبيل اليه الا بوجود ذلك او ما هو اعظم في الوجود
واما النفقة والسكن فقد يكون بمال السيد دون ان يؤخذ به وفي الحرة لا هي سبيل اليها الا بما
الزوج نفسها بذكر الوجود لا فيما يستوي المذكور فيه في والا نفي ثم في الحاجة على ما عليه العرف فيه
نفس ولا قوة الا بالله والوجه الثاني ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنكح الامة
على الحرة ولو كان يجوز نكاحها عند وجود طول الحرة لم يكن للنهي عن ذلك بعد النكاح وجه اذ ليس
لذلك وجود الطول يمنع وجوده والثالث ان الذي يبيح النكاح ليس للوجود شرط فيه و
الذي به الامساك شرط اذ قد يجوز بذمه من لا يملك ولا يمسك مثله ثبت ان ذلك في حق
الامساك ثم لو كان التاويل على النكاح لم يكن في ذلك تحريم النكاح على وجود طول الحرة لمعان
احدها ان ذلك يوجب ان يكون نكاح الاماء يجوز بحق الابدال والاضطرار وذلك لا يحتمل حق النكاح
لوجوه احدها ان طريق ذلك اباحة ورخص والفروج لا يحتمل الاباحة بل الاباحات توجب حد
المبيح وعقوبته ويحتمل كبيع ما لا يملكه والثاني ان المحرمات التي كانت في جميع النكاح كانتظامه
لم يتبع شيء منها الحاجات وكذلك نكاح الاماء لو كان من المحرمات بل الحكم ان كل امرأة لا يحتمل
النكاح فهي لا تحل بملك اليمين فلو قلنا انه لا يحل نكاحها لذاتها لم تحل في ملك اليمين فادخلت بان
ما ذكرت ليس كالزيادة على الاربع لان ملك الحر يحق المنكوحة لا بكان المراة وكذلك الاخت ونحو
ذلك دليل ذلك جواز ذلك لا بحق الابدال والاضطرار اذا عدم نكاح غيره بعد فانه لم يجعل في شيء
من الحل والحرمة المال بل قال الله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا الاية صيرا لعدم شرط الشيء
وله ان يفسخ لانه لا شرط الاباحة فلذلك ان نكاح الاماء والثالث ان الاصل الذي في الاضافة الحل
والحرمة الى اسم لا يوجب في غير ما عند ذلك في غير ملك الحال بل هو في غيرها موقوفا على قيام الدليل
من ذلك المضاف اليه او غيره لانه يوجب ذلك دليل ذلك امور النكاح قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن لانه يعلم لو لم يؤتهن الاجور لم يحللن وكذلك قوله
سبحانه وتعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن وقال عز وجل فاذا
احصن فان اتين بفاحشة الاية وان الحد لا يجب لو لم يحصن وقال الله عز وجل ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات لا على جعل الايمان شرطا وقال عز وجل فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة
او ما ملكت ايمانكم لان الامة لا تخرج اذا لم يجد العدل في الحرائر وغير ذلك مما يكثر اذ ليس في اضافة الحل
الى حال قطعه عن غيره فمثله امر النكاح فيما نحن فيه ثم احتج بعضهم بالايات التي فيها فمن لم يستطع
ومن لم يجد لتوجيه ذلك الحق ههنا وقد دخل جواب هذا فيما قلنا ان الحكم في غير موقوف على
الدليل فيه معنا لا بهذا مع ما بينا دليل ما نحن فيه ليس بشرط الا ترى انه ذكر شرط الايمان
في المحصنات ومن لم يصر شرطا وقد صار في الكفارات ونحو ذلك فمثله ما نحن فيه ثم الفصل

من الامرين يمنع من وجوه احدها ان تلك تحل الابدال والاضطرار دليله زوال الحكم عند الارتفاع
في هذا الا ان لا يرتفع لنكاح الحرة فلذلك اختلف الامران ولو جعلنا الامرين في حال والاشارة بالجهل
لبها دليلا على النهي عن ذلك كان نهي عن النكاح الاماء في حال طول الحراير فلا يحتمل ان يكون النهي متعلق
الفصل لاوجه احدها لان المعنى الذي يمنع له النهي كان معقولا وبنكه لا يحتمل الفساد وذلك يخرج
على وجهين احدها ان يرون ولده والثاني ان يخالط امراته الرجال وذلك بعض ما يشين الرجل
ثم كان نكاح الزانية مع النهي عن ذلك ويجوز مع الامر بطلاقها ومعلوم ان ذلك اعظم في الشين
اذ يدخلونه ما يخالفه في المملوكة ويصير ولده مشتدما بامه ما هو اوحش في العقول من رق ولده
ونعاله بابن الزانية وذلك ايضا تلبيس للنسب وشبهه ثم لم يجب له الفساد فاما المملوكة ثم
الاخرى وايضا لم يختلف على نهي على نكاح العبيد وله بغير رضا الاولياء ونصرف حق نسب الاولاد الى
الموالي ومعلوم ان الطعن عليهن في الخلاف اقبح منه عليهم ثم لم يمنع ذلك جواز النكاح فمثله ما عن
فيه وايضا ان الحرمة على وجهين حرمة بنفس المنكوحة او الاستمتاع وحرمة لحق النكاح وكل
حرمة لذاتها فهي لا تحل بملك اليمين ولا بملك النكاح وما كانت الحرمة بحيث النكاح يحل فاذا كان الامة
تحل بملك اليمين ثبت ان حرمتها ليست لنفسها ولا للاستمتاع فهي تحل بملك اليمين في حلها في
الاصل بملك النكاح لحق اذ ليس الا للاستمتاع فاذا خلت به فبالاحرى ان يحل بالنكاح ثم قد يحرم
النكاح الخامس لا يجوز من الاموال يحل فكذا ما نحن فيه وقوله عز وجل والله اعلم بايمانكم يحتمل وجهين
يحتمل والله اعلم حقيقة ايمانكم وانتم لا تعلمون ذلك ويحتمل والله اعلم بايمانكم وغيره لا يعلم حقيقته
ذلك وفيه لزوم العمل بالظاهر وقوله عز وجل بعضكم من بعض يحتمل بعضكم من بعض في الدين ويحتمل
بعضكم من نسب بعض هذا يدل على ان نسب بعضهم من دين بعض ونسب بعض فليس لبعض على بعض
فضل من الدين والنسب اذ نسبهم ودينهم واحد وليس للحرة على الامة فضل من هذا الوجه في قوله
تعالى فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب لانها اذا كانت
في غير هذا الوصف لزمها ذلك الحكم دل ان وجوب الحكم في حال على وصف لا يمنع وجوب ذلك الحكم
في حال اخرى على غير الوصف الذي وصف في تلك الحال وهذا بالمخالف لنا الزم لانه قال عز وجل
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ان النهي وقع على جميع المشركات
كتابيات ثم صارت الكتابيات منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ثم قال اذا كان
له طول محصنة كتابية لم يحل له نكاح الامة المؤمنة وجه اخر عز وجل ان الامة المؤمنة خير من
مشركة وهو يقول المشركة خير من الامة فهذا يدل على الاضطرار في قوله على مذهبنا ما قلنا
وقوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الاية على المشركات خاصة من غير الكتابيات عندنا
دليله قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل ذكر المشركات وذكر
الكتابيات دل هذا ان المشركات في هذه الاية غير الكتابيات وقد ذكرنا الوجه في ذلك
في الصدر السورة ما يغني ذكره في هذا الموضع فان كان ما ذكرنا حل له ان يتزوج كتابية محصنة كانت
او امة وهذا قلنا الدليل على ان ليس في ذكر الايمان فيهن دليل جعله شرطا في جواز نكاحهن على ما لم
يكن في ذكر الايمان في المحصنات من المؤمنات دليل جعل الايمان فيهن شرطا وقوله عز وجل والله
اعلم بايمانكم اي هو اعلم بايمانكم اي هو اعلم بحقيقة ايمانهم وانتم لا تعلمون حقيقته وان كان اثبت لنا
علم الظاهر بقوله تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات امرنا بالعمل بعلم الظاهر
لا بعلم الحقيقة والله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار وهذا يدل على ان
هو عمل القلب لا عمل اللسان لكان يعلم حقيقته كل احد لظهوره ما وصفنا وقوله عز وجل بعضكم من بعض
قيل فيه وجوه بعضكم من بعض في الولايات في الدين كقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض وقيل بعضهم في النسب اذ كل منهم من اولاد ادم ويحتمل بعضكم من بعض قبل الاسلام
عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن اي باذن ساداتهن سمى السادات اهلا لهن دل انهن من اهلهم
وفيه ان للمرأة ان تتزوج نفسها اذا اذن لها وليها لانه تعالى قال باذن اهلهن والمرأة اذا كانت لها
جارية لها تزوج من غيره وهذا في النساء اولى لان الرجل اذا كانت له جارية يستمتع بها ولا

يتزوجها

يتزوجها من غيره والمرأة اذا كانت لها جارية هي التي احتاجت الى تزويج جاريتها لذلك كان في هذا
اولى وفيه ان ليس للعبد ولا للامة ان يتزوج الا باذن السيد وكذلك روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ايما عبد تزوج بغير اذن مولاه فهو عاهر وقال بعض اهل العلم قوله فانكحوهن باذن
اهلهن اذا كن مؤمنات على ما سبق من ذكر الايمان بقوله من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم
لكن هذا وان كان نهيا عن نكاح الاماء اذا كن غير مؤمنات لم يدل ذلك على فساد نكاحهن اذا كن
غير مؤمنات لم يدل ذلك على فساد نكاحهن اذا كن غير مؤمنات الا ترى ان النساء نهين عن
تزويج انفسهن من العبيد وذلك مما يشينهن ثم لم يمنع ذلك النهي عن التزويج منهم فعل ذلك لا
يمنع شرط الايمان فيهن والنهي عن نكاحها اذا فعل ذلك جاز النكاح فعل ذلك الاول وكذلك
قوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم واماءكم ذكر الصلاح فيهن ثم اذا كانوا على
غير ذلك الوصف جاز فكذلك الاول وكذلك قوله عز وجل محصنات غير مسافحات ذكر الاحصان
فيهن ثم لم يصير الاحصان فيهن شرطا في جواز النكاح لانهن اذا كن غير محصنات يجوز نكاحهن
فعل ذلك الاول ولو كان الطول والقدرة مما يمنع جواز نكاح الاماء بمعنى فيه لكان اذا تزوج
امة ولم يكن له طول على نكاح الحرة في ذلك الوقت ثم كان الطول على نكاح الحرة يجب ان يفسد
النكاح لانه اذا منع الابتداء منع القرار في ملكه فاذا لم يمنع دل انه ليس على حكم البدل اذا الابدال
اقرارها ولا انتقاض عند وجود الوصول دل انه ليس عنه ولكن على الاختيار والتاديب ان
لا يختار الاماء على الحراير والمسافحات على المحصنات ولا يختار المشركات على المؤمنات فان قيل انكم
تمنعون عن نكاح الامة على الحرة ثم لا تفسخون نكاح الامة على الحرة لحق حرمة الجمع بين الاختين وبين
المرأة وعمتها فاذا لم يكن ثم جمع لا يمنع وهذا ليس بشيء وقوله عز وجل فآتوهن اجورهن باذن
اهلهن على ما ذكر الاذن في النكاح بقوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن ويحتمل ايضا ان تؤتى
اجرها وان لم يأذن له مولاها اذا كانت الجارية ممن تحفظ مال سيدها وتتعاهد اي الناس يسترد
المماليك لحفظ اموالهم وصون املاكهم نحو ما جاء من الوعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته حتى العبد عن مال سيده فان كان ما وصفنا لا باس بان يدفع الاجر
والمهر اليها اذا كانت هي ممن يحفظ ماله ويصونه ثم من الناس من استدل بقوله فآتوهن اجورهن
على حقيقة الملك للمماليك ويبيح لهم التمتع بالجواري بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الى قوله
من عبادكم واماءكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله لو لم يملكوا حقيقة الملك وانا عندنا انهم
لا يملكون حقيقة الملك استدلالا بقوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من
شركاء فيما رزقناكم اخبر ان ليس لهم فيما رزقهم شركاء مما ملكت ايمانهم دل انهم لا يملكون حقيقة
الملك فان قالوا اليس يملكون التمتع في النكاح اذا ملكوا ما منع ايضا ان يملكوا رقاب الاشياء اذا
ملكوا قيل ان السادات لا يملكون من المماليك رقبة ما يتمتع به بالاسراء الا ترى ان النبيذ لا تملك
من غيرها التمتع به ان ملك ذلك العبد خاصة لذلك ملك ملك التمتع في النكاح وقوله عز وجل فآتوهن
اجورهن ما ذكرنا من الاذن من اهلهن ولما جعل النهي حفظ الاموال وقوله عز وجل بالمعروف قيل
مهر غير مهر البغي وقيل حق المعلوم وقوله تعالى محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان قد ذكرنا
فيما تقدم واما قوله عز وجل يغنهم الله من فضله بغناء ساداتهم اذ مقدار ما يطعمون ويشربون مما
جعل لهم الانتفاع به وقوله عز وجل فاذا احصن قيل فاذا اسلمن وقيل فاذا احصن فاذا تزوجهن
ويحتمل فاذا احصن فاذا بلغن مبلغ النساء وقيل فاذا احصن اي عففن وتاويله والله اعلم ما ذكره
في اول الاية وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا انهن اذا تركن للتعفف ولم يكرهن
على البغي فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فهن الحراير لان عذاب المتزوجة اذا دخل بها
زوجها الرجم واما حد الامة الجلد فلا يجوز ان يكون المحصنات في هذا الموضع ذات الازواج لان
عذاب ذات الازواج الرجم ولا نصف له دل انه اراد بالاحصان الاسلام وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وجماعة من اهل العلم ان لا حد على الامة حتى تتزوج واما عندنا
فان عليها الحد لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بجلد الامة اذا زنت وان لم

تزوج بذلك الحجة لقول من قال احصانها اسلامها وهو ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنهما وزيد بن
خالد وشبل رضوان الله عليهم اجمعين قالوا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسئله اجل عن الامة
تزني قبل ان تحصن قال اجلدها فان زنت فاجلدها ثم قال في الثالثة او الرابعة فبعها ولو بضفير
هذا الخبر يدل على ان الامة اذا زنت تجلد وان لم تتزوج وقوله عز وجل وان تصبروا خير لكم اي وان
تصبروا ولا تتزوجوا الاماء فهو خير لكم لان اولادكم يصيرون عبيدا فهذا يدل على ان قوله ومن لم
يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات كله على الاختيار
ليس على الحكم انه لا يختار لا على انه اذا فعل لا يجوز وقوله عز وجل والله غفور رحيم يحتمل وجهين
يحتمل غفور رحيم حيث كفر عنكم ما ارتكبتم في الدنيا بالعذاب الذي يقام عليكم ولم يجعل عذابكم في
في الاخرة ان عذاب الاخرة اشد من عذاب الدنيا وذلك من رحمته ويحتمل غفور رحيم من رحمته
ان يجعل الحدود في الدنيا من الحدود زواجر الى ارتكاب مثله من الافعال وقوله عز وجل يريد الله
ليبين لكم يحتمل قوله يريد الله ان يبين لكم ما تأتون وما تتقون وما لكم وما عليكم ويبين ما به صلاحكم و
معاشكم في امور دينكم ودنياكم لكن حقيقة المراد بالاية اما ان يكون اراد جميع ما ذكرنا او معنى خاصا مما
احتمله الكلام وليس لنا القطع على ما اراد به وقوله عز وجل ويهديكم سنن الذين من قبلكم يحتمل وجهين
اي يبين لكم سبيل الذين من قبلكم اي سبيل الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام واهل الهدى
والطاعة منهم ليعملوا ما عملوا وينتهوا عما انتهوا وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنهما سنن
الذين من قبلكم اي امر الرسالة والنبوة ليهديكم محمد صلى الله عليه وسلم وهو رسول الله امر الرسالة
والنبوة ليس ببديع قد كان في الامم السالفة رسل وانبياء عليهم السلام وامر رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم ونبوته ليس ببديع ولا حادث كقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل ويحتمل قوله ويهديكم
سنن الذين من قبلكم ان يبين لكم انه كيف كانت سنة في الذين خلوا من قبل في اهلاك من عاند الله
ورسوله واستئصال من استأصلهم بتكذيب الرسل والانبياء عليهم الصلوة والسلام والحلاف
لهم كقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل وقوله وقد مضت سنة الاولين وقيل سنن
الذين من قبلكم شرايع الذين من قبلكم من المحرمات والمحللات من اهل التورية والانجيل والزبور
وساير الكتب وقوله عز وجل ويتوب عليكم ان يريد ان يتوب عليكم وفي قوله تعالى ايضا سنن الذين
من قبلكم يحتمل يهديكم تلك السنن اي يبينها لكم انها كانت ماذا ويحتمل يهديكم سنن الذين من
قبلكم بمعنى جعل تلك السنن هداية لكم ثم قوله عز وجل من قبلكم يحتمل سنته وسيرته في الذين
من قبلكم ويعتبروا بها ويحتمل سننهم التي الزموها وسيرتهم التي سلكوها بما لها من العواقب
ليتعظوا بها والله اعلم بحقيقة ما انصرف اليه مراد الاية فيما احتمله فيهما موعظة بمنافيه و
على ذلك معنى قوله عز وجل يريد الله ليبين يحتمل كل ما به لنا نفع او كل ما بنا اليه حاجة او كل ما
علينا القيام به او يرجع ذلك الى الخاص مما يريد بالاية الاخبار عنه وان الذي علينا النظر فيما قد
يفضل البيان عنه وفيما انبا تاعن سنة فيمن تقدم مما نرجوا به الهداية والشفا للقيام علينا في
ذلك في الحق دون الشهادة عليه جل ثناؤه بالمراد فيها في مخرج الحكاية دون التصريح من الموعود
وقوله تعالى ليبين وان بين في مفهوم الخطاب فيما جرى به الذكر في هذه الاية واحد لو كان ذكر
ان يسبق الى الوهم غير الله سبق في هذا على حق العباد من التفاتهم والله اعلم ثم كان معلوما فيما اراد
بقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم انه لو لم يبين ما اراد بهذا الوعد ولم يهد انه كان يلحقه الخلف
الوعد فعل ذلك فيمن قال يريد الله ان يتوب عليكم ويريد الله ان يخفف ويتوب على من اريد بقوله يتوب
ويخفف عنكم يلحقه الخلف في الوعد ثم يخالف وصفه كان في حال انه ممن تاب الله عليه ثبت انه لم يدخل
في قوله سبحانه وتعالى يريد الله ان يتوب عليكم فاذا ثبت انه لم يدخل فيه وجب فيه امران احدهما ان الارا
ليست بامر اذ قد امر الكافر بالتوبة والثاني ان كل من لم يتب فهو ممن لم يرد الله ان يتوب عليه وهو في
في قوله تعالى ولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم على ان الله تعالى قال في المؤمنين يريد عرض الدنيا
والله يريد الاخرة وقال في الكفار لم يرد الله ان يجعل لهم حظا في الاخرة على التفريق من الذين
بحيث كانوا على ارادة الهداية مع ان ارادة ان لا يجعل له الحظ في الاخرة على الموعود خلف وارادة من

لا تدبر

من لا تدبر في فعله ولا يبطل به فعله تمني في متعارف الامر وتنتهي ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى الارادة
وهي التي يوصف بها من فعله الاختيار ثبت ان الله تعالى في فعل العباد فعلا بحيث فعله يوصف بالارادة
وفي ذلك وجوب القول بخلق افعال العباد او يكون المراد من تملنا الارادة اذا لم يحتمل التمني ولا الامر
ان يكون الارادة التي ينفي القهر والغلبة فيلزم ان يثبت نفي القهر الوصف بالارادة ويثبت انه
مريد لكل فعل نفي عنه القهر في وجوده وبالله التوفيق وقوله عز وجل والله عليم بما يؤتي ويتقي عليهم
بما به معاشكم وصلاحكم وما به فساد كم وفساد معاشكم وحكيم وضع كل شيء موضعه والله اعلم
وقوله عز وجل يريد والله يريد ان يتوب عليكم قالت المعتزلة قد اراد الله تعالى توبة من لا يتوب فيقال لهم
ما التوبة عندكم الا النبي التوبة عندكم التجاوز والدعاء فاذا وعد ان يتوب فلم يفعل فهو ترك الا العجز
او به ذلك الوصف له بالعجز والجهل فنعوذ بالله من الزيغ عن الحق والسرف في القول وانما ويله
عندنا والله يريد ان يتوب عليكم وفي الذي علم انهم يتوبون او كان ذلك اخبارا عن قوم اراد الله
ان يتوب عليهم فتابوا وقال قوم قوله والله يريد ان يتوب عليكم اي يأمركم ان تتوبوا والله اعلم وقوله
عز وجل الذين يتبعون الشهوات الاية على اختار الدنيا على الدين والاولى على الاخرة لهؤلاء ويتبعه
وسهوه تغلبه لا لتقصير من الله عز وجل عن البيان بل لتركهم النظر والتأمل بالعواقب غلبت عليهم
شهواتهم واتبعوا اهواء انفسهم اما رياسة طلبوها واما سعة في الدنيا يفوتها فذلك الذي
يمنعهم عن النظر في الاخرة لذلك ما لوا ميلا عظيما وخسروا خسرانا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا وقوله
عز وجل يريد الله ان يخفف عنكم هذا انه خفف علينا ولم يحمل ما حمل على الامم السالفة من الاصر والشدائد
والاثقال بما جعل توبتهم قتل بعضهم بعضا وجعل توبتنا الندامة بالقلب والرجوع مما ارتكبوا وان
يقال خفف عنا حيث لم يستأصلنا ولم يهلكنا بالخلاف وترك الطاعة عليها استأصل اولئك واهلكهم و
ويحتمل التخفيف عنا ايضا وهو ما خفف عنا حيث من اقامة العبادات والطاعات من الحوائج والجهاد
وغيره حتى جعل القيام بذلك اخف على الانسان وايسر من قيامه باخف العبادات وايسرها وذلك
من تخفيف الله تعالى علينا وتيسيره وفضل منه ورحمة والله اعلم وقوله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا
يحتمل ان يكون اراد به الكافر كقوله تعالى وخلق الانسان وكقوله تعالى اذا مسه الشر كان خبردعا وقد قيل
كل موضع ذكر الانسان فهو في الكافر من ضعفه يضيق صدره ومن نفسه بطول الترك في النعم حتى
يضيع فيها ويحتمل انه اراد به الكافر والمسلم ووضعه في ابتداء حاله انه كان ضعيفا كقوله من ضعف
ويحتمل وصفه بالضعف له لانه ضعيف في نفسه ثمن من الطاعات والعبادات التي يحمل الله
عليه ليس كالملائكة حيث وصفهم انهم لا يفترون ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ولا كذلك بنو ادم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون
تجارة الظاهرة في الثنيا انه من غير جنس المستثنى لانه استثنى التجارة عن تراض من اكل المال بالباطل
ليس من التجارة ولا التجارة من نوع اكل المال بالباطل الثنيا في الاصل جعل تخصيص المراد في المحل من اللفظ
فاذا لم يكن من نوعه كيف جاز لكنه يحتمل والله اعلم ان يكون على الابتداء والاستئناف كانه قال لا تأكلوا
اموالكم بينكم بالباطل ولكن كلوا بتجارة عن تراض منكم وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما استثنى السلام ليس من جنس اللغو لكن معناه ما ذكرنا لا يسمعون فيها لغوا ولكن
يسمعون فيها سلاما ويحتمل ان يكون في الثنيا بيان تخصيص المراد في المطلق من الكلام كقوله تعالى
انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط دل استثناء ال لوط على انه اراد بقوم مجرمين دل الثنيا على
مراد الخصوص فعلى ذلك يدل استثناؤه التجارة عن تراض منهم على انه اراد باكل المال بالباطل تجارة من
تراض وان كان في الحقيقة يصير مال هذا وهو ان يأخذ مال غيره فليتلفه فيلزمه بدله فيصير ما عوض
من بدله بما اتلفه قصاصا فهو في الحقيقة تجارة ويحتمل ان يكون وكل المال بالباطل بينهم ما لا يجوز
ولا يطيب لان حرف البين لا يستعمل الا فيما كان البدل من الجانبين فاذا كان ما وصفنا يحتمل وكان
الثنيا من ذلك من وجه يطيب ومن وجه لا يجوز ولا يطيب وفيه دليل ان التجارة هي جعل الشيء له
وترك الشيء بالشيء الا ترى الى قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ذكر الشيء ولم
منهم الا ترك الهدى بالكفر ثم سمى ذلك تجارة بقوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وفيه

دلالة ان البيع يتم بوقوع التراضي من المتبايعين وليس كما قال قوم لا يتم البيع وان تراضيا على
ذلك حتى يتفرقا عن المكان فكان ثوابا ذكرنا عندنا الظاهر هذه الاية فان احتجوا بالخبر الذي روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المتبايعين بالخيار ما لم يتفرقا لكن معناه عندنا ان يقول
الرجل للرجل بعتك عبدي بكذا فلصاحبه ان يكون قبلنا البيع ما دام في مجلسه او يحتمل ان يكون
اذا قال بعتك كان له الرجوع قبل ان يقول الاخر قبلت على ان قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يتفرقا لا يوجب
ان يكون تفرقا عن المكان تفرق الابدان الا ترى ان الله سبحانه وتعالى قال وان يتفرقا يغن الله كلا من
سعته ولا يفهم المعنى من ذلك تفرق المكان والابدان ولكن وقع ذلك على القول والطلاق على ان
في الاية بيان تمام البيع بوجود التراضي بقوله الا ان يكون تجارة عن تراض منكم ومما يدل على ذلك
ايضا قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم فلو كان البيع لا يتم بالتراضي فمتى يشهد قبل التفرق وبعد
التفرق ان شهد قبل التفرق فهل المقر صادق في ان لصاحبه عليه الثمن او كاذب اذا كان البيع لم
وما ينفعه الاشهاد ان كان للمقر ان يبطل اقراره بردا لسلعة وان كان انما يشهد بعد التفرق
فقد يجوز ان يتلف المال العالي قبل التفرق قبل الاشهاد فاين المخلص الذي امر الله تعالى ومما يدل على تاويلنا
في الخبر ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار
ما لم يتفرقا ولا يحل لاحد ان يجعل فراقه خشية ان يستقيله يدل على ان ليس له ان يرده الا بان
يقيله صاحبه ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يتفرقا من بيعهما على ان التفرق هو الفراغ
من عقد البيع لا غيره ومما يدل على ان الخيار ليس بواجب قول عمر رضي الله عنه ان البيع عن صفقة
او خيار فكان موافقا لما روى ابو هريرة رضي الله عنه يقول دل قوله تعالى لا تاكلوا الى قوله تجارة
عن تراض على الاذن في الاكل اذا وجدت التجارة عن تراض من الناس والتجارة معروفة عند جميع
من له عقل ومعروف ان يفرق المتعاقدان بعد الفراغ من العقد لم يعرف فيها هو عند الخلق تجارة
ولكن التفرق بانقضاء ما له الاجتماع والفراغ منه بما ليس من معاقدة العقلاء والوقوف في الاماكن
بلا حاجة فليس التفرق مما يحتمل ان يبطله حكم او سبقه من التجارة وقد اذن في الاكل والاكل عبارة
عن الاخذ وكل انواع المنافع بالباطل فثبت ان قد حلت بالفراغ عن التجارة بغير الرضاء وايد ذلك
قوله واشهدوا اذا تبايعتم والتبايع الذي عليه الاشهاد هو التعاقد لا التفرق من البعيد
ان يكلفوا الاشهاد على التبايع قبل وجوب الواجب من الحق الذي عليه الاشهاد ثبت بذلك
وجوبها جعل التبايع بوجوبه دون التفرق واذا ثبت الذي ذكرنا من احكام القران مع الكتابة بالامر
الذي شذ ونحو لا يسلم عنه البشر عن علم جميع البشر وكل اهل التبايع يتعارفون الحق بينهم بالفراغ
من العقود ولا يجوز سدونا لعلم يجي ذلك محله فيكون اتفاق الخلق على الجهل بالاعتقاد في امر
يعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ائمة الهدى لا ينتهون عن ذلك والله اعلم فاذا الزم ذا الوا
المروي من الخيار او كل متبايعين بالخيار ما لم يتفرقا حمل الخبر على ما فيه بعض العلم بحق القران وما
عليه امر الخلق على اتساع لغير ذلك الوجه بل لعله بغيره اولى ثم يخرج على وجوه على اضمار حق
على المتبايعين ان يكونا كذلك في حق الفعل لا في حق العبادة عن واجب دليله رواية عبد الله بن
عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ولا يحل
لاحدهما ان يفارق صاحبه خشية ان يستقيله ثبت ان المعنى بالخيار في حق الفعل لو طلب منه
الفسخ في الاستقالة والله اعلم والثاني ان يريد به ما ارادنا في التبايع دليل ذلك احتمال اللفظ قوله
سبحانه وتعالى واشهدوا اذا تبايعتم والاشهاد على التبايع هو فعل اثنين وقد ثبت منهما التبايع الفراغ
الاشهاد على التبايع وهذا احق بوجوه احدها حق اللغة انه اسم التفاعل وهو اسم لفعلهما
فيستحقان ذلك في وقت كونهما فيه كالتضارب والتقاتل ونحو ذلك وبعد الفراغ التسمية يكون
بحق الحكاية دون تحقيق الفعل والثاني ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا من بيعهما معروف والله اعلم والثالث متفق القول
من اهل العقل على رؤية وجوب البيع دون التفرق عن المكان والله اعلم والرابع انه يجمع ذلك
الحد لا صلوح البيعان انهما ما لم يتفرقا يملكان الاصلوح واذا تفرق لا وهو والى انه حمل التفرق

التام

التام شرطا للفساد ومنع الاصلوح وقد كان في جنس العقود مما يصلح العقود بالقبض فهو على الوجود
وقبل التفرق ثم لا يصلح اذا وجد التفرق فيكون كان الصلوح بالقول في الاصلوح وعلى ذلك اذا قال احد
للاخر اجر انقطع خياره لو كان تفرقا من القول وليس فيه زيادة على ما في قوله بعت منك في حق الاصلوح
فثبت ان التفرق يقطع الاصلوح لا الاصلوح والله اعلم ان الناس عرف في التبايع من وجهين احدهما في
التعاقد والثاني في التقابض فيكون المعنى من الخبر فيما البيع عن تقابض وهو بيع المداومة اذا زال عن
كل واحد منهما الاخر يفارقه على ما سلم وقبض كان ذلك بينهما وجاز ذلك ايضا بحق الاية في الاباحة عن تراض
واسم التجارة قد يقع على تبادل ليس فيه قول البيع كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وذلك مع قوله سبحانه وتعالى فما ربحت تجارتهم ان البيع الموقوف اذا
اخبر يباح الاكل لما كان وقت الاكل قد وجدت التجارة عن تراض وفي ذلك دليل وجوب خيار الرؤية
اذ قد جعل الرضاء سببا وهو مما يجهل بغير محن وما يعلم بالرؤية وفيه انه بالقبض بمعنى حق العقد اذ التجارة
للوكيل ولا يوصل اليه الا بالقبض فاذا فات مال التجارة فيبطل والله اعلم وفي قوله ايضا تبايعا وان
كان اسم لفعل اثنين فلما يتصل صحة كلام كل واحد منهما اذا كان الاخر حاضرا فكانما اشتركا في صحته فصار
شبا بعين نحو قوله سبحانه وتعالى حتى يتفرقا والتفرق اسم لفعل اثنين لكن احدهما اذا فارق مكان البيع
والاخر لم يفارقه وقد وجد حق التفريق من ان ليس احدهما بجنب الاخر فكانهما اشتركا في التفرق وان لم
يوجد الفعل احدهما والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم يحتمل وجهين اي لا تقتل بعضكم
بعضا فانه اذا قتل اخر فكانه هو الذي تقتل نفسه اذ لولا قتله اياه لم تقتل به والثاني انه اضاف القتل
الى انفسهم لانهم كلهم كنفس واحدة اذ كلهم من جنس واحد ومن جوهر واحد وقوله عز وجل
ان الله كان بكم رحيما اي من رحمته اذ جعل فيما بينكم القصاص واحدا النفس والمال بالمال وفي ذلك
حيوة انفسكم وابقاء اموالكم ومن رحمته ايضا ان جعلكم من جوهر واحد اذ كل ذي جوهر يالف جوهره
ويسكن اليه والله اعلم ومن رحمته ارسل اليكم الرسل وانزل عليكم الكتب واوضح لكم السبيل
ومن رحمته ان احل لكم وستر عليكم ودعاكم الى المتاب ومن رحمته دفع عنكم الافات واوسع لكم
الرزق وبالمؤمنين خاصة برحمته اهتدوا واستشفوا عن كل داء وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك عدوانا
عدوانا المجاوزة حدود الله وظلما على صاحبه والعدوان هو اسم التعدي والمجاوزة عن حدود
الله كقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وقوله تعالى ولا تظلموا فيهن انفسكم
وهذا الوعيد والله اعلم لما يفعل ذلك مستحقا لحدود الله واستحلالا منه لذلك والا لو كان
ذلك على غير وجه الاستحقاق بها والاستحلال لها لم يستوجب هذا الوعيد الا ترى انه قال تعالى
كتب عليكم القصاص في القتلى ثم قال عز وجل فمن عفي له من اخيه شيء انما جاء هذا في قتل العمد
ثم قال عز وجل فمن عفي له من اخيه شيء انما جاء هذا في قتل العمد ثم ابقى الاخوة فيما بينهما واخبر
ان ذلك تخفيف منه ورحمة ويخلد في النار وعلى ذلك يخرج قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها اذا قتله مستحلا لا مستخفا بتحريم الله اياه فاستوجب هذا الوعيد
واما من فعل على غير الاستحلال والاستخفاف بحدوده فالحكم فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى
ايضا عدوانا وظلما يحتمل الاستحلال دليله قوله عز وجل كتب عليكم القصاص ثم قال عز وجل فمن
عفي من اخيه شيء وقال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فابقى الاخوة التي كانت بقوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا فثبت ان الايمان بعد باق فابقى له الرحمة والاخوة وههنا دل كذلك افترقه
اثنان والثاني انه وعد اصلاء جهنم ولم يذكر الخلود وجائز تعذيبه في الحكمة والتنازع في الخلود
لا غير والاحسن في هذا ونحوه انه لم يتنازع ان يكون فعله الذي فيه الوعيد ان كان نهج خلود فهو الذي
يزيل عنه اسم الايمان ويبطل عنه حق فعله فانما التنازع في بقاء اسم الايمان في لزوم الوعيد فهي
فمتى لم يبق له الاسم والله اعلم وقوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اختلف فيه قال بعضهم
كبائر الشرك لان كبائر الشرك انواع منها الاشراك بالله ومنها الجحود وبعض الرسل عليهم الصلوة
والسلام ومنها جحود العبادات واستحلال المحرمات وتحريم المحللات وغير ذلك وكل ذلك شرك بالله
فقيل اراد بالكبائر الشرك فاذا اجتنب جميع الشرك صارت ما دونها موعود لها المغفرة والمشتبه

بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وعد المغفرة لما دون الشرك وتوبه
مشيته فهو فى مشية الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه وبالله التوفيق وقيل اراد بالكبائر
كبائر الاسلام ثم يحتمل وجهين بعد احتمل لا يكون الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر ويحتمل ان
الصغائر مغفورة بالحسنات الا ترى انه قال فى اخره نكفر عنكم سيئاتكم والتكفير انما يكون
بالحسنات الا ترى انه قال ان الحسنات يذهبن السيئات اخبر ان من السيئات ما يذهبها الحسنات
ويحتمل ان يكون التكفير لهما جميعا وان لم يجتنب الا ترى انه قال فى اية اخرى ان تبدوا الصدقات فنعما
هى الى قوله عز وجل ويكفر عنكم من سيئاتكم وقال عز وجل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر
عنكم سيئاتكم الا ترى انه روى عن انس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شفاعتى نائلة لاهل الكبائر من امتى وروى عن على رضى الله عنه انه سمع امرأة تدعو
اللهم اجعلنى من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال لها قولى اللهم اجعلنى
من الفائزين فان شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر ثم قرا ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه الاية ثم اختلف فى كيفية الكبائر وماهيتها فقال بعضهم ما اوجب الحد
فهو كبيرة من نحو الزنا والسرقة والقذف وغير ذلك وقال الاخرون الاشراك بالله
وقتل النفس التى حرم الله بغير حقها واكل مال اليتيم واكل الربوا وقول البهتان والفرار
من الزحف وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما يقول الكبائر تسع فقال له ابن
عباس رضى الله عنهما هن الى التسعين اقرب ولكن لا كبيرة مع توبة ولا كبيرة ولا صغيرة
مع اصرار وروى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون فى الزنا والسرقة وشرب
الخمر قالوا الله ورسوله اعلم قال هن فواحش وفيهن عقوبة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
انبئكم باكبر الكبائر قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين قال وكان متكئا فجلس
الا وقول الزور وقالها ثلاثا وقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون نكفر عنكم سيئاتكم ذكر تكفير السيئات
ان اجتنبوا الكبائر ولم يذكر الحكم اذا لم يجتنبها فليس فيه انه اذا لم يجتنب لا يكفر فهو فى مشية الله
ان شاء عذبه على ما ذكرنا ان وجوب الحكم لا يوجب ايجاب ذلك الحكم فى حال اخرا حظرا كان او حلالا والله
والله اعلم ويقراء فى بعض القراءة ان تجتنبوا كبير ما تنهون عنه فان ثبت هذا فهو يدل على التاويل الذى
ذكرنا انما اراد بالكبائر كبائر الشرك وقوله عز وجل وندخلكم مدخلا كريما قيل الجنة وقوله عز
وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الاية قال لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا امراته ولا داره
ولا الاشياء التى له ولكن ليقل اللهم ارزقنى تذكر نوع الذى رغبت والله واحد ذلك وهو
الواسع العليم وقيل هو كذلك فى التورية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا نغزو ويذكر الرجال ولا نذكر فنزلت الاية ولا تتمنوا ما فضل الله به الى قوله عز وجل
للرجال نصيب مما اكتسبوا ويحتمل ان يكون التمنى فى الديانة وفى الدنيا اما فى الديانة هو ان يتمنى مال
ذى وجهه وخدمه ويحتمل ان يكون معنى التمنى ما ذكر فى خبر ام سلمة لان فى ذلك الكفران بنعم الله
لان النساء وان لم يجعل عليهن القتال وغيرها من الخيرات رفع عنهن بعض المؤمنات ففى التمنى هو
الكفران بتلك النعم التى انعم الله تعالى عليهن وفى قوله ايضا ولا تتمنوا ما فضل الله اى الذى فضل
الله بعضكم على بعض والله اعلم لما فيه التسخط بحكم يريد التعرض لبلائه ولما فيه انه قسم فضله
على ما راى ان لا يسع فضله له وللذى فضله ولما المنظر الى ما اكرم به غيره يحق التمنى للنهى عن نعم الله
تعالى عليه وبما يخرج ذلك مخرج العداوة وحق نعم الله على كل احد ان يعرفها للتعظيم له وكذلك
فضلت على غيرك لترحم ويتفضل عليه للتعظيم والتمنى اوحش من الحسد لان الحسد هو ارادة
الشرف عنه وفى التمنى ذلك وارادة الفضل له به عليه وسالوا الله سبحانه وتعالى من فضله وكان
فضله هو ما له ان لا يبدل وذلك يخرج على فضل فى الدين او فضل فى الخلق والمروة فاما فيما يرجع الى
نعم الدنيا مما لا يستعمله فى احد الوجهين فهو فى الظاهر نعمة وفى الحقيقة بلية ومحنة قال الله
سبحانه وتعالى فلا تعجبك اموالهم الاية وقال الله عز وجل ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين ونحوه
ان يكون الاية فى النهى عما مكنوا من النعم لو وقفوا ان كان فعلا وقفوا للخيرات نحو ذلك ان

يشكر الله بما ام به من حسنات ويرغبوا فى التوفيق لئلا وان كان فى امر النعم فحقه ان يعينه بالدعاء
ليكون النعمة له نعمة لا بلية نقمة ويرغب فيما يقربك الى الله فى عاقبته وقد ذكرنا ان ام سلمة
تمنت بعض ما يقوم به الرجال من العبادات نحو الجهاد والشكاله منزل النهى عن ذلك والترغيب
فى فضله فى نوع ما يحتمل هى من الخيرات دون الذى يفضل عليهن بالرفع عنهن والله اعلم وفى
قوله ايضا ولا تتمنوا ما فضل الله الاية يحتمل ان يكون على ما خاطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى ولا تمدن عينيك الاية فاخبر ان الذى اعطى لهم يعط للكرامة ولكن ليفتنهم به
والعقل بالى الرغبة فيما يفتتن به دون ما يكرم به ثم بين ان الذى هو اولى بالمشتهى من التمنى
فقال للرجال نصيب مما اكتسبوا فرغب فيما له واما بالسؤال من فضله ان لا يكون كسبه له الا
بفضله سبحانه وتعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها ثم قال الله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا فبين ان كسبه عليه الا بفضل الله وبين ان الاولى به الاقبال به على مآله
عاقبة والتضرع الى الله تعالى بالاكرام دون الذى عليه فى ذلك خوف المقت والله اعلم وقوله
عز وجل واسئلوا الله من فضله سبله فان فضله واسع لا يتمنى مال اخيه وداره واسئلوا الله
تعالى العبادة ولا تتمن ان لا يكون لاخيك ويكون لك ثم اخبر ان ما يكون للرجال انما يكون باكتساب
وما يكون للنساء يكون بالاكتساب يكون لكل ما اكتسب من الاجر وغيره وقوله عز وجل ولكل جعلنا
موالى مما ترك الوالدان والاقربون احتمل هذا والله اعلم ان يكون معطوفا مردودا الى قوله
سبحانه وتعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الاية ذكر
ههنا ما يرث الرجال والنساء من الوالدين والاقربين ولم يذكر ما يرث الوالدان من الاولاد
والاقربون بعضهم من بعض من نحو العم وابن العم وغيرهم من القرابات فذكر ههنا ليعلم ان
للمولى من الميراث مما ترك الوالدان والاقربون مالا ولئك من الوالدين والاقربين اذا لم يكن
اولئك ان جعل لهؤلاء ما جعل لاولئك ولم يذكر ايضا بالوالدين من الاولاد فى قوله
للرجال نصيب مما ترك الاية ولكن ذكر فى اية الوصية فى قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية
للوالدين والاقربين بالمعروف ذكر الوصية للوالدين والاقربين ولم يذكر للاولاد والله
اعلم ان الرجل قد يرث ولده على نفسه وعلى غيرهم من الاقرباء ولا كذلك الولد والوالد فذكر
فذكر الوصية للوالدين والاقربين لهذا المعنى يصل اليهم المعروف واما الاولاد فانهم لا يرثون
على غيرهم لذلك لم يذكرهم والله اعلم وقيل فى قوله ولكل جعلنا اى بينا فيكون فيها بيان ما فى الاولى
من المواريث ثم قيل فى الموالى انهم هم العصبة وقيل هم اولياء الاب والاخ او ابن الاخ وغيرهم
من العصبة وقيل هى المواريث وهو قول ابن عباس وكله واحد وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى بالمؤمنين من مات وترك مالا فهو لموالى العصبة
ومن ترك مالا او ضياعا فانا وليه فلا دعا له وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحقوا المال بالفرائض فما ابقت السهام فلاولى رجل ذكر وعن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احرز الوالد او الولد فهو للعصبة من كان
وعن عمر رضى الله عنه انه كتب اذا كانت العصبة بعضهم اقرب بام فهم احق بالمال واجمع اهل العلم
على ان اهل السهام اذا استوفوا سهامهم وبقى من المال شىء انه للعصبة للميت وهم الرجال من قرابته
من قبل ابيه ومواليه وانه لا يكون احد من النساء عصبة الا الاخوات من الاب او من الاب مع البنات
والمرأة المعتقة فان هاتين عصبة واجمعوا ان كل من اتصلت قرابته من قبل النساء بالميت فليس
بعصبة وان المرأة اذا اعتقت عبدا او امة فانها عصبة المعتق بعد موت امه الا ابن مسعود رضى
الله عنه فانه يجعل لذوى الارحام دون الموالى واجمعوا انه اذا اجتمع عصبتان فاقربهما ادنى واقرب
العصبة الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا ثم الاخ من الاب والام ثم الاخ من
الاب ثم ابن الاخ من الاب والام ثم ابن الاخ من الاب ثم العم من الاب والام ثم العم من الاب
والام ثم ابن العم من الاب ثم موالى النعمة وان سفل هؤلاء كلهم عصبة الميت واقربهم اولاهم
بما فضل من المال عن اصحاب السهام المذكوره سهامهم هو والله اعلم موافق لما ذكر من دليل الاية والسنة

وما تواترت عن الروايات عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وفي قوله تعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك
الوالدان والاقربون يحتمل ولكل من الموالي جعلنا على اضمار نصيب اوحق فيما ترك الوالدان والاقربون
فيكون تاويله قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فيكونون هم موالي بحق الميراث على
تاويل انهم اولى مما تركوا او على مثله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ووليه من يحقه
في ملكه بنصره قوله تعالى يوصيكم الله وجميع ايات المواريث الا انه لم يذكر للوالدين في هذه الجملة و
لا للزوج ولا يدخلون في اسم القرابة ولا في اسم الاولاد وقد جاء في الايجاب لهم ايجاب واجتمعت عليه
الاية على غير دعوى النسخ فيه ليعلم من احد ليعلم ان التخصيص بالذكر في الحق لا يقطع حق غير لكنه
يكون الامر موقوفا على وجود دليله والله اعلم على ان في الايجاب للاقربين وللموالي كفاية عن ذكر من
ذكر اذ بهم يكون كل القرابة وبالمناكح يكون النسل وهو المجعول لذلك وكذلك لا يسقط عن هؤلاء
ولا يحجبون عن الكل ما وجد وقد جرى ذكر حقهم فيما نسخته هذه الاية من الوصية والله اعلم ويحتمل
قوله تعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون ان يرجع الموالي الى الذين ورثوه من تركة
الابوين والاقربين بجريان فيجري المواريث فيما قد ورثه نحو ما يجري فيما لم يكن ورث مرة فرجع ذا الى
غير اولاد الاول واقربائهم الاول وان يكون المقصود فيما ترك الوالدان والاقربون بما ذكر في ابيهم
نصيبا مفروضا ان يكون هذا فيما ترك الوالدان والاقربون مع اصحاب الفرائض فيكون هذه الاية في بيان
حق العصبات اذ لم يذكر لهم دون ان يكون معهم اصحاب الفرائض يرثون بحق السهام ولا بحق الفضل فيكون
جملة الايات في المواريث ثلاثة احدها في اصحاب الفرائض وهو قوله عز وجل فيما قل منه او كثر نصيبا مفروضا
والثاني في حق العصبات وهو قوله تعالى ولكل جعلنا موالي الاية والثالث في حق ذوي الارحام وهو قوله
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ثم الحق هؤلاء في حجاب الابعدين اهل العقد بقوله عز وجل والذين عقدت
ايمانكم فاتوهم نصيبهم وانما ذكر ذلك فيما ينزل المسبب ولا وجه للعون والوفود النصر فيما ذكر نصيبهم
في التركة كما ذكر لاصحاب الفرائض وعلى ذلك المرفوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن اسلم على يدي
اخر انه احق الناس بمحياه ومماته وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه وعلي وعبد الله رضي الله عنهم ثم كانت
المواريث بهذا من قبل فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فاذا ارتفع ذلك ذهب الناسخ
فوجب ان بيت المال يرث بولاية الايمان جملة وهذا تلك الولاية وولاية اخرى فهو احق والله اعلم ويخلف
هؤلاء من له رحم كالخلف ولاء العتاقة بما تقدم من النعمة بالاعتاق حق العصبة من ذي النسب بقوله عليه
عليه الصلوة والسلام الولاء لحمة كلحمة النسب **وقوله** عز وجل والذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم قيل
هو من الايمان كان يحلف في الجاهلية يقول الرجل لاخر ترثني وارثك وتعقل عني واعقل عنك وتنصرني وانصرك
ويحالفان على ذلك وقد قرئ بالالف على عاقدت فهو من المحالفة ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا حلف في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة وقيل هو من ضرب اليمين
وهو المبايعة كان الرجل يعاقد الرجل ويبايعه في الجاهلية فيموت فيرثه وقيل ان ابا بكر رضي الله عنه عاقد
رجلا فمات فورثه ولذلك خص المماليك بالذكر بهذا بقوله تعالى وما ملكت ايمانهم لانهم يشترون
للخدمة والمرأة اذا خدم نفسه انما يخدمها بيمينه فاذا كان تاويل الاية ما ذكروا فهو منسوخ بقوله عز وجل
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وبما روينا من الخبر من قوله صلى الله عليه وسلم لا حلف في
الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ويحتمل ان يكون الاية فيمن اسلم على
يدي اخر وولاه على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسلم اهل الكفر على يدي رجل من
المسلمين فهو اولى الناس به محياه ومماته وروي عن عمر رضي الله عنه ان رجلا سئل عن رجل اسلم على يدي
رجل ويواليه قال هو مولاه فان ابى فلبيت المال وروي عن مسروق قال اتيت عبد الله فقلت ان
رجلا كان عاملا علينا فخرج الى الاجل فمات وترك ثلاثمائة درهم فقال عبد الله هل له وارث او
لاحد منكم عليه عقد ولاء قلت لا فجعل ماله بيت المال وكذلك يقول اصحابنا رحمهم الله من مات
وترك وارثا فماله لوارثه وان لم يكن له وارث فللذي اسلم على يديه ووالاه لما روينا من الخبر هو اولى
الناس به بمحياه ومماته وقوله بمحياه في العقد ومماته في الميراث وما روينا من الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين **وقوله** عز وجل والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم قيل هي الوصية الى تمام

الثلث لان الميراث قد نسخ بالاية التي في الانفال بقوله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله من المؤمنين والمهاجرين ثم قال الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا فهي الوصية الى تمام الثلث
فاذا كانت الاية في الذي اسلم على يديه ووالاه وعاقده فهو ليس بمنسوخ وقيل فاتوهم نصيبهم من النصر
والمعونة والمشورة ولا ميراث **وقوله** عز وجل ان الله كان على كل شيء شهيدا بما ذكر من الشرط والوفاء به
وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل الرجال قوامون على النساء قال اهل التاويل الاية نزلت في الازواج ودليله
قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم والازواج هم الماخوذون بنفقة ازواجهم وفيه دليل وجوب نفقة
المرأة على زوجها وعلى ذلك اجماع اهل العلم وقال بعض اهل العلم في قوله تعالى الرجال قوامون على النساء
دليل ان لا يجوز النكاح الا بالولي حيث اخبر انهم القوامون عليهن دون هن قيل له ان كان الاية في الازواج
وفي الاولياء على ما ذكرت ففيه دليل جواز النكاح بغير ولي لا بطلانه وذلك قوله تعالى الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض اخبر انه فضل بعضهم على بعض وذلك التفضيل تفضيل خلقته وهو
ان جعل الرجال من اهل المكاسب والحرف والتقلب في حاجاتهن فالرجال هم القوامون عليهن وليس
امورهن وقاضين حوائجهن وقائمين على ذلك فرض على الرجال القيام بمصالحهن كما ذكروا معاش
ذلك على الرجال يجوز اذا اولين بانفسهن ومن انكحوا الجهن من المبايعات والاشربة وغير ذلك النكاح وان
كان الرجال هم القوام عليهن فانهن اذا اولين ذلك بانفسهن ومن جاز نكاحهن جاز ذلك كما جاز غيره
ولهذا ما امر الاولياء بالتزويج في قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الاية ونهاهم عن العضل عن النكاح
بقوله عز وجل ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الاية لان ذلك حق عليهم ان يفعلوا ذلك بانفسهم
اذ لا بد من حضور مشهد الرجال ومجلسهم ليشهدوا على ذلك فوكل على الاولياء القيام به ولهذا
ما جعل نفقتهن اذا لم يكن لهن مال على محارمهن لا يقمن بالمكاسب وانواع الحرف والتجارات والزراعات
يقومون فجعل مؤنتهن عليهم لضعفهن وعجزهن عن القيام بالمكاسب خلقة ولهذا ما لم يجعل
للذكور من المحارم بعضهم على بعض النفقة كما يقومون بالمكاسب فاذا صار زمنا وعجز عن المكاسب
جعل نفقته على محارمه لانه صار في الخلقة كالمرأة والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض قال امر عليهن ان تطيعه فيما امرها الله به من طاعته
وطاعته ان تكون محسنة الى اهلها حافظة لماله وفضله عليها بنفقته وسعته وقيل نزلت الاية في
رجل لطم امراته في وجهها فنشزت من فراش زوجها واستعدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله لطمني زوجي فلان لطمة وهذا اثرها في وجهي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتصي منه وكان القصاص بينهم يومئذ بين الرجال والنساء في اللطمة والشجة والضربة ثم ابصر
النبي صلى الله عليه وسلم جبرئيل عليه الصلوة والسلام ينزل فقال لها كفي حتى انظر ما جاء به جبرئيل
في امرك فاتاه بهذه الاية الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض اي المسلطون على اداب
النساء في الحق وقيل بتفضيلهم عليهن بالعقد والميراث وفي الغنى والله اعلم ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير مما اردنا وقيل في قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم
بما ساقوا من المهر والنفقة استدل الشافعي رحمه الله بقوله تعالى الرجال قوامون على النساء الاية على ان
النكاح لا يجوز الا بالولي فصرف تاويل الاية اليهم وفيها بما انفقوا فيلزم الاولياء النفقة وهؤلاء يقولون
به وبعد فان الاية لو كانت في الاولياء فهو في كل امر لهن اليهم حاجة فخرج ذلك مخرج الحق لهن في
ان يتولوهن العقود كلها ويقوموا في كفايتهن وكفالتهن لا انهن لو قمن بانفسهن يبطل فعلهن في
امر النكاح واهل التاويل يحملون الاية على الازواج ومن يريد الاية علم انها فيما قال اهل التاويل دون
الذي ذهب اليه الشافعي والله اعلم **وقوله** عز وجل فالصالحات قانتات عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قانتات يعني مطيعات والقانت هو المطيع ويحتمل مطيعات لله تعالى ويحتمل مطيعات للازواج ويحتمل
قانتات اي قائمات باداء ما فرض الله عليهن من حقوقه وحقوق ازواجهن **وقوله** عز وجل حافظات
للغيب قيل حافظات بما استودع عهد الله من حقه وحافظات للغيب لغيب ازواجهن وقيل حافظات
لانفسهن لغيبة ازواجهن في فروجهن ويحتمل حافظات للغيب اي لله في اموره واوامره ونواهيه والقائم
بحقوقه وقانتات وحافظات هو تفسير صالحات **وقوله** عز وجل بما حفظ الله اختلف في تلاوته وتاويله

في حرف بعضهم بالنصب بما حفظ الله وتاويله بحفظ لكنه نصب لسقوط حرف الخافض ومن رفعه جعل تاويله
بما استحفظهن الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن قال بعض اهل الادب
سمى العلم خوفا لانه انسطر في العلم وقال اخرون وهو الفراء الخايف الظان لانه يرجو ويخاف ولذا الاجل
في انه سمى العلم خوفا لغلبة شبه الخوف فيجعل عمل الشيء على غير حقيقة لانه يعرف بالاجتهاد وباكبر الراي
والظن ويكون كان السبيل معرفته الاجتهاد فان غالب الظن او اكبر الراي يعمل عمل اليقين في الحكم
وان لم يكن هنالك حقيقة الا ترى الى قوله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار الزمنا
العمل بظاهر علمنا وان لم نصل الى حقيقة الا ترى ايمانهن فعلى ذلك اذا علم منه النشوز علم اكبر الظن وعمل
عمل الذي ذكر من العظة وغيرها لان قوله تخافون نشوزهن ليس على وجود النشوز منها لتحال الحقيقة
ولكن على غالب الظن لانها اذا كانت ناشزة كيف يعظها وكيف يهجرها ويضربها فدل انه على غالب العلم
الا ترى انه من اكره على ان ينطق بكلمة الكفر بقتل او بضرب يخاف منه التلف كان في حل وسعة ان
ينطق به بعد ان يكون قلبه مطمئنا بالايمان وذلك انما يعلم علم غالب الظن واكبر الراي له ليعلم علم حقيقة
ثم ابيح له ان يعمل حقيقة العلم فكذلك الاول والله اعلم نهى الله عز وجل عن عصيان زوجها وامرها
بطاعة في نفسها كما امره ان يحسن عشرتها وهذا هو والله اعلم هو الحق الذي امره الله تعالى في سورة
البقرة مجملا بقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وفسر الحق عليهن في هذه السورة وهذا ان
تطيعه في نفسها وتحفظ غيبة الا ترى انه قال تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لحق الزوج على امراته ان دعا وهو على ان ثبت ان تطيعه وقوله
عز وجل فعظوهن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عظوهن بكتاب الله فان اطعنكم اي رجعن الى
الفراش والطاعة والا فاهجروهن ان لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشه ويوليها الظهر فان قبلت و
الا فقد اذن الله لك ان يضربها ضربا غير مبرح ولا يكسر لها عظما فان قبلت والا فقد حل لك منها
الفداء ويحتمل قوله فعظوهن اي يقول لها كوني من الصالحات ومن القانتات ومن الحافظات ولا تكوني
من كذا على الرفق واللين فان هي تركت ذلك والا فاهجرها والهجران يحتمل وجهين التخويف على الاعتزال
منها وترك المضاجعة والجماع ويحتمل ان يهجرها ولا يجامعها الا على التخويف من ترك ذلك فان هي تركت ذلك
والا ضربها عند ذلك الضرب الذي ذكرنا غير مبرح ولا شاين والله اعلم على الترتيب يعظها اولا بما ذكرنا
من الرفق بها واللين لعلها الطاعة وترك ذلك ثم اذا لم تطعه خوفها بالهجران فلعل قلبها لا يحتمل
الهجران وترك المضاجعة فتطيعه فان هي ابت ذلك حينئذ هجرها ولم يجامعها ولا ضاجعها فان هي اطاعت
والا عند ذلك ضربها فان هي اطاعته والا فعند ذلك يرفعان الى الحاكم وهذا يجب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر على الرفق واللين اولا ولا يغلظه في القول فان هو قبل ذلك والا عند ذلك غلظ
القول له فان قبل ذلك والا بسط يده على ما امر الله سبحانه وتعالى الازواج ان تعاملوا النساء
من العظة ثم الهجران ثم الرفع الى الحكمين وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تضربوا اماء الله فتركنا الناس ضربهن فجاء عمر رضي الله عنه والله لقد ذبر النساء يا رسول الله
فامر بضربهن قال فطاف بال محمد نساء كثيرا يشتكين ازواجهن فلما اصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ولقد طاف الليلة بال محمد سبعون امراة يشتكين الضرب والله ما تجدون اولئك
خياركم وقال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي وقال احسن المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم
باهله والموعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبايع النافرة فيكون ذلك تذكير عواقب
الامور ومبادي الاحوال والله اعلم وعلى ذلك يعظها زوجها بان يذكرها نعم الرب جل جلاله وما
جعل من الحق عليها وما وعد في ذلك واوعد ففي هذه الايات دلالة لزوم الاجتهاد تكليف ما
لا يصل الى معرفة المكلف الا بالتدبر والعرض على الامور المعتادة او الاسباب المعقولة في جعلها
اسبابا للمصلحة وسبلا للوقوف عليها في اصول تلك النوازل من الحكمة ولا قوة الا بالله ثم جعل
تاديبهن الى الازواج لا الى الايمة اذ عقوبته يكون بالضرب والحبس وما يلحقها من المكروه فيما له
امرها التاديب معا في ذلك من الستر ويكون الغالب منه ما لا يجد السبيل الاشهاد عند الحاكم ويكون
في اوقات تضيق عن احتمال ذلك ويكون ذلك اصلا لتاديب كل كافل من الايتام والصغار وغير

ذلك والله اعلم والاصل ان الله تعالى قال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
مودة ورحمة فجعل التاديب من الوجه الذي فيه حفظ المجعول لنا اية ورعاية ما جعل بينهم من المودة و
الرحمة والمنازعات والخصومات الى الحكام يقطع تلك التي جعل لهم من ذلك قدرا لا يقطع مثله من التاديب المعنى
المجعول بينهم ولذلك لم ياذن بالضرب المبرح ولا اذن الا عند انقطاع الميل التي جعل الالفة والمحبة على ان
في حقيقة ذلك اظهار الاشفاق على ما اعترض من خوف انقطاع المودة والرحمة وابتداء العتاب الذي
هو اية النسخ والرحمة اذ ذلك بما يخاف في ترك ذلك تمام ما قد انتج من السرور الشفقة والله اعلم وقيل في
قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم بما ساقوا من المهر والنفقة وقوله تعالى واهجروهن في المضاجع يحتمل
وجهين احدهما ان يهجرها في حال مضاجعته اياها في ان لا يكلمها لا ان في ان يترك مضاجعتها اذ المضاجعة
بينهما عليه في تركها ما عليها لا يوديها بها بضر حقه ونفسه والله ويحتمل اي اهجروهن عن المضاجع و
مضاجعة اخرى في حقها فيكون حقا عليه في حال الموافقة وحفظ حدود الله بينهما لا في حال التضييع
والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يهجرها اي ان لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشه ويوليها
الظهر لكنه على هذا يبين كان في التاديب لانه به يودب نفسه في ذلك الى حاجته لكن المعنى في ذلك
الى حاجته لكن المعنى في ذلك ان لا يجامعها لوقت علمه بشهوتها وحاجتها وانما بنظر شهوته دونها
والله اعلم وقوله عز وجل فلا تبغوا عليهن سبيلا فان اطعنكم اي لا تطلبوا عليهن علاء وقيل لا تكلفوهن
الحب وانما جعل الله المواعظة والهجران واضربوا في المضاجع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال فان
اطاعته فلا سبيل له عليها ثم الضرب هو ما ذكرنا انه تضربها ضربا غير مبرح وهو ما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال علق سوطك او ضع حيث تراه اهلك ولا تضربها به قيل وبم تضرب قال بنعليك
ضربا غير مبرح يعني غير موثر ولا شاين وروي في خبر اخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا
الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وان لكم عليهن ان لا يوطين
فراشكم احدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف
وقوله عز وجل ان الله كان عليا كبيرا هذا والله اعلم تذكرة من الله عباده وامر منه اياهم انه مع علوه
وسلطانه وعظمته وجلاله وقدرته لا يواخذنا باول عصيان نعصيه ولا باول عثرة نعثرها مع قدرته
على الاخذ على ذلك واحلافه ايام فانهم لا تواخذوهن ايضا باول معصية يعصين فيكم والله اعلم
ويحتمل ذكر هذه الاية وهو كذلك ليذكر علوه وكرمه فيحفظ حده فيما جعل من التاديب وذكر قدرته
عليه وقوله عز وجل وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها الاية وكان هذه
المخاطبة والله اعلم بغير الازواج انه قال فان خفتم شقاق بينهما ولو كانت المخاطبة في ذلك للازواج
لقال فان خاف شقاق بينهما او ان خفتم شقاق بينكم وقوله عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن الاية خاطب بذلك للازواج لانه واهجروهن في المضاجع وذلك الى الزوج اذ الزوج اذا خاف
نشوز امراته ان يعظها اولا فان قبلت والا فبعد ذلك هجرها ثم يضربها ان لم تقبل ذلك فان لم
ينفع ذلك كله فبعد ذلك رفع الامر الى الحاكم والامام فوجه الحكمين وروي نحو ذلك عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال يبعث الحكمان حكما من اهله وحكما من اهلها يا فلان ما تنقم من زوجتك انقم منها
كذا وكذا يقول ارايت ان ترغب عما تكره الى ما يحب هل انت تتقي الله تعالى وتعاشرها بالحق عليك
من نفقتها وكسوتها فاذا قال نعم قال الحكم من اهله يا فلانة ما تنقم من زوجك فيقول مثل ذلك
فان قالت نعم جمع الله بينهما بالحكمين بهما يجمع الله وبهما يفرق ثم اختلف في الحكمين هل يفرقان بينهما
قال بعضهم يفرقان لكنهما ان شاء الله وان شاء اجمعاهما وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
بعثت انا ومعاوية حكمين وقيل لنا ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما واما عندنا
فانهما لا يفرقان الا برضى الزوجين لما روي ان رجلا وامراته اتيا عليا رضي الله عنه مع كل واحد
منهما فيام من الناس فقال علي رضي الله عنه مع كل واحد منهما فيام من الناس فقال علي رضي الله عنه
ما شان هذين قالوا بينهما شقاق قال علي رضي الله عنه ابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما فقال علي رضي الله عنه هل تدريان ما عليكما ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا
فرقتما فقالت المراة رضيت بكتاب الله قال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله لا

لا سعلت منى حتى تقر كما اقرت اخبر على ان فرقة الحكمين انما تجب رضاء الزوجين فلو كانت فرقتهما
يجوز بغير لم ينظر الى سخط الزوج فى الفرقة لقال على رضى الله عنه للحكمين فرقا ان رايتما ذلك كره
كره الزوج او رضى وفى قوله ايضا وان خفتم شقاق بينهما اى علمتم اذ حق ذلك ان يجتهد فى الحال
بينهما فيعلم على الغالب والغالب يحق العلم فى الاعمال وحق الريب فى الشهادة فذكر باسم الخوف على
ما فيه من علم العمل فى ظاهره لا يرحتى يبعث عن اهل كل واحد منهما ولو كانا فى المنزل واحد فحقه ان
يجمع بين الحكمين لا ان يبعثا يدل على ظهور الخلاف والشقاق والله اعلم قال وامر الحكمين بالاصلاح
بين الزوجين وهو الامر الذى امر بين جميع المؤمنين من قوله فاصلحوا ذات بينكم وقوله ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم الاية وقوله لا خير فى كثير الاية وذلك فى حق التاليف واما به تمام الاخوة
بقوله فاصلحوا بين اخويكم لا بما يضربه اهله ويوجب التفريق بينهم والتباعد وعلى ذلك امر الحكمين
فى النكاح والله اعلم وقوله عز وجل ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وعن ابن عباس رضى الله عنه
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الحكمان وعن مجاهد مثله وقال اخرون قوله ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما الزوجان وفى الاية دليل على انه ليس للحكمين ان يفرقا لان الله تعالى قال ان يريدا اصلاحا
وليس فيها دليل ان فرقتهما جايزة بشئ وقوله عز وجل فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به يدل على ان الخلع اليهما وكان الحكمين يوجها ليعرف من الظالم من الزوجين
يستظهر بهما على الظالم كان كل واحد منهما اذا شكا بين الناس من صاحبه لا يعرف الظالم منهما من
غير الظالم فان كان الزوج هو الظالم اخذ على يده وقيل لا يحل لك ان تفعل هذا التختلع منك
وامر بالانفاق عليها وان كانت هى الظالمة وكانت فى غير منزله ناشزة بالانفاق عليها ونزله
قد خلعت الفدية وكان فى اخذها معذورا بما ظهر للحكمين من نشوز المرأة والله الموفق وفى قوله ايضا
ان يريدا اصلاحا لا يخلو من امرين اما ان يريد به الزوجين والحكمين ثم الاصلاح يكون مرة بالجمع
ومرة بالتفريق فحمل الجمع تاويل التوفيق والجمع بينهما وعلى ارادة التفريق تاويله التوفيق للوصول
يدخل فيه الامران وفى ذلك ان الفرقة والاصلاح وانصرف معنى الاية الى الزوجين وايد ذلك
قوله عز وجل وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الى قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الاية
ثم قال عز وجل وان يتفرقا يغنى الله كلا من سعته الاية فعلى هذا ظهر منه النشوز فيصرف امر
التفرق الى الزوجين وكذلك بقوله تعالى لا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن الى قوله تعالى فلا
فلا جناح عليهما فيما افتدت به فاشركهما فى الابتداء الذى به القران ويريد به الحكمين فيكون ذلك على
الترغيب فى طلب الاصلاح بينهما وعلى ايثار العدل والصواب كقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس فاحكموا
وقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط الاية فاذا اراد الاصلاح يوفق الله بينهما له وجهان اى بين
الزوجين ببركة قيام الحكمين لله وابتغاءهما الصلاح بينهما فيوفق الزوجين لما له النكاح من السكن
والرحمة والمودة والعفة ويحتمل يوفق الله بينهما بين الحكمين فى اصابة ما اراد من الصلاح ثم العلم
بارادتهما الاصل لا يعلمه الا الله فلا يحتمل ان يوجب لهما فى الحكم التفريق والذى جوابه وعدا التوفيق لم
يبين كذلك لم يكن لهما حق انما اليهما اعلام ما اتفقا عليه ثم هما علاو لهما فيكون لهما الرضا عما رايا وغير
الرضا واصله وجهان احدهما انه استوجبا القيام بالتولية والرضاء من الزوجين او لما خافا الشقاق
بينهما فان كانا يبعث الناس فقاما يبعث من لا يملك الفراق ثم يستوجبا بهم ذلك وان قاما بعث الزوجين
فرضاهما بعثهما فى ذلك لم يكن لهما غير الذى كان فيه الرضا عليهما والله اعلم والثانى انهما بعثا للعلم بالسبب
الذى حملها على الشقاق وليعلما السبب منهما فلا يحتمل ان يلزما به الطلاق فى ذلك ذنب منه فيكون به كل امرأة
تريد مفارقة الزوج واغرامه المهر فانه لا يحتمل ذلك لم يحتمل ان يكون لهما حق التفريق بهذا البعث مما
لدفع الشقاق الهايج بينهما والرد الى الصلاح الذى له كان النكاح على انه يكون الاخذ على يدى الظالم
منهما والقهر على العود الى ما فيه الصلاح بالتاديب لم يكن ان يلزما الفراق وان كرهاه والله اعلم ثم الاصل
انهما بالعان لا يلزمان النكاح اذا كرهاه ورادا لقوم الصالح الى التناسخ على احتمال وجود الولايات فى النكاح
كانا ان لا يلزمان الطلاق اذا كرهاه على امتناعه عن وجوب الولايات به لغير الزوجين اخرى والله اعلم
وقوله عز وجل ان الله كان عليما خبيرا من الظالم منهما ومن المظلوم وقيل عليما خبيرا بنصيحتهما عليما

بما اشرت المرأة الى حكمها والزوج الى حكمه خبيرا بما اطلع كل واحد من الحكمين من صاحبه على ما افتى به اليه
احد فدام لم يبدنه والله اعلم وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه فابعثوا حكمة من اهله وحكمة من اهلها
وقوله عز وجل واعبدوا الله قيل وحدوا الله وقيل اطيعوا الله وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ولا تشركوا به شيئا
يحتمل النهى عن الاشراك فى العبادة والطاعة ويحتمل النهى عن الاشراك فى الربوبية والالوهية النهى عن
الاشراك فى سلطانه وغير ذلك كل ذلك اشراك بالله وبالله العصمة قال اهل اللغة العبادة هى الطاعة
التى معها الخضوع قال بعضهم التوحيد واصلها ان يجعل العبد نفسه لله عبدا لا يشرك فيها غيره من
هؤلاء اما كان من وجوه الاشراك له وجهان احدهما فى الاعتقاد والثانى فى الاستعمال والله اعلم وقوله
عز وجل وبالوالدين احسانا امر الله تعالى بالاحسان الى الوالدين وامر بالاحسان الى ذوى القربى واليتامى
والمساكين الى اخر ما ذكر لكن المعنى الذى به امر بالاحسان الى هؤلاء الاصناف والفرق مختلف اما
احسان الوالدين بشكرهما بما احسنا له وربياه صغيرا كقوله اشكر لى ولوالديك وقوله تعالى ولا
تقل لهما اف الاية وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا يذكرها لصغره وضعفه كيف ربياه ويشكرهما
على ذلك ويحسن اليهما جزاء بما احسنا اليه وربياه صغيرا وقال الله عز وجل ايضا ووصينا الانسان بوالديه
بوالديه احسانا فاحسان الوالدين جزاء وشكر لما انعما اليه وذلك من جانب الولد لان مثله لا يلزم الوالدين
لولده وذلك فرض على الولد حتى عد عقوق الوالدين من الكباير روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين والواجب على الرجل ان يطيع والديه وكل واحد منهما
الا ان يامره بمعصية او ينهى عن اداء فريضة او تاخيرها عن وقتها فان طاعتهما حينئذ معصية لله الا
الى قوله عز وجل وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا
امره بمصاحبتهم بالمعروف الى ان يامره بمعصية ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله لا ينبغى للرجل ان يقتل اباه
الكافر اذا كان محاربا الا ان يضطره الاب الى ذلك لانه قال وصاحبهما فى الدنيا معروفا ومن المعروف ان لا يقتله
ولانه هو عليه السلام وقال ايضا ان مات احدهما تولى دفنه وذلك من حسن الصحبة والمعروف وروى
ان ابا طالب لما مات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اذهب فواره ثم هذه الاية تسوى
بين الوالدين فيما امر له من الاحسان اليهما ولم يجعل للاب فضل فى هذا على الام فذلك يدل على ان اسلام
كل واحد منهما من الابوين اسلام للصغير اذا كان الاجماع فانما فى اسلام الاب اسلام لولده الصغار
وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال غير ان ابويه يهودانه وينصرانه وقوله عز وجل وبذى
القربى امر بالاحسان الى ذى القربى ومعنى الامر به والله اعلم صلة يصل بعضهم بعضا وذلك من جانبين
لا يلزم هذا ان يحسن الى هذا الزم الاخر ان يحسن اليه وذلك ابقاء للمودة فيما بينهم والمحبة وذلك
فرض ايضا ان يصل بعضهم بعضا ان صلة القرابة فريضة والامر بالاحسان الى اليتامى يحتمل الوجهين
لما ليس لهم والد يقوم بكفاياتهم على ما يقوم له الوالده وامر بذلك لما به الرجل والداخر لكان والده فاذا
مات والده يمتنع عن ذلك فامر ان يحسنوا اليه بعد موت والده على ما كانوا يحسنون فى حيوته لانه فى ذلك الوقت
اخرج اليه اذ لا شفقة عليه وشفقة والده معدومة والله اعلم ومعنى الامر بالاحسان الى المساكين يحتمل
ايضا وجهين يحتمل شكر الله على من عليهم وانعم بالافضال على ادنك انه لم يسبق منهم الى الله معنى يستوجبون ذلك
دونهم امر بالاحسان اليهم شكرا لما انعم عليهم واحسن اليهم والثانى انه من جوهرهم وجنسهم فى الخلقة هم
يحتاجون الى ما يحتاج هؤلاء من الماكل والمشرب والملبس وغير ذلك بامرهم بالاحسان اليهم شفقة منهم لهم
ليتقوا على اداء ما فرض الله عليهم اذ هم فى الخلقة والجوهر وهذا الاحسان فى اليتامى والمساكين من جانب
ليس من جانبين وقوله عز وجل وابن السبيل امر الله بالاحسان الى ابن السبيل للوجهين الذين وصفتهما
فى المساكين والله اعلم وقيل فى اليتامى انه امر الاوصياء بالقيام على مالهم وحفظهم ورحمة لهم واللين لهم وقوله
عز وجل والجار ذى القربى وهم ذوو قرابة وله حقان حق بالجوار وحق الرحم كذلك روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فاما الذى له حقوق
ثلاثة حق القرابة وحق الاسلام وحق الجار واما الذى له حقان حق الاسلام وحق الجوار والذى له حق واحد حق
الجوار وقوله عز وجل والجار الجنب خص الله سبحانه وتعالى الجار الجنب دون غيره من الجيران غير الملازقين وكان
ذلك دليلا على ان الحقوق التى تلزم بالجوار انما تلزم فى الجيران الملازقين بالملك يمس ملك بعضهم بعضا و

يلحق به كما في الرحم ببعض النفس بعضهم لبعض ولهذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه انه اذا اوصى لجيرانه فالوصية
للملازقين دون غيرهم لانهم هم الذين يلزم لبعضهم على بعض حقوق يقومون باداتها في حال حيوتهم
فاذا ماتوا فاوصوا انما اوصى باداء ما كان بينهم وكذلك قال في الوصية لذي قرابته انها للقرابة الذين
يفرض عليهم صلتهم اذا كانوا احياء فاذا مات فاوصى فانما يوصي باداء ما كان يؤدي في حال حيوته ودل
مما عليه الاداء وفيه دليل على ان الشفعة الواجبة للجار انما تكون للجار الجنب الملازق دون غيره من
الجيران وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الجار والحض على حسن صحبته وعن ابن عمر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وفي بعض الاخبار من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وفي بعضها ما امن من امسى شبعانا وجاره جائعا واذا بيع بجنبه
دار اراد ان ياخذها بالشفعة لما روى عن عمر رضي الله عنه وابن الشريد عن ابي رافع عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الجار احق بسقبه ما كان وعن رافع بن خديج قال عرض علي سعد بيتا فقال
خذه فاني قد اعطيت به اكثر مما تعطيني ولكنك احق لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الجار احق بسقبه وعن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة
بالجوار وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجار احق بسقبه جاره اذا كان طريقهما
واحدا ينتظر بها وان كان غائبا يدل على انه لا ينتظر بها اكثر من ذلك وفي ذلك دليل على ان
الشفيع ان امسك عن طلب الشفعة وقد علم بالبيع بطلت شفعته ومما يدل على ذلك ايضا
ان الشفعة انما جعلت للجار والله اعلم لما يخاف عليه من سوء جوار المشتري والضرر الذي عسى
ان يلحقه منه فلو جعلنا الشفيع على شفعته ابدا لم يؤمن ان يبني المشتري في الدار وينفق
فيها نفقة عظيمة ثم يجيء الشفيع فيطلب الشفعة فيقال للمشتري سلم الدار وارفع بناءك وفي
ضرر عليه بين وعن علي بن عبد الله رضي الله عنهما قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة
بالجوار وعن شريح قال كتب الي عمر رضي الله عنه ان اقض للجار بالشفعة والى هذه الاثار ذهب اصحابنا
رحمهم الله في ايجاب الشفعة بالجوار وانكر قوم ان تكون الشفعة الا فيما لم يقسم من الدور والارضين
واحتجوا في ذلك بما روى عن سعيد بن المسيب وابي سلمة قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة
في كل ما لم يقسم فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة وكذلك روى ابو هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله لكن تاويل الحديث عندنا والله اعلم ان قوله قضى بالشفعة فيما لم
يقسم قول الراوي لانه لا يحفظ عنه انه قال لا شفعة فيما قسم فيحتمل ان يكون على ذلك فحكاه ولم يحمل
ما رواه الاخرون بايجاب الشفعة فيما قد قسم واما قوله فاذا وقعت الحدود فلا شفعة فليس فيه
بيان حكاية عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد يجوز ان يكون ذلك من الراوي او ان قال ذلك انما قال في
القسمة لا شفعة في القسمة عندنا ثم قد جعل الله تعالى لبعضهم على بعض حقوقا باتصال املاكهم
حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان يبيع داره فليستاذن جاره فاذا اراد البايع اخذ
الجار الذي لا حق له على الذي له حق جعل له ابطال ذلك اوليس عرضه من البيع الا الثمن وقد يؤخذ
من الجار وانما البيع فالمقصود فيه الثمن وقوله عز وجل ايضا والجار ذي القربى والجار الجنب والجنب
البعيد والله اعلم ليعلم ان الحق الذي للجار من الاحسان اليه هو الحق القرابة بل هو بحق الجوار ثم
امر بالاحسان الى من له جوار بالنسب ثم كان الحق قد يفترض بجوار النسب بحال مما كانت الصلة مفروضة
فيمن ملكه ملكه كذلك وجوبه فيما وقع التماس بالبدن في البدن على ان الاية فيما نزلت بالاحسان
الجميع من ذكر فقد يصير ذلك حقا يلزم بحال فمثله حق الجوار وذلك لا يعرف غير حق الشفعة وقد
جاءت به الاثار وتوارث المسلمون في ذلك الطلب والاحتيال في الصرف والمنع فبان ان الحق
به ظاهر لا يحتمل الخفاء معا لا يشك من العوام عن ذلك الا وعنده حظ في العلم فيه لا يوجد
مثله الشيء من الحقوق في عين املاك المحققين وهذا البيان والظهور ثبت ان امره كان معروفا
في الامم حتى جرى به التوارث ثم هذا النوع من العلم لا يحتمل انتشاره ونيله بالراي فصار كسنة
ظاهرة لحق التواتر بما يستغنى عن روايته والله اعلم ثم اعلم ان الناس على اختلاف فهم متفقين
على وجوب حق الشفعة بحق الشرك فيما يحتمل القسمة فانا ان يجب بحق القسمة فيجب ذلك في كل

محتمل القسمة وذلك مما يأباه الجميع اوجب ما حصل من حق الجوار الذي جاء به الكتاب ووردت به السنة او بما جعل
من تأذي بعض الجيران ببعض والامر بالمعروف في الخلق من الاستخبار عن احوال الجيران قبلنا من التودد والتعاهد
الغنم باختلاف الجيران عما في ذلك من المؤن والمضار ودرء هذين كان فالشفعة واجبة بالجوار لانها ارفاق
لا يسلم عنهما على ثبات الجوار فيجب فيه الشفعة مع امكن الجمع بين الاثار مما لا يحتمل تسمية الشريك جارا
من حيث الشريك لوجهين احدهما قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات فجعل الارض من حيث الارض
متجاورة حتى اثبت لها القطع فاوجب بالقطع التجاور ومما كان الجوار في اللغة اسم للتقارب وكان المتصاقب
لا بد اخل معروف ذلك عندهم بنفسه مكابرة المعارف والوجه الاخر لا يسمى الشركاء في عين العرصات
جيرانا ثبت ان ذلك ليس اسما الشريك مما قد جاء ما يقطع عن ارض ليس لاحد فيها شرك الا الجوار انه قال
احق بالشفعة ومما جاء الجار احق بشفعة جاره ينتظر به وان كان غائبا اذا كان طريقهما واحدا فيجب بما ذكرت
صرف خبر الشريك الى وجه يوافق خبر الجار وله وجه ثلاثة احدها ان قوله قضى بالشفعة للشريك لم
يقسم غير مقابل لخبر الجوار وهو احق في المقولين وما روى عن القول اذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا
شفعة فقد يحتمل ان يكون خبر عن هذا الفصل لا شفعة في صرف الطريق واطلها الحدود اذا القسمة في
البيع في الامور حتى منع الاقتسام في كل ما يحتمل التفاضل الا بما يجوز به مقبل لا شفعة في هذا والله اعلم
ان يكون اذا كان هذا فلا شفعة لهم مع من لم يقع بينهم الحدود ولا صرفت بينهم الطرق والله اعلم والثالث
اذا وقعت الحدود فتباينت وصرفت الطرق فتباعدت اذ فيما لم يتباينا فهذ ليس واحد من الامرين واذا
احتمل خبر الشريك وما ذكرنا ثبت امر الشفعة بالجوار والشرك جميعا على الترتيب ولا قوة الا بالله ولو كان
الجنب اسم لبعيد الجيران بالنسبة يستحق ما كان الذي به الجوار يلتصقان ويكون كل واحد منهما بجنب الاخر
اذ لا يسمى كل بعيد به ففيه وجهان احدهما الحق بالاتصال والثاني بيان ما به يكون الجوار والله اعلم
وقوله والصاحب بالجنب اختلف فيه قال علي رضي الله عنه هي المرأة وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
ايضا هي المرأة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرفيق في السفر وكذلك قول مجاهد فان كان الصاحب
بالجنب هو المرأة فالامر بالاحسان من جانب وان كان هو الرفيق في السفر فمن جانبين ما يلزم هذا يلزم الاخر
مثله بحق المصاحبة وقوله عز وجل وما ملكت ايمانكم يحتمل الامر وجهين بالاحسان الى المماليك شكرا
لما انعم عليهم مما جعل لهم من الحق له من جوارهم وامثالهم في الخلقة اذ لا تحت ايديهم يستخدمونهم و
يستعملونهم في حوائجهم ولانهم امثالهم في الحاجة من المطعم والمشرب والملبس وهم مقهورون في
ايديهم وقد يترك الرجل النظر لمن هو مقهور في يده امر بالنظر لهم والله اعلم وقد جاءت الاثار
في ذلك عن انس رضي الله عنه قال كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة وما ملكت
ايمانكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بالمملوك خيرا
ويقول اطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوصي بالصلوة والزكوة وما ملكت وعن ام سلمة رضي الله عنها قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في مرضه الصلوة وما ملكت ايمانكم فجعل يتكلم وما يقبض بها
لسانه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته ولا
يكلف من العمل ما لا يطيق وعن انس رضي الله عنه قال كان اخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره
الوفاة الصلوة وما ملكت ايمانكم ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها في صدره ولا يفصح
بها لسانه وعن ابي ذر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في المماليك هم اخوانكم
ولكن الله خولهم اياكم فاطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون وقوله عز وجل ان الله لا يحب من كان مختالا
فخورا الاية قيل المختال هو المتكبر وقيل هو من الخداع وقيل هو الذي يمشي مرحا وهو واحد يتكبر على عباد الله
او يتكبر على عباد الله تعالى ويحقرهم وقوله عز وجل لا يحب كل مختال فخور لا يحب الاختيال وكذا كل ما ذكر لا يحب
واو يحب ذا كقوله يحب المتطهرين والتوابين ولا يحب الظالمين لانه يحب الطهارة والتوبة ولا يحب الظلم ولا
الكفر فاذا لم يحب هذا لم يحب فاعله لفعله واذا احب الفاعل لفعله وقوله عز وجل الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل الاية يحتمل ان يكون الاية تفسيرا لما تقدم من قوله ان الله لا يحب كل مختال فخور ووصف لهم
اذ لا يتكلم الا عن تقدمه ويحتمل على الابتداء كقوله الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين الاية ثم يخبر

وجوها يحتمل قوله يبخلون بما عندهم من الاموال ويأمرون الناس به وهكذا داب كل بخيل ان يبخل ويأمر غيره ويحتمل يبخلون بما عندهم من العلوم والاحكام لم يعلموا غيرهم ويأمرون الناس بذلك وقوله تعالى يبخلون باصها ر نعت محمد صلى الله عليه وسلم ويأمرون الناس به الا ترى انه قال ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اى يكتمون نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ويحتمل قوله يكتمون ما آتاهم الله من فضله اى يكتمون من العلوم والحكم ويحتمل ما ذكرنا انهم يكتمون ويبخلون مما اتاهم الله من فضله من الاموال ولا ينفقونها فى ترك الانفاق والتصدق كتمان ما انعم الله عليهم وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله نعمة فليرى عليه لعله اراد بقوله يرى عليه ان ينفقها على نفسه ويتصدق بها ويلبسها وجايز ان يكون اراد والله اعلم الانفاق والتصدق على غيرهم فعلى ذلك كتمان ما اتاهم من الاموال اذا تركوا الانفاق على غيرهم لان من كانت له الاموال لا يترك الانفاق على نفسه وقيل فى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل فى كعب بن الاشرف نعت محمد صلى الله عليه وسلم وكتب الى الرؤساء من اليهود فى الافاق يأمرهم بكتمانه وايضا فى قوله يبخلون ويأمرون الناس بالبخل اى بما انعم الله عليهم من الاموال او بما بين لهم من صفاته عليه افضل الصلوات او بما امر به من العبادات حملهم على الكفر احد هذه الاوجه الثلاثة او كانوا استحلوا احدها فكفروا بذلك لزمهم الذى ذكر فى القران والله اعلم وكتمانهم يرجع الى كتمان النعت والحقوق او العبادات فى انفسهم لئلا يعرفوا بالعدول عليهم عما فى كتبهم وذلك تخويفهم والله اعلم **وقوله** عز وجل واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ظاهر قد ذكرنا فى غير موضع **وقوله** عز وجل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الاخر سرا وقيل انها نزلت فى المنافقين الذين كانوا ينفقون امره كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بذلك وكانوا يؤمنون بالله واليوم سرا وقيل انما نزلت فى الذين يسعون فى معادات رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجون معه ينفقون اموالهم مودة للناس يطلبون بذلك الرياسة **وقوله** عز وجل ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا يحتمل ان يكون هذا فى الدنيا وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم الاية ويحتمل فى الاخرة كقوله تعالى فنحشرنهم الى يوم انكم فى العذاب مشتركون فهذا والله اعلم لان كلا منهم كان يقبح الشيطان ويالف عند ويحسن الملائكة ويحمدهم حتى ضرب مثل القبيح من الاشياء بالشيطان كقوله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين وضرب مثل الحسن بالملائكة وذلك لمعرفتهم بقبح الشياطين وحسن الملائكة وذلك انما عرفوا بالخبر لانهم لم يعاينوا ملكا عرفوا حسنه بالمعاينة ولا شاهدوا شيطانا عرفوا قبحه بالمشاهدة ولكنهم عرفوا ذلك بالخبر ففيه دليل اثبات النبوة لانهم ما عرفوا ذلك الا بهم دل به استقباح الجميع الشياطين واستنكارهم واستحسانهم الملائكة واستعظامهم من غير ان شهدوا من احد من الفريقين على قبول الاخبار عن الاسن نطقوا به وعلى اثبات الرسالة اذ هم جاؤا بالانباء عن شهدهم وانشاهم والله اعلم **وقوله** عز وجل وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر هذا والله اعلم صلة قوله والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله والله اعلم وذلك انهم كانوا ينفقون مراءاة طلب الرياسة وابتغاءها فقال لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله يبقى لهم الرياسة ويكون لهم الذكر بل امنوا كان ذلك فى الايمان اكثر ذكرا واعظم قدرا ومنزلة الا ترى انه من اسلم منهم من الامة من نحو ابن سلام وغيره كان لهم ذكر فى الاسلام وبعد موتهم من غير حاجة رفعت بهم اليهم فى حين غيرا بع الاسلام ومن مات منهم على الكفر لم يذكروا ابدا فاخبر الله سبحانه وتعالى ان ليس فى الايمان بالله واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ذهاب شيء مما تخافون ذهابه من الرياسة والمنافع التى يطمعون وصولها اليكم وغير ذلك حيث قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فقال وماذا لو امنوا بالله واليوم الاخر اى لم يكن ما خافوا باتباع الهوى مما قليلا ولا كثيرا **وقوله** عز وجل وكان الله بهم عليما يحتمل وجهين ويحتمل انه كان على علم منه يفعلون وما يفعلون من فعل الكفر والشر ونحوه من خلق ابليس لا عن جهل ولا غفلة ليس كصنيع ملوك الارض انهم انما فعلوا فعلا ثم استقبل الخلاف فانما يكون ذلك لغفلة منهم وجهل بالعواقب بالله سبحانه وتعالى كان لم يزل عالما بهم لكنه تركهم

على ذلك لما لا يلحقه الضرر بالعصيان ولا النفع بالطاعة بل حاصل الضرر والنفع يرجع اليهم والثانى يخرج مخرج التحذير لهم والتنبيه لان من علم ان اخر يعلم بصنيعه كان احذر واخوف ممن يعلم انه ليس عليه حافظ ولا رقيب وعلى هذا يخرج قوله كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ليكونوا على حذر من ذلك وقيل وكان الله بهم عليما انهم لن يؤمنوا وفى هذا قوله ايضا وكان الله بهم عليما اى انشاهم ليعلم الخلاف يكون منهم ما الفهم اياه ولا تضره اذ كل من يضره الخلاف لا يتولى ابتداه الا على الفعله ببعضه من الضرر ويلحقه بالخلاف والثانى على التحذير وقت الفعل بتذكير المراقب عليه على ما عليه الامر المعتاد من الانتهاء عن امور نهوه النفس بالمراقب عليه ويحتمل كان على ارادة نفى حدوث العلم او خبر بعد بفعلهم وما له من الجزاء والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقوله تعالى ولا يظلمون فتيلا ونقيرا وما رتاب يظلم لزم العبيد ذكر هذا والله اعلم لئلا يظن جاهل اذا رأى الم الاطفال والضعفاء وما يحل بهم ان ذلك ظلم منه لهم لكن ذلك والله اعلم ليعلم ان الصحة والسلامة افضال من الله تعالى لهم لا يحق عليهم ذلك اذ له ان يخلق كيف شاء صحيحا وسقيما ثم من ظلم اخبر فى الشاهد انما يظلم لاحد حسين اما الجهل بالعدل والحق واما الحاجة نفسه يدفع ويحمله على الظلم فالله سبحانه وتعالى غنى بذاته عالم لم يزل تعالى عن ان نفسه حاجة او يخفى عليه شيء مما كان يخفى الظلم فى الشاهد هو التناول عما ليس له بغير اذن من له وكل الخلائق من كل الوجوه له فلا معنى ثم للظلم ثم قيل فى الذرة انما نملة لذلك فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه مثقال نملة وقيل مثقال حبة وهو على التمثيل ليس على التحقيق ذكر تصغرجية انه لا يظلم ذلك المقدار فكيف ما فوق ذلك لا ان مثله يحتمل ان يكون لكن لو كان فهو يشكره وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما هذا على المعتزلة لانهم يقولون من ارتكب كبيرة يخلد فى النار ومعه حسنا كثيرة فاخبر عز وجل ان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وهى الجنة وهذا المسوطنهم بالله واياسهم من رحمته عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لا يظلم المؤمن من حسنة تثاب عليها اما يدفع فى الدنيا واما جزاء فى الاخرة وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان قال ابو سعيد رضى الله عنه فمن شك فليقرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية **وقوله** عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يقول بالنبى نبيا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا عليهم يعنى على امة شهيدا بالتصديق لهم لانهم يشهدون على الامم للرسل انهم بلغوا ما ارسلوا به لما هو دليل صدقهم وقامت براهينهم بالرسالة صارت شهادت على هؤلاء اى لهؤلاء على هذا التاويل كقوله تعالى وما ذبح اى لها ويحتمل عليهم لو كذبوا وقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعنى نبيها وجئنا بك يا محمد على امتك شهيدا على تبليغ الرسالة **وقوله** عز وجل يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض قيل فيه بوجوه اذا ميز الله اصحاب اليمين اصحاب الشمال قال للوحش والطير والسباع كونى ترابا فعند ذلك يتمنون ان يكونوا ترابا مثل الوحش تسوية بها الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يجد اهل الشرك يوم القيمة انهم ما كانوا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم فيودون انهم كانوا ترابا كقوله يا ليتنى كنت ترابا وقوله تعالى يا ليتها كانت القاضية فذلك قوله سبحانه وتعالى لو تسوى بهم الارض ليتها لم تبعث ولم تحى وتقرء تسوى وتسو وتستوى وتسوى وتسوى وفى حرف حفصة لو تسوى بهم الارض **وقوله** عز وجل ولا يكتمون الله حديثا قيل لما انطق الله تعالى جوارحهم وشهدت عليهم حين انكروا ان يكونوا مشركين بقوله تعالى الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين لم يستطيعوا ان يكتموا الله حديثا ويحتمل على الاستيناف لا يكتمون الله حديثا ويحتمل ان يكونوا يودوا فى الاخرة ويتمنوا ان لم يكونوا فى الدنيا حديثا **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اختلف فى قوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى قيل لا تدنوا مكان الصلوة وانتم سكارى وكذلك الجنب لا يدنوا مكان الصلوة وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه وقيل لا تقربوا وانتم سكارى نهى عن الصلوة فى حال السكر روى ان رجلا صنع طعاما فدعا ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وسعد بن ابى وقاص فاكلوا وسقاهم خمرا وذلك قبل ان يحرم وحضرت صلوة المغرب فامهم رجل منهم فقرء قل يا ايها الكافرون بطرح اللاءات فنزل قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يصلين احدكم وهو لا يعقل صلوته فى الاية دلالة ان فى الصلوة

قولا فرضا نهى عن قربانها في حال السكر مخافة تركها او نهى عن قربانها في حال السكر خوفا ان يدخل
فيها قولا ليس منها وفيه دليل فساد الصلوة بالكلام عمدا كان او خطاء لان السكران لا يعقل
ذلك على العمد ولكن على الخطاء والاصل في هذا انه لم ينهه عن فعل الصلوة في حال السكر لنفس الصلوة
ولكن نهى عن السكر نفس الصلوة ولذلك قوله عليه الصلوة والسلام لا صلوة للعبد الابق ولا
للمرءة الناشزة ليس النهي فيه عن الصلوة ولكن النهي عن الاباق والنشوز نفسه وهكذا كل عادة
نهى عنها باسباب تتقدم فالنهي انما يكون عن تلك الاسباب لا عن العبادة التي امر بها لان الاباق
والنشوز والسكر ليسوا بالذي يعملون في اسقاط ذلك الفرض وتلك العبادة في الاية دلالة ان
السكران مخاطب بقوله ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى نهى قربان الصلوة في حال السكر فالنهي انما
وقع في حال السكر فاذا كان مخاطبا عمل طلاقه وتعدت عقوده الا ترى انه قال في اية اخرى انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله معنى ولا ذكر عليهم ذلك انه مخاطب
ولهذا ما قال ابو يوسف رحمه الله انه اذا ارتد عن الاسلام يكون ارتداده ارتدادا لما نفذ طلاقه و
سائر عقوده فمن ذلك الارتداد وعلى قول ابي حنيفة رضي الله عنه لا يصير مرتدا استحسانا ليس كسائر
العقود والفسوخ لان سائر العقود يتعلق جوازها باللسان وان كان رضاء القلب مشروطا فيها
واما الايمان والكفر فانما يكون بالقلب وان كانت العبادة باللسان يكون شرطا فيما بين الخلق فاذا كان
كذلك فاذا سكر يذهب السكر القلب فجعل كانه لم ينطق واما سائر العقود يتعلقها باللسان فانما ينطق
به جاز والله اعلم اختلف في قوله تعالى ولا تقربوا الصلوة منهم من حمل على مكان الصلوة اذ الصلوة
فعل والفعل لا يقرب ومنهم من حمل على الفعل اي لا تفعلوا واي الوجهين اريد به والاخر داخل لانه
اذا نهى عن حضور مكانها لحرمته فنهي اعلى في الحرمة واحق في المنع وايد ذلك قوله سبحانه وتعالى حتى
تعلموا ما تقولون والعلم ما يقول يحتاج في حق الفعل لئلا يزل المفروض عن اله فيفسد او يدخل
المحرم فيه فيفسد وفي ذلك دلالة احد الوجهين وفي حق العموم الوجهان جميعا وهو على الخطا
يقول ثبت ان الخطا من القول في الصلوة مفسد اذ لو كان لا يفسد لم يكن سوى النهي وفي التاخير
نهي ايضا والله اعلم ولو اريد به الصلوة فانما المكان لاجلها فلا وجه المحصور دون المكان الفعل والله
اعلم وعلى ذلك امر الجنب واستثناء عابري السبيل ليكون على فعل الصلوة بالتيمم فيكون في الاية
دلالة التيمم للجنب والمكان فيباح الدخول فيه على العبور فيه بالتيمم ايضا فعلى ذلك عندنا
الدخول للاغتسال فيه بالتيمم ايضا والله اعلم واذا ابيح للجنب على المنع عن دخول المسجد الا بالتيمم
ثبت ان المتيمم قد جعل له الطهارة فله الصلوة به لقدر والله اعلم ثم عن مروى دلالت عمن ام في
المغرب بقل يا ايها الكافرون على طرح اللاءات في حال السكر حتى نزل قوله تعالى ولا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى اي كلام الكفر في حال السكر لا يكفر صاحبه اذ خاطبهم باسم الايمان فلذلك لم يكن عند
ابي حنيفة رحمه الله كافرا على ان المخطي لما يجري على لسانه كلمة الكفر لا يصير كافرا في الحكم والسكران
يجري على لسانه على الخطاء دليله لا يذكر وما كان من عقد القلب فهو لا ينسى وخاصة المذاهب كلها
يختار عن فكر الاسباب وعن اختيار للاحق من الامور عنده اما بحجة او شبهة او شهوة من نحو الالف
بالتقليد وحسن الظن والذي يكون على ما ذكرت لا يحتمل السهو عنه حتى لا يخطر بباله لو زاد بدعوة
عن قريب فثبت انه كان عن خطاء وقد جاء برفع الخطاء واصله اللسان معبر عن الاعتقاد في امر
وخاصة في الكفر الذي يكون بالقلب خاصة بلا استعمال اللسان فاذا كان مخطئا فهو امر اللسان دون
القلب الذي اللسان عنه معبر ومن عبر الكفر باللسان ووصفه لا يكفر الا ان لا يكون عبر عن نفسه
انه اعتقد فلذلك على ما بينا على انه قد يجري بتلاوة القران على اللسان بالغلط بالكفر عليه بالتعمد
فلا يجوز ان يجعل تلاوته للتعظيم والايمان به كفر ثبت بذلك ودفع حكم الكفر عمن لخطاء في اجرائه على
اللسان فكذا السكران اذ هو مخطي والله اعلم ثم اختلف اهل التاويل في تاويل قوله تعالى ولا جنبا
الا عابري سبيل عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال هو ان يكون مسافرا ولا يجد الماء فيتيمم
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال هو المسافر وقيل ولا جنبا الا عابري سبيل نهى الجنب ان يدخل
المسجد ومكان الصلوة الا عابري سبيل لاجتيازا ومن تاول الاية على المرور في المسجد فهو يحتج

بقول

يقول انا كره للجنب ان يستوطن المسجد فاما المار ويجوز لا ترى فقد احتمل له الا ترى ان الجنب احتمل
ان لا يمر بعض الاية ولا يجوز ان يبتها ويمر في المساجد يجلس فيه لقراءة بعض الاية اذا امرتها وعلى
ذلك امر الجنب استثناء عابري السبيل يكون على فعل الصلوة بالتيمم في الاية دلالة التيمم للجنب
او المكان فيباح الدخول على العبور فيه بالتيمم ايضا فعلى ذلك عندنا الدخول للاغتسال فيه اذا
كان منه بالتيمم والله اعلم واذا ابيح للجنب دخول المسجد بالتيمم ثبت ان التيمم قد جعل له الطهارة
فله الصلوة به لقدرة والله اعلم وقوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط
الاية ابيح الله تعالى للمريض المتيمم ان يتيمم والاية ذكره المرض عاما واجمعوا ان المريض الذي لا يخاف
ان ضره الماء لا يتيمم وانما اجازوا ان يتيمم اذا خاف ضررا لما به ان هو توضأ به قولان الله
لما اباح للمريض التيمم لم يبح باسم المرض ولكنه بمعنى في المرض ودليله ما ذكر انه لم يبح لكل مريض وانما
ابيح لمريض دون مريض وفيه دليل لقول ابي حنيفة رضي الله عنه حيث اباح التيمم للجنب اذا خاف على
نفسه الهلاك الا ترى انه لا يباح له التيمم في الامصار وان كان اسم السفر موجودا لعدم معنى السفر
فعلى ذلك اباحة التيمم للمريض باحة معنى في المرض الا ترى ذكر صحبته من الغائط هو المكان المطمئن الذي
يقضى فيه الحاجة ولا كل من جاء من ذلك المكان يلزمه الوضوء والتيمم دل ان المراد منه غير ذلك والله
وروي ان رجلا اصابه جراحة فاغتسل فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله انما يكفيهم كف من تراب
وكذلك غسل جنب فمات فقال قتلوه قتلهم الله انما يكفيه كذا فهذا اذا ثبت ان المراد من المرض والسفر
والغائط المعنى الذي فيه لا لعين المرض والسفر لما ذكرنا انه لا كل مريض يباح له التيمم وانما
يباح لمريض دون مريض وكذلك لم يبح لكل السفر دون سفر ومكان دون مكان وهو المكان
الذي يعدم الماء فيه ويعتقد فعل ذلك المراد من قوله او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا عن اللمس هو الجماع وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الملامسة والمباشرة والافضاء
والرفث والجماع نكاح ولكن الله تعالى كنى وعن الحسن وعبيد بن عمير وعطا قالوا الملامسة الجماع فان
قيل ما الحكمة في ذكر المرض والسفر والغائط والملامسة اذا كان المراد من ذكرها غيرها قيل الحكمة
في ذكرها هو ان المرض في الاغلب احواله يعجز المرء عن اصابة الماء وكذلك السفر في اغلب احواله
يعجز المرء عن اصابة الماء وكذلك السفر في اغلب احواله يعجز صاحبه عن الماء فخرج الذكر عن اغلب الاحوال
وكذلك الغائط الاغلب انه انما يجيء من قضاء الحاجة لانهم كانوا لا يخرجون الا لقضاء الحاجة
وكذلك الملامسة بين الزوجين الاغلب فيها قضاء الوطر والحاجة فعلى الاغلب خرج الذكر وان احتمل
غيره وهذا يدل على ان الاحتجاج بالظواهر بالعموم في المخرج باطل لما لا يجوز لاحد ان يحتج بظاهر هذه
الاية ان يقول على كل مريض او على كل مسافر الا كذا ثم اللمس ان اريد به الجماع هو ممكن لوجهين احدهما
بما ابتليه بالقبلة واللمس باليدين الزوجين ظاهر لا يحتمل ان يعرف به الرسول والائمة من فعل
العوام فلو كان الوصف فيه لا ما يحتمل ان يعرف به الرسول والائمة من فعل العوام فلو كان الوصف
فيه لا ما يحتمل ترك اظهار البيان حتى يلزم اكثر الامة المنكر في فعل الصلوة والله اعلم والثاني ان يكون
الامر بالمعروف في كل لمس ومس جرى الذكر به بلفظ الذكور والاناث فهو يحق الكناية من الجماع وكذلك
سائر الحروف المحتملة للكناية عنه من نحو المباشرة والغشيان ونحو ذلك وبه قال من اجاز التيمم للجنب في
حق الصلوة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والله اعلم وان اريد به غير الجماع تما فيه يكن
يحتمل وجوها فهو لا يجمع الكل ولكن يرجع الى خاص وهو الذي في الغالب ان يكون ثم خروج وان لم
وهي المباشرة الفاحشة دليله ذكر المرض والسفر على غير فرق ان الحكم بنفسه انما هو السبب
لوجوه فانصرفنا الى غاية ما له وقعت الرخصة في العجز والعدم فتلك امر الوضوء في الاول والله اعلم
وقوله عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا قيل التيمم القصد يقال تيممت الصعيد وامه لغتان وقوله فتيمموا
تعمدوا صعيدا طيبا فاذا كان التيمم القصد والتعمد الى الصعيد لم يجز الا بالنية لانه امر عز وجل
بالقصد له والتعمد وذلك امر بالنية لان القصد نية وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
فاموا صعيدا طيبا اي قصدوا وقصده الصعيد قيل هو وجه الارض وسمي صعيدا لما يصعد عليها
وقيل الصعيد هو الارض التي تنبت الا ترى انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت

لى الارض مسجدا وطهورا لا السبخة والمقبرة وقيل انها مطعونة ولهذا اما ل ابو يوسف رحمه الله
ان التيمم لا يجوز من الارض السبخة لانها ليست بطيب والطيب ما ينبت واما ابو حنيفة رضى
الله عنه فانه قال الطيب هو الطاهر الحلال له ان يتيمم به اذا عدم الماء الطيب اسم جامع
من المقصود فيه والمقصود فى التيمم التطهر فهو الطهور والطاهر وايده الخبر الذى ذكر
من جعل الارض طهورا والله اعلم وقوله عز وجل فامسحوا بوجوهكم وايديكم الامر يقع بمسح الايدى
فالذراعان دخلتا فى المسح وكذلك فى الوضوء لان الكفين يغسلان قبل غسل الوجه
فالامر بغسل اليد يقع على الذراعين وما وراء ذلك وعن موسى بن عقبة عن ابى جهينة قال
اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغائط او بول فسلمت عليه فلم يرد على السلام فضرب باليد
الحائط ضربة فمسح بها يديه الى المرفقين ثم رد السلام وهكذا يقول اصحابنا رحمهم الله بالضربتين
ضربة للوجه وضربة للذراعين الاصل انه اذا قال الله عز وجل فى الوضوء وايديكم الى المرافق
انه فى وقت الامر بفعل الغسل الى المرافق غير مخاطب بغسل الكفين على حق غسل الذراع اذ قضى
فرض غسلهما من قبل فصارت الاية كانها فى غسل الذراع بالامر بغسل اليد وعرف بذلك
غسل الكف لانها قبله امر التيمم فصارت الاية كانها فى حق الذراع ودخل الكف فى ذلك بالخبر
على ان امر الطهارة فيما اضيفت الى عضو وبدن لم يجد لم يدخل كالمضاف اليه فى الاشتراك بقضا
حقها نحو الجنابة الوجه والراس فكذلك امر اليد فى التيمم لكن قصر عن التمام بدلالة بيان السنة
عموم الفنيا وما لا اشك فى قضاء حكم الوضوء وليس هو فى بعض اليد فلا يجعل فيما ليس هو فيه
بدل اذ حقه النقصر عن كمال وظيفة الاصل لا الزيادة عليه والله اعلم وقوله عز وجل ان
الله كان عفوا لما مضى من الذنب غفورا لما يستقبل والعفو الصفح والمحو والغفر الستر
هو يعفو عنه ويستر على صاحبه ثم العفو من التجاوز فيختلفا اللفظ على ارادة معنى واحد
وقوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا يقول اعطوا حظا من علم الكتاب وهم علماؤهم
يشترون الضلالة بعلم الكتاب ويحتمل يشترون الضلالة له وكذلك قيل فى حرف حفصة على ما
ذكر فى غير هذه الاية اشتروا الضلالة بالهدى وذلك انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل
ان بعث فلما لم يبعث على هواهم كفروا كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به ويحتمل يشترون صلات غيرهم بالتحريف والرشاد ونحو ذلك كقوله تعالى والذين
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله وقوله اتبعوا سبيلنا الم تر حرف التعجب عن امر قد بلغه فيخرج
مخرج التذكير او لم يبلغه فيخرج مخرج التعليم والله اعلم وقوله عز وجل ويريدون ان تضلوا السبيل
يحتمل وجهين يريدون اى يتمنون ان تضلوا السبيل لتدوم لهم الرياسة على ما كان على دينهم
ولم يكن لهم ذلك على من لم يكن على دينهم ليكون لهم الرياسة عليهم وقيل يريدون ان تضلوا السبيل
اى يأمروهم ويدعوهم الى دينهم لما ذكر من طلب المنافع وابقاء الرياسة والله اعلم وقوله عز وجل
والله اعلم باعدائكم كانهم والله اعلم يطلبون موالاة المؤمنين ويظهرون لهم الموافقة نهى الله تعالى
المؤمنين عن موالاتهم كقوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم خبالا ودوا الى قوله سبحانه ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم الاية فاخبر الله سبحانه وتعالى المؤمنين انه اعلم باعدائكم منكم ويحتمل ان يكون المؤمنون استنصروهم
واستعانوا بهم فى امر فاخبر عز وجل انهم اعداؤكم وهو اعلم بهم منكم ثم قال وكفى بالله نصيرا اى كفى به وليا
ومعينا وكفى به ناصرا ويحتمل قوله وكفى بالله مما اعطاكم من اعطاكم اى لا ولى افضل من الله تعالى ولا
ناصر افضل منه منه البراهين والحجج والله اعلم وقوله عز وجل يحرفون الكلم عن مواضعه وفى حرف ابن مسعود
رضى الله عنه وكفى بالله نصيرا ومن الذين هادوا على الاستئناف والابتداء خبر وفى حرف غيره من
الذين هادوا معناه والله اعلم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا ولا ذكر للنصارى
فى ذلك وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ذكر النصارى فى الذين اوتوا نصيبا وفى حرف حفصة رضى الله
عنه من الذين هادوا ومن يحرف من يحرفوا الكلم عن مواضعه ثم تحريف الكلم يحتمل وجهين يحتمل تغيير المعانى
وتبديل التاويل على وجها لهم كقوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم الاية ويحتمل تغيير اللفظ والكتابة
نفسها كقوله سبحانه وتعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله عز وجل

وقوله

ويقولون سمعنا وعصينا قيل سمعنا قولك وعصينا امرك وقوله واسمع غير مسمع قيل اسمع قولنا غير مسمع
لا سمعت على السب وقوله وعصينا الا سرا دبه منهم من اظهره الله تعالى عليهم ليكون اية للرسالة
وقوله عز وجل وراعنا قيل يقولون لمحمد صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك وقيل وراعنا ارعنا حقنا وهو من
الرعاية وقوله عز وجل ليا بالسنتهم اى تحريفا والتحريف ما ذكرنا كقوله تعالى يلوون السنتهم بالكتاب
الاية وقيل فى قوله تعالى واسمع غير مسمع اى اسمع يا محمد منا قولنا غير مسمع منك قولك ولا
مقبول نقول وقوله عز وجل ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم اى لو قالوا
سمعنا واطعنا امرك وانظرنا فلا تعجل علينا انظر وقيل فى قوله وانظرنا افهمنا وقوله عز وجل لكان
خيرا لهم مما قالوا قولك وعصينا امرك لكان خيرا لهم فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فقد دام الرياسة
التى خافوا فوتها لو اطاعوه واتبعوه اذ تعدا من منهم واطاعوه تبعية لكم تذهب عنهم الرياسة والذكر فى
الدنيا بل ازداد لهم شرفا وذكرا فى الحيوة وبعد الممات واما فى الاخرة فثواب دائم غير زائل ابدا وقوله
عز وجل واقوم يعنى اعدل واصوب لما ذكرنا ولكن لعنهم الله بكفرهم واللعن هو الطرد طردهم الله عز
وجل من رحمته ودينه لما علم منهم انهم لا يؤمنون باختيارهم الكفر وقوله عز وجل فلا يؤمنون الا قليلا
قيل والقليل من اسلم من نحو ابن سلام واصحابه وغيرهم وقيل قوله تعالى فلا يؤمنون الا قليلا بالقليل
من الكتب والانبياء عليهم الصلوة والسلام كقوله تعالى نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقوله عز وجل يا ايها
الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم دل هذه الاية ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب
ولا ممن اوتوا الكتاب لانه قال عز وجل امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم وليس عند المجوس كتاب حتى
يكون المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم ثم قوله مصدقا لما معكم اى موافقا لما معكم
وانما كان موافقا لما معهم بالمعانى المندرجة فيه والاحكام لا بالنظم واللسان لانه معلوم انما
معهم من الكتاب مخالف للقران نظما ولسانا وكذلك سائر كتب الله تعالى موافق بعضها بعضا
معانيا واحكاما وان كانت مختلفة فى النظم واللسان دل انها من الله تعالى نزلت اذ لو كانت من عند غير الله
كانت مختلفة الا ترى انه قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ففيه دليل لقول
ابى حنيفة رضى الله عنه حيث اجاز الصلوة بالقراءة بالفارسية لان يعتبر النظم واختلاف اللسان لم
يوجب يعتبر المعانى واختلاف الاحكام حيث اخبر عز وجل انه موافق لما معهم وهو فى اللسان والنظم مختلف
والمعنى موافق لم يحتمل خولف مصدقا لما معكم نصفته ونعته وسوه وزمانه نبيه فيما معكم لا يخالف فى شئ
من ذلك ويحتمل انه هو النبى صلى الله عليه وسلم الذى امنتم به قبل ان يبعث فكيف كفرتم بالله والله
اعلم وقوله عز وجل من قبل ان نطمس وجوها الاية قيل لما نزلت هذه الاية قوم عبد الله بن سلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهى
فى قفاى وقيل طمسها ان تمحى ابصارها وردها على ادبارها وقيل طمس الوجوه ان تمحى وترد عن بصيرتها
وذلك انهم كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبى الله يجدونه فى كتبهم يقول حققوا ايمانكم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وكتابه من قبل ان يضلكم عن هداكم فتصيروا ضلالا لا تعلمون ما كنتم تعلمون ويحتمل
ان يكون الاية خرجت على الوعيد وهى على التمثيل لا على التحقيق ويحتمل على التحقيق كقوله تعالى او نلعنهم
كما لعنا اصحاب السبت ويحتمل ان يكون هذا فى الاخرة وقوله عز وجل ايضا من قبل ان نطمس وجوها يحتمل
الحقيقة فيرجع الى يوم القيمة فيذهب جميع محاسن الوجه ونطمس وجوه الحق عنه بمعاندته تبصيره الحق
بغير صورته والباطل بغير صورته بعد ان كانوا ارادوا كل شئ بصورته فى كتبهم المنزلة والله اعلم ان
نطمس وجوههم عند اتباعهم الذين لاجلهم غيروا وحرفوا بما يطلعهم على خياناتهم ويظهر لهم تبديلهم
وقد فعل بحمد الله تعالى وقد يحتمل الوعيد ان يفعل بهم ان لم يؤمنوا حقيقة ذلك كفعله باصحاب السبت مفعولا
تغيير الجوهر ثم لعن اولئك قد اسلموا او نزل بهم ولم يذكر والله اعلم وقوله عز وجل وكان امر الله
اى كان امر الله عز وجل مفعولا كما يقال الجنة رحمة الله والمطر رحمة اى رحمته فعلى ذلك معنى قوله
سبحانه امر الله كان مفعولا اى كان مفعولا ويحتمل قوله وكان امر الله الى عذاب الله نازلا بهم
وقوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لجميع الناس ان يغفر الذنوب
كلها الشرك وما دونه اذا انتهى وتاب بقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف دل ان الطماع

المغفرة لما دون الشرك لمن لم يتب عنه وقال الخوارج الكبائر كلها الشرك بالله فمن ارتكبها دخل قوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به وسووا المشبهة بيننا وبينهم في ذلك فيقال لهم المعنى الذي صار مشركا عندهم بارتكابه
الكبيرة ذلك المعنى موجود في ارتكاب الصغائر فينبغي ان يكون كافرا فاذا لم يصر بذلك كافرا لم يصر بارتكاب
الكبائر كافرا وقالت المعتزلة صاحب الكبيرة يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر وقال ابو بكر الاصم نطمع
الوعيد في الكبائر وشرط المغفرة لما دون الشرك بقوله تعالى لمن يشاء هو للصغائر كقوله يكفر عنهم من سيئاتهم
اخبر ان من السيئات ما يكفر ومنها ما لا يكفر فهو للصغائر واما عندنا فان الله عز وجل اطمع المؤمنين المغفرة
ما دون الشرك ولو كان لا يجوز في العقل المغفرة لكان لا يطمع لانه لا يجوز ان يطمع ما لا يجوز في العقل فاذا
اطمع دلت انه يجوز في العقل المغفرة لما دون الشرك ثم له المشيئة ان شاء عذبهم فيها وان شاء عفى
عنهم واما اطماع المغفرة في الشرك فانه لا يجوز في العقل لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد ليس
كل من ارتكب ذنبا ارتكب للابد بل انما ارتكبه لقضاء شهوة تغلبه فهو يندم على اثره لذلك قلنا يجوز
في العقل اطماع المغفرة لما دون الشرك ولا يجوز للشرك وبالله التوفيق ووجه اخر ان الوعيد الذي
ذكر يحتمل الاستحلال والاستخفاف بالامر او النهي كلاهما يزيل ما اطمع هذه الاية من المغفرة فيزال الطمع
والرجاء بالوعيد لتوجه وجهين انه يوقفه فيهم فاما القطع في احد الوجهين بالمحتمل ومنع القطع بالاخر
للاحتمال فهو تحكم ولا قوة الا بالله ووجه اخر ان الاية في التفصيل بين المحتمل للغفران والذي لا يحتمل
فاذا صرفت الى الصغائر فيبطل تخصيص اسم الشرك ويلبس على السامع محله وليس امر الوعيد فيما
فيما جاء بموضع التفصيل بل الذي جاء بحق التفصيل ذكر الغفران بالتكفير والتكفير يكون بمقابلة الجزاء
من حسنات وعقوبات كقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاية والموفق ووجه اخر قال الله عز وجل
لمن يشاء وهذا كناية عن الانفس المغفورات لا عن الاثام التي تغفر لهم لم يجز صرف التخصيص الى الاثام و
بالاية المكني بها عن الانفس وفي ايات الوعيد تحقيق في الذين جاء بهم فيما جاء عاما فبان ان لا صرف في ذلك
فيهما وفي والله الموفق وبعد فانه عز وجل قال لمن يشاء والصغائر عندكم مغفورة الحكمة لا بالوعد
والاية في التعريف ولا قوة الا بالله وقوله تعالى ايضا ان الله لا يغفر ان يشرك به فمعلوم انه فيما يلزمه حتى
يختم به لا فيما يتوب عنه ابدا ذلك قوله ان ينتهوا يغفر لهم الاية وغير واحد من الايات التي جاءت
في الكفرة لما امنوا والله اعلم فصار كانه قال لا يغفر ان يشرك به اذا لم يتب عنه ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء وان يتب منه فلو كان شيئا مما دونه لا يحتمل في الحكمة المغفرة لنضم الى الممتنع عن الاحتمال
لان الحقيقة بالمحتمل له فيما كان معلوما ان القصد فيه الى بيان ما فيه الرجاء والاياس واند ذلك
قوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلو كان يلزم الاياس لما دونه ليجب الوصف له
بالكفر اذ الاياس هو بالكفر وفي تحقيقه فان الوجهين لزم تبعه الاخر في حق الاياس لانه وجود
فعله اذ قد يوجد فعل الرجاء في الكفرة فثبت ان ذلك في الحكم والتحقيق لا في وجود الفعل
وبالله التوفيق وقوله عز وجل الم تر الى الذين يزكون انفسهم قيل هم اليهود جاؤوا بابنائهم
الاطفال فقالوا يا محمد هل على اولادنا هؤلاء من ذنب قال لا قالوا والذي يحلف به ما نحن
الا كهيئتهم ما من ذنب نعمل بالنهار الا كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل الا كفر عنا بالنهار فذلك
التزكية منهم وقيل تزكيتهم انفسهم بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه لا ذنوب لنا ويحتمل ان
يكون تزكيتهم انفسهم ما قال الله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني
فضلتكم على العالمين وكان اكثر الانبياء عليهم السلام انما بعثوا من بني اسرائيل وكانوا يزكون
انفسهم بذلك قوله عز وجل بل الله يزكي من يشاء من الذنوب ثم التزكية تدم ان تزكي لاحد
نفسه لان التزكية هي التنزيه من العيوب كلها والذنوب وذلك مما لا يسلم احد عنها ولا
يبرأ ولا يستحق مخلوق وذلك معنى النهي لا تزكوا انفسكم ان يخرج التزكية يخرج التكبر وذلك
يجهل نفسه لما يرى غيره شكل نفسه ولا مثله فيتكبر عليه ولو عرف انه مثله وشكله لما
تكبر على احد قط ولا زكى نفسه وقول الرجل انا مؤمن ليس ذلك تزكية انما هو اخبار عن شيء
اكرم به والتزكية هي التي ترى ذلك من نفسه وقوله ايضا الم تر الى الذين يزكون انفسهم للنبي
في اظهار الايمان تزكية لما لا يخلوا من ان تظهر الى منشار كتك فيه فيميلك الاظهار بحق

الدعوة اليه لتدعوه الى ما تدين به وهو يشاركك فيه والتزكية في الحقيقة فيما يوجب تقديمك و
ليس في هذا وايضا ان القول بالايمان ليس يعقد من معنى العبادة او سبب فيه علو من حيث ذلك انما
هو خبر عن امر هو في اللغة تصديق والتصديق بامر هو كذلك ليس بالذي يجد بالرتب بل على كل ذلك
ولا احد الا وقد يؤمن باشياء يصدق فليس في القول به منقبة وكذلك ما من احد الا وعليه
التكذيب بامور فلا بالتكذيب في الاطلاق ولا بالتصديق بالاطلاق مدح اذ في كل ذلك
لكن الزم في تكذيب يكذب به فيكون من حيث لذلك ذمت به شعارت على تفاوت درجات الكذب
ثم التصديق به كان به مدح فهو بصدقه ايضا ولا احد يخرج الصدق كله فيصير المرء بوصفه
نفسه صادقا في شيء وتزكية وحدها ولا قوة الا بالله على ان للايمان حدا وكل عبادة ذات
حد فلو استدام حسن تداها بالاخبار عن الاداء وبخاصة الفرايض منها نحو يقول قد صليت الظهر
اذا اديت زكوة مال او حججت او نحو ذلك وفيما يقول هو بر او تقي او حبيب الله تعالى او نحو ذلك مما يرجع
ذلك الى ما لا يعرف حده من الخيرات فهو بذلك يرتفع على الاشكال ويفتخر عليهم وفيما لو كان صادقا
كان في ذلك منه اغفال عن حق ذلك ولو كان كاذبا ذلك جائزا فيه موصوفا بالكذب والله الموفق
وقوله عز وجل ولا يظلمون فتيلا عن ابن عباس رضي الله عنه قال الفتيل ما فتلت بين اصبعك والنقير الذي
يكون في ظهر النواة وهو على التمثيل وقيل في حرف حفصة الم تر الى الذين قالوا انا نزكي انفسنا بل الله يزكي
من يشاء وقوله عز وجل انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الاية ظاهرة وقوله عز وجل
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قيل اعطوا حظا من الكتاب وهم علماؤهم يؤمنون بالجبت
والطاغوت اختلف فيه قيل الجبت الطاغوت الشيطان والطاغوت الكاهن وقيل الجبت السحر والطاغوت
الشيطان وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الجبت الشيطان بكلام الحبشة والطاغوت كهان العرب وقيل
الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف يخبر عز وجل عن سفههم بايمانهم بهؤلاء وحسدهم
محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ويحذر المؤمنين عن صنيعهم لان هؤلاء كانوا علماء
مؤمنين بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا قيل في
القصة ان هؤلاء واتوا ملكة مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد
الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ففعلوا فدخل ابو سفيان البيت في مثل
عدتهم فكانوا بين استار الكعبة فتحالفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه رضوان الله
عليهم اجمعين ليكون كلمتنا واحدة ولا يخذل بعضنا بعضا ففعلوا ثم قال ابو سفيان ويحكم يا معشر اليهود
انا اقرب الى الهدى والى الحق ام محمد واصحابه انا نعمر هذا المسجد ونحجب هذه الكعبة ونسقي
الحاج ونفادي الاسير فنحن افضل ام محمد واصحابه قالت اليهود لا بل انتم فذلك قوله تعالى
للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وفي حرف حفصة ويقولون للذين اشركوا هؤلاء اهدى من
الذين امنوا سبيلا ثم قال الله عز وجل اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا واللعن
يكون على وجوه اللعن هو العذاب وقيل لعنهم الله عذبهم واللعين الممنوع عن الاحسان والافضال
وقيل هو الطرد اي طردوا عن رحمة الله وافضاله واحسانه قال الطاغوت هو اسم اشتق من الطغيان
كالرحموت والرهبوت من الرحمة والرهبة ونحو ذلك سمي به كل من انتهى في الطغيان غايته حتى استحل م
ان يعبد هو دون الله هو طاغوت وعلى ذلك تاويل قوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله اي
بعبادة كل من عبد دون الله وقيل هم مردة اهل الكتاب وقيل هو الشيطان وقيل الصنم وذلك كله
يرجع الى ما ذكر وقيل في ذلك كاهن وقد سمي جبتا وقيل في الجبت السحر فهو على ما قال واتبعوا ما تتلوا
الشياطين على ملك سليمان الاية واي شيء مما ذكرت قد كانوا امنوا بذلك بغيرهم تعالى وسفه احلامهم
بالايمان بمن ذكرت مظاهرتهم على ما لهم من الاتباع على رسول رب العزة عليه افضل الصلوات واكمل التحيات
بعد علمهم بموافقته صلى الله عليه وسلم رسلهم وتصديقه بكتبهم وعلمهم بعدد اولئك عن هذه
الرتبة بغيا وحسدا وكان في اظهار ذلك عليهم بيان الرسالة واعلام اتباعهم تحريف كتب الرسل لما
ما في قلوبهم من الحسد ليزول الشبهة عن الاتباع ويظهر المعاندة في المتبوعين ولا قوة الا بالله وقوله
عز وجل ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اختلف فيه قيل لو كان لهم نصيب في

الملك فاذا لا يؤتون الناس من بخلهم وقلة خيرهم وقيل لهم نصيب في الملك والشرف والاموال
والرياسة فيما بينهم لكن لا يؤتون الناس نقيرا كيف يتبعونهم وقيل قوله سبحانه ام لهم نصيب من الملك
كيف يؤتون الناس شيئا انما الملك لله تعالى عز وجل هو الذي يؤتي الملك من يشاء كقوله تعالى قل اللهم مالك
الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على
كل شيء قدير لانه انما يستفاد ذلك بالله عز وجل لا باحد دونه والله اعلم وقوله عز وجل ام يحسدون
الناس على ما اتاهم الله من فضله يقول بل يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله من فضله من
الكتاب والنبوة يقول عز وجل ردا عليهم فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة والنبوة فلم يحسدوهم فكيف
يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم بما اتاه الله تعالى من الكتاب والنبوة وهو من اولاد ابرهيم صلى الله عليه
وسلم محمدا والله اعلم معناه وقوله عز وجل واتيناهم ملكا عظيما قيل اراد الملائكة والجنود وقيل هو ملك
سليمان بن داود وكان من ال ابرهيم عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل ام يحسدون الناس يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاهم الله من فضله قيل من كثرة النساء لكن ذلك ليس بحسد انما هو طعن
طعنوه وعيب عابوه لان الحسد هو ان لاخر شيئا ليس فيتمنى ان يكون ذلك له دونه وقد كان لهم النساء
لكنه ان كان ذلك هو طعن فطعنوه وعيب عابوه على كثرة النساء ويقولون لو كان نبيا لشغلته النبوة
عن النساء ويقولون يحرم على النساء اكثر من اربع ويتزوج تسعا وعشرا فانزل الله تعالى عز وجل ردا
عليهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الاية وكان لداود تسع وتسعون امرأة وما قيل ايضا الا
سليمان عليه الصلوة والسلام ثلاث مائة مهرية وسبع مائة سرية نحو ذلك فكثرة النساء
لا تمنع كثرة النساء لاحد الشيئين اما الخوف الجور واما للعجز عن القيام بايفاء حقهن والانبياء
عليهم الصلوة والسلام يؤمن من ناحيتهم الجور وكانوا يقومون بايفاء حقهن مما كان قيام رسول
الله صلى الله عليه وسلم خاصة لتسع او لعشر من النساء من ايات النبوة لانه كان معروفا بالعبادة
لله ليلا وبالصيام له نهارا وبتحمل الجوع وانواع المشقة تباعا ومعلوم في الخلق اي من كان هذا سبيله
لم يقدر على ايفاء حق امراة واحدة فضلا ان يقوم لا يفاء حق العشر واكثر فدل انه بالله قدر على ذلك
وعلى ذلك قيام داود صلوات الله عليه لما له من النساء وقيام سليمان صلوات الله عليه لالف منهن فلذلك
من ايات النبوة لما ذكرنا انه ليس في وسع احد سواهم القيام بذلك وكذلك في قيام رسول الله صلى الله
عليه وسلم لامر هذا الدين من اتباع كان له او ملك او فضل سعة دليل انه كان بنصر الله اظهره
وبعونه بجميع هذا الخلق على دينه وفي قوله ايضا ام يحسدون الناس على ما ذكر فقد اتينا ال ابرهيم
الاية يحتمل وجهين احدهما المحاجة انه كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم واتباعه واولاده بما
خصهم به من فضله ولم يزل ذلك في ال ابرهيم ولم يكونوا احسدوهم على هذا قوله تعالى فمنهم من امن به
اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه الذي انزل عليه والثاني ان يكون على التصبير على اذاهم الذي
كان منهم بالحسد مما كان هذا فيمن تقدم من ال ابرهيم ومن فضله ومن الحساد لهم في ذلك والمؤذين
لهم فصبروا ولم يكافوهم نحو قوله تعالى فمنهم من امن به بابرهيم عليه الصلوة والسلام او بما انزل اليه
والله اعلم الاصل في اختلاف تاويل الاية واحرف فيما يجب في ذلك من الحق انه على اقسام احدها
انه يتسع الحمل دخول الكل فيراد ويحتمل ارادة البعض فان كان ذلك مما يجب العمل به يلزم طلب الدليل
على الموضع للمراد فان وجد من طرق الاحاطة شهد عليه بالمراد وان لم يوجد عمل به على حسب الاذن
في العمل به بالاجتهاد من غير الشهادة عليه انه المقصود لا غير والله اعلم وان كان ذلك مما لا يجب العمل
وانما حقه الشهادة فيشهد به على ما هو في الحكمة واوجب تلك الشهادة من غير ان يقضي على الاية بقصد
ذلك اذا كانت بحيث يتسع له ولغيره ونحو القول بانه سميع عليم على اثر امورهم من ادلة الخصوص
لو كان يحتمل الخصوص في الحكمة انه سامع كل صوت وعليم بكل شيء وفيه يشهد ولا يقال في ذلك انه
اراد ان من الخاص نحو قوله تعالى وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم فقال قوم لا يقع الطلاق حتى
يوقع لانه ذكر انه سميع ولو اوقع الطلاق بغير قول لم يكن فذكر السميع في هذا الموضع فائدة وقال
وقال قوم سميع لا يلزمه اذ هو قسم ينطق به عليم لعرفه وقد ذكر سميع عليم فيجب توجيه كل حرف
الى وجه ليفيد حقيقته ذلك في هذا الموضع ولو كان لا يقع دون القول لكان كل امره مسموع فيلفي

القول بانه سميع عن القول بانه عليم في جملة العقد من طريق الحكمة انه سميع بكل صوت عليم بكل شيء لكن في
النوازل يتوجه وجهين لا يوجب القطع عليه في الارادة الا ان يجيء ما يوجب الاحاطة وقد عمل به الخلق
على الاختلاف والله اعلم ووجه اخر من التاويل انه يحتمل وجوها لا يتسع الكل في حق العمل او في حق الشهادة
لكنها لاحد المعنيين فان كان ذلك في حق العمل يجب طلب دليله ويكون الدليل على وجهين احدهما ان يوجب
على حق العمل والشهادة جميعا والاخر ان يوجب حق العمل خاصة وقد بينا ذلك وان كان في حق الشهادة
فيجب التوقف في تحقيق المراد والتسليم لله حتى يظهر وذلك في حق اضافة الاستواء الى الله تعالى الى العرش
والقول بالرؤية من حيث يتسبب به يرى على الاشارة اليه لا بالاحاطة ويجوز ذلك من الامور والله
اعلم ووجه اخر ان يكون احتمال وجوهها انما يكون بمقدمات تختلف على اختلاف تلك المقدمات فلا يجوز
تاويل تلك الا بمعرفة المتقدم اذا لم يكن فيها غير معرفة الموقع من المتقدمة نحو قوله تعالى فاذا فرغت
فانصب لم يكن لاحد تاويل واحد من الوجهين حتى يعلم بالسمع انه فيم كان مشغولا وقوله تعالى فلينظر
ايها ازكى طعاما ما لم يكن احد طلب مراد قائله او تاويله مراده ولا يظفر به الا بالوحي ولا قوة الا
بالله والقول في حقه الى ان يتبين ما كان في حق الشهادة كذلك ثم التوقف فيه حتى يظهر وما كان في حق
العمل فان كان في نوع ما يحتمل الاحتياط فحقه القيام به حتى يظهر دليل التوسيع على الوجهين الذين ذكرت
وان كان فيما لا يحتمل الاحتياط فحقه التوقف حتى يظهر والله اعلم ولا يخلو شيء الا احد الوجهين به
حاجة من دليل يكون له وقوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها اي غير جلود النضيجة كقوله تعالى انا لفي
خلق جديد اي تجديد ما قد فني وكذلك اعيد ما قد كان من الجلود قبل النضج جديدا في راي العين من حيث
صار الاول نضيجا لا ان كان هذا غير الاول بل هو الاول وغير نضيج ان ذلك غير الاول وتعذيب ما كان
لم يكن ارتكب المعصية لان التعذيب في الحقيقة على غير الذي اثم فيه وقال قائلون الجلود والعظام ونحو ذلك لم
عصت ولا اطاعت بل استعملت قهرا وجبرا لا انها عملت طوعا لكن الذي به عملت والذي استعملها في الجسد
يتناول ويتالم فهو المعذب والمثاب بما صور من الجسد الا ترى انه اجساد اهل الجنة تزداد الحسن والجمال
ويحمل لاهل النار لا تزداد ولا ينتقص واجساد اهل النار مشوهة قبيحة ليكون لهم في التقبيح عقوبة و
للاولياء بالتحسين ثوابا كانت فيها احوال الجزاء لم يكن للاعمال فثبت ان المثاب والمعاقب ما ذكرت
لكنه يتالم ويتلذذ عملت على ما بها تمام اللذة والالم من الاجساد لا على اعادة انفس تلك الاجساد
بل على التجديد كما ذكر في القران وكذلك مقطوع بعض الاعضاء في حال الكفر اذا اسلم يبعث سليما لا كذلك
وشله في حال الاسلام لو ارتد لم يرتفع عند الم ذلك فدل ان الذي ذكرت على حق تجدد والثاني على ما شاء الله
والذي به كان المأثم والبر على ما قد كان والله اعلم وللمذهب الاول ان الجزاء هو لما يجب عليه اذ لو كانت
اسلم يتمنى لنفسه احسن الاحوال واسم البنية ليستعملها بالخير فاوجب ذلك ابطال جميع النشأت
كانت بجوارح فنيت او بقيت وكذلك من اختيار الكفر فقد اثره واختيار ان يكون على ذلك واستعمل جوارح
وتمت فلزمه حكم احتياط جميع ما تقدم بكل فائت منه وباق وفي الاول استوجب جميع ما تقدم منه بالقاء
والباقي حسنات لما عدم عن الكل بكل الجوارح فلحق حكم تبديل السيئات بالحسنات في الكل فيكون على حكم
على حكم اعادة الاول ويلحق التجديد في المعنى والله اعلم نحو قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم وقوله
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الاية وفي الاعادة كقوله تعالى من يعيدنا الاية وقوله عز وجل انا
لفي خلق جديد الاية وغير ذلك من ايات البعث والله اعلم وقال قائلون الواجب من العقوبة لكفره وفي
بحكم التبع له وكذلك الثواب الواجب عنه للايمان ولغيره بحكم التبع بل به قام والاول به سقطت عنه
مشيئة العفو فصار الذي به الجزاء خاصا وغيره بحكم التبع يزاد وينقص فعل ذلك امر الجزاء والتجديد
والاعادة وكل ذلك للذي هو حق التبع والاتباع في الشاهد بتجدد اعين الافعال ولا بد عدم و
الاعتقاد في الامر لا يدوم فعل ذلك امر الجزاء لذلك والله الموفق ولهذا الوجه ما يبطل الخلود في
لما سوى الكفر اذ في ذلك ابطال الجزاء الدائم من حيث الافعال وادامة الجزاء منقطع من حيث الافعال
فيكون فيه زيادة في العقوبة على التمثيل والله لا يجزي الا مثلها والله الموفق ثم اختلف في المبعوث
انه لم يبعث بجسده او يبعث الروح فان منه سميته بعض الفلاسفة نفيا وبعضهم جوهرا روحانيا
وبعضهم بسيطا فان كان جسد فيه روحاني في حياته ومنافعه وجسده له كالمنافع عن جميع ما يحتمل

من الا موال اذا الجواهر الروحانی لطیف ینفذ فی الاشیاء ونحجب الا بالحابس بین ذلک امر انام ان
النفس یخرج لقوله تعالی یتوفی الانفس حین موتها او هی بما یبکی الجوارح وینقطع عنها هم الجسد
یرجع الی خصنه جوهره فیراها یطوف فی البلاد النائیة وفی الامکنة العلویة حتی لا یصفها ارض ولا
سماء یاتی بالاخبار عنها شاهد اما ما کان ذلک عمیها بالجوهر حیث یکون من النفاذ الحبس او هی
بالجوهر یخرج فیعمل ذلک وهی تسمع وتبصر وتعقل فی المنام کانها بالجسد کذلک فدل ان العمل فی حال الیقظة
وما له الجزاء فعل ذلک امر الجزاء وعلی ذلک جمیع الجواهر التی بها الاغذیة والحیوة لیست باعین تلک الا
ولکن بما جعل فی سیرتها فی الروحانی وهی القوی التی تظهر فی البدن وتقوی وتصح فیه بحیوة د وحه
ویزول عنه الافات وکذلک من السمع والبصر والعقل شی ثم تلغا نفسه فعل ذلک امر المعاد من الجزاء فهو
علی ذلک وکذلک الثواب یکون من کل موجود بما یعرف فی الشاهد بحسن یرجع الی الروحیة التی هی روح
فی الجسد الا تری انه لا یبقی فی الاخرة بالاکل الاجساد التی تلفی وهی الاثقال التی تعفن فی الجسد ویخرج منها
جمیع ما فیها من الا قوتیه والروح فثبت ان الامر یرجع الی ما ذکرت وهذا معنی قوله علیه السلام بالا عین
رات ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر لان ذلک الجوهر لا تراه العین ولا تسمعه الاذن فی الشاهد
ولا یخطر علی القلب ویکون لذة ذلک روحانی لا هی لذة الحیوة یحبونها السمع والبصر وکل باطن فی الجوهر
ولذة الاجساد انما یکون بالنهاة فی الطعم وما یعین فی اللون وهذا النوع فیذهب ویکون الاول وهی
ذلک یذهب العبادات الجسدانیة ویبقی الروحانیة من الحمد والثناء والتعظیم والهیبة والمعرفة ونحو ذلک
یبقی ابدا بل یزداد لما یذهب عنها الحواجب من الجسدانی وعلی ذلک یبطل تقدیر الرؤیة وابطاله مما علیه
امر الشاهد ورجوع الامر الی ما یحاط به علی سقوط الحواجب والله اعلم اختلف من ذکرت فی امر البعث
فمنهم من لا یری علی ما جاء فی الجسد من الروحانی فناء والبعث هو اسقاط الاجساد وخروج ما فیها من
الروحانی بصورها ومنهم من یقول یعنی ویعاد علی حالها ومعلوم ان ذکر الجدید لا یحتمل بلا ذهاب الا صل
وذکر الاعادة بلا قوة وقال من یعیدنا قل الذی فطرکم اول مرة وجعل النشأة الاولی دلالة للاخرة ویسر
ثمة اخری بل هی الاولی والاولی هی علی تزعمون غیر معروفة عند المنکرین فیحتج علیهم بها بل یجب ان تعرفوا
الاولی اولا ثم یتساعدون علی نفی البعث ویلزمون الاظهار والدهریة ومنکرا البعث یقولون فی جمیع العالم
بالظهور وبعد الکون وبالکون فی الاصول بالقوت ثم الظهور بالفعل فکیف ینکرون البعث لیحتج علیهم بالخلق
الاول والله اعلم وقال قوم بالبعث بالاجساد علی ما کانت لکنها کانت فی الدنیا منشاة للفناء مشتمل علیها
اثار الفناء ویحیط اعلوه الهلاک ومن افات کلها وسواتر تحجبن عن اعمال لطائف الجواهر وعن ادراک الروحانی
والا فهی کما وصفهم الله تعالی انه خلقهم فی احسن تقویم وکرمهم باقوم جوهر واکمل امر واتقی خلقة
فاذا وقعت علیهم الافات واعیدوا للبقاء فتزول عنهم جمیع الظلمات التی هن حواجب وسواتر لهم علی الاحاطة
بحقایق الاشیاء وبواطنها وعلی شکلهم فیساء الاجساد المجعولة جزاء لهم فیلحقون بجمیع اللطایف حسنا
بما فیها من الجواهر الروحانی تصیر هذه فی التلطف کذلک وهی لما تنقل الی اللطف من ذلک وانور لهم کالارواح
فیعضدون علی الروحانیین باجسادهم بما فیها من اللطافة والنفاذ فی الامور التی هی کالروحانیین فی التمثیل
وما فیهم حق الروحانیین النظر علی ذلک بارتفاع اثار الفناء عنها وخروجها من ان یعمل فیها الفساد وعلی ذلک
اجساد الجزاء فانها تخرج علی الافات وتمنع عن الفساد وتصیر اجساد فی التطییب والصفا کالروحانی یبقی فیها
علی کل حال لا یفنی والاصل فیه الجزاء لحق الشهوات واللذات لا لحق الاغذیة وحاجة اجساد المستضعفین فتکون هی
بجسدها وسترها وعدة ویقال بالاجساد لها احق من بقاء الروحانی فی هذا العالم من طریق الاعتبار لان الذی
لحق الروحانی فی الشاهد یرا البقاء والفناء والحیاة لما یدفع بها الافات العارضة فی الارواح من جهة القوا
التی تضعف وتقوی وفی الاخرة لا تعترض الافات یحتاج فیها الی الاغذیة وانما ینال ارفق من حجج السمع وما
علیه الاعتبار فاما حجج السمع فان الله عزوجل ان کنتم فی ریب من البعث فانا خلقناکم الایة وقال ائذا کنا
عظاما ورفاتا الایة وقال عزوجل یحیی وهی رمیم قل یحییها الذی انشاها اول مرة الایة وغیر ذلک مما جاءهم
منکرا البعث والاشکال کان لهم فی الاجساد وفیها جرت المحاجات لذلک کانت هی اولی فی الاعتبار وسما
کانت الاشیاء اللطیفة التی لا تمس ولا تحس فی التجدید لم یکن بحیث احتمال الانکار لوجودهم فی کل
حال نحو العقول تذهب باسباب ثم تعود وکذلک العلوم والسمع والبصر ونحو ذلک ثم الحسنات اللطایف

نحو البر والنهار والنور والظلمة والظل ونحو ذلک یرون الفناء والعود فی کل حین لا ینکرون هذا النوع
لیحاجوا بالذی ذکر بهذا فلذلک کان القول بالاجساد احق والله اعلم والاعتبار ان الله سبحانه وتعالی
انشاء هذا الخلق علی ما یتلذذون ویتألمون لیکون ذلک علما للترغیب والترهیب بالموعود وما یجعل من الافات واللذات
والاضدادها فی الروحانی فی الجسد یکون له سرور وحزن لا یتألم ویتلذذ وقد جری الوعد بالمولم
وکذلک حکمة خلق الجسد علی ذلک بما یحقق العلم بالمرغب والمرهب من الموعود علی ان السرور والغموم
لیسا بحیث یرغب فیهما ویزهد الا من حیث یالم الجسد ویتلذذ بل یکون فیه الامران لیسر ویحزن
فلذلک کان القول بالاجساد احق من طریق التقدیر علی ما جری به حق السمع والعقل والله اعلم بحقیقة
ذلک وبیده الملک یکرم من یشاء بما یشاء فضلا منه ویهین من یشاء بما یشاء عدلا منه والله الموفق
وقوله عزوجل فمنهم من امن به بما انزل علی محمد صلی الله علیه وسلم من الیهود ومنهم من صد عنه من اهل
الکتاب قال فمنهم من امن به یعنی بالکتاب الذی اعطی ابراهیم ومنهم من صد عنه عن الکتاب وهو
قول ابن عباس رضی الله وقیل فمنهم من امن به یعنی ابراهیم ومنهم من صد عنه یعنی عن ابراهیم علیه السلام
وقوله عزوجل وکفی بجهنم سعیرا کان جهنم والله اعلم معظم النار وجمیع درکاتها والسعیر هو التهابها
وقودها کقوله تعالی عزوجل وان جهنم لموعدهم اجمعین لها سبعة ابواب لکل باب منهم جزء مقسوم
ویحتمل قوله وکفی بجهنم سعیرا ای عذابا والله اعلم وکفی بجهنم ای بالتهابها جهنم التهاب السعیر
الالتهاب والله اعلم وقوله تعالی عزوجل ان الذین کفروا بایاتنا یحتمل الایات اعلام الدین واثاره
ویحتمل الایات ایات الربوبیة له ویحتمل الایات والاعلام رسالة الرسول صلی الله علیه وسلم
فیکون الکفر بها کفرا بالله وکقوله تعالی سوف نصلیهم نارا قیل نصلیهم نشویهم یقال شاء هم
مصلیة ای مشویة وقوله عزوجل کلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غیرها کلما احترقت جلودهم بدلناهم
جلودا غیرها ای جددنا لهم جلودا غیرها لیزدادوا التهابا وابقاء من غیر ان یبکی الم العذاب فهو
من حیث التجدید غیر لان الاولی قد احترقت ونضجت ومن حیث عین نفسها الا تری ما یقال تحول ون فانما
یقال من حیث تغیره من لون الی لون لا ان کانت تحولت نفسه وتبدل من حال الی حال فعل ذلک قوله
بدلناهم جلودا غیرها هی من حیث العین انها تلک بعینها واحد وعلی ذلک البعث بعد الموت والانشاء هو من
حیث التجدید غیر حیث تفانوا وذهبت اثارهم ومن حیث الاعادة الی الحالة الاولی هم بانفسهم لیسوا بغیر
وعلی ذلک قد سمی البعث خلقا جدیدا وان کان البعث الاول فی المعنی ثم تکلموا فی قوله تعالی بدلناهم جلودا غیرها
قالوا کیف کان ان یعذب جلودا لا ماثم فیها وانما الماثم فی الجلود التی احترقت ونضجت وقالوا بدلنا فیمن
قطع یده وهو کافر ثم اسلم فمات علی الاسلام حال الید المقطوعة تعذب فی النار او تکون مع النفس فی الجنة
وفیمن قطعت یده وهو مسلم ثم کفر ومات علی کفره تلحق النفس او تکون فی الجنة فالجواب لهذا کله ان الجوارح
والاعضاء لیست تعمل الاختیار والطوع ولکنها کالمکروهات والمقهورات فی العمل الا تری ان الاکراه
علیها یوجب تحویل الفعل منها الی المکره فیجعل کان المکره هو الذی قد فعل ذلک فی حق الضمان فهذا یدل
علی هوان هذه الجوارح کالمکروهات والمقهورات فلحقنا ان النفس حیث کان ثم معلوم ان من اسلم فی
اخر عمره یتمنی سلامة جوارحه التی کانت ذهب عنه لیعمل بها فی طلب مرضات ربه تعالی وکذلک من کفر
بعد اسلام یتمنی سلامة جوارحه التی یستعملها فیما اختاره من الدین فاذا کان کذلک لحقت النفس حیث کانت
فی طاعتها ومعصیتها وقالت فرقة من الملحدة ان الثواب فی الاخرة لا یکون لهذا النفس التی تاکل وتشرب
وتعمل کل ما تعمل ولکن انما یکون للروحانی الذی جوهرها جوهر النور لکن هذه النفس متعنیة فی الدنیا
بالاکل والشرب مشوبة بالافات والعیوب فاذا صفت من الافات وتنزهت عن العیوب التی بها امتحنت
صار اهلا للثواب العظیم ومحل الجزاء الجزیل وبالله العصمة والنجاة وقوله عزوجل لیذوقوا العذاب
اما ذوق الطعام والشراب یکون بالفم لیعرف طعمه ولذته واما ذوق العذاب فانما یکون بکل جارحة منه
لیجد الم ذلک فی جمیع الجوارح والله اعلم الذوق فی العرف لیعرف الطعم فیقلب به کل شیء یعرف یقال
فلان ذوق فی امر کذا ای معرفة وقوله عزوجل ان الله کان عزیزا حکیما قیل العزیز ما یتعزز وجوده
فی الشاهد وقیل هو عزیز لا یعجز عنه عزیز لما لا یوجد فی الافهام ولا یدرک بالاوهام وقیل العزیز
المنتقم وقد ذکر فی غیر موضع وقوله عزوجل والذین امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجری

من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة من الافات والعيوب ليس كازواج الدنيا ونسائها
وقوله عز وجل وندخلهم ظلا ظليلا لا تنسخه الشمس ولا اذى فيه لان الشمس فيها منافع للناس واذى
وكذلك الحر اذى ان كان فيه منافع والظلمة كذلك فيها منافع واذى واما الظل بنفسه فليس فيه
اذى على كل حال فان كان فهو للزمان لا للظل بنفسه فاخبر عز وجل انه يدخلهم الظل الذي فيه اذى
الشمس ولا اذى الظلمة ولا اذى الزمان ليس كظل الدنيا مشوب بالاذى عز وجل والله اعلم وذلك
ما وعد الظليل ان يظله عن جميع الموذيات والله اعلم وقوله عز وجل ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها قيل لما فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس رضي الله عنه يا رسول
الله لو جمعت لنا السقاية والحجابة فينا فاخذ مفاتيح الكعبة من ولد شيبة فدفعها الى العباس فانزل
الله تعالى هذه الاية فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة فردها الى ولد شيبة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
يا عم ان الله تعالى احب ان يرزأ ولا يرزأ شيئا وقيل انها نزلت في امر الفيء الذي ائتمنهم على جمعها
وقسمتها والصدقات التي ائتمنهم على جمعها وقسمتها والاية يجب ان يكون نازلة في كل امانة ائتمن
المرء فيها من نحو ما كان فيما بينه وبين ربه وما كان فيما بين الخلق انما كان فيما بينه وبين ربه من
نحو العبادات التي امر المرء باداءها من نحو تعليم العلم الذي رزقه الله تعالى كقوله تعالى انا عرضنا الامانة
على السموات والارض الاية وكقوله تعالى كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الاية وكقوله تعالى واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل كل ذلك امانة يدخل في قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
وكذلك كل امانة يؤتمن المرء عليها تدخل في ذلك ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اد الامانة الى من
ائتمنك عليها ولا تخن من خانك ومن قال نزلت في الامراء استدل بقوله تعالى ان تحكموا بالعدل لان الحكم
الى الامراء وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قال هي مبهمة
المؤمن والكافر فيه سواء وقوله عز وجل ان الله نعما يعظكم به من الحكومة بالعدل واداء الامانة
الى اهلها ان الله كان سميعا بصيرا يحتمل مجيبا لمن دعاه وسأل كقوله عز وجل واذا سألك عبادي عني
فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان يجيب لمن استجابه وادى الامانة ويحتمل سميعا بصيرا اي
لا يخفى عليه شيء واختلف اهل العلم في العارية اذا ضاعت قال اصحابنا رحمهم الله في ذلك عنه احتج احدها
ان المستعير ان لبس القميص او ركب الدابة او حمل عليها ما اذن له في حمله عليها واصابها في ذلك نقصان
في قيمتها فلا شيء فاذا لم يكن عليه ضمان فيما وقع بها من النقص والنقص بفعله ولبسه وركوبه
فلان لا يجب عليه ضمان ما هلك منها بغير فعله والثاني ما روي عن ابن الحنفية عن علي رضي الله عنه
قال العارية ليس بتبعة ولا مضمونة انما معروف الا ان يخالف وروي عن الحسن قال اذا خالف صاحب
العارية ضمن واحتج من خالف اصحابنا في ذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم انه كان على اليد ان ترد
ما اخذت اذا كان قائما عليها لردها الا ترى ان الوديعة لا تضمن اذا تلفت وعليه ان يردها اذا
كانت قائمة فالعارية مثلها والثاني ان يحتمل معنى ذلك في الغصب واشباهه حمل الغاصب
ان يرده فاما اوتار العار لا يدخل في عموم الخبر العارية الا ترى ان الوديعة لم يدخل فيه وان
كان فيه اخذ واحتجوا ايضا بحديث صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان يوم
حنين دروعا فقال اغصب يا محمد فقال بل عارية مضمونة وروي في خبر اخر ان صفوان هرب من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يريد حنينا فقال يا صفوان هل عندك من سلاح قال بل عارية ام عارة ولم يذكر
فيه الضمان فهو عندنا ان ثبت خبر صفوان مضمونة له وعلى المستعير ردها فالعارية ليس كالوديعة
لان الوديعة ما لم يطلب صاحبها لم يرد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤيد قولنا وهو
قوله العارية مؤداة وقوله عز وجل واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وقال الله عز وجل
ان الله يامركم بالعدل والاحسان فمن ولي امرا وحكما فيما بين الناس فقد ولي الامانة يجب ان
يؤديها الى اهلها وعلى ذلك جاءت الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يكون
على شيء من هذه الامور قلت او كثرت فلا يعدل فيهم الا كبه الله تعالى في النار وفي خبر اخر ما من امير
ولي من امر الناس شيئا ثم لم يحطهم مثل ما يحوط به نفسه واهله لم يرح رائحة الجنة يوم
القيمة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من احب

الناس الي واقربهم مجلسا مني يوم القيمة امام عادل وان ابغض الناس الي يوم القيمة واشدهم عذابا امام
جائر وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان قيل كيف
خص الله تعالى المؤمنين بالخطاب بالطاعة له ولطاعة الرسول والامر بها يعم المؤمن والكافر جميعا
قيل بوجوه ثلاثة احدها ان من عادة الملوك انهم اذا خاطبوا بشيء انما يخاطبوا اهل الشرف والمجد
ومن كان السميع لخطابهم واعظم قولهم قوله تعالى عز وجل يا ايها الملؤا افتوني في امري وقال تعالى
يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها يخاطبون ابدا اهل الشرف ومن هو اقبل لقولهم واطوع لامرهم فعلى
ذلك خاطب الله تعالى المؤمنين وامرهم ان يطيعوه ويطيعوا رسوله وان كان الخطاب بذلك يعمهم
والثاني يحتمل ان يكون الخطاب بذلك المؤمنين خاصة لان الكافر انما يخاطب باعتقاد الطاعة له اولا
فان اجاب الى ذلك فعند ذلك يخاطب بغيره والمؤمن قد اعتقد طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك
خرج الخطاب منه للمؤمنين خاصة والله اعلم ويحتمل ان يكون تخصيص الخطاب للمؤمنين لما امر بطاعته اولي
الامر ليعلم انه انما امر بطاعة اولي الامر اذا كانوا مؤمنين والله اعلم فيه دلالة جواز الطاعة لغير الله لان
كل من عمل بامر اخر فقد اطاعه هو الايتمار للامر واما العبادة فهو الخلوص للشيء بكليته لله عز وجل حقيقة
الاشياء كلها لله بكليتها حقيقة ليس لاحد سواه لذلك لم يجز ان يعبد غير الله وقد يجوز ان يطاع غيره
لما ذكرنا ان الطاعة هي الايتمار بالامر وليس العبادة كذلك لذلك افترقا ثم طاعة الرسول صلى الله عليه
وسلم يكون طاعة الله لانه بامره يطاع وفي طاعتهم له طاعته ثم قيل قوله تعالى اطيعوا الله في فرائضه ورسول
صلى الله عليه وسلم في سنته وقيل اطيعوا الله فيما امركم ونهاكم في كتابه واطيعوا الرسول صلى الله عليه
فيما امركم ونهاكم في سنته ثم اختلف في اولي الامر قيل هم السرايا وقيل هم العلماء والفقهاء وقيل هم
اهل الخير ويحتمل اولوا الامر الذين يولون السرايا فكيف ما كان وهو كان فيه الدلالة ان لا يولي
الا من له العلم والبصر في ذلك امراء السرايا كانوا او غيرهم لانه عز وجل امر بطاعتهم ولا يؤمر بطاعة احد
الا بعلم وبصر يكون له في ذلك والاية التي تقدمت وهو قوله سبحانه واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
يدل على ان اولي الامر لانه تعالى امر الحكام في الاية الاولى بالعدل وامر الرعية بالسمع له والطاعة فيما يحكمون
ويامرون والله اعلم الا ترى انه روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اسمعوا
واطيعوا وان امر عليكم حبشي مجدع فاسمعوا له واطيعوا ما اقام فيكم كتاب الله عن ابن عمر رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فلا سمع
عليه ولا طاعة وبعض هذه الاية التي تليها يدل على ان اولي الامر الفقهاء وهو قوله تعالى فان تنازعتم في
شيء فردوه الى الله والرسول والتنازع يكون بين العلماء فكانه والله اعلم امر في ما اتى اولي الامر بطاعتهم
وامر اولي الفقه يختلفون فيه الى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاية تحتمل المعنيين
والله اعلم ان على العامة طاعة امرائهم في احكامهم وعليهم اتباع علمائهم في فتواهم يبين ذلك قول الله تعالى
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الاية فلو لم يجب على قومهم قبول قول علمائهم ما وجب عليهم
انذار قومهم وفي هذه الاية دليل على ابطال قول الرافضة في الامامة لان الله تعالى قال اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم فليس يخلوا اولوا الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يكون الامراء والفقهاء او الامام
الذي تدعيه الرافضة فان كان المعنى في اولي الامر الفقهاء والامراء ففيه ابطال قول الرافضة انه امام
الذي يصرفونه ومحال ان يكون ذلك هو الامام الذي يذكرونه لانه قال الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول وذلك الامام عندهم طاعته مفروضة وهو بين اظهر المتنازعين عندهم ومخالفته كفر
في مذهبهم فلو كان كذلك لقال والله اعلم فردوه الى الامام فان من خالفه فقد كفر ولكنه تعالى عز وجل امر
برد المتنازع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فدل ان قول لا يقوم في الحجة مقام قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قيل الى الله اي الى كتاب
او الى رسوله صلى الله عليه وسلم اذا كان حيا فاما اذا مات فالى سنته واستدل قوم بهذه الاية على ابطال الاجتهاد
وترك القول الا بما يوجد في كتاب الله تعالى او في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصا ويقولون فكل امره
الى الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه افضل الصلوة واكمل التحيات وليس ذلك عندنا والاية تحتمل وجهين
احدها ان يجتمعوا عليها على ان التنازع اذا كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب ان يرد اليه عليه

الصلوة والسلام وتسئل عن ذلك ولا تستعمل فى الحادثة الاجتهاد ولا النظر فاما ان كان من التنازع
بعد وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فان حكم الحادثة يطلب فى كتاب الله او فى سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم او فى اجماع المسلمين فان وجد الحكم فى احدهم بينا والا قيل بالاجتهاد والوجه الثانى
ان يكون المجتهد اذا ما اجتهد فيه الى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول وجدت
فى الكتاب او فى السنة كذا وكذا وهذه الحادثة تشبه هذا الحكم فحكمها حكمه وتكون ادا الحكم الحادثة
الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم او شبهها بما وجد من الحكم فيهما واذا كان ما
وصفنا من تاويل محتملا فلا حجة لهم علينا فى ذلك والله المستعان وفى الاية دلالة لمن جعل الاجماع حجة
وهو قوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول الاية انما امر بالرد اليه والى الله والرسول صلى الله
عليه وسلم عند التنازع لم يامر عند الاجماع دل انه كان ثمة اجماع لا تنازع فيه لم يجب الرد اليهما ودع
فى الكتاب وفى السنة وفى دلالة انه يدرك بالطلب المودع فيه لا لو لم يدرك اوليس ذلك فيه
لم يكن للرد الى ذلك معنى الا ترى انه قال الله سبحانه وتعالى لعلمه الذين يستنبطونه فانما يستنبط فيه
ندل ان كل حكم الحوادث مذكور فى حدين فى الكتاب والسنة اذ لو لم يكن الفرع عنها النظر والطلب لمان
لا يفيد الامر بالرد اليهما معنى فى اوله يوجد منصوص فى كل ما يبلى ثبت انه مطلوب وهو يدل على لزوم البحث
فى استخراج المودع من المنصوص والله اعلم وفى قوله ايضا يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
الاية تخصيص المؤمنين على اشتراك الجميع فى اللزوم يخرج على وجه احدها على مخاطبة الاشراف والنجباء وعلى
ذلك امر الملوك فى الامور يريدون اشراك الرعية واهل المملكة فى ذلك قوله سبحانه قالت يا ايها الملؤ
وقال سليمان عليه الصلوة والسلام يا ايها الملؤ وقال فرعون للملؤ وقال اذهب الى فرعون وملائه
ذلك فيه الذى نحن فيه والله اعلم والثانى انهم ما قدموا الامور والمنافع فقيل لهم اطيعوا الله وما
ذكروا علموا انهم فيهم امروا به ونهوا عنه لم يكن من الكفرة قد انكروا المعبود والرسول مجرى الخطاب فيمن
ثبت لهم المعرفة بذلك مما يحتمل ان يكون فى هذا الخطاب فى الشرايع وهى غير لازمة للكفرة فلذلك كان
على ما ذكرت والرابع ما ادخل فى الخطاب اولى الامر منا ولا يلزمهم طاعتهم لذلك خص المؤمنين وكان
المقصود بالاية بيان طاعة اولى الامر منا والا كانت طاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه
وسلم بما كان ايمانهم قد ثبت ولكن جمعت طاعة من ذكر ليعلم ان قد يكون بطاعة اولى الامر طاعة الله
والله الموفق ومما يبين الذى ذكرت ان الكل من عرف الاله عرف ان عليه طاعته بما عرف اسمه الذى
سمت العرب كل معبود الها من عرف منهم الاله عرف ما له عنده من الايادى وعليه من النعم على ان
عليه شكره وطاعته به ثم من عرف الرسول صلى الله عليه وسلم عرف ان طاعته هو طاعة الله لانه اليه
يدعو وعن امره ونهيه يامر وينهى اذ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم منه الى الخلق وليس من عرف الله
وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم عرف ان عليه طاعة اولى الامر بما لم ير وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبين الله تعالى ذلك فى هذه الاية ليعلموا ان طاعتهم هى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم وذلك هو الدليل على جعل الاجماع حجة وان متبعيهم هو مطيع الله تعالى لما امر الله طاعتهم طاعته
دهم فى ذلك على الاجماع وعلى ما ذكرت من شان الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج قوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله وقوله فلا وربك لا يؤمنون الاية صيرا لو اجدوا خرجا مما قضى واجد احرجا
من قضى الله تعالى فى نفى حكم الايمان وعلى ذلك قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
اى تكون عليهم طاعته بامر الله اذ هى طاعة الله او لا تكون طاعته طاعة الله باذنه وبامره والله
الموفق ثم اختلف فى اولى الامر ومعلوم انهم هم الذين اليهم يرجع تدبير امور الدين وعلى رايهم وهم الذين تضمنهم
اية ارجعوا ان يكون فيها الكفاية فى تعريف المقصود بها وهو قوله عز وجل ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فجعل الامر من عندهم علم الاستنباط وشهد لهم بالعلم فيها ثبت انهم
انهم الفقهاء المعروف بالاستنباط ورعاية امور الدين وفى هذا ايضا دلالة على اصابتهم فيما اجمعوا عليه
اذ شهد لهم فى الجملة بالعلم وعلى ذلك قوله تعالى كنتم خير امة الاية وقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية
ثم كانت الشهادات والامر والنهى للعلماء بها ثبت ان الامر فى ذلك ينصرف الى العلماء وانهم اذا اجمعوا على شئ
بالامر والنهى اجماعا لان ذلك عند الله تعالى ويجوز شهادتهم على جميع العوام ومن تاخر عنهم ومن ذلك كان عند

او ذلك الخاص على ذلك انا لم يغيروا ولا شهدوا فى ذلك بغيره وامروا النهى بالوكانوا اهل البصر فى
الامر مع العلم بالشرع والفقه يلزم فيهم ذلك لانهم ميزوا فى لباب اهل الامر وابدا لاول انهم العلماء
قوله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والى الرسول ومعلوم ان على العوام لذى الاشكال والحاجة
الرد الى اولى الامر بما ذكرت من الاية ثبت ان هذا فى تنازع العلماء وهو يوضح ابطال قول الروافض
فى جعل اولى الامر امامهم وابطال قول من يجعل اولوا الامر امرا او نحوه وانما هم العلماء فى كل نوع حتى
يتمكن فيهم التنازع وامامهم واحد لا معنى للتنازع فيهم والتنازع انما يكون عن تدبر وبحث ونظر ولا
معنى فى ذلك للعوام ولا معنى فى ذلك للعوام الذى لا يعرفون الاصول والفروع والله الموفق ثم
اختلف فى تاويل قوله تعالى فردوه الى الله والى الرسول فقال قوم كانه قيل كلوا الامر فيه الى الله
تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم ولا تجتهدوا فيه كقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله
ولان الاختلاف كان فى تاويل الكتاب والسنة فكيف يطلب من بعد فيهما ويبدا الطلب حدث التنازع
وقال قوم الاختلاف يقع فى التاويل بقوله عز وجل فردوه الى الله والرسول الى ظاهر ذلك ولا تاولوا
فتختلفوا اذ الاول كان على التاويل وقال قوم هذا كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فى ذلك
بعض الحكم والحق فى ذلك فيكون الامر الذى يتنازع اولوا الامر لم يجز لاحد العمل الا بالبيان وهم
وجه الوصول الى البيان فى الحقيقة فامروا بذلك مما كان يجوز ان يكون التنازع فى وقت لم يفرغ
عن بيان جميع ما بالخلق اليه حاجة بالكفاية اذ كان ذلك الوقت وقت حدوث الشرايع ووقت
احتمال التناسخ وتبديل الاحكام فاذا وقع التنازع المجتهدين فلهم مع ذلك اشكال التنازع
شبهة احتمال فى اصله لم ينزل وان الذى يتضمن حكمه من المنصوص لم يبلغهم فى ذلك فيجب
فى ذلك الرد الى الله سبحانه وتعالى بالرد الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واما بعده فقد فرغ
من جميع اصول الحوادث التى علم الله سبحانه وتعالى انما تقع بيان كفاية اذ لو لم يبين ذلك القدر
لبقى تنازع لا ارتفاع له ولا يجوز الحكم لكان لا يعلم الحادثة الذى له اصل يطلب ذلك وفى
ذلك تمكين المعنى الذى يخرج الى الرسالة مما قد تكلم جميع الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
بعدهم الى اليوم فى الحوادث من غير ان يظهر عن احد قول بان هذا هو عالم ينزل له الاصل فصار
ذلك اجماع فى بيان اصول كل حادثة فيجب عليه فى الاصول والله اعلم والاصل انه فيما يوكل
الى احد يوكل الى من يعلم الحكم يملك اظهاره فلو كان للتنازع يجب الرد الى الله تعالى وترك الحكم
فى ذلك بالاجتهاد فاذا يكون فى الرد اليه علم بحكمه الا للوقت الذى لا يحتاج الى الحكم وهو يوم القيمة
على انه معلوم لو كان يرده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان لا بد عنهم على ما هو عليه من
التنازع الذى هو اصل كل شئ وفساده فعل ذلك فيما يرد الى الله سبحانه وتعالى اذا عز وجل يجمع النوازل
كلها مردودا اليه فيجب ان يكون حكم فيها اذ قال الله عز وجل فحكمه الى الله واذا لم يحكم فيها لم
يصر الحكم اليه بل لا حكم فيه الى الله تعالى كما وجب بالذى ذكرت ان يكون مما تضمن البيان لم يلزم
الاجتهاد ثم لو كان الحق عند التنازع الظاهر دون ان يطلب على اصح التاويلات دليل لكان
لا يجوز التنازع ان يقع لان الظاهر قد كان فى ايديهم وهو حجة لا يحتمل ان يترك احد الا بالله
لو كان حجة وكان قد قام الدليل على لزوم العدول على الظاهر بتاويل جميع اولى الامر فى ذلك ثبت
ان دليل ذلك مطلوب يوجد وتتفقون عليه اذا انصفوا او انعموا النظر واعرضوا عن حسن الظن تقرير
من الائمة على ان الذى يقول له هؤلاء يقتضى احكام الحوادث كلها بيقين ثبت ان احكامهم مودعات
فى المنصوص فصرن متعلقات بالمعانى لا بالظواهر ثم الاصل ان العمل بالظواهر فى محتمل المعانى
ومختلف التاويلات مما فيه التنازع فى الامة وللتنازع امر بالرد فبعيد ان يرد الى ما لم يثبت صحته بل
فى الظاهر وجه فى ظاهر الاسم باللسان والظاهر من التفاهم فى المعتاد نحو القول بان اغسلوا و
هو حكم انه باى شئ غسل يستحق اسم الغسل فى اللغة لكن لا يغسل به عادة وفى الاستعمال الى ذلك
ينصرف الخطاب ويصير الظاهر فى المعتاد به ولا فى الظاهر فى اللسان ويكون فى ذلك منع الذى
ذكر حتى يوضحه دليل ان يعلم انه المعتاد فيكون ذلك دلالة والله اعلم ثم لا يحتمل التنازع فيما فيه
المعتاد من التفاهم والعدول عنه الا بدليل فيجب القول لمن عدل ان كان عند دليل فيكونا بما

يوجب العمل منع والله اعلم ثم قيل في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول باوجه ثلاثة اطيعوا الله
تعالى فيما بلغ واطيعوا الله فيما فرض والرسول فيما لسن واطيعوا الله تعالى عز وجل فيما انزل ونص
والرسول فيما بين والاصل في معبودا للنسان ان الطاعة تكون في الايتمار رسول الله صلى الله عليه
وسلم مطاع في جميع ما امر لازم طاعته في ذلك امره اذا ثبت ان امره هو امر الله تعالى عز وجل وطاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الله عز وجل وله عجب برظهور الخصوص والعموم والتناسخ
جميعا وبه تبين الفرض والادب وكل نوع وما يظهر فبالله تعالى ظهر على لسانه صلى الله عليه وسلم
كما ما كان او تنزيلا فالتقسيم بين الذي لله عز وجل والذي لرسوله صلى الله عليه وسلم يوجب
الشبهة وتوهم الاختلاف فجعل الله عز وجل ان يبعث رسولا يخالفه وبالله المعونة والتوفيق وقوله
عز وجل خير واحسن تاويلا يحتمل قوله عز وجل خير اي ذلك الرد خير الى ما ذكر ويحتمل ذلك
خيرا اي الاختلاف فيما امكن فيه خير من اختلاف واحد وقوله عز وجل واحسن تاويلا اي عاقبته
وقيل احسن تاويلا اي خيرا وفي حرف حفصة ذلك خير واحسن ثوابا وعن ابن عباس ذلك خير واحسن
تاويلا قال القران احسن تاويلا وقوله عز وجل الم تر الى الذين يزعمون انهم بما انزل اليك وما انزل
من قبلك الاية ذكر في القصة رجلين تنازعا احدهما منافق والاخر يهودي فقال المنافق اذهب بنا الى
الكعبة كعب بن الاشرف وقال اليهودي اذهب بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فاختصما الى نبي الله
صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي على المنافق انطلق بنا الى عمر بن الخطاب نختصم اليه فاقبل معه اليهودي
الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي يا عمر انا اختصمنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فزعم انه لا يرضى
بقضائه وهو زعم انه يقضائك فاقض بيننا فقال عمر رضي الله عنه للمنافق كذلك قال نعم فقال رويدا
حتى اخرج اليكما فدخل عمر رضي الله عنه البيت فاشتمل على السيف ثم خرج فضرب به المنافق فانزل الله تعالى
الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت والطاغوت
قيل هو كعب بن الاشرف وقيل الطاغوت اسم الكاهن وقيل الطاغوت الكافر والطاغوت هو كل معبود
دون الله تعالى وعلى هذا التاويل يخرج قوله سبحانه وتعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك
يحلفون بالله ان اردنا اي جاء اهل النفاق فيحلفون بالله انه لم يرد بالتحاكم الى ذلك الا احسانا و
توفيقا وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان قوله سبحانه وتعالى يريدون ان
يتحاكموا قصدوا ان يتحاكموا اليه بعد ما اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فعلموا انه انما علم ذلك
بالله لكنهم لشدة تمردهم لم يتبعوه وقوله عز وجل وقد امروا ان يكفروا بالطاغوت كقوله تعالى
ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى وقوله عز وجل ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا اي يزين لهم الشيطان ليضلوا ضلالا بعيدا اي لا يعودون الى الهدى
ابدا فيه اخبار انهم يموتون على ذلك فكذلك كان وهو في موضع الاياس عن الهدى وقيل بعيدا عن
الحق وقيل طويلا وهو واحد وقوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول اذا قيل لهم
تعالوا الى حكم ما انزل في كتابه والى الرسول اي امر الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته رايت المنافقين
يصدون عنك صدودا والصدود هو الاعراض في اللغة والصد الصرف وقال الكسائي يقرا يصدون
بكسر الصاد ويصدون بضم الصاد وفي حرف حفصة واذا دعوت الكافرين والمنافقين الى ما انزل الله رايت المنافقين
يصدون عنك صدودا وقوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا
الا احسانا وتوفيقا يحتمل هذا ما ذكر في القصة الاولى ان عمر رضي الله عنه لما قتل ذلك الرجل المنافق وقوله
المنافقون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله ما اردنا الا احسانا اي تخفيفا وتيسيرا عليك لنرفع
عنك المعونة وتوفيقا الى الخير والصواب وقيل نزلت في المنافقين في بناء مسجد ضرار كقوله سبحانه وتعالى
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ويحتمل قوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون
بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا الاية في كل مصيبة تصيبهم وكل نكبة تلحقهم انهم كانوا ياتون رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيعتذرون كما يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قال لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله
من اخباركم الاية لانهم كانوا يميلون الى حيث ما كانوا يطمعون من المنافع من الغنيمة وغيرها ان اداركت
النكبة والدبرة على المؤمنين مالوا الى هؤلاء ويظهرون الموافقة لهم طمعا منهم ويقولون انا معكم وان كانت

النكبة والدبرة على الكافرين يظهرون الموافقة لهم كقوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح
من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين هذا كان
دابهم وعادتهم ابدا وقوله تعالى عز وجل ان اردنا الا احسانا وتوفيقا قيل فيه بوجوه قيل الا تخفيفا وتيسيرا
عليك وقيل قالوا انما تحاكمنا اليه على انه ان وفق والا رجعنا اليك وفيه دلالة بطلان تحكيم الكافر والتحاكم
اليه وذلك حجة لاصحابنا رحمهم الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من
النفاق والخلاف غير ما حلفوا فاعرض عنهم ولا تعاقبهم في هذه المدة وقيل لهم ان فعلتم مثل هذا ثانية
عاقبتكم ويحتمل ان يكون على الوعيد اي لا تعاقبهم فان الله تعالى عز وجل هو معاقبهم وقوله تعالى ان اردنا
الا احسانا وتوفيقا قيل اي تخفيفا وتيسيرا عليكم على انه ان وفق للصواب والا رجعنا اليك احسانا
وتوفيقا بفضول اموالهم وقيل توفيقا اي صوابا وقوله عز وجل وقل لهم في انفسهم قولا بليغا
قيل اوعدهم وعيدا حتى اذا الى مثله ما جنود وقيل الزمهم الحجة في ذلك وابلغها اليهم حتى اذا عادوا عاقبهم
وقوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله الاية يحتمل قوله تعالى باذن الله وجوها قيل ليطاع
باذن الله اي بمشية الله وقيل ليطاع اي بامر الله اي بعلم الله ومن قال باذن الله بمشية الله اي من اطاع
الرسول صلى الله عليه وسلم انما يطيعه بمشية كذلك من عصاه انما يعصيه بمشية من طاعة او عصاه فانما ذلك
كله بمشية الله وما تاول الا باذن العلم يقول انه يعلم من يطيعه ومن يعصيه اي كل ذلك انما يكون بعلمه
لا عن غفلة منه وسهو كصنيع ملوك الارض انما يستقبلهم من العصيان والخلاف انما يستقبلهم منهم سهوا
بالعواقب فاما الله سبحانه وتعالى اذ بعث رسولا بعث على علم منه بالطاعة لهم وبالمعصية لكنه بعثهم
لما لا ينفعه طاعة احد ولا يضره معصية احد فما ضر ذلك عليهم ونفعه لهم ثم قالت المعتزلة في قوله تعالى
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع اخبر انه ما ارسل الرسول الا ليطاع ثم قد كان من الرسول لم يطع قيل
هو ذكر في اخره الا ليطاع باذن الله اي بمشية الله فمن شاء من الرسول ان يطاع فقد اطيع ومن
شاء ان لا يطاع فلم يطع وكذلك من علم انه فارسله ليطاع فليطع ومن علم انه لا يطاع فلم يطع ومن ارسل
ان يطاع بامر الله ليكون عليه الامر فذلك مستقيم ومن ارسل ليطاع بالامر فلا يجوز ان لا يطاع وقوله ايضا
ليطاع باذن الله قيل فيه بامر الله وقدر بيانه وقيل ليطاع بمشية الله فيطيعه كل من شاء الله يعلم الله فهو
فيمن يعلم انه يطيعه اذ لا يجوز ان يعلم الطاعة ممن لا يكون والمعتزلة في هذا انه اخبر ارسل ليطاع ولم
يطعه الكل فاستبعد ان يكون اراد ليطاع وان كان لا يطيعه الكل فقلنا اذا قال ليطاع باذن الله والاذن
يتوجه الى ما ذكرت فعل ما ذكرت كان ليطاع ممن يطيعه لا غير مخصص الامر على الدعوى وهو كقوله
سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ومعلوم ان الصغار منهم لا يعبدون فخرج الخبر على
الخصوص بالوجود لان كان في كل امر فعل ذلك امر الارادة فمن وجه لان في كل على انه فيه يعلم ومن
يرجع الى بعض دون الكل فتاويله الاذن على ارادة المشية والله اعلم وقوله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
اي ظلموا انفسهم ضررها اي ظلموا انفسهم الحاصل ظلمهم راجع اليهم لان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وهو وضعوا انفسهم في غير
فاذا لم يعرفوا انفسهم لم يعرفوا خالقها وقوله عز وجل جاؤك فاستغفروا الله اي جاؤك مسلمين تائبين
عن التحاكم الى غيرك راضين بقضائك نادمين على ما كان منهم واستغفر لهم الرسول ان تشفع لهم الرسول
لوجدوا الله توابا رحيما اي قابلا لتوبتهم وقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون قيل قوله فلا صلة وكذلك
في كل قسم اقسم به كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد ولا اقسم بيوم القيمة ونحوه كله صلة كانه قال اقسم
وربك لا يؤمنون وقيل قوله فلا وربك ليس هو على الصلة ولكن يقال ذلك على نفي ما تقدم من الكلام
والكلام كقول الرجل لا والله هو ابتداء الكلام ولكن على نفي ما تقدم من الكلام ولكن فمثل ذلك هذا وفيه
دلالة تفضيل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من البشر لان الاضافة اذا خرجت الى واحد تخرج
التعظيم لذلك الواحد والتخصيص له واذا كانت الى جماعة تعظيما له كقوله وان المساجد لله وقوله
له ما في السموات والارض ونحوه وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حاكما وان لم يحكموه فيما شجر بينهم اي حتى يرضوا بحكمك وقضائك وقوله عز وجل فيما
شجر بينهم اي اختلفوا بينهم وتنازعوا وقوله عز وجل ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت قيل شكا
وقيل شكوا مما قضيت بينهم انه حق وقيل اثما ثم في الاية ان الايمان يكون لانه قال تعالى ثم لا يجدوا في

في انفسهم اي في قلوبهم الا ترى انه قال الله تعالى عز وجل في اية اخرى ولم تؤمن قلوبهم وهذه الايات
ترد على الكرامية قولهم لان قوله تعالى لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم وهم
يقولون بل يؤمنون فقال لهم انتم اعلم ام الله ثم قيل ان الاية نزلت في اليهود وفي المنافق الذي
تنازعا فتحاكما الى الطاغوت وقيل نزلت في شان رجل من الانصار والزبير بن العوام كان بينهما تشاجر
في الماء فارتفعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للزبير اسق ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الرجل
فنزلت الاية فلا وربك لا يؤمنون الاية ولا ندري كيف كانت القصة وفيم كانت ثم روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار انه قال لا يؤمن احد حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده
وماله والناس جميعا وقيل في قوله تعالى ثم لا يجدوا في انفسهم اي في قلوبهم حرجا اي شكا مما قضيت
انه هو الحق ويسلموا القضائك لهم وعليهم تسليما وفي قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع قيل تاويله
انه ما ارسل رسولا في الامم السالفة الا ليطيعوا فكيف تركتم انتم طاعة الرسول الذي ارسل
اليكم وقوله تعالى الا ليطاع باذن الله ما ارسل الله رسولا الا واقدارهم ان يطيعوه لكن منهم من اطاعه
ومنهم من لم يطع وقوله عز وجل ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه
الا قليل منهم الاية قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لو كتب علينا نزلت يا رسول الله لبدأت بنفسي
واهل بيتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لفضل يقينك على يقين الناس وايمانك على
ايمان الناس وعن الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال رجل من الانصار والله لو كتب علينا لقتلنا
انفسنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم نفسي بيده للايمان اثبت في صدور الرجال من الانصار من
الجبال الرواسي قيل ولو انا كتبنا عليهم الاية هم يهود لعنا به العرب كما امر اصحاب موسى عليهم السلام
وقيل قال عمر رضي الله عنه والله لو فعل ربنا لفعلنا فالحمد لله الذي لم يجعل بنا ذلك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للايمان اثبت في قلوب المؤمنين من الجبال الرواسي ثم اختلف في قتل الانفس قال
بعضهم هو ان يقتل كل نفس وقال الاخرون هو ان يقتل بعض بعضا واما قتل كل نفس فانه لا يحتمل لوجهين
احدهما وذلك انه عبادة شديدة مما لا يحتمل كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اخبر انه لا
يكلف ما لا طاقة له والثاني ان فيه قطعا للنسل وخصوص الخلق للاوقات خاصة وذلك مما لا حكمة
في خلق الخلق لاوقات خاصة وقوله عز وجل ما فعلوه الا قليل منهم قيل هو عبد الله بن مسعود وعمار
وفلان وفلان رضي الله عنهم ولا ندري ايصح ام لا ولو كان قوله تعالى ان اقتلوا انفسكم قيل بعض
بعضا فذلك مما امروا به بمجاهدة العدو والاخراج من المنزل والهجرة ثم اخبر انهم لا يفعلون ذلك الا قليل
منهم وقوله عز وجل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم يحتمل هذا وجهين لو فعلوا ما
يؤمرون به من الاسلام والطاعة لكان خيرا لهم ذلك ويحتمل لو انهم فعلوا ما يؤمرون به من القتل
لو كتب عليهم لكان خيرا لهم في الاخرة واشد تثبيتا قيل حقيقة وقيل تحقيقا في الدنيا وقيل ما يوعظون
به من القران لكان خيرا في دينهم واشد تثبيتا يعني تصديقا بامر الله وقوله عز وجل واذا لاتيناهم
من لدنا اجرا عظيما يحتمل وجهين الاجر العظيم في الاخرة ويحتمل في الدنيا كقوله فسنيسره لليسرى
وقوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين الاية قيل في بعض القصة ان رجلا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم
فبكى ثم قال والذي لا اله غيره لانت احب الي من نفسي وولدي واهلي واني لاذكرك
فلولا اني اجيء فانظر اليك لرايت اني ساموت وذكرت موتي وموتك ومنزلتك في الجنة ترفع
مع النبيين فاني ان دخلت الجنة كنت دون ذلك وذكرت فراقي اياك عند الموت فبكيت لذلك فما
اجاب النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج ذات يوم على بعض اصحابه فراى وجوههم كابية جزعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم وما غير وجوهكم
فقالوا يا رسول الله ما بنا من مرض ولا وجع غير انا اذا لم نرك ولم نلقك اشتقنا اليك
واستوحشنا وحشة شديدة في تلقاك هذا الذي ترى من اجل ذلك ونذكر الاخرة فنخاف ان
لا نراك هناك فانزل الله تعالى الاية ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين

الاية ويحتمل ان لم يكن واحد من ذلك ويكون في وجوه اخر احدهما ان اليهود وغيرهم من الكفرة
والذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرطوا في تفتيهم ولم يدهم في ترك اجابتهم اياه وطاعتهم
لم يظنوا انهم وان اسلموا واطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقبل ذلك منهم توبتهم ولم ينزلوا منزلة
من لم يؤذه ولم يترك طاعته فاخبر عز وجل انه اذا اطاع الله والرسول فيكون مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كان لم يترك طاعته ابدا والله اعلم
كما قال الله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل ان يكون ذلك لما سمعوا ان لكل احد في
الجنة مثل الدنيا فظنوا ان لا يكون لهم الاجتماع واللقاء لبعد بعضهم من بعض فاخبر عز وجل
ان يكون لهم الاجتماع لان ذلك لهم في الدنيا من اعظم النعم واجلها ويحتمل ان يكون على الابتداء
ان من اطاع الله والرسول صلى الله عليه وسلم فيكون مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين في دار واحد لا يكونون في غيرها فهذه الوجوه كانها اشبه والله
اعلم اذا هم بالطاعة اجابوا والله اعلم ثم اختلف في الصديق قال بعضهم اتباع الانبياء
عليهم الصلوة والسلام وخلفاؤهم في كل امر من التعليم والدعاء لهم الى كل خير وطاعة وقيل
الصديق هو الذي يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اول دعوة دعاه الى دين الله تعالى
وفي اول ما عاينه وقوله عز وجل والشهداء وقيل الشهيد الذي قتل في سبيل الله وقيل الشهيد
هو قائم بدينه وقيل افضال من الله تعالى اذ قد سبق من عنده الانعام والافضال فيخرج طاعتهم
مخرج الشكر له لان عليه ذلك الانعام الذي انعم عليهم فضل الله ويحتمل قوله ذلك الفضل
من الله اي ما حسن من الرفقة بينهم فذلك فضل منه والاية ترد على اصحاب الاصلح لان
تلك الافعال انما صارت قربة لله بانعام من الله وافضاله وتوفيقه به استوجبوا الثواب وقوله
تعالى ايضا ذلك الفضل من الله بعد العلم هو يدل ما لم يكن عليه ويدل ما عليه وهو الغاية لا الفضل
في متعارف اللسان والعناد ثم لا يخلوا من ان يرجع منه الى الخيرات التي اكتسبوها فيبطل به
قول المعتزلة بما لا يحلو من ان كان منه ذلك الفضل او مثله الى الكافر اولى فان كان منه لم يكن
للمؤمنين منه بالذي كان منه وجه يستحقه وقد كان منه المغفرة فلم ينل تلك الدرجة ولا يبلغ
تلك الرتبة فبان انه لا بد لك يبلغ من بلغ فيكون منه فيما لم يكن وايضا لو لم يكن مع ذلك
عنهم لم يكن البذل فضلا لما ذكرت ثبت ان ليس الحق عليه كل ما هو الاصلح في الذين لا يزيل
معنى الفضل وان لم يكن اعطاء الكافر مثله فهو عندهم محاباة منه على المؤمن وقد منع بعض
عليه الاصلح وذلك عندهم قبح الله عما وصفوه وان ذلك في الثواب دل ان له ان
يثبت حتى يصير بما اصاب عليه فضلا ولا يحتمل ان لا يرضى بطاعة العبد واتباع رسوله صلى الله
عليه وسلم فثبت ان الرضاء هو المراد والله المؤمن عز وجل وكفى بالله عليما قيل عليما
بالاخرة وثوابها وقيل وكفى بالله عليما بما وعد من الخير في الاخرة لهؤلاء الاصناف
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصديقون هم الذين ادركوا الرسل عليهم الصلوة والسلام
وصدقوهم وعن ابي ذر رضي الله عنه قال الصديقون هم المؤمنون وقيل الصديقون هم
السابقون الذين سبقوا الى تصديق النبيين انعم الله عليهم بالصدق والشهداء وهم
الذين انعم الله عليهم بالشهادة والصالحين هم المؤمنون اهل الجنة وقوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم قيل خذوا عدتكم من السلاح وقيل قوله خذوا حذركم
من جميع ما يحترس به العدو كقوله سبحانه وتعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية
تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة امر الله عز وجل بالاعتداد للعدو والاعتداد له واذا
لا يتوكل الامر في ذلك الى الله دون الاعتداد للعدو وقيل لقائه وان كان قد نصر اولياءه
وقهر عدوه من غير الامر بالقتال معهم اذ في ذلك محنة امتحنهم بها فعل ذلك امرهم
بالاعداد للعدو واخذ الحذر لهم وذلك اسباب تعد قبل لقائهم اياه وفيه دلالة تعلم
اداب الحرب قبل لقاء العدو ولا يوصل الى ذلك الا بالكسب والله اعلم وفي قوله ايضا يا ايها
الذين امنوا خذوا حذركم اي ما تحذرون به عدوكم وما تحذرونه وجوه منها الاسلحة ومنها

البيان ومنها التشاكل عند الالتقاء والثبات وذكر الله عز وجل كما قال فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وفي
هذا امر بالاعداد للعدو قبل اللقاء وابد ذلك قوله عز وجل ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة وكذلك
قوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فيكون الامر بالاعداد قبل وقت الحاجة دليل جواز الكسب لحاجات تحدث
وان الاستعداد للحاجات ليس برغبة في الدنيا اذ لم يكن الاعداد قتل ولا ازال التوكل على ان الجوع وحاجات
النفس تعين وتلقى العدو ولا حول ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل فانفروا ثبات او انفروا جميعا قيل الثبات
هو السرايا او انفروا جميعا يعني عسكرا وقيل ثباتا يعني فرقا او انفروا جميعا مجموعا وقيل انفروا ثباتا اي
عصبا او انفروا جميعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال زحفا وقيل الثبات الاثبات والبينة في كلام العرب
الجمع الكثير ومعناه انفروا كثيرا وقليلا وفي ذلك دلالة الامر بالخروج الى العدو فرادى وجماعة وفرقا
وجماعة والله اعلم وقوله عز وجل وانفروا ثبات اي اذا استنفرتم فانفروا ذلك وقوله عز وجل فانفروا
ثبات او انفروا جميعا ومعلوم ان عليهم الدفع فيحتمل ان يكون قوله تعالى انفروا اي على ما استنفرتم من جميع
او بعض فيكون في ذلك دلالة قيام البعض عن الكل على غير الاشارة الى ذلك وقد يجب فرض في مجهول على
كل القيام حتى يعلم الكفاية بمن خرج وهذا كفرايض يعرف لا يعرف بعينها او حرمات تظهر لا تعرف المحرم بعينه
فعل من حرم عليه الانفاد والقيام بجميع الفرايض ليخرج عما عليه ثم اذا غلب عليهم في التدبير الكفاية بمن خرج
سقط عن الباقين ولو لم يكن يسقط لم يكن للامام استنفار البعض يدل على ذلك فلولا نفر من كل فرقة
الاية وقوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار واصله انه فرض لعله لا يجوز نفاده وقد دلت العقلة على
ان خروج الجميع من جهة ابداء للعورة من جهات فلذلك لم يحتمل تكليفه لخروج الجميع من جهة التنفر منها
والله اعلم وقوله عز وجل وان منكم لمن ليبطئن قوله منكم يحتمل في الظاهر منكم ويحتمل في الحكم منكم ويحتمل
في الدعوى لانهم كانوا يدعون انهم منا ويظهرون الموافقة للمؤمنين وان كانوا في الحقيقة لم يكونوا
وقوله تعالى ليبطئن من ان المنافقين كانوا يبطئون الناس عن الجهاد ويتخلفون كقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين
منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا كانوا يسرون ذلك ويضمرون فاطلع الله
عز وجل نبيه على ذلك ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله عز وجل فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم
فضل ليقولن كان لم يكن بينكم وبينه مودة وعلى التقديم والتاخير يستقيم اذا اصابتهم
مصيبة كان لم يكن بينكم وبينه مودة لان كل من كان لم يكن بينكم وبينه مودة بينه وبين اخر مودة
اذا اصابته نكبة يحزن عليه وثنا لم فاخبر الله عز وجل ان هؤلاء المنافقون اذا اصاب المؤمنين
نكبة يسرون بذلك ولا يحزنون كان لم يكن بينهم مودة ولا صحبة وقوله عز وجل ولئن اصابكم فضل
من الله يعني الغنيمة والفتح يقولون يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما ان ياخذ من الغنيمة نصيبا
وافرا وقوله عز وجل فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا هذا قول
المكذب الشامت ولئن اصابكم فضل من الله هو قول الحاسد وهو قول قتادة وقوله تعالى وان منكم
ليبطئن يعني ليتخلص عن اليقين فان اصابتكم مصيبة يعني شدة وبلاء من العيش والعدو قال
قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا فيصيبني ما اصابهم كان لم يكن بينكم وبينه مودة وقوله
عز وجل فانفروا ثبات او انفروا جميعا دل ان فرض الجهاد فرض كفاية يسقط بقيام البعض عن
الباقين لانه قال انفروا ثبات او انفروا جميعا امر ينفي الثبات فلو كان لا يسقط بقيامهم عن الباقين
لم يكن الامر به معنى وتاويله والله اعلم اذا قيل لكم انفروا فانفروا ثباتا او انفروا جميعا وقوله عز وجل
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة كانه والله اعلم نهى المنافقين بالخروج
الى الغزو كقوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وامر
المؤمنين ان يخرجوا لذلك لانه قال الله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة
كانه والله اعلم نهى المنافقين بالخروج الى الغزو كقوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وامر المؤمنين ان يخرجوا لذلك لانه قال الله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين
يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة والمؤمنون هم الذين يشرون الحيوة الدنيا وقوله عز وجل في سبيل الله
قيل في اظهار دين الله وقيل في طاعة الله تعالى ونصرة اوليائه وقوله عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل

او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما في الاية دلالة ان يبذل نفسه وماله لله تعالى غاية ما يجب ان يبذل وهو
استوجب العوض قبله وان لم يتلف نفسه فيه ولا احدث لانه قال عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب جعل لمن يتلف نفسه فيه الثواب والعوض الذي يتلف نفسه فيه وكذلك قوله سبحانه وتعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون يجعل لمن قتل ولمن
يقتل فيه العوض فهذا يدل على مسائل لنا من ذلك ان المراة اذا سلمت نفسها الى زوجها في الوقت الذي كان
عليها التسليم استوجب كال الصداق وان لم يقتض الزوج منها ومن ذلك البايع ايضا اذا سلم المبيع
الى المشتري كان مسلما وان لم يقبض المشتري وكذلك من صلى صلوة الظهر في منزله ثم خرج الى الجمعة يصير
رافضا للظهر لان عليه الخروج اليها فصير بالخروج اليها كالمباشر وان لم يباشر على سبيل ما جعل الباذل
لنفسه لله عز وجل والمسلم اليه كانها اخذت منه في استيجاب العوض الذي وعد له فعل ذلك يجب ان يجعل
تسليم ما ذكرنا الى المحق كاخذ المحق منه وان لم ياخذ وليس كالقيام الى الخامسة ولا كالمتوجه الى عرفات قبل
فراغه من العمرة لان هؤلاء الفراغ مما كان فيه ثم التوجه الى عرفات والقيام الى الخامسة فلم يصح ذلك وانما
المراة والبايع ومودي الظهر ومنزلة عليهم التسليم والبذل لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وفي الاية
ان الله تعالى عامل عباده معاملة اهل الفضل والاحسان كان لا حق له لا معاملة ذي الحق وان كانت الانفس
والاموال كلها له في الحقيقة حيث فرض عليهم الجهاد وجعل لهم بذلك عوضا كقوله تعالى ومن يقاتل في
سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال الله عز وجل في اية اخرى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم من المؤمنين كثيرا من لا حق له فيها وهي له في الحقيقة ووعد لهم على ذلك عوضا واجرا
عظيما وقوله عز وجل وما لكم الا تقاتلوا وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل
الله الاية مثل هذا لا يقال الا لتفريط سبق منهم ثم لم يزل اسم الايمان منهم بذلك وما كان الجهاد
فرضا عليهم فهذا ينقض على من يخرج مرتكب الكبيرة من الايمان وقوله تعالى ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله وفي المستضعفين وكذلك روي عن الكسائي وفيه دلالة ان على المسلمين ان يستنقذوا
اسراهم من ايدي الكفرة اذا اسروا باي وجه ما قدروا عليه بالاموال والقتال وغير ذلك وذلك فرض
عليهم وحق ان يتركوهم في ايديهم لانه قال الله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال
والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الاية وفي الاية دلالة ان اسلام الصغار
وكفرهم كفر اذا عقلوا لانه قال الله تعالى والولدان والجبابرة من الرجال والنساء لا يستثنون ولذا نا الا مستحق
الصغار منهم لانه غايتهم بتركهم في ايدي الكفرة فلو كانوا اولاد الكفرة لم يكن للتعيير والعتاب وجه
بتركهم في ايديهم اذ لم يعاتبوا بترك ولدان الكفار في ايديهم فدل انه انما لحقهم العتاب لاسلامهم
وكذلك قوله تعالى ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض
قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم جهنم الاية الا استثنى المستضعفين
فقال عز وجل الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة فلو لم يكن اسلام الولدان
اسلاما ولا كفرهم كفرا لم يكن لاستثنائهم من اولئك واخراجهم من الوعيد الذي ذكر معنى والله اعلم
وقوله عز وجل ربنا اخرجنا من هذه القرية سالوا الله عز وجل ان يخرجهم من القرية وهم علموا انه لا ياتي
نحو السماء ولكن على ايدي قوم يعينهم على ذلك وهم علموا ان الله تعالى في ذلك صنعا والمعتزلة لم
يعلموا وذلك ينقض قولهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل الظالم اهلها كل ظالم منهم عن الخروج الى
دار الاسلام والهجرة وقوله عز وجل واجعل لنا وليا في دينا ونصيرا يمنعنا عن المشركين ويقال
ما نعا يمنع عنا المشركين وقد ذكر الولي والنصير في الولي والنصير في غير موضع والله اعلم وقوله
عز وجل الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله ذكر الذي يامر خلقه بالسلوك فيه وقوله عز وجل والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت قال ابن عباس رضي الله عنهما الطاغوت هو الشيطان في هذا الموضع
لانه هو الذي يامر بالسلوك في سبيله وفي الاية دلالة ان لا يامر الكفار بالجهاد ولا بالصلوة ولا بالزكوة
ولا بغيرها من العبادات لانه اخبر انهم لو قاتلوا انما يقاتلون في سبيل الشيطان وذلك اذا وصلوا وسلوا
وكذلك سائر العبادات ولكن يامرون او لا باشياء ما لو فعلوا من العبادات كانت في سبيل الله وهو لا ما

وهذا ينقض قوله ويقول ان الكافر مامور مكلف بالصلوة والزكوة وغيرها من العبادات والله اعلم
وقوله عز وجل فقاتلوا اولياء الشيطان هذا يدل على ان الطاغوت هو الشيطان ههنا وكل
ما عبد دون فهو طاغوت وقوله عز وجل ان كيد الشيطان كان ضعيفا يحتمل قوله ان كيد الشيطان
كان ضعيفا اذا كان الله يامركم كقوله سبحانه وتعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم ويحتمل ان كيد
الشيطان كان ضعيفا لانه لا يملك سوى الدعاء والامر يدعوهم الى سبيله فذلك لضعفه لا يملك
القتال ولا الضرر انما هو اشارة منه ودعاء كقوله سبحانه وتعالى وما كان لى عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وقوله عز وجل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال الاية اختلف فيه قيل نزلت الاية فى بنى اسرائل وهى الاية
التى ذكرها الله تعالى فى سورة البقرة الم تر الى الملاء من بنى اسرائل من بعد موسى الى قوله
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وقيل انها نزلت فى المؤمنين من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتال كفار مكة سرا لكثرة ما
يلقون من الاذى منهم فنزل قوله تعالى كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى لم
يامر بالقتال فنهاهم عن ذلك فلما كتب عليهم القتال وامروا به كرهوا ذلك فدل قوله تعالى
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الاية وقيل انها نزلت فى المنافقين
الذين كانوا يقاتلون مع النبى صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل يخشون الناس كخشية الله اى
يخشون الناس يعنى المنافقين كخشية المؤمنين الله او اشد خشية كقوله سبحانه وتعالى يحبونهم
كحب الله او اشد حبا وان كانت فى المؤمنين فتاويله يخشون الناس فى القتال كخشية الله فى
الموت او اشد خشية لانه اهيب واسرع نفاذا والله اعلم وقوله عز وجل ايضا الم تر الى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم الاية تكلموا فى ذلك فمنهم من جعل خبرا عن امر بنى اسرائل الذين قالوا لنبى
لهم ابعث لنا ملكا نقاتل الاية انهم امروا بالكف عن مقاتلة تمنوا الاذن فى ذلك وسالوا نبيهم
عليه السلام عن ذلك ثم فيهم من المرض عن الطاعة ثم فيهم من اعرض عن الطاعة واهل
وقد كان اهل الايمان يتمنون الاذن فى ذلك قوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت فتوعظوا لمن ذكرت
ليقبلوا العافية ولا يتمنوا محنة فيها اسرع فيبعثهم على ما بعث اولئك وروى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية واذا لقيتموهم فاثبتوا
فى وجوههم او كان فى علم الله سبحانه وتعالى ان يامرهم فاخبروا بالذين قتلوا وحل بهم ليلا
يفعلون مثل فعلهم والله اعلم وخشيتهم كخشية الله كقوله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده الى تمام القصة وقد قيل الاية نزلت فيما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجيبوا
الى ذلك ثم خاطبهم الذى ذكر لكن اختلف فى ذلك فمنهم من يقول كان ذلك فى المصدقين
لكن اشتد عليهم الامر وذلك نحو ما كان منهم يوم حنين واحد ونحو ذلك حتى اعانهم الله تعالى
وخرج عنهم ممد وعلى ذلك قوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت اى ما فيه الموت من الجهاد وعلى ذلك
يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية فلما عاينوا السبب الذى فيه هلاككم ويبلغ عنده الى
الخشية غايتها نحو قرب الموت وسن المرض يكون المراد يخشى منه ما لا يخشى لو لا تلك الحال
لانه يرى الموت من المرض وان كان الذى يظهر عليه من خشية الموت فى تلك الحال اشد منه
فى الحقيقة خشية من الله تعالى ان يكون جعل ذلك سببا الموت وبحضره وقرب منه فيكون
فى ظاهر الامر كمن يخشى من مثلها الاحوال او قد جعل الله ما جبل عليه الخلق فى مثله معروف مثل ما يخشى
ان المريض بعد الموت لما يغلب عليه لا باس منه وان كان الذى يصيب يستوى عليه ما له
فعل ذلك امرا لا ذل وعلى ذلك ما طبع عليه الخلق من طمانينة القلب عند ملك اسباب الرزق
والقدرة عليه ما لم يكن فى عجزها وان كان من حيث قدرة الله تعالى واحد فيكون ذلك الخشية جبلية
طبيعية لا اختيارية واستحظا بحكم الرب وهو كما لا عجا جاز قوله تعالى علم عليهم القتال وهو كره لكم
الاية وقوله على ذلك ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب الاية يحتمل وجهين
احدهما الحرص على ما فى طباعهم كما قال عز وجل كتب عليكم القتال وهو كره لكم الاية وقال النبى صلى الله

عليه

عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره واعاد ذلك على الطبع كالسائل عن ذلك وربما يضيفون القول والسؤال
على اعتبار الاحوال الى ما لا يليق له فعلى ذلك هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون قولا منهم عن وجه الحكمة
لهم بالامر فيما علم انهم يبلغون بالقتل والجبن الى حال لا يقومون للعدو ولا يملكون انفسهم فى ذلك
الوقت فاخبر الله عز وجل ان الذى حملهم على ذلك رغبتهم فى التمتع بالدنيا والوصول متاع الاخرة فى
قلوبهم ليذهب عنهم ذلك ويثبتون للعدو بما اجل ولا يخشون لذلك وكانوا وعد لهم ان متاع الاخرة
لكم على هذا الفعل لو صبر فخير لكم وما وعد لكم عليه خير من متاع الدنيا وايضا ان بقاءه ان هذا وانه
اعظم هوله على الطبع فانه اذ كان لله بحق العبادة لهو ايسر واهون من الموت على صاحبه اذا حضر
اذا يريهم الله متاع الاخرة او بعض ما فيه الكرامة فيصير ذلك متاع الاخرة لهم وقت الموت فهو خير
من تمتعهم فى الدنيا ثم الموت ولا ذلك منه كما قيل فى تاويل قوله عليه الصلوة والسلام من احب لقاء
الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ان المؤمن يرى ما له من الكرامة فيحب الموت
ان يعجل به ليصل الى ذلك والكافر يرى سخطه فكره وعلى هذا تاويل القول فى الدنيا انها سجن المؤمن
وجنة الكافر ان يكون كذلك فى ذلك الوقت والله اعلم وتاويل اخر ان يكون الاية فى المنافقين انه
يظهر وقت النفاق المحنة بالجهاد دون غيره من العبادات قال الله تعالى ويقول الذين امنوا لولا نزلت
سورة الاية بين ما نزل بالمنافقين وكذلك قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم الايات والله اعلم فيمن
نزلت الاية لكنها معلوم ان فيها ترغيبا فيما عند الله وترهيبا فى الدنيا ودعاء الى الرضاء بحكم الله تعالى
فيما خف وثقل والله المستعان وعلى التاويل الاخر جميع ما ذكر ظاهر فى المنافقين مذكور ذلك فى الايات
التى ذكرتها وفيهم قال الله تعالى لن ينفعكم الفرار الاية وغير ذلك مما دل على انكارهم وخفض خوفهم فى
ذلك والله اعلم فان قال قائل كيف قال الله تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقد هلك به اكثر البشر
قيل فيه يخرج على وجوه والله اعلم احدها انه يضعف كيدها على من يعوذ بالله تعالى كقوله تعالى واما ينزغنك من
الشيطان نزغ الاية وانما يقوى على من جنح له ومال الى ما دعاه اليه كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا
مسهم طائف من الشيطان الاية الى قوله تعالى ثم لا يقصرون والثانى ان يكون ضعيفا على المقبل على ربه
والذاكر له فى كل احواله والمفوض امره الى ربه فاما من نوله واقبل على اشاراته فهو الذى جعل له السلطان
على نفسه بما اثره فى شهواته ومال به هواه وهو كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا الاية وقد سماه
الله تعالى الوسواس الخناس بما يخنس بذكر الله تعالى ويوسوس عندما لغفلة عن الله فكان سلطانه به والله
اعلم والثالث انه لا يملك الجبر والقهر ولا اكتساب النفوذ فى الابدان والاموال فهو ضعيف والله اعلم
والرابع ان يكون كان ضعيفا اى صار ضعيفا عند نصر الله ومعونته والله اعلم ويحتمل كان ضعيفا لو ظهر
حتى يعلم انه سلطان لكم قوى بما لا يعلم المغرور ان كيده تقريره والله اعلم وقوله عز وجل ربنا لم كتبت
علينا القتال قيل فى حرف حفصة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال اذا هم
يخشون الناس كخشية الله كان فى الاية اضمار ويشهد ذلك حرف حفصة والا لم يكن فى ظاهر الاية خبر حتى
يكون قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم الا يرتجوا باله وقوله عز وجل ربنا لم كتبت علينا القتال
فان كانت الاية فى المنافقين فهو على الانكار قالوا ذلك وان كانت فى المؤمنين فهو يخرج على طلب الحكمة
فى فرض القتال علينا وقد يطلب الحكمة فى الاشياء ولا عيب يدخل فى ذلك واصله ان كل امر فى
الصادر من فوقه فذلك سؤال له فى الحقيقة لا امر يخرج سؤاله مخرج الخضوع والتضرع له ومن امر من
دونه فهو فى الحقيقة ليس بسؤال فهو يخرج على الامر والنهى وهو الامر الظاهر فى الناس وقوله
عز وجل قل متاع الدنيا قليل معناه والله اعلم انا لم نخلقكم للدنيا والمتاع فيها انما خلقناكم للاخرة وللبقاء
فيها ولو خلقتكم للدنيا ثم كتب عليكم القتال لكان ذلك عبثا خارجا عن الحكمة ولكن خلقناكم للاخرة وللبقاء
فيها ويحتمل فيها قوله يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
الى اخره ان لم يقولوا ذلك قولا ولكن كان ذلك خطرا فى قلوبهم فاخبرهم نبى الله صلى الله عليه وسلم ما اضمروا
ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى عز وجل ليدلهم على نبوته ورسالته وقوله عز وجل لولا اخرتنا الى
اجل قريب نتمنى نموت حتف انفنا ولا نقتل فتره فيسر بذلك الاعداء ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
وفى القتل فتنة وقوله عز وجل متاع الدنيا قليل يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا انهم لم يخلقوا المتاع الدنيا

ولكن انما خلقوا لمتاع الاخرة والثانى قليل من متاع الاخرة كقوله سبحانه وتعالى وما متاع الحيوة الدنيا
فى الاخرة الا قليل وكقوله تعالى افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون وقوله عز وجل والاخرة خير لمن اتقى لان متاع الاخرة دائم غير منقطع ومتاع الدنيا
منقطع وقوله عز وجل ولا يظلمون فتيلا قد ذكرناه وقوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت
ولو كنتم فى بروج مشيدة قيل لما استشهد يوم احد قال المنافقون لو كان اخواننا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا قال الله تبارك وتعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ويحتمل ان يكون
جوابا لما سبق من قولهم لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب تقول من كتب عليه الموت
نزل به لا محالة قاتل او لم يقاتل وقوله سبحانه وتعالى قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم الاية ويحتمل ان يكون قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت اذا كان
الموت نازلا بكم لا محالة فى القتل نفع لكم اذ تستوجبون بالقتل الثواب الجزيل ولا يكون ذلك
لكم اذا متم حتف انفكم والله اعلم وقوله عز وجل فى بروج مشيدة قال الفراء المشيدة والمشيد
غير واحد ان المشيد بالتشديد بما يكثر الفعل والمشيد بما لا يكثر الفعل وقيل المشيد المجصص
والمشيد الجص وقال بعضهم فى بروج مشيدة اى حصينة وقيل حصون محصنة طوال وقوله عز وجل
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ومعلوم
انهم لم يريدوا بالحسنة والسيئة حسنة فى الدين وسيئة فى دينهم ولكن انما ارادوا الحسنة
والسيئة فى الدنيا من المنافع والبلايا والشدايد وذلك انهم ما كانوا يحزنون لما يصيبهم فى
الدين ولا كانوا يفرحون بالحسنة والخير فى الدين ولكن فرحهم بما كانوا يصيبون فى الدنيا
من الخصب والسعة وحزنهم بما يصيبهم من الضيق والشدة وكانوا يتطيرون برسول الله
صلى الله عليه وسلم وهكذا كان داب الكفرة من قبل كانوا يتطيرون بالانبياء عليهم الصلوة و
السلام كقوله عز وجل اخبارا عن قوم موسى على نبينا عليه الصلوة والسلام وان تصبهم حسنة
سيئة يتطيروا بموسى ومن معه وكقوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله
بل انتم قوم تفتنون وقال الله عز وجل انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون فعلى ذلك
قولهم وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من
عندك تطيرا منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل قل كل من عند الله اى بتقديره
كان وقضائه فضلا كقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وجزاء كقوله عز وجل وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم اى ما اصابهم بسوء صنيعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وتكذيبهم اياه كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله عز وجل فمال هؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا اى لا يفقهون ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وروى فى حرف ابن مسعود رضى الله
عنهما قال وانا قدرتها عليك يحتمل ان يكون قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله يرجع الى
ما ذكرت من السعة والعافية ونحوها وما اصابك من سيئة من البلاء والشدة فمن
نفسك بحق الجناية على الاية التى ذكرت من قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويحتمل ان يكون الاية الاولى فى امر الدنيا والاخرى فى امر الدين انما اختلفت الاضافة فى
هذه واتفقت فى الاولى او الاولى على ما عليه امر المحنة من قوله تعالى ونبلوكم بالخير والشر
فتنة وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى خلق الموت والحيوة ليبلوكم
ايكم احسن عملا وجعل الله تعالى يختلف احوال العباد لا صنع لهم فى ذلك وكذلك قوله تعالى
وان يمسسك الله بضر الاية وقوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء الاية والثانى فى حق الافعال
فيضافا الى الله ما صلح منها شكرا وحمدا بما انعم الله عليه وذلك قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وقوله صراط الذين انعمت عليهم وقوله تعالى ولكن الله من عليكم الاية وقوله تعالى
الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان
الاية وغير ذلك فيضافا اليه بما منه فى ذلك من الفضل والنعمة شكرا والثانى زلة وضلالة لا تجوز

الاضافه

الاضافة اليه لما تشبه اليه الاعتذار ولا عذر لاحد فى ذلك ويقبح فى الاضافة وذلك نحو القول
بانه رب السموات والارض ولا يقال هو رب الخنازير والاقذار ونحو ذلك لما يقبح فى السمع وان كان
من حيث والتقدير واحد فمثله امر الافعال والله الموفق ونفى الاضافة عنه لا يدل على نفى ان يكون
خلقه لما بينا من الاشياء الاضافة اليه كالتخصيص فيقال يا خالق الفرد والخنازير ويا اله الاقذار و
الخبائث ويا رب الشرور والمصائب وان كان ذلك داخلا فى اسماء الجملة ونحن منه تقديرها وخلقها
وكذلك القول الفحش والكباير والله اعلم والثانى فى الخيرات والاعمال الزاكية قد يضاف لا من جهة التخليق عند
الجميع بل عندنا من جهة الافضال بالتوفيق والانشاء وعند المعتزلة من جهة الامر والترغيب
فعلى ذلك نفى الاضافة فيما لم يضف اليه لهذا وايدت هذا قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله
عنهما وانا قدرتها عليك قال قائل ذلك لا يقع على الافعال لقوله ما اصابك ولو كان عليها يقول
ما اصبت ثم كان له جوابان احدهما ان الاجابة اسم مشترك ما يصيبه ذلك فسواء لو اضيف الله
او اضيف هو اليه والله اعلم والثانى ان يخرج الجزاء ايضا اذا كان على ما يقوله فيكون ما يصيبه من جزاء
حسنة او سيئة فاذا لم يجعل الله فى حسنة فضلا لا يحتمل الاضافة اليه مما قد بينا من اضافات اعمال
الخير اليه ودفع الشر لما ليس فى فعله من الله افضال عليه به انعام وكان فى فعل الخير ذلك لا بالامر
والنهى اذ هما يستويان فى كل والله اعلم بما اوضح ذلك خبر عبد الله فطعنه قوم لمخالفة المصحف المعروف
فقلنا ليس بذى خلاف انما هو بيان [illegible] المطلق وقد يطلق خبر الاحاد فى مثله والله اعلم وقيل خبر
عبد الله بن مسعود خبر الاحاد ولعله ليس قبل مصحفه روى عند العامة لا يحتمل التبديل
وانما خبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز اختراع القراءة مرفوع وخبر الفرد فيه
يقبل فيما لا اختلاف فيه وان كان فيه تاويل الظاهر والله اعلم وقوله عز وجل وما ارسلناك
للناس رسولا قيل فى حرف حفصة وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا قيل بالله
شهيدا الى بانك رسول الله وقيل وكفى بالله شهيدا وجوه احدها ان جحدوا تبليغك
فى الدنيا او يقولون لم نعلم رسالتك والثانى ان يكون بالايات التى جعلها الله تعالى
لرسالتك تحقق والشهادة الله لك بالرسالة شهيدا لك او شهيدا فى حجة والثالث ان يكون
جعل علم الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وتبليغهم الخبر اليهم شهادته وكفى
بالله شهيدا على ما اضاف سعة الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ونصرا واليانه اليه قال الله
تعالى او لم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ويحتمل شهيدا مبينا وحكما مبينا فعناه فتبين لهم
بالمعاينة ما كانت تشهد بالدلالات والايات والحجاج فاصلا بين الحق والمبطل فيخرج الوجهان
جميعا مخرج الاعراض عن المحاجة مما يظهر من العناد والمكابرة وتفويض الامر الى الله واخبار
عن الفراغ مما كان عليه فيهم من حق البلاغ ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ومن يطع الرسول
فقد اطاع الله امر بطاعة الرسول فاذا اطاع رسوله صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله تعالى
لانه اتبع امره الا ترى انه قال عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول حتى يجعل طاعة الرسول عليه
الصلوة والسلام من شرط الايمان بقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الاية والثانى ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما يامر بطاعة الله وان اطاع رسوله
صلى الله عليه وسلم وائتمر بامره فقد اطاع الله عز وجل لانه هو الامر بطاعة الله وبالله التوفيق
وقيل لان الرسول صلى الله عليه وسلم يامر بامر الله تعالى لذلك كان طاعته طاعة الله وذكر
فى بعض الاخبار ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة من احبنى فقد احب الله تعالى ومن
اطاعنى فقد اطاع الله فعيره المنافقون فى ذلك فانزل الله تعالى تصديقا لقول النبى صلى الله
عليه وسلم قال من اطاع الله فقد ذكر وان قلت صلوته وصيامه وتلاوته القران ومن عصا
فقد نسى الله تعالى وان كثرت صلوته وصيامه وتلاوته القران فطاعته تعالى انما تكون فى اتباع
امره وانتهاء مناهيه وكذلك حبه انما يكون فى اتباع اوامره ونواهيه وكقوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وفى قوله ايضا ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ظاهر يكشف
حقيقته انه بطبعه لطاعة الله اذ الامر بطبعه على انه يدعوه الى طاعته ولا يجوز عباده

الرسول وطاعته اخا ثبت له ما يطيع الله به وحكمته انه لم يجعل تلك الطاعة وان كانت هي لله
عبادة ولا يجوز عبادة الرسول فصير الله طاعته عبادة الله تعالى فعلم ان الطاعة قد يكون
غير مستحقة لاسم العبادة اذ قد يبقى لا من ذلك الوجه وكذلك جاز القول بمطاع في الخلق
ولا يجوز بمعبود والله اعلم وايضا فيه شهادة له بالعصمة في كل ما دعا اليه وامر به الزام
للخلق الشهادة له بالتصديق في ذلك والقيام به اكد بقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون
عن امره وبقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون الاية جميعا وذلك الاياء على
لزوم طاعته اخوف مخالفة العذاب الاليم وازال عن الحرج في نفسه من قضائه الحرج الاية
فليست طاعته في فعل خاصة او بقوله ولكنها بوجهين احدهما اعتقاد كل فعل وقول على ما
عليه عنده من خصوص وعموم او الزام او اداب او اباحة وترغيب والثاني في الوفاء بالذي
شد المراد فيه من ان يفعله او يتقي ذلك او يستعمله في حق الاباحة وما اراد من محله فيه
يوفي موقع كل من ذلك بالادلة ولا قوة الا بالله وقول من يقول لا يلزم طاعته او يلزم كلام
بهذا الاطلاق لا معنى له وقوله عز وجل فما ارسلناك عليهم حفيظا في اعمالهم وانما لهم
فانما عليهم ما عملوا وعليكم ما تسال انت عن اعمالهم ولا يسالون عما فعلتم والله اعلم ويحتمل
قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا يطلع على سرائرهم انما عليك ان تعاملهم على الظاهر والله اعلم وقوله
عز وجل ويقولون طاعة قيل ان المنافقين قد اظهروا التصديق لله تعالى ولرسوله صلى الله
عليه وسلم فاذا دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله امرك طاعة فمرنا
ما شئت نفعله واذا امرهم يامر ونهاهم عنه قالوا لغوا امره وغيروا ما امرهم ونهاهم فانزل الله
تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى الى قوله تعالى
بيت طائفة منهم غير الذي تقول وقوله عز وجل بيت طائفة منهم غير الذي تقول قوله
بيت قيل غير ما امرهم به وقيل بيت اي قدروا بالليل القول واللغو وكل كلام وقوله مقدر
بالليل تؤلف فيه يقال بيت ومعناه والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا والله
اعلم معنى قوله بيت طائفة منهم غير الذي تقول والاظاهر هذا ليس على ما قاله اهل التفسير وبالله
التوفيق وقوله عز وجل والله يكتب ما يبيتون اي الله تعالى امر باثبات ما يبيتون القول الكذب
والمغير من المقول ليلزمهم الحجة لانهم كانوا يسرون ذلك ويضمرون لا يظهرون اظهارا ليجزيهم جزاء
ذلك وقوله عز وجل فاعرض عنهم يحتمل اعراض عنهم ولا تكافئهم على هذا ويحتمل اعرض عنهم ولا تتكلف اظهار
سرهم ولا يطلع عليه انما ذلك الى ما خلقكم على ما يسرون ليعلموا ان ذلك انما عرفت ذلك بالله ففيه
دلالة اثبات الرسالة وتوكل على الله وثق ولا تخافهم فان الله تعالى يدفع عنك شرهم وكيدهم ويحتمل
وتوكل على الله في جزائهم فان الله هو يتولى جزاء تكذيبهم اياك والله اعلم وكفى بالله وكيلا فيما ذكرنا
اي كفى به مانعا فلا احد يمنع منه وقيل كفى بالله شهيدا بما يبيتون وحافظا وقال بعضهم لا يكون
التبييت الا بالليل يولفون الشيء ويقدرونه بالليل وقوله عز وجل افلا يتدبرون ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لو كان الحكم لظاهر على ما يقول قوم لو كان القران خرج مختلفا
متناقضا لانه قال الله عز وجل في الاية لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية ويقول
في اية اخرى انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فكان ظاهر المخرج فهو مختلف وكذلك قوله
تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقال الله عز وجل في اية اخرى فلا جناح عليهما ان
يتراجعا في احديهما حظر وفي الاخرى اباحة فلو كان على ظاهر المخرج والعموم لكان مختلفا ومتناقضا
ولكن اهل الالحاد اوضح طعن فيه واليسر سبيل الى القول بانه غير منزل من عند الرحمن اذ به وصفه انه
انه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه الاية قال عز وجل وانا له لحافظون ثم وجد اكثر ما فيه الحكم متفرقا على غير المخرج وتفصيل
على غير مجرى اللفظ من العموم والخصوص ما له به ان الحكم لا كذلك ولكن المعنى المودع فيه والمدرج لا يوصل
الى ذلك الا بالتدبر والتفكر فيه والى هذا ندب الله عباده وليتدبروا فيه ليفهموا مضمونه وما
تعلم به ثم يحتمل بعد هذا وجهان احدهما قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا

كثيرا

كثيرا اي لو كان هذا القران من عند غير الله لكان لا يوافق ما يخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يخرجهم
مخالفا لذلك لان الكهنة الذي كانوا يدعون الخبر عن غيب لا يخرج خبرهم موافقا بل كان بعضه مخالفا
لذلك لان الكهنة الذي كانوا يدعون الخبر عن غيب لا يخرج خبرهم موافقا بل كان بعضه مخالفا لبعض
متناقضا فلما خرج هذا ما يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من سرائرهم موافقا له دل انه خبر عن الله تعالى
والثاني انهم كانوا يقولون ان هذا الاختلاف وما هذا الا افك افترى ونحوه فاخبر الله عز وجل انه لو كان
من عند غير الله لكان لا يوافق ما عندهم من الكتاب بل كان مختلفا متناقضا فلما خرج هذا القران مستويا
موافقا لسائر الكتب كقوله تعالى مصدقا لما معهم ومصدقا لما بين يديه من التورية دل انه من عند الله
نزل ويحتمل وجها اخر وهو ان هذا القران نزل على محمد صلى الله عليه وسلم في اوقات متفرقة متباعدة على
نوازل مختلفة فلو كان من عند غير الله نزل لخرج مختلفا متناقضا بعضه بعضا لان حكيما من البشر لو
تكلم بكلمات في اوقات متباعدة يخرج كلامه متناقضا مختلفا بعضه بعضا لان ليستعين بكلام رب العالمين
ويعرض عليه فعند ذلك لا تناقض فلما خرج هذا مع تباعد الاوقات غير مختلف ولا متناقض دل انه
من عند الله تعالى نزل وبالله التوفيق وفيه الاحتجاج على الملحدة حيث قال عز وجل افلا يتدبرون القران
الى قوله اختلافا كثيرا فلو وجدوا لاظهروا ذلك وبقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله ولو قدروا على ذلك
لاتوا به دل تركهم اتيانهم ذلك انهم لم يقدروا على اتيان مثله ولو وجدوه مختلفا لاظهروه ولو كان
من كلام البشر على ما قالوا لاتوا به لانهم من البشر فظهر انه منزل من عند الله والله الموفق وقوله عز
وجل افلا يتدبرون القران وقوله ليدبروا اياته دلالة بينة على وجهين احدهما ان المقصود منه
يدرك بالتامل والتدبر اذ به جرى الامر والترغيب قبل وقت العمل بل الزم القيام بما يعقل بالتدبر
ثم فيه وجهان احدهما ان الامر ليس على مخرج الكلام عند اهل اللسان ولا على حق الاية في اللغة وحق
مثله ان يرغب في معرفة الموقع عند اهل اللسان من المخرج وتوجه اليه ان يتدبر فيه والله اعلم ومعلوم ايضا
ان التدبر فيه خط الحكماء واهل البصر لاحظ العوام وما يعرف من حيث اللسان فهو خط الفريقين فثبت
ان على العوام اتباع الخواص فيما فهموا والاقتداء بهم والله اعلم والثاني ان تجعل وجه معرفة الاختلاف
والاتفاق بالتدبر فيه لا بتقريع الكلام السمع واذا ثبت ذلك لم يلزم العمل بشيء من الظاهر حتى يعرف
الموقع امر على ذلك بالتدبر فلا يلحق المتمسك به التقصير بالتدبر والله اعلم والوجه الثالث بما تضمنت
الاختلاف ان ارتفاع الاختلاف فجعله حجة على انه عن الله اذ علم الله بما جبل عليه الخلق انه لا احد يملك تحقيق
الاختراع لا عن علم السماع ينتهي اليه عن الله الخبير الصادق يملك تاليف الكلام ونظم مثله بل متناقض
ولا مختلف ينفي الاختلاف ما فرع الكهنة اذ كذلك كلام الكهنة يخرج مختلفا وما مرن من تعليم البشر
واساطير الاولين والسحر ونحو ذلك اذ كل يخرج على الاختلاف وفي ذلك بيان خطر جعل المخرج بحق اللسان
من الاسم حجة ودليلا لما يوجد من ذلك لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولو كان من ذلك الوجه الاحتجاج لوجد
الاختلاف ومن رام ان يجعل القران لولا بيان الخبر موقعه على جهة قد يقع فيه الاختلاف دونه فهو
وصف القران مع اجتماع الخبر بنفي الاختلاف وانما هو في نفسه مختلف فمثله لكل كاهن وبشر اريد
ثبت التناقض امكن لو اراد الذب عنه ان كان عنه مترجم معبر يجيب بضم تاويله اليه فيبطل ان يكون
على احد وجوه الاختلاف في مكان ويكون احتجاج الجدين عشا بالعن ذلك ثم ما ذكر يحتمل الاحكام والحدود
والامور والنواهي وذلك يوجب الناسخ والخصوص والعموم لا يكون مختلفا ويحتمل الاخبار والوعد
والوعيد ونحو ذلك واعني بالاخبار عن الغيب وعما كان اخبر عز وجل عن اشراك المنافقين وعما اليه
مرجع الامور وعما كان عنهم ونحو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل واذا جاءهم امر من الامن والخوف
اذاعوا به وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما واذا جاءهم نبا من خوف او امن اذاعوه وكذلك
في حرف حفصة قال الكسائي هما لغتان ادعت به واذا فشيته وقيل سمعوا به وافشوه واشاعوه
ثم اختلف فيمن نزلت قال الحسن نزلت في المؤمنين وذلك انهم اذا سمعوا امرا من اخبار السرايا
والعساكر مما يسرون ويفرحون افشوه في الناس فرحا منهم واذا سمعوا ما يحزنهم ويهمهم اظهروه
في الناس حزنا وغما ثم استثنى الا قليلا منهم لا يذيعون ولا يفشون بالخبر فلو سكتوا وردوا الخبر
الى رسول صلى الله عليه وسلم حتى يخبر النبي صلى الله عليه وسلم ما كان من الامر ردوه الى اولي الامر

يعني يكونوهم الذي كان اولى وهو على التقديم والتاخير وقال ابو بكر الكسائي نزلت الاية في المنافقين اذا
سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر عن نصر للمسلمين الى الاعداء بذلك الاعدوا على ذلك واذا سمعوا
ان الاعداء قد اجتمعوا واعدوا للحرب اخبروا بذ للتضعفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليمتنعوا عن الخروج اليهم فقال الله عز وجل ولو ردوه الى الرسول حتى كان هو يخبرهم عن ذلك او ردوه
الى اولي الامر منهم ليخبروا بذلك والله اعلم ثم اختلف في اولي الامر منهم قيل هم امراء السرايا وقيل هم
علماء الفقهاء الذين يستنبطون منهم الذين يطلبون علمه بقوله وقيل اولي الامر ههنا مثل ابو بكر وعمر
وعثمان وعلي رضوان الله عليهم اجمعين لعلمه الذين يستنبطونه اي يستخرجونه من كتاب الله وقيل اولو
الامر الذين يستنبطونه والذين اذاعوا به الا قليلا اختلف فيه قيل فضل الله عليهم الاية على قول بعض
وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا اختلف فيه قيل فضل الله رسولنا محمد
صلى الله عليه وسلم ورحمته القران تاويله لولا محمد صلى الله عليه وسلم والقران لاتبعتم الشيطان الا قليلا
منهم لم يتبعوه ولكن امنوا بالعقل وقيل ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الامر والنهي عن الاذاعة والا
فشاء وكالا ذاعوه واتبعوا الشيطان في اذاعتهم به الا قليلا منهم فانهم لا يذيعون به وعن الضحاك قال هم
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا حدثوا انفسهم بامور الشيطان الا طائفة منهم لم يحدثوا بها انفسهم
وقال اخرون هم المنافقون كانوا اذا بلغهم ان الله تعالى اظفر المسلمين على المشركين وفتح عليهم صغروه
ومقروه واذا بلغهم ان المسلمين نكبوا نكبة شنعوه وعظموه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الا
قليلا منهم يقول العلماء لعلموا الامر الذين استثنى الله عز وجل حين قال ابليس لعنه الله لاحتنكن ذريته
الا قليلا وحيث قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال غيرهم هذا كله على التقديم والتاخير و
اذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا منهم والله اعلم بذلك وقوله عز وجل فقاتل في سبيل الله
لا تكلف الا نفسك قوله لا تكلف الا نفسك يحتمل وجهين اي ليس عليك حسابهم من شيء كقوله
عز وجل فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم والثاني لا تكلف الا نفسك اي تكلف انت بالقتال والجهاد
وان تخلف هؤلاء عن الخروج معك يؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذا حين استنفر
النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه رضي الله عنهم لموعد ابي سفيان بدرا الصغرى بعد احد للناس فانزل الله تعالى
هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخرجن الى بدر وان لم يتبعني احد منكم فاتبعه اقل
الصحابة رضي الله عنهم وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفيه دليل وعد النصر له والفتح والنكبة
على الاعداء لانه تخلف الخروج وعليه فلو لم يكن عدة النصر له لم يؤمر بالخروج الا ترى انه قال تعالى عز وجل
عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وعسى من الله تعالى واجب وفي قوله تعالى وعسى الله وعد نصره و
الخروج وحده انا نفسي هو من الله واجب وقوله عز وجل وحرض المؤمنين على القتال يحتمل وجوها
يحتمل ان حرض المؤمنين بالثواب لهم وكريم المآب على ذلك ويحتمل المؤمنين قوله تعالى حرض المؤمنين
على القتال لما في القتال معهم اظهار دين الله الاسلام وفي ترك المجاهدة والقتال معهم بغير
العدو عليهم واظهار دينهم امر عز وجل رسوله عليه الصلوة والسلام ليرغبهم في مجاهدة اعدائهم
والثالث وحرض المؤمنين على المجاهدة والقتال معهم وعدا بالنصر لهم والفتح والغنيمة والله اعلم
وقوله عز وجل والله اشد باسا واشد تنكيلا قيل وقوله اشد باسا لما يوقع باس المشركين عنهم ولا
يقدرونهم دفع باس الله عن انفسهم فباس الله اشد وقوله سبحانه واشد تنكيلا قيل التنكيل
هو العذاب الذي يكون للاخر فيه زجر ومنع وقيل حين قال له لا تكلف الا نفسك ولو لم يتبعك
احد من الناس ليكف الله عنك باس المشركين وقيل الباس هو عذاب الدنيا والتنكيل والنكال هو عذاب
الاخرة لانه يخوفهم بباسه لتخلفهم عن العدو ومخافة باسهم وعذابهم فاخبر عز وجل ان باس الله
وعذابه اشد من باس الاعداء والله اعلم وقوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها لم يذكر ما تلك الشفاعة التي يشفع فيحتمل الشفاعة التي
يشفع الحسنة هي الدعاء له بالمغفرة والرحمة وهو لذلك مستوجب فيكون له بذلك نصيب والشفاعة
السيئة هي الدعاء عليه باللعن وهو لذلك غير مستوجب فيكون له منها نصيب وقيل هو كقول العرب
الدال على الخير كفاعله من دل اخر على الخير فله في ذلك نصيب وكذلك من دل اخر على الشر ويحتمل الشفاعة

الحسنة

الحسنة في مظلمة يسعى في دفع مظلمة عن اخيه المظلوم وهو شفاعة حسنة فله في ذلك نصيب
ويحتمل الشفاعة السيئة هو ان يسعى في فساد امر لحقه من ذلك نقمة ومظلمة فله في ذلك
اثم وقيل الشفاعة الحسنة هي التي ينتفع بها وعمل بها هي بينك وبينه هما فيها شريكان
ويحتمل ان يكون الشفاعة الحسنة كل معروف وكل امر بر والشفاعة السيئة وكل صانع منكر وامر
به فيهما شريكان في ذلك الامر والفاعل جميعا ويحتمل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وعن الحسن رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صدقة افضل من صدقة اللسان قيل
ما صدقة اللسان يا رسول الله فقال الشفاعة يحيي بها الا خيك وقد رفع عنه نقل لم
الكريهة ويحقن بها الدم والكفل والنصيب واحد وقيل الكفل الاثم وليس ذلك اثمه
خاصة الا ترى انه قال يؤتكم كفلين من رحمته والشفاعة من اعظم ما احتيج اليها اذ قد جاء
القران بها والاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والشفاعة في المعهود من لا يكون
عن زلات يستوجب بها المقت والعقوبة فيعفى عن مرتكبها بالشفاعة الاخبار واهل
الرضا بهم ثم كانت الشفاعة ههنا لا يجوز التعذيب عليها عند القائلين بالخلود هم
بالكبائر مما يعفى عنها بالشفاعة فاذا يبطل عظيم ما جاء من القران والاثار في الامتنان
ويسقط ما جبل عليه اهل العلم بالله وبرحمته ويبطل رجاء المسلمين بشفاعة الرسل
صلوات الله عليهم ولا قوة الا بالله وقال بعضهم الشفاعة تخرج على وجهين على ما ذكر
محاسن احد عند اخر ليقربه عنده المعتزلة والرتبة والثاني لا يدعونه فالاول هو
الذي يحتمل توجيه الشفاعة اليه والثاني تدبير بقوله الذين يحملون العرش الى
قوله العظيم وقوله تعالى لا يشفعون الا لمن ارتضى والخوف يدل على وجهين الشفاعة
لان المرتضى هو ذو منزلة وقدر وهو ممن تضمنته اسم شفاعة الملائكة فيقال
الاول في الاخرة لا معنى له لوجهين احدهما انه في تقريبا الامر عند من يجهله والله على ما
تناوله هو العليم بحقيقه ذلك بل غيره مما يجوز عليهم حقائق الحقائق كقوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا الاية وقال عيسى عليه الصلوة والسلام ما قلت لهم الا
ما امرتني به الاية وكان في ذلك ان الحقائق في ذلك عند الله وهم تبروا عن العلم بذلك و
اقروا ان الله هو المنفرد بعلم ذلك وبالله التوفيق والثاني ان ثمه كتبا يقرر فيها اعمال بني ادم
وما سبق منهم من صغير وكبير وهي الكافية في التقدير ان كان في حق الاحتجاج وان كان في
حق الاعلام فعلم الله بهم يغني عن ذلك ولا قوة الا بالله واما الدعاء فكذلك تقول بدعاء
من له ذلك الوصف ويشفع له فيما كان في ذلك منه من الماثم والذنوب لانه اذا كان
كل افعالهم ذلك فيشفع لهم لانه لا يجوز في الحكمة تعذيبهم على ما ذكر من الافعال بل هم
عليها اعظم الثواب وارفع المثاوي وطلب الشفاعة والمغفرة لمثله يقبح من وجوه احدها
ان ذلك لا يجوز في الحكمة كانهم طلبوا منه ان لا يجوز ولا يسفه وذلك لا فسق الملق يخرج مخرج
السفه بالشكر والحمد وفي الدعاء كتمان ذلك وكفرانه ومحال الاذن في مثله وبالله التوفيق
والثالث ان ذلك في الوعد بالجنة والبشر بها فطلب مثله يوجب الجهالة بذلك لان
يكون الوقت لم يبق ذلك في الاستحال وهو قولنا في اصحاب الكبائر انهم لو عذبوا بقدر
الذنوب لكان ذلك في الحكمة عدلا يشفع لسائلهم بالفضل والاحسان دون الفضل
العدل والاستيفاء ولا قوة الا بالله والاصل انها مقادير العقوبات انما يعرف من يعرف
مقادير الاجرام وليس من الخلائق يحتمل تركيبه احتمال العلم بمقاديرها اذ لا احد يبلغ
في معرفة تعظيم الله كنه عظمته ليعرف الخلاف لامره جل وعلا وما كان هذا سبيله نحو القول
فيه الاتباع ان الله لا يجزي بالسيئة الا مثلها ثم معلوم ان لا سيئة اعظم من الكفر وجعل
شيئا من الجزاء والخلود في النار فيها لزم ذلك لما دونه ووصف الله تعالى انه يجزي بالسيئة
اكثر مثلها والله عز وجل اخبرنا انه لا يجزي ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ايضا من يشفع

شفاعة سيئة يكون فيما بين المرء يشفع البتة بالمغفرة لاحد والتجاوز عن المذنب فيكون نصيب منها
ويحتمل ان يكون الله تعالى برحمته يرحم على اخيه بالشفاعة البتة بالتجاوز عنه والمغفرة ويحتمل ان
يكون الله تعالى اذا غفر له يجعله في شفيعه شفاعة يهبه له كما وهبه لاول له في السيئة فيما يلعنه
او يدعوا الله عليه بالهلاك عن غير استحقاق او عليه في بقائه ضرر يكون له نصيب يلعن الآخر
او احد يلعنه ويدعو عليه بدا ان يعاقبه باساءته الى اخيه في طلب الهلاك بلا معنى له وقوله
عز وجل ايضا من يشفع الاية يحتمل فيما بينه وبين ربه يشفع له بخير اليه من عفو وتجاوز
او بسوء اليه من لعنه او هلاكه والنصيب منها بوجهين احدهما المغفرة في الاول هي برحمة
اخاه واشفاقه عليه او يعطى المشفوع له الشفاعة فيكون ذلك له نصيب منها وفي
الثاني يجزيه باساءته بين لعنه ودعا عليه بالهلاك من غير استحقاق بنقيض الاول او احد
مثله والله اعلم ويحتمل فيما بينه وبين الناس ثم يكون ذلك بوجوه احدها بما يشفع الى
من بين اخيه واخر سوء في دفع ذلك وحث التحية او الالفة او الى ضد ذلك يشفع
ذا قاله عثرا ويتم بينهما للالقاء وعداوة او ان يشفع اليه بالدلالة على ملهوف في اغاثته او مظلوم
في نكبة او يضيع معروفا او منكرا يبعث ذلك على خير او شر ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل وكان
الله على كل شيء مقيتا قيل هو الحافظ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقيل مقيتا حسيبا اي
مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من استاكل بمسلم
اكلة اطعمه الله من نار جهنم ومن قال باخيه المسلم مقام سمعة ورياء اقامه الله تعالى مقام سمعة ورياء
ومن يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته يفضحه في بيته وعن الفراء والكسائي قالا المقيت
المقتدر ومن اوقات يقيت اقاته وقيل المقيت مشتقة من القوة يقول رزق كل دابة على الله
حتى تستوفي اكلها درزقها وقيل مقيتا واجبا يكلؤهم ويرزقهم وقال ابو بكر الكسائي وهو
ماخوذ من الكتب لسنا نقد ليس هو بلساننا فنحن لا نتناول له فلعله على خلاف ما تناول والله
اعلم وقوله عز وجل اذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ذكر التحية ولم يذكر ما تلك
التحية واسم التحية يقع على اشياء من نحو ما جعل الصلوة لتحية المسجد والطواف تحية البيت
وغير ذلك مما يكثر عددها اهل لنا وقيل اجمعوا على صرف هذه التحية الى السلام دون غيرها
من التحية التي ذكرنا الا ترى انه قال عز وجل او ردوها اراد لم يقل ردوها لا غيرها من
التحية لا تردادا في الرد ترك القبول ولم يوجد بذلك دل انه اراد بالتحية السلام ويدل على
ذلك ايات من كتاب الله تعالى قال الله عز وجل فسلموا على انفسكم تحية من عند الله فجعل تحية
الملائكة على صلوات المؤمنين السلام كقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم وجعل تحية اهل الجنة السلام
كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وكقوله تعالى تحيتهم فيها سلام وتحية الملائكة بعضهم
على بعض بالسلام الا ترى انه قال الله تعالى عز وجل فسلموا على انفسكم تحية من عند الله الاية
فعلى ذلك يحتمل وان يكون المراد من قوله تعالى اذا حييتم بتحية السلام وجعل الله عز وجل السلام
علما وشعارا فيما بين المسلمين واما نايومن بعضهم بعضا من شره الا ترى ان اهل الريبة لا
يسلمون ولا يردون السلام وان كان لا يعرفون تفسيره ومعناه ولكن على الطبع جعل ذلك
لهم والسلام قيل هو اسم من اسماء الله تعالى فهو عدل وحوفا يحتمل سلام مسلم ظاهر عن
الاشباه والاشكال وسلام عدل منزه عن العيوب كلها والجور والظلم وقوله عز وجل ورحمة
ورحمة الله اي برحمة يحوي من نجا وسعد وبركاته بيان كل خير وهو اسم كل خير الا ترى انه التحليل
من الصلوة والسلام بقوله السلام عليكم ورحمة الله على ما جعل تحريمها باسم الله فعلى ذلك جعل الافتتاح
بما به جعل الختم ثم اختلف في قوله عز وجل فحيوا باحسن منها او ردوها على اهل الكتاب وعن انس رضي
الله عنه قال نهينا ان نزيد على اهل الكتاب على عليك وعليكم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال السلام
اسم من اسماء الله وصفاته في الارض فافشوه بينكم فان الرجل اذا سلم كتب له عشر حسنات فان هم ردوا
عليه كتب لهم مثله وقوله وقيل تعالى فحيوا باحسن منها بالزيادة او ردوها بمثلها وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليكم ورحمة الله ثم جاءه رجل فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم جاءه فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال وعليكم فقيل له انك رددت في الاول
والثاني فقد ابتغيا الى زيادة وهذا قريب وقيل انه روي انه سلم عليه رجل فقال السلام فقال النبي عليه الصلوة
والسلام عشر يعني عشر حسنات وسلم عليه اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون وقال اخر السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلثون ومنتهى السلام قوله وبركاته لا يزاد عليه كقوله ورحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت فان قيل يسلم في الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته ولا يقول في التحليل من الصلوة وبركاته قيل لوجهين تفضيلا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والثاني ابقاء لهم في الزيادة ويسلم الراكب على الماشي والقائم على القاعد وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشي والقائم على الجالس والصغير على الكبير وروي عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا انتهى احدكم الى المجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس
وان قام والقوم جلوس فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرى وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من تشبه بغيرنا فليس منا ولا تسلموا تسليم اليهود والنصارى فان تسليم النصارى
بالاكف وتسليم اليهود بالاشارة ويكره ان يبتدى باهل الكتاب بالتسليم ولكن اذا ابدا لهم يردوا
على ذلك حادث الانار وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبتدوا اليهود
والنصارى بالتسليم واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقها وعن ابي نصر الغفاري رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم يوما اني راكب الى يهود فان سلموا عليكم فقولوا عليكم ثم
قيل في تفسير السلام عليكم بوجوه قال بعضهم تاويله الله شهيد عليكم وقيل قائم عليكم وهو كقوله الله
تعالى افمن هو قائم على كل نفس برا وفاجر برزقهم ويحفظهم ويستجيب لهم وقيل هو الدعاء لهم بالمغفرة
والسلامة وهو ما ذكرنا بدياه وقوله عز وجل ان الله كان على كل شيء حسيبا قيل شهيدا وقيل كافيا
مقتدرا يقال احسبني هذا اي كفاني وقال الكسائي مشتقة من الحساب كقوله تعالى كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اي محاسبا كالامير والامين والقادر القدير والله اعلم وقوله عز وجل الله لا اله
الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه هذا والله اعلم لما الزم الله واجرى على السنتهم ان الله خالق
السموات والارض فانه خالقهم كقوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله اخبر ان الذي سموه الله
وقلتم انه خالق السموات والارض هو واحد لا اله غيره ولا رب سواه هو واحد لا شريك له ولا ند وان
الاصنام التي يعبدونها دون الله قد يعلمون انها لا تنفعكم ان عبدتموها ولا تضركم ان تركتموها عبادتها
وبالله التوفيق وقوله عز وجل ليجمعنكم الى يوم القيمة قيل فيه بوجهين قيل ليجمعنكم بيوم القيمة كقوله
يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل ليجمعنكم في القبور الى يوم القيمة ثم يبعثكم والله اعلم وقوله عز وجل ومن اصدق
من الله حديثا معناه والله اعلم انكم تقبلون الحديث بعضكم من بعض وان حديثكم يكون صدقا ويكون
كذبا فكيف لا تقبلون حديث الله وخبره في البعث وما اخبر في القران وحديثه لا يحتمل الكذب هذا والله
اعلم تاويله وقوله عز وجل فما لكم في المنافقين فئتين اختلف في قصة الاية قيل ان ناسا من اهل مكة قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا واقاموا بها ما شاء الله ان يقيموا ثم ندموا على الهجرة والاقامة
فيها وارادوا الرجعة الى مكة فخرجوا يتحولون منقلة حتى تباعدوا من المدينة فلحقوا بمكة فكتبوا كتابا مع
رسول من قبلهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم به الرسول عليه بالمدينة فاذا فيه انا على الذي
فارقناك عليه من التصديق بالله وبرسوله اشتقنا الى ارضنا واجتوينا المدينة ثم انهم خرجوا من مكة
متوجهين الى الشام للتجارة فبلغ ذلك المسلمين وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض فما
يمنعنا ان نخرج الى هؤلاء الذين رغبوا من ديننا وتركوا هجرتنا فنقتلهم فناخذ ما معهم فقال فريق منهم
كيف تقتلون قوما على دينكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين حتى نزل قوله
تعالى فما لكم في المنافقين فئتين بين الله عز وجل لرسوله امرهم وما صاروا اليه وقيل تخلف رجال عن احد فكان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين فرقة تقول اقتلهم وفرقة تقول اعف عنهم فنزلت الاية
فما لكم في المنافقين فئتين وقيل ان قوما كانوا بنجد قوم فاختصموا في اهل مكة فقال بعضهم انهم قد اكلوا
ذبائحكم وصلوا صلوتكم واجابوا دعوتكم معكم وقال اخرون تركوا النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا عنه فاكثروا
في ذلك فنزل قوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين الاية فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه النهي

عن الاختلاف والتنازع بينهم كانه قال والله اعلم كيف تختلفون في قوم ظهر نفاقهم وكيف لا تسألون
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالهم وهو بين اظهركم كقوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله و
الرسول الآية وظهور نفاقهم يحتمل الخبر منه نصا انهم منافقون ويحتمل الظهور بالاستدلال على افعالهم و
قد يوقف على حال المرء بفعله انه كافر او مؤمن وقوله عز وجل والله اركسهم بما كسبوا قال الكسائي فيه
لغتان يقال اركسته في امر كذا وكذا وركسته وارتكس الرجل اذا وقع فيه ورجع اليه وقيل في حرف ابن
مسعود وحفصة رضي الله عنهما والله ركسهم بما كسبوا ثم قيل اركسهم اي ردهم وعن ابن عباس رضي
الله عنهما اركسهم بما كسبوا قال اوقعهم ثم يحتمل قوله تعالى اركسهم بما كسبوا وجهين ما اظهروا بما كان في
قلوبهم من النفاق والخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى بما كسبت قلوبكم ويحتمل ابتداء كسب
كسبوا بعد ما اسلموا اي كفروا وارتدوا عن الاسلام بعد ما صح اسلامهم وفي اضافة ارتكاسهم الى الله
دلالة خلق فعلهم وحرمان امر يهلكه والله اعلم بما كسبوا من احداث شرك او نكسهم بالقلوب وقت
اظهارهم الايمان في ان ظهر عليهم بخوفهم اخوانهم من الكفرة او لما جعل الله من اعلام النفاق التي ظهرت
بفرض الجهاد والعبادات والله اعلم وقوله عز وجل اتريدون ان تهدوا من اضل الله تاويله والله اعلم
اتريدون ان تهدوا وقد اراد الله ان يضلوا لما علم الله منهم انهم لا يهتدون باختيارهم الكفر ويحتمل انكم
لا تقدرون على هداهم اذ لم يهدهم الله تعالى كقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من
يشاء وفي قوله ايضا اتريدون ان تهدوا قيل ان تسموا مهتدين وقد اظهر الله تعالى ضلالتهم ضلة كقوله
تعالى فما لكم في المنافقين فئتين حذرهم عن الاختلاف في التسمية بعد البيان وقيل ان تجعلوهم مهتدين
وقد جعلهم ضالين على نحو قوله تعالى انك لا تهدي من احببت الآية ابدا واتمام الآية دا وضح الاول
وقوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يهتدي وقيل مخرجا وهو واحد والله اعلم وقوله عز وجل ودوا
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء قيل ودوا الذين تركوا الهجرة الى اهلهم ونزل فيهم الذين قال الله
فما لكم في المنافقين فئتين ان تكفروا بما كفروا اي تتركون الهجرة وترجعون كما رجعوا منهم فتكونون
انتم وهم سواء شرعا في الكفر فسماهم الله كفارا وامرهم بالبراءة منهم فقال فلا تتخذوا اليهود و
النصارى اولياء قال الله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وكقوله تعالى لا تتخذوا المؤمنين الكافرين
اولياء نهاهم ان يتخذوا اولياء حتى يهاجروا هجرة ثانية الى المدينة ويثبتون على ذلك هذا على قول
من قال انهم كانوا هاجروا ثم لحقوا بمكة واما في قوله من قال انهم كانوا في اهلهم تكلموا بالاسلام
فيها ولم يهاجروا فمعنى هذا لا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا الحاجر وغيرهم وقيل المهاجرون على طبقات
منهم من هاجر واقام وسمع واطاع وثبت على ذلك ومنهم من هاجر ثم خرج من غير اذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلحق باهله وابطل هجرته الذي هاجر واما ثم الذي امن ومنهم من تكلم بالاسلام
واقام باهله ولم يهاجر وله قوة الهجرة كان ذلك ومنهم من تكلم بالاسلام ولم يكن له قوة على الهجرة
كانوا مستضعفين وهو والله اعلم ما قال الله الا المستضعفين من الرجال والنساء الآية وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت انا وامي من المستضعفين والذين امنوا ولم يهاجروا ولهم
الهجرة ما قال الله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وفي قوله
فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا يحتمل من اظهر الموافقة من المنافقين الكفرة ولحق بهم ويحتمل
من تداس ولم يهاجروا فيكون الاول على ولاية الدين والثاني على ولاية الميراث كقوله تعالى والذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء ومن بنا ولد الآية على اهلها بالخروج من المدينة ثم هاجرته
يخرج على وجهين احدهما ان يكون قد انضم فيها الى معاني الكفرة فيما يترك صحبتهم والثاني ان
يهاجروا الاعلام المجعولة لاهل النفاق مما يظهر ذلك فيما امتحنوا به من الافعال فيظهر خلاف
ذلك قوله ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم وقوله عز وجل فان تولوا ابوا الهجرة
فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم لانهم صاروا حربا لما ثبت تركوا الهجرة وابطلوا ايمانهم الذي تكلموا
به ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا لما ذكرنا والله اعلم وقوله ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق يخرج على وجهين احدهما في لحوق قوم من مظهري الايمان انهم لو لحقوا
بمن لا ميثاق بينهم ولا عهد فاقتلوهم حتى يتوبوا ويهاجروا ولو لحقوا باهل الميثاق لا تدعوهم

الولاية التي كانت بينكم وبينهم الباقي ان تكون الآية في قوم من الاعداء واهل الحرب لو انضموا الى
اهل الميثاق فلا تقاتلوهم فيكون الامر عقيب موادعة تجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
قوم في دورهم على ان لا تمانع بينهم لاهل الاتصال في الزيادة والاجتماع الى المدة الحق له للعهد بما اخيف
منهم فينبذ اليهم العهد ويفي اليهم المدة اذا وفوا والله اعلم كقوله الا الذين عاهدتم من المشركين
ثم لم ينقصوكم وقوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وقوله عز وجل الا الذين يصلون الى قوم بينكم
وبينهم ميثاق قال بعضهم استثنى الذين خرجوا من دار الهجرة مرتدين الى قومهم وكان بينهم وبين المؤمنين
عهد وميثاق وقال وفيهم نزل قوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين كانه قال والله اعلم ان وصل هؤلاء
الى اولئك الذين بينكم وبينهم عهد وميثاق فلا تقاتلوهم وقيل كان هذا حي من العرب بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم امان وعهد وكانت الموادعة على ان من اتاهم من المسلمين فهو امن ومن
جاء منهم الى المؤمنين فهو امن يقول والله اعلم ان وصل هؤلاء وغيرهم الى اهل عهدهم او قال عهدكم
كان لهم مثل الذي لاولئك من العهد وترك القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما صد مشركوا
مكة نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البيت جاء رجل يقال كذا من بعض القبائل لينظر ما امر محمد وقريش
فراهم قد حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين البيت فقال يا معشر قريش هلكتم اتريدون قوما
عما صغروا رؤوسهم من البيت والله لا نشرككم في هذا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعه
ان لا يكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكونوا عليه ومن لجا اليه فهو امن فلا ندري كيف كانت
القصة في ذلك غير ان فيه دليلا ان من اتصل باهل العهد وكان على دينهم فهو بمنزلتهم لا نقاتلهم و
من قولنا ان الامام اذا وادع اهل بلدة من بلدان اهل الحرب فمن دخل فيها او اتصل بهم فهم امنون مثلهم
لا يحل قتالهم ولا اسيرهم حتى ينبذ اليهم عهدهم واذا امن قوما منهم في دار الاسلام ووادعهم ثم انضم
اليهم اخرون فدخلوا معهم دار الاسلام له قتالهم واسيرهم والله اعلم وقوله عز وجل او جاؤكم حصرت
صدورهم قيل اي ضيقت صدورهم وكذا قال الكسائي كل من ضاق صدره عن فعل او كلام فقد حصر فهذا
والله اعلم ما ذكرنا ان الموادعة ان لا يعين بعضهم بعضا في القتال ولا يعينوا عليهم عدوهم نهاهم الله
تعالى عن قتالهم لما اخبر ان قلوبهم تضيق على ان يقاتلوكم مع قومهم معكم وفي قوله ايضا او جاؤكم حصرت
صدورهم يحتمل ان يكون حكم هذا الحرف ما ضمنه الحرف الاول فيكون ذلك الشيء عمن ذكرت اذا كان هذا
صفات يضيق صدره عن مقاتلة المؤمنين والكافرين جميعا اما بالطبع او بوفاء العهد وبالنظر في الامر
تبين له الحق وهو متردد في الامر بما يجد المعروفين بالكتاب التي احتج بها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مختلفين فيه على ما عقولهم من نعت به او تخلف عن الاحاطة بحق الحق الا بعد طول النظر والله اعلم
فيكون معنى قوله او جاؤكم بمعنى وجاؤكم ويحتمل في قوم سوى ما ذكرت من الذين يصلون لكن اولئك
المعاهدين نفسه الذين ابت انفسهم نقض العهد بينهم وبين المؤمنين وعرفوا على الوفاء بحوابت
انفسهم ايضا معونة المؤمنين على قومهم بالموافقة بالمذاهب والدين وعلى ذلك وصف جميع المعاهدين
الذين عرضوا على الوفاء بالعهد وذلك في حق الآيات التي ذكرنا ثم بين ينافضون العهد والمنافقين
الذين متى سئلوا عن الكون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعون لاعدائه الامر فيهم وذلك كقوله
تعالى يا اهل يثرب لا مقام لكم ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها هذه الآية فيهم
كقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون الآية فيكون في هذه الآية الاذن والله اعلم وقوله عز وجل ولو شاء
الله لسلطهم عليكم اي نزع في قلوبهم الرعب والخوف فقاتلوكم ولم يطلبوا منكم الصلح والموادعة
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم يعني طلبا للصلح وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقيل
قالوا انا على دينكم واظهروا الاسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اي حجة وسلطانا القتال امر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم بالكف عن هؤلاء ثم قال ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم الآية قيل كانت
رجال تكلموا بالاسلام متعوذين ليامنوا في المسلمين اذا لقوهم ويامنوا في قومهم بكفرهم فامر الله بقتالهم
الا ان يعتزلوا عن قتالهم وقيل قوله تعالى ستجدون اخرين غيرهم ممن لا يفي لكم ما كان بينكم وبينهم من العهد
يريدون ان يامنوكم يقول يريدون ليامنوا فيكم فلا تتعرضوا لهم ويامنوا في قومهم بكفرهم فلا تتعرضوا لهم
ثم اخبر عز وجل عن صنيعهم وما لهم فقال كلما ردوا الى الفتنة يعني الشرك اركسوا اي كلما دعوا الى الشرك

ترجعوا فيها فهولاء امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم وعرفه صفتهم ان لم يعتزلوا ولم يكفوا
ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا القتل وحجة وفي حرف
ابن مسعود رضي الله عنهما ويكفوا ايديكم عن ان يقاتلوكم وفي حرفه ركسوا فيها وفي حرف حفصة ركسوا فيها
وفي حرف ان يقاتلكم ويقاتلوا قومهم ثم يحتمل نسخ هذه الاية وقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
وقوله تعالى فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم بقوله عز وجل فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
ان الفرض في القتال اول ما كان فرض ان نقاتل من قاتلنا وبدانا ثم ان الله تعالى قال اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم واحصروهم وقوله عز وجل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء اختلف فيه عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء لا ينبغي لمؤمن ان يقتل المؤمن بغير حق عمداً
لا خطاء فيما لا يملكه وقيل الا بموضع الواو كانه قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا متعمدا ولا خطاء وذلك
جائز في اللغة وقيل ما كان ينبغي لمؤمن ان يترك قتله اذا قتل حر عمدا الا خطاء فانه يترك قتله ولا يقتل به
وهو قول ابي بكر الكيساني وقيل ما كان ينبغي لمؤمن ان ينزل حكم قتله الخطاء قال ابو بكر الكيساني حكم
القتل ما ذكرنا من القصاص والقود وكلام نحو هذا ويحتمل قوله وما كان لمؤمن ان ينزل حكم قتله
الا خطاء قال ابو بكر الكيساني حكم القتل ما ذكرنا من القصاص والقود وكلام نحو هذا قوله وما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا قط بعد ما سبق من الله بيانه في اي من القران نحو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب
عليكم القصاص وهو قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس وقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد
جعلنا لوليه سلطانا وغيرها من الايات الا خطاء فانه لم يسبق منه الحكم فيه الا في هذه الاية وقيل ليس
لمؤمن ان يقتل مؤمنا على كل حال الا يقتله خطاء فعليه ما في القران وهو قريب ما ذكرنا ثم الخطاء
عندنا على وجهين خطاء دين وخطاء قصد فخطاء القصد هو ان يقصد احدا فيصيب غيره وخطاء
الدين هو ان يعرفه مشركا كافرا من قتل احلال الدم فيقتله على ما عرفه من قبل وهو الحال مسلم
فان قيل كيف لزمه في قتل الخطاء ما لزمه من الكفارة وقد اخبر الله عز وجل ان لا يواخذه وان لا
حرج عليه في ذلك بقوله لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وقال
في اية اخرى لا جناح عليكم فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وغيرها من الايات قيل ان الفعل فعل
ماثم والثاني يجوز ان يكون الله يكلفنا بترك القتل والفعل في حال السهو والغفلة الا ترى انه قال
لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا نقيض الصواب فلا يجوز ان يومر بطلب الصواب ولا ينهى عن اتيان
ضده كقوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا الاية ثم اختلف في المعنى الذي اوجب عليه رقبة مؤمنة
قيل لانه اتلف نفسا خلقها الله تعالى لعبادته فاوجب مكانها نفسا مؤمنة لتعبد الله على ما عبدت تلك
لكن التاويل لو كان هذا يجب في العمد ما وجب في الخطاء لانه وجد ذلك المعنى لكن اوجب لا لذلك المعنى
والله اعلم ولكن تغليظا وتشديدا عليه لما اتلف نفسا محظورا لم يوذن له من ذلك لئلا يقدم على مثله
ولله ان يوجب على من شاء بما شاء من غير ان يقال لم وكيف والثاني اوجب عليه رقبة مؤمنة لانه
ابان له نفسا مؤمنة فعل ما انفى له نفسا اوجب عليها مثلها رقبة مؤمنة وفي قوله تعالى ايضا وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء اختلف في تاويله وما كان لمؤمن فمنهم من يقول باضمار ما كان
لمتروك لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء يخرج معنى متروك على وجهين ما قاله ابو بكر الملقب بالاصم
اي متروك له في القصاص الا ان يقتل خطاء لكن هذا لو يوجب منع العفو لما به النزول ومعلوم انه
امر رغب فيه حتى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي القتيل الى العفو ثم الى اخذ الدية ثم ابت
نفسه عند ذلك اذ ان له في الاختصاص ويدل على ذلك قوله تعالى فمن عفي له الاية وقوله تعالى فمن تصدق
به فهو كفارة له الاية الا ان يرجع في قوله بمتروك له الى الوجوب اي لا يرفع عنه ايجاب القصاص
الا من قتل مؤمنا خطاء فانه ليس عليه القصاص والثاني انه ما كان بمتروك له من الناس والتوبيخ و
والتعيير بسوء صنيعه باخيه وتعديه حد الله وعونه الى القتل اذ قال من قتل نفسا بغير نفس فكانما
قتل الناس جميعا فحق الناس ان يظهروا له النكير عليه ويقوموا بالنصر لوليه والله اعلم الا ان يكون خطاء
فلا يلقونه بشيء مما ذكرت بل يقومون بالشفاعة له والمعونة في احتمال بالدية وذلك جعل والله
اعلم امر العقل على ما لابد من ابقاء الالفة ودفع الضغينة واجتماع الناس في المصيبة ومنهم من يقول ح

في تاويل الاية وما كان لمؤمن اعتقاد الحرام عليه ذلك الفعل بما حرم الله ومما بينهما من الاخوة في الدين وبما هو حقيقة
وجنسه بما الم مما يتالم الاخر وينادي الاخر والنفس عن مثله بنهي والطبع ينفر فما كان له بعد هذا ان يقتل
وقوله عز وجل الا خطاء قيل فيه بوجوه احدها ان يقع ذلك منه على الخطاء فيكون على ما يلحقه اللاية
التي ذكرناها ولا وصف للعدا الذي وصفنا والذي ان يكون الامر في موضع الابتداء لما بين له من الحكم بمعنى
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة لكن من قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة كقوله تعالى لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما بمعنى لا يسمعون فيها لغوا البتة لكن الذين يسمعون يسمعون سلاما وقيل ما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا الا خطاء الا ان لا يحمله انه مؤمن وكان عرضه كافرا له قبله بما روي من الاذن في الباب
قتل صيون الكفرة بما سبق من ظهور كفرهم وان احتمل ايمانهم فيما بين الوقتين فيكون بمعنى حرام عليهم الا ان
هذا وصفه ويجوز وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء اي لمؤمن ذلك قط الا ان يقتل خطاء فانه
ليس فيمن يقال كان اولا لما يقع به الا ان يفعله هو في التحقيق اذ حقيقة الفعل ان يقع بارادة ويخرج عليها
وهذا لا يقع بها ولا يخرج عليها وقوله عز وجل ومن قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة مؤمنة فلم يذكر
في القاتل انه مؤمن عند ذكر قتله لكن يرجع اليه بوجهين احدهما ان الاية في بيان قتل يكون من المؤمن وعليها
جرى تفسير الحكم عندنا لوقوع والثاني قوله توبة من الله والتوبة بالتحرير تكون للمؤمن لا غيره والله اعلم على انه
حق الشرع من العبادات فلا يحتمل قصدا لكافر به وايد ذلك المذكور من الصيام وهو لا يقوم الا بالايمان ثم
جعل الايمان شرطا من جنس الذكر وتاكيده باوجه ثلاثة احدها بالتاكيد بذكر كل قتل على اختلاف ما هو القتل وفي
ذلك دليل ان ذلك جعل عليه لمكان انه يحمل على دينه مما عليه من الحق ان يحفظ حرمته وبحرمته ينفي قتل من ذكر
انه حرم دينه عليه فيصير في قتله مصيبا لما لزم مما ذكرت في كل انواع القتيل لرجوع انه ذلك كله الى تضييع من حق
دينه ولذلك قيل توبة من الله وذلك يخرج على وجهين احدهما ان يحقق معنى التوبة في فضل الله وذلك يخرج
على وجهين احدهما على ما تجاوز منه اذ لم ياخذه بالخطاء فيكون يحق جعل ذلك شكرا من العبد على لم يواخذه
بالخطاء فيكون معنى التوبة منه انه لم يواخذه بالخطاء لان في الاعتاق ذلك والاعتاق للشكر له فيما لم يكن لعدو
وقد يجوز ان يواخذه لما بالجهد في التحفظ قد يومن ذلك فيما لم يكلفه وتجاوز عنها كان على
الخطايا يامر بالشكر كذلك والثاني قبولا من ذلك في حق التوبة عن غير القتل من الزلات فيكون في قيام
عما امره لوجهه في حكم العفو عن مثله يجعل ذلك من العبد مقبولا بحق التوبة من الزلات ونسبة الى
التوبة منه اذا كان على التوفيق لفعله وذلك لتسمية الله توابا على التوفيق والتجاوز والله اعلم
والثاني يرجع الى الفعل العبد فيكون توبة من الله على عبده القاتل بان يتوب باعتاق رقبة مؤمنة
وذلك يخرج على وجهين احدهما ان يكون الفعل يقبل ما اثم والله تعالى مواخذ عليه لا بالجهد يمكن ابقاه
ذلك ولذلك تعبد بقوله تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا واذا كان كذلك فيكون ذلك منه
توبة الى الله ليحفظ عن مثله في امر الدين والثاني ان يكون عليه حفظ دينه عما يقع الحرمات ومن
وجه الاثم يلحق نحو المذكور في المنادي وفي امر السهو في حد ذلك فيومر بنفي ذلك وذلك نحو ما قد
يفسد باموره من وجه لا يعلم به فكذلك امر النقصان فيومر بالتوبة الى الله عز وجل عن ذلك بما يمحو
الله به من الاسور والله اعلم قد يتصل بالقتل ما له حكم الخطاء باثم المرء عليه فيخرج مجازا ان يرجع
صرف التوبة من الله الى ذلك وهو سمي خطاء بالعمد والثاني تمايدل عليه جعل الايمان شرطا انه جعل
لما رفع في حق الذي من التضييع اذا تعلقت الحرمة من الدين من الوجه الذي بينا ولا فرق بين
عبارة ليشار اليها يقع فيها تضييع في حد منها بيوم ذلك تلك بكفارة وبين حدها من العبادات تعقد
الانسان وضمن الوفاء بما يقع في حد منها تضييع من الاصل ولا يعلم حده غير الذي جعل الحدود فيكون
في ذلك بيان المهمل وبدونه لعله لا تنجز فالزم بالاحتياط ذلك وعلى ذلك امر الحدود والاجرام والثاني
متفق القول على موقع الشرط بحق اللزوم وعلى ذلك شرط في التتابع في الصيام له هذا المعنى و
والاول جميعا وعلى هذا الاتفاق جعل قوم هذا اصلا لغيره من الكفارات ونحن لا نجعلها لوجهين احدهما انه
لم يجعل ذكر التتابع في هذا اصلا لكل ما لم يذكر فيه التتابع والثاني لما بينا من محل كل من اصل ذلك انه انما
يعلم من علم ما حد من الاصل ومعلوم الاختلاف في الكل لذلك لم يجب هذا لكن يبطل المطلق ويقيد
المقيد بالذكر وايد ذلك ان الله تعالى قد ذكر في كل قتل ولو كان بالذي يحتمل درك الحد في التدبير لكان

ترك الذكر في هذا الا لافهام الحكم في نوع المذكور اقرب منه في غيره تدعه فبيّن والله لوجهين احدهما
للتنبيه على لزومه في هذا الى الذكر والثاني للتنبيه انه لم يجعل لمكان القتيل لما وقع في الدين من التضييع
وجائز ان يكون شرط الايمان بما سبق منه تضييع حد من الحدود الذي اقتضى ايجابه عليه الايمان
فامر باعتاق من تسلم له الرقبة لحفظ ما لزمه حق الايمان من الشغل عنه بحق الرق فيه لغيره
ويجوز ان يكون اتماما لبقية نفسه وهي مؤمنة فامر ان يشكر لله تعالى بابقاء نفس مؤمنة او بالعتق
واحياء وعلى ما ذكر من اختلاف الحدود وما له حدود في حق الشرع وليس هاهنا وامر الفطر هو في
صيام قد جعل الاصل من الطعام عوضا عن صيام فيه بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه الاية فعلى ذلك
امر عوض التعدي منه وليس في امر القتل ذلك ودلت الاية بذكر الايمان على ان له حدا يعرف موقعه
ثم الذي تبين فيها ان التصديق خاصة ما يجمع بين المؤمن الذي يحتمل ان يكون منه سائر الشرائع والذي
لا يحتمل سوى نفس الايمان وهو المؤمن الذي من قوم عدو لنا اذ قد يؤمن في دار الحرب بما في العقل لله
ولا يعلم به غيره من العبادات التي لها حق الشرع وقد يجوز ان يكون في الابلاغ في وصف ما يكفر به ابلاغ
في التحذير عن الفعلة التي بها حوف وخوع ما ذكر وعلى ما ذكرت في تضييع حق الوحد دينه لزم التفرد
كل واحد منهم الكفارة على التمام لما انفرد كل بما لزمه من الحق بدينه في التضييع وعلى هذا قولهم في المحرمين
يقتلون الصيد ان كل واحد منهم جنى على احرامه الذي لم يتصل وحرامه باحرام غيره على ان النفس اذ هي
لا يحتمل التجزية لم يجز الجعول لها وعلى هذا امر القصاص والدية لم يجب في الحقيقة للنفس واذا بلغت
النفس فسقط بعض ما له منها حكم الوجوب ولما هي ترجع الى عين الجاني ويحال اخذ الكل ممن يرجع اليه
بالكل بما يكون في طلب التخفيف الاجحاف واهلاك الخلق ولما كان حق النفس من حيث القتل من المال
يختلف ومن حيث القصاص والكفارة ولا يثبت ان المرجع في هذين الى احوال في نفس القاتل ليس من
دين يضيع حقه او امتناع عن احتمال التجزية واحياء اريد بالموضوع ولو لم يجعل في الجماعة ليذهب
فائدة الاحياء او الوجوب بالاحاد غيره فيبطل الاحياء في ابلغ احوال الحاجة اليه ثم اذا رجع امر الكفارة
الى من تولى قتله وقد سبق عليه امر الدية كقوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة بمعنى عليه
تحرير ما ذكر او قد اوجب عليه وعلى ذلك جميع ما في القران من الامر على اثر الاسباب ثم نسق على ذلك بقوله
ودية مسلمة الى اهلها فحقها ان يكون عليه والخبر لو ادى من رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر العقل
الذي نوائبه الامة الى يومنا هذا بل الامم حتى كان قد ظهر عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسول
السالفة بحق التوارث في المؤمنين ثم المنكرين لهم فكان ذلك بحق التعاون ولذلك قال اصحابنا
رحمهم الله تعالى في الدين لا عاقلة لهم تجب الدية في اموالهم وعلى ذلك فيما يظهر بالقاديهم دون الباب
وهو الحق اذ فيما يجب فيه القصاص انفسهم تتلف فعل ذلك الدية والاصل في ذلك ان معنى القصاص
معقول اية الذي ذكره الله تعالى في القران من قوله ولكم في القصاص حيوة فلو معنى لصرف ذلك المعنى
المتولي لما يذهب الحيوة وجائز شرع ذلك بحق العقل ليزجر الناس به وتسلم لهم الحيوة الذي هي الذ
الاشياء اذ بها يوجد اللذات كلها وذلك المعنى ليس بنفس القتيل احق من غيره من ان يجعل التيسر
بحقه بل الاولى ان يجعل لا محالة للروع والزجر مما كان معلوما ان النفس القتيل لا ينتفع بل انما نفعها
في ان يتقي لخوف القصاص ممن يروم قتله اشفاقا على نفسه وليس ذلك المعنى في امر الدية بل انما
توجب بعد الوفاة ولم تجب من وجه يتولد منه الفضاحة والعداوة التي لديها سفك الدماء
على حق تخصيص الدماء لما هي تجب بالخطاء من وجه يعلم حذر من منه ذلك لكن الله تعالى بفضله
لما جعل المتصلين معونة في حيوته وشرفا في كثرة الاقوام وتباهيه في الدنيا مما ينتفع بها التناصر والتنافع
الذي بمثله التدارك والقوام فيعظم في مثله مصيبة الفعل والخاصة من وجه لعلة يسبق اليهم الانكار
في التلبيس على اهله في الخطاء وان ذلك ليس بحق فيخاف وقوع الشر بينهم والعداوة التي تولد في
الفساد فجعل الله تعالى منه وفضله لهم ما تطيب بمثله انفسهم وتسكن المعنى الذي يخاف منه حدوث
الشر بينهم مع ما لهم جميع ما تخلق لابتداء المحنة بما ذكر بلا سبب فهو بالسبب احق واذ يجعل بهذا من الوجه الذي له
حق الابتداء فلعله وضع ذلك في احوالهم من بان نفس القاتل لهم ما ذكرت من المنافع على ما جعل في ذلك
وانه لم يرجع منفعة الواجب في ذلك الى القتيل مما لم يعلم انه يفعل يجعل ذلك لوجه يتزود لمعاده وان حرم

ذلك

ذلك في دنيا فيصير المجعول في ذلك تيمن لهم وعليهم بالذي ذكرت من دفع الفساد والقيام بحق الاحياء
ثم الاصل في اتلاف الاموال ان منافعها عند القيام وصفارها عند الاتلاف ترجع الى اربابها خاصة
والانفس يرجع مالها في ذلك الى العشائر والمتصلين فعل ذلك المجعول فيها مما كانت الاموال بمالك
فيصير من ضمنه كانه اشتراه وكل مشتري بالتسليم له المزوج منه فلا يحتمل ان يضمن من لم يكن منه
الجناية لما يسقط لو ضمن بعقد التسليم ولا على ذلك امر جنايات الانفس تجاوز في حق الشرع الى من
على غير من يتولى او على غير التسليم الى احد ليستوجب بدله ثم وقوع الخطاء يكون من وجهين احدهما
من جهة دينه يحوان ظنه القاتل كافرا مما كان نعرفه كذلك او بما عليه سيما الكفرة والاخر من جهة نفسه في
ان يرى غيره فيصيبه والحكم وجهي الخطا واحد والخطاء والثالث وهو الذي لم يقتضيه حق هذه الاية
وهو عند الضرب قد يقع ذلك فيما اخطاء الدين وفيما تعمد والنفس جميعا وقوله عز وجل فدية مسلمة
الى اهله لم يبين من اهله وقال في موضع اخر ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ولم يبين
من وليه فكان الاهل والولي ثم ورثته على ما جاء في الخبر انه ورث امراة اشيم من دية زوجها و
ان كانت الدية لاهل العصبة منهم من قبل ولان هذه الدية انما وجبت لمكان ما لهم من المنافع من
القتيل في حال حيوته فاذا قتل فذهب منافعه عنهم اوجب ذلك لهم لانهم هم المنتفعون في حيوته
دون غيرهم وقيل ان القتل يوجب الضغائن فيما بين اولياء القتيل واولياء القاتل فيجعل ذلك على
الفساد والهلاك فاذا اوجب هذه الاية لتطيب انفسهم بذلك ولا يحمل ذلك على الضغائن والحقد و
وقيل وجبت هذه الدية لئلا يدعي الخطاء فيسقط القصاص عن نفسه بدعوى الخطاء فاوجب
الدية لما اذا ادعى الخطاء اخذ بالدية وقد ذكرنا ان الخطاء على وجهين وهو ان يقصد صيدا
فيصيب فهو خطاء لانه اصاب غير الذي قصده بالضربة والثاني خطاء الدين وهو ان يعرفه كافرا
فقتله على ذلك قاصدا له فهو خطاء والخطاء وجه اخر وهو ان يطلب الرجل قاصدا لذلك لغير قتل
فان كان الذي ضرب بحجر صغيرا او عصا صغيرة فحكمه حكم الخطاء وان كان حجرا كبيرا منه يقتل او عصا
فان اصحابنا رحمهم الله تعالى اختلفوا في ذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا قود في ذلك وعلى عاقلته الدية
مغلظة وقال محمد رحمه الله يقتل به اذا كان من مثله لا يبقى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما
يبين ان العمد ما كان بحديد حجة لابي حنيفة رضي الله عنه في حجر العظيم ودليل على ان القصد بالضرب
قد يكون خطاء وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء خطاء الا الحديد
والسيف وسنذكر هذه المسئلة في باب شبه العمد ان شاء الله تعالى ثم اجمع اهل العلم على ان الرقبة على القاتل
واما الدية فلم يذكر على من تجب فقال اكثر السلف الدية ايضا على العاقلة وعلى ذلك تواترت الاخبار عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض الناس الدية ايضا على القاتل كالرقبة فيقال له ان القيام يدل على الدية
او على العتق قبل لغو ذلك يدل على ان الذي يجب على القاتل هو العتق الذي ان لم يجده صام مكانه ويدل على ان
الدية ليست عليه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل الدية على العاقلة عن مقسم عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ان يعقلوا معاقلهم ويفدوا عانيهم
بالمعروف والاصلاح بين المسلمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قضى في الجنين
عبدا او امة على العاقلة والتي ضربت ضرتها بعمود فسطاط فقتلتها فقضى النبي صلى الله عليه وسلم بديتها على
عصبة العاقلة وفيما في بطنها غرة فقال الاعرابي الزني من لا طعم ولا شرب ولا صاح فمثل ذلك بطل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب اعزم فان الدية على العاقلة والميراث لاهل الفرائض وعمود
الفسطاط مما يقتل مثله ولم يوجب النبي صلى الله عليه وسلم على التي ضربت ضرتها به فقتلتها القصاص ففي ذلك
حجة لابي حنيفة رضي الله عنه في قوله ان الخشبة العظيمة والقصبة والصغيرة سواء ولا قصاص فيه والاخبار
فيه كثيرة وقوله عز وجل ايضا ودية مسلمة الى اهله على الحث والترغيب في التسليم والنهي عن التعاسر الذي
عنه توهم حدوث الشر والفساد الذي يدفع مثله جعل العوض في قتل الخطاء وعلى ذلك قوله فمن عفي له
من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وقد بينا من يسلم ثم بين التسليم الى اهل القتيل ولم
يبين من اهله وقد اجمع السلف على ان اهل ورثته والاصل في ذلك ان الدية تجعلت بدلا لنفس القتيل ثم
فتصير متروكة عنه وعلى ذلك لو كانت منه الوصايا او عليه دين ينفذ منها فصارت فيما قال الله تعالى

للرجال نصيب مما ترك الآيات التي فيها بيان من يرث من بعد الوصية او دين فذلك لهم فيصير اهله بعد ذ
من ينتفع بتركته اوكذلك وصف الاهل في الحيوة انه يرجع الى المتصلين وبما نفعه مما كان اسم الاهل
في الزوجة غير ممتنع استعماله على كل حال فيجب دخولها في ذلك وغيرها من الورثة احق وقد روي في مثل
ذلك مرفوعا في توريث امرأة اشيم الضبابي وعمل به عمر بحضرة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والذي
لهم سائر الولايات سوى ولاية الميراث احق والله اعلم وقوله عز وجل الا ان يصدقوا استثناء من الدية
لانه لاحق لاحد من العتق حتى يجتني التصدق وهو كقوله تعالى في القصاص فمن تصدق به فهو كفارة له
وذكر التصدق فيه على ما عليه الترغيب في الديون من قوله وان تصدقوا خير لكم ثم الاصل ان التصدق
من المعروف الى ذوي الحاجات والفضل انما وضع اصله على الاغنياء لكن يخرج على وجهين احدهما ان
الاجابات بذكر القاتل وجوب الدية المسلمة كلها لكل قاتل عشر فكان الترغيب على ذلك والثاني انه
معروف في الديون وكذلك حكم الصدقات اذ لا يقع له الثواب في الدنيا لو انما يقع لغير المعروفين فيكون اهل
فعلهم من الحقيقة لله لا الابتغاء الجزاء فسمي صدقة اذ هو اسم لما يقع من المعروفين لله مما يمكن في د
العقل ليس شرطه الغناء الذي له يجب الزكوة وغير ذلك النوع من الغناء لا يخرج اهله من احتمال الصدقة
بل يجعل على اهل الديوان وهم الذين اموالهم هي التي تخرج بحق العطايا يواخذ لوقت الخروج لا بعد الوقوع
بالملك وتمام شرط الغناء له وفي هذا صرف الثنيا الى الذي يلي من الكلام دون الذي تقدم وحمله على بعض
الكلام دون الكلام ليعلم ان موقع الفهم من الحكيم على ما يقتضيه حق الحكمة دون الذي تنتهي اليه حق اللسان
والله اعلم وقوله عز وجل وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال يكون الرجل مؤمنا وقومه كفار في دار الحرب فيقتله مسلم فلا دية عليه ولكن عتق رقبة مؤمنة وعنه
ايضا قال كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه فيقيم فيهم فتغزوهم الجيش من المسلمين فيصاب فيمن يصاب قال الله
تعالى وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وقال بعضهم كيف يكون للمؤمن المقيم في دار
الحرب دية واولياؤه حرب لنا فهل يجوز ان نعطيهم الدية ونحن نغتنم اموالهم فان قيل يكون الدية
لبيت المال قيل له انما يجوز ان يكون لبيت المال من لو كان حيا كان له في بيت المال فاما المسلم المقيم في
دار الحرب فلاحق له الا ما حكمنا لا يجري في داره فكيف يستحق بيت المال ديته وبعد فالمسلم في دارهم لم يحرز
بالاسلام بعد نفسه وماله لان دار الحرب ليس بدار يحرز بها الدماء والاموال فاذا كان كذلك فلم يكن
للنفس والاموال هناك يد فلذلك لم يجب الدية الا ترى من اتلف مال ذلك المسلم لم يجب بدله
نفسه لان حرمتها سواء في دار الاسلام ثم اختلف في تأويل قوله ايضا وان كان من قوم عدو لكم و
هو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة الاية على الاتفاق ان لا دية فيه لكن الاختلاف في انه من يخرج على ثلثة
اوجه احدها ان ذلك فيما يقتل على الاغارة نحو ان يغار على اهل الحرب وفيهم مسلم فانه لا دية فيه لما ابيحت
الاغارة فيجب على هذا امران احدهما ان يكون دفع الكفارة في ذلك احق من دفع الدية التي هي حق العباد
ولم يرد ممن هي له الاباحة فلما اوجب هي فالدية احق ان تجب بان له ليس على ما قد ذكرنا والثاني ان يكون
لو كان ذلك فيجيء ان يكون ذلك فيمن كان من قوم عدو لنا او لا سواء من حيث الاغارة بل اذا اصاب مباحة
وان كان فيهم ذهب حق النفس من الامرين جميعا من الدية والكفارة وكذلك الجواب في قوم تترسوا بالمؤمنين
انه اذا ابيح الرمي فيستوي الامران جميعا من الدية والكفارة وعلى ذلك اختلف فيمن له القصاص فيما دون
النفس فمات عن الاقتصاص ان لا كفارة في ذلك وقد اختلف في الدية وعلى ذلك من يقتله ممن لا يحتمل
القتل وما اوجب من العقل في وجود بلا دية يوجب ان يكون الدية احق في الايجاب من الكفارة فاذا لم تجب
فبان انه ليس رفع الدية لما ظنوا والقول الثاني ذهبوا الى القتيل الذي قومه اهل الحرب انه لا يجب فيه
الدية بقوله من قوم عدو لكم وهو مؤمن ويؤيد ذلك قوله فدية مسلمة الى اهله واهله عدو لا يحتمل
التسليم اليهم بما لنا اخذ اموالهم فيصير بذلك لنا واما الكفارة فهي بين العبد وبين الله فيلزم اذ هي
في حق التوبة والكفارة لما في ذلك من محو الاثم فيوجه على ذلك ايضا امران احدهما ابطال الدية عن كل
نفس لا وارث لها اذا قتل من اهل دار الاسلام اذ لا اهل لها وعدم الاهل اكثر من كون الاهل وهم
اعداء له بل يعرفوا الذي قتله وقومه لبيت فصل ذلك الاول لو كان تجب لاهله اذ قد رأينا الحق
مما عظم في العداة من هؤلاء وايد ذلك الايجاب في المؤمن الذي قومه من اهل الميثاق والكافر

الذي هو من اهل الميثاق والعداوة لم يكن انقطعت بالميثاق والوجه الثاني انه لا توارث يجري بين المسلم واهل
الكفر ليبطل حق الدية بوجوبها لهم بل يتحول الميراث بالاسلام الى اهل الاسلام وان لم يكن لمخصوص اهل وعلى
ذلك جميع تركته فبان انه لا لهذا المعنى وجب والقول ان الاية فيمن اسلم من دار الحرب ولم يخرج الينا حتى يقتله مؤمن
خطاء ان عليه تحرير رقبة ولا دية فيه فيكون المعنى من قوم عدو لكم هو من قوم في الظاهر عند القاتل لم يخرجوا بعد
اظهار المعادات ثم يكون قتله الخطاء من وجهين احدهما ما كان عرف كفره ولم يظهر انتقاله عما كان عليه في
الظاهر لا يخرج وجهه الى دار الاسلام ولا سيما يظهر وذلك ظاهر الوجود وفي مثله نزل قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلام لست مؤمنا الاية وقد اخبر انهم كانوا كذلك يكتمون دينهم حتى من الله عليهم بالاظهار فيكون هذا
بين اظهرهم على الامر الاول وعلى ذلك شأن المسلمين الذين دخلوا تلك الدار بالامان ولا يحتمل ان يلحقه هذا النوع
من قتل الخطاء فلزم في قتله البدل على كل والثاني ان يرى غيره فيصيبه على ما يكون خطاء اهل هذه الدار ولم
يجب له الدية لما يقع فيه الخطاء من الوجه الذي على الامر يفعل على ما ثبت فلا يحتمل ان يجعل نفسه بدل والا
في ذلك ان دار الحرب ورفع الحرب يسقط الدماء والاموال فلا يقع بها الاحراز الدماء والاموال فلذلك
لم يجب فيها البدل وليس كدار الاسلام كانها دار سلم وامن حتى جعلت تحرز بها الدماء والاموال على ما كان الفتن
الاعداء اذا دخلت بالميثاق الينا استوجبت حق الاعراض ولزوم البدل وان كانوا من قوم عدو لنا اذ هي
الدار دار سلم واحراز ولا يشبه الذي اسلم ولم يخرج الذي خرج من هذه الدار سيما لما كان يخرج بامان وفي لان
لزوم حفظ الامر الاول وليس في الاول ذلك العلتان احد الامرين في ابتداء الايجاب والاخر في البقاء على ما
وجب ومعلوم تفاضل هذين في الاصول واختلاف الامر بينهما وقد كان في البقاء بعد ما يستوجب بالذي يترك
الهجرة كقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقد نسخت تلك الهجرة ولم
تنسخ الهجرة الى دار الاسلام وان نسخت الى المدينة فلم يكن لنا من ولايتهم من شيء وانما يحق بذل الانفس لمن
يبغى عنه من الاولياء والاصل وقد بقى ذلك فلذلك لم يجب وعلى هذا يخرج فيه لو قتل عمدا او لا يجب القصاص
ولا الدية لان الله تعالى قال فقد جعلنا لوليه سلطانا وقد بقي فيما نحن فيه الولاية كذلك يبطل السلطان وفي
بطلانه بطلان البدل ويجوز معه بقاء الحق الذي بينه وبين الله لثبات تلك الحرمة ووجه اخر في تأويل
قوله من قوم عدو لكم اي في قوم مظهرين العداوة دليل ذلك انه وان خرج الى هذه الدار فهم قومه لكن ليس
فيهم يرجع الى مؤمن وهو بعد فيهم ان لا شيء له اذا خرج الى هذه الدار فهم قومه لكنه ليس فيهم يرجع الى مؤمن وهو بعد
فيهم ان لا شيء له اذا خرج ان عاد او لا فله حكم له لم ينقص حق الاية فيجب فيه الذي يجب على حسب الدليل الموجب قال الله
تعالى وقوله عز وجل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اختلف فيه فقال
بعضهم ذلك القتيل معاهد من قوم بيننا وبينهم ميثاق فاحتج بعض اصحابنا رحمهم الله تعالى بهذه الاية الكريمة في
ايجاب الدية في قتل المعاهد دية مسلمة لان الله تعالى قال فيهما جميعا فدية مسلمة فيهما سواء وقد روي ذلك عن
ابن عباس رضي الله عنهما ولانه يحتمل غير هذا لان الله تعالى قال في اول الاية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ
الى قوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فالتي يذكر
الايمان في القتيلين الاولين عن اعادة ذكر الايمان في القتيل الثالث ولم يكتف بذكر الايمان في القتيل الاول عن اعادة
في الثاني لانه لو قال تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ولم يذكر
هذا كما توجب الدية في قتل كل مؤمن فذكر الايمان في الثاني للتفريق بينهما واما ذكر الايمان في الثاني فغنى عن ذكره في
الثالث كانه قال لانا لا نفرقه بينهما كذلك كان ما ذكرنا وعن الحسن وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق قال
مؤمن واستدل من ذهب الى ان المقتول مسلم بان الله تعالى قال فتحرير رقبة مؤمنة وانه اوجب الكفارة على قاتل المعاهد
اذا لم يكن ذمة الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بان الله تعالى ودى قتيلي عمرو بن امية وكان لهما ولم يبلغنا انه
امر بالكفارة فيقال ان الكفارة واجبة على قاتل المعاهد المستامن بظاهر الاية بقوله وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق وقال ايضا ومما يدل ان المقتول معاهد انه لو كان مسلما لم يجب لاهله من المعاهدين الدية لانهم
لا يرثون وانما يرثونه اذا كان معاهدا وهذا يؤيد قول اصحابنا رحمهم الله تعالى في وجوب كمال دية المسلم على قاتل
المعاهد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ودى ذميا دية مسلم وحديث عمرو بن امية انه كان ببعض الطريق
اقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظل هو فيه وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو
وقد علم انهما من بني عامر فلما ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى انه اصاب بهما ثأره من بني عامر فلما قدم عمرو الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد قتلت قتيلين لادينهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان الدية
كانت تامة وان لم يسم لان العرب كانت لا ترضى ان تنقص دياتها عن ديات المسلمين وعن ابن عمر رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل دية العامريين دية الحر المسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال دية
اهل الكتاب مثل دية المسلم فان قيل روي عن عمر رضي الله عنه قال دية اليهودي والنصراني اربعة الاف درهم
ودية المجوسي ثمانمائة درهم وعن عثمان رضي الله عنه مثله قيل يحتمل هذا ما روي عن عمر رضي الله عنه انه قوم
الابل فبلغت قيمتها اربعة الاف درهم ثم قومها ثانيا فبلغت ستة الاف الى ان بلغت عشرة الاف ولما ذكرنا فيحتمل
انه لما قومها فبلغت اربعة الاف كان ذلك في دية يهودي ونصراني فظن الراوي انه انما وجب اربعة الاف
لانه دية النصراني او اليهودي ثم روي على ذلك مما روي عن عمر وعثمان رضي الله عنهم اجمعين بعشرة الاف وروي
ان ابا بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم اجمعين قالوا دية المعاهد دية المسلم فهذا يوهن قولهما الاول و
يحتمل ان يكون على الاصطلاح فان قيل روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دية
الكافر نصف دية المسلم قيل ان كلا الفريقين تركوا العمل بهذا الخبر لان من يقول باربعة الاف درهم لم يأخذ به
لان اربعة الاف ثلث دية المسلم على قوله لان دية المسلم اثنا عشر الفا عنده ومن يقول بعشرة الاف
لم يأخذ به فقد اجمعوا على ترك العمل به وذلك لما لم يثبت عندهم والله اعلم مع ما وصفنا في باب قتل المسلم بالكافر
ما يدل على ان ذلك واجب فاذا وجب قتل المسلم بالذمي وجب ان تكون ديتهما سواء الا ترى ان الكفارة على قاتلهما
سواء وقوله ايضا وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فاختلف في تاويل هذا الحرف من وجهين احدهما ان
الاية في المؤمنين خاصة لكنهم على اقسام ثلاثة احدها على الاباذ والاخر على احداث الايمان في دار الحرب من
اهل الحرب والثالث على احداث الايمان من اهل الميثاق في دار العهد والاخر من وجهين الاية بيان جميع
ما يجب في نفسه حتى اذا قتل خطأ من مؤمن قد احرز دمه بالايمان او بالايمان والدار او بالعهد وفي ذلك
انما قطع الحق عن كثير ممن ينهى عن قتلهم اذ ليتضمنهم هذه الاية من نحو نساء اهل الحرب والذراري فلم تجب
الاية عما لم يحرز وما وهم بدار الحرب ولم تجب الكفارة بارتفاع الميثاق وان كنا لا نقتلهم فان كان تاويل
الاية هذه فكان في الاية ايضا على تخصيص القتيل المؤمن من اهل الحرب ان لا دية فيه وعنها كان فيهم الاحا
ان الله لو اراد الجمع بين القتيل لكان تخرج الامر على الابلاغ على ما في الكفارة وما فيها من صفة الايمان
او على الايجاز والتدريج فيها بالمعنى فالذكر في قتل واحد كان قل ذكر في قتيلين ولم يذكر في الواحد دل
على التفريق وايد ذلك امر الصيام انه ذكره والحكم باق على الكل وعلى ذلك تحق الدية معا بين الذي
هو وصفه وان كان تاويل الاية الاولى فاوجب في المعاهد بالمروي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه على الاتفاق في الدين والنهي يفرق بينهما ما كان العهد والاحرار وايد التاويل الثاني في شرط الايمان
في قوله تعالى فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن ولولا ان الذكر يقتضي القتل من العدو ولم يكن يحتاج الى
ذكر المؤمن وقد سبق بيان المقصود في ابتداء الاية في النهي والتفاجيع فاذا لم يذكر في اهل الميثاق فصار
متروكا على ما يقتضيه وايد ذلك الذي هو وصفه ان ذكر النوعين يدل على التفريق اذ ليس على
حق الاقتصار بالمعنى ولا على حق الابلاغ في البيان وجميع الكل يخرج على ذلك اللفظين في حق الحكمة لذلك
صار الى حق التفريق ثم الظاهر قد يضمن الخطاب بامرين احدهما في حق هتك الحرمة والاخر في حق العوض من غير
تفريق في وزن الملفوظ وجاء البيان للواجد وهي دية المؤمن حصر كان البيان في الاية ومعلوم انه لو كان لكان
باخذ الكل الا ان يجيء التفريق على ما ذكر من امر الصيام وحق التوبة وان ذكر الاحاد في حق بيان التضمين
كذلك في الكل الدية على حد واحد مما استوى امر الكفارة فيما له حق البيان التام او بيان الكفاية فعل ذلك الادلة
وايد ذلك وجهان احدهما ان الدية مبلغها كانت في الجاهلية فاقرت على ذلك في الاسلام وكذلك حق القسامة
وكانت كذلك في اهل الكفر عند الامام فعلى ذلك اليوم او يلزم الذي عرضه حتى يظهر ولذلك والله اعلم لم يجر في
امر البيان لانه كان على معروف وايد ذلك جميع الامور المقسمة من نحو الحدود ودين العبيد والاحرار في التفريق
والديات بين الذكور والاناث انه يجب ذلك الانقسام في اهل الكفر فعلى ذلك هذه الجملة والنصف والثلث
خبر ابن عباس رضي الله عنهما في العامريين وعلى ذلك جاء عن عمر وعلي رضي الله عنهما وما روي عن عمر رضي الله
في الوقت الذي بلغت قيمة الابل اربعة الاف وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى ثم الاصل ان البدل لحق
التلف والاسلام والكفر امران يرجعان الى الدين والمذاهب والناس لا يملكون الزيادة والنقصان من

من الابدال لا يمنعهم لانه لانهم جعلت الدية لكن بالشرع فيه يعرف التفريق والجمع فما لم يثبت التفريق والمعنى
في كل نفس من المنافع واليها ما في غيرها لزم الجمع حتى يجيء علم التفريق والاصل ان البدل انه يرجع الى المنافع
نفع المجني عليه مكان ما ذهب منه او بغيره فيما يدخل عليهم من النقصان بفوت نفسه ثم كل امر يجعل
للمنافع فالنظر فيها الى قدر المنافع عندها اهلها واهل الذمة احق بالزيادة لتعجيل المنفعة لهم في الدنيا اذ لا
حظ لهم في الاخرة وقد زعم الشافعي ان العبد لو بيع على انه كافر فوجد مسلما انه عيب يرد فيصير الاسلام
عيبا في قيمته فلا يجيء ان يكون الحر منهم افضل قيمة من الحر منا وهذا الذي ما ذكرت فهذا وان كان القول به
منه شنيعا لا يجوز ان يحتج فهو في موضع التنبيه وقوله يلزمه كقوله سبحانه وتعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا
تعلمون فحاجهم بالذي عند المنبه فمن ذلك الحجاج بالذي عنده ولا قوة الا بالله وقد حاج نبي الالهة بما لا يسمع
ولا يبصر ولا يسمع ولا يبصر وان كان وجود ما انتفى لا يوجب القول به ثم القتل على اقسام ثلاثة عمد وهو بنفسه
الى قسمين احدهما ان يتعمد نفس القتيل والثاني لا يتعمد دينه فيقتل لاجل دينه وخطأ وهو ايضا على قسمين
احدهما ان يقع باحد الجناية غير قصده والثاني ان يقع له على قصده لكن على ظن لو لزمه الذي المستوجب به و بين
الخطأ والعمد قتل اخر سمي خطأ العمد وشبه العمد مما لم يبين حكم في منصوص القرآن ولا هو مما يحتمل معرفة
حقيقته بالعيان لانه ليس في العين جناية تقع من حيث الوقوع الا عن عمد وخطأ ذلك معروفا وحكم بالشرع
والله ان يشرع في حقيقة الخطأ والعمد شرعا واحدا على ما عليه امر شرعه في جميع الامور وقد جاء الخبر فيه
واتفاق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين على ايجاب الدية في ذلك وليس في ذلك ذكر الكفارة فلا تثبت الجناية
بالذي هو خطأ في الحكم فيبقى عليه امر الكفارة مما كان لذلك اوجه تعد واحدها ان في العمد ما هو لنفسه كفارة
وهو القصاص وقد رفع ذلك في شبه العمد والدية فلزم العاقلة فلا بد من وضع كان في ذلك كالذي ذكر في الخطأ
فيه والثاني انه ذكر في الكفارة توبة من الله والتوبة من الله يخرج على اوجه ثلاثة على التوفيق لفعله او على ما كان
من الزلة او على جعل ذلك الفعل منه توبة عن زلة وعلى هذه الوجوه الثلاثة كان نفي ذلك معنى وصف التوبة فكونه
مما قد يتوجه الى عمد يلحق وصف الزلة وامر يجوز الكفارة به فيقع العمد ولعنه اذ قال ليس عليكم جناح فيما اخطأتم
ولكن ما تعمدت قلوبكم فان تجعل ما ذا توبة فهو في وجه فيه جناح فيدخل في ذلك قتل فيه جناح ويكون له حكم
الخطأ بعينه خبرا والثالث اتفاق اهل الفتوى على القول به وايضا ان الذي يقع الخطأ فيه لدينه قصد بعد
قتله واوجب عليه الكفارة فقد وجدت كفارة مع تعمد فيما لا بد لنفسه فاذا كان شبه العمد يجب فيه البدل
فهو لوجوب الكفارة احق فقد وجدت كفارة مع تعمد فيما لا بد لا بد لنفسه واما العمد الذي فيه القصاص
ومنه اوجه ثلاثة احدها ان الله تعالى بين ما فيه من الحق على نحو ما بين في الخطأ وانما يجب طلب العمد بالحكم فيما
لم يبين منصوصا من النوازل ان يعلم ان الله تعالى فيها حكما اذ لم ينص عليه فقد جعله مبينا بالتضمين لا بالتصريح
فاذا بين سقطت الحاجة وبطل الاجتهاد والتعرف به وعلى ذلك يجاب قتل الصيد عمدا ان الحكم فيه لم يثبت بقاء
بالتصريح فهو متروك للتضمين والثاني ان الكفارة في حق الزجر عنه والتكفير لفعله وفي السيف ذلك به
النفس لتقدم بالكفارة فلذلك لم يجب والثالث الاتفاق ان الذي يقتص لا يلزم الكفارة فمن وجب له حكم
العمد لم يجب عليه الكفارة ولو اوجبنا الكفارة على القاتل جعلنا ما حقا لله من حيث النفس لا حيث معنى
في الجناية لم يجب وذلك المعنى في نفس القاتل والقتيل سواء فيكون ولي القتيل احدا الذي له رفع القصاص
لكن له الكفارة فيلزمه فاذا لم يجب بان انها تجب لحال في النفس والجناية فلم يجب فيما عدمت تلك الحالة الا
انها لم تجعل للخطر ولا للنفس الحرمة اذ قد توجد قتل نفس محظورة لم تجعل فيها الكفارة نحو الذراري والنساء
من اهل الشرك بل لو كان لذلك كان الخطأ من ابعد ما يجعل له الكفارة ثبت انها لم تجعل لذلك فبطل والله اعلم
وقوله عز وجل فتحرير رقبة مؤمنة اختلف فيه قال بعضهم لا يجزي الا من صام وصلى وعن ابن عباس قال الرقبة
المؤمنة كل مولود ولد في الاسلام صغيرا كان او كبيرا والاشبه ان يجزي الصغير المؤمنين على ما يجزي عن الكبير
منهم اذ كان حكم الصغير من المؤمنين حكم الكبير منهما ومما يدل على ذلك ايضا ان الحكم الصغير من المؤمنين وميراثه
وتزويجه وطلاق الرجل الزوجة الصغيرة حكم الكبير فهم مؤمنون في الحكم وان كانوا صغارا ولكن لسنا نذكر
روايته منصوصة في جواز القياس ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين وصف الله
سبحانه وتعالى الشهرين بالتتابع ووصف الرقبة بالايمان فهو والله اعلم يحتمل ان يكون على التغليظ والتشديد
لما يجوز ان يجاوز هو حكم الخطأ حرم غيره من الاشياء نحو ان يقتله بعصا او بسوط ونحوه قاصدا ولا شنآن

ان جرمه اعظم من جرم غيره من الافعال التي توجب عتق الايمان والظهار وغيره فغلظ فيه ما لم يغلظ في غيره
بالايمان في الرقبة والتتابع في الصيام وهذا كما يقولون ان الضرب للتعزير اشد من ضرب حد الزنا وحد شرب
الخمر وغيره لان جرم فعل التعزير لما بلغ جرم الزنا وتجاوز وهو ان يجيء اخر مرة او مرتين لا شك انه
اعظم من قذف اخر وشرب قطرة من خمر فغلظ فيه وشدد لما ذكرنا فعل ذلك بشرط الايمان في العتاق
في كفارة القتل والتتابع في الصوم تغليظا وتشديدا للمعنى الذي ذكرنا وهو ان يقتله قبل شبهة العمد
اي عمدا لقصد خطاء الحكم الا ترى انه غلظ في الدية في شبه العمد ولم يغلظ في غيره وروي عن ابن عمر
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قتيل السوط والعصا فيه الدية مغلظة وعن النعمان
ابن بشير رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خطاء الا السيف والحديد ولكل خطاء ارش
ذكر الله تعالى قتل الخطاء والعمد فبين حكمهما ولم يذكر غيرهما في كتابه الكتاب فنا شبه العمد والحكم فيه بما
من خبر ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث النعمان عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال
الا ان قتيل خطاء العمد قتيل السوط والعصا فيه الدية مغلظة ثلثون جزعة وثلثون حقه واربعون
ما بين ثنية الى بازل عامها كلها خلفة واختلفت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين روي عن عمر رضي
الله عنه ما ذكرنا من الخبر المرفوع اثلاثا وعن علي رضي الله عنه قريبا منه اثلاثا وعن ابي موسى الاشعري
والمغيرة ما روينا من الخبر المرفوع اثلاثا وعن ابن مسعود رضي الله عنهما في شبه العمد ارباعا خمسة وعشرين
حقه وخمسة وعشرين بنات لبون وخمسة وعشرين بنات مخاض ثم لا يحتمل ان يكون الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين قالوا ذلك رايا من انفسهم لان هذا باب ما لا يدرك الا بالسمع والخبر عن الله سبحانه
وتعالى فيجعل كانهم جميعا سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت واحد فدل انه في وقتين
مختلفين فهو على التناسخ فلم يظهر الاول منهما من الاخر فاوجب الاخف باليقين ولم يوجب الاغلظ
بالشك وهذا قول ابي حنيفة رحمه الله تعالى حيث قال في شبه العمد بالارباع واما محمد رحمهم الله فانه
ذهب الى ظاهر الخبر المرفوع بالاثلاث ثم اختلف اصحابنا رحمهم الله تعالى فيمن رمى اخر في بحر فغرق فمات
قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يقتل به وقال فيمن اخرق فاحرق بالنار قتل به وكان يفرق بينهما لوجهين احدهما
ان يقول الرامي في الماء حسبانه يحسن ان يسبح وذلك موجود في كثير من الناس فصار ذلك شبهة يزول
بها القصاص عن الرامي واما الذي رمى صاحبه في النار ليس له ان يدعي مثل تلك الشبهة وذلك لم يزل عنه
القصاص والثاني ان النار جارحة الا ترى انها يستعمل في موضع السلاح ويحارب بها وهي من اشد السلاح
ولا كذلك الماء ولذلك ثم القول في مبلغ الدية من الابل وروي ان الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعمرو بن حزم في العقول في النفس مائة من الابل وما روينا من خبر ابن عمر رضي الله عنهما قال
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان قتيل خطاء العمد فيه الدية مغلظة مائة من الابل ثم القول
في اسنان الابل في الدية وما روي عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دية الخطاء اخماس وكذلك
روي عن عبد الله بالاخماس وعن عمر رضي الله عنه وعلي بن ابي طالب في الخطاء ارباعا وكان ابي حنيفة يذهب
الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم والى ما روي عن عمر وعبد الله رضي الله عنهما ويجعل دية الخطاء
اخماسا من الابل وفي شبه العمد لما ذكرنا ومحمد رحمه الله يذهب الى ما روي عن علي رضي الله عنه بالارباع
في الخطاء وفي شبه العمد بالاثلاث بالخبر المرفوع والوجه فيه ما ذكرنا ثم المسئلة في مبلغ الدية من الورق
وروي في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى بالدية اثني عشر الفا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر الفا وروي عن عبيدة السلماني قال وضع عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الديات فوضع على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق عشرة الاف درهم وعلى اهل الابل مائة من
الابل وعلى اهل البقر مائتي بقرة وعلى اهل الشاة الفي شاة وعلى اهل الحلل مائتي حلة ثم روي عن عمر رضي الله عنه
انه قال قوموا الابل فقوموها اوقية ثم غلت الابل فقال قوموا فقومت اوقية ونصفا ثم غلت ثم
حتى قومت عشرة الاف درهم فلو علم عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدراهم لم يحتج
الى ان يقوموا الابل ومحال ان يخفى على عمر وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين سنة النبي صلى الله عليه وسلم
حتى يضطروا الى تقويم الابل فدل ان الخبر في اثني عشر غير ثابت ثم الاختلاف ان الدية من الدنانير الف دينار
فوجب ان يكون الدية من الورق عشرة الاف لانه روي عن عمر رضي الله عنه انه جعل قيمة كل دينار عشرة وروي

انه كتب الى امراء الاجناد ان تاخذ الجزية من اهل الورق اربعون درهما ومن اهل الذهب اربعة دنانير وعن علي رضي
الله عنه انه قال لا تقطع اليد الا في دينار او عشرة دراهم دل ما ذكرنا من قول الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
ان قيمة كل دينار عشرة دراهم فلما اجمعوا في ان الدية من الذهب الف دينار وجب ان يكون من الورق عشرة الاف
الا ترى انه يؤخذ في الزكوة من مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين دينارا نصف دينار دل على ان الدينار عشرة
الاف ثم يحتمل الخبران ثبت ان الدية اثني عشر الفا وزن ستة لان الدية كان اصلها الابل دراهم فجعلت اثني عشر
الفا من وزن ستة ثم ردت الى وزن سبعة فكانت اثني عشر الفا وكسر وزن سبعة الفا الكسر لان
القيم لا تعرف منصوصا وانما تعرف بالاجتهاد وقد تزداد وتنقص وتكون بين القيمتين التي اليسير تركوا ذلك
الكسر لما وصفنا ولانه لم يكن في الدية في اصلها كسر وهذا وجه يحتمل فاخذ اصحابنا رحمهم الله باخر التقدير
لان الاوزان استقرت على وزن سبعة وبطل وزن ستة وبطل على وزن ستة ولا شك ان وزن سبعة هي
هي الاخرة لاستقرارها في الناس على ذلك وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
قد ذكرنا معنى التتابع في ذلك ومن قوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين عند الجميع من ذكر من الغايتين
في هذه الاية ثم قوله تعالى توبة من الله قال بعض اهل ندامة من الله تعالى قد يندم الرجل على ما يفعله خطاء
لكن عندنا على حقيقة التوبة لان الفعل فعل ماثم وان كان خطاء ولانه يجوز ان يكلف الانسان وينهى في حال
الخطاء مما لا يتامل في ذلك ولا ينظر لانه يترك التامل في ذلك والنظر فيكون التوبة على الحقيقة هو الندامة
على الامر وكل من يتولد من فعل قتل احد فهو يندم على ذلك الفعل الذي حدث منه ذكر ويحزن عليه فيكون على هذا
التقدير معنى التوبة من الله القاء ذلك الحزن في قلبه او رجوعه بالتاسف الى الله بالاعتاق والصيام والله اعلم
وقوله عز وجل وكان الله عليما حكيما لمن قتله خطاء ولم يقصد ومن قصده او عليما بما حكم عليكم من الدية والكفارة
او عليما باجل الحكم حكيما في قضائه وحكم حيث وضع كل شيء موضعه والله اعلم به وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما
يخرج ذلك عند ذكر هذه الاية وهو كذلك نذاته على اوجه احدها انه عليم بالذي عليه خرج حقيقة فعل ذلك
القاتل من القصد وغير القصد وهو حكيم بما حكم علينا الذي ذكر سائر احوال القتيل وان لم يعرف حقيقة الامر
في ذلك ان الذي له حكم العمد والخطاء لا يظهر لغيره والثاني وكان الله لم يزل عليما بالذي يكون من عباده في
وبالذي المصالح بينهم فاحكم بما فيه المصالح فيما علم من وقوع الجنايات والثاني تبين انه لا عن جهل يقع الخلق
الامر ولما لم يرض به من خلقه ولا عن خطاء في التدبير اي عليم بالذي يكون من الخلق لا عن جهل بهم خرج
امرهم وحكيم في التدبير اي لا يلحقه الخطاء في تدبير الخلائق على ما يكون منهم من الفساد والشر اذ مثله من يخرج
بعلم الخطاء والجهل لما في ذلك ضرر يقع به والله تعالى عن هذا **وقوله** عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها الاية قيل في بعض القصة ان رجلا قتل اخر عمدا فلما علم انه يقتل به ارتد عن الاسلام ولحق
بدار الحرب فنزل الوعيد وهذا والله اعلم كقوله تعالى والذين يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون كانوا
يمنعون الزكوة لما كان عندهم ان الزكوة تنقص المال فجحدوا بها راسا كقوله لم نك من المصلين ولم نك نطعم
المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين فتركوا الصلوة والزكوة لما لحقهم بذلك مؤنة الاشتغال
تشغلهم ذلك كله عن تهوي انفسهم فانكروا راسا لانهم ان صلوا وادوا الزكوة ذلك صلوة وزكوة الا اذا كانوا
يكذبون بيوم الدين فمثل ذلك قاتل المسلم عمدا اذا علم انه مقتول به ترك دينه فصار من اهل النار وخلدوا
خلدا فيها ويحتمل قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا لدينه فقتله عمدا غير غالط فيه ولا جاهل عالم بذلك ولي
قتله لدينه قاصدا وكان هذه صفته فقد كفر ووجب له هذا الوعيد الذي ذكره في كتابه الكريم الان
يجدد ايمانا فان الله تعالى يقبل ايمانه وتوبته والثالث ان يكون ذلك وله الا فضال عليه بالعفو والمجاوزة
اذ ذلك جزاؤه ان لم يكن له حسنات كقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ثم الدليل ان الاية
فيمن قتل مسلما لدينه قاصدا لنفسه دون دينه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في
القتلى وانما كتب عليهم اذا كان القتل قتل عمد وابقى لهم بعد القتل اسم الايمان ثم قال فمن عفي له من
اخيه شيء فابقى لهم اسم الاخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة اطمعه في رحمته عز وجل وبعيد
ان يكون له مع هذا الخلود في النار فدلت الاية على بقاء اسم الايمان وعلى رجاء الرحمة وهما معنيان قوله
ينقضان قول المعتزلة حيث خلدوا الكبيرة في النار ولانه تعالى قال فجزاؤه جهنم خالدا فيها ولم يقل يجزيه
وله ان ينقصها العفو عنه على ما وصفنا وبالله التوفيق والنجاة وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في

في تاويل الاية ما يؤيد ما قلنا وروي انه قال في قوله سبحانه وتعالى وجزاؤه جهنم الاية قال هي جزاؤه ان شاء عذبه و
ان شاء غفر له وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم
رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال اني قتلت تسعة وتسعين
نفسا بغير حق فهل لي من توبة فقال لا فقتله ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فاتاه فقال له
اني قتلت مائة نفس بغير حق فهل لي من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض
كذا وكذا فان بها ناسا يعبدون الله فاعبده معهم فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصم فيه
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاتاهم ملك فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان
ادنى واقرب فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة الا يرى انه كان قاتل
مائة نفس فقبلت توبته ولو كان مسلما كانت مظالم المقتولين في عنقه باقية فهذا الحديث يدل والله اعلم
على ان التاويل ما ذكرنا وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الاية قيل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى دار الحرب فسمعوا سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم
فهربوا وقام رجل لاسلامه فلما رأى الخيل خاف ان يكونوا من العدو من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالجأ غنمه لبده ثم قام دونها فسمع التكبير فهبط اليهم وهو يقول لا اله الا الله فاتاه رجل من هؤلاء فقتله واستاق
غنمه وما معه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه
ارادة ما معه وهو يقول لا اله الا الله فقالوا انه قال متعوذا فقال هلا شققتم قلبه وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان رسول الله بعث سرية فلقيهم رجل فسلم عليهم وحياهم بتحية الاسلام فحمل عليه رجل من السرية
فقتله فلامه اصحابه وقالوا اقتلت رجلا حيانا بتحية الاسلام فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبروه بالذي صنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلته بعد ما قال انما قالها تعوذا قال فهلا شققت عن قلبه
فعلم ذلك فنزله قوله يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا
ولا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه الامر بالتثبت عند الشبهة والنهي عن الاقدام عندها وهكذا الواجب
على المؤمن الوقف عند اعتراض الشبهة في كل فعل وكل خبر لان الله تعالى امر بالتثبت في الافعال بقوله فتبينوا
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا وقال في الخبر ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا امر بالتثبت في الاخبار عند
الشبهة كما امر في الافعال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقف ما ليس لك به علم وفي الاية دليل فساد قول المعتزلة لانه
نهاهم ان يقولوا لمن قال اني مسلم لست مؤمنا وهم يقولون صاحب الكبيرة ليس بمؤمن وهو يقول الفرقة على المثل
اني مسلم فاذا نهاهم ان يقولوا ليس بمؤمن امرهم ان يقولوا هو مؤمن فيقال لهم انتم اعلم ام الله على ما قيل لا ولئك
وقوله عز وجل يبتغون عرض الحيوة الدنيا قيل الغنيمة فعند الله مغانم كثيرة هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله فعند الله
مغانم كثيرة اي اجر عظيم وجزاء كثير ويحتمل فعند الله مغانم كثيرة يجعلها لكم في غير هذا كقوله تعالى وعدكم الله مغانم
كثيرة تاخذونها الاية **وقوله** عز وجل كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم الاية اختلف فيه قيل كذلك كنتم من قبل
ضلالا كفارا فمن الله عليكم بالاسلام والهجرة وهداكم به وقيل كذلك كنتم من قبل تخفون ايمانكم في المشركين و تكتمونه
فمن الله عليكم باظهار الاسلام وابدائه وقيل كذلك من قبل تامنون في قومكم من المؤمنين بلا اله الا الله ولا
تخيفوا من قالها فمن الله عليكم بالهجرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كذلك كنتم من قبل كفارا تقاتلون
على الدنيا وعرضها وقوله تعالى فتبينوا عاد الى الاول وامر بالتثبت عند الشبهة الا ترى انه روي في الخبر انه قال
المؤمن وقاف وثاب وقاف يقف عند الشبهة ووزان يزن الاعمال فيختار افضلها **وقوله** عز وجل لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم قال الحسن كان هذا في
الوقت الذي كان الجهاد تطوعا لانه لو كان فرضا لكان لا معنى لقوله تعالى لا يستوي كذا من كذا وهما غير مستويين
احدهما فرض عليه والاخر لا فيل له وهو الذي ذكرت لا يدل على ان الجهاد ليس بفرض في ذلك الوقت الا ترى انه
قال افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم جمع بين المتضادين ثم قال لا يستوي فعلى ذلك وهو اولى **وقوله** عز وجل
غير اولي الضرر استثنى اهل الضرر بجملة في هذه الاية وبين امرهم وما ذا لهم من فرض الجهاد في اية اخرى وهو
قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على المريض حرج وقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وهذا مما
عليه اهل العلم واذا لوا الحرج عمن كان في مثل هؤلاء الذين وصفهم الله وعذرهم في تخلفهم عن الجهاد وعن ابن

عباس رضي الله عنهما قال لما ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين على القاعدين رغبهم في الجهاد بقوله لا يستوي القاعدون
من المؤمنين الاية اتاه عبد الله بن ام مكتوم الاعمى فقال يا رسول الله ذكر الله فضيلة المجاهدين على القاعدين وحالنا
ما نرى ونحن نشتهي الجهاد فنزل غير اولي الضرر فجعل لهم من الاجر ما للمجاهدين لزمانتهم وعلى ذلك اكثر اهل
التفسير وقال الكسائي الضرر مصدر المضرور والمضرور ذو الضرر كالاعمى يقال ضرير بصره فهو ضرير ومضرور واذا الحي
وقوله عز وجل وكلا وعد الله الحسنى القاعد والمجاهد وفضل المجاهدين والقاعدين اجرا عظيما قيل هذا
الفضل للمجاهد على القاعد الذي قعد لا للعذر جعله الاجر العظيم **وقوله** عز وجل وفضل المجاهدين على القاعدين
درجة على القاعد الذي قعد بعذر لانه جعل فضيلة عليه بدرجة وفي الثاني جعل فضيلة عليه بدرجات لكن
قوله درجة ودرجات عندنا واحد الا ترى انه تعالى قال وللرجال عليهن درجة ليس هو شيء واحد ولكن اشياء
والذي قعد لعذر يستوي في الاجر مع الذي خرج اذا كان يتمنى ان يخرج ان قدر لانه لو لم يكن كذلك لكان لا معنى
للاستثناء وفي الاية دلالة ان فرض الجهاد فرض كفاية يسقط عن الباقين بقيام بعضهم وان كان الخطاب جمعهم في
ذلك وهو قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وفرض الخروج لطلب العلم فرض كفاية اذا خرج بعضهم لطلبه يسقط عن الباقين فعلى ذلك فرض الجهاد وان
ذلك بخلاف ما عاب الله عليه الثلاث الذين خلفوا في سورة براءة لان اولئك تخلفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قال الله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا
بانفسهم عن نفسه فانما عاب اولئك لتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** تعالى ان الذين توفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت الاية في قوم من المنافقين خرجوا من المشركين
الى بدر فلما التقى المسلمون والمشركون ابصروا قلة المسلمين وهم مع المشركين على المؤمنين فقالوا غر هؤلاء دينهم
واظهروا النفاق فقتلوا ادبارهم فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم فقالت لهم الملائكة فيم كنتم قالوا
كنا مستضعفين في الارض وقيل انها نزلت في نفر اسلموا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقاموا عن
الهجرة وخرجوا مع المشركين الى القتال فلما راوا قلة المؤمنين شكوا في النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا غر هؤلاء دينهم
فقتلوا فقالت الملائكة فيم كنتم قالوا كذا وقيل نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانت الهجرة يومئذ
مفترضة فكفروا بترك الهجرة وهو كقوله الذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
فلا ندري كيف كانت القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة بعد ان نعرف ما اصابهم مما اصابهم **وقوله**
عز وجل قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين يحتمل وجوها احدها مع من كنتم مع محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه او مع اعدائهم والثاني فيم كنتم اي في دين من كنتم في دين محمد صلى الله عليه وسلم او في دين اعدائه و
الثالث قالوا يعني يقولون اي يقولون لهم في الاخرة فيم كنتم قالوا كنا كذا وقولهم كنا مستضعفين في
الارض هذا ليس جوابا لقوله فيم كنتم جوابه ان يقال كنا في كذا ولكنه كانه على الاضمار قالوا لهم ما الذي
منعكم عن الخروج والهجرة الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا عند ذلك كنا مستضعفين في الارض اعتذروا ان
كانوا مستضعفين في الارض وظاهر هذا ان منعنا عن الخروج الى الهجرة وحال المشركون بيننا وبين اظهار
الاسلام فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني المدينة واسعة امنة لكم من العداوة تخرجوا
اليها فتنقلبوا بين اظهرهم والله اعلم كانهم اعتذروا في التخلف عن ذلك لما كانوا ينقلبون بين اظهر الكفرة و
يتعيشون فيهم فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فتقطعوا عليهم وتجعلوا وجها اخر وهو انهم منعوكم
عن الاسلام ظاهرا وحال بينكم وبين اظهاره الستم تقدرون على اديان الاسلام سرا لا يعلمونه بذلك فاولئك
ماواهم جهنم وساءت مصيرا اخبر ان لا عذر لهم في ذلك وفي قوله تعالى فيم كنتم دلالة احياء الموتى في القبر
والسؤال فيه عما عملوا في الدنيا والله اعلم **وقوله** عز وجل الا المستضعفين من النساء والرجال والولدان
الاية بين الله تعالى اهل العذر في ذلك حيث قال لا يستطيعون ولا يهتدون سبيلا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
كنت انا وامي من المستضعفين فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وعسى من الله واجب كانه يقول فاولئك يعفو الله
عنهم **وقوله** عز وجل ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قيل المراغم المذهب والمتحول و سعة
في الرزق اي يجد في الارض التي هم فيها ما ذكر وقيل المراغم المتزحزح اي يجد من متزحزح عما يكره وتراغما وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال المراغم التحول من ارض الى ارض والسعة في الرزق وقيل من الضلالة الى الهدى
ومن العيلة الى الغنى وقيل المراغم المهرب وقيل لما نزلت هذه الاية سمعها رجل وهو شيخ كبير وقيل انه مريض فقال

والله ما انا ممن استثنى الله وانى لا اجد حيلة والله لا ابيت الليلة بمكة فخرجوا به يحملونه حتى اتوا التنعيم فادركه
الموت بها فصفق يمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك
ومات فنزل فيه ومن يخرج مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله اى وجب اجره وقيل انه
لما سمع الرجل ان الملائكة ضربت وجوه اولئك وادبارهم وقد ادنف للموت فقال اخرجونى فاحتمل بينه وبين البيت
انتهى الى عقبة توفى بها فانزل الله هذه الاية والله اعلم بذلك فى قوله الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان دلالة ان اسلام الولدان اذا عقلوا الاسلام اسلام وكفرهم كفر لانه تعالى عز وجل استثناهم وعذرهم
فى ترك الهجرة فلو لم يكن اسلامهم اسلاما ولا كفرهم كفرا فكان مقامهم هنالك وخروجهم منها سواء ولا معنى
للاستثناء فى ذلك اذا لم يكن عليهم خروج والله اعلم وقوله عز وجل واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان
تقصروا من الصلوة ان خفتم الاية اباح الله تعالى القصر من الصلوة اذا ضرب فى الارض اذا خاف ان يفتنه الكفار
ولم يبين القصر فيما ذا فيحتمل القصر قصرا من الركعات على ما قال اصحابنا رحمهم الله تعالى ويحتمل القصر
قصر الاعتدال وذلك ايضا مباح عند الخوف ثم تاول قوم ان الصلوة كانت ركعتين فزيدت فى صلوة الحضر واقرت
فى صلوة السفر وخص فى القصر من ركعتى السفر فى حال الخوف وقالوا صلوة الخوف ركعة وروى عن ابن عباس رضى
الله عنهما قال فرض الله تعالى صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم و
كذلك روى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال صلوة الخوف راكعة ركعة وقال اخرون انما رخص الله تعالى
فى قصر الصلوة من اربع اذا كان الخوف فردها الى ركعتين رخصة وقالوا ثم ان رسول الله اعلمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يتصدق علينا ان نقصر فى حال الامن فثبت بالسنة ان القصر فى غير الخوف جائز كما
اجازه الله فى حال الخوف والقصر فى قول هؤلاء ان يرد الاربع الى ركعتين والقصر فى قول الاولين ان يرد الركعتان
فى حال الخوف الى ركعة وقال غيرهم القصر انما كان فى حال الخوف كما قال الله تعالى فاما الان كان المسافر اذا صلى
ركعتين فليس ذلك بقصر ولكنه اتمام بقول عمر رضى الله عنه حيث قال صلوة ركعتان تمام غير قصر على لسان
نبيكم وروى ان رجلا سال عمر رضى الله عنه عن قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا قال وقد امن الناس اليوم فقال عمر رضى الله عنه عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال صدقة تصدق الله تعالى بها عليكم فاقبلوا صدقته فيحتمل ان يكون قوله صلوة السفر ركعتان
تمام غير قصر على لسان نبيكم وروى ان رجلا سال عمر رضى الله عنه عن قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا قال وقد امن الناس من اليوم فقال عمر رضى الله عنه عجبت
منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله تعالى بها عليكم فاقبلوا صدقته فيحتمل
ان يكون قوله صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر يريد به ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قال صدقة تصدق
الله تعالى بها عليكم صار الفرض ركعتين وارتفع القصر وصارت الركعتان تماما غير قصر اذ كانتا هما الفرض
بعد الصدقة التى تصدق بها الله علينا فكل واحد من الخبرين موافق لصاحبه اعنى خبر عمر رضى الله عنه
مما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يسافر من المدينة الى مكة لا يخاف الا الله
صلى ركعتين وهذا يؤيد حديث عمر رضى الله عنه صدقة تصدق بها الله تعالى عليكم لان النبى صلى الله عليه وسلم
كان لا يصلى هو من ركعتين مع شرط الله الخوف الا وقد رفع الله شرط الخوف عن المسافر وقال قوم ان القصر
فى السفر والحضر هو الاتمام واحتجوا بقول الله سبحانه وتعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة قال فرفع الحرج
عن المقصر ولو كان التقصير حتما لكان قال وعليكم جناح ان لا تقصروا من الصلوة لكن الامر ليس كما توهموا وذلك انا قد
ذكرنا ان النص فى القصر انما جاء فى حال الخوف واما حال الامن فلا نص فيما يوجب القصر من الصلوة فى حال الامن
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق عليكم وتفسيره فى سفر ومحال ان يتصدق الله الركعتين علينا ونقول
انا بل فرض قائم فاين موضع الصدقة اذ لو كان الامر على ما ذكروه وهذا عندنا معنى قول عمر رضى الله عنه ان صلوة
السفر ركعتان تماما اذا كانتا فرض المسافر وما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر اسفارا كثيرة فلم يرو
عنه احد انه اتم الصلوة فى شئ من الاحوال فى سفره وكل روى انه عليه الصلوة والسلام فى شئ من الاحوال
فى سفره وكل روى انه عليه الصلوة والسلام كان يصلى ركعتين فلو كانت الفريضة اربعا والقصر رخصة
لاتم فى وقت كما ترى الافطار فى السفر لما كان رخصة غير حتم افطر النبى صلى الله عليه وسلم فى اوقات وصام فى اوقات
فدل ذلك ان فرض المسافر ركعتان غير قصر وروى عن ابن عمر رضى الله عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم بمنى ركعتين ومع ابى بكر الصديق رضى الله عنه ركعتين ومع عمر رضى الله عنه ركعتين ومع عثمان رضى الله
عنه صدرا من خلافته ثم صلى اربعا وما صلى اربعا يحتمل ان يكون عزم على المقام وكذلك روى عن الزهرى قال
بلغنى انه قال انما صلى اربعا لانه ازمع ان يقيم بعد الحج وعن عمران بن حصين قال حججت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان يصلى ركعتين حتى يرجع الى المدينة واقام بمكة ثمانى عشرة ايام لا يصلى الا ركعتين فقال لاهل مكة
صلوا اربعا فانا قوم سفر وخالف بعض اهل العلم هذا الحديث لانهم يقولون اذا اقام ببلد فى غير حرب ربعا
يتم بعد ذلك وان لم يكن عزم على المقام بذلك البلد وروى عن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال الصلوة المسافر ركعتان حتى يؤوب الى اهله او يموت وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه سئل عن الصلوة
فى السفر فقال ركعتان ركعتان من خالف السنة كفر واستدل قوم بقوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة ان القصر رخصة والفضل فى اتمام الصلوة اذ لا جناح يستعمل فى موضع التخفيف
لا فى موضع الامر على نحو الصيام بقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذا حرف لا يستعمل فى
موضع الامر والايجاب والله اعلم وسلم قوم لهم هذا المعنى فى الاية وردوا القصر الى قصر الخوف يلحق عند الضرب
فى الارض واما كان على وجهين احدهما فى بيان المراد فى قوله فان خفتم فرجالا او ركبانا انه ليس على تمام المعروف
من الصلوة لكن على القصر على الحد الذى ينتهى اليه الخوف من امر القبلة او ترك القيام والركوع والسجود الى
الايماء والقعود والله اعلم والثانى ما فى قوله واذا كنت فيهم الاية وانما يذكر ذلك فى احوال لهم الانفراد
عنه وهو احوال السفر ومعلوم ان ذلك فى حق قصر الاقتداء فقال لا جناح عليكم بالاقتداء به وان قصر بكم
فى الاقتداء عن تمام حقه من الجماعة وكذلك اصاب لكل افضل فبين ان نقاع ذلك لا يمنعكم الاقتداء ولا يلزم
نصب امام لتؤدوا جميع الصلوة فى الجماعة واند الوجهين قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى قوله
تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون وصلوة السفر على ما عليه ليس للخوف وابد ذلك ما التبس على عمر رضى الله
عنه حتى سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته يعنى
حكم الله عليكم فى ان لم يفرض عليكم فى السفر غير ركعتين وكذا جميع المذكور عن الله من العفو فهو بالايجاب
وابد ذلك ما كان يقول عمر رضى الله عنه بعد ذلك صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم فعلم
ان ذلك ليس فى حق الاية لكن فى ابتداء الشرع وعلى ذلك المروى بان الصلوة كانت فى الاصل ركعتين فزيدت فى
الحضر واقرت فى السفر والى هذين التاويلين يتوجه قول اصحابنا رحمهم الله تعالى ويحتمل الاية قصر السفر
ثم قوله ليس عليكم جناح يرجع الى وجهين احدهما الى ترك الركعتين وان لم يتم السفر بعد الخروج له وليس
كسائر الاعذار نحو الحيض اذ لم يتم انه يلزم اعادة المتروك والاغماء ونحو ذلك وامر الصوم فى السفر بعد الخروج له
وليس كسائر الاعراض اذا ترك انه يعاد والثانى ليس عليكم جناح فى السفر وان كان ذلك اختيارا منكم
لترك صلوة الحضر وليس عليكم ما على المقيم من الجناح لو لم يتم فاذا رجع الجناح الى ذلك بقى الامر بالقصر وان
خرج مخرج الخبر اذ قد يكون خبرا فى المخرج امرا فى الحقيقة نحو قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون الاية وذلك
قوله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف بهما انه لما صار لا جناح راجعا الى ما كان ثم الاصنام او الفعل بقى حق الامر
بالطواف وان كان فى مخرج الخبر وصار من اللوازم دليل ذلك الامر المتوارث فى الامة والظاهر من فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى الاسفار ولا يحتمل ان يكون فضيلة تضييع فى الحج والله اعلم وقوله عز وجل واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلوة الاية اختلف اهل العلم فى صلوة الخوف قال بعض اهل العلم يجعل الامام القوم طائفتين
فيصلى بالطائفة ركعة فتقوم الطائفة الاخرى مصاف العدو فاذا صلى بهم ركعة فيقومون ويصلون الركعة الثانية
وحدانا ثم ينصرفون ويقومون بازاء العدو وترجع الطائفة التى كانت مصاف العدو فيصلى بهم الامام فيقومون
ويقضون الركعة الاولى وحدانا ويقولون لانه ليس فى الاية اتيان الطائفة الاولى وعودها الى الامام كذلك
لا يفعل وقالوا ايضا بان القيام بعد الفراغ من الصلوة مصاف العدو اطوع وارجى من القيام فى غير الغلق
واما اصحابنا رحمهم الله تعالى فانهم ذهبوا الى ما روى عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلوة الخوف فصلى باحد الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهوا العدو ثم انصرفوا وقاموا فى
مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم النبى صلى الله عليه وسلم ثم سلم النبى عليه السلام ثم قضى
هؤلاء ركعة وعن عبد الله قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف فقاموا صفين فقام
صف خلف النبى صلى الله عليه وسلم وصف مستقبل العدو وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصف الذى يلونه

ركعة ثم قاموا فذهبوا وقاموا مقام اولئك واستقبلوا هولاء العدو وجاء اولئك فقاموا مقام هولاء
فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم سلم فقاموا يصلون لانفسهم ركعة ركعة ثم سلموا وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
نحو ذلك فاتفق على هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم هولاء الجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وحذيفة رضي الله عنهم كلهم يقولون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلى باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم صلى بالطائفة الاخرى
ركعة وان واحدا منهم لم يقض بقية صلوته حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلوته كلها فقضى المؤتمون ما بقي عليهم
من صلوتهم وهذا اشبه لما عليه المسلمون جميعا فيما سبقهم الامام لا يقضون حتى يفرغ الامام من صلوته ثم
ثم يقضون ما فاتهم والاخبار التي جاءت بخلاف ذلك يحتمل ان يكون في الوقت الذي كانوا يقضون الفائتة قبل فراغ
الامام من صلوته ثم نسخ ذلك بما تواترت الامة القضاء بعد الفراغ والله اعلم وقوله عز وجل وليأخذوا اسلحتهم
اختلف فيه قيل هم الطائفة التي بازاء العدو ياخذون السلاح ليكون اهيب للحرب والقتال وقيل هم الطائفة
الذين يصلون ياخذون السلاح حتى اذا استقبلهم العدو والحرب يقدرون على ذلك وقيل اذا وقع بينهم
الحرب فلهم تاخير الصلوة الى وقت انقطاع الحرب بينهم وقال الحسن يصلي الامام بكل طائفة تمام الصلوة لانه
ذكر في الخبر انه كان يصلي بكل طائفة سجدة والسجدة هي اسم التمام وهذا جائز في اللغة لكن عندنا ما ذكر من
الاخبار عن الصحابة عن عمر وابن عباس وغيره رضوان الله تعالى عليهم اجمعين حيث قالوا صلوة السفر ركعتان وصلوة
الفطر والاضحى ركعتان وصلوة الخوف ركعة تمام غير قصر وما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالصف
الاول ولم يسجد معه الصف الثاني فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من السجدتين سجدهما
اهل الصف الثاني فهذا يدل على ان الامر ما وصفنا واذا كان العدو مواجهة القبلة فالامام بالخيار ان شاء
جعل القوم صفين صف امامه بازاء العدو ومعه يصلي بهم هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
فعل بالمسلمين روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم والعدو في القبلة
فصلى طائفة ركعة وجاءت الاخرى فصلى بهم اخرى وان شاء جعل القوم كلهم صفين فصلى بهم فاذا انتهوا
الى السجود سجد الصف الاول والصف الثاني يحرس العدو فلما فرغ هولاء سجد الاخرون ثم كذلك يفعل
في الثانية وهذا ايضا روي انه عليه السلام فعلهما جميعا وقوله عز وجل وليكونوا من ورائكم اي ليكونوا مستقبلي
العدو ويحرسونهم من العدو وقوله عز وجل وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يحتمل قوله تعالى حذرهم اي ياخذوا
ما يستترون به ويحرسون العدو من نحو الترس والدرع ونحوه وقوله عز وجل واسلحتهم ما يقابل به من
السلاح فيحارب ويحتمل ما يحصن به من نحو الحبال وغيره وفيه الامر بتعليم اداب الحرب
والقتال واخذ الاهبة للاعداء ودون ان يكلوا الامر الى ذلك ولكن يكلون الامر الى ما وعد الله لهم
من النصر بقوله تعالى وما النصر الا من عند الله وبقوله وعد واحد ركم وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل وقوله فانفروا ثبات او انفروا جميعا وغيره من الايات فيها الدلالة على تعلم اداب
الحرب واخذ الاهبة فيه حيث امرهم عز وجل بمجاهدة العدو في غير اي من القران وقوله عز وجل ود الذين
لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم الاية هذا يعلم بالطبع ان كل احد يطلب الفرصة على عدوه والغفلة منه
هذا معروف في طباع الخلق وقوله عز وجل عن اسلحتكم ما يحارب به ويقاتل وقوله عز وجل وامتعتكم يحتمل
امتعتكم ما يحرس به العدو ويستتر به منه اي يطلبون الغفلة عن الاسلحة والامتعة ويحتمل الامتعة ان
يريد بها غيرها من الثياب وغيرها وقوله عز وجل ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان
تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم في الاية دلالة ان الله تعالى لم يرد بقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
بذلها للقتل حيث رخص لهم وضع الاسلحة واخذ الحذر عند ما بلوا بالمطر والمرض لانه لو كان المراد شراء الانفس
منهم بذلها للقتل لكان لا يرفع ذلك عند ما يخافون على انفسهم من الهلاك لان المرض وخوف الهلاك لا يرفع
ذلك في الاحوال كلها اذا كان الامر بذلك امرا بالقتل والهلاك الا ترى ان من وجب عليه الرجم لم يرفع عنه
بالمرض الرجم لان في الرجم هلاكه فلما رفع عنهم القتال في حال المرض او في الحال التي يخاف الهلاك دل انه لم يرد
شراء الانفس بذلها للقتل ولكن والله اعلم اراد اظهار دين الله ونصر اهل دينه الا ترى انه قال في اثره
فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما جعل الثواب والاجر عند الغلبة على عدوه مثل ما جعل عند القتل ولو كان

الامر

بذلك امرا بالقتل خاصة لا يستوجب الاجر والثواب بغيره دل انه ما ذكرنا الا ترى انه قال ويقتلون وعدا عليه حقا
جعل الوعد للقاتل ما جعل للمقتول هذا كله يدل ان الامر بذلك ليس على القتل وقوله عز وجل وخذوا حذركم
قد ذكرنا ان الامر باخذ الحذر يحتمل وجهين احدهما فيه الامر بتعليم اداب الحرب واسباب القتال وان لا يكلوا الامر
الى ذلك خاصة لكن الى ما وعد لهم من النصر والظفر على عدوهم بعد اخذ الاهبة الا ترى انه قال واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة الاية وقال تعالى وليأخذوا اسلحتهم الاية والثاني يحتمل ان يامرهم باخذ ما يدفعون به سلاح
العدو عن انفسهم ويتقون به من الترس والدرع والبنيان والله اعلم وقوله عز وجل ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا اي اعد لهم من العذاب ما يهانون فيه نصروا او غلبوا واعد لكم من الثواب ما تشرفون وتعززون به
نصرتم او غلبتم فما لكم لا تقاتلون وقوله عز وجل فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فيه يحتمل وجهين يحتمل اذا قضيتم الصلوة اي اذا فرغتم منها فاذكروا الله على كل حال تستعينون به
بالنصر على عدوكم كقوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا امر بالثبات عند لقاء العدو وذكر
الله استعانة منه على عدوهم فعلى ذلك يحتمل ان يكون معناه اذا اردتم ان تقضوا الصلوة فاذكروا الله كثيرا
في اي حال كنتم في حال القيام والركوع والسجود كقوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة معناه والله اعلم
اذا كنت فيهم فاردت ان تقيم لهم الصلوة فافعل كذا على ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل فاذا اطمأننتم
فاقيموا الصلوة هذا والله اعلم مقابل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
ان خفتم الاية وقد ذكر ان القصر يحتمل وجوها يحتمل القصر للضرب في الارض وهو القصر في عدد الركعات
ويحتمل القصر للمرض والخوف فهو قصر الايماء ونحن ناخذ بذلك كله على اختلاف الاحوال فعلى ذلك قوله فاذا اطمأننتم
يحتمل الوجوه التي ذكرنا اي اذا اطمأننتم صرتم اصحاء فصلوا كذا صلوة الاصحاء ويحتمل فاذا اطمأننتم امنتم من الخوف
فصلوا كذا ويحتمل ايضا فاذا اطمأننتم اذا رجعتم واقمتم فصلوا صلوة المقيمين اربعا فهذا والله اعلم على ما ذكرنا
مقابل قوله واذا ضربتم في الارض الاية وقوله عز وجل ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي لها وقت
كوقت الحج وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقيل كتابا موقوتا محدودا ونحن نقول بهذا كله انها مفروضة
موقتة محدودة على ما قيل والله اعلم والله والاية ترد على من يقول ان على الكافر الصلوة لانه اخبر انها كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا وهم يقولون على الكافرين والمؤمنين لكنها كتبت على المؤمنين فعلا وعلى
الكافرين قبولا والله اعلم معنى قوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي لم تزل هي كانت كتابا
موقوتا الا على الامم السالفة لان هذه الامة خصت بها كقول ابرهيم عليه الصلوة والسلام رب
اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وكقول عيسى عليه السلام واوصاني بالصلوة والزكوة وكقول موسى
عليه السلام واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة ويحتمل قوله تعالى كانت اي صارت على المؤمنين كتابا
موقوتا بعد ان لم يكن وكل ذلك يحتمل ولكن لا نشهد على الله انه اراد كذا وكذلك في قوله تعالى واذا ضربتم
في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة وقوله تعالى فاذا اطمأننتم يتناول فيه ويعمل بالوجوه
كلها على اختلاف الاحوال لاحتماله التي ذكرنا فلا نقطع القول فيه ولا نشهد على الله انه اراد كذا وهكذا
السبيل في جميع المجتهدات ان نعمل بها ولا نشهد على الله انه اراد ذا او امر بذا وبالله التوفيق ذكر الله تعالى
فرض الصلوة ووجوبها في غير موضع من كتابه منها الاية التي ذكرناها ومنها قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة وقوله تعالى فان تابوا واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ولم تدل هذه الاية على كيفية الصلوة وعددها انما دلت على وجوبها
ولزوم فرضها ودلت ايات اخر على عددها وحملوا اوقاتها قال الله سبحانه وتعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس
الى غسق الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا فهذه ثلثة اوقات ذكر الله تعالى فهي ثلث صلوات
روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهم قال سألته عن قول الله سبحانه وتعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس
قال اذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلوة الظهر الى غسق الليل قال بدء صلوة المغرب وعن ابن عمر رضي
الله عنه قال لدلوك الشمس قال لدلوكها زوالها بعد نصف النهار وهو وقت الظهر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال دلوكها زوالها وقد روي عن ابن مسعود وابن عباس قال لدلوك الشمس غروبها فان
اثبت التاويلين كان الدلوك الشمس فقد اوجب فيه صلوة وصلوة عند غسق الليل وصلوة عند الفجر فهذه ثلث
صلوات قال الله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل فاحد طرفي النهار يجب فيه صلوة الفجر و

وقد ذكر في هذه الآية الطرف الآخر قبل غروب الشمس فهذه رابعة وهي العصر وروي عن الحسن رضي
الله عنه ان الصلوات الخمس مجموعة في هذه الآية أقم الصلوة طرفي النهار قال صلوة الفجر والطرف الآخر الظهر
والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء فأي التأويلين كان فان صلوة العصر مذكورة في هذه الآية
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جمعت هذه الآية مواقيت الصلوة فسبحان الله حين تمسون المغرب و
العشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا فسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قال الصلوة المكتوبة دلت هذه الآية والله اعلم ان الله سبحانه
وتعالى فرض على عباده في كل يوم وليلة خمس صلوات وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف فرضت الصلوة
ومتى فرضت وروي عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس صلوات
كتبها الله تعالى على العباد فمن أتى بهن لم يضيع من حقهن شيئا استخفافا بحقهن فان له عند الله عهدا ان يدخله
الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وعن ابي سعيد الخدري عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث بعث معاذا الى اليمن قال انك تأتي قوما اهل الكتاب فادعهم الى
الشهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فان اطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله سبحانه وتعالى فرض عليهم خمس
صلوات في كل يوم وليلة وعلى ذلك اتفاق الامة لا خلاف بينهم الا ان قوما زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم
اوجب بعد ذلك الوتر بقوله ان الله زادكم صلوة الا وهي الوتر وليس في الكتاب ذكر ولا دليل وجوبه لكنا
الكلام فيها لكن ابا حنيفة رضي الله عنه سلك فيها مسلك المكتوبة **وقوله** عز وجل ولا تهنوا في ابتغاء القوم
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون في الآية دلالة فرضية الجهاد
لانه عز وجل اخبر انهم يألمون ويتوجعون من يصيبهم من جراحات كما تألمون انتم وتتوجعون في الآية دلالة
فرضيتها فلو كان نفلا لكان يرفع عنهم الجهاد عند الالم والتوجع على ما يرفع سائر النوافل عند الالم والتوجع
على ما يرفع سائر النوافل عند الالم والتوجع فدل انه فرض لكنه فرض كفاية وفرض الكفاية يسقط بقيام
الباقين وقد ذكرنا فيما تقدم الوجه فيه وقوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم فمعناه والله اعلم اي عذركم
في تألمكم ان تهنوا في ابتغائهم فانهم يألمون كما تألمون ولا تضعفون في ذلك وترجون انتم العاقبة من الثواب
الجزيل ما لا يرجون ثم هم لا يضعفون فكيف تضعفون انتم في ذلك وكل امر لا عاقبة له فهو عبث وليس لامرهم
عاقبة وهو عبث ولامركم عاقبة محمودة فانتم اولى في ذلك ودل قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم على
تأكد فرضية الجهاد اذ لم يأذن لهم في التخلف عن ذلك على ما فيه من الألم وخوف هلاك النفس
في ذلك ثم بين ما يخف لمثله حمل المكروه على الطبع له وقد يختار له مباشرة الاتعاب في النفس حتى
العواقب تنقطع وتزول كيف فيما لا انقطاع له من رجاء الثواب بذلك التألم والله اعلم **وقوله**
عز وجل وكان الله عليما حكيما اي عليم بما امركم بذلك لا عن جهل وقد ذكرنا ذلك في غير موضع **وقوله**
عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق قوله بالحق يتوجه وجوها بالحق الذي عليكم انزل اليك الكتاب
ويحتمل بعض على بعض او لا اليك الكتاب لتحكم بين الناس ويحتمل قوله بالحق اي بالمحنة يمتحنهم بها اذ
في عقل كل احد ذلك واهمال كل ذي لب لا يؤمر ولا ينهى خروج عن الحكمة وان يقال بالحق وبالعواقب ليكون
لهم العاقبة وقوله تعالى بالحق الذي هو لبعض على بعض او لا امر كانت وهو البعث للعدل و
وبالذي يحمد عليه فاعله اذ الحق صفة لكل ما يحمد عليه فاعله اذ الحق صفة لكل ما يحمد عليه فاعله والباطل
لما يذم وقد يحتمل بالعدل والصدق على الامر من ان لا يتغير ولا يتبدل والله الموفق **وقوله** عز وجل
لتحكم بين الناس بما اراك الله قيل ان في الآية دلالة جواز الاجتهاد لانه قال لتحكم بين الناس بما
اراك الله ولم يقل قوله ولكن المعقول له لتحكم بين الناس بالكتاب دل انه يحكم بما يريد به الله بالتدبر
فيه والتأمل لكن اجتهاده كالنص لانه لا يخطئ لانه اخبر انه يريد ذلك فلا يحتمل ان يريد غير الصواب
واما غيره من المجتهدين فيجوز ان يكون صوابا ويجوز ان يكون خطأ لانه لا ينكر ان يكون الشيطان
هو الذي اراد ذلك فيكون خطأ فلا يجوز ان يشهد عليه بالصواب ما لم يظهر واما اجتهاده صلى
الله عليه وسلم فهو كله يكون صوابا لان الله سبحانه وتعالى هو الذي اراه ذلك فيشهد انه صواب
وقوله عز وجل ولا تكن للخائنين خصيما قال اكثر اهل التفسير انه هم ان يقوي سارقا يقول له
طمعه ويصدقه في قوله فنزل قوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما فلو لم يقولوا ذلك كان اوفق

واحسن

واحسن ما ذكان ما قالوا ذلك لما يظهر منه الخيانة عنده اذ ذكر في القصة انه وجد السرقة في دار غيره فلذلك
كان ذلك انما كان لما ذكرنا وانما النهي عن ان يكون للخائنين خصيما نهي وان كان يعلم ذلك انه لا يكون عصمه الله
كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وان كان عصمه من ان يكون منهم والعصمة انما تنفع
اذا كان ثمة امر ونهي فاما اذا لم يكن ثمة امر ولا نهي فلا معنى للعصمة والتوفيق **وقوله** عز وجل واستغفر الله ان
الله كان غفورا رحيما وقوله تعالى واستغفر الله ليس هو قول الناس نستغفر الله ولكن كانه قال كونوا على الحال
التي تكون اعمالكم مكفرة للذنوب الا ترى الى قول هود لقومه وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه الآية وقال
نوح عليه السلام لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية فلم يريدوا ان يقولوا نستغفر الله لكان
لا ينفعهم ذلك مثل ذلك قوله واستغفروا الله ان الله كان غفورا رحيما وحقيقة الاستغفار وجهان
احدهما الانتهاء عما وجب العقوبة لقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك معنى قول من ذكر
والثاني طلب الستر بالعفو والتجاوز **وقوله** عز وجل ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم الآية هو ما ذكرنا
ان العصمة لا تنفع اذا لم يكن امر ونهي **وقوله** عز وجل يختانون انفسهم لا احد يقصد قصد خيانة نفسه
ولكن لما رجع الى العاقبة حاصل الخداع اليهم صار وكانهم قد عوا انفسهم فعل ذلك لا اراد والله اعلم
وقوله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم يحتمل وجهين يحتمل يستخفون
من الناس اي يحتشمون من الناس ان يعلموا صنيعهم ولا يحتشمون من الله فعلم منهم انه لا يخفى عليه شيء ويحتمل
يستخفون من الناس اي يستترون سرهم من الناس وكذلك روي في حرف حفصة ولا يستترون من الله و
لكن الله يطلع الناس على ما يسترون وهو معهم اي لا يخفى عليه شيء وقوله يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم على وجهين احدهما على نفي القدرة واثباتها ان لهم ذلك في الاخفاء من الناس وليس لهم
في الاخفاء عن الله والثاني على قلة المبالاة بعلم باطلاع الله عليهم وتركهم مراقبة الله في الامور واجتهادهم
في ذلك عن الخلق والله اعلم **وقوله** عز وجل اذ يبيتون ما لا يرضى من القول عن ابن عباس قال اذ يبيتون
ما لا يرضى من القول يقول من بعل والفرية من اليهودي بالسرقة وقيل يبيتون اي يؤلفون القول فيما بينهم
فيقولون يأتي به النبي فيقول له كذا وكذا ليدفع عن صاحبهم الخيانة والتهمة وهو طعمة على ما قيل
في القصة انه سرق درعا في دار يهودي وقيل انه خبأها في دار يهودي فلما طلب منه حلف بالله انه ما سرق
وقيل التبييت هو التقدير بالليل قد ذكرنا في قوله بيت طائفة منهم الآية وقوله عز وجل وكان الله
بما يعملون محيطا هو على الوعيد اي عن علم منه يفعلون هذا لا عن غفلة كقوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون لكنه يؤخرهم الى يوم على علم منه ذلك وعلى الاعلام ان الله لم يزل عالما بما يكون وعلى هذا
امتحنهم وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا
قيل يعني اصحاب طعمة اي لو حاججتم عنهم يا هؤلاء في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة لا احد يخاصم عنهم
يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا يخاصم عنه يوم القيمة وقيل كفيلا اي في الدفع عنهم كقوله تعالى الذين
يجادلون في آيات الله اي في دفعها وارادوا ان يدحضوا بالباطل وقيل رقيبا وقيل كفيلا والوكيل هو القائم
بحفظ الامور والقاضي للحوائج والمرجع في العلل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه هاهنا سواء اي من عمل سوءا ويحتمل
ما قال ابن عباس رضي الله عنه من سوء الى الناس او يظلم نفسه فيما بينه وبين الله ثم روي عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنهما قال ارجى الآية في القرآن هذه قوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الآية وروي
عنه ايضا اربع آيات من كتاب الله احب الي من حمر النعم وسودها قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان
تك حسنة يضاعفها الى آخره وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله
تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله الآية وقوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الآية
وعن علقمة والاسود قالا قال عبد الله ان في كتاب الله لآيتين ما اصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله
الا غفر له والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الى آخر الآية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم
يستغفر الله وقوله تعالى ايضا ومن يكسب خطيئة او اثما يحتمل واحد منهما الآخر كرر على التأكيد فيما جرى له الذكر
ويحتمل التفريق ان يكون سوءا الى الناس وخطيئة اليهم او يظلم نفسه بما يأثم بينه وبين الله **وقوله** عز وجل
ومن يكسب خطيئة او اثما فانما يكسبه على نفسه لان حاصله يرجع اليه فكانه كسب على نفسه وقوله ومن
يكسب خطيئة او اثما يحتمل ان يكون قوله ومن يكسب خطيئة او اثما واحد الخطيئة هي الاثم والاثم هو الخطيئة

وقيل ومن يكسب خطيئة سرقة الدرع او اثما يقول بيمينه الكاذبة انه لم يسرقها وانما سرقها فلان اليهودي
وقوله عز وجل ثم يرم به بريئا قيل لما طلب في داره رماها في دار اليهودي حلف باطلا وزورا لم يسرقها
وقوله عز وجل فقد احتمل بهتانا واثما مبينا يقول كذبا على اخر بما لم يفعل والبهتان هو ان يرمي الرجل اخر
كذبا بما لم يفعل واثما مبينا بيمينه الكاذب والله اعلم وقوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك قال اكثر اهل التاويل نزلت هذه الاية في شان طعمة الذي سرق درع جاره
بالذي سبق ذكره وقالوا لولا فضل الله عليك ورحمته لقد هم قوم طعمة ان يضلوك وليس هو الاضلال
في الدين ولكن ان كان ما قالوا فهو تخطئة الحكم ويحتمل قوله ان يضلوك اي يجهلوك في حكم السرقة ويجوز
ان يكون جاهلا في سرقته لما لم انه سرق وكان يصدقه في الحكم انه لم يسرق لانه انما كان يعلم الاشياء بالوحي
فاعلم انه قد سرق ويحتمل ان يكون الاية في الكفار كلهم لان الكفرة والمنافقين لم يزالوا كانوا يريدون
ان يضلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدى ويصرفوا عنه كقوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون
سواء وكقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم ثم يحتمل قوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته
حيث عصمك بالنبوة والا لاضلوك عن سبيل الهدى وهو كقوله عز وجل ولولا ان ثبتناك اي بالعصمة لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا والثاني ولولا فضل الله عليك ورحمته حيث اعلمك بالحكم في ذلك وبصرك
به بالوحي وصرفك عن تصديق ذلك الخائن اذا ثبت ما قالوا والا لهموا ان يخطئوك ويجهلوك فيه ثم في الاية
نقض قول المعتزلة لانه من على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عصمه وهم يقولون كان عليه ان يعصمه
وهو كان يستحق ذلك فلو كان عليه ذلك لم يكن للامتنان عليه بذلك معنى ان فعل ما كان عليه ان
فعل على زعمهم ومن فعل فعلا عليه ذلك لم يقل انه متفضل دل ان ليس كما قالوا وبالله التوفيق والعصمة
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك يخرج على وجهين احدهما يكفهم عن هموا
والثاني بعصمته عما راموا فيه ان يظفروا منه بعد ان اظهروا ما طلبوا وقوله تعالى يضلوك يجهلوك الحكم
بالتلبيس وانواع التمويه يرجع ذلك الى نازلة والثاني ان يكون بالاضلال عن السبيل والحق وهذا
هو الذي لم يزل اعداء الله يقصدون من رسول الله ويجميع اهل الخير فكفهم بوجهين يتوجه كله وجه
الى وجهين احدهما اطلاعهم الاسباب من الوحي والايات ولذا في كفهم مرة بالقتال والاسباب النافعة
ومرة باللطف والعصمة وسمى ذلك فضله ورحمته ليعرف ان ذلك فضله لا حقا قبله اذ ليس بذلك
الحقوق بعد في الفضائل وقوله عز وجل وما يضلون الا انفسهم لا احد يقصد قصدا ضلال نفسه
لكن لما رجع حاصل ذلك الاضلال الى انفسهم كانوا يضلوا انفسهم وقوله عز وجل وما يضرونك من شيء
امن رسوله عن ضررا ولئك كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله عز وجل وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة قد ذكر في غير موضع وقوله عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم من الحلال والحرام والاحكام كلها وغير
ذلك كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فهو كذلك كان وقوله عز وجل وكان فضل الله عليك
عظيما فيما علمك من الاحكام وعصمك بالنبوة والرسالة وصرف عنك ضرر الاعداء والله اعلم وقوله
عز وجل لا خير في كثير من نجواهم اختلف في النجوى قيل النجوى القوم كقوله واذ هم نجوى اي رجال
وقيل النجوى هو الاسرار كقوله ما يكون من نجوى ثلثة الا انه ثم استثنى الا من امر بصدقة او معروف
فان كان التاويل من النجوى هو فعل النجوى خاصة فكانه قال لا خير في كثير من نجواهم الا الامر بالصدقة
والامر بالمعروف والاصلاح بين الناس وان كان هو اقرب ومعنى الثناء والكثير فيما يرجع الى القوم
فكانه قال لا خير في خير في كثير منهم الا من يرجع امره الى ما ذكر فيصير الى خير وقد يحتمل ان قوما منهم
يرجع نجواهم الى نجاهم انفسهم ومن الفضل على ان الفضل ربما يكون فهو خير وان كانوا اهل النفاق والكفر
لكن بين انه غير مقبول الا ان يبتغي به مرضاة الله وذلك لا يكون الا ان يؤمنوا والله اعلم وقوله عز وجل
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قيل لما تبين خيانته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم استحيى ان يقيم بالمدينة فارتد ولحق بمكة كافرا فنزل قوله ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما
من بعد ما تبين له الهدى يقول من بعد ما كان قد تبين له الاسلام وقال لما ابان امر طعمة وعلم انه سرق
الدرع انزل الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قيل له يا طعمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاطلعت فخرج هاربا الى مكة وقوله عز وجل ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني غير دين المؤمنين وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنهما ويسلك غير سبيل المؤمنين وقوله عز وجل نوله ما تولى اي نتركه وما تولى من ولاية الشيطان وقيل
ندعه وما اختار من الدين غير دين المؤمنين ونصله جهنم اي ندخله جهنم في الاخرة وقيل قوله نوله ما تولى اي نوله
في الاخرة ما تولى في الدنيا وساءت مصيرا يقول بئس المصير صار اليه وقوله تعالى نوله ما تولى انه تولى الشيطان
فجعل الله وليا كقوله تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا وغير ذلك ويكون نخذله فيما اختاره ويكون جزاء توليه و
يكون الخلق توليه منه جورا ومنه جورا باطلا وهلاكا والله اعلم وقوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء الاية في الاية دليل ان لا يصير بكل ذنب مشركا على ما قال الخوارج لما قسم الكتاب ولا يحتمل انجاز
ان الشرك قد يغفر بالتوبة فبطل قولهم وفيه بطلان قول من يبطل المغفرة في الكبائر بلا توبة لان الله جعل لنفسه
مشيئة المغفرة وذلك فيما في الحكمة دفع سفه فلزم الذي ذكرنا الفريقين جميعا ثم الذي ينقض قول الخوارج الذين
يكفرون بارتكاب الكبائر الصغائر ما يلي بها الانبياء والاولياء ويكفر صاحبه ويسقط النبوة والولاية ومن كان
وصف ايمانه بالانبياء عليهم السلام بالدعاء له تضرعا وخفية وخوفا وطمعا وكانهم على ما كان منهم من الزلات
ونفرعهم اليه حتى يجيبوا في دعائهم ولم يكن ذنوبهم بحيث يحتمل التعذيب عليها في الحكمة لكان في ذلك بعد الحمد
والوصف بالجود والتعوذ به وذلك اعظم من الزلات فهذا ينقض قول المعتزلة في اثبات المغفرة في الصغائر
وفي اخراج فعل التعذيب عن الجوارح بازالة اسم الايمان بها ولا عصمة الا بالله ثم قوله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء يحتمل الشرك في الاعتقاد وهو ان يشرك غيره في الربوبية والالوهية والثاني ان يشرك
غيره في عبادته وذلك كله شرك بالله تعالى ولا فرق بين ان يشرك غيره في ربوبيته والوهيته وبين ان يشرك
غيره في عبادته الا ترى انه عز وجل انما الحكم الله واحد ثم قال الله تعالى في اخره ولا يشرك بعبادة ربه احدا جعل الاشراك
في الربوبية والالوهية والاشراك في العبادة واحد كله شرك بالله وبالله التوفيق ثم قوله ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء لا يحتمل ما قالت المعتزلة انه وعد المغفرة فيما يشاء ثم بين ذلك في الصغائر بقوله تعالى
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقد ثبت ان الوعيد في الكبائر نفى الوعد بحيث لم يبق بالذكر
ذكر لاحتماله وقيل قوله لمن يشاء كناية عن الانفس المغفورات لا عن الاثام والاجرام التي تغفر لم يخص
التخصيص الى الاثام بالاية المكتفي بها عن الانفس لانه لم يقل ما يشاء ولكن قال عز وجل لمن يشاء فذلك كناية
عن الانفس وفي ايات الوعيد تحقيق في الذين جاءهم وفيما جاء على ما قيل لا اسرف في ذلك فهو اولى وبق
فانه قال لمن يشاء والصغائر عندهم مغفورة بالحكمة لا بالوعد والاية في التعريف والله اعلم وقوله عز وجل
ان يدعون من دونه الا اناثا عن الحسن قال الاناث الاموات التي لا روح وكذلك روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقيل قوله تعالى الا اناثا هم الملائكة لانهم يقولون الملائكة بنات الله في السماء فعبدوها
فانهم انما عبدوا الاناث عندهم وفي زعمهم وقيل اناثا من الوثن وكذلك روي في حرف عائشة رضي الله عنها
انها كانت تقرأ ان يدعون من دونه الا اثنا وهو الصنم سمي اثنا لما صوروها بصور الاناث وحلوها
وزينوها بزينتهم ثم يعبدونها لم يعبدوها على ما كان في الاصل فسمي بذلك وقيل سمي اناثا لانهم كانوا
يسمون ما يعبدون من الاصنام والاوثان اللات والعزى ومنات فاسماهن اناث والله اعلم وقوله عز وجل
وان يدعون الا شيطانا مريدا اخبر الله عز وجل وان كانوا يعبدون من الشيطان ويانفونه فانهم بعبادتهم الاصنام
والاوثان يعبدون الشيطان لان الشيطان هو الذي يدعوهم الى عبادتهم الاصنام فكانهم عبدوه الا ترى
ان ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه قال يا ابت لا تعبد الشيطان جعل عبادة الصنم عبادة الشيطان حيث
قال له لا تعبد الشيطان فدل ان عبادتهم الاوثان عبادة للشيطان وبالله العصمة وقوله عز وجل لعنه الله
قال ابن عباس رضي الله عنهما المريد هو العاتي وقوله عز وجل لعنة الله اللعن هو الابعاد من رحمة الله فسمي
ملعونا لانه مبعد من رحمة الله مطرود منها وقوله عز وجل وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا انه لعنه
الله وان قطع القول فيه لاتخذن من كذا قطعا فهو ظن في الحقيقة الا ترى انه قال في اية اخرى ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه دل ما قال له ظنا لكنه خرج مقطوعا محققا ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل نصيبا مفروضا
اي معينا معلوما والنصيب المفروض هو ما ذكر ولاضلنهم الى اخر ما ذكر مفروضا اي مبينا من يطيعه ومن
لا يطيعه وقوله عز وجل ولاضلنهم ولامنينهم الاية قيل هذا اخبار عن الله تعالى عباده عن سبيل اللعين
ليكونوا على حذر منه ثم قوله لاضلنهم ليس على حقيقة الاضلال ولكن يزين عليهم طريقه ويلبس عليهم طريق الهدى

فذلك معنى اضافة الاضلال اليه والا لم يملك اضلال احد في الحقيقة كقوله تعالى وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم الاية ثم اذا ضلوا بدعائه الى ذلك وتزيينه عليهم سبيله يمنيهم عند ذلك
حتى يتمنوا اشياء كقولهم وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه الاية وكقولهم تعالى
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم ونحو ذلك من الاماني وذلك مما يمنيهم الشيطان
لعنه الله عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولاضلنهم يعني عن الدين ولامنينهم ان يصيبوا خيرا لا محالة
ليامنوا وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما ولاعدنهم ولامنينهم ولآمرنهم الانعام ولآمرنهم فليبدلن
خلقت ولآمرنهم فليبتكن وقوله فليبتكن اذان الانعام تجعلوها لغير الله وتاذنوا الاوثان والاصنام
التي كانوا يعبدونها وقوله عز وجل ولآمرنهم فليغيرن خلق الله يحتمل هذا وجهين سوى ما قال اهل التاويل
احدهما ان الله تعالى ما خلق هذا الخلق ليامرهم بالتوحيد وليجعلوا عبادتهم لا يعبدون دون الله غيره
كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم الاية فهو دعاؤهم ان يجعلوا عبادتهم لغير الله
وهو ما قيل في قوله عز وجل فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم قيل
لدين الله فهو ذلك يحتمل قوله فليغيرن خلق الله اي عن الذي كان خلقه اياهم لذلك والله اعلم والثاني
انه عز وجل خلق الانعام والبهائم لمنافعهم وسخرها لهم فهم حرموها على انفسهم وجعلوها للاوثان والاصنام
كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام منعوا منافعها التي خلقها لهم عن انفسهم وذلك تغيير ما خلق الله
لهم والله اعلم واما اهل التاويل فانهم قالوا غير الذي ذكرنا قال بعضهم قوله فليغيرن خلق الله الاخصاء
وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال اخرون هو دين الله وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا دين
الله وقيل ما جاء من النهي عن الواشرة والنامصة والمتفلجة والواصلة والواشمة ولا يحتمل ان يكون خطر
بباله او منه انه اراد بتغيير خلق الله ما قالوا من الاخصاء او المثلة والواشرة والنامصة كان انما قال ذلك
يوم طلب من ربه بالنظرة الى يوم البعث ولا يحتمل له علم ان لا يحل له هذا والنهي عن مثله اذ قد يجوز ان
ترد الشريعة في شيء لذلك بعد هذا والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
اي يطيعه ويجيبه الى ما دعاه ويعبده دون الله فقد خسر خسرانا مبينا في الدنيا والاخرة اما في الدنيا
فذهاب المنافع عنهم التي جعلوها للاصنام والاوثان وفي الاخرة العقوبة وقوله عز وجل يعدهم اما الفقراء
واما سعة ويمنيهم هو ما ذكر من الاماني وتمناء الشهوات في الدنيا وما يعدهم الشيطان الا غرورا
والغرور هو ان يرى شيئا يظهر خلافه اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا الاية ظاهرة
قيل مفرا وقيل ملجا وقوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قد ذكر هذا فيما تقدم ان الايمان هو التصديق والاعمال الصالحات غير
التصديق وقوله عز وجل وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا وقيل هذا والله اعلم ان يقال انكم
ممن يقبلون الاخبار والقول من الناس ثم لا احد اصدق قولا من الله تعالى ولا الخبر وعدا منه كيف
لا يقبلون قوله وخبره انه بعث وجنة ويكذبون قول ابليس ان لا جنة ولا نار ولا بعث وقوله عز وجل
ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به اخبر عز وجل ان الامر ليس بالاماني ولكن
الى الله عز وجل فهو والله اعلم يحتمل ان يكون في المنزلة والقدر عند الله لانهم قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك من الاماني واهل النار ويل يذهبون
الى غير هذا وقالوا ان كل فريق منهم كانوا يقولون ان ديننا خير من دينكم ونحن افضل من هؤلاء فنزل
ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب وذلك بعيد وقوله عز وجل من يعمل سوءا يجز به اختلف فيه قال
بعضهم قوله تعالى من يعمل سوءا يعني شركا يجز به يدل على ذلك قوله عز وجل ولا يجد له من دون الله
وليا ولا نصيرا وذلك وصف الكافر ان لا يكون له ولي يتولى حفظه ولا نصير ينصره الا ترى انه قال
ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ذكر الذين يعملون الصالحات
وهم مؤمنون انهم يدخلون الجنة فهذا ايضا يدل ان قوله عز وجل من يعمل سوءا يجز به اراد به الشرك وقال
اخرون قوله عز وجل من يعمل سوءا يجز به اي كل سوء يدخل فيه المسلم والكافر الا ترى انه روي عن
ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذا وكل شيء عملناه
جزينا به قال غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تنصب الست تحزن الست يصيبك الاذى فهذا ما

ما يجزون

ما يجزون به يجزى بها المؤمن في الدنيا والكافر في الاخرة فان كان التاويل هذا فقوله ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا هو في الكافر اي لا يجد له وليا ولا نصيرا اذا لم يرجع عن كفره ومات عليه واما اذا رجع عن ذلك وتاب
ومات على الايمان فانه يجد له وليا ونصيرا ينصره الله تعالى وبالله التوفيق وقوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات
من ذكر او انثى وهو مؤمن في الاية دليل ان الاعمال الصالحات غير الايمان لانه قال تعالى ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن ولو كان ايمانا فيصير كانه قال ومن يعمل الايمان وهو مؤمن فدل بما ذكرنا انها غير الايمان وفيه دلالة
ايضا ان الاعمال الصالحة انما تنفع اذا كان ثمة ايمان لانه شرط فيه الايمان بقوله تعالى وهو مؤمن دل ان الاعمال
الصالحة لا تنفع اذا لم يكن ثمة ايمان ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ولا يظلمون نقيرا قد ذكرناه وقوله عز وجل
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن الاية يحتمل وجهين يحتمل من احسن دينا من المسلمين ممن يعمل
جميع عمله موافقا لدينه ممن يعمل بل الذي عمل بجميع عمله موافقا لدينه احسن دينا من الذي لم يجعل شيئا
وهو كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو وزن ايمان ابي بكر الصديق رضي الله عنه
بايمان جميع امتي لرجح ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوي في دينه ضعيف في بدنه الا ترى انه رجح
لمقاتلة الردة وذلك لقوته في الدين وصلابته فيه لا لزيادة الايمان ولا النقصان ايمان غيره والله اعلم انه
قوله تعالى اسلم وجهه لله عن الحسن جميع جهة امره الى الله جميع ما يعمل انما يعمل لله لا يعمل لغير الله وقيل اسلم
وجهه لله اي اخلص نفسه لله ولا يجعل لاحد فيها شريكا كقوله تعالى ورجلا سلما لرجل الاية اي يسلم نفسه هو
لله والله اعلم وقوله عز وجل وهو محسن يحتمل قوله محسن يحسن ما يعمل ان جميع ما يعمل لمن له فيه ويحتمل قوله
محسن من الاحسان وهو ان يزيد العمل على المفروض عليه يؤدي المفروض عليه ويزيد على ذلك ايضا وقوله
عز وجل واتبع ملة ابراهيم حنيفا الملة قيل هي الدين وقيل هي الملة السنة اقرب لان دين الانبياء عليهم الصلوة
والسلام كلهم واحد لا يختلف دين ابراهيم عليه الصلوة والسلام ودين غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
واما السنن والشرائع فيجوز ان تختلف الا ترى انه روي في الخبر ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل السنة
تفسير الملة فالملة بالسنة اشبه ثم اختص ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لان سنته كانت توافق سنن نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل حنيفا قيل مخلصا وقيل سمي حنيفا اي مائلا الى الحق ولذلك سمي
الاحنف احنفا لميل احد قدميه الى الاخرى والله اعلم وقوله عز وجل واتخذ الله ابراهيم خليلا ذكر في بعض الاخبار
ان الله عز وجل اوحى الى ابراهيم ان لي خليلا في الارض فقال يا رب من هذا قال فاوحى الله تعالى اليه لم اي لم
ليبتلي عنه قال دمي احبه واتخذه خليلا كما اتخذتم خليلا او كلام نحو هذا فقال انت يا ابراهيم واصل ذلك
المنزلة والرفعة والكرامة يقول واتخذ الله ابراهيم خليلا اي جعل له عنده منزلة وكرامة لم يجعل مثله
لاحد من الخلائق لما ابتلاه الله ببلايا وامتحنه بمحن لم يبتل احد بمثله فصبر عليها من ذلك ما رمي في النار
فصبر ولم يستعن باحد سواه وما ابتلاه بذبح ولده فاضجعه وما امر ان يترك اهله وولده الطفل في جبال
مكة لا ماء هنالك ولا زرع ولا نبات ففعل ومن ذلك امر المهاجرة مما يكثر ذلك فجاز تخصيصه بالخلة
لذلك والله اعلم وجائز ان يكون ذلك كرامة اكرمه الله بها لان اهل الاديان كلهم ينسبون اليه ويدعون
انهم على دينه وعلى ذلك يخرج قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم قيل خص
هو بهذين الوجهين الذين ذكرناهما في الخلة وقيل انه اتخذه خليلا لانه كان يعطي ولا يؤخذ وكان يحب الضيف
وكان لا ياكل وحده وان بقي طويلا والله اعلم بذلك واصل الخلة ما ذكرنا من الكرامة والمنزلة لان من يحب احدا
يبره ويكرمه ومن لا يحبه يعاديه ويظهر له الجفاء والاخوة الا بالله واختلف في المعنى الذي وصف ابراهيم
عليه الصلوة والسلام بالخلة انه خليل الله فقد قيل بما سخت نفسه في بذل كل لذة من لذات الدنيا لله
ينبوا في مكان اتيان الاضياف وابناء السبيل وكان لا ياكل وحده وكانت عادته التقديم بكل ما يشتهيه له عند
نزول الاضياف عنده والابتداء بذلك قبل كل امر والقيام للاضياف مع عظم منزلته ابد ذلك انه الملائكة
الذين جاؤا بالبشارة والله اعلم وقيل انما امتحنه الله بامور فصبر عليها كالنار التي القي فيها لله وذبح
الولد والهجرة مرتين وبذل الاهل والولد من قوله وابراهيم الذي وفى وقوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه
بكلمات فاتمهن وحاج فرعون وجميع قومه وجادلهم فيما يعبدونهم فغلبهم والزمهم حجة الله وغير ذلك
من وجوه المحن وقيل بما به كان بدو البيت الذي جعله الله قياما للناس ومؤمنا للخلق ومثابا لهم ومنسكا
فعظم شانه فيما بالخلق اليه حاجة في امر الدين وعلى ذلك اكرمه الله تعالى باميل القلوب اليه واظهار التدين

بدينه من جميع اصناف اهل الاديان والله اعلم وقيل انما هو خصائص اهل الخيرة من رسول الله الرسل
واولوا العزم منهم اختصهم باسماء عرفن في الفضائل والكرامات نحو القول بكليم الله وروح الله وذبيح الله
وحبيب الله ونحو ذلك كان لابرهيم عليه الصلوة والسلام خصوصية في الاسم فسماه الله خليلا ونحن
نقول وبالله التوفيق ونحن نعلم بان الله تعالى لا يسميه بالذي ذكرنا الا ولكنه سماه به تعظيما لقدره
واظهارا للكرامة وبيانا لمنزلته عنده لما شاء من الوجوه التي لعلها لم يطلع عليها من الخلق ولا يحتمل
ان يدرك ذلك الا بالوحي فحق ذلك علينا تعظيمه ومعرفته بالذي اختصه الله واصطفاه دون تكلف
المعنى الذي له كان ذلك مع ما لا وجه ولا معنى سوى حقيقة ذلك واكرم الا بمعنى اكرمه واكرامه بفضل
الله ورحمته نال ان يتدبر بالخلة ثم يكرمه بانواع الكرامات التي هي آثار الخلة وان يكرمه بانواع
الكرامات التي له بها يقع كرامة الخلة ويصلح ولله المن في ذلك والفضل وعلينا الحمد والشكر بما
اكرمنا من معرفة كرام خلقه وجعل في قلوبنا مودتهم حتى صاروا بفضل الله ورحمته احب الينا من
احسن الخلق منا من انفسنا ولا قوة الا بالله ثم ليس للنصارى دعاء البنوة له ومن حيثما الكرامة
على الاعتبار بالخلة لان الله سبحانه وتعالى عظم امر الولد حتى جعله كالشرك ولا كذلك امر الخلة ولان
امر الولد وحقه المجانسة والخلة حقها الموافقة ثم اصل الاولاد الشهود والحاجة والخلة الطاعة
والتعظيم ما يرجع احد الوجهين الى شهوة الولد وحاجة والاخر الى تعظيم يكون من ذلك العبد و
تبجيل والطاعة والخضوع ثم الاصل ان المعنى الذي تقتضيه الخلة قد يجوز ان يطلق كل بالطاعة
وان كان الاقرب في حد النهاية نحو قوله تعالى ان الله يحب التوابين الاية وقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله والمحبة
قريبة من الخلة ومحال ان يحقق مع الاولاد والبنوة بشيء من الطاعة لذلك اختلفا الامر والله اعلم وقوله
عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض الاية تاويل هذه الاية والله اعلم انه وان اكرمهم واعظمهم
منزلتهم عنده واعلوها فانهم لم يأنفوا عن عبادته ولم يخرجوا انفسهم من ان يكونوا عبيدا بل كلما
ازداد لهم عند الله منزلة وقدرا كانوا اخضع له واطوع كقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون وفي موضع اخر وهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الاية وقوله عز وجل وكان الله
بكل شيء محيطا اي احاط بكل شيء علمه وهو يخرج على الوعيد اي عن جهل بصنيعهم كملوك الارض وبالله التوفيق و
قوله عز وجل بكل شيء محيطا وبصيرا وعليما ونحو ذلك يخرج على التوعيد والتخويف ليكونوا ابدا متيقظين له حذرين
كمن يعلم ان الاسود ان عليه رقيبا والله اعلم ويخرج على الثناء انه امر من يكتب الاعمال لا لخفاء عليه لكن بما انه لا
يحتاج الى حاجة به ولكن لمصلحة لعباده يمتحن بما شاء فامتحن اولئك الكتبة بما يكون ابدا متيقظين ناظرين لا
يغفلون عن ذلك طاعة منهم لله والثاني ان يكون العلم بمن يكتب عليه كل امره فيما يجب عليه البشر اذكر له
واشد في التنبيه تجري حكم الله في ذلك اذا امر المحنة موضوع على المصلحة وذلك ابلغ في الوجود والله
اعلم ويخرج على ان الله تعالى بذلك محيطا ليعلموا انهم لا يتركون سدى بل يحصي عليهم ليجزاه والله اعلم وجملة ذلك
ان الله تعالى قال كان كذا ليعلم انه لا عن جهل خلق الخلق وبعث الرسل وانشاء الاية مما عليه امر الخلق انهم
كيف يعاملون من ذكرت وذلك خارج عن حد الحكمة وان كانوا لا يعرفون في بعث الرسل عليهم الصلوة
والسلام الى من يكذبهم ولا تقوية الاعداء على ما به قهر الاولياء والامر والنهي لمن يعلم انه لا ياتمر ولا ينتهي
كبير حكمة وربما كان ذلك من الله فهو خارج على حد الحكمة اذ ذلك كله من الخلق يقع لحاجة او لمنفعة ترجع
اليهم فاذا انا قص خرج الفعل من الحكمة واما الله سبحانه وتعالى يمتحن عباده ويبعث الرسل عليهم الصلوة
والسلام لا لحاجة بالمبعوث اليهم وبالممتحن والمنافع ترجع اليهم فيكون ذلك منه كهدايا فمن لا يقبلها
فنفسه نصر وحقها بخس لان يرجع اليه ذلك فزال ذلك المعنى الذي له خرج الفعل من الخلق عن حد الحكمة
تلزم القول بموافقة الحكمة والمصلحة ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل في النساء قل الله يفتيكم فيهن الاية
ذكر الاستفتاء في النساء وليس فيه بيان عما وقع به السؤال اذ يجوز ان يكون في الجواب بيان المراد في السؤال
بيان نحو قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض دل الامر باعتزال على السؤال
في المحيض على ان السؤال عن المحيض انما كان في الاعتزال وان لم يكن في السؤال بيان المراد وكذلك قوله تعالى
ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم على ان السؤال انما كان عن مخالطة اليتامى وكقوله
تعالى ويسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير على ان السؤال ان الخمر والميسر ما ذكر في الجواب من الاثم

وان لم يكن في السؤال بيان ذلك ثم قوله تعالى يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ليس في السؤال
ولا في الجواب بيان ما وقع به السؤال في امورهن جميعا في الميراث وغير ذلك من الحقوق ثم ذكر واحدا
فواحدا كقوله تعالى للرجال نصيب مما ترك وكقوله تعالى وللنساء نصيب مما اكتسبن وللرجال نصيب الاية هذا
في الميراث واما في الحقوق فقال الله عز وجل ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ويحتمل غيرها من الحقوق سوى
حقوق النكاح فترك البيان في الجواب لما ذكر واحدا في غيرها من الآي اذ الجواب خرج مخرج العدة انه يفعل
بقوله عز وجل يفتيكم وقد فعل هذا والله اعلم ويحتمل غير هذا وهو ان ترك البيان في السؤال والجواب
لنوازل يعرفها اهلها لم يحتج الى بيان ما وقع به السؤال لمعرفة اهلها ويحتمل ما قال اهل التاويل وهو انهم
كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد وانما كانوا يورثون المقاتلة من الرجال والذين يحرزون الغنائم
فلما تبين لهم الله عز وجل للنساء والصغار نصيب في الاموال وفرض لهم حقها سئلوا عن ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فانزل الله يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في النساء قل الله يفتيكم فيهن وكذلك ذكر
عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكروا القصة هكذا والله اعلم ويحتمل ان يكون السؤال وقع عن يتامى النساء
الا ترى انه قال عز وجل وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون
ان تنكحوهن الاية قيل كانت اليتيمة في حجر الرجل ذات مال يرغب عن ان يتزوجها لدمامتها ويمنعها عن الازواج
رغبة في مالها وهكذا روي عن عايشة رضي الله عنها وعلى ذلك يخرج قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من النساء والاية وقوله عز وجل والمستضعفين من الولدان هذا والله اعلم كانه معطوف
على قوله يستفتونك من الولدان هذا والله اعلم كانه معطوف على قوله يستفتونك والمستضعفين من الولدان
على ما ذكرنا من الميراث والحقوق وان تقوموا لليتامى بالقسط في ابقاء حقوقهم واداء ما لهم عليك وما
تفعلوا من خير فان الله به عليما ليجزيكم به من يفعل من الخير ومن لا يفعل الخير والله اعلم وعن الحسن في
قوله وترغبون ان تنكحوهن اي ترغبون عن نكاحهن وعن ابن سيرين يرغب في نكاحها لدمامتها ولا يزوج
من غيره رغبة في مالها وقول ابن سيرين ويرغب في نكاحها رغبة في مالها وعلى ذلك يخرج قوله تعالى وان
تقوموا لليتامى بالقسط الاية وقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاية وفي قوله تعالى وترغبون
ان تنكحوهن دلالة ان للولي ان يتزوج اليتيمة الصغيرة لانه لو لم يكن ذلك لم يكن للعتاب على ترك تزويجهن
من غيرهم معنى فان قيل اسم اليتيم يقع على الصغيرة والكبيرة جميعا فلعل المراد من اليتيمة الكبيرة ههنا
قيل كذلك غير ان الغالب يقع على الصغار منهن والله اعلم وفيه دلالة ان النكاح قد يقوم بالواحد
لانه قال عز وجل وترغبون ان تنكحوهن فلو لم يكن له ان يتزوجها لم يكن لهذا العتاب معنى دل ان له ان
ينكح وقوله عز وجل وان امرأة خافت من بعلها نشوزا قيل خافت اي علمت من بعلها نشوزا قبلها
اي علمت من بعلها نشوزا وقيل الخوف ههنا خوف لا غير فمن قال بالخوف فهو حمل على انه يظهر
منه لها بجفوتها لدمامتها او لكبرها وليس وصحبتها لترضى بالقران عنده ليتزوج غيرها وهو
الخوف حقيقة وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان سودة بنت زمعة خشيت ان يطلقها
النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت يومها لعايشة رضي الله عنها فانزل الله تعالى وان امرأة خافت من بعلها
نشوزا او اعراضا الاية ثم قال فهذا الصلح الذي امر الله فجعل الخوف ههنا خشية وعن عايشة
رضي الله عنها انها قالت هي المراة تكون عند الرجل دميمة لا يحبها زوجها فتقول لا تطلقني وانت
في حل من شاني وقيل خافت من بعلها نشوزا اي علمت والعلم هو ان يكون للرجل امراتان احدهما
كبيرة ودميمة والاخرى شابة يميل قلبه الى الشابة منها ويكره صحبة الكبيرة منها ويستثقله
مقام معها واو ادخرا قتها فتقول له لا تفارقني واجعل ايامي لضرتها او يصالحها على ان يكون
عند الشابة اكثر من عند الكبيرة وهو ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت هي المراة
عند الرجل دميمة ولا يحبها زوجها فتقول لا تطلقني وانت في حل من شاني فالخوف هو ما يظهر لها
من نشوزه قبل تزوج اخرى بالعلم والعلم هو ما يظهر من ترك مضاجعة اياها وسوء صحبة
معها وعلى هذين الوجهين روي عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين عن بعضهم يكون عند الرجل
امراتان احدهما كبيرة والاخرى شابة فيؤثر الشابة على الكبيرة فيجري بينهما صلح على ان يمسكها
ولا يفارقها على الرضاء منها بابطال حقها او بعد ونحوه هو ما روينا من ابن عباس رضي الله عنهما

ان سودة رضي الله عنها جعلت ايامها لعايشة رضي الله عنها خشية ان يفارقها وكذلك روي
عن عمر رضي الله عنه وروي عن علي رضي الله عنه انه في رجل يستفتيه في امرأة خافت من
بعلها نشوزا قال هي المرأة تكون عند الرجل فينبو عيناه من دمامتها او كبرها او فقرها
او سوء خلقها فيكون فراقه فان وضعت له من مهرها شيئا حل له وان جعلت من ايامها
شيئا لغيرها فلا حرج دلت هذه الاحاديث التي ذكرنا على ان الرجل اذا كان له نسوة ان يسوي
بينهن كما قال الله عز وجل وبين قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء الاية ان على الرجل
ان يعدل بين نسائه في قسمة الايام ان لا يحل احديهن من الوطي والله اعلم ولا يكون وطيه كله
لغيرها ويكون الاخرى كالمعلقة التي ليست ايم ولا ذات زوج لكنها اذا رضيت بابطال
حقها او بدون حقها فانه لا حرج على الزوج في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فلا جناح عليهما
ان يصلحا بينهما صلحا يحتمل ان يكون رفع الحرج عن الزوج خاصة وان كان الفعل مضافا اليهما
اذ ليس للمرأة في ترك حقها حرج وكذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به ليس على
المرأة جناح في الافتداء لانها تفتدي بما لها ولها ان تملك على ما لها من شاءت فكانها
قال عز وجل فلا جناح عليه في اخذ ما افتدت اي ابطال حقها اذا رضيت ويحتمل ان يكون
على ما ذكر وهو ان لا حرج على المرأة المقام وان استثقل ذلك ويكره صحبتها والله اعلم وقوله
عز وجل واحضرت الانفس الشح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تشح المرأة بنصيبها من
زوجها ان تدعه للاخرى ويشح الرجل بنصيبه في الاخرى وقيل الحرص وهو ان يحرص كل على حقه
وكان الشح والحرص واحدا وان كان احدهما في المنع والاخر في الطلب لان البخل يحمله على الحرص والحرص
يحمله على المنع وكل واحد منهما يكون سبب الاجر والله اعلم وقوله عز وجل وان تحسنوا وتتقوا في ان تؤثروهن
كثيرا من حقهن وتتقوا في ان لا تحسنوا من حقهن شيئا ويحتمل ان لا تحسنوا في ابقاء حقهن والتسوية
بينهن وتتقوا الجور والميل وتفضيل بعض على بعض ويحتمل وان تحسنوا في اتباع ما امركم الله من طاعته وتتقوا
على نهاكم الله من معاصيه وقوله عز وجل فان الله كان بما تعملون خبيرا على الترغيب والوعيد وقد ذكرناه
في غير موضع وقوله عز وجل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم عن ابن عباس رضي الله عنه في
قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء في ابقاء الحق ان يستوي في قلوبكم الحب ولو حرصتم على العدل
لا يقدر عليه في ذلك فلا تميلوا كل الميل الى التي تحب في النفقة والقسم فتذروا التي تحبك وتدع الاخرى بغير
قسم ولا نفقة وروي عن عمر رضي الله عنه انه كان يقول اللهم اما قلبي فلا املك و[illegible] ارجو ان اعدل فيما سوى
ذلك والعدل ههنا التسوية الا ترى انه قال في اية اخرى وهم بربهم يعدلون ليس هو ضد الجور ولكن التسوية
يسوون بين ربهم وبين الاصنام في العبادة وعن عبيدة قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
في الحب وروي عن ابي قلابة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعدل بين نسائه في القسمة ويقول
اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك انت ولا املك واصل ذلك ان في كل ما كان المرء مدفوعا
مضطرا فانه غير مكلف في ذلك وفي كل ما كان باختياره وايثاره عليه فانه مكلف في ذلك الحب مما يدفع
المرء فيه ويضطر ولا صنع له فيه لم يكلف التسوية فيما يكون مدفوعا فيه مضطرا لانه لا يملك التسوية وعلى
هذا يخرج قولنا ان الكافر مكلف بالايمان في حال الكفر لشغله وان اختياره فعل الكفر ليس كالمضطر وقد ذكرنا
فيما تقدم ان الاستطاعة الاحوال يكون على ضربين استطاعة احوال واسباب واستطاعة التي هي استطاعة
الاحوال والاسباب نحو الصحة والسلامة وغيرهما يجوز قبل الفعل وبعد واما استطاعة الافعال فانها لا
تكون الا مع الفعل وبالله التوفيق وقوله عز وجل فلا تميلوا كل الميل في النفقة والقسمة معناه ولا يحملنكم شدة
الحب والميل بالقلب الا تتركوا الالتفات عليها وابقاء الحق اعني حق القسمة وقوله عز وجل فتذروها كالمعلقة
ليست بايم ولا ذات بعل ليست هي بايم فتكلف مؤنتها كما تتكلف الايم ولا ذات بعل يجري البعل وفي حرف
ابي كعب فتذروها كالمسجونة وهو ما ذكرنا لا ينفق هو عليها ولا يطلقها لتزوج زوجا اخر فهي كالمحبوسة وقوله
عز وجل ان تصلحوا وتتقوا هو ما ذكرنا في قوله عز وجل وان تحسنوا وتتقوا وقوله عز وجل فان الله كان غفورا رحيما
هذا ينقض قول من يقول انه لم يكن رحيما ثم صار رحيما لانه اخبر انه كان رحيما وهو يقول صار وبالله العصمة
ثم المسئلة بان المرأة اذا جعلت ايامها لضرتها كان لها ان ترجع وتنقض ذلك لانها جعلت لها ما لم يجب

بعد ولم يلزم فكان كالبراء عن حق لم يجب فان ابراءه باطل له اي يعود اليه فياخذه اذا وجب فعلى ذلك
هذا والله اعلم وقوله عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته اي الزوجان ان تفرقا لما يفقد الزوج
على التسوية بينهن يغني الله كلا من سعته ان كل واحد منهما وان كان غنيا في الاخر في حال النكاح فالله
قادر على ان يغني كل واحد منهما بعد الافتراق كما كان يرزق قبل الفراق وفيه دليل قطع طمع الارزاق
من غير الله وانه جاز ان يجعل غيره سببا في ذلك لانه قال عز وجل وان يتفرقا يغن الله ليعلم كل ان غناه
لم يكن بالاخر حيث وعد لهما الغناء وكذلك في قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين الى قوله تعالى ان يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله دليل قطع طمع الازواج بعضهم من بعض في النكاح لما وعد لهم الغناء اذا
كانوا فقراء وفيه دليل وقوع الفرقة بينهما بالمرأة بالمكني من الكلام لمشاركتها فيه وان كان
الزوج هو المنفرد بالفراق لما اضاف الفعل اليهما بقوله وان يتفرقا يغن الله وكذلك قوله
تعالى فارقوهن وسرحوهن والله اعلم وفيه دليل لزوم النفقة في العدة لانه ذكر الافتراق انما
يكون بانقضاء العدة ثم اخبر عز وجل عن غناء كل واحد منهما بالاخر قبل الفراق دل ان للمرأة غناء
بالزوج ما دامت بالعدة والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله واسعا حكيما قيل واسعا وجدا وقيل
واسعا يوسع على كل منهم رزقه حكيما حكم على الزوج امساكا بمعروف او تسريحا باحسان وقيل حكيما حيث
حكم فرقتهما واصل الحكيم ان يضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله الاية الخلق كلهم ان اتقوا الله
ثم قوله عز وجل ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قيل وصينا امرنا
وقيل وصينا فرضنا على الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقوله عز وجل ان اتقوا الله
قيل اي امرناهم ان يوحدوا الله ويتقوا الشرك وقال مقاتل ان اتقوا الله اي وحدوا الله وقيل قوله
ان اتقوا الله اي اطيعوه فيما امركم ونهاكم عنه ويحتمل ان اتقوا الله اي اتقوا عذاب الله ونقمته ولا
تعبدوا غيره دونهم وان تكفروا ولم تتقوا فيما امركم الله ونهاكم فان لله ما في السموات وما في الارض ذكر
هذا على اثر قوله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ليعلموا انه لم يامركم بذلك
لحاجة له في عبادتهم ويامر لمنفعة نفسه اذ من له ملك ما في السموات وما في الارض لا يحتاج الى احد
ينتفع به ولكن ليعلموا انه تعالى انما امرهم بذلك لحاجتهم في ذلك ولمنفعة انفسهم الا ترى انه قال عز وجل
وكان الله غنيا حميدا عن عبادتكم له وطاعتكم اياه وحميدا في سلطانه ويكون غنيا عن خلقه في الاول
حميدا في فعله وذلك الحميد في الفعل يخرج على اتقان الفعل واحكامه او على احسانه الى خلقه وانعامه
عليهم وقوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض ما ذكر من غنائه عن عبادة خلقه وطاعتهم له
ان يشا يذهبكم ويات باخرين والله اعلم اي من له ما في السموات وما في الارض يقدر ان يذهبكم اي
يهلككم ويات باخرين اخير منكم واخوف واطوع لله منكم لكن لا يفعل لانه غني عن عبادتكم وطاعتكم لم
يخلقكم في الابتداء لحاجته في عبادتكم او لمنفعة له ولكن لحاجة انفسكم ومنافعكم والله اعلم ثم يحتمل
قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ويات باخرين في قوم خاص كما كان في الامم الخالية من الاهلاك ضد
المعاندة والمكابرة ويحتمل في الكل ان يشا يذهبكم اي يهلكم الكل ويات باخرين والله اعلم وقوله عز وجل
وكان الله على ذلك قديرا اي كان الله على الاهلاك والابدال قديرا ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة قال بعض اهل التاويل من كان يريد بعمله عرض الدنيا
ولا يريد به الله تعالى اتاه الله ما احب من عرض الدنيا او دفع عنه ما احب في الدنيا فليس له في الاخرة من
ثواب لانه عمل لغير الله وهو كقوله عز وجل ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق
ومن اراد بعمله الذي يعمله في الدنيا ثواب الاخرة اتاه الله تعالى من عرض الدنيا ما احب ودفع عنه وجزاء
في الاخرة الجنة نعل الدنيا والله اعلم ويحتمل الاية غير هذا وجوها احدها انهم كانوا يتخذون من دون الله
الهة يعبدونها طلبا للرياسة والعز والشرف لقوله عز وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
فاخبر ان العز والشرف ليس في ذلك ولكن عند الله في الدنيا والاخرة والثاني انهم كانوا يعبدون الاوثان
والاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاخبر انه ليس
في عبادتكم هذه الاصنام المنافع يتاملون بذلك في الدنيا لسعة كقوله تعالى ان الذين يعبدون من دون

الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الآية فعلى ذلك قوله عز وجل من كان يريد
ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة لا عند من تطلبون والله أعلم وقوله عز وجل وكان الله سميعا
لمقالتكم بصيرا بما تريدون وتعملون وهو وعيد وقوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على أنفسكم الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كونوا قوامين بالعدل في الشهادة
على من كانت من قريب أو بعيد ولو على نفسه فاقربها وكذلك قال عامة أهل التأويل قوله تعالى قوامين
قوالين لله ولكن يقول في كل عمل وقول يلزم أن يقوم لله ويجعل الشهادة له فإذا فعل هكذا لا يمنعه
عن القيام بها قرب أحد ولا بعده ولا ما يحصل على نفسه أو والديه وكذلك قال الله تعالى في آية أخرى
وأقيموا الشهادة لله لم يجعلها للمخلوق أمكن له القيام بها وإن كان على نفسه أو من ذكرتم ما يمنع القيام
بها مختلف أما على نفسه لنفع يطمع أو لدفع ضرر يدفع بذلك وأما على الوالدين بالاحتشام منهما فيمتنع
عن أداء ما عليه وأما القرابة فطلب الغناء لهم ورفع الفقر عنهم فأخبر أنه أولى بهما فلا يمنعك غناء أحدهم
ولا فقره القيام بها وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تأويل هذه الآية وقوله عز وجل فلا
تتبعوا الهوى أن تعدلوا وتميلوا لغير الله وقيل فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا ويحتمل فلا تتبعوا الهوى
أن تعدلوا الحق من الصرف بالعدول وقوله عز وجل وإن تلووا أو تعرضوا فيه لغتان تلوا بواو واحدة من
الولاية يقول كونوا عاملين لله قائمين له مؤدين الشهادة له وإن كنتم وليتم ذلك وقيل تلووا بواوين
من التحريف يقول لا تتبعوا الهوى ولا تحرفوا الشهادة ولا تعرضوا عنها وتكتموها وفي حرف حفصة رضي الله
عنها أن يكونوا أغنياء أو فقراء فالله أولى بهما وعن قتادة رضي الله فالله أولى فيهما يقول الله أولى بغناكم
وفقركم فلا يمنعكم غناء غني أن تشهد عليه بحق علمته ولا ترثية لفقير أن تشهد عليه بحق علمته وفي حرف
حفصة رضي الله عنها وإن تلووا أو تعرضوا وهو من الولاية التي ذكرنا وقيل وإن تلووا من التحريف و
طلب الإبطال وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولا تتبعوا الهوى أن تعدلوا بين الناس وهو من العدل
على ما ذكرنا وقال بعضهم هو من الصرف والعدول عن الحق وقوله عز وجل فإن الله كان بما تعملون خبيرا
خرج على الوعيد على كل ما ذكر من منع الشهادة والقيام لله بها وتحريف ما لزمهم وبالله العصمة ومثل
ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقم بشهادته على من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يجحد حقا هو عليه وليؤده عفوا ولا يلجئه إلى سلطان ولا إلى خصومة ليقطع
بها حقه وأيما رجل خاصم إلى تغضبته له على أخيه بحق ليس هو عليه فلو يأخذه فإنما أقطع له قطعة من
جهنم وروي في خبر آخر يا ابن آدم أقم الشهادة ولو على نفسك أو على ذي قرابتك أو شرف قومك فإنما
الشهادة لله وليست للناس إن الله رضي بالعدل والإقساط لنفسه والعدل ميزان الله في الأرض يرد
على المظلوم من الظالم وعلى الضعيف من الشديد وعلى المحق من المبطل وبالحق يصدق الله الصادق ويكذب
الكاذب ويرد المعتدي ويوبخه وبالعدل صلح الناس وقوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله
يحتمل قوله عز وجل آمنوا بالله ورسوله وجوها يا أيها الذين آمنوا فيما مضى من الوقت آمنوا في حادث
الوقت ويحتمل يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي اثبتوا عليه ويحتمل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا بألسنتكم
آمنوا بقلوبكم كقوله تعالى آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ويحتمل يا أيها الذين عند رؤيتهم البأس والعذاب
آمنوا في الحقيقة كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ويحتمل وجها آخر قوله يا أيها الذين آمنوا
كلهم كما آمن المؤمنون كقوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم وهم كانوا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كقوله
تعالى لا نفرق بين أحد منهم وهم كانوا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كقوله عز وجل نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ويحتمل يا أيها الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث آمنوا به إذا بعث لأنهم كانوا مؤمنين
به قبل أن يبعث فلما بعث تركوا الإيمان به كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به آمنوا بالله ورسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي نزل على محمد رسوله
أي آمنوا بالكتاب الذي نزل على رسوله وهو محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي أنزل من قبل
أي آمنوا أيضا بالكتب السماوية التي أنزلها الله ثم الإيمان بالله حقيقة بجميع الرسل والكتب لأن
كل نبي كان يدعو إلى الإيمان بجميع ذلك وكذلك في كل كتاب من الكتب السماوية دعاء إلى الإيمان بجملتها
ألا ترى أن الكفر بواحد منهم كفر بالله وبجميع الرسل والكتب وما ذكروا بالله العصمة وقوله

عز وجل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر الآية يحتمل هذا وجهين يحتمل ومن
يكفر بجميع ما ذكر فقد ضل ضلالا بعيدا وهو على التأكيد ويحتمل ومن يكفر بالله أو ملائكته أو كتبه
أو اليوم الآخر فقد كان ما ذكر لأن الكفر بواحد من ذلك كفر بالكل حتى لو أنكر آية من آيات الله
تعالى كفر بالله وبالكتب والرسل كلها والله الموفق وقوله عز وجل إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا
كفرا لم يكن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت الآية في الذين قال الله تعالى في سورة آل عمران كيف يهدي
الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وقيل إنها نزلت في الذين آمنوا بموسى عليه السلام
ثم كفروا بعد موسى ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعده ثم آمنوا بعيسى عليه السلام وبالإنجيل ثم كفروا من
بعده ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم وهو الأول وقيل غير هذا لكن ليس بنا إلى
أنها فيهم نزلت حاجة ولكن فيه دليل أنها في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون أبدا ولا يتوبون لأنه قال
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا أخبر أنه لا يغفر لهم وهو كقوله تعالى إن الذين كفروا بعد إيمانهم
ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم لما علم الله أنهم لا يتوبون ولو آمنوا وتابوا قبلت توبتهم فعلى ذلك
لما علم أنهم لا يتوبون ويموتون على ذلك أخبر أنه لا يغفر لهم وفيه دليل أن تقبل توبة المرتد إذا تاب ليس
كما قال بعض الناس إنه لا تقبل توبة المرتد لأنه أثبت لهم الإيمان بعد الكفر والارتداد بقوله آمنوا ثم كفروا
ثم آمنوا ثم كذا فدل أنه إذا تاب يقبل منه وقال أصحابنا يستتاب المرتد ثلاثا فإن أسلم وإلا قتل وروي عن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال يستتاب المرتد ثلاثا ثم تلا هذه الآية وعن ابن عمر رضي الله عنه كذلك
وعن عمر رضي الله عنه أنه قدم عليه رجل من الجيش فقال هل من حدث لكم حدث فقال إن رجلا من المسلمين ارتد
ولحق بالمشركين فأخذناه قال ما صنعتم به قالوا قتلناه قال هلا أدخلتموه بيتا وأغلقتم عليه بابا وأطعمتموه
كل يوم رغيفا واستتبتموه ثلاثا فإن تاب وإلا قتلتموه ثم قال اللهم إني لم أشهد ولم أرض حين بلغني وقال
أبو حنيفة رضي الله عنه إذا ارتد ثلاثا ثم تاب في كل مرة فإنه يحبس في الثالثة إذا تاب حتى يظهر منه خشوع
التوبة وذلك أثر الثبات على توبته لأنه أظهر الفسق والفاسق يحبس حتى يظهر خشوع التوبة وقوله
عز وجل لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لا يحتمل أن يكون أراد بقوله ولا ليهديهم سبيلا البيان
على ما قاله خوطر لأنه قد تولى لهم البيان لكنهم تعاندوا ولم يهتدوا فدل أنه معنى منه سوى البيان
لم يجعلهم لما علم أنهم لا يهتدون أبدا وهو التوفيق فهذا يرد على من لا يجعل الهدى إلا بيانا إذ قد بين لهم
ذلك وقوله عز وجل بشر المنافقين بكذا البشارة المطلقة المرسلة لا يكون إلا بالحق خاصة وأما إذا كانت
مقيدة مفسرة فإنها تجوز بالشر كقوله تعالى بشر المنافقين بأن لهم كذا وكذلك قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم
وفي القرآن كثير ما ذكرها في الشر لا مفسرة مقيدة وقوله عز وجل بشر المنافقين يدل هذا على أن الآية
الأولى في أهل النفاق والردة على ما ذكرنا من التأويل لأنه لم يسبق فيما تقدم ذكر لهم سوى قوله تعالى
آمنوا آمنوا بالله ورسوله ويحتمل على الابتداء والاستئناف على غير ذكر تقدم وذلك جائز في القرآن كثير
ثم المنافقين فقال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين قولا وفعلا أما القول كقولهم إنا
معكم إنما نحن مستهزئون وغيره من الآيات وأما الفعل وكانوا يمنعون المؤمنين أن يغزوهم كقوله تعالى وإن منكم
لمن ليبطئن وكقوله إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وكقوله تعالى فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين
كانوا يمنعون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن أن يغزوهم ويقاتلوهم فيهم وإن كان يرون
من أنفسهم الموافقة للمؤمنين في الظاهر فإنهم كانوا في الحقيقة معهم فهذا والله أعلم تأويل قوله تعالى
يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقوله عز وجل أيبتغون عندهم العزة قيل قوله تعالى أيبتغون
على طرح الألف وأنها زائدة أي يبتغون بذلك من عندهم العزة ثم يحتمل قوله تعالى أيبتغون عندهم العزة
وجهين يحتمل العزة المنعة والنصرة وكانوا يطلبون بذلك النصرة والقدرة عند الكافرين ويحتمل
ليتعززوا بذلك والأصل أن حرف الاستفهام كله من الله له حق الإيجاب على ما يقتضي جوابه من حقيقة الاستفهام
أن الله عالم لا يخفى عليه شيء وليستفهم هل عن ذلك وقوله عز وجل فإن العزة لله جميعا أي القدرة والنصرة
كله لله من عنده يكون ومن يتعزز في الدنيا والآخرة ليس من عند أولئك الذين يطلبون منهم وقوله عز وجل
وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها قال بعضهم قوله تعالى وقد نزل عليكم
في الكتاب هو ما ذكر في سورة الأنعام وهو قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في حديث غيره ثم قال وما على

الذين يتقون من حسابهم من شئ اذا قعدوا ثم قال في هذه الاية فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره ثم انكم اذا مثلهم نهاهم عز وجل على القعود معهم واخبر انهم اذا فعلوا ذلك يكونوا مثلهم والله اعلم
على النسخ نسخ هذا الاول ويحتمل ان يكون قوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ في المشركين ثم يلحقهم
من العقوبة والماثم لانهم لا يقدرون على منع المشركين عن الاستهزاء بايات الله والطعن فيها ويقدرون
على منع المنافقين عن ذلك فشاركوهم في العقوبة فيما تقدرون على منعهم فلم يمنعوا ورفع عنهم ذلك فيما
لا يقدرون على دفعه وفيه دلالة ان من بلي بمنكر له قدرة التغيير على اهله فلم يغير ان يشاركهم في ذلك
او اذا لم يكن له قدرة التغيير عليهم فعل اي انكر عليهم وهجره والا فارقهم والا خاف ان يشاركهم في العقوبة
والله اعلم وقوله عز وجل ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الاية لانهم كانوا معهم في السر
والحقيقة وان كانوا يظهرون للمؤمنين الموافقة باللسان فهذا يدل على ان الحق في العواقب ما يسر
المرء ويضمر ليس ما يظهر لان المنافقين في الظاهر كانوا مع المؤمنين في الظاهر في جميع الاحكام في الانكحة
والعقود كلها واظهار الايمان لهم باللسان لكنهم اذا اضمروا خلاف ما اظهروا ولم ينفعهم ذلك ان
في العواقب ما يسر ويضمر والله اعلم وقوله عز وجل الذين يتربصون بكم الغنيمة والنصر فان كان الفتح للمؤمنين
قالوا الم نكن في الايمان والاحكام كلها يطلبون الغنيمة والاشراك فيها كقوله تعالى اشحة على الخير الاية واذا
كانت الدبرة في البوار على المؤمنين للكافرين يقولون الم نستحوذ عليكم ونمنعكم على المؤمنين يقولون لهم ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم وكقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية كانوا بين
المسلمين كعيون لهم يخبرون عوراتهم ويطلعونهم على مقصود المؤمنين فذلك معهم على المؤمنين واستحواذهم
عليهم والله اعلم ويحتمل يتربصون بكم يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه بعندهم بان لا يدوم ذلك بل
ينقطع عن قريب والله اعلم ويحتمل يتربصون ما ذكر من قوله تعالى وتربصتم وارتبتم ثم خرج تاويله في قوله
فترى الذين في قلوبهم مرض يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ثم ذلك بقوله تعالى ومن الاعراب من يتخذ
ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر لا يوقنون انهم ويتربصون بهم انقلاب الامر ورجوعه الى الاعداء لانه
متى ظهرت لهم العواقب اظهروا الذي كان دينهم في الحقيقة انه كان لسعة الدنيا ونعيمها كقوله عز وجل
وان منكم لمن ليبطئن الاية وقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية وقوله عز وجل ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا الاية يحتمل هذا ايضا وجهين يحتمل لن يجعل للكافرين على المؤمنين في الحجج في
الدنيا اي ليس للكافرين الحجة على المؤمنين في الدين من شئ الا ان يموه عليه ويفتعل به بعجز المؤمن
في اقامة الحجة عليه وعن دفع تمويهاتها ولا ليس للكافر حجة يقيمها على المؤمن في الدنيا ويحتمل ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا في الاخرة على دفع شهادتهم لان امة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون عليهم
كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ثم لا سبيل لهم على دفع شهادتهم لان امة محمد الذي تشهد عليهم
وردها والله اعلم وايضا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجة او في الشهادة او عند الله في
الخصومة وانما دعوا الى كتبهم اذا اجابوا فيما دعاهم الى الايمان بالكتب والرسل عليهم السلام اذ
النص فيرجع امره الى العواقب والله اعلم وقوله عز وجل الم نستحوذ الغلبة وقيل الاستيلاء وقال
بعضهم الم نخبركم بعورة محمد واصحابه ونطلعكم على سرهم ونكتب به اليكم وعن ابن عباس رضي الله عنه
الم نخط من ورائكم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه الم نستحوذ عليكم ومنعناكم من المؤمنين
وقال الكسائي هذا في كلام العرب كثير ظاهر ومعنى الم نستحوذ انما استحوذنا ومنعناكم وهو ظرف
واصل الاستحواذ الغلبة والقهر وهو ما ذكرنا انهم يخبرون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله عز وجل فالله يحكم بينهم يوم القيمة وحكم بينهم والله اعلم وهو
ان ينزل المؤمنين بالجنة والمنافقين النار ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجة على ما
ذكرنا وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه يقال الحجة وقيل ظهورا لكن الاول اشبه ويحتمل
ما ذكرنا من الشهادة انه جعل يوم القيمة للمؤمنين الشهادة عليهم ولم يجعل لهم الى دفعها وردها
على انفسهم سبيل والله اعلم وقوله عز وجل ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قوله تعالى يخادعون اولياء
الله او دينه فاضيف اليه فهو جائز في القران كثير كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم اي تنصروا دين الله
او اولياءه ينصركم وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب وقوله عز وجل وهو خادعهم اي يجزيهم جزاء خداعهم

المؤمنين

المؤمنين فسمي خداعا وان لم يكن في الحقيقة خداعا لانه جزاء الخداع وهو كما سمي السيئة سيئة وان لم تكن
الثانية في الحقيقة سيئة وكذلك سمي جزاء الاعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء فعلى ذلك سمي هذا خداعا
لانه جزاء الخداع والعرب غير ممتنعة عن تسمية الشئ باسم سببه على ما ذكرنا والله اعلم ثم اختلف في
جهة الخداع عن ابن عباس رضي الله عنه قال يعطى المنافقين على الصراط نورا كما يعطى المؤمنين فاذا مضوا
به على الصراط طفئ نورهم ويبقى نور المؤمنين يمضون بنورهم فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس
من نوركم فيحجز بينهم فتناديهم الملائكة ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقد علموا انهم لا يستطيعون
الرجوع فذلك هو خادعهم وكذلك قال الحسن ثم قال فتلك خديعة الله اياهم وقال اخرون يفتح
لهم باب من ابواب الجنة فاذا راوا ذلك قصدوا ذلك الباب فلما دنوا منه اغلق دونهم فذلك الخداع
والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو انهم يشاركون المؤمنين في هذه الدنيا ومنافعها والتمتع والتقلب
فيها فظنوا انهم يشاركونهم في منافع الاخرة والتمتع بها فيحرمون ذلك فذلك الخديعة والله اعلم وقوله
عز وجل واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس لانه جعل الله تعالى للمنافق اعلاما في فعله وفي قوله
يعلم بها المنافق اما في القول ما قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله وان منكم لمن ليبطئن
وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية واما في الفعل وهو قوله تعالى
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الا قليلا وقوله تعالى ولا ياتون الباس
الا قليلا اي القتال وقوله سبحانه وتعالى فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي
يغشى عليه من الموت الاية ومثله كثير في القران فاجعل ذلك علامة لهم وهو كقوله تعالى واذا رايتهم تعجبك
اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم الاية وكقوله تعالى واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض
الاية يراءون في جميع افعالهم الناس وفي حرف حفصة رضي الله عنها يراءون الناس والله يعلم ما في
قلوبهم ولا يذكرون الله الا قليلا عن الحسن في قوله تعالى لا يذكرون الله الا قليلا فقال انما قال لو كان
ذلك القليل منهم لله لقبله ولكن ذلك القليل اياه وقيل لو كان ذلك القليل لله يريدون به وجهه لقبله
لكان كثيرا ولكن لا يقبله فهو لا شئ وقد تتكلم بالقليل واليسير على ارادة النفي من الاصل والله اعلم
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الصلوة حيث يراه الناس واساءها
حيث يخلو فتلك استهانة يستهين بها ربه وروي في علامة المنافق اخبار روى ابو هريرة رضي الله عنه
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان للمنافق علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول
لا يقربون المساجد الا هجرا ولا ياتون الصلوة الا دبرا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا
ائتمن خان وروي ثلاث وروي عن عبد الله قال اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا عاهد غدر ثم قرا الايات ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الاية عن وهب قال من خصال المنافق
ان يحب الحمد ويكره الذم وقوله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء قال اكثر اهل التاويل
ليسوا بمسلمين مخلصين ولا مشركين مصرحين وهو ايضا قول قتادة وقول مقاتل ليسوا مع اليهود فيظهرون
ولايتهم ولا مع المؤمنين في التصديق مع الولاية ويحتمل مع غير هذا وهو انه لم يظهر لكل واحد من
الفريقين منهم الموافقة لهم والكون معهم بل يظهر منهم الخلاف عند كل فريق لانهم كانوا طمع عبادة
انفسهم يكونون حيث راوا السعة معهم فلا الى هؤلاء في حقيقة الذين عبدوا انفسهم ولا الى هؤلاء فذلك
والله اعلم تاويله وقوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا قيل حجة على ما قيل في الاول وقيل فلن
تجد له سبيلا يعني هدى وطريق المستقيم والله اعلم وعن الحسن ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ما دام
كان فاذا تاب ورجع عن ذلك فله السبيل وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في المنافقين الذين اتخذوا الكافرين اولياء من
دون المؤمنين سماهم الله تعالى مؤمنين باقرارهم بالايمان علانية وتوليهم الكافرين سرا وان يقال سموا
مؤمنين لما كانوا ينسبون الى المؤمنين فسموا بذلك وقيل نزلت في المؤمنين نهاهم ان يتخذوا المنافقين
اولياء باظهارهم الايمان علانية وامرهم ان يتخذوا المؤمنين اولياء ثم وجه النهي في الولاية واتخاذهم
اولياء يكون من وجوه يحتمل النهي عن ولايتهم ولاية الدين اي لا يتبعوهم ولا تصدقوهم ولا تامنوهم

فى الدين فانهم يريدون ان يصرفوكم عن دينكم كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين يردوكم
على اعقابكم الاية ويحتمل النهى اولياء فى امر الدنيا كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من
دونكم لا يالونكم خبالا الاية نهى المؤمنين عز وجل ان يجعلوا المنافقين موضع سرهم فى امر من امور الحرب
وغيره والثالث فى كل امر اى لا تصادقوهم ولا تجالسوهم ولا تناسواهم **وقوله** عز وجل اتريدون ان
تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اى تجعلون لله عليكم مبينا قبل بعذر مبينا وقيل حجة بينة يحتج بها عليكم
والله اعلم **وقوله** عز وجل اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا فهو والله اعلم الارادة وهى
صفة كل فاعل فى الحقيقة وحرف الاستفهام من الله ايجاب فكانه قال قد جعلتم لله فى تعذيبكم حجة
بينة بفعلها لكم اذ ذلك يكون وهو اتخاذ الكافرين اولياء دون المؤمنين حجة ظاهرة فى لزوم المقت و
جائز ان يكون الاضافة الى الله ترجع الى اولياء الله نحو الامر بنصر الله والقول بخادعة وكان ذلك
منهم حجة بينة عليهم لاولياء الله انهم لا يتخذون الشيطان اولياء وعبادة غير الله اتخذوه ولا قوة الا
بالله **وقوله** عز وجل ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والدرك بالجزم والفتح لغتان وهما
واحد يقال للجنة درجات وغرفات وللنار دركات بعضها اسفل من بعض وقيل كلما كان اسفل
كان العذاب فيها اشد الا ترى انه اخبر عنهم بقوله وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من
الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين فلو لم يكن الاسفل منهم فى الدركات اشد عذابا
لم يكن لقولهم نجعلهما تحت اقدامنا معنى فدل ان كل ما كان اسفل من الدركات كان فى العذاب اشد والله
اعلم وذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر عبد المطلب وهشام المغيرة فما لهما من اد فى اهل النار
عذابا وهما فى ضحضاح من النار خالدين فيها واد فى اهل النار عذابا فى رجليه نعلان من نار يغلى بهما
دماغه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال الدرك توابيت من حديد تصمت عليهم فى اسفل النار
وقيل ان العذاب فى النار واحد فى الظاهر وهو مختلف فى الحقيقة واية ذلك قوله تعالى عز وجل و ليحملن
اثقالهم لكى بعضهم لا يشعر بعذاب غيرهم كقوله تعالى قالت اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا
فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف سالوا ربهم ان يجعل لهم ضعفا من العذاب جزاء ما اضلوا
فاخبر ان لكل ضعفا من الائمة ثم تخصيص المنافقين فى الدرك الاسفل من النار دون سائر الكفرة
وجوه ثلاثة احدها انهم كانوا يسعون فى افساد ضعفة المسلمين ويشككونهم فى دينهم و يشككون
فى اخراجهم من الايمان وكان ذلك دابهم وعادتهم فاستوجبوا بذلك ذلك العذاب جزاء
فى افسادهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك لهم لانهم كانوا عيونا بالكفرة وطلايعا لهم يخبرون
بذلك عن اخبارهم واسرارهم ويطلعون على عوراتهم فذلك سعى فى امر دينهم ودنياهم بالهلا
وكقوله الم نستحوذ عليكم الاية ويحتمل وجها اخر وهو انهم لم يكونوا فى الاحوال كلها اهل دين
يقيمون فى حال الرضاء والضيق ولكن كانوا مع السعة والرخاء وحيث كان ولا كذلك سائر الكفرة
بل كانوا فى حال الرخاء والشدة على دين واحد بعد من الاصنام اولئك مع المؤمنين فى حال اذا
كانت السعة معهم ومع الكافرين فى حال السعة معهم لا يقرون على شى واحد مترددين بين ذلك
كما قال الله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء الاية والكفرة عبدوا من عبدوا على رجاء التقرب
الى الله وامر الله عز وجل لهم بذلك ليكونوا لهم شفعاء عند الله واهل النفاق لم يكونوا يقيدون
غير يعطونهم ومن معه شهواتهم فلذلك ازداد عذابهم على عذاب غيرهم ولما هم جمعوا الى الكفر
بالله المخادعة والتغرير واغراء الاعداء واستعلاؤهم ولما قيد اشتركوا الفرق كلهم فى اللذات
وفى طلب الشهوات فعادلهم ما استحق كل منهم من العقوبة وبذلك شاركوا فى كل المعاصى دينها
اعطاء الانفس الشهوات سماهم بوصفة المؤمنين والتلبيس عليهم ولا قوة الا بالله **وقوله**
عز وجل الا الذين تابوا واصلحوا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال تابوا من النفاق واصلحوا اعمالهم
واعتصموا بالله يقول واتقوا بالله وقيل الا الذين تابوا واصلحوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين
وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنهما الا الذين تابوا ثم امنوا بالله والرسول والكتاب الذى
انزل اليه من ربه وما انزل الى النبيين من قبل ثم اختلفوا دينهم لله واعتصموا به اولئك على
المؤمنين سوف يؤتى الله المؤمنين اجرا عظيما وعن ابن عباس رضى الله عنهما واخلصوا دينهم لله

قال لم يرا ذا وكانت سريرتهم كعلانيتهم او افضل **وقوله** عز وجل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم تاويله
والله اعلم ان ليس لله عز وجل حاجة فى تعذيبه اياكم ان صدقتم وامنتم ولكن الحكمة توجب تعذيب
من كفر به والا ليس له حاجة فى تعذيبكم والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا فى قوم فرطوا فى التكذيب و
معاندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظنوا انهم وان امنوا به وصدقوا لم يغفر لهم ما كان من التفريط فى
التكذيب فى التمرد وفى المعاندة فاخبر عز وجل انه لا يعذبهم ان امنوا به بما كان منهم من التكذيب والاستهزاء
كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ثم الشكر فيما بين الخلق يكون على الجزاء و
المكافات كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ثم الشكر فيما بين الخلق يكون على
الجزاء والمكافات اذ ليس فى وسعهم القيام باداء شكر اصغر نعم انعمها عليهم عمرهم فدل انه ليس
يخرج الامر على ما به امر المكافات ولكنه يخرج على وجوه على معرفة النعم انها منه والثانى على معرفة
التقصير والاعتراف بالعجز عن اداء شكرها والثالث ان لا يستعملها الا فى طاعة ربه **وقوله** عز وجل
وكان الله شاكرا عليما يقبل الايمان بعد الجحود والتكذيب اذا تاب وقيل شاكرا اى يقبل القليل
من العمل اذا كان له خالصا ليس كملوك الارض لا يقبلون اليسير من الاشياء وقيل شاكرا يقبل
اليسير من العمل ويعطى الجزيل من الثواب وذلك هو الوصف فى الغاية من الكرم والله اعلم وفى حرف
ابن مسعود رضى الله عنهما ما يعبا الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا لاعمالكم الحسنة
عليما بها وهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم اختلف فى
تاويله وتلاوته قال بعضهم لا يحب الله بالسوء من الدعاء الا من ظلم فانه لا باس ان يدعو اذا كان
مظلوما وقال اخرون الجهر بالسوء من القول هو الشتم اخبر انه لا يحب ذلك لاحد من الناس
ثم استثنى الا من ظلم واعتدى عليه وكذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما قال الجهد بالسوء من
القول ان يشتم الرجل المسلم فى وجهه الا ان يشتمه فيرد كما قال وذلك قول الله عز وجل الا من
ظلم وان تعفوا فهو افضل وقرا بعضهم الا ظلم بالنصب فهو يحتمل الا من ظلم فان له الجهد بالسوء من القول و
ان لم يكن له ذلك وهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فانهم وان لم حجة عليكم
فانهم يحتجون عليكم فعل ذلك الظالم وان لم يكن له الجهر بالسوء من القول فانه يفعل ذلك والله اعلم
ومن قرا الا من ظلم بالرفع فتاويله ما ذكرنا والله اعلم انه لا يبيح لاحد الجهر بالسوء من القول الا المظلوم
فانه لا يباح له ولا يؤذن ان يرد عليه مثله وينتصر منه وقيل نزلت الاية فى ابى بكر رضى الله عنه شتمه
رجل بمكة فسكت عنه ما شاء الله ثم انتصر فقام النبى صلى الله عليه وسلم وتركه وعن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فهو على البادى حتى يتعدى المظلوم وقال الا الا
ليتبرا ان كنتم فاعلين لا محالة فعلم الرجل من صاحبه فليفعل ايك النخيل واصل هذا الاستثناء ان
الاول وان لم يكن من نوع ما استثنى فهو جزاؤه وجزاء الشئ يسمى باسمه كما سمى الله عز وجل جزاء السيئة
سيئة بقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثانى اعتداء ولا سيئة
فعلى ذلك استثنى الا من ظلم وان لم يكن من نوعه لانه جزاء الظلم والاعتداء والله اعلم وقيل ان الاية نزلت
فى الضيف ينزل بالرجل فلا يضيفه ولا يحسن اليه فجعل له ان يأخذ بلسانه والى هذا يذهب اكثر
المتاولين لكنه بعيد وفى قوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم دليل على ان ليس فى اباحة
الشئ فى حال يوجب حظره فى حال اخرى لانه نهى عن الجهر بالسوء من القول ثم لم يدل ذلك على انه
لا ينهى عن ذلك فى غير حال الجهر **وقوله** عز وجل وكان الله سميعا بجهر السوء عليما به ثم قال ان تبدوا
خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء يحتمل والله اعلم ان العفو والتجاوز خير عند الله من الانتقام يحتمل
هذا وجهين يحتمل ان يكون على الترغيب رغبهم عز وجل بالعفو عن السوء والمظلمة فكانه يعفوا
عن خلقه ويتجاوز عنهم مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن ظالمكم ايضا وان قدرتم على الانتصار
والانتقام منهم فيكون لكم بذلك عند الله الثواب ويحتمل ان يامرهم بالعفو عن ظالمهم ليعفو عز
وجل عن مظالمهم التى فيما بينهم وبين ربهم وعلى ذلك يخرج قوله فان الله كان عفوا قديرا والله اعلم فان
الله سبحانه عز وجل اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو صاحبكم المسئ اليكم وقال بعضهم الله اجدر ان
اجرى او يعفو عنك اذا عفوت عن اخيك فى الدنيا وهو على ذلك اقدر **وقوله** عز وجل ان الذين يكفرون

بالله ورسوله يريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله فيكون قوله يكفرون بالله في الله به لانهم يكفرون
بالله ولا يؤمنون به ويقولون بقدم العالم فذلك منهم وقوله ورسله يكون في الذين يؤمنون بالله
ويكفرون بالرسل كلهم وقوله عز وجل ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الذين كفروا ببعض
الرسل وامنوا ببعض الرسل ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ثم اخبر عز وجل عنهم جميعا مع
اختلاف مذاهبهم انهم كفار وحق الكفار فيهم بقوله تعالى هم الكافرون حقا ويحتمل ان يكون
فيمن امن ببعض الرسل وكفر ببعض فيكون الكفر ببعض الرسل كفرا بالله وبجميع رسله وبجميع كتبه
لان كل من الرسل يدعوا الخلق كلهم الى الايمان بالله والايمان بجميع الرسل والكتب واذا كفر
بواحد منهم كفر بالله وبالرسل جميعا والله اعلم وقوله عز وجل اولئك هم الكافرون الذين حق
عليهم الكفر بالله والثاني يكفرون ببعض الرسل انهم وان كفروا ببعض الرسل فقد حق عليهم
عليهم الكفر بالله تعالى لان الكفر بواحد من الرسل جميعا وقوله عز وجل واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا وقوله مهينا يهانون فيه وقوله تعالى يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي ويتخذون
غير ذلك سبيلا وعلى طرح الارادة اي يتخذون بين ذلك بين الايمان ببعض الرسل وكفر ببعض
الرسل دينا فذلك لا ينفعهم اذا كفروا ببعض الرسل ثم نعت المؤمنين فقال عز وجل والذين
امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل وقالوا امنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم الى اخر ما ذكر وفي الاية نقض قول المعتزلة لانهم لا يسمون صاحب الكبيرة مؤمنا
وهو قد امن بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد من رسله فدخل في قوله تعالى اولئك سوف يؤتيهم
اجورهم وهم يقولون لا يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما ولكن صار غفورا رحيما وبالله
العصمة وقوله عز وجل يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قيل في احد التاويلين
كان يريد كل احد منهم ان ياتي الى كل رجل منهم بكتاب ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
كقوله سبحانه وتعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا وكقوله تعالى سبحانه وتعالى ولن
نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل سألوا ان ياتيهم بكتاب جملة مثل التورية مثل قولهم لولا نزل عليه
القران جملة واحدة كما انزلت التورية على موسى جملة واحدة لانهم غير متفرقة فاخبر انهم سألوا موسى
اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فقد سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل سؤال اولئك موسى وهو
قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا يعزي عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ويصبره على اذاهم
تعول والله اعلم انهم سألوا ايات على رسالته فاتى بها فلم يؤمنوا بها وان سؤالهم سؤال تعنت
لا سؤال استرشاد لان سؤالهم لو كان سؤال استرشاد لكان اذا اتوا بها قبلوها ولذلك اخذهم
العذاب بقوله تعالى فاخذتهم الصاعقة بظلمهم لانهم كانوا يسألون سؤال تعنت لا سؤال رشد
وفي الاية دلالة ان السؤال لا يلزم الدليل على شهوة السائل وارادته ولكن يلزم ان ياتي بما هو
دليل في نفسه وفيه دلالة ايضا ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب لانه قال يسألك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء لم يخطر ببال احد انه اراد المجوس بقوله اهل الكتاب والله اعلم وقوله
عز وجل فاخذتهم الصاعقة بظلمهم والصاعقة هي العذاب الذي فيه الهلاك وقد ذكرنا فيما تقدم
واما اخذهم العذاب بكفرهم بموسى بعد ما اتاهم موسى عليه السلام بايات لا بسؤالهم الرؤية لانه
لو كان ما اخذهم العذاب انما اخذ بسؤال الرؤية لكان موسى بذلك اولى حيث قال رب ارني انظر اليك
فدل ان العذاب انما اخذهم بتعنتهم وكفرهم بعد ظهور الايات لهم انه رسول وذلك قوله تعالى ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن شدة تعنتهم في تكذيب الرسل وكثرة
تمردهم وسفههم ليصبر على اذى قومه ولا يظن انه اول مكذب من الرسل وقوله عز وجل واتينا
موسى سلطانا مبينا قيل السلطان المبين يحتمل الايات التي اداهم ما تعقل كل احد ان لم يعاند ولا
كابر انها سماوية اذ هي كانت خارجة عن الامر المعتاد بين الخلق من نحو اليد البيضاء والعصا
وفرق البحر وغير ذلك وقوله عز وجل ورفعنا فوقكم الطور بميثاقهم حين لم يقبلوا التورية
فعند ذلك قبلوا ثم اخذ عليهم الميثاق بذلك وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وقلنا
لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت عن ابن عباس رضي الله تعالى وقلنا لهم

لا تعدوا

لا تعدوا في السبت يقول لا تعملوا في السبت عملا من الدنيا تفرغوا فيه للعبادة وفي حرف حفصة رضي الله
عنها وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وقال ابو معاذ ويقرأ لا تعدوا على معنى لا تعتدوا ونلقي احد التائين
وان شئت تعتدوا ولم تدغم التاء وفي الدال وقوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا هو ما ذكر قال
ابن عباس رضي الله عنهما من ارسل الله اليه رسولا فاقر به فقد اوجب على نفسه ميثاقا غليظا
وقال مقاتل الغليظ اقرارهم بما عهد الله اليهم في التورية وقوله عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
بايات الله قال الكسائي ما ههنا صلة يقول فبنقضهم ميثاقهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنهما وكفرهم بايات الله من بعد ما بينت وقال مقاتل فبنقضهم اقرارهم بما في التورية وبكفرهم بايات الله
يعني بالانجيل بالقران وهم اليهود وقوله عز وجل وقتلهم الانبياء بغير حق يحتمل على حقيقة القتل
ويحتمل على القصد والهم فانهم هموا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كانوا يقتلون الانبياء واما الرسل عليهم السلام فكانوا معصومين لم يقتل رسول قط الا ترى
انه قال انا لننصر رسلنا وقال عز وجل انهم لهم المنصورون وقوله عز وجل وقولهم قلوبنا غلف قيل فيه وجهين
احدهما انهم قالوا قلوبنا اوعية للعلم لا تضيع شيئا الا حفظته فالقران في هذا الوجه غلف و الثاني
قالوا قلوبنا في اكنة مما تقول لا نعقل ما تقول فالقران في هذا الوجه غلف فيه ثم قال عز وجل
بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل ان يكون هذا جوابا لما ادعوا على قلوبهم ان قلوبنا غلف اوعية للعلم لا
تضيع شيئا الا وعيته اخبر عز وجل انه طبع على قلوبهم بكفرهم فلا يفقهون شيئا والله اعلم وقوله
عز وجل وقولهم على مريم بهتانا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنهما قذفوها بالزنا وهو قولهم
لقد جئت شيئا فريا وقيل قوله تعالى وكفرهم اي كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران
وقولهم على مريم ما قالوا لقد جئت شيئا فريا وقولهم انا قتلنا المسيح قيل سمي مسيحا لان جبريل عليه الصلوة
والسلام مسحه بالبركة فهو كالممسوح الفعل بمعنى المفعول وذلك جائز في اللغة وقيل المسيح بمعنى
ماسح لانه كان يمسح المريض والابرص والاكمه فيبرأ وسمي لذلك مسيحا وذلك جائز الفعيل بمعنى فاعل
والله اعلم وقوله عز وجل انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله الاية لبعض الناس تعلق بهذه
الاية وجهين احدهما في احتمال الغلط والخطاء في المشاهدات والمعاينات والثاني في احتمال المتواتر
من الاخبار الغلط والكذب وذلك انه قيل في القصة ان اليهود طلبت عيسى عليه الصلوة والسلام
ليقتلوه فحصروه في بيته ومعه نفر من اصحابه من الحواريين فاوركهم السانيا فقال يحرسون فاوحى الله تعالى
الى عيسى عليه الصلوة والسلام اني متوفيك ورافعك الي فاخبر اصحابه وقال ايكم يحب ان يلقى عليه
شبهه فيقتل ويجعله الله يوم القيمة معي في درجتي فقال رجل منهم انا يا رسول الله فالقى الله عليه شبهه
فقتلوه وصلبوه وقيل انه القى شبهه على رجل من اليهود وقيل انه عليه الصلوة والسلام لما هموا بقتله التجاء
الى بيت فدخل فاذا جاؤا في طلبه فدخل رجل منهم البيت ليقتله فابطأ عليهم فظنوه انه يقاتله فلما خرج
وقد القي شبهه عليه فقتلوه وقالوا لما قتلوا ذلك وعندهم انه عيسى لما كان به شبهه ثم لم
يكن ذلك عيسى ما يمنع ايضا انما يشاهد ويعاين انه في الحقيقة على غير ذلك كما شاهد اولئك القوم
وعاينوا وعندهم انه عيسى ثم لم يكن والله اعلم ثم الخبر ايضا قد تواتر فيهم بقتل عيسى فكان كذبا ما يمنع
ايضا ان الاخبار المتواترة يجوز ان تخرج كذبا وغلطا قيل اما الخبر بقتله انما انتشر عن ستة او سبعة
على ما ذكر في القصة والخبر الذي كان انتشاره بذلك القدر من العدد وهو من الاخبار الاحاد
عندنا واما قوله تعالى ولكن شبه لهم يجوز ان يكون ذلك التشبيه تشبيه خبر انه قتل من القاء الشبه
على غيره وقتله حقيقة ذلك انه ذكر في بعض القصة انهم لما طلبوا في ذلك البيت فلم يجدوه ولم يكن
غاب احد منهم فقالوا قتلناه لانهم قالوا انه دخل البيت فدخلوهم على اثره فلم يجدوه كان ذلك
انباء من عظيم رسالته فلم يحبوا ان يقولوا ذلك فقالوا قتلناه كذلك فذلك تشبيه منهم لهم والله اعلم
فان احتمل هذا لم يكن ما قالوا من تخطئة الشرطهم درك فلو كان ما قال اهل التاويل من القاء شبهه
عليه فذلك من ايات رسالته اراد الله ان يكون اية قائمة بعد غيبته عنهم وفي حال اقامته بينهم
والله اعلم وقوله عز وجل وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل لفي شك من قتل عيسى عليه السلام
قتل او لم يقتل وقيل لفي شك منه في عيسى اي على الشك يقولون انه ابن الله ما لهم به من علم

الا اتباع الظن اى ليس لهم بذلك الا اتباع الظن الا قول منهم بظنهم فى غير يقين وما قتلوه يقينا بل
رفعه الله وقيل ما قتلوه يقينا اى يقينا ما قتلوه بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حين حال بينهم
وبين عيسى ان يقتلوه ويصلوا اليه حكيما حكم ان يرفعه الله حيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما
وكان الله عزيزا حكيما اى رسله يكونون معصومين وهو قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله
قوى عزيز وقوله عز وجل ايضا ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف فيه قال بعضهم قوله
تعالى قبل موته اختلف فيه قال بعضهم قوله تعالى قبل موته اى قبل موت عيسى واذا نزل من السماء امنوا به
اجمعون وبه يقول الحسن وقال الكلبى ان الله تعالى اذا انزل عيسى عليه السلام عند خروج الدجال يؤمن به
بقية اهل الكتاب فلا يبقى يهودى ولا نصرانى الا اسلم وقال بعضهم الا ليؤمنن به قبل موته اى قبل موت
الكتابى لا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسى صلوات الله عليه وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه
قال لا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسى عليه السلام قبل ان ضرب بالسيف قال وان ضرب بالسيف وقال
هى حرف ابى لا يؤمنن به قبل موتهم لكن التاويل ان كان هو الثانى فهو فى رؤسائهم الذين كانت لهم رياسة
فلم يؤمنوا خوفا على ذهاب تلك الرياسة والمنافع التى كانت لهم فلما حضرهم الموت ايقنوا بذهاب ذلك
عنهم فعند ذلك يؤمنون وهو والله اعلم كقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال انى تبت الان لكن لا ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كقوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
امنت من قبل لانها ايمان دافع العذاب والاضطرار كقوله تعالى فلما راوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده
الاية فكان ايمانهم ايمان دفع العذاب عن انفسهم لا ايمان حقيقة لانه لو كان ايمان حقيقة لانه
يقبل ولكن ايمان دفع كقول فرعون حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا
اسرائيل فلم يقبل ذلك منه لانه ايمان دفع العذاب وايمان اضطرار لا ايمان حقيقة فعلى ذلك الاول
وبالله التوفيق وقيل فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل
بالله وقبل بعيسى وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان عيسى عليه السلام اذا نزل يدعوا الناس
الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا بانه قد بلغ رسالة
ربهم اليهم واقر على نفسه بالعبودية وقيل الشهيد الحافظ وقبل يوم القيمة يكون عليهم شهيدا
وقيل يكون محمد عليهم شهيدا وهكذا كله محتمل والله اعلم ما اراد وقوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم لولا ان اخرى سوى هذه والاصرفنا قوله سبحانه وتعالى حرمنا عليهم طيبات على
دون تحقيق التحريم لانهم اهل كفر فلا يبالون ما تناولون من المحرم والمحلل ولا يمتنعون عن التناول من ذلك
فاذا كان ما ذكرنا فيجب ان يصرف تاويل الاية الى المنع كقوله وحرمنا عليه المراضع من قبل فليس هو على التحريم
ولكن على المنع اى منعناه فلم ياخذ من لبن امه فعلى ذلك يجب ان يكون الاول ثم المنع لهم يكون من وجهين
احدهما منع من جهة منع الانزال القلة الامطار والقحط كسنى يوسف عليه السلام وسنى مكة على ما كان لهم من
القحط والثانى جهة الخلق الا يعطوا اشياء لا بيعا ولا شراء ولا صرفا ولكن فى اية اخرى بيان انه قوله حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم انه على التحريم ليس على المنع وهو قوله على الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر من البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما والحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر
عز وجل ان ذلك الحرام ببغيهم فدل ما ذكرنا فى الاية ان ذلك على تحقيق التحريم لما يحتمل ان يكونوا لا يستحبون ما ذكر
فى الاية ولكن كانوا يتدينون على غير الاستحلال لحرمة ذلك عليهم وفى قوله تعالى وحرمنا عليهم طيبات احلت لهم
دلالة لاصحابنا رحمهم الله فى قولهم ان من اقر فقال هذا الشئ لفلان اشتريته منه له ولا يؤخذ منه
والا فى ظاهر قوله هذا الشئ لفلان اشتريته منه اذا اشتراه منه لا يكون لفلان فيكون ذلك اقرارا له
لكنه على الاضمار كانه قال هذا الشئ كان لفلان اشتريته منه وكذلك قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
اى كانت لهم وكذلك فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وحرف ابن عباس رضى الله عنهما حرمنا عليهم
طيبات كانت احلت لهم وقوله عز وجل وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اى صدهم الناس عن سبيل الله
كثيرا يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم صدوا من يستجهلون ويستفهون عن سبيل الله كانوا يدلون على الباطل
وعلى غير سبيل الله فذلك الصد محتمل ويحتمل انهم كانوا يصدون عن سبيل الله بالقتال والحرب وقوله

عز وجل واخذهم الربوا وقد نهوا عنه دل ان الربوا لم يزل محرما على الامم كلها كما جرم على هذه الامة وقوله
عز وجل واكلهم اموال الناس بالباطل ويحتمل هذا وجهين يحتمل اكل اموالهم بالباطل هو الرشوة كقوله
تعالى واكلهم السحت قيل هو الرشوة وقيل ما كانوا ياكلون من اموال الاتباع والسفلة بتحريفهم التورية
وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما وقوله عز وجل واعتدنا للكافرين عذابا اليما الاية ظاهر وقوله
عز وجل لكن الراسخون فى العلم استثنى الراسخون فى العلم منهم والراسخ هو ثبات الشئ فى القلب و
رسخ الايمان فى القلب وقوله لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك والمقيمين الصلوة لقوله يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ويؤمنون باقامة
كما قال عز وجل فى سورة البقرة ولكن البر من امن بالله معناه ولكن البر الايمان بالله وقال بعضهم قوله تعالى
يؤمنون اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلوة يعنى الرسل وفى حرف حفصة رضى الله عنها لكن
الراسخون فى العلم يؤمنون بما انزل اليك من قبلك بالمقيمين الصلوة والمؤتين الزكوة والمؤمنون بالله و
اليوم الاخر سوف نؤتيهم اجرا عظيما وكذلك فى حرف ابى المقيمين الصلوة بالنصب وقوله عز وجل انا
اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده قيل فيه بوجوه قيل قوله كما اوحينا الى نوح ومن ذكر
من بعده اى لا يختلف ما انزل اليك وما انزل الى غيرك من الرسل وهو كقوله تعالى وانه لفى زبر الاولين
وان هذا لفى الصحف الاولى الاية وقيل انا اوحينا اليك من الحجج والايات اى قد اعطيناك من الحجج و
الايات على صدق ما ادعوا من الرسالة والنبوة ثم لم يؤمنوا وقيل ان اليهود قالوا لمحمد لو كان رسولا
لكان يؤتى كتابا جملة كما اوتى موسى كتابا جملة من غير وحى قال الله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح والنبيين من بعده وحيا من غير ان اوتى كل منهم كتابا جملة كما اوتى موسى ثم كان اولئك رسلا
فعلى ذلك محمد صلى الله عليه وسلم رسولا وان لم يؤت كتابا كما اوتى موسى ولله ان يفعل ذلك يؤتى من
يشاء كتابا جملة مرة ومن يشاء يوحى اليه بالتفاريق والله اعلم بذلك وقوله عز وجل واوحينا الى
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن ذكر يحتمل ذكر ابرهيم ومن ذكر من اولاده بعد قوله انا
اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين على التخصيص لابرهيم ومن ذكر لانه ذكر النبيين بعد نوح
فدخلوا فيه ثم خص لهم بالذكر تفضيلا وتخصيصا لهم ويحتمل ان يكون قوله تعالى والنبيين من بعده
الرسل الذين كانوا بعد نوح قبل ابرهيم ثم ابتداء الكلام فقال واوحينا الى ابرهيم ومن ذكر وفى حرف
حفصة رضى الله عنها انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وكما اوحينا الى الرسل من بعدهم وكما اوحينا
الى ابرهيم فهذا يدل ما ذكرنا من ابتداء الذكر لهم والله اعلم والاية ترد على الباطنية مذهبهم لانهم
يقولون الرسل ستة سابعهم قائم الزمان لانه ذكر فى الاية من الرسل اكثر من عشرة فظهر كذبهم
بذلك وحبائلهم التى يسول لهم الشيطان وزين فى قلوبهم وقوله عز وجل ورسلا قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ذكر فى بعض القصة ان اليهود قالوا ما بال موسى لم يذكر
فيمن ذكر من الانبياء فانزل الله عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل هولاء بمكة فى الانعام
وفى غيرها لانه قيل هذه السورة مدنية ثم فى قوله ورسلا لم نقصصهم عليك دلائل من وجوه احدها
ان معرفة الرسل باجمعهم واحدا بعد واحد ليس من شرط الايمان بعد ان يؤمن بهم جميعا لانه اخبر
عز وجل ان من الرسل من لم نقصصهم عليك ولو كان معرفتهم من شرط الايمان والله اعلم والثانى
ان الايمان لقصصهم عليه جميعا لا يحتمل ترك ذلك دل انه ليس ذلك من شرط الايمان والله اعلم
والثانى ان الايمان ليس هو المعرفة ولكنه التصديق لانه لم يؤخذ عليه معرفة الرسل واحدا
بتصديقهم والايمان بهم جملة وقوله عز وجل وكلم الله موسى تكليما اختلف فيه قال بعضهم خلق
الله كلاما صوتا والقى ذلك وقال اخرون كتب له كتابا فكلمه بذلك فذلك معنى قوله وكلم الله
موسى تكليما لا ان كلمه بكلامه ولا ندرى كيف كان سوى انا نعلم انه احدث صوتا لم يكن فاسمع
ذلك كيف شاء وما يشاء وممن شاء لان كلامه الذى هو موصوف به فى الازل لا يوصف بالحروف
وبالهجاء ولا بالصوت ولا بشئ لما يوصف به كلام الخلق محال وما يقال هذا الكلام انما يقال على الموافقة
والمجاز كقوله حتى يسمع كلام الله ولا سبيل له الى ان يسمع كلام الله الذى هو موصوف به بالازل
ولكنه على الموافقة والمجاز يقال ذلك وقوله عز وجل وكلم الله موسى تكليما يخرج هذا والله اعلم

بخروج التخصيص له اذ ما من رسول الا وقد كان له خصوصية بموسى عليه السلام اذ كلمه من غير
ان كان ثمة سفير او رسول وكان لسائر الرسل وحيا يوحى اليهم اي دليل برسول والله اعلم وقوله
عز وجل وكلم الله موسى تكليما دل المصدر على تحقيق الكلام اذ المصادر ربما يؤكد حقائق ما له المصادر
في موضع اللغة وايد ذلك الامر المشهور من تسمية موسى كليم الله وما جرى على السن الخلق من القول
بان الله كلم موسى فثبت انه كان له في ما كلم خصوصية لم يشتركه فيه غيره من الرسل وعلى حق الوحي وانزال
الكتب له شريكا في ذلك من الرسل فثبت ان ما وصف به موسى خصوصية من الرسل باسماء ونعوت
او وجبت لهم الفضيلة بها وان كان حل ما يحل تلك الخصوصية قد يتوجه الى ما قد يشترك في ذلك
جملة الرسل فعلى ذلك امر تكليم موسى عليه السلام وقوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين اخبر انه
بعث الرسل بالبشارة في العاقبة لمن اطاعه والانذار لمن عصاه فهذا ليعلم ان كل لا عاقبة له
فهو عبث ليس من الحكمة وان الذي دعا الرسل الحق اليه انما دعوا الامر له عاقبة اذ في عقل كل احد
اكل امر عاقبة له ليس بحكمة فهذا والله اعلم معنى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لمن اطاع الله
ومنذرين لمن عصاه بالنار وقوله عز وجل لئلا يكون للناس على الله حجة يحتمل هذا وجهين يحتمل لئلا
يكون للناس على الله تعالى الاحتجاج بانه لم يرسل الينا وان لم يكن لهم في الحقيقة عند الله عز وجل
ذلك فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى ويحتمل قوله تعالى لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل حقيقة الحجة لكن ذلك انما يكون في العبادات والشرائع
التي سبيل معرفتها السمع لا العقل فلا يكون وهما الذين كان سبيل لزوم العقل فلا يكون
لهم في ذلك على الله حجة اذ في خلق كل واحد من الدلائل ما لو تامل وتفكر فيها لدلالته على صنعه
وعلى وحدانيته وربوبيته لكن بعث الرسل يقطع الاحتجاج لهم عنه وان لم يكن لهم الحجة وان كانت
على حقيقة الحجة فهو في العبادات والشرائع فبعث الرسل على قطع الحجة لهم والله اعلم وقوله عز وجل
وكان الله عزيزا حكيما اي لا يعجزه شيء عن اعزاز من اراد ان يعزه ولا على اذلال من اراد اذلاله
حكيما يعرف وضع كل شيء موضعه وقد ذكرنا تاويله في غير موضع وقوله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل
اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون قيل فيه بوجهين قيل ليشهد الله يوم القيمة ويشهدون ايضا
ان هذا القران الذي انزل اليك انما انزل من عند الله لا كما يقولون انما يعلمه وما هذا الا ذلك
مفترى ان هذا الا اختلاق كما قالوا وقيل قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك اي يبين بالايات
والحجج الذي يعجز الخلائق عن اتيان مثلها ويلزم الاقرار بانه انما انزل من عند الله والله اعلم وقوله
عز وجل انزله بعلمه يحتمل وجهين انزله بالايات والحجج ما يعلم انها ايات الربوبية والحجج السماوية
ويحتمل انزله بعلمه اي انزله على علم منه ممن يقبل وممن لا يقبل ليس كما يبعث ملوك الارض
بعضهم الى بعض رسائل وهذا لا يعلمون قبولها ولا ردها ولا علم لهم بمن يقبلها وبمن يردها
ولو كان لهم بذلك علم ما ارسلوا الرسل ولا بعثوا الهدايا اذا علموا انهم لا يقبلون فاخبر عز وجل
انه على علم منه انزل بمن يقبل وبمن يرد والله اعلم وقوله عز وجل وكفى بالله شهيدا اي شاهدا
على ما ذكرنا من شهادته يوم القيمة على احد لما وليبين انه انزل ويحتمل قوله شهيدا اي مبينا
اي كفى بالله مبينا بالايات والحجج وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما انزل لكن الراسخون
في العلم منهم الى قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل الاية قالت قريش من يشهد لك
انما تقول الحق فانزل الله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى
بالله شهيدا وانزل قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم الاية وقوله عز وجل ان
الذين كفروا بايات وصدوا الناس عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا اي قد تاهوا وتحيروا
تحيرا طويلا ويحتمل قد ضلوا ضلالا لا بعيدا اي هلكوا هلاكا لا نجاة لهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم
في غير موضع وقوله عز وجل ان الذين كفروا وظلموا اي كفروا بايات الله وحججه وظلموا امر الله
وتركوه ويحتمل قوله تعالى وظلموا حيث جعلوا انفسهم لغير الله وجعلوا العبادة لمن دونه وهو
وهو الذي خلقهم ليجعلوا عبادتهم له فقد وضعوا انفسهم في غير موضعها لذلك وصفهم بالظلم
لان الظلم وضع شيء في غير موضعه ويحتمل ظلموا انفسهم وان كانوا لا يقصدون ظلم انفسهم فانه حاصل

ذلك

ذلك يرجع الى انفسهم فكانهم ظلموا انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم كانه على الاضمار ان لا يهديهم في الاخرة طريقا الا طريق جهنم ويحتمل ما قال
اهل التاويل قالوا لا يهديهم طريق الاسلام الا طريق جهنم طريق والشرك هما طريقا جهنم في الدنيا
والاسلام هو طريق الجنة في الدنيا وهذه الاية والاية الاولى في قوم علم الله انهم لا يؤمنون
ابدا ويموتون على ذلك حيث اخبر انه عز وجل لا يغفر لهم ولا ليهديهم خالدين فيها ابدا وكان
ذلك على الله يسيرا ظاهر وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
بالحق الذي لله عليكم ويحتمل بالحق من ربكم بالحق الذي لبعضكم على بعض قد جاءكم الرسول من الله
ببيان ذلك كله ويحتمل قوله قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم الحق الذي هو ضد الباطل ويقتضيه
ويفرق بينهما وازال الشبه اذ لم تعاندوا ولم تكابروا فامنوا خيرا لكم لان الذي كان يمنعهم عن
الايمان حب الرياسة وخوف زوال المنافع التي كانت لهم فقالوا امنوا خيرا لكم لان ذلك لكم
في الدنيا والاخرة دائم لا يزول فذلك خير لكم من الذي يكون في وقت ثم يزول عنكم عن سريع
وقوله عز وجل وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض الاية الخبر والله اعلم انه ما يامر خلقه
وينهى ليس يامر وينهى لحاجة له او لمنفعة ولكن يامر وينهى لحاجة الخلق ومنافعهم اذ من له ما
في السموات وما في الارض وملكهما لا يقع له حاجة ولا منفعة وهو غني بذاته وقوله عز وجل
وكان الله عليما حكيما عليما عن علم بما حوا لكم خلقكم لا عن جهل وعليما بما به صلاح حكم وفساده
حكيما حيث وضع كل شيء موضعه ويحتمل قوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في
الارض وجها اخر وهو الذي يقدر وان يخلق خلقا اخر سواكم يطيعونه اذ له ما في السموات
وما في الارض والله اعلم وقوله عز وجل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم والغلو في الدين هو
المجاوزة عن الحد الذي حد لهم وكذلك الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي في العقل وفي النقل
جميعا وقال بعضهم فسير الخلق ما ذكر ولا تقولوا على الله الا الحق كالقول على الله بما لا يليق به غلول
وقيل لا تغلوا اي لا تفرقوا في دينكم ولا تتشددوا فيحملكم ذلك على الافتراء على الله والقول بما لا يحل
ولا يليق وقوله عز وجل ولا تقولوا على الله الا الحق اي الصدق وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق يقول لا تقولوا لله تعالى ولد ولا صاحبة وفي حرف حفصة
رضي الله عنها ولا تقولوا الله ثالث ثلاثة انما هو اله واحد وقوله عز وجل انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله المخاطب بقوله يا اهل الكتاب في دينكم في حقيقة المعنى للخلق كلهم لان على كل
الخلائق ان لا يغلوا في دينهم وهو في اهل الكتاب والمقصود من دون غيرهم من اهل الكتاب
حتى يعلم ان ليس في مخرج عموم اللفظ دليل عموم المراد ولا في مخرج خصوص دليل خصوص ولكن
يراد بعموم اللفظ المخصوص وخصوص اللفظ العموم فيبطل به قول من يعتقد بعموم اللفظ عموم
المراد وبخصوص اللفظ خصوص ثم افترقت النصارى على ثلاث فرق في عيسى صلوات الله عليه بعد
اتفاقهم على انه ابن مريم قال بعضهم هو اله ومنهم من يقول هو ابن الاله ومنهم من يقول هو ثالث
ثلاثة الرب والمسيح وامه فاكذبهم الله عز وجل في قولهم واخبر انه رسول الله وابن مريم ولو كان
هو الها لكانت امه احق ان تكون الها لان امه كانت قبل عيسى عليه السلام ومن كان قبل احق
بذلك ممن يكون من بعد ولان من اتخذ الولد انما يتخذ من جوهره لا يتخذ من غير جوهره فلو كان ممن يجوز
ان يتخذ ولدا لم يتخذ من جوهر البشر كقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا الاية وقوله
عز وجل وكلمته القاها الى مريم وروح منه قال بعضهم كلمته ان قال له كن فكان لكن الخلائق
كلهم في هذا كعيسى لان كل الخلائق انما كانوا بقوله عز وجل كن فكان ليس بعيسى عليه السلام
خصوصية واصله انه سمي كلمة الله لما القاها الى مريم ولا ندري اية كلمة كانت وانما خلقه بكلمة
التي القاها اليها فسمي بذلك كما خلق ادم من تراب فنسب اليه وحوا خلقها من ضلع ادم فنسبها
اليها وسائر الخلائق خلقهم من النطفة فنسبهم اليها فعلى ذلك عيسى لما خلقه بكلمته القاها
اليها نسب اليه لكن في ادم وغيره من الخلائق ذكر فيهم التغيير من حال الى حال ولم يذكر ذلك في
عيسى فيحتمل ان يكون له الخصوصية بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وروح منه كقوله تعالى فنفخنا

به من روحنا فسمى لذلك روحا لما به كان يحيى الموتى الا ترى انه سمى القران روحا وهو قوله وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا سماه روحا لما به يحيى القلوب كما يحيى الابدان بالارواح وقيل وروح منه
اى احياه الله وجعله روحا وقيل وروح منه اى رسول منه وقيل وروح منه اى امر منه وقوله عز
وجل فامنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلثة لان الرسل كلهم لم يدعوكم الى الذى انتم عليه انه
ثالث ثلثة انما دعاكم الرسل ان الله اله واحد لا شريك له ولا ولد انتهوا خيرا لكم بما ذكرنا بالاية الاولى
وقوله ولا تقولوا ثلثة بالرفع اى لا تقولوا هو ثلثة وقوله عز وجل سبحانه ان يكون له ولد له ما
فى السموات وما فى الارض نزه نفسه عن عظيم ما قالوا فيه بان له ولدا ثم اخبر ان له ما فى
السموات وما فى الارض وانما يتخذ الولد لاحدى خصال ثلث اما لحاجة تمسه فيدفعها به عن نفسه
او لوحشة تصيبه فيستانس به او الخوف على غلبة العدو فيستنصر به فيقهره اى لما يخاف الهلاك فيتخذ
الولد ليرث ملكه فاذا كان الله سبحانه وتعالى عن ان تمسه حاجة او تصيبه وحشة او ملكه زوال
تعالى عن ان يتخذه ولدا وهو عبده وكفى بالله وكيلا قيل حافظا وقيل شهيدا وقيل الوكيل هو القائم
فى الامور كلها والله اعلم وقوله عز وجل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون
تكلم الناس فى هذه الاية قال الحسن فيه دليل تفضيل الملائكة على البشر لانه قال الله عز وجل لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة لان الثانى يخرج مخرج التاكيد للاول وابدا انما يذكر ما به يؤكد اذا
كان افضل منه وارفع لا يكون التاكيد بمثله ولا بما دونه كما يقال لا يقدر ان يحمل هذه الخشبة واحد و
لا عشرة ولا يحمل هذا الحمل واحد ولا عدد فهو على التاكيد يقال فعلى ذلك الاول لما خرج ذكر الملائكة
على اثر ذكر المسيح على التاكيد وابدا انما يقع التاكيد بما هو اكبر الا باد وتروا الثانى قال لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال فكيف يستوى حال
من يعصى مع حال من يعصى وحال من لا يفتر عن عبادته طرفة عين مع حال من يرتكب المناهى والثالث
ما قال الله تعالى حكاية عن ابليس حيث قال لادم وحوا عليهما السلام ما نهاكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين لو لم يكن الملائكة افضل عندهم ومنزلة ليس ذلك للبشر لم يكن ابليس بالذى
يغرهما بذلك الملك والوعد لهما انهما يصيران ملكين ولا كان ادم وحوا بالذى يغتران بذلك دل ان
الملك افضل من البشر والرابع ان الانبياء صلوات الله عليهم احدا الا ما الاستغفار لانفسهم ثم لغيرهم
من المؤمنين كقول نوح عليه السلام رب اغفر لى ولوالدى الاية وكقوله ابرهيم عليه السلام ربنا اغفر لى
ولوالدى وللمؤمنين وما امر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالاستغفار فقال واستغفر لذنبك
الاية وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وما فعلوا ذلك الا لما يختص ذلك فيهم والملائكة
لم يستغفروا لانفسهم ولكنهم طلبوا المغفرة للمؤمنين من البشر كقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم والى هذا ذهب بعض الناس بتفضيلهم الملائكة على البشر وقال الخوارج بتفضيل البشر
على الملائكة ولا يجب ان يتكلم فى تفضيل البشر على الاطلاق على الملائكة لانهم يعملون بالفساد و
فسق الا ان يتكلم فى تفضيل اهل الفضل من البشر والمعروف منهم بذلك على الملائكة فذلك يحتمل
الا يتكلم فيه ويذهب من قال بتفضيل من ذكرنا من البشر الى انه ليس فى قوله لن يستنكف المسيح ان
عبدا لله ولا الملائكة المقربون على ان الملائكة كلهم افضل منهم ولانه انما ذكر المقربون لم يذكر الملائكة
مطلقا فيجوز ان يكون لمن ذكر فضل على البشر وكلامنا فى تفضيل الجوهر على الجوهر ولان البشر ركب فيهم
من الشهوات والامانى التى تدعوهم الى ما فيه الخلاف لله والمعصية له وجعل لهم اعداء امروا
بالمجاهدة معهم من نحو انفسهم والشياطين الذين سلطوا عليهم ولا كذلك الملائكة عليهم السلام
فمن حفظ نفسه وصانها واخلصها من بين الاعداء ودفع ما ركب فيهم من الشهوات والحاجات
الداعية الى الخلاف لله والمعصية له كان افضل ممن لا يشغله شئ من ذلك والله اعلم وما ذكر
من اغترار ادم وحوا بقول ابليس الا ان تكونا ملكين لا يحتمل ان يكون ادم لما خلقه من جوهر
البشر واخبر انه جعله خليفة فى الارض انه يتناول ما نهى عنه لمصير من جوهر الملائكة ولكنه
والله اعلم ان الملائكة طبعوا على حب العبادة لله ولم تركب فيهم من الشهوات والحاجات التى
تشغلهم عن العبادة لله والطاعة له احب ان يطبع بطبعهم ليقوم بعبادة الله كما قاموا هم

والله اعلم والكلام فى مثل هذا فضل ذلك الى الله تعالى واليه التمييز والافضال ثم تاويل قوله عز وجل والله
اعلم لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وذلك انهم كانوا يعبدون الملائكة
دون الله ويعبدون المسيح دونه فاخبر ان اولئك الذين تعبدونهم انهم لم يستنكفوا عن عبادتى فكيف
تستنكفون انتم وقوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم جميعا اليه هو والله اعلم
على الاضمار كانه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ومن لم يستنكف ولم يستكبر فسيحشرهم اليه جميعا
ثم بين جزاء من لم يستنكف عن عبادته ولم يستكبر ومن استنكف واستكبر فقال فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم الاية واما الذين استنكفوا واستكبروا الاية وان لم يكن فى الذين
استنكفوا مؤمن بل كانوا كلهم كفارا الاستنكاف والاستكبار واحد فى الحقيقة وقال الكسائى وانما جمع
بينهما لاختلاف اللفظين وهذا من حسن كلام العرب كقول العرب كيف حالك وبالك والحال
والبال واحد ومثله فى القران والشعر كثير لكن الاستنكاف والانفة لا يضاف الى الله تعالى والاستكبار
يضاف من هذا المعنى مختلف واما فى الحقيقة فهما واحد والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم والبرهان هو الحجة وقيل توضح ويظهر الحق من الباطل وقيل بيان من ربكم وهما واحد وقال
بعضهم هو النبى صلى الله عليه وسلم وقال اخرون هو القران فايهما كان فهو حجة وبيان يلزم الحق ويبين من
لم يعاند وقوله عز وجل وانزلنا اليكم نورا مبينا يبصر به الحق من الباطل وبه يعرف وهو القران سماه
نورا لما به يبصر الحق وان لم يكن هو بنفسه نورا كالنهار سماه مبصرا لما به يبصر وان لم يكن هو كذلك
وقال قتادة نورا مبينا هو هذا القران وفيه بيانه ونوره وهداه وعصمة لمن اعتصم به وقوله عز وجل
فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به يحمل الاعتصام به ما به ينال رحمته وفضله والاعتصام هو الا
لتجاء اليه فى كل الامور والتوكل لا الالتجاء بمن دونه والله اعلم وقوله عز وجل ويهديهم اليه صراطا
مستقيما كانه والله اعلم على التقديم والتاخير فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به ويهديهم اليه
صراطا مستقيما سيدخلهم فى رحمة منه يعنى الجنة وفضل كقوله تعالى فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من
فضله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ما ذكر ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك
الى اخر ما ذكر قال جابر رضى الله عنه نزلت الاية وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال سألت النبى صلى الله عليه
وسلم عن شئ اكثر مما سألته عن الكلالة ثم طعن فى صدرى باصبعه فقال لا يكفيك اية الصيف التى
فى اخر سورة النساء وفيه دلالة ان قد يترك بيان ما يدرك باجتهاد والنظر ولا يبين ليجتهد ويدرك
بالنظر لان عمر رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينه واشار الى الاية التى
فيها ذكر ما سأل عنه لينظر ويجتهد فيدرك وفيه دليل جواز تاخير البيان لان عمر سأل غير مرة ولم يبينه
حتى امره بالنظر فى الاية وعمر رضى الله عنه لم يكن عرف قبل ذلك فدل لجواز تاخير البيان وروى عن
ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال الكلالة من ليس له ولد ولا والد وكذلك قال عمر رضى الله
عنه وقال انى لاستحيى من الله ان اراد شيئا قاله ابو بكر وسأل ابن عباس رضى الله عنهما عن الكلالة
فقال من لا ولد له ولا والد وروى عن جابر رضى الله عنه قال مرضت فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعودنى وابو بكر الصديق معه فوجدنى قد اغمى على فصب وضوءه على فافقت فقلت يا رسول الله كيف
اصنع فى مالى وكان لى تسع اخوات فلم يجبنى حتى نزل قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان
امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك الى اخر ما ذكر قال جابر رضى الله عنه نزلت الاية فىّ قال
بعض الناس مات الرجل وترك ابنته واخته فلا شئ للاخت لان الله تعالى قال ان امرؤ هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك والابنة ولد فلا ميراث للاخت والاخ مع الابنة لانها فيقال
ان الله عز وجل جعل للابنة النصف اذا لم يكن معها ابن بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف
فاذا مات وترك ابنة واختا فلها نصف وذلك النصف الباقى اذا لم يعط للاخت يرد الى الابنة فيكون لها
كل الميراث وقد جعل الله تعالى ميراثها اذا لم يكن معها ولد ذكر النصف او لا يرد الى الابنة فيجب ان ينظر
اليها احق بذلك النصف الباقى فجاء فى بعض الاخبار ان الاخوات مع البنات عصبة لذلك كانت الاخت
اولى بذلك النصف الباقى والله اعلم وقوله عز وجل فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ذكر الاثنين
الثلثين ولم يذكر ما للثلاث فصاعدا منهن وذكر فى الابنة الواحدة النصف فى اول السورة بقوله وان

كانت واحدة فلها النصف ولم يذكر ما للبنتين ولكن ذكر الثلثين فصاعداً بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فترك بيان الحق في الابنتين لبيانه في الاختين وترك البيان للاخوات لبيانه في البنات ففيه دليل القياس حيث اكتفى ببيان البعض عن الآخر وقوله عز وجل وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين قوله تعالى اخوة رجالا ونساء وانما اسم الاخوة يجمع الاناث و الذكور جميعاً لانه ذكر اخوة ثم فسر الرجال والنساء فهو دليل لنا في قوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس انهم يحجبون الام عن الثلث ذكوراً او اناثاً والله اعلم وقوله عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا قيل ان تضلوا معناه لئلا تضلوا فان الكسائي ان العرب تقول للرجل طعمنك ان تجوع واعتنك ان تفتقر على معنى ان لا تجوع ولا تفتقر وفي القرآن كثير مثل ثم قوله يبين الله لكم ان تضلوا قيل ان لا تضلوا في قسم المواريث قيل ان لا تخطئوا وقيل لئلا تخطئوا وهو واحد والله بكل شيء عليم وحيد وبالله الحول والقوة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود اجمع اهل التاويل على ان العقود ههنا هي العهود ثم العهود على قسمين عهود فيما بين الخلق امر الله عز وجل بوفائها وعهود فيما بينهم وبين ربهم او هي المواثيق التي اخذ عليهم من نحو الفرائض التي فرض الله عليهم و النذور التي يتولون هم ايجابها وغير ذلك امر عز وجل بوفائها واما العهود التي فيما بينهم من نحو الايمان وغيرها امر بوفاء ذلك اذا لم يكن فيها معصية الرب كقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها امر ههنا بوفاء الايمان ونهى عن تركها ونقضها ثم جاء في الخبر انه قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر يمينه امر فيما فيه معصية بنقضها وامر بوفاء ما لم يكن فيه معصية ونهى عن نقضها بقوله تعالى ولا تنقضوا الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اوفوا بالعقود هي العهود وهو ما احل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله وهي ما ذكرنا وقيل ان العقود التي امر الله تعالى بوفائها هي العهود التي اخذ الله تعالى على اهل الكتاب ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وياخذوا البشارة به ويعملوا بما جاء به وهو كقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم وكقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الآية فالخطاب لهم هذا التاويل لانهم كانوا امنوا به قبل ان يبعث ثم كفروا به وقوله عز وجل احلت لكم بهيمة الانعام قال بعضهم هي الوحوش وهو قول الفراء الا ترى انه قال غير محلي الصيد وانتم حرم وقال الحسن هي الابل والبقر والغنم وقال اخرون البهيمة كل مركوب لكن عندنا كل ماكول من الغنم والوحش والصيد وغيره وان لم يذكر دليله ما استثنى الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم دل قوله غير محلي كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والموقوذة الآية غير محلي الصيد وانتم حرم دل قوله غير محلي الصيد على ان الصيد فيه كالمذكور وان لم يذكر لانه استثنى الصيد منه ابدا انما استثنى الشيء من الشيء اذا كان فيه ذلك واما اذا لم يكن فلا معنى للاستثناء على ان الصيد فيه وان لم يذكر ودل قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا على ان النهي كان عن الاصطياد في حال الاحرام لا عن اكله لان للمحرم ان ياكل صيداً اصاده حلال ودل قوله غير محلي الصيد على ان الصيد قد دخل في قوله احلت لكم بهيمة الانعام على ما ذكر فيما تقدم ان البيان في الجواب يدل على ما كونه في السؤال وان لم يكن مذكوراً في السؤال ففي ذلك يدل ان شيئا من الصيد محلي كونه فيه والله اعلم ويحتمل بهيمة الانعام الثمانية الازواج التي ذكرها في سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين الى اخر ما ذكر والآية تدل على ان الذي احل من البهائم الانعام منها ثمانيه دل عليه قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم قال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ففصل بين الانعام وبين الخيل والبغال والحمير خلقها للركوب والانعام للاكل وقوله عز وجل الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم على الوعد اي يتلى عليكم من بعد ما ذكر على اثره حرمت عليكم الميتة والدم ويحتمل الا ما يتلى عليكم وهو ما ذكر و في حرف ابن مسعود رضي الله عنهما الا ما يتلى عليكم سورة الانعام قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى اخره وقوله عز وجل ان الله يحكم ما يريد والله اعلم اي ان الله الحكم يحكم بما يشاء من التحريم والتحليل فيما شاء على ما يشاء

ليس اليكم التحكم عليه وهذا ينقض قول من لم يرد لانه لو اراد الحكم وبالله العصمة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان المشركون يحجون البيت الحرام ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فانزل الله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يعني لا تستحلوا قتالا فيه ولا الهدي ولا القلائد الآية وقال غيره قوله لا تحلوا شعائر الله يعني المناسك لا تستحلوا ترك شعائر الله والشعائر هي المناسك الا ترى ان الله تعالى سمى كل نسك من الحج شعائر الله كقوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله وقال والبدن جعلناها لكم من شعائر الله كل هذا من شعائر الله وهي معالم الله في الحج وقيل شعائر الله فرائض الله كانه قال لا تستحلوا ترك ما فرض الله عليكم وقال الحسن شعائر الله دين الله وهو واحد وقيل في قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام حتى يبلغ الهدي والقلائد فقال الحواجز ابقاه الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جر جريرة وارتكب كبيرة ثم لجأ الى حرم الله لم يتناول ولم يطلب ولو لقي قاتل ابيه في الاشهر الحرم لم يتعرض له وكان الرجل لو لقي الهدي مقلدا وهو ياكل العصب من جوع لم يتعرض له بقربه واذا اراد البيت تقلد قلادة من شعر فحمته ومنعته من الناس حتى ياتي اهله حواجز ابقاه الله بين الناس في الجاهلية امانا لهم والله اعلم ويحتمل قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله اي لا تستحلوا ما اشعر لحرمته وهو من الاعلام ويحتمل ان يكون اراد به مشاعر الحرام الذي ذكرنا وقال لا تحل الحرم ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد وهذه امور كانت من قبل نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وعن الشعبي انه قال لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية نسخها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية وقالت عائشة رضي الله عنها اخر ما انزل فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه وقوله عز وجل ولا الشهر الحرام كقوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام وكقوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وقد ذكرنا ان الله عز وجل اطلق الحرب في الشهر الحرام بعد ما كان محظورا بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واما قوله ولا الهدي ولا القلائد وهو ما ذكرنا من صنيعهم في الجاهلية فيما ذكرنا وفيه دليل لقول اصحابنا رحمهم الله حيث قالوا ان الغنم لا تقلد والابل والبقر تقلد لانه ذكر الهدي والقلائد فدل ان من الهدي ما يقلد ولا امين البيت الحرام اي قاصدين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم و رضوانا قيل ان المشركين يقصدون البيت الحرام يلتمسون فضلا ورضوانا بما يصلح لهم دنياهم كقوله ومن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وقد يجوز ان يكونوا لما التمسوا عند انفسهم رضوان الله امر المؤمنين بالكف عنهم وان كان قد غلطوا في توجيه العبادة فجعلوها لغير الله كقوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وقوله عز وجل واذا حللتم فاصطادوا دل هذا على ان النهي في قوله غير محلي الصيد فاخذ الصيد واصطياده في الاحرام لا اكله وهو اباحة ما حظر عليهم بالاحرام وان كان ظاهره امر ومعناه فاذا احللتم لكم ان تصطادوا واصله ان كل امر خرج على اثر محظور فهو امر اباحة واطلاق المحظور المحرم لا امر الزام وايجاب من نحو قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ثم قال تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله هو اطلاق المحظور المتقدم وقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن ثم قال عز وجل ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا امر اطلاق واباحة ما حظر عليهم ومثله كثير في القرآن مما يكثر ذكره وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما في قوله ولا امين البيت الحرام ولا تاموا في حرف فتاموا صعيداً طيبا وقيل في قوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حجهم فلا يقبل عنهم حتى يسلمون فنهى الله تعالى ورسوله عن قتالهم وقال بعضهم ان الآية نزلت في رجل من اهل اليمامة يقال له شريح وذلك انه اتى المدينة فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال انت محمد النبي فقال نعم فقال الى ما تدعو قال ادعوا الى ان تشهد ان لا اله الا الله واني محمد رسول الله فقال شريح يا محمد هذا شرط شديد وان لي امرا خلفا ارجع اليهم فاعرض عليهم ما اشترطت علي واستامرهم في ذلك فان اقبلوا قبلت وان ادبروا ادبرت فكنت معهم ثم انصرف خارجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خرج من عندي بعقبي غادر ولقد دخل علي بوجه كافر وما الرجل بمسلم فمر شريح بسرح لاهل المدينة فساقها معهم فلما كان من العام

الثاني فقدم شريح الى مكة وسعه تجارة عظيمة في حجاج وكانت العرب في الجاهلية يغير بعضهم على
على بعض فاذا كانت اشهر الحرم امن الناس كلهم بعضهم بعضا فمن اراد ان يسافر قلد بعيره من الشعير و
الوبر فيامن بذلك الهدي حيث ما سيح فلما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحج شريح وقد ومه
الى مكة فارادوا ان يغيروا على شريح فياخذوا اموالهم ويقتلوهم كما اغار شريح على سرح اهل المدينة قبل
ذلك فاستامروا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت الاية فيهم لا تحلوا شعائر الله الى اخر
تلاوة تدري كيف كانت القصة وليس بنا الى معرفة القصة حاجة الا العقد الذي ذكره الله في ذلك
وقوله عز وجل ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وقال تعالى في موضع اخر
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا الى اخر
الاية وقال في اية اخرى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او
الوالدين والاقربين ان يكونوا غنيا او فقيرا الاية ذكر في بعضها الاعتداء ونهى عنه وهو المجاوزة
عن الحد الذي حد لهم اذكر في بعضها العدل وامر به ونهى عن الظلم والجور ثم الاسباب تحملهم وتبعثهم
عن الاعتداء والظلم وتمنع القيام بالشهادة العدل ثلاثة احدها ما ذكر عز وجل البغض والعداوة
بقوله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان تعتدوا وقال على ان لا تعدلوا وقال كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكونوا غنيا او فقيرا امرهم بالقيام بالشهادة واخبر
ان لا يمنعكم الولاية والقرب القيام بالشهادة او طمع غنى او خوف فقر هذه الوجوه التي ذكرنا
تمنع الناس القيام بالشهادة وتبعثهم عن الجور والاعتداء فنهاهم الله عز وجل ان يحملهم بغض قوم او
عداوة احد على الجور والاعتداء او يمنعهم الشفقة والقرب او طمع غنى احد او خوف فقر القيام بالشهادة
وما عليهم من الحق وامر ان يجعلوه كله لله بقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله فاذا كان كله لله
تدعو ان يعدل في الحكم وترك مجاوزة الحد الذي حد له وقد دعى القيام بالشهادة وما ذكر وما يمنع
شيء من ذلك القيام به من نحو ما ذكر من البغض والعداوة والقرب والشفقة او طمع الغنى وخوف
الفقر اذا جعل الحكم عدل فيه وعن الجور فيه والاعتداء وكذلك الشهادة اذا جعلها لله قام
باداتها ولو على نفسه اما ذكر لم يمنعه شيء عن القيام به وقوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى كان
البر هو اسم كل خير والتقوى ترك كل شر والانتهاء عن كل شر ولا تعاونوا على الاثم والعدوان الا ترى
انه ذكر بازاء البر الاثم وبازاء التقوى العدوان فهذا يبين ان البر اسم لكل خير والتقوى هو الانتهاء
عن كل شر ويجوز ان يكون ما ذكر في الاية الاولى وامر به وهو قوله لا تحلوا شعائر الله الى قوله البيت الحرام
يقول عاونوهم على ما ياتون به من ذلك فانهم الى البر يقصدون عند انفسهم وان لم يكن فعلهم به لعبادة
عن الله تعالى وانما امروا بما ونهوا وترك التعرض لهم ان ثبت ما ذكر في القصة اذا احرموا او قلدوا البيت
الحرام في الوقت الذي جاز ان يعاهدوا وفيه كما يجوز لنا معاهدة اهل الكتاب على ان لا نتعرض لهم لكنا
وبيعهم وان كانوا يعصون الله فيها لانهم يدينون بذلك ويقصدون به البر عند انفسهم فلما امر بقتلهم
فهو دمشركي العرب امر بمنعهم من دخول المسجد وان يقتلوا حيث وجدوا والى هذا المعنى ذهب اصحابنا
رحمهم الله والله اعلم في فرقهم بين شهادة اهل الذمة على امثالهم وشهادة فساق المسلمين لان
اهل الذمة متدينون بكفرهم والفساق غير متدينين بفسقهم وكذلك فرقهم بين ما يغلب عليه المشركون
من اموال المسلمين وبين ما يغلب عليه الفساق من المسلمين وكذلك سبيل الدماء التي يصيبها المحاربون
من اهل البغي من اهل العدل ولا تشبه ما يصيبه الفساق منها لان الامر مدين بدين خطاء مخالف
في الحكم امر المقر بالذنب فيه الا ترى انه يجوز ان يطلق لمن يعاقدوه من اهل الكتاب الصلوة في كنائسهم
وان كان ذلك عندنا معصية حرام ولا يجوز ان يطلق المعصية لفساق المسلمين كذلك وقوله عز وجل
واتقوا الله اي تقة لله وعذابه في ترك ما امرهم به وارتكاب ما نهاكم عنه ان الله شديد العقاب قال
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام اي لا يحملنكم
بغض قوم لصدهم اياكم عن البيت الحرام فتاثموا فيهم ان تعتدوا فتقتلوهم وتاخذوا اموالهم وقال
وتعاونوا على البر والتقوى البر ما امرت به والتقوى الكف عما نهيت عنه وقال والعدوان وان
هو المجاوزة عن حد الله الذي حده بعباده وقوله ولا يجرمنكم قال بعض لا يؤثمنكم بغض قوم ان تعتدوا

وقال اخرون لا يحملنكم وفيه لغتان يجرمنكم برفع الياء ونصبها يجرمنكم وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله وهو على الاضمار والله اعلم كانه قال حرم عليكم
اكل الميتة والدم واكل لحم الخنزير الى اخر ما ذكر الا ترى انه يجوز الانتفاع بصوف الميتة وبعظمها دل انه
على الاضمار اضمار كل واما الانتفاع بجلدها لا يجوز الا بعد الدباغ لان الجلد ربما يشوى مع اللحم فيؤكل فهو
حرام كاللحم الا ان يدبغ ثم في الاية دليل الامتحان من وجهين احدهما اباحة التناول من جوهر وحظر
امتحن بحرمة الخنزير والدم لم يحله بسبب ولا بغير سبب والثاني امتحن بسبب حل تنفر الطبع عنه لان كل ذي
روح تالم بالذبح واستخراج الروح منه وجعل طبيعة كل احد مما ينفر عنه لما يتالم به لتطييب انفسهم بذلك ثم
جعل من يخرج من الارض كله حلالا بلا سبب يكتسبون الا ما لا يقدرون على التناول منه لخوف الهلاك لانه
موات لا تنفر الطباع عنه ثم جعل اسباب الحل اسبابا يكتسبون مما لا يحل في استخراج ذلك الدم المحرم منه حل
اكله واذا لم يحل في استخراج ذلك الدم فهلك فيه افسده لانه تدفقت فيه ما هو محرم فافسده فاستخراج ذلك
الدم مما يطيب ذلك ويمنع عن الفساد الا في طول الوقت والذي هلك فيه الدم يفسد في قليل الوقت وقوله
عز وجل وما اهل لغير الله به قال الكسائي ما اهل لغير الله به اي ذكر وسمي عليه غير اسم الله مشتقة من استهلال
الصبي ومنه اهل الهلال واهل المحرم بالحج اذا لبى قال قتادة كان اهل الجاهلية يختنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها
والكافر في الحقيقة يهل لغير الله لانه لا يعرف لا يعرف الله حقيقة لكنه اخبر ذبائح الكتابي لانه يسمي
عليه اسم الله تعالى الموقوذة كانوا يضربون بالعصي حتى اذا ماتت ثم اكلوها والمتردية كانت تردى
في بئر او من جبل فتموت والنطيحة كان الكبشان ينتاطحان فيموت احدهما فياكلونه وما اكل السبع
الا ما ذكيتم كان اهل الجاهلية اذا قتل السبع شاة من هذا واكل منه اكلوا ما بقي فالله تعالى الا ما ذكيتم
ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال والمنخنقة والموقوذة فما ادركت من هذا كله يتحرك له
الذنب او يطرف له العين فاذا ذبح واذكر اسم الله عليه فهو حلال وروي عن علي رضي الله عنه قال
اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت ذنبها فهي ذكية وكذلك روي عن ابن الزبير انه
سمع عبيد بن عمير رضي الله عنهما يقول كذلك وكانه روي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذلك وهذا والله اعلم اذا خنقها او وقذها بعصى عليها فاذا ذبح فحركت ذنبها او طرفت عينيها او
برجلها لو فاتت فاستدل بذلك على حيوتها وليس هذا كشاة نزع الذئب او السبع ما في بطنها وصار كالشاة
لا يتحامل بذلك انها وان تحركت او طرفت بعينها فانها لا تؤكل واصله ان كل ما لو قطع العروق ذكيت
ثم انت تكون ميتة فاذا ادركه في تلك الحال فذكاه كانت ذكية وكل ما لو صار بحال لو ماتت كانت ذكية
فاذا ادركه في تلك الحال فذكاه كانت ميتة والمتردية الممتنعة عن الذبح في المذبح اذا ذبح من غير المذبح
يجوز كله روي عن نافع بن خديج قال اصبنا ابلا وغنما فند منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه الابل اوابد كاوابد الوحش واذا كان عليكم شيء فاصنعوا
به هكذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في البعير يتردى في البئر اذا لم يقدر على نحره فهو بمنزلة
الصيد ينحره من حيث ادرك وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن بعير تردى في بئر فصار اعلاه اسفله
فقال قطعوه اعضاء فكلوه وعن ابن عمر رضي الله عنه وروي انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل
هل تكون الذكوة الا في الحلق واللبة فقال اما انها لو طعنت في فخذها اجزى عنك واذي ازكى بغير السكين
نحو المروة والقصبة من يقطع يجوز روي ان عدي بن حاتم رضي الله عنه قال يا رسول الله ارسل كلبي فاخذ
الصيد وليس معي ما اذكيه فاذبحه بالمروة والقصبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الدم بما شئت
واذكر اسم الله عليه وكذلك روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وروي ان رجلا اشاط دم جزور بجذل
فسال النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا انهرت الدم فكل وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذبح بكل ما افرى الاوداج واهراق الدم ما خلا السن والظفر والى هذا يذهب اصحابنا
رحمهم الله في ذلك ويرون كل ما انهر الدم من حجر ومروة او نحو ذلك مزكى ويوكل ويحملون قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا السن والظفر على انهما اذا كانا غير منزوعين لان ذلك خنق وليس بذبح تفسير ذلك قول ابن عباس
رضي الله عنهما قال خنق وفي الخبر بيان لانه قال كل ما انهر الدم وفرى الاوداج ما خلا السن والظفر فانهما مدى
الحبشة وهم انما كانوا يذكون بسن او ظفر غير منزوعة والله اعلم وقوله عز وجل وما ذبح على النصب قيل

كانوا يذبحون للاوثان والاصنام التي يعبدونها يتقربون بذلك اليها كما كان اهل الاسلام يتقربون بالذبح
ويذبحونها الى الله فحرم الله عز وجل ما كانوا يذبحون للنصب وما اهل لغير الله به لما ذكرنا ان الامر يخرج
مخرج قبول النعمة والشكر له فيما انعم من عظيم النعم فاذا اهلوا به لغير وجه الله لم يقبلوا نعم وجعلوا
الشكر الى غيره فحرم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وان تستقسموا بالازلام قيل سهام العرب وكعابها التي
التي يتقامرون بها وقيل الازلام هي القداح كانوا يقتسمون بها الامور وكان الرجل اذا اراد سفرا اخذ قدحا
فقال هذا يامره بالخروج فهو مصيب في سفره خيرا ويأخذ قدحا اخر فيقول هذا يامره بالمكث فان هو خرج فليس
بمصيب خيرا في سفره والمنيح بينهما فنهى الله عن ذلك وانباء ان ذلك فسق بقوله ذلكم فسق وعن الحسن
قال كانوا يعمدون الى قداح ويكتبون على احدهما امرني وعلى الاخر نهاني ثم يجيلونها اذا ارادوا فان خرج عليه امرني
مضى في وجهه وان خرج الذي عليه نهاني لم يخرج قال ابو بكر الكسائي ان في النهي عن العمل بالازلام دليل النهي
عن العمل بالنجوم فاذا نهى عن العمل بقول القسمين ونهى ايضا عن العمل بقول المنجمة لانهم يقولون عن
ما يقول اولئك ويعملون به لكن المنجمة ليسوا يقولون ان نجم كذا يامر كذا ونجم كذا ينهى عن كذا على ما كان
يفعلون اولئك ويجوز ان يكون الله عز وجل في النجوم اعلاما ومعاني يدركون بها ويستخرجون اشياء يحتمل ذلك
ويكون على ما يستخرج اهل الاجتهاد بالاجتهاد اشياء من معنى المنصوص واحكاما لم يذكر في المنصوص فعل
ذلك المنجمة يجوز ان يستخرجوا اشياء من النجوم بدلائل ومعان تكون في النجوم ولا عيب عليهم في ذلك
ولا لائمة انما اللائمة عليهم فيما يحكمون على الله ويشهدون عليه قال القتبي الازلام القداح واحدها زلم
والاستقسام بها ان يضرب واحدا لاستقسام من القسم وهو النصيب كانه طلب النصيب قال ابو عوسجة
اقتسما اي ضربت بالقداح كانه من القسم وقال ابو عبيد انما سمي استقساما لانهم كانوا يطلبون
قسم الرزق وطلب الحوائج بها فكانوا يستانون بها ان يقسم لهم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك فسق يحتمل
قوله فسق اي العمل بالازلام والشهادة على الله انه امر بذلك فسق وعلى هذا من يستخبر العمل بالقرعة
لانه يقول يقرع فمن خرجت قرعته يحكم له بامر القرعة كان القرعة تامره بالحكم بهذا وتنهاه عن الحكم بهذا فهو
بالازلام والقداح التي نهى الله عن العمل بذلك اشبه وبها امثل من غيره ويحتمل قوله تعالى ذلكم فسق اي
التناول مما ذكر من المحرمات من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به وما ذبح على النصب وما ذكر
في اول السورة من الاصطياد في الاحرام والتناول منه ذلك كله فسق وهو قول ابن عباس رضي الله عنه
وقوله عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم كانوا يطمعون دخول اهل الاسلام في دينهم وعودهم
فاياسهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك فقال اليوم يئس الذين كفروا من تركهم دين الاسلام فلا تخشوهم
واخشون امنهم عن ذلك وقوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية قال ابو عبيد كان
دينهم الى ذلك اليوم ناقصا فحينئذ كمل دينهم فعلى زعمه ان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الخلق الى دين
ناقص ومن مات من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم اجمعين
ماتوا على دين ناقص ويحشرون يوم القيامة على دين ناقص واي قول اوحش من هذا واسمج وقال اخرون من
اصحابه كان الدين كاملا الى ذلك الوقت فلما بعث الله بالفرائض وافترض عليهم سار الدين ناقصا الى ان
يؤدي الفرائض وما افترض عليهم فعند ذلك يكمل فهذا القول ايضا في الوحشة والسماجة والقبح مثل
الاول ويقال لابي عبيد قل ايضا انه لم يكن رضي لهم بالاسلام دينا قبل ذلك رضي والاصل في تاويل
وجود بعدها اليوم اكملت لكم دينكم اي رسول وبعثته اكملت لكم دينكم وبه اتممت عليكم نعمتي ويحتمل
قوله اليوم اكملت لكم دينكم اليوم اظهرت لكم دينكم ولم يكن قبل ذلك ظاهرا حتى قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقال لا يحج بعد العام مشرك وذلك لظهوره وتغليبه اهل
الاسلام وانه لم يكن هذا قبل ذلك ويحتمل قوله اكملت لكم دينكم لما امنهم من العدو والعود الى دين
وذلك عودهم الى دين الكفر واي نعمة ثم واكمل من لا من من العدو ويقول الرجل اليوم تم ملكي وكمل اذا
هلك عدوه لامنه من عدوه وان كان لم يوصف ملكه قبل ذلك من بالنقصان فعلى ذلك هذا والله اعلم وقيل
اليوم اكملت لكم دينكم اي امر دينكم بما امروا بامور وشرايع لم يكونوا امروا بها قبل ذلك وهذا جائز وقوله
عز وجل ورضيت لكم الاسلام دينا اي اكرمكم بالدين المرضي وهو الاسلام دينا كقوله تعالى ولا يرضى لعباده
الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقوله عز وجل فمن اضطر في مخمصة قيل المخمصة المجاعة وقال ابو عوسجة

رجل خميص اي جايع وقال غيرهم من ضيق البطن وهو واحد لانه من الجوع ما يضيق البطن وقوله
عز وجل غير متجانف لاثم قال بعضهم غير متجانف لاثم اي معتمد لاثم وهو قول ابن عباس رضي
الله عنهما وقال الكسائي غير متجانف غير متمايل والجنف الميل وكذلك قال القتبي قال ابو
عوسجة ايضا الجنف الميل ثم قوله غير متجانف لاثم يحتمل وجهين قيل غير مستحل اكل الميتة
في حال الاضطرار وحرم عليه التناول من الصيد وغيره وقيل غير متلذذ ولا متشهي تناوله
على التكرة منه لا على التلذذ والشهوة وقيل ايضا انه لا يتناول الا في حال الاضطرار كقوله تعالى
فمن اضطر غير باغ ولا عاد وقوله عز وجل غير باغ ولا عاد تفسير قوله اضطر فعل ذلك هذا والله
اعلم وقوله عز وجل ان الله غفور رحيم اي من رحمته ان جعل لكم التناول من المحرم واخص لكم
اذ له ان يتركهم يموتون جوعا كقوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الاية وقوله
عز وجل يسئلونك ماذا احل لهم ليس في السؤال بيان ثم كان سؤالهم ولكن في الجواب بيان
المراد من سؤالهم فقال قل احل لكم الطيبات وفي قوله تعالى احل لكم الطيبات ان سؤالهم
كان عن الطيبات وما يصطاد بالجوارح ثم اختلف في قوله تعالى احل لكم الطيبات قال
بعضهم الطيبات هي الحلالات لكنه بعيد لانه قال احل لكم الحلالات على هذا التاويل
لكنه قال تعالى احل لكم الحلالات على هذا التاويل لكنه يحتمل وجهين غير هذا احدهما ان احل لكم
باسباب تطيب به انفسكم من نحو الذبح والطبخ والخبز وغيره لم يحل لكم ما يكره به انفسكم
التناول منه غير مطبوخ ولا مذبوح ولا مشوي ولكن احل لكم باسباب طابت به
انفسكم التناول منه والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان احل لكم ما تطيب به طباعكم
لا ما تنكر طباعكم وتنفر عنه والله اعلم وقوله عز وجل وما علمتم من الجوارح فذكر ذلك لهم مما ذكر
في بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل الكلاب فاتاه ناس فقالوا فاذا احل
لنا من هذه الامة امر بقتلها فنزل قوله تعالى يسئلونك ماذا احل لهم الاية وقيل سمي جوارحا
لما يكتسب بها والجوارح من الكواسب قال الله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات قيل اكتسبوا
وجرح كسب وقال ابو عبيده سميت جوارح لانها صوايد وهو ما ذكرنا من الكسب يقال فلان جارح
اهله اي كاسبهم وقال غيره سميته جوارح لانها تجرح وهي من الجراحة فاذا لم تجرح لم يحل صيده
واحتج محمد رحمه الله بهذا المعنى فاصيد الكلب اذا قتل ولم يجرح في مسألة من كتاب الزيادات و
يدل على صحة ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عدي بن حاتم رضي الله عنهما قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعراض فقال ما اصبت بعرضه فلا تاكل فهو وقيذ
وما اصبت بحده فكل وقوله عز وجل مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله الاية قال بعضهم مكلبين هو
الكلاب بحالين الصيد وقال القتبي المكلبين اصحاب الكلاب وكذلك قال الفراء والكسائي المكلبون هم
اصحاب الكلاب والمكلب الكلب المعلم وقوله عز وجل تعلمونهن قال الحسن وابو بكر تعلمونهن يقال
كلب مضرات على طلب الصيد بسبحان الصيد وان كل منه الكلب فعل قولهما يصح تاويل الاضرار وسبحان
التناول وان اكل منه وقال تردونهن ليمسكوا الصيد لكم وهو عندنا على حقيقة التعلم ليعلمن ليمسكن
الصيد لهم وقوله عز وجل مما علمكم يتوجه وجهين احدهما مما علمكم الله اي مما جعل بينكم الله بحيث
احتمال هؤلاء ولم يجعل غيركم من الخلايق محتملا لذلك ولا اهلا ويحتمل قوله تعالى مما علمكم الله ان
قال لكم علموهن بكذا وافعلوا بكذا فكيف ما كان ففيه دليل جعل العلم شرطا فيه ثم تخصيص الكلاب
بالذكر دون غيرها من الاشياء وان كانت هي وغيرها سواء اذا علمت بخبث الكلاب ومخالطتها الناس
حتى جاء النهي عن اقتنائها وجاء الامر بقتلها في وقت لم يجئ بمثله في سائر السباع ليعلم ان ما كسب
هؤلاء مع خبثها اذا كن معلمين يحل التناول منه فغيرها مما لم يجئ فيه ذلك احرى وقوله عز وجل
فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه انما اباح اكل ما امسكن علينا ولم يبح ما امسكت على
نفسه لان الكلب وغيره من السباع من طباعهم اذا اخذوا الصيد ياخذون لانفسهم ولا يصبرون على
ان لا يتناولون منه فاذا اخذوا الصيد ولم يتناول منه دل انه انما امسك لصاحبه واذا تناول
منه لم يمسك لصاحبه لان الباقي لا يدري انه امسكه لصاحبه لوقت اخر لما يشبع وعلى ذلك جاءت

الآثار وروى عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله انا قوم نتصيد بهذه الكلاب والبزاة فهل
يحل لنا منها فقال يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم
ما علمتم من كلب او باز فذكرت اسم الله عليه قلت وان قتل قال اذا قتله ولم ياكل فانما امسك
على نفسه فقلت يا رسول الله ارايت ان خالطت كلابنا كلاب اخرى قال اذا اختلط كلبك كلابا
فلا تاكل فانك انما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على كلب غيرك عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال اذا اكل الكلب من الصيد فليس بمعلم وعنه ايضا قال اذا اكل الكلب من الصيد فلا تاكل و
اذا اكل الصقر فكل لان الكلب يستطيع ان تضربه والصقر لا وعن علي رضي الله عنه قال
اذا اكل الصيد فلا تاكل واضربه وقد ذكرنا من الاخبار ما يدل على ان الكلب اذا كان ياكل صيده من خبر
عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله
عليها فكل مما امسكن عليك وان قتلن الا ان ياكل الكلب فان اكل فلا تاكل وعلى هذا يخرج قولنا انه اذا اكل منه لم
يؤكل لانه لو امسكه علينا كنا لا ناكل وذلك من غاية تعليمه لانه تناول الخبيث وامسك الطيبة على صاحبه ولو كان
صيد الكلب اذا اكل منه حلالا لكان المعلم سواء وكان ما امسك على نفسه وعلى صاحبه سواء لان كل الكلاب
تطلب الصيد اذا ارسلت عليه وتمسكه حتى تموت ولا كل منها الا المعلم في معنى تخصيص الله تعالى المعلم منها
والممسك على صاحبه لو كان الامر على ما قال مخالفنا وقد روي عن حنيفة رضي الله عنه انه قال
ان علم الكلب حتى صار لا ياكل من صيد يصيد ثم يجوز ان يوكل من صيده الاول اذا كان باقيا وهذه
عندنا والله اعلم ان صيد الكلب لا يوكل حتى يكون معلما وان امسك في اول ما يرسل فلم يوكل فاذا
امسك مرارا ثم اكل ولنا اكله على ان امساكه عن الاكل لم يكن لانه معلوم او قد يمسك غير المعلم للشبع
ولو كان معنى ما اكله فاستدل باكله في الرابعة على ان امساكه في الثالثة كان على غير حقيقة تعليم وهذا
عندنا في صيد يقرب بعضه من بعض فاما اذا اكثر امساكه ثم ترك ارساله مدة يجوز ان ينسى فيها
ما علم ثم ارسل فاكل فليس فيها رواية عنه ويجوز ان يقال يوكل ما بقي من صيده الاول ويفرق بين المسئلتين
بان الثاني قد نسي والاول يبعد من النسيان لتقارب ما بين الصيد فلو وجد الا ان يجعل في نسخه حكم
التعليم في صيده المتقدم وقد ذكرنا فيما تقدم ان الصقر والبازي من الجوارح واستدللنا على ذلك
بما وضحناه فدل ذلك على ان صيد ما ليس بمعلم من الطير لا يوكل الا ان تدرك ذكاته ثم يكون تعليم
البازي والصقر باجابة صاحبه ورجوعه اليه وتعليم الكلاب ترك الاكل منه ونحوه مستوحش
عن الناس ينفر طبعه عنهم فدل الفه الناس واجابته اصحابه على التعلم وان اكل منه ولا يحتمل ان
يكون بالتناول منه يخرج عن حد التعليم لانه انما يعلم بالاكل من الصيد واما الكلب فانه يالف
الناس ولا يستوحش ومن طبعه الاكل اذا اخذ الصيد فدل امساكه عن التناول منه على انه معلم
وقد روي عن علي رضي الله عنه ما يدل على تاييد ما ذكرنا قال اذا اكل الصقر فكل وان اكل الكلب
فلا تاكل وعن سلمان كذلك وقوله عز وجل واتقوا الله ان الله سريع الحساب يحتمل قوله اتقوا الله
فلا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليها فانها ميتة ويحتمل اتقوا الله في ترك امر ونهي كله ان الله سريع
الحساب يحتمل السرعة عن الشدة سريع الحساب شديد العقاب وقوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات
يحتمل قوله اليوم حرف افتتاح يفتتح به الكلام لا اشارة الى وقت مخصوص على ما ذكرنا في قوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم وقد يتكلم باليوم لا على اشارة وقت مشار اليه والله اعلم ما حرم عليهم من الثمانية
الازواج التي ذكر الله تعالى في سورة الانعام وهو قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين والى اخر ما ذكر
ثم قال وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاية وما حرموا هم
على انفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغيرها من المحرمات التي كانت فاحل الله ذلك لهم
فقال اليوم احل لكم الطيبات وكانت محرمة عليهم حل ذلك لكن اهل التاويل صرفوا الاية الى الذبائح لم يصرفوا
الى ما ذكرنا المعنى الذي به صارت الذبائح طيبات فيما تقدم وقوله عز وجل وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
وطعامكم حل لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اي ذبائحهم حل لكم
وذبائحكم حل لهم الى هذا ذهب اهل التاويل فان قيل اليس جعل ذبائحنا محللة لهم وذبائحهم محللة لنا ثم يجعل
ذبائحنا لهم ويغفرهم كيف لا اهل ذبائحهم وذبائح غيرهم وهو ذبائح المجوس قيل حل الذبائح شرعي وليس

المجوس

للمجوس كتاب امنوا به فيحل ذبائحهم واما اهل الكتاب فانهم امنوا بما في الكتاب حله وحرمه لذلك افترقا والله
اعلم والآية على قول اصحاب العموم يوجب حل جميع طعامنا لهم لانه قال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم
حل لهم فعلى قولهم يحل لكل واحد من الفريقين ان يتناول طعام الفريق الآخر دل ان يخرج عموم اللفظ لا يوجب الحكم
عاما والله اعلم وقوله عز وجل والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اختلف فيه
قال بعضهم المحصنات اراد به الحرائر وآخرون اراد به العفائف منهن غير زانيات كقوله تعالى الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة نهى عن نكاح الزانيات ورغب في نكاح العفائف وهذا اشبه من الاول لانه قال
في اخر الآية محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان دل هذا على انه اراد بالمحصنات العفائف منهن لا الحرائر
ودلت الآية على حل نكاح الحرائر من الكتابيات وعلى ذلك اتفاق اهل العلم لكن يكره ذلك روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه كره تزوجهن فهذا عندنا على غير تحريم منه تزوجهن ولكن راى تزويج المسلمات افضل واحسن
لما ذكرنا المسلم في دينها وروي عن عمر رضي الله عنه كراهة ذلك وذلك لان حذيفة رضي الله عنه تزوج
يهودية فكتب اليه عمر رضي الله عنه يامره بطلاقها ويقول كفى بذلك فتنة المسلمات فهذا ايضا لا على
سبيل التحريم ولكن لما ذكر من النفقة فتنة المسلمات واصحابنا رحمهم الله يكرهون ايضا تزويج الكتابيات
ولا يحرمونه واختلف اهل العلم في تزويج امائهن فتناول قوم قول الله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
على الحرائر وتاوله آخرون على العفائف وقد ذكرنا ان صرف التاويل الى العفائف اشبه لانه قال محصنين
غير مسافحين ولا متخذي اخدان فلو كانت المحصنات ههنا هن الحرائر لم يكن فيه حظر نكاح اماء اهل الكتاب
لانه اباح نكاح الحرائر من الكتابيات وليس في اباحة شيء في حال حظر غيره فيه وقد ذكرنا الوجه في ذلك
فيما تقدم والمجوسية ليست عندنا من اهل الكتاب والدليل على ذلك قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا فاخبر الله تعالى ان اهل الكتاب
طائفتين فلا يجوز ان يجعلوا ثلاث طوائف وذلك خلاف ما دل عليه القرآن الا ترى ان رجلا لو قال انما لي
عليك يا فلان درهمان لم يكن له ان يدعي عليه اكثر من ذلك ولو قال انما لقيت اليوم رجلين وقد لقي
ثلاثة كان كاذبا لان قوله انما لقيت رجلين كقوله لقيت اليوم رجلين ولا يجوز مثل هذا من اخبار الله لانه
الصادق في خبره عز وجل فان قيل هذا شيء حكاه الله تعالى عز وجل عن المشركين وقد يجوز ان يكونوا غلطوا
فحكى الله تعالى عنهم ما قالوا قيل له لم يعلق الله تعالى هذا القول عن المشركين ولكن قطع بالعذر عذرهم فقال
انزل الكتاب لئلا يقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين فهذا كلام
الله واحتجاجه على المشركين وليس بحكاية عنهم ومن الدليل على ان المجوس ليس من اهل الكتاب ما قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنهم وهو في مجلس بين القبر والمنبر ما ادري كيف اصنع بالمجوس وليسوا من اهل الكتاب
فقال عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب
صرح عمر رضي الله عنه بانهم ليسوا اهل الكتاب ولم ينكر عبد الرحمن ذلك عليه ولا احد من الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين فلو كانوا اهل الكتاب ولم يقل سنوا بهم سنة اهل الكتاب وكذلك روي
عن الحسن بن محمد انه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مجوس هجر فقال ادعوكم الى الشهادة ان
لا اله الا الله واني رسول الله فان اسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ومن ابى فعليه الجزية غير اكل ذبائحهم
ولا [illegible] نسائهم والى هذا ذهب اصحابنا رحمهم الله في قولهم ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب واما نصارى
بني تغلب فان عليا رضي الله عنه قال لا يحل ذبائح نصارى العرب فانهم ليسوا اهل كتاب وقرء ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني وقال ابن عباس رضي الله عنهما توكل وقرئ ومن يتولهم منكم
فانه منهم والآية الاولى تدل على انهم اهل كتاب لان الله عز وجل قد جعلهم منهم بقوله ومنهم اميون فحكمهم
اذا اخبر الله عز وجل انهم منهم ومما يدل على ذلك ايضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لا يتخلجن في
صدرك طعام ضارعت فيه النصرانية لانه عمل فيه النصارى فدخل فيه عربهم وعجمهم لانهم وان تدينهم وكل
من دان بدين قوم فهو منهم ومن الدليل على ان العرب اذا كانوا يدين اهل الكتاب ان العجم لما اسلموا صار
حكمهم حكم عرب اهل الاسلام فان ارتد احد منهم وسال ان يوخذ منهم الجزية كما يوخذ في
الابتداء في المجوس لم يجب الى ذلك وقيل له اما ان تسلم واما ان تقتل فهو بمنزلة عربي مسلم لو ارتد عن
الاسلام فلما كان حكم العجم اذا دان بدين النبي صلى الله عليه وسلم حكم العرب وجب ان يكونا حكم العرب اذا دانا

الذين اتيحوا من اهل الكتاب لا يجعل حكمه حكمهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن وقد يحتمل لنا اذا لم يؤت اجورهن دل ان ذكر الحكم في حال لا يوجب الحظر من
حال اخرى فهو دليل لنا في جواز نكاح الاماء من اهل الكتاب وان ذكر في الاية المحصنات وقوله عز وجل
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الاية اي ومن يكفر بالذي عليه الايمان له وهو المؤمن به اي الله لانه
لا يكفر بالايمان ولكن يؤمن به وهو كقوله تعالى حتى ياتيك اليقين اي المؤمن به فمعنى ذلك الا والله اعلم ومن
يكفر بالذي عليه الايمان به وهو المؤمن به فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وبالله العصمة والعناية
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق لو حملت الاية على
ظاهرها فكان لا سبيل لاحد القيام باداء ما فرض الله عليه من الصلوة لانه كلما قام الى الصلوة يلزمه الوضوء
فلا يزال يبقى فيه لكنها على الاضمار كانه قال تعالى اذا قمتم الى الصلوة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق ولا ظاهر الاية يوجب ما ذكرنا لكن الحدث مضمر فيه ومن الناس من يوجب الوضوء لكل صلوة
بظاهر هذه الاية وقد جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الفضل بذلك وروي عن ابي بكر وعمر وعثمان
رضوان الله عليهم انهم توضوا لكل صلوة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وروي ان عليا بن ابي
طالب رضي الله عنه صلى الظهر ثم قعد في الرحبة فلما حضر العصر دعا بكوز من ماء فغسل يديه ووجهه
وذراعيه ورجليه وشرب فضله وقال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل وقال هذا وضوء
من لم يحدث وروي عن ابن عبيد بن عمير انه كان يتوضا لكل صلوة وتاول هذه الاية وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان يتوضا لكل صلوة فلما كان يوم فتح مكة صلى الصلوة كلها بوضوء واحد فقال عمر رضي الله
عنه يا رسول الله انك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال اني عمدا فعلته يا عمر وعن ابي هريرة رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم في كل صلوة الوضوء ومع كل وضوء السواك
وكل ما روي من الاخبار بالوضوء لكل صلوة هو على الفضل عندنا والاستحباب لا على الحتم الا ترى انه روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات كلها بوضوء واحد وقال اني فعلت عمدا ذلك ما ذكرنا ويحتمل
تاويل الاية معنى اخر ما روي عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراق ماء نكلمه فلا
يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى ياتي اهله فيتوضا وضوءه للصلوة فقلنا له في ذلك فنزل اية الرخصة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فهذا يدل على ان معنى الاية على الاضمار اذا قمتم الى الصلوة
وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وايديكم وروي في تاويل الاية اذا قمتم من المضجع الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وقد رويت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان ينام ثم يصلي الصبح ولا يتوضا
فسئل عن ذلك فقال اني لست كاحد منكم انه تنام عيناي ولا ينام قلبي ولو احدثت لعلمت وروي عن
صفوان بن عسال قال اذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر وامرنا ان لا ننزع خفافنا اذا ادخلناهما
طاهرتين ولا نخلعهما من غائط ولا بول ولا نوم الا من جنابة فهذه الاحاديث من النوم مجملة وجاء حديث
اخر مفسرا بايجاب الوضوء اذا نام مضطجعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ليس على من نام قاعدا وضوء حتى يضطجع فاذا اضطجع استرخت مفاصله فهذه الاخبار التي جاءت مجملة وقد جاءت
الاخبار انه اذا نام في الصلوة قائما او قاعدا او ساجدا فلا وضوء عليه فيدل ذلك على ان النوم في الصلوة
ليس بحدث وروي عن عمر رضي الله قال لا يوجب الوضوء حتى يضع الجنب وينام فهذا يؤيد ما قلنا مما
اجمع اهل العلم في ان الوضوء ليس بواجب على من قام الى الصلوة الا عن حدث فكان التاويل ما ذكرنا
وقوله عز وجل فاغسلوا وجوهكم الخطاب من الله عز وجل بغسل الوجه ما يعرف اهل الوجه فالتكلم فيه
والتحديد انه من كذا الى كذا فضل تكلم والامر بالغسل يرجع الى ما ظهر وعرف اهله انه وجه وكذلك الامر بمسح
الراس يرجع الى ما عرف اهله انه راس وليس كالاذنين لان معرفة الاذنين انهما من الراس بمعنى لانهما لا يعرفان
انهما من الراس الا بالتسمع وكذلك الامر بغسل اليد وغسل الرجل يقع على ما يعرف الناس ويعرف الناس
اليد الى الابط والرجل الى الركبة فخرج ذكر المرافق في غسل الايدي على اخراج ما وراء المرافق وكذلك ذكر
الكعب في الرجل لاخراج ما وراء الكعب لان اسم اليد على الاطلاق يقع من اطرافها الى الابط وقوله عز وجل
وارجلكم الى الكعبين قرئ بالنصب وقرئ بالخفض قال بعضهم ان قرئ بالنصب فهو يرجع الى الغسل
نسقا على الوجه وبالخفض يرجع الى المسح مسح الخفاف نسقا على مسح الراس لكن هذا بعيد لانه تعالى

لا يجوز

لا يجوز ان يامر بالغسل والمسح جميعا ومعنى الخفض لقرب جواره بقوله تعالى وامسحوا برؤوسكم وقد
يجوز ذلك نحو قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون فمن قرء بالخفض انما قرءه
لقرب الجوار بالخفض فعلى ذلك الاول ثم الحكمة في الامر بغسل هذه الاعضاء ليذكرهم تطهير باطنهم
والمعنى في الغسل هذه الاعضاء الظاهرة والله اعلم لمعنيين احدهما شكر الماء بهما يتناول ويقبض
واما الرجل لما بها يمشي وبها يصل اليه والوجه يجمع الحواس التي بها يعرف عظيم نعم الله عز وجل من
نحو البصر والفم وغيرها من الحواس التي بها يكون التلذذ والتشهي وامر بذلك تكفيرا لما ارتكب بهذه الحواس
من الحرام لانه بها ارتكب جل الاثام وبها يوصل اليها من المشي والقبض وغير ذلك وقوله عز وجل ان كنتم جنبا
فاطهروا قيل اغتسلوا باخذ الجنابة الظواهر من البدن وبواطنه والحدث لا ياخذ الا الظواهر من الاطراف
لان السبب الذي يوجب الجنابة لا يكون الا باستعمال جميع ما فيه من القوة الا ترى انه به يضعف اذا اكثره
وبتركه يقوى فعلى ذلك اخذ جميع البدن ظاهره وباطنه واما الحدث فان سببه يكون بظواهر هذه
الاطراف من نحو الاكل والشرب والحدث وليس باستعمال كل البدن والله اعلم وقوله وان كنتم مرضى
او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء الاية ذكر المرض والسفر والمجيء من
الغائط والملامسة ثم الحكم لم يتعلق باسم المرض ولا باسم السفر ولا باسم الغائط ولكن كان
متعلقا بمعنى فيه دل انه جواز القياس لانه ذكر الغائط والمجيء منه والغائط هو المكان الذي
تقتضى فيه الحاجات والمراد منه المعنى وهو قضاء الحاجات فهذا اصل لنا ان النظر اذا ورد بمعنى
توجد ذلك المعنى في غيره وجب ذلك الحكم في ذلك الغير فاذا عدم الماء في المكان الذي يعدم وان لم يكن
سفرا يجوز التيمم فيه وكذلك اذا خاف الضرر من الماء جاز له التيمم يكون مريضا لانه ليس اباح ذلك
للمريض باسم المرض ولا باسم السفر ولكن لمعنى فيه وقوله عز وجل او لامستم النساء قد ذكرنا فيما تقدم
ان الملامسة هو الجماع كذلك روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم قال ابن عباس رضي الله عنهما
الملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والغشيان كله جماع ولكن الله كريم لم يكن وقوله عز وجل
فتيمموا صعيدا طيبا جعل الطهارة بالماء والتراب لانه بهما معاش الخلق وبهما قوام الابدان حتى جعل جميع
اغذية الخلق وجعل مصالحهم منهما فعلى ذلك جعل قيام هذه العبادات بهما والله اعلم ثم الحكمة في وجوب
الطهارة وجهان احدهما ما ذكرنا الا ليذكرهم طهارة الباطن والثاني يكفر ما ارتكبوا بهذه الجوارح من
الاجرام او شكر الماء انعم عليهم من المنافع التي جعل لهم فيها من القبض والبسط والتناول
والاخذ والمشي وغير ذلك مما يكثر ثم الحكمة في جعل الطهارة في اطراف البدن التزين والتنظيف
لانه يتقدم على الملك الجبار ويقوم بين يديه ويناجيه من اتى ملكا من ملوك الارض يتكلف التنظيف
والتزين ثم يدخل عليه فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا قال عبد الله بن مسعود
وعمر رضي الله عنهما الملامسة ما دون الجماع وقالا ان الجنب لا يتيمم وان لم يجد الماء شهرا وانما قالا
لانه لا يتيمم لما قالا ان اللمس ما دون الجماع فلم يدخل الجنب في هذه الاية واوجبا عليه الغسل بقوله تعالى
ان كنتم جنبا فاطهروا وجعلا قول الله تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا على ممر الجنب في
المسجد ولم يحملاه على انه يغتسل اذا كان مسافرا فلم يجد الماء يا التيمم فهذا الذي منع عبد الله ان يطلق
للجنب ان يصلي بالتيمم على حال فاما علي وابن عباس رضي الله عنهما فانهما جعلا اللمس الذي ذكره الله تعالى
في هذه الاية جماعا وقالا لكن الله تعالى عن الجماع بالمس والغشيان والمباشرة وجعلا قول الله تعالى
الا عابري سبيل حتى تغتسلوا في المسافر الذي لم يجد الماء وهو جنب وقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه اذن للجنب من الجماع ان يتيمم اذا لم يجد الماء فكان ذلك حجة على من منع الجنب
من التيمم ثم قول الشافعي قولا لتخارج عن قول الصحابة والسلف رضوان الله عليهم جميعا لانه
يزعم ان اللمس هو الجماع وما دونه فذلك ابتداع في الاية قولا وتفسيرا خاف فيه ما روي في تفسيرها
عن الصحابة رضي الله عنهم جملة والسلف لذلك كان غلطا واصله ان الله تعالى ما ذكر الوضوء وامر به
في الاية وهو قوله تعالى ان كنتم جنبا فاطهروا ولم يذكر دون جنابة ثم ذكر الحدث في قوله او جاء
احد منكم من الغائط فعلى ذلك قوله تعالى او لامستم النساء كان بيانا لما تقدم من الامر بالاغتسال

من الجنابة والله اعلم وقوله عز وجل فتيمموا صعيدا والصعيد هو وجه الارض وقوله عز وجل طيبا
قال بعضهم الطيب ما ينبت من الزرع وغيره وقال اخرون الطيب ههنا هو الطاهر روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا اينما ادركتني الصلوة تيممت وصليت اخبر ان
الارض جعل له مسجدا وطهورا فكان قوله طهورا تفسيرا لقوله طيبا والله اعلم وقوله عز وجل
فامسحوا بوجوهكم وايديكم قد ذكرنا فيما تقدم ان التيمم ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين
وقوله عز وجل ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج يحتمل هذا وجهين ما يريد ان يضيق عليكم لياركم بحمل
الماء الى حيث ما كنتم في الاسفار وغيره ولكن جعل لكم التيمم ورخص لكم ان تؤدوا ما فرض عليكم
به ولم يكلفكم حمل الماء في الاسفار وغيره والله اعلم ووجه اخر ما اراد الله بما تعبدكم من انواع العبادات
ان يجعل عليكم من حرج ولكن اراد ما ذكر وقوله عز وجل ولكن يريد ليطهركم به بالتوحيد والايمان
وبالرسل جميعا ويحتمل قوله ليطهركم من الذنوب والاثام التي ارتكبوها كقوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات كقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ويحتمل التطهير من الاحداث والجنابات
كما قال اهل التاويل وقوله عز وجل وليتم نعمته عليكم تمام ما ذكرنا من التوحيد والايمان والهداية
لدينه والتكفير بما ارتكبوا ويجوز ان يكون هذا في قوم علم الله انهم يموتون على الايمان حيث
اخبر انه يتم نعمته عليهم وقوله عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم امر والله اعلم بشكر ما انعم عليهم
من انواع النعم وميثاقه الذي واثقكم به يحتمل الميثاق ميثاق الخلقة وشهادتها اذ خلقه
كل احد يشهد على وحدانيته وربوبيته ويحتمل الميثاق الذي ذكر ميثاق قول قالوه وقبلوا
ما دعوا اليه اذ قلتم سمعنا واطعنا وقوله عز وجل اذ قلتم سمعنا واطعنا قال بعضهم اجبنا
دعوتك واطعنا امرك وقال اخرون سمعنا قولك واطعنا امرك وقوله عز وجل واتقوا الله
في ترك ما امركم به وارتكاب ما نهاكم ان الله عليم بذات الصدور وهو على الوعيد وقوله عز
وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الاية يحتمل ان يكون الاية في الشهادة نفسها
كانه قال ان قوموا شهداء لله واجعلوا الشهادة له فاذا فعلوا هكذا لا يمنعهم بغض احد وعداوته ولا رضا
واحد وولايته القيام بما ندبهم الله ان يقولوا في الشهادة لله ولا يحكم للعدو كما يحكم للولي ويقوم في
الشهادة للعدو كما يقوم للولي والله اعلم ويحتمل ان يكون في بيان الحق والحجج وتعليم الاحكام والشرايع كانه
يقول والله اعلم قوامين في بيان الحجج والحق وتعليم الاحكام لله لا يمنعكم بغض قوم ولا رضاهم على ان لا تبينوا
الحق لهم ولا تعلموا الحجج والاحكام لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولا يجرمنكم شنان قوم اي بغض
قوم على ان لا تعدلوا فيهم فانما العدل لله في الرضا والسخط اعدلوا يقول قولوا العدل بالحق هو اقرب
للتقوى وقوله عز وجل اعدلوا هو اقرب للتقوى اي اعدلوا هو التقوى كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين
لان العدل ليس الا التقوى واتقوا الله في ترك ما امركم به وارتكاب ما نهاكم عنه ان الله خبير بما تعملون و
تضمرون من العدل والجور خرج على الوعيد وقوله عز وجل الذين امنوا وعملوا الصالحات قال بعضهم هذه الاية
صلة ما تقدم في قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الى اخر ما ذكر
فاذا فعلوا وقاموا في الشهادة والعدل في الحكم كان لهم ما ذكر من الوعد فالله اعلم ولكن يحتمل هي
على الابتداء والله اعلم كانه قال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات وعدا ثم بين ما في ذلك الوعد
فقال لهم مغفرة واجر عظيم لستر على ذنوبهم ويتجاوز عنهم واجر عظيم الجنة قال ابن عباس رضي الله عنهما لهم مغفرة
في الدنيا لذنوبهم واجر عظيم في الاخرة الجنة وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم قيل كفروا بايات الله وكذبوا باياتنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والقران اولئك اصحاب الجحيم
وقيل كفروا بتوحيد الله وكذبوا باياتنا بالقران بانه ليس من الله تعالى وهو واحد وهذا يدل ان الاية على انه
اوخرج ليس على الشك على ما قالوا وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم عنكم يحتمل ان يكون هذه المنة التي ذكرها الله تعالى في هذه الاية من كف ايدي الاعداء عنهم
بعد ما بسطوا ايديهم في جملة المؤمنين لان المؤمنين كانوا في ابتداء الاسلام مختلفين ما بين الكفرة لا يقدرون
على اظهار الاسلام واعلانه ثم قدرهم قتل المؤمنين عز ونصرة وفيما كف ايديهم عنكم منة عظيم عليكم وعليهم ودخل
جميع المسلمين ويحتمل ان يكون في قوم خاص قد اخلطوا بهم وبسطوا ايديهم اليهم وهموا بقتلهم فكف الله

عز وجل بفضله ايديهم عنكم وان قدرهم من ايديهم ثم اختلف فيه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان
بعد قريظة ان يبسطوا ايديهم بالقتل فكف الله تعالى ايديهم عنهم بالمنع وقيل نزلت في اليهود ودخل النبي صلى
الله عليه وسلم حائطا لهم في النخل واصحابه وراء الجدار واستعانهم في دية عن فهموا ثم قال من عندهم فاتهموا بيهم
بقتله فخرج مشي فيهم حفرها حفرها فتركها ثم دعا اصحابه رضي الله عنهم اليه
فلا تدري كيف كانت القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة بعد ان نعرف منة الله التي من علينا بكف
الاعداء عنهم ونشكر له على ذلك وفي هذه الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عما
كان منهم من غير ان شهد ذلك ليعلم انه بالله علم وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي على الله توكل
المؤمن في كل امره وبه يثق وقوله عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هذا
والله اعلم تعليم من الله تعالى هذه الامة وانباء منه انه قد اخذ العهود والمواثيق على الامم السالفة كما اخذ
منكم لانه ذكر انه قد اخذ منكم لانه قد اخذ من هؤلاء الميثاق بقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه
الذي واثقكم به ثم بين عليهم ما وعد لهم الثواب ان وفوا بتلك العهود والمواثيق التي اخذت عليهم وما
اوعد لهم من العقاب ان نقضوا العهود التي اخذ عليهم ليكونوا على حذر من نقضها وليفوا على وفاها وان
يقال انه ذكر ما اخذ على اولئك من العهود والمواثيق ليكون ذلك اية من ايات رسالة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم لانه اخبار عن الامم السالفة وهو لم يشهدها ولا حضرها فعلموا انه انما علم ذلك بالله ثم يحتمل تلك
العهود والمواثيق التي اخذت عليهم ما ذكر على اثرها وبيانها وهو قوله تعالى وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة
الى اخر ما ذكر ويحتمل وقال ابن عباس احل ما احل الله وحرم ما حرم الله وحسن جوازتهم وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا يعني ملكا وهم الذين بعثهم موسى الى بيت المقدس ليعلموا له علمها ويحتمل ان يكون اختارهم من
بينهم واولئك فضلوا لوا موسى ان يجعلهم عليهم قدوة يقتدرون بهم ويعلموهم الدين والاحكام وما اخذ عليهم
المواثيق والعهود فيكون ذلك احد النقباء وذلك من المواثيق والعهود عليهم والله اعلم ثم اختلف في النقيب
قال بعضهم النقيب هو الملك وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابو عوسجة النقيب هو المنظور
اليه والمعتمد وعن ابن وهو من وجوه القوم وجمعه النقباء ومثل الفقهاء وقال ابو عبيدة النقيب الامينة
والنقيب من على القوم وقال الكسائي والفراء يقال فيه قد نقب عليهم نقابة وهو فوق العريف يقال نقيب
عرفت عليهم عرافة وهم النقباء والعرفاء والمناكب واحدهم منكب وهو كالعون يكون مع العريف وقال
القتبي والنقيب الكفيل على القوم والنقابة والنكابة نسبته بالعرافة وقوله عز وجل وقال الله اني معكم
قال بعضهم قال للنقباء اني معكم في النصر والدفع عنكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة الى اخر ما ذكر
وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل ان يكون هذا الوعد لكل من قام بوفاء ذلك النقباء وغير النقباء وما
ذكر من الوعيد في الاية التي هي على اثره على كل من نقض ذلك العهد النقيب وغير النقيب ثم قوله لئن
اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة يحتمل وجهين يحتمل انه اراد بالصلوة الخضوع والثناء له وبالزكوة تزكية النفس و
طهارتها وذلك في العقل على كل احد القيام به في كل وقت ويحتمل ان يكون اراد بالصلوة والزكوة
الصلوة المعروفة المعهودة والزكوة المعروفة ففيه دليل وجوب الصلوة والزكوة على الامم السالفة
وقوله عز وجل وامنتم برسلي يحتمل تؤمنوا برسلي جميعا ولا تفرقوا بينهم ان تكفروا ببعض وعزرتموهم
قال القتبي وابو عوسجة وعزرتموهم قالا وعظمتموهم والتعزير التعظيم وقال نصرتموهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال وعزرتموهم اعنتموهم يعني الانبياء عليهم الصلوة والسلام واقرضتم الله قرضا حسنا
اي صادقا من كل انفسكم اشفق بها وجه الله وقال بعضهم واقرضتم الله قرضا حسنا اي اجعلوا فضلا لله لا
نفسكم ايادي ومحاسنا يستوجبون بذلك الثواب الجزيل ثم قال لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات
تجري من تحتها الانهار وعد لهم تكفير ما ارتكبوا من المآثم اذا قاموا بوفاء ما اخذ الله عليهم من المواثيق وقوله
عز وجل فمن كفر منكم بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل قال بعضهم فمن كفر بعد ذلك اي بعد المواثيق والعهود
التي اخذ عليهم ويحتمل قوله فمن كفر بعد ذلك اي من كفر فقد ضل سواء السبيل وقوله عز وجل فبما نقضهم
اي فبنقضهم قيل ما زائدة فبنقضهم ميثاقهم لعناهم يحتمل لعناهم اي طردناهم والملعون عن كل خير
ويحتمل لعناهم اي دعوناهم باللعن وجعلنا قلوبهم قاسية اي نزع منها الرحمة والرأفة اذا نقضوا العهود
وتركوا امر الله لان الله تعالى اخبر انه جعل في قلوب الذين اتبعوا امر الله واطاعوه رحمة ورأفة بقوله تعالى

وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة من قلوبهم صارت قاسية ورياسة وقوله عز وجل يحرفون
الكلم عن مواضعه يحتمل ان يكونوا يغيرون تاويله ويقولون هذا من عند الله ويحتمل التحريف
تحريف النظم والمتلو ويحوه ويكتبوه غيره ونسوا حظا مما ذكروا به قيل ضيعوا كتابا بين اظهرهم ونقضوا
عهده الذى عهد اليهم وتركوا امره وقوله عز وجل مما ذكروا به اى وعظوا به وقيل تركوا نصيبا مما امروا به
فى كتابهم من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة منهم اخبار عن تمردهم فى
المعاندة وكونهم فى الخيانة نزوا باس عن ايمانهم ثم استثنى فقال الا قليلا منهم وهم الذين اسلموا منهم
وقوله عز وجل فاعف عنهم واصفح ولا تكافئهم لما ازول ثم قال بعضهم هو منسوخ باية القتال فى سورة براءة
وهو قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية ويحتمل فاعف عنهم واصفح الى ان تؤمر بالقتال والله اعلم
وقوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى كونوا انصار الله فقال بل تكونوا انصارى فذلك قوله
انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ما من احد يعقل الا وقد اخذ الله عز وجل اخذ العهد
والميثاق وقد اخذ الميثاق على المؤمنين بقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به
الاية واخذ الميثاق على اليهود بقوله ولقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل الاية واخبر ايضا انه قد اخذنا
الميثاق على النصارى فى هذه الاية بقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم وقد تقدم ذكر
الميثاق ومعناه فى غير موضع وقوله نسوا حظا مما ذكروا به يحتمل هذا وجهين يحتمل اى تركوا حظهم مما
امروا به من التوحيد بالله والايمان بالرسل كلهم والتمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى والوفاء بالعهود التى عهد اليهم
فتركوا ذلك كله وضيعوا ويحتمل نسوا حظا مما ذكروا به اى لم يحفظوا ما وعظوا به وقوله عز وجل فاغرينا بينهم
العداوة والبغضاء الى يوم القيمة قيل اغرينا القينا بينهم العداوة والبغضاء قال الحسن من حكم الله تعالى
ان يلقى بينهم العداوة والبغضاء بجعل قلوبهم قاسية ومن حكم ان يكون بين المسلمين رافة ورحمة وقالت
المعتزلة قوله تعالى اغرينا بينهم العداوة والبغضاء اى خذلنا وتركناهم لكن هذا كله منهم احتيال وفرار عما يلزمهم
من سوء القول وقبحه فيقال لهم ان شئتم جعلتم خذلانا وان شئتم تركا اجعلوا ما شئتم ولكن هل كان من الله
فى ذلك صنع الى نفسه ولا فعل فى ذلك ولا صنع فدل ان له فيه صنعا وهو ما ذكرنا ان خلق ذلك منهم
وكذلك فيما اضاف الى نفسه من جعل الرافة والرحمة فى قلوب المؤمنين فلو لم يكن فى ذلك صنع لكان لا يضيف
ذلك الى نفسه وذلك الحرف حرف الحمد والمدح فدل ان له فيه صنعا وهو ان خلق الرافة والرحمة فى قلوب
المؤمنين وخلق القساوة والعداوة فى قلوب اولئك الكفرة وبالله التوفيق وفى الاية دلالة اثبات رسالة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه القى بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة واخبر انه لا تزال
تطلع على خائنة منهم وكان من قال على علم منهم ان لا يطلع على ما فى قلوبهم فى الخيانة والغباوة وغيرها
من اليهود فدل انه بالله علم ذلك وقوله عز وجل وسوف ينبئهم الله فى الاخرة بما كانوا يصنعون فى الدنيا
وهو قول ابن عباس وقوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما تخفون من الكتاب الاية
قال عز وجل قد جاءكم رسولنا ولم يقل فلان بن فلان ليعلم ان الرسل عليهم الصلوة والسلام ليسوا يعرفون
بالاسامى والانساب ولكن انما يعرفون بالايات والمعجزات والبراهين النبوة وفيه دليل ان من امن
بالرسل كلهم ولم يعرف اساميهم انه يكون مؤمنا ولم يؤخذ علينا معرفة اسامى الرسل انما اخذ علينا
الايمان بهم جملة الا ترى ان الله عز وجل لم يذكر فى الكتاب الانبياء والرسل جميعا فواحدا ولا ذكر
اسمائهم انما ذكر بعضا منهم افترى ان من لم يعرف اسمائهم لم يكن مؤمنا هذا بعيد وفيه دلالة اثبات رسالة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه قال يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب وانما كتموا ذلك واخفوا
على الرؤساء ولم يخبروا انهم احدا كتموا ذلك واخفوه المخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف الى احد منهم ولا نظر فى كتابهم قط ليعلم ما كتموا فلما بين لهم ما قد كتموا
واخفوا من الناس دل ذلك لهم ما قد كتموا واخفوا من الناس ذلك لهم انه انما ذلك بالله تعالى وقوله
عز وجل يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير اختلف فى تاويله وقراءته قال بعضهم يبين
بالمؤمن ويعفوا عن كثير اى الله يبين لهم كثيرا مما يخفون ويعفوا الله تعالى عن كثير اذا امنوا ورجعوا عما كانوا
يخفون ويكتمون وقال اخرون يبين لهم كثيرا عن جميع ما كانوا يخفون ويعفو عن جميع ذلك واما عندنا
فقوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير بالنبا اى رسول الله يبين لهم كثيرا

ويعفوا

ويعفوا عن كثير على ما قدر ما اذن له البيان لان الرسل انما يؤتون بالبراهين والحجج على قدر ما اذن لهم
لا بكل ما الهم من الايات الا ترى ان سحرة فرعون لما القوا حبالهم وعصيهم فصارت حيات اى لم
يلق موسى عصاه حتى اذن الله له فى ذلك وهو قوله تعالى وجاؤا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق
عصاك فاذا هى تلقف ما يافكون انما اتى بالاية بعد ما اذن بذلك فمن ذلك قوله يبين لهم كثيرا
انما بين ان قدر ما اذن له بالبيان والحجة والله اعلم وقوله عز وجل مما كنتم تخفون من الكتاب
من الشرايع والاحكام ويحتمل كتموا ما فى الكتاب من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته الكريمة
وقوله عز وجل قد جاءكم من الله نور وكتاب هو القران سماه نورا لما يوضح ويبين كل شئ
على ما هو عليه حقيقته وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل الله نور السموات والارض الاية اى به تتبين كل
شئ على ما هو عليه فى الحقيقة وبالله التوفيق وقوله عز وجل يهدى به الله من اتبع رضوانه يحتمل
قوله يهدى به الله اى بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل بالقران اى به يهدى الله من اتبع رضوانه يحتمل
رضاه وقوله عز وجل سبل السلام قيل هو الله كقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن اى به يهدى سبل السلام
سمى سبيل الا ان سبيل الله وان كان كثيرا فى الظاهر فهو فى الحقيقة واحد وسمى سبيل الشيطان
سبلا وقال ولا تتبعوا السبل الاية لانه سبيله متفرقة مختلفة ليست ترجع الى واحد واما
سبيل الله وان كانت سبلا فى الظاهر فهو يرجع الى واحد وهو الهدى والصراط المستقيم وقوله
عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن
مريم كفروا كفر مكابرة ومعاندة لا كفر شبهة وجهل لانهم اقروا انه ابن مريم ثم يقولون انه اله فاذا كان
هو ابن مريم وامه اكبر منه فمن ابعد من هو اصغر منه الها لمن هو ربا والا الكفر قد يكون بدون ذلك
القول لكن التاويل هو ما هو ما ذكرنا انهم كفروا كفر معاندة ومكابرة مع اقرارهم انه ابن مريم حيث جعلوا
الاصغر الها الاكبر وربا له وقوله عز وجل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن فى الارض جميعا اى لا احد يملك من دون الله شيئا ان اراد اهلاك المسيح وامه الاية اى لو كان الها
كما يقولون لكان يملك دفع الهلاك عن نفسه وعن امه ومن عندهما فى الارض وقيل فمن يملك ان يمنع
من الله شيئا من عذابه ان اراد ان يهلك المسيح بعذاب وامه ومن فى الارض جميعا بعذاب او بموت وهما واحد
ثم عظم نفسه عن قولهم ونزهها حين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم فقال ولله ملك السموات
والارض اى كلهم عبيده واماؤه يخلق من بشر وغير بشر والله على كل شئ قدير اى قادر على خلق الخلق
من بشر ومن غير بشر والله اعلم وقوله عز وجل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية
يحتمل ان يكون هذا القول لم يكن من الفريقين جميعا ولكن كان من احد الفريقين هذا ومن الفريق الاخر
غيره وكان كقوله تعالى قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى كان هذا القول كان كل فريق نفى دخول
الفريق الاخر الجنة لا ان قالوا جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى يحتمل ان يكون من النصارى
نحن ابناء الله كما ذكر فى بعض القصة ان عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام قال لقومه ادعوكم الى اب
وابيكم الذى فى السماء فقالوا عند ذلك نحن ابناء الله وكان من اليهود نحن احباء الله ويحتمل ان يكون هذا
هذا القول كان منهما جميعا قال واحد من الفريقين نحن ابناء الله واحباؤه وقيل انهم قالوا ذلك فى المنزلة
والقدر عند الله تعالى اى لهم عند الله من المنزلة والقدر كقدر الولد عند والده ومنزله عنده ولا يعذبنا
فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم ان كان ما تقولون حقا فلم يعذبكم حين جعل القردة والخنازير ولا احد
من الخلق يحتمل قلبه ان يكون ولدا وحبيبه قردا او خنزيرا وقال لا احد يحتمل قلبه تعذيب ولده وحبيبه
بذنبه بالنار وقد اقررتم انكم تعذبون فى الاخرة قدر ما عبدتم العجل ثم قال بل انتم بشر ممن خلق
اى من اتخذ ولدا وحبيبا ان يتخذ من شكله ومن جنسه فالله تعالى انما خلقكم من بشر كغيركم من الخلق وانتم وهم
فى ذلك سواء فكيف خصصتم انفسكم بذلك وقوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم دليل
ان من رفع احدا من الرسل فوق قدره فى الكفر كمن حط عن قدره ومرتبته وقوله يغفر لمن يشاء اى من تاب
واسلم ويعذب من يشاء من دام على الكفر ومات عليه وقوله عز وجل ولله ملك السموات والارض وما بينهما
اى كلهم عبيده واماؤه وخلقه يعظم نفسه عن قولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولا احد يتخذ عبده ولدا ولا حبيبا
فانتم انما اقررتم انكم عبيده كيف ادعيتم النبوة والمحبة والله اعلم وفى الاية دلالة اثبات رسالة نبينا محمد

صلى الله عليه وسلم لانهم قالوا فيما بينهم ثم اخبرهم صلى الله عليه وسلم بذلك ليعلم انه انما عرف ذلك بالله
وقوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم يحتمل قوله تعالى يبين لكم ما كنتم تكتمون من نعته
وصفته وتحرفون كقوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ويحتمل يبين لكم مما لكم
وعليكم من الاحكام والشرايع ويحتمل يبين لكم مما كان عليه الانبياء والرسل وقوله عز وجل على فترة من الرسل
قيل على انقطاع من الرسل من لدن اسرائيل الى عيسى عليه السلام لانه قيل انه كان رسول لم يكن ثم رسول لين
انقطاع فاختار عز وجل ان بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل وقيل على فترة من الرسل
ليس على انقطاع منهم ولكن على ضعف امر الرسل واثارهم وهو من الفتور يقال فتر يفتر فتورا كحو والله اعلم
انما بعث الرسول بعدما درس اثار الرسل وضعف ووقع فيما بينهم اختلاف للضعف ليبين لهم ما ذكر ان
يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فيقطع احتجاجهم بذلك وان لم يكن في الحقيقة احتجاج وهو كما قال لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكقوله ان لا تقولوا على الله الا الحق بشيرا بالجنة لمن اطاع ونذيرا بالنار لمن عصاه
فقد جاءكم من بشير ونذير والله على كل شيء قدير يحتمل على كل شيء قدير من بعث الرسل على فترة منهم واحياء ما درس
من اثار الرسل وما ضعف من رسولهم والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله
عليكم الاية يحتمل قوله اذكروا نعمة الله ما ذكر من بعث الرسل عليهم السلام على فترة منهم ويحتمل ما ذكر
على اثره وهو قوله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين كانه يقول اشكروا
نعمتي التي انعمت عليكم من جعل الانبياء فيكم ولم يكن ذلك لامة من الخلق وجعلكم ملوكا يستنصرون
من الاعداء ولان الملوك في بني اسرائيل هم الذين كانوا يتولون القتال وامر الحرب مع الاعداء وكقوله
تعالى ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله فاخبر ان جعل فيهم الانبياء يعلمونهم امور الدنيا والاخرة ويحتاج
غيرهم الى معرفة ذلك بهم وجعل فيهم ملوكا يستنصرون من الاعداء ويقهرونهم فيفخرون ويشرفون في
الدنيا والاخرة وقوله عز وجل وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يحتمل ما ذكر من جعل الانبياء والملوك فيهم
ويحتمل ما رزقهم في التيه من المن والسلوى وغيره من النعم وقيل في قوله وجعلكم ملوكا اي جعلكم بحيث
تملكون انفسكم وكنتم قبل ذلك يستعبدكم فرعون ويتخذكم خولا لنفسه والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة التي كتب الله لكم قيل قوله تعالى كتب الله اي كتب عليكم ان تاتوا اهل تلك الارض ليسلموا او حتى
كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يعني الكفر فعلى ذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
قتال اهلها ليسلموا والله اعلم وقوله عز وجل لكم اي عليكم وهذا جائز في اللغة كقوله تعالى وان اساتم فلها
اي فعليها وقيل قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم فتحها ان اطعتم امر الله فيما امركم
به وانتهيتم عما نهاكم عنه واجبتم رسوله الى ما دعاكم اليه اي اذا فعلتم ذلك فتح الله تلك الارض وقوله
عز وجل الارض المقدسة قيل هي الشام وقيل غيرها سماها طاهرة مقدسة ومرة سماها بركة وهو كقوله
تعالى باركنا حوله بكثرة الثمار والفواكه وسعة عيشها وكثرة ريعها ويحتمل ان سماها مباركة لما كان
معدن العباد والزهاد منزه عن الشرك وجميع الفواحش والمناكير والله اعلم وقوله عز وجل ولا ترتدوا
على ادباركم هذا والله اعلم كناية عن الرجوع عن الدين وهو كقوله تعالى ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا وانما صار ذلك كناية عن الرجوع عن الدين والله اعلم لما ذكرنا في احد التاويلين انه كتب عليهم
قتال اهل تلك الارض فتركوا امر الله وطاعته ويحتمل ان وعد الله لهم فتح تلك الارض فلم يصدقوا رسوله
فيما اخبر عن الفتح لهم فكفروا بذلك وقوله عز وجل فتنقلبوا خاسرين الاية يحتمل ان يكون ذلك لهم في
الاخرة ويحتمل في الدنيا منهزمين ويحتمل قوله تعالى فلا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا وراءكم ولكن ادخلوها
وقوله عز وجل قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
يحتمل ان يكون هذا والله اعلم لما   فرعون مع قوته وكثرة جنوده مع ادعائه ما ادعى من الربوبية لنفسه
لم يقدر على فتح تلك الارض ويعجز عن غلبة اهلها وقهرهم وجعلهم تحت يديه راوا هؤلاء لا يقدرون على
ذلك مع ضعفهم في انفسهم وقلة عددهم وقصور اسبابهم لذلك امتنعوا عن الدخول فيها الا بعد خروج
من فيها من الجبابرة عنها خوفا منهم على انفسهم لكن موسى عليه السلام كان وعدهم الفتح والنصرة مع
ضعفهم وقلة عددهم اذا دخلوا فيها وقوله عز وجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم
الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اختلف في الرجلين الذين قالا ذلك لهم قال بعضهم كان ذلك الرجلان من

اولئك

اولئك الذين بعثهم موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام الى اهل تلك الارض وامرهم بالدخول
فيها وهما ممن قد انعم الله عليهم في تصديق ما وعدهم موسى من الفتح والنصر فقالا اذا
دخلتموه فانكم غالبون صدقوا موسى بما وعد لهم من الفتح والنصر قال قائلون قال ذانك الرجلان
اللذان قالا ذلك لهم هما من اهل تلك الارض لانهم اذا سمعوا ان موسى قصدهم قالوا من
ذلك فذلك معنى قوله من الذين يخافون انعم الله عليهما من الاسلام فقالا ادخلوا عليهم
الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون بما علموا من خوف اهلها من موسى ومن معه وفزعهم
وقوله عز وجل فتوكلوا ان كنتم مؤمنين الاية مصدقين بوعد موسى بالفتح لكم والنصر ويحتمل
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مسلمين لان من توكل على الله واتقى نصره الله وجعله غالبا على عدوه والله
اعلم وقوله ادخلوا عليهم الباب كان المراد من الباب ليس نفس الباب ولكن جهة من الجهات
التي يكون الدخول عليهم من تلك الجهة ارفق واهون كانه قال ادخلوا عليهم جهة كذا والله اعلم
وقوله عز وجل قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها من تعرض لرسول من الرسل بمثل
هذا ما تعرض هؤلاء لموسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها يكفر لان موسى عليه السلام قد
وعدهم النصر والفتح اذا دخلوا بها فقالوا لن ندخلها ابدا لم يصدقوا موسى عليه السلام فيما
وعد لهم من الفتح ومن كذب رسولا من الرسل في شيء يخبر فهو كافر وقوله عز وجل فاذهب انت
وربك فقاتلا الاية دل قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا على ان المراد بالدخول فيها امر
بالقتال مع الاعداء حين قال ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وان المكتوب عليهم القتال
معهم لانهم قالوا فاذهب انت وربك فقاتلا والله اعلم ثم قيل في قوله تعالى فاذهب انت وربك
فقاتل وحدك وليعنك ربك ولينصرك لانك تقول ان الله قد دلك فتحها والنصر عليهم حدد
الجماعة فيه سواء اذا كان الله ناصرك ومعينك والثاني اذهب انت واخوك بربك فقاتلا لانهما
كانا جميعا مامورين بتبليغ الرسالة لانهما اذا قاتلا بربهما فيجوز اليه النسبة لما كانا يفعل بهم
كقوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هما المباشران
للقتل والرمي في الحقيقة لكنه اضيف اليه بنصره ومعونته قتلوا ورموا فعلى ذلك الاول
والله اعلم اضيف اليه لما بمعونته ونصره يقاتلون وقوله عز وجل انا ههنا قاعدون يريد به م
نفسه ولكن الله اعلم انا ههنا منتظرون وقوله عز وجل قال رب اني لا املك الا نفسي واخي
الاية يحتمل اني لا املك في الاجابة والطاعة لك الا نفسي واخي واملك اخي ايضا لما عرفت
بالعصمة التي اعطيت له ان يجيبني ويطيعني في ذلك واما هؤلاء فاني لا املك اجابتهم ولا طاعتهم
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ويحتمل اني لا املك الا نفسي واخي لا يملك ايضا الا نفسه و
على الاضمار لانهما كانا جميعا رسولين مامورين بتبليغ الرسالة بقوله تعالى فقالا له قولا لينا
الاية وقوله عز وجل فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال قائلون انما طلب موسى عليه السلام
الفرق بينه وبين الذين ابوا الدخول فيها وقالوا لن ندخلها ابدا وقال قائلون انما طلب موسى
الفرق بينهم وبين الجبابرة الذين كانوا في الارض التي امروا بالدخول فيها والقتال معهم والله
اعلم وقوله عز وجل قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة الاية قوله تعالى محرمة عليهم من الحرمان
والمنع هو والله اعلم ليس على التحريم كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل ليس هو من التحريم
الذي هو تحريم حكم ولكن من المنع والحرمان فعلى ذلك الاول والله اعلم وقال قائلون محرمة
عليهم ابدا لم يدخلوها حتى ماتوا لكن ولد لهم الاولاد فاما توهم دخل اولادهم لانهم قالوا لن ندخلها
ابدا وقال قائلون قوله تعالى محرمة عليهم اي التوبة محرمة عليهم لن يتوبوا ابدا والله اعلم وقوله
عز وجل اربعين سنة يتيهون في الارض فالمدة ههنا للتيه والله اعلم لا لقوله تعالى محرمة عليهم
ثم اختلف في التيه قال قائلون لم يكن موسى وهارون عليهما السلام معهم في التيه لان ذلك
لهم من الله كان عقوبة ولا يحتمل ان يكون الله تعالى عز وجل يعذب رسوله بذنب قومه لانه لم
يعذب قوم بتكذيب الرسول قط الا بعدما اخرج الرسول من بين اظهرهم فعلى ذلك لا يحتمل ان
يكون موسى يعذب بعصيان قومه والله اعلم وقال اخرون كان موسى معهم في تلك الارض مقيما

فيها ولكن الحيرة والتيه كانت لقومه قبل كانوا يرتحلون ثم ينزلون من حيث اصبحوا اربعين سنة وكان ماؤهم
في الحجر الذي كان مع موسى عليه السلام فكان اذا نزل ضربه موسى بعصاه فانفجرت اثنتا عشرة عينا لكل
سبط عين ولم يكن حل بموسى ما كان حل بقومه قليل ولا كثير انما امر المقام فيها فاقام من غير ان كان به حيرة
وقوله عز وجل واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا قال الحسن وغيره لم يكونا ابني آدم من صلبه
ولكن كانا رجلين من بني اسرائيل قربا قربانا فتقبل قربان احدهما ولم يتقبل قربان الاخر وان نسبهما الى
ادم لان كل البشر ولد ادم افعلوا كذا ولا تفعل كذا ليس يريد به ولد ادم لصلبه ولكن البشر كله فهو ذلك
الاول والله اعلم واما ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي وغيرهما من اهل التاويل فانهم قالوا انهما كانا ابني
ادم من صلبه احدهما يسمى قابيل والاخر هابيل وكان لكل واحد منهما اخت ولدت معه في بطن واحد وكانت
احديهما جميلة والاخرى ذميمة فاراد كل واحد منهما نكاح الجميلة منهما فتنازعا في ذلك فقال احدهما لعنا
تعال حتى نقرب قربانا فان تقبل قربانك فانت احق بها وان تقبل قرباني فانا احق بها فقربا قربانا فتقبل
قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فحسده فهم ان يقتله فذلك قوله تعالى اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما
ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين ولكن لا ندري كيف كانت القصة وفيما
كانت وكانا ابني ادم لصلبه او لم يكونا وليس لنا الى معرفة هذا حاجة انما الحاجة في هذا الى معرفة ما فيه
من الحكمة والعلم ليعلم ذلك ويعمل به فهو والله اعلم ما ذكر عز وجل فيما تقدم من قوله تعالى يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب وقال في اية اخرى ويبين لكم على فترة من
الرسل فكان هذا اعني نبأ ابني ادم وكان في كتبهم فامر عز وجل رسوله ان يتلو عليهم ذلك على ما كان
ويبين لهم ما في كتبهم لانه قال قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويبين لكم على فترة
من الرسل ليعلموا انه انما علم ذلك بالله لا لاحد من البشر لانه انما بعث عند دروس اثار الرسل وانقطاع العلوم
ليبين لهم واحد فعنده دليل اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسورة المائدة كان اكثرها نزلت
في مخاطبة لاهل الكتاب لانه يقول في غير موضع يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب ويبين لكم على فترة من الرسل يدعوكم الى الايمان بالرسل ونزل سورة الانعام في مخاطبة
اهل الشرك لان فيها دعاء الى التوحيد وقوله عز وجل واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق يحتمل وجهين يحتمل بالحق على نزل
ويحتمل بالحق المعلوم المعروف على ما كانوا ليعلموا انه بالله علم وانه علم سماوي وقوله عز وجل انما يتقبل الله
من المتقين هذا يحتمل وجهين يحتمل انما يتقبل الله قربان من اتقى الشرك ما يتقبل من لم يتق والى هذا
يذهب الحسن وقال كانا رجلين من بني اسرائيل احدهما مؤمن والاخر منافق فتنازعا في شيء فقربا
قربانا ليعلم المحق منهما فتقبل من المؤمن ولم يتقبل من الاخر وقال ابو بكر الاصم كانا رجلين مصدقين لان
الكافر لا يقرب القربان لكن احدهما كان اتقى فتقبل قربانه والاخر لا فلم يتقبل قربانه والتقوى شرط في قبول القرابين
وغيرها من القرب كقوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين وقوله والكافر لا يقرب القربان يقال قد يقرب لما
يدعي من الدين ان الذي هو عليه حق ليظهر المحق منهم الا ترى انهم يدعون ان فيهم من هو احق بالرسالة
من محمد صلى الله عليه وسلم بقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وغير ذلك من اباطيل ما
قالوها وبالله التوفيق وقوله عز وجل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قال الناس
ان الواجب علينا ان نفعل مثل فعل ذلك لانه لا ينبغي لمن اراد احد قتله ان يقتله ولكن يمتنع عن ذلك
على ما امتنع احد ابني ادم حيث قال له لاقتلنك فقال له الاخر ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
واحتجوا في ذلك باخبار رويت روي عن ابي موسى الاشعري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توجه
المسلمان بسيفيهما فقتل احدهما صاحبه فهما في النار فقيل يا رسول الله ارأيت المقتول فقال انه اراد
ان يقتل صاحبه عن سعيد بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان استطعت ان
تكون عبد الله ولا تقتل احدا من اهل القبلة فافعل وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ابني ادم ضربا لهذه الامة مثلا فخذوا بالخير منهما وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف يا ابا ذر اذا كانت بالمدينة قتل بغير حجارة قال قلت البس سلاحي قال شاركت القوم اذا قال
قلت كيف اصنع يا رسول الله قال ان خشيت ان يبهرك شعاع السيف فالق ناحية ثوبك على وجهك يبوء
باثمك واثمه فيحتجون بمثل هذه الاخبار وقال اخرون له ان يقاتل اذا لم يتعظ صاحبه بالله واراد قتله فهو في سعة

من قتل من يريد ان يبدأه بالقتل اشد لا لا بما امر الله تعالى بقتال اهل البغي كقوله تعالى فان بغت احديهما على
الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فصار الحكم في امتنا ما امرهم الله به من قتال البغاة لان الله
تعالى قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا على ان قتال المشركين كان محظورا في اول مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وقبل ذلك باوقات وقالوا فغير منكر ان يكون الوقت الذي ذكره في هذه الاية كان قتال المشركين وتجديد
السيف فيه محظورا فاذن الله في قتالهم وقتال اهل البغي فصار الحكم في امتنا ما امر الله به من قتال البغاة
والمشركين والله اعلم واما ما احتجوا به من الاخبار التي رويت من اقتتال المسلمين واسيافهما فان ذلك
والله اعلم واما ما احتجوا من الاخبار التي رويت في حال الفتن وقتال فئتين المنتين ولا امام فيهما يستحق
الامامة حمية وامر جاهلية او عصبية فهما على خطاء فالصواب في مثله ما ذكر من الاخبار واما اذا كان للناس
امام هدى فقد عقدوا له البيعة ثم خرج عليه خارجة ظالمة فقتالهم واجب اتباعا لعلي رضي الله عنه ومن جاء
بعده من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل البغي والخوارج واما قتال الخوارج فهو كالاجماع لان
جميع الطوائف قد حاربوهم ورويت في ذلك اثار كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مال هذا نذهب
من راى قتل من يهم بقتله وقوله عز وجل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان يرجع الي باثمي بقتلك اياي واثمك
الذي عملته قبل قال القتبي باثمي ان تقتلني واثمك ما اضمرت في نفسك من الحسد والعداوة وقال الحسن
ترجع باثمي بقتلك اياي واثمك يعني الكفر الذي كان عليه لانه يقول كان احدهما كافرا فقتل صاحبه فيرجع بالكفر
والله اعلم وقوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك يجوز ان تكلم بالارادة على غير تحقيق الفعل كقول القائل اريد
استند من السطح وهو لا يريد سقوطه منه وكقوله فوجد فيها جدارا يريد ان ينقض والجدار لا فعل له فاذا
جاز اضافة الارادة الى من لا فعل يكون منه دل انه ليس على حقيقة الفعل ولكن على ما ينتج انه يكون كذلك
ويؤول امره الى ذلك او اراد ان يبوء بالغد لما علم منه ان يقتله لا محالة ويعصي ربه اراد ان يبوء باثمه و
ذلك جائز والله اعلم وقوله عز وجل فطوعت له نفسه قتل اخيه قال القتبي اي شايعته وانقادت له وقال
ابو عوسجة فطوعت له نفسه اي امرت وزينت له وقال مجاهد اي شجعته واعانته وكله يرجع الى واحد وقوله
عز وجل فاصبح من الخاسرين وقال في اية اخرى فاصبح من النادمين يحتمل وجهين يحتمل اصبح تائبا لان الندامة
توبة وذلك اذا اذنب ذنبا فندم عليه كان ذلك منه توبة فان لم يكن توبة فلا وبل قوله اصبح اي يصبح في
الاخرة من النادمين وهو كقوله واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله اي يقول في الاخرة لا ان قال له فعلى ذلك قوله تعالى فاصبح من النادمين في الاخرة والله
اعلم ويصبح من الخاسرين وقوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة
اخيه استدل من قال بان القصة كانت في ابني ادم لصلبه بقوله فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوءة اخيه لان القصة لو كانت في بني اسرائيل لم يكن ليجهل دفن الميت اذ قد روي
ذلك غير مرة وعاينه فدل انه كان في اول ميت جهل السنة فيه وقال انهما كانا رجلين من بني اسرائيل
اذ قد يجوز ان يخفى على المرء شيء علمه قبل ذلك وعاينه اذا اشتد به الخوف ونزل به الهول كقوله تعالى يوم
يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا وقد كان لهم علم بذلك لكن ذهب عنهم والله اعلم ثم اختلف
فيما اخبر عن بحث الغراب في الارض قال الحسن رضي الله عنه بحث الغراب على ذلك الميت ليرى ذلك
القاتل لا انه كان بحث الغراب على غراب اخر على ما ذكرنا في القصة انه قتل اخر ثم جعل يبحث الغراب عليه
لانه ذكر السوءة وليس للغراب سوءة والسوءة العورة لكنه ليريه كيف يواري سوءة اخيه لم يذكر
السوءة في الغراب انما ذكرها في اخيه واخبر انه يريد ان كيف يواري سوءته والله اعلم وقوله عز وجل قال
يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري اخي اعجزت في الحيلة ان اكون مثل هذا الغراب فاواري
سوءة اخي وقوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في
الارض فكانما قتل الناس جميعا اي من استحل قتل نفس الاية يحتمل وجوها يحتمل قوله تعالى من قتل نفسا
بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا اي من استحل قتل نفس حرم الله قتلها بغير حق فكانما استحل قتل الناس جميعا
لانه يكفر باستحلاله قتل نفس محرم قتلها فكان كاستحلاله قتل الناس جميعا لان من يكفر بمن كتاب الله بعيد
كافرا بالكل فعلى ذلك الاول اذا استحل قتل نفس محرمة كانه استحل قتل الانفس كلها ويحتمل ان يكون هذا
في اول قتيل قتل لم يكن قبل ذلك احد فلما قتل هذا فيه جعل الناس يقتلون بعد ذلك بعضهم بعضا

وكان ذلك منه سنة القتل للناس به فهو كما روي في الخبر ان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر
من عمل بها الى يوم القيمة من غير ان ينقص من وزرهم شيئا فيشترك هذا القاتل في وزر كل قتيل
قتل الى يوم القيمة بغير حق ويحتمل الاية وجها اخر وهو ما قيل انه يجب عليه من القتل مثل ما انه لو قتل
الناس جميعا ومن احياها اعطاه من الاجر مثل ما لو انه احيا الناس جميعا اذ احياهم فلم يقتلها وعفا
عنها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من اجل ابني ادم حين قتل اخاه كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا
بغير نفس بلا نفس وجب عليها القصاص وبشا في الارض يقول الشرك في الارض فكانما قتل الناس
جميعا يقول يعذب عليها كانه لو قتل الناس جميعا لهم وهو مثل الاول وعن عبد الله بن عمرو قوله
من اجل ذلك الاية قال لو لم يكن يوخذ في بني اسرائيل الا قصاصا بقصاص يقول من قتل
قتل الناس جميعا ومن احياها فعلى ذلك ويحتمل قوله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي
من استنقذ الناس جميعا في الاخرة وقيل ومن احياها بالعفو وحرق احيائها كان يوجر من احياء الناس
جميعا اذ على الناس معونة ذلك فاذا عفا عنها فكانما عفى عن الناس جميعا قال الحسن ومن احياها في الاخر
والله من يستطيع ان يحييها اذا جاء اجلها ولكنه اقيد فعفا ووجه اخر انه يلزم الناس جميعا رفع ذلك
عن نفسه وشعونته له فاذا قتلها او سعى عليها بالفساد فكانما سعى بذلك على الناس كافة فعل
ذلك من احياها فكانما احيا الناس جميعا والله اعلم وقوله عز وجل ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون في الاية فلا يضيرك رسول الله صلى الله عليه وسلم على تكذيب
الكفرة الفجرة اياه وانه ليس باول مكذب في الحق بل كانت الرسل من قبل يكذبونه فيما ياتون من
الايات والحجج والبيان وقوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض
فسادا الاية قال بعضهم الاية نزلت في اهل الكفر وبيان الحكم فيهم وهو قول الحسن وابي بكر الاصم
وقالا لان الله عز وجل ذكر محاربة الله ورسوله وذكر السعي في الارض بالفساد وكل كافر فقد حارب
الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد فللامام ان يقتلهم باي انواع القتل شاء ما دام
الحرب فيما بينهم فاذا احسنوا في الارض بترك ذلك ومن الله عليهم الثناء واما المسلم اذا قطع
الطريق فانه لا يقال انه حارب الله ورسوله فدل انها نزلت في اهل الكفر للكفر لا لقطع الطريق
وقال الاخرون نزلت في المشركين اذا قطعوا الطريق على الناس واخافوهم روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي فجاء
اناس يريدون الاسلام فقطع عليهم الطريق فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد فيهم
ان من قتل واخذ المال صلب ومن قتل ولم ياخذ المال قتل ومن اخذ المال ولم يقتل قطعت
يده ورجله من خلاف ومن جاء مسلما هدم الاسلام ما كان في الشرك فدل حديث ابن عباس
رضي الله عنهما على ان الاية نزلت في الموادعين غير المحاربين وروي عن انس قال ان ناسا من
عكل او عرينة اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فشكوا اليه الجهد فبعث معهم بلقاح وراعيا وقال
لهم اشربوا البانها وابوالها فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا
الابل وارتدوا عن الاسلام فبعث في اثارهم فاتي بهم بعدما ترحل النهار فامر بهم فقطعت ايديهم
وارجلهم وسمل اعينهم وقطع السنتهم وتركوا بالمكان حتى ماتوا فنزلت الاية وروي عن علي رضي
الله عنه ما يخالف هذا روي ان حارثة بن بدر حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا
وتاب من قبل ان يقدر عليه فكتب علي بن ابي طالب الى عامله بالبصرة ان حارثة قد تاب
قبل ان يقدر عليه فلا تتعرض له الا بالخير الا ترى ان حارثة قد تاب اطلق فيه انه حارب
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكان مؤمنا فهذا يدل على ان الحكم الذي على قطاع الطريق
الكفرة يجري ذلك الحكم في المسلمين اذا كان منهم ما كان من المشركين من قطع الطريق على
الناس واخافتهم عليهم وقد يتوهم ان الاية نزلت في اهل الحرب وقد ابيح لنا قتل من ظفرنا به
منهم كيف شئنا وان لم يفسدوا في الارض ولم يقطعوا الطريق وهذا يدل على ان الاية نزلت
بالحكم في اهل الكفرة واهل الاسلام جميعا انما سعوا في الارض بالفساد ومن الدليل على ذلك
ان الله قال الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم واجمعوا ان الكافر انا تقتل مسلما

وانظهر

وانظهر في الارض الفساد فقدرنا عليه واستتابه ثم اسلم ثم يزول عنه القتل والقطع والصلب فدل ذلك
على ان الاية نزلت بالحكم في المسلمين لانه يختلف حكمه اذا تابوا من قبل ان يقدر عليهم او بعد قدرتنا
عليهم واهل الحرب يستوي حكمه في الحالين جميعا اذا تابوا بعد القدرة فالحكم ثابت عليهم فاما الذي
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من فعله بالعرنيين وقد روي عن بعض المتقدمين ان الاية نزلت بعد
قتل العرنيين من نحو ابن سيرين وغيره فالواجب على من ادعى ان الاية نزلت في العرنيين ان يبين دعواه
وكان اصحابنا رحمهم الله يذهبون الى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ويرون ان يوخذ المحارب
اذا تاب قبل ان يقدر عليه بما اصاب من دم ومال على سبيل القصاص ولا يصلب ولا تقطع يده ورجله
في ما اصاب من مال فكانهم ذهبوا الى ان تراك الحد الذي لله على المحارب بتوبته قبل ان يقدر عليه وهو
ما كان الى الامام اماتته ولا امر للولي فيه واما الحقوق التي هي للعباد فان التوبة لا تعمل في ابطالها ولكل ذي
حق ان ياخذ بحقه ولا حق للامام لان الحق صار للولي دون الامام وفي قوله الا الذين تابوا من قبل ان
تقدروا عليهم دلالة على ان السارق اذا رد السرقة قبل ان يقدر عليه انه لا قطع عليه وكذلك روي عن
بعض المتقدمين انهم قالوا ليس على تائب قطع ودل قوله ويسعون في الارض فسادا على ان السارق في المصر
ليلا او نهارا لا يكون محاربا لما هو سارق تقطع يده دون رجله لانه ذكر السعي في الارض بالفساد دون انشار
في المصر لا يقال سعى في الارض الا ترى الى قوله واذا ضربتم في الارض لم يرد الضرب في المصر ولكن اراد الا
سفار فعلى ذلك الاول واما الكلام في القتل والصلب والقطع فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
اذا حارب وقتل واخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف وصلب فان قتل ولم ياخذ المال قتل وان اخذ
المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف وتاويل الاية الذين يحاربون الله ورسوله الاية على ان الجزاء
على المحارب من العقوبة له على قدر جنايته ويزاد في عقوبته بقدر زيادته في جرمه وتاويل غيره الاية على انها نزلت
في المحارب الذي يصيب المال والنفس واذا اصاب الامرين كان للامام ان يقتله كيف شاء ان شاء قتله
بالسيف قتلا وان شاء قطع يده ورجله ثم يتركه حتى يموت وان شاء صلبه حيا وانه ابطاء عليه الموت طعن
بالرماح حتى يموت والى هذا كان يذهب ابي حنيفة رضي الله عنه واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله فقالا لا يصلب
لم يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وجعلوا عقوبته مختلفة على قدر جنايته فان قيل فما معنى التخيير فيه
قيل معناه والله اعلم ان يقتل بالسيف او يقتل بالسيف او يقتل بقطع اليد والرجل واسه احرى التخيير
انه كان في متفق الاسباب يخرج مخرج التخيير في كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة المنادي لان سبب
وجوبه واحد واذا كان مختلف الاسباب فيخرج مخرج بيان الحكم لكل في نفسه كقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين
اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا لا يحتمل التخيير ولكنه على بيان الحكم لكل في نفسه لان سبب
وجوبه مختلف فتاويله اما ان تعذب من تتخذ الحسن فيمن امن بالله الا ترى انه قال اما من ظلم فسوف نعذبه
واما من امن فله جزاء الحسنى وقول من جعل الحكم فيمن القتل وقطع الطريق اقرب الى التاويل والله اعلم ممن
لم يجمع لانه قال عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية فمن حارب وافسد في الارض فقد اتى بالامرين
لان محاربته ان يقتل وافساده في الارض ان يقطع الطريق فاذا اجتمع هو بين الامرين يجمع بين العقوبتين واصله
ان امر قطاع الطريق محمول على فضل تغليظ من نحو ما يجمع بين قطع اليد والرجل باخذ المال وذلك لا يجمع في اخذ
المال في المصر ونحو الصلب وذلك لم يجعل في غيره من القتل في المصر فدل انه محمول على فضل تغليظ فجاز ان يجمع
بين ما ذكرنا وقوله عز وجل او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي قال بعضهم او ينفوا من الارض على اسقاط
الالف ويكون في القتل والصلب نفيه اذا قتل واخذ المال وقال بعضهم نفيه ان يطلب فلا يقدر عليه وعن
الحسن قال يطلب حتى يخرج من ارض الاسلام وذلك الى الامام واصله ما ذكرنا انه اذا قدر عليه وقد قتل واخذ المال
يقتله في القتل نفيه واذا لم يقتل ولم ياخذ حبس ان قدر عليه وفي الحبس نفيه وان لم يقدر عليه يطلب
حتى يبرح عن الطريق والله اعلم وقول ابي عبيد حيث قال انه يصلب بعد القتل لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن المثلة يراد بها على ما قال محمد بن الحسن رحمه الله تعالى لان الصلب جعل عقوبة والميت لا يعاقب ولو
جاز ان يصلب بعد القتل لجاز لغيره ان يقول يقطع يده ورجله بعد القتل فكذلك بعيد وقوله عز وجل الا الذين
تابوا من قبل ان تقدروا عليهم قد ذكرنا فيما تقدم ان قطاع الطريق انما لو تابوا قبل ان يقدر عليهم سقط عنهم الحدود

الحدود التي هي لله تعالى لا يؤاخذون بها وليس كغيرها من الحدود التي تلزم في غير المحاربة ان التوبة
لا تعمل في اسقاطها لوجهين احدهما ان التوبة من غير المحارب لا تظهر حقيقته فاذا لم تظهر لم تعمل في
اسقاط ما وجب وفي المحارب تظهر لانه في يدي نفسه اذا ترك المحاربة والسعي في الارض بالفساد و
ظهرت منه التوبة ثم يؤاخذ وفي ساير الحدود لا تظهر منه ترك ما كان يرتكب لذلك افترقا والثاني
انه لو لم يقبل منه ذلك لتمادى في السعي في الارض بالفساد في حق المسلمين من الضرر اكثر مما لو اخذوهم
بذلك فاستحسن قبول ذلك منهم ووضع ما وجب عليهم من الحدود التي هي لله تعالى واما الحقوق التي هي
للعباد فذلك الى الاولياء ان شاءوا اخذوهم بذلك وان شاءوا تركوا والله اعلم وقوله من جاء مسلما هدم الاسلام
ما كان في الشرك معناه اذا جاء تائبا لان الحدود جعلت زواجر وكان الاسلام يزيد في الزجر والتغليظ
فلا يجوز ما كان سببا لاسقاطه دل ان المعنى منه من جاء مسلما تائبا والله اعلم **وقوله** عز وجل
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة يحتمل ان يكون الاية صلة ما مضى من الايات
من ذلك قوله تعالى اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله
من المتقين اخبر انه انما تقرب بقربانه المتقي وقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية ثم قال
الله تعالى اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ابتغوا بتقوى الله عن معاصيه القربة والوسيلة
وكذلك الزلفة يقال توسل الى كذا اي تقرب وهو قول القتبي وازلفت الجنة للمتقين اي
قربت **وقوله** عز وجل وجاهدوا في سبيله الاية يحتمل هذا وجهين احدهما جاهدوا انفسكم في صرفها
عن معاصيه الى طاعته كقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويحتمل ان جاهدوا مع انفسكم
واموالكم اعداء الله في نصرة دينه وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في
الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم كان الذي منعهم عن الاسلام
والايمان بالله وبالرسول قضاء شهواتهم وطلب العز والشرف بالاموال فاخبر لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه ليفتدوا في صرف العذاب عن انفسهم ما تقبل منهم ولا ينفعهم ذلك يذكر هذا و
والله اعلم ليصرفوا انفسهم من معاصي الله والحلوف له بما في شيء يطلبون من الاموال والشهوات
واخبر انه لو كان لهم في الارض ومثله ليفتدوا بعذاب يوم القيمة ما نفعهم ذلك وما تقبل منهم و
الحكمة في ذكر هذا والله اعلم فيعلموا ان الاخرة ليست بدار يقبل فيها الشيء كما يقبل في الدنيا **وقوله** عز
وجل ولهم عذاب اليم دل هذا على ان من العذاب الم من نحو الحبس والقيد فاخبر ان عذاب الاخرة اليم كله
ليس كعذاب الدنيا منه ما يكون اليما ومنه ما لا يكون **وقوله** عز وجل يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها الاية قوله عز وجل يريدون ان يخرجوا منها اي يطلبون ويسالون الخروج منها من غير عمل
الخروج نفسه ويحتمل قوله تعالى يريدون ان يخرجوا منها ولكن يردون الى مكانهم كقوله تعالى كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اي يجهدون في الخروج منها اعيدوا فيها فيه دليل انهم يعملون عمل الخروج
ولكن يردون ويعادون فيها **وقوله** عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الاية عامة في
السراق خاص في السرقة لانه لا يدخل جميع اهل الخطاب في ذلك وان كان يجوز ان يدرؤ الحد عن بعض
السراق اذا سرق من محارمهم او ممن له تاويل الملك في ماله او شبهة الملك والامة لانه اذا سرق ممن ليس له
ذلك التاويل ولا تلك الشبهة قطع فدل انها عامة في السراق وعلى هذا يخرج قول ابن عباس رضي الله
عنهما سئل عن قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اخاص هو ام عام فقال لا بل عام اي في
السراق الا ترى انه قال في خبر اخر حيث سئل عن ذلك فقال ما كان من الرجال والنساء قطع واما قولنا
انها خاص في السرقة لا يحتمل على احد قطع اليد في الشيء التافه الخسيسة الذي اذا اخذ منه دل ان
الخطاب بذلك من الله عز وجل رجع الى سرقة لا الى كل ما يقع عليه اسم وكذلك الخطاب بقطع اليد
رجع الى بعض وهو الكف وان كان اسم اليد يقع من الاصابع الى الابط لان الناس مع اختلافهم اتفقوا
على ان اليد لا تقطع من الابط ولا من المرفق لكنهم اختلفوا فيما دون ذلك فعلى قول بعضهم تقطع الاصابع
دون الكف وعندنا انه تقطع الاصابع بالكف لانه بها يقبض الشيء ويؤخذ فخرج الخطاب بالقطع عاما
والمراد منه رجع الى بعض اليد دون بعض وكذلك قوله تعالى فاقطعوا ايديهما فخرج الخطاب بالقطع عام ليس

فيه

فيه بيان ما يتولى القطع فالمراد منه رجع الى الولاة فهذا كله يدل على ان ليس في مخرج عموم اللفظ
دليل عموم المراد ولا في مخرج خصوص اللفظ دليل خصوصه بل يعرف ذلك كله بدليل يقوم العموم
والخصوص بدليل الخصوص فهذا ينقض قول من يقول انه على العموم حتى يقوم دليل الخصوص والله اعلم
فان قيل لنا ما الحكمة في اقامة حد في السرقة على ما به يكتسب السرقة وهو اليد ولم يقم الحدود فيما به
كان اكتسابها من نحو القصاص والزنا وغيره انه اذا قتل اخر لم تقطع يده وفيها كان اكتساب القتل
وكذلك الزنا لم يقم الحد على ما به كان الزنا على اقيم على غيرها به كان خاصة قيل والله اعلم تحتمل اما
لقصور في الاستيفاء من الحق او الخوف الزيادة في الاستيفاء على الحق لانه اذا قتل او قطعت يده بقيت
النفس وقد تلفت نفس الاخر فكان في ذلك قصور في استيفاء الحق وفي الزنا لو اقيم به على الذي به
كان اكتساب الفعل يخاف تلف نفسه به فكان في ذلك استيفاء الزيادة على الحق واما السرقة
فانه امكن استيفاء الحق مما كان به اكتسابها على غير قصور يقع في الاستيفاء ولا حقوق الزيادة
في الاستيفاء ولا حقوق الزيادة في الاستيفاء لذلك كان ما ذكر والله اعلم فان قيل ما الحكمة
في قطع يد قيمتها الوقت لسرقة عشرة وذلك مما لا يماثله في الظاهر وقد اخبر ان لا يجزى الا مثلها
كيف يجزى هذا باضعاف ذلك قيل لهذا اجوابا احدهما ان جزاء الدنيا محنة يلتحق بها المرء ولله ان
يمتحن عباده بانواع المحن ابتداء على غير جهة ذلك لكسب يكتسب فمن له الامتحان بانواع المحن على غير
جزاء الشيء كان له الامتحان بان يحمل ما يساوي الوفاء فليس ازحية وبالله العصمة والنجاة والثاني
ان ليس القطع في السرقة جزاء من اخذ من المال ولكنه جزاء ما هتك من الحرمة الا ترى انه قال جزاء
بما كسبا ولم يقل جزاء بما اخذ من الاموال فيجوز ان يبلغ جزاء هتك تلك الحرمة قطع اليد وان
قصر علم البشر على ذلك لان مقادير العقوبات انما يعرف من يعرف مقادير الاجرام وليس احد من الخلق
يحتمل علم مقادير الاجرام فاذا لم يحتمل عليهم مبلغ مقادير عقوباتها فاذا كان كذا القول فيه الاتباع
والتسليم بعد العلم في الاتباع ان الله لا يجزى بالسيئة الا مثلها وبالله التوفيق ثم الكلام في قطع اليمنى
ما روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنهما فاقطعوا ايمانهما وعن علي رضي الله عنه اذا سرق الرجل قطعت
يده اليمنى وعلى ذلك اتفاق الامة ثم المسئلة في مقدار السرقة وليس في الاية ذكر مقدارها واختلف
اهل العلم في ذلك فقال بعضهم تقطع في ربع دينار فصاعدا فقال اصحابنا لا تقطع اليد الا في عشرة دراهم
فصاعدا او دينارا وقد روي من الاخبار ما احتج به كل فريق منهم روي عايشة رضي الله عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع في ربع دينار فصاعدا وعروة بن الزبير يقول كانت عايشة رضي
الله عنها تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقطع اليد الا في ثمن قولها ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان لا تقطع اليد الا في ربع دينار ان ثمن المجن كان عندها ربع دينار ولا يكون كذلك
وعلى ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن قيمته ثلثة دراهم
في الخبر انه قطع في مجن واما التقديم فانما هو من عند عبد الله وانس بن مالك رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قطع في مجن فقيل يا ابا حمزة كم كانت قيمته قال وزن خمسة دراهم هذا يدل على ان التقديم
كان من انس كان ذلك كتقويم ابن عمر وعايشة رضي الله عنهم وليس في التقويم حجة في واحد التقويمين
المخالفة كل واحد منهم صاحبه وانما قوموه من قبل انفسهم فاذا كان في مختلفين فهو على التناسخ واما
ان كان في مجن واحد في وقتين مختلفين لم يكن لمخالفة فيه حجة لما يحتمل الزيادة والنقصان على اختلاف
الاوقات وان كان في مجنين مختلفين فهو على التناسخ ثم لم يظهر فلا يقوم على القطع ثم الاخبار التي
تمنع القطع بدون العشرة ما روي عن عمرو بن شعيب قال دخلت على سعيد بن المسيب فقلت له ان
اصحابك عروة ومحمد بن مسلم وفلان رجل يقولون ثمن المجن خمسة دراهم او ثلثة فقال ما هذا
فقد مضت سنة فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال ثمن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقطع اليد الا في ثمن المجن وهو يومئذ يساوي عشرة دراهم فلما
اختلف المتقدمون في قيمة المجن رجعنا الى ما روي عن سعيد بن المسيب حيث قال مضت السنة من
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة دراهم وان كان مرسلا اذ لا معارض له ويؤيد هذا ما روي

عن نجباء الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من نحو عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم
وروي ان عمر اتي بسارق فامر بقطعه فقال عثمان رضي الله عنه ان سرقته لا تساوي عشرة دراهم فامر بها
فقومت ثمانية دراهم فلم يقطعه وروي لا تقطع اليد الا في دينار او عشرة دراهم وروي عن عايشة قالت لم تكن
اليد تقطع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشيء التافه فاخذ اصحابنا رحمهم الله
بهذه الاخبار ولم يروا قطع اليد بدون العشرة لانهم مع اختلافهم اتفقوا على انه تقطع
في سرقة عشرة دراهم واختلفوا في وجوب القطع فيما دون العشرة وهو حد [illegible]
والله اعلم وقوله عز وجل جزاء بما كسبا نكالا من الله الاية يحتمل قوله نكالا من الله اي عظة
وزجرا من الله لغيره لان من عاين اخر قطعت يده في سرقة الفعل به وزجره ذلك عن
الاقدام عليه والله اعلم وقوله عز وجل فمن تاب من بعد ظلمه واصلح الاية اي تاب
عن الشرك واصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حال شركه فان الله يتوب عليه ان الله غفور
رحيم وعد له المغفرة والرحمة فاذا تاب عن الشرك واصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حال
حتى يواخذ بشيء مما كان يرتكبه في حال الشرك ويتعاطاه اذا اسلم الا ترى انه قال ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم في حال الاسلام اذا ارتكب حدودا وتعاطاه ثم
تاب اخذ بها لوجهين احدهما ان الكافر لو اخذ بعد ما اسلم بما كان ارتكبه في حال الكفر
وتعاطاه فذلك يمنعه عن الاسلام ويزجره فاذا كان كذلك فكان في اقامة ذلك والاخذ بها
من الفساد اكثر من الصلاح واما المسلم اذا لم يوخذ بما ارتكب وتعاطى بعد التوبة يدخل
في ذلك من الفساد ما يفحش وذلك لمن اراد ان يقام عليه الحد فيسقط ذلك عنه ثم عاد
ثانيا ثم ثالثا الى ما لا يتناهى فعمل في الارض بكل الفساد في غير ان لحقه ضرر لذلك م
اخذ له بعد التوبة والكافر لا والله اعلم والثاني ان الكافر ما يرتكب ويتعاطى في حال الكفر
انما يرتكبه تدينا بدين به فاذا رجع عن ذلك الدين وذلك دان بدين اخر ما يكون ذلك حراما
في دينه الذي تمسك به ترك ما كان يرتكب في دينه الاول تدينا فيظهر ذلك منه فلم يقم عليه
لما يظهر منه ترك ما تعاطى قبل ذلك واما المسلم فليس يتعاطى تدينا يدين به ولكنه يتعاطاه
شهوة وذلك لما لا يظهر منه التوبة حقيقة لذلك اختلفا والله اعلم وفيه دليل جواز تاخير
البيان لانه قال تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء ولا يحتمل ان يبين له جميع
شرائط السرقة التي تجب فيها القطع وقت قرع الخطاب السمع فدل انه انما بين له على قدر
بعد السؤال والبحث عنها والله اعلم وكان جميع ما ذكر من العقوبات انما نزل في اهل الكفر لانهم
هم الذين كانوا يتعاطون وذلك دون المسلمين وترك عامة العبادات في المسلمين لانهم هم
الذين يرغبون فيها من ذلك قوله تعالى الذين يحاربون الله ورسوله الاية وما ذكر في
ابني ادم قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الاية وذكر عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال نزلت في طعمة ابن ابيرق سرق درع جاره فنزلت الاية وعلى ذلك
قوله قال عامة اهل التاويل ثم صار ذلك الحكم في المسلمين اذا ارتكبوا تلك الاجرام وفيه
دليل جواز القياس **وقوله** عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء
ويغفر لمن يشاء ذكر هذا والله اعلم على اثر قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما و
وعلى اثر قوله الذين يحاربون الله ورسوله الاية ان له ملك السموات والارض وله ان يعذب
بعد التوبة وذلك ان المحارب اذا تاب قبل ان يقدر عليه الحد الذي وجب في حال المحاربة
والسارق اذا تاب قبل ان يقدر عليه اخذ به اخبر ان له ان يعذب من يشاء ويغفر لمن
يشاء وفيه نقض على المعتزلة لانهم يقولون الصغيرة مغفورة ليس له ان يعذب عليها
والكبيرة يخلد صاحبها في النار ليس له ان يعفو عنها فلو كان على ما قالوا لذهب معنى التخيير
بقوله تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء اذ على ما عليه الا العفو وكذلك ما عذب عليه ان يعذب
فيذهب فائدة التخيير وقد اخبر انه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء **وقوله** عز وجل يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الاية يحتمل وجوها احدها ان لا يحزنك كفر من كفر منهم ليس

على

على النبي عن ذلك ولكن لا يجب على نفسه بكفرهم ما يمنعه عن القيام بامره بقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وكقوله لعلك باخع نفسك ان لا يومنوا ونحو ذلك من الايات مما يشتد به الحزن بكفرهم لشدة رغبته
في اسلامهم ويحتمل قوله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي لا يحزنك هولاء وتكذيبهم فان الله ناصرك
ومظفرك عليهم ويحتمل لا يحزنك صنيع هولاء الكفرة وسوء عملهم فانك لا تواخذ بصنيعهم كقوله فان تولوا
فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وفي قوله تعالى يا ايها الرسول
دلالة تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء والرسل لانه تعالى في جميع ما خاطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا قال يا ايها الرسول ويا ايها النبي ولم يخاطب باسمه وسائر الانبياء عليهم الصلوة و
السلام انما خاطبهم باسمائهم يا موسى ويا ابرهيم ويا نوح وجميع من خاطب منهم او ذكر انما ذكر باسمائهم **وقوله**
عز وجل الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم قال قالوا امنا بافواههم ولم يقل امنوا بافواههم
ليعلم ان القول ليس هو من شرط الايمان انما الايمان هو تصديق القلب لكن يعبر به اللسان عن قلبه الا ترى
انه قال ولم تومن قلوبهم والايمان هو التصديق في اللغة لان ضده التكذيب فيجب ان يكون ضد التكذيب
التصديق يكون بالقلب حيث قال عز وجل ولم تومن قلوبهم لكن اللسان يعبر به عن ضميره فهو ترجمان القلب
فيما بين الخلق فهذا يدل ايضا على ان الايمان لو كان معرفة لكان يجب ان يكون ضده جهلا فلما كان ضد الايمان
تكذيبا وجب ان يكون ضدا للتكذيب التصديق والتصديق والايمان في اللغة سواء ولان المعرفة قد تقع
في القلب على غير الاكتساب فعل ربما والتصديق لا يكون الا باكتساب ترك مضادته وهو التكذيب لذلك
قلنا ان الايمان ليس هو المعرفة ولكنه تصديق ثم اختلف في هولاء قال بعضهم هم المنافقون الذين كانوا
يظهرون الايمان باللسان وقلوبهم كافرة وقال اخرون هم اليهود والمنافقون الذين قالوا امنا بافواههم
ولم تومن قلوبهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومن الذين هادوا سماعون للكذب هذا يدل ان قوله
[illegible] الذين قالوا امنا بافواههم في المنافقين **وقوله** عز وجل سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم
ياتوك يحتمل سماعون الى النبي صلى الله عليه وسلم خبر سماعون لقوم اخرين لم ياتوك خبره بالكذب ومعناه
والله اعلم انهم كانوا يستمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وما يقول لهم ثم ياتون الذين لم ياتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونهم خلاف خبره وغير ما سمعوا منه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول ان في التورية كذا من الاحكام والشرائع فاذا سمع هولاء منه ذلك ادوا اولئك الذين لم ياتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون انه كاذب وليس في التورية ما يقول هو ونحو ذا وقيل انهم كانوا
طلايع الكفرة وعيونا لهم فاذا القي اليهم خبر يخبرون ضعفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف
ما اتاهم نحو قولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يخشونهم بذلك ليغزوهم والله اعلم **وقوله** عز وجل
يحرفون الكلم من بعد مواضعه يحتمل التحريف وجهين يحتمل تبديل الكتابة من الاصل كقوله تعالى فويل للذين
يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ويحتمل تغيير المعنى في العبارة على غير تبديل الكتابة
يغيرون على السفلة والذين لا يعرفون غير ما فهموا منه **وقوله** عز وجل يقولون ان اوتيتم هذا يعنون
بهذا ما حرفوه وغيروه فخذوه وان لم توتوه فاحذروا وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت الاية في
في رجل وامرأة في اليهود زنيا وكان حكم الله في التورية في الزنا الرجم وكانوا يرجمون الوضيع منهم اذا زنى
ولا يرجمون الشريف وكانا في شرف وموضع وكانا قد احصنا فكرهت اليهود رجمهما في كتابهم الرجم وكان سوى
ارادوا ان يرتفع الرجم من بينهم وان يكون حدهم الجلد فذلك قوله تعالى ان اوتيتم هذا يعنون الجلد فخذوه
وان لم توتوه فاحذروا فكتبوا بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوا عن ذلك فقالوا يا محمد اخبرنا
عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما وهل تجد فيهما الرجم فيما انزل الله عليك فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم وقال له ان ابوا ان ياخذوا به
فسلهم عن رجل منهم يقال له ابن صوريا وصف له فاجعله بينك وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم احد فيما انزل الله على ان الزانية والزاني اذا احصنا وفجرا ان عليهما الرجم فنفروا عن ذلك فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتعرفون رجلا شابا بصفة كذا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم قالوا
هو اعلم يهودي على ظهر الارض بما انزل الله على موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم ابن صوريا فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اتجعلونه بيني وبينكم

رضينا به اذا رضيت قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اشهدك بالله الذي لا اله الا هو الذي
انزل التورية على موسى هل تجدون في كتابكم الذي اتاكم به موسى في التورية الرجم على من احصن قال ابن صوريا
نعم والذي ذكرتني ولولا خشية ان تحرقني النار ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ففي هذا وجوه من
الدلائل احدها ان سئلهم عما كتموا من الاحكام والحقوق التي بينهم وبين الله تعالى ليظهر خيانتهم وكذبهم
فيما كتموا من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله وفيه اثبات رسالته
والثاني انهم طلبوا منه الرخصة والتخفيف في الحد انهم عرفوا انه رسول لكنهم كابروا في الانكار بعدما
عرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وفيه دلالة جواز شهادة بعضهم على بعض لانه قبل شهادة
ابن صوريا عليهم من حيث شهد بالرجم وقال بعضهم قوله ويحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان
هذا فخذوه الاية انها نزلت في قتيل عمد بين قبيلتين بني قريظة والنضير وكان القتيل من بني قريظة
وكان بنو قريظة نضيرا اذا قتلوا من بني قريظة لا يعطوهم القود ولكن يعقلوهم الدية فقتل بنو قريظة ومن بني
النضير لم يردوا الا بالقود يتفرون عليهم فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فارادوا
ان يرفعوا امرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم فقال رجل من المنافقين ان قتيلكم قتل عمد
واني اخشى عليكم القود فان كان محمد امركم بالقتل وقبل منكم فاعطوهم والا فكونوا على حذر فاخبر عز وجل
نبيه عليه الصلوة والسلام بما قالوا فقال يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه يعني الدية وان لم تؤتوه فاحذروا
فلا ندري فيم كانت القصة وفيه من الدلائل ما ذكرنا من اثبات الرسالة والنبوة والله اعلم وقوله عز وجل
من يرد الله فتنته قيل من يرد الله عذابه واهلاكه فلن يملك احد دفع ذلك العذاب عنه وقيل الفتنة
المحنة اي من يرد الله ان يمتحن بالرجم والقتل فلن يملك له احد دفع ذلك عنه وقوله عز وجل اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قالت المعتزلة قوله لم يرد الله ان يطهر قلوبهم تاويله يحتمل وجهين يحتمل لم يرد
الله اي لم يطهر الله قلوبهم والثاني لم يرد الله قلوبهم بالشرك والكفر وذلك بعيد لانه كيف يطهر بالكفر
والتنجيس لكن الوجه عندنا في قوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله قلوبهم اي لم يرد الله ان يطهر اذ علم منهم انهم
يختارون ما اختاروا ويريدون ما ارادوا فانما اراد ما كان علم منهم انهم يريدون ما ارادوا فانما اراد ما كان
علم منهم انهم يريدون ويختارون وكذلك قوله تعالى ومن يرد الله فتنته يريد فتنة من علم انه يريدها ويختار
فانما يريد ما اراد هو ويختار وظاهر الاية على المعتزلة لانه قال لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وهذا ظاهر الخلاف
وبالله العصمة وقوله عز وجل لهم في الدنيا خزي الخزي في الدنيا القتل والعذاب والخزي ولهم عذاب عظيم
وقوله عز وجل سماعون للكذب يحتمل وجهين يحتمل سماعون اي مستمعون الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيكذبوا عليه ويحتمل قوله سماعون للكذب اي قابلون لما القي اليهم من الكذب كانوا لما القي اليهم من
الكذب والله اعلم وقوله عز وجل اكالون للسحت قال بعضهم كل حرام هو سحت فان كان السحت اسم كل
حرام فذلك يعم كل حرام وجميع الكفرة واكثر وقال اخرون السحت هو الرشوة في الحكم فان كان السحت
هذا فذلك يرجع الى رؤسائهم الذين يحكمون فيما بينهم وياخذون على ذلك رشوة وقوله عز وجل فان
جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم اختلف فيه قال بعضهم هو على التخيير اما دفعوا الى الامام ان شاء حكم بينهم
وان شاء اعرض ولم يحكم لكنه منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل ولا تتبع اهواءهم امر بالحكم
بينهم اذا جاؤا ونهى ان يتبع اهواءهم وفي ترك الحكم بينهم اتباع هواهم وقال وان احكم بينهم بما انزل الله
ولا تتبع اهواءهم امر بالحكم بينكم اذا جاؤا ونهى ان يتبع اهواءهم واحذرهم قالوا منسوخ بهذه الاية وامكن
الجمع بينهم وهو ان قوله تعالى فاحكم بينهم او اعرض عنهم في قوم من اهل الحرب دخلوا دار الاسلام بامان
فرفعوا الى الامام امرهم فالامام بالخيار ان شاء ردهم الى مامنهم ونقض عليهم امانهم ولم يحكم بينهم وان
شاء تركهم وحكم بينهم فذلك معنى التخيير والله اعلم واما قوله فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
واحذرهم فذلك في اهل الذمة الراضين بحكمنا اذا رفعوا الى الحكم يجب ان يحكم بينهم ولا يرد عليهم
ما طلبوا منه من اجراء الحكم عليهم لانه ليس له فسخ ما اعطى لهم من العهود والمواثيق وهم
بحكمنا لذلك لزم الحكم بينهم والله اعلم وقوله عز وجل وان تعرضوا عنه فلن يضروك شيئا يحتمل هذا
وجهين يحتمل ان يقع الاعراض عنهم موقع الجفاء ويعدون ذلك جفاء فامنه عز وجل نبيه عليه الصلوة
والسلام عن ان يلحقه ضرر منهم ويحتمل قوله فلن يضروك شيئا اي ليس عليك ضرر ما هم فيه

فاما

فاما ضرر ذلك عليهم وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله تعالى ما عليك من حسابهم من
شيء وما من حسابك عليهم من شيء فانما عليه الاية وقوله عز وجل وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اي
بالعدل كقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وكقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
الاية ان الله يحب المقسطين اي العادلين في الحكم وقوله عز وجل وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها
حكم الله يعجب نبيه صلى الله عليه وسلم شدة سفههم وتعنتهم بتركهم الحكم بالذي صدقوا وطلب الحكم
بما كذبوا لانهم صدقوا التوراة وما فيها من الحكم وكذبوا ما انزل على محمد عليه افضل الصلوة يقول
والله اعلم انهم اذا لم يعملوا بالذي صدقوا كيف يعملون بالذي كذبوا بذلك تعجب منه اياه شدة السفه
والتعنت وقوله عز وجل فيها حكم الله اي حكم الله الذي تنازعوا فيه وتشاجروا رجما كان او قصاصا
وما كان والله اعلم وقوله عز وجل ثم يتولون من بعد ذلك يحتمل وجهين يحتمل يتولونه من بعد ما تحكم
بينهم عما حكمت ويحتمل يتولون من بعد ما عرفوا ان الحكم عليهم بما في التورية وقوله عز وجل فلا تخشوا
الناس فيما تحكم عليهم واخشون من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرهم ونكبتهم وامر ان تخشوه
يكفيه شرهم واذاهم ثم اختلف في الاحبار والربانيون قال بعضهم الربانيون علماء اليهود والاحبار
علماء النصارى وهما واحد سموا باسمين مختلفين وقيل قوله فلا تخشوا الناس واخشون انما خاطب
علماءهم اي لا تخشون ان تخبروهم بالحكم الذي في التورية واخشون ولا تشتروا بايات الله ثمنا قليلا
ثم خرج الخطاب بهذا على التاويل الثاني ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون هكذا من جحد
الحكم بما انزل الله ولم يره حقا فهو كافر وذكر في القصة ان الاية نزلت في قتيل كان بني قريظة وبني النضير
اي بني النضير اذا قتلوا من بني قريظة لم يرضوا الا بالقود والاخرى اذا قتلت احدا منهم كانوا لم
يعطوهم القود ولكنهم يعطوهم الدية فنزل وكتبنا عليهم ان النفس بالنفس الاية وقوله عز وجل
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين الى اخره اخبر عز وجل انه كان كتب على اهل التورية
النفس بالنفس وقد كتب علينا ايضا قتل النفس بالنفس بقوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى
كانه قال كتب عليهم القصاص في النفس بالنفس كما كتب عليهم واما القصاص فيما دون
النفس فانه لم يبين في الاية التي اخبر عز وجل انه كتب علينا القصاص في النفس ثم يحتمل ان يكون
قوله والعين بالعين والانف بالانف الى اخر ما ذكر وجهين يحتمل ان يكون اخبارا عما كان مكتوبا
عليهم من القصاص فيما دون النفس كالنفس الا ترى انه قرئ في بعض القراءات بالنصب نصبا
على الاول ويحتمل على الابتداء على غير اخبار منه ولكن على الايجاب ابتداء والذي يدل على ذلك
قوله فمن تصدق به فهو كفارة له لا يحتمل ان يكون هذا في الخبر لان ذلك ترغيب في العفو في
الحادث من الوقت دل انه ليس على الاخبار ولكن على الابتداء الا ترى اكثر القراء قرؤا بالرفع في قوله
النفس بالنفس فانه بالنصب ثم ذكر العين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن ولم يذكر اليد والرجل
وذلك يحتمل وجهين احدهما يحتمل ان يكون القصاص في اليد ظاهرا فيستدل بوجوبه فيما هو اخفى على
وجوبه فيما هو اظهر منه لان المنتفع بالنظر والانف والسمع ليس الا صاحبه وقد يجوز ان ينتفع غيره بيده
اخر وبرجله والثاني ان يكون وجوب القصاص في اليد في قوله والجروح قصاص فلم يخصص الانسان
بوجوب القصاص دون غيرها من العظام الاسنان لان ديته بادية ظاهرة يقع عليها البصر يقدر على القصاص
واما غيرها من العظام مما لا يقع عليها البصر ولا يقدر على الاقتصاص الا بعد كسر اخر وقطع لحم لذلك
خص الاسنان بالاقتصاص دون سائر العظام والله اعلم ثم وجوب القصاص في العضو الذي لا منفعة
فيه سوى البهاء ذهاب البهاء لانه ذكر الانف والاذن وليس في الانف والاذن لاذهاب البهاء فاوجب
في ذهاب البهاء القصاص كما اوجب في ذهاب المنفعة وعلى هذا يخرج قولنا وجوب الدية في ذهاب البهاء
على الكمال كوجوبها في ذهاب المنفعة على الكمال على اهل العلم مجمعون ان القصاص واجب بين الرجال الاحرار
والانف والاذن والسن والجروح التي ليس فيها كسر عظم اذا اتيا على شيء من ذلك عمدا لحديث واما القصاص
بين الرجال والنساء والعبيد والاحرار فيما دون النفس فاهل العلم اختلف فيه وكان اصحابنا رحمهم الله تعالى
لا يرون القصاص بينهم في ذلك ويرون القصاص في الانفس فاهل العلم اختلفوا فيه ويفرقون بينهما
والفرق بينهما ان الجماعة لو قتلوا رجلا قتلوا به ولو قطع يد رجل تقطع ايديهم فالتماثل في النفس غير

معتبر بنماء ون النفس وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم ذكرا كافيا وقوله عز وجل فمن تصدق به فهو
كفارة له اختلف فيه قال بعضهم هو صاحب الدم كفارة لما كان ارتكب هو وعلى ذلك روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من تصدق بدم فما دونه كان له كفارة من يوم ولد الى يوم تصدق وقال بعضهم
قوله فمن تصدق به فهو كفارة له يعني كفارة للقاتل اذا عفى الولي وهو قول ابن عباس رضي الله عنه
وعن مجاهد هو كفارة للجارح واجر المتصدق على الله والاول كانه اقرب واشبه والله اعلم وقوله عز وجل
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون هذا اذا ترك الحكم بما انزل الله جحودا منه فهو ما ذكر
كافر وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم قوله تعالى وقفينا اي اتبعنا على آثارهم وهو من القفا وقوله
آثارهم يحتمل وجهين يحتمل على آثار الرسل ويحتمل على آثار الذين انزل فيهم التورية وقوله عز وجل و
آتيناه الانجيل فيه هدى ونور من الضلالة لمن تمسك به ونور لمن عمي لمن استنار به ومصدقا
لما بين يديه من التورات فهو يدل ان الكتب كانت مصدقة بعضها بعضا على بعد اوقات النزول
جل الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل وموعظة للمتقين يحتمل موعظة للمتقين
لان المومن هو الذي يتعظ به واما غير المومن فلا يتعظ به ويحتمل قوله للمتقين الذين اتقوا المعاصي
كلها وفي قوله فمن تصدق به فهو كفارة له وكذلك قوله فمن عفي له من اخيه شيء دلالة ان
القصاص للعباد خاصة حيث رغب في عفوه وتركه له ليس كالحدود التي هي لله تعالى لانه لم
يذكر في الحدود العفو ولا التصدق به وذكر في القصاص والجراحات دل ان ذلك للعبد له تركه
وسائر الحدود لله ليس لاحد ابطاله والله اعلم وقوله عز وجل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون ذكر في موضع ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون وفي موضع الظالمون وفي موضع الفاسقون فامكن ان يكون كله واحدا ان لم
يحكم بما انزل الله جحودا منه له فاستخفافا فهو كافر ظالم فاسق ويحتمل ان يكون من ذكر من
الكفر بترك الحكم بما انزل الله به جحودا والكافر وما ذكر من الظلم والفسق ذلك في المسلمين
لانه قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف الى آخر ما ذكره
ثم قال فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ترك الحكم
بما انزل الله اتباعا لهواهم لا جحودا فقد ظلموا انفسهم لان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه
والفسق هو الخروج عن الامر كقوله ففسق عن امر ربه اي خرج ثم يجيء ان يكون هذا في حالة
الجهل والعلم سواء لانه اذا لم يحكم بما انزل الله فقد وضع الشيء في غير موضعه وخرج عن امره
لكن هذا في القول يقبح ان يقال هو ظالم فاسق وهو انما يفعل عن جهل به يجوز ان
يقال فعله فعل ظلم وفسق واما في القول فهو قبيح لما ذكرنا وليحكم اهل الانجيل بما انزل
الله فيه من الاحكام الى حكم كان فهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب
بالحق قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل مصدقا لما بين يديه قد ذكرنا ايضا وقوله
عز وجل ومهيمنا عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مؤتمنا عليه والكسائي في المهيمن الشهيد وقيل
الرقيب على الشيء قال هيمن فلان على هذا الامر فهو مهيمن اذا كان كالحافظ له والرقيب عليه
وعن الحسن قال مهيمنا عليه مصدقا بهذه الكتب وامينا عليها والقتبي قال امينا عليه وابو عوسجة
قال مسلطا عليه وقيل مفسرا يفسر التفسير وقال ابو بكر والكسائي في قوله مهيمنا هي كلمة
ماخوذة من كتبهم غير معربة ماخوذة من لسان العرب وفيه اثبات رسالته صلى الله
عليه وسلم ورسالته وهو شاهد على غيره من الكتب ومصدقا لها من عند الله نزلت
سوى ما غيروا فيها وحرفوه ليميز المغير منها والمحرف من غير المغير والمحرف قال ابن عباس
رضي الله عنهما ومهيمنا عليه القرآن شاهد على الكتب كلها وقوله عز وجل فاحكم بينهم
بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق يحتمل قوله فاحكم بينهم بما انزل الله من الرجم
في الزاني الثيب على ما ذكر في بعض القصة انهم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الزاني والزانية منهم فطلبوا منه الجلد وكان في كتبهم الرجم ولا تتبع اهواءهم قولهم
ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا وان تقال احكم بينهم بما انزل الله من القتل

لانه

لانه ذكر في بعض القصة ان بني قريظة كانوا يرون لانفسهم فضيلة على بني النضير وكانوا اذا قتلوا
منهم احدا لم يعطوهم القود يعطوهم الدية واذا قتلوا احدا منهم لم يرضوا الا بالقود فانزل الله
تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله وهو القتل ولا تتبع اهواءهم في تركهم القود واعطائهم الدية
والله اعلم بالقصة انه كيف كانت وليس بنا على معرفة القصة ما هنا حاجة بعد ان نعرف
ما اودع فيه واودع من المعاني وقوله عز وجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الآية فان قيل كيف
نهاه عن اتباع اهوائهم وقد اخبر عز وجل لكل شرعة ومنهاجا وقد يجوز ان يكون ما هو وهم شريعة
قيل يحتمل النهي عن اتباع هواهم لا يجوز ان يهود الحكم بشريعة قد نسخ الحكم بها لما اعتادوا العمل
بها فالعمل بالمعتاد دين الحكم ايسر فهو راد لذلك وكان ما نسخ اخف فيهدون ذلك فنهاه عن اتباع
هواهم لان العمل بالمنسوخ حرام وان كان هو في بعض على غيرها شرع وفي بعض ما شرع فانما نهى عن
والعمل بالمنسوخ حرام
هواهم بما لم يشرع والله اعلم وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وليس في نسخ شريعة بشريعة
خروج عن الحكمة من عرف النسخ بيان منتهى الحكم الى وقت ليس على ما فهمت اليهود من البداء
والرجوع كما كان وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم ما فيه مقنع بحمد الله تعالى والمنة وقوله عز وجل
قال ابن عباس رضي الله عنهما الشرعة هي السبيل وهي الشريعة وجمعها شرائع وبها سميت شرائع
الاسلام وكل شيء شرعة حية فهو شريعة وقال المنهاج السنة الشريعة هي السبيل وقيل
الشرعة السنة والمنهاج السبيل يعني الطريق الواضح الذي يتضح لكل سالك فيه ولا المعاند
والمكابر فانه يزول السلوك فيه مكابرة يخبر عز وجل والله اعلم انه لم يترك الناس حيارى لم
يبين لهم الطريق الواضح يسلكون فيه على بين لهم ما يتضح لهم ان لم يعاندوا ليقطع لهم
العذر والحجاج وان لم يكن حجاج وبالله التوفيق وقوله عز وجل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
اختلف فيه قيل لو شاء الله لجعلكم جميعا على شريعة واحدة لا تنسخ بشريعة اخرى ليفضل امتحان
والله ان يمتحن عباده بمحن مختلفة كيف شاء بما شاء وقيل لو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي على
دين واحد وهو دين الاسلام لم يجعل كافرا ولا مشركا ولكن امتحنكم باديان مختلفة على ما يختار
ثم اختلف في المشيئة قالت المعتزلة هي مشيئة الجبر والقسر وقال اصحابنا المشيئة مشيئة الاختيار
وقد ذكرناها في غير موضع وقوله عز وجل فاستبقوا الخيرات قيل سابقوا يا امة محمد الامم كلها
بالخيرات ويحتمل قوله تعالى فاستبقوا الخيرات الى ما به يستوجبون المغفرة كقوله تعالى سابقوا الى
مغفرة من ربكم واصل قوله فاستبقوا الخيرات اي اعملوا الخيرات كقوله اعملوا صالحا الآية وقوله
عز وجل وان احكم بما انزل ولا تتبع اهواءهم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتبع اهواءهم
على العلم انه لا يتبع اهواءهم وان وجد فيه ما ذكر ان العصمة لا تمنع بل تؤيد وقد ذكرنا فيما
تقدم ويحتمل ان يرجع النهي الى غيره ويراد بالنهي والامر غير المخاطب به على ما ذكرنا من عادة الملوك
انهم اذا خاطبوا انما هو اجل عندهم واعظم اهواءهم فيما طلبوا منك من الجلد مكان الرجم والدية
مكان القصاص لما رأى بنو النضير لانفسهم من الفضل على بني قريظة والله اعلم وقوله عز وجل
واحذرهم ان يفتنوك اي يصدوك عن الحكم ببعض ما انزل الله اليك والفتنة هي
المحنة وهي تتوجه الى وجوه وقد ذكرنا الوجوه فيه فيما تقدم وقوله عز وجل فان تولوا فاعلم
انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم قوله فان تولوا فاعرضوا عن الحكم الذي تحكم بما انزل الله
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اختلف فيه قال بعضهم انما يعذبهم الله ببعض ذنوبهم
لا يعذبهم بجميع ذنوبهم وقال آخرون عذاب الدنيا عذاب ببعض الذنوب ليس هو عذاب بكل الذنوب
لانه لا يدوم واما في الآخرة فانهم يعذبون بجميع ذنوبهم لان عذاب الآخرة دائم فهو عذاب بجميع الذنوب
وعذاب الدنيا زايل فهو عذاب ببعض الذنوب وقوله عز وجل افحكم الجاهلية يبغون قال بعضهم ان هذه لهنة قوله
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه فقال الله عز وجل افحكم الجاهلية يبغون وقال آخرون روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما يقول افحكم الجاهلية يبغون عندك يا محمد في القرآن يعني بني النضير عز وجل ومن احسن من الله
حكما اي لا احد احسن من الله حكما على اقرارهم ان الله اذا حكم لا يحكم الا بالعدل وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض يحتمل قوله تعالى لا تتخذوهم اولياء وجوها يحتمل لا تتخذوا

اولياء في الدين اي لا تدينوا بدينهم فانكم اذا دنتم بدينهم صرتم اولياءهم ويحتمل لا تتخذوهم اولياء في النصر
والمعونة صاروا امثالهم لانهم اذا انتصروا بالكفار على المسلمين واعانوهم فقد كفروا وهو كقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الاية نهاهم ان يتخذوا اولئك موضع سرهم وخفياتهم فعلى
ذلك وخفياتهم الاول والله اعلم والثالث لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء في المكسب والدنيا فانهم
اذا فعلوا ذلك لا بد من يميلوا اليهم ويسدوا عن ذاتهم في شيء فذلك مما يفسقهم ويخرج شيئا دينهم فهذا
الذي يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرنا والله اعلم وفي الاية دلالة ان الكفر كله ملة واحدة وان اختلفت
مذاهبهم فالواجب ان يرث بعضهم بعضا لقوله تعالى اولياء بعض كما ان اهل الاسلام يرث بعضهم بعضا وان
اختلفت مذاهبهم الا ترى انه قال المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض الاية وليس ذلك بداخل في
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين لما عليه الاية انهم كلهم ملة واحدة ولكن اهل منهم
لا يرث المسلم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين فالاسلام ملة حق والكفر ملة باطل
ولا نرثهم ولا يرثوننا وما روي لا نرث اهل الكتاب ولا يرثوننا الا ان يرث الرجل عبده او امته ليس بميراث
انما هو ملك كان يملكه قبل موته فعلى ذلك بعد موته وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر
ولا الكافر المسلم وقوله عز وجل ومن يتولهم منكم فانه منهم الوجوه التي ذكرنا الولاية في الدين والولاية في النصر
والمعونة فانهم اذا فعلوا صاروا منهم في حكم الدنيا والاخرة او الولاية في المكسب والدنيا فيصيرون منهم
في حكم الدنيا والله اعلم فان قيل اليس يرث المسلم المرتد وقد قال ومن يتولهم منكم فانه اخبر ان من تولى منهم
من المسلمين صار منهم ونحن لا نرث اليهود والنصارى كيف ورث من صار من المسلمين قيل معنى قوله فانه
منهم في الدين والكفر لا في الحكم والحقوق لان المرتد الى النصرانية ليس يترك على دينه فلم يكن من اهل
تلك الملة وانما الملة تقارن على اهلها الا ترى ان المرتد لا يرث النصراني ان كان اقرباءه فلو كانت النصرانية
له ملة ورثه اهلها لانا نعلم ان النصارى يرث بعضهم بعضا فلما لم يرثوه دل ذلك على انه ليس من ملتهم
وان حكمه في الميراث حكم الملة التي يجبر على الرجوع اليها وعلى ذلك جاءت الاثار عن الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين روي عن علي رضي الله عنه انه اتي برجل ارتد عن الاسلام فعرض عليه الاسلام فابى فضرب عنقه
وجعل ميراثه لورثته المسلمين وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كذلك وروي عن زيد بن ثابت مثله وقوله
عز وجل ان الله لا يهدي القوم الظالمين قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل فترى الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون
كقوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض الى قوله ولتعرفنهم في لحن القول وهو وصف المنافقين ليسارعون
فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة كانوا يظهرون الموافقة للمسلمين خوفا منهم وفي السر مع الكفرة لانهم
كانوا اهل ريب وشك ولا دين لهم يميلون الى من راوا السعة معهم والامن وكانوا على الشك عن امر محمد
صلى الله عليه وسلم وريب يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة لعل محمدا لا ينصر ولا يتم امره فاسروا في انفسهم
الموافقة للكفر والغش للاسلام واهله ويظهرون الموافقة للمؤمنين لما كانوا يسمعون رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد النصر والظفر للمؤمنين لما كانوا يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد النصر والظفر
للمؤمنين لكن ذلك لا يتحقق عندهم وكانوا كما قال الله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
الاية وكانوا ينظرون النصر والظفر يميلون الى حيث كان النصر والظفر فيقولون للمؤمنين ان كان الظفر لهم
الم نكن معكم وان كان للكافرين فيقولون الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وقوله عز وجل فعسى الله
ان ياتي بالفتح اي بالنصر نصر محمد صلى الله عليه وسلم والظفر له على اعدائه وفتح البلدان والامصار واظهار دينه
دين الاسلام على ما روي انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وعلى ما فتح له البلدان كلهم وقوله عز وجل
او امر من عنده قيل عذاب اولئك الكفرة وهلاكهم في الدنيا فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين عند
العذاب والهلاك او يندمون في الاخرة لما اصابهم من العذاب ما اسروا في انفسهم في الدنيا من المودة لهم
والعداوة للمؤمنين والله اعلم وفي قوله يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم لانه لا يحتمل ان يقولوا نخشى ان تصيبنا دائرة حيث يسمع اهل الاسلام ذلك منهم دل ذلك انهم
انما عرف بالله وكذلك بما اخبر من الوعد بالنصر له والظفر ثم كان على ما اخبره وعدو له انه خبر عن الله
تعالى وقوله عز وجل ويقول الذين امنوا بعضهم لبعض لما ظهر نفاق اهل النفاق قتلوا وافتضحوا كقوله
تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا قال المؤمنون عند ذلك اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد

ايمانهم انهم لمعكم وقد كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويحلفون بالله على ذلك ويضمرون الخلاف لهم
والعداوة والمودة للكفرة كقوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ويحلفون لكم لترضوا عنهم ونحو ذلك فذلك
معنى قوله اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم والله اعلم وقوله عز وجل حبطت اعمالهم فاصبحوا
خاسرين اي حبطت اعمالهم التي عملوها قبل اسرارهم ما اسروا في انفسهم اذا اسروا في ذلك فاصبحوا اي صاروا
خاسرين بعد الافتضاح حيث ذهبت منافعهم التي كانت لهم قبل الافتضاح وظهور نفاقهم ويحتمل قوله تعالى
حبطت اعمالهم التي عملوا ظاهرا رياء للناس وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه اذ قوله
من يرتد وان كان حرف توحيد وتفريد فان المراد منه الجماعة الا ترى انه قال فسوف ياتي بقوم دل هذا
على ان المراد منه الجماعة والعصابة ولا الواحد ولا الاثنين اذا ادعى الاسلام يؤخذ ويحبس ويقتل ان
ابى الاسلام والجماعة اذا ارتدوا وعن الاسلام احتيج الى نصب الحرب والقتال على ما نصب مع اهل
الردة وفي الاية دلالة امامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه لان العرب لما ارتدت عن الاسلام بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاربهم وكان هو ومن قام بحربهم ممن احب الله واحبه الله وعن الحسن
رضي الله عنه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هو قال والله اعلم ابو بكر واصحابه رضي الله عنهم اجمعين
وقوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا
يؤتكم الله اجرا حسنا يدل على امامة ابو بكر الصديق رضي الله عنه لانه كان الداعي الى حرب اهل الردة فان قيل
يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي دعاهم قيل له قال الله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا فانما ان يدعوهم فيطيعوا وقد قال الله انهم لن يخرجوا معه ابدا فان قيل يجوز ان يكون عمر رضي
الله عنه ثابتة بدليل الاية واذا صحت امامته صحت امامة ابي بكر رضي الله عنه لانه المختار له والمستخلف
فان قيل فيجوز ان يكون علي رضي الله عنه هو الذي دعاهم الى محاربة من حارب قيل له قال الله تعالى
تقاتلونهم او يسلمون وهذه صفة من يحارب من مشركي العرب الذي لا يقبل منهم الجزية وعلي رضي الله عنه
انما حارب اهل البغي وهم مسلمون ولم يحارب احد بعد النبي اهل الردة غير ابي بكر رضي الله عنه فكانت الاية
دليلا على صحة امامته وقوله عز وجل فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فسوف كقوله عسى وعسى
واجب اخبر عز وجل انه ياتي بقوم يحبهم لبذلهم انفسهم في مجاهدة اعداء الله وتركهم في الله لومة لائم ذلك
يحبهم الله لانه لا احد يبذل نفسه للهلاك ويترك لومة لائم الا من يحب الله واحبهم الله لما اثنى عليهم
بقوله يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وحبهم لله لما بذلوا انفسهم في مجاهدة اعدائه وتركهم
لومة لائم وفيه دلالة اثبات امامة ابي بكر رضي الله عنه لانه عز وجل اثنى عليهم بخروجهم في سبيل الله ومجاهدة
اعدائه فلو كان غاصبا ذلك على علي رضي الله عنه او كان غير محق لذلك لم يكن الله ليثني عليه بذلك لانه كان
اخذا ما ليس له اخذه ومضيعا حقا لغيره ومن كان هذا سبيله لم يكن يستوجب كل هذا الثناء من الله
تعالى فهذا ينقض على الروافض قوله وما روي من كنت مولاه فعلي مولاه وغيره من الاخبار وذلك
في الوقت الذي طلب علي رضي الله عنه الخلافة وحارب عليها لانه لا يحتمل ان يعلم ان له الخلافة في زمن
ابي بكر رضي الله عنه ويرى الحق لنفسه ثم يترك طلبها لانه كان مضيعا حق الله عليه فدل سكوته وتركه
طلبه على ان الحق ليس له ولكن كان لابي بكر رضي الله عنه والله اعلم وقوله عز وجل اذلة على المؤمنين
اي ذو للمؤمنين اي ذو رحم ورافة للمؤمنين اعزة على الكافرين اي شاقة شديدة على الكافرين وهو ما وصفهم
عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية بذلك وصفهم عز وجل وقوله عز وجل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
اختلف فيه قال بعضهم ذلك الجهاد في سبيل الله اي في طاعة الله فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل ذلك الاسلام
فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم قد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله عز وجل انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا الاية قال بعض اهل التاويل قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا هو صلة قوله يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض وكذلك قوله تعالى لا تتخذوا الذين اتخذوا
دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء هو صلة ما تقدم ذكره نهى المؤمنين
ان يتخذوا الذين اوتوا الكتاب اولياء في غير اي من القران واخبر ان الله ورسوله هو ولي الذين امنوا و
المؤمنون ايضا بعضهم اولياء بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فاذ كان الله عز وجل
ورسوله والذين امنوا اولياء لمن امن لم ينبغ ان يتخذوا الكفار اولياء وذكر في بعض القصة ان عبد الله

ابن سلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود اظهروا لنا العداوة من اجل اسلامنا وحلفوا ان لا يكلمونا
ولا يخالطونا في شيء ومنازلنا فيهم وانا لا نجد متحدثا دون هذا المسجد فنزلت الاية فقالوا قد رضينا
بالله وبرسوله وبالمؤمنين اولياء ثم اختلف في نزوله قال بعضهم نزلت في شان علي رضي الله عنه تصدق
بخاتمه وهو في الركوع ويقولون خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو بمسكين فدعاه النبي صلى الله عليه
وسلم فقال هل اعطاك احد شيئا قال نعم يا رسول الله قال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال خاتم فضة
قال من اعطاك قال ذلك الرجل القائم يعني عليا قال النبي صلى الله عليه وسلم على اي حال اعطاك قال اعطانيه
وهو راكع فكبر النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له واثنى عليه فاحتج الروافض بهذه الاية على تفضيل
علي بن ابي طالب على ابي بكر رضي الله عنهما واثبات الخلافة له دون غيره ويقولون نزلت في شانه
رضي الله عنه لما روي عن ابي جعفر رضي الله عنه قال تصدق علي بن ابي طالب رضي الله عنه بخاتمه وهو
راكع فنزل الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون فقال لهم ذهب ان الاية نزلت في
في شانه وليس فيها دلالة اثبات الخلافة في زمن ابي بكر الصديق رضي الله عنه لانا قد ذكرنا في الاية
الاولى ما يدل على اثبات الامامة له في الوقت الذي كان هو اماما ونحن لا نجعل لعلي كرم الله وجهه
الخلافة لانه روي عنه انه قال ان ابا بكر هو خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او كلام نحو هذا
وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو وليتم ابا بكر لوجدتموه قويا في دينه ضعيفا في بدنه وان
وليتم عمر لوجدتموه قويا في دينه وبدنه وان وليتم عليا لوجدتموه هاديا مهديا يرشدكم فنقول
نحن على ما كان من علي وساير الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من تسليم الاموال الى ابي بكر وتفويضهم
اليه من غير منازعة ظهرت عن علي كرم الله وجهه في ذلك فلو كان الحق له في ذلك الوقت لظهرت منه
المنازعة على ما ظهرت في الوقت الذي كان له فقالوا لان عليا رضي الله عنه لم يكن له انصار وفي الوقت
الذي ظهرت المنازعة منه والطلب كان له انصار قيل لا يحتمل ان يكون الحق له فيها ثم لا يطلب
لما لم يكن له انصار الا ترى ان ابا بكر رضي الله مع ضعفه في بدنه خرج وحده لحرب اهل الردة حتى لما
راوه خرج وحده حينئذ تبعوه فابو بكر لم يترك طلب الحق لعدم الانصار مع ضعفه في بدنه فعلي رضي
الله عنه مع شدته وقوته وفضل علمه بامر الحرب حتى لم يبارز احدا من الاعداء الا غلبه واهلكه فكيف
توهمتم فيه ترك طلب الحق لعدم الانصار له والاعوان في ذلك هذا لعمري لا يتوهم في اضعف
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا ان يتوهم في علي رضي الله عنه فدل ترك طلب ذلك
منه على انه ترك لما راى الحق لا له والله اعلم واحتجوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى غير ان لا نبي بعدي وهرون كان خليفة موسى فما لكم
ايضا ان عليا رضي الله عنه كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لهذا جوابان احدهما
ان قوله انت مني بمنزلة هرون من موسى يحتمل ان يكون في الاخوة التي كان اخاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس في اثبات الاخوة اثبات الخلافة له والثاني ان كانت له الخلافة في الوقت الذي
كان هو وليس في الخبر جعل الخلافة له في الاوقات كلها وهكذا جواب ما روي عنه من كنت مولاه
فعلي مولاه والله اعلم ثم ان كان الحديث الذي روي عن ابي جعفر رضي الله عنه صحيحا ففي الاية معنيان
احدهما فضيلة علي كرم الله وجهه وقد كان كثير الفضايل مستكملا خصال الخير والثاني ان العمل
اليسير في الصلوة لا يفسدها وقد روي في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خلع نعله
في الصلوة وانه مس لحيته وانه اشار بيده وغير ذلك من العمل اليسير فعله في صلوته فيقاس
كل عمل يسير على ما دل عليه الخبر على جواز الصلوة وفيه وجه اخر وهو ان الصدقة التطوع تسمى زكوة
لان صدقة علي رضي الله عنه بالخاتم لم يكن صدقة مفروضة بل كانت تطوعا فسماها الله زكوة
وان كانت تطوعا الا ترى انه قال في اية اخرى وما اوتيتم من زكوة تريدون وجه الله فسماها الله
زكوة وان كانت تطوعا كما سمى صلوة الفرض والتطوع صلوة وسوى التطوع والفرض فيما فعل ذلك
هذا وظاهر الاية في جملة المؤمنين ليس علي رضي الله عنه اولى بها من غيره فان كان فيه نزل فهو
ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون
ظاهر هذا لو صرف الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان اقرب لانه كان هو الغالب على اهل الردة

من

من اول ما وقع بينهم الى اخره وعلي رضي الله عنه انما صار الامر له في اخره حين حارب الخوارج والله اعلم
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا الى اخره يحتمل النهي
عن اتخاذ اولئك وجوها يحتمل النهي بعد ما اتخذوا اولياء لا في الدين ولكن في بعض المكاسب ويحتمل
ان يكون النهي للمنافقين ان لا يكونوا مع اولئك على المؤمنين وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والحزب
هو العون والنصر في اللغة قال الكسائي تقول العرب فلان حزبي اي ناصري وعوني وقوله عز وجل
واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم غاية سفههم اذا نودي
الى الصلوة لانه ذكر في القصة انهم اذا سمعوا المنادي يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله قالوا احرق الكاذب وقالوا والله ما نعلم اهل دين من هذه الاديان اقل حظا في الدنيا و
الاخرة منهم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فدخلت خادمهم ليلة من الليالي
بنار وهو نائم فسقطت شرارة فحرقت البيت واحترق هو واهله وقوله عز وجل ذلك بانهم قوم
لا يعقلون نفى عنهم العقل لما لم ينتفعوا بما عقلوا والا كانوا يعقلون وعلى ذلك يخرج قوله انا لنعلم
انهم كانوا يبصرون ويسمعون لكن نفى عنهم لما لم ينتفعوا بالبصر والسمع واللسان لمن ليس له
ذلك في الاصل والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان شغف بعضهم وحسدهم لنبينا محمد صلى الله عليه
وسلم منعهم عن فهم ما خوطبوا به ويحول بينهم وبين معرفة ذلك كانوا كمن ليس لهم ذلك راسا
وقوله عز وجل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية قيل هل تنقمون منا تطعنون علينا وهو قول
ابن عباس رضي الله عنهما وقيل وهل تعيبون علينا وقال ابو عوسجة هل تنقمون منا اي تنكرون منا
وهو يرجع الى واحد والنقم هو العيب والطعن والانتقام هو الانتصار ومعناه هل منا الا ان امنا
بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل اي كيف تطعنون علينا وتعيبون وانتم ممن قد دعوتم الى
الايمان بما انزل في الكتب وانتم ممن قد اوتيتم الكتاب وفي كتابكم الايمان بالله والايمان بالكتب
كلها فكيف تنكرون الايمان بذلك كله وتعيبون علينا ولا تعيبون على انفسكم بفسقكم وخروجكم
عن امر الله تعالى وعما امركم كتابكم ودعاكم اليه ونهاكم عما انتم فيه وما انزل الينا وهو القران
وهو تصدق ما قبله من الكتب وما انزل من قبل من الكتب المتقدمة من التورية والزبور والانجيل
وهي تصدق القران بعضها يصدق بعضا فكيف تنكرون الايمان به وقوله عز وجل قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ذكر هذا والله اعلم على اثر قوله تعالى هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله على اثر قوله واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا الاية وذلك انهم كانوا
يستهزؤن بالمؤمنين ويضحكون منهم ويطعنون في دينهم ويعيبون عليهم فقال على اثر ذلك قل
يا محمد هل انبئكم بشر من ذلك اي من المؤمنين عليه مثوبة عند الله قالوا من قال الله لعنه وغضب
عليه وجعل منهم القردة والخنازير الاية فمن كان هذا وصفه فهو شر مما عليه المؤمنون وقد كان
فيهم جميع ذلك مما غضب الله عليهم ولعنهم اي حول جوهرهم الى اقبح جواهر واخبثها وهي القردة
والخنازير اسوء شنيعهم او يكون ذلك على اثر قول ما قالوا ما ذكر في بعض القصة والله ما نعلم من اهل
دين اقل حظا في الاخرة والدنيا من هؤلاء يعنون المؤمنين لانهم كانوا يدعون ان الدنيا والاخرة
لهم وليس لهؤلاء دنيا ولا اخرة قال الله سبحانه وتعالى قل يا محمد هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
اي ثوابا عند الله الاية فقالوا من هم قال من لعنه الله وغضب عليه والملعون هو المطرود عن
الخيرات وجعل من حول جوهره الى جوهر القردة والخنزير وهو اقبح جوهر في الطبع والعقل واوحشه
ومن عبد الطاغوت يعني الشيطان اولئك شر مكانا في الدنيا لما حول جوهرهم الى اقبح جوهر
في الارض من الذين لم يحول جوهرهم الى ذلك اذ لم يروا احدا من المؤمنين حول جوهره الى جوهر من ذكر
وقد راوا كثيرا من اوائلهم قد حولوا من جوهرهم الى هذه الجواهر المستقبحة في الطبع المودية او يكون
على الاضمار على اثر امر كان ونحن لم نعلم به فنزلت عند ذلك وعن الحسن قال قوله تعالى قل هل انبئكم بشر
من ذلك مثوبة الذين لعنهم الله والذين غضب عليهم والذين عبدوا الطاغوت والذين جعل منهم القردة
والخنازير منهم من جعله قردة ومنهم من ابقي على جوهره الذي كان اولئك شر مكانا في الدنيا والاخرة
واضل عن سواء السبيل اي اخطا طريقا ودينا والله اعلم بالقصة وقوله عز وجل واذا جاؤكم قالوا

امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به قيل ان الاية في اليهود وقيل انها في المنافقين وهي في المنافقين
اشبه ذكر انهم كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون الموافقة له ويخبرون انهم يجدون
نعته وصفته في كتبهم ويضمرون الخطاب له في السر ويهزؤا به فقالوا عند ذلك وقد دخلوا بالكفر
وهم قد خرجوا به اخبر تعالى عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم دخلوا بالكفر لانهم يقولون ذلك
استهزاء وعلى ذلك خرجوا ففيه دلالة اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عما اضمروا
ليعلموا انه علم ذلك بالذي يعلم الغيب مع علمهم انه لا يعلم الا الله والله اعلم بما كانوا يكتمون ويضمرون
من الكفر والهزء وقوله عز وجل وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت
الاية يحتمل ان يكون قوله وترى كثيرا منهم من ملوكهم وعوامهم يسارعون في الاثم اي في قول
الكفر والعدوان وهو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم ويسارعون ايضا في اكل السحت والسحت
قيل هو كل محرم وقيل هو الرشوة في الحكم وعن عمر رضي الله عنه انه قال الرشوة هي الكفر واما السحت
اعوان برفع حاجة احد الى السلطان فياكل عنده وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ثم قال على اثر ذلك
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاسم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون
عاتب الله عز وجل الربانيين والاحبار عن تركهم نهيا وتلك عن صنيعهم واشركهم في الاثم
شرعا سواء ليعلموا ان العامل بالاثم والمعصية والراضي به والتارك النهي عن ذلك سواء فيدل
ان تارك النهي عن المنكر يلحقه من الاثم ما يلحقه الفاعل به والربانيون والاحبار وقد ذكرنا فيما تقدم
وقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة الاية قال الحسن قوله تعالى يد الله مغلولة اي
محبوسة ممنوعة عن تعذيبنا لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقوله عز وجل غلت ايديهم في الاخرة
بالسلاسل الى اعناقهم وقوله عز وجل بل يداه مبسوطتان بالمغفرة والتعذيب يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء قال ابن عباس رضي الله عنهما قولهم يد الله مغلولة يعنون بذلك ان يده نعمه
مغلول له حقيقة اليد والغل ولكن وصفوه بالبخل وقالوا امسك ما عنده بخلا منه تعالى الله عن
ذلك وقال اخرون ان الله تبارك وتعالى قد كان بسط على اليهود والرزق فكانت من اخصب الناس
واكثرهم خيرا فلما عصوا الله في محمد عليه افضل الصلوات وكفروا به وبدلوا نعمة الله كفرا بالنعمة
كف الله تعالى عنهم بعض الذي كان يبسط عليهم من السعة في الرزق فعند ذلك قالوا يد الله هو
مغلولة لم يقولوا ايديه مغلولة الى عنقه ولكن ممسكة عنهم الرزق فلم يبسط كما كان يبسط
وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط نهى عن البخل في الانفاق
لانه اراد حقيقة غل اليد الى عنقه فعلى ذلك قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل و
وصف به لا حقيقة الغل وبالله العصمة وتاويل قوله غلت ايديهم على هذا التاويل
اي ايديهم هي الممسكة عن الانفاق وهم الموصوفون بالبخل والشح بل يداه مبسوطتان
اي نعمه مبسوطة يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
بل يداه بسطان قال الفراء يقال وجه مبسوطة ووجه بسط ثم لا يحتمل ان يفهم من اضافة
اليد الى الله ما يفهم من الخلق لما وجد اضافة اليد الى من لا يحتمل ان يكون له اليد من ذلك قوله
تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يفهم من القران اليد كما يفهم من الخلق فعل
ذلك لا يجوز ان يفهم من اضافة اليد الى الله تعالى كما فهم من الخلق الا ترى انه قال ذلك بما كسبت يداك
وبما كسبت ايديكم لم يفهم منه اليد نفسه وكذلك قوله ذلك بما قدمت ايديكم لكن اضيف ذلك الى
اليد لما باليد يقوم ويعطي ويكسب الا ترى انه قال تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ومعلوم
انه لم يفهم من اليد اليد نفسه ولكن اضيف ذلك اليه لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
ولعنوا بما قالوا قيل عذبوا بما قالوا يد الله مغلولة واللعن هو الطرد كانه قال طردوا عن رحمة الله
وايسوا عنها حتى لا ينالوها ابدا بقولهم الذي قالوا وقيل فيه اخبار انهم يموتون على ذلك ولا
تؤمنوا لما نوا على ذلك فذلك دليل رسالته عليه الصلوة والسلام والله اعلم وقوله عز وجل و
ليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك قيل فيه بوجهين قيل يريد ما انزل الله اليك من
القران كثيرا منهم يعني اليهود طغيانا وكفرا وقيل وليزيدن كثيرا منهم ما انزل من ربك

من البيان عما كتموا من نعته وصفته التي كانت في كتابهم وما حرفوا فيه وغيره من الاحكام فذلك
مما زادهم طغيانا وكفرا قيل طغيانا اي تماديا بالمعصية وكفرا بالقران وقيل الطغيان هو العدوان
وهو المجاوزة عن الحد الذي حد فان قيل ما معنى اضافة زيادة الطغيان الى القران والقران لا
يزيد طغيانا ولا كفرا قيل اضافة الاحوال الى الاشياء تكون لوجوه ثلاثة منها ما يضاف لحقيقة
الفعل لها ومنها ما يضاف الى الاحوال ومنها ما يضاف لمكان ما به يكون الفعل وههنا اضيف
ذلك الى القران لما كان فيهم من الطغيان والكفر لما كان ما انزل اليهم بالكفر الذي كان فيهم
وهو كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس انهن لا يضللن احدا في الحقيقة ولكن لما ضلوا وتاهوا
عنده اضيف اليهن كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا لا تغر احدا ولكن لما كانت هاجرا لبس لمكان
ما بدت من الزينة لهم وقوله عز وجل والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة اختلفوا
فيه قال بعضهم القينا بينهم بين اليهود والنصارى اي لا يحب اليهودي نصرانيا ولا النصراني
يهوديا وقال اخرون بينهم اي بين اليهود لان اليهود على مذاهب مختلفة واهلوا متشتة منهم
يقول عزير ابن الله ومنهم من يذهب مذهب التشبيه هم على اهوا مختلفة فبينهم عداوة وبعضا على ما
ذكر الاختلاف الواقع بينهم ثم معنى ما اضاف من القاء العداوة بينهم الى نفسه لا يخلو اما ان
يكون له في نفس العداوة قوله او ان يكون في سبب العداوة ولا يجوز ان يكون له في فعل العداوة
صنع لانه فعلهم ولا في سبب العداوة ايضا لان سببه الاختلاف والاختلاف فعلهم ايضا فاذا
بطل ان يكون له في واحد من هذين صنع دل ان له ذلك في الوجه الاخر وهو ان خلق فعل العداوة
سبب العداوة منه وبالله التوفيق والعصمة فان قيل ذكر ههنا انه تعالى القى بينهم العداوة وذكر
في اية اخرى ان بعضهم اولياء بعض بقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء
بعض كيف يخرج بينهما قيل بعضهم اولياء بعض في اصل الدين وهو الكفر وبينهم عداوة لاختلاف
الاهواء والمذاهب والله اعلم وفي الاية دلالة الاثبات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اخبر
انه القى بينهم العداوة ولو كانوا على مذهب واحد ولم يكن بينهم اختلاف وعداوة لكان ذلك عليه
اشد وفي المقام بينهم اصعب لكن من عليه بالاختلاف فيما بينهم لما جعل الاختلاف والتنازع سبب
الفشل كقوله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا الاية وقوله عز وجل كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
يحتمل وجهين يحتمل كلما ارادوا مكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوا امرهم على قتله اطلع الله
نبيه عليه الصلوة والسلام على ذلك حتى لم يقدروا على مكروه والثاني كلما اشعلوا الحرب مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه فرق الله شملهم وجعلهم بحيث لا يجتمعوا على ذلك
والله اعلم وقوله عز وجل ويسعون في الارض فسادا يحتمل وجهين ايضا يحتمل السعي بالفساد على حقيقة
المشي على الاقدام وهو ما كانوا يسعون في نصب الحرب مع المؤمنين والاتصال بغيرهم من الكفرة و
الاستعانة بهم فذلك هو السعي في الارض بالفساد والثاني بما كتموا من نعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصفته وحرفوا ما في كتبهم من اعلام نبوته وايات رسالته ودعوى الناس الى غير ما نزل فيه و
ذلك سعي في الارض بالفساد وبالله التوفيق وقوله عز وجل والله لا يحب المفسدين لانه لا يحب الفساد
ولا يرضى به وقوله عز وجل ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات
النعيم عامل الله عز وجل خلقه معاملة اكرم الاكرمين حيث وعد لهم المغفرة وتكفير ما ارتكبوا في حال
قولهم في الله من القبيح الوحش لو امنوا واتقوا الذين قالوا في الله وهو كما قال الله ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف والله اعلم انه لما تاب ورجع عن صنيعه يرجع عن جميع ما كان منه ويندم على ذلك ويتمنى ان
يكون ما كان منه في تلك الحال من الشر خيرا فهو كقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات لانهم
يندمون على تلك السيئات التي كانت منهم ويتمنون ان يكون الذي كان منهم في تلك الحال خيرا لا شرا والله
اعلم وقوله عز وجل ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم يحتمل هذا وجهين يحتمل
ولو انهم عملوا بما في التورية والانجيل وما انزل اليهم من القران لاكلوا من كذا ويحتمل ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل على ما انزل ورجعوا احبارهم قراءتها وغيروا وكتموه من نعت نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته وما فيها من الاحكام لكان لهم ما ذكر والله اعلم وذلك انهم كانوا يخافون الضيق اذا اسلموا

وهو والله اعلم وذلك قوله ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فاخبر الله عز وجل انهم لو امنوا واتقوا
الشرك لوسع عليهم العيش وقوله عز وجل لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ليس على حقيقة الاكل
ولكن يخرج على المبالغة في الوصف والذكر كما يقال فلان من قرنه الى قدمه في نعمة على حقيقة
ما وصف ولكن على المبالغة في الوصف بالسعة ويحتمل ان يكون على حقيقة الاكل اما ما يخرج من تحت
الرجل فهو ما يخرج من الارض من الماكل والمشرب ومن فوقهم من الثمار والفواكه يخرج من الاشجار و
يحتمل ما ذكر من فوقهم وهو الجبال ومن تحت ارجلهم الارض اخبار ان يكون نزل الجبل والسهل جميعا
وقيل لاكلوا من فوقهم اي ارسل الله عليهم مدرارا ومن تحت ارجلهم تخرج الارض بركتها وتنبت لهم الثمرة
وقال قتادة لاعطتهم الارض نباتها والسماء بركتها والله اعلم وقوله عز وجل منهم امة مقتصدة قيل فيه
بوجهين قيل امة مقتصدة من اسلم منهم وقيل امة مقتصدة على كتاب لم يحرفوه ولا غيروه ولا كتموا
شيئا ولا سعوا في الارض بالفساد على ما عمل اكثرهم من التحريف والتغيير والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته هذا والله اعلم وذلك ان اهل الكفر
كانوا على طبقات ثلاث منهم من يقول لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه وقولهم لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه ومنهم من كان يخوفه ويمكر به ليقتلوه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
او يقتلوك او يخرجوك الاية ومنهم من كان يعرض عليه النساء والاموال ليترك ذلك وان لا يذهب
الى دينه الذي هو عليه كانوا على الوجوه التي ذكرنا فامر الله عز وجل ان يقوم على تبليغ رسالته وان لا تمنعه
ما يخشى من مكرهم وكيدهم على قتله لان المراد قد يمتنع عن القيام لما عليه اذا كذب في القوم ولحقه اذى
لذلك فامر الله عز وجل نبيه عليه الصلوة والسلام بتبليغ ما انزل الله اليه وان خشي على نفسه
الهلاك او التكذيب في القول والاذى وترك طلب الموالات اي لا يمنعك شيء من ذلك من تبليغ
ما انزل اليك او ان يكون الامر بتبليغ الرسالة في حادث الوقت ان تبليغ ما انزل اليك من البيان
كما بلغت تنزيلا وهو كقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم اخبر عز وجل انه
انما ارسل الرسل على لسان قومهم ليبينوا لهم فعل ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل وان لم تفعل فما
بلغت رسالته اي وان لم تبلغ ما انزل اليك لما تخشى من الهلاك والمكروه كان لم تبلغ الرسالة
وانما لم يعذر نبيه صلى الله عليه وسلم في ترك تبليغ الرسالة اليهم وان خاف على نفسه الهلاك
ليس كمن اكره على الكفر ابيح له ان يتكلم بكلام الكفر بعد ان يكون قلبه مطمئنا بالايمان اذا خاف
الهلاك على نفسه ولم يبح له ترك تبليغ الرسالة وان خشي على نفسه الهلاك ذلك والله اعلم ان
تبليغ الرسالة تعلق باللسان دون القلب والايمان تعلقه بالقلب دون اللسان فاذا اكره على
الكفر ابيح له التكلم به بعد ان يكون القلب على حاله مطمئنا بالايمان واما الرسالة فلا سبيل لها ان
يبلغها الا باللسان لذلك لم يبح تركها وان خاف الهلاك وهذا يدل لقولنا في المكره بالطلاق
والعتاق انه اذا تكلم بهما لتعلقهما باللسان دون القلب فالاكراه لا يمنع نفاذ تعلق باللسان
دون القلب كالرسالة التي ذكرنا والله اعلم ويحتمل قوله تعالى وان لم تفعل اي ان لم تبلغ الرسالة في
حادث كان لم تبلغ فيما مضى او ان لم تبلغ البيان كما بلغت التنزيل فما بلغت الرسالة والله اعلم
وقوله عز وجل والله يعصمك من الناس دليل اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم لانه عز وجل اخبر انه
عصمه من الناس فكان ما قال فدل انه علم ذلك بالله وكذلك في قوله تعالى فكيدوني جميعا ثم لم يلحقه
من كيدهم شيء دل انه كان بالله وعن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس فلما
نزل قوله والله يعصمك من الناس قال انصرفوا الى منازلكم فان الله عصمني من الناس فانصرفوا و
يحتمل قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من الايات والحجج والبراهين التي جعلها الله اعلاما لرسالتك
واثارا لنبوتك ليلزمهم الحجة بذلك والله اعلم وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا
التورية والانجيل لابتداء الكلام بمثل هذا الا عن قول او دعوى تسبق وليس في الاية بيان ما كان
منهم فيشبه ان يكون الذي كان منهم ادعوا انهم على دين الله وولايته او ما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
او ما قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونحو ذلك من امانيهم ودعاويهم التي ادعوا
لانفسهم فقال لرسوله قل لهم لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم

قال الحسن قوله تعالى حتى تقيموا التورية والانجيل اي حتى تقيموا ما حرفتم وغيرتم من التورية والانجيل وبدلتم و
نسيتوا على ما انزل ولو نسوا به وقال غيره قوله تعالى حتى تقيموا التورية والانجيل بالشهادة والتصديق لانهما و
عن ابن عباس رضي الله عنهما حتى تقيموا التورية حتى تعملوا بما في التورية والانجيل في صفة محمد ونعته ونبوته
صلى الله عليه وسلم وتبينوه للناس ولا تكتموه وما ذكرنا واحد وما انزل اليكم من ربكم من كتب انبيائكم وقيل
تقيموا ايضا ما انزل من الكتب كتب الرسل اجمع لان الايمان ببعض الرسل وببعض الكتب والكفر ببعض لا
ينفع حتى يؤمن بالرسل كلهم وبالكتب جملة وقوله عز وجل وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا قد ذكرنا هذا وقال بعضهم قوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك القران من امر الرجم و
القصاص طغيانا وكفرا وقال بعضهم لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل هو ما امر الله نبيه عليه
الصلوة والسلام ان يبلغ ما انزل عليه بقوله بلغ ما انزل اليك وقوله عز وجل فلا تاس على القوم
الكافرين اي لا تحزن على كفرهم كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ونحو قوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وقوله عز وجل ان الذين امنوا قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين امنوا
بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم وقال بعضهم هم الذين امنوا ببعض الرسل لم يتسموا باليهودية ولا بالنصرانية
والذين هادوا والصابئون والنصارى قد ذكرنا فيما تقدم منهم وقوله عز وجل من امن بالله واليوم الاخر
الاية والله اعلم وان اختلف اديانهم وتفرقت مذاهبهم لو امنوا بالله وما ذكر فلا خوف عليهم
مما كان منهم في حال كفرهم كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ولا هم يحزنون على فوت ما اعطاهم اي
لا يفوتهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل قد اخذ الله عز وجل الميثاق على جميع
البشر وخصهم به دون غيرهم من الموثق لما ركب فيهم ما يعرف كل به شهادة الخلقة على وحدانية ربه
كقوله سبحانه وتعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان ثم خص بني اسرائيل من البشر بعض الميثاق لما ارسل اليهم الرسل منهم وهو قوله و
ارسلنا اليهم رسلا وكانهم قد قبلوا تلك المواثيق كقوله تعالى وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة الى اخر
وكقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم كان من الله لهم عهد ومنهم لله عهد فاخبر انهم اذا اوفوا
بعهده يوف بعهدهم وقوله عز وجل كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
وفي الاية دلالة انهم كانوا انما قبلوا دين الرسل باجمعهم لما احدثوا من اتباع هواهم وان الرسل وان
اختلفت اوقات مجيئهم فانهم انما يدعون باجمعهم الى دين واحد وقوله عز وجل فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون منهم من كذبهم ومنهم من قتل لكن القتل ان كان فهو في الانبياء غير الرسل لانه تعالى قال انا
لننصر رسلنا اخبر انه ينصر رسله وليس في القتل نصر ويحتمل قوله فريقا يقتلون اي فريقا قصدوا
قتلهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وحسبوا ان لا تكون فتنة ولم يبين ما الفتنة التي حسبوا
ان لا يكون قال اهل التاويل اختلفوا فيها قال قائلون الفتنة المحنة التي فيها الشدة حسبوا ان لا يأتيهم
الرسل بامتحانهم على خلاف هواهم بل جاءهم الرسل يمتحنوا على خلاف ما احدثوا من هؤلاء انفسهم وقال
بعضهم قوله وحسبوا ان لا يكون فتنة اي هلاك وعذاب بتكذيبهم الرسل وقصدهم قصد قتلهم وقال
ابن عباس رضي الله عنهما ان لا يكون بشر وقيل حسبوا ان لا تكون فتنة اي حسبوا ان لا يبتلوا بتكذيبهم
الرسل وبقتلهم الانبياء بالبلاء والقحط فعموا عن الهدى فلم يبصروه وصموا عن الهدى فلم
يسمعوا لما لم ينتفعوا به ثم تاب الله عليهم فدفع عنهم البلاء فلم يتوبوا بعد دفع البلاء ويحتمل ان يكون
قوله وحسبوا ان لا يكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا ما ذكر في اية اخرى وهو قوله
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله تعالى ثم رددنا
لكم الكرة عليهم الاية تابوا مرة ثم رجعوا ثم تابوا فذلك قوله فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا
الاية وقوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم الاية يحتمل قوله عز وجل لقد كفر الذين
قالوا اي كفروا بعيسى لان عيسى كذبهم في قولهم انه ابن الله بقوله يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم
الاية وبقوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه وبقوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية اخبر انه عبد الله ليس
هو الها ولا ابنه تعالى الله عن ذلك والثاني كفروا بعلمهم انهم علموا انه ابن مريم ثم قالوا هو الله او ابن الله
فان كان ابن مريم انى يكون له الوهية واذا كانت امه لم يستحق الالوهية وهي اقدم منه كيف يكون لمن بعدها

لكن لسفههم قالوا ذلك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة ومأواه النار اذا حرم عليه الجنة صار مأواه النار وقيل سمي مسيحا قال الحسن سمي ذلك لانه مسح
بالبركات وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوخ بالعنة وقيل المسيح بمعنى الماسح وذلك جائز الفعيل بمعنى الفاعل
وهو ما كان يمسح المريض والاكمه فيبرأ ويمسح الموتى فيحيون ومثل ذلك يسمى بذلك والله اعلم والفعيل
بمعنى المفعول جائز ايضا يقال جريح ومجروح وقتيل ومقتول هذا كله جائز في اللغة وقوله عز وجل كفروا الذين
قالوا ان الله ثالث ثلاثة ثم قوله تعالى كفروا يحتمل علموا بوحدانيته فكيف يكون ثالث ثلاثة وهو واحد قالوا
قالوا هو الله فلا يكون هنا لشرك وثالث وذلك تناقض في العقل والثاني انهم لم يروا غير الله خلق
السموات ولا لاحد خلقهم سوى الله كيف سموا دونه الها ولم يخلق ما ذكرنا اما خلق ذلك الله الذي
لا اله غيره وذلك قوله وما من اله الا اله واحد اي يعلمون انه لا اله الا الله اله واحد لكنهم يتعنتون ويكابرون
في ذلك وقوله عز وجل وان لم ينتهوا عما يقولون عما تقدم ذكره ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم وقوله
عز وجل افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه عن مقالتهم الشرك فان فعلوا فان الله غفور رحيم كقوله تعالى
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وبالله العصمة وقوله عز وجل ما المسيح ابن مريم الا رسول في
الاية لا له المحاجة مع الفريقين كانهم كانوا فريقين احد الفريقين كانوا يكفرون انه رسول والفريق
الاخر يدعون له الربوبية والالوهية فقال انه ابن مريم وابن مريم لا يحتمل ان يكون الها والثانية
اخبر انه رسول قد خلت من قبله الرسل اي قد خلت من قبل عيسى رسل مع ايات وبراهين لم
يقل احد من الامم السالفة انهم كانوا الهة فكيف قلتم انتم بان عيسى اله وان كان معه
ايات وبراهين لرسالته وقوله عز وجل وامه صديقة قيل مطهرة من الاقذار كلها صالحة وقيل
صديقة تشبيه النبيين وذلك ان جبرئيل عليه السلام لما اتاها وقال انما انا رسول ربك لاهب لك
غلاما زكيا صدقته كتصديق الانبياء والرسل والملائكة واما سائر الخلائق انما يصدقون الملائكة
باخبار الرسل اياهم وانما صدقت جبرئيل باخباره وانه ملك وانه رسول لذلك سميت صديقة والله
اعلم وقيل كل مؤمن صديق كقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون الاية وقوله
عز وجل كانا ياكلان الطعام الاحتجاج عليهم بوجهين احدهما ان الجوع قد كان يقبلهما ويحوجهما الى
ان يدفعا ذلك عن انفسهما ومن غلبه الجوع وقهره كيف يصلح ان يكون ربا الها والثاني انهما اذا
احتاجا الى الطعام لا بد من ان يدفعها ذلك الى ازالة الاذى عن انفسهما ودفعه والقيام في اخبث
الاماكن وانجسها ومن دفع الى ذلك لا يكون الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل انظر كيف
نبين لهم الايات والايات ما ذكر من وجوه المحاجة عليهم احدها ان ابن مريم ومن كان ابن انثى
لا يكون الها والثاني من اكل الطعام احتاج ان يدفع عن نفسه الاذى ويقوم في اخبث مكانات
ومن كان هذا امره لم يكن بارئيس في القران والله اعلم اية اكثر ولا ابين احتجاجا على النصارى واولئك
ولا اقطع لقولهم من هذه الاية المعاني التي وصفنا وقوله عز وجل ثم انظر انى يؤفكون اي من اين
يكذبون قال ابو عبيدة يؤفكون يصرفون ويحادون عن الحق كل من صرفته عن شيء فقد افكته ويقال
قلبت الارض اذا صرف عنها القطر وقوله يوفك عنه من افك وقال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك
افكهم وما كانوا يفترون قال اضلهم فانا اضلهم فقد صرفهم عن الهدى قال ابو عوسجة الافك عندي
الصرف عن الحق وفي الاصل الكذب وقال القتبي يؤفكون يصرفون عن الحق ويعدلون وقيل انى يؤفكون
يخدعون بالكذب وقوله عز وجل قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا اي ان خالفتموه ولا نفعا
ان اطعتموه يحتمل قوله ما لا يملك لكم ضرا ان كان الله اراد بكم نفعا ولا نفعا ان حل بكم الضر اي لا يملكون
دفعه عنكم وقوله عز وجل وهو السميع لشبهكم عيسى ابنه تعالى العليم بعبادتكم غير الله ويحتمل السميع
المجيب لدعائكم العليم بنياتكم والله اعلم وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق
خاطب الله عز وجل بالنهي عن الغلو في الدين اهل الكتاب ثم يخاطب اهل الشرك بذلك فيما خاطب
بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق وذلك ان اهل الكتاب دعوا
انهم على دين الانبياء والرسل كانوا من قبل فنهاهم الله عز وجل عن الغلو في الدين والغلو هو المجاوزة
عن الحد الذي حد لهم والافراط فيه والنهي عنه والله اعلم قال لا تجاوزوا في الدين الحد الذي حد فيه

لنسبة

لنسبة الالوهية والربوبية الى غير الله والعبادة له واما اهل الشرك فانهم يعبدون ما يستحسنون و
ويتركون ما يستقبحون ليس لهم دين يدينون به واما هؤلاء فانهم يدعون انهم على دين الانبياء والرسل
كذلك خرج الخطاب لهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني
من قبل الرسل بذلك والله اعلم واضلوا كثيرا اي اتباعهم وضلوا عن سواء السبيل اي عن قصد
طريق الهدى وقوله عز وجل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم قال
بعضهم لعنوا بكل لسان لعنوا على عهد موسى عليه السلام في التورية وعلى عهد داود في الزبور
وعلى عهد عيسى في الانجيل وعلى عهد رسولنا محمد عليه افضل الصلوة واكمل التحيات في القران وهو
قول ابن عباس رضي الله عنهما وقيل مسخوا بدعائهم بما اعتدوا فصاروا قردة وخنازير قال ابن
عباس رضي الله عنهما القردة والخنازير من نسل الذين مسخوا وقال الحسن انقطع ذلك النسل واصل
اللعن هو الطرد كانهم طردوا عن رحمة الله تخصيص اللعن على لسان داود لان داود عليه السلام كان به غلظة
وخشونة وهو الذي كان اتخذ الاسلحة والات الحرب وعيسى كان به لين ورفق ليعلم ان اللعن الذي كان منهما
كان لاعتدائهم الحدود الله وعصيانهم ربهم وكانوا مستوجبين لذلك محقين ولذلك استجيب دعائهم عليهم
باللعن دعاء الرسل عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ذكر في بعض
القصة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل
في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم واكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم
ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قال فجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان متكئا لا والذي نفسي بيده حتى تطردوهم على الحق طردا وقال ابو عبيد يعني تعطفوهم
عطفا وقال غيره حتى تكسروهم كسرا وقوله عز وجل ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا قيل قوله ترى كثيرا
منهم يتولون الذين كفروا قيل قوله ترى كثيرا منهم يعني المنافقين يتولون الذين كفروا يعني اليهود
ويتولون كفروا من مشركي العرب وغيرهم كانوا يظهرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
يعاونون عليهم قد كان من الفريقين جميعا ذلك ويحتمل وجها اخر قوله ترى كثيرا منهم من هؤلاء الذين
شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولون الذين كفروا يعني اسلافهم ورؤساءهم كقوله تعالى لا تغلوا
في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا الاية تولى هؤلاء اولئك واتبعوا
اهواءهم وقوله عز وجل لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم اي ما قدمت انفسهم سخط الله عليهم
وقوله عز وجل ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني المنافقين في احد التاويلين وفي تاويل اخر اليهود اي
لو صدق هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وامنوا به وصدقوا ما انزل اليه من القران ما اتخذوا اولئك
اولياء ثم يحتمل قوله تعالى ما اتخذوهم اولياء في الدين او في النصر والمعونة والمظاهرة ولكن كثيرا منهم
فاسقون وقوله عز وجل لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا الاية يحتمل وجوها
يحتمل ان يكون ما ذكر من شدة عداوة اليهود للذين امنوا قوما مخصوصين ويحتمل اليهود الذين كانوا بقرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه هم اشد عداوة لهم ويحتمل اليهود جملة فهو والله اعلم لما كان منهم
من قتل الانبياء وتكذيبهم اياهم ونصب القتال والحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وما
كان منهم من قول الوحش في الله سبحانه وتعالى ما لم يستقر احد بمثل ذلك ما وصفوا عز وجل بالبخل والفقر
وهو قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وغير ذلك من القول وذلك
لشدة بغضهم وعداوتهم وقساوة قلوبهم فعل ذلك كل من دعاهم الى دين الله تعالى فهم له اشد عداوة
واقسى قلبا واما النصارى فلم يكن منهم واحد مما كان من اليهود ومن قتل الانبياء ونصب الحروب والقتال
معهم ولم يرد في مذهبهم القتال ولا الحرب ولا كان منهم من القول الوحش مما كان من اليهود بل
كان فيهم اللين والرفق حتى حملهم ذلك على القول في عيسى ما قالوا وذلك منهم له تعظيم فوق القدر
الذي جعل الله له حتى رفعوه من قدر العبودية الى قدر الربوبية لذلك كفروا والا كانوا يؤمنون بالكتب
والانبياء عليهم الصلوة والسلام من قبل الا ترى انه قال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا اخبر عز وجل
ان منهم قسيسين ورهبانا والرهبان هم العباد وقيل القسيسين هم الصديقون ولم يكن من اليهود
رهبانا ولا قسيسين لذلك كان النصارى اقرب مودة والين قلبا من اليهود والله اعلم فان كان

ذلك في قوم مخصوصين منها اليهم وهو ما ذكر في القصة ان بني قريظة والنضير كانوا يعاونون
ويظاهرون مشركي العرب على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبارزونه بذلك ظاهرا واعانوا
لمن لم يؤمن بنبي ولا كتاب قط من قد امن بالانبياء والكتب جميعا وذلك اسفههم وشدة تعنتهم
حتى قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاهم من بلادهم الى ارض الشام وان كان ذلك عن قوم
قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وهو ما كان من يهود المدينة حين بايعوا اهل مكة
على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا عند انالهم عدتهم وسلاحهم ولم يذكر في قصة من القصص
انه كان من النصارى شيء من ذلك كان اقرب مودة للمؤمنين والله اعلم وما قاله بعض اهل التاويل
بان من اسلم منهم كان اقرب مودة للمؤمنين من اليهود فحاصل هذا الكلام ان المؤمن اقرب مودة
للمؤمنين من الكافرين وذلك لا يفيد معنى وقوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى
اعينهم تفيض من الدمع سرورا على انفسهم ما ظفروا بما كانوا يسمعون من نعته صلى الله عليه وسلم
ويطمعون من وجد وقيل يحمل السرور وهذا العين اذا اشتد به فرح القلب فاضت عيناه سرورا
ويحتمل قوله تعالى ترى اعينهم تفيض من الدمع حزنا على قومهم حيث لم يؤمنوا بعد ان بلغهم ما بلغ هؤلاء
من اعلام النبوة واثار الرسالة اشفاقا عليهم انه كيف لم يؤمنوا كقوله تعالى اعينهم تفيض من الدمع
حزنا الا يجدوا ما ينفقون قد فاضت اعينهم حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون والله اعلم وقوله عز وجل
يقولون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين الاية قيل مع اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم وهو واحد ثم ذكر في قصة انها نزلت في النجاشي واصحابه وقيل نزلت في اربعين
رجلا من مسلمي اهل الانجيل بعضهم قدموا ارض الحبشة وبعضهم قدموا من ارض الشام سمعوا
من النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اشبه هذا بالذي نحدث من حديث عيسى فبكوا وصدقوا فنزلت
الاية فيهم فلا ندري كيف كانت القصة وفيمن نزلت اذ ليس في الاية بيانه وليس بنا الى معرفة
ذلك حاجة سوى ما فيه من شدة رغبتهم في القران وسرورهم على ذلك وقوله عز وجل وما لنا
لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق يحتمل الرسول صلى الله عليه وسلم ويحتمل القران ويحتمل كلاهما وقوله
عز وجل وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق يحتمل الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله ونطمع ان
يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين قال الحسن قوله تعالى نطمع اي نعلم ان يدخلنا ربنا الجنة اذا امنا
بالله وما جاءنا من الحق وقيل نطمع هو الطمع والرجاء اي نطمع ونرجوا ان يدخلنا ربنا في دين
قوم صالحين والصالحين يحتمل ما ذكر من الانبياء والرسل ويحتمل اصحاب محمد صلوات الله عليه و
وسلامه وقوله عز وجل فاثابهم الله بما قالوا الثناء الحسن في الدنيا حيث ذكرهم في القران فيذكرون
الى يوم القيمة ويثنى عليهم وفي الاخرة الجنة ونعيمها وذلك جزاء المحسنين المحسن كانه هو الذي
يتقي المعاصي ويأتي بالخيرات والحسنات جميعا يعمل عملين جميعا والمتقي هو الذي يتقي المعاصي والمكاره
خاصة وقوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قال بعضهم الجحيم هو اسم
معظم النار وقال غيرهم هو اسم درك من دركات النار وكذلك السعير وقوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية ترد على المتقشفة لانه نهانا ان ناكل طيبات ما احل الله لنا
وهم يحرمون ذلك وقال الله عز وجل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم لا
فرق بين تحريم ما احل الله لنا من الطيبات وتحليل ما حرم الله علينا من الخبائث ثم يلزمهم ان يحرموا على
انفسهم التناول من الخبز والماء من اطيب الطيبات الا ترى ان المرء قد يعيش ويسام من غيرهما من الطيبات
واكثر ذلك ولا يعيش البتة من الخبز والماء دل انهما من اطيب الطيبات الان تمنعوا من التناول من
غيرهما ايثارا منهم غيرهم على انفسهم لما يلحق القوم من المؤن في غيرهما من الطيبات ولا يلحق في الخبز و
الماء لانهما موجودان يجدهما كل احد ولا يجد غيرهما من الطيبات الا من يحتمل مؤنة عظيمة فان كانت
تركهم التناول منها لهذا الوجه فانه لا باس فان الله تعالى جعل الاطعمة والاشربة والفواكه للبشر في الوقت
والحال التي تطيب انفسهم بها وتلذ لانه يحل لهم في اول خروجها من الارض والنخل انما احل لهم بعد
نضجها وينعها واتخاذها خبزا وبلوغها في الطيب نهايته وجعل للبهائم ذلك في اول ما تخرج
فاذا كان البشر خصوا بذلك لم يجب ان يحرم ذلك ويبطل ذلك التخصيص والتفضيل والله اعلم فان قيل

انما يتناول منها ما يعجز عن شكر الله لذلك يقتصر على ما يقيم الرمق منه قيل له فيجب ان لا يتزوج من
النساء الا اذ هن جمالا واكبرهن سنا لانها تصونه عن الفجور فان لم يكن في تزويج العجائز والقبائح
وترك الشابة الحسان زهادة فليس في اكل الخبز الشعير وترك المحود والمبلغ زهادة ولكن لما خاف
ان يدخله الرغبة في طيب الطعام في شبهة يكسبه فواجب عليه ان لا يدخله في ذلك الكسب وينزه نفسه
عنه ويقتصر على القوت الذي لا بد له منه وقيل الاية نزلت في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم عمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد وسالم رضوان الله عليهم اجمعين وهؤلاء
حرموا على انفسهم الطعام والنساء وهموا ان يقطعوا مذاكيرهم وان يلبسوا المسوح ويتخلوا للصوامع
فيترهبوا فيها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى منزل عثمان فلم يجدهم النبي صلى الله عليه
وسلم فقال النبي عليه السلام لامرأة عثمان احق ما بلغني عن عثمان واصحابه قالت ما هو يا رسول
الله فاخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بالذي بلغه فكرهت ان تكذب النبي صلى الله عليه وسلم
وتبدي على زوجها فقالت ان كان عثمان اخبرك فقد صدقك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قولي لزوجك اذا جاء انه ليس منا من لم يستن بسنتنا وياكل ذبيحتنا فلما رجع عثمان واصحابه اخبرته
امرأته بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان والله لقد بلغ النبي امرنا فما اعجبه فذروا الذي
كره فانزل الله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية فلا ندري كيف كانت القصة وليس فيه بيان
ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يحتمل ان يكون الحلال هو الطيب
والطيب هو الحلال سماهما باسمين وهما واحد ويحتمل ان يكون قوله كلوا مما رزقكم الله حلالا
بالشريعة والدين وطيبا بالطبيعة لان الحل والحرمة يعرفهما بالشريعة والطيب ما يستطيبه
الطبائع في الاية دليل انه قد يرزق ما هو حيث ليس بطيب لانه لو لم يرزق لم يكن لشرط الحلال
والطيب معنى والله اعلم وقوله عز وجل واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون وفي الاية دلالة ان الخطاب
للمؤمنين لانه قال واتقوا الذي انتم به مؤمنون ولم يقل ان كنتم مؤمنين ونحو هذا قد سماهم مؤمنين
مطلقا دل انه يجوز ان يسمى واتقوا الله ولا تحرموا ما احل الله لكم الذي انتم به مؤمنون انه لا يحل
ولا يحرم الا هو وليس الى من دونه تحليل وتحريم مسئلة اختلف الناس في تاويل احرف ذكرت في قوله
عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان الى قوله لعلكم تشكرون
فما للناس حاجة الى معرفة حقيقة ما في كل حرف منها انه لم يزل يتنازع اهل الفقه في احكامه مما
يعلم ان حق البيان في الخطاب لا يبلغ ما يقطع موضع التنازع فيه ولا يجب يبلغ حقيقة كل سامع
وان في شرط المحن بها لزوم التكرر فيها والبحث عنها والسؤال عنها الذي حسر انفسهما بسؤالها
من ولي الابانة عنها ومقابلتهم بما سبق لهم العلم بها في معرفة ذلك بيان ما حق من معنى الذي قرع
سمعه او بغير ذلك مما فيه دليل ذلك ان لا يجوز المحنة بالذي لا يحتمل الوسع الوصول اليه ولا في
حجة ما به امتحن ايضاح ذلك لما يوجب الامر بفعل ما هو عنه ممنوع وذلك بعيد بل يكون البيان
السمعي على قدر البيان العقلي اي من المعارف ما يكون بالحواس ومنها ما يوصل اليها اما بالتعليم او
بالاستدلال فحله حق السمعي والله اعلم من ذلك قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم انه عز
وجل ذكر يمينا لا يؤاخذ فيها في موضعين من غير ان ذكر انها اي يمين هي ولا بايم شيء ولا يؤاخذ بها
والحاجة لا ذمة اذ ذلك في موضع الامتنان منه جل وعلا في العفو عن امر كان له المؤاخذة وحق على الناس
معرفة منة الله تعالى ليشكره عليها ثم معلوم ان اليمين لو كانت بالطلاق والعتاق دان صاحب ذلك
يؤاخذ بهما بما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ان ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق
والنكاح والاوصى لا جد وارين مما كانا يلزمان بلا شرط يصيبه الموقع حالفا واعظم ما في دفع المؤاخذة
في اليمين ان يرفع عنه اليمين وهما يحيان دونها فيقعان من غير ان كان في الاية ذكر التفضيل ولكن
يجب معرفة حقيقة ذلك بالذي بينا من الخبر والنظر معا لا يعرف في ذلك خلافا وهذا يوضح ان
العفو عما كانت الايمان بها بالله تعالى فعل ذلك ما يشق على ما لا يؤاخذ وذلك يمنع من احتج بايجاب الكفارة
على الحالف بالقرب من حيث كان ذلك منه يمينا والله اوجب في اليمين كفارة وانما ذلك في اليمين
لا في اليمين بالقرب لو كانت على مخرج اليمين بالله لم يجب فيها شيء نحو ان يقول بالعتق لا افعل

كذا وبالصلوة وبالصيام ولو قال بالله يجب ثبت ان وجوب وجد و نذر يمينا كان يحق المنذور
وقد امر الله ورسوله من النذور بالوفاء فكذلك اليمين بها ومما يبين ذلك انه لو قال ان
فعل كذا فعليه قتل فلان او اتلاف ماله انه لا يلزمه لشيء ثبت انما لزم بحق لزوم ذلك في النذور
وحق ذلك الوفاء لا غير مع ما جاء الخبر بالامر بالحلف بالله والنهي عن الحلف بغيره والنذور
ابدا يكون بغيره ثبت ان وجوب ذلك بحق النذر فلذلك يجب الوفاء والله اعلم ثم الاصل
في ذلك ان الحلف بغير الله يكون على قسمين قسم ان لا يجب فيه شيء وقسم انه لو وجب لا يجب
المسمى نحو الطلاق والعتاق فيما يجب فلما كان في الحلف بالقرب في الزمة وهو حلف بغير الله
تعالى يجب ان يكون في الواجب في ذلك ما اوجب والله اعلم ثم اختلف في معنى اللغة فقال القوم
هو الاثم كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
ثم اختلف من قال بهذا على قولين احدهما انه لا يؤاخذ بالاثم في ايمانكم التي لا تعتقدوها
لكنها جرت على اللسان وبمثل ذلك روي عن عايشه رضي الله عنها انها قالت هو قول الرجل
لا والله ما كان كذا وبه قال ابو بكر الكيساني في تفسيره وقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
دل ان الاول بما يجري على اللسان دون ما يقصده قلبه والله اعلم والثاني ان لا يؤاخذ بترك المحافظة
ما ثم دليله صلة ذلك قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية فكانهم تحرجوا عن ترك المحافظة
فيما سبقت منهم الايمان قبل النهي بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فنزل قوله
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم بحفظ اذا كان حفظها ماثما وذلك نحو ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف على يمين فروي غيرها خيرا منها فلياتِ بالذي هو خير
وليكفر يمينه وعلى ذلك قوله لا يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اذا كانت المحافظة اثما وفيما لم
يكن فهو في قوله واحفظوا ايمانكم والله اعلم والى هذا يذهب سعيد بن جبير في تاويل الاية
وقال قائلون هو الشيء الذي لا حقيقة له نحو اللعب وعلى ذلك والغوا فيه انهم لم يقصد والحقيق
انه يظهرونه ولكن قصدوا التلبيس بما ينطق به ما كان كذا قيل لا يسمعون فيها لغوا باطلا
كل ما يسمع فيها فهو حق وحكمة ثم رجع تاويله الى وجهين احدهما يجري على اللسان من غير عقد القلب
على ما مر به تفسيره والثاني ان يكون به الحلف بما لا حقيقة ما حلف عليه الخالف كما حلف وكذلك
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تاويل الاية ثم لو كانت الاية على التاويل الاول لكانت في
دفع الماثم خاصة وهو التاويل الذي ذكره سعيد بن جبير رضي الله عنه واما الكفارة فهي
لازمة على ما ذكر في الخبر المرفوع فيما ذلك وبما هي واجبة تلحق في اليمين وترك الوفاء بالعهد و
المعنى في الامرين موجود لذلك لزمت الكفارة في الوجهين جميعا مما لا بد من الالزام فيما اعطا
التمدح حيث لم يكن استثناها لا منهما صاحبه وذلك يبين ان ذلك للحلف في عقد اليمين
او لما يخرج الفعل مخرج الاستحقاق اذا قوبل فعله بعقده ان كان المسلم قد عصم عن ذلك
الوجه مامر بتكفير ذلك وذلك المعنى موجود في الوجهين لذلك لزمت الكفارة في الامرين
والله اعلم ولو كانت على التاويل الثاني او على احد وجهيه تاويل لا يمكن ان لا يؤاخذ بالماثم و
لا بالكفارة جميعا الذي يبين ان هذا التاويل انه ذكر المواخذ في الاثنين احدهما بكسب القلوب
وكسبها تعمدها والمواخذة يكون بالاثم لا بالحقوق والكفارات اذ لا يواخذ في شيء بكسب القلب
حاصة كفارة او حقا يوجب وان كان قد يؤاخذ لذلك عند افعال الجوارح فاما له خاصة فلا
وقد يكون به الطاعة والمعصية وعلى ذلك قوله ليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت
قلوبكم واذا ثبت ان ذلك في الماثم فلا يؤخذ ثم لا اثم فيما ذكر عن عقدها اليمين في العقد
اذ هو يخرج مخرج التعظيم لله وقد روت عقود الايمان عن الرسل فثبت ان المواخذة فيها
بالكفارة فلا يؤاخذ بها في اللغو ايضا وايد ذلك ان الله تعالى ذكر ما لا يؤاخذ مرتين وذكر المواخذة
كذلك فلو كانت المواخذة بواحد لكان الذكر الواحد كافيا فثبت انه بامرين مختلفين فعلى ذلك
امر العفو والله اعلم معا انه قد تبين في اية المعاقدة كيفية المواخذة ولم يبين في كسب القلب
الا بجوه العقد عما جرى به بيان المواخذة احق منه مما لم يجر به ثبت في رفع المواخذة بالكفارة

ولو

ولو كان على سعيد لكانت الكفارة بما سلف بيانه لذلك قلنا ان هذا احق بالاية والله اعلم ثم اذا ثبت ان
مما لا يجب فيه الكفارة يحتمل ان يكون لم يجب من حيث لم يعص الله به ويحتمل ان يكون لم يجب لان سببه
كانت على ما كانت الحنث بعده او قبله فيمنع صحة اليمين وان اطلق لها الاسم اذا كانت الاسماء مطلقة لما
فسد من العقود وصحت وانما يختلف لها الاحكام والمقاصد منها فان كان لما لم يعص الله فيجب ان يكون في كل حنث
يؤمر به لا يجب به الكفارة فاذا جرت السنة بايجابها على الامر بالحنث قد يجب ايضا فيما كان فعل الحنث على كان
خطا او نوم او جنون او فعل غير الحالف فيم الحنث به على تعمد ان ياثم بغيره اذ قال الله عز وجل ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثبت انها تجب لا لانه لم يعص ولكن الوجه الذي ذكرت والله اعلم ثم كان ذلك المعنى قائما في اليمين
الذي تعمد عليه الكذب وهو ما قيل اليمين الغموس يجب ان لا يلزمه كفارة اليمين انما يلزمه كفارة فعل
الجراءة والمخالفة لله والله اعلم واما هذا الاصل وجهان احدهما استواء الامرين في اليمين المعقودة على
الحادث فيما عصى من الحنث فيها او اطاع ان يستويا في اليمين على المعاصي في الوجهين جميعا فاذا لم يجب
الكفارة في احد الوجهين لم يجب في الاخر والله اعلم والثاني ما روي عن نبي الرحمن صلى الله عليه وسلم في شان
اللعان بعد الفراغ منه ان احدكما لكاذب هل منكما تائب ومعلوم ان صاحبهما لو كانت تجب فيه الكفارة الى
البيان عنها اكثر من صاحبتهما الى بيان احدهما ثم لزوم التوبة اذ ذلك يعرفه كل سفيه وحكيم بلوسيع والكفارة
لا تعرف الا بالسمع ثبت انها غير واجبة وكذا الاخبار التي رويت في المحصنين انه قضى لاحدهما حتى ذكر فيه
الوعيد الشديد ثم امرهما بالتساهم بينهما وان يحل كل واحد منهما الاخر فلا يحتمل ان يكون فيه كفارة ولا يبين
وكذلك علم في الموضع الذي امر بالحنث اذ قد يشتبه على بعض من ليس له روية وقد قال اسحق اجمع المسلمون على ان
لا يجب فيه الكفارة نقول من يوجبها ابتداء شرع ونصب حكم لله تعالى على الخلق وهو لم يشرك في حكمه احدا ثم الاصل
في ذلك ان الاسباب التي ترفع العقود وتوجب الحرمات اذا تاخر العقود والاسباب الحل فهي على اختلاف فيها منفقه
على منع ابتدائها اذا قارنتها نحو ذلك تمام سبب الحنث فلذلك بطلت اليمين والكفارة وهي كفارة اليمين فلا يجب فيما
لا يمين يجب فيها وليس ذلك كالقول بمس السماء ونحو ذلك لان اليمين في هذا على ما يكون فسبب الحنث لم يقترن بها
فصحت لذلك اختلفنا لا اراد وهذه المسئلة توضيح حال رجلين الشافعي في قوله ان الكفارة تجب للحنث وههنا لا
حنث لما لم يصح العقد ليحنث فيه ويكون الحنث ايضا بعد العقد ولم يكن مما كان النص بالكفارة في اليمين المعقود
التي امر فيها بالحفظ ومحال الامر بالحفظ في هذه اليمين وانما يجب الحفظ عنها ان يحلف به والله اعلم وحال الى
عبيد حيث يوجب الكفارة بعقد اليمين وعنده اليمين الغموس يمين لا يجب فيها الكفارة فهذا يوضح ان
الكفارة تجب للذي يرد في اليمين لا لنفسها والله اعلم ثم احتج قوم بوجوب الكفارة بعقد اليمين بقوله
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ثم قال فكفارته اي عندهم كفارة ما عقدتم من الايمان بما فيها الا الاثم
ولم يبق غير ذكر العقد فيضاف اليه وكقوله ذلك كفارة ايمانكم اي الى اليمين وعلى ذلك تسمية المؤمنين كفارة
اليمين مع ما فيه وجهان من المعتبر احدهما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى بحمزة التعنة
ليمثلن بكذا من قريش فنزل النهي عن الوفاء بذلك فكفر عن يمينه ومعلوم انه لا يحنث في يمينه الا في الوقت الذي
لا يحتمل به مسلم في حيوته ثبت انها كانت لليمين وكذا ما جاء من حلف على يمين الى ان قال وليكفر عن يمينه انما
امر بتكفير يمينه والله اعلم والثاني ذكر ابو عبيد ان الله ادا نهي عن الوعد الا بالثنيا بقوله ولا تقولن لشيء اني
فاعل غدا الا ان يشاء الله فذلك النهي في اليمين اوكد واشد ممن حلف بترك ما عصى الله فليلزمه الكفارة و
الاصل عندنا ان الكفارة تجب للحنث في اليمين اذ هي كفارة والكفارات انما تكون للسيئات كقوله تعالى نكفر عنكم
سيئاتكم وغير ذلك من الايات ومن البعيد في العقل طلب تكفير الحسنات بل الحسنات تكفر السيئات والحنث في
التحقيق اسم الماثم ثم معنى الذنب فيه لانه كان عاهد الله ان لا يفعل كذا ففعله يخرج مخرج نقض العهد فيه
فياثم لا بالعهد ولذلك قال الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وفي
الجملة امر الله ان يوفوا بعهده لا ان ينقضوا وقد جعلنا اليمين عهده وامرنا بالوفاء فنقضه يوجب الحلف في
وعده والنقض لعهده فياثم الحالف لا بالحلف فلا تجب الكفارة ولو كانت اليمين كفارة لكان الحنث احق ان يوجب
الكفارة ثم لا يجوز ان يكون من حلف ان يطيع يكون به عاصيا ثبت ان الكفارة لو كانت تجب اليمين تجب لليمين
على المعصية فيجب ثم حق كفارة مثلها الحنث فيها وعلى ذلك روى ابو هريرة رضي الله عنه اي من حلف على شيء
فراى غيره خيرا منها فانما كفارته اتيان الذي هو خير فكذلك يكون كفارة اليمين لو احتملت ان ترجع عن الوفاء بها

واما كفارة ما لا وجه لدفعه تكون بالتوبة والحسنة تكفر لا بالرجوع وعلى ذلك جميع انواع الكفارات
ان ما احتمل دفع الحقيقة والرجوع عنه ونقض ما قد فعل وما لا يحتمل فيعتبر ذلك فلو كان لليمين كفارة
لكانت توبة فيما لا عزفاذا اوجب الله غير الرجوع ثبت ان ذلك للحنث والله اعلم ثم الدليل على ان لا يحتمل ايجاب
الكفارة بعقد اليمين اوجه احدها ان العقد يخرج مخرج التعظيم لله والتبجيل جعله مفرغا له وما منا للحلف
عنه ولذلك جعلت الايمان لدفع التوهم وتحقيق الامر للخلق عن الحالفين واية ذلك اوجه احدها ما
روى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حلفتم فاحلفوا بالله وقال لا تحلفوا بابائكم ولا بالطواغيت
فحذر الحلف بغيره بما فيه تعظيم ذلك ودفعه عن قدره والزم ان لا يجعلوا لاحد ذلك القدر الا الله
سبحانه وتعالى والثاني قوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ولا يجوز
ان ينهى عن الرجوع عن المعصية ويؤمر بالوفاء بها والثالث الامر الظاهر عن نبينا الرحمة للحلفه وقسمه
في غير موضع وما ذكر في قصة يعقوب واولاده وابرهيم عليه السلام في شان الاصنام وامر ايوب عليه
السلام لم يجز ان يكون عصاه بفعلهم وذلك ينهى عن جراءة من زعم ان الحالف عاص بما ترك الثنيا ومن
ذكرنا من الانبياء عليهم السلام قد تركوا الثنيا وليس ذلك كالوعد لانه الى نفسه ينيف الفعل وهو
يفعله تحت مشية الله تعالى وفي اليمين يجالله يستغيث واليه يفزع فلذلك اختلف الامران والله اعلم والدليل
على انها لم تجب باليمين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات بالذي
هو خير وليكفر يمينه او قال فليكفر يمينه وليات الذي هو خير ولو كانت الكفارة واجبة باليمين لكان
الاوجه الامر بالذي بالى وهي واجبه ويقول من حلف على يمين فليكفر يمينه فاذ لم يقل ولكن قال فيما كان
ثم حنث ثبت انها لا تجب والله اعلم ووجه اخر اتفاق القول انه اذا كان مع اليمين فلا كفارة عليه واذا كان
معها حنث تجب فلو كانت تجب باليمين لكانت هي عند الوفاء اوجب فالكفارة فيه يكون اوجب فاذا لم يكن الذي
ثبت انها بالحنث وجبت والله اعلم وايضا ما اجمع ان من حلف ان لا يقرب امراته بشيء لا يلزم فيه حكم
الايلاء فلو كانت الكفارة تجب باليمين لكان الحالف به عند الفراغ عن يمينه صار بحيث لا يلزمه من بعد
شيء فتجب ان يستحق الايلاء فاذا بقي عليه حكمه جاء بذلك كتاب وجرت به السنة ثبت ان
القول بوجوبها قول مهجور والله اعلم فاذا ثبت هذا رجع تاويل الاية الى وجهين احدهما قوله ولكن يؤاخذكم
بما قد عقدتم من الايمان كقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فان تركتم ذلك فكفارته كذا و
الثاني ان يكون على اضمار حيث يؤاخذكم بحنثكم فيما عقدتم وذلك عن مد فوع في حق الكفارات كقوله تعالى
فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه الاية لا على الوجوب بالعذر ولكن باستعمال الرخصة فيه اذ لا يكون
العذر سببا لايجاب فمثله في الاول لا يكون تعظيم الرب سبب ايجاب الكفارة فيصير الحنث فيه مضمرا والله اعلم و
الاضافة الى الايمان على ارادة الحنث فيها كاضافة كفارة الفطر الى الصيام والله تعالى الى الحج والسجود والى
السهو وان كانت الكفارة ليست لما اضيف اليه اية ذلك ما ذكر والله اعلم وتكفير رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمينه لانه قد عصم عن المعصية وفي الوفاء بذلك معصية اذ نهي عنه ويمينه كانت قبل النهي فصار اليسا
عن البر بذلك وبذلك يكون الحنث لا بعدم امكان الوفاء لكن عن اذ لا يؤمن منه العصيان فذلك وقت اياسه
عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قد عصم عن ذلك فوقت اياسه وقت النهي ولا قوة الا بالله وقوله
عز وجل اطعام عشرة مساكين في معارف اللغة على التقريب لتاكلوا لا على التمليك وكذلك الامر المتعارف
بين الخلق فيما ينسب بعضهم الى بعض الاطعام واية ذلك قوله او سط ما تطعمون اهليكم ولا يعرف التمليك
في اطعام الاهل ولا خطر بال احد ذلك وقد عرفهم الله تعالى ما فرض عليهم بالذي كان علم عند كل احد علوما
اذ قل انسان يخلو من ان يكون اهلا لاحد او له اهل فلا يحتمل ان يطلق باحد الجهين من حيث بينه فيكون ذلك الزام الوزر
مع رفع وهم الجهل مع رفع وهم الجهل به عن القول ثم لا نعرف بها والله اعلم والذي يوضح هذا من طريق العبرة انه
ذكر في ذلك اطعام عشرة مساكين والمسكنة هي الحاجة وحاجة المسكين الى الطعام معلوم انها يكون الى اكله
دون ملكه وجهات حاجات الاملاك فيما بقي المساكين وغيرهم سواء قد رد ذلك بالكفاية والشبع وحق ذلك في التمليك
يسلم لا في التمليك عليه ولكن يجوز التمليك بما به التمكين لذلك فيجب بذلك الجواز بكل ما فيه تمكين ذلك به او ما كان
وجواز التمليك بحق التمكين لا بحق النص مما كان في تمليك الثمن الوصول الى ما يحتاج وهو على الوجه الذي يختار لا على
فان ذلك اقرب الى قضاء حاجته ولو كان الامر على تمليك الماكول خاصة لكان الدعاء والتقريب اليهم للتمليك اوقات

يجوز لوجهين احدهما انه اقرب الى دفع الجوع وسد المسكنة من تمليك ما لا يصل اليه الا بعد تحمل المؤنة وطول المدة
والثاني ان الكفارة جعلت بما ينفر عنه الطبع ليذيقه الم الاخراج من الملك والبذل فيكفر ما اعطى نفسه من الشهوة
التي لم يؤذن فيها وكذلك معنى الحسنات المكفرة للسيئات ثم كان دعاء المساكين وجمعهم على الطعام وخدمتهم و
القيام بين ما فيه لا الاختيار له اشد على الطبع من التصدق عليهم فيجيء ان يكون اقرب للتكفير به وعلى ذلك يجوز
بدل الثمن لما فيه تحمل المكروه على الطبع كهو في الطعام فيجوز سيما اذ جعل ذلك حقا للمساكين يخرج من عليه
بالتسليم اليهم من طوع منهم ويجوز مثله من التبادل في جميع الحقوق فمثله عن الكفارات والله اعلم على ان اصحابنا
قال فما استيسر من الهدي ويجوز فيه غير ذلك التقويم وكذلك في كل الصدقات والله اعلم ثم جعل ذلك الكلتين لوجهين احدهما
القول باطعام المساكين ثم اريد به دفع المسكنة والمسكين هو الخاضع فاحق من يستحق اسمه السائل لانه يخضع
للمسؤل بالسؤال وقد روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال في يوم الفطر اغنوهم عن المسئلة في مثل هذا
اليوم ثم كان اقل ما اخبر فيه نصف صاع من حنطة فعلى ذلك صدقة المسكين ومثل ذلك اذا اطعم يكفي مرتين
وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفارة المتاذي ثلثة اصوع بين ستة مساكين فمثل مقدار
طعام المساكين فيما اريد لا لاطعام القدر ذلك فمثله ما نحن فيه وذلك يعدل الكلتين وبه قال عمر وعلي رضي
الله عنهما والثاني انه عز وجل قال من اوسط ما تطعمون اهليكم والاوسط فيما له حد وثلثة يرجع ذلك
الى وجه ثلثة احدها الى الاوسط من صفات الماكول والثاني الى الاوسط من مقدار الاكل والثالث الى
الوسط من احوال الاكل فالاول نحو الاجود والارذى وبين ذلك والثاني نحو مرتين وثلثة مرات في يوم وما
بين ذلك فاذا لم يثبت فحيثما اليه رجع المراد نحو الاحتياط ان يكون الوسط من الكل ليخرج بما فرض عليه
بذلك وجب الكلتان معا حقيقة الواسط من الانواع والمقادير لما لا منتهى لطرفه وقد يعرف حقيقة عدد
الاكثر والاقل من الوقت فهو ان يعتبر والله اعلم ثم كان الامر في الظاهر بالاطعام واجمع على رجوع الامر
الى الحد وان لم يذكر فهو والله اعلم يحتمل ان يكون انتزع حده من حكم الكتاب من وجهين احدهما ان الاية
اذا كانت على ما يؤكل ويطعم كان فيما عليه الوصف ان لا احد يقرب الى اخر ما يطعمه فيقتصر على اقل ما
سمه وقد يتصدق بالقليل في العرف فلذلك في الامر فيه به تحديد اذا كان بما يوقف فيه التحديد وذلك
لم يذكر فيه التفسير مرفوعا وذكر في قصة المتاذي لما ليس في لفظها ودلالة المحدود وفي لفظ الاطعام دلالة
فيه عرف وعلى هذا امر ما جاء من البيان في الصدقات ولم يذكر في الاطعام الامكان النوازل وعلى هذا يجب ان
يجوز الاطعام ايضا وان لم يكن فيه تمليك والله اعلم والثاني قوله تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم ومعلوم ان
كل شيء له واسط فهو وحد وقد عرف على انه رد الى طعام الاهل وفيه الاشباع لا محالة لذلك وجب القول بالحد والله
اعلم واذا ثبت المقدر فيه بحق الخطاب يجب ومثل ذلك به ليعرف بحقيقة المقصود والله اعلم وكانه قال اطعام عشرة
في العرف عبارة عن قدر طعامهم وطعام عشرة عبارة عن فعل الاطعام وقد ثبت انهما ارتداجميعا فكانهما ذكرا
موصولين ولو توهمنا ذلك لم يكن يجوز حفظ العدد بل يجوز حفظ مقدار ذلك العدد من الصيام كان مدفوعا
الى الواحد واكثر والله اعلم لذلك اجاز اصحابنا جمع الكل في مسكين واحد عشرة ايام ولم يجز في يوم واحد
وحق الامر على ان يغدى ويعشى وان كان يجوز الدفع لما فيه حق الاطعام فيصير طعام كل ذلك وهو دون كل
مسكين فيزول عنه المسكنة لكن الاطعام فيه لا يجوز واذا كان حق ما ذكرت الجواز فسد معنى اعترض فيمنع
لا لانه خارج عن ان يراد له على ذلك وذلك لخروج بعض المساكين لعلل عن الدفع اليهم لا لانه لو اجيز كان
كالخارق للذكر فمثله الاول والله اعلم ودليل اخر مما يجري ذكر عشرة لا لان يجعل العشرة شرطا انه معلوم
بالمعنى الذي له جعل الدفع اليهم او الاطعام لهم سببا للجواز ان ذلك بحيث تحمل المكروه على الطبع وكف الهوى
عن شهوتها واذاقة النفس مرارة الدفع لله جل ثناؤه بكفرها اتبعها هواها واوصلها الى مناها فيما خالف الله في
ضله حيث لم يف بالعهد الذي عهد الله او الزم نفسه عهدا من منع عن الوفاء فيخرج فعله بخروج فعل ناقض
العهد وتخلف الوعد بالله وذلك المعنى في البذل لا في مراعاة العدد ولا في انه كان حقا لهم قبل الدفع بل
باختيار الدفع اليهم يجعلهم محقين فيه بما له ايثار غيرهم والخروج عن ذلك بالعتق والصيام الذي لا يعود
اليهم نفعه ولكن الكفارة اذا جعلت مما يغدى ويعشى ونحو ذلك اذا اريد الخروج منه بمسكين واحد يحتاج
الى تجديد الايام ومرور الاوقات وفي ذلك خوف بقاء الذنوب عليه ولعله يحمله المنية فيبقى دينه
غير مكفر جعل الله له التكفير في المساكين تيسيرا وتمكينا من الخروج الذي ذكرته لا لعوت معنى بما له التكفير

فلذلك يجوز على ما ذكرت وهذا الوجه يوجب منع الجواز في يوم واحد والله اعلم وبعد فانه متى اطعم مسكينا
بقي عليه خطاب اطعام تسعة وذلك لو ابتداء الخطاب بتسعة مما يتضمنه الخطاب فكذلك اذا كان بعد اسقاط
الواحد من الخطاب والله اعلم ثم لو كان العدد شرطا لكان بوجود معنى العدد في الواحد اسقاطه اذ ذلك
في موضع التكفير والتطهير وكل ذلك يتعلق بالمعاني مما ذكرنا من الاعداد نحو الغسل من الاحداث الجنابة
والانجاس فمثله الكفارة وبعد فانه معلوم ان لكل مسكين قدرا من الطعام ثم كان القدر الواحد يتفرق
الامداد عليه يستوجب حق قدر العيش فمعنى ذلك المسكين الواحد بما يتفرق عليه المسكنة كل يوم و
يجدد الحاجة يصير كعدد المساكين وذلك ايضا شبيه بما روي من الاستنجاء بثلثة احجار على استحقاق
كل حرف من ذلك حق حجر على حدة من حيث كان غير مستنجي به فكذا ما نحن فيه اذ له كل يوم حق مسكين اخر
من حيث حدث له حاجة لم تدفع بالاطعام الاول والله اعلم وليس كالاعداد في الشهادة لما جعل الاعداد
فيها بما يلحق الواحد تهمة او لديه منفعة التصديق او نوع عبادة في موضع الحكم والقضاء وتسليم
الامر لغيره من الحج وفي هذا معنى التكفير قد بينا وذلك كمعنى التطهير في الذي وصفنا على ان الشهادة في
اليوم الثاني اعادة الاول والاطعام هو تجديد الدفع والواحد قد يقوم في الشهادات مقام ما ثبت
اذا كان الحق التجديد والله اعلم ثم قوله تعالى عشرة مساكين من غير ذكر القريب والبعيد والمؤمن والكافر
والصغير والكبير او قدر المسكنة او العلم الذي به نعرف ومعلوم ان لكل جهة مما بيناه حد بالناس
الى معرفة حاجة وللناس في كل جهة تنازع والاجتهاد في الوقوف على الحقيقة على الانفاق وعلى انه لم
يجعل الامر على الاسم خاصة وان الذي هو في حق الفقر فيما ذكر فيه المسكين والفقير مقام المسكين
ههنا في الجواز ليعلم ان المعنى فيهم مقصود يجب طلبه والبحث عنه والله اعلم ثم اجمع ان الصغير
الذي قدر اللقمة لغنية الكبير لم يقم في حق الاطعام الا من حيث التمليك اذا اجمع على اقل المقدار انه قد
والمد يكفي عشرة مثله ثبت انه لا الى مثله رجع الخطاب وايد ذلك قوله تعالى من اوسط ما تطعمون
اهليكم ان مثله لا يبلغ اقل ما يطعم الاهل على انه لو اريد بالاهل الزوجة لكان مثلها لا يطعمها الزوج
فثبت ان المراد راجع الى الخصوص والله اعلم والاصل في ذلك ما بينا من تمام الطبع بدفع مثله واي
يوم يميل الطبع الى ارضاع مثله بل لا يحتمل ابتغاء له وبعد فالا مثله لا يطعم فثبت ان الامر راجع الى
واحد والله اعلم وعلى ما ذكرنا قالوا في الوالدين والولد انه لا يجوز لان الطبع بالم مسكنته هؤلاء لا يمابه دفع
المسكنة عنهم بل جعل الله تعالى الصنايع بين هؤلاء بحيث لا يحتمل نزول البلاء والشدة بهم وبحسب جهده كف
بدفع الضر عنهم على بذل الدفع على نفسه وبذل المال لصون عرضهم حتى لقد شتم من لم يتعاهد منهم ذلك
ويلزمهم اعظم اللوم واذا كان كذلك لم يتضمنهم هذا الامر اذهم لا بهذا يقومون بل لك بحق الطبيعة لا بامر
وقد بينا وجه الكفارة انه في مخالفة الطبع والله اعلم وعلى ذلك ما روي عن الذي امر بتفريق زكوته
فاعطى ابنه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان لك ما نويت وقال للاخر لك ما اخذت
ولو كان يجوز اختيار مثله لكان ذلك اجب ما صار اليه وايضا قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال انت ومالك لابيك فلا يحتمل مع هذا الجواز بالاختيار ويصير ما يدفع الى ابنه كان له وما يدفع الى
الى ابيه كان لنفسه دفع فلذلك لم يجز والاصل في هذا وفي الزكوات انها حقوق جعلها الله تعالى في الاموال
لوجهين احدهما الابتداء الله عبيده بالنعم وخصهم باعطاء ما شتهت انفسهم ومالت طباعهم فاستاداهم
شكر ذلك بالذي جعل في طباعهم النفار عنه وفي انفسهم الالم به من الاخراج عن الملك وعوز من لم
يكرمهم ولا انعم عليهم به والثاني ان يكونوا فرقا فاثما اعطوا انفسهم ههنا واوصلوا طباعهم الى هواها
بغير الوجه الذي اذن في ذلك من هو له في الحقيقة وهو الذي امتحنهم فعليهم الخروج بما فعلوا
من الوجه في الطبع النفار عنه وفي النفس الالم به ليذيقوا انفسهم بدل ما اعطوها من اللذة المرارة فثبت
هو من المتصدق بالمحل الذي يجد به هذا فهو متمايل لما له اكرم وبه اشرف ومن لا يجد به هذا فليس بمقابل
ذلك فلم يتحقق فلم يخرج مما عليه من الغرض وان كان الله يكرمه وجوده بحيث يرجى من العفو عنه التجاوز
والله اعلم وعلى ذلك عندنا امر الزوجين اذ يوجد بينهما في البذل شهوة وميل الطبيعة ويكون التناكح
بمثله على ما ذكر من النكاح لاربعة اوجه احدها لما لها وما كذلك الموجود في الطباع والله اعلم وعلى هذا
المعنى يخرج امر الشهادة اذ هي مؤسسة على دفع تهمة الامانات وهي بحيث لو مناه الانتفاع بها فكل وجد فيه

انتفاع المؤمن فانه اذا لا انتفاع به ثم مانع في العرف او بما في الطبع ابنا لنفعه فكان له فيه ما يرد الجعل ايضا
فلا يثبت له الامانة والله اعلم وعلى هذا يخرج امر الدفع الى المكاتب والشهادة له والله اعلم ثم الدفع الى الكفارة
القياس ان يجوز جميع ذلك من حيث كان المعنى الذي له يختار في الدفع اليهم او يجد من ثقل الطبع والم
النفس وعلى ذلك اجيزت عندنا الكفارات وايد ذلك قوله تعالى ان تبدوا الصدقات الى قوله ونكفر عنكم
من سياتكم صير الصدقات بكثرة لما ذكرتم يدل على ذلك فيما قال اهل التفسير في قوله ليس عليك هديهم الاية
ان ذلك في التصدق على اهل الكفر اي لا يمنعك ذلك وكان على اثر الوعيد بالتكفير بالصدقة فامكن ان
يكون نوع في ذلك مما كانت الكفارات جعلت بشرط المسكنة ويبيح في المسلم دفع السوال وان كانوا كثرة
فجائزا الدفع اليهم وحقيقة ذلك ان ذلك بما اختار من اعطاء النفس شهواتها فيما لم يؤذن له فيكون الكفارة
بالكف عن شهواتها فيما كان يحل والبذل بالذي كان يسعه منع ذلك وذلك المعنى موجود في ذلك ثم ان
المتصدق عليهم نقض ما يرغبهم في الاسلام لم يجز المنع والله اعلم واما الزكوات فهي مخصوصة بما جاء من
اضافة الدفع الى من يؤخذ من فيهم ولما بين اهلها وجعل عليها سعادة يتخيرها المواضع واما الكفارات
جعل الى اربابها ايجابها والخروج منها في تخير اهلها مما كانت الزكوات اوجبت بلا كسب بحق الشكر وحق الشكر
الانفاق في الطاعة ثم كان الانفاق على من يطيع الله به يخرج مخرج المعونة على الطاعة وعلى الكافر لا ينقض عن
شرط التمام في معنى الشكر والكفارة في حق اعطاء النفس الشهوة فيمتحنها باخراج ما في شهواتها المنع وذلك
المعنى موجود في الكافر على التمام لذلك اختلفا وبعد فان الزكوة تجب بلا ايجاب وقد قطع الله الحق الذي
ذلك سبيله ثم بين مختلفي الملك بحق المواريث والكفارات تجب بما اكتسبوا وبين الفريقين في الحقوق
المكتسبة اشتراك ولا قوة الا بالله والاصل في ذلك ان الزكوات اوجب في الاموال حقا للفقراء ثم لم
تخرج الى من اوجبت لهم فالم يعلم من اوجبت له لم يخرج على مثل حقوق المواريث للقرابة وغير ذلك والكفارات
ليست بواجبة في الاموال يخرج بمنظر الى وقت الدفع والقيام بالتكفير فان كانت له اموال دفعها منها
والا ليست عليه فصارت الحقوق كانها بالدفع اذ لو توهم وقت الوجوب له الغنى والفقر لكان الامر
لا يختلف واذا كان كذلك وله ابتداء المتصدق عليهم بحق التطوع والنذور وغيرها فيجوز فيهم الزكوات
اذ الدفع منها تسليم الى من كان له الحق احتج في ذلك الى تبيين ذلك والله اعلم وصدقة الفطر بحق اظهار
السرور ودفع السوال كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اغنوهم عن المسئلة في مثل هذا اليوم لا يحق
ما كان جعل في ماله يخرج منه بل يحق المعونة وذلك لازم في العقول لكل سائل وللحاسة في الدفع اليهم يمتنعوهم
بما فيه سرور واهل الاسلام والله اعلم وايضا ان الزكوة وجبت في الابتداء حقا للفقراء اذ الله سبحانه وتعالى
اخرج ارزاق الخلق ملوكا لبعضهم والزمهم تحمل كفاية من لم يملكهم اعين تلك الاموال اذا لم يخلق ابتداء
الخلق لهم الجملة واذا كان كل الزكوات في الابتداء وجعل لاهلها من الغنى واهل الكفر ابو قبول
الدين الذي ذلك حق جعل للمحتاجين في اموال الاغنياء فلم يكن لهم في مذهبهم ذلك الحق بل لو كان
في اموال الاغنياء فلم يكن لهم مذهبهم ولاهل الاسلام ان في ذلك الحق في اموال اغنيائهم وكذلك من عليهم
الحق فبلوه بالدين لا اصله لم يدخل في ذلك غيرهم ثم كانت الكفارات والنذور ونحوها ليست يجعلوه
بالدين لحق الفقراء وانما هي واجبة بتعاطي ارباب من لزمهم ليتقربوا بها الى ربهم ويخرجوا بها لما جنوا على
مذهبهم وقد جعل ذلك في جملة الصدقات وفي انواع العبادات التي لا عبرة فيها لمنافع الخلق فثبت انها
لم تجب لهم وانما الشرط عليهم فيها ما يكون عبادة قربة الى الله تعالى في الدفع الى مساكينهم قربة وعبادة
فجازت وعلى هذا يخرج قولنا في العتق على ان قولنا لجميع المخالفين لنا في هذا اولى لان مذهبهم اعتماد
العموم الا في قدر ما يمنعهم عن ذلك والعموم يجمع الفرق كلهم باسم المساكين واسم تحرير الرقبة ولا
دليل لهم على الخصوص الا ضرب من القياس ومن مذهبه ان اخراج بعض ما تضمنه الاسم لا يوجب خصوص
ذلك فكذا يكونهم ان لا يخطوا الوجوه التخصيص من غيره ان ذلك العبد على انهم اجمعوا ان تماسب
ما ليس فيه ذكر التتابع على المذكور فيه امر الايمان وجملته انه قد يجوز في العتق مع قيام كثير من العيوب
التي لا يحتمل التغير فعيبا الذي الذي يمكنه احق وكذلك من قول الجميع ان العجز بالمرض عن المكاسب لا
يمنع اذ هو قد يزول فالذي لا عجز فيه فيمكن اختياره احق ان يجوز والله اعلم ثم الاصل ان الله تعالى
في الكفارة التي جعل الايمان فيها شرطا ذكر العتق في ذلك في قتل نفس خطأ ذكر في كل مرة تحرير رقبة

يومئذ لم يدع ذكر ذلك في شيء منها للذكر في نوع من ذلك على قرب ما بين اولئك الاسباب فلو كان يجتمع
الاقتصار على بيان الكفاية دون المبالغة او يجب ذلك في النظر لكان يذكر مرة كفاية على نحو الصوم
فاذا لم يكتف على تقارب المعنى بان ذلك نوع ما لم يرد فيه تعليق الحكم بالمعنى بل لو كان مأذونا فيه
لكان يوجد في القتل معان لا توجد في غيره ذلك فلا يجوز قياس غيره عليه والله اعلم فان قال قائل اذا قال
الله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ثم جعل سببه الظهار والقتل عتق رقبة وبالصيام صوم شهرين
متتابعين فكيف جعل مثل سيئة الحنث بالعتق عتق رقبة وبالصيام ثلثة ايام فلو كان ثلثه عدل
العتق فما زاد في الظهار والقتل في الجزاء فنقول وبالله التوفيق لذلك اجوبة ثلاثة ان الجزاء في الدنيا
هو ما يجوز المحنة ابتداء لا على الجزاء فعلى ذلك يجوز فيه الزيادة بحق المحنة لا الجزاء والنقصان بحق العفو
كما قال الله عز وجل حكيم عدل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات وفي الاخرة
لا يكون بحق ابتداء المحنة انما ذلك بحق الجزاء وهو عز وجل حكيم عدل لا يزيد على ما توجبه الحكمة ويجوز
التجاوز عما هو عفو كريم فلذلك اختلف الامران والثاني ان يقال حق جزاء كل ما فيه العتق صيام
شهرين متتابعين ولله العفو فيه عما سوى الحانث فرضي منه بصوم ثلثة ايام لما علم عز وجل في ذلك
من المصالح والله اعلم والثالث ان يكون حق الجزاء في اليمين بالصيام ما ذكر وكذلك في القتل والظهار
وفيهما حق العتق كذلك وفي اليمين دون ذلك لكنه تم بما لا يحتمل التجزية على حق كل شيء لا يتجزى ايجاب منه
متى وجب يجب كله فصل ذلك العتق والله اعلم ثم نقول وظاهر هذا يشهد لابي يوسف ومحمد رحمهما الله
انه متى اوجب جزءا منه عتق كله اذ لا يحتمل التجزية دليله امر الكفارات والله اعلم ومذهب ابي حنيفة
رضي الله عنه انه يحتمل ان يكون هذا لما لا يحتمل العتق التجزية وان كان العتق في نفسه محتملا فيجب
عرض ذلك على ما فيه بيانه فوجد الامر بالتحرير حيث كان يذكر الرقبة ولو كان لا يحتمل من حيث التحرير
كان يغنى عن ذكر الرقبة ما ذكر في كل ما امر به انه ذكر ليتم بالاعتاق لانه يتم بلا ذكر فعلى ذلك الامر بالطلاق
لم يذكر فيها معنى رتبتها لما لا يحتمل والله اعلم بعض ذلك ثم كانت الحقوق ترجع الى الانتفاع او فوت
او مضرة او نحو ذلك لا يحتمل نحو ذلك المعتق منه دون غيره ثبت ان ذلك اذ كان كذلك فهو لما لا يحتمل
حقوقه الكل اذ في ترك الكل فوت تبع ما اوجب والله اعلم ثم قد يجوز اعتاق الجزء من حيث كان الملك والحرية
بالخطا العين والمنافع تصل الى المباشرة والمباشرة لا تحتمل التمييز وفي العقود فيه جملة يحتمل لذلك اختلفا
على ذلك امر الطلاق لا ملك ثم في النفس فما حقيقة المباشرة والانتفاع وذلك لا يحتمل الجزاء المطلق
منها اوجب دون غيره فلذلك الكل والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس الاية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الميسر القمار وعن النبي صلى الله عليه وسلم اجتنبوا هذه الكعاب
الموسومة التي تزجر زجرا فانها من الميسر وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وعن ابي موسى الاشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وعن ابن عمر رضي الله عنه قال الميسر القمار وعن علي
رضي الله عنه قال لان اخذ جمرتين من نار فاقلبهما في يدي احب الي من ان اقلب كعبتي نرد وعن علي رضي الله عنه
ايضا قال الشطرنج هو ميسر الاعاجم وعن مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وهؤلاء السلف قالوا الميسر القمار
كله حتى الجوز الذي يلعب به الصبيان وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا جلب ولا جنب ولا اشغار ولا وراط
في الاسلام وقيل الوراط القمار وقيل الجلب هو ان يجلب وراء الفرس حتى يدنو او يحرك وراء الشيء يستحث
السبق والجنب هو الذي يجنب مع الفرس الذي به يسابق فرس اخر حتى اذا دنا تحول راكبه الى الفرس المجنوب
فاخذ السبق واجمع اهل العلم على ان القمار حرام وان الرهان هو المخاطرة مثل القمار وما روي عن ابي بكر رضي الله عنه
انه خاطر اهل مكة في غلبة الروم فارس فقال النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في الوقت لم ينفسخه فانما في دار الاسلام
فلا خلاف في ان ذلك لا يجوز الا ما رخص فيه من الرهان في السبق في الدواب والابل اذا كان الاخذ واحدا ان
سبق اخذ وان سبق لم يدفع شيئا وكذلك ان كان السبق بين الرجلين ايهما سبق اخذ وان دخل بينهما المحلل فاما
الرخصة فيه فما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا سبق الا في خف وحافر او نصال
هو الذي وصفنا كل من الميسر والانصاب هي الاحجار والاوثان التي كانوا ينصبونها ويعبدونها وينحرون بها اما
الازلام فالقداح التي يستقسمون بها في امورهم ويستعملونها ففيه دليل بطلان الحكم بالقرعة لان الاستقسام
بالقداح هو ان كانوا يجعلون الثمن على الذي خرج سهمه اخيرا ويتصدقون بما اشتروا على الفقراء ففيه ايجاب

الثمن على الغير فيجعلون الامر الى من ليس له تمييز فعوتبوا على ذلك الحكم بالقرعة لتسليم الى من ليس له تمييز بين
المحق وغير المحق فيلحق هذا ما يحق اولئك ثم اخبر ان ذلك كله رجس من عمل الشيطان وليس هو في الحقيقة
عمل الشيطان لان الشيطان لا يعمل هذا حقيقة لكن نسب ذلك اليه لما يدعوهم الى ذلك ويزين لهم
وكذلك قول موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان انه كذا وكذلك قوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه و
هو لعنه الله لم يتول اخراجهما ولكن كان سبب الاخراج والازلال وهو الدعاء الى ذلك والمراد لهم فنسب
ذلك اليه والله اعلم عز وجل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر هم في الظاهر
لم يجتمعوا على العداوة والبغضاء بل يكون اجتماعهم على الالفة والمودة على ذلك يجمعهم في الابتداء لكن
لما شربوا واخذهم الشراب وقع بينهم العداوة والبغضاء فكان قصده الجمعهم في الابتداء على المحبة والمودة
ما ظهروه في العاقبة من ايقاع العداوة بينهم وتفريق جمعهم وهو كقوله تعالى يدعوهم الى عذاب السعير
ولو دعاهم الى عذاب السعير لكانوا لا يجيبونه لكن دعاهم الى العمل الذي يوجب لهم عذاب السعير
فعلى ذلك هو يدعوهم الى الاجتماع في الخمر والميسر الى ما يوجب ويقع بينهم العداوة والبغضاء ففيه
ان الاعمال ينظر فيها العواقب كما روي الاعمال بالخواتيم وفي الاية دليل تحريم الخمر لانه قال رجس من عمل
الشيطان والرجس حرام كقوله تعالى فانه رجس او فسقا وما يدعوا اليه الشيطان ايضا حرام ولكن الذي قال
قل فيهما اثم كبير والحلال المباح لا اثم فيه ولا يسمى رجسا وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قام فخطب الناس فقال يا ايها الناس ان الله يعرض عن الخمر تعريضا لا ادري لعله سينزل فيها ثم قال
يا اهل المدينة ان الله قد انزل تحريم الخمر فمن كتب هذه الاية وعنده منها شيء فلا يشربها ولا يبيعها قال
فسكبوها في طريق المدينة وعن عمر رضي الله عنه قال لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شفاء فنزلت الاية التي في البقرة يسألونك عن الخمر والميسر فقرئت عليه فقال عمر رضي الله عنه
اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فنزلت الاية التي في النساء لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فكان
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة لا قال لا يقرب الصلوة سكران فدعي عمر رضي
الله عنه فقرئت فقال اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فنزلت الاية التي في المائدة انما يريد الشيطان ان
يوقع بينهم العداوة والبغضاء فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فلما بلغ فهل انتم منتهون قال انتهينا وعن
انس بن مالك رضي الله عنه قال كنت ساقي القوم ونبيذنا تمر وزبيب وبسر خلطنا جميعا بينا نحن كذلك
والقوم يشربون اذ دخل علينا رجل من المسلمين فقال ما تصنعون والله لقد انزل تحريم الخمر فاهرقنا
الباطية وكفأناها ثم خرجنا فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر يقرأ هذه الاية ويكررها
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الى قوله فهل انتم منتهون فالخليطان حرام
فاجمع اهل العلم ان الخمر حرام قليلها وكثيرها وان عصير العنب اذا غلا واشتد فصار مسكرا خمر واختلفوا
فيما سوى ذلك من الاشربة فكان ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله يقولان ما كان من الاشربة يتخذ منها
من النخلة والعنب فهو حرام كنبيذ البسر والتمر والزبيب اذا اسكر كثيره فهو حرام عندهما وعلى ذلك جاء
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر من هاتين الشجرتين من النخلة والعنب فلا يحرم وان
كان يعمل الاسكر منه لان غيرهما من الاشربة قد يتخذ لا للسكر وانه كان في مكان لا يتخذ الا للسكر فهو مكروه
قليله وكثيره كالمتخذ من النخلة والعنب وكانا يقولان ما كان من الانبذة مطبوخا فهو حلال وان قل
طبخه الا العصير فانه لا يحل بالطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكانا يفرقان بين العصير وغيره بان
العصير ليس فيه شيء من غيره وان ترك بحاله غلا فاسكر فاذا طبخ حتى يذهب ثلثه او نصفه فهو يغلي
ويسكر فلم يخرجه الطبخ من حده الاول اذ كان يسكر قبل ان يطبخ وهو الان يسكر بنفسه اذ لم يجعل فيه
شيء غيره وسائر ما يتخذ منه الانبذة ان بعثت لم يشتد ولم يسكر حتى يلقى عليه الماء ويخلط بها غيره
فحينئذ يسكر في مثل العصير اذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ان بقي دهرا لم يسكر حتى يلقى عليه الماء فح يسكر
فاذا العصير في حال الا بقي مرة لم يغل بنفسه حتى يلقى عليه غيره كان بمنزلة الزبيب والتمر اذا القي
عليهما الماء فطبخا وعلى ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه في الطلاء انه لا يحل حتى يذهب عنه سلطانه
يقول اذا كان يغلي بنفسه من غير ان يصب عليه الماء ففيه سلطانه فاذا صار لا يغلي بنفسه وهو ان يطبخ حتى
يذهب ثلثاه فقد ذهب سلطانه وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان ابا عبيدة ومعاذ بن جبل و

وابا طلحة رضوان الله عليهم كانوا يشربون من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وقد وصفنا قول
ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله بين المطبوخ وبين المثلث والمنصف من العصير وانما فرقهم
بين المطبوخ ما يتخذ من النخلة والعنب والني منه فهو الخمر التي لا خلاف في تحريمها في العصير التي
يصير خمرا فكل ما كان يناسب الشجرتين اللتين سماها النبي صلى الله عليه وسلم فهو حرام اذا اسكر فاذا
كان مطبوخا فقد حصل فيه خروج من حد الخمر فان قيل يجب ان يقال ذلك على النبي لانه يسكر وفيه صفة
الخمر قيل الخمر حرمت لعينها لما لا تتخذ الا مسكرا ولا يقاس عليها غيرها وانما يقاس على ما حرم وحل لعلة
دون ما حرم بعينه واما غيره من الانبذة فانما يحرم منه السكر الا ترى انه في الخبر ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قال له ابو موسى ان شرابا يقال له النبع فما نشرب
منه وما ندع قال اشربوا ولا تسكروا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حرمت الخمر بعينها قليلها
وكثيرها والسكر من كل شراب وعن علي رضي الله عنه قال ما اسكر من النبيذ ثمانون وفي الخمر قليلها
وكثيرها ثمانون فدل قول علي رضي الله عنه فيما اسكر من النبيذ ثمانون معناه في السكر ثمانون
وذلك يدل ان قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ان اسكر منه حرام وعن عمر رضي الله عنه
انه اتي بسكران قال يا امير المؤمنين انما شربت من نبيذك الذي في الاداوة فقال عمر رضي الله عنه
لست اضربك على النبيذ انما اضربك على السكر فهذه الاخبار التي ذكرنا دلت على تحريم الخمر بعينها والسكر
من كل شراب وقوله عز وجل ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة يدل على تحريمها لانه اذا اسكر صده
عن ذكر الله وعن الصلوة وقوله عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول في تحريم الخمر والميسر والانصاب
وغيرها واحذروا معصيتها وخلافها فان توليتم عن طاعتهما فيما حرم عليكم وحذركم عنه فاعلموا
انما على رسولنا البلاغ المبين في تحريم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا اي شربوا من الخمر قبل تحريمها اذا ما اتقوا شربها بعد التحريم وامنوا
اي وصدقوا بالتحريم ثم اتقوا شربها وامنوا في حادث الوقت ثم احسنوا وذكر في بعض القصة انه لما نزل
تحريم الخمر قالوا كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا الاية لكن هذا لا يحتمل ان يكون كما ذكر لانهم شربوا الخمر في وقت كان شربها مباحا ولم يشربوا
بعد تحريمها لكن هذا ان كان فانما قالوا في انفسهم فيرد ان ليس عليكم جناح فيما شربتم قبل تحريمها بعد ان
اتقيتم شربها بعد نزول حرمتها والله اعلم وقال بعضهم ان في الاية تكرارا في قوله اذا ما اتقوا وامنوا
ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين لكن الوجه فيه ما ذكرنا ليس على التكرار والله اعلم وقوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد وليس فيه بيان انه يبتلي بالامر فيه او بالنهي لكن
بيانه في اية اخرى ان الابتلاء انما كان بالنهي عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا دل هذا على
ان المحرم كان منهيا عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا وان الابتلاء الذي ذكر في الاية كان
بالنهي عن الاصطياد والله اعلم ثم اختلف في الاية قال بعضهم النهي بشيء من الصيد لاهل الحرم الا ترى
انه روي في الخبر قال لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها فكان الابتلاء بالنهي عن الصيد
لاهل الحرم لما اخبر انه لا ينفر صيدها واما المحرم فانما نهي عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا وبقوله
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقال اخرون الابتلاء بالنهي عن الاصطياد للمحرمين وفي قوله لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم نهي عن قتله وهنالك نهي عن اخذه بقوله تناله ايديكم وقوله تعالى بشيء من الصيد اي في بعض الصيد
دون بعض لان المحرم لم ينه عن اخذ صيد البحر بقوله احل لكم صيد البحر وقال تعالى وحرم عليكم صيد البر
ما دمتم حرما فلذلك معنى قوله بشيء من الصيد والله اعلم ويحتمل على التقديم والتاخير كانه قال
ليبلونكم الله بشيء تناله ايديكم ورماحكم من الصيد والله اعلم ثم اختلف في قوله تناله ايديكم
قال بعضهم ما تناله الايدي هو البيض وعلى هذا يخرج قولنا ان المحرم منهي عن اخذ البيض فاذا اخذ
بيضا فان عليه الجزاء والذي يدل على ذلك ما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بيض النعام صيام يوم او اطعام مسكين وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قضى في بيض النعام اصابه محرم بقيمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما قيمته وعن ابن مسعود رضي الله
مثله وقال بعضهم تناله ايديكم هو صيد الصغار وهي الفراخ التي لا تطير فيؤخذ بالايدي وقوله عز وجل

ورماحكم

ورماحكم قال بعضهم ما رميت وطعنت وقيل في قوله تناله ايديكم ما يؤخذ بغير سلاح ورماحكم ما يؤخذ
بالسلاح من نحو النبل والرماح وغيرها من السلاح ثم في الاية دلالة ان المحرم قد نهي عن اخذ الصيد وكذلك
في قوله تعالى فاصطادوا والاصطياد هو الاخذ لا القتل وانما النهي عن القتل في قوله لا تقتلوا الصيد وانتم
حرم وقوله عز وجل ليعلم الله من يخافه بالغيب ليعلم ما قد علم انه يكون كائنا او ان يقال ليعلم ما قد علم غائبا
عن الخلق شاهدا كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة الاية وقوله عز وجل فمن اعتدى بعد ذلك اي من استحل
قتل الصيد بعد ما ورد النهي والتحريم فله عذاب اليم ان شاء عذب ان شاء عفى واذا عذب كان عذابا اليما وقوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي وانتم محرمون الاية في ظاهرها على قتل الصيد كله
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في اشياء اذن في قتلها فيقال في خمس من الدواب لا جناح على من قتلهن
وهو محرم في الحرم الحدأة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وعن عايشة رضي الله عنها امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق في الحل والحرم الحدأة والغراب والفارة والعقرب والكلب العقور وفي بعض
السبع والاخبار الذئب فيحتمل ان يكون الكلب العقور الذئب وروي عن سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عما يقتل المحرم فقال الحية والعقرب والفويسقة والغراب يرميه والكلب العقور والسبع العادي
والكلب العقور الذي امر المحرم بقتله ما قتل الناس وعدا عليهم مثل الاسد والنمر والذئب وما كان السباع لا يعدو
ومثل الضبع والثعلب والهرة وما اشبههن من السباع فلا يقتلهن المحرم فان هو قتل شيئا منهن فداه وان
قتل شيئا من الطير سوى ما ذكر في الخبر فعليه جزاؤه في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يقتل المحرم الفارة فانها توهن السقاء وقال بعض الناس ما قتل المحرم من السباع التي لا يؤكل لحمه فلا فدية عليه فكان
فكان ما كان ظاهر الاية وهو قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم فان احتج بحديث ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم رخص للمحرم في قتل خمس من الدواب وذلك مما لا يؤكل لحمه قيل اباح النبي صلى الله عليه وسلم قتل الخمس
لعلة انه لا يؤكل لحمها فان قال نعم قيل ما الدليل على ذلك فان قال لانها لا تؤكل فكان ما لا يؤكل من الصيد فقتله
مباح قيل له قولك لا يؤكل ليس بعلة لان ذلك لا يزول ولا يتغير والعلة هي التي تحدث في وقت وتزول في وقت
ولو كان قول القائل لا يؤكل علة فيما لا يؤكل كان قوله يؤكل علة فيما يؤكل وكان الشيء علة لنفسها وهذا بين الخطاء
واذا لم يكن تحريم اكل الخمسة التي اذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتلها للمحرم علة في الاطلاق في قتلها كان القياس
عليها على ما لا يحل اكله محالا لان القياس انما يكون على العلل وما لا علة فيه لا يجوز القياس عليه وعندنا ان هذه
الخمسة المسماة تبتدئ المحرم وغيره بالاذى وان لم يبتدئها المحرم وما سوى ذلك مما لا يؤكل لحمه لا يكاد يبتدئك
بالاذى حتى يبتدئها الانسان فحينئذ تعرض له وبيان ذلك ان الحدأة ربما اغارت على اللحم تراه في يدي الرجل
والغراب يسقط على دبر الدواب فيفسده والعقرب تقصد من تلدغه وتتبع حسه والكلب العقور لا يكاد
يهرب من الناس كما يهرب السباع سواه فاما الضبع والخنزير والكلب والذئب واشباهها فهي تهرب
من بني ادم ولا يكاد يؤذيهم حتى يبتدئوها بالاذى جعلنا العلة فيما رخص النبي صلى الله عليه وسلم للمحرم قتله
ما يعرف من قصدها لاذى المحرم وان يؤذيها المحرم ان كان معروفا فيها معلوما انه اكثر شانها فلما لم يكن في
سائر الطير المحرم والسباع هذه العلة وكان المعروف فيها انها لا تبتدئ بالاذى لم يجز ان يشبه بالخمسة
المسماة في الخبر فاذا ابتدى مبتدئ المحرم بالاذى كان حينئذ مثل الخمسة فجاز له قتلها بغير فدية وبعد فان
الذي لا يؤكل لحمه يسمى صيدا والصيادون يصيدونه فكان ذلك تحت عموم الخطاب ومخالفنا تارك لاصله في
العموم لانه خص الاية بغير دليل ومن اصله ان الاية على العموم فلا تخص الا بدليل واصحابنا رحمهم الله
يجعلون الضبع مخطورا اكلا او لم يؤكل الا ما عدا منها فان قتله قبل ان يعدو عليه لزمه الفداء ذهبوا في
ذلك الى ما روي في الخبر خبر ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقتل المحرم
كذا وكذا والسبع العادي فالعادي ما يعدو على المحرم والى ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره
مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل على المحرم في قتل ضبعا جزاؤه وكذلك عن عمر وابن عباس رضي
عنهم وهي مما يؤكل وعن جابر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الضبع فقال هو صيد وفيه كبش وعن عمر
رضي الله عنه كذلك وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما كذلك وقوله عز وجل ومن قتله منكم متعمدا
فجزاؤه مثل ما قتل من النعم اختلف في الاية في تاويلها على وجهين احدهما من جعل الاية على ظاهرها
فلم يوجب في الخطاء كفارة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا اصاب المحرم الصيد خطاء فليس عليه

سى وكذلك روى عن عطاء وسالم والقاسم انهم قالوا لا شىء عليه مثل قول ابن عباس رضى الله عنه والقول
الثانى ما قاله اكثر اهل التأويل قالوا قوله ومن قتله منكم متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه فذلك الذى يحكم
عليه وهو الخطاء الكفر وان قتله متعمدا لقتله ذاكرا لاحرامه لم يحكم عليه وكذلك روى عن الحسن انه قال
لصيده ناسيا لاحرامه وقال ومن عاد فينتقم الله منه متعمدا للصيد وذاكرا لاحرامه فكانهم ذهبوا الى
ان المحرم لا يقصد قصد الصيد وهو ذاكر لاحرامه احسنوا الظن به عندنا ان الاحرام مما لا يجوز ان يخفى
على المحرم وينسى لان المحرم اعلاه ما تذكره تلك الاعلام الحال التى هو فيها وغير ان ما لا يجوز ان ينسى ويخفى
على المرء لم يعذر صاحبه فى نسيانه وعندنا ان على قاتل الصيد الكفارة عمدا قتله او خطاء وليس تخلو الآية
من ان يكون اوجبت الكفارة على المتعمد للقتل الناسى لاحرامه كما قال الحسن ومجاهد او يكون اوجبت الكفارة
على المتعمد للقتل ذاكرا لاحرامه اولى بالكفارة لان ذنبه اعظم وجرمه اكبر فان قيل انكم لا توجبون الكفارة
على قاتل النفس عمدا فما منع ان يكون قتل الصيد مثل ذلك وان كان حرمته اعظم كما قيل ان قاتل النفس عمدا
وان كنا لم نوجب عليه الكفارة فقد اوجبنا عليه القصاص وهو اعظم من الكفارة وقاتل الصيد عمدا
لقتل ذاكرا لاحرامه لو ازلنا عنه الكفارة فلا شىء عليه سواها لذلك اختلفا ثم نقول انا عرفنا الحكم فى
قتل الصيد فى الخطاء انما يعرف بغيره وليس فى ذكر الحكم وبيانه فى حال دليل نفيه فى حال اخرى ولنا على
هذا مسائل قد ذكرنا فيما تقدم فى غير موضع كرهنا اعادتها فى هذا الموضع ثم تخصيص ذكر الكفارة فى قتل
يحتمل وجوها احدها ان الكفارة فى قتل النفس انما ذكرت فى قتل الخطاء لم تذكر فى قتل العمد ليعلم انها
اذا وجبت فى العمد فهى فى الخطاء اوجب والثانى ان الكفارة انما وجبت بجنايته على صيد امن به فى الحرم
وكل ذى امانة اذا اتلف الامانة لزمه الغرم عمدا كان اتلافه او خطاء فعلى ذلك هذا والله اعلم والثالث
ذكر التخيير فى حال الضرورة يخرج مخرج التوسيع والتخفيف على اهلها ولا يكون ذلك فى غير حال الضرورة
فدل ذكره فى غير حال الضرورة على ان ذلك كالمذكور فى حال الضرورة وقوله عز وجل فجزاء مثل ما قتل من
النعم يحكم به ذوا عدل منكم اختلف اهل العلم فيما يجب من المثل فقال قوم فى الظبى شاة وفى النعامة
بدنة وفى حمار الوحشى بقرة واشباه ذلك وقال آخرون المثل قيمة الصيد يقومه عدلان فيوجبان
قيمته دراهم فيشترى بثمن الدراهم شاة او يجعله طعاما فيتصدق به على مسكين نصف صاع او يصوم
عن كل نصف صاع يوما وقال غيرهم الابلغ وما ذبح شاة وان لم يبلغ وما يتصدق به وانما قولنا ان المثل
هو القيمة لا المثل فى راى العين وذهبنا فى ذلك الى وجوه احدها ان المحرم اذا اصاب صيدا فى هذا الوقت
حكم بجزائه حكمان فلو كان مثل الظبى شاة فى كل الدهور والاوقات كان بما تقدم من اصحاب النبى صلى
الله عليه وسلم والسلف من الحكم فى ذلك كافيا لا يحتاج الى حكم غيرهم فدل اجماعهم على ان حكم الحكمين
بان على ان المثل غير موقت بل هو مختلف على قدر الازمنة والمواضع والاوقات واذا جعلنا المثل قيمة
كانت الحاجة الى الحكمين قائمة واذا جعلناه هديا فالحاجة اليهما زائلة ولا يجوز ان يعطل امر الحكمين
وقد ذكره الله فى كتابه والثانى اجمعوا عليه ان لا مثل له فى الانعام من الصيد اذا اصابه المحرم فعليه
فاذا كان المثل فى بعض الصيد قيمة فهو فى كل الصيد قيمته وكذلك روى عن ابن عباس وغيره من
السلف رضى الله عنهم انهم قالوا ذلك فان قيل لا مثل له من النعم لا يكون قيمته اكثر من قيمته قيل له
فيجعل ذلك مثله فان قال بلى قيل فقد صارت القيمة مثلا فى بعض الصيد فما منع ان يكون مثلا
فى كل الصيد فان قال المثل هو الهدى فيما له مثل فاما ما لا مثل له من الهدى فليس لو اوجب فيه بمثل انما
ذلك قيمته ولم يجب ذلك بنص الكتاب وانما وجب ذلك بنص الكتاب المثل من الهدى فاما لا مثل له
فانما وجبت قيمته بالاجماع قيل له حدثنا عن قول الله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم هل دخل فى عموم
الآية الفرخ ونحوه فيكون منهيا عن قتله فان قال نعم قيل فاذا دخل الفرخ فى عموم النهى عن قتل الصيد
فهو ايضا داخل فى عموم قوله ومن قتله منكم متعمدا الآية فان قال لا يدخل الفرخ فى عموم قوله تعالى لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم قيل له قد قال الله تعالى ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم فروى
ان ذلك فى البيض والفراخ فان لم يجعل الفراخ ولا شيئا منها داخلا فى الآية فى معنى الآية ونحن لا نناله
بايدينا من الصيد الا صغاره وما يعجز عن الطيران والعدو منه فالآية توجب ان الصيد كله قد دخل
فى عمومها ما قلت قيمته وما كثرت وذلك يوجب ان يكون الواجب من قيمة الفرخ والعصفور مثله والله

اعلم ولان النعامة لا مثل لها من النعم فان اوجب فيها بدنة فقد اوجب فيها ما ليس بمثل لها ولا نظير وان اوجب
فيها قيمتها فقد اوجب مثلا لها فهو موافق للنص عندنا والله اعلم وكذلك الموجب فى الحمامة شاة لا تشبه
الصيد المقتول فى عينه ولا فى صفته ولا فى جنسه فهو غير موجب المثل بل الموجب فيه القيمة اقرب الى
ايجاب المثل فيه والله اعلم فان قيل كيف يسمى قيمة الشىء مثلا وليست من جنسه وانما المثل ما كان من جنس
الشىء قيل قد ذكرنا ان قيمة ما لا مثل له من النعم يسمى مثلا ولان الله قال او عدل ذلك صياما واذا جاز
ان يسمى الصيام عدلا جاز ان يسمى الصيام عدلا فلذلك جاز ان يسمى القيمة عدلا للصيد وانما صار الصيام عدلا
للطعام بالتقويم والمثل والعدل فى المعنى متقارب والله اعلم ولان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ولو كان
المراد من المثل المنظور فى راى العين لم يكن لشرط ذوى عدل فيه معنى لان المثل فى راى العين يعرفه كل احد
فيه او لم يكن فدل ما شرط من نظر ذوى عدل باطن فيه وخفى لا ما ظهر والله اعلم وقوله عز وجل يحكم به ذوا عدل
منكم تاويله ما ذكرنا ينظر الى رجلين عدلين بهما معرفة فى ذلك فيقومانه ثم يشترى بها هديا ان شاء فيهدى
وان لم يبلغ هديا قوت الدراهم طعاما فان لم يجد صام مكان نصف صاع يوما روى عن ابن عباس رضى الله
عنهما كذلك والحسن وابراهيم والقاسم والسلف جملة وعندنا انه مخير بين هذه الاشياء والتهيئة ليفعل اى هذه
الثلاثة شاء لان الله تعالى قال فى المحصر ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا او به
اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك ولا خلاف بينهم فى ان لصاحب الفدية فى حلق الراس
اى يفعل اى هذه الثلثة فالواجب ان يكون فى جزاء الصيد مثله لان الخطاب خرج على حرف التخيير وكل
خطاب يخرج على حرف التخيير وكان سبب وجوبه واحدا فهو على التخيير نحو كفارة اليمين وما ذكرنا فى دفع
الاذى عن راسه والله اعلم وقوله عز وجل هديا بالغ الكعبة شرط بلوغ الكعبة وهو لا يبلغ نفس الكعبة
فدل ان المراد يرجع الى بلوغه قرب الكعبة وعلى هذا يخرج قولهم فيمن حلف ان لا يمر على باب فلان فمر بقرب
بابه حنث استدلالا بقوله هديا بالغ الكعبة لم يرد به بلوغه عين الكعبة ولكن قربها ومكانها فعل
ذلك هذا والله اعلم وكان محمد بن الحسن يقول يحكم عليه بمثله من النعم حيث كان وابو حنيفة رضى الله
عنه يقول يحكم عليه بقيمة الصيد فى الموضع الذى اصابه فيه واختلافهما فى هذا يرجع الى ما اختلفا
فيه من المثل عينا او قيمة وقد روى عن عمر وعبد الرحمن رضى الله عنهما وغيرهما انهم حكموا فى الظبى شاة ولم
يسألوا عن الموضع الذى اصيب فدل تركهم السؤال عن ذلك على ان المواضع كلها كانت عندهم سواء وانهم
اجروه مجرى الكفارات دون القيم لانهم لو اجروا ذلك مجرى ضمان القيم لسألوا عن اماكن الجنايات اذ كان
الصيد يختلف قيمته ولا يستوى فى ذلك الاماكن كلها فهذا يؤيد قول محمد ومن وافقه واما عند ابى حنيفة
رحمه الله ان الملك للمحرم فى الصيد وكل من اتلف ملك آخر وجنى على مال احد وانما ينظر الى قيمته فى المكان
الذى اتلفه فعلى ذلك النظر فى الصيد الى المكان الذى اصابه ثم المسألة فى جزاء الصيد ان يذبح عندهم جميعا لا يجوز
ان يذبح الا بمكة لانه لو جاز ان يذبح فى غير الحرم حيث شاء زالت فائدة قوله هديا بالغ الكعبة وليس فى ذلك
بينهم خلاف واما الاطعام والصيام فان الله عز وجل لم يذكر فيهما موضعا ولا جعل لهما مكانا فله ان يطعم وان
يصوم حيث شاء فان قيل ان الهدى يذبح فى الحرم لمنفعة اهل الحرم به ويتصدق به عليهم فعلى ذلك الاطعام يجب
ان يطعم اهل الحرم لانه جعل المنفعة لهم قيل لا خلاف بينهم انه لو ذبح الهدى فى غير الحرم لا يجوز دل انه لا لما
ذكر ولكن لما ان الهدايا لا تذبح الا بمكة الا ترى من قال لله تعالى عليه ان يهدى ليس له ان يذبح الا بمكة ولو قال
عليه الاطعام والصدقة له ان يتصدق حيث شاء دل ان الهدى مخصوص بخصوص ذبحه بمكة لا يجوز فى غيره
واما الصدقة فانها تجوز فى الاماكن كلها لذلك افترقا والله اعلم وقوله عز وجل ليذوق وبال امره اى ليذاق وبال
امره والمه كما نال لذته وقيل جزاء ذنبه وهو الكفارة وقوله عز وجل عفا الله عما سلف اذا تاب ورجع عما
استحل من قتل الصيد وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله عز وجل ومن عاد فينتقم الله منه
اى من عاد الى استحلال الصيد فى الحرم فينتقم الله منه فى النار ويحتمل من عاد الى قتل الصيد ينتقم الله منه
بالكفارة وقوله عز وجل والله عزيز ذو انتقام اى لا يعجزه شىء ويقال عزيز اى كل شىء عنده ذليل وغنى اى
كل شىء عنده غنى ذو نقم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما اخبر الله تعالى ان صيد البحر وطعامه حلال للمحرم ثم اختلف اهل التأويل فى تاويله قال بعضهم
صيده ما صيد وطعامه ما قذف فى الارض البحر كذلك روى عن عمر رضى الله عنه انه قال صيده ما صيد وطعامه

ما قذف وعن ابى بكر وابن عباس رضى الله عنهما قالا طعامه ما قذف وقال بعضهم صيده ما اخذ طريا وطعامه
مليحة وقوله عز وجل متاعا لكم اى منفعة لكم اى للحاضر وللسيارة اى للمسافر وعن بعضهم صيده
طريا وطعامه ما تزودت فى سفرك ثم يحتج على قول اصحاب الظواهر ان يكون كل صيد البحر وطعامه
حلالا مباحا بظاهر قوله احل لكم صيد البحر وطعامه الاية وكذلك ما روى عن نبى الله صلى الله عليه
وسلم قال الطهور ماؤه والحل ميتته انه لم يخص ميتة دون ميتة ولا طعاما دون طعام غير ان المراد
عندنا رجع الى السمك خاصة ما روى عنه صلى الله عليه وسلم قال احلت لنا ميتتان ودمان اما
الميتتان فالجراد والسمك دل الخبران المراد من الاية والخبر رجع الى السمك والله اعلم وقوله عز وجل
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مبهمة لا يحل لك ان تصيده ولا ان
تاكله وروى عن على رضى الله عنه وهو محرم انه دعى الى طعامه فقرب اليه يعاقيب وحجل فلما راى
ذلك على قام وقام معه ناس فقيل لصاحب الطعام ما قام هذا ومن معه الا كراهية لطعامك
فارسل اليه فجاء فقال ما كرهت من هذا ما اشرنا ولا امرنا ولا صيد لنا قال على رضى الله عنه وحرم عليكم صيد
البر ما دمتم حرما ثم انطلق وعن عثمان رضى الله عنه مثله وقريبا منه واما عندنا فانه يحل للمحرم ان ياكل لحم الصيد
هو ولا صيد له ما روى عن ابى قتادة رضى الله عنه انه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان ببعض الطريق
بمكة تخلف مع اصحاب له محرمين وهو غير محرم فراى حمار وحش فاستوى على فرسه فسال اصحابه ان يناولوه
سوطا فابوا فسالهم الرمح فاخذ ثم اشتد على الحمار فقتله فاكل منه بعض اصحابه وابى بعضهم فلما ادركوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عن ذلك فقال انما هى طعمة اطعمكموها الله سبحانه وقال هل معكم من لحمه شىء
وفى خبر اخر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال عقر ابو قتادة حمار وحشى ونحن محرمون وهو حلال فاكلنا
منه ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى خبر عن ابى قتادة رضى الله عنه قال اصبت حمار وحش و
عندى منه فقال للقوم كلوا وهم محرمون وفى بعض الاخبار عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحم صيد البر حلال لكم وانتم حرم ما لم تصيدوه او يصاد لكم اخص النبى صلى الله عليه
وسلم فى اكل لحم الصيد للمحرم اذا لم يصيد ولم يصيد له وبذلك اخذ اصحابنا وفى الاية دليل لقولنا وهو
قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقال وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فمنعنا والله اعلم اصطياده
الا ترى ان صيدا ما لا يوكل لحمه محظور قتله دل ذلك على ان الاية نزلت فى الاصطياد لا فى اكل لحمه لان
لحم الصيد من ان يصاد فى التحريم عنه فما فيه كالبيض لان البيض قد يصير صيدا واللحم ليس كذلك و
لان المحرم لو اتلف البيض غرم قيمتها ولو اتلف لحم الصيد لم يضمن بشىء فما لزمه الضمان منع من
اكله وما لم يلزمه لا ولانه لو حرم على المحرم التناول من لحم صيد صاده حلال فيجب ان يحرم على اهل
التناول منه ادهم اهل حرم الله وذلك بعيد فاخذ اصحابنا رحمهم الله بما روينا من الاخبار عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابى قتادة وغيره ولما دل عليه ظاهر الكتاب وهو قول عمر و
عثمان وغيره رضى الله عنهم فان قيل روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن زيد بن ارقم ان النبى صلى الله
عليه وسلم نهى المحرم عن لحم الصيد وفى خبر اخر عن زيد بن ارقم رضى الله عنه قال اهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عضوا من لحم صيد فرده فقال انا حرم لا ناكله وفى خبر اخر انه سئل النبى صلى الله
عليه وسلم عن محرم اتى بلحم صيد قال لا ياكله منه لكن هذا الحديث يجوز ان يحمل على ان كان صيد ان بعد ان احرم ان يكون
صيد من اجله وانما صيد من اجله لم يحل له اكله دليله من خبر عثمان رضى الله عنه ما امرت بصيده ولا صيد من
اجلى وخبر جابر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحم صيد البر حلال لكم وانتم حرم ما لم
تصيدوه او يصاد لكم ثم المسئلة فى معرفة صيد البر من البحر قال بعضهم ما كان يعيش فى البر والبحر فلا
تصده وما كان حيوته فى الماء فذلك البحرى وقال اخرون اكثر ما يكون فى الماء حتى يفرخ وقال غيرهم
صيد البر هو الذى ان اخذه الصايد حيا فمات فى يده لم يحل ولا يحل الا اذا ادرك ذكوته الا بتزكية فكل
ما كانت هذه صفته فهو البرى واما كان قد يعيش فى الماء وما كان الصايد اخذه حيا وهو يعيش
فى الماء فمات فى يده اكله فذلك صيد البحر وذلك السمك وفى ذلك وجه اخر وهو ان كل ما القاه البحر
وفيه ومات يحل لنا اكله فذلك طعامه وان لم يحل اكله فليس بطعامه فما كان طعامه والقاه فمات فهو
اذا صيد البحر وما لا يحل اكله اذا القاه فليس بصيد البحر اذا صيد والله اعلم لان الله اباح صيد البحر و

وطعامه فاليس بطعامه اذا القاه فمات فليس بصيد اذا اخذه حيا والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله
فى استحلال قتل الصيد وفى الحرم واتقوا الله فى اخذ الصيد فى حال الاحرام بعد ما نهيا واتقوا الله فى كل ما يحل الذى
اليه تحشرون فتجزون باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر ويحتمل قوله اليه تحشرون فتجزون اى الى حكمه تصيرون كقوله
تعالى له الحكم واليه ترجعون والله اعلم جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس الاية اختلف فيه قال بعضهم قوله تعالى
قياما للناس اى ثباتا للناس ودواما لان الله تعالى جعلها موضعا لاقامة العبادات من نحو الحج والطواف والصلوة
واراقة الدماء والهدايا وغير ذلك من العبادات ثم ان تلك العبادات جعلها تاريخية دائمة لا تبدل ولا تنسخ ابدا
فذلك معنى القيام للناس والله اعلم وقال بعضهم قياما بمعنى قواما اى جعلها قواما لهم فى معاشهم لانه جعلها
مامنا لهم وملجا حتى ان من ارتكب كبيرة او جرم جريمة ثم لجا اليه لم يتعرض له لشىء من ذلك ولا يتناول منه
وكانوا اذا وجد واحد دابا مقلدا لم يتعرضوا له وان كانت حاجتهم اليه شديدة ونحو هذا كثير مما يطول
ذكره وجعل فيها عبادات ومقصدا ما لم يجعل فى غيرها من البقاع من قضاء المناسك وغيرها وكذلك الشهر
الحرام كان تجعله مامنا لهم اذا دخلوا فيه يامنون من كل خوف كان بهم جعل فى الهدايا والقلايد منفعة لاهلها
فكان فى ذلك قواما لهم فى معاشهم ومعادهم وعن سعيد بن جبير قال الله تعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياما
للناس شدة لدينهم وقوله عز وجل ذلك لتعلموا اى ذلك الامن وما ذكرنا من جعل الكعبة قواما لهم فى
معاشهم ومعادهم لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض اى على علم جعل هكذا قبل ان يكون وقال بعضهم
قوله ذلك اى ما سبق ذكره من تحريف الكتب وتغيير وتبديل نعته صلى الله عليه وسلم وصفته اى على علم
منه بالتحريف والتبديل خلقكم لا عن جهل فيمتحنكم لما لا يضره كفر كافر ولا ينفعه ايمان مؤمن بل حاصل ضرر الكفر
يرجع الى الكافر وحاصل نفع الايمان يرجع الى المؤمن وقوله عز وجل واعلموا ان الله شديد العقاب اى علموا انه شديد
العقاب لمن عصاه وخالف امره على ما علمتم انه عن علم منه كان جميع ما كان وان الله غفور رحيم واعلموا ايضا ان
الله غفور رحيم لمن تاب واناب اليه وشديد العقاب لان من العقوبات ما ليس بشديد وخاصة عقوبة
الاخرة لا انقضاء له ولا فناء لذلك وصف بالشدة والله اعلم وقوله عز وجل ما على الرسول الا البلاغ فيه وجهان
احدهما رد على من يقول ان الموعظة لا تنفع ولا تنجع فيه اذا لم يكن الواعظ مستعملا لما تعظ غيره اذ ليس احد
من الخلق اسد استعمالا من الرسل عليهم الصلوة والسلام ثم لا تنفع موعظتهم وذكراهم قومهم ولا تنجع فيهم
لسوءهم ولشدة تعنتهم والثانى فى ابناء ان على الرسل الا البلاغ ولا ضرر عليهم بترك القوم اجابتهم كقوله
تعالى فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وقوله
عز وجل والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ما تبدون من العداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وينصب الحرب
والقتال معهم وما تكتمون من المكر له والقصد لقتله كقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله الاية كانوا يمكرونه ويقصدون قصدا به هلاكه لكن الله عز وجل اطلع
رسوله على مكرهم واخبر انه يعصمه من الناس وقال الله عز وجل كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون
فى الارض فسادا وقوله عز وجل قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث الاية يحتمل وجهين
احدهما خرج عن سوال قد سبق منهم عن كثرة الاموال لما رأوا ولئك كانوا يكرهونه ويحبون من حيث
يحل ولا يحل فمالت انفسهم الى ذلك ورغبت فقال لا يستوى الخبيث والطيب كانه قال ان القليل من الطيب
خير من الكثير من الخبيث والله اعلم والثانى انهم رغبوا فى عبادة او لزمت من المذهب والاعتزال عن الناس
لدفع اذى انفسهم عنهم وكثرة ما كانوا يحملون من الشدايد والمشقة فرغبوا فى ذلك وهموا على ذلك على ما ذكر فى
القصة عن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم هموا ان يترهبوا ويعتزلوا من الناس فقال قل لا يستوى
الخبيث والطيب ان العمل القليل مع اصل طيب خير من الكثير من حيث الاصل وقوله عز وجل فاتقوا الله فى مخالفة
امره ونهيه يا اولى الالباب فيه دلالة ان الله لا يخاطب احدا الا من كل عقله وتم وبالله العصمة وقوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم يحتمل ان يكون النهى من السوال عن اشياء خرج عن اسولة
كانت منهم لم يكن لهم حاجة اليها فنهوا عن ذلك الى ان يقع لهم الحاجة فعند ذلك يسئلون كانهم سئلوه عن السباب
والانضاح قبل ان يحتاجوا اليه الا ترى انه قال وان تسئلوا عنها حين ينزل القران تبد لكم الاية ويحتمل ان يكون
خرج النهى عن السوال ابتداء من غير تقدم سوال كان منهم ولكن نهوا عن السوال عنها ثم يحتمل بعد هذا ان كان

عن ابتداء سؤال كان من اهل النفاق يسئلون سؤال تعنت لا سؤال استرشاد يسئلون عنه ايات بعد ما ظهرت
لهم وثبت عندهم الحجج وعرفوا ذلك انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان النهي للمؤمنين فهو ما ذكرنا من
سؤال البيان قبل وقوع الحاجة اليه وقيل نزلت في قوم سئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء
احدهم من ابي وقال اخر اين انا قال انت في النار وانت ابن فلان ونحو ذلك من الاسولة فنهوا عن ذلك وقيل ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقال رجل في كل عام يا رسول الله لو قلت نعم صار مفروضا تركتم واذا تركتم
جحدتم واذا جحدتم كفرتم لان جحد فرض ما فرضه الله كفر وكلام نحو هذا ولا يجب ان يفسر هذا انه كان
في كذا اذ ليس في كتاب الله بيانه سوى ان فيه النهي عن سؤال ما لا يحتاج اليه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لا تسئلوا عن اشياء قد عفى الله عنها ان تبد لكم تسوكم اي تظهر لكم تساكم اي امر ثم العمل بها والله
اعلم بذلك وقوله عز وجل قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين هذا يدل على ان النهي عن السؤال
في الاي لاحد شيئين اما ان تسالوا الايات عنه بعد ما ظهرت وثبت لهم رسالته فلما اتى بها كفروا بها
الا ترى انه قال قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وقد كان الامم السالفة يسئلون من الرسل
عليهم الصلوة والسلام الايات بعد ظهورها عندهم ويحتمل ما ذكرنا من قولهم ابن نحن ومن ابي ومن انا
ونحوه فلما ان اخبرهم بذلك كفروا به والله اعلم وقوله عز وجل ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا
حام اي ما جعل الله قربانا مما جعلوهم لانهم كانوا يجعلون ما ذكر من البحيرة والسائبة وما ذكر قربانا يتقربون
بذلك الى الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها دون الله فقال ما جعل الله من ذلك شيئا مما جعلتم انتم
من البحيرة والسائبة فقوله ما جعل الله من بحيرة وما ذكر اي ما امر بذلك ولا اذن بها قيل حرم اهل الجاهلية
هذه الاشياء منها ما حرموه على نسائهم دون رجالهم ومنها ما حرموه على الرجال والنساء ومنها ما جعلوه
لالهتهم ثم قيل البحيرة ما كانوا يخدعون اذانها ويدعونها لالهتهم السائبة ما كانوا يسيبونها والوصيلة
ما كانت الناقة اذا ولدت ذكرا وانثى في بطن قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوها تركوها لالهتهم قال
قال ابو عبيدة البحيرة اذا انتجت خمسة ابطن قطعت اذانها وتركت والسائبة اذا ولدت خمسة
سيبت فلا ترد عن حوض ولا علف والوصيلة من الغنم اذا ولدت عناقين تركا واذا ولدت عناقا وجديا
قالوا وصلت العناق الجدي وتركا واذا انتجت ذبح والحامي اذا نظر الى عشرة من ولده قيل حمى ظهره فلا يركب
ولا يحمل عليه شيء وقال مجاهد ولا حام اذا ضرب الجمل من ولد البحيرة فهو الحامي والحامي اسم والسائبة من
الغنم على نحو ذلك الا انها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة اولاد كانت على حيتها فاذا ولدت السابع
ذكرا او ذكرين نحروا فاكله رجالهم دون نسائهم وان اتت بذكر وانثى فهو وصيلة ترك ذبح الذكر بالانثى
وان كان اثنين تركا وقال القتبي البحيرة الناقة اذا انتجت خمسة ابطن والخامس ذكر نحر فاكله الرجال و
النساء وان كان الخامس انثى شقوا اذنها وكان حراما على النساء لحمها ولبنها فاذا ماتت حلت للنساء
والسائبة البعير يسيب بنذر يكون على الرجل ان سلمه الله من مرضه او بلغه منزله ان يفعل ذلك
والوصيلة من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح فاكل
منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركت في الغنم فان كان ذكرا قالوا وصلت اخاها فلم يذبح لمكانها
وكان لحومها حراما على النساء وليس الانثى حراما على النساء الا ان يموت منهما شيء فياكله الرجال والنساء
والحامي على الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حمي ظهره ولا يركب
ولا يمنع من كلاء ولا ماء كانوا يحرمون الانتفاع بما ذكرنا ويقولون ان الله حرمه ذلك علينا وهو ما ذكر
في اية اخرى قوله تعالى وجعلوا مما ذرء من الحرث والانعام فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا الاية
يحرمون اشياء على انفسهم ويضيفون تحريمها الى الله ثم سفه احلامهم بقوله ثمانية ازواج من الضان
اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين لم يكن تحريمهم
هذه الاشياء بالسمع ولكن رايا منهم وتعنتا فاحتج الله عليهم على ذلك الوجه ليظهر فساد قولهم من الوجه
الذي ادعوا فقال قل الذكرين حرم ام الانثيين فان قالوا الذكرين فقد كان من الذكر ما لم يحرم فان قالوا
الانثى فقد كان من الانثى ولم يكن فيها تحريم ففيه دليل ان الحكم اذا كان بعلة يجب وجوب ذلك الحكم ما
كانت تلك العلة قائمة والله اعلم وقوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا
حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا الاية كانها نزلت في مشركي العرب وكانوا اهل تقليد لا يومنون بالرسول ولا يقرون

بهم

بهم انما يقلدون اباءهم من عبادة الاوثان والاصنام فاذا ما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما
انزل الله اليه او دعاهم احد الى ذلك قالوا حسبنا ما وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون ونحو
ذلك يقلدون اباءهم في ذلك فقال الله عز وجل ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون اي تتبعون اباءكم
وتقتدون بهم وان كنتم تعلمون ان اباءكم لا يعلمون شيئا في امر الدين ولا يهتدون وكذلك قوله قل اولو
جئتكم باهدى مما كان عليه اباءكم سفههم في احلامهم في تقليدهم اباءهم وان ظهر عندهم انهم على ضلال
وباطل وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ظن بعض الناس ان
الاية رفعت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعة في ترك ذلك وليس فيه رفع الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ولكن فيه انباء ان ليس علينا فيما يرد ولا يقبل من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء وهو كقوله
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل
الاية ليس فيه رخصة ترك تبليغ الرسالة اليهم ورفعه عنهم ولكن اخبار ان ليس عليه فيما يرد وترك القبول
شيء كقوله ان عليك الا البلاغ فعلى ذلك الاول والله اعلم ويحتمل ان يكون في الاية ليس فيه رخصة دليل
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه قال لا يضركم من يترك قبول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا اهتديتم
انتم بالامر والنهي عن المنكر بل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وبذلك وصف الله هذه الامة بقوله
كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ولم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر فليس منا وعن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي وقد حفزه النفس فتوضا ثم خرج الى المسجد فقمت من وراء الحجاب
فصعد المنبر ثم قال يا ايها الناس ان الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوني فلا اجيبكم
وتسالوني فلا اعطيكم وتستغيثوني فلا اغيثكم وتستنصروني فلا انصركم وعن ابي بكر الصديق رضي الله
عنه قال يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس
اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب وبقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن
قولهم الاثم الاية ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على مراتب مع الكفرة بالقتال والحرب ومع المؤمنين
باليد واللسان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب فرض ما لم يدخل في ذلك فساد ويصير الامر به والنهي
عنه منكرا فاذا خشوا ذلك رخص لهم الترك والا دوي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قولوها
ما لم يكن دونها السيف والسوط فعليكم انفسكم وقوله عز وجل الى الله مرجعكم جميعا الذي يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر والذي يرد عليه المعروف والنهي عن المنكر فينبئكم بما كنتم تعملون خرج على الوعيد والتحذير
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا
عدل منكم او اخران من غيركم الاية اختلف فيه عن قتادة قال رجل مات بقرية من الارض وترك تركة واوصى
وصية واشهد على وصيته رجلين فان اتهما في شهادتهما استحلفا بعد صلوة العصر وكان يقال عندها يصبر
الايمان فان عثر اي اطلع منهما على خيانة على انهما كتما او كذبا وشهد رجلان اعدل منهما بخلاف ما قالا
اجيزت شهادتهما وابطلت شهادة الاولين اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين او اخران من غيركم من اهل الكتاب
اذا كان ببلد لا يجد الا هؤلاء وعن الحسن قال اثنان ذوا عدل منكم اي من عشيرتكم او اخران من غير عشيرتكم
فيقول ان الحق على المسلم اذا اراد ان يوصي ان يسند الوصاية الى احد عشيرته وكذلك يشهد على ذلك من
اهل عشيرته لان اهل عشيرته احفظ لذلك واحوط واكثر عناية واقوم للشهادة ولا كذلك الاجنبيان فان
قال قائل خاطب الله عز وجل المؤمنين جملة بقوله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم الاية فكيف يحتمل ان يكون
قوله او اخران من غيركم من غير دينكم فنقول سبحان الله ما اعظم هذا القول برد شهادة موحد مخلص دينه
لله لفسق يرتكبه ويامر بقبول شهادة كافر كاذب قائل لله بالولد والشريك تعالى عما لا يليق وقال ايضا
تحبسونهما من بعد الصلوة وهم كانوا يستهزؤن بالصلوة اذا نودي لها بقوله واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها
هزوا ولعبا ذلك انه لا يحتمل ما ذكروا وعن سعيد بن جبير في قوله او اخران من غيركم قال اذا حضر المسلم الموت
في السفر فلم يجد مسلمين فاوصى الى اهل الكتاب فان خافا بتركه فاتهموا احلف هؤلاء ان متاعه كذا وكذا
واخذوه وبعض الناس يجيزون شهادة النصارى واليهود في السفر في الوصية بظاهر الاية وقال مجاهد
او اخران من غيركم من غير ملتكم وعن عامر الشعبي قال شهد نصرانيان على وصية مسلم مات عندهم فارتاب

هن الوصية فاتوا بهما الى ابي موسى الاشعري فاستحلفهما بعد صلوة العصر ما اشتريا به ثمنا
قليلا ولا كتما شهادة الله انا اذا لمن الاثمين ثم قال ابو موسى الاشعري والله ان هذه القضية
ما قضي بها منذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم فقد بين الشعبي ان ابا موسى انما استحلفهما فيما
اتهمهما انه من تركة الميت وهذه يمين واجبة عند المسلمين ولم يحلفهما على ان ما شهدا به كما زعم قوم
ان شهادتهما تصح بيمينهما وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خرج رجل من المسلمين فمر بقرية
فمعه رجلان من المسلمين فدفع اليهما ماله ثم قال ادعوا لي من اشهده على ما قبضتماه فلم يجدوا
احدا من المسلمين في تلك القرية فدعوا ناسا من اليهود والنصارى واشهدهم على ما دفع اليهما
ثم ان المسلمين قدما الى اهله فقال الورثة لقد كان معه من المال اكثر مما اتيتما فاستحلفوهما
بالله ما دفع اليهما غير هذا ثم قدم ناس من اليهود والنصارى فسألهم اهل الميت فاخبروهم
انه هلك بقريتهم وترك كذا وكذا من المال فعلم اهل المتوفى ان قد عثروا على ان المسلمين قد
استحقا اثما فانطلقوا الى ابن مسعود فاخبروه بالذي كان من امرهم فقال ابن مسعود رضي
الله عنه ما من كتاب الله قد جاء على الدلالة الا هذه الاية فالان جاء تاويلها فامر المسلمين
ان يحلفا بالله لا نشتري به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن
الاثمين ثم امر اليهود والنصارى ان يحلفوا بالله لقد ترك من المال كذا وكذا ولشهادتنا
احق من شهادة هذين المسلمين وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ثم امر اهل الميت ان
يحلفوا بالله ان كان ما شهدت به اليهود والنصارى حق فحلفوا فامرهم ابن مسعود رضي
الله عنه ان ياخذوا من المسلمين ما شهدت به اليهود والنصارى وكان ذلك في خلافة
عثمان بن عفان فان ثبت هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو خلاف ما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم دماء قوم واموالهم لكن
البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو ايضا غير موافق لظاهر الاية [illegible] هذا
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كان رجل يقال له تميم الداري وعدي بن بداء يختلفان
الى مكة في التجارة فخرج رجل من بني سهم فتوفي بارض ليس فيها مسلم فاوصى اليهما فدفعا تركته الى
اهله وحبسا جاما من فضة فاستحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتمتما ولا اطلعتما ثم عرف
الجام بمكة فقالوا اشتريناه من عدي وتميم فقام رجلان من اولياء السهمي وحلفا لشهادتنا احق
من شهادتهما فاخذوا الجام وفيهم نزلت هذه الاية وفي الحديث ان اليمين وجبت على المدعى عليهم
لما ادعى عليهم الورثة انهم تركوا بعض تركة الميت وفيه ان الاناء لما ظهر ادعى تميم وصاحبه
وهذان حكمان موافقان لسائر الاحكام والسنن فاذا كان الامر كما ذكر في هذا فليس في الاية نسخ و
لا فيها ما يخالف الاحكام الظاهرة وليس يجوز عندنا ان يحلف الشاهدان اذا كانا كافرين مع شهادتهما
لان ظاهر الاية نسخ ولا فيها الاحكام توجب اليمين على العدلين منا ومن غيرنا فلما لم يجز ان يحلف
الشهود المسلمين على الوصية التي يشهدون لها وانما يحلفون على شيء ان ادعوا انهم حبسوا شيئا كانت
سبيل الكفار كذلك واذا كانت الاية نزلت في قصة تميم وصاحبه وكانا نصرانيين فان ذلك يدل على
ان شهادة بعضهم على بعض جائزة لان الله تعالى قال اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم فمعنى الاية
على هذا التاويل والله اعلم ان يكون المستخلف تركته عند ذميين على ما ذكر في القصة وقالا تركت
في ايدينا كذا وكذا وادعى الورثة اكثر من ذلك فاستحلف المدعى قبلهم وقوله تحبسونهما على هذا
التاويل هو المدعى عليهما وقوله عز وجل فان عثر على انهما استحقا اثما يريد والله اعلم ان يشهد عليهما
شاهدان منا او منهم بشيء وجداه ايهما من تركة الميت فهذا استحقاق الورثة فاذا قال المدعى
قبلهما اشتريناه من الميت فعلى الورثة ان يحلفوا فيها والله اعلم بمعنى قوله فاخران يقومان
مقامهما لان الورثة صاروا مدعى عليهم فقاموا في هذه الحال في وجوب اليمين عليهم مقام الاولين
لما كانت الاولين لما كانت الدعوى عليهم فهذا والله اعلم اقرب الوجوه في تاويل الاية واشبهها
وهو ان شاء الله معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وان لم يذكر تفسير قوله من غيركم وهو
والله اعلم على غير ديننا لانه ذكر المؤمنين جملة واصحابنا لا يجيزون شهادة اهل الكفر في الوصية

لمسلم

لمسلم لا في ضرورة ولا في غيرها لانهم مع اختلافهم اتفقوا في ان شهادة الكفار لا تجوز على غير الوصية
في حال ضرورة ولا في غيرها فشهادتهم في الوصية على المسلمين مثل ذلك وامكن ان يكون تاويل
الاية شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم في بيان ما يجوز شهادة
ذوي العدل منا في الحضر والسفر في الوصية وفي غير الوصية بقوله واشهدوا ذوي عدل
منكم وقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم الاية هذا في السفر والحضر في الدين وغير الدين
سواء فعلى ذلك الاول ثم ابتداء الحكم في غيره فقال او اخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض
فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فان قيل فما معنى قوله ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة
على وجهها قيل في ذلك بيان ان المؤتمن اذا دعيت عليه الخيانة وقال هو قد رددت ما كان في
فانه لا يصدق الا بعد ان يحلف فاذا علم انه لا يقبل قوله الا بيمين كان احرى ان يقول حذرا من ان
يحلف على كذب او يتحرج من الاثم في اليمين فتتبين خيانته فان قيل ما معنى قوله تحبسونهما من
بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم قيل يحتمل ان يكون على زيادة التغليظ في اليمين وللحاكم
ان يغلظ في اليمين على الخصم اذا اتهمه باكثر من هذا وهو ان يحضر يمينه جماعة اذا سال الخصم ذلك
او اكثر بعد الصلوة لما كان ذلك الوقت هو وقت الجلوس للحاكم بعد صلوة الفجر او بعد صلوة العصر
لا على التغليظ وان كانت الاية نزلت فيما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في نصرانيين فقد يجوز ان يكون
الله امر بذلك تغليظا عليهما وهما تميم وصاحبه اذ كانوا يعظمون وقت غروب الشمس وما قرب
من ذلك ووقت طلوعها لانه وقت عبادتهم اياها والله اعلم وقوله عز وجل فان عثر على انهما
استحقا اثما قال بعضهم فان اطلع منهما على خيانة انهما كتما وكذبا فجاء اخران يشهدان على غير ما شهد
عليه اجيزت شهادة الاخرين وابطلت شهادة الاولين قال القتبي فان عثر اي ظهر وقال ابو عبيدة
قوله فان عثر اي علم واطلع عليه يقال عثرت على فلان وعلى ما يفعل فلان اي علمت به واطلعت عليه اعثر
عثرا وكذلك اعثرنا عليهم في سورة الكهف من هذا اي اطلعنا عليهم واعلمناهم مكانهم ويقال اعثرت
فلانا على سر فلان اي اعلمته اي اعلمته ثم وعظ الله المؤمنين وحذرهم ان يفعلوا مثل ذلك فقال واتقوا
واسمعوا مواعظه والله لا يهدي القوم الفاسقين ما داموا في فسقهم او قال ذلك القوم علم الله
منهم انهم لا يرجعون عن ذلك ابدا وقوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا
انك انت علام الغيوب دل انه لا كما ذكروا ولكن للوجهين قال اهل التاويل انما يقولون ذلك لنزعهم
من هول ذلك اليوم وشدته تطير قلوبهم وتذهل افئدتهم فيقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب
فلو كان ذلك منهم للهول والفزع على ما قاله اهل التاويل لكان لا يشبه لهم الاجابة وقد قالوا
لا علم لنا انك انت علام الغيوب دل انه لا كما ذكروا ولكن للوجهين قال اهل التاويل انما يقولون ذلك
لنزعهم من هول ذلك اليوم وشدته تطير قلوبهم وتذهل افئدتهم فيقولون لا علم لنا انك انت علام
الغيوب فلو كان ذلك منهم للهول والفزع على ما قاله اهل التاويل لكان لا يشبه لهم الاجابة وقد
الاخرين والله اعلم احدهما ان سالهم عن حقيقة قومهم لهم بالضمائر اي لم نطلع على علم الضمائر والغيوب
فانت اعلم بذلك والثاني انه احدثوا امورا وابتدعوها من ذات انفسهم فنسبوا ذلك الى الرسل كقوله تعالى
وانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت
قلته فقد علمته الى قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به كانهم قالوا ان عيسى صلوات الله عليهم وعلى نبينا وعليه
هو الذي دعاهم الى ذلك فيقول لهم ماذا اجبتم فقالوا لا علم لنا فيما ادعوا علينا من الامور التي انوها
انك انت علام الغيوب بانا لم نقل لهم ولم ندعهم الى ما ادعوا من الامور على هذين الوجهين يخرج تاويل
الاية والله اعلم ومثل هذا السؤال لهم بما اخبر في اية اخرى انه يسالهم كقوله فلنسالن الذين ارسل
اليهم ولنسالن المرسلين ليسال الرسل عن تبليغ الرسالة الى قومهم ويسال قومهم عن اجابتهم لهم
ليقطع احتجاجهم وان لم يكن امر الحجاج وقوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك
وعلى والدتك الى اخر ما نعته عليه ما ذكر على اثره اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا
الى قوله اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت الاية يشهد في حال طفليته
بوحدانية الله وربوبيته واخلاص عبوديته له وذلك من اعظم نعم الله عليه وعلى منته وما ذكر

أيضاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني الآية
إلى آخر ما ذكر من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وكف بني إسرائيل عنه عند مجيء الآيات وهو كقوله
تعالى والله يعصمك من الناس ففيه أعظم النعم عليه وما ذكر أيضاً في بعض القصة أن ثبت أن عيسى
لما دفع إلى الكتاب جعل له المعلم يقول له باسم فيقول هو بسم الله وإذا قال المعلم باسم الله فيقول هو
الرحمن وإذا قال الرحمن فيقول هو الرحيم فيقول المعلم كيف أعلم من هو أعلم مني ونحو هذا كثير مما
يكثر ويطول ذكرها وأما ما أنعم الله على والدته هو ما ذكر في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن
وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً الآية وما ذكر في
قوله يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين طهرها عن جميع ما تبلى به بنات
آدم فذلك من أعظم النعم وأجل المنن ثم أمر عيسى بشكر ما أنعم عليه وعلى والدته حيث قال اذكر
نعمتي عليك وعلى والدتك وفي ذكر النعم شكرها وأمر أيضاً بشكر ما أنعم على والدته ليعلم أن على المرء
شكر ما أنعم على والدته كما يلزم شكر ما أنعم على نفسه وقوله عز وجل إذ أيدتك بروح القدس اختلف فيه
قال بعضهم بروح المبارك الذي أعطي فحيا [illegible] به كان يدعو الناس إلى توحيد الله وعبادتهم له
وقيل إن روح القدس هو الدعاء المبارك الذي به كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص بدعائه
وقال أهل التأويل الروح جبريل والقدس هو الله كقوله تعالى نزل به الروح الأمين الجبرئيل وقوله
عز وجل وإذ علمتك الكتاب والحكمة واحد الكتاب هو الحكمة والحكمة هي الكتاب لأن جميع كتب الله
كان حكمة وقال بعضهم الكتاب ما يكتب والحكمة هي ما يعطى الإنسان من العلم على غير تعلم وقال بعضهم
الكتاب هو الحفظ والحكمة هي الفقه وهو واحد وقوله عز وجل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير
بإذني وقوله وإذ تخلق من الطين أي تصور وتقدر من الطين كهيئة الطير كان من عيسى ليكون له آية
لصدقه ونبوته وعلى ذلك الآيات التي يأتي بها الرسل ليست الرسل يأتون بها في الحقيقة بل كان الله
هو الآتي بها والمنشئ تلك الآيات حقيقة لكنه يجريها على أيدي الرسل ليكون آيات صدقهم ودلالة
رسالتهم فأما أن يأتي الرسل بالآيات والحجج من عند أنفسهم فلا وقوله عز وجل تخلق ذكر التخليق لما
تسمي العرب تصوير الشيء وتقديره تخليقاً فعلى ذلك خرج الخطاب وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل
وتبرئ الأكمه قيل الأكمه الذي يولد أعمى وأما الأعمى فهو الذي يذهب بصره بعد ما كان بصيراً و
قيل الأكمه هو الذي لا حدقة له وهو ما ذكرنا والله أعلم وقوله عز وجل وإذ أوحيت إلى الحواريين
والحواريون قيل هم خواصه وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم حواريه وقد ذكرنا هذا
في سورة آل عمران الاختلاف ثم قوله أوحيت إلى الحواريين يحتمل الوحي إليهم وجهين أحدهما أنه أوحى
إلى رسوله عيسى عليه الصلاة والسلام فنسب ذلك إليهم وأضيف لأن الوحي إلى عيسى كالوحي إليهم
كقوله تعالى قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وما أنزل على كذا ما أنزل إلى رسول الله كالمنزل
إلينا فعلى ذلك الوحي إلى عيسى هو كالوحي إليهم والثاني أوحي إليهم وحي إلهام كقوله وأوحى ربك إلى
النحل الآية وقوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى ونحوه وحي إلهام وقذف لا وحي رسالة والقذف في القلب
من غير تكلف ولا كسب وهو الإخطار بالقلب على الشريعة أن آمنوا بي وبرسولي والخطر يكون من الله ويكون
من الشيطان لكن ما يكون من الله يكون خيراً تبين ذلك في آخره وقوله عز وجل قالوا آمنا واشهد بأننا
مسلمون يحتمل وجهين يحتمل قالوا لعيسى واشهد بالشهادات عند ربك بأننا مسلمون ويحتمل إذ سألوا ربهم أن
يكتبهم مع الشاهدين كقوله تعالى آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وقوله عز وجل إذ قال الحواريون يا عيسى ابن
مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء اختلف فيه قيل إن قوماً من الحواريين أن يسألوا
عيسى عليه الصلاة والسلام حتى يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء لأن الحواريين قد
ثبت أنهم كانوا خواص عيسى عليه السلام فكان من بدت له حاجة إلى بعض الملوك فإنه إنما يرجع
أولاً إلى خواصه فهم الذين يتولون رفعها إلى الملوك فعلى ذلك رفعوا حاجتهم إلى الحواريين ليسألوا
نبي الله عيسى عليه السلام ليسأل ربه وقال آخرون لم يسألوا قومهم ذلك ولكن الحواريين هم
الذين سألوا عيسى عليه السلام أن يسأل ربه حتى ينزل عليهم مائدة من السماء ولكن سألتهم ذلك
لما أرادوا أن يشاهدوا الآية ولم يكونوا شاهدوا واحتمل ذلك فأحبوا أن يشاهدوها وإن كانوا آم

قد آمنوا به وصدقوه من قبل ليزداد لهم بذلك طمأنينة ويقيناً وهو كقول إبراهيم عليه السلام رب أرني
كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي لما يحتمل أن نفسه كانت تحدث وتنازع في ذلك
وأحب أن يعاين ذلك ويشاهده ليزداد له طمأنينة ويقيناً فعلى ذلك ولذلك كان أنفسهم تحدث وتنازع
في مشاهدة الآيات فأحبوا أن يريهم بذلك ليزداد لهم طمأنينة ويقيناً وسكوناً في التصديق والله أعلم
والثاني يحتمل أن يكون عيسى يخبرهم أن لهم كرامة ومنزلة عند الله فأحبوا أن يعرفوا منزلتهم عند الله
وكرامتهم والثالث سألوا ذلك ليعرفوا منزلة عيسى عليه السلام عند الله وكرامته هل يجيب ربه دعاءه
إذا سأل ربه والله أعلم وإن كان السؤال من قوم غير الحواريين فهو لما بدت من الحاجة إليها لا يعلم
ذلك إلا بالخبر الصادق وقوله عز وجل هل يستطيع ربك يقرأ بالتاء والياء جميعاً فمن قرأ بالتاء
ذهب في التأويل إلى أن فيه إضماراً كأنهم قالوا هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء
ومن قرأ بالياء قال هل يستطيع ربك أي هل يجيب ربك دعاءك إذا دعوته أن ينزل مائدة من السماء
قال الفراء قد يكون مثل هذا السؤال على غير الجهل من السائل بالمسؤول لأنه يجوز أن يقال في الكلام هل يستطيع فلان
أن يقوم حاجتنا وفي أمرنا على علم منه يستطيع ربك علم منهم أن عيسى يستطيع السؤال لربه لكنهم قالوا ذلك
لما ذكرنا وذلك جائز في اللغة ويجوز أن يراد بالاستطاعة الإرادة يقول الرجل لآخر لا أستطيع أن أنظر إلى
فلان وهو يقدر النظر لكنه يريد بذلك لا أبتغي أن أنظر إليه فعلى ذلك قوله هل يستطيع ربك هل يأذن
لك ربك بالسؤال في ذلك والله أعلم وقوله عز وجل اتقوا الله إن كنتم مؤمنين أي اتقوا الله لا تسألوا
شيئاً لم يأذن لكم في ذلك إن كنتم مؤمنين وقوله عز وجل قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا قوله وتطمئن
قلوبنا يدل أنهم سألوا ذلك لما كانت تحدث أنفسهم وتنازع في مشاهدة الآيات ومعاينتها وإن كانوا صدقوا
عيسى عليه السلام فيما يقول لهم ويخبر عن الله للمعنى الذي ذكرنا في إبراهيم عليه السلام والله أعلم وقوله
عز وجل ونعلم أن قد صدقتنا اختلف في تلاوته وفي تأويله قال بعضهم بالنصب فهو في القراءة الظاهرة المشهور
ومعناه وأن نعلم ما قد صدقتنا والثاني أن العلم بالشيء من جهة الخبر ربما يعترض الوساوس والشبه فطلبوا آية
من جهة الحس والعيان ليكون ذلك أدفع لما يعترض من الشبه والوساوس وقوله عز وجل ونكون عليها من
الشاهدين أي نكون عليها لمن أنكرها من الشاهدين أنها نزلت وقوله عز وجل قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل
علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا أي طعاماً دائماً قال بعضهم قوله تكون لنا عيداً أي مجتمعاً و
[illegible] يوم الأحد فجعلوا ذلك اليوم يوم عيدهم ثم اختلف في نزول المائدة
[illegible]
[illegible] إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
العالمين في الآخرة والله أعلم بذلك كله وقوله عز وجل وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس [illegible]
[illegible]

انت علام الغيوب اى انت علام ما غاب عن الخلق وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به اى ما دعوتهم الا الى ما امرتنى ان ادعوهم اليه من التوحيد والعبادة وقوله عز وجل وكنت عليهم شهيدا اى شاهدا عليهم هذا تدل على ان ذلك القول كان منه وقت رفعه الى السماء ويكون يوم القيمة ويقال وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اى كنت عليهم حفيظا ما كنت بين ظهرهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم اى الحفيظ عليهم وانت على كل شئ شهيد بما امرتهم من التوحيد والعبادة لك وشاهدا عليهم بما قالوا من البهتان وذكر فى بعض القصة لما قال الله تعالى لعيسى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قيل قد ارتعدت مفاصله وخشي ان يكون قالها فقال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته الاية وذكر ايضا انه يتكلم يوم القيمة نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام وعدو الله ابليس لعنه فاما كلام عيسى عليه السلام يقول الله أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقال عيسى ابن مريم سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق الى قوله فانك انت العزيز الحكيم واما كلام اللعين فيقول ما كان لي عليكم من سلطان الاية وقوله عز وجل ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اختلف فيه عن الحسن قال يقول ذلك فى الاخرة ان تعذبهم ان تعذب من مات على ما كان منه من القول الوحش فى الله وان تغفر لهم اى وان تغفر لمن اكرمت له بالاسلام والهدى فانك انت العزيز الحكيم لان منهم من تراد من بعد هذا القول الوحش فى الله وقال اخرون هذا القول كان من عيسى فى الدنيا ان تعذبهم بقوله ان تعذب من مات على الكفر الذى كان منهم فانهم عبادك وان تغفر من اكرمت له الهدى فانك انت العزيز الحكيم وهم عبادك اذلاء وفى حرف ابن مسعود رضي الله عنه فانك انت الغفور الرحيم وهو ظاهر لانه ذكر انه غفور على اثر المغفرة وروى فى الخبر ان نبي الله عليه السلام كان احيى ليلة بقوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم به قام وبه سجد وبه قعد فهو والله اعلم على الشفع والتضرع اليه كانه قال ان اخذتهم فمن ذا الذى ينصرهم ويدفع ذلك عنهم دونك وهم عبادك اذلاء وان اكرمتهم فمن ذا الذى يمنعك عن اكرامهم والثانى ان تعذبهم تملك سلطان عليهم ولست انت فى تعذيبهم اياهم جائرا لانهم لانهم عبادك لان الجور هو المجاوزة عن الحد الذى له الى الحد الذى ليس له وقوله عز وجل قال الله هذا قيل قال يعني يقول الله يوم القيمة يوم ينفع الصادقين صدقهم اى اليوم ينفع الصادقين صدقهم فى الدنيا وينفع الصادق صدقه فى الدنيا لانه اذا عرف بالصدق قبل قوله وان لم يظهر صدقه فى قوله ثم اختلف فى الصادقين منهم قال بعضهم هم المؤمنون جملة اى يومئذ ينفع ايمان المؤمنين وتوحيد الموحدين فى الدنيا كقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقال بعضهم الصادقون هم الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل لهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقد ذكرنا فيما تقدم خالدين فيها ابدا خالدين وابدا واحد لكنه يذكر على التاكيد وقوله عز وجل رضي الله عنهم لسعيهم فى الدنيا ورضوا عنه بالثواب لسعيهم ويحتمل رضوا عنه بما وفقهم على سعيهم المحمود فى الدنيا ذلك الفوز العظيم لانه ليس بعده خوف الهلاك ولا خوف الفوت فهو الفوز العظيم ليس كفوز الدنيا لانه لا يذهب عنه خوف الهلاك ولا خوف الفوت وقوله عز وجل لله ملك السموات والارض وما فيهن كان هذا خرج على اثر قوله أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله كيف تتخذ اربابا وولدا وله ملك السموات والارض وملك ما فيهن

من الخلق كلهم عبيده واماؤه وهو على كل شئ قدير لا يعجزه شئ والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض الحمد هو الثناء عليه بما صنع الى خلقه من الخير الا ترى ان الذم نقيضه فى الشاهد ويحمد المرء بما يصنع من الخير ويذم على ضده فالتحميد هو تمجيد الرب والثناء عليه والشكر بما انعم عليهم والتسبيح هو تمجيد الرب وتنزيهه عما قالت الملحدة فيه من الولد وغيره والتهليل هو تمجيد الرب وتنزيهه عما جعلوا له من الشركاء والاضداد والوصف له بالواحدانية والربوبية والتكبير هو تمجيد الرب والوصف له بالعظمة والجلال وتنزيهه عما وصفوه بالعجز والضعف عن ان يكون ينشاء من العظام البالية خلقا وقوله تعالى الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور سفههم عز وجل بما جعلوا له من الشركاء والاضداد على اقرار منهم انه خلق السموات والارض ولم يجعلوا له شركاء فى خلقهما وعلى علم منهم انه تعلق منافع الارض بمنافع السماء مع بعد ما بينهما كيف جعلوا شركاء يشركونهم فى العبادة والربوبية وقوله تعالى وجعل الظلمات والنور قال الحسن الظلمات والنور الكفر والايمان وقال غيره من اهل التاويل الليل والنهار والنور

فى الحقيقة ما يكشف عما استر من الابصار ابصار الوجوه وابصار القلوب والظلم ما يستر ويغطي على الابصار ابصار الوجوه وابصار القلوب فالظلمة تجعل كل شئ مستورا عنه والنور يجعل كل شئ مستورا عليه والنور يجعل كل شئ كان مستورا ظاهرا باديا علمه هذا هو تفسير الظلمة والنور حقيقة وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قيل يشركون مما بين لهم ما يدل على وحدانية الرب وربوبيته اى جعلوا كل ما يعبدونه دون الله عديلا لله واثبتوا المعادلة بينه وبين الله تعالى وليس لله تعالى عديل ولا نديد ولا شريك ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الحسن بربهم يعدلون اى يكذبون وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين اى خلق ادم بالبشر من طين فاما خلق بني ادم من ماء كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين اخبر الله تعالى خلق ادم من الطين وخلق بني ادم سوى عيسى عليه السلام من النطفة وخلق عيسى عليه الصلوة والسلام من النفخ لا من الماء ليعلم انه قادر على انشاء الخلق لا من شئ وانه لا اختصاص للخلق بشئ ولا يكون ايضا انشاء الخلق واحياهم موتهم وذلك لانهم لا يخلوا اما ان صاروا ترابا او ماء او لا ذا ولا ذا فاذا راوا انه خلق ادم من الطين وخلق سائر الحيوان من الماء وخلق عيسى عليه الصلوة والسلام لا من هذين كيف انكروا انشاء الخلق بعد الموت وهو لا يخلو من هذه الوجوه التى ذكرنا فيكون دليلا على منكر البعث بعد الموت وعلى الدهرية فى انشاء الخلق لا من شئ فانهم ينكرون ذلك ويحيلونه ولهذا وقعوا فى القول بقدم العالم والله الهادي ويحتمل قوله هو الذى خلقكم من طين ان يراد به فى حق جميع بني ادم واضاف خلقنا الى الطين وكان الخلق من الماء لما بقي فى خلقنا من قوة ذلك الطين الذى فى ادم واثره وان لم نره تلك القوة وذلك الاثر وهذا كان الانسان يرى انه ياكل ويشرب ويغتذى ويحصل به زيادة قوة فى سمعه وبصره وفى جميع جوارحه وقد يجى بها جميع الحوائج وان لم نر تلك القوة كذلك هذا ويحتمل ايضا على ما روى فى القصة انه يمازج مع النطفة شئ من التراب فيؤمر الملك بان ياخذ شيئا من التراب من المكان الذى يحكم بان يدفن فيه فيخلط بالنطفة فيصير علقة ومضغة فانما نسبهم الى التراب لهذا ويحتمل النسبة الى التراب وان لم يكونوا من التراب لما ان اصلهم من التراب وهو ادم وقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى فالقضاء يتوجه الى وجوه كلها ترجع الى معنى انقطاع الشئ وتمامه وقد يكون لابتداء فعل وانشائه

سقط ورقة من الاصل

كقوله تعالى فاقض ما انت قاض ويكون بيان الغاية ويكون الامر ويكون غير ما ذكرنا ثم قوله قضى اجلا يحتمل
هذا كله سوى الاول ثم قوله قضى اجلا قيل هو الموت واجل مسمى يوم القيمة اطلعنا على احد الاجلين وهو
لانا نرى من يموت ونعاين ولم يطلعنا على الاخر وهو الساعة والقيامة وقيل قضى اجل اهل الدنيا من خلقت
الى ان يموت واجل مسمى عنده يوم القيمة وقوله عز وجل ثم انتم تمترون اى تشكون وتكذبون بعد هذا كله
وقوله عز وجل وهو الله فى السموات وفى الارض هذا والله اعلم صلة قوله الحمد لله الذى خلق السموات و
الارض فاذا كان خالقهما لم يشركه احد فى خلقهما كان اله من فى السموات واله من فى الارض لم يشركه احد
فى الوهيته ولا فى ربوبيته ويحتمل قوله وهو الله فى السموات وفى الارض اى الى تدبير الله ما فى السموات و
ما فى الارض وحفظه اليه لانه هو المنفرد بخلق ذلك كله فاليه حفظ ذلك وتدبيره وقوله عز وجل يعلم سركم
وجهركم اختلف فيه قيل يعلم سركم ما تضمرون فى القلوب وجهركم ما تنطقون ويعلم ما تكسبون من الافعال
التى عملت الجوارح اخبر انه يعلم ذلك كله ليعلموا ان ذلك كله يحصيها ليحاسبهم على ذلك كقوله ان تبدوا
ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اخبر انه يحاسبهم بما ابدوه وما اخفوه فعلى ذلك الاول فيه اخبار
ان ذلك كله يحصيه عليهم ويحاسبهم فى ذلك ليكونوا على حذر من ذلك وخوف وقيل يعلم سركم ما خلق
فيهم من الاسرار من نحو السمع والبصر وغيرهما الا ان البشر لا يعرفون ماهية هذه الاشياء وكيفيتها ولا
يدرون ذلك كما يدرون غيرها من الاشياء ولا يعرفون حقايقها اخبر انه يعلم ذلك وانهم لا يعلمونه وقوله عز وجل
وجهركم اى الظواهر منكم ويعلم ما تكسبون من الافعال والاقوال وقوله عز وجل وما تأتيهم من اية من ايات
ربهم الا كانوا عنها معرضين يحتمل ما تأتيهم من اية من ايات توحيده او من ايات اثبات رسالة محمد ونبوته

صح

صلى الله عليه وسلم فى اثبات البعث والنشور بعد الموت لما اخبر انه خلقهم من طين فاذا ماتوا صاروا ترابا فاذا
كانوا ابتدى انشاؤهم من طين فاذا عادوا اليه يقدر على انشائهم ثانيا اذ ليس انشاء الثانى باعسر من الاول ثم يحتمل
الايات ايات القران ويحتمل الايات ايات القران ويحتمل الايات ما كان اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الايات سوى ايات القران ثم اخبر عن تعنتهم ومكابرتهم بقوله وما تأتيهم من اية من ايات ربهم
الا كانوا عنها معرضين فاذا اعرضوا عنها لم ينتفعوا بها ليعلم انه انما ينتفع بالايات من تاملها ونظر
فيها لا من اعرض عنها ثم سورة الانعام انما نزلت فى محاجة اهل الشرك ولو لم يكن القران معجزا كانت سورة
الانعام معجزة لانها نزلت فى محاجة اهل الشرك فى اثبات التوحيد والالوهية لله والبعث فكيف
وقد جعل الله القران اية معجزة اعجز البشر عن اتيان مثله ولم يكن يومئذ يعرف التوحيد والبعث كانوا
كلهم كفارا عبدة الاوثان والاصنام لا يحتمل ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم الف وانشاء من ذات
نفسه ليعلم انه انما عرف ذلك بالله وفيه دلالة اثبات المحاجة فى التوحيد والمناظرة فيه لان اكثرها نزلت
فى محاجة اهل الشرك وهم كانوا اهل شرك وينكرون البعث والرسالة فنزل اكثرها فى محاجتهم فى
التوحيد واثبات البعث والرسالة وفيه انه اذا ثبت فساد قول احد الخصمين ثبت صحة قول الاخر لان
ابرهيم لما قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الافلين اثبت فساد عبادة من يعبد الافل بالافول وقوله عز وجل
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يحتمل الحق الايات التى كان يأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايات
التوحيد واثبات البعث ويحتمل القران ولو لم يكن يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باية كانت نفسه
اية عظيمة من اول نشاءه الى اخر عمره انه عصم حتى لم يأت منه ما يستسمج ويستقبح قط فدل ان ذلك
لما جعله اية فى نفسه وموضعا لرسالته وعلى ذلك اجابة ابى بكر رضى الله عنه فى اول دعوة دعاه الى
ذلك لما كان راى منه ايات فلما دعاه اجابه فى ذلك لما كان معه ايات عظيمة واعلام عجيبة وقوله
عز وجل فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون معناه والله اعلم ان يأتيهم وينزل بهم ما نزل بالمستهزئين
والاكان الامم انباء ما نزل بالمستهزئين ولكن نحاه ما ذكرنا الى ينزل بهم ويحل ما نزل وحل بالمستهزئين
ويحتمل وجها اخر قوله فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون وهو العذاب لان الرسل كانوا يوعدون
ان ينزل بهم العذاب بتكذيبهم الرسل فعند ذلك يستهزءون بهم كقوله عجل لنا قطنا وكقوله ويستعجلونك
بالعذاب وغير ذلك اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم فاخبر انه ينزل بهم ذلك كما نزل باوليك وقوله عز وجل الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
وقال ابو بكر الكيسانى الم يروا قدروا وانا اهلكنا من قبلهم من قرن وهو احد قدروا واثار الذين اهلكوا
بتكذيبهم الرسل وتعنتهم ومكابرتهم لكنهم لم يعتبروا بذلك وقوله عز وجل مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم
قال بعضهم اعطيناهم من الخير والسعة والاموال ما لم نمكن لكم يا اهل مكة اى لم نعطكم ثم اذا كذبوا الرسل
اهلكهم الله تعالى وعاقبهم بانواع عقوبة ويحتمل مكناهم فى الارض من القوة والشدة كقوله وقالوا من
اشد منا قوة ثم مع شدة قوتهم اهلكوا اذا كذبوا الرسل ويحتمل وجها اخر مكناهم فى الارض اى
فى قلوب الناس من نفاذ القول وخضوع الخلق لهم لانهم كانوا ملوكا وسلاطين الارض من نحو نمرود
وفرعون وعاد مما كانوا كذلك اهلكوا اذا كذبوا الرسل وانتم يا هؤلاء ليس لكم شئ من ذلك افلا
تهلكون اذا كذبتم الرسل وانما حملهم على تكذيب الرسل والله اعلم لما كانوا اهل سعة وقوة فلم يروا الخضوع
لمن دونهم فى ذلك تجبرا وحمية وانما اخذوا ذلك من ابليس اللعين حيث قال عند امره بالسجود لادم
فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فعل ذلك هؤلاء الكفرة راوا الامر بالخضوع لمحمد صلى الله
عليه وسلم جورا منه حتى قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله عز وجل وارسلنا السماء
عليهم مدرارا قال القتبى مدرارا بالمطر اى غزيرا من در يدر وقال ابو عوسجة اى درت عليهم السماء بالمطر اى
كثر ودام وتتابع واحدا بعد واحد فى وقت الحاجة وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم اخبر عن سعة اوليك وانعم عليهم
من كثرة الامطار والانهار ولم يكن ذلك لهؤلاء ثم مع ما كان اعطاهم ذلك اهلكهم اذا كذبوا الرسل فان قيل ذكر اهلاك
هؤلاء وخوفنا اوليك ذلك بتكذيبهم الرسل والاولياء من قبل قيل لان اهلاك اوليك اهلاك عقوبة وتعذيب
لانه كان اهلكهم هلاك استيصال واستيعاب خارجا من الطبع واهلاك اوليك الرسل والاولياء لا اهلاك عقوبة
خارجا من الطبع لذلك كان لا ما ذكرنا وقوله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم يخبر لشدة

تعنتهم انهم وان اتوا ما سالوا من الآيات لم يؤمنوا به لانهم كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ينزل كتابا يعاينوه ويقرؤنه كقوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكقوله لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة ونحوه من الآيات يقول ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس اي في صحيفة مكتوب
يعلمون انه لم يكتب في الارض ولمسوه بايديهم وعاينوه لم يؤمنوا به ولا صدقوه قالوا ان هذا الا سحر مبين
يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون ويخبره بشدة تعنتهم انهم لا يؤمنون وان جئت بكل اية
اذ قد اتاهم من الآيات ما ان تاملوا ولم يتعنتوا لدلتهم على ذلك لكنهم اعرضوا عنها وتباعدوا فيها لتعنتهم
وشدة مكابرتهم والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه ملك ان مشركي العرب كانوا لا يعرفون
الرسل ولا الكتب ولا كانوا امنوا برسول ولا كتاب فقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا ونحوه
من السؤال يسالون انزال الملك ثم يحتمل سؤالهم انزال الملك لما لم يكونوا راوا الرسل يكونون من البشر وانما
راوا الرسول ان كان يكون ملكا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة ويحتمل ان يكون سؤالهم انزال الملك سؤال
عناد وتعنت لا سؤال طلب الرسول من الملائكة فقال ولو انزلنا ملكا على ما سألوا لقضي الامر اي ان الملك
اذا نزل على اثر سؤال العناد والتعنت ينزل بالعذاب والهلاك فهذا يبين ان سؤالهم سؤال تعنت
وعناد وقوله عز وجل وقضي الامر ثم لا ينظرون انهم كانوا يسألون انزال الملك ليصدقه عليه السلام
فقال ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون اي يهلكون لان الآيات اذا نزلت على اثر سؤال القوم
ثم خالفوا تلك الآيات وكذبوها لنزل بهم العذاب والهلاك واما جاءت الآيات على غير سؤال فكذبوها
يمهلون ولا يعذبون عند تكذيبهم والله اعلم وقوله عز وجل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قيل ادميا بشرا
يحتمل هذا وجوها اي لو بعثنا الرسول ملكا لجعلناه على صورة البشر لانه لو كان على صورة الملائكة لصعقوا
ودهشوا لانه ليس في وسع البشر رؤية الملك على صورته الا ترى ان جبريل عليه الصلوة والسلام اذا اتى
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل على صورته لبشريته حتى ذكر ولكن كان ينزل على صورة البشر حتى ذكر انه كان
ينزل على صورة دحية الكلبي وانه متى راه على صورته اصعق وتغير حاله فاذا راوا ذلك في وجهه قالوا انه مجنون
فقال ولو جعلناه رجلا ويكون فيه ما فيه رسول الله من اللبس فيه والثاني لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
لانهم لا يعرفون صدقه فيحتاجون الى الدلائل والآيات تدلهم على انه ملك وعلى صدقه فذلك لا يعرف الا
لا يعرفون ولا صدقه وقوله عز وجل وللبسنا عليهم ما يلبسون الاية قالوا لا يجوز اضافة اللبس الى الله تعالى
الا على المجازاة للشركاء لاستهزاء والمكر والخداع ويحتمل قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لو جعلناه ملكا لا
للبسنا عليهم ما لبسوا اولئك على ضعفهم حيث قالوا ما هذا الا بشر مثلكم وما انتم الا بشر مثلنا وغير ذلك
من الكلام لكنا لا نفعل حتى لا يكون ذلك لبسا اذ ليس في وسعهم النظر الى الملك ولو جعلنا ذلك لبسا لا
كان لنا الحجة في قوله ولولا انزل عليه ولو انزلنا ملكا لقضي الامر انا لو ان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
الملك وقال ولو انزلنا ملكا لقضي الامر وانتم تقولون انه قد انزل عليه الملك وهو اخبر لو انزل عليه الملك
لقضي الامر ولم يقض الامر كيف لا بان لكم انه انما اخترع ذلك من نفسه لان الله انزل عليك قيل انهم انما سألوا
ان ينزل عليهم الملك وان لم يذكر في الاية السؤال ما ذكر في اية اخرى كقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى
ربنا وسألوا ان ياتيهم الملائكة وتاتيه قالوا كيف يختص هو بايتان الملائكة دوننا وهو كواحد منا
كقوله لولا تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وهذا جائز ان يكون رسوله لم يذكر ويكون في الجواب
بيان ذلك على ما ذكرنا من قبل في غير موضع وقوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن يصبر رسوله على تكذيب قومه ليعلم انه ليس هو اول مكذب ولكن قد كذب
الرسل الذين من قبلك ويخبره انه يلحق هؤلاء بتكذيبك كما لحق اولئك بتكذيبهم الرسل وقوله عز وجل فحاق
قال ابو عوسجة حاق اي رجع يقال حاق يحيق حيقا اي رجع عليهم وقال القتبي حاق بهم اي احاط بهم و
نزل وقوله عز وجل قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ليس على الامر بالسير في
الارض ولكن على الاعتبار والتفكر فيما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل لانه عز وجل اراهم ايات عقلية
فلم ينفعهم ذلك فاراد ان يريهم ايات حسية ليمنعهم ذلك عن التكذيب والعناد وقوله عز وجل قل لمن
ما في السموات والارض قال اهل الاية يحتمل وجهين احدهما ان يخرج مخرج البيان لهم انه له ليس على الامر
بكان لانه لو كان على الامر لكان يذكر سؤالهم ولم يذكر ان سؤالهم لا يحتمل ان لا يخبروه ذلك فلما لم يذكر

سؤاله لهم من ذلك ولا يحتمل ان يأمره بالسؤال ثم لا يسأل او يسأل هو ولا يخبرونه فدل انه على البيان
خرج لا على الامر والثاني على امر سبق كقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله وكقوله
قل من بيده ملكوت كل شيء الى قوله سيقولون لله وقوله قل من رب السموات والارض ونحوه كان على امر
سبق فيجيبهم عز وجل حتى قالوا الله كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ذلك تسخير
منه اياهم حتى قالوا الله وفي حرف ابن مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهما قل لمن ما في السموات والارض
قالوا الله هذا يدل على انه كان على امر سبق وقال بعضهم قل لمن ما في السموات والارض قل لله اي سألهم فان
اجابوك فقالوا الله والا فقل لهم انت لله وقال قائلون فان سألوك لمن ما في السموات والارض فقل لله
وقوله عز وجل كتب على نفسه الرحمة قال الحسن كتب على نفسه لثوابه ان يدخلهم الجنة بعمله انما يدخلون
الجنة برحمته وعلى ذلك جاء الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل احد الجنة الا برحمته قيل ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقيل كتب على نفسه الرحمة ان يجمعهم الى يوم القيمة
اي من رحمته ان يجمعهم الى يوم القيمة حيث جعل للعدو عذابا وللولي ثوابا اي من رحمته ان يجمعهم جميعا
ليعاقب العدو ويثيب الولي وقيل اي من رحمته ان جعل لهم الجمع بما وعد العاصي العذاب ووعد المطيع
الثواب ليمنع العاصي ذلك عن عصيانه ويرغب المطيع في طاعته وذلك من رحمته وقال قائلون
كتب على نفسه الرحمة لامة محمد ان لا يعذبهم عند التكذيب ولا يستاصلهم كما عذب غيره من الامم واستاصلهم
عند التكذيب فالتاخير الذي اخرهم الى يوم القيمة من الرحمة التي كتب وقوله عز وجل ليجمعنكم الى يوم القيمة
قيل الى صلة ومعناه ليجمعنكم يوم القيمة وقيل الى يوم القيمة اي ليوم القيمة كقوله ليوم لا ريب فيه وقال
قائلون قوله ليجمعنكم في القبور الى يوم القيمة والقرون السالفة وقوله عز وجل لا ريب فيه اي لا ريب
في الجمع والبعث بعد الموت عند من يعرف ان خلق الخلق للفناء خاصة لا للبعث والاحياء بعد الموت
الثواب والعقاب ليس بحكمة وقوله عز وجل الذين خسروا انفسهم قد ذكرنا وقوله عز وجل وله ما سكن
في الليل والنهار وهو السميع العليم في الاية والله اعلم اثبات ان الخلق كلهم تحت قهر الليل والنهار وسلطانهما كانهم
مقهورين مغلوبين اذ لم يكن لاحد من الجبابرة والفراعنة الامتناع منهما ومن احدهما الى الاخر بل يدور
شاؤا او ابوا وسلطانهما جار عليهم ليعلموا ان لغيرهم فيهما تدبيرا وان قهرهما الخلق وسلطانهما كان بسلطان
من له التدبير والعلم ثم جريانهما عن سنن واحد يدل على ان منشئهما واحد ومدبرهما عليم حكيم وقال بعض اهل
التاويل ما سكن في الليل والنهار وما استقر في الليل والنهار من الدواب والطير في البر والبحر فيهما ما يستقر
نهارا وينتشر ليلا وفيهما ما ينتشر بالليل ويستقر بالنهار وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ما سكن في الليل
والنهار وذلك انه كان اهل مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا [illegible]
هذا الذي تدعوا اليه الا الحاجة فنحن نجعل لك في اموالنا [illegible]
ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم [illegible]
ان الخلق كلهم تحت قهرهما وسلطانهما وفيهما وجوه من الحكمة احدها [illegible]
[illegible]
المنافع [illegible] وقوله عز وجل وهو
السميع [illegible] العليم [illegible] وقوله عز وجل قل اغير الله اتخذ وليا وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنهما [illegible] قل لمن ما في السموات والارض [illegible] فاطر السموات والارض [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل وهو يطعم ولا يطعم قال اهل التاويل [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله عز وجل قل اني امرت ان اكون اول من اسلم [illegible]
الى الله والله هو الغني الحميد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لانه قال انى امرت ان اكون اول من اسلم اخبر انه امر بذلك واذ لم يكن ثمة امر لم يلزم لكن الوجه في
الاية ما ذكرنا اى امرت ان اسلم واخضع او لانه امر عبرى فاذا كان التاويل هذا بطل ان يكون في ذلك
حجة لهم وقوله عز وجل قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما قل يا محمد
لكفار اهل مكة انى اخاف اى اعلم ان عصيت ربى فعبدت غيره عذاب يوم عظيم فهذا التاويل صحيح لئن
ان كان ما ذكر من سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضهم المال عليه ليعود ويرجع الى دينهم فيخرج
هذا على الجواب لهم وقال بعضهم قوله تعالى انى اخاف ان عصيت ربى على الخوف لكن لقائل ان يقول كيف خاف
عذاب يوم عظيم وقد اخبر انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكيف قال ان عصيت وقد اخبر انه عصمه وغفر له
قيل يحتمل ان يكون المغفرة على شرط الخوف غفر له لخاف عليه وقوله عز وجل من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه
قال بعض المعتزلة الرحمة ههنا الجنة لان الله تعالى جعل في الاخرة دارين احدهما النار سماها سخطا والاخرى
الجنة سماها رحمة وانما حملهم على هذا لانهم لا يصفون الله بالرحمة بالازل فحمل قولهم بكون قول رسول
صلى الله عليه وسلم الا ان يتغمدنى الله برحمته فيصير تقديره لا يدخل احد الجنة الا بجنته اى يغنينى الجنة
ولكن سميت الجنة رحمة عندنا لما برحمته يدخلون الجنة لا باعمالهم لما روينا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال لا يدخل احد الجنة الا برحمته قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله
برحمته يدخل فيها وعلى هذا يخرج ما سمى المطر رحمة لما برحمته ينزل وكذلك كل ما سمى رحمة في الشاهد
يخرج على ما ذكرنا والله اعلم ثم قوله من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وكذلك روى في حرف حفصة من يصرف عنه
شر ذلك اليوم فقد رحمه ويحتمل ان يكون قوله من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه صلة قوله قل انى اخاف
ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال في قوله تعالى قل انى اخاف
قل لكفارة اهل مكة حين دعوك الى دينهم على ما ذكر في بعض القصة انى اخاف ان عصيت اى عذاب
يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وقوله عز وجل وذلك الفوز المبين وذلك الصرف يعنى صرف
العذاب الفوز المبين وانما ذكره والله اعلم فوزا مبينا لانه فوز دائم لا زوال له وليس كفوز هذه
الدنيا يكون في وقت ثم يزول عن قريب وكذلك فوز الاخرة وقوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو وان يمسسك بخير ذكر اخبار ان ما يصيب العبد من الضرر والخير انما يصيب بهم ثم الضر المذكور
في الاية لا يخلو من احد وجهين اما سقم النفس او ضيق العيش او شدة وظلم يكون من العباد لا يخلو من هذه
الاوجه الثلاثة فاذا كان كذلك فقد اضافه ذلك الى الله تعالى على انه فعله وهو الذى خلق فعل
ذلك منهم فهو على كل شىء قدير من كشف الضر وله والصرف عنه واصابة الخير لا يملك ذلك غيره وقوله
عز وجل وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير في هذه الاية والاية الاولى ذكر اهل التوحيد لانه
اخبر ان ما يصيب العباد من الضر والشدة انه لا كاشف لذلك الا هو ولا يدفع ذلك عنهم ولا
يصرف الا الله وان ما يصيبهم من الخير انما يصيب ذلك بالله واخبر انه على كل شىء قدير وفي قوله وهو
القاهر فوق عباده اخبار انه قاهر يقهر الخلق عزيز قادر وله سلطانه عليهم وانهم اذ لا تحت سلطانه
وفي قوله فوق عباده اخبار بالعلو والعظمة وبالتعالى عن اشباه الخلق وهو الحكيم يضع كل شىء موضعه
الخبير بما يسرون وما يعلنون اخبار ان لا يخفى عليه شىء وانه يملك وضع كل شىء موضعه وان ما يصيبهم
من الضر والشدة انما يكون بيد لا يملك احد صرفه وان ما ضر احد احدا في الشاهد او نفع احد احدا
ان ما يكون ذلك بالله في الحقيقة وفي هذه الاحرف اخبار عن اهل التوحيد وما يحتاج اليه لما ذكرنا
من الوصف له بالقدرة والقهر والوصف له بالعلو والعظمة والتعالى عن اشباه الخلق والوصف
له بالحكمة في جميع افعاله والعلم بكل ما كان ويكون وقوله عز وجل قل اى شىء اكبر شهادة كان في
الاية اضمار والله اعلم ان قل يا محمد اى شىء اكبر شهادة فيقولون الله لانهم يقرون انه خالق
السموات والارض وانه اعظم من كل شىء لكنهم يشركون غيره في عبادته ويقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وان كانوا يقرون بالعظمة له والجلال فاذا سالوا اى شىء اكبر شهادة
فيقولون الله ويحتمل ايضا ان يقول لنبيه عليه الصلوة والسلام انهم اذا سالوا اى شىء اكبر شهادة
قل الله فانك اذا قلت لهم ذلك يقولون هم ايضا وقوله عز وجل قل الله شهيد بينى وبينكم في
كل اختلاف بيننا وبينكم في التوحيد والبعث بعد الموت ونحوه ويحتمل قل الله شهيد بينى وبينكم

في كل حجة وبرهان اتاها الرسول بهم وفي قوله قل اى شىء دلالة انه يقال له شىء لانه لو لم يجز ان يقال له
شىء لم يستثن الشىء منه وكذلك في قوله ليس كمثله شىء انه شىء لا كالاشياء في الشاهد انما يقال اما للنفى
او للتصغير فلا يجوز في الغائب النفى ولا التصغير انه دل انما يراد بالشىء والاثبات خبر بالله العصمة
ذكر في بعض القصة في قوله قل اى شىء اكبر شهادة ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا محمد اما وجد الله رسولا يرسله غيرك ما نرى احدا يصدقك بما تقول ولقد سألنا عنك
اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة ولا بعث فارنا من يشهد لك انك رسول
الله فقال الله سبحانه وتعالى يا محمد قل لهم اى شىء اكبر شهادة يقول اعظم شهادة يعنى البرهان محمد
محجة وبرهان وكل نبى حجة وبرهان فان اجابوك فقالوا الله فقل لهم الله اكبر شهادة من خلقه انى رسول
والله شهيد بينى وبينكم في كل اختلاف بيننا وبينكم في التوحيد واثبات الرسالة والبعث وكل شىء
وذكر في هذه القصة انهم لما قالوا من يشهد ان الله ارسلك رسولا قالوا فهلا انزل اليك ملك
فقال لنبيه قل لهم اى شىء اكبر شهادة فقالوا الله اكبر شهادة من غيره فقال الله قل لهم يا محمد الله
شهيد بينى وبينكم انى رسول الله وانه اوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ القران من الجن والانس
فهو نذير له ثم قال لهم ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قالوا نعم نشهد فقال الله لنبيه قل
لهم لا اشهد بما شهدتم ولكن اشهد انما هو اله واحد وانى برىء مما تشركون وقوله عز وجل واوحى
الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ كانه قال اوحى الى هذا القران الذى يعرفون انه من عند الله جاء لانه
قال لهم فاتوا بسورة من مثله فعجزوا عن اتيان مثله فدل عجزهم عن اتيان مثله انهم عرفوا انه جاء
من عند الله وقوله عز وجل ومن بلغ كانه قال واوحى الى هذا القران لانذركم به وانذر من بلغ القران
صار رسول الله صلى الله عليه وسلم نذيرا ببلوغ القران لمن بلغه وان كان هو في اقصى الدنيا يصير هو
نذيرا في اقصى الزمان في كل زمان وهو والله اعلم كقوله تعالى ولكل قوم هاد لقومه الى يوم القيمة
وفي الاية دلالة ان البشارة والنذارة يجوز ان يبعث اخر بشيرا ونذيرا وهو دليل لقول اصحابنا
ان من حلف اى عبد من عبيده بشرنى بكذا فهو حر فبشره برسول او كتاب يكون بشارة وقوله عز وجل
ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى هذا في الظاهر استفهام ولكنه في الحقيقة ايجاب انكم
تشهدون ان مع الله الهة اخرى بعد ما ظهر عندكم ايات وحدانيته وحجج ربوبيته لما عرفتم انه خالقكم
وخالق السموات والارض [illegible] ان مع الله الهة
اخرى [illegible] انما هو اله واحد [illegible]
وانى برىء مما تشركون وقوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قيل
نزلت سورة [illegible] في محاجة اهل الشرك الا ايات نزلت في محاجة اهل الكتاب احدها هذه [illegible]
ان يكون اهل الشرك [illegible] يعرفونه كما يعرفون ابناءهم [illegible] الكتاب هو القران ههنا [illegible]
هذا القران [illegible] اهل الكتاب [illegible] نعته
وصفته [illegible] عرف اهل الشرك [illegible] كما عرف اهل الكتاب بوجود نعته وصفته [illegible]
في كتابهم وروى عن عمر بن الخطاب انه قال لعبد الله بن سلام ان الله قد انزل على نبيه عليه السلام
بمكة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد
عرفته حين رايته كما اعرف ابنى اذا رايته مع الصبيان يلعب وانا اشد معرفة بمحمد منى لابنى فقال
كيف ذلك فقال انا اشهد انه رسول الله حق من الله ولا ادرى ما صنع النساء [illegible]
ونعته في كتابنا فقال عمر صدقت واصبت وقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته [illegible]
لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا [illegible] كانه سؤال واستفهام كانه قال من اظلم ممن
[illegible] والله اعلم
على السؤال [illegible] الله الهة اخرى
[illegible] عز وجل وكذب باياته [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] القران انه لا يفلح الظالمون قال بعضهم
[illegible] لا يفلح الظالمون ما داموا في ظلمهم [illegible] لا يفلح الظالمون [illegible]
على الظلم والكفر وقوله عز وجل ويوم نحشرهم جميعا المطيع والعاصى والكافر والمؤمن ثم نقول الذين

اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ذكر ههنا شركاءكم اضاف ذلك اليهم لانهم كانهم من جنسهم
وجوههم يعبدون كما يعبدون وذكر في اية اخرى شركاء في الذين كنتم انهم شركاء في وقوله عز وجل ثم
لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قال الحسن الاية نزلت في المنافقين وذلك انهم
كانوا يكذبون في الدنيا فيما بينهم فظنوا ان يتروج كذبهم في الاخرة كما كان يتروج في الدنيا وسماهم
مشركين لانهم كانوا اشركوا في السر فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال غيره من اهل
التاويل الاية نزلت في اهل الشرك من العرب وذلك انهم كانوا يشركون مع الله الهة وكانوا
ينكرون البعث بعد الموت وينكرون الرسالة فلما عاينوا ذلك انكروا ان يكونوا اشركوا غيره
في الوهية وربوبية وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي لم يكن اختيارهم في الدنيا بافترائهم
على الله الكذب واشراك غيره معه وتكذيبهم ايات الله الا ان قالوا في الاخرة والله ربنا ما كنا
مشركين وذكر في بعض القصة ان المشركين في الاخرة لما راوا كيف يتجاوز الله عن اهل التوحيد
فقال بعضهم لبعض اذا سئلنا فقولوا انا كنا موحدين فلما جمعهم وشركاءهم فقال اين شركاؤكم الذين
كنتم تزعمون في الدنيا بانهم معي شريك ثم لم تكن فتنتهم قال اهل التاويل معذرتهم وجوابهم الا
ان الكذب حين سئلوا فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين تبرءوا من ذلك ثم قال الله انظر كيف كذبوا
على انفسهم وضل عنهم في الاخرة ما كانوا يفترون من الشرك في الدنيا قيل لما انكروا ان يكونوا مشركين
في الدنيا ختم الله على السنتهم وشهدت الجوارح عليهم بالشرك وقيل انظر كيف كذبوا على انفسهم
يقول كيف صار وبال كذبهم عليهم وضل عنهم قيل واشتغل عنهم ما كانوا يفترون يقول يكذبون
واصله انه يذكر نبيه شدة تعنتهم وسفههم انهم كيف يكذبون عند معاينة العذاب فاذا كانوا
بهاي سند وبعد كانوا اشد تكذيبا واكثر تعنتهم لانهم يطلبون ان يردوا الى الدنيا فيشفعوا لنا او نرد
فنعمل غير الذي كنا نعمل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله عز وجل ومنهم
من يستمع اليك كانوا يستمعون اليه ليجادلوه على ما ذكر حتى اذا جاءوك يجادلونك دل هذا انهم
انهم كانوا يستمعون اليه للمجادلة معه والخصومة وقيل في بعض الحكايات ان الناس كانوا
فرق في اخبار الرسل والانبياء عليهم الصلوة والسلام منهم من يستمع للتحي والاستكبار ومنهم
من يستمع لياخذ عليهم سقطاتهم وما يجري على لسانهم من الخطاء ومنهم من يستمع لياخذ الحق
منه ويترك الباقي لكن هؤلاء يستمعون اليه ليخاصموا في ذلك ويجادلوه ليعرف قومهم انهم
يستمعون اليه ويعرفون ما يقول ليصدوا بذلك اتباعهم والثاني يستمعون ويحاجون في ذلك
ليعرفوا انهم اهل حجاج وعلم ليصدوهم عنه ثم يحتمل ان يكونوا اهل نفاق لانهم كانوا يرون
ويظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويضمرون الخلاف لم يحتمل الشرك
اي رؤساؤهم يستمعون اليه ويجادلونه فيما يستمعون اليه وقوله عز وجل وجعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا اخبر ان على قلوبهم اكنة وفي اذانهم وقرا وقال صم بكم عمي
نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا بذلك كله وان لم يكونوا في الحقيقة صما ولا بكما ولا ما ذكر بما يستمع
بما انشاه فيهم من السمع والبصر والعقل نفى عنهم ذلك ثم قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة لم يخلوا اضافة
ذلك الى نفسه من ان يكون خلق منهم فعل الكفر او جعل الظلمة التي في قلوبهم يعني ظلمة الكفر تستر و
تغطي كل شي ونور الايمان ينير منه كل شي فاضافة الفعل اليه لا يخلو من احد هذين الوجهين اما
الخلق فعل الكفر منهم ففيه دلالة خلق افعالهم واما الخلق ظلمة الكفر في قلوبهم وفيه رد قول
المعتزلة لانكارهم خلق فعل العباد وقوله عز وجل وفي اذانهم وقرا قيل الوقر ههنا الثقل في السمع
يقال وقرت اذنه توقر وقرا فهي موقورة واما الوقر فهو الحمل وقال ابو عوسجة الوقر الصمم
ايضا وقوله عز وجل وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها يحتمل كل اية اية وحدانية او ربوبية وقدرته
على البعث واية رسالته ويحتمل كل اية سالوا ان ياتي بها يقول وان اوتيت بكل اية لا يؤمنون بك بعد ذلك
ابدا كقولهم لولا انزل عليه الملائكة او نرى ربنا ونحو ذلك مما سالوا من الايات يقول انك وان جئت بما
سالوك من الايات لا يؤمنون بك ولا يصدقونك يقولون ان هذا الا اساطير الاولين اي ما هذا
الا اساطير الاولين قيل احاديث الاولين والاسطورة الكتاب يقولون ذلك تعنتا منهم لانهم كانوا

يعرفون

يعرفون انه حق وانه ليس بكلام البشر لانهم عجزوا عن اتيان مثله ولو كان هو مفترى على ما قالوا لقدروا هم على
ان ياتوا بمثله حيث قيل لهم فاتوا بسورة من مثله فلما عجزهم عن اتيان مثله انه ليس من كلام البشر و
انه سماوي وقوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه اي يتباعدون منه ينهون غيرهم عن اتباعه و
يتباعدون هم ويحتمل ما ذكر في القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب يدعوه الى الاسلام اجتمع
قريش عنده ليريدوا بالنبي سوءا قال ابو طالب وانشد فيه والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في
التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح
ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا قد علمت بانه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار
لوجدتني سمحا بذاك مبينا كان ينهى الناس عن اذى محمد صلى الله عليه وسلم ويتباعد هو عنه فلا يتبعه في
دينه فنزل هذا وقوله عز وجل ان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون انهم بذلك يسعون في هلاك
انفسهم وقوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على النار عن الحسن قال سترى اذ وقفوا على النار وفي حرف
ابن مسعود رضي الله عنهما ولو ترى اذ عرضوا على النار وكذلك في ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ولولا
ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وقفوا عرضوا على النار والا يجوز ان يحتمل قوله اذ وقفوا على
النار اي عند النار او في النار على مكان عنده او مكان فيه وذلك جائز في اللغة ولكن ما روي عن ابن
مسعود رضي الله عنهما تتبعنا عن ذلك ثم يحتمل والله اعلم ان يكون هذا صلة ان هذا الا اساطير الاولين
وهكذا الواجب على كل احد ان يرحم عدوه اذا كان عاقبة النار وان يخلد فيها وان لا يطلب الانتقام منه
بما كان منه بمكانه او ان يقال ولو تراهم اذ وقفوا على النار من الذل والخضوع لرحمتهم بما كان منهم
من التكبر والاستكبار في الدنيا وهو كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم لانه
اخبر عن ذلهم وخضوعهم في الاخرة بما كان منهم في الدنيا من الاستكبار والاستنكاف فعلى ذلك
يخبر نبيه عما يصيبهم من الذل بتكبرهم في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات
ربنا ونكون من المؤمنين تمنوا عند معاينتهم العذاب العود والرد الى الدنيا ثم فيه دليلان احدهما انهم عرفوا
ان ما اصابهم بتكذيبهم الايات وتركهم الايمان حيث قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا والثاني ان الايمان
هو التصديق الفرد لا غير لانهم انما فزعوا عند معاينتهم العذاب تمنوا الرد والعود الى الدنيا ان يكونوا من
المؤمنين لم يفزعوا الى شيء اخر من الخيرات دل ان الايمان هو التصديق الفرد لا غير وانه ضد التكذيب و
الكذب هو فرد فعل ذلك التصديق وقوله عز وجل بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل قيل فيه بوجوه قال
بعضهم قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك انها نزلت في المنافقين يدل على ذلك قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون
وهو سمة اهل النفاق انهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويضمرون الخلاف ويخفون العداوة لهم
ويحتمل قوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل رؤساؤهم كانوا عرفوا في الدنيا انه رسول وان ما انزل
عليه او من الله عرفوا ان البعث حق لكنهم اخفوا ذلك على اتباعهم وستروه ثم ظهر ما كانوا يخفون على
اتباعهم وقيل قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وذلك انهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
وقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار اي حبسوا اذ الوقوف حبس والنار لا يوقف عليها بل يكون فيها ما قال
عز وجل لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ويحتمل الوقف
عندنا قبل الدخول في حال الحساب للمسائلة كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية ولو ترى اي ولو
ذلهم وخضوعهم كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم ولم يبين جواب لو وقد يترك جواب لو لما يعلم
ربما يعلم بالتامل وبالذكر كقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا يعني ظننتم او على
ما ذكر في موضع اخر نحو قوله قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته و
ان الله تواب حليم انما يجب الجواب غير ذلك فلعل معناه لو ترى ذلهم بعد استكبارهم لرحمتهم على ما هم عليه
وكان عليك النصر لاذاهم ولا شفقت عليهم ويحتمل قوله ولو ترى ما ينزل بهم من نقمة الله ويحل بهم
من عذابه لعلمت ان القوة لله جميعا انه يحله ورحمته يحل لهم ويسترجعهم كقوله ولو يرى الذين ظلموا
اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا ويحتمل ان يكون جوابه فيما ذكر من تمنيهم العود وندامتهم على ما سلف
منهم وشدة تلهفهم على منيتهم لرايت لذلك امرا كافيا وجزاء بالغا لما يكون ان يكون ما ينزل بهم اعظم
عندك ما يبقى منهم وهذا يخرج الخطاب لرسول الله على تضمن تنبيه كل مومن وتذكير كل متامل والله اعلم وقوله

عز وجل يا ليتنا نرد قيل الى الدنيا او قيل الى المحنة من حيث لا يحتمل كون الدنيا بعد كون الآخرة لكن هذا التكلف
تحقيق مراد قوم ظهر سفههم ولعله ليس عندهم هذا التميز او يقولون سفها كما قالوا كذبا بقوله وانهم
لكاذبون عز وجل بآياتنا قال الحسن بدين ربنا وقال قوم بحجج ربنا فيكون في الآية اعتراف انهم على التعنت
كذبوا في الاول لا على الجهل وان كان ثمة آيات عاندوها وهم قوم قد سبق من الله الخبر عنهم بما غلبه العناد
منهم كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وذلك يدل على تعنتهم في القول
ليتخلصوا عما يلوا الجميع ما يحتمل وسعهم لان ذلك كذلك في قلوبهم كذلك والله اعلم قال الله تعالى وانهم
لكاذبون ثم دل قوله ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين انهم قد عرفوا ان الايمان هو التصديق
لوجهين احدهما انهم جعلوا الايمان مقابل التكذيب ليعلم انه التصديق والثاني انهم ذكروا الآيات لا ان
يكذب بها ويصدق لان بعض وبعد فان الذي في هذا المكان الاتيان بما فات هو التصديق انا لغير لو لوم الا
ليوجد ما سبق من المزلة والتصديق لوام فهو لما سبق من التكذيب ثم انه حجج ان لا يوثر من امن بقضاء شيء
مما فات فثبت انهم ارادوا به التصديق وعنه انه اسم لذلك حتى عرفه اهله معرفة واحدة والله اعلم وقوله عز وجل
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يخرج على وجوه احدها ان الآية في اهل النفاق ظهر ما قد اضمروا من الكفر
والثاني ان يكون الآية رؤساء الكفرة العلماء بالبعث وبان الرسل يكونون من البشر وان لا شريك لله فبداء
للاتباع ما كان الرؤساء يخفون في الدنيا ويحتمل وبدا لهم من صنيعهم ما قد اسروه واضمروه في انفسهم ظنوا
انه لا يعلم ذلك احد وذلك في قوله يوم تبلى السرائر وقوله وحصل ما في الصدور وغير ذلك ويحتمل ما كانوا
يخفون من الخلق او بدا لهم ذلك بالجزاء وقوله عز وجل ولو ردوا اي الى ما تمنوا ان يردوا اليه لعادوا لما
نهوا اخبر الله عن علمه بما قد اسروه في ذلك الوقت انما كان في علمه ان يكون وان كان من حكمه ان لا يردوا
في ذلك ان الآية لا يضطر صاحبها ولا قوة الا بالله وقال قوم ان الخلود يلزم في النار بما هم في علم الله انهم
يلزمون ما هم عليه لو مكثوا الابد وقال قوم اذ لم يجز لزوم العذاب بما يعلم الله من العناد من احد لو امتحن
بلا محنة ولا خلاف فعلى ذلك امر الخلاف فيكون الآية في خاص منهم وهم الذين اعندوا وعندوا الحق بعد الوضوح على
على ما ذكر في كثير من الكفرة انهم لا يؤمنون ابدا ثم امهلهم على ذلك وهذا يبين ان ليس تمنع الاعادة لما
يعودون له لو كان يحتمل في الحكمة الاعادة اذ قد امهل وابقى على العلم بذلك فعلى ذلك الاعادة لكنه اخبر
عن تعنتهم ثم ظنت المعتزلة ان الله لو علم انهم لو يؤمنون لردهم الى ذلك اذ بين انهم لا يؤمنون فيستدل
بهذا ان ليس لله قبض روح يعلم انه لو لم يقبضه يؤمن يوما من الدهر وقد بينا نحن ان ذلك لا يوجب انه كان
او يكن في علم ان يعودوا الى ذلك بما قد يترك في الدنيا من يعلم انه يلزم الكفر وينجي عن المهالك من يعلم
انه يعود ثم قد يترك من يعود الى الكفر على وجود ما به النجاة عنده والله اعلم ويعد فان الله تعالى قال ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فبين انه لو بسط لئلا يبغوا وقال ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الآية ثم قد جعل لكنه ممن ضل بهم قوم نحو الفراعنة ولكثير منهم وقد بغوا في الارض
اذ لم يكن ليدعي الالهية لكن الاول طريق الفضل يفضل به والثاني طريق العدل وما يجوز في الحكمة فعلى ذلك
الامهال يبين ذلك ما كان الله يأمر بقتل من لعله يؤمن لو امهل بما ندب الى القتال ولا يحتمل ان يؤمر
في قتل من ليس له قبض روحه وقد يبقى من به يهلك ويضل وان قبض كثيرا منهم بما يضل به لو ابقي كما
قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا والله اعلم وظنت الخوارج بهذه الآية ان كل من يرتكب كبيرة يظهر منه
كذبه فيما وعد انه لا يفعل اذ الله سماهم كذبة بما في علمه انهم يعودون الى ذلك فاذا تقرر عندنا من احد ذكر
ما كان في عهده وايمانه انه يرتكب فظهر به كذبه وذلك خطاء مما كان كذلك لكان الصغائر والكبائر
واحدا ومن كذب في امر الصغائر في العهد او رد يكفر ومن ارتكب الصغيرة لم يصر كذلك فعلى ذلك الكبائر
لكن الآية يخرج على وجوه احدها انها في قوم ارادوا بذلك دفع العذاب لا ان عزموا على ما ذكروا ولسبيله
فتنتهم بقوله والله ربنا ما كنا مشركين والثاني ان ذكر كذبهم انطق الله جوارحهم فشهدت عليهم بما كتموا
من الشرك فتمنوا الى ذلك العود والرد ويحتمل بدا لهم ظهر لهم ما كانوا يخفون من نعت محمد وصفته صلى الله
عليه وسلم في الدنيا وكتموه والله اعلم وقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون تعلق بظاهر هذه الآية
الخوارج والمعتزلة اما المعتزلة فانهم قالوا انهم لما طلبوا الرد ولم يردهم لما علم انهم لو ردهم لعادوا الى
التكذيب ثانيا ولو علم منهم انهم لا يعودون لكان لا يردهم فيقال انه اعلم بردهم لما علم منهم انهم يعودون

الى ما كانوا من قبل فيستدلون بظاهر الآية على ان الله لا يفعل بالعبد الا الاصلح لهم في الدين وقالوا لو علم منهم
الايمان لكان لا يجوز له ان لا يردهم ومن قولهم انه اذا علم من كافر انه يؤمن في اخر عمره لم يجز له ان يميته
وغير ذلك من الحبائل والاباطيل وقالت الخوارج اخبر انه لو ردهم لعادوا لما نهوا عنه وسماهم بالعود
كاذبين لما في علمه انهم لا يفعلون بما يقولون فعلى ذلك كل صاحب كبيرة اذا كان في اعتقاده الذي اظهره انه لا
يأتي بها يصير فيما اعتقد ان لا يأتي بها كاذبا ولذلك يجعلون اصحاب الكبائر كذبة في القول الاول انهم
لا يأتون بها وعلى ذلك المبايعة بقوله يبايعونك على ان لا يشركن بالله الآية فاذا اسرقن صرن كاذبات
في البيعة كما جعل من ذكر كاذبا في الوعد اذا خلف فعلى ذلك يجعلونه كافرا وقوله عز وجل وانهم لكاذبون
اي ليكذبون لو ردوا وانهم لكاذبون في قولهم ونكون من المؤمنين اي يضمرون انهم لا يؤمنون
كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الى قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
يقولون انك لرسول الله لكنهم لما اضمروا خلاف ذلك في قلوبهم سماهم كاذبين فعلى ذلك هؤلاء لما
اضمروا في انفسهم التكذيب وان ردوا فهم كاذبون في ذلك وقوله عز وجل ولو ردوا قيل الى الدنيا
وقيل ردوا الى المحنة ثانيا لعادوا لما نهوا عنه والثاني انه ذكر كذبهم بما اعتادوا العناد وظهر
منهم الجحود في القديم فلذلك سماهم كذبة كما سمي اهل النار كفرة بما كانوا من كفرهم قبل ان يصيروا اليها
فعلى ذلك هذا والثالث ان يكون على الخبر عن عاقبتهم انهم يصيرون كاذبين لو ردوا وعرض عليهم
ذلك وبعث اليهم الرسل بالآيات لان يكذبوا في ذلك الوعد وقوله عز وجل وقالوا ان هي الا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله تعالى ان هي يحتمل هي الحيوة الدنيا ويحتمل هي الدنيا ثم هذا القول يحتمل ان يكون
من الدهرية لانهم ينكرون البعث والحيوة بعد الموت ويقولون ان هذا الخلق كالنبات ينبت ثم
يتلو شيء فمن ذلك الخلق يموتون ويصيرون ترابا ثم يحيون في الدنيا كقوله نموت ونحيى وما
يهلكنا الا الدهر ويحتمل ان هذا القول كان من مشركي العرب لما لم يروا الا الدهر لم يشاهدوا غيره
فظنوا انه ليس يهلكهم الا ذلك الدهر الذي تدور الدنيا عليه فان كان ذلك من كبرائهم ورؤسائهم
على علم منهم بذلك اي بالبعث يلبسون ذلك على السفلة والاتباع ليكونوا اشد اتباعا لهم وانقيادا
لانهم لو علم الاتباع بالبعث بعد الموت لعلهم يتركون طاعتهم واتباعهم لما يشتغلون بالاستعداد
لذلك والعمل له ترك اتباعهم وقوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي لربهم كقوله تعالى وما ذبح
على النصب واشباه ما روي وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما ولو ترى اذ وقفوا واعرضوا
على ربهم وقوله عز وجل قال اليس هذا بالحق يحتمل قوله اليس هذا البعث بعد الموت لانهم
كانوا ينكرون البعث ويقولون انه باطل ويحتمل ما كانوا وعدوا بالعذاب ان لم يؤمنوا فكذبوا ذلك
فقال اليس هذا وعدتم في الدنيا فاقروا فقالوا بلى وربنا ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا
وقوله عز وجل قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يحتمل قوله تعالى كذبوا بلقاء الله كذبوا لقاء ما وعد الله
ووعيده في الدنيا وعلى ذلك يخرج ما روي في الخبر من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه [illegible] الى الله احب الله رجوعه ومن كره الرجوع
الى الله كره الله رجوعه اليه والمحبة لله اختيار امره وطاعته وعلى ذلك ما روي في الخبر عن رسول الله
[illegible]

لا كلمح البصر او هو اقرب وقيل سميت الساعة ساعة لما تقوم ساعة وقوله عز وجل بغتة اى فجاءة وقوله
عز وجل يا حسرتنا على ما فرطنا فيها قيل التفريط هو التضييع فيحتمل قوله ما فرطنا فيها اى ما ضيعنا فى الدنيا من المحاسن
والطاعات ويحتمل ما ضيعنا فى الآخرة من الثواب والجزاء الجزيل بكفرهم فى الدنيا وقوله عز وجل وهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم هو والله اعلم على التمثيل ليس على التحقيق وهو يحتمل وجهين احدهما انهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم بما لزموا اوزارهم وآثامهم لم يفارقوها نفد وصفهم بالحمل على الظهر وهو كقوله
تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ولكن لما لزم ذلك صار كانه فى عنقه والثانى انما ذكر الظهر لما
بالظهر يحمل ما يحمل فكان كقوله ذلك بما كسبت ايديكم وبما قدمت ايديكم لان الكفر لا يكتسب بالايدى ولا
يقدم بها لكن اكتساب الشئ وتقديمه لما كان باليد ذكر انتساب اليد وتقديمه وكقوله فنبذوه
وراء ظهورهم انهم لما تركوا العمل به والانتفاع صار كالمنبوذ وراء الظهر لان الذى ينبذ وراء
الظهر هو الذى لا يعبأ به ولا يكترث اليه ويحتمل وجها آخر ما ذكر فى بعض القصة انه يأتيه
عمله الخبيث على صورة قبيحة فيقول له كنت احملتك فى الدنيا باللذات والشهوات وانت اليوم
تحملنى فيركب ظهره فذلك قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وقوله عز
وجل وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى الحيوة الدنيا للدنيا خاصة لان العمل اذا لم يكن لعاقبة
يتأمل فهو عبث كبانى بيت لا لعاقبة يتأمل ويقصد بنيانه فهو لعب عبث فعلى ذلك الحيوة الدنيا
لا لدار اخرى يتأمل ويرجى بها الثواب والعقاب ليس بحكمة وانما هو لعب ولهو وعلى ذلك يخرج
قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الآية اخبر ان خلقه اياهم اذا لم يكن للرجوع اليه فهو عبث فعلى
ذلك الحيوة الدنيا اذا لم يكن هناك بعث ولا حيوة بعد الموت للثواب والعقاب فهو لعب ولهو و
اللهو ما يقصد به قضاء الشهوة خاصة لا يقصد به العاقبة واللعب هو الذى لا حقيقة له ولا
مقصد وقوله عز وجل وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون اى الدار الآخرة للذين يتقون
الشرك والفواحش كلها من الحيوة الدنيا على ما عندهم ولذلك الكفرة لعب ولهو لان عندهم ان لا بعث
ولا ثواب ولا عقاب فاذا كان عندهم هكذا فيصير لعبا ولهوا لانه يحصل انشاء لا عاقبة له فيكون
كبناء البناء الذى ذكرنا اذا كان عاقبة غير مقصودة فهو لا انتفاع به وقوله عز وجل قد نعلم انه
ليحزنك الذى يقولون هذا والله اعلم اخبار منه نبيه عليه الصلوة والسلام انه من علم منه
تكذيبهم اياك بعثك اليهم رسولا وامرك بتبليغ الرسالة اليهم وكان عالما بما يلحقك من الحزن
بتكذيبهم اياك بعثك اليهم رسولا مع علم منه بهذا كله لتبلغهم ذكر هذا والله اعلم ليعلم رسوله انه لا عذر له فى
ترك تبليغ الرسالة وان كذبوه فى تبليغها ثم الذى يحمله على الحزن يحتمل وجوها يحتمل يحزنه افتراؤهم و
كذبهم على الله وكان يحزن لتكذيب اقربائه وعشيرته اياه فاذا كذبه عشيرته انتهى الخبر الى الابعدين فكذبوه
فيحزن لذلك او يحزن تحزن طبع لان طبع عن التكذيب وكان يحزن اشفاقا عليهم بما ينزل عليهم من العذاب بتكذيبهم
اياه وايذائهم كقوله لعلك باخع نفسك الآية وكقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله عز وجل
فانهم لا يكذبونك اختلف فى تلاوته وقراءته بعضهم بالتخفيف وبعضهم بالتشديد والتثقيل فمن قرأ بالتخفيف
لا يكذبونك اى لا يجدونك كاذبا قط ومن قرأ بالتثقيل لا يكذبونك اى لا ينسبونك الى الكذب ولا
يكذبونك فى نفسك ويحتمل قوله ولا يكذبونك فى السر ولكن يقولون ذلك فى العلانية والتكذيب هو
ان يقال كاذب ولكن الظالمين اى عادة الظالمين التكذيب بآيات والظالمين يحتمل وجهين احدهما هم
الظالمين على نعم الله عادتهم التكذيب بآيات الله او الظالمين على انفسهم لانهم وضعوها فى غير موضعها وقوله
عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اخبر نبيه عليه الصلوة والسلام ويصبره على
تكذيبهم اياه وايذائهم بتبليغ الرسالة يقول لست انت باول مكذب من الرسل بل كذب اخوانك من قبلك
فى تبليغ الرسالة فصبروا على ما كذبوا واوذوا ولم يتركوا تبليغ الرسالة مع تكذيبهم اياه فعلى ذلك لا عذر لك
فى ترك تبليغ الرسالة وان كذبوك فى التبليغ ويؤذوك وهو ما ذكرنا انه يخرجه انه بعثك رسولا على علم منه
بكل الذى كان منهم من التكذيب والاذى وقوله عز وجل فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا اخبر الله
انه نصر رسله ثم يحتمل ذلك النصر وجوها احدها نصرهم اى اظهر حججه وبراهينه حتى علموا جميعا انها هى الحجج
والبراهين وانهم رسل الله لكنهم تعاندوا وكابروا ويحتمل النصر لهم ما حمل اخوانهم لهم وان كان قد اصابهم

شدائد فى بدو الامر ونصرهم لما استأصل قومهم واهلكهم بتكذيبهم الرسل ويحتمل استيصال القوم واهلاكه اياهم و
ابقاء الرسل نصرهم وكذلك قوله تعالى انا لننصر رسلنا وقوله انهم لهم المنصورون يخرج على الوجوه التى ذكرنا وقوله
عز وجل ولا مبدل لكلمات الله هو ما ذكرنا من النصر لهم واستيصال قومهم وما اوعدهم من العذاب وتلك كلمات الله
حجة وبراهينه كقوله ويحق الله الحق بكلماته اى بحججه وآياته وكقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى اى حجج ربى
وقوله عز وجل ولقد جاءك من نبأ المرسلين يحتمل ما ذكرنا من اهلاك القوم وابقاء الرسل فجاءك النبأ و
يحتمل قوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين من تكذيب قومهم لهم واذاهم فاذا كان هذا فقيه تصبير رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويشق عليه كفر قومه واعراضهم عن الايمان حتى كادت نفسه تتلف وتهلك لذلك اشفاقا
عليهم كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ونحو ذلك من
الآيات يشفق عليهم بتركهم الايمان لما يعذبون ابدا فى النار فعلى ذلك قوله وان كان كبر عليك اعراضهم
او كان يكبر عليه ويشق اعراضهم لما كانوا يطلبون منه الآيات حتى اذا جاءتهم لا يؤمنون من نحو ما قالوا لن
نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وغير ذلك من الآيات التى سألوها فطمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى ايمانهم اذا جاءتهم ما سألوا من الآيات فكان الله عالما بانه وان جاءتهم آيات لم يؤمنوا وانما يسألون
سؤال تعنت لا سؤال طلب آيات لتدلهم على الهدى فقال عند ذلك فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض
او سلما فى السماء او ان يكون قوله فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض نهيا عن الحزن عليهم اى لا تحزن عليهم
كل هذا الحزن بما ينزل بهم وقد تعلم تعنتهم وسوء معاملتهم آيات الله وكذلك روى فى القصة عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان نفرا من قريش قالوا يا محمد ائتنا بآية عند ذلك كما كانت الانبياء تأتى قومها بالآيات اذا
سألوه فاذا اتيتنا آمنا بك وصدقناك فأبى الله ان يأتيهم مما قالوا فى عرضوا عنه فكبر ذلك عليه وشق
فانزل الله فان استطعت يقول ان قدرت ان تبتغى يقول ان تطلب نفقا فى الارض يقول سربا فى الارض
كنفق اليربوع نافذا او مخرجا فتوارى به منهم او سلما فى السماء يكون سببا الى صعود السماء فتأتيهم بآية
بآية التى سألوها فافعل قال القتبى النفق فى الارض المدخل وهو السرب والسلم فى السماء المصعد وقال
ابو عوسجة النفق الغار والانفاق الغيران والغار واحد وقوله عز وجل ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال
الحسن اى لو شاء الله لقهرهم على الهدى واكراههم كما فعل بالملائكة اذ ذكر قوله ان الملائكة مجبورون مقهورون
ثم هو بفضل الملائكة على البشر ويجعل لهم مناقب لا يجعل ذلك لاحد من البشر فلو كانت الملائكة مجبورين
على ذلك لم يكن فى ذلك كبير منقبة ففى قوله اضطراب وامانا وبالله عصمتنا لو شاء الله لجمعهم على الهدى اى
لجعلهم جميعا بحيث اهتدوا الهدى واثروه على غيره ولكن لما علم منهم انهم يختاروا الكفر على الهدى لم
يشأ ان يجمعهم على الهدى ثم ذكرنا هذا فيما تقدم ان لا يكون الهدى فى حال القهر والجبر وانما يكون فى حال
الاختيار وقوله عز وجل فلا تكونن من الجاهلين يحتمل وجوها يحتمل فلا تكونن من الجاهلين من فضل
الله وحكمه ويحتمل لا تكونن من الجاهلين من احسانه وفضله اى من احسانه بعمل لهم الهدى ويحتمل لا
تكونن من الجاهلين انه يؤمنون بك بعضهم وبعضهم لا يؤمنون قال ابو بكر الكيسانى فى قوله ولو شاء الله
[illegible]
وهو قول لكن لم يشأ لما ذكرنا انه لم يوفقهم لما علم منهم انهم يختارون الكفر فلا تكونن من
الجاهلين بان الله تعالى لو شاء لجعلهم جميعا مهتدين ثم معلومات مما رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
معصوما لا يجوز ان يقال له انه يكون من الجاهلين ولو كان شاك على ما ذكر ولكن ذكر هذا والله اعلم
ليعلم ان العصمة لا ترفع الامر والنهى ولا الامتحان بل تزيد لانه كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل
انما يستجيب الذين يسمعون معناه والله اعلم انما يستجيب الذين ينتفعون بما يسمعون وكانوا يسمعون
جميعا لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه انما يجيب الذين ينتفعون بما يسمعون وهو كقوله تعالى انما انت منذر من
اتبع الذكر كان النبى صلى الله عليه وسلم ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع لكن انتفع به من اتبع
الذكر ومن لم ينتفع من لم يتبع [illegible] وقوله عز وجل فان الذكرى تنفع المؤمنين اخبر انها تنفع
المؤمنين ولا ينتفع غيرهم وقوله عز وجل والموتى يبعثهم الله اختلف فيه قال بعضهم والموتى يبعثهم الله على
الابتداء يبعثهم ثم اليه يرجعون وقال بعضهم والموتى اراد به الموتى الكفار [illegible]
من [illegible] كقوله اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس

والله اعلم انه جعل لكل بشر سمعين وبصرين وحيوتين سمع ابدى فى الاخرة وبصر ابدى فى الاخرة وحيوة منقضية
وهى حيوة الدنيا وكذلك سمع ابدى وهو سمع الاخرة وسمع ذو مدة لها انقضاء وهو سمع الدنيا ثم نفى السمع
والبصر والحيوة عمن لم يدرك بهذا السمع والبصر والحيوة التى جعل له فى الدنيا فلم يبصر السمع الابدية والبصر
الابدية والحيوة الابدية لانه انما جعل لهم هذا فى الدنيا ليدركوا بهذا ذلك وكذلك العقول التى ركبت فى البشر
انما ركبت ليدركوا بها ويبصروا ذلك الابدى والا لو كانت تركب هذه العقول فى البشر لهذه الدنيا خاصة لا
لعواقب تأمل الجزاء فالبهائم قد تدرك بالطبع ذلك القدر وتعرف ما يؤتى وتبقى وما يصلح لها فدل ان تركيب
العقول فيهن ركب انما ركب لما لا يدرك هذا اذ يدرك ذلك المقدار بالطبع من لم يركب فيه وهذا البهائم التى
ذكرنا والسمع والبصر والحيوة قد جعل فى الدنيا لمعاشهم ومعاهدهم وكذلك جعل لهم اللسان لينطق بحوائجهم
فى الدنيا ويعرف بعضهم من بعض حاجة فى الدنيا ويدرك به الازلى فاذ لم ينتفعوا بذلك ازال عنهم ذلك و
سماهم العمى والصم والبكم الا ترى انه قال صم بكم عمى لما لم ينتفعوا بذلك الا ترى انه اذا لم يدرك الازلى
والابدى من ذلك سماه اعمى حيث قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا والحيوة حيوتان مكتسبة وهى الحيوة
التى تكتسب بالهدى والطاعات وحيوة منشاة وهى حيوة الاجساد فالكافر له حيوة الجسد وليس له الحيوة
حيوة مكتسبة واما المؤمن فله حيوتان جميعا المكتسبة والمنشاة فسمى كلا باسماء التى اكتسبها فالمؤمن اكتسب
افعالا حسنة فسماه بذلك والكافر اكتسب افعالا قبيحة فسماه بذلك وقوله عز وجل وقالوا لولا نزل عليه
اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية هؤلاء قوم همتهم العناد والمكابرة قد كان انزل عليه ايات عقليات
وسمعيات وحسيات فاما الايات العقليات هو ما ذكر قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القران لا يأتون بمثله الاية واما الايات السمعيات هى انباءهم عن اشياء كانت غائبة عنه من غير ان كان له اختلاف
الى من يعلمها ويخبرها عنها والايات الحسيات هى ما سقى اقواما كثيرة بلبن قليل من قصعة وما قطع مسيرة
شهرين بليلة واحدة ونطق العناق الذى سوى له وحنين المنبر وغير ذلك من الاشياء مما كثر ذكرها لكنهم
عاندوا وكانت همتهم العناد وقوله عز وجل قل ان الله قادر على ان ينزل اية التى يسألون ولكن اكثرهم لا
يعلمون يحتمل وجهين يحتمل ان يكون ان اكثرهم لا يعلمون انه انزل اية على اثر السؤال لانزل عليهم العذاب واستأصلهم
اذا عاندوا ويحتمل قوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ينزل الاية عند الحاجة بهم اليها ويحتمل ان لا يسألون الاية
ليعلموا ولكن يسألون ليعنتوا او اذا انزل اية على اثر سؤال فلم يقبلوها ولم يؤمنوا بها اهلكهم على ما ذكرناه
من سنة فى الاولين لكنه وعد ابقاء هذه الاية الى يوم القيمة وقوله عز وجل وما من دابة فى الارض ولا طائر
يطير بجناحيه الا امم امثالكم ليشبه ان يكون هذا صلة قوله قل ان الله قادر على ان ينزل اية والدابة كل ما
يدب على وجه الارض من ذى الروح وذكر الطائر وهذا اسم كل ما يطير فى الهواء لما كان قادرا على هذه الجواهر
المختلفة وسوق رزق كل منهم اليهم لقادر على ان ينزل اية لا اضطرهم جميعا الى القبول لها والاقرار بها و
لكنه لا ينزل لما يستأصلهم الحاجة اليها والايات لا ينزل الا عند وقوع الحاجة بهم اليها وعلى هذا يخرج
قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون من الناس استدل بهذه الاية على ان البهائم والطير ممتحنات حيث قال الا امم
امثالكم ثم قال وان من امة الا خلا فيها نذير ثم اختلف فى قوله تعالى الا امم امثالكم عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال فى قوله تعالى الا امم امثالكم اى انهم يحشرون يوم القيمة ثم يقتص للبهائم بعضها من بعض ثم يقال
لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا كالبهائم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال وما من
دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم اى يفقه بعضها من بعض كما يفقه بعضكم من بعض
او امم امثالكم فى معرفة ما يؤتى وتبقى ويحتمل الا امم امثالكم فى الكثرة والعدد والخلق والصنوف تعرف
بالاسامى كما تعرفون انتم واصله انما ذكر من الدواب والطير امم امثالكم سخرها لكم لم يكن منهم ما يكون منكم من
العناد والتكذيب للرسل والخروج عليهم بل خاضعين لكم مذللين تنتفعون بها ويحتمل قوله الا امم امثالكم فى
معرفة وحدانيته والوهية او حق الطاعة لله كقوله تعالى وان من شىء الا يسبح بحمده وقوله عز وجل ما فرطنا
فى الكتاب من شىء اختلف فيه قال بعضهم ما فرطنا اى ما تركنا شيئا الا وقد ذكرنا اصله فى القران وعن ابن
عباس رضى الله عنهما قال ما تركنا شيئا الا وقد كتبناه فى ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل ما فرطنا ما
ضيعنا فى الكتاب ما قد يقع لكم الحاجة اليه او منفعة الا قد بيناه لكم فى القران ثم الى ربهم يحشرون
قيل الطير والبهائم يحشرون مع الخلق وقيل الى ربهم يحشرون يعنى بنى ادم وقوله عز وجل الذين كذبوا

بايا تنا

بايا تنا قال الحسن بايا تنا دينها وقال غيره كذبوا بايا تنا بحججنا وحدانية والوهية وحجج الرسالة والنبوة ويحتمل
ايات البعث كذبوا بذلك كله وقد ذكرنا هذا فى غير موضع وقوله عز وجل صم وبكم هو ما ذكرنا انه نفى عنهم السمع
واللسان والبصر لما لم يعرفوا نعمة السمع ونعمة البصر ونعمة اللسان ولا يجوز ان يجعل لهم السمع والبصر واللسان
ثم لا يعلمهم ما يسمعون بالسمع وما ينطقون باللسان دل انه يحتاج الى رسول يسمعون منه ويسمعون اليه
وينطقون ما عليهم فاذا لم يفعلوا صاروا كما ذكر صم بكم عمى لما لم ينتفعوا به ولم يعرفوا نعمته التى جعل لهم
عما ذكر او نفى عنهم السمع والبصر واللسان لما ذكرنا ان السمع والبصر والحياة على ضربين مكتسب ومنشا فنفى عنهم
السمع المكتسب والبصر المكتسب والحياة المكتسبة وقوله عز وجل فى الظلمات يحتمل وجهين يحتمل ظلمات الجهل
والكفر والثانى فى ظلمات يعنى ظلمات السمع والبصر والقلب وهم فى ظلمتين جميعا فى ظلمة الجهل والكفر و
السمع والبصر كقوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض والمؤمن فى النور كقوله تعالى نور على نور وقوله عز وجل
من يشاء الله يضلله ومن يشاء يهديه وصف عز وجل نفسه بالقدرة وجعلهم جميعا متقلبين فى مشيئته و
اخبر انه شاء لبعضهم الضلال ولبعضهم الهدى فمن قال انه شاء للكل الهدى لكن لم يهتدوا او شاء للكل الضلال
فهو خلاف ما ذكره عز وجل لانه اخبر انه شاء الضلال لمن ضل وشاء الهدى لمن اهتدى واصله انه اذا علم من
الكافر انه يختار الكفر شاء ان يضل وخلق فعل الكفر منه وكذلك اذا علم من المؤمن انه يختار الايمان والاهتداء
شاء ان يهتدى وخلق فعل الاهتداء منه وقوله عز وجل ارايتم ان اتاكم عذاب الله الذى وعدكم فى الدنيا
انه يأتيكم او اتتكم الساعة لانه كان وعدهم ان يأتيكم العذاب وكان يعدهم ان تقوم الساعة فقال ان اتاكم
ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة وضر الله تدعون فى رفع ذلك وكشفه عنكم ان كنتم صادقين ان معه شركاء
والهة او ان كنتم صادقين ان ما تعبدون شفعاءكم عند الله او تقربكم عبادتكم اياها الى الله تعالى وقوله تعالى
اغير الله تدعون يحتمل حقيقة الدعاء عند نزول البلاء ويحتمل العبادة اى اغير الله تعبدون على رجاء الشفاعة
لكم وقد رأيتم انها لا تشفع لكم عند نزول البلايا ثم اخبر انهم لا يدعون غير الله فى رفع ذلك عنهم وهو ما
ذكر عز وجل واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وكقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا
اليه وكقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ذكر هذا والله اعلم انكم اذا مسكم الشدائد والبلايا
لا تفزعون الى الذين تشركون فى عبادته والوهيته كيف اشركتم اولئك فى ربوبيته فى غير الشدائد والبلايا و
تنسون ما تشركون اى تتركون ما تشركون بالله من الالهة فلا تدعونهم ان يكشفوا عنكم وقوله عز وجل
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء اختلف فيه قال بعضهم الباساء الشدائد
التى تصيبهم من العدو والضراء ما يحل بهم من البلاء والسقم [illegible] وقال بعضهم الباساء هو ما
يحل بهم من الفقر والقحط [illegible] وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قوله فاخذناهم بالباساء [illegible]
[illegible] لعلهم يتضرعون [illegible]
[illegible] وقوله عز وجل فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا [illegible]
[illegible]

مختصين له الذين فيما بينهم وبين ربهم وهذا فيما بينهم وبين الرسل كانوا يدعونهم الى ان يقروا ويوسعوا لهم
ويصدقوهم فيما يقولون لهم ويخبرون فتكبروا عليهم واعرضوا الله وتضرعوا اليه تكبروا عليهم ولم
يتكبروا على الله ويحتمل ان يكون قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا في الامم السالفة اخبارا منهم انهم لم يتضرعوا
ويحتمل قوله ايضا فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وجهين احدهما انهم لم يتضرعوا اذ جاءهم باس الله ولكن عاندوا
وثبتوا على ما كانوا عليه والثاني تضرعوا عند نزول باسه لكن اذا ذهب ذلك وزال عادوا الى ما كانوا فيه
كانه قال فلولا الزموا التضرع اذ جاءهم باسنا وقوله عز وجل وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون اي زين لهم
صنيعهم الذي صنعوا ويقولون ان هذا كان يصيب اهل الخير ويصيب اباءنا وهم كانوا اهل خير وصلاح
او زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الشرك والتكذيب ويقول لهم ان الذي انتم عليه حق وقوله عز
وجل فلما نسوا ما ذكروا به يحتمل ابتداء ترك اي تركوا الاجابة الى ما دعوا وتركوا ما امروا به ويحتمل نسوا ما
ذكروا به من الشدائد والبلايا فتحنا عليهم ابواب كل شيء مما يحتاجون اليه حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
بغتة ويحتمل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به يعني الامم الخالية مما دعاهم الرسل فكذبوهم فتحنا
عليهم ابواب كل شيء اي انزلنا عليهم ابواب كل شيء من انواع الخير بعد الضر والشدة التي كانت بهم حتى اذا
فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون اختلف فيه قال بعضهم الايس من كل خير قال القتبي المبلس
الايس الملقي بيديه وقال ابو عوسجة المبلس هو الحزين المغتم الايس من الرحمة وغيرها من الخير وقال الفراء هو
المبلس هو المنقطع الحجة وقيل لذلك سمي ابليس لعنه الله ابليس لما ايس من رحمة الله وقوله عز وجل
فقطع دابر القوم الذين ظلموا قيل استوصل القوم الذين ظلموا بالهلاك جميعا والظلم ههنا هو الشرك
وقيل قطع دابر القوم الذين ظلموا اي اصلهم وقيل دابر القوم اي اخرهم وكله واحد وذلك انه اذا هلك
اخرهم فقطعوا فقد استوصلوا ويشبه ان يكون قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي قطع افتخارهم و
تكبرهم الذي كانوا يفتخرون به ويتكبرون وقوله عز وجل والحمد لله رب العالمين الحمد في هذا الموضع على
اثر ذلك الهلاك يخرج على وجوه والا الحمد انما يذكر على اثر ذلك الكرامة والنعمة لكن ههنا وان كان
نقمة واهلاكا فيكون لاوليائه كرامة ونعمة لان هلاك العدو يعد من اعظم الكرامة والنعمة من الله
فاذا كان في ذلك شر لاعدائه والانتقام فيكون خيرا لاوليائه وكرامة وما من شيء يكون شرا لاحد الا ويجوز
ان يكون في ذلك خير لاخر فيكون الحمد في الحاصل في الخير والنعمة والثاني انه يجوز ان يكون في الهلاك
نفسه الحمد اذا كان الهلاك بالظلم لانه هلك بحق اذ لله ان يهلكهم ولم يكن الهلاك على الظلم خارجا عن
الحكمة فيحمد عز وجل في كل فعل حكمة والثالث يقول والحمد لله رب العالمين على اظهار حجته بهلاكهم وقوله
عز وجل قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به اختلف فيه قال
بعضهم يراد باخذ السمع والبصر والختم على القلوب اخذ منافع هذه الاشياء اي قد اخذ منافع سمعكم و
منافع بصركم ومنافع عقولكم من اله غير الله ياتيكم به بمنافع سمعكم ومنافع بصركم ومنافع عقولكم فاذا
كانت الاصنام والاوثان التي تعبدون من دون الله وتشركون في الوهية وربوبيته لا تملكون رد تلك
المنافع التي اخذ الله عنكم فكيف تعبدونها وتشركون في الوهية وقيل يراد باخذ السمع والبصر وما ذكر
اخذ اعينها وانفسها اي لو اخذ الله سمعكم وبصركم وعقولكم لا يملك ما تعبدون رد هذه الاشياء الى
ما كان لا يملكون رد السمع الى ما كان ولا رد البصر والعقل الذي كان الى ما كان فكيف تعبدونها وتشركون
في الوهية لسفه احلامهم لما يعلمون انما يعبدون ويجعلون لهم الالوهية لا يملكون نفعا ولا ضرا
فمتى يعرفون ذلك منهم يجعلون لهم الهة معه وقوله عز وجل كيف نصرف الايات اي نبين لهم
الايات في خطائهم في عبادة هؤلاء واشراكهم في الوهية ثم هم يصدفون اي يعرضون عن تلك
الايات وقوله عز وجل قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون
معناه والله اعلم انهم يعلمون ان العذاب لا ياتي ولا ياخذ الا الظالم ثم انهم ظلمة لعبادتهم غير الله
لك الله عليهم انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا يسئلون العذاب بقوله سال سائل بعذاب واقع وقوله ويستعجلونك
بالعذاب وقوله عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
اخبر انه لم يرسل الرسل الا مع بشارة لاهل الطاعة ونذارة لاهل المعصية وفيه ان الرسل ليس لهم
الامر والنهي انما اليهم ابلاغ الامر والنهي ثم بين البشارة فقال فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم

يحزنون

يحزنون لا خوف عليهم لما ليس لذلك فوت ولا زوال ليس كثواب الدنيا ونعيمها انه على شرف الفوت
والزوال ولا هم يحزنون لانه سرور ولا يشوبه الحزن ليس كسرور الدنيا يكون مشوبا بالحزن والخوف
والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون هذه هي النذارة وقوله عز وجل يمسهم العذاب
ذكر المس والله اعلم لما لا يفارقهم العذاب ولا يزول عنهم والفسق في هذا الموضع الكفر والشرك وما
ذكر من الظلم هو ظلم شرك وكفر وقوله عز وجل قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب
يحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل الله عليكم
كنزا تستغني به فانك محتاج ولا جعل لك جنة تاكل منها فتستغني من الطعام فانك تجوع فنزل عند ذلك
هذا لا يحتمل ان يقولوا له ذلك فيقول لهم اني لا اقول لكم اني ملك وليس عندي خزائن الله ولا اعلم
الغيب فان كان من السؤال شيء من ذلك فانما يكون على سؤال سالوا لا تعنتهم كقوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ونحو ذلك من الاسولة التي
سالوه لا تعنتهم فنزل عند ذلك ما ذكر فهذا لعمري يحتمل فيقول لهم ليس عندي خزائن الله فاجعل لكم هذا
ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع اي ما اتبع الا ما يوحى الي والثاني جائز ان يكون النبي عليه
السلام اوعدهم بالعذاب وخوفهم فسالوا العذاب استهزاء وتكذيبا فقالوا متى يكون كقولهم و
يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقال عند ذلك قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ومفاتيحه
انزل عليكم العذاب متى شئت ولا اعلم الغيب متى وقت نزول العذاب عليكم ولا اقول لكم اني ملك
فنزلت من السماء بالعذاب انما انا رسول بشر مثلكم ما اتبع الا ما يوحى الي هذا يحتمل جائز ان يكون
على اثر ذلك نزل ويحتمل وجها اخر وهو انه يخبر ابتداء اي لا اقول لكم عندي خزائن الله لاني لو قلت
عندي خزائن الله وانا اعلم الغيب واني ملك كان ذلك اشد اتباعا وارغب واكثر لطاعتي لكن نقول
انما انا بشر مثلكم يوحى الي ما اتبع الا ما يوحى لتعلموا اني صادق ومحق فيما ادعوكم اليه وقوله عز وجل
قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك نعلم بالاحالة ان هذا ونحوه
خرج على الجواب لاسولة كانت منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن ليس نعلم ما كانت تلك الاسولة
كانت من اولئك حتى كان هذا جوابا لهم فلا نفسر ولكن نقف مخافة الشهادة على الله ويحتمل ان يكون
جوابا لما ذكر في اية اخرى وهو قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من
نخيل وعنب فقال عند ذلك لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب جوابا لسؤال وقتا الساعة
او وقت نزول العذاب وقوله عز وجل ولا اقول لكم اني ملك جواب لقولهم او ترقى في السماء فقال
عند ذلك لا اقول اني اعلم الغيب حتى اعلم الغيب وقت نزول العذاب او قيام الساعة ولا اقول اني
ملك حتى ارقى في السماء وقوله عز وجل قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون اي تعرفون انتم انه
لا يستوي الاعمى اي من عمي بصره والبصير اي من لم يعم بصره كيف لا تعرفون انه لا يستوي من عمي عن الايات
ومن لم يعم عنها او نقول اذا لم يستو الاعمى والبصير كيف يستوي من يتعامى عن الحق ومن لم يتعام افلا تتفكرون
انهما لا يستويان وقوله عز وجل افلا تتفكرون في ايات الله وما ذكركم او يقول افلا تتفكرون في وعظكم الله
وقوله عز وجل وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع اختلف فيه
قال بعضهم هو صلة قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب الاية ايأس الكفرة عما سالوا
عن الاشياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر بالانذار الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم وهم المؤمنون
اي يعلمون انهم يحشرون الى ربهم وان ليس لهم ولي يدفع عنهم ما يحل بهم ولا شفيع سال لهم ما لم
يعطوا وجائز ان يكون تخصيص الامر بانذار المؤمنين لما كان الانذار ينفعهم ولا ينفع غيرهم وليس فيه
لا ينذر غيرهم وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ليس فيه انه لا ينذر من لم
يتبع الذكر ولا خشي الرحمن ولكن انباء انه انما ينفع هؤلاء كقوله وذكر فان نفعت الذكرى تنفع المؤمنين
اخبر ان الذكرى تنفع المؤمنين ولا تنفع اولئك ينذر الفريقين من اتبع ومن لم يتبع ومن نفع ومن
لم ينتفع ويكون قوله ليس لهم من دونه ولي يعني ليس لاولئك اولياء ولا شفعاء لانهم يقولون هؤلاء
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه اخبر ان ليس لهم ولي ولا شفيع
دونه وقوله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون بذكر في بعض القصة

ان رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبقون الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيجلسون قريبا منه فيجى اشراف القوم وساداتهم وقد اخذوا اولئك المجلس فيجلس هؤلاء ناحيه
فقالوا نحن نجى فنجلس ناحية فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انما سادات قومك
واشرافهم فلوا وتنحا عنك المجلس فهم ان يفعل ذلك فانزل الله هذه الاية يعاتب نبيه صلى
الله عليه وسلم بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الاية والى هذا يذهب
عامة اهل التاويل لكنه بعيد ينسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اوحش فعل واو
والفحش ما لو كان فيه اسقاط نبوته ورسالته اذ لا يحتمل ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم يقرب اعداء الله و
يدنى فى مجلسهم منه ويبعد الاولياء هذا لا يفعله سفيه فضلا ان يفعله رسوله المصطفى على جميع بريته
ويخطر بباله شئ من ذلك وكان فيه ما يجد الكفرة عليه طعنا يقولون يدعو الناس الى التوحيد و
الايمان به والاتباع له فاذا فعلوا ذلك واجابوه طردهم وابعد مجلسهم منه هذا الحرى مدفوع فى عقل
كل عاقل ولكن ان كان فجائز ان يكون منهم طلب ذلك طلبوا منه الابعد فى مجلسهم ويبعد اولئك هذا
يحتمل واما ان يهم ان يفعل ذلك او خطر بباله شئ من ذلك فلا يحتمل وجائز ان يكون هذا من الله ابتداء
تاديب وتعليم يعلم رسوله صحبة اصحابه ومعاملته معهم كقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغدات والعشى ونهى ان يمد عينيه الى ما متع اولئك كقوله ولا تمدن عينيك الاية ويخبره من عظيم
قدرهم عند الله وقد ذكرنا ان العصمة لا تمنع الخطر بل العصمة لا تمنع الخطر بل العصمة تزيد فى
النهى والزجر واخبر ان ليس عليه من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فانما عليك البلاغ
وعليهم الاجابة وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله عز وجل يدعون ربهم بالغداة
والعشى يشبه ان يكونوا يجتمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل غداة ومساء فيسمعون
منه ثم يتفرقون على ما عليه امر الناس من الاجتماع فى كل غداة ومساء عند الفقهاء واهل العلم وجائز
ان يكون ذكر الغداة والعشى كناية عن الليل كله وعن النهار جملة كقوله والضحى والليل اذا سجى
ليس يريد بالضحى الضحوة خاصة ولكن النهار كله الا ترى انه قال والليل اذا سجى ذكر الليل ذكر
انه كان الضحى كناية عن النهار جملة فعلى ذلك الغداة والعشى يجوز ان يكون كناية عن الليل والنهار
جملة والله اعلم وجائز ان يكون اصحاب الحرف والمكاسب لا يتفرغون للاجتماع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاستماع منه فى عامة النهار ولكن يجتمعون اليه ويستمعون منه بالغداة والعشى فكان
ذكر الغداة والعشى لذلك او لما ذكرنا وجائز ان يكون المراد بذكر الغداة والعشى صلوة الغداة و
والعشاء يقول لا تطرد من يشهد هاتين الصلوتين وانما يشهدها اهل الايمان واما اهل النفاق فانهم
لا يشهدون هاتين الصلوتين ويحتمل ما ذكرنا وقوله عز وجل فتطردهم فتكون من الظالمين الظلم على وجوه
ظلم كفر وظلم شرك وظلم يكون بدونه وهو ان يمنع احدا حقه او اخذ منه حقا بغير حق فهو كله ظلم والظلم
ههنا والله اعلم يشبه ان يكون هو وضع الحكمة فى غير اهلها لانه لو كان منه ما ذكر من طرد اولئك وادنا
اولئك لم يكونوا اهلا للحكمة ويجوز ان يوصف واضع الحكمة فى غير موضعها بالظلم على ما روى فى الخبران
من وضع الحكمة فى غير موضعها اهلها فقد ظلمها ومن منعها عن اهلها فقد ظلمهم وقوله عز وجل
وكذلك فتنا بعضهم ببعض وقوله لا يتكلم الا على امر سبق فهو والله اعلم يحتمل ان يقول لما قالوا يا محمد ارضيت
بهؤلاء الاعبد من قومك افنحن نكون تبعا لهؤلاء ونحن سادات القوم واشرافهم فقال عند ذلك
وكذلك فتنا بعضهم ببعض اى كما فضلتكم على هؤلاء فى امر الدنيا فكذلك فضلتهم عليكم فى امر الدين
ويكون هم المقربين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدانين مجلسهم اليه وانتم اتباعهم فى امر الدين
وان كانوا هم اتباعكم فى امر الدنيا وكذلك امتحان بعضهم ببعض ويحتمل وجها اخر وهو ان يقال كما كان له
امتحان كل فى نفسه ابتداء محنة كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وكقوله وبلوناهم بالحسنات والسيات
وقوله ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع الاية فعلى ذلك له ان يمتحن بعضكم ببعض واشد المحن ان يامر
المتبوع ومن يرى لنفسه فضلا بالخضوع للتابع ومن هو دونه عنده يشتد ذلك عليه ويتعذر لما كانوا
يرون لانفسهم الفضل والمنزلة فى امر الدنيا فظنوا انهم كذلك فى امر الدين وعلى ذلك يخرج امتحان
ابليس بالسجود لادم راى لنفسه فضلا عليه فقال انا خير منه ولم ير الخضوع لمن دونه عدلا وحكمة

فصار ما صار وفعل ذلك هؤلاء لم يروا اولئك الضعفة ان يكونوا متبوعين عدلا وحكمة وظنوا انهم لما كانوا
مفضلين فى امر الدنيا وكان لهؤلاء اليهم حاجة يكونون فى امر الدين كذلك ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا
اليه ونحوه من الكلام وقوله عز وجل ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال بعضهم هو موصول
بالاول بقوله فتنا بعضهم ببعض ليقولوا القول الكافر قول الكفرة المؤمن قول الايمان ثم ابتدا فقال
اهؤلاء اى يقول الكفرة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وقال بعضهم قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
ليس بمفصول من قوله ليقولوا ولكن موصول به ليقولوا يعنى الكفرة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
ثم يحتمل قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالحفظ بالتقريب والادناء فى المجلس وجعلهم متبوعين
بيننا بعد ما كانوا اتباعا لنا فقال عند ذلك اليس الله باعلم بالشاكرين اى عرف هؤلاء نعمة الله
تعالى ووجهوا شكر نعمه اليه وانتم وجهتم شكر نعمه الى غيره بعد ما عرفتم انه هو المنعم عليكم والمسدى
اليكم وقوله عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم هذا يدل على ان النهى عن الطرد
ليس للاوبعاد خاصة فى المجلس ولكن فى كل شئ فى بشاشة الوجه واللطف فى الكلام وفى كل شئ
لانه قال فقل سلام عليكم وقوله عز وجل كتب ربكم على نفسه الرحمة قال بعضهم ربكم على نفسه الرحمة
هو ان يبداهم بالسلام فذلك الذى كتب على نفسه الرحمة وقال بعضهم قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة
اى لم ياخذ فى اول ما وقعوا فى المعصية ولكن امهلهم الى وقت وجعل لهم المخرج من ذلك بالتوبة و
على ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فتح الله للعبد التوبة الى ان ياتيه الحق وقوله
عز وجل من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم اى كل من عمل سوءا بجهالة
ثم تاب من بعد ذلك واصلح انه يغفر له ما كان منه ومن قراها بالنصب عطفه على قوله كتب ربكم
على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم لذلك وجائز ان
يكون قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اى كتب على خلقه الرحمة ان يرحم بعضهم بعضا وجائز ما ذكرنا
انه كتب على نفسه الرحمة اى اوجب ان يرحم ويغفر لمن تاب وقوله من عمل منكم سوءا بجهالة جائز ان
يكون الاية فى الكافر اذا تاب يغفر الله له ما كان منه فى حال الكفر والشرك كقوله والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الاية وقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وجائز ان
يكون فى المؤمنين ثم ذكر عملوا بجهالة وان لم يكن يعمل بالجهل لان الفعل فعل الجهل وان كان فعله لم
يكن على الجهل وكذلك ما ذكر من النسيان والخطاء فى الفعل لان فعله فعل ناس وفعل مخطئ وان لم يفعله
الكافر على النسيان والخطاء والا لو كان على حقيقة الخطاء والنسيان لكان لا يؤاخذ به كقوله وليس
عليكم جناح فيما اخطاتم به لكن الوجه ما ذكرنا ان الفعل فعل النسيان وخطاء وان لم يكن ناسيا ولا
مخطئا فيه وعلى ذلك فعل جهل وان لم يكن جاهلا والفعل فعل جهل وان لم يكن بالجهل والمؤمن
جميع ما يتعاطى من المساوى يكون بجهالة لانه انما يعمل السوء اما لغلبة شهوة او لاعتماد على
كرم ربه بالعفو عنه والصفح عن ذلك او يعمل السوء على نية التوبة والعزم عليها فى اخره على هذه
الوجوه الثلاثة يتعاطى المؤمن فى المعصية واما على التعمد فلا يعمل وقوله عز وجل وكذلك نفصل الايات
ولتستبين سبيل المجرمين قروا بالياء والتاء جميعا فمن قراها بالتاء نصب السبيل يجعل الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اى لتعرف سبيل المجرمين ومن قراء بالياء رفع السبيل كانه قال نفصل الايات
وجوها اى نبين الايات لا يعرفها السامعون انها ايات من عند الله غير مخترعة من عند الخلق ولا مفتراة
ما بين سبيل المجرمين من سبيل المهتدين والثانى نفصل الايات ما بالخلق حاجة اليها والى معرفتها والثالث
نبين من الايات ما نبين بين المختلفين اى بين سبيل المجرمين وبين سبيل المهتدين ولتستبين سبيل المجرمين
تاويله ما ذكرنا ان من قراء بالتاء حمله على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى نبين من الايات لتعرف
سبيل المجرمين بالنصب ومن قراها بالياء نبين من الايات لتبين سبيل المجرمين من سبيل غير المجرمين والله اعلم
وقوله عز وجل قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله معناه والله اعلم انى نهيت بما اكرمت من
العقل والعيان ان اعبد الذين تعبدون من دون الله او يقول انى نهيت بما اكرمت من الوحى والرسالات
ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم اخبر انهم ما
يعبدون انما يعبدون اتباعا لهوى انفسهم وان ما يعبد هو ليس يتبع هوى نفسه ولكن انما يتبع الحجة والنبح

وما يستحسنه العقل الا ترى انه قال قل انى على بينة من ربى يخبر ان ما يعبدهم هوان يعبد اتباعا للحجة والعقل
وما يعبدون اتباعا للهوى انفسهم وما يتبع بالهوى يجوز ان ينزل اتباعه ويتبع غير لما تهوى نفسه هذا ولا
تهوى نفسه هذا ولا تهوى الا قد حاما ما يتبع بالحجة والسمع وما يحسنه العقل فانه لا يجوز ان يترك م
اتباعه ويتبع غيره وفيه نوع بعض تسفيههم لانه قال قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين
اى لو اتبعت هواكم لضللت اذا وانتم اذا اتبعتم اهواءكم لعبادكم غير الله ضلال ولستم من المهتدين فهو
تعريض التسفيه لهم والشتم منه وقوله عز وجل قل انى على بينة من ربى وكذبتم قيل على بيان من ربى
وحجة وقيل على دين من ربى وقوله عز وجل وكذبتم به قيل بالقران وقيل العذاب ما اوعدكم ويحتمل كذبتم
ما وعدتكم وقوله عز وجل ما عندى ما تستعجلون به اى العذاب كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وغيره
فقال ما عندى ما تستعجلون به من العذاب ثم هذا يدل على ان قوله قل لا اقول لكم عندى خزائن الله
ولا اعلم الغيب ان المراد بالخزائن العذاب اى ليس عندى ذلك انما ذلك الى الله وعنده ذلك وقوله
ان الحكم الا لله اى ما الحكم والقضاء الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين اختلف فى تلاوته وتاويله
قراه بعضهم بالصاد والاخرون بالضاد يقص فمن يقول يبين الحق لان القصص هو البيان وقال الاخرون
وهو خير الفاصلين اى خير المبينين ومن قرء بالضاد يقول يقضى بحكم ثم اختلف فيه قال بعضهم
اى يقضى بالحق وكذلك روى فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه انه قرئ يقضى بالحق وقيل فيه اضمار
اى يقضى ويحكم وحكمه الحق وهو خير الفاصلين اى القاضين والفصل والقضاء واحد لانه
بالقضاء يفصل والله اعلم وقوله عز وجل قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم عن
ابن عباس رضى الله عنهما لو ان عندى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم
وقيل لقضى الامر بينى وبينكم اى لعجلته لكم بالقضاء فيما بيننا لكن اخر عن رحمة الله وحلمه اى لو كان بيدى لارسلت
عليكم لكن الله بفضله ورحمته يؤخر ذلك عنكم ثم فيه نقض على المعتزلة فى قولهم بان الله لا يفعل بالعبد الا
الاصلح فى الدين لانه قال لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم ثم لا يحتمل ان تاخير العذاب
والهلاك لخير لهم واصلح ثم هو يهلكهم ويكون عظة لغيرهم وزجرا لهم ثم ان الله تعالى اخر ذلك العذاب عنهم
وان كان فيه شر لهم فدل ان الله تعالى قد يفعل بالعبد ما ليس ذلك باصلح له فى الدين وقوله عز وجل والله اعلم
بالظالمين اى عليم عن الظالمين بما هم كالتواطئة وقوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو هذا
والله اعلم يحتمل ان يكون صلة قوله قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب وصلة قوله ما عندى
ما تستعجلون به كانوا يطلبون منه صلى الله عليه وسلم ويسألونه اشياء من التوسيع فى الرزق وغير ذلك مما
كان يعدهم من الكرامة والمنزلة والسعة وكان يوعدهم بالعذاب ويخوفهم بالهلاك فيستعجلون ذلك منه
ما وعدهم فقال وعندهم مفاتح الغيب ليس ذلك عندى لا يعلم ذلك الا هو ومفاتح من المفتح ليس من
المفتاح يكون جمعه مفاتيح والمفتح يقال فى النصر والمعونة يقال فتح الله عليه بلدة كذا اى نصره وجعله
غالبا عليهم ويقال فيما يجدونه ويستفيد منه فتح فلان على فلان باب كذا اى علمه علم ذلك وقوله عز وجل
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو اى من عنده يستفاد ذلك ومنه يكون من نصر اخر انما ينصر به ومن علم اخر علما انما
يعلم به ومن وسع على اخر رزقا انما يوسعه بالله كل هذا يشبه ان يخرج تاويل الاية وقوله عز وجل ويعلم ما فى
البر والبحر هذا يحتمل وجوها يحتمل ما فى البر والبحر اى يعلم ما فى البر والبحر من الدواب وما يسكن فيها من ذى
الروح كثيرها وعددها وصغيرها لا يخفى عليه شىء والثانى يعلم ما فى البر والبحر اى يعلم رزق كل ما فى البر
والبحر ويعلم حاجته ثم يسوق الى كل من ذلك رزقه يخبر هذا والله اعلم ليعلموا انه لما ضمن للخلق لكل منهم
رزقه من غير تكلف ولا طلب كما يسوق ارزاق ما فى البحر والبر من غير طلب ولا تكلف لا يضيق قلوبهم لذلك
فما بالكم تضيق قلوبكم على ذلك وقد ضمن ذلك لكم كما ضمن لاولئك والثالث يعلم ما فى البر والبحر من اختلاط
الانظار بعضها ببعض ومن دخول بعض فى بعض يخرج هذا على الوعيد انه لما كان عالما بهذا كله يعلم باعمالكم
ومقاصدكم فان قيل هذا الذى ذكر كله فى الظاهر دعوى فما الدليل على انه كذلك قيل اتساق التدبير فى كل شىء
واثاره فيه يدل على انه كان بتدبير واحد لان اثار التدبير فى كل شىء اتساقه على سنن واحد ظاهرة بادية فذلك
يدل على ما ذكر وقوله عز وجل ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين الاية يحتمل الكتاب ههنا التقدير والحكم
اختلف فيه بعضهم قوله فى كتاب مبين اى محفوظ كله عنده يقول الرجل لاخر عملك كله عندى مكتوب

يريد الحفظ اى محفوظ عندى وذلك جائز فى الكلام وقيل الكتاب ههنا اللوح المحفوظ اى كله مبين فيه و
قال الحسن رحمه الله ان الله يخرج كتابا فى كل ليلة القدر ويدفع الى الملائكة وفيه مكتوب فى تلك السنة
ليعملوهم على ما يكون او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذى يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم
بالنهار وقال بعض اهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا يقبض عند النوم ثم يرد اليها سوى روح
الحيوة فانه لا يقبض لانه يكون اصم بصيرا متكلما ناطقا ويكون اعمى سميعا ويكون اخرس سميعا بصيرا فثبت ان لكل
خاصة من حواس النفس روحا على حدة يقبض عند النوم ثم يرد اليها اذا ذهب النوم واما الروح الذى
يحيى النفس فانه لا يقبض ذلك منه الا عند انقضاء اجله وهو الموت وقالت الفلاسفة الحواس هى التى تدرك
صور الاشياء بلطيفها وقوله وهو الذى يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار فيه دلالة ان ليس ذكر
الحكم فى حال او تخصيص الشى فى حال دلالة سقوط ذلك فى حال الاخرى لانه قال ويعلم ما جرحتم بالنهار
ليس فيه انه لا يعلم ما جرحنا بالليل بل يعلم ما يكون منا بالليل والنهار جميعا وليس فيه انه لا يتوفى بالنهار
وان لا يخرج بالليل لكنه ذكر الجرح بالنهار والوفاة بالليل لما ان الغالب ان يكون النوم بالليل والجرح
بالنهار وهو كقوله تعالى وجعل النهار مبصرا ليس ان لا يبصر بالليل لكن ذكر النهار لما ان الغالب من يبصر
انما يكون بالنهار فخص ذلك الا وان ثم فيه دلالة ان النائم غير مخاطب فى حال نومه حيث ذكر الوعيد فيما
يجرحون بالنهار ولم يذكر بالليل وقوله عز وجل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال بعضهم جرحتم اى عملتم بالنهار وقيل
يعلم ما كسبتم بالنهار وقوله عز وجل ثم يبعثكم فيه يستدل بقوله يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم فيه على الاحياء
بعد الموت لانه يذهب ارواح هذه الحواس ثم يردها اليها من غير ان بقى لها اثر فكيف تنكرون البعث بعد الموت
وان لم يبق من اثر الحيوة ثم العود فى الجمع بعد التفرق مما الخلق يفعل ذلك ويقدر عليه نحو ما يجمع من التراب
المتفرق فيجعله طينا ويرفع البناء من مكان ويضعه فى مكان اخر وغير ذلك من جمع بعض الى بعض وتركيب بعض
على بعض فدل ان لا اعجوبة فى رد ما ذهب كله حتى لم يبق له اثر فى جمع ما تفرق والله اعلم وقوله عز وجل ثم يبعثكم
فيه اى يوقظكم ويرد اليكم ارواح الحواس ليقضى اجل مسمى العمر الى الموت ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون خرج هذا على الوعيد لما ذكرنا ليكون على حذر وقوله عز وجل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقوله وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر كل ما يغيب من الخلق ولا يخفى عليه شىء لانه عالم بذاته لا يحجبه
ليس كعلم من يعلم بغيره فيحول بينه وبين المعلم بالاشياء الحجب والاستار فاما الله سبحانه وتعالى عالم
بذاته لا يعزب عنه شىء ولا يكون له حجاب عن شىء وقوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
فيه جميع ما يحتاج اهل التوحيد فى التوحيد لانه اخبر انه قاهر خلقه وهم مقهورون ومن العبيد ان يشبه
القاهر المقهور بشىء او يشبه المقهور القاهر بوجه او يكون شريك القاهر فى معنى لانه لو كان شىء من ذلك
لم يكن قاهرا من جميع الوجوه ولكان الخلق مقهورة فى الوجوه كلها فاذا كان الله قاهرا بذاته الخلق كله كان
اثار قهره فيهم ظاهرة واعلام سلطانه فيهم بادية دل على تعاليه عن الاشباه والاضداد وانه كما وصف
ليس كمثله شىء وقوله وهو القاهر فوق عباده يكون على وجهين احدهما وهو القاهر فوق عباده والثانى
على التقديم والتاخير وهو فوق عباده القاهر ويحتمل قوله فوق عباده بالنصر لهم والمعونة والدفع عنهم
كقوله يد الله فوق ايديهم اى بالنصر والمعونة والعظمة والرفعة والجلال ونعالى السلطان والربوبية وقوله عز
وجل ويرسل عليكم حفظة غير انه القاهر فوق عباده فانه ارسل عليهم الحفظة ليعلموا ان ارسال الحفظة عليهم لا لحاجة
له لم يكن قاهرا لان كل من وقف له حاجة فهو تحت قهر اخر والله تعالى يتعالى عن ان تمسه حاجة او يصيبه شىء
مما يصيب الخلق بل انما ارسلهم عليهم لحاجة الخلق انما امتحانا منه الحفظة على محافظة اعمال العباد والكتابة
عليهم من غير ان نفع له فى ذلك حاجة يمتحنهم على ذلك ولله ان يمتحن عباده بما شاء من انواع المحن
وان اكرمهم ووصفهم بالطاعة فى الاحوال كلها بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وغير ذلك من الايات والثانى يرسل عليهم يحافظه اعمالهم والكتاب عليهم ليكونوا على حذر فى ذلك
وذلك فى الزجر ابلغ واكثر لانا من علم ان عليه رقيبا فى عمله وتحفظه كان احذر فى ذلك لعل وانظر فيه
واحفظ له ممن لم يكن عليه ذلك وان كان يعلم ان الله عالم الغيب لا يخفى عليه شىء عالم بما كان
منهم وبما يكون ومتى يكون ثم اختلف فى الحفظة ههنا قال بعضهم هم الذين قال الله وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون يكتبون اعمالهم ويحفظون عليهم وقال اخرون هم الذين يحفظون الانفس

الخلق ويسلون عليهم الى وقت انقضائها وفنائها ثم نقبض منه الروح ويموت الى ترى انه قال حتى اذا
جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون دل على ان الحفظة هيهناهم الذين سلطوا على حفظ الانفاس و
العد عليهم الى وقت الموت والله اعلم ثم فى قوله اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا دلالة خلق افعال
العباد لانه ذكر مجى الموت وتوفى الرسل وقال خلق الموت والحيوة ومجى الموت هو ميتوفى الرسل هو مجى
الموت ثم اخبر انه خلق الموت دل انه خلق توفيهم فاحتال بعض المعتزلة فى هذا وقال ان الملك هو الذى
ينزع الروح ويجمعه فى موضع ثم ان الله يتلفه ويهلكه فلو ان كان ما قال فاذا لا يموت بتوفى الرسل ابدا لانهم
اذا نزعوا وجمعوا الى موضع يزداد حيوة الموضع الذى جمعوا فيه لانه اجتمع كل روح النفس فى ذلك فان لم
دل ان ذلك خيال والوجه فيه ما ذكرنا من الدلالة وهو ظاهر بحمد الله يعرفه كل عاقل تيامل فيه ولم يعاند
وبالله التوفيق ثم اختلف فى قوله توفته رسلنا قال بعضهم هو ملك الموت وحده وانه خرج الكلام مخرج
العموم بقوله رسلنا والمراد منه الخصوص الا ترى انه قال فى اية اخرى قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم و
اخبر انه هو الموكل والمسلط على ذلك وقال اخرون يتوفاه اعوان ملك الموت ثم يقبضه ملك الموت ويتوفاه
وقال قائلون يكون معه ملائكة تقبض الانفاس ويتوفيه ملك الموت لكن ذلك لا ندرى انه كيف هو
وليس بنا الى معرفة حاجة ولكن الى معرفة ما ذكرنا وقوله وهم لا يفرطون فيه اخبار عن شرف طاعة الملائكة
ربهم وان الرافة لا تاخذهم فيما فيه تاخير امر الله وتفريطه لان من دخل على من فى النزع اخذته من الرافة
ما لو ملك حياته لبذل له فاخبر عز وجل انهم لا يفرطون فيما امروا ولا يؤخرونه لتعظيمهم امر الله وشفقتهم عليهم
له وعلى ذلك وصفهم غلاظ شداد ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عز وجل لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وقال لا يفترون عن عبادته ولا يستحسرون وقوله عز وجل ثم ردوا الى الله
مولاهم الحق ردوا الى الله وانه مولاهم الحق وان كانوا فى الاحوال كلها مردودين الى الله وكان
مولاهم الحق فى الدنيا والاخرة وكذلك قوله وبرزوا لله جميعا وكذلك قوله لمن الملك اليوم لله كان
الملك له فى الدنيا والاخرة وكانوا بارزين له جميعا فى الاوقات كلها لما كانوا اصحاب الشكوك فارتفع ذلك
عنهم وخلص بروزهم وردهم الى الله خالصا لا شك فيه وكذلك كان الملك فى الدنيا والاخرة وفى الاوقات
كلها لكن نازع غيره فى الملك فى الدنيا ولا احد ينازعه فى ذلك اليوم فى الملك فقال لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار وعلى ذلك قوله مولاهم الحق كان مولاهم الحق فى الاوقات كلها والاحوال ولكن عند
ذلك يظهر لهم انه كان مولاهم الحق وقوله ثم ردوا الى الله عز وجل يحتمل ردوا الى ما وعد لهم واوعد
وقوله عز وجل الا له الحكم يحتمل قوله الا له الحكم فى تاخير الموت والحيوة وقبض الارواح وذكر الانفس
ويحتمل قوله له الحكم فى التعذيب فى النار والثواب والعقاب ليس يدفع عنهم دافع سواه ولا ينازعه
احد فى الحكم وهو اسرع الحاسبين عن الحسن قال هو سريع العقاب لانه انما يحاسب ليعذب كما روى من
نوقش الحساب عذب وهو اسرع الحاسبين لانه لا يحاسب عن حفظ ولا تفكر ولا يشغله شىء واما غيره
فانما يحاسب عن حفظ وتفكر وعن شغل فهو اسرع الحاسبين اذ لا يشغله شىء وقوله عز وجل قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر ليس هذا على الامر كله ولكن على المحاجة كقوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبل ليس على الامر بالسير فى الارض ولكن على الاعتبار بالملك الذين كانوا من قبل
والنظر فى اثارهم واعلامهم كيف صاروا بتكذيبهم الرسل وما اصابهم بذلك فعلى ذلك هذا فيه الامر
بالمحاجة معهم فى الهتهم انه من ينجيكم من الظلمات البر والبحر الهتكم التى تعبدون من دون الله و
تشركونها فى الوهيته وربوبيته او الله الذى خلقكم فسيقولون الله فى هم قالوا هو الذى ينجينا من ذلك
فقال قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب فاذا كان هو الذى ينجيكم من هذا لا الهتكم التى تعبدونها فكذلك
هو الذى ينجيكم من كل كرب ومن كل شدة ويحتمل قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اى لا احد ينجيكم
من ظلمات البر والبحر كقوله ومن اظلم ممن تخافون على الهتكم الهلاك كما تخافون على انفسكم فلا احد سواه
ينجيكم من ذلك ومن كل كرب قال ابو بكر الكيسانى هم عرفوا فى الدنيا انه هو الذى ينجيكم من ذلك كله
وهو الذى يعطيهم ما اعطوا بما قامت عليهم الحجج ولم يعرفوا انه هو الذى ينجيكم فى الاخرة ويهلكهم و
هو هكذا عرفوا الله فى الدنيا ولم يعرفوه فى الاخرة ثم تختلف فى ظلمات البر والبحر قال بعضهم الظلمات هى
الشدائد والكروب التى تصيبهم بالسلوك فى البر والبحر وقال اخرون الظلمات لان اسفار البحار و

المفاوز انما تقطع باعلام السماء فاذا اظلم السماء بقوا متحيرين لا يعرفون اى الى ناحية يسلكون
ومن طريق ياخذون فعند ذلك يدعون الله تضرعا وخفية قال الحسن التضرع هو ما يرفع به الصوت والخفية
هى ما يدعى سرا وهو من الاخفاء وفى حرف ابن مسعود تدعونه تضرعا وخفية وهى من الخوف قال الكلبى
فى خفض وسكون وتضرع الى الله وقوله عز وجل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قال ابو بكر قوله
لنكونن من الشاكرين اى لا نوجه الشكر الى غيرك والشكر هيهنا هو التوحيد اى لئن انجيتنا لنكونن
من الموحدين لك من بعد لانهم كانوا يوحدون الله فى ذلك الوقت لكنهم اذا نجوا من ذلك اشركوا غيره
فى الوهية الا ترى انه قال قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون وقوله عز وجل ثم انتم تشركون
بعد علمكم ان الاصنام التى تعبدونها لم تملك الشفاعة لكم ولا الزلفى الى الله يذكر سفههم فى عبادتهم
الاوثان على علم منهم انها لا تشفع ولا تملك دفع شىء عنهم وقوله عز وجل قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض اختلف فى نزول
الاية فيمن نزلت قال بعضهم نزلت فى مشركى العرب وهو قول ابى بكر الاصم لانها نزلت على اثر ايات نزلت
فى اهل الشرك من ذلك قوله قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب وقوله قل ارايتم ان اخذ
الله سمعكم وابصاركم الاية وقوله وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة الى قوله تعالى ثم ردوا
الى الله مولاهم الحق هذه الايات كلها نزلت فى اهل الشرك فهذه كذلك نزلت فيهم لانها ذكرت
على اثرها ولان سورة الانعام نزل اكثرها فى محاجة اهل الشرك الايات منها نزلت فى اهل الكتاب وسورة
المائدة نزل اكثرها فى محاجة اهل الكتاب لانه يذكر فيها قل يا اهل الكتاب ومنهم من يقول نزلت
فى اهل الاسلام وهو قول ابى بن كعب وقال هن اربع فجاء منهن ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم البسهم شيعا واذيق بعضهم باس بعض انما لبس الشيع هى الاهواء المختلفة ويذيق
بعضكم باس بعض هو السيف والقتل هذان قد كانا فى المسلمين والبقى ثنتان لا بد واقعتان و
منهم من يقول كان ثنتان فى المشركين من اهل الكتاب وثنتان فى اهل الاسلام وهو قول الحسن قال
قد ظهر فى اهل الاسلام الاهواء المختلفة والقتل والفتن واما اللذان فى اهل الشرك من اهل الكتاب
هو الخسف فى الارض والحجارة من السماء ثم اختلف فى قوله عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او
يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض عن ابن عباس رضى الله عنهما قال عذابا من فوقكم اى
امراءكم او من تحت ارجلكم اى من سفلتكم لان الفتن ونحوها انما تهيج من الامراء الجابرة ومن
اتباعهم وقوله عز وجل او يلبسكم شيعا قال الاهواء المختلفة وقوله تعالى ويذيق بعضكم باس
بعض اى تسلط عليهم على بعض القتل والعذاب ومن قال بان الاية نزلت فى اهل الشرك يقول
كان فى اتباعهم ذلك كله اما العذاب من الفوق هو الحصب بالحجارة كما فعل بقوم لوط او من تحت ارجلهم وهو
الخسف كما فعل بقارون ومن معه وقوله او يلبسكم شيعا يقول فرقا واحزابا وكانت اليهود والنصارى
كذلك كقوله والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وقوله ويذيق بعضكم باس بعض هو الحرب
والقتال وعند الحسن ما ذكرنا انه ظهر فى اهل الاسلام الاهواء المختلفة وظهر الحرب والقتل واما الخسف
والحصب ولم يظهر فهو فى اهل الشرك ويحتمل قوله عذابا من السماء ارسلها عليهم لانهم قد اقروا انه
رفع السماء فمن قدر على رفع شىء يقدر على ارساله وقوله او من تحت ارجلكم لانهم عرفوا انه بسط الارض
ومن ملك بسط شىء يملك طيه وخسفه بهم وقوله عز وجل انظر كيف نصرف الايات قيل اى نردد الايات
كل حز وجه او نقول كيف نصرف الايات ليعلم كل صدقها وحقيقتها انها من الله جاءت لعلهم يفقهون
يحتمل وجوها صرفها ليفقهوا وذلك يرجع الى المؤمنين خاصة والثانى لعلهم يفقهون اى ليلزمهم
ان يفقهوا وقد لزم الكل ان يفقهوا لكن من لم يفقه انما لم يفقه لانه لم ينظر اليه بعين الاستخفاف والتهاون و
تصريف الايات اى تصرفها الرسول وتبليغها اليهم على ما يفقهوا ان نظروا فيها وتاملوها وذكر لعل لانه
منهم من فقه ومنهم من لم يفقه وكذب به قومك يحتمل به بالقران ويحتمل بما ذكر من الايات ويحتمل
بالايمان به والتوحيد وهو الحق وكذب به قومك وهم الحق ان يصدق قولك بما جئت به وانباءهم لانك
نشات بين اظهرهم فلم ياخذ كذب قط ولا ارادك ان يختلف الى احد يعلمك فهم احق ان يصدق قولك بما جئت
به وانباءهم والله اعلم وقوله عز وجل قل لست عليكم بوكيل قال عامة اهل التاويل الوكيل الحفيظ والوكيل

من الغنائم في الاسارى لست بمانع عليكم لا كرهكم على التوحيد والايمان شئتم اوابيتم ولست بحافظ
على اعمالكم انما على التبليغ كقوله ما على الرسول الا البلاغ **وقوله** عز وجل لكل نبإ مستقر قال
بعضهم لكل امر حقيقة وقيل لكل خبر غاية ينتهي اليه ويحتمل ان يكون صلة قوله لست عليكم بوكيل
لكل نبإ مستقر اي لست عليكم بوكيل لكن لكل نبإ مستقر في ان اغنم اموالكم واسبي ذراريكم
كقوله لست عليكم بمسيطر الا من تولى وكفر ويحتمل قوله وكذب به قومك اي بما كان وعدوا
وعد والله اعلم وفي قوله او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض دلالة نقض المعتزلة
لانا نقول ان للخلق حقيقة الفعل في القتل والحرب والاهواء المختلفة ثم اضاف ذلك
الى نفسه دل ان له صنعا في افعالهم وليس كما تقول المعتزلة لانه لا يملك ذلك وكذلك
ما ذكر من اضافة تلبيس الشيع اليه رد لقولهم لانهم يقولون انهم يختلفون وقد اخبر انه
هو يجعلهم شيعا وذلك ظاهر النقض عليهم لانه اخبر انه يذيق بعضهم بأس بعض وهم يقولون هؤلاء
يذيق ولكن ذلك القاتل او الضارب او المعذب هو يذيقهم دون رب العالمين وكذلك قوله
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وهم يقولون هؤلاء يعذبهم ولكن الخلق يعذبونهم وكذلك قوله ان
يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا وهم يقولون هؤلاء يملك تعذيبهم بايديهم وذلك ولنظائرها
الاية وتركها غائبا **وقوله** عز وجل واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره يشبه ان يكون قوله يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم اي يكفرون بها ويستهزؤون
بها كما قال في سورة النساء وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ
بها ويكون قوله فاعرض عنهم اي لا تقعد معهم كما قال فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره انكم اذا مثلهم **وقوله** عز وجل فاعرض عنهم يحتمل النهي عن القعود معهم على ما ذكرنا من قوله فلا تقعدوا
معهم ويحتمل الاعراض الصفح عنهم وترك المجازاة لمساويهم كقوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام وكقوله
تعالى فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه الامر بالتبليغ فينهى عن القعود معهم
والامر بالتبليغ **وقوله** عز وجل واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين
معناه والله اعلم ان الشيطان اذا انساك القعود معهم فلا تقعد بعد ذكر الذكرى ومعنى النهي بعد ما
انساه الشيطان اي لا تكن بالمحل الذي يجد الشيطان اليك سبيلا في ذلك **وقوله** عز وجل وما على الذين
يتقون من حسابهم من شيء قيل فيه رخصة الجلوس معهم وهو كقوله ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ثم نسخ ذلك بقوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله
يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وكان النهي عن مجالستهم ليس الجلوس
نفسه ولكن ما ذكرنا من خوضهم في ايات الله بالاستهزاء بها والكفر بها هو الذي كان يحملهم على ذلك
ليس ان لا يجوز ولكن لما كان سبنا اياهم هو الذي يحملهم على سب الله ولكن ذكرى لعلهم يتقون يحتمل النهي
عن القعود معهم وجوها نهى هؤلاء وعن القعود معهم لما كان اهل النفاق يجالسونهم ويستهزؤون
بالايات ويكفرون بها فنهى هؤلاء عن ذلك ليرتدع اهل النفاق عن مجالستهم والثاني انه نهى المؤمنين عن
مجالستهم ليمتنعوا عن صنيعهم حياء منهم لانهم لو امتنعوا عن مجالستهم فيمنعهم ذلك عن الاستهزاء بها
والكفر بها لما كانوا يرغبون في مجالسة المؤمنين فيذكرون عند قيامهم عنهم فيتقون الخوض والاستهزاء
ولا يخافون ان يعرفوا في الناس بترك مجالستهم المؤمنين فيحملهم ذلك على الكف عن الاستهزاء بالايات
وبرسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي وذر الذين اتخذوا
لعبا ولهوا دينا على التقديم والتاخير والثاني اتخذوا اللعب واللهو دينهم حتى لا يتغادوا التشبع اللهو
كالذين ثم هو يخرج على وجوه احدها اتخذوا دينهم عبادة ما لا ينفع ولا يضر ولا يبصر ولا يسمع ولا
يعلم ومن عندهم هذا وصفه واتخذ ذلك دينا فهو عابث لاعب والثاني اتخذوا دينهم ما هوت انفسهم
ودعتهم الشياطين اليه ومن اتخذ دينه بهوى نفسه وما دعته نفسه اليه فهو عابث لاعب والثالث
صار دينهم لعبا وعبثا لانهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ومن لم يقصد بدينه الذي دان به عاقبة فهو
عابث مبطل كقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية اخبر عدم الرجوع اليه عبثا وقوله وغرتهم الحيوة
الحيوة الدنيا اي شغلهم ما اختاروا من الحيوة الدنيا والميل اليها عن النظر في الايات والبراهين و

الحج

والحجج وان يكون قوله وغرتهم اي اغتروا بالحيوة الدنيا اضافة التغرير الى الحيوة الدنيا لما بها اغتروا
والله اعلم **وقوله** عز وجل وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت قيل وذكر به قبل ان تبسل نفس بما كسبت و
وانما يذكرهم بهذا لئلا يقولوا غدا انا كنا عن هذا غافلين واصل الابسال الاهلاك او الاسلام للجناية
والهلاك ثم اختلف في قوله ان تبسل نفس بما كسبت عن ابي ابن عباس قال ان تفضح نفس بما كسبت و
قيل تبسل تؤخذ وتحبس وهو قول قتادة وكذلك قال في قوله ابسلوا بما كسبوا اي حبسوا بما كسبوا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ابسلوا اي فضحوا على ما قال في تبسل وعن الحسن تبسل اي تسلم للهلكة و
الكسائي تبسل تجزى نفس بما كسبت وقال الفراء تبسل ترتهن واصل الابسال هو الاسلام وتفسيره
ما ذكر على اثره وهو قوله ليس لها من دون الله من ولي ولا شفيع كما يكون بعضهم شفيعا لبعض في
الدنيا واعوانا لهم وانصارا في دفع المضار والمظالم عنهم وجر المنافع اليهم واما في الاخرة فان كل
مسلم بما كسب لا شفيع لها ولا ولي كقوله يوم يفر المرء من اخيه وكقوله وقال الذين اتبعوا لو ان لنا
كرة وغير ذلك من الايات مسلم كل نفس بما كسبت لا شفيع لها ولا ولي وقوله وذكر به يحتمل بالقرآن
والايات ويحتمل به اي بالله اي عظ به ان تهلك نفس بما كسبت عز وجل وان تعدل كل عدل لا يؤخذ
منها اختلف فيه قال بعضهم العدل الفداء يقول وان تفد نفس كل الفداء لتتخلص مما حل
بها لم يؤخذ ولم يقبل منها ذلك وقال الحسن العدل كل عمل البر والخير اي وان عملت كل عمل البر
والخير اي وان عملت كل عمل البر والخير من الفداء والتوبة لم يقبل منها ذلك يخبر ان الدار الاخرة ليست
بدار العمل ولا يقبل فيها الرشى كما تقبل في الدنيا واخبر انه لا يكون شفعاء يشفعون لهم ولا اولياء
ينتصرون لهم ليس كالدنيا لان من اصابه في هذه الدنيا شيء او حل به عذاب او غرامة فانما يدفع باحدى
هذه الوجوه الثلاثة واما بشفعاء يشفعون له او باولياء ينصرونه او بالرشى فاخبر ان الاخرة ليست
بدار تقبل فيها الرشى فيدفع ما حل بهم او الاولياء ينصرونهم في دفع ذلك عنهم او شفعاء يشفعون لهم
فان قيل ما معنى ذكر العدل والفداء وليس عندهم ما يفدي ولا يعدل وما يكون من العمل قيل معناه
والله اعلم اي لو مكنهم من الفداء ما يفدون اي وقع ذلك عن انفسهم ومكن لهم من العمل ما لو عملوا لم تقبل
ذلك منهم **وقوله** عز وجل اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا قد ذكرنا اليه الاختلاف في الابسال واصله
الاسلام فيسلمون لما اكتسبوا لا يكون لهم شفعاء ولا اولياء ولا يقبل منهم الرشى **وقوله** عز وجل
لهم شراب من حميم قيل الحميم هو ما حار ينتهي حره بقلع ما في البطن اذا وصل اليه فيشبه ان يكون من
لهم من الشراب ما ذكر لما تمتعوا في الدنيا من الشراب المحرم فكان لهم في الاخرة الحميم مكان ذلك
والعذاب الاليم لما اعطوا انفسهم في الدنيا من الشهوات واللذات جزاء ذلك **وقوله** عز وجل قل اندعوا
من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يحتمل هذا وجوها يحتمل الا يكون اولئك الكفرة دعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم او المؤمنين الى عبادة الاصنام التي كانوا يعبدونها فقال عند ذلك انعبد من دون الله
ما لا ينفعنا ولا يضرنا بعد ما عبدنا الله الذي يملك نفعنا وضرنا او كان اهل الكفر يدعون اهل الاسلام
الى عبادة الاوثان التي كانوا يعبدونها اما طمعا طمعا بشيء يبذلونهم ليرجعوا الى عبادة الاصنام
والاوثان عن عبادة الله او تخويفا منهم لهم فقال قل يا محمد اندعوا من دون الله ما لا يملك نفعنا ان عبدناه
ولا يملك ضرنا ان تركنا عبادته بعد ما عبدنا الذي يملك نفعنا ان عبدناه ويملك ضرنا ان تركنا عبادته
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا هذا مثل ضربه الله للاصنام التي عبدوها
دون الله ومن يدعو اليها والدعاة الذين يدعون الى الله والى عبادته كمثل رجل ضل به الطريق تائها ضالا اذ ناداه
مناد يا فلان بن فلان هلم الى الطريق **وقوله** عز وجل ونرد على اعقابنا في الكفر والشرك بعد اذ هدينا الله كالذي
استهوته الشياطين في الارض حيران يقول مثلهم ان كفروا بعد الايمان كمثل رجل كان مع قوم على الطريق
فضل الطريق فحيرته الشياطين في الارض واصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون ائتنا فانا على
الطريق فابى ان ياتيهم فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة لمحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي يدعوهم
الى الطريق وهو الهدى ويحتمل ان يكون المثل الذي ضربه من وجه اخر وهو ان مثل هؤلاء كمثل من كان
في بعض المفاوز والبراري فضل الطريق فذهب به الغيلان يمينا وشمالا في المهلكة وهو الذي تقدم ذكره
ويشبه ان يكون قوله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا

انه ما من احد من مشرك ومومن الا وله اصحاب يدعونه اما المومن فله اصحاب من الملائكة يدعونه
الى الهدى والكافر فله شياطين يدعونه الى الشرك هذا اشبه ان يحمل عليه لكن اهل التاويل حملوا
على ما ذكرنا قال قتادة هذه خصومة علمها الله محمدا يخاصم بها اهل الشرك لان سورة الانعام نزل
اكثرها في محاجة اهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما استهوته اضلته قال ابو عوسجة اي
ذهبت بها استهوته واهوته واحد اي دعته الى الهلكة وقيل اضلته وقوله نرد على اعقابنا
اي نرجع عن الايمان الى الشرك بعد اذ هدانا الله وقوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى
قيل بيان الله هو البيان وقيل ان دين الله هو الهدى وهو الدين وقوله عز وجل وامرنا لنسلم
لرب العالمين قيل هذا صلة قوله قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا وامرنا لنسلم
لرب العالمين ويقيموا الصلوة وليتقوه وقال بعضهم ليس على الصلة ولكن على الابتداء امرنا لنسلم
لرب العالمين ان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون قد ذكرنا وقوله عز وجل و
هو الذي خلق السموات والارض بالحق قيل قوله بالحق اي خلق السموات والارض بالحق لم
يخلقهما باطلا كقوله سبحانه وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا قيل لم يخلقهما باطلا و
لكن خلقهما بالحق وهو يحتمل وجوها قيل خلقهما للعاقبة لان كل امر لا عاقبة له فهو باطل ليس بحق
لما خلق السموات والارض وما بينهما للعاقبة وذلك لامر عظيم كقوله ليوم عظيم يوم يقوم
الناس لرب العالمين وقيل قوله بالحق اي خلقهما ليمتحن فيهما والمحنة كانها لم يخلقهما لغير شيء
وقيل بالحق اي خلقهما بالحكمة من نظر فيهما وتدبر دلالة على ان لهما خالقا ومدبرا ودلالة على ان
مدبرهما ومنشئهما واحد فاذا كان كذلك فكان خلقهما بالحق بالحكمة والعلم وقوله عز وجل كن فيكون
قد ذكرنا ان قوله كن هو اوجز كلام في لسان العرب يعبر به فيفهم منه لا انه كان من الله كاف
ونون لكنه ذكر والله اعلم ليعلموا ان ليس على الله في الاحياء والانشاء بعد الموت مؤنة كما لم
يكن على الخلق في التكلم بكن مؤنة ولا يصعب عليهم ذلك او ما ذلك ليس على الله في البعث بعد الموت
مؤنة ولا صعوبة والثاني ذكر هذا لسرعة ذكر نفاذ البعث كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة اخبر ان خلقهم وبعثهم ليس الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة وكقوله وما امر
الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب يخبر لسرعة نفاذ الساعة وبعثهم وذلك ان الرجل قد يلمح
البصر وهو لا يشعر به فعلى ذلك القيمة قد تقوم وهم لا يشعرون والثالث يذكر هذا والله اعلم
ان البعث بعد الموت والاحياء اعادة واعادة الشيء وعندكم اهون من ابتداء انشاء وعلى ذلك يخرج
قوله وهو اهون عليه اي هو اهون عليه عندكم وقوله عز وجل قوله الحق يحتمل قوله الحق اي البعث
بعد الموت حق على ما اخبر ويحتمل قوله الحق اي ذلك القول منه حق يكون كما ذكر وقوله عز وجل وله
الملك كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وكقوله الملك يومئذ لله ذكر هذا والله اعلم لما
ينازعه احد في ملك ذلك اليوم وقد نازعه الجبابرة في الملك في الدنيا وان لم يكن لهم ملك ولا الوهية
ويحتمل قوله وله الملك اي له جميع الملوك له في الحقيقة كقوله مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وقوله عز وجل
يوم ينفخ في الصور قال بعضهم النفخ هو الروح من الريح والروح انما يدخل بالنفخ فنفخنا فيه من روحنا و
قال بعضهم لا يكون هنالك في الحقيقة نفخ ولكن يذكر لسرعة نفاذ الساعة لان الرجل قد يتنفس وهو لا
يشعر به فذكر هو لسرعة نفاذ الساعة لانه ليس شيء اسرع جريانا ونفاذا اسرع من الريح وقال بعضهم هو
على حقيقة النفخ هو ما ذكرنا وقوله عز وجل عالم الغيب اي يعلم ما يغيب الخلق بعضهم من بعض والشهادة بما
يشهد بعضهم بعضا ويحتمل عالم الغيب اي يعلم ما يكون اذا كان كيف كان او يعلم وقت كونه والشهادة ما
كان وشد يخبر انه لا يغيب عنه شيء ولا يعزب منه وهو الحكيم في خلق السموات والارض وخلق ما فيها
والحكيم في بعثهم والحكيم هو واضع الشيء موضعه الخبير بكل شيء وقوله عز وجل واذ قال ابرهيم لابيه
آزر قيل آزر هو اسم ابي ابرهيم عليه السلام والحسن يقرا آزر بالرفع ويجعله اسم ابيه وقال اخرون
هو اسم صنم فهو على التقديم والتاخير كانه قال ابرهيم لابيه اتتخذ آزر اصناما آلهة وقوله اتتخذ
استفهام لما يعبد من الاصنام لان مثل هذا انما يقال على التعظيم من الفعل وقال ابو بكر الكيساني
قوله آزر قيل هو اسم عيب عندهم كانه قال يا ضال اتتخذ اصناما آلهة كقول الرجل لاخر يا ضال ولست لنا

الى معرفة

الى معرفة ذلك حاجة كان اسم ابيه او اسم صنم وفي الاية دلالة ان اباه كان من رؤساء قومه بقوله اني اراك
وقومك في ضلال مبين وفيه دلالة ان لا باس للرجل ان يشتم اباه لمكان ربه لان ابرهيم عليه السلام شتمه
ضلالا وفيه دلالة ان الايمان والتوحيد يلزم اهل الفترة لان ابرهيم عليه السلام سماهم ضلالا لا شك فيه
ولا شبهة وهو ما ذكر في اية اخرى حيث عبد ما ذكر حيث قال يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيئا هذا الضلال المبين وقوله عز وجل وكذلك نري ابرهيم ذكر كذلك والله اعلم على معنى كما اريناك ملكوت
السموات والارض والايات كذلك كما ارينا ابرهيم ونري بمعنى ارينا وذلك جائز في اللغة وكذلك لا يذكر
الا على تقدم شيء لكن الوجه فيه ما ذكرنا كما اريناك من السموات والارض من الايات والحجج والبراهين كذلك
كما ارينا ابرهيم وقوله عز وجل ملكوت السموات والارض اختلف فيه قال بعضهم سلطان السموات والارض و
قيل الشمس والقمر والكواكب وقيل فرجت له السموات السبع حتى نظر الى ما تحت العرش وما فيهن وكذلك فرجت
له الارضون حتى راى ما فيهن وقيل ملكوت السموات والارض حبس ابرهيم صلوات الله عليه من الجبابرة في سرب
فجعل الله في اصابعه رزقا امص اصبعا من اصابعه وجد فيها رزقا فلما اخرجه اراه الله الشمس والقمر فكان ذلك ملكوت
السموات والارض والجبال والبحار والاشجار وقيل نظر الى ملك الله فيها حتى نظر الى مكانه وراى الجنة وفتحت له
الارضون حتى نظر الى اسفل الارضين فذلك قوله واتيناه اجره في الدنيا قال اري مكانه في الجنة وقيل اجره الثناء
الحسن وقال ابو عوسجة ملكوت السموات والارض من الملك وكذلك قال ابو عبيد وهو كجبروت ورهبوت ورحموت
وكذلك ملكوت واصله ما ذكر من الايات والعجائب والله اعلم وقوله عز وجل وليكون من الموقنين من الايات
الايقان بالشيء هو العلم حقيقة بعد الاستدلال والنظر فيه والتدبر ولذلك لا يوصف الله باليقين ولا يجوز لله
ان يقال موقن لما ذكر هو العلم الذي لا يعقبه الاستدلال وذلك منهي عنه وقوله عز وجل وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وقيل في قوله وكذلك نري ابرهيم اي كما اريناك ملكوت ما ذكر
فقوله نري بمعنى ارينا وقوله كذلك له وجهان احدهما انه كما اريناك ما تيقنت ان الربوبية لله وانه
الواحد لا شريك له من الايات والادلة اراه ايضا ما ذكر حتى ايقن فهو والله اعلم على التسوية بين الاشياء
الدلالة على الوحدانية لله والربوبية في المعنى وان كانت لا عيانها مختلفة وعلى ان طريق المعرفة الاستدلال
بما انشاء من الدلالة لا السمع والحس وان كان في حجة السمع تاكيد والثاني ان يكون اريه على ما اظهر من
الحجج على قومه وهو كقوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه واعطاه ما ادبه والشرف به
من الحجج الزم قومه بما انطق بها الله عز وجل لسانه يلزم حجة خلقه والله الموفق وملكوت السموات والارض
الملك في الحقيقة من الوجه يكون ربه للايقان ودليلا للاحاطة بالحق ثم اختلف في وجه ذلك فمنهم من قال
هو ما اري بصره اعني بصر الوجه نحو الذي ذكر من فتح حتى ارى ما فيها من العجائب والاسباب الى العرش او الى حيث
قدر والارض حتى ارى ما فيها من انواع الخلق الى الثرى وحيث بلغ ومنهم من قال دفع السماء حتى كانت
من فيها راي العين وكان له صلوات الله عليه مثل هذا من الامور نحو امر الناس والهجرة الى حيث لا ضرع
ولا ذرع وما جعل رزقه في اصابعه وامر بلوغ صلوته في قوله تعالى واذن في الناس بالحج ان كان على سمع منه
والله اعلم ومنهم من قال هو ما اري بصر قلبه من وجوه البر وانواع الادلة عند التامل في خلق الله
بالكبر من غير ان كان في الخلق تغير على الاحوال التي كانت عليه وهو احق من يكون له في الذي كان كفاية
عن حدث احوال يدل انه حجج الله مستدل على قومه من الوجه الذي جمل بجميع الخلق لا من جهة خصوصيات
تثبت ان ذلك كان له بهذا الوجه ثم هو يخرج على وجوه منها ما راى من تسخير القمر والشمس والنجوم وقطعها
في كل يوم وليلة اطراف السماء والارض جميعا ومسيرها تحت الارض الى ان يعود كل الى مطلعه يسير كل ذلك
ما فوق الارض الى السماء واستدعاء احوال ذلك على ما عليه حد في كل عام وشهر لا يزداد ولا ينقص ولا
يتقدم ولا يتاخر مع عظيم ما بها من المنافع لانواع دواب الارض والطير جميعا ما يوقن كل متامل ان مثل
هذا لا يعمل بالطباع الا ان يكون له مدبر حكيم جعله ذلك الطبع وسواه على ما شاء من الحد وان لا يشذ
الامر على التدبر والحكمة الا ان يكون مد ذلك بحيث لا يحتاج الى معين ولا يجوز ان يكون له فيه منافع
ثم هو بذاته عليم قدير وما في الارض من تدبير الليل والنهار يتعاقبان ابدا ويسيران يقهران ما بها من
الجبابرة والفراعنة حتى ان جهد جميع اهل الارض على زيادة او نقصان او تقديم او تاخير لما لهم من الحاجة
او بما فيهم من القوة والقدرة مع معونة الجميع لهم في ذلك لما يتهيا لهم ولا يبلغ توهم احد في احتماله

ذلك حتى يصير عند وجود كل كان الاخر لم يكن فعطلتم عند العود اليهم كانه لم يفارقهم فطلع ما
يجمع اهل الارض بهما من المنافع وعليهم فيها انواع ولهما سلطان على اعمارهم على ما فيهما من اثر التسخير
والتذليل الذي كل مقهور بالاخر اذا جاء سلطانه وبلغ وحده وليس في واحد منهما النزاع من قهر
الاخر وان كان هو الظاهر القوي جريا جميعا على حد واحد وسنن واحدة ولا على ما دل عليه الا ولي
مع ما فيهما من اثر البعث امر ظاهر لا يحتمل ان يجهله الا سفيه معاند والله اعلم ثم النور والظلمة والظل
ونحو ذلك الذي ينبسط بساعة جميع اطراف السماء والارض بستر واحد كل شيء ويبدي اخر عن
كل ويحيط الثالث بكل شيء ثم تعلق منافع الاهل بهما على اختلاف فيها وبالسماء الارض على تباعد
ما بينهما وبالعمل والجبل والبحر والبر على تضاد ما بينهما وعلى ذلك جميع الامور فكان صلوات الله
عليه بما اري من المعنى وغيره الموقنين ان لا اله الا الله وحده اليه نفسه وان كل شيء نسب اليه
الالوهية محال ان يكون فيه ازله امكان ذلك ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل فلما جن عليه الليل
الى قوله وما انا من المشركين تكلموا في تاويل الاية على اوجه ثلاثة فمنهم من جعل الامر على ما عليه الظاهر
انه غير عارف بربه حق المعرفة الى ان عرف من الوجه الذي بان له عند الفراغ من اخر ما نسب اليه
الربوبية انه لا يعرف من جهة درك الحواس ووقوعها عليه ولكن من جهة الايات واثار
العقل فقال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض على الاية لكن اهل هذا القول اختلفوا
على وجوه ثلاثة احدها ما روي في التفسير انه زني في السرب ولم يكن نظر الى شيء من خلق السماء
فنظر عن باب السرب في اول الليل فراى الزهرة بضوئها وتلالؤها وكان في علمه ان له ربا وانه
يرى فلم ير اضوا منها ولا انور فقال هذا ربي فلما افل ولم علم ان الرب دائم لا يزول فقال
لا احب بمعنى ليس هذا برب كقوله ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء اي ليس لنا
وقول عيسى حيث قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق بمعنى ما قلت ذلك لكن اهل
هذا التفسير حملوا الافول على غيبوبته بنفسه وهو عندنا على غيبوبته في سلطان القمر وقهر
وقهر سلطان القمر لما طلع سلطان الشمس وعنده ان الرب لا يقهر وان سلطانه لا يزول وعلى
ذلك امر القمر والشمس بظلمة الليل وفي ذلك انه لو كان عنده ان الرب لا يقهر وان سلطانه لا يزول
انه لا يرى لا نكر من ذلك الوجه ان يكون ربه بل اقر به وانكر الافول والزوال وهذا ينقض قول
من يصفه بالزوال والانتقال من حال الى حال ومنهم من يقول كان هذا منه في وقت لم يكن
جرى عليه القلم سمع الخلق يقول في خلق السماء والارض ونحو ذلك الى الله وعلى ذلك امر جميع
وينسبون ذلك الى الله وعلى ذلك امر جميع اهل الشرك كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقوله قل لمن الارض الى قوله ما اتخذ الله من ولد ثم راهم عبدوا الاصنام
وسموها الهة فتامل فوجدها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر علم ان مثلها لا يحتمل ان يكون يخلق ما
ذكرت وان الذي ذلك فعله لعلي عظيم يجب طلب معرفته من العلو مما كان يسمع نسبة الملائكة
الى السماء ونزول الغيث منها ومجيء النور والظلمة وكل انواع البركات وغيرها منها فشرف تدبير الطلب
الذي نسب اليه الخلق اليها ثم اول ما اخذ في التامل والنظر لم يقع بصره على احسن وابهى من الذي
ذكر فظن ذلك ثم لما قهر وقد كان علم بان خالق من ذكر لا يجوز ان يقهر ففي ذلك علم انه ليس هو
قال لمن قهر وذلك الى ان قهر الليل ضوء الشمس او صارت بحيث لا يجري له السلطان او راى في
الكل اثار التسخير والتذليل ولم ير فيها اعلام من له الامر فعلم ان الرب لا يدرك من ذلك الوجه
ولا يعرف من جهة الحواس فرجع الى ما سمع من انه خلق السموات والارض فوجه نفسه اليه بالعبودية
واعترف له بالربوبية بما في الخلق من اثار ذلك وفي القول من تسمية من له الخلق ربا والمحل و
ذلك كان اول احوال احتماله علم الاستدلال وبلوغه المبلغ الذي من بلغه يجري عليه الخطاب
ولا قوة الا بالله ومنهم من قال انه كان بالغا قد جرى عليه القلم وقد كان راى ما ذكر غير مرة
لكن الله لما اراد ان يهديه الهمه والقى في نفسه فانتبه انتباه الانسان بشيء كان فيه غافلا
من قبل فراى كوكبا احمر يطلع عند غروب الشمس فراعاه الى ان افل فارادمن الله قربة وعلم ان
ربه لا يزول ولا يتغير ففزع الله وقال لا احب الافلين وكذا ذكر في القمر والشمس لما ان عرفه الله

نيّرا انما كانوا يشركون ووجه بالتوحيد والعبادة اليه والى هذا التاويل ذهب الحسن والى الاول
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والثاني قال به جماعة اهل الكلام ونحن نتبرا الى الله ان نجعله
رجلا بالغا جرى عليه القلم وهو كان عن الله بهذه الغفلة حتى يتوهم في معنى نجم او قمر او شمس
ما يرى فيها الظهور بعد ان لم يكن والافول بعد الوجود ثم اثار التسخير والتجزي عن التدبير بما هو في جهد بلاء
ومن لم يجعل في واحد والسرور ثم لا يرى في شيء من العالم او له معنى يدل على رجوع التدبير فيتحقق له القول
بذلك والله يصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم عن الشرك لم يشرك بشيء وقال وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم
على قومه وما يذكرونه انما اتاه على نفسه اذ هو في الغفلة عنها والجهل بمن له الايات شريك قومه وقد قال
ايضا وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ومعلوم ان ذلك على معاينة او ذلك تعدادي كلا منها
ويكون على ما بينت من الوجهين وفيهما حقيقة وليس في قوله وليكون من الموقنين دلالة الشك في الابتداء
والجهل في الحال التي يحتمل به عز وجل ويكون على انه على ذلك الوجه يكون الايقان بمن لا يقع عليه الحواس
ولا يوجب علمه الضرورات انما هو الاستدلال بالاثار او تلقي الاخبار ولا قوة الا بالله وذلك كقوله
تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد لا عن رفع كان وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور لا ان كانوا
من قبل في الظلمات وقول يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله لا عن كون فيها وهكذا امر الايمان
ان يكون العبد في كل وقت موقنا بالله وان لا الدخول لا عن شك فيما تقدمه من الوقت او الجهل فيه
والوجه الثاني مما تكلم في التاويل ان يكون ابراهيم صلوات الله عليه كان مؤمنا
ابراهيم عليه السلام والوجه الثاني
في ذلك الوقت عارفا بربه حق المعرفة ولكنه كلم قومه كلام مستدرج باظهار المتابعة لهم على هواهم
فيكون به اوثق اليه امن وذلك ابلغ في الحجاج والطف في المكيدة فيتبين لهم من اراد بغير جهة التعصب
والعناد فبدا بتعظيم ما عظموه اذهم قوم كانوا يعظمون النجوم وبالعلم بامرها احتج والنمرود بولادة من يهلك
على يديه هو ويزول ملكه وهذا كما ذكر انه نظر نظرة في النجوم في مقاييسها وعللها لانه نظر اليها ثم قال
الذي ذكر لا من حيث علم النجوم ولكن من حيث علم انه يموت ومن يموت يسقم لكن اراهم الموافقة في
العلم الذي لهم في ذلك لباب دعوى فكذلك ما نحن فيه وعلى ذلك امر البدا الذي كان يعبدهم قوم عظمته
الحواري ارسل اليهم حتى اطمانوا اليه وصدروا عن تدبيره وبلوغ وكاد يحيط لهم ندعاهم الى دعاه
البد ليكشف لهم اذ لمثله يعبد حتى ايسوا فدعاهم الى الله فكشف عنهم فاستوا قبله الاول والى هذا
التاويل يذهب القتبي لكنه ذكر انهم كانوا اصحاب نجوم وكهانة ومن ذلك قوله لا يعبد النجوم ولا يراه ربا
كيف اظهر الموافقة بتسمية النجوم ربا ثم النقض بالافول ولكن على ذلك لو كان فيما كان في قوم يعبدون
النجوم والشمس والقمر فالزمهم بالافول اذ فيه التسخير وغلبة سلطان وهذا الوجه يجوز على اضمار معنى
في نفسه مستقيم كالمكره على عبادة صليب يقصد بقصد عبادة الله والمكره على شتم محمد صلى الله عليه وسلم
يقصد قصد محمد اخر بصورته في وهمه ونحو ذلك وهو على ما قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا
ينطقون على جعل ان كانوا ينطقون شرطا في نفسه في قوله بل فعله كبيرهم هذا والله اعلم وقيل في الاستدراج
من غير هذا الوجه على التسليم انهم اهل كهانة ونجوم وهو انه لما راهم يعبدون الاصنام والاوثان وعاهم
من طريق المقابلة اذهم قالوا ما لو الى ذلك في المصير بما خدرنا بانواع الذي وحلي بانواع الحلل فالزمهم انه
يعبد النجم وما ذكر وان الذي ذكر احسن واعظم نورا وضياء اذ هو بجوهره وبنفسه كذلك وما كانوا
يعبدون بما فعلوا كذلك ليكره اليهم عبادتهم الاصنام ويستنقذهم عما اعتادوه بالمعنى الذي ذكر
ثم الزمهم فسادها بالزواله وقبلوا منه قبل ان يقر ذلك في قلوبهم وتطمئن الى ذلك انفسهم بما اظهر من
فسادها ان يكون الذي بذلك الوصف من التسخير وملكه على شرف الزوال او يصير بحيث يقهرهم في
قلوبهم عبادة من لا يشهدونه وقت العبادة فيلومهم على ذلك عبادة المستحق لها او ان يقول اذ كان
النجوم وما ذكر مع ضيائها ونورها وكثرة منافع الخلق بها لم يصلح لها الالوهية عند الجميع بالافول
والتسخير فالذي كانوا يعبدون على ما يحرم كانوا نحتا البشر اذ لا لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع احق ان
لا يكون له الربوبية وان لا يوجه اليه العبودة والله اعلم فهذا النوع من الاستدراج فيما لو ظهر انهم
لم يكونوا يتخذون النجوم اربابا يعبدونها وكذلك الذي ذكره القتبي والتاويل الثالث لانه يخرج
مخرج الانكار والاستهزاء ويكون في ذلك معنى الاستدراج اذ هو الالزام من حيث لا يشعر به او نقض

او نقص اسباب لشبه درجة فدرجة في حلول المقت ولزوم المقصود بتعاطي ذلك لا ابتداء ما تكشف عن
الاسباب ثم قيل فهذا باوجه احدها انهم كانوا يعبدون النجوم بما ذكر ويدعون الى ذلك الاولاد والصبيان
وابرهيم منهم فيما كانوا يدعون اليه فقال لما راى النجم هذا الذي تعبدون ربي اي الى عبادته تدعونني
الى عبادته فلما راه طالعا ساطعا غايبا ثبت عنده انه مسخر فقال لا احب عبادته لكن ذا قد يكون
في خاص نفسه متفكرا في الذي دعوه اليه ليعرف دفع قولهم من الوجه الذي يقرر ذلك في القلب
اذا قابلهم به وقد يكون في ملاء منهم ليظهر لهم قوله هذا على اضمار تدعونني اليه ليلزمهم بما بان له
فساد الربوبية فيكون استدراجا ايضا لانه الزمهم بعد ظهور الوفاق منه لهم وقد يكون ذكر
هذا الذي تدعونني فيه انه ربي سرا ويهزءهم باظهار الموافقة بين لهم ذلك بما الزمهم ان
الابتداء لم يكن على المساعدة اذ ذلك المعنى الذي به الزم كان ظاهرا عنده في الابتداء وعندهم
جميعا والثاني ان يكون قوله هذا ربي على ما يقال هذا فلان الذي تخبرونني عنه بمعنى اهذا هو على
انكار انه ليس بالمحل الذي اخبرتموني عنه او على الاستفهام ليقرره عنه واي الوجهين كان فعند
هزءبهم وظهر في المتعقب ان الاول كان على الهزء بهم والانكار والاستفهام وذلك كقوله خلقوا
كخلقه على انهم لم يخلقوا كخلقه بوضع قوله قل الله خالق كل شيء في الاول لا احب الافلين ويجوز ان
يكون هذا بعينه في قوله هذا ربي اي رب هذا ربي الى اخر ما ذكر ثم رجع اليه عندهم انه لا يليق الربوبية
بالذي ظنوا انه ساعدهم عليه ثم قد بينا الدليل على انه لم يكن كافرا في ذلك الوقت مع ما قد ثبت عصمة
الرسل عن الكباير فكيف يبلون بالكفر والله يقول الله اعلم حيث يجعل رسالته وكل متمكن فيه الكفر
شريك امثاله فلا وجه للتخصيص لاهل ثم حجة ذلك ان الله سبحانه لو اراد ان يبين حقيقة الحال
او كانت بنا الى معرفة حقيقة ذلك من المراد والوقت والحاجة في امر الدين لكان ليبين ذلك او يرد
في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن العلم بحقيقة ذلك اذ هو علم الشهادة بما لبس لنا
وعلينا بالوصول عمل تخلف ولا تكلف الشهادة بوقت القول وما نتمكن فيه تحقيقه ان نتامل وجه
الحكمة في ذكر القصة وما فيها من الحجة في امر الدين فهو والله اعلم تخرج على وجوه احدها على جعل
ذلك حجة لرسالة رسوله اذ هو من انباء الغيب ونبي الله نشا بمكة ولم يكن ثمه من يعلم ذلك ولا
فارق قومه واختلف الى من عنده علم الانباء بنبوا رنهم كتب الانبياء ولا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ممن يخط بيمينه ويقف على المكتوب دل انه علمه بالله سبحانه وتعالى مع ما كان في القصة حجج م
ورفع عبادة الاصنام وتسفيه اهل ذلك لم يحتمل ان يكون تعليم مثل ذلك من المدافعين لذلك
المدعين الى ابرهيم اليهودية والنصرانية وبعد فان كتبهم بغير لسانه وفي العبارة بلسان يوهم
الاختلاف والتغيير فلا يحتمل الاحتجاج بمثله بما يحتمل الانكار والدفع وفيه استعطاف قوم رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ هم من ذرية ابرهيم عليه الصلوة والسلام بما يدعوهم الى دين ابائهم
مع ما كانوا اصحاب تقليد وحفظ اثار الاباء فالزمهم القول في ابائهم بما لا مدفع لهم القول بغير
الذي تقلدوا اذ ابرهيم عليه السلام عند جميع المشركين امام يوتم به احق من كل اب مع ما كان كل مولود
وعلى دينه مذكورا محفوظا في الخلق ومن خالفهم فهو محروق الاسم والذكر جميعا فكان في ذلك
اعظم الدليل ان هولاء من الانبياء احق بالتقليد من الذين اتبعوه وعلى ذلك اتفاق اهل الكتاب
على موالاة ابرهيم من غير ان نهياهم دفع ما اثبت رسول الله من توحيد ولا ما تقرر عندهم من دينه
بشيء يجد ونزاعوا لذلك في كتبهم والثالث ان ابرهيم صلوة الله عليه صرف معرفته الرب من
خلقه وبدا بدينه من جهة النظر في الايات والبحث عما فوق عنها دون ان تقلد اباه او قومه
ليعرف سبيل طلب الحق ووجه اتباعه لتكون ذلك تذكرة بجميع ذريته والرابع انه ذكر الخبر
عن احواله يخرج ظاهره يوهم المكروه وله وجه لتصرف الى ما لبس فيه تنادعنه الطبع ولا
تابى للعقل ليمتحن عباده بالقول فيه والوقف في امره والخامس ليعلم ان المحاجة في الدين
على قدر ما يحتمله العقول لا ذمه اذ بها احتج ابرهيم قومه واظهر دين ربه فيبطل بذلك قول
كثير من المسلمين الذين يكرهون المناظرة في الدين ويرون في ذلك تقليد الاستاذين او ظواهر
ما جاء به الاثار التي في اتباع امثالها تناقض عند العقلاء ولا قوة الا بالله والسادس ان المناظرة

بكم

يكون بوجهين لطلب الدلالة في تثبيت القول وباظهار الفساد بما تمكن فيه اذ هو رد ما ادعوا من
الربوبية فمن ذكر مما في ذلك من اثار التدبير لغيره وكذلك قال في الاصنام لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقال وما لي لا اعبد الذي فطرني وقال في موضع اخر الذي خلقني
الى اخر ما اخبر مرة ابطل قولهم بالمعنى الذي يفسده احتج في ثبات فيه وجايز في كل ذلك ان
يقول لهم ما الدليل على ما تدعون لما تذكرون من الربوبية والسابع جواز التسليم باظهار الموافقة
وان كان المسلم بحقيقة ذلك منكرا وله واقعا اذا كان في المساعدة بذلك في الظاهر نيل الربح
والنظر بالبغية اذ على ذلك خرج مناظرة قومه وعلى ذكر ما احتج به في قوله ربي الذي يحيي ويميت
اذ قال خصمه انا احيي واميت واتباه على حجة هي اوضح من ذلك واقهر للعقل والزم في
الطبع فقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب والثامن ان يعلم ان الله له
لم يهمل القوم في شيء من الازمنة دون ان جعل لهم ادلة للحق يظفرون بها لو تاملوا ولا الزم
خلقه في زمان بشيء لم يجعل عنه لا يوقف عليه ولا شبهاء له ولذلك اظهر الحجج واثار البينات
ليعلم انه جعل امره كلها ثابتة الادلة والبراهين ليقطع بها عذر من تابى بنفسه القيام به
والتاسع ان يعلم لا احد يقوم بالحجاج ولا ينطق بحسن البيان الا بعطية الله وامتنانه عليه
بما ينطق به لسانه ويوفقه القيام به بقوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ثم العاشر ان يكون
بفضله ينال الدرجات في امر دينه ويرتقي الى منازل الفضل والشرف بمشيته كما قال يرفع درجات من
من نشاء وانه متى نشاء والرفع كان والله اعلم وقد قال بعض اصحاب الامامة في تاويل الاية زعم انهم
اخذوه على الانا قيل النجم الماذون والقمر اللاحق والشمس الامام بمعنى انه قال للماذون هذا في
معنى هو رب الربية رباه بالعلم وقوله عز وجل فلما افل اي نمي ما عنده رغب عنه وقال لا احب هذا
ثم ظهر باللاحق فركذلك بالامام ثم توجه نحو الثاني بالقول من الرسول اذ الثاني عندهم هو الذي
نطق ما ذكر فلما جاوز درجة المتم وهو الامام صار الى درجة الرسالة وهو القايل من الثاني بالحبال
والمصور للشرايع عندهم فالزموا بهذا عبادة ارباب وان الارتفاع من درجة الى درجة باولئك وذلك
امر نيا قض على المتاسل لانه لما فني ما عند الماذون صار الى اللاحق والماذون كان ماذونا فلم يكن الثاني
بما يصير اليه احد من الاول اذ كان به صار ماذونا ولو كان ثمه درجة اخرى فاما ان يكون بيان تلك
في الوقت الذي يلتقي الماذون ذلك الى غيره اولا فان كان لا ينال فلا الشفعة من الماذون حيث امتنع
عما يقلبه الى الدرجة الثانية ويبلغ غيره او ينال معه فاذا صار هو معه في درجة المتم فكيف قال
لا احبه وهو اثر الذي ذلك وشيئه ثم كيف قال لا احب وذهاب ما به احتجبته عن الاخذ من الاخر وكيف
صار ربه قبل ان ربيه فلما رباه تبرء من ربوبيته وانه ربا اخر فاذا فاقه شكره سمى ربه في شانه
كفر انه ربه وكذلك درجة فدرجة حتى يكفر بالتالي ثم بالعقل ثم يصير الى رب العالمين وهو الرب
في الابتداء والانتهاء لا رب لاحد سواه عز وجل عن الشركاء اذا ليه خالص الامر ومصير الخلق ولو كان
كل فريق حدا يرتقي لكانت تلك الحدود ابدا اخرها فيكون الكل نوالي او نطقا ويبطل الاولاد والمالك
والائمة جميعا وقد كرم الله تعالى عليا كرم الله وجهه عن هذا القيل وعصمه عن هذا الوسواس والحمد لله
وحاجه قومه ذكر محاجة قومه ولم يبين فيما حاجوه لكن في الجواب بيان المحاجة فيما كانت وهو قوله
قال اتحاجوني في الله ثم يحتمل المحاجة في الله في توحيد الله ودينه ويحتمل في اتباع امر الله وطاعته
وذكر في بعض القصة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وحاجه قومه في الهتهم وخوفوه بها وقالوا
انا نخاف الهتنا وان تشتمها ولا تعبدها ان تخبلك وتفسد لك وذلك يحتمل وهو كقول قوم هود
لهود عليه السلام ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ثم قال لهم ابرهيم صلوات الله عليه لما تخافون
انتم منها قالوا كيف نخاف ونحن نعبدها قال لانكم تسوون بين الصغير والكبير والذكر والانثى اما
تخافون الكبير اذ سميتموه بالصغير وما تخافون الذكر اذ سويتموه بالانثى ويحتمل انهم خوفوه بالله
بترك عبادة الهتهم لما كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هولاء شفعاؤنا
عند الله فخوفوه ابرهيم بترك عبادتهم لما كان عندهم ان عبادتهم اياها يقربهم الى الله زلفى وترك
العبادة لها يبعدهم فقال وقد هداني ولا اخاف ما تشركون به ويحتمل قوله وقد هدانا الذين

والتوحيد وهذان طاعته والاتباع لامره فقال كيف اخاف وقد هداني وقوله عز وجل الا ان يشاء الله
ربي شيئا هذا يحتمل وجهين يحتمل لا اخاف الا ان عصيت ربي في شيء فعند ذلك اخاف واما اذا هداني
ربي فاني اخاف بترك عبادتهم والثاني الا ان يشاء الله ربي الا ان يبتليني ربي بشيء من المعصية
فعند ذلك اكون في مشية ان شاء عذبني وان لم يتب لم يعذبني وقوله عز وجل وسع ربي كل شيء علما
اي يعلم ذلك كله عند عصيت او اطعت وقوله عز وجل وكيف اخاف ما اشركتم بالله من الاصنام
ولا تخافون انكم اشركتم ما لم ينزل به عليكم سلطانا يقول عذرا في كتابه فاي الفريقين احق بالامن
اي اهل اياه انتم احق بالامن ان كنتم تعلمون انا اعبد الها واحدا وانتم تعبدون الهة شتى وقيل انهم
كانوا يخوفونه بترك عبادة الهتهم واخراكرا باها في عبادة الله فقال وكيف اخاف ما اشركتم انتم
بالله من الهة ولا تخافون انتم بما اشركتم بالله غيره ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي حجة بان معه شركا
ثم قال اي الفريقين احق بالامن وانتم من عبد الها واحدا ان با من عنده الهة شتى صغارا وكبارا
ذكورا واناثا او ان يقال ان كيف اخاف الهتكم التي تعبدون من دون الله بتركي عبادتها وهي
ضرا ان تركت ذلك ولا نفعا ان انا فعلت ذلك ولا تخافون انتم بترككم عبادة الهي وهو يملك
الضر ان تركتم عبادته والنفع ان عبدتموه فاي الفريقين احق بالامن من عبد الها يملك الضر والنفع
او من عبد الها لا يملك ذلك فقيل رد عليه قومه فقال الذين امنوا برب واحد يملك الضر والنفع ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم قيل لم يخلطوا تصديقهم وايمانهم بشرك ولم يعبدوا غيره دونه اولئك لهم الامن
وهم مهتدون من الضلال له والشرك قيل الظلم ههنا الشرك روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
لما نزلت هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فاينا لا يظلم
نفسه قال ليس ذلك انما هو الشرك او لم تسمعوا ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال لاصحابه ما تقولون في هاتين الايتين قالوا الذين قالوا ربنا
ثم استقاموا والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ثم
عملوا له واستقاموا على امره والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يذنبوا فقال لقد حملتموها على
امر شديد الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك والذين قالوا ربنا ثم استقاموا عليها فلم يعدلوا
عنها بشرك ولا غيره فان ثبت هذه الاخبار فهو ما ذكر فيها ان الظلم هو الشرك والا احتمل الظلم
ما دون الشرك ان لم يظلم ولم يذنب فهو في امن من الله ومن ارتكب ذنبا او ظلما فله الخوف وهو
في مشية الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له وعفى عنه وقوله عز وجل وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على
قومه الاية ينقض قول من يقول بان ابرهيم كان غير مؤمن في ذلك الوقت وعارف بربه لانه اخبر انه
اتاه حجة على قومه ولو كان هو على ما قالوا لكانت الحجة التي اتاه عليه فلما اخبر اتاه حجة على قومه
دل انه ليس على ما قالوا ولكن كان عارفا بربه مخلصا له على ما سبق ذكره فان قال قائل ان الحجة التي
اخبر انه اتاه ابرهيم على قومه قوله وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هداني ولا اخاف ما تشركون
الى اخر ما ذكر قيل ان هذه ليست بمحاجة انما هو تقرير التوحيد والدين الا ترى انه قال ولا اخاف
ما تشركون به الا ان يشاء الله ربي شيئا والمحاجة ما ذكر في قوله لا احب الافلين وقوله اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وغيرها من الايات التي فيها وصف
توحيد الرب عز وجل والوهية وفساد الهتهم من ذلك قوله اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما
تعملون وقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقوله هل يسمعونكم اذ تدعون
الى قوله واذا مرضت فهو يشفين وفيه دليل نقض قول المعتزلة لانه قال وتلك حجتنا اتيناها
ابرهيم على قومه والانباء هو الاعطاء والنجوم والشمس والقمر وما ذكر فكانت دلالة ان الذي اتى ابرهيم
هو محاجة قومه بما ذكرنا واحتجاجه عليهم بذلك دل انه له في محاجة ابرهيم قومه صنعا حيث اضاف
الى نفسه وهو ان خلق محاجة قومه وبالله العصمة وقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه
والذين كانوا يعبدون الاصنام والاوثان وهو ما بين سفههم في عبادتهم الاصنام حيث قال
في غير اي وعلى نمرود حين قال انا احيي واميت الى اخر الاية وقوله عز وجل نرفع درجات من نشاء
وفيه ايضا دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله قد شاء لكل احد ان يبلغ المبلغ

الذي

الذي ابلغ ذلك فيصلح للنبوة والرسالة لكنهم شاؤوا ان لا يبلغوا ذلك المبلغ يجعلون المشية في ذلك
الى انفسهم دون الله والله اخبر انه يرفع درجات من يشاء وهم يقولون لا يقدر ان يرفع لهم
مما يكون ان يرفعوا درجات انفسهم فدلت الاية على ان من نال درجة او فضيلة انما ينال بفضل الله
ومنه ثم قوله نرفع درجات يحتمل الدرجات وجوها يحتمل النبوة ويحتمل الدرجات في الاخرة ان يرفع
لهم ويحتمل الذكر والشرف في الدنيا لما يذكرون في الملا من الخلق وقوله عز وجل ان ربك حكيم عليم
اي حكيم في خلق الخلائق خلق خلقا يدل على وحدانيته ويدل على انه مدبر ليس بعبث في خلقهم ثم عليم
باعمالهم وعليم بمصالح الخلق وبما يصلح لهم وبما لا يصلح والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير
وقوله عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب يحتمل ما ذكرنا من رفع الدرجات ما ذكر من هبة هؤلاء
وفيه دليل انما يكون له من الفضل في هبة اولاده يكون ذلك في اولاد اولاده وقوله عز وجل كلا
هدينا ونوحا هدينا من قبل الهداية هدايتان هداية اصابة الحق وهداية العلم بالحق وهي هداية البيان
فهذه الهداية مما يشترك فيها المسلم والكافر جميعا واما هداية اصابة الحق فهي خاصة للرسل والانبياء
والمسلمين جميعا والهداية ههنا هي اصابة الحق لا العلم بالحق لانهم اشتركوا جميعا في العلم بالحق الكافر
والمسلم ومن ذريته ابرهيم وقيل ذرية نوح كانوا جميعا من ذرية ابرهيم ومن ذكر من الرسل وقوله عز وجل
وكذلك نجزي المحسنين اي كذلك نجزي المحسنين بالذكر والشرف والثناء والحسن في ملاء الناس ويحتمل ان
يذكروا في ملاء الملائكة كما ذكروا في ملاء الخلق في الارض ويحتمل وكذلك نجزي المحسنين في الاخرة بالثواب و
رفع الدرجات والجزاء الجزيل ثم ذكر في فريق انه كذلك نجزي المحسنين وذكر في فريق اخر كل من الصالحين
وذكر في فريق وكلا فضلنا على العالمين وهذا والله اعلم ليس على تخصيص كل فريق بما ذكر من الذكر بل ذكر
على الجميع انهم محسنون صالحون مفضلون على العالمين ثم يحتمل التفضيل لهم بالنبوة ويحتمل انهم
كانوا مستفضلين على العالمين بالاحسان والصلاح لو لم يكن لهم رسالة ولا نبوة ثم يحتمل انه سماهم
الحال الذي التي كانوا اهلا للرسالة والنبوة فان كان هذا فهم الرسل خاصة ويحتمل محسنين باختيارهم
الهداية واصابة الحق فان كان فهو مما يشترك الانبياء واهل الاسلام فيه وقوله عز وجل ومن ابائهم
وذرياتهم واخوانهم اما اباؤهم من تقدمهم وذرياتهم من تاخرهم واخوانهم الذين يقاربونهم و
قيل ذرياتهم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المؤمنون من بعدهم وقوله عز وجل واجتبيناهم يحتمل
اجتبيناهم بالنبوة والرسالة وهديناهم الى صراط مستقيم فذلك لهم خاصة ويحتمل اجتبيناهم بالتوحيد
ودين الاسلام فذلك يعم الانبياء والمؤمنين جميعا لانه اجتبيناهم بذلك جميعا ويحتمل اجتبيناهم بما ذكر
من رفع الدرجات والفضائل ويكون صلة قوله نرفع درجات من نشاء وذلك ايضا يعم الرسل والمؤمنين
والله اعلم بذلك وفي قوله ومن ابائهم وذرياتهم الاية دلالة ان اباءهم وذرياتهم من لم يجتبيهم
من اذ من هو حرف التبعيض وقوله عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده اي ذلك
هدى الله الذي هدى هؤلاء فبهداهم اقتده ابدا في كلا اشدد لا له نقض قول المعتزلة لانهم يقولون
ان الله قد شاء ان يهدي الخلائق كلهم لكن لم يهتدوا وعلى قولهم لم يكن من الله الى الرسل والانبياء
من الهداية والفضل الا كان ذلك لجميع الكفرة فالاية تكون مصروفة الفائدة على قولهم لانه
ذكر انه يهدي من يشاء وهم يقولون شاء ان يهدي الكل لكن لم يهتدوا فان كان كما ذكروا لم يكن
لقوله من يشاء فائدة دل انه من الخلائق قد شاء ان لا يهديهم اذا لم علم منهم انهم لا يهتدون ولا
يختارون الهدى وبالله التوفيق وقوله عز وجل ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون هذا نبا عن
الحكم فيهم لو اشركوا الا انهم لا يشركون لان الله قد عصمهم واختارهم لرسالته واختصهم لنبوته
فلا يحتمل ان يشركوا لكن ذكر هذا ليعلموا ان حكم الله واحد فيمن اشرك في الله غيره وشيئا كان او شريفا
وقوله لحبط عنهم ما كانوا يعملون من الحسنات والخيرات كانت قبل الاشراك وقوله عز وجل الذين
اتيناهم الكتاب قيل الكتب التي اعطى الرسل والحكم قيل العلم والفقه والفهم وقيل الاحكام التي
اعطاهم والنبوة هي انباء الغيب وقد ذكرنا وقوله عز وجل فان يكفر بها هؤلاء قيل بها كناية عن انباء
الغيب والنبوة التي ذكر وقيل بها كناية عن الكتب التي انزلها على الرسل وقيل هي كناية عن الايات
والحجج التي اعطى رسوله وقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اختلف

الى يوم القيمة كما جرى
ذكر الرسل بالذكر
والشرف والثناء والحسن
صح

نبذ قال بعضهم فان يكفر بها يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اهل المدينة من الانصار
والمهاجرين وهو قول ابن عباس وقيل ان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
يعني اهل قرابتك واهل وصلتك فقد وكلنا بها قوما من غير اهل قرابتك ليسوا بها بكافرين وقيل
وقيل فان يكفر بها هؤلاء يعني اهل زمانك فقد وكلنا بها قوما ممن تقدمهم من اباءهم واجدادهم ليسوا بها
بكافرين وقيل فان يكفر بها هؤلاء يعني اهل الارض فقد وكلنا بها قوما اهل السماء ليسوا بها بكافرين
قال الحسن رحمه الله فان يكفر بها هؤلاء يعني امتك فقد وكل الله بها النبيين والصالحين من الامم
الخالية ليسوا بها كافرين والله اعلم بذلك وهو كما ذكرنا وقوله عز وجل اولئك الذين هدى الله
فبهديهم اقتده احتمل فبهداهم الذين هدوا منهم اهتد انت امتك ويحتمل فبهداهم الذين هدوا اهم
اهتد انت بامره عز وجل بالامر بالاقتداء باخوانه الذين مضوا من الرسل والهدى هو اسم ما يدان
به ليس هو اسم الافعال لا يقال لتارك الصلوة والزكوة والصيام ضال انما يقال ذلك لمن دان
بضد الهدى امر رسوله ان يقتدي بهم بذلك وذلك يدل على ان الانبياء والرسل كانوا على دين واحد وان الدين
لا يحتمل النسخ والتغيير الا ترى انه قال في اية اخرى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا اخبر وذلك يدل
على ان الدين واحد لا يحتمل النسخ وان الشرايع فهي مختلفة لانها تحتمل النسخ ويحتمل الامر بالاقتداء بهم
ما ذكر قل لا اسئلكم عليه اجرا اي اقتدي بمن تقدم من الرسل ولا تاخذ على تبليغ الرسالة اجرا كما لم
يأخذوهم وفي قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا دليل نقض قول من يجيز اخذ الاجر على تعليم القران والعلم
ورواية الحديث وغير ذلك من العبادات وكذلك قوله ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون كانه والله
اعلم يحمل لهم العذر في ترك الاجابة لما يخفهم من ثقل الاجر والغرم والله اعلم وفيه ايضا دلالة
نقض مذهب الرامطة لانهم يعرضون مذهبهم على الناس ويأخذون منهم المواثيق والجعل في ذلك
وانما اخذ المواثيق من الرسل على تبليغ الرسالة الى قومهم وامروا بما لنفر قلوب الخلق في اخذ الجعل منهم
لنفور قلوبهم وطباعهم عن ذلك وقوله عز وجل ان هو الا ذكرى للعالمين اي ما هذا القران الا ذكرى اي عظة
وزجر للعالمين وقوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره الاية وذكر في موضع اخر ما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا الاية ثم قال بعض اهل التاويل ما عرفوا الله حق قدره معرفته وقال غيرهم ما عظموا
الله حق عظمته ذكروا ان هؤلاء لم يعظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته ومن يقدر ان
يعظم الله حق عظمته او ان يعرفه حق معرفته او من يقدر ان يعبد الله حق عبادته وكذلك روي
في الخبر ان الملائكة يقولون يوم القيمة يا ربنا ما عبدناك حق عبادتك مع اخبر عنهم انهم لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون فهم مع هذا كله
يقولون ما عبدناك حق عبادتك ومن يقدر ان يعرفه حق معرفته او يعظمه ولكن تاويلهم والله اعلم
اي ما عرفوا الله حق المعرفة التي يعرف بالاستدلال ولا عظموه حق عظمته التي يعظم بالاستدلال هذا
تاويلهم والا لاحد يقدر ان يعرف الله حق معرفته ولا عظمه حق عظمته حقيقة وهو يخرج على وجهين
احدهما ما قدروا الله حق قدره ولا اتقوا حق تقواه ما كلفوا به واطاقوه وما جرى الامر بذلك وانما
تجري الكلفة منه على قدر الطاقة والوسع والا لا يقدر احد ان يعظم ربه حق عظمته ولا اتقى حق
تقوبه لكن ما ذكرنا لما جرت الكلفة والثاني ما قدروا الله حق قدره ولا حق تقاته على القدر الذي
يعلمون لا نفسهم اي لو اجتهدوا في تقواه وعظمته القدر الذي لو كان ذلك العمل لهم فيجتهدون ويبلغ
جهدهم في ذلك فقد اتقوا وقوله عز وجل اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء لو كان هؤلاء في الحقيقة
اهل الكتاب ما انكروا الرسل ولا الكتب لان اهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل وببعض الكتب وان
كانوا يكفرون ببعض لكن هؤلاء انكروا الرسل لما كانوا اهل نفاق ويكون من اليهود اهل نفاق كما يكون
من اهل الاسلام كانوا يظهرون الموافقة لهم ويضمرون الخلاف لهم والموالاة لاهل الشرك ويظاهرون
عليهم كما كان يفعل ذلك منافقوا اهل الاسلام كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ويضمرون الخلاف له ويظهرون المشركون عليه فاطلع الله رسوله على نفاقهم ليعلم قومهم
خلافهم وان ما كان من تحريف الاحكام وتغييرها وكتمان نعت محمد عليه افضل الصلوة وصفته انما كان من هؤلاء
وذكر في بعض القصة انها نزلت في شان مالك بن الصيف وكان من احبار اليهود وكان سمينا فدخل على

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تجد في التورية يبغض كل حبر سمين فقال نعم
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت حبر سمين يبغضك الله فغضب فقال ما انزل الله على بشر من شيء انكر الرسل
والكتب جميعا فاكذبه الله تعالى واظهر نفاقه عند قومه فقال قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا قيل تجعلونه قراطيس يعني صحفا ثم كتبتموه في الصحف ثم تنكرون
انه ما انزل الله على بشر من شيء اي فالذي كتبتم كتبتموه ان لم ينزل الله على بشر من شيء تبدونها وتخفون كثيرا
يقولون يظهرون ما في الصحف ما ليس فيه صفة رسول الله ونعته صلى الله عليه وسلم ويخفون ما فيه
صفته ونعته وتغيرون وقيل تبدونها اي يظهرون قراتها ويخفون كثيرا مما فيه نعته صلى الله عليه وسلم
اي ما فيه من الاحكام التي لا تطيب بها انفسهم من امر الرجم والقصاص وغير ذلك وقوله عز وجل قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس سمى عز وجل جميع كتبه نورا وهدى وهو نور من الظلمات اي يرفع الشبهات
ويجليها وهدى من الضلالات اي بيانا ودليلا من الحيرة والهلاك وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل وعلمتم
ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قال مجاهد الاية في المسلمين يقول علموا ما لم تعلموا ولا اباؤهم وقال الحسن الاية
في الكفرة اي علمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم من تحريف اوائلنا الكتاب وتغييرهم اياه وقيل وعلمتم ما
في التورية ما لم تعلموا انتم ولم يعلمه اباؤكم ثم قال بعضهم قوله قل الله صلة قوله قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى نورا يا محمد انزله على موسى وقيل صلة قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا قل
يا محمد الله عليكم ويحتمل ان يكون عز وجل سخرهم حتى قالوا ذلك لحجة عليهم عز وجل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
هذا يحتمل وجهين يحتمل ذرهم ولا تكافئهم بصنيعهم كقوله فاعرض عنهم واصفح والثاني انه قد اقام
عليهم الحجج وظهرت عندهم البراهين لكنهم كابروا وعاندوا فامره ان يذرهم لا يقيم عليهم الايات والحجج بعد ذلك
ولكن تدعوهم الى التوحيد لا تذر دعاءهم الى التوحيد ولكن تذرهم ولا تقيم عليهم الحجج وقوله عز وجل
في خوضهم اي باطلهم وتكذيبهم يعمهون وقوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه مبارك قيل القران انزلناه
مبارك اسماه مرة مباركا ومرة نورا ومرة هدى ورحمة ومرة شفاء ومجيدا وكريما وحكيما وليس يوصف
هو في الحقيقة بنور ولا مبارك ولا رحمة ولا هدى ولا شفاء ولا مجيد ولا كريم ولا حكيم لان صفة ولا
يكون للصفة صفة توصف بها ولو كان هو في الحقيقة نورا ورحمة وهدى او ما ذكر فلما ذكر انه عمل على
بعض واخبر انه يزداد بذلك رجسا الى رجسهم دل انه ليس هو في الحقيقة كذلك لانه لو كان كذلك
لكان لكل احد لكن سماه بهذه الاسماء وسماه نورا لما يبصر نورا لمشبه شديدا ويصير شفاء ورحمة لمقتبسه
يستشفوا الداء الذي يحل في الدين وسماه روحا لما يحيى به الدين وسماه حكيما لما يصير من عرف بواطنه
واتبعه حكيما وكذلك سماه مجيدا كريما لما يدعو الخلق الى المجد والكرم فمن اتبعه تخلق باخلاق حميدة فيصير
مجيدا كريما وسماه مباركا لما به ينال كل بركة والبركة اسم لكل ما ينمي وينمو في الحادث فمن اتبعه
نال به كل بر وخير وكل ثمرة ونماء في الحادث هذا وجه الوصف بما ذكرنا وقوله عز وجل مصدق الذي بين
يديه من الكتب لانه كان يدعو الخلق الى ما كان يدعو سائر الكتب التي انزلها على الرسل من توحيد الله
والنهي عن اشراك غيره في الالوهية والربوبية ويدعو الى كل عدل واحسان وينهى عن كل فاحشة ومنكر
وكذلك سائر الكتب دعت الخلق الى ما دعا هذا لم يخالف بعضهم بعضا بل كانت موافقة بعضها لبعض
كذلك قال مصدق الذي بين يديه والله اعلم وقوله عز وجل ولتنذر ام القرى ومن حولها وقيل ام
القرى مكة سميت ام القرى لوجهين احدهما لانها متقدمة ومنها دحيت الارض على ما ذكر اهل التاويل
والثاني سميت ام القرى لانها مقصد الخلق في الحج وفيها تقضى المناسك واليها يقصد وله ويأمون
واليها يتوجهون في الصلوات وهي مقصد اهل القرى وقوله عز وجل ولتنذر ام القرى اي اهل
ام القرى وقوله عز وجل والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به فان قيل اخبر ان من امن بالبعث يؤمن
بهذا الكتاب واهل الكتاب يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون به فما معناه قيل يحتمل هذا وجوها احدها
ان يكون هذا في قوم مخصوصين اذا امنوا بالبعث امنوا به بقوله انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
هذا في قوم مخصوصين لانه قد امن كثير منهم بالانذار فعلى ذلك الاول والثاني قوله والذين يؤمنون
بالاخرة بالعلم والحجج امنوا بالقران جاء في تاييد حجج البعث وتاكيده فلا يجوز ان يؤمنوا بما يرجع القران
ولا يؤمنوا بالقران والثالث يحتمل ان يكون نعتا لاحق اولئك انهم كانوا يؤمنون بالبعث بالايات والحجج

راغبين فيه فلما جاء امنوا به وامكن ان تكون الاية في المؤمنين اخبر انهم امنوا بالاخرة وامنوا بالقران
الا ترى انه قال وهم على صلواتهم يحافظون ويحتمل الذين يؤمنون بالاخرة يحق قولهم ان يؤمنوا لانه به يحرز
للاخرة ويحتمل ما ذكرنا من الوجوه وقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في الظاهر استفهام
وسؤال لم يذكر لهم جواب لكن اهل التاويل فسروا فقالوا لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا وهذا
جواب له هو تفسيره لكن ترك ذكر الجواب لمعرفة اهل الخطاب به وقد تقول الجواب لمعرفة اهله به
وقوله عز وجل ومن اظلم اكثرهم قد ظلموا وكلهم قد ظلموا لكن كانه قال لا احد افحش ظلما ممن افترى
على الله لانه يتقلب في نعم الله في ليله ونهاره واحسانه فهذا افحش ظلما واوحش كذبا وقوله عز وجل
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء في الاية دلالة ان الرسالة لمن له الرسالة في الافتراء على الله والكذب
كمدعي الرسالة لنفسه وليست له الرسالة سواء كلاهما مفتر على الله كذبا وكذلك من ادعى انه
ينزل مثل ما انزل الله او من ادعى انه لم ينزل الله لبشاء فهو في الافتراء وعلى الله كالذي ادعى
انه ينزل مثل ما انزل الله النافي والمدعي في ذلك سواء شرعا فعل ذلك يكون في النبي ومشبه
في اقامة الحجة والدليل سواء والله اعلم وذكر اهل التاويل ان قوله اوحي الي ولم يوح اليه شيء
نزل في مسيلمة الكذاب ونزل قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله في عبد الله بن سعود بن
ابي سرح لكن ليس لنا الى معرفة هذا حاجة هم وغيرهم ومن ادعى وافترى على الله كذبا سواء
وقوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ادعى بعضهم انهم يقولون مثل ما قال الله انكارا منهم
كقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا وقوله عز وجل ولو ترى اذ الظالمون
في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قوله في غمرات الموت وسكراته وغشياته والملائكة باسطوا ايديهم يقول ملك الموت واعوانه
الذين معه من الملائكة العذاب باسطوا ايديهم يقرون ضاربوا ايديهم انفسهم يقولون لها
اخرجي يعني الارواح وهو قوله اخرجوا انفسكم وهو عند الموت وكذلك يقول قتادة وقال
الحسن ذلك في النار في الاخرة ضرب الوجوه والادبار وقوله عز وجل في غمرات الموت اي
كثرة العذاب وشدته يقال للشيء الكثير الغمر وهو كقوله ياتيه الموت من كل مكان اي اسباب الموت ولو
كان هناك موت يموت لشدة العذاب وقوله عز وجل باسطوا ايديهم بضرب الوجوه والادبار اخرجوا
انفسكم على حقيقة الخروج منها كقوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها والاول ليس
على حقيقة الخروج ولكن كما يقال عند نزول الشدائد اخرج نفسك وقال مجاهد هذا في القتال بضرب
الملائكة وجوههم وادبارهم يعني الاستاه ولكنه يكون وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة
عند الموت وقال ابو عوسجة غمرات الموت وسكراته وشدائده والغمر هو الماء الكثير والغمر الغداة
والغمر الذي لم يجرب الامور والغمر الدسم والغمر القدح والصغير من الحب وغمرة الحرب وسطها وقوله
عز وجل اليوم تجزون عذاب الهون بل عذاب الهون لا رافة فيه ولا رحمة اي الشديد بما كنتم تقولون
على الله غير الحق بان معه شريكا والهة وكنتم عن اياته تستكبرون انه لم ينزل شيئا ولم يوح اليه
شيء وانما اوحي الي وغير ذلك من الافتراء ذكر وابا الله العصمة وقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة يحتمل هذا والله اعلم وجوها اي وعدناكم وبعثنا فرادى بلا معين ولا ناصر كما
خلقنا اول مرة بلا معين ولا ناصر والثاني اعيدكم وابعثكم فرادى بلا اعوان لكم ولا شفعاء يشفعون
لكم يعني بعضكم بعضا كما خلقناكم في الابتداء فرادى لم يكن لكم شفعاء ولا اعوان وقيل نبعثكم
ونعيدكم بلا مال ولا شيء من الدنيا وبه كما خلقناكم في الابتداء ولم يكن لكم مال ولا شيء من الدنيا
وجايز ان يكون قوله ولقد جئتمونا فرادى ليس معكم ما تفتخرون به من الحشم والاموال والقرابات
التي افتخرتم في الدنيا كما خلقناكم اول مرة وجايز ان يكون قوله كما خلقناكم اول منفصلا قوله ولقد
جئتمونا فرادى لكن جواب سؤال ان كيف نبعثنا تعالى اي تبعثون كما خلقناكم اول وقوله عز وجل
وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يحتمل تركتم وراء ظهوركم ولا تلتفتون اليه ولا تنظرون كالمنبوذ
وراء ظهوركم انما نظركم الى اعمالكم التي قدمتموها والثاني لم تقدموا ما خولنا ولم تنفعوا منه
بل تركتم وراء ظهوركم لا تنفعوا به انما منفعتكم ما قدمتموه وانفقتم منه وقوله عز وجل وخولناكم

بل اعطيناكم وقيل رزقناكم وقيل ملكناكم وهو واحد وقوله عز وجل وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركاء انهم كانوا يجعلون لله شركاء في عبادته والوهيته ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول وما نرى شفعاءكم الذين زعمتم انهم شركاء لله في عبادتكم
وزعمتم انهم شفعاؤكم عند الله بل شغلوهم بانفسهم يخبر عن سفههم وقلة نفعهم فيهم وقوله عز وجل
لقد تقطع بينكم قرئ وما زعم والنصب جميعا من قرا بالرفع يقول لقد تقطع تواصلكم ومن قرا
بالنصب يقول لقد تقطع ما كان بينكم من الوصل يخبر عز وجل عن قطع ما كان بينكم من التواصل وتعاطي
بعضهم بعضا في هذه الدنيا انهم كانوا يتعاونون ويتناصرون بعضهم بعضا يخبر ان ذلك كله ينقطع
في الاخرة ويصير بعضهم اعداء لبعض ويتبرا بعضهم من بعض كقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا وكقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وكقوله تعالى واذا حشر الناس
كانوا لهم اعداء وكقوله سيكفرون بعبادتهم الاية يصير المعبودون اعداء للعابدين والعابدون
اعداء للمعبودين ويصير الوصلة والمودة التي فيما بينهم في هذه الدنيا عداوة والرحم والقرابة
الذي كان بينهم منقطعا حتى يفر بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية
وقوله عز وجل وضل عنكم ما كنتم تزعمون اي ذهب عنكم وبطل ما كنتم تزعمون انهم شفعاء لكم
عند الله وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل ان الله فالق الحب والنوى قيل فالق الحب والنوى
كما قال الله تعالى فاطر السموات والارض كقوله تعالى وهو الذي فطركم اي خلقكم يخبر انه فالق الحب
والنوى اما بالذكر لما منهما خلق جميع ما في الدنيا من الازواج والحبوب كقوله تعالى خلقكم من نفس
واحدة منه ما خلق ما في الدنيا من البشر فاضاف ذلك اليه فعلى ذلك لما خلق هذه الازواج كلها من الحب والنوى
ومنها اخرج اضاف اليهما ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون ليس باخبار عن ابتداء انشاء ولكن اخبار عن لطفه
والفلق هو الشق يخبر انه يشق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منها نبتا احضر لينا ما لو اجتمع كل الخلائق
على انفاذه واخراج مثله من غير اذن بسبب ذلك النبت ما قدروا عليه يخبر عن لطفه وقدرته اي من قدر
على هذا القادر على اعادة الخلق وبعثهم بعد اماتتهم وافنائهم وان لم يبق لهم اثر كما قدر على هذا يعرفهم
قدرته انها غير مقدورة بقدرة الخلق وبقوتهم بل خارجة عن قوتهم لان قوته وقدرته ذاتية ازلية
بلا سبب وقوتهم وقدرتهم باسباب وكذلك ما يشق من الورق الضعيف اللين الشجر والنخل مع شدته
وصلابته ما لو اجتمع الخلائق كلهم على شق ذلك الشجر بذلك الورق مع لينه ما قدروا عليه يعرفهم لطفه
وقدرته انه لا يعجزه شيء وفيه ان ذلك فعل واحد لانه لو كان فعل عدد لكان اذا اراد هذا شغله منع الاخر
عن ذلك وفيه انه على تدبير يخرج لا جزافا حيث اتفق ذلك في كل عام على قدر واحد وقوله عز وجل يخرج الحي
من الميت ويخرج الميت من الحي ان الحب والنواة التي ذكرت فيخرج منهما النبات الاخضر حيا ثم تموت
ذلك ويخرج منه الحب والنواة وفيه دلالة البعث بعد الموت تعولان الذي قدر على اخراج النبات الاخضر الحي من حبة
ميتة ونواة ميتة وليس فيها من اثر ذلك الحي شيء لقادر ان يبعثهم ويحييهم بعد الموت وان لم يبق من اثر الحيوة
شيء وقد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل فانى تؤفكون اي ذلكم الذي يفعل ذلك هو الله تعالى لا
الاصنام تعبدونها واشركتم في عبادتكم الله والوهية اي تصرفكم عما ذكر اي لا حجة لكم في صرف الالوهية عنه
الى غيره ولا صرف العبادة الى الاصنام وقوله عز وجل فانى تؤفكون قيل فانى تصرفون عما ذكر من دلالات
وحدانية والوهية وربوبية والافك هو الصرف في اللغة كقوله تعالى اجئتنا لتافكنا ولتصرفنا وقيل
تؤفكون تكذبون اي ما الذي حملكم على الكذب والكذب والصرف واحد في الحقيقة لان الكذب هو صرف
قول الحق الى الباطل وهما واحد وقوله عز وجل فالق الاصباح هو يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا في
في قوله فالق الحب والنوى خبر عن ابتداء خلقه ويحتمل الشق اي يشق النهار من الليل والليل من النهار
بعدما تلف كل واحد منهما لم يبق له اثر ففيه دليل البعث والاحياء بعد الموت اي ان الذي قدر على انشاء
من الليل والليل من النهار بعدما تلف وذهب اثره لقادر على انشاء الخلق وبعثهم بعد الموت وذهاب
اثارهم وقوله عز وجل وجعل الليل سكنا جعل الله الليل سكنا وراحة للخلق والنهار معاشا لهم يبتغون
فيه وجعلهما ايتين من ايات ربوبيته ووحدانيته مسخرين يقلبان للخلائق ويقهر انهم ويكذبون
كيف سلطانهما ويجريان على سنن واحد دل ان لهما مدبرا خالقا لهما ولو كان يجريان بطباعهما لكان

يختلف جريانهما ولو لم تسبق فدل اتساقهما وجريانهما مجرى واحدا ان لغيرهما تدبيرا وكذلك الشمس
والقمر جعلهما مسخرين لمنافع الخلق لتنضج الانزال وتنبعها ولمعرفة عدد الايام والشهور والسنين ويجريان
مجرى واحدا ومسلكا واحدا غير مختلف دل ذلك انهما كانا بمدبر عليم حكيم وفى قوله فالق الاصباح وجعل
الليل سكنا دلالة نقض قول المعتزلة لان الاصباح هو فعل الخلق لانه مصدر اصبح وكذلك الشكر
هو فعل الخلق ثم اضاف ذلك كله الى نفسه دل انه خالق افعالهم وقوله عز وجل والشمس والقمر
حسبانا اختلف فيه قال ابو عبيد هو من الحساب وهو جمع حساب وحسبان مثل شهاب وشهبان
وهو كقوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقيل
حسبانا اى جريانا يجريان ويدوران لا يستريحان دل انهما كانا بغير مسخرين للخلق لانهما لو كانا بطبعهما
لكانا يستريحان وقيل حسبانا اى ضياء كقوله جعل الشمس ضياء والقمر نورا والله اعلم بذلك وقوله
عز وجل ذلك تقدير العزيز العليم اى ذلك الجريان الذى ذكر او تلك المنافع التى جعلت فيهما تقدير
العزيز قال الحسن العزيز هو الذى لا يعجزه شئ والعزيز هو الذى يعز كل عزيز وقال بعض اهل التاويل
العزيز المنيع فى سلطانه المنتقم من اعدائه العليم بمصالح الخلق وبما كان ويكون وبخفايا ... وبالله
التوفيق وقوله عز وجل وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر والمراد منه
الظلمات وذكر فى قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر واراد بالظلمات الشدائد والاهوال
التى تصيبهم الا ترى انه قال تدعونه تضرعا وخفية عند الشدائد والاهوال كانوا يدعون ربهم
تضرعا وخفية على ما ذكر ههنا عظيم سلطانه وقدرته لما يدفع عنهم الشدائد والاهوال التى
نزل بهم بما الدافع عنهم ذلك لا هؤلاء الاصنام التى يعبدون دون الله ويشركونها فى عبادته وبذكر
فى قوله جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر عظيم ما انعم عليهم بما جعل لهم من السماء
نجوما يهتدون بها فى ظلمات البر والبحر عظيم ما انعم عليهم بما جعل لهم من السماء نجوما يهتدون بها الطرق
والمسالك فى البحار والبرارى عند اشتباهها عليهم وفيه دليل وحدانية الرب وتدبيره وحكمته
لانه جعل فى السماء ادلة يهتدون بها ويستدلون على معرفة الطرق مع بعد ما بينهما من المسافة
وتسوية اسباب الارض باسباب السماء وتعلق منافع بعضها ببعض ليعلموا انه كان بواحد مدبر عليم حكيم اذ لو
كان بعدد او بمن لا تدبير له ولا حكمة لم يحتمل ذلك ولم تتسق ما ذكرنا دل انه كان بالواحد العليم الحكيم مع علمهم
ان الاصنام التى يعبدونها واشركوا فى عبادته لا يقدرون على ذلك لكنهم يعبدونها ويشركونها فى الوهيته
تعسفا منهم وعنادا وبالله العصمة والتوفيق وفى قوله فالق الحب والنوى وقوله فالق الاصباح وقوله
وقوله جعل لكم لتهتدوا بها وغير ذلك من الايات التى ذكر تذكير نعمه واحسانه اليهم ليتادى بذلك شكره
وجعل السعى له وجائزان يستدل به على تذكير قدرته وسلطانه ان من قدر على ما ذكر لا يحتمل ان يعجزه شئ
وفيه تذكير تدبيره وعلمه وحكمته على ما ذكرنا من اتساق الامور والحال على امر واحد وقوله عز وجل قد فصلنا
الايات قيل صرفنا الايات اى صرفنا كل اية الى موضعها الذى يكون لهم دليلا عند الحاجة اليها وقيل قد
فصلنا الايات لقوم يعلمون قد بينا الايات لقوم يعلمون اى لقوم ينتفعون بعلمهم فاذا انتفعوا بها
صارت الايات لهم لان من انتفع بشئ يصير ذلك له لذلك ذكر لقوم يعلمون لانهم اذا لم ينتفعوا بها لم
تصر الايات لهم وقوله عز وجل الذى انشاكم من نفس واحدة فيه دلالة انه يبدئ ويعيد من غير
شئ لانه اخبر انه خلق البشر كله من نفس واحدة والخلائق كلهم لو اجتمعوا ما احتملت الارض ولم تكن الخلائق
باجمعهم فى تلك النفس الواحدة دل انه قادر على الابتداء والاعادة لا من شئ اذا لم يكن لتلك النفس التى خلق
الخلائق منها تقدمه شئ وقوله عز وجل فمستقر ومستودع قال الحسن مستقر فى الاخرة بعلمه الذى ختم به
ان ختم بعمل الخير يبقى ابدا فى الخير وان ختم بالشر يبقى ابدا فى الشر ومستودع فى اجله ينتقل من وقت الى وقت
ومن حال الى حال وقيل مستقر فى الدنيا ويشبه ان يكون مستقر ومستودع فى كل حال وكل وقت مستقر فى حال
القيام حتى ينتقل الى حال اخرى ومستودع فى الاخرة بالجزاء لاعمالهم التى عملوا ومستودع فى الدنيا ويحتمل
مستقرا بالليالى ومستودع فى الاخرة بالنهار والاول لبنى ادم خاصة ثم قوله عز وجل لقوم يعلمون ولقوم
يفقهون الفقه هو معرفة الشئ بمعناه الدال على نظيره والعلم ما يعرف بنفسه ولهذا لا يقال لله فقيه
ويقال عالم لانه عالم بالاشياء بذاته لا باعتبارها والفقيه هو الذى يعرف الاشياء باعتبارها ونظائرها

ودلائلها وقوله عز وجل وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ يذكرهم عز وجل عظيم منته
بما ينزل من السماء ماء ويخرج به نبات كل شئ كما ذكرهم من النعم بما جعل لهم من الشمس والنجوم لتهتدوا بها
فى الظلمات واشتباه الطريق وما جعل الليل للسكون والراحة والنهار للمعاش والتقلب وما جعل لهم
من الشمس والقمر وجعل لهم فيهما من المنافع من نضج الانزال والزروع وينعها ومعرفة عدد السنين
والحساب والاجال التى يجعلون للعقود وغير ذلك من النعم التى انعمها عليهم لئلا يوجهوا شكر هذه النعم الى
غيره ولا تتخذوا انها سواه وقد ذكرنا ان سورة الانعام نزل اكثرها فى محاجة اهل الشرك فى اثبات الوحدانية
له والالوهية لله واثبات الرسالة والنبوة واثبات البعث بعد الموت لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقوله
عز وجل فاخرجنا به نبات كل شئ ما بالخلق حاجة اليه ليعلم ان كل ما يخرج فى الارض اصله من الماء به ينبت مما
يكون غذاء البشر وغذاء الحيوان كلهم والطيور كقوله وجعلنا من الماء كل شئ حى افلا يؤمنون يذكرهم عظيم ما
جعل لهم فى الماء من المنافع على ما اخبر انه يخرج نبات كل شئ وبه حياة كل شئ ثم من الاوقات ما لو نزل من
السماء ما لم ينبت دل انه انما ينبت بتدبير غير لا بالماء وقوله عز وجل فاخرجنا منه خضرا قيل به يخرج اولا ما
يخرج خضرا يكون ابتداء كل نبت اخضر ثم يتحول الى لون يخبر عن لطفه وصنعه لما يخرج من الحب متراكبا بعضه
على بعض ما لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقدروا على تركيب مثله ليعلموا ان الغير فى ذلك تدبيرا وصنعا وفيه
دلالة انه قد ينشئ الاشياء من لا شئ ولا سبب وان كان قد انشاء بعضها باسباب نحو ان خرج من ذلك
النبات الاخضر حبوبا ولم يكن الحبوب فى النبات ليعلموا انه قادر على انشاء الانشاء لا من شئ ولا سبب
وفيه نقض قول الدهرية فى كون الاشياء فى شئ واحد حاهى لا يحتمل ان يكون عشرة الاف نواة او حبة
فى نواة واحدة او فى حبة واحدة او تكون الشجرة مع طولها وغلظها وعظمها فى نواة وحبة وقوله عز وجل
ومن النخل ومن النخل اى يخرج من النخل طلعها بالماء وفيه من عظيم لطفه وتدبيره ان حمل النخيل والاشجار
شرب بعروقها الماء ثم ينتشر فى اصلها الى اغصانها ثم يخرج منه ويظهر حضرا ليعلم عظيم تدبيره ولطفه
وقوله عز وجل قنوان دانية قيل القنوان العذوق يكون فيها الثمر والثمار واحدها قنو وقوله عز وجل
دانية قال الحسن دانية بعضها الى بعض مجتمعة غير متفرقة على ما يكون من الاعناب والثمر والحبوب
فان كان هذا فهو فى الكل وقال بعضهم دانية قريبة ملتزقة بالارض ينالها القائم والقاعد جميعا و
عن ابن عباس قنوان دانية قصار النخل الاصقة عذوقها بالارض وقوله عز وجل وجنات من اعناب
اى اخرج الماء جنات وكروما والزيتون والرمان قيل اخرج بالماء ايضا الزيتون والرمان وقال بعضهم
الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه اى يشبه ورق الزيتون فى النظر ورق الرمان وغير متشابه
يشبه ثمرتها فى اللون والطعم ولكن هو على الكل على كل الثمار ولا يشبه بعضه بعضا منها ما يشبه ساق
هذا بساق اخرى الثمار والحبوب مختلف ومنها ما يشبه فى اللون والطعم مختلف ومنها ما يشبه فى الطعم
واللون مختلف ليعلموا ان الغير فى ذلك تدبيرا وصنعا لطيفا لم يكن كذلك بالماء لانه لو كان كذلك بالماء
لكان لا يختلف كل هذا الاختلاف فى اللون والطعم والساق والورق دل انه كان كذلك بغير علم مدبر
حكيم انشاء على ما اراد بلطفه وقوله عز وجل انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه يحتمل الامر بالنظر وجوها
اى انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان كيف يقلبها ويحولها من حال الى حال ومن لون الى لون وانه يخرج فى
ساعة بلطفه ما لو اجتمع الخلائق الى تقدير ومعرفته الكم يخرج لم يقدروا عليه ليعلموا انه قادر على احياء الخلق
بمرة واحدة فى انزال المطر من السماء مع بعدها انه عجيبة وحكمة بالغة وهو انه ينزله واحدا حتى لا يختلط
بعضه ببعض وازدحامه وبعد السماء ما لو اجتمع الخلائق على حفظ مثله ما قدروا عليه دل عليه انه كان
بمدبر عليم حكيم وقوله عز وجل ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون قد ذكرنا انها تصير ايات لمن صدق بها
وامن واما من عاند وكابر ولم يتامل فيها لم يفهم ما فيها من عجب اياته وعظيم منته وفى قوله انظروا الى
ثمره اذا اثمر وينعه وجهان اخران من الحكمة ان انظروا الى ثمره اذا اثمر انه اول ما يخرج يخرج على لون واحد
وعلى قدر واحد وعلى طعم واحد ثم يختلف الوانها وطعمها ويتفاوت اقدارها ليعلموا انه كان بتدبير واحد
عليم حكيم قادر على خلق الاشياء بلا سبب لو كان كذا المسبب لا بتدبير فيه كان سبب هذا كله واحدا فحكى
ان يخرج كله على سنن واحد دل انه خالق بذاته لا بسبب والثالث انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه انه جعل
ما يطلب منه للبشر وجعلهم اسبابا يتخذون بها الطيبات فمن ذلك من نحو اللحم والطعم وغيره وجعل لغيرهم

من الجيران كما هو خارج من الارض ليعلموا ان غيرهم من الحيوان والدواب انما جعلهم لمنافع البشر مسخرة لهم
وان البشر هم المقصودون في خلق الاشياء كلها وبالله الحول والقوة وله المنة والفضل وقوله عز وجل
وجعلوا لله شركاء الجن اي قالوا لله شركاء وكذلك قوله ويجعلون لله شركاء البنات او وصفوا الله دليله
ما ذكر في اخره سبحانه وتعالى عما يصفون دل هذا ان قوله وجعلوا لله شركاء اي وصفوه بالشركاء والولد
وقوله عز وجل شركاء الجن قال بعضهم هذا كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقيل انهم لم يعبدوا الجن
ولا قصدوا قصد عبادة الشيطان حيث قال يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين لان جميع
اهل الكفر على اختلاف مذاهبهم يبغضون الشيطان ويلعنون عليه ولكن معناه ان الشيطان هو الذي
دعاهم الى عبادة الاصنام والاوثان فاذا عبدوا الاصنام بدعائه فكانهم عبدوه او يامره وبدعائه يعبدونها
او ان يكون كما روي في الخبر ان الشمس اذا طلعت تطلع بين قرني شيطان فاذا عبدوها فكانهم عبدوا
الشيطان مثل هذا يحتمل والله اعلم فان قيل فاذا صاروا كانهم عبدوا الشيطان ومن ذكر من الجن بدعائهم
الى ذلك وبامرهم بذلك حتى نسب واضاف العبادة اليهم كيف لا صار المؤمنون كانهم عبدوا الرسل كانهم انما
عبدوا الله بدعاء الرسل وبامرهم قيل لان الرسل انما دعوهم الى عبادة الله وامروهم بذلك لان الله تعالى
امرهم بذلك وانما ولذلك انما دعوهم الى عبادة من ذكر بذات انفسهم وفي قوله وجعلوا لله شركاء الجن
اخبار لاوليائه وتذكير لهم حسن صنيعه الى اعدائه من الانعام عليهم والاحسان اليهم وقبح صنيع اولئك
اليه من وصفهم اياه بالولد والشركاء ليعاملوهم معاملة الاعداء او المعاملة امثالهم وخلقهم اي يعلم
انه هو خلقهم ثم يشركون غيره في الوهية وعبادته لا يوجهون شكر نعمه اليه والثاني اي قوله وخلقهم
اي خلق هذه الاصنام التي يعبدونها ويعلمون انها مخلوقة مسخرة مذللة فما يعلمون هذا يشركون
في الوهيته وعبادته فكيف يكون المخلوق المسخر شريكا له وقوله عز وجل وخرقوا له بنين وبنات بغير علم
هم كانوا فرقا واصنافا فمنهم من يقول بان عيسى ابنه وهم النصارى ومنهم من يقول بان عزيرا ابنه
وهم اليهود وقال مشركوا العرب الملائكة بنات الله فقال الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى
وقال ام له البنات ولكم البنون وقال واذا احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم
فاذا انفقتم انتم من البنات كيف نسبتم البنات اليه في هذه الاية تصبير رسول الله على اذاهم بقوله
مع كثرة ما كان لهم من الله من النعم والمنن يشركون في عبادته غيره فانت اذا لم يكن منك اليهم شي
من ذلك اولى ان تصبر على اذاهم وقوله عز وجل بغير علم اي يعلمون انه ليس له ولد ولا شريك ولكن
كانوا يكابرون ويحتمل بغير علم على جهل يقولون ذلك وقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يصفون هو حرف
تعظيم وتنزيه جعل فيما بين الخلق به يعظمون وبه ينزهون وبه ينفون كل عيب فيهم فعل ذلك ذكر عند
وصف الكفرة بالولد والشريك والعيوب تنزيها وتبرئه عن كل عيب وصفوه ونفيا له عن جميع ما قالوا
فيه وهو والله اعلم كما يقولون معاذ الله تعالى وتبرئنا عن ذلك وفي قوله سبحانه وتعالى عما يصفون نقض
قول المعتزلة لقولهم ان صفات الله ليس الا وصف الواصفين فلو لم يكن الا وصف الواصفين لكان لا معنى
لذم بعض الواصفين وحمد بعضهم ثبت ان في ذلك صفة سوى وصف الواصفين وقوله عز وجل بديع
السموات والارض انى يكون له ولد قوله بديع السموات والارض اي انشاهما بلا احتذاء ولا امثال
بغير هذا يدل على القرامطة لانهم يقولون فهو مبدع ويقولون المبدع الثاني هو اول مخلوق خلق
منه جميع العالم فلو كان اول الخلق خلق مبدعا فهو مبدع والابداع هو احداث لشيء ولم يسبق له اصل
ولا مثال وهذا ما يقال لمن احدث في دينه شيئا مبتدع كانه احدث فيه شيئا لم يسبق اصل ولا امثال وقوله
عز وجل بديع السموات والارض انى يكون له ولد اي من قدر على ابداع السموات والارض لا عن اصل سبق
ولا عن مثال تقدم فانى يقع له الحاجة الى الولد والولد في الشاهد انما يتخذ لاحدى خصال ثلاث اما للانتصار
على الاعداء والانتقام منهم واما للوحشة تاخذهم واما للحاجة تمسهم فالله سبحانه وتعالى عن ذلك كله فانى
يتخذ ولدا والثاني انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة اي تعرفون ان الولد لا يكون في الشاهد الا من
صاحبة وليست له صاحبة فانى يكون له ولد وكان الخطاب كان في قوم ينفون عنه الصاحبة وانما الحاجة
الى صاحبة للشهوات التي مكنت فيهم فالشهوة هي التي تقهر المرء وتحمله على الحاجة وقوله عز وجل
وخلق كل شيء فيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر انه خلق كل شيء وعلى قولهم لم يخلق جزء من الف جزء من

الاشياء

الاشياء لانهم يقولون ان الله لم يخلق افعال العباد ولا حركاتهم ولا سكناتهم ولا قيامهم ولا قعودهم
ولا شيئا من ذلك ثم لا يجوز ان يصرفوا الاية الى الخصوص وهو يخرج مخرج الامتداح ولو جاز ان يصرف هذه
على شيء دون شيء لجاز لغيرهم ان يصرفوا قوله وهو بكل شيء عليم الى شيء دون شيء وكذلك قوله خالق كل شيء
على قول المعتزلة هو خالق بعض الاشياء ليس هو بخالق الاشياء كلها كما اخبر فلو جاز صرفه الى بعض الاشياء
دون بعض لجاز ان يصرف قوله وهو على كل شيء وكيل الى بعض دون بعض حفظ بعض الاشياء ولم يحفظ الكل
فان لم يجز هذا لانه خرج مخرج الامتداح فكذلك لا يجوز صرف الاول الى بعض دون بعض لانه امتداح ولو
جاز ان يقال بان العبد هو خالق ذلك لجاز ان يقال هو خالق الكل والقادر عليه فهذا فسيح بين لمن [illegible]
العصمة عن السرف في القول والزيغ عن الحق فانه لا حول ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم اي بما
نبدع خلق السموات والارض ما ذكر من انواع المنن والنعم التي انعمها عليهم من نحو ما جعل لهم من النجوم ليهتدوا
في الظلمات وما ذكر انه انشاهم من نفس واحدة وما ذكر من انزال الماء من السماء واخراج ما اخرج به من
النبات والثمار والحبوب والاعناب وغير ذلك من عجيب حكمته ذلك كله بالله الذي لا اله الا هو منشئ
ذلك كله فاعبدوه اي اليه وجهوا شكر نعمه ولا توجهوا الى غيره قال ابو الكسائي اي بديع السموات
وبادع السموات واحد كما يقال عليم وعالم وبدع والمبدع بمعنى واحد وقال بعضهم هو مثل قوله فاطر السموات
والارض وقوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قيل كنى بالابصار عن الخلق كانه قال
لا يدركه الخلق وانما كنى بالابصار عن الخلق لما بالابصار يدرك الاشياء ويحاط بها لكذلك كانت
معنى الكناية والله اعلم وقيل هو على حقيقة الابصار لكنه بصر القلب لما به يقع المعارف فان كان
بصر الوجه ففيه دليل اثبات الرؤية لانه نفى عنه الادراك فلو لم يكن لنفي الادراك معنى لانه لا يدرك
ما لا يرى فدل نفي الادراك على ان هنالك رؤية لكنه ولا يحاط به على ما ذكر ولا يحيطون به علما اذ من
الاشياء والظاهرة ما يقع عليها البصر يكون لها ستر ومنها خفي من نحو البصر والسمع والانف واليد وغيره
ذلك من الاشياء مما لا يدرك حقيقة ما بينها وكيفيتها ولا نقدرها ببصر بالبصر اشياء لا يعرف حقيقة
كيفية البصر ولا ماهيته وكذلك السمع لا يدرى انه كيف هو ولانه يسمع وكذلك هذا في كل جارحة
وحاسة نجد اللوم خشونة نجد اللوم الشيء الذي نمسه ولينه لا نعرفه بم نجد ذلك ونعرفه وكذلك
الكلام من اللسان والشم من الانف لا يدري ما هو وكيف وبم يجد ذلك الرائحة والنتن فاذا كان
معارف الخلق في الاشياء الظاهرة التي يقع عليها البصر لا يدرك حقيقة ماهيتها ولا يعرف كيفيتها
ولا يحاط بها علما فالله سبحانه الذي بحكمته صنع ذلك وبلطفه ركب بجد عن الادراك واحرى ان لا
يحاط به ولا يدرك وهذا يرد على المجسمة مذهبهم لانهم يتصورون في قلوبهم ويمثلون فعلى ذلك هم
يعبدونه فهم مشبهة واصله ان الله تعالى معروف بالايات والدلائل لا بالمحسوسات والمشاهدات
وكل شيء سبيل معرفته الايات والدلائل فهو غير محاط به ولا مدرك فهو على ما وصف لنفسه لا يحيطون
به علما ولا تدركه الابصار والاحاطة انما يقع بالمحسوسات لا بما يعرف بالايات والدلائل وعلى ذلك جاء
دلائل الرسل نحو ما قال موسى حين سأل فرعون فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى
وقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق دلاه على الوهية ووحدانية
من جهة الايات والدلائل لا من جهة وعلى ذلك دل الله الخلق على معرفته ووحدانيته بقوله هو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وقال وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل وقال وهو
الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الى اخر ما ذكر دلهم على ما يعرفون الوهية ووحدانيته
من جهة الايات والدلائل لا من جهة ما يقع به الاحاطة والادراك وبالله الهداية والرشاد وقوله
عز وجل وهو اللطيف الخبير قيل اللطيف في افعاله الخبير بخلقه وباعمالهم وقيل اللطيف البار الرحيم
وقيل اللطيف هو العليم بخفيات الاشياء والخبير بظواهر الاشياء ثم هو اللطيف العظيم والعظيم في الشاهد
غير اللطيف واللطيف غير العظيم لان العظيم في الشاهد هو الذي به كثافة واللطيف ما يلطف في نفسه
ويرق وكل واحد منهما مما ينافض الاخر ليعلم انه لطيف عظيم لا من الوجوه التي تعرف في الخلق وكذلك
قوله هو الاول والاخر والظاهر والباطن وفي الخلق من كان اولا لم يكن اخرا ومن كان ظاهرا
لم يكن باطنا ليعلم انه اول واخر ظاهر وباطن لا من الوجه الذي يعرف ويفهم من الخلق ولكن ما وصف

نفسه وقوله عز وجل قد جاءكم بصائر من ربكم قيل بيانات من ربكم وقيل البصائر الهدى بصائر في
قلوبهم وليست ببصائر الرؤس وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقيل بصائر اي بيان وهو واحد
وقيل بصائر اي بيان وهو واحد وقيل بصائر شواهد اي قد جاءكم من الله شواهد تدلكم على توحيده
وهو كقوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة اي بل الانسان من نفسه بصيرة اي شاهد تشهد
كل جارحة منهم على وحدانية الله والربوبية الا ترى انه قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون هذا والله اعلم لانهم كانوا يقلدون اباءهم من عبادة الاوثان والاصنام
ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهولاء شفعاؤنا عند الله فيقول قد جاءكم بصائر
من ربكم من الايات والرسل لو اتبعتموه لكانوا لكم شفعاء عند الله والثاني قد جاءكم بصائر ما لو
تفكروا وتدبروا ونظروا فيها لعرفوا انها بصائر من الله لا من البشر انشئوا بحيث ينظرون في العجب
من الاشياء فكانوا على امرين منهم من نظر وتفكر وعرف انها بصائر لكنه عاند وكابر ولم يعمل بها
منهم من ترك النظر فيها فعمي عنها ما لو تفكروا ونظروا لتبين لهم وقوله عز وجل فمن ابصر فلنفسه
ومن عمي فعليها اي ابصر الحق والهدى وعمل به فلنفسه عمل ومن ابصر وعمي عنها اي ترك العمل فعليها
ترك كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فان قيل ذكر في اية اخرى ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة اخبر ان من هلك هلك عن بينة ومن حي حي عن بينة وههنا يقول فمن
ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها ذكر عمي عنها فكيف وجه التوفيق بينهما قيل يحتمل قوله عمي بعد ما تبين
له فترك العمل به فعليها ذلك لانه ابصرها وعرف انها من الله لكنه عاندها وكابرها وقوله عز وجل
وما انا عليكم بحفيظ اي قد جاءكم بصائر من ربكم فليس علينا الا التبليغ كقوله ما على الرسول الا البلاغ
وقوله عز وجل وكذلك نصرف الايات اي نردها في الوجوه التي تبين لقوم يطلبون البيان او نقول
نصرف الايات اي نضع كل اية ونصرفها الى الوجوه التي تكون بالخلق اليها حاجة وقوله عز وجل
وليقولوا درست فيه لغات درست ودارست ودرست قراءت ودارست تعلمت وقيل دارست
اهل الكتاب جادلتهم ودرست بالجزم قيل تقادمت فهو الاختلاف فيه لاختلاف قول كان
من الكفرة لرسول الله منهم من يقول ان هذا الا افك مفترى وهو تأويل درست فعلى اختلاف
اقاويلهم خرجت القراءة ثم اختلف في تاويل قوله تعالى وليقولوا درست فهو صلة قوله قد جاءكم
بصائر من ربكم ليقولوا درست وقال الحسن قوله وليقولوا درست اي قد جاءكم بصائر من ربكم
ليقولوا درست لان من قوله انه بعث الرسل وانزل الكتب ليكون من الكافرين قول كفر ومن المؤمنين
قول ايمان وقوله عز وجل وليقولوا درست يخرج والله اعلم على التعجيب يعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
عن قبح صنيع الكفرة وسوء معاملتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءهم بصائر من ربهم وبينات
وحجج ثم هم بعد هذا كله يستقبلونه بالرد والتكذيب وهو على ما قلنا ان الله ذكر نعمه عليهم بما انشأ لهم
من الانعام والجنات المعروشات والزرع والنخيل وما اخبر عنه وقد علموا ذلك كله ثم جعلوا له
بعد معرفتهم وهدا شركاء الجن وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ولا حجة فهو على التعجيب انهم كيف
جعلوا له شركاء وقد علموا ان الذي جعل هذا كله لهم هو الله فعلى ذلك هذه الاية انهم كيف قذفوه
بالدراسة وقد تبين لهم صدقه وانه من عند الله بالايات في الدلائل وبما كان لا يخط كتابا ولا
يشهده ويختلف الى من عنده علم ذلك وقوله عز وجل ولنبينه لقوم يعلمون اي لنبينه يعني القران
وقيل البصائر التي ذكر لقوم ينتفعون بعلمهم وقوله عز وجل اتبع ما اوحي اليك من ربك فان قيل
ما معنى قوله من ربك وانما اوحي اليه من ربه ويكفي قوله اتبع ما اوحي اليك ولكن معناه على
الاضمار والله اعلم كانه قال للذي اليه اوحي على يديه قل اتبع ما اوحي من ربك ثم امر نبيه باتباع
ما اوحي اليه من ربه اي اعمل بما اوحي اليك ثم الامر بالعمل يحتمل وجهين يحتمل الامر بالاعتقاد
بذلك ويحتمل نفس العمل اي اعمل وتبينه ان يكون بالامر بالاتباع ما اوحي اليه صدقا في الخبر و
عدلا قيل صدقا في الاخبار وعدلا في الاحكام فعلى ذلك امكن ان يكون الامر بالاتباع اتباع ما اوحي
اليه خوفا في الاخبار وعدلا في الاحكام ثم على ما امر نبيه باتباع ما اوحي اليه وانزل من ربه
امر امته كذلك وهو قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء امرهم باتباع

ما انزل اليهم من ربهم ونهاهم عن اتباع ما اتخذوا من دونه اولياء فعلى ما نهاهم عن اتخاذ اولياء دونه
قال في الاية التي امر رسوله باتباع ما اوحي اليه من ربه فقال اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو
وقوله عز وجل لا اله الا هو وقوله ولا تتبعوا من دونه اولياء احد لانه امر باتباع ما اوحي اليه من ربه
ونهى ان يتبع دونه اولياء لانه اخبر ان لا اله الا هو وقوله عز وجل واعرض عن المشركين وجوها يحتمل
ان لا تكافئهم على اذاهم ولكن اصبر ويحتمل الامر بالاعراض عنهم النهي عن قتالهم كانه نهى عن قتالهم
في وقت ويحتمل ان يكون الاية في قوم خاص قال اعرض عنهم فانهم لا يؤمنون ولا تنفع عليهم الايات والحجج
لما علم منهم انهم لا يؤمنون ثم على ما امر نبيه بالاعراض عنهم امر المؤمنين ايضا بالاعراض عنهم وهو قوله
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقوله عز وجل ولو شاء الله ما اشركوا قالت المعتزلة المشية مشية
قهر وجبر اي لو شاء الله لاجبرهم ومنعهم عن الشرك على دفع الابتلاء والامتحان واما عندنا المشية
مشية اختيار والطوع على قيام الابتداء والامتحان وبعد فان مشية الجبر هي خلقه وقد كانوا جميعا
غير مشركين بالخلقة فلا معنى لتاويلهم الذي تاولوا في المشية ثم لا يحتمل ان يكون قوله ولو شاء
الله ما اشركوا مشية قهر وقسر لانه لا يكون في حال الجبر والقهر ايمان ولا كفر انما يكون ذلك في حال
الاختيار والطوع لان الجبر والقهر يمنع من ان يكون له فعل حقيقة بل تحول الفعل منه ويسقط
ويثبت للذي جبر وقهر فذلك بعيد فدل انه ما ذكرنا وبالله الرشاد وفي قوله ولو شاء
الله ما اشركوا دلالة ان طريق الاسلام الافضال والانعام ولله ان يختص به من كان اهلا
للافضال والانعام بالطائف التي عنده ويحرم ذلك وله ان يجعل بعضهم اهلا لذلك فضلا
منه ولا يجعل البعض عدلا منه وقوله عز وجل وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل اي لم
تؤخذ عليك حفظ اعمالهم ولا تسال انت عن صنيعهم انما عليك التبليغ وهو كقوله ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء كقوله تعالى فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه وقيل الحفيظ
والوكيل واحد وقيل الوكيل هو الكفيل وقد ذكرنا في غير موضع فيما تقدم وقوله عز وجل ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم نهانا الله عز وجل عن سب من يستحق السب
فان قيل كيف نهانا عن سب من يستحق السب كانه سب من لا يستحق وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم
قاتلونا وقيل سب المؤمن بغير حق من المناكير وكذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ
الرسالة والتلاوة عليهم وان كانوا يستقبلونه بالتكذيب قيل ان السب لا ولذلك مباح غير
مفروض والقتال معهم فرض وكذلك التبليغ فرض يبلغ اليهم وان كانوا ينكرون ما يبلغهم
وكذلك القتال نقاتلهم وان كان في ذلك اهلاك انفسنا واصله ان ما خرج الامر به مخرج
الاباحة فانه ينهى عما يتولد منه ويحدث وما كان الامر به امر فرض ولزوم لا ينهى عن المتولد
منه والحادث ويجوز ان يستدل بهذا على تاييد مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه في قوله ان قطع
يد اخر بقصاص فمات في ذلك اخذ بالدية واذا قطع اليد بحد لزمه فمات لم يؤخذ به لانه ابيح له
قطع يده والقصاص لم يفرض عليه نفي الحد يلزم اقامة الحد لله فاذا كان قيامه بفعل ابيح له الفعل
فينهى عما يتولد منه ويؤخذ به واذا كان قيامه بفعل فرض عليه لم يؤاخذ بما تولد منه وعلى هذا
يخرج قوله في الامر بالختان اذا تولد من ذلك الموت لانه امر باقامة السنة وكذلك الامر بالحجامة لانه
يفرض عليه الحجامة في حال اذا خاف عليه الهلاك اذا لم يحتجم واما الامر بالدق وغيره مما يشاء كله امر
اباحة لا امر الزام لذلك ضمن ما تولد منه فعلى ذلك السب الذي بسبب الهتهم اذا حملهم ذلك على
نقيضه الله عز وجل وسب رسوله لا يسبون وان كانوا مستحقين لذلك لانه قد ينهى الرجل ان يعود
فعل ذلك نحو ان ينهوا عن سب الهتهم مخافة الاعتياد كذلك نهوا عن سب الهتهم ثم ذكر في
القصة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسبون الهتهم ويسبوا الله عدوا بغير علم وذكر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم بسوء فقالوا لتنتهين عن ذلك او لنهجون ربك وعن ابن
عباس رضي الله عنهما وذلك حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم الاية فقالوا عند ذلك ما قالوا فنزل ولا تسبوا الذين يدعون ولكن لا ندري كيف كانت
القصة ولكن فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل عدوا بغير علم قال الكسائي وابو عوسجة عدوا من الاعتداء

وهو مجاوزة الحد وقال ابو عمرو عدوا بالرفع وقال انما العدو من عدوا الرجلين وكذلك قال في يونس
عدوا وقيل فيما نزل قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله الاية فقال رسول الله لاصحابه
لا تسبوا ربكم فامسكوا عن سب الهتهم وقوله عز وجل كذلك زينا لكل امة عملهم قال ابو بكر الكسان
ان صلة وهو لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم انهم كانوا يعبدون هذه
الاصنام والاوثان رجاء ان تقرب عبادتهم اياها الى الله لا انهم كانوا يعبدونها ويتخذونها الهة
دون الله فاذا سبوا معبودهم فكانهم سبوا الله عدوا بغير علم اذ العبادة في الحقيقة لله في تقريبهم
سببهم اياها الى الله لذلك كان معنى السب فقال فعلى ذلك رجع قوله كذلك زينا لكل امة عملهم
حتى امتنعوا عن سب الله فذلك الذي زين عليهم وقال الحسن قوله زينا لكل امة عملهم اي
زينا عليهم اعمالهم فيما امروا به وفرض ويجب عليهم ان يفعلوا لا فيما لا يفرض ولا يحل لهم ان
يفعلوا وكذلك يقول جعفر بن حرب وغيرهم من المعتزلة انه زين عليهم عملهم الذي فرض عليهم
ان يعملوا ويأتوا بها وانما ما لا ينبغي ان يقولوا فلا كقوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره
اليكم الكفر والفسوق والعصيان الاية ذكر في الايمان التزيين وفي الكفر التكريه ويقولون
انه اضاف التزيين الى الشيطان بقوله زين لهم الشيطان اعمالهم وقوله الشيطان سول
لهم واملى لهم الشيطان يزين لهم المعاصي والفسوق فلا يحتمل ان يكون الله يزين لهم ما يزين الشيطان
فدل انه انما يزين لهم ما يؤمرون به ويعرض عليهم ولكن يضاف اليه حرف الاضلال والاغواء
واما عندنا فالتزيين على وجهين تزيين في العقول وهو تزيين وهو تزيين من طريق الايات والبراهين
فذلك لا يحتمل فعل الكفر والضلال ان يكون مزينا من جهة الايات والحجج والثاني تزيين في الطباع
بالشهوات والاماني وفعل كل احد مزين بالشهوة والحاجة التي مكنت فيه ولا شك ان كلا لو سئل
عن فعله الكفر والضلال فيقول هذا الذي زين لي وليس اضافة فعل التزيين الى الله باكبر وابعد
من اضافة الاضلال والاغواء وقد ذكر معنى اضافة الاضلال والاغواء اليه في غير موضع فعلى ذلك
التزيين ويقولون ايضا ان التزيين بين تزيين وعد وثواب فالكافر متى يؤمن بالوعد في الاخرة
والثواب فيها وهو ليس يؤمن فهذا بعيد ولا يحتمل ما قال الحسن ايضا لانه لا كل الكفرة كانوا يعبدون
الاصنام ليقربهم ذلك الى الله زلفى بل اكثرهم لا اله لهم خالقا وربا ويحتمل اضافة التزيين الى
الشيطان على جهة التمني والتشهي بقوله ولامنينهم واضافته الى الله على القدرة عليها والسلطان او ان يخلق
اعمالهم مزينة عندهم مسولة واضافة فعل الضلال والغواية الى الشيطان على الدعاء اليه والترغيب فيه
واضافته الى الله على ان يخلق فعل الضلال منهم وقوله عز وجل الى ربهم مرجعهم قد ذكرنا فينبئهم بما كانوا
يعملون في جزيل الثواب وفي اليم عذاب فهو على الوعيد وقوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم فهذا يخرج
على وجوه احدها ان الحث في اليمين يخرج مخرج الاستخفاف والتهاون وان كان في اليمين التعظيم وفي الحث
استخفاف وفي اليمين بالله جهد اليمين ويحتمل وجهين سوى هذا وذلك ما قيل ان الكفرة كانوا لا يحلفون بالله
عند التعظيم من الامور الجليل منها كانوا يحلفون بدونه فسمى اليمين بالله جهد اليمين لتعظيما لله وتبجيلا
والثاني يحتمل انهم كانوا يحلفون باشياء ويؤكدون اليمين بالله ويشد دونه كقوله ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها وقوله عز وجل لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قيل انهم كانوا يقسمون جهد ايمانهم لئن جاءتهم
اية ليؤمنن بها كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ايات لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها من نحو ما قالوا لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وقولهم ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ونحو
ذلك من الايات فقال قل يا محمد انما الايات عند الله هو الذي يرسلها وينزلها واما لا املك ارسالها
وانزالها كقوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ونحو ذلك من الايات انباء منه انه لا يملك انزال ما كانوا
يسألونه من الايات ثم قال اما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون اختلف فيه قال الحسن وابو بكر الاصم
انه خاطب بقوله وما يشعركم اهل القسم الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها
فقال وما يشعركم اي ما يدريكم انكم تؤمنون اذا جاءتكم اية ثم استأنف فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون
وهكذا كان يقرأ الحسن بالخفض انها اذا جاءت لا يؤمنون على الاستئناف والابتداء وقال غيرهم
من اهل التأويل الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم لما قالوا لئن جاءتهم اية

ليؤمنن بها ظنوا انهم لما اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم يؤمنون اذا جاءتهم اية يفعلون ذلك ويؤمنون على ما
على ما يقولون فقال لهم وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون على لا اي ما يدريكم انها اذا جاءت يؤمنون
ويحتمل فيه وجها اخر على الاضمار كانه قال وما يشعركم فاعلموا انها اذا جاءت لا يؤمنون على الوقف في قوله
وما يشعركم ثم ابتداء فقال اعلموا انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا كانه اقرب ويحتمل وجها اخر وهو ان
اهل الاسلام قالوا انهم وان جاءتهم اية لا يؤمنون فقال عند ذلك وما يشعركم خاطب به هؤلاء انها اذا جاءت
لا يؤمنون والثاني انهم وان امنوا بها اذا جاءت فتقلب افئدتهم من بعد وعلى هذا التاويل ان
خلق تقلب افئدتهم وابصارهم كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي خلق زيغ قلوبهم فكذلك
الاول وقوله عز وجل ونقلب افئدتهم وابصارهم اي تقليبا افئدتهم وابصارهم بالحجج والايات
ونذرهم فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة وقال اهل التاويل ونقلب افئدتهم وابصارهم
اي نحول بينهم وبين الايمان لو جاءتهم تلك الايات افلا يؤمنون كما قلنا بينهم وبين الايمان
اول مرة ويحتمل وجها اخر وهو ان تقلب في افئدتهم وابصارهم ايات وحدانيته والوهيته
فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة ثم تخصيص الافئدة والابصار دون غيرهم من الجوارح
لان القلب والبصر لا يقع الا على ما يشهد كل على وحدانية الله والوهيته وقوله عز وجل كما لم يؤمنوا
به اول مرة قال بعضهم ان هؤلاء وان جاءتهم ايتهم فانهم لا يؤمنون كما لم يؤمن اوائلهم من الامم الخالية
لما سألوا الايات قبلهم فكذلك هؤلاء لا يؤمنون بها وان جاءتهم اية بعد السؤال وقال غيرهم
قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة اي قد جاءتهم ايات قبل هذا على غير سؤال فلم يؤمنوا بها فكذلك
وان جاءتهم بالسؤال فلا يؤمنون بها ويحتمل وجها اخر وهو ان مشركي العرب كانوا يقسمون
بالله انه ان جاءهم نذير يؤمنون به وهو قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الامم يعنون والله اعلم اليهود والنصارى اي لو جاءهم نذير ليكونوا
اهدى من اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا اخبر انهم كما لم يؤمنوا بالنذير
عند سؤالهم النذير في الابتداء اذا جاءهم نذير فكذلك ايضا لا يؤمنون عند سؤالهم الايات
وان جاءتهم ايات بخبر نبيه انهم ليسوا يسألون الايات سؤال استرشاد ولكن يسألون سؤال
عناد ومكابرة وهذا التاويل كانه اقرب وقوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون اذا علم انهم
لا يؤمنون تركهم في ظلمات ضلالتهم يعمهون ويتحيرون والعمه الحيرة في اللغة وقوله عز وجل
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى قيل هذه الاية صلة قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
الى قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ثم قال ولو اننا نزلنا الاية اخبر انهم وان
نزل اليهم الايات بعد السؤال منهم الايات من انزال الملائكة وتكليم الموتى انهم لا يؤمنون
وان ما يسألون من الايات انما يسألون سؤال تعنت وعناد جعل فيهم خصلا لا على الجد لان من قساوة
القلب حتى اخبر ان قلوبهم اقسى من الحجارة ومن نحو البغض والجهالة وغير ذلك من الخصال ما يدل
على ما ذكرنا وهو قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون من تعنتهم ومكابرتهم
وفيه دليل ان الايات لا يضطر اهلها على الايمان لانه قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا لانه لو كانت اية تضطرهم الى الايمان لكانت
هذه وهذا يدل على ان معنى قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
انهم لا يؤمنون بالاية ولكن اذا شاء ان يؤمنوا لامنوا ولو كانت الايات تضطر اهلها الى الا
يمان لكان لا اية اعظم من القيامة ولا ابين منها ثم اخبر عنهم انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قد كذبوا عندما عاينتهم القيامة والعذاب
فهذا يدل على ان الاية لا تضطر اهلها على الايمان او يدل على ان تاويل قوله ان نشأ ننزل عليهم
من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين انهم يخضعون اذا شاء ان يخضعوا الا ان الاية تضطرهم
على الخضوع بالدلائل التي ذكرنا وقوله عز وجل الا ان يشاء الله قال الحسن هذه المشيئة مشيئة
القدرة اي لو شاء الله لاعجزهم حتى يؤمنوا وهو كقوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ولو نشاء
لمسخناهم ونحوه فهذه المشيئة مشيئة القدرة لكنا نقول اذا اخبر انه لو شاء ان يمسخهم فعل

يشاء الله لو شاء ان يهديهم لهداهم ولو شاء ان يهتدوا لاهتدوا وكذلك تقول المعتزلة ان المشية ه
هيهنا مشية القهر والجبر وقد ذكرنا ان لا يكون في حال القهر والجبر ايمان فيصير على قولهم الا ان يشاء
ان يؤمنوا فامنوا فلا تكون ايمانا وقوله عز وجل وحشرنا عليهم كل شيء اختلف في تلاوته وتاويله عن
الحسن قال قبلا عيانا حتى يعاينوا ذلك معاينة ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهو على ما ذكرنا
الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فيؤمنوا وعن مجاهد قبلا اى افواجا قبلا وفي حرف ابي عمرو بن العلاء وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا يقول جيلا جيلا وفي حرف ابي قبلا اى قبيلة وقال القتبي قبلا اى جماعة جماعة
وقبيلا اى اصنافا ويقال القبيل الكفيل كقوله او تاتي بالله والملائكة قبيلا اى ضمنا كفلا وقال
الكسائي من قراها قبلا فقد يكون جمع القبيل مثل الجبيل والجبل وقد يكون القبل ايضا من معنى
الاقبال كقوله من قبل ومن دبر ومن قراها قبلا اراد معاينة وقال ابو عوسجة كل شيء قبلا
يقال اتانا الناس قبلا اى كلهم وقبلا من المقابلة وتاويله ما ذكرنا ان لو فعلنا هذا كله من
انزال الملائكة اليهم وتكليم الموتى اياهم وحشرنا عليهم كل شيء قبلا فاخبرهم بالذي يقول
محمد انه حق ما كانوا ليؤمنوا به الا ان يشاء الله لهم الايمان فيؤمنوا وفيه ما ذكرنا من الدليل
ان الايات لا تضطر اهلها الى الايمان الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فحينئذ يؤمنون وقوله عز
وجل ولكن اكثرهم يجهلون اى لكن اكثرهم لا ينتفعون بعلمهم وقوله عز وجل وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا قيل كما جعلنا لكل نبي من قبل عدوا كذلك يجعل لك عدوا ثم قوله جعلنا لكل نبي عدوا قال الحسن
ان من حكم الله ان يبعث رسلا وان كان من اتبع رسله يكون وليا له ومن عصى رسوله يكون عدوا له
هذا حكم الله في الكل وقال جعفر بن حرب والكعبي وغيرهم من المعتزلة ان قوله جعلنا اى خلينا بينهم
وبين ما اختاروا من الكفر والعداوة يقال جعل فلان كذا اذا كان مسلطا على ذلك وهو يقدر ان يمنعه
عن ذلك ويصير التاويل على قول المعتزلة اى لم نجعل لكل نبي عدوا ولكن هم جعلوا انفسهم اعداء لكل
نبي وقلنا نحن ان قوله جعلنا لكل نبي عداوة كل عدو والجعل من الله الخلق كقوله وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وقوله وجعلنا الليل والنهار ايتين وقوله جعل لكم الارض مهادا كل جعل اضيف الى الله فهو
خلق فعلى ذلك قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اى خلقنا لكل نبي عداوة كل عدو ولو كان الحكم
على ما قال الحسن وما قال اولئك من التخلية لكان يجوز ان يضاف فعل الكفر وفعل الضلال الى الله
وذلك بعيد والثاني لم يوفق لهم فعل الولاية لما علم منهم انهم يختارون فعل العداوة على فعل الولاية
وقوله عز وجل شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اختلف فيه قال بعضهم
الشياطين كلهم تكون من الجن ثم انهم يوحون الى الانس فيكونون هم الذين يدعون الخلق الى
معصية الله فيكون من الجن وحيا الى الانس ومن الانس الى الخلق قولا ودعاء وقال بعضهم
يكون من الجن شياطين يدعو شياطين الجن الجن الى معصية الله فهو شيطان وكذلك كبراء الكفرة
ورؤساؤهم الذين كانوا يدعون اتباعهم وسفلتهم الى الكفر والضلال بالله فهم شياطينهم الا ترى
انه قال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا وقوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وغيره
من الايات ان كل من دعا غيره معصية الله والكفر به فهو شيطان والشيطان هو المتبعد من رحمة
الله شطن اى بعد وقيل ان ابليس وكل شياطين بالانس يضلونهم ويدعونهم الى معصية الله
وكل شياطين بالجن يضلونهم وهو تاويل الاول وقوله عز وجل يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا اى يزين بعضهم لبعض القول غرورا يغرون به قال القتبي رحمه الله زخرفا القول غرورا
ما زين منه وحسن وموه وقال واصل الزخرف الذهب يقال زخرف الشيء اى احسنه قال ابو عوسجة
الوحي ان يجي بعينه او بشفتيه وهي اشارة وقوله عز وجل ولو شاء ربك ما فعلوه قال بعضهم
خلقهم خلقا لم يركب الشهوات والحاجات حتى اطاعوه ولم يعصوا كما خلق الملائكة لم يركب فيهم
الشهوات والحاجات والاماني فلم يعصوه وقالت المعتزلة لو شاء ربك لاعجزهم وقهرهم حتى لا
على معصية الله والكفر به فامنوا واهتدوا انه لو شاء ربك لهداهم فاهتدوا ولكن لما علم منهم انهم
يختارون الضلال على الهدى شاء ان لا يهديهم وقد ذكرنا فيجي تاويلهم الا في غير موضع وقوله

عزوجل

عز وجل فذرهم وما يفترون هذا يخرج قال الوعيد لهم كقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا وكقوله ما شئتم
انه كذا اى ذرهم وما يختارون فانك تراهم في العذاب وقوله عز وجل ولتصغى اليه افئدة الذين قيل
ولتميل قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة الى زخرف القول الذي كان يوحي ويلقي شياطين الانس
والجن يوحي بعضهم الى بعض وليرضوه لما كان الذي اوحى والقى بعضهم الى بعض من زخرف القول
الذي يوافق هواه فانه يرضى به كقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا
بها لانهم كانوا لا يؤمنون بالاخرة ولا يرجون لقاءه وكان همتهم هذه الدنيا ورضوا بها واطمانوا
فيها ويحتمل قوله ولتصغى اليه اى الى الكتاب افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة اى ليس ميل
قبول منهم له ولكن ميل طلب الطعن فيه وهكذا كانت اولئك الكفرة وعادتهم طلب الطعن فيه
والاول اشبه ثم ان كان زخرف القول الذي اوحى بعضهم الى بعض من كبرائهم وعظمائهم
فقد اشرك تعالى هؤلاء اولئك في الكذب الذي كان منهم كان من الكبراء الدعاء الى ذلك ومن
الاتباع الرضى والاجابة وكان منهم التزيين والزخرفة ومن الاتباع القبول والرضاء به فقد اشركوا
جميعا في ذلك الكذب كالقول الغرور وقوله عز وجل وليقترفوا ما هم مقترفون اختلف فيه قال
قائلون وليقترفوا يعني هؤلاء والاتباع ما هم مقترفون اى ليكتسبوا هؤلاء الاتباع من الكذب
ما كان اولئك مكتسبون من الكذب وقيل وليقترفوا اولئك المتبوعون من الكذب ما هم يعني هؤلاء
الاتباع مقترفون من القول الغرور ثم اختلف الى الاقتراف قال بعضهم الاكتساب كل شيء وقال
قائلون الاقتراف هو مواقعة الذنب والاثم والله اعلم وقوله عز وجل افغير الله ابتغي حكما
كان اولئك الكفرة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حكم يحكم بينهم في منازعة وصفت
اما في الرسالة واما في الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افغير الله ابتغي حكما ثم
بين فقال وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا كيف ابتغي حكما غير الله وهو الذي انزل اليكم
الكتاب مفصلا ما تعلمون انه نزل ما عجز الخلائق عن اتيان مثله ثم اختلف في قوله مفصلا
بالحجج والبراهين ما يعرف كل عاقل لم يكابر عقله انه من عند الله نزل وقيل مفصلا بالامر و
النهي والتحليل والتحريم فيقول ابتغي حكما غير ما انزل الله وقد انزل كتابا مفصلا مبينا فيه وعده
ووعيده وقيل مفصلا مفرقا اى انزله بالتفاريق لم ينزله مجموعا جملة ما يقع مسامع كل احد علم ذلك
وبيانه فلا يقع الى الحاجة الى حكم غيره وقوله عز وجل والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق اختلف فيه قيل الذين اتيناهم الكتاب اهل التورية والانجيل يعلمون انه منزل من ربك
بالحق وقيل الذين اتيناهم الكتاب يعني من اعطي هذا الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق لما عجزوا
عن اتيان مثله وتاليفه وقوله عز وجل فلا تكونن من الممترين يحتمل لا تكونن انهم قد غيروا ما في كتابهم
من الاحكام ومن نعتك وصفتك ويحتمل فلا تكونن من الممترين انه من عند الله نزل
مع علمه ان رسوله لا يكون من الممترين ليعلم الخلق انه اذا نهى رسوله عن مثل هذا فغيره احق ان
يخاطب بمثل حكم غيره ويقول لا تكونن من الممترين انه من عند الله نزل وقوله عز وجل وتمت كلمة
ربك صدقا وعدلا قيل صدقا في الانباء والوعد وعدلا في الاحكام تمت انباؤه بالصدق واحكامه
بالعدل حتى يعرف كل احد صدق انبائه وعدل احكامه وقيل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا بالحجج و
البراهين لما يعرف كل من تامل فيها ونظر صدقها وعدلها انها من الله وقوله عز وجل لا مبدل
لكلماته هذا تفسير التمام انها تمت تماما لا يرد عليها النقص ولا الجور ولا الخلف ليس ككلمات الخلق
انها تبدل وتنقص وتمنع لما يكون فيها من النقصان والفساد فانها تبدل وتنقص وتعجز وتمنع عن وفاء
ما وعدوا ويمنعون عن ذلك قال الله تعالى تعالى عن ان يبدل كلماته او يمنع عن وفاء ما وعد وانبأ
اذ يجوز في حكمه ويجوز ان يستدل بقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لقول اصحابنا حيث قالوا من قال
لامرته انت طالق اتم الطلاق واعدل الطلاق فانه يقع بما وافق السنة ليس يرجع ذلك الى العدد لانه
اخبر ان تمت كلمته صدقا وعدلا فالموافق للسنة هو الحق وهو العدل ويحتمل لا مبدل لكلماته اى لا مبدل لوعده
ووعيده يكون ما وعد واوعد ويحتمل لا مبدل لحججه وبراهينه وقوله عز وجل وهو السميع بما القى
الشياطين واوحى بعضهم الى بعض العليم بافعال هؤلاء واجابتهم اياهم واهل التاويل يصرفون الى خاص

من العدل بعضهم يقولون ان قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين وقال اخرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه اهل الكفر الى عبادة الاوثان ولكن هو يرجع
والله اعلم الى كل نبأ ووعد ووعيد وكل خبر بخبير وقوله عز وجل وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله والاية دلالة على ان اكثر اهل الارض كانوا ضلالا لا وعباد الاوثان والاصنام لانه قال
اكثر من في الارض وقوله عز وجل يضلوك لانهم الى اهل الضلال كانوا يدعونه ثم الخطاب وان كان
لرسول الله في الظاهر فهو لكل مؤمن اذ معلوم ان رسوله لا يطيعهم فيما يدعونهم الى عبادة الاوثان
في الارض وفيه ان في الارض كان من يعبد الله وكان على دين الانبياء والرسل وقوله عز وجل وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك عن سبيل الله ذكر في القصة ان اهل الكفر دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عبادة الاوثان ويقولون نعبدون الله في الحقيقة كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كانهم يعبدون الاوثان ويرتكبون الفواحش ويقولون الله
امرنا بها فاخبر رسوله انك لو اطعت هؤلاء الى ما يدعونك من عبادة هذه الاصنام الاظنا يظنون
كقوله ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ما هم الا يكذبون على الله
في قولهم ان ذلك يقربهم الى الله زلفى وقولهم الله امرنا بها وقوله عز وجل ان ربك هو اعلم من
يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعلم من يزيغ ويضل عن سبيله ويعلم من يهتدي به وفي قوله ان
ربك هو اعلم من يضل عن سبيله دلالة على انه على علم منه بالضلال والتكذيب بعث الرسل اليهم
وارسل الكتب لا عن جهل منه لكن صار بعث ما بعث من الرسل والكتب اليهم حكمة على علم منه بما
يكون منهم لانه انما يبعث لكان الرسل اليهم ولحاجتهم وقوله عز وجل فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم
بآياته مؤمنين صرف اهل التأويل الاية الى اهل الكفر قالوا ما بالكم تطيعون ذبائحكم التي ذبحتم ولا تأكلون
ذبائح الله وذكاه صرفوا الخطاب به الى اهل الشرك والاشبه ان يصرف الخطاب به الى اهل الاسلام لانه
ذكر في اخره ان كنتم بآياته مؤمنين ومثل هذا لا يذكرون في اهل الشرك انما ذكر لخطاب اهل الاسلام
كقوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وقوله وذروا
ما بقي من الربا ان كنتم بآياته مؤمنين ونحوه من الايات فعلى ذلك الاشبه ان يصرف الخطاب بها
الى اهل الاسلام كان قوما من اهل الاسلام منعوا انفسهم عن التناول من هذه الذبائح واللحوم
فنهوا عن ذلك نحو ما روي في بعض القصة ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا
ان يخصوا انفسهم وان لا يعطوا انفسهم شهواتهم وان لا يتناول من الطيبات فنهوا عن ذلك
وقيل فيهم نزل قوله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم فيشبه ان يكون قوله فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه فيهم اولما علم ان قوما من المتقشفة والمتزهدة يحرمون ذلك على انفسهم فنهوا عن
ذلك فان كان ما قال اهل التأويل فهو والله اعلم كانه قال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين
بما تعلمون الخلق وكلا من له وقد انشأ لكم من الايات ما تعلمون ذلك فكيف تحرمون مما ذكر اسم الله عليه
وعاتب عن ترك الاكل مما ذكر اسم الله بقوله وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولم يبين بم وباي
وجه بالذبح او بالنحر وكذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولم يبين
من اي وجه لكن الناس اتفقوا على صرف ذلك الى الذبح فكان الذي مضمرا فيه كانه قال فكلوا مما ذبح
بذكر اسم الله عليه وما لكم الا تأكلوا من ذبح بذكر اسم الله عليه ثم لا يختلفوا اتفاقهم بمعرفة ذلك اما ان
عرفوا ذلك بنوازل الاحكام اذ ليس في الاية بيان ذلك فكيف ما كان ففيه دلالة نقض قول من
يقول بان من عرف نوازل الاحكام او كان عنده رواية فترك روايته يفسق لانه لم يذكر ههنا النوازل ولا
السماع دل انه لا يفسق اذا كان قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ذكر لمكان قول الثنوية لانهم يحرمون
الذبائح ويقولون ليس من الحكمة ايلام من لا ذنب له او ذكر لمكان قول من يقول انكم اكلتم ما تذبحون
بايديكم ولا تأكلون ما تولى الله قتله ثم قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه وانه لفسق اباح عز وجل من الانعام ما ذكر اسم الله عليه وحظر ما لم يذكر اسم الله عليه
ونهى عن اكله بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وبقوله وما اهل لغير الله منه حراما وجعل المذكور
اسم الله ذكرا حلالا فدل ان التسمية شرط في حل الذبيحة لانه لو لم يكن شرطا في حل الذبيحة لم يكن المهل به

لغير الله

لغير الله منه حراما ولانه سمى ما لم يذكر اسم الله عليه فسقا والفسق هو الخروج عن امر الله كقوله ففسق
عن امر ربه اي خرج فدل ان التسمية شرط فيها ولهذا ما يحل لنا ذبائح اهل الكتاب اذا سمعناهم
يذكرون اسم الله عليه وان كانوا لا يذكرون في الحقيقة غير الله لانهم لا يعرفون الله حقيقة ولكن
اذا ذكروا اسم الله عليه يحل لنا ولا يحل ذبائح اهل الشرك لان اهل الشرك لا يرون الذبائح واما الثنوية
مذهب الزنادقة والزنادقة لا يرون الذبائح يقولون لنا انكم تقولون ان ربكم رحيم حكيم وليس
من الحكمة والرحمة ان يأمر احدا بذبح اخر ويقتله فيأكلون الميتة ولا يرون اكل الذبيحة ويقولون
ليس هذا امر من كان موصوفا بالرحمة او بالحكمة لكنا نقول ان كراهة الذبح والنفور عنه نفور
طبع وكراهة طبع لا كراهة الفعل بما يكره الطبع وينفر عنه يجوز ان يباح لما يعقب نفعا في المتعقب
نحو ما يباح الاختفاء والحجامة والتداوي بالادوية كريهة لنفع يعقب ويتأمل وان كان الطبع يكره
وينفر عنه وليس هو مما يقبحه العقل انما لا يجوز الذباح فعل ويأمر به مما يقبحه العقل ويكرهه
العقل وان كراهة الطبع ونفوره فانه يجوز ان يباح لما ذكرنا يرتفع ذلك بالعادة فعل ذلك
الذبيحة كراهته كراهة العقل ونفوره والثاني ان هذه الاشياء كلها انما خلق لنا وسخر لمنافعنا
للخلق لا لنفسها فاذا كان كذلك يحل لنا ذبحها والتناول منها بامر الذي انشأها لنا وسخر لنا وبعد
فان مذهبهم ان العالم انما كان بامتزاج النور والظلمة والروح من النوراني والجسم من الظلمات
حق الذبح استخراج الروح ورده الى اصله اذ من قولهم انه يرجع كل الى اصله في العاقبة على ما كان
في الاول واما الجواب ما قاله اهل الشرك اكلتم ما ذبحتم انتم وتركتم ذبيحة الله وجهان احدهما
ما قاله اهل التأويل ان الخالق له وله الحكم عليهم فاحل لهم هذا وحرم عليهم هذا والثاني تعبدنا
بذكر اسمه عليها فصار اسم الله اقامة عبادة تعبدنا بها وفيما لم يذكر لم يكن عبادة كذلك
حل لنا ما كان في ذلك اقامة عبادة ولم يحل لنا ما لم يكن فيها اقامة عبادة والله اعلم وقوله
عز وجل فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هو في الظاهر امر لكن الامر الذي يرجع الى شهوات النفس
ولذاتها فانه يخرج على وجهين اما ان يخرج على بيان ما يحل والنهي عما لا فيهما خرج على بيان
ما يحل وتحريم ما لا يحل كانه قال كلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
وقوله عز وجل وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي ما لكم ان لا تأكلوا كذا وقد بين لكم ما حرم عليكم
من الميتة والدم ولحم الخنزير الا ما اضطررتم اليه قال الحسن له ان يتناول له من الميتة حتى
يشبع لانه احل له التناول وعلى قولنا لا يحل له الشبع لانه انما احل عند الاضطرار لا للشبع
ويقول الحسن لو ترك التناول منها حتى هلك لا شيء عليه يقول لانه انما احلت له رخصة ورحمة وليس
على من لم يعمل بالرخص اثم ولكن عندنا انها ابيحت في حال الاضطرار فاذا ترك التناول منها حتى
هلك صار ملقيا نفسه في التهلكة وقد حرم الله علينا ان نهلك انفسنا او نلقيها في التهلكة
بقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولا فرق بين ترك التناول من الميتة وقد احل لنا التناول
من غيره من الاطعمة الحلال او يأبى باسباب التلف للنفس فهما سواء ويقول ايضا له الا يتناول
عند الاضطرار من مال غيره بلا بدل واذا نهى صاحبه عن ذلك يضمن بدل ذلك بالغا ما بلغ
بعيد لا يجوز ان يتناول عن مال غيره ولا يلزمه العدل واذا نهاه عن ذلك يلزمه البدل لان من
له حق التناول من مال اخر بغير بدل ثم اذا نهى او منع يلزمه البدل دل انه ليس له التناول الا
ببدل وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم دل هذا على ان الكل
منهم لم يكونوا يضلون ذلك البعض هم الائمة منهم والرؤساء لان الاتباع منهم كانوا لا يضلون
الناس انما كانوا يضلون الكبراء منهم والعظماء ان ربك هو اعلم بالمعتدين وقد ذكرنا هذا
فيما تقدم وقوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم وباطنه اختلف فيه قيل وذروا ظاهر الاثم ما كان من
الجوارح وباطنها ما هو الخوارج من نحو اليد والرجل واللسان والعين وباطن الجوارح القلب
والضمائر وقيل وذروا الاثم في ملاء من الخلق في الخلاء منهم وظاهر الاثم ما ذكرنا وباطنه الزنا
قال ابو بكر الكسائي الزنا لا يحتمل ها هنا لان الاية في ذكر ما يحل من الاطعمة وما لا يحل ولكن يجوز ان يبتدأ النهي
عن الزنا وان كان اول الاية في ذكر الاطعمة وبعض قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه كانه قال وذروا الاثم

كلها ما ظهر منها وما بطن **وقوله** عز وجل ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون لا يتركون وما
عملوا ولكن يجزون جزاء بما عملوا من الاثم وهو وعيد   يكسبون الاثم ويصرون عليه ولا يتوبون
ولا ينقلعون عنه حتى ماتوا على ذلك سيجزون عما ذكر وقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال
بعضهم هو الميتة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال بعضهم هو ما اهل به لغير الله وقلنا الحق
هو ما لم يذكر اسم الله عليه لان الله قد صرح بتحريم الميتة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم وصرح به
بتحريم ما اهل لغير الله به بقوله وما اهل لغير الله به بتصريح في غير هذا الموضع رجع هذا الخطاب الى تحريم
ما لم يذكر اسم الله عليه وكذلك التصريح بتحريم الميتة وما اهل لغير الله به بقوله قل لا اجد فيما اوحي الي
محرما الاية وقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما كان لا يجد في ذلك الوقت ثم وجدنا لم يذكر الله عليه محرما
في حادث الوقت ولذلك وجد كل ناب من السباع وذي مخلب من الطير محرما في حادث الوقت كان لا يجد
في ذلك الاوقات محرما الا ما ذكر ثم وجد اشياء محرمة من بعد وقال بعضهم من اهل التاويل قوله ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه حين قالوا ما قتلتم وذبحتم انتم فتاكلونه وما قتل ربكم فتحرمونه وانتم تعظمون
ربكم وهو من زخرف القول الذي يوحي بعضهم الى بعض وما ذكروا ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
ليجادلوكم لكنا نقول انما ذبح بالله وقتيل به ايضا فقد اذن باكل بعض الذبح وحرم اكل بعض ولله ان
يفعل ذلك له ان ياذن في اكل بعض وتحريم اكل بعض على ما اذن لنا في اكل بعض ما خلق الله من الانعام
ولم ياذن في اكل بعض ما ذبح به وقتل ولم ياذن في بعض وهو كله ذبيح بالله وقتيل به وله ذلك والثاني
ان الخلق كله له ملكه ولا يقال لاحد في ملكه لم فعلت ذا ولم تفعل ذا انما يقال ذلك في غير ملكه كما يقال
يقول لشريكه لم تعطي حقي ولم توفر على نصيبي فاما ان يقول في ذي ملك في ملكه فلا والثالث ما
ذكرنا انه تعبدنا بذكر اسم الله عليه اقامة عبادة لذلك لم يجز هذا **وقوله** عز وجل انه لفسق اخبر انه
ما لم يذكر اسم الله عليه فسق كما اخبر ان التناول من الميتة وما اهل لغير الله به فسق والفسق
هو الخروج عن امر الله والذي ترك ذكر اسم الله عليه خارج عن امر الله تعالى كالميتة التي ذكرنا فان
قال قائل ان قول الله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فكيف يجوز لكم ان تطلقوا اكل الذبيحة اذا ترك
ذكر اسم الله عليه ناسيا لان الذبائح انما هي من عمل القصابين والنسيان فهم لم يعودوا انفسهم ذكر
اسم الله عليه حتى يواخذون بها على حفظ ذلك وهذا اصلنا ان من لم يعود نفسه فعلا يعذر في تركه
وارتكابه في حال السهو والنسيان كالاكل في شهر رمضان ناسيا لانه عذر نفسه الاكل والشرب
والصوم هو الكف عما اعتاد فعذر في التناول منه والعود الى العادة على السهو لانه يشتد على الناس
حفظ النفس على خلاف العادة ولان الله تعالى قال وانه لفسق ولا خلاف في ان من نسي ان يسمي الله
على ذبيحة فليس بفاسق وانما يفسق من تركها عمدا قول ان الخطاب بالاية يرجع الى الذبيحة التي تركت عمدا
فان قيل ليس يجوز ان يكون قوله وانه لفسق يريد به ان الذي ياكل منها اذا لم يسم الله عليها عامدا
او ساهيا فاسق وان كان هذا هو التاويل فالاية على الاكل قيل الدليل على ان قوله وانه لفسق اشارة
الى الذبح الذي ترك ذكر اسم الله عليه عمدا دون ان يكون ذلك اشارة الى ان الاكل من ذلك الذبيحة
فسق قول الله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا
او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فكان الاهلال بالذبيحة لغير الله فسقا لمن فعله
فوجب ان يكون ترك اسم الله على الذبيحة فسقا ممن تعمده وذلك يوجب ان يكون قول الله و
لا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه خاصا في المتعمد الترك للتسمية ناسيا كتاركها عامدا كما قلتم
في التكبيرة الاولى في الصلوة ان عمدا وسهوه سواء قيل ان الذبيحة اذا تعمد صاحبها ترك التسمية
عليها انما حرمت بنص القران لانه فسق فقلنا متى زال الفسق عن الذابح زال التحريم عن الذبيحة
لان التحريم اذا وقع لعلة فزالت العلة زال التحريم ولم نقل ان صلوة التارك للتكبيرة الاولى
فسدت صلوته لانه فسق بتركها التكبيرة عامدا فيلزمنا ان نفرق بين سهوها وعمدها بل فسدت
صلوته لانه صلى بغير تكبير فالتارك للتكبير عامدا او ساهيا تارك فهما سواء وروي في الخبر ما
يؤيد ما قلنا روي عن راشد بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال
سمى او لم يسم ما لم يتعمد وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رجل ذبح ونسي ان يذكر اسم الله عليه

فقل

في قلب كل مسلم فليأكل **وقوله** عز وجل وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم اهل التاويل
صرفوا تاويل هذا الى ان زخرف القول الذي يوحي بعضهم الى بعض في الاية الاولى وهو مجادلتهم
في الذبيحة حيث قالوا ما قتلتم بايديكم فتاكلونه وما قتل الله فلا تاكلونه يعنون تلك مجادلتهم اياهم
ولكن يجادلون في هذا في وحدانية الله تعالى وفي اثبات الرسالة والبعث بعد الموت وفي كل شيء حيث
قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون فاخبر انهم لو اطاعوهم انهم لمشركون اي لو اطعتموهم
فيما يجادلونكم ويوحون اليهم انكم مشركون **وقوله** عز وجل او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يشبه ثم تخرج من ذلك فابصر وسمع وعقل كمن ترك في
تلك الظلمات ولم يخرج منها لا يبصر ولا يعقل يقول والله اعلم لا يستوي من اخرج من ظلمات البطن بعد ما
كان لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يفهم ثم ابصر وسمع وعقل والذي ترك في تلك الظلمات على الحال
التي كان هو لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل فمثل ذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق ويسمع ويعقل
كل خير ويعلم وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يقول اصحاب يدعون الناس الى الهدى والخير والكافر
الذي لا يبصر الخير ولا يسمع ولا يعقل ليس له اصحاب يدعونه الى الهدى والخير انما اي ليس هذا
كذلك الذي يبصر ويسمع ويعقل كالذي لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل وجائز ان يكون المثل الذي ضرب الله
ان يكون المؤمن والكافر جميعا جنس في الجوهر لكن المؤمن اكتسب ما به يحيي ابدا من العلم والقران والا
والكافر لم يكتسب من ذلك شيئا فهو كالميت الذي لا يبصر ولا يسمع الحق ولا يعقل ويحتمل هذا المثل وجها
اخر وهو ان المؤمن من يكتسب في الدنيا الخيرات والاعمال الصالحة ويكون له نور في الاخرة بالاعمال التي
اكتسب في الدنيا ويمشي بنور ذلك فيما بين الناس في الاخرة واما الكافر فانه لم يكتسب من ذلك شيئا فبقي
في الظلمات كقوله قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا **وقوله** عز وجل وجعلنا له نورا يمشي به في الناس والمعتزلة
يقولون هم جعلوا لانفسهم نورا يمشون في الناس وقد اخبر انه هو الذي يجعل لهم ذلك النور وذلك يخرب
منهم ظاهر القران وكذلك قوله وهو على كل شيء قدير وهم يقولون هو قدير على بعض الاشياء وقال خالق
كل شيء وهم يقولون هو خالق بعض الاشياء وقال ولو شاء الله ما فعلوه وهم يقولون شاء ان لا يفعلوا
ما فعلوا ولكن فعلوا غير ما شاء الله وكذلك قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وهم يقولون شاء غير الذي فعلوا و
كذلك لكل نبي عدوا وهم يقولون هم لم يجعل لكل نبي عدوا وهم جعلوا انفسهم لهم اعداء وكذلك قوله و
كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وهم يقولون جعل الاكابر فيها الا ليمكروا فيها **وقوله** عز وجل
كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اختلف فيه قال بعضهم كما زينا للمؤمنين عبادة الله كذلك زينا للكافرين
عبادة الله لكنهم تعاندوا وصرفوا العبادة الى غير الله وهو تاويل المعتزلة وقال قائلون زين لهم اعمالهم
التي يعملونها ثم اختلف في الذي زينها قال الحسن زينها الشيطان اعمالهم وقال غيره زينها الاكابر على الاتباع
قال قائلون زينها الله ولكن ما اضيف الى الشيطان من التزيين والاضلال انما يضاف الى ما يدعوهم
ويحثهم على ذلك ويوحي اليهم وما يضاف الى الاكابر القول والدعاء الى ذلك وما يضاف الى الله من التزيين
والاضلال والازاغة وغير ذلك يضاف للخلق اي خلق منهم فعل الضلال وفعل التزيين وفعل الزيغ يضاف
الى الله خلقا والى الشيطان والاكابر دعاء ووحيا والغاء على هذا يخرج جميع الاضافات والله اعلم
وقوله عز وجل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها اي جعل في كل قرية من اهل الكفر اكابر مجرميها
وعظماءها كما جعل في قريتك اكابر مجرميها يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليعلم انه
ليس بمخصوص هو بهذا دون غيرهم من الانبياء ثم اختلف في قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
وقد ذكرنا تاويلهم في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ثم قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا
فيها قالت المعتزلة لم يجعل الاكابر فيها ليمكروا فيها ولكن لما وسع الدنيا وبسطها عليهم مكروا فيها
وكذلك قالوا في قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لا يجوز ان يخلقهم ولكن لما
عملوا اعمال الكفر والضلال صاروا لجهنم قالوا هو على لام الاضمار كانه قال كذلك جعلنا في كل قرية
اكابر مجرميها لئلا يمكروا ولكنهم مكروا فيها لما ذكرنا لكن قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا
ليكون ادعى واظهر للحجج لانه لو كان بعث الرسل الى الاكابر لكان الناس يتبعون الاكابر وان لم ياتوا بالحجج
والايات وغيرهم لا يتبعون الا بالحجج والايات ومنهم من يقطع قوله ليمكروا فيها عن قوله جعلنا في

كل قرية اكابر يقول معناه وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ثم قال ليمكروا فيها اي ما جعل ذلك
لهم ليمكروا ومنهم من يقول هو اخبار الى ما صار امرهم كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا و
حزنا وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا انما التقطوه ليكون لهم وليا لكنه لما صار في العاقبة عدوا
لهم اخبر عن آل اليه امره فعلى ذلك قوله ليمكروا فيها اخبر عما اليه صاروا من المكر وعندنا لا يحتملوا
هذا اما ان يقال انه يخلقهم لغير المكر والضلال وهو يعلم انه لا يكونون لما يخلقهم فذلك ليس فعل
حكيم ان يفعل عملا يعلم انه لا يكون نحو من بنى بناء يعلم انه لا يسكن او يقصد قصد موضع يعلم انه
لا يصل اليه فهو بالقصد عابث ليس بحكيم فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى لا يجوز ان يخلقهم للهدى
والعبادة له مع علمه انهم لا يكونون لما يخلقهم او ان يخلقهم ولذلك وهو لا يعلم انهم يكونون
كذلك فهو جهل بالعواقب فالله يتعالى عن ذلك فدل انه خلقهم ليكونوا على ما علم انهم يكونون
ويختارون دون ذلك وقوله ليكون لهم عدوا وحزنا كان عند الله انهم يلتقطون ليكون لهم عدوا وقوله
عز وجل وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون ان عاقبة مكرهم ترجع اليهم ودوافعهم واصله
ان الله تعالى جعلهم وخلقهم على ما علم منهم انهم يختارون ويكون منهم ذلك وقوله عز وجل واذا
جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يخبر عز وجل عن سفههم وتعنتهم وانهم
عن علم يعاندون ويتكبرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا ان ما نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اية وانه رسول حيث قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله وعلموا ان الرسالة
لا تجعل الا في المعظم عند الله والمفضل لديه حيث تمنوا انهم لا يؤمنون حتى يؤتون من الايات
مثل ما اوتي رسل الله ولو لم يكن كذلك لم يكونوا كذلك يتمنون اشياء ما اوتوا الرسل وعلموا ان
هذا القران الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم اية وحجة وانه من عند الله نزل حيث قالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم وعلموا ايضا ان الرسالة لا تجعل الا في عظماء من البشر و
كبرائهم حيث قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم لكنهم ظنوا انها انما تجعل في
العظماء الذين هم عندهم الخلق عظماء فقال الله تعالى اعلم حيث يجعل رسالته فتنا قضت اقاويلهم
وحجاجهم بما ذكرنا من اقرارهم بالرسل والايات وتفضيلهم على غيرهم من البشر ثم قال الله
اعلم حيث يجعل رسالته جملة جواب ما قالوا لولا نزل هذا القران على كذا ان يقال انكم عرفتم ان
الله عالم قادر فهو اعلم حيث يجعل رسالته ثم اختلف في قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته ثم اختلف
في قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته قال بعضهم جعل الرسالة في اوساط الناس اظهر للحجج وابين
من جعلها في اكابر الناس وعظمائهم في الدنيا لان الناس مجبولون على اتباع الاكابر والاعاظم
فلو جعلت الرسالة فيهم لكانت الحجج لا تظهر لانهم جبلوا على اتباعهم واما اوساط الناس في
الدنياوية اذا جعلت فيهم الرسالة لظهرت الحجج والبراهين لانهم لم يجبلوا على اتباع الاوساط
من الناس فكان اتباعهم بالحجج والبراهين وقال بعضهم قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته اي لا
يجعل الرسالة فيمن يضيع وليس هو باهل لها ولا موضعها لانه لو جعل لكان في ذلك تضييع الرسالة
وقوله عز وجل سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله اجرموا من تكبر على رسول الله وعانده يكون له
عند الله صغار ومذلة وعذاب شديد بما كانوا يمكرون الذين صنعوا وقوله عز وجل فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام قيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال نور يقذف
فيه فقالوا وهل لذلك علامة قال نعم اذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قالوا يا رسول الله
وهل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله فلو ثبت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا انشراح الصدر للاسلام فقليلا
ما يوجد على هذا الوصف الا ان يريد به الاعتقاد واليقين بما ذكر ثم اختلف في تاويل قوله فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا قال بعض اهل
التاويل الارادة صفة كل فاعل يفعل على الاختيار كانه قال فمن يهدي الله يشرح صدره للاسلام
ومن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقال فريق من المعتزلة من نحو جعفر بن حرب والكعبي وهؤلاء
تاويله فمن يرد الله ان يهديه اي من قبل هدايته الله في الابتداء شرح الله صدره بعد ذلك بخيرات تواليه

لما قبل من الهداية ومن ترك قبول هداية الله في الابتداء عاقبه الله بضيق صدره عقوبة له في ترك
قبول الهداية والا فقد اراد الله ان يهدي الخلق كلهم وان يشرح صدرهم للاسلام لكنهم لم يهتدوا
وقال فريق منهم فمن يرد الله ان يهديه طريق الجنة في الاخرة شرح صدره في الدنيا للاسلام ومن يرد
الله ان يضله طريق الجنة في الاخرة جعل صدره في الدنيا ضيقا حرجا فيقال لهم كذلك هو كما
يقولون قد قلتم انه اراد ان يضلهم ثم يقال لهم تقولون انه اراد ان يهدي الخلق كلهم ويشرح
صدرهم للاسلام ثم تقولون انه ان يضل طريق الجنة في الاخرة فهذا في زعمكم جور لانه اراد
في الدنيا ان يهديهم ويريد في الاخرة ايضا لهم ان يضلهم عن طريق الجنة لا ولئك بعينهم
جور على قولكم وظاهر الاية يرد قولهم وينقض مذهبهم لانه قال فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره كذا جعلهم عن صنفين صنفا اراد منهم ان يهديهم وصنفا اراد ان يضلهم
من علم منه انه يختار الهدى ويقبله اراد ان يهديه ويشرح صدره للاسلام ومن علم منه انه يختار الضلال
اراد ان يضله ويجعل صدره ضيقا حرجا ولا يجوز ان يريد هو من يعلم منه انه يختار الضلال وعداوة الولاية
منه لان ذلك من الضعف من اراد عداوته وهو يريد ولايته او يريد منه غير الذي علم كونه منه واختاره
والمعتزلة يقولون قد اراد ان يهدي الكل لكنهم ارادوا ان لا يهتدوا فغلبت ارادتهم ارادة الله تعالى فذلك
وحش من القول سمج فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الحق ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل
ضيقا حرجا قيل الحرج ضيق الضيق وهو شدة الضيق ووصف قلب المؤمن بالسعة والفسح ووصف
الكافر بالضيق والحرج وليس قلب هذا في راي العين اوسع من قلب الاخر لكنه والله اعلم وصف قلب المؤمن
بالسعة لما انتفع بقلبه في الدنيا والاخرة والكافر لم ينتفع بقلبه فوصفه بالضيق والحرج وهو كما وصف
الكافر بالصم والبكم والخرس لما لم ينتفع بهذه الحواس كذلك سماه ميتا لما لم ينتفع بحياته وسمى المؤمن
حيا لما انتفع بحياته فعلى ذلك هذا وصف الكافر بضيق الصدر لما لم ينتفع به وقوله عز وجل كانما يصعد
في السماء قيل كالمتكلف الصعود الى السماء لا يقدر عليه وقيل كانما يصعد في السماء كانما يشق عليه
الصعود وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال ما تصعد في شيء ما تصعد في الخطبة اي ما شق علي شيء
ما شق علي الخطبة وقوله عز وجل كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون اختلف في الرجس قيل
الرجس الاثم اي كما جعل قلوبهم ضيقة حرجة بكفرهم كذلك يجعل في قلوبهم الاثم وقيل الرجس اللعن و
الغضب اي يجعل في قلوبهم اللعن والغضب دليله قوله قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب
وقوله عز وجل وهذا صراط ربك مستقيما لم يشر بهذا الى شيء لكن يحتمل قوله هذا الاسلام الذي سبق ذكره ان
يشرح به صدر المؤمن ويحتمل قوله هذا صراط ربك الذي يدعي اليه الخلق وهو التوحيد وقوله عز وجل قد
فصلنا اي بينا الايات دلائل التوحيد وحججه وقد ذكرنا لقوم يذكرون اي لقوم يتعظون بالمواعظ ويحتمل
لقوم يقبلون الدلائل والحجج ولا يكابرون وقوله عز وجل لهم دار السلام عند ربهم يحتمل السلام اسم
الجنة كقوله والله يدعو الى دار السلام ويحتمل السلام هو اسم الله اي لهم دار الله وهي الجنة وقوله عز
وجل هو وليهم بما كانوا يعملون قيل هو اولى بهم اي اولى بالمؤمنين كقوله فالله اولى بهما ويحتمل قوله هو
وليهم اي حافظهم وناصرهم وقد ذكرنا فيما تقدم يصعد ويصاعد كله لغات والمعنى واحد والضيق قال
الكسائي الضيق من الضيق في المعاش فاما في الامر فانه الضيق ومنه قوله ولا تك في ضيق مما يمكرون
واما قوله حرجا فيه لغتان حرج وحرج قال القتبي الحرج الذي ضاق فلم يجد منفذا وقال ابو عوسجة
الحرج الضيق يقال منه حرج يحرج حرجا فهو حرج وقوله عز وجل ويوم نحشرهم جميعا يعني من تقدم ذكره
من الجن والانس او نحشر الاولين والاخرين يا معشر الجن هو على الاضمار كانه قال يوم نحشرهم جميعا
يا معشر الجن والانس قد استكثرتم من الانس كقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي
تقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكذلك هذا هو على الاضمار وقوله عز وجل قد استكثرتم
من الانس قال اهل التاويل في قوله قد استكثرتم من الانس وهم قد استكثروا من الاتباع من الانس
في عبادة غير الله ومخالفة امر الله وتوحيده او قد استكثرتم عبادا من الانس وقال اولياؤهم من الانس
ربنا استمتع بعضنا ببعض اختلف فيه قال بعضهم تعاون بعضنا ببعض في معصية الله ومخالفة
امره هؤلاء بالدعوة واولئك بالاجابة وقال قائلون ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع بعضنا

بعض بالنزاع المنافع ما ذكر في بعض القصة ان الرجل من العرب اذا سافر فادركه المسا بارض القفر خاف فيقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيامن في ذلك بالتعوذ الى سيدهم فذلك استمتاع الانس بالجن فذلك وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن الاية واما استمتاع الجن بالانس ما يزداد لهم الذكر والشرف في قومهم فيقولون لقد سودنا الانس ويحتمل استمتاع الجن بالانس ما ذكر ان ثبت انه جعل طعامهم العظام التي يستعملها الانس ويكون ذلك غداءهم وعلف دوابهم روث دواب الانس وقال الحسن ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا ان الجن امرت الانس فعملت ذكر جواب الانس لهم ولم يذكر جواب الجن لهم وقوله عز وجل وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قبل الموت وقبل البعث يوم القيمة لانهم كانوا ينكرون البعث يوم القيمة لانهم كانوا ينكرون البعث فاقروا عند ذلك بانا قد بلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وكنا كذبناه اقروا بما كانوا ينكرون قال الله النار مثواكم اي مقامكم خالدين فيها الا ما شاء الله اختلف فيه قال الحسن الا ما شاء الله وقد شاء الله ان يخلدهم في النار وقال بعضهم الاستثناء من وقت البعث الى وقت الخلود وهو وقت الحساب ووقت الحساب هو وقت الثنيا خالدين فيها الا ما شاء الله ما داموا في الحساب وقيل الاستثناء للمؤمنين الذين اتبعوهم في فعل المعاصي والجرم ولم يتبعوهم في الاعتقاد ففيه دليل ادخال المؤمنين النار بالمعاصي والعقوبة لهم بقدر معصيتهم ودليل اخراجهم منها ان ثبت وقوله عز وجل الا ما شاء الله يحتمل وجوها ثلثة احدها ان خلود الاخرة اكبر من خلود الدنيا لان خلود الدنيا على الانقضاء وخلود الاخرة لا على الانقضاء والثاني وقع الثنيا قبل خلودهم في النار والثالث لم يتبعهم في الكفر وقوله عز وجل ان ربك حكيم اي حكيم ما حكم ووضع كل شيء موضعه عليم بذلك وقوله عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون الاية ينقض على المعتزلة قولهم لان الولاية منهم ثم ذكر ان المؤمنين بعضهم اولياء بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وذكر ان الكافرين بعضهم اولياء بعض بقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض وقوله عز وجل يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم ثم اختلف فيه قال بعضهم لم يكن من الجن رسل انما كان الرسل من الانس لكنه اضاف الى الفريقين جميعا كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وكقوله وجعل القمر فيهن نورا وانما جعل في واحدة منهن وكقولك الناس في سبع قبائل مسجد واحد وانما يكون في واحد منهما وقد يضاف الشيء الى الجماعة والمراد واحد فعلى ذلك ما ذكر من اضافة الرسل الانس والجن وقال بعضهم كان من الفريقين جميعا الرسل من الجن جني والانس انسي لان الجن يستترون من الانس فانما يرسل الى الانس رسلا يظهرون لهم فبعث الى كل فريق الرسول من جوهرهم وقال بعضهم كان الرسل من الانس الى الفريقين جميعا وكان الجن نذرا كقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية ذكر النذر منهم ولم يذكر الرسل ومرتبة النذر دون مرتبة الرسل كرتبة الانبياء من الرسل ولكن يجوز ان يقوي الرسل وان كانوا من الانس على الاظهار لهم وليس فيما لا يسترون عنهم منع بعث الرسل اليهم من الانس وليس لنا الى معرفة هذا حاجة انما الحاجة الى معرفة الايات والحجج التي بها في الرسل وقد عجز الخلائق جميعا عن اتيان مثل هذا القران كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فقد اعجز الجن والانس عن ان ياتوا بمثل هذا القران وان كان الجن اقوى على اشياء من الانس فدل انه اية ودل عجز الجن عن ذلك وان كانوا اقوى على ان غيرهم اعجز الا ترى انه انزل هذا القران على لسان العرب ثم عجزهم عن اتيان مثله فدل عجزهم عن ذلك على ان العجم له اعجز وجائز ان يكون الرسل وان كانوا من الانس فان الجن يسمعون من الرسل فيلزمهم الحجة والعمل بذلك والتبليغ الى قومهم من غير ان يعلم الرسل بذلك والله اعلم وقوله عز وجل يقصون عليكم اياتي يحتمل فيكون عليكم اياتي ويحتمل يقصون عليكم اياتي يتلون لكم اياتي ايات وحدانيته والوهيته وايات البعث الذي تنكرون وينذرونكم لقاء يومكم الذي تلقون ودل قوله ينذرونكم لقاء يومكم هذا على ان ذلك انما يقال لهم في الاخرة قالوا شهدنا على انفسنا هذا منهم اقرار لما كان منهم من التكذيب كقوله فاعترفوا بذنوبهم اي شهدنا على انفسنا بانا كنا كذبنا الرسل في الدنيا بما قالوا واخبروا وقوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا ان الدنيا معنيين ظاهر وباطن فيكون الظاهر غرورا من كان نظره اليه لغرو وله باطن من نظر الى

ذلك الباطن بعظة اما ظاهرها من تزيينها وزخرفها فالكافر نظر الى ظاهرها فاغتر بها واما باطنها فهو انتقالها من حال الى حال وزوالها وفناؤها فمن نظر الى ذلك الباطن انتفع به ويعلم معناها ويعرف انها لم تخلق لهذه ولكن العاقبة تتامل ثم اضافة الغرور اليها اي يكون منها ما لو كان ذلك من ذي عقل وذهن كان ذلك غرورا وقوله عز وجل وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين هذا اعتراف بما كان منهم وقوله عز وجل ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يحتمل قوله بذلك ما تقدم من قوله يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقوله عز وجل يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ونحوها من الايات التي ذكر فيها العتاب ويحتمل ذلك اشارة الى الهلاك الذي كان بالامم الخالية ان لم يكن يهلك القرى بظلم ظلموا انفسهم اهلاك تعذيب واستيصال الا بعد تقدم الوعيد لهم في ذلك وسوا لهم كان منهم بالعذاب ولا يهلك بعنادهم غافلون عن الظلم والعصيان لانه لا ياخذ ولكن سنته فيهم ان لا يهلك الا بعد تقدم فاذكرنا لئلا يحتجوا فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين وان لم يكن لهم الاحتجاج بذلك لما مكن لهم وركب فيهم ما به يعرفون انه لم يخلقهم لتركهم سدى ولكن خلقهم لعاقبة لكن سنته قد مضت في الامم الماضية لا يهلك قوما اهلاك تعذيب والاستيصال الا بعد ما سبق منه وعيد وانذار والعلم لهم بالظلم وظهور العناد منهم والمكابرة والسؤال بالعذاب سؤال تعنت وذلك منه فضل ورحمة الا انه لا يسع ذلك وقوله عز وجل ولكل درجات مما عملوا استدل بعض الناس بظاهر هذه الاية ان الجن لهم ثواب بالطاعات وعقاب بالمعاصي لانه اخبر ان لكل منهم درجات مما عملوا وانما تقدم ذكر الفريقين جميعا بقوله شياطين الانس والجن وقوله عز وجل ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن والانس ذكر ما كان من الفريقين جميعا من المعاصي والجرم فعلى ذلك قوله ولكل درجات مما عملوا راجع الى الفريقين جميعا لكل درجات منهم ان عملوا خيرا فخير وان عملوا شرا فشر وبه قال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله واحتجوا لابي حنيفة رحمه الله ان قوله ولكل درجات انما ذكر على اثر ايات كان الخطاب بها للكفرة دون المؤمنين فعلى قوله ولكل درجات مما عملوا يكون لهم هذا الوعيد خاصة ويكون قوله ولكل درجات اي دركات من العذاب والعقاب مما عملوا من المعاصي والتكذيب للرسل ولان الثواب لزومه لزوم فضل ومنة والعذاب توجبه الحكمة لان في الحكمة ان يعاقب من عصاه وخالف امره واما الثواب فوجوبه الفضل لانه كان من الله الى الخلق من النعم والاحسان ما لو جهد وكل جهدهم ما قدروا على ان يؤدوا شكر واحد من ذلك فكون طاعتهم شكرا لما انعم عليهم فاذا كان كذلك لا يكون لاعمالهم ثواب الا بالبيان من الله كما لا يقال للملائكة ان لهم ثوابا وقوله عز وجل وما ربك بغافل عما يعملون يحتمل وجهين وما ربك بغافل عن اعمالهم التي يعملونها في معصية الله تعالى ولكن يؤخر تعذيبهم رحمة منه وهو كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم الاية والثاني عن علم باعمالهم وصنيعهم خلقهم لا عن جهل لكن خلقهم على علم بذلك الماضي اعمالهم ومنافعها ترجع اليهم لا اليه وقوله عز وجل وربك الغني ذو الرحمة هذا يرد على الثنوية مذهبهم لانهم يقولون انما خلق الخلائق لمنافع نفسه لانه ليس بحكيم من فعل فعلا لا يقصد منفعة نفسه فاخبر عز وجل انه غني بذاته انما يقصد قصد المنفعة بفعله لحاجة نفع له وضرورة تصيبه يقصد بالفعل قصد قضاء الحاجة ودفع الضرورة عن نفسه فاما الله سبحانه هو الغني بذاته اي خلق الخلائق لا لمنفعة انفسهم وهو غني عن خلقه على ما اخبر وقوله عز وجل وربك الغني غني عن تعذيب اولئك الكفرة اي لا له في تعذيبهم بجذبهم او حاجة له ولكن الحكمة توجب ذلك او ان يكون صلة قوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقول لم يرسل اليكم ولا امتحنكم بالذي امتحنكم لحاجة نفسه او لمنفعة له اذ هو غني بذاته وقوله عز وجل ذو الرحمة يحتمل وجهين يحتمل ذو الرحمة فلا تعجل عليهم بالعقوبة والثاني ذو الرحمة لما خلق الخلائق وجعل لبعض ببعض الانتفاع بهم والاستمتاع وانما خلقهم لمنافع انفسهم ويحتمل قوله ذو الرحمة من قبل رحمته وصار اهلا لها فاما من لم يقبل رحمته فانه ذو انتقام منه وقوله عز وجل ان يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء لانه غني بذاته لم يخلقكم لمنافع نفسه او لحاجة ان شاء اذهبكم واستخلف غيركم ولو كان يخلق الخلق لمنافع نفسه لكان لا يذهب بهم ويستخلف من بعدهم

ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم اخرين يخبر عن غناه عنهم وعن سلطانه وقدرته انه يقدر على اهلا
واستيصالكم وانشاء قوم اخرين خلق الخلايق من جواهر مختلفة لا توالد فيهم ثم جعل في الاخر
لتوالد والتناسل ويستخلف بعض من بعض بالتوالد والتناسل **وقوله** عز وجل ان ما توعدون
لات من الوعد والوعيد وان يكون قوله انما توعدون من النصر لرسوله والمعونة الات
وكائن وما انتم بمعجزين قيل بفائتين ربكم وقيل وما انتم بسابقين الله باعمالكم الخبيثة حتى
لا يجزيكم الله بها واصله وما انتم بمعجزين اى لا تعجزون ربكم عن تعذيبكم وعقوبتكم **وقوله** عز وجل
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قيل على جديلتكم وقيل على منازلكم وجدتكم ولكن تاويله والله اعلم اعملوا
على مكانتكم اى ما انتم عليه ثم يحتمل هذا وجوها يحتمل اعملوا على مكانتكم اى على ما انتم عليه من امر الدين
انى عامل على ما انا عليه من امر الدين كقوله لكم دينكم ولى دين ويحتمل انكم لو هموا ان يمكروا برسول
الله فيقال امكروا انى ان ماكر بكم كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله ويحتمل ان يكونوا يطلبون الدوائر والهلاك على رسول الله صلى الله عليه وسلم و
يكيدونه كقوله فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون هذه الكلمة تستعمل فى انتهاء المكابرة نهايتها وحدود
المعاندة غايتها بعدا لنزاع من الحجج والايات كقوله لكم دينكم ولى دين **وقوله** عز وجل فسوف تعلمون يحتمل
فسوف تعلمون من تكون له العاقبة ويحتمل فسوف تعلمون بالهلاك من كان محقا بالوعيد او سوف تعلمون
من المحق بما اوعد وخوف **وقوله** عز وجل انه لا يفلح الظالمون يحتمل لا يفلح الظالمون ما داموا فى ظلمهم ويحتمل ان
يكون ذلك مخصوصين فى قوم ويحتمل فى الاخرة لا يفلح الظالمون **وقوله** عز وجل وجعلوا لله الاية يخبر عز وجل
عن سفههم من وجوه احدها انهم كانوا يجعلون لله فى ذلك نصيبا وللاصنام نصيبا سفههم انهم
هذا علموا ان الله هو الذى ذرا لهم تلك الاشياء فانشاء لهم فاليه الاختيار فى جعل ذلك لا اليهم اذا
علموا انهم انما يملكون هم بجعل الله لهم وهو المالك عليها حقيقة الثانى ما بين سفههم ايضا انهم يجعلون
لله فى ذلك نصيبا وللاصنام نصيبا من الثمرات والحروث وغيرها ثم اذا وقع مما جعلوا لله شيئا وخالط
مما جزاء وجعلوه لشركائهم تركوه واذا اختلط شئ مما جعلوا لشركائهم ووقع مما جعلوه لله اخذوه و
ردوه على شركائهم وانتفعوا به وتركوا الاخر للاصنام اينا وللاصنام عليه واعطاما لها واذا زكى
نصيب الاصنام ونما ولم يزك نصيب الله ولم يتموا تركوا ذلك للاصنام ويقولون لو شاء الله لازكى
نصيبه واذا زكى الذى كانوا يجعلون لله ولا يزكوا نصيب الاصنام فقسموه بين المساكين وبين
الاصنام نصفين لسفههم عز وجل بصنيعهم الذى يصنعون ويبين عن جورهم بايثارهم الاصنام
واعظامهم اياها والتفضيل فى القسمة والتجزية مع علمهم ان الله هو الذى ذراه ذلك وانشاء لهم و
الاصنام التى اشركوها فى اموالهم وعبادتهم قد لا يملكون من ذلك شيئا منهم سفه وجور حيث اشركوا
فى اموالهم وعبادتهم مع الله احدا لا يستحق بذلك شيئا وهو كما جعلوا لله البنات وهم كانوا يانفون
عن البنات كقوله واذا بشر احدهم بالانثى الاية فقال ام له البنات ولكم البنون وقال تلك اذا
قسمة ضيزى تانفون انتم عن البنات وتضيفون فهو اذا جور وظلم فعل ذلك تفضيل الاصنام
فى القسمة وايثارهم اياها على الله واشراكهم مع الله مع علمهم انه كان جميع ذلك بالله وهو
انشاء لهم جور وسفه ثم اخبرانهم ساء ما يحكمون اى لبئس الحكم حكمهم **وقوله** عز وجل وكذلك
زين لكثير من المشركين اى كما زين لهم جعل النصيب للاصنام والتجزية لها وصرف ما خلق الله
لهم عنه الى الاصنام كذلك زين قتل اولادهم او كما زين لهم تحريم ما احل الله لهم من السائبة و
الوصيلة والحامى كذلك زين لهم شركاؤهم قتل اولادهم واصله ان الشفقة التى جعل الله فى
الاولاد والرحمة التى جبلت طبايعهم عليها تمنعهم عن قتلهم وخاصة اولادهم الضعفاء والصغار
وكذلك الشهوة التى خلق فيهم تمنعهم عن تحريم ما احل الله لهم لكن ذلك زين لهم شركاؤهم وحسنوا
عليهم تحريم ما احل الله لهم وقتل اولادهم فاحسن عليهم الشركاء وزين لهم من تحريم ما احل لهم
وقتل اولادهم غلب على الشفقة التى جبلت فيهم والشهوة التى خلق ولكن فيهم ثم اختلف
فى الشركاء قال بعضهم شركاؤهم شياطينهم التى تدعوهم الى ذلك وقيل شركاؤهم كبراؤهم ورؤساؤهم
ليستتبعوهم ثم يحتمل قتل الكبراء اولادهم تكبرا منهم وتجبرا لانهم كانوا يانفون عن اولادهم الاناث

وقتل الابناء مخافة العيلة والفقر **وقوله** عز وجل ليردوهم قيل ليهلكوهم انهم كانوا يقصدون فى
التحسين والتزيين الارداء والاهلاك وان كانوا يرون فى ذلك الشفقة وكذلك كانوا يقصدون
بالتزيين ليلبسوا الذين عليهم **وقوله** عز وجل ولو شاء الله ما فعلوه يحتمل وجوها قال بعضهم
لو شاء الله لاهلكهم فلم يفعلوا ذلك وقيل لاعجزهم ومنعهم عن ذلك كقوله ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم وقيل لو شاء الله ما فعلوه اى لاراهم قبح فعلهم حتى يفعلوا واصله انه
اذا علم منهم انهم يفعلون ما فعلوا ويختارون ما اختاروا من التزيين وليس الذين عليهم شاء
ما فعلوا واختاروا وقد ذكرنا ذلك فى غير موضع **وقوله** عز وجل فذرهم وما يفترون اى ذرهم ولا
تكافهم بافترائهم على الله ويحتمل ذرهم وما يفترون فان الله يكافيهم ولا يفوتون ويحتمل ذرهم وما
يفترون فان ضرر ذلك الافتراء عليهم ليس علينا ولا عليك والله اعلم بذلك **وقوله** عز وجل و
قالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قيل هذه الاية صلة قوله وجعلوا لله مما
ذرء من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا هذا الذى جعلوا للشركاء
هو الحجر الذى ذكر فى هذه الاية لانهم كانوا ينتفعون بذلك ويحرمونه وهو حجر واصل الحجر المنع وعن ابن عباس
رضى الله عنهما قال الحجر ما حرموا انفسهم من اشياء من الوصيلة والسائبة والحامى وتحريمهم ما حرموا من
اشياء كانوا يحلون اشياء حرمها الله ويحرمون اشياء احلها الله فى الجاهلية من الحرث والانعام وفى
حرف ابى وعن ابن عباس رضى الله عنهما حرج على تاخير الجيم وتقديم الراء وعن الحسن حجر برفع الحاء
واصل الحجر المنع ممنوع محجور يقال حجرت عليه اى منعته والحجر ايضا موضع بمكة والاحجار الاستيثار
وهو ان ياخذ الشئ ولا يعطى منه احدا اشياء **وقوله** عز وجل لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قال بعضهم
قوله الا من نشاء يعنى لا يطعمها الا من يشاء الله لانهم كانوا يحرمون اشياء ويأتون بفواحش فيقولون
ان الله امرهم بذلك كقوله فى الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها
وقال بعضهم قوله الا من نشاء بزعمهم يعنى الذين سنوا لهم اى لا يطعمها الا من نشاء قد ذكرت
لكم اول من بدل دين اسماعيل وبحر البحيرة والسائبة اولئك الذين سنوا ذلك وحرموا ذلك على
نسائهم على ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان شئت قد ذكرت لكم اول من بدل دين اسماعيل
وبحر البحيرة والسائبة يعنى ذلك اضافوا ــه الى اولئك الذين سنوا لهم ذلك وحرموا على نسائهم واحلوا
لذكورهم وقال بعضهم قوله الا من نشاء هولاء الرجال كانت مضافة الى الرجال دون النساء وفى ذلك
سفه احلامهم لانهم ينكرون الرسالة ثم كان ما يحرمون من الطيبات ثم يبتغون الذى حرم عليهم الطيبات
التى احلها الله لهم من البحيرة والسائبة ونحوها **وقوله** عز وجل وانعام حرمت ظهورها هو ما ذكر من
البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وهو الحجر الذى ذكر فى هذه الاية يجعلون تلك الاشياء لشركائهم
لا ينتفعون بها **وقوله** عز وجل وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قيل فيه بوجوه قيل لا يذكرون اسم الله
عليها اى لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ليشكروا الله عليها وقيل لا يذكرون اسم الله عليها اى لا
يذبحون للاكل ولا يذكرون اسم الله عليها ويحتمل لا يذكرون اسم الله عليها وقت الركوب كما يذكرون اسم الله
عليها وقت الركوب وهو قوله سبحان الذى سخر لنا هذا لانهم كانوا تركوها ولكن يسيبونها وقيل لا يحجون
عليها والاول كانه اقرب كانوا لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ويشكروا عليها **وقوله** عز وجل افتراء على
الله سيجزيهم بما كانوا يفترون بان الله امرهم بذلك وهو حرم عليهم وهو اصل فذلك هو الافتراء على الله
او بما اشركوا شركائهم فى عبادة الله وفى نعمه وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا قيل هو صلة قوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر يحرمون على النساء ويحلون للرجال يعنى اذا ولد
احياء كان ينتفع بذلك رجالهم دون نسائهم واذا ولد ميتا اشتركوا فيه الاناث والذكور
يذكر فى هذا كله سفههم اولئك فى صنيعهم ويذكر فى قوله وهو الذى انشا جنات معروشات
الى اخره نعمه التى انعم عليهم **وقوله** عز وجل سيجزيهم وصفهم اى افتراءهم على الله وتحريمهم ما
احل الله لهم وتحليلهم ما حرم عليهم **وقوله** عز وجل قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم
وحرموا ما رزقهم الله افتراء اخبر انهم قد خسروا بقتلهم الاولاد وتحريمهم ما احل لهم ورزقهم
قد ضلوا وما كانوا مهتدين وبالله الهداية والرشاد **وقوله** عز وجل وهو الذى انشاء جنات

معروشات وغير معروشات ذكر هذا والله اعلم مقابل ما كان منهم من تحريم ما احل الله لهم ورزقهم من
الحرث والزرع والانعام والانتفاع بها فقال انشا جنات وبساتين من تامل فيها وتفكر عرف ان منشيها
مالك حكيم مدبر لانه تبتيها وتخرجها من الارض حتى لحظة ما اجتمع الخلايق على تقديرها ان كيف تخرج ورقى
قدر وثبت ما قدروا على ذلك كقوله وانبتنا فيها من كل شئ موزون وتخرج من الورد والثمار على
سيران واحد بما لو جهدوا كل الجهد ان يعرفوا الفضل والتفاوت بين الاوراق والثمار ما قدروا وما
وجدوا تفاوتا وتخرج ايضا كل عام من الثمار والاوراق ما يشبه العام الاول فدل ذلك كله ان
منشيها ومحدثها مالك حكيم وضع كل شئ موضعه وانما انشاء انشاء الحكمة وتدبير ما انشاءها
حتى ان له الحكم والتدبير في الحل والحرمة والقسمة ليس لاحد دونه حكم ولا تدبير في التحريم والتحليل
هذا حلال وهذا حرام وهذا لهذا وهذا لهذا انما ذلك الى مالكها تخرج هذا والله اعلم مقابل ما كان
منهم من قوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وهذا لشركائنا وقوله تعالى
وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه وغير ذلك من الايات التي كان فيها
ذكر تحكمهم على الله واشتراك انفسهم في حكمه ثم اختلف في قوله معروشات وغير معروشات قيل معروشات
مبسوطات ما تنبت منبسطا على وجه الارض وغير معروشات ما يقوم بساقه لا ينبسط على الارض
وقيل معروشات ما يتخذ له العريش من نحو الرجون والقرع وغيره معروشات وغير معروشات ما لا يقع
الحاجة الى العرش من نحو النخيل والاشجار المثمرة وهما واحد وقيل على القلب معروشات ما تقوم بساقها
وغير معروشات ما لا ساق له والله اعلم وتعريشه ما ذكر على اثره والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه منها ما يكون متشابها في اللون مختلفا في الاكل والطعم ومنها
ما يكون مختلفا في اللون والمنظر متشابها في الطعم والاكل ليعلموا ان منشيها واحد وانه حكيم
انشاءها على حكمة وانه مدبر انشاءها عن تدبير لم ينشها عبثا ومن الناس من يقول
ان قوله متشابها في الذي ذكر وهو الرمان والزيتون لان ورقهما متشابه والثمرة مختلفة
ومنهم من يقول فيهما وفي غيرهما والله اعلم وقوله عز وجل كلوا من ثمره اذا اثمر كانه قال كلوا من
ثمره اذا اثمر ولا تحرموا خرج على مقابلة ما كان منهم من التحريم اي كلوا منها ولا تحرموا ليضيع ويفسد
وقوله عز وجل وآتوا حقه يوم حصاده ذكر عز وجل الانباء ثم يحصد بعد ذكر النخيل والزرع
والزيتون والرمان حبا وغير حب وما يقع في الكيل وما لا يقع ثم دعا عاما ولم يفصل بين قليله
وكثيره ففيه دلالة وجوب الصدقة والعشر في قليل ما تخرج الارض وكثيره وكذلك قوله
تعالى سورة البقرة ومما اخرجنا لكم من الارض وحديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال في كل ما اخرجت الارض العشر او نصف العشر وحديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كتب الى اهل اليمن بذلك وما روي عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال في ما اخرجت الارض قليله وكثيره العشر وخبر معاذ قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اليمن فامرني ان اخذ من كل حالم دينارا او عدله معافر وامرني من كل اربعين مسنة ومن كل
ثلثين تبيعا ومن كل ما سقت السماء العشر وما سقي بالدوالي نصف العشر الى هذا كله يذهب ابو حنيفه
رحمه الله ويوجب الصدقة في قليل الخارج من الارض وكثيره ثم اختلف اهل التاويل في الحق
الذي ذكره الله في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال قوم هي صدقة سوى الزكوة واحتجوا
بان الاية مكية وان الزكوة فرضت بالمدينة وهي منسوخة باية الزكوة وقال قوم هي الزكوة فان
نسخ انما نسخ قدرها لم ينسخ الحق رؤسا لانهم كانوا يتصدقون بالكل فنسخ انما نسخ باية
الزكوة قدرها الا ترى انه قال في اخره ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والاسراف في اللغة هو
المجاوزة من الحد الذي حد له كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما وقيل في قوله ولا تسرفوا اي لا تمنعوا الكل ولكن كلوا بعضه وآتوا حقه من بعضه وقيل
الاسراف هيهنا هو الشرك كانه قال ولا تشركوا الهتكم فيما رزقكم الله من الحرث والانعام فتحرمون
ولا تنتفعون به والاسراف هو الذي لا ينفع به احد وما كانوا جعلوا لشركائهم لا ينتفعون به
احد يكون مقابل قوله هذه انعام وحرث حجر الاية وانما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله م

يذهبان الى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صدقة
في الزرع ولا في الكرم والنخل الا ما بلغ خمسة اوسق وذلك مائة فرق وعن ابن عمر وعبد الله بن عمرو
وابي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وما روي موسى بن طلحة ان النبي صلى الله عليه
وسلم ليس في الخضراوات صدقة توخذ الا فيما بلغ كذا وليس في الخضراوات صدقة توخذ واما عليه
في نفسه صدقة يؤديها هو ثم ان كان ذلك الحق الذي ذكر في الاية الزكوة فان الاية تدل والله اعلم
على ان زكوة الحب والثمار انما تجب فيما ليس الجنات المعروشات وغير المعروشات تدخل في ذلك والله اعلم
العنب وغير العنب والثمار كلها وقال والزرع والنخل والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه فجميع
تخرج الارض من كل الاصناف التي سبق ذكرها وقال كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده فيحتمل الحق
الواجب فيه يوم يحصد فيجوز ان يكون عفي عما قبل ذلك فان كان هذا هو التاويل فهو والله اعلم معنى ما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يكن قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر عفوا عن صدقة ما يوكل منه ما كان
في ذلك فائدة لان الثمرة توكل ولا تصلح لغير ذلك الا للوجه الذي ذكرنا وهو انهم كانوا يحرمون ولا
ينتفعون بها فقال عز وجل كلوا وانتفعوا به ولا تضيعوه واذا كان قوله كلوا من ثمره وعفوا عن صدقة
ما يوكل منه ظهرت فائدة الكلام وهو على هذا التاويل والله اعلم ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا خرصتم فخذوا ودعوا الثلث فان لم تدعوا الثلث فالربع وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس في العرايا صدقة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يبعث
ابا حثمة خارصا للنخل ويقول له اذا وجدت اهل بيت في حائطهم فلا تخرص بقدر ما ياكلون وعن
مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خففوا على الناس في الخرص فان في المال العرية
والوصية فدلت هذه الاحاديث على انه لا صدقة فيما يوكل من التمر رطبا اذ المزكي فيما ياكلون اسراف
وقد دل النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الثلث او الربع وذلك والله اعلم يشبه ما دلت عليه الاية على تاويل
من حمل الحق زكوة لان الله تعالى قال ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين فاحتمل ان يكون ايضا معنى ذلك
ولا تسرفوا في الاكل فيجحف ذلك باهل الصدقة ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن الاسراف في جميع الاشياء
على ما ذكرنا من قبل واذا صح ان لا صدقة فيما يوكل من الرطب والعنب والثمار بهذه الاخبار دل ان الصدقة
انما تجب فيما يلحقه الحصاد بابان يكون ادخاره فالواجب ان لا يكون في شئ من الخضر الذي يوكل رطبه
صدقة وان لا يكون الصدقة واجبة الا فيما ليس منها ويمكن ان يدخر نحو البقول والرطاب والبطيخ
والقثاء والخيار والتفاح واشباههما لا صدقة فيها هذا كله يدل لابي يوسف ومحمد رحمهما الله على
الا انا لا نعلم مخالفا ان فيما يباع من الرطب صدقة وان كان يوكل كهيئته فهذا يفسد ما احتجنا به لابي
يوسف ومحمد رحمهما الله ومن وافقهما وتاويل ما روي ان لا صدقة في الخضروات وليس في اقل
من خمسة اوسق صدقة صدقة توخذ واما عليه في نفسه ان يؤديها والله اعلم وجائز ان يكون قوله وآتوا حقه يوم
حصاده على اولئك خاصة في ذلك الوقت ويقوي التوحيد ولا تصرفوا الى الاصنام التي تصرفون اليها
والله اعلم وقوله عز وجل ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله هو صلة قوله انشا جنات معروشات
وغير معروشات الى اخر ما ذكر وانشا ايضا من الانعام حمولة وفرشا ثم اختلف فيه قال بعضهم الحمولة
ما يحمل عليها انشاها للحمل والفرش الصغار منها التي لا تحمل وقيل الحمولة من نحو الابل والبقر والبغال
وغيرها من الحيوان والفرش هو الغنم والمعز التي توكل وانشاءها للحم ويحتمل الفرش ما يوخذ من الانعام
ويتخذ منه الفريش والبسط وقال الحسن الحمولة ما يحمل عليها وهو خاص والفرش كل شئ من انواع المال
من الحيوان وغيره يقال افرشه الله له اي جعله له قال ابن عباس رضي الله عنهما الحمولة الابل والخيل والبغال
والحمير وكل شئ يحمل عليه واما الفرش فالغنم وعن ابن عمر رضي الله عنه قال الحمولة الابل والفرش البقر
والغنم قال ابو عوسجة الحمولة مراكب النساء والفرش ما يكون للنتاج وقال القتبي الحمولة كبار الابل
التي يحمل عليها والفرش صغارها التي لم تدرك ان يحمل عليها وهي ما دون الحقاق والحقاق هي التي يصلح
ان يركب اي حق ذلك وقوله عز وجل كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان قوله كلوا مما
رزقكم الله وجهوا شكر ذلك اليه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما احل الله لكم وجعل لكم
لكم رزقا كقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا

وقوله هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها وقوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يقول كلوا مما رزقكم الله
وكذلك قوله كلوا من ثمره اذا اثمر وانتفعوا به ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ذلك على انفسكم
واعرفوا نعمه التي انعمها عليكم ووجهوا شكر نعمه اليه ولا توجهوا الى غيره ثم قوله خطوات الشيطان
قيل آثار الشيطان وقيل اعمال الشيطان وقيل دعاء الشيطان وتزيينه وكله واحد واصله ان كل من
اجاب آخر الى ما يدعوا اليه وياتمر بامره ويقال قد اتبع امره وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله انه لكم عدو مبين
اي انه فيما يدعوكم الى تحريم ما احل الله لكم ورزقكم يقصد قصد اهلاككم وتعذيبكم لا قصد منفعة لكم
في ذلك وكل من قصد قصد اهلاك آخر فهو عدو له وهو يخرج على ما ذكرنا من تذكير المنن والنعم التي
انعمها عليهم يقول هو الذي جعل لكم ذلك فلا تصرفوا شكره الى غيره وقوله عز وجل ثمانية ازواج
من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى آخر ما ذكر اي انشاء ايضا ثمانية ازواج على ما ذكر انشاء جنات
معروشات وغير معروشات وانشاء من الانعام ايضا حمولة وفرشا وانشاء ايضا ثمانية ازواج مما عد علينا
ويحتمل ان يكون قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى آخر ما ذكر هو تفسير قوله ومن
الانعام حمولة وفرشا ويكون ثمانية ازواج التي ذكر في الآية بيان الحمولة والفرش التي ذكر في الآية الاولى
ثم في قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين في الآية تعريف المحاجة مع الكفرة وتعليمها من
الله لانهم كانوا يحرمون اشياء على الاناث ويحلونها للذكور كقوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فقال الله عز وجل قل آلذكرين حرم ام الانثيين
يعرفنا المحاجة معهم وطلب العلة التي بها حرم فقال قل آلذكرين حرم ام الانثيين فان قالوا حرم الذكور
فيجب ان كل ذكر محرم سمي الذكور وما يحتج تناقضوا في قولهم وان قالوا حرم الانثى فيجب ان كل انثى ايضا تكون
محرمة فاذا لم يحرم كل انثى ظهرت تناقضهم لانه لا يجوز ان يجب حرمة شيء لاجل معنى ثم يرتفع ذلك الحكم
والمعنى موجود او حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين فان كان هذا فيجب ان كل ما اشتمل عليه ارحام الانثيين
محرم فاذا لم يحرم ذلك دل ان التحريم لم يكن لهذا وفيه دلالة ان الحكم اذا وجب لعلة فذلك الحكم واجب
ما دامت العلة قائمة موجودة وفيه الامر بالمقايسة وقوله عز وجل نبئوني بعلم ان كنتم صادقين اي ليس عندكم
علم يعلمون ذلك وينبئونه ذكر هاهنا نبئوني ان كنتم صادقين في مقالتكم انه حرم وقال في الآية التي تليها
ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا اي بتحريمها اي ليس لكم شهداء على تحريم ما تحرمون لا من جهة كتاب
ولا رسول ولا استدلال لان العلوم ثلاثة علم استدلال وهو علم العقل وعلم المشاهدة والعيان وهو علم
الحس وعلم السمع والخبر فيخبرانه ليس لهم من هذه العلوم شيء اما علم الاستدلال فلا عقل يدل على تحريم
ما حرمتم ولا علم مشاهدة لانكم لم تشاهدوا الله حرم ذلك ولا علم من جهة السمع والخبر لانهم لا يؤمنون
بالكتب ولا يصدقون الرسل فيقولوا اخبرنا الرسل بتحريم ذلك او وجدنا في الكتب حرمتها فبهتوا في
ذلك وتحيروا وفي الآية دلالة اثبات رسالة محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يحرمون هذه الاشياء
طاعة لآبائهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم نشأ بين اظهرهم منذ كان صغيرا الى كبره وعرفوا انه لم يختلف
الى احد عرف ذلك ثم اخبر الله عز وجل ما حرموا وفساد ما صنعوا ليدلهم انه انما عرف ذلك بالله وبه علم
قبح ما حرموا وحرمه ما احلوا لا باحد من الخلائق وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد
اظلم ممن افترى على الله كذبا لانه هو الذي انشاءهم وانشاء لهم جميع ما يحتاجون اليه ويتقلبون
حوائجهم وبه كان جميع نعمهم التي يتنعمون ويتقلبون فيها فلا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا فقال
حرم كذا ولم يكن حرمه ولم امر بكذا ولم يكن امر الا ترى انه قال عز وجل ومن اصدق من الله حديثا وقال
قيلا لم يكن احد اصدق منه حديثا فعلى ذلك لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا بعد علمه انه هذا الفاعل
لذلك كله وهو المنشئ ما ذكر وقوله فمن اظلم في الظاهر استفهام ولكن في الحقيقة ايجاب لانه لا يحتمل
الاستفهام كانه قال لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله كذبا على الايجاب وقوله عز وجل ليضل الناس
بغير علم لانه يقصد بالافتراء على الله قصد اضلال الناس واغوائهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
اي لا يهدي وقت اختيارهم الكفر والظلم وقيل لا يهدي القوم الذين في علمه انهم يختمون بالكفر و
يحتمل لا يهديهم اذ كانوا عند الله ظلمة كفرة وان كانوا عند انفسهم عدولا على الحق وقوله عز وجل

قل

قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه مثل هذا الخطاب لا يكون الا في معهود سؤال والا مثل هذا الخطاب
لا يستقيم على الابتداء فان كان في معهود فهو يخرج جواب ما كانوا يحرمون من اشياء من الانعام والحرث
وما ذكر في الآيات التي تقدم ذكرها وما كانوا يحرمون من البحيرة والوصيلة والسائبة والحامي فقال قل
لا اجد فيما اوحي الي محرما مما تحرمون انتم على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او كان جواب
سؤال في نازلة فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الا فيما ذكر في الآية او لم يجده محرما في وقت الا ما ذكر ثم
وجده في وقت آخر حتى انه ما كان لم يكن للبشر علينا في ذلك حجة علينا حيث قال ان الاشياء كلها محللة مطلقة
بهذه الآية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الا ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فقال
لا يحرم من الحيوان الا ما ذكر ويقولوا ان النهي الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كل
ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير انما هو خبر خاص من اخبار الآحاد وخبر الواحد لا يعمل
في نسخ الكتاب وقد قال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما وبعد فان ذلك الخبر من الاخبار المتواترة لانه عرفه
الخاص والعام وعملوا به وظهر العمل به حتى لا يكاد يوجد ذلك يباع في اسواق المسلمين دل انه من المتواتر
قال الشيخ رضي الله عنه وعندنا ان لفظة التحريم في الحيوان لا فيما ذكر في الآية من الميتة والدم المسفوح والخنزير
ولكن يقال منهي عنه مكروه ولا يقال محرم مطلقا ويقال لا يوكل ولا يطعم ابعد فان الآية لو كانت في غير
الوجهين الذين ذكرنا عما لم يكن فيها دليل حل ما عدا المذكور في الآية لانه قال لا اجد ولم يوجد في وقت
آخر هذا حرام وفي قوله محرما على طاعم يطعمه دلالة ان الجلد يحرم لحم الميتة لانه امكن ان يشوى فيوكل فحرمت
حرمة اللحم فاذا دبغ خرج من ان يوكل فظهر عن قوله على طاعم يطعمه والله اعلم ثم في قوله محرما على طاعم يطعمه
الآية دلالة ان الحرمة التي ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
والمنخنقة والموقوذة والمتردية الى آخر ما ذكر حرمة الاكل والتناول منها لانه لم يبين في تلك الآية ما الذي
حرم منها سوى ما ذكر حرمته بتفسيرها هذه الآية وقوله عز وجل محرما على طاعم يطعمه الا كذا دل هذا ان
الحرمة في تلك الآية الاكل والتناول منها وكذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم وطعامكم حل لهم ذكر الحل ولم يذكر الحل ماذا ثم جاء التفسير في هذه الآية انه الاكل ثم الميتة التي ذكر
انها محرمة هي التي ماتت حتف انفها خاصة الا ترى انه ذكر وما ذبح على النصب وما اهل لغير الله به فاذا ذكر
المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع كل هذا الذي ذكر ثم يمت حتف انفه ولكن باسباب
لم يؤمر بها فصارت ميتة فدل ان كل مذبوح او مقتول بسبب لم يؤمر به فهو ميتة لا يحل تناوله
الا في حال الاضطرار وفي قوله او دما مسفوحا دلالة ان المحرم من الدم هو المسفوح والدم الذي
يكون في اللحم ويجانب اللحم ليس بحرام والدم المسفوح حرام قال ابو عوسجة المسفوح المصبوب نقول
سفحت صببت وقال القتبي مسفوحا اي سائلا وقال ابن عباس رضي الله عنهما المسفوح هو الذي يهراق
وقوله عز وجل ولحم خنزير ذكر اللحم وذكر حرمة الميتة ليعلم ان الخنزير بجوهره حرام والميتة حرمتها لاجل موتها
لكي لا عرض لذلك قلنا لا باس بالانتفاع بصوف الميتة ووبرها وعظمها ولا يجوز من الخنزير شيء والله
اعلم وقوله عز وجل فمن اضطر غير باغ ولا عاد قيل غير باغ يستحله في دينه ولا عاد اي ولا متعد بالمضطر
اليه فاكله وقد ذكرنا اقاويلهم والاختلاف في تاويله في صدر الكتاب فان ربك غفور لاكله الحرام في
حال الاضطرار رحيم حيث رخص الحرام في موضع الاضطرار وهذا ايضا قد مضى ذكره في غير موضع وقوله
عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قيل مثل النعامة والبعير وقيل كل ذي ظفر مثل البط و
البعير وكل ما لم يكن منفرج الاصابع والقوائم وقيل حرمنا كل ذي ظفر حافر من نحو حمار الوحشي والوز وغيره
وقيل حرمنا كل ذي ظفر كل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع ومن الدواب كل ذي ظفر مشقوق
مثل الارنب والبعير واشباهها وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والاشبه ان يكون ما ذكر في آية
اخرى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية وقوله عز وجل ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما قيل شحوم بطونهما ومن الثروب وشحم الكليتين والحوايا
وهي المباعر والمصارين اي الشحم الذي عليهما او ما اختلط بعظم قيل الالية وقيل قوله الا ما حملت ظهورهما
هو سمن اللحم قيل فيه اقاويل مختلفة في هذا وفي الاول مختلفة في هذا وفي الاول في قوله حرمنا كل ذي
ظفر لكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة لان تلك شريعة قد نسخت والعمل بالمنسوخ حرام فاذا

لم يكن علينا العمل بذلك ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة كان ذا او ذا وانما علينا ان نعرف لم كان ذلك التحريم عليهم وبم كان تحريم هذه الاشياء عليهم فهو والله اعلم ما ذكر في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا الاية اخبر ان ما حرم عليهم من الطيبات فبظلمهم الذين ظلموا ولذلك قال الله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر انه ذلك جزاء بغيهم الذين بغوا ولئن في انهم كانوا يدعون ويقولون نحن ابناء الله واحباؤه يقول لو كنتم صادقين في زعمكم انكم ابناء الله واحباؤه لكان لا احد يعاقب ولده او حبيبه بادنى ظلم ولا يحرم عليه الطيبات فاذا كان الله حرم عليكم الطيبات وجزاهم بتحريم اشياء عقوبة لكم بظلمكم وبغيكم ظهر انكم كذبتم في دعاويكم وافتريتم بذلك على الله وفيه دليل اثبات رسالة محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يحرمون هذه الاشياء فيما بينهم ولا يقولون انهم ظلمة وان ما حرم عليهم بظلم كان منهم وبقي ثم اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم انما حرم عليهم من الطيبات انما حرم بظلمهم وبغيهم دل انه انما اخبر بذلك عن الله وبه عرف ذلك فدل انه اية من ايات نبوته صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك جزيناهم ببغيهم اي ذلك التحريم عقوبة لبغيهم وظلمهم وانا لصادقون بالانباء ان ذلك بظلمهم وانا لصادقون في كل ما اخبرنا وانبانا ما وقوله عز وجل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة قال الحسن فان كذبوك فيما تدعوهم اليه وتامرهم به من التصديق والتوحيد له والربوبية فقل ربكم ذو رحمة اذا رجعتم عن التكذيب وصدقتم وقلتم انه واحد لا شريك له يغفر لكم ما كان منكم في حال الكفر ويكفر عنكم سيئاتكم التي كانت وقوله عز وجل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين كانه على التقديم والتاخير يقول فان كذبوك فقل لا يرد باسه عن القوم المجرمين ثم قال ربكم ذو رحمة واسعة تسع في رحمته العفو اذا تبتم وقال غيره من اهل التاويل فان كذبوك يا محمد حين انباتهم بما حرم الله عليهم بظلمهم و بغيهم فقل ربكم ذو رحمة واسعة لا يهلك وقت ارتكاب المعصية ولا يعذبه ولا يعذبه حالة ذلك لكنه يؤخر ولا يرد باسه اي عذابه اذا نزل بقوم مجرمين بجرمهم والله اعلم وقوله عز وجل سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء وقيل الاية في مشركي العرب قالوا ذلك حين لزمتهم المناقضة وانقطع حجاجهم في تحريمهم ما حرموا من الاشياء واضافوا ذلك الى الله وهو مسئلة قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين الى اخر ما ذكر الى قوله ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فلما لزمتهم المناقضة وانقطع حجاجهم فزعوا عند ذلك الى هذا القول لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء فيقول الله لنبيه كذلك كذب الذين من قبلهم من الامم الخالية رسلهم كما كذبك هؤلاء وكانوا يقولون لرسلهم ما قال لك هؤلاء لو شاء الله ما اشركنا الى اخر ما ذكر ثم اختلف في قوله لو شاء الله ما اشركنا قال الحسن والاصم ان المشيئة ههنا الرضاء قالوا رضي الله بفعلنا وصنيعنا حيث فعل اباؤنا مثل ما فعلنا وصنعوا مثل ما صنعنا فلم يحل الله بينهم وبين ذلك ولا اخذ على ايديهم ولا منعهم عن ذلك فلو لم يرض بذلك عنهم لكان يحول ذلك عنهم ومنعهم عنه وانما استدلوا بالرضاء من الله والاذن فيما كانوا فيه يخوفون اياهم الهلاك والعذاب بصنيعهم الذي كانوا صنعوا ثم راوهم ماتوا على ذلك ولم يأتهم العذاب فاستدلوا بتاخير نزول العذاب عليهم على ان الله رضي بذلك والله اعلم وبظاهر هذه الاية للمعتزلة اوفى تعلق لانهم يقولون ان الله تعالى قد رد ذلك القول الذي قالوا وعاتبهم على ذلك القول بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا واوعدهم على ذلك وعيدا شديدا فلو كان يجوز اضافة المشيئة الى الله تعالى في ذلك على ما تضيفون انتم لم يكن يرد ذلك عليهم ولا عاتبهم على ذلك ولا اوعدهم وعيدا في ذلك دل انه لا يجوز ان يقال ذلك ولا اضافة المشيئة اليه في ذلك فنقول بالله التوفيق ان المشيئة ههنا تحتمل وجوها احدها ما قال الحسن والاصم من الرضاء قالوا ان الله رضي بذلك والثاني الامر والدعاء الى ذلك يقولون ان الله امرهم بذلك والثالث كانوا يقولون ذلك على الاستهزاء والسخرية لا على الحقيقة وهكذا امر المجوس انهم اذا قيل لهم هذا لم لا تؤمنون وتسلمون يقولون ما قالوا لولا لو شاء الله لامنا ولا اشركنا فهذا العتاب الذي لحقهم الوعيد الذي اوعدهم انما كان لما قالوا ذلك

استهزاء

استهزاء منهم ولما ادعوا من الامر والدعاء على الله وافتروا عليه والرضاء انه رضي بذلك على هذه الوجوه الثلاثة تخرج المشيئة في هذا الموضع والله اعلم لا على ما قاله المعتزلة وهو ما ذكر في اية اخرى ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا هو كلمة حق لكن قالها استهزاء وهزءا فلحقه العتاب وقوله عز وجل قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا اي هل عندكم من بيان وحجة من الله دون اهلكم لعبدكم او ليس قد تركت من خالفكم في ذلك ثم لم يدل تركه اياهم على انه رضي بذلك فقال ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن وان هم الا يخرصون ويكذبون في ذلك ليست لهم حجة ولا بيان على ما يدعون من الامر والدعاء الى ذلك والترك على ما هم عليه على الرضاء به وقوله عز وجل قل فلله الحجة البالغة التي اذا بلغت كل شبهة اذا لتها وكل غافل نائم نبهته وايقظته وقيل الحجة البالغة التامة القاهرة الظاهرة على كل شيء والغالبة عليه لم تبلغ شيئا الا قهرته وغلبته وقال الحسن الحجة البالغة في الاخرة ولا يعذب احدا ولا يعاقبه الا بحجة تلزم لا يعاقب بهوى او انتقام او شهوة على ما يعاقب في الشاهد ولا عذر ما من احد من الخلائق الا ولله عليه الحجة البالغة اما الملك المقرب فان الله جبله على الطاعة فلو يعصيه منا من الله عليه طولا وفضلا فهو مقصر عن شكر نعمة الله عليه واما النبي المرسل والعبد الصالح فلله عليهما السبيل والحجة من غير واحد ثم يحتمل الحجة من غير واحد يحتمل البالغة وجوها احدها هذا القران الذي انزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية معجزة وحجة بالغة ما عجز الخلائق عن اتيان مثله فدل عجزهم عن اتيان مثله على انه اية من ايات وحجة من حجج الله ارسلها على نبيه صلى الله عليه وسلم والثاني انه جبل في كلية الخلائق والاشياء ما يشهد ان الخلائق والاشياء كلها له شهادة خلقة ويدل كلية الاشياء على وحدانيته فهو حجة بالغة والثالث الرسل وانباءهم حيث لم يؤاخذوهم بكذب قط فيما بينهم ولا جرى على لسانهم كذب قط ولا يخش عصمهم عز وجل عن ذلك فدل على انهم انما خصوا بذلك لما ان الله جعلهم حججا وايات على وجه الارض حجة بالغة وبالله العصمة وقال بعضهم فلله الحجة البالغة في تحريم الاشياء وتحليلها ليس لهؤلاء الذين يحرمون اشياءهم في تحريمهم حجة انما يحرمون ذلك بهوى انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل فلو شاء لهداكم اجمعين قال الحسن المشيئة ههنا مشيئة القدرة وقال لو شاء قهرهم واعجزهم حتى لم يقدروا على معصية قط على ما جعل الملائكة جبلهم على الطاعة حتى لا يقدروا على معصية قط ثم هو يفضل الملائكة على الرسل والانبياء والبشر جميعا ويقول هم مجبورون على الطاعة فذلك تناقض في القول لا يجوز من كان مقهورا مجبورا على الطاعة يفضل على من يعمل بالاختيار مع تمكن الشهوات فيه والحاجات التي تغلب صاحبها وتمنعه عن العمل بالطاعة ويقول فضلهم بالجوهر والاصل فلا يجوز ان يكون لاحد بالجوهر نفسه فضل على غيره ذلك الجوهر لان الله تعالى لم يذكر فضلا بالجوهر الا مقرونا بالاعمال الصالحة الطيبة كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة وغيره وقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه وقوله والعمل الصالح يرفعه ونحوه لم يفضل احد بالجوهر على احد ولكن انما فضله بالاعمال الصالحة لذلك قلنا ان قوله يخرج على التناقض وتاويل قوله فلو شاء لهداكم اجمعين عندنا ظاهر لو شاء لهداهم جميعا ووفقهم للطاعة وارشدهم لذلك هو كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية فاذا كان الميل الى الكفر لكان ما جعل لهم من الفضة والزينة فاذا كان ذلك للمؤمنين امنوا ثم لم يجعل كذلك دل هذا على ان قوله لو شاء الله ما اشركنا هو الامر والرضاء او ذكروا على الاستهزاء حيث قال فلو شاء لهداكم اجمعين والمعتزلة يقولون المشيئة ههنا مشيئة قسر وقسي وقد ذكرنا ان لا يكون في حال القهر ايمان وانما يكون في حال الاختيار والمشيئة مشيئة الاختيار ولا يحتمل مشيئة الخلقة ان لكل احد شهادة الخلقة المؤمن فدل ان التاويل ما ذكرنا وقوله عز وجل قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا الذي يحرمون انتم من الوصيلة والسائبة والحامي وما حرموا من الحرث والانعام فان شهدوا ان الله حرمه فلا تشهد معهم كيف قال هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم دعاهم الى ان ياتوا بالحجة فاذا اقاموها لا تشهد معهم لكن هذا والله اعلم انهم يعلمون ان التحريم الى الله ليس الى احد من الخلائق فان شهدوا بانه حرم فلا تشهد معهم

يحمل قول والقول احق ان يحفظ فيه العدالة من الفعل لانه يظهر الحكمة من السفه والحق من الباطل فهو
اولى وقوله عز وجل وبعهد الله اوفوا اى بعهد الله الذى عهده اليكم فى التحليل والتحريم والامر والنهى
وغير ذلك ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ذكر ههنا تذكرون وفى الاية الاولى تعقلون وفى الاية الاخيرة
تتقون اذا عقلوا تفكروا ونظروا وعرفوا ما يصلح وما لا يصلح او تذكرون اى تتعظون بما وعظكم به
وزجركم عنه وتتقون بها لكم وتتقون محارمكم وقوله عز وجل وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه يحتمل
وجوها يحتمل وان هذا الذى ذكر فى هذه الايات من امره ونهيه وتحليله وتحريمه صراطى مستقيما فاتبعوه
على ما قاله اهل التاويل انها ايات محكمات لم ينسخ شئ فى جميع الكتب وهن محرمات على بنى ادم كلهم
ويحتمل قوله وان هذا صراطى مستقيما الذى دعا اليه الرسل من كل شئ وهو صراطى مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل لان الرسل يدعون الى ما يدعون بالحجج والبراهين ويحتمل قوله هذا صراطى مستقيما
اصل الدين وهو وحدانية الله واخلاص الانفس له على غير الشرك فى عبادته والوهية وان يكون
قوله وان الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او الذى ذكر فى القران والا ذكر هنا ولم يشر الى شئ
بعينه فيحتمل ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله امر عز وجل باتباع ما ذكر
من الصراط المستقيم ونهى عن اتباع الرسل لان غيره من الاديان المختلفة والاهواء المنشئة لا حجة
عليها ولا برهان وما ذكر من الصراط المستقيم هو دين الحجة وبرهان لا كغيره من الاديان
وان كان يدعى كل من ذلك ان الذى هو عليه دين الله وسبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون المحرمات
والمناهى والمعاصى التى ذكر فى هذه ولعلكم تتقون السبل والاديان المختلفة واصله السبيل
المطلق سبيل الله والدين المطلق دين الله والكتاب المطلق كتاب الله وقوله عز وجل ثم اتينا
موسى الكتاب تماما ما اختلف فيه قال الحسن قوله تماما على الذى احسن اى من احسن صحبته تمت
نعمة وكرامته عليه فى الاخرة قيل تماما على الذى احسن يعنى على المحسنين وعلى المؤمنين وعلى بمعنى
للذى احسن وللذى امن ويجوز على فى موضع اللام كقوله وما ذبح على النصب اى للنصب وقتادة
قال ومن احسن فيما اتاه الله تمت عليه كرامة الله فى جنته ورضوانه ومن لم يحسن فيما اتاه الله
نزع الله ما فى يده ثم اتى الله ولا عذر له وقال ابو بكر الكسائى فى قوله ثم اتينا موسى الكتاب
تماما على الذى احسن اى اتيناكم من الحجج والبيان تماما من موسى وكتابه اى موسى وكتابه مصدق
وموافق لما اعطاكم كقوله افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب
موسى اماما ورحمة الاية ويحتمل تمام ما ذكرنا تماما بالنعمة والكرامة ويحتمل تماما بالحجة
والبيان وتماما بالحكمة والعلم وقوله عز وجل الذى احسن اى للذى احسن وفى حرف ابن
مسعود رضى الله عنهما تماما على الذى احسنوا وتفصيلا لكل شئ اى تبيانا لكل شئ وهدى من
الضلالات والشبهات ونعمة ورحمة من العذاب والعقاب لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون
هو على التحقيق وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال تماما على الذى احسن بقوله اتم له الكتاب
على احسنه على الذى بلغ من رسالته وتفصيل كل شئ بيان كل شئ وهدى اى تبيانا من الضلال
ورحمة اى نعمة لعلهم بلقاء ربهم اى بالبعث بعد الموت يؤمنون اى ليكونوا بالبعث ومنهم
من يقول فى قوله ثم اتينا موسى الكتاب انه وان اتى بحرف الترتيب فانه على الاخبار كانه قال
ثم كنا اتينا موسى الكتاب تماما معناه وقد اتيناه وقوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه يعنى القران انزلناه
مبارك قال ابو بكر الكسائى البركة هى التى من تمسك بها اوصله الى كل خير وعصمه من كل شر وهو
المبارك وقال الحسن هو المبارك لمن اخذه واتبعه وعمل به فهو مبارك له وسمى هذا القران مباركا
لما يبارك خير لمن اتبعه هو مبارك لمتبعيه والعامل به والا من لم يتبعه فليس هو المبارك له بل هو عليه
شدة ورجس كقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا
فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فهو ما ذكرنا مبارك
لمن اتبعه وتمسك به وسمى مجيدا ايضا وكريما لمن اتبعه يصير مجيدا كريما وكذلك سمى روحا وحيا لما يحيى
من اتبعه واصل البركة هو ان ينتفع بشئ على غير تبعة فهو البركة وعلى ذلك يخرج قول الناس بعضهم
لبعض بارك الله فى كذا الذى جعل لك فيه منافع لا تبعة عليك فعلى هذا يحتمل ان يكون القران مباركا

بكسر الراء لكن قيل مبارك لانتفاع الناس به والبركة يحتمل وجهين احدهما اسم لكل خير يكون ابدا على
النماء والزيادة والثانى اسم لكل منفعة عليه ولا مؤنة والله اعلم وقوله عز وجل فاتبعوه واتقوا
اى اتبعوا اثاره واتقوا نواهيه ومحارمه رحم وقوله عز وجل ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا قال اهل التاويل انزل الكتاب على الطائفتين اليهود والنصارى ومتى انزل الكتاب على اليهود
والنصارى انما انزل على المسلمين ولكن المعنى والله اعلم انما انزل الكتاب على طائفتين اى انما ظهر نزول
الكتاب التورية والانجيل عند الخلق بطائفتين من قبلنا سموا يهود ونصارى التورية والانجيل والا
لم يكن وقت نزول التورية يهود ونزول الانجيل نصارى ثم قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على
طائفتين موصلة قوله وهذا كتاب انزلناه لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ولم
ينزل علينا ويجوز ان معنى لن اى لن تقولوا انما انزل الكتاب كقوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اى لن
يؤتى احد مثل ما اوتيتم وقوله عز وجل ان كنا عن دراستهم لغافلين اى قد كنا عن دراستهم لغافلين
ويحتمل ان يكون عن دراستهم لانها دراسة الكتب لكن اضيف اليهم اى الى اولئك القوم وقوله عز وجل
او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب هو على ما ذكرنا تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
فقد جاءكم بينة من ربكم انزل الله عز وجل هو القران قطعا لحجاجهم وقطعا لعذرهم وان لم يكن لهم الحجاج
والعذر وعلى ذلك يخرج قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لا يكون لهم حجة على الله وان لم ينزل
الرسل والكتب ثم يحتمل عذرهم لا ان يقولوا انما انزل الكتاب بلسانهم لم ينزل بلساننا ونحن لا
نعرف لسانهم وكنا عن دراستهم لغافلين ولو كان لهم العذر الاحتجاج بهذا لكان للعجم الاحتجاج
بذلك لما جعل لهم سبيل الوصول الى معرفته فعلى ذلك لا عذر بالوجوب فى ترك اتباع ما فى الكتب التى انزلت
بغير لسانهم لما فى وسعهم الوصول الى معرفتها والتعلم منهم والاخذ عنهم وهذا يدل على ان يجوز التكليف
باشياء ليست معهم اسبابها بعد ان جعل لهم سبيلا للوصول الى تلك الاسباب والثانى من احتجاجهم
ان يقولوا ان اليهود والنصارى قد اختلفت وتفرقت تفرقا لا اجتماع بينهم ابدا فكيف نتبعهم فى
ذلك فيقال ان مذاهبهم وكتبهم انما تفرقت بهم وبقولهم فقد ارسل من الحجج والبيان ما يعرف به
الذى تفرق بهم فلا حجة لهم فى ذلك وهذا كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية
ليؤمنن بها وقد جاءتهم ايات فلم يؤمنوا فعلى ذلك قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا وقوله او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وفى الاية
دلالة على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب صار اهل الكتاب ثلاث طوائف وقد اخبر انه انما انزل
الكتاب على طائفتين وذلك محال فان قيل انما هذا حكاية من الله تعالى عن المشركين ومعناه والله اعلم
انى انزلت عليكم الكتاب لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا فلم يقولوا ذلك
ولكن الله قطع بانزاله الكتاب حجتهم التى علم انهم كانوا يحتجون بها لو لم ينزله وان لم يكن لهم فى
حجة ولا عذر وهو ما ذكرنا والله اعلم قوله عز وجل فقد جاءكم بينة من ربكم قيل القران وقيل محمد صلى
الله عليه وسلم وهدى اى هدى من الضلالة وكل شبهة ورحمة اى ذلك منه رحمة ونعمة فمن اظلم ممن
كذب بايات اى لا احد اظلم ممن كذب بايات الله قيل بايات الله حجج الله وقيل دين الله وقد ذكرنا
ان قوله فمن اظلم حرف استفهام فى الظاهر ولكن ذلك من الله على الايجاب كانه قال لا احد اوحش ظلما
ممن كذب بايات الله وصدف عنها وقوله عز وجل هل ينظرون الا كذا قال اهل التاويل ما ينظرون
وصل حرف هل هو حرف استفهام وتعجب لكن اهل التاويل قالوا ما ينظرون حملوا على الجواب لانه
لم يخرج له جواب فجوابه ما قالوا ما ينظرون كما فى قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد
اظلم ممن كذب هو جواب لان جوابه لم يخرج فجوابه ما قال ما ذكروا فعلى ذلك قوله هل ينظرون
هو استفهام ولم يخرج له الجواب فجوابه لا ينظرون الا كقوله ما يبصرون الا صيحة واحدة ثم قوله هل ينظرون
الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى ربك او ياتى بعض ايات ربك هذا والله اعلم يشبه ان يكون الاية
فى المعاندين منهم والمتمردين الذين همتهم العناد والتعنت خرج على اياس رسول الله صلى الله عليه
يشبه ان يكون الاية فى المعاندين عن اولئك الكفرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على
ايمانهم مشفقا على انفسهم حتى كادت نفسه تذهب حسرات عليهم حرصا على ايمانهم واشفاقا على انفسهم

كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكقوله لعلك باخع نفسك الاية ونحوه فآيسه الله تعالى عن الايمان
ورثنا الكفرة لئلا يطمع في ايمانهم واسلامهم بعد ذلك ولا يذهب نفسه حسرات عليهم ليتخذهم
اعداء ويبغضهم ويخرج الشفقة التي في قلبه لهم وليناهب لعداوتهم ويتبرأ منهم كما فعل ابراهيم
فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وكما قال لنوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون ايسه الله عن ايمان قومه الا من قد امن ونهاه ان يحزن عليهم وعلى فوت ايمانهم فعلى ذلك
هذا ايس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم ونهاه ان يحزن عليهم كقوله ولا تحزن عليهم الا الوقت
الذي ذكر انهم يؤمنون في ذلك الوقت وهو وقت نزول الملائكة وانباتهم باياتهم وهو قوله الا ان
تاتيهم الملائكة ثم قال بعضهم تاتيهم الملائكة بقبض الارواح مع اللعن والسخطة فعند ذلك يؤمنون
بالله وقال بعضهم قوله الا ان تاتيهم الملائكة يوم القيمة وهو كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ
للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقوله عز وجل او ياتي ربك على اضمار الامر كانه قال او ياتي امر ربك
على ما ذكر في سورة النحل او ياتي امر ربك ثم الامر فيه عذاب الله كقوله تعالى فلما جاء امرنا يعني
عذابنا فعلى ذلك في هذا امر الله عذاب الله والاصل فيما اضيف الى الله في موضع الوعيد لا يراد به
الذات ولكن يراد به نقمة وعذابه وعقوبته كقوله ويحذركم الله نفسه لا يريد به ولكن يريد نقمته
وعذابه كقوله من كان يرجو لقاء الله لا يريد به لقاء ذاته وكذلك قوله والى الله المصير والى الله
ترجع الامور وغيرها من الايات لا يراد به عذابه ونقمة او نقول ان كل شيء يراد به تعظيمه يضاف
الى الله يراد به تعظيم ذلك اليوم او تعظيم عذابه او نقمته وقوله عز وجل او ياتي بعض ايات ربك يحتمل
بعض اياته ما قال عز وجل فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكقوله فلما راوه عارضا مستقبل
اوديتهم الاية كقوله سأل سائل بعذاب واقع ونحوه من الايات يؤمنون عند معاينتهم العذاب
ولا ينفعهم الايمان ويحتمل ما قالوا اهل التاويل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال وخروج
الدابة وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلث اذا خرجن لم ينفع نفسا ايمانها
لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم
وامر العامة وخويصة احدكم الموت وامر العامة الساعة اذا قامت وعن ابن مسعود رضي الله
عنهما قال التوبة معروضة حتى تطلع الشمس من مغربها ثم قال ثم هابات عليكم بما و الاخر و نحوه
من الاخبار فان ثبت هذه الاخبار فهي المعتمد وعن عايشة رضي الله عنها قالت اذا خرج اول الايات
طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وقوله عز وجل لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن امنت من قبل اخبر ان الايمان لا ينفع في ذلك الوقت لانه ليس بايمان في الحقيقة انما ايمان
دفع العذاب والباس عن انفسهم لقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وقوله ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اخبر انهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا الى تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله قد ثبت
ان ايمانهم في ذلك الوقت ايمان دفع العذاب والباس وايمان خوف وهو كايمان فرعون حيث قال حتى اذا
ادركه الغرق امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين لم ينفعه ايمان في ذلك لانه ايمان
دفع العذاب الحلول عن نفسه لا ايمان حقيقة باختيار والثاني انه في ذلك الوقت وقت نزول العذاب
ولا يقدر ان يستدل بالشاهد على الغائب فيكون قوله قولا عن معرفة وعلم بقوله بلسانه لا عن معرفة في
قلبه في ذلك الوقت لما ذكرنا وهو كقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الان لانه ايمان دفع الباس او يبالغ بالاجتهاد حتى يكون ايمانه ايمانا باحتيال لذلك كان ما ذكرنا وان
يكون في طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ودابة الارض وما ذكرنا من البلاء والشدة والعذاب
ما يضطرهم الى الايمان فيكون ايمانهم ايمان اضطرار لا اختيار ويشبه ان يكون التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تقبل التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج الدجال ودابة الارض اي لا يتابون على طاعاتهم والا
فمن البعيد ان يدعوا الى الايمان والطاعات ثم اذا اتوا بها لم تقبل منهم لكنه يحتمل ما ذكرنا ان لا يثابون على
ذلك ولا يعاقبون بما كان منهم الكفر وكفران النعم لا من جهة وجوب الثواب افضال واحسان وفي الحكمة تركه
الافضال بالثواب في الطاعات اذا كان من الله عز وجل من النعم ما يكون ذلك شكرا له والعقاب على الكفر مما

مما يوجبه الحكمة لذلك كان ما ذكرنا ولهذا يخرج قول ابي حنيفة رضي الله عنه حيث قال لا ثواب للجن على طاعاتهم
لان طريق وجوبه الافضال ولم يذكر ذلك ويعاقبون بما كان منهم من الكفران والاجرام لما ذكرنا من المعنى الذي
وصفنا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل لا ينفع نفسا عند معاينة العذاب والباس والايات اذا لم تكن امنت
من قبل وقوله عز وجل او كسبت في ايمانها خيرا اي لا ينفع ذا الايمان اذا عمل خيرا ولم تكن امنت لا ينفعه ذلك
ولم ينفعه ايمانه عند معاينة العذاب والايات اذا لم تكن كسبت قبل ذلك خيرا قيل قوله لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل وكسبت في ايمانها خيرا اي لا ينفع نفسا ايمانها اذا لم يعزم ان لا يرتد ولا يرجع
عنه ابدا وقيل لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل اي لا ينفع ايمانها او كسبت في تصديقها التعظيم
لله والاجلال فعند ذلك تنفع صاحبه لانه لا كل تصديق يكون فيه التعظيم له والاجلال اذا لم يكن
منه التعظيم له وقيل او كسبت في ايمانها خيرا اي لم تكن عملت في تصديقها قبل معاينة الايات وقوله
عز وجل قل انتظروا انا منتظرون هو يخرج على الوعيد اي انتظروا احدى هذه الثلثة التي ذكرنا فانا
منتظرون وهو كقوله قل تربصوا فاني معكم من المتربصين وانتظروا العذاب فانا منتظرون بكم
ذلك وقوله عز وجل ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا عن عايشة وابي هريرة رضي الله عنهما قال اهل
بكم في الكفر وقال الاخر في اهل الضلوة وقيل هم الحرورية وقيل هم اليهودية والنصارى ويحتمل لا ندري
من هم وليس بنا الى معرفة من كان حاجة ثم يحتمل وجوها انه يحتمل فارقوا دينهم حقيقة لان جميع
اهل الاديان عند انفسهم انهم يدينون بدين الله لا احد يقول انه يدين بدين غير الله الا ترى انهم قالوا
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فهم وان كانوا عند انفسهم يدينون
بدين الله فهم في الحقيقة فارقوا دينهم ولبسوا على دين الله ويحتمل قوله فارقوا دينهم الذي
كانوا به في عهد الانبياء والرسل بدين الله ففارقوا ذلك الدين والله اعلم كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكقوله اكفرتم بعد ايمانكم الاية كانوا مؤمنين به وكانوا شيعا اي صاروا
فرقا واحزابا وقوله عز وجل لست منهم في شيء ومن الناس من صرف تاويله لست منهم اي لست في قتالهم
في شيء كانه نهاه عن قتالهم في وقت ثم اذن له بعد ذلك ثم نسخت اية السيف وهذا بعيد ويحتمل لست
منهم في شيء اي لست من دينهم في شيء لان دينهم كان تقليدا لابائهم ودينك دين بالحجج والبراهين ولست
منهم اي من دينهم في شيء ويحتمل لست منهم في شيء اي لا تسأل انت عن دينهم ولا تعاقب على ذلك كقوله
ما عليك من حسابهم من شيء الاية ويخرج على اياس اولئك الكفرة عن عود رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى دينهم كقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم الاية وقوله عز وجل انما امرهم الى الله يحتمل اي الحكم
فيهم الى الله ليس اليك هو الذي يحكم فيهم او ان يكون امرهم الى الله في القتال حتى ياذن لك بالقتال
ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون هو وعيد وقوله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها ليس في قوله فلا يجزى الا مثلها ايجاب الجزاء في السيئة وفي قوله فله عشر امثالها
ايجاب الجزاء لانه قال فله كذا فيه ايجاب الجزاء وانما ايجاب الجزاء في السيئة بقوله من يعمل سوءا يجز به وغيره
من الايات وقد ذكرنا ان ايجاب الجزاء والثواب في الحسنات والخيرات افضال واحسان لانه قد سبق
من الله تعالى الى كل احد من النعم ما يكون منه تلك الخيرات جزاء لما انعم عليه وشكرا له ولا جزاء للمجازى الا من
جهة الافضال والاكرام واما جزاء السيئة فهما يوجبه الحكمة لما خرج الفعل منه مخرج الكفران لما انعم عليه
فيستوجب بالكفران العقوبة والجزاء على ذلك والثاني انه خرج الفعل منه في الخيرات والحسنات على
موافقة خلقته وصورته وتقديره وتسويته على ما خلقها الله والسيئات هادئها فلم يخرج الفعل به على
خلاف ما هو بني عليه فلم يستوجب به الجزاء واما السيئات فهي اخراجها على خلاف خلقتها وتقويمها
وصرفها الى غير الوجه الذي كانت خلقتها تقويمها فاستوجب بذلك العقوبة والجزاء عليها لقوله وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ليس على التحديد حتى
لا يزاد عليه ولا ينقص منه انما خرج والله اعلم على التعظيم لذلك والاجلال لا الخبر في النفقة التي تنفق
في سبيل الله انها تزداد وتنمو الى سبع مائة ولا يجوز ان يكون له في الحسنة التي جاء بها في التوحيد يبلغ الى
ما ذكروا اذا جاء بنفس ذلك التوحيد لا يبلغ ذلك او يقصر عن ذلك ولكنها والله اعلم على التعظيم له او
على التمثيل كقوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض ذكر هنا لما لا شيء عند الخلق اوسع منهما وكقوله

تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض ومثله هو على التمثيل خرج لعظيم ما قالوا في الله ليس
على انها تنشق او تنفطر فعل ذلك الاول انه يخرج لما ذكرنا على التهديد له والوقت ثم قوله
من جاء بالحسنة فله كذا ذكر مجئ الحسنة ومجئ السيئة ولم يقل من عمل بالحسنة فله كذا ومن عمل بالسيئة
ليعلم ان النظر الى ما ختم به وقبض عليه فكانه قال من ختم بالحسنة وقبض عليها فله كذا لانه فيه
يعمل بالحسنة ثم يفسدها وينقضها بارتكاب ما ينقضه ويفسده من الشرك وغيره وعلى
ما روي الاعمال بالخواتم ثم اختلف في قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قال بعضهم من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها بعد التوحيد فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة بعد التوحيد فلا يجزى
الا مثلها وقال بعض اهل التاويل من جاء بالحسنة يعني بالتوحيد فله عشر امثالها لكنه على
التوحيد لما ذكرنا ولكن على التعظيم له والقدر عند الله وعلى التمثيل ومن جاء بالسيئة فلا
يجزى الا مثلها لكن التخليد في النار مثل الشرك لان الشرك اعظم السيئات وفي الاية دلالة
ان المثل قد يكون من غير نوعه حيث اوجب في الحسنة من الثواب عشر امثالها ومن السيئة مثلها
وليس واحد مثلها من نوع الاصل والعمل الذي يثاب عليه وقيل من جاء بالحسنة في الاخرة بالتوحيد
فله عشر امثالها في الاضعاف ومن جاء بالسيئة في الاخرة يعني الشرك فلا يجزى الا مثلها في
العظم لجزاء الشرك النار لان الشرك اعظم الذنوب والنار اعظم العقوبة وذلك كقوله جزاء
وفاقا اي وفاقا للعمل وقوله عز وجل وهم لا يظلمون جميعا لا يزاد على المثل ولا ينقص مما ذكر
وقوله عز وجل قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم قال ابو بكر الكيساني قوله هداني اي دلني
ربي الى صراط مستقيم لكن هذا بعيد لانه خرج مخرج ذكر ما من عليه بلطفه وليس في الدلالة
والبيان ذلك انما عليه البيان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على الهدى ويبين لهم
طريقه ثم اخبر انه لا يهدي من احب بقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
دل ان ذلك اكرام من الله تعالى بالهداية والتوفيق له والعصمة بلطفه لا الدلالة والبيان وكذلك قوله
تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان الاية فلو كان
على الدلالة والبيان لكان منه ذلك ثم ان المنة عليهم لله تعالى لا لرسوله دل انه لما ذكرنا من الهداية
نفسها لا الدلالة وقوله عز وجل دينا قيما قيل قائما مستقيما لا عوج فيه كقوله ولم يجعل له عوجا
قيما والعوج هو الذي فيه الافة فاخبر ان لا افة فيه ولا عوج وقوله عز وجل ملة ابرهيم ان اهل
الاديان جميعا يدعون ان الذي هم عليه هو دين ابرهيم فاخبر ان دين ابرهيم هو الذي عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا هم وقوله عز وجل حنيفا قيل مسلما والحنف هو الميل وهو الحنيف اي مائل
الى دين الله اخبر انه يدعوا الى دين الله تعالى والى الدين الذي كان عليه ابائه واحداعني به الانبياء
والرسل عليهم الصلوة والسلام وما كان من المشركين براه عز وجل من الشرك وقيل كان حنيفا
خالصا لله مخلصا لم يشرك احدا في ربوبيته ولا في عبادته على ما فعل اولئك الكفرة وفي حرف
ابن مسعود رضي الله عنه وحفصة دينا قيما فطرتكم التي فطرتم عليها ملة ابرهيم حنيفا ويقرا قيما
بالتشديد وقيما بالتخفيف لا يخرج قوله انني هداني ربي الى صراط مستقيما على الشكر له والحمد على ما انعم
عليه وافضل لديه من الكرام له بالهداية بالطريق المستقيم يعني القائم بالحق والبرهان وكذلك قوله
دينا قيما بالحجج والبراهين ودين اولئك دين يهوى انفسهم ولذلك قال حنيفا وقوله قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم وقوله عز وجل قل ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين وقوله
عز وجل قل اغير الله ابغي ربا خاطب الله بهذه الايات رسوله صلى الله عليه وسلم والمراد به الخلق كله
فن بل عقل ما كان يحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من السؤال والدعاء فله الله تعالى يقره ويذكر ما في هذه
الايات ولو كان المراد بالخطاب بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لكان لا يقول له ولكن يقول
له افعل كذا ولا تفعل كذا وعلى ذلك الخطاب في الشاهد في خطاب بعض بعضا انه يقولوا انا قد انه
على ما ذكرنا وكذلك قوله قل الله احد من استوصف صفات الله فقيه ان يصف له ما في سورة الاخلاص
او رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الملا حين سواء في ذلك الخطاب ثم قوله قل انني هداني
لانه ذكر منته بما هداه والاستهداء الى شكرها ... وفي قوله قل ان صلوتي ونسكي الامر باخلاص العبادة

لله عز وجل والسلام والنفس له في جميع احواله محياه ومماته وفي قوله قل اغير الله ابغي ربا فيه الدعاء
الى وحدانية الله وربوبيته ثم في قوله قل انني هداني ذكر دلالة رد قول من يستثني في ايمانه
لانه امره ان يقول انني هداني ربي الى صراط مستقيم من غير ان امره بالثنيا فمن استثنى فيه لا
استثناؤه من احد معنيين اما ان يكون لشك فيه او لكتمان ما انعم الله عليه فعلى كل ما انعم الله عليه
ان يظهره ذلك وان يشكره عليه دل على ما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك وقوله قل ان صلوتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين يخرج على وجهين احدهما يخرج على الامر بالدعاء لنفسه لانه
قال قل اجعل صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين والثاني على المنابذة مع اولئك الكفرة
والفجرة يقول انا اجعل صلوتي وعبادتي ومحياي ومماتي لا اجعل لغيره شركا كما جعلتم انتم لغيره
شركا في عبادته وصلوته ونسكه والله اعلم ثم اختلف في قوله صلوتي قال بعضهم الصلوة المعروفة
وقال بعضهم الصلوة الخضوع والثناء يقول ان خضوعي وثنائي لله والصلوة هي الثناء في اللغة
وقوله ونسكي اختلف فيه قال الحسن نسكي ديني كقوله لكل امة جعلنا منسكا اي دينا وقيل نسكي
ذبحي لله في الحج والعمرة وغيره وقيل نسكي عبادتي او النسك اسم كل عبادة وعلى ذلك قوله يسمى
كل عبادة عابد ناسكا وقوله عز وجل ومحياي ومماتي لله رب العالمين اي انا حي وميت لله لا لاحد
احدا في عبادتي ونفسي بل كله لله لا شريك في ذلك ويحتمل ان يكون هذا على التقديم والتاخير كانه قال قل
اني امرت ان اجعل صلوتي ونسكي لله او اني امرت ان ادعوا واسال الله ان يجعل صلوتي ونسكي وعبادتي
لا اشرك غيره فيه وقوله عز وجل وانا اول المسلمين اي وانا اول من خضع واسلم بالذي امرت ان ابلغ
لانه امر بتبليغ ما انزل اليه فيقول انا اول من اسلم بالذي امرت بالتبليغ ويحتمل ان يكون لا على توقيت
الاسلام ولكن على سرعة الاجابة والطاعة له كقوله وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها هو على
نهاية العظم ليس على ان بعضها اكبر واعظم وبعضها اصغر ولكن كلها اعظم واكبر فعلى ذلك هذا ليس
على وقت الاسلام ولكن لسرعة الاجابة والطاعة له والله اعلم الاسلام هو جعل النفس وكليته الاشياء
سالمة اي انا اول من جعل نفسه للرسالة وقوله عز وجل قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شئ
يحتمل هذا وجهين يحتمل اغير الله ابغي ربا سواه وقوله عز وجل ولا تكسب كل نفس الا عليها يحتمل وجهين
يحتمل لا تكسب كل نفس من سوء الا عليها اي لا يحمل ذلك عنه غيره في الاخرة وكذلك قوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى وكقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ويحتمل ان يكون قوله ولا تكسب كل
نفس الا عليها اي لا تكسب كل نفس لو تركت وما تختار الا عليها لكن الله بفضله يمنع بعضها وما
تختار على نفسها كقول يوسف عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اخبر انها
كاسبة السوء الا ما اعصمها ربي وجائز ان يكون على الاضمار كانه يقول ولا تكسب كل نفس الا عليها
ولها ومثله جائز في القران كقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وهو نذير لقوم وبشير لقوم اخرين نذير
في حال وبشير في حال وقوله عز وجل ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون هو على الوعيد وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كبر للصلوة اتبع التكبير بهذه الاية ان صلوتي ونسكي الى اخره وعن علي
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلوة كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلوتي ونسكي الى قوله من المسلمين وذكر انه كان يدعو
بعد ذلك دعاء طويلا وروي عن عايشة رضي الله عنها وابي سعيد الخدري رضي الله عنه انهما قالا كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلوة رفع يديه حذاء منكبيه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك فكان ابو حنيفة رحمه الله يختار من ذلك هذا في الفرائض وكذا روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قام الى الصلوة فكبر ثم قال الى الصلوة فكبر ثم قال سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وكان ابو يوسف يستحب ان يقول بهذه الكلمات التي
رواها عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه من غير ايجاب لذلك ولا اخطر لما سواه وكان ابو حنيفة رحمه الله
لا يستحب ان يزيد في الفرائض على ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما روت عايشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روي عن عمر وعبد الله رضي الله
عنهم واما في النوافل فله ان يزيد ما شاء منها من الثناء والدعوات فيحتمل ان يكون ما روي على بن

لى طالب رضي الله عنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك فى النوافل وقوله عز وجل وهو
الذى جعلكم خلائف الارض اختلف فيه قال بعضهم جعلكم خلائف الارض يعنى اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم جعلهم خلائف من تقدمهم من المكذبين والمصدقين ليعلموا ما احل بالمكذبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحذروا التكذيب والخلاف له ويرغبوا فى تصديقه والموافقة له
والطاعة ليكون لهم بمن تقدمهم قدوة وعبرة ليعرفوا صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كيف
يصحبوه ويعاملوه من الاحسان اليه والتعظيم له والتصديق ويجتنبوا الاساءة اليه والتكذيب وقال
بعضهم قوله جعلكم خلائف الارض يعنى البشر كلهم جعل بعضهم خلائف بعض فى الوجود فى الاحوال
فى الحيوة والموت والغناء والفقر والصحة والسقم وفى العز والذل وفى كل شئ وفى الصغر والكبر ليكون
لهم فى ذلك عبرا ودليلا على معرفة منشئهم وخالقهم لانه لو انشاءهم جميعا معا لم يعرفوا احوال انفسهم
والتغير من حال الى حال ولكن انشاءهم واحدا بعد واحد وقرنا بعد قرن ليعرفوا احوال انفسهم وانتقالهم من حال
الى حال ليعرفوا ان منشئهم واحد لانهم لو كانوا جميعا معا لم يعرفوا ابتداء احوالهم من حال نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة ثم من حال الصغر الى حال الكبر وكذلك هذا فى جميع الاحوال من الغناء والفقر والصحة
والسقم ولو كان كله على حالة واحدة لم يعرفوا ذلك لكن جعل بعضهم خلائف بعض ليدلهم على ما ذكرنا
ويحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنه انهم صاروا اخلاف الجان فالاول يكون فى باب صحبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحسن المعاملة معه والثانى فى بيان وحدانية الرب وقوله عز وجل ورفع بعضكم
فوق بعض درجات يحتمل هذا فى الاحوال ويحتمل فى الخلقة جعل لبعض فضائل درجات على بعض
وجعل بعضا فوق بعض بدرجات فى الدنيا ليكتسبوا لانفسهم فى الاخرة الدرجات والفضائل
على ما رغبوا فى الدنيا فى فضائل الخلقة ودرجات بعض فوق بعض ونفروا فى الدون من ذلك
ليرغبهم ذلك فى اكتساب الدرجات فى الاخرة وينفرهم عن اكتساب ما ينفرون عنه فى الدنيا وقوله
عز وجل ليبلوكم فيما اتاكم يحتمل ليبلوكم فيما اتاكم من الاحوال المختلفة من الفقر والغناء والسقم والصحة
والصغر والكبر وغير ذلك من الاحوال ويحتمل فيما اتاكم من النعم اى ليبلوكم بالشكر على ما اتاكم من النعم
وقوله عز وجل ان ربك سريع العقاب قال بعضهم هو اخبار عن سرعة اتيان العذاب لان كل ات قريب كانه
قد جاء وكقوله اتى امر الله واقترب للناس حسابهم واقتربت الساعة ونحوه انه اذا كان اتى لا محالة فكانه
حين كان قد جاء وقال بعضهم ذلك انباء عن شدة عذابه لمن عصاه وقوله عز وجل ورفع بعضكم فوق
بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم قيل يبتلى الموسر فى حال الغناء والصحيح فى حال صحته ويبتلى الفقير فى
حال فقره والمريض فى حال مرضه والابتلاء من الله تعالى على وجهين اما امرا بالشكر على ما انعم او صبرا
على ما ابتلاه بالشدائد والابتلاء منه هو ما بين السبيلين جميعا سبيل الحق وسبيل الباطل وبين ان
كل سبيل الى ماذا افضاه لو سلكه لو سلك سبيل الحق افضاه الى النعم الباقية والسرور الدائم وان
سلك سبيل الباطل افضاه الى عذاب شديد وحزن دائم ثم خير بين هذين فهو معنى الابتلاء وقوله
عز وجل وانه لغفور رحيم للمؤمنين وقد ذكرنا والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم بخلقه اللطيف لرشد عباده ضرب لهم الايات والبيان لينقذهم بحكمته وتدبيره من الجهالة الى
العلم من الضلالة الى الهدى ووصى به رسوله ان يدعو عباده الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وبعث
محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وانزل اليه الكتاب تلا فيه ما فى الكتب الاولى ليبين لاهل الكتاب
والمشركين ان النبى الامى العربى لم يعلم فى الكتب الاعجمية الا من عند الله ليكون ذلك اوضح لهم فى الحجة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة معروفا عند الفريقين انه لم يقرأ كتابا ولا خطه بيمينه ولا
كان عندهم من شعرائهم ولا المعروف بانسابهم وعلم انبائهم وذلك ابلغ فى البرهان فانبائه فيه علم الغيب
وفرض الفرائض وحكم فيه الاحكام وانزل فيه الحجج بتاليف يعجز عنه من دون الله ليبين لهم انه من عند الله
فانف قومه وابوا ان يستمعوه واستكبروا عليه وقالوا لولا نزل هذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون
فانا هو العليم الخبير من قبل انفسهم وكبرهم فانزل فى الكتاب كلاما ما افتتح به السورة لم يكن من كلام قومه
فلما سمعوا ظنوا انه بديع ابتدع لعدكما تداعيهم الملاعات والاوابد وانفوا ان يكون محمدا ليقدر على ذلك

على ما يقدر حتى تدبروا الكتاب ليعلموا ما بعده من الكلام فسمعوا كلاما مجيدا حكيما ونبأ عظيما وحججا
وسواطع شافية فدخل اكثرهم فى الاسلام وقعد عنه رجلان معاند متعمد وجاحد مقلد لا ينظر وفيما انزل
ما وصف قوله كهيعص وطسم والمص والمر وما اشبهها فقال المص ليتعطف بها على النظر فيما بعدها ثم ابتداء
فقال كتاب انزل اليك يقول كتاب من ربك لتنذر به عباده فلا يكن فى صدرك حرج منه يقول فلا يضيقن
صدرك عن الذى فرض الله عليك فيه من البلاغ الى قومك وبما فرض عليك من البراءة منهم ومما يعبدون
من دون الله فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف مما خافت الرسل من بين يديه فقال موسى فاخاف ان
وقد كان يعرف قومه بالتسرع الى القتل فيما ليس مثل ما يأتيهم به فامنه الله منهم بقوله والله يعصمك من الناس
وقال فى اخر هذه السورة ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون يفهمونها عن الله تعالى فانها من اعظم
ايات الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اعلمه انهم لا يصلون الى ما يخاف منهم وفى الاثر ان الله تعالى لما
ارسله الى قومه فقال اى رب اذا يشدخوا راسى فيذروه مثل خبزة فامنه الله تعالى من ذلك فقال فلا
يكون فى صدرك حرج من البلاغ فلا يضيقن صدرك عما فرض الله عليك من العبادة والحكم الذى تخالف فيه
قومك ثم وصف الكتاب فقال وذكرى للمؤمنين يقول يتذكرون بما فيه ويتدبرونه فيعلمون به الحق من
الباطل ويذكرون به ما فرض عليهم ويحتمل ان تكون هذه الحروف المقطعة خطابا خاطب الله بها رسله يفهمونها
لا يفهمها غيرهم على ما يكون للملوك الارض بينهم وبين خواصهم اشارات يفهمها خواصهم ولا يفهمها غيرهم
هذا متعارف فيما بين الخلق ان يكون لهم فيما بينهم وبين خواصهم ما ذكرنا فعلى ذلك يحتمل ان يكون هذه
الحروف المقطعة خطابات من الله خاطب بها رسله وهم خواصه يفهمونها ولا يفهمها غيرهم ثم وجه
فهمهم يكون لوجهين يخبرهم فيقول انى اذا انزلت اليكم كذا فمرادى من ذلك كذا وكان البيان والمراد
منها مقرونا بها وقت انزالها فهموا المراد منها بما افهمهم الله واراهم ما لم يرد ذلك غيرهم كقوله انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ارى رسله شيئا لم ير ذلك غيرهم ولا الملهم على
ذلك فهم من المتشابه على غيرهم واما على الرسل فليس من المتشابه وقال الفراء ويحتمل ان يكون هذه الحروف
المقطعة المتفرقة التى انزلها من ا ب ت ث الى اخرها كانه قال انى جمعت هذه الحروف المتفرقة فجعلتها
كتابا فانزلتها من نحو المص والم الله والمر ذلك الكتاب والم ونحوه والله اعلم بما اراد به ذلك وقد ذكرنا
هذا فى صدر الكتاب مقدار ما حفظنا وفهمنا من افاديد اهل العلم فى ذلك وقوله عز وجل فلا يكن فى
صدرك حرج منه قيل الحرج هو الضيق فى الصدر ثم يحتمل ضيق الصدر وجوها يحتمل ضيق الصدر بما
يحمل عليه فى ذلك من الشدائد والخطرات بتبليغه الى الكفرة الذين نشأوا على الكفر والشرك و
خاصة الفراعنة والملوك الذين همتهم القتل والاهلاك لمن استقبلهم بالخلاف وان يوسوس
فى صدوره الشيطان انه ليس من عند الله او ان يقول له انه من اساطير الاولين على ما قال اولئك
الكفرة ما هذا الا اساطير الاولين ثم يحتمل قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه على النهى اى لا يكون فى
صدرك منه حرج اى لا يضيقن صدرك مما حمل عليك وقال بعضهم فلا يكن فى صدرك حرج اى
شك انه من عند الله نزل وقد ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهى لانه بالنهى ما يكون عصمة ويحتمل ليس
على النهى ولكن على ان لا تحمل على نفسك ما فيه هلاكك كقوله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما
يمكرون كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ليس على النهى ولكن على ان لا يحمل على نفسك ما
فيه هلاك كان فعل ذلك والله اعلم ثم ان الله عز وجل امنه عما كان يخاف من اولئك بقوله والله
يعصمك من الناس وامنه من وساوس الشيطان على ما روى فى الخبر انه قيل الك شيطان فقال كان
ولكن اعانت عليه فاسلم امن عز وجل رسوله عن ذلك كله لما ذكرنا وقوله عز وجل لتنذر به يحتمل
انه امره ان ينذر به الكفرة ويبشر به المؤمنين كقوله لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين فعلى
ذلك قوله ولتنذر به الكفرة وذكرى للمؤمنين اى بشرى على ما ذكرنا ويكون فى الانذار بشرى
لانه اذا انذر فقبل الانذار فهو له بشرى ويحتمل قوله لتنذر به اى الكل والموافق والمخالف
جميعا كقوله نذيرا للعالمين وذكرى للمؤمنين اى الذى ينتفع به المؤمنون وقوله عز وجل اتبعوا
الاية لا تتبعوا اولياء فى التحليل والتحريم وفى الامر والنهى لانه ليس الى الخلق التحليل والتحريم
وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امر المؤمنين ان يتبعوا ما انزل اليهم من ربهم على ما امر

رسوله ان يتبع ما انزل اليه من ربه كقوله اتبع ما اوحي اليك من ربك ليعلم ان ما انزل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو منزل الى المؤمنين وقوله عز وجل اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فيما ذكر وما يحل
وما يحرم وما يؤمر وينهى ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون اي لا تتبعوا من دونه اولياء فيما
يحلون ويحرمون ويامرون وينهون اي انما عليهم اتباع ما حرم عليهم واستحلال ما احل لهم وانما انشأ
التحليل والتحريم فلا وقال بعض اهل التأويل اولياء الاصنام والاوثان ولكن لا يحتمل ههنا ولكن
ما ذكرنا انهم كانوا يتبعون عظماءهم في التحريم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
وكانوا لا يتخذون اولئك الاحبار اربابا في الحقيقة ولكن كانوا يتبعونهم فيما يحلون ويحرمون ويصدقون
انهم فسموا بذلك لشدة اتباعهم اولئك في التحليل والتحريم والله اعلم وقوله عز وجل قليلا
ما تذكرون قال اهل التأويل يعني بالقليل المؤمنين ولكن يحتمل قوله قليلا ما تذكرون اي لا تذكرون
راسا لان الخطاب يجري فيه لاولئك الكفرة وفيهم نزلت الاية وقوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها
قال اهل التأويل كان يخوف اهل مكة بتكذيبهم الرسول باهلاكه الامم الخالية بتكذيبهم الرسل
بقوله وكم من قرية اهلكناها بتكذيبهم الرسل فانتم يا اهل مكة تهلكون بتكذيبهم الرسول
وان كانوا لا يعرفون هم اهلاك الامم الماضية انه انما اهلكوا بتكذيبهم الرسل غير انهم وان
كانوا لا يعرفونهم ذلك بانفسهم لما ليس عندهم كتاب لكن يصلون الى علم ذلك بمن عندهم الكتب
وهم اهل الكتاب فيلزمهم الحجة كما لزمهم وان كانوا لا يعرفون الكتاب الذي بلسان العرب فان الحجة تلزمهم
بذلك لما كان لهم سبيل الوصول الى علم ذلك بالعرب فعلى ذلك هؤلاء وان لم يكن عندهم علم باهلاك
اولئك فتلزمهم الحجة باعلام اهل الكتاب اياهم وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اخبر عن اهلاك الامم الخالية بتكذيبهم الرسل وهو لم ينظر في كتبهم ولا اختلف اليهم
ليعلم عن ذلك ثم اخبرهم بذلك فدل انه انما عرف ذلك بالله عز وجل وقوله عز وجل فجاءها
باسنا بياتا او هم قائلون قال ابو بكر الكيساني الباس هو كل امر معضل شديد من المرض والجوع
وغيره ويقول روي عمر انه لما طعن له قيل له لا باس عليك فقال ان كان في القتل باس فيه بذلك
واما غيره من اهل التأويل فقالوا الباس العذاب وباسنا عذابنا وقوله عز وجل بياتا او هم قائلون
البيات بالليل والقيلولة بالنهار عند الظهيرة وهما وقتا الغفلة او وقتا الامن اخبر انه انما
ياتيهم عذابه في حال الغفلة او في حال الامن لئلا يكونوا غافلين امره ولا يكونوا امنين عذابه وقوله
عز وجل فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا اي ما كان دعواهم قبل نزول العذاب الا انهم قالوا نحن
على الحق وان غيرهم على الباطل فاذا جاءهم باسنا اعترفوا بظلمهم كقوله الا ان قالوا انا كنا ظالمين
وقال بعضهم فما كان دعواهم حين نزول العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين وقوله عز وجل فلنسألن
الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين يذكر في هذه الاية انه يسأل لهم جميعا الرسل والمرسل عليهم
وقال في اية اخرى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولكن
قوله لا يسأل عن ذنبه اي لا يسأل عما يفعل وعن نفس ما ارتكب كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا
بالله وحده الاية لم اذنبت وما فعلت ولكن يسأل لماذا فعلت يسأل عن الحجة لم اذنبت ولم فعلت
ذا او ان يسأل في وقت اخر وقال بعضهم لا يسأل عن ذنبه غيره وانما يسأل صاحبه وفاعله يخبر والله اعلم
ان امر الاخرة على خلاف امر الدنيا لان في الدنيا قد يؤاخذ غيره بذنب اخر ربما ويسأل الاقصى وقريبه
واما في الاخرة فانه لا يؤاخذ غيره بذنب اخر كذلك كان ما ذكرنا او ان يكون قوله لا يسأل عما اظهر
ما ابدى ولكن يسأل عما اسر واخفى لان الملائكة قد يكتبون ما ابدوه واظهروه كقوله ما يلفظ من
قول الا لديه رقيب عتيد فيقع السؤال عما اسروا على التقرير ولا يسأل بعد ذلك وقوله فلنسألن
الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين قال بعض اهل التأويل يسأل الرسل عن تبليغ الرسالة الى
الامم ويسأل قومهم هل بلغ الرسل اليهم الرسالة ويكون سؤالهم الرسل سؤال شهادة كقوله
لتكونوا شهداء على الناس الاية انه قد بلغ الرسالة وقال بعضهم يسأل الملائكة عن تبليغ الرسالة
الى الانبياء ويسأل الانبياء عليهم السلام عن تبليغ الملائكة اليهم ويحتمل ان يكون السؤال الرسل
عما اجيبوا وكان سؤال الامم عما اجابوا الرسل كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وكقوله

ويوم

ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين او ان يكون سؤال القوم سؤال تقرير عندهم واقرار
لما كانوا ينكرون التبليغ اليهم كقوله واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله هذا السؤال سؤال تقرير وتعيير لا غير لانه كان يعلم انه لم يكن قال
لهم ذلك لكن يسأل لهم سؤال تقرير ليقروا بذلك ولا يقولوا هو قال لهم ذلك لانهم قالوا [illegible]
هو الذي قال لهم ذلك فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين عن عملهم
وصنيعهم ولكن يسألون لما ذكرنا والله اعلم ليشبه ان يكون فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين
ذكر هذا لما يحتمل ان يظن به الخفاء عليه لما ذكر من المسألة لهم والسؤال وهو الاستخبار عما يستبهم
ويغيم ليظهر ذلك هذا معنى السؤال في الشاهد الاستخبار فاخبر عز وجل بقوله فلنقصن عليهم
بعلم على ان سؤاله ليس بسؤال استخبار واستظهار له ولكن سؤال توبيخ وتقرير وسؤال شهادة
وعلى هذا يخرج الابتلاء منه والامتحان لتقرير الامر والنهي لا لاظهار شيء خفي عليه ان كان في الشاهد
يكون لذلك او ان يصير ما قد خفي عليهم باديا ظاهرا عندهم فسمي ذلك الامر منه والنهي ابتلاء وامتحانا
لما عند الخلق ابتلاء وامتحان وان كان عند الله لا يحتمل ذلك فسمي بالذي فيما بينهم والله اعلم وقوله
عز وجل والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك
كذا قال الحسن يكون ميزانا له كفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات فمن ثقلت موازينه دخل الجنة
ومن خفت موازينه دخل النار وقال غيره من اهل التأويل يريد بالموازين الحسنات والسيئات
نفسها فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار الى هذا
ذهب اكثر اهل التأويل ويحتمل ما قالوا اما قول الحسن ميزان له كفتان يوزن فيه الحسنات و
السيئات لا يحتمل لانه قال فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون اذا ثقل احدى الكفتين خفت
الاخرى واذا خفت احداهما ثقلت الاخرى فكل واحد منهما فمن ثقل موازينه ويخف وقد اخبر
في الاية ان من ثقلت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم ولا يحتمل ايضا ما قال غيره من
اهل التأويل انه اراد بالموازين الحسنات والسيئات لان الاية في المؤمنين والكافرين فلا سيئة
ترجح في المؤمن مع ايمانه ولا حسنة ترجح في الكافر مع شركه الا ان يقال ان يوزن حسناته ويقابل
سيئاته دون ايمانه وكذلك الكافر يقابل سيئاته بحسناته دون الشرك تذهب حسناتهم التي كانت لهم
في الدنيا بما انعم عليهم في الدنيا فقد عجل لهم جزاء حسناتهم التي عملوا في الدنيا واما المؤمن فيتجاوز
عن سيئاته ويتقبل عنهم احسن ما عمل كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن
سيئاتهم او ان يكون ما ذكر من الميزان هو الكتاب الذي ذكر في اية اخرى كقوله فاما من اوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا واما من اوتي كتابه وراء ظهره الاية كما قال فاما من اوتي كتابه
بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه
وقال بعضهم الوزن هو العدل كقوله ونضع الموازين القسط لم يقل نضع الموازين بالقسط ولكن
قال ونضع الموازين القسط والقسط هو العدل فهو احياء عن العدل انه يعدل بينهم يومئذ وقال
بعضهم الوزن يومئذ الحق اي الجزاء يومئذ الحق يجزى للطاعة الحسنة والثواب وللسيئة عقاب وعذاب
فهو حق وقال بعضهم قوله الوزن يومئذ الحق اي الطاعة حق كل مطيع يومئذ فهو حق ويحتمل ان
يكون الوزن الحدود والتقدير كقوله وانبتنا فيها من كل شيء موزون اي محدود مقدر فعلى ذلك قوله
الوزن يومئذ الحق لا زاد على السيئات ولا ينقص من الحسنات التي عملوا في الدنيا والله اعلم بما اراد
من الوزن ثم قال اهل التأويل في قوله فاولئك الذين خسروا انفسهم اي غبنوا وذلك انه ما من احد
من مؤمن وكافر الا وله في الجنة والنار منزل واهل فيرث المؤمن المنزل الذي كان للكافر في الجنة
ويرث الكافر المنزل الذي للمؤمن في النار فذلك الخسران الذي خسروا لكن هذا لا يحتمل ان يكون الله
تعالى يجعل للكافر في الجنة منزلا واهلا مع علمه انه لا يؤمن ويختم على كفره ويحتمل الخسران الذي ذكروا انهم
خسروا في الدنيا والاخرة لما فاتت عنهم النعم التي كانت لهم في الدنيا ولم يصلوا الى نعيم الاخرة فذلك
هو الخسران المبين في الدنيا والاخرة وقوله عز وجل بما كانوا باياتنا يظلمون قال الحسن بما باياتنا
يكذبون ولكن بما باياتنا جحدنا يظلمون اي يضعونها في غير موضعها وهو ما ذكر من ظلمهم الايات لانه

الظلم وضع الشئ غير موضعه ثم المسئلة فيمن ارتكب كل ذنب وكبيرة فى حال كفره عمره ثم امن فى اخره
صار ما كان ارتكب فى حال كفره من الكبائر مغفورا مغفوا عنه غير مؤاخذ بها ومن ارتكب ذلك
فى حال ايمانه وختم على الايمان لم يعمل الايمان فى تكفيره وكان مؤاخذا به والله اعلم لوجهين احدهما ان
ليس على الكافر الفعل افعال الطاعات واعينها انما عليه قبول تلك فاذا اسلم فقد قبلها ولم يكن عليه
فى ذلك الوقت الا القبول لذلك لم يؤاخذ مما كان منه فى الاعمال واما المؤمن فعليه الفعل افعال
تلك الطاعات وتلك الاعمال وقد كان منه القبول منه والتفريط فى تلك الاعمال والثانى ان
الكافر اذا اسلم بعدما ارتكب من الكبائر لم يخرج ايمانه ولا ادخل فيه نقصا فلا يؤاخذ مما كان منه
لما قدم على قوم دبر بايمان كامل واما المؤمن اذا ارتكب كبائر فقد خرج الايمان وادخل النقصان
بعمله الذى يخالف الايمان ولا يوافقه لذلك افترقا ويشبه ان يكون قوله فمن ثقلت موازينه ومن
خفت موازينه على التمثيل ليس على تحقيق الميزان والخفة ولكن على الوصف بالعظم لاعمال المؤمنين
بالخفة والتلاشى لاعمال الكافرين لان الله عز وجل ضرب لاعمال المؤمنين المثل بالشئ الثابت
والطيب ووصف اعمالهم بالثبات والقرار وضرب لاعمال الكافرين المثل وشبهها بالشئ التالف
التالف ووصفها بالبطلان والتلاشى كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها فى السماء وصف اعمالهم بالطيب والثبات والقرار ووصف اعمال الكافرين
بالخبث والتلاشى والبطلان كقوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها
من قرار وقال فى اية اخرى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا
وقال والذين كفروا بربهم اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم
يجده شيئا وكقوله فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ونحوه من
الايات وصف اعمال المؤمنين بالثبات والقرار واعمال الكفرة بالذهاب والبطلان فعلى ذلك
قوله فمن ثقلت موازينه وصف بالعظم والقرار والثبات ومن خفت موازينه وصفا بالبطلان
والتلاشى ان لا يكون لهم من الخيرات شئ وينتفعون بها فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل
ولقد مكناكم فى الارض قال ابو بكر الكيسانى مكناكم اى مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش
يتعيشون بها يذكر نعمه ومنته بما ملكهم فى الارض وجعل لهم منافع ليشكروا له عليها وقال الحسن
مكناكم اى جعلناكم مستخلفين عمن تقدمهم بمكانهم يذكرهم عز وجل ايضا نعمه عليهم بما جعلهم خلفاء
الاولين وجعل لهم معايش وبخوفهم زوال ذلك عنهم بما صار ذلك لهم بزوالها عن الاولين
ويمكن ان يذكرهم هذا بما جعل لهم مكان القرار وموضع الانتشار والتقلب والتعيش والتبشر لا بد لهم
من ذلك وكله يرجع الى واحد كقوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا اى جعلنا الحرم امنا لكم بحيث
تامنون فيه وتتقلبون وتتعيشون فيه ويتخطف الناس من حولهم يذكرهم عظيم نعمه ومنته التى
جعلها لهم هذا اذا كان الخطاب به اهل مكة وان كان الخطاب به الناس كافة فيخرج على تذكير
النعم لهم حيث جعل الارض لهم بحيث يقرون فيها ويتقلبون فيها وقوله عز وجل قليلا ما تشكرون
يحتمل وجوها وكذلك قوله قليلا ما تذكرون احدها انهم كانوا يقرون انه خالقهم بقوله ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله كانوا يقرون بالوهيته ويصرفون العبادة الى غيره
فلذلك قال قليلا ما تشكرون والثانى ان لا تشكرونه ولا تذكرونه البتة ويحتمل قليلا ما تشكرون
اى المؤمنين ليشكرون ولا يشكر اولئك والمؤمنون قليل وهم اكثروا الرابع اى ليس فى وسعهم
القيام بشكر الجميع فذلك الشكر قليل وقوله عز وجل لقد خلقناكم ثم صورناكم قال الحسن قوله خلقناكم
ثم صورناكم اراد ادم خاصة لانه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم اخبر انه
الملائكة بالسجود لادم بعد الخلق ولو كان المراد منه نحن لكان بعد خلقناكم ثم صورناكم وقد كان
السجود قبل ذلك وقال غيره والمراد منه البشر كله لانه قال ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم ولو كان
المراد لادم بقوله خلقناكم ثم صورناكم خاصة لكان لا يذكر ادم ثانيا فدل انه اراد ذريته وقال
بعضهم خلقناكم ادم ثم صورناكم فى ارحامكم ويحتمل ما قال الحسن ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله
ولقد خلقناكم اى قدرناكم من ذلك الاصل وهو نفس ادم لان الخلق هو التقدير كما تقول انا خلقته

اى قدرته

اى قدرته يقول والله اعلم خلقناكم اى قدرناكم جميعا من ذلك الاصل والكيان ومنه صورناكم ثم قلنا
للملائكة اى وقد قلنا للملائكة اسجدوا لادم وذلك جائز فى اللغة وقد يقول بعض اهل الكلام ان النطفة
هى انسان بقوة ثم يصير انسانا بفعل ويقول بعضهم هى كيان الانسان فجائز ان يكون اضافنا الى ذلك الطين لما
هو كيان واصل لنا وقوله عز وجل فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال الحسن ابليس لم يكن من الملائكة وذلك
ان الله عز وجل وصف الملائكة جملة بالطاعة والخضوع بقوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وغيره من الايات ولم يكن من ابليس الا كل شر وقال ايضا خلق الملائكة من نور
وابليس من نار والنار ليس من جوهر النور دل انه ليس من الملائكة وقال فى قوله فسجدوا الا ابليس مثل هذا
يجوز ان يقال هذه الدار اهل البصرة الا رجل من اهل الكوفة دل الاستثناء الا ان دخل هنا الا اهل الكوفة فعل
ذلك بدل استثناء ابليس على ان قال هنالك امر بالسجود لادم لغير الملائكة ايضا ولكن ليس لنا الى معرفة
ذلك حاجة انه كان من الملائكة او من غيره انما علينا ان نعرف انه عدو وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل
ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قيل قوله ما منعك ان لا تسجد اى ما منعك ان تسجد على ما ذكر فى اية اخرى
ولا زائد وقوله عز وجل انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ثم علم عدو الله ان المخلوق من النار خير
من المخلوق بالطين الا ان يقال بان النار جعلت لمصالح الاغذية فمن هنا وقع له ذلك انها خير من الطين
فيقال ان النار وان جعلت لاصلاح الاغذية فالطين محل لوجود الاغذية فالذى محل لوجود الشئ هو النفع
واكبر من الذى محل لمصالح ولعل الاغذية تصلح للاكل بغيرها بالشمس وغيرها وبعد فان الطين مما يقوم
بالنار ويطفئها ويبلغها والنار لا تقوم بالطين ولا تتلفه فاذا كان كذلك فلا يجوز ان يقع من هذا الوجه
انها افضل واخير من الطين ثم اختلف فى الجهة التى كفر عدو الله ابليس وبعضهم ان ابليس عدو الله
لم ير لنفسه طاعة بامر السجود لادم لذلك كفر وقال اخرون انما كفر عدو الله لما لم ير الامر بالخضوع
والطاعة من فوقه لمن دونه حكمة فكفر لما لم يرانه وضع الامر بالسجود موضعه بل راه لعنه الله
واضعا امره غير موضعه وقال غيرهم كفر عدو الله بالاستكبار والتكبر على ادم لا بمعنى اخر وقيل
اول من اخطأ فى القياس وزل فيه ابليس لعنه الله وقوله عز وجل فاهبط منها فما يكون لك
ان تتكبر فيها اختلف فيه قال بعضهم قوله اهبط منها يعنى من السماء لانه لعنه الله كان فى
السماء فامر بالهبوط منها لما جعل السماء معدنا ومكانا للخاضعين المتواضعين فامر بالهبوط منها
الى مكان جعل ذلك المكان مكان الخاضعين والمتكبرين جميعا وهى الارض اذ الارض معدن
الفريقين جميعا وقال بعضهم الامر بالهبوط منها امر بالخروج من الارض الى جزاير البحور لان
الارض هى قرار اهلها وجزاير البحور ليست مكان قرار لاحد لكون فيها على الخوف ابدا الا ترى
انه قال جعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم والبحار مما لا يميد باهلها ويمكن ان يكون الامر
بالهبوط منها امرا بالخروج من الصورة التى كان فيها الى صورة اخرى لا يعرف ابدا ولا يرى
عقوبة له لتركه امر الله وارتكابه نهيه فما يكون لك ان تتكبر فيها فى تلك الصورة وفى تلك
الارض حتى لا يقر ابدا ويكون على خوف ابدا ويحتمل هى السماء لما ذكرنا وقوله عز وجل فاخرج
انك من الصاغرين وجه صغاره انه ما من احد ذكره الا وقد لعنه ودعا عليه باللعن فذلك
صغاره لما صيره بحال يغيب عن الابصار ولا يقع عليه البصر وللطرده عن رحمة الله وقوله
عز وجل انظرنى الى يوم يبعثون اختلف فيه قال بعضهم انظره الى النفخة الاولى لئلا يذوق
فيتصل حيوة الدنيا بحيوة الاخرة وهو ما ذكر فى اية اخرى فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم وقال بعضهم انظر الى يوم البعث قال انظرنى الى يوم يبعثون فقال انك من المنظرين
فاخرج ذلك جوابا لسؤاله وما ذكر من الوقت المعلوم فى اية اخرى يحتمل ان يكون هو ذلك اليوم
عنده اصره ولم يبين له ذلك الوقت الذى انظره الى ذلك الوقت حتى يكون ابدا على خوف ووجل
الا ترى انه قال فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم لو كان الوقت انظره
معلوما عنده لكان لا يخاف الهلاك بدون ذلك الوقت دل انه كان غير معلوم عنده وقوله
عز وجل فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم قال الحسن قوله فبما اغويتنى اى بما لعنتنى
والاغواء هو اللعن كقوله فانك من المرجومين اى من الملعونين فعلى ذلك قوله اغويتنى اى لعنتنى

وقال ابو بكر الكسائي اضاف الاغواء الى نفسه لما كان سبب ذلك منه وهو الامر الذي امره بالسجود
لادم والخضوع له ويجوز ان يضاف مثل ذلك لما كان منه السبب نحو قوله ومنهم من يقول ائذن لي
ولا تفتني سأل منه الاذن بالقعود ولا تكلفني بما لا اقوم فتفتني بذلك وقال انما اضاف
ذلك اليه لما كان منه سبب ذلك الافتتان فعلى ذلك هذا وقال بعض المعتزلة هذا قول ابليس
فبما اغويتني وقد كذب عدو الله لم يغوه الله فقال لهم فان كان ابليس عدو الله قد كذب في
قوله فبما اغويتني فيقولون بان نوحا صلوات الله عليه قد كذب حيث قال ولا ينفعكم نصحي ان اردت
ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اضاف الاغواء اليه دل هذا على ان ابليس لم يكذب باضافة
الاغواء الى الله ولكن عندنا انه اضاف الاغواء الى نفسه لما خلق فيه فعل الغواية والضلال على ما
ذكرنا في غير موضع ليس كما قال هؤلاء انه اضاف اسفا اليه لكان ما كان منه سبب ذلك لانه لو
جاز ان يضاف فعل الاغواء اليه لسبب الاغواء لجاز ان يضاف الى الرسل والانبياء لانه كان
منهم الامر لقومهم والدعاء الى توحيد الله ثم كذبوا في ذلك فكان سبب اغواء اولئك هم الرسل
فذلك بعيد وكذلك لكان الاغواء هو اللعن لكان كل لاعن عليه فهو مغوي وقال بعضهم اغويتني
اي خذلتني والوجه فيه ما ذكرنا انه خلق فيه فعل الغواية والضلال وكذلك من كل كافر خذله
لما علم منه انه يختار الغواية والضلال وقوله عز وجل لاقعدن لهم ليس على حقيقة القعود ولكن
على المنع عن السلوك في الطريق او على التلبيس عليهم الطريق المستقيم والستر عليهم لان من قعد
في الطريق منع الناس عن السلوك فيه وقوله عز وجل ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية
قال الحسن من بين ايديهم من قبل الآخرة تكذيبا بالبعث والجنة والنار ومن خلفهم قال من
قبل دنياهم يزينها لهم ويشهيها اليهم وعن ايمانهم قال من قبل الحسنات يبطئهم عنها وعن
شمائلهم قال من قبل السيئات يأمرهم بها ويحثهم عليها ويزينها في اعينهم وعن مجاهد ثم لآتينهم
من بين ايديهم قال من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون
وقيل من بين ايديهم من قبل آخرتهم فلا خير منهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث على ما ذكر الحسن
ومن خلفهم من قبل دنياهم يأمرهم بجمع الاموال فيها لمن بعدهم ما ذراريهم واخوف عليهم
الضيعة فلا يصلون في اموالهم رحما ولا يعطون لها حقا وعن ايمانهم من قبل دينهم فانه زين
لكل قوم ما كانوا يعبدون فان كانوا على ضلالة زينها لهم وان كانوا على هدى شبهه عليهم حتى
اخرجهم منه وعن شمائلهم من قبل اللذات والشهوات فانه زينها لهم هذا الذي ذكره اهل التاويل ويحتمل
ثم ذكر الامام والخلف وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولم يذكر فوق ولا تحت فيحتمل ان يدخل ما فوق
وما تحت بذكر امام واليمين والشمال والخلف كقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء دخل ما فوق
بذكر ما بين ايديهم ودخل تحت بذكر الخلف فعلى ذلك هذا يدخل ما تحت وما فوق بذكر ما ذكر
فيصير كانه قال فيأتيكم من كل وجه ويحتمل انه لم يذكر هذا لما انه لا سلطان له على منع الارزاق
والبركات لان ارزاق الخلق والبركات مما ينزل من السماء من المطر ويخرج من الارض من
النبات فليس له سلطان على منع انزال المطر واخراج النبات من الارض وله سلطان على
غير ذلك او يكون لما يشغلهم ويشهيهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
من اللذات والشهوات لما اذا راى شيئا اعجبه اتبع النظر اليه واحدا بعد واحد من امام
ووراء ويمين وشمال ولا كذلك من تحت ولا من فوق او ان يكون لما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه اذا نزلت هذه الآية قال الله منعهم ان يأتيهم من فوقهم ولو كان ذلك
لما انجا احد فاعلم لهم تصعد الى الله ورحمته تنزل عليهم وقال قتادة اتاك اللعين من كل نحو يا ابن
آدم غير انه لا يستطيع ان يحول بينك وبين رحمة ربك انما تأتيك الرحمة من فوقك والذي ذكرنا
انه على التمثيل انه يأتيه من كل جانب اشبه وقوله عز وجل ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم يخرج على وجهين احدهما ليس على ارادة يمين وخلف وايمان وشمال
ولكن على ارادة الجهات كلها كان يقول لآتينهم من كل جهة والثاني ما ذكر الحسن واهل التاويل

من بين ايديهم الآخرة نكذبهم بها ومن خلفهم الدنيا نرغبهم بها عليهم وعن ايمانهم الحسنات وعن
شمائلهم السيئات وقوله عز وجل ولا تجد اكثرهم شاكرين هذا من عدو الله ظن ظنه لا قاله حقيقة
لكن الله عز وجل انه اخبر بصدق ظنه بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقوله عز وجل اخرج
منها يحتمل منها من السماء ويحتمل من الارض ويحتمل من الصورة التي كان فيها على ما قلنا في قوله
اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها وقيل الجنة وقوله عز وجل مذءوما مدحورا قيل مذموما
ملوما اي مذموم ملوم عند الخلق جميعا مدحورا قيل مقصيا بعيدا [illegible] عن الخير قال ابو عوسجة
مذموم واحد ومدحورا مباعدا مطرودا وقوله اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم
لاملان جهنم منكم اجمعين اخبر عز وجل انه يملأ جهنم من ابليس ومن تبعه واطاعه لانهم
يتبعونه ويطيعونه في الكفر والشرك بالله تعلق الخوارج بظاهر قوله لمن تبعك منهم وقالوا كل
مرتكب معصية تابع له لذلك استوجب الخلود وقالت المعتزلة كل مرتكب كبيرة لوعيد هذه
الآية لانه تابع له وعندنا ليس لهم في الآية حجة في تخليد من ذكروا في النار لانه انما ذكر
على اثر نقض الدين ورد التوحيد فكانه قال لمن تبعك في نقض الدين ورد التوحيد لاملان جهنم
منكم اجمعين وقوله عز وجل ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما كان السكون
في موضع من القرار فيه والانس كقوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتقروا فيه وتأمنوا فقوله
يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة اسكنهما عز وجل ليقروا فيها ويأمنوا من كل ما ينغصهما تلك النعم التي
انعم عليهما لان الخوف من تنغيص النعم ويذهب بلذتها فلما اسكنهما عز وجل الجنة امنهما عن ذلك كله ثم
فيه ان اول المحنة والابتلاء من الله لعباده انما يكون بالانعام والافضال عليهم ثم بالجزاء والعدل
بسوء ما ارتكبوا لانه عز وجل امتحن آدم اولا بالافضال والانعام عليه حيث اسجد ملائكته له واسكن
جنة ووسع عليه نعمته ثم امتحنه بالشدائد وانواع المشقة جزاء ما ارتكبوا من التناول من الشجرة
التي نهاه عن قربانها فهو ما ذكرنا ان شرط امتحانه عباده في الابتداء يكون بالافضال والانعام
ثم بالعدل والجزاء لسوء صنيعهم الا ترى انه قال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم اخبر في
خبر ان ما يصيبنا من كسب ايدينا وهو جزاء ما كسبنا وفيه وفي غيرها من القصص المذكور دليل اثبات
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لانه اخبرها كان من غير ان اختلف الى احد من يعرف ذلك ونظر
في الكتب التي فيها دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى ثم اختلف اهل التاويل في الجنة التي اسكن عز وجل
آدم فيها وزوجته قال بعضهم هي الجنة التي يكون هو واهل الاسلام اليها في الآخرة وهم وعد
عز وجل تلك وقال بعضهم هي جنة انشاها لادم ليسكن فيها في السماء ولكن لا ندري ما تلك
الجنة وليس لنا الى معرفة تلك الجنة حاجة انما الحاجة الى ما ذكر من المحن واختلف ايضا في
الشجرة التي نهى آدم عن قربانها قال بعضهم هي شجرة العلم وقال بعضهم هي شجرة الحنطة وقد ذكر
اقاويل اهل التاويل واختلافهم في صدر الكتاب قدر ما حفظناه وكذلك اختلفوا في وسوسة
الشيطان لادم وحواء انه كيف وسوس اليه ومن اين كان وهذا ايضا وقد ذكرناه في تلك القصة
والحسن يقول انما وسوس اليهما من الدنيا لا ان كان وقت الجنة وقال بعضهم وسوس اليهما من
رأس الجنة ومن فيها بكلهما وقوله عز وجل ولا تقربا هذه الشجرة لم يرد به الدنو منها ولكن
اراد الذوق والاكل منها الا ترى انه قال فلما ذاقا الشجرة دل ان النهي لم يكن للدنو منها ولكن
للذوق والاكل منها وفيه ان الامتحان من الله مرة يكون بالحل ومرة بالحرمة لانه اذن له التناول
مما فيها من انواع النعم وحرم عليه التناول من واحدة منها فذلك محنة منه ثم النهي عن
التناول عن الشيء يخرج على وجوه احدها ينهى لحق الحرمة لنفسه وينهى لحق ايثار الغير عليه
وينهى عن التناول منه لرداءته وآفة وينهى لما يخرج التناول منها لحق الجزاء فلم يكن نهيه
وقت الجزاء له وقوله عز وجل ما ووري عنهما من سوآتهما وقوله ما ووري اي ستر وغطي
وسوآتهما السوأة العورة وفيه انه يجب ان نكون على حذر من شر ابليس اللعين
لئلا يجد فرصة علينا فانه ابدا على سلب نعمة انعمها الله على عباده وحيث احتال كل حيلة
حتى ابدى لهما ما ووري وستر عنهما من العورة وعمل في اخراجهما من النعم واللذات واوقعهما

في الشدايد والمشقة وفيه انه ليس حال عليه اشد من ان راى احدا في النعم والسعة وقوله عز
وجل وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين قد ذكرنا معنى
هذا ايضا في صدر الكتاب وقوله عز وجل وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وهذا الذي يقول الحسن
يومي الى ادم قد علم انه الشيطان وقال ابو بكر الكيساني انه قد وقع عند ادم ان الشجرة التي نهاه ربه
ان يتناول منها هي المفضلة على جميع الشجرة فلما وسوس اليه الشيطان وقال له ما قال هل ادلكما
على شجرة الخلد وملك لا يبلى فوافق ظنه قول اللعين وما دعاه اليه ثم اشتغل نفسه بذلك فتناول
على النسيان على وجهين نسيان الترك على العمد ونسيان السهو ولا يحتمل ان يكون ادم ترك عمدا فهو
على نسيان السهو الى هذا يذهب ابو بكر الاصم او كلام نحوه وقرا بعضهم قوله الا ان تكونا ملكين بكسر
اللام من الملك ذهب في ذلك الى ما قال هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقراءة العامة
الظاهرة الا ان تكونا ملكين بنصب اللام من الملائكة وقد ذكرنا جهة رغبة ادم في ان يصير ملكا
حيث تناول منها في صدر الكتاب على قدر ما حفظنا وقوله عز وجل فدلاهما بغرور وقال ابو عوسجة
دلاهما بغرور اي وردهما يقال اولاني فلان بحبل غرور اي انه زين القبيح حتى تركبه واصل التدلية
من الدلو وهو من الدعاء اي دعاهما بغرور ودعاه اياهما بغرور وهو قوله هل ادلكما على شجرة
الخلد وملك لا يبلى وقوله عز وجل الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقوله عز وجل وبدت لهما
سواتهما فان قيل كيف خص السواة بالذكر ومنته في اللباس في كل البدن لا في خاصة وكذلك
قوله يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سواتكم ذكر منته فيما انعم علينا من ستر العورة
وفي غيره من البدن في دفع البرد والحر وغير ذلك قيل لان كشف العورة مستقبح في الطبع
والعقل جميعا واما كشف غيره من البدن فليس هو بمستقبح في الطبع ولا في العقل وربما
يبدي المرء غيره من البدن سوى العورة عند الحاجة واما العورة فانه لا يبدي الا في حال
الضرورة لذلك كان ما ذكروا ان يقال ان المفروض من الستر هو قدر الضرورة وان لا اخر
يليه اما يلحق التجمل واما يلحق دفع البرد والحر والاذى لذلك تخصيصه بالذكر والا المنة والنعمة
عظيمة في لباس غيره من البدن فان قيل ان الله كنى عن الجماع مرة باللمس ومرة بالغشيان وعن
الخلاء بالغائط وهو المكان الذي يقضى فيه الحوائج وكذلك جميع ما لا يستحسن ذكره مصرحا
فانما ذكر بالكناية وههنا ذكر السوءة في العورة قيل السوءة والعورة هما كناية لم يذكر الفرج ولا الذكر
والدبر فهو كناية والثاني في ذكر تخصيص السوءة وذلك ان قصد الشيطان انما كان الى ابداء
عورتهما لا غير الا ترى ان ذلك لم يجعل لغير البشر عورة تستر ولذلك خص الستر بالقبر اذا مات
يقبر لاجل عورته ولا يقبر غيره من الدواب اذا هلك ولا يستر في حال حيوته فخرج ذكر تخصيص السوءة
لما ذكرنا ان اللعين قصد بذلك قصد ابداء عوراتهما لا غير الا ترى انه قال ليبدي لهما ما ووري
عنهما من سواتهما كان قصده الى ذلك وقوله عز وجل وطفقا يخصفان قال ابو عوسجة طفقا
اي اخذا تقول طفقت افعل كذا اي اخذت والخصف المخايطة في النعل والخف وهو مستعار
ههنا وقال مجاهد يخصفان اي يرقعان كهيئة الثوب وقيل يخصفان يغطيان ثم قوله طفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة اما حياء احدهما من الاخر وحياء من الله تعالى ولهذا نقول انه يكره
للرجل في الخلوة ان يكشف عورته ويبديها وعلى ذلك روي في الخبر انه قال فالله احق ان يستحيى
او حياء احدهما من الاخر لما بدت لكل واحد منهما عورة صاحبه ولهذا كره ابو حنيفة رحمه الله ان
ينظر الرجل الى فرج زوجته والمرءة الى فرج زوجها او لما وقع بصر كل واحد منهما على عورته فذلك يكره
ايضا ان ينظر المرء الى فرجه الا ترى انه قال ليبدي لهما ولم يقل ليبديهما فهذا يدل على انه لا ينبغي
ان ينظر الى فرج زوجته ولا الزوجة الى فرجه وقوله عز وجل وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما
الشجرة الاية يحتمل قوله وناداهما ربهما وحيا اوحى اليهما على يدي ملك كقوله فنفخنا فيه من روحنا
انما اضاف الى نفسه لما نفخ فيه بامره فعل ذلك هذا او الهاما الهمهما كقوله واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه وقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت واوحى ربك الى النحل ويكون
الهاما الهام وقوله عز وجل ربنا ظلمنا انفسنا حيث اوقعناها في الشدايد وكد العيش والظلم

هو

هو وضع الشيء في غير موضعه وقوله عز وجل ربنا ظلمنا انفسنا قال الحسن هي الكلمات التي تلقاها
تلقاها ادم من ربه كقوله فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب ربنا اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي
مؤمنا بعضه خرج على الامر وبعضه على السؤال وكله على الدعاء والسؤال ليس على الامر وان خرج ظاهره
مخرج الامر لان الامر ممن هو دونه لمن فوقه امر لو ان ملكا من الملوك اذا امر بعض خدمه او رعيته
الامير شيئا فهو ليس بامر لكنه سؤال ودعاء فحل ذلك دعاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام ربهم
فان قيل ان الرسل سئلوا ربهم المغفرة لولا انهم فلولا ما ان اجيبوا في ذلك ولم يجابوا فان لم يجابوا
فيما سئلوا فهو عظيم فان اجيبوا في ذلك والمغفرة في اللغة الستر كيف ذكرت زلاتهم في الملأ الى يوم القيمة
قيل لوجوه احدها لما ارتكبوا تلك الزلات عظم ذلك عليهم واشتغلت قلوبهم بذلك لعظيم ما ارتكبوا
عندهم لم يخطر ببالهم عند سؤالهم المغفرة ستر ذلك على الناس وكتمانها عليهم بعد ان اجاب الله بالتجاوز
عنهم في ذلك ان يقال اراد بافشاء ذلك باظهارها ايقاظ غيرهم وتنبيها في ذلك ليعلموا ان الرسل
جليل قدرهم وعظيم منزلتهم عند الله لم يحابهم في العتاب والتوبيخ بما ارتكبوا فمن دونهم احق
في ذلك وان ذكر ذلك ليعلموا انه ليس بغافل عن ذلك ولا يخفى عليه شيء والله اعلم بذلك وقوله
قالا ربنا ظلمنا انفسنا وقال وعصى ادم ربه فغوى وقال فنسي ولم نجد له عزما فاعلمنا الله عز وجل
ان ادم نسي امر ربه فقال قوم من اهل العلم اكل ادم من الشجرة وهو ناس لنهي الله اياه عن اكلها
وكان اكله منها ظلما منه لنفسه وعصيانا لربه وان كان فعل ذلك ناسيا لان الله تفضل على
امة محمد فرفع عنهم في الخطاء والعصيان وما استكرهوا عليه وقال قوم معنى قوله فنسي اي ترك
امر ربه من غير نسيان وقال الواحد كقول الله نسوا الله فنسيهم ولا ندري كيف كان ذلك وقال
بعض اهل العلم ان الخطاء والنسيان في الاحكام موضوع بهذا الحديث فيقال في تقولون في قتل
الخطا هل فيه الدية والكفارة وما تقولون في رجل اتلف متاع رجل واخرقه ناسيا او مخطيا
قالوا ذلك لازم عليه فكيف قلتم ان الحديث جاء في الاحكام وانتم توجبون الضمان وقال بعضهم
وجه الحديث عندنا ان الامم قبلنا كانت ماخوذة بالخطاء والنسيان فيما بينها وبين ربها
فرفع الله تعالى الحرج عن هذه الامة في ذلك تفضلا منه علينا من بين الامم فاما الغرامات والضمانات
في الاحكام التي بين الناس فهي لازمة لهم خطا فعلوا او عمدا والله اعلم وفي قوله قالا ربنا ظلمنا
انفسنا دلالة النقض على المعتزلة لانهم يقولون ان الصغاير مغفورة باجتناب الكباير ثم من قولهم
ان الرسل والانبياء معصومون عن الكباير فزلة ادم لا شك انها صغيرة لما ذكرنا ثم قال وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فلم يكن له ان يعذب في صغيرة كانت فان الحرث وظلمت عليها
لنكونن من الخاسرين وفائدة تقرير ادم وحوا ان يكونا من الملائكة لان الملك ما ذكرنا انه لا يفتر عن
العبادة ولا يعصي ربه ولا يحتاج الى شيء من المؤنة ومن قرا ملكين لان الملك يكون نافذ الامر
والقول في مملكته وذلك مما يرغب فيه او ان يكون بذلك ليشغلهما عن نهي ربهما حتى ينسيا
ذلك فينتهيا ولا عن تلك الشجرة على ما فعلا وانما ذكر الخلود لانه ليس لشيء الدوام ولا اشهى من
الحيوة والاشبه ان يقال انه لم ينسيا نهي الله اياهما عن التناول منها ولكن نسي قوله فتكونا
من الظالمين لذلك تناولا ولو ذكرا قوله فتكونا من الظالمين ما تناولا والله اعلم وقوله
عز وجل قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ادم وحوى وابليس
والحية وقال الحسن ادم وحوى ووسوسة الشيطان لان من قوله ان الشيطان لم يكن في السماء
انما وسوس ادم وحوى من بعد فالامر بالهبوط لوسوسته ولذلك بقيت في اولاده الى يوم
القيمة وقال بعضهم دله قوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين على ان الامر بالهبوط انما
كان من السماء وكانوا في السماء ثم قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو كان الامر بالهبوط لم يكن
معا لان ابليس امر بالهبوط حين ابى السجود وادم وحوى حين تناولا من الشجرة ثم جمعهم
في الامر بالهبوط ليعلم انه ليس في الجمع بالذكر دلالة وجوب الحكم والامر مجموعا وقوله عز وجل
اهبطوا لا يفهم منه الهبوط من الاعلى الا ترى انه قال في اية اخرى اهبطوا مصرا اي انزلوا فيه
وقوله عدو وهو عدو لنا اما بالكفر واما بالسعي في هلاكنا فهو عدو لنا ونحن اعداء له وقوله عز وجل

ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قيل الى منتهى آجالكم والى ابليس الى النفخة الاولى ويشبه ان يكون
هذا ليس على التوقيت ولكن على الدوام والقرار فيها وقوله عز وجل قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها
تخرجون قيل في الارض تعيشون وفيها تموتون عند انقضاء آجالكم ومنها تخرجون في القيامة وقوله عز
وجل يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن انزلنا
ماء المطر من السماء فيتخذ منه الطعام والاشياء التي بها قوام انفسهم ويحتمل قوله قد انزلنا عليكم
لباسا انزل الماء والاسباب التي بها تتخذ اللباس والاطعمة والاشربة والعلم في ذلك الماء والاسباب
والعلم بذلك والا ما عرف الخلق ان كيف تتخذ ذلك لباسا والاطعمة والاشربة وفيه دليل اثبات الرسالة
لانهم لم يعرفوا ذلك الا بوحي من السماء او ان يكون قوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا
اي جعل لكم وانشا لكم ما تتخذون منه اللباس والطعام والشراب ليس على الانزال ولكن على انه
جعل لكم ذلك كقوله جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون وقوله جعل لكم اي انشا لكم سرابيل
تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم وهو ان خلق لنا ذلك وفيه دليل خلق افعال الخلق لانه انما صار
لباسا وطعاما وما لا ينفصل من العباد انه انزل من السماء هكذا ثم اخبر انه جعل ذلك لنا دل انه
خلق فعل الخلق فيه وقوله عز وجل وريشا قال بعضهم مالا وقال بعضهم معاشا وقال القتبي الريش
والرياش ما ظهر من اللباس وريش الطائر ما ستره وقوله عز وجل ولباس التقوى قرأ ابن مسعود
رضي الله عنهما ولباس التقوى بالرفع على الابتداء اي لباس التقوى خير ومن نصبه ايضا فانما
نصبه على الجواب لما تقدم والا الحق فيه الرفع ثم اختلف فيه اهل التاويل وقال الحسن لباس التقوى
الدين وقال ابو بكر الاصم القرآن وقيل العفاف وقيل الحياء وقيل الايمان فكله واحد اي كل ما ذكر
من لباس التقوى الذي ذكر لان الدين والايمان والقرآن والحياء يزجره ويمنعه عن المعاصي فهو
خير لانه لباس في الدنيا وفي الآخرة لان المؤمن التقي العفيف لا يبدو له عورة وان كان عاريا
من الثياب وان الفاجر لا يزال يبدو منه عورته وان كان سابغ الثياب لا يتحفظ في لباسه فالتقوى
خير وهو كقوله فان خير الزاد التقوى هذا التاويل للقراءة التي تقرأ بالرفع لباس التقوى على
الابتداء واما من قرأ بالنصب فهو رده الى قوله قد انزلنا عليكم لباسا ايضا تتقون به الحر والبرد
والاذى فيكون فيه ذكر لباس يستر البدن وفي الاول ذكر لباس العورة قوله عز وجل ذلك من آيات الله
يحتمل قوله ذلك الذي تتخذ منه اللباس والاطعمة والاشربة من آيات الرسالة لانه كل ذلك انما عرف
بالرسل بوحي من السماء وهو ما ذكرنا ان فيه دليل اثبات الرسالة ويحتمل ذلك من آيات اي من آيات
وحدانية الله وربوبيته لما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل ذلك
ان منشئهما ومدبرهما واحد لانه لو كان تدبير اثنين ما اتسق تدبيرهما لاتصال منافع احدهما بالآخر
وقوله عز وجل لعلهم يذكرون اي لعلهم للتذكير ولعلهم يتقون اي لعلهم توفقون للشكر لانه
حرف شك فلا يحتمل ان يقال والله اعلم ونقول لكي يلزمهم التذكر والشكر وقوله عز وجل يا بني آدم
لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قال بعضهم خاطب به اهل مكة في تكذيبهم رسول الله
ومخالفتهم امره فقال لا يخرجكم من الامن والسعة كما اخرج ابويكم من دار الامن والسعة وقال
بعضهم قوله لا يفتننكم الشيطان ان احذروا دعاءه الى ما يدعوكم اليه فانه يمنع عنكم في الآخرة الكرامة
والثواب كما اخرج ابويكم من دار الكرامة والمنزلة وقال اهل التاويل لا يفتننكم الشيطان اي
لا يضلنكم الشيطان ويغوينكم كما فعل بابويكم اخرجهما من الجنة وقال آخرون قوله لا يفتننكم الشيطان
بما تهوى به انفسكم واماله الى شهواتها وامانيها كما اخرج ابويكم من الجنة بما هويته انفسهما واشتهاه
يحذرهم اتباع هوى النفس وشهواتها وامانيها فان السبب الذي به كان اخراجهما هو هوى النفس
وامانيها وقوله عز وجل ينزع عنهما لباسهما يحتمل قوله ينزع عنهما لباسهما وهذا في القرآن كثير يفعل
نفس ويحتمل على الاضمار كانه قال اراد ان ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما وقد ذكرنا ان المقصود
من الستر هو العورة لا غير احتيج اليه او لم يحتج واما غيره من الستر فانما هو لدفع الاذى من الحر
والبرد والمفتون بالشيء هو المشغوف به والمولع به يقول لا يمنعكم عن دخول الجنة كما اخرج ابويكم
من الجنة وكان قصد ما ذكر من نزع اللباس ابداء العورة وهو ما ذكر وقوله عز وجل انه يراكم

هو وقبيله من حيث لا ترونهم قيل قبيله جنوده واعوانه حذرنا ابليس واعوانه لما يرونا ولا نراهم فان
قيل كيف كلفنا محاربته وهو بحيث لا نراه وهو يرانا ومثله في غيره من الاعداء لا يكلفنا محاربة من لا نراه
او لا نقدر القيام بمحاربته وليس في وسعنا القيام بمحاربة من لا نراه قيل انه لم يكلفنا محاربته اذا لم
نجعل له السلطان على انفسنا وافساد طاعتنا ومشاربنا ومطاعمنا وملابسنا وجعل لهم الاهلاك انفسنا و
افساد اغذائنا انما جعل له السلطان في الوسواس فيما يوسوس في صدورنا وقد جعل لنا السبيل الى
معرفة وساوسه بالنظر والتفكر نحو قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية وقوله تعالى
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اعلمنا
ما به ندفع وساوسه وهمزاته وجعل لنا الوصول الى دفع وساوسه بحجج وباسباب جعل لنا فلذا يدل
على ان الله يجوز ان يكلفنا باشياء لم يعطنا اسباب تلك الاشياء بعد ان جعل في وسعنا الوصول الى
تلك الاسباب وان لم يكن وقت التكليف تلك الاسباب من نحو الامر بالصلوة وان لم نكن على الطهارة اذا
جعل في وسعنا الوصول الى الطهارة ونحو الامر باداء الزكوة وان لم يكن وقت الامر من يؤدي اليه
حاضرا او نحو الامر بالحج وغيره من العبادات وان كان لا يصل الى اداء ما افترض عليه الا بعد ارتفاع
مع احتمال الشدائد وهذا يرد ايضا على من يقول ان لا يلزم الاوامر والمناهي من جهلها ولا تكلف
بعد العلم بها لانه يتكلف حتى لا يلزمه فرض من فرائض الله وعبادة من عباداته لانه لا يكتسب العلم
لئلا يلزم ذلك فهذا بعيد محال والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون اختلف اهل الاعتزال فيه قال ابو بكر الاصم الجعل من الله تعالى على وجوه احدها
السبب الذي به صاروا اولياء لهم كما يقول الرجل لآخر جعلت لك الدار والعبيد والمال وهو لم يجعل
له ذلك ولكن اعطاه ما به صار ذلك وذلك اعطاه ما به صار ذلك وهو انما اعطاه سبب ذلك فيضاف
ذلك اليه فعلى ذلك ما اضاف الجعل اليه لما اعطاه السبب وقال جعفر بن حرب الجعل هو التخلية خلى
بينهم وبين اولئك فاضاف ذلك اليه بالجعل كما يقال للرجل جعلت عبدك فتانا لانه اذا خلى بينه
وبين ما يفعله وهو قادر على منعه فعلى ذلك فيما اضاف الجعل الى نفسه هو ان خلى بينهم وبين اولئك
يعملون ما شاؤوا وقال الحسن من حكم الله ان من عصى يكون عدوا له ومن اطاع يكون وليا له ومن اطاع
الشيطان فهو وليه ومن عصاه يكون عدوا له فكذا حكم الله تعالى كل من اطاعه يكون وليا له ومن عصاه
يكون عدوا لله وقال غيرهم من المعتزلة قوله جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي وجدناهم كذلك
اولياء لهم ولكن لو جاز اضافة ذلك الى الله تعالى لما ذكر هؤلاء لجاز اضافة ذلك الى الانبياء لانه قد كان
منهم التخلية في ذلك والتسمية لهم بذلك والحكم على ما قال الحسن والوجود فاذ لم يجز اضافة ذلك اليهم
دل انه قد كان من الله في ذلك صنع لم يكن ذلك من الانبياء وهو ان خلق منهم فعل الولاية لهم لما علم منهم
انهم يختارون ولايتهم ويتولونهم كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه وبالله العصمة والنجاة وقوله
عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس رضي الله عنهما كل معصية فاحشة والفاحشة كل ما عظم فيه
النهي فاذا ارتكبوا فيه ذلك فهو فاحشة وقال مجاهد فاحشتهم انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وقال
من اهل التاويل الفاحشة هو ما حرموا من الحرث والانعام والبنات وغيره من نحو السائبة والحامي
وغيره ولكن الفاحشة ما ذكرنا ان كل ما عظم النهي فيه والزجر فهو فاحشة والفاحشة هو ما عظم قبحه
الامر يعرف ذلك بوجهين احدهما يعرف بعظم ذلك في العقل والثاني بالسمع يرد فيه وقوله عز وجل
والله امرنا بها ادعوا في ذلك امر الله ورضاه فيه ويقولون لو لم يرد بذلك لم يامر لكان ينكلهم
وينتقم منهم بعدما ابائهم فاستدلوا بتركهم وما فعلوا على ان الله قد كان رضي بذلك وامرهم اذا فعلوا
ذلك فدل تركه اياهم على ذلك على انه قد امرهم بذلك ورضي عنهم كمن يخاف في الشاهد ملكا من الملوك
في امره ونهيه فانه ينكل على ذلك وينتقم منه اذ كان قادرا على ذلك فاذا لم يفعل ذلك به دل ذلك منه
على الرضاء به فعلى ذلك الله لما لم ينتقم منهم ولم ينكلهم دل ذلك على الرضاء والامر والثاني كانهم
اخذوا ذلك من المسلمين لما سمعوا من المسلمين قالوا ما شاء الله كان ظنوا ان ما كان منهم انهم كان
بامر من الله ورضاه لم يفصلوا بين المشية والامر المشية والارادة هي صفة فعل كل فاعل على الاختيار
نحو ان يقال شاء فعل واراد امر كذا ولا يجوز ان يقال امر نفسه بكذا او نهى نفسه عن كذا وانا نقول لهم

ثم لم يسأل اباءهم ولم ينتقم منهم بما فعلوا دل انه رضي بذلك فيقال ان منهم من فعل على خلاف فعلهم
وغير سنتهم ضد ما فعل اولئك ثم لم ينتقم منهم ذلك فهل دل ذلك على الرضاء منه بذلك فان
قلتم بلى فاذا رضي بفعلين متضادين وان قلتم لا كيف دل ذلك في اولئك على الرضاء والامر ولم يدل
فيمن فعلوا بخلاف فعلهم فهذا تناقض وقد ذكرنا فيما تقدم والله اعلم قل لهم يا محمد ان الله لا يامر
بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ان الله امر بهذا وحرم هذا **وقوله** عز وجل قل ان الله لا يامر بالفحشاء
هو ما ذكر ما عظم النهي فيه او كل ما يشتد فيه النهي ويغلظ ويكثر هو الفحشاء الا ترى انه يقال
لكل شيء يكثر فحش من نحو الكلام وغيره اذا خرج من حده وجاوز يقال فحش فعل ذلك الفحشاء ههنا
هو ما جاوز حده في القبح او جاوز من الكثرة وهم قد اكثروا الافتراء على الله **وقوله** عز وجل اتقولون
على الله ما لا تعلمون قال بعضهم بل تقولون على الله ما لا تعلمون انه امر بذلك وقيل قوله اتقولون
على الله اي تعلمون انكم تقولون على الله ما لا تعلمون انكم تقولون على الله ما لا تعلمون لانهم لم يكونوا
يؤمنون بالرسل ولا كان لهم كتاب فكيف تعلمون ان الله امرهم بذلك وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا
يعلم في السموات ولا في الارض لا يجوز ان يعلم الله ولكن على النفي لذلك ليس كما تقولون وتنبئون ولكن
يعلم خلاف ذلك وضده ويكون في نفي ذلك اثبات غيره فعلى ذلك لا يعلمون انهم يقولون على الله
ما لا يعلمون واسباب العلم هذا اما الرسل يخبرون عن الله ذلك في الكتاب يجدون فيه مكتوبا تعلمون
فيتبع الشهادة بذلك وهم قوم لا يصدقون الرسل ولا يؤمنون بخبرهم وليس كتابا بغير ما يقرؤون
فما بقي الا وحي الشيطان اليهم كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم **وقوله** عز وجل قل امر ربي
بالقسط والقسط هو العدل في كل شيء وفي القول والفعل وغيره كقوله واذا قلتم فاعدلوا وكقوله تعالى
كونوا قوامين بالقسط واصل العدل هو محافظة الشيء عن الحد الذي جعل له ووضعه موضعه **وقوله**
عز وجل واقيموا وجوهكم عند كل مسجد اختلف فيه قيل اقيموا اي سووا وجوهكم نحو الكعبة عند
كل مسجد اختلف فيه قيل اقيموا اي سووا وجوهكم نحو الكعبة عند كل مسجد اي في كل مكان تكونون
فيه وهو كقوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي اجعلوا بيوتكم نحو الكعبة كقوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره وقيل اقيموا وجوهكم اي اجعلوا عبادتكم لله ولا تشركوا فيها غيره كقوله وادعوه
مخلصين له الدين ويشبه ان يكون الوجه كناية وعبارة عن الانفس كانه قال اقيموا انفسكم
لله ولا تشركوا بها لاحد شركا كقوله ومن يسلم وجهه الى الله اي يجعل نفسه لله سالما **وقوله** عز وجل
وادعوه مخلصين له الدين يحتمل الدعاء نفسه اي ادعوه ربا خالقا وربا مخلصين له الدين
بالوحدانية والالوهية والربوبية ويحتمل قوله ادعوه اي اعبدوه مخلصين له العبادة ولا تشركوا غيره
فيها ويحتمل اي دينوا بدينه الذي دعاكم الى ذلك وامركم به **وقوله** عز وجل كما بداكم تعودون
قال قائلون هو علة قوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون كانهم سألوا انما تعودون اذا جئتوا
فقال كما بداكم خلقكم تعودون مثله ويحتمل ان يكون هو صلة قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن تعودون كما
كانوا في البداءة الكافر كافرا والمؤمن مؤمنا **وقوله** عز وجل كما بداكم تعودون هو من الدائمة ليس
من الابتداء لانه لا يجوز ان يقال للصبي كافر ومؤمن وهو الدوام والمقام فيه الى وقت الموت
وهو في البداءة وهو كقوله وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وقوله يبدئ ليس يريد ابتداء
نشوة ولكن كونه في الدنيا فعلى ذلك قوله كما بداكم تعودون الاية تخرج على وجهين احدهما
اي كما كنتم في الدنيا تعودون في الاخرة كذلك المؤمن مؤمن والكافر على كفره والثاني كما
انشاكم في الدنيا لا من شيء فعل ذلك يبعثكم لذلك لا يعجزه شيء **وقوله** عز وجل فريقا هدى
بما هداهم الله بفضله وفريقا حق عليهم الضلالة بما اختاروا من فعل الضلال فاضلهم الله
كقوله يضل من يشاء وقوله ومن يضلل فلا هادي له **وقوله** عز وجل ويحسبون انهم مهتدون
فيه لزوم الحجة والدليل في حال الحسبان والظن اذا كان بحيث الادراك والوصول اليه
لانه قال ويحسبون انهم مهتدون فيه انهم عند انفسهم مهتدون ولم يكونوا ثم عوقبوا على
ذلك دل ان الدليل والحجة قد يلزم وان لم يعرف بعد ان يكون سبيل الوصول الى ذلك
وهذا يرد قول من يقول بان فرائض الله لا تلزم الا بعد العلم بها والمعرفة **وقوله** عز وجل

يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد يحتمل ان يكون الخطاب وان خرج مخرج الامر باخذ الزينة والملابس
فهو على النهي عن نزعها لان الناس يكونون اخذين الزينة وساترين عوراتهم غير بادين بها
فاذا كان كذلك فهو على النهي عن نزع لباسهم وابداء عوراتهم وهو ما ذكر في بعض القصة
ان اهل الشرك كانوا اذا طافوا بالبيت نزعوا ثيابهم ويقولون لا نطوف في ثياب اتينا الذنوب
فيها فان كان التأويل ما قال ابن عباس وهؤلاء فيكون فيه اضمار كانه قال خذوا زينتكم عند هذا
المسجد كما تاخذون عند كل مسجد سواء والاخراج تاويل الاية على وجوه احدها يقول صلوا في كل
مسجد ذكر هذا لمن لا يرى الصلوة الا في مسجده على ما روي ان لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد
والثاني صلوا بكل مسجد وبكل مكان كقوله عليه الصلوة والسلام جعلت لي الارض مسجدا وطهورا
والثالث يجعل الزينة العبادة نفسها يقول خذوا زينتكم ويحتمل ما ذكره اهل التاويل كانوا يستعيرون
من اهل مكة ثيابا يطوفون فيها عراة بادين عوراتهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقال خذوا زينتكم عند
كل مسجد اي لا تنزعوا ثيابكم التي على عوراتكم فهو على النهي عن نزع الثياب وابداء العورة وكذلك
قوله كلوا واشربوا يخرج على النهي عما حرموا على انفسهم من انواع المنافع والنعم التي احل الله لهم من تحريم البحيرة
والسائبة والوصيلة والحامي ومن نحو ما حرموا من الزرع والطعام كقوله وحرث حجر لا يطعمها الا من
نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها الاية يخرج قوله كلوا واشربوا على النهي عما حرموا لما احل لهم لا على
الامر بالاكل والشرب لان كل احد ياكل ويشرب ولا يدع ذلك فدل انه خرج على النهي لما حرموا كانه قال
لا تحرموا ولكن كلوا واشربوا وانتفعوا بها فان كان على الابتداء الامر باخذ الزينة والتجمل عند كل مسجد
والمسجد هو مكان كل عبادة والنسك على ما يجوز في غير ذلك من الاوقات يتزينون ويتجملون عند اجتماع
الناس فعلى ذلك يكونون في مكان العبادة والنسك وان يجوز كما في المسجد اجتماع الناس للعبادة
فامروا ان يستروا عوراتهم في ذلك ويجوز قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا اي كلوا واشربوا واحفظوا
الحد في ذلك ولا تجاوزوا وهو نهي عن الكثرة وما ذكرنا انه نهاهم عن التحريم وترك الانتفاع
بها وفي تحريم ما احل الله وترك الانتفاع بها اسراف انه لا يحب المسرفين لانه لا يحب الاسراف
وقد ذكرنا ان المفروض من الستر هو ما يستر به العورة واما غيره فانما هو على دفع الاذى و
التجمل الا ترى انه قال ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما وقال يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سوآتكم من عليها بما انزل مما نستر به عوراتنا وان كانت له المنة في الكل وذلك قبيح في الطباع ان
احدا الى عورة قاهر وعلى ذلك جاءت الاثار في الامر بستر العورة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال احفظ عورتك الا من زوجتك او ما ملكت يمينك فقيل يا رسول الله فان كان بعضنا في بعض
قال ان استطعت ان لا تظهر عورتك فافعل فقيل فاذا كان احدنا خاليا فقال فالله احق ان يستحيى منه
وعنه صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الى عورة الرجل ولا المرأة ومثله كثير وفيما ذكرنا الغاية وعلى ذلك يخرج
الامر بالاخبار لستر العورة الا ترى انه قال تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه الاية لئلا يرى عورة
لانه يكون جفاء **وقوله** عز وجل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قال ابو بكر
الاصم الزينة ههنا هو اللباس لانه ذكر على اثر ذلك اللباس وهو قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد
والطيبات من الرزق ما حرموا احل الله لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك
مما كانوا يحرمون الانتفاع به كقوله حرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وقال الحسن زينة الله
هو المركب كقوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة جعل الله ما يركب زينة للخلق وهم
كانوا يحرمون الركوب والانتفاع بها فقال قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده وقال والطيبات
من الرزق البانها ونحوها وقال غيره من اهل التاويل زينة ههنا النبات وما يخرج من الارض مما هو زينة
للبشر والدواب جميعا كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الاية وكقوله حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت سمى لنا ما اخرج من الارض زينة **وقوله** عز وجل قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة
يوم القيمة اختلف فيه قال الحسن هي يعني الطيبات خالصة للمؤمنين في الاخرة لا يشاركهم الكفرة فيها
فاما في الدنيا فقد شاركوهم فالتاويل الاول يخرج على التقديم والتاخير كانه قال قل هي للذين امنوا خالصة
يوم القيمة وفي الحيوة الدنيا لهم جميعا بقوله قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس

قوله قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا لأنهم لم يحرموا الطيبات التي أحل الله لهم بل انتفعوا بها وحرم أولئك
ولم ينتفعوا بها فكانت هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا لما انتفعوا بها في الدنيا وتزودوا بها للآخرة وكا
خالصة يوم القيامة وإنما كانت خالصة لهم يوم القيامة لما لا يكون لأهل الشرك ذلك لما لم يتزودوا
للمعاد وقد كانت لهم في الدنيا لو لم يحرموها انتفعوا بها وفي قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
والطيبات من الرزق دليل إباحة الزينة والتناول من الطيبات وقد يحتمل أن يكون خرج على النهي
والإنكار على ما كانوا يفعله أهل الشرك من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة فقال قل من حرم ما حرم
إذا لم يحرمه الله ألا ترى أنه قال قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن يقول والله أعلم لم يحرم
ما حرمتموه من هذه الأشياء ولكن حرم الفواحش وما ذكر ولم يذكر جوابهم ماذا يقولون فهو يخرج على
وجهين إن قالوا حرم الله فيقال لهم من حرم وأنتم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب فإن قالوا حرم فلان
فيقال كيف صدقتم فلانا في تحريم ذلك ولا تصدقون الرسل فيما يخبرون عن الله تعالى مع ظهور صدقهم بآيات
سفههم في ذلك وقوله عز وجل قل من حرم زينة الله كأنه يقول ليس لأحد تحريم ما ذكرنا إنما التحريم
إلى الله وإنما حرم ما ذكر ويحتمل ما ذكرنا من زعمهم الثياب عند الطواف ويطوفون عراة على ما ذكر
في القصة وإلى هذا ذهب ابن عباس والحسن وقتادة وعامة أهل التأويل وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يطوفن بهذا البيت عريان ولا محدث وقوله عز وجل كذلك نفصل الآيات
أي نبين الآيات لقوم يعلمون أي لقوم ينتفعون بعلمهم أو نقول كذلك نفصل الآيات أي كذلك
نفصل حكم آية من حكم آية أخرى نفصل هذا من هذا وهذا من هذا وقوله قل من حرم زينة الله أنه
إذا لم يفهم من زينة الله ما يفهم من زينة الخلق لأن زينة الخلق ما يتزينون به ويتجملون لا يجب
أن يفهم من استوائه استواء الخلق ولا من مجيئه مجيء الخلق هو انتقال من حال إلى حال ولا يجوز
أن يفهم منه ذلك على ما لم يفهم من زينة الله وقوله عز وجل قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
وما بطن والإثم والبغي بغير الحق يشبه أن يكون هذه الآية مقابل قوله إن الله يأمر بالعدل
والإحسان وإيتاء ذي القربى كما خرج آخر الآية وهو قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي مقابل الأول
وهو قوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان والنهي هنالك فهي تحريم كالتنصيص على التحريم هاهنا فيكون
الفحشاء الذي ذكر في هذه الآية الفواحش التي ذكر في ذلك والمنكر الذي ذكر هاهنا هو الإثم الذي
ذكر في ذلك ذكر البغي هاهنا البغي ثم الفحشاء هو الذي ظهر قبحه في العقل والسمع والمنكر هو الذي
الإنكار فيه على مرتكبه والإثم هو الذي يأثم المرء فيه والبغي هو من ظلم الناس بظلم بعضهم على
بعض وقال بعضهم الفواحش هي الكبائر والإثم هو الصغائر والبغي هو ما أخذ ما عصم من مال أو نفس
بعقد الإسلام على ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله
إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها فكل ما صار معصوما بالإسلام من مال أو
نفس فأخذ ذلك بغي وظلم إلا ما ذكر بحقها وأصل البغي هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وقال أهل التأويل
الفواحش هو الزنا فما ظهر منها علانية وما بطن منها سرا لكن الفواحش ما ذكرنا أنه ما قبح في العقل
والسمع وفحش فيهما فهي الفاحشة وأصل المنكر كل ما لا يعرف كقول إبراهيم إنكم قوم منكرون والمنكر
ما أنكره العقل والسمع أيضا وقوله عز وجل وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أي وحرم ذلك
أن تشركوا بالله وقوله عز وجل ما لم ينزل به سلطانا ليس على أنه ينزل سلطانا على الإشراك محال لكن على أنهم أشركوا
بالله من غير حجج وسلطان لأن أهل الإسلام هم الذين يدينون بدين ظهر بالحجج والآيات وهم يدينون
بدين لا يظهر بالحجج والآيات ولكن بما هويت به أنفسهم واشتهت ويحتمل قوله ما لم ينزل به سلطانا
أي عذرا لأنه يجوز أن يعذر المرء بحال في إجراء كلمة الكفر على لسانه عند الإكراه ولا يعذر به كافرا
إذا كان قلبه مطمئنا بالإسلام مستترا به كقوله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان أي تشركون
بالله من غير أن ينزل بهم حال عذر وقوله عز وجل وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون أنه حرم كذا أو أمر كذا
أي تعلمون أنهم يقولون على الله ما لا تعلمون أنه حرم كذا وأمر كذا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون هذا
للجهل ولا دل على العلم كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم أي تنبئون الله بما يعلم أنه ليس ما تقولون وقوله
عز وجل ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اختلف فيه قال بعضهم

لكل

لكل أمة أجل هو بعث الرسل إليهم فإذا أتاهم الرسل فكذبوه وعاندوا فعند ذلك يهلكون وهو كقوله وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا ويحتمل أن
لكل أمة أجلا لا تهلك قبل بلوغ أجلها لا تستأخر ولا تستقدم فهذا يرد على المعتزلة لأنهم يقولون إن
من قتل إنما هلك قبل بلوغ أجله ويجعلون القاتل منه مستقدما الأجل ذلك المقتول والله تعالى يقول
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
إذا جاء لا يستأخرون وإذا لم يجئ لا يستقدمون وقوله عز وجل يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم قال أهل
التأويل إما يأتينكم رسل منكم أو سوف يأتيكم يقصون عليكم آياتي أي هداي كقوله فإما يأتينكم
مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقوله فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فلا ذلك يقصون عليكم آياتي أي هداي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويحتمل
الآيات الحجج والبراهين التي يضطر أهلها إلى قبولها إلا من عاند وكابر فمن اتقى اتقى الشرك وأصلح وآمن بالله
وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فمن اتقى يحتمل اتقى ما نهى الرسل أو اتقى المهالك وأصلح
فيما أمر به الرسل وأصلح أمره وعمله فلا خوف عليهم في ذهاب ما أكرمهم به مولاهم ولا فوته لأن خوف
الفوت مما ينغص النعم ولا يحزنون بفواته وإفاته تجبر أن نعيم الآخرة على خلاف نعيم الدنيا
وقوله عز وجل والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ونظير
تأويلها وقد ذكرنا في غير موضع حتى لم يأخذوا على أحد منهم وفي قوله يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم
يدل على خلقه من كثيرة ونقمة عظيمة حيث بعث الرسل من جنس المرسل إليهم أحدها أن كل ذي
جنس وجوهر يستأنس بجنسه وجوهره ويستوحش بغيره فمن عليهم حيث بعث الرسل من جنسهم و
جوهرهم ليستأنس بعضهم ببعض ويتألف بعضهم بعضا فذلك أخذ القلوب وأدعى إلى الاتباع
والإجابة والثاني بعث الرسل من قومهم الذين نشأوا بين أظهرهم وعرفوا صدقهم وأمانتهم
فيعلموا أنهم صادقين فيما يدعون من الرسالة حيث لم يظهر منهم الكذب والخيانة قط حتى لم
يأخذوا على أحد منهم الكذب والثالث أن الرسل لو كانوا من غير جنسهم وغير جوهرهم لم
يعرفوا ما أوتوا من الآيات والبراهين أنها آيات وحجج لما لا يعلمون أن وسعهم لا يبلغ هذا وطوقهم
لا يصل إلى ذلك وإذا كانوا منهم يعرفون ذلك إذا أوتوا التي خرج عن وسعهم أنها آيات وقوله
عز وجل والذين كذبوا بآياتنا قال الحسن ديننا واستكبروا عنها ويحتمل بآياتنا حججنا أي كذبوا
بحججنا فإذا كانوا الحجة كفروا به لأنه عز وجل لا يعرف من طريق الحس والعيان ولكن إنما يعرف من طريق
الحجج والآيات والدلائل فيكون الكفر بآياته وحججه كفرا به ويشبه أن يكون آياته آيات الرسالة
وحججها ويحتمل آياته هاهنا رسله أي كذبوا برسلنا سمى رسله آياته لأن أنفس الرسل كانت آيات
للخلق قولهم على وحدانية الله ورسالتهم من أعلام جعلت عن أنفسهم من ضد فهم وأمانتهم
واستكبروا عنها أي استكبروا التدبر فيها والنظر أولئك أصحاب النار لأنهم يصحبون النار و
الذي يوجب لهم النار أبدا فسموا أصحاب النار بذلك كما يقال صاحب الدار وصاحب
الدابة لأنه هو يصحبها دائما فعل ذلك هؤلاء سموا أصحاب النار لما هم يصحبونها دائما أبدا
والله أعلم وقوله عز وجل فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته قد ذكرنا فيما تقدم
أن قوله فمن أظلم إنما هو حرف استفهام وسؤال لم يخرج له جواب لكن أهل التأويل عرفوا
ذلك فقالوا لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا أجابوا على ما عرفوا من السؤال وإلا ليس قوله
لا أحد أظلم لنفسه قوله فمن أظلم أي لا أحد أفحش ظلما ولا أقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا مع
علمه أنه خالقه وأنه يتقلب في نعمه وأحاطت أياديه وإحسانه وقوله عز وجل فمن أظلم أي لا
أفحش ظلما ولا أقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا وقوله افترى على الله كذبا قيل الافتراء هو اختراع
الكذب من نفسه من غير أن يسبق له أحد في ذلك كقوله يفترينه بين أيديهن وأرجلهن وأما قد
يكون مما أنشأه هو وما قد يكون بما أنشأه هو وما قد سبق له أحد فسمع عنه ثم افتراؤهم على
الله أنواع يكون بما قالوا أن له ولدا ومما قالوا بأن له شريكا وصاحبة ومما عبدوا غير الله
وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ويكون بما قالوا وإذا فعلوا

فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ويكون بما حرموا من اشياء على انفسهم فانما قولوا
ذلك الى الله ونحو ذلك من الافتراء وقوله عز وجل اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اختلف
فيه قال الحسن اطاع الله في امره ونهيه واطاع رسله فقد كتب له الجنة خالدا فيها ابدا فذ
لك نصيبه وحظه من الكتاب الذي كتبت له ومن عصى الله وخالف رسله كتب النار فهو
نصيبه من الكتاب وقال ابو بكر الكيسانى في قوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اى حظهم من
الخير والعقاب في الاخرة وهو قول القتبى يحتمل وجهين اخرين غير هذين احدهما ما حرفوا من الكتب
وغيروها ثم اضافوا ذلك ونسبوه الى الله كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون
هذا من عند الله وقوله عز وجل وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما
هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله فصار ما حرفوا وغيروه سنة منهم يعملون
بها الى يوم القيمة فينالون هم جزاء ذلك يوم القيمة والثانى قوله ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من
الرزق والنعمة يستوفون ذلك المكتوب لهم ثم يموتون ثم قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم على هذا
التاويل جاءتهم الرسل بقبض ارواحهم وهو ظاهر وعلى تاويل من حمل ذلك على الجزاء في الاخرة فهو يحمل
المتوفى في النار لشدة العذاب وان كانوا لا يموتون وهو كقوله ياتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت اى ياتيه اسباب الموت وعلى تاويل من يحمل قوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب في الدنيا
في استيفاء الرزق وما كتب لهم يكون قوله حتى على الاثبات وعلى تاويل من يقول بان ذلك في الاخرة فيجب
ان يكون على الصلة والاسقاط وقوله عز وجل اين ما كنتم تدعون من دون الله يقول لهم الملائكة
في النار على تاويل هؤلاء وعلى تاويل اولئك عند قبض ارواحهم او بعد قبض ارواحهم وقوله اين
ما كنتم تدعون من دون الله اى تعبدون من دون الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او الاكابر التى ذكر بقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها اى اولئك الذين كنتم تعبدون من دون الله قالوا ضلوا عنا وهلكوا اى بطل عبادتنا
التى عبدناهم الا ترى انه قال في اية اخرى اذا ضللنا في الارض اى هلكنا وبطلنا وشهدوا على
انفسهم انهم كانوا كافرين فان كان قوله اى ما كنتم تدعون من دون الله الكبراء منهم والرؤساء
يكون قوله ضلوا عنا اى شغلوا بامرهم عنا وان كان وان كان الاصنام تكون قوله ضلوا عنا اى
بطل ما كنا نطمع من عبادتنا اياهم وهو قوله شفعاؤنا عند الله وقوله عز وجل قال ادخلوا
في امم قوله في امم يحتمل مع امم وذلك جائز في اللغة يقال جاء فلان في جنده فدخلت من قبلكم
من الجن والانس وفى النار المتبوعين والاتباع جميعا معا والعرب تضع حروف الخفض بعضها في
موضع بعض كقوله فادخلى في عبادى وادخلى قيل مع عبادى ويحتمل في موضعه كان المتبوعين
يدخلون النار قبل الاتباع بهؤلاء ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار
وفيه دليل ان الكفار من الجن يعذبون كما يعذب الكفار من الانس وقوله عز وجل كلما دخلت
امة لعنت اختها لعن الاتباع المتبوعين لما هم دعوهم الى ذلك وهم صرفوا عن دين الله كقولهم
اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا وقوله وقال الذين استضعفوا وغير ذلك من الايات
ولعن المتبوعين الاتباع لما يزداد لهم العذاب بكثرة الاتباع وبقدرهم فيلعن بعضهم بعضا
وفيه دلالة ان اهل الكفر وان اختلفوا في مذاهبهم فهم اخوة واخوات بعضهم لبعض كالمؤمنين
بعضهم اخوة واخوات لبعض وقوله عز وجل حتى اذا اداركوا فيها جميعا قال بعضهم هو من التدارك
اى حتى اذا تداركوا وتتابعوا فيها وقيل هو من الدرك لان النار دركات لا يزال اهل النار يهوون
فيها الاقرار لهم في ذلك اذ في القرار بعض السكون والراحة فلا يزالون يهوون فيها دركا فدركا وقيل
ولذلك سميت هاوية وقيل حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى اجتمعوا فيها فعند ذلك يتبرأ بعضهم من بعض
فان كان على التدارك فهو كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وان كان على الاجتماع فهو للتضييق
كقوله واذا القوا فيها مكانا ضيقا مقرنين الاية ويجتمعون يلعن بعضهم بعضا وقوله عز وجل قالت اخراهم
لاولاهم يحتمل قوله اخراهم الذين في اخر الزمان واولاهم الذين شرعوا لهم ذلك ربنا هؤلاء اضلونا
فاتهم عذابا ضعفا من النار يحتمل قوله اخراهم الذين دخلوا النار اخيرا وهم الاتباع لاولاهم الذين دخلوا

النار اولا وهم القادة والمتبوعون ربنا هؤلاء يعنى القادة والسادة اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من
النار كقوله يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وبشبه ان
يكون قوله قالت اخراهم لاولاهم ليس على القول بعضهم لبعض ولكن على الدعاء واللعن كقوله والعنهم
لعنا كبيرا وقوله فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف قال بعضهم لكل ضعفا النار لانها تابى
ان تزداد وتعظم وتكبر فذلك التضعيف وذلك للاتباع والمتبوع جميعا وقال بعضهم قوله لكل ضعف
اى للمتبوعين والقادة ضعف قال لهم ملك او خزنة او من كان ليس منا الى معرفة ذلك حاجة بعد
بعد ان يقال لهم ذلك وقوله عز وجل ولكن لا تعلمون في الدنيا ان لكم ضعفا منها وقيل لكل ضعف
ولكن لا تعلمون الحال بان لكل ضعفا من النار وقوله عز وجل وقالت اولاهم لاخراهم يحتمل اولاهم ما
ذكرنا الذين شرعوا لهم ذلك الذين وسنوا لهم لاخراهم الذين كانوا في اخر الزمان ويحتمل
اولاهم الذين دخلوا اولا لاخراهم الذين دخلوا النار اخيرا وهم الاتباع فما كان لكم علينا من فضل
قيل فيه بوجهين يحتمل ما كان لكم علينا من فضل في شئ فقد ضللتم كما ضللنا اى لم يكن لنا عليكم
فضل سلطان ولا كان معنا حجج وايات فقهرناكم عليه انما دعوناكم الى ذلك فاستجبتم لنا وقد كان
بعث اليكم الرسل مع حجج وايات لم تجيبوهم وهو كخطبة ابليس حيث قال وقال الشيطان لما قضى الامر
ان الله وعدكم الاية فيقول هؤلاء القادة للاتباع مثل قول الشيطان لجملتهم وقيل قوله فما كان لكم
علينا من فضل يعنى تخفيف العذاب اى نحن وانتم في العذاب سواء لا فضل لكم علينا من تخفيف
العذاب في شئ احد التاويلين في قوله كان فما كان لكم علينا من فضل يرجع الى الاخرة والاخر الى
الدنيا وقوله عز وجل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من الشرك والتكذيب لايات الله وكذلك الجزاء
بما كانوا يكسبون ويعملون وقوله عز وجل ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها هنا قد ذكرنا فيما تقدم
وقوله عز وجل لا تفتح لهم ابواب السماء قال بعضهم يعنى بابواب السماء ابواب الجنان لان الجنان تكون
في السماء فسمى ابواب السماء كان الجنان فيها الا ترى انه قال وفى السماء رزقكم وما توعدون وما يوعد
هو الجنة ثم اخبر انها في السماء الا ترى انه قال ولا يدخلون الجنة ايضا وقال اخرون ابواب السماء و
ذلك ان اعمال المؤمنين ترفع الى السماء يصعد اليها ارواحهم واعمال الكفرة وارواحهم ترد الى
اسفل السافلين كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال في الكافر ثم رددناه اسفل
سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فاذا كانت اعمال المؤمنين وارواحهم ترفع الى السماء و تصعد
اليها اخبر انه لا يفتح لهم ابواب السماء ولا لاعمالهم ولكن ترد الى السجين ويمكن ان يكون على
التمثيل ليس على تحقيق السماء ولكن ذكر السماء لما ان السماء هى مكان الطيبات من الاشياء وقرارها
لا مكان الخبائث والاقذار والارض هى مكان ذلك واعمال الكفرة خبيثة فكنى عن اعمالهم الخبيثة بالارض
هى معدن الخبائث والانجاس وكنى عن اعمال المؤمنين الطيبة بالسماء وهو كما ضرب مثل الايمان
الشجرة الطيبة الثابتة وفرعها في السماء وضرب مثل الكفر بالشجرة الخبيثة المجتثة من فوق
الارض ليس على ان يكون قوله فرعها في السماء على تحقيق السماء ولكن على الوصف بالطيب والعلو
فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل لا تفتح لهم ابواب السماء لا يستقيم مثله على الابتداء الا على نوازل
تستخرج ذلك نحو ان يكون قوله وقال لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى الاية او ان
ذكروا اعمال انفسهم انهم يعملون كذا فقال لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة فان قيل كيف خوفهم
بما ذكر من سد الابواب عليهم وجعل النار لهم مهادا وغواشى وهم لا يؤمنون بذلك كله فكيف خوفوا به
قيل ان المرء اذا خوف بشئ فانه يخاف ويهاب له ان لم يتيقن بذلك ولا يحقق عنده ما خوف به
حتى يستعد لذلك وان كان على شك من ذلك وظن نحو ذلك هؤلاء خوفوا بالنار وانواع العذاب
وان كانوا شاكين في ذلك غير مصدقين لما يجوزون ان يصيبهم ذلك او ان يخوفهم بذلك المؤمنين كقوله
واتقوا النار التى اعدت للكافرين وقوله فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين او ان يكون التخويف لمن امن
منهم بالبعث لان منهم من امن بالبعث والجزاء والثواب وقوله عز وجل ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل
في سم الخياط قال بعضهم حتى يدخل البعير في خرق الابرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما حتى يدخل الجمل
الذى يشد به السفينة في خرق الابرة وقال ابو عوسجة يعنى خرق الابرة اذا المسلة والجمل والخاط

وللابرة او المسئلة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس بالجبل ذوا القوائم يعني الفلس وقال ابن مسعود
هو الجمل ذو القوائم الاربع والله اعلم بما اراد وقوله عز وجل وكذلك نجزي المجرمين اي كذلك نجزي
كل مجرم وقوله عز وجل لهم من جهنم مهاد وقيل الفرش ومن فوقهم غواش هي اللحف والغواشي
ما يغشاهم فيه النار تحيط بهم من تحت ومن فوق وامام وخلف كقوله افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب يوم القيمة اي لا يتقي لا يحيط بهم العذاب وهو كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من
النار ومن تحتهم ظلل الاية اخبر ان النار تحيط بهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل
والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها قال ابو بكر الكيسا في قوله لا نكلف
نفسا الا وسعها ليس من جنس ما ذكر من قوله امنوا وعملوا الصالحات لكنه صلة قوله يا بني
ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح يقول فيما تقدم ذكره لا نكلف
نفسا الا وسعها من الاعمال الصالحات الا وسعها بل كلف دون وسعها ودون طاقتها
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقال الحسن قوله لا نكلف نفسا الا
ما يسع ويحتمل وهو صلة قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا لا يقول
لا نكلف نفسا الا وسعها ما يسع ويحل لا ما لا يسع ولا يحل وقوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم
من غل قال القتبي الغل الحسد والعداوة وقيل الغل والغش واحد وهو ان يضمر بعضهم لبعض من
العداوة والحقد وقيل الغل الحقد ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ونزعنا ما في صدورهم
من غل في الدنيا ينزع الله عز وجل من قلوبهم الغل يعني قلوب المؤمنين ويجعلهم اخوانا بالايمان
كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا الاية اخبر انهم كانوا اعداء فالف بين
قلوبهم بالايمان الذي اكرمهم به حتى صاروا اخوانا بعد ما كانوا اعداء قال الحسن ليس في قلوب
اهل الجنة الغل والحسد اذهبهما ويجزيان انما فيها الحب قال بعضهم هذا في الاخرة ينزع الله
تعالى من قلوبهم الغل الذي كان فيما بينهم في الدنيا ويصيرون جميعا اخوانا كقوله ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروي عن علي رضي الله عنه قال لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت في علي وابي بكر وعثمان وطلحة والزبير وابن مسعود وعمار وسلمان
وابي ذر رضوان الله عليهم اجمعين فينزع في الاخرة ما كان في قلوبهم من غش بعضهم لبعض في
الدنيا من العداوة والقتل الذي كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر الذي اختلفوا
فيه فيدخلون الجنة والله اعلم لان الذي كان بينهم من الاختلاف والقتال لكان دنيويا لم يكن
بحيث الدين فذلك يرتفع في الاخرة ويزول واما العداوة التي هي بيننا وبين الكفر فهي لا تزول
ابدا في الدنيا والاخرة لانها عداوة الدين والمذهب فذلك لا يرتفع ابدا ويشبه ان يكون قوله
ونزعنا على ابتداء النزع لا على ان كانوا فيه كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور الى الظلمات
على الابتداء والمنع اي لولا اخراجه اياهم من ذلك والا كانوا فيه فعلى ذلك قوله ونزعنا اي لم
نجعل في قلوبهم الغل رأسا ولو تركهم على ما هم عليه لكان منهم ذلك وفيه دلالة ان لله في فعل
العباد صنعا لان الغش من فعل العباد تمدح على ذلك ثم اخبر انه نزع ذلك من قلوبهم واستا
ديهم الشكر بذلك بقوله وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الاية وقد ذم من طلب الحمد على ما يفعل
فدل طلب الحمد منهم على ان له صنعا بذلك طلب منهم الحمد والله الموفق وقوله عز وجل تجري من تحتهم
الانهار ذكر هذا والله اعلم لما علم عز وجل من طباع الخلق الرغبة في هذه الانهار الجارية في الدنيا
فيما يقع عليها الابصار فرغبهم الاخرة بما كانت طباعهم وانفسهم تميل الى ذلك في الدنيا ليرغبوا فيما
امر وينتهوا فيما نهى ولكن لم يجمع ما ذكر في القران من القصور والخيام والجواري والغلمان والاكواب
والاباريق وغير ذلك مما يرغب طباع الخلق في ذلك في الدنيا وتميل انفسهم الى ذلك وعد لهم في
الاخرة ترغيبا منه لهم في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا قال
الحسن وغيره هدانا ودلنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واما عندنا ليس هو هداية الدلالة
والبيان ولكن الهداية التي اكرمهم الله بها بفضله ولطفه وهو توفيقه اياهم على الهدى اذ يخرج

يخرج

يخرج الامتنان والفضل ولو كان دلالة وبيانا لكان لا معنى لذلك المنة والفضل لان عليه الدلالة و
البيان والثاني لو كان على الدلالة والبيان لكان ذلك على كل احد على الرسل وغيرهم لان عليهم البيان
والدلالة فدل انه ليس على الدلالة والبيان ولكن غيره والثالث انه لا احد عنه نفسه انه يزيغ ويضل
وقت ما هداه الله ووفقه وقد يجوز ان يكون ذلك في الدلالة والبيان دل انه لم يحتمل ما قال اولئك
من الدلالة والبيان والله الموفق وقال بعض الناس ان المعتزلة خالفوا الله عما اخبروا وخالفوا الرسل
عما اخبروا عن الله تعالى وخالفوا اهل الجنة واهل النار وخالفوا ابليس اما مخالفتهم الله قوله ما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله ونحوه اما مخالفتهم الرسل قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم الاية وقول
اهل النار قالوا لو هدانا الله لهديناكم وقول ابليس قال رب بما اغويتني هو اعلم بالله من المعتزلة وقوله
عز وجل لقد جاءت رسل ربنا بالحق يحتمل وجوها يحتمل جاءوا بالحق اي بالدين الذي هو حق وجاءوا بالامر
التي من عمل بها كان صوابا ورشدا وكل حق هو صواب ورشد ويحتمل جاءت رسل ربنا بالحق اي
بالصدق ونحوه بالحق له وجهان احدهما بالحق الذي استحقه على عباده والثاني انهم جاءوا بالذي
هو حق بالعقول وجواب وقوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة وقوله تلكم انما تكلم من غائب وهم
فيها لكن تاويله والله اعلم ان تلكم الجنة التي كنتم وعدتم في الدنيا واخبرتم عنها هذه اورثتموها
بما كنتم تعملون اي اورثتم وفيه دلالة ان الايمان من جملة اعمالهم حيث قال اورثتموها بما كنتم تعملون
وانما يورثهم ذلك بالايمان وسائر الاعمال انما يسع بالايمان ذكر انهم اورثوا الجنة بما عملوا وان كانوا
ينالونها بفضل الله جزاء وشكرا لقولهم الذي قالوا ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقوله عز وجل
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قالوا نعم وما وعد المؤمنين عز وجل
وما فيها من النعيم واللذات والشهوات بقوله وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقوله [illegible]
هذا الذي وعد للمؤمنين ووعد الكفار وفيها من الشدائد وانواع العذاب فاقروا انهم قد وجدوا ما
وعدهم ربهم وقوله عز وجل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ان المراد بالحق الذي ذكر الوعد الذي وعدهم
وتفسير الحق الصدق وان كان الموعود فتاويله وجدتموه ما وعد ربكم حقا ان المراد بالحق الذي ذكر الوعد
الذي وعدهم وتفسير الحق الصدق وان كان الموعود فتاويله وجدتموه كائنا حاضرا وهو ما ذكرنا في
قوله ليعلم الله الذين امنوا كذا فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين اي وجب لعنة الله على الظالمين
الذين وعدوا في الدنيا وقوله عز وجل فاذن مؤذن بينهم يحتمل الملك ويحتمل غيره وليس يعرف ذلك الا
بالخبر وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة فان قيل نذكر في الاية نداء اهل الجنة اهل النار واهل
النار اهل الجنة ونداء بعضهم بعضا لا يكون الا بحيث يكون بعضهم قريبا من بعض وقد جاء في الاخبار
من وصف الجنة وسعتها ما روي ان اقل ما يكون لواحد من الجنة مثل ما عرض الدنيا وما ذكر ان
الحور العين لو نظرت نظرة الى الدنيا لامتلأت الدنيا من ضوئها ونورها وكذلك من ريحها وعطرها
وقد جاء في وصف النار ان شرارة منها وقعت في الدنيا لاحرقته او كلام نحو هذا فاذا كان بعضهم
من بعض بحيث يسمعون بعضهم نداء بعض الا بتاء ذي اهل الجنة بالنار ولا ينتفع اهل النار
بنعيم الجنة وكيف يعرف ذلك قيل والله اعلم وقادر ان يوصل نداء هؤلاء بمسامع اولئك
ونداء اولئك بمسامع هؤلاء مع بعد ما بينهما فيسمع كل فريق نداء الفريق الاخر والا يكون الله
تعالى ينقض بنية هذا الخلق ويبنيهم في الاخرة على غير هذه البنية مع ارتفاع الافات والحجب هي
التي تمنع ذلك فاذا ارتفع ذلك كانه ما ذكر والله اعلم او يقرب الجنة من النار والنار من الجنة
بحيث يسمع بعضهم من بعض ما ذكر من النداء او يجعل ذلك في مسامعهم بما شاء وكيف شاء
كتسبيح الجبال وخطاب النمل وجوابه وقوله عز وجل الذين يصدون عن سبيل الله الصد يكون
منع غير ويكون منع نفسه وقوله عز وجل سبيل الله قيل دين الله قال الحسن سبيل الله دين الله
الذي ارتضى لعباده وامرهم بذلك والى ذلك دعاهم رسله وقوله عز وجل ويبغونها عوجا اي يبغون
الدين الذي فيه عوج وهو دين الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فالعوج
هو التفرق الذي ذكر في تلك الاية ويحتمل ان يكون قوله يبغونها عوجا اي طعنا في دين الله وقد
كانوا يبغون طعنا في دينه وقوله عز وجل وبينهما حجاب يشبه ان يكون ما ذكر من الحجاب ما ذكر

ما ذكر في اية اخرى وهو قوله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فيمكن
ان يكون الحجاب المذكور بينهما هو السور الذي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون
كلا بسيماهم قال بعضهم هو قوم استوت حسناتهم بسيئاتهم لم يبشروا بالجنة حتى لا يخافون عقوبة ولا
ايسوا حتى لا يطمعون ولا يرجون دخولهم فيها وقال اخرون هم اهل كرامة الله اكرمهم الله بذلك ير
على ذلك السور ليبصروا الحكم الله في الخلق وعدله فيهم وينظرون الى احسان الله فيمن يحسن اليه
وعدله فيمن يعاقبهم وقيل هم الانبياء والاشبه ان يكون الانبياء يكونون على الاعراف ليشهدون
على الامم كقوله اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال قائلون الملائكة
لكن ملائكة الله ما يسمون رجلا ولم نسمع بذلك ثم اختلف فيه قيل سموا اصحاب الاعراف وهو
سور بين الجنة والنار سمي بذلك لارتفاعه وكل مرتفع عند العرب اعراف وهو قول القتبي
وقال غيره الاعراف هو عرف كعرف الديك والفرس وهو ايضا من الارتفاع وقال الحسن هم اصحاب
التعريف يعرفون اهل النار عدل الله فيهم وحكمه وان ما حل بهم من الشدائد وانواع العذاب انما
حل بهم مما كان منهم في الدنيا من صدهم الناس عن سبيل الله واستكبارهم على الرسل يعرفونهم
ان ما نزل بهم انما نزل بعدل منه ويعرفون اهل الجنة فضل الله واحسانه اليهم ان ما نالوهم انما
نالوا بفضل منه واحسانه او قوم نصبهم الله للمحاجة اهل النار كقوله ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم
تستكبرون فهذه هي المحاجة التي يحاجون بها اهل النار وان يقال هم قوم نصبوا يترجمون
بين اهل الجنة واهل النار يردون كلام بعضهم الى بعض ويبلغون مخاطبات بعضهم الى بعض من ذلك
قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ونحوه والله
اعلم منهم وقوله عز وجل يعرفون كلا بسيماهم قيل المؤمن يعرف ببياض وجهه والكافر بسواد وجهه
ويحتمل ما قال الحسن هو ان يعرفوا بالمنازل والاماكن وقوله عز وجل ونادوا اصحاب الجنة يعني نادى
اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم ليس ان يقولوا سلام عليكم باللسان خاصة ولكن
في كل كلام سديد وقول حسن جواب كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اي شديدا صوابا وكذلك
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس على ان يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون لهم قولا صوابا
محكما فصل ذلك الاول وقوله عز وجل لم يدخلوها وهم يطمعون اختلف فيه قال عامة اهل التاويل
هم اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون دخولها وقيل هم كفار اهل النار يطمعون ان ينالوا
منها كقوله ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الى هذا
الوقت كانوا يطمعون دخولها والنيل منها ثم ايسوا بهذا وقال بعضهم هم اهل الجنة يطمعون
دخولها قبل ان يدخل اهل الجنة وقبل ان يدخل اهل النار النار وقوله عز وجل واذا صرفت ابصارهم
تلقاء اصحاب النار وقيل واذا صرفت اصحاب الاعراف الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
من شدة ما يرون من العذاب وما نزل بهم وقيل واذا صرفت ابصار اهل الجنة تلقاء اصحاب النار
قالوا ذلك وفي حرف ابي واذا قلبت ابصارهم نحو اصحاب النار قالوا عائذون بك ان تجعلنا ربنا
مع القوم الظالمين وقوله عز وجل ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ان كان ذلك الدعاء من
الانبياء او من اهل كرامة الله الذين كانوا على الاعراف فذلك منهم شهادة انهم ظلمة وكفرة و
معنى التعوذ منهم النار لانهم لم يدخلوا الجنة بعد فيخافون التقصير كان منهم في شكر المنعم
وبالتبليغ يتعوذون وذلك يتعوذ كل احد اذا راى احدا في البلاء والله اعلم وقوله عز وجل ونادى
اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال عامة اهل التاويل يعرفونهم بسواد الوجوه وزرقة
العيون ولكن امكن ان يعرفوا بالاعلام التي كانت لهم في الدنيا سوى سواد الوجوه لانهم يخاطبون
بقول قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون فلو لم يعرفهم بما كانت في الدنيا لم يكونوا
يعاتبونهم بجميع الاموال والاستكبار في الابا ويقول للفقراء ذلك انما يقال للاغنياء لانهم هم
هم الذين يجمعون الاموال وهم المستكبرون على الخلق كقوله وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين ويشبه ان يكون الخطاب الكل ومنهم من تدجج واستكبر وذلك جائز هذا على تاويل

من يحمل

من يحمل اصحاب الاعراف الذين استوت حسناتهم بسيئاتهم وقوله عز وجل اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله
برحمة قال عامة اهل التاويل اقسم اهل النار ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة ولكن يدخلون النار
معهم فتقول الملائكة لاهل النار هؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم
ولا انتم تحزنون ويحتمل ان يكون القسم الذي ذكر في الاية كان منهم في الدنيا قالوا يقسمون ان
لا يدخل هؤلاء الجنة يعنون اصحاب رسول الله عليه الصلوة والسلام كقوله ولو كان خيرا ما سبقونا
اليه كانوا يقولون الذي هم عليه لو كان خيرا لنالوهم ذلك اذ نالوهم كل خير في الدنيا يعنون انفسهم فعلى
ذلك ينالون في الاخرة مثله ونحو ذلك من الكلام الذي يقولون في الدنيا فيقولون لهم في الاخرة هؤلاء
الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ويمكن ان يكون قوله ادخلوا الجنة لاهل الجنة قبل ان يدخلوها وقوله
عز وجل لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قال الا انه يكون الحزن في فوت كل محبوب والخوف في نيل كل
مكروه كقول يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب ذكر الحزن عند فوت محبوبه
والحزن عند نيل المكروه ولكن عندنا الحزن انما يكون بفوت الموجود من المحبوب والخوف بما يستقبله
من المكروه وقوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم
الله قال الحسن الماء مما رزقهم الله ولكن مكرر مثنى وقال ابو بكر طلبوا الماء ليدفعوا عن انفسهم
ما اشتد بهم من العطش والعطش ثم تقع لهم الحاجة الى الطعام لان الرجل اذا اشتد به العطش
والظما لا يتهيا له الاكل ولكن يشبه ان يكون طلب بعضهم الماء وبعضهم الطعام الذي رزقهم الله
وهذا جائز وان لم يذكر كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لم يكن هذا القول
من الفريقين ولكن كان من اليهود الا من كان هودا ومن النصارى او نصارى فعل ذلك هذا والله اعلم
وقوله عز وجل ان الله حرمهما على الكافرين قيل هذا مقابل قولهم في الدنيا للمؤمنين انطعم من لو يشاء
الله اطعمه قال لهم المؤمنون في الاخرة مقابل ما قالوا لهم في الدنيا ان الله حرمهما على الكافرين
وهذا والله اعلم ليس على التحريم ولكن على المنع لان الكفرة لا يسالون بعد ان نالوا ذلك تحريما كان
او حلالا ولكن على المنع كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع ليس هو تحريم حرمة اكل ولكن منع ويشبه ان
يكون ذلك محرما على المؤمنين اطعاما الكافرين من ذلك وقوله عز وجل الذين اتخذوا دينهم لهوا
ولعبا قال الحسن اتخذوا دينهم الذي كلفوا به وامروا ان ياتوا به لهوا ولعبا وجائز ان يكون قوله
دينهم لهوا ولعبا اي اتخذوا دينهم الملاهي التي كانوا يلهون ويلعبون كقوله وما كان صلوتهم عند البيت
الا مكاء وتصدية اي اتخذوا دينهم الذي دانوا به لهوا ولعبا لانهم كانوا ينكرون البعث وفي انكار
البعث انكار الجزاء للحسنات والسيئات وفي الحكمة ايجاب ذلك فمن لم يرد ذلك فهو لاه ولاعب
واللهو واللعب هو الذي لا عاقبة له وكل من عمل عملا لا عاقبة له فهو لعب ولهو وكل من يعمل لعاقبة
فهو ليس بلعب ولا لهو وهم كانوا يعملون لا لعاقبة لذلك كان لهوا ولعبا وقوله عز وجل وغرتهم
الحيوة الدنيا لا تغر احدا ولكن اضيف اليها التغرير لما كان سببا من اسباب الاغترار بها فاضيف
اليها كقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا اضاف الفرار الى الدعاء وقد يضاف الشيء الى سببه كقوله
والنهار مبصرا اي يبصر به وقال بعضهم اضيف ذلك اليها لما كان منها من السبب من الميل
ما لو كان ذلك من ذي العقل والتمييز كان ذلك غرورا من نحو التزيين وغيره وجائز ان يكون على
اضافة التحذير اليها على ارادة اهلها اي غرهم اهلها وهم القادة والرؤساء وقوله عز وجل
فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا لا يجوز ان يضاف النسيان الى الله تعالى ولكن يجوز
ان يقال نجزيهم جزاء نسيانهم فسمي الثاني باسم الاول وان لم يكن الثاني نسيانا نحو قوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها والثانية ليست بسيئة ولكن جزاء جزاء السيئة لكن سماها باسم السيئة لما هي
جزاؤها فعل ذلك هذا وكقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثاني ليس باعتداء ولكنه
جزاء الاعتداء ولما هو جزاؤه فعلى ذلك سمي الثاني نسيانا لانه جزاء النسيان وان كان الله لا يجوز
ان ينسى او يسهو عن شيء او يغفل ولان في النسيان تركا وكل شيء متروك فتركهم في العذاب
والهوان كما تركوا امر الله ونهيه في الدنيا وقال الحسن ان الله لا ينسى شيئا ولا يسهو ولكن
الكفرة يكونون على الكرامة والرحمة والمنزلة كالشيء المنسي وعن العذاب والهوان لا او كلام

نحو هذا وقوله عز وجل وما كانوا باياتنا يجحدون قال بعضهم ما ههنا صلة كانه قال وكانوا
باياتنا وقال بعضهم هو على ما ذكر اى اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم وكانوا باياتنا يجحدون
وقوله عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه يحتمل قوله فصلناه بيناه والتفسير التبيين
يحتمل قوله فصلناه اى فرقناه فى انزاله لم ننزله جملة واحدة كقوله وقرانا فرقناه للناس اى
فرقناه فى الانزال على قدر النوازل بهم ليعلموا حكم كل اية نزلت بالنوازل التى وقعت بهم لانه
ليس الحاجة الى معرفة ما فى كل اية نزلت عليهم على حدة بل يعرفون ذلك بالنوازل مفرقا او
ان يكون معرفة ما فيه من الاحكام اذا كان منزلا بالتفاريق اهون وايسر على الطباع عن معرفة
ما فيه اذا انزل جملة ثم قوله فصلناه على علم منه يحتمل وجوها يحتمل فصلناه اى بينا بالحجج والبراهين
على علم منه ان الخلائق لا تقوم باتيان مثله ليعلم انه من عند نزل او انزله مفصلا على علم
منه بمن يصدقه ويتبعه وبمن يكذبه ولا يتبعه او على علم منه بمصالح الخلق ان انزله صلح للخلق
اى على علم منه بمعاملة القوم اياه انزله لان المنفعة فى انزاله للمنزل عليهم المرسل خص بالرد
والمنفعة لهم وقوله عز وجل هدى ورحمة لقوم يؤمنون قال ابو بكر هو هدى للكل للمؤمن
والكافر جميعا ورحمة للمؤمنين خاصة واما عندنا فهو هدى للمؤمنين وعمى على الكافرين على ما
ذكر وهو عليهم عمى خص المؤمنين بالهدى لهم لانهم هم المخصوصون بالانتفاع به وقوله اولئك
وعلى اولئك عمى وحبس على ما ذكر وصار للمؤمنين حجة على اولئك وقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم
هذا للكافرين وقال للمؤمنين فزادتهم ايمانا وقوله عز وجل هل ينظرون الا تاويله اى ما ينتظرون
الا وقوع ما وعدلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من نزول باس الله بهم اى لا يؤمنون الا بعد
وقوع الباس بهم لكن لا ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل
قد جاءت والتاويل هو ما ينتهى اليه الامر ويؤول وما يقع بهم من الباس الموعود لهم وايمانهم ما ذكر
من قولهم قد جاءت رسل ربنا بالحق يعنى بالحق الواقع بهم من باس الله الذى كانت الرسل تعد لهم
اى ان ما وعد وان وقوع الباس بنا كان حقا ويحتمل قوله قد جاءت رسل ربنا بالحق اى بالتوحيد الذى
جاءت به الرسل فى الدنيا ان التوحيد كان حقا وان الذى اخبر الرسل من هذا اليوم كان حقا
وقوله عز وجل فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا كانهم اذا حل بهم ووقع ما وعد لهم الرسول من
الباس تمنوا عند ذلك الشفعاء الذين كانوا يعبدونهم فى الدنيا كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
كما كانوا يطمعون فى الدنيا شفعاء اذا بدا لهم امر عظيم فيشفع بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا
فى هذه الدنيا فعل ما كان لهم فى الدنيا تمنوا فى الاخرة ذلك فاذا ايسوا عن ذلك وايقنوا ان لا يشفع
يشفع لهم فعند ذلك قالوا او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل لانهم قالوا كذا ذلك مجموعا كقوله يا ليتنا
نرد ولا نكذب بايات ربنا الى قوله لعادوا لما نهوا عنه وقال بعضهم لو ردوا فى الدنيا لعادوا الى ما
نهوا عنه وقال اخرون لو ردوا الى المحنة الى الامر والنهى لصاروا الى العمل الذى كانوا يعملون
ثم اخبر انهم قد خسروا انفسهم بعملهم الذى عملوا فى الدنيا وبعبادتهم غير الله وضل عنهم ما كانوا
يفترون اى بطل عنهم ما كانوا يفترون ان هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وغير ذلك من الافتراء ذلك كله قد بطل عنهم فبقوا حيارى وانقطع رجاؤهم واملهم
الذى طمعوا فيه قوله قد خسروا انفسهم عن رحمة الله وقيل بما وعدوا لو اطاعوا وقيل اهلكوها عز
وجل ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وذكر ما بينهما فى مواضع ولم يذكر
فى مواضع وذلك داخل فى ذلك بقوله ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين
وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين الذى صنع ذلك وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها ثم جمع المؤمنين الاولين ذكر واحدة وقال فى اربعة ايام سواء للسائلين
ليعلم ان الخلق فى يومين ثم قال استوى الى السماء الى قوله فقضاهن سبع سموات فى يومين فتصير
ستة الايام التى بينهما فى غير ذلك والله اعلم ثم قد بين عز وجل سفاه قول من عبد غيره وعجز كل
ذلك عما له يعبد وجهله بمعنى العبادة وخروجه عن الاستحقاق بما فيه عن اثار التدبير وعليه
من دلالة التقدير واستحقاق جميع ما فى الخلقة ودخوله تحت الصنعة وحاجته الى من احتاج

اليه كل تما هى التى تبعث على العبادة وتوجب اظهار الذلة والخضوع لمن هو كذلك فى الخلقة والجوهر
فالزمهم الفزع الى من يدلهم الى الرب الحق ويدعوهم الى المعبود المتعال عن الاشباه والاضداد بما
يوجبا للشبه والمشاكلة وفى وجوب ذلك دليل على ما اخذ له شكله وذلك اية الصنعة ودلالة
الحدث وفى تحقيق الضد خوف ذهاب وفساد فيضمحل الالوهية فيستوجب حق الحق تحت التقدير
والقيام على ما شاء من له التدبير جعل الله سبحانه على توهم ذلك فاكرم من بعثه الحاجة الى معرفته
ودفعته الخلقة الى العلم بمن انعم عليه واختصه من بين كثير من خلقه بما يكتب فيه ما به يدبر
امر غيره وبه يعرف قدر النعم عليه لمن اكرمه به فيشكره او لا وبه يحمد على اعطاء فن بالمهار ذلك
على لسان رسوله الذى عرف خلقه بما نصب من ادلة تصدقه واثار امن تجمع عصمته عن الكذب فيما
ينبئ واصابته فيما يخبر فقال ان ربكم الله الذى لا رب غيره كم سواه ولا احد من الخلائق هو الله
الذى لا اله غيره يوجهوا اليه العبادة فى الحقيقة ويؤدوا اليه شكر ما انعم عليهم وان كانت نعمه
اعظم من ان يجزيها العباد وحقه اجل من ان يقوم به العباد لولا ان الله سبحانه لم يرد من العباد
على ربوبيته والدليل على الوهيته سوى ما انطق به على لسان رسوله بعد الايضاح انه لا ينطق
الا بالحق ولا يقول الا الصدق لكان ذلك بيانا شافيا لكنه بفضل رحمته بين الادلة التى
تحقق ذلك ونعلم انه كما اخبر رسوله ان ان تعاملنا الحق ويجابر الفعل فقال عز وجل الذى خلق
السموات والارض الى اخر ما ذكر دلالة خلق ما ذكر من اثار التدبير وعجيب التقدير الذى به
قوام كل ممن يحتمل المنافع والمضار واتصال ما بين السماء والارض على تباعد بعض من بعض
فى المنافع مع جمع الاضداد التى من طبعها التنافر فى اصل ما ذكر حتى صارت كالاشكال بعد ان
كانت السموات والارض متشبهة لا تشعر بما فيها من الحكمة ولا بالذى فيه من الامن ل
اى وجه يقتضى الحاجة ليدل ان مدبرا لكل واحد وانه حكيم عليم وضع كل شئ موضعه ود
كل ذى عقل على الوجه الذى يظفر بحاجته ويقيم به اوده ويصل الى بغيته وسخر الذى ذكر
فصير كله من ذلك جاريا دائبا بما لا ينتفع هو به ولا مضرة عليه فيه ليعلم انه لغيره قد بر
وقدر ولحاجة غيره يسر وكذلك الذى جبل على القرار وامسك عن الزوال من غير ان
كان له فى حقيقته احد الوجهين نفع او ضر ليعلم ان تدبير ذلك جرى لا له ولكن لاهل
الممتحنين الذين بهم يظهر العز والشرف وينيل الجود والكرم ويعظم الملك والسلطان اذ
عندهم تمييز الاحوال وتفريق الامور وتوجيه كل الى حقه واعطاء كل ذى فضل فضله فيعلم
من هذا وصفه انه لم ينشئ عبثا ولا خلق باطلا اذ به يعظم قدر كل خلق ويشرف حلا له كل
جليل لم يجز اهمال مثله فيكون خلق الجميع لغيره شئ معا فى ذلك من فنائه وتبدده الذى
فى الحكمة قصد مثله فى العقل يوجب العبث ثبت انه خلق للمحنة والدار البقاء ولكن جعل
البقاء جزاء والفناء محنة ليكون البقاء هو المنتهى فيعظم القصد فى الابتداء اذ فاسد
ان يجعل المحنة للبقاء فيدل على حاجة الممتحن مع ما فى ذلك زوال الجزاء اذ محال تقديمه
على ما له الجزاء والله الموفق ثم الاصل ان الله سبحانه جعل العقل جزاء من عالمه وجعله دليلا
لاهله فى معرفة المساوى والمحاسن وعلما للتمييز بين الحكمة والسفه وبين الاتقان والعبث و
وجعل بالذى يعرف المحمود من المذموم والمرغوب فيه من المرجور عنه فلم يجز ان يكون انشاء كل العالم
على غير الحكمة لانه سفه وهو بالذى جزء من العالم يعلم به الذميم من الحميد ثبت انه انشئ للحكمة
وعلى ذلك تقدير كل عاقل على احتمال ما يضره وينفعه بحق الجزاء والمحنة فثبت ان ذلك المحنة ثم
الهلاك بلا جزاء ولا نفع للممتحن عبثا وسفه فلزمه القول بالبعث واثبات دارين ثم كانت
لكل شاهد دليل غائب يحمد عليه او يذم وكذا نعمل كل ذى عقل انما هو لعاقبة يحمد عليه او يفعل
عنه فيلام عليه فعلى ذلك امر تدبير هذه الدار من اخرى فلا يجوز ان تخل الحجة عن الدلالة ولا تخلو
كل جزء منها وجملة الافعال عن العواقب والواحد منها اذا خرج عبثا وسفها ثبت بالذى
ذكرت القول بالتوحيد وبالدارين وبالرسالة اذ بها يعرف العواقب بما هى كائنة وحقائق كل غائب
تعرف بالاخبار عنها والدلالة عليها ثم لا دلالة على ماهية الجزاء ولا الشكر والعبادة الا الدلالة

من حيث التدبير على العلم بها جملة لزم القول بالرسل ولا قوة الا بالله ثم قوله في ستة ايام يحتمل
وجهين احدهما تلك اصول الاشياء التي يكون غيرها بحق التولد من ذلك والانقلاب ويحتمل ان يكون
على خلق كلية كل شيء مما عليه تركب هذا العالم الى ان يبدل بعالم آخر لا يبيد ولا يفنى فان كان على
الاول فهو ستة من السبعة التي عليها مدار المدد والازمنة اذ جعل جل ثناؤه جميع ما ذكر
من الخلائق تحت الازمنة والاوقات ويزول بزوال مدارها وكذلك عندنا كل الحوادث اذ
لكل منها بداء يصير بذلك وقت ابتدائه وذلك ينقض على الباطنية قولهم المبدع الاول لا يقع
عن الزمان والمكان وانه لا يبيد ولا يفنى ولو كان كذلك مبدعا ولكن كان قديما لا يقع عليه
الابداء فلما وقت ثبت له البدء فيجب وصفه بالوقت من حيث الابتداء وهو ايضا معلول عندهم
وعلة فيه وهو الابداء مما لو زالت علة لباد واذا ثبت ان علة اوجبته واحدثته بعد ان لم يكن
توجب له وقت به كان او كان فيه والله اعلم ثم على هذا كان انشاء من ذكر في الايام الستة ولم
يذكر في ذلك ممتحنا فيشبه ان يكون وقت كون الممتحنين يوم السابع وبهم تم ظهور
الملك واستوى على العرش وهو الملك اذ لم يكن قبل ذلك من له التمييز ومعرفة الملك والسلطان
وقدر العلم بالمحامد والمعالي واضداد ذلك انما يكون بالرسل الذي ركب فيهم العقول واكرموا
بالتمييز ومما لهم يجعل العالم وهم المقصودون من الانشاء لذلك جعل كل من سواهم مسخرا لنا فهم داخلة
تحت افهامهم مما يحتمل اكثر ذلك تدبير ليعلم انهم قصدوا لانفسهم ولمعرفة ما عليهم من شكر النعم
والعبادة فكان بهم ظهور تمام الملك وبلوغه النهاية فاخبر بالاستواء اذ هو وصف العلو والرفعة
ووصف التمام في الرتبة والقدر كقوله ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وذلك في معنى
الاستواء على العرش من حيث ظهور الملك وبيان الحجة والربوبية للمستدلين والمعتبرين وان
وان كان التاويل هو الثاني يخرج على وجهين احدهما قال بعض اهل التفسير ان كل يوم من ايام الآخرة
كالف سنة لم يبين لنا مقدار ذلك فجائز ان يكون منتهى تدبير هذا العالم الى ذلك لستة
ايام بمعنى ستة الاف سنة على القدر الذي قدره الله ثم يكون اليوم السابع هو يوم القيمة لا ... جديد
ابدا ولا ينقضي فيه تبدل العالم ويبقى كل ممتحن له بالملك والجلال وان كان كذلك في الازل ففي
ذلك اتفاق القول من طريق الاختيار والعلم بذلك من كل جبار وغيره وعلى ذلك ما قيل لمن الملك
اليوم وقيل وبرزوا لله جميعا وقيل والامر يومئذ لله ونحو ذلك على ان له الملك ابدا وكذلك لم
يكن يخفى عليه شيء لكن ذلك مما يعلم كل انه كذلك فبذلك يتم ظهور كل معنى من ذلك وان كانت
حقيقته موجودة قبل ذلك وعلى ذلك القول حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونحو ذلك
انه اذ ذلك يظهر لكل معلومة فاضيف اليه بحرف الابتداء وهو عن ذلك متعال فعلى هذا جميع ما بينا
وبذلك ظهور تمام شرائط الملك والاعتراف من الكل بذلك والله اعلم والثاني ان يكون تلك
الايام الستة على ما في علم الله تعالى تقديرها لا يعلم احد سواه الا من طريق الجملة التي ادى وقد بين
يوما خمسين الف سنة ويوما كالف سنة فهذه لا يعلم غيره ثم كان اليوم السابع يوم تبلى السرائر
وتقع العقوبة والمثوبة وهو المقصود من خلق العالم الاول فيكون ما ذكر من تمام الظهور و
والله الموفق وعلى هذا لو قيل بما قيل يحملون العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
قيل ليس ان المراد من هذا العرش الاول وجائز ان يكون هذا هو السرير المعروف فيشاء من النور
وما شاء ليكرم به اولياءه يوم القيمة والاول هو الملك الذي يظهر تمامه وعلوه على ما بيناه
ثم لو كان العرش الذي قال عز وجل الرحمن على العرش استوى هو ما فهمه اهل التشبيه من مكان
لم يكن يجب ان يفهم من الاستواء عليه الاستقرار وان يكون الله مكانا يوصف بالكون فيه وعليه لانه
ليس في كون احد في مكان وان جل قدره وعظم خطره رفعة ونباهة فيما يتعارف من امر الملوك والاجلة
بل كل منسوب الى مكان من جهة التمكين فيه والقرار منسوب الى استعانة وحاجة منه اليه جل عن
ذلك وعلى انه اراد ان يكون مثله او اعظم منه لكان له عديلا بالعظمة او دونه ومن استحق الجلوس
على مكان لا يعطى بها ويقصر عنه اذ قد يجوز ان يزاد فيه فيكون اعظم منه جل الله عن هذا الوصف
وتعالى كان ولا مكان فهو على ما كان يتعالى عن الاستحالة والتغير اذ هو اثر الحدث وامارة

الكون بعد ان لم يكن ولا قوة الا بالله ثم الاصل انه لو كان فهو باضافة الله الى العلو عليه تعظيم له
وعلى ذلك في كل يضاف الى الله او الله اليه من جهة الخصوص فهو على تعظيم ذلك لا على ان
يفهم منه ما يفهم مثله من الخلائق نحو القول بان المساجد لله وناقة الله وزينة الله وحل...
الله ونحو ذلك فما بال المشبهة فهمت من اضافة الاستواء على العرش المعنى المكروه على احتمال
الاستواء معاني سوى الذي ذكروا اذ يقال ومستوى ثم واستوى قصد واستوى على
واستقر باستقر واستوى استولى فاذا كان معناه يتوجه الى هذه الوجوه لم يحتمل ان يكون احد يقدر
من ذلك الا ذم ما يتوجه اليه ويعتمد عليه لولا الجهل به ثم الاصل ان الاضافات الى الاشياء تعني
المقصود بها وان كان في ظاهر المخرج واحد باختلاف من اليه القصد بالاضافة والاسانيد جميعا
يقال جاء الحق وجاء فلان وبيت فلان وبيت الله وقيل في الملائكة وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
وقال في الفتنة اولئك اصحاب النار ونحو ذلك لا على الجمع في المعنى فالاستواء الذي يتوجه الى
وجوه احق بذلك والله الموفق ثم قد قيل في قوله ثم استوى على العرش بوجوه احدها ما قال
ابو بكر الاصم هو التقديم والتاخير كانه قال ان ربكم الله الذي استوى على العرش ثم خلق ما ذكر
فيكون معناه خلق كذا وقد استوى على العرش كقوله خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
بمعنى وقد جعل منها زوجها وعلى هذا ليس في قوله ان ربكم الله الذي استوى على العرش الشبهة
التي في الاول كما لم يكن في قوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اذ انصرف الى عند شبهة فيكون
وقد استوى خلق العرش كقوله ثم استوى الى السماء بمعنى ثم خلق السماء او قصد خلقه ونحو
ذلك وقال الحسن ثم استوى على العرش اي استوى عليه امره وصنعه اي لم يختلف عليه صنع
العرش وامره وان جل امر غيره وصنعه كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة على استواء
الامر في التدبير والصنع وقال الحسين معناه استوى على العرش كما يقال استوى فلان على
بغداد بمعنى استولى وقال قوم معناه استولى عليه وهو فوق كل شيء في القدرة والعظمة تعظيما له
على غير اختلاف في التحقيق بينه وبين غيره كالذي ذكر بان الامر كله يوم القيمة له والمساجد له
على التعظيم دون تخصيص له في ذاته من حيث ذلك وقال قوم اذا كان العرش فوق كل شيء
في تقدير المعارف فهو هو علاه بمعنى لا يوصف في الخلق ويكون على ما كان ولا خلق ونحن نقول
وبالله التوفيق قد ثبت من طريق التنزيل بانه استوى على العرش وقد لزم القوم بانه ليس
كمثله شيء وعلى ذلك اتفاق القول ان لا يقدر كلامه بما عرف من كلام الخلق ولا فعله به وما
يوجبه ولا علمه ولا ما قيل صواب كذا وما لك كذا لا يراد به المفهوم من الخلق لكن الوجه الذي
يليق به وما يوجبه حق الربوبية فمثله في الاول ثم يلزم تسليم المراد لما عنده اذ لم يبينه لنا
وقد ثبت نفي ما يفهم من غيره وبعد فان القول فيه بالمكان يفسد بالذي يحتج بوجوه
احدها ان قوله ثم استوى على العرش اخبار عن فعله الذي في التحقيق يضاف اليه في خلق
الخلق على اختلاف المخرج في القول نحو ان ذكر مرة ابدع ومرة فطر وجعل وانزل وانبت و
كتب واعطى وانشاء وغير ذلك من الالفاظ حقيقة ذلك انه خلق اذ ذلك معنى فعله
في الحقيقة وعلى ذلك كون وفعل وامر في بعض المواضع ثم يجب توجيه كل من ذلك الى
الوجه الذي يليق فيه القول بخلق وكذا في هدى واضل وزين واتفق والحكم ونحو ذلك
كذلك في قوله ثم استوى على العرش يجب ان يقابل بذلك بخلق اذ هو اضافة الى فعله
ثم يخرج على وجهين احدهما ثم خلق العرش ورفعه واعلاه بعد ان كان العرش على الماء
كقوله ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ثم تنقل من حال الى حال اذ لو كان
كذلك لكان يصير حيث ثم ينتقل من خلق الى خلق فيما يخلق فيكون في الوقت الذي
يصير الى العرش صائرا الى الثرى وفي الوقت الذي يحدث ويخلق ما في الارض وما
في السماء منتقلا من ذا الى ذا وذلك تناقض فاسد وفي ذلك بطلان معنى القول
بالاستواء على العرش بل يكون ابدا غير مستوى عليه حتى يفرغ من خلق جميع ما يكون ابدا
وذلك متناقض فاسد جل الله عن هذا التوهم وبالله التوفيق والثاني ان يكون

قوله ثم استوى على العرش اى الى العرش فى خلقه ورفعه واتمامه دليل احتمال على ذلك ان من
حروف الخفض قد يوضع موضع بعض كقوله اذا اكتالوا على الناس وقوله اذ وقفوا على
ربهم بمعنى عند ربهم مع ما قال الله ان علينا بيانه وعلى الله قصد السبيل بمعنى اليه وعلى ذلك
ثم استوى على العرش الى العرش وهو على الماء كما ذكر فرفعه واتمه كما قال ثم استوى الى السماء
وهى دخان فخلق ما ذكروا والله اعلم والوجه الثانى المذكور فى الاية من اسم الرب وخلق
وتسخيرا الذى وصف ثم لم يستوهم فى شى من ذلك المعنى الذى يعنا فالى الخلق انه رب كذا
او سخر كذا او صنع كذا يحمد ولا يوحد فكيف احتمل تلبس المشبهين فى قوله الرحمن على العرش استوى
لوجهه به وتقديرا الذى عليه او نفسه والله الموفق والثالث ان الناس فى خلق الله
الخلق مختلفين فمنهم من جعله الخلق نفسه دون ان يكون الله بذاته بخلقه وصف سوى انشاه
الخلق اليه فان كان به فعلى ذلك قوله ثم استوى على العرش انما هو ما ذكر من غيرا ان كان سبحانه
بخلقه وصف لم يكن له ومنهم من يراه خالقا بذاته ليكون جميع الخلايق الى الابد بتكوينه
الذى يعبر عنه بقوله كن من غيران كان ثمه كاف او نون على كون كل شى عنه به من غير
تغيير عليه ولا زوال عما كان عليه اذ لا شى غيره يكن معنى لو حقق اوجب تغييرا او زوالا
او قرارا او نحو ذلك فالله يجل عنه وتيقنا لذلك علم الحدث وامارة الغرية ولا قوة
الا بالله والرابع هو الذى يرى فعله على ما عليه فعل الخلق من التحرك والزوال والسكون
والقرار راضا فنه من ذلك وصفه الى مكان دون مكان دون مكان وحال دون حال فحال
فاسد لذلك فبطل القول بالمكان فى جميع الاقاويل والذى ذكرت ما جئتم به الاية
من قوله تبارك الله رب العالمين وصف ذاته بالربوبية بالتعالى من جميع معانى المربوبين
اذ من حيث التشاكل موجب خروجه من ان يكون ربا والاخر مربوبا فاذا ثبت ان كل
شى من كل جهة مربوبا ثبت سبحانية من ذلك الوجه والله الموفق ثم قوله خلق السموات
والارض فى ستة ايام هو على وجهين احدهما اضمار ما بينهما على ما جرى المذكور فى غيره
والثانى ان ذكر من وقت ابتداء الكون الى الانتهاء لا على تحقيق ذلك فى كل وقت كما
يقال كان كذا فى شهر كذا لا على احاطة كلية اجزاء الشهر به فمثله سنى ستة ايام ومعنى
التوقيت ليس لى حاجة الى ذلك اذ الوقت داخل فيما خلق تكن على وجوه وان كان الله سبحانه
قادرا على انشاء جميع ما ذكر بدفعة وجهان ما ذكرت من معنى الايام لما دمد الخلق واطول
ما عليه نفى الاعمار والثانى على بان منتهى العالم والثالث على ادخال كل ذلك مع علو درجات
كثير منها وجلالة اقدارها فى الاعين حتى لا احد ينظر اليها الا بالتعظيم وحتى يكثر منها فامر
تدبير العالم وحتى عبد دون الله تعظيما وان كان فى ذلك دلالة خروجه عن الاستحقاق
فصيرها الله داخلة تحت الازمنة والمدد مقهورة بها حتى لو اريد بكل جهد وقيل اخراج
شى من ذلك او تخليص الجبابرة من ذلك لما تهيا لهم ليعلم ذلة الخلق وامارات الحدث
وعلامة الحاجة ثم كانت الاوقات مترادفة متتابعة لو اسقطت منها الاولية لبطل
الكل ولما جاوز الحساب بالواحد ولما انتهى الى ما هو بعد لما مضى ليعلم به اولية كل
شى من العالم وحدث ثم مهما جعلت الايام نذور وعلى امر واخذ بها بجميع المحتاجين من ذكرت
فثبت لذلك باسماء معروفة امكن قصد كل منها على الاشارة اليه باسمه المعروف
ليحفظ فيه المواعيد ويعلم به ما يجب فى الحقوق ويبطل والله اعلم ثم الاصل اذ اجعلت هذه الدار
دار المحنة والمحنة انما تكون لمختلفة الاحوال مختلفة نحو موت وحيوة وصحة وسقم وخوف
ورفد فى جميع الخلق على حاله منها الجهل باضدادها وفى ذلك الجهل باللذات والالام فيجب
بين لنا اختلاف الاحوال وعلى ذلك جرى امر خلق الخلايق وعلى ذلك امر الارزاق وغير
ذلك فعلى ذلك امر خلق ما ذكر فى ايام مختلفة ثم يجيء فى البعث بمرة وفى حال من حال اللذات
والتعب بمرة معا كان اختلاف الاحوال اقرب الى الدلالة واوضح للحجة فلذلك جعل هذه
الدار دار لزوم الحجة واظهار المحنة والكلفة والله الموفق والاصل ان القول فى انشاءات

متناهية تقصر عن الاحاطة بكلية الاشياء والافهام متناقصة عن بلوغ غاية الامور اذ هى
من اجزاء العالم الذى هو بكليته متناهى واسباب الادراك التى يدرك بها باداء المشاعر
التى تعجز عن كنه ما يقع عليها من الظواهر فضلا عما استتر منها واذا كان هذا وصف ما يدرك به مبلغ
الحكمة فهى قاصرة عن الاحاطة بالحكمة الموضوعة من البشر فمن رام الاحاطة بها اذ بلوغ حكمة
الربوبية من غير اشارة منه فهو يتلم العقل ويحمل عليه ما يعلم عجزه عنه ومعلوم ان المذكور
من الايام فى خلق ما ذكر حكمة بالغة وان قصرت العقول عن الاحاطة اذ الذى قدرها هو الذى
الحكمة واوجب لاهل العقل ذم السفه واهله فاوجب ذلك تحقيق الحكمة لذلك وان لم يبلغها الا
مقدار ما يكرم به والله الموفق **وقوله** عز وجل وسخرها ذكر فكذلك سخرهن بالسير فيما يرجع الى منافع
الخلق وجعل فيهن اية لولا العيان لم يكن يصدق به احد ممن يجحد البعث والرسل ويحوجهم الخبر عن
سير جرم واحد فى اليوم الواحد سيره اكثر من الف سنة وتولد جواهرها بمعونة من يبعد عنه مقدار
خمسمائة عام ونضج كل شى وصلاحه به ابعد عن احتمال القبول عن اعادة عند الفناء وارسال
الرسل باعلام ما خفى من المصالح والامور اذ ذلك امر معاين فى صنع الخلق مما فى ذلك فيما نقلب
الزمان من الليل والنهار ولكن الله سبحانه اظهرهم من قدرته وعظيم حكمته بما بسط لهم نعلمهم
وسقفها ورفع عليها السماء بغير عمد يرى فاقر كلا من ذلك لحاجة اهلها الى قرارها وسيرتها
بالتسخير ما ذكر لحاجة الاهل فى تسيير ذلك ليعلم ان لا يعجزه شى ولا يخفى عليه امر ولا يدخل فى
تدبيره عوج ولا فى خلقه تفاوت وان الذى اظهر اذا قوبل بالذى وعد يتضاعف عليه بوجوه
مع ما كان الذى اظهر هو ابداع على غير احتذاء وانشاء الاعادة لا والله الموفق ثم من عجيب قدرته
سبحانه فى قوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ان الله لما يظهر النور فى ابتداء النهار من طرف
السماء والظلمة فى اول الليل ثم ينشر ذلك ويبسطه فى جميع اطراف السماء والارض وما بينهما من
جميع الاقطار والجوانب فى قدر لحظة بصر وطرفة العين مما لو اريد تقدير ذلك بالهندسة د
بجميع ما فى الخلق من المقادير لما احيط بالذى انبسط ذلك النور والكلام ليعلم ان الله على ما
يشاء قدير وانه لو اراد الخلق جميع ما ذكر فى ادق مده والطف وقت وانه القادر على البعث
وجميع ما جاءت بالخبر عنه الرسل على انه بالذى ذكرت يلبس وجوه كلية الاشياء السر ويجليه
بطرف عين بالتدبير والعلم الذى بما يوجب ذلك مما يعجز عن توهم مثله جميع الحكماء فتنزعت
ليعلم انه عليم لا يجهل عزيز لا يعجزه شى حكيم لا يتفاوت صنعه ولا يتناقض تدبيره ولا قوة الا بالله
وقريبا من ذلك ما جعل فى جوهر الانسان من البصر الذى يبصر باول احوال الفتح قدر خمسمائة سنة
والفكر الذى يبلغ به من غير ان يزول عن مكانه منتهى مرجع الخلق من الجنة والنار ويبصر به المعاد
والمعاش والعقل الذى يعرف حقايق من غاب عنه وحضر مما له صورة وطينة او احدهما وما ليس
له واحد من الامرين على قصور الحواس عن ادراك صورة شى ولا طينة له ليعلم ان الذى قدر
على تقدير مثله فى جوهر واحد وعلم كيف يصنع فيه ليعلم ذلك العلم قادر على كل شى حكيم عليم وهذا معنى
ما قيل ان الانسان هو العالم الصغير بمعنى انه يوجد فيه لكل امر من الامور العالم الكبير فيه مثال ولا قوة
الا بالله وقوله بامره قال ابو بكر يحتمل وجهين احدهما انه امره كما يقال اتاه امر الله اى الموت والعذاب ونحو
ذلك نزل به والثانى ان يطلعن ويغربن بامر بتوحيد الله وكلا الامران فيه مما هو فيهن من عجيب الحكمة
ورفيع التقدير وقال الحسن بامره الذى به كون الاشياء من قوله كن فالقول الاول هو قول من لا يرى
خلق الخلق غير الخلق والثانى قول من يرى كن عبارة عن التكوين الذى يكون به الخلق ابد الابدين من غير
ان كان ثمه فى الحقيقة كاف او نون لكنه جاء ما يفهم به المراد من الكلام يراد فى ذلك نفى الصعوبة عنه
وتيسير الامر عليه ويكون فى الحقيقة غير الخلق اذ اخبر فى الخلق انه كان به وكل شى يكون بشى فى المتعارف
من القول يكون غيره وكذلك قوله الا له الخلق والامر فيه وجهان احدهما الاخبار عن تكوين الخلق الذى
هو له والثانى عن الامر فى خلقه بم شاء ولا يرد شى من امره عن الوجه الذى امر والله اعلم **وقوله** عز وجل
يغشى الليل النهار يذهب بضوء النهار وظلمة الليل وضوء النهار يطلبه الليل اذا جاء هذا ذهب سلطان الاخر
يطلبه حثيثا قريبا سريعا وهو ان الله عز وجل يظهر النور فى ابتداء النهار فى طرف من اطراف السماء والظلمة

في اول الليل ثم ينتشر ذلك في جميع اطراف السماء والارض وما بينهما من جميع الاوقات والجوانب في قدر لحظة بصر
وطرفة عين في الوا يد تقدير ذلك بجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا عليه ليعلم ان الله على ما يشاء قدير وانه
لو اراد ان يخلق جميع ما ذكر انه خلق في ستة ايام لقادر ان يخلق في طرفة عين لكنه خلق في ستة ايام لحكمة في
ذلك وقوله عز وجل يطلبه حثيثا لا يكون مما ذكر طلب حقيقة ولكن ذكر الطلب لان ما كان من كل واحد منهما
للآخر لو كان ممن يكون له الطلب كان طلبا وهربا من غلبة كل واحد منهما وهو صاحبه وهو ما ذكرنا في قوله
شاء ربك تتم الحيوة الدنيا انها انشات على هيئة وجهد لو كان ذلك ممن يكون منه الغرور كان غرورا
وقوله عز وجل مسخرات بامره قال بعضهم بامره اي بتكوينه اي انشاءها وكونها مسخرات لهم قال بعضهم بامره
ينتفع البشر وقوله عز وجل الا له الخلق والامر قال بعضهم الامر ههنا هو التكوين وقيل الا له الخلق و
التدبير في الخلق وقيل له الامر في الخلق وقوله عز وجل تبارك الله رب العالمين تعالى الله عما فهمت
المشبهة ثم قوله ثم استوى على العرش وقوله عز وجل ادعوا ربكم قال بعضهم ادعوا اي اعبدوا ربكم
كقوله ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ذكر في الابتداء الدعاء وفي اخره العبادة
فكان الامر بالدعاء امرا بالعبادة وقال بعضهم الدعاء ههنا هو الدعاء وقد جاء ان الدعاء مخ العبادة لان
العبادة قد تكون بالتقليد والدعاء لا يحتمل التقليد ولكن انما يكون عند الحاجة لما راى في نفسه من الحاجة
والعجز عن القيام بذلك فعند ذلك يفزع الى ربه فهو مخ العبادة من هذا الوجه وقال بعض اهل التاويل
في قوله ادعوا ربكم اي وحدوا ربكم تضرعا وخيفة قيل خضوعا وخفية اخلاصا قيل تضرعا ظاهرا وخفية
سرا واصله ان اعبدوا ربكم في كل وقت وكل ساعة او اضعوا خاضعين مخلصين وقوله عز وجل انه لا يحب
المعتدين قيل المجاوزين الحد بالاشراك وقيل لا يحب الاعتداء في الدعاء نحو ان يقول اللهم اجعلني
نبيا او ملكا او انزلني في الجنة منزل كذا وروي عن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك
الفردوس واسالك كذا فقال له عبد الله سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول سيكون قوم يعتدون في الدعاء والتطهور ويحتمل الاعتداء في الدعاء هو ان يسال
ربه ما ليس هو باهل له نحو ان يسال كرامة الاخيار والرسل واصل الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي
جعل له وعن الحسن قال في قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية علمكم كيف تدعون ربكم وقال للعبد الصالح
حيث رضي دعاءه اذ نادى ربه نداء خفيا وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل البر كله نصف
العبادة والدعاء نصف العبادة ومنهم من صرف قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية الى الدعاء وقال
يكره للرجل ان يرفع صوته في الدعاء ويردون على ذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع قوما
يرفعون اصواتهم في الدعاء ايها الناس انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ولكن كذا وقوله ولا تفسدوا في
الارض بعد اصلاحها وقال بعضهم قوله بعد اصلاحها بعد ما بعث الرسل باصلاحها من الدعاء
الى عبادة الله والطاعة ويامرون بالحلال وينهون عن الحرام وقال بعضهم ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها بعد ما خلقها طاهرة عن جميع المعاصي والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك ويقال
بعد اصلاحها بعد ما اعطاكم اسبابا تقدرون على الاصلاح وما به تملكون اصلاحها وجائز ان يكون
المراد باصلاح الارض اهلها اي لا تفسدوا اهلها وهو كقوله وكاين من قرية عتت عن امر ربها
والقرية لا توصف بالعتو ولكن اهلها وقوله عز وجل وادعوه خوفا وطمعا قال بعضهم خوفا لما كان
في العبادة من التقصير وطمعا في التجاوز والقبول لانه لا احد يقدر ان يعبد ربه حق عبادة لا
تقصير في ذلك وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمته
قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وعلى ذلك ما روي ان الملائكة يقولون
يوم القيامة ما عبدناك حق عبادتك ويجب على كل مؤمن ان يكون في كل فعل الخير خائفا راجيا الخوف
للتقصير والرجاء للقبول وقال بعضهم خوفا من عذابه ونقمته وطمعا في جنته ان رحمة الله قريب من
المحسنين قال اهل التاويل ان الجنة قريب من المحسنين ويقولون اراد بالقرب الوقوع فيها والنزول
ويحتمل ان يكون المراد بالرحمة صفة فيكون تاويله ان منفعة رحمة الله قريب من المحسنين ان رحمة الله
وهي الجنة قريب من الخائفين قال بعضهم في قوله ان رحمة الله قريب اي اجابة الله قريب اي من استجاب
دعاءه ويحتمل ما ذكرنا من منفعة رحمة الله قريب الى من ذكر من المحسنين يحتمل المحسنين الى انفسهم او

او المحسنين الى خلقه او المحسنين الى نعم الله اي احسنوا الصحبة نعم الله فيه لتشكروها واجتناب الكفران
بها او يريد الموحدين وقوله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يذكرهم عز وجل في
حكمته وقدرته ونعمه ليحتج بها عليهم بالبعث اما حكمته فيما يرسل الرياح لا مطار ويسوقها الى
المكان الذي يريد ان يمطر فيه ما لم يعاينوا ذلك ويشاهدوه ما عرفوا ان كيف يرسل المطر من السماء
وكيف يرسل الريح ويسوق السحاب ففي ذلك تذكير حكمته اياهم واما نعمه فهو ما يسوق السحاب
بالريح الى المكان الذي فيه حاجة الى المطر وذلك من عظيم نعمه ليعلم ان ذلك كان برحمته لا انهم
كانوا مستوجبين لذلك واما ما ذكرهم من قدرته هو ما ذكر من احياء الارض بعد ما كانت ميتة ليعلم
ان الذي قدر على احياء الارض واخراج النبات والثمر بعد ما كان ميتا لقادر على احياء الموتى وبعثهم
بعد موتهم على ما قدر على احياء الارض بالنبات واحياء النخل بالثمار بعد ما كان علم كل ان لا نبات فيها
ولا ثمار فيه فاذا خرج النبات منها والثمار من النخيل على ما خرج في العام الاول دل ذلك على وحدانيته
وقدرته على احياء الموتى وبعثهم بعد ما ماتوا وصاروا ترابا على قدر ما ذكرنا والله اعلم وفي قوله بين
يدي رحمته دلالة ان تفهم من اليدين الجارحتين على ما تفهم من الخلق كما لم يفهم احد بذكر اليد في
المطر الجارحة لانه لا جارحة له فعلى ذلك لا يفهم من ذكر اليد له الجارحة من قوله بل يداه مبسوطتان
وكذلك قوله ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يفهم من قوله لا ياتيه الباطل من بين
يديه الجارحة للقران فعلى ذلك لا يفهم مما ذكر من يديه الجارحة ومن فهم ذلك فانما يفهم لفساد في
اعتقاده وكذلك ما ذكر من الاستواء على العرش والاستواء الى السماء لا يفهم من استواء الخلق
لانه بريء عن جميع مشابهة الخلق ومعانيهم وهو ما وصف حيث قال ليس كمثله شيء وقوله عز وجل
يرسل الرياح بشرا يعني ونشرا ونشرى والنشر هو من جميع نشور وهو من الاحياء ونشرا من النشر
وبشرا بالباء من البشارة ثم قيل في قوله نشرا تنشر عز وجل هو يفرق ويسوق ذلك السحاب وقيل
الريح هو الذي يرسل ويسوق ذلك السحاب وقوله عز وجل واذا اقلت سحابا ثقالا قيل اقلت حملت
ورفعت وثقلت بالماء وهو واحد ثقالا لما فيه من الماء سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء اي
بالبلد فاخرجنا به من كل الثمرات قال بعضهم من كل الثمرات ما يشاهدون من الثمرات كذلك
نخرج الموتى بعد ما ماتوا وذهب اثرهم كما اخرج النبات والثمار من الارض والنخل من بعد ما ماتوا
وذهب اثر ذلك النبات وذلك الثمار فعلى ذلك يخرج الموتى بعد ما ذهب اثرهم حتى لم يبق منهم
لعلكم تذكرون وتتفكرون وتعرفون قدرته وسلطانه على الاحياء بعد الموت او تذكرون اي
تتعظون وبعد فان اعادة الشيء في عقول الخلق اهون وايسر من ابتداء الانشاء الا ترى ان المعرفة
والتوبة وهؤلاء تداركوا الانشاء لا من شيء ووجود الاشياء وخروجها واعادتها عن كيانها
اصل وكيان وهو ما ذكر وهو اهون عليه اي في عقولكم وقوله عز وجل والبلد الطيب يخرج نباته باذن
ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ذكر المثل ولم يذكر المضروب واهل التاويل قالوا ضرب المثل للمؤمن
وجوها احدها انه وصف الارض التي يخرج منها النبات بالحسن فمثل ذلك المؤمن لما كان منه
من الاعمال من الطاعة لربه والايتمار لامره موصوف هو بالطيب وجعله من جوهر الطيب والكافر
لما يكون منه الاعمال الخبيثة ولا يكون له من الاعمال الصالحة من الطاعة الصالحة من الطاعة
لربه حيث كان الارض التي يخرج منها النبات الذي ينتفع به موصوف بطيب الاصل والجوهر
والتي لا يخرج منها النبات ولا ينتفع به موصوف بخبث الاصل وامكن ان يكون من وجه اخر
وهو ان الله عز وجل جعل هذا القران مباركا وشفاء للخلق على ما وصفه الله تعالى في غير موضع
من الكتاب ووصف الماء الذي نزل من السماء بالبركة والرحمة فاذا نزل ذلك الماء المبارك
في الارض الطيبة الجوهر خرج منها النبات والانزال ينتفع بها واذا نزل في الارض السبخة لم
يخرج لخبث اصلها فمثل ذلك هذا القران هو مبارك شفاء فيسمع المؤمن فيتبعه ويعمل به والكافر
يسمعه ولا يتبعه ولا يعمل به فصار مثل المؤمن الذي يسمع هذا القران ويتبعه ويعمل بما
فيه كمثل الماء الذي يدخل في الارض فيخرج منه النبات لطيب جوهرها واصلها والكافر
مثل الارض التي لا يخرج منها النبات لخبث اصلها وجوهرها واصله انه ضرب مثل الذي

هو مستحسن بالعقل بالذي هو مستحسن بالطبع لان ما حسن في الطبع فانما معرفته حسي وما حسن
في العقل فانما يعرف حسنه بالدليل وهو غايب فضرب مثل معرفة حسنه بالعقل بالحس والمشاهده
وهو ما ذكر من النبات الذي يخرج من الارض وذلك يدل على طيب اصلها وجوهرها والذي لا
شيا يخبث جوهرها واصلها فمثل ذلك المومن والكافر ثم حسن عمل هذا وطيبه وقبح عمل
الاخر وخبثه انما يظهر في الاخرة وذلك يوجب البعث انهما جميعا استويا في هذه الدنيا
فدل ان هنالك دارا اخرى فيها يظهر الطيب من الخبيث طاب عمل المومن وجميع ما يكون
منه حسنا لطيب اصله وخبث عمل الكافر وقبح ما يكون منه لخبث اصله كالارض التي ذكرت
وقوله عز وجل باذن ربه يحتمل بعلمه وتكوينه وقوله عز وجل الا نكدا قال الحسن خبيثا اي
لا يخرج الا خبيثا وقال ابو بكر نكدا اي لا منفعة فيه وقيل الا عسرا وقيل الا قليلا وهو واحد
وقوله عز وجل كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون اي لقوم ينتفعون بالايات وقوله عز
وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه ولست انت باول رسول كقوله قل ما كنت بدعا من
الرسل وفيه دلالة ان الايمان يصح بالانبياء والرسل وان لم يعرف اساميهم لان الله
عز وجل ذكر الانبياء والرسل باساميهم ولم يذكر اساميهم دل ان الايمان يكون بهم وان لم
يعرف اساميهم وكذلك يصح الايمان وان لم يعرف اساميهم لان الاشياء من لا يعرف اسمه
فيصح الايمان بجملة الانبياء وان لم يعرف اساميهم وفي ذلك دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم لانه اخبر عن رسالة نوح فدل انه بالله عرف ذلك وقوله عز وجل اعبدوا الله ما لكم
اي وحدوا الله سموا التوحيد عبادة لان العبادة لا تكون ولا تصح الا بالتوحيد فيها خالصا
سمي بذلك مجازا ان يكون عبادة وقوله عز وجل ما لكم من اله غيره اي ما لكم من اله الحق
ثبت الوهيته وربوبيته بالدليل من اله غيره وقوله عز وجل اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
قال بعضهم اني اخاف اي اعلم ان ينزل عليكم عذاب يوم عظيم ان متم على هذا وقال بعضهم
الخوف هو الخوف وهو خوف اشفاق وذلك يحتمل ان يكون الوقت الذي كان يطمع ايمان قومه
ثم ايسه الله عن ايمان قومه بقوله لن يومن من قومك الا من قد امن وقوله عز وجل عذاب يوم عظيم هو
يوم عظيم للخلق كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وهو عظيم للخلق على ما وصف وقوله
عز وجل قال الملا من قومه هم اشراف قوم وسادتهم كقوله انا اطعنا سادتنا وكبراءنا الاية وكانوا
هم اضداد الانبياء والرسل لانهم كانوا يدعون الناس الى ما يوحي اليهم الشياطين والرسل كانوا
يدعون الى ما يوحي اليهم الله وينزل عليهم لذلك قالوا انا لنراك في ضلال مبين لانهم ظنوا ان ما اوحى
اليهم الشياطين هو الحق وان ما يدعون اليه الرسل هو ضلال وباطل وقوله عز وجل قال
يا قوم ليس بي ضلالة اي لست انا بضال لانه اذا نفى الضلال عنه نفى ان يكون ضالا وهو حرف
رفق ولين وعلى ذلك امر الانبياء والرسل ان يعاملوا قومهم لان ذلك انجع في القلوب والى
القبول اقرب ولكني رسول من رب العالمين والعالم هو جوهر الكل ويحتمل قوله انا لنراك في ضلال
مبين اي لفي خطاء مبين ثم يخرج على وجهين احدهما نسبوه الى الخطاء لما راوه خالف الفراعنة و
الجبابرة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم والثاني نسبوه الى الخطاء لانه دين اباءه واجداده
والله اعلم وقوله عز وجل ابلغكم رسالات ربي رسالة التي امرني بتبليغها اليكم قبلتم او رددتم
لا بد ابلغها على اي حال استقبلتموني او يقول ابلغهم رسالات ربي رسالة التي ارسلها وقوله
عز وجل وانصح لكم يحتمل قوله انصح لكم اي ادعوكم وامركم الى ما فيه صلاحكم وانهاكم عما فيه فسادكم
والنصيحة هي الدعاء الى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد ويكون النصيحة لهم ولجميع المومنين
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال
لله ولرسوله قال الشيخ ابو القاسم الحكيم رحمة الله عليه النصيحة هي النهاية من صدق العناية نحو
الخبر انه يبلغهم رسالات ربي ولم يبين فيما ذا في كتاب انزله عليه او بوحي في غير كتاب يوحي
اليه وليس بنا الى معرفة ذلك الحاجة سوى التصديق له فيما يبلغ اليهم وقوله عز وجل واعلم
من الله ما لا تعلمون قد اتاه من الله العلم بالاشياء ما لم يوت اولئك مثله وهو كقوله ابرهيم صلوات

الله عليه لابيه يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني ويحتمل قوله واعلم من الله من العذاب ان
ينزل بكم ما لا تعلمون انتم اذا دمتم على ما انتم عليه وقوله عز وجل او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم اي تعجبون
ان جاءكم ذكر من الله على يدي رجل منكم ما لا قدرنا ولا تقدرون انتم على مثله كانوا يعجبون وينكرون
ان يكون رسل الله من البشر بقولهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل
ملايكة ويحتمل ان هذا كانوا ينكرون رسالة البشر وما ينبغي لهم ان ينكروا ذلك لانهم قد كانوا راوا تفضيل بعض
البشر على بعض وفي وضع الرسالة فيهم اعظم في الرسل تفضيلهم وذلك قد راوا فيما بينهم وقد تفضيل
بعضهم على بعض على اذلة الخلق والامر ولكل ذي ملك وسلطان ان يضع في ملكه ما شاء من تفضيل
بعض على بعض وغيره او يقول قد عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على يدي رجل منكم ولو كان الذكر على
من هو من غير جوهركم كان في ذلك لبس والاشتباه عليكم وقوله عز وجل لينذركم عذاب الله و
لتتقوا معاصيه ولعلكم ترحمون ان اتقيتم ما نهيتكم عنه او كان في قومه من يجوز ان يرحم وقوله عز
وجل فكذبوه يعني نوحا دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته ونهاهم عن عبادة غير الله او كذبوه
فيما اتاهم من ايات نبوته ورسالته وقوله عز وجل فانجيناه يعني نوحا والذين امنوا في الفلك
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اذ كان اهلاك القوم تعذيب وعقوبة يحيى والنادة وتبقيهم
الى الاجال التي قدر لهم ويكون ذلك نجاة لهم من ذلك العذاب الذي حل بالاعداء وقوله عز وجل
كذبوا باياتنا التي جعلناه لاثبات رسالته ونبوته ويحتمل كذبوا باياتنا التي اعطينا لوحدانية
الله والوهيته انهم كانوا قوما عمين عموا عن الحق وقوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا اي
ارسلنا هودا الى عاد وهو على ما ذكر في نوح وهو قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه فعلى ذلك
قوله والى عاد اخاهم هودا ثم يحتمل الاخوة وجوها اربعة اخوة النسب واخوة الجوهر وهو
يقال هذا اذا كان من جوهره ولا يقال ذلك في غير جوهره واخوة المودة والمحبة واخوة الدين
ثم لم يكن بين هود وقومه اخوة الدين ولا اخوة المودة لكن يحتمل اخوة النسب لان البشر
على بعد من ادم تناسلهم او لادة فاذا كانوا كذلك فهم فيما بينهم بعضهم اخوة بعض كاولاد رجل
واحد يكون لبعضهم اخوة بعض واخوة الجوهر على ما ذكرنا يقال هذا اخ هذا اذا كان من جنسه
وجوهره فهذين الوجهين يحتمل الوجهان الاخران لا وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره اي ليس لكم من معبود سواه وهو المعبود في الحقيقة وقوله عز وجل افلا
تعقلون عبادة غير الله او افلا تعقلون الله في عبادتكم غيره وفي تكذيبكم هودا او ان يقول
افلا تتقون عذاب الله ونقمته عليكم بخلافكم اياه وقوله عز وجل قال الملا الذين كفروا من
قومه قد ذكرنا قول الملا من قومه اي اشراف قومه وسادتهم انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك
من الكاذبين ذكر هاهنا ظنهم في تكذيبهم الرسول في موضع اخر قطعوا في التكذيب وهو قوله
ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين فكان قوله وانا لنظنك من الكاذبين في
ابتداء ما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته كانوا على ظن فيه لما كان عندهم صدوقا او امينا
قبل دعائهم فلما ان اقام عليهم ايات الرسالة والنبوة واظهر عندهم عيب ما عبدوا غير الله وابطله
وتحقق ذلك عندهم عند ذلك قالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين ليعلم
انهم عن عناد كذبوا الرسل فقال يا قوم ليس بي سفاهة ان الرسل صلوات الله عليهم كانوا امروا
ان يعاملوا الخلق باحسن معاملة وهو على ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له خذ
العفو وامر بالعرف وقوله عز وجل ادفع بالتي هي احسن السيئة ونحوه فعلى ذلك الرسل الذين
كانوا من قبل كانوا مامورين بذلك لذلك قال لهم هود لما تلقوه بالتكذيب والتسفيه قال ليس بي
ما تقولون وتنسبوني اليه ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح
امين اي ادعوكم الى وحدانية الله وعبادته والتمسك بالدين الذي به نجاتكم وكل من دعا
اخر الى ما به نجاته فهو ناصح امين اي كنت ناصحا لكم قبل هذا امين فيكم فكيف تكذبونني
وتنسبونني الى السفه وانا امين على الرسالة والوحي الذي وضع الله عندي وقوله عز وجل
ابلغكم رسالات ربي شئتم او ابيتم او يقول ابلغكم رسالات ربي فكيف تنسبونني الى السفه والا

على الله وقوله عز وجل واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يحتمل قوله اذكروا اذ جعلكم
خلفاء وجوها احدها ان جعلكم خلفاء قوم اهلكهم بتكذيبهم الرسل ولم يهلككم واخذ ردا انتم
هؤلاء بتكذيبهم الرسول كما اهلك اولئك بتكذيبهم الرسول او ان يقال لجعلكم خلفاء قوم
صدقوا رسولا من البشر وهو نوح فكيف كذبتموني في دعوى الرسالة لاني بشر دعاني الى
عبادة الله ووحدانيته هذا تناقض والثاني اذكروا نوحا وهو كان رسولا من البشر وكانت
الرسل جميعا من البشر والثالث اذكروا نعمة الله التي انعمها عليكم من السعة في المال والقوة
في الانفس وحسن الخلقة والقامة لعاد ذلك كله كقوله الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات
العماد التي لم يخلق الآية هذا في السعة في المال ثم الانفس والقامة ما ذكر في قوله فترى القوم
فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية وقوله بانهم اعجاز نخل منقعر فيه وصف لهم بالقوة وطول القامة
وعلى ذلك فسر بعض اهل التاويل وقوله عز وجل وزادكم في الخلق بسطة يعني قوة وقدرة
وكان يعزم هو الطول والعظم في الجسم ذكر الله عز وجل في عاد اشياء ثلاثة خصهم بها من
بين غيرهم احدها العظم في الانفس كقوله وزادكم في الخلق بسطة والقوة فقوله من اشد
منا قوة والسعة في الاموال بقوله ارم ذات العماد فيصل العلم بقوله وكانوا مستبصرين
وقوله عز وجل فاذكروا آلاء الله قال بعضهم الآلاء هي في دفع البلايا والنعماء هو سوق
اليه ولكن هما واحد لانه ما من بلاء يدفع عنه الا وفي ذلك سوق نعمة اخرى اليه ولان الله
تعالى ذكر في سورة الرحمن الآلاء بجميع ما ذكر انما ذكر على سوق النعم اليه قوله فبأي آلاء ربكما
تكذبان حيث قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الى ما ذكر من السورة وهي ذكر سوق
النعم لا في دفع البلايا وقوله عز وجل لعلكم تفلحون ان ذكرتم نعمه وشكرتم له عليها ولم تصرفوا عبادتكم
وشكركم الى غيره او يقول لكي يلزمكم الفلاح او حتى تكونوا من اهل الفلاح وقوله عز وجل قالوا اجئتنا
لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا هذا يدل ان رسالته التي يبلغها اليهم في دعائه اياهم
الى عبادة الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا ولا شك انه انما جاءهم ليعبدوا الله وحده وجاءهم
ليذروا ما كان يعبد اباؤهم ثم في فعلهم تناقض لانهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر [illegible]
لم يرضوا برسالة البشر ورضوا بالهية الاحجار والخشب ثم يقلدون اباءهم في عبادتهم غير الله
وفي ابائهم من يعبد الله لا يعبد غيره وهم الذين مع نوح فكيف لم يقلدوا من نجا منهم ولم يعبدوا غير الله
دون ان قلدوا الذين عبدوا غير الله فذلك تناقض حيث اتبعوا من هلك منهم بتكذيبهم الرسل و
عبادتهم غير الله ولم يتبعوا من نجا منهم بذكر عز وجل سفههم وتناقضهم في القول في انكارهم الرسول
من البشر ولكن ذكر سفههم وتناقضهم بالتعريض لا بالتصريح وكذلك عامة ما ذكر في كتابه من
سفههم انما ذكر بالتعريض وقوله عز وجل فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين انه كان يعد العذاب
ان لم يصدقوه فيما يدعوهم اليه وترك تقليدهم آباءهم في عبادتهم غير الله وقوله عز وجل قال قد وقع
عليكم من ربكم رجس وغضب قال بعضهم الرجس العذاب اي قد وجب عليكم العذاب بتكذيبهم
هودا او تقليدكم اباءكم في عبادتكم غير الله وغضب وهو العذاب ايضا وجائز ان يكون الرجس ههنا
الخذلان وحرمان التوفيق والمعونة وقد وقع عليكم ووجب الخذلان وحرمان التوفيق باختياركم
ما اخترتم وقال بعضهم الرجس هو الاثم والخبث كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا
قول الزور وقوله رجس من عمل الشيطان وقوله اللهم اني اعوذ بك من الرجس الخبيث المخبث من
الشيطان الرجيم وقوله عز وجل اتجادلونني في اسماء سميتموها ومجادلتهم ما قالوا اجئتنا لنعبد الله
وحده ويحتمل في الاسماء اي باسماء سميتموها وقوله عز وجل ما نزل الله بها من سلطان قيل حجة اي لم
ينزل لهم حجة في عبادتهم غير الله وقيل السلطان ههنا عذر اي لم ينزل لهم عذرا في ذلك وقوله فانتظروا
اي انتظروا انتم وعد الشيطان اني معكم من المنتظرين وعد الرحمن وقوله عز وجل ما نزل الله بها من
سلطان اي حجة في تسميتهم الاصنام التي عبدوها دون الله ما سموها الهة وشفعاء ونحوه كانهم انما
جادلوه في تسميتهم الهة وشفعاء وان ليس لهم حجة ولا عذر في عبادتهم غير الله ولا في اشراكهم غيره
في العبادة والالوهية فانتظروا قال الحسن انتظروا انتم مواعيد الشيطان اني معكم من المنتظرين لمواعيد الله

وقوله

وقوله عز وجل فانجيناه يعني هودا والذين معه برحمة منا ان من حكمه انه اذا اهلك قوما اهلكهم بعذاب
استئصالهم والنجي اولياءه ولنصرهم وقوله عز وجل برحمة منا يحتمل قوله برحمة التي هداهم عز وجل ولو
لا رحمته ما اهتدوا ورحمهم فهداهم برحمته اهتدوا ويحتمل انه انجاهم من العذاب برحمة منه والا كان
لهم ذنوب وخطايا يستحقون بها العذاب لكنه انجاهم برحمته وفضله والله اعلم وفيه ان النجاة برحمته
وفضله وان كان رسولا باستيجاب منه النجاة وهو ما روي حيث قال لا يدخل الجنة احد الا برحمة
الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقوله عز وجل وقطعنا
دابر الذين كذبوا اي اصل الذين كذبوا باياتنا ولم يبين لنا الآية التي اعطي هودا وليس لنا الى معرفة
ذلك حاجة سوى ما اخبر ان ما حل بهم من العذاب انما حل بتكذيبهم الرسول وذلك كان سنة
وحكمة في الامم السالفة وقوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا قد ذكرنا انه صلة قوله لقد ارسلنا
نوحا الى قومه كانه قال وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وقوله عز وجل اخاهم قد ذكرنا انه يحتمل الاخ في
وجوها اربعة اخوة النسب واخوة الجوهر والشكل على ما يقال هذا اخو ذا اذا كان من جوهره و
شكله واخو المودة والخلة واخوة الدين ثم يحتمل ان يكون ذكر من اخوة صالح كان اخوهم في
النسب وفي الجوهر على ما ذكرنا في هود ولا يحتمل ان يكون في المودة والدين واما اخوة النسب فانه يحتمل
لما ذكرنا ان بني ادم كلهم اخوة وان بعدوا لانهم كلهم من اولاد ادم وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد ذكرنا ان الرسل باجمعهم صلوات الله عليهم انما بعثوا ليدعوا الخلق الى وحدانية
الله والعبادة له اذ لا معبود سواه يستحق العبادة من الخلق وقوله عز وجل قد جاءتكم بينة من ربكم
قيل فيه بوجهين قيل بينة من ربكم ما ذكر من الناقة التي جعلها الله آية لرسالة صالح وهو هذه
ناقة الله لكم آية وقيل بينة من ربكم آيات ظهرت لهم على لسان صالح وجرت على يديه ما يدل
على رسالة صالح ونبوته لكنهم كابروا تلك الآيات في التكذيب وعاندوا وقوله عز وجل هذه ناقة الله
لكم آية وجه تخصيص اضافة تلك الناقة الى الله يحتمل وجوها وان كانت النوق كلها في الحقيقة لله
احدها لما خصت تلك بتذكير عبادته تعالى اياهم ووحدانيته تعظيما لها على ما خصت المساجد بالذكر
بالاضافة اليه بقوله وان المساجد لله لما جعلت تلك البقاع لاقامة عبادة الله خصت بالاضافة
اليه لما جعلها الله آية من آيات خارجة من غيرها من النوق مخالفة بنيتها بنية غيرها انما خلقه
وانما في ابتداء احداثها وانشائها او في اي شيء وكان فاضافها اليه لذلك والله اعلم ثم لا يجب ان
يتكلف المعنى الذي له جعل الناقة آية لانه عز وجل وعلا لم يبين لنا ذلك المعنى فلو تكلف ذكر
ذلك فلعله يخرج على خلاف ما كان في الكتب الماضية فهذه القصص واخبار الامم الماضية انما ذكرت
في القرآن لتكون آية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلو ذكر على خلاف ما كان لهم في ذلك بيان
ويحتمل معنى الاضافة اليه وجها اخر وهو انه لم يجعل منافع هذه الناقة لهم ولا جعل عليهم
مؤنتها بل اخبر ان ذروها تاكل في ارض الله جعل مؤنتها فيما يخرج من الارض ليست كسائر النوق
التي جعل مؤنتها عليهم ومنافعها لهم بان ما جعل عليهم من المؤن فمعنى التخصيص بالاضافة
اليه لما لم يشرك فيها احدا ولا في منافعها والله تعالى اعلم وقوله عز وجل فذروها تاكل في ارض
الله دلالة ان تلك الناقة غذاء سائر النوق وان كانت خارجة عن طباع سائر النوق من جهة
الآية بعلم انها وان كانت آية رسالته ودلالة النبوة تتشابه بسائر النوق في هذه الجهة لا تخرج
عن حكم الآية فعلى ذلك الرسل وان كانوا ناسا وغيرهم من الناس في المطعم والغذاء لا يمنع ذلك
من ان يكونوا رسلا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ولا تمسوها بسوء يحتمل لا تتعرضوا لها قتلا
ولا نحرا ولا عقرا لما ليست هي لهم فياخذكم عذاب اليم وفي مواضع اخر فياخذكم قريب فهذا
يدل على انه انما اراد بالعذاب الاليم عذاب الدنيا لا عذاب الآخرة بكفرهم فالوعيد باخذ العذاب
لهم عذاب الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وقد ذكرنا
تاويله في قصة هود وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من
الجبال بيوتا يذكرهم عز وجل ما انعم عليهم من سعة المال وبسط الرزق لهم وما خصهم
من اتخاذ البيوت من الجبال دون غيرهم من الناس خص هؤلاء بسعة الرزق وبسط الاكل

وقوم هود بالقوة والبطش بقوله وزادكم في الخلق بسطة وقال في اية اخرى وقالوا من اشد
منا قوة وقال واذا بطشتم بطشتم جبارين كانه خصهم بفضل القوة والبطش والطول من
بين غيرهم وهؤلاء بسعة الارزاق لهم وبسط الاموال فاذكروا الاء الله من السعة في الامو
والبسط وما جعلكم خلفاء من بعد عاد وبما اقدركم من اتخاذ البيوت من الجبال لم يقدر على
احد لان غيرهم من الخلايق انما ينتفعون بالجبال على ما هي عليها وانهم قد مكن لهم على نحتها واتخاذها
بيوتا ولا تعثوا في الارض مفسدين اي اذكروا نعمته ولا تشركوا في عبادتكم غيره وقوله عز وجل
قال الملأ الذين استكبروا من قومه قد ذكرنا ان الملأ من قومه هم كبراؤهم وسادتهم استكبروا
عليه لما راوه دون انفسهم في امر الدنيا فلم يتبعوه وقوله عز وجل للذين استضعفوا لمن امن
منهم فيه دلالة ان من المستضعفين من قومه من لم يكن امن حيث خص لمن امن منهم وفيه
ان اول من اتبع الرسل هم الضعفاء وكذلك كان الاتباع للرسل جميعا الضعفاء وقولهم اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قول هؤلاء الذين امنوا بصالح عليه السلام و
صدقوه في رسالته لم يخرج في الظاهر جواب ما سئلوا لانهم قالوا اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
انما سئلوهم عن علمهم برسالته لم يبينوا لهم عن ايمانهم به فهم انما اجابوا عن غيرها ما سئلوا في الظاهر
لكن يجوز ان يكنى بالعلم عن الايمان فكانهما قالوا لهم تؤمنون بصالح وتصدقونه لان العلم بالشيء قد
يقع بلا صنع والايمان لا يكون الا بصنع منهم فكانهم انما سئلوهم عن الايمان به لذلك قالوا انا
بما ارسل به مؤمنون والثاني كانهم قالوا بل علمنا انه مرسل من ربه وانا بما ارسل به مؤمنون وفيه
دلالة ان من يكون له من العلم باسباب جعلت له يصل بها الى العلم به لم يعذر بجهله في ذلك
بعد ما اعطي اسباب العلم حيث قال اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه اي لا تعلمون وقوله عز وجل
قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فيه دلالة ان الايمان هو التصديق في اللغة و
التكذيب هو عند ما يكون به التصديق حيث اجابوا بالتكذيب لايمانهم به لقولهم انا بما ارسل به مؤمنون
فهؤلاء لم يعرفوا جميع الطاعات ايمانا على ما عرفوا بعض الناس انما عرفوه تصديقا وقوله عز وجل
فعقروا الناقة اضاف ههنا العقر اليهم جميعا وفي موضع اخر اضاف الى الواحد بقوله فنادوا
صاحبهم فتعاطى فعقر وفي سورة والشمس وضحيها وكذلك اضاف الى الواحد اذ انبعث اشقاها
لكن فيما كان مضافا اليهم جميعا يحتمل ان تولى واحد منهم عقرها بمشورتهم جميعا ومعونتهم وتدبيرهم
وتراضيهم على ذلك فاضيف على ذلك اليهم لذلك لاجتماعهم على ذلك والى الواحد فيما تولى جرحها ومنعها
عن السير فيه دلالة لمذهب اصحابنا ان قطاع الطريق اذا تولى بعضهم القتل واخذ الاموال
ولم يتول بعضهم يشاركون جميعا من تولى منهم ومن لم يتول فحكم قطاع الطريق بعد ان يكون
بعضهم عونا لبعض وكذلك اذا اجتمع قوم على قتل واحد فتولى بعضهم القتل ولم يتول بعض
بعد ان كانوا في عون اولئك فانهم يقتلون جميعا وعلى ذلك يخرج قول عمر رضي الله عنه قال
لو تمالا عليه اهل صنعاء لقتلتهم واهل صنعاء اذا اجتمعوا لا يسهل للكل ان يتولوا قتله فدل
انه على العون والنصر لبعضهم بعضا فيشاركون جميعا في القصاص على ما شاركوا اولئك جميعا
في العذاب من تولى عقرها ومن لم يتول بعد ان كان ذلك العقر بمعونتهم وتراضيهم على ذلك والله
اعلم وقوله عز وجل وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة انما اخذهم
العذاب لما استعجلوا منه العذاب وكذبوه فيما يوعدهم العذاب ويعدهم وقوله عز وجل وعتوا
عن امر ربهم العتو هو النهاية في التمرد والخلاف لامره على العلم منهم بالخلاف لا على الغفلة والجهل وقوله
عز وجل فاخذتهم الرجفة قيل الزلزلة وقيل الصيحة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصاعقة والقصة
في ذلك كله واحد وجايز ان يكون ذلك واحدا وان اختلفت الالفاظ وهو عبارة عن العذاب وجايز
ان يكون الصيحة لما صيح بهم صعقوا جميعا فماتوا وهو واحد وقوله عز وجل فاصبحوا في دارهم
جاثمين قيل ميتين ولازقين بالارض قد ماتوا وذهبوا ويقال جثم الطاير اذا لزق بالارض
والمجثمة يقال طاير يشد جناحاه ورجلاه ثم يوضع بالارض ثم يرمى بالنبل حتى يموت يقال جثمت الطاير
اذا شددت رجليه وجناحيه يقال جثم يجثم جثما اذا فعل ما ذكرنا وقوله عز وجل فتولى عنهم اي اعرض

عنهم وخرج من بينهم حين علم ان العذاب ينزل بهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم والنصيحة
ما ذكرنا ان كل من دل اخر على ما به نجاته وسعى على دفع البلاء والهلاك عنه فهو ناصح له فمن ذلك
صالح وغيره من الرسل قد دلوا قومهم على ما به نجاتهم وسعوا على دفع الهلاك عنهم لكنهم لم يقبلوا
النصيحة منهم وقوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ذكر في غيره من الانبياء
دعاءهم قومهم الى عبادة الله ووحدانيته على ما قال نوح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الانبياء ولم يذكر في لوط ذلك ههنا ولا يحتمل
ان لم يكن منه الدعاء الى ما كان من غيره من الانبياء الى توحيد الله وعبادته قبل النهي عن الفواحش
والتعيير عليها وهو ما ذكر في اية اخرى كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا
تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون لانه كان من الانبياء صلوات الله عليهم دعاء
قومهم الى عبادة الله ووحدانيته اولا ثم النهي عما ارتكبوا من الفواحش والمعاصي والتعيير
عليها وقوله عز وجل اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد يحتمل ان يكون منهم ما كان من سائر
الاقوام تقليد الاباء في العبادة لغير الله كقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا
وقولهم انا على اثارهم مهتدون ومقتدون وقولهم بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون ونحو ما قالوا
فعلى ذلك من قوم لوط للوط لما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته فاجابوه بما اجاب الاقوام
الانبياء من التقليد لابائهم فقال اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
اي تعملون انتم اعمالا لم يعملها اباؤكم ولا تقلدون اباءكم في تركها من نحو ما ذكر من اتيان الفاحشة
فقال ما سبقكم بها من احد من العالمين يعيرهم وسفه احلامهم في اتيان ما ياتون من الفاحشة
التي لم يسبقهم احد من العالمين على علم منهم ان ذلك فاحشة الا ترى قالوا انهم اناس يتطهرون
ذكر هذا القول على ان ما ياتون من الفواحش ما ياتون على علم منهم انها فواحش حيث قالوا انهم اناس
يتطهرون ثم قوله فاحشة لما في العقل والشرع لان ما حرم من المحرمات على الخلق واحل المحللات
منه لهم على ذلك ثم جعل فيما احل لهم من الاطعمة والاشربة والاستمتاع بالنساء والجواري
دوام لهذا العالم لانهم لو تركوا التناول من ذلك لهلكوا فاذا هلكوا انقطع ذلك هذا العالم
لما ينقطع نسلهم ثم ركب فيهم الشهوات والحاجات التي تبعثهم على التناول مما احل لهم
للشهوة خاصة ولكن لما ذكرنا فاخبر ان ما ياتون هم هو فاحشة لما ليس اتيانهم اياهم الا لقضاء
قضاء الحاجة الشهوة اذ ليس في ذلك دوام العالم وبقاؤه فهو في العقل فاحش محرم
وان لم يرد فيه النهي والله اعلم وقوله عز وجل بل انتم قوم مسرفون الاسراف هو الاكثار من
الشيء والمجاوزة عن الحد كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما فاذا كان الاسراف هو الاكثار من الشيء فكان لوط سماهم مسرفين لما اكثروا من ذلك
النوع من الفواحش وجاوزوا الحد والله اعلم ويحتمل قوله قوم مسرفون وجوها ثلثة احدها
ما ذكرنا من اكثار الفعل والثاني مسرفون في كفران نعم الله عليهم حيث لهم الازواج فضلا منه ونعمة
حيث اخبر من اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وكقوله والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا ونحوه ما جعل لهم من الازواج ثم هم لم يشكروه على ما انعم عليهم بل ضيعوها وجعلوها في غير ما جعل
هو لهم فذلك اسراف منهم والثالث الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم فهم قد جاوزوا
وقوله عز وجل وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون قوله وما كان
جواب قومه الا ان قالوا كذا وكان من قومه اجوبة ليس على انه لم يكن منهم من اول الامر الى اخره هذا و
لكن لم يكن من جواب قومه ونهيه ما نهاهم عما ارتكبوا من الفواحش وتعييره عليها الا ما ذكر اخرجوهم
من قريتكم انهم اناس يتطهرون لما نهاهم وعيرهم على ذلك ويحتمل ما قال اهل التاويل يتطهرون
من ادبار الرجال وقيل يتحرجون عن ذلك ويعيبون عليهم في ذلك والثاني ما كان جواب قومه لبعضهم
الا ان قالوا اخرجوهم وانما للوط منهم الاجوبة كقوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا وقال في اية
اخرى فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب هذا فيما بينهم وبين لوط الاول فيما بينهم قال
بعضهم لبعض اخرجوا ولاختلاف المشاهد والمجالس وقوله عز وجل فانجيناه واهله الا امراته كانت

من العالمين وقوله ما سبقكم بها من احد

من الغابرين الغابر الغائب يقال غبرت اي غبت اي كانت من الغائبين عن لوط واهله وقت العذاب
وقيل من الغابرين اي من الباقين في العذاب وقوله عز وجل وامطرنا عليهم مطرا اختلف فيه قال بعضهم
قلبت قريات لوط وجعل عاليها سافلها على ما ذكر في الاية جعلنا عاليها سافلها ثم امطرنا على من كان
غاب منهم الحجارة وقال بعضهم قلبت القريات فامطرت على اهلها كالمطر وقال اخرون قلبت الارض
وامطر عليها حجارة من سجيل تسوى الارض وكلام نحو هذا ثم العذاب في الامم لم يأتهم في الدنيا بنفس
الكفر ولكن لما كان منهم من استحلال اشياء حرم عليهم ومن قتل الانبياء وايذائهم والمكابرات التي
كان منهم بعد علمهم انهم على باطل وعناد وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين هذا الخطاب
جائز انه ليس له لرسول الله خاصة ولكن لكل احد امر بالنظر فيما حل بالامم السالفة بتكذيبهم الرسل
وعنادهم ليكونوا على حذر عن صنيعهم لئلا يحل بهم ما حل باولئك وجائز ان يكون الخطاب لرسوله
خاصة فان كان له فكانه امره ان ينظر في عاقبة المجرمين ليرحمهم ولا يدعو عليهم بالهلاك والعذاب
وقوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا هو ما ذكرنا فيما تقدم اي ارسلنا شعيبا الى مدين رسولا
وقوله اخاهم قد ذكرنا فيما تقدم والاخوة انها تكون لوجوه اخوة النسب واخوة الجوهر واخوة المودة
والخلة واخوة الدين فلا يحتمل اخوة الانبياء اولئك اخوة الدين والمودة لكن تحتمل اخوة الجوهر و
النسب وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد ذكرنا ايضا ان الرسل ما جاؤا و
بعثوا بالدعاء الى توحيد الله والعبادة له وان لا معبود يستحق العبادة عبادة غيره سواه وقوله
عز وجل قد جاءتكم بينة من ربكم قال بعضهم كانت شعيب بينة وحجة لقوم لكنا لا نعلم ذلك غير
انا نعلم انه كانت معه ايات وبراهين لكن الله لم يبين لنا ذلك ونفس محمد عليه افضل الصلوات
واكمل التحيات كانت حجة وبينة باعلام التي حصل له في نفسه من ذلك الخاتم الذي كان بين كتفيه
والنور الذي كان في وجهه من كان في صلبه وقت كونه فيه والضوء الذي روي انه كان وقت
ولادته والغمام الذي اظله وقت ذهابه عن اهله وحفظه نفسه عن جميع ما كان يتعاطاه قومه
من عبادتهم الاصنام وتعاطيهم الفواحش فهو صلى الله عليه وسلم كان بريئا من ذلك كله ولم
يؤخذ عليه كذب قط وقد كان نشأ بين اظهرهم وغير ذلك من الاعلام التي كانت في نفسه
ظاهرة لقومه فلو لم تكن له ايات غيرها لكانت واحدة منها كافية لمن لم يكن بمكابر فكيف وقد
كانت له ايات حسية وعقلية سوى ما ذكرنا يقهر المنصفين على قبولها ويحتمل قوله قد جاءتكم
بينة من ربكم اي حجة في انه رسول او على توحيد الله وقوله عز وجل فاوفوا الكيل والميزان وذكر
في هود في قصته ويا قوم اوفوا الكيل والميزان بالقسط وليس في قوله فاوفوا الكيل والميزان
انهم كانوا لا يعرفونها في سورة هود ولا تبخسوا الناس اشياءهم ودل قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ان الاشياء ملك لهم وان كان في قبض اولئك وفي ايديهم ثم يحتمل الامر بايفاء الكيل والميزان
وجوه احدها لما كانوا امناء لئلا يذهبهم تلك الامانة التي كانت لهم في قومه والثاني لئلا يظلموا
الناس في منع حقوقهم واموالهم والثالث للربا كان ما منعوا منهم من الكيل والوزن ربوا لهم بذلك
ذلك قوله بالقسط ذكر العدل فلو كان يجوز تلك الزيادة والنقصان اذا طابت انفسهم بالزيادة
والنقصان لكن لا معنى لذكر القسط فيه لان من زاد اخر على حقه لم يمنع عن ذلك ولم يذم دل النهي
عن ذلك على انه للربا ما منعوا والله اعلم وقوله عز وجل لا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بعد جعلها
لكم صالحة لمعاشكم ومعادكم فيها او بعد ما امروا بين لكم ما به صلاحكم وصلاح دينكم او بعد ما ارسل
من الرسل ما به صلاح الارض واهلها ذلكم خير لكم قال بعض اهل التاويل قوله ذلكم خير لكم اي
وفاء الكيل والميزان خير لكم من النقصان لما ينمو ذلك الباقي ويزداد فذلك خير لكم من النقصان
الذي تنتفعون فلا ينمو شيئا وهو كقوله بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين اي امنكم في الاخرة م
خير لكم من نقصان الكيل والميزان والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ويحتمل
ما قال اهل التاويل ان كبراء اهل الشرك ورؤساءهم كانوا يقعدون في الطرق اناسا يصدون الذي
يأتون شعيبا للايمان من الافاق والنواحي ويكون معنى قوله من امن به على هذا التاويل
من اراد ان يؤمن به وقوله يحتمل قوله ولا تقعدوا ليس على القعود نفسه ولكن على المنع من اقامة

الشرايع

الشرايع التي شرع الله لشعيب كقول ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ليس هو على القعود نفسه و
لكن على المنع بمنعهم على صراطه المستقيم فعلى قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يمنعون من امن
به عن اقامة الشرايع والعبادات التي دعوا الى اقامتها ويوعدون على ذلك ويخوفونهم فعلى هذا
التاويل يكون معنى قوله من امن به على وجود الايمان وعلى التاويل الاول يكون من اراد ان يؤمن به
والله اعلم وقوله عز وجل وتبغونها عوجا قيل يلتمسون لها اهل الزيغ وقيل يبغون عوجا الاسلام وابطالا
وقيل يبغون السبيل عوجا عن الحق وكله واحد وقوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يحتمل اذ كنتم
قليلا في العدد فكثر عددكم دون لوط كانهم انما توالدوا من بقية ال لوط ويحتمل اذ كنتم قليلا في الاموال
والسعة في الدنيا فكثركم اي كثر لكم الاموال ووسع عليكم الدنيا وقوله عز وجل وانظروا كيف كان
عاقبة المفسدين امر بالنظر فيما حل بالامم الخالية بافسادهم في الارض وتكذيبهم الرسل لان من نظر
في ذلك وتفكر ما حل بهم منعه ذلك عن الفساد في الارض والتكذيب للرسل اذ علم ان ما حل بهم لما ذكر
والله اعلم كانه امر بالنظر في الاسباب التي صار من تقدمهم اهل فساد ونزل بهم الهلاك لينزجروا عن مثل
صنيعهم والا كانوا عند انفسهم اهل صلاح لا اهل فساد وقوله عز وجل وان كان طائفة منكم امنوا بالذي
ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا قال ابن عباس رضي الله عنه كان قوم شعيب قليلا حين ادركه
ذلك وقوم اخرون معه يقول لهم ذلك شعيب عليه السلام وان كان طائفة منكم امنوا بالذي
ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا يا معشر المؤمنين حتى يحكم الله بيننا يعني عليكم بالهلاك
ولم يكن شعيب امر بالقتال وقال بعضهم قوله وان كان طائفة منكم يعني المؤمنين امنوا بالذي
ارسلت به من العذاب وطائفة يعني الكفار لم يؤمنوا بالعذاب فاصبروا يا معشر الكفار حتى يحكم الله
بيننا في امر العذاب وهو خير الحاكمين ويحتمل غير هذا وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام ويقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون الله امرهم بذلك في اشياء يفعلون ويقول هؤلاء ان الذين
عليه هو الذي امرنا الله بذلك فيقول لهم الخبر واحتي يحكم الله بيننا بانه بما ذا امر بالذي عليه الكفار
والذي نحن عليه وقوله عز وجل قال الملأ الذين استكبروا قد ذكرنا في غير موضع ان الملأ من قومه
هم كبراؤهم ورؤساؤهم وقوله عز وجل استكبروا اي استكبروا عن الخضوع والطاعة لمن هو دونهم عندهم
لانهم كانوا يستضعفون شعيبا فيما بينهم ويزدرون كقولهم انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك
لرجمناك وما انت علينا بعزيز ثم لم يروا الامر بالخضوع لمن هو دونهم في امر الدنيا عدلا وهم انما اخذوا
من ابليس اللعين واباه قلدوا حيث قال انا خير منه حين امر بالسجود لادم ولم ير اللعين الامر
بالخضوع لادم من الله عدلا فعلى ذلك هؤلاء لم يروا الخضوع لمن دونهم عندهم عدلا فاستكبروا
عليه فكفروا لذلك وقوله عز وجل لنخرجنكم يا شعيب قال الحسن لنخرجنك اي لنقتلنك والذين امنوا
معك من قريتنا وقال غيره لنخرجنك الاخراج نفسه اي نخرجنك ومن معك من المؤمنين من قريتنا
ان لم تتبع ديننا وقد كان منهم للانبياء المتقدمين جميعا التوعد بالقتل والاخراج جميعا كما قالوا ولو
لا رهطك لرجمناك وكقول قوم لوط للوط لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وكقوم قوم
نوح لتكونن من المرجومين وما اخبر عن قول هؤلاء لرسولنا حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا
قد كان من القوم الى الانبياء والرسل عليهم السلام المتقدمين جميعا التوعد بالقتل والاخراج جميعا
فعلى ذلك يحتمل ذلك من قوم شعيب ما ذكرنا والله اعلم وكذلك كانوا يقولون للرسل جميعا
حيث قالوا وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم الاية هذا كانت عادة جميع الكفرة كانوا يخوفون
الرسل بالاخراج مرة وبالقتل ثانيا وقوله عز وجل او لتعودن في ملتنا يحتمل قوله او لتعودن
في ملتنا لما عندهم انه كان على دينهم الذي هم عليه لما لم يروا منه عبادة الله فيما بعده فقالوا
لتعودن في ملتنا على ما كان عندهم انه على ذلك وهو كما قالوا لصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا كان
عندهم انه على دينهم قبل ذلك فعلى ذلك يحتمل قوله هؤلاء لتعودن من العود الى ما كان عندهم انه
على ذلك ويحتمل على الابتداء الدخول فيها الاختيار كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور على منع الدخول
فيها لا انهم كانوا فيها ثم اخرجهم فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل قال اولو كنا كارهين يقول لنعودن
في ملتكم وان كنا كارهين اي تأبى عقولنا وتكره طباعنا عن الدخول في ملتكم فكيف نعود فيها

قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها يحتمل قوله ان عدنا في ملتكم وجوها
ثلثة احدها ان ذلك منه اخبار عن قومه لا عن نفسه اي افتروا على الله كذبا ان عادوا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يجوز لهم ان يعودوا فيها وانما هو في جوابهم عن نفسه ما ذكر
في سورة هود ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل اجاب هود قومه كما اجاب غيره من الرسل
قومهم حين اوعدهم بالقتل والعقوبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كيدون فلا تنظرون
وكما قال هود اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ونحو ذلك من الجوابات
التي كانت من الانبياء صلوات الله عليهم لاقوامهم ويحتمل ان يكون على الابتداء من غير ان كانت
فيها كقوله رفع السموات رفعها ابتداء من غير ان كانت موضوعة وكقوله يخرجهم من الظلمات
الى النور اخراج ابتداء لا ان كانوا فيها ثم اخرجهم ويحتمل ما ذكرنا انه اجابهم على ما عندهم انه كان
على دينهم فاجاب لهم على ما عندهم انه على ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل وما يكون لنا ان نعود
فيها وقول شعيب قد افترينا على الله كذبا ولكن قال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
تعريض تسفيه منه اياهم انكم قد افتريتم على الله كذبا لا تصريح حيث لم يقل قد افتريتم انتم على الله
كذبا ولكن قال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم وذلك منه تلطف بهم وترفق **وقوله**
عز وجل الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما اختلف في تاويله قال الحسن بن حكم الله عز وجل
ان من قبل دينه واطاع رسوله ان يكون وليا له وسمي مؤمنا ومن رد دينه وعصى رسوله يتخذه عدوا
له ويكون كافرا وقال ابو بكر الكيساني قوله الا ان يشاء الله ان يتعبدنا ويمتحننا ببعض ما كانوا يتقربون
به ويشرع لهم مما يحل ويبيح لم يرد به الدين الذي هم عليه لكن هذا لا يحتمل لان سؤالهم كان العود الى
ملتهم فعن ذلك خرج الثنيا وقال ابو جعفر بن حرب قوله الا ان يشاء الله الا ان يامرنا الله بما يامرهم
على ذلك على الاياس وقطع الرجاء اي لا يشاء الله البتة ذلك كما يقال كان كذا ان سعدت السماء وكقوله
حتى يلج الجمل في سم الخياط وفعلت كذا مما يعلم انه لا يكون فعلى ذلك هذا لكن هذا كله بعيد محال اما قول
الحسن الا من حكم الله انه من رد دينه وعصى رسوله انه يكون من الكافرين ومن قبل دينه واطاع رسوله
يكون من المؤمنين فليس فيه سوى انه يقول انه يعلم من كفر به ومن امن به فلا معنى للاستثناء لو
كان التاويل ما ذكر واما قول ابي بكر انه يتعبدهم ويمتحنهم بما يتقربون به في دينهم وملتهم مما يجوز ان
يأذن في ذلك فذلك لا يحتمل لانه ذكر الملة التي كانوا هم عليها فاليه يرجع الثنيا لا يجوز الى غيره
واما قول من يقول على الاياس وقطع الطمع عن ذلك فذلك ايضا بعيد لان الاياس انما يكون فيما يعلم
انه لا يكون البتة من نحو ما ذكر من قوله لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ونحوه واما مثل
هذا انهم لا يفهمون منه الاياس وقطع الرجاء بل كانوا ياتون بالفواحش ويقولون الله امرهم بذلك
فاني يقع لهم الاياس بذلك واما عندنا فانهم على حقيقة المشية وذلك ان من علم الله منه انه الكفر
ويؤثر ذلك على فعل الايمان والطاعة يشاء ذلك له على ما علم انه يختار ومن علم منه انه لا يختار ذلك
لا يشاء اذ لا يجوز ان يعلم منه غير الذي يكون او ان يشاء غير الذي علم انه يكون منه لانه جهل وعجز
واصله ان شعيبا خاف ان سبق منه زلة او تقصير منه الاختيار ولذلك فيشاء الله بذلك الزيغ
والضلال وكذلك جميع الانبياء خافوا ذلك كقول ابرهيم عليه الصلوة والسلام حيث قال
ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء الله اي شاء وقول يوسف حيث قال الا ان يشاء الله نرفع
درجات من نشاء كان خوف الانبياء عليهم السلام كان اكثر من خوف غيرهم **وقوله** عز وجل وسع ربنا
كل شيء علما معناه والله اعلم انه لا نعلم الى ما ذا يصير عاقبة امرنا على الله **وقوله** عز وجل على الله توكلنا
قيل على الله اعتمدنا فيما نخافونا من الاخراج والابتلاء في سلطانه وملكه وبه نثق في وعده بما بعد من
النصر والظفر على الاعداء **وقوله** عز وجل ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قيل قوله افتح اي احكم بيننا
وبين قومنا بالحق روي عن ابن عباس رضي الله قال ما كنت اعلم ما معنى الفتح في الاية حتى تزوجت
امراة من بني كذا فوقع بيننا مخاصمة فقالت لي تعال حتى اتحاكم الى فلان فعنه ذلك عرفت
ان المفاتحة هي المحاكمة **وقوله** عز وجل بالحق قيل هو العذاب الذي كان وعد لهم ان ينزل عليهم بتكذيبهم
شعيبا وايذاهم اياه ثم المعتزلة ادى تعلق ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقولون هو الدعا

والسؤال وان كان لا يحكم الا بالحق فعلى ذلك يقولون في قوله رب احكم بالحق ونحوه فكذلك يقولون
في قوله الا في قوله الا ان يشاء الله لكن عندنا يخرج قوله احكم بالحق وافتح بيننا وبين قومنا بالحق
على وجوه احدها يقول ربنا افتح بيننا بحكمك وهو الحق والثاني يقول رب احكم بالحق في حادث الوقت
كما حكمت في الوقت الماضي وهو كقوله اهدنا الصراط المستقيم هو النبوة الهداية والثالث على استعجال
العذاب **وقوله** عز وجل وقال الملأ الذين كفروا من قومه قد ذكرنا الملأ هم كبراؤهم وسادتهم
يقولون للاتباع والسفلة لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون قال ابو بكر لجاهلون ثم يحتمل قوله
انكم اذا لخاسرون وجوها احدها ان شعيبا كان يحذر قومه بالتطفيف في الكيل والوزن ويامرهم بوفاء
حقوق الناس بقوله فاوفوا الكيل ولا تكونوا كذا **وقوله** عز وجل ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط
ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيقول الكبراء والرؤساء للسفلة لئن اتبعتم شعيبا في دينه وما
يامركم به من وفاء الحق للناس فانكم اذا لخاسرون للارباح والثاني انه كان يحذرهم ويمنعهم من عبادة
الاصنام والاوثان ويدعوهم الى عبادة الله ويرغبهم في ذلك وهم كانوا يعبدون تلك الاصنام
ليقرب عبادتهم اياها الى الله زلفى ويكون لهم شفعاء في الاخرة فقالوا لئن اتبعتم شعيبا فيما يدعوكم
اليه ويمنعكم عنه لكنتم من الخاسرين لا شفعاء لكم في الاخرة والثالث انهم كانوا يوعدون شعيبا
بالاخراج بقولهم لنخرجنك يا شعيب فقالوا لئن اتبعتم شعيبا وهو يخرج لا محالة تخرجون انتم فتصيرون
من الخاسرين والله اعلم **وقوله** عز وجل فاخذتهم الرجفة قيل الصيحة وقيل الزلزلة قيل اصابهم حر شديد
فرفعت لهم سحابة فخرجوا اليها يطلبون الروح تحتها سال عليهم العذاب ورجفت بهم الارض
فهلكوا وهو ما ذكر في اية اخرى عذاب يوم الظلة والله اعلم **وقوله** عز وجل فاصبحوا في دارهم جاثمين
قد ذكرنا قوله جاثمين فيما تقدم **وقوله** عز وجل الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا
شعيبا كانوا هم الخاسرين هو والله اعلم مقابل قولهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون وجوابهم
يقول الذين كذبوا شعيبا هم الخاسرون لا الذين اتبعوه **وقوله** عز وجل كان لم يغنوا فيها قيل كان
لم يعيشوا فيها ولم ينعموا فقط وقيل كان لم يقيموا فيها قال القتبي يقال غنينا بمكان كذا وكذا اي اقمنا
ويقال للمنازل مغان واحدها مغنى ويقال كان لم يغنوا فيها اي كان لم يكونوا فيها قط وهو والله اعلم
لما كانوا يتقلبون في نعم الله عليهم ويستمتعون بها حتى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقالوا لو كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار ونحوه وكله اخبار عن قطع اثارهم انه لم يبق منهم احد يحزن عليهم او يبكي
عليهم حتى قال شعيب فكيف اسى على قوم كافرين وجائز ان يكون قول شعيب حيث قال فكيف
اسى على قوم كافرين حين علم انهم يهلكون وينزل عليهم العذاب اي لا احزن عليهم ما ذكر وقال
بعضهم هو على التقديم والتاخير قال ذلك في الوقت الذي قال فلا تقعدوا بكل صراط يقول كيف
احزن على قوم وعظتهم ما ذكر وقوله فتولى عنهم حين راهم هلكى فقال فكيف اسى على قوم كافرين
اي كيف احزن على قوم قد كذبوا في واختاروا عداوتي وصاروا على اعداء فكيف احزن عليهم بالهلاك
وهم اعدائي وقوله يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قد ذكرنا **وقوله** عز وجل وما ارسلنا
في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء في الاية اضمار والله اعلم من وجهين احدهما قوله وما
ارسلنا في قرية من نبي فكذبوه الا اخذنا اهلها المكذبين له بالباساء وما ذكر والا لا يحتمل ان يرسل اليهم
رسولا ثم ياخذهم بما ذكر من غيرهم ان كان منهم رد وتكذيب له والثاني وما ارسلنا في قرية اهلكنا
من نبي الا اخذنا اهلها قبل الهلاك بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم لم ياخذ الله قرية بالهلاك
قبل ان يبعث اليهم الرسول وقبل ان يغيروا ما انعم عليهم بانفسهم كقوله وما كان ربك مهلك
القرى حتى يبعث في امها رسولا الاية وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وغير ذلك
من الايات اخبر انه لا ياخذهم بالعذاب والهلاك الا بعد قطع العذر لهم من جميع الوجوه وان كان له
الاهلاك قبل ان يبعث اليهم الرسول لما ركب فيهم من العقول السليمة مما بها يوصل الى فهم كل
ما جعل فيهم من اثار وحدانيته وايات ربوبيته وما جعل لهم من السمع والنطق ما به يوصل
الى سمع كل ما غاب بكل ما يريدون ما لم يجعل ذلك لغيرهم من البهائم وما انعم عليهم من تصوير الصور

ما لم يتبين احد تاويله منها الى غيرها من الصور لكنه لا يهلكهم لا بعد بعث الرسل لهم لما ان
الخلق على مراتب منهم من نفعهم بالعقل لا يحتاج الى معونة السمع وهم الحكماء والعلماء الذين
يدركون الاشياء بالبديهة ومنهم من لا يدرك الا بمعونة السمع وهم كالصبيان انهم لا يدركون
الا بالسمع وفضل التنبيه ومنهم من لا يدرك بالعقل ذلك ولا بالسمع حتى يصيبهم
الشدايد والعبر في انفسهم وفيما انعم عليهم وهم كالبهايم الذين لا عقل لهم ولا سمع ولكن
يعرفون الشدايد وما يصيبهم من البلايا فعلى ذلك يمتحنهم عز وجل ويبتليهم بالشدايد
والبلايا ولان رجعوا عن ذلك وعرفوا والا اهلكهم بعد ذلك فعند ذلك ينتبهون
ويتذكرون وذلك قوله فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون وقوله بالباساء
والضراء وقد ذكرنا في صدر الكتاب **وقوله** عز وجل لعلهم يتضرعون اي لكي يكون عليهم
التضرع او لكي يلزمهم التضرع والتذكر **وقوله** عز وجل ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة وهو
ما ذكر اهل التاويل السعة والرخاء بعد الشدة والقحط وما حل بهم من البلايا حتى عفوا
قيل جمعوا واكثروا اي كشف عنه ذلك حتى كثروا فعند ذلك اهلكهم بغتة لانا الحالة
في حال الشدة والبلايا لا يكون اخذا بغتة لان كل من به بلاء وشدة يخاف فيه الهلاك
فاذا اهلك في تلك الحالة لم يكن اخذا بالهلاك بغتة الا ترى انه يسمى الموت الذي يموت المرء من غير
مرض حل به موت فجاءة والذي يمرض يتقدم الموت لا وان الموت في الوجهين جميعا لا يعلم بحلوله لكنه اذا لم
يتقدم مرض فهو لا يخاف منه واذا كان به مرض خاف به فلم يكن فجاءة فعلى ذلك اذا اخذوا في حال الشدة
لم يكن اخذا بالبغتة لما يخافون فيه الهلاك واذا كانوا في سعة ورخاء لا يخافون فيؤخذون في تلك الحال
فذلك اخذ بغتة وقال حتى عفوا قيل كان اهلك بعضهم وترك بعضها حتى عفوا اي كثروا من ذلك البعض
ولكن الوجه فيه ما ذكرنا من الباساء والضراء والشدايد والقحط ثم كشف ذلك عنهم فكثروا ثم
اهلكهم والله اعلم **وقوله** عز وجل قد مس اباءنا الضراء والسراء فقالوا ان اباءنا كان ينزل بهم ويصيبهم
مرة شدة ومرة نعمة فلم يكن ذلك بعقوبة لهم فعلى ذلك ما يصيبنا من الشدايد والبلايا ليس ذلك
بعقوبة لنا ولكن دوران الدهر وتصرفه على الشدة والبلاء مرة ومرة على الخصب والسعة ثم اخبر انه
اخذهم بغتة بعد قولهم قد مس اباءنا الضراء والسراء **وقوله** عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا قبل ان يهلكوا بعد ما اصابهم من الشدايد والبلايا لفتحنا عليهم بركات الاية اي لاعطوا
كل خير ينال من السماء والارض والبركة ما ينال من كل خير على غير مؤنة البركة كل شيء ينال بلا
تبعة عليه ولا شدة ذكر ههنا انه يفتح عليهم بركات من السماء والارض لو امنوا واتقوا وذكر
اذ لم يؤمنوا ونسوا ما ذكروا به انه يفتح عليهم ابواب كل شيء ولم يذكر البركة فيما لم يذكر البركة نعمهم
بانعم من كل شيء ويسرهم وفيما ذكر فيه البركة بعد الايمان لا يلحقهم من ذلك تبعة ولا غرم والله
اعلم **وقوله** عز وجل ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون ويحتمل قوله ولكن كذبوا النعم
التي انعمها عليهم اي الرسل فاخذناهم بما كانوا من التكذيب والله اعلم **وقوله** عز وجل افامن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون خرج هذا في الظاهر مخرج الاستفهام ولكن في الحقيقة على
الايجاب كقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون الاية هذا في الظاهر وان خرج مخرج الشك
والارتياب فهو في الحقيقة على الايجاب كانه قال في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا ان يحيف الله
عليهم فعلى ذلك قوله افامن اهل القرى على الايجاب كانه قال قد امن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا بياتا وامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى الاية ثم اختلف في قوله افامن اهل القرى
الى اخر ما ذكر قال الحسن هذه الايات في الامم السالفة اخبر عن امنهم بنزول باس الله وعذابه
بهم لكي ذكر في هذه الامة ليكونوا على حذر عن مثل صنيعهم وقال الاخرون هذه الايات في قريش
هذه الاية لان الامم السالفة يقول امن هؤلاء باسنا كامن اولئك منه فانهم اذا صنعوا مثل
صنيعهم ينزل بهم في الاخرة من العذاب مثل ما انزل باولئك في الدنيا من العذاب **وقوله** عز
وجل باسنا بياتا وهم نائمون وضحى وهم يلعبون اخبر ان العذاب انما نزل بهم في حال الامن وهو وقت
النوم واللعب لانه هو وقت الغفلة والسهو وامن ما يكون الانسان انما يكون في حال النوم

وانما نزل بهم في وقت الغفلة والسهو يذكر بهذا والله اعلم اهل مكة وغيرهم من الكفرة بتكذيبهم رسول الله
لئلا يكونوا امنين عن باسه بياتا في وقت من الاوقات والله اعلم **وقوله** عز وجل افامنوا مكر الله فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون والمكر في الشاهد هو ان يراقب من عدوه حال الغفلة لينتقم منه وينتصر فاذا
كان ما ذكرنا فسمي ما ينزل بهم من العذاب في حال الغفلة مكرا وعلى ذلك الامتحان فيما بين الخلق هو
استظهار ما خفي على بعضهم من بعض فيامرون بذلك وينهون فسمى الله تعالى ذلك امتحانا بمعنى الامر والنهي
وان كانت الخفيات عن الخلق ظاهرة بادية عنده **وقوله** عز وجل فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
فالاية على المعتزلة لانهم يامنوا مكر الله في الصغاير مغفورة ليس له ان يعذبهم عليها خوارس مكره
وييأسون من رحمته لقولهم في الكباير انه ليس له ان يغفر عنهم وقد اخبر انه لا ييأس من روح الله الا
الكافرون وهم قد يئسوا من رحمة الله في الكباير وامنوا مكره عن الصغاير فيها نان الايتان على
المعتزلة وقوله افامنوا مكر الله وجزاء مكرهم سمي جزاء المكر مكرا سمي جزاء السيئة السيئة وجزاء
الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة فعلى ذلك سمى جزاء المكر مكرا وان لم يكن الثاني
والله اعلم الا ترى انه لم يجز ان يسمى ماكرا ولو كان على حقيقة المكر يسمى بذلك دل انه جزاء وجاز ان يكون
المراد من مكره جزاء مكرهم سمي الجزاء باسم المكر لانه جزاؤه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والثاني
ليست بسيئة **وقوله** عز وجل اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها على تاويل من يجعل الاية
في الامم السالفة يقول اولم يوفقوا ولم يهدوا للصواب بهلاك من كان بعد امة وقوم بعد
قوم وعلى تاويل من يقول بان الاية في هذه الامة يقول اولم يبين لهؤلاء الذين ورثوا الارض من بعد
هلاك اهلها اي لو نشاء اصبناهم بعذاب ذنوبهم كما اصاب اولئك العذاب بذنوبهم وقوله
اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي من بعد هلاك اهلها وقوله اولم يهد على اسقاط
الواو والالف اي لم يهد للذين يرثون الارض ثم يحتمل قوله لم يهدهم اي لم يتفكروا لما اهلك الاولين
وما حل بهم بتكذيبهم الرسل انهم كانوا اذا تركوا التفكر والنظر فيهم وما نزل بهم لم يهدهم والثاني
قد هداهم لكن نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به وهو ما نفى عنهم من السمع والبصر والعقل لما لم ينتفعوا
وهو ما نفى عنهم من السمع والبصر والعقل لما لم ينتفعوا به ويحتمل على غير اسقاط اوكانه قال اولم يهد للذين
يرثون الارض ولم يهدهم الرسول قدرة الله في اهلاك الامم الخالية فعلى ذلك هو قادر على هلاك الذين
يرثون الارض من بعد اهلها يحتمل هذه الوجوه التي ذكرنا والله اعلم ايقول اولم يهد لهم وراثة الارض
من بعد اهلها انهم بم اهلكوا حتى يرتدعوا ويمتنعوا عن مثله وقوله اولم يهد للذين يرثون الارض يخرج
على وجهين احدهما قد هداهم وبين لهم ان من تقدمهم انما هلكوا لما اصابوا من ذنوبهم في التكذيب
والعناد ولكن لم يهتدوا لعنادهم والثاني لم يهدهم لما لم يتفكروا فيها ولم ينظروا في التلاوة قرئت باسقاط
وقوله عز وجل ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم فما كانت في الامم السالفة فقوله ان لو نشاء اصبنا قوما
بعد قوم بذنوبهم وان كانت في المتاخرين فيكون قوله اي لو نشاء اصبناهم لا بذنوبهم ونطبع على قلوبهم
فهم لا يسمعون والطبع يحتمل الختم اي نختم على قلوبهم ويحتمل الطبع ظلمة الكفر اي نسد قلوبهم بظلمة
الكفر كقوله وكل شيء ستر شيئا وتغشاه فهو طبع فهم لا يسمعون يحتمل وجهين يحتمل لا يسمعون لما لا
ينتفعون ويحتمل لا يسمعون اي لا يجيبون كقوله سمع الله لمن حمده قيل اجاب الله لمن حمده ادعاه **وقوله**
عز وجل تلك القرى نقص عليك اي قصصنا عليك مما قص عليه من الانباء يخبر رسوله ان القرى التي
كانت من قبل قد سئلوا رسلهم الايات فجاؤوا بها ولم يصدقوها فعلى ذلك على هؤلاء انك لو اتيت ما سئلوك
من الايات لم يؤمنوا بها ولم يصدقوها لكثرة عنتهم ومكابرتهم وعنادهم والثاني يذكر ان الايات
ليس يجب ان ياتوا بها من الجهة يريدون انما يجب ان ياتوا ما هو حجة **وقوله** عز وجل ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات يحتمل الانبياء التي اثبات الرسل افواههم من نزول العذاب بهم بالتكذيب والكفر بها
ويحتمل البينات التي تدل على صدق الرسل بما يقولون ويخبرون بعد ما سئلوهم الايات لكن
ردوها رد عناد ومكابرة بعد ما عرفوا انه حق **وقوله** عز وجل فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اي ما كانوا
ليؤمنوا لما دونا باسنا بما كذبوا من قبل اي لا ينفعهم ايمانهم عند رؤيتهم باس الله كقوله لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل ويحتمل ما كانوا ليؤمنوا بسؤالهم الايات انا اتاهم الايات بما كذبوا من قبل

لان تركهم الايمان وتكذيبهم الرسل ليس لما لم يكن لهم الايات ولكن للتعنت فاخبر انهم وان سألوا
الايات فانهم لا يؤمنون والثالث ما كانوا ليؤمنوا بما يخبرهم الرسول من اتيان العذاب بهم بما كذبوا
من قبل الانبياء عليهم السلام وقوله عز وجل وما وجدنا لاكثرهم من عهد يحتمل العهد المذكور و
جوها ثلاثة احدها عهد الخلقة لما في خلقة كل احد الشهادة بالوحدانية له والالوهية فلم
يوفوا بتلك العهود بل نقضوها والثاني العهد الذي اخذ الله عليهم على لسن الرسل كقوله وقال
الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية فلم يوفوا بذلك والثالث
ما اعطوا هم من انفسهم من العهد كقول فرعون لموسى يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك
اننا لمهتدون فلم يوفوا بما اعطوهم من العهود وقوله عز وجل وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
وقد وجدنا اكثرهم فاسقين بنقض العهد والله اعلم وقوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم
موسى يحتمل قوله ثم بعثنا من بعد هلاك قرون كثيرة موسى رسولا باياتنا الى فرعون وملائه
يحتمل قوله باياتنا بحججنا ثم يحتمل حجج وحدانية الله والوهية ويحتمل ايات رسالته ونبوته
وعلى قول الحسن باياتنا دينا وعلى ذلك بيننا ولجميع الايات التي ذكرت في القرون
وقوله عز وجل الى فرعون وملائه ثم ان موسى كان مبعوثا اليهم جميعا الى فرعون والملاء ذو
الاتباع جميعا الى مبعوثا الى فرعون وملائه خاصة دون الاتباع وكذلك ذكر في مكان اخر الى فرعون
خاصة وهو بعث اليهم جميعا لكن يخرج تخصيص ما ذكر هؤلاء القادة والله اعلم لما ان الذي ينازع
الانبياء والرسل هم الكبراء والرؤساء دون الاتباع والسفلة والاتباع هم الذين يصدرون
لاراء الكبراء ويتبعونهم فيما يدعونهم اليه وعلى ذلك سموا الكبراء والرؤساء واضداد الرسل والا
كان موسى مبعوثا اليهم جميعا الوضيع منهم والرفيع وقوله عز وجل فظلموا بها وقال بعضهم قوله
فظلموا بها اي ظلموا الايات والحجج التي اتى موسى الى فرعون وقومه وسمى ظلما لانهم سموا
تلك الايات سحرا بعد ما عرفوا انها منزلة من الله فوضعوها غير موضعها والظلم هو وضع
الشيء في غير موضعه وقال قائلون قوله فظلموا بها اي ظلموا نعم الله التي انعمها عليهم حيث
عبدوا غيره فصرفوا شكر تلك النعم الى غير الذي انعمها عليهم فذلك ظلم شكروا من لم ينعم عليهم
فصرفوا عمن انعم عليهم والله اعلم ويحتمل ظلموا الاتباع بتلك الايات حيث منعوهم عن اتباع
الرسول استتبعوهم او يقول ظلموا انفسهم حيث تركوا اتباعها وقوله عز وجل فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين هذا الخطاب في الظاهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان المراد بالخطاب
غيره امر كلا بالنظر في عاقبة المفسدين لما حل بهم بفسادهم لان من نظر في عاقبة من حل بغيره
بمعصية او فساد يمتنع عن مثله ويمكن ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهين
احدهما ما له بما حل بهم بعض التسلي لاذاهم اياه لان من توهم حلول الهلاك على عدوه في العاقبة
صبر على اذاه او يكون له بعض التسلي في ذلك بذكرهم وينبئهم بما حل بهم في العاقبة ليمتنعوا
عما ارتكبوا من المعاصي لان ذلك ازجر وقوله عز وجل وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين فان قيل كيف قال اني رسول الله وذلك يخرج في الظاهر مخرج الامتداح
والتزكية وقد نهينا عن ذلك لانه اخبر بمحل الذي يوضع الرسالة فيه وانه اهل لها
قيل ليس فيه امتداح نفسه ولا تزكية لانه انما يذكر منة الله تعالى انه جعله بحيث يوضع
فيه الرسالة وجعله اهلا لها والتزكية والامتداح انما يقع فيما هو فعله حقيقة لا فعل
الله وان كان تزكية وامتداحا فهو قد امر بذلك فجاز ذلك بالامر واراد بذلك تعريفه لما
كان من عادة الملوك انهم اذا بعث بعضهم الى بعض رسولا فانهم لا يستقبلون الرسل بالمكروه
والشر بل يعظمون الرسل ويكرمونهم وان كان بينهم معاداة فذكر انه رسول من رب العالمين
لئلا يستقبل بالمكروه وقوله من رب العالمين قيل العالم هو جوهر الكل وهو قول الفلاسفة
وقال ابو بكر الاصم رب العالمين اي مليك الملائكة وقوله عز وجل حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق قال اهل التأويل ان موسى لما قال لفرعون اني رسول من رب العالمين
قال له كذبت فعند ذلك قال له موسى حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق ويمكن ان

يكون ذلك منه على غير تكذيب القول من فرعون ولكنه قال ذلك لما انه حقيق لكرامة الله بالرسالة
واختياره لها ان لا يقول على الله الا الحق او ان يقول اني رسول من رب العالمين حقيق على الله الا
الحق او ان يقول اني رسول من رب العالمين حقيق على ما اكرمني بالرسالة ان لا اقول على الله الا الحق
وقوله عز وجل حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد ذكرنا ان لا يصح الابتداء بهذا الا بعد ان سبق
من فرعون كلام خرج ذلك الكلام من موسى جوابا لما كان منه وهو ما قال اهل التأويل انه قال له لما
قال اني رسول من رب العالمين اليك كذبت لم يرسلك الينا او كلام نحو هذا فعند ذلك قال حقيق على ان لا
اقول على الله الا الحق اي ما كان ينبغي لي ان اقول على الله الكذب وهو كما قال عيسى سبحانك ما يكون لي
ان اقول ما ليس لي بحق لما قال له انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله كان ذلك القول
من عيسى ما ادعى قومه على عيسى انه قال لهم ذلك وكذلك قول الملائكة سبحانك انت ولينا من
دونهم بعد ما قال لهم اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فعند ذلك قال سبحانك انت ولينا من دونهم
خرج ذلك القول منهم جواب ما تقدم فعلى ذلك قول موسى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق خرج ما تقدم
قول كان منهم والله اعلم ومن قرأ حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق فتأويله المحقوق علي ان لا اقول
على الله الا الحق ومن قرأ بالتشديد علي فتأويله حق علي ان لا اقول على الله الا الحق وقوله عز وجل
قد جئتكم ببينة من ربكم يحتمل ببينة من ربكم ما يبين وحدانية الله والوهيته ويحتمل بينة الرسالة
له ما يبين اني رسول رب العالمين غير كاذب عليه ولا مفتر وقوله عز وجل فارسل معي بني اسرائيل
اي لا تستعبدهم فانهم ليسوا بعبيد لك وارسالهم معه ولكن طلبا استنقاذهم من العبودة كقوله
ان عبدت بني اسرائيل وقوله عز وجل قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين دل
قول فرعون ان كنت باية ان موسى اراد بقوله قد جئتكم باية من ربكم الاية ودل قوله ان كنت
جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين انه قد كان عرف انه ليس باله وعرف عبودة نفسه
حيث طلب منه الاية على صدق ما ادعى من الرسالة ولو كان عنده انه اله لكان قال لموسى انا الاله
فمن ارسلك ولم يطلب منه الاية وقوله عز وجل فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال ابو عوسجة الثعبان
الحية قال كل حية تسمى ثعبانا والثعابين جماعة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الثعبان هي
الحية الذكر وقوله عز وجل مبين اي مبين انها حية وهو كما ذكرنا فاذا هي حية تسعى مبين لا يشك
احد انها ليست بحية ويحتمل مبين ان ذلك التغيير والتحويل لا يكون الا من الله وقوله عز وجل ونزع
يده فاذا هي بيضاء للناظرين ذكر نزع يده ولم يذكر مما ذا فهو ما ذكر في اية اخرى وادخل يدك
تخرج بيضاء من غير سوء اي من غير اذى ولا افة وقال اهل التأويل من غير برص ولكن عندنا من
غير سوء ان تستقبح او تستقذر لان خروج الشيء عن خلقته وجوهره مما يستقذر فاخبر انه
لم يكن كذلك فان قيل لنا ما الحكمة في ادخال يده جيبه على ما هي عليها واخراجه اياها بيضاء
من غير ان كانت كذلك قبل ان يدخلها وكذلك صيرورة العصا حية بعد ما طرحها على الارض
دون ان يصير حية وهي في يده قبل ذلك والله اعلم انه انما اراهم اية بعد ما اخرج العصا عن سلطانه
وتدبيره ليعلم انها انما صارت لا بتدبيره وتغييره ولكن بالله عز وجل وكذلك اليد صيرها اية بعد
ما غيبها عن بصره وتدبيره ليعلم انها صارت كذلك لا به ولكن بالله عز وجل الاية هي التي تخرج
عن وسع الخلق وتدبيرهم وقوله عز وجل قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم وقال
في اية اخرى قال للملاء حوله ان هذا لساحر عليم يحتمل ان يكون فرعون قال للملاء ان هذا كذا ثم
قال الملاء لقومه ان هذا لساحر عليم اراد والله اعلم تلبيس ما اتى به موسى من الاية على قومه واراد
بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره اغراء قومه عليه والسحر عندنا هو من ايات الرسالة ولو كان
ما اتى موسى سحرا كان ذلك من ايات رسالته ونبوته لانه لا يستفاد الا بعلم من السماء وخبر منها
وكذلك هذه الحروف والمكاسب التي تكتسب في الخلق لانه لا يعلم الا بالوحي من السماء لكنه ليس
باية على الاشارة ولو كان ما اتى به سحرا لكان له اية لانه نشأ بين اظهرهم لم يره اختلف الى ساحر
قط لا عرف انه تعلم ذلك من احد فدل ذلك انه من الاية لكنه اخرج ذلك عما عرفوا من السحر لما
لا يكل احد يعرف انه لم يختلف في ذلك ولا تعلم من احد فاخرجه عن وسع السحرة وتدبيرهم ليعرف

كل احد انه ايات رسالته ونبوته لا السحر والله اعلم وقوله عز وجل يريدون ان يخرجكم من ارضكم
كان موسى لا يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن الله اعلم كانه قال فرعون لقومه لو اتبعتم موسى و
اجبتموه الى ما يدعوكم اليه لاخرجتكم لكن اضاف ذلك الى موسى لما كان هو سبب اخراجهم والله
اعلم او يقول يريد ان يذهب بعيشكم الطيب وراحتكم وتلذذكم بانواع التلذذ لانهم كانوا يستعبدون
بنى اسرائيل ويستخدمونهم ويسترقونهم ويتبعون فيقول للقبط يريد ان يذهب بذلك كله عنكم و
جائز ان يكون موسى لم يكن يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن يريد ان يخرجهم من دينهم الذى كانوا
عليه ولكن كان يرى قومه عليه وقوله عز وجل فماذا تامرون دل هذا القول من فرعون انه
كان يعرف انه ليس باله ورب لانه لو كان ما يقول انا ربكم الاعلى لكان لا يطلب من قومه الامر والا شارة
فى ذلك دل ذلك انه كان يعرف عجزه وضعفه لكن يكابر ويلبس على قومه ويموه بقوله ان هذا
لساحر عليم وقوله عز وجل يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا الحرف حرف اغراء وتحريش عليه وقوله عز وجل
فماذا تامرون هو حرف تقريب حيث جعل اليهم الامر والاشارة وجعلهم من اهل مشورته وقوله عز وجل
قالوا ارجه واخاه هذا الحرف لا يقال ابتداء الا ان يكون هنالك تقدم شيء فكانه هم بقتله كقوله
ذرونى اقتل موسى وليدع ربه فقالوا له ارجه اى اخره واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق
جميعا كانوا يمنعون فرعون عن قتله الا ترى انه قال ذرونى اقتل موسى لو لم يكن منهم منع عن قتله
لم يكن ليقول لهم ذرونى اقتل موسى وقوله عز وجل ارجه واخاه قال القتبى ارجه واخاه هارون
يقول احبسه اى اخره انه قوله ترجى من تشاء ومنه سميت المرجئة وقال ابن عباس رضى الله عنه
ارجه واخاه ولا تقتلهما وارسل فى المدائن حاشرين اى ارسل الى المدائن الشرط فاتوه من
المدائن حاشرين اى يحشرون عليك السحر والناس الى هذا يذهب ابن عباس رضى الله عنهما
وقوله عز وجل ياتوك بكل ساحر عليم لا تصلوه حتى ياتوك بكل ساحر عليم اى ليجتمع كل انواع
السحر لتبيين سحره والا كان ساحر واحد كاف ولكن ارادوا والله اعلم بقوله ياتوك بكل
ساحر عليم ليجتمع جميع انواع السحر عنده لتبيين سحره وقوله عز وجل وجاء السحرة فرعون
قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين فى المنزلة والقدر عندى
هذا يدل ان همة السحرة ليس الا الدنيا لانهم طلبوا من فرعون الاجر والقدر والمنزلة عنده
ان كانوا هم الغالبين ولا يجوز من همة الدنيا وما ذكر ان يكون له الرسالة بحال وهمة الانبياء
كانت الدين وطلب الاخرة وقوله عز وجل قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين
هذا ليس على الالقاء هذا وتركه ولكن الالقاء لانه لو كان على الالقاء احدهما لكان لا يتبين
السحر من الاية لكن الالقاء الاول كانهم قالوا يا موسى اما ان تلقى اولا ونحن الملقون
اول مرة وهو كما ذكر فى اية اخرى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى وقول موسى
القوا كانه امره ربه ان يامر بذلك قال موسى القوا فلما القوا سحروا اعين الناس
واسترهبوهم هذا يدل ان السحر انما ياخذ الابصار على غير حقيقة كانت له وهو كالسراب
يرى من بعيد كقوله يحسبه الظمان ماء الاية فعلى ذلك السحر ياخذ الابصار ظاهرا فاذا هو فى
الحقيقة باطل لا شىء وكالخيال فى القلوب لا حقيقة له وكان قصدهم بالسحر ارهاب
الناس وتخويفهم الا ترى ذكر فى اية اخرى فاوجس فى نفسه خيفة موسى وقد ذكرنا
ان ما جاء الرسل لو كان سحرا فى الحقيقة لكان ذلك حجة لهم فى اثبات الرسالة لان قومهم
لم يروهم اختلفوا الى ساحر قط فيدل ذلك انهم انما عرفوا ذلك بالله تعالى وهو كالانباء
التى انبأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل فاوجس فى نفسه خيفة موسى
يخرج على وجهين احدهما اخذ سحرهم بصره كما اخذ اعين الناس والثانى خاف ان سحرهم
يمنع اولئك عن رؤية حقيقة ما جاء به وقوله عز وجل سحروا اعين الناس اى خيروا
كقوله مسحورون اى ماخوذ اعينكم وقوله عز وجل واوحينا الى موسى ان الق عصاك
فيه ان موسى كان لا يلقى عصاه الا بعد الامر بالالقاء وكذلك قوله اضرب
بعصاك الحجر وان اضرب بعصاك البحر فانفلق ونحوه كان لا يضرب بالعصا و

ولا يلقى الا بعد الامر بالالقاء والضرب ليعلم ان فى ذلك امتحانا لموسى فيما يامر بالالقاء على الارض
لتصير حية وفيما يامره بالضرب بها الحجر والبحر ولله ان يمتحن عبده بما شاء من انواع المحن والا
كان قادرا ان يفلق البحر على غير الامر بالضرب بالعصا وكذلك تفجر الحجر وتنشق على غير ضرب بالعصا
وكذلك تصير تلك العصا حية وهى فى يده ولكن امره بذلك كله والله اعلم امتحانا منه اياه
وابتلاء وهى دار محنة وابتلاء اذ فى زمن موسى كان السحر هو الظاهر وكان الناس فى ذلك الوقت
يعملون بالسحر فجاء موسى من الايات على رسالته بنوع ما كانوا يعملون به ومن جنس ذلك
ليعرفوا خروجه عن وسعهم ان ذلك ليس بسحرهم ولكن اية سماوية وكذلك ما جاء عيسى
من الايات جاء بنوع ما كان يعمله قومه وهو الطب فجاء بنوع الطب ليعلموا انه بالله
عرف ذلك وقوله عز وجل فاذا هى تلقف ما يافكون قال القتبى تلقف وتلقم وتلتقم اشتقاقا
من اللقم والابتلاع وقوله وما يافكون قيل ما يكذبون قال الحسن تلقف ما يافكون
حبالهم وعصيهم وقيل تلقف ما يافكون ما جاؤا به من الكذب وقوله عز وجل فوقع
الحق وبطل ما كانوا يعملون هذا يحتمل وجهين احدهما بطل ما كانوا يعملون اى بطل
ما عملوا من السحر والثانى بطل ما كانوا يعملون اى تلك السحرة العمل بالسحر اذ ظهر
الحق لهم والله اعلم وقوله عز وجل فغلبوا هنالك اى عند ذلك غلب السحرة لانهم قالوا
لفرعون فى الابتداء ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فذكر هاهنا انهم غلبوا عنه لظهور
الحق لانهم صاروا غالبين وقوله عز وجل فغلبوا هنالك ليس غلبة القهر والقسر
ولكن غلبة بالحجج والبراهين اى غلبوا بالايات والحجج وقوله عز وجل وانقلبوا صاغرين
قال بعض اهل التاويل رجع السحرة لما غلبوا صاغرين مذللين لكن نقول رجع فرعون وقومه
الى منازلهم مذللين لا السحرة لان السحرة قد امنوا فلا يحتمل ان يوصفوا بالرجوع صاغرين
وقد رجعوا مع الايمان وقوله عز وجل القى السحرة ساجدين اختلف فيه قال بعضهم قوله
القى اى امروا بالسجود فسجدوا وقال الاخرون قوله القى اى لسرعة ما سجدوا كانهم القوا
والاية ترد على المعتزلة لانهم ينكرون ان يكون لله تعالى فى فعل العباد صنع وهاهنا قد اضيف
الفعل الى غيرهم بقوله والقى السحرة ساجدين دل ان لله فى فعل العباد صنع وهو ان
خالق فعل السجود فعل السجود منهم وقال جعفر بن حرب يجوز ان يضاف الفعل الى غير
وان لم يكن لذلك الغير فى ذلك الفعل صنع نحو ما يقال فى السفر ان هؤلا خلفوا اولئك
وهم لم يخلفوا اولئك فى الحقيقة ولا صنع لهم فى التخلف ثم اضيف اليهم فعل التخليف فعلى
ذلك هذا يقال ان هم فى ذلك صنع وهم انهم اذ لم ينتظروا هم فقد خلفوا هم ولهم فى ذلك
صنع فاضيف اليهم او ان يقال انهم لا يكون تخليف هؤلاء فاما الله سبحانه وتعالى فادر ان يلقيهم
اى لما يخلق منهم فعل السجود فاضيف الفعل اليه لذلك وقوله عز وجل قالوا امنا برب العالمين
رب موسى وهرون قال بعض اهل التاويل انهم لما قالوا امنا برب العالمين قال لهم فرعون
اياى تعنون فعند ذلك قالوا لا ولكن رب موسى وهرون ولكن لا ندرى هذا وموسى اول
ما جاء فرعون ودعاه الى دينه قال له انى رسول من رب العالمين فلا يحتمل ان يشكل عليه قولهم
امنا برب العالمين انهم اياه عنوا بذلك وجائز ان يكون امنا برب العالمين الذى ارسل موسى
وهرون رسولا وقوله عز وجل قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم هذا يدل على ان الايمان
هو التصديق لا غير لانهم لما قالوا السحرة امنا برب العالمين قال لهم فرعون امنتم به وهم لم
يسووا التصديق دل على ان الايمان هو التصديق لا غير وقوله عز وجل ان هذا لمكر مكرتموه
اى شىء صنعتموه فيما بينهم وبين موسى وهو كما قال فى اية اخرى انه لكبيركم الذى علمكم السحر
وقوله عز وجل لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف هذا الجهد باشد العقوبة والنكال وكلام يوقع
بقطع الايدى والارجل من خلاف اذ ذلك ايسر واهون فى العقوبة من القطع من جانب والقطع من
جانب اشد وانكل من القطع من خلاف اذ القطع من خلاف لا يمنع القيام ببعض المنافع والاعمال
فى تروف النفس ذكر ذلك حدا فى بعض العقوبات ولم يجعل القطع من جانب عقوبة الحال

دل انه اشد والتنكيل وبعث في اهلاك النفس والقطع من خلاف لا يعمل دل انه يجهله ما قال
ان اختيار القطع من خلاف ليكون بمونة المطب عليهم لا عليه لان المقطوع من خلاف قد
يمكن له الصعود على الخشبة والثاني لا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا انا الى ربنا منقلبون
وقال في موضع اخر لا ضير هذا والله اعلم يخرج على وجهين على الاقرار منهم بالبعث والايمان
به والثاني وعيد منهم بفرعون حيث اوعدهم بقطع الايدي والارجل والصلب وغير ذلك
من العقوبات فقالوا انا وانت الى ربنا منقلبون فتجزى وتعاقب جزاء صنيعك ربنا
وقوله عز وجل وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا قيل لوجهين قيل قوله وما
تنقم منا اي وما تعيب علينا وتطعن الا الايمان بما كان منا من الايمان بايات ربنا لما جاءتنا
وهو ما جاءهم من الايات وقيل وما تعاقبنا وما تنتقم منا الا ان امنا بايات ربنا
وكان الحق علينا وعليك ان تؤمن بها كما امنا نحن وقوله عز وجل ربنا افرغ علينا صبرا
قوله افرغ قيل انزل علينا صبرا وقيل اتمم لنا صبرا وقيل اصبب علينا صبرا وهو كله واحد
ثم يحتمل سؤالهم الصبر لما لعله اذا فعل بهم ما اوعد من العقوبات لم يقدروا على الصبر
فيتركون الايمان لذلك سالوا ربهم الصبر على ذلك ليثبتوا على الايمان به وتوفنا مسلمين
سالوا ربهم ايضا التوفي على الاسلام وهكذا كان دعاء الانبياء كما قال يوسف توفني
مسلما الاية وكذلك كان اوصى ابرهيم بنيه حيث قال ان الله اصطفى لكم الدين فلا
تموتن الا وانتم مسلمون وهكذا الواجب على كل مؤمن ومسلم ان يتضرع الى الله في كل وقت
ويبتهل اليه في كل ساعة لئلا يسلبه الايمان لكسب يكتسبه اذ الانبياء والرسل صلوات الله
عليهم مع عصمتهم كانوا يخافون ذلك ليعلم ان العصمة لا تسقط الخوف ولا تؤمن عن الزلات
وقوله عز وجل ربنا افرغ علينا صبرا دلالة على انهم اذا فرغ عليهم الصبر صبروا اذ لو لم يعلم
ذلك لم يكن لسؤالهم الصبر معنى فهذا على المعتزلة في قولهم انه يفرغ ولا يصبروا انه قد
اعطاهم غاية ما يصلح في الدين فدل سؤالهم ذلك على انه لم يعطهم وان عنده مزيد لو اعطى
لهم ذلك كان وقال الملاء من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض قال بعضهم في
اخراجكم من ارض مصر وافسادكم العيش عليكم او ما ذكروا من ترك عبادة فرعون وخدمته و
يذرك والهتك وقد قرء والهتك من قرء بالهتك حمله على العبادة اي يذرك وعبادتك ومن قرء
بالهتك وهو قول ابن عباس ومجاهد وقالوا ان فرعون قد كان جعل لقومه الهة يعبدونها
ليتقربوا بعبادتهم تلك الاصنام الى فرعون على ما كان يعبد اهل الشرك الاصنام دون الله ويقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويذرك والهتك التي جعلت لهم وقال الاخرون ان فرعون
كان يعبد الاصنام والاوثان على ما عبد غيره وقال غيرهم لا يحتمل ان يكون هو الاصنام على ما ذكرنا
الا ترى انه قال انا ربكم الاعلى ثم قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم قال بعضهم قوله سنقتل ابناءهم
يعني رجالهم ونستحيي نساءهم لانه لا يحتمل قتل الابناء ولم يكن منهم اليه صنيع انما كان ذلك من الرجال
وقال بعضهم قد كان فرعون يقتل ابناء بني اسرائيل في العام الذي قيل له انه يولد مولود يذهب بملكك
ويغير دين اهل الارض فلم يزل يقتلهم في ذلك العام الابناء ويترك البنات فذلك قوله سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم والله اعلم وقوله وانا فوقهم قاهرون قيل مسلطون عليهم فان قيل لنا ما الحكمة في
ذكر هذه القصص والانباء السالفة في القران قيل لوجوه والله اعلم ان فيها دليل اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لان هذه القصص والانباء كانت في كتبهم مبينة وقد علموا ان
لسانه كان على غير ما كانت كتبهم وعرفوا انه لا يختلف الى احد ممن يعرف ذلك ليتعلم منه ولا سمع
عن احد ثم انباءهم على ما كانت دل انه انما عرف ذلك بمن يعلم علم الغيب والثاني ان البشر جبلوا
على حب السماع والاخبار والاحاديث وحبب ذلك في قلوبهم حتى ان واحدا منهم يولد احاديث وينشئها
من ذات نفسه لان يستمعوا في ذلك اليه ويسمعوا منه فذكر لهم هذه الانباء والقصص ليكون
استماعهم اليها وسماعهم لها وذلك احسن واوفق اذ اخبر ان ذلك احسن القصص بقوله نحن
نقص عليك احسن القصص والثالث ذكر لهم هذا ليعلموا ما حل بهم في العاقبة من الهلاك والا

والاستيصال وانواع العذاب بفسادهم وتكذيبهم الرسل وما عاقبة المفسد منهم والمصلح ليكون
ذلك زجرا لهم عن صنيع مثلهم والرابع ذكر ذلك ليعرفوا كيف كانت معاملة الانبياء والرسل
اعداءهم ومعاملة الاعداء الرسل ليعاملوا اعداءهم مثل معاملتهم والخامس انهم كانوا ينكرون
ان يكون من البشر رسولا فاخبر ان الرسول الرسل الذين كانوا من قبل كانوا كلهم من البشر
والسادس انهم كانوا يعبدون هذه الاصنام والاوثان ويقولون بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
وانا على اثارهم مقتدون فاخبر ان كان في ابائهم السعداء وهم الانبياء والاشقياء فكيف اقتديتم
بالاشقياء منهم وهلا اتبعتم السعداء دون الاشقياء والسابع فيها ان كيف الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ومن يامر به ومن ينهى عنه وايضا ان فيه ذكر الصالحين منهم بعد ما ماتوا وانقرضوا
فكانوا بالذكر كالاحياء وقوله عز وجل قال لقومه استعينوا بالله واصبروا يحتمل قوله استعينوا
بالله على اداء طاعته وما تتقربون به الى الله ويكون لهم زلفى لديه او ان يقولوا لهم استعينوا بالله
بالنصر لكم والظفر واصبروا على اذاهم والبلاء ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يحتمل
هذا وجهين يحتمل هذا ان يخرج ذلك من موسى مخرج الوعد لهم بالنصر والظفر على الاعداء وجعل
الارض لهم من بعد اهلاك العدو وهو كما ذكر في موضع اخر ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الاية ويحتمل ان يخرج ذلك منه مخرج التصبير على الرضاء
بقضاء الله تعالى ان الارض له يصيرها لمن يشاء فاصبروا انتم على البلايا وارضوا بقضائه والعاقبة
للمتقين قال الحسن العاقبة اي الاخرة للمتقين خاصة وان الدنيا فانها بالشركة بين اهل الكفر
واهل الاسلام يكون لهؤلاء وما لاولئك واما الاخرة فليست للكفار انما هي للمؤمنين خاصة وهو
ما ذكر في اية اخرى فلولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية فعلى ذلك هذا
والله اعلم وقال غيره والعاقبة للمتقين اي عاقبة الامر بالنصر والظفر للمتقين على اعدائهم وان
كان في الدفعة الاولى عليهم وقوله عز وجل قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يخرج
هذا على وجهين احدهما ان يخرج مخرج استبطاء النصر والظفر لهم كانهم استبطاؤا النصر واهلاك
العدو والظفر عليهم فقال لهم موسى عند ذلك عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
والثاني ان يخرج ذلك منهم مخرج الاعتذار لموسى لما خاطبهم موسى انهم يقولون ان ما اصابهم
من البلايا والشدائد انما كان لسببه لمكانه فقالوا ذلك له اعتذارا منهم انه قد اصابنا ذلك
نحن من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا لئلا يتوهم انهم يقولون ذلك او يخاطبونه لهم ذلك والله
وجائز ان يكونوا قالوا ذلك على التعيير له والتوبيخ يقولون لم يزل يصيبنا من الاذى بسببك
ولاجلك من قبل ان تاتينا من الاستخدام ومن بعد ما جئتنا من انواع الضرر وقوله عز وجل
عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم والعسى من الله واجب فوعدهم اهلاك العدو واستخلافهم
في الارض وقال بعض اهل التاويل في قوله اوذينا في سببك من قبل ان تاتينا بالرسالة يعنون
بالاذى قتل الابناء واستخدام النساء ومن بعد ما جئتنا بالرسالة من الشدائد التي اصابتهم
من بعد لكن الاول اقرب واشبه وقوله عز وجل فينظر كيف تعملون يحتمل هذا ايضا وجهين
احدهما ان يجعل لكم الارض ويوسع عليكم الرزق يمتحنكم في ذلك ويبتليكم لا انه يجعل لكم ذلك
على غير امتحان تعملون ما شئتم في ذلك والثاني يمتحنكم بالشدائد والبلايا لينظر كيف تصبرون
على ذلك ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول لهم عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر
كيف تشكرون ربكم فيما انعم عليكم وقوله فينظر كيف تشكرون ربكم فيما انعم عليكم وقوله فينظر
كيف الوافي لكم من الجزاء والثواب وقوله عز وجل قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
امرهم والله اعلم بطلب المعونة من الله تعالى على قضاء جميع حوائجهم دينا ودنيا ويحتمل ان يكون
على طلب التوفيق لما امر به والعصمة عما حذره عنه وكذلك الامر البين في الخلق من طلب التوفيق و
المعونة عن الله والعصمة عن المنهي عنه جرت به سنة الاخيار وبالله المعونة ثم لا يصح ذلك
على قول المعتزلة ان الدعاء بالمعونة على اداء ما كلف وقد اعطى اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا
قد بقي شيء مما به اداء ما كلف عند الله وطلب ما اعطى كتمان للعطية وكتمان العطية كفران فيصير

كان الله امر بكفر ان نعبد وكتمانها وبطلبها منه تعنتا وظن مثله بالله كفر ثم لا يخلو من ان يكون عنده
ما يطلب فلم يعط التمام اذا وليس عنده فيكون طلبه استهزاء به او من طلب الى اخر ما يعلم انه ليس
عنده فهو هاذ به في العرف مع ما كان الذي يطلب تماما ان يكون لله ان لا يعطيه مع التكليف فبطل
قولهم لا يجوز ان يكلف وعنده ما به الصلاح في الدين فلا يعطي وليس له ان لا يعطي فكانه قال
اللهم لا تجر ولا تظلم ومن هذا علم ربه فالاسلام اولى به فهذا مع ما لا يدعوهم الله احد بالمعونة
والا وبطلان قلبه انه لا يزال يعد المعونة ولا يزيغ عند العصمة وليس مثله يملك الله عند المعتزلة
ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات عن ابن مسعود
رضي الله عنه بالسنين قال بالجوع وقيل بالقحط ومجاهد بالسنين قال بالجوائح ونقص من الثمرات
دون ذلك وقال القتبي بالسنين بالجدب يقال اصاب الناس سنة اي جدب فان قيل ذكر انه
اخذ ال فرعون وكان فيهم بنو اسرائيل فما معنى التخصيص قيل يحتمل ان يكون ذلك لهم خاصة دون
بني اسرائيل وان كان فيهم على ما ذكر في بعض القصة ان القبط كانوا يشربون الدم وبنو اسرائيل
الماء وكان الجدب والنقص من الثمرات يضر ال فرعون ولا يضر بني اسرائيل لما انهم كانوا يأكلون
للشهوة وبنو اسرائيل للحاجة فمن يأكل للحاجة كان اقل حاجة الى الطعام ممن يأكل للشهوة فاذا لم
يجدوا ما يأكلون للشهوة كان لهم اضر بهم الا ترى انه قيل يأكل المؤمن في معي واحد والكافر في سبعة
امعاء او خرج تخصيص ذلك لهم لما ان في عقد بني اسرائيل ان الله ان يمتحنهم بجميع انواع المحن مرة
بالشدة ومرة بالسعة ومن عقد القبط لا فاصيبا لهم لما لم يكن في عقدهم ذلك وان كانوا جميعا
في ذلك وقوله عز وجل لعلهم يذكرون اي يتعظون ولعل من الله واجب فما تعظوا لكنهم عاندوا
وكابروا الا قد لزمهم الاتعاظ وقوله عز وجل فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه اي الخصب
والسعة قالوا لنا هذه اي هذا ما كنا نعرفه ابدا وما جرينا على اعتياده او ان يقولوا لنا هذه
بفرعون بعبادتنا له وان تصبهم سيئة قيل الضيق والقحط يطيروا بموسى وقالوا بشؤمه وهذا
كما قال العرب لمحمد وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك كانوا يضيفون ما يصيبهم من الحسنة الى الله لانهم يقرون بالله والقبط لا يقرون
ذلك بل يقولون لما من فرعون او على الاعتياد فقال قل كل من عند الله فعلى ذلك قال ههنا
الا انما طائرهم عند الله ويحتمل هذا وجوها قيل جزاء تطيرهم عند الله في الاخرة وقيل طائرهم
وشؤمهم الذي كانوا تطيروا بموسى كان بتكذيبهم موسى اضاف ذلك الى ما عنده من الايات
لانهم تنزل تلك الايات فارسلها عليهم تطيروا بموسى بتلك الايات تجدوا تطيرهم وتشاؤمهم
وقال بعضهم قوله انما طائرهم عند الله اي حظهم عند الله كذلك قال في قوله الزمناه طائره
وهو كما ذكر فزادتهم رجسا الى رجسهم لما كذبوا تلك الايات زاد ما نزل من الايات من بعد رجسا
الى رجسهم فعلى ذلك شؤمهم طائرهم الذي كان بتكذيبهم موسى وقوله عز وجل يطيروا من
التطيرة وهو من التشاؤم يقال تشاءمت بفلان اي قلت هو غير مبارك وتطيرت بفلان
ايضا مثله ويقال تبركت به اذا قلت هو مبارك ويقال تطيرت منه وبه الا انما طائرهم
اي شؤمهم ذلك الذي يخافونه منه هو من عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون بانه من عند الله
كان بتكذيبهم موسى وقوله عز وجل وقالوا مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين
قال ابو بكر الكيساني تأويله كلما تأتنا به تزعم انه تريد ان تسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين وقال ابن
عباس والحسن وهؤلاء اي ما تأتنا من اية لتسحرنا بها الاية وقوله مه زيادة وهو قول القتبي ومعناه
اي ما تأتنا وقال الخليل هو في الاصل ما ما احديهما زيادة فطرحت الالف وابدلت مكانها هاء طلبا
للتخفيف وقال سيبويه النحوي قوله مهما تأتنا من اية اي مه كانهم قالوا مه اي اسكت كما يقول
الرجل لاخر مه اي اسكت ما تأتنا من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين والسحر هو التخيير واخذ
الابصار ولا حقيقة له كقوله اني لاظنك يا موسى مسحورا اي مخيرا وقوله سحروا اعين الناس
ثم دل قولهم مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ان ما قالوا ان هذا ساحر وانه
سحر عن علم بالاية والنبوة له قالوا ذلك لا عن جهل وغفلة حيث قالوا مهما تأتنا به من اية وما

نحن لك

نحن لك بمؤمنين ذلك منهم اياس عن الايمان به وقبول الايات لانهم اخبروا انهم لا يقبلون الايات
ولا يصدقونه في ذلك وقوله عز وجل فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى اخر ما ذكر قال اهل التاويل
قالوا ذلك ارسل الله بعد السنين ونقص الثمرات الطوفان والايات التي ذكر ويحتمل ان يكون
هذا وان كان مؤخرا في الذكر فهو مقدم لما قال ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى اخره لعلهم يذكرون اي يتعظون ثم اختلف اهل التاويل في الطوفان
قال بعضهم الطوفان الماء والمطر حتى خافوا الهلاك وهو قول ابن عباس وعن عائشة قالت سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن الطوفان فقال الموت فان ثبت فهو هو وقيل الطوفان هو انواع العذاب
والجراد هو المعروف والقمل قال بعضهم هو بنات الجراد يقال الدبا وقيل هو الجراد الصغار التي
لا اجنحة لها والضفادع والدم ايات مفصلات قيل مفصلات اي متفرقات واحدا بعد واحد
لم يرسل اية الا بعد ذهاب اخرى بعضها على اثر بعض وقيل مفصلات اي بينات واضحات ما يعلم
كل احد انه ليس من احد وليس من عمل السحر ولكن اية سماوية اذ لو كان سحرا لتكلفوا في دفعه
واشتغلوا بالسحر على ما اشتغلوا بسحر العصي والحبال فاذا لم يتكلفوا في ذلك لم يشتغلوا بدفع
ذلك بل فزعوا الى موسى ليكشف ذلك عنهم ووعدوا له الايمان وارسال بني اسرائيل معه دل
فزعهم اليه في كشف ذلك عنهم على انهم قد عرفوا انه ليس بسحر ولكنه اية اقروا بها انها
ليست بسحر وانها ايات الا انهم فزعوا عند ذلك الى موسى فقال ادع لنا ربك بما عهد عندك
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ووعدوا له الايمان به وبعث
بني اسرائيل معه ان كشف عنهم الرجز وقوله عز وجل بما عهد عندك اختلف فيه قال بعضهم
بما عهد عندك ما عهد لك انك متى دعوته اجابك وقيل بما عهد عندك انا متى امنا بك
وصدقناك كشف عنا الرجز فقالوا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل وقوله عز وجل ولما وقع عليهم الرجز قيل الرجز الوان العذاب الذي كان نزل بهم
من الطوفان والجراد والقمل والدم وما ذكر قالوا لئن كشفت عنا الرجز يحتمل ان يكون كلما حل
بهم نوع من العذاب فسالوا ان يكشف عنهم فقالوا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك و
لنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ذلك وعادوا الى ما كانوا من قبل ويحتمل
ان يكون قولهم لموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك بعد ما
حل بهم انواع العذاب عند ذلك قالوا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشف عنهم نكثوا
عهدهم وهو قولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وعادوا الى ما كانوا فعند ذلك
كان ما ذكر من قوله فانتقمنا منهم وقوله عز وجل لنؤمنن لك بما تدعي بانك رسول ولنرسلن
معك بني اسرائيل ويمكن ان يكون ليس على نفس الارسال ولكن على ترك الاستعباد اي لا نستعبدهم
بعد هذا لانهم كانوا يستعبدون بني اسرائيل وقوله عز وجل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه
اذا هم ينكثون قال الحسن قوله كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه ولو لم طاعوا واوفوا بالعهد
الذي عهدوا لكنهم لما نكثوا ذلك انتقم منهم وهذا الحرف يؤدي الى مذهب الاعتزال لانهم يقولون
الا من قتل او عذب تعذيب اهلاك انما هلك قبل اجله واجله الموت لكن هذا يصلح ممن يجهل
العواقب واما الله سبحانه تعالى عن ذلك ان يجعل له اجلين احدهما الموت والاخر القتل ولكن
جعل اجل من في علمه انه يقتل القتل ومن يموت حتف انفه الموت وكذلك ما روي في الخبر ان
صلة الرحم تزيد في العمر اي من علم منه انه يصل رحمه جعل عمره زيدا ممن يعلم انه لا يصل رحمه لانه
يجعل عمره الى وقت ثم اذا وصل رحمه زاد لما ذكرنا ان ذلك امر من يجهل العواقب واما من يعلم
ما كان وما يكون انه لو كان كيف يكون لا وقوله عز وجل فانتقمنا منهم يحتمل ان يكون قوله فانتقمنا
منهم يحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم ما ذكر على اثره من الغرق فاغرقناهم في اليم ويحتمل ان
يكون قوله فانتقمنا منهم من الطوفان وانواع العذاب الذي كان حل بهم ثم كان الاغراق من بعد
وقوله عز وجل بانهم كذبوا باياتنا يحتمل الايات التي جاء بها موسى على وحدانية الله تعالى وربوبيته
والحجج والايات التي تقدم ذكرها من الطوفان والجراد والقمل وما ذكر وقال الحسن باياتنا

ربنا وقوله وكانوا عنها غافلين معرضين مكذبين بها لا انهم كانوا على غفلة وسهو عنها لكنهم اعرضوا عنها مكابرين معاندين كانهم غافلين عنها وجايز ان يكون غافلين عما يحل بهم من العقوبة بتكذيبهم وقوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها هو ما سبق من الوعد لهم بوراثة الارض فيها وانزالهم فيها وهو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض وكقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين كان وعد لهم الاستخلاف والانزال فى ارض عدوهم ثم اخبر انه انزلهم واورثهم على ما وعد لهم بقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون باستعبادهم مشارق الارض ومغاربها قيل فيه بوجوه قيل مشارق الارض ومغاربها مملكة فرعون ومصر ونواحيها ما يلى ناحية الشرق وناحية الغرب وقيل كان فى بنى اسرائل من بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها كقوله وفضلناهم على العالمين قيل عالمى زمانهم من نحو ذى القرنين وداود وسليمان وقيل مشارق ومغاربها ان فضلوا على اهل مشارق الارض ومغاربها ان فضلوا على اهل مشارق الارض ومغاربها كقوله وفضلتكم على العالمين قيل عالمى زمانهم ثم تفضيله اياهم على البهائم بالجوهر والخلقة وعلى الجن بالرسالة والنبوة والمنافع وعلى جوهرهم من بنى ادم بالرسالة والحكمة والملك كقوله وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقوله عز وجل التى باركنا فيها قيل ارض الشام وقيل ارض مصر ونواحيها وقيل سماه مباركا لانها مكان الانبياء عليهم السلام وقيل مباركة لكثرة انزالها وسعتها وقوله عز وجل وتمت كلمة ربك الحسنى قيل هى الجنة بما صبروا وقيل وتمت كلمة ربك الحسنى بما كان وعدهم انه ينزلهم فيها ويستخلفهم ثم ذلك الوعد وهو ما قال ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ثم ما وعدهم ان يمن عليهم وقوله عز وجل بما صبروا ويحتمل بما صبروا على اذى فرعون ويحتمل بما صبروا من اداء ما اوجب عليهم والله اعلم وقوله عز وجل ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال بعضهم قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه على الوقف على قومه وما كانوا يعرشون معطوفا على قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وما كانوا يعرشون وهو من العرش الذى تتخذه الملك وقيل ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ايضا اى اهلكنا ما كانوا يعرشون قال القتبى يعرشون اى يبنون والعرش بيوت والعرش سقوف وقال ابو عوسجة ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اى اهلكنا وافسدنا يعرشون يعرش ويعرش يعنى يبنون من البيوت والكروم والاشجار وقيل فى قوله كانوا يستضعفون يعنى بالاستضعاف قتل الابناء واستحياء النساء بارض مصر ودمرهم الله ذلك وقيل فى قوله وتمت كلمة ربك الحسنى وهى النعمة التى انعم على بنى اسرائل بما صبروا على البلاء حين كلفوا ما لا يطيقون من استعباد فرعون اياهم والكلمة التى ذكر فى القصص من قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض وقوله عز وجل وجاوزنا ببنى اسرائل البحر دل هذا على ان لله فى فعل العباد صنع وفعل حيث اضاف ونسب المجاوزة الى نفسه وهم الذين جاوزوا البحر دل ان له فى فعلهم صنع وهذا ينقض على المعتزلة حيث انكروا خلق افعال العباد وبالله المعونة والعصمة وقوله عز وجل فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم العكوف هو المقام والدوام وقوله عز وجل فاتوا يعكفون على اصنام لهم اى وجدهم عكوفا على عبادة الاصنام مقيمين على ذلك وقوله عز وجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها يشبه ان يكون سؤالهم الها يعبدونه لا على الكفر بربهم والتكذيب لرسوله ولكن لما لم يروا انفسهم اهلا للعبادة لله والخدمة له لما راوا فى الشاهد ان لا يخدم الملوك الا الخواص لهم والمقربين لهم ومن بعد منهم يخدم خواصهم فعلى ذلك هؤلاء سالوا موسى الها يعبدونه لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله والخدمة له لتقربهم عبادة الاصنام الى الله ويخرج ذلك مخرج التعظيم لله والتبجيل لا على الكفر وصرف العبادة له عنه الى غيره وكذلك كان عادة العرب انهم كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم عبادتها الى الله زلفى وكذلك ما ذكر فى بعض القصة ان فرعون كان يتخذ لقومه اصناما يعبدونها لتقربهم عبادة تلك الاصنام اليه زلفى فعلى ذلك سوال هؤلاء لموسى

اجعل لنا الها والله اعلم او كان سوالهم ذلك لما لم يروا فى الشاهد احدا يخدم الا لحاجة تقع له الى ذلك الخدم وان الله تعالى ان يعبد ويخدم للحاجة ويخدمون القادة والرسل ويعبدونهم لما راوا ينالون من النعيم وانواع المنافع من الرؤساء والكبراء ولذلك كانوا يخدمونهم واما اهل التوحيد فانهم لا يرون العبادة لغير لانه ما من احد وان بعد منزلته ومحله الا واثار نعم الله عليه ظاهرة حتى عرف ذلك كل احد حتى لو بذل جميع حطام الدنيا واوجد بكل انواع التوحيد لترك الدين الذى هو عليه ما امكن البتة وفى امر موسى صلوات الله عليه خصلتان احديهما ان يعلم ان كيف يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكيف يعامل على ما عامل موسى قومه باللين والشفقة وان استقبلوه بالعظيم من الامر والمناكير والثانية ويحتمل ان يكون سوالهم الها يعبدونه لما ان اهل الكفر قالوا لهم ان الرسل هم الذين امروهم بعبادة الاصنام كقوله والله امرنا بها نفى ما قالوا ان الرسل هم الذين امروهم بذلك سالوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم الهة وقوله عز وجل ان هؤلاء متبر ما هم فيه اى ان عبادتهم لهؤلاء متبر اى مهلكهم ومفسدهم وباطل ما كانوا يعملون اى باطل ما يأملون بعبادتهم هؤلاء وقال القتبى التبار الهلاك وقال ابو عوسجة المتبر المفسد يقال تبرت الشئ اى افسدته ويقال رجل متبر اى مفسد وقوله عز وجل قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين يحتمل قوله فضلكم على العالمين بما هداكم ووفقكم للهداية بما لم يوفق ولم يهد احدا من العالمين من عالم زمانكم ويحتمل قوله ابغيكم الها دونه وقد فضلكم بما استنقذكم من استخدام فرعون وقهره اياكم واخراجكم من يده واعطاكم رسولا يبين لكم عبادة الهكم الحق وقوله عز وجل اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم فتقول انما تستجيبون ربكم ان تسالوا الها تعبدونه دونه وقد فضلكم بما ذكر من انواع النعم والله اعلم وهو ما ذكر من قوله واذ انجيناكم من ال فرعون الاية يذكر نعمه عليهم بما استنقذهم من ال فرعون واله والهكم وقوله عز وجل يسومونكم قيل يعذبونكم سوء العذاب قتل الابناء واستحياء النساء فذلك قوله يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل فى ذلك يعنى فيما انجاكم من ال فرعون بلاء من ربكم عظيم يعنى نعمة من ربكم عظيم ويقال البلاء بالمد هو النعمة وبغير المد مقصورا الشدة وقوله عز وجل وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر ذكر ههنا ثلثين ليلة ثم ذكر التمام بالعشرة وذكر فى السورة التى ذكر البقرة اربعين ليلة بقوله واذ واعدنا موسى اربعين وهو واحد كالميعاد له اربعين ليلة لكنه يحتمل ذكر ثلثين مرة وعشر وجهين احدهما ان ثلثين ليلة كان لامر وعشر كان لامر اخر فذكر متفرقة لما كان لامرين مختلفين والثانى انه كان فى وقتين كان هذا فى وقت والاخر فى وقت والقصة واحدة والميعاد واحد فذكر التمام بعشر كقوله فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة اى ثلثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وان كان فى وقتين والله اعلم وقوله عز وجل فتم ميقات ربه اربعين ليلة قيل تم الميعاد الذى وعد له اربعين ليلة وقوله عز وجل وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى فان قيل ما معنى قول موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وهو كان مبعوثا معه رسولا الى فرعون مشتركا فى تبليغ الرسالة الى فرعون كقوله واشركه فى امرى وقوله انا رسول رب العالمين وقوله فاتياه فقولا انا رسولا ربك وقوله واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا فاذا كان هو رسولا كموسى فى تبليغ الرسالة كيف احتاج الى ان يقول موسى اخلفنى فى قومى وهما شرعا سواء فى الرسالة قيل يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكونا كاثنين رسولين لكن كان ولى اثنين امر لم يكن لواحد منهما ان يتفرد به الا بامر الاخر فعل ذلك هنا كانه قال له اخلفنى فى الحكم بينهم واصلح ذات ولا تتبع من دعاك الى سبيل المفسدين او يحتمل ان يكون موسى كان هو الرسول اذا وكان اليه الحكم وهرون كان دخيلا فى امره دليله على ما قال فارسله معى ردءا يصدقنى والا موسى كان هو المامور بها والا المبعوث اليهم دونه الا ترى انه كان هو المناجى ربه دون هرون وكان هو المعطى الالواح دون هرون كقوله وكتبنا له فى الالواح من كل شئ وهو الذى قال انى انست نارا وهو الذى نودى بالبركة دون هرون وغير ذلك من الايات فاذا كان استخلفه موسى فى قوله وقوله عز وجل ولما جاء موسى لميقاتنا اى لميعادنا الذى وعدناه

وكلمه زيد لا يجوز لنا ان نصف كيفية الكلام وماهيته سوى انه اسمعه موسى كيف
شاء بما شاء بكلام مخلوق وصوت مخلوق قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني الاية قال قائلون ان
موسى لم يسال ربه الرؤية لنفسه ولكن سال لقومه لسؤال القوم له كقوله لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة لكن هذا بعيد لانه لو كان سواله اياه لسؤال قومه لكان لا يقول رب ارني انظر اليك
ولكن يقول ارهم ينظرون اليك فدل انهم انه لم يكن لذلك وقال قائلون لم يكن سوال رؤية ذاته ولكن
ولكن سال ربه رؤية الايات والاعلام والادلة التي بها يرى وذلك جائز سوال الرؤية سؤال رؤية
الايات والاعلام وذلك بعيد لانه قد اعطاه من الايات والاعلام ما لم يكن له الحاجة الى غيرها من
الايات من نحو العصا التي كان يضرب بها الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عينا وما كان من فرق البحر وهلاك
العدو واليد البيضاء وغير ذلك من الايات فاذا بطل ذلك دل انه سال حقيقة الرؤية والقول بها لازم
عندنا في الاخرة وحق من غير ادراك ولا تفسير والدليل على ذلك قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك
ولو كان لا يرى لم يكن لنفي الادراك حكمة اذ لا يدرك غيره بغير الرؤية فوضع نفي الادراك وغيره من الخلق
لا يدرك الا بالرؤية لا معنى له والله الموفق وايضا قول موسى رب ارني انظر اليك الاية ولو كانت
لا يجوز الرؤية لكان منه جهل بربه ومن يجهله لا يحتمل ان يكون موضعا لرسالته وامينا على وحيه وبعد فانه
لم ينهه ولا ايسه وبدون ذلك قد نهى نوحا وعاتب ادم وغيره من الرسل وذلك لو كانت لا يجوز
لبلغ الكفر ثم قال فان استقر مكانه فسوف تراني فان قيل لعله سال انه يعلم بها قيل لا يحتمل ذلك لا
اصفها انه قال لن تراني وعد راه الاية وايضا ان طلب الايات يخرج مخرج التعنت وقد راه الايات
على ما ذكرنا وذلك صنيع الكفرة انهم لا يزالون يطلبون الايات وان كانت الكفاية قد ثبت لهم فمثله
ذلك ايضا وايضا انه قال فان استقر مكانه فسوف تراني والاية التي يستقر معها شيت انه لم يرد
بذلك الاية وايضا محاجة ابرهيم عليه السلام قومه في النجوم وما ذكر بالافول والغيبة ولم يحاجهم
بان لا احب ربا يرى ولكن حاجهم بان لا احب ربا يافل اذ هو دليل عدم الدوام ولا قوة الا بالله
وايضا قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ثم لا يحتمل ذلك الانتظار لوجوه احدها الاخر ليت
بوقت الانتظار انما هي الدنيا وهي دار الوقوع والوجود لا في وقت الفزع وقبل ان يعاينوا في انفسهم
ما له حق الوقوع والثاني قوله وجوه يومئذ ناظرة وذلك وقوع الثواب والثالث قوله الى ربها
ناظرة والى حرف يستعمل في النظر الى الشيء لا في الانتظار والرابع ان القول به يخرج مخرج البشارة
لعظيم ما نالوه من النعم والانتظار ليس منه مع ما كان الصرف عن حقيقة المفهوم قضاء على الله
فيلزم القول بالنظر الى الله كما قال على نفي جميع معاني التشبيه عن الله سبحانه على ما اضيف اليه من الكلام
والفعل والقدرة والارادة انه يجب الوصف به على ما نفي جميع معاني التشبيه وكذلك القول [illegible]
فمن زعم ان الله لا يقدر ان يكرم احدا بالرؤية فهو يقدر في الرؤية التي فهمها من الخلق واذا كان
القول بالرحمن على العرش استوى وغير ذلك من الايات لا يجوز دفعها بالعرض على المفهوم من
الخلق بل يحقق ذلك على نفي التشبيه فمثله خبر الرؤية ايضا قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وجاء في غير خبر النظر الى الله وقد يحتمل غير ذلك مما جاء فيه التفسير لكنه لو لا ان القول
بالرؤية كان امرا ظاهرا لم يحتمل صرف ظاهر لم يكن جهنا؟ اليها ويدفع به الخبر والله اعلم وايضا ما جاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير خبر انه قال سترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة
البدر لا تضامون وسئل هل رايت ربك فقال بقلبي قلبي ولم ينكر الى سائل لسؤاله زيد
علم السائل رؤية القلب اذ هي علم قد علمه وانه لم يسال عن ذلك وقد حذر الله المؤمنين
عن الاشياء قد كفوا عنها بقوله لا تسئلوا عن اشياء فكيف يحتمل ان يحمل يكون السؤال عن
مثله يجيء وذلك كفر في الحقيقة عند قوم ثم لا ينهاهم عن ذلك ولا يوبخهم في ذلك بل يليق
القول في ذلك ويروى ان ذلك ليس ببديع والله الموفق وايضا ان الله وعد ان يجزي
احسن مما عملوا به في الدنيا ولا شيء احسن من التوحيد وارفع قدرا من الايمان به اذ هو
المستحسن بالعقول والثواب الموعود من نحو الجنة حسنه حسن الطبع وذلك دون
حسن العقل اذ لا يجوز ان يكون شيء حسن في العقل لا يستحسنه ذو عقل وجائز ما استحسنه

الطبع طبعا لا يتلذذ به كطبع الملائكة ومثله في العقوبة لذلك لزم القول بالرؤية لتكون كرامة تبلغ
في الجلالة ما اكرموا وهو ان يصير لهم المعبود بالغيب شهودا كما صار المطلوب من الثواب حضورا ولا قوة
الا بالله ولا يحتمل العلم لان كلا يجمع على العلم بالله في الاخرة العلم الذي لا يعتريه الوسواس وذلك علم
العيان لا علم الاستدلال وكثيرا الايات لا تحقق علم الحق الذي لا يعتري ذلك دليله قوله ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة الاية وما ذكر من استحالة الكفرة بالتكذيب في الاخرة وانكار الرسل عليهم وقولهم لم يلبثوا
الا ساعة من نهار وغير ذلك وبعد فانه لا يجوز ان يصير علم العيان نحو علم الاستدلال لم يجز ان يصير
علم الاستدلال نحو علم العيان فثبت ان الرؤية توجب ذلك وبعد فان في ذلك العلم يستوي الكافر
والمؤمن والبشارة بالرؤية خص بها المؤمن ولا قوة الا بالله ولا نقول بالادراك بقوله لا تدركه
الابصار فقد امتدح بنفي الادراك لا بنفي الرؤية وهو كقوله ولا يحيطون به علما كان في ذلك ايجاب
العلم ونفي الاحاطة فمثله في حق الادراك وبالله التوفيق وايضا ان الادراك انما هو الاحاطة
بالحدود والله تعالى عن وصف الحد اذ هو نهاية وتقصير عما هو اعلى منه على انه واحد الذات والحد وصف
المتصل الاجزاء حتى ينقضي مع احالة القول بالحد اذا كان وما لا حد فهو على ذلك لا يتغير على ان لكل
شيء حد يدرك سبيله نحو الطعم واللون والذوق والحد وغير ذلك من حدود حاصة الاشياء جعل
الله لكل شيء من ذلك وجها يدرك ويحاط به حتى العقول والاعراض فاخبر الله تعالى انه ليس له
حدود وجهات هي طرق ادراكه بالاسباب الموضوعة لتلك الجهات وعلى ذلك القول بالرؤية
والعلم جميعا ولا قوة الا بالله وبعد فان القول بالرؤية يقع على وجوه لا يعلم حقيقة كل وجه
من ذلك الا بالعلم بذلك الوجه حتى اذا عبر بالرؤية صرف الى ذلك وما لا يعرف له الوجه بذي
ذكر الرؤية لزم الوقف في ماهيتها على تحقيقها واما الادراك انما هو معنى الوقوف على حدود
الشيء الا ترى ان الظل في التحقيق يرى لكنه لا يدرك الا بالشمس والا كان مرئيا على ما يرى
لوقت نسخ الشمس ولكن لا يدرك بالرؤية الا بما يتبين له الحد وكذلك ضوء النهار يرى لكن
حده لا يعرف بذات وكذلك الظلم لان طرفيها لا يرى فيدرك ويحاط به وبالحدود يدرك الشيء
واذا كان يرى لا بها ولذلك ضرب المثل بالقمر لانه لا يعرف حده ولا سعته ليوقف ويحاط به ويرى
بيقين ولا قوة الا بالله والاصل فيه ان القول بذلك على قدر ما جاء ونفي كل معنى من معاني
الخلق ولا يفسر لما لم يجيء والله الموفق ثم زعم الكعبي ان الغائب اذا لم يخرج عن الوجوه التي بها يعلم
فكذلك لا يرى الا بالوجوه التي بها يرى من المباينة للمرئي ولناحيته المرئي بالمسافة والمقابلة و
اتصال الهواء والصفو وعدم الصفو والبعد ولو جازت الرؤية بخلاف هذه لجاز العلم به قال الشيخ
رحمة الله عليه وهذا خطاء لانه قد رؤية جوهره وقد علم ان غير جوهر جوهر يرون من الوجه الذي
لا يقدر على الاحاطة بجوهره فضلا عن ادراك بصره نحو الملائكة والجن وغيرهم مما يرونا من حيث
لا نراهم والجثة الصغيرة نحو البق ونحو ذلك مما يرى لما لو توهم مثل ذلك البصر لما احتمل الادراك
ويرى الملك الذي يكتب جميع افعالنا ويسمع جميع اقوالنا على ما لو اراد ان تقدير ذلك بما عليه جبلنا
للزوم انكار ذلك كله وذلك عظيم وكذلك ما ذكر من نطق الجلود وغيرها مما لو امتحن بمثلها المرء لشاهد
موجد عقلنا ادعيد؟ فانه في الشاهد يفصل بين البصريين في الرؤية والتمييز على قدر تفاوتهما بما اعتبر
بهما في الحجب مما لو قابل احدهما الاخر على ما له وجده مستنكرا واذا كان كذلك بطل التقدير بالذي
والله الموفق وايضا انه في الشاهد بكل اسباب العلم لا يعلم غير العرض والجسم ثم جاز العلم
بالغائب خارجا منه فمثله الرؤية والثالث ما ذكرنا من رؤية الظل والظلمة والنور من غير تلك
من تلك الوجوه والرابع انه قد يجوز وجود تلك المعاني كلها مع عدم الرؤية اما الحجب او بالجوهر
فجاز تحقيق الرؤية على نفي تلك المعاني نحو ما اجيب القائل بالجسم عند معارضته بالفاعل والعالم
اذا وجد جسم لا كذلك فيجوز وجود ذلك ولا جسم فمثله في الرؤية على ان البعد الذي يحجبنا والرؤية
يجوز ان يبلغه بصر غيرنا فحصل ارتفاع الرؤية بالحجاب فاذا ارتفع جاز ولا قوة الا بالله وبعد
فان الذي يقول بتقدير رؤية الاجسام ولم يمتحن بصره بغير الاجسام والاعراض ان كيف يسئل الرؤية
له وبعد فان كل جسم يرى وان كانت الدقة والبعد يحجبان فيجوز ارتفاعهما عن بصر غيرنا فيرى على ما يرى

يوت الموت من باطراف الارض ووسطها مما لو اعتبر ذلك ببصر البشر لما احتمل الادراك فثبت ان الذي
قدر به ليس هو سبب تعريف ما يبصره ولكن سبب تعريف ما يحجب به البصر فاذا ارتفع راى مع ما كان
المنفي رؤيته لذاته عرض والا فكل جسم يرى فان لزم انكار الرؤية لما ليس بجسم او لما لا يرى الا بما ذكر
فيلزم الاقرار به لان الذي لا يرى لذاته هو العرض والا فكل غير يرى ولا قوة الا بالله وعرض
بامر الدنيا ولا يحال العرض بذلك الى ان يسقط المحنة ويرفع الكلفة والدنيا هي لهما ثم ذكر فحام
ان ذلك على علم الاحاطة بالايات وقد بينا فساد ذلك وما ذلك العلم بالذي يسال وهو رسول
بعث الى ما به نجاة الخلق وذلك لا يكون بغير الممتحن اذ هو تبليغ الرسالة والدعاء الى العبادة وهي
محنة بل سال الرؤية ليجل قدره ليعرف عظيم محله عند الله او ان يكون الله امره به ليعلم الخلق جواز
ذلك وبالله التوفيق ثم استدل بانه لم ير من يعقل انما راى الجبل والجبل لا يعقل ليعلم وله
فيقال له ولو كانت الاية فالجبل لا يراها ولا يعقل واذا كان كذلك فالاية اذا صار انه كالجبل و
لا ان راه الاية يستدل بها وفي هذا انه قد ارى موسى الاية وهو انه كالجبل والله يقول لن تراني
وحمله على الاية وقد راها ولا قوة الا بالله فان قيل ما معنى توبته لو كان سؤاله على الامر قيل
على العادة في الخلقة من يحدث عند الاحوال بلا حدوث ذنب او لما راى من جلال الله وعظمته
فنزع الى التوبة واحداث الايمان وان لم يكن ما يوجب ذلك وذلك متعارف في الخلق ويحتمل
ان يكون قوله لن تراني وكان عنده جوازا الرؤية في الشاهد واحال وسعة ذلك بما وعد الله
في الاخرة رجع عما كان عنده وآمن بالذي قال لن تراني وان كان في الاصل ايمانه داخلا في
احداث على نحو احداث المؤمنين الايمان بكل اية تنزل وبكل فريضة تتجدد وان كانوا في المؤمنين
بالكل والله الموفق وقد بينا ما قالوا في قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والاصل في
الكلام انه اذا كان على امر معهود وبقي ما به المقصود اليه صرف عن حقيقته والا لا وذلك
نحو قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل والم تر كيف فعل ربك واصله ان قال من قال رايت فلانا او
الى فلان لم يحتمل غير ذاته واذا قال رايته يقول كذا ويفعل كذا انه لا يريد به رؤية ذاته فتثله امر
قصة موسى وهذه الاية وروي عن ضرار بن عمرو انه اتى البصرة فقال يا اهل البصرة اما ان كان
ان موسى مشبها واما ان كان يرى لانه لو كان بالذي لا يرى فسال رؤيته كان جاهلا به مشبها
خلقه به فقد ثبت انه يرى ثم الاصل ان من تامل الذي ذكره الكعبي عرف انه مشبهي المذهب لانه لم يذكر
المعنى الذي له يجب ان يكون الرؤية بتلك الشرائط انما اخبر انه كذلك وجعل كل فاعل في الشاهد جسما
وكذا كل عالم فيجب مثله في الغائب ثم ذكر معنى رؤية الجسم ولم يذكر معنى رؤية غير الجسم حتى يكون له
دليل وبعد فانه نفى بالدقة والبعد وهما نائلان عن الله تعالى ثم احتج بامتداح الله تعالى لا تدركه الابصار
وقال لا يجوز ان يزول تمثله عليه في قوله خالق كل شيء وقوله وهو على كل شيء قدير فلا يجوز ان يزول
ثم قد وصف الله بالرؤية على اسقاط ما ذكر فثبت ان ذلك طريق لا يؤدي عن كنه ما به الرؤية
فان قيل كيف يرى قيل بلا كيف اذ الكيفية تكون لذي صورة بل يرى بلا وصف قيام وقعود
واتكاء وتعلق واتصال وانفصال ومقابلة ومدابرة وقصر وطويل ونور وظلمة وساكن
ومتحرك ومماس ومباين وخارج وداخل ولا معنى ياخذه الوهم او يقدره العقل لتعاليه
عن ذلك وقوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا الاية قال ابو بكر الاصم تجلى بالايات
والاعلام التي بها يرى ولذلك قال في قوله رب ارني انظر اليك انه انما سال ربه الايات
والاعلام التي يرى بها الرؤية المعاينة وقد بينا بعون الله ما لكنه الخطاه من الايات والاعلام
له غنية عن غيرها لا يحتاج الى غيرها وقال الحسن ان موسى سال ربه الرؤية في غير
الرؤية وهو يقر بالرؤية لكنه يقول سالها في الدنيا وبينه هذا العالم لا يحتمل ذلك الا ترى
انه قال فان استقر مكانه فسوف تراني اخبر ان الجبل لا يستقر له فكيف تستقر انت
الكنه ينشئ وبينه يحتمل ذلك وقال الحسن لذلك قال موسى اني تبت اليك وانا اول
المؤمنين ان ليس في الدنيا الرؤية الى نحو هذا يذهب الحسن وقد ذكرنا نحن الوجه على
قدر ما حضر لنا وقال اهل التاويل قوله تجلى ربه للجبل اي ظهر لكن لا يفهم من ظهوره

من ظهر الخلق على ما ذكرنا في قوله استوى على العرش وقوله وجاء ربك وغيره من الايات لا يفهم استواؤه
باستواء الخلق وكذلك مجيئه فعلى ذلك ظهوره وبالله العصمة وروي ان التوراة انه جاء من طور سيناء
وظهر من جبل ساعير واطلع من جبل فاران وتاويله جاء وحيه على موسى في طور سيناء وظهر على عيسى
في جبل ساعير واطلع على محمد في جبل فاران ثم العجب ان كيف اختار موسى بالسؤال بسؤال مثله
ارني انظر اليك لكنه يحتمل وجوها احدها على الامر بالسؤال على ذلك ليعلم انه يرى ويعتقدوا
ذلك والثاني على الظن منه لما راى انه اعطاه اشياء لا يكون مثلها في الدنيا انما يكون في الاخرة
من نحو انفجار العيون من الحجر من غير معونة تكون لهم في ذلك من حفر الانهار واصلاحها وانواع المؤن
ونحو ما اطعمهم من اللباس الذي ينمو ويزداد على قدر زيادتهم وطولهم ومن نحو ما اطعمهم من المن والسلوى
على غير مؤنة وذلك كله وصف الجنة فلما راى ذلك ظن ان الرؤية ايضا تكون في الدنيا على ما كانت له
من اشياء لم يكن مثلها لاحد في الدنيا او لما راى انه سمع كلام ربه ولقي مسامحة كلامه لا من مكان
ولا من قريب ولا بعيد ولا من اسفل ولا من اعلى ولا من خوف ولا من تحت لكنه سمع ما شاء وكيف شاء
بلطفه فظن انه يجوز له ان يسال ربه الرؤية فيريه بما شاء كيف شاء بلطفه كما ذكرنا وقوله عز وجل
قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي سمى الله عز وجل موسى وسائر الانبياء صلوات
الله عليهم وسلامه باسماء الجوهر موسى وعيسى ونوح وابراهيم واسمعيل واسحاق وسمى نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم نبيا ورسولا وذلك يدل على تفضيله وكذلك سمى سائر الامم المتقدمة بابني اسرائيل ويا
يا بني ادم وسمى امة محمد صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا وقال كنتم خير امة ونحوه فذلك يدل ايضا
على تفضيل امة محمد على غيرها من الامم وقوله عز وجل اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي يحتمل كان
مصطفى ومفضلا بالكلام على الناس كافة الانبياء وغيرهم لان الله تعالى لم يكلم احدا من الرسل الا بسفير
سوى موسى فانه كلمه ولم يكن بينهما سفير واما قوله اصطفيتك على الناس برسالاتي على ناس زمانه
واهله خاصة ويحتمل برسالاتي التي بين موسى وبين الله تعالى هذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله
لا يرسل رسولا الا وهو يستحق الرسالة ولو كان طريقه الاستحقاق لا الافضال والاحسان
لم يكن للامتنان معنى دل ان طريقه الافضال والاحسان لا الاستحقاق والله اعلم وعلى قول المعتزلة
لا يكون الله اصطفى موسى وغيره من الانبياء ولكن هم الذين اصطفوا انفسهم وقوله عز وجل فخذ ما اتيتك
يخرج على وجهين احدهما القبول اي اقبل ما اعطيتك كقوله خذ من اموالهم صدقة ويحتمل قوله فخذ ما اتيتك
اي اعمل بما اعطيتك باحسن العمل وكن من الشاكرين لنعمه التي انعمها عليك من التكليم والرسالة وغيره من
النعم والله الموفق وقوله عز وجل وكتبنا له في الالواح من كل شيء ويحتمل قوله وكتبنا له في الالواح و
جهين احدهما انه انما اضاف ذلك الى نفسه لانه تولى كتابتها الملائكة لبررة الكرام اضاف الى نفسه
تفضيله لا على ما ذكر في الكتاب في غير موضع من نحو قوله فنفخنا فيه من روحنا وقوله من يطع الرسول
فقد اطاع الله اخبر ان طاعة الرسول له طاعة وغير ذلك فكذلك هذا والله اعلم او اضاف ذلك الى نفسه
لما كان ويكون الى يوم القيامة انما يكون لكن الذي كان منه في الاوقات التي اراد ان يكون فعل ذلك
كتبة ذلك الالواح كان تحت ذلك الكن وان كان اضاف بعض تلك الاشياء الى نفسه كقوله جعل لكم الليل
والنهار وجعل الشمس ضياء والقمر نورا وانزل لكم من السماء كذا وخلق لكم كذا وجعل لكم السمع و
الابصار ونحو ذلك فذلك كله كانت تحت قوله كن فكانت على ما اراد ان يكون في الاوقات التي اراد
ان تكون والله اعلم وقوله عز وجل وكتبنا له في الالواح من كل شيء يحتمل قوله من كل شيء مما يقع العباد
الحاجة اليه ويحتمل من كل شيء من امره ونهيه وحله وحرامه وقوله عز وجل موعظة قال الموعظة هي التي
تحث القلوب على القبول والجوارح على العمل واد جعلهم الموعظة هي التي تنهى عما لا يحل قال ابو بكر الموعظة
هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الاعمال الفاسدة قال الشيخ رحمه الله وعندنا
الموعظة هي تذكير العواقب وتحمله على العمل بها وقوله عز وجل وتفصيلا لكل شيء قيل تفصيلا لما امر به
ونهى عنه وقيل بيانا لكل ما يحتاج اليه وقوله فخذها يحتمل ايضا وجهين يحتمل قوله فخذها اي اقبل
على ما ذكرنا في قوله فخذ ما اتيتك ويحتمل اعمل بما فيها وقوله عز وجل بقوة قال اهل التاويل بجد ومواظبة
ويكون قوله فخذها بقوة القوة المعروفة وعلى قول المعتزلة لا يكون اخذا بقوة وقد اخبر ان اخذها بقوة

لانهم يقولون ان القوة تكون قبل الفعل ثم يقولون انها لا تبقى وقتين فتكون في الحاصل لو كانت قبل الفعل
خذا بغير قوة دل انها مع الفعل ونقول المعتزلة دل قوله فخذها بقوة على ان القوة الامر بالاخذ لكن لا
يكون ما ذكروا لانه امر باخذ بقوة دل انها تقارن الفعل لا تتقدم وقوله عز وجل وامر قومك ياخذوا
باحسنها يحتمل قوله ياخذوا اما ذكرنا من الوجهين القبول والعمل اى مرهم يقبلوا باحسن القبول ويحتمل
مرهم يعملوا باحسن ما فيها من الامر والنهى والحلال والحرام ويحتمل قوله باحسنها اى بما هو احكم والقتر
او باحسن مما عمل به الاولون اذ فيه اخبار الاولين وقوله عز وجل ساريكم دار الفاسقين قال بعض
اهل التاويل قال ذلك لبنى اسرائيل ساريكم دار الفاسقين يعنى سنة الفاسقين وهى الهلاك
كقوله تعالى فقد مضت سنة الاولين وسنة فى اهل الفسق والكفر الهلاك وقال ابن عباس رضى الله
عنهما ساريكم دار الفاسقين جهنم ويمكن ان يكون الخطاب للفسقة ساريكم يا اهل الفسق دار الفاسقين
وقوله عز وجل سأصرف عن آياتى الاية يخرج هذا على وجهين احدهما ساصرفهم عن قبولها وتصديقها
اذ لم يستقبلوها بالتعظيم لها بل استهزاءً بها واستخفوا بها على علم منهم انها آيات من الله وحجة والثانى
صرفهم عن وجود الطعن والقدح فيها والكيد لها ثم ان كل واحد من هذين الوجهين يتوجه على
وجهين قال الحسن ان الكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد يطبع عليه فلا يقبل ولا يصدق آياته بعد ذلك
والثانى انهم كانوا يتعنتون فى آياته ويكابرون فيها بعد ما صح عليهم انها آيات وحجج من الله فاذا تعانتوا
صرفهم عن قبولها وتصديقها وهو كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اى يخلق منهم فعل الزيغ
وفعل الانصراف وهكذا كل من يختار عداوة الله فالله لا يختار له ولا يريد لا كى يختار له ما اختاره هو
واما قوله ساصرف عن وجود الطعن فيها والقدح وذلك ان الله عز وجل جعل للرسل ...
اضدادا من كبرائها لكثرة رعبتها لهم وكانوا يطعنون فى الايات ويقدحون فيها فاخبر انه يصرفهم
عن وجود الطعن فيها والقدح والكيد لها اى لا يجدون فيها مطعنا ولا قدحا والثالث قوله ساصرف
قوله ساصرف عن آياتى الجزاء لا الابطال بل المهلكون الدنيا شاهد بنيانه ثم اختلف فى الايات
قال الحسن آياتى دينى وقال دينه ما ذكرنا انهم اذا بلغوا ذلك الحد صرفهم عنها وقال غيره آياته حججه
وبراهينه وقوله عز وجل الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق كانوا يتكبرون هم على الرسل
لما لم يروهم امثالا لا لانفسهم واشكالا وهكذا كل من تكبر على آخر يتكبر لما لم يره مثلا لنفسه ولا
شكلا او يتكبر لما يرى نفسه سليمة عن العيوب ويرى فى غيره عيوبا او يرى لنفسه حقوقا عليه
فيتكبر هذا فالخلق كلهم اكفاء بعضهم لبعض لانهم امثال واشكال وفيهم العيوب والحاجات فلا
يسع لاحد التكبر على احد وانما التكبر لله تعالى فانه يليق به لانه لا مثل له ولا شكل منزه عن العيوب كلها والحاجات
لذلك كان هو الموصوف بالكبرياء والعظمة وقوله عز وجل بغير الحق اى ليس هم باهل التكبر وقوله
عز وجل وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها يمكن ان يكون قوله يروا اى وان علموا انها آية لا يؤمنون به
ابدا هذا فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا اى وان علموا
ان ذلك هو سبيل الحق والباطل يتخذوه سبيلا وقوله عز وجل ذلك بانهم كذبوا بآياتنا يحتمل
قوله ذلك الصرف الذى ذكر عن آياته كذبوا الايات بعد علمهم انها آيات من الله وكانوا عنها
غافلين غفلة الاعراض والعناد لا غفلة الجهل والسهو وقوله عز وجل والذين كذبوا بآياتنا ولقاء
الآخرة اى الذين كذبوا بالايات والبعث بعد الموت وقوله عز وجل والذين كذبوا بآياتنا ولقاء
الآخرة اى الذين كذبوا بالايات والبعث وقوله عز وجل حبطت اعمالهم يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم
كانوا مؤمنين من قبل فكذبوا الايات فكفروا بها فحبطت الاعمال التى كانت لهم فى حال الايمان
وبطلت ويحتمل حبط اعمالهم المعروف الذى كانوا يفعلون فى حال الكفر من الصلة والرحم والصدقات
وغيرها من المعروف والخيرات التى عملوا بها حبطت ثواب ذلك كله ان لم يأتوا بالايمان وقوله عز وجل
هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى ما يجزون الا ما كانوا يعملون من الاستهزاء بالايات والاستخفاف
وقوله عز وجل واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا وقوله عز وجل واتخذ قوم موسى كيفية
وصف اتخاذ العجل ما ذكر فى سورة طه بقوله فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم
واله موسى فنسى الاية وصف الله عز وجل قوم بعضهم بالهداية والعدل له واتباع الحق بقوله

ومن قوم

ومن قوم امة يهدون بالحق وبه يعدلون وبعضهم وصفهم بالسفاهة وقلة الفهم والضعف فى الدين
بقولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقالوا ههنا وقالوا ههنا اتخذوا العجل الها عبدوه يذكر هذا والله اعلم
لما لم يعرفوا نعم الله ولم يتفكروا فى آياته وحججه يذكر هذا لنا لننظر فى آياته وحججه ولنتفكر فى نعمه فنؤدى
شكرها ونتدبر فى آياته وحججه لننتبهها ولا ننسيها على ما صنع قوم موسى وقوله عز وجل من بعده اى من
بعد مفارقة موسى قومه وقوله عز وجل من حليهم قال فى موضع آخر اوزارا من زينة القوم ولما كانت
تلك الحلى عارية عندهم من قوم فرعون بقوله اوزارا من زينة القوم اضاف الى فرعون واضاف ههنا
الى قوم موسى بقوله من حليهم دل ان العارية يجوز ان تنسب الى المستعير فيه دلالة ان من حلف لا يدخل
دار فلان فدخل دارا له عارية عنده يحنث وقوله عز وجل عجلا جسدا قال بعضهم صورته كانت صورة
عجل ولم يكن عجلا فى جوهره وقيل الجسد هو الذى لا تدبير له ولا تمييز ولا بيان لكنه ذكر فيه هذا
ما لا يحتاج الى هذا وهو قوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لكنه كان عجلا له جسد يذكر
سفههم انهم عبدوا من لا تدبير له ولا كلام ولا سبب الذى يجر به او دعا واختاروا الهية من وصفهم
ما ذكر وقوله عز وجل له خوار وقيل ان السامرى قد اخذ قبضة من اثر الرسول فالقى ذلك القبضة فى
الحلى الذى القوة فى النار فصار شبه عجل له خوار وقال بعضهم صاغ من حليهم عجلا ينفخ فيه من تلك القبضة
فخار خوارا وقال بعضهم ان السامرى كان حبا ذلك العجل الذى اتخذه بحيال حتى اذا مسه وحركه خار
وقال بعضهم كان وضع فى مهب الريح فيدخل الريح فى دبره ويخرج من فيه فعند ذلك يخور والله اعلم
وقوله عز وجل الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ذكر انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وفى سورة
طه لا يملك لهم ضرا ولا نفعا يجوز ان يعبد ليعلم ان ذكر خطر الحكم فى حال لا يوجب اباحة ذلك فى حال
اخرى وفيه ان امتناع العلة عن اطرادها يوجب نقضها وان كان اطرادها من الابتداء فى معلولاتها
لم يدل على صحتها وفى قوله لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ولا يملك ضرا ولا نفعا ذكر سفههم بعبادة
شىء لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقوله اتخذوه الها عبدوه وكانوا ظالمين فى عبادتهم العجل لانهم وضعوا
العبادة فى غير موضعها والالهية فى غير موضعها وقوله عز وجل ولما سقط فى ايديهم هذا حرف تستعمله
العرب عند وقوع الندامة وحلولها وندمهم لما راوا انهم قد ضلوا سقط فى ايديهم اى ندموا على ما كان
منهم وقوله عز وجل لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا اى لئن لم يرحمنا ربنا ويوفقنا الهداية والعبادة
له ويغفر لنا ما كان منا من العبادة للعجل لنزيد فى العصيان لنكونن من الخاسرين ويحتمل
قوله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ابتداء بسبب الرحمة والمغفرة كقوله واستغفروا ربكم الاية ويحتمل
النجاة لما كان منهم والعفو وفى قوله الم يروا انه لا يكلمهم بعد قوله له خوار دلالة ان الكلام
هو ما يفهم المراد ليس الحروف نفسها لانه اخبر ان له خوارا ثم اخبر انه كان لا يكلمهم دل ان الصوت
وان كان ذا هجاء وحروف ليس بكلام وذلك يدل لاصحابنا فى مسئلة اذا حلف ان لا يكلم فلانا
ثم خاطبه بشىء لا يفهم مراده انه ذلك ليس بكلام ولا يحنث وقوله عز وجل ولما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا الاسف هو النهاية فى الحزن والغضب كقوله يا اسفى على يوسف النهاية فى الحزن
والاسف فى موضع الغضب قوله فلما آسفونا انتقمنا منهم اى اغضبونا لكن الغضب يكون
على من دونه والاسف والحزن على من دونه والاسف والحزن على من فوقه وقوله عز وجل غضبان
اى بئسه على قومه لعبادتهم العجل وتركهم عبادة الله حزنا على قوله لما يلحقهم لعبادتهم العجل
من العقوبة وهكذا الواجب على من راى المنكر ان يغضب لله على مرتكب ذلك لمعاينة المنكر ويأسف عليه
عليه لما يلحقه من العقوبة والهلاك رحمة له ورأفة ويلزم المنكر ربه لما عصمه عن مثله وكذلك وصف
رسوله عليه السلام بالاسف والحزن لتكذيبهم اياه حتى كادت نفسه تهلك حزنا عليهم حيث قال لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ذكر هذه القصة لنا لنعرف ان كيف نعامل
اهل المناكر وقت ارتكابهم المنكر وقوله عز وجل قال بئسما خلفتمونى من بعدى يخرج هذا على وجهين احدهما بئس
ما خلفتمونى بئس ما اخترتم من عبادتكم العجل عن عبادة الله والثانى بئسما خلفتمونى باتباعكم السامرى وعباده
اليه بعد اتباعكم اياى واخى رسول الله وما امركم به ودعاكم الى عبادة الله والله اعلم وقوله عز وجل اعجلتم
امر ربكم اختلف فيه قال بعضهم اعجلتم ميعاد ربكم كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اى اعجلتم لو عد الحسن

الذی وعدکم ربکم وهو قوله وواعدنا موسی ثلثین لیلة وقال اخرون قوله امر ربکم اعذاب ربکم و
غضبه بعبادتکم العجل واتخاذکم الها وقد سمی الله تعالی الامر فی غیر موضع من القران عذابا کقوله اتی امر الله
ونحوه جاء امر الله وقوله عز وجل والقی الالواح قال اکثر اهل التاویل القی الالواح ای طرح علی الارض
غضبا منه فرفع منها کذا وکذا وبقی کذا لکن لا یجوز ان یقال من قوله والقی الالواح طرحها لا غیر لانه
قال والقی فی الارض رواسی لیس یفهم منه الطرح والالقاء لکن انما فهم منه الوضع فعلی ذلک قوله و
القی الالواح ای وضعها لانه اخذ راسه ولحیته ای شعر راس اخیه هرون ولا یسبیل له الا ان یاخذ راسه
ولحیته والالواح فی یده فوضعها علی الارض ثم اخذ راسه ولحیته یجره الیه وعلی ما ذکر فی سورة طه
حیث قال یا ابن ام لا تاخذ بلحیتی ولا براسی دل هذا ان کان الحکم له راسه ولحیته جمیعا لشدة غضبه
لله علی صنیع قومه وفی الایة دلالة العمل بالاجتهاد لانه قال لا تاخذ بلحیتی ولا براسی ولا یحتمل ان یکون موسی
یاخذ راسه بالوحی والامر من الله ثم یقول له هرون لا تاخذ بلحیتی ولا بکذا ولا تفعل کذا وفیه ایضا انه عرف
لما قال له لا تاخذ بلحیتی ولا براسی انی خشیت ان تقول فرقت بین بنی اسرائیل لانه لو کان یقول له بالوحی
او بالامر لم یکن لیعتذر الیه بقوله فلا تشمت بی الاعداء وقوله عز وجل واخذ براس اخیه یجره الیه فیه
دلالة انه انما اخذ بشعر راسه انه لو کان اخذ راسه لکان لا یحتاج الی ان یجره الیه دل انه کان اخذ
بشعر راسه وکذلک قوله لا تاخذ بلحیتی ولا براسی وفیه دلالة لاصحابنا ان من مسح راسه ثم ازال
شعره لم یسقط عنه حکم المسح واذا مسح علی لحیته ثم سقط زال عنه حکمه ولزم غسل ذقنه لما سمی
الشعر راسا وسمی اللحیة لحیة وسقوطها یسقط حکم المسح وسقوط شعر الراس لا والله اعلم وقوله
عز وجل ان القوم استضعفونی وکادوا یقتلوننی یخرج هذا مقابلة قول موسی لهرون لما قال له یا هرون
ما منعک اذ رایتهم ضلوا الا تتبعنی افعصیت امری فقال عند ذلک ان القوم استضعفونی وکادوا یقتلوننی
فلا تشمت بی الاعداء ولا تجعلنی مع القوم الظالمین وقوله عز وجل قال رب اغفر لی ولاخی قال بعضهم انما
خص اخاه بسؤال المغفرة لانهم جمیعا قد عبدوا العجل سوی اخیه هرون لذلک خص بسؤال المغفرة
وقال بعضهم انما قال ذلک لتحوا بابا مما قال هرون فلا تشمت بی الاعداء الایة ویحتمل ان یکون تخصیص السؤال
بالمغفرة لما سأل ربه ان یجعل هرون له وزیرا من اهله هرون اخی اشدد به ازری واشرکه فی امری لما
سأل ربه ان یشرکه فی امری ویشدد به ازره فعل ذلک خصه بسؤال المغفرة والله اعلم وقوله عز وجل
وانت ارحم الراحمین لان کل من یرحم دونه انما یرحم برحمته وقوله عز وجل ان الذین اتخذوا العجل ای عبدوا
العجل سینالهم غضب من ربهم وذلة فی الحیوة الدنیا قال بعضهم غضب من ربهم عذاب فی الاخرة لمن مات
منهم علی ذلک وذلة فی الحیوة الدنیا القتل والهلاک فی الدنیا وقال بعضهم قوله غضب من ربهم القتل
والهلاک وذلة فی الحیوة الدنیا الجزیة والسبی والقهر ویحتمل قوله تعالی وذلة فی الحیوة الدنیا ذکرا لذم
بصنیعهم وثناء الشر علی ما کانوا یصنیع الخیر المحمود فی الدنیا وثناء الخیر وقوله عز وجل سینالهم غضب
من ربهم هذا یحتمل وجهین احدهما ای قدرنا لهم غضب من ربهم وما ذکروا لنا و ان یکون هذا مذکورا فی
کتبهم ان من اتخذ العجل معبودا سینالهم غضب من ربهم فان کان هذا اخبارا عما فی کتبهم فسینالهم علی الوعد
صحیح والا علی الخبر ای قدرنا لهم وکذلک نجزی المفترین ای کذلک نجزی کل مفتر علی الله تعالی وقوله عز وجل
والذین عملوا السیئات ثم تابوا من بعدها وامنوا قال اهل التاویل قوله والذین عملوا السیئات یعنی الذین
عبدوا العجل ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربک من بعدها لغفور رحیم وهو فی کل من عمل السیئات
ای سیئة کانت اذا تاب عنها وندم علیها وطلب من الله المغفرة له غفر له وقوله عز وجل ولما سکت عن موسی
الغضب الذی غضب لله علی قومه بعبادتهم العجل ولا یحتمل ما قال له ابو بکر الاصم ان الغضب عقوبة
وشتم لان الغضب معروف لا یجوز ان یتاول ما قال هو وقوله عز وجل اخذ الالواح یعنی الالواح التی وضعها
علی الارض وقوله عز وجل وفی نسختها هدی ورحمة قال بعضهم یعنی فی نسخة الالواح لما کانت نسخت
من اللوح المحفوظ وقال بعضهم قوله وفی نسختها ای الکتب التی نسختها بنو اسرائیل من تلک الالواح
وقوله عز وجل هدی ورحمة ای هدی من کل ضلالة وبیان من کل عمی وشبهة ورحمة من کل سخط وغضب
للذین هم لربهم یرهبون ای الذین یخشون ربهم فیعملون وقوله عز وجل واختار موسی قومه سبعین
قال بعضهم السبعین الذین هم موسی لیکونوا مع هرون فعبدوا العجل فی ایتیهم فلم ینکروا ولم یغیروا

علیهم فاخذتهم الرجفة وقال الحسن انهم جمیعا قد عبدوا العجل الا هرون فالرجفة التی اخذتهم عقوبة لما عبدوا
العجل ولسنا ندری ای من اولئک السبعین الذین اختارهم موسی ویحتمل ان یکون موسی اختار السبعین
لیخرجوا معه فیکونوا شهداء علی انزال التوریة علیه وکلام ربه وقیل هم الذین ترکهم فی اصل الجبل فلما جاء موسی
بالتوریة قالوا لن نؤمن لک حتی نری الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهلکوا لقولهم ذلک وقد ذکرنا
ان لا ندری من کانوا وقیل اختارهم موسی لیتوبوا الی الله مما عمل قومهم وقوله عز وجل فلما اخذتهم الرجفة
قال رب لو شئت اهلکتهم من قبل وایای قال بعض اهل التاویل لو شئت منهم وایای فی بقتل القبطی وقال
اخرون لو شئت اهلکتهم علی نفسی لا اهلاک وایای علی القدرة ای تقدر علی اهلاکی ولکن لا تهلکنا الا لم
یکن ما یستحق ذلک ویشبه ان یکون قوله لو شئت اهلکتهم اهلاک فتنة وایای وقوله عز وجل
اتهلکنا بما فعل السفهاء منا هذا یخرج علی وجهین احدهما یقول والله اعلم انک انه تهلکنا ابتداء اهلاک
السفهاء بما فعلوا والثانی یقول لو شئت اهلکتهم وایای من قبل وما تهلکنا قومنا لان موسی
فی قومه واخبرهم انهم اهلکوا بسبب کذا لم یصدقوا قومه بذلک ولکنهم یتهمونه ویقولون انت قتلتهم
علی ما ذکر فی بعض القصة انه خرج بهرون الی بعض الجبال فمات هرون هنالک واخبر قومه بذلک فکذبوه وقالوا
انت قتلته فعلی ذلک جایز ان یکون ههنا خاف ان یتهمه قومه فی اولئک ولا یصدقوه فیما حل بهم والله
اعلم وقوله عز وجل اتهلکنا بما فعل السفهاء منا یحتمل هذا وجوها یحتمل یراد به التعزیر ویحتمل الانکار
والرد ویحتمل الایجاب اما الانکار فیکون معناه اتهلکنا بما فعل السفهاء ای لا تفعل ولا تهلکنا
بما فعل السفهاء منا ومثل هذا قد یقال یقول الرجل لاخر تفعل انت کذا علی الانکار ای لا تفعل
فعلی ذلک هذا والله اعلم ویراد به الایجاب کانه قال لک انه تهلکنا بما فعل السفهاء منا وما هی الا فتنتک
ان یکون ذلک امتحانا وابتلاء ابتداء ای تفعله امتحانا وابتلاء لا تعذیبا ویحتمل ان یکون علی الاستفهام
لکن لم یخرج له الجواب کقوله افمن هو قائم علی کل نفس بما کسبت وقوله ومن اظلم ممن افتری علی الله ونحوه
مما لم یخرج له جواب فعلی ذلک هذا ویجوز ان یکون اهلاکه ایاهم محنة بتعزیل ما کان من بعضهم وان
کان بعضهم براء من ذلک علی ما کان من اهل المرکز من العصیان فکان الغنیمة والهزیمة علیهم محنة منه
ایاهم کقوله اذ تحسونهم باذنه الایة فعلی ذلک هذا وقوله عز وجل ان هی الا فتنتک تضل بها من تشاء
وتهدی بها من تشاء وقال ابو بکر تضل بها ای تنهی عن فعل الابتداء لکن حرف من انما یعبر به عن الاشخاص
دون الافعال فلو کان علی ما ذکر هو لقال تضل به ما تشاء فان لم یقل ذلک ثبت انه لیس علی ما ذکر وتاویله
عندنا انه یخلق فعل الضلال ممن یعلم انه یختار ویخلق فعل الهدی ممن یعلم انه یختار ذلک وهو خالق کل شیء
واصل ذلک ان جمیع ما یضاف الی الله من طریق الافعال علی اختلاف الاضافة بالاختلاف وجوهها حقیقة
ذلک من الله خلق ما اضیفا الیه من الوجه الذی یحق وصفه بانه خالقه فعلی ذلک قوله تهدی وتضل
ویحتمل توفیق وخذلان وقوله عز وجل انت ولینا ای انت اولی بنا ویحتمل انت ولی هدایتنا وانت ولی
نعمتنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خیر الغافرین وانت خیر الراحمین لان کل احد دونه انما یرحم ویغفر برحمته
وقوله عز وجل واکتب لنا فی هذه الدنیا حسنة وفی الاخرة یحتمل الکتابة الایجاب ای اوجب لنا
فی هذه الدنیا حسنة وقال بعضهم قوله واکتب لنا ای وفق لنا العمل الذی نستوجب به الحسنة
فی الدنیا والاخرة ویحتمل اکتب لنا فی الدنیا الحسنات ولا تکتب علینا السیئات والله اعلم وقوله
عز وجل فی هذه الدنیا نختم بها الدنیا وننقضی بها والا ما من مسلم الا وله فی الدنیا حسنة اتاها
ایاه وعلی ذلک یخرج قوله ربنا اتنا فی الدنیا حسنة وفی الاخرة حسنة انهم انما سئلوا ان یختموا علیها
ویکون کقوله من جاء بالحسنة فله کذا والله اعلم بذلک وقوله عز وجل انا هدنا الیک قال بعض قوله
هدنا الیک ای ملنا الیک وقال غیرهم انا هدنا الیک ای تبنا الیک وقیل ولذلک سمینا الیهود
انفسهم یهودا ای تائبین الی الله لکن لو کان کذلک فقوله ما کان ابرهیم یهودیا ای تائبا وذلک بعید
ولکن ان کان سموا انهم والله اعلم ما کان ابرهیم یهودیا ای لم یکن علی المذهب الذی علیه الیهود
وکذلک لم یکن علی المذهب الذی ادعت النصاری انه کان علیه ولکن کان حنیفا مسلما وقوله عز وجل
قال عذابی اصیب به من اشاء ورحمتی وسعت کل شیء وقال الحسن من یشاء ان یصیب عذابه من کفر
بالله وکذب رسله وشاء من اطاع الله وصدق رسله ان یصیب رحمته ودل قوله عذابی اصیب

من شاء انه لما شاء ان يصيبهم عذابه شاء الفعل والفعل الذى كان به يصيبهم عذابه ولكن اذا علم منهم
انهم لا يؤمنون ويختارون فعل الضلال على فعل الهدى لهم ما اختاروا وقوله عز وجل ورحمتى وسعت
كل شئ ما من احد من مسلم ولا كافر الا وعليه من اثار رحمته فى هذه الدنيا بها يتعيشون وبها يتوالدون
ويتوادون وفيها يتقلبون لكنها للمؤمنين خاصة فى الاخرة لا حظ للكافرين فيها وذلك قوله فسأكتبها
للذين يتقون معصية الله والخلاف له ويؤتون الزكوة وكقوله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده
والطيبات من الرزق قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة جعل طيبات الدنيا
نعيمها مشتركة بين المسلم والكافر خالصة للذين امنوا يوم القيمة لا حظ للكافرين فيها فعلى ذلك
رحمته نالت كل احد فى هذه الدنيا لكنها للذين امنوا واتقوا الشرك خاصة فى الاخرة ويحتمل قوله
والله اعلم واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة انهم سألوا الرحمة فقال سأكتبها للذين
يتقون معاصى الله ومخالفته والله اعلم وقوله عز وجل ويؤتون يحتمل يؤتون الزكوة المعروفة ويحتمل
تزكية النفس كقوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ومعلوم انه لم يرد به زكوة المال ولكن زكوة
النفس بالتوحيد او التقوى وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا هو ذلك
الزكوة لا الزكوة المعروفة زكوة المال فعلى ذلك الاول والله اعلم وان كان على الزكوة المعروفة فذلك
فى قوم ثقل عليهم واشتد اخراج الزكوة من اموالهم كقوله الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة
كذا وقوله عز وجل والذينهم باياتنا يؤمنون قد ذكرنا فى غير موضع ان من امن بايات الله
وصدقها فقد امن بالله ورسله ومن كذب باياته كذب بالله وطائفة رسله لان طريق معرفة الله
ورسله انما هو من طريق الايات والحجج ليس من طريق المشاهدات والمحسوسات لذلك كان الايمان
بالايات ايمانا بالله ورسله وبالتكذيب بها كفرا بالله ورسله وقوله عز وجل الذين يتبعون
النبى اى يتبعون اثر الرسول فى كل سيرته وفى كل امره ونهيه ويطيعونه سماه رسولا
ونبيا بقوله الرسول النبى والرسول كالمبعوث على تبليغ الرسالة والمامور بها على كل
حال والنبى كالنبى لهم انبأ عند السؤال والاستخبار والرسول هو المامور بالتبليغ سألوه
او لم يسألوه سألوا او لم يسألوا وكان محمد عليه السلام كلاهما الانباء والتبليغ كقوله ما انزل اليك
من ربك وقوله ان عليك الا البلاغ وقوله عز وجل الامى الذى يجدونه مكتوبا الامى ما ذكر فى اية
اخرى وهو قوله ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية
اى يجدونه مكتوبا فى التورية انه رسول نبى وانه امى فى قوله ما كنت تتلوا من قبله من كتاب لئلا يقولوا انك
اخذت هذا من الكتب المتقدمة ومن علومها وحكمها ولا تخطه بيمينك لئلا يقولوا انه من تأليفك
وتعلموا انه من عند الله جاء به لا من عند ذات نفسه وفى قوله يجدونه عندهم مكتوبا فى التورية والانجيل
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى اخر ما ذكر دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان
اولئك لم يأتوا بالتورية والانجيل فيقولون لا نجد ما تذكر فى التورية والانجيل فذلك منهم على انهم وجدوه
كذلك والله اعلم وقوله عز وجل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر اى يجدونه مكتوبا عندهم
فى التورية انه يأمر بما امر الله به وينهى عما نهى الله عنه ويحل لهم الطيبات ما احل الله لهم ويحرم
عليهم ما حرم الله عليهم يجدونه فى التورية انه لا يأمر بشئ ولا ينهى عن شئ ولا يحل شيئا ولا يحرم الا بأمر
من الله له لكنهم ينكرونه انكار عناد ومكابرة كقوله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وغيره ويحتمل
قوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الاية اى يأمر بما هو معروف فى العقل وشهادة الخلقة
وهو التوحيد وكذلك ينهاهم عما هو فى العقل وشهادة الخلقة منكر وهو الكفر وجميع المعاصى
ويحل لهم الطيبات اى يحل ما هو طيب فى العقل والطبع ويحرم ما هو خبيث فى العقل والطبع جميعا
لان من الاشياء ما هو مستخبث فى الطبع لم يجعل غذاء البشرية وانما جعل غذاء دهم فيما هو مستطاب
فى الطبع بلغ غايته فى الطيب ولا كذلك يجعل غذاء البهايم والانعام هذا يحتمل والله اعلم ثم المعروف
والطيبات لو تركت العقول والطباع على ما هى عليه لكانت لا حاجة بهم الى رسول يخبر ان هذا
معروف وان هذا طيب او خبيث او منكر ولكن تعرف العقول والطبايع ذلك كله لكن تعرض
العقول من الشبه فتمنعها عن معرفة ذلك فاحتاجت الى رسول الله يخبر عن ذلك وقوله

عز وجل ويضع عنهم اصرهم قيل ما غلظوا على انفسهم من الشدائد وقيل اصرهم شدة من العبادة والعمل
وقيل اصرهم عهدهم وقيل اصرهم الثقل الذى يكون بنوا اسرائيل الزموه وقال القتبى والضبع عنهم اصرهم
اى ذنبهم الذى كانوا يذنبون اى عقوبة الذنب الذى اذنبوا فى الدنيا وقوله عز وجل والاغلال
التى كانت عليهم قال الحسن ان اليهود قالوا يد الله مغلولة اى محبوسة عن عقوبتنا فقال عز وجل
غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا اى غلت ايديهم الى اعناقهم فى النار فاخبر ان امة محمد صلى الله عليه وسلم
لما امنوا به وصدقوه رفع تلك الاغلال التى كانت عليهم عن هذه الامة بطاعتهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل الاغلال التى كانت عليهم الشدائد التى كانت عليهم من نحو ما لا يجوز لهم العفو عن الدم
العمد ولا اخذ الدية وما لا يجوز غسل النجاسات الا القطع وغير ذلك من الاشياء التى لم تحل
لهم فاحلت لهذه الامة ويحتمل ان يكون الاصر والاغلال التى كانت عليهم من نحو ما حرمت من اشياء
بظلم كان منهم وتحريم نحو قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم
وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم حرمت تلك الاشياء
عليهم عقوبة لبغيهم وظلمهم الذى كان منهم اخبر انه وضع عن هؤلاء ذلك لم يحرم ذلك عليهم
وفى هذه الاية اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه امى والامى ما ذكر فى قوله و
ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك كان لا يتلو ولا يخطه بيده ثم اخبر على ما كان
فى كتبهم من غير ان يعرف ما فى كتبهم او نظر فيها وعرف لسانهم دل انه انما عرف ذلك بالله
تعالى وقوله عز وجل فالذين امنوا به اى صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه قيل اعانوه
بأسوا لهم ونصروه بايديهم بالسيف وقال الحسن قوله عزروه ونصروه انما هو كلام
مثنى وهو اعانة وقيل عزروه اى عظموه وقوله عز وجل واتبعوا النور الذى انزل معه
يعنى القران سماه نورا لما ينير الاشياء عن حقايقها بالعقول لان النور فى الشاهد هو الذى
يكشف عن الاشياء سواترها فعل ذلك القران وهو نور لما يرفع الشبه عن القلوب و
يكشف عن سواترها وقال بعضهم سمى نورا لما ينير الاشياء ويعرف به ما غاب وما شهد فيصير
الغائب به له كالشاهد وقوله عز وجل قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا فيه دلالة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الناس كافة وكذلك روى انه صلى الله
عليه وسلم قال بعثت الى الاحمر والاسود وسائر الانبياء بعثوا الى اقوام خاصة والى البلدان
والقرى المعروفة المحدودة وفيه انه لما امره ان يقول للناس انى رسول الله اليكم انه
لا سبيل له الى ان يخاطب الناس والخلق جميعا فيقول انى رسول الله اليكم جميعا ولكن انما يكون
يبعث الرسل اليهم فينزل قول الرسل انه رسول الله اليكم منزلة قول نفسه انى رسول الله
اليكم فانتشر ذكره بتبليغ الرسل اليهم كانه هو بلغ ذلك وقال لهم انى رسول الله اليكم او ان
الله عز وجل سخر الخلق حتى بلغ بعضهم بعضا رسالته حتى فشا خبره وانتشر ذكره فى جميع افاق
الارض شرقا وغربا وذلك من عظيم ايات نبوته ورسالته ثم بين انه رسول من الله فقال
رسول الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت وذكر تخصيص السموات والارض
وان كان له ملك الكل لما هما النهاية فى ملك البشر او ذكر هذا ليعلموا ان ما فى السموات والارض
له عبيده واماؤه او ذكر هذا ليعلم ان التدبير فيهما جميعا لواحد حيث اتصل منافع السماء
بمنافع الارض على بعد ما بينهما وقوله عز وجل لا اله الا هو ذكر هذا لان العرب سمت كل معبود
الها وهم كانوا يعبدون الاصنام دونه ويسمونها الهة فنفى الالوهية عن يعبدونهم دونه
واثبتها له واخبر انه هو المستحق لاسم الالوهية والعبادة لا غير لانه يحيى ويميت ومن يعبدون دونه
لا يملك الاحياء ولا الاماتة وذكر هذا والله اعلم الحيوة والموت لانه ليس شئ الذى النهى فى الشاهد
من الحيوة ولا امر ولا اشد من الموت ليرغبوا فى الزما غاب عنهم وينفروا عن الامر والاكره مما غاب عنهم
والله اعلم او ذكر انه يحيى ويميت ليدل انه فعل واحد لا عدد وقوله عز وجل وامنوا بالله ورسوله
النبى الذى يؤمن بالله كانا صلى الله عليه وسلم هو السابق الى كل خير نعل ذلك دعى الخلق
كقوله وانا اول المؤمنين وانا اول المسلمين فعل ذلك انما امر بالايمان بعد ما امن هو وحاشا

ان يكون قوله يؤمن بالله وكلماته اى امن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله وكلماته التى كانت فى الكتب
الماضية واخبر بها على ما فى كتبهم ليعرفوا انه انما عرفها بالله تعالى وقوله عز وجل وكلماته اختلف فيه
قال عامة اهل التاويل كلماته القران وذكر فى بعض القراءة وكلمته بلا الف فصرفوا التاويل الى
عيسى كانه قال امنوا بالله وبمحمد وبعيسى ويحتمل ان يكون قوله وكلماته ما اعطاه من الحلال والحرام والامر
والنهى والحكمة والاحكام التى امر بها وشرعها لنا على ما ذكر فى ابرهيم انه ابتلاه بكلمات فاتمهن والله اعلم
وقوله عز وجل واتبعوه لعلكم تهتدون قد ذكرنا الاتباع له فان اتبعوه اهتدوا وقوله عز وجل ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق قيل امة يدعون الى سبيل الله الحق وبه يعدلون اى به يعملون بالحق
وبه يعدلون فيما بينهم لكن الاول اقرب والله اعلم ثم قوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق جائز ان يكون
الامة التى اكرم من قوم موسى كان فى زمنهم يدعون الناس الى الايمان برسول الله او ان يكون الامة
من قومه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية من قوم موسى مؤمنين به يدعون الناس اليه و
يعملون وقوله عز وجل وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما قال ابن عباس رضى الله عنه هو ما ذكره و
قطعناهم فى الارض امما اى جماعة وقيل وقطعناهم اى جعلناهم اثنتى عشرة اسباطا قال ابو عوسجة
الاسباط الانحاذ والسبط واحد وقال القتبى الاسباط القبائل واحدها سبط وقيل الفخذ دون
القبيلة وقيل ان اولاد اسحاق سمى اسباطا واولاد اسماعيل قبائل وفخاذ ولذلك يقال للعرب قبيلة
كذا وفخذ كذا ونسانه اى كيف هو وقيل لرجل ولد ولده على ما روى ان الحسن والحسين سبطا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه انهم كانوا فى المفازة لا فى البلدان
والقرى لانهم لو كانوا فى القرى لا يخلو عن انهار يجرى فيها او عيون الارض الا ترى انه قال وظللنا عليهم
الغمام دل انهم كانوا فى المفازة لانه هناك تقع الحاجة الى الغمام واما فى القرى فلا وقوله عز وجل فانبجست
منه اثنتا عشرة عينا قال بعضهم انفجرت على ما ذكر فى سورة اخرى وقيل ان هذه الكلمة م
بلسانهم لا بلسان العرب وقوله عز وجل قد علم كل اناس مشربهم قال بعضهم نعيدهم عز وجل بمؤنة
كل منهم مشربه وقال بعضهم لا ولكن لئلا يتزاحموا فى ذلك فيقع فيه اولادهم التقاتل والافساد
والتنازع والاختلاف وقوله عز وجل وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى فيه
ان جميع مؤنتهم كانت من السماء بلا مؤنة ولا تعب على انفسهم وقوله عز وجل كلوا من طيبات
ما رزقناكم ما ذكر من المن والسلوى وغيره وما ظلمنا لا احد بعفند فقصد ظلم الله ولكن
اذا تعدوا واحدود الله التى جعل لهم وجاوزوها فقد انفسهم لما رجع ضرر ذلك العقوبة
اليهم وهذه النعم التى ذكر لهم فى حال العقوبة والابتلاء من المن والسلوى والعيون
والغمام ويدل هذا على ان عقوبات الدنيا قد يشوبها لذة ونعمة وكذلك لذات الدنيا
قد يعما زوجها شدايد وهموم فانما تخلص وتصفو هذه النعم فى الاخرة وكذلك العقوبة
هناك تخلص وتفارق اللذات وقوله عز وجل واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
قال عامة اهل التاويل قوله اسكنوا هذه القرية بيت المقدس ويمكن ان يكون
القرية ذكرها هنا هى الارض التى ذكرت فى سورة المائدة وهو قوله ادخلوا الارض
المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم امرهم بالدخول فيها ونهاهم عن
عن ادبارهم فامرهم ههنا بالسكون فيها واباح لهم التناول منها مما شاؤا وقوله
عز وجل وقولوا حطة اى ارجعوا الى السبب الذى يحط الاوزار لا قوله حطة عنا كذا وهو ما قال
هود عليه السلام استغفروا ربكم اى تبوا بالسبب الذى به يغفر وهو التوحيد وادخلوا الباب
سجدا الان قد مضى ذكرهنا فى السورة التى فيها ذكر البقرة وقوله عز وجل فبدل الذين
ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون هذا ايضا
ذكرنا فيها سوى انه ذكر ههنا فارسلنا عليهم وذكر سورة البقرة فانزلنا والقصة واحدة
ليعلم ان اختلاف الالفاظ لا يوجب اختلاف المعانى والاحكام ولا تغيرها وذكر ههنا بما كانوا
يظلمون وهنا لك بما كانوا يفسقون والفسق هو الخروج من الامر والظلم هو وضع الشئ ابتغا
فى غير موضعه اكرم الله عز وجل هذه الامة كرامات من الطاعة لرسول الله والمطلوح له والتعظيم

حتى لم يخطر ببال احد الخلاف له بعد ما اتبعه وامن به واكرمهم ايضا من الفهم والحكمة والفقه
حتى ذكر كانهم من الفقه انبياء وقوم موسى عليه السلام وغيره من الامم لم يكونوا مثل ذلك
الا ترى ان قوم موسى قد خالفوه فى اشياء امرهم موسى بها وقوله عز وجل واسألهم عن القرية
كانت حاضرة البحر قال بعض اهل التاويل القرية التى كانت حاضرة البحر هى ايلة وقال اخرون
ويكاد لنا لا ندرى ما تلك القرية حاجة اذ لا منفعة لنا فى معرفتها ولو كانت لنا حاجة اليها لبين
لنا الله عز وجل وقوله عز وجل واسألهم عن القرية التى كانت كذا امره بالسؤال عنها الكلام هو المبين لهم
بقوله اذ يعدون فى السبت والسؤال هو الاستخبار ابدا انما يلزم المسؤل دون المستخبر لكن الاستخبار
يكون من وجهين احدهما ابتداء الخبار والثانى طلب التصديق فههنا لم يحتمل ابتداء الخبر وهو
على طلب التصديق كانه قال لم يكن كذا فيقولون نعم فيصدقون بما وقال قائلون لم يأمر بالسؤال
حقيقة ولكنه على التمثيل كانه قال لو سألتهم يقولون لك كذا كقوله سل بنى اسرائيل كم اتيناهم من
اية بينة على الامر ان سألهم ولكن لو سألتهم كان كذا واجابوك بكذا اصل ذلك هذا وقوله عز وجل اذ يعدون
فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ابتدعوا السبت فعظموه فابتلوا فيه
فحرمت عليهم من الحيتان وقال مجاهد حرمت عليهم الحيتان يوم السبت فكانت تأتيهم يوم السبت
شرعا بلا مؤنة وتكلف ابتلوا به ولا تأتيهم فى غيره مثله وقال ابو عوسجة قوله شرعا التى تدنو
من الشط والواحد شارع وقوله عز وجل لا يسبتون اى لا يدخلون فى السبت كما يقال لا يجمعون
ولا يخمسون اى لا يدخلون فيه وكذلك يربعون ويخمسون وقال القتبى شرعا اى شوارع اذ
يعدون اى يتعدون الحق ويقال عدوت على فلان اذا ظلمته وقال الكسائى يقرأ يسبتون
بالرفع ويقرأ بالفتح فمن قرأها دخلوا فى السبت وقال قائلون قوله شرعا اى كثيرة اى
تكثر لهم الحيتان يوم السبت وهو اليوم الذى حرم عليهم الحيتان وقل فى غير ذلك وقال
بعضهم ابتلاهم الله بتحريم السمك فى السبت ليرى الخلق المطبوع منهم من العاصى وقال قائلون
ابتلاهم بذلك لما كانوا يفسقون فى السر ليكون فسقهم وتعذيبهم ظاهرا عند الخلق كما كان
عند الله لئلا يقولوا عند التعذيب انهم عذبوا بلا ظلم ولا تعدوا اعلم وذلك قوله كذلك
نبلوهم بما كانوا يفسقون وقال قائلون فى قوله واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر
انما امره ان يسأل لهم اما عدهم الله بذنوبهم ثم اخبر عن ذنوبهم فقال اذ يعدون فى السبت
وقوله شرعا اى شارعات من غمرة الماء اى خارجات وقوله عز وجل واذ قالت امة منهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا ذكر فى الاول انهم كانوا ثلاث فرق
فريق عدوا وتركوا امر الله وارتكبوا ما نهوا عنه وفريق نهوا اولئك اعتدوا وانتهكوا م
حرم الله وفريق قيل لم يعتدوا ولم يرتكبوا نهيه ولا نهوا اولئك الذين اعتدوا وهم الذين
قالوا لم تعظون قوما الاية وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال هم كانوا ثلاث فرق
فرقة وعظت فرقة موعظة وفرقة ثالثة وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وهو
ما ذكرنا انهم ذكرهم فى الابتداء ثلاث فرق وذكر فى الاخر الهلاك فرقتين فرقة هى التى هلكت
بالاعتداء وفرقة هى التى نهت والحبث ثم اختلف اهل التاويل فى الفرقة الثالثة قال بعضهم
كانوا فى الفرقة التى هلكت لوجهين احدهما لما لم ينهوا اولئك الذين اعتدوا وكان فرض
عليهم النهى عن المنكر والامر بالمعروف فاذا لم ينهوا اولئك هلكوا واشركوا فى العذاب
كقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم الاية والثانى كانوا معهم لما نهوا
الناهين بقوله واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم وقال قائلون
كانوا فى الناجين قال الحسن لانهم كانوا نهوا اولئك عن الاعتداء والظلم الذى كانوا فيه
وكان قولهم لم تعظون قوما بعد ما نهوا هم وعظوهم فلم يتعظوا فانما قالوا لاولئك لم تعظون
قوما بعد ما نهوا او وعظوا فقالوا كيف تعظون قوما لا يتعظون ولا ينتهون فانما قالوا ذلك
بعد ما نهوا وقال قائلون هذا القول منهم نهى لانهم انذروا بوعيد شديد بقولهم لم تعظون قوما
الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فنفس هذا القول منهم نهى وزجر عن ارتكاب ما اتوا

بالنهاية من الوعيد وهو الهلاك والعذاب الشديد ولكنا لسنا نعلم انهم كانوا في الهلكى او في
الناجين وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة ولو كان لنا حاجة الى ذلك لبين لنا عز وجل ولم
ذلك لا دينا سوى انه بين من نجى منهم بالنهي عن الظلم والعدوان وبين من اهلك وعذب
بالظلم والعدوان بقوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس
بما كانوا يفسقون وقوله عز وجل قالوا معذرة الى ربكم قرئ بالرفع بالنصب ايضا معذرة
فمن قرء بالرفع اضمر فيه هذه كانهم قالوا هذه معذرة الى ربكم كقوله سورة انزلناها ومن
قرء بالنصب قال معذرة اي اعتذارا منهم الى ربهم لعلهم يتقون عما نهوا وقوله عز وجل
فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا واعرضوا عما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس قالوا شديد وكذلك قال ابو عوسجة وقال غيره اي موجع وهو
واحد وقال الحسن واخذنا الذين ظلموا العذاب على الوقف ثم قال بئس ما كانوا يفسقون
وقوله عز وجل فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابو عوسجة قوله عتوا اي استكبروا يقال عتى يعتوا عتوا وكان العتو
هو النهاية في البئس فلذلك قيل في قوله عتيا يابسا لكن سمي مرة قساوة ومرة استكبارا وقوله
عز وجل قلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال بعضهم حولت صورتهم وجسدهم صورة القردة وكانت عقولهم
على حالها عقول البشر لم تحول ليعلموا تعذيب الله اياهم وما اصابهم بهتكهم حرم الله وقال قائلون تحول
طباعهم طباع القردة واما الصورة والجسد على حاله وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله
عز وجل خاسئين قال بعضهم صاغرين خسأ الكلب صار قاصيا مبعدا يقال خساه وقال ابو عوسجة خاسئين
مبعدين وكذلك قال في قوله اخسئوا فيها اي ابعدوا فيها وارجعوا فيها يقال للحسنات فلانا اي اخسأته
اي باعدته فخسأ اي تباعد وقيل الخاسي الذليل وفي قوله واذ قالت امة منهم الى اخر ما ذكر من القصة
وجهان احدهما دليل اثبات الرسالة والنبوة له حيث اخبر على ما كان من غير نظر له في كتبهم ولا
اختلاف الى احد ممن له علم في ذلك دل انه انما عرف بالله تعالى والثاني انبأ عن عواقب الظلمة والفسقة
وما حل بهم بظلمهم وانتهاكهم حرم الله ليكون ذلك به زجرا لنا عن ارتكاب مثله وقوله عز وجل و
اذ تأذن ربك تأذن اي قال ربك وقال ابو عوسجة واذ تأذن هو من الاذان اي اعلم ربك وقوله
عز وجل واذ تأذن ربك الاية قالت نزلت هذه الاية بمكة في شأن اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان الكفار كانوا يمنعون من اراد الاسلام واتباع محمد عليه الصلوة والسلام فوعد لهم الله
ليبعثن عليهم من يقاتلهم ويأخذ منهم الجزية الى يوم القيمة جزاء ما كانوا يمنعون الناس عن اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم والاجابة له مما يدعوا اليه وقال قائلون هو في بني اسرائيل وهو ما قال
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الى قوله عسى ربكم ان يرحمكم وان
عدتم عدنا اخبر ان عادوا عدنا بما فاخبر بين في الاية بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم
سوء العذاب وقال قائلون هذا انما كان في هؤلاء الذين سبق ذكرهم في قوله انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قال ابو بكر الاصم الاية لا يحتمل في هؤلاء لان من امن
منهم لم يحتمل ذلك ومن صار منهم قردة خاسئين والله اعلم على الوجهين الذين ذكرناهما وقوله عز وجل
ان ربك لسريع العقاب يأخذهم في حال امنهم ليس كما يأخذ ملوك الارض قومهم بعد ما يتقدم
منهم اليهم تخويف فعند ذلك يأخذهم بالعذاب وان يقال لسريع العقاب اي عن سريع يأخذهم
عقابه وقوله عز وجل لسريع العقاب لمن كفر وكذب لغفور رحيم لمن امن وصدق رسوله وقوله
عز وجل وقطعناهم في الارض انما يحتمل فرقناهم في وقت بعد ما كانوا مجموعين ثم تفرقوا فصار بعضهم
كفارا وبعضهم مؤمنين او كانوا مجموعين في المكان والمعاش والماء والكلاء ثم تفرقوا فصاروا
متفرقين في المكان والمعاش وغيره او كانوا في الدين واحدا فصاروا اصحاب اهواء ويحتمل قوله
وقطعناهم في الارض امما اي امة بعد امة وجماعة بعد جماعة وبعضهم خلفا لبعضهم لبعض
على ما ذكر فخلف من بعدهم خلف وقوله عز وجل منهم الصالحون ومنهم دون ذلك فان كان
قوله وقطعناهم في الارض في الدين والمذهب فيكون تأويله منهم الصالحون المؤمنون ومنهم
دون ذلك الكفار ويكون قوله دون ذلك اي غير ذلك كقوله تعبدون من دون الله اي

غير الله وان كان في المعاش فبعضهم دون بعض في المعاش وسع على بعض المعاش وشدد على
بعض وضيق فيكون بعضهم دون بعض في المعاش والرزق او بعضهم دون بعض في
الدين بعضهم على الصلاح وبعضهم اصحاب اهواء والله اعلم وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات
والسيئات ابتلى بعضهم بالخصب والسعة وبعضهم بالشدة والضيق ليذكرهم الموعود
من الثواب في الحسنات ويزجرهم الموعود من العقاب عن السيئات لعلهم يرجعون يتوبون
ويرجعون على ذلك وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فهو يخرج
على وجوه احدها بلوناهم بالنعم والخصب والسعة ليعرفوا فضل الله واحسانه فيرجعوا
اليه بالشكر والثناء وبالسيئات اي بالبلايا في انفسهم والمصائب والضيق ليعرفوا
قدرة الله وسلطانه فيرجعون اليه بالتضرع والفزع والدعاء والتوبة والثاني معناه
اي بلوناهم بالحسنات والسيئات ليتقرر عندهم ان غيرهم املك بهم من انفسهم فيرجعوا
اليه النفس لامره وحكمه والثالث بلوناهم بالحسنات والسيئات المؤمن منهم والكافر
حتى اذا راوا الاستواء في الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهم فيضطر الجميع الى الايمان با
بالبعث اذ خرجوهم من الدنيا على سواء والرابع انه انما جعل النعيم في الدنيا ليعرفوا
لذة الموعود وفي الاخرة وكذلك الشدة فابتلاهم بالامرين جميعا ليستعدوا للرجوع
الى الموعود لهم في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل فخلف من بعدهم خلف قال قائلون
هو صلة قوله منهم الصالحون ومنهم دون ذلك والصالحون هم الذين امنوا بالله و حفظوا
حدوده وحلاله وحرامه وخلف من بعدهم يعني الصالحين خلف من لم يحفظوا حدوده
ومحارمه وقال قائلون هو صلة ما تقدم من ذكر الانبياء والرسل كانه اخبر انه خلف
من بعدهم خلف يعني خلف الرسل والانبياء وارثوا الكتاب وهو كما ذكر في سورة مريم
وهو قوله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وانما ذكر هذا
من بعد ذكر الانبياء والرسل والله اعلم وقوله عز وجل ورثوا الكتاب وعلموا ما فيه
يأخذون عرض هذا الادنى ان اهل الكتاب كانوا يأخذون الدنيا على احد وجوه
ثلاثة منهم من كان يأخذها مستحلا لها كقوله تعالى اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات
وكقوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله
ومنهم من كان يأخذها بالتبديل اعني بتبديل الكتاب كقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم
بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الاية وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ومنهم من كان تناول اهل الاسلام
على قدر الحاجة وههنا لا يحتمل الاخذ الا احد الاستحلال او التبديل او الاخذ بالاستحلال
اقرب ههنا كانوا يأخذون عرض هذا الادنى مستحلين له ويقولون سيغفر لنا يحتمل
هذا وجوها يحتمل ما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فيغفر لنا كانوا يستحلون اموال الناس
ويأخذونها ثم يقولون سيغفر لنا لانا ابناء الله واحباؤه والثاني يحتمل انهم قالوا سيغفر لنا
مع علمهم انه لا يغفر لهم لما كان في كتابهم ان لا يغفر لهم اذا تابوا ولو استحلوا او انهم اذا
عوتبوا على ما فعلوا قالوا سيغفر لنا وقوله عز وجل الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب انهم اذا
استحلوا ذلك اضافوا ذلك الى الله امرنا بذلك فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا
يقولوا على الله الا الحق ان لا يضيفون الى الله الا الحق ما استحلوا اذا ان يقال اخذ عليهم
ان لا يقولوا نحن ابناء الله واحباؤه وقال بعضهم قوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان
لا يقولوا على الله الا الحق فيما يوجبون على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يزالون يعودون
لها ولا يتوبون عنها قال بعضهم قوله يأخذون عرض هذا الادنى قال يأخذونه ان كان
حلالا او حراما وان يأتهم عرض مثله يأخذوه وقال قوله فخلف من بعدهم خلف سوء
ورثوا الكتاب بعد انبيائهم ورثهم الله الكتاب وعهد اليهم في سورة مريم فخلف من
بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات يأخذون عرض هذا الادنى وهو ما ذكرنا

وقال القتبي الخلف الردي من الناس ومن الكلام يقال هذا خلف من القول وقوله عز وجل ودرسوا ما فيه
اى قرؤا ما فيه وعلموه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون اى يتقون الشرك او يتقون مخالفة
الله ومعاصيه افلا تعقلون ما فى كتبهم ان ترك مخالفته خير فى الاخرة ثم اخبر عن المؤمنين فقال والذين يمسكون
بالكتاب بما فيه من الحلال والحرام واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وقوله عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم
كانه ظلة قيل رفعنا الجبل كقوله ورفعنا فوقهم الطور وقيل نتق قطع وقال بعضهم حرف اخذ من كتبهم فلا
ندرى كيف كان وقيل حركنا وهو قول القتبي وقال ابو عبيدة كل شئ قلعته من موضعه فرميت به ذكر
هذا والله اعلم ليصبر رسول الله على سفه قومه لان قوم موسى مع كثرة ما عاينوا من الآيات التى جرت على يدى
موسى وعظيم ما كان لهم من موسى من النعم من استنقاذه اياهم من استرقاق فرعون واخراجه من يده
وفرق البحر لهم ومجاوزتهم وتفجير الانهار من الحجر وانزال المن والسلوى لهم فجميع ما كان لهم من
موسى ما ذكرنا لم يقبلوا التورية ولم يقروا به الا بعد رفع الجبل عليهم والارسال فعند ذلك قبلوا
ليصبر رسولنا لئلا يضجر على مخالفة قومه اياه وكثرة سفههم ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من رفع
الجبل فوقهم وجهين احدهما لما عاينوا ذلك امنوا وقبلوا الكتاب لكن ذلك منهم ايمان دفع اذ ذلك
فهو ولا يكون فى حال القهر ايمان والثانى صير ذلك اية عظيمة وحجة واضحة معجزة فقبلوها وحققوا
الايمان به ثم تركوا ذلك يدل على ذلك ما ذكر فى سورة الاولى حيث قال ثم توليتم من بعد ذلك
وقيل خلف من بعد بنى اسرائيل خلف السوء وهم اليهود ورثوا الكتاب قيل التورية عن ابائهم واوائلهم
يأخذون عرض هذا الادنى نال رشوة ويقولون سيغفر لنا وكانوا يرتشون ويقولون يغفر لنا
لانهم زعموا انهم ابناء الله واحباؤه وان يأتهم عرض مثله قيل اسوة مثله اخذوها وقوله عز وجل
الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب قالوا لقد اخذ عليهم فى التورية ان لا يستحلوا محرما ولا تقولوا على
الله الا الحق فى التورية ودرسوا ما فيه وقوله عز وجل والدار الاخرة خير للذين يتقون استحلال
المحارم واكلهم الحرام وقوله عز وجل يمسكون بالكتاب قيل بالتورية ولا يحرفونه عن مواضعه ولا
يستحلون محرما واقام الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وقوله عز وجل وظنوا انه واقع بهم اى ايقنوا انه
ان لم يقبلوا واقع وقوله عز وجل خذوا ما اتيناكم بقوة قد ذكرنا هذا فيما تقدم قوله خذوا ما اتيناكم
بقوة يحتمل وجهين احدهما خذوا اى اقبلوا ما فيه والثانى اعملوا بما فيه دلالة كون القبل مع الفعل
وقوله عز وجل واذكروا ما فيه قيل اعملوا بما فيه من الحلال والحرام لعلكم تتقون العقوبة و
المعصية تكلم الناس فى تاويله قوله واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم الاية فمنهم من يقول
ذلك عند ما خلق ادم اخرج من يكون من ذريته مثل الذر فعرض عليهم قوله الست بربكم قالوا بلى
لكن اختلفوا فمنهم من يقول جعل بالمبلغ الذى يجرى على مثله القلم وهو قول الحسن ومنهم من
يقول عرض ذلك على الارواح دون الاجساد دون ذلك ومنهم من يقول هو عرض انه خلق صنفين
فقال هؤلاء وهؤلاء للنار ولا ابالى ومنهم من يقول عرض الكل على ما عليه احوالهم واجالهم فى
الدنيا والله اعلم كيف كانت القصة وكيف يرى احوال الفقر والغناء فى الذر وكيف هؤلاء
فى كذا ولا ابالى مع اجتماعهم على القول بلى لما عرض عليهم فى قوله الست بربكم وقد راينا فى تلك
الاخبار ما كان الكف عما له المراد وتخاصم حفظ العوام واهل الضعف عن تبليغها الزم واعظم
فى النفع وابعد عن الشبه من روايتها وتكلفا لكشف عنها فنسأل الله العصمة عما به الهلاك و
التوفيق للنصح بما به نجاة كل ودفع كل شبهة وحيرة فانه لا قوة الا بالله ومنهم من ذهب فى تاويل
الاية الى المعروف من ذرية ادم والاخذ عن الاصلاب والانشاء فى الارحام على ما كان ويكون
الى يوم القيمة على ما قال الله سبحانه وتعالى فلينظر الانسان مم خلق الى قوله يخرج من بين
الصلب والترائب وقال ان كنتم فى ريب من البعث الاية وقال ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الاية وقال ما لكم لا ترجون لله وقارا الاية وغير ذلك مما احتج به
من اول ما جرى به تدبير البشر الى اخر ما ينتهى به امره مما يعجز عن تقديره وسع الخلق
ويستر عن عقولهم كيفية بدء ذلك وما عليه تنقله من حال الى حال طرف عين ولحظ
ما فيه من عجيب التدبير وحسن التقويم الذى تكلف الخلق تصويره مثله بكل انواع الحيل

من

من الاحوال الظاهرة بحيث يبصره كل بصير لكان يعجز عنه فكيف فى الظلمات مع ما ركب فيه من العقل
والسمع والبصر وما جعل فى كل ما انشاء فيه ومنه من لا يبلغ الاوهام فضلا عن الاحاطة بما
فى ذلك من الحكمة ولذلك قال الله وفى انفسكم افلا تبصرون وكان ذلك هو العهد الى جميع
الذرية واشهاد انفسهم عليهم بتعالى من دبرهم على ذلك وانشاءهم على ما فيهم عن ان يكون له
كذا او تقدير احد قدره فذلك هو معنى اشهادهم على انفسهم اى جعلهم على انفسهم شهودا
ان يعلموا ان مدبرهم هو ربهم لا رب لهم غيره وانه ليس كمثله شئ مع ما فى جعل ذلك ذرية بعض
كل بما يرى من حجرة تدبير ولده وجهه باحواله فى حال كونه فى رحم ابويه بيان على انه لا كان
بابائه وامهاته علم ولكن برب العالمين وذلك هو الذى يمنعهم عن القول بالغفلة عن
ذلك اذ قد علمه كل منهم لا حال كونهم فى الوقت الذى يبين ان هذا التاويل احق من الاول
ما دل عليه سياق الاية من ذلك وقوله عز وجل واذ اخذ ربك من بنى ادم وانا ويل من
ذكرت على الاخذ من ظهر ادم والثانى قوله من ظهورهم وفى قولهم من ظهر ادم والثالث
قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وفى التاويل ان لا تقولوا فكيف يحذر
عن القول بذلك وقد علم انهم كذلك ليس احد منهم يذكر ذلك ولا من يتقرر عنده لو نبه بكل
انواع التنبيه والرابع قوله او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ما فى ذلك
الغرض فى المنع عن هذا القول وايضا انه ذكر فى بعض ذلك القول بان هؤلاء فى النار ولا
ابالى وفى القران الجمع بينهم فى القول بلى وذلك عد توحيدا منهم مع ما فى القران ان
كنتم امواتا الاية وقالوا ربنا امتنا اثنتين الاية وفى بيان ذلك اثبات والحيوة اكثر
من العدد الذى جاء به القران فى الكل ولا قوة الا بالله ثم يتوجه التاويل الثانى واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الى اوجه تانا ابتداء الاية فهو ذلك عند التحقيق لانه
ذكر الاخذ من بنى ادم ثم من ظهورهم والمأخوذ من بنى ادم ثم من ظهورهم هو النطف
وهو الماء الدافق الذى يخرج من بين الصلب والترائب واشهدهم على انفسهم اعلمهم
بما منه انشاءهم وتقلبهم من حال الى حال الى ان تمت النسمة وظهرة البشرية على ما اعلم
كل ذى ذريته خروج بدء من تدبير والديه وقيامه على ما عليه مداره وقراره وتدبيره
ما لا يعجزه شئ لا يخفى عليه امر ليقولوا ان الذين ذكر هذا هو ربهم الذى رباهم على ذلك
ليس كمثله شئ فكان ذلك اعلاما من الله اياهم على انفسهم وشهادة ما بخلقة انه ربهم
الذى رباهم وملكهم على ما جرى فيهم من تدبير الله جل ثناؤه ولئلا يقولوا غدا انهم
عن هذا غافلون اذ قد عرف ذا كل ذى عقل وعرف انه كان بالله سبحانه وتعالى لا بوالديه
ليجعلوا شركاء الاباء والامهات لانفسهم حجة من حيث كانوا منهم والله اعلم والثانى ان
يكون الله اشهدهم على انفسهم بما اراهم من احوال ذريتهم فى الانتقال على ان انفسهم كذلك
كانت دخل كل من بحورهم فى ذلك التدبير ليعلموا ان الذى ذكرهم على ذلك دبرا لكل فيزول
عنهم شبه الكون بغير الرب الذى ليس كمثله شئ فيزول عنهم به عذر الغفلة وعلاقة الشبهة و
بكفر الوالدين من حيث حق التبعية او سفه التقليد بما لم يعلم خروج الجميع من التدبير ورجع التدبير
الى غير ليكون موضع الاستدلال بما اراهم هو ودعاهم اليه لا بما امرهم به الاباء والامهات ثم القول
بلى يكون نطقا ويكون خلقة ويكون جواب الفطرة بحق الناس فالنطق انه لا يسأل احد قبل التلقين
الا وهو يقول بالرب والخالق وعلى ذلك قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
والخلقة بما كان من حاجته الى مقيم والى مدبر على شركة كل فى ذلك اقرار له بالربوبية وذلك معنى
نفى التفاوت عن خلقه وفطرته بما يقلبه عن احوال لو تامل الخلائق ادراك كل حال منها ووجه النقل
وحد التغير فى كل حال لانتهاء لهم ان فى الفطرة شهادة بالتوحيد وهذا معنى ما روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة اى على حال لو تركت العقول والفكر فيها لشهدت
بالتوحيد وذلك قوله بلى لا ان ثم قول لسان بل نطق حال كما قال الحكيم كل صامت ناطق لان صنعته دليل
تدبير اخر فهو ناطق بالسان عن الواحد العزيز ولا قوة الا بالله وقد يحتمل الاشهاد ان جعلهم شهداء

على انفسهم بالعبودة لله وانه ربهم والمالك عليهم والقول بلى مما يلزم ذلك بالتأمل فكانه قال والله
اعلم وفي الاية دلالة اثبات خلق الله فعل الخلق وفيما اخبر الله انه اخذ ذلك والله اعلم فان قيل على ماذا
يخرج تأويل السلف قيل لعلهم وجدوا فيه خبرا الحق ان الاية تخرج عليه فاولوها على ذلك فاذا اريد تسوية
ذلك بالاية لابد من زيادات يلحق بها او تخرج عنها او لا يخرج من ذلك ان يقول واذ اخذ ربك من
بنى ادم ان تحمل من صلبه كانه قال واذ اخذ ربك من بنى ادم وقد يكون كقوله نكفر عنكم من سيئاتكم و
بنو ادم ثم اخذ من ظهر ادم لما يؤخذ ابن كل من ظهوره اى اسرا ابن كل من ظهره وذكر ظهورهم لما كان منشؤا
لهم وان كان لو طرح حرف الصلة نزول الشبه تخفيفا في ذكرهم حق الوصل وان كان تحقيقه الاستئناف كقوله
وكاين من قرية عتت الاية وغير ذلك مما حكى عن اهل اللغة باسمها وعلى ذلك اجرى ذكر الفعل وان لم
يكن لها في الحقيقة فعلى ذلك هذه فيصير في التحصيل كانه قال واذ اخذ ربك بنى ادم من ظهورهم ثم يكون
المأخوذ الذي عرض عليه مجهولا على حد يعقل الخطاب ومعنى قوله الست بربكم فاجاب بالذي ذكر والخبر
الذي فيه القسمة اما ان كان لا في هذا فوصل بما او كان في الاية ذكر اجابة احد الفريقين او كان بين
الجميع اتفاق في هذا الحرف واختلاف فيما جاء وزهد في القسمة لما عدا وقد يوجد في هذا القدر ايضا
اتفاق ثم قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين على صار بعث الرسل وانزال الكتاب بالاخبار
عن ذلك لئلا يدعوا الغفلة بما كانت منهم ذلك بما وغفلوا او انتهوا او بما لا يحتجون بما اعترضهم من
الغفلة اذ قد تقطع عذرهم بغير ذلك من الادلة والرسل والله اعلم او لا يقولوا انما اشرك اباؤنا من
قبل اى بعث الرسل وانزل الكتب لقطع هذا النوع من الشبه على الوجهين الذين ذكرت ولولا ان اهلكناهم
بعذاب من قبله الاية وقوله ولولا ان تصيبهم مصيبة الاية وقوله وما كنا معذبين الاية ويكون في
التأويل ظهور امر الذرية للاولاد في الخروج عن تدبير الامهات والاباء يقطع بهذين الحرفين وفي التأويل
نزول الكتب وارسال الرسل مع ما امكن جعل هذا في التأويل جميعا والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك
نفصل الايات على وجهين احدهما على البيان ان نبين ما يكشف الشبهة ويزيل الشبهة والثاني ان نفرق
ونضع كل واحدة منها في احق مواضعه وعلى ذلك نقطع العذر وندفع العلل وقوله عز وجل و
لعلهم يرجعون ان تأملوا عما هم عليه من الباطل والله اعلم وقوله عز وجل افتهلكنا بما فعل المبطلون
يخرج على وجوه احدها ان يكون ذلك لا على انه ليس هو التعذيب لكنه الاماتة كقوله تعالى ان امرؤ هلك
اى تميتنا اذ فعل السفهاء وما فعل وان لا يبقيهم لما يرجى من التوبة او يحدث منهم من لم يسفه و
الاضافة الى الجملة بوجهين على ارادة من سفه منهم والثاني على الكل اذ الموت حق مكتوب على جميع
البشر لا على التعذيب على معنى لا تفعل انت لذلك كما يقال للرجل انا افعل هذا وانت تفعل هذا
على التبري والتبرية وقوله ان هي الا فتنتك اى تفعله ابتداء لا تعذيبا والثالث ان يكون على الايجاب
يجمعهم في ذلك وان كان الذي استحق بعضهم فحق المحنة اذ له ذلك ابتداء وذلك نحو امر احد بما
ابتلاهم وان لم يكن منهم جميعا المعصية وعلى ذلك امر جميع انواع المصائب يجمع فيها بين اهل الخير و
الشر بحق المحنة لا العقوبة وان كان في بعضهم عقوبة والله اعلم وقوله عز وجل واتل عليهم نبأ
الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها اختلف اهل التأويل في هذا قال بعضهم كان هذا نبيا فانسلخ منها
يعنى من النبوة وكفر بها لكن هذا بعيد محال ان يجعل الرسالة فيمن يعلم انه يكفر بها او يختاره لوحيه
وهو يعلم انه ليس باهل لها يقول الله اعلم حيث يجعل رسالته وقال بعضهم كان بلعم باعورا اعطاه
الله تعالى ايات فكفر بها وانسلخ منها وقيل اعطي الاسم المخزون كان يستجاب له به جميع ما يسأل ربه وقال
بعضهم كان امية بن ابي الصلت على ما قيل عنه عليه السلام انه امن شعره وكفر قلبه وقال بعضهم
نزلت الاية في منافقي اهل الكتاب قد كان اعطاهم الله الايات فكفروا بها وكذبوها ولكن لا ندري
فيمن نزلت وهو في جميع مكذبي الايات ليس يجب ان نص واحدا او نشار الى واحد نزل فيه ولكن نقول
انها في جميع مكذبي الايات وقوله عز وجل فانسلخ منها خرج منها ونزع منها وقيل تركها وكله واحد
ثم يحتمل قوله فانسلخ منها اى كانوا قبلوها مرة ثم ردوها من بعد القبول ويحتمل ان لم يقبلوها
ابدا فخرجوا منها وكذبوها وقوله عز وجل فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين فيه دلالة ان الله
لا يتبعه الشيطان احد ولا يزيغه الا بعد ان كان منه الاختيار للضلال والميل اليه حيث قال

فانسلخ

فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين انما اتبع الشيطان بعد ما كان منه الانسلاخ و
النزع وقوله عز وجل فكان من الغاوين قيل كان في علم الله ان يكون في ذلك الوقت من الغاوين و
قيل كان من الغاوين اى صار من الغاوين اذ انسلخ منها وخرج والغاوين الضال وقوله عز وجل
ولو شئنا لرفعناه بها عصمناه حتى لا ينسلخ منها ولا يكذب بها اى لو شئنا لوفقناه بها اوان
يقال لو شئنا لعصمناه حتى لا يختار ما اختار لكنه اذ علم منه انه يختار ذلك ويميل اليه شاء ان لا
يعصمه ولا يوفقه فكيف ما كان فهو على المعتزلة لانه اخبر لو شاء لرفعه بها وكان لم يشأ
الرفع ثم اخبر انه لم يرفع ولو رفعه بها كان اصلح له في الدين دل انه قد يفعل به ما ليس هو باصلح
في الدين وهم يقولون المشية ههنا مشية القهر والقسر لا مشية الاختيار لكن ما ذكرنا ان الايمان
في حال الاضطرار والقهر لا يكون ايمانا فلا معنى لذلك ولا يكون ذلك رفعا فيبطل قولهم وقوله
عز وجل ولكنه اخلد الى الارض وهو ما ذكرنا لما علم منه انه يخلد الى الارض ويميل اليها لم يعصمه
ولم يرفعه والاخلاد في الارض قال الحسن سكن الى الارض وكذلك قال القتبي الاخلاد في كلامهم
السكون الى الشيء والركون اليه وقال ابو عبيدة هو اللزوم للشيء في قوله ولكنه اخلد الى الارض
واتبع هواه دلالة ان الازاغة من الله وترك العصمة له لما يكون من العبد الميل والركون الى
مخالفته وترك الايتمار له واتباع الهوى قال قتادة قوله لو شئنا لرفعناه بها يقول لو شئنا
لرفعناه من اتباعه الهدى فلم يكن للشيطان عليه سبيل ولكن يبتلي من عباده من يشاء وقوله
عز وجل اخلد الى الارض ذكر الارض يحتمل ان يكون كناية من الدنيا كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا
ويحتمل ان يكون كناية عن الذل والهوان لان كل خير وبركة انما يطلب من السماء وهم
اذا اختاروا ذلك اختاروا الذل والهوان وقال الحسن في قوله فاتبعه الشيطان الاية
قال حال الشيطان بينه وبين ان يصحب الهدى بما مناه وزين له واتبع هواه فمثله كمثل
الكلب قال هذا مثل الكافر ميت فؤاده كما ميت فؤاده الكلب قال ساء مثلا صدق الله و
بئس المثل فاقصص القصص لعلهم يتفكرون فيتدبروا فيتفكروا في امثال الله التي ضرب وعقلوا عنها
الى هذا ذهب الحسن وقال غيره وجه ضرب مثل الذي كذب بالايات بالكلب من عادته انه يذل
ويخضع لكل احد لما يطمع ان ينال منه ادنى شيء ولا يبالي ما يصيبه من الذل والهوان في ذلك بعد
ان ينال منه شيئا فعلى ذلك الكافر المكذب بالايات لا يبالي ما يلحقه من الذل والهوان بعد
ان يصيب من الدنيا شيئا وقوله عز وجل ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا اى ساء مثل
الافعال التي ضرب الله مثلها بالذي ذكر في القران ويشبه ان يكون وجه ضرب المثل بالكلب
لما ان من عادة الكلاب اذا ظفرت بالجيف تنكب لها حتى اذا ينادي لها وتدعى وتكثر اليه
ولا تلتفت فعلى ذلك هو الكافر ينكب لكل جيف ويخضع ولا يلتفت الى ما يؤدي ويدعى
اليه وقوله عز وجل ان تحمل عليه يلهث اى يخرج لسانه ويتنفس تنفسا او تتركه يلهث معناه و
والله اعلم ان الكلب اذا اصابه العطش والجوع لهث واذا لم يصبه لهث ايضا فعل ذلك الكافر
يميل الى ذلك ويختار اصابه شدة او لم تصبه او كلام نحو هذا وقال قتادة هذا مثل الكافر
ميت الفؤاد كما ميت فؤاد الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا ضرب الله عز وجل
مثل الكافر مرة بالكلب ومرة بالميت ومرة بالاعمى ومرة بالتراب ومرة بالانعام ونحو هذا
وذلك لما فيه من معان في ما ذكر وقوله عز وجل فاقصص القصص لعلهم كذا وهو قوله
واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا امر رسوله ليقص انباء الامم السالفة على هؤلاء ليكون
زجرا وتحذيرا للكفار ليعلموا ما حل باولئك بصنيعهم ليحذروا عن مثل صنيعهم ويكون عظة
وتذكيرا للمؤمنين كقوله وموعظة للمتقين وقوله عز وجل ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا
الاية وقد ذكرنا في غير موضع ان ايات قيل دينه وقيل حجته وبراهينه وقوله ساء مثلا اى
ساء مثل الافعال التي ضرب الله مثلها بالذي ذكر في القران وقوله عز وجل من يهد الله
فهو المهتدي في الاخرة ومن يضلل في الدنيا فهو الخاسر في الاخرة فلو كان الهداية البيان
والامر والنهي على ما ذكره قوم لكان الكافر والمؤمن في ذلك سواء اذ كان البيان والامر

والهدى للكافر على ما كان للمؤمن فلم يهتد فدل ان فى ذلك من الله زيادة معنى للمؤمن لم يكن ذلك منه الى الكافر
وهو التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لا يهتدى المؤمن ولو كان بيانا لكان ذلك لبيان
من الرسل وغيره على قولهم وكذلك قوله ومن يضلل الله فاولئك هم الخاسرون اخبر ان من اضله فقد
خسر دل انه كان منه زيادة معنى وهو الخذلان والترك او خلق فعل الضلال وليس على ما يقوله المعتزلة
انه قد هداهم جميعا لكن لم يهتدوا فيقال لهم أأنتم اعلم ام الله كما قال لليهود قل أأنتم اعلم ام الله فظاهر
الاية على خلاف ما يقولون ويذهبون وقوله عز وجل ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قالت
المعتزلة لم يخلقهم الله تعالى لجهنم ولكن خلقهم وذراهم واعطاهم من القوة ما يكسبون الجنة غير انهم
عملوا اعمالا استوجبوا بها النار فصاروا للنار بما عملوا من الاعمال لا ان خلقهم لجهنم ثم اختلفوا هم
فى تاويله قوله ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال بعضهم ذكر بما اليه امرهم كقوله فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه ليكون لهم ما ذكر ولكن انما التقطوه ليكون لهم ما ذكر
كقوله عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا لهذا التقطوه لكنه صار لهم ما ذكر اخبر عما اليه الامر فعلى ذلك
هذا وكما يقال لدوا للموت وابنوا للخراب ولا احد يلد للموت ولا يبنى للخراب ولكنه انباء ما يؤول اليه عاقبة
امره الموت والخراب الى هذا يذهب عامة المعتزلة وقال ابو بكر الاصم الاية على التقديم والتاخير كانه قال
ولقد ذرانا كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون ولهم اعين لا يبصرون ولهم اذان لا يسمعون بها
اولئك لجهنم واولئك كالانعام لكن هذا بعيد لانه لو جاز هذا فى هذا لجاز مثله فى جميع القران ان يجعل
اول الاية فى اخرها فى اولها فهذا محال واما قولهم انه اخبار عما اليه الى عاقبة امرهم واستشهادهم بقوله
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم كذا فهو يصح هذا لمن يجهل عواقب الامور يخرج ذلك منه على التنبيه
والايقاظ لما لم يعرفوا عاقبة ما صار اليه الامر فاما الله سبحانه عالم بالسر والعلانية وما كان ويكون
فى الاوقات التى يكون لا يحتمل ذلك وقول الناس لدوا للموت وابنوا للخراب فهو انما يذكرون
هذا عند التنبيه والايقاظ بجهلهم بعواقب الامور وان كانوا لا يبنون ولا يلدون للموت والخراب وما
قصدوا له واما التاويل عندنا على ما ذكر فى ظاهر الاية انه خلق لجهنم كثيرا من الجن والانس اعلم فى
الازل انهم يختارون فعل الكفر والاعمال الخبيثة التى يستوجبون بها النار خلقهم لجهنم لما علم منهم
ويكون منهم وكذلك خلق المؤمنين للجنة لما علم فى الازل انهم يختارون فعل الهدى ويعملون اعمالا
طيبة يستوجبون بها الجنة خلقهم للجنة لا ان خلقهم للجنة مرسلا او خلقهم لجهنم مرسلا ولكن
لما ذكرنا والله اعلم وان قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون انما خلق منهم للعبادة من علم
انه يعبده ويطيعه وان من علم انه يكفر به ويعصيه فهو انما خلقه يكون منه فمن كان علم منه فى الازل
انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن كان علم منه انه يكون منه الكفر خلقه لذلك لانه لا يجوز
ان يعلم منه المعصية وفعل الكفر فيخلقه على خلاف ذلك دل انه على ما ذكرناه والله اعلم او ان
يقال قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الفريق الذى علم منه العبادة لا الكل دليله قوله ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا ولم يقل ذرانا الكل فهذه فى فريق وهذه فى فريق اخر وهذا التاويل يرجع الى الخصوص
الا ترى ان الصبيان والمجانين لم يدخلوا فيه او ان يكون قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اى الا لاكلفهم العبادة وامرهم بها فان كان هذا فهو على الكل على الكافر والمؤمن جميعا والله
اعلم ويحتمل وما خلقت الجن والانس اى ما خلقت الجن والانس الا لتشهد خلقتهم على وحدانية الله
وصرف العبادة اليه وقد شهد خلقة كل كافر ومؤمن على وحدانية الله والوهية وقوله عز
وجل لهم قلوب لا يفقهون بها الفقه هو معرفة الشىء بمعناه الدال على نظيره او معرفة الشىء بمعناه
الدال على مدبره فهؤلاء الكفرة لم يفقهوا لما لم ينظروا الى الاشياء لمعناها وحقائقها انما نظروا الى
الاشياء لظواهرها وكذلك قوله ولهم اعين لا يبصرون بها لما نظروا الى ظواهرها لم ينظروا الى معانيها
وحقيقتها الدالة لهم على تدبير منشئها وحكمته وكذلك قوله ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام
وما كانت للانعام قلوب واعين واذان لكن لا يفقهون معناها وحقيقتها وان كانوا يسمعون النداء
وينظرون ظواهر الاشياء فعلى ذلك الكفار وان كانوا يسمعون ويبصرون
ما ذكرنا بعد ان لم يفقهوا معانيها وتدبير مدبرها فهم كالانعام واضل انهم لما لم يستعملوا تلك

الحواس فيما جعلت لمعرفة حقائق الاولياء وما ادرج فيها من المعانى والحكمة صاروا فى الحقيقة كمن لا
حواس له او لم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك بل كانوا كمن ليس لهم تلك لذلك نفى عنهم والله اعلم
وقال قائلون نفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك بل كانوا كمن ليس لهم تلك الحواس
المعنى الذى جعلت تلك الحواس فهم كالانعام بل هم اضل لان هؤلاء اذا اضلوا الطريق فهدوا وارشدوا
لا يرجعون عن ذلك والدواب اذا اضلوا الطريق فهدوا اهتدوا وعرفوا ومالوا اليه فهم اضل
من الانعام لما ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل بل هم اضل لان بنية الانعام لا يحتمل اذ جعل لهم عقولا
تميز وعرفوا حكمة مدبرها ومنشئها لكنهم ضيعوها ولم يكن من الانعام تضييع له ذلك كان اولئك
اضل قال ابن عباس رضى الله عنهما ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها لما ختم الله على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فمن ثمه لم يفقه قلوبهم ولم يبصر اعينهم ولم تسمع اذانهم
وقال ثم ضرب لهم مثلا فقال اولئك كالانعام فى الاكل لان همتهم ليس الا الاكل والشرب كهمة
الانعام والبهائم ليس همتهم الا الاكل والشرب وقضاء الشهوة فهى تسمع النداء ولا تعقل
فعلى ذلك الكافر وقوله عز وجل اولئك كالانعام فى فهم ما القى اليهم بل هم اضل لانهم اعطوا
سبب فهم ذلك والانعام لا وقوله عز وجل بل هم اضل لان الانعام تعرف ربها وتوحده
وتذكره كقول الله تعالى وان من شىء الا يسبح بحمده والاية وكقوله كل قد علم صلوته وتسبيحه
وهؤلاء لا يعرفونه ولا يوحدونه فهم اضل وان يقال هم اضل لا يهتدون وان هدوا ودعوا والانعام
تهتدى وهم اضل لانهم يضلون ويضلون غيرهم والانعام لا وهم اضل لانهم لا ينتفع بهم
والانعام ينتفع بها [illegible] عز وجل اولئك هم الغافلون عن فهم ما القى اليهم وامروا به غافلون فى اوعدوا
وقوله عز وجل ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم قد ظنوا فى اثبات
عدد الاسماء ايجاب اثبات عدد من الذات فاخبر ان ليس فى اثبات عدد الاسماء اثبات اعداد
من الذات اذ قد يسمى الشىء الواحد باسماء مختلفة ثم لا يوجب ذلك اثبات ذلك ولا تجزئته
من نحو ما يسمى الحركة حركة عرضا اشياء خلقا من غيرها ولا وجب ذلك اثبات عدد الحركة وتجزئته
وكذلك فى جميع الاشياء فعلى ذلك يخبر انه ليس فى اثبات عدد الاسماء اثبات عدد من الذات
على ما ذكرنا ويحتمل ان يكون خرج مقابل قول كان منهم وهو ان وصفوا الله بشىء لا يحسن ان
يوصف به واضافوا اليه اشياء ولا يصلح ان تضاف من قولهم يا خالق الخنازير ويا خالق الخبائث
ويا اله القرد ونحوه فاخبر ان ادعوه بالاسماء الحسنى مما ثبت عند الخلق انه مستحق به من نحو ما
اعطاهم يقال يا هادى ويا مرشد ونحوه ويقال لما اعطاهم من النعم يا كريم يا جواد يا لطيف ونحوه
ويقال يا خالق يا رازق يا الله يا رحمن يا رحيم لما ظهر فى انفسهم من الوهيته والربوبية فقال
لا تدعوه كذا ولكن ادعوا بالاسماء التى ثبت عند الخلق تحقيقها وانه يسمى به وهو ما ذكرنا
والله اعلم وقد روى ان رجلا دعى فى صلوته فقال يا الله ويا رحمن ويا رحيم فقال رجل من
المشركين اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون الها واحدا فما بال هذا يدعو ربين نحو ما سموها
الهة وارباب فقال هذه الاسماء التى تدعون بها الاصنام لله فادعوه بها ولا تدعو
وقوله عز وجل وذروا الذين يلحدون فى اسمائه يحتمل اى لا تكافئهم بصنيع [illegible] بازاهم اياك قال الله
هو المكافى لهم والمجازى [illegible] انه قال فى اخره سيجزون ما كانوا يعملون وقوله يلحدون
فى اسمائه قيل الالحاد هو الجور والميل عن الحق والوضع فى غير موضعه [illegible] لما سموا غيره
باسمائه او لاشراكهم غيره فى اسمائه وسموا بذلك لما لم يشكروا نعمه الى غيره وعبدوا دونه تعالى
عليهم انه لم يكن [illegible] انما كان ذلك لهم من الله قال ابن عباس الالحاد الميل فى جميع
الحق ويعدلون واصله الجور [illegible]
الميل وقوله عز وجل سيجزون ما كانوا يعملون قال هذه بشارة [illegible] صلى الله عليه وسلم
[illegible] ما اعدائه فى الدنيا وقال قائلون هو حروف وعيد اوعدهم عز وجل و
عز وجل وممن خلقنا [illegible] وان الخلق بالحق الذى عندهم وهو القران

والكتب التي عندهم ولكن قائلون الحق هو رسول الله
وجائز ان يكون قوله يهدون بالحق اي يهدون الخلق الى سبيل الله على ما ذكر في اية اخرى حيث
المسند ويحتمل الحق ههنا هو الله كقوله ان الله هو الحق
المبين وقوله عز وجل وبه يعدلون الا اخالفكم الى ما انهاكم
عنه الاية وقوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا قد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله عز وجل سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال قائلون هذا صلة قوله سارشد الى القوم الذين كذبوا باياتنا الاية وقال بعضهم
فيه الوعد لرسول الله بالنصر له والظفر على اعدائه والاستدراج هو الاخذ في حال الغفلة من حيث
من الرجل بغتة كقوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وقال قائلون الاستدراج المكر لكن معنى ما يضاف
الاستدراج والمكر الى الخلق غير المعنى الذي يضاف الى الله والجهة التي تضاف الى الله غير الجهة التي تضاف
الى الخلق والجهة التي تضاف الى الخلق مذموم والجهة التي تضاف الى الله محمود وكذلك ما اضيف
الى الله من المكر والخداع والاستهزاء ونحوه وهو ما ذكرنا على اختلاف الجهات والمعنى في الجهة
التي تضاف الى الله غير الجهة التي تضاف الى الخلق لان الله انما ياخذهم بما يستوجبون ويستحقون
بحق الجزاء والمكافات فلا يخلف في ذلك ذم واما الخلق فيما بينهم يمكرون ويكيدون لا على
الاستحقاق والجزاء وعن الحسن في قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال كلما جددوا
المعصية جدد الله لهم نعمة ليستهزؤا وباشروا وبطروا ثم يهلكهم وقال بعضهم ينطيهم
النعم وينسيهم الشكر وجائز ان يكون ما ذكر من الاستدراج والمكر والكيد عبارة عن العذاب
اي ان اخذنا اياهم وعذابي شديد حيث قال ان كيدي متين اي عقوبتي شديد
عز وجل واملي لهم ان كيدي متين اي كيده انتم وامهلهم واكيد لهم كقوله انهم يكيدون
كيدا واكيد كيدا الاية فيخرج قوله اكيد لهم مخرج جزاء كيدهم وكذلك قوله ومكروا مكرا ومكرنا
مكرا اي جزيناهم جزاء مكرهم وكذلك قوله سنستدرجهم اي نجزيهم جزاء استدراج وما هو
عندهم كيد وكذلك نفعل بهم ما هو عندهم مكر وخداع وان لم يكن من الله مكرا وخداعا
كقوله وهو اهون عليه اي اعادة الشيء عندكم اهون من الابتداء وان كان الاعادة
والابتداء سواء على الله نعلى ذلك قوله سنستدرجهم وكيدي متين ونحوه اي نفعل بكم
ما هو استدراج وكيد عندكم والله اعلم ودل قوله واملي لهم على انه لم ينشئهم لحاجة اليهم
او لمنفعة له فيهم ولكن انشاءهم لحوائج انفسهم وان تركوا ضروا انفسهم وقوله عز وجل متين
شديد اي عقوبتي شديدة والمتين المحكم القوي وقوله عز وجل اولم يتفكروا ما بصاحبهم
من جنة ان الكفرة كانوا ينسبون رسول الله الى الجنون احيانا والذي حملهم على ذلك
والله اعلم لانهم كانوا اهل العز والشرف في الدنيا وكان لا يخالفهم احد ولا يستقبلهم
بالمكروه الا احد رجلين ذو هيبة وقوة وله اعوان وانصار او رجل به جنون لانهم كانوا
يقتلون من يخالفهم في شيء من الامر فلما راوا رسول الله خالفهم واستقبلهم بما يكرهون
ولم يروا منه انصارا ولا اعوانا انهم لا يخلفهم الا الجنون فيه فنسبوه الى الجنون لذلك
والله اعلم ويحتمل ان يكون نسبتهم اياه الى الجنون لما حرم عليهم عبادة الاصنام والاولاد
التي كانوا يعبدونها وهم قد رأوا العقلاء منهم قد عبدوا الاصنام ولم يحرموا ذلك فلما
حرم ذلك عليهم ظنوا انه انما حرم لآفة لذلك حملهم بالنسبة الى الجنون والله اعلم
ثم عاتبهم بتركهم التفكر فيه بقوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ليتبين لهم
انه ليس به جنون وذلك وذلك يحتمل وجهين انهم لو تفكروا في رسول الله بما
اخبرهم من المرغوب والمرهوب والمحذور في كتابهم على غير لسانهم واختلاف منه
الى احد منهم ولا تعلم ليعلموا انه رسول وان ما اخبر انما اخبر بالله وان يكون قوله
اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة اي قد تفكروا فيه وعرفوا انه ليس به جنون وكذلك
في قوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الا ترى اي قد تفكروا في ذلك وعرفوا
ان مثل هذا لم يخلق عبثا باطلا كما يقال اولم تفكر لو كنا اي قد فعلت لكنهم عاندوا وكابروا

ايانه

اياته وحججه والمكن ان يكون قوله اولم يتفكروا اي في انفسهم وفي اولئك الذين عبدوا من
الاصنام والاوثان ليظهر لهم انهم على باطل وسفه وليتبين لهم ان الحق هو ما يدعوهم اليه محمد
صلى الله عليه وسلم لا ما كانوا هم عليه وفيه دلالة ان الحق يلزم وان كان لا يعلم ذلك الا بالتفكر
والتدبير لما لحق هؤلاء من الوعيد الشديد والعقاب لعظيم ما تركوا هم التفكر وكان لهم
سبيل الوصول الى معرفة ذلك وقوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم انه ليس له جنة هذا جواب
من الله ويحتمل لو تفكروا في حاجتهم لعرفوا انه ليس بجنة ثم اخبر نذير ابين ليس كما يقولون انه
مجنون اذ نوابات وبراهين فهو نذير مبين وقوله عز وجل اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
الاية يحتمل هذا على الابتداء ويحتمل على الصلة بالاول وهو انهم اذا تفكروا في ملكوت السموات
والارض عرفوا الوهية الله وربوبيته لما يرون من اتصال منافع بعض ببعض على ما بعد بينهما
واتساق التدبير في ذلك وعرفوا ان ذلك كله مسخر لمن له التدبير التمييز وان المقصود في خلقه
اهل التمييز فاذا عرفوا ذلك عرفوا انهم يحتاجون الى من يعرفهم ذلك ويعلمهم ما يحتاجون في ذلك و
يحتمل على الابتداء الامر بالتفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء ليدلهم على وحدانيته
وربوبيته وقوله عز وجل وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كان هذا نزل فيمن عرف صدقه لكنه
عاند في تكذيبه فقال وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يحذرهم ليرجعوا الى تصديقه مخافة الخروج
من الدنيا على ما هم عليه وقوله عز وجل فباي حديث بعده يؤمنون هذا يتوجه وجهين احدهما انكم
ممن تقبلون الاخبار والحديث فان لم تقبلوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبره ولم تصدقوه
فباي حديث بعده تقبلون ومعه حجج وبراهين والله اعلم والثاني ان يكون قوله فباي حديث بعده
يؤمنون بعد القران تؤمنون وهو كما وصفه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية وقال
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فاذا لم تقبلوا هذا ولم
تصدقوه وهو بالوصف الذي ذكر وانتم ممن تقبلون الحديث فباي حديث بعده تقبلون وجائز
ان يكون قوله فباي حديث بعده يؤمنون يريد به في الاخرة يقول اذا اقترب اجلهم فباي حديث بعده
يؤمنون والا ولا الاخر في الدنيا وقوله عز وجل ومن يضلل الله فهو هادي له وفي موضع اخر ومن
يهدي الله فما له من مضل ولو كان الهداية الامر والبيان على ما قاله قوم لكان ذلك من غيره وكذلك
لو كان الاضلال والازاغة والنهي هو التخلية لكان ذلك يكون من غيره وكذلك من اراد الله ان
يهديه اضله غيره وكل من اضله الله هداه غيره وذلك محال مع ... كل ما اضاف الله الاضلال الى الخلق
ذمه وفيما اضاف الهداية اليه مدحه ثم اضافهما جميعا الى نفسه دل ان هنالك زيادة معنى ليس
ذلك في الاضافة الى الخلق وهو ما ذكر في غير موضع انه خلق فعل الضلال من الكافر وخلق فعل الاهتداء
من المؤمن او كان منه التوفيق والمعونة في الهداية والخذلان في الكفر وهذان الوجهان اللذان ذكرنا
هما لا يكونان من الخلق انما يكونان من الخلق الدعاء وغيره لا ما قالت المعتزلة من البيان والامر
والنهي والتخلية اذ يكون ذلك من الخلق وبالله العصمة وقوله عز وجل ومن يضلل الله فلا هادي له
اي من اهانه الله بالضلال فلا احد يملك اكرامه بالهدى وقوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون
ولا ضرر يلحقه في طغيانهم لذلك تركهم فيه ودل ذلك على انه لم ينشئهم لحاجة لنفسه ولا
لدفع ضرر نفسه ولكن لحاجة انفسهم كقوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وكقوله ان
كيدي متين وهو حرف الوعيد وقوله عز وجل يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قيل ايان
متى قيامها وقال القتبي ايان مرساها اي متى ثبوتها يقال رسا في الارض اذا ثبت ورسا في الماء
ويقال للجبال رواس ثبوتها ثم اختلف في السؤال عم كان قال بعضهم كان السؤال عن الفناء
وفناء الخلق وهلاكهم لانه قال في اخره لا تاتيكم الا بغتة ونحوه وكقوله ما ينظرون الا
صيحة واحدة الاية وذلك يكون في الدنيا وقال قائلون كان السؤال عن البعث وقيام الساعة
انكارا منهم اياها واستهزاء لا للعذاب كقوله وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين
لا يؤمنون وقولهم ائذا متنا وكنا الاية وغير ذلك من الايات تدل على ان السؤال كان عن
البعث وليس قوله لا تاتيكم الا بغتة انه كان عن الفناء اذ كانوا يعاينون الفناء ولا يحتمل ان

يكون السؤال عن ذلك ثم يحتمل بعد هذا وجهين احدهما ان كان السؤال عن المكذب بها فهو سؤال استهزاء والاستعجال لما ذكرنا وان كان عن المصدق فهو سؤال استعلام واستعلام اهي الما وليستعدوا كقوله والذين امنوا مشفقون منها لما طمعوا من الايات ما يقرب وقوعها كقوله اقتربت الساعة وقوله اقترب للناس حسابهم وقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه ونحوه من الايات وما سمعوا من رسول الله انا والساعة كهاتين وفى بعض الاخبار كادت الساعة ان تسبقنى وغير ذلك من الاخبار رحمهم ذلك على السؤال عنها ليتاهبوا او ليستعدوا ثم امره يقول ان علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو اى لا يكشفها ولا يظهر وقتها الا هو ليس كالامور التى تجرى على ايدى الخلق ويكون لغيره فيه تدبير عن اخراج الثمار والنبات والامطار وغير ذلك من الامور التى تجرى على ايدى الخلق ويكون لهم فيها تدبير اعنى الملائكة الذين سلطوا على حفظ المطر والنبات واما الساعة فانها تقوم من غير ان كان لاحد من الخلائق تدبير فيها او علم وهو ما وصفها الله عز وجل واما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب لخبر ان امر الساعة خارج عن تدبير الخلق بل تقدم بتدبير الله من غير ان تجرى على يد احد والله اعلم وقوله عز وجل ثقلت فى السموات والارض ثم اختلف فيه قال قائلون قوله ثقلت اى خفيت على اهل السموات والارض فذكر الثقل لان كل من خفى عليه شئ ثقل عليه فذكر انها ثقيلة لخفائها عليهم وقال قائلون بهول وقوعها على اهل السموات والارض لكثرة اهوالها وشدة وقوعها ويمكن ان يكون قوله ثقلت فى السموات والارض على نفس السموات والارض على ما ذكر فى قوله تكاد السموات والارض يتفطرن منه الاية وذلك من شدة هولها ولكن ان كان على نفس السموات والارض اى لو كانت هى بحيث تعرف وتميز ببيتها بينة من تعرف ثقل شئ ثقلت وهو ما قلنا فى قوله وغرتهم الحيوة الدنيا والدنيا لا تغر احدا اى ما كان منها لو كان ممن يكون منه التغرير لكان تغريرا فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل يسئلونك كانك حفى عنها اختلف فيه قال قائلون قوله كانك حفى عنها اى مكرم مشرف عنده ذو منزلة فتعلمك عنها وكذلك قيل انه كان بى حفيا قيل بارا رحيما وقال قائلون كانك حفى عنها اى عالم بها وقال قتادة كانك حفى بهم كانك تحب ان يسئلونك عنها وقال غيره هو على التقديم والتاخير يسئلونك عنها كانك حفى استحفيت السؤال عنها حتى علمتها ثم قال قل ما لى بها من علم وانما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انها كائن وتحل ولكن اكثر الناس لا يعلمون انما لا اعلم انها متى تكون او لا يعلمون ما عليهم وما لهم وقال الحسن فى قوله ثقلت فى السموات والارض اذا جاءت ثقلت على اهل السموات والارض ذكرت عليهم وقال بعضهم ثقل ذكرها عليهم وقال بعضهم ثقل ذكرها على اهل السموات والارض وقال قتادة ثقل علمها على اهل السموات والارض واصله ما ذكرنا اى خفى علمها على اهل السماء والارض واذا خفى الشئ ثقل وقوله عز وجل كانك حفى عنها ما ذكرنا من التاويل والله اعلم وعلى قول بعضهم الحفى الخبير العالم وقالوا هو المشرف المكرم البار الذى لا يستخفى منه شئ ولا يلبس عليه وقوله عز وجل قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا قال بعض اهل التاويل قوله لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الهدى والضلالة وقال قائلون من اهل التاويل لا املك اجر النفع الى نفسى ولا دفع الضر عنها الا ما شاء الله اى الا ان اقدرنى الله على ذلك فاملك ذلك ويشبه ان يكون قوله لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا قال ذلك لئلا يتخذوه معبودا ولا ينسبوه الى الله بالذى لا يليق النسبة به ما قالت النصارى المسيح بن الله وقالت اليهود عزير بن الله وقالت مشركوا العرب الملائكة بنات الله لعظيم وقع منهم من محل هؤلاء او قدرهم فقال لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا لئلا ينسبوه الى الله من الوجه الذى نسب اولئك اظهر من نفسه العجز والعبادة وهو ما قال عيسى انى عبد الله اتانى الكتاب الاية وقال ابن عباس فى قوله لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا وذلك ان اهل مكة قالوا الا يخبرك ربك يا محمد بالتجارة المربحة فنتجر فيها فنربح او لا يخبرك بالسنة الخصب والجدوبة او يخبرك بوقت الساعة والخصب فقال عند ذلك ولو كنت اعلم الغيب بجدوبة الارض والقحط لاستكثرت من الخير يقول لتهيات لذلك وما مسنى السوء من الضر والشدة الى هذا ذهب عامة اهل التاويل وقالوا فى قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لو كنت اعلم الغيب متى اموت لاستكثرت من الخير يعنى من العمل الصالح ولكن الوجه فيه غير ما ذهبوا اليه لانه اى كان لا يعلم متى يموت

عندهم نسخه

لا يستكثر من الخير ومن عمل الصالح ولو كان يعلم الغيب لاستكثر المال على ما قال بعضهم هذا بعيد ولكن التاويل والله اعلم ان يجعل قوله قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا اى لا اعلم لكم نفعا ولا ضرا ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير عند الله اى لو كنت اعلم ذلك لتصدقتمونى وامنتم بى لاستكثرت من الخير عند الله بايمانكم بالله وتصديقكم اياى او ان يقال لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا ولو كنت املك لكم ذلك لاستكثرت من الخير لانكم اذا رايتمونى املك لكم نفع ما غاب منكم ودفع ضر ما غاب لامنتم بى وصدقتمونى فانا بذلك استوجبت عند الله خيرا كثيرا يجعل قوله لو كنت اعلم الغيب جواب ما تقدم من الكلام والله اعلم وقال بعضهم قوله قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا ولا اعلم الغيب الا قدر ما اوحى الى لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لا اعلم الغيب قبل ان اوحى الى ولو كنت اعلم ذلك لاستكثرت من الخير بذلك وحاصل التاويل فى قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ما ذكرنا بتصديقكم اياى وايمانكم بى او ما ذكرنا من السعة والخصب فى الدنيا لاهله ولاصحابه او ما ذكرنا اى لو كنت املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضر ما غاب ايضا لامنتم بى وصدقتمونى فانا بذلك استوجبت عند الله خيرا وجائز ان يكون قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير اى لو كنت اعلم من المصدق والمكذب لاستكثرت من الخير لانه لا يشتغل لمن يعلم انه يرد ولا يجيب وانما يشتغل بمن يعلم منه انه يجيب ولا يكذب فيستكثر اتباعه والمطيعين لله وقال بعضهم وما مسنى السوء هو صلة قوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كانوا يقولون انه مجنون يقال وما مسنى السوء من النسبة الى الجنون ويقول ما مسنى السوء منكم سوء الرد وتكذيب لانه لو علم الذى يجيبه ويصدقه من الذى لا يجيبه ولا يصدقه لم يمسه سوء منه الرد والاذى لانه لا يشتغل به بعد ما اقام عليه الحجة من المجيب منكم ومن الراد عز وجل ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقوله وهو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشيها حملت حملا خفيفا الاية قال عامة اهل التاويل ان ادم وحوا لما اهبطا تغشاها ادم فحملت فاتاها ابليس فقال يا حوا ما هذا الذى فى بطنك قالت لا ادرى قال لعله بهيمة من هذه البهائم ناقة او شاة او بقرة قالت لا ادرى فاعرض عنها فلما اثقلت اتاها فقال لها كيف تجدينك قالت انى لاخاف ان يكون الذى ذكرت ما استطيع القيام اذا قعدت الا بجهد قال افرايت ان دعوت الله يجعله انسانا مثلك ومثل ادم تسميه بى قالت نعم فانصرف عنها وقالت لادم لقد اتانى ات فخوفنى بكذا وانى لاخاف مما ذكر فدعوا الله فى ذلك فى قوله دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا يقول جعلته انسانا لنكونن من الشاكرين فكان هذا دعاؤهما قبل ان تلد فلما ولدت اتاها ابليس فقال الا تسميه بى كما وعدتنى قالت نعم ما اسمك قال اسمى الحارث فسمته عبد الحارث فذلك قوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما على هذا حمل اهل التاويل الاية الى ادم وحوا صرفوها وذلك وحش من القول قبيح فى ادم وحوى ذلك ولو ثبت ما قالوا انهما سميا ولدهما باسمه ونسبا اليه لم يكن فى ذلك اشراك اذ لو كان فى مثله اشراك لكان فيما اضاف العبيد والمماليك الى الخلق اشراك فما التاويل عندنا على غير ما ذهبوا اليه والله اعلم وهو ان قوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى من ادم وجعل منها زوجها حوى ان خلق الذكور كلهم من ادم وخلق الاناث كلهن من حوا كقوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اخبر ان الازواج خلقهن من نفس الازواج فلما اضاف الزوجات الى نفس الزوج وانهن من انفسهن خلقهن كان قوله خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها كل زوجة وزوج اذا تغشاها وحملت دعا ادم وحوا لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين اذ جميع الاولاد واولادهما يدعون الله فى ذلك ليكون صالحا فمن كان مسلما منهما كان يدعا نهما فعلى هذا التاويل يحصل دعاؤهما لاولادهما والذى يولدون الى يوم القيامة لانهما اب وام وقد يدعوا الوالدان لاولادهما بالصلاح والخير على هذا يجوز ان يخرج تاويل الاية واما ما قاله اولئك فهو بعيد محال والله اعلم وقال بعضهم ان العرب كان اذا ولد لهم اولاد ذكور ينسبون الى الاصنام التى يعبدونها ويضيفون اليها تعظيما لها يقولون ابن اللات وابن

العزى وابن المناة ونحو ذلك وكانوا يقتلون البنات وكان اذا اصابتهم الشدة يفزعون الى الله ويتضرعون
اليه كقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وكقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه الاية
واذا غشيهم موج الاية فلما ذهب ذلك عنهم وانجلى عادوا الى ما كانوا من قبل كقوله فلما انجاهم الى البر اذا هم
يشركون وقوله ثم اذا خوله نعمة منه الاية فاذا كان من عادة العرب ما ذكرنا كان اذا حملت زوجة
منهم وثقل ما فى بطنها جعلا يدعون الله ربهما لئن اتيتنا صالحا ذكرا وسلمت من الولادة لنكونن
من الشاكرين فلما اتاهما صالحا يعنى ذكرا جعلا له شركاء فيما اتاهما اى جعلا لله شركاء فى المولد
الذى ولد لهما وينسبونه الى الاصنام التى كانوا يتعبدونها فذلك قوله جعلا له شركاء فيما اتاهما
فتعالى الله عما يشركون والله اعلم بذلك وقال الحسن الاية فى مشركى العرب الا قوله خلقكم
من نفس واحدة وجعل منها زوجها فان ذلك فى ادم وحوا الا ترى انه قال ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم
يخلقون دل انه ما ذكر وقال ابو بكر الاصم قوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة وهو نفس ادم وجعل
منها زوجها اى خلق كل نفس منكم من تلك النفس وجعل لكل نفس منكم زوجة من تلك النفس ليسكن
اليها فعلى هذا التاويل يصرف اخر الاية الى غير ادم وحوى وقال القتبى قوله فمرت به استمرت بالحمل
وقوله عز وجل هو الذى خلقكم من نفس واحدة ان العرب كانت تعبد الاصنام تقليدا لابائهم و سفههم
فيذكر سفههم ان النفس التى منها لم تقلد احدا ولم تشرك احدا انها اتبعت ما فى العقل حسنة او ما
فى السمع من الامر فكيف اتبعتم انتم النفس التى خلقتم منها وهى لم تتبع الا ما ذكرنا وانتما اتبعتم فى
الاشراك اباءكم ولو كان القصة فى ادم على ما يقول اهل التاويل للعرب تعلق واقتداء فيقولون
انه اشرك ونحن نشرك فدل انه ليس على ما قالوا ولكن على الوجوه التى ذكرنا وفى قوله خلقكم من نفس
واحدة دلالة ان ليس لاحد من البشر على اخر من جهة الخلقة والنسبة اذ كلهم انما خلقوا من نفس
واحدة وهم اخوة واخوات وان كان لاحد فضل على اخر فانما يكون لاعمال يكتسبها والخلاق المحمودة و
محاسن يختارها واما من جهة الخلقة فلا فضل لبعض على بعض كقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وقوله عز وجل ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يذكر سفههم انهم يشركون فى عبادته والوهيته
من يعلمون انه لم يخلقهم وانما خلقهم الله سبحانه وهم مخلوقون فصرف العبادة الى غير الذى
خلقهم سفه وجور وقوله عز وجل ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون يسفههم ايضا ان
فى الشاهد لا يخضع احد احدا ولا يشكر له الا لمجازاة لما سبق منه اليه من النعمة او لما يامل فى
العاقبة من المنفعة وانتم تعبدون هذه الاصنام ولم يسبق منها اليكم شئ ولا لكم رجاء نفع
فى العاقبة فكيف تعبدونها ولا يستطيعون لكم ضرا يدفعون عنكم الضر ولا انفسهم ينصرون اى ولا
من قصد قصدهم بالكسر والافات يملكون دفعه من انفسكم والله اعلم وقوله عز وجل وان تدعوهم
الى الهدى لا يتبعوكم يحمل هذا وجهين يحتمل ان تدعوهم يعنى الاصنام الى الهدى ليهتدوا
لا يتبعوكم اى لا يجيبوكم ولا هم يهتدون والثانى وان تدعوهم الى ما لكم اليه من حاجة لا
يتبعوكم لا يقضون ولا يملكون ذلك يحتمل ان يكون الخطاب للمسلمين يقول وان تدعوا اهل مكة
الى الهدى لا يتبعوكم اى لا يجيبوكم وجائز ان يكون يخاطب به اهل مكة يقول وان تدعوا الاصنام التى
تعبدونها الى الهدى لا يملكون اجابتكم يسفههم فى عبادتهم من حال ما وصف وقوله عز وجل سواء
عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ام ان تكون الاية فى قوم علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا كقوله سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقال بعضهم قوله وان تدعوهم يعنى المشركين الى الهدى لا يتبعوكم
فعلى ذلك يخرج قوله سواء عليكم ادعوتموهم فى الاصنام والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين تدعون من
دون الله عباد امثالكم يحتمل قوله تدعون اى تعبدون من دون الله وقد كانوا يعبدون
من دون الله اصناما واوثانا ويحتمل تدعون اى تسمونهم من دون الله الهة وقوله عز وجل عباد
امثالكم فى الخلقة والدلالة على وحدانية الله فى التدبير دونهم لما قال الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها الى اخر ما ذكر اى ليس لهم ما ذكرتم دونهم فى التدبير والمعونة ويحتمل قوله
تدعون من دون الله عبادا امثالكم فلا تسمونهم الهة اى لا تعبدوا عبادا امثالكم ولكن اعبدوا
من لا مثل له ولا نظير له اذ ان كان قوله عباد امثالكم الملائكة فقوله الهم ارجل يمشون بها الا

هو منه

هو منه منصرف الى الاصنام وقوله عز وجل فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ذكر الدعاء
والاستجابة ولم يبين فيماذا يستجيبونهم ولا يجيب ان يفسر الاستجابة فى الشفاعة او فى
التقريب الى الله او فى غيره الا يعلم انهم كانوا يدعونهم بكذا ويطلبون منهم كذا وقوله
عز وجل الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم
اذان يسمعون بها يسفه عقولهم بعبادتهم الاصنام التى لا ارجل لهم يمشون بها
يهربون من يقصدهم بالسوء او يقصدون بهم قصد من اراد الضر بهم والسوء وكذلك
يعبدون ما لا ايدى لهم يبطشون يدفعون عن انفسهم ما اراد السوء او ياخذون
من يقصدهم وكذلك قوله ام لهم اعين يبصرون بها يبصرون من يقصدهم
بالسوء ام لهم اذان يسمعون من يشتمهم ويذكرهم بالسوء يسفههم فى عبادتهم من
لا يملك دفع من يقصده بالسوء اما هربا منه واما قصدا منه اليه بالسوء فاذا كانوا
لا يملكون ذلك كيف تعبدون وهو كقول ابرهيم عليه السلام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع و
لا يبصر ولا يغنى عنك شيئا فاذا كانوا لا يملكون دفع ما يحل بهم كيف يملكون جر النفع اليكم
او دفع الضر عنكم وقوله عز وجل قل ادعوا شركاءكم قال بعض اهل التاويل خاطب به كفار
مكة بقوله قل ادعوا شركاءكم الذين تزعمون انهم الهة دون الله ويحتمل قوله شركاءكم اى
ادعوا من شاركوكم فى عبادة من دونه ثم كيدون ويحتمل ان يكون الخطاب بجميع الكفار الذين
كانوا يعبدون الاصنام والاوثان من دون الله قال ذلك لهم رسول بين ظهرانيهم ثم كيدون
فلا تنظرون ثم لم يقدر احد الكيد به والضر مع قوتهم وعدتهم بالكثرة والاعوان وضعف
رسول الله وقلة اعوانه دل عجزهم عن ذلك انه كان اية فى نفسه وانه بالله تعالى ينتصر وبه
قوى على اعدائه دل ذلك من عظيم اياته لانه قال ذلك لمن كانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم
فيما هم فيه ثم لم يقدر احد منهم الضر به دل انه كان بالله حفظه وكذلك سائر الانبياء صلوات الله
عليهم حيث قالوا بين ظهرانى قومهم من نحو هود ونوح وهؤلاء فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون
وقال نوح قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون الاية وقوله عز وجل ان وليى الله الذى
نزل الكتاب الاية ذكر هذا على اثر قوله ثم كيدون فلا تنظرون كما ذكر هود انى اشهد الله
واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله
ربى وربكم وكما قال نوح ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا
امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون فزعوا الى الله عز وجل
عند وعيد قومهم بالاهلاك وعليه اعتمدوا وبه وثقوا فعل ذلك رسول الله قال ان وليى
الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين اى هو ولى يحفظنى وهو يتولى حفظ الصالحين
اى يتولى من صلحوا او يتولى ويحفظ الصالحين مقابل قوله من ذكرنا من الرسل قومهم ثم قوله
وليى الله يحتمل حافظى وناصرى او ولى تدبيرى الله الذى نزل الكتاب او ولى امرى او ولى
بى بالله الذى نزل الكتاب الذى عجزت الخلائق عن اتيان مثله وهو يتولى الصالحين وقوله
عز وجل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون ويسفههم
بعبادتهم من عجز عن دفع الضر عن نفسه فضلا ان يدفع ذلك عنهم او يجروا الى انفسهم نفعهم
واخبر عن جهلهم انهم يعبدون من لا يملك دفع ضر ولا جر نفع بقوله وان تدعوهم الى
الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون وهم لا يبصرون الهوى هذا يخرج على وجهين احدهما يكاد
به المؤمنين بقوله وان تدعوا اهل مكة الى الهدى لا يسمعوا اى يجيبوا وتريهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون اى لا ينتفعون به والشدة تعنتهم لا يبصرون وجائز ان يكون يقول
وان تدعوا الاصنام التى تعبدون الى الهدى لا يسمعوا اى لا يجيبوا ولا يملكون الاجابة ويحتمل
لا يسمعوا حقيقة السمع وتراهم ينظرون اليك على التمثيل اى كانهم ينظرون اليك وهم
لا يبصرون حقيقة وقوله عز وجل خذ العفو يتوجه وجهين احدهما على حقيقة الاخذ والثانى
على العمل بالعفو فان كان على الاخذ فهو على وجهين يحتمل الاخذ الفضل الذى لا حق فيه وهو

المتقين من ذلك والتبذير والثاني ان خذ ما يفضل من انفسهم وحوائجهم من غير مسئلة اي اقبل منهم ما تطوعوا
ولا تنح في المسئلة كقوله ولا يسئلكم اموالكم وان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا الآية اخبر انه ان يسئلهم اموالهم
حملهم ذلك على البخل وان كان على العدل فهو على وجوه اي اعف عن الظلمة عن ظلمهم واعرض عن السفهاء
واحلم معهم امر رسول الله ان يعامل الخلق باشياء ثلاثة امران يعفو عن الظلمة عن ظلمهم لا يكافيهم
بظلمهم وامران يعفو عن السفهاء والجهال ويحلم معهم وامران يعامل المؤمنين باللين والرفق وكذلك و
صفه بالرحمة والرأفة بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم وروي عن عبد الله بن الزبير قال خذ العفو وامر بالعرف
قال الخلق حسن ما انزل الله هذه الآية الا في اخلاق الناس وعن قتادة خذ العفو وامر بالعرف قال الخلق حسن
امر الله به نبيه ودعاه اليه الى هذا ذهب بعض اهل التاويل والى ذلك صرف تاويل الآية وقال بعضهم هو اخذ
الفضل من المال على ما ذكرنا فهو منسوخ باية الزكوة وروي في حرف ابن مسعود والى خذ العفو وامر بالعرف
وانه عن المنكر واعرض عن الجاهلين وفيه دلالة انه امر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف هو اسم كل خير و
وامره بان ياخذ بالعفو عن الظلمة على ما ذكرنا وعلى ذلك روي عن عايشة قالت كان بئس رجل رسول الله ولو دنه
فدخل على رسول الله واوسع له وادناه ورحب به قالت فقلت يا رسول الله اليس هذا كان بئس قال بلى يا عا...
ان من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء شرهم والسنتهم الى مثل هذا دعا رسول الله بالعفو والصفح عن الظلمة
وترك المكافات وقوله عز وجل وامر بالعرف اي مر الناس بالعرف وهو ما يشهد خلقتك وتامرك به اشياء ثلاثة
اثنان فيما بينه وبين ربه والواحد فيما بينه وبين الناس اما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه احدهما تامر
خلقته وتشهد على وحدانية الله والدلالة على الوهية والثاني تشهد على نعم الله اليه فتدعوه الى الشكر له
فيما انعم الله عليه واما الوجه الذي يدعو خلقته فيما بينه وبين الناس هو ما رغب نفسه في كل محاسن و
مرغوب فيه وينفر نفسه عن كل اذى وسوء فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعامل الخلق بما يرغب نفسه
ويطمع في المحاسن وتنفر عنه وتكره تفعل اليهم في كل ما ترغب نفسك فيه وتطمع وتمتنع عن كل اذى وسوء
والله اعلم وقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال بعضهم النزغة هي ادنى اعمال المعصية وكذلك
فسره ابن عباس رضي الله عنه يقول اذا اذنبت ذنبا فاستعذ بالله وقال القتبي واما ينزغنك من الشيطان
نزغ اي يستخفنك ويقال نزغ شيا اذا افسد وقال ابو عوسجة النزغ التحريك للفساد وقال بعضهم قوله
ينزغنك من الشيطان نزغ الى يوسوسك الشيطان وسوسة فاستعذ بالله ثم في الاستعاذة وجهان
احدهما امره بالفزع الى الله عند ما يوسوسه الشيطان والتجاء اليه لما راى نفسه عاجزة عن دفع ما يوسوس
اليه ورده ما يكون هو الدافع عنه ذلك وهو الراد وقال الخليل اعوذ بالله الجأ الى الله تعالى وكذلك قوله
استعذ بالله ومعناه والله معناه اعوذ بالله ومنه الاعاذة والمعوذ والمعوذة وقال غيره اعوذ بالله
اي امتنع بالله وقيل اعوذ بالله اي اتحصن بالله وقيل الاستعاذة هو الاستغاثة بالله تعالى لدفع
ما اعترض له من الشيطان وكله قريب بعضه من بعض ثم الحكمة فيما جعل عدوهم من غير جنسهم
من حيث لا يرون ويراهم وجهان احدهما يكون الداعي التيقظ والانتباه غير غافلين عنه والثاني
ليكونوا ابدا فزعين الى الله تعالى متضرعين اليه مبتهلين ليكون هو الحافظ لهم والدافع عنهم شره
ووساوسه وفيما امر بالفزع الى الله والاستعاذة به عند نزغ الشيطان نقض على المعتزلة لانهم يقولون
قد اعطاهم جميع ما يدفعون به وساوسه ونزغاته حتى لم يبق عنده شيء يعينه فعلى قولهم يخرج طلب
الاعاذة يخرج كتمان النعمة او يخرج الهزله لانه يسأله ما يعلم انه ليس كذلك عنده وقوله عز وجل ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان وقيل طيف من الشيطان فمن قرء طيف قال اللمة الخطرة التي تغشك
وقال واما الطائف فهو من الطواف وقيل الطيف الوسوسة وقيل الطيف ما يأتيك من الشيطان
وقيل الطائف والطيف سواء وعن ابن عباس اذا مسهم طيف من الشيطان قال اذا اذنبوا ذنبا تذكروا
فاذا هم مبصرون يقول تذكروا ذنوبهم فتابوا منها وكذلك قال في قوله لئن ينزغنك من الشيطان نزغ
هوادني ذنب يرتكبه وان كان على هذا فهو يخرج على النهي عن ذلك فهو كالمخاطبات التي خاطب بها
رسول الله كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الجاهلين فلا تكونن من الممترين وان كان
يعلم انه لا يشرك ولا يجهل ولا يشرك غيره في امره فعل ذلك هذا الخطاب الذي خاطبه بقوله ينزغنك
من الشيطان وان كان ما ذكر هو من ادنى ذنب يرتكبه فهو يخرج ذلك على تعليم امته ان كيف يفعلون

اذا اعترض لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم كذا يحتمل ان يكون قوله اتقوا كايد
الشيطان اذا اصابهم شيء من ذلك تذكروا ذلك فعرفوا انه من الشيطان فاذا هم مبصرون اي ابصروا انه
من الشيطان وان يقال اي وهم من اهل البصر يبصرون ما اتقوا به انه من الشيطان ويحتمل قوله ان الذين
اتقوا المعاصي اذا اصابهم وسوسة من الشيطان تذكروا ذلك وقال بعض اهل التاويل قوله ان الذين
اتقوا اي اتقوا الشرك لكن لا كل من اتقى الشرك يكون كما ذكر وقوله واذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا الآية يحتمل وجوها احدها اذا مسهم بذلك فابوا عما كان منهم كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة
الآية والثاني تذكروا وجوه حيل دفع وساوسه والثالث تذكروا استعاذ وابحين امرهم بالاستعاذة
به عند النزغة وقوله عز وجل واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال بعض اهل التاويل قوله واخوانهم
يعني اخوان الكفار الشياطين يمدونهم في الغي قالوا في الشرك والمعصية ثم لا يقصرون عنها
اي لا ينتهون عنها ولا يبصرونها كما ابصر الذين اتقوا عنها حين ابصروها ويحتمل ان يكون قوله و
اخوانهم يعني اصحاب الذين اتقوا وهم شياطينهم من الانس يدعونهم الى دينهم لكنهم لا يجيبونهم ولا يطيعونهم
فيما يدعون اليه اذ يجوز ان يكون لكل مؤمن شيطان من الانس وشيطان من الجن كقوله وجعلنا
لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فقد دعا ولذلك شياطين الجن فتذكروا فلم يجيبوهم ثم دعاهم
شياطين الانس ايضا فلا يجيبونهم والله اعلم وقوله عز وجل واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها ظاهر
الآية في سؤال اهل الكفر رسول الله الآية انهم كانوا اذا اتيتهم اية استهزؤا بها وتعنتوا واذا لم ياتهم
بها سألوه الآية سؤال المستهزئين المتعنتين واذا لم ياتهم بها قالوا لولا اجتبيتها لولا ابتدعتها
واحدثتها وانشأتها وهذه انباتها من قبل نفسك فقال قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي لا
افتعلها ولا انشأتها وهذه انباتها من قبل نفسك فقال قل انما اتبع ما يوحى لمن نفسي انما اتبع ما يوحى
الي من ربي ويمكن ان يكون سؤال الآية من المؤمنين فان كان منهم فهو سؤال الاسترشاد لما يزداد
لهم لكل اية نزل عليهم يقينا وقوة في دينهم كقوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته
هذه ايمانا الآية واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الآية وكقوله فاذا انزلت محكمة الآية
فاذا كان السؤال من المؤمنين فهو سؤال الاسترشاد وطلب زيادة الهدى وان كان من الكفار فهو
سؤال الاستهزاء والتعنت ثم اخبر انه لا يتبع الا ما يوحى اليه ثم اخبر انه بصائر من ربكم قيل بيان اي
هذا القرآن بيان من ربكم يبصر به من لم يعاند ولم يكابر عقله كل ما له وما عليه وانه البيان من الحق
والباطل وهدى من الضلالة ورحمة لقوم يؤمنون ورحمة من العذاب وقوله عز وجل واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا الآية امر الله تعالى بالاستماع الى حجج القرآن والانصات له اذا قرئ وان كان في العقل
ان من خاطب آخر بمخاطبات يلزمه الاستماع الى ما يخاطبه ويشافهه فالله سبحانه اذا خاطب بخطاب
اولى ان يستمع له مع ما ذكر في غير موضع من القرآن آيات ما يوجب في العقل الاستماع اليه كقوله هذا
بصائر من ربكم وهدى ورحمة وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وغير ذلك من الآيات ولا سبيل الى
ان يعرف انه بصائر وانه هدى وما ذكر بالاستماع اليه والتفكر فيه فدل الاستماع لازم في العقل من
ادنى عقل على ما ذكرنا من المخاطبات لكنه ذكر ههنا الاستماع اليه والله اعلم لوجهين احدهما مقابل ما كانوا
يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه امر عز وجل المؤمنين بالاستماع اليه مكان قولهم لا تسمعوا
لهذا القرآن وامرهم بالانصات مكان ما يقولون والغوا فيه والثاني يجوز ان يكون امرا بالاستماع اليه في
الصلوات على ما قال بعض اهل التاويل انه في الصلوة وقال بعضهم في حال الخطبة لما اسبق اليه اوهامهم
انهم لما اشتغلوا بغيرها من العبادات ولزمهم انواع القرب ان تسقط عنهم حق الاستماع فامرهم بالاستماع
اليه والانصات له ليعلموا ان حق الاستماع لازم في كل حال ثم الاستماع اليه يكون لتفهم ما وعد
فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد وغيره والانصات للتعظيم له والتبجيل ثم الاستماع لم يلزم
لنفس التلاوة ولكن انما يلزم لما اوعد فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد وغيره ليفهموا ما فيه
ويقبلوا ويتقوا بوفاء ذلك واما سائر الاذكار انما صار عبادة لنفسها لذلك لم يلزم الاستماع
الى سائر الاذكار ولزم لتلاوة القرآن ولان القرآن كلام الله وكتابه ومن الجفاء الاستخفاف
ان يكتب انسان الى اخيه كتابا لا ينظر فيه ولا يستمع له فترك الاستماع الى كتاب الله اعظم في

في الجفاء والاستخفاف ولان القران يجهر وسائر الاذكار لا تجهر فان كانت تجهر ليستمع بها كما
يستمع الى القران والله اعلم وذكر في بعض القصة ان الاية نزلت في الصلوة لان رسول
الله اذا قرء في صلوته كانوا يقولون مثل ذلك فنزلت الاية بالنهي في ذلك والامر بالاستما
اليه والانصات له وذكر انهم كانوا يرفعون اصواتهم في الصلوة حين يسمعون ذكر الجنة
والنار فنزلت الاية لذلك فلا تدري كيف كانت القصة وفيم كانت وقد يحتمل ما ذكرنا
انفا ثم ان كانت الاية في الصلوة ففيه دلالة النهي عن القراءة خلف الامام لانه امر با
الاستماع اليه والانصات له وعلى ذلك جاءت الاخبار وروى عن ابي العالية قال
كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى فقرأ اصحابه اجمعون خلفه حتى واذا قرأ
القران فاستمعوا له وانصتوا فسكتوا وعن علي بن احزان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في
صلوة الفجر الواقعة وقرأها رجل خلفه فلما فرغ من الصلوة قال من الذي ينازعني في
هذه السورة فقال رجل انا يا رسول الله قال فاذا قرأ القران فاستمعوا له وانصتوا
وغير ذلك من الاخبار فقال قوم ان الانصات الذي امر به المؤتم معناه ان لا يجهر بقراءة
وليس فيه نهي ان يقرء في نفسه وزعم بعضهم ان القارئ خفيا يسمى ناصتا ومنصتا
واستدل بما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كبر سكت
بين التكبير والقراءة قلت بابي انت ارايت سكاتك بين التكبير والقراءة اخبرني
ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المغرب والمشرق وغير ذلك
من الدعوات فقال هذا القائل قد سمي النبي القارئ مخفيا ساكتا والصامت مثل الساكت
فيجوز ان يسمى صامتا وهو ان يقرء مخفيا كما يسمى ساكتا قال العمي غلط هذا القائل في تشبيه
الصامت بالساكت لان الاسماء لا تقاس وانما يطلق في كل واحد منهما ما اطلقته اللغة
فيه ومما يبين غلطه ان يقول فاستمعوا له وانصتوا فلو كان القارئ مخفيا يسمى صامتا ما صار
كان مستمعا وانما يكون مستمعا صامتا اذا انصت فلم يقرء فمن المطلق له ان يقرء والامام يقرء فلم
يستمع ولا انصت ومما يدل على غلطه ايضا ان الاسلام جميعا ينهون المؤتم عن القراءة واقامه
يجهر بالقراءة وانما يامر من يامر بالقراءة خلف الامام ان يقرء اذا سكت امامه ويامر هولاء
الامام ان يقف ساعة اذا فرغ من قراءته حتى يقرء المؤتمون فلو كانوا يجعلون القارئ
في نفسه والامام يقرء جهرا صامتا ما امروه بتاخير القراءة حتى يفرغ امامه من القراءة
فهذا يبين غلط المستدل بحديث ابي هريرة في استدلاله ومما يدل على ان المؤتم منهي
عن ان قراءته الامام يجهر ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى بهم صلوة فظن انها الصبح فلما سلم اقبل على الناس قال هل يقرء احد منكم
فقال رجل انا فقال النبي اني اقول ما لي انازع القران قال ابو هريرة فانتهى الناس عن القراءة
فيما يجهر فيه النبي فقال قوم ان ابا هريرة قال انتهى الناس عن القراءة خلف النبي فيما يجهر
فيه فيقال ان ابا هريرة لم يرد ذلك عن النبي ثم مما يدل ان المؤتم لا يجهر جهر الامام او خافت
قول النبي ما لي انازع القران وقد علمنا ان المؤتم لم يجهر بقراءته فيتاول متاول منازعة
النبي صلى الله عليه وسلم على انه شغل فلا وجه لقوله ما لي انازع القران الا بنهيه المؤتم
عن ان يقرء جهر امامه او خافت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين النهي
عن القراءة خلف الامام فيما يجهر فيه او خافت ما روي عن عمران ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى باصحابه الظهر فلما قضى صلوته قال ايكم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال بعض
الناس انا يا رسول الله فقال قد عرفت ان بعضكم خالجنيها فبين عمران بن حصين ان الرجل
خافت بقراءته دل ان النبي الذي رواه ابو هريرة لم يكن في حال جهر الامام دون مخافتته
وان المؤتم منهي عن القراءة خلف الامام في كل الصلوات وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
بالنهي عن القراءة خلف الامام احاديث كثيرة ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه وعمران
بن حصين عنه وما روي عن عبد الله كنا نقرء خلف النبي صلى الله عليه وسلم خلطتم علي

على القراءة فان قيل لعلهم كانوا يجهرون بالقراءة فنهى عن الجهر قيل له لم ينقل الينا في شيء
من الاخبار ان المؤتمين كانوا يقرؤن جهرا ولو كان يقرؤن جاهرين لادى ذلك الينا كما ادى
انهم كانوا يقرؤن وفي ذلك دليل على انه لم يكن النهي عن الجهر خاصة ولكن للقراءة نفسه ما روي
عن ابي وائل قال سالت عبد الله بن مسعود عن القراءة خلف الامام فقال انصت فان
في الصلوة شغلا وسيكفيك ذلك الامام وعن عبد الله بن شداد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
نوزع خلفه بالقراءة فنهاه رجل من اصحاب النبي عن القراءة في الصلوة فتنازعا فيه حتى ذكر للنبي
عليه السلام فقال من صلى خلف امام فقراءة الامام له قراءة وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال واذا قرأ الامام فانصتوا وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرأ فانصتوا وغير ذلك من الاحاديث واكثر ما يحتج به
المخالف لاصحابنا رحمهم الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلوة لمن لم يقرء بام القران يرويه عبادة
بن الصامت قال سفيان هذا عندنا فيمن يصلي وحده فذلك محتمل والاحاديث التي جاءت مفسرة في النهي
عن القراءة خلف الامام فان قال ترك المؤتم القراءة فيما يجهر فيه امامه بحديث ابي هريرة ويقرأ فيما
يخافت بحديث عبادة بن الصامت ليصح حديث ابي هريرة وحديث عبادة جميعا قيل له فهلا حملته
في المصلي وحده ليصح حديث عبادة وحديث عمران بن حصين لان حديث عمران ينهى عن القراءة فيما خافت
وحديث ابي هريرة عن القراءة فيما يجهر فيه فان جعلت حديث ابي هريرة خارجا عن عموم حديث عبادة
فذلك يوجب ان لا يقرء المؤتم فيما يجهر فيه امامه وخافت ويقال له هل رايت فرضا من فرائض الصلوة
يسقط عن المؤتم في حال ويجب عليه في حال فان قال لا قيل نفي اسقاطك تلك القراءة عنه في حال الجهر
ما اوجب عليك ان تسقطها عنه في حال المخافتة وقد احتج بعض اصحابنا في ذلك بان
قالوا وجدنا الرجل اذا جاء الى الامام فهو راكع فكبر ودخل في صلوته ولم يقرء فكل
يجمع ان صلوته ولم يقرا فكل يجمع ان صلوته تجزيه فدل ذلك ان القراءة غير فرض عليه
فان قال انما اطلق له ذلك للضرورة قيل لو جاء الى الامام وهو ساجد لم يعتد بتلك الركعة
والضرورة قائمة ولو كانت الضرورة تزيل فرضا لازالت الركوع عمن لحق امامه ولكن
لا يلزمه القراءة خلف الامام وهو ساجد فهي لا تزيل فرض القراءة عمن لحق امامه ولكن
لذلك اخرته صلوته لا للضرورة التي ذكرت والله اعلم وقد روي عن جماعة من الصحابة رضوان الله
اجمعين انهم قالوا لا قراءة على من خلف الامام منهم علي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد
ابن ثابت رضي الله عنهم اما عن علي رضي الله عنه قال من قرء خلف الامام فقد اخطاء الفطرة
وعن عبد الله قال من قرء خلف الامام ملئ فوه ترابا وعن زيد بن ثابت قال من قرء خلف
الامام فلا صلوة له وعن سعد قال وددت ان الذي يقرء خلف الامام في فيه جمرة وعن
ابن عمر كان اذا سئل هل يقرء احد خلف الامام قال لا فاذا صلى احدكم وحده فليقرء وابن عمر
لا يقرء خلف الامام وعن ابن سعيد انه سئل عن القراءة خلف الامام قال يكفيك ذلك الامام
وعن ابن عباس ان رجلا سئله اقرء خلف الامام قال لا الى مثل هذه الاحاديث ذهب اصحابنا
وعلى ذلك دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وبالله التوفيق وقوله عز وجل واذكر ربك
تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال اختلف اهل التاويل في الذكر
الذي ذكر في الاية منهم من صرفه التاويل الى كل ذكر ومنهم من صرفه الى التلاوة فان كان
ذكرا الغدو والاصال كناية عن الليل والنهار فهو ذكر احوا له بذكر الله عز وجل نعمة
واحسانه وذكره بنعمه شكره او يذكر بقدرته وسلطانه وذلك يحمله على الخضوع له والتواضع
او يذكر امره ونهيه ووعده ووعيده وذلك يوجب الاقرار بالتقصير والخوف لعقوبته
والرغبة في وعده وكانه قال واذكر ربك في كل حال من الليل والنهار اما شكرا لنعمه واحسانه
واما الاقرار بالتقصير في امره ونهيه واما الخوف لوعيده واما الرغبة لوعده فكان قال
اذكر ربك تضرعا وتواضعا وخيفة مع الخوف وان كان تاويل الغدو والاصال كناية عن

عن الغداة والعشى فهو كناية عن التلاوة وهو ما سبق من ذكر التلاوة من قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وقوله هذا بصائر من ربكم وهو كقوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وتاويله والله اعلم ولا تجهر بصلوتك
فى بعض صلوتك ولا تخافت فى بعضها ان ان يقال لا تجهر جهرا كلها ولا تخافت غاية المخافتة ولكن بين ذلك او
ان يقول لا تشتغل بالجهر ولا بالمخافتة ولكن اقرء لما تبيه تحمل دلك قوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفية
ودون الجهر بالغدو والاصال وقرء بعضهم وخيفة وهو من الاخفاء حيث قال واذكر ربك فى نفسك
واما ظاهر القراءة فهو خيفة وهو من الخوف وعن المجاهد رحمه الله ان تذكره فى نفسك تضرعا وخفية
وان خلف الامام تسبيح مراته والاصال قال ابو عوسجة العشيات الواحد اصل واصيل وقوله عز وجل
ولا تكن من الغافلين معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن من الغافلين فى حال ولكن على النهى لامته
كقوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين ونحوه نهاه ان يكونن ما ذكر من ذكرنا نهيا لغيره
والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته قالت المشبهة لم لو يكن بين الله
وبين الملائكة قرب الذات لكانوا هم والبشر بقوله عند ربك سواء لكان لا معنى لتخصيص الملائكة بذلك
لكن التاويل عندنا فى قوله عند ربك فى الطاعة والخضوع او فى الكرامة والمنزلة ليس على قرب الذات
ولكن على ما وصف عز وجل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون وصفهم بالطاعة له والخضوع فعلى ذلك الاول
ليس على قرب الذات ولكن على ما ذكر من الطاعة والخضوع الا ترى انه قال واسجد واقترب ليس على
انه فى الارض يقترب منه اذا سجد واصل ما يضاف الى الله من جزئية الاشياء يخرج مخرج تعظيم تلك
الجزئيات كقوله وان المساجد لله خص المساجد بالاضافة اليه وان كانت البقاع كلها له تعظيما
لها وكذلك قوله الكعبة بيت الله وان كانت البيوت كلها له ونحو ذلك من اضاف ذلك الى نفسه
من جزئيات الاشياء يعظما لذلك واجلا لا تعرذ لك الاول اضافهم الى نفسه واما الطاعة لهم اياه
والخضوع واما الكرامة لهم والمنزلة واضافة كلية الاشياء الى الله يخرج مخرج تعظيم الرب من ذلك
قوله الخلق والامر وقوله وهو على كل شىء قدير وقوله خالق كل شىء ومن الناس من استدل بتفضيل
الملائكة على البشر بهذه الاية لكن نقول ان الافضل عند الله الاطوع له والاخضع والاتقى والاولى
لامره ونهيه على ما ذكرنا ان اكرمكم عند الله اتقيكم لا تشير الى ان هؤلاء افضل من هؤلاء وقد ذكرنا
الوجه فى ذلك فيما تقدم وتاويل الاية والله اعلم فى قوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
الاية اى انهم وان لم يكن لهم حاجة الى الماكل والمشرب وانواع الحاجات لا يستكبرون عن عبادته
وان تقول ان الذين يعبدون من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته فانتم احق ان لا تستكبروا عن عبادته
لان من الناس من يعبد الملائكة تخرج هذا جواب ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ويسبحونه التسبيح هو وصف
الرب عز وجل بالرفعة والعظمة والجلال والتعالى عن الاشياء والامثال وعما وصفه الملحدون والتسبيح
هو تنزيه الرب وتبرئته عن جميع معانى الخلق وقوله عز وجل وله يسجدون هو الخضوع فى الغاية وليس
فى الاية دليل وجوب السجدة على من تلاها وسمعها انما فيها الاخبار عن الساجدين انهم سجدوا
غير مستكبرين وفى ذلك ترغيب فى السجود الا ان النبى صلى الله عليه وسلم روى انه سجد وسجد من معه
وعن ابن عمر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا علينا السورة فيها
السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا موضعا ليسجد فيه وعن ابن عباس رضى الله
عنهما رايت النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وفى بعض الاخبار عن ابن عمر قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراء القرآن فى غير صلوة فيسجد ونسجد معه وعن
ابن عباس مسعود رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراء سورة النجم
فسجد فيها ولم يبق معه احد الا سجد الا شيخ كبير من قريش اخذ كفا من حصى فرفع
الى جبهته فلقد رايته قتل كافرا وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه ذكر سجود القرآن
الرعد فقال الاعراف والرعد والنحل وبنى اسرائيل ومريم والحج سجدة واحدة و
الفرقان وطس والم تنزيل وص وحم وقال وليس فى المفصل سجود وعن ابن مسعود
وقال فى السورة يكون فى اخرها السجدة نحو الاعراف والنجم الا ان شئت فاسجد ثم قم فاقراء

وان شئت فاركع وعن ابن مسعود كان يسجد فى الاعراف وفى بنى اسرائيل والنجم واذا
السماء انشقت واقراء باسم ربك واحتج بعض مشايخنا ان السجود على من تلا اية السجدة
واجب ما اجمع اهل العلم ان على المصلى اذا تلى الاية فيها السجدة ان يسجد فى صلوته فلو كان
السجود تطوعا ما كان لاحد ان يزيد فى صلوته ما ليس منها فدل ذلك على ان السجود واجب
فى الصلوة واذا كان واجبا فهو على كل حال واجب ومن الحجة لنا ايضا ما روى ان النبى صلى
الله عليه وسلم قراء ايات فسجد منها فكان السجود بها واجبا كما انه لما صلى صلوة العيدين كانت واجبة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول اختلف فيه قال بعضهم الانفال
هى المغانم التى يغنمها المسلمون من اهل الحرب وقال بعضهم الانفال هى الفضول عن حقوق
اصحاب الغنايم فان كانت الانفال الغنايم فالسؤال يحتمل وجهين يحتمل انهم سالوا عن حلها
وحرمتها لان الغنايم كانت لا تحل فى الابتداء قيل انهم كانوا يغنمونها ويجمعون فى موضع
فجاءت نار فتحرقها سالوا عن حلها وحرمتها فقال الانفال لله والرسول اى الحكم فيها
لله يجعلها لمن يشاء ويحتمل السؤال عنها عن قسمتها وهو ما روى فى بعض القصة ان الناس كانوا
يوم بدر ثلاثة ثلاث ثلاث فى نحر العدو وثلث خلفهم ردا لهم وثلث مع رسول الله يحرسونه
فلما فتح الله عليهم اختلفوا فى الغنايم فقال الذين كانوا فى نحر العدو نحن احق بالغنايم نحن
ولينا القتال وقال الذين كانوا ردا لهم لستم باولى منا وكنا لكم ردءا وقال الذين كانوا
مع رسول الله لستم باحق بها منا كنا حرسا لرسول الله فتنازعوا فيها الى رسول الله فنزل
يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فقال ابو امامة الباهلى سألت عبادة ابن
الصامت عن الانفال قال فينا نزلت معشر اصحاب بدر حين اختلفنا وساءت فيه اخلاقنا
فانتزعه الله من ايدينا فجعله الى رسوله فقسمه على السواء وعن مجاهد وعكرمة قالا كانت
الانفال لله والرسول فنسخها واعلموا انما غنمتم فى شىء فان لله خمسه وللرسول وكذلك
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الانفال المغانم كانت لرسول الله خالصة ليس لاحد
فيها شىء وما اصاب سرايا المسلمين من شىء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول فسألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم منها فقال قل الانفال لله والرسول ليس لكم فيها شىء ويحتمل
ان يكون الانفال هى فضول الغنائم على ما قال بعضهم نحو ما روى فى الاخبار ان منهم من اخذ كبشا
فقال اجعلها يا رسول الله واخذ الاخر سيفا وقال اجعلها لى ونحو ذلك كانوا يسألون رسول
الله ذلك فقال قل الانفال لله والرسول ويحتمل ان يكون سؤالهم عن التنفيل ان ينفلهم الرسول
بعد ما وقع فى ايديهم او بعد ما هزم الكفار وادبر العدو وانما يجوز للامام التنفيل فى حال اقبال
الحرب وكذلك روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال النفل ما لم يلتق الزحفان والتصفا
فاذا التقيا فهو مغنم وروى عن مصعب بن سعد قال نزلت فى اربع ايات برى انه يوم بدر
اصبت سيفا فاتيت به النبى صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقلت يا نبى الله
نفلنيه اجعل كمن لا غنى له فقال النبى صلى الله عليه وسلم ضعه من حيث اخذته فنزلت هذه الاية
يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ثم قال سعد دعانى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اذهب فخذ سيفك فدل حديث سعد ان النبى لم ينفل قبل الحرب احدا شيئا منه لا يا حده
لانه لو كان نفلهم لم يمنع سعدا رضى الله عنه السيف الذى جاء به ويدل على ان النبى صلى الله
عليه وسلم لم يامر فى الغنيمة بشىء حتى نزلت ان النفل فرد الله الامر فى الغنيمة الى رسوله
فاطلق له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رد الامر ويجوز ان يكون النبى لم ينفل احدا قبل
الحرب بشىء ولكنه كان ينفل مما يؤتى به من يشاء ممن قتل بغير ايجاب متقدم بين ذلك قول
سعد اجعل كمن لا غنى له وحديث عبادة يخبر ان النبى نفل ما ياخذون من اهل الحرب قبل ان ياخذوا
وهذا موضع الاختلاف بين الحديثين والظاهر من ذلك ان النفل قد كان وقع فى الغنايم لان
الله قد سماها انفالا لا تقبل ان يحلها فلولا ان النبى كان نفلهم اياها قبل الحرب او بعدها لم يسم الله

انفال والله اعلم وفي حديث عبادة ان قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ذكر بعد ذكر النفل
وانه حكم الناسخ الثابت وكذلك قول ابن عباس يدل على ذلك وقد اجمع اهل العلم على ما ذكره في اخر هذه
الانفال جميعا ان الغنيمة يخرج خمسها للاصناف الذين ذكرهم الله الا ما اختلفوا فيه من سهم ذي
القربى ثم تقسم الاربعة الاخماس بين اهل القسمة وجعلوا للامام ان ينفل السلب وغيره فيقول من
قتل قتيلا فله سلبه يحرض بذلك المقاتلة وينفل السرية تخرج من العسكر شيئا بعد الخمس ومما
اجمعوا عليه من قسمة الغنيمة اخماسا نزول القران وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الغنيمة لم تحل لاحد قبلنا وقد احلت لنا وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم تحل الغنيمة لقوم سود الرؤوس قبلكم كانت نار تنزل من السماء فتاكلها فلما كان يوم
بدر اسرع الناس في الغنائم فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ونحو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل يسئلونك عن الانفال يحتمل وجوها
احدها يسئلونك عمن له الانفال فقال قل الانفال لله والرسول والثاني يسئلونك عن الانفال
على اسقاط عن وقد كانوا يسئلونك الانفال والمغانم والثالث يسأل كل عن نفل له الذي
جعل له والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله واصلحوا قال اهل التاويل اتقوا الله في اخذ الانفال
وفي غيرها اتقوا معصية الله ومخالفته في امره ونهيه واصلحوا ذات بينكم امر باصلاح ذات
البين لما ذكر من عظيم منته ونعمه التي انعم عليهم بقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم كانوا اعداء
فالف بين قلوبهم وذلك من عظيم نعمه عليهم فامرهم هنا باصلاح ذات البين ليكونوا على النعمة
التي انعمها عليهم مجتمعين غير متفرقين وقوله عز وجل واطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الله في امره ونهيه
ورسوله في ادابه وسننه ان كنتم مؤمنين او يقول اطيعوا فيما دعاكم الله ورغبكم فيه ورسوله
فيما بين لكم ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين به وقوله عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
الى اخر ما ذكر يحتمل وجوها يحتمل قوله انما المؤمنون الذين ظهر صدقهم عندكم بما ذكر من الافعال
من وجل القلب والخشية والثبات واليقين على ما كان عليه ليس كالمنافقين الذين كانوا امرا
بين في ايمانهم كما وصفهم في اية اخرى حيث قال واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وكانوا
اذا انفقوا كارهين وكانوا لا يذكرون الله الا قليلا مراء للناس واما المؤمنون فهم الذين
يقومون بوفاء ذلك كله حقيقة فيظهر صدقهم بذلك وما هو ما وصفهم في اية اخرى
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله اولئك هم الصادقون ويحتمل ان يكون على الاعتقاد خاصة ليس على نفس
الفعل كانه قال انما المؤمنون الذين اعتقدوا في ايمانهم ما ذكر من وجل القلوب والخشية
عند ارتكاب المعصية والتقصير عن القيام بما عليه وما يرتكب المؤمنون من المعاصي
انما يرتكب عن جهالة ثم يتوب عن قريب كقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب يرتكب ذلك اما لغلبة شهوة او يعتقد التوبة او يرجو
رحمة الله من فضله في العفو عن ذلك فيكون قوله انما المؤمنون الذين اعتقدوا
ايمانهم ما ذكر من الافعال وهو كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا
سبيلهم هو الاعتقاد والقبول لانهم اذا اعتقدوا ذلك وقبلوا خلي سبيلهم وان
لم يقيموا الصلوة وما ذكر فعل ذلك والرابع يحتمل قوله انما المؤمنون هم الذين
فعلوا هذا واتوا بذلك كله لكنهم اجمعوا ان من امن بقلبه وصدق كان مؤمنا وان
لم يات بغيره من الافعال نحو ان يؤمن ثم يخترم ويموت من ساعته مات مؤمنا فدل
انه لم يخرج على الشرط لما ذكرنا ويحتمل على الوجوه التي ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يخرج على وجوه احدها يخبر ان
المؤمنين هو على وصف ما ذكر ويقول ان المؤمنين الذين ينبغي ان يكونوا ما ذكر
او يقول انما المؤمنون المختارون وما ذكر جعل الله تعالى ما ذكر من وجل القلب وغيره

علما بين الذين حققوا الايمان في الظاهر والباطن وبين الذين اظهروا الكفر والخلاف وكذلك ما
ذكر في اية اخرى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا
وقوله عز وجل واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا يحتمل قوله اياته حججه وبراهينه اذا تليت عليهم
ذلك يزداد لهم ثباتا وقوة على ما كانوا واما المنافقون فان الايات التي نزلت كانت تزدادهم
بها رجسا وبعدا فان المؤمنين يزيد لهم ذلك ثباتا وقوة او ذكرا للزيادة لان الايمان حكم
التجدد والحدوث في كل وقت وساعة فاذا كان له حكم الحدوث والتجدد فهو زيادة على ما
كان فان شئت سميتها زيادة وان شئت سميتها ثباتا وقال ابو حنيفة رحمه الله يزيد الايمان
بالتفسير على الايمان بالجملة فاذا فسروا لهم وقالوا فلان رسول ونبي ازداد بذلك لهم ايمانا
وان كان قد امن به بالجملة وكذلك الايمان بجميع الكتب والامر وان كنا نؤمن في الجملة ان
له الخلق والامر فاذا عرف ذلك الامر ازداد له ايمانا في ذلك والله اعلم لان من امن بالله
وان له الخلق والامر فقد امن في بعضه الايمان فاذا جاء بالتفسير على ايمانه بالجملة وقوله عز وجل
وعلى الله يتوكلون اي على ربهم يثقون ويعتمدون في كل امورهم لا يتكلون على غيره انما يتوكلون
على الله وليس كالمنافقين هم انما يتوكلون على الله النعم التي اعطوا كقوله ومن الناس من يعبد
الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ونحو ذلك واما
المؤمن فانه في جميع احواله يتوكل على الله ومنه يخاف وان كان يصل ذلك اليه ويجري على يدي
غيره فهو في الحقيقة من الله وقوله عز وجل الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
بحق الله الذي عليهم وقوله عز وجل اولئك هم المؤمنون حقا يحتمل وجهين يحتمل اولئك الذين
حققوا ايمانهم والثاني اولئك المؤمنون الذين وعد لهم وعدا حقا وهو ما وعد لهم من الدرجات
والمغفرة حق لهم ذلك الوعد والله اعلم درجات عند ربهم قيل فضائل عند ربهم ومغفرة اي
يستر عليهم ذنوبهم التي كانت لهم في الدنيا وفي الجنة ويسترونها لان ذكر ذلك بعض عليهم نعمتهم
التي انعم عليهم ورزق كريم قيل الحسن ورزق يكرم به اهله وقوله عز وجل كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق لم يخرج لهذا الحرف جواب في الظاهر لان جوابه ان يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
يفعل بك كذا ثم اهل التاويل اختلفوا في جوابه قال بعضهم هو صلة قوله يسئلونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون
يجادلونك كما ذكر في الخروج وجادلوك في قسمة الانفال لجادلوك في قسمة الانفال لجادلونك
في امر العير ومنهم من يقول جوابه في امره بالقتال يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهم
كارهون كذلك يكلفك القتال وهم كارهون لذلك ومنهم من يقول جوابه في قوله اذ يغشيكم
النعاس امنة وينزل عليكم من السماء ليطهركم به ويذهب رجز الشيطان وليربط على قلوبكم و
يثبت به الاقدام يقول كما اجتمع الله في الخروج للقتال على غير تدبير منكم في ذلك ولا نظر فعلى
ذلك يجيبكم في النعاس امنة منه وانزال الماء من السماء والتطهير به وتثبيت الاقدام
على غير علم منكم ولا تدبير ومنهم من يقول قوله كما اخرجك ربك من بيتك غير متاهبين
للقتال ولا مستعدين له كذلك يعدكم النصر والظفر والله اعلم وقوله عز وجل بالحق يحتمل
وجوها يحتمل بالحق الذي لله عليهم من الامر بالخروج والقتال ويحتمل بالحق بالوعد الذي
وعد لهم النصر والظفر وقال بعض اهل التاويل بالحق اي بالقران ولكن كان فهو
بالامر الذي يامر القران وقوله عز وجل وان فريقا من المؤمنين لكارهون يحتمل وجهين
يحتمل فريقا من المؤمنين في الظاهر وهم المنافقون له هو الخروج للقتال ويحتمل ان
يكون المؤمنون في الحقيقة كرهوا الخروج للقتال كراهة الطبع لا كراهة الاختيار
لما امروا بالخروج للقتال ولا مستعدين فكرهت انفسهم ذلك كراهة الطبع لما لم يكن
معهم اسباب القتال لا انهم كرهوا امر الله كراهة الاختيار وفي هذه الاية دلالة
ان الامر قد يكون في الشيء وان لم يعلم وقت الامر فيما يؤمر وفيه دليل جواز تاخير البيان
لانهم امروا بالخروج للقتال ولم يعلموا وقتا الخروج على ما نا يؤمرون وقوله عز وجل يجادلونك

في الحق قيل في القتال وقيل قوله في الحق الذي امرت به ان تسير الى القتال ويحتمل ان يكون قوله
في الحق الوعد الذي وعدهم بالنصر والظفر بعد ما تبين لهم الوعد الذي وعدلهم الله عز وجل
بالنصر وقوله عز وجل كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فان كانت الاية في المنافقين فهو ظاهر وهم
كذلك وصفوا بالكسل في جميع الخيرات والطاعات كقوله واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وان كان في المؤمنين الذين حققوا الايمان فهو لما كانوا غير مستعدين
للقتال ولا متاهبين له كانوا كارهين كذلك كراهة الطبع لا كراهة الاختيار وقال قائلون قوله
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي وان فريقا من المؤمنين اجابوا
ربهم وان كانوا كارهين للخروج من شدة الخوف وان كانوا من الخوف كانما يساقون الى الموت فاجاب الله
تعالى لهم بالنصر والظفر وامنهم من ذلك الخوف وقوله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم
ذكر في بعض القصة ان عير قريش حين اقبلت من الشام خرج اصحاب رسول الله يحزوهم على ما يخرج الى
العير متاهبين انها لكم ذكر في بعض القصة للحرب وخرجت قريش من مكة تغيث عيرها فهي الطائفة
الاخرى وعدلهم ان احدى الطائفتين لهم اما العير واما العسكر انهم ينصرون عليهم وتودون
ان غير ذات الشوكة اي التي ليس فيها حرب ثم يكون لكم العير وهي دهون شوكة واعظم غنيمة
كانوا يودون ذلك وقوله عز وجل وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم لما لم تكونوا معدين للقتال
والحرب وكان بهم ضعف وفي اولئك قوة وعدة والله اعلم قال الله تعالى ويريد ان يحق الحق بكلماته
يحتمل والله اعلم يريد ان يظهر الحق باياته منه من غير وجود الاسباب منهم وهو كما ذكر في قوله
قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين
اخبر ان فئة قليلة اولئك مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم وقصود اسباب الحرب من السلاح
والعدة وغير ذلك وقوة ابدان اولئك وكثرة عددهم وعدتهم وتاهبهم واستعدادهم لذلك
باية عظيمة فاراد ان يظهر الحق بالاية ليعلم كل منهم انه مما كان بالله لا بهم وهو ما قال فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اخبر انه كان بالله ذلك لا بهم ويحتمل قوله
بكلماته بالوعد الذي وعد رسول الله بمكة بالنصر والظفر لهم فاراد ان يظهر ذلك ويحققه
ويحتمل بكلماته بعلمه وامره ويحتمل بكلماته بحججه اي بوجب ويظهر بحججه وبراهينه ويحتمل بكلماته
البشارات التي بشر بها المؤمنين بالنصر لهم والظفر والعداوة التي كانت منهم ويحتمل بكلماته
ملائكته الذين بعثهم مددا لهم يوم بدر على ما ذكر فاضافهم اليه تعظيما لهم واجلالا على ما
سمي عيسى روح الله وكلمته وموسى كليم الله تعظيما لهم واجلالا لا يخفى ذلك والله اعلم ويقطع دابر
الكافرين يحتمل اثار الكافرين يقتلون جميعا ويستاصلون حتى لا يبقى لهم اثر ويحتمل يقطع ما
ادبرهم حتى لا ياتيهم مدد وقوله عز وجل ليحق الحق اي ليظهر الحق ويوجب بقا الحق كذا اي وجب ويحتمل
ليظهر بطلان الباطل وان يقال قوله يحق الحق ويبطل الباطل ما ذكرنا يجب الحق ويذهب الباطل
كقوله جاء الحق وزهق الباطل اي ذهب فعلى ذلك هذا يحق الحق ويجب ويذهب الباطل وان
كره المشركون فان قيل في قوله كانما يساقون الى الموت وقوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم
كيف خافوا كل هذا الخوف حتى وصفهم بشدة الخوف كانما يساقون الى الموت وقد وعد لهم النصر
والظفر بقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم كيف استغاثوا ربهم في ذلك وقد
سبق منه لهم الوعد بالظفر والنصر وقد يمكن تصرف الاية الى المنافقين فهو قوله كانما يساقون
الى الموت وهم ينظرون غير انه ذكر في بعض القصة انه لم يكن ببدر منافق بل كانوا كلهم مؤمنين
حتى انتهى بذلك من شهد بدرا وان كان في المؤمنين فهو ما ذكرنا لقلة عددهم وضعفهم وكثرة
اولئك وعدتهم وضعفهم وكثرة اولئك وعدتهم كانوا كما وصف والله اعلم لكن الاية يحتمل
وجوها احدها امكن ان يكون الوعد لهم بالنصر بين لرسوله ولم يبين لهم فالقى في قلوبهم الرعب
والخوف لما لم يبين لهم الوعد بالنصر او بين لهم وبلغهم الوعد بذلك لكن لم يبين لهم الوقت
متى يكون ذلك الا ترى انهم امروا بالخروج ولا يدرون الى ماذا يؤمرون والثالث يجوز ايضا
ان بين لهم الوعد بالنصر وبلغهم ذلك غير انهم خافوا ذلك وكرهوا خوف طبع وكراهة النفس

لاكراهه

لا كراهة الاختيار وجائز الخوف في مثل هذا وكراهة الطبع وان كانوا على يقين بالنصر والظفر و
تحقق ذلك لهم والرابع يجوز ان يكون الوعد لهم بالنصر والظفر بالتضرع اليه والاستغاثة
منه على ما يكون في الدعوات يكون شقاوة بعض ودخوله النار بمعاص يرتكبها وسعادة اخر
ودخوله الجنة بخيرات ياتي بها فيصير من اهلها والخامس جائز ان يكون ذلك من الله تعالى
لهم محنة يمتحنهم بها كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية يحتمل معنى الاية والوجوه
التي ذكرنا والله اعلم ثم اختلف في قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم الاية
وقال بعضهم هو صلة قوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة قالوا قوله بالف من الملائكة
مردفين الفان وقوله عز وجل بثلثة الاف من الملائكة منزلين فيكون خمسة الاف مسومين
ومنهم من يقول ثلثة كان في احد اذ ذكر على اثر قصة احد فان كان ما ذكر فكان قوله من الملائكة
مردفين انما في ارداف الكفرة وهو المتابع تابع اهل بدر المشركين وهم منهزمون وان يكون
الارداف الامداد فيكون الفان وقال بعض اهل التاويل ان قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم هو رسول الله وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم روي كثرة المشركين ببدر وعلم انه لا قوة لهم
الا بالله فدعا ربه وتضرع ولكن ذلك قولهم عندنا والله اعلم اعني قول المؤمنين الا ترى انه
انه قال اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بكذا والله اعلم بذلك وليس الى معرفة ذلك
حاجة سوى ان فيه البشارة لهم بالنصر والطمانينة لقلوبهم وانباء ان حقيقة النصر انما
يكون بالله لا باحد سواه وذلك قوله وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز لا يذله شيء ولا
يعجزه حكيم في امره ونهيه لا يامر بشيء ولا ينهى عن شيء الا وفيه حكمة وفي الاية ما ذكر من بعث
مدد الف ملك وثلثة الاف وما ذكر لطمانينة قلوب اولئك المؤمنين والا ملك واحد كاف
لهم وان كثروا لانه يراهم ولا يرونه واهلاك مثله سهل وقوله عز وجل اذ يغشاكم النعاس امنة
منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر النعاس بعد شدة خوفهم والنعاس لا يكون
من اشتداد الخوف ولا يغشيه الا بعد الامن فذكر لطفه ومنته الامن بعد شدة الخوف ذكر
عظيم ما من عليهم من الامن لما ذكر من القاء النعاس عليهم والنعاس انما يكون بعد الامن بعد ما كان
من حالهم ما ذكر حيث قال كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون وقوله عز وجل وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به ذكر في بعض القصة ان المشركين سبقوا فاخذوا الماء فبقي المسلمون في رمل لا
يثبت اقدامهم عطشا فوسوس اليهم الشيطان انهم كانوا على حق ما توا عطشا قدامهم عطشى فابدل
الله تعالى مكان الخوف امنا يؤمنون وانزل عليهم من السماء ماء ليطهركم ويشربون ويشتد به الرمل
فتثبت اقدامهم فذلك قوله اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
ويذهب عنكم رجز الشيطان قال اهل التاويل وسوسة الشيطان وسوس اليهم وقيل الرجز
الاثم ذهب ذلك عنهم كقوله رجسا او فسقا وقوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
ذكر هذا والله اعلم على المبالغة لخبر انه انزل من السماء ماء فضلا عن حوائجهم حتى وجدوا ما يطهرون
انفسهم وابدانهم وذهب عنهم رجز الشيطان ذكر السبب الذي به يذهب الرجز لان الرجز هو
العذاب فذكر الرجز والمراد منه سبب الرجز وقوله عز وجل وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام
يحتمل حقيقة تثبيت الاقدام ويحتمل الثبات على ما هم عليه والربط هو الشد فيحتمل
قوله وليربط على قلوبكم اي شدها حتى لا يزال احد عما هو فيه ولا يزيغ عن ذلك وان ابتلاهم
الله تعالى بانواع الشدايد والبلايا ذكر في التوحيد والايمان الربط والتثبيت بقوله
كذلك لنثبت به فؤادك وقوله ليربط على قلوبكم وقوله وربطنا على قلوبهم
وذكر في الشرك والكفر الطبع والختم والقفل ونحوه فهو والله اعلم عقوبة لهم
لما اختاروا ذلك وقوله عز وجل ويذهب عنكم رجز الشيطان قيل وسوسة الشيطان
وهو ما ذكر في بعض القصة ان المسلمين اصابهم ضعف شديد والقى الشيطان
في قلوبهم القنوط ويوسوسهم ويقول لهم تزعمون انكم اولياء الله وفيكم
رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون مجنبين فامطر الله عليهم مطرا

شديدًا فشرب المسلمون وتطهروا واذهب عنهم رجز الشيطان ونشفت الرمل حتى اصابه
المطر مشى الناس عليه والدواب فساروا الى القوم وامد الله عز وجل نبيه والمؤمنين
بالف من الملائكة فذلك قوله بالف من الملائكة مردفين ثم قال اذ يوحى ربك الى
الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا الوحى كان يسمى وحيا لسرعة قذفه فى
القلوب ووقوعه فيها ولذلك سمى والله اعلم وساوس الشيطان وحيا بقوله
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اى يقذفون فى قلوبهم ويدعون الى اشياء من غير
ان علموا بذلك انه ممن جاء ذلك وما سبب ذلك لسرعة قذفه ووقوعه فى القلوب
قال تعالى واوحى ربك الى النحل وقيل هو الالهام اى الهم النحل لتتخذ من الجبال بيوتا
وقال عز وعلا وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحى باذنه ما يشاء اخبر ان ليس له ان يكلمه الا وحيا وهو ما الهمه سمى وحيا
لسرعة وقوعه فى القلب وقذفه على غير علم منهم انه من اين كان ومم كان وفيه
دلالة ان غيره هو الذى اخطر ذلك فى القلوب وقذف فيها لانه يحدث ذلك
بنفسه على غير اخطار واحد ولا قذفه فان كان ما قذف فيه خيرًا فهو الملك وان
كان شرا فهو من قذف الشيطان ووسوسته ففيه دليل ثبوت الملك والشيطان والله اعلم وقوله
عز وجل انى معكم قيل انى معكم فى النصر والمعونة ودفع العدو عنكم او يقول انى معكم
فى التوفيق ويحتمل ان يكون قوله اذ يوحى ربك الى الملائكة اى اخبر المؤمنين انى
معكم لما ذكر من النصر والمعونة ودفع العدو وقوله عز وجل فثبتوا الذين امنوا بالنصر لهم والا
ما كانوا خائفين فشلين جبنين لما اجابوا ربهم مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم فابدلهم
الله مكان الخوف لهم امنا ومكان الضعف القوة والنصر ومكان الذل العز وابدل
المشركين مكان الامن لهم خوفا ومكان العز ومكان الكثرة الضعف والفشل فذلك
نذلك والله اعلم قوله سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب وقوله فثبتوا الذين امنوا وجائز ان يكون
نفس نزول الملائكة تثبيتهم لانهم سبب تثبيتهم من غير ان علم المؤمنون بهم وقوله عز وجل فاضربوا
فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان قال قائلون قوله فاضربوا فوق الاعناق اذا ظفرتم بهم
او وقعوا فى ايديهم فعند ذلك يضرب فوق الاعناق وهو المفصل الذى بين الراس بالضرب
لما نهى عن المثلة وفى الضرب فى غير ذلك مثلة ويحتمل قوله فاضربوا فوق الاعناق وما
فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان معناه والله اعلم اى اضربوا على ما نهيا لكم من الاطراف
وغيرها واما قوله واضربوا منهم كل بنان فى الحرب لانه لا سبيل فى الحرب الى ان يضرب ضربا لا يكون
مثلة فكانه قال فاضربوا فوق الاعناق اذا قدرتم عليهم ووقعوا فى ايديكم واضربوا منهم
كل بنان كيف ما تقدرون وحيث ما تقدرون واراد الله اعلم وقوله وذلك يعنى والله اعلم
ذلك الضرب والقتل بانهم شاقوا الله اى حاربوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة
خالفوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب فى الاخرة
وقوله ذلكم اى ذلكم العقاب والعذاب فذوقوه وان للكافرين عذاب النار بالخلاف
لله ورسوله والمحاربة معهم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا
فلا تولوهم الادبار كان اول الامر بالقتال وفرضه كان لبذل الانفس للهلاك لانه ذكر انه
هو الجماعة والعدو الذى لا يحد وليس للواحد القيام للجماعة فكان فرض القتال لبذل
الانفس للقتل وعلى ذلك يخرج قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وليس
فى وسع الواحد القيام لعشرة اذا احيط به ويجوز ان يفرض بذل الانفس للقتال كقوله
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم اخبر
انه لو امر بذلك لم يفعل الا القليل منهم فجاز الامر بذلك امتحانا منه لهم فان احتمل ما
ذكرنا كان قوله كانما يساقون الى الموت هو على التحقيق دالى ذلك يساقون ويحتمل
وجها اخر وهو ان الله عز وجل امر بذلك ليكون الاية ويعرف كل احد انه انما قام بالله لا بقوة

نفسه

نفسه اذ ليس فى وسع احد القيام لعشرة والجماعة بقوته اذا احيط به فهو على الاية ان كان فيه
ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
او متحيزا الى فئة والمتحرف للقتال هو المنتقل من مكان الى مكان للحرب والمتحيز الى فئة هو
الملتجى الى فئة على جهة العود اليهم والحرب يقال تحوزت وتحيزت اذا لوا والياء جميعا و
نحو الحرب وفيه النهى عن الانهزام والتولى عن العدو الا ما ذكر من التحرف للقتال او التحيز
الى الفئة على جهة العود اليهم ثم اخبر ان من ولى دبره سوى ما ذكر فقد باء بغضب من الله
ومأواه جهنم وبئس المصير قالت المعتزلة دل ما اوعد المتحرف بغير قتال والمتحيز الى غير الفئة م
بقوله فقد باء بغضب من الله ان مرتكب الكبيرة يخلد فى النار لانه ذكر فى اول الاية المؤمنين
ولهم خرج الخطاب بقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ثم اوعد لهم الوعيد
الشديد ما يوعد اهل النار غير اهل الايمان دل انه يخرج عن الايمان بارتكاب الكبيرة ويخلد
فى النار وقالوا لا يجوز صرف الاية الى اهل النفاق لما ذكر فى القصة انه لم يكن يوم بدر منافق لكن
هذا غلط قال الله تعالى اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم وانما
قالوا ذلك يوم بدر كذلك ذكر والله اعلم وقوله عز وجل الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فان كان
المستثنى من قوله فقد باء بغضب من الله لم يكن فيه رخصة التولى ولكن فيه دفع الوعيد الذى
ذكر وان كان مستثنى من قوله ومن يولهم يومئذ دبره ففيه رخصة التولى الى ما ذكر ثم الدلالة
على انه مستثنى من هذا دون الاول ما جاء عن غير واحد من الصحابة تولية الدبر الى ما ذكر وكذلك
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا فئة لكل مسلم وبعد فانه لم يكن لاهل الاسلام
فئة يوم بدر يتحيزون اليها فدل انها فى المنافقين واهل الكفر والله اعلم ثم يقال يجوز ان يكون
ما ذكر من الوعيد لمعنى فى التولية عن الدين والاعراض لا لنفس التولية عن الدبر اذ قد ذكر التولى
عن الدين فى اية اخرى والعفو عن ذلك وهو قوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الاية فان قيل لعل التوبة مضمرة فيه تابوا فعفى عنهم قيل
ان جاز ان يجعل التوبة مضمرة فيها جاز ان يضمر فى التولية عن الدبر الردة فليس تلك اولى
باضمار التوبة من هذه باضمار الردة وفى الاية معان تدل على الاضمار اضمار ما يوجب الوعيد
الذى ذكر والله اعلم احدها ذكر التحيز الى الفئة واذا لم يكن للمسلم فيه تحيز اليها فاذا تحيز انما يتحيز
ليصير الى العدو فهو الردة التى ذكرنا والثانى ما ذكر فى بعض فى بعض القصة انه لما اصطف القوم
رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الارض
ابدا ومن هرب او ولى الدبر عن مثل تلك الحال لم يول الا يقصد ان لا يعبد فهو كفر والثالث
قد وعد لهم النصر والظفر على العدو فمن ولى عن الدبر لم يول الا لتكذيب الموعد الذى وعد لهم
وقوله عز وجل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قيل فيه بوجوه يحتمل
قوله فلم تقتلوهم اى لم تكن جراحاتكم التى اصابتهم بمصيبة المقتل ولا عاملة فى استخراج الروح
ولا كانت قاتلة ولكن الله تعالى صيرها قاتلة مصيبة المقتل عاملة فى استخراج الروح لان
من الجراحات ما اصابت لم تصب المقتل ولا عملت فى استخراج الروح وقوله عز وجل فلم تقتلوهم
الاية تخرج على وجوه احدها ان العبد لا صنع له فى القتل واستخراج الروح منه انما ذلك فعل
الله وليده ذلك وهو المالك لذلك لان الضربة قد يكون ولا موت هنالك وكذلك الرمى
ليس كل من ارسل يشاء من بعيد وموضع الرمى انما يصير رميا بالله ان شاء السهم حتى يمس ويطعمه ليبلغ
الذى يبلغ فكانه لا صنع له فى الرمى الا ترى انه لا يملك اذا السهم اذا ارسله ولو كان فعله لملك
رده وهذا قال ابو حنيفة رحمه الله ان الاستيجار على القتل باطل والثانى قتلوا بمعونة الله و
نصره كما يقول الرجل لاخر الك لم تقتله وانما قتله فلان اى بمعونة فلان قتلته فعل ذلك الاول
وقوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اى ما اصاب رميك المقصد الذى قصدت
ولكن الله مانع ذلك المقصد الذى قصدتم والثانى فلم تقتلوهم اى تطمعوا بخروجكم اليهم
قتلهم لانهم كانوا بالمحل الذى وصفهم من الضعف وشدة الخوف والذلة كانما يساقون

الى الموت فاذا كانوا بالمحل الذى ذكر فيقول والله اعلم لم يطمعوا بحرو حكم اليهم وتقصد كرايا هم
قتلهم لما كان فيهم من الضعف وقوة اولئك ولكن الله اذلهم والقى فى قلوبهم الرعب والخوف
حتى قتلتموهم وكذلك قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى لا يطيع الانسان يرى كيف من
تراب لنكبة باعدائه ولكن الله رمى حيث بلغ ذلك وغطى ابصارهم واغشيهم بذلك الكف
من التراب على ما ذكر فى القصة انه رمى كفا من تراب فغشى ابصار المشركين فانهزموا لذلك
ويحتمل ان يكون نسبة هذه الانفعال الى نفسه واضافتها اليه لما نسب واضاف كل خير ومعروف
الى نفسه من ذلك قوله يمنون عليك ان اسلموا الاية وقوله ولكن الله يهدى من يشاء و
هو قوله اهدنا الصراط المستقيم الاية وغير ذلك من الايات التى فيها اضافة الافعال التى
خلصت لله وصفت فعلى ذلك نسب فعلهم الى نفسه لخلوصه وصفائه والله اعلم وقوله عز وجل
وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا اى نعمة عظيمة حيث نصرهم على عدوهم مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم
وكثرة اعدائهم وقوة ابدانهم وعدتهم وهو ما ذكر فى هلاك فرعون وقومه انه بلاء من ربكم عظيم
بقوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ان الله سميع اى سميع
لدعائكم الذى دعوتم وتضرعكم الذى تضرعتم اليه او ان يقول سميع اى مجيب لدعائكم عليم
باقوالكم وافعالكم تسرون وتعلنون والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين
قوله ذلكم اى ذلك كان بهم من القتل والاسر والهزيمة لما اوهن واضعف كيدهم لكن يحتمل
ان يكون صلة قوله وليبلى المؤمنين بلاء حسنا اى ذلك الانعام والابلاء الذى من الله اليكم
لما اوهن كيدهم وذلك يكون فى جملة المؤمنين ما من مؤمن الا وله من الله اليه ابلاء وانعام
فى كل حال لانه موهن كيد الكافرين وقوله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الاستفتاح يحتمل وجوها
تلاوته يحتمل الاستكشاف وطلب البيان ويكون طلب النصر والمعونة كقوله وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون ويكون طلب الحكم والقضاء بين الحق والباطل يقال
فتح بكذا اى حكم به وقضى فهو يخرج على وجهين على طلب بيان المحق وطلب بيان احق الدينين
بالنصر والحكم فقد بين الله لهم احق الدينين ما ذكر فى القصة ان ابا جهل قال اللهم اقض
بيننا وبين محمد فقال اللهم ايناكان اوصل للرحم وارضى عندك فانصره ففعل الله ذلك و
نصر المؤمنين وهزم المشركين فنزلت هذه الاية وقيل انه دعا اللهم انصر اعز الجندين واكرم
الفئتين وخير القبيلتين فكان ما ذكرنا فقد بين الله عز وجل احق الدينين واعز الجندين
لما هزم المشركين مع قوتهم وعدتهم وكثرة عددهم بفئة ضعيفة ذليلة قليلة العدد وضعيفة
الابدان والاسباب دل انه قد بين لهم الاحق من غيره وقيل انهم استفتحوا بالعذاب وكان
استفتاحهم ما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم فجاءهم العذاب يوم البدر واخبرهم يوم احد ان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا الاية
والاستفتاح هو ما ذكرنا قال الحسن الفتح القضاء ولذلك قال قتادة قالوا ان تستفتحوا فقد
جاءكم القضاء فى يوم بدر كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الاية وقال القتبى قوله ان
تستفتحوا ان تسالوا الفتح وهو النصر فقد جاءكم الفتح وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل وان تنتهوا فهو
خير لكم يغفر لكم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل وان تنتهوا عن قتال محمد فهو
خير لكم من ان ينتهى محمد عن قتالكم وقوله عز وجل وان تعودوا نعد يحتمل وان تعودوا الى قتال محمد
نعد اليكم من القتل والقتال والاسر والقهر ويحتمل وان تعودوا نعد الى البيان والكشف
الى ما كنتم من قبل البيان من التكذيب والكفر بمحمد نعد الى الانتقام والتعذيب كقوله وان
تعودوا فقد مضت سنة الاولين وقوله عز وجل ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان
الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة فان قيل ذكر انه لن تغنى عنكم فئتكم وكثرتكم وقد اغنى هم
كثرتهم وفئتهم يوم احد حيث ذكر ان الهزيمة كانت على المؤمنين قيل هذا الوجهين احدهما ان عاقبة
الامر كانت للمؤمنين وان كان فى الابتداء كان عليهم فلم يغن عنهم ذلك على ما ذكر لانه لو اغنى عنهم
ذلك لكان لهم الابتداء والعاقبة والثانى انه لم تكن النكبة والهزيمة على المؤمنين الا العصابة

منهم

منهم كقوله ولقد صدقكم الله وعده الاية فما اصاب المؤمنين من النكبات انما كان بسبب كان
منهم بالعدو ولذلك كان الجواب ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
ورسوله اى اطيعوا الله فى امره ونهيه ورسوله فى بيانه وفيما دعى اليه وقيل اطيعوا الله
فى فرايضه ورسوله فى سننه وادابه ولا تولوا عنه وانتم تسمعون اياته وحججه ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لا يكونوا كالايمان والتوحيد والايات كالذين قالوا
سمعنا بذلك وهم لا يسمعون اى لا يجيبون ولا يسمعون ولا يؤمنون ويحتمل ان يكون ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا اى لا ينتفعون بسماعهم ولا يعقلون كالدواب وغيرها قال ابو بكر الاصم
قوله ولا يكون كالذين قالوا سمعنا ولا هم لا يسمعون استثقالا وبغضا اى لا يستمعون اليه
لان من استثقل شيئا وابغضه لم يستمع اليه كقوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقوله عز وجل
ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون تاويله والله اعلم ان الذى هو من شر الدواب
عند الله هو الصم البكم لا ينتفع بسمعه والبكم الذى لا ينتفع بلسانه ونطقه لانهم لا ينتفعوا بسمعهم
ما جعل له السمع ولم ينتفعوا بنطقهم ما جعل له النطق ولم ينتفعوا بعقلهم ما جعل له العقل
فهم شر الدواب كقوله اولئك كالانعام بل هم اضل والشر لان الدواب والانعام انتفعت بهذه
الحواس ما جعلت لها هذه الحواس عرفت بهذه المهالك والمضار فتوقت عنها وعرفت الملاذ و
المنافع بها فترغب فيها وتنفع فانتفعت الدواب بالحواس التى جعل لها ما جعلت ولم يجعل لها
هذه الحواس الا المقدار الذى عرفت وفهمت وانتفعت وهؤلاء الكفرة لم ينتفعوا بالحواس
التى جعلت وانما جعلت لهم ذلك ليعرفوا المنافع لهم الملاذ فى العاقبة فيعملون لذلك ويعرفوا
المضار لهم فى العاقبة والمهلك فيتوقوا عنه فلم ينتفعوا بحواسهم ما جعلت الحواس فالدواب
انتفعت بها لذلك كانوا اضل واشر وقوله عز وجل ان شر الدواب الذين اكتسبوا الصمم الدائم
والعمى الدائم وذلك فى الاخرة كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وقوله
اخسئوا فيها ولا تكلمون اى تركوا اكتساب البصر الدائم والسمع الدائم والحياة الدائمة و
لنا فى سماعهم صما وبكما وعميا لما لم يكتسبوا بصر القلب ونطق القلب وسمع القلب فهذه هى
الحواس التى تكون بالاكتساب ولم يكتسبوها انما هم الحواس الظاهرة او يقول شر الدواب التى
لم ينتفعوا بالذى ذكر من الحواس وتركوا استعمالها والله اعلم وقوله عز وجل ولو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم قيل نزلت الاية فى المردة من الكفرة وقال ابن عباس هم نفر من بنى عبد الدار كانوا
يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم اية بعد اية وقد اعطاهم اية بعد اية قبل ذلك لم يقبلوا
فقال لو علم الله فيهم خيرا انهم يقبلون جواب المسائل التى سالوا لاوحى اليهم ولاسمعهم ولكن
علم انه وان اسمعهم جواب مسائلهم لا يقبلون وقالت المعتزلة دلت الاية انه قد كان اعطاهم
جميع ما كان عنده لانهم لم يقبلوا لانه قال لو علم فيهم خيرا لاسمعهم فدل انه لم يكن عنده مما يعطى
والا لو كان ذلك عنده مما يقبلون لاسمعهم لكن هذا بعيد لانه لم يقل لو علم الله عنده خيرا لاسمعهم
ولكن قال لو علم الله فيهم خيرا فانما نفى انه ليس عندهم خير والوجه فيه ما ذكرنا انه لو علم فيهم
خيرا يعملون به لاوحى اليهم واسمعهم لكنه علم انهم لا يقبلون بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون اى مكذبون جواب ما سالوا تعنتا وتمردا منهم واخبر انهم يسالون سؤال تعنت و
تمرد لا سؤال استرشاد وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول واذا دعاكم
لما يحييكم قال بعضهم هذه الاية صلة قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من
المؤمنين لكارهون يقول والله اعلم اجيبوا لله وللرسول الى ما يدعوكم وان كانت انفسكم تكره
الخروج لذلك لقلة عددكم وضعف ابدانكم وكثرة عدد العدو وقوتهم وقوله عز وجل اذا دعاكم
لما يحييكم بالذكر والشرف والثناء الحسن فى الدنيا والحيوة فى الاخرة اللذيذة والدائمة وان منتم
وهلكتم فيما يدعوكم اليه يكون لكم فى الاخرة حيوة لا بد ويحتمل ان يكون الاية فى جملة المؤمنين
اى استجيبوا الله فى اموره ونواهيه وللرسول فيما يدعوكم اليه وانما كان يدعو الى دار الاخرة
كقوله والله يدعوا الى دار السلام ودار الاخرة هى دار الحيوة كقوله وان الدار الاخرة لهى

المسلمون لو كانوا يعلمون كانه قال والله اعلم اجيبوا لله وللرسول فانه انما دعاكم الى ما تحيون
فيها ليس كالكافر الذى لا يموت فيها ولا يحيى بترك الاجابة وقوله عز وجل واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه امكن ان يخرج هذا على الاول اى اعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
يجعل القوى ضعيفا والعزيز ذليلا والضعيف قويا والذليل عزيزا والشجاع جبانا والخائف امينا
والامن خائفا فاجيبوا الرسول بالخروج للجهاد وان كنتم تخافون لضعفكم وقوتهم ويحتمل فى جملة
المؤمنين ان من اجاب لله وللرسول اذا دعاه يجعل قلبه هو الغالب على نفسه والحايل بينه وبين
ما يدعوا اليه النفس واذا ترك الاجابة يجعل نفسه هى الحايلة بينه وبين ما يدعوا اليه قلبه والداعى
الى ذلك وانه اليه تحشرون وقيل استجيبوا لله والرسول بالطاعة فى امر القتال اذا دعاكم الى
الحرب لما يحييكم يعنى بالحرب التى اعزكم الله يقول احياكم الله بعد الذل وقواكم بعد الضعف
وكان ذلك حيوة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يخرج على وجهين يحول بين قلب المؤمن وبين الكفر
ويحول بين الكافر وبين الايمان عز وجل واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يخرج على وجهين
احدهما ليستعجل التوبة قبل ان ينزل به الموت يقول اجيبوا لله وللرسول قبل ان يحال بين المرء و
بين التوبة بالموت والثانى يحول بين المرء وقلبه بالاعمال التى يكتسبها لان الفعل الذى يفعله طبع
قلبه وضيقه والشئ ظلمة تحول بينه وبين ما يقصده ويدعى اليه والله اعلم وقوله عز وجل واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال بعضهم لا ها هنا صلة زائدة كانه قال واتقوا فتنة
تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى اتقوا فتنة التى تصيب الظلمة منكم خاصة بظلمهم وهو
العذاب كقوله واتقوا النار التى اعدت للكافرين فعلى ذلك قوله واتقوا فتنة تصيبن الذين
ظلموا فى الاخرة وهو العذاب وذلك جائز فى الكلام نحو ما قرء بعضهم قوله وما يشعركم انها
اذا جاءت لا يؤمنون بكسر الالف وطرح لا انها اذا جاءت يؤمنون اى انها وان جاءت
لا يؤمنون واما على اثبات لا فانه يحتمل وجوها قيل اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا اى
اتقوا ان تكونوا فتنة للذين ظلموا كقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا وربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين ووجه جعله اياهم فتنة للذين هو ان يجعل العدو غالبا عليهم ناصرين وهم المغلوبين
فيظنون انهم على حق والمؤمنون على باطل فذلك معنى دعائهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
لئلا يقولوا لو كانوا على حق ما غلبوا ولا قهروا ولا انتصروا منهم وقيل قوله واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا انهى الاتباع منهم اذ لا يسعون فيما بين الظلمة بالفساد ولا يغرى
بعضهم على بعض فيقع فيما بينهم الفساد فيكون هؤلاء الاتباع فتنة للذين ظلموا باغراء بعضهم
على بعضهم وذلك يقع فيما بين الخلق فى الظلمة يغرى الاتباع بعضهم على بعض فذلك
فتنة ويحتمل وجها اخر وهو ان الله لما تغير الاحوال فى الخلق مرة سعة وخصبا ومرة قحطا
وضيقا ومرة غلبة العدو على الاولياء ونحوه ويدفع العذاب عن الظلمة بمن لم يظلم ما لم
يشاركوا الظلمة فاذا شاركوا اولئك يحل باولئك بظلمهم واهل الصلاح والعدل بشركهم
الظلمة واهل الفساد من الظلم والفساد ولهم قوة المنع لهم عن ذلك فيقول لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة ولكن تصيبهم وتصيبكم فقال واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
اخذ الظلمة العذاب لمشاركة اهل العدل اولئك فيكونون فتنة لهم كقوله ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان يدفع عن الظلمة البلاء والعذاب ما دام
اهل العدل يامرونهم بالمعروف ويغيرون عليهم المنكر فاذا تركوا ولا يغيرون عليهم المنكر نزل
بهم البلاء فيعمهم البلاء الظالم وغيره والفتنة على وجهين فتنة الجزاء جزاء اعمالهم وذلك ياخذ اهله
خاصة وفتنة المحنة وذلك يعم الخلق والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
فى الارض تخافون ان يتخطفكم الناس الاية ان اهل الاسلام فى ابتداء الامر كانوا قليل العدد و
مستضعفين عند الكفرة حتى كانوا يخافون ان يسلب الكفرة ارواحهم وكانوا لا يامنون على
انفسهم بالمقام فى البلدان لقلة عددهم وضعفهم خوفا على انفسهم واشفقا فتركوا المقام بالبلدان
وخرجوا الى الجبال والغيران فاقاموا فيها واكلوا الحشيش والكلاء طعام الانعام خوفا على بدنهم

على دينهم ثم ان الله عز وجل اواهم وانزلهم فى البلدان والامصار وايدهم ونصرهم على عدوهم ورزقهم
الطيبات طعام البشر بعد ما اكلوا الحشيش طعام البهائم لعلهم يشكرون ليلزمهم الشكر على ذلك
ولا يجوز لهم ان لا يشكروا بعد ما اصابوا ذكر هذا والله اعلم لئلا نكون نحن من الاشفاق فى الدين
مثل اولئك حين هربوا منهم واتخذوا الجبال والغيران بيوتا والحشيش طعاما وتركوا اموالهم ونعمهم و
رضوا بذلك اشفاقا على دينهم وقال عامة اهل التاويل نزلت الاية فى اهل بدر وكانوا قليل العدد و
العدة ضعيف الابدان والعدو كثير العدد وقوى الابدان فاشتد عليهم الخروج لذلك كقوله كما اخرجك
ربك من بيتك الاية فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا والله اعلم عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
اى اذ كنتم قليلا وفيه دلالة لقول ابى حنيفة رحمه الله فيمن قال هذا الشئ لفلان اشتريته منه صدق
ويصير كانه قال هذا الشئ كان لفلان اشتريته منه دليله قوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى
الارض اى اذ كنتم قليلا عز وجل وايدكم بنصره على هذا التاويل بالملائكة ورزقكم من الطيبات المغانم
التى رزقهم واحل لهم عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم جعل الله
عز وجل هذه الامة وسطا عدلا بقوله جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس فكانه قال
يا ايها الذين امنوا قد جعلكم الله امة عدلا وسطا فلا تخونوا الله منه كقوله يا ايها الذين امنوا
كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم الاية وقال لا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا
اعدلوا هو اقرب للتقوى وقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض اخبر انه الزمهم الامانة
اعنى البشر دون ما ذكر من الخلايق ثم منهم من ضيع تلك الامانة من نحو المنافقين والمشركين و
خانوا فيها فلحقهم الوعيد بالتضييع وهو قوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات الاية
فكانه قال يا ايها الذين امنوا قد قبلتم امانة الله فلا تضيعوها ولا تخونوا فيها كما قال
اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم وغيرها من الايات التى فيها
ذكر الامانات نهاهم ان تخونوا فيها فيكونون كانهم خانوا اماناتهم ويحتمل قوله يا ايها الذين
امنوا ان انفسكم واموالكم لله وهى عندكم امانة استحفظكم فيها فلا تستعملوها فى غير
ما اذن له صاحبها فيها مثلا فعلى ذلك انفسكم واموالكم لله عندكم امانة استحفظكم
فيها فان استعملتم فى غيرما اذن لكم فيها خنتم الله والرسول فيها فتخونوا اماناتكم التى لكم
عند الله اذا ضيعتم الامانة كقوله اوفوا بعهدى اوف بعهدكم وقال بعضهم قوله و
تخونوا اماناتكم اى لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم التى فيها قبلكم واصله
ان الله عز وجل امتحنهم فيما امتحنهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم فيصيرون فيما خانوا فيما امتحنهم
خانوا انفسهم وخانوا اماناتهم كقوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله ان
احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وقوله من عمل صالحا فلنفسه الاية ثم خيانة المنافقين
والمشركين فى الدين وخيانة المؤمنين فى افعالهم فوعد لهم التوبة عن خياناتهم ووعد و
على ما خانوا بقوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله
على المؤمنين والمؤمنات عز وجل وانتم تعلمون ان انفسكم واموالكم ليست لكم انما هى
لله عندكم امانة فلا تخونوا فيها وعن ابن عباس قال الامانة الاعمال التى ايتمن الله عليها
العباد يعنى الفريضة يقول لا تخونوا الله اى لا تنتقصوا ثم اختلف اهل التاويل فى نزول
الاية قال بعضهم نزلت فى ابى لبابة وذلك ما قيل فى بعض القصة ان النبى صلى الله عليه وسلم
حاصر يهود قريظة فسالوا النبى الصلح على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات فابى النبى الا
ان ينزلوا على الحكم فابوا فقالوا فارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحهم فبعثه النبى اليهم فلما
اتيهم قالوا يا ابا لبابة انتنزل على حكم محمد فاشار ابو لبابة بيده ان لا تنزلوا على الحكم فاطاعوه
وكان ابو لبابة ماله وولده معهم فخان المسلمين فنزلت الاية فى شان حاطب بن بلتعة ما
فعل ابو لبابة وقيل نزلت شان قوم بينهم وبين رسول الله عهد الذين كانوا يعبدون
الاوثان والاصنام لكنا ندرى فى شان من نزلت وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى
ان فيه ما ذكرنا من النهى فى الخيانة فى امانة الله والامر بحفظها والله اعلم عز وجل

واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اى لم يعطهم الاولاد والاموال لعباد باطلا او ليكون لهم الاموال
والاولاد وبكن اعطاهم محنة وابتلاء وكذلك جميع ما انشاء فى الدنيا من الاشياء انما انشاء لنا فتنة
ومحنة كقوله ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع الاية وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا
ترجعون وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات الاية وغيره من الايات يدل ان جميع ما انشاء فتنة
ومحنة كقوله يمتحن به البشر بقوله انما اموالكم واولادكم فتنة اى محنة وابتلاء وامتحانا به فى انواع
التاديب والتعليم والحفظ والحقوق التى جعلها عليهم هو كقوله يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
الاية واوجب فى الاموال حقوقا امتحنا باداء تلك الحقوق التى فيها وكذلك فى جميع ما امر الله به
الخلايق بامور ونهاهم انما امر ونهى لمنفعة الخلايق ودفع الضرر عنهم لا لمنفعة نفسه او ضرر او خاجة
يدفع به عن نفسه اذ لله ملك فى السموات والارض وهو العزيز بذاته لا يمسه حاجة تعالى عن ذلك
عز وجل وان الله عنده اجر عظيم لمن لم يخن الله والرسول وعد لهم الاجر العظيم اذا قاموا بوفاء ما
امتحن الله وابتلاهم به من الاموال والاولاد حيث قال وان الله عنده اجر عظيم عز وجل يا ايها
الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال بعض اهل التاويل ان هذه الاية صلة ما سبق من
الامر بالجهاد ببدر والخروج اليه كانه قال ان تتقوا الله واطعتم الله واجبتم له فيما دعاكم اليه يجعل
لكم فرقانا اى يجعل خروجكم اليه وجهادكم اياهم عظيمة تظهر بها المحق من المبطل كقوله ويريد
الله ان يحق الحق بكلماته وقال ليحق الحق ويبطل الباطل اى ليظهر الحق من الباطل وقد كان بحمد الله
ذلك وبان الحق من الباطل والمحق من المبطل وقيل قوله فرقانا اى مخرجا فى الدين من الشبهات وقيل
مخرجا فى الدنيا والاخرة ويحتمل فرقانا اى بيانا لما ذكرنا جعل الله تعالى التقوى مشتملا على كل خير
واصلا لكل بر وشره مخرجا من كل شبهة ومن كل ضيق وشدة وجعله سبيلا ثم يوصل به الى كل لذة
وسرور وينال به كل خير وبركة على ما ذكر فى غيراى من القران عز وجل ويكفر عنكم سيئاتكم
التى سبقت ويغفر لكم اى يستر عليكم ذنوبكم لا يطلع احد عليها وذلك من اعظم النعم واصل المغفرة
الستر عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك من الناس من يقول
بان هذه الاية صلة قوله تعالى اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون ان يتخطفكم الناس
كانوا ضعفاء اذلاء فيما بين الكفرة خائفين فيما بينهم فهموا ان يمكروا برسوله والمكر به ما ذكر من القتل
والاثبات وهو الحبس والاخراج كانهم تشاوروا فيما بينهم واستامروا ما يفعل بهم فذكر فى القصة
ان بعضهم اشاروا الى القتل وبعضهم الى الحبس وبعضهم بالاخراج فكان متشاورتهم وامرهم رجعت الى
احد هذه الوجوه اما القتل واما الحبس ثم اخرج الله رسوله من بين اظهرهم على الوجه الذى
يكون مطيعا لله متعبدا له فيما كان خروجه بامره ليكون خروجه على غير الجهة التى ارادوهم به
وسمى خروجه هجرة وليعلموا انه انما علم بكيدهم ومكرهم بالله ولتكون اية من ايات نبوته وسالته
بعد خروجه من بين اظهرهم ومفارقته اياهم كما كان له من الايات وقت مقامه بين اظهرهم وهو كما
كان لعيسى اية وقت مقامه بين اظهرهم واية كما كانت له بالرفع بعد مفارقة قومهم فعلى ذلك
الاول ولو كانوا ثبتوا فعلوا مما ذكرنا من القتل والحبس دون الاخراج لم يكن ليخرج رسوله من بين
اظهرهم وهم قد هموا باخراجه والله اعلم وفى قوله اذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الى اخر ما ذكره
تذكير ما انعم على رسوله واصحابه لانه اواهم الى الامن بعد ما كانوا خائفين فيهم وانزلهم المدينة
بعد ما كانوا فى الغيران فى الجبال هاربين منهم ورزقهم من الطيبات طعام البشر بعد ما كانوا يتناولون
من طعام البهايم والسباع يذكر نعمه عليهم باستنقاذه اياهم من بين ظهرانيهم والحيلولة بينه و
بين ما قصدوا وهموا بالمكر به والهلاك بقوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فيه من
الوجوه احتجاجا عليهم احدها ما ذكرنا انهم تشاوروا فيما بينهم بالمكر له لم يطلعوا احدا ثم علم ذلك هو
فخرج ليعلموا ان الله هو الذى اطلعه على ذلك والثانى كانوا يخوفونهم الهلاك بمكرهم رسوله فخرج من
من غيران اصابه ما هموا به وقد اصابهم من الهلاك الذى كانوا يخوفونهم وحل بهم ما كانوا به وقصدوه
وذلك ما ذكر من مكر الله بهم عز وجل ويمكر الله والله خير الماكرين قال بعضهم ارادوهم بمكرهم
به شرا وهو ان يطفئوا هذا النور وليذهب هذا الذى ويدرس اثاره واراد الله ان يسلم منهم نفر

ليكونوا اعوانا وانصارا له ليأخذ واخطئهم بذلك فهو خير الماكرين وقيل ويمكرون ويمكر الله اى اراد واقتله
ويمكر الله اراد قتلهم فقتلهم ببدر والله خير الماكرين اى افضل مكرا منهم غلب مكره مكرهم وقال بعضهم
قوله ويمكرون ويمكر الله اى يجزيهم جزاء مكرهم وقوله واذا تتلى عليهم اياتنا يحتمل قوله اياتنا ايات القران
التى كان يتلو رسول ويحتمل اياته حججه وبراهينه التى توجب التوحيد والتصديق الرسل عز وجل
قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قالوا ذلك متعنتين اذ كان يقرع اسماعهم قوله قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وقوله فاتوا بسورة من مثله الاية لم يكن يطيع احد منهم
ان ياتى بمثله او تكلفوا فى ذلك دل ان قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا تعنت وعناد ان هذا الا اساطير الاولين
كذلك كان يقول العرب انه اساطير الاولين عز وجل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء الاية يذكر نهاية سفههم وغاية جراتهم على الله وبغضهم الحق مع علمهم ان
الله هو الاله وانه قادر على انزال العذاب وله السلطان على امطار الحجارة بقولهم اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فلم يبالوا اهلاك انفسهم لشدة سفههم
وجراتهم على الله وبغضهم الحق وهذا ذكره الله اعلم ليعلم الناس ما لحق رسول الله بدعائه هؤلاء السفهاء
الى دين الله الذين لم يبالوا اهلاك انفسهم لشدة بغضهم الحق وجراتهم على الله وما يلحق منهم من العظيم
عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم يحتمل قوله وانت فيهم اى فى جملة المؤمنين انه لا يعذب احدا
فى الدنيا ما دام هو فيهم وما دام مؤمن فيهم بقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اى يؤمنون وهم
كما ذكر انه ارسله رحمة بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ومن رحمة ان لا يعذب احدا من امته فى الدنيا
انما يؤخر ذلك الى يوم التناد بقوله انما نؤخرهم ليوم كذا وقوله والساعة ادهى وامر ويحتمل ان يكون قوله
وانت فيهم فى اهل مكة خاصة انه لا يعذبهم ما دام هو فيهم احد من المسلمين من نحو النساء والذرارى
كقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم الاية اى لا نعذ
وانت يا محمد فيهم اى بين اظهرهم حتى نخرجك من بينهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اى يصلون
وقيل يؤمنون وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ولكن يعذبهم تعذيب القتال والجهاد ولا
يعذبهم تعذيب استيصال على ما هلك سائر الامم ثم ان المعتزلة تعلقت بظاهر قوله تعالى وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون اى سيؤمنون اى لا يعذبهم ما دام يعلم ان فيهم احدا يؤمن فى اخر عمره
ومن قولهم ان لا يجوز لله ان يهلك احدا اذا كان فى علمه انه سيؤمن فى اخر عمره لقولهم فى الاصلح الله
لا يفعل بخلقه الا ما هو اصلح لهم فى الدين فعلى ذلك تاولوا ظاهر هذه الاية انه لا يعذبهم وهم يستغفرون
اى سيؤمنون لكن لو كان كما قالوا لكان لا يجوز الجهاد معهم ابدا ويسقط الامر بالقتال اذ لعل فيهم
من يسلم فاذا امره بالجهاد والقتال معهم دل ان ذلك ليس ما توهموا والله اعلم وقال بعضهم
فى قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اى وهم يدخلون فى الاسلام وقيل يسلمون وقال بعضهم وهم
يستغفرون بقية من بقى فى مكة من المسلمين فلما اخرجوا منها قال وما لهم الا يعذبهم الله الاية وروى عن ابى
هريرة رضى الله عنه قال فيكم امانان احدهما رسول الله لقول الله وما كان معذبهم وهم يستغفرون قال
تذهب امان وهو رسول الله وبقى امان وهو الاستغفار وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان الله جعل
فى هذه الامة امانان لا يزالون معصومين من قوارع العذاب ما دام بين اظهرهم فامان قبضه الله اليه
وامان بقى فيكم وهو الاستغفار الذى ذكر وروى عن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ساجدا فى اخر سجوده فى صلوة الايات فقال اف اف فقال رب الم تعدان لا تعذبهم وانا فيهم رب الم
ان لا تعذبهم وهم يستغفرون وعن بعضهم امانان انزلهما الله اما احدهما فمضى وهو نبى الله واما الاخر فباق
لكم من اظهركم وهو الاستغفار والتوبة وفى اثبات قول السفهاء ودعائهم بامطار الحجارة عليهم وحملهم
ذلك كتابا يتلى فى الصلوة اوجه ثلاثة من الحكمة احدها تعريف هذه الامة المعاملة مع السفهاء عند
ارتكاب المناكير من الامر والنهى عن المنكر انهم انما عادوا فى غيهم واستقبلوا بالمكروه والاذى ان لا يترك
الامر لهم بالمعروف ولا يؤيس من خيرهم اقتداء بالنبى انه لم يترك دعاهم وامرهم بالمعروف مع شدة
سفههم وتمردهم والثانى ليعلم الخلق ان حجة الله تلزم العباد وان كانوا قد جهلوا اذا كان التضييع
جاء من قبلهم فى ترك النظر والتفكر اذ لو علموا حقيقته العلم انه الحق لم يكونوا ليدعوا على انفسهم بالهلاك

والثالث يكون فيه بيان عزوجل وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اى مالهم من
عذر فى صرف العذاب عن انفسهم اذ قد كان منهم من انواع ما كان لو كان واحد من ذلك لكانوا يستوجبون
العذاب من تكذيبهم الرسول والايات التى ارسلها اليهم وصدهم الناس عن المسجد الحرام وهو مكان
العبادات وسؤالهم بقوله فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم اى ليس لهم عذر فى صرف العذاب
عن انفسهم والاحتجاج على الله انه لم يرسل رسولا بقولهم لولا ارسلت الينا رسولا الاية بل ارسل اليهم
الرسول فكذبوه وبعث اليهم الايات فكذبوها وصدوا الناس عن المسجد الحرام فلا عذر لهم فى وجه من الوجوه
ان يصرف العذاب الا ان الله بفضله ورحمته يصرف العذاب عنهم ببركة النبى عليه السلام واستغفار
المؤمنين والا قد كان منهم جميع اسباب العذاب يستوجبون بها وقوله وهم يصدون عن المسجد الحرام اى
عن الصلوة فيها ويحتمل ان يكون صدوا الناس عن رسول الله لكنه ذكر المسجد لما كان رسول الله فيه
لئلا يروا رسول الله فيتبعوا عزوجل وما كانوا اولياءه اى لم يكونوا اولياءه ليصرفوا العذاب
عن انفسهم بالولاية وهو صلة قوله وما لهم ان لا يعذبهم وهم ليسوا باولياء ويحتمل قوله وما كانوا
اولياءه انما اولياءه المتقون الذين اتقوا الشرك واولياءه الموحدون لا الذين اشركوا غيره فى عبادته
والوهية عزوجل وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال بعضهم كان احسن حالهم
التى هم عليها هى حال الصلوة فاذا كان صلوتهم مكاء وتصدية فكيف حالهم فى غير الصلوة وقال بعضهم
قوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا
صلوا فى المسجد الحرام قام طائفة من المشركين عن يمين النبى واصحابه فيصفرون المكاء وطائفة
تقوم عن يسارهم فيصفقون بايديهم ليخلطوا على النبى واصحابه صلوتهم فنزل قوله تعالى وما كان
صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ثم اختلف فى المكاء والتصدية قال بعضهم المكاء هو مثل نفخ البوق
والتصدية ثم طوافهم على الشمال وقال القتبى المكاء الصفير يقال مكا يمكو وهو مثل ما قيل للطائر
مكاء لانه يمكو اى يصفر حتى يصوت والتصدية هو التصفيق يقال صدا اذا صفق بيديه وقال ابو عوسجة
المكاء شدة الصفير والتصدية ضربا باليدين وهو من الصدى من الصوت وقيل المكاء صفير كان اهل الجاهلية
يلعبون به والتصدية الصد عن سبيل الله ودينه عزوجل فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال
بعض اهل التاويل فذوقوا العذاب يوم بدر وهو الهزيمة والقتل الذى كان عليهم يوم بدر ويحتمل قوله
فذوقوا العذاب فى الاخرة بكفرهم فى الدنيا عزوجل ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله الاية يذكرهم والله اعلم والنعم التى انعمها عليهم من انواع النعم احدها انزلهم من بقعة حفت
البقعة وفضلت على غيرها من البقاع وهو مكان العبادة ثم صدوا الناس عن الدخول فيها والعبادة
فيها ومن ذلك بعث الرسول منهم فيهم فكذبوه وما اعطاهم من الاموال فانفقوها فى الصد
الانسان عن مكان العبادة واقامة العبادة فيه ثم اختلف فى معنى الصد قال بعضهم ان كفار
قريش استاجروا لقتال بدر رجالا من قبائل العرب عونا لهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم
واصحابه فذلك نفقتهم التى انفقوا فصار ذلك حسرة عليهم لما كانت الهزيمة عليهم وروى عن
ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن هذه الاية فقال تلك فدخلت ان ناسا فى الجاهلية كانوا
يطعمون ناسا اموالهم فيقاتلون نبى الله فاسلموا عليهم وعن سعيد بن جبير قال نزلت فى ابى
سفين بن حرب استاجر يوم احد اجراء من الاحابيش من كنانة فقاتلهم النبى ويحتمل ان يكون
ثم تكون عليهم حسرة يوم القيمة اى النفقة التى انفقوها عليهم حسرة فى الاخرة لما انفقوها
لصد الناس عن سبيل الله عزوجل والذين كفروا الى جهنم يحشرون اى يجمعون الى جهنم
بكفرهم بالله عزوجل ليميز الله الخبيث من الطيب جعل الله تعالى الخبيث مختلطا بالطيب فى الدنيا فى
سمعهم وبصرهم ونطقهم وجميع جوارحهم ولباسهم وطعامهم وشرابهم وجميع منافعهم من الغنى
والفقر وانواع المنافع جعل بعضهم ببعض مختلطين فى الدنيا على ما ذكرنا لكنه ميز بين الطيب
والخبيث فى الاخرة باعلام يعرف بتلك الاعلام الخبيث من الطيب من نحو ما ذكر فى الطيب قوله
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال فى الكافر
ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقوله ونحشرهم يوم القيمة

على وجوههم عميا وبكما وصما وقال ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا الاية وغير ذلك من
الايات ميز الله تعالى بين الخبيث والطيب بالاعلام التى ذكرنا فى سمعهم وبصرهم ووجوههم ولباسهم
وماكلهم ومشربهم حتى يعرفوا جميعا بالاعلام ويحتمل ما ذكر من تميز فى الاخرة كقوله فريق فى الجنة و
فريق فى السعير عزوجل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا هذا يحتمل وجهين احدهما ان يجعلهم
دركات اسفل بعضها من بعض كقوله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ويحتمل ان يجعل بعضهم على
بعض مقرنين فى الاصفاد فيركمه جميعا قيل يجمعه جميعا بعضهم على بعض فيحتمل فيركمه جميعا اخبار عن الضيق
كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا وقال القتبى فيركمه جميعا اى يجعله ركاما بعضها فوق بعض وكذلك
قال ابو عوسجة تعالى ركمت المتاع اذا جعلت بعضه فوق بعض عزوجل فيجعله فى جهنم الجهنم هو
المكان الذى يجمع اهل النار والتعذيب عزوجل قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
ذكر عزوجل غاية كرمه وجوده بما وعد لهم من المغفرة والتجاوز عما كان منهم من الاشراك فى الوهية
وصرف العبادة الى غيره وصد الناس عن عبادته وطاعته ونصب الحروب التى نصبوا بينهم وبين
المؤمنين وغير ذلك من انواع الجور فمع ما كان منهم وعد لهم المغفرة بالانتهاء من ذلك ليعلم غاية
كرمه وجوده والمغفرة يحتمل التجاوز عنهم ما كان منهم لا يؤاخذهم بذلك ويحتمل ستر عليهم مساويهم
التى كان منهم ولا يذكرون ذلك لانهم لو ذكروا ذلك ينغص عليهم النعم وفيه دلالة نقض قول
المعتزلة لانه اخبر انهم ان انتهوا وتابوا غفر لهم ما كان منهم وانما كانوا منتهين بالايمان ولم يجعل
بين الايمان والكفر منزلة ثالثة وهم يجعلون بينهما منزلة ثالثة ويقولون اذا ارتكب كبيرة
خرج من الايمان ويخلد فى النار ابدا ولم يكن داخلا فى الكفر وفيه دليل نقض من يقول ان على الكافر
فعل العبادات من نحو الصلوة والزكوة والصيام لانه ذكر الانتهاء عما كان من ترك العبادات القيام
بقضائها واذا ما تركوا لما لم يجب عليهم اداء شئ ومن ذلك دل انه لم يكن عليهم فى حال كفر فعل تلك
العبادات انما عليهم اعتقاد تلك العبادات انه لو كانت عليهم لكان الانتهاء عنها بقضاء ذلك كقوله
صلى الله عليه وسلم من نام عن صلوة او نسيها فعليه ان يصليها اذا ذكرها اذا استيقظ وذلك
كفارته وكذلك قوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ليس على الفعل
ولكن فى حق الاعتقاد انه لا سبيل الى القيام بفعل ما ذكر الا بعد حول ووقت طويل وفى هذه
الاية دلالة على ان ليس بين الشرك والايمان منزلة ثالثة على ما يقول المعتزلة فى صاحب
الكبيرة لانه لو كان بين الكفر والايمان منزلة ثالثة لكانوا اذا انتهوا عن الكفر ولم ينتهوا عن
تلك المنزلة لا يغفر لهم على قولهم فدل ما ذكر من المغفرة على ان ليس بينهما منزلة ولكن اذا
انتهوا عن الكفر ودخلوا فى الايمان عزوجل وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين
قال بعضهم وان يعودوا الى الكفر وقتال محمد بعد ما انتهوا عنه فقد مضى كذا يعنى القتال ويحتمل
ان يكون قوله يعودوا اى داموا فيه لا انهم كانوا خرجوا منه نحو قوله يخرجهم من الظلمات
الى النور كانوا فيه لا انهم كانوا خرجوا منه ثم دخلوا فى غير ذلك ثم يحتمل وجهين بعد هذا احدهما
ان الكفر حكم التجدد فى كل وقت والثانى ما ذكرنا ان ذكر العود فيه لدوامهم فيه وان
لم يخرجوا منه وذلك جائز فى اللسان كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ابتداء الاخراج من
غير ان كانوا فيه وكقوله رفع السموات ابتداء رفع لا ان كانت موضوعة ثم رفعها من بعد فعلى ذلك
قوله وان يعودوا يحتمل اى داموا فيه عزوجل فقد مضت سنة الاولين مضت يحتمل ما ذكرنا
من القتال والثانى سنة الاولين الهلاك الذى كان عزوجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قيل
الفتنة الشرك اى قاتلوهم حتى لا يكون الشرك ويكون الدين كله لله ويحتمل قوله حتى لا تكون فتنة
اى محنة القتال كانه قال قاتلوهم الى الوقت الذى يرتفع المحنة وهو يوم القيمة وفيه دلالة
لزوم الجهاد الى يوم الدين والفتنة هى المحنة التى فيها الشدة ويكون الدين كله لله
ويكون الدين كله لله هو يخرج على وجهين احدهما ويكون الدين الذى هو الدين كله لله لا
لاحد دينه وهو السبيل التى كانت للشيطان كانه قال ويكون الاديان التى بدات بها دينا واحدا
وهو دين الله الذى يدعى الخلق اليه وبذلك بعث الرسل والكتب والله اعلم ويحتمل ان يكون الحكم

الى الله كقوله ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك اى فى حكم الملك عز وجل فان انتهوا فان
الله بما تعملون بصير عز وجل وان تولوا فاعلموا ان الله موليكم قيل ناصركم وقيل المولى المليك
نعم المولى ونعم النصير اى نعم الناصر والمعين ونعم النصير لانه لا يعجزه شىء وقيل موليكم اى
ولى بكم عز وجل واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى قال
عامة اهل التاويل ان الغنيمة هى التى اصاب المسلمون من اموال المشركين بالقتال عنوة و
التى ما يعطون بايديهم صلحا والغنيمة يأخذ الامام الخمس منها والباقى يقسم بينهم والفىء يأخذه
الامام فيضعه فى مصلحة المسلمين وليس فيه الخمس وقال بعضهم الغنيمة والفىء واحد
ثم قوله واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه الى اخر ما ذكر ذكر الخمس ولم يذكر الاربعة
الاخماس انها لمن لكنها للمقاتلة بقوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فكانت الغنيمة كلها
لمن غنمها بظاهر هذه الاية الا ما استثنى الله عنها بالاية الاولى وهو الخمس هذا انما رجع
عليه اهل العلم وعلى ذلك تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته
موقوفة من بعدهم روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن المال يعنى الغنيمة قال لله خمسة
واربعة اخماس لهؤلاء يعنى المسلمين وروى انه قسمها بين المقاتلة يعنى الاربعة الاخماس
وفى بعض الاخبار ان ابا الدرداء وعبادة بن صامت والحارث بن معاوية كانوا جلوسا
فقال ابو الدرداء ايكم يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الى بعير من المغنم فلما
انصرف فتناول من دبره البعير فقال ما يحل لى من غنائمكم ما يزن هذه الا الخمس ثم هو مردود
فيكم وعن ابن عمر رضى الله عنه قال كانت الغنائم تجزأ خمسة اجزاء ثم يسهم عليها فما صار
لرسول الله فهو له وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة اخماس
فاربعة منها لمن قاتل عليها وغير ذلك من الاخبار وعلى ذلك اتفاق الامة ومنهم من يقول
تقسم على ستة سهم لله يجعل فى ستر الكعبة وسهم لرسوله ينتفع به ومنهم من قال يقسم على
خمسة سهم لرسوله واربعة اخماس لمن غنمتم ومنهم من يقول تقسم على اربعة سهم لرسوله
وثلثة ارباعه لمن غنم ثم قوله فان لله خمسه وللرسول يحتمل اضافة ذلك الى نفسه وجهين احدهما
لما جعل ذلك لاقامة العبادات وانواع البر والخير والقرب التى هى لله فاضيفا اليه على ما اضيف المساجد
لله وان كانت البقاع كلها لله وكذلك ما سمى الكعبة بيت الله وان كانت البيوت كلها لله لاقامة
انواع القرب فاضيفا الى الله ذلك فعلى ذلك يحتمل اضافة ذلك السهم الى الله لما جعله لاقامة العبادات
والقرب وانواع البر والله اعلم والثانى اضاف ذلك الى نفسه خصوصية لرسول الله اذا كان ذلك فعلى
لرسوله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع احواله وامور لله خالصا لم لنفسه ولا لاحد من الخلق
فعلى ذلك جميع ماله وما كان يحوى بيده لم يكن له انما كان ذلك لله خالصا يصرف ذلك فى انواع القرب
والبر فى القرابة واليتامى والمساكين وابن السبيل الاحياء منهم والاموات جميعا والقريب منهم والبعيد
جميعا الا ترى انه قال انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة لا يورث منه ولو كان له ليوارث
ورثته ما يورث من غيره دل ان نفسه وما كان له خالصا وكذلك جميع اموره لله الا ترى انه روى فى الخبر
انه كان يجوع يوما ويشبع يوما ويجوع ثلاثا وكان يربط الحجر على بطنه للجوع فاذا كان اضافة ذلك الخمس
الى الله لخصوصية له وخلوص نفسه وما له له وان كان جميع الخلائق وما يحوى ايديهم لله حقيقة لكن
لهم فيها الانتفاع وقضاء الحوائج والتدبير لانواع التصرف فى ذلك ومشاركة غيره فى ذلك ثم خص
بالاضافة اليه وان كان ذلك كله حقيقة ولما كان نفس رسول الله وما يحويه يده لله لا تدبير له
فى ذلك ولا شرك لاحد فيه خص بالاضافة ذلك اليه كله لله حقيقة ولما كان نفس رسول
الله وهذا كما قال والله اعلم الملك يومئذ لله وقال لمن الملك اليوم لله وقال ملك يوم اليوم
وقال وبرزوا لله جميعا خص بالذكر ملك ذلك اليوم والبروز له لما ينقطع يومئذ تدبير جميع
ملوك الارض ويذهب سلطانهم عنهم ويعلنوا البروز له وان كان الملك فى الاحوال كلها والاوقات
جميعا وكذلك والبروز له والمصير اليه وان كان ذلك راجعا اليه فى كل الاحوال فعلى ذلك الاول
والله اعلم ثم ليس فى ظاهر الاية دليل ان المراد بقوله ولذى القربى قرابة رسول الله صلى الله عليه

وسلم بل فى ظاهره دلالة انه اراد به قرابة اهل السهام فى ذلك لانه خاطب به الكل بقوله واعلموا انما
غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى وظاهره انه اراد به قربى من خاطب وكان المخاطب بهم
جميعا الا ترى انه لم يفهم من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون قرابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكن قرابة المخاطبين وكذلك لم يرجع قوله ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين الى
قرابة رسول الله بل الى قرابة المخاطبين به فعلى ذلك الظاهر من قوله ولذى القربى الا ان يقال اراد
قرابة رسول الله بدلالة اخرى لظاهر الاية وهو ما روى قسم الخمس بين بنى هاشم وما روى انه قال
ما لى من هذا المال الا الخمس والخمس مردود فيكم وما روى ان نجدة كتب الى ابن عباس يسأل عن سهم
ذى القربى لمن هو وهو لنا اهل البيت وقد كان عمر دعانا الى ان ينكح منه ايامانا ويقضى عنه مغرمنا
فابينا الا ان يسلمه الينا قال ذلك علينا فدل فعل عمر هذا على ان التاويل فى الخمس كان عنده ان رسول
الله كان يصل به قرابته ويسد بالخمس حاجتهم اذ كان جعل سبيل الخمس ما ذكر انه لله بمعنى انه يصرف فى
وجوه القرب اليه فلو كان الخمس حقا لجميع القرابة اعطى من ذلك غنيهم وفقيرهم وما يأخذه الا
غنياء من الخمس فانه لا يجرى مجرى الصدقة ولا يجرى القرابة فبان بذلك انه لا يعطى منه اغنياءهم
بل الى فقرائهم على قدر حاجتهم اذ لم يكن له مكاسب سواه يصل بها كما يكون لغيره من الناس من المكاسب
وانواع الحرف ومما يدل على ان رسول الله اعطى بعض القرابة دون بعض ما روى عن جبير بن مطعم قال
لما قسم رسول الله سهم ولذى القربى بين بنى هاشم وبنى المطلب اتيت انا وعثمان فقلنا يا رسول الله
هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى وضعك الله فيهم ارايت بنى المطلب اعطيتهم ومنعتنا
وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم لا يفارقونى فى جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم
وبنو المطلب شىء واحد وشبك بين اصابعه عز وجل فان لله خمسه وللرسول الى اخر ما ذكر
بين ان خمس الغنيمة يصرف فى وجوه البر والقرب الى الله ثم فسر تلك الوجوه فقال وللرسول
ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكانت تسمية هذه الاصناف والله اعلم تعليما
لنا ان الخمس يصرف فيمن ذكر من اهلها دون غيرهم وليس ذلك ايجابا منه لكل صنف شيئا معلوما
ولكن على بيان الاهل والموضع وهو كقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية حمل اصحابنا
ذلك على ان الصدقة لا يجوز الا لمن كان من اهل هذه الاصناف دون غيرهم ولم يحملوا الامر على
ان لكل صنف منهم شيئا معلوما محدودا ولكن على بيان اهلها وعلى ذلك روى عن جماعة
من الصحابة رضى الله عنهم منهم عمر وعلى وحذيفة وابن عباس وجماعة من السلف ما يكثر عددهم
قالوا اذا وضعت الصدقة فى صنف واحد اجزاك فلو كان لاهل كل صنف الثمن منها كان المعطى
بها صنفا واحدا مخالفا لما امر به فعلى ذلك قوله فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى
الاية معناه والله ان الخمس الذى يتقرب به من الغنيمة الى الله لا يستحقه الا الرسول ومن كان
من الاصناف التى ذكرها قال وانهم ذلك الخمس جزاءه اذا كان التاويل ما وصفنا لم يكن لاحد
من اهل هذه الاصناف ان يدعى منه خمسا ولا ربعا ولكن يعطى كل من حضر منهم بقدر فاقته وحاجته
وعلى قدر ما يراه الامام فاذا جاء فريق اخرون اعطوا مما يدفع الى الامام من ذلك الخمس من المال كفايتهم
وكذلك روى عن ابن عمر ان عباس قال كان عمر يعطينا من الخمس نحوا مما كان يرى انه لنا فرغبنا عن ذلك
وقلنا حق ذى القربى خمس الخمس فقال عمر انما جعل الله الخمس لاصناف سماها فاسعدهم بها اكثرهم
عددا واشدهم فاقة فاخذ ذلك ناس وتركه ناس وكذلك فعل عمر لما ولى الامر وما روى عن ابن
عباس قال عرض علينا عمر ان يزوج من الخمس ايمنا ونقضى منه مغرمنا فابينا عليه الا ان يسلمه الينا
فابى ذلك علينا فدل فعل عمر على ان القرابة يعطون من الخمس قدر حاجتهم وما يسد به فاقتهم
اذ لو كان الخمس حقا لجميع القرابة اعطى من ذلك غنيهم وفقيرهم لقسمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما قسم الاربعة الاخماس بين المقاتلة بل اعطى منه بعض القرابة وحرم بعضا لما ذكر
فى جبير بن مطعم ومما يدل ايضا ان ذلك لاهل الحاجة منهم دون الكل ما روى ان الفضل بن
عباس وغيره دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ عند زينب بنت جحش فقال
يا رسول الله انت ابر الناس واوصل الناس وقد بلغنا النكاح جئناك لتؤمرنا على هذه الصدقات

تردي اليك ما يؤدي العمال وتصب منها ما يصيبون فسكت طويلا حتى اردنا ان نكلمه حتى جعلت
زينب تلمع الينا من وراء الحجاب ان لا تكلماه ثم قال الا ان الصدقة لا ينبغي لال محمد انما هي اوساخ
الناس ادعوا الي محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب فجاءاه فقال لمحمية انكح
هذا الغلام ابنتك للفضل فانكحه ثم قال لمحمية اصدقهما من الخمس كذا وكذا فدل هذا على ان الحق
لهم فيه لاهل الحاجة منهم ومما يدل ايضا على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما لي من هذا المال الا الخمس والخمس مردود فيكم لم يخص القرابة بشيء منه كان سبيلهم
سبيل سائر المسلمين يعطى من يحتاج منهم كفايته وعلى هذا جرى امر الائمة الراشدين ولم يغيره
علي رضي الله عنه لما ولي الامر وكان ذلك عندنا من لا يجوز مخالفتهم عليه فان قيل لو كانت
قرابة النبي انما يعطون من الخمس على سبيل الفقراء الحاجة فهم على هذا يدخلون في عموم المساكين
فما وجه ذكره اياهم اذا قيل ان الله تبارك وتعالى قال في الصدقات انما الصدقات للفقراء و
المساكين ثم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لمحمد ولا لال محمد فلو لم يسهم الله
في الخمس جاز ان يقول قائل لا يجوز ان يعطوا من الخمس وان يكونوا فقراء فكانوا سبب
ذكر الله اياهم في الخمس لذلك والله اعلم ثم اختلف اهل العلم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سهم الرسول وسهم ذي القربى فقالت طائفة سهم الرسول للخليفة من بعده وسهم
ذي القربى للخليفة وقالت طائفة سهم القربى لقرابة الرسول وقال الحسن سهم القرابة للخلفاء وقال
غيره القرابة قرابة رسول الله وقد ذكرنا انه ليس انه كان له يستحق به قرابته بحق النصرة او
يعطيهم بحق القرابة ما دام حيا ثم قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا نورث
ما تركنا صدقة فاذا لم يورث عنه ما قد حازه من سهامه فكيف يورث عنه ما لم يملكه بعد
وما ترك لو كان سهمه له الذي لم يجعله موروثا عنه كان سهمه الذي قد حازه اخرى
ان يورث فاذا لم يورث الذي قد حازه وملكه عنه لا يورث الاخر والله اعلم وعن عائشة
ان فاطمة والعباس اتيا ابا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله وهما حينئذ يطلبان ارضه
من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما ابو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث
ما تركنا صدقة انما ياكل ال محمد في هذا المال اي حق الغنائم والله لا ادع امرا رايت رسول الله
يصنعه فيه الا ان اصنعه وفي بعض الاخبار قال لا يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت
بعد نفقة عاملي ومؤنة نسائي فهو صدقة وعن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينفق اهله عليه سنة ويجعل ما بقي مال الله وروي ايضا عنه قال كانت اموال بني النضير
مما افاء الله على رسوله وكانت له خالصا وكان ينفق اهله عليه سنة ويجعل ما بقي مال
الله وروي ايضا عنه قال كانت منها على اهل نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع فهذه الاخبار
تبين انه لم يورث سهم النبي بعد وفاته فهي تدل على ان لا ينفذ بعد موت النبي صلى الله عليه
وسلم من خمس الغنائم للخليفة شيئا وان ذلك كان خصوصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كالصفي الذي كان له خاصة دون غيره وكما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكان
له ذلك خاصة فليس لاحد لغير النبي صلى الله عليه وسلم خصوصا من الخمس كما ليس له من
الصفي وغيره واذا كان الامر في سهم الرسول كما وصفنا ولم ينقص من الخمس الذي هو له
بعد موت النبي ويخرج ذلك الخمس كله من الغنيمة فذلك يدل على ان الخمس ليس لاهل هذه
السهام حقا معلوما ولكن يعطون منه بقدر رفاقتهم ويدل ذلك ايضا على انه لا يجب
لكل صنف من هذه الاصناف سهم معلوم لانه قد ردنا سهم النبي من الخمس على ساير السهام
فكما جاز ان يرد عليهم سهم النبي فكذلك يجوز ان يجعل سهم اليتامى او بعضه للمساكين اذ
احتاجوا وطلبوا ولم يحضر اليتامى لان المعنى في الاية والله اعلم ان لا يعطى الا من كان من اهل
هذه الاصناف فقد وضع الحق في موضعه ولم يتعد به الى غيره ثم الخطاب في قوله واعلموا
انما غنمتم من شيء لا يحتمل دلالة في نفسه كالخطاب باداء الزكوة وغيرها من الحقوق بل الخطاب
راجع الى الجماعة الذين غنموا الا ترى ان العسكر والسرايا اذا دخلوا دار الحرب فتفرقوا

فيها

فيها فغنم واحد منهم يجب ضم ذلك الى جميع العسكر والسرايا فعند ذلك يخرج الخمس منه دل ان الخطاب بذلك
راجع الى الجماعة وهي الجماعة التي لهم منعة يقومون للعدو ولا انه خاطب كل احد في نفسه فهذا يدل على ان الواحد
او الاثنين اذا دخلوا دار الحرب بغير اذن الامام فغنم غنائم لا تخمس ولكن يسلم الكل واما الغنيمة نفسها
لا يحتمل ان ترجع الى احد معلوم ومقدار محدود كالزكوة وسائر الحقوق لان الغنيمة شيء يؤخذ من ايدي
الكفرة وانما يؤخذ قدر ما يظفر به وبوجد فلا يحتمل ان يرجع الخطاب به الى قدر بل القليل من ذلك والكثير
سواء لاحد في ذلك ولا مقدار ليس كالزكوة وغيرها من الحقوق التي جعل فيها حدا ومقدارا للوجه الذي
ذكرنا واما المصيبون لها والاخذون فلهم في ذلك مقدار وهم الذين لهم منعة ثم نذكر مسئلة في قسمة
السهام بين الرجالة والفرسان وان لم يكن في الاية ذكر ذلك روي عن ابن عمر قال اعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم خيبر الرجل سهما والفرس سهمين ثلاثة اسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر
للرجال سهما وللفارس ثلاثة اسهم سهما له وسهمين للفرس ثم روي ايضا عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يقسم للفارس سهمين وللراجل سهم وعن المقداد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسهم له يوم بدر سهما ولفرسه سهما وعن علي قال للفارس سهمان وعن المنذر قال بعثه عمر في جيش الى مصر
فاصابوا غنائم فقسم للفارس سهمين وقول بعضهم اسهم للفارس سهمين اختلاف وتضاد دخلوا على
التناسخ وقد يجوز ان لا يكون ذلك كذلك وقد تكون زيادة التي زادته النبي للفرس على سهم اذ كان
محظوظا ثابتا لنفل نفله للافراس حينئذ ترغيبا للمقاتلة في اتخاذها وتحريضا كما يجوز ان يقول الامام
من قتل قتيلا فله سلبه ومن جاء براس كذا فله كذا يحرض بذلك المقاتلة في القتال فعلى ذلك زيادة
سهم الخيل كان للافراس ترغيبا منه وتحريضا على اتخاذها فاما ان كثرت الافراس فان سهما منها لا يكون
اكثر من سهمان اصحابها لان الفارس اكثر من فرسه فاذا لم يزد عليه ينقص عما يسهم وكان ابو حنيفة
رحمه الله يسهم للفارس سهمين وابو يوسف يرى ان يسهم للفرس سهمين ولصاحبه سهم والحجة في
ذلك بقوله قال الله تعالى وما افاء الله على رسوله فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فكانت النضير
خالصة لرسول الله ولم يكن لمن حضرها من المسلمين شيء اذ لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وقد
مشاة فما منع الرجالة من السهمان لاستغنائهم في فتحها من الخيل جاز ان يزاد الخيل في السهمان على
سهمان الرجالة اذا كان الرجال يمنعون السهام وان حضروا اذ لم يحتاجوا الى ركوب الخيل لكن الحجة على
هذا ما ذكر ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحاربوا على النضير فرسانا ولا رجالة ولو احتاجوا
الى الحرب لاحتاجوا الى الخيل فمن حيث يحاربوا عليها لم يستحقوا منها شيئا وانما ذكرنا الله تعالى على سهولة
امرها وانهم لم يحاربوا خيلا ولا ركابا واذا لم يحارب على مدينة تغنموا بمال فهو مصروف في مصالح
المسلمين لا يجري فيه السهام كانت النضير على ما ذكرنا خالصة للنبي يأخذ منها نفقة نسائه ويصرف سائر
الى مصالح المسلمين ومن الدليل على ان النضير لو حتى منها الى الحرب حاربهم النبي واصحابه رجالة جرت
في غنائمهم القسمة ان قوما من المسلمين لو حاربوا اليوم على مدينة من مدائن الشرك رجالة قسم
ما يغنم منها كما يقسم لو كان معهم فرسان ومن الدليل على ذلك ايضا ان الرجالة اذا كانوا مع
الفرسان في الحرب قسم لهم كما يقسم للفارس خاصة فلو كانت الغنيمة انما تقسم لسبب الخيل ما اعطي
الرجالة منها شيئا اذ لا افراس لهم بذلك يفسد ما ذكرنا لابي يوسف وقوله عز وجل ان كنتم امنتم
بالله قال بعضهم هو صلة قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وان تولوا فاعلموا
ان الله هو موليكم اي وان تولوا فاعلموا ان الله هو موليكم اي وان تولوهم وقد امنتم انتم فاعلموا
ان الله موليكم ليس بمولى لهم وقالت طائفة قوله ان كنتم امنتم بالله ليس على الشرط على ان لا يكون
غنيمة اذا لم يكونوا مؤمنين ولا يجب في العدل في القسمة اذا كانوا غير مؤمنين ولكن على التنبيه
والايقاظ كقوله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ليس على انه لا يجب ان يذروا وان لم يكونوا
مؤمنين ولا يجب ان يطيعوا اذا لم يكونوا مؤمنين ولكن على ما ذكرنا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله
عز وجل وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان قيل قوله وما انزلنا على عبدنا الملائكة هم
الذين ارسلهم يوم بدر لنصرة المؤمنين وانزل عليهم المطر فيشد الارض بذلك فاستقرت اقدامهم
وتثبت يعوما لا يتضرر الاقدام ولانبت وشربوا وردوا بعدما اصابهم العطش اذ كان المشركون

الغدو والمال وقوله عز وجل وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر وقوله يوم الفرقان قيل يوم
بين الحق والباطل لانه عز وجل جعل بدرا اية حيث غلب المؤمنون المشركين مع قلة عددهم وضعف
ابدانهم وفقد الاسباب التي بها يحارب ويقاتل وكثرة العدو وقوتهم ووجود اسباب الحرب
والقتال ليعلموا انهم غلبوا اولئك وهزموهم بنصر الله اياهم فكان فرق المحق منهم والمبطل وقيل
هو يوم الفرقان ويوم الجمع جمع النبي والمؤمنين وجمع المشركين ويوم الافتراق افتراق المشركين
من المؤمنين انهزمهم وهو كما سمي يوم القيامة يوم الجمع في حال ويوم الافتراق في حال اخرى
والله اعلم وقوله عز وجل وهم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى قال بعضهم العدوة القصوى
شفير الوادي الادنى وكذلك قال القتبي العدوة الشفير شفير الوادي وقال ابو عوسجة العدوة
تاخير الوادي التي تليهم وقال انما سميت الدنيا لانها دنت منك والاخرة لانها استاخرت
وقيل في حرف ابن مسعود اذ انتم بالعدوة العليا وهم بالعدوة السفلى وقال ابو معاذ العدوة
والعدوة لغتان والركب والركبان والركاب والراكبون لغة وقال في حرف حفصة اذ انتم
بالعدوة القصيا وقال بعضهم اذ انتم معشر المؤمنين بالعدوة الدنيا من دون الوادي على
لشفير مما يلي المدينة وهم بالعدوة القصوى من الجانب الاخر مما يلي مكة يعني مشركي مكة
وقوله عز وجل والركب اسفل منكم يعني اصحاب العير على ساحل البحر او على الماء وقال قتادة جمع
الله المشركين والمسلمين ببدر على غير ميعاد وهي شفير الوادي كان المسلمون باعلاه والمشركون
باسفله والركب اسفل منكم ابو سفيان انطلق بالعير في ركب نحو الحرب وقيل اذ انتم بالدنيا المدينة
وهم بالقصوى مما يلي مكة على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد يحتمل
اي لو علمتم انكم تخرجون الى الحرب دون العير لم تخرجوا الا الميعاد لتاهبوا للحرب والقتال فاختلفتم
في الميعاد اما للخروج نفسه واما للميعاد نفسه انكم تخرجون او لا تخرجون او منكم من يوجر الخروج
عن وقت الميعاد ومنكم من لا يخرج راسا لتنفيذ ذلك وقوله عز وجل ولكن ليقضي الله امرا
كان مفعولا يحتمل ليجزي الله ما كان وعد من الظفر والنصر وليقضي الله امرا كان في علمه
مفعولا لان احدى الطائفتين انها لكم كان قال وعد الله مفعولا اي منجزا ويحتمل القضاء
ابتداء الانشاء والخلق ولكن ينشئ الله ما قد علم الله انه يكون كائنا او ليحكم ما قد علم انه يكون
كائنا والله اعلم وقوله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال بعض اهل
التاويل ليكفر من كفر بعد ذلك عن بينة وحجة ان رسول الله كان على الحق وكان صادقا
ويؤمن من امن على مثل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ليهلك من هلك عن بينة
قال ليموت من مات عن بينة ويحيى من حي عن بينة يقول عن بيان وحجة وهو والله اعلم ان رسول
قد كان اتاهم بايات حسية فسموه ساحرا واخبرهم بانباء ما ضيت التي كانت في كتبهم فقالوا
ان هذا الا اساطير الاولين وقالوا انه معلم انما يعلمه بشر وقد كان رسول الله يخالفهم في
جميع صنيعهم عن عبادتهم الاصنام والاوثان دون الله وكان يخوفهم ويوعدهم باشياء
وكان لا يخالفهم وهم كانوا رؤساء كبراء ولا يخالفهم احد في امرهم ونهيهم الا من كان
يرجنون فلما راوا رسول الله يخالفهم في جميع امورهم نسبوه الى الجنون وقالوا ساحر مجنون
فاراد الله ان يجعل له اية عظيمة حتى لا يقدروا النسبة الى شيء مما كانوا ينسبونه من قبل
فوعدلهم النصر والفتح يوم بدر بعد ما علموا ولئك ضعف المؤمنين وقلة عددهم وقوتهم
انفسهم وكثرة عددهم ليكون حياة من حي بعد ذلك عن بينة وموت من مات على مثل ذلك
وان كان له من الايات ما لو لم يعاندوا ولا كابروا عقولهم لكانت واحدة منها كافية فات
قبل ما الحكمة في ذكر القصة من اولها الى اخرها وهم قد علموا ذلك كله وشاهدوا قيل يذكرهم
الله والله اعلم الحال التي كانوا عليها من القوة والاسباب ولكن بالله عز وجل ليلا يكلوا الى
الكثرة ولا يعتمدوا على القوة ولا يضعفوا ولا يجبنوا ولا يخافوا عدوهم ليعرفوا ان ما اصابهم
من الهزيمة والغلبة اصابهم لمعصية كان منهم او اعجابا بالكثرة واعتمادا بالقوة والاسباب
والله اعلم وقوله عز وجل اذ يريكهم الله في منامك قليلا اختلف فيه قال بعضهم قوله في منامك

قليلا المنام نفسه كان الله يري رسوله المشركين في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه بما رأى
فقالوا رؤيا النبي حق القوم قليل ليس كما بلغنا انهم كثير فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين
في اعين المؤمنين تصديقا لرؤيا رسول الله وقال الحسن قوله اذ يريكهم في منامك قليلا
اي في عينيك التي تنام بهما وهو في اليقظة لانه ذكر انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنام عيني ولا ينام قلبي وانما اراه اياهم قليلا في العين الذي به ينام وهو عينا الوجه ويدل
على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال لقد قللوا في اعيننا يوم حتى قلت لصاحب
لي تراهم سبعين فقال مائة حتى اخذنا رجلا منهم فسالناه فقال كنا الفا فان كان التاويل
هذا الثاني انه اراهم رسوله قليلا في اليقظة بالذي ينام فهو ظاهر فان كان اراه اياهم
في المنام حقيقة فلقائل ان يقول الله رؤيا الرسول وحي فكيف اراه اياهم قليلا وهم
كثير خلاف ما هو في الحقيقة قيل يحتمل ان يكون اراه بعضهم لا الكل فهو حقيقة ما اراه اياهم
قليلا كذلك قيل والله اعلم وجائز ان يكون ارى اصحابه اياهم قليلا وان اضاف ذلك الى رسوله
دليله ما ذكر في اخره حيث قال واذ يريكموهم اذ التقيتم وذلك كثير في القران ان يخاطب به
رسوله والمراد به غيره الا ترى انه قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما
اف ومعلوم ان نزول هذه الاية بعد وفاة والديه وقوله عز وجل ولو اراكهم كثيرا لفشلتم
اي لجبنتم ولتنازعتم في الامر اي اختلفتم في امر القتال والحرب ولكن الله سلم قيل سلم
اتم للمسلمين امرهم على عدوهم فهزمهم ونصرهم عليهم ويحتمل قوله سلم اي اجاب للمسلمين
لما استغاثوا واستنصروا بالنصر والظفر لهم انه عليم بذات الصدور اي عليم بما في قلوب
المؤمنين من الجبن والفشل وامر عدوهم والله اعلم وقوله عز وجل اذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم يحتمل قوله واذ يريكموهم الاية لما رأوا الملائكة لا انفسهم
انصارا واعوانا اذ كان قد وعد لهم والاعانة بالملائكة وكان العدو مع الملائكة فاستقلوا
لان العدو وان كانوا كثيرا فهم قليل مع الملائكة فراوهم قليلا على ما كانوا وقلل هؤلاء
في اعين اولئك لانهم لذلك كانوا قليلا فراوا على ما كانوا ولم يروا الملائكة وقال بعض اهل
التاويل قلل هؤلاء في اعين هؤلاء وهؤلاء في اعين هؤلاء اذا التقوا ليغري بعضهم على بعض
وليجترئ بعضهم على بعض على القتال والله اعلم وقوله عز وجل ليقضي الله امرا كان مفعولا هو
ما ذكرنا انه لينجز ما كان وعد لهم من النصر والظفر للمؤمنين والغلبة والهزيمة على اولئك
وكذلك ذكر في القصة ان قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر في بدر فيه وعد ذلك كقوله وكان
وعد الله مفعولا ويحتمل قوله ليقضي الله اي ليخلق الله وشيء ما قد علم انه يكون كائنا او ليفصل
بين الحق والباطل لما قد علم انه يكون وقال بعض اهل التاويل ليقضي الله امرا في علم مفعولا
كائنا يقول فيوجب امرا لا بد كائن ليعز الاسلام واهله بالنصر ويذل الشرك واهله بالقتل
والهزيمة والله اعلم وهو قريب مما ذكرنا والى الله ترجع الامور اي الى الله يرجع تدبير الامور
وتقديره له التدبير في ذلك في الدنيا والاخرة وذكر في القصة بعض ان ابا جهل لما راى قلة
المؤمنين ببدر قال والله لا يعبد والله بعد اليوم فاكذبه وقتله فقال والى الله ترجع الامور لا الى
الخلق والله اعلم واريد من اوله الى اخره كان اية في عرف كل احد ذلك الا من عاند وكابر
عقله وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا قيل الفئة اسم جماعة يتحاز
اليها وهو من الفيء والرجوع يفيئون اليها ويرجعون ذكرهاهنا الفئة وذكر في الاية التي
تقدمت الزحف وهو قوله اذا لقيتم الذين كفروا زحفا مكان الفئة ونهيا ذلك عن
تولية الادبار بقوله فلا تولوهم الادبار وقال هاهنا فاثبتوا ليعلم ان في النهي عن تولية الادبار
امرا بالثبات وفي الامر بالثبات نهي عن توليه الادبار فيكون في النهي عن الشيء امر بضده
والامر بالشيء نهي عن ضده والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا الله كثيرا قال ابو بكر الكيساني
قوله اذكروا الله فيما تقيدكم من طاعته ووعدكم من نصره ولا تنظروا الى الكثرة فتنظروا
ويحتمل قوله اذكروا الله فيما لكم من انفسكم واموالكم اي ان انفسكم واموالكم له ان شاء

اخذها منكم بوجه تتقربون به الى الله فاذكروا الله على ذلك وهو ما ذكر قوله ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية ويحتمل اذكروا الله كثيرا في النعم التي انعمها عليكم او يقول اذكروا
المقام بين يدي ربنا لعالمين وذلك بالذي يمنعكم من المعاصي والخلاف لامره وبعض ما يرغبكم في طاعته
فيكون على هذا التاويل الامر بذكر الاحوال ويحتمل الامر بذكر الله باللسان وذلك بعض ما يستعان
في امر الحرب لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالنصر والظفر وتفلحون اي تظفرون وقوله عز وجل واطيعوا الله
ورسوله اطيعوا الله فيما يامركم بالجهاد والثبات مع العدو ورسوله فيما يامركم بالمقام في المكان
والثبات وترك الاختلاف والتنازع في الحرب وذلك بعض ما يستعان به في امر الحرب ولا تنازعوا
فتفشلوا اي لا تنازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يامركم في امر الحرب ويعاتبها كم كقوله يجادلونك
في الحق بعد ما تبين لانكم اذا تنازعتم اختلفتم فاذا اختلفتم تفرقتم فاذا تفرقتم فشلكم وجبنتم
فلا تنصرون ولا تظفرون على عدوكم بل ظفر بكم عدوكم او ان يقال لا تنازعوا لانكم اذا تنازعتم تباغضتم
فيشغلكم التباغض بانفسكم فيبقى الجهاد مع العدو والله اعلم وقوله عز وجل وتذهب ريحكم قال
بعضهم نصركم وظفركم وقال بعضهم يذهب ريح دولتكم ويحتمل الريح التي بها تنصرون على ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلك عاد بالدبور وهو ما ذكرنا فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقوله عز وجل واصبروا اي اصبروا للجهاد والقتال عدوكم ان مع الصابرين
بالنصر والظفر وفي هذه الاية تاديب من الله المؤمنين وتعليم منه لهم فيما ذكرنا اي في امر الحرب
واسباب القتال والمجاهدة مع العدو ولانه امرهم بالثبات وامرهم بذكر الله ونهاهم عن التنازع
والاختلاف وذلك بعض ما يستعان به في الانتصار على عدوهم وقوله عز وجل ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قوله بطرا اي كفرا بنعم الله كقوله ضرب الله مثلا قرية كانت
امنة مطمئنة الاية فعل ذلك خرجوا من ديارهم كفرا بانعم الله لانهم خرجوا الى قتال محمد وهو من اعظم
كفرانا وتكبرا اي خرجوا متكبرين كافرين ورئاء الناس تخيلا انهم في الدين لانهم قالوا اللهم انصر اهدانا
سبيلا واوصلنا رحما فترانا ضيقا عندهم انهم على حق وان المؤمنين على باطل ويحتمل مراءاتهم في امر الدنيا
لانهم كانوا اهل ثروة ومال واهل عدة وقوة خرجوا مرائين للناس وقوله ورئاء الناس لانهم كانوا
اهل الشرف عندهم فخرجوا المرآة الناس ويصدون عن سبيل الله اي يصدون الناس عن دين الله لخبر
عز وجل عن خروج اولئك الكفرة انهم خرجوا لما ذكر فكان فيه امر المؤمنين بالخروج على ضد ذلك كانه
قال اخرجوا على ضد ما خرجوا وقوله عز وجل والله بما تعملون محيط اي علمه محيط بهم لا يغيب عنه شيء
من مكايدهم وحيلهم والمكر برسول الله في الدفع عنه والنصر له والثاني محيط بما يعملون يجزيهم
ويكافيهم ولا يفوت عنه شيء على الوعيد والله اعلم وقوله عز وجل واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
قال بعضهم زين لهم الشيطان بالوساوس وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانما قال لهم هذا وسوسة
لهم لما القى اليهم انكم اهل حرم الله وسكان بيته وحفاظه فيقول يدفع عنهم نكبة هؤلاء يعني
اصحاب محمد كما دفع عنكم فيما كان من قبل وقوله عز وجل واني جار لكم قيل مجير لكم مغيث فعلى هذا
التاويل كان قوله اني جار لكم كانه يخبر عن الله انه يغيثهم كما اغاثهم من قبل في غير مرة وقال
بعضهم ان الشيطان تمثل في صورة رجل يقال له سراقة بن مالك بن جعشم فاتاهم فقال لا ترجعوا
حتى تستاصلوهم فانكم كثير وعدوكم قليل فيما عنكم ونحو هذا من الكلام وقال صاحب التاويل
الاول لا يحتمل هذا لان اهل مكة كانوا جبابرة واهل قوة وبطش وباس فلا يحتمل ان يصدروا
لاراء رجل هو دونهم وهو بالوصف الذي ذكرنا وعلى هذا التاويل انه تمثل به فلان يكون قوله
واني جار لكم ما ذكر في بعض القصة ان ابا جهل واصحابه اعتزلوا واستشاروا فيما بينهم فاتاهم
ابليس متمثلا بسراقة فاستمعوا عنه واستاخروا لما راى ذلك منهم فقال لهم اني جار لكم وكان
جارا لهم فتاويل هؤلاء الشبه بما ذكر في اخر الاية وقوله عز وجل فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
اي رجع مستاخرا مقبلا وجهه اليهم فقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله
شديد العقاب اذا عاقب قيل راى جبريل مع الملائكة ينزلون فخاف منهم ففيه دلالة انه كان
يخاف الهلاك قبل يوم المعلوم وقوله عز وجل اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال

بعضهم الذين في قلوبهم مرض هم المشركون غير هؤلاء دينهم وعن الحسن اذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين وقال بعض اهل التاويل
ان قوما كانوا يسلمون بمكة فاقاموا بها مع المشركين ولم يهاجروا الى المدينة فلما خرج كفار مكة الى بدر
خرج هؤلاء معهم فلما عاينوا قلة المؤمنين وضعفهم شكوا في دينهم وارتابوا فقالوا غر هؤلاء
دينهم يعنون اصحاب محمد يقول الله ومن يتوكل على الله فيثق بوعده في النصر ببدر لقولهم غر هؤلاء
دينهم فان الله عزيز لا يعجزه شيء وقوله غر هؤلاء دينهم لانه لم يكن معهم عدة ولا اسباب الحرب
من السلاح وغيره فلم يكونوا يقاتلون الا بالقوة دينهم وقوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض غر هؤلاء دينهم فان قيل لنا ما الحكمة في ذكر قول المنافقين في القران حتى نتلوه في الصلوة قيل
ذكر والله اعلم لنعرف نحن عظيم منزلة الدين وخطير قدره في قلوبهم اعني قلوب المؤمنين وذلك انهم
بذلوا انفسهم للهلاك لخروجهم لقتال عدوهم مع ضعفهم وقلة عددهم وكثرة اعدائهم وقوتهم
رجاء ان يسلم لهم دينهم يذكر لنا لنعرف عظيم الدين في قلوبهم ليكون محل الدين في قلوبنا على مثل
قدره وفي قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم دلالة اثبات رسالة
محمد لانهم اما قالوا ذلك سرا فيما بينهم فاطلع الله رسوله على ذلك ليعلم انه عرف بالله ثم اختلف
في قوله والذين في قلوبهم مرض غر قال بعضهم هم المشركون قال المنافقون والمشركون المؤمنين
غر هؤلاء دينهم وقال بعضهم هم قوم اسلموا وقد كانوا ضعفاء في الاسلام والذين فلما خرجوا
الى بدر راوا ضعف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوة اولئك القوم قالوا عند ذلك
غر هؤلاء دينهم وقد ذكر في بعض القصة ان قوما كانوا اسلموا بمكة ثم اقاموا مع المشركين
ولم يهاجروا الى المدينة فلما خرج كفار مكة الى قتال بدر خرج هؤلاء معهم فلما عاينوا قلة المسلمين
شكوا في دينهم وارتابوا فقالوا مع المنافقين غر هؤلاء دينهم يعنون اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال الله تعالى ومن يتوكل على الله من المؤمنين فيثق به في النصر ببدر لقولهم غر هؤلاء دينهم
وقوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض يحتمل ان يكون هم المنافقون على ما فسره في اية اخرى
فان كان على ذلك فيكون على اسقاط الواو وكانه قال يقول المنافقون في قلوبهم مرض الا ان يقال
ان المنافقين هم الذين اضمروا الكفر حقيقة والذين في قلوبهم مرض هم الذين لم يضمروا الكفر لكنهم ارتابوا
وشكوا واعترض شك وارتياب من بعد اذ راوا تاخر الموعود وقوله عز وجل غر هؤلاء دينهم يخرج
على وجهين احدهما قالوا غر الموعود الذي وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتوح لهم
والنصر في الدنيا يقولون غر ذلك الموعود الذي كانوا به من الفتوح والنصر الذي وعد لهم و
الثاني يقولون غر هؤلاء الموعود الذي وعدوا في الاخرة من النعيم الدائم والحيوة الدائمة
فيكون احد التاويلين بالموعود في الاخرة وهو بالاسلام يكون والثاني بالموعود وهو الفتح و
النصر الذي ذكرناه وقوله غر هؤلاء دينهم لما راوا انهم تركوا اباهم واولادهم وجميع شهواتهم
وبذلوا انفسهم للقتال ليسلم لهم دينهم لذلك قالوا غر هؤلاء دينهم لما لم يكن خروجهم وبذلهم
انفسهم كذلك الا اشفاقا وخوفا على دينهم وطلبوا لما بذلوا انفسهم حيوة لابد في الاخرة فقالوا غر
هؤلاء دينهم والله اعلم وقوله ومن يتوكل على الله اي اعتمد على الله في حرب بدر على ما ذكر اهل التاويل
والنصر فيه وقوله عز وجل فان الله عزيز لا يعجزه شيء يعز من يشاء بالنصر ويذل من يشاء بالقتل
والهزيمة او يتوكل على الله في جميع اموره ويكل اليه اموره والله اعلم وقوله عز وجل عزيز حكيم العزيز
في هذا الموضع هو الغالب الحكيم بما امر بالقتل وقوله عز وجل ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم قال بعضهم الاية مقابلة قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئاء الناس يقول والله اعلم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا اي تقبض ارواح الذين
كفروا كيف يقبضون ارواحهم وكيف يضربون وجوههم وادبارهم كانه قال والله اعلم لو رايت
الحال التي يقبض فيها ارواحهم وما ينزل بهم لرايت ان ما حملوا من صد الناس عن سبيل الله واستكبارهم
على المؤمنين وخروجهم لقتال اصحاب رسول الله انما حملوا بانفسهم لا بالمؤمنين وقوله ولو ترى
اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم يحتمل ما ذكر من فعل الملائكة يوم

بدر لان الاية ذكرت في قصة بدر ويحتمل ان يكون ذلك في كل كافر ان الملائكة يفعلون به ما ذكر كقوله ولو ترى
اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم الاية هذا في كل كافر وقوله يضربون وجوههم وادبارهم
ليس على ارادة حقيقة الوجه والدبر ولكن على ارادة ايصال الالم اليهم بكل ضرب كقوله لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل ليس على ارادة التحت والفوق ولكن على ارادة احاطة العذاب بهم فمن ذلك الاول
وقال بعضهم يضربون وجوههم في اقبالهم المؤمنين وادبارهم في حال ادبارهم وانهزامهم منهم وقوله عز وجل
بما قدمت ايديكم ذكر تقديم اليد وان كان الكفر من عمل القلب لما باليد يتقدم في العرف وقوله
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد وفي الاية دلالة الرد على المجبرة لانهم
لا يجعلون للعبيد في افعالهم صنعا لا يجعلون حقيقة الافعال لله وذكر بما قدمت ايديكم فلو
لم يكن لهم صنع لم يكن لقوله بما قدمت ايديهم معنى وكذلك قوله وان الله ليس بظلام
للعبيد فلو لم يكن حقيقة الفعل لكان التعذيب ظلما دل ان لهم فعلا والله اعلم قوله ليس
بظلام للعبيد فيما شرع من القتال والاهلاك والتعذيب في الاخرة لانه مكن لهم ما يكسبون
به من النجاة والحيوة الدائمة فما لحقهم مما ذكر فما كان باكتسابهم واختيارهم وقوله عز وجل
كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله قال بعضهم صنيع هؤلاء اي صنيع اهل مكة
بمحمد كصنيع فرعون وقومه بموسى في التكذيب والكفر باياته وقال قائلون صنيع الله باهل مكة
بالعقوبة كصنعه بفرعون واله ومن سبق من الامم من الاهلاك والتعذيب وقد فعل باهل
مكة يوم بدر بسوء معاملتهم رسول الله كما فعل ذلك بفرعون واله بسوء معاملتهم موسى
وكداب قيل كصنيع وقيل كفعل وقيل كاشباه وقيل كعمل وهو واحد وقوله عز وجل فاخذهم الله
بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب اي لا يضعفه شيء يمنعه عما يريد وقوله عز وجل ذلك
اي ذلك العذاب والعقاب الذي ذكره بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ما بانفسهم قال قائلون النعمة التي انعمها عليهم هم الرسل التي بعثهم اليهم والكتب التي انزلها
عليهم لم يك مغيرا تلك النعم حتى يغيروا بانفسهم بالتكذيب والرد وترك القبول وهو كقوله
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا
يتلوا عليهم اياتنا الاية وقال قائلون قوله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم
اي حتى يصرفوا شكر نعمه الى غير الله ويعبدون دونه اي لا يغيروا النعم التي انعمها عليهم
حتى يغيروا ما بانفسهم يعبدون غير الله ويشكرون غير الذي انعم عليهم فعند ذلك غير الله
ما بهم من النعمة وكذلك قال ابن عباس نعمة من النعم ان تولوا عن شكرها غيرها الله عليهم واخذها
منهم ولنا ان يحتمل النعمة الدينية وهو تكذيبهم الرسل وردهم الكتب بعد ما اقسموا انهم
يكونون اهدى من احدى الامم واختيارهم الشرك والكفر على الاسلام والتوحيد فاذا اختاروا
التغيير ذلك غير عليهم وقوله عز وجل بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم
يخرج على وجهين احدهما النعمة الدنياوية لا تتغير تلك عليهم الا بتغيير من قبلهم اما بترك الشكر
لها او ما يصرفه الى غير الذي انعمها عليهم ولو غيرت عليهم غيرت ببدل فليس ذلك في
تغيير وان الله سميع عليم قيل اي سميع لشكر من يشكره ويحمد عليم لزيادة النعمة اذا شكر و
يحتمل سميع اي مجيب عليم بمصالحهم ويحتمل انه سميع لما اسروا من القول وجهروا به عليم بما اضمروا
من العمل والشرور وقوله عز وجل كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فان
قيل ما فائدة تخصيص ذكر ال فرعون من بينهم وما الحكمة في تكرار قوله كداب ال فرعون قيل يحتمل
ذكر ال فرعون لما كانوا اقرب الى هؤلاء من غيرهم ممن كان قبلهم الا ترى انه قال انا ارسلنا اليكم
رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا وان اهل الكتاب منهم لما كانوا ينكرون بعث الرسل
من غيرهم ويقولون النحد اي بعث الى الاميين مثله فقال ان موسى لم يكن من القبط فبعث هو
رسولا اليهم فعل ذلك محمد كان منا فبعث الاميين وغيرهم والله اعلم بذلك واما فائدة التكرار والله
اعلم وهو انه ذكر في الاية الاولى الاخذ بالذنوب والتعذيب ولم يبين ما كان ذلك العذاب فبين
في الاية الاولى جرى ان ذلك العذاب هو الاهلاك والاستئصال حيث قال فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا

ال فرعون الاية ويحتمل قوله فاخذهم الله بذنوبهم في الاخرة بكفرهم بايات في الدنيا ذكر في احدى الايتين
العذاب في الاخرة وفي الاية الاخرى الاهلاك في الدنيا ولانه ذكر في الاية الاولى الكفر بايات الله ولم
يبين ذلك وذكر في الاية الاخرى التكذيب باياته فبين ان الكفر باياته هو تكذيبها ثم التكذيب انما
يكون في الاخبار ولذلك التصديق وفيه دلالة ان الايمان هو التصديق لانه جعل مقابلة وضده
التكذيب وفيه ان الايمان ليس هو المعرفة لان مقابلة الجهل بالله ليس هو التكذيب لكن بالمعرفة
يكون بالتصديق وبالجهل يكون بالتكذيب وقوله عز وجل ان شر الدواب عند الله الذين كفروا
فهم لا يؤمنون ذكرهها ان شر الدواب عند الله الذين لا يؤمنون وقال في اية اخرى ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون هم شر دواب حيث سمعوا الايات والحق وعقلوها فلم ينتفعوا
اي لم ينتفعوا بما عقلوا مما وقع في مسامعهم وصاروا كمن لا سمع له ولا لسان نفى عنهم ذلك
لما لم ينتفعوا بما عقلوا ويحتمل ان يكون في الاخرة هم اي يبعثون يوم القيامة صما وبكما عميا لما لم
ينتفعوا في الدنيا بهذه كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما الاية وقوله ان
شر الدواب عند الله اي شر من الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون وهو كما ذكر
في اية اخرى اولئك كالانعام بل هم اضل اخبر ان الذين كفروا بالله وكذبوا باياته اضل من الانعام
وقد ذكرنا فائدة قوله بل هم اضل في موضعه ويحتمل قوله شر الدواب اي شر من يدب على وجه
الارض من المتحيرين الذين كفروا فهم لا يؤمنون ثم يكونون بهذا الوصف اذا اصروا بالكفر وتركوا
الايمان ثم اختلف فيه قال بعضهم نزل في بني قريظة عاهدوا رسول الله ثم اعانوا مشركي مكة على
رسول الله بالسلاح وغيره ثم جاؤهم رسول الله وكانوا يقولون نسينا واخطانا ثم عاهدهم ثانية
فنقضوا العهد فذلك قوله ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون نقض العهد ولا يتقون
الشرك وقال بعضهم نزل قوله ان شر الدواب الى اخر الاية في المردة والفراعنة من الكفار كانوا
عقلوا ما سمعوا ودرسوا ولكن عندوها فلم يؤمنوا به على هذا حمل اهل التاويل تاويل الاية والله اعلم بما
ذكرنا صرفوا الاية الى اهل النفاق اولى لانهم المعروفون بنقض العهد مرة بعد مرة وقوله
عز وجل فاما تثقفنهم في الحرب قيل تاسرنهم في الحرب وقيل تلقينهم في الحرب وقيل تجدنهم في الحرب فشرد بهم
من خلفهم قيل نكل بهم من بعدهم اي اصنع بهم ما ينكلون من خلفهم اي من سواهم الاية نزلت في قوم
علم الله انهم لا يؤمنون وكان عادتهم نقض العهد فامرهم عز وجل رسوله ان ينكل هؤلاء ليكون ذلك جزاء
وزجرا لمن بعدهم ان لم يكن ذلك لهم زجرا فيكون في تنكيل هؤلاء منفعة لغيرهم اذا راى غيرهم انه فعل
بهؤلاء ما ذكر يكون ذلك زجرا لهم عن مثل صنيعهم وهذا ما قال ولكم في القصاص حيوة من راى انه
يقتل به امتنع عن قتل اخر فيكون في ذلك حيوة الخلق وكذلك ما جعل الله من القتال مع العدو في
الحرب فيما بينهم رحمة لان في الطباع النفار عن القتل فاذا راى انه يقتل بتركه الاسلام اجاب الى ذلك
اشفاقا على نفسه وخوفا على تلف مهجته فيكون في القتال رحمة وكذلك جميع ما جعل الله فيما بين الخلق
من العقوبات في النفس وما دون النفس جعل زواجر وموانع عن المعاودة الى مثله فمن ذلك قوله
فشرد بهم من خلفهم عظة وزجرا لمن بعدهم لعلهم يذكرون لكي يذكرون النكال فلا ينقضوا العهد
وكذلك كل مرغوب في الدنيا ومرهوب جعل دواعي وزواجر لموعود في الاخرة وجعل كل لذيذ وشهي
في الدنيا داعيا لما وعد في الاخرة وكل كريه وقبيح زاجرا له عن الموعود في الاخرة في النار على هذا بناد
امر الدنيا والتشريد قال ابو عبيدة معناه من التفرقة اي فرق بهم وقال القتبي قوله فشرد بهم من
خلفهم اي افعل بهم فعلا من العقوبة والتنكيل يتفرق به من وراءهم من الاعداء ويقال شرد بهم سمع
بهم بلغة قريش وقيل نكلهم اي اجعلهم عظة لمن وراءهم وغيره وهو ما ذكرنا وقال ابو عوسجة التنكيل
التخويف والردع ما يكره والنكال العذاب وقال غيره فشرد بهم من خلفهم اي اخلفهم بهم بما صنع هؤلاء
وقال ابو عبيد التشريد في كلامهم التبديد والتفريق وبعضه قريب من بعض قال ابو عوسجة قوله
فشرد بهم اي نكل بهم حتى يخافك من خلفهم والتشريد الطريد والتشريد ايضا التفريق وقوله عز وجل
واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء اي لا تفعل بهم مثل ما فعلوا من الخيانة فتكون انت
وهم في الخيانة سواء لان عندهم انكم معاهدون على عهد ولكن انبذ اليهم ثم ناصب فيما بينهم الحرب

وقال بعضهم هو على حقيقة الخوف يقول اذا خفت منهم النقض والخيانة فانبذ اليهم اي الق اليهم
نقضك لتكون انت وهم في العلم بالنقض سواء قال ابو عبيدة قوله فانبذ اليهم على سواء اي اظهر لهم
انك عدو وذلك مناصب لهم حتى يعلموا ذلك فيصيروا على ذلك سواء وقال بعضهم سواء اي على امر
بين قال ابو عبيدة قال غيره واحد من اهل العلم فانبذ اليهم على سواء اعلمهم انك تريد ان تحاربهم حتى
تصير وامثالك في العلم فذلك السواء العدل وقال فانبذ اليهم على سواء اي ان الله اليهم وقد علموا ما علمت
وعلمت بهم وبعضهم قريب من بعض وحاصل التاويل هو التاويلين اللذين ذكرتهما والله اعلم واصل
العهد ما ذكر عز وجل في اية اخرى وهو قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم
يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر عز وجل باتمام العهد الى المدة اذا لم ينقضوا
ناسيا ولم يخونوا ولم يظاهروا علينا احدا منهم فاذا فعلوا شيئا من ذلك فلنا ان ننقض العهد الذي
كان بيننا وبينهم اذا سالوا ليس للامام ان يعطي لهم العهد اذا لم يكن في العهد منفعة للمسلمين
منفعة ظاهرة وخيرا لهم فعل ذلك ما دام يرجوا في العهد منفعة للمسلمين وخيرا لهم مراعاة ذلك
العهد وحفظه فاذا خاف منهم واطلع على خيانة منهم فله نقضه والله اعلم ثم اذا كان تلك الخيانة
من جلتهم ومن له منفعة فله ان يناصب معهم الحرب وان لم ينبذ اليهم واذا كان من بعض قليل
التلصص والسرقة فليس له ان يحاربهم الا بعدما ينبذ اليهم وقوله عز وجل ولا تحسبن الذين كفروا
سبقوا انهم لا يعجزون قال بعضهم لا تحسبن الذين نجوا وتخلصوا منك يا محمد من المشركين في
لا تظفرك بهم في غيره من الحروب والمغازي وانهم يفوتونا ويعجزون الله عن ذلك وقال بعضهم
لا تحسبن الذين كفروا انهم يعجزونا ويفوتون عن نقمة الله وعذابه وقرا بعضهم بنصب الالف
انهم لا يعجزون ممن قرا بالنصب طرح لا وجعلها صلة وقال الحسن انهم يعجزونا واما قراء العامة
فهي بالخفض انهم فهو بالابتداء فقال انهم لا يعجزون وقيل المعجز السابق ما استطعتم من قوة قال بعضهم
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ولا تخرجوا الى الحروب من المغازي كما خرجتم الى بدر بلا سلاح ولا قوة لانه
اراد ان يجعل حرب بدر اية ليميز بين المحق والمبطل وبين الحق والباطل لذلك امركم بالخروج اليه بلا سلاح
بلا عدة واما غيرها من الحروب والمغازي فلا تخرجوا اليها الا مستعدين لها وبعد فانهم انما تركوا
الاستعداد وبعد فانهم انما تركوا الاستعداد طاعة لربهم وفي الاشتغال بالاستعداد ترك للطاعة لذلك امر
عز وجل بالاعتداد لهم ما استطاعوا من الاسباب لما ان ذلك ارهب للعدو ومن ترك الاستعداد
وان كان عز وجل قادرا ان ينصرهم على عدوهم بلا سبب يجعلها لانفسهم وهو كقوله لانتم اشد رهبة
في صدورهم من الله فامر الله بالاسباب في الحروب وان كان قادرا على نصر اوليائه على عدوه بلا سبب
لكنه امر بالاسباب لما ان جميع امور الدنيا جعلها بالاسباب نحو الموت والحيوة وجميع الاشياء
وان كان يقدر على بقاء الانسان والخلائق جميعا بلا غذاء يجعل لهم والموت بلا مرض ولا سبب ولكن قصر
عما ذكرنا ثم اختلف في قوله من قوة قال بعضهم القوة الرمي وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الا ان القوة الرمي قال ذلك ثلثا ويحتمل قوله
ما استطعتم من قوة ما تقدرون به الحروب لا ما تقدرون به وقال بعضهم القوة السلاح وقال غيره الخيل
والمكن ان يكون بجميع الاسباب الحرب وفيه دلالة ان القوة التي هي اسباب الفعل يجوز ان يتقدم ويكون
قوله لو استطعنا لخرجنا معكم اراد استطاعة الاسباب لا استطاعة الفعل والله اعلم وقوله عز وجل
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم امر برباط الخيل والاعداد للحرب رهبة للعدو واخرين
من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم ترهبون برباط الخيل المشركين
وقال واخرين من دونهم اليهود والنصارى وهؤلاء الذين كانوا فيما بينهم يرهب هؤلاء ايضا وقال
بعضهم اخرون قوله واخرين من دونهم هم الشياطين وروا على ذلك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال انهم الشياطين وقال لن يخبل الشيطان انسانا في داره فرس عتيق ويحتمل ان يكون
قوله واخرين من دونهم هم الاعداء الذين يكونون من بعد الى يوم القيمة لا تعلمونهم الله يعلمهم فان
كان ذلك ففيه دلالة بقاء الجهاد الى يوم القيمة وقال بعضهم واخرين من دونهم هم الشياطين لا
تعلمونهم الله يعلمهم وهو كقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فانه يقل اي رهبة تقع

الشياطين

الشياطين لا تعلمونهم فيما ذكر من رباط الخيل والسلاح الذي ذكر قبل يكون لهم رابطة في جميع اوليائهم
او يكون لاوليائهم رهبة لسبب ذلك اليهم وذلك كثير في القرآن وقوله عدو الله وعدوكم سمي عدو
الله وعدوكم سمي عدو الله وعدو المؤمنين ليعلم من اعتقد عداوة الله صار عدوا للمؤمنين ومن اعتقد
ولاية الله صار وليا للمؤمنين ومن كان وليا للمؤمنين يكون وليا لله وقوله عز وجل وما تنفقوا من شيء
في سبيل الله يوف اليكم اخبر ان ما انفقوا في سبيل الله يوفي عليهم ذلك اما الخلف في الدنيا
كقوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه واما في الاخرة الثواب وانتم لا تظلمون يحتمل وجهين يحتمل
وانتم لا تظلمون فيما امركم بالجهاد في سبيل واتخاذ العدة والانفاق فيها انفسكم واموالكم لله له
ان ياخذها منكم والثاني وانتم لا تظلمون في الثواب في الاخرة اي يعطيكم الثواب في الاخرة او الخلف في
الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها قرا بالنصب السلم وقرا بالخفض السلم
وقال اهل اللغة من قرا بالنصب السلم حمل على المصالحة والمواعدة ومن قرا بالخفض السلم حمل
ذلك في الاسلام وتاويله والله اعلم اي اذا خضعوا للصلح وطلبوا منك فاجنح لهم اي مل اليهم
ولا يمنعك عن الصلح معهم ما كان منهم من نقض العهد على ما ذكر في قوله الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة يقول لا يمنعك عن الصلح اذا طلبوا ذلك ما كان منهم من النقض ونكث
العهود وتوكل على الله ولا تخف خيانتهم ونقضهم العهد فان الله يطلعك ويكفيك على ذلك منهم
من قال قوله وان جنحوا للسلم اي اذا خضعوا ودانوا وسعوا للاسلام فاقبل منهم واخضع لهم كقوله و
اخفض جناحك للمؤمنين امر بخفض الجناح لهم وكقوله في يحتمل ذكرها ههنا انهم اذا طلبوا الصلح
منا ان نعطيهم واذا لم يطلبوا منا فذلك لا يحل لنا ان نطلب منهم الصلح الا ان يضطروا الى ذلك
وهو ما ذكر في اية اخرى حيث قال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون نهانا ان ندعوهم
الى الصلح ولنا قوة وعدة للقتال معهم واما اذا كانوا طلبوا منا ذلك او لا فيجابون الى ذلك ويحتمل
ويحتمل ما ذكرنا اي لا يمنعك لما كان منهم من نقض العهد وقوله فاجنح لها يحتمل ذكره بالتانيث
اي المسالمة والمصالحة وقال بعضهم السلم هو مؤنث كقول القائل * السلم تاخذ منها ما رضيت به
يكفيك من انفاسها جرع * فان قيل ما المعنى في قول من قال بالاسلام بقوله فاجنح لها وهو كان يدعو
الى الاسلام وهو لا شك انه كان يقبل منهم الاسلام قيل يحتمل ان يكون الامر بالقبول امرا بترك المؤاخذة
ما كان منهم في حال نقض العهد لان من قولنا ان ما اصابوا في حال العهد من الجراحات والاخذ
يتبعون بها ويواخذون اذا اسلموا واذا نقضوا العهد ثم اصابوا شيئا من ذلك ثم اسلموا لم
يواخذوا بها فيحتمل ان يقول لهم فاجنح لها ولا تواخذهم بما كان منهم في حال نقض العهد وقال
الحسن هذا منسوخ نسخها قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وقال بعضهم نسخها قوله فاقتلوا المشركين
الاية وقال بعضهم نسخها قوله فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والوجه فيه ما ذكرنا اي الامام
اذا راى الصلح والمواعدة نظرا للمسلمين اجابوا الى ذلك ومصالحهم واذا طلبوا هم منه الصلح وبالمسلمين
قوة القتال والحرب معهم لم يجيبهم الى ذلك وما ذكر هؤلاء من نسخه لا نعرفه والله اعلم وقوله عز وجل
وان يريدوا ان يخدعوك في الصلح فان حسبك الله اي امكنك الله منهم كقوله وان يريدوا خيانتك
فقد خانوا الله من قبل وان كان قوله فاجنح لها في الاسلام فيكون قوله فان حسبك الله اي يطلعك
على ما في قلوبهم من النفاق اي وان خفت منهم يظهرون لك الاسلام في الظاهر ويكونون في
الشر على ما كانوا من قبل فلا يمنعك ذلك عن قبول الاسلام منهم فان الله يطلعك ذلك ويكفيك
على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين يحتمل قوله وبالمؤمنين
بالملائكة الذين انزلهم معونة للمؤمنين يوم بدر ويحتمل بالمؤمنين المؤمنين الذين كانوا معه
فاخبر انه يؤيده بنصره وبنصر المؤمنين وكان النصر له بالمؤمنين بالله في الحقيقة فقوله وما
النصر الا من عند الله النصر من الله يكون مرة بالاسباب بالمؤمنين وبغير ذلك من الاسباب من
الاسباب ومرة باللطف منه بلا سبب وقوله عز وجل والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم قال بعضهم الف بين قلوبهم بالدين الذي اجتمعوا عليه كقوله اذ كنتم
اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار اخبر انهم كانوا

اعداء ما داموا فى الكفر فلما اسلموا صاروا اخوانا ولكن عندنا الاسلام يوجب التاليف والاجتماع
بينها ولكن يجوز ان لا يوجب التاليف واف وجد ليعلم ان الله هو الذى يولف بينهم بلطفه وفضله
بقوله ولكن الله الف بينهم بلطفه وقد يجوز ان يكون ما ذكر من تاليف القلوب يكون مرة بالدين ومرة
باللطف من الله فاذا كان الخلاف والعداوة بينهم لسبب الدين فانه اذا وجد الوفاق ارتفع الخلاف
والعداوة واذا كان للاطماع فهو يرتفع باللطف من الله انه عزيز حكيم عزيز لا يعجزه شئ حكيم فى امره و
حكمه وقوله عز وجل يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال بعضهم حسبك الله ومن
اتبعك من المؤمنين اى كفاك الله فى العون والنصر لك وكفاك المؤمنين ايضا فيما ذكرنا وقال
بعضهم حسبك الله وحسبك نصر المؤمنين وهو على ما ذكر هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والاول
اشبه والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال التحريض على القتال يكون بوجهين
احدهما ان يعد لهم من المنافع فى الدنيا ويطمع لهم ذلك من ما جاء من التنفيل ان من فعل كذا او
يعد لهم المنافع فى الاخرة كقوله ان الله اشترى من المؤمنين الاية وما ذكر من الثواب فى الاخرة
بالنفقة التى ينفقونها فى سبيل قوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الاية فيما ذكرنا فيه
وعد المنافع لهم فى الدنيا والاخرة ووعد النصر لهم والثانى يكون التحريض بضرب يلحق اولئك ونكاية
نفس ليهم كقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم الى قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء جمع الله عز وجل
فى هذه الاية جميع انواع الخير الذى يكون فى القتال مع العدو من وعد النصر عليهم وادخال السرور
فى صدورهم ونفى الحزن عنهم وتعذيب اولئك بايديهم وفيه اغراء على العدو وبقوله الا تقاتلون
قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول فذلك كله تحريض على القتال وترغيبهم فى الحرب مع العدو
والله اعلم وقوله عز وجل ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة
يغلبوا الفا من الذين كفروا الاية اختلف فى معنى هذا قال بعضهم قوله ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا كذا على الامر كانه قال ليكن منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا امر العشرة
القيام لمائة وقال دليله انه على الامر قوله الان خفف الله عنكم ولو لم يكن على الامر العزيمة
لم يكن لذكر التخفيف معنى وقال اخرون هو على الوعد انهم اذا صبروا وثبتوا لعدوهم غلبوا
عدوهم على ما اخبر كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ليس على الامر لانه قال ان
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين اخبر انهم اذا صبروا غلبوهم وهو كذلك والله اعلم
انه ظاهره وعد وخبر والاشبه ان يكون على الامر ليس على الخبر على ما ذكرنا من قوله الان خفف
الله عنكم وقوله عز وجل بانهم قوم لا يفقهون ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل الان خفف الله عنكم
وعلم ان فيكم ضعفا فان قيل ما معنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا وقد كان يعلم ان فيهم ضعفا وقوة
ما امر العشرة القيام لمائة والعشرين لمائتين قيل امر بذلك مع علمه ان فيهم ضعفا وان كان
فى ذلك اهلاك انفسهم وذلك منه عدل اذ له الانفس ان شاء اهلكها بالموت وان شاء بالقتل
بقتل العدو والتخفيف منه رحمة وفضل امر الواحد القيام العشرة على علم منه بالضعف ابتداء
امتحان منه وله ان يمتحن عباده بما فيه وسعهم وبما لا وسع لهم فيه وفى الحكمة ذلك اذ له
الانفس له ان يتلفها كيف شاء بما شاء وهو ما ذكر قوله ولو انا كتبنا عليهم ولو لم يكن له
فى الحكمة ذلك لا يحتمل ان يكلف ذلك عليهم ولنا فى يعلم فيهم الضعف كما نشاهد كما علم انه
يكون وهو ما ذكرنا فى قوله حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اى يعلم مجاهدا كما علم انه سيجاهد فعل
ذلك هذا ثم ذكر العشرة والعشرين يحمل على التحديد الا ترى انه ذكر فى الناسخ عددا اخر العدد
الذى فى المنسوخ لان فى المنسوخ ذكر العشرين المائتين وفى الناسخ ذكر الالف للالف دل انه على التحديد وقوله
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فان كان لا على التحديد فلزم الواحد القيام لاثنين
ولا الاول الواحد لعشرة وعلى ذلك روى عن عمر رضى الله عنه قال اذا لقى الرجل رجلين من الكفار
فاستاسر فلا فداء له علينا فاذا لقى ثلثة فاستاسر فعلينا فداؤه ولم يجعل للواحد الفرار من اثنين
حيث لم يوجب عليه الفداء وقد جعل له الفرار من ثلثة حيث جعل عليه الفداء وكذلك روى

عن ابن

عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ذلك ويحتمل على التحديد اذ كل العدد الذى ذكر لم يسع الفرار
ويلزمهم القيام لهم واذا كانوا دون ذلك لم يلزم وكذلك قال الحسن امر ان يصبر عشرون لمائتين
ان فروا منهم لم يعذروا وان يصبر الالف الالفين ان فروا منهم لم يعذروا قال ثم انزل الله
الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فامر ان يصبر مائة لمائتين وان فروا منهم لم يعذروا
وان يصبر الالف لالفين ان فروا منهم لم يعذروا فان كان على التحديد فهو ما يقول لنا انهم
لم يكونوا منعة فانه ليسعهم ان لا يقاتلوا وقوله عز وجل فان يكن منكم مائة صابرة قال
بعضهم الصبر هو حبس النفس على ما امر الله وكفها عن جميع شهواتها ولذاتها فاذا فعل ذلك
غلب على العدو وقهره وقال بعضهم الصبر هو ان يوطن نفسه فى القتال على العدو ويحبسها
فى ذلك والشكر قيل هو ان يبذل نفسه وما يحويه لله لا يجعل لغيره فيكون الشكر والصبر فى الحاصل
سواء وان كانا فى العبارة مختلفين لان الشكر هو بذل النفس وما حوته يده لله والصبر هو الكف
والاحتباس على جميع ما امر الله عليه فاذا حبسها عن غيره يكون باذلا ولهذا اسمى الصبر ايمانا بقوله
الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ذكر الصبر ههنا مكان ما ذكر فى غيره الايمان بقوله الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقوله عز وجل والله مع الصابرين فى النصر لهم على عدوهم والغلبة عليهم وقوله
عز وجل ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض قال ابو بكر الكيسانى عاتب الله رسوله واصحابه
فى اخذ الاسارى بقوله ما كان لنبى ان يكون له حتى يثخن فى الارض وبالغ فى العتاب فى اخذ الفداء
من الاسارى بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وكذلك روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما استشار اصحابه فى الاسارى اشار ابو بكر الى اخذ الفداء وعمر
الى القتل فقال لو نزل من السماء عذاب ما نجا الا عمر عاتبهم بالاخذ اخذ الاسارى واشد
العتاب فى اخذ الفداء وامر بالقتل وضرب الرقاب بقوله فاضربوا فوق الاعناق فاضربوا
منهم كل بنان انما امر بضرب الرقاب وضرب البنان وكذلك يخرج قوله لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم على العتاب الى هذا يذهب ابو بكر الاصم وعن ابن عباس
قال لم يكن للانبياء صلوات الله عليهم فيما مضى يكون لهم اسارى اى حتى يثخنوا فى الارض وعن سعيد
بن جبير قال يفادى اسارى المشركين ولا يمن عليهم حتى يثخنوا بالقتل ثم تلا حتى اذا اثخنتموهم
فشدوا الوثاق الى هذا ذهب هؤلاء وقوله ما كان لنبى ان يكون له اسرى يخرج تاويل الاية
على وجهين احدهما يقول ما كان لنبى ان ياخذ من الاسرى الفداء حتى يثخن فى الارض اى
يغلب حتى اذا اخذ الفداء وسرحهم بعدما غلب فى الارض يكون رجوعهم الى غير منعة وشوكة
واذا لم يغلب فى الارض اى حتى يصير الدين كله لله كقوله قاتلوهم حتى لا تكون فتنة الاية
هذا كان لمن قبله فرخص لرسوله ذلك وحل فى قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم بوجوه احدها ما قال ابو بكر الاصم تاويل لولا كتاب من سبق ان لا يعذب المخطئين
فى خطئهم على خلاف امره والا لمسكم العذاب فيما اخذتم من الاسرى والفداء منهم عذاب عظيم
وقال اخرون قوله لولا كتاب من الله ان احل الغنائم لهذه الامة والا لمسكم العذاب فيما اخذتم
واستحللتم عذاب عظيم وقال بعضهم لولا كتاب من الله سبق انهم يتوبون عما عملوا من الاخذ
وغيره وانه يتوب عليهم والا لمسكم العذاب لنا وبل فى هذا غير هذا كان فى قوله فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان دلالة اباحة الامر واخصته لانه قال فاضربوا فوق الاعناق هو لا بأس
من المفصل الذى بيان به الرؤوس وذلك فيما يكون فى القتال ولا يقدر ابانة الرؤوس فى
الحرب انما يكون ذلك ما احد واودعوا فى ايديهم واما ما ذكر من ضرب البنان فهو فى الحرب لانه فى
الحرب انما يضرب فيما ظهر ووجد السبيل الى ذلك ففيه دلالة تاويل قوله لولا كتاب من الله
سبق لمسكم الاية ان يكون ملحقا على ما سبق من قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان
فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق الاية اى لولا كتاب من الله اى لولا حكم من
الله ان لا يعذب احدا ولا يواخذه فى الخطأ فى محل الاجتهاد والا لمسكم كذا ويكون قوله
اخذتم اى علمتم ثم قالت المعتزلة فى قوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة دلالة على

ان الله لا يريد ما اراد العباد اذا ارادوا المعاصي لانه اخبر انهم ارادوا عرض الدنيا والله يريد الآخرة ولكن
فهم ارادوا المعصية وهو يريد لهم الآخرة ولكن الثابت عندنا ان قوله تريدون عرض الدنيا والله يريد
حيوة الآخرة وعرضها وبعد فان قد كان الله اراد لهم الآخرة وحياتها وهم ارادوا العاجل وعرض الدنيا
وقد كان ما اراد الله لهم لا ما ارادوه واصله ان الله عز وجل اراد الآخرة لاهل الجنة فكان ما اراد
واراد اولئك الكفرة النار فكان ما اراد كقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولا يشبه
ان تكون الارادة ههنا المودة والمحبة اي تودون وتحبون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وهو ما
ذكر في آية اخرى حيث قال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة
تكون لكم انهم كانوا يودون القتال مع غير ذات الشوكة حتى تكون لهم الغنائم والارادة اذا اضيفت
الى الله تخرج على وجوه ثلثة احدها الرضا كقوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا
كانوا يعبدون بتركه اياهم وهم على ان الله قد رضي بصنيعهم والثاني الارادة الامر كقوله واذا
فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها والثالث الارادة هي صفة فعل كل
فاعل يخرج فعله على غير سهو وغفلة ولا طبع بل يخرج على الاختيار وقال بعض اهل التأويل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار في الاسارى يوم بدر اصحابه فقال لابي بكر يا
ابا بكر ما تقولون فيه فقال يا رسول الله قومك واهلك فاستبقهم واستأنهم لعل الله
يتوب عليهم وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قومهم فاضرب اعناقهم عبدالله بن
رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه واضرمه عليهم نارا فقال له العباس
قطعت رحمك فسكت رسول الله فلم يجبهم شيئا ثم قال فدخل فقال ناس يقولون ابي بكر وقال ناس
يقولون بقول عمر وقال ناس يقولون بقول عبدالله ثم خرج عليهم رسول الله فقال ان الله ليلين
قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد
من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر كمثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني وان مثلك يا ابا بكر كمثل عيسى
حيث قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان مثلك يا عمر كمثل موسى حيث قال ربنا اطمس على
اموالهم واشدد على قلوبهم وقال يا عمر ان مثلك كمثل نوح حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ولا يبقين احد منكم الا بفداء او ضربة عنق قال عبدالله الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر
الاسلام فسكت رسول الله فما رايتني في يوم اخوف مني ان تقع علي حجارة في ذلك اليوم حتى قال
رسول الله الا سهيل بن بيضاء فانزل الله ما كان لنبي ان يكون له اسرى الى اخر ما ذكر ثم يحتمل قوله
ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض قبلكم وما انتم فقد احلت لكم الاسارى
والغنيمة ويدل ايضا ما روي من الاخبار والآيات على انه اذا اثخن في الارض جاز الاسر لانه لو لم
يجز ذلك كما لا يجوز قبل الاثخان في الارض دل ان فائدة الخصوص وقد بين الله ذلك بقوله
حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ثم اختلف اهل العلم في فداء الاسارى بالمال قال ابن
عباس رضي الله عنهما قال ذلك يوم بدر والمسلمون قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله
لهما بعدا في الاسارى فاما منا بعد واما فداء فجعل النبي والمؤمنون بالخيار ان شاؤا فدوهم
وعن الحسن قال يصنع به رسول الله باسارى بني عليمرا و يفادي وقال لغيرهم الخلوف ذلك
وقال اصحابنا ان احتاج الامام الى مال فاداهم وقد دل ما ذكرنا من الآيات والاخبار على
جواز الفداء بعد الاثخان فيهم فان لم يكن الى المال محتاجا فله قتلهم لان ذلك انكاء في العدو
واشد رهبهم من المؤمنين وقال فله ان يسترقهم فهو كما قالوا اذا كان الاسير من اهل الكتاب
او من العجم فاما عرب عبدة الاوثان فلا يسترقون لانا لا نعلم احدا منهم استرقه النبي لما اسرهم
ولم يبلغنا ان ابا بكر استرق واحدا من اهل الردة وكيف يجوز استرقاقهم وقد قال الله تعالى
تقاتلونهم او يسلمون واما الفداء والقتل فقد ظهر من فعل رسول الله في اسارى بدر وفيما
روي من الاستشارة استشارة النبي اصحابه في الاسارى دلالة العمل بالاجتهاد وما روي في
الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر يا ابا بكر ويا عمر ان ذي يوحى الى ان اشاوركما
ولولا انكما تختلفان ما عصيتكما او ما علمت بخلاف رايكما فيه انه لا يجوز ان يخالفهما رسول الله

لو لا انكما تختلفان ما عصيتكما او ما عملت بخلاف رايكما ثم ما اخذ من الاسارى من الفداء لا يدري على
اي وجه اخذ على الترك والرد الى اوطانهم من غير ان تركهم بالجزية اذ من قولهم ان لا يجوز اخذ الجزية
منهم والترك على ذلك وفي الآية دلالة ذلك وهو قوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وفي الخبر لا يجتمع
دينان في جزيرة العرب الا ان يقال ان المفادات الا التي ذكر كانت هذا وهذا كان بعد والله اعلم
وقوله عز وجل فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا قال بعضهم قوله حلالا طيبا واحد كل حلال طيب
وكل حرام خبيث وانما يطيب اذا احل ويخبث اذا حرم ولكن يحتمل قوله حلالا طيبا بالشرع طيبا
في الطبع وكذلك الحرام هو الحرام بالشرع وخبيث بالطبع وانما يتكلم بالحل والحرمة من جهة الشرع
والطيب والخبيث بالطبع والطيب هو الذي يتلذذ به ولا يتبعه تبعة لا تحدق التبعة بنقص
عنه وتذهب بطيبه ولذته وجائز ما ذكر من الطيب ههنا لما ان اهل الشرك كانوا ياخذون
الاموال ويجمعونها من وجه لا يحل وباسباب فاسدة فيكرهون التناول منها اذا غنموا
لتلك الاسباب الفاسدة فطيب قلوبهم بقوله طيبا وفيه دليل جواز التقلب في البيع
الفاسد وطيب التناول منه وان كان تكسبا باسباب فاسدة بعد ان يكون باذن فعل ذلك
الاول يحتمل ما ذكرنا وفيه دلالة ان اهل الكفر لا يؤاخذون بالافعال التي كانت لهم في
الكفر ولا ما كانوا تركوا من العبادات لما ليست عليهم انما يؤاخذون بالاعتقاد وقوله عز وجل
واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه فلا تعصوه ان الله غفور رحيم لمن تاب ورجع عما فعل وقوله
عز وجل يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا مما اخذ منكم قال
عامة اهل التاويل ان الآية نزلت في العباس بن عبدالمطلب واصحابه وكذلك يقول ابن عباس
قالوا للنبي آمنا بما جئت به ونشهد انك رسول الله فنزل ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي
ان يعلم الله اعتقاد الايمان والتصديق له في قلوبكم خيرا مما اخذ منكم اي ايمانا وتصديقا
فيخلف عليكم خيرا مما اصيب عنكم لكنها فيه وفي غيره من فعل مثل فعله فهو في ذلك سواء
يكون من الموعود الذي ذكر ما يكون له وقوله عز وجل ان يعلم الله في قلوبكم خيرا وهو الايمان
مما اخذ منكم من المال الذي ذكر في القصة ويجوز ان يفعل مكان فعل كقوله اذ يقول المنافقون
اي قال المنافقون وذلك كثير في القرآن فعلى ذلك قوله يؤتكم خيرا اي اتاكم خيرا ويحتمل قوله
يؤتكم ايضا اي يثيبكم ويعطيكم افضل مما اخذ منكم في الآخرة والله اعلم وقوله عز وجل ويغفر لكم
والله غفور رحيم ما كان في الشرك لقوله ان ينتهوا فان الله غفور للذنوب ذنوبكم ورحيم بر
برحمهم في الاسلام ويحتمل قوله يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء او ما اخذ منهم بمكة اخبر انه يؤتهم
خيرا من ذلك في الدنيا من الاموال وغيرها والاثخان قال ابن عباس القتل قال ابو معاذ يثخن
اي يذللوا المثخن الذليل قال ابو عوسجة حتى يثخن في الارض اي يثخن في اهل الارض يكثر القتل
والجراحات يقال اثخنت في القوم اذا اكثرت فيهم القتل والجراحات ويقال ضربه حتى اثخنه اي صيره
حتى لا يقدر على القيام وهو ما ذكر محمد في بعض مسائله انه اذا رمى صيدا فاصابه حتى اثخنه ثم
رمى اخر بسهم فاصابه فانه لا ... ولما ام صيره بالاثخان خارجا من ان يكون صيدا وهو الضرب الذي
وصفناه ويثخن يثخن ثخانة فهو ثخين ويثخن تثخينة واحدا اي غلظ وقوله عز وجل وان
يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم يحتمل ان يكون الآية صلة ما سبق من
الآيات وهو قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة الآية وقوله وان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبك الله الآية وغير ذلك واما تخافن من قوم خيانة ونحوه فقال وان يريدوا
خيانتك في نقض العهد وغير ذلك من الامانات فقد خانوا الله من قبل فيما عهد وان يريدوا
ذلك قولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فقد انجاهم الله من ذلك فلم يكونوا
من الشاكرين وكقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فقد اتاهم الله ذلك فلم يفوا ما عاهدوا وغير ذلك من العهود التي عهدوا والامانات التي
اؤتمنوا فيها فخانوا الله في ذلك او عاهدوا اليهم في امر محمد واظهار نعته وصفته في كتبهم فكتموا
ذلك وحرفوه واظهروا خلاف نعته وصفته فذلك منهم خيانة فيقول انهم قد خانوا الله

من قبل فامكن الله منهم فاذا خانوك فسيمكنك منهم ايضا وقوله عز وجل فامكن منهم اي انتقم منهم جزاء بخيانتهم
وقال امكنك حتى انتقمت منهم وقوله عز وجل وان يريدوا خيانتك ليس على الارادة ولكن على وقوع
فعل الخيانة كانه قال وان خانوك فقد خانوا الله من قبل لكنه ذكر الارادة لما هي صفة كل فاعل
مختار لما لا يكون الافعال الا بارادة وقوله عز وجل والله عليم بما يسرون ويضمرون من الخيانة
ونقض العهود حكيم في امره وحكمه حيث امكنك منهم وقال بعضهم في قوله وان يريدوا خيانتك
فقد خانوا الله من قبل اي خانوك بعد اسلامهم بالكفر بل فقد خانوا الله من قبل اي فقد كفروا بالله
قبل هذا يقول اي خانوك امكنك منهم فقتلتهم واسرتهم كما فعلت بهم ببدر والله عليم بخلقه حكيم
في امره وقوله عز وجل ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله قوله
امنوا اي صدقوا ايات الله وحججه او صدقوا رسوله في جميع ما جاء به كانه مقابل قوله كداب ال
فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات الله وكذبوا بايات ربهم ذكر ههنا التصديق مكان التكذيب
في ذلك وقوله وجاهدوا في اظهار دين الله ونصره باموالهم وانفسهم اي بذلوا ذلك والذين اووا اي ضموا
النبي ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض قال ابن عباس وعامة اهل التاويل الولاية التي ذكرت في الاية
في التوارث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام الذين امنوا ولم يهاجروا الى المدينة
وكذلك قالوا في قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء يعني الميراث وروي
عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض في الدنيا
والاخرة والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم اولياء بعض في الدنيا والاخرة وعن جرير
ابن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذلك وعن المسعودي عن القاسم قال
اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابنا فاخى بين عبد الله بن مسعود والزبير بن العوام
اخوة يتوارثون بها لانهم هاجروا وتركوا قراباتهم حتى انزل الله اية المواريث وعن ابن عباس
في قوله والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم قال كان المهاجرون حتى قدموا المدينة يرث الانصار
دون رحمه بالاخوة التي اخى النبي بينهم فلما نزل قوله ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
نسخها والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم من النصر والنصيحة والرفادة ويوصى له ولا
ميراث وعن الحسن في قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فكان المسلمون
يتوارثون بالهجرة فكان الاعرابي لا يرثه المهاجر ولا يرثه الاعرابي فخصهم بذلك على الهجرة حتى
كثر المسلمون فانزل الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الاية فورث الاعرابي المهاجر وتوارثوا
بالارحام الى هذا يذهب عامة اهل التاويل وكانوا يرون ان الهجرة كانت مفترضة ثم زال فرضها
بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكنه جهاد ونية وعن عائشة رضي الله عنها
قالت انقطعت الهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فانما كانت الهجرة الى الله ورسوله والمؤمنون
يفرون بدينهم من ان يفتنوا عنه وقد افشى الله الاسلام هذا الذي ذهب هؤلاء في قوله بعضهم اولياء
بعض في التوارث محتمل ويحتمل غير هذا وهو ان قوله ان الذين امنوا وهاجروا الى قوله اووا
ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض اي بعضهم اولياء بعض في تمام الولاية في التناصر والتعاون
والحقوق والديانة وهم اولى ببعضهم ببعض من الذين امنوا ولم يهاجروا لانهم امنوا وهاجروا
اي تركوا منازلهم واهلهم وقراباتهم وبلدهم الذي كانوا فيه مقيمين اشفاقا على دينهم واستنقاذ
ولانفسهم والانصار اووهم وانزلوهم في منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم وتحملوا جميع مؤنهم
من غير ان كان سبق منهم اليهم شيء فصاروا لهم اعوانا وانصارا بعضهم اولياء بعض في تمام
ما ذكرنا من الولاية والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي ما لكم من
ولايتهم اي من تمام ما ذكرنا من الولاية ولاية الدين وليس لهم ولاية التناصر والتعاون والحقوق
والمنافع التي تكتسب بالدين وفي قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء دلالة
نقض قول المعتزلة لانه جعل ولاية للذين لم يهاجروا واسم الايمان وكانت الهجرة عليهم مفترضة
في تركهم الهجرة مرتكبين كبيرة يدل ان صاحب الكبيرة لا يزول عنه اسم الايمان وقوله عز وجل
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اي واولوا الارحام الذين امنوا وهاجروا بعضهم اولى ببعض من

غيرهم

غيرهم لانهم اذا امنوا وهاجروا وقرابة سابقة ورحم متقدم كانوا هم اولى من غيرهم الذي
لا قرابة بينهم ولا رحم اذا اجتمع فيهم الرحم والمعونة والنصر والديانة والحقوق اجتمع فيه
اشياء اربعة وفي اولئك ثلاثة فهم اولى بهم من غيرهم هذا والله اعلم وقوله عز وجل
وان استنصروكم في الدين يعني الذين لم يهاجروا يحتمل وجهين يحتمل اذا طلبوا منكم المعونة
والنصرة على عدوهم فعليكم النصر والمعونة لهم اذا لم يكن بينكم وبين اولئك ميثاق والثاني
اذا علمتم انهم يخشون على انفسهم من عدوهم ويخافون فانصروهم الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق اي اذا استنصروكم في الذين على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم اي وليس عليكم
ان تنصروهم نا ويله حتى تنبذوا اليهم العهد يقول ان نصركم يا معشر المهاجرين اخوانكم المؤمنين
الذين لم يهاجروا اليكم فاتاهم عدوهم من المشركين فقاتلوهم ليردوهم عن الاسلام فانصروهم ثم
استثنى فقال الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول ان استنصروكم الذين لم يهاجروا الى المدينة على
اهل عهدكم فلا تنصروهم والله بما تعملون بصير في المعونة والنصر ونحوه وقوله عز وجل ما لكم من
ولايتهم من شيء قرئ بالخفض ولايتهم وبالنصب جميعا ولايتهم اعني بنصب الواو وخفضها وكذلك التي
في الكهف هنالك الولاية لله بالخفض والنصب جميعا الاية ثم قال بعض اهل الادب الولاية
بفتح الواو والنصرة والمعونة والولاية بخفض الواو السلطان لله وقال بعضهم الولاية بالخفض
المعونة والنصرة والولاية السلطان قال اخرون هما سواء وهو النصرة والمعونة والولاية في
الامارة والسلطان والولاية في الدين وقوله عز وجل والذين كفروا بعضهم اولياء بعض على قول
ابن عباس وعامة اهل التاويل بعضهم اولياء بعض في التوارث على ما قالوا في المهاجرين والانصار
بعضهم اولياء بعض ويحتمل ما ذكرنا ان بعضهم اولياء بعض في التناصر والتعاون والدين
والحقوق جميعا على ما ذكرنا في المؤمنين وقوله عز وجل الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد
كبير قيل فيه بوجوه احدها ان اخوانكم الذين لم يهاجروا اذا استنصروكم على عدوهم فلم تنصروهم
تكن فتنة في الارض وفساد كبير اي ان لم تكونوا بعضكم اعوانا وانصارا لبعض على ما كانت
اهل الكفر بعضهم انصارا لبعض غلبكم العدو وقهركم فيكون في ذلك فتنة وفساد ويكون كان
قال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وقال بعضهم قوله الا تفعلوه تكن فتنة في [illegible]
بقوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي ان استنصروكم اخوانكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق فنصرتموهم
تكن فتنة وفساد كبير وقال بعضهم قوله الا تفعلوه فيما امركم به من جعل التوارث فيما بين المؤمنين
وجعلتم الميراث والتوارث فيما بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض وفساد كبير ولان الله عز وجل
ذكر المواريث ثم ذكر في اخر الاية تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله وما ذكر من ترك حدود الله
وطاعة رسوله وجعل الميراث في غير ما امر عز وجل تكن فتنة في الارض وفساد كبير وقوله عز وجل
والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اي ضموا رسول الله والمهاجرين
ونصروهم اولئك هم المؤمنون حقا اي المهاجرون والانصار الذين ضموهم المؤمنون حقا
لما حققوا ايمانهم باعمالهم لانهم هاجروا وتركوا اهليهم واموالهم اشفاقا عليهم واستبقاء لما
واجابوا رسول الله واطاعوه في ذلك واولئك الانصار ضموا الى انفسهم وانزلوهم في منازلهم
وبذلوا انفسهم واموالهم ونصروهم على عدوهم فقد حققوا جميعا ايمانهم باعمالهم التي عملوا
ويحتمل قوله هم المؤمنون حقا اي صدقا في السر والعلانية ليس كايمان المنافقين يكون
في العلانية ولا يكون في السر كقوله ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين وقال وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين ويحتمل قوله اولئك هم المؤمنون
حقا اي وعد لهم وعدا حقا وهو ما ذكر في اية اخرى لهم مغفرة ورزق كريم ويحتمل اولئك هم
المؤمنون حقا اي اولئك المؤمنون الذين حققوا الايمان به وقوله عز وجل لهم مغفرة ورزق
كريم اي حسن يكرم اهله به وقوله عز وجل والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم
اي من امن بعد هؤلاء وهاجروا بعد مهاجرة اولئك فانهم يلحقون باولئك في جميع ما ذكر
في اولئك الذين هاجروا من قبل بذكر هذا والله اعلم لنعلم بحق ما عمل اولئك من الهجرة والنصرة

اي السلطان مع

وبذل الانفس والاموال وغير ذلك الذين على ما بذل اولئك واشفقوا على دينهم وقوله عز وجل
فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله هو ما ذكرنا اى اولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض بالتركة والتوارث من جملة المؤمنين فاذا لم يكن اولوا الارحام فجملة المؤمنين اولى
وعلى ذلك يخرج قول اصحابنا ان اولى الارحام بالميراث اولى من جملة المؤمنين وهو بيت المال
فما دام واحد من هؤلاء فهو اولى بالميراث وعلى ذلك يخرج قولهم فى العقل انه على ذوى الارحام
ما داموا هم فاذا لم يكن احد منهم فهو على جملة المؤمنين فى بيت المال وقوله عز وجل ان الله بكل
شئ عليم بالعباد وما يكون منهم وبكل شئ عليم بما يحتاجون وما لا يحتاجون وهو حرف وعيد
والله اعلم وقوله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اى بعضهم اولى ببعض فى حق التوارث
من المؤمنين الذين هاجروا فنسخ هذه الاية حكم الميراث الذى ذكر فى قوله والذين امنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ لانه كان جعل التوارث بينهم بحق الايمان والهجرة ثم نسخ
ذلك وجعل الميراث بالرحم حيث قال واولوا الارحام بعضهم اولى وكذلك ما ذكر فى سورة
الاحزاب حيث قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين
فاذا لم يبق من الرحم احد فبعد ذلك يكون لجملة المؤمنين وقوله عز وجل فى كتاب الله فى حكم الله
او فى كتاب الله لانه ذكر فى كتاب الله ثم لزوم الهجرة على الذين هاجروا مع رسول الله وعلى الذين
تاخر هجرتهم سواء قد سوى بينهم فى اللزوم وجمع بين المهاجرين والانصار فى حق الشهادة لهم
بالتصديق والايمان حيث قال اولئك هم المؤمنون حقا وجمع بينهم فى حق الولاية وما يكتب
بها من المنافع حيث اولئك بعضهم اولياء بعض وجمع بينهم فى الثواب والدرجة قال لهم مغفرة
ورزق كريم وجمع بينهم فى هذه الخصال وان قدم ذكر المهاجرين فى غير واحد من الايات لما
كانوا مستوين فى الاسباب التى استوجبوا ذلك لان من المهاجرين ترك الاوطان والمنازل والخروج
منها والمفارقة عن اهليهم واموالهم وكان من الانصار مقابل ذلك انزالهم فى منازلهم واوطانهم و
بذل اموالهم وقيام اهليهم فى خدمتهم لذلك كانا ما ذكر والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال بعضهم من اهل التاويل
ذلك فى قوم كان بينهم وبين رسول الله عهد على مدة بينة فام بنقض العهد المرسل
وحمله فى الاربعة الاشهر التى ذكر فى قوله فسيحوا فى الارض اربعة اشهر وقال بعضهم فى
فى قوم كان لهم عهد دون اربعة اشهر فامر باتمام اربعة اشهر دليله قوله فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم وقال ابو بكر الكيسانى فى الاية فى قوم كانت عادتهم نقض العهد و
كقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة فامر ان يعطى العهد اربعة
اشهر التى ذكر فى الاية ثم الحرب بعد ذلك وقال بعضهم لما نزل قوله براءة من الله و
رسوله بعث رسول الله عليا الى الموسم ليقرء على الناس فقراءه عليهم براءة من الله
ورسوله من العهد غير اربعة اشهر الا الذين عاهدتم من المشركين على ما ذكرنا حمل ولا
كلهم قوله براءة على النقض وعندنا يحتمل غير هذا وهو ان قوله براءة من الله ورسوله الى
الذين عاهدتم من المشركين فى امضاء العهد والوفاء والبراءة هى الوفاء واتمامه ليس على
النقض لانه قال الا الذين عاهدتم من المشركين والبراءة اليهم هو الامان والعهد اليهم
ولو كان على النقض فقال من الذين عاهدتم من المشركين فدل انه هو اتمام اعطاء العهد
لهم وامضاؤه اليهم ويؤيد ما قال بعض اهل الادب ان البراءة هى الامان يقال كتبت
له براءة اى امانا هذا الذى ذكرنا اشبه مما قال اولوا على اهل التاويل وقوله عز وجل
فسيحوا فى الارض اربعة اشهر اى سيروا واذهبوا فى الارض اربعة اشهر اى فى مدة العهد
وقوله عز وجل واعلموا انكم غير معجزى الله اى اعلموا ان المؤمنين وان اعطى لكم العهد فى
وقت فانكم غير معجزى الله اولياءه ولا فائتين عنكم فى تلك المدة وان الله مخزى الكافرين
الخزى هو العذاب الفاضح الذى يفضحهم ويظهر عليهم ويحتمل ان يكون ذلك العذاب و

والاخزاء الذى ذكر فى الاخرة وقوله عز وجل واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر قال
القتبى واذان من الله ورسوله اى اعلام ومنه اذان الصلوة هو الاعلام يقال اذنتهم و
اذنا وبذلك قال ابو عوسجة وقوله عز وجل ان الله برئ من المشركين ورسوله يكون فى
قوله ان الله برئ من المشركين ورسوله دلالة ما قال اهل التاويل من النقض لان قوله
براءة من الله ورسوله يكون فيه امضاء العهد واتمامه الى المدة التى ذكر ويكون ما
روى فى الخبر فى القصة ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل براءة بعث ابا بكر على حج الناس
يقيم للمؤمنين حجهم وبعث معه براءة السورة ثم اتبعه على ابن ابى طالب فادركه فاخذها
منه ورجع ابا بكر الى النبى فقال للنبى بابى وامى نزل فى شئ قال لا ولكن لا يبلغ عنى غيرى
او رجل منى اما ترضى يا ابا بكر انت صاحبى فى الغار وانت اخى فى الاسلام وانت ترد على
الحوض يوم القيمة قال بلى يا رسول الله فمضى ابو بكر على الناس ومضى على ابن ابى طالب
بالبراءة فقام على بالموسم فقرءه على الناس براءة من الله ورسوله من العهد غير اربعة
اشهر فانهم يسيحون فيها ثم قوله يوم الحج الاكبر قال عامة اهل التاويل هو يوم النحر
لان فيه ذكر طواف البيت وحج البيت وقال بعضهم هو يوم عرفة لانه هو الذى يوقف
وعرفة وبه يتم الحج على ما روى فى الخبر الحج عرفة ومن ادرك عرفة بليل وصلى معنا الجمع
فقد تم حجه وقضى تفثه فاذا ادركه يتم الحج وبفوته يفوت وعن الحسن انه سئل فقيل له ما
الحج الاكبر فقال سنة حج المسلمون والمشركون جميعا اجتمعوا بمكة وكان فى اليوم لليهود
عيد وللنصارى عيد لم يكن قبله ولا بعده فسماه الله الحج الاكبر قال ابو بكر الاصم لا
يحتمل ان يسمى الله لعيد النصارى واليهود يوم الحج الاكبر وهو يوم نزول السخط عليهم
واللعنة ولكن جائز ان يسمى بذلك الاجتماع الخلائق فيه من كل نوع على ما سمى يوم
الحشر يوما كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله عز وجل فان تبتم فهو
خير لكم اى ان تبتم عما كنتم عليه فهو خير لكم لانهم يامنون عن الرعب الذى كان فى قلوبهم
ويكون ذلك الخوف والرعب فى قلوب المشركين على ما روى فى الخبر انه قال نصرت بالرعب
مسيرة شهرين وقوله عز وجل وان توليتم عما ذكرنا فاعلموا انكم غير معجزى الله اى غير
فائتين عن نقمة الله وعذابه ويحتمل قوله فان تبتم عن نقض العهد فهو خير لكم و
الاول فان تبتم واسلمتم فهو خير لكم فى الدنيا والاخرة ثم روى فى بعض الاخبار
عن على رضى الله عنه انه سئل باى شئ بعثت قال باربع لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة
ومن كان بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد فعهده اربعة اشهر ولا يطوفن بالبيت
عريان ولا يدخل الحرم مشرك بعد هذا وفى بعض الاخبار ولا يحج المشرك بعد عامه هذا
وكذلك قال فى الاية الاخرى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ففيه دلالة اثبات
رسالة محمد لانه قال فى ملاء من الناس بالموسم لا يحج مشرك بعد هذا مع كثرة اولئك و
قوتهم وقلة المؤمنين وضعفهم ثم لم يتجاسر بعد ذلك النداء احد ان يدخل مكة للحج وغيره
دل ان ذلك كله كان بالله تعالى لا بهم ثم من الناس من استدل بالخبر الذى روى انه بعث ابا بكر
الصديق على الحج وبعث معه براءة ثم اتبعه عليا فادركها فاخذها منه ورجع ابو بكر الى النبى
فقال هل نزل فى شئ قال لا ولكن لا يبلغ عنى غيرى او رجل منى على ان عليا هو المستحق للخلافة
وهو الاحق بها دون ابى بكر حيث قال لا يبلغ عنى الا رجل منى لكن يحتمل انه ولى ذلك عليا
لما كان من عادة العرب انهم اذا عاهدوا عهدا انه لا ينقض ذلك عليهم الا من هو من قومهم
فولى ذلك عليا لئلا يكون لهم الاحتجاج عليه فيقولون لم ينقض علينا العهد او ان يقال
وليا ولى عليا امر الحرب وهو كان ابصر واقوى بامر الحرب من ابى بكر وولى ابا بكر امر
الحج والمناسك وكان ابو بكر هو المولى امر العبادات وعلى امر الحروب فالحاجة الى الخلافة
لاقامة العبادات او ان يقال ان ابا بكر كان امير الموسم وعليا كان مناديه فالامير فى
ساهدنا اجل قدرا واعظم منزلة من المنادى وامر عليا ذلك لما ان ذلك اقبل واسمع من

غيره من الامير نفسه والله اعلم وقوله عز وجل الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم
شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر باتمام العهد للذين لم ينقضوا ذلك
المسلمين ولا ظاهروا عليهم احدا واما الذين كانت عادتهم نقض العهد ونكثه فانه لا يتم لهم ولا
ينقض ونكث ثانيا وقوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين النقض ويحتمل
ان يكون صلة قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم ويكون العذاب الاليم هو القتل والاسر
كانه يقول وبشر الذين كفروا بالقتل والاسر الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا
اي لم يخونوكم شيئا ما داموا في العهد ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعاونوا ولا اطلعوا احدا
من المشركين عليكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم كقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم
على سواء امر بالنبذ اليهم عند خوف الخيانة وامر بالاتمام اذ لم يخونوا ولم يظاهروا عليهم احدا
ورد قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين على ان قوله واعلموا انكم
غير معجزي اي غير معجزي اولياء الله في عذاب الدنيا لانهم جميعا سواء في عذاب الاخرة مشركين
فيه وقوله عز وجل الى مدتهم قال بعضهم مدة القوم اربعة اشهر بعد يوم النحر لعشر مضين
من ربيع الاخر لمن كان له عهد ومن لا عهد له الى انسلاخ المحرم خمسين ليلة وقال بعضهم الا الذين
عاهدتم من المشركين بالحديبية فلم يبرأ الله ورسوله من عهدهم في الاشهر الاربع ولم يظاهروا عليكم
احدا اي لم يعينوا على قتالكم احدا من المشركين اي لم يفعلوا ذلك فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
وهو الاربعة الاشهر ان الله يحب المتقين الذين اتقوا المعاصي والشرك وقوله عز وجل فاذا انسلخ
الاشهر الحرم قال بعضهم الاشهر الحرم هي اشهر العهد والامان فاذا انسلخ تلك الاشهر و
مضت فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم الاشهر الحرم هي الاشهر التي خلقها الله
وجعلها حراما كقوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات
والارض منها اربعة حرم وقوله عز وجل فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم قال
قال بعضهم حيث وجدتموهم وجدوهم في الاماكن كلها لان حيث انما يترجم عن مكان امر بقتلهم
كلها لانه لم يخص مكانا دون مكان وقال اخرون هو في الاماكن كلها الا مكان الحرم دليله
ما ذكر في سورة التي فيها ذكر البقرة وهو قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم وقال ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام امرهم بقتالهم في الاماكن كلها الا المسجد الحرام ويمكن ان يكون انهم
يقتلون ان يدخلوا الحرام فاذا دخلوا الحرام وقد نهوا عن الدخول فيها والحج هنالك
على ما روي ان عليا نادى بالموسم الا لا يحجن بعد العام مشرك فاذا دخلوا فيقتلون
ويكون دخولهم فيه بعد النهي كابتداء مقاتلتهم ايانا فاذا قاتلونا عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوهم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم والله اعلم وقوله عز وجل وخذوهم قيل اسروا
وقوله عز وجل واحصروهم قيل واحبسوهم واقعدوا لهم كل مرصد والمرصد الطريق
كانه امر بقوله فاقتلوا المشركين بقتلهم اذا قدروا عليهم وامكن لهم ذلك والامر
عند الامكان والحبس اذا دخلوا الحصن واحفظ المراصد عند غير الامكان لئلا يفروا
ويقال رصدت له اي انتظرته ان احد فرصتي ويقال رصدته اي انتظرته واقال بعضهم
قوله كل مرصد اي كل طريق صدوا وكان امر بذلك ليضيق عليهم الامر ليضطروا وينقادوا
وفيه دليل النهي عما يحمل الى دار الحرب من انواع الثياب والامتعة وما ينتفعون
لانه امر بالحصر وحفظ الطرق والمراصد ليضيق عليهم الامر وينسد فينقادوا وفيما
يحملون توسيع عليهم وقوله عز وجل وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد يحتمل
ان يكون قوله وخذوهم واحصروهم اي ائتوا عليهم الحجج والبراهين ليضطروا الى قبول ذلك
فاذا نفذوا لكم والا فاقتلوهم حيث وجدتموهم وقوله عز وجل فان تابوا واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم فوجب بظاهر الاية ان نقاتل من امن ولم يقم الصلوة
ولم يؤت الزكوة لان الله انما رفع القتل عنهم بالايمان واقاموا الصلوة وايتاء
الزكوة فاذا لم ياتوا بذلك فالقتل واجب عليهم وكذلك فعل ابي بكر الصديق

لما ارتدت

لما ارتدت العرب ومنعتهم الزكوة حاربهم حتى اذعنوا باداتها اليه روي عن انس قال لما توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب كافة فقال عمر يا ابا بكر اتريد ان تقاتل العرب
كافة فقال ابو بكر انما قال رسول الله اذا شهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة منعوا مني دماءهم واموالهم والله لو منعوني في دمائهم واموالهم والله
لو منعوني عناقا مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال عمر فلما
رايت راي ابي بكر قد شرح عرفت انه الحق وفي بعض الاخبار قالوا نشهد ان لا اله الا الله ونصلي
ولكن لا نزكي فمشى عمر والبدريون الى ابي بكر فقالوا دعهم فانهم اذا استقر الاسلام في قلوبهم
وثبت ادوا فقال والله لو منعوني عقالا مما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه او قاتل
رسول الله على ثلث شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال الله فان تابوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم والله لا اسال فوقهن ولا اقصر دونهن فقالوا
انا نزكي ولكن لا نرفعها فقال والله حتى اخذها كما اخذها رسول الله واضعها مواضعها
وقال اخرون قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة في قبولهما والاعتقاد بهما دون
فعلهما لما لا يحتمل حبسهم ومنعهم الى ان يحول الحول فياخذون باداء الزكوة دل على انه القبول
والاقرار وبذلك استدلوا بما روي في بعض الاخبار عن رسول الله قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله واني رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة واذا فعلوا ذلك منعوا كذا دل ما ذكرنا
من الزيادات والنقصان ان ذلك في قوم مختلفين وانه على القبول لذلك والاعتقاد لا على الفعل نفسه
فمن كان لا يقر بشيء من ذلك فاذا قال لا اله الا الله كان ذلك منه ايمانا في الظاهر ومن كان يقول لا اله
الا الله ولا يقول محمد رسول الله فاذا قال ذلك كان منه ايمانا ومن كان يقر بالدين ولا يقر بالصلوة و
الزكوة فاذا اقر بذلك كان منه ذلك ايمانا فهو على الاقرار به والاعتقاد لا على الفعل الا ترى ان
للائمة ان ياخذوا منهم الزكوة شاؤا او ابوا فلو كان الاداء من شرط الايمان لكانوا غير مؤمنين باخذ هؤلاء
واختلفت الصحابة والروايات في الحج الاكبر روي عن عبد الله بن الزبير قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم
عرفة هل تدرون اي يوم هذا قالوا نعم اليوم الحرام يوم الحج الاكبر قال فان الله قد حرم دماءكم واموالكم
عليكم الى يوم القيمة كحرمة يومكم هذا وعن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الحج الاكبر فقال يوم عرفة وعنه
انه وقف عليهم يوم عرفة فقال ان هذا يوم الحج الاكبر فلا يصومنه احد وعن ابن الزبير يقول يوم
عرفة هذا يوم الحج الاكبر وفي بعض الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم انه خطب على ناقة حمراء يوم النحر
فقال رسول الله اتدري اي يوم هذا هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر وفي بعض الاخبار عن
ابن عمر قال رايت او قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم النحر عند الجمرات في حج الوداع
فقال اي يوم هذا قالوا هذا يوم النحر قالوا فاي بلد هذا قالوا هذا بلد حرام قال فاي شهر هذا قالوا شهر
حرام قالوا هذا يوم الحج الاكبر فدماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم
ثم قال هل بلغت وعن الحارث قال سالت عليا عن الحج الاكبر فقال يوم النحر وعن المغيرة بن شعبة
انه خطب يوم العيد فقال هذا يوم النحر ويوم الاضحى ويوم الحج الاكبر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال الحج الاكبر يوم النحر وفيه قول ثالث ما روي انه كان في كتاب رسول الله الذي كتبه لعمرو بن حزم
والحج الاصغر العمرة وعن عباس قال العمرة هي الحجة الصغرى وسئل عبد الله بن شداد عن الحج الاكبر فقال
الحج الاكبر يوم النحر والاصغر العمرة فاما حديث عمرو بن حزم فهو حكاية عن كتاب وليس فيه بيان عن
الحج الاكبر انما يذكر فيه الحج الاصغر ولو لا خبر علي وابن عمر لجاز ان يقال يوم عرفة وهو يوم الحج الاكبر
لانه يقضى فيه فرض الحج وهو الوقوف ومن فاته ذلك فقد فاته الحج وجاز ان يقال هو يوم النحر لانه فيه
يقضى طواف الزيارة وهو فرض ويقضى فيه اكثر مناسك الحج بل يوم النحر اولى ان يكون يوم الحج الاكبر
لان الحاج يقضي في يوم عرفة فرضا من فرائض الحج وهو الوقوف ويقضي في يوم النحر فرضا اخر من فرائض
وهو طواف الزيارة ويقضي مع ذلك اكثر مناسك الحج فقد استوى هذان اليومان في انه يقضى في كل
واحد منهما فرض من فرائض الحج وزاد يوم النحر على يوم عرفة بما يقضى في يوم النحر من مناسك ولا
يقضى في يوم عرفة شيئا من المناسك الا الوقوف بعرفة واتبع بعض الناس بعرفة العمرة بما رواه

عمرو بن حزم ان الحج الاصغر هو العمرة والاكبر هو الحج بما سميت العمرة حجا وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما
تقدم وعن علي وابي هريرة وابن ابي اوفى رضي الله عنهم انهم قالوا الحجة الكبرى يوم النحر وعن عمرو
ابن عباس انهما قالا يوم عرفة وقوله عز وجل وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع
كلام الله وقد قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم و
احصروهم واقعدوا لهم كل مرصد لانه فامر بالاية الاولى عند الوجود وفي هذه الاية بالقتل و
امر في الاولى بتبليغه مامنه في هذه بان يقول يقعد له في كل مرصد وحال هذه في حال الاولى
في رأي العين وبينهما له في كل وقت يظفر به ان يستجير لما ذكر في كل حال يرصد له الا ان
يحتال ليرد الى مامنه وفي ذلك زوال القيام بما في احدى الايتين في الظاهر فلزم ذلك طلب المعنى الموفق
بين الامرين من طريق التامل بالاسباب التي هي تدل على حق المعاملة بالايتين جميعا فقال اصحابنا
انه اذا قصد نحونا من اهل الاسلام غير مظهر اعلام الحرب ولا بما يدل انه على ذلك بحيثية بل ممشى
مشى من منقلب لحاجة ومن يتعاهد من ينادي اليه بالاستجارة في تجارة لو كان مقبلا نحونا متنكا لا
لاحد عليه اعلام الحرب لكنه كالغافل عن الذين يرضون له والذين لهم منعة ولا قوة به فلا يقبل
قوله وذلك على تسليم الامر الغالب من الاحوال اذ لا وجه لعلم الحقيقة في ذلك وعلى ذلك عامة
الامور بين اهل الدارين وما ذكرت من الاية في لزوم ذلك الاعتبار اذ لا وجه له غيره وهو دليله
والله اعلم ثم دل قوله وان احد من المشركين استجارك بحد العلم بانه من مامنه لا يقدر على الاستجارة
لبعد مامن كل من مامن الاخر ثم لا يكون مامن الفريقين في حد الدارين لما كان التحقق ومن كل فريق
مهما نفى من الاخر اذ به خوفه فثبت انه قد يوذن له الخروج للاستجارة مامنه والدخول في مامن
المسلمين الى ان يبلغوا مشايخهم فيستجيروا فلذلك لا يوجب ذلك الوحو وحق الاسر لا
ويجب رده لو لم يجر ولا يسع التعرض لشيء من ذلك ثم وقوله وان احد من المشركين استجارك
من عرابين استجارته لماذا احتمل ان يكون ترك بيانه لما في الجواب ذلك بقوله حتى يسمع كلام الله
وذلك كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة انه في الجواب بيان ما استفتوا ويحتمل
ان يكون ذلك لازم ان يسمع كلام الله بمعنى حجته لاي وجه دخل بامان وذلك قريب لانا
امرنا بالتضييق عليهم ليسلموا فاذا الجاتهم الدخول للحاجات بلا غرض يذهب منفعة التضييق
فيكون المقصود بالعهد لما يرون من اثار الاسلام وحسن رعاية اهل الاسلام ويسمعون حجته
وما به ظهور الحق فيه رجاء ان يجيبوا فلذلك يوذن وان كان في ذلك قضاء حاجاتهم
وقد روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يقاتل حتى يدعو الى الاسلام فيما قد كان
دعاهم غير مرة فذلك المعنى عند الامان اولى والله اعلم وقوله عز وجل حتى يسمع كلام الله
فالاصل ان حقيقة الكلام لا تسمع بالكلام نفسه اذ الذي به يؤدى حروف الكلام بما
يقلب الحروف ويؤلفه ولا صوت له تسمع نحو الاشارة والشقشقة ونحو ذلك وانما يسمع
بصوت يهيج من حيث الجارحة التي يتكلم وقوله عز وجل فيبلغ كلامه او حروف كلامه المسامع والسمع
يقع على الصوت الذي به يدرك الكلام ويفهم فصار سمع الكلام في الاصل مجازا لا حقيقة فعلى
ذلك ما قيل من سماع كلام الله ثم هو يخرج على وجوه احدها ان يسمع المعنى الذي جعل له الكلام
وهو الامر والنهي والتحريم والتحليل ونحو ذلك مما ينسب الى الله فيقبل بذلك كلام الله لما ليس
ينسب الكلام به والنهي ونحو ذلك والوجه الثاني ان يكون الفه ونظمه على ما اعجز خلقه عن
مثله فينسب اليه بما منه تاليفه على ما هو عليه وان كان مسموعا من غيره على ما ينسب القصائد
الى مبدعيها والكتب الى مؤلفيها والاقاويل الى الاوائل التي منهم ظهرت وان لم يكن الذي يقوله في
الحقيقة قوله وكلامه بما كان منه الابتداء الذي عليه يتكلم فمثله معنى قوله حتى يسمع كلام الله
والوجه الثالث ان يكون ذلك لما الكلام به يعبر وبه يوصف ان له كلاما وبه يرجع الى ذلك و
ان كان الله تعالى عن الوصف لكلامه بالحروف والهجاء والابعاض ونحو ذلك فيما كان تعالى
اليه المرجع وان كان حد ذلك غير متوهم هنالك ولا متصور فنسب اليه كما قال الله
خلقكم من نفس واحدة وقال خلقكم من تراب من غير توهم كليته العالم في تلك التراب

او النفس

او النفس الواحدة لما اليه مرجع الكل نسب اليه وعلى ذلك امر الكلام وذلك على ما قيل من لقاء الله
والمرجع الى الله والمصير مما لا تدبير لاحد هنالك ذكر المصير اليه لا ان لذلك من ضرورة اليه في الحقيقة
ورجوع لم يكن من قبله لما قيل كلام الله ثم الله تعالى يجل عن التصوير في الاوهام او التقدير في العقول
ففي ذلك بسعة بل ذلك احق واولى اذ يجد صفات الخلق لا تحد ولا تصور في الاوهام ولا يقدرها
العقول الا من طريق القول بالحقيقة بهم على ما لهن اغيار لهم والله تعالى المتعالي عن التصور في
الاوهام ووصفه بالعلم والكلام ونحو ذلك احق في ابطال توهم ذلك فتدبر فيه وقال الشيخ
يقال كلام الله على الموافقة لا على الحقيقة كما يقال ذا قول فلان وكلام فلان وليس هو كلام المتكلم
فالقائل المشاهد فقال ابو بكر فهذا يدل على ان كلام الله يسمع من وجوه فكانه يذهب الى مثل
ما يقال يعرف الله من وجوه على تحقيق الوجوه فمثله كلامه والله اعلم من غير توهم المعنى الذي
به يعرف الله عن الله سبحانه كذلك سماع كلامه وفي قوله ثم ابلغه مامنه دلالة انه لم يقبل ما اسمع
وعرض عليه اذ لو قبل لكان يكون مامنه هذه الدار لا تلك ولكان يحق عليه الخروج منها لا العود
اليها ثم معلوم ان كلام الله هو حجة وان الحجة قد لزمته لوجهين احدهما ما ظهر عجز الخلق عن مثله
وانتشر الخبر في الافاق على قطع طمع المقابلين لرسول الله بالبر دالين مهجهم وما حولوا ايديهم
في اطفاء نوره فكان ذلك حجة بينة لزمتهم والثاني ان جميع ما تلي منه لا يخلو عن ايات الاوفيها
ما يشهد بالعقول على قصور افهام الخلق عن بلوغ مثله من الحكم وعجيب ما فيه من الحجة تمالا قول
بما فيه من المعنى وما يحدث به من الفائدة ليعلم ان ذلك من كلام من يعلم الغيب ولا يخفى عليه شيء واذا
كان كذلك صار هو بالرد مكابرا وحق مثله الزجر والتاديب انه لم يفعل بضمن امانته القبول ولا
ان لا يعاجل بالرد وذلك اعظم مما فيه الحدود فالحد احق ان لا يقام عليه والله اعلم ثم قوله ابلغه
مامنه يحتمل وجهين احدهما ان يدعه ولا يمنعه عن العود الى مامنه ليعلم ان حكم تلك الدار لم يزل
عنه وانه لا يلزم الجزية الا عن طوع او دلالة عليه والثاني ان يكون عليه حفظه الى ان يبلغ مامنه
يدفع المسلمين منه وفي ذلك لزوم حق الامان الجميع باجازة وعلى ذلك كل مسلم ثم سماع كلام الله
يجمع عن القران وفيه ما ذكرت من الدلالة وعلى سماع اوامر الله ونواهيه في حق العرض عليه وعلى سماع حجج
النبوة وايات الرسالة او التوحيد من القران والله اعلم قوله عز وجل ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي ما لهم
وما عليهم ويحتمل نفي العلم بما لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل ذلك تعليم رسول الله من كيفية معاملة الكفرة
اذ هم لم يكونوا يعلمون من قبل والله اعلم ثم قوله عز وجل كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هو
والله اعلم ان كيف يستحقون العهد وكيف يعطى لهم العهد وقد نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله
فاما العهود التي بينهم وبين ربهم هو عهد الخلقة اذ في خلقه كل احد الشهادة على وحدانيته والوهيته
والشهادة على الرسالة وما عهد اليهم في كتبهم من اظهار صفة محمد ونعته للخلق فنقضوا ذلك كله و نقضوا
العهود التي بينهم وبين رسول الله ولم يحفظوها فيقول والله اعلم يستحقون ان يعطى العهد لهم وقد
نقضوا العهد الذي عهد الله اليهم والعهود التي اعطاهم رسول الله لا يستحقون ذلك الا الذين انقضت
المدة يقول والله اعلم اذا استقاموا لكم في وفاء العهد فاستقيموا لهم في وفاء العهد انقضت المدة
وقوله عز وجل الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يحتمل الا لا يعطى العهد الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام ويحتمل قوله الا الذين عاهدتم كذا فانهم ان وفوا لكم ان الله يحب المتقين ان الله يحب من نفى الشرك
واتقى من جور وظلم والله اعلم وقوله عز وجل كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يقول كيف
يعطون لهم العهد وكيف يستحقون العهد ولو ظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الله
والذمة العهد وقيل الال القرابة وقيل الال العهد والذمة قال الال القربى الال للعهد قال بعضهم
القرابة ابو عوسجة الال القرابة وقال ابو عبيدة الال العهد والذمة التذمم وقال ابن عباس رضي
الله عنهما الله بمنزلة جبريل تفسيره عبد الله وقيل الال الحرم يقول كيف تعطونهم العهد وهم وان يظهروا
عليكم لا يرقبوا فيكم القرابة ولا العهد ولا يرقبون الحرم فيكم وقد كانوا يحفظون فيما بينهم القرابة
والرحم حتى يعاون بعضهم بعضا ويتناصروا اذا وقع بينهم بين قراباتهم ورحمهم وبين قوم اخرين مباغضة
وعداوة وكانوا يرقبون حرم الله حتى لا يقاتلون في الاشهر الحرم وعند المسجد الحرام وكانوا يحفظون

العهود فيما بينهم من قبل ولا يرقبون فيكم ولا يحفظونها هذا والله اعلم تاويل قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقد كانوا يرقبونه من قبل وقوله عز وجل يرضونكم بافواههم بانهم يوفون العهد ويحفظونه وتابى قلوبهم الا النقض وقوله عز وجل واكثرهم فاسقون فى نقض العهد والفسق هو الخروج عن امر الله كقوله ففسق عن امر ربه وقوله عز وجل اشتروا بايات الله يحتمل حججه وبراهينه ويحتمل ايات القرآن ومحمد ويحتمل اياته دينه وقوله عز وجل فصدوا عن سبيله اى صدوا الناس عن متابعة النبى وقيل صدوا الناس عن دين الله الاسلام انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس ما عملوا بصدهم الناس عن دين الاسلام ومتابعة محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة هذا قد ذكرنا اولئك هم المعتدون فى نقض العهد والاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذى جعل لهم وقوله عز وجل فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين قال بعض اهل التاويل ابصروا الى كرم ربكم وجوده قوم قد افتروا على الله كذبا وكذبوا رسول الله وهموا بقتله واخراجه من بين اظهرهم وطعنوا فى دينهم وعملوا كل بلية من نصب الحروب والقتال فيما بينهم ثم انه وعدلهم بالتوبة المغفرة والتجاوز عما كان منهم بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وجعل فيما بينهم الاخوة والمودة بقوله فاخوانكم فى الدين وقال وجعل بينكم مودة ورحمة وقال اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وغير ذلك من الايات وفيه اذ كان له مكان الاخر دب وجفاء فاذا رجع عن ذلك وتاب لزمه ان يجاوز عنه وان لا يذكر بعد ذلك ما كان منه الذنب على ما جعل الله فيما بين هؤلاء الاخوة والمودة اذا تابوا وقال فاخوانكم فى الدين وقد كان منهم ما كان ومن حق الاخوة ان لا يذكر ما كان منهم من المساوى ثم قوله فان تابوا من الشرك وما كان منهم وقوله عز وجل واقاموا الصلوة واتوا الزكوة يحتمل قوله اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وجهين يحتمل الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة المعروفة زكوة المال وهو ما ذكرنا فيما تقدم من الاقرار لهما والاعتقاد ويحتمل قوله القبول لذلك دون فعلها وهو فى الكبراء والقادة الذين كانوا يانفون عن الخضوع لاحد ولا يؤدون الزكوة ولا يتصدقون لما ظنوا انهم مخلدون فى الدنيا اشفاقا على انفسهم ويحتمل ان يكون المراد من الصلوة والزكوة الخضوع والخشوع لا الصلوة المعروفة والمراد من الزكوة زكوة النفس واصلاحها فان كان هذا فهو لازم فى الاوقات كلها من وقت الاول له على كل احد الخضوع والخشوع له ويزكى نفسه ويصلحها وهو كقوله قد افلح من زكيها وقوله عز وجل ونفصل الايات لقوم يعلمون اى نبين الايات لقوم يعلمون ينتفعون بعلمهم ويحتمل لقوم يعلمون اى لقوم اذا نظروا فيها وتدبروا يعلموا لا للقوم لا يعلمون وقوله عز وجل ان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم يحتمل قوله ايمانهم العهود نفسها كقوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ثم ذكر العهود ثم قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ويحتمل قوله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ايمانا يحلفون بعد اعطاء العهد توكيدا لئلا ينقضوا العهد اذا عاهدتم نقض العهد ونكثه وقوله عز وجل وطعنوا فى دينكم فى الدين ظاهر وقوله عز وجل فقاتلوا ائمة الكفر اى ائمة الكفر وتخصيص الامر بقتالة الائمة لما ان الاتباع ابدا يقلدون الائمة ويصدرون عن رايهم وتدبيرهم فاذا قاتلوهم اتبع الاتباع لهم والثانى لنفى لشبه ان ليس الائمة منهم كاصحاب الصوامع وان كانوا هم ائمة فى العبادة فلا يترك مقاتلتهم كما يترك مقاتلة اصحاب الصوامع لان اصحاب الصوامع قد عزلوا انفسهم عن الناس عن جميع المنافع وحبسوها للعبادة والائمة ليسوا كذلك والثالث خص الائمة بالقتال لانهم اذا قتلوا لم يبق لهم امام فى الكفر فيذهب الكفر راسا وهو كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ولا بد انهم لا ايمان لهم يحتمل لا ايمان لهم لا عهد لهم بعد نقضهم العهد اذا نقضوا العهد ينقض ذلك ويتركون على النقض ويقاتلون بعد النقض وليس كاهل الذمة اذا نقضوا الذمة لا يتركون ذلك ولكن يردون الى الذمة ولا ينقض الذمة بينهم وقال الحسن قوله لا ايمان لهم يقول لا تصديق لهم وقوله عز وجل ينتهون عن نقض العهد وقوله عز وجل الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم اى كيف لا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وايمانهم ما ذكرنا وهو حرف الاغراء على مقاتلة من اعتقاد نقض العهود والتحريض

عليهم

عليهم وهموا باخراج يحتمل قوله وهموا باخراج الرسول القتل اى هموا بقتله وفى القتل اخراجه وهموا اخراجه من المدينة على ما ذكر فى بعض القصة ان اليهود قالوا لرسول الله ان كان الانبياء والرسل بيت المقدس لا المدينة فانتقل اليه وفى الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا فى انفسهم وفيما بينهم اخراجه وقتله لا انهم اظهروا ذلك ثم اخبرهم بذلك دل انهم انما علموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل وهم بدؤكم اول مرة يحتمل قوله وهم بدؤكم اول مرة فى نقض العهد اى هم بدؤكم بنقض العهد ويحتمل هم بدؤكم بالقتال اول مرة والاخراج وقوله عز وجل اتخشونهم فالله احق ان تخشوه اى لا تخشونهم واخشوا الله فانهم لا يقدرون ان يصل اليكم نكبة الا باقدار الله اياهم فلا تخشوهم فاخشوا الله ويحتمل قوله اتخشونهم فالله قادر ان ينصركم على عدوكم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين اذ هو قادر على منعهم عنكم ونصركم عليه وقوله عز وجل قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم الاية علم الله عز وجل كراهة القتل وثقله على الخلق فامر المؤمنين بمقاتلة الكفرة ووعد لهم النصر والتعذيب بايديهم يحتمل وجهين يحتمل القتل والاهلاك ويحتمل الاسر والسبى ويخزهم يحتمل ايضا وجهين ويحتمل الهزيمة والاذلال ويحتمل قوله يخزيهم فى الاخرة كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته الخزى هو العذاب الذى فيه الفضيحة والذلة وفى قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم دلالة نقض قول المعتزلة لقولهم ان لا قدرة لله على افعال الخلق وقد اخبر انه يعذبهم بايديهم ولو كان غير قادر على فعلهم كان يعذبهم بيده لا بايديهم وينصركم عليهم وقد يقال النصر عليهم والظفر وخزى الكفرة وهو ما ذكر قل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا دلالة نقض قولهم لانه اخبر انه يصيبهم العذاب من عنده او بايدى المؤمنين لما ذكرنا وقوله عز وجل ويشف صدور قوم مؤمنين يحتمل ان يكون قلوبهم توجعت وتالمت بكفرهم بالله وتكذيبهم الرسول فوعد لهم شفاء صدورهم وذلك يحتمل وجهين احدهما انهم يسلمون فيصيرون اخوانا فيدخل فيهم السرور والفرح بازاء ما حزنوا وتالموا وذلك شفاء صدورهم والثانى يشف صدورهم بالقتل والهزيمة يقتلون ويهزمون ففى ذلك شفاء صدورهم لما تالمت وتوجعت بالتكذيب وبالكفر بالله وباياته وقوله عز وجل ويذهب غيظ قلوبهم هذا يحتمل وجهين يذهب الغيظ الذى كانوا فى قلوبهم غيظا عليهم بالذى ذكرنا وقوله عز وجل ويتوب الله على من يشاء اى من شاء عذب ومن شاء تاب عليه وفى الاية دلالة الرد على المعتزلة لانهم يقولون شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون فاخبر انه يعذب بعضا ويتوب على بعض فانما شاء ان يعذب غير الذى شاء ان يتوب غير الذى شاء ان يعذب والله عليم اى عليم بما كان ويكون اى عن علم بما كان منهم خلقهم لا عن جهل اذ خلقه اياهم لنفس المنافع لنفسه وحاجته انما خلقهم لحاجتهم ومنافعهم حكيم وضع كل شئ موضعه ويحتمل عليم بما كان من هؤلاء من التكذيب لرسول الله والكفر باياته حكيم اى ما جعل عليهم من القتل والتعذيب والخزى كان وضع الشئ موضعه وقوله عز وجل ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وايضا قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله الم احسب الناس ان يتركوا الاية هذه الايات كلها فى المنافقين الذين اظهروا الايمان باللسان وذا المؤمنين الذين حققوا الايمان واخلصوا الاسلام والموافقة لهم فقال ام حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم من الايمان باللسان فلا تبتلون بالقتال فعلى الله تعالى القتال مع الكفرة والله اعلم وامرهم لمعنيين احدهما تطهير الارض من الكفرة كقوله تعالى قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والثانى امتحانا للمنافقين ليتبين نفاق من اظهر الايمان باللسان امرات وصدق من اظهره حقيقة ليعرف المحقق المخلص من المنافق المرائى لان القتال هو من ادفع اعلام يظهر بالنفاق المنافق لانهم انما كانوا يظهرون الموافقة طمعا لهم الدنيا ليستنموا المنافع التى كانوا ينتفعون بها حتى الامر بالقتال لخوف الهلاك فاذا خافوا الهلاك على انفسهم امتنعوا عنه كقوله قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية خوفا واشفاقا على انفسهم لما ذكرنا انهم انما كانوا يظهرون بالايمان باللسان ليسلم

ما طمعوا من المنافع كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية هذا وصف المنافق واما
المؤمنون المحقق للايمان المخلص للاسلام فانه يسلم نفسه لله من جميع احواله وان كان
فيه تلف نفسه لما لم يكن عبادته لله على حرف ووجه كالمنافق ولكن على الوجوه كلها
والاحوال جميعاً عبادته تكون لله لا يمنعه خوف الهلاك عن القتال بل نفسه لتسخو
لذلك وترضى ولا كذلك المنافق وذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يكون على الايجاب
والالزام ثم قوله ام حسبتم يحتمل وجهين احدهما اى قد حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم من
الموافقة في الخلوف في السر ولا تبتلون وتمتحنون ما يظهر عنكم لما اضمرتم فلا تحسبوا ذلك
والثاني ام حسبتم اى تحسبوا ان تتركوا على ذلك ولا تمتحنوا بالجهاد والقتال احد
الثاوبلين يخرج على النهى والثاني على الاخبار عما حسبوا وعما عندهم ثم قوله ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم اى ليعلم من قد علم انه يجاهد مجاهداً ويعلم ما قد علم انه يكون كائنا
لا على حدوث علم بذلك اذ هو موصوف ما يعلم بكل ما يكون في وقت ما يكون على ما يكون
فيكون قوله ليعلم المجاهدين من كذا وليعلم الصابرين من كذا اى ليعلم من قد علم انه يجاهد
مجاهداً وليعلم ما قد علم ويكون كائنا لانه لا يكون كائنا لانه لا يجوز ان يوصف الله بالعلم
بما ليس يكون انه يعلم كائنا كما لا يجوز ان يوصف انه يعلم من الجالس القيام من حال الجلوس
ومن المتحرك السكون في حال الحركة ومن المتكلم السكوت في حال كلامه انما يوصف بالعلم على
الحال التي الخلق عليه لا يوصف بالعلم في حال غير الحال التي هو عليه والله الموفق ويحتمل هذا
وجها اخر انه انما اضاف العلم الى نفسه كان المراد منه اولياؤه كقوله ان تنصروا الله ينصركم
اى ان تنصروا اولياء الله ينصركم وان تنصروا دينه ينصركم او ان تنصروا رسوله ينصركم
نحو ذلك قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اى يعلم اولياء الله المنافق المرائي
والمؤمن المحقق المخلص وليتبين لهم وكقوله يخادعون اى يخادعون اولياءه والله لا يخاد
ولا ينصر اذ هو ناصر كل احد ولا يخفى عليه شيء وعالم بما يكون في وقت ما يكون او ان يكون
المراد من العلم الذى ذكر المعلوم وذلك جائز في اللغة وفي القران كثير **وقوله** عز وجل ولم يتخذوا
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اى لم يجدوا ملجأ يلجؤون اليه من الله دون الله
ما ذكر ولو وجدوا ذلك لاتخذوا ذلك ولكن لما لم يجدوا لم يتخذوا كقوله يحلفون بالله
انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ الاية يخادون اليه ولو
لو ولا يظهرون ذلك **وقوله** عز وجل وليجة وقال بعض اهل الادب الوليجة البطانة
من غير المسلمين واصلها من الولوج وهو ان يتخذ الرجل من المسلمين رجلا من المشركين وخليطا ووداً
وجمعه الولائج وقال البعض الوليجة اصلها من الدخول كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط يقال
ايضا فلان وليجة اى خاصة وقال بعضهم الوليجة الخيانة وقال بعضهم الوليجة ما يلجأ و
قال بعضهم كل شيء ودخلته في شيء منه فهو وليجة وبعضه قريب من بعض والله خبير بما تعملون
هو الخبير **وقوله** عز وجل ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر قال
بعض اهل التاويل نزلت الاية في العباس بن عبد المطلب انه اسر يوم بدر فاقبل ناس من المهاجرين
والانصار منهم على بن ابي طالب وغيره فعيروه بالكفر بالله والقتال مع النبي وقطيعة
الرحم فقال اما انكم تذكرون مساوينا وتذكرون محاسننا فقالوا ولكم محاسن قال اي والله
انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب البيت ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله رداً عليه لكن في اخر
الاية دلالة انه لا يحتمل ان يكون في العباس على ما قالوا لانه قال اولئك حبطت اعمالهم في
في الدنيا والاخرة وفي النار هم خالدون والعباس قد اسلم من بعد فلا يحتمل هذا التوعيد
بعد الاسلام وقال غيرهم من اهل التاويل وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله
اى كان بالمشركين عمارة مساجد الله انما كان بهم خراب مساجد الله ان المساجد انما تعمر
بالذكر فيها والصلوة واقامة الخيرات كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
الاية وهم لم يعمروها لذكر اسم الله فيها انما عمروها لذكر الاصنام والاوثان فكان بهم

خراب المسجد لا العمارة وقال بعضهم قوله ما كان ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله على
ما عندهم لان الذى منعهم عن الايمان بالله حبهم الدنيا وسيلهم اليها مما ينبغي لهم ان يعمروها
وينفقوها ويضيعون اموالهم فيها ولا ينتفعون منعهم عن التوحيد والايمان حبهم الدنيا
وشهواتهم وحبهم اليها فعلى ما عندهم ما ينبغي لهم ان يعمروها وقال بعضهم قوله وما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله اى ما كان على المشركين ان يعمروا مساجد الله لانهم لا ينتفعون
بها في الاخرة لانهم لا يؤمنون بالاخرة وانما يقصدون بعمارة المساجد والانفاق عليها
الثواب في الاخرة وهم لا يؤمنون بها فتضيع نفقتهم في ذلك اذ لا مقاصد لهم ولا منفعة
انما ذلك على المسلمين ويجوز له بمعنى عليه كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم
فلها اى فعليها وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله يحتمل هذا اى ما كان بالشرك
عمارة مساجد الله انما يكون عمارته بمن امن بالله واليوم الاخر لا بمن اشرك بالله وكفر بالاخرة
وقوله عز وجل شاهدين على انفسهم اى نفس محمد ومن امن معه سماهم انفسهم لانهم من قرابتهم
وارحامهم وقد سمى الله المتصلين بهم بذلك كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم وقوله فسلموا
على انفسكم فعلى ذلك الاول يحتمل ما ذكرنا او شاهدين على انفسهم بالكفر عند الضرورات عند
نزول العذاب بهم وعند الهلاك كقوله فلما راوا باسنا الاية وغير ذلك من الاحوال التي كانوا
يقرون بالكفر يرجعون عند شهدوا عليهم بالكفر وقال بعضهم قوله شاهدين على انفسهم
بالكفر اى انفسهم تشهد بالكفر عليهم لان خلقتهم تشهد على وحدانيته ثم انفسهم تشهد على
فعلهم بالكفر وهو ما قال بل الانسان على نفسه بصيرة اى بيان من نفسه والله اعلم
وقوله عز وجل اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة الى اخر الاية في قوم ماتوا على الكفر
عز وجل انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر الوجوه التي ذكرنا في قوله ما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله انهم وان لم يكن عليهم فذلك كله على المسلمين اى عليهم
عمارة المساجد وبهم يعمر المساجد ولهم ينبغي ان يعمروا واقام الصلوة وايتاء الزكوة قد ذكرنا
فيما تقدم **وقوله** عز وجل ولم يخش الا الله قال بعضهم هو صلة قوله اتخشونهم فالله احق
ان تخشوه ان كنتم مؤمنين امر ان يخشوا الله ولا يخشوا غيره ثم ذكر هاهنا من امن بالله
واليوم الاخر واقام الصلوة فيذكره ولم يخش الا الله وقال بعضهم الخشية العبادة كانه
قال ولم يعبد الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب اى كانوا
مهتدين **وقوله** عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
في الاية اضمار فعل او فاعل لكن يصح المقابلة لانه انما يقابل فعل بفعل وفاعل بفاعل لا يقابل فعل
بفاعل ولا فاعل بفعل فهاهنا ذكر السقاية وعمارة المسجد مقابل من امن بالله فهو والله اعلم اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد كايمان من امن بالله واليوم الاخر او ان يقال اجعلتم القائم باصلاح شان
الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله ليكون مقابلة شخص لشخص او فعل بفعل ثم لا يصح ان يجمع بين
والمؤمن فيقال لا يستويان عند الله وان كان الكافر قد اتى بالمحاسن او ان يقال ليس من فعل محاسنا
في حال كفره ثم امن من بعده كمن فعل محاسنا. وهو مؤمن هذا لا يجوز ان يجمع فيقال لا يستوون
عند الله واما الكافر الذى مات على الكفر وان عمل خيرات والمؤمن الذى عمل الصالحات ثم
على ذلك فيجمع فيقال لا يستويان فلا او ان يقال بالجهاد الذى ذكر لا يستوي من بذل نفسه
للقتل والتلف كمن سقى الحاج وعمر المسجد الحرام ولم يبذل نفسه لذلك فاما ان يقال
لا يستوي الكافر والمؤمن فذلك غير محتمل لانه انما يقابل الشيء بالشيء اذا قرب بعضه من بعض
واما عند البعض منه فلا يقابل **قوله** عز وجل والله لا يهدى القوم الظالمين ما داموا في ظلمهم
وما داموا اختاروا الظلم لا يهديهم وقت اختيارهم الظلم او لقوم مخصوصين وقد ذكرنا
معناه في غير موضع **وقوله** عز وجل الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله قوله امنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله قوله امنوا اى صدقوا رسول الله في جميع ما اخبر عن الله
انه صادق في جميع ما دعا اليه وامرهم به ونهاهم عنه انه يحق لا كما لا مؤمنين بالله كقولهم

ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله كانوا مؤمنين بالله
لكنهم يكذبون للرسل ورسالتهم اى فارقوا الاباهم واخوانهم وعشيرتهم واموالهم ومنازلهم
وبلوهم هاجروا جميع ما تحبه انفسهم وتهواه وتميل اليه القلوب ما ذكر فى الاية التى تتلو
هذه الاية فارقوا ذلك الكل اشفاقا على دينهم ليسلم ما لو اعطوا قبل الاسلام الدنيا وما فيها
اذا وعدوا بكل وعيد وخوف ما فارقوا اباهم واخوانهم وعشائرهم واولادهم الذين ذكروا
فى الاية ثم اذا اسلموا فارقوهم واجابوا رسول الله فى ذلك ابتغاء مرضات الله وطلبا لرضوانه
ليعلم عظيم قدر الذين فى قلوبهم وخطر منزلة عندهم ليعلم ان محن اصحاب رسول الله اعظم واشد
من محننا لان محنتهم كانت على خلاف عادتهم وخلاف ما طبعوا لان الانسان مطبوع على حب ما
ما ذكرنا مجبول عليه فهم مع ذلك تركوا وفارقوا ذلك وتحملوا كراهة ذلك ابتغاء مرضات
ربهم واما محننا فانها على سبق من العادة فهو اهون وايسر وقوله عز وجل وجاهدوا فى سبيل الله
باموالهم وانفسهم اى بذلوا بالله الذ الاشياء واحبها من الاموال والانفس وقوله
عز وجل اعظم درجة عند الله قال بعض اهل التاويل من صدق بتوحيد الله وهاجر الى المدينة
وجاهد العدو باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من الذى افتخر بعمران البيت وسقاية
وهم كفار وكذلك قالوا فى قوله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله
واليوم الاخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله ولكن الوجه فى ذلك عندنا ومعنى
المقابلة اولئك الذين اعظم درجة عند الله من الذين اسلموا ولحقوا اولئك وقوله عز وجل
واولئك هم الفائزون الفوز هو الظفر فى اللغة اى اولئك هم الفائزون بنعيم الله وكرامته
والناجون عن عذاب الله ونقمته يبشرهم ربهم برحمة منه يحتمل قوله يبشرهم ربهم برحمة منه
اى بالنصر لهم فى الدنيا والظفر لهم على عدوهم كقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم الى اخر ما ذكر كله انما كان برحمته ويحتمل الثواب لهم فى الاخرة والكرامة
وقوله عز وجل ورضوان اى يبشرهم ايضا ان ربكم يمسكم راض وجنات لهم فيها نعيم مقيم
دائم وكرامة خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قال الحسن ما سمى الله عظيما فهو
عظيم لا يدرك عظم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان
استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك الظالمون يحتمل الولاية الموافقة لهم
فى الحقيقة فى الدين ومن تولاهم فى الحقيقة فهو منهم وهو ظالم لا شك فان كان هذا
فهو ظالم لا شك فلم يكن لقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون معنى ويحتمل الولاية
اظهار الموافقة لهم فى الظاهر على غير حقيقة لكن اظهار على غير حقيقة يباح فى حال الاضطرار
عند خوف الهلاك وذهاب النفس فيجوز ان يكون قوم اسروا الايمان فى انفسهم وكتموه
ويظهرون الموافقة لهم فى الظاهر اشفاقا على دينهم وخوفا على انفسهم فيباح لهم ذلك
لما ذكرنا فلما ان جعل الله الهجرة وجعل للمؤمنين ماوى وانصارا ويلجاون ويادون اليهم
لم يعذروا فى اظهار الموافقة لهم وان كانوا فى السر ليسوا على دينهم لما ذكرنا فهذا يدل
على ان من اجرى كلمة الكفر على لسانه فى غير اضطرار يصير كافرا على ما جعل هؤلاء اولياء
الكفرة حقيقة ظلمة مثلهم اذا تولاهم فى الظاهر وان لم يكونوا فى الحقيقة كذلك وهذا
الشبه وهو ما قال عز وجل ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم الاية لم يعذروا فى
تركهم الهجرة فعل ذلك هؤلاء اذا اظهروا الموافقة لهم بعد ما جعل لهم الماوى و
والانصار وهو فى الحقيقة كذلك نهانا عن موالاة الكفرة جملة بقوله لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقال لا تتخذوا عدوى
وعدوكم اولياء هذا النهى لنا فى جملة الكافرين ثم نهانا عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء
ثم نهانا ان نتولى المتصلين من الاباء والامهات وغيرهم من القرابات لما يقع الشبه فى
موالاة المختصين بهم تخص النهى عنه وكذلك فى تخصيص اليهود والنصارى لما بينا و
بينهم موافقة فى التوحيد والكتب تخص النهى فى ذلك ثم الولاية التى نهانا عنها

يجرح

يجرح على وجوه احدها المودة والمحبة اى لا تودوهم ولا تحبوهم والثانى ان لا تتخذوهم موضع
سرنا وبطانتنا كقوله لا تتخذوا بطانة الاية والثالث ولاية الطاعة لهم اى لا تطيعوهم كقوله
لا تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم الاية وقوله ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم
نهانا ان نحبهم ونودهم ونهانا ايضا ان نتخذهم موضع سرنا ونفشى لهم سرائرنا ونهانا ان
نطيعهم فيما يدعوننا اليه ويشيرون والله اعلم للخلاف الذى بيننا وبينهم فى الدين وقوله
عز وجل ان استحبوا الكفر على الايمان اى اختاروا الكفر على الايمان والمحبة هاهنا محبة الاختيار
والايثار وقوله عز وجل قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
هو مقابل قوله الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم الى اخره
وقوله عز وجل ان كان اباؤكم وابناؤكم وما ذكر اى ان كان طاعة هؤلاء ورضاهم احب اليكم
من طاعة الله وطاعة رسوله ورضاه واحب من جهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره
هو حرف وعيد اى انتظروا حتى ياتى الله بامره اى بعذابه قال اهل التاويل حتى ياتى بامره
فى فتح مكة ودل ما ذكر فى قوله ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
على ان المراد من قوله لا تتخذوا اباءكم الاباء والابناء جميعا واخوانكم الاخوان وجميع المتصلين
بهم دليله ما ذكر فى اخره حيث قال ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
ذكر الابناء والازواج والعشيرة والله اعلم وقوله عز وجل واموال اقترفتموها قال بعضهم
اكتسبتموها وقال ابو بكر الاصم واموال اقترفتموها اى اموال جعلتموها حلالا وحراما ويقولون
الله اذن لنا فى ذلك كقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من اذن فجعلتم منه حراما ويقولون
الله اذن لنا فى ذلك وقوله عز وجل وتجارة تخشون كسادها كانوا يخشون فواتها وذهابها
لا الكساد اذ فى الهجرة تركها راسا وقوله عز وجل لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم
حنين اى نصركم فى مواضع كثيرة كان فزعكم الى الله تعالى ونصركم يوم حنين ايضا بعد ما هزمكم
العدو وباعجابكم الكثرة بصرفكم الفزع الى الله ونصركم ايضا يوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا يعنى الكثرة يذكرهم عز وجل منه عليهم وفضله ان النصرة والظفر
متى كان انما كان بالله لا بكثرتهم وقوتهم لانه لو كان بالكثرة والقوة لم يكن للمسلمين كثرة
وقوة ما كان يوم حنين ثم كانت الهزيمة عليهم فى الابتداء لاعجابهم الكثرة واعتمادهم بها
ليعلم ان النصرة والظفر انما يكون بالله لا بالقوة والكثرة لئلا يعتمدوا على الكثرة ولا يتكلوا اليها
فان قيل قد امرنا باخذ العدة والقوة ما استطعنا بقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
الاية فانما امرنا بما يحببنا فى معنى النهى عن الاعجاب بالكثرة والقوة وكذلك نهانا عن الاسى على ما
فاتنا ونهانا ان نفرح بما يؤتينا وقد كلفنا الشكر لما اتانا والصبر على ما فات منا فلو لم نفرح بما
اتانا لم يلزمنا الشكر ولا الصبر بما فاتنا فما معناه والله اعلم انه نهانا ان نفرح بما يؤتينا
لنفس الايتاء ونتاسى لنفس ما يصيبنا ويفوتنا انما علينا ان نفرح بفضل الله ومنته الذى من
علينا وخصنا به وعلى ذلك نشكره وعلى ذلك الصبر بما يصيبنا ويفوتنا لما جعل لنا لذلك ثوابا
فى الاخرة واجرا عظيما وكذلك الكثرة امرنا بها فاذا اتانا ذلك يعجبنا فضل الله ومنته فى ذلك
الكثرة لا الكثرة لنفسها والقوة والله اعلم فان قيل الاعجاب بالكثرة كان من بعضهم لا من الكل
فكيف هزم الكل وكذلك العصيان يوم حنين انما كان من بعض كيف عاقب الجميع قيل لان له ان يتلف
الكل ابتداء الا ترى فى امره الواحد القيام لاثنين ثم فى الامر بالجهاد امر على غير وسع ولا كد
فى سائر العبادات لانه امر الواحد القيام لاثنين منهم وليس فى وسع احد القيام لاثنين منهم
ليس فى وسع احد القيام لاثنين فهو والله اعلم لما ان له ان يكلف قتل انفسهم واتلافها الا
ترى انه قال ولو انا كتبنا عليهم الاية ولو لم يجز له ان يكتب قتل انفسهم لم يكن ليذكره ذلك
ان ذلك له وان له ان يميتهم ويهلكهم فمن ذلك ان يامر بقتل انفسهم فاذا كان له ذلك اذ
فى وسعهم قتل انفسهم فمن ذلك انه يكلف الواحد القيام لاثنين ولعدو وان كان فى ذلك
تلف انفسهم وكذلك امرنا بمجاهدة الشيطان عدونا واخبر انه يرانا ولا نراه بحق له انه يرى

هو وقبيله من حيث لا ترونهم والمحاربة مع عدو لا نراه وهو امر صعب شديد لكن الله علمنا
اسباب ما نحارب معه ونجاهده فنغلبه وقال في الشياطين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الاية علمنا اسبابا نقاتل
بها الشيطان فنغلبه ونقهره وما ذكر من ذكره لا يقوم هو لذلك وكذلك قال في العدو الذي
نراه من البشر حيث قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقال واصبروا ان الله مع
الصابرين قد علمنا اسباب الجهاد معه واعلمنا الحيل التي تجوز للواحد القيام لاثنين فصاعدا
بالحيل واذا لم يكن له الوسع به بالقوة نفسها ثم الفرق بين الجهاد وبين غيره من العبادات
لما يحتمل ان جعل الله الجهاد اية من ايات الحق والرسالة ليعلم الخلق ان النصر والظفر كان
بالله لا بغيره ليظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل والله اعلم وقوله عز وجل وضاقت عليكم
الارض بما رحبت هذا على التمثيل يقال عند شدة الحزن والغضب وعند بلوغها ضاقت عليهم
الارض بما رحبت يقال ذلك لسعة الارض في اوهام الخلق وقوله عز وجل ثم انزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين قال بعضهم السكينة الملائكة كقوله وما جعله الله الا بشرى
لكم ولتطمئن قلوبكم الاية وقال بعضهم انزل سكينته اي نصرته وقيل وقاره ورحمته وقيل
طمانينة واصله سكنت قلوبهم واطمانت بعد شدة الخوف والحزن باي وجه ما تسكن
بالملائكة او بغيره فاسكن قلب رسول الله لما اشتدت عليه رجوع اصحابه ومفارقتهم اياه
وانزل جنودا لم تروها وهم الملائكة وعذب الذين كفروا بالقتال والهزيمة وذلك جزاؤهم
وفي قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين دلالة نقض قول المعتزلة لانه
سماهم مؤمنين بعد ما كان منهم التولي لم يخرجهم من الايمان على ما قال وقوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اختلف فيه قال
بعضهم النهي عن دخول المسجد الحرام نفسه وعندنا ان النهي عن دخول المسجد الحرام نهي
عن دخول مكة نفسه للحج واقامة العبادات دليله وجوه احدها قوله بعد عامهم
هذا ولو كان لدخول المسجد لكان ذلك العام احق عن المنع في دخوله في غيره والثاني
قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وخوف العيلة انما يكون عن دخول
مكة لانه لو كان النهي عن دخول المسجد الحرام نفسه لكان لا خوف عليهم في ذلك لانهم
يحضرون ويدخلون مكة للتجارة فلا خوف عليهم في ذلك والثالث ان يقال انه ذكر المسجد الحرام
لما انهم كانوا يقصدون البيت والحج به فيكون النهي عن دخول المسجد نهيا عن الحج نفسه
وهو ما روي في الخبر انه بعث عليا في الموسم وامره ان ينادي في الناس ان لا يدخل الجنة الا نفس
مؤمنة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله الى مدته فاذا مضى مدته فانه بريء من
المشركين ولا رسوله ولا يطوفون بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك فالنهي الذي ورد عن
دخول المسجد انما نهي عن الحج نفسه لان البيت هو الذي يقصد له الا ترى انه قال ولله على الناس
حج البيت الاية وقال فمن حج البيت او اعتمر الاية وقال وليطوفوا بالبيت العتيق وهو المقصود
بالحج في الاسلام والكفر جميعا فعلى ذلك يخرج النهي لكن ذكر المسجد لان البيت فيه فاذا كان
ما ذكرنا فان شئت فاجعل اخر الاية تفسير اولها قوله فان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله
وهو ما ذكرنا ان النهي لو كان لدخول المسجد نفسه دون غيره من البقعة لكان ليس عليهم
خوف العيلة لانهم يدخلون مكة ويتجرون فيها ولا يدخلون المسجد وان شئت فاجعل اول الاية
تفسير اخرها وهو قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو ما ذكرنا فاذا كان ما ذكرنا
دل ان المشرك لا يدخلوا المسجد الحرام وخبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه ايضا يدل على ذلك
فاما من كان من اهل الذمة والعبيد منهم فليسوا والله اعلم بداخلين في الاية انهم كانوا ممن
لا يحج فان قيل فقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه نادى الا لا يدخل الحرم مشرك
ولم يذكر الحج قيل له روي عنه انه قال ناديت ان لا يحج بعد العام مشرك فيكون قوله لا يدخل
الحرم مشرك على الحج على ما ذكرنا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقرب

المشركون

المشركون المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا ان يكون عبدا وامة يحتمل استثناء العبد والامة لان العبد
لا يدخل للحج ولا لاقامة العبادة انما يدخل لخدمة المولى اذا كان مسلما وفي بعض الاخبار الا احد من
اهل الذمة وعن جابر بن عبد الله موقوفا كذلك او احد من اهل الذمة وفيه دلالة لقول ابي حنيفة
ان لا باس للكافر ان يدخل المسجد وقال ارايت لو اراد ان يسمع كلام الله ليؤمن فيمنع عن ذلك
ويلزم المنع ايضا ان ذلك المشرك فيسمع كلامه فيكون الامر بالابلاغ المامن لذلك المشرك الامام دل
انه لا باس بذلك وقد ذكرنا ان ليس في ظاهر الاية دلالة النهي عن دخول المسجد بل المراد من ذكر المسجد
ما ذكرنا من الحج واقامة العبادة لغير الله الا ترى الى قول الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس
سواء العاكف فيه والباد وان سبيل مكة كلها هذا السبيل وكذلك قوله ثم محلها الى البيت
العتيق والحرم كله منحرا الا ان المعنى في ذلك والله اعلم ما ذكرنا ان لا يدخل المشركون حجاجا الا ترى
انا لا نعلم ان المشركين لم يزالوا مقيمين في الحرم بعد النداء ولم يخلوا عنه ومما يدل على ذلك ايضا قول
الله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم فان كان يعني به موضع
العهد فان ذلك العهد يوم الحديبية عند الشجرة فقد صار ذلك من المسجد الحرام وهو في
المسافة بعيد منه الذين عوهدوا فانهم كانوا يوم بدر بادي علي رضي الله عنه فذلك خارج
من مكة لان اهل مكة قد كانوا قبل ذلك حين فتحها النبي فحاضر المسجد الحرام هم من كانوا خارج مكة
في الحرم انما قوله وقوله لا يقرب المسجد الحرام مشرك يخرج على وجوه احدها لا تدعوهم يقربوا المسجد
الحرام والثاني قولوا لهم لا تقربوا المسجد الحرام والثالث على البشارة اي اذا قدمتم لهم ذلك فلا يقربون
بعد ذلك وقوله عز وجل انما المشركون نجس اي افعال المشركين نجس والعبادات التي ياتون فيها
نجس وهو ما ذكر حيث قال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان سمى عمل
الشيطان رجسا فعلى ذلك العبادات التي يقيمونها نجسة فالنهي عن الحج نهي عن اقامة العبادات
لغير الله لان تلك البقعة نزهت عن اقامة العبادة لغير الله ثم اختلف فيه قوله انما المشركون
نجس قال بعضهم هو نجس الافعال وقال بعضهم هو نجس الاموال والاشبه ان يكون النجس
الافعال لان قوله انما المشركون نجس يخرج مخرج الذم ولا يحتمل ان يذموا ويشتموا بنجاسة الاحوال
دل انه انما لحقهم ذلك الذم بما اكتسبوا من الافعال المذمومة وهو كقوله انما الخمر والميسر
والازلام رجس من عمل الشيطان اخبر ان عمل الشيطان رجس ونجس فعلى ذلك جائز ان يكون
قوله انما المشركون نجس اي نجسة الافعال لان ذلك من كسبهم فاستوجبوا المذمة لكسبهم
واما الاحوال فلا صنع لهم فيها وقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قيل
خافوا من العيلة لما نفي المشركون من مكة لان معايش اهل مكة انما كان من الافاق كان سعتهم
وتجاراتهم لكن الله وعد لهم السعة والغناء بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال
بعضهم دل قوله ان شاء على انه انما وعد لهم الاغناء في بعض الاوقات وقال بعضهم قوله ان
شاء كان من رسول الله لانه امر رسوله انه يغنيهم ان شاء او هو مامور ان يستثني في جميع
ما يعد كقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ويحتمل ان يكون قوله
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء بهؤلاء الذين نفوا عنه لانه حبب اليهم التجارة والمكاسب
وما ينالون الارباح بها لحملهم ذلك على الاسلام مسلمون فيدخلون فيها لحملهم حب التجارة
على الاسلام فيكون لهم بهم غنى كما كان يحملهم حب التجارة والربح عن الهجرة وقوله وتجارة تخشون
كسادها فعلى ذلك الاول وقال بعضهم قوله فسوف يغنيكم الله من فضله الجزية التي ذكرها في الاية
التي بعد هذه وقوله عز وجل ان الله عليم بما اضمروا من خوف العيلة او عليم بما لهم وعليهم وبمن يكون
لهم الغنى حكيم في امره وحكم وان خفتم عيلة دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه
معلوم انهم اضمروا ذلك في انفسهم ثم اخبرهم رسول الله بذلك دل انهم علموا انه انما عرف
ذلك بالله وقوله عز وجل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية ذكر اهل الكتاب
اليهود والنصارى واخبر انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وهم في الظاهر يقرون
بوحدانية الله وباليوم الاخر في المعنى منه قبلهم وان امنوا في الظاهر بالله واليوم الاخر

فانما يؤمنون باله له ولد كما ذكره على اثره وهو قوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله فالايمان باله له ولد ليس بايمان بالله فهم غير مؤمنين وكذلك امنوا بالبعث
واليوم الاخر ولكن لم يؤمنوا بالموعود في الاخرة فالايمان باليوم الاخر بغير الموعود فيه ليس
بايمان به او ان يقال انهم وان اقروا بما ذكرنا وامنوا به فقد استحلوا اشياء حرمها الله عليهم
وحرموا اشياء احلها الله لهم ومن امن بالكتب كلها والرسل ولم يؤمن بما نزل منها او برسول
منهم فهو غير مؤمن بالله واليوم الاخر ولا مصدق له وقوله عز وجل قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر الاية فان قال لنا ملحد انكم تقاتلون الكفرة للكفر ثم اذا اعطوكم شيئا من
المال تركتم مقاتلتهم فلو كان قتالكم اياهم لذلك لا يطمع في الدنيا لكنتم لا تتركون مقاتلتهم
لشيء يبذلونكم ولو كان كذلك لو كانت المقاتلة للكفر نفسه لكان النساء في ذلك والرجال
سواء اذ هم في الكفر شرعا سواء اذهم وقالوا لو كانت المقاتلة للكفر نفسه لكان النساء
في ذلك والرجال سواء اذ هم في الكفر شرعا سواء وقالوا لو كانت المقاتلة معهم لما ذكرنا
وهو حكمه والامر بذلك حكما لكان الناس جميعا في ذلك سواء ولا يتركون احدا بشيء من ذلك
بل يقاتلون ابدا ولا يرضون منهم غيره فيقال لهم انا لن نقاتل الكفرة للكفر ولكنا ندعوهم الى
الاسلام فان اجابوا الى ذلك والا قاتلنا ليضطرهم القتل الى الاسلام لهذا ما نقاتلهم لا لشيء
سواه فاذا كان في اخذ الجزية معنى ما ندعوهم الى الاسلام فاذا قبلوا ذلك تركناهم على ذلك
لعلهم يرغبون في الاسلام اذا راوا شرايعنا واحكامنا لو انا تركناهم رغبة فيما ناخذ منهم
وطمعا في ذلك واصله المحنة اذ الدار دار المحنة ليست بدار الجزاء والمحنة تكون بمختلف
الاشياء لا بما تلفها مرة يمتحنهم بالقتال ومرة باخذ الاموال ومرة بالشدائد كقوله ولنبلونكم
بشيء من الخوف الاية وقوله ونبلوكم بالشر والخير وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات
ونحو ذلك فاذا كان ذلك محنة لا جزاء اجاز بذلك وكان ذلك حكمة وانما قولهم بانا نقاتل
الرجال ولا نقاتل النساء ونسترقهن لانهن اتباع للرجال في جميع الاحوال وخدم لهم
فاذا اسلموا اسلمن هذا معروف فيما بينهم اذ هن في ايدي الرجال يفعلون بهن ما شاؤوا
واصله ما ذكرنا ان القتال محنة ليس هو جزاء الكفر اذ الدار دار محنة فله ان يمتحن
بعضا بالقتل وبعضا باخذ المال لا ابدا ولا ذلك ولو كان جزاء لسوى بينهم هو التخليد في النار
ابدا فان قيل ما الحكمة في اخذ الجزية من سائر الكفرة اذا كانوا اهل الكتاب والمجوس وترك
الاخذ من مشركي العرب دين يدينون به يقاتلون عن ذلك الدين ولا لهم اصل يعتمدون
عليه وكتاب يحملون اليه انما هم قوم يقاتلون عن قبائلهم ويتناصرون بهم ولغيرهم من
الكفرة دين يدينون به واصل يعتمدون عليه ويحاجون الناس بالحجاج التي لهم فاذا كان كذلك
امكن اقامة الحجج على هؤلاء والزام البراهين ولا كذلك مشركوا العرب اذ لا دين لهم ينسبون
اليه ومذاهب يدعون غيرهم اليه بالحجاج وامكن في غيرهم لذلك افترقا والله اعلم بذلك
والثاني انهم يتمنون ان تكون لهم رسول من جنسهم يتبعونه فيما يدعوهم اليه ويدين
يجيبونه حتى اقسموا على ذلك واكدوا القول في ذلك كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
الاية ولم يكن من غيرهم من الكفرة ما كان منهم فاذا كان كذلك فهم يقاتلون ابدا حتى يوفوا
ما وعدوا كقوله تقاتلونهم او يسلمون والثالث لفضل رسول الله اذ كان منهم ومن
جنسهم فلا يترك احد في تلك البقعة على غير دينه ويمكن ان يكون وجه اخر وهو ان
مشركي العرب في حد القليل امكن المقاتلة معهم والقيام لهم فلا يرضى منهم الا الاسلام
واما غيرهم من الكفرة في بقاع مختلفة وهم كثير اذا اجتمعوا لم يكن في وسع اهل
الاسلام القيام لهم والقتال معهم فيلحقها المسلمين في ذلك ضرر بين لذلك
كان ما ذكر وقوله عز وجل قاتلوا الذين لا يؤمنون الاية قد ذكرنا انهم وان كانوا
يؤمنون بالله واليوم الاخر عند انفسهم انهم في الحقيقة غير مؤمنين به لان شرط
ايمانهم الايمان بالرسل جميعا والكتب وجميعهم قد تركوا الايمان ببعض الرسل وبعض

الكتب ومن كفر برسول من الرسل او بكتاب من الكتب او يحرف منها كان كافرا بالله وقوله عز وجل
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله يحتمل انهم لا يحرمون تحريفا لكتب وكتمان نعت رسول الله
والله حرم ذلك عليهم او لا يحرمون عبادة الاوثان والله ورسوله يحرم ذلك او لا يحرمون ما
حرم الله ورسوله من الخمر والخنزير والله اعلم وقوله عز وجل ولا يدينون دين الحق وهو الاسلام
لانه دين يوجبه العقول كلها وتشهد خلقة الخلايق كلها او لا يتقون ولا يدينون دين الذي
له الحق انما يدينون بدين الذي لا حق له وهو دين الشيطان وهو ما يدعوهم الى عبادة الاصنام
فيجيبونه والله اعلم وقوله عز وجل حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون يحتمل قوله يعطوا الجزية
اي يقبلوها لا على الاعطاء نفسه وهو ما ذكرنا في قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة هو
على القبول لها لا على الفعل نفسه ويحتمل نفس الاعطاء وهو والله اعلم لما جعلت الجزية لحقن الدماء
نتقدم ليحقن بها الدم وقوله عن يد وهم صاغرون قال بعضهم عن يد اي لا يؤخر قبضها عن وقت
قبولها بل تؤخذ يدا بيد وقال بعضهم عن يد اي عن قهر وغلبة وقيل عن يد اي عن طوع وطيب
وقيل عن جماعتهم لكنا لا ندري ما يعنون بالجماعة وقوله صاغرون قيل ذليلون وهو من الذل
يقال صغر الرجل يصغر صغارا فهو صاغر اي ذل فهو ذليل وقيل صاغرون اي مذمومون وعن ابن
عباس رضي الله عنهما يمشون بها متلبين واصله الذلة وهو الخضوع والله اعلم الذلة التي ذكر
الله في قوله ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما ثقفوا فاذا قبلوا ذلك فقد ذهبوا بالذل والصغار
وقوله عز وجل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية اما اليهود والنصارى ولا خلاف بين اهل العلم
في ان من لم يدن منهم الجزية اخذت منه واقر على دينه واما المجوس فانه يؤخذ منهم الجزية لما روي
عن عمر رضي الله عنه انه قال ما ادري ما اصنع بالمجوس فانهم ليسوا بمسلمين ولا من اهل الكتاب
قال عبد الرحمن بن عوف اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة
اهل الكتاب وفي بعض الروايات اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس
هجر وعن علي ان ابا بكر وعمر اخذا الجزية من المجوس وقال علي بن ابي طالب انا اعلم الناس بهم كانوا
اهل كتاب يقرؤونه واهل علم يدرسونه فنزع بذلك من صدورهم عن ابي ذرين عن ابي موسى وقال
لولا اني رايت اصحابي اخذوا الجزية من المجوس ما اخذتها عن ابي عبيدة ابن الجراح قال كتب النبي صلى
الله عليه وسلم الى المنذر انه قال من استقبل قبلتنا وصلى صلوتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة
الله وذمة رسوله ومن احب ذلك من المجوس فهو امن ومن ابى فعليه الجزية وعلى ذلك مضت الائمة
ولم ينكر احد من السلف حتى قال قوم ان المجوس انما اخذت منهم الجزية لانهم اهل كتاب فاحلوا نكاحهم
ونسائهم وذهبوا الى ما روي عن علي وقال اخرون ليسوا من اهل الكتاب ولكن الجزية يؤخذ منهم اتباعا
لرسول الله سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وما روي عن الصحابة وانه
الهدى ثم المسئلة في تقدير الجزية وروي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه بعث
معاذا الى اليمن فقال له خذ من كل حالم دينارا او عدله معافر وروي عن عمر رضي الله عنه انه بعث
عثمان بن عفان الى السواد وامره ان يضع على اهل السواد الخراج ثمانية واربعين درهما واربعة
وعشرين درهما واثني عشر درهما وفي بعض الروايات انه ضرب على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل
الورق اربعين درهما مع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام واصحابنا يجعلونهم ثلث طبقات
اغنياء واوساطا ومقترا فيؤخذ من الغني الموسر ثمانية واربعين درهما ومن الوسط اربعة وعشرين
درهما ومن الفقير اثني عشر درهما وفي بعض الاخبار اربعين درهما او اربعة دنانير وضيافة ثلاثة
ايام وعشرين درهما ودينارا وهو ما ذكرنا ثمانية واربعين بغير الضيافة وغير مؤنة وما روي
من اربعين درهما او اربعة دنانير مع الضيافة والرزق الذي ذكر في الخبر وهذا من عمر بحضرة
المهاجرين والانصار فلم يات عن احد منهم النكير عليه دلالة فهو كالاتفاق منهم على ذلك ثم لا يحتمل
ان يكون عمر قدر ذلك التقدير راييا منه لان المقدرات والمحدودات سبيل معرفتها التوقيف
والسمع لا العقل فهو كالمسموع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روي عن حديث معاذ بن
امره النبي عليه السلام ان ياخذ من اهل اليمن من كل حالم دينارا فذلك يحتمل ان يكون امر بذلك

لما كانوا اهل ضعف وفقر على ما روى عن عمر فى الضعفاء من اهل مصر والشام وليس هو الحد الذى
لا يلزم اكثر من ذلك لما ذكرنا ان عمر الزم المياسير اكثر من دينار ولم ينكر ذلك احد من الصحابة فدل فعلهم
على ما وصفناه ثم المسئلة فى تمييز اصحاب الطبقات بين الموسر الغنى وبين الوسط والفقير قال بعضهم الفقير
ممن يحترف وليس له ما يجب فى مثله الزكوة على المسلمين وهم الفقراء المحترفون ممن كانت له اقل من
درهم فهو من اهل هذه الطبقة والطبقة ان يبلغ مال الرجال ماتى درهم فقال بعضهم اذا بلغ ماله اربعة
الاف درهم وزاد عليها صار من اهل الطبقة الثالثة واحتجوا من قول ابى طالب رضى الله عنه ذاير
هر حيث قال اربعة الاف فى دونها نفقة وما فوق ذلك كنز وقد يجوزان يجعل الطبقة الثانية
من ملك ماتى درهم الى عشرة الاف درهم وما زاد على ذلك يجعل من الطبقة الثالثة بحديث روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه ابو هريرة قال من ترك عشرة الاف درهم جعلت صفايح
يعذب بها يوم القيمة ثم فى قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر دلالة على
ان الجزية انما تؤخذ ممن يجب ان يقاتل ان لم يبذلها والنساء والصبيان لا يقاتلون و
لا يقتلون ان ظهر بهم فلا يجب ان يوضع عليهم الجزية بدليل الكتاب اذا كان الله انما امر
ان تؤخذ الجزية ممن يقاتل وكذلك فعل عمر والائمة بعده روى ان عمر رضى الله عنه
كتب الى امير الجيوش لا تقاتلوا الا من قاتلكم ولا تقتلوا الصبيان والنساء ولا تقتلوا
الا من جرت عليه المواسى قال والجزية اربعون درهما او اربعة دنانير وفى خبر معاذ
دلالة لذلك حيث قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وامرنى ان اخذ من كل
حالم دينارا او عدله معافير بن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان ياخذ
ذلك من الرجال دون النساء ودون الصبيان فان قيل روى عن معاذ قال امرنى رسول
الله رسول الله ان احد من كل حالم وحالمة دينارا وفى بعض الروايات عنه انه قال ان
احد من كل حالم ذكرا وانثى دينارا فان كان هذا مثبتا محفوظا فهو دليل لما يؤخذ من
نصارى بنى تغلب ويكون حكم النساء العرب من اهل الكتاب فيما يؤخذ منهم خلاف نساء
العجم منهم او ان يقال انه غير محفوظ لما علم الائمة بخلافه لان الخلافة قد جرى على ان لا
جزية على النساء ولو كان محفوظا لظهر العمل به او ان يكون قوله خذ من كل حالم دينارا اى
خذ منهما دينارا ولا تؤخذ من كل دينارا كقوله سهم مسجد ان لا يلزمه اكثر من ذلك ثم
نذكر من ذلك مسئلة ليس فى الاية ذكرها وهى ان الجزية اذا وجبت فدخلت سنة اخرى قبل ان
يؤديها اخذت منه للسنة الثانية ولم يؤخذ للسنة الاولى الماضية ليس كسائر الديون فان
قيل ليس الخراج يطالب به من اخره من سنة الى سنة قيل ليست الجزية مثل الخراج يجب على المسلم فى ارضه
فهو كسائر الديون فان قيل المجوسى اذا اسلم بعد مضى السنة طولب بالجزية للسنة الماضية قيل روى
عن عمر انه دفع الجزية بالاسلام فقال والله ان فى الاسلام لمعاذا ان فعل برفع عنه الجزية وقد روى فى
بعض الاخبار عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس على مسلم جزية فمن طالبه بالجزية بعد الاسلام
فقد خالف الخبر فان قال انما يزول عن المسلم ما كان عليه من الجزية فى حال كفره لانه صار الى حال لا يجوز
ان توضع عليه ابتداء قيل ان الذمى اذا اجتمع عليه جزية سنين فصار الى حال لا يجوز ان يلزم فى الابتداء
فى مثلها اكثر من اثنى عشر درهما الفقره لم يجز ان يلزم اكثر منها لانه حصل حكم مستند الجزية التى وجبت
فاسلم صاحبها حكم الابتداء فى توظيف الجزية عليه فوجب ان يحمل حكم ما مضى من ان عليه سنتات
حكم ابتدائه واصله ان الجزية انما جعلت لحقن الدم فاذا مضى سنة سار دمه محقونا فى السنة الماضية لذا
لم تؤخذ وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون الى اخره تضمنت هذه الاية احكاما منها الامر بقتال من لم يؤمن
بالله واليوم الاخر وهم يقرون بالامرين لكنه يخرج على وجوه ثلاثة احدها انهم مشبهة ومن تشبيههم
الله بخلقه احتمل قتلو بهم القول له بالولد اذا الذين شهدوا من الجزيرة على ذلك وجد وابو لد بعض
من بعض واذا كان كذلك فهو غير مؤمن فى الحقيقة بالله الذى هو المؤمن حقيقة بؤمنوا به وانه يكون الاخرة
دون الذى ادعوه والثانى ان الذى حمل عليه الخلق هو تعظيم رسل الملوك واجلالهم حتى يوجد من بين الرسل
بين ملوك قد ظهرت بينهم العداوة فلا كذبوا رسل الله مع البراهين التى قد اعجزت الخلايق وشهادة

كتبهم

كتبهم به وتظاهر من عرفوا انهم مكذبون بكتبهم وبرسلهم على من صدق بذلك لتثبت انهم فى
الحقيقة تكذيب بجميع الرسل والكتب وان اظهروا الوفاق وان ذلك لا يكون الا التكذيب منهم
بالله فصل ذلك ايمانهم بالله يكون بايمانهم بالرسل وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى وفد عبد قيس انه قال امركم باربع امركم بالايمان بالله ثم قال اتدرون ما الايمان بالله ان تشهدوا
ان لا اله الا الله وانى رسول الله فلذلك لم يكن ايمانهم بالله ايمانا حتى يؤمنوا برسول الله وعلى هذا
يجادلوا والثالث ان يكون نفى عنهم الايمان بنفى منفعة الايمان عنهم اذا فات المنفعة به الايمان برسله والقبول
منهم بالتسليم فاذا اظهرت منه هذه المنفعة وتركوا القتال ثم الترك على قبول الجزية جائز وان كان الامر قد تقدم
بالقتل من بعد ان يكون دليل اما لاجل ذلك المال نقابل كما كتب على كل نفس الموت ثم قد يتركوه على ما هم عليه
من اختلاف الاديان وتفرق الاهواء وان كان لا يدل ذلك على الامر بما هم عليه والرضاء بما اختاروا فمثله
فى الاول لا يدل على الرضاء بكفرهم ولا على القتال لاخذ تلك الاموال عنهم ثم الاصل ان القتال لم يجعل ليكون
عقوبة بكفر اذ نوع القتل ومعناه قد يوجد فى الاخبار والاشرار جميعا وهو الموت ثبت انه لم يجعل لذلك
ولكن لوجهين ان يضطرهم على الاجابة الى ما فيه نجاتهم وبه نيل كرامة الابد وكان ذلك بعد ان الزمناهم
كل انواع الحجج فلم ينفعهم فاتلناهم بما كان الذى يمنعهم عن النظر فى الحجج حب اللذات والدنيا الحياة ما قلنا
حتى يابوا عن تلك اللذة المانعة عن النظر فى الحجج والصادة عن الاجابة يزول عنهم وفى قبول الجزية قبل
بعض الذل والصغار الذى ينفر عنه الطباع ويدعوا الى ما فيه الزوال فينظروا فى الحجج ويقبلوا ما دعو
اليه فيكون به نجاتهم وزيادة لنا فى الكرامة والثانى ان المحن كلها مقسمة على الحسنات والسيئات والخيرات
والشرور ولذلك جعل بالموت والحيات وعلى ذلك جميع امور الدنيا هو التقلب على مختلف الاحوال
فكذلك الدعاء الى الاسلام يكون مرة لحاجة اليه ومرة باللسان ومرة بالترك لا ان جعل شئ من ذلك
يشق ولكن بما عليه امر المحن بذكر به وحيوة الذل فى قوم على ما فى علم الله من المصلحة وعلى ما عليه
الحكمة ثم الفرق بين مشركى العرب وغيرهم يخرج على وجوه احدها انهم قد كانوا اقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فجاءهم فكذبوه ثم اقسموا لئن جاءهم نذير
ليؤمنن به فجاءتهم ايات فلم يؤمنوا فاستوجبوا القتال الى ان يفوا بالعهد الذى سبق والقسم الذى
جهدوا به وليس لغيرهم هذا او على قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم الاية فبين الاياس عن ايمانهم الا
ان يشاء الله فهو يخرج على وجهين احدها الاياس عن ايمانهم وقبول الجزية ليخالطوا اهل شريعة الله
فيسمعوا منهم الحجج ويعاينوا الافعال المحمودة فى العقول والاخلاق الكريمة التى جاء بها الرسول فيؤمنوا
وهؤلاء قد ايس الله عن ايمانهم واخبرهم انهم يياسوا ابدا فلذلك ظهر نقضهم العقود مرة بعد مرة
والله اعلم والثانى انه استثنى فيهم ان لا يؤمنوا بالايات الا ان يشاء الله فلعل الله شاء ان يكون ايمانهم بالقتال
خاصة ففرض فيهم ذلك الى ان يؤمنوا ووجه اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعث فيهم ومنهم فادخر
لهم الفضيلة به ان لا يقبل منهم غير الايمان كما فضلت البقعة التى فيها بعث رسول الله ومنها ان لا يترك
فيها غير المؤمن تفضيلا ووجه اخر انهم قوم ليس لهم رئيس ولا ائمة فى الدين اليهم يرجعون فى الدين
ومعلوم ان لا قوام فى العقول الامر الدين الا بالائمة كالسياسات كلها والاموال فيها القوام من الملك وغيره
بل انما كانوا تجروا على عادتهم وتقليدهم عن القبائل فلا يرجعون فى الحقيقة الا الى عادة خارجة عن التدبير وغيرهم
يرجعون الى مذاهب سس من اسس الديانات لا ترك ذلك سواء العادة وتقليد الاباء ومن ذلك وصفه لا
فيهمل النظر والله اعلم وايضا ان لسائر المذاهب اصول تكثر اهلها وفى الاقامة على القتال الى الفناء
يتضمن بعض الى بعض فيتناصرون فيخاف على المسلمين بما به رجاء التكثير الفناء والعرب بقل عددهم حتى
لم يكونوا يقدرون على المناوات الا المعونة اهل الكتاب وغيرهم فامكن ان يضطروا به الى القتل مع ما
ليست لهم مذاهب معلومة اذ لا يذكر فى شئ من الكتب لهم مذاهب وقد ذكر بجميع الزنديق فانما امرهم
على العادة وقد يترك العادات بما لا يعترض فيها ما يمنع الاستمرار فيها عن القتال والحرب فيتركونها
واهل المذاهب عندهم انهم لزموا بالحجج ومثل ذلك لا يترك الا بالحجج وذلك يكون بقبول الذمة والعهد
وايضا انه يمكن الزم كل ذى مذهب عما يوجد فى مذهبه ما يثبت القول بالاسلام وبالعهد رجاء الوصول
اليه وليس لمشركى العرب ذلك لما لم يبين مذهبهم على الحجج والسنة انما هو تقليد وعادة والله اعلم وقوله

عز وجل وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال في اية اخرى تكاد السموات يتفطرن وتنشق الارض وتخر الجبال ان دعوا للرحمن ولدا اخبر ان السموات تكاد ان ينفطرن وتنشق الارض وتخر الجبال لعظيم ما قالوا في الله سبحانه من البهتان والفرية عليه ان له ولدا ثم بين الذى ذكر ذلك فقال ولقد اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فذكر الاية واخبر والله اعلم انهم قالوا في الله ما قالوا بوجوه احدها دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان هؤلاء المتاخرين لم يتقولوا هذا ولكن انما قال ذلك اوائلهم لكن كتموا ذلك فاخبر رسول الله ان اوائلهم قالوا ذلك وهم كانوا يكتمون عن رسول الله ذلك ليعلموا انه انما علم ذلك بالله والثاني يخبر رسوله سفه اوائلهم ويبصره على سفههم واذاهم والثالث يخبر انهم مشبهة لانهم نسبوا المخلوق اليه وقالوا ان فلانا ابنه لما راوا منه اشياء فلولا انهم عرفوا الله بمثل معرفتهم المخلوق والا ما قالوا ذلك ولا اعتقدوا من التشبيه وغير ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ذلك قولهم بافواههم اى ذلك قول ما قالوه بلا حجة ولا برهان كانت لهم في ذلك او قالوا ذلك بافواههم على غير شبهة اعترضت لهم تحملهم على ذلك وقوله عز وجل يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يحتمل هذا الا انه كان قبل هؤلاء من قد قال مثل قول هؤلاء من قد قال مثل قول هؤلاء كذلك يحيى الله الموتى ليس انه يحيى الموتى كلهم احياء كما احيا ذلك القتيل ببعض من البقرة ولكن يحييهم احياء ذلك قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل في الكفر نفسه ويحتمل هذا ما قولا النصارى قول اليهود والمضاهاة المشابهة والاشباه وقوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل ان يشبه النصارى بقولهم لعيسى انه ابن الله قول اليهود من قبل عزير ابن الله فضاهاة النصارى في اليهود قبلهم في عزير وقوله عز وجل قاتلهم الله انى يؤفكون هذه الكلمة كلمة اللعن تستعمل عند مناكير اجمعوا والفعل من غير حصول المنفعة وقوله انى يؤفكون يحتمل من اين يؤفكون ويفترون على الله على غير شبهة اعترضت لهم ويحتمل انى يؤفكون اى كيف يؤفكون بلا منفعة تحصل لهم وقوله عز وجل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا قيل الاحبار العلماء والرهبان العباد وقيل الاحبار اصحاب الصوامع من اليهود والرهبان من النصارى وقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله يحتمل ان هذا في السفهاء والاتباع وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله في العلماء منهم والرؤساء فاتخذ الاتباع اولئك اربابا يتبعون في جميع ما يدعوهم اليه وياتمرون بهم اوامرهم ونواهيهم لا انهم عبدوا هم ولكن ذكر اربابا لما ذكر من اتباعهم وانتظارهم اياهم فيما هم يدعونهم اليه ويامرونهم كقوله يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان وقول ابرهيم لابيه لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان وطاعته ولكن نسب العبادة اليه لما يجيبونه في كل ما يدعوهم اليه ويامرهم فعل ذلك هذا ويحتمل ما روى في الخبر ان ثبت انهم لم يعبدوهم ولكنهم احلوا لهم اشياء حرمها عليهم فاستحلوها او حرموا لهم اشياء احل الله ذلك لهم فحرموا تلك فقيل اتخذوهم اربابا والله اعلم يخرج في الاحبار والرهبان على التمثيل اى اتخذوا بها في الطاعة لهم والاتباع لامرهم كانهم اتخذوا اربابا لا على التحقيق وهو ما ذكر من عبادتهم الشيطان لا احد يقصد عبادة الشيطان لكن صاروا بالطاعة الشيطان والاتباع لامره كانهم عبدوه واما في المسيح فهو على التحقيق لانهم قالوا انه الله وقالوا انه اله وقالوا ابن الله فهو يخرج في المسيح على التحقيق وفي الاحبار والرهبان على التمثيل وقوله عز وجل وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا يحتمل لا ليوحدوا الها واحدا الذى لا اله الا هو ويحتمل وما امروا ان يعبدوا الهة على ما يعبدون من الاصنام والاوثان ولكن امروا ان يعبدوا الها واحدا وقوله عز وجل يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم قيل نور الله ذكر الله وتوحيده وقيل نور الله القران وقيل نور الله دينه وهو الاسلام فان كان النور هو الذكر والتوحيد فهو والله اعلم انهم لم يكونوا ليعرفوا ذكر الله ولا يذكرونه انما كانوا يعرفون ذكر الاصنام واباها يذكرونها ويحق القرابة والرحم يتناصرون فيما بينهم فلما بعث الله رسوله محمدا يذكر الله وتوحيده وامر بالتناصر بحق الدين ارادوا ان يطفؤا ذلك النور ومن قال اراد بنور الله القران ارادوا اطفاءه كقوله ما هذا الا اساطير الاولين وان هذا الا سحر ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ونحوه ارادوا اطفاءه بنحو ما هذا الا افك مفترى وقولهم انما يعلمه بشر الاية ومن قال نور الله هو الدين كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فقال

الله نور السموات والارض مثل نوره في حرف ابى مثل نور المؤمن وشبه ارادوا اطفاء هذا النور لما لهم المنافع التى كانت لهم وقوله يريدون ان يطفؤا يحتمل وجهين يريدون اى يجتهدون اى يطفؤه فما يقدرون على اطفائه ويحتمل يريدون اى يحتالون اى يطفؤه باسباب يتكلفون ويحتالون وقوله عز وجل ويابى الله الا ان يتم نوره بالحجج والبراهين وبالنشر والاظهار وقد اتمه كقوله اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عز وجل ولو كره الكافرون وقد كره الكافرون وقوله عز وجل هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق يحتمل قوله بالهدى هدى يهتدى به يكون جميع المحاسن والخيرات انما تنال بالايمان وبه ينتفع بها بعينه لذلك ويحتمل قوله بالهدى وهو القران يهديهم ويبين لهم المحاسن من المساوى والحسنات والسيئات وهو هدى يهديهم الى ذلك وقوله عز وجل ودين الحق وهو دين الحق اعنى الايمان الذى يصير المحاسن محاسن والخيرات خيرات هو دين الحق ويحتمل قوله ودين الحق اى دين الله كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين وقوله عز وجل ليظهره على الدين كله يحتمل وجوها يحتمل رسوله على اهل الدين كله بالحجج والايات فقد اظهره محمد الله على الاديان كلها بالحجج والبراهين حتى لم يتعرض احد في شبه ذلك فضلا ان يتعرض في ابطاله ويحتمل ليظهره على اهل الدين كله بالقهر والغلبة والاذلال ابدا كان حتى خضعوا له كلهم وذلك ما حق لم يبق في جزيرة العرب مشرك ولا كافر الا خضع له وصار اهل الكتاب ذليلين وصاغرين في ايدى المسلمين وان كان المراد من قوله ليظهره على الدين كله فهو بالحجج والبراهين لكنها وان كانت اراد به الدين ان يظهره على الاديان كلها فبعد لم يكن ويكون ان شاء الله هو الظاهر على الاديان يوم القيمة وقوله عز وجل على الدين كله ولم يبق على الاديان كلها خالدين بينا ولا الاديان كلها كقوله يا ايها الانسان يدخل فيه كان انسان وجائز ان يكون اديانا مختلفة فهو واحد لان الكفر كله ملة واحدة وهو دين الشيطان فسماه بذلك وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان اما الاحبار والرهبان اما الاخبار والرهبان قد ذكرنا وقوله عز وجل لياكلون اموال الناس بالباطل لانهم كانوا ياكلون اموالهم بما يحرفون كتاب الله ويبدلونه كقوله يحرفون الكلم عن مواضعه وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب الاية فهم انما حرفوا ذلك وبدلوه ليسلم لهم تلك الاموال فذلك اكل الباطل لانهم خافوا ذهاب تلك المنافع والاموال اذا اسلموا فيجوز ان يكون انما سماهم اربابا في الاية الاولى لما انهم جعلوا اموالهم اموالا لانفسهم وانفسهم عبيدا لهم فهم كالارباب لهم وقوله عز وجل يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يحتمل ان يكون هذا صلة ما قال لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله اى اخذوا اموالهم لصد الناس عن سبيل الله وكنزوها ولم ينفقوها في سبيل الله انما انفقوها لصد الناس عن سبيله ومن الناس من حمل الاية في منع الزكوة وروى في الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ان كل مال ادى الزكوة عنه فهو ليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم يؤد الزكوة فهو كنز وان كان على وجه الارض ومن اصحابنا من استدل بلزوم ضم الفضة والذهب بعضها الى بعض في الزكوة بهذه الاية لانه ذكر كنز الذهب والفضة جميعا والحق الوعيد بترك الانفاق من الفضة بقوله ولا ينفقونها في سبيل الله فلولا ان الضم واجب يكون المؤدى عن احدهما مؤدى عن الاخر والا لم يكن لذلك معنى ثم في متعارف الناس انهم يريدون من الفضة عن الذهب لان الذهب اعز عندهم والفضة دونه ثم ان كانت الاية في الكفرة فهو في القبول كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم وقوله الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون وذلك على القبول لا في الاداء نفسه وقوله عز وجل يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الاية جعل الله تعذيب الكفر في الاخرة بالاسباب التى منعتهم عن طاعة الله ودعتهم الى المخالفة امره ويجمع بينها في النار كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم ونحو ذلك فعل ذلك ما كنزوا ويحمى عليها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم يعذبهم بها لما منعتهم تلك الاموال عن طاعته ودعتهم الى صد الناس عن سبيل الله يجعل عذابهم في الاخرة بها ويحتمل قوله جباههم كناية عن المقدم الى الاخرة اى لم يقدموا ولا ينفقوها في سبيل الله وقوله وجنوبهم لما اتخذوها مما يحل وثمنا لا يحل من كل جهة وقوله وظهورهم لما انفقوها في الصد عن سبيل ويحتمل ذكر هذا احاطة العذاب بهم من كل الجهات كقوله لهم

من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اى يحيط العذاب بهم مثل
ذلك هذا والله اعلم كقوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة اى يحيط بهم حتى لا يقدروا على رفعه عن
وجوههم وقوله يوم يحمى عليها فى نار جهنم الاية وروى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى حقها الا جعلت له يوم القيمة صفائح ثم احمى عليها فى نار جهنم
يكوى بها جنبه وجبهته وظهره فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله
اما الى الجنة واما الى النار وما من صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى حقها الا اتى بها يوم القيمة تطاء باظلافها
وتنطحها بقرونها ثم ذكر فيه ما ذكر فى الاول قالوا يا رسول الله فصاحب الخيل قال هى لثلث لرجل اجر ولرجل
ستر ولرجل وزر فاما من ربطها عدة فى سبيل الله فانه لو انه طول لها فى مرج خصب او فى روضة كتب الله
له عدد ما اكلت حسنات وعدد ارواثها حسنات ولو انقطع طولها ذلك فاستنت شرفا او شرفين
كتب الله له عدد اثارها حسنات ولو مرت بنهر عجاج لا يريد السقى به فشربت كتب الله عدد ما شربت
حسنات ومن ارتبطها فخرا ورياء على المسلمين كان له وزرا الى يوم القيمة ومن ارتبطها تغنيا وتعففا لم
ينس حق الله فى رقابها وظهورها كانت له سترا من النار يوم القيمة فان ثبت هذا الخبر عن رسول
الله ففيه دلالة وجوب الزكوة فى الخيل وهو حجة لابى حنيفة لانه قال ثم لم ينس حق الله فى رقابها
والحق الذى فى رقابها هو الزكوة والذى فى ظهورها هو الجهاد عليها والله اعلم وقوله عز وجل ان عدة
الشهور عند الله اثنى عشر شهرا فى كتاب الله من الناس من يقول ان الشهور كانت التبست عليهم
واختلطت لكثرة ما كانوا يؤخرونها ويقدمونها حتى لم يكونوا يعرفون الشهور ويعينها كل شهر على
حدة فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بالموسم فقال الا ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق
الله السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث منها الباب ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان ثم قال لهم اى بلد هو واى شهر هو واى يوم هو قالوا
بلد حرام وشهر حرام ويوم حرام وقال الا هل بلغت قالوا بلى فقال اللهم اشهد وفى بعض الاخبار
زيادة فقال وان النسى زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا الاية وقالوا وذلك انهم كانوا يجعلون
صفرا عاما حراما وعاما حلالا ويجعلون المحرم عاما حراما وعاما حلالا فكان النسى من الشيطان وصف
رسول الله فى هذه الاحاديث الاشهر الحرم وبينها فدل ذلك على ان النسى كان تحريم القتال فيها على ما
كان اهل الجاهلية يحرمون وزاد ذلك بيانا بحيث اصحاب النسى اذ كانوا يستحلون القتال فى المحرم ويؤخرونه
الى صفر فيحرمون صفر مكان المحرم فعاب الله عليهم تحليل ما حرم من الشهر وجعله زيادة فى الكفر فيحلونه
عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله اى عدة الاشهر الاربعة التى حرمها الله فقال فيحلوا ما
حرم الله زين لهم سوء اعمالهم ومنهم من قال ان الله جعل عدة الشهور اثنى عشر شهرا بالاهلة على ما عرفته
العرب لما وفقوا على معرفة ذلك ولم يوفق غيرهم وانما يعدون السنة بالايام والعرب تعرفها بالاهلة على
ما خلقها الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم قال بعضهم فى الاشهر
كلها لما جعل هذه الاشهر شهودا عليهم يستشهدون بما يعملون فيها من المعاصى والخيرات وبها تنقضى اجالهم
يخبران لا تظلمون فى هذه الاشهر التى تاتى كم بكل خبر وبكل نعمة فانها تشرف بما تعملون فيها من الخير والشر
وقال بعضهم قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم اى فى اربعة الحرم خص الاربعة وان كان الظلم فى الاشهر كلها
لا يحل على ما خص مكة بترك الظلم وان كان الظلم حراما فى الاماكن كلها كقوله سواء العاكف فيه والباد
ومن يرد فيه بالحاد بظلم الاية اى لا تقاتلوا فيها اذ كل ظلم وقوله عز وجل ذلك الدين القيم قيل ذلك الحساب
حساب الاشهر قيم اى صحيح مستقيم على ما خلقه الله وقيل ذلك الحساب هو القضاء العدل وقوله
عز وجل فى كتاب الله يحتمل كتاب الله اللوح المحفوظ على ما قيل ويحتمل فى كتاب الله اى فى حكم الله
ذلك وقوله عند الله يحتمل ما ذكرنا من اللوح المحفوظ ان ذلك عند الله لم يطلع عليه غيره ويحتمل عند
الله اى فى علمه على ما عرفته العرب والله اعلم وقوله عز وجل وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة يحتمل قوله كافة اى مجتمعين اى قاتلوهم مجتمعين على ما يقاتلونكم مجتمعين ويحتمل كافة اى جماعة
ويحتمل كافة الى الابد الى يوم القيمة اى قاتلوهم الى الوقت الذى يقاتلونكم واعلموا ان الله مع المتقين

في النصر

في النصر والمعونة وقوله عز وجل انما النسى زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا الاية كان هذه الاية التى
قبلها قوله ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا فى مشركى العرب وسائر الايات التى قبلها وهو
قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال
الناس بالباطل فى اهل الكتاب يخبر ان ملوك العرب اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا من دون
الله حتى يتبعونهم فى جميع ما يحلونه ويحرمونه كما ان اليهود والنصارى اتخذوا انفسهم ولتلك عبيدا فكانه
قال للمؤمنين ان ملوك العرب واحبار اليهود ورهبان النصارى اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا
فانتم يا معشر المؤمنين لا تتخذوا انفسكم اربابا والاتباع عبيدا الا ترى انه قال فى الاية التى تتلوا هذه
يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض قال بعضهم الاية فى المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله فى غزوة تبوك كقوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة
الاية فيخبرهم ذكر ذلك الوعيد وقال بعضهم الاية فى المؤمنين امروا ان ينفروا فى سبيل الله اثاقلتم
الى الارض قيل استثقلتم النفر فى سبيل الله واقمتم ويحتمل الثناقل هو ان يروا من انفسهم الثقل من
غير ان اقاموا كما يقال تناوم وتغافل من غير ان يكون به النوم والغفلة ويحكى لما يرى من نفسه
ذلك وقال بعض اهل الادب قوله اثاقلتم اى تثاقلتم وركنتم الى المقام وذلك فى القران كثير كقوله
حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا وقوله عز وجل ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الدنيا
فى الاخرة الا قليل اى ما متعكم فى الدنيا قليل بما وعدان يمتعكم فى الاخرة او ان يقال متاع الحيوة الدنيا
من اولها الى اخرها لا ينتهى من متاع الاخرة وكراماتها لان كرامات الدنيا على شرف الزوال وكرامات
الاخرة على الدوام ابدا او ان يقول متاع الحيوة الدنيا قليل من متاع الاخرة لان متاع الدنيا ومنافعها
يشوبه الافات والمضرات ومتاع الاخرة لا يشوبه الافات والمضرات وقوله يا ايها الذين امنوا
ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله الاية عاتب المؤمنين بالتثاقل بالخروج الى الارض ونهاهم عن الركون
الى الدنيا وقوله انما النسى زيادة فى الكفر اى لما احدث اولئك الملوك من تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله
زيادة فى الكفر ولئك احدثوا من وقت احداثهم وقوله عز وجل يضل به الذين كفروا يحتمل وجهين يحتمل به
الذين كفروا اى يهلك به الذين كفروا اى الذين احدثوا ويحتمل يضل به الذين كفروا اى ما احدث اولئك
الملوك انما احدثوا ليضل به الاتباع يحلونه عاما على ما ذكر فى القصة انهم كانوا يستحلون المحرم عاما فيصيبون
فيه الدماء والاموال ويحرمونه عاما فلا يستحلون فيه الدماء والاموال وقوله عز وجل ليواطئوا عدة ما حرم الله
قيل ليواطئوا عدة ما حرم الله كان عندهم ان التحريم انما كان بعدد الاشهر لا شهور لما فى الاشهر فحفظوا عدد
الاشهر ولم يحفظوا الوقت وذلك تاويل قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء
اعمالهم اى زين تاخير المحلل والله لا يهدى القوم الكافرين قيل لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر ولا يهديهم
فى الاخرة طريق الجنة لكفرهم فى الدنيا وقد ذكرنا تاويله فى غير موضع قال ابو عوسجة النسى يقال
نسات الشهر الى اخرته ويقال انساء الله فى رجلك اى اخر الله وقوله ليواطئوا والمواطاة ان يدخلوا
شهرا مكان شهر وهو التتابع يقال تواطا القوم على حديث كذا وكذا اى تتابعوا واطارت فلانا اى
تابعته وقال القتبى النسى التاخير وكانوا يوخرون تحريم المحرم منها سنة ويحرمون غيره مكانه لحاجتهم
الى القتال فيه ثم يردونه الى التحريم فى سنة اخرى كانهم يستنسئون ذلك ليواطئوا اى ليوافقوا عدة
ما حرم الله يقول اذا حرموا من الشهور المحرمة اربعا لو ان يحلوا الحرام ويحرموا الحلال وقوله عز وجل
الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما اى ان لم تنفروا يعذبكم عذابا فان كانت الاية فى المنافقين فهو ظاهر وان
كانت فى المؤمنين فيحتمل قوله يعذبكم عذابا اليما يحل بهم ولم يبين ما ذلك العذاب وقال بعضهم شدد
الوعيد فى تركهم النفر والخروج فى سبيل الله على ما شدد ورفق التولية الذى يقول ومن يولهم
يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة الاية غير انه شدد يوم لم يكن ملجا وكان نفارهم
نفار نفاق وههنا شدد لغير ذلك لوجوه احدها لما فى تخلف المؤمنين عنه موضع العذر للمنافقين
بالتخلف عنه انهم للعذر تخلف ايضا للعذر والثانى فى ذلك عذر والثانى يكون موضع الاحتجاج
عليهم يقولون انهم يرغبون فى الاخرة ويحثوننا فى ذلك ثم انهم ينفرون عن ذلك ويرغبون عنه
والثالث يكون تخلفهم الشوكة على المؤمنين اذ يعلمون اذا تخلفوا وقوله عز وجل ويستبدل قوما

عبركم على ما السند لكم يا اهل مكة تنصرونه وقال بعض اهل التاويل يستبدل قوما غيركم اى شئ قوما غيركم
لكن تاويل الاول اشبه الا ترى انه قال فى اخره الا تنصروه فقد نصره الله وقوله ولا تضروه شيئا هو ما
ذكرنا اى لا تضروا رسول الله بالتخلف عنه وقال بعضهم لا تضروا الله شيئا والاول اشبه لما ذكرنا
وقوله الا تنصروه فقد نصره الله يقول ان لم تنصروه رسول الله فالله ينصره على ما نصره فى الوقت الذى
كان فى الغار لم يكن معه احد من البشر الا واحد فان لم تنصروه فالله كافيه فى نصره على ما كفاه ونصره
فى الحال التى لم يكن معه من البشر الا واحد فاليوم لا ينصره ومعه من الانصار والاعوان ما لا يحصى وكان
ما استنفرهم رسول الله وامرهم بالخروج الى العدو ولم يكن يستنفرهم لمكان نفسه لمكان نفسه اذ يعلم ان
الله كافيه فى نصره ولكن انما كان يستنفرهم ويامرهم بالخروج لمنافع انفسهم ليكتسبوا قربا ثوابا عند الله وزلفى
الا ترى انه قال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما وقال ولا تضروه شيئا اى ان لم تنفروا ولم تنصروا رسول
الله ولا تضروه شيئا اذ الله كافيه فى نصره وانما عاتبهم بترك النفر والخروج لئلا يركنوا الى الدنيا ولا
يرضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة على ما ذكر اولئك الكفرة لان ركونهم الى الدنيا وحبهم اياها هو الذى
منعهم عن اتباع محمد وهو الذى حملهم على الكفر بالله والتكذيب لرسوله وترك الاجابة له فيما يدعوهم
اليه فيقول والله اعلم للمؤمنين لا تركنوا الى الدنيا ولا ترضوا بها من الاخرة ليمنعكم ذلك عن النفر و
الخروج الى ما يامركم رسول الله على ما منع اولئك الكفرة على ما ذكرنا واصله انه انما استنصرهم لا لحاجة له
الى نصرهم وهو قادر ان ينصر رسوله بما شاء ولكن طلب منهم النصر له ليكتسبوا بذلك ثوابا لانفسهم
وذكرى الاجل وكذلك ما طلب منهم الشكر له على نعمه لا لحاجة فى ذلك ولكن ليستديموا النعمة
ويصلوا الى الباقية الدائمة وقوله عز وجل اذ اخرجه الذين كفروا اى اضطروا الى الخروج حين هموا بقتله
حتى خرج من بين اظهرهم وقوله عز وجل ثانى اثنين اذ هما فى الغار ثانى اثنين اى لم يكن معه من البشر الا واحد
ليعلموا ان النصر لم يكن باحد من البشر انما كان بالله تعالى اذ بالواحد لا يكون النصرة والحفظ من الخوف او يذكر
فضل ابى بكر وكان هو ثابته فى كل امر وقوله عز وجل اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا لم يكن حزن ابى
بكر على نفسه ولكن اشفاقا على رسول الله ان يصاب وكذلك روى فى الخبر انه قال لرسول الله
يا رسول الله انك ان تصاب يذهب دين الله ولن يعبد الله على وجه الارض وفى بعض الاخبار ان ابا بكر
كان يبكى اشفاقا على رسول الله فقال له رسول الله ما يبكيك فقال ما ذكرنا فقال له يا ابا بكر ما
باثنين ثالثهما الله وقيل انهما اتيا باب الغار فسبق ابو بكر فدخل الغار وكان الغار معروفا بالهوام
فالقمها ابو بكر قدميه فاطال ذلك فقال ان كان فيه شئ بدا بى او كلام نحو هذا والله اعلم ان الله
معنا ليس بنهى عن الحزن ولكن على تخفيف الامر عليه وتيسير الحال التى هو عليها وقوله عز وجل فانزل
سكينته عليه قيل انزل سكينته على ابى بكر حين قال رسول الله ما ظنك باثنين ثالثهما الله حتى
سكن قلب ابى بكر من الحزن والخوف على رسول الله وقال بعضهم انزل السكينة على رسول الله
فهو يخرج على وجهين احدهما انه انزل السكينة عليه حتى راى هو جنود الهوى وما هم حيث قال
وايده بجنود لم تروها والثانى انزل سكينته بالحجج والبراهين لكنه ان كان ما ذكر فهو قد انزل
السكينة عليه فى البدء ولانه كان رسول الله لا يخاف سوى الله ويعلم انه ينصره وكذلك روى
عن ابن عباس قال فانزل سكينته على ابى بكر لان النبى لم تزل السكينة معه هو الاشبه وقوله وايده
بجنود لم تروها يحتمل فى ذلك الوقت ويحتمل فى الغزوات التى نصره بالملائكة يوم بدر وغيره يخبر
انه قادر ان ينصره لا بالبشر ليعلموا انه انما يامرهم بالنفر لا لنصر رسول الله ولكن ليكتسبوا بذلك
ما ذكرنا من الثواب وقوله عز وجل وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا اى مكر الله بهم
ونصرة رسوله هى العليا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا دينهم الذى
يدينون به ومذهبهم الذى ينتحلونه السفلى اى جعل ذلك السفلى بالحجج وجعل دين محمد هو العليا بالحجج
والبراهين على ذلك ما كان ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا السفلى اى جعل اهل الكل الذين كفروا هم السفلى
واهل دين الله هم الاعلون كقوله وانتم الاعلون وقوله عز وجل والله عزيز لا يعجزه شئ حكيم فى امره وقوله
عز وجل انفروا خفافا وثقالا اختلفوا فيه قيل شبابا وشيوخا وقيل مرضى واصحاء وقيل مشاغيل وغير
فقراء وقيل نشاطا وغير نشاط واصله انفروا مستخفين ومستثقلين اى انفروا خف عليكم الخروج او ثقل

وما

وما ذكر اهل التاويل من الشيخوخة والشغل والفقر والمرض لان ذلك بالذى يثقل الخروج والنفر وسهله
ما ذكرنا ان انفروا خف عليكم ذلك او ثقل وقوله انفروا خفافا وثقالا اى انفروا خف على النفس وثقل او خف
على الطبع او ثقل او خف على العقل وثقل وقوله عز وجل ذلكم خير لكم فى الدنيا والاخرة اى اعلموا ان ذلك
خير لكم من المقام وترك النفر ان كنتم تعلمون وقوله عز وجل لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك قال
بعض اهل التاويل لو كان عرضا قريبا اى غنيمة قريبة وسفرا قاصدا اى هينا لاتبعوك فى غزاتك ولكن بعدت
عليهم الشقة يعنى المسير وقيل العرض الدنيا وسفرا قاصدا ليس فيه مشقة واصل قوله لو كان عرضا قريبا
اى منافع حاضرة وسفرا قاصدا اى منافع غائبة والعرض هو المنافع خاطرة لاتبعوك فيما استتبعتهم اتباع
المنافع يعنى المنافقين كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته
انقلب على وجهه اخبر انهم يعبدون الله على حرف وهو ما ذكر ان اصابه خير اطمان به فمن عادتهم انهم
انما يتبعون المنافع واليها يميلون واما المؤمنون فانهم يعبدون الله فى كل الحال فى حال السعة وفى حال
الضيق ويتبعون رسول الله ولا يفارقونه كانت لهم منافع او لم تكن اصابتهم مشقة او لا لم يفارقون
رسول الله على كل حال وقوله عز وجل وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم اى لو كان لنا ظهر وسلاح
لخرجنا معكم ولو كان زاد وما نشترى ما نحارب به لخرجنا معكم ثم اخبر ان لهم استطاعة على ذلك وانهم
كاذبون انه لا استطاعة لهم حيث قال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة وقالت المعتزلة دل قوله لو
استطعنا لخرجنا معكم ان الاستطاعة تتقدم الفعل لانه اخبر انهم كاذبون فيما يقولون انه ليس معنا ما ننفق
وما نشترى به السلاح لكنا نقول ان الاستطاعة على وجهين استطاعة الاسباب والاحوال واستطاعة الافعال
والاحوال يجوز ان تتقدم وهذه الاستطاعة هى استطاعة الاسباب والاحوال الا ترى انه قال ولو ارادوا الخروج
لاعدوا له عدة ومن قولهم ايضا ان الاستطاعة الافعال لا تبقى وقتا ثم ان هذه اخبر انها كانت باقية اوقاتا
دل انها هى استطاعة الاسباب والاحوال وقوله عز وجل يهلكون انفسهم بايمانهم الكاذبة انهم لا يستطيعون
وقيل يهلكون انفسهم بتركهم الخروج لانهم يقتلون اذا تركوا الخروج كقوله ملعونين الاية ويحتمل يهلكون
انفسهم فى الاخرة بنفاقهم فى الدنيا وقوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الذين
صدقوا وتعلم الكاذبين اى يطلعك الله على نفاقهم فيكون ذلك اية من ايات النبوة ان لم تاذن لهم بالتخلف
وان لم تاذن لهم تبين لك نفاقهم لانهم يتخلفون ويفارقونك وان لم تاذن لهم والذين صدقوا لا يفارقونك
فيتبين هؤلاء من هؤلاء ويظهر كذب هؤلاء من صدق هؤلاء المؤمنين وفى قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم دلالة
ان النبى انما اذن لهم بالتخلف بلا امر فيه دل انه يجوز العمل بالاجتهاد لانه لو كان اذن لهم بالتخلف بالامر لم يكن
يعاتبه على الاذن دل انه انما اذن لهم بالاجتهاد لما ظن انهم انما يستاذنون به بالقعود لعذر فان قيل كيف
عاتب رسوله بما اذن لهم بالقعود وقد اخبر انه انما كان يحكم بما اراه الله بقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله
قيل يحتمل انه انما عاتبه على ترك الافضل لان ترك الاذن لهم بالقعود افضل من الاذن اذ به يتبين له الصادق
من الكاذب ويكون فيه اية من ايات الرسالة ويجوز ان يعاتب على ترك الافضل ويحتمل ان يكون قوله عفا الله
عنك لم اذنت لهم تعليم من الله ان كيف يعامل الناس بعضهم بعضا اسس على العتاب ومن الناس من استدل على
تفضيل رسول على غيره من الانبياء صلوات الله عليهم بهذه الاية لانه بدا بالعفو وكذلك فى جميع ما ذكر من العتاب
لم يذكر زلته وذكر فى سائر الانبياء الزلات وقوله عز وجل لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية
اى لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله بالتخلف لغير عذر وانما يستاذنك الذين يؤمنون واليوم الاخر بالقعود
لغير عذر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون اى عن شكهم يترددون وعن الحسن قال لا يستاذنك
الذين يؤمنون بالله الى قوله يترددون نسختها الاية التى فى سورة النور انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك يؤمنون بالله
ورسوله لكن هذا لا يحتمل لانه ذكر ان سورة التوبة من اخر ما نزلت وانهم اذا كانوا فى امر جامع لم يذهبوا
الا بعد الاستئذان لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين فى الامور الجامعة واما فى الغزوات فلا وقوله
عز وجل ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة يحتمل ان يكون هذا فى غزوة تبوك على ما قال اهل التاويل امروا
بالخروج والتاهب للغزو فعزموا ان لا يخرجوا فعوتبوا على ذلك ويحتمل ان يكون فى جميع الغزوات عزموا و اعتقدوا

ان لا يخرجوا لا نياهبوا له فعد فقالوا لو استطعنا لخرجنا معكم فاكذبهم الله كذبة وانهم اغنياء لكنهم عزموا
ان لا يخرجوا ولا يعدوا له عدة والله اعلم وقوله عز وجل ولكن كره الله انبعاثهم يحتمل قوله كره الله انبعاثهم
اي لم يرض الله بخروجهم وانبعاثهم ثم بين الوجه الذي لم يرض ما ذكر في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا اي فسادا لم يرد الله خروجهم لما علم منهم انه لا يريد خروجهم في الجهاد الا ما ذكر من الخبال
والفساد وقوله عز وجل فثبطهم قيل حبسهم اي اذ علم منهم ان خروجهم وانبعاثهم لم يزدهم الا فسادا
حبسهم يحتمل ان خلق منهم الفعل الذي كان منهم من الكسل والتثاقل وفيه دلالة خلق الله فعل الشر و
يكون في ذلك خيرا لغيره وان كان شرا لهم فعل ذلك خلق فعل المعصية من المعاصي وهو شر له ويكون ذلك
خيرا لغيره وقوله عز وجل وقيل اقعدوا مع القاعدين يحتمل قوله قيل اقعدوا لما استأذنوا رسول الله
بالقعود اذن لهم في ذلك على ما وقع عنده ان لهم عذرا في ذلك وان كان من الله عز وجل فهو على
التهدد والتوعد ويحتمل ان يكون من الشيطان وسوس اليهم ان اقعدوا ترغيبا منه اياهم بالقعود و
التخلف والله اعلم وقوله عز وجل لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا لا قوله لو خرجوا فيكم اي لو كانوا
خرجوا فيكم الا ترى انه قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم دل هذا انهم لم يكونوا خرجوا ولو كانوا
خرجوا لم يكن يثبطهم انه دل انه ما ذكرنا والانبعاث هو الخروج وكذلك في حرف ابن مسعود ولكن
كره الله خروجهم والتثبيط الحبس واصل التثبيط التثقيل وقال ابو عوسجة الانبعاث هو القيام
والخبال قيل والشر وقيل الغي وهو واحد وقوله ما زادكم الا كذا يحتمل زيادة الخبال وجوها يحتمل
ان يكونوا عيونا للعدو ويخبروهم عن عورات المسلمين او كانوا يجبنون اهل الاسلام كقولهم ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم ونحوه وقوله عز وجل ولا وضعوا خلالكم يحتمل فيما بينهم وقيل ولا وضعوا
خلالكم اي رواحلهم حتى يدخلوا بينكم حتى لا يصيبكم الاذى كانوا يتسترون بالمسلمين لئلا يصيبهم
شيء من البلاء والشدة وقال القتبي ولا وضعوا خلالكم من الوضع وهو سرعة السير وقال ابو عوسجة
هو من الايضاع يكون على الابل وهو عندي من عدو الابل يقال اوضعت البعير وركضت الفرس والجز
الحمار رحلة لكم بينكم وقيل الخلال القتال وهو ما ذكرنا انهم يدخلون فيهم النقصان والقتال والفشل ه
وقوله عز وجل يبغونكم الفتنة وهو الشرك الذي كانوا هم عليه ويحتمل ما ذكرنا من القتل وادخال
الفشل والجبن فيهم والله اعلم وقوله عز وجل وفيكم سماعون لهم هذا يحتمل ايضا وجهين يحتمل ان هؤلاء
المنافقين يكونون سماعا لهم وعيونا يخبرونهم عن عورات وضعفهم ويحتمل قوله وفيكم
سماعون لهم الاية قيل انه كان في اصحاب النبي اهل محبة لهم وطاعة لشرفهم فيهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم كان الرجل يرى الجماعة من المسلمين فيضرب دابته
حتى يدخل بينهم ثم يقول انكم ما لقيتم العدو ما لكم قد حفروا المياه وفعلوا كذا وهيؤوا كذا ويحتمل
قوله وفيكم سماعون لهم اي فيكم من المنافقين الذين قعدوا ولم يخرجوا ليسمعون المؤمنين انهم
لم يخرجوا ايضا ما يكرهون يقولون الدائرة على المؤمنين ويحدثون من الهزيمة وقوله عز وجل
والله عليم بالظالمين اي لا عن جهل مهلهم على ما هم عليه ولكن اخرهم ليوم كقوله ولا تحسبن
الله غافلا الاية وقوله عز وجل لقد ابتغوا الفتنة من قبل ويحتمل الفتنة الوجهين الذين
ذكرتهما وقوله عز وجل وقلبوا لك الامور اي تكلفوا واجتهدوا ليطفئوا هذا النور وظهر امر الله
قبل دين الله الاسلام ويحتمل حجج الله وادلته وهو ما ذكر يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم
ويأبى الله الا ان يتم نوره ويحتمل قوله وقلبوا لك الامور وظهر ليطلبوا لك ويرسموا لك ليقتلوك
كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الاية وظهر امر الله ما ذكرنا من دين الله
حججه وهم كارهون وقوله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لي فيه دلالة انه لكل المنافقين قالوا
ذلك بعضهم وبعضهم لم يقولوا غيره هذا وقوله عز وجل ولا تفتني قيل لا تؤثمني وقيل لا تحرجني وقيل لا تكرثني
وهو واحد ويقول من قال ولا تفتني اي لا تكن سبب فتنتي ومعصيتي اي لا تأمرني بالخروج ولكن اذن لي
بالقعود لانك ان امرتني بالخروج ولم تاذن لي بالقعود والتخلف قعدت وتخلفت كنت عاصيا لك وكانه
تكون انت سبب عصياني فتفتني والثاني قوله ولا تفتني اي لا تأمرني بالمشقة والشدة ولكن الدعة و
السعة هم كانوا عبادا للسعة او للرخاء حيث كانوا ما لم لهم كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف

الاية يقول لا تكن سبب فتنتي واقلا بي ومنهم من قال ان رجلا منهم قال يقال له الجد بن قيس اني اذا رايت النساء لم
اصبر حتى افتتن ولكن اعينك بمالي فعنه نزل قوله انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وهو قول ابن عباس يقول لا تأمرني
بالخروج فاني مولع بالنساء لا اصبر اذا رايتهن ولا ندري كيف كانت القصة لكن الوجه فيه ما ذكرنا انفا وقوله
ولا تفتني اي لا تمتحني بالمحنة التي فيها الهلاك والشدة فقال الا في الفتنة سقطوا اي الا في المشقة والبلاء و
الهلاك سقطوا هذا يدل على ان اهل النفاق هو مسرة وقوله عز وجل الا في الفتنة سقطوا اي الا في الشر
والاثم سقطوا على تاويل من تاول قوله ولا تفتني لا تؤثمني ولا تحرجني وعلى تاويل من قال لا تفتني لا
تشق علي ولا تأمرني بالمشقة والشدة والضيق يقول الا في الشدة والضيق يسقطون وقوله عز وجل
وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي تحيط بهم حتى لا يجدون منفذا ولا مخلصا او تحيط بهم من تحت ومن فوق
وامام وخلف ويمين وشمال تحيط بهم حتى تصيب كل حيا رحة منهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار
الاية اخبر انها تحيط بهم وفيه دلالة ان المنافقين هم كفار لانه ذكر في اول الاية صفة المنافقين
ثم اخبر ان جهنم تحيط بالكافرين وقوله عز وجل ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا
قد اخذنا امرنا من قبل قيل ان تصبك حسنة اي الغنيمة والظفر والنصر على الاعداء يسؤهم
ذلك وان تصبك مصيبة النكبة والهزيمة فرحوا بها يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي قد اخذنا امرنا
بالوثيقة والاحتياط حيث لم نخرج معهم حتى لم يصبنا ما اصابهم ويحتمل ان يكون قوله قد اخذنا امرنا
من قبل اي قد اظهرنا الموافقة للمؤمنين في الظاهر وكنا مع الكافرين في السر لينا في الحقيقة
وهو ما ذكر من انتظارهم احد امرين في قوله الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا
الم نكن معكم الاية ويتولوا وهم فرحون يحتمل يتولوا ولذلك الكفرة وهم فرحون وفي الاية
دلالة اثبات رسالة محمد ونبوته لانه معلوم انما يسوؤهم كانوا يضمرون ويسرون ثم اخبر
بما اسروا واضمروا ودل انه انما علم ذلك بالله وقوله عز وجل قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قال
بعضهم الا ما كتب الله لنا قال بعضهم الا ما كتب الله لنا اي قضى الله لنا اي لن يصيبنا الا ما قضى
الله لنا وقال بعضهم الا ما كتب الله لنا اي ما جاء به القران وهو قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا و
يحتمل قوله لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا من الكرامة والمنزلة والنعيم الدائمة في الاخرة اي لن يصيبنا
الا ذلك وان كنتم انتم تفرحون بذلك فذلك الذي كتب الله لنا هو مولانا اي هو ربنا ونحن عبيده
يكتب لنا ما يشاء من الخير والشر اي ما اكرمنا الله لنا الا اباح وانما القضاء فانه قل ما يقابل فيما يكون لهم
وانما يقال فيما قضى عليهم وانما الكتاب لهم هو فيما ويحتمل لهم وعليهم وقوله عز وجل
وعلى الله فليتوكل المؤمنون يحتمل وجهين يحتمل على الاخبار اي على الله يتوكل المؤمنون لا يتوكلون على غيره
ويحتمل ان يكون على الامر اي على الله توكلوا ايها المؤمنون وقوله عز وجل قل هل تربصون بنا الا احدى
الحسنيين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يعني الشهادة والحيوة
والرزق الدائم والكرامة كقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الاية ويحتمل الا احدى
الحسنيين في الدنيا الغنيمة والظفر يقول هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اما الحيوة الدائمة في الاخرة
والرزق الحسن والكرامة واما الغنيمة والنصر في الدنيا انتم تتربصون بنا ونحن نتربص بكم ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده العذاب في الاخرة ان قتلتم او بايدينا اي القتل بايدينا فتربصوا انا معكم
متربصون العذاب بكم هم كانوا لا يتربصون بنا الا الدوائر والهلاك وهو ما ذكر في اية اخرى حيث قال
ويتربص بكم الدوائر هم كانوا لا يتربصون بنا الحسن ولكن ما ذكرنا من الدوائر لكن ذلك وان كان عند
اولئك المنافقين هلاك ودائرة فهو للمؤمنين الحسنى في الاخرة وقوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم قال بعضهم الاية في الجهاد وان المنافقين كانوا يامرون بالجهاد والقتال مع الكفرة
على ما امر اهل الايمان بذلك ثم منهم من كان يخرج للجهاد ومنهم من كان يجهز غيره ويقعد ومنهم من كان
يخرج كارها ونحوه فنزل قوله قل انفقوا طوعا او كرها اي خوفا لن يتقبل منكم ومنهم من قال الاية في الزكوة
ان الله عز وجل فرض الزكوة في اموال المؤمنين والمنافقون قد اظهروا الايمان وكانوا ينفقون ويؤدون
الزكوة لكن منهم من كان يؤدي طوعا ومنهم من يؤدي كرها فقال قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل

منكم لانهم كانوا لا يرون قربة وكانوا ينفقون وهم كارهون في الباطن الا ترى انه قال ولا ينفقون
الا وهم كارهون دل انهم كانوا ينفقون جميعا وهم كارهون لذلك في الباطن ثم بين ما به لم تقبل نفقاتهم
وهو ما ذكر انكم كنتم قوما فاسقين وقال وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الاية في الاية وجهان
احدهما دلالة اثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انهم لا يؤتون الصلوة الا وهم كسالى
وهم في الظاهر كانوا يؤتون الصلوة على ما كان ياتي المؤمنون ثم اخبر انهم ينفقون وهم كارهون
لذلك وكانوا ينفقون في الظاهر مراآة لمرافقتهم ثم اخبر انهم كانوا كارهين لذلك في السر دل انه
انما علم ذلك بالله تعالى والثاني ان لا تقوم قربة ولا تقبل الا على حقيقة الايمان هو شرط قيام هذه العبادات
وقبول القرب لان التشبه بالايمان لانهم كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر دل انه ما ذكرنا وبالله
التوفيق وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين ويحتمل قوله كنتم اي صرتم فاسقين بما انفقتم وانتم كارهون
انهم قد اظهروا الايمان ثم تركوه كقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا اخبر انهم امنوا ثم كفروا فعلى ذلك الاول
وقوله عز وجل ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى وكسل وكسالى فيه لغات ثلاثة والمعنى واحد وهو
انهم لا ياتون الصلوة الا مستثقلين لانهم كانوا لا يرونها قربة وقوله عز وجل فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة قال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه قال فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وقال بعضهم هو على ما ذكر فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وفي الحيوة الدنيا والتعذيب في الدنيا هو ما فرض
عليهم الجهاد وامروا بالخروج للقتال فكان يشق ذلك عليهم ويشتد فذلك التعذيب لهم وهو ما ذكر
في اية اخرى اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم الاية والتعذيب في الدنيا هو القتل يقتلون الا لم يخرجوا
وفي الاية دلالة الرد على المعتزلة لانهم يقولون لا يعطي احدا شيئا الا ما هو اصلح له في الدين ثم قال
لرسول الله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ولو كان لم يعطهم الاموال والاولاد الا للخيرات والصلاح
فكانه قال لا يعجبك ما اعطيتهم من الخيرات والصلاح فذلك بعيد فدل انه قد يعطي خلقه ما ليس باصلح
لهم في الدين وكذلك في قوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات الاية دلالة
الرد على قولهم لانه قال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات ثم قال بل لا يشعرون
انا نمدهم به لا للخيرات دل انه قد يعطي خلقه ما ليس هو باصلح لهم في الدين وفي قوله انما يريد الله ليعذبهم
بها في الحيوة الدنيا دلالة الرد عليهم ايضا لانه اخبر انه يعذبهم في الدنيا والاخرة ولا يعذبهم مجانا فيها لا فعل
لهم في ذلك دل ان لهم صنع في ذلك وانه انما يعذبهم بفعل اكتسبوه وفي قوله انما يريد الله ليعذبهم بها
دلالة ان ليس كل ما يعطيهم ليرحمهم به ولكن يعطيهم لما علم منهم فان كان علم منهم انهم يستعملون
ما اعطاهم من الاموال وغيرها فيما فيه هلاكهم اعطاهم لذلك ومن علم منهم انه يستعمله فيما فيه نجاته اعطاه ليرحمهم
به فانما اعطى كلا ما علم انه يكون منهم لانه لو لا اعطاهم على غير ما علم منهم ان يكون في اعطائه مخطئا وقوله عز وجل
وتزهق انفسهم وهم كافرون قيل تخرج انفسهم وتهلك خوفا قال ابو عوسجة يقال خرج نفسه من فمه وقيل
تذهب انفسهم كقوله زهق الباطل اي ذهب وكذلك قال ابو عبيد تزهق اي ذهب وفي الاية دلالة اثبات
رسول الله لانه اخبر ان انفسهم تزهق وهم كافرون فكان ما ذكر دل انه علم ذلك بالله وقوله عز وجل
ويحلفون بالله انهم لمنكم في الباطن في الدين لانهم كانوا منهم في الظاهر وقال وما هم منكم في الباطن في
ولكنهم قوم يفرقون اي يخافون القتل فيظهرون الموافقة لهم وقوله عز وجل لو يجدون ملجا او مغارات
او مدخلا لولوا اليه قيل لو وجد حرزا او مغارات يعني الغيران في الجبال او مدخلا اي سربا في
الارض في الجبال لولوا اليه اي رجعوا اليه وهم يجمحون اي يسرعون وعن ابن عباس قال الملجا
الحرز في الجبال والمغارات الغيران والمدخل السرب قال ابو عوسجة المغارات مثل الملجا
وهو شيء يتحصنون فيه ومدخلا هو موضع يدخلونه ايضا وهم يجمحون اي يسرعون يقال جمحت
الدابة تجمح جماحا فهو جامح وهو من الاسراع وكذلك قال القتبي وقال ابو معاذ الجموح الراكب راسه في هواه
وقال بعضهم قوله او مدخلا لا يجدون ناسا يدخلون بينهم لولوا اليه دونكم واصله انهم لو وجدوا ما منا
يامنون لولوا اليه اي لصاروا اليه مسرعين ولا يظهرون لكم الايمان ولكن ليس لهم ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل ومنهم يعني المنافقين من يلمزك في الصدقات اختلف فيه قال بعضهم يلمزك يزورك

لكان

لكان الصدقات طمعا فيها لتعطيهم الصدقات ويلمزك اي يزورك بسالك من الصدقات اي انما يزور
ذلك لكان الصدقات لتعطيهم لا يزور ذلك ولا يأتونك لمكان الرسالة او رغبة في الدين ولكن لمكان الصدقات
فان اعطوا منها رضوا عنك ويحلفونك وان لم يعطهم اذا هم يسخطون لان اتيانهم رسول الله وزيارتهم اياه
لمكان الصدقة فاذا لم يعطوا منها شيئا سخطوا منهم من قال قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات اي يطعن
عليك في الصدقات اي قسمة الصدقات روي عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله يقسم قسما اذ
فجاءه رجل يقال له ابن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله فقال له النبي ويلك ومن يعدل اذا
لم اعدل انا فقال عمر ائذن لي يا رسول الله فاضرب عنقه فقال له النبي دعه فان له اصحابا يحتقر احدكم صلوته
الى صلاتهم وصيامه الى صيامهم يحسن صلاته وصيامه فيحتقر صلوته عند صلوتهم وانهم يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية ذكر حديثا طويلا وهو كان من الخوارج وهو الذي قتله علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وقوله عز وجل ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما آتاهم الله من الرزق ورسوله
من الصدقات وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله وقيل ولو انهم رضوا ما آتاهم الله من فضله
اي من دينه ورسوله وقالوا حسبنا الله كان خيرا لهم مما طمعوا في هذه الصدقات وطعنوا رسول
الله في ذلك وقال بعضهم رضوا ما آتاهم الله من فضله مما رزق لهم لكان خيرا لهم مما فعلوا وقال
بعض اهل التاويل ولو انهم رضوا ما آتاهم الله من فضله اي من الصدقات التي كان اعطاهم
رسول الله منها والى الله رغبوا لكان خيرا مما طمعوه في تلك الصدقات وطعنوا رسول الله ويخطئوا
عليه ويقرأ ويلمزك ويلمزك برفع الميم قال ابو عوسجة اللمز العيب يقال لمز ولامز وهماز
وهامز وقال القتبي يلمزك اي يعيبك ويطعن عليك يقال همزت فلانا ولمزته اذا اغتبته وعبته وكذلك
قول الله ويل لكل همزة لمزة وقوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين يشبه ان يكون الاية في بيان
موضع الصدقة على ما تقدم من الذكر بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا الاية
ما ذكر ان المنافقين كانوا ياتون رسول الله ويسالونه من الصدقات فان اعطاهم رضوا منه وان لم يعطهم
طعنوا فيه وعابوا عليه فبين ان الصدقات ليست لهؤلاء ولكن للفقراء من المسلمين والمساكين
من المسلمين وكذلك ما ذكر من الاصناف المكاتبين والغارمين انها لهؤلاء من المسلمين لا لهم ويدل
على ذلك ما جاء من الاخبار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وضع صدقات باعيانها حلت
عليه في صنف واحد ما روي انه يعطي الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى فلانا كذا وروي عن
الصحابة انهم وضعوا الصدقة في صنف واحد وروي عن حذيفة انه قال هؤلاء اهلها ففي اي صنف
وضعتها اجزاك وعن ابن عباس انه قال كذلك وعن عمر انه كان اذا اجتمع صدقات المواشي والبقر
والغنم نظر ما كان منتجة للبن فيعطي لاهل البيت على قدر ما يكفيهم فكان يعطي العشرة شاة للبيت الواحد
ثم يقول عطية تكفي خير من عطية لا تكفي او كلام نحو هذا وقد روي عنه انه سئل عن ذلك فقال
والله لاردن عليهم الصدقة حتى يروح على احدهم مائة ناقة او مائة بعير وعن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه انه اتي بصدقة فبعثها الى اهل بيت واحد هؤلاء لا يحاب الصحابة استجازوا وضع الصدقة في صنف
واحد ولو كان حق كل صدقة ان تقسم بين هؤلاء الاصناف الذين ذكر بالسوية على ما قال القوم
لكان قال الله عز وجل انما الصدقات بين الفقراء وبين من معهم من الاصناف كما يقال الميراث لقرابة فلان
اي ليس للاجنبيين وفي ذلك نحو واذا قيل الميراث بين قرابة فلان كان لكل في ذلك حقا لان حرف بين
يقتضي التسوية بجميعهم وقوله لهم يقتضي انه لا حق فيه لغيرهم الا ترى انه يقال الخلافة لولد العباس
يراد انه لا حظ فيها لغيرهم والسقاية لبني هاشم ونحوه ليس يراد فيه ذلك بينهم بالسوية وانما يراد ذلك
ان لا حق لغيرهم فيها وبعد فانه لو كان في الاية انما الصدقات بين الفقراء وبين من ذكر معهم لكان لا يجب
قسمة كل صدقة بين هؤلاء الاصناف المذكورة في الاية لانه ليس للصدقات انقطاع بل لها مدد اذا
وقع صدقة واحدة الى صنف واحد فاذا اتى بصدقة اخرى دفع الى صنف اخر هكذا يعمل في الاصناف كلها ثم
بعد فانه لم يذكر عن احد من الائمة انه تكلف طلب هؤلاء الاصناف فقسمها بينهم وكذلك لم يذكر عن احد من
ارباب الاموال انهم دفعوا صدقة واحدة بين هؤلاء الذين ذكروا دل انه يخرج على ما ذكرنا لانه لو كان
على التسوية كل صدقة بينهم لم يجز ان لا يقسموها كذلك ويضيع حق البعض من هؤلاء وبعد فانه لو تكلف

الامام ان يعطي هؤلاء الثمانية ما قد رعى ذلك دل انه لم يخرج الخطاب على توهم خصوصا ولان المعنى لو كانت
التسوية بينهم في كل صدقة لكان اذا لم يجد في بلدة مكاتبين او واحدا من هؤلاء الاصناف يجب ان يستبقى
سهما رحصته من لم يجد عن اربابها فذلك بعيد فقد جاء في الخبر انه بعث معاذا الى اليمن فقال له خذ من اغنيائهم
ورد في فقرائهم ويكره اخراج صدقة كل بلد الى غيره من البلدان ثم يحتمل الاية جميع الصدقات التي يتصدق
بها على الفقراء والمساكين من الفيء وغيره فتبين ان هؤلاء موضع لذلك كله من نحو قوله وآتوا حقه يوم
حصاده وقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ويحتمل زكوة الاموال المفروضة والوجه
فيه ما ذكرنا فان قيل ان الرجل اذا اوصى فقال ثلث مالي لفلان وفلان اليس هو مقسوم بينهم بالسوية
ما منع ان الاول بمثله قيل لا يشبه الصدقات الوصايا وكذلك ان الوصية انما وقعت في مال معلوم
لا يزيد فيه بعد الموت شيئا ولا يتوهم لها مدد والصدقات يزيد بعضها بعضا واذا فني مال جاء
مال اخر واذا مضت سنة جاءت سنة اخرى بالجديد فاذا دفع الامام صدقة بجميع ما عنده الى الفقراء
ثم حضره غارمون فتحمل اليه صدقة اخرى يجعلها فيهم فيصح بذلك احوال الجميع لما لا انقطاع للاموال الى يوم
القيمة وكيف يقسم الصدقة على ثمانية اسهم ولا خلاف في ان للعاملين بقدر عمالتهم وان زاد ذلك على الثمن
او نقص منه فاذا زالت القسمة في احد الاصناف زالت في الجميع فاعطى كل صنف منهم بقدر حاجته كما
اعطى العاملون وكيف يصنع بسهم المؤلفة قلوبهم وقد ارتفع ذلك ونسخ وعلى ذلك جاء عن بعض الصحابة
من نحو ابي بكر وعمر انهم لم يعطهم شيئا النسخ برد ذلك على سائر السهام فاذا جاز ان يزاد على الثمن في وقت
جاز ان ينقص منه في وقت وفي قوله والعاملين دلالة ان لا باس للائمة والقضاة اخذ الكفاية من بيت
ولكل عامل للمسلمين اخذ كفايته ورزقه من ذلك اذا فرغ نفسه لذلك وكفها عن غيرها من المنافع و
الاعمال ثم اختلف في الفقراء والمساكين فقال بعضهم الفقراء هم من المهاجرين كقوله للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم والمساكين من الذين لم يهاجروا وقال بعضهم الفقير الذي به زمانة والمسكين
الذي ليست به زمانة وهو محتاج وقال بعضهم الفقراء هم المتعففون الذين لا يخرجون ولا يسئلون
كقوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف والمساكين هم الذين يسئلون وكذلك قال الحسن وعن عمر قال
قال ليس المسكين الذي لا مال له ولكن المسكين الذي لا يصيب المكسب وعن ابن عباس قال الفقراء فقراء و
المسلمين والمساكين الطوافون وهو قريب مما قاله الحسن وعن الاصم قال الفقير الذي لا يسئل وهو ما ذكرنا
ه والمسكين الذي يسئل اذا احتاج ويمسك اذا استغنى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرويه ابو هريرة رضي الله عنه قال ليس المسكين هذا الطواف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة و
اللقمتان والتمرة والتمرتان قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد ما يغنيه ولا يفطن به
فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس فهذا لو حمل على ظاهره لدفع قول من قال ان المسكين هو الذي
لا يسأل الناس ولكن يجوز ان يكون معناه والله اعلم ان الذي لا يسأل وان كان عندكم مسكينا فان
الذي لا يسأل اشد مسكنة منه ولا يدل على غير ذلك لان الله قد سمى الذين لا يسألون الناس فقراء
ولا يجوز ان يجعل الحديث مخالفا للاية ما امكن ان يكون موافقا لها قال الله تعالى يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة فقوله ذا متربة قيل هو الذي لا حائل بينه وبين التراب لفقره فدل بذلك والله اعلم على ان
المسكين هو الشديد الفقر والفقير هو الذي لا يملك شيئا ولم يبلغ في الفقر والضرورة حال المسكين
ويدل لذلك قول عمر ليس المسكين من لا مال له ولكن المسكين من لا مكسب له كانه يعني ان الذي لا مال
له وله مكسب هو فقير والمسكين اشد حالا من الفقير وليس له مال ولا مكسب وان حمل قول النبي
عليه السلام ليس المسكين الذي يسأل ولكن المسكين الذي لا يفطن له ولا يسأل على ان ذلك الذي
لا يفطن به هو اشد مسكنة من الاخر وان كان الاخر مسكينا ايضا كان موافقا للمعنى الذي ذكرنا لانا قلنا
ان المسكين هو الشديد الفقر وقد يكون فقيرا وان لم يبلغ به الضر الاول وقد يخرج قول من قال ان المسكين
الذي يخرج هذا المخرج لان من شأن المسلم الفقير انه يتجمل ما كانت له حيلة ويتعفف ولا يخرج فيسأل وله
حين مخرج وجه يدل على شدة حيفه وعلى الزيادة في سوء حاله فكان القولان جميعا يرجعان الى معنى واحد
وان كان الفقير احسن حالا من المسكين لما ذكرنا فقد يجوز ان يدفع الصدقة الى من له مال قليل لانه فقير
وان لم يكن حاله في فقره حال المسكين الذي لا يملك شيئا والله اعلم وقوله عز وجل والعاملين عليها اختلف

فيه

فيه قال يعطى لهم الثمن وقال بعضهم يعطى لهم قدر عمالتهم وقال بعضهم يعطى لهم قدر كفايتهم وعيالهم
اما قول من قال يعطى لهم الثمن لا معنى له لانه يجوز ان يبلغ الثمن الوفا وعمالته لا يبلغ عشر عشر ذلك ومن
قال يعطى لهم قدر كفايتهم وكفاية عيالهم فهو والله اعلم اذا كان ممن يسلم نفسه لذلك واستعمله
الامام في جميع امور المسلمين فاذا كان كذلك يعطى له عند ذلك الكفاية له ولعياله واما اذا
تولى شيئا من ذلك العمالة في وقت فيعطى له الكفاية فيه والاشبه عندنا ان يعطى لهم قدر
عمالتهم وهكذا الامام اذا استعمل احدا في عمل من اعمال اليتيم فانه يعطى له قدر اجر عمله وقوله
عز وجل والمؤلفة قلوبهم قد ذكرنا فيما تقدم انه عليه الصلوة والسلام كان يعطي الرؤساء من
المنافقين من الصدقات يتالف به قلوبهم ليسلموا على ما روى انه كان يعطي فلانا مائة من الابل
وفلانا كذا وروى انه قسم ذهبة في اديم مقروظ بعثها علي رضي الله عنه من اليمن بين الاقرع بن حابس
وبين فلان وفلان والحديث في هذا كثير ان النبي كان يخص بها الرؤساء منهم بالصدقة يتالفهم
والاسلام في ضعف واهله في قلة واولئك كثير ذو قوة وعدد فان اليوم فقد كثر اهل الاسلام
وكثروا فيما تكون حتى يسلموا وعلى ذلك جاء الخبر عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ما دل على ما ذكرناه
روى ان الاقرع بن حابس وعيينة بن فلان جاءا الى ابي بكر رضي الله عنه فقالا يا خليفة رسول
الله ان عندنا ارضا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة فان رايت ان تقطعنا فاقطعنا اياها وكتب
لهما عليها كتابا واشهد عمر رضي الله عنه وليس في قوم فانطلقا الى عمر يشهداه فلما سمع عمر ما في
الكتاب تناوله من ايديهما ثم نظر فيه فمحاه فتذمرا وقالا له مقالة سيئة وقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يتالفكما والاسلام يومئذ قليل وان الله تعالى قد اعز الاسلام اذهبا فاجهدا
جهدكما لا رعى الله عليكما ان رعيتما ونحن نذهب الى هذا الحديث لان ابا بكر لم ينكر على عمر قوله وفعله
فصار ذلك وفاقا منه له فكفى بقولهما حجة لنا ولنا في ذلك وجوه من الحجج احدها ان النبي عليه
السلام كان يعاهد قوما وهو على مداراتهم ومعاداتهم محتاج لما ذكرنا من قلة اهل الاسلام و
ضعفهم فلما اعز الله الاسلام واكثر اهله ردنا في اصل العهود عهودهم ثم امر بمحاربتهم جميعا والثاني
ما قال الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فكانت الحال الثانية التي فيها
الاسلام وقوي اهله وعزوا مخالفة للحال الاولى في هذه الاشياء فكذلك امر المنافقين جائز
الرؤساء في الحال الاولى محظور في الحال الثانية والله اعلم وفي الاية دلالة جواز النسخ بالاجتهاد
لارتفاع المعنى الذي به كان لنعلم ان النسخ قد يكون بوجوه وفي خبر ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
دلالة ان اذن الامام شرط في احياء الارض الموات لا تملك الا بالاذن لان ذلك لما طلب
الذين اتيا ابا بكر فقطعا الارض لا كلأ فيها وذلك صورة ارض الموات وقوله عز وجل وفي الرقاب
اختلف فيه قال بعضهم معناه العتق ويجوز ان يعتق عن الزكوة وقال بعضهم هم المكاتبون يعانون
في كتابتهم وقالوا لا يشبه الاعتاق ما يدفع الى المكاتب فيؤدي فيعتق ليس تمليكهم وانما هو اطلاق
حبس وما يدفع الى المكاتب فهو تمليك فذلك مختلف وانما يكون الزكوة زكوة اذا زالت من مالك الى
مالك والثاني ان العتق يوجب الولاء للمعتق فحقه فيه باق والذي يدفع فيه الزكوة الى غيره لا يرجع
اليه بذلك حق ولا يجب فيه ولاء فهما مختلفان والثالث وهو ان الله تعالى قال والغارمين ولو ان
رجلا قضى عن غارم دينه بغير امره لم يجز من زكوة ماله وانما يجوز زكوة اذا دفعها الى الغارم فعتق المكاتب
العبد بمنزلة قضاء دين الغارم لانه لا يحتاج في واحد منهما الى قبول من الغارمين والعبد واعطاه المكاتب
في الزكوة كدفعها اياها الى الغارم لانه قد دفعها اليه في كلا الحالين الى من قبلها منه من زكوة وقبضها
وفي ذلك وجه اخر وذلك ان اشترى عبدا من رجل لاعتقه فقد صار ثمنه دينا في ذمتي من قبل ان
انقد المال فاذا قضيته فانما قضيته عن ذمتي دينا قد لزمني ولا يجوز ان اقضي عن ديني وقوله عز
وجل وفي سبيل الله قيل هم الغزاة ويحتمل في سبيل الله اي في طاعة الله اي كل من سعى في طاعة الله
وسبيل الخيرات فانه داخل في ذلك وقوله عز وجل وابن السبيل الضيف ينزل به وقيل هو المار
عليك وان كان غنيا المنقطع عن ماله وقوله فريضة من الله يحتمل بيانا من الله واعلاما اهل الصدقات
منهم من غيرهم ويحتمل قوله فريضة من الله اي واجبا من الله وفرضا والله عليم حكيم وقوله عز وجل

ومنهم الذين يؤذون النبي اخبر انهم يؤذون النبي ولم يبين بماذا كانوا يؤذونه فيحتمل يؤذون النبي بتكذيبهم
اياه وتركهم الاجابة له والطاعة فيما يدعوهم اليه ويحتمل يؤذونه بكلمات يسمعونه ويلقون •
يطعنون ويعيبونه عليه ويقولون هو اذن قيل الاذن قيل الاذن هو الذي يقبل العذر ممن
اعتذر اليه ويسمع منه سواء كان لهم عذر او لا عذر له لكرمه وشرفه وحسن خلقه فظن اولئك
لما راوه انه كان يعاملهم معاملة الكرم والشرف والمجد انه انما يعاملهم هذه المعاملة لسلامة
قلبه وصغر همته وقصور رايه وهم كانوا اهل كبر وانفة قالوا هو اذن نقول ما شئنا ثم نحلف
ونعتذر اليه فيصدقنا ويقبل عذرنا قال الله تعالى قل يا محمد اذن خير لكم اي الذي يقبل العذر
ويسمع خير لكم من الذي لا يقبل ولا يسمع فكيف تؤذونه وتطعنون وتعيبون عليه ولا تصدقونه
ولا تؤمنون به وعن سفههم قالوا ابو عوسجه الاذن الذي من قال له شيئا او حدثه حديثا
صدقه واستمع منه وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق كل من قال له شيئا او حدثه
حديثا واستمع منه لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه لا لما ظنوا ولذلك وقيل يقولون هو اذن
اي يسر في نفسه ويكتم ولا يكافي من اذاه ولا يجازيه قال الله هو اذن خير لكم يؤمن للمؤمنين
قال بعضهم يؤمن بالله اي يصدق بالله لما ينزل من اياته ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم فيما بينهم
من شهاداتهم وايمانهم على حقوقهم وعروجهم واموالهم ويحتمل قوله يؤمن بالله ويصدقه
بما يخبره من سر المنافقين وما استكتموه منه من الكيد له والمكر به ويؤمن للمؤمنين بما يخبرونه
من قبل اولئك المنافقين من الطعن فيه والعيب عليه والايمان ما خرجها للتصديق بجميع ما
فيه والايمان له من غيره وحدبته وقوله ويؤمن للمؤمنين فيما يشهدون وفي الاخرة له بالتبليغ
اليهم كقوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين او ان يكون قوله ويؤمن للمؤمنين
اي يؤمن بالمومنين فيما بينهم بالاخوة في الدين كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
فاخوانكم في الدين وقوله عز وجل ورحمة للمؤمنين امنوا منكم كان صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين لما
استنقذهم من الكفر الى الايمان ومن الهلاك الى النجاة يشفع لهم في الاخرة بايمانهم في الدنيا والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم في الاخرة بتقدم من الاية الاولى وقوله عز وجل والغارمين جعل الله
الغارم موضعا للصدقة وهو الذي عليه الدين والغرم من اي وجه لحقه على ذلك روي في الخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان المسئلة لا تحل الا لاحد من ثلث من فقر مدقع او غرم مقطع او لذي دم موجع
وفي بعض الاخبار ان الصدقه لا تحل الا لخمس العاملين عليها او رجل اشتراها او غارم او غاز في سبيل الله
وروي عن الحسن والحسين وابن عمرو بن جعفر ان رجلا سالهم شيئا فقالوا ان كانت مسالتك في احدى
ثلث فقد وجب حقك في فقر مدقع او غرم مقطع او دم موجع هذه الاخبار كلها تدل على ان الغارم موضع
للصدقه قل دينه او كثر فان قيل في الخبر او غرم مقطع قيل لا خلاف بينهم في ان من دينه غير مقطع
فله ان ياخذ بقدر دينه من الصدقة فهذا يدل ان الذي روي في الخبر انما هو كراهة المسالة لا على
التحريم وهكذا نقول ان المسئلة لا تحل له اذا كان غرمه غير مقطع ولكن يحل وضعه فيه واخذه له
مسئله
قوله في سبيل الله هو ما ذكرنا انه المنقطع عن ماله جعل الله موضعا للصدقه فان كان غنيا في مقامه للحاجة
التي بدلت له وعلى ذلك روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقه لغني الا
في سبيل الله او ابن السبيل او رجل له جار مسكين تصدق عليه فاهدى له وفي بعض الاخبار عنه ما ذكرنا
قال لا تحل الصدقة الا لخمس وفيه او فقير تصدق عليه فاهداها للغني وقد يكون الرجل غنيا بان يكون له
دار يسكنها ومتاع بيتها وثياب عزم على الخروج في سفر وقد احتاج من الات سفره وسلاح يستعمله في غزوه
ومركب يغزو عليه وخادم يستغني بخدمته الى ما لم يكن محتاجا اليه في حال اقامته فيجوز ان يعطى من الصدقة
ما يستغني به في حوائجه التي يجدها لسفره فهو في مقامه غني بما يملكه لانه غير محتاج حينئذ الى ما وضعنا
وهو في حال سفره غير غني فيحتمل ان يكون معنى قوله لا تحل الصدقه لغني الا في سبيل على من كان غنيا في حال
مقامه فيعطى بعض ما يحتاج اليه لسفره لما احدث له السفر من الحاجة الا ترى ان الرجل قد يكون له المتاع
لا يحتاج اليه والدابة لا يركبها فاذا اصاب ذلك مائتي درهم لم يجز له ان ياخذ من الزكوة فان عرض له مرض
او سفر فاحتاج الى دابة ليركبها انه يخرج من الغنا بما حدث له من الحاجة الى الركوب وكان له ان ياخذ من

الصدقة

من الصدقة عندنا لا يستغني عما هو له وانما الغني من استغنى عما يملكه فكذلك الغارم على الوفاء فيحدث
له الحاجة على اكثر مما يملك وصار ممن يجوز ان يعان وان كان ملكه الذي كان به غنيا قبل ذلك لم ينقص
فهذا والله اعلم يحتمل وابن السبيل ايضا ما ذكرنا من الخبر ان لا تحل الصدقة لغني الا لابن السبيل ومن ذكر معه
وعلى ذلك اتفاق الامة وهو ما قيل المختار من ارض الى ارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تاويل قوله
ولا عابري سبيل هو المسافر وهو ما ذكرنا انه المنقطع عن ماله وان كان غنيا في مقامه والفقير الذي
يجوز ان يعطى من الصدقة روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل ولو جاء
على فرس وجاء في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يسال عبد مسئلة وقال احد
وله ما يغنيه الا جاءت يوم القيمة خدوشا او كدوحا في وجهه قال يا رسول الله وما ذا يغنيه او ما
اغناه قال خمسون درهما او حسابها من الذهب وفي بعض الاخبار يقول من سال وله اربعون درهما فقد
الحف وعن علي وعبد الله قالا لا تحل الصدقة لمن له خمسون درهما او عوضها من الذهب وعن عمر كذلك وعن
ابن عباس قال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي اربعون درهما استكثرا انا قال نعم وفي
بعض الاخبار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي
وفي بعض الاخبار لقوي مكتسب وانما يحمل قوله لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي خرج عن الزجر عن
الحرص على الصدقة والمسئلة عليها الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لا تحل الا في احد
من ثلث قد ذكر احدها او فقر مدقع فذلك يبيح لذي المرة السوي ان يقبل الا ترى ان الرجلين الذين سالا
رسول الله قال لهما ان شئتما اعطيتكما فلو كان محرما عليهما ما اعطاهما الحرام ويكون ذلك على الزجر عن المسئلة
وروي عن سلمان انه حمل الى رسول الله صدقة فقال لاصحابه كلوا ولم ياكل هو ولا يتوهم قبولهم ان اصحابه
كانوا زمنى فهذا يبين ان النبي اراد الزجر عن المسئلة التعرض لها في حال الضرورة لا على التحريم لها وان من
اخذها وله اقل من مائتي درهم او قيمتها فله فيما يملك سداد من عيش فذلك مكروه الا ترى انه روي عن الحسن
انه قال كان اصحاب رسول الله ياخذون الصدقة ولاحدهم من السلاح والكراع والعقار قيمة عشرة الاف درهم فهذا
حسن والتعفف عنها احسن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله
وقوله لان ياخذ احدكم حبلا فيحتطب خير له من ان يسال الناس شيئا اعطوه او منعوه قوله وقوله عز وجل يحلفون
بالله لكم ليرضوكم بما حلفوا عليه ذكر بعض اهل التاويل ان الانصار ومنت اليهم يعني الى المنافقين فقالوا قد عرنا
وما نزل فيكم حتى كانوا يحلفون للانصار والله ما كان شي من ذلك فاكذبهم الله فقال يحلفون بالله لكم
ما كان الذي بعكم ليرضوهم مما خالفوا والله ورسوله احق منكم يا معشر الانصار ان يرضوه حيث اطلع
على ما حلفوا وهم كذبة ان كانوا مومنين بقول ولكن ليسوا بمصدقين والاشبه ان يكون الاية نزلت في
معاتبة جرت بين المومنين والمنافقين باستهزائهم كان منهم برسول الله او طعن فيه او استهزاء بايات الله
فاعتذروا اليهم وحلفوا على ذلك ليرضوه فقال الله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مومنين حقيقة
ليسوا بمؤمنين واما ما قاله بعض اهل التاويل ان رجلا من المنافقين قال والله لئن كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمر فسمعها رجل من المسلمين فاخبر بذلك رسول الله فدعاه فقال ما حملك على الذي قلت
فحلف والتعن ما قاله فنزل قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم هذا لو كان ما ذكر لكانوا يحلفون لرسول
الله لا يحلفون لهم دل ان الاية في غير ما ذكر ويذكر عن ابن عباس ان الاية نزلت في ناس من المنافقين
تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك فجعلوا يحلفون لرسول الله حين رجع انهم لا يتخلفون عنه ابدا ولذلك
قال غيره من اهل التاويل ولكن لو كان نزولها ما قالوا لكانوا يحلفون لرسول الله ويرضونه للمؤمنين دل ان الاشبه
ما ذكرنا وفيه وجوه احدها الاية دلالة تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ليعلموا انه حق حيث اطلع عليه
بما اسروا في انفسهم وكتموا من المكر به وانواع السفه والثاني ليحذروا ويمتنعوا من مثله والمعاودة اليه لما
علموا انه يطلع على جميع ما يسرون عنه ويكتمون والثالث تنبيها المؤمنين وتعليما لهم منه بانه اذا وقع لهم
مثل ذلك لا يشتغلون بالحلف طلبا للرضاء بعضهم بعضا ولكن يتوبون الى الله ويطلبون مرضاته عز وجل
والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر نفسه ورسوله ثم اضاف الرضاء الى رسوله بقوله احق ان يرضوه
ولم يقل احق ان يرضوهما فهو والله اعلم لانهم اذا ارضوا رسوله رضي الله عنهم وكان في ارضائهم رسوله

ورضاء الله وهو ما ذكر انهم دعوا الى الله ورسوله ثم اضاف الحكم الى رسوله لانهم دعوا الى ان يحكم الرسول بينهم قوله والله ورسوله احق ان يرضوه لان الخلاف والخيانة كان في حق الله وفي حق رسوله لم يكن في حق المؤمنين لذلك قال والله ورسوله احق ان يرضوه من المؤمنين ثم ذكر مخادعة الله ورسوله ثم اقتصر على رضاء رسوله لانهم لم يقصدوا قصد مخالفة رسوله او ان يكون ذكر رضاء احدهما لان في ارضاء رسوله رضاء الرب كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله قوله عز وجل الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله في الاية دلالة انهم علموا انهم معاندون في صنيعهم وعلموا ان من عاند وكابر بغير حق فان له نار جهنم وقوله يحادد الله يحتمل يعاند الله وقيل يحادد الله يشاق الله ويخالف الله ورسوله فان له ما ذكر على ما ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج على الايجاب والالزام وقوله عز وجل ذلك الخزي العظيم وهو واحد ثم وقوله الم يعلموا يخرج على وجهين احدهما اى قد علموا انه من يحادد الله ورسوله فان له ما ذكر لكنهم عاندوا الخلاف والمحادة له مع علمهم والثاني اى اعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له ما ذكر على ما ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج على الايجاب والالزام عز وجل ذلك الخزي العظيم في الاخرة اى نار جهنم خزي عظيم قوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يحتمل قوله يحذر المنافقون اى الحق عليهم ان يحذروا لما اطلع الله رسوله مرارا مما اسروا وكتموا ويحتمل على الخبر انهم كانوا يحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم لكثر ما اطلع الله رسوله من سرائرهم وسفههم قوله عز وجل قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون فهو والله اعلم ليس على الامر ولكن على الوعيد يقول استهزؤا فان الله مظهر ومبين ما اسررتم وكتمتم من العيب والاستهزاء برسوله والطعن فيه عز وجل ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ذكر السؤال ولم يبين ثم فيما سالهم و ولكن في الجواب بيان ان السؤال انما كان على الاستهزاء حيث قال قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن ذكر ان نفرا من المنافقين كانوا اختلفوا في بعض الطريق قوله رسول الله ويرجع من النفر ويقتلونه فاطلع الله نبيه عن نجواهم في ذلك انه لما ذا فقال ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وذكر بعض اهل التاويل ان النبي لما رجع من غزوة تبوك بينا هو يسير اذ هو برهط يسيرون بين يديه يضحكون ويستهزؤن فاطلع الله رسوله انهم ليستهزؤن بالله وكتابه ورسوله فقال ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قيل بغير ذلك وقيل ولئن سالتهم ليقولن انما نخوض اى لو سالتهم ما تقولون فيقولون لك مما نخوض فيه الركب اذا ساروا وليس لنا الى معرفة كيفية استهزائهم حاجة ولا ماهية سوى ان فيما ذكر لنا من خبر المنافقين تنبيه المؤمنين وتحذيرا لهم ليحذروا اسرارهم ما لم يظهروا على السنتهم ليعلموا ان الله مطلع على ما يسرون ويضمرون قوله قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن قوله ابالله يحتمل الاضافة الى نفسه اضافة الى نفس المؤمنين لانه لا احد يقصد الاستهزاء بالله ولكنهم كانوا يستهزؤن برسول الله وبالمؤمنين فاضاف الى نفسه كقوله يخادعون الله وكذلك قوله ان تنصروا الله الاية فعل ذلك الاول كانوا يستهزؤن برسول الله وبالمؤمنين فاضاف الله الى نفسه تعظيما لهم واكراما قوله واياته يحتمل كانوا يستهزؤن بالاحكام التي لها ايات فاستهزؤا بتلك الاحكام فاضاف الاستهزاء الى الايات كقوله ولا تمسكوهن ضرارا الاية ولا تتخذوا ايات الله انهم لم يتخذوا ايات الله هزوا ثم لم يتخذوا ايات الله هزوا ولكن هزؤا بالاحكام التي لها ايات اضاف الهزؤ الى اياته ولكن من استخف بحكم من احكام التي لها ايات كان ذلك استخفافا باياته والله اعلم قوله عز وجل لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم اى لا تعتذروا فانه لا يقبل اعتذاركم لما لا عذر لكم فيما تعتذرون بعد ما قلتم انه اذن لما ظهر منكم الخلاف والكذب في ذلك كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم اخبر انه لا نصدقهم فيما اعتذروا لما ظهر كذبهم وتبين خلافهم قوله قد كفرتم بعد ايمانكم يحتمل كفرتم في الباطن بعدما اظهرتم باللسان ويحتمل قد كفرتم بعد ايمانكم حقيقة قد كفروا بعد ما امنوا قوله عز وجل ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة قال بعضهم قوله ان نعف عن طائفة وذلك ان المنافقين ندم منهم بعد النفاق وتاب فاخبر انه ان نعف عنهم يعذب الطائفة الذين لم يؤمنوا ولم يتوبوا وقيل ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة لان المنافقين من قد ماتوا على الايمان ومنهم من قد مات

على

على الكفر فوعد العفو عمن مات على الايمان كقوله ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اخبر انه ان شاء تاب عليهم فقوله ان نعف عن طائفة منكم الطائفة التي يتوب عليهم وقوله قل ابالله واياته ورسوله يحتمل وجهين احدهما على الايجاب اى يفعلون بالله ورسوله ذلك ويحتمل على التوعيد والتوبيخ ابالله ويفعلون هذا والله اعلم وقوله عز وجل المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ذكر في اهل الايمان اولياء بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وذكر في الكافرين الولاية لبعضهم ببعض بقوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وقال في المنافقين بعضهم من بعض فهو والله اعلم لاهل الايمان دين يدينون به ويتناصرون ويدعون الناس اليه واهل الكفر يدينون ايضا بدين ويتناصرون به ويتناصرون به ويتعاونون بعضهم بعضا فصار لكل واحد من الفريقين مجالات الدين واما المنافقون فانه لا دين لهم يدينون به ولا مذهب هم ينتحلون ولا يتناصر بعضهم بعضا ولا يعاونون بعضهم ولا يجري بينهم التناصر والتعاون فانما هم عباد النعمة والسعة ما لو جيئتم مالت النعمة والسعة مالوا لانهم لما ذكرنا وفي قوله المنافقات دلالة ان من تابع بالتقليد لاخر ونافق لا بتقليد سواء في استيجاب الاسم والتعذيب في ذلك والوعيد لان النساء من اتباع واهل تقليد للرجال ثم سوى بينهم وبين النساء في الاثم والوعد وقوله عز وجل يامرون بالمنكر يحتمل قوله يامرون بالمنكر اى ما ينكره العقول وهو الشرك بالله والخلاف له وينهون عن المعروف اى ينهون عما يعرفه العقول وتستحسنه وهو التوحيد لله والايمان ويدخل في ذلك كل خير وحسن وفي المنكر يدخل فيه الشرك وكل معصية وقوله عز وجل يقبضون ايديهم من الانفاق في سبيل الخير لكن يحتمل ان يكون على التمثيل لا على تحقيق قبض اليد ولكن على كف النفس وضعها في الاشتغال بالخيرات وفوضها فيها وفي جميع الطاعات لكنه ذكرها باليد لما بالايدي يعمل بها وبها يكتسب الخيرات والسيئات كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وذلك مما لم يقدمه الايدي ولا كسبت انما ذلك كسب القلب لكنه ذكر اليدي ذكرنا انه باليد ما يقدم وبها يقبض في الشاهد وجائز ان يكون ما ذكر من قبض اليد كناية عن بخلهم وقلة انفاقهم في الجهاد كقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وقوله عز وجل نسوا الله فنسيهم قيل جعلوا الله عز وجل كالشيء المنسي لا يذكرونه ابدا فنسيهم اى جعلهم كالمنسيين في الاخرة من رحمة لا يبالونها ويحتمل نسوا الله اى نسوا نعم الله التي انعمها عليهم فلم يشكروها فنسيهم على المجازاة ذلك وان لم يكن نسيا كما سمى جزاء السيئة سيئة وان لم يكن الثاني سيئة فعل ذلك ذكر النسيان على النسيان وان لم يحتمل النسيان والثالث نسوا الله اى سؤال المعونة والنصرة وسؤال التوفيق فنسيهم الله اى لم ينصرهم ولم يوفقهم وقوله عز وجل ان المنافقين هم الفاسقون فان قيل اسم النفاق اشد واقبح من اسم الفسق معنى ذكر الفسق لهم فهو والله اعلم لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين باللسان فاخبر انهم ليسوا على ما اظهروا والله اعلم وان يكون اسم النفاق اشر واقبح عند الناس من اسم الفسق فعندهم يحتمل ان يكون اسم الفسق اكبر في القبح او سماهم فاسقين لما ان كل اهل الاديان يانفون عن النسبة الى الفسق والتسمية او ان يكونوا يحلون في انفسهم انهم اهل نفاق ولا يعرفون انهم فسقة واصل الفسق هو الخروج عن امر الله وقوله عز وجل وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم هي المكان الذي يعذبون فيه والنار فيها يعذبون خالدين فيها هي حسبهم جزاء لصنيعهم بقول الرجل لاخر حسبك كذا اي كفاك ذلك جزاء لك وقوله ولعنهم الله قيل اللعن هو الطرد في اللغة اى طردهم عن رحمته ولهم عذاب مقيم لا يفارقهم ابدا وقوله عز وجل كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة اى هؤلاء المنافقين والكفرة كالذين من قبلكم لم يبين كاولئك فيماذا ولكن يحتمل قوله كالذين من قبلكم اى صرفوا الى العذاب كالذين صاروا من قبلكم وكانوا اشد منكم قوة وبطشا واكثر اموالا واولادا وفي الشاهد انما يدفع العذاب والعقوبة بهذا وبه يتناصر بعضهم من بعض ثم لم يقدروا على دفع ذلك عن انفسهم فانتم وانتم في القوة ما ذكر كيف تقدرون على دفع ذلك هذا قد قيل وقيل كالذين من قبلكم اى صرفوا اخترتم من الاعمال كما صار اولئك ما اختاروا من الاعمال وقيل تواخ الخلاف وتكذيب الرسل وتعالى بالاكثار

لمن قرأ انتم كالذين من قبلكم كما صاروا هم فاستمتعوا بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل انتفعوا اى كلهم بانتم
الدنيا بدينكم كما اكلوا وتلك الدنيا بدينهم وقيل فاستمتعوا بخلاقهم اى بنصيبهم من الدنيا ولم يقدموا شيئا الا
والخلاق النصيب كقوله اولئك لا خلاق لهم فى الاخرة اى لا نصيب لهم وقال ابو هريرة الخلاق الدين وكذلك
قال الملحدين فى قوله بخلاقهم اى بدينهم **وقوله** عز وجل وخضتم كالذى خاضوا اى خضتم انتم فى الباطل والتكذيب
كالذى خاضوا ولنك من الامم الخالية قال ابو عبيدة قوله خضتم اى لقيتم بالذى خاضوا بالبدعة
اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة فلا ثواب لها فى الدنيا والاخرة لانها كانت فى غير ايمان وثواب الاعمال
انما يكون فى الاخرة واولئك هم الخاسرون خسرانا مبينا ويبطلون اعمالهم فى الدنيا لا يقبل واحد من الفريقين
من المؤمنين والكفار صنيعهم لانهم يرون من انفسهم الموافقة لكل واحد منهما وما كانوا مع واحد
من الفريقين كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء **وقوله** عز وجل الم ياتهم
نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد الى اخره يحتمل هذا وجهين احدهما قوله الم ياتهم اى قد اتاهم
خبر الذين من قبلهم وما حل بهم وما انتقم الله منهم بتكذيبهم الرسل وسعيهم فى قتلهم واهلاكهم
وهم من جنس انفسكم واشد قوة وبطشا منكم وانتم تقلدونهم فى ذلك ثم حل بهم ما حل بتكذيبهم
والخلاق لهم فانتم دونهم فى كل شىء واقل منهم فى القوة والبطش اولى بذلك ان يصيبكم ويحتمل
قوله الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم وما حل بهم كقوله الم تر كذا اى ستر [illegible] فعل ذلك هذا يحتمل و
هو حرف وعيد يحذرهم ما حل بأولئك ليمتنعوا عن مثل صنيعهم **وقوله** عز وجل والمؤتفكات اتتهم
رسلهم قال اهل التأويل قريات لوط مؤتفكات اى منقلبات قال القتبى ائتفكت اى انقلبت و
قال ابو عوسجة المؤتفكات هى من الافك وهو الصرف انى يؤفكون اى يصرفون وقال بعضهم المؤتفكات
المكذبات اتتهم رسلهم بالبينات فكذبوهم فاهلكوا وهو من الانقلاب كان اشبه والله اعلم **وقوله**
عز وجل فما كان الله ليظلمهم بتعذيبهم اياهم ولا يعذبهم وهم غير مستوجبين لذلك العذاب ولكن هم
ظلموا انفسهم حيث كذبوا رسله وردوا ما جاءهم من البينات والبراهين **وقوله** عز وجل المؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض على الايجاب والاخبار ان الدين الذى اعتقدوا وتمسكوا به يوجب
لهم الولاية ويصير بعضهم اولياء بعض كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الاية وقوله انما المؤمنون
اخوة ويكون نهى اخوة الدين والولاية ويحتمل قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
على الامر اى اتخذوا بعضهم اولياء بعض ولا تتخذوا غيرهم اولياء كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء وقوله لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء نهى المؤمنين ان يتخذوا اولياء من غيرهم فكانه امرات
يتخذ المؤمنون بعضهم بعضا اولياء ولا يتخذوا من غيرهم ثم يحتمل الولاية وجهين ولاية روحانية وهى
ولاية فى الدين توجب مراعاة حقوق تحدث بالدين الذى جمعهم وحفظها والثانية ولاية نفسانية
وهى الولاية التى تكون فى الانفس والاموال من نحو ولاية النكاح والميراث وغيره فهذه الولاية
هى الولاية النفسانية التى كانت بالرحم والنسب فاذا اجتمعوا فى دين واحد وجبت تلك الولاية لهم
وهى الولاية الروحانية هى المحبة والمودة يجب مراعاة بالدين وتعاهده وهذا كما نقول حيوة روحانية
وحيوة جسدانية وحيوة الروحانية هى العلم والادب يرى الاشياء ويعرفها من بعد وحيوة الجسدانية
وهى الروح الذى به يحيى الجسد وبذهابه يموت الجسد والله اعلم **وقوله** عز وجل يامرون بالمعروف
يحتمل المعروف الذى يوجبه العقول وهو التوحيد لله والايمان به وينهون عما ينكره العقول وهو
الشرك بالله والتكذيب له وهذا الامر بالمعروف وينهون عن المنكر هو فيما بين الكفرة يامرهم
المؤمنون بذلك ويدعونهم الى ذلك وينهونهم عن ضد ذلك واذا كان فيما بين المؤمنين فهو امر
شرع يامر بعضهم بعضا بما جاء به الشرع وينهاه عما لم يجئ به الشرع او يامر بعضهم بعضا بكل خير وبر
وينهى عن كل شر ومعصية ويقيمون الصلوة ويطيعون الله ورسوله فى كل امره ونهيه اولئك
سيرحمهم الله وعدا انه يرحمهم ان الله عزيز حكيم قيل حكيم يرى اثار عزه فى كل شئ حكيم يرى اثار حكمته
وتدبيره فى كل شئ **وقوله** عز وجل وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا ومساكن طيبة فى جنات عدن **وقوله** عز وجل ورضوان من الله اكبر اى رضاء الله عنهم اكبر
من كل ما اعطاهم لان فيه حيوة الروح ولذته وما اعطاهم من الجنة والمساكن الطيبة فى حيوة الجسد

ولذته وحيوة الروح ارفع واكبر من حيوة الجسد لانه يؤثر زيادة فى الجسد وكذلك العز والحمد
وذكر الحسن فيه حيوة الروح ولذته اذ ليس فيه زيادة فى الجسد انما هو فرح وسرور يدخل فيه
واذا اصابه شئ من الذل وسمع مكروها حزن واهتم من غير ان نال الجسد او يجد الماء وشدة فى نفسه
وذلك لما اصاب روحه لم يصب جسده واصله ان العمل فى الدنيا للطلب مرضاة الله ومرضاته اكبر
من العمل يطلب ثوابه لان العمل يطلب الثواب امر له فالذى قام باداء ما عليه اعظم درجة واكبر فضلا من
الذى قام بعمل ما له لان كل احد يعمل ما له وله فيه نفع ولا كل احد يعمل لغيره لذلك كان ما ذكر **وقوله**
عز وجل ذلك هو الفوز العظيم لانه فوز ونجاة لا خوف بعده ولا هوان ولا ذل **وقوله** عز وجل يا ايها
النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يحتمل الامر بالجهاد الفريقين جميعا جهادا بالسيف ويحتمل
مجاهدة بالحجج والبراهين الفريقين جميعا ويحتمل ايضا الامر بالمجاهدة الكفار يجاهدهم بالسيف وتغليظ
القول والشدة على المنافقين ويقيم عليهم الحدود فان كان على مجاهدة الفريقين جميعا بالسيف فهو
والله اعلم فى المنافقين الذين انفصلوا من المؤمنين وخرجوا من بين اظهرهم واظهروا الخلاف للمؤمنين
بعد ما اظهروا الموافقة لهم فامثال هؤلاء يجاهدون بالسيف ويقاتلون به وهو كقوله لئن لم
ينته المنافقون الى قوله ملعونين الاية اخبر انهم يؤخذون ويقتلون اينما وجدوا وخشيه ان تكون
الاية فى الامر بالجهاد فى هؤلاء المنافقين ويحتمل وجها اخر وهو ان المنافقين كانوا يطعنون فى رسول
الله ويعيبون عليه فاطلع الله رسوله على ذلك وهم قد علموا ان الله اطلعه على ما يطعنون فيه
ويذكرونه بسوء فيقول والله اعلم جاهدهم اذا طعنوا فيك وذكروك بسوء بعد ذلك وان كانت
الامر على المجاهدة مجاهدة بالحجج فهو صلى الله عليه وسلم قد كان حاج الفريقين جميعا بالحجج وخاصة سورة
براءة انما نزلت فى محاجة المنافقين ويحتمل الامر بالجهاد بالكفار خاصة وفى المنافقين تغليظ القول
والتشديد واقامة الحدود التى ذكرنا والتعزير اذا ارتكبوا شيئا مما يجب فيه الحد والتعزير والله
اعلم بذلك لما اقاموا بين اظهر المؤمنين مظهرين لهم الموافقة **وقوله** عز وجل يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر قال بعض اهل التاويل الاية فى شان رجل منافق قال يوما والله لئن كان
ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعه ذلك غلام وهو ربيب ذلك القائل فقال له تب الى الله
وجاء الغلام الى النبى فاخبره فارسل اليه النبى فاتاه فجعل يحلف ما قال ذلك فنزلت الاية
فيه يحلفون بالله ما قالوا لكن غير هذا كان اشبه ولقد قالوا كلمة الكفر وقول الرجل لئن كان
ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير هذا القول نفسه ليس هو كلام ذم ذم به نفسه وبعد ان فى
الاية يحلفون بالله فهو قول جماعة وقيل نزل فى شان عبد الله بن ابى قال لاصحابه والله ما مثلنا
ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل فاخبر النبى بذلك فدعاه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله لكن يشبه ان يكون
الاية صلة قوله ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية كانوا يستهزؤن بالله وباياته
وبرسوله والاستهزاء بذلك كفر وان قالوا قول كفر لم يبين لنا ذلك فلا نفسره قوله بعد ما اظهروا
الاسلام اى رجعوا عما اظهروا من الاسلام وفى الاية دلالة ان الاسلام والايمان واحد قال وكفروا بعد
اسلامهم وقال فى اية اخرى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ثم قال كيف يهدى الله قوما
كفروا بعد ايمانهم وقال فى اية اخرى كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا فدل ان الاسلام والايمان
واحد **وقوله** عز وجل وهموا بما لم ينالوا قيل هموا بقتل رسول الله والمكر به فلم ينالوا ما هموا به وفيه
دلالة اثبات الرسالة لانهم اسروا ما هموا به ثم اخبر عن ذلك وهو غيب دل انه بالله علم بذلك
وقوله عز وجل وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله قال بعض اهل التاويل ان الرجل الذى
قال ذلك تاب عن ذلك فقبل منه وكان له قتيل فى الاسلام فوداه رسول الله فاعطاه ديته فاستغنى
بذلك وقال ابن عباس رضى الله عنه وما نقموا منهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعطى المنافقين من الغنائم والصدقات يقول ما نقموا الا ما اعطاهم رسول
الله من الغنيمة والصدقة وقوله نقموا قال بعض اهل الادب ابو معاذ وغيره نقموا اى طعنوا فيه لغتان
نقموا بالخفض ونقموا بالنصب يقال نقم ينقم ونقم ينقم بكسر القاف فهو والله اعلم يقول ما طعنوا

الله صلى الله عليه وسلم وما ذكروه بسوء الا ان اغناهم الله لانهم لو كانوا اهل حق
وحاجة ما اجترؤا على الطعن على رسول الله وما ذكروه بسوء ولكن طعنوا عليه
لما اغناهم الله ويحتمل قوله ورسوله من فضله ما عاملهم رسول الله معاملة الكرام
وبسط اليهم حتى قالوا انه اذن يقبل العذر فذلك حملهم على الطعن وقوله عز وجل فان
يتوبوا يك خيرا لهم فيه ان المنافق يقبل منه التوبة وان يتولوا يعذبهم الله عذابا
اليما يحتمل قوله تولوا بعد ما اسلموا ويحتمل قوله اى داموا على الكفر والنفاق يعذبهم
الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة بما ذكرنا فى الدنيا الامر بالجهاد والقتل والخوف هو
التعذيب فى الاخرة ظاهر وقوله عز وجل وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير قد ذكرنا هذا
فى موضع غير هذا وقوله عز وجل وما لهم فى الارض ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
قال بعضهم نزلت الاية فى ثعلبة بن حاطب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعوا
الله ليرزقه مالا وقال لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ومنهم من قال
انها نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة انه كان له اموال فى الشام فقال لئن تلك الاموال صدقت
واكن من الصالحين فلما اتاه الله تلك الاموال فبخل ومنع ما وعد ومنهم من نزلت فى
المنافقين جملة ليست فى شان واحد منصوص مشار اليه ولكن فى المنافقين جملة وهكذا
كانت عادتهم اذا وعدوا اشياء اخلفوا ولم يوفوا الوعد ثم يحتمل قوله ومنهم من عاهد
الله انه كان منافقا وقت ما وعد الله لئن اتاه من فضله لنصدقن ويحتمل انه لم يكن منافقا
فى ذلك الوقت لكنه صار بما بخل وكذب واعتقد الخلاف واستحل الخلف لما وعد منافقا فان
كان انما صار منافقا بما بخل واستحل له والمنع فيكون قوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم اى صار
نفاقا فى قلوبهم وان كان منافقا فى ذلك الوقت فيكون قوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم
اى اعقبهم الدوام على النفاق الى يوم القيمة ببخلهم ومنعهم ما وعدوا فيكون هذا كقوله
ومنهم من يلمزك فى الصدقات الاية وفى قوله ومنهم من عاهد الله الى قوله بما اخلفوا الله
ما وعدوه دلالة ان النذر يلزم اهلها ويجب الوفاء بها ويواخذون بها ان تركوا
الوفاء ويكفرون ان استحلوا نقض ما عهدوا وقوله عز وجل ولنكونن من الصالحين قال
بعضهم من المؤمنين فهو على تاويل من قال انه كان منافقا وقت وعده ويحتمل لنكونن من الصالحين
اى من الشاكرين وكذلك ذكر فى الخبر ان ثعلبة لما سأل رسول الله ان يسال الله له
مالا فقال له قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تؤدى حقه او كلام من نحو هذا وقوله عز وجل
فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون يحتمل تولوا عن وفاء ما وعدوا او تولوا
عن طاعة الله او معرضون عما وعدوا وعهدوا ان يوفوا وقوله عز وجل فاعقبهم نفاقا فى
قلوبهم الى يوم يلقونه قال بعضهم اثابهم نفاقا بما بخلوا الى يوم القيمة وقال بعضهم
اعقبهم الدوام على النفاق بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ينبغى للمسلم
ان يجتنب الكذب والخلف فى الوعد فانه سبب النفاق او نوع من النفاق وعلى ذلك روى
فى الخبر ان اجتنبوا الكذب فانه باب من النفاق وعليكم بالصدق فانه باب من الايمان
وفى بعضها عن النبى صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا من اذا حدث كذب
واذا وعد خلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفى بعضها واذا ائتمن خان فان
قيل ان اولاد يعقوب ائتمنوا فخانوا وحدثوا فكذبوا بقولهم اكله الذئب ووعدوا
فاخلفوا فترى انهم نافقوا قيل ما روى ان من اذا حدث كذب اى كذب فى امر الدين
واما الكذب فى غير امر الدين فانه لا يوجب النفاق وفى الاية دلالة انه لا ينبغى
بالسؤال فى شئ على غير طلب الخيرة فى ذلك من الله الا ترى ان ثعلبة لما الح على
رسول الله فى السؤال ان يسال له ربه ليرزقه مالا ففعل فاعقبه الله النفاق الى
يوم القيمة ولان اولاد يعقوب قد قدموا التوبة والاصلاح قبل صنيعهم الذى
صنعوا على خوف منهم لما فعلوا فلم يصيروا منافقين واصله ان اعتقاد الكذب واستحلال

الخلاف لما عهدوا الخلف فى الوعد هو الموجب للنفاق فاما نزل فعل الوفاء على غير استحلال له
منه فلا يوجب ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم ويحتمل
هذا وجهين ان قد علموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم لكثرة ما يطلع رسوله على ما اسروا
من الخلاف له وذكرهم السوء فى رسول الله والثانى الم يعلموا اى الم يعلموا ان الله يعلم
سرهم ونجواهم فانزكوا الطعن فى رسول الله وذكر السوء فيه والخلاف له وقوله عز وجل
ان الله علام الغيوب اى علام الغيوب او علام بما يكون التى غاب عن الخلق والا ليس شئ يغيب
عنه ما غاب عن الخلق وما لم يغب عنده بمحل واحد وعلام الغيوب او علام بما يكون ابدا فى
الاوقات التى يكون وفيه دلالة انه لم يزل عالما لان علم الغيب هو ما علم انه يكون لاما علم
وهو كائن دل انه كان لم يزل عالما لما ذكرنا وقوله عز وجل الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين
فى الصدقات الاية يشبه ان يكون الاية صلة قوله ومنهم من عاهد الله الى قوله وتولوا الى
اهل النفاق كانوا اهل بخل لا ينفقون الا مراآة وسمعة فظنوا بمن انفق من المسلمين و
تصدق ظنا بانفسهم فقالوا انهم انفقوا وتصدقوا مراآة وسمعة ذكر فى بعض القصة ان عبد الرحمن
بن عوف اتى بنصف ماله فى غزوة تبوك يتقرب به الى الله وقال يا نبى الله هذا نصف مالى اتيتك
به وتركت نصفه لعيالى فدعا له نبى الله ان يبارك فيما اعطى وفيما امسك فلمزه المنافقون وقالوا
ما اعطى الا رياء وسمعة وجاء رجل اخر من فقراء المسلمين بصاع من تمر فنثره فى تمر الصدقة فقال له نبى
الله خيرا ودعا له فقال المنافقون ان الله لغنى عن صاع هذا فذلك لمزهم ما انزل الله تعالى الذين يلمزون
المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم يعنى الذى جاء بصاع قال القتبى
يلمزون المطوعين اى يعيبون المتطوعين بالصدقة والذين لا يجدون الا جهدهم والجهد الطاقة
قال والجهد المشقة وقال ابو عوسجة الجهد انفاق الرجل من الشئ القليل يقال الجهد الرجل اذا كان
من الضعف ومن الفقر ويقال جهد فى العمل يجهد جهدا فهذا الجهد فى العمل قال ابو عبيد الجهد شئ قليل
والجهد الطاقة وكذلك قال ابو معاذ وفى الاية معنيان احدهما دلالة اثبات رسالة رسول الله لانه
يعلم ان ما كانوا منه من اللمز لم يكن ظاهرا ولكن كان سرا ثم اخبرهم رسوله بذلك دل انه انما عرف ذلك
بالله والثانى ان الامور التى فيما بين الخلق انما ينظروا الى ظواهرها وان فى الباطن على خلاف الظواهر حيث
عرنبوهم بما طعنوا فيهم بالرياء والسمعة يعلم ان الامور التى فيما بين الخلق يحمل على ظواهرها ولا ينظر بها
الى غير ظاهر والحقيقة هو ما بطن واسروا به يخلص لعمل الله والسر هو ما يسر المرء فى نفسه والنجوى هو
اجتماع جماعة على نجدة من الارض اى المرتفع من المكان وقوله عز وجل فيسخرون منهم سخر الله منهم
قال بعضهم ان من اعتذر الى اخر فيقبل عذره على علم من المعتذر اليه انه لا عذر له فيما
يعتذر اليه وانه كاذب فى ذلك فيقول المعتذر اليه ما يعتذر من المعتذر سخرية
من المعتذر اليه الى المعتذر وقال بعضهم قوله سخر الله منهم اى يجزيهم جزاء السخرية
فسمى جزاءه باسم السخرية وان لم يكن الجزاء سخرية كما سمى جزاء السيئة سيئة وان لم
يكن الثانية سيئة وكذلك سمى جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثانى اعتداء فعلى ذلك سمى
جزاء السخرية سخرية وان لم تكن سخرية ويحتمل قوله سخر الله منهم اى سخروا اولياء الله منهم فاضيف
اليه وكذلك يحتمل قوله الله يستهزئ بهم اولياءه وقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فذلك
استهزاء بهم وذلك جائز فى اللغة اضافة الشئ الى اخر والمراد منه غير المضاف اليه وقوله
عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال عامة اهل
التاويل انه لما مات عبد الله بن ابى اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه فاخذ عمر بن
الخطاب بثوبه فقال ما امرك الله بهذا قال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم فقال قد خيرنى ربى فقال افعل او لا تفعل وفى بعض الروايات قال له عمر
لا تستغفر فان الله قد نهاك عن هذا فقال يا عمر افلا استغفر احدا سبعين مرة او كلام نحو هذا انزل
عند ذلك سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لكن هذا لا يفهم رسول الله
من الاية التخيير وعمر منعه عن ذلك ولا يجوز ان يفهم التخيير فى ذلك ويخرج ذلك على التحديد او يكون

هذا منسوخة بالتى فى المنافقين لانه وعيد والوعيد لا يحتمل النسخ والوجه فيه والله اعلم ان
استغفرت لهم فان استغفارك ليس بالذى يرد فلا يجاب لكنهم قوم كفروا بالله ورسوله وقد
علم من حكى ان لا اغفر من مات على ذلك يخرج على الاعتذار لرسوله فى ذلك والنهى له عن الاستغفار ولهم
كقوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى وقد علم شرك المنافقين
وكفرهم بالله ورسوله فنهاه عن الاستغفار لهم اذ لا يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يطلع
رسوله على كفرهم فدل انه بعدما علم بذلك نهاه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة فى قولهم ان
صاحب الكبيرة لا يغفر له لانه اخبر انه لا يغفر لهم بما كفروا بالله ورسوله فدل ان من لم يكن
كفر بالله ورسوله فانه يغفر له وان له الشفاعة وصاحب الكبيرة ليس بكافر فدل انه ما ذكرنا
ثم طلب المغفرة من الله والشفاعة لغيره ان لا يكون الا للخواص من الخلق وهم الرسل والانبياء
على ما يكون فى الشاهد لا يرفع الى ملوك الارض الحاجة لغيرهم الا الخواص لهم ولا يشفعون
الا لاهل الشرف عندهم والمعتزلة تكره الله تعالى اذن لنا فى الاستغفار لغيرنا بقوله والذين
جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقوله سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم يحتمل قوله عليهم اى سواء عندهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم ويكون طلب استغفارهم من رسول الله استهزاء منهم له حيث قال سيقول لك
المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يخرج قولهم فاستغفر لنا مخرج
الاستهزاء على هذا التاويل ويحتمل قوله سواء عليهم اى سواء عند الله استغفرت لهم فانه لا يغفر لهم
بكفرهم بالله ورسوله ثم قوله ان تستغفر لهم سبعين مرة يحتمل ذكر السبعين لان السبعين هى
النهاية والغاية فى الاستغفار على ما روى انه كان يستغفر فى كل يوم سبعين استغفارا فاخبر الله
وان انتهيت النهاية فيه لا يغفر لهم ولا ينفعهم ذلك **وقوله** عز وجل والله لا يهدى القوم الفاسقين
وقت اختيارهم الفسق او لا يهديهم طريق الجنة فى الاخرة لفسقهم فى الدنيا اذا ماتوا على ذلك
وقوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الاية جمعوا اعنى المنافقين جميع خصال الشر
التى فعلوا احدها ما ذكر من فرحهم بالتخلف عن رسول الله والثانى كراهتهم الجهاد مع رسول الله
وبخلهم باموالهم والثالث صدهم الناس عن الجهاد الخروج فى سبيل الله بقولهم لا تنفروا فى
الحر جميع خصال المنافقين فى هذه الاية **وقوله** عز وجل فرح المخلفون ذكر المخلفون وهم كانوا متخلفين
فى الحقيقة لكنه يحتمل وجهين مخلفون خلفهم الله لما علم ان خروجهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا
ويحتمل مخلفون خلفهم اصحاب رسول الله لانهم لو ارادوا ان يخرجوهم كرها لقدروا على ذلك وانهم
يبغون الفتنة خلفهم عن ذلك كقوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل
حبسهم فعلى ذلك مخلفون خلفهم الله لما علم ان خروجهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا ويحتمل مخلفون خلفهم اصحاب
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لو ارادوا ان يخرجوهم كرها لقدروا على ذلك فهم كالمخلفين من هذا
الوجه لما لو ارادوا اخراجهم اخرجوهم وان كانوا متخلفين فى الحقيقة **وقوله** عز وجل بمقعدهم خلاف رسول
الله اى مخالفة رسول الله اى فرحوا بقعودهم بعد خروج رسول الله وقوله بمقعدهم يحتمل القعود اى بقعودهم
خلفه ويحتمل بمقعدهم اى موضع قعودهم وهو منازلهم واوطانهم وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم لبخلهم و
جلافتهم الذى فى قلوبهم **وقوله** عز وجل لا تنفروا فى الحر هذا فى الظاهر يخرج على اظهار الشفقة للمؤمنين ولكن
لم يكونوا ارادوا ذلك انما ارادوا حبسهم عن الخروج فى سبيل الله لكن المؤمنون لا يمتنعون عن الخروج فى
سبيل الله اذا قالوا لهم مطلقا لا تنفروا فى الحر وهو كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
كانوا يجبنون المؤمنين عن الخروج الى الغزو وكانوا يحتالون فى منعهم المؤمنين عن الخروج فى سبيل الله ولو
اطلقوا القول فى المنع وصرحوه لفهم المؤمنين ذلك ويظهر نفاقهم وجائز ان يكون قولهم لا تنفروا فى الحر
قالوا ذلك لاتباعهم لا للمؤمنين كقوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا غزى **وقوله** عز وجل قل نار
جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون اى لو كانوا يفقهون ما انزل على رسول الله لعلموا ان نار جهنم اشد حرا
من حر الدنيا او لو كانوا يفقهون انهم لم يخلقوا فى الدنيا للدنيا خاصة ولكن خلقهم فيها ليمتحنهم لعلموا
ان الموعود فى الاخرة اشد مما امتحنوا فى الدنيا والله اعلم **وقوله** عز وجل فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا يشبه

ان يكون الضحك كناية عن الفرح والسرور والبكاء كناية عن الحزن يقول افرحوا وسروا قليلا وتحزنون فى الاخرة
طويلا كثيرا ويمكن ان يكون على حقيقة الضحك لانهم كانوا يضحكون ويستهزؤن بالمؤمنين فى الدنيا يقول
فليضحكوا قليلا لان الدنيا قليلة تنقطع ويبكوا كثيرا فى الاخرة لانها لا تنقطع جزاء بما كانوا يكسبون **وقوله** عز وجل
فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك دل قوله رجعك الله الى طائفة منهم ان ليس كل من تخلف
عنه فى ذلك فهو منافق ولكن المنافقين امتنعوا وتخلفوا عنه **وقوله** عز وجل فاستاذنوك للخروج فقل
لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا لانه اخبر ان خروجهم معهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا فيقول
لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة اى عوقبوا بالقعود اول مرة لتخلفهم
وقوله فقل لن تخرجوا معى عدا ابدا اى لن اذن لكم ان تقاتلوا معى عدوا ابدا ويحتمل لن تخرجوا اى وان اذن
لكم بالخروج فلن تخرجوا ابدا فاقعدوا مع الخالفين قيل مع المتخلفين وهم المنافقون ما ذكر ويحتمل ان
تقعدوا مع اصحاب الاعذار وقال بعضهم مع النساء والرضى وهو واحد **وقوله** عز وجل ولا تصل
على احد منهم مات ابدا يعنى المنافقين ولا تقم على قبره ذكر فى بعض القصة انه لما مات عبد الله بن
ابى جاء ابنه الى رسول الله فقال يا رسول الله ان ابى مات واوصانا ان يكفن فى قميصك وان تصلى
عليه فخلع النبى قميصه فاعطاه ومشى فصلى وقام على قبره وروى فى بعض الاخبار انه صلى عليه والبسه
قميصه وقيل له تلبس عدو الله قميصك وقال انى لارجو ان يسلم بقميصى من بنى الخزرج الف فذكر
انه لما فعل ذلك اسلم الف رجل من المنافقين وروى انه لم يصل عليه فلا ندرى كيف كان الامر
بعد ان جاء النهى عن الصلوة على المنافقين بقوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره
انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون سماهم فسقة واسم الكفرة اقبح واذم لكنهم جمعوا
مع الكفر انواع الفسق ليعلم ان اعتقادهم الكفر والمذهب الذى يذهبون اليه انما اعتقدوا لهواهم
اذ الفسق مما يحرمه كل مذهب ودين وكل يا نف عن الفسق ويتبرأ منه ولا كذلك الكفر لان كل من امن
بشئ كفر بضده واصل الفسق هو الخروج عن الامر والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم فى الدنيا قال بعضهم من اهل التاويل انه على التقديم والتاخير كانه
قال ولا تعجبك اموالهم واولادهم فى الدنيا انما يريد الله ان يعذبهم فى الاخرة وفيه نقض قول
المعتزلة فى الاصلح وقد ذكرنا الوجه الذى يدل على نقض قولهم فيما تقدم ويحتمل قوله انما يريد الله
ان يعذبهم بها فى الدنيا وهو القتال والحروب التى امروا فيها ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا وهو التعذيب الذى ذكر لانهم يصيرون مقتولين **وقوله** عز وجل وتزهق انفسهم قبل ان يتوبوا
ويتهلكوا وهم كافرون **وقوله** عز وجل واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله اى
اذا انزلت فيها ان امنوا بالله لا انها تنزل سورة بهذا الحرف ولكن فيها ذكر ان امنوا بالله وجاهدوا
مع رسوله وهو كقوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال **وقوله** ان امنوا بالله بقلوبهم لانهم قد
اظهروا الايمان باللسان وهم لم يكونوا مؤمنين بالله حقيقة **وقوله** عز وجل استاذنك اولوا الطول
منهم قيل اولوا الطول هم اهل الغناء والسعة وقيل اولوا الطول اهل الفضل والشرف الذين كانوا
يصدرون لارائهم وينظرون الى تدبيرهم وقد كان فى اهل النفاق واهل السعة والغناء واهل
النظر والتدبير **وقوله** عز وجل وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين استاذنوا القعود عن الجهاد والله اعلم
لما كانوا يوالون اهل الكفر سرا فكرهوا القتال مع الاولياء وكانوا يتخلفون ويمتنعون عن الخروج الى
القتال وانما اهل الايمان جاءهم انما يخلون المراتب وكذلك اهل الكفر انما يقاتلون اهل الايمان
لما غنيمة فى العاقبة يأملون لكنهم كانوا يستاذنون القعود ويكونون مع القاعدين يرون
من انفسهم ان لهم العذر فى القعود ثم قوله ذرنا نكن مع القاعدين يحتمل مع القاعدين يحتمل
مع القاعدين من الضعفاء والمرضى والصبيان حتى اذا تاهم العدو من بعد ما خرج الرجال منهم الى القتال
العدو ويقومون لدفع العدو عن هؤلاء او يكون قولهم ذرنا نكن مع القاعدين من اهل العذر
يرون انفسهم انهم اهل العذر ولم يكن لهم عذر فى ذلك كقوله ان بيوتنا عورة وما هى بعورة
الاية فعل ذلك الاول يحتمل هذا **وقوله** عز وجل رضوا بان يكونوا مع الخوالف دل مع النساء فهذا خرج
تعيير وتوبيخ اى رضوا بان يكونوا فى مشاهد النساء دون مشاهد الرجال **وقوله** عز وجل وطبع الله

على قلوبهم فهم لا يفقهون ان للايمان نورا يبصر به عواقب الامور ويرفع الحجاب والستر عن القلوب
وبين الامور فتريها بادية ظاهرة وللكفر ظلمة تستر الظاهر من الامور والبادي منها فتستر ذلك
الظلمة فتغطيه فذلك التلكة الطبع وقد ذكرنا الوجه فيه في غير موضع والله اعلم فهم لا يفقهون
ما يلحقهم من التعيير برضاهم بالقعود مع الخوالف والفقه هو معرفة الشئ بمعناه الدال على نظيره
منع تلك الظلمة ان تعرف الاشياء بمعانيها ونظائرها للحجاب الذي ذكرنا وقوله عز وجل لكن الرسول
والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم يقول والله اعلم ان الرسول والذين حققوا الايمان
والتصديق جاهدوا باموالهم وانفسهم اي بذلوا انفسهم واموالهم لنصر دين الله واظهار سبيله
ولم يجعلوا كالجل اهل النفاق في بذل اموالهم وانفسهم في نصر دينه بالمجاهدة مع اعدائه ولم يحققوا
الايمان والتصديق ثم اخبر ان المؤمنين الذين حققوا الايمان والتصديق وبذلوا انفسهم واموالهم
وجاهدوا بهما في نصر دين الله واظهار سبيله لهم الخيرات قال بعضهم لهم الخيرات الذكر في الدنيا والثناء
الحسن وسلوك الناس طريقهم وفي الاخرة الثواب والجزاء وقيل الخيرات في الاخرة لما بذلوا انفسهم واموالهم في نصر
دين الله والمجاهدة مع عدوه وقيل لهم الخيرات الحور العين كقوله فيهن خيرات حسان والله اعلم واولئك هم
المفلحون المفلح هو الذي يظفر بحاجته يقال افلح وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل اعد الله لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ليس يقع فيما فيه الغلظ والكثافة ولكن القدر والمنزلة
عز وجل وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم قال بعضهم من اهل التاويل المعذرون هم الذين يستاذنون
في القعود ولا عذر لهم في ذلك وقال الكلبي المعذرون هم الذين لهم عذر وبهم علة وبعضهم قال المعذرون هم
المعتذرون وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قرأ والمعذرون بالتخفيف وقال لعن الله المعذرين كانه ذهب الى ان
المعذر هو الذي له عذر والمعذر بالتشديد هو الذي لا عذر له لذلك لعن المعذر وقال ابو معاذ واكثر كلام العرب المعذر
الذي له عذر وهو قولهم قد اعذر من انذر وقال ابو عوسجة المعذر بالتشديد هم الذين لا يجدون ما يخرجون به ولا
يجدون الذي لا يناصح المعذر الذي يريد ان يعذر ويقال عذرت في الامر اذا لم يبالغ فيه واعذرت في الامر اي بالغت فيه وقال
القتبي المعذرون بالتشديد هم الذين لا يجدون ما يخرجون ما لا يريدون اي يفعلون يقال عذرت في الامر اذا قصرت
واعذرت جددت ثم قال بعض اهل التاويل دل هذا على ان اهل النفاق كانوا صنفين صنف كانوا يستاذنون
القعود وصنف لا يستاذنون ولكن يقعدون بقوله وقوله وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم دل قوله الذين كفروا منهم لهم عذاب اليم على ان من
اهل النفاق من قد امن وتاب وان من تاب يقبل ذلك منه لانه قال سيصيب الذين كفروا ولم يقل سيصيبهم
عذاب اليم وقال بعضهم المعذرون بالتخفيف هم المؤمنون الذين لهم عذر والتخلف الى رسول الله لينظر
في امرهم الاوفق ان كان الخروج لهم اوفق يخرجون وان كان القعود اوفق يقعدون يدل على ذلك الاية
التي تتلو هذه وهو وقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
الاية فان قيل كيف احتمل ان يكون اية واحدة في الفريقين مختلفين اذا قرأ بالتخفيف فهي في الذين لهم
عذر واذا قرء بالتشديد كانت في الذين لا عذر لهم قيل تصير على اختلاف القراءة كاتنين في حالتين ووقتين
مختلفين ان كان تاويل المعذر بالتشديد هو الذي يعتذر لا عذر له والمعذر بالتخفيف هو الذي له عذر
او كان تاويل احدى القراءتين على معنى الاخرى كان لهم عذر في حال ولا عذر لهم في حال اخرى والا لا يحتمل
ان يكون القراءتان جميعا في وقت واحد وتاويلهما على الاختلاف الذي ذكروا وهو كقوله قالوا ربنا باعد
بين اسفارنا وربنا بالرفع باعد بين اسفارنا احدهما على الدعاء والاخر على الايجاب هما ايتان صارت اية واحدة
لاختلاف القراءة والله اعلم وقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج لو لم يذكر المرضى ولا الذين لا يجدون ما ينفقون لكان المفهوم من قوله ليس على الضعفاء
المريض والذي لا يجد ما ينفق وكذلك اذا ذكر المريض كان في ذكره ما يفهم منه كل ضعيف وكل ما لا يجد ما ينفق
وفي كل حرف من هذه الحروف ما يفهم منه معنى الاخر فلما ذكر دل ان المراد من ذكر الضعفاء الزمنى من
نحو الاعمى والاعرج فكان كقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج فتكون الايتان واحدة اعني معنى
واحد وفيه دلالة ان ليس في ذكر عدد من الاشياء خطر دخول غير المذكور في حكم المذكور اذا كان في
معناه ولهذا قال اصحابنا ان ليس فيما ذكر رسول الله عددا في الربو في قوله والحنطة ما يحنط والذهب بالذهب

والفضل ربوا على انه لا لمعنى ورد ولا يدخل فيه ما لم يذكر لما ذكرنا انه لو ذكر الضعفاء لذكر المريض والاعمى
والاعرج وجميع ما ضعف عن الخروج من انواع الاعذار ثم لم يدل ما ذكر من العدد وتخصيصه على انه لا
لمعنى ذكر فعلى ذلك خبر الربوا ثم جعل العمى والعرج والمرضى وعدم النفقة ونحوه عذرا في ترك الخروج
ولم يجعل شدة الحر وبعد المسافة ونحوه عذرا بقوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا وقوله
والله اعلم ان كل ما لم يجعل في المنع عن الخروج لشهوة او لطمع يرجونه من التجارة ونحوها لم يكن ذلك عذرا
في ترك الخروج اذ شدة الحر وبعد السفر وخوف العدو لما لم يمنعهم عن الخروج للتجارة فلم يصير ذلك عذرا
في التخلف عن الخروج للجهاد واما حال المرض والزمانة وعدم النفقة يمنع ويعجزهم عن الخروج في كل
ما يهوون ويشتهون فصار ذلك عذرا لهم بالتخلف عن الخروج للجهاد والثاني ان كل ما يقدر على دفعه
بحال لم يجعل ذلك عذرا في التخلف وكل ما لا سبيل لهم الى دفعه فهو عذر والحر وبعد السفر وخوف يجوز
ان يدفع فيصير كان ليس وهو ما ذكر قل نار جهنم اشد حرا اذ ذكر شدة حر جهنم وبعد سفر الاخرة و
اهواله هان عليه الخروج وسهل فارتفع ذلك فلذلك صار احدهما عذرا والاخر لا والله اعلم وقوله
عز وجل اذا نصحوا لله ورسوله قيل لم يخدعوا احدا في دينه ولم يغشوا في دنياه وقيل اذا نصحوا لله ورسوله
اي اطاعوا الله ورسوله في الحضرة ولم يتركوا في طاعته وقوله عز وجل والله غفور رحيم بتركهم الخروج
وتخلفهم عن الجهاد مع الاعذار وقوله عز وجل ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم
عليه في ذكر في بعض الاخبار عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لولا اشق على امتي او قال على المؤمنين
والا لخرجت في كل سرية بعثتها لانهم لا يجدون ما ينفقون فيخرجون ولا احد ما احملهم عليه فيشق عليهم تخلف
مغازيهم ايانا فلا اخرج بتركهم الخروج اذا لم يجد واما ينفقون ولا ما يحمل عليه ثم قال ولكن السبيل على
الذين يجدون ما ينفقون فيتركون الخروج بقوله انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا
بان يكونوا مع الخوالف يعني النساء وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون هذا قد ذكرناه هاهنا قد طبع الله
على قلوبهم فهم لا يعلمون وذكر في الاية الاولى وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون والفقه هو معرفة
الشئ بغيره والعلم هو وقوع العلم لا بغيره ولذلك يقال لله عالم ولا يجوز ان يقال فقيه فاخبر عز وجل
انهم لا يعرفوا الشئ بغيره ولا بنفسه عنادا منهم ومكابرة وقوله عز وجل ما يقول لهم وماذا يجيبون
لهم فقال يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم بما تعتذرون اي بما
تظهرون لانفسكم من العذر وقوله عز وجل لا تعتذروا ليس على النهي ولكن على التوبيخ والتعيير
عز وجل قد نبانا الله من اخباركم يحتمل قوله قد نبانا الله من اخباركم انكم لا تصلحون ابدا كما قال انهم رجس
وماويهم جهنم الاية اخبر انهم رجس وان ماويهم جهنم وقيل قد نبانا الله من اخباركم حين قال لهم
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الى قوله يبغونكم الفتنة وقالوا وهذا الذي نبانا الله من اخباركم
وقوله عز وجل وسيرى الله عملكم ورسوله قال بعضهم سيرى الله عملكم ورسوله فيما تستانفون
ويحتمل قوله سيرى الله عملكم ورسوله اي سيرى الله ورسوله عملكم باطلا ويقول سيرى الله عملكم اي
يجزيكم جزاء عملكم ورسوله والمؤمنون يشهدون عليكم بذلك وقوله عز وجل ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة قد ذكرنا ان ليس شئ يغيب عنه او يكون شئ عنده اظهر من شئ ولكن ما يغيب عن الخلق وما
يغيب عنده بمحل واحد وقوله عز وجل فينبئكم بما كنتم تعملون يخرج على الوعيد وقوله عز وجل سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم يحتمل قوله لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم اي لا
تعاتبهم ولا تشتغل بهم فانهم لا يصلحون ابدا وانهم رجس وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون وقوله
عز وجل يحلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلوا منهم ما يظهرون من العذر ثم اخبر انكم ان رضيتم منهم وقبلتم
ما يذكرون من عذرهم فان الله لا يرضى عنهم لما يعلم انه لا عذر لهم فيما يظهرون لكم والعذر والله اعلم ليس
على النهي عن ارضاء اولئك لان ارضاء الخلق بعضهم لبعضهم انما يكون بالحلف وما يكون من الظاهر
ولكن النهي عن ترك الموافقة في الباطن وفيه يتحقق رضاء الله وقوله عز وجل الاعراب اشد كفرا و
نفاقا وهو ان رسول الله دعا كفار المدينة ومنافقيها فايس عن ايمانهم بقوله فاعرضوا عنهم
انهم رجس وماويهم جهنم الاية فلا وليس عن ايمان هؤلاء قيل نحو طائفة من الاعراب الذين كانوا
بقرب المدينة وحواليها فاخبر انهم اشد كفرا ونفاقا من اهل المدينة ويحتمل انه اراد بالاعراب

جملة انهم اشد اى الكفار منهم واهل النفاق كفرا ونفاقا من اهل الامصار والمدن فنقول وجهاين
احدهما ان اهل الامصار والمدن كانوا يسمعون الايات والحجج ويخالطون اهل رحمة ورافة
واهل مودة واما الاعراب واهل البادية كانوا لا يسمعون الايات والحجج ولا خالطوا اهل رحمة
ورافة فهولاء اقسى قلوبا واضيق صدورا واهل المدن والامصار الين قلوبا واوسع صدورا
فهم اسرع للاجابة واولئك ابعد ابطاء اجابة والثانى انهم وصفوا بفضل الجهل مالم يوصف
اهل المدن والامصار بذلك بذلك ما روى عن نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يومنكم اعرابى
وفى بعضها لا يوم من اعرابى وفى بعضها مهاجرا وفى بعض الاخبار من بدا جفاء ذلك والله اعلم
لانهم كانوا لا يدخلون الامصار والمدن ليتاربوا ويتعلموا الادب فاذا كانوا كذلك فهم اجهل
والايمان هو التصديق والتصديق انما يكون بعد العلم لانه مالم يعلم لم يصدق فاذا كانوا بالجهل
ما وصفنا كانوا اشد انكارا وتكذيبا من غيرهم وهو ما ذكر واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على
رسوله وصفهم بالجهل وبالجهل يكون التكذيب وبالعلم التصديق وهو ما ذكرنا واجدر واخلق
واحرى واحد **وقوله** عز وجل حدود ما انزل الله على رسوله قال بعضهم هم اقل علما بالسنن وقيل
بالفرايض وقيل الحدود ما باين من طاعة الله ومعصية واصله انهم اهل جهل بجميع الاوامر والمناهى
وجميع الاداب وما لا يحل وما يحل والله عليم اى على علم بما يكون منهم وخلقهم حكيم حيث وضع الخلق
بموضع يدل على وحدانية والوهيته لو تدبروا فيه ونظروا **وقوله** عز وجل ومن الاعراب من يتخذ
ما ينفق مغرما اى كان لا ينفق حسبة وقال بعضهم ينفق ولا يراه حقا انما يراه غرما يلحقه وغرما يعرفه
واصله انهم لو كانوا علموا حقيقة انهم وما حوته ايديهم لله ليس لهم لم يعدوا ذلك غرما
ويتبعه لحقهم ولكن لم يروا لله تعالى فى اموالهم حقا ولم يعلموا ان اموالهم حقيقة لا لهم عدوا ذلك غرما
وتبعة **وقوله** عز وجل ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء قيل الدوائر هو انقلاب الامر وهو
من الدوران ثم يحتمل قوله يتربص بكم ما قال بعضهم موت محمد وقيل دوائر الزمان وحوادثها عليهم
دائرة اى عليهم انقلاب الامر وهو من الدوران ثم يحتمل قوله وعليهم ما يتربصون من المومنين **وقوله**
عز وجل ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله ليس على حقيقة الانزال من موضع ولكن على خلق
ذلك كقوله وانزل لكم من الانعام كذا يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا **وقوله** عز وجل والله سميع لما
قال عليهم بما اسروا واضمروا **وقوله** عز وجل ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما
ينفق قربات عند الله ذكر فى الاية ان من الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ليعلم ان قوله الاعراب
اشد كفرا ونفاقا كان فى طائفة مشار اليها لا كل الاعراب لانه ذكر هاهنا ان منهم من ينفق ويتخذ
قربات عند الله وذكر فى الاية الاولى ان منهم من يتخذ ما ينفق مغرما اى لا يراه حقا واجبا ولكن
غرما يلحقه ومنهم من يرى ذلك حقا لله واجبا فى اموالهم يجعلون ذلك قربة لهم عند الله و
اولئك يرون غرما يلحقهم لا قربة ثم فى الاية خوف دخول المومنين فى وعيد هذه الاية
الذين لا يودون الزكوة ولا ينفقون وخوف لحوق النفاق لانه اخبر انهم يتخذون ما ينفقون
مغرما فمن ترك اداءه انما يتركه لانه لا يرى ذلك حقا لانه لو راى ذلك حقا واجبا لاداه على ما ادى
غيره من الحقوق ولو كان موقنا بالبعث لانفق وجعل ذلك قربة له عند الله لان المومن اى الله انما
يومن انما ينفق ويعمل للعاقبة فاذ ترك ذلك يخاف دخوله فى وعيد الاية ولحوق اسم النفاق به وان
كان لا تشهد عليه ذلك **وقوله** ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول قال بعضهم بعضهم
جعلوا ما انفقوا قربات عند الله بصلوات الرسول لانهم اذا انفقوا كان الرسول يدعوهم بذلك و
يستغفر فكان ذلك لهم قربات عند الله باستغفار الرسول ودعائه وقال بعضهم جعلوا ما انفقوا
وصلوات الرسول قربات عند الله ويكون لهم ما انفقوا قربة عند الله وصلوات الرسول طمانية
لهم وبراءة من النفاق لان الرسول كان لا يدعو لاهل الكفر والنفاق فاذا دعا لهولاء وصلى
عليهم كان ذلك طمانية لقلوبهم وعلما لهم للبراءة من النفاق وعلى ذلك يخرج قوله ان صلوتك
سكن لهم اى يسكن قلوبهم بصلوة الرسول وتطمئن بانهم ليسوا من اهل النفاق وانهم براءة
من ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل الا انها قربة لهم ذكر هذا مقابل ما ذكر فى الاية الاولى وهو قوله

ويتربص بكم

ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء اخبر هاهنا ان ما يتربصون هم بهم من الدوائر عليهم ذلك
وهاهنا اخبر ان ما ينفق المومنون ويطلبون بذلك قربة عند الله انها قربة لهم ثم وعدلهم الجنة بقوله
سيدخلهم الله فى رحمته اى جنته سمى جنة رحمة لما برحمته يدخلون لا استيجابا لهم منه بذلك بل رحمة
منه وفضلا ان الله غفور لما كان منهم من المساوى والشرك اذا تابوا واسلموا رحيم حيث لم يواخذهم
بذلك **وقوله** عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان يحتمل
هذا ان يكون هذا مبتدا معطوفا على قوله سيدخلهم الله مع السابقين الاولين اى اولئك الذين
امنوا من بعد اولئك المهاجرين والانصار يدخلهم فى الجنة مع السابقين الاولين ويحتمل ان يكون على
الابتداء لا على العطف على الاول ثم اختلف فيه قال بعضهم السابقون الاولون فى الاسلام والنصرة
وقال بعضهم الاولون فى الهجرة والنصرة والذين اتبعوهم باحسان على تاويل من جعل المسابقة فى الاسلام
وعلى تاويل من جعل على الهجرة اتبعوهم باحسان يجعلهم فريقين المهاجرين والانصار ولا يجعل
طبقة ثالثة واما القراءة العامة من القراء فهى على اثبات الواو وجعل طبقة ثالثة ثم منهم من قال
من اهل التاويل السابقون الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين بايعوا بيعة الرضوان وقال بعضهم
هم الذين صلوا القبلتين وقال بعضهم السابقون الى الاسلام الاولون من المهاجرين والانصار الذين
صلوا القبلتين والذين اتبعوهم على دينهم الى يوم القيامة باحسان ثم خصوص تسمية اهل المدينة
انصارا وان كانوهم والمهاجرين جميعا نصروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا انصار الله
فهو والله اعلم لانهم نصروا المهاجرين حيث اووهم وانزلوهم فى منازلهم واوطانهم وبذلوا انفسهم
واموالهم وان كانوا جميعا فى النصر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شرعا سواء ثم فى الاية دلالة
الرد على الروافض لانهم يجعلون ابا بكر وعمر وهولاء رضى الله عنهم ظلمة لا على الحق بتوليهم الامر والامامة
والخلافة لانه معلوم انهم كانوا فيما ذكر عز وجل بقوله من المهاجرين والانصار ثم اخبر ان الله راض
عنهم وانهم رضوا عنه دل انهم كانوا على حق وصواب من الامر وان من وصفهم بالظلم والتعدى هو
الظالم والمتعدى واضع الشى غير موضعه وفيه جواز تقليد الصحابة والاتباع لهم والاقتداء بهم لانه
مدح عز وجل من اتبع المهاجرين والانصار بقوله والذين هم باحسان ثم اخبر عن جملتهم ان الله راض عنهم
دل والله اعلم ان التقليد لهم لازم والاقتداء بهم واجب واذا اخبر واحد خبرا او حدثوا حديثا يجب العمل به
ولا يسع تركه والله اعلم بذلك عز وجل وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على
النفاق اخبر ان من حولهم من الاعراب ومن اهل المدينة ايضا منافقون مردوا على النفاق فقال بعضهم
المراد فى الشى هو النهاية فى الشر وقال بعضهم مردوا على النفاق اى ثبتوا عليه وداموا وقال بعضهم مردوا
اى عتوا عليه وبالغوا فيه اخبر انهم لشدة مكرهم وخداعهم وعتوهم لا تعلمهم انت نحن نعلمهم لان من
المنافقين من كان يعرفهم الرسول فى لحن القول كقوله ولتعرفنهم فى لحن القول ومنهم من كان يعرفهم
فى صلوته كقوله فاذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى ومنهم من كان يعرف نفاقه فى تخلفه عن رسول الله
يعنى عن الغزو فاخبر عز وجل ان هولاء لشدة عتوهم ومكرهم وفضل خداعهم لا تعرف نفاقهم ثم اخبر
الله يعذبهم مرتين قال بعضهم القتل والسبى وعن الحسن قال عذاب فى الدنيا وعذاب فى القبر وقال
بعضهم يعذبهم بالجوع مرتين وقال ابو بكر الاصم قوله سنعذبهم مرتين القتل والسبى قبل الموت والعذاب
الاخر والعذاب يعذبون فى القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ويشبه ان يكون تعذيبهم اياهم مرتين نعم
حيث اخذوا بالانفاق على المومنين وبينهم وبين المومنين عداوة وامروا ايضا بالقتال مع الكفار وهم
اولياتهم هذا احد المعذبين لانهم امروا بالانفاق على اعدائهم وامروا ايضا ان يقاتلوا اولياتهم والعذاب
الثانى القتل فى القتال فان قيل لم يذكر ان منافقا قتل قيل لم يذكر لعله انهم كانوا
لا يعرفونهم لقوله لا تعلمهم اذا لم يعرفوا فيقتلون كما يقتل غيرهم من المومنين والله اعلم وقال بعضهم
سنعذبهم مرتين عند الموت ضرب الملائكة الوجوه والادبار كقوله يضربون وجوههم وادبارهم
وفى القبر منكر ونكير ثم يردون الى عذاب عظيم فى الاخرة عز وجل واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا قال عامة اهل التاويل الاية نزلت فى ابى لبابة واصحابه تخلفوا عن غزوة تبوك
عن رسول الله فندموا على ذلك واعترفوا ورجعوا عن ذلك وتابوا فقبل الله توبتهم ووعدلهم

المغفرة بقوله عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وذكر في بعض القصة انه لما رجع رسول الله عن غزوة تلك جاء هؤلاء الذين تخلفوا منه باموالهم الى رسول الله فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فخذها فتصدق بها عنا فكره ان ياخذها فقال لم اومر بذلك فنزل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وهذا الوعد لكل مسلم ارتكب ذنبا لم يخرجه من الايمان ثم ندم على ذلك وتاب يرجى والله اعلم ان يكون في عد هذه الاية لانه ذكر المؤمنات وما هم عليه وذكر المنافقين وما هم عليه ثم ذكر الذين خلطوا اعمالهم الصالحة باعمالهم السيئة ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا وعند الله لهم قبول التوبة والمغفرة وقوله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها واختلف في هذه الصدقة التي امر الله رسوله باخذها من اموالهم وقال بعضهم صدقة فرضية ثم اختلف فيها اية فرضية هي فقال بعضهم فرضية زكوة الاموال وقال بعضهم هي فرضية كفارة المآثم وذلك ان اولئك الذين تخلفوا عن رسول الله عن غزوة تبوك ندموا على تخلفهم فلما رجع رسول الله جاؤا باموالهم فقالوا له تصدق باموالنا عنا فان اموالنا هي التي خلفتنا عنك فامر الله رسوله ان ياخذ منهم ذلك ويتصدق بها كفارة لما ارتكبوا ومن قال هي فريضة زكوة المال لما روي عن ابي امامة قال ان ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال رسول الله ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم جاءه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال ويحك يا ثعلبة اما ترضى ان تكون مثل رسول الله لو سألت الله ان يسيل الجبال على ذهبا لسيلت ثم اتاه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فوالله لئن اتاني الله مالا لاوتين كل ذي حق حقه فدعا له فقال اللهم ارزق ثعلبة ثلاث مرات وذكر انه اتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت عليه ازقة المدينة فتنحى بها وكان يصلي الصلوات كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويخرج اليها ثم ضاقت عليه مرة في المدينة فتنحى بها وكان يصلي الظهر والعصر مع رسول الله ثم يتبعها ثم تنحى بها فكان يصلي الجمعة مع رسول الله ثم يتبعها ثم بلغ امره الى ان يترك الجمعة والجماعات فتنحى بها ويتلقى الركبان فيسئلهم عن الخبر انزل على رسول الله خذ من اموالهم صدقة الاية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصدقة رجلين فكتب لهما فرايض وامرهما ان يسعيا في الناس ويأخذا صدقاتهم وان يمرا بثعلبة وبرجل من بني سليم فياخذا صدقاتهما فخرجا يصدقان الناس فمرا بالسليمي فاقرأه كتاب رسول الله فاطاع بالصدقة ومرا بثعلبة فاقرأه كتاب رسول الله فقال والله ما ادري ما هذه الا جزية او اخت الجزية فاذا فرغتما فمرا بي حتى ارى رأيي فلما فرغا من الناس مرا به فقال لهما مثل مقالته الاولى وقال انطلقا فاتيا رسول الله فانزل الله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الى قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى هذا ذهب عامة اهل التاويل انها نزلت في شان ثعلبة ومنهم من قال ما ذكرنا انها نزلت في شان اهل تبوك الذين تخلفوا عن رسول الله ومنهم من قال الصدقة التي امر الله رسوله ان ياخذها من اموالهم هي صدقة تطوع وتبرع وهو ما ذكر ان رسول الله كان يحث الناس على الانفاق في غزوة تبوك فجاء عبد الرحمن بن عوف بكذا وفلان بكذا فاخذها منهم وفيه نزل قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ومنهم من قال هو في كل صدقة تطوع قلت او صدقة او كثرت امر رسوله ان ياخذ من اموالهم ما رأى لا ياخذ الكل لان اخذ الكل يحرجهم ويشغلهم عن جميع الطاعات والعبادات ولكن امر ان ياخذ قدرا منها وطائفة مقدار ما يكون ارتكبوا من المأثم وقوله عز وجل تطهرهم وتزكيهم بها ان كان الصدقة الزكوة فهي تطهر اثامهم وتزكي اخلاقهم حتى تيسر عليهم اخراج الصدقة واداؤها الى اهلها وان كان صدقة كفارة لمن تخلف عن غزوة تبوك فهي تكفر اثامهم التي لحقتهم بذلك وتزكيهم قيل ويصلحهم وهو ظاهر وان كان صدقة تطوع فهي لما يطهر ايضا ويزكيهم لما ينفي عنهم البخل ويؤدي الى الجود والكرم الا ترى انه مدح من اعطى وذم من بخل ومنع بقوله فاما من اعطى الاية وان من بخل الاية وقوله عز وجل وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم قال بعضهم كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتى احد بصدقة دعا له ويستغفر وكان لا يستغفر لاهل النفاق وكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبي لما علموا بذلك انهم ليسوا من اهل النفاق هذا يحتمل ويحتمل وجها اخر وهو ان الله امر رسوله ان يستغفر لهم ويصلي عليهم

ثم لا يخفى ان امره بذلك فلا يفعل او فعل فلا يجيبه فكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبي اياهم لما قبلت توبتهم وكفرت سيئاتهم والله اعلم والله سميع عليم قد ذكرنا هذا غير مرة وقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم دلالة ان الصدقة انما اخذها منهم وقعت في يد المتولي والعامل عليها سقطت عن اربابها وان لم تقع في ايدي الفقراء ولم تصل اليهم لان النبي كان لا يحل له الصدقة ثم اخبر انه اذا اخذها منهم كانت طهارة لهم وتزكية وفيه استدلال لمحمد بن الحسن في الوقف ان الواقف اذا وقف واخرجه من يده جعله في يد اخر من لا حق له في ذلك كان جائزا ويكون وقفا صحيحا ومن الناس من استدل بهم والاية على ان للامام ان يطلب زكوات الاموال وكذلك مضت السنة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعث المصدقين الى احياء العرب والبلدان والافاق لاخذ صدقات الانعام والمواشي في مواضعها وعلى ذلك فعل الائمة من بعده ابو بكر وعمر والائمة الراشدون وظهر العمل بذلك من بعدهم الى هذا الوقت حتى قال ابو بكر لما امتنعت العرب من اعطائه الزكوة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله لجاهدتهم عليها فذلك يؤيد ما ذكرنا من مطالبة الامام اصحاب الانعام والمواشي بزكوة انعامهم ومواشيهم وقد بين الله تعالى وجوب ذلك بيانا شافيا بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية فجعل للعاملين عليها حقا فلو لم يكن على الامام ان يطالب صدقات الانعام في اماكنها وكان اداء ذلك الى ارباب الاموال ما كان لذكر العاملين وجه ولم يبلغنا ان النبي بعث في مطالبة المسلمين بزكوات الورق واموال التجارة ولكن الناس كانوا يعطون ذلك او من حمله منهم الى الائمة يقبلون ما يحمل اليهم منه ولا يسألون احدا ان يبلغ ملكه ولا يطالبونه به الا ما كان من توجيه عمر العشار في الاطراف وكان ذلك منه عندنا والله اعلم للتخفيف عمن بعد عن داره وشق عليه ان يحمل صدقته الى امامه فجعل في كل طرف من الاطراف عاشرا لتجارة اهل الحرب والذمة وامرهم ان ياخذوا من تجار المسلمين ما يدفعونه اليه وكان ذلك من عمر تخفيفا على المسلمين لان على الامام حكاية ارباب الاموال اموال العين واموال التجارة باداء الزكوة سوى المواشي والانعام فان مطالبة ذلك الى الائمة الان يأتي احد منهم الامام ببعض من ذلك فيقبله منه ولا يتعدى ما جرت به السنة الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة من عباده ويحتمل قوله الم يعلموا اي قد علموا ان الله يقبل توبة من تاب ويحتمل على الامر اي اعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويحتمل قوله الم يعلموا اي قد علموا ان الله يتوب على من تاب ويأخذ الصدقات قيل يقبل ويشبه اضافة الاخذ الى نفسه اضافته الى رسوله بقوله خذ من اموالهم صدقة وذلك اكثر في القران وقوله عز وجل ان الله هو التواب الرحيم قال ابو بكر الاصم التواب هو صفة العافي وهو اسم للتاديب والتواب عندنا هو الموفق للتوبة ثم الكافر اذا اسلم وتاب لم يلزم مع التوبة كفارة اخرى سوى التوبة وان كان ارتكب مساويا وفواحشا سوى الشرك والكفر والمسلم اذا ارتكب مساويا لزمته التوبة والكفارة جميعا وذلك ان المسلم لما اسلم اعتقد حفظ ما لزمه من الشرايع فاذا ارتكب ما ذكرنا خرج شانه وادخل نقصانا فيما اعتقد حفظه فاذا ترك حفظه وادخل فيه النقصان لزمته الكفارة يجبر بها النقصان الذي ادخل فيه واما الكافر فليس عليه شيء من الشرايع انما عليه ان يتوب عن الشرك ويأتي بالايمان لذلك افترقا وقوله عز وجل وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اختلف فيه قال بعضهم في الذين كانوا تخلفوا عن تبوك ثم ندموا وتابوا عن ذلك فتاب الله عليهم يقول اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اي ان عدتم الى ما عنه نهيتم وهو التخلف يطلع الله رسوله والمؤمنين على ذلك وستردون الى عالم الغيب والشهادة وقال بعضهم الاية في المنافقين يقول اعملوا فيما تستانفون فان الله يطلع رسوله والمؤمنين على نفاقكم فتفتضحون حيث يطلعون على سرائركم وستردون الى عالم الغيب والشهادة اي تردون الى ما عندكم عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجزيكم جزاء بما كنتم تعملون يخرج ذلك على الوعيد وذكر في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شهد جنازة والمؤمنون ايضا شهدوا فاثنى عليها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال الملائكة شهداء الله في السماء وانتم شهداء الله في الارض فاذا شهدتم وجبت ثم قرأ قوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون فان ثبت هذا ففيه دلالة جواز حجة الاجماع لانه قال الملائكة شهداء الله في السما
وانتم شهداء الله في الارض فاذا استشهدتم وجبت فاذا شهدوا على شر فهو شر واذا شهدوا على خير فهو خير
فعلى ذلك اذا استشهدوا على حكم يلزم العمل به وقوله عز وجل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
ليس على الامر ان يقول لهم جميعا اعملوا كذا ولكن ان كل ما يلقنه هذه الاية يتفكر فيها ويتدبر فلا يقوم
على عمل لا يستحسنه ان يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنون بحضرته فاذا خلا به لا يعمله
وكذلك قوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ليس على الامر بالسير في الارض
ولكن على الامر بالتفكر والتدبر فيما نزل بهم بالتكذيب وكذلك قوله قل هو الله احد ليس على الامر ان
يقول لهم ذلك ولكن يتفكر فيه انه واحد وقوله عز وجل واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب
عليهم قال بعضهم هو صلة قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا كانوا موقوفين
محبوسين لا يدرون ما يحكم الله فيهم ايعذبهم او يتوب عليهم فنزل قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقال بعضهم هو صلة قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا و
قال بعضهم قوله واخرون مرجون لامر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا وقال ابو عوسجة واخرون مرجون
لامر الله اي محبوسون يقال ارجيته اي حبسته وقال القتبي مرجون لامر الله اي مرجون على امره كان
هذه الاية نزلت في الذين تخلفوا عنه للركون الى الدنيا ورغبته فيها وهم المؤمنون والاية التي كانت قبل
هذه الاية في المنافقين الذين تخلفوا للركون في الدنيا وكفرا ونفاقا وقوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا
ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين عن ابن عباس رضي الله عنه ان المنافقين اتخذوا مسجدا فلما فرغوا
منه جاؤا الى نبي الله وهو يتجهز لغزوة تبوك فقالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة ولنا
نحب يا رسول الله ان تاتينا فتصلي فيه قال رسول الله انا على سفر وحال شغل ولو قدمنا من سفرنا اتيناكم
فصلينا لكم فيه ان شاء الله فانزل الله على رسوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الاية اخبر فيه انهم لم
يقصدوا ببنيان مسجدهم ذلك ما ذكروا ما بنينا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والاشتغال على
الدين وحفظه الصلوة بالجماعة ولكن يقصدون به ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وقوله ضرارا وكفرا
وتفريقا بين المؤمنين يكون قوله تفريقا بين المؤمنين تفسيرا لقوله ضرارا يقصدون ببنيانهم المسجد
الذي بنوا ريبة ان يفرقوا بين المؤمنين وبين رسول الله حتى اذا جاءهم العدو وجدهم متفرقين
فيكون ايسر واهون عليهم بالكسر عليهم والظفر بهم من ان كانوا مجتمعين روي عن رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم انه قال لن يغلب اثنا عشر الفا من واحدة وقوله ولا تفرقوا واذكروا نعمة
الله عليكم جعل الاجتماع في الدين نعمة ونهاهم عن التفرق وهم كانوا يقصدون قصد التفريق بينهم
لما ذكرنا وكانوا يقصدون بذلك ان يفرقوا بين ضعفة من المؤمنين وبين رسول الله فيلبسون عليهم
الدين لانهم كانوا اهل لسان وجدل وذلك كله كفر على ما ذكر وفيه دلالة اثبات رسالة نبينا محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا واخفوا فيما بينهم وبنوا الضرار والكفر والتفريق بين
المؤمنين فاطلع الله نبيه على ما اسروا ليعلم انه انما عرف بذلك بالله وقوله عز وجل وارصادا لمن حارب
الله ورسوله اي بنوا ذلك المسجد ارصادا لمن حارب الله ورسوله قال عامة اهل التاويل هو ابو عامر
ذكروا ان ابا عامر حارب رسول الله ثم هزمه فقال للمنافقين ابنوا مسجدا واستعدوا فاني ذاهب
الى قيصر بالشام فاتي بجند فنخرج محمدا واصحابه من المدينة فذهب الى قيصر بالشام فبنوا مسجدا ارصادا
لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر قال القتبي ضرارا اي مضارة وارصادا اي ترقبا بالعداوة وقال
ابو عوسجة ضرارا اي مضارة وارصادا لمن حارب الله ورسوله اي وتوقفا وانتظارا الفرصة لمن حارب
الله ورسوله على المؤمنين وقوله عز وجل وليحلفن ان اردنا اي حلفوا ما اردنا باتخاذ المسجد الا
الحسنى والخير والله يشهد انهم لكاذبون فيه ما ذكرنا من الدلالة على اثبات الرسالة وقوله عز وجل
لا تقم فيه ابدا قيل لا تصل فيه لانهم سالوه ان يصلي فيه وقيل لا تقم اي لا تاته ولا تدخل وهو
واحد لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه قال بعضهم هو مسجد قبا وقال بعضهم
هو مسجد رسول الله روي عن ابي سعيد الخدري قال اختصم او قال اختصمنا في المسجد الذي اسس
على التقوى فقال النبي عليه السلام هو مسجدي هذا وعن ابي بن كعب قال ان النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم

عليه وسلم سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال هو مسجدي هذا وظاهر ما ذكر ان يكون مسجد
قبا لان ذكر لما نزل فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال لاهل قبا ان الله قد احسن
عليكم الثناء في الطهور فما ذا تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغائط والبول وفي الاخبار قالوا
يا رسول الله انا نجد مكتوبا علينا في التورية الاستنجاء بالماء فلا ندعه فقال لا تدعوه وقوله عز وجل
فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويحتمل اي فيه رجال يؤثرون التطهر بالايمان والتوحيد والصلاة
فيه وكل مسجد هذا فيه فهو مؤسس على التقوى اي تقوى الشرك والخلاف لامر الله ومناهيه او يقول
فيه رجال يحبون ان يؤثرون التطهر بالتقوى والاعمال الصالحة على غيرها من الاعمال التي تنجسهم ويحتمل
ما ذكر اهل التاويل من التطهير والاقذار والانجاس كانه قال فيه رجال يؤثرون الابلاغ في التطهر من
الاقذار والانجاس التي تصيبهم وقوله عز وجل افمن اسس بنيانه على تقوى من الله اي على الطاعة
لله والاخلاص له ورضوان له وطلب مرضاته خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار اي بني للاختلاف
والتفريق بين المؤمنين والكفر بالله هذا المثل مقابل مكان بمكان يقول من بنى بناء على قرار من الارض
مما يقربه وينتفع به خير ممن بنى بناء على المكان الذي لا يقر ويؤدي الى الهلاك ولا ينتفع به والاول مقابل
فعل بفعل وهو قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين كالذي بني لقصد ذلك
اي ليسا سواء ثم قال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه هذا مقابلة فعل بفعل
يقول الذين بنوا المسجد على الطاعة لله والاخلاص له وطلب مرضاته والاجتماع فيه خير ام من بنى للكفر
بالله والتفريق بين المؤمنين وضرارهم هذا مقابلة فعل بفعل وقوله افمن اسس بنيانه على تقوى
من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هذا مقابل مكان بمكان لما ذكرنا وقوله اسس
اصل اس والاسس والتاسيس والاساس واحد وقوله عز وجل على شفا جرف هار قال ابو عوسجة
شفا جرف قال شفاه شفته والجمع اشفاه وجرف ارض يسيل فيها السيل حتى يحفرها والجرفة جمع و
قوله هار وقال الهار الهش الذي ليس بصلب ويقال انهار ونهار اي انهدم ويقال رجل هار اي ضعيف وارض
هشة الرخوة سريعة الانهدام والهش الرخوة وقال القتبي شفا جرف هار اي جرف جرف نهار والجرف
ما يجرف بالسيول الاودية والهار الساقط ومنه يقال تهور البناء اذا سقط فانهار به وقال ابو عبيدة
على شفا جرف الشفا هو الشفير والجرف ما يجرف من السيول من الاودية وهار يريد هائر وقوله
فانهار به في نار جهنم قال بعضهم خسف الله مسجدهم في نار جهنم وفي حرف ابن مسعود فخر من قواعده في نار
جهنم وقال حفرت فيه بقعة فروى منها دخان سطع وقال بعضهم بينا انهم الذي بنوا في نار ولا ندري
كيف هو وما معناه وقوله عز وجل لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم قال بعضهم بنوا ريبة اي
حسرة وندامة وقال بعضهم ريبة اي شكا وريبا ومن قال حسرة وندامة فهو على وجهين يحتمل انهم
تابوا وندموا على ما صنعوا ويحتمل حسرة وندامة لما افتضحوا بما صنعوا وبما ارادوا بقوله والله يشهد انهم
لكاذبون ومن قال شكا ونفاقا الا ان تقطع قلوبهم الى الممات اي هم على الشك والنفاق الى الموت وهو
كقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه واصل الريبة التهمة يقال فلان مريب اذا كانت به
تهمة وقوله عز وجل الا ان تقطع قلوبهم هذا ايضا على وجهين احدهما على التمثيل ان الخوف والحزن اذا
بلغ غايته يقال فلان منقطع القلب وقوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة يحتمل قوله اشترى اي استام لان قوله اشترى خبر ولكن يحتمل الاستيام اي استام
ان يبذلوا انفسهم واموالهم لله ليجعل لهم الجنة ثم بين فقال يقاتلون في سبيل فيقتلون ويحتمل ان يكون
قوله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم خبرا عن قوم باعوا انفسهم واموالهم كقوله ومن الناس
من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله وقوله يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله
الاية فاذا صاروا بايعين انفسهم كان الله عز وجل مشتريا بها منهم ثم بين ان كيف يباع وكيف يشترى
فقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اي يقتلون العدو ويقتلون اي يقتلهم العدو و
وقد قرئ الاول بالرفع فيقتلون والثاني بنصب الياء فهو ليس على الجمع ان يقتلوا ويقتلوا ولكن ان
يقتلوا العدو ويقتلهم العدو وايهما كان اوبقا تلوة العدو وان لم يقتلوا كقوله ومن يقاتل في
سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم

يؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله الاية سمى الايمان بالله والمجاهدة فى سبيله تجارة
ثم قال بان لهم الجنة بحق الوعد لهم فضلا منه لا بحق البدل ثم قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم منهم وانفسهم فى الحقيقة لله ان ياخذ منهم انفسهم واموالهم وان يتلفهم
باى وجه ما شاء لكنه عامل عباده معاملة ما لا ملك له فى ذلك ولا حق كرما منه وفضلا
وجودا ووعد لهم على ذلك اجرا وبدلا وكذلك ما ذكر من القرض له ووعد لهم على ذلك الاجر
مضاعفا وكذلك ما وعد لهم من الثواب فيما يعملون لانفسهم كالعاملين له حيث قال جزاء بما كانوا يعملون
وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ونحوه وان كانوا فى الحقيقة عاملين لانفسهم بقوله ان احسنتم
احسنتم لانفسكم الاية ذكر ما ذكر فضلا منه واكراما اذ هى له حقيقة الحقيقة وهو كما قال لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فانما طلب منهم بذل انفسهم واموالهم اوذكر
والله اعلم ستر ما له فى الحقيقة ليعلم الخلق انه كيف يعامل بعضهم وكذلك قال الله من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا عاملهم معاملة من لا حق له فى اموالهم وانفسهم يعامل الناس بعضهم
بعضا فى اموالهم وانفسهم لمن لا حق له فى ذلك **وقوله** عز وجل وعدا عليه حقا اى وعدا واجبا
فى التورية والانجيل والقران اى وعد ذلك فى التورية والانجيل والقران وفى حرف ابن مسعود
عهدا عليه حقا فى التورية والانجيل والقران **وقوله** عز وجل وعدا عليه حقا فى التورية والانجيل
هذه الاية تنقض قول من يقول بان الانجيل نزل على التخفيف والتيسير والتورية بالتشديد وكذا
قوله فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة وذلك مذكور فى حكم الانجيل الا ان يقال بان قوله
وعدا عليه حقا فى التورية والانجيل اى كان هذا مذكورا لهذه الامة فى التورية والانجيل وما ذكرتم
قال ومن اوفى بعهده من الله هذه على ان قوله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية انما
هو عهد اليهم حيث ومن اوفى بعهده من الله اى لا احد اوفى واصدق بعهده من الله وفيتم انتم بعهده
الذى عهد اليكم والله اعلم **وقوله** عز وجل فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به يشبه ان يكون
الاستبشار الذى ذكر وقت الموت ان يقول لهم الملئكة استبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فى الحيوة
الدنيا هذا يدل ان البيع يكون بيعا بالبدل وان لم يتلفظ بلفظة البيع وقد ذكرنا فيما تقدم ان الاحكام
لم تتعلق بالالفاظ والاسامى انما علقت بالمعانى فيها فاذا وجد المعانى حكم بها وذلك هو الفوز
العظيم الذى ذكر **وقوله** عز وجل التائبون العابدون الحامدون الى اخره قال بعضهم على الصلة
بالاول فيما ذكر من الشرى والوعد لهم الجنة اذا كانوا على الوصف الذى ذكر وكذلك ذكر فى حرف
ابن مسعود وابى رضى الله عنهما ان الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين الحامدين على الصلة
بالاول بالكسر الى قوله والحافظون لحدود الله قراها والقائمين على حدود الله انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة ومنهم من قال على الابتداء بالرفع التائبون العابدون الحامدون الى اخره ويشبه ان يكون
الشراء الذى ذكر فى اول الاية وما وعد لهم ببذل انفسهم واموالهم فى الجهاد ويكون ذلك ايضا فى غيره
من الطاعات والخيرات ما بذل نفسه لله فيما ذكر من العبادة له والجهد وما ذكر من الاية فهو بايع
نفسه منه كقوله ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله ونحوه **وقوله** عز وجل التائبون
يحتمل التائبون من الشرك او من جميع المعاصى العابدون يحتمل العابدون جميع انواع العبادة والحامدون
قيل الشاكرون وقيل المثنون على الله فان كان قوله العابدون من العبادة فيكون الحامدون المثنون
على الله لان العبادات كلها شكر وان كان قوله العابدون الموحدون فيكون قوله الحامدون الشاكرون لله
المنعم التى انعمها الله عليهم السائحون قيل الصائمون وعلى ذلك روى عن نبى الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انه سئل عن السائحين فقال هم الصائمون وقال وسياحة امتى الصيام وقال القتبى واصل السائح
الذاهب فى الارض ومنه يقال ساح الماء اذا جرى وذهب والسائح فى الارض تمنع من الشهوات فشبه
الصيام به لامساكه فى صومه عن المطعم والمشرب وجميع اللذات وقال ابو عوسجة هم الذين يمضون
على وجوههم فى الارض ليست لهم منازل يقال ساح يسيح سيحا وسياحة الراكعون الساجدون
قيل المصلون وقيل الخاضعون لله والخاشعون له وذكر كذلك كذلك ذكر فى حرف حفصة الامرون
بالمعروف يحتمل التوحيد اى امرون الناس بتوحيد الله ويحتمل الامرون لهم بالخيرات والمعروف كلها

والناهون عن المنكر الشرك ويحتمل كل معصية والحافظون لحدود الله قال بعضهم لفرائض الله التى فرضها
على عباده وقال بعضهم لسنن الله ولكن حافظون جميع احكام الله لا يجاوزون ما حد لهم لا يفرطون
فيها وبشر المؤمنين يحتمل البشارة لهؤلاء الذين سبقوا ذكرهم ويحتمل على الابتداء اى بشر جميع
المؤمنين كقوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا والله اعلم **وقوله** عز وجل ما كان للنبى
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين دلت الاية بانها نهانا ان نستغفر لمن علمنا انه من اهل النار لما
ان الله لا يغفر له لما علم انه لا يؤمن فكل ما علمنا انه لا يغفر له لم يستغفر له لم يجز لنا ان نقول انه
اراد الايمان لمن يعلم انه لا يؤمن ابدا كما لم يجب ان يغفر لمن وجبت له النار فهذا ينقض على المعتزلة
قولهم ان الله قد اراد لكل كافر الايمان لكنه لم يؤمن ثم قوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين قال بعض اهل التاويل ان رسول الله قد استغفر لاحد والديه وذكر انه دخل على ابى طالب
عمه فدعاه الى شهادة ان لا اله الا الله قال ثم استغفر له وقال لا استغفرن لك ما لم انه عنه او
كلام نحو هذا فنزل قوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى الاية
قال الحسن لا يحتمل ان يكون رسول الله من رسول الله لا يعلم ان الله لا يغفر للكافر اذ فى العقل والحكمة
ان لا يغفر له والتعذيب لابد وعندنا الحكمة تعذيب الكافر ابدا وان لا يغفر له لوجوه احدها ان
فى ذلك تسوية بين العدو ووليه ومن سوى بين عدوه ووليه فهو ليس بحكيم اذ فى الحكمة التميز
بينهما والثانى انه اذا عبد غير الله معه انما يعبد غيره بجهله وتلك الجهالة لا ترتفع ابدا لانه
اذا غفر له فيقع عنده انه انما جزى به لما جزى وغفر لعبادة غير الله والثالث انه لو غفر للكافر
لذهب حكمة الافعال لان الافعال انما يوصف بها العواقب تتامل اوتحمد واما ذما فاذا غفر له تحمد
بافعال كان الحق له الزم بها ففى ذلك خروجها عن الحكمة وجائز ان يكون رسول الله يستغفر
للمنافقين قبل ان يتبين له انهم منافقون فلما تباين له نفاقهم كف عن استغفارهم فاما ان يستغفر
للكافر على علم منه كافر فلا يحتمل على ما يقوله بعض اهل التاويل انه استغفر لعمه ولاحد والديه
وقوله عز وجل ما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه قال بعضهم وعده اياه
الاسلام فكان استغفاره لابيه على وعد الاسلام فانما كان استغفاره بعد اسلامه الا ترى انه قال
ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين فانما طلب له المغفرة فى ذلك اليوم وقد كان
وعد له الاسلام لذلك كان استغفر له الا ترى انه تبرأ منه اذ تبين له انه من اهل النار ويحتمل ان
يكون استغفار ابراهيم لابيه طلب السبب به منه يستوجب المغفرة وهو التوحيد وهو كقول هود
لقومه ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وكقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا ليس يأمرهم
ان يقولوا استغفر الله ولكن يأمرهم بالاسلام ليغفر لهم ويكونوا من اهل المغفرة فعلى ذلك استغفار
ابراهيم لابيه وكذلك قوله واغفر لابى انه كان من الضالين اى اعطه السبب الذى به يستوجب المغفرة
وهو التوحيد كان سؤاله سؤال التوحيد اذ لا يحل طلب المغفرة للكافر وفى الحكمة لا يجوز ان يغفر له
فان قيل فان كان على ما ذكرتم كيف استثنى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك بعد ما اخبر لنا ان
فى ابراهيم قدوة بقوله قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم قيل يحتمل الاستثناء الا قول ابراهيم
اى لم يعلم المعنى من استغفاره لانا لا نعلم نعرف مراد ابراهيم من استغفاره لابيه وكذلك استغفار
الانبياء عليهم السلام لقومهم والمتصلين بهم فاستثنى ذلك الى ان نعلم مرادهم من استغفارهم
وقوله عز وجل ان ابراهيم لاواه حليم قيل الاواه الدعاء وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انه سئل عن الاواه وقال الدعاء الخاشع المتضرع وعن ابن عباس رضى الله عنه
قال الاواه المؤمن وقيل الاواه الفقيه الموقن وقيل المسبح وقيل الاواه المتاوه حزنا وخوفا
وحليم قيل الحليم ضد السفيه وقيل العليم والحليم هو الذى لا يغضب ولا يسفه عند سفه السفيه
وقوله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون اختلف اهل التاويل
قال بعضهم الاية نسخ استغفار المؤمنين للمشركين وقال بعضهم الاية فى نسخ الاحكام والشرائع
التى يحتمل النسخ فان كان فى استغفار المشركين فانه ليس هنالك نسخ لانه لم يبق لهم الامر
بالاستغفار والاباحة لهم فى ذلك فانه قال ما كان الله ليجعل قوما ضلالا لا بالاستغفار بعد

اذ جعلهم مهتدين حتى يعلموا بالنهى عن ذلك والله اعلم وهو يحتمل ما ذكرنا من استغفارهم للمنا فقين
قبل ان يتبين لهم انه يتبين لهم يقول لا يجعلهم ضلالا بذلك حتى يبين لهم ذلك وان كان
فى نسخ الاحكام فكانه والله اعلم قال ما كان الله ليجعل قوما ضلالا لاجهالا بفعلهم الذى فعلهم
الذى فعلوا بالامر حتى يتبين لهم ما يتقون اى حتى يعلموا الذى يلزمهم الانتهاء عنه وهو
النسخ هذا فى الاحكام التى يحتمل النسخ واما الاحكام التى لا تحتمل النسخ فلا واصله وان كل
ما كان فى العقل امتناع نسخه فانه لا يرد فيه النسخ وكل ما كان فى العقل لا امتناع على نسخه فانه
يجوز ان يرد فيه النسخ ثم المسئلة فيما عملوا بالمنسوخ قبل العلم به بالنسخ ما حال العمل الذى عملوا
به يحرجون ويا ثمون فى عملهم بذلك فى حال نسخه او يثابون ويوجرون على ذلك فان كان الفعل
فعل طاعة وقربة فانه يثاب فى قصده وفعله ولا يحرج فيه ولكن وان كان الفعل ليس بفعل قربة
وطاعة ولكن فعل حل وحرمة فانه فعله قبل بلوغ العلم بنسخه لا يحرج فى فعله نحو ما روى انهم
كانوا يشربون الخمر ثم اتاهم ات فقال ان الخمر قد حرمت فصبوها وكفوا عنها فهم فى شربهم
بعد التحريم قبل بلوغ الخبر اليهم لا يحرجون واما الفعل الذى هو فعل قربة وطاعة فان لهم القربة
فى فعلهم وهو الصلوة ونحوه ما روى ان نفرا كانوا يصلون الى بيت المقدس ثم عليهم مار فقال
الا ان القبلة قد حولت وهم فى الركوع الى الكعبة فتحولوا نحوها فاخبروا عن ذلك رسول الله
فلم يامرهم بالاعادة لان الفعل فعل قربة وطاعة فالطاعة والقربة موجودة فى فعلهم لان
الافعال التى فرضت لم تفرض لنفس الافعال انما فرضت للطاعة والقربة لله فيها فانه يوجر على ذلك
والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الله بكل شى عليم بما فيه مصالح الخلق وما ليس فيه كان هذا والله اعلم
خرج لانكار من انكر النسخ فى الشرايع يقول ان الله يعلم بما فيه مصالح الخلق وانتم لا تعلمون وفى
الناسخ مصالح لهم وانتم لا تعلمون ويوكد ذلك **وقوله** عز وجل ان الله له ملك السموات والارض
يحيى ويميت وانتم عبيده وليس للعبد انكار الشى على سيده وانما على العبد الطاعة لسيده والايتمار
لاوامره والانتهاء عن نواهيه يحيى ويميت اى كما له ان يميت بعد الحيوة ويحيى بعد الموت فله ان يتعبدهم
فى حال بعبادة وفى حال بعبادة اخرى **وقوله** عز وجل لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار
الاية قال بعض اهل التاويل تاب الله عليهم لزلات سبقت منهم ولهفوات تقدمت من غيران
كان ذلات فى هذا يعنى فى غزوة تبوك وهفوات اما التوبة على النبى فقوله عفى الله عنك لم
اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وعلى المهاجرين والانصار ما كان منهم يوم احد يوم حنين
وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم وقال بعضهم تاب عليهم
لهفوات منهم فى غزوة تبوك هموا ان ينصرفوا فى وقت غير انصراف على غير اذن لشدايد اصابتهم
فقال تاب عليهم لما هموا بالانصراف فى وقت غير انصراف ويشبه ان يكون التوبة التى ذكر
على وجهين سوى ما ذكروا وهو انه تاب عليهم اى جدد عليهم التوبة للهفوات التى تقدمت
او الثبات عليها من غير ان كان منهم فى الحدوث شى ولكن يكون ذلك حكم التجديد والثبات
عليها فيكون كسوال الهدى وهم على الهدى كقوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله اى يا ايها الذين فيما مضى من الوقت امنوا فى حادث الوقت
او اثبتوا فى ذلك فعلى ذلك يحتمل ان يكون قوله لقد تاب الله عليهم اى جدد عليهم التوبة من غير
ان كان منهم هفوة او ثبتهم على التوبة التى كانت منهم والثانى انه ذكر التوبة وذلك انهم حيث
صبروا على ما اصابهم من الشدايد والجهد كشف الله عنهم اشياء كانت مستورة عندهم
وجلاهم اغطية كانت لا تتجلى لهم من قبل لكن التجلى ذلك لهم والكشف لصبرهم على الشدايد التى
اصابتهم كقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون لما صبروا على ما اصابهم
من المصائب ازداد لهم تفويضا وتسليم الامر والمرجع اليه وكقوله ما اصاب من مصيبة الا باذن
الله الاية ازداد لهم بما صبروا هوى وتجلى لهم اشياء لم تكن من قبل فعلى ذلك يحتمل التوبة التى
ذكر انهم لما صبروا على ما اصابهم من الشدة والجهد تجلى لهم اشياء كانت مغطاة والله اعلم
فانه ذكر من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ولم تذكر انها زاغت وذكر قلوب فريق منهم

ولم يذكر الكل قلوب الكل فهو ما ذكرنا ويحتمل ذكر التوبة على النبى على الاشتراك له مع المومنين من غير
ان كان له ذنب لانه اخبر ان ذنبه مغفور بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهو كما
اشركه فى الاستغفار كقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات امره بالاستغفار لذنبه على
الاشتراك له مع استغفار المومنين اذا اخبر انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر والتوبة من
الله تعالى تخرج على وجوه احدها التوفيق ووفقهم للتوبة واكرمهم بها كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا
اى وفقهم للتوبة فتابوا والثانى التوبة منه قبولها منهم اى يقبل منهم التوبة كقوله انه هو التواب
الرحيم والثالث تاب عليهم اى تجاوز عنهم وعفى وصفح على هذه الوجوه الثلاثة تخرج اضافة التوبة
الى الله **وقوله** عز وجل الذين اتبعوه فى ساعة العسرة قيل فى عسرة النفقة وعسرة الظهر
عز وجل من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ذكر فى بعض القصة انه قد اصابهم من الجهد والشدة حتى
ان الرجلين ليقتسمان التمرة بينهما وكانت التمرة يتداولون بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها الماء ثم
يمصها هذا ولكن لا ندرى كيف كان الامر سوى انه اخبر ان قلوبهم كادت تزيغ من الجهد **وقوله**
عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة نحو قوله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار
فكانوا يبتهلون ويدعون الله حتى تاب الله عليهم فتابوا وقال قائلون خلفوا عن رسول الله لما
تقدمهم القوم فهم المخلفون تقدم اولئك وقال قائلون خلفوا خلفهم الله اى خلفهم ويشبه
ان يكون قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا هم الذين تخلفهم فلحقوا رسول الله وهو ما ذكرنا وقوله
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم يحتمل هذا التحقيق ويحتمل ان يكون
التمثيل والتحقيق وجهان احدهما ضاقت عليهم الارض بما رحبت ما ذكر انهم شدوا انفسهم بالسوارى
والاسطوانات واتوا باموالهم التى منعتهم عن الخروج مع رسول الله وتصدقوا بالاموال التى منعتهم
عن الخروج وضاقت عليهم الارض بعد ما كانت عليهم متسعة يتسعون فيها لانه ذكر فى القصة
ان واحدا من هولاء بما جسة ارضه عن الخروج فتصدق بها على الفقراء وكان له التوسيع بتلك الارض
ثم ضاقت عليه والثانى ضاقت عليهم الارض بما رحبت لما جسدوا انفسهم عن ارضهم وتركوا شهواتهم
واما بينهم وما يتلذذون به فذلك ضيق الارض وضاقت عليهم انفسهم لما شدوا انفسهم بالاسطوانات
ويحتمل ان يكون التمثيل وذلك ان الخوف اذا اشتدت الاشيات وبلغ غايته حتى يمنعه عن القرار فى
الارض والتلذذ فيها يقال ضاقت عليها والارض وضاقت عليهم انفسهم لما ذكر كان الناس لا ياكلونهم
ولا يخالطونهم ولا يبايعونهم ولا يكلمهم اهاليهم **وقوله** عز وجل وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه قال
بعضهم ظنوا ان الاتجاه من عقوبة الله الا عفوه اى ايقنوا انه لا مخلص لهم ولا احتراز لهم من عقابه
وقيل فظنوا ان لا ملجا من عذاب الله الا الى رحمته وقيل وظنوا ان لا ملجاء من رسول الله الا الى الله
لانه ذكر انهم سالوا رسول الله النجا وزعن ذلك فلم يجبهم فايقنوا عند ذلك ان الفزع والملجاء
الى الله لا الى احد دونه **وقوله** عز وجل ثم تاب عليهم اى وفقهم التوبة فتابوا ان الله هو التواب
الرحيم اى يقبل التوبة اى قابلها **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
فى ظاهر الاية ان قوما اقروا بالصدق فامروا بالكون معهم ويشبه ان يكون امر هولاء الذين قد
تخلفوا عن رسول الله بالكون معهم وفيه وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وكونوا مع الصادقين
وهو ظاهر وقوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين يحتمل وجوها احدها احفظوا الله فى حقه
وكونوا مع الصادقين فى وفاء ذلك وحفظه واتقوا الله فيما فى ترك لما امتحنكم به من الخروج
والجهاد مع رسول الله وغير ذلك من المحن او يقول اتقوا مخالفة الله ورسوله فيما يامركم به
وكونوا مع المنافقين لامره والله اعلم **وقوله** عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله يشبه ان يكون هذا صلة ما سبق منهم من المبايعة والعهود التى جرت
بينهم وبين رسول الله يقول والله اعلم ما كان اى لم يكن لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان
يتخلفوا عن رسول الله بعد ما قبلوا النصرة والمعونة وبايعوه على ذلك هذا محتمل ويحتمل
وجها اخر وهو ان يكون صله ما ذكر على اثره وهو قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء ولا نصب
ولا مخمصة فى سبيل الله يقول والله اعلم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا

مع المهاجرين والانصار الذين
كانوا مع رسول الله وفيه دلالة
على ان الاجماع حجة لانه امر
بالكون مع الصادقين فى دين
الله فاعلم بان نزعهم وقبول
قولهم واجب الا ...

عن رسول الله وقد جعل بكل ما يصيبهم فى انفسهم من العناء والشدة وفى اموالهم من النقصان
وما ينفقون من النفقة قليلة كانت او كثيرة او يصيبون من العدو ومن القتل والغنيمة الا
كتب لهم بذلك العمل الصالح اى ما كان ينبغى لهم ان يتخلفوا عنه وقد كتب لهم بكل ما يصيبهم من الشدة
والعناء وما يصيبون من الخير العمل الصالح والاجر لهم والله اعلم او يقول ما كان لاهل المدينة
اذا اختلفوا من رسول الله ان يتخلفوا عنه **وقوله** عز وجل ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه يحتمل قوله
اى ولا يرغبوا بالتخلف عن نفسه يقال جاء فلان بنفسه ورايت انا بعينى ونحوه اى جاء هو واى
هو فعل ذلك هذا ولا يرغبوا اى ما كان ينبغى لهم ان يرغبوا عن رسول الله ويحتمل ولا يرغبوا بانفسهم
عن نفسه وذلك جائز ما ذكرنا **وقوله** عز وجل ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء قيل عطش ولا نصب العناء
والمشقة ولا مخمصة فى سبيل الله اى مجاعة ولا يطؤن موطاء يغيظ الكفار قال بعضهم ولا يقفون
موقفا وقال بعضهم هو من الوطئ والموطئ الشئ الذى يوطاء ولا ينالون من عدو نيلا قيل فيهم و
اغارة عليهم الا كتب لهم به عمل صالح اى يكتب ما لهم وما عليهم العمل الصالح مكان من تخلف منهم مخافة
ان يصيبه ما ذكر من العناء والشدة يقول كتب لهم بكل ما يصيبهم العمل الصالح ان الله لا يضيع اجر
المحسنين **وقوله** عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم هو ما
ذكرنا ان يجزيهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعناء فى انفسهم وفى اموالهم من النقصان وما ينفقون
ليجزيهم الله احسن ما عملوا كانوا يعملون اى يجزيهم لصالح اعمالهم واحسنها ولا يجزيهم لسيئاتهم وهو
كقوله اولئك يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم اخبر انه يتقبل منهم احسن ما عملوا ويتجاوز
عنهم سيئاتهم فعلى ذلك الاول يخبر انه يجزيهم احسن ما عملوا فى الغزو ويتجاوز عن سيئاتهم **وقوله**
عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين الاية
اختلف اهل التاويل قال بعضهم ان نبى الله كان اذا خرج للغزو وخرجوا جميعا فتبقى المدينة خالية
عن الرجال فنهى الله عن ذلك وقال وما ينبغى للمؤمنين ان ينفروا كافة مع رسول الله فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين وقال بعضهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث
سرية خرجوا جميعا فبقى هو وحده لم يبق معه احد ان يشهد التنزيل ليخبر واولئك حضروا وقال
اخرون الاية فى الوفود وذلك ان الوفود اذا قدموا من الافاق الى المدينة قدموا مع النساء
والذرارى جميعا فامر وان ينفروا الرجال منهم دون النساء والذرارى ومن كل قوم نفر ليتفقهوا
فى الدين ذكر فى هذه الاية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر كل فرقة منهم طائفة اى
الكل ان ينفروا واحد وفى الاية الاخرى نفر الكل بقوله فانفروا ثبات او انفروا جميعا فهو
يخرج على وجهين احدهما امر بالنفر الجميع عند قلة المؤمنين ليكون لهم الكفاية مع المؤمنين
العدو والثانى امر بنفر الكل عند النفير فيكون احد الايتين فى حالة النفير والاخرى انها
فى غير حال النفير وما ذكرنا فى وقت القلة والكثرة ممن يقول ان الاية فى الذين ~~يخرجون~~ كانوا
مع رسول الله اذا خرج كانه نهى عن الخروج جملة مع رسول الله خوفا على اهاليهم وذراريهم
لعل العدو وسباهم واخذ اموالهم يقول الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين
اى هلا نفر طائفة منهم فيخبروا الكفار المقيمين بما انزل الله على رسوله من النصر والمعونة
والهزيمة على الكفار الذين قاتلوا رسول الله فيكون ذلك سبب دعائهم الى الاسلام والى
هذا يذهب الحسن والاصم ويقولون ان هذه الاية نسخت الاية التى قبلها وهو قوله وما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله يقول الحسن ان عليهم ان يخرجوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج فيقول هذا منسوخ بالاية التى تليها وما كان المؤمنون
لينفروا كافة الاية ومن يقول بان الاية فى الوفود الذى كانوا ياتون رسول الله المدينة بالنساء
والذرارى فالنهى لذلك لما كان يضيقون على اهل المدينة اوطانهم ويغلون اسعارهم ونحوه
يقول فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اى يتعلمون
الدين واحكامه ثم يرجعوا الى قومهم فيعلموهم ومن يقول الاية فى الذين خرجوا ونفروا مع
السرايا نهيهم عن خروج الكل لما لعله اذا نزل على رسول الله شيئا فلم يكن معه احد يبلغه اليهم

ثم يبلغ

ثم يبلغ هو غاب عنه ضاع ذلك فيقول فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين
ولينذروا قومهم اى ليعلموا قومهم ما نزل على رسول الله وليبلغوا ذلك الى ما غاب عنه **وقوله**
عز وجل من كل فرقة منهم طائفة قيل من كل عصبة ومن كل قبيلة ومن كل حى ففى الاية دلالة
سقوط فرض السفر لتعلم العلم والتفقه فى الدين عن الكل اذا قام بعض بذلك يخرجون ويتعلمون
ثم يعلمون قومهم لانه قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الاية وفيه ايضا دلالة سقوط
فرض الجهاد عن الجماعة اذا قام بعضهم عن بعض وفيه دلالة لزوم العمل بخبر الاحاد وان
احتمل الغلط لان ما ذكر من الطائفة يحتمل ان يجتمعوا على ذلك كذبا او غلطا ثم الزم قومهم
قبول خبرهم وان احتمل الغلط والكذب بقوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
والاية يخرج على وجهين احدهما ان اهل بلدة واهل قبيلة يختارون من يصلح للتفقه فى الدين
والتعلم فينفر حتى اذا تفقه وتعلم ورجع الى قومهم فيعلمهم والثانى يامر من يصلح للتفقه والتعلم
بالتخلف عن الجهاد اذا بهم عنية ليتفقه عند رسول الله فينذر قومهم اذا رجعوا اليه من غزاتهم
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اختلف فيه قال بعضهم الاية
قبل ان ينزل قوله قاتلوا المشركين كافة كان الامر بالقتال بالادنى فالادنى ثم جاء الامر بقتال الكفار
عامة وقال بعضهم ان رسول الله كان اذا غزا ربما كان يجاوز كفارا ويتركهم وراءه ويقاتل غيرهم
ليكون ذلك اية لنبوته وليعلم انه لا يبالى بمن يقاتل ولا يخاف من تركهم وراءه ثم امر الله المؤمنين
ان يقاتلوا الاقرب فالاقرب منهم والادنى فالادنى وان لا يتركوا العدو وراءهم الى هذا ذهب
بعض اهل التاويل وامكن ان يكون هذا تعليم من الله المؤمنين امر الحرب واسبابه كما علمهم جميع ما
يقع لهم من الحاجة الى اسباب الحرب فى غير اى من القران من ذلك قوله **وقوله** عز وجل يا ايها
الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقوله اذا لقيتم كفروا زحفا الاية وقوله
واعدوا ما استطعتم من قوة الاية وغير ذلك من الايات ويحتمل ان يكون امر بقتال الاقرب
فالاقرب منهم كسائر العبادات **وقوله** عز وجل قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يخرج على وجهين
احدهما ما ذكرنا انه يخرج على امر القتال منه للمؤمنين والثانى انباء عن دوام الجهاد والقتال
مع الاداء ابدا لانه كلما فتح ناحية وقوما صار الذين بقوا وراء هؤلاء الذين يلونهم **وقوله** عز وجل
وليجدوا فيكم غلظة قيل شدة عليهم وفى حرف ابن مسعود وابى وليجدوا فيكم عليهم غلظة اى
شدة ويقرء غلظة برفع الغين ويقراء غلظة بكسرها وهما لغتان ومعانيهما واحد واعلموا ان
ان الله مع المتقين اى من اتقى الخلاف له بالنصر لهم على عدوهم **وقوله** عز وجل ان الله مع المتقين
يخرج على وجوه احدها ما ذكرنا الخلاف له فيما عليهم من امر الحرب يكون
معهم بالنصر والثانى معهم من التوفيق والهداية والثالث فى الجزاء **وقوله** عز وجل واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا قال اهل التاويل قوله فمنهم من يقول ايكم زادته
هذه ايمانا يعنى يقول المنافقون بعضهم لبعض اذا خلوا عن المؤمنين ايكم زادته هذه ايمانا استهزاء
منهم بها وسخرية فاجاب الله تعالى فقال فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين
فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم اى تكذيبا وكفرا الى تكذيبهم الذى
كان منهم لاهل النفاق والكفر ليسودهم باهل انصاف يقبلون الحجة والدلالة اذا قامت عليهم انما
همتهم العناد والتكذيب ورد الحجج والدلائل فما زادوا الحجج والبراهين اذا دادلهم عنادا فى التكذيب
والرد واما اهل الايمان فان همتهم قبول الحجج والانصاف فكلما ازداد لهم الحجج والبراهين ازدادتهم
ايمانا وتصديقا على ما كان لهم ثم قوله فزادتهم ايمانا اى زادتهم ثباتا ودواما على ما كانوا من قبل بما
قامت لهم من الحجج والبراهين وكذلك ازداد لاهل النفاق والكفر بالثبات على العناد فى تكذيب
الحجج والايات والثانى ازداد لهم ايمانا بالتفسير على ايمانهم بالجملة وان كانوا مصدقين لذلك كله كما
فانزلت لهم نوازل وفرائض ازداد لهم بذلك التصديق والثبات واصله انه لو كان لا مكان منهم
من الايمان والتصديق لكان هذا منهم ابتداء ايمان واحداث تصديق وكذلك لو لم يكن من اهل النفاق
ما سبق من العناد لكان ذلك منهم احداث تكذيب وعناد فاذا كان منهم ما ذكرنا كان ذلك زيادة

على ما كان لما ذكرنا وقال بعضهم يزداد لاهل الايمان خيرات ولاهل النفاق شر ولكن هو واحد وهو
ما ذكرنا وقوله عز وجل فزادتهم ايمانا فزادتهم رجسا يخرج على وجهين احدهما زادة للمؤمنين
ايمانا على الذي كان لهم من الايمان والتصديق والثاني زادلهم حجة وبرهانا لما كان وكذلك يزداد
لاهل النفاق ضد ذلك وقوله عز وجل وهم يستبشرون قيل يفرحون بنزولها ثم اضاف الزيادة
الى السورة بقوله فزادتهم ايمانا لوجهين احدهما اضيف اليها الزيادة على ما اضيف الغرور
الى الدنيا وهو لما ذكرنا انه يبدو امتحانهم التزيين مالو كان من دون الافعال والتغرير كان
ذلك غرورا والثاني اضاف التغرير اليها لما بها اغتر اهلها وكذلك اضافة الزيادة الى السورة لما
بها ازدادلهم التكذيب والكفر وازدادلاهل الايمان بها التصديق فاضيف الزيادة اليها وقال بعضهم
ما ذكرنا انها حجة ودلالة فبالحجة يزداد لاهل الايمان بها انهم قد اعتقدوا قبول الحجج والدلائل
واما اهل النفاق والكفر فانهم اهل عناد ومكابرة اذ قد اعتقدوا العناد ورد الحجج فكل ازدادهم
عنادا وكفرا وقال ابو بكر الاصم انما اضيف الزيادة اليها لانها كانت سبب الزيادة وقد تضاف الاشياء
الى اسبابها كما تضاف الى حقيقة الافعال ولكن يحتمل ان يكون السورة التي نزلت سبب الزيادة الكفر
لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
قيل يبتلون بالجهاد والغزو فيتخلفون عنه فيظهر بذلك نفاقهم وكفرهم وقيل يبتلون بالشدة
والجوع فيظهر ايضا بذلك نفاقهم كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وقيل يفتنون في كل عام مرة او مرتين وذلك انهم كانوا اذا
خلوا تكلموا بالكفر فيما بينهم ثم اذا اتوا النبي اخبرهم بما تكلموا به في الخلوة فيفتضحون بذلك فذلك
افتتانه اياهم وابتلائه لهم كان يظهر بما ذكر نفاقهم مرة في الجهاد في سبيل الله ومرة بالشدة
والخوف ومرة بما يطلع بنيه مما يضمرون ويتكلمون به ويحتمل هذه الاية الوجوه الثلاثة الجهاد معه
والابتلاء بالشدايد والافزاع ويحتمل اظهار الاسرار التي اسروا في انفسهم والافتضاح مما اخفوا
لكن لو كان هذا فذلك مما يكثر منهم اعني كتمان النفاق واسرار الخلاف لهم لكن ذكر المرة والمرتين
يرجع الافتضاح والاظهار فذلك يحتمل ان يكون في العام مرة او مرتين وقوله عز وجل ثم لا يتوبون
عن نفاقهم ولا هم يذكرون بما ابتلوا من الافتضاح وظهور النفاق منهم والله اعلم وقوله عز وجل
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم قال بعضهم
الاية صلة قوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا اي كان نظر بعضهم الى
بعض ثم يقولون ما ذكر وامنهم من يقول اذا كانت السورة التي نزلت حجة في اظهار الدين والايمان
يسمعون ويقولون ايكم زادته هذه ايمانا واذا نزلت في اظهار نفاقهم وافتضاحهم نظر بعضهم
الى بعض ثم انصرفوا ولا يسمعون منه السورة اشفاقا لئلا يظهر نفاقهم وقوله عز وجل صرف
الله قلوبهم يحتمل خلق الله منهم انصرافهم فاضيف اليه الصرف ويشبه ان يكون قوله صرف الله
قلوبهم يحتمل خلق الله منهم انصرافهم فاضيف اليه الصرف ويشبه ان يكون قوله صرف الله قلوبهم
عقوبة اي عاقبهم الله بصرف قلوبهم باعتقادهم العناد وادهم الحجج وتركهم القبول وقوله
عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم اختلف فيه قال بعضهم من انفسكم اي من البشر وهو
امتنان منه عليهم حيث بعث الرسول من البشر وله ان يبعث من غير البشر لكنه بعث من البشر
ليعرفوا الايات التي يأتي بها من التمويهات لانهم يعرفون مبلغ وسع البشر في الاشياء وقد رام كلهم
يعلم الاشياء التي هي خارجة من الطباع ووسع البشر في التعليم عرفوا انها ايات لا تمويهات مع ما
ان يتالف كل ذي جنس بجنسه وينفر من غير جنسه هذا ظاهر في الخلايق ان كل ذي جنس يالف
بجنسه ولا يالف بغير جنسه فبعث الرسول من البشر ومن جنسهم ليتالفوا به ويقبلوا منه ما ياتيهم
به ويجيبوه الى ما يدعوهم اليه وقال بعضهم رسول الله من انفسكم اي من المكان الذي انتم فيه
وهو الحرم وقال اخرون من انفسكم اي من انسابكم وهو ايضا موضع الامتنان عليهم حيث بعثه
من انسابهم يعرفون نسبه ومولده ونشأته من بين اظهرهم سليما عن جميع الافات بريئا عن جميع
المطاعن والعيوب لان المراد اذا كان مولده ونشأته في قبيلة او في مكان لا يعرف له النسب ربما

تمكين

تمكين فيه الطعن والعيب ويقع التناكر في نسبه ومولده بجهلهم بنسبه ومولده ونشأته على
السلامة والصحة والبراءة من العيوب فبعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لئلا يتمكن فيه ما ذكرنا
من المطاعن ولا يعرف شيء من العيوب والافات التي ذكرنا فيه وقال بعضهم قوله من انفسكم من
العرب اميا كما هم لا يكتب ولا يقرأ ولا يخطه بيمينه على ما وصفه في كتابه النبي الامي الذي يجدونه
الاية وقال ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وذلك ان العرب كانت تتمنى ان يبعث رسولا منهم
بقوله لئن جاءهم نذير ليكونن من اهدى احدى الامم ذكر مجيء الرسول من انفسهم ليكون ابعد من
المطاعن التي طعنوا فيه والافات التي ذكروا فيه وابراه عن العيوب التي قرفوا به من نحو السحر
والكهانة والجنون والافتراء على الله واقرب الى المعرفة بانه رسول لانه لما ياتي بهم من الايات والحجج
يعرفون انها سماوية لما عرفوا انه لم يتعلم السحر ولا اخذوا عليه يكذب قط ولا جن قط بما كان نشأه
فيما بين اظهرهم وقوله عز وجل عزيز عليه ما عنتم قيل شديد عليه ما اعنتكم اي ما ضيق عليكم وصنكم
وقال القتبي العنت الضيق وقال بعضهم العنت الاثم اي شديد عليه ما اثمتم وقال ابو عوسجة هو
الاثم اقرب وهو يحتمل كل اثم الكفر وغيره حريص عليكم قال بعضهم حريص على من لم يسلم ان يسلم
وحريص عليكم بالهدى والرشد بالمؤمنين رءوف رحيم الدين والاسلام لاجمة الطبع قال الشيخ
ابو منصور رحمه الله في قوله بالمؤمنين رءوف رحيم سماه بفعله العمل الحسن وبرأفته ورحمته
بذلك اي استحق ولك الاسم بفعله وانما سماه بذلك لان عمله كان لله لم يكن عمله لنفسه شيئا و
وكذلك ماله واكسابه به فلذلك لم يكن ماله ميراثا بين ورثته وقوله عز وجل فان تولوا اي اعرضوا
عن اجابتك دعائك اياهم الى الايمان والتوحيد فقل حسبي الله اي يكفيني الله لا اله الا هو ويحتمل
قوله فان تولوا عنك وردوا اجابتك والطاعة لك والانقياد وهموا اي بكيدك ومكرو بك
فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت اي على ما وعدني من النصر والظفر توكلت اي اتكلت على
وعده ووكلت امري الى الله ويحتمل قوله فان تولوا عن نصرك ومعونتك على الاعداء فقل حسبي
الله في النصر والمعونة على الاعداء ويكفيني عليهم هذا في هذا الموضع اقرب لانه ذكر على اثر ذكر
المنافقين ويحتمل ما ذكرنا من الاعراض عن التوحيد والاجابة له وقوله عز وجل وهو رب العرش
العظيم قيل هو الملك العظيم اي كل ملك عند رب ملكه صغير ليس بملك فان كان العرش هو السرير
على ما قاله بعض اهل التاويل والله اعلم السرير الذي تكرم به الاخيار من الخلايق والابرار ثم وقد ذكرنا ما تقدم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله تعالى الر تلك ايات الكتاب الحكيم قد ذكرنا الوجه في الحروف المقطعات في صدر الكتاب
تلك ايات الكتاب الحكيم قال بعضهم الحكيم هو الله كانه قال الكتاب الحكيم ايات الله وقال بعضهم الحكيم
هو صفة القران والكتاب يحتمل وجهين يحتمل انه سماه حكيما فعيلا بمعنى انه محكم وجائز تسمية
المفعول باسم الفعيل نحو قتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح ونحو ذلك فيه الحلال والحرام والامر
والنهي او محكم متقن مبرم من الباطل والكذب والاختلاف وهو ما وصفه تعالى لا ياتيه الباطل من
بين يديه الاية والثاني حكيما لان من تامل فيه ونظر وفهم ما اودع فيه وادرج صار حكيما وهو
ما وصفه وسماه مجيدا اي من تامل ونظر فيه صار مجيدا شريفا والحكيم هو المصيب في الحقيقة ان
كان صفة القران او صفة الله فهو حكيم واضع كل شيء موضعه فان كان صفة للقران فهو كذلك
ايضا واضع كل شيء موضعه وقوله ايات يحتمل ايات الكتاب المعروف ويحتمل الحجج والبراهين اي حجج الكتاب
وبراهينه او اعلامه وقد تقدم ذكر الايات في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل اكان للناس عجبا
يحتمل وجهين يحتمل اي قد عجبوا ان اوحينا الى رجل منهم ويحتمل ايعجبون ان اوحينا الى رجل منهم على
الاستيناف كانوا يعجبون من ثلاث من انزال القران على رجل منهم يعجز الخلايق عن اتيان مثله ويعجبون
من الوحي الى رجل منهم وارساله رسولا من بين الكل او من البشر كقوله ابعث الله بشرا رسولا
وكقوله اانزل عليه الذكر من بيننا وكانوا يعجبون من البعث كقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما الاية
ثم يحتمل قوله الى رجل منهم اي من البشر فان الايعاد الى هو من البشر ابلغ في الحجاج وقطع

للعذر واقرب الى الرافة والرحمة لان البشر يعرفون خروج ما هو خارج من طوق البشر وسعهم
ولا يعرفون ذلك من غيرهم وغير جنسهم ويالف كل جنس بجنسه وكل جوهر بجوهره ولا يالف غير جوهره
ولا غير جنسه فاذا كان ما وصفنا كان بعث الرسول من جنس المبعوث وجوهرهم ابلغ فى الحجاج و
واقطع للعذر واقرب الى الرافة والرحمة ويحتمل قوله اذا وحينا الى رجل منهم اى من الاميين
اى لا يعجبوا ان اوحينا الى رجل منهم اى امى فان ذلك ابلغ فى التعريف والحجاج لانه بعث اميا لم
يعرفوه بدراسة الكتب المتقدمة او تلاوة شئ منها ولا عرفوه اختلف الى احد منهم فى تعليم كتبهم
ولا عرف انهم انه كتب شيئا او خط خطا قط ثم اخبر عما كتبهم على موافقة ما فيها وكانت كتبهم بغير
لسانه دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى فذلك ابلغ فى اثبات الرسالة والحجاج والله اعلم وقوله
عز وجل ان انذر الناس قال بعضهم الانذار يكون فى كل مكروه مرهوب والبشارة فى كل محبوب
مرغوب وقال بعضهم اذ انذر الناس يعنى الكفار بالنار وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند
ربهم اختلفوا فى قوله قدم صدق عند ربهم قال بعضهم ان لهم الجنة عند ربهم وقيل ان لهم
الاعمال الصالحة يقدمون عليها وقيل قدم صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم
وقيل ان لهم الجنة عند ربهم وقيل ان لهم الاعمال الصالحة قدموها بين ايديهم قدم صدق اى سلف
خيرا وسلف وعد وعد لهم بذلك وكان اصله من القوم قال ابو عوسجة يقال فى الكلام لفلان
عند لما قدم صدق ويد صدق اى نعمة قد اسلفها الى وقال القتبى قدم صدق يعنى عملا صالحا
قدموه وعن ابن عباس رضى الله عنه قال سبق لهم السعادة فى الذكر الاول ومن قال قدم صدق
هو الشفاعة فالقدم كناية عن الشفاعة والصدق اى واقعة ومن قال وعد ثواب اعمالهم
الى تقدم لهم وعد حق وصدق ويحتمل قدم صدق اى ثبت قدمهم لا تزل على ما وصف من ثبوت
قدم المؤمنين والقرار وزل قدم الكافرين كقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وقوله عز وجل قال
الكافرون ان هذا لساحر مبين ومن قرا السحر عنى هذا القران ومن قرا الساحر بالالف عنى به النبى ثم
السحر هو الذى يراءى فى الظاهر انه حق وهو فى الحقيقة باطل لا شئ ثم هو ياخذ الابصار وياخذ
العقول فاما الذى ياخذ الابصار هو ما يرى الشئ على غير ما هو فى الحقيقة والذى ياخذ العقول
هو ان يذهب بعقله فيصير مجنونا وقال فرعون لموسى انى لاظنك يا موسى مسحورا اى مجنونا لكن
هؤلاء لم يريدوا بقوله لساحر مبين السحر الذى ياخذ العقول ولكن ارادوا السحر الذى ياخذ الابصار
يقول انه وان كان اخذ الابصار فى الظاهر فهو لا شئ فى الحقيقة ولكن فى قولهم ان هذا لساحر
مبين دليل انهم عجزوا عن اداء وعرفوا انه حق ولكنهم ارادوا التمويه على الناس كقوله فرعون
لسحرته حيث امنوا برب موسى انه لكبيركم الذى علمكم السحر اراد ان يموه على الناس والله اعلم وقوله
عز وجل ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ان القوم كانوا يعبدون الاصنام
والاوثان ويتخذون الاحبار والرهبان اربابا من دون الله يقول ان ربكم الذى يستحق العبادة والا
لوهية هو الذى خلقكم وخلق السموات والارض لا الذى لا تعبدونه وقوله عز وجل فى ستة ايام
ثم استوى قد تقدم ذكره فى صدر الكتاب وقوله عز وجل يدبر الامر وهو ايضا على الاول ان الذى
يستحق صرف العبادة اليه وتوجيه الشكر اليه هو الذى يدبر الامر فى مصالح الخلق فى جر المنافع اليهم ودفع
المضار عنهم فساد ان يملكوا جرها الى من يعبدهم او دفع المضار عنهم قال بعض اهل التاويل يدبر
الامر ان يقضيه والتدبير والقضاء واحد وقال بعضهم يدبر يقدر وهو ما ذكرنا التدبير والتقدير
سواء وقوله عز وجل ما من شفيع الا من بعد اذنه الشفيع هو المنزلة والقدر عند الذى يشفع
لا حد الى اخر الا بعد ان يكون الشفيع عند الذى يشفع اليه ذا منزلة وقدر فاذا كان كذلك فمنع ذلك
ايضا لا يشفع الا من بعد ما اذن له بالشفاعة لمن جاء بالتوحيد وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم فاعبدوه
يقول ذلكم الذى يستحق العبادة هو ربكم الذى خلقكم وخلق السموات والارض ودبر اموركم ولا
تعبدوا الذى لا يملك شيئا من ذلك افلا تذكرون انه هو المستحق للعبادة وهو المستوجب للشكر لا
الذين تعبدون انتم او ان يقول افلا تذكرون ان الذى خلقكم وخلق السموات والارض هو ربكم وهو
مدبر امور الخلايق فى مصالحهم فى دنياهم ودينهم لا الذين تعبدون من دون الله والله اعلم وقوله عز وجل

اليه مرجعكم جميعا اليه مرجع الخلايق كلهم فى جميع الاوقات لكنه خص ذلك اليوم بالمرجع اليه لما
ان الخلايق كلهم يعلمون يومئذ انهم راجعون اليه وكذلك قوله وبرزوا لله جميعا هم بارزون
له فى الدنيا والاخرة لكنهم يومئذ يعرفونه ويقرون بالبروز له وكذلك الملك لله فى الدنيا و
الاخرة وفى الاوقات جميعا لكنه خص ذلك اليوم كان لا ينازع فى الملك فى ذلك اليوم وفى الدنيا
من قد نازع فى ملكه هذا والله اعلم وجه التخصيص لذلك اليوم بالملك وان كان الملك له
فى الدارين جميعا فعلى ذلك المرجع او سمى البعث رجوعا اليه لما ان المقصود من انشائه البعث
فسماه بذلك لما ذكرنا لانه لو لم يكن المقصود من انشائه اياهم سوى الانشاء والافناء كان خلقه عبثا
وانكم الينا لا ترجعون قوله عز وجل وعد الله حقا يحتمل وعد الله حقا البعث الذى ذكر انه يبدء
الخلق ثم يعيده ويحتمل وعد الله حقا من الثواب والعقاب فى الاخرة الثواب للمحسن منهم والعقاب
للمسئ وقوله عز وجل انه يبدؤ الخلق ثم يعيده اى عرفتم انه هو الذى بداكم والخلق جميعا وكذلك
هو يعيدكم بعد انشائه اذ بدء الشئ على غير مثال اشد عندكم من الاعادة على مثال كقوله وهو
الذى يبدء الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اى اعادة الشئ اهون عندكم من بدوه وقوله عز وجل
ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط قيل بالعدل لكن ما يجزيهم انما يجزيهم افضالا واحسانا
لا استيجابا واستحقاقا ثم يحتمل قوله بالقسط قيل بالعدل وجوها احدها انه يجزى المحسن جزاء
الاحسان والمسئ جزاء الاساءة ويفصل بين الولى والعدو فى الاخرة فى الجزاء ويجعل للولى علامة و
يعرف بها من العدو واذ لم يفصل فى الدنيا بين الاولياء والاعداء فى الرزق وما يساق اليهم من النعيم
ولا يجعل علامة يعرف بها الولى من العدو وجعل فى الاخرة ذلك حتى يعرف هذا من هذا فهذا
العدل الذى ذكرنا الى يشبه ان يكون هو ذلك ويحتمل القسط الوزن اى يجزيهم بالوزن على تعديل
النوع بالنوع لا على القدر اى يجزى بالحسنة قدرا لا يزيد على ذلك ولكن يجزى للخير خيرا وللحسنة
حسنة وللسيئة سيئة ويحتمل قوله ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالعدل اى يجزى الذين عملوا
بالعدل لم يجيروا فيه ولا جاوزوا الحد الذى حد لهم ولكن عملوا بالعدل فيه ويشبه ان يكون على تقديم
العدل ليجزى الذين امنوا بالعدل اى لا يعذبهم فى النار اذا امنوا ثم للذين عملوا الذى حد لهم ولكن عملوا
يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله والله اعلم بالصواب من ذلك وقوله عز وجل ليجزى الذين امنوا
وعملوا الصالحات بالقسط اى يجزيهم فى الاخرة بما اقسطوا فى الدنيا وعدلوا ويكون القسط على هذا
التاويل فعالهم وان كان ما ذكر من القسط راجعا الى الله ووصفا له فهو يخرج على وجوه احدها يجزى
قربتا من المؤمنين بالعدل يجزى لاحسانهم جزاءهم الاحسان ويكفر عن سيئاتهم وهو كقوله اولئك
الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية وقوله ان الله لا يغفر الاية والثانى يجزيهم بالفضل اذ العدل
هو وضع الشئ موضعه اى يضع الفضل فى اهله لا يضعه فى غير اهله وضع الفضل فى اهل الايمان
عدل اذ هم اهل له والله اعلم وهو كقوله ويؤت كل ذى فضل فضله والثالث العدل الذى هو مقابل
الاحسان وهو الفضل لا العدل الذى هو ضد الجور كقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين الناس
الاية لا يحتمل ان يقول لن تستطيعوا ان تعدلوا بين الناس فى العدل الذى هو ضد الجور فى مثل هذا بل
يستطيعون ان يعدلوا بينهم فعلى ذلك قوله ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالعدل الذى هو مقابل
الاحسان هو الفضل اذ للفضل درجات واصله ان جزاء الاخرة كله افضال واحسان وانعام لا
لا استحقاقا واستيجابا وقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم قيل الحميم الشراب الذى انتهى
حره غايته وقوله عز وجل هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ذكر فى الشمس الضياء وفى القمر
النور فهو والله اعلم لان الليل مظلم يظهر نور القمر فيه ويغلب على ظلمة الليل ويقهرها واما النهار
فهو مبصر على ما ذكره عز وجل والنهار مبصرا جعل فيه النور فلو جعل فى الشمس النور خاصة لكان لا
يظهر نور الشمس ولا غلب نورها على نور النهار فكانت تذهب المنافع التى جعل فيها للخلق وجعل عز وجل
بلطفه فيها ضياء ليظهر نورها على نور النهار ويغلبه ويقهره ليظهر المنافع التى جعل فيها للخلق وهو
ما ذكر انه مد الظل واخبر انه لو شاء لجعله ساكنا ولو كان ساكنا ممتدا على ما جعل بقوله الم تر الى ربك
كيف مد الظل لكان لا يعرف الظل ثم اخبر انه جعل الشمس دليلا عليه ليعرف بها الظل فتنسخ الشمس

ذلك الظل الممدود وسنيا بعد شئ فصارت الشمس يعرف بها الظل وبها يظهر ذلك الضياء الذى فى الشمس
كانه به يعرف نورها من نور النهار وبه يوصل الى منافع الشمس ولو كان نورا لكان لا يعرف ولا يظهر
اذ لا يغلب احدهما صاحبه والله اعلم ولا يعرف اية الشمس من اية النهار ثم جعل اية الشمس على لسبة على
جميع الايات لا يبصر والنجوم بالنهار اصلا والقمر وان كان يبصر ويرى بحال فان نور الشمس قد يغلبه
ويقهره حتى لا يظهر ابدا وقوله عز وجل وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب يشبه ان يكون
التقدير الذى ذكر لهما جميعا ويعرف الحساب وعدد السنين بهما جميعا وكذلك ذكر فى حرف حفصة
وقدرهما منازل وجائز ان يجعل الشمس بالذى يعرف بها اوقات الصلوة والازمنة من الشتاء والصيف
لا يعرف بذلك بالقمر وجعل فى القمر معرفة الشهور والسنين وفى الشمس معرفة اوقات الصلوة
والازمنة لا يعرف الشهور والسنون الا بعد جهد وبالقمر لا يعرف اوقات الصلوة والازمنة جعل
الله فى الشمس منفعتين منفعة التغلب ومعرفة الازمنة ومنفعة نضج الاشياء وينعها وفى القمر
منفعتين ايضا احدهما معرفة حساب الايام والشهور والسنين ومنفعة نضج الانزال والاشياء
وقوله عز وجل لتعلموا عدد السنين والحساب ليس ان يعرف بهما ولا يعرف غيره بل يعرف ما ذكر
واشياء كثيرة وقوله عز وجل ما خلق الله ذلك الا بالحق قال ابو بكر الاصم الكيسانى ما خلق الله ذلك
الا بالحق اى ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه دلالة معرفته وقال قائلون ما خلق الله ذلك الا بالحق
اى ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه الشهادة له على الخلق وهى شهادة الوحدانية والالوهية
وقال بعضهم ما خلق الله ذلك الا بالامر الكائن لا محالة وهو البعث وهو حق له ما خلق الله ذلك الا
بالحق اى بالحكمة لم يخلق ذلك عبثا باطلا وهو كقوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا
ولكن بحكمة وقوله عز وجل نفصل الايات لقوم يعلمون قيل يبين او نقص فيها القوم ينتفعون بعلمهم
انما ذكر الايات فيما ذكر لقوم يعقلون ولقوم يتفكرون ولقوم يفقهون الايات التى ينتفعون بها
ويعقلون الشئ انما يعقلون يكون الذى ينتفع به لا للذى لا ينتفع به وقوله عز وجل ان فى اختلاف
الليل والنهار الاية اية البعث ودلالة تدبير صانعهما اما دلالة البعث ان كل واحد منهما اذا جاء ذهب
الاخر وفنى حتى لا يبقى له الاثر ثم يجدد وان وجدنا ان على ذلك امرهما ويتالف كل واحد منهما صاحبه حتى
لا يبقى له الاثر فمن قدر على ما ذكرنا قدر على بعثهم وانشائهم بعد الموت بعد ما صاروا ترابا واما دلالة
التدبير هو جريانهما وسيرهما على سنن واحد وتقدير واحد من غير تغيير يقع فيهما او تفاوت او نقص
يقع فيهما او زيادة وان كان احدهما يدخل فى الاخر دل ما ذكرنا انهما انما يجريان ويختلفان على سنن
واحد ان فيهما تدبير غير ذاتى وعلم ازلى وانه احد اذ لو كان المدبر فيهما العدد لكانا يختلفان ولا
يجريان على قدر واحد من غير تفاوت ان فيهما تدبيرا ونقصانا وزيادة دل انه واحد وبانه الموفق
وفى دلالة الوحدانية منشئهما وخالقهما لانه انشأهما وبينهما من البعد ما بينهما وجعل منافع احدهما
متصلة بمنافع الاخر على ما بعد بينهما دل ان منشئهما واحد اذ لو كان فعل عدد منع كل فعله عن الوصول
بالاخر على ما هو فعل ملوك الارض وقوله عز وجل لقوم يتقون مخالفة الله ويتقون جميع الشرور
والمساوى وقوله عز وجل ان الذين لا يرجون لقاءنا قال قائلون لا يرجون لقاءنا من الرجاء اى لا يرجون
ما وعد للخلق من الثواب ولا يرغبون فيما يرجى ويطمع من الرغائب وقال بعضهم لا يرجون لقاءنا اى لا
يخافون لقاءنا وما من خوف الا وفيه رجاء وما من رجاء الا وفيه خوف لان الخوف الذى لا رجاء
فيه هو اياس والرجاء الذى لا خوف فيه امن لكن الغالب فى الحسنات والخيرات الرجاء فيه خوف
والغالب فى السيئات والشر والخوف وفيه ادنى الرجاء فى الشكر والصبر انهما واحد لان الصبر
هو كف النفس عن الشهوات واللعوات والشكر هو استعمالها فى الخيرات فاذا كفها عن الشهوات
استعملها فى الخيرات لذلك قلنا انهما فى الحقيقة واحد لان الشكر هو القبول وكذلك الصبر ايضا
غير ان الشكر فى قبول النعم والصبر فى قبول البلايا والمصائب والله اعلم بصير كانه قال ان الذين
لا يؤمنون بالاخرة وقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها اى اختاروا والمقام فيما عملوا
بها كانهم مقيمون فيها ابدا والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون من
ردهم الايات وكفرهم وقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا يحتمل وجهين احدهما سرورا بها واثروا

لثواب محاسن الدنيا على ثواب الاخرة والثانى رضاهم بالدنيا والطمانينة فيها منعهم عن التفكر والنظر فى
امر الاخرة وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يحتمل وجوها
يحتمل يهديهم ربهم بايمانهم فى الدنيا طريق الجنة فى الاخرة وهو معنى ما ذكر فى القصة ان المؤمن
اذا خرج من القبر يصور له عمله فى صورة حسنة والثانى يهديهم بايمانهم فيصيرون مهتدين بهدايته
اياهم ويشبه يهديهم ربهم بايمانهم او يدعوهم الى الخيرات فى الدنيا بايمانهم والله اعلم فهذا
على المعتزلة لانهم يمتنعون عن تسمية صاحب الكبيرة مومنا ومعه ايمان فيلزمهم ان يمتنعوا
وعد له وان كان معه ايمان فاذا ذكر له الوعد مع هذا لزمهم ان يسموه مومنا لما معه من الايمان
وقوله عز وجل تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم يقول اهل التاويل من تحت اهل الجنة وقد ذكرنا
هذا وقوله عز وجل دعويهم فيها سبحانك اللهم قال قائلون قوله دعويهم دعوا الايمان اى يدعون
فى الاخرة من الايمان والتوحيد لله والتنزيه له كما ادعوا فى الدنيا وحدانية الله ونزهوه وقوله
عز وجل سبحانك اللهم هو حرف تنزيه وتبرئة الرب عن الاشياء وجميع الافات التى وصفته
المشبهة الملحدة فهذا يدل ان ما خرج مخرج الدعوى فانه لا يختلف باختلاف الدور وقال عامة
اهل التاويل هو من الدعاء لا من الدعوى يقولون انهم اذا اشتهوا طعاما وشرابا وتمنوا شيئا
فيدعون يقول سبحانك اللهم فيؤتون ما تمنوا واشتهوا ولكن ذكر ان لا ينقطع اللذات فى الجنة
ولو كان ما يقولون لكان فيه انقطاع اللذات والشهوات الا ان يقال انهم يلهمون شهوات وما
يشتهون وقال الله عز وجل ولكم فيها ما تشتهى انفسكم وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون
ولا نعلم ما اراد به وقوله عز وجل سبحانك اللهم يخرج على وجوه احدها يخبر انه ليس على اهل الجنة
من العبادات شئ سوى التوحيد وهو كلمة التوحيد والثانى يقولون ذلك لعظيم ما راوا من النعيم
ويحب ويعجب ما عاينوا والثالث لما اعطاهم من الوان النعيم والاطعمة وقوله عز وجل وتحيتهم
فيها سلام قال اهل التاويل ان الملائكة ياتون من الوان النعيم بما اشتهوا ويسلمون عليهم ويردون
السلام على الملائكة فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام فاذا طعموا وفرغوا قالوا عند ذلك الحمد لله
رب العالمين وهو قول ابن عباس وغيره من اهل التاويل ويشبه ان يكون قوله وتحيتهم فيها
سلام والكلام الذى لا عيب فيه ولا مطعن اى كلام بعضهم لبعض منزه منقى عن جميع العيوب
والمطاعن كقوله لا يسمعون فيها لغوا الاية وقوله الا قيلا سلاما سلاما ونحوه وقوله عز وجل
واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال اهل التاويل يقولون على اثر فراغهم من الطعام والشراب
ذلك وقال الحسن ان الله رضى من عباده بالشكر لما انعم عليهم فى الدنيا والاخرة بالحمد لله رب
العالمين ويشبه ان يكون قوله واخر دعويهم اى دعواهم فى الاخرة الحمد لله رب العالمين كما كان
دعويهم فى الدنيا الحمد لله رب العالمين وقوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
لقضى اليهم اجلهم كان الاية على الاضمار كانه قال ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه كما
يعجل لهم الخير اذا استعجلوه لقضى اليهم اجلهم لانه ليس يذكر فى ظاهر الاية استعجالهم الشر انما
يذكر تعجيله ولكن فيه ما ذكرنا من الاضمار واضمار الاستعجال وهو ما ذكر فى غير اى من القران استعجالهم
العذاب كقوله اتى امر الله الاية وقوله امطر علينا حجارة الاية ونحو ذلك كانوا يستعجلون العذاب
استعجال تضرع فيقول لو يعجل لهم العذاب اذا استعجلوه كما يعجل لهم الخيرات اذا استعجلوه لقضى
اجلهم يقول يهلكوا وفنوا هذا التاويل فى اصل الكفر خاصة عن استعجالهم العذاب استعجال تضرع
وسؤال ويشبه ان يكون هذا فى جملة الخلق على غير تصريح سؤال ولكن عند ارتكابهم الشر يقول
لو يعجل الله للناس الشر باكتسابهم الشر وبارتكابهم اياه وقت اكتسابهم كما يعجل لهم الخير وقت
اكتسابهم الخير لقضى اليهم اجلهم لهم جزاء شر وقت اكتسابهم الشر كما يعجل لهم جزاء خيرهم
لكانوا ما يستوون بارتكابهم الشر وقت فعلهم اياه لقضى اليهم اجلهم لكنه لم يعجل له ذلك واخره
الى المدة التى جعل لاجالهم ويمكن وجه اخر وهو ما يدعو بعضهم على بعض باللعن والخزى يقول
الرجل عند شدة الغضب اللهم العن فلانا اللهم اخزه ونحو ذلك من الدعوات يقول لو يعجل لهم
هذا كما يعجل لهم عند دعاء بعضهم لبعض بالرحمة والسعة لقضى اليهم اجلهم لهلكوا وفنوا

ذلك انقضاء اجلهم يكون هذا على وجوه ثلاثة احدها استعجال سؤال وتضرع الذي ذكرنا والثاني
بافعالهم وارتكابهم والثالث في الاسباب التي يرتكبون ويفعلون عز وجل لقضي اليهم
اجلهم يحتمل لقضي لا يقدم ولا يؤخر وهو ما ذكر لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون عز وجل فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون هو ما ذكرنا ان من حكمته ان لا يعاقب احدا من الكفرة في الكفر و
بصنعه الذي يصنعه صنيع وقد يعجل لهم جزاء خيراتهم في الدنيا لما ساق اليهم من انواع النعم ولكن
من حكمته ان يؤخر عقوبتهم الى يوم القيامة فذلك تاويله والله اعلم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في
طغيانهم يعمهون اي نتركهم يترددون في اعمالهم وحيرتهم الى الوقت الذي وعد لهم العذاب والله اعلم
عز وجل واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما قال بعض اهل التاويل جميع ما ذكر في القرآن
الانسان في المراد منه الكافر من ذلك قوله يا ايها الانسان انك كادح وقوله يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر ونحوه لكن هذا لا نعلم انه اراد به الكافر فلئن كان ما
ذكروا فان اهل الايمان يدخلون في هذا الخطاب اذ كان منهم ما يكون من الكفرة لان من اهل الايمان
من يقبل على الدعاء والتضرع الى الله عند مس الحاجة والشدة فاذا انجلى ذلك وانكشف عنه ترك ذلك
الدعاء الذي كان دعاء وذلك التضرع الذي كان يتضرع اليه فدخل في ذلك ثم قوله دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما ليس على ارادة حقيقة الجنب والقعود والقيام ولكن على الدعاء في كل حال اي يدعوه لما عرفوا
ان الذي كانوا يعبدون من دون الله لا يملكون دفع ما حل بهم من الشدائد والمضار واقبلوا على الله بالتضرع
والدعاء اليه في كشف ذلك عنهم ثم اخبر من سفههم وشدة تعنتهم وعودهم الى الحالة التي كانوا من
قبل فقال فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه يقول والله اعلم مر كان من بعد ما قد نسينا
في الرخاء كان لم يعرفنا وان لم يتعدى عن الحد الذي جعل له وهو وضع الاموال والانفس في الموضع الذي
لا ينتفعون بها في عبادة الاصنام وغيرها والله اعلم عز وجل ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما
ظلموا فان قيل قد اهلك من قد ظلم ومن لم يظلم فما يعلم من اهلك من الظلمة انه انما اهلكهم لظلمهم واهلك
الصالح من لم يظلم قيل له اهلك الظلمة اهلاك استئصال وعقوبة واهلك من لم يظلم لا اهلاك عقوبة
واستئصال انما هو اهلاك باجالهم التي جعل لهم ويحتمل قوله ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا
وجاءتهم رسلهم بالبينات انما اهلك اولئك لسؤالهم الذي سألوا سؤال تعنت رسلهم الايات فاذا
جاءتهم تلك الايات كذبوها فاهلكوا عند ذلك فانتم يا اهل مكة اذا سألتم رسلكم الاية ثم كذبتموها
نعذبكم كما عذب اولئك اذ من حكم الاهلاك على اثر السؤال كانه نهى اهل مكة عن سؤال الايات فانه على
اثره الاهلاك اذا لم يقبلوها عز وجل وجاءتهم رسلهم بالبينات يحتمل البينات التي تبين ما يؤتى
وما يتقى وقد ذكرناها في غير موضع وما كانوا ليؤمنوا يخبر رسوله انهم وان سألوك الايات فاذا جئت
بها فانهم لا يؤمنون يعني اهل مكة كذلك نجزي القوم المجرمين كل مجرم عز وجل ثم جعلناكم
خلائف في الارض من بعدهم يحتمل قوله خلائف اي جعل انفسكم خلف انفس اولئك الذين
لم يهلكهم يخرج هذا مخرج تذكر النعمة والامتنان والرحمة يذكرهم انه لو شاء اهلك الكل فلا
يكون هؤلاء خلف اولئك ولكن بفضله ورحمته ابقاكم ويحتمل قوله جعلناكم خلائف اولئك
في المحنة والعبادة اي جعل عليكم من المحنة والعبادة ويشبه ان يكون قوله جعلناكم خلائف
الذين لم يظلموا فكيف لا تتبعونهم لان الذين ظلموا قد اهلكهم فانتم خلائف اولئك الذين لم يظلموا
ويكذبوا الرسل فكيف لا تتبعونهم كانهم ادعوا ان اباءهم كانوا على ما هم عليه وانهم على مذهب ابائهم
يقول جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم اي لست انا باول رسول ارسلت اليكم بل لم يزل الله
يرسل رسولا في الامم فكان فيه لهم اتباع يتبعون رسلهم الى ما يدعوهم اليه ويجيبونهم فاتبعوني
انتم يا اهل مكة فيما دعوتكم اليه عز وجل لننظر كيف تعملون لم يزل الله عالما بما كان ويكون
منهم من المعصية والطاعة ولكن ليعلمهم عصاة ومطيعين لان المعصية انما تكون بعد ما يكون
النهي والطاعة انما تكون بالامر فيبتليكم فيعلمكم عصاة كما علم انه يكون منكم لكن ليعلمهم معصية ويعلمكم
مطيعين كما علم انه يكون منكم الطاعة وقد ذكرنا امثال هذا فيما تقدم والله اعلم عز وجل
اذا تتلى عليهم اياتنا بينات البينات قد ذكرنا في غير موضع والبينات هي التي تبين انها ايات نزلت

من عند الله

من عند الله لم يخترعها احد من الخلق وقد ذكرنا قوله ايضا قال الذين لا يرجون لقاءنا وقوله عز وجل ائت
بقرآن غير هذا او بدله يشبه ان يكون قولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله الا ترى انه قال قل ما يكون لي
ان ابدله من تلقاء نفسي انما اجابهم في التبديل دل ان السؤال كان سؤال تبديل ولكن كانوا يسالونه
سؤال استهزاء وتكذيب ثم اختلف اهل التاويل الذي سألوا قال بعضهم سألوا ان يبدل ويجعل مكان
اية العذاب اية الرحمة او يبدل احكامه ويحتمل قوله ائت بقرآن غير هذا اي بدل احكامه وانزل
رسمه ويحتمل ما ذكر انهم سألوا ان يبدلوا مكان اية العذاب اية الرحمة ومكان ما فيه سب الهتهم مدحها
ونحو ذلك والله اعلم ونحن لا نعلم ما اراد بالتبديل الاحكام وتبديل الرسم والنظم انما نعلم ذلك بالسماع
ثم اخبر انه لا يقول ولا يتبع الا ما يوحى اليه ويوحى به بقوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي
ان اتبع الا ما يوحى وقوله عز وجل اني اخاف ان عصيت ربي ان تركت تبليغ ما امرت بالتبليغ اليكم وهذا
كل من عرف ربه خاف ان عصاه مخالفة امره ونهيه ومن لم يعرف ربه لم يخفه اذا عصاه وخالف وقوله
عز وجل ائت بقرآن غير هذا او بدله سؤالهم سؤال تعنت واستهزاء لانه منفعة لهم لو اتى بغيره
وبدله سوى ما في هذا ولو جاز لهم هذا السؤال جاز ذلك في كل ما اوتي واحدا بعد واحد فذلك
مما لا ينقطع ابدا ولا غاية ولا نهاية فسؤال تعنت واستهزاء وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا ادراكم به هو صلة ما تقدم من قوله حيث قالوا ائت بقرآن غير هذا او بدله قد ذكرنا ان هذا
يحتمل وجهين يحتمل انهم سألوه ان يبدل احكامه على ترك رسمه ونظمه ويحتمل قوله ائت بقرآن
غير هذا او بدله اي ارفع رسمه ونظمه واحكامه كانهم ادعوا على رسول الله اختراع هذا القرآن
من نفسه واختلاقه من عنده فقال قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تاويله والله اعلم لو شاء الله
ان يظهر دينه فيكم ولا الزمه حجة ولا بعثني اليكم رسولا ما تلوته عليكم تاويله والله اعلم لو شاء
الله ولا ادراكم به اي ولا اعلمكم به ويحتمل ولا ادريكم ولا اعلمكم ما فيه من الاحكام او يقول لو شاء
الله ما تلوته عليكم فلو لم يشأ ان يتلوه ما تلاه دل ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وذلك يرد
على المعتزلة قولهم شاء الله ان يؤمن الخلائق كلهم لم يؤمنوا والله اعلم وقوله عز وجل فقد لبثت فيكم
عمرا من قبله افلا تعقلون اي فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فلم ادع ما ادعي الحال ولا تلوت ما اتلو افلا
تعقلون اني لم اخترع هذا من نفسي ولكن وحي اوحي الي اذ لو كان اختراعا مني لكان ذلك مني فيما
مضى من الوقت وكنت لا باس فيكم فاذا لم يكن مني ذلك افلا تعقلون اني لم اخترع من نفسي يحتمل
هذا الكلام وجوها احدها انهم لما ادعوا عليه الاختراع من عنده قال اني قد لبثت فيكم عمرا من قبله
اي قبل ان يوحى هذا الي فلم تروني خططت بيميني ولا اختلفت الى احد في التعلم والدراسة فكيف
اخترع من عندي او التاليف لا يلتئم ولا يتم الا باسباب متقدم والثاني فقد لبثت عمرا سنين لم تجربوني
ولا رايتموني كذبت قط فكيف افتري على الله واخترع القرآن من عند نفسي الا ترى انه قال
على اثره فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا والثالث يحتمل قوله
فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فلم اسمع احدا ادعى البعث ولا اقام حجة عليه وانا قد ادعيت البعث
واقمت على ذلك حجة افلا تعقلون هذا اني لم اخترع من عند نفسي وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب باياته يشبه ان هذا صلة قوله ائت بقرآن غير هذا او بدله اي كيف تطلبون
مني اتيان غيره وتبديل احكامه وقد تعرفون قبح الكذب وفحشه فكيف تسالونني الافتراء على الله
وتكذيب اياته ويحتمل ان يكون صلة ما ادعوا اليه انه افتراء من عند نفسه يقول انكم لم تاخذوني
بكذب قط فقد لبثت فيكم عمرا فكيف تنسبوني الى الكذب على الله وقد عرفتم قبح الكذب على الله
وفحشه ويحتمل على الابتداء ثم قد ذكرنا ان قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام بجوابه
ما قال اهل التاويل لا احد ابين ظلما وافحش عن افترى على الله كذبا لان تفسيره ما قالوه وقد ذكرنا
هذا في غير موضع او كذب باياته الافتراء على الله تكذيب اياته وتكذيب اياته افتراء على الله
وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم يحتمل وجهين ما لا يضرهم لو تركوا
عبادته ولا ينفعهم ان عبدوه والثاني ما لا يضرهم اي ما لا يملكون الضر دفعهم ولا ينفعهم اي لا
يملكون جر النفع اليهم بسعيهم في عبادتهم ما لا يملك لهم دفع الضر ولا يملك جر النفع وتركهم عبادتهم

من به منافعهم وعداتهم ومنه يكون كل خوف وضر والله اعلم وقوله عز وجل ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله يحتمل هذا القول منهم تقبلوا لاباتهم وكقولهم وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ظنوا ان
اباءهم لما تركوا وما هم عليه لم يعذبوا انهم على الحق وان الله قد رضي بذلك او قالوا ذلك لما يروا
انفسهم اهلا لعبادة الله والقيام بخدمته وقد يكون مثل هذا في ملوك الارض ان كل احد لا يرى
نفسه يصلح لخدمة الملك فيخدم من دونه المتصلين به رجاء ان يكون من خدمته شفيعا له عند الملك
ففعل ذلك هؤلاء طمعوا ان عبادتهم هؤلاء تقربهم الى الله زلفى ويكونون لهم شفعاء عند الله والله
اعلم وقوله عز وجل قل اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض يقول اتنبؤن الله بما لا يعلم
اى تعلمون انه عالم اى اتعلمون انه يعلم ما ذكر وانتم لا تعلمون ذلك وقد تعلمون انه لو كان كذلك لكان
هو اعلم به منكم والثاني ان تقولوا ما لا يعلم انه ليس كما تقولون كقول الناس ما شاء الله كان وما لم
يشاء لا يكون اى وما شاء ان لا يكون لا يكون وقوله عز وجل سبحانه كلمة جعلت لاجلال الله عما يحتمله
غيره من الاشكال والاضداد ومن العيوب والافات وهو في هذا الموضع يتوجه الى وجهين اذا كانوا
يعبدون ما ذكر ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فيقول سبحانه ان يجعل لامثال اولئك شفاعة عند
اذ الشفيع انه يكون من له منزلة وقدر عند من يشفع له والمنزلة تكون للعبد بما يتبعه هم فيقومون
بتوفير ما يحتمل وسعهم من العبادة فاما من لا يحتمل التعبد فهو يبعد عما ذكر سبحانه ان يجعل
الشفاعة لمن ذكر دون الانبياء والرسل وهم قد اخبر وانها لا تملك ضرا ولا نفعا وفي
الشفاعة ذلك والثاني ان يكون عما اشركوا في العبادة فسبحانه عن ان يكون معه معبودا
ويأذن لاحد بعبادة غيره والله اعلم وقوله عز وجل وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا
فيه قال بعضهم قوله ما كان الناس الا امة واحدة اى اهل مكة كانوا كلهم اهل شرك عبادة
الاوثان والاصنام لم يكن فيهم اليهودية ولا النصرانية ولا شيء من اختلاف المذاهب فلما بعث
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اختلفوا فمنهم من امن به وصدقه واخلص دينه لله ومنهم
من عاند وكابر في تكذيبه بعد ان عرف انه رسول الله ومنهم من شك فيه ومنهم من لم ينظر
في امره قط ولا تفكر فيه فصاروا اربع فرق وقال بعضهم ما كان الناس الا امة واحدة
بالفطرة اى كانوا جميعا على الفطرة وفي فطرة كل الشهادة على وحدانية الله تعالى والوهيته
كقوله وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وقوله فطرة الله التي فطر الناس
عليها خلقة كل احد الشهادة لله بالواحدانية له والالوهية فاختلفوا فمنهم من كان على
تلك الفطرة ومنهم من كذب واختار الكفر وهو ما روى كل مولود يولد على الفطرة الا
ان ابويه يهودانه وينصرانه اخبر انهم على الفطرة لو تركوا على ذلك لكن ابويه يمنعانه
عن الكون عليها وقيل ما كان الناس الا امة واحدة اى كان الخلائق جملة امم كقوله وما من
دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم كانه يعاتب هذه الامة يقول ان الامم
مع اختلاف جواهرها واجناسها كانوا خاضعين لله مخلصين له فانتم ايها الناس امة من
تلك الامم فكيف اختلفتم واشركتم غيره في الوهية وربوبية مع ما ركب فيكم من العقول
والتمييز بين ما هو حكمة وما هو سفه وقد فضلكم على غيرها من الامم في خلق ما خلق في السموات
وما في الارض لكم وسخر لكم ذلك كله ما لم يفعل ذلك بغيرها من الامم ومنهم من قال من اهل
التاويل في قوله ما كان الناس الا امة واحدة من زمن نوح ومن دخل معه في السفينة كانوا
على دين واحد فاختلفوا بعد ما خرجوا ومنهم من قال ادم فاختلف اولاده ومنهم من قال
ابراهيم لكنا نشهد كيف كان الامر فلا نعلم الا بخبر عن الله تعالى وقوله عز وجل فلولا كلمة
سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون قيل لولا ان من حكمه ان لا يعذب هذه الامة
عند تكذيبهم الايات اذا سالوها كما اهلك الامم الخالية بتكذيبهم الايات عند السوال ولكن
اخر تعذيب هذه الامة الى يوم القيامة والثاني سبقت من ربك لقضى انه لا يستاصل
هذه الامة عند تكذيب الرسل والعناد لهم احد التاويلين في ترك استيصالهم والاخر في تاخير
العذاب الى وقت وقوله عز وجل لقضي بينهم سببا ان يضطرهم الى القبول وقوله عز وجل ويقولون

لولا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله جوابه والله اعلم ما ذكر لولا كلمة سبقت من ربك
ان لا يعذب هذه الامة بتكذيب الايات عند سوالها والا لعذبتم انتم كما عذبت الامم الخالية بتكذيبها
الايات عند السول وقوله عز وجل فقل انما الغيب لله اى انكم تعلمون اى علم الغيب وقد انزل من
الايات لا يبين ويدل على رسالتي وقوله عز وجل فانتظروا انى معكم من المنتظرين وقيل انتظروا
هلاكي منتظر هلاككم لانهم كانوا يوعدونه الهلاك وقيل انتظروا مواعيد الشيطان انى منتظر
مواعيد الله وهو حرف وعيد والله اعلم وقوله عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء
مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قال اهل التاويل اذ اذقنا الناس يعنى اهل مكة اذا اصابهم سعة وفرج
ونجاة مما خافون عادوا الى ما كانوا من التكذيب وعبادة الاصنام ولكن اهل مكة وغيرهم
انهم اذا ايسوا عما يعبدون من الاصنام والاوثان فزعوا الى الله ويخلصون له الدين كقوله فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية وقوله واذا مس الانسان ضر دعا لجنبه
او قاعدا او قائما الاية وقوله واذا مس الناس ضر دعا ربهم منيبين اليه الاية وغير ذلك من
الايات مما يكثر عدده اكانت عادتهم الفزع الى الله عند اصابتهم الشدايد والبلايا لعلمهم ان
الاصنام التي كانوا يعبدونها لا يدفعون عنهم ذلك وقوله عز وجل اذا لهم مكر في اياتنا المكر
في الايات تكذيبها وردها فيشبه ان يكون الاية ههنا محمد كان هو من اول امره الى اخره اية فكروا
به لما هموا بقتله غير مرة كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ويحتمل سائر الايات والحجج مكروا
فيها اى كذبوها وردوها قل الله اسرع مكرا المكر الاخذ من غير ان يعلم هو به يقول الله
اسرع اخذا ياخذكم وانتم لا تعلمون به ولا تقدرون ان تاخذوا رسول الله والمكر والا وهو يعلم بذلك
وهو اسرع اخذا منكم ان رسلنا يكتبون ما تمكرون فهم للحفظة ويحتمل قوله قل الله اسرع مكرا اى اسرع
جزاء المكر منكم او اسرع اخذا من حيث لا تعلمون انتم وقال بعض اهل اللغة المكر بالايات هو الرد و
الجحود لها وقال بعضهم استهزاء بها فهو واحد والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي يسيركم في البر
والبحر اختلف فيه قال بعضهم قوله وهو الذي يسيركم اى هو الذي سخر لكم ما به تسيرون في البر
والبحر وهو الدواب والسفن التي يقطع بها البراري والبحار وهو كقوله لتستووا على ظهوره ثم تذكروا
نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقيل هو الذي يسيركم
في البر والبحر اى سخر لكم البر والبحر وهو مكان الخوف والهلاك اى حفظكم فيهما حتى قضيتم فيهما حوائجكم
وليس في وسع الخلق حفظ البراري والبحار عما فيهما من الاهوال فتولى الله بفضله حفظ السائرين
فيهما حتى قضوا فيهما حوائجهم وهو كقوله وهو الذي سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجون
منه حلية تلبسونها الى اخرها ذكر انواع المنافع فلولا ان الله سخر لهم ذلك وحفظهم فيه والا لم يكن
في وسعة القيام بذلك وحفظ انفسهم فيه من الاهوال التي فيه يذكرهم نعمه ومنته التي انعمها
ليوجبوا شكر نعمه اليه ثم قوله يسيركم في البر والبحر يحتمل يخلق وينشئ سيركم في البر والبحر وهو
كقوله قدرنا فيها السير سيروا الاية والتقدير هو التخليق والمقدر المخلوق ففيه دلالة خلق
افعال الخلق لان السير هو من فعل الخالق اضافه الى نفسه دل انه منشئ فعلهم والله اعلم ويشبه
ان يكون قوله يسيركم في البر والبحر لم يرد به البر والبحر نفسه ولكن اراد تذكير نعمه عليهم في كل حال
وكل وقت ليشكروا له في كل حال وهو كقوله ظهر الفساد في البر والبحر لم يرد به البر والبحر انفسهما
ولكن اراد المكان الذي فيه المياه والمكان الذي لا مياه فيه اى ظهر الفساد في الاماكن كلها والاحوال
جميعا والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا كنتم في الفلك اى ركبتم الفلك وجرين بهم بريح طيبة اى
تجري بهم السفن بريح طيبة يخبر ان السفن ليست تجري في البحار بجريان الماء لان ماءها راكد في الفلك
لكن الريح هي التي تجريها وتسيرها وكذلك الامواج التي تكون فيها ليست تشتد بجريان الماء ولكن
الريح هي التي تهيج الامواج وتزعجها لا نفس الماء وفرحوا بها سروا بها ويحتمل فرحوا بها اى بطروا بها
واشروا وقوله عز وجل جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان اخبر ان الريح اما هي بها السفن
ومنها ما هي عاصفة قاصفة تكسر وتفرق السفن وتهلك اهلها ليعلم ان الاشياء تصلح مرة وتفسد
تارة لا لانفسها ولكن بحفظ الحد ودفعها وكذلك الماء مرة يصلح ومرة يفسد وذلك اذا حفظ

ذ الحد اصلح وان لم يحفظ انفسه والا لا يحتمل الشي الواحد لنفسه يصلح مرة ويفسده تارة ولكن لحفظ الحد
فيه والله اعلم وقوله عز وجل وظنوا انهم احيط بهم قيل ايقنوا انهم مهلكون ولكن الايقان بالشي الذي
يسبب به في حادث الاوقات انما يكون بالجليل لانه لا يدرى لعل الله يصرف ذلك عنهم فلا يقع به الايقان
ولكن جعل غالب الظن فيه في كثير من الاشياء كالايقان به الا ترى ان الله اباح الميتة في حال الضرورة
لغالب الظن اذ قد يجوز ان لا يهلك بذلك وكذا ما ابيح للمكره بالقتل ان يجري كلمة الكفر على لسانه لغالب الظن
والا ليس يعلم بالاحاطة انه يقتله لا محالة لكن جعل لغالب الظن في بعض المواضع حكم اليقين والاحاطة
فعلى ذلك قولهم ايقنوا انهم احيط بهم لغالب الظن به وقوله عز وجل دعوا الله مخلصين له الدين انهم
لما ايسوا عن الاصنام التي عبدوها في دفع ما حل بهم عنهم فزعوا الى الله واخلصوا الدعاء له وقالوا لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ثم اخبر عن سفههم بعودهم الى ما كانوا من قبل فلما انجاهم اذا هم يبغون
في الارض بغير الحق وهكذا كانت عادتهم كانوا يفزعون الى الله عند خوف الهلاك والايس عن الهتهم التي
عبدوها ويخلصون الدعاء فاذا كشف ذلك الكرب عنهم ورفع عادوا الى ما كانوا من قبل والبغي في الارض
هو الفساد فيها وقوله عز وجل انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا يحتمل قوله على انفسكم اي بعضكم على
بعض ويحتمل على انفسكم اي حاصل بغيكم يرجع على انفسكم والبغي هو الظلم فان كان التاويل قوله انما بغيكم
على انفسكم اي حاصل بغيكم يرجع الى انفسكم في العاقبة فيكون الوعيد لهم في ذلك بعينه وان كان التاويل
انفسكم بعضكم على بعض فيكون الوعيد في قوله ثم الينا مرجعكم عز وجل ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون
هذا قد ذكرنا وهو حرف وعيد والله اعلم وقوله عز وجل انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض الاية في ضرب مثل الحيوة بالزرع الذي ذكر بوجوه قال بعضهم قوله انما مثل الحيوة الدنيا
في سرعة فنائها وانقطاعها وجيئة زوالها مثل ذلك الزرع الذي ذكر في سرعة هلاكه وانقطاعه وزواله
عن صاحبه او ان يقال انما مثل الحيوة الدنيا فيما يسر ويبهج مثل صاحب الزرع الذي ذكر فيما سره وابتهج
ثم كان ما ذكر كان لم تغن بالامس وقال بعضهم انما مثل الحيوة الدنيا للحيوة الدنيا فيما ينفقون فيها مثل صاحب
الزرع الذي ذكر فيما سره وابتهج ثم كان ينفق عليه لما يامل من المنافع ويطمع منه ثم كان ولو علم في الابتداء
ان امر زرعه يؤول ويصير الى ما صار لكان لا ينفق فعلى ذلك صاحب الحيوة الدنيا لو علم ان عاقبة امر نفقته
تصير حسرة عليه وندامة ما انفق كما ان صاحب الزرع الذي ذكر لو علم ان عاقبته كما كان ما انفق عليه اولو علم
انه لا ينتفع به ما انفق تلك النفقة اي لو علم ان سروره وابتهاجه به لا يبقى ولا يدوم الى اخره ما تكلف
ذلك اولو علم انها تزول عنه وتنقطع عن تلك السرعة ما انفق ذلك وما تكلف ويحتمل ضرب مثل الحيوة
الدنيا بما ذكر من النبات وجهين احدهما يخبر عن سرعة زوالها وانقطاعها كالنبات الذي يتغير في ادنى
مدة ووقت قوله عز وجل اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وحسنت فانبتت من الوان النبات وقال ابو
عوسجة زخرفها زينتها من النبت وحصيدا اي محصودا كما يحصد الحصاد والزرع كان لم تغن بالامس اي لم تعش
والمغاني هو المواضع التي يعيش منها الناس قال وواحد من المغاني مغنى وقال القتبي واصل الزخرف
الذهب يقال للغش والذهبة وكل شيء زين زخرف وقال كان لم تغن بالامس والمغاني المنازل واحدها
مغنى ما قال بعضهم كان لم تغن بالامس اي لم تنعم وقيل لم تقم وقال بعضهم هو من الغنى اي كان لم تكن
غنيا بالامس والله اعلم وقوله عز وجل وظن اهلها انهم قادرون عليها اي ظن اهل الدنيا فيما
ينفقون انهم قادرون على تلك النفقة كما ظن حاطب صاحب الزراع وانه قادر على ذلك
الزرع وقوله عز وجل اتاها امرنا قيل عذابنا سمي امر لانه بامره اتاه وفيه انه لم يات عن
غفلة وسهو ولكن عن علم وامر عظة لهم وتنبيها الا ترى انه قال كذلك نفصل الايات لقوم
يتفكرون كان الايات في هذا الموضع المواعظ فيما ذكر من ضرب مثل الحيوة الدنيا بالنبات والزرع
الذي ذكر عظة وتنبيه لمن تفكر فيه والله اعلم وقوله عز وجل والله يدعوا الى دار السلام اختلف
فيه قيل الجنة والسلام الله اضافها الى نفسه كقوله ان المساجد لله فاضاف الجنة السلام
ان كان دار السلام هي الجنة فهو والله اعلم لان المساجد هي امكنة يقام فيها القرب والجنة
هي مكان اللذة وقضاء الشهوة فاضافها الى السلام لما يسلم اهلها عن جميع الافات والمساجد
خصت بالاضافة الى الله لانها امكنة يقام فيها القرب وقال بعضهم دار السلام الاسلام ثم

يحتمل

يحتمل كل واحد من التاويلين وجهين فيما سمي الاسلام دار السلام والجنة كذلك سمي الاسلام دار السلام
لانه يامن ويسلم كل من دخل فيه عن جميع الاهوال والافات التي تكون والثاني سمي الاسلام اضافه
الى نفسه كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام الاية اخبر انه على نور من ربه فعلى ذلك اضاف
الاسلام اليه ومن قال دار السلام الجنة سمي دار السلام لان كل من دخل الجنة سلم وامن عن الاهوال
كلها والافات جميعا والثاني دار الجنة والسلام الله اضاف اليه لانها دار اوليائه وقد يضاف
الى الله على ارادة اوليائه والله اعلم وروي في بعض الاخبار عن ابي قلابة ان النبي عليه الصلوة
والسلام قيل قال قيل لي لتنم عينك ولتعقل ولتسمع اذنك ومن لم يجب قلبك وليسمع اذنك فنامت عيناي وعقل
قلبي وسمعت اذني ثم قيل لي سيد بنى دارا وجعل مائدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار
واكل من المائدة ورضي عنه السيد ومن لم يجب الداعي ولم ياكل من المائدة لم يدخل الدار ولم ياكل
من المائدة ولم يرض عنه السيد فالله السيد تعالى والدار الاسلام والمائدة الجنة والداعي محمد صلى
الله عليه وسلم ان ثبت هذا الخبر ففيه ان الدار الاسلام على ما قاله بعض اهل التاويل في خبر اخر
عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال رايت في المنام
وكان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي قال احدهما لصاحبه اضرب له مثلا قال اسمع سمعت
اذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بنيانا فاتم ثم جعل
فيها مائدة ثم بعث رسولا يدعوا الناس الى طعامه فمنهم من اجاب الرسل ومنهم من تركه فالله الملك
والدار الاسلام والبيت الجنة وانت يا محمد الرسول من اجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل
الجنة ومن دخل الجنة اكل ما فيها يدل ايضا ان ثبت ان الدار التي ذكر في الاية هو الاسلام والله اعلم
وقوله عز وجل والله يدعوا الى دار السلام الاية ذكر الانشاء في الهداية ولم يذكر في الدعاء ليعلم
ان لا كل من يدعوا الى دار السلام يهديه وانما يهدي من يعلم منه انه يختار الهدى وذلك على القدرة
ثم الهدى على وجوه ثلثة احدها الدعاء كقوله ولكل قوم هاد والثاني هو البيان كقوله هدى
ورحمة يعني القران والثالث التوفيق والعصمة اذا وفق اهتدى والهدى ههنا التوفيق وقوله
عز وجل للذين احسنوا الحسنى وزيادة اختلف فيه قال بعضهم الذين احسنوا في الدنيا لهم الحسنى
في الاخرة جزاء وذلك الاحسان وهي الجنة سمي الجنة الحسنى لانها جزاء الاحسان كما سمي النار السوء
كقوله اساؤا السوء اي لانها جزاء السوء كقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان وزيادة قيل المحبة
في قلوب العباد يحبه كل محسن وهيبته له في قلوب الناس يهابه كل احد على غير سلطان له ولا يد وقال
قائلون قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة اي مثل تلك الحسنة وزيادة التضعيف حتى تكون
عشرا او سبعمائة وما شاء الله يدل على ذلك قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وقال
قائلون قوله الزيادة الرؤية رؤية الرب والنظر كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة وقال قائلون الزيادة قبول حسناته مما فيها من الخلط بالسيئات يقبل حسناته بفضله
وان كانت تشوبها السيئات ورضاء منه وذلك طريقة الفضل والاحسان اذ قد سبق من النعم
ما لا يعد القيام على وفاء الشكر منها طول عمره وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال الزيادة
غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب فلا ندري ما الزيادة التي ذكرها عز وجل في الاية الا بالخبر
عن الله وقال قائلون الحسنى ما يقدره العقول وقد ركها وتصورها الاوهام واما الزيادة فهي
التي لا تقدرها العقول ولا تدركها ولا تصورها الاوهام كقوله صلى الله عليه وسلم ما عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله عز وجل ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قيل لا يغشى
وجوههم النار والوهج على وصف وجوه اهل النار وهو قوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها
قترة ولكن على ما وصف وجوه اهل الجنة بقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وذلك
والله اعلم اثار احسانهم التي احسنوا في الدنيا ولما لم يروا النعم التي كانت لهم من سواه ولم يصرفوا
شكرها الى غيره والغبرة والقترة التي ذكر لاهل النار هي اثار السيئات التي عملوها في الدنيا من
عبادتهم دون الله وصرفهم شكر النعم الى غيره نحو ذلك من صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا والله اعلم
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقوله عز وجل والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها

جزاء سيئة بما يوجبه الحكمة ان يجزى بمثلها واما جزاء الاحسان والخير طريق وجوبه الافضال والاحسان ليس طريق وجوه الحكمة اذا سبق من الله الى كل احد من النعم ما ليس فى وسعه القيام بمكافاة واحدة منها عمره وان طال واجتهد كل جهده فضلا ان يستوجب قبله جزاء ما كان منه من الخيرات وقوله عز وجل وترهقهم ذلة هو ما ذكر من اثار السيئات التى عملوها فى الدنيا نازلا وهو انهم ما لهم من الله من عاصم وذلك انهم والله اعلم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان يكونوا لهم شفعاء عند الله فاخبر ان ليس لهم من الله مانع يمنع ذلك عنهم كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله عز وجل كانما اغشيت وجوههم قيل البست واغطيت قطعا مثقلا ومخففا قطعا قيل القطع بالمثقل هو جمع القطعة والقطع بالتخفيف جزء من الليل يقال اسرى بقطع من الليل اى بجزء من الليل وقوله واسر باهلك بقطع من الليل اى بجزء منه والله اعلم ثم شبه وجوههم بظلمة الليل ولم يشبه بسواد الوجوه على ما يكون من سواد الوجوه فى الدنيا فذلك والله اعلم ان سواد الوجوه على ما يكون فى الدنيا لا يبلغ من القبح غايته اذ قد يرغب من كان جنسه ونوعه فى ذلك ويحسن ذلك عنده فاذا كانت الرغبة قد تقع لبعضهم فى بعض لم يبلغ فى القبح غايته واما ظلمة الليل فان الطباع تنفر عنها ولا تقع الرغبة فيها بحال لذلك شبه وجوه اهل النار بها والله اعلم ويوم نحشرهم جميعا قال اهل التاويل يعنى العابد والمعبود والذين عبدوا دونه ولكن نحشر الخلايق جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم وقوله عز وجل مكانكم انتم وشركاؤكم هذا الحرف وعيد يقال مكانك ان كنت او ان كان هذا الحرف يجوز ان يستعمل فى الكرامات دبر بعضهم بعضا ولكن انما يعرف ذا من ذا بالمقدمات فى تقدم ههنا يدل انه لم يرد به الكرامة ولكن اراد به الوعيد والله اعلم وقوله عز وجل فزيلنا بينهم قيل فرقنا بينهم اى بين العابد والمعبود ثم يحتمل التفريق بينهم وجوها احدها فرقنا بينهم فى الحساب بما عمل وبما صحب والثانى يحتمل فرقنا بينهم لما طمعوا بعبادتهم اياها الشفاعة ان يكونوا لهم شفعاء عند الله ففرق بينهم فى الشفاعة ويحتمل فرقنا بينهم فيما ضل عنهم ما كانوا يفترون فصار ما عبد واترابا وهم فى النار وقوله عز وجل وقال شركاؤهم سماهم شركاء وان لم يكونوا شركاء فى الحقيقة لما عندهم انهم شركاء كما سمى الاصنام الهة لما عندهم الهة والثانى شركاؤهم لما اشركوها فى العبادة فهم شركاؤهم والله اعلم وقوله عز وجل وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ينطق الله عز وجل هذه الاصنام يوم القيامة وان لم يكن فى خلقتها النطق فى الدنيا كقوله يومئذ تحدث اخبارها وقوله يومئذ تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية انطقهم ليشهدوا عليهم ما كنتم ايانا تعبدون ويحتمل الملائكة ان يكونوا عليهم انكروا لان منهم من يعبد الملائكة انكروا ان يكونوا يعبدونهم لان العبادة لاخرانما تكون عبادة اذا كان من المعبود امر بها وكانت عبادتهم الاصنام عبادة الشيطان لانه هو الامر لهم بالعبادة للاصنام كقوله يا ابت لم تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد اعبادة الشيطان لكنه لما كان الامر لهم بالعبادة بالاصنام صار كانهم عبدوه وان لم يقصدوه بها ويحتمل ما ذكر من الانكار من الاصنام وقوله عز وجل فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم اى كفى الله القاضى والحاكم بيننا وبينكم انا لم نامركم بعبادتنا وهو العالم بانا كنا بعبادتكم ايانا غافلين وقوله عز وجل هنالك تبلو كل نفس قيل عند ذلك وقيل يومئذ اى يوم القيامة وقوله عز وجل تبلوا بالباء والتاء وقيل تقرا فى الصحف ما كتب من اعمالهم وتبلوا بالباء من الابتلاء المحنة يقال بلوته وابتليته واحد واختبرته ايضا وقيل تبلوا تجد وتعلم كل نفس ما قدمت من الاعمال والله اعلم وقوله عز وجل وردوا الى الله مولاهم الحق قيل ملكهم الحق لان غيره من الالهة التى عبدوها قد بطل عنهم وضل فى الاخرة ويحتمل وردوا الى الله مولاهم الحق اى حق ما يجد كل نفس ما قدمت من اعمالها وحق ان تجد كل نفس ما عملت وضل عنهم ما كانوا من العبادة للاصنام وقول الكفر وردوا الى الله مولاهم الحق يحتمل الوجهين اى ردوا ما اعد لهم مولاهم الحق والثانى ردوا الى امر مولاهم الحق لا الى امر الاصنام التى كانوا يعبدونها وقوله عز وجل قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار الاية يحاجهم يعنى اهل مكة فى التوحيد لانها مكية وقوله عز وجل قل من يرزقكم من السماء والارض اى من يدبر الرزق فى السماء ومن يدبر فى الارض يحتمل وجهين اى من نزل لكم الرزق من السماء ومن يستخرج لكم الرزق والثانى من يرزقكم من السماء والارض اى من يدبر الرزق فى السماء ومن يدبر

الرزق فى الارض ولا احد يملك استنزال الرزق من السماء واستخراج الرزق من الارض وكذلك لا احد يملك تدبيره فى السماء والارض سواه ولا احد يملك انشاء السمع والبصر لاحد ايضا يملك اخراج الميت من الحى ولا تدبير الامر يعرفون حقيقة ماهية السمع والبصر ولا يكتنفهما فكيف يملكون انشاء السمع والبصر ونصبهما ولا يملك احد سواه اصلاح ما ذكر اذا اضد ذلك فاقروا انه لا يملك احد سوى الله ذلك وهو قولهم فسيقولون الله فقل افلا تتقون بوايقه ونقمته او يقول افلا عبادة غيره دونه واشراك غيره فى الوهية وربوبيته او يقول افلا تتقون صرف شكره الى غيره وقد اقررتم انه هو المنعم عليكم هذه لان من تعبدون دونه او يقول والله اعلم اذا عرفتم ما ذكر افلا تتقون مخالفته وعصيانه فاذا اقروا ان الذى يملك تدبير ما بين السماء والارض وهو الذى له ملك السموات والارض عرفوا الذى يستحق العبادة والقيام بشكره فاذا ضيعوا ذلك جميعهم عليه اسم الضلال فذلك قوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقوله عز وجل فذلكم الله ربكم اى ذلكم الذى ذكر ربكم بالحجج والبراهين فماذا بعد الحق الذى هو حق بالحجج والبراهين الا الضلال لان ما لا حجج ولا برهان الضلال وقوله عز وجل فانى تصرفون من عبادته غيره او فانى تصرفون عن شكر المنعم اى غير شكر المنعم او يقول فانى تعدلون من لا يملك ما ذكر بمن يملك والله اعلم وقوله عز وجل كلمة ربك يحتمل وجهين يحتمل ربك حجج ربك وبراهينه على الذين فسقوا وقوله عز وجل قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قال عامة اهل التاويل ثم يعيده البعث بعد الموت اى لا احد من شركائكم الذين تعبدون يملك بدء الخلق ولا بعثه وقال بعضهم قوله ثم يعيده لا يحتمل البعث لانهم كانوا لا يقرون بالبعث فلا يحتمل الاحتجاج عليهم بذلك ولكن قوله ثم يعيده ما سوى البشر لانهم انما ينكرون اعادة البشر فاما اعادة غيره من الاشياء لا ينكرون نحو اعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات ونحو الاشياء التى يشاهدونها ثم يعيده مثل الليل ليلا مثله وكذلك الخلايق تفنى ثم يعيد مثله فاذا ثبت فى غير البشر ثبت فى البشر ويحتمل الامرين جميعا عندنا البعث والاشياء مثله لانه نعليم منه الا ترى انه قال الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قيل تكذبون بتوحيد الله وقد عرفتم انه هو يبدؤ الخلق ثم يعيده لا احد يملك ذلك الا ترى انه احتج عليهم ما يلزمهم ذلك بقوله فكيف تكفرون بالله الاية وقوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق يحتمل قوله يهدى الى الحق يدعوا الى الحق فاذا كان هؤلاء الاصنام التى تعبدونها كيف لا يملكون الدعاء الى شئ فلا يملكون الضر والنفع ومن الخلايق من لا يملك النفع والضر ويملك الدعاء الى خير او الى نفع فهؤلاء دون الخلايق جميعا اذ لا يملكون الدعاء فكيف يملكون الضر والنفع بين عز وجل سفههم بعبادتهم هؤلاء الاصنام لعلمهم انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ويحتمل قوله من يهدى الى الحق اى يبين ويقيم الدلائل والبراهين على استحقاق العبادة لهم فاذا لم يملكوا الدعاء الى العبادة لهم فكيف يملكون نصب الدلائل والحجج على استحقاق العبادة قل الله يهدى للحق اخبر ان الله هو الذى للحق ثم يحتمل الوجهين الذى هو يملك الدعاء الى الحق ويقيم الدلائل

والحجج على ما دعاه اليه وهو يستحق العبادة له والربوبية افمن يهدى الى الحق الذى يبين له البراهين والحجج احق ان يتبع امن لا يهدى اى لا يبين ولا يدعوا الا ان يهدى فان قيل ما معنى الاستثناء وهو ان هدى لا يهتدى قيل يشبه ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله ما كنتم ايانا تعبدون ينطقهم الله عز وجل يوم القيمة فيشهدون عليهم انهم لم يامرهم بالعبادة لهم ولا دعوهم الى شركهم فى العبادة فيكون قوله الا ان يهدى لما ان يجعلهم الله بحيث يهتدون اذا هدوا ويجيبون اذا دعوا فما لكم كيف تحكمون بالجور وصرف العبادة والشكر الى من لا يملك ما ذكر وقوله عز وجل امن لا يهدى الا ان يهدى قال بعضهم الا ان يهدى لا يحتمل الصنم والوثن الاهتداء وان هدوا ولكن المراد منه الانسان وقال بعضهم انه لا يهدى الا ان يحمل الصنم ويوضع فاما ان يهتدى هو بنفسه فلا لكن يحتمل ما ذكرنا اذا صيره بحيث يتكلم ومن جنس ما ينطق واذن له فى النطق احتمل الاجابة والاهتداء والله اعلم وقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا قال بعضهم هذا فى الائمة والرؤساء منهم حيث عبدوا الاصنام والاوثان وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله

وبخو ذلك من يقول ما يتبع اكثرهم في عبادتهم بانهم يكونون لهم شفعاء عند الله الا ظنا ظنوه وقال بعضهم
هذا في الاتباع والعوام ليس في الائمة وذلك ان الائمة قد عرفوا البراهين والحجج التي قامت عليهم
والايات التي جاء بها رسول الله لكن ما قالوا ان هذا الا سحر مبين وما هذا الا افك مفترى وان هذا
الا اختلاق ونحو ذلك من الكلام ارادوا ان يلبسوا على العوام ويشبهوا عليهم فاتبع العوام الى الائمة
فيما قالوا وانه كذا وصدقوهم بقول وما يتبع اكثرهم الائمة في ذلك الا ظنا ظنوا ويشبه ان يكون قوله
وما يتبع اكثرهم يعني اهل مكة اهل ان دايل والاسلاف في عبادة الاصنام والاوثان الا ظنا انهم عبدوا
الاصنام ويقولون انا وجدنا اباءنا على امة الاية وابائنا كذلك يفعلون ثم اخبر ان الظن لا يغني من الحق
شيئا اي الظن لا يدرك به الحق باليقين ان الله عليم بما يفعلون وهو حرف وعيد ليكونوا ابدا على حذر
وقوله عز وجل وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله قال بعضهم هو صلة قوله قال الذين لا
يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله فيقول وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله كقوله
قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقال بعضهم ان كفار قريش قالوا ان محمدا
افترى هذا القران عند نفسه ويقول من نفسه فقال ما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ان
يضاف الى غيره او يختلق ولكن تصديق الذي بين يديه اي يصدق هذا القران الكتب التي كانت من قبل
ولو كان محمد هو الذي افتريه واختلقه من عند نفسه لكان خرج هو وسائر الكتب المتقدمة مختلفا اذا لم
يعرفها ليعلم ثم خرج واعني القران مصدقا وموافقا لكتب دل انه من عند الله جاء كقوله وما كنت تتلو
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية **وقوله** عز وجل وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله
يخرج على وجهين احدهما ما كان هذا القران بالذي يحتمل الافتراء من دون الله لخروجه عن طوق
البشر ووسعهم فذلك بالذي يحيله كونه مفترى بجوهره والثاني لما اودع فيه الحكمة والصدق يدل
على كونه من عند الله اذ كلام غيره يحتمل السفه والكذب يحتمل الاختلاف وتفصيل الكتاب لا ريب فيه
قيل فيه بيان الكتب التي نزلت قبله وتمامه ان هذا وان في اللفظ مختلفا فهو في الحكمة والصدق مبين
موافق للاول وقيل وتفصيل الكتاب ان تفصيل ما كتب لهم وما عليهم او ان يقال الى الله تفصيل الكتب
ليس الى غيره لا ريب فيه انه من عند رب العالمين او يقول مفصل من اللوح المحفوظ **وقوله** عز وجل
ام يقولون افتريه قل فاتوا بسورة مثله يقول ان كان محمد افتريه من عند نفسه فاتوا انتم بمثله اذ لسانكم
ولسانه واحد فانتم عرفتم بالفرية والكذب ومحمد لم يعرف به قط ولا اخذ عليه بكذب فانتم اولى
ان تاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دونه ان كنتم صادقين اختلف فيه قال بعضهم
ادعوا الهتكم التي تعبدونها ليعينوكم على اتيان مثله وقال بعضهم ادعوا من استطعتم اي ممن لسانه
مثل لسانكم ليعينوكم على ذلك او يقول استعينوا بدارسة الكتب ليعينوكم على مثله ان كنتم صادقين
ان محمدا افتراه من نفسه فدل تركهم اشتغالهم بذلك على انهم قد عرفوا انه ليس بمفترى وانه سماوي
وقوله عز وجل بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه قال بعضهم ما لم يعقلوا انظمه ولا لفظه ولا نظروا فيه
ولا تدبروا ليعلموا معناه بل كذبوه بالبديهة والشيء انما يعرف كذبه وصدقه بالنظر فيه والتفكر
والتدبر لا بالبديهة فذلك والله اعلم تاويله قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه والثاني بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلم كذبوا على علم منهم انهم كذبة بما يقولون وينقلون انه مفترى ليس بمنزل ولما ياتهم تاويله اي ولما
ياتهم العلم بتاويله اي بتاويل القران ومعناه والله اعلم انهم كذبوه من غير ان حفظوا ودعوا العقله
ولا اتاهم العلم بعاقبته واخره قيل التاويل هو رد كل شيء الى اولية الامر وقالت الحكماء التاويل اخر كل
فعل هو قصد في اوله وقصد كل شيء في اوله هو اخر في فعله او نحوه وقال بعضهم ولما ياتهم تاويله
قال ما وعد الله ان يكون قبل ان يكون وقال ابن عباس رضي الله عنه تاويل القران بما يكون منه في الدنيا
وبما يكون منه يوم القيامة وهو العذاب الذي وعد وقال بعضهم تاويله ثوابه وقيل عاقبته وقال
الواقدي لم ياتهم عاقبة بيان ما وعد الله في القران في الاخرة من الوعيد واصل التاويل هو النظر الى ما
يؤل عاقبة الامر **وقوله** عز وجل كذلك كذب الذين من قبلهم اي كذلك كذب الامم السالفة رسلهم
كما كذب كفار مكة رسلهم اي لست انت باول مكذب بل كذب من كان قبلك من اخوانك ليكون لهم التسلي
عما هم فيه من تكذيبهم اياه وردهم عليه انه ينزل بهم ما نزل باولئك انهم اقاموا على ما هم عليه انه ينزل

ما نزل باولئك ان هم اقاموا على ما هم عليه والثاني ان يكون الخطاب وان كان خارجا لرسول الله فهو راجع الى
قومه بالامر بالنظر فيما نزل بالامم السالفة وان بما ملوا احوالهم ليكون ذلك سببا لزجرهم عما هم فيه **وقوله**
عز وجل فانظر كيف كان عاقبة الظالمين بالتكذيب اي كيف يعاقبون ويعذبون والله اعلم **وقوله** عز وجل
ومنهم من يؤمن قيل من اهل مكة من يؤمن بهذا القران ولا يؤمن به وهم كذلك كانوا منهم من قد امن
به ومنهم من لا يؤمن به اي من لم يؤمن ويحتمل على الوعيد فيما يستقبل اي منهم من اهل مكة من يؤمن بهذا
القران ومنهم من لا يؤمن به وهم كذلك كانوا منهم من قد امن به ومنهم لم يؤمن به وقال بعضهم وهي
في اليهود ليست من اهل مكة وظاهره ان يكون في كفار ملة وعلى ذلك قول عامة اهل التاويل كان
هذا يخرج على البشارة ان منهم من يؤمن به لئلا ينقطع ويبلغ دعائهم واخبر ان منهم من لا يؤمن به لنوسه
حتى لا يشتد حزنه على كفرهم وجائز ان يكون اي منهم من قد يولد من بعد ومن يؤمن ومنهم من يولد فلا
يولد **وقوله** عز وجل وربك اعلم بالمفسدين ويشبه ان يكون معناه اي على علم بما يكون منهم من الفساد
خلقتهم وانشائهم وليس عن غفلة وجهل بالفساد ولكن عن علم بذلك لما لا يضره فساد مفسد ولا
ينفعه صلاح مصلح انما عليهم ضرر فسادهم ولهم منفعة صلاحهم ويحتمل ان يكون على الوعيد اي عالم
بفسادهم فيجزيهم جزاء الفساد والله اعلم **وقوله** عز وجل فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم تاويله
والله اعلم اي ان كذبت فيما اخبرتكم انه جاء من عند الله فلي عملي اي فعلي عملي فيما ابلغكم اي فعلي وزر عملي
ولكم عملكم اي فعليكم جرم ما رددتم على فيما بلغتكم عن الله وهو كقوله ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اي على جرم ما افتريت ان افتريت وعليكم جرم ما رددتم على فيما بلغتكم
عن الله ويحتمل ما قال له اهل التاويل لي عملي اي لي ديني ولكم عملكم اي لكم دينكم انتم بريئون مما اعمل
وانا بريء مما تعملون تاويله والله اعلم اي انا لا اواخذ بما دنتم انتم ولا انتم مواخذون بما دنت انا
عملت وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شيء الاية وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل الاية وما
على الرسول الا البلاغ الاية وكقوله لا تسالون عما اجرمنا الاية **وقوله** عز وجل ومنهم من يستمعون
اليك اخبر ان منهم من يستمع اليه يعني الى رسول الله والى ما يتلوا من القران لكنه يخبر انه لا كل مستمع
او الى ما ينتفع بما يستمع او يعقل ما يستمع ويفهم انما ينتفع بالاستماع ويعقل قدر المقصود والحاجة
ومنهم كانوا يستمعون بقبول القول منهم والمنزلة ومنهم من كان يستمع اليه يستمع غيره كقوله سماعون
للكذب سماعون لقوم اخرين ومنهم من كان يسمعه ويطيعه في ذلك فاذا خرج من عنده وبدله كقوله
ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول ومنهم من كان يستمع اليه
استهزاء منه وطلب الطعن فيه والعيب كانوا مختلفين في الاستماع ثم نفى عنهم السمع والعقل والبصر
لوجهين احدهما ما ذكرنا انهم لما لم ينتفعوا باسماعهم وعقولهم وابصارهم وبهذه الحواس انتفاع
من ليست له هذه الحواس انما جعلت ينتفع بها لا لتترك هدى لا ينتفع بها والثاني كان العقل
والسمع والبصر وهذه يكون منها مكتسبا بالاكتساب ومنها ما يكون عزيزه فهم تركوا الاكتساب
العقل الذي جعل مكتسبا فنفى عنهم لما تركوا اكتساب ذلك يحتمل نفي هذه الحواس لهذين الوجهين
اللذين ذكرناهما والله اعلم ثم نفى عمن لا يستمع العقل حيث قال لا يعقلون ونفى عنهم الاهتداء و
الابصار بتركه وقال افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون لان بالبصر يوصل الى الاهتداء الطرق
والسلوك فيها الا ترى ان البهائم قد تبصر الطرق وتسلك بها وتتقي بها المهالك ولا تعقل ما ليس شيئا
من العقل فلا تعقل لما يسمع القلب يعقل وبظاهر البصر تبصر الاشياء **وقوله** عز وجل ان الله لا يظلم الناس
شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون يخبر ان ما حل باولئك من عذاب استيصال وعقوبة انما حل بظلمهم
من الله تعالى **وقوله** عز وجل انما يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار وقال في قبورهم يتعارفون
بينهم اذا خرجوا من قبورهم وقال بعضهم من اهل التاويل كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار في الدنيا
واصله كانهم استقلوا طول مقامهم في الدنيا وما انعموا فيها لما عاينوا من اهوال ذلك اليوم وشدايده
او استقلوا لبثهم في الدنيا ومقامهم في الاخرة في العذاب واستقلوا فيه وجه ثان وهو ان يذكر من
شدة سفههم وغاية جهلهم ان ما بعدهم من الحشر والعذاب الابد كانهم لا يلبثون فيها الا ساعة
من النهار حتى لا يبالون ما يلحقهم من ذلك وما يستوجبون عليه من العذاب باكتسابهم تلك الاسباب

وقوله عز وجل يتعارفون بينهم اى يعرف بعضهم بعضا على قدر ما يلعن بعضهم على بعض كقوله ويلعن بعضكم بعضا
وعلى قدر ما تبرأ بعضهم من بعض ثم يفرق بينهم كقوله فزيلنا بينهم اى فرقنا بينهم وقوله عز وجل قد
خسر الذين كذبوا بلقاء الله اى خسر والما وعد واى الاخرة من النعم الدائمة بترك اكتسابهم اياها اذ قد
اعطوا ما يكتسبون به نعم الاخرة فاكتسبوا ما به خسروا ذلك فهو كقوله فما اصبرهم على النار اى ما اصبرهم
على اكتساب ما به يستوجبون النار والثانى قد خسروا وقوله عز وجل وما نرينك بعض الذى
نعدهم او نتوفينك حرف اما حرف اولكن يكون تاويله والله اعلم على حذف اوما واضمار حرف ان كان
يقول ان رايناك ما نرينك ما نعدهم لا كل ما نعدهم او نتوفينك ولا نرينك شيئا او ان يكون يقوله
ان نرينك بعد ما نعدهم اى لقد نريك بعض ما نعدهم وهو كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا فعلى هذا
التاويل يريه بعض ما نعدهم ولا يريهم كل ما وعدهم وعلى التاويل الاول ان اراد الغاية به بعض ذلك
ولا يريه شيئا فانه قيل الحرف اما حرف شك وكذلك حرف او كيف يستقيم اضافته الى الله وهو عالم بما
كان ويكون ولما يستقيم اضافته الى من يجهل العواقب قيل جميع حروف الشك الذى اضيف الى الله
هو على اليقين والوجوب نحو حروف عسى ولعل وعلى ذلك فعلى ذلك حرف اما او وهو لم يزل عالما بما كان
ويكون فى اوقاته واما حرف الاستفهام والشك يخرج على مخرج الايجاب والالزام على ما ذكرنا فى حرف هو
التشبيه او ان يكون رسول الله وعدلهم ان يريهم شيئا فقال عند ذلك اما نرينك بعد ما نعدهم او نتوفينك و
شيئا يقول ليس اليك ما وعدتهم انما ذلك الينا كقوله ليس لك من الامر شئ وقوله عز وجل فالينا مرجعهم
ثم الله شهيد على ما يفعلون هذا يحتمل ثم الله شهيد لك يوم القيامة على ما فعلوا من التكذيب بالايات
وردها وهو كقوله قل الله شهيد بينى وبينكم واوحى الى ان هذا القران الاية ويحتمل انه عالم بما يفعل لا
يغيب عنه شئ وهو وعيد كقوله تعالى والله بصير بما يعملون وهو بكل شئ عليم ونحوه والله اعلم وقوله
عز وجل ولكل امة رسول اى لكل امة فيما خلا رسول الله بعث اليهم لست انا اول رسول بعث اليكم
كقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط
يحتمل هذا وجهين يحتمل فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط اى يقضى بين الرسل وبين الامم بالعدل
بما كان من الرسل من تبليغ الرسالة اليهم والدعاء الى دين الله ومن الامم من التكذيب للرسل والرد للايات
فقضى بينهم بالعدل وهم لا يظلمون لا يزاد على ما كان ولا ينقص ويحتمل قوله قضى بينهم اى يهلك المكذب
منهم ينجى ومن صدقهم كقوله تعالى ثم ننجى رسلنا والذين امنوا الاية ويجوز ان يقضى بين المؤمنين وبين
المجيبين والمطيعين يوم القيامة وقوله عز وجل يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وذلك انهم
لما اوعدهم العذاب قال واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب فقالوا متى هذا الوعد الذى توعدنا
يا محمد ان كنت صادقا بان العذاب نازل بنا فى الدنيا وهو على التاويل الثانى الذى ذكرنا لقد نرينك
بعض ما وعدتم فقال قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا ولا املك ايضا جر منفعة اليها يقول لا اقدر
على ان ادفع عن نفسى سوءا حين ينزل بى ولا املك على ان اسوق اليها خيرا الجنة فاذا لم املك هذا
كيف املك انزال العذاب عليكم انما ذلك الى الله هو المالك عليه والقادر على ذلك لا يملك احد ذلك
سواه وهو كقوله قل انما انا بشر مثلكم وقوله عز وجل لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون اى لا يقدرون على تقديم ليس على انهم لا يطلبون تاخيره ولا تقديمه فيتمنون
ذلك ولكن لا يؤخر اذا جاء ولا يقدم قبل اجله وفيه دلالة ان لا يهلك احد قبل انقضاء اجله وهو رد
على المعتزلة حيث قالوا من قتل اخر فانما قتله قبل اجله والله يقول لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
وهم يقولون يستقدمون والله الموفق وقوله عز وجل قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا
يستعجل منه المجرمون يقول والله اعلم اى منفعة لكم ان اتاكم عذابه لا منفعة لكم فى ذلك بل فيه ضرركم
فاستعجال ما لا منفعة فيه سفه وجهل بسفههم فى سوالهم العذاب ويحتمل فى قوله لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون ان عذاب الله اذا نزل وجاء وقته لا يملك احد تقديمه ولا تاخيره ولا تعجيل
استقامه ولا استجاره بالعذر والمنزلة كما لا يحتمل ذلك فى الدنيا التقديم والتاخير بالشفاعة والعذر
ويذكر عجزه فى انزال العذاب عليهم فى قوله قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا وقوله عز وجل اثم اذا ما وقع
امنتم به الان قيل اى العذاب اذا نزل بكم امنتم به الان يخبر عنهم انهم اذا نزل بهم العذاب يؤمنون ثم

يحتمل قوله امنتم به اى بالله وبرسوله كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
ثم اخبر ان ايمانهم لا ينفعهم عند معاينتهم العذاب وهو كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل ويحتمل قوله امنتم به الان اى بالعذاب لانهم يكذبون رسول
الله فيما يدعوهم العذاب وهم يستعجلون به استهزاء وتكذيبا فانزل بهم امنوا اى صدقوا بذلك العذاب
يقول امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون استهزاء وتكذيبا انه غير نازل بكم ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل ثم قيل للذين ظلموا قيل اشركوا فى الوهية وربوبيته وعبادته غيره ذوقوا عذاب الخلد لانهم
يخلدون فيه يقال ذلك بعد ما ادخلوا النار هل تجزون الا بما كنتم تكسبون اى لا تجزون الا بما كسبتم
فى الدنيا وقوله عز وجل ويستنبؤنك اى يستخبر ذلك احق هو يحتمل هذا وجوها يحتمل قوله احق
هو العذاب الذى كان يدعوهم انه ينزل بهم على قاله عامة اهل التاويل ثم قال قل اى وربى انه لحق
اى قل نعم وربى انه لحق انه لنازل بكم ما انتم بمعجزين اى بفائتين عنه ولا سابقين له ويحتمل قوله
احق هو ما يدعوهم اليه من التوحيد كقولهم لابراهيم اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم
رب السموات والارض الذى فطرهن الاية فعلى ذلك قولهم احق ثم هو اخبر انه لحق بقوله قل اى وربى
انه لحق وما انتم بمعجزين فائتين عنه ويحتمل الايات او محمدا او القران احق هو قل اى وربى
قل نعم انه لحق كقوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
اخبر ان ما يامرهم به ويدعوهم اليه ليس هو هزوا ولا لعبا ولكن حق امر من الله تعالى فعلى ذلك قوله
احق هو وقوله عز وجل ويستنبؤنك احق هو هذا الحرف يحتمل ان يكون من الشاكين منهم فى ذلك طلبوا
منه انه حق ذلك او لا ومن المعاندين استعجال العذاب الذى كان يدعوهم رسول الله استهزاء به وتكذيبا
له ومن المتبعين له والمطيعين التصديق له والايمان به كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين
امنوا مشفقون منها كانوا فرقا ثلاثة فرقة قد امنوا به وفرقة قد شكوا فيه وفرقة قد كذبوه وقوله
عز وجل ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به يخبر عنهم انهم يفتدون ويبذلون جميع ما فى الارض
لو قدروا عليه عند نزول العذاب لشدة العذاب وان كان الذى منعهم عن الايمان هو حبهم الدنيا
وبخلهم عليها وما فيها بقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وقوله عز وجل واسروا الندامة لما راوا
العذاب الندامة لا تكون الا اسرار بالقلب فكانه قال حققوا الندامة فى قلوبهم على ما كان منهم من التكذيب
بالايات والعناد فى ردها وقال بعضهم واسروا الندامة اى اظهروا الندامة وهو مما يستعمل فى الاظهار
والاخفاء كقوله شعب جمع وشعب فرق ونحوه وابعد فانه اذا اسر فى نفسه لا بد من ان يضيع ذلك فى
اخر ويجزء بذلك فذلك منه اظهار وقوله عز وجل وقضى بينهم بالقسط يحتمل قوله قضى بينهم بالقسط
من يوجبه الحكمة لان الحكمة توجب تعذيب كل كافر نعمة وكل قائل فى الله ما لا يليق به او ان يكون تفسير
قوله بالقسط ما ذكر وهم لا يظلمون ويحتمل قوله بالقسط ما ذكر اقراء كتابك كفى بنفسك الاية والقسط
هو العدل وهم يومئذ عرفوا انه كان يقضى بالعدل فى الدنيا والاخرة والله اعلم وقوله عز وجل الا
ان لله ما فى السموات والارض اى انما فى السموات والارض كلهم عبيده وامائه وملكه لا ينبغى ان تعبدون
دونه من الاصنام والاوثان فمن عنده من يملك الدنيا والاخرة اطلبوا ذلك منه لا ان من عند من لا يملك
يبين سفههم فى طلبهم الدنيا من عند من يعلمون انه لا يملك ذلك والله اعلم وقوله عز وجل الا ان وعد
الله حق فى كل وعد ووعيد انه كائن لا محالة عذابا او رحمة ولكن اكثرهم لا يعلمون اى لا ينتفعون بعلمهم
فنفى عنهم العلم وان علموا لما لم ينتفعوا به ويحتمل قوله لا يعلمون اى لم يكتسبوا سبب العلم وهو التاويل والنظر
فى اياته وحججه ويحتمل نفى العلم عنهم لما لم يعطوا اسباب العلم فلم يعلموا فان كان على هذا فيكونون معذورين
وان كان على الوجهين الاولين فلا عذر لهم فى ذلك وفى قوله الا ان الله ما فى السموات والارض دلالة
اثبات البعث من وجهين احدهما فيما يذكر من قدرته من خلق السموات والارض وما بينهما بغلظها وكثافتها
وشدتها وعظم خلقتهما وان تلك القدرة خارجة عن وسع البشر وتوهم ممن قدر على ذلك فهو قادر
على اعادة الخلق بعد فنائهم والثانى يخبر عن حكمته من تعليق منافع الارض بالسماء على بعد ما بينهما والا
على الخلق بانواع النعم التى يكبر الاحصاء وان كل شئ منها قد وضع موضعها فلا يحتمل من هذا وصفه
فى الحكمة يخلق الشئ عبثا باطلا ولو كان لو الفناء لا حيوة بعده كان يكون خارجا عن الحكمة فظهر انه خلقهم

لاميعاد لهم والله اعلم وقوله عز وجل هو يحيي ويميت واليه ترجعون اي تعلمون انه هو احيا الاحياء
ويميت الاموات ابتدا وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاذا عرفتم انه هو يحيي الاحياء
وهو يميت الاموات لا غير فاعلموا انه هو يبعثكم واليه ترجعون الزمهم الحجة دلالة بالكائن ثم اخبر عما يكون
بالحجة التي ذكر وقوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وهو هذا القرآن قال بعضهم الموعظة
النهي كقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا قيل نهاكم ان تعودوا لمثله وقال الآخرون الموعظة هي التي تدعو
الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب وقال بعضهم العظة هي التي تلين كل قلب قاس وتجلي كل قاس مظلم
وفي القرآن جميع ما ذكر فيه النهي وفيه الدعاء الى كل مرغوب والزجر عن كل مرهوب وهو يلين القلب
القاسية ويجلي القلوب المظلمة اذا تاملوا فيه ونظروا وتفكروا المسترشد وطالب الحق وقيل الموعظة
هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون اليابسة وتجلي الصدور المظلمة وقوله عز وجل وشفاء
لما في الصدور ان للدين آفات وداء تفسده وتتلفه كما لهذه الابدان آفات وامراض تعمل في اتلافها و
اهلاكها ثم جعلت لآفات الابدان وامراضها ادوية تشفى بها الابدان المؤفة المريضة فعلى ذلك جعل
هذا القرآن لهذا الدين دواء يداوى به فيذهب بآفات الدين وامراضه كما يعمل الادوية في دفع آفات
الابدان وامراضها لذلك سماه موعظة وشفاء لما في الصدور والله اعلم وقوله عز وجل وهدى ورحمة
قيل هدى من الضلالة ورحمة من عذابه او نقول وهدى ورحمة هدى اي يدعو الى كل خير ويهدي
اليه نور لمن تبعه هو ورحمة لمن اتبعه وتمسك به وعمى وضلال لمن خالفه وترك اتباعه وهو بيان
ذكر وهو عليهم عمى وقال فزادتهم ايمانا اي زاد المؤمنين ايمانا الى ايمانهم وفزادتهم رجسا اي زادتهم
رجسا الى رجسهم والله اعلم وقوله عز وجل قل بفضل الله وبرحمته قال بعضهم فضل
الله ورحمته قال بعضهم فضل الله ورحمته القرآن وقال قائلون فضل الله القرآن ورحمته الايمان
وفيه انه بانزال القرآن متفضل اذ له ان لا ينزل وفيه ان اهل الفترة يواخذون في حال فترتهم والله
اعلم وقوله عز وجل فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون اي في حكم بما ذكر هو خير مما يجمعون من الدنيا
وقال بعضهم قوله قل بفضل الله وبرحمته المخاطب المؤمنين يقول قل للمؤمنين بفضل الله
ورحمته يعني القرآن فبذلك الفضل والرحمة فليفرحوا يعني المؤمنين هو خير مما يجمعون يعني مما يجمع
الكفار من الاموال من الذهب والفضة وغيره وقوله عز وجل قل ارايتم ما انزل لكم من رزق يحتمل ما
انزل لكم من رزق اضاف انزاله الى السماء وان كانت الارزاق انما تخرج من الارض لما كانت اسبابها
متعلقة بالسماء يكون نضج الانزال ونضج الاشجار واصلاح الاشياء كلها التي اسباب الارزاق من نحو
مطر الذي به تنبت الارض النبات وبه تخرج جميع انواع الخارج مما يكون فيه غذاء البشر والدواب
ومن نحو الشمس الذي بها ينضج الانزال وبها ينبع الاعناب وجميع الفواكه ونحوه اضاف ذلك الى
السماء مما ذكرنا وكذلك قوله وفي السماء رزقكم وما توعدون اي اسباب ذلك في السماء لا ان عين
ذلك في السماء ويحتمل قوله ما انزل الله لكم من رزق اي ما خلق الله وكذلك جميع ما يضاف الى الله
انما يضاف اليه بحق الخلق اي خلقه منزلا كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ونحو ذلك
اي خلق لكم من الانعام ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فجعلتم منه حراما وحلالا وقال بعضهم ما حرموا
من البحيرة والسائبة والوصيلة وما ذكر في سورة الانعام والمائدة وقال بعضهم ما حرموا للالهة
التي كانوا عبدوها اي جعلوها للاصنام وهو ما ذكر في الانعام وهو قوله وجعلوا لله مما ذرأ من
الحرث والانعام نصيبا الاية نحو ما ذكرنا في الاية والله اعلم وقوله عز وجل قل الله اذن لكم ام على
الله تفترون اي الله اذن لكم في تحريم ما حرمتم وتحليل ما حللتم ام على الله تفترون وذلك ان هذه
السورة نزلت في محاجة اهل مكة وهم لم يكونوا مؤمنين بالرسل والكتب والخبر عن الله وهم لم يكونوا
مؤمنين بواحد مما ذكرنا فكيف جعلتم منه حراما وحلالا وانتم لا تؤمنون به ما يعرف الحلال والحرام
واحللتم ما حرم عليكم يخبر عن سفههم وعنادهم وافترائهم على الله فاذا الخبر وان يفتروا على الله
فعلى غيره اخير والله اعلم وقوله عز وجل وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة فان كان
قيل كيف اوعدوا بيوم القيامة وهم كانوا لا يؤمنون بالبعث قيل قد الزمهم الحجة بكون البعث لما
اظهر من كذبهم وافترائهم على الله في التحريم والتحليل فذلك يظهر كذبهم بتكذيبهم البعث وبعد فانه

قد يوعد المرء لما لا يتيقن به ويخوف عليه ويحذر وان لم يحط علمه عليه به فكذلك هذا وبعد فانه
جعل في عقولهم ما يلزمهم الايمان بالبعث والجزاء للاعمال اذ ليس من الحكمة خلق الخلق للفناء خاصة
ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول وما ظن الذين يفترون على الله الكذب لو خرج الامر حقا وكان ما
على ما اخبر رسول الله وقال من البعث والجزاء لما اكتسبوا وقوله عز وجل ان الله لذو فضل على الناس
هو ذو فضل على جميع الناس من جهة ما ساق الى الكل من الرزق كافرهم ومؤمنهم وانواع النعم
وما اخر عنهم العذاب الى وقت الاجل لما بعث اليهم الرسل والكتب من غير ان كان منهم الى الله سابقة
يستوجبون به ذلك ومنه ذلك خصوص فضل على المؤمنين ليس ذلك على الكافرين ولكن اكثرهم
لا يشكرون لفضله وما انتم عليهم وقوله عز وجل وما تكون في شان قال بعضهم من اهل التاويل
في شان من امرك وحالاتك وما تتلوا منه من قرآن تبلغهم الرسالة وقال بعضهم قوله وما تكون في شان
اي في عبادة وما تتلوا منه من قرآن ان تبلغهم به الرسالة ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اخبر
نبيه تنبيها منه وايقاظا والمراد منه هو وغيره الا ترى انه قال ولا تعملون من عمل عاملهم جميعا في ذلك
انكم في كل امر يكون بينكم وبين ربكم وفي كل امر بينكم وبين الناس فالله لكم وعليكم شهود وكل عمل تعملون لكم
وعليكم الا كنا عليكم شهودا بينهم ويوقفهم ليكونوا على قدر ابدا متيقظين وقيل يكثرون فيه وكله واحد
ثم يحتمل قوله فيه في الحق ويحتمل في الدين ويحتمل في القرآن ويحتمل في رسول الله يقول انا شاهد فيما
تخوضون في رسول الله او في دينه او فيما يتلوا عليكم وما يعزب عن ربكم من مثقال ذرة في الارض ولا
في السماء فيما لا امر فيه ولا نهي ولا كلفة فالذي فيه السؤال والامر والنهي والكلفة اخرى واولى ان لا
يغيب عنه شيء وقوله عز وجل وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض هو تحذير وتخويف يحتمل
الوعيد بتعزير وتقريع لان الوعيد على وجهين احدهما على القتال والاخر على التعزير في عينه وتقريع
وقوله عز وجل الا في كتاب مبين قيل ما قل وما كثر الا في كتاب اي الا في اللوح المحفوظ مبين ويحتمل
الا في كتاب مبين اي في الكتب المنزلة من السماء والله اعلم وقال ابو بكر الاصم في قوله اذ تفيضون
فيه اي تنتشرون فيه وتاويله ولا تعملون من عمل تنتشرون فيه الا كنا عليكم شهودا وقوله عز وجل الا
ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قالت المعتزلة دلت الاية على ان اصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين
لانهم لو كانوا اولياء الله وان كانوا اولياء الله لكان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا كان لا شك ان
على اصحاب الكبائر خوف وحزن في وقت دون وقت ويجوز لاصحاب لا خوف عليهم ولا حزن في وقت
وليس في الاية ان ليس على اولياء الله خوف ولا حزن من اول الامر الى آخره ويحتمل قوله الا ان اولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون على ما يكون لاهل الدنيا في الدنيا من الخوف والحزن انما خوفهم
وحزنهم لعاقبتهم ويشبه ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الجنة وهكذا يكون اذا دخلوا الجنة
يامنون من جميع ما يفزعهم وقال بعضهم اولياء الله هم اهل التوحيد لكن تلك البشارة وذلك
الوعد لاهل التوحيد في الاعتقاد والوفاء جميعا لا لاهل الاعتقاد خاصة وقوله عز وجل لهم
البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال بعضهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا الرؤيا الصالحة
وعلى ذلك روت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية ففسر بالرؤيا
الصالحة فان ثبت فهو الحق قال بعضهم لا يحتمل الرؤيا الصالحة لانه نسق البشرى في الاخرة على البشرى
في الحيوة الدنيا ولا شك انه لا يكون في الاخرة الرؤيا الصالحة ولكن ان ثبت ما ذكرنا في الخبر فهو
ذلك ويشبه ان يكون البشارة التي ذكر هاهنا نحو قوله فبشر عباد الذين يستمعون القول الاية
وقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم قدم صدق عند ربهم وقوله ذلك الذي يبشر
الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات وامثال ذلك وقال بعض اهل التاويل لهم البشرى
في الحيوة الدنيا تبشرهم الملائكة عند الموت وفي الاخرة الجنة والله اعلم وقوله عز وجل لا تبديل
لكلمات الله يحتمل لا تبديل لكلمات الله من وعده ووعيده ذلك مما لا تبديل له ولا تحويل ويحتمل
لا تبديل لكلمات الله القرآن لا تبديل لما فيه من الوعد والوعيد وغيره ويحتمل لا تبديل لما مضى من
سنة في الاولين والآخرين من الهلاك والاستيصال بتكذيبهم الرسل والآيات كقوله فلن تجد لسنة
الله تبديلا ولا تحويلا وقوله وقد مضت سنة الاولين ويحتمل قوله لا تبديل لكلمات اي لا تبديل لبشرى

الذين ذكر هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ويحتمل لا تبديل لحجج الله وبراهينه ولا تبديل لوعد الله و
وعيده ووعده والله اعلم وقوله عز وجل ذلك هو الفوز العظيم اى ذلك البشرى هو الفوز
العظيم وذلك الذى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هو الفوز العظيم اذ لا خوف بعده وقال
بعضهم من اهل التاويل لا خوف عليهم من النار ولا هم يحزنون اى يخرجوا من الثواب الجنة ابدا والوجه
فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولا يحزنك قولهم يحتمل قولهم ما قالوا فى الله بما لا يليق به من
الولد والشريك يقول لا يحزنك ذلك فان العزة لله جميعا ويحتمل قوله ولا يحزنك قولهم الذى
قالوا فى القران انه سحر وانه مفترى او قالوا فى رسول الله انه ساحر وانه يفترى على الله كذب
ويشبه ان يكون قوله ولا يحزنك قولهم الذى مكروا به وكيدهم الذى كادوه ويويد ذلك قوله
فان العزة لله جميعا اى ان العزة فى المكر والكيد لله وهو كقوله وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر
جميعا اى مكره ينقض مكرهم ويمنعه وكيده يفسخ كيدهم فعلى ذلك قوله فان العزة لله جميعا اى ينقض
جميع ما يمكرون بك ويكيدونك والعزة القوة يقول ان القوة لله ينصرك على اعدائك ويدفع عنك
كيدهم ومكرهم الذى هموا بك وهو السميع العليم لقولهم الذى قالوا العليم بما لحقهم او السميع
المجيب للدعاء العليم بما يكون منهم وقوله عز وجل الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض كلهم
عبيده واماؤه فكيف قلتم ان فلانا ولده وان له شريكا ولا احد منكم يتخذ من عبيد واماءه ولدا
ولا شريكا كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية فعلى ذلك هذا او كيف يحتمل ان يتخذ ولدا وله ملك
ما فى السموات والارض وانما يتخذ فى الشاهد الولد لاحدى خصال ثلاث اما للاستنصار على غيره
واما لحاجة نفسه واما لوحشة اصابته فهو غنى له ملك السموات والارض لا حاجة نفسه فكيف
نسبتم الولد اليه والشريك وما قالوا فيه عما لا يليق به وقد ذكرنا فيما تقدم او يخبره عن غناه
عما يامرهم وينهاهم ويتعبدهم اى ليس يامر وينهى ويتعبد بانواع العبادات ويمتحنهم بانواع المحن
لحاجة له او لمنفعة له فى ذلك ولكن لمنفعة لهم فى ذلك وقوله عز وجل وما يتبع الذين يدعون
من دونه شركاء اى ما يتبعون فيما يدعون من دون الله من الشركاء بالحجج والبراهين او الكتب
يقين بالظن والحذر وان هم الا يخرصون اى ما هم الا يكذبون فيما يتبعون بدعائهم دون الله
لانهم كانوا اهل شرك لم يكونوا اهل كتاب ولا اتباع رسول فهم قد علموا انهم يفترون ويكذبون
فى اتباعهم دون الله اذ سبيل معرفة ذلك الكتاب او الرسول ولم يكن لهم واحد من ذلك والله
اعلم وقوله عز وجل هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يبصر فيه وقال فى اية اخرى
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه يعنى فى النهار فهو فى موضع الامتنان وتذكير النعم
ليستادى بذلك شكر ما انعم عليه وفيه ان الليل والنهار يجريان على التدبير والتقدير لانهما لو كانا
يجريان على غير تدبير ولا تقدير لكانا لا يجريان على تقدير واحد ولا سنن واحد ولكن يدخل فيهما
الزيادة والنقصان ولا يجريان على تقدير واحد وان كان يدخل بعضه فى بعض فدل جريانهما على
تقدير واحد اخرتهما اذ لو كانا على تدبير يجريان على الخلاف على الزيادة والنقصان على القلة والكثرة
وفيه ايضا ان مدبرهما واحد لانه لو كان مدبرهما عدد والكانا اذا غلب احدهما الاخر دام غلبه ولا
يصير الغالب مغلوبا فاذا صار ذلك ما ذكرنا دل ان مدبرهما واحد لا عدد وفيه دلالة البعث بعد الموت
لان كل واحد منهما اذا جاء اتلف صاحبه وافناه حتى لا يبقى له اثر ولا شئ منه ثم يكون مثله حتى يخلف
الذاهب من الحادث لا الاول من الثانى فدل انه اذا قدر على انشاء الليل فقد ذهب اثره واصله
قادر على البعث ومن قدر على احداث نهار وقد فنى وهلك لقادر على احداث ما ذكرنا من الموت
وفيه ان الشئ اذا كان وجوبه لشيئين لم يجب اذا عدم احدهما لانه قال والنهار مبصرا وانما
يبصر بنور البصر ونور النهار جميعا لانه اذا فات احد النورين لم يبصر شيئا من النور نور البصر او
نور النهار دل ان الحكم اذا وجب بشرطين لا يوجب الا باجتماعهما جميعا والليل يستر وجوه الاشياء
لانه لا يرى نفسه والنهار يكشف وجوه الاشياء وفى الليل يستر وجوه الاشياء دلالة ان الحكم اذا
كان وجوبه بشرطين ويجوز منعه بعلة واحدة لانه يستر نور النهار ونور البصر جميعا وفى قوله جعل
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجوه من الدلالة احدها ما ذكرنا من تذكير النعم يدعوهم به الى شكره

ونهاهم

ونهاهم عن الكفران وفيه تذكير القدرة لما جعل انشاء هذا واحداثه واتلاف الاخر فمن قدر على هذا
لا يعجزه شئ وفيه دليل السلطان حيث ياخذهم ويستر عليهم الاشياء شاؤوا او ابوا وكذلك النهار
ياتيهم حتى يكشف وجوه الاشياء ويجلى شاؤوا او ابوا وفيه دليل التدبير والعلم لما ذكرنا من اتساق
جريانهما على سنن واحد ومجرى واحد وفيه دلالة واحدانية منشيهما بين ههنا فيما جعل الليل حيث
قال لتسكنوا فيه الراحة فدل ذكر السلام فى الليل على انه جعل النهار للسعى وطلب المعيشة الا ترى
انه قال فى النهار مبصرا اى يبصرون فيه ما يعيشون وما ذكر فى اية اخرى ومن رحمته جعل الليل لتسكنوا
فيه الاية وقوله عز وجل ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون ولم يقل يبصرون فظاهر ما سبق من الذكر
يجب ان يقال لقوم يبصرون لانه قال والنهار مبصرا لكن يحتمل قوله يسمعون اى يعقلون كقوله
ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ويحتمل قوله يسمعون اى يجيبون كقوله
سمع الله لمن حمده اى اجاب الله وقوله عز وجل وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى قال بعضهم
ارادوا بقولهم اتخذ الله ولدا حقيقة الولد كقوله ويجعلون لله البنات
وقوله وقالت اليهود كذا وقالت النصارى كذا فنزه عز وجل نفسه عما قالوا بقوله سبحانه هو الغنى
انه لم يلد احدا ولا ولد هو من احد ولهذا قال لم يلد ولم يولد اذ فى الشاهد لا يخلوا اما ان يكون ولد من
اخر او والد والخلق كلهم لا يخلوا من هذا فاخبر انه لم يلد هو احد ولا ولد من احد وقوله عز وجل سبحانه
هو الغنى له ما فى السموات وما فى الارض تاويله والله اعلم ان فى الشاهد من اتخذ ولدا انما يتخذ لاحد
وجوه ثلاثة اما لحاجة نفسه او لشهوة تغلبه او لما يستنصر به على الاخر ممن يخافه فاذا كان له ملك السموات
والارض وملك ما فيهما كلهم عبيده واماؤه فلا حاجة تقع له الى الولد اذ هو الغنى وله ملك ما فى السموات
ومن هذا وصفه فلا يحتاج الى الولد ولا احد فى الشاهد يحتمل طبعه اتخاذ الولد من عبيده واماءه
فاذا كان الله سبحانه الخلائق كلهم عبيده واماؤه كيف احتمل اتخاذ الولد منهم لو جاز وقد بينا استحالة
ذلك وفساده ولان الولد يكون من شكل الوالد ومن جنسه لا شريك ومن جنسه فكان فى نفى الشريك
نفى الولد لان معناهما واحد وكل ذى شكل له ضد او شكل فانه لا ربوبية ولا الوهية وقال بعضهم
قولهم اتخذ الله ولدا لم يريدوا حقيقة الولد ولكن ارادوا منزلة الولد وكرامته فهو ايضا منفى عنه لان من
لا يحتمل الحقيقة اعنى حقيقة الولد امتنع عن منزلته وكرامته لان الحقيقة انتفت لعيب يدخل فيه
فاذا ثبت له منزلة الحقيقة والكرامة دخل فيه عيب الحقيقة وقوله عز وجل ان عندكم من سلطان
بهذا اى بل ما عندكم من حجة على ما تقولون ان له ولدا لانهم كانوا اهل تقليد واسلافهم وكانوا لا يؤمنون
بالرسل والكتب والحجج وانما يستفاد ذلك من جهة الرسالة والكتب وهم كانوا ينكرون ذلك وقوله
عز وجل تقولون على الله ما لا تعلمون اى تقولون على الله اتخذ الولد ما تعلمون انه لم يتخذ قل ان الذين
يفترون على الله الكذب هو ما ذكرنا انهم علموا انه لم يتخذ ولدا الا من قالوا ذلك افتراء على الله لا
يفلحون فى الاخرة لما طمعوا فى الدنيا بعبادتهم دون الله الاصنام بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى وقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله لا يفلحون اى لا يظفرون بما طمعوا فى الاخرة متاع فى الدنيا
اى ذلك لهم متاع فى الدنيا ليس لهم متاع فى الاخرة ثم الينا مرجعهم يخاطب رسوله بذلك لم يخاطبهم الينا
مرجعكم فهو والله اعلم لما اشتد على رسول الله ما افتروا به على الله يقال الينا مرجعهم فنجزيهم جزاء
فريتهم والثانى يقول الينا مرجعهم فنذيقهم العذاب الشديد لا طمعوا من الشفاعة عندنا والزلفى
والله اعلم وقوله عز وجل واتل عليهم نبا نوح اى خبره وحديثه اذ قال لقومه يا قوم ان كان
كبر عليكم مقامى وتذكيرى بايات الله قال بعضهم ان كان كبر عليكم طول مقامى ومكثى فيكم دعائى اياكم
الى عبادة الله والطاعة له وتذكيرى اياكم باياته قال بعضهم وتذكيرى بعذابه بترككم اجابتى ودعائى
ويحتمل قوله ان كان كبر عليكم مقامى بما ادعى من الرسالة وتذكيرى بايات الله اى بحجج الله على ما ادعيت
من الرسالة فى قوله واتل عليهم نبا نوح فيه وجوه احدها اتل منابذة نوح قومه وما ارادوا به
هو الكيد والمكر به والثانى اذكر عواقب قوم نوح وما حل بهم من سوء معاملتهم رسولهم والثالث
اذكر لهم لا عواقب متبعى قوم ومخالفة وقوله عز وجل فاجمعوا امركم وشركاءكم قال بعضهم اى اجتمعوا
انتم وشركاؤكم ثم كيدونى ثم لا يكن امركم عليكم غمة اى اجعلوا ما تريدون من الكيد والمكر ظاهرا

غير ملتبس ولا مشتبه وقال بعضهم فاجمعوا امركم اى اعدوا امركم وادعوا شركائكم وكذلك روى فى حرف
ابى فاجمعوا امركم وشركائكم ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى اقضوا ما انتم قاضون وقال بعضهم قوله
ثم لا يكن امركم عليكم غمة اى لا يكبر عليكم امركم وقال الكسائى هو من التغطية والملبس اى لا تغطوه
ولا تلبسوه اجعلوا كلمتكم ظاهرة واحدة وعن ابن عباس رضى الله عنه قال لا يكن امركم اغتماما عليكم
اى فرجوا عن انفسكم كقوله من كان يظن ان لن ينصره الله الاية وقوله عز وجل ثم اقضوا الى ولا
تنظرون اى اعملوا الى ما تريدونه ولا تنظرون وهو كقوله فاقض ما انت قاض وقال الكسائى هو من النهاية
والابلاغ وهو كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل الاية وقضينا اليه ذلك الامر اى انهينا اليه وابلغنا اليه
وقال ابو عوسجة ان شئت جعلتها ظلمة فلا يبصرون امرهم يعنى غمة ان شئت جعلتها شكا واشتقاق
الغمة من غم يغم غما اى غطى يغطى تقول غممت راسه اى غطيته ثم اقضوا الى اى افعلوا بى ما اردتم
وفى قول نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركائكم الى قوله ولا تنظرون وقول هود فكيدونى جميعا ثم لا
تنظرون وقول الله قل ادعوا شركائكم ثم كيدون ولا تنظرون دلالة اثبات رسالتهم لانهم قالوا ذلك
لقومهم وهم بين اظهرهم ولم يكن معهم انصار ولا اعوان دل انهم انما قالوا ذلك اعتمادا على الله
واتكالا بمعونته ونصرته اياهم وقال بعضهم فى قوله ثم اقضوا الى فافرغوا الى ان يقال قضى فرغ وهو
قول ابى بكر الاصم وبعضهم ثم اقضوا الى كقوله فراغ الى اهله وفراغ الى الهتهم ونحوه وقوله عز وجل
فان توليتم فما سالتكم من اجر التولى اسم للاعراض والادبار كقوله واذا تولى سعى فى الارض واسم للاقبال
والقبول ايضا كقوله ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا الاية ونحوه فههنا يحتمل الامرين جميعا
اى فان توليتم وقبلتم ما اعرضته عليكم وادعوكم اليه فما سالتكم من اجر اى ما اجرى الا على الله وان كان
فى الاعراض فكانه يقول كيف اعرضتم عن قبوله ولم اسالكم على ذلك اجرا فيكون لكم عذر فى الاعراض والرد
كقوله ام تسالهم اجرا الاية اى لم اسالكم على ما اعرضته عليكم وادعوكم اليه غرما حتى يثقل عليكم ذلك
الغرم فيمنعكم ثقل الغرم عن الاجابة ففى هذه الاية وغيرها دلالة منع اخذ الاجر على تعليم القران والعلم
لانه لو جاز اخذ الاجر على ذلك لكان لهم عذر على ان لا ياخذوا ذلك ولا يتعلموا شيئا من ذلك وفى ذلك
هدم شرايع واسقاطها والله اعلم وقوله عز وجل وامرت ان اكون من المسلمين اى مسلما نفسى الى الله
سالما لا اجعل لاحد سواه فيها حقا وامرت ان اكون من المخلصين لله والخاضعين له يحتمل ذلك كله وقوله
عز وجل فكذبوه يعنى نوحا كذبه قومه فيما ادعى من الرسالة اوما اتاهم من الايات اوما اوعدهم
من العذاب بتكذيبهم اياه فنجيناه يعنى نوحا ومن معه فى الفلك اى من ركب معه الفلك من المؤمنين
وجعلناهم خلائف يحتمل خلائف خلفاء فى الارض وسكانا يخلف بعضهم بعضا ويحتمل جعلناهم خلائف
اى خلف قوم اهلكوا واستوصلوا بالتكذيب واغرقنا الذين كذبوا باياتنا يحتمل الايات الحجج والبراهين
التى اقامها على ما ادعى من الرسالة ويحتمل قوله كذبوا باياتنا العذاب الذى اوعدهم بتكذيبهم اياه
فيما وعد وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كان انذار الفريقين جميعا المؤمن والكافر
جميعا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر فاذا كان ما ذكرنا فيكون تاويله فانظر كيف كان عاقبة من اجاب ومن
لم يجب عاقبة من اجاب الثواب وعاقبة من لم يجب العذاب ويحتمل المنذرين الذين لم يقبلوا الانذار
ولم يجيبوا اى انظر كيف كان عاقبتهم بالهلاك والاستيصال ويكون تاويل قوله انما تنذر من اتبع الذكر
اى انما يقبل الانذار من اتبع الذكر وانما ينتفع بالانذار من اتبع الذكر واما من لم يتبع الذكر لم ينتفع
والله اعلم وقوله عز وجل ثم بعثنا من بعده رسلا اى من بعد نوح رسلا الى قومهم اى بعثنا الى كل
قوم رسولا الا انه بعث الرسل الى قومهم ولكن واحدا على واحد فجاؤهم بالبينات يحتمل البينات
الحجج والبراهين التى اقاموها على ما ادعوهم من الرسالة والنبوة ويحتمل البينات بيان ما عليهم
ان ياتوا ويتقوا ويحتمل البينات بما اخبروهم وانبؤا قومهم بالعذاب انه نازل بهم فى الدنيا
وقوله عز وجل فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل وقال بعضهم ما كان كفار مكة ليؤمنوا و
ليصدقوا بالبينات كما لم يصدق به اوائلهم وقال بعضهم قوله بما كذبوا به من قبل اى قبل بعث
الرسل ففيه دلالة ان اهل الفترة يواخذون بالتكذيب فى حال الفترة ويحتمل قوله بما كذبوا به
من قبل اتيان البينات اى ما كانوا يؤمنوا بعد ما جاؤا بالبينات بما كذبوا به من قبل مجئ البينات

كذلك نطبع على قلوب المعتدين اى هكذا نطبع على قلوب اهل مكة كما طبعنا على قلوب اوائلهم او نعلم
انهم لا يقبلون الايات ولا يؤمنون بها والاعتداء هو الظلم مع العناد والمجاوزة عن الحد الذى جعل لهم
وقوله عز وجل فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هو يخرج على وجهين احدهما ما كانوا ليؤمنوا بالبينات
اذا جاءتهم البينات على السؤال وهكذا عادتهم انهم لا يؤمنون بالايات اذا اتاهم على السؤال
والثانى ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا على علم منهم انها ايات وانه رسول الله والله اعلم وقوله عز وجل
ثم بعثنا من بعدهم اى من بعد ما ذكرنا من الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه بعثهما الى الملأ
وغير الملأ باياتنا الوجوه التى ذكرنا فاستكبروا وهذا يدل انهم قد عرفوا ان ما جاءهم الرسول من
الايات لانها ايات لكنهم عاندوا وكابروا ولم يخضعوا فى قبولها وكانوا قوما مجرمين وقوله عز وجل
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال بعضهم قوله فلما جاءهم الحق من عندنا اى الحجج
والايات من عندنا قالوا ان هذا يعنون الحجج والبراهين التى جاءهم بها موسى لسحر مبين يسمون الحجج والبراهين
سحرا لما ان السحر عندهم باطل كذلك قالوا الحجج انها سحر وذلك تمويه منهم يموهون على الناس لئلا يظهر
الحق عندهم فيتبعونه وقال بعضهم الحق هو الاسلام والدين كقوله ان الدين عند الله الاسلام قالوا
ان هذا لسحر مبين يعنون الحجج والايات التى جاء بها للدين لانه جاء بالدين وجاءهم ايضا بحجج الدين
والاسلام سحرا ففى الحق التاويلين جميعا سموا الحجج سحرا وقوله عز وجل الحق من عندنا اى بامرنا
وكذلك قوله ان الدين عند الله الاسلام اى الاسلام هو الدين الذى امر الله به لا انه يفهم
العند مكان ينتقل من كان الى مكان ولكن معنى العند معنى الامر وعلى هذا يخرج قوله ان الذين عند ربك
يعنى الملائكة لا يستكبرون عن عبادته اى ان الذين بامر ربك يعبدونه ولا يستكبرون عن عبادته
لما انه لم يفهم من مجئ الحق من عنده مكان فعلى ذلك لا يجوز ان يفهم من قوله ان الذين عند ربك
المكان اقرب المكان منه ولكن التاويل ما ذكرنا ان المفهوم من عند الله امره والله اعلم وقوله
عز وجل قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا والحق ما ذكرنا ولا يفلح الساحرون الفلاح
هو الظفر بالحاجة تقول ولا يفلح الساحرون اى لا يظفرون بالحاجة ولا يغلب لان السحر باطل و
يغلب الباطل بالحق هو الغالب والسحر هو المغلوب على ما غلب الحق الذى جاء به موسى السحر الذى
جاء به سحرة فرعون او يقول لا يفلح الساحرون فى الاخرة بسحرهم فى الدنيا ويحتمل قوله ولا يفلح الساحرون
بسحرهم فى حال سحرهم كقوله لا يفلح الظالمون ولا يفلح الكافرون اى يفلحون بظلمهم فى حال ظلمهم وانما
اذا تركوا الظلم فقد افلحوا فعلى ذلك السحرة اذا تركوا السحر فقد افلحوا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا اجئتنا
لتلفتنا قيل لتصرفنا وتصدنا قال القتبى لفت فلان عن كذا اذا صرفته والالتفات منه وهو الانصراف
وقال ابو عوسجة لتلفتنا اى تردنا وتصرفنا على ما ذكر القتبى قال يقال لفته يلفته لفتا وقوله عز وجل
عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام والاوثان ويحتمل ما وجدنا عليه اباءنا من عبادة فرعون والتعظيم
له وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال اهل التاويل الكبرياء الملك والسلطان والشرف اى الملك الذى
كان لفرعون والسلطان يكون لكما باتباع الناس لكما لان كل متبوع مطاع معظم مشرف ويحتمل قوله
وتكون لكما الكبرياء فى الارض اى الالوهية التى كانت يدعى فرعون لنفسه لكما لان عندهم ان كل من اطيع
واتبع فقد عبد ونصب الها وما نحن لكما بمؤمنين اى بمصدقين فيما تدعوننا اليه اوما تدعون من الرسالة
وقوله عز وجل ائتونى بكل ساحر عليم هذا من فرعون نقض ما ادعى من الالوهية حيث اظهر الحاجة
الى غيره ولا يجوز ان يكون المحتاج الها وقوله عز وجل فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله اى سيبطل عمل السحر الذى قصدوا به اى يجعلوه
مغلوبا كقوله ولا يفلح الساحرون اى لا يغلب الساحرون ولا يظفرون بالحاجة ان الله لا يصلح عمل
المفسدين اى لا يصلح ما افسدوا من اعمالهم فيجعلهم صالحين وقوله عز وجل ان الله لا يصلح عمل المفسدين
هو ما ذكرنا اى لا يجعلهم باعمالهم الفاسدة الصالحين او لا يجعل اعمالهم الفاسدة صالحة وقال بعضهم
لا يصلح اى لا يرضى بعمل المفسدين وقوله عز وجل ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون اى يحق الحق والحق
حق وان لم يحق الحق وذكر ذلك فى الباطل ليبطل الباطل والباطل باطل وان لم يبطل ولكن يحتمل قوله ليحق
الحق ويبطل الباطل اى ليجعل الحق فى الابتداء حقا ويجعل الباطل فى الابتداء باطلا فيكون باطلا بابطاله

الباطل يكون باطلا وبحقيقته الحق يكون حقا وهو يقال هداه فاهتدى وامثاله نفضل اى يهدايته اهتدى
وباضلاله ضل فعلى ذلك بابطال الباطل بطل وبحقيقته الحق حق والله اعلم وقوله عز وجل بكلماته يحتمل
وجوها يحتمل يحق الحق بكلماته ما وعد موسى قومه من العذاب التى وعد من النعمة لهم كقوله اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقوله عز وجل
فما امن لموسى الا ذرية من قومه يحتمل قوله من قومه من قوم موسى كان من اولاد اسرائيل فهم من
ذريته من هذا الوجه يقال اهل بيت فلان وان لم تكن البيت له ويحتمل قوله الا ذريته من قومه من
قوم فرعون فهو نسب اليه لما ذكرنا وقال اهل التاويل اراد بالذرية القليل منهم اى من امن
منهم الا قليل ولكن لا ندرى ذلك وقوله عز وجل فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من
فرعون يحتمل قوله من امن من قومه الا على خوف من فرعون وملائه اى امنوا وان خافوا من فرعون
وملائهم ويحتمل ما ترك من قومه الايمان بموسى من ترك الا على خوف من فرعون ان يفتنهم اى يقتلهم
ويعذبهم ففيه دلالة ان الخوف لا يعذر المرء فى ترك الايمان حقيقة وان كان يعذر فى ترك اظهاره
لان التصديق يكون بالقلب ولا احد من الخلائق يطلع على ذلك لذلك لم يعذر فى ترك اتيانه لانه يقدر
على اسراره الا ترى الى قوله وقال رجل من ال فرعون يكتم ايمانه كان مومنا فيما بينه وبين ربه وان لم يظهر
وقوله عز وجل وان فرعون لعال فى الارض وهو ما قال عز وجل ان فرعون علا فى الارض اى قهر
وغلب على اهل الارض وانه لمن المسرفين وقوله عز وجل قال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين فيه دلالة ان الايمان والاسلام واحد فى الحقيقة لانه بدء بالايمان بقوله ان كنتم امنتم
بالله وختم بالاسلام بقوله ان كنتم مسلمين دل انهما واحد هو اعتقاد ترك تضييع كل حق والاسلام
اعتقاد كل حق وترك تضييعه والله اعلم والاسلام هو جعل كلية الاشياء لله سالمة والايمان هو
التصديق بكلية الاشياء فيما بينهما من الشهادة لله بالربوبية له والالوهية وقوله عز وجل فعليه
توكلوا ان كنتم مسلمين يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون قال ذلك لما خافوا عبيد فرعون وعقوبته
كقوله للسحرة لما امنوا لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف الاية فقال عند ذلك عليه توكلوا فى
دفع ذلك فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
يحتمل ما قاله على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم ما قيل ان يقتلهم ويعذبهم والله اعلم هذا يخرج
على وجهين احدهما اى لا تجعلهم علينا الظفر والنصر فيظنون انهم على هدى وعلى حق ونحن على
ضلال وباطل والثانى لا تجعلنا تحت ايدى الظلمة فيعذبونا فيكون ذلك فتنة لنا ومحنة على ما فعل فرعون
بالسحرة لما امنوا وقوله عز وجل ونجنا برحمتك من القوم الكافرين فيه قوله الظالمين والكافرين واحد
والله اعلم وقوله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة
الاية يحتمل وجهين احدهما يحتمل قوله ان تبوءا لقومكما اى اتخذا لقومكما مساجد يصلون فيها
واجعلوا بيوتكم اى اجعلوا بيوتكم التى اتخذتم المساجد قبلة ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا الامر باتخاذ
المساجد ويكون فى قوله اجعلوا بيوتكم قبلة الامر باتخاذ القبلة فى المساجد التى امر بنائها والثانى
قوله ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا اى اتخذا لقومكما بمصر مساجد على ما ذكرنا وقوله عز وجل واجعلوا
بيوتكم اى اجعلوا فى بيوتكم التى بنيتم لانفسكم قبلة تتوجهون اليها ويكون فيه دلالة ان نصب الجماعة
واتخاذ المساجد والقبلة متوارثة ليست ببديعة لنا وفى شريعتنا خاصة ويؤيد ما ذكرنا ان فيه
الامر والنهى باتخاذ المساجد وقوله عز وجل واقيموا الصلوة دل الامر باقامة الصلوة على ان
الامر ببنوية البيوت امر باتخاذ المساجد والايات التى ذكر فيها اتخاذ المساجد تخرج مخرج الاباحة
لنا وهو قوله فى بيوت اذن الله ان ترفع هو فى الظاهر اباحة قيل هو امر فى الحقيقة وان كان
فى الظاهر اباحة الا ترى انه قال ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها الاية ولا شك ان ذكر اسمه والتسبيح
له امر فيه دل انه ما ذكرنا والله اعلم واما اهل التاويل فانهم قالوا انهم كانوا يخافون فرعون وملائه
فامر وان يجعلوا فى بيوتهم مساجد مستقبلة القبلة يصلون فيها سرا خوفا من فرعون هذا يحتمل
اذ كان قبل هلاك فرعون وقيل ان يستولوا على مصر واذا كان بعد هلاكه وبعد ما استولوا وملكوا
على مصر واهله فالامر فيه ما ذكرنا امر باتخاذ المساجد ونصب الجماعات فيه واقامة الصلوة فيها وقتا

ان كنتم

بعضهم من

بعضهم من اهل التاويل وجهوا بيوتكم ومساجدكم نحو القبلة لكن هذا بعيد لانه لا يكون بيتا الا ويكون جهة
من جهاته الى القبلة فلا معنى له والوجه فيه ما ذكرنا ويحتمل الامر ببنوية البيوت لقومهما بمصر وجعل
البيوت قبلة وجهين احدهما الامر بالانفصال من فرعون وقومه حتى اذا ارادوا الخروج من عندهم
قدروا على ذلك ولا يكون المرور عليهم وكان ذلك الانفصال انما كان من جهة القبلة والثانى ما ذكر اراد
ان يعتزلوهم حتى تهيا لهم الصلوة فيها وكان لا تتهيا لهم فى بيوت فرعون وقوله عز وجل وبشر
المومنين يحتمل البشارة فى الاخرة بالجنة وانواع النعم ويحتمل ان يبشرهم بالملك فى الدنيا والظفر على
فرعون وانواع النعم بعد ما اصابوا الشدائد من فرعون كقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم
انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ابو عوسجة قوله ان تبوءا لقومكما تبوا من
التهيئة اى هيا لهم موضعا كقوله ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوء صدق اى هيانا لهم مهيا صدق وقوله
عز وجل وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملائه زينة ويحتمل قوله زينة من انواع ما اتاهم من الاثاث
والنبات كقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت ونحوه ويحتمل الزينة التى كانوا يتزينون بها
من المراكب والملبس وما يتحلون بها من انواع الحلى واموال كثيرة سوى ذلك وقوله عز وجل ربنا ليضلوا
عن سبيلك قالت المعتزلة تاويل قوله ربنا انك اتيت فرعون وملائه زينة واموالا فى الحيوة الدنيا ربنا
ليضلوا عن سبيلك اى اتاهم لئلا يضلوا الناس عن سبيله ولكن اضلوهم وقالوا هذا كما يقال لم تك هذا كذا
لتفعل كذا ولكن فعلت ونحوه من الكلام ولكن عندنا هو ما ذكرنا هم الاموال وما ذكر ليضلوا عن سبيله الاية اذا
علم انهم يضلوا الناس عن سبيله ما اتاهم ليضلوا وهو كما ذكرنا فى قوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقوله نسارع
لهم فى الخيرات الاية وامثاله فكذا والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم يحتمل
وجهين يحتمل اى اطمس على اموالهم واجعل فى قلوبهم قساوة وغلظة تنفر الاتباع ومن يقلد عن اتباعهم و
تقليدهم فيكون ذلك اهون علينا فى استنقاذ الاتباع وادعى لهم الى الايمان اعنى الاتباع من يقلدهم ويكون
ذلك سببا لابعادهم عن اتباعهم وتقليدهم اباه هذا وجه والثانى قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم اى اجعل ذلك اية تضطرهم الى الايمان فانهم لم يومنوا بالايات التى ارسلنا عليهم من الطوفان
والجراد وما ذكر من البلايا فيكون قوله فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم هذا من طمس الاموال وشدة القلب
وشدتها واما غيرهم قال بعض اهل التاويل واشدد على قلوبهم واطبعها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
وهو الغرق فعند ذلك يومنون اما بهذه الايات فلا يحتمل اذا كان الله عز وجل اخبر موسى انهم لا يؤمنون فيبيح
له هذا الدعاء واما ما قيل انه يجبره بذلك فلا يبيح له ان يدعوا بهذا وهو انما ارسله عليهم ليدعوهم الى الايمان
والطمس قال ابو عوسجة هو الذهاب بها قال القتبى قوله ربنا اطمس اى اهلكها وهو من قولك طمس الطريق
اذا عفا ودرس وقال غيره الطمس هو المسخ وكقوله فطمسنا على اعينهم اى مسخناهم وقال بعضهم الطمس
هو التغيير عن جوهرها دعا موسى بهذا الدعاء بلا من الياس من ايمانهم وهو كقول نوح رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك الاية عند الاياس منهم فعلى ذلك موسى والله اعلم وقوله عز وجل
قال قد اجيبت دعوتكما قال بعضهم ان موسى كان يدعو وهرون يؤمن على دعائه فقال الله عز وجل قد اجيبت
دعوتكما سمى كليهما داعيا ولهذا قال محمد بن الحسن رحمه الله فى بعض كتبه ان الامام يدعو فى القنوت فى الوتر والقوم
يومنون وقوله عز وجل فاستقيما على الرسالة واما امرتكما به ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وهو كقوله لمحمد صلى الله
عليه وسلم ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون وكقوله ولا تتبع اهواءهم ونحوه وان كان العلم محيطا ان الانبياء
صلوات الله عليهم لا يتبعون سبيل اولئك ولا يتبعون اهواءهم لما عصمهم عز وجل ولكن ذكر هذا والله اعلم
ليعلم ان العصمة لا تزيل النهى والامر بل تزيد خطرا ونهيا والله اعلم وقوله عز وجل وجاوزنا ببنى اسرائيل
البحر فاتبعهم فرعون وجنوده هذا ظاهر وفى قوله وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر دلالة ان خلق افعال العباد
لانه اضاف الى نفسه جاوزنهم وبنوا اسرائيل هم الذين تجاوزوا دل ذلك انه خلق فعلهم واما قوله حتى
اذا ادركه الغرق لانه ذكر فى بعض القصة ان فرعون لما ساحل البحر فراى البحر منفرجا فقال انما انفرج لى فلما خاض
فعند ذلك قال حين اخذ الغرق امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين ثم ايمانه لم يقبل فى ذلك
الوقت لوجهين احدهما لما احتمل ان يكون ايمانه عند رؤية الباس وخوف الهلاك فهو ايمان دفع الباس
لا ايمان حقيقة وهو على ما اخبر عن ايمان الكفرة فى الاخرة لما عاينوا العذاب كقولهم ربنا اخرنا الى اجل

وكقوله تعالى رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت وكقولهم نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه فما عاينوهم من العذاب اكبر واشد مما عاين فرعون ثم اخبر انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا الى ما كانوا
يعملون ما كانوا يعملون لكنهم قالوا ذلك قولا دفع فعلى ذلك ايمان فرعون ايمان دفع الباس عن نفسه لا ايمان
حقيقة واختيار والثانى ان الايمان والاسلام هو تسليم النفس الى الله فاذا امن فى وقت خرجت نفسه من
يده لم يصر مسلما نفسه الى الله اذ نفسه ليست فى يده ولذلك لم يقبل الايمان فى ذلك الوقت وقت الاشراف
على الهلاك ويحتمل وجها اخر وهو ان الايمان بالله انما يكون بالاستدلال بالشاهد على الغائب ولا يمكن
الاستدلال على الغائب فى ذلك الوقت اذ لا يكون ذلك الا بالنظر والتفكر وفى ذلك الوقت لم يكن الايمان
حقيقة والله اعلم واما قوله فاليوم ننجيك ببدنك قيل بوجوه قوله ننجيك من النجوة اى نلقيك على النجوة
وهو مكان الارتفاع والاشراف ليراه كل احد انه هلك ليظهر لهم انه لم يكن الها الى ما ادعى واما سائر ابدان
قومه لم تلق على النجوة ولكن بقيت فى البحر والثانى قيل ننجيك اى نخرجك من البحر ولا نتركك فيه لتكون لمن خلفك
اية والثالث ننجيك ببدنك ولا ننجى بذلك احدا لانه ذكر فى القصة انهم لما غرقوا هو واغرقوا الى النار
كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا والخبر انه لم يوجد جسده بروحه الى النار ولكن اخرج بدنه وذهب
روحه الى النار مع سائر قومه والله اعلم ليرى جسده ويظهر كذبه ولا يشتبه امره عليهم وقوله عز وجل
لتكون لمن خلفك اية يحتمل وجهين يحتمل لتكون هلاكك اية فلا يدعى احد الربوبية والالوهية مثل ما ادعى
هو او يقول لتكون لمن خلفك اية اى من شاهد له كذلك عن يقين ما لقى كان اية له وقوله عز وجل ان كثيرا من
الناس عن اياتنا لغافلون قال بعض اهل التاويل يعنى اهل مكة عن اياتنا لغافلون عن هلاك فرعون
وقومه لما قالوا ما هذا الا افك مفترى وما هذا الا سحر يقولهم غافلون عما
اصاب اولئك اذ مثل هذا لا يغفلون عن هذه القصص ويحتمل وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون
اى كثيرا منهم كانوا غافلين عما اصابهم والغفلة تكون على وجهين احدهما غفلة اعراض وعناد بعد
العلم ومعرفة ان ذلك حق والثانى يغفل بترك النظر والتفكر فكلا الوجهين مذموم وقوله عز وجل و
لقد بوانا بنى اسرائيل مبوأ صدق قال عامة اهل التاويل بوانا انزلنا بنى اسرائيل منزل صدق وقال
بعضهم بوأنا هيأنا لبنى اسرائيل مبوأ صدق حسنا كقوله واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين الاية
اى تهيئ للمؤمنين وقال بعضهم قوله من اهلك تبوئ المؤمنين الاية اى تهيئ للمؤمنين وقال بعضهم قوله
بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق اى مكان تمكين صدق وهو كقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى
الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض الاية يحتمل ما ذكر فى هذه الاية وقوله عز وجل
مبوأ صدق وقال بعضهم منزل صدق اى كريمة وقال منزل صدق اى حسن ويحتمل وجهين اخرين احدهما
انه اعد لهم ان يمكن لهم فى الارض فانجز ذلك الوعد فهو مبوأ صدق اى المكين صدق حيث انجز ذلك الوعد
وصدق الوعد ما ذكر واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون الاية والثانى مبوأ الصدق اى مبوأ
اهل صدق لان الشام كان لم يزل منزل اهل صدق وعلى هذا يخرج قوله رب ادخلنى مدخل صدق
واخرجنى مخرج صدق الاية اى اخرجنى مخرج اهل صدق وادخلنى مدخل اهل صدق والله اعلم وقوله عز وجل
ورزقناهم من الطيبات قال اهل التاويل يعنى المن والسلوى ولكن الطيبات هى التى طالبت بها الانفس
مما حل بالشرع مما لا تبعة على اربابها مما لم يعص فيها وقوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم
العلم اى فما اختلفوا فى الدين الا من بعد ما جاءهم العلم انه حق وقيل فما اختلفوا فى محمد انه رسول الله
الا من بعد ما جاءهم العلم انه رسول الله وقيل فما اختلفوا فى القران والايات التى انزلها على رسوله الا من
بعد ما جاءهم العلم انه منزل من عند الله ويحتمل قوله فما اختلفوا فى موسى انه رسول الله الا من بعد ما
جاءهم العلم انه رسول الله وقوله عز وجل ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
الاية ظاهرة من الوجوه التى ذكر وقوله ان ربك يقضى بينهم ويحتمل وجهين احدهما الجزاء والثواب
والثانى فى تبيين المحق والمبطل وقوله عز وجل فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسال الذين يقرؤن الكتاب
اختلف فيه قال بعضهم الخطاب به والمراد برسول الله ما كنت فى شك مما اخبرتهم وانباتهم ممن قال الخطاب
لرسول الله والمراد به غيره وهو ما ظهر فى الناس انهم يخاطبون من هو اعظم منزلة عندهم وقدرا او
يريدون به غيره والا لا يحتمل ان يكون رسول الله يشك فيما انزل اليه قط او يرتاب كقوله اما يبلغن عندك

الكبر احدهما او كلاهما الاية معلوم انه فى وقت ما خاطب به لم يكن ابواه احياء دل انه اراد به غيره فعلى
ذلك الاول ومن قال الخطاب والمراد به من حضر رسول الله يقول ان الوفود من الكفرة كانوا يتقدمون رسول
الله فيسالونه شيئا فيخاطب الذين يتقدم وكان يحضره الوفد والجماعة يقول فان كنت فى شك مما انزلنا اليك
فسال الذين يقرؤن الكتاب وقوله عز وجل انزلنا اليك على هذا التاويل هو منزل اليه اذ كل منزل على
رسول الله عليه واليه والى كل احد لقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امر باتباع ما انزل اليهم دل ان كل
منزل على رسول الله نزل عليهم ومن قال الخطاب لرسول الله والمراد به غيره لما لا يحتمل ان يكون رسول
الله يشك فى شئ مما انزل اليه ولكنه يريد به الفترى عنه لقول الكفار الذى يلقى على محمد شيطان فيريد به
التغرير عنده او يخاطب به كل شاك كقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم هو يخاطب انسانا واحدا ولكن
المراد به كل انسان مغرور وكل كافر وذلك جائز فى القران كثير ان يخاطب به كل فى نفسه ومن قال خاطبه
رسوله واراد هو ايضا وهو كان فى الابتداء على غير يقين انه يوحى اليه او لا كقوله وما كنت تتلوا من قبله
من كتاب وقوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فقال وان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن
الكتاب الا هناء التى اخبرتهم وانباتهم واذ عيب انها اوحيت اليك ليخبر وكم على ما اخبرتهم وقوله عز وجل
فسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال بعضهم فسال الذين يقرؤن الكتاب يعنى من امن منهم وقال بعضهم
سل اهل الكتاب منهم يخبرونك لانه مكتوب عندهم كقوله يجدونه مكتوبا عندهم الاية وقوله عز وجل لقد
جاءك من ربك قيل الحق من ربك قيل الحق القران جاء من ربك وقيل جاء البينات البيان من عند الله وقوله
عز وجل فلا تكونن من الممترين الشاكين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين هو ما ذكرنا
انه يريد بالخطاب غيره والا لا يحتمل ان يكون رسول الله يكون من الشاكين او يكون من الذين يكذبون بايات
او يكون من الخاسرين وقوله عز وجل ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون قوله حقت عليهم كلمة ربك
هو قوله عز وجل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين هذا يكون فى الختم من يختم به يعنى بالكفر فقد
حقت كلمة ربك لاملان جهنم او حقت عليهم كلمة ربك ما ذكر فى اية اخرى اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
الاية او كلمة ربك ما ذكر ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقوله عز وجل حقت عليهم كلمة ربك اى علم
ربك باحوالهم اى من كان علمه انه لا يؤمن وقت اختياره الكفر كقوله من يضلل الله فلا هادى له اى من
يضل الله فلا هادى له وقت اختياره الكفر وكذلك قوله والله لا يهدى القوم الظالمين وقت اختياره
الظلم ونحو ذلك فالتاويل الاول يرجع الى الختم والثانى الى وقت يثبت عليه علم ربه انه لا يؤمن الى وقت
لا يؤمن فى ذلك الوقت وقوله عز وجل ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم قيل فى الدنيا ايمان دفع
العذاب ويحتمل فى الدنيا وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس
لما امنوا كشفنا عنهم العذاب الاية اى لم تكن القرى امنت عند معاينة الباس ايمانا نفعها الايمان قوم يونس
فانهم امنوا ايمان حقيقة وعلم الله صدقهم من ايمانهم فنفعهم ايمانهم هذا يخرج على وجوه احدها ان سائر
القرى كان ايمانها عند اقبال العذاب اليهم ووقوعه عليهم فلم ينفعهم ايمانهم الا قوم يونس فان ايمانهم
انما كان لتخويف العذاب فنفعهم والثانى يحتمل ان يكون قوم يونس كان نزول العذاب بهم على التحذير و
التمكين ان قبل الايمان وامنوا دفع العذاب عنهم وان لم يقبلوا انزل بهم والثالث كان ايمان سائر القرى
بعد ما عاينوا مقامهم فى النار فامنوا فيكون ايمانهم ايمان اضطرار وقوم يونس امنوا قبل ان يعاينوا
ذلك ويشبه ان يكون قوله فلولا كانت قرية امنت بعد وقوع العذاب والباس فنفعها ايمانها الا قوم
يونس فانهم امنوا اذا عاينوا العذاب قبل ان يقع بهم وايمان فرعون وقومه انما كان بعد ما غرقوا وبعد
ما خرجت انفسهم من ايديهم فلم يقبل وايمان قوم يونس كان قبل ان يقع العذاب بهم وانفسهم فى ايديهم
بعد فقبل وهو ما ذكر عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم الاية امنوا عند ما عاينوا
قبل ان يقع بهم وسائر الامم الخالية كان منهم الايمان بعد وقوع العذاب بهم من نحو عاد وثمود وامثاله
ما ذكرنا انفا وقوله عز وجل لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا قوله كشفنا عنهم الوعد
بحلول العذاب بهم وعذاب الخزى هو العذاب القاطع والا الخزى هو العذاب وقوله عز وجل ولو شاء ربك
لامن من فى الارض كلهم جميعا قالت المعتزلة قوله لو شاء ربك لامن من فى الارض مشية القهر والقسر
لو شاء لاجبرهم وقهرهم جميعا فيؤمنوا والا فقد شاء ان يؤمنوا مشية الاختيار لكنهم لم يؤمنوا واستدلوا

بين ذلك بقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فيقال لهم ان مشية الاختيار هي الظاهرة عندكم و
الجبر والقهر غايبة فاذا وجد منه مشية الاختيار فلم يومنوا ولم تنفذ مشيته فيهم كيف يصدقون في الخبر
من المشية التي هي غايبة انها لو كانت لامنوا هذا فاسد على قولهم وبعد فان المشية لو كانت مشية القهر
لكانوا مومنين بتلك المشية وهي خلقة لان كلا كافر ومؤمن بخلقته لان خلقة كل احد تشهد على وحدانية
الله فاذا كانوا مومنين بالخلقة ثم انه ذكر انه لو شاء لامنوا دل انه لم يرد به مشية القهر ولكنه اراد
مشية الاختيار وتاويله عندنا هو ان عند الله تعالى لطف لو اعطاهم كلهم لامنوا جميعا لكنه اذا علم انهم لا
يومنون لم يعطهم وهو التوفيق والعصمة لكنهم اذا علم انهم لا يومنون شاء ان لا يومنوا ثم يحتمل ان تحقق
الايمان بالجبر والقهر لانه عمل القلب والجبر والاكراه لا يعمل على القلب فهو وان تكلم بكلام الايمان فلا
يكون مؤمنا حتى يومن بالقلب فيكون التاويل على قولهم ولو شاء ربك فلا يومنوا فهذا متناقض فاسد
وبعد فان الايمان لا يكون في حال الاكراه والاختيار لان الاكراه يزيل الفعل عن المكره كان لا فعل له في الحكم
وقوله عز وجل افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فان قيل اليس قال الله عز وجل تقاتلونهم او يسلمون
حتى يسلمون وذلك اكراه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله فذلك اكراه فكيف يجمع بين ايتين قيل لوجهين احدهما ما ذكر ان هذا السورة مكية وقوله
تقاتلونهم او يسلمون مدنية فيحتمل قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لا تكرههم ثم امر
بالمدينة بالقتال والحرب والاكراه عليه والثاني يجوز ان يجمع بين الايتين وهو ان يكون قوله تقاتلونهم
او يسلمون اي تقاتلونهم حتى يقولوا قول اسلام ويتكلموا بكلام الايمان دليله ما روي حتى يقولوا
لا اله الا الله والقول بقول لا اله الا الله على غير حقيقة ذلك في القلب ليس بايمان وفي هذه الاية
حتى يكونوا مؤمنين وبالاكراه لا يكونوا مؤمنين حقيقة لانه عمل القلب والاكراه مما لا يعمل عليه
والله اعلم وتاويله قوله افانت تكره الناس اي لا تملك ان تكرههم وكان رسول الله لشدة حرصه
ورغبته في ايمانهم كاد ان يكرههم على الايمان اشفاقا عليهم كقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا
مؤمنين وقوله عز وجل وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله قيل بمشية الله وقيل بعلم الله وقيل بامر
الله وبارادته وهو ما ذكرنا لا تومن نفس الا بمشية الله وارادته في ذلك ولا يحتمل قوله الا باذن
الله سوى المشية والارادة لانه كم من مامور بالايمان لم يومن فلم يحتمل الامر ولا يحتمل الاباحة لانه اباح
ترك الايمان في حال واصله ما ذكرنا انه لا يحتمل ان يكون عز وجل يعلم من خلقه اختياره وعداوته
والخلاف له فيسألهم الولاية يخرج ذلك مخرج العجز لان في الشاهد من اختار عداوة احد فالاخر
يختار ولايته انه انما يختار لضعفه وعجزه فيه وقوله عز وجل ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قيل
الاثم على الذين لا يعقلون وقيل ويجعل العذاب على الذين لا يعقلون اي لا ينتفعون بعقولهم حتى
يعقلون او على الذين لا ينتفعون بعقولهم وقال بعضهم في قوله فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها
اي لم تكن قرية امنت فنفعها ايمانها عند نزول العذاب الا قوم يونس وقال بعضهم فهلا كانت
امنت اذ رات باسنا فكانت مثل قوم يونس فانهم امنوا حين راوا العذاب واصله ما ذكرنا انه لا
يحتمل ان يكون الله تعالى يعلم من خلقه اختيار عداوته والخلاف له فيسألهم الولاية لانه يخرج
ذلك مخرج العجز لان في الشاهد من اختار عداوة احد فالاخر يختار ولايته انه انما يختار ولايته انه يختار
لضعفه وعجزه والله اعلم وقوله عز وجل وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله قيل وما كان لنفس في علم
الله انها لا تومن فتومن اي لا تومن نفس في علم الله انها لا تومن انما يومن من في علم الله انه يومن واما من
في علم الله انه لا يومن فلا يومن وقيل وما كان لنفس اي لا تومن نفس اي لا تومن نفس الا بمشية الله
اي اذا امنت انما تومن بمشية الله ما يفعل انما يفعل بمشية الله كقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله
وقال بعضهم قوله الا باذن الله اي بامر الله فعناه اذا امنت انما تومن بامره لا تومن بغير امره قال
الاقرب والله اعلم وقوله عز وجل ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي يجعل جزاء الرجز اي جزاء الكفر
على الذين لا يعقلون اي الذين لا ينتفعون بعقولهم والله اعلم وقوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات
والارض فتوحدوه ليدلكم على واحدانيته وكذلك شي في السموات والارض يقع عليه البصر الا وفيه
دلالة الربوبية حتى طرفة العين ولحظة البصر وقوله عز وجل وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون

يحتمل وجوها يحتمل وما تغني الايات والنذر عن قوم همتهم المكابرة والمعاند انما تغني الايات من همته
القبول والانقياد واما من همته المكابرة والمعاند فلا تغني وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى الاية ويحتمل وما تغني الايات والنذر في الاخرة عن قوم لا يومنون في الدنيا انما تنفع
وتغني لقوم يومنون واما من لا يومن فلا تغني والثالث وما تغني الايات والنذر يحتمل الرسل ويحتمل
الوعيد التي اوعدوا والاحوال التي تغيرت عليهم والله اعلم وقوله عز وجل فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي فهل ينتظرون يوما من الهلاك الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
برسلهم من الهلاك فهو يخرج على التوبيخ لانتظارهم هلاك الرسل وذهاب امرهم ويحتمل وجها اخر
فهل ينتظرون من نزول العذاب بهم الى هذا يذهب بعض اهل التاويل ويحتمل قوله فهل ينتظرون
من تاخيرهم الايمان الى وقت نزول العذاب بهم فهذا يخرج على الاياس من ايمانهم اي لا يومنون الى
ذلك الوقت الذي ينفعهم ايمانهم والوجه الاول على التوبيخ والتعيير وقوله عز وجل قل فانتظروا
اني معكم من المنتظرين ذلك وقوله عز وجل ثم ننجي رسلنا والذين امنوا قوله ننجي اي انجينا الرسل والذين
امنوا لانه لم يكن بعده رسول وتاويله والله اعلم انه وعد ان ينجي الرسل والذين امنوا حقا علينا ان ننجي
ما وعدنا ان ننجي الرسل والذين امنوا والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في شك من
ديني قوله في شك من ديني الذي ادين به او ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا اعبد الذين
تدعون من دون الله اذا شككتم في ديني الذي ادعوكم اليه كنتم شاكين في دينكم الذي انتم عليه ما شك
يذكر بعضهم بتركهم اجابته بالشك ودعائهم اياه بالشك يوجب التوقف في الاشياء ولا يوجب
الدعاء اليه بطلان غيره لا اشك هذا والله اعلم محتمل وهو يخرج على وجهين ايضا احدهما على الاضمار
والاخر على المنابذة والاضمار ما ذكرنا ان كنتم في شك من ديني الذي ادين به وادعوكم فانا لا اشك فيه
هذا وجه الاضمار ووجه المنابذة يقول ان كنتم في شك مما اعبد وادين به فلا تعبدون ذلك ولا
تدينون به فانا لا اعبد ما تعبدون ولا ادين ما تدينون وهو كقوله فلكم دينكم ولي دين وقوله عز وجل
ولكن اعبد الذي يتوفيكم والتوفي هو النهاية والغاية والاضرار وما تعبدون من الاصنام دونه لا يملكون
ولا الاضرار لكم ان لم تعبدوها يذكر بعضهم الحجة ان الذي يتوفيهم هو المستحق للعبادة لا الاصنام التي
تعبدونها وقوله عز وجل وامرت ان اكون من المومنين فيشبه ان يكون قوله من المؤمنين من المرسلين
كقوله انك لمن المرسلين وقال انه من عبادنا المؤمنين فعلى ذلك ويحتمل الايمان نفسه على ما
نهى ان يكون من المشركين او الشاكين فعلى ذلك امر ان يكون من المومنين المخلصين له المرسلين انفسهم
والله اعلم وقوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا اي امرت ان اقيم نفسي لله خالصة سالمة
لا اشرك فيها غيره ولا اجعل لسواه فيها نصيبا او ان يقول اي امرت ان اقيم نفسي على ما عليها
خلقها اذ خلقته كل نفس تشهد على وحدانية الله والوهيته او يقول اقم وجه امرك لما تدين به
وتقيم عليه ولا تكونن من المشركين هذا ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولا تدع من دون الله ما لا
ينفعك ان اطعته واجبته ولا يضرك ان تركت اجابته وطاعته وقوله عز وجل ولا تدع من دون الله
يحتمل لا تعبد من دون الله ما لا يملك جر المنفعة ويحتمل الدعاء نفسه اي لا تسم من دون الله الها
عز وجل فان فعلت فانك اذا لمن الظالمين ذكر ههنا الظلم ان فعل ما ذكر والمراد منه الشرك وذكر
في قصة ادم وحوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقد قرباها ولم يكونا مشركين انما كانا عاصيين
ليعلم ان ليس في الموافقة في الحقائق والمعاني ان يكون الموافقة في الحقائق في موافقة الاسباب لانه
كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فيه نهي الرجاء والطمع
اي من دونه اذ اخبر انه لا يوجد ذلك من عند غيره وقوله عز وجل وان يردك بخير فلا راد لفضله
اخبر انه ان اراد خيرا فضلا فلا راد لذلك الفضل والجزاء الايمان من اعظم الخيرات وافضلها فاذا اراد
الانسان كان لا يملك احد دفع ما اراد ولا رده دل انه اذا اراد الايمان لاحد كان مومنا فهو ينقض
على المعتزلة حيث قالوا انه اراد الايمان للخلق كلهم لكنهم لم يومنوا اذ اخبر انه اذا اراد به خيرا فلا راد لفضله
وهم يقولون بل يملك العبد رد ما اراد له ودفعه وبالله العصمة وفيه ان ليس على الله فعل هذا
عن فعل الخيرات لانه سماه فضلا والفضل هو فعل ما ليس عليه وهو المفهوم في الناس ان ما عليهم

من الفضل لا يسمون فضلا انما يسمون الفضل ما ليس عليه والله اعلم وقوله عز وجل يصيب من يشاء من
عباده يصيب به من يشاء من الفضل والخير او من الشر وفيه دلالة تخصيص بعض على بعض حيث قال
يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم لا يعجل بالعقوبة وقوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم قيل الحق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الحق القرآن الذى انزل عليه ويمكن ان يكون الحق
هو الدين الذى كانوا يدعوهم رسول الله اليه لانه قال يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فيشبه
ان يكون الحق هو الدين شكوا فيه اى فقد جاءكم ما يزيل عنكم ذلك الشك ان لم يكابروا لما اقام عليهم الحجج
والبراهين ويحتمل الحق محمدا صلى الله عليه وسلم على ما ذكر بعض اهل التاويل كان رسول الله فى اول
نشوه الى اخره ويحتمل الحق على ما ذكره بعضهم وهو ما ذكر لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد سماه باسماء مختلفة سماه حقا وسماه نورا وشفاء ورحمة وهدى ونحوه وفيه كل
ما ذكر من تامله وتفكر فيه وتمسك به وقوله عز وجل فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها اى من اهتدى فانما منفعة اهتدائه له فى الدنيا والاخرة ومن ضل فانما يرجع ضر ضلالته
اليه وخيانته عليه اى يامر وينهى لمنفعة تحصل له او لحاجة نفسه انما يامر وينهى لمنفعة للخلق وحاجتهم
وقوله عز وجل وما انا عليكم بوكيل اى بمسلط قال بعض اهل التاويل هو منسوخ نسخته اية القتال لكنه
يحتمل وان كان مامورا بالقتال فهو ليس بوكيل ولا مسلط على حفظ اعمالهم انما عليه التبليغ كقوله
ان عليك الا البلاغ وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ما عليك من
حسابهم من شئ الاية وقوله عز وجل واتبع ما يوحى اليك يحتمل القرآن وغيره من الوحى غير القرآن
وقوله عز وجل واصبر حتى يحكم الله اى اصبر على اذاهم لانهم كانوا يؤذونه ويقولون فيه بما لا
يليق به فيقول اصبر على اذاهم ولا تعجل عليهم بالعقوبة حتى يحكم الله عليهم بالعقوبة وقت عقوبته وهو خير
الحاكمين واصبر على تكذيبهم اياك حتى يحكم الله بينك وبين مكذبيك وهو خير الحاكمين واصبر على تبليغ الرسالة والقيام لما

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله تعالى الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهى ثم فصلت من بعد والوعد
وقال بعضهم احكمت اياته بالوعد والوعيد ثم فصلت بالامر والنهى وقال بعضهم احكمت اياته حتى لا ياتيها
الباطل من بين يديها ولا من خلفها ولا يملك احد التبديل ثم فصلت بين ما يوتى وما يتقى او بين ما لهم وما
عليهم وقال بعضهم احكمت اياته ثم نسخ ثم فصلت بالحلال والحرام وقيل فصلت اى فرقت فى الانزال
انزل شئ وبعد شئ على قدر النوازل والاسباب فلم ينزل جملة لانه لو انزل جملة لاحتاجوا الى ان يعرف
الكل سببه وشانه وخصوصه وعمومه فاذا نزل متفرقا فى اوقات مختلفة على قدر النوازل والاسباب
عرفوا ذلك على غير اعلام ولا بيان والتفصيل هو اسم التفريق واسم التبيين وذلك يحتمل المعنيين جميعا
والله اعلم وقوله عز وجل احكمت اياته اى احكمت حتى لا يرد عليه النقض والانتقاض او احكمت حتى
لا يملك احد التبديل والتغيير او احكمت اى عن ان يقع فيها الاختلاف وقال بعضهم احكمت اياته بالنظر
وفصلت بالثواب والعقاب ثم الايات يحتمل وجوها احدها العبر والثانى الحجج والثالث العلامة ثم الايات
كل كلمة فى القرآن لن تخلو من عبرة او حجة او علامة لا تخلو عن احد هذه الوجوه الثلثة وقوله عز وجل من لدن
حكيم خبير من عند حكيم عليهم جاءت هذه الايات وقوله عز وجل الا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير
وبشير اى من الله نذير من نذر ومن عنده بشير من اتبع وينذر من خالف وقوله الا تعبدوا الا الله فى
خالقكم هو المستحق للعبادة ويحتمل ان لا تعبدوا وان لا توحدوا الا الذى فى الشهادة خلقتكم وحدانيته
عز وجل وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان كانت الاية فى الكفار فيكون قوله استغفروا ربكم اى اسلموا
ثم توبوا اليه اى ارجعوا اليه عن كل معصية وكل ماثم تاتونها وان كان فى المسلمين فهو ظاهر فيكون قوله
استغفروا وتوبوا واحدا وقوله عز وجل يمتعكم متاعا حسنا اى يمتعكم فى الدنيا تستحقون الاخرة فى
ذلك التمتع والكفار فانهم لا يستحقون فى الاخرة ما متعوا فى الدنيا لان تمتعهم فى الدنيا للدنيا والمؤمن
ما يجمع فى الدنيا يجمع لامر الاخرة والتزود والله اعلم وقوله عز وجل ويؤت كل ذى فضل فضله يحتمل
قوله يؤت كل ذى فضل فضله فى الدنيا جزاء فضله فى الاخرة ويحتمل يؤت بمعنى اعطاء اى ما اتى كل ذى فضل

في الدنيا انما اتاه بفضله وقوله عز وجل ويؤت كل ذى فضل فضله اى يؤت كل ذى فضل فى الدنيا فضله
فى الاخرة او يقول يؤت كل ذى فضل فى الدنيا والاخرة فضله لان اهل الفضل فى الاخرة الدنيا هم اهل
الفضل فى الاخرة وان تولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير الاية ظاهره وقال عظيم فى موضع اخر
هذا انما يكبر على الخلق ويعظم ذلك اليوم قال بعض اهل الفقه فى قوله الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت
دلالة تاخير البيان لانه قال احكمت اياته ثم فصلت وحرف ثم من حروف الترتيب ففيه جواز تاخير البيان
والله اعلم وقوله عز وجل الى الله مرجعكم اى الى ما اعد لكم مرجعكم من وعده ووعيده وهو على كل
شئ قدير وقوله عز وجل الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه عن عبد الله بن شداد كان احدهم اذا
مر بالنبى تغشى بثوبه وحنى صدره وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله وذكره
قال بعضهم نزلت الاية فى رجل له يقال له الاخنس بن شريق الثقفى كان يجالس النبى ويظهر له امرا حسنا
وكان حسن المنظر حسن الحديث وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه حديثه ويقربه به مجلسه وكان
يضمر خلاف ما اظهر فانزل الله الا انهم يثنون صدورهم يقول يكتمون ما فى صدورهم ويسترون وهو
قول ابن عباس واصل تثنية الصدور وهو ان يضم احد طرفى الصدر الى طرف الاخر ليكون ما اضمروا واسروا
خفى ويشبه ما ذكر من ثنى الصدور ان يكون كناية عن ضيق الصدور كقوله ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا او عبارة عن الكبر كقوله ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله الاية وكان اصله الميل الى
غيره وهو ما قال ابو عوسجة يثنون صدورهم اى يميلون الى غيره وكذلك قوله ليستخفوا منه قال بعضهم
من الله وقال بعضهم منه اى من رسول الله لكن ان كانت الاية فى المنافقين على ما ذكره بعض اهل التاويل
فهو الاستسرار والاستتار من رسول الله لانهم كانوا يظهرون له الموافقة ويضمرون له العداوة وان كانت
الاية فى المشركين فهو على الاستسرار والاستتار من الله لانهم لا يبالون الخلاف لرسول الله واظهار
العداوة وعندهم ان الله لا يطلع على ما يسرون ويضمرون فى قلوبهم فاخبر انه يعلم ما اسروا وما اعلنوا
وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يسرون ذلك ويضمرونه فاخبرهم بذلك
ليعلموا انما علم ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل الا حين يستغشون ثيابهم اى يستترون بها قال الحسن الا حين
يستغشون ثيابهم فى ظلمة الليل وفى اجواف بيوتهم يعلم تلك الساعة ما يسرون وما يعلنون واصله
انهم يعلمون ان الله هو الذى انشاء هذه الصدور والقلوب والثياب هم الذين نسجوها واكتسبوها
ثم لا يملكون الاستتار بما اكتسبوهم فلان لا يملكون الاستتار بما تولى هو انشاءه احق وقوله عز وجل
الا حين يستغشون الا انما هو تاكيد الكلام وهو قول ابى عبيدة وغيره وقوله عز وجل انه عليم بذات
الصدور قال اهل التاويل عليم بما فى الصدور ولكنه يشبه ان قوله عليم بذات الصدور عبارة عن
صدورها اندبير وتمييز وهو البشر وقوله عز وجل وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها قال بعضهم
عن ما الدابة المحتج بها وهو البشر واما غيره من الدواب فقد تعرضها المحتج به وقال قائلون اراد
كل دابة يدب على وجه الارض من المحتج به وغيره وتمامه ما من دابة فى الارض جعل قوتها وحياتها
بالرزق الا على الله انشاء ذلك الرزق لها ثم من الرزق ما جعله بسبب ومنه ما جعله بغير سبب
وقوله عز وجل الا على الله رزقها اختلف ايضا قال بعضهم قوله على الله رزقها اى على الله انشاء رزقها
وخلقه لها الذى به قوامها وحيوتها وهو كقوله وفى السماء رزقكم اى ينشئ ويخلق رزقكم بسبب من
السماء من المطر وغيره فعلى ذلك قوله على الله رزقها وخلقه لها وقيل على الله رزقها اى على الله
ان يبلغ اليها رزقها وما قدر لها وما به معاشها ثم قوله على الله قال بعضهم ما جاء ها من الرزق
انما جاء من الله لا بامتنان غيره وعلى الله بمعنى من الله وذلك جائز فى اللغة كقوله اذا اكتالوا على
الناس اى من الناس وهو قول مجاهد ويحتمل قوله على الله رزقها اى على الله وفاء ما وعد وقد كان
وعد ان يرزقها فعليه وفاء وعده وانجازه ويحتمل وجها اخر وهو انه لما خلقها ان يبقيها الى
وقت عليه تبليغ ما به تعيش الى ذلك الوقت والاجل الذى خلقها ليبقيها الى ذلك وبعضه قريب
من بعض وقوله عز وجل ويعلم مستقرها ومستودعها اختلف فيه قال بعضهم مستقرها بالليل ومستودعها
بالنهار فى معاشها وقال بعضهم المستقر الرحم والمستودع الصلب وقال بعضهم المستقر الصلب
والمستودع الرحم وقال بعضهم المستقر المنقلب فى الدنيا والمستودع مثواها فى الاخرة كقوله والله

انهم منقبكم في الدنيا ومنقلبكم في معاشكم ومثواكم الى قراركم ومقامكم في الاخرة وقال بعضهم مستقرها
في الدنيا ومستودعها في القبر ويشبه ان يكون هذا من العلم بها في كل حال سكونها وحال حركتها لانها
لا تخلو اما ان يكون ساكنة تارة او متحركة اي يعلم عنها كل حالها ويشبه ان صلة ما تقدم وهو قوله الا
انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الاية يخبر انه اذا لم يخف عليه كون كل دابة في بطن الارض وما
تغيض به الارحام وما استودع في الاصلاب كيف يخفى عليه اعمالكم التي عليها العقاب ولكم بها الثواب
وفيها الامر والنهي والله اعلم وكل في كتاب مبين اي مبين في كتابه قيل في اللوح المحفوظ ويحتمل القرآن
وغيره وقوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في موضع اخر خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وقال في موضع اخر قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
وقال فقضاهن سبع سموات في يومين وقال وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام يجوز ان يكون جعل
الارض يومين يوما لوجودها ويوما لعدمها وكذلك السماء جعل يوما لوجودها ويوما لعدمها
كقوله يوم تبدل الارض غير الارض الاية كقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ويوم تشقق
السماء بالغمام وكذلك ما بينهما جعل يوما لوجوده ويوما لعدمه فيكون يوم السابع يوم البعث يكون
لكل من ذلك يومان يوما لوجودها ويوما لعدمها وقد ذكرنا شيئا في ذلك مما احتمل وسعتا في
سورة الاعراف وفي الاية دلالة ان السماء والارض دخلت تحت الاوقات بقوله في ستة ايام اذ الايام
عند الناس انما هو ممر الاوقات فان دخلت تحت الاوقات ليستا بازليتين بعض المحدثة انهما اذ كانتا
كذلك والله اعلم وجائز ان يكون اليوم السابع اليوم الذي المحيى فيه وهو المقصود في خلق من الا
اعني البشر وقوله عز وجل وكان عرشه على الماء ان كان العرش اسم الملك والسلطان على ما قال
اهل التاويل فتاويله والله اعلم كان اظهر ملكه عن الماء بمعنى عن وذلك جائز في اللغة لانه بالماء
ظهور كل شيء وبدؤه كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وان كان العرش اسم السرير والكرسي على ما قاله
بعض الناس فهو عرش الملك وسريره خلقه ليكرم به اولياءه ويمتحن ملائكته بحمله والخدمة له على
ما يكون لملوك الارض سرير يستخدمون خدمهم في ذلك وهو خلق من خلائقه اضافه اليه كما اضاف
الاشياء المعروفة بالاجمال جملة ومرة بالاشارة والافراد ولكن ما اضاف اليه بالاشارة فهو على
تعظيم ذلك الشيء وما اضيف اليه الاشياء بالاجمال والارسال فهو ذكر عظمته وكبريائه كقوله له ملك
السموات والارض وخالق السموات والارض ونحوه يذكر سلطانه وعظمته وقوله بيتي وان المساجد
لله ونحوه هو يخرج على ذكر تعظيم البيت والله اعلم وقوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا اي خلق السموات
والارض وما فيهما للممتحن له يخلق هذه الاشياء لا لنفسها انما خلقها للممتحن فيها كقوله وسخر لكم ما في الارض
وما في السموات جميعا لان خلقتها لانفسها عبث لانها مخلوقة للفناء خاصة فهو عبث لذلك كان ما
والله اعلم وقوله عز وجل ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين قوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت هذا القول نفسه انكم مبعوثون من بعد الموت
يقولون ان هذا سحر ولكن اذا اخبرهم انهم مبعوثون من بعد الموت واقام الحجج والبراهين على
البعث فحينئذ قالوا الحجج البعث وبراهينه ما هذا الا سحر ويحتمل وجها اخر وهو ان يذكر سفههم انهم
اعتادوا النسبة كل شيء الى السحر حتى الاشياء التي لا تحتمل السحر وهو الاخبار لان السحر انما يكون في
تقليب الاشياء واما فيما يخبر عن شيء يكون فلا وقوله عز وجل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة
معدودة قيل الى وقت معلوم هو البعث ذكر امة والله اعلم لانه وقت به ينقضي رجال الامم جميعا ليقولن
ما يحبسه اي كانوا يقولون لم يزل عادتهم استعجال العذاب استهزاء بهم وقوله عز وجل الا يوم ياتيهم
ليس مصروفا عنهم ذلك اذا جاء لا يملك احد صرفه عنهم كقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع و
قوله ما لهم من الله من واق ونحوه وقوله عز وجل وحاق بهم قيل نزل بهم وقيل يحيق بهم ما كانوا به
يستهزؤن جزاء استهزائهم بالرسول والكتاب وقوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم بشفاعة
من طمعوا شفاعة كقوله واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون ونحو ذلك لانهم كانوا يعبدون
الاصنام رجاء ان تشفع لهم وقوله عز وجل ولئن اذقنا الانسان منا رحمة قيل سعة في المال ونعمة
ثم نزعناها منه ليؤس اياسه ذهاب ذلك المال عنه ونزعه منه عن العود ذلك اليه ويقنطه ص

والاياس

والاياس قد يكون كفرا كقوله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون ويحتمل قوله انه ليؤس في حال
ذهاب النعمة والكفور في حال النعمة والسعة كفور لما روي نزع ذلك المال والسعة منه جورا وظلما فهو
كفور وعن ابن عباس قال ولئن اذقنا الانسان يعني الكافر منا رحمة يقول نعمة العافية وسعة المال
وما يسر به ثم نزعناها منه انه ليؤس يعني قنوط ايس وانقطع من رحمة الله وهو كقوله واذا اذقنا الناس
رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن
ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الفرح هو الرضاء كقوله فرحوا بالحيوة الدنيا اي رضوا بها وقيل الفرح البطر
يبطل في حال السعة والرخاء كقوله ان الله لا يحب الفرحين والفرح قد يبلغ كفرا ويكون الفرح سرورا ولا يكون
كفرا فخور يفتخر على الفقراء بالمال الذي اعطاه ويفتخر على الانبياء والرسل بالتكذيب وكذلك كان عادة رؤسائهم
انهم كانوا ذوي مال وسعة فلا يرون الرسالة تكون فيمن دونهم في المال كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم وكقولهم نحن اكثر اموالا واولادا ونحوه ويحتمل قوله ليؤس في حال الشدة كفور بمعنى نعمة في الرخاء
واصله وذلك انهم كانوا لا ينظرون في النعم الى من انعم عليهم انما ينظرون الى اعين النعم وانفسها لذلك
حملهم نزع ما اعطوا منهم على الاياس والقنوط واعطاؤها اياهم على الكفران والفرح والفخر ولو نظروا في
تلك النعم الى المنعم لم يقع لهم اياس عند النزع ولا الكفران والفرح عند النيل بل يصبرون عند النزع من ايديهم
ويشكرون النعم عليهم في حال النيل ثم استثنى فقال الا الذين صبروا اذا امنوا على ما ذكر في غير واحد من الايات الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا ويكون قوله الا الذين صبروا عن المعاصي فلم
يرتكبوها وعملوا الصالحات اي الطاعات والاتيان نفسه هو اعتقاد الانتهاء من المعاصي كلها والانقياد من
جميع ما يلزم نقصا فيها واتيان الطاعات جميعا وهكذا يعتقد كل مؤمن ان يتقي وينتهي كل معصية وياتي بكل طاعة
ويعمل بها هذا اعتقاد كل مؤمن وحقيقة الوفاء ذلك كله وقوله عز وجل اولئك لهم مغفرة واجر كبير
يشبه ان يكون قوله لهم مغفرة لما ارتكبوا من الصغائر من الذنوب وانتهوا عن الكبائر منها واجر كبير على ما اتوا
وعملوا من الكبائر من الطاعات ويحتمل قوله لهم مغفرة الستر في الدنيا ستر عليهم تلك الذنوب في الدنيا لم
يطلع عليها الخلق واجر كبير بما اظهر منهم من كان من الطاعات والخيرات حتى نظر الناس اليهم بعين عظيم
بما اظهر منهم من الخيرات وخفي عليهم بما ارتكبوا من المعاصي وهذا التاويل يكون في الدنيا والاول في الاخرة وقوله
عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك حرف لعل يحتمل وجهين يحتمل على النهي اي لا تترك بعض ما يوحى اليك
وان كان معلوما انه لا يترك كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وامثاله وان كان معلوما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذلك وانما احتمل النهي كما يقال الرجل لاخر لعلك تريد ان تفعل
فنهيا عن ذلك والثاني يقال عند العرب الى الفعل والدنو منه كقوله لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
يقال حرف كاد عند الميل اليه والقرب منه طمعا منه في ايمانهم ذلك فيما يجعل له الترك وذلك ما قيل من
عن سب المتهم وذكر العيب فيما يجعل لترك سب الهتهم وشتمها وكذلك يخرج قوله لعلك باخع نفسك
على هذين الوجهين على المنع ان لا يحمل على نفسه اشفاقا على انفسهم ان لا يؤمنوا ما يوجب تلفه والثاني
على التخفيف كقوله ولا تحزن عليهم الاية ولا تخاف ولا تحزن هو على التخفيف ليس على النهي وفي قوله فلعلك
تارك الاية وجه التخبر والوجه اخر وهو انما يخرج مخرج البشارة مما كان يخاف من ضيق صدره واشتغال
قلبه عند سوء معاملتهم اياه فيقع له فيه ابلاغ ما امر بتبليغه فامنه الله عن ذلك وعصمه الوجه الثاني
في النهي عن ذلك هو ما يقع له فيه الرجاء وذلك ان الاخبار اذا ابتلوا بالاشرار قد يؤذن له في حال من
الاحوال بتاخير التبليغ فايسه عن ذلك وكلفه بتبليغ ما امر له في جميع احواله وبعض ما يوحى اليك
يحتمل ما ذكر اهل التاويل من سب الهتهم وعيبها وما تدعوا اليه وقوله عز وجل وضائق به صدرك يضيق
صدره بما يقولون له استهزاء وكذلك الحق ان كل من استهزاء به ان يضيق صدره او يضيق صدره
لما لا يقدر على اتيان ما طلبوا منه من الملك وانزال الملك وقد وعدوا ان يؤمنوا لو فعل والله اعلم وقوله
عز وجل لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك لان الكنز والملك محل في قلوب اولئك وقد رفعا لو
لولا انزل عليه كنز فيعظمونه فيصدق في ما يوحي ويدعي وكذلك الملك له محل عظيم عندهم اذا كان معه
عظموه وصدقوه وقوله عز وجل انما انت نذير على اثر قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك
اي انما انت نذير ليس عليك اتيان ما سالوا انما ذلك تحكم منهم على الله وانما في فعليك ابلاغ ما انزل

اليك كقوله ان عليك الا البلاغ والله على كل شئ وكيل اى حفيظ لكل ما يقولون فيك ويتقولون له او
هو الوكيل والحفيظ لا انت كقوله لست عليهم بمسيطر وقوله وما انت عليهم بوكيل ونحوه والله اعلم وقوله
عز وجل ام يقولون افتراه اى قالوا انه افتراه اى محمد افترى هذا القران من عند نفسه قل يا محمد ان
كان افترى به على ما تقولون فاتوا انتم بعشر سور مثله مفتريات لانكم اقدر على الافتراء من محمد لانكم
تعودتم انفسكم الكذب والافتراء ومحمد لم تاخذوه بكذب قط ولا ظهر منه افتراء فمن عود نفسه الافتراء
والكذب اقدر عليه ممن لم يعرف قط فاتوا بعشر سور مثله وادعوا ايضا شهداءكم من الجن والانس
من استطعتم من دون الله يعينونكم على اتيان مثله ان كنتم صادقين انه افتراه من عنده او يقول فاتوا
بعشر سور مثله مفتريات اى ان محمدا قد جاء بسور فيه انباء ما اسررتم واخفيتم ما لا سبيل الى معرفة
ذلك والاطلاع عليه الا من جهة الوحي من السماء واطلاع الله اياه فاتوا انتم بسورة مفتراة فيها
انباء ما اضمر هو واسر وتطلعون انتم على سرائره اطلع هو على سرائركم وادعوا من استطعتم من تعبدون
من دون الله من الهة ان كنتم صادقين انه افتراه او يقول ان لسانكم مثل لسان محمد فان قدر هو على
الافتراء افتراء مثله من عنده فتقدرون انتم على الافتراء ومثله فاتوا به وادعوا ايضا ممن لسانه
مثل لسانكم حتى يعينوكم على ذلك ان كنتم صادقين انه افتراه والله اعلم وقوله عز وجل فاتوا بعشر سور
مثله مفتريات وقال في موضع اخر فاتوا بسورة من مثله قال بعضهم بعشر نزل قبل ولم يقدروا
على مثله وقوله فاتوا بسورة من مثله دعوا اولا ان ياتوا بعشر سور فلما عجزوا عن ذلك عند ذلك قيل
لهم ايتوا بسورة من مثله وقوله بعشر سور مفتريات فان قيل كيف ذكر فاتوا بسورة مفتريات
قيل معناه ان كان هذا يحتمل الافتراء على ما تزعمون فاتوا بمثله انتم لانكم اقدر على الافتراء من محمد فان
تقدروا ولم يقدر احد على ذلك وقوله عز وجل فان لم يستجيبوا لكم ان فاتوا تقدروا انتم ولم يجيبوكم
اولئك على الاعانة على الاتيان بمثله فاعلموا انما انزل بعلم الله وبامره اياه ومن عنده نزل ليس
بمفترى على ما تزعمون وان لا اله الا الله لا الوهية لمن تعبدون دونه من الاصنام والاوثان والثاني
فان لم يستجيبوا لكم باصحاب رسول الله ولم يقدروا على مثله فاعلموا انتم انما انزل بعلم الله ومن عنده
نزل على التنبيه والتذكير لهم وان كانوا علموا انه من عنده نزل كقوله فاعلم انه لا اله الا الله على التنبيه
والتذكير ليس على انه يعلم بغلى ذلك الاول وقوله عز وجل فهل انتم مسلمون خاضعين له مخلصون
وعلى التاويل الاول على حقيقة الاسلام والايمان والله اعلم وقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها الاية اختلف فيه قال بعضهم الاية في اهل الايمان والذين اعملوا الصالحات مرادت للخلق
يقولون اليهم اعمالهم فيها من الذكر فيها والشرف وما طلبوا باعمالهم في الدنيا من المباحات وغيره
اتاه الله في الدنيا جزاء لتلك الاعمال التي عملوها وبطل ما كانوا يعملون لانهم عملوا لغير الله فلا يجزون
في الاخرة باعمالهم تلك والى هذا ذهب ابن عباس وروى في بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل ما بال العبد المعروف بالخير يشدد عليه عند الموت والرجل المعروف بالشر يهون عليه الموت فقال
المومن تكون له ذنوب فيجازى بها عند موته فيمضي الى الله في الاخرة ولا ذنب عليه والكافر يكون له الحسنات
فيجازى عند الموت يخفف عنه كرب الموت ثم يمضي الى الاخرة وليست له حسنة او نحوه وقال بعضهم الاية
في اهل الكفر يعملون اعمالا في الظاهر صالحة نحو الصدقة على الفقراء وعمارات الطرق واتخاذ القناطر
والرباطات هي في الظاهر صالحة يقول نوف لهم جزاء اعمالهم التي عملوها في الدنيا لا ننقص منها شيئا فهو
ما وسع عليهم الدنيا وجائز ان يكون قوله نوف اليهم اعمالهم التي عملوها فلا يقبلوها ويكون ابقاء اعمالهم
الرد وقوله عز وجل وهم فيها لا يبخسون اى لا ينقصون ما قدر لهم من الرزق الى انقضاء مدتهم واجالهم
بشركهم بالله وقوله عز وجل اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار على هذا التاويل وعلى التاويل الذي
قال انها في اهل الايمان اى لا يستوجبون بتلك الاعمال التي عملوها الا النار لانه اذا راى فيها لم يخلصها
لله وضيع امر الله وكل من ضيع امر الله وترجعنه يستوجب التعذيب عليه ولله العفو ليس في الاية انه لا محالة
يعذبهم بعلمهم المرات والله اعلم وقوله عز وجل فاعلموا انما انزل بعلم الله فيه دلالة نقض قول الجهمية
والمعتزلة بنفيهم العلم عن الله وفي الاية اثبات العلم له بقوله انزل بعلم الله وقوله عز وجل افمن كان على
بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قوله افمن حرف يقتضي الجواب لكن لم يخرج في الظاهر الجواب انه يقول افمن

كان

كان على بينة من ربه كمن ليس على بينة من ربه كما قال في اية اخرى افمن كان يخلق كمن لا يخلق وكقوله افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك كمن هو اعمى لا يعلم فعلى ذلك الجواب قوله افمن كان على بينة من ربه كمن لا يكون على
بينة من ربه لكن الجواب عندنا يكون على وجوه مرة يكون بالتصريح وهو ما ذكرنا ومرة بالاشارة ومرة بالكناية
على غير تصريح ثم منهم من يجعل جوابه ما تقدم وهو قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية اى لا يكون
كذلك ومنهم من يجعل جوابه فيما تاخر وهو قوله ومن يكفر به من الاحزاب كانه يقول افمن كان على بينة
من ربه كمن يكفر به الاحزاب اى يجحد لا يكون كذلك وقالوا لا يجوز تقدير الجواب وتاخيره كقوله افمن هو
قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه لم يخرج لهذا ايضا جواب التصريح ثم اختلفوا
في جوابه قال بعضهم جوابه فيما تاخر في قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ام من هو قانت
وصف الذين يعلمون فكانه يقول افمن يعلم كمن لا يعلم ومنهم من يجعل جوابه في قوله واذا مس الانسان ضر دعا
ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل
تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار يقول من جعل لله اندادا واضل عن سبيله وصار من اصحاب النار
كمن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما اى ليسا بسواء وقال مقاتل ليس الذي على بيان من ربه كالذي موعده
النار والله اعلم وجائز ان يكون على طرح الالف فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب
موسى الاية يقول فمن كان على بيان من ربه اولئك يومنون به قوله بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قال
بعضهم دين من ربه اى من كان على دين من الله ويتلوه شاهد منه يتلو ما هو عليه من الدين شاهد منه
كمن كان على دين الشيطان ولا شاهد له عليه وقال بعضهم قوله يتلوه شاهد منه جبريل او ملك غيره يتلو
عليه القران وقال بعضهم يتلوه شاهد منه هو القران ونحوه ثم قوله افمن كان على بينة من ربه يحتمل اصحاب
عيسى الذين امنوا به من قبله كتاب موسى اصحاب التورية الذين امنوا به اولئك يومنون به اى هولاء
الذين امنوا بهولاء هم الذين يومنون بمحمد عليه افضل الصلوات ولما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
عز وجل ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة قيل فيه بوجوه قيل ومن قبل القران كتاب موسى جاء به
جبريل الى موسى كما جاء بهذا القران اماما يقتدى به ورحمة من العذاب لهم ويحتمل قوله ومن قبله يعني
قبل القران كتاب موسى التورية اماما فيها انباء هذا القران وانباء محمد انه رسول كقوله يجدونه مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل وقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وامثاله ويحتمل قوله اماما ورحمة وعن ابن
عباس رضي الله عنه قال اماما ورحمة كان كتاب موسى وهو التورية اماما يقتدى به وكان رحمة اولئك
يومنون به قال اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين امنوا به من اهل الكتاب وغيرهم ويحتمل قوله اولئك
يومنون به اى موسى اهل التورية يومنون بالقران ويقرون به لا امنوا بالتورية واقروا بها وقوله
عز وجل ومن يكفر به اى بالقران من الاحزاب الاحزاب الفرق والاصناف فيحتمل من يكفر به اى بالقران من
الفرق ويحتمل يكفر به اى بمحمد ويحتمل الدين الذي هو عليه ويدعوهم اليه والنار موعده ان مات على ذلك
واما اذا اسلم ومات على الاسلام فلا يكون النار موعده وقوله عز وجل فلا تك في مرية منه يحتمل في
قوله الوجوه الثلاثة الذي ذكرنا من الدين والقران والنبي يحتمل هو نفسه ويحتمل الخطاب غيره لما
ذكرنا في قوله فلا تكونن من الممترين فلا تكونن من المشركين فلا تكونن من الجاهلين وامثاله فكذلك هذا
وقد ذكرنا ان العصمة لا تزيل النهي والامر بل تزيدها لان بالعصمة يظهر موافقة الامر ومخالفة النهي
والمحظور وقوله عز وجل انه الحق من ربك يحتمل القران ويحتمل الدين الذي عليه ويدعوهم اليه ويحتمل
هو نفسه الحق من ربه ولكن اكثر الناس لا يومنون وقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
هو ما ذكرنا ان لا احد اظلم على نفسه ممن اخذ نفسه من معبوده وشغلها في عبادة من لا يملك له نفعا
ان عبده ولا ضرا ان ترك عبادته او يقول لا احد اظلم على نفسه ممن القى نفسه الظاهرة في عذاب الله
ونفسه ابدا بافترائه على الله وبالله العصمة والقوة وفي التاويل لا احد اظلم على نفسه ممن افترى على
الله كذبا وفي المعنى لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله كذبا بعد معرفته ان جميع ما له من الله وقوله
عز وجل اولئك يعرضون على ربهم اى اولئك الذين تعرض اعمالهم على انفسهم عند ربهم فان وافقت اعمالهم
ما في شهادة خلقتهم ادخلوا الجنة وان خالفت اعمالهم شهادة خلقتهم ادخلوا النار وتعرض على انفسهم
عند ربهم لان الله عز وجل عالم بما كان منهم من الاعمال والاقوال على ربهم اى عند ربهم كقوله ولو ترى

از وقفوا على ربهم اى عند ربهم وتاويله ماذكرنا يعرضون على ربهم لا نفسهم لانهم انما يوصفون ويثنون
ويمجنون لا نفسهم ولمنفعة انفسهم فيكون عرضهم لهم او ان يكون قوله اولئك يعرضون على ما وعد
ربهم وتاويله ماذكرنا يعرضون على ما فى الدنيا او يقول اولئك يعرضون لا نفسهم على ربهم من غير شئ
كان منه والله اعلم وقوله عز وجل ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم اختلف فيه قيل الا
الرسل والانبياء وقال بعضهم الاشهاد الملائكة وقال بعضهم الاشهاد المؤمنون فمن قال هم الانبياء و
والمؤمنون فمن قال هم الانبياء والمؤمنون فهو قوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا وكقوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ومن قال الملائكة كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد وقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين الاية ونحوه ومعناه والله اعلم ان قوله يعرض اعمالهم
واقوالهم على انفسهم فان اقروا بها بعثوا الى النار وان انكروا يشهد عليهم ماذكر من الشهداء فان
انكروا يقال له اقرأ كتابك الاية فان انكروا ذلك فعند ذلك تشهد عليهم جوارحهم كقوله يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية ويحتمل ان تكون الملائكة تنادى فى ملاء الارض الخلق قبل
ان يدخلوا النار هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويحتمل ماذكر فى شهادة الذين كانوا موكلين بكتابة اعمالهم
واقوالهم يخبرون بما كتبوا فى الكتب وقوله عز وجل الا لعنة الله على الظالمين اللعنة قال بعضهم
هى الطرد من جميع المنافع والابعاد عن رحمة الله فى الدنيا وفى الاخرة من ثوابه وقال بعضهم اللعنة
هى العذاب وقوله عز وجل الذين يصدون عن سبيل الله يصدون يحتمل وجهين اذا عرضوا بانفسهم
عن دين الله ويحتمل صرف الناس عن دين الله لكنه تبين ذلك بالمصدر انه اراد اذا او اذا يقال فى الاعراض
بنفسه صد يصد صدودا كقوله يصدون عنك صدودا ويقال فى صرف غيره صد يصد صدا وقوله عز وجل
ويبغونها عوجا قال بعضهم بغاة على دين الله بالجور وقال بعضهم يبغون من العناء الميل عن دين الله
الى دينهم فذلك هذا يبغى العوج كل سبيل غير سبيل الله فهو عوج ويبغى كانه قال يبغون سبيلا غير سبيل
الله وهم بالاخرة هم كافرون فى الدنيا وقوله عز وجل اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض اى اولئك لم يكونوا
معجزى الله فى الدنيا من ان يعذبهم وينتقم منهم انشاء والثانى اولئك لم يكونوا سابقى الله فى الاخرة
فى دفع العذاب عن انفسهم وجائز ان يكون الاية فى الائمة منهم والجبابرة يخبر انهم غير معجزين الله
فيما يريد منهم من التعذيب لهم وقوله عز وجل وما كان لهم من الله من اولياء هم حسبوا ان اولئك الذين
عبدوا دون الله يكون لهم اولياء لانهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى كانوا يطمعون فى شفاء الاصنام التى كانوا يعبدونها والذين اتبعوهم يكونون لهم اولياء
فاخبر ان ليس لهم اولياء على ما ظنوا وحسبوا بل يكونون لهم اعداء كقوله واذا حشر الناس كانوا لهم
اعداء الاية وامثاله كثير وكقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وكقوله و
اتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا اى لم يكن لهم ما طمعوا وقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون
عليهم ضدا صاروا لهم اعداء على ما ذكر ويحتمل ما كان لهم من اولياء دون الله من اولياء اى لا
ينفعهم ولاية من اتخذوا اولياء كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين ونحوه وقوله عز وجل يضاعف
لهم العذاب هذا يدل على ان قوله الذين يصدون عن سبيل الله فى الائمة الذين صرفوا الناس عن دين
دين الله لانه اخبر انه يضاعف لهم العذاب وهو يحتمل وجهين احدهما ما ضلوا هم بانفسهم والاخر
ما صرفوا الناس عن دين الله وقوله عز وجل وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال
المعتزلة فيه لوجهين احدهما انهم كانوا يسمعون ويبصرون لكنه قالوا لا يستطيعون السمع ولا
يبصرون استثقالا منهم لذلك وهو كما يقول ما استطيع ان انظر الى فلان واسمع كلامه وهو ناظر اليه
سامع كلامه لكنه يقول ذلك لاستثقاله النظر اليه وسماع كلامه فعلى ذلك الاول كانوا يسمعون
ويبصرون لكنهم كانوا يستثقلون السمع والنظر اليهم فنفى عنهم ذلك والثانى كانوا لا يستطيعون
السمع اى كانوا كانهم لا يستطيعون السمع ولا النظر وهو ما اخبر انهم صم بكم عمى كانوا [illegible] موتى
وسقاما عن الحق واما عندنا الجواب للتاويل الاول انهم كانوا لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
السماع سمع الرحمة والنظر اليه بعين الرحمة والقبول فهم من ذلك الوجه كانوا لا يستطيعون والثانى
يحتمل سمع القلب وبصر القلب وهم كانوا لا يستطيعون السمع سمع القلب وبصر القلب كقوله فانها لا تعمى

الابصار

الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وهذه الاستطاعة عندنا هى استطاعة الفعل لا استطاعة الاحوال
اذا جوارحهم كانت سليمة صحيحة قال انها الاستطاعة التى بها تكون الفعل لما ذكرنا وفى حرف ابن مسعود
رضى الله عنه يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ثم سئل الحسن عن ذلك فقال هو قول الله
الذى كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا اذا سمعوا الوحى تفتغوا فى ثيابهم فلم يستمعوا
احتمال ذلك وفى حرف حفصة وما كانوا يستطيعون السمع بالواو واما حرف ابن مسعود فظاهر تاويله
اى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلم يسمعوا عنادا واسطا واصله ما كانوا يستطيعون
السمع المكتسب والبصر المكتسب عندنا وما ذكر من السمع والبصر هو السمع المكتسب والبصر المكتسب والحيوة
المكتسبة لان سمع الاخرة وحيوتها مكتسبا وحيوة الدنيا والسمع والبصر مخلوقة وقوله عز وجل اولئك
الذين خسروا انفسهم فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا عبادتهم غير معبود وهم الذى كان منه جميع النعم والثنا
وما لحقهم بذلك من الذل والصغار واما فى الاخرة فالعذاب والهوان الدائم بدلا عن النعم الدائمة وضل
عنهم اى بطل عنهم ما كانوا يفترون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الاية وامثاله وقوله
عز وجل لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون قال ابو عوسجة لا جرم واجب من الكلام اى حق انهم فى الاخرة
الاخسرون وقال بعضهم لا جرم اى نعم انهم فى الاخرة هم الاخسرون وقال الفراء قوله لا جرم اى لا بد
ولكن الناس اكثر واستعماله فصار حقا وفهم حقا ولا بد فى الحقيقة حقا لانه اذا كان لا بد فهو حق
وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة تاويله والله اعلم
ان الذين امنوا بالله وبجميع ما انزل على رسوله وعملوا الصالحات ولزموا ذلك حتى صاروا الى الله اولئك
اصحاب الجنة وهو كقوله وانى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى اى من تاب من الشرك وامن
بالله وعمل صالحا ثم اهتدى اى ثم لزم ذلك حتى صار الى الله هكذا فعلى ذلك قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم لزموا ذلك كله حتى صاروا الى الله ويحتمل قوله ثم اهتدى سنن الذين اولئك كذا وقوله
عز وجل واخبتوا الى ربهم اختلف فيه قال بعضهم الاخبات الخشوع والتواضع اى تخشعوا وتواضعوا لربهم
من ربهم وقال بعضهم اخبتوا اى اطمانوا على ذلك اولئك كذا وعن ابن عباس رضى الله عنه اخبتوا قال خافوا
من ربهم وقال القتبى اخبتوا اى تواضعوا لربهم وقال الاخبات التواضع والوقار وقال ابو عوسجة الاخبات
التوبة والمخبت التائب وقال غيرهم الاخبات الانابة اخبتوا اى انابوا الى الله وبعضه قريب من بعض
ومن قال الاخبات التواضع والخشوع بمعناه والله اعلم اى تواضعوا وخشعوا بالاجابة الى ما دعاهم اليه
ايهم وندبهم اليه وقوله عز وجل مثل الفريقين الصنفين الذين سبق وصفهما وكقوله من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها الاية فهو وصف الكافر والفريق الاخر قوله افمن كان على بينة من ربه الى اخر ما ذكر وفيه
وصف المؤمن اولكونه وصف الكافر ما ذكر ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم الى اخر
ومثل منهم ما كانوا يفترون هو وصف احد الفريقين وهم الكفار والفريق الاخر ما ذكر ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم هذا والله اعلم الفريقين الذين ضرب مثلهما بالاعمى والبصير والسميع
فهو والله اعلم ان الكافر اعمى القلب واصم السمع لم يبصر ما غاب عنه من الموعود وانما ابصر ظواهر
الامر وكذلك انما سمع ظواهر الامور وبادئها لم ينظروا الى الغائب والموعود ولا سمع ذلك وهو لم يخلق
لمعرفة ذلك الظواهر خاصة انما خلق لما وعد واوعد فى الغائب والمؤمن ابصر ذلك الغائب وسمع ما
غاب من الموعود فيقول كما يستوى عندكم فى الظاهر البصير والاعمى والسميع والاصم لا يستوى من كان اعمى القلب
بما كان يبصر القلب بذلك ولم يستويا مثلا من به صمم القلب بمن كان سميعا بذلك افلا تذكرون انهما لا يستويا
او يقولون افلا تذكرون اى افلا تتعظون بما نزل من القران وتنتهون والله اعلم وفى قوله مثل الفريقين
كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وجوه من الاسولة احدها ان يقال كيف
احتج عليهم وهو ما ذكر انهم عميان وصم او كالعميان والصم ولا يكلف الاعمى الابصار والنظر ولا الصم
السماع والثانى يقولون انا بصراء سمعاء وليس بنا صمم ولا عمى بل انتم العميان والصم والثالث كيف ذكر
المثل لهم وهم لا يتفكرون ولا ينظرون فى المثل ولا يلتفتون اليه اما جواب الاول بانه احتج عليهم لانهم تركوا
اكتساب بصر الاخرة وسمع سماع الاخرة فنفى عنهم السمع والبصر والحيوة لانه يصير المخلوق يكتسب بصرا
فى الدين وسمعا فى امر الدين وحيوة الدين فيصير بذلك مكتسب الحيوة الدائمة والبصر الدائم فيكون نفع

لا جرة بصراء سمعاء احياء كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم والثانى نفى عنهم هذه الحواس لانهم
لم ينتفعوا بها لان هذه الحواس انما انشات لهم وخلقت لينتفعوا بها وهو المقصود بانشائها فاذا تركوا الانتفاع
الانتفاع بها كانها ليست لهم واما جواب ما قالوا انا بصراء وسمعاء وانتم العميان والصم فيقال لهم
ان اهل الاسلام اذا سمعوا ذلك قد اشتغلوا بالتفكر فيها وفرغ اسماعهم من الايات والنظر فيها وانتم
لا بل تعاموا عنها وتصاموا فدل تفكرهم ونظرهم فيها على انهم بصراء وسمعاء واحياء وانتم يا اهل
الكفر العميان والصم والاموات والثانى ان هذه الايات انما نزلت فى محاجة اهل مكة وهم قد علموا
ان اباءهم لم يكونوا اصحاب كتاب ولا علماء فلم يكونوا ما ذكر بصراء ولا احياء ولا سمعاء فصار وصفهما بتلك
الصفتين
امرا نافيا لا احد الفريقين لا محالة بما ذكر نحن اوهم ثم قد استووا فى هذه الدنيا وفى العقل والحكمة
بينهما فدل انهم بما ذكر اولى واما جواب ذكر المثل لهم على علم منهم انهم لا يقبلون المثل ولا ينظرون
بانه انما ذكر لاهل الاسلام ولان ذكر المثل به ربما يبعثهم على النظر فيه والتفكر وقوله عز وجل ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه اخبر انه ارسله الى قومه فلم يفهم منه الارسال من مكان الى مكان وكذلك قوله
لقد جاءكم رسول من انفسكم ولم يكن مجيئه من مكان الى مكان فهذا يدل انه لا يفهم من ذكر المجئ الانتقال
من مكان الى مكان وكذلك الارسال وقوله عز وجل انى لكم منه نذير مبين اى نذير لمن عصا بالنار و
بعثا به بين الانذار وقوله عز وجل الا تعبدوا اى لا تجعلوا عبادتكم الا لمعبود هو معبود بشهادة خلقتكم
تشهد على انه هو المستحق للعبادة لا من تعبدون من الاصنام والاوثان ويحتمل قوله الا تعبدوا الا
الله اى وحدوا الله ولا تصرفوا الالوهية الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل انى اخاف عليكم عذاب
يوم اليم اضاف الالم الى اليوم واليوم ليس بمؤلم لكنه والله اعلم اضاف اليه لما فيه يؤلم وكقوله
وجعل الليل لتسكنوا ساكنا والليل لا يسكن ولا يوصف لكنه يسكن فيه وكذلك قال والنهار مبصرا
والنهار لا يبصر لكنه يبصر فيه فعلى ذلك قوله يوم اليم لما فيه يكون العذاب الاليم وقوله عز وجل
انى اخاف عليهم اى الخوف فى غيره لا يكون فى الحقيقة خوفا وكذلك الرجاء وفى غيره لا يكون فى الحقيقة
رجاء وفى نفسه يكون فى الحقيقة خوفا ورجاء يلحقه ضرر فى نفسه ان جعل به ذلك لغيره ويلحقه
نفع فيكون الخوف فى نفسه حقيقة خوف والرجاء حقيقة رجاء واما فى غيره لما لا يلحقه ضرر وان
حل ذلك لغيره ولا ينال من النفع فى الرجاء ان نال ذلك الغير لكنه يخرج على وجهين احدهما على العلم
اى انى اعلم انه ينزل بكم العذاب نحو قوله وان خفتم شقاق بينهما اى علمتم وقوله فان خفتم الا تقيما
حدود الله اى فان علمتم ان يقيما حدود الله والثانى يخاف عليكم اشفاقا فانه لان الخلق جبلوا على
ان يتالم بالم يحل بغيره حتى لا يكون فى وسع بعض ان يرى ذلك فى غيره على هذين الوجهين يخرج الخوف
على غيره وفى الخوف رجاء وفى الرجاء خوف ان الخوف اذا لم يكن فيه رجاء فهو اياس وقال الله
عز وجل انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء اذا لم يكن فيه خوف فهو امن وقال
ولا يامن مكر الله الا كذا وقوله عز وجل فقال الملاء الذين كفروا من قومه قيل اشراف قومه والمتهم
ما نراك الا بشرا مثلنا وكذلك قال عامة القوم لرسلهم الذين بعثوا اليهم ما انتم الا بشر مثلنا كان
هذا احتجاجهم فى رد الرسالة يحتجون على الرسل فيقولون والله اعلم ان الرسل فى الشاهد انما يجيئون
من عند الرسل انما نشاهد من بين اظهرنا لم تاتونا من احد فى الظاهر والرسول هو الذى ياتى من عند
غير ويكون للرسل خصوصية عند المرسل ولا نرى لك خصوصية لا فى الخلقة ولا فى العدة والمال
وغيره فكيف بعثه الينا رسلا دون ان نبعث نحن اليكم رسلا اذ انتم ونحن فى الخلقة سواء وفى الامور
الظاهرة سواء او عجزه من الكلام واحتجوا على رسلهم فى رد الرسالة وكذلك كان عادة الكفرة
يقولون للرسل اذا الزمتهم الحجة واثبتم عليهم لنسبوها الى السحر ونسبوا الرسل انهم بشر مثلهم وجواب
هذا كله ما ذكر انا نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما قال لهم يا قوم ان كنتم
ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى رحمة من عنده وجعل لى بينة وبرهانا على ما اتاكم فى رحمة
من عنده بمثل هذا يحتج عليهم ويقال ايضا انكم لا تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على بعض لما جعلكم
ائمة ورؤساء باموال الدنيا على غيرهم فكيف تنكرون فضل الله وتخصيص على بعض بفضل الدين
والرسالة وقوله عز وجل ما نراك اتبعك الا الذين اراذلنا بادى الراى احتجوا ايضا فى رد الرسالة

يقولون الاراذل هم اتباع لكل من دعاهم واهل طاعة لكل متبوع فليس فى اتباع الاراذل اياك والضعفاء
دلالة ثبوت رسالتك اذ هم يتبعون بلا دليل ولا حجة وهم تبع واتباع لغير ولم يتبعك احد من الاجلة
لكن يقال ان هؤلاء الاراذل لما اتبعوا الرسل ولم يتبعوا الائمة والرؤساء الذين معهم الاموال والدنيا
ولم يكن فى ايدى الرسل ذلك ثم تركوا اتباع اولئك وما فى ايديهم وما يدعوهم اليه واتبعوا الرسل دل انهم
انما اتبعوا بالحجة والبرهان التى اقاموها عليهم اوكذا والاراذل قيل هم السفلة والضعفاء وقال
القتبى اراذلنا شرارنا وبادى الراى وقال بعضهم ظاهر الراى من قولك بدا لى ما كان خفيا وقال بعضهم
بادى الراى حقيقة الراى لا يعرفون حقايق الامور انما يعرفون ظواهرها كانهم يقولون انما اتبعك من
كان حقيقة الراى وباديه لم يتبعوك من يعرف حقايق الامور والاصول وقد قرئ بادى الراى بالهمزة
وقد قرئ بغير همزة ومن قرئ بالهمزة فهو من الابتداء اى فى اول الراى وابتدائه لا ينظر فى عواقب الامر
ومن قرئ بغير همزة فهو من الظهور اى ظاهر بالراى على تفكر ونظر فيه وقوله عز وجل وما نرى لكم
علينا من فضل الاية يحتمل هذا اى فضلا فى الحقيقة او فى ملك او مال ولا فى شئ ولكن جواب هذا ما سبق
وقوله عز وجل بل نظنكم كاذبين هكذا كانت عادة الكفرة يردون دلالات الرسل والحجج بالظن لم يردوا
بحقيقة ظهرت وقوله عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى اى على بيان من ربى او على حجة
من ربى وبرهان نبيا اتانى من رحمته والرحمة يحتمل النبوة لانهم كانوا ينكرون رسالته لما انه بشر مثلهم
فكيف خص هو بها دونهم وهو مثلهم فيقول واتانى رحمة اى النبوة واتانى ايضا على ذلك بينة وحجة
ويحتمل الرحمة الدين الذى كان يدعوهم اليه والله اعلم وقوله عز وجل فعميت عليكم قرئ بالتخفيف والتشديد اى
لبثت او التبس عليكم حيث اعرضتم عنه ومن قرئ بالتشديد عميت عليكم يرجع الى الاتباع والسفلة اى عميت
عليهم القادة والرؤساء منهم ولبثت وعميت بالتخفيف اى التبس وعمى على القادة والرؤساء وقوله
عز وجل انلزمكموها اى انوجبها عليكم وهى التى ذكر انه اتاه اياه البينة التى ذكر اينا والدين الذى
كان يدعوهم اليه اى لا نوجبها عليكم ولا نلزمها وانتم لها كارهون بلا حجة ولا برهان انتم لها
كارهون اى انلزمها لكم بلا حجة شئتم او ابيتم ولكن بحجة وفيه ان الدين لا يقبل بالكراه وقوله عز وجل
ويا قوم لا اسالكم عليه مالا اى على تبليغ الرسالة اليكم او على اقامة الحجة على ما ادعى من الرسالة او على الذى
الذى يدعوهم اليه اى لا اسالكم على ذلك اجرا فاذا تعرضون عما ادعوكم اليه واحتج عليكم ليكون
لكم الاحتجاج او الاحتجاج او الاعتذار وكذلك قوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اى لا انسان
على ما ابلغه اليكم وندعوكم اليه فيمنعكم ثقل ذلك الغرم اجابتكم اياه فعلى ذلك الاول ذكر هذا لان ما يلحق
الانسان من الثقل وانما يمنعه عن الاذعان بالحق والاقبال اليه والقيام بوفائه او يمنع ذلك ما لا يتبين
له الحق لئلا يكون لهم الاحتجاج والاعتذار عند الله وان لم يكن لهم حجة وكقوله لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل ليس على انه اذا سالهم على ذلك اجرا يكون لهم عذر فى رد ذلك ونزلت الاية له ان الله ان
يكلفهم الاجابة والطاعة له بالمال وبغير المال والثانى يقوله لا اسالكم على ما ادعوكم اليه وابلغه
اليكم مالا يمنع حاجتى وقلة مالى فيقع عندكم انى ادعوكم اليه غنيه فيما ايديكم من الاموال والمنفعة نفسى بل
انما ادعوكم الى ما ادعوكم اليه لمنفعة انفسكم وقوله عز وجل ان اجرى الا على الله اى ما اجرى الا على
الله فى ذلك ليس عليكم وقوله عز وجل وما انا بطارد الذين امنوا فيه دلالة كانهم كانوا ساءلوا رسول الله
ان يتخذ لهم مجلسا على حدة ويفردهم ذلك دون الاراذل والضعفاء الذين اتبعوه ويطرد الضعفاء
وهو كقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الاية وقال اهل التاويل وما انا بطارد الذين
امنوا اى ما انا بالذى لا اقبل الايمان من الاراذل والضعفاء عندكم لقولهم حيث قالوا وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا بادى الراى لانهم كانوا يقولون اتبعك الاراذل ظاهرا واما فى الباطن فليسوا على
ذلك ولذلك قال ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم يعنى ما فى قلوب
السفلة فيقول ما انا بطارد الذين امنوا ظاهرا والله اعلم بما فى قلوبهم وقوله عز وجل انهم ملاقوا ربهم
يحتمل وجهين اى ملاقوا ربهم فيشكون منى اليه فى رد ايمانهم ويخاصمونى فى ذلك ويطالبونى فى طرد
ايمانهم والثانى انهم ملاقوا ربهم ظاهرا كان ايمانهم او باطنا اى فى اى حالهم ملاقوا ربهم يجزيهم
بما هم عليه كقوله ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون وقوله عز وجل ويا قوم من ينصرنى من الله ان

اى من يخزى من عذاب الله انا ان ابطل دينهم على ما تدعوننى اليه او من يخزى من عذاب الله انا اعتقادكا اقبل منكم ايا
افلا تذكرون انه لا يبيح لى ما تدعوننى اليه من طرد هؤلاء او رد ايمانهم او افلا تذكرون فتؤمنون وما
فى حرف ابى بن كعب انلزمكموها من شطر انفسنا فمعناه انلزمكموها من انفسنا وانتم قوم معاندون وفى حرف ابن
عباس انلزمكموها من شطر انفسنا اى من تلقاء انفسنا اى لا نقدر ان نلزمكم ذلك من تلقاء انفسنا وانتم
كارهون لذلك وقوله عز وجل ولا اقول لكم عندى خزائن الله يخرج على وجوه احدها يقول ليس عندى
خزائن الله واسعة فابذل لكم لتؤمنوا رغبة فى المال واسعة والثانى يقول ليس عندى سعة فيقع
عندكم انى ادعوكم الى ما ادعوكم اليه افتعالا رغبة فى المال على ما يفعل المفتعلون للرغبة فى المال ولكن
لتعلموا انى مكلف فى ذلك والثالث يحتمل ما ذكرنا من اسولة كانت منهم وقوله عز وجل ولا اقول لكم
عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك هذا القول منه لهم يحتمل الوجهين احدهما
انه قال لهم على اثر امور وسوالات كانت منهم قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وقولهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة وقولهم او
يكون لك بيت من زخرف وامثال ما كان منهم فيقول لهم ليس ذلك عندى وبيدى انما ذلك عند الله
وبيده ولا اعلم الغيب يحتمل ان يكونوا سألوه ان يخبرهم عن امور تستقبلهم قبل ان تستقبلهم ان
كان شرا فيعدوا له فى دفعه وان كان منافع فيستقبلوها ويتأهبوا فيقول لهم ذا غيب فانا لا اعلم الغيب
انما العلم فى ذلك الى الله ولا اقول انى ملك اعلم اخبار السماء والامور التى فيها انما انا بشر مثلكم وعن
ابن عباس رضى الله قال ولا اقول لكم عندى خزائن الله مفاتيح الله فى الرزق فهذى كانهم سألوه السعة
فيتبعوه فيقول ليس عندى ذلك ويحتمل ان يكون قال لهم الرسول هذا الدفع الشبهة عنهم وذلك
ان من الكفار من اتخذ الرسول الها فعبدوه بعد ما عاينوا انه من البشر ومنهم من قال انه ابن الله
ومنهم من قال انه ملك وكانوا يعبدون الملئكة وكانوا يخبرونهم عن الاشياء غابت عنهم فظنوا انه
انما علم ذلك لانه اله فيقول لهم ذلك ليدفع عنهم تلك الشبهة ويبرئه من ذلك وكذلك قال عيسى
انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا هو عليه السلام كان يعلم فى نفسه انه عبد الله ولكن
يقول لئلا ينسبوه الى الالوهية والربوبية على ما نسبوه اليه فاقر فى العبودية له والله اعلم بذلك وقال
بعض اهل التاويل لا اقول لكم عندى خزائن الله اى مفاتيح الله باهدى السفلة دونكم ولا اعلم الغيب
اى لا اقول ان عندى غيب ذلك ان الله يهديهم وهم مؤمنون فى السر وذلك كقوله وما علمى بما كانوا يعملون
وقوله الله اعلم بما فى انفسهم من الصدق ولا اقول انى ملك اى انما انا بشر لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا
الى آخر الاية ثم قال ولا اقول للذين تزدرى اعينكم يعنى الذين تحقره عيونكم يعنى السفلة والاتباع وقال ابن
عباس الذين لم تاخذهم اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا يعنى ايمانا الله اعلم بما فى انفسهم من الصدق انى اذا
لمن الظالمين لهم ان لم اقبل منهم الايمان او طردتهم والله اعلم عز وجل قالوا يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا قالوا ذلك لانه قد كان طال عمره وهو بين اظهرهم ويدعوهم الى الايمان فاكثر حجاجه
ويجادلهم اياهم فقالوا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وكان يعدهم العذاب ان لم
يجيبوه كقوله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم وما كان وعد لهم فى غيرها من القران ان لم يجيبوه فقالوا
ائتنا بما تعدنا من العذاب فقال انما يأتيكم به الله ان شاء اى ليس لى اتيان ذلك انما ذلك الى الله ان شاء
عجل وان شاء اخر الى ما بعد الموت وهو كقول رسول الله لقومه لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر
بينى وبينكم وقوله عز وجل وما انتم بمعجزين اى لا تعجزون الله ان تعذيبكم تفوتون عنه وقيل وما انتم
بسابقى باعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها وهو واحد والله اعلم وقوله ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح
لكم ان كان الله يريد ان يعذبكم تاويله والله اعلم لا ينفعكم دعائى الى ما يدعوكم ان كان الله يريد ان يغويكم
اى لا ينفعكم نصحى ان كان الله يريد ان يغويكم فى نار جهنم ويقول الغى العذاب كقوله فسوف يلقون
غيا اى عذاب جهنم ونحوه من الكلام وما عندنا فهو على ما اخبر ان كان الله يريد اغواء قوم ابدا
فهم فى الغواية واصله ان الله اراد غواية من فى علم انه يختار الغواية والضلال اختار عداوته ولا يجوز
ان يريد هو هداية من يعلم انه يختار عداوته لان ذلك يكون من الضعف ان يختار المرء ولاية من يختار
عداوته فدل انه لم يرد الهداية لمن علم منه اختيار الغواية والضلال ثم اضافة الاغواء والازاغة والاضلال

الى الله يخرج على وجهين احدهما انه يستثنى ذلك الفعل منهم غيا وزيغا وضلالا لا ان فعلهم فعل غواية وزيغ
والثانى انه خذلهم ولم يوفقهم ولم يرشدهم ولم يعصمهم ولا سددهم فمن ذا الوجه ليس فعله فعل الذم
عليه حتى يخرج بالاضافة اليه ومن الاضافة الى الخلق يكون على الذم لان فعلهم نفسه فعل الغواية
والضلال فاستوجبوا الذم عليه بذلك الاغواء من الخلق هو الدعاء الى ذلك والامر به فهو مذموم
يذمون على ذلك وليس على ذلك وليس من الله من الوجه ولكن على الوجهين الذين ذكرناهما وفى قوله
ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم دلالة تعليق الشرط على الشرط وقوله
عز وجل ام يقولون افتراه اى بل يقولون انه افتراه من عند نفسه قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برئ مما تجرمون
اختلف فيه قال بعضهم قال قوم نوح لنوح عليه السلام انه افترى على الله انه رسول اليهم من الله
على ما سبق من دعائه قومه الى دين الله فقالوا له انه افتراه وقال بعضهم هو قول قوم محمد صلى الله
عليه وسلم قالوا افترى محمد هذا القران من نفسه ليس هو من الله على ما يزعم وهو ما قال فى صدر السورة
وقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات الى اخر ما ذكر فعلى ذلك هذا هو قولهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه افترى هذا القران الذى يقول هو من عند الله من نفسه فقال قل ان
افتريته فعلى اجرامى وانا برئ مما تجرمون اى ان افتريته فعلى جزاء افترائى وجزاؤه وانا برئ مما تجرمون
معناه والله اعلم انكم لا تؤاخذون انتم بجرم افترائى ان افتريته وانا لا اؤاخذ باجرامكم كقوله فان تولوا
فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ما عليك من حسابهم من شئ فعلى ذلك اجرامى وامكن ان يكون
هذا القول لهم لما ايس من ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم لما ايس عن ايمانهم وانقطع طمعه ورجاؤه
عن اسلامهم قال لهم ذلك ان لا محاجة بيننا وبينكم بعد هذا والله اعلم وقوله عز وجل واوحى الى نوح
انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن قال بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بالهلاك ما دام
يرجو ويطمع من قومه الايمان فاذا ايس وانقطع رجاؤه فحينئذ دعا عليهم بالهلاك كقوله رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا اى انك ان تذرهم يضلوا عبادك الاية وحرف الاياس عن ايمانهم بقوله
واوحى الى نوح الاية وكذلك سائر الانبياء والرسل لم يؤذن لهم بالدعاء على قومهم بالهلاك والخروج
من بين اظهرهم ما داموا يرجون ويطمعون منهم الايمان والاجابة لهم اذا ايسوا وانقطع رجاؤهم وطمعهم
عن ذلك اذن لهم بالدعاء عليهم بالهلاك والخروج من بين اظهرهم وفى قوله لن يؤمن من قومك الا
من قد امن دلالة ان للايمان حكم التجدد والابتداء فى كل وقت وكل حال لانه اخبر انه الذى قد امن قد
يؤمن فى سائر الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادات التى ذكرت فى الايمان فزادتهم ايمانا ونحوه والله اعلم
وقوله عز وجل فلا تبتئس بما كانوا يفعلون قيل لا تحزن بما كانوا يفعلون فهو يحتمل وجهين احدهما لا تحزن
بكفرهم بالله وتكذيبهم اياك ليس على النهى عن الحزن فى ذلك ولكن على دفع الحزن عنه والتسلى به لان الانبياء
عليهم السلام كانوا يحزنون بكفر قومهم بالله وجعلهم انفسهم اعداء له كقوله لرسول الله لعلك باخع
نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وامثاله كان الانبياء عليهم السلام اشد الناس
حزنا بكفر قومهم بالله وتكذيبهم اياه واشدهم رغبة فى ايمانهم وكان حزنهم لم يكن على هلاكهم الا
ان نوحا دعا عليهم بالهلاك وكذلك سائر الانبياء عليهم السلام ان حزنهم كان لمكان كفرهم بالله
وتكذيبهم اياه لا لمكان هلاكهم اشفاقا على انفسهم والثانى قوله فلا تبتئس بما كانوا يفعلون يحتمل
انهم كانوا هموا بقتله والمكر به فقال لا تحزن بما كانوا يسعون فى هلاكك فانى كافيهم قال ابو عوسجة قوله
فلا تبتئس هو من الحزن يقال ابتئس يبتئس ابتئاسا قال الكيسانى ايضا لا تبتئس اى لا تحزن هو من البائس
يقال لا تبتئس بهذا الامر وقوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا قال بعض اهل التاويل باعيننا
بامرنا ووحينا وقال بعضهم بمنظرنا ومرأى منا ولكن عندنا يحتمل وجهين احدهما قوله باعيننا اى
بحفظنا ورعايتنا يقال عين الله عليك اى حفظه عليك ثم لا يفهم فى قوله باعيننا نفس العين علينا بفهم
من قوله ذلك بما قدمت ايديكم وكسبت ايديكم ولكن ذكر الايدى لما فى الشاهد انما يقدم باليد فعلى
ذلك ذكر ويكتسب باليد فعلى ذلك ذكر العين لما بالعين يحفظ فى الشاهد والثانى قوله باعيننا باعلام
منا اياك لانه لولا تعليم الله اياه اتخاذ السفينة وعجز عالم يكن ليعرف ان كيف يتخذ وكيف يجعل عرف

ذلك بتعليم الله اياه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون هذا يحتمل وجهين
يحتمل ان لا تشفع الي في نجاة الذين ظلموا فانهم مغرقون في حكمي والثاني لا تخاطبني في هداية الذين هم في
حكم الله انهم مغرقون ظلمة اي لا تسألني ايمان من في علم الله انه لا يؤمن وفيه نهي السؤال عما في علم الله
انه لا يكون لامة اذا الخبر انه لا يكون او لا يفعل فاذ سأله كان يسأله ان يكذب خبره الذي اخبرانه
لا يكون وفيه ان من اراد الله ايمان احد امن ومن لا يرد ايمانه لا يؤمن وقوله عز وجل ويصنع الفلك
وكلما مر ملأ من قومه الملأ الاشراف والرؤساء من قومه سخروا منه هم الذين سخروا منه قال بعضهم
سخريتهم منه ان قالوا صار نجارا بعد ما ادعى لنفسه الرسالة وقال بعضهم سخريتهم منه لما راوه يتخذ
الفلك ولم يكن هنالك بحر ولا واد ولا مياه جارية الماهي ابارلهم فقالوا يتخذ السفينة ليسيرها
في البراري والمفاوز ونحوه من الكلام وقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم وقال سخريته منهم انه
اذا ركبوا الفلك راوهم بغير قوة قالوا لو كنتم على حق وعلى هدى ونحوه من الكلام لكن هذا لا نعلم
ولا حاجة لنا الى معرفة سخريتهم انه كيف كانت سوى انه فيه سخروا منه ويحتمل قوله فانا نسخر منكم
اي نجزيهم جزاء سخريتهم وقوله عز وجل فسوف تعلمون هو وعيد اي سوف تعلمون اي حاصل
سخريتهم ويرجع اليكم كقوله وما يخدعون الا الاية اي سوف تعلمون اذا اخذنا نحن وعرفتم انتم من يأتيه
عذاب يخزيه اي عذاب يفضحه ويهلكه وهو الغرق ويحل عليه عذاب مقيم اي عذاب يدوم وقال
بعضهم عذاب مقيم هو عذاب الاخرة كقوله اغرقوا فادخلوا نارا واما قول اهل التأويل ان سفينة
نوح كان طولها كذا وعرضها كذا فليس لنا بذلك علم ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك فان صح ذلك فهو ما
قالوا وقولهم كان لها ثلثة ابواب وثلثة اطباق فذلك ايضا لا نعرفه ولا نعرف قوة الا بالله وقوله عز وجل
حتى اذا جاء امرنا وفار التنور وقوله جاء امرنا اي جاء وقت امرنا بالعذاب الذي استعجلوه كقولهم فأتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين وكذلك كانت عادة الامم السالفة استعجال العذاب من رسلهم
سمي العذاب امر الله لما لا صنع لاحد فيه وكذلك المرض سمي امر الله لما لا صنع لاحد من الخلائق فيه
وسمي الصلوة امر الله لما بامره يصلي وقوله عز وجل وفار التنور قال ابو عوسجة وفار التنور يقال فار
الماء اي خرج يفور فورا اي غلا كما تغلي القدر وتصديقه قوله وهي تفور تكاد قالوا فار اي خرج
وظهر والتنور اختلف فيه قال بعضهم التنور هو وجه الارض قالوا اذا رايت الماء قد خرج ونبع
وظهر على وجه الارض فاركب وقال بعضهم التنور هو التنور الخابزة التي يخبز فيها قالوا اذا رايت
الماء ينبع من تنورك فاركب قالوا كان الماء ينزل من السماء وينبع من الارض كقوله ففتحنا ابواب
السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا لكن جعل علامة وقت ركوبه السفينة هو خروج الماء في
في الارض وينبعه فيها وقوله عز وجل قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ويحتمل هذا وجهين
يحتمل انا كنا قلنا له اذا فار التنور احمل فيها من كل زوجين اثنين ويحتمل ان قلنا له وقت فور التنور
الماء من التنور احمل فيها من كل زوجين وقوله عز وجل من كل زوجين اثنين الزوج هو اسم فرد له
شفع ليس هو اسم الشفع حتى يقال عند الاجتماع ذلك ولكنا ما ذكرنا انه اسم فرد له شفع الا انه
صنف وزوج وصنف وزوج فيكون الذكر والانثى زوجين والله اعلم وقوله عز وجل زوجين اثنين
اي من ذكر وانثى ثم يحتمل زوجين من ذوي الارواح وغيره والله اعلم وقوله عز وجل واهلك
الا من سبق عليه القول ومن امن قال بعضهم قوله واهلك اراد اهله والذين امنوا معه يقول
احمل فيها من كل زوجين واحمل اهلك ايضا الا من سبق عليه القول اي الا من كان علم الله انه لا يؤمن
والا من كان في علم الله انه يهلك وقال بعضهم قوله واهلك اراد اهله خاصة ثم استثنى من سبق عليه
القول وهو ابنه وزوجته وهما من اهله الا ترى انه ذكر من امن معه وهو قوله ومن امن معه اي
احمل اهلك الذين امنوا معك الا من سبق عليه القول من اهلك وغيره انه في الهالكين او يقول الا
من سبق عليه القول انه لا يؤمن فهذا يدل ان في اهله من كان ظالما كافرا حيث استثنى من اهله والله
اعلم وقوله عز وجل وما امن معه الا قليل يذكر هذا والله اعلم تذكير الرسول صلى الله عليه وسلم منة
ونعمه التي انعمها عليه لان نوحا عليه السلام مع طول مكثه بين اظهر قومه وكثرة دعائه قومه الى

دين الله ومواعظه لم يؤمن من قومه الا قليل منهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع قلة مكثه وقصير
عمره امن من قومه الكثير بجر ففيه نعمه عليه وفيه دلالة رد قول من يقول ان المواعظ انما تنفع الموعوظ
على قدر استعمال الواعظ وليس هكذا ولكن على قدر قبول الموعوظ اياها وقدر اقباله اليها لان
نوحا عليه السلام كان اشد الناس استعمالا للمواعظ وليس هكذا ولكن على قدر قبول الموعظ اياها وقدره
الاقبال اليها لان نوحا عليه السلام كان اشد الناس استعمالا للمواعظ واكثرهم ثم لم يؤمنوا من قومه الا قليل
انه ليس لنا فهموا ولكن لما ذكرنا واما ما ذكر اهل التأويل في السفينة حبات العنب فاخذ ابليس فتم بعطه
الا ان اعطى له الثلث فذلك شيء لا علم لنا به فان ثبت ذلك فيكون فيه دلالة ان ليس له في سائر الانبذة و
الاشربة نصيب الا ما يكون له فيما يخرج من العنب ويقدم ثلث والمثلثين الما يكون في عصر العنب خاصة لا
في غيره والله اعلم وقوله عز وجل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها يحتمل قوله بسم الله مجريها انه
قال لهم نوح اركبوا فيها قولوا بسم الله مجريها ومرساها وهو كقول الناس بسم الرحمن اوله على ما يقال ويذكر
اسم الله في افتتاح كل امر وكل عمل من ركوب ونزول وغيره ويحتمل قوله بسم الله مجريها ومرساها
اي بالله مجريها ومرساها اي به يجري وبه ترسو وانه ليس كسائر السفن التي باهلها تجري وبهم
تقف وهم الذين يتولون ويتكلفون اجراها ورفوها واما سفينة نوح كانت جريتها بالله وبه
رسوها الا صنع لهم في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان ربي لغفور رحيم حيث نجى من امن به وصدق
رسوله ينجيه من الغرق والهلاك وقوله عز وجل وهي تجري بهم في موج كالجبال هذا يدل على ما ذكرنا
انها كانت بالله تجري وبه ترسو حيث لم يخافوا الغرق ما كان من الامواج واما سائر السفن فان اهلها
خافوا من امواجها لما كانوا هم الذين يتولون ويتكلفون اجراها ورفوها والله اعلم وقوله عز وجل
وهي تجري بهم في موج كالجبال هذا يدل على انها كانت اية لان الامواج تمنع عن جريان السفينة وسيرها
فاذا اخبر انها لم تمنع هذه من جريانها دل انه اراد ان تصير اية لهم وقوله عز وجل ونادى نوح ربه
وكان في معزل ويحتمل قوله وكان في معزل اي بمعزل من نوح او كان بمعزل من السفينة او ما كان
وقوله عز وجل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين يحتمل لا تكن مع الكافرين لتغرق او لا تكن مع الكاذبين
لنعم الله وقوله عز وجل ساوي الى جبل اي ساء نضم الى جبل يعصمني من الماء ظن مسكين ان هذا الماء
من المياه التي يسلم اليها بالالتجاء الى الجبل فاخبر عليه السلام انه لا مانع اليوم من امر الله اي من عذاب الله
سمي عذابه امر الله لما ذكرنا امر الله امر تكوين لانه هو النهاية في الاحتجاج كقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه
الاية وهو كما يسمي البعث لقاء الله لانه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر البعث فعلى ذلك سمي عذابه
امر الله وهو امر تكوين لانه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر العذاب وقوله عز وجل الا من رحم الله
بهدايته اياه الا من سبقت له الرحمة من الله بالهداية له والنجاة وقوله عز وجل وحال بينهما الموج
يحتمل قوله بينهما بين ابنه وبين نوح ويحتمل بينه وبين السفينة فكان من المغرقين يحتمل ما من المغرقين
ويحتمل كان من تسعة الله في علم الله انه يغرق وهذا يدل على ان قوله في ابليس انه كان من الكافرين انه
يخرج على وجهين احدهما انه كان في علم الله انه يكفر او صار من الكافرين كما ذكر وكان من المغرقين ولم يكن
من المغرقين في الازل وقوله عز وجل وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي قال بعضهم عاد كل ماء
الى من حيث خرج ما ارسل من السماء عاد اليها وما خرج من الارض غاض في الارض وغار فيها وقال بعضهم
لا ولكن امسك السماء من ارساله وامسك الارض من نبعه وقوله عز وجل قيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي ليس على القول لهم ولكن الله امسكهما من ارساله ونبعه ويحتمل على القول منهم لهم باللطف وجعل
فيهم ما يفهم هذا وغيض الماء اي فار الماء في الارض وقضي الامر بهلاك قوم نوح ويحتمل على
المنكرين على ما ذكر واستوت على الجودي وهو جبل وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا ويحتمل بعدا
للقوم الظالمين من رحمة الله وقال الفتبي مرساها اي نقف وقوله عز وجل يعصمني من الماء يمنعني
من الماء وقال لا عاصم اليوم من امر الله قال الفتبي لا معصوم اليوم من عذاب الله كقوله من ماء دافق
اي مدفوق واصله لا عاصم اليوم من امر الله اي لا شيء يمنع اليوم من نزول عذاب الله عليهم ولا دافع لهم
منه وقوله عز وجل ونادى نوح ربه فقال ان ابني من اهلي وان وعدك الحق الاية فقال نوح انه ليس اهلك
هذا والله اعلم كان عند نوح ان ابنه كان على دينه لما لعله كان يظهر الموافقة له والا لا يحتمل ان يقول ان ابني

ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي في سؤال مثله حيث قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولا يحتمل
ان يكون يعلم انه على غير دينه ثم سأل له النجاة بعد ما نهاه عن المخاطبة في الذين ظلموا فقال انه ليس من اهلك
في الباطن والسر والا خرج هذا القول مخرج تكذيب رسوله لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه كان في الظاهر
عنده على دينه لما كان يظهر الموافقة وكان لا يعرف ما يضمره فسأله على الظاهر الذي عنده
وكذلك اهل النفاق كانوا يظهرون الموافقة وكان لا يعرف ما يضمره فسأله على الظاهر الذي عنده
وكذلك اهل النفاق يظهرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويضمرون الخلاف له وكانوا لا
يعرفون نفاقهم الا بعد اطلاع الله اياه فعلى ذلك نوح كان لا يعرف ما يضمر هو لذلك خرج سؤاله فيما
انه ليس من اهلك الذي وعدت النجاة او ليس من اهلك لانه لم يؤمن بي ولم يتبعك فيما اشترطت انه عمل غير صالح
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ عمل غير صالح بغير تنوين وعن ابن مسعود رضي الله
عنه انه قرأ عمل غير صالح بالتنوين فمن قرأه بالنصب على غير صالح انه ابنك عمل غير صالح ومن قرأ عمل يكون
معناه والله اعلم ان سؤالك عمل غير صالح بالتنوين وكلا القرائتين يجوز ان يصرف الى ابنه اي انه عمل غير صالح
وهو عمل الكفر وعمل غير صالح اي الذي كان عليه عمل غير صالح والله اعلم وقوله عز وجل ان ابني من
اهلي ثم قال انه من اهلك هذا في الظاهر يخرج على التكذيب له لكن الوجه انه من اهلك على ما عندك
وليس من اهلك فيما بشرتك من نجاة اهلك وقوله عز وجل وان وعدك الحق يحتمل وجهين يحتمل و
ان وعدك بغير ان القلة حق والثاني وان وعدك بنجاة المؤمنين حق وانت احكم الحاكمين وقوله عز وجل
ما تسألني ما ليس لك به علم يحتمل هذا نهيا عن سؤال ما لم يؤذن له من بعد لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام
كانوا ان يسألوا شيئا الا بعد الاذن لهم في السؤال وان كان يسع لهم السؤال وان يكون عتابا لما سبق و
الانبياء عليهم السلام كانوا يعاتبون في اشياء يحل لهم ذلك نحو قوله لرسول الله عفى الله عنك لم اذنت
لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وكان منه الامر بالقعود والنهي عن الخروج بقوله فقل لن تخرجوا معي ابدا
ونحوه وقوله عز وجل اني اعظك ان تكون من الجاهلين وامثاله وان كان معلوما انه لا يكون من الجاهلين
هو ما ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهي عن الشيء بل بالنهي يظهر العصمة وقوله عز وجل قال رب اني
اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم اي اعوذ بك ان اعود الى سؤال الا اعلم بالاذن في السؤال هذا يحتمل
وقوله والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين اي ان لم تغفر لي بالعصمة من العود الى مثله اكن من الخاسرين
هذا يشبه ان يكون ذكر هذا لما لا يستوجبون المغفرة والرحمة الا برحمة الله وفضله على ما روي عن
رسول الله انه قال لن يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمته وقوله عز وجل والا تغفر لي وترحمني طلب المغفرة بالكناية وهو ابلغ واكبر من قولهم
اغفر لي كان في قوله والا تغفر لي وترحمني قطع المغفرة من غيره واخبار ان لا يملك احد ذلك ولهذا في قوله
اغفر لي قطع كون ذلك من غيره لذلك كان ذلك ابلغ من هذا وكذلك سؤال ادم وحوا المغفرة حيث
قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية عن سؤال بالكناية فهو ابلغ في السؤال وقوله عز وجل قيل يا نوح اهبط
قال بعضهم اي انزل من الجودي الى مكان قرار الارض وقال بعضهم قوله اهبط اي انزل واقم على
المقام والمكث في المكان ليس على الهبوط من كان من ترفع الى مكان منحدر وقوله عز وجل اهبط بسلام منا
وبركات عليك السلامة هو ان يسلم عن الشرور والآفات والبركة هي نيل كل خير وبر على غير تبعة
ثم هما في التحصيل واحد لانه اذا اسلم عن كل شر وآفة نال كل خير وبر واذا نال كل خير سلم عن كل شر وآفة
هما في الحقيقة واحد لكنهما في العبادة مختلف وهو كالبر والتقوى من العبد البر هو كسب كل خير والتقوى
هو اتقاء كل معصية وشر وعلى ذلك يخرج الشكر والصبر الصبر هو كف النفس على كل مأثم والشكر
هو استعمال النفس في كل طاعة هما ايضا في العبادة مختلفان وفي الحقيقة واحد لانه اذا كف نفسه عن كل
مأثم استعملها في الطاعة واذا استعملها في الطاعة كفها عن كل مأثم ومعصية وعلى ذلك يخرج
الاسلام والايمان الاسلام هو تسليم النفس لله خالصة سالمة لا يجعل لغيره فيها حقا والايمان هو ان
يشهد في الله بالربوبية في نفسه وفي كل شيء وهما في الحقيقة واحد وفي العبارة مختلفان لانه اذا جعل
نفسه وكل شيء سالما لله اقر بالربوبية في نفسه وفي كل شيء واذا شهد له واقر بالربوبية في نفسه وكل شيء
جعلها لله وكل شيء له هذه الاشياء في العبارة مختلفة وفي التحصيل واحد ثم قوله اهبط بسلام منا

اذ يكون

اذ يكون جواب قوله والا تغفر لي وترحمني امنه عما خاف وطلب منه المغفرة والرحمة والثاني السلامة منه
هو الثناء الحسن كقوله سلام على نوح في العالمين وقوله عز وجل وبركات عليك يحتمل ان يكون جواب
قوله انزلني منزلا مباركا والبركة هو اسم كل خير لا انقطاع له او اسم كل شيء لا تبعة له عليه فيه ثم قوله
بسلام منه وبركات عليك وعلى امم سنمتعهم على قول بعض اهل التأويل ذلك الاسلام وتلك البركات
في الدنيا السلام لما سلموا من الغرق والبركات ما نالوا في الدنيا من الخيرات والمنافع وعلى قول بعضهم السلام
والبركات جميعا في الآخرة ثم جعل عز وجل المؤمن والكافر مشتركين في منافع الدنيا وبركاتها وجعل
منافع الآخرة وبركاتها للمؤمنين خاصة بقوله والعاقبة للمتقين وبقوله قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم قال قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة شرك
المؤمن والكافر في زينة الدنيا ثم جعلها للمؤمنين خالصة يوم القيمة فذلك قوله وامم سنمتعهم ثم
يمسهم منا عذاب اليم اخبر انه يمتعهم ثم يصيبهم عذاب اليم ويمتع المؤمن ايضا في هذه الدنيا بانواع النعم
ثم اخبر ان العاقبة للمتقين ثم جعل العاقبة بازاء ما جعل لهم عذابا اليما اعني الكفرة والله اعلم وقوله
عز وجل وعلى امم ممن معك ولم يكن مع نوح امم يومئذ انما كان معه نفر لكنه اراد والله اعلم الامم
التي كانوا من بعده كأنه قال وعلى امم يكونون من بعدك فهذا يدل ان دين الانبياء والرسل عليهم السلام دين
واحد وان اختلف شرائعهم لان تلك الامم لم يكونوا بانفسهم مع نوح ولا كانوا معه في السفينة التي
كان فيها نوح ودل انهم كانوا جميعا على دينه وهو واحد وعلى ذلك يخرج دعاءه رب اغفر لي ولوالدي
الآية دعاءه بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة يكون من بعده وكذلك بالحق على كل كافر دعاءه ولا تزد الظالمين
الا تبارا وقوله عز وجل تلك من انباء الغيب نوحيها اليك يحتمل قوله تلك اي قصة نوح من انباء
الغيب غابت عنك لم تشهدها ولم تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ان كان المراد من قوله تلك من
انباء الغيب قصة نوح خاصة وانباءه كان يجيء ان يقول هذه من انباء الغيب نوحيها اليك لكنه كأنه
على الاضمار اي هذه الانباء تلك الانباء التي ذكرت في كتبهم وان كان المراد هذه وغيرها من الانباء
كأنه قال هذه في تلك الانباء ويحتمل قوله تلك من انباء الغيب القصص كلها قصة نوح وغيره من الانبياء
من انباء الغيب غابت عنك لم تشهدها ولا تعلمها انت ولا قومك حتى قومه لان غيره من الاقوام
قد كانوا عرفوا تلك الانباء فيخبر وانهم فيعرفون بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهم على ما اخبر اولئك الذين عرفوا تلك الانباء بكتبهم ليعلم
انه انما عرف ذلك بالله اذ تلك الانباء كانت بغير لسانه ولم يعرف انه اختلف لاحد منهم انه انما عرف
بالله تعالى وقوله عز وجل فاصبر يحتمل قوله فاصبر على تكذيبهم اياك واذاهم او اصبر على ما امرت
ونهيت او اصبر على ما صبر اخوانك من قبل كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ونحوه وقوله عز وجل
ان العاقبة للمتقين يشبه ان يكون قوله للمتقين الذين اتقوا الشرك وامكن الذين اتقوا الشرك والمعاصي
كلها ولا يشبه ان يكون المراد منه اتقاء الشرك لانه ذكر بازاء قوله وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا
عذاب اليم فهو في العقد اشبه وقال بعض اهل التأويل في قوله اهبط بسلام من السفينة بسلام منا
سلمك الله ومن معه من المؤمنين من الغرق وبركات عليك وعلى امم ممن معك ممن سبق له في علمه
انه يعني بالبركة انهم توالدوا واكثروا وبعد ما خرجوا من السفينة وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله
وبركات عليك وعلى امم ممن معك ممن سبق له في علم الله البركات والسعادات من النبيين وغيرهم
وقوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا والله اعلم صلة قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فيقول وقد
ارسلنا هودا الى عاد اخاهم ثم يحتمل قوله اخاهم الاخوة تكون على وجوه اخوة جنس يقال هذا
نحو هذا اي الباب يقال لاحدهما هذا اخو هذا وهذا اخو هذا زوج الخف وامثاله واخوة في النسب
في الدين كقوله انما المؤمنون اخوة فهو لم يكن اخاهم في الدين فهو يحتمل انه اخوهم في الجنس وفي النسب
لان الناس كلهم ينسبون الى ادم فيقال لبني ادم مع بعد ما بينه وبينهم فعلى ذلك يكون بعضهم لبعض
اخوة مع بعد النسب الذي بينهم والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
يعبدوا الذين تعبدون ليسوا بالهة لا يستحقون العبادة انما الاله الذي يستحق العبادة الذي خلقكم
وخلق لكم الاشياء وقوله عز وجل ان انتم الا مفترون اي ما انتم الا مفترون لا يحتمل ان يكون

هود قال لهم هذا في اول ما دعاهم الى التوحيد وفي اول ما ردوا اجابته وكذبوه لانهم امروا بلين
القول لهم وتذكير النعمة عليهم كقوله لموسى وهارون حيث بعثهما الى فرعون فقولا له قولا
لينا الاية ولكن كانه قال لهم ذلك ما سبق منه اليهم دعاء غير مرة واقام عليهم الحجة والبراهين فلم
فعند ذلك قال لهم هذا لحيث قالوا يا هود ما جئتنا ببينة الاية وقوله عز وجل ان انتم الا مفترون
يحتمل في تسميتهم الاصنام التي عبدوها يقول ان انتم الا مفترون في ذلك ويحتمل انه سماهم مفترين
فيما قالوا ان الله امرهم بذلك يقول انتم مفترون فيما تدعون الامر بذلك او مفترون في انكارهم البعث
او الرسالة وقوله عز وجل يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني هذا قد ذكر في غير موضع يقول
لهم والله اعلم اني لا اسالكم على ما ادعوكم اليه اجرا يمنعكم ثقل ذلك الاجر وغرمه عن الاجابة فما الذي
يمنعكم عن الاجابة لي ويحملكم على الرد بل ادعوكم اليه ما ترغبون فيه فكيف يمنعكم عن الاجابة والنظر
فيما ادعوكم اليه افلا تعقلون اني رسول اليكم بايات وحجج جئت بها افلا تعقلون انها ايات وحجج و
او يقول افلا تعقلون ان الله واحد وانه رب كل شيء وخالق كل شيء ومنشئه وقوله عز وجل ويا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يحتمل ان يكون قوله استغفروا ربكم ثم توبوا اليه واحدا ويحتمل على التقديم
والتاخير توبوا اليه ثم استغفروا واما كان منكم من اعمال سوء اي اقبلوا الى طاعة الله واندموا على افعالكم
عز وجل استغفروا ربكم معلوم ان هودا لم يرد بقوله استغفروا ان يقولوا استغفر الله ولكن امرهم
ان يطلبوا السبب الذي يجب لهم المغفرة ويحق وهو التوحيد كانه قال وحدوا ربكم فآمنوا به ثم توبوا
اليه او يقول اطلبوا المغفرة بالانتهاء عن الكفر كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله عز وجل
يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم قال بعض اهل التاويل انه قد كان قد انقطع عنهم
المطر وانقطع نسلهم فاخبر انكم ان تبتم الى الله واستغفرتم ربكم يرسل السماء عليكم مدرارا الاية
حتى تتناسلوا وتتوالدوا ويحتمل قوله ويزدكم قوة الى قوتكم ما تقدم فلا تتولوا عما ادعوكم فيه فتكونوا
مجرمين المجرم قال ابو بكر هو الوثاب في الاثم وقيل هو المكتسب وقوله عز وجل قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة على ما تدعونا اليه او على ما تدعي من الرسالة فعند ذلك قال لهم هود ان انتم الا مفترون وما
نحن بتاركي الهتنا اي ما نحن بتاركي عبادة الهتنا عن قولك اي بقولك كانه لا يدعوهم هود الى ترك عبادة
الهتهم بقوله خاصة ولكن قد دعاهم واقام على فساد ذلك الحجج والبراهين لكنهم قالوا متعنتين متكبرين
وما نحن لك بمؤمنين فيما تدعونا اليه وتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا وقوله عز وجل ان نقول الا اعتراك بعض
الهتنا بسوء هو كان يسب الهتهم ويذكرهم بالعيب فيقولون انه يعتريك من بعض الهتنا بسوء ويعنون
جنون او خبل فلا تحب ان يصيبك منها فاجتنبها سالما فذلك يخرج منهم مخرج الامتنان اي انا انهيناك
عن سب الهتنا وذكر العيب فيها اشفاقا عليك لئلا يصيبك شيء منها وقال ابن مسعود رضي الله
عنه قالوا لو سببت الهتنا لخبلتك واصابتك بالجنون فتنا وبليه والله اعلم انما تدعونا الى ما تدعونا اليه ونحن
ما ندعي لما اصابتك الهتنا بسوء واعترتك بجنون كانوا يخوفونه انه تصيب الهتهم بسوء بترك عبادتها
ما كانوا يرجون ويطمعون بعبادتهم اياها اشفاقا عليه لهم قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون
به وتعبدون من الالهة واشهد وانتم ايضا باني بريء من ذلك فكيدوني جميعا انتم والهتكم فيما تدعون
من الهلاك او السوء ثم لا تنظرون اي ثم لا تمهلون في ذلك ويحتمل قوله فكيدوني جميعا انتم والهتكم
يقول اعملوا انتم والهتكم جميعا التي تزعمون انها خبلتني واخبلتني ثم لا تنظرون اي لا تمهلون وهذا
من اشد ايات النبوة لانه يقول لهم وهو بين اظهرهم وحيدا فلولا انه يقول ذلك لهم بقوة من الله
والاعتماد له عليه والانتصار به والا ما اجترا احد ان يقول مثل هذا بين اعدائه علم انه قال ذلك بالله
تعالى وكذلك قول رسول الله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون الاية وقول نوح ثم اقضوا الي الاية وقول
شعيب يا قوم اعملوا على مكانتكم الاية وامثاله قالوا ذلك بين اظهر الاعداء ولم يكن معهم انصار ولا اعوان
دل انهم قالوا ذلك بالله وذلك من ايات النبوة وقوله عز وجل اني توكلت على الله اي فوضت امري
اليه او وكلت في جميع عملي اليه او وثقت به واعتمدت عليه فيما توعد ونجى من الهلاك او توكلت عليه
في دفع ما اوعدتموني ربي وربكم اي كيف توعدوني بالهتكم التي تعبدون ولا تخافون الذي تعلمون انه
ربي وربكم اي كيف توعدوني وهو كما قال ابراهيم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم

بالله الاية وقوله عز وجل ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها يمسكها متى شاء وقوله اخذ بناصيتها اي في
ملكه وسلطانه يقال فلان اخذ بحلقوم فلان وفلان في قبضة فلان ليس انه في قبضته بنفسه واخذ
بحلقوم فلان ولكن يراد به انه في سلطانه وفي ملكه وفي قبضته ان ربي على صراط مستقيم اي على
الذي امرني ربي ودعاني ~~في قبضته واخذ بحلقوم~~ اليه او يكون قوله ان ربي على صراط مستقيم اي ان
الذي امرني ربي ودعاني اليه هو صراط مستقيم كقوله ان ربك لبالمرصاد وقال ابو عوسجة الا
هو الاخذ يقال اعتراه الحمى اي اخذته وقال القتبي الاعتراء الاصابة يقول الا اعتراك اصابك يقال
اعتراني اصابني وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يحتمل على
الاضمار اي فان تولوا عن اجابتك وطاعتك فقل قد ابلغتكم رسالات ربي لان قوله تولوا انما
هو خبر وقوله عز وجل ابلغتكم خطاب وامكن ان يكونا جميعا على الخطاب يقول فان توليتم عن اجابتي
فيما ادعوكم اليه فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم وليس علي الا تبليغ الرسالة اليكم كقوله ما على الرسول الا
البلاغ وكقوله ان عليك الا البلاغ يقول انما علي ابلاغ الرسالة اليكم ليس علي جرم توليكم عن اجابتي
كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ويستخلف
ربي قوما غيركم خلفهم لانهم كانوا يقولون من اشد منا قوة يقول والله اعلم ان قوة ابدانكم وبطشكم
لا يعجز الله عن اهلاككم وفيه ان عادا لم يستوفوا النهاية في العالم بل يكون بعدهم قوم غيرهم والله اعلم
وقوله عز وجل ولا تضرونه شيئا اي لا تضرونه بتوليكم عن اجابتي وردكم رسالة الله اليكم ليس
كملوك الارض اذا تولى عنهم جندهم وحشمهم ضرهم ذلك والثاني لا تضرونه كما يضر الملوك بالقتال والحرب
بعضهم بعضا والثالث لا تضرونه لانه لا منفعة له فيما يدعوكم حتى يضره ذلك انما يدعوكم
الى ما يدعو للحاجة لنفسه ولا لمنفعة له انما يأمركم ويدعوكم لحاجة انفسكم والمنفعة لكم ويحتمل ان يكون
لا تضرونه شيئا جواب قوله فكيدوني جميعا الاية ان ربي على كل شيء حفيظ لا يخفى عليه شيء وان لطف
فكيف يخفى عليه اعمالكم واحوالكم مع ظهورها وبدوها ويقول ان ربي على كل شيء حفيظ يجزيه عليه
اي لا يذهب عنه شيء اصلا اي لا يفوته والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء امرنا نجينا هودا قوله جاء
امرنا امر تكوين لا امر يقتضي الطاعة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فعلى ذلك
هذا هو امر تكوين وقد ذكرناه وقوله عز وجل نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا هذا
يدل ان من نجا انما نجا برحمته منه لا بعمل وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمته لا على ما يقول المعتزلة ان من نجا انما ينجي بعمله لا برحمته ثم يحتمل قوله برحمة
منا وجوها يحتمل الرحمة ههنا هودا اي رحمهم به حيث بعث اليهم رسولا نجا من اتبعه
فان كان هذا ففيه ان اهل الفترة معاقبون في حال لانه اخبر ان من نجا انما نجا بهود فدل انهم
معاقبون قبل بعث الرسل اليهم ويحتمل قوله برحمة منا اي بتوفيق منا اياهم نجا من نجا منهم
والثالث ونجيناهم من عذاب غليظ قال بعضهم نجيناهم من العذاب الذي اهلك هؤلاء
ويحتمل ان يكون على الوعد اي ينجيهم في الاخرة من عذاب غليظ وقوله عز وجل وتلك عاد
جحدوا اي ذلك اهل قرية عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله الكفر بالايات كفر بجميع
الرسل والكفر بواحد من الرسل كفر بالرسل جميعا وبالله التوفيق لان كل واحد من الرسل يدعو
الى الايمان بالله وبجميع الرسل والايات والكفر بواحد منها كفر بالله وبجميع الرسل وانما كان
الكفر بالايات كفرا بالله لان الله انما يعرف من جهة الايات والكفر بالايات كفر به وقوله
عز وجل واتبعوا امر كل جبار عنيد قيل اخبر انهم اتبعوا امر الجبابرة واطاعوهم وتركوا اتباع
الرسل وطاعتهم قيل هو المتجبر الذي يتجبر على الرسل ويتكبر عليهم لان الرؤساء منهم كانوا
يتجبرون على الرسل ويتكبرون ثم الاتباع اتبعوا الرؤساء في عملهم قال ابو عوسجة الجبار هو المتجبر
والعنيد هو المعاند المخالف وقال القتبي العنود والعنيد والمعاند المعارض لك بالخلاف
عليك وقال ابو عبيدة العنيد والعاند هو الجائر وقوله عز وجل واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيامة قال بعضهم اللعن هو العذاب اي اتبعوا في الدنيا وفي الاخرة كقوله الا لعنة الله على الظالمين

اى عذاب الله وقوله عز وجل واتبعوا اى الحقوا وقيل ان اللعن هو الطرد طردوا عن رحمة الله
حتى بالوها الا فى الدنيا ولا فى الاخرة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود اى بعدا من رحمة الله
وقوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا قال هو ما ذكرنا اى ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وقوله اخاهم
قد ذكرنا ايضا ان الاخوة تخرج الى وجوه ثلثة اخوة فى الدين واخوة فى الجنس واخوة فى النسب وقوله
عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان الرسل جميعا صلوات الله عليهم اول ما دعوا قومهم
الى توحيد الله وجعل العبادة له لان غيره من العبادات انما تقوم بالتوحيد وكان اول ما دعاهم قومهم
اليه لم يزل عادة الرسل وعليهم الدعاء الى توحيد الله والعبادة له وقوله عز وجل هو انشاكم من الارض
وقال بعض اهل التاويل هو انشاكم من الارض يقول هو خلقكم من ادم وخلق ادم من الارض اضاف
خلق الخلائق اليها كما اضاف فى قوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة الاية اخبر انه خلقنا من نفس اى
ادم وان لم نكن انفسنا فيه فعلى ذلك اضافة انشائنا الى الخلق من الارض وان لم يخلق انفسنا منها اى خلق
اصلنا وانشاءه من الارض فاضاف انشاءنا الى ما انشاء اصلنا ويشبه ان يكون قوله انشاكم من الارض
اى جعل انشاء الخلائق كلهم ونماهم وحيوتهم ومعاشهم بالخارج من الارض اذ به نشاتهم ونماهم وحيوتهم
وقوامهم منها وقوله عز وجل واستعمركم فيها قال بعضهم اسكنكم فيها وقال بعضهم استخلفكم فيها وقال
غيره قوله واستعمركم فيها اى جعلكم عمار الارض تعيشون فيها لمعادهم ومعاشهم فجعل عمارة هذه الارض الى
الخلائق هم الذين يقومون بعمارتها وبناءها وانواع الانتفاع بها ويرجع كله الى واحد وقال بعضهم فى قوله
واستعمركم اى جعل عمركم طويلا وقوله عز وجل فاستغفروه ثم توبوا اليه هذا قد ذكرناه فيما تقدم فى قصة
نوح اى كونوا بحال يغفر هو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف كانه قال فان انتهوا عن الكفر يغفر لهم
وقوله عز وجل ان ربى قريب بحفظ الخلائق او قريب لمن انعم عليهم وامثاله او قريب الى كل ما يفزع اليه
دعاء كل داع استجاب له كقوله واذا سالك عبادى عنى الاية وكقوله واوفوا بعهدى الاية وقوله عز وجل
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا قال بعضهم قولهم قد كنت فينا مرجوا
كنت ترحم الضعفاء وتعود المرضى والكلام فى الساعة صرت على خلاف ذلك وقال بعضهم كنت فينا مرجوا
كنا نرجوا ان ترجع الى ديننا قبل هذا الذى تدعونا اليه فالساعة صرت تشتم الهتنا وتذكر عيبها اتنهانا
ان نعبد ما يعبد اباؤنا اى ما كنا نعرف اباءنا عندك سفهاء من قبل هذا فالساعة تسفه احلامهم
فى عبادتهم الاصنام واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب اوكانوا يذكرون هذا له احتجاجا لهم عليه فيما دعاهم
الى توحيد الله وعبادته لهم اياه فقالوا على يقين ان اباءنا قد عبدوا هذه الاصنام وانا على شك مما تدعونا
اليه مريب اى يريبنا امرك ودعاؤك لنا الى هذا الدين قد قبل هذا ولكنا لا نعلم ما كانوا يرجون فيه وما المعنى
الذى قالوا له قد كنت فينا مرجوا سوى انا نعلم انه كان مرجوا فيهم فى العقل والدين والعلم والبصيرة ونحوه
فكان مرجوا فيهم بالاشياء التى ذكرنا هذا نعلم ولا نعلم ما عنى اولئك بقولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا والله
اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى اى ان كنت على حجة وبرهان بيانا من ربى فيما ادعوكم
الى توحيد الله وصرف العبادة اليه والثانى قوله ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى منه رحمة يحتمل قوله
رحمة اى اتانى هدى ونبوة من عنده فمن ينصرنى من الله اى من يمنعنى من عذاب الله ان عصيته ورجعت الى
دينكم اى احد ينصرنى لو اجبتكم الى ما تدعوننى اليه اى لا احد ينصرنى دون الله لو اجبتكم واطعتكم فيما تدعوننى
اليه ثم الذى دعوه اليه يحتمل ترك تبليغ الرسالة اليهم او دعوه الى عبادة الاصنام التى عبدوها وقوله عز وجل
فما تزيدوننى غير تخسير بين فيه بوجوه فما تزيدوننى بجدالكم اياى فيما تجادلوننى الا خسارا وقال بعضهم
فما تزيدوننى بمعصيتكم اياى الا الخسار الا انفسكم وقال القتبى غير تخسير وغير نقصان وقال ابو عوسجة غير
تخسير هو من الخسران يقال خسرته اى نسبته للخسران وقوله عز وجل ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها
تاكل فى ارض الله قال لهم هذا حين سالوه الاية فقال هذه ناقة الله انها على صدق صالح فيما ادعى
من الرسالة او هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل فى ارض الله قال لهم هذا حين سالوه الاية
فقال هذه ناقة الله لكم اية التى سالتموها من الرسالة وقوله عز وجل ناقة الله اضاف اليه لخصوصية
كانت فيها لكن لا نعرف ذلك لنسبت تلك الخصوصية فى غيرها من النوق لما جعلها اية لرسالته وحجة
خارجة عما عاينوا من النوق وشاهدوها وهكذا كانت ايات الرسل كانت خارجة عن وسع البشر

ومطرحتهم

ومطرحتهم لها ليعلم ادعاها وبينهم لا يعرف اية خصوصية كانت لها عظم جسمها وغلظ بدنها
قسم الشرب بينهم وبينها حتى جعل يوما لها ويوما لهم بقوله لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم ولم يقسم مراعيها بينها وبينهم بقوله فذروها تاكل فى ارض الله واما ما قاله بعض الناس انها
خرجت من صخرة كذا وانها كانت تحلب كل يوم كذا واشياء اخر ذكروها فانا لا نعرف ذلك ولا نقطع
القول فيه انه كان كذلك سوى نعرف ان لها كانت خصوصية ليست تلك الخصوصية لغيرها من النوق
ولو كانت لنا الى تلك الخصوصية حاجة لبينها لنا واصله ما ذكرنا انه اذا اضيف جزئية الاشياء الى الله
فهو على تعظيم تلك الجزئيات المضافة اليه واذا اضيف الى كلية الاشياء فهو على ارادة التعظيم له والتبجيل
له نحو قوله له ملك السموات والارض وله كل شئ ونحوه وقوله عز وجل ولا تمسوها بسوء نهاهم ان يمسوا
بسوء ولم يبين ماذا لك السوء فيحتمل ان يكون ذلك شئ عرفوه ونهاهم عن ذلك وقال بعض اهل التاويل
لا تمسوها بسوء اى لا تعقروها فياخذكم عذاب قريب لما كان ذلك على اثر عقرهم الناقة بثلاثة ايام حيث
قال فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وما ذكر ايضا ان وجوههم اصفرت
فى اليوم الاول ثم احمرت فى اليوم الثانى ثم اسودت فى اليوم الثالث ثم نزل بهم العذاب فى اليوم الرابع فذلك
ايضا مما لا نعرفه وقوله عز وجل عذاب قريب قيل سريع لا امهال حتى تعذبوا وقوله ذلك وعد من الله
غير مكذوب ليس فيه كذب وكان عذابهم انما نزل على اثر السؤال الاية سالوا ان اتاهم بها كذبوها
فنزل بهم العذاب وهكذا السنة فى الامم السالفة انهم اذا سالوا الاية فجاءتهم فلم يؤمنوا بها نزل بهم
العذاب وهو قوله وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا
بها الاية والله اعلم وقوله عز وجل فلما جاء امرنا اى جاء ما امر به كما يقال جاء وعد ربنا اى جاء
موعود ربنا لانه وعده وامره لا يجئ ولكن جاء ما امر به وما وعد به وهو العذاب او يقول جاء اى اتى
وقت وقوع ما امر به ووعد وهو العذاب الذى وعد وامر به والله اعلم نجينا صالحا والذين امنوا معه
برحمة منا بنعمة منا او بفضل منا وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل ومن خزى يومئذ قيل الخزى هو
العذاب الذى يفضحهم وقيل كل عذاب فهو خزى اى نجيهم من خزى ذلك اليوم وقوله عز وجل ان ربك
هو القوى العزيز قيل القوى هو الذى لا يعجزه شئ والعزيز هو الذى يذل من دونه وقيل القوى المنتقم
المنتصر لاوليائه من اعدائه العزيز هو المنيع فى ملكه وسلطانه الذى لا يعجزه شئ وقوله عز وجل
واخذ الذين ظلموا الصيحة قيل عذابهم كان صيحة صاح بهم جبرئيل وقيل الصيحة الصاعقة وكل عذاب
فهو صيحة لكن لا ندرى كيف كان او ان يكون عذابهم ذا صيحة سريعة وقوية بهم او يكون ذلك العذاب
صيحة لما داووه مما يصيحون فيما بينهم او ما ذكرنا وقوله عز وجل فاصبحوا فى ديارهم جاثمين قال ههنا
ديارهم وقال فى سورة الاعراف دارهم والقصة واحدة قال بعضهم دارهم قراهم وديارهم منازلهم
ولكن هو واحد اصبحوا جاثمين فى دارهم ومنازلهم سواء وقوله جاثمين قيل خامدين موتى واصل
قوله جاثمين اى منكبين على وجوههم يقال جثم الطائر اذا انكب على وجهه بحالة الصيد وقد ذكرنا
فيما تقدم وقوله عز وجل كان لم يغنوا فيها قيل كان لم يعيشوا فيها وقيل كان لم يسكنوا فيها وقيل كان لم يعمروا
فيها واصله انهم صاروا كان لم يكونوا فيها لما لا يذكرون بعد هلاكهم فصاروا من حيث لا يذكرون كان لم
يكونوا واما الاخيار والابرار فانهم وان ماتت ابدانهم وصارت كان لم تكن فهى الذكر كانهم احياء حيث
يذكروا بعد موتهم وقوله عز وجل الا ان ثمود كفروا ربهم قيل كفروا نعمة ربهم او كفروا بايات ربهم
فذلك كله كفر بالله وقوله عز وجل الا بعدا لثمود من رحمة الله وقوله عز وجل ولقد جاءت رسلنا
ابراهيم بالبشرى اختلفوا فى هذه البشارة قال بعضهم جاؤهم ببشارة اسحق وما قد وهو قوله فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقال بعضهم جاؤا ببشارة اهلاك قوم لوط وانجاء لوط واهله قيل
ان لوطا ابن اخ ابراهيم وكان لوط فزع الى الله بسوء عمل قومه وصنيعهم ودعا بالنجاة منهم وهو قوله
انى لعملكم من القالين الاية حتى ذكر فى بعض القصة ان سارة قالت لابراهيم ضم ابن اخيك الى نفسك
فان قومه يعذبون كانها عرفت انه لا يتركهم على ما هم عليه بسوء عملهم قالوا بالبشارة بين جميعا بشارة
الولد والهلاك وبشارة هلاك قوم لوط ونجاة لوط واهله الى هذا يذهب بعض اهل التاويل
وقوله عز وجل قالوا سلاما قال سلام قيل ان السلام سنة الانبياء والرسل والملائكة فى الدنيا

والاخرة لم تخص هذه الامة بل كانت سنة الرسل الماضية والامم السالفة هو تحية اهل الجنة بقوله
سلام عليكم طبتم ونحوه هذا يدل ماذكرنا ثم انتصاب قوله سلاما وارتفاع الثانى لان الاول انتصب
لوقوع القول عليه كقولك قال قولا والثانى حكاية لقولهم وقوله عز وجل فما لبث ان جاء بعجل
حنيذ وقوله فما لبث ان جاء اى مالبث عندهم حتى اشتغل بتقديم شئ اليهم والا قد يكون فى ذبح العجل
وشويه لبث الا ان يكون العجل مشويا فان لم يكن مشويا فما وليه ماذكرنا ان لم يلبث عندهم فى المؤانسة
والحديث معهم على مايفعل من الاصنياف حق جاء بما ذكرنا من الادب وفيه دلالة فيمن نزل به
ضيف ان لا يشتغل بالسؤال عن احوال ضيفه من اين والى اين وماحاجتهم ولكن يشتغل بقراهم
وازاحة حاجتهم لان ابراهيم صلوات الله عليه انما اشتغل بقراهم لم يشتغل بالسؤال عن احوالهم
ولكن اشتغل بما ذكرنا انجاء بعجل حنيذ وهذا هو الادب بالضيف الا ترى انه لو كان سال عن احوالهم
فعرف انهم من الملائكة لكان لا يشتغل بما ذكر اذ عرف انهم من الملائكة لا ياكلون ولا يشربون شيئا
من الطعام وقوله عز وجل بعجل حنيذ قال بعضهم الحنيذ السمين وهو ماذكر فى موضع اخر بعجل سمين
وقال بعضهم الحنيذ هو المشوى الذى حد فى الارض خد يجعل مشويا بالحجر المحمى وقال بعضهم الحنيذ المشوى
الذى يسيل منه الماء وقال ابن عباس هو نضيج الحنيذ وقوله عز وجل فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم
قال بعضهم نكرهم وانكرهم واستنكرهم واحد وهو من الانكار اى لم يعرفهم ظن انهم لصوص لان اللصوص
من عادتهم انهم كانوا اذا ارادوا السرقة من قوم لم ياكلوا من طعامهم ولم ياكلوا شيئا عندهم وقيل
نكرهم انهم من البشر واوجس منهم خيفة قيل اضمر منهم خيفة قال بعضهم خاف لما ظن انهم
لصوص حيث لم ياكلوا شيئا مما قدم اليهم وقال بعضهم خيفة اى اضمر وحشة حيث لم ياكلوا
شيئا قرب اليهم خيفة علم انهم ليسوا من البشر ان منزل ابراهيم كان بناى البلد ولم ينزل به احد من البشر
الا وقد احتاج الى طعام فلما لم ياكلوا علم انهم ليسوا من البشر فما جاءوا الا لامر عظيم لتعذيب قوم وهلاكهم
فخاف لذلك فقالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وقال فى موضع اخر لا تخف وبشروه بغلام عليم
وقال فما خطبكم ايها المرسلون يذكر ههنا ان قولهم انا ارسلنا على اثر سؤال وفيما نحن فيه لا كذلك فلعله
قيل والله اعلم ان ذلك كان على اثر سؤال ابراهيم بقوله فما خطبكم لكنه جمع ذلك فيما نحن فيه بالحكاية
عن قولهم وان كان مفصولا عنه وخرجت الحاجة فى موضع اخر على ماكان فى الحقيقة وذلك مستقيم
فى كلام العرب والله اعلم وقوله عز وجل وامراته قائمة فضحكت قال بعضهم قائمة على رؤس
الاضياف لانها كانت عجوزا ذلك الا ترى الى قول الله تعالى والقواعد من النساء الاية وقال بعضهم
قائمة من وراء الباب لكن لسنا ندرى اى ذلك كان وقوله عز وجل فضحكت قال بعضهم ضحكت تعجبا من
خوف ابراهيم لصوص وهم كانوا ثلاثة او اربعة دون عشرة وكان خدم ابراهيم يبلغ عددهم
ثلاث مائة على ماذكر فى القصة ضحكت تعجبا انه كيف يخاف من نفر عددهم دون عشرة وعنده
من الخدم ما يبلغ عددهم ماذكرنا وقال بعضهم ضحكت تعجبا مما بشروها بالولد وقد بلغ سنها سن
الكبر وهو كذلك وقالت اءلد وقد كبرت من السن كذا وقال بعضهم ضحكت اى حاضت وهو
قال ابن عباس وعكرمة وقال الفراء فضحكت حاضت غير مسموع ولا معروف فعلى تاويل من قال
انها ضحكت تعجبا مما بشرت بالولد فهو على التقديم والتاخير كانه قال فبشرناها باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب فضحكت وقال بعضهم ضحكت سرورا بالامن منهم لانها خافت منهم وقوله عز وجل ومن
وراء اسحق يعقوب فضحكت وقال بعضهم ضحكت ظاهر هذا انها بشرت باسحق ومن وراء اولاد اسحق
بولد يعقوب ولكن لم يكن يعقوب ولدا من ابراهيم الى ولد من اسحق وهو حافد ابراهيم بن اسحق
فتاويله من وراء اسحق حافد فانما البشارة بالولد وبالحافد وهم كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة وقال فى هذه السورة وامراته قائمة فضحكت وقال فى موضع اخر فاقبلت امراته فى صرة فصكت
فان كان على ما قالوا انها كانت قائمة وراء الباب فيكون اقبالها اخر وجهها الى القوم وان كان قياما
على رؤسهم فيكون معنى الاقبال هو الاقبال فى ضرب وجهها وصكها لكن ذلك من العقد ومكنه على
الاقبال بفعل ما اخرعنها من صك وجهها والله اعلم وقوله عز وجل قالت يا ويلتا ءالد وانا عجوز
وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب هى لم تتعجب قدرة الله انه قادر على ان يهب الولد فى كل وقت ولكنها

يجب لمارات العادة فى النساء والرجال انهم اذا بلغ المبلغ الذى كانوا هم لم يلد وا فتعجبها انها تلد
فى الحال التى هما عليها او ترداد الى حال الشباب فعند ذلك يولد هما وكلاهما عجيب بخروج على
خلاف العادة لا بحيث قدرة الرب وهو كما ذكرنا من قول زكريا انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر
وامراتى عاقر وفى موضع اخر وقد بلغت من الكبر عتيا قوله انى يكون لى غلام فى الحال التى انا عليها او
يرد الى شبابى فعلى ذلك قولها ءالد وانا عجوز وهذا بعلى ان هذا لشئ عجيب وقوله عز وجل قالوا اتعجبين
من امر الله قال اهل التاويل اتعجبين من قدرة الله وقوله عز وجل رحمة الله
وبركاته او قالوا سلام الله عليكم يشبه ان يكون هذا صلة قوله قالوا سلاما لانه معلوم انهم لم يقولوا
سلاما صاحب لم يزيد واعلى هذا بل زادوا فانهم قالوا سلام عليكم ورحمة الله وبركاته او قالوا سلام
الله ورحمته وبركاته عليكم اهل البيت بالنصب كانه قال يا اهل البيت كقوله صلى الله عليه وسلم
حيث قال تركت بعد الثقلين كتاب الله وعترتى اهل بيتى اى يا اهل بيتى انه حميد مجيد يحتمل حميد
الذى يقبل اليسير من المعروف ويعطى الجزيل كالشكور والمجيد من المجد والشرف وقيل الحميد المحمود
والمجيد الماجد وهو الكريم والله اعلم وقوله عز وجل فلما ذهب عن ابراهيم الروع قيل الروع هو الفزع
والفزع الذى دخل فيه بمجئ الملائكة وجاءته البشرى فى الولد والحافد وفى نجاة لوط واهله وهو ماذكر
فى قوله ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى وقوله عز وجل يجادلنا فى قوم لوط قال بعض اهل
مجادلته اياهم فى قوم لوط ماذكر فى القصة انه قال لهم ارايتم ان كان فيهم من المؤمنين كذا تعذبونهم
قالوا لا ونحوه من الكلام فان ثبت هذا والا لا نعلم مجادلته اياهم فى دفع العذاب عنهم او تاخيره وقيل
قوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويحتمل غير مجادلته
اياهم فى استبقاء قوم لوط شفقته عليهم ورحمة لعلهم يؤمنون ويقبلون ما يدعون اليه لئلا ينزل
بهم العذاب ما اوعد او ليشفع اليهم ليسالوا ربهم ان يبقيهم والله اعلم وقوله عز وجل ان ابراهيم
لحليم اواه منيب قيل الحليم هو الذى لا يكافى من ظلمه ولا يجازيه او يحلم عن سفه كل سفيه اواه قيل الاواه
الموقن بلغة الحبش وقيل الاواه المتاوه وهو الدعاء وكثير الدعاء وقيل الاواه المنيب الذى لا يفتر لسانه
عن ذكره وقيل الاواه الحزين فيما بينه وبين ربه جمع فى هذه الاحرف الثلاثة جميع انواع الخير والطاعة
ماكان فيما بينه وبين ربه وما كان بينه وبين الخلق حيث ذكر انه حليم وانه اواه منيب والمنيب قيل
المخلص لله وقيل هو المقبل لله بقلبه وبدنه وقد ذكرنا هذا فى سورة التوبة وقوله عز وجل يا ابراهيم
اعرض عن هذا يعنى عن المجادلة التى كان يجادلهم انه قد جاء امر ربك اى جاء ما امر به ربك وجاء موعود
ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود اى غير مدفوع لا يحتمل الرد بالشفاعة ويحتمل قوله يا ابراهيم اعرض
عن هذا عن المجادلة التى ذكر انه قد جاء امر ربك بالانصراف والرجوع عنك ويحتمل جاء امر ربك من انزال
العذاب وقوله عز وجل ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم قوله سئ بهم قيل اى ساءه مجيئهم ومكانهم
واكرههم لصنيع قومه بالغرباء ومخافة ان يفضحوهم وضاق بهم ذرعا اى لم يدر كيف يصنع بهم وكيف يحتال
ليدفع عن ضيفه سوء قومه والذرع قيل هو المقدرة والقوة اى ضاق مقدرته وقوته وقيل هذا
يوم عصيب قيل فظيع شديد لانه يوم تهتك الاستار وتفضح الرجال وفيه دليل جواز الاجتهاد لانه قال لو
عصيب فظيع بتعد لم يظهر لرشدته لكنه قالوا اجتهادا والله اعلم ثم قوله فلما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم
وضاق بهم ذرعا بسوء صنيع قومه باضيافه الحرفان جميعا ينصرف الى لوط لمكان قومه لمكان اضيافه
او يكون احد الحرفين لمكان ضيفه والاخر لمكان ضيفه وما ينزل بقومه والله اعلم وقوله عز وجل وجاءه
قومه يهرعون اليه قال بعضهم يسرعون اليه وقال بعضهم يهرعون اليه اى يهرولون اليه وهو سير
بين السعى والمشى بين بين وقال بعضهم قوله يهرعون اليه يرعون اليه من الروع اى فزعين والله
اعلم وقوله عز وجل ومن قبل كانوا يعملون السيئات هذا يحتمل وجهين احدهما قوله من قبل ان يبعث
رسولا اليهم كانوا يعملون السيئات ويحتمل قوله من قبل اى من قبل نزول الضياف بلوط كانوا يعملون
السيئات والسيئات تحتمل الشرك وغيره من الفواحش التى كانوا يرتكبونها والله اعلم وقوله عز وجل
قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم اختلف فى قوله بناتى هن اطهر لكم قال بعضهم اراد بنات قومه لان
الرسل كالاباء لاولاد قومهم ينسبون اليهم الا ترى الى قوله النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه

اسماتهم وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وهو اب لهم مما ازواجه امهاتهم والنبى ابالهم فعلى ذلك يحتمل
قول لوط هولاء بناتى اراد بنات قومه فنسبهن الى نفسه لما ذكرنا انه كالاب لهم ثم يحتمل معنى جعل النبى
لاولاد قومه كالاب وازواجه كالام وجهين احدهما ننسبوا اليه الشفقة هو اشفق بهم من الاب والام
او لحق التربية وتعليم الدين كالاب لهم فهو اولى بهم من انفسهم لهذين الوجهين وقال بعضهم اراد
بنات نفسه ثم اختلف فيه قال بعضهم كان ذلك منه تعريض لهم للنكاح يقول هولاء بناتى هن اطهر لكم
نكاحا ان كنتم قائلين للايمان ومنهم من قال هو تعريض منه لما هو زنا عندهم لا انه عرض ذلك عند
نفسه وهذا كما يقولون ان من اكره على ان يشتم محمدا صلى الله عليه وسلم فلا باس بان يشتمه ويقصد بشتمه
محمدا اخر ويحل له شتمه وان كان المكره انه يشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اخطر الشاتم
فى قلبه غيره وكذلك ان اكره على ان يشتم الله فيقصد بالشتم مشتم الهتهم وان كان عندهم انه انما يشتم
الله الذى يعبده فعلى ذلك يحتمل قول لوط هن اظهر لكم تعريض زنا عندهم وان كان عنده انه ليس
لذلك يقصد وقال قائلون قال هذا ليريهم قبح الفعل الذى كانوا يقصدون باضيافه لان الزنا كان
عندهم محرما فعرض عليهم بناته ليعرفوا قبح ذلك الفعل حيث احتمل قلبه فى بناته ولم يحتمل فى اضيافه
ليمتنعوا عن ذلك او يحتمل ان يكون قال ذلك وان كان كلاهما لا يحلان لكن احدهما ايسر واهون يجوز
الجمع بين الشرين فيقال هذا اطهر واحل من هذا وهذا ايسر من هذا واهون وان كان كلاهما شرين
فالزنا وان كان حراما فذلك مما يحل واد بار الرجال لا يحل بحال وقال بعضهم انهم كانوا يخطبون بناته وكان
ابى ان يزوجهن منهم لما لم يكونوا اكفوا الدين ثم عرض عليهم فى ذلك الوقت ليعلموا قبح ذلك الفعل
الذى قصدوا باضيافه او كلام نحو هذا والله اعلم **وقوله** عز وجل فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى
وقال فى موضع اخر فلا تفضحوا فى ضيفى ليعلم ان الاخزاء هو الفضيحة هذا يدل على ان الخزى هو الذى يفتضح
من نزل به **وقوله** عز وجل اليس منكم رجل رشيد قال بعضهم هم ان يزوج بناته من يصد ر لوابه فيمنعهم
عنه كانه يقول اليس منكم من يرشد ويصد ر لرايه **وقوله** عز وجل اليس منكم رجل رشيد قال بعضهم
ان يزوج بناته من يصد ر لرايه فيمنعهم عنه كانه يقول اليس منكم من يرشد ويصيد ر لرايه **وقوله** عز وجل
اليس منكم رجل رشيد اى ليس منكم رجل يقبل الموعظة ويرشدكم ويعظكم او يقول اليس منكم رجل
رشيد على النهى فيمنعهم عما يريدون ويقصدون **وقوله** عز وجل لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق على
التاويلين الذين ذكرناهما الحق حق النكاح او حق الاستمتاع وفى بعض التاويلات من حق من حاجة له
وبذلك يقول عامة اهل التاويل ما لنا فى بناتك من حق اى من حاجة وانك لتعلم ما نريد يعنون
الاضياف قال لو ان لى بكم قوة اى قوة فى نفسى او اوى الى ركن شديد قيل عشيرة والركن الشديد
عند العرب العشيرة يقول لو ان لى بكم قوة فى نفسى عشيرة يعينونى لقاتلتكم فيه دلالة ان من راى
اخر فاحشة فله ان يقاتله **وقوله** عز وجل ما لنا فى بناتك من حق تاويله والله اعلم انك تعلم ان ليس
لنا فى بناتك من حق كما ليس لنا من اضيافك حق فكيف تمنعنا عنهم وتعرض علينا بناتك فهن فيما ليس
لنا فيهن حق كاولئك او الله اعلم قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك قيل قالوا ذلك للوط لن
يصلوا لن يصلوا اليك لما طمسوا اعينهم وهو كقوله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا
عذابى ونذر وقال قائلون قالوا ذلك للوط حين طمست اعينهم ان ضيفك سحروا ابصارنا فستعلم
غدا ما تلقى انت واهلك فقالوا عند ذلك لن يصلوا اليك بسوء عذابا انهم يهلكون ودل قوله ان لى بكم قوة
او اوى الى ركن شديد على انهم قد همّوا للوط واوعدوه حتى قال ما قال الا ترى ان الملائكة قالوا انهم
لن يصلوا اليك فهذا على ما ذكرنا **وقوله** عز وجل فاسر باهلك بقطع من الليل قيل قطع من الليل اخر
وهو وقت السحر وقيل هو ثلث الليل او ربعه من اخره وهو واحد والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا يلتفت
منكم احد الا امراتك قيل لا يتخلف احد منكم الا امراتك فانها تتخلف ويصيبها ما اصاب اولئك وقال
بعضهم ولا يلتفت من الالتفات والنظر وقيل لا يترك احد منكم مما يعتك الا امراتك فانها لا تتبعك فيصيبها
ما اصاب اولئك **وقوله** عز وجل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك يحتمل النهى من الالتفات كانه يقول لا يلتفت
احد ويحتمل الخبر كانه يقول لا يلتفت منكم احد الا من ذكر وهو زوجته فذلك علامة لخلافها له **وقوله**
عز وجل ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب كان لوطا استبطاء الصبح لعذابهم فقالوا اليس

الصبح

الصبح بقريب هذا من لوط لا يحتمل ان يكون قال ذلك وهو بين اظهرهم ويعلم ان قرا يقلب اعلاها
اسفلها واسفلها اعلاها ولكن قال والله اعلم بعد ما اخرجوه واهله من بين اظهرهم فقد قال ذلك
ما قال واستبطاء وقت نزول العذاب بهم والله اعلم **وقوله** عز وجل فلما جاء امرنا يحتمل جاء الامر
بالمراد بامرنا او امره هو جعله عاليها سافلها ثم قال اهل التاويل قوله جعلنا عاليها سافلها ادخل
جبريل جناحه تحت قريات لوط ثم رفعها الى السماء ثم قبلها فجعل ما هو اعلاها اسفلها فهوت الى الارض
فذلك قوله والموتفكة اهوى قيل اهواها جبريل من السماء الى الارض واكن ان تكون اذا اهلكهم جعلهم
تحت الارض فذلك جعل اعلاها اسفلها لكن اهل التاويل حملوا على ما ذكرنا واجمعوا على ذلك وقال
بعضهم قبلت القرى وجعل اعلاها اسفلها على ما ذكرنا وارسل الحجارة على من كان غائبا منها **وقوله**
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال بعضهم الحجارة عليها ثم قبلها جبريل وقال بعضهم امطر عليها الحجارة
بعد ما قبلها جبريل فتنوبها وكل واحد منهم كان غائبا من بلده جاءت حجارة مكتوب عليها اسمه فقتله
حيث كان والله اعلم **وقوله** عز وجل من سجيل قال بعضهم السجيل هو اسم المكان الذى منه دفع الحجر
الذى امطرنا قال بعضهم هو طين مطبوخ كالاجر وعن ابن عباس رضى الله عنه قال سنك وكل منضود
يقيد الحجر بالطين والصق بعضه ببعض مسومة معلمة مخططة سود الحمرة وقال بعضهم مسومة
اى مكتوب عليها اسم صاحبها **وقوله** عز وجل وما هى من الظالمين ببعيد قال بعضهم ما هى من ظلمة
قوم لوط ببعيد وقال بعضهم ما هى من ظالمى اهل مكة وحواليهم ببعيد اى عذاب الله ليس ببعيد
يعذبهم ان شاء ويحتمل قوله وما هى من الظالمين ببعيد اى تلك القرى والامكنة التى اهلك اهلها
ليست ببعيدة من مشركى اهل مكة وهو ما ذكر وانكم لتمرون عليهم مصبحين الاية وفيه تذكير منه
على هذه الامة حيث لم يجعل عذابهم عذاب استيصال بحيث لا يملكون العود عنه والرجوع ولكن جعل
عذابهم الجهاد حتى لو ارادوا الرجوع عنه ملكوا والله اعلم **وقوله** عز وجل والى مدين اى الى مدين
ارسلنا اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هذا قد ذكرنا فيما تقدم ان كل نبى اول
ما دعا قومه انما دعى الى توحيد الله وجعل العبادة له وفى قوله اخاهم شعيبا وما ذكر فى غيره
من الاخوة دلالة على ان الرسل من قبل كانوا من البشر من جنس قومهم لا من الملائكة حيث قال اخاهم
شعيبا ومعلوم انهم لم يكونوا اخوة لهم فى الدين وفيه ان الاخوة لا توجب فضيلة المواخى له لان الرسل
اخوة اولئك الاقوام وهم كفرة وذلك يرد قول الروافض فى تفضيل على على ابى بكر بالمواخاة التى كانت
بين رسول الله وبين على والخلة توجب الفضيلة وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو اتخذت
سوى ربى خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا **وقوله** عز وجل ولا تنقصوا المكيال والميزان ذكر انهم ينقصون
المكيال والميزان ولا يوفون الناس حقوقهم فنهاهم عن ذلك فهو والله اعلم لوجهين احدهما انهم
انما نهوا من ذلك لحق الربا لان النقصان اذا كان برضاء من صاحبه يجوز فدل انه انما هو بحق الربا و
بما فيهما يجرى الربا والثانى فيه ان هبة المشترى للبايع وتقبله قبل قبضه على تمام البيع فيما بينهما
غير جائز والله اعلم **وقوله** عز وجل انى اراكم بخير قيل وسعة من المال وقيل فى رخص من السعة والمال
المرء على النقصان والظلم على اخر عزة الشئ وضيق الحال فكيف تنقصون انتم فى حال السعة ورخص
السعة او يقول انى اراكم بخير فى غير هذا فلا تظلمون الناس فى هذا وتمنعوا حقوقهم وانى اخاف عليكم
عذاب يوم محيط اى يوم يحيط بهم العذاب ان كانت الاحاطة مضافة الى اليوم فهو محيط بكل وان كان
الاحاطة مضافة الى العذاب فهو محيط بالكفرة خاصة وهو والله اعلم انه ما من جارحة من ظاهره و
باطنه الا وقد يصيبها العذاب ويحيط بها ليس كعذاب الدنيا يأخذ جلده ونحوه بل يحيط به النهى
نقصان الكيل والميزان لا يدل على ان لم يكن فيه من المآثم والاجرام سوى ذلك لكنه خص هذا لما كان الظاهر
فيهم نقصان الكيل والوزن فذكر ذلك وهو ما خص قوم لوط بقوله انا توتون الذكران من العالمين و
انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها الاية ذكر هذا وخصهم ليس على انهم لم يكونوا ياتون من الفواحش
غيرها لكن خص هذا لان الظاهر فيهم هذا فعلى ذلك نقصان الكيل والميزان ان فى قوم شعيب والله
اعلم **وقوله** عز وجل ويا قوم اوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم خص المكيال
وينقصون الميزان رغبة فيما يجرى الربا لما ذكرنا **وقوله** عز وجل ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيه دلالة

ان المشترى يملك المبيع قبل ان يقبض لانه قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم اضاف الى الناس اشياءهم فلو
لا يملك لم يكن اشياء الناس انما كان اشياءهم فانما نقص ماله وقوله عز وجل ولا تعثوا فى الارض مفسدين
وهو ما ذكر فى موضع اخر ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وقوله عز وجل بقية الله خير لكم ان كنتم
مؤمنين قال بعضهم ما ابقى الله لكم من ثوابه فى الاخرة خير لكم ان امنتم به مما تجمعون من الاموال قال
بعضهم بقية الله خير لكم اى ما جعل الله لكم مما يحل خير لكم مما يحرم عليكم من نقصان الكيل والوزن
ان كنتم مؤمنين بالحلال او بالاخرة وقال بعضهم طاعة الله وهو ما يامركم به ويدعوكم اليه خير لكم
مما تفعلون وقال الحسن رزق الله خير لكم من بخسكم الناس حقوقهم لكن هذا يرجع الى ما ذكرنا والله اعلم
وقوله عز وجل وما انا عليكم بحفيظ يحتمل ما انا عليكم بحفيظ اى لست اشهد بياعاتكم واشريتكم حتى
اعلم بخسكم الناس المكيال والميزان لكن انما اعرف ذلك بالله وفيه دلالة اثبات رسالته والثانى وما
انا عليكم بحفيظ اى بمسلط عليكم انما ابلغ اليكم كقوله ما على الرسل الا البلاغ وقوله عز وجل قالوا يا شعيب
اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء قال بعض اهل التاويل صلوتك
قراءتك تامرك هذا وقال ابن عباس رضى الله عنه قالوا ذلك له لان شعيبا كان يكثر الصلوة كانه يحتج
عن الاصنام ويقولون اصلوتك تامرك بان نترك عبادة ما عبد اباؤنا وقوله صلوتك وصلواتك
يحتمل ان يكون له صلوة معروفة يفعلها فيقولون اصلوتك التى تفعلها تامرك ان نترك كذا ام صلوة
واحدة تكثرها فقالوا ذلك لتخصيص الصلوة من بين غيرها من الطاعات لما تعلمها كانت من اظهر
طاعته عندهم فقالوا له هذا ثم يحتمل وجهين احدهما انهم قالوا اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا
او ان نفعل كذا على التسفيه له او التجهيل لكن بنوع اخر ويسفهه بقول العامل يامرك بذلك وايمانك با
هذا كقوله قل بئسما يامركم به ايمانكم الاية ونحوه من الكلام يخرج على التسفيه او التجهيل والثانى يقال ذلك
على الانكار يقول الرجل لاخر ايمانك يامرك بذلك او عملك يامرك بهذا اى لا يامرك بذلك فعلى ذلك
يحتمل قول هؤلاء اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء اى لا يامرك
بذلك هذا اذا كانت الصلوة التى ذكر وهما مرضية عندهم فان لم تكن مرضية قالوا بل هو الاول وقوله
عز وجل اصلوتك تامرك الاية حبب اليهم تقليد ابائهم فى عبادة الاصنام واعتناقهم اباءهم والاموال
التى كانت لهم تمنعهم هذا عن النظر فى الحجج والايات لما حبب اليهم ذلك وهكذا جميع الكفرة انما منعهم
عن النظر فى ايات الله والتامل فى حججه احد هذه الوجوه التى ذكرنا حب اللذات ودوام الرياسات
والميل الى الشهوات ظنوا انهم لو اتبعوا رسل الله واجابوهم الى ما دعوهم اليه لذهب عنهم ذلك ثم
قوله او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء يحتمل قضاء جميع الشهوات ويحتمل ما ذكر من نقصان المكيال والميزان
يقولون اموالنا ليس لاحد فيها حق نفعل فيها ما نشاء وقال بعضهم قوله او ان نفعل الالف صلة
وان نفعل فى اموالنا ما نشاء وقوله عز وجل انك لانت الحليم الرشيد قال اهل التاويل قالوا ذلك له
استهزاء به وسخرية كنوا بالحليم من السفيه وبالرشيد من الضال اى انت السفيه حيث سفهت اباءنا
فى عبادتهم الاصنام الضال حيث ضللتهم ومذهبهم وقال بعضهم على النفى والانكار اى ما انت الحليم الرشيد
ويشبه ان يكون على حقيقة الوصف له بالحلم والرشد لانهم لم ياخذوا عليه كذبا قط ولا داوه على خلاف ولا
على سفاهة قط فقالوا انك لانت الحليم الرشيد اى كنت هكذا فكيف تركت ذلك وهو ما قال قوم
صالح لصالح حيث قالوا قد كنت فينا مرجوا وقوله عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى
اى على علم وبيان وحجج وبرهان من ربى على ما ذكرنا فيما تقدم اى تعلمون انى كنت على بيان من ربى وحجج
ورزقنى منه رزقا حسنا يحتمل هذا منه مكان ما قال اولئك الانبياء واتانى رحمة من عنده اى قال
هود ورزقنى منه رزقا حسنا الدين والهدى والنبوة على ما ذكرنا وامكن ان يكون الرزق الحسن هو الاموال
الحلال الطيبة التى لا تبعة عليه فقال ذلك وما رزق اولئك عليهم تبعة فى ذلك لانهم اكتسبوها
من وجه لا يحل وقوله عز وجل وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه من الناس من يقول قال لهم ذلك بازاء
ما قالوا فيما ذكر فى الاعراف لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا يقول ما ادعوكم
الى الايمان بالله والتوحيد له وانهاكم عن الكفر به ثم ارتكب ما انهاكم عنه واترك ما ادعوكم اليه وقال قتادة
لم اكن انهاكم عن امر واركبه وهو واحد ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وفيه دلالة ان الاستطاعة تكون

مع الفعل

مع الفعل لا يخلو اما ان يكون اراد استطاعة الارادة او استطاعة الفعل فكيف ما كان فقد اخبر انه
يريد لهم من الصلاح ما استطاع فتثبته ما ذكرنا وهو ينقض على المعتزلة مذهبهم لانهم يقولون
الاستطاعة تتقدم على الفعل وهى لا تبقى وقد اخبر على قوله ارادة الصلاح لهم بالعدم من الاستطاعة
وقوله عز وجل وما توفيقى الا بالله قال بعضهم التوفيق هو صفة كل مطيع والخذلان هو صفة كل عاص
وقال بعضهم التوفيق ما يوافق قوله فعله فى الطاعة والخذلان ما يخالف بين قوله وفعله فى المعصية
وقال الحسين النجار التوفيق هو قدرة كل خير وطاعة والخذلان هو قدرة كل شر ومعصية وعندنا
التوفيق هو ان يوافق هو ان يوفق بين عمل الخير والاستطاعة والخذلان هو ان يفرق بين عمل الخير
والاستطاعة او ان يقول هو ان يوفق بين عمل الشر والاستطاعة وهما احد وقوله عز وجل عليه
توكلت اى عليه اعتمدت فى جميع امرى واليه وكلت واليه انيب اى ارجع او يقول اليه اقبل بالطاعة
وقوله عز وجل ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح بالغرق وقوم هود بالريح
صرصر وقوم صالح بالصيحة على ما ذكر قال بعضهم لا يجرمنكم اى لا يحملنكم شقاقى فى خلافى ان يصيبكم مثل
ما اصاب اولئك وقال بعضهم قوله لا يجرمنكم اى لا يؤثمنكم شقاقى اى عداوتى ان يصيبكم مثل ما اصاب
اولئك وقيل لا يجرمنكم لا يكسبنكم عداوتى وقال الحسن شقاقى خلافى لكن يرجع الى معنى واحد لانه اذا
ثبت العداوة ثبت المخالفة والبغض والفراق فكل ما ذكروا فهو واحد واصل الجرم الاثم والكسب
ثم يخرج الانذار اياهم بمن هلك من الامم على وجهين احدهما ان قوم شعيب قوم لا يؤمنون بالبعث
وبالقيامة فانذرهم من الامم السالفة لانه لو كان الاحتجاج فيهم انهم لا يؤمنون به والثانى انذرهم
باولئك لانهم كانوا يقلدون اباءهم فى عبادة الاوثان ويتبعونهم فيقول انكم تقلدون اباءكم وتتبعونهم
فى عبادة الاوثان فاتبعوهم ايضا بما بلغوا اليكم من هلاك اولئك بعبادتهم الاوثان وتكذيبهم الرسل
فان قلدتموهم فى ذلك فهلا تقلدونهم وتتبعونهم فيما اصابهم بما اصابهم او يقول انكم تقلدون
اباءكم الذين عبدوا الاوثان وقد هلكوا فلا تقلدون من لم يعبد منهم ونجا وقد عرفتم ان من هلك منكم
بم هلك ومن نجا منهم بم نجا والله اعلم وقوله عز وجل وما قوم لوط منكم ببعيد اى تحسبتم من معنى
منهم فلا تنسون ما نزل بقوم لوط وليسوهم ببعيد منكم وقوله عز وجل واستغفروا ربكم اى اطلبوا
من ربكم المغفرة اى اطلبوا السبب الذى يبلغ لكم المغفرة من ربكم وهو التوحيد ثم توبوا اليه اى ارجعوا
اليه ولا تعودوا الى ما كنتم من قبل وقوله عز وجل ثم توبوا اليه اى ارجعوا اليه حتى لا تعودوا الى مثل
صنيعكم ابدا ان ربى رحيم من تاب اليه والله يرحمه ودود يحتمل وجهين احدهما ودود اى احق
ان يود منه كل شىء وكل احسان والناس جبلوا على حب من احسن اليهم والثانى ودود لمن توصل اليه
وتقرب وقوله عز وجل قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول قوله ما نفقه يحتمل ما نفهم وما
نعقل كثيرا مما تقول كانهم يقولون ذلك على الاستهزاء والهزء به كانهم ينسبونه الى الجنون يقولون
لا نفهم ما تقول لان كلامك كلام مجانين وهذه هى عادة القوم كانوا ينسبون الرسل الى الجنون ويحتمل
ما نفقه ما نعقل كثيرا مما تقول فان كان على الفهم فهو كقوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى
اصحاب السعير وهم كانوا فريقين كانوا يقولون قلوبنا اوعية للعلم كقولهم قلوبنا غلف فان كان
ما تقول حقا نفهم ونعقل كما نعقل غيره وفريق قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا
وقر كانوا يعقلون انهم لا يفهمون ولا يفقهون لان قلوبهم فى اكنة وفى اذانهم وقر والفريق
الاول يقولون ان قلوبنا اوعية للعلم فلو كان حقا لنعقل كما عقلنا غيره فهؤلاء كانوا يصرفون العيب
الى الرسول واولئك الى انفسهم فعلى ذلك قوم شعيب يحتمل ان يكون كذلك والله اعلم وقوله عز وجل
وانا لنريك فينا ضعيفا يحتمل هذا وجهين احدهما اى انك لست من كبرائنا واجلتنا انما انت من
اوساطنا وعلى ذلك الانبياء انما بعثوا من اوساط الناس لا من كبرائهم فى امر الدنيا والقوى والعزيز
عند اولئك القوم من عنده الدنيا والمال واما من لم يكن عنده المال فهو عندهم ضعيف ذليل لانهم
لا يعرفون الدين ولا يؤمنون بالاخرة فلذلك قالوا ما قالوا والثانى لست انت بذى قوة وبطش فى
نفسك وقد ذكر انه كان ضعيفا فى بصره ونفسه يحتمل وصفهم بالضعف لهذين الوجهين والله
اعلم وقوله عز وجل ولولا رهطك اى قبيلتك وقيل عشيرتك لرجمناك الرجم يحتمل القتل ويحتمل

للعن والشتم ثم يحتمل قوله لولا رهطك اى لولا حرمة رهطك لرجمناك كانهم كانوا يحرمون لو انفقة رهطه اياهم فى العبادة اعنى عبادة الاوثان وعلى ما هم عليه والثانى لولا رهطك لرجمناك خوفا منهم لما ذكر انه كان كثير العشيرة والقبيلة كانوا يخافون عشيرته فلم يؤذوه والله اعلم وقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز اى ما انت اجلنا وكبرائنا انما انت من اوساطنا علينا بعزيز لان العزيز عندهم من كان عنده المال والدنيا لا يعرفون العزيز بغير ذلك ولم يكن عند شعيب الدنيا لذلك لنسبوه الى ما ذكروا وانت ذليل عندنا لست بعزيز فيكون صلة قوله وانا لنراك فينا ضعيفا والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله هذا يخرج على وجهين يحتمل يا قوم ارهطى اعظم حقا عليكم واكثر حرمة حتى تركتم ما اوعد لهم لى من النقمة لحقهم و حرمتهم والثانى قوله يا قوم ارهطى اعز عليكم ارهطى اشد خوفا عليكم واكثر نكاية من الله لانا قلنا فى قوله ولولا رهطك لرجمناك انه يخرج على وجهين احدهما الاحترام لرهطه لموافقتهم اياهم فى جميع ما هم عليه والمساعدة لهم والثانى على الخوف والنكاية لعزتهم واكثرتهم وفضل بطشهم ذكر اما وعد والله خوفا من رهطه فقال خوفكم من لرهطى اشد واكثر عليكم من الخوف من الله و بلغكم من نكاية الله ونقمته فيما حل بالامم الماضية اوحرمة رهطى عندكم وحقهم اعظم من حق الله وحرمته وقد تعلمون احسان الله اليكم وانعامه عليكم وقوله عز وجل واتخذتموه وراءكم ظهريا اى جعلتموه على ظهركم وحملهم اياه على ظهرهم اى اخطهم اياه قال تقول العرب فلان حمل الناس على ظهره اى اخطهم على نفسه ولكن لا ندرى ايثال هذا ام لا فان مثل هذا التنوع يحتمل ما قال وهو قول ابى بكر الاصم وقال غيره من اهل التاويل قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا اى نبذتم امر الله وراء ظهركم اى نبذتم حق الله وامره وكتابه الذى انزل اليكم وراء ظهركم لا تعملون به ولا تكترثون اليه هو كالمنبوذ وراء ظهوركم هذا على التمثيل اى جعلوا امره ووصيته الذى دعوا اليه كالمنبوذ وراء ظهرهم لا ينظرون اليه ولا يكترثون وما ذكر فى قوله نكص على عقبيه وقوله انقلبتم على اعقابكم على التمثيل اى الذى انتم عليه فى القبح كالانقلاب على الاعقاب ثم ان ربى بما تعملون محيط هذا يخرج على وجهين ايضا اى ان ربى بما تعملون من الاعمال الخبيثة محيط فيجزيكم بها او يقول ان ربى بما تعملون من الكيد برسول الله والمكر به محيط فينصره عليكم وقوله عز وجل ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل هذا يخرج على وجهين احدهما ان كونوا على دينكم الذى انتم عليه وانا اكون على دينى كقوله لكم دينكم ولى دين لان قوم شعيب قالوا لشعيب لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا فقال لهم عند ذلك وهذا انما يقال عند الاياس عن ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم والثانى قوله اعملوا على مكانتكم انى عامل اى اعملوا فى كيدى والمكر فى هلاكى انى عامل فى هلاككم ذلك بكم وهو كما قال غيره من الرسل فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون وقوله فانتظروا انى معكم من المنتظرين ونحوه وقوله عز وجل سوف تعلمون فى العاقبة وعيد من ياتيه عذاب يخزيه او سوف تعلمون فى العاقبة من يأتى منا عذاب يخزيه نحن او انتم من هو كاذب وتعلمون ايضا فى العاقبة من الكاذب منا نحن او انتم لان كل واحد من الفريقين يدعى على الفريق الاخر الكذب والافتراء على الله فيقول سوف تعلمون فى العاقبة من الكاذب منا والمفترى على الله والصادق عليه وارتقبوا انى معكم رقيب ارتقبوا هلاكى وانا ارتقب هلاككم او ارتقبوا لمن العاقبة منا لنا او لكم انى معكم رقيب والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا هذا قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل الصيحة صيحة جبريل اى هلكوا بصيحته وقال بعضهم الصيحة اسم كل عذاب وكذلك الرجفة سمى العذاب باسماء مختلفة مرة صاعقة ومرة صيحة ومرة رجفة وقوله عز وجل فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود هذا ايضا قد ذكرنا فيما تقدم قال بعض اهل التاويل قوله الا بعدا لمدين فى الهلاك كما بعدت ثمود كما اهلك ثمود لان كل واحد منهما هلك بالصيحة ثم انه اختص ذكر ثمود من بين الامم وعن ابن عباس رضى الله عنه لم يعذب بعذاب واحد الا قوم شعيب وصالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب من فوقهم

من الله

قال

قال قتادة الهم سحابة فيها عذابهم فلم يعلموا كهيئة الظلة فيها روح فلما راوها اتوها يستظلون عنها من حر الشمس فسال عليهم العذاب من فوقهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة وقوله الا بعدا لمدين من رحمة الله كما بعدت ثمود من رحمته ويحتمل الهلاك الذى ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين وهى الحجج يحتمل قوله باياتنا وسلطان مبين واحد على التكرار ان كانت الايات هى الاوامر والمناهى وما يؤتى وما يتقى فقوله وسلطان مبين هى الحجج والبراهين على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل الى فرعون وملائه قد ذكرنا ان الملأ هو اسم لشيئين اسم الجماعة واسم الاجلة والاشراف وهو كان مبعوثا الى الاشراف من قومه والى الجماعة جميعا خص بعثه الى فرعون وذكره وملائه وان كان مبعوثا الى الكل لما العرف فى الملوك انهم انما يخاطبون الكبراء منهم والاشراف وان كان المقصود من الخطاب الكل وقوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد قال بعضهم هو ما ذكر فى حم المؤمن حيث قال لهم يا قوم ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فاطاعوا فرعون فى قوله يقول الله وما امر فرعون برشيد اى يهدى او يقول ما الامر الذى عليه فرعون برشيد بل هو ضلال ولكن عندنا انهم اطاعوا فرعون فى جميع امره ونهيه فى عبادة الاصنام وغيره مما ذكرنا فاستخف قومه فاطاعوه وقوله عز وجل وما امر فرعون برشيد اى ليس هدى بل كان امر ضلال حيث كان عونا للاضلال وقوله عز وجل يقدم قومه يوم القيمة قال بعضهم اى صار قوامهم وقال بعضهم يقود قومه الى النار حتى يردهم الى النار ويحتمل قوله يقدم قومه الى كونه اماما لهم فى الاخرة يتبعونه فى النار كما كان اماما لهم فى الدنيا يتبعونه فاتبعوه كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم وكقوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار اخبر انهم يكونون ائمة لهم فى الاخرة ويشبه ان يكون قوله فاوردهم النار واحد ما هم فى الدنيا وامرهم بامور توردهم النار وتلك الاعمال فما على النار اى ما اصبرهم على عمل اهل النار قال بعضهم يتبعونه حتى يدخلهم النار وقوله عز وجل وبئس الورد المورود وقال بعضهم بئس المدخل المدخول والورد هو الدخول والمورود المدخول سمى الجواد باسم بسببه قال ابن عباس رضى الله عنه جميع ما ذكر فى القران من الورود وقال بعضهم بئس المدخل المدخول دخولهم قوله بئس الورد المورود وقوله وان منكم الا واردها وقوله انتم لها واردون ونسوق المجرمين الى جهنم وردا الخبر والله لبروا منها كل بر وفاجر ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقوله عز وجل واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة يحتمل اللعنة فى الدنيا العذاب الذى نزل بهم ويحتمل لعن الخلائق ايضا من راهم يلعنهم من ذكرهم وفى الاخرة يحتمل الوجهين جميعا يعذبون فى الاخرة ايضا كما عذبوا فى الدنيا ويحتمل لعن الخلائق ايضا من راهم لعنهم واللعن هو الطرد فى اللغة طردوا عن رحمة الله ولم يرحموا فى عذاب الدنيا ولا يرحمون فى الاخرة وقوله عز وجل بئس الرفد المرفود عن ابن عباس بئس الرفد المرفود يقول لعنة الدنيا والاخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله لعنة الدنيا ولعنة الاخرة ولكن على زعمهم يجب ان يقال المرادف وقال بعضهم الرفد العون وهو قول القتبى وقال القتبى الرفد العطية والمرفود المعطى يقال رفدته اذا اعطيته واعنته كما يقال بئس العطاء المعطى ولذلك قال ابو عوسجة بئس ما اعطوا واعينوا وبئس المعطى والله اعلم وقوله عز وجل ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد قوله ذلك من انباء القرى ذلك ما سبق من ذكر القرى والقرون فى هذه السورة من انباء الغيب نقصه عليك ليعلم بها رسالتك ولتكون اية لنبوتك لانك لم تشاهدها ولا اختلفت لاحد منهم ولا كانت الكتب بلسانك فيقولون نظرت فيها فاخذت ذلك منها ثم انباءك على ما كان ونعمت عليهم ليعلم انك انما عرفت بالله فيكون اية لرسالتك وقوله عز وجل منها قائم وحصيد قال بعض اهل التاويل ههنا قائم ترى مكانها وتنظر اليها ومنها حصيد لا ترى له اثرا ولا مكانا وقال بعضهم قائم اى خاوية على عروشها وحصيد مستاصلة وعن الحسن قال منها قائم وما حصد الله اكثر اى ما اهلك الله من القرى اكثر واهله عندنا منها قائم نحو قرى عاد وثمود ومدين اهلك اهلها وبقيت القرى لاهل الاسلام لانه دعوا فى القرى عاد فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم الاية ومنها حصيد ما اهلك اهلها والقرى جميعا نحو قوم نوح اهلكوا اينا تهم ونحو قريات قوم لوط اهلك باهلها

ايضا حتى لم يبق لا الاهل ولا البنيان فذلك والله اعلم تأويل قوله منها قائم هلك اهلها وبقي البنيان و
حصيد هو ما اهلك البنيان باهله حتى لم يبق لها اثر وجوه ثلاثة احدها اية الرسالة لما ذكرنا وفيه
لاهل التقوى وهو ما ذكر في اخره ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة اي عبرة لمن خاف عذاب
الاخرة وزجر لاهل الشرك والكفر لانهم يذكرون ما نزل باولئك فينزجرون عن صنيعهم فيه هذه الوجوه
التي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم يقول وما ظلمناهم فيه وجهان اي
لم نظلمهم لانهم وانفسهم ملك الله تعالى وكل ذي ملك له ان يهلك ملكه ولا يوصف بالظلم من اتلف ملكه
وهم ظلموا انفسهم ليست لهم في الحقيقة وكذلك جنايتهم ومن اتلف ملك غيره فهو ظالم والثاني ان
الظلم وضع الشيء غير موضعه يقول وما ظلمناهم بالعذاب اذ يستوجبون ذلك بما ارتكبوا فلم نضع
العذاب في غير موضعه بل هم الذين وضعوا انفسهم في غير موضعها حيث صرفوها الى غير مالكها
عبد واعبدوه فهو ظلم هذا التأويل في انفسهم واما البنيان فهو انما جعله لهم فاذا ملكوا هم اهلك ما جعل
ما داموا ما ازا ابدا وهم فلا معنى لابقاء البنيان وما ذكر من ظلمهم انفسهم يحتمل وجوها احدها
ظلموا انفسهم بعبادتهم غير الله والثاني ظلموا انفسهم بصرفهم الناس وصدهم عن سبيل الله عن عبادة
الله وتوحيده الى عبادة غير الله والثالث ظلموا انفسهم بتسويلهم العذاب وقوله فما اغنت عنهم
الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك في هذا وجهان احدهما ما اغنت عنهم شيئا
الهتهم التي عبدوها من دون الله لما جاء امر ربك اي عذاب ربك كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
عبادتهم الاصنام لا تشفعهم المنفعة التي طمعوا والثاني ما اغنت عنهم انفس الهتهم في دفع العذاب
عنهم في احوج حال اليها لعجزهم في انفسهم وضعفهم كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا لم يملكوا
ذلك في وقت الحاجة اليهم فكيف يملكون في غيره والحال والله اعلم وقوله عز وجل وما زادوهم
غير تتبيب يحتمل ما زاد عبادتهم اياها غير تتبيب او ما زاد الهتهم التي عبدوها غير تتبيب والتتبيب
قال عامة اهل التأويل هو التخسير وقال ابو عوسجة غير تتبيب غير نقصان والتتبيب الفساد وكذلك
قال في قوله وما كيد فرعون الا في تباب اي فساد وقال غيره الا في خسار وقال غيره غير تخسير
وكذلك قال الفراء في قوله تبت اي خسرت وقال ابو عبيدة غير تتبيب غير تدمير واهلاك وكذلك
قال الفراء في قوله تبت يدا ابي لهب وتب وكذلك قال الفراء في قوله الناس تبا لك وقال بعضهم غير شر
والتتبيب الشر والتب الشر والخسران وهما واحد وقوله عز وجل وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
اي هكذا يأخذ كفار هذه الامة كما اخذ اولئك اي كما اخذ تلك الامم الخالية وهي ظالمة مشركة كافرة
كذلك تعذيب هذه الامة وفيه وجهته ان اخذه اليم شديد اي ان اخذه بالعذاب اليم شديد الاخذ
نفسه يوصف بالشدة ولكن لا يوصف بالالم والعذاب يوصف بالالم لكن لما وصف بالالم والشدة
دل انه الاخذ اخذ بعذاب والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة هو
ما ذكرنا فيه عبرة لاهل التقوى ولمن خاف عذاب الاخرة وقوله عز وجل ذلك يوم مجموع له الناس
خص الناس بالذكر وان كان الجمع لهم ولغيرهم لان الايات التي ذكر تكون لهم اية او لانهم المقصودون
بالجمع وبذلك اليوم والله اعلم فيه يجمع فيه الاولون والاخرون وذلك يوم مشهود وقال بعضهم
يشهده اهل السماء واهل الارض للعرض والحساب والله اعلم وقوله عز وجل وما نؤخره الا لاجل معدود
اي ما نؤخرهم العذاب عن هذه الامة الا لاجل معدود وذكر هذا والله اعلم جواب ما استعجلوه بقولهم
امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحوه وما نؤخر العذاب عنهم الا لاجل معدود
الا لوقت موقوت اي لاجل معدود عند الله ولو كان ما ذكر ابن عباس انه سبعة الاف فيكون معدودا
عند الناس ويكون وقت القيامة معلوما على قوله وقد اخبر لا يجليها لوقتها الا هو والله اعلم وقوله
عز وجل يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه اي لا تكلم نفس بالشفاعة لاحد الا باذنه كقوله لا يشفعون
الا لمن ارتضى لا تكلم نفس لاهوال ذلك اليوم ولفزعه كقوله مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم
طرفهم وافئدتهم هواء كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ولا تكلم نفس من الاجلة والعظمى الا لاحد
من دونهم بالشفاعة الا باذنه وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فمنهم شقي وسعيد فمنهم شقي
بالاعمال الخبيثة التي اذا اختارها وعملها ادخلته النار ومنهم سعيد بما اكرم من الطاعة والخيرات

التي اذا اختارها وعملها ادخلته الجنة وكل عمل يعمله فيدخله الجنة فهو سعيد وكل عمل يعمل يدخل
النار فهو شقي به روي في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن عمر رضي الله عنه
قال لما نزلت هذه الاية فمنهم شقي وسعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله
فعلى من نعمل على شيء قد فرغ منه او شيء لم يفرغ منه قال بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الاقلام
يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له فان ثبت فهو يدل لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فاما الذين
شقوا ففي النار لما ذكرنا لهم فيها زفير وشهيق قال بعضهم الزفير هو كزفير الحمار في الصوت
وهو اول ما ينهق واما الشهيق فهو كشهيق الحمار في الحلق فهو اخر ما يفرغ من نهيقه فهو شهيق
وقال بعضهم الزفير هو ما لا يفهم منه شيء انما هو كالانين والجزع من شيء يصيبه لا يتبين منه كقوله
سمعوا لها تغيظا وزفيرا والشهيق هو ما يتبع منه الصوت يسمى شهيقا ويحتمل ما ذكر من الزفير
والشهيق انهم يصيرون بعد كثرة دعائهم ونداهم حتى يكون منهم الزفير والشهيق لا يفهم
كصوت الدواب اذا اصابها الم وقوله عز وجل خالدين فيها ما دامت السموات والارض عن الحسن
قال ما دامت السموات والارض تبدل سماء غير هذه السماء والارض غير هذه فما دامت تلك السماء
وتلك الارض لهذه اخبر انها تنشق وتطوى وتبدل كقوله يوم تنشق السماء وتطوى ويوم تبدل الارض
ونحوه وقال بعضهم قوله ما دامت السموات والارض انما صلة الكلام كانه قال خالدين فيها الا ما
شاء ربك وقد يتكلم بمثل هذا على الصلة وقال بعضهم قوله ويدوم لهم العذاب ابدا ما دامت السموات
والارض لاهل الدنيا ما كانوا فيها لانهما انما يفنيان بعد فناء اهلهما وبعد احياء الاهلين والبعث
فاخبر ان العذاب يدوم لهم كما يدوم لاهل الدنيا السماء والارض وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت
السموات والارض اي ما دامت سماء الجنة وارض الجنة وسماء النار وارض النار ذكر هذا
لئلا يتوهم اهل الجنة والنار قبل هلاك سمائها وارضها على ما يتوهم هلاك اهل الدنيا قبل هلاك
سمائها وارضها وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي ما دامت الارض ارضا
والسماء سماء فيكون على ما يعد من اوهامهم فنائها او على الصلة يقول الرجل لاخر لا اكلمك ما دام
الليل والنهار اي ابدا هذا تأويل قوله ما دامت السموات والارض واما قوله الا ما شاء ربك قال
بعضهم ان ناسا من اهل التوحيد يعذبون في النار على قدر ذنوبهم وخطاياهم ثم يخرجون منها وقد
روي في ذلك روي عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا استثناء في الذين
كلنا ما لاهل الجنة يعني الذين يخرجون من النار من اهل التوحيد الا ما شاء ربك يقول لم يشقوا شقاء
من يخلد في النار وقال في الذين سعدوا الا ما شاء ربك هم اولئك الذين لم ينالوا من السعادة حال
الجنة الذين لم يدخلوا النار وفي بعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اما من يريد الله
اخراجه من النار فانهم يذوقون اماتة وقال في خبر اخر اما من يريد الله له الخلود فلا يخرجون
منها وامثال هذا من الاخبار فان ثبت هذا فهو المعتمد وقال بعضهم قوله الا ما شاء ربك
اي قد شاء لاهل النار الابد والخلود وشاء لاهل الجنة عطاء غير مجذوذ اي غير منقطع ويؤيد
هذا التأويل ما ذكر في حرف ابن مسعود الى ما دامت السموات والارض في الايتين وفي الاولى
الا ما شاء ربك وفي الاخرى ما دامت السموات والارض عطاء غير مجذوذ وكذلك ذكر في حرف
ابن مسعود وابي انهما لم يذكرا الثنيا في اهل الجنة واصل هذا ما ذكر ابو عبيدة قال الاستثناء الذي
هو في اهل السعادة فهو المشكل لانه يقال كيف يستثنى وقد وعدهم خلودا لا يبيد في الجنة
وقال في ذلك اقوال الا ذرى الى من يسند الا ان لها مخارجا في كلام العرب وشواهد في الاشعار
وانما يتكلم الناس في هذا على معاني العربية والله اعلم بما اراد قال فاحد هذه الوجوه في الاستثناء
فيما يقال كالرجل يوجب على نفسه الشيء ثم يقول ان شاء الله وعزمه ضميره مع استثنائه
انه فاعله لا يريد غيره ومما يقوي هذا المذهب قول الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
امنين فاستثنى وقد علم انهم داخلوه البتة ومنه ما روي في حديث مكة عن النبي صلى الله
عليه وسلم حين قال ولا يختلى خلاها الا لمنشد وقال بعضهم استثنى المنشد وهي لا تحل له كما لا تحل
لغيره والوجه الثاني بان يكون الا في المعنى سوى فان العرب تفعل ذلك تقول عليك الف درهم

من قبل كذا وكذا الا الالف التي قبل ذلك وغير الالف التي قبل ذلك فيكون المعنى على هذا انه وقد
خلودهم لا يستوي ما اعد لهم من الزيادة في الكرامة والمنزلة التي لم يذكرها لهم ومما يقوي هذا التأويل
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله الذي ما اطلعتهم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين الاية افلا ترى ان ههنا من الزيادة ما لم يطلعهم عليه والوجه الثالث ان تكون الاستثناء
من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها ما بين البعث والحساب وقد قيل ما ذكرنا انه بين الموت والبعث
وهو البرزخ الذي ذكر الى ان يصير والى الجنة ثم هو خلود الابد يقول فلم يغيبوا عن الجنة الا بقدر
اقامتهم في الحساب ومما يقوي هذا المذهب ما قيل في قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون
قيل ما بين الموت والبعث والله اعلم بذلك وقوله عز وجل واما الذين سعدوا واختلف القراء
في قراءتها قرأ الكسائي وحمزة بضم السين سعدوا واما ابو عمرو واهل المدينة وغيرهم من القراء
قرؤا بفتح السين سعدوا واهل قياس سعدوا قال ابو عوسجة الاعراب سعدوا ويضم السين وانما هو
سعدوا بفتح السين وقال ابو عوسجة غير مجذوذ اي غير مقطوع كقوله فجعلهم جذاذا اي قطعا
وقد ذكرنا قولهم في الزفير والشهيق على قدر حفظنا له وقوله عز وجل فلا تك في مرية مما يعبد
هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل تأويله والله اعلم لا تكن يا محمد في شك بان هؤلاء قد بلغوا
في عبادتهم الاصنام والاوثان الحد الذي بلغ اباؤهم في عبادتهم الاصنام والاوثان فاهلكوا اذ بلغوا
ذلك الحد فهؤلاء ايضا قد بلغوا ذلك المبلغ اي مبلغ الهلاك لكن الله برحمته وفضله يؤخر
عنهم الى وقت او يقال ان هؤلاء قد بلغوا في العبادة لغير الله بعد نزول القرآن والحجة المبلغ
الذي بلغ اولئك اباؤهم قبل نزول الحجة والبرهان في عبادتهم غير الله او كان في قوم قد اظهروا الموافقة
الموافقة لهم وكانوا يعبدون الاصنام في السر على ما كان يعبد اباؤهم فيقال هؤلاء وان اظهروا
الموافقة لك فقد بلغوا بتبيعهم في السر مبلغ ابائهم والله اعلم هذا يحتمل وجهين احدهما الخبر
عن قوم خاص انه لا يؤمن احد منهم ليجعل شغلهم بغيرهم والثاني اخبار ان لا يؤمن جميع قومك
كما لم يؤمن قوم موسى بجمعهم بل قد امن منهم فريق ولم يؤمن فريق فعلى ذلك يكون قومك وقوله
عز وجل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال بعضهم قوله وانا لموفوهم نصيبهم في الدنيا من
الارزاق وما قدر لهم من النعم غير منقوص ولا ينقص ما قدر لهم اي لا يهلكون حتى يوفي لهم
وقال قائلون وانا لموفوهم باعمالهم غير منقوص اي لا ينقصون من اعمالهم شيئا ولا يزادون عليهم
ان كان محسنا فحسن وان كان شرا فشر هو على الجزاء وقال بعضهم قوله وانا لموفوهم نصيبهم يقول
انا لموفوهم حظهم من العذاب في الاخرة غير منقوص عنهم ذلك العذاب وقوله عز وجل وانا لموفوهم
نصيبهم غير منقوص انه كان التأويل في قوله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد
اباؤهم من قبل على الاياس من قوم علم الله انهم لا يؤمنون فيكون تأويله ما ذكر في اية اخرى من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وان كان الثاني فهو ما ذكر في اية اخرى وان كلا
لما ليوفينهم ربك اعمالهم الاية وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف
اختلف في الكتاب والاختلاف فيه يحتمل وجوها ثلاثة احدها في الايمان به والكفر منهم من امن به
ومنهم من كفر والثاني اختلفوا فيه في الزيادة والنقصان والتبديل والتحويل والتحريف كقوله وان
منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الاية وكقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وقوله يحرفون
الكلم عن مواضعه وامثاله من الايات والوجه الثالث من الاختلاف اختلفوا في تأويله وفي معناه بعد
ما امنوا به وقبلوه فالاختلاف في التأويل مما احتمل كتابنا واما التبديل والتحريف والزيادة والنقصان
فانه لا يحتمل لما ضمن الله حفظ هذا الكتاب بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه
الباطل الاية وجعله منتشرا على السن الناس وقلوبهم حتى من زاد او نقص او بدل او حرف شيئا او
قدم او اخر عرف ذلك فهو والله اعلم لا يحتمل هذا نسخها ولا شرايعه تبديلها واما الكتب السالفة
فانما جعل حفظها اليهم بقوله بما استحفظوا من كتاب الله فهو والله اعلم لما احتمل شرايعها واحكامها
ونسخها وتبديلها لذلك كان الامر ما ذكرنا قوله ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ذكر هذا الرسول

له بصبر على ما اختلف قومه من الكتاب الذي انزل عليه يقول وقد اختلف فيما انزل على من كان قبلك
كما اختلف فيما انزل عليك وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم بالهلاك اهلاك
استيصال واستيعاب وكلمته التي سبقت يحتمل ما كان من حكمه ان يختم الرسالة بمحمد وان يجعله خاتم
النبيين وامته اخر الامم بهم تقوم الساعة يحتمل ان يكون كلمته التي ذكر هذا الذي ذكرنا ويحتمل وجها
اخر وهو ان كان من حكمه انهم اذا اختلفوا في الكتاب والدين صاروا بحيث لا يهتدون الى شيء ولا
يجدون سبيلا الى الدين ان يبعث رسولا يبين لهم الدين ويدعوهم الى الهدى لولا هذا الحكم سبق
والا لقضي بينهم بالهلاك والثالث لولا ما سبق منه ان يؤخر العذاب عن هذه الامة الى وقت
والا لقضي بينهم بالهلاك وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم يحتمل الكلمة التي
ذكر انها سبقت في قوم موسى وهو انه لا يهلكهم بعد الغرق اهلاك استيصال والتورية انما انزلت
من بعد فقد امن من قوم موسى امة هادون بالحق الاية وقوله عز وجل وانهم لفي شك منه مريب
يحتمل قوله لفي شك منه في الدين مريب وقال بعضهم لفي شك يعني من العذاب مريب وقد ذكرنا
الفرق بين الشك والريب فيما تقدم وان كلا لما ليوفينهم قيل ما ههنا صلة يقول والله وان كلا
ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم في الاخرة ان كان شرا فشر وان كان محسنا فحسن من قرأ لما بالتشديد
يحتمل وجهين احدهما الا والثاني لما اي اجتمع فيها ميمان طرحت الواحدة وادغمت احدى في
الاخرى وقوله عز وجل انه بما يعملون خبير هو وعيد وقوله عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب
معك ولا تطغوا وقال في موضع اخر فلذلك فادع فاستقم كما امرت ومن تاب معك الاستقامة هو
التوحيد اي استقم عليه حتى ياتي به ربك كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ذلك
حتى اتوا على الله به وقال بعضهم قالوا ربنا الله ثم استقاموا بما تضمن قوله ربنا الله لان قوله ربنا
الله اقرار منه بالربوبية فيجعل في نفسه وجميع اموره الربوبية لله والالوهية له ويجعل في نفسه
العبودية له هذه هي الاستقامة التي ذكر والله اعلم ان يجعل في نفسه وجميع اموره الربوبية
لله والالوهية له واياك ما يجب ما يؤتى وينتهي ما يجب ما ينتهي ويتبع جميع اوامره ونواهيه والله
اعلم وقوله عز وجل فاستقم لرسول الله يحتمل على تبليغ الرسالة اليهم وقوله فاستقم كما امرت
يخرج على وجهين احدهما استقم على امرت ومن امن معك ايضا فيستقيم على ما امروا والثاني يقول
امض الى ما امرت حرف كما يخرج على هذين الوجهين ذكرناهما على ما امرت والى ما امرت وقوله عز وجل
ومن تاب معك من الشرك ادعوهم على ان يستقيموا على ما امروا وادوا بلسانهم ولا تطغوا وقال
بعضهم الطغيان هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وقوله عز وجل انه بما تعملون بصير هذا وعيد
وقوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال الحسن هو صلة قوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقال الحسن بينهما دين الله بين لا تركنون الى الظلمة والطغيان في
النعمة الاية وان كانت في اهل الشرك فهي فيهم وفي غيرهم من الظلمة ان كل من ركن الى الظلمة يتبعهم
او يرضى ما هم فيه فهو يخاف ان يكون في وعيد هذه الاية وما لكم من دون الله من اولياء في دفع العذاب اولاد
النفع لهم ثم لا تنصرون لا ناصر لهم دونه ولا مانع والله اعلم وتأويل قوله ولا تركنوا الى الذين
ظلموا في تخصيص ظلمهم فتمسكم النار الاية وان خرجت مخرج العموم فهي خاصة لانه لا كل ظالم يركن اليه
النار وكان انما خاطب به الاتباع يقول لا تركنوا الى الكبراء منهم والقادة في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه
فتمسكم النار الاية وقال بعض اهل التأويل نزل قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا في رسول الله حين دعاه
اهل الشرك الى ملة ابائه يقول ولا تميلوا الى اهل الشرك ولا تلحقوا بهم وقوله عز وجل واقم الصلوة
طرفي النهار وزلفا من الليل ظاهر هذا ان يكون فيها ذكر صلوات ثلاثة صلوة الفجر في الطرف الاول و
صلوة العصر في الطرف الاخير وزلفا من الليل صلوة المغرب لانه ذكر زلفا من الليل والزلف القرب
لان الزلفى هي القربة والوسيلة فيكون قوله وزلفا من الليل اي قريبا من طرفي النهار من الليل وهو
المغرب ويكون ذكر سائر الصلوات في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل ذكر دلوك الشمس
وهو زوال الشمس وغسق الليل العشاء او في قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون وحين تمسون الصلوة العصر وحين تصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة

العشاء وحين تظهرون صلوة الظهر وليس لصلوة المغرب ذكر فى الاية لكنها ذكرت فى قوله وزلفا من
الليل وقال بعضهم زلفا من الليل ساعات الليل الا ان بعض اهل التاويل صرفوها الى الصلوات الخمس وقالوا
قوله طرفى النهار صلوة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال الحسن هما الفنان
من الليل صلوة المغرب والعشاء على ذلك جاءت الاثار فى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات الحسنات
هى الصلوات الخمس وروى ان رجلا اصاب من امراة كل شئ الا الجماع فندم على ذلك فاتى رسول الله
فسأله فقال رسول الله ما ادرى ما رد عليك حتى ياتى فيك شئ من الله قال فبينما هم كذلك اذ حضرت
الصلوة فلما فرغ من صلوته نزل عليه جبريل فقال اقم الصلوة طرفى النهار غدوة وعشية صلوة الغداة
والظهر والعصر وزلفا من الليل صلوة المغرب والعشاء ان الحسنات يعنى الصلوات الخمس يذهبن
السيئات ذلك يعنى صلوات الخمس ذكرى للذاكرين قال توبة للتائب فقال رسول الله فقال عمر يا رسول الله
اخاص له ام عام قال لا بل عام للناس كلهم فاثبت هذا هو الاصل فى ذلك وعن عثمان فى بعض الاخبار
انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس الحسنات يذهبن السيئات فقالوا فالباقيات
الصالحات يا عثمان فقال لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارة
للخطايا واقرؤا ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات وعن ابن عباس ان الحسنات يذهبن السيئات
قال الصلوات الخمس وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر
جار على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات والاخبار فى هذا كثيرة وقال بعضهم فيه ذكر اربع
صلوات بقوله طرفى النهار الفجر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقد جاءت الاثار
فى ان الحسنات هى خمس صلوات وقوله عز وجل ان الحسنات يذهبن السيئات قال بعضهم فعل
الصلوات نفسها وهو ما ذكرنا من الاخبار ان ثبت وقوله يذهبن السيئات وقال بعضهم نفس
الصلوة لا تكفر ولكن يذكر ما ارتكب من الذنوب فيندم عليها فذلك يكفر وهو كقوله ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر الاية اخبر ان الصلوة تنهى الا بعد ان تذكر ذلك وقال بعضهم تنهى عن الفحشاء
اى تمنع عن الفحشاء اى ما دام فيها ويحتمل قوله ان الحسنات يذهبن السيئات الصلوات وغيرها
من الحسنات فيه اخبار ان من الحسنات تكفر شيئا من السيئات والله اعلم وقوله عز وجل ذلك
ذكرى للذاكرين ذلك الذى سبق ذكرها ذكرى عظة للمتقين وقوله عز وجل واصبر فان الله لا
يضيع اجر المحسنين ظاهر ما ذكر من الكلام ان يقول فان الله لا يضيع اجر الصابرين لانه ذكر
الصبر بقوله اصبر لكن يحتمل قوله والصبر من البشر وكلها فاحسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين
بل يجزيهم جزاء احسانهم او يقول اصبر على اداء ما كلفت من الطاعات او التبليغ ما كلفت التبليغ
اليهم ويحتمل وجها اخر اصبر على اذاهم ولا تكافئهم فقد احسنت اليهم فان الله لا يضيع اجر
المحسنين او يصله بقوله ان الحسنات والله اعلم قال ابو عوسجة قوله زلفا من الليل ساعات من
الليل وقال الزلفة المرحلة والزلفة القربة وكقوله وان له عندنا لزلفى اى القربة وقال ابو
عبيدة الزلف زلفة وهى الساعة والمنزلة وجمع وقوله عز وجل فلولا كان من القرون من قبلكم
اولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ظاهر هذا يخرج على المعاتبة او التنبيه والتذكير
لانه يقول فلولا كان من القرون اى لو لم يكونوا كذا فليس ثمه من اولئك من يعاتب او ينبه لكنها
تخرج على وجهين احدهما فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية اى فهلا كانوا ذوى بقية
ينهون عن الفساد فى الارض معناه والله اعلم هلا كنتم اهل الاسلام فيهم حتى قدروا على النهى عن
الفساد فى الارض لانهم اذا كانوا قليلا لم يقدروا على النهى من الفساد كقوم لوط واهله كانوا عددا
قليلا كيف كان يقدر على النهى عن الفساد او المنع عن ذلك وكنوح ايضا كان معه نفر عددهم
لم يقدر على منع قومه عن الفساد وعجزه فاذا كان كذلك والله اعلم يقول هلا كنتم اهل الاسلام و
اولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض والثانى فلولا كان من القرون من قبلكم اى قد كان منهم
اولو بقية لكنهم لم ينهوا عن الفساد فى الارض فاهلكوا جميعا الا قليلا ممن انجينا منهم وذلك القليل
قد نهوا عن الفساد فى الارض فنجوا بين اولئك ساسل هذا يخرج على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما

احدهما لم يكن منهم اولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض على ما قال بعض اهل التاويل والثانى
كان فيهم اولوا بقية لكنهم لم ينهوا هم عن الفساد فى الارض الا قليلا منهم فانهم قد نهوهم عن ذلك
والله اعلم وقوله عز وجل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه هو يخرج على
وجهين واتبع الاتباع والسفلة الذين ظلموا من اترفوا فيه من الاموال اى وسع عليهم واعطوا هم
الاموال وهم الاجلة والائمة منهم اى اتبع الائمة والاجلة الذين اترفوا فيه على اتباع
الرسل والانبياء احد التاويلين يرجع الى السفلة والاتباع وهو الاول والثانى الى الاجلة والائمة
هم اختاروا اتباع الدنيا على اتباع الرسل ثم تبعهم الاتباع والسفلة فى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون اى كان ربك ليهلك القرى اهلك استيصال
وانتقام واهلها كلهم مصلحون او اكثر اهلها مصلحون انما يهلك القرى اذا كان اهلها كلهم مفسدين
او عامة اهلها مفسدين هذا يدل ان الحكم فى الدار انما يكون بغلبة اهلها اذ كان اكثر اهلها اهل
الاسلام فالحكم حكم الاسلام وان كان عامة اهلها اهل الحرب والكفر فالحكم حكمهم ولا يسمى اهلها
كلهم بالكفر والفساد اذا كان اكثر اهلها مصلحين الا ترى انه قال فى قوم لوط انا منزلون على اهل
هذه القرية رجزا من السماء سمى اهل قرية وان كان فيها لوط واهله مصلحون لم يعد لوطا واهله
من اهلها وقوله عز وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اى لا يكون فى اهلاكهم ظالما ثم هو يخرج على
وجهين احدهما ان الخلق له فهو باهلاكه لم يكن ظالما لانه اهلك ما له والثانى انه انما يهلكهم
بظلم كان منهم كقوله وما ظلمناهم الاية انما يهلكهم بشئ اكتسبوه فهم بما اكتسبوا ظلموا انفسهم
وهو كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله عز وجل ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة قالت المعتزلة هذه المشية مشية بالقهر والقسر وذلك مما يدفع المحنة ويزول به
المثوبة والعقوبة وكذلك فى قوله ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا واما عندنا فلو شاء
لجعلهم امة واحدة مشية لا تزول معها المحنة والذى يدل عليه فسادا حدهما ان الله قد عرفنا الا بان
والدين الذى يقع به اجتماع او فيه الاختلاف بما ركب فينا من العقول التى بها نعرف حقائق الاشياء
ومجازها ومحاسن الامور وقبحها بالمعونة السمع وبالتامل فيما يحسن بالامرين جميعا انه لا يكون الا بها
بالاختيار ولا يوصل الى السبب الذى به يدان الا بالاستدلال والتعليم اذ هو طاعة وتصديق وذلك يكون
ممن لا يحسن وطريقه الاجتهاد وكل ذى اضداد القسر محال ان يجوز يعود الكون لو شاء على وجه قد
عرفنا انه وجه لا يكون سمعا وعقلا فيكون فى الحقيقة كانه قال لو شاء ان يكون لا يكون على انه ذا من يقبل
عنه هذا الدعوى على قولهم وهو مند كان الخلق بين انه كان فيما شاء اثبات من افعال الخلق فلم يكن
ولم يشاء فكان عندهم فهو كمن ظهر عجزه بجميع ادلة العجز ثم يدعى ان له القدرة بها يقهر ما يشاء
فذلك كمن لا يقوم للانتصاب والنهوض فيدعى انه يقدر على الصعود او من لا يملك امساك مثل ذرة
وانه ممسك السموات والارض على انه لو كان كذلك ينبغى ان يكون يقدر على فعل الكفر والسفلة والكذب له
او من يقدر على فعل شئ لا يقدر على فعل ضده عندهم ليس ذلك بقدرة ثم لو كان ذلك كله بلاء غير مبيد
فعلا فكان يكون فى الحقيقة سفيها كذوبا ومن كان ذلك وصفه فهو رب ولا حكيم ومن ربوبية نحن
قدرة غيره او حكمة تخلى المعاندات فهو مسؤل مما يفعل مطالب بالحجة فانى يكون فى ذلك وصفه
ربوبية جل عن ذلك والثانى ان الذى يكون بالقسر والقهر يكون امر الخلقة لا امر فعل العبد وذلك
فى الحقيقة لله لا للبشر وما هو له من الجهة الخلقة موجود لان نفس كل احد بالخلقة مؤمن وقد شاء
الله تلك المشية فالقول بلو شاء لا معنى له بل قد شاء وكان لا قوة الا بالله والثالث انه وعد ان لو
شاء ان يجعل كذا الفعل وهو لو فعل لو كان يجعل من قد امن منهم فى الحقيقة مؤمنا فى المجاز كما
فى الحقيقة لانهم بهذا يصيرون انه واحدة اذا صار كثير منهم مؤمنين بالاختيار لا يحتمل ان يجعلهم
على غير ذلك فيكون محروما عدلا والله الموفق ثم الاصل ان الله تعالى قد جعل ادلة كل موعود فى الحسن
ظاهرا وكل مقدور عليه بالوعد والدعوى له مما حيث عليه امرا بينا وهذا النوع من المشية عندهم و
الدعوى بما جعل جميع ما نفاه لا يكون كاثنا فيصير بالذى به ادعى نفسه من القدرة مكذبا بما جعل للحق
مثله لا دلالة ومن ذلك وصفه فهو غير حكيم جل الله عن هذا ان المتامل بما اختبر يجد حقيقته دون

ان يحتاج الى دليل يوضح قدرته على ما ادعى على بقائه المحنة سبيلا سهلا يجد معه يحتاج الى ما ذكر وامن
المكابرة وهو ما قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية ومعلوم انهم لو كفروا جميعا
بما ذكر لكانوا مختارين والى ما جاؤا به غير مضطرين واذا استقام كونهم على دين الكفر بذلك لا
يحتمل انه لا يوجب ذلك بعثا على الايمان لو كانوا مختارين لذلك ليستقيم كونهم على دين الايمان مختارين
ولو جعل ذلك للمؤمنين فيقدرون على قولهم ان يجعلهم كفارا بالمحنة لا يقدر على ان يجعلهم مؤمنين
بها لان ذلك وصف العجز عندهم وان كان لا يكون كذلك عندنا لانه يستقيم القول بالاقتدار على اخذ
شيء ويحال القول على جعل شيء قائما او على اخراج شيء اليه لا يحتمل الوصف بالقدرة على شيء
منه وعليهم اوضح اذا جازوا له على كل حركة العبد وسكونه بالاضطرار ولم يجوزوا في ذلك الاختيار
اللهم الا ان يقولوا لا يجوز ان يكون العبد غير كامل القدرة وهي القدرة على متضادات الاشياء والله
يجوز الوصف له بالقدرة الناقصة فيكون قريبا مما جعلوا العبد بقدرة على ما يجهل الرب ويجعله
كاذبا فيما يخبر على بقاء الربوبية له والله لا يقدر على مثله في العبد على بقاء العبودة له بالمحنة
او بما قدر والعبد على اهلاك من وعد الله منه الابقاء ويريد ذلك وذلك فضله ووعده لم يحتمل
ان يعطيه من بائن معانيه فيعقل ويمنع الرب على الجان وعده وعن سلطانه بقائه حل الرب بين هذا و
ذلك في قولهم فيما يضرب الله لنبي او صديق ابتلاء يرى به مصلحة عباده يقدر الكافر على قتله تجالده
الا ان يعجزه او يلبيه او يجعله زمنا والله المستعان ثم الاصل ان كل المريد بفعله فيما فعل امرا لا يكون
ذلك وهو لم يكن فعله الا لذلك يوجب احد امرين في الحكمة اما جهلا بالعواقب وخطاء بالفعل كمن
يفعل فعلا يحزن عليه يحصنه به مكروه فهو لا يفعله له يغلطه فاعله انه عن جهل فعل وعن الخطأ
يخرج فعله وعلى ذلك معنى التقدير في الخلق والتنبه بقولهم لدوا للموت وابنوا للخراب ونحو
ليقطع وبارز ليقتل من حيث كان الثاني متصلا بالاول ينبه عن الغفلة على ارادة التحذير انه اليه
يؤل امر فعله على ذلك قوله فالتقطه ال فرعون الاية او ان يقال ذلك على انه كذلك في فعله
عند الله وان جعله هو لا يوجب السفه في الفعل والعبث اذ هو يقصد بفعله ما يعلم انه لا يكون
او يريد ما ينبغي انه لا يبلغ واذا كان كذلك فاعطاء الله تعالى القدرة ليؤمن او خلقه ليعبد
واراد انه يفعل ذلك واختار ذلك الفعل لذلك يوجب احد هذين الوجهين جل الله عنهما
وقد ثبت ان الله عالم بالعواقب متعال عن العبث ثبت انه خلق من خلق واعطى ما اعطى لما علم
انه يكون وقد علم انه ما يكون وعلى هذا التقدير يخرج الامر في قوله ولقد ذرأنا لجهنم الاية وقوله
ولا تعجبك اموالهم الاية وقوله عز وجل ولا يزالون مختلفين انه خلقهم الذين علم انه يصيرون
اليه من اختلاف او اتفاق او عداوة او ولاية لا يريد غير الذي علم ولا يعلم غير الذي يكون ممن
يعلم ما يكون ولا قوة الا بالله وقالت المعتزلة في قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك
خلقهم اي للرحمة خلقهم فقال بعض متكلمي اصحابنا ان الرحمة تذكر بالتانيث وهو انما ذكر بالتذكير
حيث قال ولذلك خلقهم ولم يقل ولتلك خلقهم دل انه ليس على ما يتاولون قال فتاويله الا
خلقهم الا من رحم ربك وقال بعضهم هو صلة قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
وعندنا ما ذكرنا انه خلقهم للذي علم انه يكون منهم وانهم يصيرون من الاختلاف او الاتفاق و
العداوة والولاية لا يخلقهم لغير الذي علم انه يكون منهم ولا يريد ايضا غير ما علم انهم يصيرون
اليه ولا يعلم غير ما يكون منهم والله اعلم الموفق وتاويل المعتزلة في قوله ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة انها مشية التقسير والقهر فذلك بعيد لانه لا يكون في حال القهر والاضطرار ايمان
ايمان لان من اكره واضطر على الايمان حتى امن فانه لا يكون ايمانا في حال الاختيار واذا امن
مختارا مختارا فيه فعند ذلك يكون ايمانه ايمانا دل ان تاويلهم فاسد وقوله عز وجل وكلا نقص عليك
من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك تاويله والله اعلم كل الذي نقص عليك او قصصنا عليك من انباء
الرسل بعد نبإ ونبإ على اثر نبإ ما نثبت به فؤادك وقوله عز وجل ما نثبت به فؤادك يحتمل وجوها
احدها تثبت به فؤادك كي لا يحمل ان نفسه كانت تنازعه وتنافسه بان الذي انزل او يأتي به ملك
او كان ذلك من القاء الشيطان والقائه عليه وساوسه فقص عليه من انباء الرسل واخبارهم ليكون

خبرا عن ذلك الا الاجل وابطال
جميع ما وعد والا بقاء بما هو
ضيعه من ابقاء الحجة فيه ولا
يقدر الله على انجاز ما وعدها
اي قادر على ما اراد والعبد

له اية

له اية بينه وبين ربه ليعلم ان ما انزل عليه انما هو ملك من الله ليدفع به نوازع نفسه وخطراته
ان لا سبيل للشيطان الى معرفة تلك الانباء ولا في وسعه القاؤها عليه فيكون له بها طمانينة قلبه
وهو كقول ابراهيم حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال الاية كان نفس ابراهيم
تنازعه في كيفية احياء الموتى فسال ربه ليريه ذلك ليطمئن بذلك قلبه وان كان يعلم انه يحيي
الموتى وانه قادر على ذلك والثاني قص عليه انباء الرسل واحدا بعد واحد ليثبت به فؤادك ليعلم
كيفية معاملتهم وما ذا لقوا من قومهم فكيف صبروا وعلى اذاهم ليصبر هو على مثل ما صبر اولئك و
ليعامل هو قومه بمثل معاملتهم ويشبه ان يكون قوله ما نثبت به فؤادك بنبإ بعد نبإ ليتفكر
ويتفكر في كل نبإ ويخبر ويعرف ما فيه فيكون ذلك اثبت في قلبه وهو كقوله وقال الذين لولا
نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك بانزال الاية واحدة بعد واحدة وسورة
بعد سورة وذلك اثبت في فؤاده من انزاله جملة لانه يزحم في مسامعه وفؤاده واذا كان
بالتفاريق نظر وتفكر فهو اثبت في قلبه وفؤاده والله اعلم وقوله عز وجل وجاءك في هذه
الحق قال بعضهم جاءك في هذه اي في هذه الانباء التي قصصنا عليك جاءك فيها الحق وهو ما ذكرنا
وقال بعضهم جاءك في هذه السورة الحق وهو ما ذكر من الانباء نبأ بعد نبأ وهو كالاول وقال بعضهم
جاءك في هذه الحق اي في هذه الدنيا الحق يعني الايات والحجج والبراهين لرسالته ودينه وموعظة
وذكرى للمؤمنين خص المؤمنين بذلك لما يكون منفعة الموعظة والذكرى للمؤمنين والا فهو موعظة
وذكرى للكل وقوله عز وجل وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم المكانة المنزلة والقدر
ويقول اعملوا انتم على مكانتكم ومنازلكم التي عند اتباعكم كانه يخاطب به الاشراف منهم والرؤساء
انا عاملون على المكانة والمنزلة التي لنا عند الله فتنظروا اينا اربح نحن او انتم واينا اخسر نحن او انتم
وقوله عز وجل واعملوا على مكانتكم انا عاملون يخرج على وجهين احدهما على التوبيخ والتخويف عند
ما بلغ في الحجاج فلم ينجع فيهم فقال عند ذلك كقوله لكم دينكم ولي دين ونحوه والثاني على الانجاز
لما اراد وبه من المكر والكيد بقوله اعملوا ما تريدون وانا اعمل وقوله عز وجل وانتظروا انا منتظرون
يحتمل ذلك او يقول هذا لما كانوا يوعدونه ويخوفونه من انواع الوعيد فيقول انتظروا وانا ذلك انا
منتظرون بكم ما تخوفونكم نحن والله اعلم وقوله عز وجل ولله غيب السموات والارض وقال بعض
اهل التاويل ولله غيب نزول العذاب وغيب ما في الارض كانه خرج جواب ما سالوه من العذاب
كقوله ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وكقوله متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين وقوله ائتنا بعذاب الله ان كنتم من الصادقين فقال ولله غيب السموات والارض
اي علم ذلك عند الله كقوله عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم وامثاله ويشبه ان يكون
جواب ما يحكمون على الله من انزال القران وجعل الرسالة في غيره كقوله لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم ولولا نزل القران جملة واحدة فقال اهم يقسمون رحمة ربك نحن
قسمنا بينهم الاية وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته فعلى ذلك قوله ولله غيب السموات والارض
لا الى الخلق والله اعلم بما اراد واليه يرجع الامر كله اليه يرجع امر الخلق كله وتدبيرهم فاعبده
اي فاخلص نفسك وتوكل عليه في تبليغ الرسالة اليهم اي لا يمنعك كيدهم ومكرهم بك عن تبليغ
الرسالة ولا تخافن منهم فان الله يحفظك من كيدهم ومكرهم بك كقوله والله يعصمك من الناس
وما ربك بغافل عما تعملون هذا ما يريد ما ذكرنا اي ما ربك بغافل عما يريدون بك من كيدهم
ومكرهم بل يعلم ذلك ويبصرك وينصرك منهم وهو كقوله لموسى وهارون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى اي اسمع
قوله وجوابه اياكما وارى ما يفعل اي اقضي كما قال لا تخافا فعلى ذلك الاول والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين ذكر تلك وهي كلمة اشارة الى شيء سبق ذكره ولم يتقدم
منه ذكر شيء يشار اليه وذكر ايات ايضا وليس ههنا ذكر ايات او شيء يكون ايات في الظاهر لكن يشبه ان

يكون قوله تلك بمعنى هذه ايات ويجوز استعمال تلك مكان هذه على ما يجوز ذكر ذلك مكان هذا كقوله
الم ذلك الكتاب اى هذا الكتاب او ان يكون قوله تلك اشارة الى ما فى السماء اى الذى فى السماء ايات
الكتاب او يقول تلك اشارة الى ما فى الكتاب المتقدمة اى تلك ايات الكتاب المبين يحتمل مبين
انها ايات الرسالة او بين انها من عند الله وقوله ايات الكتاب هذا ايضا يشبه ان يخرج على وجهين
احدهما اشارة الى الحروف المقطعة المعجمة فقال اذا جمعت كانت تلك ايات الكتاب او ان يكون انه
اذا ذا امر لا نعلم ما اراد فنقول تلك ايات الكتاب اى ذلك الذى اراد هو ايات الكتاب والله اعلم بما
اراد به وقوله عز وجل المبين وقيل المبين اى ليبين فيه الحلال والحرام وما يؤتى وما يتقى كقوله تبيانا
لكل شئ وقال بعضهم ليبين بركته وهداه ورشده ويبين فيه الحق من الباطل والعدل والجور
والكتاب هو اسم ما يكتب وسمى قرانا لما يقرا وكتابا لما عن كتاب اخذ ودفع والكتاب والقران لما قرئ
عليه وقوله عز وجل انا انزلناه قرانا عربيا قوله انزلناه لها كناية عن الكتاب الذى تقدم ذكره
قرانا عربيا انزله بلسان العرب ولا ندرى بلسان كان فى اللوح المحفوظ غير انه اخبر انه انزله بلسان
العرب وهكذا كل كتاب انزل انما انزل بلسان المنزل عليهم لم ينزل بغير لسانهم وقوله عز وجل
لعلكم تعقلون ما لكم وما عليكم وما تاتون وما تتقون او تعقلون ان هذه الانباء التى يخبركم بها محمد
صلى الله عليه وسلم من الله تعالى لانها كانت فى كتبهم بغير لسانه فاخبر على ما كانت فى كتبهم
دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى او لعلكم تعقلون بان فيه شرفكم لانكم تصيرون متبوعين لما
يحتاج الناس الى معرفة ما فيه ولا يوصل ذلك الا بكم فتكونوا متبوعين الناس اتباع لكم وهو كقوله
ولقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قال اهل التاويل اى فيه شرفكم والله اعلم وقوله عز وجل نحن
نقص عليك احسن القصص قال بعضهم قوله نقص عليك اى نبين عليك احسن البيان بما اوحينا
اليك هذا القران وقال بعضهم نقص عليك اى نخبرك احسن ما فى كتبهم من القصص واحسن
ما فى كتبهم من الانباء والاحاديث وقوله عز وجل احسن القصص اصدقه وكذلك قوله الله نزل
احسن الحديث اصدقه هو احسن القصص اى اصدقه واحسن الحديث اصدقه وقوله عز وجل
وان كنتم من قبله اى وقد كنتم من قبله لمن الغافلين عن هذه الانباء وعن قصصهم فهذا يدل ان
الايمان بجملة الانبياء والرسل ايمان وان لم يعرف انفس الانبياء والنفس الرسل واساميهم لانه اخبر
انه كان غافلا عن انبائهم وعن قصصهم ولا شك انه كان مؤمنا بالله مخلصا وبالله العصمة وقال ابن
عباس رضى الله عنه احسن القصص كلام الرحمن وقال مجاهد الله نزل احسن الحديث كلام رب العالمين
وقوله تلك الايات الكتاب يخرج على وجهين احدهما انه يكون الذى سالوا عنه رسول الله من قصة
يوسف وصيرورة بنى اسرائيل بمصر وقد كانوا من قبل بالشام فقال تلك الانباء والقصص يجعلها
ايات هذه السورة التى هى من الكتاب المبين او تلك ايات وحجج وبراهين الرسالة لمحمد صلى الله عليه
وسلم اذ هى من انباء الغيب عليهم فعلم الانباء عنها بالله سبحانه وتعالى وقوله عز وجل قال يوسف
لابيه يا ابت انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين قوله انى رايت احد
عشر كوكبا قيل انه اخوة يوسف كانوا علماء وعيون الارض لانهم بهم يهتدى بهم ويهتدون بالنجوم
يهتدى فى الارض وبها يهتدون الطرق والمسالك ودل قوله والشمس والقمر يخرج على ابويه
انه كان بهما منافع للخلق اذ بهما صلاح جميع الاغذية فى الارض وتنضج جميع الفواكه والانزال وجميع
المنافع التى ما بالناس حاجة الى ذلك ودل قوله انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لى ساجدين ان الرؤيا تخرج على عين ما راى وتخرج على غيره بالمعنى الذى يتصل به لانه راى
الكواكب والشمس والقمر فخرج على اخوته وابويه كان المراد بالكواكب غير الشمس والقمر وذلك
المعنى وذكر السجود وخرج على عين السجود وحقيقته وكذا ما راى ابراهيم فى المنام ذبح ولده خرج الذبح
على حقيقته هو ذبح الكبش وراى ابنه وكان المراد منه الكبش فهذا اصل لنا ان الخطاب يخرج والمراد
منه على غير ذلك الخطاب لا غير وقد يخرج لمعنى فيه فاذا اتصل ذلك المعنى بغيره وجب ذلك الحكم
وفيه جواز الاجتهاد وطلب المعونة المخاطبات وكذلك ما ظهر فى الناس من تعبير الرؤيا على الاجتهاد
دل على جواز العمل بالاجتهاد وقال بعض اهل التاويل ان يوسف لما قص رؤياه على ابيه بين يديه اخوته

قال له

قال له هذه رؤيا النهار ليس بشئ وقال ليوسف فى السر اذا رايت رؤيا بعد هذا فلا تقصها على اخوتك
لكن هذا كذب فلا يكذب ان يكون رسول الله يعقوب يقول له رؤيا النهار ليس بشئ ثم يعبره فى السر
ولا يتوهم عن نبى الله الكذب وهو كذب فان كان فهو بالامر وقوله عز وجل يا بنى لا تقصص رؤياك
على اخوتك دل قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك على ان ما راى يوسف من سجود الكواكب له و
سجود الشمس والقمر انه انما كان راى ذلك فى المنام وقيل ما ذكر فى اخره على ايضا على ذلك وهو قوله
يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل ودل قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان تعبيره
انما عرف ذلك بالوحى حيث قطع القول فى قوله فيكيدوا لك كيدا وليس ظن فى ذلك وقد فعلوا به
ما قال وفيه دلالة ان اخوته قد كانوا يعرفون تعبير الرؤيا وكانوا علماء حكماء وحيث قال لا تقصص
رؤياك على اخوتك لانهم لو كانوا ان يعرفون تاويلها ولا علموا تعبيرها لم يكن لنهاه عن ان يقص على
اخوته لانه لو قصها اولم اذا لم يعلموا اسرارها فيه دلالة ان الاخ لا يتهم فى اخيه ويكون من الاخ الخيانة
الى اخيه والاب والام لا يتهمان فى الابن والولد لا يتهم فى والده ولا يكون من بعض الى بعض خيانة
فى الغالب لان يعقوب نهى ولده يوسف ان يقصها على اخوته واخبر انهم اذا علموا بذلك كادوه
وحسدوه ولم ينهه فى امه دل ان الاخ لا يتهم فى شهادة اخيه ويتهم الاب والام فى شهادة لهما
لولدهما وكذلك الولد يتهم فى والديه ولهذا قال اصحابنا ان شهادة الوالد لولده لا تقبل وكذلك
شهادة الولد لوالديه وشهادة الاخ لاخيه تقبل لما ينتفع الولد بمال والديه والوالد بمال ولده و
لا ينتفع الاخ بمال اخيه وكل من انتفع بمال اخر اتهم فى شهادته له ولم تقبل شهادته وكل مما لم ينتفع
قبلت والله اعلم وقوله عز وجل ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة وقال موسى حين
قتل ذلك هذا من عمل الشيطان وكل شر يكون من الشيطان يقذف فى القلوب ويخطر فى الصدور
ثم لكون العزيمة على ذلك والفعل من العبد وهو ما قال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم الاية والطيف والنزغ هو القذف والوسوسة فاذا ذكر الله
ذهب وقيل الكيد والمكر هو واحد وهو قول ابو عوسجة وقال القتبى الكيد هو الاحتيال والاغتيال وقيل
الكيد هو ان يطلب ايصال شر به على غير علم منه وكذلك المكر وقوله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك
ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل تاويله والله اعلم
اى كما اجتبى ربك ابويك بالرسالة والنبوة واصطفاهم بانواع الخيرات واتم نعمته عليك وعلى ال
يعقوب واسحق قوله وكذلك يجتبيك ربك بالرؤيا التى اراك يفعل ذلك ربك وقوله عز وجل ويعلمك
من تاويل الاحاديث قيل تعبير الرؤيا وقال بعضهم علمه تاويل الصحف التى كانت لابراهيم وغيره
وعلمه تاويل الصحف والاحاديث وقوله عز وجل ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما اتمها
قال بعضهم كما اتمها على ابويك من ابراهيم واسحق حين اراد ذبح ابنه فجعل مكانه كبشا فعلى ذلك
يتم نعمته عليك وسيجد لك اخوتك وابويك ثم من الناس من استدل بهذا ان الذبيح كان اسحق لانه
ذكر اتمام نعمته على ابراهيم واسحق ودل قوله وعلى ال يعقوب على انه قد اجتباهم بالنبوة من بعد اخى
اولاد يعقوب لانه ولده من الله وقد اخبر انه يجتبيهم ويتم نعمته عليهم كما فعل بابويهم ابراهيم واسحق
وكذلك روى عن الحسن انه قال فى اخوة يوسف نبوة بعد ما صنعوا بيوسف ما صنعوا وقال بعضهم تاويل
الاحاديث العلم والكلام قال وكان يوسف اعبر الناس وهو ما قال الله تعالى ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما
وقوله عز وجل ان ربك عليم بما صنع به اخوته وعليم بما ذكر من اتمام حكيم وضع كل شئ موضعه والله
اعلم وقوله عز وجل لقد كان فى يوسف واخوته ايات للسائلين الاية اية للسائل اذا كان السائل مسترشدا
وكذلك القران كله هو حجة واية للمسترشد واما المتعنت فهو اية عليه ثم يحتمل قوله ايات للسائلين
السائلين الذين سالوا على ما ذكر فى بعض القصة ان اليهود سالوا النبى عن امر يوسف ونبائه فاخبرهم بالحق
فى ذلك على ما كان فهو اية لهم ان ثبت ذلك ويحتمل قوله ايات للسائلين السائلين الذين يسالون من بعد الى
اخر الدهر عن نبا يوسف كل من سائل عن خبره ونبائه فهو اية لهم ثم وجه جعله اية يحتمل وجوها
احدها انه جعل قصة يوسف ونبائه سورة وتلك السورة هى ايات الكتاب على ما ذكر المر تلك ايات
الكتاب المبين جعل قصة يوسف ونبائه ايات من الكتاب ويحتمل ايضا انه جعل اياته اى حجة لنبوة رسول

ورسالته لان قصته ونبأه كان في كتبهم بغير لسانه من غير ترجمة احد منهم ولا تعليم ثم اخبرهم على ما
كان في كتبهم من غير زيادة ولا نقصان دل انما علمه بالله تعالى لانه اخذه من كتبهم وهو ما ذكر في القصة
ان اليهود سمعوا النبي يقرأ سورة يوسف فقالوا يا محمد من علمك قال الله علمنيها فعجبوا من قراءته اياها
على ما كانت في كتبهم دل انه انما عرفها ثم يحتمل انه يكون ايه لمن سأل عن حجة ورسالته او هي ايه لمن
يسأل عنها والله اعلم **وقوله** عز وجل اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة في الاية دلالة
ان لا بأس للرجل ان يخص بعض ولده بالعطف عليه والميل اليه اذا كان فيه معنى ليس ذلك في غيره ولهذا
قال اصحابنا انه لا بأس للرجل ان يخص بعض ولده بالهبة له او الصدقة عليه اذا لم يقصد بها الجور
على غيرهم من الاولاد ثم يحتمل تخصيص يعقوب يوسف واخاه بالحب لهما وجوها احدها لما راى فيهما
من الضعف في انفسهما واليتم في ابدانهما فازدادت شفقته لهما وعطفه عليهما لذلك وهذا مما يكون فيما بين
الخلق او كان ذلك منه لهما لصغرهما وهذا ايضا معروف في الناس ان الصغار من الاولاد يكون عندهم
احب وقلوبهم اليه اميل واليه اعطف وهم ارحم من الكبار او خصهما بذلك لفضل خصوصية كانت لهما من
جهة الدين او العلم او غيره امره الله بذلك لذلك من دون غيرهما او لما بشر يعقوب بنبوة يوسف فكان
يفضله على سائر اولاده ويؤثره عليهم لذلك وانما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا بآثار تظهر
منه لهم والا حقيقة المحبة لا تعرف **وقوله** عز وجل ونحن عصبة قيل العصبة الجماعة وقال بعضهم العصبة
من عشرة الى اربعين والعصبة الجماعة اي نحن جماعة ولنا منعة ولهذا ما قال اصحابنا ان التسعة مع
الامام منعة يستوجبون ما يستوجب السرية اذا دخلت دار الحرب فغنمت غنائم يخمس منها وقوله
ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين لم يعنوا ضلال الدين انما قالوا ذلك والله اعلم انا جماعة نقدر على
دفع من يروم الضرر به ويقصد قصد الشر بنفسه وماله ونحن اولو قوة بنا يقوم معاشه واسبابه فكيف
يؤثر هؤلاء علينا وكذلك قوله ووجدك ضالا فهدى لم يرد به ضلال الدين ولكن وجها اخر وقالوا لما كانت
له منافع انفسهم لم يكن تلك المنافع من يوسف واخيه وابدا انما يؤثر المرء حب من له منافع من قبله لا حب
من لا منفعة له منه فهو عندهم في ضلال مبين حيث يؤثر من لا منفعة له منه على من كانت له منه منافع
وامثاله والله اعلم وقولهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لا يحتمل ان يكونوا عزموا
على قتله ولكن على المشاورة فيما بينهم نفعل ذا او ذا كقوله اذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ليس على
واحد ولكن على المشورة فيما بينهم يدل على ذلك قوله يخل لكم وجه ابيكم انهم ارادوا ان يخلوا وجه ابيهم
لهم لا لقتله انما ارادوا تغيبه عنه وقال بعضهم يخل لكم وجه ابيكم ان يقبل عليكم ابوكم بوجهه وقال بعضهم
اي يفرغ لكم من الشغل بيوسف **وقوله** عز وجل وتكونوا من بعده قوما صالحين يحتمل صالحين اي تائبين و
قال بعضهم تكونوا صالحين عند ابيكم من بعد وقال بعضهم يصلح امركم وحالكم منه ابيكم بعد ذهاب يوسف
ويحتمل ان يكونوا قوما صالحين في الاخرة وقال انهم تابوا قبل ان يزلوا ويعصوا **وقوله** عز وجل قال قائل منهم
لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب قال ابو عوسجة يعني في قعر البئر والغيابة ما يغيبه ويواريه
والجب البئر والجباب جمع وقال ابو عبيدة الغيابة كل شيء غيب عنك شيئا فهو غيابة **وقوله** عز وجل
يلتقطه بعض السيارة اي يرفعه بعض السيارة ولذلك يقال للعاثر يلتقط الحب ويلتقط اي يرفع
ان كنتم فاعلين اذ كنتم لا بد فاعلين ان تغيبوه عنه واما قول اهل التاويل ان قوله لا تقتلوا يوسف قاله
فلان او فلان فذلك مما لا نعرفه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم وقال ابو عوسجة السيارة
سميها من السير هو مثل المسافر وهي القافلة يعني الحمير وقيل الجب الركية التي لم تطووا بالحجارة فاذا طويت
فليس بجب **وقوله** عز وجل قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف دل قوله ما لك لا تأمنا على يوسف
على انهم طلبوا اخراجه من ابيهم غير مرة لان مثل هذا الكلام لا يتكلم به مبتدأ غير مسابقة شيء من امثاله
فدل انهم قد سألوه في اخراجه غير مرة وانا له لناصحون الناصح هو الدال على ما به نجاته والدال
على كل خير والله اعلم **وقوله** عز وجل ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كان يعقوب خاف
على نفسه اعني يوسف الضيعة بتركهم حفظه فامنوه على ذلك بقولهم وانا له لحافظون وخاف عليه
الضياع من جهة الجوع بتركهم حفظه او فوات الاكل فامنوه على ذلك بقولهم يرتع يأكل وخاف قلبه
يكلفوه امرا يشق عليه وفيه تشديد فامنوه ايضا على ذلك بقولهم ويلعب لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة

يخاف

فاتت عليه الضياع بالوجوه التي ذكرنا فامنوه على تلك الوجوه كلها حتى استنقذوه من يديه وقوله يرتع
ويلعب قال بعضهم يرتع ويلعب يلهو كانه خرج جوابا اني ليحزنني ان تذهبوا به قالوا له لا تحزن عليه فانه
يرتع ويلعب على التقديم والتاخير وقال بعضهم يرتع ينبسط ويلعب يلهو وقرئ بالنون نرتع ونلعب
قال القتبي نرتع اي نأكل يقال رتعت الابل اذا رعت وارتعتها اذا تركتها ترعى وقرئ يرتع بكسر العين
والمراد منه ان نتحارس ويرعى بعضنا بعضا اي يحفظه ومنه يقال رعاك الله اي حفظك الله وقوله يرتع
ويلعب وقالوا نلعب فيه يحل ويبيح من نحو الاستباق وغيره وهو ما ذكروا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف
عند متاعنا واللعب في مثل هذا يحل وقد روي ايضا في الخبر انه قال لا يحل اللعب الا في ثلث وفيه
معالجة الرجل فرسه او قوسه وملاعبة الرجل امرأته اخبر انه لا يحل الا الثلاث والله اعلم **وقوله** عز وجل
اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب قال اني ليحزنني عند الوقوع به والغائب عنه من النعمة
التي انعمها عليه لانه كان نعمة عظيمة له فات النظر اليه فذكر الحزن على فائت عنه وذكر الخوف
لما خاف وقوعه في وقت يأتي وما سيقع فهذا تفسير قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لانه
موجود للحال غير فائت ولا خوف عليهم اي لا يخافون فوته لان خوف فوت النعمة ينقص عليه ما
النعمة فامنهم على ذلك وهو ما ذكرنا ان الحزن يكون بالواقع للحال والخوف على ما سيقع والله اعلم
وقوله عز وجل واخاف ان يأكله الذئب قال بعض اهل التاويل كان يعقوب عليه السلام راى
في المنام ان يوسف اخذه الذئب فمن ثمه قال واخاف ان يأكله الذئب لكن هذا لا يحتمل لان رؤيا الانبياء
اكثرها صدق وحق فلا يحتمل ان راى ذلك ثم يقول اخاف ان يأكله الذئب او يدعه يذهب معهم
لكنه خاف عليه اكل الذئب على ما يخاف على الصبيان في المفاوز والبراري ان الخوف على الصبيان
في المفاوز والبراري والضياع عليهم يكون بالذئب اكثر من وجه اخر لانه جائز ان يفترسه سبع من
السباع عند مفارقة اخوته واشتغالهم بما ذكر من الاستباق لا يحتمل الضياع من الناس بأخذه
واحد من بني نفر وقال بعض اهل التاويل ان قوله واخاف ان يأكله الذئب كناية عن بنيه اي اخاف
ان تهلكوه وتضيعوه **وقوله** عز وجل قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اولو قوة انا اذا لخاسرون
وتأويله والله اعلم لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي جماعة انا اذا لخاسرون اي كنا نحن سلمناه الى الذئب
وعرضناه للضياع هذا والله اعلم معنى الخسران الذي ذكروا والا لم يلحقهم الخسران اذا اكله الذئب لانه
اذا كان بهم قوة المنع فلم يمنعوه فكانهم ضيعوه **وقوله** عز وجل فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
في غيابة الجب قد ذكرنا **وقوله** عز وجل واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون قال بعضهم
قول يوسف حيث قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف الاية قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف
وهذا اخي هذا الذي نبأتهم يوسف وهم لا يشعرون بذلك ويشبه ان يكون قوله واوحينا اليه
اي الى يعقوب لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وهو ما قال لهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من
يوسف واخيه الاية امرهم ان يطلبوه ويتحسسوا من امره كانه علم انه حي كقوله واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون وانه حي الا ترى انه قال لاجد ريح يوسف ولهذا قال لما القى الثوب
على وجهه وارتد بصيرا الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك تاويل قوله وهم لا يشعرون وان كانت الاية
في يعقوب وان كانت في يوسف فهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل وجاؤوا اباهم عشاء يبكون
الاية في الاية دلائل احدها ان من ارتكب صغيرة فانه يخاف عليه التعذيب ولا يصير كافرا ومن
ارتكب كبيرة لم يخرج من الايمان لان اخوة يوسف هموا بقتل يوسف او طرحه في الجب والتغيب عن وجه
ابيه واخلائه عنه وذلك لا يخلو اسمهم اما ان تكون صغيرة او كبيرة فان كانت صغيرة فقد استغفروا
عليها بقوله يا ابانا استغفر لنا الاية دل انهم انما استغفروا لما خافوا العذاب عليها وان كانت
كبيرة فلم يخرجوا من الايمان حيث صاروا انبياء من بعد وصاروا قوما صالحين حيث قالوا وتكونوا من
بعده قوما صالحين دل ما ذكرنا على نقض قول المعتزلة في صاحب الصغيرة ان لا تعذيب عليه او
صاحب الكبيرة انه خرج من الايمان ونقض قول الخوارج في قولهم انه اذا ارتكب كبيرة او صغيرة فقد
صار به كافرا مشركا وفيه نقض قول من يقول ان من كذب او وعد واخلف وائتمن فخان يصير منافقا
لان اخوة يوسف اؤتمنوا فخانوا ووعدوا فاخلفوا وحدثوا فكذبوا فلم يصيروا منافقين لانهم قالوا

اكله الذئب ولم ياكله وهو كذب ولانهم اخلفوا حين القوه في الجب وعدوا انهم يحفظونه ولم يحفظوه
فان قيل روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من علامات النفاق من اذا احدث
كذب واذا ائتمن خان واذا وعد اخلف فكيف يوفق بين الاية والخبر اذ هو لا يحتمل النسخ قيل يشبه ان
يكون هذا في قوم خاص من الكفرة او ممن انها اودع في التوراة من بعث محمد فغيروه ووعدوا ان
يبينوه فاختلفوا وكتموا وحدثوا انهم بينوه فكذبوا فيصيروا منافقا لما ذكر اذا كان ذلك في امر الدين واما
في غيره فلا يصير به منافقا ولا يكون ثلاث من اعلام المنافق والله اعلم وقوله عز وجل وما انت بمؤمن لنا ولو كنا
صادقين هذا القول منهم له في الظاهر عظيم لانهم قالوا وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ان يكون عنده
صدقة ثم يكذبهم يكون نبي من الانبياء يعلم صدق انسان ثم لا يصدقه هذا بعيد لكنه يحتمل قولهم وما انت
بمؤمن لنا في هذا وما كنا صادقين عندك من قبل في غير هذا او يكون قوله وما انت بمؤمن لنا اي تتهمنا
ولا تصدقنا لانك اتهمتهم حيث قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب فاعترضت له
التهمة وليس في الاتهام تكذيب الظاهر في الوقت لان ائتمن احد في شيء ثم اتهمه فيه لا يكون في اتهامه
اياه تكذيبه فعلى ذلك قولهم وما انت بمؤمن لنا اي تتهمنا لما سبقت من التهمة ولو كنا صادقين على احد
الوجهين يخرج تاويل الاية والا لم يجز ان يكون نبي من الانبياء يكذب من يعلم انه صادق في خبره
وقوله فان قيل في قوله واخاف ان ياكله الذئب كيف ذلك وقد قال له يعقوب وكذلك يجتبيك
ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب الاية انباه انه يجتبيه ويعلمه
من تاويل الاحاديث ويتم عليك نعمته فكيف خاف اكل الذئب والضياع وذلك لا يحتمل انه قاله
له الا بعلم من الله والوحي اليه قيل يحتمل ان يكون ما ذكر على شرط الخوف انه خاف مما ذكر فيكون
له ما قال من الاجتباء وتعليم الاحاديث واتمام النعمة عليه او خاف ذلك على ما خافوا جميعا ما هم
عليه من الدين واعتصموا مما خافوا جميعا حيث ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام ومعلوم ان ابراهيم لا يعبد الاصنام وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين
ومثاله هو ما ذكرنا في غير موضع ان العصمة لا تزيل الخوف ولا تؤمن عن ارتكاب مضادا انه
بل يزيد الخوف على ذلك الاخيار والابرار كان خوفهم واشفاقهم على دينهم اكثر من غيرهم والله
اعلم وقوله عز وجل نستبق قال بعضهم ننتضل الى الصيد وقال ابو عوسجة نستبق هذا من السباق
اي بعد وننحي ينظروا اليهم يستبق اي يتقدم من صاحبه ويغلبه في العدو وقال القتبي نستبق
اي ننتضل يسابق بعضنا بعضا في الرمي يقال سابقته فسبقته والله اعلم وقوله عز وجل وجاؤا
على قميصه بدم كذب الدم لا يكون كذبا لكنه والله اعلم جاؤا على قميصه بدم قد كذبوا فيه انه دم
يوسف وان الذئب اكله ولم يكن وقال الفراء بدم كذب بدم مكذوب والعرب قد تستعمل المصدر
في موضع المفعول ثم قال بل سولت لكم انفسكم اي زينت لكم انفسكم والتسويل هو التزيين في
اللغة وتاويله والله اعلم اي زينت لكم انفسكم ودعتكم الى امر تفعلونه وتفرقون بيني وبين ابني
لكنا لا نعلم ما ذلك الامر الذي زينت انفسهم لهم ويشبه ان يكون ذلك قوله يا بني لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا والله اعلم وقوله عز وجل فصبر جميل يحتمل وجهين صبر لا جزع فيه جميل
نرضى بما ابتلينا به لان الصبر هو كف النفس عن الجزع بذلك وجميل لا مكافاة فيه لانهم بما فعلوا
بيوسف كانوا مستوجبين المكافاة فقال صبر كف النفس عن الجزع بذلك وجميل لا مكافاة فيه والله
اعلم وقوله عز وجل والله المستعان على ما تصفون الاية اي وبالله استعين على الصبر على ما تصفونه
او يقول به استعين على ما تقولون من الكذب حتى تزعمون ان الذئب اكله ونحوه وقوله عز وجل وجاءت
سيارة السيارة هي جماعة السائرين كالمسافرين وهم الوارد هو طالب الماء وسعيه فادلى دلوه
اي ارسل دلوه في البئر وجده قال يا بشرى هذا غلام قال بعضهم بشرى هو اسم ذلك الرجل
الذي كان مع المدلي الدلو فقال له يا بشرى هذا غلام كما يقال يا فلان هذا غلام وقال بعضهم هو
من البشارة كانه قال ابشر بهذا الغلام وفي بعض القراءة يا بشراي على الاضافة الى نفسه فكانه
بشر نفسه اي البشرى اي بهذا الغلام ويشبه ان يكون هذا كناية كلام كان هنالك لم يبين لنا ذلك
والله اعلم بذلك قوله وقاسمهما اخبر انه اقسم لكن لم يبين لنا ما ذلك القسم وقوله عز وجل واسروه

بضاعة قال بعضهم الاسرار هو اسم الاخفاء والاظهار جميعا كقوله واسروا الندامة لما راوا العذاب
اي اظهروا الندامة فان كان ما ذكر انه اسم لهما جميعا فكانه قال اظهروه بضاعة فان كان حقيقة
الاخفاء والاسرار فهو على الاضمار كانه قال واسروا على ما كان واظهروا بضاعة لئلا يطلب اصحابه
في ذلك بشركة والله عليم بما يعملون اي عليم بما عمل اخوة يوسف بيوسف او عليم بما عمل السيارة
من الاسرار والاظهار والله اعلم وقوله عز وجل وشروه بثمن بخس اي باعوه بثمن بخس دراهم
معدودة قال بعضهم البخس هو النقصان اي باعوا بثمن لا يباع مثله بمثله وقال بعضهم البخس الظلم
باعوا ظلما واخذوا ثمنه ظلما لانهم باعوا حرا وبيع الحرام حرام واخذ ثمنه ظلما حراما لان ثمن
الحرام حرام وقال بعضهم بثمن بخس دراهم اي دراهم بنهرجة وزيف وكانوا فيه من الزاهدين اي
كانت السيارة في يوسف من الزاهدين حيث باعوا بثمن الدون والنقصان بالا يباع بمثل مثله ذلك
الثمن خشية ان يجيئهم طالب لما علموا ان مثل هذا لو كان مملوكا لا يترك هكذا لا يطلب باعوه بادنى
ثمن يكون لهم لا كما يباع بيع الرجل ملكه على رغبة منه خشية الطلب والاستنقاذ من ايديهم وقال
عامة اهل التاويل قوله وشروه بثمن ان اخوة يوسف هم الذين باعوه من السيارة بثمن بخس دراهم
معدودة وكانوا فيه من الزاهدين اي لم يعرفوا منزلته ومكانه والاول اشبه وقوله وكانوا فيه
من الزاهدين كانوا في الشراء له من الزاهدين اي خافوا من الثمن انه كان مسروقا وقوله عز وجل وقال
الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه اي مقامه ومنزلته عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ان صدق
انه بضاعة عندهم او نتخذه ولدا ان ظهر انه مسروق وانه حر لما وقع عندهم انه البضاعة
لا يباع بمثل ذلك الثمن الذي باعوه وقوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف تاويله كما مكنا ليوسف
عند العزيز وامراته كذلك نمكنك عند اهل الارض ولكن ذكر مكنا على الخبر لانه كان ممكنا في هذا
اليوم عند العزيز والملك ويشبه ان يكون قوله مكنا اي كذلك جعلنا ليوسف مكانا ومنزلة عند
الناس وفي قلوبهم مكان ما خذله اخوته ولم يعرفوا مكانه ومنزلته بعد ما كان يشبه الملوك عند
اولئك والله اعلم وقوله عز وجل ولنعلمه من تاويل الاحاديث هذا قد ذكرناه فيما تقدم وقوله عز وجل
والله غالب على امره اي لا مرد لقضائه اذا قضى امرا كان لقوله لا معقب لحكمه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون وقول اهل التاويل انه بيع بعشرين درهما او بعشرين ونيف ذلك مما لا يعلم الا بخبر سوى
ان فيه انه بيع بثمن الدون والنقصان بقوله بخس والبخس هو النقصان يقال بخسه اي نقصه كقوله
ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا وهو ما قال ولا تنقصوا المكيال والميزان وقيل البخس الظلم
والحرام وقد ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولما بلغ اشده الاشد هو اشتداد كل شيء ونهايته كالنواد
في المكيال ويحتمل اشده انتهاء بلوغه وانتهاء شبابه او انتهاء عقله في التمام لا يخلو من هذه
الوجوه الثلاثة وقول اهل التاويل ثماني عشر سنة الى اربعين لانه به يتم ويكمل كل نوع من
ذلك الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك اتيناه حكما وعلما قوله حكما من الناس والعلم في الحكم
ويحتمل قوله حكما اي اعطينا النبوة وعلم الاحاديث وتاويلها على ما تقدم ذكره او ان يكون انا
اعطاه الحكم اعطاه العلم واذا اعطاه العلم اعطاه الحكم وقوله عز وجل وكذلك نجزي المحسنين
يحتمل الاحسان في الاعمال اي عمل اعمالا حسنة صالحة ويحتمل الاحسان الى الناس اي احسن اليهم
واحسن الى نفسه لا يخلو من اوجه الثلاثة او يكون قوله وكذلك نجزي المحسنين اي كذلك نجزي
من احسن صحبة نعم الله واحسانه وقام بشكر ذلك كذلك اي مثل الذي جزاء يوسف لا يريد ان
يجزي غيره على ما جزا يوسف ولكن يجزيه جزاء الاحسان وقوله عز وجل وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه ذكر قوله في بيتها ان البيت قد يجوز ان يضاف الى المراة وان كانت البيت في الحقيقة
لزوجها على ما اضاف بيت زوجها اليها وقوله عز وجل وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة
قيل هي الدعوة والطلبة وراودته اي دعته الى نفسه وقال اهل التاويل راودته اي ارادته
وغلقت الابواب وقالت هيت لك ان هذه الكلمة اخذت من الكتب المتقدمة ليست بعربية ونحن لا نعرف
ما اريدت بها لكن اهل التاويل قال بعضهم هلم لك وقال بعضهم تهيات لك وفي بعض القراءات هئت
لك بالهمزة ومعناه ما ذكرنا اي تهيات لك ويشبه ان يكون قوله هيت لك هانالك قال معاذ الله

اى اعوذ بالله والجاء اليه انه ربى احسن مثواى قال اهل التاويل ربى اى سيدى الذى اشتراه احسن
مثواى اى اكرم مقامى ومكانى دليله قوله لزوجته اكرمى مثواه هذا يدل ان قوله اكرمى مثواه اى
احسن مثواه ولكن يشبه ان يكون اراد بقوله ربى احسن مثواى ربا الذى خلقه وقوله عز وجل انه
لا يفلح الظالمون بظلمهم وقت ظلمهم والمثواى الموضع الذى يثوى فيه والثوا المقام والثاوى المقيم
ومعاذ الله قيل اعوذ بالله والجاء اليه والتحصن به او لا يفلح الظالمون اذا اختموا بالظلم واما اذا
انقلعوا عنه فقد افلحوا وقوله عز وجل لقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه اما ما قاله اهل
التاويل انها استلقت له وهم بها اى حل سراويله وامثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان
يقال فيه شئ ومن ذلك والدلالة على فساد ذلك وجوه احدها قوله هى راودتنى عن نفسى ولو كان
منه الارادة والمراودة لم يكن ليقول ذلك لها ويبرئ نفسه عن ذلك والثانى قوله كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء ولو كان شئ مما ذكروا من حل السراويل والجلوس بين رجليها لم يكن السوء مصروفا
عنه والثالث قوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ولو كان منه ما ذكروا لقد خانه بالغيب والرابع
قولها ما علمنا عليه من سوء وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه هذا كله يدل ان ما قاله
اهل التاويل فاسد لا يحل ان يتكلم فيه بشئ من ذلك وليس فى ظاهر الاية شئ مما قالوا من قليل ولا
كثير اذ ليس فيه سوى انه همت به وهم بها ثم يحتمل الاية وجوها عندنا احدها همت به هم عزم
وهم بها هم خطر ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مواخذة عليه وهو قول الحسن والثانى همت
هم الارادة والتمكن وهم بها هم دفع لكنه يدخل عليه لولا ان راى برهان ربه لو كان همه بها هم دفع
لم يكن لقوله لولا ان راى برهان ربه معنى لكنه يشبه ان يكون هم بها اى هم قتلها فاذا كان يقتلها
فراى برهان ربه فتركها لما لا قتلها والثالث كان يهم بها لولا ان راى برهان ربه على التقديم
بها لولا ما راى برهان ربه وهو كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم لولا كان من تثبيتنا اياك
وكذلك يخرج قول ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اى لو كان هو الذى
ينطق لفعل هو ثم اختلف فى قوله لولا ان راى برهان ربه قال بعض اهل التاويل راى يعقوب
على شفته وقال بعضهم مثل له يعقوب وصور له فراى عاضا على اصبعه وقال بعضهم راى اية من
كتاب الله ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الاية هذا كله لا ندرى واصل البرهان الحجة اى لولا ما راى
من حجة الله والا كان يهم بها ولكن ما ندرى ما تلك الحجة والله اعلم بذلك والبرهان هو الحجة والاية لولا
ان راى حجة ربه وبرهان ربه واياته او الرسالة ويشبه الحجة الى النبوة وقوله عز وجل واستبقا الباب
قال بعضهم استبقا الباب استبقت هى لتغلق الباب واستبق هو ليخرج ويفر لكن قوله لتغلق الابواب
لا يحتمل لان الابواب كانت مغلقة بقوله وغلقت الابواب ولكن استبقت هى لتحبسه وتمنعه واستبق
هو ليخرج ويهرب وقوله عز وجل وقدت قميصه من دبر لما جرته لتحبسه وقوله عز وجل والفيا سيدها
اى وجدا سيدها هذا يدل ان قوله ربى احسن مثواى اى لم يرد العزيز الذى اشتراه ولكن العزيز الذى
خلقه لانه قال سيدها ولم يقل سيدهما وقوله عز وجل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
او عذاب اليم هذا يدل ان الارادة تكون مع الفعل لانها كانت لا تعلم ارادة ضميره فاذا اخبرت عما ظهر
من الميل واظهار الفعل وكذلك قول اخوة يوسف ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وكانوا لا
يعرفون ما فى ضميره من الحب سوى ما ظهر لهم منه من الميل اليه وابداء المشفقة له هذا يدل على ما
ذكرنا من كون الارادة مع الفعل والله اعلم وقوله عز وجل قال هى راودتنى عن نفسى اى دعتنى و
المراودة قد ذكرنا انها هى الدعوة كقوله سنراود عنه اباه اى سندعوه ونطلب فان قيل كيف
هتك سترها بقوله هى راودتنى عن نفسى قيل ليس فيه هتك الستر عليها بل فيه نفى العيب والطعن
عن نفسه فالواجب على المرء ان ينفى العيب وما يشينه عن نفسه على ما فعل يوسف وقوله عز وجل
وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من كذا فهو كذا وان كان كذا فهو كذا من كذا قال بعض اهل التاويل
ذلك الشاهد هو ابن عمها رجل حليم يقال كذا وقال بعضهم شق القميص من دبر هو الشاهد واما
لكن هذا لا يعلم من كان ذلك الشاهد وقيل صبى فى المهد وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل
ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين هذا

لان القميص

لان القميص اذا كان قد من قبل فصواقا يتكلم من دفعها عن نفسها واذا كان القميص مقدودا من دبر
فهو انما يقد من جرها اياه اى نفسها لا من دفعها اياه عن نفسها هذا هو الظاهر فى العرف لذلك
قال الشاهد ان كان قميصه قد من قبل فصدقت فهو من كذا وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو
من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن الاية استدل على انه انما تمزق من جرها
اياه لا من دفعها عن نفسه ففيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لان القميص فى الغالب لا يتمزق من دبر
الا عن دفع من ورائه ولا عن قبل الا عن دفع من قدام لذلك دل على ما ذكرنا والله اعلم وان كان يجوز ان
يكون فى الحقيقة على غير ذلك لكن نظرا الى الغالب وقال ابو عوسجة قوله وقدت قميصه اى كلفت او
امتد وقد اى مشقوق من دبر اى من خلف ومن قبل اى من قدام وهو ماخوذ من القبل من قبل المراة
وقوله والفيا سيدها لدى الباب ولم يقل سيدهما فهذا يدل ما ذكرنا لدى الباب اى عند الباب و
ظاهر اى وجدا سيدها عند الباب وفى قوله ان كان قميصه قد من قبل فهو كذا وان كان قميصه قد
من دبر فهو من كذا ولا ئل يستدل بها المسائل لاصحابنا من ذلك قولهم فى حانوت فيه لؤلؤ واهاب
تنازع فيه دباغ ولؤلؤى فانه يقضى باليد لكل واحد منهما فى ذلك اللولوى باللؤلؤ والدباغ بالاهاب
باليد يستدل بغالب الامر وظاهر اليد على ما قضى عليها بالمراودة بتمزق القميص من دبر وامثال
هذه المسائل يكثر عددها فيقضى بالدلالة الغالبة وان كان يجوز فى الحقيقة على خلاف الظاهر
وقوله عز وجل فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يشبه ان يكون كيدها انها
لما راودته عن نفسه وامتنع على اظهار ذلك ورفعه عليه فاخذت عليه ذلك حيث ابى اجابتها
فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا ذلك القول منها من كيدهن واصل الكيد والمكر هو الاخذ على
الامن والله اعلم وفى الاية دلالة القول اصحابنا فى المتاع يختلف فيه الزوج والزوجة فان كان من متاع الرجال
وان كان من متاع النساء فهو فى يد المراة فى قول ابى يوسف ومحمد وقوله عز وجل يوسف اعرض
عن هذا يحتمل قوله اعرض عن هذا اى عن قوله هى راودتنى عن نفسى ويشبه ان يكون قوله اعرض عن
من جميع ما كان بينهما اى استر عليها ولا تهتك عليها سترها وقوله عز وجل واستغفرى لذنبك قال
ليوسف ذلك القائل اعرض عن هذا وقال للمراة استغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين لما ظهر
عنده انها التى راودته ودعته فى نفسها ثم اختلف فى تاويل هذا القول قال بعضهم هو زوجها
قال ليوسف اعرض عن هذا ولا تهتك عليها سترها لكنهم قالوا انه كان قليل الغيرة وقال بعضهم
ذلك القائل هو رجل اخر هو ابن عمها وهذا اشبه وقوله واستغفرى لذنبك قال بعضهم قال لها
انما لانهم وان كانوا يعبدون الاصنام فانما يعبدونها ليقربوهم الى الله زلفى حيث قال لها واستغفرى
لذنبك وقال بعضهم من اهل التاويل قوله واستغفرى لذنبك اى زوجك حيث خنته فان كان التاويل
هذا فذلك يدل ان القائل لذلك رجل اخر لا زوجها فان كان التاويل هو الاول فانه يحتمل كليهما ايهما
كان والله اعلم وقوله عز وجل وقال نسوة فى المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه يشبه
ان يكون مسكنت سترها عند نسوة فى المدينة فاستبين سترها عند اهل المدينة ليبلغ ذلك الخبر
الملك او ان لم تكن اعلنت ذلك النسوة على بدن من ان يعلم ذلك بعض خدمها فالخادم اعلنت سرها
وافشت عند نسوة فى المدينة فقلن عند ذلك تراود فتاها اى تدعوا عبدها الى نفسها وقوله عز وجل
قد شغفها حبا قال بعضهم الشغاف هو حجاب القلب وغلافه قد شغفها حبا اى بلغ حبها اياه
الشغاف والمشغوف قيل المجنون حبا وهو من العشق قال الحسن الشغف ان يكون قد بطن لحاجبه و
ان يكون مشغوفا به قال ابو عوسجة شغفها حبا اى دخل الحب فى شغاف القلب وهو غطاؤه
وقال من قراها شغفها اى ذهب بعقلها اى مشغفها لكن هذا قول اولئك النسوة فلا ندرى ما ارادوا
بذلك انما ذلك خبر اخبر عن قول قلن هو والله اعلم وقوله عز وجل انا لنريها فى ضلال مبين حيث
راودت زوجها او فى ضلال مبين اى فى حيرة من حبه والله اعلم وقوله عز وجل فلما سمعت بمكرهن اى بقولهن
المكر هو الاخذ فى حال الامن وهو الخيانة فيما ائتمن واستكتم فهذه كانها استكتمت سرها وحبها ليوسف
من الناس وافشت ذلك للنسوة فى المدينة على ان يستكتمن من الناس فاستبين عليها ذلك فذلك المكر
الذى سمعت والله اعلم الى هذا ذهب بعض التاويل وامكن ان يكون المراة لم تفش سرها اليهن لكن

بعض خدمها الذي اطلعت على ذلك حتى الى ان فشت اليهن فاستبن حتى ذلك فلما سمعت ذلك منهن ارسلت
اليهن اما تزوينا ودعاء للضيافة واما استزادة بر زينها واما قول اهل التاويل ان النسوة كانت
امراة الخباز والساقي ولا ادري من ما ذا فذلك لا نعلمه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل
واعتدت لهن متكئا قال الحسن متكئا طعاما وشرابا ونكاة وقال بعضهم الاترج والزبج وقال بعضهم
متكئا وسائد او ما يتكا عليه وقال ابو عوسجة متكئا ممدود تعني هيئات المجلس ما يتكا عليه ومن قرا
متكا مقصور وهو الاترج وطعام على ما قال الحسن وكذلك قال العتبى قال ويقال الزماورد
وقوله عز وجل واتت كل واحدة منهن سكينا اى اعطت كل واحدة منهن سكينا ناهرو وقالت اخرج
عليهن فلما راينه اكبرنه ههنا كلام انه كيف اطاع يوسف بالخروج على النساء بقولها اياه اخرج عليهن
فذلك مما لا يحل لكنه يخرج على وجوه احدها انه انما يكره الدخول عليهن والخلوة بهن واما الخروج
عليهن فنولهن بكره او انه في الخروج منهن لانها قالت اخرج عليهن كان يعتاد ان يخرج منهن فكانه انما
الخروج لما اذنت له بالخروج عليهن خرج رغبة ان يخرج من عندهن اذ لم يعتاد ان يخرج من البيت عليهن
بغير اذن منها فالامر بالخروج عليهن افاد له اذنا بالخروج من البيت اذ لا سبيل له الى الخروج منه
بلا اذن له منها فخرج عليهن لانه من عندهن الى غيره من الاماكن وذلك مما لا يكره انه كان لا سبيل
الى ما سورة ويشبه ان يكون منها الامر بالخروج حسب انه اخرج ولم تعل عليهن ولم تعلم يوسف انها
انما امر بالخروج على النساء فخرج لكن الله عز وجل اخبر مقصودها وكان مقصودها من الامر بالخروج
خروجا عليهن فاخبر من مقصودها بقوله وقالت اخرج عليهن ومثل هذا قد يكون في الكلام وجائز
ان يكون قولها اخرج عليهن اى منهن وذلك جائز في اللغة على مكان من كقوله اذا اكتالوا على الناس
اى من الناس وامثاله كثير وفي هذه الاية دلالة ان مشترى يوسف كان يمنع يوسف عن ان يخرج الى
البلد والسوق ومن ان تخالطه الناس اما اشفاقا على نفسه او لئلا يفتتن به النساء او لئلا يطلع
على نفسه يعقوب لما وقع عنده انه مسروق فكيف ما كان ففيه ان على المرء ان يحفظ ولده او عبده
اشفاقا عليه وقوله عز وجل فلما راينه اكبرنه اى اكبرنه واعظمنه من حسنه ان يكون مثل هذا
بشرا الا ترى انهن قلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقطعن ايديهن قيل حززا حززا بالسكين
وقوله عز وجل حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم حاش لله قال اهل التاويل اى معاذ الله وقال
بعضهم حاش لله كلمة تنزيه من القبيح وقد دل هذا القول منهن انهن لم يؤمن بالله حيث قلن معاذ
الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك وان لم يروه حسن منهم
ينسبون كل حسن الى الملائكة والشيطان لعنه الله عندهم قبيح فنسبوا كل قبيح اليه قوله بشرا قرا
بعضهم بشرا بالشرى اى ما هذا بمشترى وقوله عز وجل قالت فذلكن الذي لمتنني فيه يقولهن
امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه اى انكن لمتنني فيه اراوده عن نفسه وانتن قطعن ايديكن
اذا رايتن وانكرتن ان يكون هذا بشرا فذلك اعظم وقوله عز وجل ولقد راودته عن نفسه اى
دعوته الى نفسي فاستعصم قيل امتنع كقوله لا عاصم اليوم من امر الله اى لا مانع ويشبه قوله
استعصم بالله او بدينه وبنبوته او بعقله هذا يدل على انه لم يكن منه ما قال اهل التاويل من حل
السراويل ونحوه حيث قالت فاستعصم وقوله عز وجل ولئن لم يفعل ما امره قالت ذلك امراة
العزيز ليسجنن وليكونا من الصاغرين يشبه ان يكون قولها ليسجنن وليكونن في السجن من الصاغرين
او ليسجنن وليكونا من المذلين الصاغرين هو الذليل لانه قال لامراته اكرمى مثواه فكان مكرما عندها
معظما فلما ابى الى ما راودته فقالت ليسجنن وليكونا من الصاغرين وقوله عز وجل رب السجن احب
الى مما تدعونني اليه فيه دلالة انه قد كان منهن من المراودة والدعاء ما كان من امراة العزيز من
المراودة والدعاء الى نفسها حيث قال السجن احب الى مما تدعونني اليه الا ترى انه قال في موضع
اخر ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه وكذلك قالت امراة العزيز فذلكن الذي لمتنني فيه
اى كنتن لمتنني فيه انى راودته عن نفسه وانتن قد راودته عن نفسه وقول يوسف رب السجن
احب الى مما تدعونني اليه اى ذلك الذى والصغار الى اى اثر عندي واخير في الدين مما تدعونني اليه
وان كان ما يدعونه اليه تهوى نفسه وتميل اليه وتحبه فاخبر ان السجن احب اليه اى اثر واخير في

في الدين اذ النفس تكره السجن وتنفر عنه الا ترى انه قال والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من
الجاهلين فهذا يدل على ان ما قال السجن احب الى مما تدعونني اليه انما اراد به محبة الاختيار والايثار
في الدين لا محبة النفس واختيارها بل كانت النفس تحب وتهوى ما تدعونه اليه دليله قوله اصب
اليهن واكن من الجاهلين وليس الدعاء في قوله رب السجن احب الى مما تدعونني اليه كما يقول بعض
الناس انه انما دفع في السجن لانه سال ربه السجن فاستجيب له في ذلك ولكن الدعاء في قوله والا تصرف
عنى كيدهن وهو كقول ادم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا الاية ليس الدعاء في قوله ربنا ظلمنا انفسنا لانه
اخبار عما كان منهم انما الدعاء في قوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وكذلك قول
نوح رب انى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لى به علم والا تغفر لي وترحمني وفي قوله والا تصرف عنى
كيدهن اصب اليهن دلالة ان عند الله لطفا لم يكن اعطى يوسف ذلك اذ لو كان اعطاه لكان كيدهن
مصروفا عنه حيث قال والا تصرف عنى كيدهن ولو كان اعطى ذلك لم يكن سواله ذلك معنى
فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله قد اعطى كلا قدرة كل طاعة وقوة كل خير والدفع
عن كل شيء وقوله والا تصرف عنى كيدهن اى لا اجد يملك صرف كيدهن عنى لو لم تصرف انت وكذلك قوله
والا تغفر لي وترحمني وهو ابلغ في الدعاء من قوله اللهم اغفر لي وارحمني وقوله اصب اليهن قال بعضهم
امل اليهن وقال بعضهم قال لو لم تصرف عنى كيدهن لاتابعهن ويقال الصبوة هو الخروج من الامر يقال
من خرج من دينه فقد صبا وبه كان المشركون يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابيا انه خرج مما كان عليه
وقال ابو بكر الاصم الاصب هو الامر المحب وقوله واكن من الجاهلين اى يكون فعلي فعل الجهال لا فعل العلماء
والحكماء انك لم تصرف عنى كيدهن وقوله عز وجل فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن اى اجاب له ربه
فصرف عنه كيدهن هذا يدل على ان الدعاء كان في قوله والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن ليس في قوله
رب السجن احب الى مما تدعونني اليه انما هو اخبار اخبره حيث اخبر انه اجاب له ربه فصرف عنه كيدهن
دلالة انه لم يكن يدعو الى ذلك من وجه كان يخفى عليه ولم يشعر به فالتجا الى الله في صرف ذلك عنه
عز وجل ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين ذكر في بعض انها قالت لزوجها ما زال يوسف
يراودني عن نفسي فابيت عليه فقصد جعله لحبسه في السجن وقوله عز وجل من بعد ما راوا الايات قال اهل
التاويل هو قد القميص من دبره وخمش الوجه وغيره ولكنه يشبه ان يكون الايات التي راوها هي ايات
نبوته ورسالته وقال بعضهم حبسوه ليغيبوا عن المراة ما رميت به ولينقطع ذلك عن الناس ويموت ذلك
الخبر ويذهب فيه انهم حبسوه بعد ما راوا ايات عصمته وبراءته عما اتهموه وانهم ظلمة في حبسه والله
اعلم وقوله عز وجل ودخل معه السجن فتيان قيل عبدين لملك غضب عليهما الملك قال احدهما انى ارانى
اعصر خمرا وقال بعضهم ارض قوم واسم خمرا كان احدهما خباز الملك والاخر ساقيه نبئنا بتاويله انا نراك
من المحسنين قال بعضهم احسانه في السجن لما كانوا يراوه يداوى المرضى ويعزى حزينهم ويجتهد في نفسه
في العبادة لربه هذا يحتمل لعله كان يبر اهل السجن ويعلمهم ويجتهد في العبادة لله في الصلوة له والصوم
وانواع العبادة التى يكون فيما بينه وبين ربه فسماه محسنا لذلك ويشبه ان يكون قالوا انا نراك من المحسنين
لما اتاه ربه فيما الخبز واتاه او يدعوهم الى توحيد الله والعبادة له وخلعهم عن عبادة الاصنام
والاوثان ولا نزاع في ذلك فسماه محسنا لذلك ويحتمل قوله انا نراك من المحسنين لما راوه احسن الى
اهل السجن وعجل الاحسان وعلما العلم انا نراك من العالمين وهو قول الفراء وقوله عز وجل نبئنا بتاويله
سمى المعبر تاويلا لان التاويل هو الاخبار عن العواقب لذلك سموا تاويلا ويلا نخرج تاويل الذي كان يعصر
الخمر على العود الى ما كان في امره من السقى للملك وهو كان ساقيه على ما ذكر فلما راى انه دام على امره اوله
بالعود الى امره الذى كان فيه والاخر كان خبازا على ما ذكر وهو انما كان يخبز للناس فلما راى انه حمل الخبز على
راسه وانه ياكل الطير فعلم انه يخرج من الامر الذى كان فيه والاخر كان خروجه يكون بهلاكه لانه كان من
يخبز للناس فصار يخبز لغيرهم فاستدل بذلك على خروجه من امره وعمله لكنه اخبر انه يصلب لانه
كان قائما منتصبا فدل ما كان امره والله اعلم وقوله عز وجل لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله
قبل ان ياتيكما هذا والله اعلم كانه يقول لهم ذلك ليعلمهم ان عنده علم ذلك علم ما لا يحتاج اليه فعلم
ما يحتاج اليه احرى ان يعلم ذلك وهذا والله اعلم منه احتيال ليزعهم عما هم فيه من عبادة الاوثان و

وعبادتهم غير الله وبرغبهم في توحيد الله وصرف العبادة اليه وهذا قال ذلكما من علمني ربي عند
بالتعلم ما اضاف اليه انه علمه والا التعليم لا يكون الا باختلاف الملائكة اليه وذلك لطف من الله تعالى
للرسل عليهم الصلوة والسلام وقوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما تأويله
والله اعلم اي لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام الا نبأتكما بتأويل ذلك قبل ان يأتي ذلك وقوله
عز وجل اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله اخبر انه ترك ملة قوم لا يؤمنون لا انه تركت ملة
قوم لا يؤمنون بالله ليس انه كان فيه ثم تركته ولكن تركه ابتداء لو لم يكن تركه كان اخذ بعينه وهو
كقوله رفع السموات ليس انها كانت موضعة فرفعها ولكن رفعها ولا ما خلقها وكذلك قوله والارض
وضعها ليس انها مرفوعة ثم وضعها اي انشأها موضعة وموضوعة وكقوله يخرجهم من الظلمات
الى النور ليس انهم كانوا فيها فاخرجهم ولكن عصمهم حتى لم يدخلوا فيها فعلى ذلك الاية والله اعلم وقوله
عز وجل واتبعت ملة اباءي ابراهيم واسحق ويعقوب قال في الاية الاولى اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله واخبر انهم كافرون بالله واليوم الاخر وفيه ان من لم يؤمن بالله واليوم الاخر فهو كافر فهذا
ينقض على المعتزلة حيث جعلوا بين الكفر والايمان منزلة ثالثة ويوسف يخبر ان من لم يؤمن بالله فهو كافر
وهم يقولون صاحب الكبيرة غير مؤمن بالله وهو ليس بكافر ثم اخبر انه ترك ملة اولئك الذين لا يؤمنون
بالله واتبع ملة اباءه ابراهيم ومن ذكر ثم اخبر عن ملة اباءه وهو ما ذكر ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء
من ذكر ملة اباءه دينهم وهو ترك الاشراك بالله وجعل الالوهية له وصرف العبادة اليه وفيه ان
الملة ليس الا ملتين ملة كفر وملة الاسلام واخبر ان من لم يكن في ملة الاسلام كان في ملة الكفر ثم خص
بذكر هولاء ابراهيم واسحق ويعقوب لان هولاء كانوا مكرمين عند الناس كافة كل اهل الدين يدعون
انهم على دين اولئك فاخبر انهم على دين الاسلام والحنيف المخلص ليس على ما تزعمون انهم وهذا قال
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وفي قوله اني تركت ملة
قوم لا يؤمنون دلالة ان الكفر كله ملة واحدة حيث اخبر انه ترك ملة قوم لا يؤمنون على اختلاف مذهبهم
وقوله عز وجل ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس اي ذلك الدين الملة التي انا عليها واباءي من فضل
الله علينا وعلى الناس لانه عز وجل فطر الناس على فطرة يعرفون وحدانية الله وربوبيته بعقول ركب
فيهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضل الله وما ركب فيهم من العقول او ذلك الدين والهداية الذي اعطاهم
من فضل الله لكن الناس يتركون ذلك وتلك الهداية والله اعلم وقوله عز وجل يا صاحبي السجن ءارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار يوسف لما سئل عن تأويل الرؤيا دعاهم الى توحيد الله ودلهم
عليه فقال ذلكما مما علمني ربي وقال يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار اي عبادة
رب واحد وارضاءه خير ام عبادة اعداد وارضاءه فعل لانه اذا عبد بعضا واجتهد في ارضائه اسخط
الباقين فلا سبيل الى الوصول الى مقصوده والظفر بحاجته اذ لا يقدر على ارضائهم جميعا وان اجتهد
الواحد فانه يقدر على ارضائه اذ لا يزال يكون في عبادته وارضائه فيصل الى حاجته والظفر بمقصوده
والثاني يخبر ان الواحد القهار يقهر غيره من الارباب ومن تعبدون فعبادة الواحد القهار خير من عبادة
عدد مقهورين وقوله عز وجل ما تعبدون من دونه من الاصنام والاوثان الا اسماء سميتموها الهة انتم
واباؤكم ولا يستحقون العبادة ولا التسمية بالالوهية انما المستحق لذلك الذي خلقكم وخلق السموات والارض
ما انزل الله بها من سلطان اي ما انزل الله على ما عبدتموهم وسميتم انتم واباؤكم الهة من حجة ولا برهان
ان الحكم الا لله اي ما الحكم في الالوهية والربوبية والعبادة الا لله ويقول ما الحكم في الخلق الا لله كقوله
الا له الخلق والامر اي له الخلق وله الامر في الخلق وامر ان لا تعبدوا الا اياه هذا امر ان لا تعبدوا الا اياه
وقوله عز وجل ذلك الدين القيم اي عبادة الله وتوحيده وهو الدين القيم لانه دين قام عليه الحجة و
البرهان واما سائر الاديان فليست بقيمة اذ لا حجة قامت عليها ولا برهان والقيم هو القائم الذي
قام بحجة وبرهان وقال اهل التاويل القيم المستقيم وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحتمل لا
يعلمون لما لم يتفكروا فيه ولم ينظروا ولو نظروا فيه وتفكروا لعلموا وهذا يدل ان العقوبة تلزم
بالجهل وان امكن له العلم به فلا عذر له في الجهل اذا امكن العلم به او علموا لكنهم لم ينتفعوا بعلمهم فنفى
عنهم العلم لذلك والله اعلم وقوله عز وجل يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب

فتاكل الطير من راسه هو ما ذكرنا انه قال رؤيا الساقي وعبرها عن العود الى ما كان من قبل لما راى عنبا
كان يعمل على ما كان يعمل من قبل وعبر رؤيا الخباز بالهلاك لما راى انه حمل الخبز على الراس والخباز اذا
خبز الخبز لا يحمله على راسه فراى انه قد انتهى امره ان عمل على خلاف ما كان يعمل من قبل فتاكل الطير
من راسه فعبر انه يصلب وتاكل من راسه لما راى انه حمل الخبز على راسه لما كان يخبز من قبل العباد
فلما راى انه خبز لغيره عبر انه يهلك فتاكل الطير من راسه وقوله عز وجل قضي الامر الذي فيه
تستفتيان قال بعض اهل التاويل انه لما عبر لهما رؤياهما قال الذي عبر له الصلب والقتل لم ار شيئا
انما كنا نلعب فقال لهما يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ وانتهى لكن هذا لا يعلم انهما قالا ذلك
ام لم يقولا سوى ان فيه انه عبر رؤياهما وكان ما عبر لهما وقد علم ذلك بتعليم من الله اياه بقوله ذلكما
مما علمني ربي وقوله عز وجل وقال للذي ظن انه ناج منهما قال بعضهم ظن الذي صدق في هو ذلك الرجل
فكان الظن في موضع الظن وان كان الظان هو يوسف فهو علم اليقين اي علم ايقن انه ناج منهما لانه لا يحتمل
على حقيقة الظن من يوسف اي وقال للذي ناج منهما ظن انه يذكره عند ربه وهو على التقديم والتاخير
وقوله عز وجل اذكرني عند ربك قال بعض اهل التاويل ان يوسف لما فزع الى غير الله وطلب اخراجه
من السجن من الملك انساه الله حتى لبث سنين وابتلاه فيه عقوبة له حين رجا غير ربه لكن هذا بعيد لا
يحتمل ان يكون يوسف يفزع الى غير الله ويدفع قلبه عن الله ويشغله بمن دونه لكنه راى والله اعلم
ان الله عز وجل جعل سبب نجاته على يديه وانه بقي فيه مظلوما لما علم انه لم يكن منه سبب يلزمه الحبس
في السجن سوى الاعتذار الى الناس والاعتذار لهم على نفي ما قذفت به زوجته او ليقطع ذلك الخبر
عن الناس ويبعد عن اوهامهم فراى انه اذا ذكره لعله اخرجه من ذلك لما راى انه جعل سبب نجاته
على يديه لانه راى ذلك منه ودفع قلبه عن الله وهكذا جعل الله تعالى امور الدنيا كلها وعلى
ذلك تعبد عباده باستعمال الاسباب مع اعتقاد القلب العون من الله نحو ما جعل الاثرات
والزراعة باسباب يكتسبونها وجعل الاسلحة التي تتخذ للحرب والقتال بها مما يكثر عدد ذلك
وانما يجاهدون بالله وبه يقاتلون ومن عنده ينتصرون وقد امر بذلك كله وبتلك الاسباب فقال و
اعدوا لهم ما استطعتم من قوة وليس كل من فعل هذا كان فزع الى الله او راى النصر والنجاة من ذلك
الشيء والسبب بل راى ذلك كله من الله ومن عنده فعلى ذلك يوسف لا يجوز ان يتوهم انه فزع الى المخلوق
شانه وراى نجاته من عند ربك ولكن الوجه الذي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اذكرني عند ربك
يحتمل وجهين احدهما اذكرني عند ربك لعلي حبست بلا علم منه وبغير امره لان تلك المراة هي التي عملت
له السجن ثم وقع عنده انها التي احتالت في حبسه فيقال سبحانه لذلك ما قال والثاني يقول اذكرني بالذي
رايت مني وسمعت لانه دعاهم في السجن الى التوحيد حيث قال ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
وقوله عز وجل فانساه الشيطان ذكر ربه قال بعض اهل التاويل انسى الشيطان يوسف دعاء ربه
الذي انشاءه وخلقه فلم يدع ربه الذي هو في الحقيقة رب وقال بعضهم قوله فانساه الشيطان
الذي قال له يوسف اذكرني عند ربك ذكر ربه وهذا اشبه والاول بعيد لانه قال في اخره وادكر بعد
امة اي بعد حين انا انبئكم بتاويله فارسلون دل هذا انه انما انسى الشيطان على ذلك الرجل فلم
يذكره عنده حينا وقال بعضهم لم ينسه الشيطان ولكن تركه عمدا لم يذكره عنده لعله يتذكر ما تقدم
من المقال فيزداد غضبا عليه فتركه عمدا الى ان جاء وقته والله اعلم لان بدء كل شيء يكون من الشيطان
واضاف الانساء الى الشيطان وكذلك قال موسى عليه السلام وما انسانيه الا الشيطان فهو والله
اعلم لان بدء كل شر يكون من الشيطان لانه يخطر بباله ويقذف في قلبه ويوسوسه ثم يكون من العبد الترك
في ذلك الفعل وفائدة النسيان والله اعلم ان الله تعالى اراد ان يظهر رسالته وحجة نبوته بكونه
في السجن ويظهر براءته في شان تلك المراة بشهادة اولئك النسوان وذلك علم الاحاديث التي ذكروا
الرؤيا التي عبرها وقوله عز وجل فلبث في السجن بضع سنين قال بعضهم خمس سنين وقال بعضهم
سبع سنين ونحو ذلك ولكن لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه انه لبث فيه
حينا وقال ابو بكر الاصم قوله يا صاحبي السجن بالالف واللام لم يقل هذا دل انه اضاف الى نفسه كانه قال
يا صاحبي في السجن لانهما كانا معه في السجن وقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان قيل فرغ وقيل انتهى الامر

فيه تستفتيان او نبي كقوله وقضينا الى بني اسرائيل الاية وقضى الامر الذي فيه تستفتيان اي كما قد بلغ اليهما
وحيا اليه وامر به اي هو كائن من غير رجوع كان منهما على ما يقوله اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل
وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ذكر انه راى وليس فيه ذكر انه راى في المنام ولكن ذكر في اخره
الرويا دل انه راى في المنام بقوله ان كنتم للرويا تعبرون وفيه ان الرويا ما هو حق ولها حقيقة ومنها
باطل لا حقيقة لها لانه قال يا ايها الملاء افتوني في روياي ان كنتم للرويا تعبرون قالوا اضغاث احلام
فكان الرويا هي حق ولها حقيقة بنا وبل عواقبها واضغاث احلام لا حقيقة لها وقوله عز وجل اني ارى
سبع بقرات سمان اما البقرات في السنون والسمان هي المخصبات الواسعات ياكلهن سبع عجاف العجاف
من المجدبات وسبع سنبلات خضر السنبلات سنبلات وخضر عبارة عما يجد واخر يابسات عبارة
عما لا يجد فيه دلالة ان في الرويا يكون مصرحا مشارا اليها يعلم بالبداهة ومنها ما يكون كناية مبهما غير
مفسر لا يعلم الا في النظر فيها والتفكر والتامل لانه قال راى سبع بقرات وسبع هو سبع لا غير وبقرات
هن كناية عن السنين وسمان كناية عن الخصب والسبعة ياكلهن على حقيقة الاكل لا غير وكذلك سبع
عجاف السبع وسبع والعجاف كناية عن الشدة والجدب وسبع سنبلات هن عين السنبلات وخضر هن
كناية عما يجد ويابسات كناية عما لا يكون فيه ما يجد فعلى ان في الخطاب ما يكون مصرحا مبينا مشارا
اليه يفهم المراد منه بالبديهة ومن نوع الخطاب السمع منه ما يكون مبهما غير مفسر فهو على وجهين
منه ما يفهم بالنظر فيه والتفكر والثاني لا يفهم بالبديهة ولا بالنظر فيه والتفكر الا بيان يقترن به
سوى ذلك على هذا يخرج المخاطبات فيما بين الله وبين الخلق والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الملاء
افتوني في روياي ان كنتم للرويا تعبرون وتخاطب الاشراف من قومه والعلماء بقوله يا ايها الملاء
على ما تقدم ذكرنا فيما تقدم ان الملاء هو اسم للاشراف منهم والرؤساء وهكذا العادة في الملوك
انهم اذا خاطبوا انما يخاطبون اعقلهم واعظمهم منزلة عندهم واكرمهم مثواهم وقوله افتوني في
روياي ان كنتم للرويا تعبرون انه انما راى ذلك في المنام والله اعلم وقوله افتوني في روياي الاية
كان نهاهم ان يتكلفوا التعبير للرويا التي راها اذا لم يكن لهم علم وكذلك الواجب على كل من سئل عن شيء
لا يعلم ان لا يشتغل به ولا يتكلف عليه اذا لم يكن له به علم حيث قال افتوني في روياي ان كنتم للرويا
تعبرون وقوله عز وجل قالوا اضغاث احلام قال بعضهم اباطيل احلام الكاذبة وقال بعضهم احلام
الكاذبة مثل اضغاث النبات يجمع فيكون فيها ضروب مختلفة وهو كما قيل في قوله وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث اي جماعة من اغصان الشجر اضغاث احلام لضغث الاضغاث ما لا يكون له
تاويل ويقال لنوع من الكلام ضغث وهو الخلط مشبه البردي ونحوه وقيل ان الضغث والاحلام
هما اسمان لشيء لا معنى له ولا تاويل وهما واحد واصل الاحكام كان يخرجه من وجهين احدهما العقل
دليله قوله ام تامرهم احلامهم بهذا اي عقولهم ام هم قوم طاغون والثاني من الاحتلام
وهو ما ذكرنا من الحلم كقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم الاية فيشبه ان يكون يخرج على هذا لان
الصبي ما لم يعقل لا يلعب به الشيطان ولا يحتلم كان الاحتلام هو من لعب الشيطان به فسمى الرويا الباطلة
الكاذبة احلاما لانها من لعب الشيطان به كما سمى الاحتلام الصبي حلما لانه اذا بلغ العقل لعب الشيطان
وقوله عز وجل وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يحتمل قوله تعالى وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لها اي
ولكن نحن لا نعلمها والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذي نجا منهما من الهلاك وهو الساقي الذي ذكر وقوله عز وجل
وادكر بعد امة اي تذكر بعد امة قال الامة ههنا الحين اي ذكر بعد حين ووقت كقوله ولئن اخرنا عنهم
العذاب الى امة معدودة قيل حين ووقت معدود وقال الحسن وادكر بعد امة اي امة من الناس
وقرئ بعد امة قال ابو عوسجة الامة النسيان والسهو اي تذكر بعد نسيان وسهو كقوله فانساه الشيطان
ذكر ربه فيقال منه في الكلام امه يامه امها فهو امه فامه اي نسي والامة من الامم القرون التي مضت والامة
النبوة والامم جمع والامة ايضا الدين والسنة كقوله انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
اي على دين ويقال الامة القامة ايضا يقال فلان حسن الامة اي حسن القامة ويقال الامم القرب فهو
يحتمل ههنا الوجهين الذين ذكرناهما اي ذكر بعد حين ووقت او بعد نسيان من قرأه بالنصب والله اعلم
وقوله عز وجل انا انبئكم بتاويله معناه اي انا انبئكم بتاويلها لانه كان يعلم هو بنفسه الا انه قال

فارسلون يوسف فيه اضمار كانه قال فارسلوني الى يوسف وليس في تلاوة الاية انه ارسل اليه ولا انه اتاه
ولكن فيه دليل ارسل اليه فاتاه حتى اتاه قال له ايها الصديق قيل الصديق هو كثير الصدق كما يقال شريب
وسكير اذا كثر ذلك منه والصديق هو الذي لم يوخذ عليه كذب قط او سماه صديقا لما عرف انه رسول الله
وهو ما قال في ابراهيم انه كان صديقا نبيا او يقول انا انبئكم بتاويله اي انا اتعلم منه فانبئكم بتاويله
وقوله عز وجل افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فافتاها
له وتعبيره وهو ما قال تزرعون سبع سنين دابا الى اخر ما ذكر وقوله ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن
ما قدمتم لهن الا قليلا اي تحصنون هذا تعبير رويا الملك الذي ساله وقوله عز وجل لعلي ارجع الى الناس
لعلهم يعلمون هذا يحتمل وجوها يحتمل يعلمون ان هذه الرويا حق ولها حقيقة ليس كما قال الملا اضغاث
احلام والثاني يعلمون فضلك على غيرهم من الناس او يعلمون انك تصلح لما حبسهم الذي في حال يقحطهم
فتدبرون فيها اليك لا صلحت ما كان لهم في حال توسعهم ثم علمهم الزراعة وجميع الطاعات ولا تجارات
كيف يدخرون حتى يتبقى الى ذلك الوقت فقال تزرعون سبع سنين دابا قال بعضهم اي دائما اي تداومون
الزراعة فيها وقال ابو عوسجة دابا من الدوب من الجد والتعب وقال القتبي دابا اي جدا في الزراعة
ومتابعة وكله واحد وقوله عز وجل فما حصدتم فذروه في سنبله لا تنقوه لان ذلك ابقى له من ان ينقى
وسبل الا قليلا مما تاكلون فتنقونه ان شئتم اي ذروا ما تاكلون وقوله ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد
اي مجدبات من السنة ياكلن ما قدمتم لهن اي ما ادخرتم لهن الا قليلا مما تحصنون قال بعضهم تدخرون
وقال بعضهم تحرزون قال ابو عوسجة احصنه اي ادخره وقوله عز وجل ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس قال بعضهم هو من الغيث وهو مطر اي يمطرون وقيل يغاثون بالمطر من الاغاثة والغوث
وقوله عز وجل وفيه يعصرون قال بعضهم هو من عصر الاعناب والدهن والزيت ونحوه انما هو اخبار
عن الخصب والسعة وقال بعضهم قوله يعصرون اي ينجون يقولون من العصر يعني النجاة اي بالنجاة الى النجاة
والعصرة الى النجاة وهو قول ابي عبيدة واما قول غيره من اهل الادب والتاويل فهو من العصر يعني
عصر العنب ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل وقال الملك ائتوني به يعني يوسف الرجل اذكرني عند ربي
انما طلب بذلك براءة نفسه فيما اتهم به ليس كما قاله اهل التاويل لانه لو لا غير ذلك لا يريد السؤال
اليه ولكنه خرج والله اعلم وقوله فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن يحتمل هذا وجهين احدهما
انهن على كيدهن بعد ما رجعن على ذلك والثاني ليعلم الملك براءته عما قرف به واتهم وقوله عز وجل ان ربي
بكيدهن عليم انهن كذا ثم قال لهن الملك ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هذا يدل ان الملك قد
علم انهن راودن يوسف عن نفسه لانه قال ما خطبكن اذ راودتن ولم يقل لهن هل راودتن ام لا ولكنه
قطع القول فيه وقوله عز وجل قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء يدل انهن حين اقررن انه كان بريئا
مما قذف به واتهم ثم اقرت امراة الملك بعد ذلك لما اقرت النسوة فقالت الان حصحص الحق قيل الان تبين
الحق وتحقق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي وقوله ما خطبكن
ما شانكن وامركن والخطب شان وامر قد ذكرناه وقوله قلن حاش لله قيل معاذ الله وقيل هي كلمة تنزيه
وتبرية من القبيح وقوله ما علمنا عليه من سوء قال اهل التاويل الزنا ولكن قوله ما علمنا عليه من سوء
هو الذي قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا هو ذلك السوء قالت انه اراد به بها فقلن ما علمنا منه ذلك
وقوله حصحص الحق قد ذكرناه انه تبين الحق وفي قوله ما علمنا عليه من سوء دلالة انه لم يكن منه ما قال
اهل التاويل من حل السراويل وغيره لانه لو كان منه ذلك لكن قد علمن منه السوء وقوله عز وجل
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قوله ذلك الرد الذي كان منه وترك الاجابة لرسول الملك حيث قال
ائتوني به ليعلم الملك اني لم اخنه بالغيب في اهله اذا غاب عني وما القول ما جزاء من اراد باهلك سوءا
وتصديقا لقوله حيث قال هي راودتني عن نفسي وقال بعض اهل التاويل ذلك ليعلم الله اني لم اخنه
يعني الزوج بالغيب لكن هذا بعيد انه قد علم انه لم يخنه بالغيب وقول اهل التاويل لما قال يوسف ليعلم
اني لم اخنه بالغيب قال له الملك ولا حين هممت فقال وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء هذا مما
لا يعلم وقد ذكرنا التاويل في قوله ولقد همت به وهم بها ما يحل وينبغي ان يتكلم به وفساد تاويل
اهل التاويل من الوجوه التي ذكرنا ومعنى قوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي

اى عصم ربى والله اعلم انه لما قال ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب لما عصمنى الله عن ذلك ولو لم يكن عصمنى
لكنت اخنته ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اى ما عصم ربى لان النفس جبلت وطبعت على الميل الى
الشهوات واللذات والهوى فيها والرغبة والتوقى عن المكروهات والشدائد الا ترى انه قال واما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى واما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم
هى المأوى اثبت للنفس الهوى وايثار الحيوة الدنيا وسفرا بها هذا يدل ان قوله رب السجن احب الى مما
يدعوننى اليه هو محبة الاختيار والايثار فى الدين لا ما اختار النفس وتؤثر النفس ابدا تختار وتؤثر
ما هو الدواسى وتنفر عن الشدائد والمكروهات على هذا طبعت وجبلت وقوله عز وجل وان الله لا يهدى
كيد الخائنين اى لا يجعل فعل الكيد والخيانة هدى وارشدا انما يجعل فعل الكيد والخيانة ضلالا و
غواية وقوله عز وجل وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى اسعد لرأيه واطيع امره فى هذا يبتغى
استخلاصه اياه ولذلك قال مكنا ليوسف الاية لان يجعله لحاجة نفسه خالصا دون الناس لا يشرك
غيره فيه ولا انه ما ذكر فى حرف حفصة انك اليوم لدينا مكين مطاع امين وقوله عز وجل فلما كلمه قال
انك اليوم لدينا مكين امين ولم يذكر فيه انه اتى به ولكن قال فلما كلمه فهذا يدل انه اتى به وان لم يذكر
انه اتى به حيث قال فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قيل المكين الوجيه وقيل المكين الامين المرضى
عندنا والامين على ما استأمنك وقوله عز وجل قال اجعلنى على خزائن الارض سأل هذا لما علم انه ليس
فى وسعهم القيام باصلاح ذلك الطعام وعلم انه لو ولى غيره الخزائن لم يعرف انزال الناس منازلهم
فى تقديم من يجب تقديمه والقيام لحاجة الحق من غيره وعلم انه اليه يرجع ويقع حوائج اكثر الناس منازلهم
وبه قوام ابدانهم فسأله ليقوم بذلك كله وعلى يديه يجرى ولذلك قال انى حفيظ عليم قال بعضهم حفيظ
لها وللتعليم باحره وقيل حفيظ لما فى الارض من غلة عالم بها وعن ابن عباس رضى الله عنه حفيظ لما تحت
يدى عليم بالناس وقيل حفيظ بصير بتقديره عالم بساعة الجوع حين يقع اى حفيظ لما استحفظت عليهم
لحوائج الناس او عليم بتقديم الاحق وقوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يقول والله اعلم كما برأنا
يوسف مما قرف به واظهرنا براءته مكناه فى الارض حتى احتاج اهل نواحى مصر واهل الافاق اليه او
ان يقال كما حفظنا وانجيناه مما قصد به اخوته من الهلاك مكنه فى الارض وجائز ان يكون قوله وكذلك
مكنا ليوسف جوابه كما مكنا ليوسف فى الارض بعد ما اخرج من عليه الابراء والغنم كذلك مكنك فى
الارض ونوى بعدما اخرجك من عليه ابواك وقوله عز وجل يتبوأ منها حيث يشاء اى ينزل منها
حيث يشاء اذ تمكن منها حيث يشاء وقوله عز وجل نصيب برحمتنا من نشاء يحتمل قوله برحمتنا سعة
الدنيا ونعيمها كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ويحتمل برحمتنا امر الدين من النبوة و
العصمة وهو على المعتزلة لانهم يقولون ليس ان يختص احدا برحمته ولا يصيب من رحمته انسانا
دون انسان وعلى قولهم لم يكن من الله الى رسول الله من الرحمة الا وكان الى ابليس مثله وقوله
عز وجل ولا نضيع اجر المحسنين اى لا نضيع اجر من احسن صحبة الله فى الدنيا والاخرة اى نجزيه
جزاء احسانه او يقول ولا نضيع اجر من احسن صحبة نعمة الله وقبلها بالشكر له وقوله عز وجل ولاجر
الاخرة واجرها خير لهم من ثواب الدنيا واجرها وقوله امنوا اصدقوا وكانوا يتقون اشركوا او امنوا
صدقوا وكانوا يتقون المن والفواحش وقوله عز وجل وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم
وهم له منكرون لما اراد الله ان يبلغ امر يوسف فيما اراد ان يبلغ جعلهم بحيث لا يعرفونه لذلك قال
بعضهم فعرفهم وهم له منكرون اى لا يعرفونه كقوله قوم منكرون اى غير معروفين عند ابراهيم
والمنكر هو الذى لا يعرف فى السر ولا فى العقل وقوله عز وجل ولما جهزهم بجهازهم اى اعطى لهم
الطعام الذى طلبوا منه قال ابو عوسجة الجهاز المتاع والجهاز ايضا متاع المرأة التى تجهز به ولا يقال
جهاز الا لغير الحلم وقال اهل التأويل ان يوسف عليه السلام قال لهم حين دخلوا عليه انتم عيون
بعثكم ملككم تنظرون الى اهل مصر ثم تأتونا بالخبر ونبئنا بكذا ذلك مما لا نعلم انه قد كان قال لهم ذلك
ام لا وغير ذلك من الكلمات التى قالوا انه قال لهم كذا وقالوا هم له كذا وكذا رجلا فهلك منا كذا وبقى
كذا مثل هذا لا يكون كلام بعض العوام الغوغا والله اعلم وقوله عز وجل قال ائتونى باخ لكم من ابيكم الا
ترون انى اوفى الكيل وانا خير المنزلين مثل هذا لا يحتمل ان يقوله يوسف ابتداء على غير سبب او كان

كان هنالك

هنالك لكنه لم يذكر الذى كان ونحن لا نعرف ما الذى كان جرى هنالك فيما بينهم وكذلك قوله فان لم تأتونى
به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون اما اهل التأويل فانهم قالوا قال لهم ائتونى باخ لكم من ابيكم الى اخره كان
لانه لما قال انكم جئتم عيونا لملككم قام بحبسهم فقالوا نحن بنو يعقوب النبى وكنا اثنى عشر رجلا فهلك
منا رجل فى الغنم ووجدنا على قميصه دما فاتينا ابانا فقلنا كذا وقد خلفنا عند ابينا اخاه من امه الذى
هلك فعند ذلك قال لهم ائتونى باخ لكم من ابيكم الا ترون انى اوفى الكيل وانا خير المنزلين لكن هذا
الذى ذكروا لا يكون سببا لقوله ولا جوابا له وقد ذكرنا انه لا يصح هذا الكلام مبتدأ لكنا نعلم بالتعلق
انه كان هنالك سبب ومعنى امر يوسف ان يقول لهم ذلك والا لا يحتمل ان يقول لهم يوسف لا كيل لكم
عندى ولا تقربون وهو كان يعلم ان اباه يعقوب يحتاج الى طعام ويعرف حاجتهم فى ذلك ولا يحتمل
الا بسبب كان ثم امر يوسف بذلك وقوله عز وجل فلا كيل لكم عندى ولا تقربون فيما يستقبل اى لا تأتون
والله اعلم ويحتمل قوله الا ترون انى اوفى الكيل وجهين احدهما قال ذلك لهم انه يوفى لهم الكيل
لان اهل ذلك المكان كانوا ينقصون ويبخسون الكيل فى الضيق فقال هو الا ترون انى اوفى الكيل ولا
ابخس والثانى الا ترون انى اوفى الكيل غير المحاسبة وكان يجعل لغيرهم الطعام على المحاسبة لضيق الطعام
اى اوفى الكيل على قدر الحاجة وانا خير المنزلين فى الاحسان اليكم والتوسيع عليكم لان اهل ذلك
المكان لا يحسنون الى النازلين بهم ولا يوسعون عليهم لضيق الطعام وكان قوله الا ترون انى اوفى الكيل
موضوع عن قوله فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون كانه قال ائتونى باخ لكم من ابيكم فان لم
تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون وعند ذلك قال الا ترون انى اوفى الكيل والله اعلم وقوله عز وجل
سنراود عنه اباه وانا لفاعلون هذا الكلام فى الظاهر ليس هو جواب قول يوسف وانا لفاعلون
جوابا فلا يحتمل حيث قال ائتونى باخ لكم من ابيكم وجوابه ان يقولوا له نأتى به او لا نأتى فاما ان يجعل
قولهم سنراود عنه اباه وانا لفاعلون جوابا فلا يحتمل مع ما ان فى قلوبهم سنراود عنه اضطراب
يملكون او لا يملكون قولهم وانا لفاعلون على القطع لكن يشبه ان يخرج على وجهين احدهما على الاضمار
سنراود عنه اباه فان اذن له وانا لفاعلون ذلك او على التقديم والتأخير يكون جوابه قوله ائتونى باخ
لكم فى قولهم وانا لفاعلون كانه لما قال لهم يوسف ائتونى باخ لكم من ابيكم قالوا انا لفاعلون ثم قال
فيما بينهم سنراود عنه اباه على هذين الوجهين يشبه ان يخرج والله اعلم وقوله سنراود عنه اباه
قال ابو عوسجة المراودة الممارسة هو شبه المخادعة وهى المعالجة وقيل سنراود اى سنجهد ونطلب وقوله
عز وجل وقال لفتيانه لفتيته الخدم والغلمان المماليك اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم قيل اجعلوا دراهمهم
فى اوعيتهم فى الاية دلالة ان الهبة قد تقع وان لم يصرح بها اذا وقع فى يدى الموهوب له وقبضه وانه
يجعل هو بذلك وقت ما جعل له لان يوسف جعل بضاعتهم فى رحالهم هبة لهم منه وهم لا يعلموا
بذلك وهو وقت ما جعل ذلك لهم ملكا ليوسف ولهذا قال اصحابنا ان من وضع ماله فى طريق من
طرق المسلمين فيكون ذلك ملكا لمن رفعه كان ما فعل والله اعلم وقوله عز وجل لعلهم يعرفونها اذا
انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون هذا يحتمل وجهين احدهما يرجعون مخافة ان يعرفوا بالسرقة و
الثانى ما قاله اهل التأويل لما خوف يوسف ان يكون عند ابيه من الورق ما يرجعون به مرة اخرى
فجعل دراهمهم فى اوعيتهم لكى يرجعوا الينا فلا يحبسهم عدم الدراهم لانهم كانوا اهل ماشية
عز وجل فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فيما يستقبل وبينا نحن لقوله فان لم تأتونى به
فلا كيل لكم عندى ولا تقربون فارسل معنا اخانا نكتل بالنون وبالياء ويكتل وبالنون اقرب لانهم قالوا منع
منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل نحن بسببه ويكتل هو ان ارسلته وانا له لحافظون لا يحتمل ان يقولوا له
هذا من غير سبب كان هنالك من خوف خاف عليه ابوهم من ناحيتهم وتهمة تهمهم لانه كان احوجهم
من ابيهم خاف عليه ان يضيعوه او ان استقبله امر يعينونه او امر كان لم يذكر ولسنا ندرى ما ذلك والمعنى
والله اعلم بذلك قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه
هل تحفظونه الا كما حفظتم اخاه يوسف من قبل فى هذا دلالة ان من ظهرت منه تهمة او خيانة
فى امر يجوز ان يتهم فيما لم يظهر شىء حيث اتهمهم يعقوب فى ابن يامين بخيانة كانت منهم فى اخيه
شىء وهو حجة لاصحابنا ان من ظهر فسقه فى شىء او كذبه فى شىء وصار مجروح الشهادة فى غيره وقوله

عز وجل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين اى انى ارسلته فانما اعتمد على حفظ الله واليه اكل فى
حفظه لست اعتمد على حفظكم وهو ارحم الراحمين اى هو بكل مكروب وملهوف ارحم من كل راحم
لان كل من يرحم انما يرحمه برحمة ما جعل له فيه والله اعلم وقوله عز وجل ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم هذا قد ذكرنا وقوله عز وجل قالوا يا ابانا ما نبغى سوى الشئ فقد رد الينا دراهمنا
او يكون قوله ما نبغى وراء هذا اكبر شئ انما نبغى ثمن بعير واحد يسير لانه قد ردت بضاعتنا
وهو ثمن عشرة البعرة ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير لانه ذكر ان يوسف
كان لا يعطى كل رجل الا حمل بعير واحد ولا يعطى اكثر من ذلك فقالوا فنزداد واكيل بعير
به ومن اجله ذلك كيل يسير قال بعضهم ذلك كيل يسير اى سريع لا حبس فيه قال بعضهم
ذلك كيل يسير اى يسير علينا الكيل ولا يحبس عنا الطعام ولا يثقل عليه ذلك بقوله الا ترون
انى اوفى الكيل وانا خير المنزلين فان لم تأتونى به فلا كيل لكم وقد حبسنا والله اعلم ويشبه
ان يكون فيه وجه آخر اضرب مما قالوا وهو ان قوله ذلك كيل يسير اى طلب ثمن كيل بعير يسير
لانه قد ردت اليهم بضاعتهم وهو ثمن كيل عشرة ابعرة فانما احتاجوا الى ثمن كيل بعير و
فقالوا اطلب ثمن كيل بعير واحد يسير وتكلفه سهل وهو ثمن كيل بعير ابن يامين والله اعلم وقوله
عز وجل قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله اى حتى تأتونى بمواثيق من الله وبعهود
منه لتأتننى به فيه دلالة انه وان كان فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين واعتمد فى الحفظ
على الله ورأى الحفظ منه لم يرسله معهم الا بالمواثيق والعهود من الله وهذا ظاهر فى
بين الناس انهم وان كان اعتمادهم على الله واليه يكلونه فى جميع امورهم فى الاموال ولا
ومنه يرون الحفظ فانه يأخذ بعضهم من بعض المواثيق والعهود وعلى ذلك يعقوب انه
وان اخبر ان اعتماده وكلامه فى حفظ ولده على الله لم يرسله معهم الا بعد ما اخذ منهم العهود
والمواثيق لتأتننى به الا ان يحاط بكم اى الا ان يحيط بهم امر ويهلككم ويحيط بكم اهلاك جميعا فحينئذ
تكونون معذورين فاما ان يحيط به امر فلا والثانى الا ان يجئ امر عظيم يمنعكم عن رده كانه
خاف عليه من الملك حيث طلب منهم ان يأتوه به وقوله عز وجل فلما آتوه موثقهم قال يعقوب
الله على ما نقول وكيل اى الله على المواثيق والعهود التى اخذ منكم شهيدا ويقول الله
حفيظ كما قال فالله خير حافظا والله اعلم وقوله عز وجل يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة قال بعضهم من اهل التأويل ان يعقوب خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوى
صور وجمال وبهاء فخشى عليهم العين لذلك امرهم ان يدخلوا متفرقين وقال بعضهم خشى
عليهم البيات والهلاك لانهم كانوا اهل قوة ومنعة فيخاف منهم اهل البلد ويخافون منهم السرقة
فامرهم بالتفرق وهو قول ابن عباس فاذا كانوا متفرقين فلا يهلكون الكل وانما يهلك بعض
وينجو بعض اولا يدرى ما اراد بهذا وقال بعضهم علم يعقوب انهم لا يهلكون لما رأى يوسف من
الرؤيا ان يسجد له اخوته ولكن خاف عليهم ان يصيبهم النكبة لذلك امرهم ان يدخلوا من ابواب
متفرقة او من طرق متفرقة او سكك متفرقة او من طرق متفرقة او ما قالوا وقوله عز وجل وما
اغنى عنكم من الله من شئ اى لا ادفع عنكم من الله من شئ ان اصابكم نكبة او عين فان قيل لو كان
امره اياهم بالتفرق لخوف العين او لخوف اهل البلد منهم السرقة والاغارة كيف لم يأمرهم
بذلك فى المرة الاولى وخوف العين لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع ما ذكر ابن عباس رضى الله
عنه ان يخافهم اهل البلد اذا رأوهم مجتمعين انهم لصوص وانهم كذا ولكن ان يكون فى المرة الاولى
لم يخش ذلك لما يقع الاجتماع فى امثال ذلك من الرفقاء والصحابة فلا يكون فى ذلك الخوف الذى
ذكروا واذا عادوا فى المرة الثانية فيكون ذلك الخوف من العين وغيره اذا علم اهل البلد
ذلك العدد وكلهم رب واحد او امرهم بالتفرق الابواب لحاجة استحق بذلك وامر به او لمعنى غاب
عنا لا نحتاج اليه والله اعلم وقوله وما اغنى عنكم من الله من شئ اى لا ادفع عنكم بالاحتيال ما قدره
الله وقضاه ان يصيبكم لا محالة ويزول بكم ان الحكم اى ما الحكم فى ذلك الا لله ما فى حكم قضائه ان
يصيبكم فيصيبكم لا محالة وقوله عز وجل عليه توكلت فليتوكل المتوكلون هذا اصل كل امر يخاف المرء

وان يأخذ بالحذر ويتوكل مع ذلك على الله على ما امر يعقوب عليه السلام بنيه بالحذر فى ذلك ثم توكل على الله
فى ذلك والحذر هو العادة فى الخلق والتوكل تفويض الامر الى الله والاعتماد عليه والله اعلم وقوله عز وجل
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة ما كان يغنى عنهم من الله من شئ اى ما كان يدفع ذلك
عنهم ما حكم الله عليهم ان يصيبهم وقوله عز وجل الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها الحاجة فى النفس
احد شيئين اما الرغبة واما الرهبة كقوله ولا يجدون فى صدورهم حاجة فعل ذلك حاجة يعقوب لا يخلو
اما ان كانت رغبة منه فى تفرقهم او رهبة فى اجتماعهم تعنى تلك الحاجة وقوله عز وجل وانه لذو علم
لما علمناه ويشبه ان يكون هذا صلة ما قال يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
اى وانه لذو علم لما امرهم بالدخول على التفرق والنهى عن الاجتماع وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انه ما اراد بقوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وعن ابن عباس رضى الله عنه
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من السكك المتفرقة ما كان يغنى عنهم من قضاء الله شيئا الا حاجة
فى نفس يعقوب قضاها يقول بدأها فتكلم بها وانه لذو علم لما علمناه يقول حافظا لما علمنا وقيل حافظا
له لما به وقيل لذو علم لما علمناه اى عمل بجميع ما علم وانتفع به ولكن اكثر الناس لم ينتفعوا بما علموا وقيل
وانه لذو علم بقضية يوسف من اولها الى آخرها لما اخبرناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك وجائز ان
يكون وانه لذو علم لما علمناه اى ما اصابه من الحزن بذهاب يوسف والخبر وما اصابه من الشدة والنكبة
لم يؤثر ذلك فى علمه الذى علمناه وان اثر ذلك فى نفسه وبدنه اى علمه بما علمناه بعد ما اصابه كهو
ما كان قبل ذلك لم يعمل فيه ولم يؤثر وعن الحسن فيما اظن فى قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة قال اما والله ما كانت به طيرة تطير بها ولكن قد علم او ظن ان يوسف سيلقى
اخاه فيقول انى انا اخوك واكثر اهل التأويل قالوا قوله الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها اى خيفة
العين على بنيه لجمالهم وبهائهم وحسن صورهم او مما يكون لواحد كذا وكذا عدد من النبيين فيقصد
قصدهم بالنكاية عليهم لما ذكرنا او ما اراد بذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولما دخلوا على يوسف آوى
اليه اخاه هذا يحتمل وجهين يحتمل انهم لما دخلوا البلد الذى فيه دعا يوسف اخاه وضمه اليه ويحتمل
انهم دخلوا جميعا على يوسف فضم اخاه الى نفسه فقال انى انا اخوك قال بعض اهل التأويل لم يقل له
انا اخوك بالنسبة ولكنه قال انا اخوك مكان اخيك الهالك وقوله عز وجل فلا تبتئس يقول لا تحزن بما
كانوا يعملون هذا يحتمل وجهين يحتمل لا تبتئس بما كان عمل اخوتك لما دعاه وضمه الى نفسه شكا اليه
من اخوته فقال عند ذلك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ويحتمل ولا تبتئس بما يعمل بك هؤلاء اى خدمه وغلمانه
لانه اخبره بما كان يريد ان يكيد بهم من جعل الصاع فى رحله فقال فلا تبتئس بما كانوا يعملون بك لانه يجوز
ان يجعل اخاه متهما يعترف به من غير ان ظهر منه شئ وقد اخبره انه اخوه والله اعلم دل انه اراد
ان يعلمه بما يريد ان يكيد بهم ليكون هو على علم من ذلك وقوله عز وجل السقاية فى رحل اخيه السقاية
قيل هى الاناء الذى كان يشرب فيه الملك وقيل هو الصاع الذى كان يكال به الطعام ولكن لا نعلم ما كان
ذلك سوى انا نعلم انها كانت ذات قيمة وخطر الا ترى ان ذلك الرسول قال ولمن جاء به حمل بعير وانا به
زعيم فلولا انها كانت ذات قيمة ولمن لم يعط لمن جاء به حمل بعير الطعام وكان قيمة الطعام عندهم فى
ذلك الوقت ما كان ثم اذن مؤذن اى نادى مناد انكم لسارقون لا يحتمل ان يكون يوسف يأمر رسوله
ان يقول لهم انكم لسارقون وقد علم انهم ليسوا بسارقين ولكن قال لهم ذلك المنادى ناداه والله اعلم
انكم لسارقون من نفسه وهو من بعض من يتولى كيل الطعام على الناس وامثاله لا يبالون الكذب وقالوا
لهم ذلك لانهم كانوا بحضرتهم اتهمتها العير انكم لسارقون او ان يكون على الاستفهام والتقرير فان كان
هذا فهو يحتمل من يوسف واما غيره فلا لانه كذب وضم يوسف اخاه يحتمل وجهين يحتمل لكان سواء
اياهم ان يأتوا به او لمكان فضله ومنزلته ليعلموا ان ما كان ليوسف واخيه عند ابيهم من فضل المحبة و
المنزلة من الله اذ جعل ذلك لهما عند الملك وغيره والله اعلم وقوله عز وجل قالوا واقبلوا عليهم ماذا
تفقدون قالوا نفقد صواع الملك اى اناء الملك سماه مرة صاعا ومرة سقاية يجوز ان يستعمل فى الامرين
جميعا فى الاستقاء والكيل جميعا قالوا لمناديه ماذا تفقدون قال ابو عوسجة ان اضللتم يقال افتقدته
وتفقدته اى تعهدته وقال القتبى فلا تبتئس هو من البؤس والسقاية المكيال وقيل مشربة الملك

وصواع الملك وصاعه واحد وقوله عز وجل ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قيل ضمين لذلك الطعام
وكفيل به والزعيم كانه اسم لرئيس من القوم وقوله عز وجل قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد
في الارض وما كنا سارقين هذا يحتمل وجوها يحتمل انهم قالوا ذلك لانكم اذ رددتم الينا الدراهم وجعلتم
في اوعيتنا ردوها عليكم مخافة ان نعرف بالسرقة والفساد في الارض فكيف تعرفونا بهذا والله
اعلم والثاني انكم تعلمون انا ابناء النبي والرسول والانبياء لا يكون منهم السرقة والفساد في الارض
ومثل هذا لم يظهر في اهل بيتنا قط ولا عرفنا به فكيف قد تتهمونا بهذا والثالث انكم تعرفونا وتعلمون
ومن هذا فعله فانه لا يأتيهم بالسرقة او ان يكون قوله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض لما انهم
دخلوا من ابواب متفرقة ولو كانوا سراقا لدخلوا مجتمعين لان عادة السراق الاجتماع لا التفرق ثم
قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين اي ان كان فيكم من يكذب ويظهر ذلك منه فما جزاؤه قالوا جزاؤه من
وجد في رحله فهو جزاؤه هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله فهو جزاؤه اي يصير رقيقا مملوكا له بها او يصير
محبوسا بها عند الله والله اعلم وقوله عز وجل فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ظاهر هذا الكلام انه يكون
يوسف هذا الذي فتش اوعيتهم وطلب ذلك فيها حيث نسب ذلك اليه بقوله قبل وعاء اخيه لكن
نسب اليه لما امر فتش اذ الملوك لا يأتون ذلك بانفسهم وفيه انه قد فصل بينهم وبين ابن يامين
سماهم اخوة ولم يسم اولئك بقوله فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه وهو يخرج على وجهين احدهما
انه ذكر هذا انه اخوه حيث قال له اني انا اخوك ولم يذكر اولئك فسمى هذا اخاه ونسب اليه بالاخوة
لما كان ذكر ولم يسم اولئك لما لم يذكر لهم انهم اخوتهم والثاني انه لم يكن لهذا اعني ابن يامين لما كان من
يوسف سوء صنيع ولا شريك بل هو على الاخوة والصداقة التي كانت بينه واما اولئك اعني غيره من
الاخوة فقد كان منهم اليه ما كان من سوء صنيعهم وقبح فعالهم فخرج ذلك مخرج التبري من الاخوة لسوء
ما كان اليه وهو كقوله لنوح عليه السلام انه حين قال ان ابني من اهلي يا نوح انه ليس من اهلك انه
عمل غير صالح نفى ان يكون من اهله لسوء عمله وفعله غير صالح فعلى ذلك الاول يشبه ان يكون على هذا
والله اعلم وقوله عز وجل ثم استخرجها من وعاء اخيه دل هذا انه قد كان منه ايضا التفتيش والطلب
في وعاء اخيه على ما كان في اوعيتهم لا يستخرجها على غير تفتيش وقوله عز وجل كذلك كدنا ليوسف هذا
يحتمل وجهين يحتمل كذلك كدنا اي علمنا يوسف من اول الامر الى اخره ما يكيد ويحتال في امساك اخيه عنده
ومنعه منهم لان يخلوهم وجه ابيهم جزاء ما طلبوهم ان يخلوهم وجه ابيهم فتغيب يوسف عن ابيه
لان اباهم قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما بلغه ذلك الخبر تولى عنهم
وهو قوله وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف الاية هذا والله اعلم جزاء كيدهم الذي كادوا ابيهم
ليخلو لهم وجه ابيهم ليتولى عنهم ابوهم هذا يشبه ان يكون والثاني كدنا ليوسف اي علمناه ان كيف
تفتيش اوعيتهم لئلا يشعروا وهم من علم استخراجها من وعاء اخيه لا من جهل وظن تعلمه البداية في
التفتيش باوعيتهم لئلا يقع عندهم انه علم ويقين ياخذ بشبهه والله اعلم ان يخرج قوله كذلك كدنا
ليوسف على هذين الوجهين او كدنا ليوسف بالكيد بهم جزاء ما عملوا بمكانه لما اتهموا بامساك اخيهم
وقوله عز وجل ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي في حكم الملك ذكر ان حكم اخوة يوسف وقضاءهم فيهم ان
من سرق يكون عبدا بسرقة المسروق ويستعبد بسرقته ومن حكم الملك ان يعرف السارق ويضعف ما
سرق ويضرب ويؤدب ثم يخلى عنه ولا نعلم ما حكم الملك في السرقة سوى انه اخبر انه ليس له اخذ اخيه
في دين الملك وقوله عز وجل الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك او يجعل له الحكم حق الاخذ
وحبسه وان لم يكن ذلك في حكم او ان يكون قوله الا ان يشاء الله على ما كان من ابراهيم ولا اخاف
ما تشركون به الا ان يشاء الله الاية وكان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه يذكرون الثنيا على
حقيقة المشية او يقول الا ان يكون في علم الله مني زلة فاستوجب عند ذلك الكون في ذي ذلك
الملك فيشاء ما علم مني وكذلك قول ابراهيم حيث قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي
ربي شيئا اي لا اخاف ما تشركون به الا ان يكون مني ما استوجب ذلك بزلة فيشاء الله ذلك مني
وقوله عز وجل نرفع درجات من نشاء الدرجات هي الفضائل يرفع بعضهم فوق بعض بالنبوة
والعلم وفوق كل ذي علم عليم ما من عالم وان لطف علمه واكثر الا وقد يكون فوقه من هو اعلم

علما منه واكثر واعلم في شيء او يكون قوله وفوق كل ذي علم عليم وهو الله تعالى فوق كل ذي علم بعلمهم العلم
والله اعلم من يقول انه عالم لا بعلم يحتج بظاهر هذه الاية حيث قالوا وفوق كل ذي علم عليم اثبت لغيره العلم
ولم يذكر لنفسه بل قال عليم لكنه اذا قال عليم اثبت العلم ولانه اذا قال وفوق كل العلماء عليم يكون
كذلك وقوله عز وجل ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال بعض اهل التاويل كانت سرقته
انه كان صنم من ذهب لجد ابي امه يعبده فسرق ذلك لنفسهم ليعلم انه ليس منهم فاسرها يوسف
في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا عند الله قيل ان يوسف اسر هذه الكلمة في نفسه لم
يظهرها لهم او اسروا ما اتهموه بالسرقة وجائز ان يكون ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
خاطبوا به اخاه ابن يامين دون يوسف ان سرقت فقد سرق اخ له من قبل يقولون فيما بينهم
وقد ذكرنا في بعض الحروف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل بالتشديد فان ثبت فالتاويل هو
لقولهم وقال بعضهم قوله انتم شر مكانا اي انتم اشر صنعا بيوسف والله اعلم لما يصنعون من الكذب
انه سرق اخ له من قبل وقوله عز وجل وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه
ارادوا والله اعلم ان يرقوا قلبه بهذا ان له ابا شيخا كبيرا لما يكون قلب الشيخ بولده الصغير اميل
وهو عنده اثر واكثر منزلة منا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين لما احسن اليهم في الكيل والانزال
في المنزل والضيافة والقرى فقد رووا وعلموه محسنا وقوله عز وجل قال معاذ الله ان ناخذ
الا من وجدنا متاعنا عنده قيل هذا قول يوسف معاذ الله اي اعوذ بالله ان ناخذ ونحبس بالسرقة
الا من وجدنا متاعنا عنده فان قيل كيف تعوذ على ترك اخذه واخذ غيره مكانه ولم يكن وجب له
حق الاخذ اذ لم يكن سرقه وانما تعوذ على ترك ما لا يسع تركه قيل انه لم يتعوذ على ترك اخذ اخيه
انما تعوذ على غير من وجد المتاع عنده انا اذا لظالمون عندكم لو اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده
اذ في حكمهم اخذ من سرق بالسرقة والحبس بها والله اعلم وقوله عز وجل فلما استيأسوا منه قيل
ايسوا من ان يرد اليهم اخوهم خلصوا نجيا قيل ادخلوا من الناس وخلصوا منهم يتناجون فيما بينهم
في امر اخيهم او في الانصراف الى ابيهم او في المقام فيه قال كبيرهم الم تعلموا قال اهل التاويل كبيرهم
في العقل ليس في السن وهو فلان قال بعضهم وهو يهود وقال بعضهم هو شمعون ولكن لا نعلم من
كان قائل هذا لهم ولا يحتاج الى معرفة ذلك سوى انه فيه قال كبيرهم اما ان كان كبيرهم في السن
الم تعلموا ان اباكم او لم تر واحد فان يحتملان في احد الامرين في الامر ان اعلموا كذا او في موضع التنبيه و
التقرير وههنا كانه قال ذلك على التقرير والتنبيه اي علمتم ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن
قبل ما فرطتم في يوسف هذا يدل ان التاويل في قوله الا ان يحاط بكم هؤلاء ان يهلككم او يحيطكم فتهلكوا
فيه جميعا وليس كما قال بعض اهل التاويل الا ان يجئ ما يمنعكم عن رده الا ان تغلبوا فتعجزوا عن رده
لانه قد جاء ما يمنعهم من رده ثم ابى اكبرهم الرجوع الى ابيه دل ان التاويل هو هذا من يقول ان
التاويل في قوله الا ان يحاط بكم الا ان يجئ ما يمنعكم من الرد استدل بقوله ارجعوا الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق فلو كان على ما يقولون ويحيط بهم لم يكن ليأمرهم بالرجوع الى ابيهم دل انه ما ذكر
واما اهل التاويل الاول يقولون ان قوله ارجعوا الى ابيكم ليس على الامر ولكن اذا رجعتم الى ابيكم فقولوا
ان ابنك سرق وكذلك يخرج قوله واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها ليس على الامر
ولكن لو سالت اهل القرية واهل العير لاخبروك انه كما قلنا فعلى ذلك قوله ارجعوا ليس على
الامر ولكن لو رجعتم اليه فقولوا كذلك وقوله عز وجل ومن قبل ما فرطتم اي من قبل ما ضيعتم
امر ابيكم في يوسف او ضيعتم الله وعده في يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي هذا يحتمل
وجهين حتى يأذن لي ابي بالرجوع اليه اذا ظهر عنده عذرنا وصدقنا في امر ابنه او يأذن لي ابي
بالمنازعة في القتال مع الملك حتى استنقذ اخي واستخلصه منه او يحكم الله لي في الرجوع ايضا
او في القتال معه وهو خير الحاكمين او يحكم الله لي باظهار عذرنا وصدقنا عند ابينا وهو خير الحاكمين
في اظهار العذر لانه اذا حكم باظهار العذر ظهر ذلك في الخلق جميعا وكذلك حكم غيره لان
كل من حكم بحكم يجوز ان يحكم بحكم هو حكم الله فهو خير الحاكمين وكذلك قوله وهو ارحم الراحمين
لان من رحم من الخلق انما يرحم برحمته فهو ارحم الراحمين وقوله عز وجل ارجعوا الى ابيكم يحتمل على

لامر ما هو في الظاهر ويحتمل ما ذكرنا اي لو رجعتم اليه فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق يشبه ان يكون
هذا منه تعريضا في التخلية على ما كان يوثره على غيره من الاولاد اي الذي كنت توثره علينا بالمحبة وميل
القلب اليه قد سرق ويشبه ان يكون ليس على التعريض ولكن على الاخبار على ما ظهر عندهم من ظاهر
الامر وما شهدنا الا بما علمنا بما اخرج المتاع من وعائه وما كنا للغيب حافظين هذا على التاويل الذي
قيل في قوله الا ان يحاط بكم اي يهلككم ويجمعكم اي ما كنا نعلم وقت اعطاء الوثق والميثاق انه يسرق
والا لم نعطك العهد على ذلك ويحتمل وما كنا للغيب حافظين وقت ما اخرج المتاع من وعائه
وانهم انه سرق او لم يسرق او هو وقت الصاع في رحله او غيره وضع اي وما كنا نعلم في الابتداء
ان الامر يرجع الى هذا والا لم نخرجه معنا وقوله عز وجل واسال القرية التي كنا فيها والعير التي
اقبلنا اي لو سالت اهل القرية واهل العير لاخبروك انه على ما نقول وانا لصادقون وعلى ذلك
على ما ظهر لنا من استخراج الاناء من وعائه والله اعلم وقوله عز وجل قال بل سولت لكم انفسكم
امرا فان قيل كيف قال لهم بل سولت لكم انفسكم امرا وجعل ما اخبروه من تسويل انفسهم وتزيينها
ولم يكن منهم فيما امرهم في امرين بامين ولا تركوا شيئا مما امرهم به ونبين هذا كالاول الذي قال
لهم بل سولت لكم انفسكم امرا وجعل ما اخبروه في امر يوسف بل سولت لكم انفسكم لانه قد كان منهم
خلاف ما امرهم به والسعي على اهلاكه فكانه ما ذكر من تسويل انفسهم وتزيينها في موضع التسويل
والتزيين وههنا قد بان منهم اليه خلاف ولا ترك لامره فكيف قال بل سولت لكم انفسكم امرا قيل يشبه
ان يكون قال ذلك لانهم لما اتهموا جميعا بالسرقة فقيل انكم لسارقون قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد
في الارض وما كنا سارقين قطعوا فيه القول انهم لم يكونوا سارقين وهو كان فيهم فكيف قطعتم فيه
القول بالسرقة ان ابنك سرق ولكن سولت لكم انفسكم امرا من البغض والعداوة من الايثار له وتنويه
عليهم والميل اليهما وانهم حيث قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة والله اعلم فسولت لكم
انفسكم لبغضكم وعداوتكم حتى تركتم التفحص عن حاله وامره ولا كل من وجد في رحله شيء يكون هو واضع
ذلك الشيء بل قد يضع غيره على غير علم منه وقوله عز وجل فصبر جميل قد ذكرنا وقوله عز وجل عسى
الله ان ياتيني بهم جميعا قال اهل التاويل قال يعني بهم جميعا لانهم صاروا جماعة يوسف وابن يامين
واخوه ويهوذا وشمعون قد تخلفا بسبب حبس يوسف اخاه او يوسف واخوه قال بعض اهل التاويل
ان جبرئيل اتى يعقوب على احسن صورة فساله عن يوسف اي في الاحياء ام في الاموات فقال بل هو في
الاحياء فقال عند ذلك عسى الله ان ياتيني بهم جميعا او علم يعقوب ان يوسف في الاحياء وانه غير
هالك لما راى يوسف من الرؤيا من سجود الكواكب والشمس والقمر له علم انه في الاحياء وانه لا يهلك
الا بعد خروج رؤياه وغير ذلك من الدلايل لكنه كان لا يعلم اين هو فقال ذلك انه هو العليم الحكيم
وقوله عز وجل وتولى عنهم اي اعرض عنهم وعاتبهم حين اخبروه ان ابنه سرق وقال يا اسفى على يوسف قيل
حزنا على يوسف وقيل يا جزعا وقال القتبي الاسف اشد الحسرة واصله ان الاسف كانه النهاية في
الحزن اذا بلغ غايته ونهايته يقال اسف وهو النهاية في الغضب ايضا كقوله فلما اسفونا اي اغضبونا
انتقمنا منهم عز وجل يا اسفى على يوسف يحتمل ان يكون لا على اظهار القول باللسان ولكن اخبار عما في ضميره
وذلك جائز كقوله انما نطعمكم لوجه الله اخبر عما في قلوبهم لان قالوا ذلك باللسان ويحتمل القول به على
غير قصد منه وقوله عز وجل فهو كظيم الكظيم هو كف النفس عن الجزع وترديد الحزن في الجوف على غير اظهار
في غير افعاله والجزع هو ما يظهر في افعاله والذي يهيج الغضب الا ان الحزن يكون على من فوقه والغضب
من تحت يده وسبب هيجانهما واحد او ان يكون الكظيم هو الذي يستر ويغطي القلب اذا حل به والهم
ما يبعث على القصد من الهم هو ما يبعث على القصد من الهم به والحزن على ما يورث به التغير في الخلقة
ولا يظهر في الافعال والجزع يظهر في الافعال ولا يغير الخلقة عن حالها لذلك في ضعف نفس يعقوب
وعمل في الهلاك بنفسه حيث ذهبت عيناه وابيضت من الحزن والكظيم ما ذكرنا هو الذي يرد الحزن
في جوفه ولا يظهر ويكفه من الجزع وقوله عز وجل قالوا تالله ليمينهم مكان والله او بالله وكذلك قال
ابراهيم تالله لاكيدن اصنامكم وقوله عز وجل تفتؤ تذكر يوسف اي لا تزال تذكر يوسف ولا تنسى ذكره
حتى تسالوا من حزنه كانهم دعوه الى السلو من حزنه لانه بالذكر يتجدد الحزن ويحدث فقالوا له لا تزال

تذكر يوسف حتى تكون حرضا قيل دنفا وقيل حرضا هرما واصل الحرض الضعف او تكون من الهالكين
كذلك صار يعقوب ضعف في بدنه من الحزن وصار بعض بدنه من الهالكين حيث ابيضت عيناه
ذهب من الحزن وقوله عز وجل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله قال القتبي الحرض الدنف والبث اشد
الحزن لان صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه اي يشكوه وكذلك روي في الخبر من حيث فلم يصبر اي شكا
وما ذكر من الشكاية الى الله ليس على اظهار ذلك باللسان ولكن امساك في القلب وقال الحسن اشكو
بثي اي حاجتي وحزني الى الله ويشبه ان يكون البث والحزن واحد حزن على التكرار وقال بعضهم الحرض
الذي ذهب عقله من الكبر او تكون من الهالكين فتموت والله اعلم وقوله عز وجل واعلم من الله
ما لا تعلمون قال بعض اهل التاويل قوله اعلم من تحقيق رؤيا يوسف انه كائن ما لا تعلمون انتم وانا سجد له
وقال ابن عباس رضي الله عنه قوله واعلم من الله ما لا تعلمون انه لم يمت وهو ما ذكر انه كان يعلم من الله
ما لا يعلمون هم ويشبه ان يكون قوله اعلم من الله اي انتفع بعلم ما لا تنتفعون انتم واصله ان اخوة يوسف
لو علموا ان يوسف يبلغ ما بلغ من الملك والخير ما قصدوا قصد تغيبه عن والده ولا سعوا فيه فيما
سعوا من افساد امره لكنهم لم يعلموا والله اعلم من الله شيئا لم يبين ما لا يعلمون هم كقول ابراهيم
وما ذكر اهل التاويل ان يعقوب قال كذا من النياح على يوسف والجزع عليه لا يحتمل ذلك لانه قال
حين اخبروه بذلك فصبر جميل وما ذكروا هم منه ليس هو بصبر فضلا ان يكون جميلا وقوله عز وجل
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه قال اهل التاويل تحسسوا اطلبوا واستخبروه عنه وامر الخبر
لكن غير هذا كانه اقرب وهو من وقوع الحس عليه كانه قال اذهبوا فانظروا اليه والى اخيه لانهم ان لم يكونوا
يعلمون ان يوسف اين هو فلقد كانوا يعلمون من حال اخيه ابن يامين انه اين هو فلو كان على الطلب والبحث
والاستخبار على ما قاله اهل التاويل اذا احتمل في يوسف فذلك لا يحتمل في اخيه اذ هم كانوا يعلمون
مكانه واين هو وان كانوا لا يعلمون مكان يوسف ولا اين هو وهو انما امرهم ان يتحسسوا عنهما جميعا
فدل والله اعلم انه من وقوع الحس والبصر عليهما لا من البحث والطلب والله اعلم فكانه علم بالوحي انه
هنالك واخوه معه لكنه لم يخبر بنيه انه هنالك لما علم انهم يتكاسلون ويتثاقلون عن الذهاب اليه
امرهم وذلك امر بتعريض امر بتصريح او ان يكون قوله تحسسوا من يوسف على الاضمار اي تحسسوا من يوسف
واسالوا امنه واخيه لما علم ان اخاه يكون معه وقال عامة اهل التاويل انما قال لهم هذا وعلم انه
في الاحياء لانه راى ملك الموت فقال له هل قبضت روح يوسف فيما قبضت من الارواح قال لا و
قال بعضهم راى في المنام ملك الموت فساله ما ذكرنا فعند ذلك قال هذا القول لكنا نقول انه كان
عالما انه في الاحياء وليس بهالك لما راى من الرؤيا وغيره فعلم انه لا يهلك الا بعد خروج رؤياه
على الصدق والحق لكنه لم يكن يعلم انه اين هو من قبل ثم علم من بعد بالوحي من مكانه وحاله وامر بنيه ان
ياتوه فينظروا اليه والى اخيه واصل هذا ان ما حل بيعقوب من فوت يوسف وغيبته منه محنة
امتحنه ربه وبلية ابتلاه بها يبتلى بذلك حسرة عليهما الا ترى ان يوسف لو اراد ان يعلم اباه يعقوب
من مكانه وحاله لقدر عليه لانه كان يعلم بمكان ابيه وان يعقوب لا يعلم بمكان يوسف
فلم يفعله الا بعد الامر بالاعلام والله اعلم وقوله عز وجل ولا تياسوا قيل من رحمة الله انه لا يياس
من روح الله الا القوم الكافرون اخبر انه لا يياس من رحمة الله الا القوم الكافرون من امن يعلم
متقلب من رحمة الله ونعمه واما الكافر فانه لا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في رحمته فيياس من
رحمته نهاهم عن الاياس لما كان عندهم انه هالك حيث قالوا انك لفي ضلالك القديم لما قال لهم
اني لاجد ريح يوسف واخوه كان محبوسا بالسرقة والمحبوس لا يرد في حكمهم او يقول نهاهم
وان لم يكونوا ايسين ثم يقول انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون خبر عن الله اخبر انه لا يياس
من روح الله الا القوم الكافرون وكذلك ما بشر ابراهيم بالولد حيث قالوا بشرناك بالحق فلا تكن
من القانطين نهاه عن القنوط ولا يحتمل ان يكون ابراهيم قانطا عن ذلك لكنه نهاه ثم اخبر فقال ومن
يقنط من رحمة ربه الا الضالون والاية ترد على المعتزلة قولهم لقولهم ان صاحب الكبيرة قالوا
مخلد في النار وانه ليس الكافر وهو ايس على قولهم من روح الله وقد اخبر انه لا يياس من روح الله
الا القوم الكافرون وهم يقولون ان صاحب الكبيرة ايس من روح وهو ليس بكافر وقوله عز وجل فلما

دخلوا عليه اي على يوسف قالوا يا ايها العزيز سموه عزيزا لما لعلهم سموه كل ملك عزيزا او سموه عزيزا
لما كان عنده ذلك عزيزا بقوله اكرمي مثواه ولما كان بالناس اليه حاجة بالطعام الذي في يده وهو كان
غياثا في ايديهم والله اعلم وقوله مسنا واهلنا الضر وقال اهل التاويل اصابنا الشدة والبلاء والجوع
وجئنا ببضاعة مزجاة قيل دراهم نفاية بهرجة لا تنفق في الطعام كاسدة لانه كان في غيره وتنفق
في غيره وقال ابو عوسجة وجئنا ببضاعة مزجاة اي قليلة وكذلك قال القتبي اي قليلة وقال ابن عباس
هي الورق الردية لا تنفق حتى يوضع وقال ابو عبيدة الازجاء في كلام العرب الدفع والسوق وهو كقوله
الم تر ان الله يزجي سحابا اي يسوقه ويدفع وقال بعضهم ناقصة وقال بعضهم حبة الخضراء وصوف وقيل حبا والصنوبر
وحبة الخضراء وامثال هذا ويشبه ان يكون مزجاة كما يقال تزجي يوما بيوم **وقوله** عز وجل فاوف لنا الكيل قال
بعضهم اوف لنا الكيل بسعر الجياد وتاخذ النفاية ونكيل لنا الطعام بسعر الجياد لكن قوله فاوف لنا الكيل
اي سم لنا الكيل تاما لانا لا ... هو التسليم على الوفاء كقوله واوفوا الكيل والميزان وتصدق علينا بفضل ما
بين الثمنين في الوزن وقيل ما بين الكيلين وقال بعضهم وتصدق علينا اي رد لنا شيئا يكون ذلك صدقة لنا لكن
يشبه على ما قالوا وطلبوا منه الصدقة تحمله الحط لان الصدقة لا تحل للانبياء ويجوز الحط لهم ويجوز
حط من لا يجوز صدقته نحو العبد الماذون له في التجارة يجوز حطه ولا يجوز صدقته وكذلك نبي الله يجوز
الشراء له بدون ثمنه ولا يحل له الصدقة ويحتمل قوله مسنا واهلنا الضر بذهاب بصر ابيهم مسهم بذلك
واهلهم الضر **وقوله** عز وجل وتصدق علينا اي رد علينا ابن يامين لعل الله يرد بصره عليه ان الله يجزي
المتصدقين قال اهل التاويل ان يجزي المتصدقين ان كان على دين الاسلام كانهم ظنوا انه ليس على دين
الاسلام ولو انهم ظنوا انه مسلم لقالوا ان الله يجزيك بالصدقة **وقوله** عز وجل هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه هو ظاهر لا يحتاج الى ذكره واما ما فعلوا باخيه قال اهل التاويل هو ما قالوا ان سرق لكنهم لم يقولوا
الا في ما ظاهر عندهم فلم يلحق بذلك القول فعل تغيير لكن يشبه ان يكونوا اذوه بانواع الاذى ولا شك
انهم كانوا يبغضون يوسف واخاه حيث قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وقوله هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه قد كانوا علموا ما فعلوا بيوسف لكنه كانه هل تذكرون ما فعلتم بيوسف اذ انتم جا[هلون]
ذلك ناسوه يقول لهم اذكروا ما فعلتم بيوسف وتوبوا الى الله من ذلك ولا تكونوا جاهلين عن ذلك
او يقول لهم هل رجعتم وتبتم عن ذلك او انتم بعد فيه **وقوله** عز وجل اذ انتم جاهلون قال بعض
اهل التاويل اذ انتم جاهلون اي مذنبين ولكن اذ انتم جاهلون قدر يوسف عند الله وما منزلته ما قالوا
ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وما خطاوا اباهم في حبه اياه حيث قالوا ان ابانا لفي ضلال مبين
وما فعلوا بما فعلوا والله اعلم قالوا ائنك لانت يوسف كانهم عرفوا انه يوسف بقول يوسف لهم هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه او عرفوا بقول ابيهم حيث قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه لما ذكره
اخاه وراوه معه عرفوا انه يوسف لذلك قالوا والله اعلم قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من
يتق ويصبر على بلاياه او اتقى معاصيه وصبر على ما اصابه او اتقى وصبر فقد احسن او يقول انه من يتق
الجفا وصبر على البلايا فقد احسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين ويشبه ان يكون قوله وتصدق علينا الما رد
اخانا علينا وهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل قالوا تالله لقد اثرك الله علينا قسم قد اعتادوه في
لغوي كلامهم على غير ارادة تبيين بذلك هكذا عادة العرب ولكانا بعلم يوسف ان الله قد اثره عليهم
ويشبه ان يكون يخرج القسم ههنا على تاكيد معرفتهم فضله ومنزلته اي لم نزل كنت مؤثرا مفضلا علينا وان
كنا لخاطئين فيما كان منا اليك من الصنيع ان يكون قوله اثرك الله علينا قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا اي لما كان يؤثرهما عليهم فقالوا كنت مؤثرا على ما كان ابونا يؤثرك علينا وقد كنا لخاطئين فقال يوسف لا تثريب
عليكم اليوم قال القتبي قوله لا تثريب اي لا تعيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم وقال بعضهم لا تثريب عليكم
اليوم اي لا تنغيص عليكم وقيل اصل التثريب الافساد يقال ثرب علينا الامر اي افسده وقال ابو عوسجة لا تثريب
لا ملامة يقول لا لوم عليكم في صنيعكم وقال ابن عباس رضي الله عنه لا تثريب عليكم اي لا اعيركم بعد هذا اليوم
ابدا ولا اعيره عليكم وهو يحتمل هذين الوجهين احدهما لا تعيير عليكم ولا ملامة اي ليس في العقل تعيير و
ملامة اذ تبتم واقررتم بالخطاء وهكذا كل من اذنب ذنبا وارتكب كبيرة ثم امتنع عنها وتاب منها لا يعير
هو عليه ولا يلام وكذلك قيل في قوله ولا تنابزوا بالالقاب ذكر انهم كانوا يعيرون من اهل الكفر ذ كفر هو

ولو

ونحو ثم اسلموا فنهوا ان ينابزوهم ويشتموا بهم مثل ما شتموهم في حال كفرهم ولو وجب التعيير والملامة
بعد الكف والنزع عنه والتوبة او يجوز ذلك لكان اصحاب رسول الله معيرين ملامين لانهم كانوا اهل الكفر في الابتداء
فهذا مما لا يحل في العقل والثاني قوله لا تثريب عليكم لا اعيركم على ما قال ابن عباس رضي الله عنه اي لا اذكر ما كان
منكم الينا انسيهم عن ان يذكر شيئا مما كان منهم اليه ولذلك قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
ذكر ان الشيطان هو الذي فعل الذي فعل ما كان بينه وبين اخوته وكذلك قوله حيث قال من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي اضاف ذلك الى الشيطان ولم يضف الى اخوته **وقوله** عز وجل يغفر الله لكم فيه القول
بالمغفرة لهم حين اقروا بالخطايا وتابوا مما فعلوا وهكذا كل من تاب عن ذنب ارتكبه ونزع عنه ان يقطع القول
فيه بالمغفرة والرحمة وقوله يغفر الله لكم يخرج على الدعاء لهم بالمغفرة وعلى الاخبار بالوحي انه يغفر لهم
او قد غفر لهم او يقول استغفر والله الذي كان بين الله وبينكم يغفر لكم وهو ارحم الراحمين لان كل من يرحم
من الخلائق انما يرحم برحمته منه اليه فهو ارحم الراحمين بما قلنا على ما قلنا في قوله خير الحاكمين واحكم الحاكمين
لان من يحكم من الخلائق انما يحكم بحكم ناله منه **وقوله** عز وجل اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات
بصيرا ... هذا من يوسف حيث قطع فيه القول انه يصير بصيرا انه عز وجل قال هذا لا عن راى منه واجتهاد
اذ قطع القول فيه انه اذا القي على وجهه يصير بصيرا **وقوله** عز وجل يات بصيرا هذا يخرج على وجهين احدهما
بصيرا على ما ذكرنا والثاني ياتيني بصيرا **وقوله** عز وجل واتوني باهلكم اجمعين اراد والله اعلم حيث امرهم
ان ياتوا باهلهم اجمع ان يبرهم ويكرمهم حين تابوا مما فعلوا به واقروا له بالخطاء في امره **وقوله** عز وجل
ولما فصلت العير قيل خرجت وفصلت وانفصلت واحد قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف قال اهل التاويل
كان بينهما ثمانين فرسخا بعضهم بين مصر وبين كنعان مكان يعقوب وقيل مسيرة ايام ما بين الكوفة و...
والبصرة ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك انه كم كان بينهما سوى ان نعلم انه كان بينهما مسيرة ايام ثم وجد يعقوب
ريح يوسف من ذلك المكان ولم يجد غيره ممن كان معه فذلك اية من ايات الله حيث وجد ريحه من مكان
بعيد لم يجد ذلك غيره وذلك من اثار البشارة والسرور الذي يدخل فيه بقدومه قال بعض اهل التاويل
ذلك القميص هو من كسوة اهل الجنة كان الله كساه ابراهيم وكساه ابراهيم اسحق وكساه اسحق يعقوب وكساه
يعقوب يوسف كذلك وجد ريحه لانه كان من ثياب الجنة فهو ان ثبت ما قالوا فذلك ايضا هو ذلك ولم
يجد غيره وكان ايضا هو لا يجد ذلك الريح قبل فصول العير وكان مع يوسف احتمل ما قالوا واحتمل ان يكون
غيبا والله اعلم **وقوله** عز وجل لولا ان تفندون قيل تخزون وقيل تهرمون وقيل تكذبون وقيل تضعفون
وقيل تعجزون وقيل تجهلون وقيل تسفهون وقيل تحمقون وقيل لولا ان لا تقولوا ذهب عقلك والمفند من
عند الناس هو الذي يبلغ في الكبر غايته كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر وقوله لولا ان كان على الابتداء
فهو على النفي اي لا تفندون واذا كان على الخبر فهو على النفي كقوله فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها
اي لم ينفع **وقوله** عز وجل قالوا تالله هو ما ذكرنا انه يمين اعتادوه في كلامهم على غير ارادة القسم به
انك لفي ضلالك القديم قيل في حب يوسف وذكره القديم كان عندهم بانه هالك لذكر انكر واعليه وحفظوه
فيما بعد من ريحه وعنده انه في الاحياء لذلك كان ما ذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل فلما ان جاء البشير القاه
على وجهه فارتد بصيرا اي رجع بصيرا على ما كان قال اهل التاويل البشير كان يهوذا وقيل البريد ولا ندري
من كان وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان المد نوع اليه الثواب كان واحدا وان قال في الابتداء
اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي **وقوله** عز وجل قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون
قال بعض اهل التاويل وذلك ان يعقوب قال لهم قبل ذلك انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم
من الله ما لا تعلمون انتم من تصديق رؤيا يوسف وانه حي كان يعلم هو من الله اشياء ما لا يعلمون هم
وقوله عز وجل قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال يعقوب سوف استغفر لكم
ربي طلبوا من ابيهم الاستغفار فاخرهم ذلك الى وقت وطلبوا من يوسف العفو واقروا له بالخطاء
والذنب فعفا عنهم وقت سوالهم العفو فمن الناس من يقول انما اخر يعقوب الاستغفار وعفى عنهم
يوسف لان قلب الشاب يكون الين وارق من قلب الشيخ لذلك كان ما كان لكن هذا ليس بشيء انما يكون
هذا في عوام من الناس فاما الانبياء كما مضى وقت فلزداد قلوبهم لينا ورقة وخشوعا وسعة
من يقول انما كان كذلك لان وجد يعقوب كان اكثر من وجد يوسف لذلك كان اجابهم يوسف وقت

سوالهم العفو واخر يعقوب الى وقت قال الشيخ ابو منصور رحمه الله والوجه فيه عندنا والله
اعلم انهم لما سألوا يعقوب وطلبوا منه الاستغفار من ربهم ليكون لهم شفيعا فاخر ذلك الى وقت
الاستغفار والشفاعة اذ ليس كل الاوقات يكون وقتا للاستغفار وطلبوا من يوسف العفو منه
فعفا عنهم وقت طلبهم منه العفو لهذا الوجه يحتمل اذ يخرج معناه والله اعلم وان يكون يعقوب
اخر الاستغفار لان الذنب في ذلك كان بينهم وبين ربهم واخر الى ربهم اذ يجيء الاذن من ربه واما الذي
في يوسف فيما بينهم وبين يوسف فعفى عنهم من ساعته ويحتمل قوله سوف استغفر لكم ربي ان
استغفر ثم انتم او قال سوف استغفر لكم ربي اذ جاء وقته فهو ما قال ابن عباس رضي الله عنه
اخره وقت الاستغفار اي السحر او ان يكون اخره الى ان يقدم شيئا بين يدي الاستغفار والشفاعة
فيكون اسرع اجابة وقوله عز وجل فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا
مصر ان شاء الله امنين ظاهره هذا يوسف كان تلقاهم خارجا من المصر فقال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله
امنين اوى الى نفسه ابويه وضمهما اليه ويشبه ان يكون قال هم هذا الوقت فوق ما قال لهم ائتوني
باهلكم اجمعين وادخلوا المصر ان شاء الله امنين ثم لما جاءهم ودخلوا مصر ضم اليه ابويه وامرهم
اياهم ان يدخلوا مصر امنين لان المصر كان اهله اهل كفر فكانهم خافوا الملك الذي كان فيه فذكر لهم
الامن لذلك والله اعلم وذكر الثنيا فيه لانه وعد منه وعد لهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا لا يعدون
شيئا الا ويستثنون في اخره كقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وانما ذكر الثنيا في
الامن لم يذكر في الدخول لان الدخول منه امر وما ذكر من الامن فهو وعد فهو ما ذكرنا انه يستثنى في الوعد و
كحد يستثنى في الامر وقوله عز وجل ورفع ابويه على العرش يشبه ان يكون قوله اوى اليه ابويه هو ما
ذكر من رفعه اياهما على العرش وخص بذكر ابويه بالرفع على العرش فيحتمل ان يكون رفع ابويه والاخوة
لانه لو لم يرفعهم وقد كان عفى عنهم لما اقروا بالخطاء وقال لا تثريب عليكم اليوم لكان يقع عندهم انه قد بقي
شيء مما كان منهم اليه لكنه خص ابويه بالذكر منهم وسجدهما على ما يخص الاشراف والاعاظم من قوله ولقد
ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه ونحوه وقد رفع ابويه على العرش على ان اتخاذ العرش
والجلوس عليه لا باس به اذ لو كان لا يحل او لا يباح ذلك لكان يوسف لا يتخذه ولا كان يعقوب يجلس عليه ودل
ذلك منهما ان ذلك مباح لا باس به والله اعلم وقوله عز وجل وخروا له سجدا قال بعضهم من اهل التاويل
كان تحيتهم يومئذ فيما بينهم السجود يسجد بعضهم لبعض مكان ما يسلم بعضنا على بعض واما اليوم فهو غير مباح
وانما التحية في السلام لكن السجود له دون الله ليس بكره نفس السجود وانما يكره ويحرم ما في السجود وهو العبادة
والتشعل لا يحل لاحد ان يجعل العبادة والتشعل له دون الله واما نفس السجود فانه كالقيام والقعود وغيره
من الاحوال يكون فيها المرء والله اعلم ويحتمل قوله وخروا له سجدا خاضعين له ذليلين وقال بعضهم وخروا
له سجدا شكرا له لما جمع بينهم ورفع ما كان بينهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقوله عز وجل وقال يا ابت
هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا اي حقق تلك الرؤيا التي رايتها من قبل وجعلها صدقا فان قيل
يوسف رؤياه بعد حين ووقت وزمان طويل فهذا يدل ان الخطاب اذا قرع السمع يجوز ان ياتي بيانه
من بعد حين وزمان ويجوز ان يكون معه وتابعه وليس في تاخير بيان الخطاب تلبيس ولا تشبيه على ما قال
بعض الناس وقوله عز وجل وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يقل حبست وحبست وانما له ما كان ابتلاه
الله به وقوله عز وجل وجاء بكم من البدو قيل من البادية لانهم كانوا اهل بادية اصحاب المواشي وقوله
عز وجل من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي قال بعضهم نزغ اي فزغ بعد ما فرق الشيطان بيني وبين
اخوتي وكان النزغ هو الافساد على ما ذكر اهل التاويل اي بعد ما افسد الشيطان بيني وبين اخوتي واضاف
ذلك الى الشيطان لما كان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم حين اقروا بالفضل والخطاء في فعلهم وقوله عز وجل
ان ربي لطيف لما يشاء لطيف هو اسم لشيئين اسم البر والعطف يقال فلان لطيف اي بار وعاطف والثاني
يقال لطيف اي عالم بما يلطف من الاشياء ويصغر كما يعلم بما يعظم ويجسم او يقال لطيف اي يعلم المستور
والخفية على الخلق كما يعلم الظاهرة منها والبادية لا يخفى عليه شيء يعلم السر واخفى ويقال له عظيم ولطيف
ليعلم انه ليس يفهم من عظمته ما يفهم من عظم الخلق اذ لا يجوز في الخلق ان يكون عظيما لطيفا ويجوز في الله
ليعلم ان ما يفهم من هذا غير ما يفهم من الاخر والله اعلم وقوله عز وجل انه هو العليم الحكيم اي العليم بما كان

ويكون

ويكون وما ظهر وما بطن وما يبس وما يعان وبكل شيء عليم في الامور وبدا بينهما العليم الحكيم حكيم يعلم وضع
كل شيء وموضعه لم يحكم بجهل ولا غفلة ولا سفه على ما يحكم الخلق تعالى الله من ذلك علوا كبيرا

ثلاث ايات في سورة يوسف على المعتزلة قوله والا تصرف عني كيدهن اصب

اليهن اخبر انه لو لم يصرف عني كيدهن مال اليهن وهم يقولون قد صرف عن كل احد السوء والكيد لكن لم ينصرف
عنه كذلك قوله ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اخبر انه رحمه امتنع عن السوء والاصرار به وهم يقولون
انه وان رحم لا يمتنع السوء والاصرار به وكذلك قوله نصيب برحمتنا من نشاء وهم يقولون ليس له ان يصيب احدا
دون احد من رحمته ولا ان يخص احدا بذلك وقوله عز وجل رب قد اتيتني من الملك قال ابو بكر الاصم ذكر من
الملك لانه لم يؤته كل الملك اذ كان فوقه ملك اكبر منه لكن لا هذا ذكر من الملك اذ معلوم انه لم يؤت لاحد
كل ملك الدنيا قال الله تعالى تؤتي الملك من تشاء ويكون في وقت واحد ملوك وقال مقاتل من صلة كانه قال
رب قد اتيتني من الملك لكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث توفني
مسلما الى اخر ما ذكر قدم دعاءه سؤاله رب ما سال احسانه اليه ومحامده وصنايعه ليكون ذلك له وسيلة
الى ربه في الاجابة وفي ذلك دلالة نقض قول المعتزلة من وجهين احدهما يقولون ان كل احسان صنيعه
عمله فيوسف لم يذكر ما كان منه اني فعلت كذا ما فعل بي كذا ولكن ذكر نعم الله واحسانه اليه والثاني من قولهم
انه لا يؤتي احدا ملكا ولا نبوة الا بعد الاستحقاق ومن قولهم ان كل احد هو المتعلم لان الله يعلم احدا وقد اضاف
يوسف التعليم الى الله حيث قال وعلمتني من تاويل الاحاديث وهم يقولون لم يعلمه ولكن هو تعلم وقوله
عز وجل من تاويل الاحاديث قال اهل التاويل تعبير الرؤيا ولكن الاحاديث هي الانباء والتاويل هو علم [illegible]
وعلم ما يؤول اليه الامر كانه قال علمتني مستقر الانباء ومنتهاها كقوله تعالى لكل نبأ مستقر والله اعلم
وقوله عز وجل فاطر السموات كانه على النداء والدعاء ذكر يا فاطر السموات والارض لذلك انتصب وقوله
عز وجل انت وليي في الدنيا والاخرة يشبه ان يكون تاويله انت وليي نعمتي في الدنيا والاخرة كما يقال فلان
ولي نعمة فلان ويحتمل انت وليي في الدنيا والاخرة او انت ربي وسيدي في الدنيا والاخرة وقوله عز وجل
توفني مسلما تمنى صلى الله عليه وسلم التوفي على الاسلام والاخلاص بالله والالحاق بالصالحين فهو والله اعلم
وذلك ان الله قد اتاه النهاية في الشرف والمجد في الدنيا دنيا ودينا لان نهاية الشرف في الدين هي النبوة
والرسالة ونهاية الشرف في الدنيا الملك فاحب له ان يكون له في الاخرة مثله فقال توفني مسلما والحقني
ثم عجل سؤاله ان يلحقه بالصالحين بكل صالح ويحتمل انه سال ان يلحقه بالصالحين بابائه واجداده ويجيء
الانبياء والرسل وقوله عز وجل توفني مسلما والحقني بالصالحين هو ينقض على المعتزلة ايضا ومن قولهم
انه اعطى كل احد ليس له ان لا يتوفاه مسلما فيكون في دعائه ما انشأ على قولهم لا يملك ان يتوفاه مسلما
لان من قولهم انه اعطى كل احد ما به يكون مؤمنا حتى لم يبق عنده شيئا ومن سال اخر شيئا يعلم انه ليس
عنده فهو يهزء ان يكون كتمان النعمة وفي كتمان النعمة كفرانها وقوله عز وجل ذلك من انباء الغيب
الاية ذلك الى خبر يوسف واخوته وقصصهم التي قصصنا عليك واخبرناك من اوله الى اخره من انباء الغيب
لم تشهد هاانت ولم تحضرها كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ليعلم انك انما علمت ومعرفتها
بالله وحيا اليه لهم رسالتك ونبوتك والله اعلم وقوله عز وجل وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون ذلك اي
ما كنت لديهم ولا تحضرهم ثم اثبات على ما كان لبدا ولقى ما ذكرنا من الرسالة وقوله عز وجل وهم يمكرون
بابيهم واخيهم اما مكرهم بابيهم حيث قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون اخبر و ذلك
ناصحون فخانوه ومكرهم باخيهم حيث قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون فضمنوا له الحفظ
فلم يحفظوه مكروا بهما جميعا والمكر هو الاحتيال في المحنة والاخذ من جهة الامن وقد فعلوهم بابيهم
يعقوب واخيهم يوسف عليهما السلام وقوله عز وجل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اي ما
اكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت بالجهد ان يكونوا مؤمنين كقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء كان النبي صلى الله عليه وسلم بلغ من شفقته ورحمته على الخلق ورغبته في ايمانهم
حتى كادت نفسه تهلك في ذلك حيث قال لعلك باخع نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك ولا تحزن
عليهم كان حرصه على ايمانهم بلغ ما ذكر حتى خفف ذلك عليه بهذه الاية وقال بعض اهل التاويل قوله
تعالى وما اكثر الناس يعني اهل مكة ولو حرصت بمؤمنين وهم كذلك كانوا كان اكثرهم غير مؤمنين واهل

مكة وغيرهم سواء كلهم كذلك كانوا وقوله عز وجل وما تسألهم عليه من اجر اى على ما تبلغ اليهم وتدعوهم
الى طاعة الله وجعل العبادة له وتوجيه الشكر اليه لا تسألهم على ذلك اجرا فالذى يمنعهم عن الاجابة
لك والايتمار بامرك هذا يدل انه لا يجوز اخذ الاجر على الطاعات والعبادات حيث نهى واخبر انه لا يسألهم
على ما يبلغ اليهم اجرا وهو يدل ان تبليغ جميع ما امر بتبليغه بنفسه الى الخلق كافة بقوله وما ارسلناك
الا كافة للناس الاية ولكنه ولى بعضه غيره كقوله تعالى الا فليبلغ الشاهد الغائب فانه فاذا لم يجز اخذ
الاجر فيما يبلغ هو فالذى كان مامورا ان يبلغ عنه ايضا لا يجوز ان يأخذ الاجر على ما يبلغ وفى قوله وما تسألهم
عليه من اجر وجهان احدهما انه ليس يسألهم على الذى يبلغه ويدعوهم اجرا حتى يمنع بذل ذلك ويثقله عن
الاجابة والثانى اخبار انه ليس له ان يأخذ وان يجمع من الدنيا شيئا كقوله ولا تمدن عينيك الاية ومعلوم
انه لا يمد عينيه الى مال الاجل فيكون النهى والاخذ المباح وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين اى هذا القرآن
الذى يبلغهم ليس الا ذكرى وهو عظة للعالمين او هو نفسه عظة وذكر للعالمين اعنى النبى صلى الله عليه وسلم
وقوله ان هو الا ذكر للعالمين اى شرف وذكرى لمن اتبعه وما قام وهو ما ذكر فى اية اخرى ان فى ذلك لذكرى
لمن كان له قلب وقوله الاية للمؤمنين اى منفعة تكون لمن اتبعه فعل ذلك هذا وقوله عز وجل وكاين من
اية الاية اى كم من اية فى السموات والارض قال بعض اهل التأويل الايات التى فى السماء الشمس والقمر
والنجوم والسحاب وامثاله والايات التى فى الارض من نحو الجبال والانهار والبحار والمدائن ونحوها لكن
السماء نفسها اية والارض نفسها اية وما يخرج منها اية من النبات يمرون عليها وهم عنها معرضون
اى هم عنها معرضون عما جعلت هذه ايات لانها انما جعلت ايات لوحدانية الله والوهيته فهم عما جعلت
هذه من ايات معرضون وبالله الهداية والعصمة وقال بعضهم فى قوله وكاين من اية اى كم من دليل وعلامة
على وحدانية الله فى خلق السموات والارض وهو قريب مما ذكرنا وقال بعضهم ايات السماء ما ذكرنا من
نحو الشمس والقمر والكواكب وايات الارض فتلك ايات الامم التى اهلكوا من قبل من نحو قوم نوح وعاد
وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن قد اهلكوا يمرون عليها ويرونها ولا يتعظون بهم والوجه فيه ما ذكرنا انهم
معرضون عما جعلت تلك ايات وانما جعلت ايات الوحدانية له والوهيته او معرضون عن التفكر فيها والنظر
اعراض معاندة ومكابرة ثم يحتمل الاعراض وجهين احدهما اعرضوا اى لم ينظروا فيها ولم يتفكروا اليه لعرفوا
وحدانية الله والوهيته فهو اعراض عنها والثانى نظروا وعرفوا انها ايات لوحدانيته لكنهم اعرضوا
مكابرين معاندين ليس فى السموات ولا فى الارض شئ وان لطف الا وفيه دلالة على وحدانية الله والوهيته
وانه الوهيته وقوله عز وجل وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون يحتمل هذا وجهين احدهما فى الاعتقاد
وما يؤمن اكثرهم بالله بانه لا اله الا وهم مشركون الاصنام والاوثان فى التسمية وسموها الهة كقوله تعالى
عز وجل قل لو كان معه الهة الا الله كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا والثانى اشراك فى الفعل
اى وما يؤمن اكثرهم بالله عز وجل الا وهم عبدة واعبيره من الاصنام والاوثان او ادعوه وما يؤمن اكثرهم
بالله تعالى بلسانهم الا وهم مشركون بقلوبهم او يقول وما يؤمن اكثرهم بالله فى النعمة انها من الله سبحانه
وتعالى الا وهم مشركون فى الشكر له تعالى وقوله عز وجل افامنوا ان يأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون اى كيف امنوا ان يأتيهم عذاب الله او يأتيهم الساعة بغتة وقد سمعوا
الاتيان العذاب بمن قبلهم وهلاكهم وقد جاءهم ما يخوفهم اتيان الساعة وخافوا عنها وان لم يعلموا بذلك
حقيقة لما تركوا العلم بها تركا معاندة ومكابرة لا تركا ما لم يتبين لهم ومن لم يأت له التخويف والاعلام
وغاشية من عذاب الله تعالى قال ابو عوسجة رحمه الله اى مجللة تغشيهم ومنه قوله هل اتيك حديث
الغاشية وعموما يأتيهم العذاب من فوقهم وقال غيره غاشية من عذاب الله اى عذاب من عذاب الله
سبحانه تعالى وهو كقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك يجب ان يكون اهل الاسلام معتبرين بقوله
وكاين من اية فى السموات والارض يمرون عليها وكذلك بقوله افامنوا ان يأتيهم من عذاب الله او تأتيهم
الساعة بغتة وان كانت الايات نزلت فيهم لانهم يمرون بما ذكر من الايات ولا يعتبرون بها ذكر وكذلك يكون
امنين من غاشية من عذاب الله سبحانه وقوله عز وجل قل هذه سبيلى قيل السبيل يؤنث ويذكر ويحتمل هذه
الطاعة او العبادة لله تعالى يحتمل قوله تعالى سبيلى هذه التى انا عليها ويحتمل هذه سبيلى التى ادعوكم الى الله
على بصيرة انا ومن اتبعنى البصيرة العلم والبيان والحجة النيرة هذه سبيلى التى انا ادعوكم عليها انما ادعوكم

على بصيرة

على بصيرة اى على علم وبيان وحجة قاطعة وبرهان فيه ليس كسائر الاديان التى يدعى اليها عن الهوى والشهوة
بغير حجة ولا برهان ومن اتبعنى ايضا فانا ندعوكم ايضا على حجة وبرهان اذ من يجيبنى فانما يجيب على بصيرة وبيان
وحجة وسبحان وما انا من المشركين قيل هذا صلة قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون سبحان الله تنزيها
لما قالوا وتبرئة عما قالوا فى الله بما لا يليق به وما انا من المشركين فى الوهيته وربوبيته غيره او فى عبادته
والله اعلم وقوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم ذكر رجالا والله اعلم انه لم يبعث رسولا
من قبل الا بشرا لم يبعث ملكا ولا جنيا فكيف انكرتم رسالة محمد بانه بشر ولم تر واو رسولا من قبل ولا سمعوا الا من
البشر كقولهم ابعث الله بشرا رسولا وكقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا هذا والله اعلم الا رجالا لا ملائكة بشرا الا
ملكا ولا جنا ذكر رجالا لانه لم يبعث امرأة رسولا وقوله عز وجل يوحى اليهم من اهل القرى اى انما ارسل رجالهم
من اهل الامصار والمدن لم يبعثوا من اهل البوادى واهل البرارى والقرى انما يريد الامصار والبلدان وقال الله
تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان قيل هى مكة جميع ما ذكر فى القرآن
من القرية والقرى يريد به الامصار والمدن وانما بعث الرسل والانبياء من الامصار ولم يبعثهم من البوادى ومن
اهل البرارى لوجهين والله اعلم احدهما لان اهل الامصار والمدن اختلاطا باصناف الناس وامتزاجا بانواع
الخلق ويكون لهم تجارب بالخلق فهم اعقل واحلم وابصر من اهل البادية والبرية اذ اختلاطهم وامتزاجهم
انما يكون بالماشية وانواع لذلك بعثوا من الامصار دون البادية فابعد فان الرسل يكون لهم اسباب والعلام تنقطع
عن وقت الرسالة يحتاج الى ان يظهر ذلك للخلق ليكون ذلك اسرع الى الاجابة لهم وادعى وانفذ الى القبول فانهم
كانوا من اهل البوادى لا يظهر ذلك للخلق والثانى انه يراد من الرسالة اظهارها فى الخلق فى الافاق والاطراف
والامصار والمدائن هى الامكنة التى ينتاب الناس اليها فى التجارب وانواع الحوائج من الافاق والاطراف فيظهر
ذلك فيها وفى اهل الافاق والبوادى والبرارى ليس يدخلها ولا ينتاب اليها الا الشاذ من الناس ولا يتفق
فيها الحوائج فلا يظهر فى الخلق الرسالة وما يراد بها وقوله عز وجل افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم اى لم ينظروا ولم يتفكروا فيمن هلك من قبلهم من الامم بتكذيبهم الرسل ان كيف كان عاقبتهم
بالتكذيب فى الدنيا ليمتنعوا من تكذيب رسلهم افلم يسيروا فى الارض الاية يخرج على وجهين احدهما اى قد ساروا
ونظروا كيف كان عاقبة المكذبين لكنهم عاندوا ولم يعتبروا والثانى اى سيروا فى الارض وانظروا ولكن ليس على
نفس السير فى الارض ولكن على السؤال عما نزل باولئك وقوله عز وجل ولدار الاخرة خير للذين اتقوا الشرك
وخلاف الله ورسوله افلا تعقلون ان ذلك افضل والخير ممن لم يتق بذلك والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا
استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا وكذبوا كلاهما لغتان قال بعضهم ايس الرسل من الايمان قومهم وتصديقهم
الرسل ثم يحتمل استيأسهم من ايمانهم لكثرة ما راوا من اعتنادهم الايات وتعنتهم وردها ايسوا عن ايمانهم
وكان اياسهم بالخبر عن الله انهم لا يؤمنون كقوله واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن الاية
وامثاله وقوله وظنوا انهم كذبوا قال بعضهم وظن الرسل ان اتباعهم الضعفة قد كذبوهم لكن هذا ان
كان من الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم لكثرة ما اصابهم من الشدائد وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر
توقع عند الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم لكثرة ما اصابهم وان كان من الاعداء فقد استيقن الرسل انهم قد كذبوهم
هم وروى عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة فقلت ارأيت قول الله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا
قال فقالت بل كذبوا قومهم قال فقلت ارأيت قول الله حتى والله لقد استيقنوا ان قومهم قد كذبوهم وما هو بالظن
فقالت يا عروة لقد استيقنوا بذلك قال قلت فلعلهم ظنوا ان قد كذبوا قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن
ذلك بربها وما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر
عنهم النصر حتى اذا استيأست الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند
ذلك وقال بعضهم حتى اذا استيأس الرسل عن ايمان قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من العذاب انه نازل
بهم لما ابطأ عليهم العذاب وقال بعضهم وظنوا انهم اى ظن قومهم ان رسلهم قد كذبوهم خبر السماء جاءهم
نصرنا وان كان الاية فى اتباع الرسل على ما ذكر بعضهم فهو كقوله والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب فان
كانت فى غيرهم من المكذبين فقد جاء الرسل نصر الله وقوله فنجى من نشاء من المؤمنين فهو فى ظاهره خبر
عن المستقبل انه ينجى من يشاء من هؤلاء المؤمنين ويشبه ان يكون على الخبر فى اولئك فان كان على هذا ينجى
ان يكون نجينا من نشاء منهم واهلكنا من نشاء منهم لكن يجوز هذا فى اللغة او يكون فى الاخرة ينجى من نشاء

وقوله عز وجل ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اى لا يرد عذابنا اذا نزل عن المجرمين وقوله عز وجل لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب يحتمل قوله فى قصصهم قصة يوسف واخوته عبرة لاولى الالباب ويحتمل قصص الرسل والامم السالفة جميعا عبرة لاولى الالباب والاعتبار انما يكون لاولى الالباب الذين ينتفعون بلبهم وعقلهم وقوله عز وجل ما كان حديثا يفترى يحتمل اى ما حديث محمد صلى الله عليه وسلم وما اخبر من القصص واخبار الرسل والامم السالفة بالذى افترى بل انما اخبر ما كان فى الكتب السالفة على غير تعلم منه ولا دراسة ويحتمل ما كان هذا القران بالذى يقدر ان يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه اى تصديق الذى نزل على رسول الله الكتب التى كانت من قبل وتفصيل كل شئ اى ما للناس حاجة اليه وهدى من الضلالة لمن هدى ورحمة للمؤمنين وفيما ذكر فى يوسف واخوته على رسول الله دلالة التعبير على اذى قريش يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه فى الدين والنسب والمولد فعلوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر فقومك مع مخالفتهم اياك فى الدين احرى ان تصبر على اذاهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل المر تلك ايات الكتاب يحتمل ان يكون قوله المر كناية عن الاحرف المقطعة المعجمة فيكون قوله تلك ايات الكتاب تفسير المر هذا هو الظاهر ان يقال فى كل حروف المعجمة والمقطعة ان يكون ما ذكر من بعدها على انه هو تفسيرها والثانى يشبه ان يكون قوله المر كناية عن الحجج والبراهين وسائر الكتب كانه قال تلك الحجج والبراهين وسائر الكتب جعلناها ايات القران وحججه وقد ذكرنا القول فى الحروف المقطعة فيما تقدم ثم اختلف فى قوله تلك ايات الكتاب والذى انزل اليك من ربك هو القران الذى قال بعضهم تلك ايات الكتاب التورية والانجيل وسائر الكتب المتقدمة وقوله والذى انزل اليك من ربك هو القران انزل على محمد عليه الصلوة والسلام وقال بعضهم تلك ايات الكتاب هو القران لكنه اخبر انه منزل من ربك وقوله الحق يحتمل هو الحق انه منزل من الله ليس كما قال اولئك انه ليس من الله انما تقوله محمد من تلقاء نفسه ويحتمل الحق اى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والله اعلم وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يؤمنون انه من الله او اكثر الناس لا يؤمنون انه ايات الله ولا من حكمته وحججه والله اعلم وقوله عز وجل الله الذى رفع السموات قوله رفع اى انشأها مرفوعة لا انها كانت فرفعها ولكن جعلها فى الابتداء مرفوعة وكذلك قوله والارض وضعها للانام ومد الارض والجبال ارساها ونحو ذلك اى انشأها مرفوعة ممدودة لا انها كانت موضوعة فوضعها او كانت منقبضة فبسطها ولكن انشأها كذلك وقوله عز وجل بغير عمد ترونها قال بعضهم هى بعمد ترونها لكن لا ترونها اى ترونها بغير عمد وقال بعضهم هى بغير عمد على ما اخبر ولكن اللطف والاعجوبة انما يمسكها بغير عمد لا ترى كما اللطف والاعجوبة فى امساكها بغير عمد لان فى الشاهد لم يعرف ولا قدر على رفع مثله سعة وبعد بغير عمد لا ترى لكن ما يرفع انما يرفع بعمد ترى فاللطف فى هذا كاللطف فى الاخر وفيه دلالة قدرته على البعث لانه ذكر هذا ثم قال لعلكم بلقاء ربكم توقنون اى من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد يقدر على اعادة الخلق وبعثهم واحيائهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشئ بعد فنائه اذ فى الشاهد من قدر على اعادة اشياء بعد فنائها لا يقدر على رفع سقف ذى سعة وبعد بغير عمد من ذا الوجه امكن ان يحتج والله اعلم وقوله عز وجل ثم استوى على العرش لما لم يفهم من قوله سميع عليم مدبر المكان وان كان فى الشاهد يفهم من المكان اذا اضيف الى الخلق لم يجب ان يفهم من استواء الخلق وبعد فان فى الشاهد اذا قيل فلان استولى على بلدة كذا او استوى امره لم يفهم منه نفاذ الامر والسلطان والمشية فعلى ذلك لم يجب ان يفهم من الله من اذا اضيف اليه المكان واصله ما ذكرنا فيما تقدم انه اخبر انه ليس كمثله شئ فهو فى كل شئ وكل وجه لا يشبه الخلق اذ الخلق فى الشاهد ليس يشبه بعضه بعضا من جميع الجهات انما يشبه بعضهم بعضا بجهة ثم صار واجميعا اشكالا واشباها بتلك الجهة التى وقعت المشابهة فاذا الله سبحانه وتعالى لما اخبر انه ليس كمثله شئ دل انه انما نفى عنه الجهات التى يقع بها التشابه والمثل فهو يخالف الخلق من جميع الوجوه وهذه مسئلة مذكورة فيما تقدم اختلف فى العرش قال بعضهم العرش هو المخصوص بهم استوى تدبير انشاء غيرهم من العالم لانهم هم المقصود وهو فى انشاء ذلك كله وقال بعضهم العرش البعث به استوى وتم تدبير انشاء الخلائق ما لولا البعث يكون انشاؤهم عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل عدم الرجوع اليه انشاء الخلق عبثا وقال بعضهم العرش هو الملك وبه تم ما ذكر وقيل هو سرير الملك وقوله عز وجل يدبر الامر على فى العقل انه عن تدبير مدبر خرج وعن علم وحكمة وضع ليس على الجزاف بلا تدبير ولا علم وقوله

وقوله عز وجل يفصل الايات يحتمل بيان الحجج والبراهين ويحتمل تفصيل الايات اى ايات القران انزلها بالتفاريق لا مجموعة لعلكم بلقاء ربكم توقنون هو ما ذكرنا انما فيما ذكر من الايات والتدبير ورفع السماء بلا عمد دلالة البعث والاحياء بعد الموت وقوله عز وجل بلقاء ربكم هو ما ذكر فى قوله اليه مرجعكم جميعا ومصيرهم ومرد زعم وامثاله والله اعلم وقوله عز وجل هو الذى مد الارض فى اية اخرى والارض بعد ذلك دحاها وقال فى موضع اخر والى الارض كيف سطحت وكله واحد وقال الارض فراشا ومهادا ذكرهم نعمة الله انعمها عليهم مد الارض اى بسطها وجعل فيها رواسى ذكر انها بسطت على الماء فكانت تتكفؤ باهلها وتضطرب كما يتكفؤ السفينة فارساها بالجبال الثقال فاستقرت وتثبتت وذكر انها مدت وبسطت على الهوائم اثبتها بما ذكر من الجبال ولكن لو كان انهما كما ذكر كان يجب ان لا يكون بالجبال ثباتها واستقرارها لان الارض والجبال من طبعها السفل والانحدار فى الماء والهواء فكل ما زيد من ذلك النوع كان فى التسفل والانحدار اكثر وازيد فلا يكون بها الثبات والاستقرار بل انما يكون الثبات والاستقرار بشئ من طبعه العلو والارتفاع فيمنع ذلك الشئ الذى طبعه العلو عن التسفل والانحدار الا ان يقال انها كانت لا تتسفل ولا تتسرب ولكن تضطرب وتميد باهلها على ما ذكر عز وجل وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم فان كان على هذا فيكون بالجبال ثباتها واستقرارها ومنعها من الاضطراب والميلان او ذكر هذا ليعلم لطفه وقدرته حيث امسكها بشئ من طبعه التسفل والانحدار وهى فى نفسها كذلك ليعلم قدرة الله ولطفه فى كل شئ والله اعلم بذلك وقوله عز وجل مد الارض اى انشأها ممدودة لا انها كانت مجموعة فى مكان فبسطها على ما ذكر من رفع السماء ونحوه وجعل فيها رواسى اى انشأها وجعل الله عز وجل الاشياء واكثرها باسباب تعليما ليكون ذلك عليهم اهون وان كان يجعل الاشياء عليه باسباب سواء اذ هو قادر بذاته يذكر هذا ما يحق النعم التى انعمها عليهم من مد الارض وبسطها واثباتها بالرواسى التى ذكر وجعل الانهار فيها ليصلوا الى الانتفاع بها ليتأدى بذلك شكره او يذكر عجيب الاخبار عن قدرته وسلطانه لانه جعل الارض بحيث لا يدخل فيها شئ فاخبر انه ادخل فيها الجبال مع كثافتها وعظمها ليعرف قدرته وقوله عز وجل وانهارا اى جعل فيها انهارا اخبر انه مد الارض وبسطها وجعلها مستقرة ثابتة ليقروا ثم عليها ثم اخبر انه جعل فيها من كل الثمرات زوجين قال بعض اهل التاويل زوجين اثنين اى لونين وقال بعضهم ذو طعمين لكن يكون منها الوان اكثر من اثنين احمر وابيض والسود واصفر ونحوه وكذلك الطعم يكون فى معنى وحلو ومر الا انه يقال زوجين اثنين الطيب والخبيث فلا يكون ثالث واما الالوان فانه يكون ذو الوان وذو طعوم وقال بعضهم الذكر والانثى فهذا يصح اذا اراد به النخيل فمنه ومنه لا يثمر فالذى يثمر هو انثى والذى لا يثمر هو ذكر واما على غير هذا فانه لا يصح واصل الزوجين هو اسم الاشكال واسم الاضداد فعليه وقيل فى ذلك كله من الله واصل الزوج هو من له المقابل من الاشكال والاضداد اخبر انه جعل الخلق كله ذا اشكال واضداد من نحو الليل والنهار والذكر والانثى فهو فى حق المنافع كشئ واحد وفى حق انفسهم كالاشياء وقوله عز وجل يغشى الليل النهار اى يذهب ظلمة الليل بضوء النهار وضوء النهار بظلمة الليل او يلبس احدهما الاخر او يغطى الليل ما هو بالنهار بادئا ظاهرا للخلق والنهار ما هو مستور خفى على الخلق والله اعلم وقوله عز وجل ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون فيما ذكر دلالة البعث والاحياء ودلالة التدبير والعلم والحكمة ودلالة الوحدانية لقوم يتفكرون فى اياته وحججه لا لقوم يعاندون فى اياته ويكابرونها وقوله ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون ذكر ان الايات تكون ايات لهم بالتفكر والنظر فيها والله اعلم لا ان تصير ايات بجانا بالبديهة او يقولوا ان منفعة الايات تكون لمن تفكر فيها لا لمن ترك التفكر والنظر والله اعلم وقوله عز وجل وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب دل قوله قطع متجاورات ان التجاور انما يذكر ويثبت وان كانت الارض ارضا واحدة فانه لا يقال فيها التجاور فهذا يبطل قول من يقول ان التجاور انما يذكر فيما فيه الشركة فيجب الشفعة واما فى غيره فلا يجب واما عندنا هو ما ذكر عز وجل انه اثبت التجاور فى الارض التى صارت قطعا وقوله عز وجل قطع متجاورات وجنات من اعناب القطع المتجاورات هى الارضون المتواحى التى تصلح للزرع وجنات من اعناب اى جنات متجاورات ايضا والجنات هى البساتين المحفوفة بالاشجار فيها الوان الثمار والزروع ونخيل صنوان وغير صنوان هو النخلتان فى اصل واحد وغير صنوان النخل المتفرق وقيل الصنوان ما كان اصله واحدا وهو متفرق وغير صنوان التى تنبت وحدها وقيل صنوان هى النخلة تخرج فاذا خرجت انشعب بعد خروج الاصل فهو الصنوان وهذا قيل عم الرجل صنو ابيه تسقى بماء واحد اى تسقى ما ذكر من الزروع والنخيل والجنان بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل يذكر هذا والله اعلم ان جواهر الارض كلها واحد وهى قطع متجاورة بعضها ببعض ثم هى مختلفة

الحق الثمار والفواكه وكذلك الاشجار والنخيل كلها من جوهر واحد من جنس واحد والارض في جوهرها وتسقى
بماء واحد ثم تخرج مختلفة في الوانها وطعومها وطيبها وخبثها ومناظرها ليعلم انها لم تكن بنفسها ولا
بالاسباب التي تجعلها ولكن بلطف واحد مدبر عليم حكيم لا انها لو كانت بانفسها وطباعها وبالاسباب لكانت
كلها واحدة متفقة في طيبها وخبثها والوانها وطعومها فلما لم تكن ما ذكرنا على لون واحد ولا طعم واحد ولا
منظر واحد دل انه كان بتدبير مدبر واحد عليه لطيف وقوله عز وجل ونفضل بعضها على بعض في الاكل قيل
في الحمل بعضها اكثر حملا من بعض وبعضها يحمل وبعضها لا ولكن ما ذكرنا في الطيب والخبيث والطعم واللون والمنظر
مفضل بعضه على بعض واصله ان الارض واحدة متجاورة متصلة بعضها ببعض والماء واحد ايضا ثم خرجت
الثمار والفواكه والزروع مختلفة متفرقة ليعلم ان ذلك ليس هو عمل الارض ولا عمل الماء ولا عمل الاسباب
والطبائع ولكن باللطف من الله لانه لو كان بالماء او بالارض او بالاسباب او الطباع لكانت متفقة مستوية
ان في ذلك لايات لما ذكرنا من وحدانيته وتدبيره وعلمه وحكمته لقوم يعقلون اي لقوم همتهم العقل والفهم
والنظر والتفكر في الايات لا لقوم همتهم العناد والمكابرة او لقوم ينتفعون بعقلهم وعلمهم وقال الحسن هذا
مثل ضرب لقلوب بني ادم كانت الارض في الاصل طينة واحدة فسطحها الرحمن ثم بطحها فصارت الارض قطعا متجاورة
فينزل عليها الماء من السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج نباتها وتحيي مواتها وتخرج هذه سبخها
وملحها فصارت الارض قطعا متجاورات وخبثها وكلتاهما تسقى بماء واحد فلو كان الماء ملحا قيل استسبخت هذه
من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من ادم عليه السلام من السماء تذكرة واحدة فترق قلوبا فتخشع وتخضع
وتقسو قلوبا فتلهو وتسهو وتجفو وكلاما نحوه ثم قال الحسن والله ما جالس القران احد الا قام من عنده
بزيادة او نقصان ثم تلا قوله وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله
عز وجل وان تعجب فعجب قولهم قال الحسن ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك في الرسالة فعجب قولهم حيث قالوا
ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد وقال بعضهم وان تعجب يا محمد مما اوحينا اليك من القران كقوله في الصافات
بل عجبت ويسخرون فعجب قولهم اي فاعجب ايضا قولهم يقول لكن قولهم اعجب عندك حين قالوا ائذا كنا ترابا ائنا لفي
خلق جديد تكذيبا بالبعث واصله والله اعلم يقول انك اي تعجب وقولهم في تكذيبهم اياك في الرسالة ولم تكن رسولا
من قبل فقولهم وانكارهم قدرة الله على البعث والاحياء بعد الموت اعجب اذ قدروا وشاهدوا من قدرة الله
واياته بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم ما لو تفكروا وتاملوا ولم يعاندوا واعترفوا انه قادر على ذلك كله فوصفهم
الله تعالى بالعجز وانه لا يقدر على البعث والاحياء بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم اياك في الرسالة ولم يكن سبق منك
اليهم ما يوجب رسالتك وتصديقك وقد سبق من الله اليهم ما يعرفهم قدرته على ذلك وعلى اكثر منه
والله اعلم وان تعجب لانكارهم رسالتك وتكذيبهم اياك ولم يكن سبق اليهم حقيقة الهداية والنعم والايات و
الحجج وانما كان منك البيان والدعاء فاعجب قولهم في انكارهم قدرة الله على البعث وقولهم في الله سبحانه ما قالوا
فيه بعد معرفتهم حقيقة ذلك كله بالله اليهم والله اعلم وقوله عز وجل اولئك الذين كفروا بربهم بتشبيه ان
يكونوا لما كفروا بالبعث كان كفرهم بالبعث كفرا بالله لانهم عرفوه عاجزا حيث قالوا لا يقدر على بعث الخلق ومن
عرف ربه عاجزا فهو لم يعرف الرب لحقيقة دلالة الحقيقة وقوله عز وجل فاولئك الاغلال في اعناقهم قال بعضهم
سار الكفرة في اعناقهم اغلال لاحيث انكروا الرسالة في البشر ثم جعلوا الاصنام والاوثان معبودهم ليعكفوا
بها ويخضعون فذلك هو الاغلال في اعناقهم وقال بعضهم قوله فاولئك الاغلال في اعناقهم في الاخرة كقوله
خذوه فغلوه الاية واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقوله عز وجل ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
الاستعجال يكون على وجهين يكون طلب الفعل نفسه كقوله ادعوني استجب لكم قيل اجب لكم وقوله تعالى فليستجيبوا
لي اي ليجيبوا لي وقوله ويستعجلونك فان كان على طلب الفعل فهو ما سالوا رسول الله العذاب سال سائل بعذاب
واقع وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقولهم ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء الاية
وقد واسوالهم بتاخيره وامهاله وتاخيرا لعذاب عندهم وامهاله من الحسنة فاستعجلوا بهذا قبل هذا وان
كان الفعل نفسه وقوله ويستعجلونك اي يعجلونك يا محمد بالسيئة اليك قبل ان يكون منهم اليك حسنة حيث كذبوك
في الرسالة واذوك في نفسك ولم يكن منهم اليك احسان من قبل والله اعلم بذلك وقيل بالسيئة العذاب على
ما ذكرنا قبل الحسنة اي قبل العفو وسوالهم السيئة والعذاب يحمل منهم وانه رسول وانه صادق وانه فيما يخبر
ويوعد من العذاب كانوا لا يسالون لانهم يعلمون ان الله يقدر على ان ينزل عليهم العذاب لكن سالوا ذلك لجهلهم

بان رسول

بان رسول سوال استهزاء وتعنت اذ كان على ما سالوا لهلكوا فيه دلالة ان العقوبة والعذاب قد يلزم من جهل الامر
اذا كان سبيل العلم به النظر والتفكر فيه وهؤلاء جهلوا انه رسول الله لتركهم النظر والتفكر والله اعلم وقوله
عز وجل وقد خلت من قبلهم المثلات قال بعضهم العقوبات اي قد كان في الامم الخالية العقوبات بسوالهم العذاب
والمعاندة في الايات اذا جاءت كانه والله اعلم يصبر رسوله على سفه قومهم لسوالهم العذاب والايات ثم المعاندة
فيها يقول كان في الامم الماضية من سوال العذاب والايات ثم المعاندة من بعد نزولها فنزلت لهم العقوبات مثل
ذلك هؤلاء وقال بعضهم المثلات الامثال والاشباه وكذلك ذكر في حرف حفصة وقد خلت من قبلهم الامثال
وتاويله والله اعلم قد خلت الامثال ما لو اعتبروا بها كان مثلا لهم ولكن لا يعتبرون فيمنعهم عن امثال ذلك وقوله
عز وجل وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال بعضهم لذو مغفرة اي ذو ستر على ظلمهم وتاخير العذاب عنهم
كقوله انما يؤخرهم ليوم وقوله وما نؤخره الا لاجل معدود وقال بعضهم لذو مغفرة للكفار لمن تاب ومات
على الظلم والشرك وقوله وان ربك لشديد العقاب للكفار وعلى التاويل الاول وان ربك لشديد العقاب اذا عاقب
وقوله عز وجل ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقال في موضع اخر فلياتنا باية كما ارسل الاولون
وقال في اية اخرى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر ما ذكر فيحتمل سوالهم الاية كما ارسل الاولون
من تلك الايات التي اتت بها الرسل الاولون وليس عليه ان ياتي ببعض تلك الايات انما عليه ان ياتي باية تخرج
عن عرفهم وطباعهم والرسل جميعا لم ياتوا باية واحدة انما جاءوا بايات مختلفات كل جاء باية سوى ما جاء بها
الاخر فقال له ليس عليك انما انت منذر او سالوا ايات سوال الاشياء لديها هلاكهم على ما فعل الاولون فقال
الاولون فقال انما انت منذر وقد حفظ هذه الامة استئصال ايات وان لها لديها هلاكهم وانكارهم في سوالهم
الايات معاندين لانهم قد جاءهم من الايات على اثبات رسالته واظهارها ما كفتهم لكنهم يعاندون وقوله عز وجل
انما انت منذر ولا تملك انياه الايات قل انما الايات عند الله وقال قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر
او يقول انما انت منذر وليس اليك انشاء الايات واختراعها قل انما الايات عند الله وقوله عز وجل ولكل
قوم هاد اي داع يدعو الى توحيد الله ودينه كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله ولكل قوم هاد يحتمل
لكل وقت هاد ثم اختلفوا انه من ذلك الهادي قال بعضهم الله وقال بعضهم نبي من الانبياء وقال بعضهم
داع دليل سوى النبي وقالت الباطنية هو امام يكون معصوما مثل النبي لئلا يزيغ عن الحق ولكن عندنا معصوما
لان في القران ما يمنع من الزيغ ويعرف ذلك منه اذا زاغ وضل عن الحق ولكل قوم هاد اي داع وهو كافر
وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله عز وجل الله يعلم ما تحمل كل انثى قيل نعم انها حملت انثى او ذكرا سويا او
غير مستو موفا كله عز وجل من علمه وقدرته انه لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء فان قيل هذا دعوى ما الذي يجعلنا
انه يعلم ذلك قيل انشاء تدبيره ولطفه يدل على علم ذلك فيه حيث رباه فيه وانشاه مستويا غير متفاوت سليما
عن الافات وبناء الجوارح كلها على الاستواء لا يكون بعضها انقص وبعضها اتم نحو العينين تراهما مستويين لا تزيد
احداهما على الاخرى بل تستويان على الاستواء وكذلك اليدين والرجلين والاذنين وامثاله فدل ذلك على
العلم به والتدبير وقوله عز وجل وما تغيض الارحام وما تزداد اي يعلم ما تغيض وما تزداد اي يعلم ما تغيض
وما تزداد قال عامة اهل التاويل ما تغيض الارحام ما تنقص عن التسعة الاشهر وما تزداد على التسعة الاشهر
فكان الحسن يقول غيضوضة الرحم ان تضع لستة اشهر او ثمانية واما الزيادة فما زاد على التسعة الاشهر وفي
حرف ابي الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تضع ولكن يحتمل قوله وما تغيض الارحام وما تزداد وجهين احدهما ما تغيض
الارحام اي ما لا تحمل شيئا وهي التي تكون عقيما لا تلد والغيض منه تكون ذهاب الشيء قال الله تعالى وغيض الماء
اي ذهب وما تزداد اي ما تحمل وما تغيض الارحام فتلد بدون الوقت الذي تلد النساء وما تزداد على الوقت الذي
تلد النساء او ما تغيض الارحام وما تزداد في زيادة عدد الاولاد ونقصانهم ما تحمل واحدا او اكثر من واحد و
يكون فيه زيادة وقد نقص الولد ونقصانه لان من الولد ما يعيش في البطن ومنه ما لا يزداد وله نقصان في البطن
ومنه ما يتم ويزداد وامثاله والله اعلم وكل شيء عنده بمقدار مقدر بالتقدير ليس على الجزاف على ما يكون عند
الخلق ولكنه بتقدير وتدبير عالم الغيب قال بعضهم لا يغيب عنه شيء ولكن هو عالم بما غاب عن الخلق وشهده
الخلق اي ما يغيب عنهم وما يشهدونه عنده يحل واحد في العلم به وقال بعضهم عالم الغيب ما غاب بنفسه وما
بنفسه فالغائب بنفسه هو ما لم يوجد بعد ولم يكن في الشاهد ما قد وجد وكان يعلم بحكم عالم لم يوجد بعد انه يوجد
واذا وجد كيف يوجد ومتى يوجد وما وجد ونحو شهد يعلم شاهدا موجودا على هذين الوجهين يخرج تاويل الاية

وفي اي وقت

او الله اعلم ان يعلم ما غاب عنهم مما شهدوا من نحو قوة الطعام في الطعام والقوة التي في الماء وما فيه البصر والسمع
والعقل والروح وكيفيتها وهذا كله مما غاب من الخلق وقوله عز وجل الكبير المتعال المتعال عن جميع ما يحتمله الخلق
يقال هذا عظيم القوم وكبيرهم وهذا واحد فانه لا يعنوا عظيم النفس وكبره او توحده من حيث العدد ولكن
من حيث نفاذ الامر له والمشية فيهم والعز والسلطان او له الخلق والخضوع فعلى ذلك لا يفهم فيما وصف
هو به ما يفهم من الخلق من عظم الجسم وكبر النفس وعلى ذلك ما وصف هو باسماء لا يحتمل ذلك في الخلق نحو
اول واخر وظاهر وباطن وعظيم ولطيف ليعلم انه ليس يفهم مما اضيف اليه وما وصف هو به ما يفهم مما يضاف
الى الخلق اذ من قيل في الشاهد انه عظيم لم يقل انه لطيف ومن قيل انه اول لم يقل به اخر وكذلك الظاهر والباطن
اذا وصف باحدهما انتفى عنه الاخر وكذلك مما وصف به الغائب واضيف اليه ليعلم انه لا يفهم بما يوصف
هو به ويضاف اليه ما يفهم مما وصف به الخلق واضيف اليهم والله اعلم وقوله عز وجل سواء منكم من
اسر القول في نفسه في حال انفراده ومن جهر به بغيره ومن هو مستخف بالليل في ظلمة الليل وسارب
بالنهار ويكون في السرب وهو الغار بالنهار وقال بعضهم من هو مستخف بالليل اي ساكن بالليل مغره وسارب
بالنهار اي منصرف منقلب بالنهار في حوائجه ذكر هذا صلة ما تقدم وهو قوله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض
الارحام ويعلم ايضا ما تزداد وما ذكر انه عالم الغيب والشهادة فيقول ايضا يعلم من اسر القول ومن جهر به
ومن كان مستخفيا بالليل وساربا بالنهار اي يعلم كل شيء ولا يخفى عليه شيء من عمل سر من الخلق او عمل بعلانية منهم
يذكر هذا والله اعلم ليكونوا على حذر من المعاصي لان من علم ان عليه رقيبا حفيظا يكون اشد حذرا واخوف ممن يعلم
ان ليس عليه ذلك وقال مقاتل سواء منكم عند الله من اسر القول ومن جهر به وسواء منكم من هو مستخف
بالليل وسارب بالنهار اي من هو مستخف بالمعصية في ظلمة الليل او هو منتشر بتلك المعصية بالنهار معلن
بها فعلم ذلك كله عند الله سواء في ذلك تذكير امرين احدهما يذكرهم المنة التي انعمها عليهم من اول ما انعم الى
اخر ما ينتهون اليه ليستأدي بذلك شكره ليستديموا بذلك النعم ابدا ما كانوا والثاني يذكرهم على جميع احوالهم ويعلم
ليكونوا ابدا على حذر من معاصيه والخلاف له اما عليه هو ما ذكر الله يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله سواء منكم الاية
واما النعمة ما ذكر له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله عز وجل له معقبات
قال بعضهم هم الامراء والشرط الذي يحفظونه في ظواهر من امره يخبر انه محفوظ عليه الخفيات من امره
حيث سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الاية حيث اخبر انه يعلم ذلك ومحفوظ عليه الظواهر من
امره له وقال بعضهم له معقبات الملائكة الذين يحفظونه وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال يجتمعون منكم عند صلوة العصر وصلوة الصبح يحفظونه من بين يديه ومن خلفه مثل قوله عن اليمين
والشمائل قعيد قال الحسنات من بين يديه والسيئات من خلفه الذي عن يمينه وقوله عز وجل له معقبات
يحتمل قوله له اي لله معقبات يحفظونه ويحتمل من كل ذكر وانثى يكون مثله يعلم ما تحمل كل انثى وقوله عز وجل
يحفظونه من امر الله يحتمل قوله يحفظونه من الله اي يحفظون نفسه من الملائكة البلايا والنكبات التي تنزل
على بني ادم فان لم يحفظ نفسه فقوله من امر الله اي من عذاب وبلايا حتى اذا جاء امرنا وهو عذابنا ويحتمل
قوله يحفظونه بامر الله ثم يحتمل قوله من بين يديه ومن خلفه البشرور والسيئات ويحتمل قوله من بين يديه
ما قدم من الاعمال ومن خلفه ما بقي واخر كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ويحتمل من بين يديه ما مضى
من الوقت ومن خلفه ما بقي والله اعلم وقوله عز وجل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
يشبه ان يكون هذه النعمة نعمة الدين من رسول الله والقران او ما كان في امر الدين لا يغير ذلك عليهم الا بتغيير
يكون منهم كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وكقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ويحتمل ان يكون ذلك
في النعمة الدنيا وية من الصحة والسلامة والمال لا يغير ذلك عليهم الا بتغيير ذلك من انفسهم فان قيل
الانبياء قد كانوا يلقون الشدايد والبلايا ولا يحتمل ان يكون ذلك منهم البداية في التغيير قيل ابدلت لهم مكان
تلك النعمة خيرا منها فليس ذلك بتغيير ولكن لما ذكرنا انه ابدلت مكان النعمة نعمة هي خير منها ثم ما كان من النعم
والافعال من الطاعات لها حق تجدد ولحدوث يكون التغيير عليهم حالة اختيارهم وتغييرهم على انفسهم
واما الافعال التي لها حق البقاء يكون التغيير من الله من بعد وهو من نحو السلامة والصحة والسعة والذي
له حق التجدد والحدوث الطاعات والمعاصي وقوله عز وجل واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له الاية ترد
على المعتزلة قولهم لانهم يقولون انه لا يريد الا ما هو اصلح لهم في الدين وقد اخبر انه اراد بهم سوءا فلا مرد له الاية

المحال

رد على المعتزلة لقولهم لانهم يقولون انه لا يريد بل هذا انه قد يريد السوء اذ اخبرهم ما انعم الله عليهم اراد ان
يغير عليهم والمعتزلة يقولون بملك الخلق دفع سوء اراد الله بهم واذا اراد الخير فيكون رد ذلك والله يقول فلا
راد لفضله ولا مرد لسوء وقوله عز وجل وما لهم من دونه من وال اي ليس لهم دفع العذاب الذي اراد بهم ولا
يدفع عنهم او نصير ينصرهم كقوله وما لهم من دون الله من ولي ولا نصير وقوله عز وجل هو الذي يريكم البرق
خوفا وطمعا اي خوفا ومطموعا او ما تخافون وتطمعون وقال اهل التاويل خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقيل خوفا
لاهل البنيان وطمعا لاهل الانزال وعندنا يطمعون ويخافون قوم واحد يطمعون نفعه في وقت المنفعة ويخافون
ضرره في غير وقت النفع او يطمعون نفعه ويخافون نزوله والضرر به في غير وقت النفع ونحوه ويحتمل وجها
اخر في قوله يريكم البرق خوفا وطمعا اي يريكم خوفا موعودا وطمعا موعودا لان البرق نور ونار ويطمع
في الجنة ويخوف النار الموعود في الاخرة فيها نار الا ترى انه اذا اشتد خيف على من اصابه وقوله عز وجل وينشئ
السحاب الثقال يقال نشأت السماء اذا ارتفع الغيم فيها ويسمى الغيم نشاء وقوله انشاء اي احدثه ويقال
انشاء الله الخلق اي خلقهم نشاء ارتفع وانشاء رفع من هذا والله اعلم ويسبح الرعد بحمده اختلف في
والبعض قال بعضهم هو اسم ملك من الملئكة موكل بالسحاب صوته تسبيحه وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
قال اقبلت يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملئكة
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله فقالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال
زجرة السحاب اذا زجره حتى ينتهي الى حيث امر قالوا صدقت فان ثبت هذا فهو هو وعن علي رضي الله عنه
انه سئل عن البرق والرعد قال الرعد الملك والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد وقيل الرعد ملك على ما
ذكرنا يزجر السحاب بالتسبيح ويسوقه فاذا اشتدت سحابة ضمها واذا اشتد غضبه صار من فيه النار
فهو الصواعق وقيل هي الريح تسوق السحاب فاذا ركبت السحاب فلم تجد منفذا صوتت فذلك صوتها فقال
بعض الفلاسفة الرعد اصطكاك الاجرام فيحدث هذا الصوت بمنزلة الحجر يصيب الحجر وقال بعضهم من الفلاسفة
انما هي ريح تختنق تحت السحاب فتصدعه فذلك الصوت منه واي شيء كان الرعد الملك او الريح او ما كان فالتسبيح
يحتمل من كل شيء على ما اخبر الله تعالى التسبيح من كل شيء حيث قال وان من شيء الا يسبح بحمده فيحتمل تسبيح الخلقة
جعله في خلقته كل شيء وحمد صانعه وبراءه منشئه من كل ما وصفه الملحدون ودلالة الوهيته وربوبيته
ويحتمل تسبيح جعل في سرية كل شيء تسبيحه وتنزيهه ما لا يفقهه الخلق وعن سعيد الخدري رضي الله عنه قال
الرعد ملك وهذا تسبيحه والبرق صوته الذي يزجي به السحاب قيل امثال هذا كثير والله اعلم بذلك وليس
لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى انها هول هايل يهول الخلق ويذكرهم سلطانه وعظمته ولولا انهم امنوا
ذلك والا لم تقر انفسهم لسماع ذلك وقوله ويسبح الرعد بحمده اي يذكرهم سلطانه وعظمته فيكون ذلك
تسبيحه وما ذكروا من سلطانه وعظمته والملائكة من خيفته اي تسبيح الملائكة من خوفه الرعد يسبح ويذكر
عظمة الله وسلطانه سلطانه فدل الثناء عليه والملائكة يسبحونه فيما بينهم وبين ربهم فلم يذكر فيهم التسبيح
بحمده وذكر في الرعد والملائكة من خيفته اي من خوفه ثم الخوف يخرج على وجهين احدهما خوف من عقوبته
لانه قد جاء فيهم الوعيد اذا زلوا كقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية والثاني خوف
رهبة وهيبة لا خوف عقوبة لان الله تعالى وصفهم بالطاعة له والاستسلام كقوله لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وقوله ولا يستكبرون الاية ويخوف ذلك ثم خوف الهيبة لا يزول في الاخرة وخوف
العقوبة يزول وقوله عز وجل ويرسل الصواعق قيل الصعقة الصيحة التي فيها موت البعض ويذهب عقل
البعض كقوله فصعق من في السموات ومن في الارض وقيل هي اسم العذاب وقد ذكرنا فيما تقدم وذكر في بعض
الاخبار ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسال عن شيء من امر الرب فحدث صاعقة فاحرقته ونزل
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال وقوله عز وجل وهم يجادلون
في الله اي في توحيد الله لان اهل الكفر كلهم كانت مجادلتهم في توحيد الله والوهيته وقوله عز وجل وهو شديد
المحال قال بعضهم شديد الانتقام والعقوبة وقيل شديد القوة وقيل اشد الاخذ وقال القتبي المحال من الكيد
والمكر واصل المحال الحيلة لكن سمي باسم الاول لانه جزاء الحيلة فيكون كتسمية جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء
والمكر ما ذكرنا انه لا اخذ من حيث لا يشعر وذنبه وقال ابو عوسجة المحال عندي وقال ابو عوسجة المعقبات الحفظة
الذين يحفظونه بامر الله ويقال عقبة اي حفظته واما قوله لا معقب لحكمه اي لا راد لحكمه غالب ويقال غيره

هذا اعقب فلان فلانا اى اذ عقب نحو سباده هذا ويقال معقبت اى رجعت وسمعت هما من العقب ويقال رجع على عقبه
اى من حيث جاء وقال القتبى معقبات ملائكة يعقب بعضها بعضا فى الليل والنهار اذا مضى فريق بعده فريق
اخر يحفظونه من امر الله اى بامر الله وقوله وما لهم من دونه من وال اى ولى مثل قادر وقدير وحافظ وحفيظ
وذلك جائز فى اللغة وقوله عز وجل له دعوة الحق يحتمل وجهين يحتمل اى له عبادة الحق وليس لمن دونه
عبادة الحق اى هو المستحق للعبادة ليس من يعبد دونه بالذى يستحق العبادة وعبادة الحق له ليس لمن دونه
والثانى له دعوة الحق ليس يملك من دونه اجابة من دعاه بالحق فعلى التاويل الاول الدعوة العبادة وعلى
الثانى الدعوة الاجابة اى له اجابة دعوة من دعاه بالحق والله اعلم هو يملك اجابة دعوة فاما من عبد دونه
ودعى دونه لا يملك ذلك يدل على ذلك قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ اى الذى يدعون
من دونه لا يملكون الاجابة او لا يملكون ما يا ملون من عبادتهم الاصنام فيكون مثله ما ذكر الا كباسط كفيه الى
الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وجه ضرب مثل يدعون من دون الله بباسط كفيه الى الماء هو والله اعلم
ليس من يدعون من دون الله الا كباسط كفيه الى الماء فيدعوا الماء فكما لا يجيبه الماء وان دعاه فعلى ذلك
من يدعوا الاصنام لا يملكون اجابته والله اعلم بذلك وان يكون وجه ضرب هذا المثل ان من عبد دون الله او
دعا من دونه ليس الا بباسط كفيه الى الماء وهو على بعد من الماء فكما لا يصل هو الى الماء لا يصل من عبد دون
الله الى ما يومل ويطمع او يحتمل من وجه اخر وهو ان الماء يتفرق اذا قبض الكف ولا سبيل الى الاغتراف اذا
بسطت فعلى ذلك من عبد دون الله وقوله عز وجل وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى دعائهم وعبادتهم
لا يعقب لهم الا الخسار فى الاخرة وحاصله يضل ذلك كله منهم لا يصلون الى ما يا ملون بالدعاء والعبادة كقوله
وضل عنهم ما كانوا يفترون وقوله عز وجل ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها يحتمل قوله
يسجد على حقيقة السجود يسجد له المومن والكافر جميعا اما المومن فانه يسجد له بالاختيار والطوع ويحتمل ما
ذكر من السجود وجوها احدها حقيقة السجود فان كان هذا فهو فى المخصوص خاصة والثانى سجود الخلقة فان
كان على هذا فهو فى جميع الخلائق جعل الله فى خلقه كل شئ دلالة وحدانية واية الوهية وربوبية والثالث
سجود الاحوال فهو فى المومن والكافر جميعا اما المومن فهو يسجد له فى كل حال واما الكافر فانه يسجد له ويخضع
فى حال الشدة والضيق ولا يسجد له فى حال السعة والرخاء ويشبه ان يكون الكافر يكون سجوده لله احيانا
طوعا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هولاء شفعاؤنا عند الله انهم وان عبدوا
الاصنام فيرون السجود والعبادة لله لكنه لم يقبل ذلك منهم لاشراكهم غيره فى ذلك وقوله عز وجل وظلالهم
بالغدو والاصال اى يسجد ظلالهم بالغدو والاصال ينتقل ظل كل احد بانتقال نفسه ينتقل حيث ينتقل نفسه
لذكر الغدو والاصال اى لانه بالغدو والعشى يظهر الظل ويحتمل السجود انه يسجد اى يخضع له من فى السموات
والارض طوعا وكرها فان كان على الخضوع فهو فى الخلائق كلهم فى البشر وغير البشر وذى الروح وغير ذى
الروح وظلالهم بالغدو والاصال اى ظلالهم تخضع له ايضا بالغدو والاصال ويحتمل ان يكون المراد من
السجود الخلقة فيسجد له خلقة كل احد فان قيل ما معنى الغدو والاصال قيل يحتمل ابدا لما ليس على المرء
الوقت ولكن على الاوقات كلها وقوله عز وجل قل من رب السموات قل الله امره ان يسالهم من رب السموات
والارض ثم امره ان يجيب هو لهم فيقول الله وهو فى الظاهر دعوى اكثر ما فى هذه الاية دعوى وبعضه حجاج
وهو قوله لا يملكون لانفسهم نفعا وقوله خلقوا كخلقه لانهم يقرون بهذا لا يخلقون كخلقه ولا يملكون
دفع الضر ولا جر النفع قوله قل من رب السموات والارض قل الله امره ان يسالهم من رب السموات والارض
ولم يقل منهم الكم فانما امره ان يسالهم ما لا يتحاشون ان يقولوا الاصنام التى يعبدونها هى ارباب السموات
والارض فلا بد من ان يقروا الله رب السموات والارض فاذا اقروا بها انه رب السموات والارض فقد دخل
ما فى السموات والارض فى ربوبيته او السموات والارض انما خلقتهما لاهلهما فاذا كان رب السموات والارض
كان رب ما فيهما وقال بعضهم قل من رب السموات قل الله امره ان يسالهم ان يسبقهم بالاجابة لانه هو السابق
بكل خير وهم يجيبون له انه رب السموات والارض دليله حرف ابى وابن مسعود وحفصة حيث قرءا من
رب السموات والارض قالوا الله يدل انه امره ان يسبقهم بالاجابة كما كان هو السابق على كل خير وقوله عز وجل
افاتخذتم من دونه اولياء يقول والله اعلم اذا اقررتم ان رب السموات والارض هو الله وهو الاله فكيف
اتخذتم من دونه هذه الاصنام الهة اربابا وعبدتموها وكيف جعلتم من ليس هو رب السموات والارض

اولى من اقررتم بالعبادة له الهة وجهها والله اعلم وقوله عز وجل لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا او لا يملكون
نفعا لانفسهم ولا دفع الضر عنها فكيف يملكون نفع غيرهم او دفع ضر عن غيره فعرفهم انه لا يملكون ذلك و
ان الله هو المالك فكيف تركتم عبادة من يملك ذلك وعبدتم من لا يملك فيخرج تاويله على وجهين احدهما يقول
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف اتخذتم دون الله الهة والثانى لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا مع وجود
الحاجة فيها فكيف تعبدون على رجاء النفع لكم هولاء شفعاؤنا عند الله وقوله عز وجل قل هل يستوى الاعمى
والبصير اى تعلمون ان الاصنام التى تعبد ونها انها عمى لا تبصر شيئا والله هو البصير فكيف تركتم عبادة من يبصر
وعبدتم من لا يبصر هل يستوى ذلك انه لا يستوى او يقول لهم انكم بعبادتكم الاصنام طمعتم شفاعتهم عند الله
وهم عمى وانتم بصراء فهل رايتم اعمى يقود بصيرا فى الشاهد ورايتم من لا يبصر يكون دليلا لبصير فاذا لم تروا
ذلك فكيف طمعتم من الاصنام ذلك وقال اهل التاويل هل يستوى الاعمى والبصير الاعمى الكافر والبصير المومن
ام هل يستوى الظلمات والنور الظلمات الكفر والنور الايمان ووجه قولهم حيث شبهوا الكفر بالظلمة والايمان
بالنور لان الظلمة تحجب وتستر كل شئ والنور يرفع ذلك الحجاب وذلك الستر فالايمان له دلايل وحجج ترفع ذلك
الحجب والستر فينور له كل شئ والكفر ليس له حجج ودلائل ترفع ذلك فهو ظلمة لا يبصر له شيئا والايمان نور حيث انار
له وبين كل شئ بالدلائل والحجج التى ذكرنا فصار الكافر كالاعمى لا يبصر شيئا لانه فى الظلمة والمومن كالبصير لان معه
الدلائل والحجج وقوله عز وجل ام جعلوا لله شركاء اى بل جعلوا لله شركاء فى العبادة بعد ما علموا انهم لا
يملكون نفعا لمن عبدوها ولا ضرا ان تركوا العبادة لها وقوله عز وجل خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم
اى خلق هولاء الاصنام التى عبدوها واشركوها فى الوهيته كخلق الله فتشابه عليهم من خلق الاصنام اى
عرفوا انها لم تخلق شيئا كما خلق الله فكيف اشركوا هذه الاصنام فى عبادة الله والوهيته وهم كانهم قد اقروا ان
الله خالق كل شئ وهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله لم يخلق افعال الخلق وهم يقدرون على خلقها فان
كان الله لم يخلقها فهم خلقوها مثل خلقهم فيكون موضع تشابه الخلق عليهم على قولهم فيدل على بطلان قولهم
وفساد مذهبهم والله اعلم وقوله عز وجل قل الله خالق كل شئ فى السموات والارض وهو الواحد القهار اى
كل شئ تحت قدرته وقهره وسلطانه والاصنام التى تعبد ونها مقهورة مغلولة وقوله عز وجل انزل
من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الى اخر ما ذكر من الامثال الى قوله كذلك يضرب
الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض قال بعض اهل التاويل
هذا مثل ضربه الله لليقين والشك فاحتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فاما الشك فلا ينفع منه
عمل واما اليقين فينفع الله به اهله وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك فاما ما ينفع الناس
فيمكث فى الارض وهو اليقين وكما يجعل الحلى فى النار فيوخذ خالصه ويترك خبثه فى النار كذلك يقبل الله
اليقين ويترك الشك وهو قول ابن عباس وقال قتادة وقوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها
الصغير بصغره والكبير بكبره فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول عاليا ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية
او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء والجفاء ما يتعلق بالشجر من
الزبد واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض فضرب المثل للحق والباطل والله اعلم اضمحل هذا الزبد الذى علا
فوق الماء فصار جفاء لا ينتفع به ولا يرجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن اهله كما اضمحل هذا الزبد وكما مكث
هذا الماء فى الارض وما توقدون عليه فى النار وقرارها فامرعت وحبت بركته كذلك واخرجت له نباتا
كذلك يبقى الحق لاهله كما بقى هذا الماء فى الارض وما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية يقول يبقى هذا الزبد
الذهب والفضة حين ادخل فى النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله او متاع يبقى هذا الحديد والصفر
الذى ينتفع به وفيه منافع يقول كما بقى خالص هذا الحديد وهذا الصفر حين ادخل النار وذهب خبثه كذلك
يبقى الحق لاهله كما بقى خالصهما وقال الكلبى قوله انزل من السماء ماء وهو القران فاحتملت القلوب باهوائها
دون اليقين على قدر يقينه وشكه على قدر شكه فاحتملت الاهواء باطلا كثيرا وجفاء فالماء هو الحق والاودية
هى القلوب والسيل الاهواء والزبد الباطل والحق المتاع والحلية قال كذلك يضرب الله الحق والباطل
فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض فالزبد وخبث الحديد وخبث المتاع هو الباطل
فمن اصاب من هذا شيئا لم ينتفع به فكذلك الباطل يوم القيامة لا ينتفع بباطله واما الحلية والمتاع والماء فهو
الحق من اصاب منه شيئا انتفع به وكذلك صاحب الحق يوم القيامة ينتفع بالحق اما الحلية فالذهب والفضة

واما المتاع فالصفرة والحديد والرصاص والنحاس ونحوه ليس شئ من هذا ينتفع به حتى يدخل النار فيخرج صفوه
من خبثه وقال الحسين بن واقد وهو قوله تعالى ضرب الله الكفر والايمان ومثل الحق والباطل انزل من السما
ماء فسالت اودية بقدرها سال الوادي الكبير على قدر كبره والصغير على صغرها فاحتمل السيل زبدا
رابيا اى عاليا ثم قال ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية الذهب والفضة ثم قال او متاع المشبه
والحديد والصفر والرصاص زبد مثله اى السيل زبدا لا ينتفع به والماء ينتفع به والحلى والمتاع ايضا زبد
مثل زبد السيل اذا ادخل النار وهو خبثه لا ينتفع به والحلى والمتاع والخالص منهما ينتفع به فمثل الاودية
مثل القلوب ومثل السيل مثل الاهواء ومثل الماء والحلى والمتاع الذى لا ينتفع به مثل الباطل فكما ينتفع
بالماء وما خلص من الحلى والمتاع النافع الذى ينتفع به اهله في الدنيا فكذلك الحق ينتفع اهله في الاخرة فكما
لا ينتفع الزبد وخبث الحلى وخبث المتاع اهله في الدنيا فكذلك الباطل لا ينتفع اهله في الاخرة كذلك اى هكذا
يضرب الله الامثال اى يبين الله ما ذكر من مثل الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء وقال يعني يابسا
لا ينتفع به واما ما ينفع الناس من الماء فيمكث في الارض فيسقون ويزرعون عليه وينتفعون به فهذه
ثلاثة امثال ضربها في مثل واحد فيقول هكذا يبين الله الامثال والاشياء الذين استجابوا اى اجابوا لربهم
في الدنيا بالايمان والتوحيد الحسنى لهم وهي الجنة في الاخرة فضرب الله مثل الايمان والحق ووصفهما بالثبات
والقرار والطيب بالارض الطيبة مرة وبشجرة طيبة ثانيا وضرب مثل الكفر والباطل بالارض الخبيثة والشجرة
الخبيثة ووصفها بالخبث والذهاب فقال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها
كل حين قال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقال والبلد الطيب يخرج
نباته باذن ربه الاية وضرب مثل المؤمن مرة بالبصير والسميع ومثل الكافر بالاعمى والاصم فقال الفريقين
كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا وضرب مثل الكفر مرة بالظلمات ومرة بالرماد والموت
ومثل الايمان بالنور وايضا والحيوة ونحوه فهذه الامثال ضرب الله عز وجل لتخرج كما تخرج الدعوى
في الظاهر انه ليس فيها بيان الحق منها وبيان المحق من غير المحق سوى انا فيها هل يستوى ذا مع ذا لا يستوى
على ما ذكر وهل يستوى الطيب الخبيث او البصير والسميع الاصم والاعمى والميت الحي او الظلمات النور ولكنه
هذا كله غير مستو وكل اهل الاديان وان اختلفت مذاهبهم يقول كل انا الذى عليه هو الحق والباطل
هو الذى عليه غيرى وينفي كل عن نفسه العمى والصمم وكونه في ظلمة ويدعى كونه في النور ونحوه فليس
في نفس الامثال التي ضربت بيان الحق من الباطل والمحق من غيره فذلك يعرف بغيرها بالدلائل والحجج
والبراهين وهو ما ذكر وتلك الامثال نضربها للناس الاية فبالدلائل والحجج والبراهين يعرف الحق من
الباطل والمحق من غير المحق فلا بيان ولحق دلايل وحجج يعرف ذو العقول حسنه وطيبه اما يعقب من ثمرته
وبين قبح الكفر والباطل ذوو العقول بالعقول واستخبثه الباطل وما يعقب لاهله من الخبث والقبح
والسوء وقال القتبي زبدا رابيا اى عاليا على الماء ابتغاء حلية اى حلى او متاع اى يعنى من فلز الارض
وجواهرها مثل الرصاص والحديد ونحوه والذهب والفضة حيث تغلوها اذا اذيبت مثل زبد الماء
والجفاء ما رمى به الوادي الى جنباته يقال اجفأت القدر بزبدها اذا القت زبدها عنها وقال ابو عوسجة
رابيا اى مرتفعا فوق ظهر الماء وهو واحد ويقال زبد الماء اذا صار له زبد ابتغاء حلية هو من الحلى من
الذهب والفضة مما يتحلى به فيذهب جفاء اى باطلا لا ينتفع به واما الجفاء فهو اظهار الهوان
بالانسان وقلة الاكتراث له والاستخفاف به وقال الجفاء هو الغثاء يقال قد اجفأ الوادى اذا علاه
ذلك ثم جرى به الماء وقال ابو عوسجة والغثاء عند ما حمله السيل من العيدان والتبن وما يشبه ذلك
وقال القتبي قوله فيجعله غثاء احوى اى يبسا قال ابو عبيدة والجفاء الجمود ويذهب الى ان الزبد يجمد ويجتمع
على الماء ثم يذهب يابسا وقال الفراء يذهب جفاء اى يذهب سريعا كما جاء وقال الشيخ رحمه الله ويشبه
ان يكون المثل الذى ضرب بالماء هو الدين وهو ان الدين الحق الذى انزل من السماء واحد لكن الناس اتخذوا
اديانا متفرقة ومذاهب مختلفة كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فالدين الذى امر
بسلوكه واتباعه واحد وهو كالماء الذى انزل من السماء واحد صاف وهو الاصل لحدث هذه الاشياء لا يتبدل به
ولا يكترث فعلى ذلك السبل او ان يكون وجه ضرب مثله بالماء وهو ان الماء اذا انزل من السماء انزل طيبا عذبا
لكن تختلف الوانه وطعومه باختلاف جواهر الارض بعضه يخرج مالحا اجاجا وبعضه مرا لا ينتفع به وبعضه عذب

وذلك على اختلاف جواهر الارض ولا كان المنزل من السماء كله عذب طيب فالذى ينتفع به واحد وهو العذب
فعلى ذلك الذى ينتفع به واحد والبواقى لا ينتفع بها كالمياه المرة والمالحة او يكون غير هذا ونحن لا نفسر والله
اعلم وقوله عز وجل كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم ان اجابوا ربهم فيما دعاهم اليه وانما
دعاهم الى السبب الذى يوجب لهم دار السلام وهى الجنة بقوله والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء
الى صراط مستقيم دعاهم الى دار السلام ومكن لهم من الاجابة له والرد فمن اجابه فيما دعاه كان له دار السلام
والحسنى الذى ذكره ومن رد دعاه كان له النار ودار الهوان فايهما اختار الموعود الذى وعد ان اختار اجابته الى
ما دعاه فله النعيم الدائم الذى وعد دار السلام وان اختار الرد وترك الاجابة فله ما وعد من العذاب الدائم
والهوان والامثال التي ذكرها للذين استجابوا لربهم الحسنى هو لانه المؤمنين لانهم هم المنتفعون بها وكذلك
ما ذكر من القرآن انه هدى ورحمة واما على اهل الكفر فهو عمى وضلال وكذلك قوله ويشف صدور قوم
مؤمنين واما قلوب الكفرة فزادتهم رجسا الى رجسهم وفي قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وامثاله وقوله
عز وجل لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اى ضعفه معه لافتدوا به يذكر هذا والله اعلم
ان الذين كان يمنعهم عن الاجابة الى ما دعوا اليه رغبتهم في هذه الدنيا ويسلمهم اليها يفتدون لما يحل فيهم من
العذاب والشدائد ان يكون لهم ما في الارض جميعا ان يفتدوا به ولكن لهم سوء الحساب اى يحاسبون
حسابا بسوء لان حسناتهم التي عملوها وطمعوا الانتفاع بها لم تنفعهم بل صارت كالسراب الذى ذكر يحسبه
الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ولم يجاوز عن سيئاتهم وماواهم جهنم وبئس المهاد الذين ماواهم واليه
هو جهنم وبئس المهاد لما يسوءهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك اى من يعلم
الحق حقا كمن هو ونفى هو عنه ولا يعلم او من يعلم الحق انه حق كمن يجهله بالجهل ليسا بسواء كقوله هل يستوى
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله عز وجل انما يتذكر اولوا الالباب اى انما يتذكر بالتذكير اولوا الالباب
وذو العقول الذين ينتفعون بعقولهم وليهم ثم بين من هم فقال الذين يوفون بعهد الله يحتمل عهد خلقه
يوفون ما في خلقهم من العهد اذ في خلقة كل احد دلالة وحدانية وشهادة الربوبية يوفون ذلك العهد ويحتمل
عهد الله اى ما جرى على السن الرسل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وهو ما ذكر في اية اخرى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية ولا ينقضون الميثاق العهد والميثاق واحد وسمى العهد
ميثاقا لانه يدل على يمنعه عن الاستنقاذ بغيره والله اعلم وقوله عز وجل والذين يصلون ما امر الله به
ان يوصل الصلوة التي امر الله فيها ان توصل على جهات ومراتب اما ما بينه وبين المؤمنين ان لا يحبهم
لا ما يحب ولا يحبهم الا بما يحب هواه لمحب واما فيما بينه وبين محارمه ان يؤدى ويحفظ الحقوق
التي جعل الله لبعضهم على بعض ولا يضيعها واما فيما بينه وبين الرسل فهو ان من حقهم ان يوصل الايمان بهم
بالنبيين جميعا والكتب كلها هذا والله اعلم الصلة امر الله ان يوصل بها ويخشون ربهم اما في التفسير فيخافون ربهم
يوصل واما بالنظر يعد في ذلك وترك الصلة ويخافون سوء الحساب اى شدة الحساب حتى لا تنفعهم
حسناتهم ولا يتجاوز عن شئ من سيئاتهم فذلك يسوءهم والله اعلم وقوله عز وجل والذين صبروا وقد ذكرنا
فيما تقدم ان الصبر هو كف النفس وحبسها عما تهواه على ما تكره وثقل عليها ثم يحتمل كفها وحبسها عن الجزع
في المصائب وعلى اداء ما افترض الله عليهم وامرهم بها او كفوا انفسهم وحبسوها عن المعاصي يكون الصبر
في الوجوه الثلاثة التي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ابتغاء وجه ربهم يحتمل وجهين يحتمل ابتغاء وجه
الله ويحتمل ابتغاء وجه يكون لهم عند الله وهو المنزلة والرفعة ولذلك سمى الرفيع ذو منزلة وجيها
كقوله وجيها في الدنيا والاخرة اى ذو منزلة ورفعة في الدنيا والاخرة وعلى ذلك يخرج قوله فاينما تولوا فثم
وجه الله اى ثم الجهة التي امر الله ان يتوجه اليها فعل ذلك هذا صبر والابتغاء وجه ربهم اى ابتغاء المنزلة
والرفعة التي عند ربهم وابتغاء رضوان الله ومرضاته والله اعلم وقوله عز وجل واقاموا الصلوة الذى امنوا
على اقامتها ليس انهم اقاموا مرة ثم تركوها ولكن داموا على اقامتها وعلى ذلك قوله اقيموا الصلوة اى داموا على
اقامتها ويحتمل قوله واقاموا الصلوة يجعلوها قائمة ابدا وقوله عز وجل وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
يحتمل كل نفقة الصدقة والزكوة وما ينفق على عياله وولده سرا وعلانية او ينفق في كل وقت سرا عن الناس و
علانية منهم اى ينفق على جهل من الناس وعلى علم منهم ينفقون على كل حال لا يمنعهم علم الناس بذلك عن الانفاق
بعد ان يكون ابتغاء وجه ربهم وقوله عز وجل ويدرؤن بالحسنة السيئة اى يدفعون بالحسنة السيئة ثم يحتمل

جهين احدهما يدفعون بالاحسان اليهم العداوة التي كانت بينهم كقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة الاية والثاني يدرؤن الاساءة التي كانت لهم بالخير اليهم بالمعروف ولا يكافؤن بالسيئ السيئ
وبالشر الشر ولكن يدفعون بالخير وقال بعضهم في قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة اي اذا اسفه عليهم حملوا
والسفه سيئة والحلم حسنة اولئك لهم عقبى الدار عقبى اولئك الذين صبروا على ما ذكر من وفاء العهد والصلوة
التي امروا بها ان تبلوا والصبر على اداء ما امروا به واعترض عليه والاستشهاد مما نهى عنه الدار التي دعاهم
اليها بقوله والله يدعوا الى دار السلام والثاني اولئك لهم عقبى الدار اي عقبى حسناتهم دار الجنة اولئك لهم
عقبى هذه الدار الجنة او عاقبتهم دار الجنة ثم نعت تلك الدار فقال جنات عدن يدخلونها عدن قال اهل التا
عدن هو بطنان الجنة وهو وسطها وقال بعضهم عدن هو الاقامة اي جنات يقيمون فيها يقال عدن اي اقام
وقوله عز وجل ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم فان قيل كيف خص بالذكر الاباء والازواج والذرية
وهم قد دخلوا في قوله الذين يوفون بعهد الله وفي قوله يصلون ما امر الله به ان يوصل والذين صبروا ابتغاء وجه
ربهم مما يعني تخصيصهم بالذكر هذا يحتمل وجوها احدها انهم اسلموا فاخترموا اي ماتوا كما اسلموا ولم يكن لهم مما ذكر
من الخيرات والحسنات فاخبر ان هولاء يدخلون ويلحقون باولئك والثاني لم يبلغ الدرجة التي بلغ اولئك
فاخبر عز وجل انه يبلغهم درجة اولئك ويلحقهم به كقوله والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم
ذرياتهم الاية يضم بعضهم الى بعض في الاخرة كما كان في الدنيا يضم كل قرين في الدنيا قرينه اليه في الاخرة وفي
قوله ومن صلح من ابائهم وما ذكر دلالة ان صلاح غيره وان قرب منه لا ينفعه حتى يكون نفسه صالحا ح
قال ومن صلح من ابائهم الى اخر ما ذكر وهو من قال لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح دل هذا ان صلاح
والده او قريبه لا يجدي له نفعا في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل والملائكة يدخلون عليهم من كل باب هذا
يحتمل ان يكون لمقاصدهم ومنازلهم ابواب فيدخل عليهم من كل باب ملك والثاني يحتمل ان يكون ياتي كل ملك بتحفة
التي اتى بها الاخر على اختلاف خيراتهم وقد داحمالهم من كل باب اي من كل نوع من التحف وفيه وجهان احدهما
ان الملائكة يكونون خدام اهل الجنة وفي ذلك تفضيل عليهم او ان يكون من حق المصاحبة لما صحبوهم اهل الخير من البشر
وفي الدنيا يجزيهم فجعل الله بينهم الرفقة والصحبة في الاخرة والله اعلم بذلك وقوله عز وجل سلام عليكم بما
صبرتم كقوله تحيتهم فيها سلام وقوله عز وجل فنعم عقبى الدار هو ما ذكرنا في قوله اولئك لهم عقبى الدار وقوله
عز وجل والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه العهد قد ذكرناه في غير موضع وكذلك النقض وقوله عز وجل
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض كل حرف في هذه الحروف يقتضي معنى الحرف الاخر لانهم اذا
نقضوا العهد والميثاق قد قطعوا ما امر الله به ان يوصل وسعوا في الارض بالفساد واذا قطعوا ما امر الله به
ان يوصل نقضوا العهد وسعوا في الارض بالفساد الا ان يقال ان نقض العهد يكون بالاعتقاد وذلك يكون
بينهم وبين نساءهم وكذلك قطع ما امر الله به ان يوصل ان كان الامر الذي امر به صلة الايمان بالنبيين والكتب
جميعا فان كان صلة الارحام فهو فعلي والسعي في الارض بالفساد فعل ايضا من زنا او سرقة او قطع الطريق
وغير ذلك من المعاصي وقوله عز وجل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل ما امر الله به ان يوصل ما ذكرنا
من وصل الايمان ببعض الرسل بالكل وجميع الكتب ويحتمل صلة الارحام التي فرض عليهم صلتهم فقطعوا ذلك
وامرهم ان يصلوا اعمالهم بما اعتقدوا وقوله عز وجل اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار اللعنة هي الطرد
في اللغة والابعاد كانهم طردوا وابعدوا عن رحمة الله في الاخرة او طردوا وابعدوا عن هداية الله وارشاده
في الدنيا ولهم سوء الدار قد ذكرنا انهم دعوا الى دار وحذروا عن دار دعوا الى دار السلام فان اجابوا فلهم
الحسنى على ما ذكر وحذروا عن دار الهوان فلم يحذروا دار السوء الهوان او سماها كما اخبر سوء الدار لما سا
مقامهم فيها او ذكر اهل النار سوء الدار مقابل ما ذكر لاهل الجنة حسن المآب وحسن الثواب والحسنى
عز وجل الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يرغبهم فيما عنده ويوسعهم فيما ايدي الخلق ويقطع رجاءهم
عن ذلك لان الذي كان يمنعهم من الايمان يحملهم على تكذيب الرسل وترك الاجابة هذه الاموال التي كانت في
ايدي اولئك وبها داروا وام الرياسة والعز والشرف لهم في هذه الدنيا فقال هو الباسط لذلك والقابض
ولذلك هو يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء ليس ذلك الى الخلق وذكر انه يبسط الرزق لمن يشاء من او
واعدائه ويقتر على من يشاء من اعدائه واوليائه ليعلموا ان التوسيع في الدنيا والبسط لا يدل على الولاية ولا
التقتير والتضييق على العداوة ليس كما يكون في الشاهد يوسع على الاولياء ويبسط ويضيق على الاعداء لان التو

في الدنيا

في الدنيا والتضييق يحق المحنة في الاخرة يحق الجزاء ويسوى في المحنة الولي والعدو ويجمع بينهما في المحنة ويفرق
بينهما في الجزاء وقوله عز وجل وفرحوا بالحيوة الدنيا يحتمل قوله فرحوا صلة ما تقدم وهو قوله الذين ينقضون
عهد الله الى قوله ويقطعون ما امر الله به ويفرحون بالحيوة الدنيا ثم الفرح يحتمل وجوها يحتمل فرحوا بالحيوة
الدنيا اي رضوا بها كقوله بالحيوة واطمانوا بها او فرحوا سروا بها فان قيل ان المومن قد يسر بالحيوة الدنيا
قيل يسر ولكن لا يلهيه سروره بها ولا يغفل عن الاخرة واما الكافرون فانه لشدة سروره بها وفرحه
عليها عن الاخرة وعن جميع الطاعات وهكذا يعرف الناس انه اذا اشتد بالمرء السرور بالشيء فانه يلهيه
غيره ويغفل عنه او يكون قوله فرحوا اي اشروا وبطروا كقوله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا
يحب الفرحين وهو الاشر او البطر والله اعلم وقوله عز وجل وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع تاويله
والله اعلم اي ما الحيوة الدنيا مع طول تنعمهم بها في الاخرة الا كمتاع ساعة او كمتاع شيء يسير وهو كقوله
لم يلبثوا الا عشية او ضحيها وكقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار ويظنون مع طول ما تمتعوا في هذه الدنيا عند متاع
الاخرة كانهم ما تمتعوا بها الا ساعة فعلى ذلك قوله وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع وهو ما ذكر في موضع
اخر فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل عند متاع الاخرة لان متاع الاخرة ونعيمها دائم متصل غير منقطع
ولا يشوبه افة ولا حزن ولا خوف ومتاع الدنيا منقطع غير متصل مشوب بالافات والاحزان لذلك كان قليلا
عند متاع الاخرة ونعيمها وقال بعض اهل التاويل وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع اي الا لهو وباطل لكن
الوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه يحتمل سؤالهم الاية انفس
الايات التي اتت بها الرسل من قبل قومهم او سالوا ايات سموها كقوله لن نومن لك حتى تفجر لنا الاية وكقوله
لك بيت من زخرف الى اخر ما ذكر من الايات سالوا ما سموه وسالوه ايات تضطرهم وتقهرهم على الايمان
كقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وفيه دلالة انه لو نشاء لانزل عليهم
ايات لا منوا كلهم بها واهتدوا واعتدوا اشياء لو اعطاهم لكان ذلك سبب اهتدائهم وتوحيدهم ولذلك لو اعطى
اشياء لكان ذلك سبب كفرهم جميعا كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة الاية لكنه لا ينزل الاية على شهواتهم واما نيهم ولكن تنزل اشياء يكون عند التامل والنظر
حجة لمن تامل فيها وتفكر لاهتدى وامن بالاختيار ومن اعرض عنها ولم يتفكر ضل وزاغ بالاختيار ويحتمل قوله ان
نشاء ننزل عليهم من السماء اي ان نشاء ايمانهم واهتدائهم ننزل عليهم اية وذلك تاويل قوله على ان لو شاء لهم
الاية قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اي ينزل من الايات ما يهتدي بها المنيب اليها والمقبل
ويضل المعرض عنها والمعاند بالاختيار ويكون اهتداؤهم باختيارهم وضلالهم باختيارهم لا بالاضطرار والقهر
الا ترى انه قال الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وهو القران الذي انزله على رسوله فهو وصف المقبل
المنيب الى ذكر الله يسكن وتطمئن قلوبهم بالتامل والتفكر فيها واصله ان الله عز وجل شاء اهتداء من علم انه
يختار الاهتداء والايمان وشاء ضلال من علم انه يختار فعل الضلال والزيغ يشاء لكل ما علم منه انه يختار ذلك
عز وجل الا بذكر الله تطمئن القلوب وتسكن اليه وقال بعض اهل هو في الحلف في الخصومات الا في الحلف
بالله تطمئن وتسكن قلوب الذين امنوا الا تطمئن بالحلف بغير الله وقال بعضهم الا في القران ربما في القران
من الثواب يسكن ويطمئن قلوب الذين امنوا ويشبه ان يكون قوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اي
اي تفرح وتستبشر قلوب الذين امنوا بذكر الله الا بذكر الله تستبشر وتفرح قلوب الذين امنوا الا انه ذكر في
الكفرة الفرح بالحيوة الدنيا وقوله وفرحوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وذكر في المومنين الاستبشار والفرح
بذكر الله وفي اولئك ذكر انه قلوبهم تشمئز بذكر الرحمن وتستبشر بذكر من دونه وهو قوله واذا ذكر الله
وحده اشمأزت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة اذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون اخبر عز وجل ان
قلوب المومنين تستبشر وتفرح بذكر الله وقلوب اولئك تشمئز وتستبشر بذكر من دونه وقوله عز وجل
الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله يخرج على وجهين احدهما تطمئن قلوبهم بذكر الله لهم التوفيق
والتسديد والعصمة وعفوه والثاني تطمئن قلوبهم بذكر الله وذكرهم الله احسانه ونعمه وعظمته وجلاله و
وقوله عز وجل الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب قيل خير لهم وغبطة وقيل حسنى لهم
ونعمى لهم وقيل يقال طوبى لك ان اصبت خيرا وقيل هو اسم الجنة بلسان الحبشة وقيل بالهندية وقيل اسم
شجرة في الجنة اصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم واغصانها في دار امته فان كان هذا وهو اسم

تجرة فذلك لا يستقيم الا تفقه معه كان اهل الكتاب ادعوها لا نفسهم فاخبر انها للذين امنوا لا لهم كقولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ثم قال عز وجل بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن ادعوا الجنة لانفسهم
فاخبر انها ليست لهم ولكن للذى اسلم واخلص وجهه لله فعلى ذلك يشبه ان يكونوا ادعوا طوبى لانفسهم
فاخبر انها ليست لهم ولكن للذين امنوا وان كان فى مشركى العرب فهم ينكرون البعث والجنة والنار فيشبه
ان يكونوا قالوا ان كان بعث على ما يقولون وجنة وطوبى فهى لنا كقوله لاجدن خيرا منها منقلبا وقال بعضهم
طوبى كلمة مدح الله بها ثوابهم وعظمهم بها وقال بعضهم طوبى كرامة اعدها الله تعالى لاوليائه وهى مذكورة
فى الكتب وقوله عز وجل كذلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم اى كما ارسلنا الى امم من قبلك رسلا وهم
يكفرون بالرحمن وقالوا ربنا الله لا اله الا هو عليه توكلت الاية اى كل رسول كان ارسل قبلك كان امر ان يقول
ما ذكر كذلك ارسلناك الى قومك رسولا وان كانوا يكفرون بالرحمن فقل انت ما قال اولئك الرسل ربى لا اله
الا هو الاية لم تخل امة عن رسول كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك يشبه
ان يكون هذا صلة قوله لولا انزل عليه اية من ربه يقول ارسلناك لتتلوا انباء الرسل والامم الذين كانوا من قبلك
عليهم ليكون اية لرسالتك لتعلموا انك انما علمت تلك الانباء بالله تعالى وقوله عز وجل وهم يكفرون بالرحمن يقول
والله اعلم وهم يكفرون بالرحمن وفى كل الخلايق اية توحيد الرحمن والوهيته ولا فى كل الخلايق اية لرسالتك و
مع هذا كله يكفرون بالرحمن فعلى ذلك يكفرون بايات رسالتك وقال ابوبكر الاصم وهم يكفرون بالرحمن هو
صلة قوله لولا انزل عليه اية من ربه وكانوا اهل تنعم من الكبراء فقال لو جئتم بقران سيرت به الجبال
او قطعت به الارض او كلم به الموتى فيقول لو جئت بذلك كله كان امرهم التكذيب والعناد وهو كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الاية وقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الاية يخبر عز وجل عن عنادهم انهم لا يؤمنون
بالاية وان عظمت الا ان يشاء الله وقوله عز وجل بل لله الامر جميعا كقوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
اى الامر الى الله من شاء ان يؤمن فيؤمن ومن شاء ان لا يؤمن فلا يؤمن البتة وقال بعضهم قوله وهم يكفرون
بالرحمن اى يكفرون باسم الرحمن لانهم قالوا ان محمدا كان يدعونا الى عبادة الله وتوحيده فالساعة يدعونا الى
الرحمن والوهيته فذلك عبادة اثنين فقال قل ربى لا اله الا هو اى دعاؤى الى عبادة الرحمن والوهيته هو دعا
الى عبادة الله هو واحد ليس هو باثنين ولا اعداد كقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اى تعدد الاسماء لا يوجب عدد
الذات اذ يكون لشئ واحد فى الشاهد اسماء مختلفة فاختلاف الاسماء لا يوجب اختلاف الذات فعلى ذلك فى الله
وقال بعضهم الرحمن هو من اسماء الله فى الكتب الاول فلما كتبها رسول الله ابوا ان يقروا به قالوا وما الرحمن انا لا
نعرفه فنزل فيهم يكفرون بالرحمن والله اعلم وقوله عز وجل ولو ان قرانا سيرت به الجبال الى اخر ما ذكر قال
بعض اهل التاويل تاويله لو ان قرانا ما غير قرانك سيرت به الجبال من اماكنها او قطعت به الارض وكلم به الموتى
لفعلناه بقرانك ايضا ذلك ولكن لم نفعل بكتاب من الكتب التى انزلناها على الرسل الذين من قبلك ولكن بشئ
نبياؤه ورسله بل لله الامر جميعا يقول بل جميع ذلك الامر كان من الله وليس من قبل القران اى لو فعل بالقران ذلك
كان جميع ذلك من الله تعالى وقوله عز وجل بل لله الامر جميعا ان شاء فعل ما سالتم وان شاء لم يفعل ويشبه
ان يكون غير هذا اقرب ان يكون صلة ما تقدم من سوالهم الايات وهو قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه فيقول الذين قرانك الذى تقراه عليهم لو سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لما امنوا
بك ولما صدقوك على رسالتك على ما لا يؤمنون بالرحمن وكل الخلايق له اية لوحدانيته والوهيته يخبر عن شدة
تعنتهم وتمردهم فى تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سوالهم الاية سوال تعنت وتمرد ليس سوال استر
واستهداء وقال بعضهم قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال اى لو ان قرانا ما عمل ما ذكر لكان هذا القران تعظيما لشهدا
للقران والتاويل الذى ذكرنا قبل هذا كانه اقرب والله اعلم وقوله عز وجل افلم ييأس الذين امنوا قال بعضهم هو
صلة ما تقدم من قوله وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال الاية والله اعلم افلم ييأس الذين امنوا
من ايمان من كان على ما وصف الله وتمام هذا كان المؤمنين سالوا لهم الايات ليؤمنوا لما سالوهم ايات من رسول الله
فيقول افلم ييأس الذين امنوا عن ايمان هؤلاء وهو كما قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها كان
سالوهم الايات ليؤمنوا فقال وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون اى يؤمنون على طرح لا على
هذا التاويل وقال بعضهم افلم ييأس الذين امنوا فلم يتبين للذين امنوا انهم لا يؤمنون لكثرة ما راوا منهم من العناد و
فسروا ما يعلم والايس لان الاياس اذا غلب يحمل محمل العلم كالخوف والظن ونحوه جعلوه يقينا وعلما لغلبته لانه

اذا غلب

اذا غلب يحمل محل اليقين والعلم وقال بعضهم افلم ييأس اى افلم يعلم الذين امنوا ان الله لو شاء لهدى الناس
جميعا وقوله افلم ييأس الذين امنوا قالت عائشة رضى الله عنها قوله افلم ييأس خطاء من الكاتب انما هو افلم يتبين
الذين امنوا ان لو يشاء الله معناه اى قد تبين الذين امنوا وقال بعضهم قوله افلم ييأس اى افلم يعلم الذين امنوا لو شاء
الله ايمان الناس واهتداهم لامنوا واهتدوا وقال صاحب هذا التاويل انه جائز فى اللغة ييأس بمعنى يعلم وذكر انها لغة
نخع وغيرها والله اعلم وقال بعضهم قوله افلم ييأس الذين امنوا مقطوع من قوله ان لو يشاء الله الاية وهذا موصول
بما تقدم من قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قالوا جوابا لما قالوا كانه قال لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء اى علم منه اختيار الضلال ويهدى من يشاء ذلك علم منه اختيار
الهدى بمشيئته ويكون قوله افلم ييأس الذين امنوا مقطوع لا جواب له كانه قال افلم ييأس الذين امنوا عن ايمانهم
لكثرة ما راوا منهم من العناد والتعنت بعد ما راوا الايات والحجج كان اهل الايمان والاسلام سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الايات التى سالوا هم رغبة فى اسلامهم واشفاقا عليهم يقول والله اعلم الم يان للذين امنوا
الاياس من ايمانهم اى قد ان للذين امنوا ان ييأسوا من ايمانهم كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية فعلى ذلك
يقول قد ان للذين امنوا ان ييأسوا من ايمانهم ولو شاء الله لهدى الناس جميعا كقوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان
يشاء الله وقوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا قال بعضهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصيبهم بما صنعوا قارعة القارعة هى اسم ما يقرع القلوب ويكسرها ثم زعم يكون بعذاب وقيل غيره من
الهزيمة ويسبى ذراريهم ويغنم المسلمين اموالهم او تحل قريبا من دارهم قال بعضهم او يكون القارعة
يخبر انهم الذى قرب منكم دارهم وقال بعضهم لا تزال سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل بعضهم
ببعض او بين ما هو قريبا منهم حتى ياتى وعد الله او وعيد الله يكون بوجهين احدهما ان يظفرهم جميعا وان يورث
المؤمنين ارضهم وديارهم واموالهم والثانى يكون وعد الله فتح مكة كقوله واخرى لم تقدروا عليها قد احاط
الله بها الاية ان الله لا يخلف الميعاد ما وعد رسوله من الفتح والنصر وغيره وقوله عز وجل ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة يحتمل ما ذكرنا من اصابة القارعة الجوع والشدائد التى اصابتهم ويحتمل القتال
والحروب كان بينهم وبينهم وقوله عز وجل او تحل قريبا من دارهم تزول انت قريبا من دارهم حتى ياتى وعد الله
يحتمل فتح مكة اى تحل قريبا من دارهم حتى ياتى وعد الله من فتح مكة عليك او ان يكون وعد الله هو البعث والله
اعلم وقوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك قيل يقول ولقد استهزئ برسل من قبلك قومهم كما استهزئ
بك قومك يعزى نبيه ليصبر على تكذيبهم وقال ابوبكر الاصم ولقد استهزئ برسل من قبلك من تقدم من الرسل سالهم
قومهم الايات والعذاب بالهزء ثم بين بهذا ان ما سالوه من الاية ارادوا الهزء وهو صلة ما تقدم من قوله ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقوله عز وجل فامليت للذين كفروا ثم يقول امهلتهم فى كفرهم وعتوهم
هذا يدل ان تاخير العذاب عنهم لا يؤمنهم وقوله عز وجل ثم اخذتهم وهم امنون فكيف كان عقاب يقول اهلكت
بهم جزاء ما كانوا يعملون قال بعضهم فكيف عقاب الله اى شديد عقابه وهو كقوله وكاين من قرية امليت
لها الاية وقيل رايت عذابى لهم اى ليس وجده وشديدا والثالث فكيف كان عقاب اى ليس ما اوعدهم الرسل من
العذاب كان حقا صدقا وقوله عز وجل افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت قال ابوبكر الاصم يقول من الذى هو
قائم على كل نفس بما كسبت الله ام شركاؤكم فالقائم هو المدبر الحافظ بكل ما فيه الخلق ويشبه ان يكون تاويله افمن
هو قائم اى حافظ وعالم على كل نفس بما كسبت او بالرزق لهم والدفع عنهم كمن هو اعمى من ذلك من ذلك ليسا سواء
كقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق الاية او يقول افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن هو غيره قائم عليه
ليسا بسواء وقال مقاتل افمن قائم على رزقهم وطعامهم ثم قال وجعلوا لله شركاء اى وصفوا لله شركاء وعبدوها
والله احق ان يعبد من غيره يقول الله انا القائم على كل نفس ارزقهم واطعمهم افاكون انا وشركاؤكم الذين لا يفعلون
ذلك سواء والوجه فيه ما وصفنا افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اى يرزق ويبصر ويعلم ما تحمل وتكسب
عن الزراع البلاء كمن هو اعمى جاهل عاجز عن ذلك كله اى ليس هذا كذلك ويسفههم فى اشراكهم الاصنام التى عبدوها
فى الالوهية والعبادة وهى بالوصف الذى ذكر كمن هو اعمى عاجز عن ذلك اى ليسا بسواء وقوله عز وجل افمن هو
قائم على كل نفس بما كسبت يحتمل قائم على كل نفس بما كسبت فيما قدر لها وقواها او فى الجزاء يجزى على ما تكسب وجعلوا
لله شركاء فى العبادة او فى تسميتهم الهة لا يعلمون ما كسب لها ولا يملكون جزاء ما كسبوا لها ايضا يبين سفههم
فى جعلهم هذه الاصنام والاوثان شركاء لله فى العبادة وتسميتهم الهة مع علمهم انهم لا يقدرون ولا يملكون شيئا

من ذلك وقوله عز وجل قل سموهم قال بعض اهل التاويل قوله قل سموهم بذلك الاسم ولو سموهم سموهم بكذب
وباطل وزور وعندنا قوله قل سموهم اى لو سميتموها الهة واتخذتموها معبودا فسموهم ايضا باسماء سمى الله من
نحو الخالق والرازق والرحمن والرحيم ونحوه والله اعلم او سميتم هذه الاصنام الهة ومعبودا سموهم ايضا خالقا ورازقا
ورحمانا ورحيما وهم يعلمون انها ليست كذلك والله اعلم وقوله عز وجل ام تنبئونه بما لا يعلم فى الارض اى ام تنبئون
الله وهو عالم بما فى السموات وما فى الارض وعالم بكل شئ وهو لا يعلم فى الارض ما تقولون من الالهة وتصفونه بالشر
وكذلك يخرج قوله اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض ام تنبئونه بما ليس فى الارض بما تقولون وتصفون
شئ او يعود اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا الارض وهو عالم بكل شئ تقرون انه عالم بكل شئ لو هو لا يعلم ما تقولون
وتسمون من الشركاء وغيره والمنافق ام تنبئون بما لا يعلم اى ليس فى الارض وقوله عز وجل ام بظاهر من القول قال
اهل التاويل بظاهر من القول اى بباطل من القول وزور وتشبيه ان يكون بظاهر من القول اى بضعيف من القول
وخفيف يسمون الشئ الذى لا حقيقة له ولا ثابت ظاهرا باديا كقوله الا الذين هم اراذلنا بادى الراى اى ضعيف
الراى وخفيفه لا حقيقة له ولا قرار ويحتمل قوله ام بظاهر من القول فى الخلق والاصلاحات اى لم يظهر بما يقولون
ويشبعون انما الهة هذه الاصنام وتسميتها الهة ومعبودا فيكون ام فى موضع حقيقة ويقين على هذا التاويل والله
اعلم وقوله عز وجل زين للذين كفروا مكرهم قال بعض اهل التاويل مكرهم قولهم الذى قالوه من الكذب والزور
انها الهة وانها شركاء الله لكن يشبه ان يكون قوله مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث احتالوا لو حيلا يقتلوه
لئلا يظهر هذا الدين فى الارض ويطفئون هذا النور ليدوم عزهم وشرفهم فى هذه الدنيا وهو كقوله واذ يمكر بك
الذين كفروا والمكر هو الاحتيال والاخذ من حيث الامن والله اعلم وقوله عز وجل وصدوا عن السبيل اى صد والمانع
من مكرهم واختيارهم ما اختاروا والسبيل المطلق هو سبيل الله والا كان يجمع الاديان والمذاهب يسمى سبيلا كقوله
ولا تتبعوا السبل لكن ما ذكرنا ان السبيل المطلق سبيل الله والكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله وقوله
عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد من اضله الله فلا يملك احد هدايته او هداه فلا يملك احد ضلاله وقوله
عز وجل لهم عذاب فى الحيوة الدنيا العذاب لهم فى الحيوة الدنيا يحتمل القتل والقتال والخوف والجوع وانواع
البلايا كقوله وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان الاية وقوله عز وجل ولعذاب
الاخرة اشق اى اشد وما لهم من الله من واق اى ما لهم من عذاب الله من واق يقيهم من عذابه وقوله عز وجل مثل
الجنة التى وعد المتقون يحتمل وصف الجنة التى وعد المتقون او صفة الجنة التى وعد المتقون ويحتمل الجنة
التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن الاية يقول والله اعلم كشبه النار التى وعد الكافرون اى ليستا
بشبيهين ولا مثلين لا تكون هذه مثل هذه وشبيهها كقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير
اسن الاية يقول والله اعلم نعوت الذين وصفه كذا من النعم الدائمة كالذى يكون عذابه ووصفه كذا اى لا يكون
فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل تجرى من تحتها الانهار اكلها دائم اى ثمارها دائمة لا تزول ولا منقطع ليس
كثمار الدنيا الا وهو تزول ونعيمها ليس من ثمرة من ثمار الدنيا وهى تزول وتنقطع فى وقت فاخبر ان ثمارها
وما فيها من النعيم غير زائلة ولا منقطعة وكذلك عذابها دائم لا يزول وظلها اخبر ان ظل الجنة لا يزول
ولا ينقطع لا يكون فيها شمس يزول ظلها بزوالها وصف جميع ما فيها بالدوام والمنفعة الظل شئ لا اذى فيه
وفيه منافع والشمس فيها اذى ومنافع وكذلك جميع ما يكون من الاشياء فى الدنيا يكون من الاشياء فيها
منافع ومضار وانها تزول وتنقطع فاخبر ان ظل الاخرة وما فيها من النعم دائمة باقية غير زائلة ولا منقطعة
ولا مضرة فيها ليس كنعيم الدنيا وظلها والله اعلم وقوله عز وجل تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار
اى جزاء الكافرين النار ظاهر هذا ان يكون الذين اتقوا الشرك لانه ذكر عقبى الكافرين اتقوا وعقبى الكافرين النار
الجزاء وعقبى ما ذكرنا اى تلك الجنة جزاء الذين اتقوا الشرك وعقبى الكافرين النار اى جزاء النار وعقبى
الذين اتقوا الجنة وعقبى اولئك النار وقال بعضهم تلك عقبى الذين اتقوا اى عاقبة اعمالهم وحسناتهم الجنة و
عاقبة اعمال الذين كفروا بتوحيد الله النار وقوله عز وجل والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يشبه
ان يكون الاية صلة قوله وهم يكفرون بالرحمن فاخبر عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك بذكر
الرحمن ثم اختلف فى قوله الذين اتيناهم الكتاب قال بعضهم اصحاب محمد فرحوا بما انزل الى رسول الله وقال بعضهم
الذين اتيناهم الكتاب اهل التورية يفرحون بما انزل اليك يذكر هنا انهم يفرحون بما انزل اليك ويذكر فى موضع اخر
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم وقال فى موضع اخر الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق

تلاوته اولئك يؤمنون به فمن تلا منهم الكتاب حق تلاوته ولم يبدله ولم يغيره فهو يؤمن به ويفرح بما انزل
عليه وقوله عز وجل والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك تاويله والله اعلم والذين اتيناهم
الكتاب اولئك يفرحون بما انزل اليك وهو ما قال فى اية اخرى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته لان اكثرهم
يفرحون بما انزل على محمد وقوله عز وجل ومن الاحزاب من ينكر بعضه يحتمل اهل الكتاب كانوا ينكرون بعض
ما انزل اليه لا ينكرون كل ما انزل اليه وانما ينكرون نعته وصفته لانهم كتموا نعته وصفته التى فى كتبهم
ويحتمل قوله من الاحزاب من ينكر بعضه مشركى العرب وهم ايضا انكروا بعض ما انزل اليه وهو ما ذكر وهم
يكفرون بالرحمن وقوله اجعل الالهة الها واحدا ونحوه لم ينكر والكل وقوله عز وجل انما امرت ان اعبد الله
ولا اشرك به اليه ادعو كانه هذا قاله على اثر قول كان منهم كانهم دعوه الى ان يشاركهم فى عبادة الاصنام
او دعوه ان يكون على ما كان اباؤهم فقال قل انما امرت ان اعبد الله وامرت ان لا اشرك به ويحتمل قوله
ولا اشرك به قال ذلك من نفسه اليه ادعو يقول الى توحيد الله ادعو لا غيرى ثم اخالف واعبد غيره واليه
ماب اى اليه المرجع وقوله عز وجل وكذلك انزلناه اى كما علمناك ادبا واعطيناك النبوة كذلك انزلناه اليك
حكما عربيا قيل حكمة عربية وكانت العرب لا تفهم الحكمة او انزلناه فيه حكم ونعته قوله وكذلك انزلناه
حكما عربيا ما ذكر فى اية اخرى وهو قوله الر تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه قرانا عربيا سمى القران حكما
لانه الحكم انزل وقوله عز وجل ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم هذا يدل انهم كانوا يدعونه
الى ان يشاركهم فى بعض ما هم فيه ما لك من الله من ولى ينصرك ويمنعك من عذاب الله ولا واق يقى العذاب
وقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية قال بعض اهل التاويل نزل هذا
وذلك ان اليهود عيروا رسول الله وطعنوا فى كثرة النساء والاولاد وقالوا لو كان نبيا على ما يزعم لكان لا
يتمتع بالنساء ولا يطلب الاولاد كما يفعله غيره وكانت النبوة تشغله عن ذلك فانزل الله ولقد ارسلنا
الاية اى الاستمتاع بالنساء واستكثارهم منهن لم يمنع عن الاختصاص بالنبوة والرسالة على ما لم يمنع غير
من الرسل الذين كانوا من قبله والله اعلم وقوله عز وجل وما كان لرسول ان ياتى باية الا باذن الله اى لا
يملكون انزال الايات من انفسهم انما ينزل الله انزالها اذا شاء ذلك وهو قول عيسى حيث قال وابرئ الاكمه
والابرص الاية اخبر انه ما اتى من الايات انما اتيها باذن الله وبامره لا من نفسه يحتمل ان يكون جواب ما ذكر اهل
التاويل وجواب غير ذلك ايضا وهو طعنهم الرسل بالاكل والشرب فى الاسواق وسوالهم الايات التى سالوهم
[illegible]

ويبقى ما له الجزاء والثواب ويترك مكتسبا كما هو وان يكون يحتمل مقاصد في افعالهم والحفظة لا يطلعوا على مقاصد فيكتبونهم بما هو في الحقيقة شر وفي الظاهر خير شر بالقصد وما هو في الحقيقة خير وفي الظاهر شر ويكون في كتابة الحفظة لكنه من وجه اخر وهو ان الحفظة يكتبون الاعمال ثم يعارض ذلك بما في اللوح المحفوظ فيمحى من كتابة الحفظة من الهجاء والزيادة ويثبت فيها ما كان فيه من النقصان والله اعلم وقوله عز وجل وعنده ام الكتاب يحتمل عنده الذي يعارض به كتب الملائكة ويحتمل وعنده ام الكتاب التي يستنسخ منه الكتب التي انزلت على الانبياء والرسل وهو اللوح المحفوظ وفيه دلالة ان اختلاف الالسن لا يوجب تغيير المعنى لانه لا يدرى ان تلك الكتب في اللوح بان لسان هو واسم انزل منه كل كتاب على لسان الرسول الذي نزل عليه وكذلك الملائكة الذين يكتبون اعمال بني ادم لا يحتمل ان يكتبوا بلسان الكتب الخلق لانه يظهر لو كان يكتبون بلسان هؤلاء فدل انهم انما يكتبون بلسان انفسهم فهذا كله يدل ان اختلاف اللسان لا يوجب اختلاف المعنى والله اعلم وقوله عز وجل وما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب كانه صلوات الله عليه طمع او سأله ان يريه جميع ما وعد له من انزال العذاب عليهم وانواع ما وعد فقال ان شئنا ارينك ولم نرك وانما عليك البلاغ اي ليس لك من الامر شيء اي ليس اليك هذا انما عليك البلاغ وهو كقوله ليس لك من الامر شيء الاية انما عليك كذا يخرج العتاب والتوبيخ ليس مخرج الوعد وقوله ذا او ذا يحتمل سئلك فهو يخرج على الوعد او على النهي عن سؤال كان من رسول الله فان كان على النهي فكانه نهاه ان يسأل انزال العذاب عليهم يقول ان شئنا انزلنا وان شئنا لم ننزل وان كان على الوعد يقول نريك وعدنا ولا نريك كله والاظهر وحرف سئلك وقوله وعلينا الحساب يحتمل حساب ما وعد وجزاه ويحتمل الحساب المعروف الذي يحاسب هم يوم القيامة والله اعلم وقوله عز وجل اولم يروا قد ذكرنا فيما تقدم ان الف حرف تعجب وتنبيه فهو يخرج على وجهين احدهما على الخبر اي قد او انا فعلنا ما ذكر والثاني على الامر اي وروا انا فعلنا ما ذكر وهو ما ذكر من قوله اولم يسيروا في الارض اي قد ساروا في الارض اي سيروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها قال بعضهم هو ما جعل في الارض الكفرة للمسلمين بالفتح لهم والنصر على اولئك والاخراج من سلطان اولئك الكفرة ايديهم وادخالها في ايدي المسلمين فذلك النقصان والله اعلم لما وعد رسوله انا نريه بعض ما وعدهم فقال الكفرة عند ذلك اين ما وعدك ربك فقال عند ذلك اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها اي لم يروا ان الله جعل بعضها كان لهم من الارضين للمسلمين فاذا قدر على جعل البعض الذي كان لهم لهؤلاء لقادر ان يجعل الكل لهم فلا يعتبرون هذا والله اعلم ما اراد بما ذكر من النقصان وقال قائلون نقصان الارض موت فقهائها وعلمائها وخيارها ووجه هذا ان الفقهاء والعلماء هم عماد الارض واعلامها وبهم صلاح الارض فوصف الارض بالنقصان بذهاب اهلها وهو كما وصف الارض بالفساد وقوله ظهر الفساد في البر والبحر فالارض لا تفسد بنفسها ولكن وصفت بالفساد لفساد اهلها فعلى ذلك لا تنتقص هي بذاتها ولكن وصفت بالنقصان لذهاب اهلها ومن بها فقهائها وعلمائها ثم يحتمل ذهاب العلماء والمتقدمين الذين بعد موت رسول الله في الامم السالفة وهم علماء اهل الكتاب فيقول الا تعتبرون يا اولئك الذين فنيتوا وتفانوا من علمائهم فلا بد من رسول يعلمهم الاداب والعلوم ويحييهم ما درس من الرسوم وذهب من الاثار فكيف انكروا رسالته وفي بعث الرسول لحدوث العلماء وذلك وقت حدوث العلماء وزمانه فان كان اراد العلماء المتاخرين وفقهائهم فيخرج ذلك مخرج التعزية له اي قصير الارض بحال لا توصف بالنقصان وذهاب العلماء والفقهاء والله اعلم وقوله عز وجل والله يحكم لا معقب لحكمه قيل لا راد لحكمه وحكمه يحتمل العذاب الذي حكم على الكفرة يقول لا راد للعذاب الذي حكم عليهم وهو كقوله رب احكم بالحق اي احكم بالعذاب الذي حكمت عليهم ويحتمل قوله لا معقب لحكمه اي لا يتعقب احد حكمه ولا يتعقب احد سلطانه كما يكون في حكم الخلائق يتعقب بعض من بعض وكما ذكر في الحفظة له معقبات من بين يديه يتعقب بعض من بعض في الحفظ وفيما سلطوا والله اعلم وهو سريع الحساب هذا قد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل وقد مكر الذين من قبلهم برسلهم كمكر هؤلاء بك يصبر رسوله على اذاهم ثم يحتمل المكر به وجهين احدهما مكروا بنفسه هموا قتله واهلاكه والثاني مكروا بدينه الذي دعاهم اليه وارادوا اطفاءه وهموا اطفاء ذلك وابطاله وكذلك مكر الذين من قبلهم برسلهم يخرج على هذا والله اعلم وقوله عز وجل فلله المكر جميعا هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما يقول فلله جزاء المكر جميعا يجزي كلا بمكره والثاني اي له حقيقة الحكم ياخذهم جميعا بالحق من حيث لا يشعرون واما هم فانما ياخذون لا

بالحق

بالحق ولكن بالباطل ولا يقدرون على الاخذ من حيث لا يشعرون الا قليلا من ذلك لحقيقة المكر الذي هو مكر في الحقيقة له لا لهم ويحتمل قوله فلله المكر جميعا اي له تدبير المكر جميعا ان شاء امضاه وان شاء منعه اليه ذلك لا اليهم او له حقيقة المكر يقلب مكره مكرا لاولئك وقوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس من خير او شر وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار معروفا عندهم وهي الجنة فيكون صلة قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لست مرسلا اي لن يبعثك الله رسولا وهم كانوا يقولون كذلك له فامره ان يقول لهم كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اني نبي رسول الله اليكم بالايات التي اتى بها او كان قال لهم هذا انه بالغ في الحجاج والبراهين في اثبات الرسالة والنبوة فلم يقبلوا ذلك فايس من قصد تقبلهم فعند ذلك قال كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب بعض التورية فيشهد ايضا اني رسول نبي اي يعلم من كان عنده علم الكتاب اني على حق واني رسول الله وهو كقوله اولم يكن لهم اية الاية وقوله فاسالوا اهل الذكر ومن قرأ بالخفض ومن عنده علم الكتاب فنا وبه والله اعلم اي من عند الله جاء علم هذا الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكذلك روي في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ ومن عنده علم الكتاب بالخفض واما القراء جميعا فانهم يقرأون بالنصب ومن عنده علم الكتاب قال ابو عبيد وقرأ بعضهم ومن عنده علم الكتاب بخفض الميم والدال ورفع العين وقال لكن لا ادري من هو وروي عن عبد الله بن سلام انه قال في نزل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب هذا يؤيد اي نزل قوله اهل التأويل حيث قالوا ومن عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الر كتاب الر كتاب من حروف مقطعة جعلها بالحكمة كتابا انزلناه اي جمعناها وجعلناها كتابا اي تلك الحروف المقطعة كتابا وانزلناه اليك بعد ما لم يكن تدري ما الكتاب وهو كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله ولا تخطه بيمينك لتخرج الناس وما يضاف الاخراج الى الله فانه يكون باعطاء الاسباب وحقيقة ما يكون به الافعال وهي القدرة وما يضاف الاخراج الى الرسل فانه لا يكون الا بالاعطاء الاسباب لانه لا يملك احد سواه اعطاء ما به يكون الفعل ثم الاسباب يكون بوجهين احدهما الدعاء الى ذلك والثاني ما اتى بهم من البيان والحجة على ذلك فهو الاسباب التي تملك الرسل اتيانها واما ما به حقيقة الفعل فانه لا يملك الا الله وقوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور قيل من الكفر الى الايمان اي تلك الرسل اتيانها سمي الكفر ظلمات وهو واحد لانه يستر جميع منافذ الجوارح من البصر والسمع واللسان يبصر ما لا يصلح ويسمع ما لا يصلح وكذلك العقول يقول ما لا يصلح وكذلك جميع الجوارح والايمان يرفع ويكشف جميع الحجب والستور وسمى ولكل مستور والثاني قوله من الظلمات اي من الشبهات الى النور اي الى الايمان والهدى وقوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور الاخراج المضاف الى الله والهداية يخرج على وجوه اربعة احدها بامر ويدعوهم الى ما ذكر والثاني بكشف وبيان والثالث يرغب ويرهب حتى يرغبوا في المرغوب ويحذروا المرهوب والرابع بخلق ما يكون به الهداية وذلك لا يكون الا بالله وهو التوفيق والعصمة واما الوجوه الثلاثة الاول فانها تكون برسول الله يامر ويدعو ويرغب ويرهب ويبين ويكشف والله اعلم وقوله عز وجل الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس كانه قال كتاب انزلناه اليك لتامر الناس بالخروج مما ذكر الى ما ذكر والثاني انزلناه لتخرج به الناس مما ذكر باذن ربهم قيل بامر ربهم وقال قائلون بعلم ربهم اي انزل هذه الحروف المقطعة بعلم والثالث يحتمل بتوفيق ربهم الاذن من الله يحتمل احد هذه الوجوه التي ذكرنا الامر والعلم والتوفيق وقوله عز وجل الى صراط العزيز الحميد هو الله اي يدعوهم الى طريق الله الذي من سلكه العزيز الحميد سمي عزيزا الا كل عزيز به لعزها ويقال عزيز لانه بذاته عزيز ليس بغيره كالخلائق او العزيز المنيع والحميد الذي لا يطلب في الحميد هو الذي لا يلحقه الام في فعله له ما في السموات وما في الارض من قرأ بالخفض صيره موصولا بالاول وجعله كلاما واحدا واتبع الخفض الخفض ومن قرأ بالرفع الله الذي جعله مقطوعا عن الاول على حق الابتداء فقال الله الذي له ما في السموات وما في الارض ذكر قوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض ليعلم انه يأمر الخلق ويدعوهم الى دينه ويمتحنهم بانواع المحن لا يفعل ذلك لمنفعة نفسه او لحاجته في ذلك بل لحاجة الممتحنين ولمنافعهم وقوله عز وجل وويل للكافرين من عذاب شديد

قال قائلون الويل لشدة وقيل الويل هو اسم واد في جهنم وقال الاصم الويل هو هذا كلمة مكروه وهو معروف
من شدة البلاء وقول الحسن كذلك وقوله عز وجل الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وصف اولئك الذين
ذكر ان فيهم الويل من هم فقال الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة اى اثروا واختاروا الحيوة الدنيا على الاخرة
اى رضوا بها واطمأنوا فيها كقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها اختاروا الحيوة الدنيا ثم يختار والاخرة
في الدنيا ان سناءت لا الدنيا ولكن انما استفادت الاخرة [illegible] لا يسلك بما لك الاخرة وزاغ عن
الحق وقوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وهو ما ذكرنا يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة حتى يلحوا عن
الاخرة وليميلوا فيها ويعملوا [illegible] اهل الاسلام وبما يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وهو ما ذكرنا انهم يختارون
ذلك للاخرة اولئك للدنيا وقوله عز وجل ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا يحتمل يصدون وجهين احدهما اعرضوا
بانفسهم والثاني صرفوا الناس عن سبيل الله الذي من سلكه نجا [illegible] ويطلبون ذلك بالصد [illegible]
يصد اى صرف غيره وصد يصد صدا واعرض هو بنفسه ويبغونها عوجا اى طلبوا عوجا وعيبا فيه [illegible] هذا على
الاية في الرسالة منهم [illegible] ويصدون الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجا اى بين الطعن والعيب فيها
وجد والى ذلك سبيلا فقط وقوله عز وجل اولئك في ضلال بعيد الضلال يحتمل وجوها يحتمل الضلال اى
هلكوا اهلاكا [illegible] ابدا ويحتمل الضلال البعيد
اى في بطلان بعيد [illegible] لا يهتدون [illegible] على الضلال وقوله عز وجل
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لو كان غيره من الكتب ارسلت بغير لسان الامم [illegible] يجب ان يكون
مبعوثا بلسان [illegible] هذا الكتاب نفسه حجة [illegible] عن اتيان مثله هو كان بلسانهم
ليعلموا انه من الله [illegible] لو كان من الرسول لعقد [illegible] مثله ولسانهم مثل لسانه فلما عجزوا عن
اتيان مثله دل انه منزل من الله تعالى لا من عند الخلق [illegible] وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
قال قائلون هذا بعد ما اختلف الالسن ارسل [illegible] اولهم الذين كان لسانهم غير لسان هؤلاء واختلافهم
ليعلم انما عرف تلك الانبياء الاخبار التي كانت بغير لسانهم بالله وقال بعضهم ارسل بلسان قومه لئلا يكونوا لهم
مقال لم لا فصلت اياته الاية والثالث انه ان كان بلسانهم يكون الف واقرب الى الفهوم من ان كان بغير
اذ كل ذي نوع وجنس يكون بجنسه وبنوعه الف من غير نوعه وجوهره كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا و
اذ ليس في وسع البشر روية الملك والنظر اليه على ما هو عليه فعلى ذلك كل ذي لسان يكون بلسانه افهم واقرب
المعقول والف من غيره وقوله عز وجل ليبين لهم قال قائلون ليكون ابين لهم وافهم وقال قائلون ليبين لهم
فيفهمون قول رسولهم وقوله عز وجل ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ان يضل الله من اثر
سبب الضلال ويهدي من يشاء من اثر سبب الذي به يهتدي ذلك وقال قائلون يضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء هذا حكم الله ان يضل المكذبين ويهدي المصدقين لكن الوجه فيه ما ذكر بديا انه يضل من اثر سبب
الضلال ويهدي من يشاء هذا حكم الله ان يضل المكذبين ويهدي المصدقين اى من اثر سبب الاهتداء وهو
العزيز الحكيم لان جميع الخلايق مفتقرون اليه اولا به عز من عز او ان يكون العزيز هو الذي لا يغلب والحكيم هو
الذي لا يلحقه الخطاء في الحكم والتدبير او الحكيم في بعث الرسل وفي جميع فعله ولم يرخص عليه في فعله خطاء
فعل معيب ووضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا يحتمل اياته حججه وبراهينه التي ارسل
بها على وحدانية الله والوهيته ويحتمل اياته التي بعثها الى موسى ليقيمها على رسالته ان شئت قلت اياته حججه وان
شئت سميتها اعلاما والايات والاعلام والحجج كله واحد فيكون اعلام وحدانية الله والوهيته واعلام رسالته وقال
قائلون باياتنا اى بديننا اى ارسلنا موسى بديننا ليدعوهم اليه ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وعلى ذلك
بعث جميع الرسل والانبياء بعثوا ليخرجوا قومهم من الظلمات الى النور وقد ذكرنا هذا في موضع وقوله عز وجل
وذكرهم بايام الله التذكير هو العظة اى عظهم بايام الله قال قائلون ايام الله نعمه قال قتادة امره ان يذكرهم
بنعم الله تعالى التي انعمها عليهم فان الله عليكم ايادي من النعم كايام القوم كم من خير قد اعطاه الله لكم وكم من سوء قد
صرفه الله عنكم وكم من غم قد فرجه الله عنكم فالهم ربنا لك الحمد وقال قائلون ايام الله وقايعه اى ذكرهم بوقايع
الله في الامم السالفة كيف اهلكهم لما كذبوا الرسل هذا يحتمل يذكرهم بنعم الله التي كانت على المصدقين بتصديقهم
ونجاة المصدقين من العذاب والاهلاك اهلاك تعذيب او ذكر المكذبين منهم بالوقايع التي كانت على اولئك
بالتكذيب وهو الاهلاك ويشبه ان يكون قوله بايام الله المعروفة نفسها امره ان يذكرهم بها لان الايام تاتي بارزاقهم

ويقتضي

ويقتضي باعمالهم واعمارهم وان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر ويحق اعمارهم واجالهم وفيها اى باد زا قبهم ثم
من الله عليهم وفي ذهاب اعمارهم واجالهم اظهار سلطان الله وقدرته فامره ان يذكرهم بذلك والله اعلم
هذا يشبه ان يكون امر موسى ان يذكر بني اسرائيل ما كان عليهم من فرعون من انواع العذاب ثم الانجاء من بعده يقول
والله اعلم ذكرهم الايام الماضية وما يتلونها وهذا اشبه واقرب والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور قد ذكرنا ان الصبر هو كف النفس عن معاصي الله وعن جميع مناهيه والشكر هو الرغبة في طاعته
اخبر ان فيما ذكر ايات لمن كف هو نفسه عن المعاصي ورغب في طاعته لا لمن تطاول على الرسل وتكبر عليهم
وترك اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم اليه ليس لامثال هؤلاء عبرة واية لمن تطاول على الرسل وتكبر عليهم وترك
اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم لمن ذكرنا ويشبه ان يكون الصبار عليهم وترك اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم
اليه ليس لامثال هؤلاء عبرة واية لمن ذكرنا ويشبه ان يكون الصبار والشكور كناية عن المؤمن لان كل مؤمن امن
بالله وعلى اعتقد الكف عن جميع المعاصي والرغبة في طاعته وان كان يقع احيانا في معصية فكانه قال ان في
ذلك لايات للمؤمنين على ما ذكر في غيره من الايات من ذلك قوله ان في ذلك لاية للمؤمنين وللموقنين وللمتقين
ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يشبه
ان يكون هذا على الاضمار وهو ما ذكر في اية اخرى اى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
الاية واذكروا ايضا اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم قيل يعذبونكم سوء العذاب وقال قائلون يكلفونكم سوء
العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم السوم الاذاقة والعرض يقال سامني كذا اى اذاقني وعرضني ويقال سمت
الدابة على الحوض اى عرضتها وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هذا ايضا قد ذكرناه فيما تقدم في سورة البقرة والانعام
والله اعلم وقوله عز وجل واذ تاذن قال بعضهم واذ تاذن قال ربكم وقيل اذ اعلم ربكم واخبر العرب ربما
قالت افعلت في معنى تفعلت فهذا من ذلك ومثله في الكلام اوعدني وهو قول الفراء حقيقة وعد ربكم او كلمة
ربكم لئن شكرتم لازيدنكم لم يقل لئن شكرتم نعمة كذا ولا بين اى نعمة النعم كلها او نعمة دون نعمة ولا قال شكر
ماذا وقال لازيدنكم لم يذكر الزيادة فيماذا ومن اى شيء هي فيشبه ان يكون قوله لئن شكرتم بالتوحيد اى وحدتم الله
في الدنيا فيما خلقكم خلقا وكتب فيكم ما تتلذذون وتنعمون في الدنيا وفيما قومكم من حسن تقويم لازيدنكم النعم
الدائمة في الاخرة فيصير على هذا التاويل كانه قال لئن لقيتم شاكرين في الاخرة لازيدنكم النعم الدائمة والى هذا
يذهب ابن عباس رضي الله عنه او قريب منه الا ترى انه قال ولئن كفرتم ان عذابي لشديد اى ولئن كفرتم ام توحيد
واشركتم غيره فيه وصرفتم شكر تلك النعم الى غيره ان عذابي لشديد ويحتمل ان يكون كل نعمة يشكرها يزيد له
من نوعها في الدنيا ويديم ذلك له وفي قوله ولئن شكرتم لازيدنكم لطف وفضل لان الشكر هو المجازاة والمكافاة
لما سبق والله تعالى لا يكافي فيما انعم لانهم يستزيدون لانفسهم الزيادة بالشكر الذي ذكر فهو ليس بشكر في
الحقيقة لكن هذا منه لطف ذكره وهو كما قال الله واقرضوا الله قرضا حسنا الاية وقال ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم الاية فهذه الانفس والاموال في الحقيقة لله ليست لهم فهم فيما يقرضون لانفسهم وكذلك
في اشتراء يشترون لانفسهم من مولاهم لكنه ذكر شراء لطفا منه وفضلا فعلى ذلك فيما ذكر من الشكر له يطلبون
الزيادة لانفسهم لطفا منه وان كان الشكر في الظاهر موضوعه المكافات لما سبق فهو فيما بين الرب والعباد ليس
لمكافاة ولكن سبب الزيادة ولكن سمي شكرا لطفا منه وفضلا على ما ذكر الصدقة قرضا والله اعلم الا ترى انه
قال ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد اى غني بذاته ليس يامر ما يامر لحاجة نفسه ولا
لمنفعة له ولكن ما امتحنكم انما امتحنكم لحاجة انفسكم ولمنفعة ابدانكم وقال بعضهم قوله ان تكفروا انتم
ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد اى غني عن عبادة خلقه حميد عند خلقه وهو ما ذكرنا انه ليس
يامرهم فيما يامر لمنفعة نفسه ولحاجة نفسه ولكن لمنافع عمل الخلق والحوائج [illegible] وكذلك النهي
عما ينهى بخوف مضرة تلحقه ولكن المضرة تلحقهم ولانه توجيه اليهم يخبر عز وجل عن غناه عما يامر خلقه
في طاعته وعبادته وتوجيه الشكر اليه والحميد هو الذي لا يلحقه الذم في فعله يقول والله اعلم انهم ان كفروا
وكان علم منهم انهم يكفرون ويحفظ بذلك لا يلحقه في انشائهم مذموما والله اعلم وقوله عز وجل الم يأتكم نبأ
الذين من قبلكم قوم نوح الاية يشبه ان يكون الخطاب لاهل الايمان منهم والرسل خاطبهم عز وجل تنبيها و
تنبيها على تكذيب الكفرة اياهم واذاهم واستهزائهم بهم فقال الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم اى قد اتاكم نبأ
الذين من قبلكم ما فيه من حزن وصبركم عن مثل معاملتهم الرسل وهو ما ذكره ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر

انه ما نزل بهم بتكذيبهم الرسل والاستهزاء باتباعهم يذكر هذا لهم ليعوذ ذلك عليهم ويخيف لان من علم
ان له سوى كافيا يلي به والحق كان ذلك عليه اهون واخف من ان يكون هو المخصوص فيه ويحتمل ان يكون الخطاب
لاهل الكفر منهم فيقول الم ياتكم نبوء الذين من قبلكم اي اتاكم خبر الذين من قبلكم انه ما انزل بهم بتكذيبهم الرسل
واستهزائهم باتباعهم فينزل بكم ما نزل بهم لان الذي انزل ذلك عليهم حي قادر على انزال مثله فيخرج ذلك
مخرج التوبيخ والتعيير والوعيد لهذه الامة عن صنيع اولئك والله اعلم وقوله عز وجل لا يعلمهم الا الله فيه دلالة
ان نتكلف معرفة الانساب وحفظها الى ادم شغل وتكلف لانه اخبر ان فيهم من لا يعلمه الا الله وروي
في الخبر انه كان ينتسب الى معد ولا ينتسب الى اكثر من ذلك وقال ابو بكر الاصم قوله لا يعلمهم الا الله يكذب من ادعى
معرفة الانساب المتقدمة لانه قال لا يعلمهم الا الله وقد اخبر ايضا انه لم يقص عليه خبر الكل بقوله منهم
من قصصنا عليك فمن البعيد ان يتكلف تعرف ما لم يقص على رسوله والله اعلم وقوله عز وجل جاءتهم رسلهم
بالبينات قيل البينات بينات على وحدانية الله والوهيته ويحتمل الحجج التي اتوا بها الرسل على اثبات الرسالة والنبوة
وقال بعضهم البينات ما يتقون وما ياتون وما يحل عليهم وما يحرم وقوله عز وجل فردوا ايديهم في افواههم
يحتمل ان يكون هذا على التمثيل والكناية عن التكذيب وترك الاجابة لانه رد الايدي في افواههم ومنعهم عن التصديق
كقوله كباسط كفيه الى الماء الاية اذا ترك اجابته وقوله يردوكم على اعقابكم وامثاله ويشبه ان يكون على تحقيق
جعل الايدي في افواههم ثم يخرج على وجهين احدهما ردوا ايديهم في افواه الرسل فيقولون انهم
كذبة ويحتمل رد الايدي في افواه انفسهم فيسوتونا (?) ويستهزؤون بهم وباتباعهم كقوله وما كان صلاتهم عند
البيت الاية وقد ذكرنا معناه في موضعه فعلى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
به الاية وقد ذكرنا معناه ويحتمل قوله بما ارسلتم به التوحيد لانهم ارسلوا بالدعاء الى توحيد الله والعبادة له يدل
ذلك قولهم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب وقول الرسل افي الله شك الاية ويحتمل قوله انا بما ارسلتم
به من اثبات الرسالة واقامة الحجة عليها وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب من التصديق بالرسالة والنبوة مريب
هذا يدل انهم كانوا على شك مما يعبدون من الاوثان والاصنام كان بيان في ذلك وحجة ودعاء اليه لكانوا لا يقولون
انا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب ولكن كانوا يقطعون فيه القول فدل انهم كانوا على شك وريب في عبادتهم
الاصنام والاوثان التي عبد وحاجة الشك والريب قال بعضهم هما سواء وقال بعضهم الشك هو الشك المعروف
والريب هو النهاية في الشك وقال بعض اهل التاويل في قوله تعالى فردوا ايديهم في افواههم اي اعضوا على
اصابعهم غيظا على ما دعوا وقال بعضهم ردوا عليهم قولهم وكذبوهم وهو ما ذكرنا بدءا وقال ردوا عليهم
بافواههم وقوله عز وجل قالت رسلهم افي الله شك اي افي الوهية الله شك او في عبادة الله شك اي ليس في
الوهيته ولا في عبادته شك او تقرون انه اله وانه معبود وكذلك اقررتم انه اله وانه معبود فليس في الوهيته
ولا في عبادته شك انما الشك في عبادة من تعبدونه من الاوثان والاصنام والوهيتها لانكم اقررتم بالوهية
الله وانه معبود حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واقروا انه
خالق السموات والارض فاطر جميع ما فيها بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وان
الاصنام التي تعبدونها لم تخلق شيئا فليس في الله شك عندكم انما الشك فيما تعبدونه من دونه او في وحدانية الله
او يقول افي الله شك انه لم يزل انه معبود اي ليس في الله شك انه لم يزل معبودا انما الشك في الاصنام التي قالوا
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فاما في الله فلا شك انه لم يزل معبودا فاطر السموات والارض ويشبه ان يكون
على الاضمار اي في الله شك وقد تقرون انه فاطر السموات والارض وتعلمون انه خالقهما ويحتمل ان يكون على
الاحتجاج اي افي الله شك وهو فاطر السموات والارض اي تعلمون انه فاطر السموات والارض وتقرون انه
خالقهما وقوله عز وجل يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم هذا يحتمل وجهين يحتمل ليغفر لكم ذنوبكم التي كانت لكم
في حال الكفر اذا اسلمتم وفيه دلالة والله اعلم ان المآثم التي كانت لهم في وقت الكفر ماخوذ عليهم ثم وعد
لهم المغفرة اذا اسلموا والثاني وعد المغفرة والتجاوز لما كان منهم من الافتراء على الله والقول فيه بما لا يليق به
اذا اسلموا وتابوا من ذلك اي انكم وان افتريتم على الله وقلتم فيه ما قلتم وكذبتم رسله فاذا اسلمتم واتبعتم
رسله غفر لكم ذلك كله وفيه ذكر لطفه وحسن معاملته خلقه ويحتمل ايضا قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم
الى اجل مسمى جواب ما قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا ويحتمل ايضا قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم
يقول اذا اسلمتم وتبتم لا تتخطفون ولكن تبلغون الى اجالكم المسماة ويؤخركم الى اجل مسمى يتعلق المعتزلة بظاهره

الاية

الاية ان لكل انسان اجلين اجل في حال اذا كان فعل فعل كذا واجل في حال اذا فعل كذا لكن جعل الاجلين انما يكون
بجهل في العواقب من يجهل العواقب فاما سبحانه وتعالى هو عالم بما كان ويكون فلا يحتمل ان يجعل له اجلين
وهو عالم بما يكون فانما جعل اجله بالذي علم انه يكون منه في العواقب الذي جعل والله الموفق وقوله عز وجل
قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا في قولهم تناقض من وجهين احدهما انهم
تركوا طاعة رسلهم واتباعهم لانهم بشر مثلهم حيث قالوا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فذلك
تناقض في القول والثاني انهم لم يروا الرسل متبوعين ببشريتهم لا يخلونهم بانفسهم من ان يكونوا متبوعين ثم
استتبعوا غيرهم من دونهم او كانوا اتباعا لغيرهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
فذلك تناقض في القول فاتونا بسلطان مبين سالوا الحجج على ما دعوا اليه من الوهية الله تعالى وربوبيته او
وعلى ما ادعوا من الرسالة من الله وفي كل شيء وقع عليهم بصرهم دلالة وحدانية الله والوهيته لكنهم سالوا
ذلك سوال تعنت وعناد وكذلك قد اقاموا الحجج على ما ادعوا من الرسالة لكنهم تعاندوا وكابروا في رد ذلك
فسالوا سوال اية وحجة تضطرهم وتقهرهم على ذلك او يكون عند اتيانها هلاكهم فاجابهم الرسل فقالوا
وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ما كان لنا ان ناتيكم باية يكون بها هلاككم انما ذلك الى الله ان شاء
فعل وان شاء لم يفعل وقوله ان نحن الا بشر مثلكم اي ما نحن الا بشر مثلكم رد قول الباطنية لانهم ينكرون
كون الرسالة في جوهر البشرية ويقولون انما يكون الرسالة في جوهر الروحانية فهم صلوات الله عليهم انما
اجابوا قومهم حيث قالوا لهم ما انتم الا بشر مثلنا وقولهم ان نحن الا بشر مثلكم لم يذكروا اشياء سوى البشرية
فدل ان قول الباطنية باطل حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فيه دلالة
نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله لا يختص احدا بالرسالة الا من كان منه ما يستحق بالرسالة وهم صلوات
الله عليهم لم يذكروا سوى منة الله عليهم دل انه من عليهم وخصهم الا باستحقاق ومن الاستحقاق يكون منهم
من الاعمال ولكن بالمنة والفضل منه عليهم وقوله عز وجل وما كان لنا ان ناتيكم الا باذن الله هو ما ذكرنا الا
موضوعة الاباحة هو مقابل الحجر لكن الاذن المذكور في القران ليس كله على وجه واحد ولكن يجيء في كل موضع
ويحمل على ما يليق به قال الله تعالى عز وجل فهزموهم باذن الله وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله
اي بانشاء الله السلطان واجرائه على ايدينا ويحمل الاذن المذكور في القران على ما يصلح ويليق بما تقدم
ذكره ويحمل الاذن ههنا الارسال بامر الله باتي اي ان امرنا الله بذلك ناتي به وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فيشبه ان يكون ذكر هذا على اثر وعيد اذ كان منهم اليهم فقالوا على الله يتوكل ويعتمد المؤمنون
في دفع وعيدكم واذاكم وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون هذا يخرج على وجهين احدهما على الامر اي على الله توكلوا
ايها المؤمنون في جميع ما يدعوكم اهل الكفر وفي جميع اموركم ويحتمل على الاخبار عن صنيع المؤمنين انهم انما يتوكلون
على الله وبه يعتمدون في جميع امورهم ومنه يرون كل خير ولا بالاسباب التي لهم وهم يرون منها واما اهل
الكفر فانما يتوكلون سعة والله اعلم وقوله عز وجل وما لنا الا نتوكل على الله كان يخرج هذا مخرج جواب كان
منهم لما قال الرسل وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فاجابوهم بحرف فعند
ذلك قال الرسل وما لنا الا نتوكل على الله لكنه لم يذكر ما كان منهم ولكن ذكر جواب الرسل لهم وما لنا الا نتوكل على
الله وقد هدانا سبلنا قال بعضهم وقد بين لنا سلوك سبلنا وعندنا قوله وقد هدانا اي وفق لنا السلوك في السبل
التي علينا ان نسلكها واكرمنا بذلك فما لنا الا نتوكل عليه في النصر والظفر عليكم وقد وفقنا واكرمنا السلوك
في السبل التي علينا سلوكها وذلك اعسر من القيام للاعداء والنصر بهم وقد اكرمنا ما هو اعسر واعظم فان ينصرنا
اولى والله اعلم وقوله عز وجل ولنصبرن على ما اذيتمونا يحتمل ان يكون هذا قبل ان يامروا بالقيام لهم والانتقاد
منهم امروا بالصبر على اذاهم فقالوا ولنصبرن على ما اذيتمونا ويشبه ان يكون قوله وما لنا الا نتوكل على الله انهم
قالوا ذلك لما كان اهل الكفر في كثرة وكان اهل الاسلام واتباع الرسل في قلة فيستقلون اهل الاسلام ويعايرون
على ذلك فقالوا عند ذلك وما كان لنا الا نتوكل على الله بالنصر على اعدائنا والغلبة عليهم وقد اكرمنا بما ذكر وقوله
عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون كان يخرج على الامر اي على الله فتوكلوا لا تتوكلوا غيره ويشبه ان يكون على الخبر
اي لا يتوكل المؤمن الا على الله لا يتوكل على غيره كقول الرسول حيث قال اني توكلت الاية وهو قول هود وقول
المؤمنين على الله توكلنا ربنا افتح بيننا الاية ونحوه وقوله عز وجل وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
الاخراج يحتمل وجوها ثلثة احدها على حقيقة الاخراج من البلد الى غيره من البلدان والارضين ويحتمل الاخراج

لحبس لنخرجنكم اى لنحبسنكم من الانتفاع بالبلد وباهله وبمائه وبعجل الاخراج القتل اى نقتلكم وقد كان اهل
الكفر يوعدون ويخوفون الرسل واتباعهم بهذه الثلاث كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ونحوه ثم فى وعيد
الذى اوعد والرسل وجوها ثلاثة احدها حيث يخاف والقتال الرسل بمثل هذا الوعيد ومع الرسل ايات وحجج احدها
انهم راوا انفسهم مسلطين على اولئك قاهرين عليهم وكانوا اهل كبر وتجبر الا ترى انه قال واستفتحوا وخاب كل
جبار عنيد ولهذا انهم كانوا راوا انفسهم كما ذكرنا اهل تسليط وتجبر قالوا ذلك لهم لما لم يكن عندهم ما يدفعون
حجج الرسل وبراهينهم فهموا قتلهم واخراجهم ليحزنهم من دفع ما الزمهم الرسل وهكذا الامر المتعارف بين الخلق
ان الخصم لا يقصد اهلاك خصمه ما دام له الوصول الى الحجاج فاذا عجز عن ذلك فعند ذلك يهم بقتاله ويقصد
اهلاكه والثالث جواب الرسل اياهم عند العقول السماء بالعقود الذى ليس فوقه احسن منه وقوله عز وجل
او لتعودن فى ملتنا الملة الدين كقوله لا يتوارث اهل الملتين وقوله ملة ابراهيم حنيفا اى دين ابراهيم وقوله
لتعودن ليس انهم كانوا فيها فتركوها ولكن على ابتداء الدخول فيها على ما ذكرنا وقوله عز وجل فاوحى اليهم ربهم
لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم وعد لهم النصر والظفر عليهم والتمكين فى ارضهم مع قلة عدد
اتباع الرسل وضعف ابدانهم ومع كثرة الاعداء وقوة ابدانهم ليعلموا انهم انما قالوا ذلك بوحى من الله
ووعده اياهم لا من حيث انفسهم والله اعلم فكان على ما اخبر وافكان ذلك من ايات رسالتهم وما ينبغى لهم
ان يطلبوا من الرسل الايات والحجج على ما ادعوا لانهم لم يدعوهم الى طاعة انفسهم او عبادتهم انما دعوهم
الى وحدانية الله تعالى والوهيته وجعل الطاعات والعبادات له دون ما عبد والها من الاصنام وذلك فى
شهادة خلقتهم وشهادة كل خلقة وان لطف وصغر فلم يحتجوا الى ان يعينوا البراهين والحجج على ما ادعوهم و
اليه لكنهم كانوا معاندين لا يقبلون قولهم ولا يصدقونهم تعنتا منهم وتكبرا لم ينظروا فى خلق الله ليدركوا
وحدانيته والوهيته فكلفوا اقامة الحجج والايات لئلا يكون لهم مقال واحتجاج ولم يكن لهم الاحتجاج والله
اعلم وقوله عز وجل ذلك لمن خاف مقامى الاية قوله تعالى ذلك يحتمل وجوها لانه قد سبق خصال ثلاث ما
يحتمل رجوع هذا الحرف اى كل واحد من ذلك احدها قوله ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
فيحتمل قوله ذلك المن والفضل لمن خاف مقامى وخاف وعيد وسبق ايضا قوله ومالنا الا نتوكل على الله اى ذلك
الهدى والسبل التى هدى نا اليها اى ذلك الهدى والهداية لمن خاف مقامى وخاف وعيد وسبق ايضا
فاوحى اليهم ربهم الاية اى ذلك النصر والظفر بهم والتمكين فى الارض لمن خاف وعيد ثم قوله ذلك لمن خاف
مقامى وخاف وعيد قال بعضهم خاف مقامى فى الدنيا والاخرة وتاويله والله اعلم اى خاف سلطانى ونقمتى
وعذابى فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا لما نزل بمكذبى رسله والجبابرة وخاف وعيد وعذابى فى الاخرة حيث
يحل بهم بالتكذيب وترك الاجابة وقال بعضهم خاف مقامى فى الاخرة وهو كقوله يوم يقوم الناس لرب
العالمين يخاف ذلك المقام وخاف ما وعد من العذاب فى النار ثم قوله مقامى من حيث اضاف اليه ليس
فى الاشتباه باقل من قوله استوى على العرش واقل من قوله وجاء ربك والملائكة وقوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله الاية وامثاله فكيف اشتبه هذا على المشبهة ولم يشتبه قوله مقامى حيث سالوا فى ذلك
ولم يسالوا فى هذا وهذا انه لم يكن فى الاشتباه فليس باقل والكل وهذا وامثاله من قوله اليه المصير واليه
مرجعكم واليه مآب ومتاب ذكر هذا وان كان الخلائق جميعا فى الدارين جميعا يكون مصيرهم ومرجعهم اليه
لا تدخل وعلام يخلقهم المقام فى الدنيا والدوام فيها انما خلقهم للزوال عنها والفناء والمقام فى الاخرة
والدوام فيها لكن خلقهم فى هذه الدنيا ليمتحنهم ويبلوهم فيها ثم يصيرون الى دار المقام فى الاخرة هى المقصود
فى خلقهم فى الدنيا لا الدنيا فاذا كان كذلك اضاف المصير اليه نفسه لما هو المقصود فى خلقهم وان كانوا فى الدنيا
والاخرة صائرين اليه غير غائبين عنه طرفة عين ولا فائتين وبالله النجاة ذكر الله عز وجل انباء الرسل الماضية
واتباعهم وانباء اعدائهم وما عامل بعضهم بعضا وما نزل بالاعداء بما عاملوا رسلهم من العذاب والاستئصال
وانواع البلايا وما اكرم رسله واتباعهم واوليائهم من النصر على اعدائهم والظفر بهم والتمكين فى الارض
وجعل ذلك كله كتابا بالحكمة يتلى ليعلم مقابل الاعداء والاولياء ليرغب فيما استوجب الاولياء من الكرا
مات وليحذروا من مثل صنيع الاعداء وليعلموا انه كيف عامل الله رسله واوليائه كيف عامل الرسل ربهم [illegible]
الرسل بهم بجميع ما ياتون من الخيرات والكرامات الى الله كانه لا صنع لهم فى ذلك حيث قالوا ان نحن الا بشر
مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ذكر قوله ان نحن الا بشر مثلكم ليعلم ان الخير ليس يكون بالجوهر ولكن

بفضل

بفضل من الله تعالى ورحمته وقوله عز وجل ومالنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا وامثاله وامثال ذلك
انه كانهم لا صنع لهم فى ذلك وذكر الله عز وجل ما اكرم اولياءه ورسله من النصر والتمكين والانزال فى الدنيا وكانهم
استوجبوا ذلك بفعل كان منهم وهو قوله ذلك اى ذلك النصر والتمكين وما ذكرنا من الوجوه لمن خاف مقامى
وخاف وعيد ذكر انهم استوجبوا ذلك لا انه كان من الله ذلك من الله بحق افضال وامتنان ليعلموا معاملة الله رسله
واوليائه ومعاملة الرسل والاولياء سيدهم ومولاهم والله اعلم وقوله عز وجل واستفتحوا يحتمل وجهين
احدهما الاستفتاح استنصر والله على اعدائهم كقوله من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون
والثانى استفتحوا اى تحاكموا الى الله فى النصر لا حق منهم والاقرب الى الحق كقوله ربنا افتح بيننا الاية وهو الحاكم
اليه وقوله عز وجل وخاب كل جبار عنيد هو ما ذكرنا تحاكموا الى الله فنصر اولياءه واهلك اعداءه على ما ذكرنا ان
ابا جهل قال اللهم دينك القديم او دين الحسنة ايه كان احب اليك واقرب من الحق فانصره فنصر المؤمنين
واهلك الاعداء وقوله وخاب كل جبار عنيد اى يجبر على رسله واوليائه والعنيد قيل المعرض المجانب من الحق
والطاعة وقال بعضهم الجبار القاتل على الغضب والضارب على الغضب وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل ومن ورا
جهنم اى من وراء عذاب الدنيا لهم عذاب جهنم وعذابه وقوله من ورائه جهنم الوراء قد استعمل فى امام وخلف
اى من امام ما حل بهم جهنم ويحتمل وراء ما اصابهم ما ذكرنا وقوله عز وجل ويسقى من ماء صديد او يسقى فى
جهنم صديدا مكان ما يسقون فى الدنيا وهو الذى يسيل من القروح جعل الله للكافر فى الاخرة مكان ما كان لهم
فى الدنيا لباسا وشرابا وطعاما ما كانت تكبر عنه انفسهم جعل مكان ما يتناول فى الدنيا من الماء فى النار [illegible]
والغسلين والحميم ومكان الطعام فى الدنيا فى النار الزقوم والضريع ومكان اللباس القطران ونحوه ومكان
العز والصديق فى الدنيا يجعله قرينه الشيطان كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
ذلك كله يشغلهم عن ذكر الله ويلهيهم عن ذكره ليكون جزاءهم من نوع ما كان يشغلهم فى الدنيا عن طاعته
ثم قال بعضهم ان الصديد الذى يسقون هو ما الناس خرجه وقرحهم فيسيل من ذلك الصديد فيسقون من
ذلك فقال بعضهم لا ولكن يجعل شرابهم فيها صديدا كشراب اهل الجنة وطعامهم من غير اسل وقوله ويسقى من
ماء صديد ويحتمل يسقون من ماء فى نفسهم ماء وهو فى الحقيقة صديد ويحتمل انه يكون فى الحقيقة والظاهر صديدا لكن
يشربون رجاء ان يطفئهم وقوله عز وجل يتجرعه ولا يكاد قال ابو عوسجة التجرع ما يشرب به مكرها عليه ولا
يسيغه يقال اسغته اى ادخلته فى الحلق يقال نسغته فساغ فى حلقه اذا دخل دخولا سهلا لا يرد به وقوله
عز وجل ويأتيه الموت من كل مكان قال قائلون ياتيهم الغم والهم من كل مكان وكذلك المتعارف فى الخلق اذا اتا
الغم والهم والشدة يقال كان ذلك موت اى قرت غما وقال بعضهم ويأتيه الموت اى اسباب الموت ما لو
من قضاء الموت فيها لمات لشدة ما حل بهم ولكن قضاء انه اى لا يموتون فيها وما هو بميت موت حقيقة
يستريح من العذاب وقوله من كل مكان قال بعضهم من كل ناحية من فوق ومن تحت ومن خلفه ومن قدام كقوله
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش اخبر ان النار
تاتيهم وتاخذهم من كل جانب ومن كل جهة ويحتمل من كل مكان اى من كل سبب من تلك الاسباب التى
تاتيهم ما لو كان قضاء الموت لماتوا بكل سبب من تلك الاسباب وقال بعضهم اى ليس من موضع من جسده
ومن سائر جوارحه الا الموت ياتيه منها من شدة ما حل بهم حتى يجد طعم الموت وكربه وقوله عز وجل
ومن ورائه اى من وراء ذلك العذاب عذاب غليظ لا ينقطع ولا يفتر وصفه بالغلظ والشدة لدوامه
والاياس من انقطاعه والله اعلم وقوله عز وجل مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد هو والله اعلم على
التقديم اى مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح ثم يحتمل اعمالهم الاعمال التى كانت لهم فى
حال ايمانهم ثم كفروا وابدا احدثوا من الكفر يبطل ذلك الاعمال الصالحة فى الايمان وهو ما ذكر ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله او يكون محاسنهم التى كانت لهم فى حال الكفر طمعوا ان ينتفعوا بتلك المحاسن فى الاخرة فما انتفعوا
بها فصارت كالرماد الذى تذروه الريح الشديدة لم ينتفع صاحب ذلك الرماد به بعد ما حملت به الريح ما حملت فعلى
ذلك الاعمال الصالحة التى عملوها فى حال كفرهم او اعمالهم الصالحة التى كانت لهم فى حال الايمان ثم احدثوا الكفر
لا ينتفعون بها وقال فى اية اخرى اعمالهم كسراب بقيعة فيشبه ان يكون هذا فى اعمالهم السيئة فى انفسها
فراوها صالحة حسنة كقوله سوء عمله فرآه حسنا فيشبه ما كان فى نفسه سيئا بالسراب لانه لا شئ هنالك انما
يرى شيئا لا غير ذلك اعمالهم السيئة فى انفسها فراوها حسنة صالحة وما كان وما يشبه بالرماد فهى اعمالهم

الصالحة في انفسها لكن الكفر ابطلها **وقوله** عز وجل في يوم عاصف ليوم لا يكون عاصفا ولكن على الاضمار
كانه قال في يوم فيه ريح عاصف كقوله والنهار مبصرا الا ان النهار لا يبصر ولكن يبصر فيه او يبصر به والعاصف
قيل هو القاصف الكاسر الذي يكسر الاشياء او يكون قوله اشتدت به والعاصف والقاصف حرفان يؤديان
جميعا معنى واحدا **وقوله** عز وجل لا يقدرون مما كسبوا على شيء كالرماد والذي ذكرنا ان صاحبه لا يقدر ان
يجد ما حملت به الريح وذرته والله اعلم **وقوله** عز وجل ذلك هو الضلال البعيد ويحتمل ذلك الكفر هو الضلال
البعيد لا نجاة فيه ابدا وذلك الذي اوثر به بعيد من الحق والله اعلم **وقوله** عز وجل الم تر ان الله خلق السموات
والارض الم تر حرف تنبيه من تعجيب بلغه وعلم به فقيل منه او تقول حرف تنبيه من التعجيب لم يبلغه بعد ولم يعلم
به على هذا الوجهين فيشبه ان يكون والله اعلم **وقوله** عز وجل خالق السموات والارض بالحق قال عامة اهل
التاويل بالحق اي للحق وتاويل قولهم والله اعلم للحق اي للكائن لا محالة وهي الاخرة لانه خلق العالم الاول
للعالم الثاني والمقصود في خلق هذا العالم هو العالم الثاني فكان خلقهما للثاني لا للاول دون الثاني يجعل خلقهما
للفناء وذلك خارج من الحكمة وهو ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقال فللون بالحق
الذي وجب له عليهم بالامتحان والابتلاء خلقهما للشهادة له على الحق او نقول خلقهما بالحق اي بالحكمة و
قوله ان الله خالق السموات والارض بالحق ان كان الخطاب به لرسول الله فيخبر كانه قال قد رايت وعلمت
ان الله خالق السموات والارض بالحق وان كان الخطاب به لغيره من اولئك يقول الم تر ان الله خلق السموات
والارض بالحق لم يخلقهما عبثا باطلا **وقوله** عز وجل ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد قال بعض اهل التاويل
هذه المخاطبة يخاطب بها اهل مكة يذكر قدرته وسلطانه على بعثهم بعد الموت والهلاك يقدر على اذهابكم
واهلاككم ويقدر ايضا ان يأتي بغيركم فعلى ذلك يقدر على بعثكم بعد مماتكم **وقوله** عز وجل وما ذلك على الله
بعزيز قال اهل التاويل اي عليه هين يسير لكن عندنا والله اعلم وما ذلك اي ذهابكم وفناؤكم عليه يشتد
عليه ولا شاق لا يبقى كلون الارض اذا بشا بحكمكم فيشتد ذلك عليهم فاما الله سبحانه وتعالى لا يزيد الخلق في
سلطانه ولا في ملكه ولا ينقص فناؤهم وذهابهم منه شيئا كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اي
شديد عليهم وهو ما وصفهم عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم ذكر مكان الشدة العزة ومكان الذلة
ههنا الرحمة او ان يكون قوله وما ذلك على الله بعزيز اي ما بعثكم واحياكم بعد الممات على الله بشاق ولا شديد
وقوله عز وجل وبرزوا لله جميعا قال مقاتل خرجوا الى الله من قبورهم جميعا وقال لجميعا لانه لا يغادر احد
لا يبعث ويحتمل وجوها اخر سوى ذلك وهو ان قوله وبرزوا لله اي لامر الله اي لما وعد والذي وعد انهم يبعثون
او يريد لحكم الله يحكم في بعثهم وبرزوا اي اظهروا به وجد وان يكونوا من وجودين ظاهرين بعد ان كانوا اشتتين
ذاهبين غائبين اي عندهم في الدنيا انهم فانين غائبين عن الله فيومئذ يعلمون انه كان لا يخفى عليه شيء من
افعالهم واحوالهم وهو ما ذكرنا في قوله ليعلم الله من يخافه ورسله بالغيب وقوله حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين وامثاله ان يعلمهم مجاهدين صابرين كما علمهم غير مجاهدين وغير صابرين كقوله عالم الغيب
والشهادة ويعلمهم شهودا كما علمهم غيبا فعلى ذلك قوله وبرزوا لله جميعا اي يكونون له موجودين ظاهرين
والله اعلم واضافة البروز اليه في الاخرة وان كان بروزهم له في الدارين جميعا وكذلك من المصير اليه والرجوع
اليه والماب ونحوه فهو والله اعلم لما لا ينازع احد في البروز في ذلك اليوم وقد ينازعونه في الدنيا وخص
ذلك البروز بالاضافة لما هو المقصود من انشائه اياهم وخلقهم ليس المقصود في خلقهم وانشائهم الاول
ولكن في الاخر فخص ذلك بالاضافة اليه والله اعلم وقوله وبرزوا لله جميعا اي يومئذ يعلمون انه كان لا يخفى
عليه شيء وكانوا لم يكونوا يعلمون قبل ذلك **وقوله** عز وجل فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل
انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قال قائلون فهل انتم مغنون عنا اي دافعون عنا من عذاب الله اذ كنا
لكم اتباعا وانتم متبوعون فادفعوا عنا ذلك لكن هذا بعيد ان يطلبوا منهم دفع العذاب عنهم وقد راوهم
في العذاب فلو قدروا على دفع عنهم لدفعوا عن انفسهم الا ان يكون فيهم سيرة وعمى كما كان في الدنيا فطلبوا
ما قالوا كقوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة والاشبه انهم يطلبون عنهم دفع بعض العذاب عنهم
ويحمل بعضهم لان مؤنة الاتباع في العرف يتحملها المتبوع فيطلبون منهم دفع شيء وحمل بعض ما حل بهم وهو ما ذكر
في الاية الاخرى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار طلبوا منهم بعض ما حل بهم **وقوله** عز وجل قالوا لو هدانا
الله لهدينا قال بعض اهل العلم ان الكفرة جميعا اتباعهم ومتبوعهم اعلم بهداية الله من المعتزلة لانهم

قالوا لو

قالوا لو هدانا الله لهديناكم علموا ان الله عز وجل لو هدى ابهم لاهتدوا ولو شاء هدايتهم والمعتزلة يقولون قد هدى
الله جميع الكفرة وجميع الخلائق فلم يهتدوا وانه لو اراد ان يهدي احدا شاء ذلك والكفرة حيث قالوا لو هدانا الله
لهديناكم راوا وعلموا ان الله لو هداهم لاهتدوا ولانهم لو لم يهتدوا بهدايته اذ هداهم لم يهتدوا الى اتباعهم فهم
وقال ابليس رب بما اغويتني اضاف الاغواء اليه وهم يقولون لا يغوي الله احدا فابليس اعلم بهذا من المعتزلة
وقولهم لو هدانا الله اي لو رزقنا الله الهدى واكرمنا به لهديناكم ولكنه لم يرزقنا ذلك ولم يكرمنا وقال ابو بكر الاصم
تاويل قولهم لو هدانا الله لهديناكم لو كان الذي نحن عليه هدى لهديناكم فيهذا صرف هذه الاية عن وجهها بلا دليل
فلو جاز له هذا جاز لغيره صرف جميع الايات عن ظاهرها بلا دليل معها ان الاتباع قد علموا ان الذي كانوا عليه لم يكن
هدى فلا معنى لهذا **وقوله** عز وجل سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال اهل التاويل انهم قالوا فيما بينهم
تعالوا حتى نجزع لعل الله يرحمنا فجزعوا فلم يرحموا ثم قالوا تعالوا لو نصبر لعل الله يرحمنا فلم يرحموا فعند ذلك قالوا
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص لكن يحتمل ان يقولون ذلك بعد الامتحان والاختبار لكنهم قالوا ذلك
بالذي سمعوا وهو قوله فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون فلما سمعوا ذلك عند ذلك قالوا
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي مهرب ومخلص ويحتمل ان يقولوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من
محيص في اول احوالهم وامورهم ولكن يحتمل ما ذكر اهل التاويل انهم يقولون ذلك عند الاياس **وقوله** عز وجل
وقال الشيطان لما قضي الامر اي ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيقوم ابليس خطيبا في النار وخطب كما ذكر خطيبا
وقال قائلون قضي الامر اي فيه بين اهل الجنة من اهل النار قيل ان يدخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة قام
فخطب لاتباعه كما ذكر ويحتمل قوله لما قضي الامر اي لما فرغ من الحساب ومن امرهم عند ذلك يخطب ما ذكر وهو كقوله
فلما قضي الامر ولوا الى قومهم منذرين اي لما فرغ من السماء فعلى ذلك هذا وقال بعضهم لما قضي الامر اي قضي وحق
لما نزل بهم العذاب ويشبه ان يكون قوله لما قضي الامر هو ان الله كان وعد انه يقوم ابليس خطيبا لهم فقضي الامر اي
انجز ما وعد انه يخطب او ان يكون لاهل الكفر خاصة ومنازعات فيما بينهم يوم القيامة كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وكقوله فيحلفون له كما يحلفون لكم الاية يكذبون في الاخرة ويكون لهم خاصة على ما كان
منهم في الدنيا ويحتجون فيقولون ابليس هو كان علينا وقهرنا لانه كان يرانا ونحن لم نكن نراه فالمغلوب المقهور عذره
جوزنا كان منه في حياته يحتجون بمثل هذه الحركات والمحاجات ويقولون هو الذي اضلنا فيقوم عند ذلك ابليس خطيبا
بينهم وقال وما كان لي عليكم من سلطان حتى اقهركم واغلبكم الا الدعاء فاستجبتم لي طائعين غير مقهورين ولا مضطرين
والله اعلم بذلك **وقوله** عز وجل ان الله وعدكم وعد الحق يشبه ان يكون ما وعد على السن الرسل ان البعث والجنة والنار
والحساب والعذاب كائن لا محالة او جميع ما اوعد من مواعيده فذلك كله حق اي كائن لا محالة ووعدتكم يحتمل ما ذكر حيث
قال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وامثاله مما وعد انه كانت كلها اماني وغرورا وكذبا **وقوله** عز وجل وما
كان لي عليكم من سلطان يحتمل السلطان وجهين احدهما اي ما كان لي عليكم من سلطان ملك وقهر وغلبة اقهركم
واغلبكم الا الدعاء فاستجبتم طوعا ويحتمل قوله من سلطان من حجة وبرهان اي لم يكن لي حجة وبرهان على ما دعوتكم اليه
الا في دعاء ووساوس وكان الرسل بحجج وبراهين فتركتم اجابتهم فاستجبتم لي بلا حجة وبرهان اي لم اقهركم ولم اغلب
عليكم لكن هذا لا يصلح لانه لو كان له عليهم سلطان القهر والغلبة لكانوا معذورين غير معذبين لان المقهور والمغلوب
مضطر فالمضطر معذور ولكن السلطان حجة **وقوله** عز وجل فلا تلوموني ولوموا انفسكم بما تبين مراده لعنة الله انه
لا يلام ولكن مراده ارجعوا باللائمة انفسكم واشتغلوا بها فان ذلك كان منكم لم يكن مني الا الدعاء **وقوله** عز وجل
ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي قيل ما انا بناصركم وما انتم بناصري وقيل ما انا بمغيثكم وما انتم بمغيثي وقيل ما
انا بنافعكم وما انتم بنافعي ما نزل بي هذا كله واحد **وقوله** عز وجل وما انا بمصرخكم اي ما انا بالذي اغيثكم وانقذكم
وما انتم بالذي انقذني والا لو كان لهم ملك ذلك لفعلوا **وقوله** عز وجل اني كفرت بما اشركتمون من قبل اي كفرت
بما اشركتموني في عبادة الله وطاعته اي كنت بذلك كافرا ويحتمل اي كفرت اي برئت اليوم بما اشركتموني مع الله
في الطاعة والعبادة من قبل احد التاويلين يرجع الى انه يتبرأ في ذلك اليوم وقت ما قام خطيبا والثاني انه كنت
تبرأت من ذلك في الدنيا وقت اشركوه ان الظالمين لهم عذاب اليم **وقوله** عز وجل وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي اذن لهم بالدخول في الجنة قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وقوله خالدين فيها باذن ربهم
لان الاذن ههنا كانه الرحمة اي خالدين فيها برحمة ربهم وتحيتهم فيها سلام يحتمل السلام ويحتمل الثناء اي يثنون على
ربهم كقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية **وقوله** عز وجل تحيتهم فيها سلام قال بعضهم يسلم بعضهم على بعض

ويحيى بعضهم بعضا بالسلام وقال بعضهم السلام هو اسم كل خير وعز وبركة كما قال لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
والله اعلم وقوله عز وجل الم تر وقد ذكرنا ان كلمة الم تر حرف تنبيه من تعجب كان بلغه فيقال عنه من بنيه من يعجب لم
يبلغه وقال ابو بكر الاصم هي كلمة تفتتح بها العرب عند الحاجة يقول الرجل لاخر الم تر الى ما فعل فلان ونحو هذا تحتمل
في غيره من المواضع واما في هذا فانه غير محتمل وقوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا قيل بين الله مثلا واظهر كلمة
طيبة كشجرة طيبة قال ابو بكر الكيسان كلمة طيبة هو هذا القران وكلمة خبيثة هي الكتب التي احدثها الناس شبه القران
بالشجرة الطيبة وهي النخلة لما ذكر انها تثبت على كل شجرة مثمرة وشبه الكتب التي احدثها الناس بالشجرة الخبيثة وهي التي لا ثمر
وقال انما شبه القران بالشجرة الطيبة لان الشجرة الطيبة هي باقية الى اخر الدهر ينتفع بها الناس بجميع انواع المنافع لا
ينقطع نفعها فهي تدوم وتبقى وهو فعلى ذلك القران ينتفع بها الناس وهو دائم ابدا وقوله عز وجل اصلها ثابت وفرعها
في السماء اصلها ثابت لها قرار فعلى ذلك القران هو ثابت بالحجج والبراهين والكتب التي احدثها اولئك هي باطلة
فاسدة لا حجة معها ولا برهان كالشجرة الخبيثة التي هي غير مثمرة لا بقاء لها ولا قرار ولا ثبات وقال بعضهم الكلمة
الطيبة هي الايمان والطيبة شبهها بالشجرة الطيبة وهي التي تثمر وتنمو وتزكو على ما وصفها عز وجل في قوله تؤتي
اكلها كل حين باذن ربها فعلى الايمان والتوحيد لا يزال يجتني اهله الخيرات والاعمال الصالحة كالشجرة التي وصفها انها
تؤتي اكلها في كل حين وكل وقت اصلها ثابت بالحجج والبراهين وفرعها في السماء في كل وقت يرتفع ويصعد به العمل الى
الى السماء والكلمة الخبيثة هي الكفر لانه لا منفعة لاهلها فيها انه لا عاقبة له ولا حجة معها ولا برهان انما يتبع
اهله هو عن شهوة واما في مكان كالشجرة الخبيثة التي لا ثمرة لها ولا منفعة لاحد فيها فهي لا تبقى ولا تدوم فذلك قوله
اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ويشبه ان يكون ضرب المثل بغير هذا المعنى وهو ان ذكر جواهر طيبة وجواهر خبيثة
مما يقع عليها الحواس ويقع عليها البصر فيكون كل جوهر من هذه الجواهر التي يقع عليها الحواس ويقع عليها البصر من
حيث اوطيب دليلا وشاهدا على ما غاب من الخلق ولا يقع عليها الحواس وهكذا جعل الله تعالى هذه المحسوسات والاشيا
الظاهرة دليلا وشاهدا لما غاب عنهم ولا يقع عليه الحس تدرك بالعقول التي ركب فيهم ليرغب الطيب مما يقع عليه
الحس والبصر على الموعود الغائب ويحذر الخبيث المحسوس مما غاب واوعد وكذلك هذه الالام والامراض والشدائد
التي تحل في هذه الدنيا لتزجرهم عن الافعال التي بها يستوجبون مثلها في الاخرة كذلك النعم التي في الدنيا واللذات
جعلها الله لهم على النعم الدائمة على هذا يجوز ان يخرج لانه اراد بالشجرة الطيبة الشجرة نفسها او بالشجرة نفسها
ولكن ما وصفنا والله اعلم بذلك وقال قائلون ضرب الله مثل الشجرة الطيبة مثلا للمؤمنين هم في الارض وعملهم
يصعد في السماء كل حين فكذلك في الشجرة اكلها كل حين كذلك المؤمن يعمل لله في ساعة الليل والنهار وقوله
عز وجل كل حين قال قائلون كل عام لانها تثمر في كل عام مرة وقال قائلون ستة اشهر من وقت طلوعها الى
وقت ادراكها وقال قائلون كل عشية وغداة كقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال قائلون
شهرين وامثاله ويشبه ان يكون ما ذكرنا انه ليس في وقت دون وقت ولكن الاوقات كلها في كل وقت وكل
ساعة فان قال لنا ملحد ان الكلمة التي ضرب الله مثلها الشجرة الطيبة كلمتنا ونحن المراد بذلك والكلمة الخبيثة
التي ضرب الله مثلها الشجرة الخبيثة هي كلمتكم وانتم المراد بها لا نحن قيل قد سبق لهذا المثل امثال ودلالة على
ان الكلمة الطيبة هي التي لها عاقبة واخرة وكل امر له عاقبة والنظر في اخره فهو الحق فالذي انتم عليه لا
عاقبة له ولا اخرة وفي الحكمة ان كل امر لا عاقبة له فهو باطل والثاني ان الايمان والتوحيد له الحجج والدلائل والكفر
ما لا حجة له ولا دلالة انما هو ماخوذ بالاماني والشهوة من تسويل الشيطان وتزيينه لذلك كان ما ذكرنا و
يحتمل الكلمة الطيبة ايضا ان يكون الوحي الذي اوحى الله الى رسوله والكلمة الخبيثة ما اوحى الشيطان اليهم كقوله
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم الاية فوحي الله هو ثابت دائم ينتفع به اهله في الدنيا والعاقبة ووحي
الشيطان هو باطل فهي لا عاقبة له ولا ينتفع به اهله والله اعلم وقوله عز وجل اجتثت من فوق الارض قال
بعضهم استوصلت وقيل انتزعت وقال ابو عوسجة اقتلعت من اصلها يقال جثثت الشجرة اجثها جثا اذا
اقتلعتها من اصلها وقوله عز وجل ما لها من قرار هو ما ذكرنا وقال بعض اهل التاويل شبه كلمة الشرك بحنظلة
قطعت فلا اصل لها في الارض ولا فرع في السماء اي لا يصعد له عمل ولا حمل وشبه كلمة الايمان في نفعها وفضلها
وثباتها وقرارها في الارض بما ذكر من الشجرة والله اعلم ثم من الناس من احتج بهذا المثل في خلق الايمان والكفر فقال
لانه ضرب مثله بما هو خلق وهو الشجرة فعلى ذلك الايمان ولكن عندنا لا بهذا يجب ان يستدل في خلقه ولكن لما
ثبت ان مثلهما واحد لانه لو كان مثلهما مختلفا لكان لا يضرب مثل هذا بهذا ولا بهذا بهذا فاذا ضرب ذلك

ان مثلهما واحد فاذا ثبت ذلك دل على ما وصفنا ومن الناس من استدل بهذا انه يزداد وينقص حيث شبهه بالشجرة
وهي تزداد وتنقص ونحن نقول ليس فيه دلالة لما ذكر ولان الشجرة في نفسها ليست بذات حد والايمان ذو حد فما
يزداد هو في حق التزيين والحسن واما الايمان نفسه فانه لا يزداد كالشجرة اذا نورت وخرجت ثمارها توصف
بالزينة والحسن فاما نفس الشجرة فلا توصف بالزيادة فعلى ذلك الايمان وقوله عز وجل ويضرب الله الامثال
للناس يحتمل يبين الله الامثال التي يقع عليها الحس ويقع عليها البصر والاشياء الظاهرة لتدلهم على ما
استتر وغاب عنهم يدركونه بالعقول ما استتر وخفي بالظاهر والمحسوس لعلهم يتذكرون لعلهم يتعظون
وقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة الكلمة الطيبة يحتمل التوحيد ومن فرعها هي الخوف والخشوع والخضوع
والرغبة واهلها هو الاعمال الصالحة والخيرات فيكون منه والكلمة الخبيثة هي الشرك ومن فرعها ما يكون منه
في الشرك من الفساد والتمرد والعناد واكلها هو الاعمال التي تكون منه الشرك او ان يكون الكلمة الطيبة
هي الايمان ومن فرعها الشرائع والاحكام التي تعمل واكلها هو ما يثاب عليه في الدنيا والاخرة ابدا والله اعلم
وقوله عز وجل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ذكر مرة بالتثبيت ومرة بذكر
الزيادة وقوله لا يزداد والا ناتيج ايمانهم ومرة بذكر الابتداء والتجديد بقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله وقوله
اهدنا الصراط المستقيم فالتجديد والابتداء في حادث الوقت لان تلك الافعال تنقضي وتذهب ولا تبقى
واما الزيادة على ما كان وكله واحد في الحقيقة وقوله عز وجل ويضل الظالمين اضاف الاضلال مرة الى نفسه
ومرة الى الشيطان ولا شك ان ما اضيف الى الشيطان انما اضيف على الذم فاذا كان ما ذكر فيكون الجهة التي
اضيف الى الله غير الجهة التي اضيف الى الشيطان الجهة اضيف الى الشيطان الجهة التي اضيف الى الله
هو ان خلق فعل الضلال من الكافر وما اضيف الى الشيطان هو على التزيين والتسويل ليقع الاضافة ولو
كان على التسمية على ما يقوله المعتزلة انه سماه ضالا لكان كل من سمى احدنا كافرا ان يسمى مضلا فاذا لم
يسم بتسمية منا لا او كافر مضلا دل انه انما سمى الله نفسه مضلا لتحقيق الفعل له فيه وهو ما ذكرنا انه خلق
فعل الضلال منه والمعتزلة يقولون ان الله هدى الخلق جميعا لكنهم لم يهتدوا وضلوا من غير ان يكون الله
اضلهم فهذا صرف ظاهر الاية الى غيره بلا دليل وقوله عز وجل ويفعل الله ما يشاء وعلى قول المعتزلة
لا يقدر ان يفعل ما يشاء لانهم يقولون انه شاء ايمان جميع البشر لكنهم لم يؤمنوا وكذلك قال فعال لما يريد
وهم يقولون اراد ايمانهم لكنه لم يفعل ما اراد ولا يملك وقد اخبر انه اراد فعال لما يريد ولما يشاء هم يقولون
لم يملك ان يفعل ما شاء واراد بل العباد يفعلون ما شاء غير ما شاء هو فنا وبلهم خلاف ظاهر القران والله اعلم
وقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة يشبه ان يكون هذا صلة قوله الم تر كيف
ضرب الله مثلا كلمة طيبة على تاويل من يقول ان الكلمة الطيبة هي القران يكون القول الثابت هو القران يكون
يقول والله اعلم يثبت الله الذين امنوا في الحيوة الدنيا حيث تلقوه بالاجابة والقبول والعمل به وفي الاخرة اي
بالاخرة والبعث يؤمنون به ويضل الله الظالمين حيث تركوا الاجابة وتلقوه بالرد والمكابرة والعناد ومن يقول
الكلمة الطيبة التوحيد والايمان يكون القول الثابت هو الايمان يثبتهم في الحيوة الدنيا باختيارهم وفي الاخرة
قيل في قبورهم يلقنهم الاجابة بتسكين ونكير ويمكن لهم ذلك ويضل الظالمين الذين تركوا الاجابة له في الحيوة
الدنيا وفي القبور حيث تركوا الاجابة في الدنيا ويحتمل ان يكون قوله يثبت الله الذين تركوا الاجابة له في الحيوة الدنيا
هو ما ذكر والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ثبت من اجاب الله الى ما دعا في
الدنيا وفي الاخرة يهديه الطريق الذي به يوصل الى دار السلام والكافر حيث ترك اجابته الى ما دعاه ويضله في
الاخرة طريق دار السلام بترك اجابته في الدنيا والله اعلم بذلك وقوله ويفعل الله ما يشاء في هدايته من اختار
اجابته والاهتداء والضلال لمن اختار ترك الاجابة والغواية وقوله عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
اختلف في نزوله قال بعضهم هذه السورة كلها نزلت بمكة الا هذه الاية فانها نزلت بالمدينة وقال بعضهم
نزلت بمكة كلها فمن يقول نزلت بالمدينة يقول قوله واحلوا قومهم دار البوار جهنم هو بدر اي حملوهم الى بدر
حتى قتلوا لانه لم يكن بمكة بدر فلذلك قال بالمدينة ومن يقول نزلت بمكة يقول دار البوار هي جهنم على ما فسره ظاهر
الكتاب وهو الاشبه بظاهر الاية لانه ذكر بين الدار فقال جهنم وفي الاية دلالة ان الاية في عظمائهم وكبرائهم
حيث قال واحلوا قومهم الاية ثم اختلف في النعمة التي ذكر انهم بدلوها كفرا فهو يحتمل وجوها احدها ان الله
عز وجل قد انعم عليهم في هذه الدنيا ووسعها عليهم فصرفوا تلك النعم على انفسهم فجعلوها للاصنام التي عبدوها

وسيوحا و [illegible] بعض اللغو المجبرة التي ذكر والسائبة والوصيلة والحامي وما جعلوا للاصنام هو
ما ذكر هذا الشركا فاقد ذلك تبديل النعمة كفرا حيث حرموا ما انعم الله عليهم كفرا واحل لهم والثاني ذلك النعمة
محمد والقران والاسلام وهو نعمة كذبوهم او ان يكونوا بدلوا الشكر الذي عليهم بما انعم عليهم كفرا لجعلوها سببا
للكفر فلم يشكروه بما انعم عليهم وقوله عز وجل بدلوا نعمة كفرا حقيقة يخرج على وجهين احدهما بدلوا ومرقوا
ما انعم الله عليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم من انفسهم حتى اخذ منهم بدلوا به كفرا والثاني بدلوا كفرا بعد ما
سالوا ربهم واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية فلم يشكروا واما انعم عليهم وبدلوا الشكر كفرا وقوله عز وجل واحلوا قومهم
دار البوار اي انزلوا دل هذا ان الاية نزلت في الرؤساء من الكفرة والائمة منهم حيث اخبر انهم احلوا قومهم
دار البوار ذكر حلوا قومهم على الماضي لانه قد وجد منهم الجناية بالاحلال في دار البوار وذكر في دخولهم
جهنم على الاستيناف بقوله جهنم يصلونها وبئس القرار لما لم يوجد بعد سيوجد ويجوز ان يستدل بهذا
لاصحابنا المسئلة وهو ان العبد اذا احفر برا ثم اعتق ثم وقع في بئر انسان ينظر الى قيمة العبد يوم حفر منه
جناية والى الواقع فيه يوم الوقوع لا يوم الحفر لانه لم يوجد بعد يوم الحفر جناية او ان يقال احلوا[حلهم] و
دار البوار قد دخل اجساد هم يومئذ لم يدخل بعد وقوله عز وجل وجعلوا لله اندادا اخبر انهم لما احلوا
قومهم دار البوار فقال وجعلوا لله اندادا لله لا وامثالا ليضلوا عن سبيله ويحتمل قوله جعلوا لله اندادا
في العبادة يعبدون كما يعبد الله او في التسمية يسمونها الهة كما سمي الله جعلوه اندادا في هذين الوجهين يذكر
سفههم حيث جعلوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يدفع ولا يضر امثالا واندادا لله على علم منهم ان الله
هو الذي خلقهم ورزقهم ويدفع عنهم وهو الذي يدفع عنهم كل بلاء وشدة ويحتمل ان يكون قوله وجعلوا
لله اندادا ليضلوا عن سبيله هو تفسير ما ذكر من تبديل النعمة كفرا وقوله عز وجل قل تمتعوا بهذه النعم التي ذكر
انهم بدلوها كفرا فان مصيركم الى النار هذا في قوم ما تراهم الكفر ويقول قل تمتعوا في الدنيا او تمتعوا
بالكفر فان مصيركم الى النار هذا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وفيه دلالة اثبات الرسالة وقال ابو
عوسجة البوار الهلاك والفناء يقال بار الرجل يبور بورا فهو بائر وقوم بور ودارها الكون ويقال بارت السوق
وبارت السلعة اذا كسدت ويقال بارت المراة تبور بورا فهي بائرة اذا كبرت وفي حديث النبي صلى الله
عليه وسلم نعوذ بالله من بوار الايم قيل يعني من كسادها والله اعلم وقوله عز وجل قل لعبادي الذين امنوا
يقيموا الصلوة يحتمل اقامة الايمان بها كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو
اقامة الايمان به اذ لا يحتمل الحبس الى ان يقيموا اقامة الفعل والوفاء اذ في ذلك حبسهم ابدا ويحتمل اقامة
الوفاء بها والفعل لانه انما خاطب المؤمنين على اقامتها وقد سبق منهم ما ذكرنا من الايمان بها قيل هذا
جائز بامرهم باقامة الايمان بها في حادث الوقت اذ للايمان حكم التجدد في كل وقت وهو كقوله يا ايها الذين
امنوا امنوا بالله اي امنوا في حادث الوقت فعلى ذلك هذا يحتمل الامر باقامتها اقامة الايمان بها ويحتمل
ما ذكر من اقامة الصلوة في الاية والانفاق هي الصلوة المعروفة والادامة لها واللزوم بها ويحتمل
والوفا بهما وقوله عز وجل وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية قال الحسن الامر بالانفاق مما رزقنا
هم الزكوة المفروضة الا ترى انه ذكر الوعيد في الاخرة وقال من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ولا
يحتمل الوعيد في صدقات التطوع وهو ما ذكر ايضا في اية اخرى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم
الموت ولا يحتمل طلب الرجوع والتاخير الى اجل في النوافل دل انه اراد به الزكوة المفروضة وقال بعضهم
وينفقون مما رزقناهم سرا في التطوع والعلانية في الفريضة لان الفريضة لا بد من ان تظهر وتعلن
وليس في [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال يوم لا بيع فيه اي
يوم لا يقدر احد ان يبيع نفسه من ربه وفي الدنيا يقدر ان يبيع نفسه من ربه كقوله ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله ان الله اشترى وقوله من قبل ان ياتي يوم لا يقدر احد بيع نفسه من
ربه ويحتمل نفسه يوم لا بيع فيه اي لا ينفعه بيع نفسه منه في ذلك اليوم وان باع لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل وقوله فلما راوا باسنا الاية فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل ولا خلال هو مصدر خاللت وهو من الخلة
والصدق ثم هو يحتمل وجهين احدهما ان لا تنفعهم الخلة التي كانت بينهم في الدنيا لان كل خلة كانت في الدنيا
لما ليست لله فهي تصير عداوة في الاخرة كقوله الاخلاء يومئذ الاية اخبر ان الاخلاء الذين كانوا يتخالون في الدنيا لغير الله
تصير الاعداء لان الخلة التي كانت تقضي نفع اهلها وهو كقوله عز وجل يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم

بعضا

بعضا وامثاله يخبر ان الخلة كانت بينهم في الدنيا لا لله فهي تصير عداوة في الاخرة حتى يتبرا بعضهم من بعض ويلعن
من بعض والثاني ان يكون لهم شفعاء واخلاء ولكن لا يشفعون كقوله الا لمن ارتضى او يشفع لهم لكن لا يقبل كقوله
فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله عز وجل الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم الى اخر ما ذكر فيه دلالة ان تدبير الله محيط متسق بجميع ما في السموات والارض وعلمه محيط
بجميع الخلائق حيث ذكر انزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يعني البشر جعل منافع السماء متصلة
بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل انه عن تدبير فعل هذا وعلم انه تدبير واحد عليهم ثم ما ذكر من تسخير السماوات و
الارض مع ابتداء السماء وصلابتها وغلظ الارض وكثافتها وتسخير البحر مع اهواله وامواجه وتسخير الانهار الجارية
وتسخير الشمس والقمر والليل والنهار لهذا البشر في ذلك وجهان احدهما يذكرهم نعمه التي انعمها عليهم من
المنافع التي جعل لهم في تسخير هذه الاشياء التي ذكر لهم على وجهين هذه الاشياء انفس مسخرات لغيرهم ليستادوا
في شكرها والثاني يذكر سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الاشياء مع شدتها وصلابتها وغلظها واهوالها
ومن قدر على تسخيرها ذكر قادر على البعث والاحياء بعد الموت ويحتمل ما ذكر من تسخير الاشياء التي ذكر انشاء هذه
الاشياء مسخرة مذللة لنا والثاني سخر لنا اي علمنا من الاسباب والحيل التي بها لنا الانتفاع بهذه التسخير وقوله
عز وجل واتاكم من كل ما سالتموه فيه لغات وتاويلات قال بعضهم واتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه ولانه اعطانا
اشياء قبل ان نعلم انه يجب ان نسال حيث خلق هذه الاشياء التي ذكر من قبل ان يخلقنا وقال الحسن من كل ما سالتموه
قال ما لم تسالوه وهو ما ذكرنا فان قيل انا نسال اشياء لا نعطاها فمعنى الاية قيل بوجوه احدها ذكر حرف التبعيض
وهو ما قال من كل ما سالتموه والثاني واتاكم علم منافع ما سالتموه قبل ان تسالوا وجهه علم الانتفاع به والثالث
واتاكم من كل ما يحق السوال ويليق به على هذه الوجوه يخرج الاية والله اعلم وقوله عز وجل وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها قال بعضهم لا تحصوها اي لا تشكروها اي لا تقدروا شكرها وقال بعضهم اي لا تقدروا
احصاها وعدها وهكذا ان اقل الناس نعمة لو تكلف احصاها ما اعطاه ما قدر عليه من حسن الجوهر والصورة
واستقامة التركيب والتنبه وسلامة الجوارح وغير ذلك مما لا سبيل له الى ما ذكرها واحصائها ولا يبعد
طول التفكر والنظر وقال بعضهم وان تعدوا نعمة الله لا تحيطوا بكنهها وبغايتها وقوله عز وجل ان الانسان
لظلوم كفار لظلوم اي ظلم نفسه حيث صرفها الى غير الجهة التي جعلت وامر وادخلها في المهالك والقاها
في التهلكة كفار لنعمه حيث صرف شكرها الى الغير الذي جعلها له والله اعلم واستدل بعض المعتزلة
بقوله قل يا عبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع
فيه ولا خلال ان صاحب الكبيرة مخلد في النار لانه اوعد بترك الصلوة والزكوة التخليد ابدا وترك الصلوة و
الزكوة من غير عذر من الكبائر دل انه ما ذكروا فنقول نحن وبالله التوفيق ان الا يحتمل الامر باقامة الصلوة وما
ذكر من الزكوة والصدقة اقامة الايمان بها على ما ذكرنا من تاويل بعض اهل التاويل فان كان على هذا على اقامة
الايمان بها فمن ترك ذلك فهو مخلد ابد الاشك فيه او يكون من استحل تركها فهو مخلد او يترك لعذر فهو لا يخلد بل
على اتفاق القول فان كان ما ذكرنا يحتمل دل ان الاية مخصوصة ثم معرفة تخليد صاحب الكبيرة انما هي بالدلائل
سوى هذا اذ ليس في الظاهر الاية دلالة التخليد لما ذكرنا من احتمال الخصوص دل انه انما يطلب الدليل من وجه
اخر قال القتبي لا خلال مصدر خاللت فلانا خلالا ومخالة واسم الخلة والخلة وهي الصداقة وقال ابو
عوسجة ولا خلال قال من المخالة يعني المودة دائبين قال يجريان ابدا وهو الدوب اي من التعب وقوله عز وجل
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا اي ما منا سمي امنا من الخلق فيه كما سمي النهار مبصرا والنهار لا يبصر
ولكن يبصر فيه ومثله كثير ثم يحتمل قوله اجعل هذا البلد امنا قال بعض اهل التاويل انما طلب ابراهيم ان
يجعله امنا على اهله وولده خاصة لا على الناس كافة اذ قد سفك فيه الدماء وهتك فيه الحرم دل انه جعله
امنا على اهله وولده خاصة ولكن لو كان ما ذكر واحتملا ما يمتنع بقوله الم يروا انا جعلنا حرما امنا الاية وقوله
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وغيره من الايات اخبر انه جعل تلك البقعة ما منا للخلق باسرهم
فيها ثم يحتمل وجهين احدهما جعله امنا بحق الابتلاء والامتحان الزم الخلق حفظ تلك البقعة من سفك
الدماء فيها وهتك الحرم وغير ذلك من المعاصي وان كانوا ضيعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يصلح كالمساجد
التي بنيت لعبادة واقامة الخيرات الزم اهلها وعلى جميع الخلائق حفظها من ادخال ما لا يصلح ولا يحل ثم ان
الناس قد ضيعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يليق بها ولا يصلح فعلى ذلك الحرم الذي اخبر انه جعله ما منا للناس في

يحمل على النفي ما سالتموه على الجحد [illegible] ... ما اتاكم من [illegible] ... والثاني [illegible]

جعله مأمنا من خلقه من ذا الوجه يجوز ان يقال كيف سفك فيه الدماء وهتك فيه الحرم وهو بالخلقة جعله
مأمنا قيل يجوز هذا بالحق العقوبة وان كان مأمنا الا ترى انه قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم الاية الطيبات بالخلقة حلال لكنه حرم عليهم ذلك بالظلم الذى كان منهم بحق العقوبة والاثم
فعلى ذلك الحرم جعله مأمنا بالخلقة ثم حل فيه عقوبة لما كان منهم من المعاصى والله اعلم وقوله عز وجل
واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام الاية فان قيل كيف دعا وطلب منه العصمة وقد عصمه بالنبوة والرسالة ولعلها
عن ذلك كله قال بعض اهل التاويل انما سأل عصمة ولده وذريته لما علم ان ذريته قد يختلفون فى دين الله و
توحيده وما ذكر نفسه لما المعروف ان من دعا لاخر بدا بنفسه قالت المعتزلة دعا ابراهيم وطلبه العصمة
مما ذكر يدل انه قد يجوز ان يدعا بدعوات عبادة وان كان قد اعطاه ذلك او يعلم انه مغفور قيل دعى ابراهيم و
غيره من الانبياء عليهم السلام يجوز ان يكون عصمتهم كانت معلومة منه وسألوه وتضرعوا اليه انه معلوم
انهم لم يستفيدوا تلك العصمة باعمالهم انفسهم وتركهم اياها سدى بل انما وجب لهم ذلك بما اجهدوا انفسهم
فى طاعة الله ثم الاية على المعتزلة من وجهين احدهما ان ابراهيم طلب منه العصمة عن عبادة الاصنام وهو علم
انه يعصمهم اذا عصمه عن ذلك واهتدى اذا هداه وهم يقولون الله لا يعصم العبد ويهدى ولا يهتدى العبد و
يقولون اذا اعطى احد ذلك خرج ذلك من يده ولا يملك اعطاء ذلك فعلى قولهم يخرج دعوات الرسل على الهزؤ
او على الاكتمان لان من سأل من اخر شيئا يعلم انه ليس ذلك عنده فهو هزء او سأل وهو يعلم انه قد اعطاه ذلك
فهو كتمان وكان خوف الانبياء والرسل والكبراء من الخلق اشد واكبر على دينهم والزيغ عما هم عليه لما خافوا ان يكونوا
عند الله على غير ما هو عند انفسهم كانوا ابدا وجلين خائفين على سلب ما هم عليه وهكذا الواجب ان يكون الخوف
على من نعمه عليه اكثر فوقه اشد فقال ابو عوسجة اجنبنى اى باعدنى واجنبنى ايضا وقال القتبى اى جنبنى
واياهم وقوله عز وجل رب انهن اضللن كثيرا من الناس نسب الاضلال الى الاصنام وان لم يكن لها صنيع فى
الاضلال لانهم بها ضلوا وكانت الاصنام سبب اضلالهم وقد ينسب الاشياء الى الاسباب وان لم يكن للاسباب
صنيع فيها نحو ما ذكرنا من نحو قوله واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والسورة
لا تزيدهم رجسا لكن ينسب الرجس اليها لما كانت هى سبب زيادة رجسهم وهو انها لما نزلت يزداد لهم بها
تكذيبا وكفرا بها فينسب ذلك اليها فعلى ذلك الاول والثانى ينسب الى الاحوال التى كانت بها ما لو كانت تلك
بذوات الارواح لكانت تضل وتغوى ممن يكون منه الاضلال لانها تزين وتحلى باشياء نحوها نسب الغر والى الدنيا
وان كانت الدنيا لا تغر لانها تكون بحال لو كانت تلك الاحوال من ذوى الروح لكان ذلك تغريرا فعلى ذلك نسبة الاضلال
الى الاصنام والله اعلم وقوله عز وجل فمن تبعنى فانه منى فيشبه ان يكون منى اى موافقى فى الدين او فى الولاية
وحاصله والله اعلم منى فى الدين وفى امر الدين وكذلك من غشنا فليس منا اى ليس بموافق لنا او ليس معنا
اى ليس من ملتنا وكذلك قوله فانه منى اى من ملتى وحاصله فمن تبعنى فاجابنى فيما دعوته اليه وامرته به فانه منى
اى مما انا عليه وكذلك قوله من غش فليس منا اى ليس مما نحن عليه وقوله عز وجل ومن عصانى فانك غفور رحيم
يشبه قوله ومن عصانى ليس عصيان شرك ولكن عصيان ما دون الشرك فانه غفور رحيم او ومن عصانى فانك غفور
اى ساتر عليه الكفر الى وقت معلوم اذ الغفران هو الستر ستر عليه الى اجل كقوله انما يؤخرهم ليوم او يقول ومن
عصانى فانك غفور رحيم اى تمكن له من التوبة والاسلام فيسلم ويتوب فتغفر له ما كان منه من العصيان وترحم
عليه وقوله ومن عصانى فيما دعوته اليه وامرته به فانك غفور رحيم له من التوبة والرجوع عما كان منه فتغفر
وترحمه وقوله عز وجل ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع لا يحتمل ان يكون قال هذا اول ما قدم تلك
البقعة لانه قال عند بيتك المحرم ولا بيت هناك دل انه انما دعى بهذه الدعوات ربنا انى اسكنت من ذريتى وما
ذكر ربنا وجعلنا مسلمين لك الى اخر ما ذكر بعد رفع البيت وقوله عز وجل اسكنت من ذريتى دل انما اسكن بعض
ذريته كلها حيث قال من ذريتى قد امتحنه الله بمحن ثلاث لم يمتحن بمثلها احدا من الانبياء احدها امتحنه باسكان
ولده بواد غير ذى زرع وغير ذى ماء مما لا يحتمل قلب بشر تركه فى مثل ذلك المكان منفردا لانه انما فعل بامر من
الله تعالى والثانى امتحنه بذبح ولده حتى اذا اشرف على الهلاك فداه الله بكبش وامتحنه بالقائه فى النار حالق
حتى اذا اشرف على الهلاك لم يجعلها الله تعالى عليه بردا وسلاما ففى ذلك كله دلالة رسالته وكان له هجرتان
احدهما الى مكة حيث اسكن فيها ولده والهجرة الثانية الى بيت المقدس وهو ما ذكر ونجيناه ولوطا الى الارض
التى باركنا فيها الاية ثم قوله ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع هو دعاء بتعريض لا بتصريح والدعاء

بالتعريض والسؤال بالكناية ابلغ واكثر من السؤال بالتصريح وهو كما قال ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا الاية فهذا ابلغ
فى السؤال من قوله اغفر لنا وارحمنا لان مثل هذا قد يسئل من دونه ولا يكون فيه ما ذكر فيه من الخسران وقوله من
ذريتى يحتمل ان يكون كلمة من صلة اى اسكنت ذريتى ويحتمل على التبعيض اى اسكنت بعض ذريتى على ما ذكر فى بعض
التاويلات اسماعيل واسحاق وقوله عز وجل عند بيتك المحرم يحتمل قوله المحرم وجهين احدهما حرمه ان يستحل
فيه ما لا يحل ولا يصلح لكنه خص تلك البقعة وان كان ذلك لا يحل فى غيرها من البقاع لفضل الحرمة التى جعلها الله
لها كما خص المساجد باشياء لفضلها على غيرها من الامكنة والبقاع والثانى قوله عند بيتك المحرم اى الممنوع بناء
حرم اى منع كقوله وحرمنا عليه المراضع ليس ذلك على التحريم انه لا يحل له المراضع ولكن على المنع اى منعناه لذلك
الله فعلى ذلك قوله عند بيتك المحرم اى الممنوع عن الخلق به حتى لم يقدر احد من الفراعنة والملوك العتية
عليها وادخالها فى منافع انفسهم بل هى ممنوعة عنهم على ما كان وفيه اية الوحدانية له والالوهية والله اعلم
وقوله عز وجل ربنا ليقيموا الصلوة قال بعض اهل التاويل فيه تقديم يقال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ليقيموا الصلوة
عند بيتك ويحتمل ايضا غير هذا وهو ان يقال اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع اى ليس فيه ما يشغلهم عن
الصلوة لان الزرع وغيره من النعيم يمنع الناس من اقامة الصلوة ثم يحتمل الصلوة صلوة المعروفة ويحتمل الصلوة
الدعاء والاذكار وغيرها من الدعوات ويحتمل قوله ربنا ليقيموا الصلوة الصلوة نفسها وغيرها من الطاعات
وكذلك قوله رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى وقوله عز وجل فاجعل افئدة من الناس يحتمل سؤاله ربه
ان يجعل افئدة الناس تهوى اليهم وجهين احدهما لما اسكن ذريته فى مكان لا ماء فيه ولا نبات ولا زرع خاف
مثل هذا المكان يستوحش المقام فيه فسأل ربه ان يجعل افئدة الناس تهوى اليهم ليأنسوا بذلك المكان فيذهب عنهم
تلك الوحشة فيستأنس بهم او سأله ان يجعل افئدة الناس تهوى اليهم ليتعيشوا بما ينقل اليهم من الازواد و
الاطعمة اذا اسكنهم فى مكان لا زرع فيه ولا يتعيشون فيه به وقد جعل الله فيه هذا البشر اذ لا قوام لهم الا [illegible]
والاطعمة فسأل ربه ليتعيشوا بما يحمل اليهم وقال اهل التاويل فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم بالحج وقالوا
لو قال فاجعل افئدة الناس تهوى اليهم ولم يقل من لحجت الخلق جميعا الكافر والمؤمن لكن لا يحتمل عندنا ان يكون سؤاله
الخلق جميعا او يكون قوله واذن فى الناس بالحج للخلائق جميعا الكافر والمؤمن بل يرجع ذلك الى الخصوص والله اعلم
وقوله عز وجل وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون لا يحتمل ان يرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون تلك الثمرات
ويحتمل لعلهم يشكرون بما يجعل لهم من التعيش بما يحمل اليهم من الاغذية والاطعمة وقوله وارزقهم من الثمرات ليس
على تخصيص الثمرات ولكن سأل الثمرات وما به غذاؤهم وقوامهم وقوله عز وجل ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن
لا يحتمل ان يكون سؤاله هذا الدعاء منه مبتدءا بل كان والله اعلم عن نازلة وحاجة ان يعلم صلوات الله عليه انه كان يعلم
ما يخفون وما يعلنون لكن لم يبين ما تلك النازلة واهل التاويل يقولون قال هذا اى تعلم ما نخفى من الحزن والوجد
على اسمعيل وامه حين تركهما بواد لا ماء فيه ولا زرع ويقولون وما نعلن وهو قوله ربنا انى اسكنت من ذريتى لكن لا
نعلم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء كان هذا جوابا من الله واخبارا
منه اياه انه لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء اى لا يخفى عليه شئ مما لا امر فيه ولا نهى ولا جزاء فكيف يخفى عليه
الاعمال التى عليها الجزاء والامر وقوله عز وجل الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق قال اهل التاويل انه
له الولد وهو ابن كذا وامرأته ابنت كذا لكن لا نعلم ذلك سوى ما ذكر انه وهب له الولد على الكبر فى وقت الاياس من الولد
حيث بشر بالولد فقال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر وحيث قالت امرأته لما بشرت بالولد االد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا
يعلم انه وهب له الولد وهما كانا كبيرين فى وقت الاياس من الولد وقوله الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق
يكون نحمده على الامرين جميعا على الهبة وعلى الولادة فى حال الكبر وهو حال الاياس اذ كل واحد مما يوجب الحمد عليه
والثناء وقوله عز وجل ان ربى لسميع الدعاء قيل لمجيب الدعاء وقوله عز وجل رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن
ذريتى قد سبق من الله الامر باقامة الصلوة وهو المعين لها لو لا الدعاء منه والسؤال على ان يجعله مقيم الصلوة
ان عند الله لطفا سوى الامر لم يعطه فسأله ذلك هو التوفيق وعلى قول المعتزلة لعزلهم قد اعطى كل شئ حتى
لم يبق عنده ما يعطيه وقوله عز وجل ربنا وتقبل دعاء قال بعضهم تقبل دعائى فى اقامة الصلوة لنفسه وذريته لكن
لا يجب ان يخص دعاءه من الدعوات التى سأل ربه وقد دعا ربه بدعوات كثيرة نحو ما قال اجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام
وقوله ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وغير ذلك من الدعوات
وقوله عز وجل ربنا اغفر لى ولوالدى طلب من ربه المغفرة لوالديه قال الحسن ان امه كانت مسلمة واما ابوه فكان

لا الامة قال اغفر لابي انه كان من الضالين حتى والده بالضلال ولو ان امه كانت مسلمة لكن لا نعلم من حال الام امره كانت
مسلمة او كافرة واما ابوه فكان كافرا فهو لا شك انه كان كافرا ثم يحتمل دعاؤه لوالديه وهما كافران ان كانت امه كافرة الا على
احيا والاسلام اى اغفر لهما ان اسلما او ان يكون سؤال المغفرة لهما سؤال الاسلام لنفسه او ان يكون طلب منه
الستر عليهما في الدنيا وان لا يفضحهما ولا يجزيهما لكن سال المغفرة يوم يقوم الحساب ولا يحتمل طلب الستر لانه
يفصل بين قوله ربنا اغفر لي ولوالدي وبين قوله للمؤمنين ابتداء بالمؤمنين يوم يقوم الحساب وقد ذكرنا هذا فيما
تقدم ودعى ابراهيم وسؤاله المغفرة لوالديه يكون سؤال السبب الذي يستحقان به المغفرة من ربهما ويكونان
اهلا لها وهو التوحيد ومعرفة المولى وهو ما ذكرنا في امر نوح قومه الاستغفار له وكذلك قول هود حيث قال
قال ويا قوم استغفروا ربكم الاية وقوله عز وجل يوم يقوم الحساب يحتمل قوله يوم يقوم الحساب بالعدل يقول
الرب لا احد اخر حسابي اى اعدل فيه واقامة الحساب العدل فيه على ما يوجبه الحكمة لا يزاد ولا ينقص كقوله و
نضع الموازين القسط وقال بعضهم يوم يقوم الحساب يوم يحاسبون قيام الحساب هو المحاسبة نفسه والله
اعلم ويحتمل قوله انك تعلم ما نخفي وما نعلن كانت له حاجات اخفا طلب قضاها فقال تعلم حاجاتي اخفيتها او اعلنتها
لا فتنهالي او ان يكون قومه طعنوا في شيء فقال ذلك على البري من ذلك انه يعلم ما نخفي وما نعلن ولم يعلم ذلك الذي يطعنون
في سر والله اعلم كقوله عيسى تعلم ما في نفسي او ان يكون قال ذلك لان اهل الاديان جميعا كانوا يتولون ابراهيم ويدعون
انه على دينهم وكذلك قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية برأه الله مما ادعى كل فريق ثم منهم من كان من هذه الفرق
يعون الاسرار عن الله والاخفاء عنه فقال هذا ليعلم الناس توحيده انه لا يخفى عليه شيء اخفي واعلن ليعرفوا توحيده
انه ليس شيء يخفى عليه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال بعضهم المخاطبة
بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة على علم منه ان رسول الله كان لا يظن ان الله يغفل عما يعمل الظالمون لكنه خاطب
به كما خاطب به في قوله ولا تدع مع الله الها اخر وقوله ولا تكونن من المشركين وامثاله نهاه مع العلم انه لا يفعل
ذلك واصله في هذا ان العصمة لا ترفع المحنة ولا تبطل المحنة الامر والنهي اذ لو رفعت العصمة المحنة والامر
والنهي لذهب فائدة العصمة ولا حاجة تقع اليها فدل ان العصمة تزيد في المحنة ومع المحنة يحتاج اليها وتنفع
بها ويحتمل ان يكون الخطاب بالاية غيره كل ظان يظن بالله الغفلة عن ظلم الظالم وهو كما خاطب بقوله يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم انما خاطب به كل غار بربه الكريم لا كل انسان فعلى ذلك خاطب بقوله ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون كل ظان بالله الغفلة عن ظلم الظالم ثم ان الذي حملهم على الظن بالله الغفلة
عن ظلم الظالم امهاله وتاخيره العذاب عنهم عن وقت ظلمهم وترك اخذهم بذلك فظنوا منهم من ادعى الغفلة من ذلك
لما راوا من عادة ملوك الارض ان من ظلم احدا منهم انتقم منه في عاجل وقت يقدر على الانتقام منه فحمل تاخير
الله العذاب منهم والانتقام منهم على الغفلة بالغفلة ومنهم ادعى الرضا بالاختيار وهم من الشرك والكفر
بالله وادعوا الامر بذلك لما لم ياخذهم ولم يستاصلهم بصنيعهم فاستدلوا بذلك رضاه بفعله وامره اياهم
بذلك فاخبر رسوله ان تاخيره العذاب عنهم وامهاله اياهم ليس عن غفلة عنه ولا عن سهو والرضاء وامر ولكن
انما يؤخرهم ليوم ثم وصف ذلك اليوم لشدة هوله وفزعه فقال ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم
لا يرتد اليهم طرفهم قال بعضهم هذا كله يرجع الى الطرف والبصر يقولون شاخصة ابصارهم مهطعين ناظرين
اليه اى الى الداعي مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم الى البصر وقوله مهطعين مقنعي رؤوسهم الى الانفس
وهو ما ذكر في موضع اخر مهطعين الى الداعي اى مسرعين اليه الاجابة رجاء الخلاص والنجاة مما حل بهم بترك الاجابة
والاهطاع قيل هو النظر الدائم والاقناع هو الرفع رفع الرؤوس مهطعين اى مديمي النظر مقنعي رؤوسهم رافعيها
وعلى تاويل بعضهم مسرعين على ما ذكرنا وقال بعضهم مقنعي رؤوسهم اى رافعيها ملزقة الى اعناقهم وقوله ولا
تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون يخرج على وجهين احدهما يقول لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقت خلقه
الخلق وانشائهم ممن يكونوا منهم من الظلم اى لا عن غفلة وسهو عن ظلم الظالمين انشائهم وخلقهم ولكن على علم بما
يكون منهم انشائهم وخلقهم لكن انشائهم على علم منه ذلك من الحكمة والثاني ما ذكرنا ان تاخيره العذاب عنهم
ليس لغفلة منه بذلك ولكن لما في اخذهم بالعذاب وقت صنيعهم زوال المحنة لانه يصير العذاب والثواب مشاهدة
وقوله عز وجل وافئدتهم هواء خالية لهول ذلك اليوم اى خالية عن التدبير لا في المشاهدة اذ من بلي ببلاء وشدة
يدبره فيتفكر في دفع ذلك فيخبر ان افئدتهم هواء يومئذ اى خالية عن التدبير اذ افئدتهم لا يكون معهم لشدة اهواله
وقال بعضهم وافئدتهم هواء اى لا شيء فيها ما ينتفعون به وكذا الهواء هو كل شيء يوصف بالخلاء من كل شيء و

علم وقوله عز وجل وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب يحتمل قوله وانذر
الناس يوم يأتيهم العذاب قوله الذين يقولون يومئذ ربنا اخرنا الى اجل قريب ويحتمل وانذر الناس يوم يأتيهم
العذاب الذي يحل بهم ثم اخبر عما يقولون اذا حل بهم العذاب ربنا اخرنا الى اجل قريب قال بعضهم الى الدنيا و
الدنيا اجلها قريب لكن هذا لا يحتمل لان الدنيا اولى والاخرة اخرة فلو جاز هذا لتكون الاخرة اولى فذلك بعيد
لكن طلبوا والله اعلم الرد الى حال الامن ليجيبوا داعيه اذ لم ينفعهم اجابتهم في حال الخوف والهول وما
حل بهم انما حل بتركهم في حال الامن فطلبوا الرد الى الامن ليجيبوا داعيه لتنفعهم اجابتهم حيث قالوا نجب
دعوتك ونتبع الرسل وقوله عز وجل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال لم يبين ما اقسموا في هذه الاية وهو
ما بين في اية اخرى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم قوله ما لكم من زوال قال قائلون ما لكم
من زوال من الدنيا اى كنتم تقولون ان ليس الا الدنيا لا زوال لنا عنها نحيا ونموت كقوله ان هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا الاية على ما ذكر من قسمهم انهم لا يبعثون وقال قائلون قوله ما لكم من زوال الجواب لسؤالهم ربنا
اخرنا الى اجل قريب على الاستيناف قال ما لكم عما انتم فيه من العذاب الى ما تسالون من المدة والتاخير اى
ما لكم الى ذلك سبيل وقال بعضهم في قوله وافئدتهم هواء اى تنتزع قلوبهم حتى صارت في حناجرهم فلا تخرج
من افواههم ولا تعود الى مكانها لشدة هول ذلك اليوم وفزعهم عليه وهو على التمثيل والكناية كقوله اذ جاؤكم
من فوقكم ومن اسفل منكم الاية لشدة خوفهم وهو على التمثيل اذ لا يحتمل بلوغ القلوب الحناجر في الدنيا حقيقة
اذ لو بلغت ذلك لخرجت فماتوا اذ الدنيا يحتمل الموت فيها فدل ان ذلك على التمثيل لشدة خوفهم وقوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بتكذيبهم الرسل وتاويله والله اعلم انهم كانوا يطلبون من ربهم الرد
الى حال الامن فيجيبوا بقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل والله اعلم فقال وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم بتكذيبهم الرسل اى سكنتم في الدنيا في مثل منازلهم ومساكنهم فرايتم ما نزل
باولئك الذين صنعوا مثل صنيعكم ذلك وقوله عز وجل وتبين لكم كيف فعلنا بهم من التعذيب والاستيصال
ثم لم تتعظوا بما حل بهم فعلى ذلك اذا رددتم الى حال الامن لا تتعظون بما حل بكم في هذه الحال وهو ما قال ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فيما يقولون انهم يجيبون دعوته هذا والله اعلم تاويله وقال بعض
اهل التاويل وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم اى علمتم اعمالهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم من الاستيصال
بالتكذيب بتكذيبهم الرسل فلم تتعظوا بذلك فلا تتعظون به ايضا اذا رددتم والله اعلم وفي قوله وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم الى اخر ما ذكر دلالة لزوم النظر والاستدلال ولزوم القياس ودلالة لزوم
العقوبة وان كانوا لم يعلموا به بعد ان مكنوا من العلم به اما دلالة النظر والاستدلال هو قوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم فهلا نظرتم ما حل بهم من تكذيبهم الرسل واتعظتم به ودلالة القياس هو ما خوفهم ان
ينزل بهم ما نزل باولئك لانهم اشتركوا في المعنى الذي نزل باولئك ما نزل هو تكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم
اياهم وقوله عز وجل وضربنا لكم الامثال اى ضربنا لكم الامثال ما لو تفكرتم فيها ونظرتم لكان ذلك لكم موعظة
وزجرا عن مثل صنيعكم او يقول وضربنا لكم الامثال اى قد بينا لكم الامثال والاشباه ما يعرفكم لو تاملتم ان او
لكم اشباه وامثال وصنيعكم لصنيعهم اشباه وامثال فينزل بكم ما نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل وقد مكروا
مكرهم مكروا واحتالوا على اهلاك الرسل مكروا واحتالوا على اطفاء ذلك وقتلهم كقوله واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية وكيدهم الذي ذكر في غير اى من القران يريد رسل الله حتى فان الرسل فكيدوني جميعا ومكروا ايضا بدين الله
الذي اتت به الرسل مكروا واحتالوا على اطفاء ذلك النور فابى الله ذلك عليهم واظهر دينه وابقى نوره
الى يوم القيامة كقوله يريدون ان يطفئوا نور الله كان مكرهم وحيلهم يرجع في احد التاويلين الى نفس الرسل
حتى هموا وتعدوا اهلاكهم والثاني يرجع الى اطفاء الدين الذي اتى به الرسل والنور الذي دعوا اليه وقوله
عز وجل وعند الله مكرهم يحتمل عند الله جزاء مكرهم الذي مكروا برسول الله وبدينه او عند الله مكرهم اى عند
الله العلم بمكرهم محفوظ ذلك عنده لا يفوت ولا يذهب عنه شيء يجزيهم بذلك في الاخرة او عند الله مكرهم اى عند
الله الاسباب التي بها مكروا ومن عند الله استفادوا وهو النعيم الذي اعطاهم والاموال التي ملكهم والعقول
التي ركب فيهم لما انفذوا على المكر والاحتيال عند الله والله اعلم وقوله عز وجل وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
اختلف في تلاوته وقرائته وتاويله قرا بعضهم وان كان مكر بالدال وهو حرف عمر وابن مسعود والى ابن عباس رضي
الله عنهم وقرا بعضهم ان كان مكرهم بالنون ثم اختلف في قوله وان كان قال وغيره وان معنى ما كان مكرهم لتزول

منه الجبال فان كان مكرهم اوهن واضعف من ان تزول منه الجبال فان كان مكرهم وان بمعنى ما كثير في القران كقوله لاتخذ
من لدنا ان كنا فاعلين وكقوله ان نحن الا بشر مثلكم اى ما نحن الا بشر مثلكم وقد يستعمل ان في موضع قد كقوله ان
كان وعد ربنا لمفعولا اى قد كان وعد ربنا لمفعولا ثم حمله على ما قلنا استهانة لمكرهم واستخفاف به فقال ان مكرهم اوهن
واضعف من ان تزول منه الجبال اوهن واسرع زوالا من رسالة الرسل ودين الله بل رسالة الرسل ودين الله و
رسله معهما حجج الله وبراهينه فاذا لم يعمل مكرهم في ازالة الجبال لا يعمل في ازالة دين الله ورسله معهما حجج الله
وبراهينه فاذا لم يعمل مكرهم فازالة الجبال لا يعمل في ازالة دين الله ورسالة الرسل ومعهما الحجج والبراهين ومن
قال وان كان قد كان نحمله على الاستعظام لمكرهم وعلى ذلك من قرا كاد بالدال على الاستعظام لمكرهم وكقوله تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا من عظيم ما قالوا في الله كادت السموات ان تنشق
فعلى ذلك مكرهم جميعا لوجهين ان نيتهما مرة ويستعظم الان يقال ان الاتهم من حيث الشرك والكفر عظيمة ومن
حيث لحيالهم ومكرهم في ازالة ذلك النور واطفائه ضعيف والله اعلم **وقوله** عز وجل فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله الخطاب به يحتمل ما ذكرنا اى لا تحسبن ان ما تاخر من نزول ما وعد انه مخلف وعده الذي وعد رسله كالذي يكون
تاخير العذاب عنهم من وقت ظلمهم عن غفلة وسهو ولكن كان وعده الى ذلك الوقت وخلف الوعد في الشاهد من
الخلق انما يكون لوجهين احدهما لما لا يملك انجاز ما وعد والثاني لما يعجزه الانجاز فان الله يتعالى عن ذلك كله **و
قوله** عز وجل ان الله عزيز ذو انتقام قال بعضهم عزيز لا يعجزه شئ وقيل عزيز قاهر يقهرهم ويذل لهم الخلائق كلهم اذ لا
دونه وقوله عزيز اى غالب قاهر ذو انتقام لاوليائه من اعدائهم اى غالب الاعداء وقاهرهم وناصر الاولياء واما
قال اهل التاويل في قوله وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال انه نزل في نمرود
انه اتخذ تابوتا وربط نسورا على قوائمه وما ذكر الى ان قال فلا علم لنا في ذلك والله اعلم كانه خيال فادعوا الا
القدر والذي ذكر في الاية ولتزول بنصب اللام الاولى ورفع الاخرة على معنى التوكيد ولتزول بكسر اللام الاولى
ونصب الاخرة على الجحد اي ما كانت الجبال لتزول من مكرهم وهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات قال الحسن تنشق هذه الارض ثم تعاد من ساعته مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقال بعضهم تبدل هذه الارض ارضا غير هذه بيضاء نقية لم يسفك عليها
دم ولم يعمل عليها بالمعاصي وكذلك السموات ومنهم من يقول لا تبدل عينها ولكن يغير صفتها وزينتها كما تقول
الرجل الآخر تبدلت بالافادة لا يريد تبدل اصله وعينه ولكن تغير الاحوال والدين فعلى ما ذكر من تبديل الارض
انه يكون على اختلاف الاحوال لانه ذكر في اية اخرى يومئذ تحدث اخبارها وقال واذا الارض مدت وقال يوم تشقق
واذا السماء انشقت واذا السماء فطرت وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ويوم نسير الجبال وقال
ويسالونك عن الجبال وقال فجعلناها هباء منثورا ذكر مرة انها تخبر وتحدث عما عمل عليها وذكر في السماء بالتشقق
والانفطار وفي الجبال بالسير والمد ومرة بالرفع ومرة اخبر انه جعلها هباء منثورا وامثاله فيشبه ان يكون
هذا كله على اختلاف الاحوال والاوقات اذ يوم القيامة يوم ممتد فيكون كل ما ذكر على ما قال يومئذ فهم لا يتساءلون
قال في اية اخرى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال ولا يتساءلون وقوله فبا له من في السموات ومن في الارض
فهو والله اعلم ذلك على اختلاف الاحوال والاوقات فعلى ذلك الاول والله اعلم بذلك وتبدل الارض والسموات يحتمل
وجهين احدهما تبديل اهلهما على ما يذكر الارض والقرية والمراد منها الاهل كقوله واسئل القرية التي كنا فيها
والعير التي اقبلنا فيها وقوله قرية كانت امنة الاية ونحوه كثير والثاني تبديل نفس الارض ثم يحتمل كل واحد من الوجهين
وجهين اما تبديل اهلها هو ان يكونوا مستسلمين خاضعين له في ذلك ولم يكونوا في الدنيا والثاني تبدل اهلها هو ان
يكون الاولياء في النعم الدائمة واللذة الباقية والاعداء في عذاب والم وشدة وكانوا في هذه الدنيا جميعا مشتركين
الاولياء والاعداء في اللذات والالام فان كان تبديل نفس الارض فهو يخرج على وجهين احدهما تغيير زينتها وصفتها
والثاني تبديل عينها وجوهرها وهو ما ذكر ان ارض الجنة تكون من مسك وزعفران ونحو ما روي في الخبر والله اعلم
كان قوله يوم تبدل الارض غير الارض صلة قوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الاية فقالوا متى يكون ذلك
فقال يوم تبدل الارض غير الارض يخرج جوابا لسؤال والله اعلم **وقوله** عز وجل وبرزوا لله الواحد القهار قد ذكر
برزوهم لله يوم القيامة انه والله اعلم انشاء هذا العالم الاول للعالم الثاني فالعالم الثاني هو المقصود في انشاء
هذا العالم فخص بروزهم يومئذ له لما هو المقصود في انشائهم وقال قائلون تخصيص البروز له يومئذ لانهم يخرجون
من قبورهم للحساب لا لغيره فهو يحاسبهم فاضاف البروز اليه لا لما يخرجون الا له واما في الدنيا فانما يخرجون

الحوائج انفسهم لذلك خرج التخصيص له والاضافة وقوله وبرزوا لله يحتمل وجهين احدهما برزوا له مستسلمين
خاضعين قائلين طائعين ولم يكونوا في الدنيا كذلك والثاني برزوا له لما وعدوا واوعدوا وابادوا له لوعده ولوعيده
ولما دعوا اليه وعبوا فيه والثالث برزوا له لما لا يملكون اخفاء انفسهم وسترها بل ظاهرين له **وقوله** عز وجل
الواحد القهار والذي لا شريك له والقهار يقهر الخلائق يملكهم ويغلبهم الجبابرة والفراعنة او يبرزون ليجزيهم
على ما ذكر تعالى ليجزي الله كل نفس ما كسبت والله اعلم **وقوله** عز وجل وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد
سرابيلهم من قطران قيل القطران هو النحاس والاني الذي قد انتهى حره كقوله من حميم ان وقيل الصفر وقال
بعضهم من قطران اى من نحاس انى لهم ان يعذبوا وقال بعضهم هو من القطران المعروف الذي يطلى به الابل ذكر
هذا لانه اشد احراقا واشتعالا وقوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد الى اخر ما ذكر جعل الله عذاب
الكفرة في الاخرة بالاسباب والاشياء التي كانوا يفتخرون بها في الدنيا من اللباس والشراب والاصحاب وغيره وهم
كانوا بسبب منعهم عن اجابة الرسل فيما دعوهم اليه فجعل تعذيبهم في الاخرة بذلك النوع من النوع فقال وترى
المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد يقرن ويقيض بعضهم ببعض كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
الاية لانه كان يتبعه وياتمر بامره وكقوله احشروا الذين ظلموا الاية وكذلك الرؤساء منهم والمتبوعون **وقوله** عز وجل سرابيلهم
من قطران لما كانوا يفتخرون في الدنيا بلباسهم وكذلك كل نوع يفتخرون به في الدنيا ويمنعهم عن الاجابة اجابة الرسل
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والاصفاد قيل الاغلال اى قد قرن بعضه الى بعض في الاغلال واحدها صفد وهو قول
القتبي وكذلك قول ابي عوسجة في الاصفاد الاغلال قال واحدها صفاد والصفد العطية سرابيلهم قمصهم واحدها
سربال من قطران القطر اذ ما ذكرنا النحاس والاني الذي قد اشتد حره وهو قول القتبي وابي عوسجة ذكر هذه الانواع
والتقديد والانواع مما يعذبون به في الاخرة ونعيمها على السن من قد ظهر صدقهم بالايات والحجج ليحذروا ما اوعدوا
ويرغبوا فيما رغبوا لئلا يكون لهم الاحتجاج يومئذ كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله ليهلك
من هلك عن بينة الاية ونحوه والله اعلم والحكمة **وقوله** عز وجل وتغشى وجوههم النار لان ايديهم مغلولة الى اعناقهم
فلا يقدرون ان يتقون النار بايديهم ذكر هذا لان في الشاهد من اصاب وجهه اذى يتقي عنه بيده فيخبر انهم
انما يتقون ذلك بوجوههم والله اعلم ليجزي الله كل نفس ما كسبت لما ذكرنا يجزون الله ليجزيهم من خير وشر
وقوله عز وجل ان الله سريع الحساب قال بعضهم كان قد جاء حسابه والثاني ذكر هذا لان الحساب انما يطول
لا يتذكر من له الحساب لمن يحاسبه في الشاهد فيحاسبه فيطول الحساب او الاشتغال بشئ عنه او الجهل بما
فاما الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من شئ كله محفوظ عنده فهو سريع الحساب والله اعلم او تقول انما يطول
الحساب في الشاهد ويمتد لاحتياج الى التفكر والتذكر في ذلك فالله سبحانه وتعالى من التفكر والنظر بل كل شئ
محفوظ عنده والله اعلم **وقوله** عز وجل هذا بلاغ للناس ولينذروا به يحتمل قوله هذا بلاغ القران هو بلاغ للناس
على ما ذكر في صدر السورة كتاب انزلناه اليك الاية هو بلاغ على ما ذكر والله اعلم ولينذروا به اى بالقران ايضا
على ما ذكر وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها ويحتمل قوله هذا بلاغ
ما ذكر من المواعيد وهو قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد الى اخر ما ذكر اى هذا الذي ذكر بلاغ يبلغهم
لا محالة ولينذروا بما ذكر وليعلموا انما هو اله واحد لا شريك بالايات التي فيها على وحدانية الله والوهيته وليذكر
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب وقران مبين قد ذكرنا فيما تقدم انه يحتمل ان الحروف المقطعة كناية عن كتابه او اياته
انه جمعها وما نوجبه الحكمة فجعلها كتابا او ايات كتاب نبي او يكون كتابة عن الانباء والاخبار عن الامم السالفة التي
لم يشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الانباء والاخبار التي جعلناها كتابا او ايات ليعلموا ان هذا الكتاب انما
نزل من السماء وانه انما علم بالوحي من الله وقد ذكرنا هذا في غير موضع وقران مبين قال بعضهم مبين ما يؤتى وما يتقى او
مبين يبين بين الحق والباطل والله اعلم **وقوله** عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال عامة اهل التاويل
انهم يودون الاسلام والتوحيد بعد ما عذب بالنار قوم من اهل التوحيد بذنوبهم ثم اخرجوا منها بالشفاعة او
بالرحمة فعند ذلك يتمنى اهل الشرك ويودون الاسلام والتوحيد لو كانوا مسلمين لكن هذا يصح ان لا يخرج الا في
النار بعد ما اخرج اولئك وقد اصيبوا الشدائد والبلايا من قبل ان يلقوا النار وقال الله تعالى حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الاية اخبر انه يتمنى عند حلول الموت الاسلام حيث طلب الرجوع الى الدنيا

ان انهم يودون الاسلام قبل الموقف الذي ذكر وان يتمنوا الاسلام اذا حبسوا واذا بعث اهل الجنة وبعثوهم الى النار
يتمنوا الاسلام قبل ذلك في مواضع وربما يتمنى الاسلام من الكفرة ويودون لو كانوا مسلمين في احوال واوقات يظهر
لهم الحق لكن الذي يمنعهم وقد بان لهم الحق لكن الذي يمنعهم عن الاسلام خوف شيء من الدنيا ذهاب شيء قد طمعوا
فيه وقال الحسن في قوله الر تلك ايات الكتاب قسم لما ذكر ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين يقول اقسم بالحروف
المقطعة انهم يودون الاسلام والله اعلم وقوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا هذا ليس على الامر ولكن على التوعيد
والتهديد والابلاغ في الوعيد وتاكيد قوله اعملوا ما شئتم الاية وهو على التوعيد حيث قال انه بما تعملون بصير فعلى
ذلك قوله ذرهم ياكلوا وعيد بقوله فسوف يعلمون ويشبه ان يكون ذرهم ولا تكافئهم بصنيعهم وقوله
عز وجل فسوف يعلمون المحق والمبطل وان المحق والمبطل من انت او هم او سوف يعلمون نصحك اياهم وشفقتك لهم
انك نصحت لهم واشفقت كان خنتهم او يعلمون بما تخذوا بكم هزؤا وقوله ويلههم الامل الامل الطمع اختلف فيه
قال بعضهم اي منعهم طمعهم انهم واباءهم قد اصابوا الحق ذلك منعهم من الاجابة النظر في الايات والحجج ويقدرهم
بامتداد حيوتهم لبقي لهم الرياسة والشرف ذلك الذي كان يمنعهم عن الاجابة والانقياد له والنظر في الايات والحجج
والثالث يطمعون هلاك النبي صلى الله عليه وسلم ويتمنون ذلك وانقطاع ملكه وامره والعود اليهم فذلك
الذي كان منعهم وفي حرف حفصة ذرهم يخوضوا ويلعبوا ويلههم الامل وقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية في
قوم علم الله انهم لا يؤمنون ايس رسوله عن ايمانهم وهو كقوله واذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله عز وجل وما
اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قال الحسن وما اهلكنا اهل قرية اهلاك تعذيب الا وقد ارسلنا اليهم رسلا
بكتاب معلوم تتلوا ذلك الكتاب المعلوم عليهم فاذا كذبوهم وايسوا من ايمانهم فعند ذلك يهلكوه اهلاك تعذيب
وهو ما قال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا فعلى ذلك الاول وقال بعضهم
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم يقول كتاب فيه اجل معلوم موقت لها على هذا التاويل كانه قد خرج جوابا
بالقول كان من اولئك الكفرة من استعجالهم الاهلاك وقوله عز وجل ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
اي ما تسبق امة اجلها الذي جعلها الله لها بالاهلاك وما تستاخر عنه وهو ما قال لا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله يجعل لخلقه اجالا ثم يجيء احد فيقتله قبل الاجل
الذي جعله الله له والله يقول لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل
مسمى لجاءهم العذاب يخبر انه لجاءهم العذاب لولا ما جعل من اجل مسمى قد وعد جل وعلا انه يفي بما وعد من البلوغ
الى الاجل الذي سمى وعلى قول المعتزلة لا يملك انجاز ما وعد لانه يجيء انسان فيقتله فيمنع الله عن وفاء ما وعد
فذلك عجز وخلف في الوعد ونعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الحق وقوله عز وجل وقالوا يا ايها الذي
نزل عليه الذكر يعني القران انك لمجنون قال الحسن قوله يا ايها الذي تدعي انه نزل عليه الذكر انك لمجنون فيما تدعي
من نزول الذكر هو على الاستهزاء الذي قال الحسن والاشبه الظاهر متناقض لانهم كانوا لا يقرون بنزول الذكر عليه لانهم
لو اقروا بنزول الذكر عليه لكان قولهم متناقضا فاسدا انك لمجنون سموه مجنونا والذي حملهم على تسميتهم اياه
مجنونا وجوه احدها انهم لما راوه انه قد اظهر الخلاف لذوي العقول منهم والافهام والدهاة الجبابرة ما
راوا انه ليس يخالف اهل العقول والفهم الا مجنون به فسموه مجنونا والثاني راوه قد اظهر الخلاف للفراعنة و
الجبابرة الذين كانت عادتهم القتل والهلاك لمن اظهر الخلاف لهم في امر من امورهم الدنيا ومن فكيف من
اظهر الخلاف لهم في الدين فظنوا انه ليس يخالفهم ولا يخاطر بنفسه وروحه الا مجنون فيه والثالث قالوا ذلك
لما راوه كان يتغير لونه عند نزول الوحي عليه فظنوا ان ذلك لانه فيه ومن تامل حقيقة ذلك علم ان من فرقة
يجيزون به هو المجنون لا هو حيث قال اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة الاية وقال وما انت بنعمة ربك بمجنون لنبيه
انهم لو تفكروا في امره لعرفوا انه ليس به جنة ولكن معاندة ومكابرة يقولون ويجعل سموه ساحرا فذلك تناقض في القول لانه
لا يسمى ساحرا الا لفضل بصر وعلم فذلك تناقض وقوله عز وجل لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين تاويله و
الله اعلم يقولون له انك تزعم ان الملائكة تاتونك بالوحي فهلا اظهرت لنا اذا اتوك فننظر اليهم املائكة هم
على ما تزعم ام شياطين وقال بعضهم لو ما تاتينا بالملائكة فيشهدون انك رسول الله وانك ارسلت على ما تدعي من
الرسالة فقال ما ننزل الملائكة الا بالحق الا بالموت وما كانوا اذا منظرين قال بعضهم انه ليس في وسع البشر رؤية الملائكة
على صورتهم فقال ما ننزل الملائكة الا بالحق الا بالموت لو انزلوا اياهم لو لم يجعل في وسعهم رؤية الملائكة وهو كقوله
وقالوا لولا انزل عليه ملك الاية اخبر انه لو انزل عليهم الملائكة لماتوا الا ان في وسعهم رؤية الملك على صورته

ثم اخبر ايضا انه لو جعله رجلا ويكون في ذلك لبس على اولئك وقال بعضهم ما ننزل الملائكة الا بالحق اي الا بالحجج و
الايات والبراهين على الرسل وعلى من هو اهل لبس لبس على كل احد وقال بعضهم الا بالحق اي بالعذاب الذي يكون
فيه هلاكهم وهكذا ان الملائكة تنزل بالعذاب الذي فيه هلاكهم او بالحجج والبراهين والله اعلم وقوله عز وجل انا
نحن نزلنا الذكر يعني القران وانا له لحافظون حتى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيها وكل الحفظ الى
نفسه لم يقدر احد من الطاعنين مع كثرتهم منذ نزل موضع الطعن فيه وذلك يدل انه سماوي وانه محفوظ وقال
بعضهم وانا له لحافظون اي محمدا عليه افضل الصلوات اي نحفظه بالذكر الذي انزل عليه كقوله والله يعصمك من
الناس وكقوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي الاية اخبر انه انما يهتدي بما يوحى اليه ربه فعلى ذلك يحفظه بالقران
الذي انزل عليه ويحتمل ان يكون الذكر النبوة اي انا نحن نزلنا النبوة وانا له اي لرسوله لحافظون بالنبوة والرسالة
وقوله عز وجل ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين قيل في ملل الاولين وقيل في فرق الاولين وقيل في جماعات
وهو واحد وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون يصبر رسوله على استهزاء قومه اياه واذاهم يقول والله
اعلم لست انت المخصوص بهذا ولكن لك شركاء واصحاب في ذلك ليخف ذلك عليه ويهون لان العرف في الخلق
ان من كان له شركاء واصحاب في شدة اصابته وبلاء ومصيبة كان ذلك ايسر عليه واهون من ان يكون مخصوصا به من
بين سائر الخلائق والله اعلم كان هذه الاية صلة قوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر فكانه لما سمع هذا اشتد عليه
وضاق صدره بذلك فعند ذلك قال ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين لا احزنه بصبره على اذاهم وهون نفسه
به فانما يشتد عليه ذلك على قدر شفقته ونصيحته لهم وكان بالغ نصيحته وشفقته لهم ما ذكر لعلك باخع نفسك
وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كادت نفسه تهلك او ذكر هذا له لما هؤلاء اعني قومه انما استهزءوا به
تقليدا لابائهم واجدادهم وتلقنوا منهم لا انهم انشاؤا ذلك من انفسهم واولئك اعني الاوائل انما استهزءوا برسلهم
لا تقليدا باحد ولكن انشاء من ذات انفسهم فمن استهزأ باخر نشئه تقليدا واقتداء وتلقنا قال ذلك ايسر عليه
واخف من فعل به من ذات نفسه لانه انما يلقن الجاني والصبيان ومن به افة يقبل ذلك فهم الذين يقبلون بالتلقين واما
العقلاء والسالمون من الافات فلا فذلك اهون عليه من استهزاء اولئك برسلهم والله اعلم وقوله عز وجل
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اختلف فيه قال بعضهم كذلك نسلك التكذيب والاستهزاء في قلوب المجرمين
لا يؤمنون به يقول من حكم الله ان يسلك التكذيب في قلب من اختار التكذيب وكذب به ومن حكمه ان يسلك التصديق
في قلب من صدقه واختاره كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقوله وما يضل به الا الفاسقين وقال بعضهم
قوله كذلك نجعل الكفر والتكذيب في قلوب المجرمين بكفرهم كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
الاية وقوله وجعلنا قلوبهم قاسية وكذلك ويحتمل قوله نسلكه في قلوب المجرمين الحجج والايات ليكون تكذيبهم
وردهم الايات والحجج وتكذيبهم تكذيب عناد ومكابرة لا يؤمنون به وقوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي
مثل الذي سلكنا في قلوب المؤمنين من قبول الايات والحجج والتصديق لها لما علم انهم يختارون ذلك نسلك في قلوب
المجرمين من تكذيب الايات والحجج وردها لما علم منهم الرد والتكذيب لها هذا محتمل ويحتمل غير ما ذكرنا والله
اعلم وقوله عز وجل وقد خلت سنة الاولين يحتمل قوله قد خلت سنة الاولين بالتكذيب والرد والمعاندة
والمكابرة بعد قيام الحجج والايات ويحتمل وقد خلت سنة الاولين الهلاك والاستئصال عند مكابرتهم الحجج وعنادهم
اياها وقال بعض اهل التاويل كذلك نسلكه اي نجعله على ما ذكرنا الكفر بالعذاب في قلوب المجرمين لا يؤمنون
به اي لا يصدقون بالعذاب وقد خلت سنة الاولين بالتكذيب لرسلهم بالعذاب فهؤلاء يستنون بسنتهم وقال
ابو عوسجة كذلك نسلكه اي ندخله يقال السالك الداخل والسلوك الدخول وسلكت ادخلت وينشد في قوله
كذلك سلكناه وقال اسلك يدك في جيبك اي ادخل وقوله عز وجل ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يخبر جل وعلا عن سفههم وعنادهم في سؤالهم الايات وطلب نزول الملائكة بقوله لو ما تاتينا بالملائكة ان
كنت من الصادقين يقول ان سؤالهم الايات وما سالوا متعنتين مكابرين ليسوا هم بمسترشدين لكن اهل
الاسلام لا يعرفون تعنتهم بالذكر حيث قالوا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية الاية ثم قال وما يشعركم
انها اذا جاءت لا يؤمنون وذلك ان المؤمنين كانوا يشفعون لهم بسؤالهم الايات لعلهم يؤمنون فاخبر وما
يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون فعلى ذلك قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يخبر انهم
ليسوا اليهم نزول الملائكة معاندين مكابرين ليسوا بمسترشدين ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ولو فتحنا عليهم
يعني الملائكة يصعدوا او عاينوا الملائكة ينزلون من السماء ويصعدون فلا يؤمنون وقالوا انما سكرت

ابصارنا حيرت وسدت بل نحن قوم مسحورون اى سحرت اعيننا فلا نرى ذلك وقال بعضهم قوله ولو فتحنا عليهم
اى لهم بابا من السماء كقوله وما ذبح على النصب اى للنصب وقوله عز وجل فظلوا فيه حتى يعرجون فيه ويعاينون قوله
الايات وبيناهم وذكل شئ لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون فيقولون ذلك لشدة تعنتهم وسفههم
وسكرون معاينة ذلك وقوله عز وجل ولقد جعلنا فى السماء بروجا وقيل نجوما ويحتمل البروج المنازل التى ينزل
فيها الشمس والقمر والنجوم وجعل لكل واحد من ذلك منزلا ينزل فى كل ليلة فى منزله على حده ويحتمل ما ذكر من البروج
هى مطالع من الشمس والقمر والنجوم وقوله عز وجل وزيناها للناظرين يعنى السماء للناظرين وفى قوله زيناها للناظرين
يعنى السماء للناظرين وفى قوله زيناها للناظرين دلالة نقض قول من ينهى عن النظر الى السماء من الفرق لانه اخبر انه زينها
ولا يحتمل ان يزينها ثم ينهى عن النظر اليها دل انه لا باس للناظرين وقال فى اية اخرى هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها و
قال فى موضع اخر ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعل الله فى الشمس والقمر والنجوم منافع يهتدون بها الطرق فى
ظلمات الليل وجعلها مصابيح واخبر انه زينها للناظرين لانه ما يفرح العين من النظر لا يتفكر الناظر فيه ولا ينظر اليه
فزينها لهم ليحملهم ذلك على التفكر فيه والنظر اليها ليعلم انه تدبير واحد حيث جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض
مع بعد ما بينهما وجعل اشياء هى فى الظاهر اشباها وهى فى الحقيقة كالاضداد لها ومنها ما هى فى الظاهر اضداد وهى
كالاشكال نحو النور والظلمة هى فى الظاهر اضداد وصارت كالاشكال حيث تبين النجوم فى ظلمات الليل حتى ينتفع بذلك
اهل الارض وهى فى الظاهر اضداد فى التقاطع فصارت بما يظهر من منافعها كالاشكال وجعل لا ينتفع بضوء النجوم
مع نور القمر ولا ينتفع بنور القمر مع ضوء الشمس وهى اشكال بما يذهب كل واحد منهما بسلطان الاخر كالاضداد ليعلم
انه تدبير واحد حيث صارت الاضداد كالاشكال والاشكال كالاضداد فى المنفعة وقوله عز وجل وحفظناها يعنى
السماء من كل شيطان رجيم ذكر ان الشياطين كانوا يصعدون السماء فيستمعون من اخبار السماء من الملائكة
ما يكون فى الارض من موت وغيره ثم يزيدون فيها ما شاؤا فيلقون ذلك الى الكهنة فتخبر الكهنة الناس فيقولون
الم نخبركم من المطرف يوم كذا وكذا فلما منعوا من صعودهم الى السماء وحفظوا منهم فجعلوا يسترقون السمع
فسلط الله الشهب عليهم حتى يقذفون وهو قوله ويقذفون من كل جانب دحورا وقوله فاتبعه شهاب ثاقب
ويحتمل حفظناها اى اهلها من الشيطان الرجيم لما ذكرنا من ذكر اشياء من القرية والمصر والعير وغيره والمراد منه
اهل فمن ذلك هذه الآية اهل السماء بجميعهم اهل ولاية الله واهل طاعته واما اهل الارض فمنهم من الغاوين
فهم اولياء اهل الشيطان كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه الاية ويحتمل حفظ السماء نفسها بالملائكة وهو ما ذكر
ويقذفون الاية ويحتمل بالشهب التى فى غيرها من القران وقال بعضهم الرجيم اللعين وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود
من الشيطان اللعين واللعين فى اللغة هو المطرود والمبعد وهو على ما ذكرنا وقوله عز وجل والارض مددناها والقينا
فيها رواسى وقال فى اية اخرى وجعلنا فيها رواسى ان تميد بهم يعنى الجبال فى الظاهر الارض كانها تضطرب وتنكفى
باهلها فاثبتها بالجبال والارض طبعها التسفل والانحدار وكذلك الجبال من طبعها التسفل والانحدار فكيف كان
ثباتها بشئ طبعه التسفل والتسرب الا ان يقال ان طبعها كان الاضطراب والانكفاء فاثبتها بالجبال من الاضطراب
والانكفاء وان يقال من طبعها ما ذكرنا التسفل والانحدار الا انه بلطفه اثبت ما هو طبعه التسفل ما هو طبعه
ليعلم لطف الله وقدرته وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وانبتنا فيها من كل شئ موزون قال بعضهم فيها
فى الجبال من كل شئ موزون اى ما يوزن من نحو الذهب والفضة والحديد والرصاص ونحوه مما يستخرج منها وهذا كانه
ليس بصحيح لانه لا يقال فى الذهب والفضة والحديد انه نبت فى الارض كما يقال ذلك لنبات وما ينبت فيها وانما يقال
للذهب والفضة والحديد جعلنا فيها او خلقنا فيها وقال بعضهم وانبتنا فيها يعنى فى الارض من كل الوان النبات موزون
اى معلوم مقدر بقدر كقوله وما ننزله الا بقدر معلوم ويحتمل وانبتنا فيها ما يصير موزونا فى الاخر من الزرع وغيرها
والحبوب او ما ذكرنا اى معلوم مقدر والله اعلم ليس على الجزاف على ما يكون من فعل جاهل على غير تدبير ولا تقدير
ويحتمل قوله من كل شئ موزون ما لو اجتمع الاولون لم يعرفوا قدر ما يزداد وينمو من النبات فى لحظة واحدة وطرفة
عين فى اول ما يخرج ويبدو من الارض وذلك موزون عنده معلوم لطفه وتدبيره وقدرته وعلمه وانه تدبير واحد
حيث لم يختلف ذلك ولم يتفاوت والله اعلم قال ابو عوسجة فظلوا فيه اى ظلوا وانهم يعرجون يصعدون ويصعد
وقال غيره ظلوا اى مالوا كقوله فظلت اعناقهم اى مالت وقالت قوله سكرت ابصارنا اى حيرت يقال سكر بصره
اذا تحير وقال يقال ايضا تحيرت يقال سكر الله بصره اى حيره وسكرت الريح تسكر سكرا اذا سكنت ويقال ليل
ساكر اى ساكن وسكرت الماء سكره سكرا اى سده والسكر السد والسكر وجمع السكر مصدر والسكر مصدر وسكر

بسكر سكرا فهو سكران وقوم سكرى وسكارى والسكرة الغمرة والغمرة الشدة وقال عز وجل وجاءت سكرة
بالحق اى شدته وغمرته وقال القتبى سكرت غشيت ومنه يقال سكر النهر اذا سد فالسكر اسم ما سكرت وسكر
الشراب منه انما هو انقطاعه عن العقل والعين وقال الحسن سكرت بالتخفيف وسحرت وقوله عز وجل بروجا قال القتبى
هى بروجا واصل البروج الحصن والقصر وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع يقول حفظناها
من ان يصل اليها شيطان او يعلم من امرها شيئا الا استرق فانه يتبعه شهاب مبين اى كوكب مضئ وقال ابو عوسجة
الا من استرق السمع يقال استرقت السمع اى تغفلت قوما حتى سمعت حديثهم وهم لا يعلمون وهكذا الزعم الملائكة
ان الشياطين يسترقون السمع ويحفظون ليمنعوا من ذلك وامتنعوا عن التكلم بحق لا يستمعون كلامهم وحديثهم
وشهاب كوكب وقيل الشهاب خشبة فى طرفها نار والشهبان جماعة وقال بعضهم شهاب مبين لرسول الله
كان له خاصة لمكة والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا لكم فيها معايش اى فى الارض والجبال وقوله عز وجل ومن
لستم له برازقين قال الحسن اى جعلنا لكم فى الارض معايش ما تعيشون به ولمن حولكم ايضا جعل فيها معايش لا ترزقونه
انتم انما رزقه على الله هو يرزقهم واياكم وقال بعضهم ومن لستم له برازقين الوحش والطير واما الانعام فانه
قد اشركهم البشر فى المعايش وكانه ميز هذه الحرب واوفق وهو ان اهل مكة كانهم يمنون على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقولون لئن تبعناه وعذبناه وانقضناه اطلب ورزقناه ثم نفعل بنا كذا فخرج هذا جوابا لهم جعلنا لكم فيها
معايش ومن لستم له برازقين اى محمدا وقوله عز وجل وان من شئ الا عندنا خزائنه يحتمل هذا والله اعلم وان من شئ
يخزن فى الخلق الا عندنا تلك الخزائن اى ما تخزنون من الاشياء فذلك عندنا وفى خزائننا وما ننزله الا بقدر معلوم
على هذا وما ننزله اى ما نعطيه الا بقدر معلوم اى وان كان عندكم مخزونا محبوسا فان ذلك كله خزائنه اعطى من
شاء وحرم من شاء ويحتمل قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه الخزائن هى الامكنة الخفية التى تخزن فيها الاموال و
بواطن الارض تقول والله اعلم وان من شئ كان فى بواطن الارض وامكنة خفية الا عندنا تدبيره ذلك وعلمه يخبر
انه تدبيره وعلمه فى الخفية من الامكنة كهو فى الظاهر لا يخرج شئ من تدبيره وعلمه بل كل ذلك فى تدبيره وعلمه
وقال الحسن وان من شئ الا عندنا خزائنه اى الماء الذى به جعل حيوة كل شئ ولا يخرج شئ من منافعه فهو خزائنه
الاشياء كلها وبه قوام كل شئ وقال الا ترى انه قال وما ننزله الا بقدر معلوم وذكر الانزال وهو الذى ينزل من السماء
ظاهر هذا الذى قاله يحتمل لكن تمامه ان يقال ان الماء خزائنه والخزانة هى الموضع الذى يخزن فيه وفى الماء قوة
معنى يكون فيه حيوة الخلق ومنافعهم فيما جعله فيه لا فى نفس الماء الا ترى انه يسببه وفى الشجر فيظهر منافعه
فى غصونها فى اعلاها فثبت ان فيه قوة سرية ومعنى يكون المنافع بها لا بنفس الماء والله اعلم بذلك ثم ما ذكر من
والرياح والماء والمطر وغير ذلك من النعم يذكر على الاحتجاج عليهم لانه انما انشأ هذه الاشياء وخلقها لهؤلاء
لا انه انشأها لنفسها فاذا كان انشأها لهم فلا يحتمل ان يتركهم لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم ولا يجعل لهم
عاقبة يثابون ويعاقبون ولذلك قال فى اخره وان ربك هو يحشرهم وقوله عز وجل الا بقدر معلوم على التاويل
الاول ما ذكرنا اى ما نعطيه الا بقدر معلوم وان خزنه وحبسه ويحتمل الا بقدر سابق معلوم ذلك اى اذا كان على
هذا فانه يدل على انه يكون ويحدث انما يكون بقدر سابق لا يكون غير سابق تقديره او بقدر معلوم محدود اى ليس
جزافا ولكن معلوما محدودا والله اعلم وقوله عز وجل وارسلنا الرياح لواقح قال بعضهم لواقح حوامل وقال
بعضهم هذا لا يصح لو كان على هذا لكان ملاقح وملقحات قال ابو عوسجة لواقح تلقح الشجر اى تنبت ورقها وهى ملقحة وقال
يقال ناقة لاقح اى حامل اى حملت ونوق لواقح ويقال حرب لاقح اى شديدة وسحاب لاقح الذى فيه ماء اى ممطر
وريح لاقح اى ملقح يلقح الشجر اى تنبت ورقه وحمله ويقال يلقح ويقال القح الرجل اذا لقحت ابله اى حملت ورجل ملقح
والمعروف الناقة التى معها ولدها صغير والجمع لقح وجمع الجمع لقاح والملقح والملاقح وهى الحوامل من الابل قال
القتبى قال ابو عبيدة لواقح انما هى ملاقح جمع ملقحة يريد انها تلقح الشجر وتلقح السحاب كانها تنتجه والملاقح النجر
والثمار من الاشجار والسحاب وغيره والله اعلم وقوله عز وجل فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخا
زنين هو ما ذكرنا على التاويل وان من شئ الا عندنا خزائنه وما انتم له بخازنين وعلى تاويل الحسن هو ما ذكرنا من الماء
والمطر وما انتم له بخازنين اى حابسين لما جرى به الذكر من المطر والماء الذى ذكر انه انزل من السماء وما انتم له
اى مقتدرا خازنين اى ليست خزائنه فى ايديكم ولا بيد احد ولكن بيد الله عز وجل وعلى تاويل الاخر وما انتم له بخازنين
بقادرين ما خزن فى الارض ودفن وقوله عز وجل وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون اى الباقون بعد الخلق كلهم
يبقى هو ولذلك سمى من خلف الميت وارثا لانه يموت ويبقى الوارث وهو باق وكذلك يخرج قوله انا نحن نرث الارض

ومن عليها والله اعلم وقوله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال بعضهم ولقد علمنا المستقدمين من المكذبين ما حل بهم بالتكذيب ولقد علمنا المستأخرين من المكذبين منكم وقال بعضهم ولقد علمنا من كان منهم ومن مات وعلمنا المستأخرين من يكون منهم ويولد ولذلك قال وان ربك هو يحشرهم من معنى ومن بقي لم يكن بعد الى يوم القيامة وقال الحسن ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين في الشر وقال بعضهم في الوصف اولا والآخر لكنه بعيد وقوله عز وجل انه حكيم عليم الحكيم هو الذي يضع الاشياء مواضعها والثاني هو الذي يجعل الاشياء موضعها فالاول قد يعرف الخلق وضع الاشياء مواضعها واما الثاني فلا يكون ذلك الا بالله وقوله عز وجل عليم بمصالح الخلق وما لهم وما عليهم بوضع الاشياء مواضعها وقوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون وقال في اية اخرى خلقكم من طين وقال من طين لازب وقال في اية اخرى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال خلقناكم من تراب ذكر مرة الحمإ المسنون وقيل هو الطين الاسود المتغير وذكر مرة التراب ومرة الطين اللازب وهو الملتزق ومرة من سلالة الطين فيشبه ان يكون على الاوقات واختلاف الاوقات كان في الاول ترابا وفي حال الاول ترابا وفي حال طينا لازبا وفي حال حمإ مسنونا وهو الذي اسود وتغير لطول مكثه وصلصالا وفخارا فقيل ان يكون خلقا مركبا الجوارح فيه والعظام كان عليه هذه الاحوال الثلاثة على ما اخبر من تغير احوال اولاده حيث قال خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ذكر فيه احوال الاثنة قبل ان يخلق لحما وعظما في حال كان من نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة فعلى ذلك يحتمل ما ذكر في ادم من تراب وطين وحمإ ونحوه اذ كان على اختلاف الاحوال على ما ذكرنا او ان يكون على تشبيه وتمثيل ووجه التمثيل بالطين الذي ذكر وهو ان الطعن الذي يكون كالصلصال والفخار واللازب ونحوه هو الطين الطيب الذي يكون منه البنيان والاواني والقدور وجميع انواع المنافع واما الطين الذي خبث فانه لا يتخذ منه شيء مما ذكرنا ولا يتخذ ولا يحتمل اتخاذ شيء من ذلك فشبه خلق ادم بالطين الذي يجتمع فيه جميع انواع المنافع فعلى ذلك يجتمع في ادم جميع انواع المنافع والخير كالطين ثم فيه دلالة قدرته وسلطانه وذكر نعمه حيث اخبر انه خلق ادم من تراب وطين وما ذكر وليس في التراب ولا في الطين من اثر البشرية شيء وكذلك ليس في النطفة التي خلق البشر منها اثر البشرية شيء ليعلم انه قادر على انشاء الاشياء من شيء انه ليس فيما ذكر من الطين والتراب الذي خلق منه البشر من اثر البشرية فيه شيء ولا في النطفة التي خلق منها اولاده من اثر البشرية والانسانية من اللحم والعظم والشعر وغيره وما ركب فيهم من العقل والعلم والتدبير والجوارح وغير ذلك شيء ليعلم قدرته وسلطانه على خلق الاشياء لا من شيء وليعرفوا نعمه التي انعمها عليهم حيث اخبر انه خلق ادم من طين لازب وصلصال وما ذكر وذلك وصف الطين الطيب لان ما خبث من الطين لا يبلغ المبلغ الذي وصف ولا يصير الى تلك الحال وان طال مكثه لانه لا ينتفع به لا من اتخاذ البنيان ولا الاواني والقدور ولا ينبت الزروع ايضا فيحتمل على التمثيل الذي ذكرنا لا على التحقيق على الاحوال المختلفة فدل انه انما خلقه من طين طاب اصله فعلى ذلك يحتمل النطفة التي يخلق منها البشر تكون طاهرة وهي لا تنبت شيئا وهي على غير الوصف يخرج لانه قال من ماء دافق وقال من ماء مهين والصلصال قال بعضهم هو التراب اليابس والحمأ الطين الاسود والمسنون المنتن المتغير وقال بعضهم الصلصال هو الذي اذا ضربته يصوت ومنه يقال صلصلة اللجام والجرس اذا كان يصلصل وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال القتبي الصلصال الطين اليابس الذي لا يصيبه النار فاذا نقرته صوت فاذا مسته النار فهو فخار والمسنون المتغير الرائحة والمسنون ايضا المصبوب وسننت الشيء اذا صببته صبا سهلا وسن الماء على وجهك وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة من حمإ المسنون الحمأ التراب الاسود يكون في اسفل البئر ومن هذا سمي الحماء لانه يحمى اي يرمى ويقال حمي الحرب والشمس والتنور حميا اذا اشتد حره ومسنون اي مخلوق وقال الحسن المسنون الذي سن عليه خلقه الخلق يعني اولاده على خلقته اي على خلقته خلق الخلق وامثال هذا والله اعلم وقوله عز وجل والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال بعضهم الجان هو ابو الجن وابليس هو ابو الشياطين سموا شياطينا لتمردهم في فعلهم وذلك معتقد من فعلهم الا ترى انه ذكر من الانس والجن شياطين وهو قوله شياطين الانس والجن وذلك لتمردهم والجان معتقد من الجن والله اعلم بذلك والسموم قال بعضهم السموم لهب النار كانه ليس له دخان وهو المارج من نار والمارج هو المنقطع منها وقال بعضهم من جنس النار كانه اراد لهيبها وقال نار السموم الحارة التي تقتل فان كان السموم والمارج ما ذكر بعضهم انه لهب النار ففي طبعه الارتفاع والعلو فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الارتفاع والعلو وهو الجان الذي ذكر والطين طبعه التسفل والانحدار الى الارض فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الهوى الى الارض والميل اليها والجان قال ابو عوسجة الجن واحد الجان والجمع جان سمي

ولاستجنانه وقال غيره ملحق الجماعة والجان الواحد وقوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته اي تممته ونفخت فيه من روحي وقال في اية اخرى فنفخنا فيه من روحنا فيشبه هذا على الناس ولم يفهموا من قوله ونفخت فيه من روحي ونفخنا فيه من روحنا ما فهموا من نفخ الخلق فيما بينهم فهموا من قوله ثم استوى على العرش واستوى الى السماء ونحوه استواء الخلق بل فهم نفخه من فهم نفخ الخلق اكثر من استوائه لانه امكن صرف الاستواء الى وجوه ولا يمكن صرف النفخ فيه لكنه اشتبه عليهم لانهم اخذوا فعل الله بفعل الخلق ولا يجب ان يعتقدوا بالخلق على ما لم يعتقدوا في قوله صمد وناقة وحكم الله وعباد الله وخلق الله وامثاله وقد اخبر انه ليس كمثله شيء او تلقين من الشيطان وقوله روحي وروحنا اي الروح الذي به حيوة الخلق اي خلق الذي يكون به حيوة الخلق على ما ذكرنا وقوله عز وجل فقعوا له ساجدين يحتمل ان يكون قوله خالق بشرا لما ذكر خبر انه سيفعل وامرهم بالسجود بعد ما خلقه اياه فهذا يدل انه قد يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل والله اعلم وقوله عز وجل الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ظاهر الامر بالسجود والاستثناء الذي ذكر يدل ان ابليس من الملائكة لان فيهم كان الامر بالسجود ومنهم وقع الثنيا وقد ذكرنا اختلافهم وانا وبينهم فيما تقدم مقدار ما حفظناه قال والاصل ان كلما خرج مخرج الاستثناء يجب ان يسقط اسم ما اجمل نحو قول الرجل لاخرتك على عشرة الاد رهم يسقط الاستثناء ما اجمل من الاسم حتى صار تسعة وكذلك اذا قال الف الا خمسين واذا لم يسقط ذلك الاسم فلا بد ان يكون الكل فيه معتبر نحو قول الرجل رأيت علماء بلد كذا الا فلانا يجب ان يعتبر فيه حرف الكل حتى يقع على كل كانه يقول رأيت كل علماء بلد كذا الا فلانا فعلى ذلك تخصيصا لعموم وقال الحسن في قوله من صلصال من حمإ مسنون قال الصلصال من حمإ مسنون قال الصلصال هو الطين اي الحر الذي يتصلصل من صلابته ويبوسته والحمأ الطين والمسنون قال مسنون خلقته فهو سنة الخلق بعده من ذريته ان يخلقوا وكقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين يقول استخلصها من بين ظهراني الطين لا من كل طين خلقه وكذلك قال في تناسل ذريته وهو قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ليس من كل ما خلقه ولكن استخلصها من بين ظهراني الماء وقال الجان ابليس هو ابو الجن خلقناه من قبل اي من قبل ادم من نار السموم يقول السموم هو اسم من اسماء جهنم ولها اسماء كثيرة اخبر انه خلقه من نار السموم اي جهنم والله اعلم وقوله عز وجل الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وقال في موضع اخر الا ابليس ابى واستكبر وقال له يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال في موضع اخر ما منعك ان تسجد وقال في موضع اخر خلقته من نار وخلقته من طين ذكر مثل هذا على اختلاف الالفاظ ومعلوم ان هذه المخاطبات معه لم تكن معه مرارا ولكن مرة واحدة قال ابو بكر الاصم ذلك ان الله قصة ابليس وقصة الانبياء جميعا في مواضع على اختلاف الالفاظ لانها كذلك كانت في كتبهم فذكرها على ما في كتبهم ليعلموا انه نبي الله انما عرف ذلك بالله لتهديهم على صدقه وفيه دلالة ان اختلاف الالفاظ وتغيرها لا يوجب اختلاف الحكم بعد ان لا يغير المعنى فهذا يدل ان الخبر اذا ادى معناه على اختلاف لفظه فانه يجوز وكذلك اذا قرأ بغير لسان الذي انزل فانه يجوز اذا ادى معناه والله اعلم وقوله عز وجل فاخرج منها فانك رجيم قوله فاخرج منها قال بعضهم اخرج من السماء الى الارض وقال بعضهم اخرج من الارض الى جزائر البحر وقال بعضهم اخرج من الجنة وامثاله او اخرج من صورة الملائكة الى صورة الابالسة وجائز ان يقال اخرج من كذا اي تحول من مكان كذا الى مكان كذا غير حقيقة الخروج ولسنا ندري كيف كان ذلك وقوله عز وجل رجيم قيل الرجيم الملعون وقيل الرجيم ما يرجم بالكواكب وقوله عز وجل وان عليك اللعنة الى يوم الدين اللعنة هي الطرد في اللغة والحد لانه طرد عن رحمة الله الى يوم الدين حتى لا يهتدي الى دين الله وهداه ثم يوم الدين له العذاب الدائم واللعنة التامة وقوله عز وجل قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم لعن اللعين وطرده من رحمته الى يوم الدين اي لا يهديه لان الهداية في الدنيا انما يدركه برحمته والرحمة في الاخرة هي العفو عما لزمه ويجب عليه مسالة تكلموا فيها ما الحكمة في خلق الله تعالى ابليس مع علمه ما يكون منه من انشاء خلقه والدعاء الى المعاصي وانذاره الى يوم الوقت المعلوم وقد علم انه انما ينظره ليفسد عباده فما علم ما يكون منه فما الحكمة في خلقه قال بعضهم خلق ابليس واهل المعاصي مع علمه ذلك ليعلم انه لم يخلق لمنافع نفسه وان معاصيه لا تضره ولا تدخل نقصانا في ملكه فخلقه مع علمه بما يكون منه ليعلم انه لم يخلق الخلق لمنافع نفسه والحاجة ولكن لمنافع انفسهم ولحاجاتهم وقال بعضهم خلق الاعداء والاولياء فضل الاولياء ليعلم اولياءه الاختصاص الذي اختصهم به ولو كانوا جميعا اولياءه لم يعرفوا فضيلة الله واختصاصه اياهم وهكذا النعم واحسانه لا يعرف

النعم ونفس المحاسبة وانما يعرف بالبلايا والشدائد التي تحل فعل ذلك الاولياء لو لم يكن الاعداء لم يعرفوا احتمالا الله لهم ووفقنا الله التي اكرمهم بها وقال بعضهم خلق الاعداء نظرا للاولياء على ماذكرنا لكن من وجه اخر بيان الاصل واصله ان الله عز وجل جائز ان يفعل اشياء فيها حكمة وسر

لا يبلغها فهم الخلق ولا يدركها حكمة البشر على ما جعل النعم الظاهرة فيها حكمة ومعنى لا يبلغه فهم الخلق ولا حكمة البشر وكذلك البلايا والشدائد فيها حكمة لا يبلغها فهم الخلق فعلى ذلك جائز انه خلق ابليس والعصوات والغواية حكمة جعل في الحكمة ذلك حكمة لا يبلغها فهم الخلق ولا يدركها حكمة البشر على ما ذكرنا من النعمة الظاهرة والشدائد الظاهرة واصله ان الله تعالى خلق الخلق على علم منه انهم يعصونه ويعادونه لكن لهم من الاختيار والايثار ما نجاتهم وهلاكهم اذا اختاروا ذلك فاذا اختاروا واما نجاتهم نجوا اذا اختاروا واما به هلاكهم هلكوا فيكون هلاكهم باختيارهم ونجاتهم باختيارهم واصله ما ذكرنا في غير موضع انه انشأهم في هذه الدنيا للمحنة فيها وفي خلق ما ذكر من ابليس وغيره من الاعداء ليتم لهم المحنة وفي ترك خلق ذلك ذهاب المحنة وهي دار الامتحان وقوله عز وجل فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقال بعض اهل التاويل الى النفخة الاولى وقيل الى النفخة الثانية ونحوه لكنا لا نعلم ذلك وكان تعالى انظره الى الوقت المعلوم ولم يبين ذلك الوقت ولم يطلعه عليه حيث قال وان جاز في ان هذه التنشأة نكص على عقبيه الا انه اخبره انه يبقى ما لا يرونه وانه يخاف ان لو كان بين له الوقت المعلوم لكان ما لا يخاف هلاكه قبل ذلك الوقت فهذا يدل على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل رب بما اغويتني لأزينن لهم في الارض قال الحسن قوله بما اغويتني اي لعنتني وهذا منه احتيال وفرار عن مذهب الاعتزال وما يلزمهم في قوله لعنتني لان اللعن هو الطرد فاذا طرد من رحمته فقد خذله في الطرد والاغواء والاضلال سواء فيلزم في اللعن ما يلزمهم في الاغواء وقال ابو بكر الاصم الاغواء واللعن من الله شتم لكن هذا بعيد لا يجوز ان يضاف الى الله الشتم انه شتم لان الشاتم والساب لاحق في الشاهد بالشتيمة مذموم عند الخلق فلا يجوز ان يضاف الى الله ما به يذم واصله ان قوله رب بما اغويتني يحتمل انه خلق فعل الغواية منه او اغواه لما علم انه يختار الغواية والضلالة وقوله رب بما اغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين كأنه يقول رب بما اغويتني لازيدن لهم في الغواية بما اغويتهم وقد ذكرنا هذا وامثاله فيما تقدم فان قيل قوله اغويتني قول ابليس وهو كاذب بالاضافة اليه قيل لو كان فيما اضاف اليه الاغواء كاذبا لكذبه فيه ورد عليه انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فاخبر منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فلما لم يرد عليه ولم يكذب فيما اضاف اليه صرف الاغواء دل ان الاضافة اليه الاغواء والاضلال لحقيقة او ان يكون قوله خلقتني من نار وخلقته من طين انا ذلك منه ذكر فضله واحسانه حيث اخبر انه خلقه مما هو افضل واعظم مما خلق ادم فيخرج ذلك مخرج الشكر واما قوله اغويتني ليس على ذلك فلا يحتمل ان يكذبه ولا يرد عليه قوله اذا كان كاذبا فيه لان فعله شر اضافه اليه اذا لم يكن منه الاغواء ولذلك اختلفا اي لو كان قول ابليس لعنه الله كذبا في اضافة يقول نوح عليه السلام حيث قال ان كان الله يريد ان يغويكم وقال موسى فلما ازاغوا ازاغ الله قلوبهم ثم قوله رب بما اغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين يحتمل ان يكون منه عزم على ما ذكر دون ان تغويه بذلك فاخبر عز وجل عنه ما كان عزم من الاغواء وغيره بالقول وذلك جائز يخبر عن العزم والعقد كقوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا لا يحتمل ان يكون هذا القول الذي اخبر عنهم قولا منهم لانه لا احد من المتصدق يقول بمثل ذلك عند التصدق لكنه اخبار عما قصد واو عزموا بالتصدق في فعل ذلك يشبه ان يكون هذا من الله اخبارا عما عزم ابليس وقصد على غير التفوه به والقول وهو ما ذكر والله اعلم ما يبدون وما يكتمون اخبر انه يعلم ما كتموا به واخفى وان يحتمل ان يكون على التفوه بما ذكر قال ذلك لما قال له عز وجل ان عليك اللعنة الى يوم الدين لما الله عليه باللعن الى يوم الدين ايس لعنه الله من الهدى فقال رب بما اغويتني وشهد ان بذلك لازين لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين المخلصين بخفض اللام هو الذي اخلص له الاعتقاد والعمل والوفاء و المخلص بنصب اللام هو الذي اخلصه الله وحفظه وعصمه واختصه بذلك والمخلص لا يقال الا بعد ان يكون الله صنع ولهم اختصاص وفضائل اختصهم بذلك برحمة الله وفضله والمعتزلة يقولون لا يستوجب احد الاختصاص الا والفضيلة الا بفعل يكون منه لا يستوجب بالله يقولون ان الله لا يغوي احدا الا ابليس ولا واحدا من اتباعه فابليس اعرف بالله من المعتزلة حيث قالوا ان الله لا يغوي احدا ولا يخص احدا الا بصنع يكون منه وقوله عز وجل هذا صراط علي مستقيم قال بعضهم قوله علي بمعنى الي اي الي صراط مستقيم يقول هو سبيل ليس بيد احد وقال بعضهم الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعوج على شيء ويحتمل قوله علي مستقيم اي علي بيانه وهو مستقيم كقوله وعلى الله قصد السبيل اي بيانه

قصد السبيل وقال بعضهم لما قال ابليس لأغوينهم اجمعين قال الله تعالى هذا صراط علي مستقيم يقول علي من اغويته وتابعك كقوله لا تجزى الوعد انا طريقك علي والله اعلم وقوله عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يحتمل قوله ليس لك عليهم سلطان اي ليس لك عليهم حجة الا من اتبعك من الغاوين فانهم يتبعونك بلا حجة ولا برهان ويحتمل قوله ليس لك عليهم سلطان تقهرهم وتضطرهم على ذلك الا من اتبعك من الغاوين فانهم يتبعونك على غير قهر واضطرار اي من كان في علم الله انه يتبعك ويختار الغواية وان لم يكن اغواك اياه فان لك عليه سلطانا وقوله عز وجل وان جهنم لموعدهم اجمعين اي لموعد ابليس واتباعه وقوله عز وجل لها سبعة ابواب يحتمل الابواب المعروفة ويحتمل الابواب المراد والجهات التي يكون لها الا ترى انه قال لكل باب منهم جزء مقسوم فهذا يدل ان المراد بالابواب المراد والدركات لا نفس الابواب لان جزءا مقسوما انما يكون للدركات لا يكون للابواب نفسها قال الحسن والاصم لها سبعة ابواب يعنون بالابواب الطبقات والدركات لكل باب منهم جزء مقسوم لليهود باب وللنصارى باب وللمجوس باب وللذين اشركوا باب و للمنافقين باب ولاهل الكبائر باب وذكر ايضا بالعبرانيين ادخلوا اهل الكبائر فيها والصابئين والدهرية وضعفا لظاهر الاية في الكافرين لانه قال ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين والغاوون هم الكافرون وكذا قوله لأغوينهم فاذا كان كذلك فالسبعة الابواب التي ذكرها لاهل الكفر لا يدخل اهل الكبائر فيه ويحتمل باب للجاهلية وهم الذين ينكرون العالم الشاهد والغائب لا يعرفون شيئا وباب للدهريين وهم الذين ينكرون الصانع وباب للثنويين وهم الذين يقولون بالاثنين وباب الذين اشركوا وهم يقولون بالواحد لكنهم يشركون فيه غيره ويعبدون الاصنام والاوثان وباب لليهود وباب للنصارى وباب للمنافقين فذلك لسبعة ابواب وليس لاهل الكبائر باب مسمى معلوم انما ذلك كله لاهل الكفر وقوله عز وجل ان المتقين في جنات وعيون ان كان اهل الكبائر في قوله لها سبعة ابواب فيكون قوله ان المتقين الذين اتقوا الكبائر وان كان اصحاب الكبائر لم يدخلوا في قوله لها سبعة ابواب فيكون قوله ان المتقين الذين اتقوا الشرك وقوله عز وجل في جنات اي بساتين والبساتين هي التي التفت بالاشجار والنخيل والعيون قد تكون جارية في الدنيا وقد تكون غير جارية فاخبر في اية اخرى ان عيون الاخرة تكون جارية بقوله فيهما عينان تجريان وغيره قال بعضهم ذكر العيون ليعلم ان مياه الجنة ليست تكون من الثلج والامطار العظام على ما تكون في الدنيا ولكن تنبع فيها وقال بعضهم ذكر العيون لانه يجيء في بستان ملك كل احد عين على حدة لا يأذن ينتزع من عين بستان اخر على ما يكون في الدنيا ولكن تنبع في جنة كل احد عين على حدة على ما اراد الله ليس انها تتصل بالارض كما ذكر في قصة بني اسرائيل فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ان الله في ذلك الحجر ما يخرج له على غير اتصاله بالارض ولكن بلطفه يجعل فيه ماء فعلى ذلك في الجنان التي وعد وفيه ان يكون ذكر هذا ما يختلف رغائب الناس في الدنيا منهم من يرغب في الدين ويتلذذ بالنظر اليها ومنهم من يرغب في النهر الجاري فذكر العيون ومرة الانهار كقوله تجري من تحتها الانهار على ما ذكر مرة الخيام والقباب والغرف وانواع الفرش والوسائد والكيزان والاكواب والحوار والغلمان وغير ذلك على ما يرغب الناس في الدنيا منهم من يرغب في نوع اخر فذكر فيها كل ما يرغبون في الدنيا ليرغبهم ذلك على العمل الذي به يوصل الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ادخلوها بسلام امنين قال بعضهم قوله ادخلوها بسلام اي اجعلوا تحيتكم فيها بسلام على ما امرهم في الدنيا ان يجعلوا التحية في المنازل كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية الاية وعلى ما اخبر ان الملائكة يسلمون عليهم كقوله سلام عليكم طبتم وكقوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما وقال بعضهم قوله ادخلوها بسلام امنين اي ادخلوها بسلام لا يصيبكم مكروه امنين لا يمسهم خوف ولا حزن على ما اخبر لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال بعضهم وقوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل

بياض الاصل

قال بعضهم هو صلة قوله ان المتقين في جنات وعيون اي نزعنا ما في صدورهم من غل الذي كان في الدنيا بالكفر فصاروا اخوانا بالاسلام الذي هداهم الله اليه فكانوا اخوانا ثم قيل لهم ادخلوا الجنة بلا غل وهو ما قال فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها قد نزع من قلوبهم الغل في الدنيا فصاروا اخوانا فدخلوا الجنة و قال بعضهم قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل في الاخرة اذا دخلوا الجنة وتقابلوا وكانوا على سرر فعند ذلك نزع الغل من قلوبهم والغل الذي كان بينهم فانه كان هذا ظهر بين اهل الاسلام وعلى ذلك يحتمل ان يكون من جهة اخرى في الدنيا ان ينزع الله ذلك منهم في الجنة لان ذكر الغل ينغص النعم التي فيها وكذلك ما يكون بين الرجل وولده من الغل والعقوق فيكون ان ينزع ذلك بينهم وعلى ذلك روي عن علي رضي الله عنه قال اني لارجو ان اكون انا وطلحة والزبير قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وقوله عز وجل قال بعضهم يجعل الله منازلهم

متقابل بعض ينظر بعضهم الى بعض ويزور بعضهم بعضا وقال بعضهم بازائه السرر التى هم عليها جلوس لكيون
بعضها متقابلا ببعض اذا اشتهى بعضهم زيارة بعض ولا يكونون مدبرين ولا معرضين بل متقابلين يخبر عن اجتماعهم فى الاخرة
فى الشراب وانواع المطاعم على ما يجتمعون فى الدنيا الاخوان بينهم الاجتماع على الشراب والطعام والتلذذ والنظر بعضهم
الى بعض فعلى ذلك اخبر ان لهم فى الاخرة كذلك اجتماع فى الشراب والنظر وانواع التلذذ والله اعلم وقوله عز وجل
لا يمسهم فيها نصب اى عناء ومشقة اخبر انه لا عناء يمسهم كما يكون فى الدنيا لان فى الدنيا من اطال المقام فى موضع
يمل عن ذلك ويسأم وكذلك اذا اكثر من نوع من الطعام او الشراب او الفاكهة يمل عن ذلك ويسأمهم ويؤذيه
ولا يوافقه فاخبر ان اهل الجنة لا يملون ولا يؤذيهم طعامها وان اكثروا وقوله عز وجل وما هم منها بمخرجين اخبر
انهم لا يخرجون منها ولا هم يطلبون الخروج منها كقوله لا يبغون عنها حولا لانه يخوف زوال النعم وينغص على صاحبها
تلك النعمة لهم دائمة غير زائلة عنهم والله اعلم وقوله عز وجل نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم قال بعضهم
نبئ عبادى اى اخبرهم انى انا الغفور الرحيم لمن استغفرنى وتاب عما ارتكب من معاصيه وان عذابى هو العذاب الاليم
لمن عصانى ولم يستغفر ولم يتب اليه ويحتمل غير هذا وهو ان يقول نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم لئلا ييأسوا من
رحمتى ولا يقنطوا منى ولكن يرجون رحمته وعفوه ويخافون عذابه ونقمته ونبئهم ايضا ان عذابى هو العذاب الاليم
لئلا يكونوا امنين ابدا فيكون فيه امر بان يبشرهم وان ينذرهم كانه قال بشرهم وانبئهم انى انا الغفور الرحيم ولئلا يأمنوا وانذرهم
بشديد اليم لاعدائى وفى قوله نبئ عبادى فيه بشارة ونذارة اما البشارة فهو قوله انى انا الغفور الرحيم واما
النذارة فهو قوله وان عذابى هو العذاب الاليم وقوله عز وجل ونبئهم عن ضيف ابراهيم اى نبئ قومك ان ضيف
ابراهيم اى نبئهم بتمام ما فيه من الزجر والموعظة لان فى ذلك اخبار ما نزل بالمكذبين بتكذيبهم الرسل وهو الاهلاك
ونجاة من صدق الرسل فنبئهم لا تمام ما يزجرهم ويبعثهم من الترهيب والترغيب فان فيهم اية لرسالتك ونبوتك
لانك تخبرهم على ما كتبهم لم تشهدها هم وقد علم انك انما عرفت ذلك بالله فان ذلك ما يزجرهم عن مثل صنيعهم وفيه ذكر
نعم الله لانهم جاؤا بالبشارة بشارة الولد وجاؤا باهلاك قوم مجرمين فذلك بالذى يزجرهم عن مثله والبشارة
ترغبهم فى مثل صنيع ابراهيم فنبئهم فان فيه ما ذكرنا وقد قوله ضيف ابراهيم ان الضيف اسم كل نازل على اخر طعم
عنده او لم يطعم وكان نزوله للطعام اولا وقوله عز وجل اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اى سلموا على ابراهيم فرد ابراهيم
السلام عليهم وقال ابو بكر الاصم السلام جعله الله امانا بين الخلق وعطفا فيما بينهم وسببا لاخراج الضغائن من
قلوبهم وقال بعضهم جعل الله السلام تحية على كل داخل على اخر وهو ما ذكرناه وقال بعضهم السلام هو اسم كل
خير وبر وبركة كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما والله اعلم وقوله عز وجل انا منكم وجلون اى خائفون
قال بعض اهل التاويل انما خافهم لانه ظن انهم لصوص واهل ريبة لكن هذا لا يحتمل ان يخاف منهم ويظن انهم
لصوص واهل ريبة وقد سلموا عليه وقت ما دخلوا عليه واللصوص واهل الريبة اذا دخلوا بيت اخر لا يسلمون
عليه لكنه انما خافهم اذ راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة عند ذلك خافهم فلما راى ذلك ظن
انهم ملائكة انما جاؤا لامر عظيم حيث لم يتناولوا ما قرب اليهم ومن ابراهيم ومن المكان الذى يرتحل منه مكان
يقع لهم الحاجة الى الطعام وقوله عز وجل لا توجل اى لا تخف انا نبشرك بغلام عليم وقال فى اية اخرى فبشرناه
بغلام حليم والحليم هو الذى ينفى عن صاحبه كل اخلاق دنية والعليم هو الذى يدعو صاحبه الى كل خلق رفيع ليعلم انه
اجتمع فيه جميع الخصال الرفيعة ونفى عنه كل خلق دنى وقوله عز وجل ابشرتمونى على ان مسنى الكبر اى ابشرتمونى
ان يولد لى وانا على الحال التى انا عليها او يرد الى شبابى وشباب امرأتى فبم تبشرون على الحال التى انا عليها وامراتى
او يرد الشباب الينا والا لا يحتمل ان يخفى عليه قدرة الله هبة الولد فى حال الكبر لكنه لم ير الولد يولد فى تلك الحال
فاستخبرهم انه يولد فى تلك الحال او يرد الى حالة اخرى حال الشباب والله اعلم وقوله عز وجل قالوا بشرناك بالحق
اى بما هو كائن لا محالة اى وعد كائن لا محالة والواجب على كل من انعم عليه بنعمة ان يشتغل بالشكر لله ولا يستكشف
عن الوجوه التى انعم والاحوال التى يكون عليها ثم فى البشارة الولد بشارتان احدهما بشارة بالغلام والثانى بالبقاء
والبلوغ الى وقت العلم حيث قالوا انا نبشرك بغلام عليم وهو ما قال فى اية اخرى ويكلم الناس فى المهد وكهلا وفى
قوله كهلا دلالة وبشارة انه يبقى الى ان يصير كهلا والا الكهل يضعف وقوله عز وجل فلا تكن من القانطين قد ذكرنا
فيما تقدم ان الانبياء قد نهوا عن اشياء قد عصموا عنها ما لا يحتمل ان يكون منهم ما نهوا عنه نحو قوله فلا تكونن من
الممترين ولا تكونن من المشركين ومن الظالمين والكافرين وامثاله وذلك مما لا يتوهم كونه منهم وذلك لما ذكرنا ان العصمة
لا ترفع المحنة لانها لو رفعت لذهبت فائدة العصمة لانه انما يحتاج اليها عند المحنة فاما اذا لم يكن محنة فلا تقع الينا

تعرف ان ابراهيم لم يكن قنط من رحمة ربه انه لا يهب له الولد فى كبره ولكن ما ذكرنا ثم بين انه لا يقنط من رحمة ربه
الا الضالون اخبر ان القنوط من رحمة الله هو الضلال والاياس من رحمته كفر فنعوذ بعفوه ورحمته حتى لا يسع
فيها الكبائر والمعتزلة يقنطون من رحمة ربهم لقولهم فى اصحاب الكبائر ما يقولون وقوله عز وجل قال فما خطبكم
ايها المرسلون قيل فما خبركم وما قصتكم وما شانكم والخطب الشان العظيم اى امر وشان ارسلتم قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين لم يحتمل ان يكون اول ما اخبروا ابراهيم وقالوا هذا ولكن كان فيه ما ذكر فى اية اخرى انا مهلكوا اهل
هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين وانا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون فقال ابراهيم
ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها فذكر ههنا على الاختصار فذلك يدل ان الخبر اذا اداه معناه يجوز وان يرى
بلفظه على ما كان وقوله عز وجل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط كان الثنيا ههنا تكون عن الاشخاص حقيقة
وانفس اهل القرية عن قوله مجرمين لان ال لوط لم يكونوا مجرمين فلا يحتمل الاستثناء من ذلك او لا يكون على
الثنيا وان كان فى الخبر لثنيا وقوله عز وجل الا ال لوط لمنجوهم اجمعين الا امراته اخبر انهم يهلكون قومه ثم
استثنى اله منهم ثم امراته من اله ففيه دلالة ان الثنيا ليس برجوع لانه لو كان رجوعا لكان يوجب الكذب فى
الخبر ولكن فى الثنيا بيان تحصيل المراد مما اجمل فى اللفظ وفيه دلالة ايضا انه يجوز ان يستثنى من الاستثناء لانه
استثنى امراته من اله بقوله الا ال لوط الا امراته فحصلت المراة من قومه حيث استثناها من اله وفيه انه قد يجوز
ان يستثنى من خلاف نوعه لانه استثنى ال لوط من قومه والمجرم ليس من نوع الصالح ثم استثنى امراة من اله وهى
منهم وفيه ايضا ان ال الرجل يكون اتباعه حيث استثنى اله منهم يدخل فيه من يتبعه الا ترى انه قال ال فرعون و
الذاهم اتباعه وال موسى وال هارون وال عمران كل يرجع الى اتباعهم فيدخل فى قولهم اللهم صل على محمد وعلى ال
محمد كل من يتبعه والله اعلم وقوله عز وجل الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين قال ابو بكر الاصم قدرنا انها اى اخبرنا
لكن هذا منه احتيال على تقويم مذهب الاعتزال لانهم ينكرون ان يكون افعال العبيد مقدرة لله مخلوقة ففى ذلك
دلالة ان افعالهم مخلوقة لله مقدرة له واصله اى قدرنا بقاها من الاهل وقوله عز وجل لمن الغابرين
اى الباقين قال ابو عوسجة الغابرون الباقون والغابرون الماضون ايضا يقال غبر يغبر غبرا اذا بقى واذا مضى
ايضا وقوله عز وجل فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اى انكم قوم منكرون لا تعرفون باهل هذه
البلدة وانما قال لهم هذا لان قومه انما يعملون ما يعملون بالغرباء لا يعملون باهل البلد الا ترى انهم قالوا اولم ننهك
عن العالمين ان تضيف احدا منهم والله اعلم وقوله عز وجل قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وهذا الحرف يجوز
لما سبق من قومه من قوله انكم قوم منكرون ولكن قالوا ذلك له والله اعلم لما كان بين لوط وبين قومه مجادلات
ومخاصمات من ذلك وقوله ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وغير ذلك من المخاصمات وقد
كان لوط يعدهم العذاب يصيبهم الذى كانوا يصنعونه ولذلك قالوا ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
فعند ذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون قال بعضهم بما كانوا فيه يشكون بما كان يعدهم من العذاب وقال
بعضهم بما كانوا فيه يمترون يجادلون ويتنازعون او يقول بل جئناك بجزاء ما كانوا يمترون ثم امترائهم يحتمل جحادهم
اياه ويحتمل اياه وما كان عليه من المرية وقوله عز وجل واتيناك بالحق وانا لصادقون قال بعضهم واتيناك
بالحق اى بنجاتك ونجاة اهلك واهلاك قومك وقال بعضهم واتيناك بالحق اى بالعذاب الذى كنت تعدهم
وانا لصادقون يحتمل هذا ان لم يكن هذا منهم قولا قالوه لان لوطا يعلم انهم صادقون بما يقولون حيث علم انهم
ملائكة الله لكن اخبر عنهم على ما كانوا عليه على غير قول كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل فاسر باهلك بقطع
من الليل اى ببعض من الليل وقال بعضهم بسحر على ما قال نجيناهم بسحر وهو بعض سحر او كان غيره واتبع ادبارهم
اى سر من ورائهم وهكذا الواجب على كل مولى امر جيش ان يتبع اثرهم او يأمر من يتبع اثرهم ليلحق بهم من تخلف
منهم ويحمل المنقطع منهم وليكون ذلك احفظ لهم وقوله عز وجل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك فانها تلتفت
منهم فيصيبها ما اصاب اولئك هذا يدل ان ليس فى تقديم الكلام وتاخيره منع ولا فى تغيير اللسان ولغته بعد ان
يؤدى المعنى خطا لان قصة لوط وغيرها من القصص ذكرت وكررت على الزيادة والنقصان وعلى زيادة لاختلاف
الالفاظ واللسان فدل ان اختلاف ذلك لا يوجب تغيرا فى المعنى ولا باس بذلك وقال بعضهم فى قوله لا يلتفت
منكم احد اى لا ينظر احد وراءه فهو والله اعلم لما العذاب اذا نظروا وراءهم فراوا ما حل بهم من تقليب الارض وا
رسالها عليهم لا يحتمل جنبهم وقلوبهم فيهلكون او يصعقون الا ترى ان موسى مع قوته لم يحتمل انه كان للجبل ولكن
صعق فخر وهو شاب قوى ذلك الوقت فهؤلاء اضعف وما حل بقومهم اشد فنهيهم لخوف ان لا تحتمل ذلك واقه

اعلم وقوله عز وجل وقضينا اليه ذلك الامر من قوله فقضينا قيل اوحينا اليه كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
اي اوحينا اليهم وقال بعضهم قوله وقضينا اليه اي انهينا اليه واعلمناه وهو قول الكسائي والقتبي وقوله
عز وجل ذلك الامر يحتمل قوله ذلك الامر هو ما ذكر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين هذا الذي اوحى اليه والله اعلم ويحتمل
قوله وقضينا اليه ذلك الامر اي اوحينا الى محمد صلى الله عليه وسلم ان ذلك الامر الذي بلغك مقطوع مصبحين ويحتمل
الوحي الى لوط على البشارة ان دابر قومه مقطوع مصبحين اي مقطوع نسلهم فيه اخبار من قطع نسلهم وفي الخبر
من قطع نسلهم اخبار من هلاكهم وقوله عز وجل ان دابر هؤلاء قال بعضهم اصل هؤلاء وقال بعضهم دابر
هؤلاء وآخر مقطوع اي مستاصلون مصبحين ليس يريد بمصبحين اصبحوا اي حين بدا طلوع الفجر ولكن اراد طلوع الشمس
الا ترى انه قال فاخذتهم الصيحة مشرقين واشراق الشمس هو ارتفاعها وبسطها في الارض دل انه ما ذكرنا والله
اعلم والصيحة يحتمل وجوها احدها ذكر الصيحة الصيحة لسرعة هلاكهم او مقدم صيحة والثاني اهلكوا بالصيحة او صيح
اولئك لما اهلكوا والصيحة اسم كل عذاب وقوله عز وجل وجاء اهل المدينة يستبشرون يحتمل يستبشرون بنزول
اضيافه او يبشر بعضهم بعضا لما رأوا بهم من حسن الهيئة والمنظر ورفعة اللباس وقوله عز وجل ان هؤلاء ضيفي
فلا تفضحون يحتمل هذا وجهين فلا تفضحون في ضيفي فانهم انما نزلوا بي على امن منا فلا تفضحون عندهم وهو ما قال
في اية اخرى ولا تخزون في ضيفي ويحتمل لا تفضحون في الخلق يقولون ان في اهل بيت لوط يفعل بالاضياف كذا وانما
عرف اهل بيتي عند الخلق بالصلاح والا فاذا تفضحون في الخلق واتقوا الله في صنيعكم بالرجال ولا تخزون عند الخلق
قيل هو من الهوان ويشبه ان يكون قوله واتقوا الله ولا تخزون ان يكون الاخزاء هو الفضيحة دليله ما ذكر ان
هؤلاء ضيفي فلا تفضحون فيكون هذا تفسير ذلك ويحتمل الهوان وكذلك قيل في قوله ان الخزي اليوم اي الهوان
اليوم وقوله عز وجل اولم ننهك عن العالمين هذا يدل على انه كان سبق النهي عن انزال الاضياف كانه قد نهوه عن
انزال الاضياف فلذلك قالوا اولم ننهك عن العالمين قال ابو بكر الاصم يخرج قولهم اولم ننهك عن العالمين مخرج
الاعتذار له لانهم كانوا يعظمون الرسل اليهم سوى الخلاف في الدين والدعاء الى دين الله فهم وان كذبوا الحجج
التي اتت بهم الرسل فقد كانوا يعظمونهم الا ترى انه قال لرسولنا صلوات الله عليه قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
الاية والاول اشبه والله اعلم وقوله عز وجل هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين وفي موضع اخر هؤلاء بناتي هن اطهر لكم
وقد ذكرنا ذلك في السورة التي يذكر هود قال بعضهم انما عرض عليهم نساء قومهم لانه كالاب لهم على ما
ان نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم امهاتهم وقال بعضهم في البنات اخبار منه لهم بنعمة ما بيّنّ لحفظ ضيفهم
لانه يجوز ورود الشرع على بناته لهم ولا يجوز على ذلك بحال وقوله عز وجل لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
قال الحسن يقسم الله بما شاء من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله وانما قسم بحيوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم اقسم بحيوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقسم بحيوة غيره وبخبره وقال بعضهم قوله لعمرك
كلمة تستعملها العرب في افشاء على غير ارادة القسم بحيوة احد ومنهم من قال انما ذلك على التعريض
واصله ان الله قد اقسم باشياء اقسم بالشمس والقمر والليل والنهار واقسم بالجبال والسماء وغيرها
من الاشياء التي تعظم عند الخلق كرسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخبره انه ارسله رحمة للخلق وهدى
اولى ان يعظم بالقسم به الا ترى انه قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن كان رحمة العالم كله اولى ان يعظم
من غيره اذ منافعه اعم واكثر وقال بعضهم لعمرك القسم ليس بحيوة الرسول ولكن بدينه وهو قول القتبي
وقوله عز وجل انهم لفي سكرتهم يعمهون قال بعضهم السكرة الشدة التي تحل بهم عند الموت شبه حيرتهم
التي فيهم بسكرة الموت يعمهون يترددون وقال بعضهم في ضلالتهم وكفرهم يعمهون يتحيرون وقوله عز وجل
فاخذتهم الصيحة قد ذكرنا في غير موضع اختلافهم في الصيحة قال بعضهم الصيحة هي العذاب نفسه
اي اخذهم العذاب وقال بعضهم سمي صيحة لسرعة نزوله بهم واخذه اياهم وقوله عز وجل مشرقين
قال بعضهم اشرقت الشمس اذا ارتفعت واضاءت وشرقت اذا برغت وهو قول الكسائي وقال ابو عوسجة
مشرقين اي اذا اشرقوا اذا طلعت الشمس عليهم وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها قد ذكرنا
في السورة التي فيها ذكر هود وقوله عز وجل ان في ذلك لايات للمتوسمين قال بعضهم المتوسمين المتفرسين
من الفراسة وروي في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه ابو سعيد الخدري قال اتقوا فراسة
المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قال قرأ ان في ذلك لايات للمتوسمين فان ثبت الخبر وبه نقول وهذه الاية
على اثر ما ذكر فهو هو وقال بعضهم المتوسمين المعتبرين وقيل المتفكرين وقيل الناظرين ذكر وان الاية للمعتبرين

وقوله

ولكن لم يبينوا من اي وجه يكون اية لمن ذكر فيحتمل وجوها احدها اية للمتوسمين المعتبرين لرسالته لانه ذكر قصة ابراهيم
ولوط على ما كان وهو لم يشهدها فذلك يدل على صدقه واية لرسالته والثاني اية لصدق اخبار ابراهيم وصدق
لوط لانهم كانوا يخبرون قومهم ان العذاب ينزل بهم وغيره ذلك من الوعيد فيدل ذلك على صدق خبر الانبياء عليهم السلام
في كل ما يخبرون والثالث في هلاك من اهلك من اهلك منهم ونجاة من نجا منهم اية لمن ذكر من هلك منهم هلك
بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق فيكون لهم اية والرابع قد بقي من اثار من هلك منهم اية فيكون هلاكهم اية لمن ذكر
واصل هذا ان الله ذكر ان في ذلك لايات للمتوسمين اي المؤمنين المتفكرين والاعتبار والتفكر للمؤمنين لانهم هم المنتفعون
قال والمتوسم هو الذي يعمل بعلامة وكذلك المتفرس هو الذي يعمل بعلامة في غيره ينظر في غيره باي هلاكه بم كان فيتقي
عن صنيعه ويتعظ به وهو كالمتفقه الذي يعمل بالمعنى والله اعلم وقوله عز وجل وانها لبسبيل مقيم اي طريق دائم لا يزول
عنها وفي هذه الاية ذكر المؤمنين وهو ما ذكرنا ان الاية تكون لمؤمن والله اعلم ذكر في الاية الاولى لايات لان فيها ابراهيم و
قصة قوم لوط ففي ذلك ايات لمن ذكر وذكر في هذه الاية لاية للمؤمنين لانه ذكر شيئا واحدا وهو السبيل وقوله
وان كان اصحاب الايكة لظالمين اي وقد كان اصحاب الايكة لظالمين والايكة ذكر انها الغيضة من الشجر وهو ذات
آجام وشجر كانوا فيها فبعث اليهم شعيب وهم في الغيضة وذكر بعض اهل التأويل ان شعيبا بعث الى اهل غيضة
مرة والى اهل مدين مرة على ما ذكر والى مدين اخاهم شعيبا وقال في اية اخرى كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم
شعيب الا تتقون وقوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين سمى الله تعالى الكفرة باسماء مختلفة سماهم مرة ظالمين
ومرة فاسقين ومشركين واسم الظلم قد يقع فيما دون الكفر والشرك واسم الفسق فيما دون الكفر والشرك ثم
الكفر لم يقبح لاسم الكفر وكذلك الايمان لم يحسن لاسم الايمان اذ ما من مؤمن الا وهو يكفر باشياء ويؤمن باشياء
قال الله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله المؤمن يكفر بالطاغوت بالاصنام كان اهل الكفر عبدوها وكذلك
الكافر يؤمن باشياء ويكفر باشياء يؤمن بالاصنام ويكفر بالله فثبت ان الكفر لاسم الكفر ليس يقبح وكذلك الايمان
لاسم الايمان ليس يحسن ولكن انما حسن لان الايمان بالله والكفر انما قبح لانه كفر بالله والكفر انما قبح لانه كفر بالله واما
الظلم فهو اسم الظلم قبيح وكذلك الفسق لاسم الفسق قبيح فسماهم باسماء هي باسمها قبيح لكن الايمان المطلق هو الايمان
بالله والكفر المطلق هو الكفر بالله وان كان يسمى بدون الله كفرا وايمانا كما قلنا الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق
دين الله وان كان اسم الكتاب والدين يقع على ما دونه وقوله عز وجل فانتقمنا منهم ذكر الانتقام منهم ولم يذكر بم
كان الانتقام وقال في اية اخرى فاخذتهم الرجفة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصيحة وقال في اية اخرى فاخذهم
عذاب يوم الظلة فيحتمل ان يكون الرجفة لقوم والصيحة لقوم ويوم الظلة لقوم منهم او كان كله واحدا فسماها
باسماء مختلفة وليس لنا الى معرفة ذلك العذاب حاجة سوى ما عرف انهم انما اهلكوا او عذبوا بالتكذيب ليكون
ذلك اية لمن بعدهم ليحذروا مثل صنيعهم والله اعلم وقوله عز وجل فانتقمنا منهم الرسل كما انتقمنا من قوم لوط بسوء
صنيعهم وسوء معاملتهم اياه ففي ذلك تخويف من اهل مكة لمحمد صلى الله عليه وسلم بسوء صنيعهم ومعاملتهم
اياه وقد كان ما نزل باصحاب الايكة كفاية مزجرا لهم وعظة لا احتياج الى ما ذكر ما نزل بقوم لوط وقوله عز وجل انهما
قال بعضهم يعني قوم لوط وقوم شعيب وقوله عز وجل لبامام مبين اي طريق مستبين اي بين هلاكهم وقوله
عز وجل وانها لبسبيل مقيم وانهما لبامام مبين واحداي بين واضح اثارهم من سلك ذلك الطريق او يحل قراهم
ومكانهم لاستبان لهم اثار هلاكهم ومنازلهم وقوله لبامام مبين اي طريق يؤم ويقصد وبين واضح وقوله عز وجل و
لقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال اهل التاويل اصحاب الحجر قوم صالح وثمود وقالوا الحجر اسم واد قيل هو اسم القرية
على شط الوادي نسبوا اليه وقوله ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال اهل التاويل يعني بالمرسلين صالحا وحده
لكن ذكر المرسلين لان صالحا كان يدعوهم الى ما كانت دعاء سائر الرسل فاذا كذبوه فكان قد كذبوا الرسل جميعا اذ كل رسول
يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فاذا كذب واحد منهم فقد كذب الكل والله اعلم وقوله عز وجل واتيناهم اياتنا فكانوا
عنها معرضين يحتمل الايات ايات وحدانية الله وحججه ويحتمل جميع الايات الوحدانية وحججه وايات رسالتهم معرضين
اي لم يقبلوها فاذا لم يقبلوها فقد اعرضوا اعرضوا عنها اي كذبوها وقوله عز وجل وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين
مما وعدهم صالح من عذاب الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين كانوا امنين من ذلك وقال
بعضهم كانوا امنين عن ان يقع عليهم ما خشوا الخوف منهم وهو ما قال وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين على تاويل بعضهم
حاذقين وقوله عز وجل فاخذتهم الصيحة مصبحين يحتمل اخذتهم ظاهرة بالنهار وقوله عز وجل فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون ويحتمل قوله فما اغنى عنهم اي ما كانوا ينحتون لا يغنيهم من عذاب الله من شئ ويحتمل فما اغنى عنهم

ما عملوا من عبادة الاصنام والاوثان قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله اى لم
ينفعهم ما عبدوا من عذاب الله او يقول ما اغنى عنهم ما صنعوا او انعموا فى هذه الدنيا فى دفع عذاب من انفسهم كقوله فما
اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم الاية اى وان اعطوا ما ذكروا من السمع والبصر والافئدة اذا لم ينظروا ولم يتفكروا فى ايات
الله وحججه وهذا وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يحتمل بالحق الحق الذى جعل لبعضه
على اهلها والحق الذى لبعض على بعض والحق هو اسم كل محمود مختار من القول والفعل والباطل هو اسم كل مذموم
من القول والفعل قال بعضهم تاويله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا ليشهدوا الله على اهلها وقوله عز وجل
الا بالحق ان يخلقهما لغير شىء ولكن خلقهما لمحنة يمتحنهم بالعبادة فيها والى هذا ذهب الحسن وقيل خلقهما وما
بينهما لامر كائن اى لعاقبة الثواب والجزاء لم يخلقهم للفناء خاصة ولكن للعاقبة لان خلق الشىء خاصة عبث وهو
ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر ان خلقهم لا للرجوع اليه ولا للعاقبة عبث وقد
ذكرنا هذا فيما تقدم فيجاز ان يكون قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية
على الاحتجاج على اولئك لانكارهم الساعة لوجهين احدهما ما ذكرنا انه لو لم تكن الساعة حصل خلقهما وما بينهما
للفناء خاصة وخلق الشىء للفناء خاصة عبث باطل كبناء البناء للنقض لا للعاقبة تقصد عبث والثانى انه يكون
فى ذلك التسوية بين الاعداء والاولياء وفى الحكمة التفريق بينهما وما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا ذلك ظن الذين كفروا الاية لم يكن ظنهم انه خلقهما باطلا ولكن لما انكروا البعث صار فى ظنهم خلقهما باطلا
وقوله عز وجل وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل قال بعضهم فاصفح الصفح الجميل اى اعرضوا عنهم ولا تكافهم
بما اذوك بالسنتهم وفعلهم وان الساعة لاتية فاذا كانت فيهم عنك على اذاهم اياك وصنيعهم يومئذ والصفح الجميل هو
ما لا نقص فيه ولا منة فى العرف كالصفح ما يوصف فيه بتمام الاخلاق وما لا نقص فيه ولا منة ويحتمل الصفح الجميل
الصفح الجميل هو ان تصفح ولا تمن عليهم كانه امر ان يصفح صفحا لا منة فيه وان الساعة لاتية فتجزى انت على صفحك
الجميل وهم على اذوك والله اعلم وقوله عز وجل ان ربك هو الخلاق العليم هذا يحتمل وجهين احدهما انه عليم
بما يكون منهم خلقتهم من المعصية والخلاف لا خلقتهم عن غفلة ولا جهل بذلك ليعلم انه لم يخلق الخلق لحاجة نفسه
والمنفعة نفسه ولكن خلقهم ليمتحنهم بما امرهم به ونهاهم ولما يرجع الى منافعهم وحوائجهم والثانى ان ربك هو
الخلاق لخلقه العليم بمصالحهم بان الصفح الجميل لهم اصلح ذلك فى دينهم من المكافات والله اعلم وقوله عز وجل
ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقران العظيم اختلف فى قوله سبعا من المثانى هو القران كله كقوله الله
نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى وقيل سمى مثانى لترديد الامثال فيه والعبر والانباء فان كان على هذا فيكون
قوله سبعا من المثانى اى سبعا من القران العظيم ثم يحتمل السبع الطوال على ما ذكر بعض اهل التاويل كانه قال اتيناك
سبعا من القران العظيم ويحتمل سبعا يعنى فاتحة الكتاب من القران اى اتيناك فاتحة الكتاب من القران وقال قوم
يقولون السبع المثانى فاتحة الكتاب ويروون على ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن ابى هريرة رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القران وام الكتاب والسبع المثانى وعن ابى
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله فى التورية والانجيل مثل ام القران وهى
السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى والعبد ما سال ومنهم من يقول المثانى القران كله يذهب
الى ما ذكرنا من الاية وبما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه قال ما انزلت فى التورية ولا فى الانجيل ولا فى
الزبور والقران مثلها يعنى ام القران انها السبع المثانى من القران العظيم الذى اعطيت ذكر وانها سبع من المثانى فان كان
سبع المثانى فاتحة الكتاب يبعد كانه قال لقد اتيناك سبعا وهى المثانى وان كان سبعا من المثانى هو الطوال يكون
هكذا اى اتيناك سبعا وهو المثانى وروى ايضا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم وقال اتانى السبع الطوال مكان التورية
والمثانى مكان الانجيل فضلنى ربى بالمفصل ثم ان ثبت ما روى فى الخبر ان سبع المثانى فاتحة والا الكف والامساك
من ذلك اولى لانه لا حاجة بنا الى معرفة ذلك وليس يكون تسميتنا اياها سوى الشهادة وما يخرج مخرج الشهادة
من غير حصول النفع لنا فالكف عنه والامساك اولى ومنهم من يقول هى المفصل ومن قال المثانى فاتحة الكتاب
قال لانها تثنى فى كل ركعة او ما جعل فيها مكررة معادة لان كل حرف منها يودى معنى حرف اخر فهى مثانى لذلك
ومن قال المثانى هو القران قال لما ذكرنا لان امثاله وانباءه وغيره معادة مرددة ومن قال المثانى السبع الطوال
فقال لانه يثنى فيها حدود القران وفرائضه وعامة احكامه والله اعلم وقوله عز وجل والقران العظيم سماه
عظيما وسماه مجيدا وحكيما وهو اسم الفاعلين ولا عمل له ولا فعل فى الحقيقة لكنه يخرج والله اعلم على وجوه

يجعل

يجعل جاه عظيما مجيدا اى عظمه وشرفه ومجده فهو عظيم مجيد حكيم اى محكم الفعيل بمعنى المفعول وذلك جائز فى
اللغة او سماه بذلك لان من تمسك به وعمل به يصير عظيما مجيدا حكيما او سماه اى جاء من عند عظيم مجيد حكيم واصل
الحكيم المصيب لموضع كل شىء موضعه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم يحتمل
المراد بقوله عينيك نفس العين ثم يحتمل وجهين احدهما رسوله ان ينظر الى ما متع اولئك مثل نظرهم لانهم ظنوا انهم
انما متعوا هذه الاموال فى الدنيا لخطرهم وقدرهم عند الله وعلى ذلك قالوا ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها
منقلبا وقال ولئن رجعت الى ربى الاية ونحوه ظنوا انما متعوا فى هذه الدنيا لخطرهم وقدرهم عند الله لذلك قالوا ما
قالوا فنهاه ان ينظر فى ذلك بعين الذين نظروا اليه ولكن بالاعتبار والثانى نهاه ان ينظر الى ذلك نظر الاستكبار
والتجبر على المؤمنين والاستهزاء بهم على ما نظروهم لانهم لما متعوا من انواع المال استكبروا على الناس واستهزؤا بهم
او البصر يقع من غير تكلف فيصير كانه نهاه عن الرغبة والاختيار فيما متعوا لان ما متعوا به هو ما ذكر ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وقال فى اية اخرى لنفتنهم فيه وقوله لا تمدن عينيك فيما متعوا فانهم
انما متعوا لما ذكر ويحتمل النهى عن مد العين لا العين نفسه ولكن نفسه كانه قال ولا تمنين نفسك فيما متعوا ولا ترغبنها
فى ذلك فانه ليس يوسع ذلك عليهم لخطرهم وقدرهم ولكن ليعلم انه ليس لذلك خطر عند الله وقدر حيث اعطى من افترى
على الله وجحد نعمه وفضله وفى الاية تفضيل الفقر على الغنى لانه نهى رسول الله يمد عينيه الى ما متعوا ومعلوم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه الى ذلك ليس يمد للدنيا ولا لشهواته ولكن يستعين به فى امر جهاد عدوه ويعين
به اصحابه فى سبيل الخيرات ثم نهاه مع ذلك عنه دل ان الاخير والافضل ما اختاره من الفقر وقصور ذات يده
والله اعلم وقوله عز وجل ازواجا منهم اى اصنافا من الاموال والوانا من النعم وقال بعضهم ازواجا منهم اى
الاغنياء منهم واشباهها فان كان قوله ازواجا منهم هو اصناف الاموال فهو على التقديم والتاخير كانه قال لا تمدن
عينيك الى ما متعنا منهم ازواجا وان كان ازواجا منهم هو اصناف الناس فهو على النظم الذى يجرى به التنزيل اى
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به قوما منهم وفى قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم دلالة نقض قول المعتزلة
لانهم يقولون ان الله لا يعطى احدا شيئا الا ما هو اصلح له فى الدين ولو كان ما متع هؤلاء اصلح لهم فى الدين لم ينه رسوله
عن مد عينيه اليه دل انه قد يعطى ما ليس باصلح فى الدين وكذلك قوله ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم
انما نملى لهم ليزدادوا اثما اخبر انه انما يملى لهم ليزدادوا وانما هم يقولون يملى لهم ليزدادوا خيرا وكذلك قوله ولا تحسبن
الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا بل هو شر لهم الاية هذه الايات كلها تنقض عليهم قولهم وقد ذكرنا هذا
فى غير موضع فيما تقدم وقوله عز وجل ولا تحزن عليهم يحتمل النهى نفسه نهاه ان يحزن عليهم اشفاقا عليهم بل امره
ان يغلظ عليهم كقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يحتمل النهى نفسه وعلى هذا يخرج قوله واخفض
جناحك للمؤمنين اى ارفقهم ولين عليهم واشدد على اولئك واغلظ عليهم وهو ما وصفهم اشداء على الكفار رحماء
بينهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اخبر انهم اهل شدة على الكفار واهل غلظة ورحماء بينهم واهل ذلة على
المؤمنين واهل شدة عليهم اى على الكفار فعلى ذلك هذا ويحتمل ان ليس على النهى ولكن على التخفيف والتسلى ورفع
الحزن عن نفسه لانه كان يحزن لكفرهم بالله وتركهم الايمان حيث كادت نفسه تتلف لذلك كقوله لعلك باخع نفسك
الاية وقوله فلا تذهب نفسك الاية وامثاله ويحتمل ايضا وجها اخر وهو انه كان يحزن عليهم ويضيق صدره
لما مكروا به وكايدوه كقوله ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون فانى اكافيهم والله اعلم وقوله عز وجل وقل انى
انا النذير المبين يحتمل انا النذير على معاصيه المبين لطاعته او النذير على العصاة من عذاب الله المبين لاموره و
نواهيه والله اعلم وقوله عز وجل كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين وقال الحسن الكتب كلها قران
يعنى كتب الله اقتسموها وجعلوها عضين اى فرقوها بالتحريف والتبديل فما وافقهم اخذوه وما لم يوافقهم غيروه
وبدلوه كقوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ونحوه فذلك اقتسامهم وتعضيتهم على قوله
وكقوله يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وقوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا ونحوه وقال بعضهم اقتسامهم
وهو ان نفرا من قريش كانوا اقتسموا عقاب مكة ليصدوا الناس عن رسول الله فيقول طائفة منهم اذا سالوا
عنه هو كاهن وطائفة اخرى هو شاعر ساحر مجنون ونحوه وعضين قولهم هو سحر شعر كهانة اساطير الاولين
افترى على الله كذبا وامثاله ما قالوا فذلك اقتسامهم وعضينهم وقال بعضهم هو على التقديم اى اتيناك المثانى
والقران العظيم انزلناه عليك كما انزلنا التورية والانجيل على اليهود والنصارى فهم المقتسمين كتاب الله
فامنوا ببعض وكفروا ببعض وقال ابو عوسجة يقال عضيت الجزور اى قسمتها عضوا وقال غيره هو من العضه

وهو السحر بلسان قريش يقال للساحر عاضه وقال القتبي المقتسمون قوم تحالفوا على عضة النبي صلى الله عليه وسلم و
ان يذيعوا ذلك بكل طريق ويخبروا به النزاع اليهم وعضين اى فرقوه وعضوه وقيل فرقوا القول فيه وهو ما ذكرنا
والله اعلم وقوله عز وجل فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون قوله فوربك قيل قسم اقسم به تعالى لنسئلنهم
اجمعين وقال بعضهم الخلايق كلها كقوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين اخبر انه سائلهم جميعا
الرسل من تبليغ الرسالة والذين ارسل اليهم عن الاجابة لهم وقال بعضهم قوله فوربك لنسئلنهم اجمعين هؤلاء
الذين سبقوا ذكرهم المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين والذين استهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه يسالهم عن جميع ما فعلوا والمعنى الذى حملهم على سوء معاملة رسوله وكتابه لاى شئ نسبتم رسوله وكتابه
الى السحر والكذب والكهانة والافتراء على الله لا يسالون ما فعلتم واى شئ عملتم لان ذلك يكون مكتوبا في كتبهم يعرفونه
كقوله اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وهو وعيد شديد في نهاية الوعيد والشدة لانه وعيد مقرون بالقسم
وكل وعيد قرن بالقسم فهو غاية الشدة اذ لو جاءنا ذلك الوعيد من ملك من ملوك البشر يجب ان يخاف فكيف من
ربنا وقوله عز وجل فاصدع بما تؤمر وقال بعضهم فاصدع بما تؤمر اى استقم كما تؤمر كقوله فاستقم كما امرت فتصرف
كل ما امر به كقوله وقال بعضهم اصدع اى امض بما تؤمر من تبليغ الرسالة واعرض عن المشركين اى امض عن مكافاتهم
والله اعلم اى امض على ما تؤمر من تبليغ الرسالة اليهم ولا تخفهم ولا تهبهم ولا يمنعك شئ عن تبليغ الرسالة
لخوف ولا القرابة ولا شئ من ذلك ولكن امض على ما تؤمر وهو كما قال ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا
وقال كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اى لا يمنعكم عن القول بالعدل بغضكم اياهم ولا قرابتكم التي
فيما بينهم فعلى ذلك قوله فاصدع بما تؤمر اى امض على ما امرت من تبليغ الرسالة ولا يمنعك عن ذلك الخوف والوعيد
والقرابة التي فيما بينك وبينهم وقال القتبي اصدع بما تؤمر اى اظهر ذلك واصله الفرق والفتح يريد
اصدع الباطل بحقك حتى يأتيك الموقن به وهو الموت وقال ابو عوسجة اصدع اى امض على ما تؤمر وصدعت اى
شققت وذلك من المعنى واصل هذا كله الشق ويقال تصدعوا اى تفرقوا والله اعلم وقوله عز وجل واعرض عن
المشركين اى اعرض عن مكافاتهم فانا اكافئك على ما آذوك وقال بعض اهل التاويل قوله واعرض عن المشركين
منسوخ باية السيف لكن على الوجه الذى ذكرنا ليس بمنسوخ ويحتمل واعرض عن المشركين ان كان اراد به القتال
والدعاء الى التوحيد فهو في وقت دون وقت او في قوم خاص علم الله انهم لا يجيبونه ولا يؤمنون به ايس رسوله
من ايمانهم فقال اعرض عن هؤلاء ولا تشتغل بهم ولا تدعهم فانهم لا يؤمنون ولكن ادع قوما اخرين والله اعلم وقوله
عز وجل انا كفيناك المستهزئين قال كفيناك المستهزئين الكفرة جميعا فمنعناهم ان يصلوا اليك على ما قصدوا اليك
من اهلاك وغيره كقوله نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقال بعضهم قوله كفيناك المستهزئين الذين كانوا على
والمراصد ليصدوا الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في القصة العدد الذى ذكر سبعة او خمسة
كفاك الله باذ اهلكهم بما ذكر اهل التاويل ان الذين استهزؤا به اهلكوا جميعا بعقوبات مختلفة وقوله عز وجل
الذين يجعلون مع الله الها اخر قوله يجعلون ليس على الجعل لانهم لو جعلوا لكان لان كل مجعول كان موجودا ولكن
قوله يجعلون اى يزعمون ان مع الله الها اخر اما في التسمية او في العبادة وكذلك قوله جعلوا القرآن عضين هم لا يقدرون
على ان يجعلوه عضين ولكن زعموا انه كذا لان الله حكى حفظه الى نفسه بقوله وانا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه اخبر انه حفظه حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلو قدروا على ما جعلوه عضين
لكان قد اتى الباطل من بين يديه ولكنه على القول الذى قالوا وهو على المجاز وكذلك قوله فراغ الى آلهتهم وقوله اجعل
الالهة الها واحدا فهو كله على المجاز على ما عندهم اما في التسمية لها آلهة وما يصرف العبادة اليها ظاهر هذا
ان المستهزئين الذين ذكرهم انه كفاه منهم الكفرة جميعا لكن يحتمل في الذين ذكرهم اهل التاويل كانوا على اخر … مكة
اضاف ذلك اليهم ونسب لانهم هم الذين امروا غيرهم ان يجعلوا … الها فكانهم فعلوا ذلك وهم قالوا وقوله
كفيناك المستهزئين الذين فعلوا به ما فعلوا ممن تقدم ذكرهم فيكون قوله الذين يجعلون على اضمار كان اى الذين كانوا
يجعلون مع الله الها اخر وان كان في الذين يكونون من بعد فهو على ظاهر ما ذكر يجعلون على المستقبل وقوله عز وجل
فسوف يعلمون وعيد اى سوف يعلمون ما عملوا من الاقتسام والعضة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه اذا نزل العذاب بهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وما قالوا من
الاقتسام والعضة والاستهزاء به والنزاع الاذى كان منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم اى نعلم ذلك وهو محفوظ
عندنا نجزيهم على ذلك فلا يضيقن صدرك لذلك فهو على الصبر على الاذى والتسلي ذلك وترك المكافات لهم والله اعلم

وكان

وكان يضيق صدره مرة لتركهم الاجابة ومرة للاذى باللسان والثانى على علم منا بما يكون منهم من ضيق صدرك بذلك لكن
امتحناهم ومكافاتهم على علم منا بذلك امتحانا منا اياك واياهم وقوله عز وجل فسبح بحمد ربك قال بعض اهل التاويل
اى صل بامر ربك وكن من الساجدين اى من المصلين وقوله فسبح هو امر فاذا فعل ذلك كانه بامر ربه فلا معنى لذكر
الامرين بعد قوله بحمد ربك ان كان الحمد ربك هو الامر على ما قال بعض اهل التاويل ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله فسبح
اى نزه الله عن جميع ما قالت الملحدة فيه اذ التسبيح هو التنزيه في اللغة بحمد ربك اى بثناء ربك اى نزه عن ذلك كله
بثناء تثنيه عليه واكن من الساجدين اى من الخاضعين اذ السجود هو الخضوع او ان يكون امره اياه بالتسبيح على التسلي
وتوسيع صدره بالذى يكون منهم اى فسبح ربك مكان ذلك وقوله عز وجل واعبد ربك يحتمل التوحيد اى وحد ربك
وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه كل عبادة ذكرت في القرآن فهو توحيد بامره باعتقاد الاخلاص له في كل امر ويحتمل
العبادة نفسها بامره بالعبادة له شكرا له على ما روى في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت ساقاه
فقيل له اليس غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال بلى افلا اكون عبدا شكورا وقوله عز وجل حتى يأتيك اليقين
اى ما تيقنت به وهو الموقن به وكذلك قوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله اى من يكفر بالمؤمن به فقد حبط عمله
لان الايمان لا يكفر به فعلى ذلك اليقين لا يأتيه ولكن يأتيه الموقن به وكذلك ما ذكر الصلوة امر الله اى بامر الله وهو
المأمور به لان الصلوة لا يكون امر الله ولكن بامر الله وكذلك ما يجئ من هذا النحو ويحتمل قوله حتى يأتيك اليقين فيهم
وهو ما عد من العذاب فيهم اى تتيقن ابذلك بعض اهل التاويل سورة النحل كلها مكية الا ثلاث ايات لانها
نزلت بالمدينة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل اتى امر الله فلا تستعجلوه في قوله امر الله فلا تستعجلوه وجهان احدهما ان اتى قوله امر الله
واراد وامالذى استعجلوه وانما استعجلوه الساعة والقيامة بقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها الاية ومن
نحوه من الايات وقال بعضهم امر الله هو عذابه وكذلك ما ذكر في جميع القرآن من امر الله المعنى منه عذابه كقوله
جاء امر الله اى عذابه ونحوه ويحتمل قوله اتى امر الله رسوله الذى كان يستنصر به اهل الكتاب على المشركين كقوله وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا الاية وكان يتمنى مشركوا العرب ان يكون لهم رسول كسائر الكفرة كقوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم الاية فلا تستعجلوه ذهاب ما كنتم تتمنون محمد صلى الله عليه وسلم او شئ اخر والله اعلم ثم انه لم يرد
بقوله اتى امر الله وقوعه ولكن قربه اى قرب اتيان امر الله كما يقال اتاك الخير واتاك امر كذا على ارادة القرب لا على الوقوع
وجائز ان يكون قوله اتى امر الله اى ظهر اعلام امر الله وليس على اتيان امره من مكان الى مكان كقوله جاء الحق وزهق الباطل
واثاره هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان به يختم النبوة فهو كان اعلام الساعة على ما روى عنه صلى الله عليه
وسلم فقال انا والساعة كهاتين اشار الى اصبعيه لقرب بعضهما والله اعلم وقوله عز وجل فلا تستعجلوه لانه لا منفعة
لكم فيها فلماذا تستعجلونه كقوله قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون انه لا منفعة
لهم فيه بل فيه ضرر عليهم وقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون سبحان هو كلمة اجلال الله يجرونها على
السن اولسانه على تبرئة ما قالت الملحدة فيه وتعاليه من جميع ما نسبوا اليه من الولد والصاحبة والشريك ونحوه
وغيره من الاشباه والامثال وتعالى عن ذلك سبحان الله حرف يذكر على اثر شئ مستبعدا ومستعجبا ومستعظم
جوابا لذلك وهو ما ذكره على اثر وصف قوله لا يليق بالله من الولد والشريك ونحوه فقال سبحان الله على التنزيه
عما وصفوه وقوله عز وجل ينزل الملائكة بالروح من امره قال بعضهم قوله بالروح بالوحى الذى انزله على رسوله
والرحمة والروح الرحمة وهو الذى به نجاة كل من رحمه الله وعدا هدايته وهو ما ذكر حيث قال وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين وقيل الرسالة والنبوة وما ذكر روحا لانه به حيوة الدين كما سمى الذى به حيوة الابدان ارواحا
قال الحسن قوله بالروح من امره اى بالحيوة من امره وهو ما ذكرنا من حيوة الدين وقوله عز وجل على من يشاء من عباده
اى على من يشاء ان يختص من عباده ويختار وهو مشية الاختيار وان كان غيره يصلح لذلك وفيه ولانه اختص
الله بعضهم على بعض وان كان غيره يصلح لذلك وقوله عز وجل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون على هذا بعث
الرسل والانبياء عليهم السلام جميعا بالانذار والدعاء الى وحدانية الله وتوجيه العبادة اليه وقوله انذروا
هو صلة ما تقدم من قوله ينزل الملائكة ان انذروا ولا يوصل بما تقدم ثم يخرج على الاضمار اى انذروا وقوله انه لا
اله الا انا فاتقون وقوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق قد ذكرنا قوله بالحق في غير موضع انه لم يخلقهما
وما فيهما عبثا انما خلقهم لامر كائن والمحنة والجزاء ونحوه وقوله عز وجل تعالى عما يشركون من لا يخلق ولا ينفع

ولا يشبه ولا بد فيه في الذي يخلق ويشفع ويعيد ويدفع تعالى عن ذلك وتبرأه وقوله عز وجل خلق الانسان من نطفة
يذكرهم عز وجل نعمه عليهم وقدرته وسلطانه وعلمه لانه لو اجتمع الخلائق كلهم على ان يدركوا المعنى الذي به تصير
النطفة نسمة وانسانا ما قدروا وانه خلق من النطفة انسانا على احسن تقويم واحسن صورة وفيه نقض
قول الدهرية حيث انكروا خلق الشيء من لا شيء لانهم لم يدركوا المعنى الذي به خلق الانسان من النطفة فيلزمهم ان يقروا
بخلق الشيء من لا شيء وان يشاهدوا ذلك ولم يدركوا وفيه دلالة البعث لان من قدر على انشاء الانسان من النطفة
وليس فيها من اثار الانسان شيء يقدر على البعث وانشاء الاشياء لا من شيء وقوله عز وجل فاذا هو خصيم مبين
قال بعضهم الخصيم هو الذي يجادل بالباطل يبين اي ظاهر مجادلته بالباطل ومخاصمته وقال بعضهم الخصيم هو الجدل الذي
يجادل فيه كما ان قال ابو عوسجة الخصيم هو المخاصم والمخاصم كلاهما خصيم ويقال فلان خصمي مبين ظاهر خصومته
والخصيم هو الفعيل وقد يستعمل في موضع الفاعل والمفعول جميعا فكانه قال فاذا هو خصيم مبين اي منقطع
عن الخصومة بين انقطاعه وهو ما ذكر من خصومته في اية اخرى وانقطاع حجته حيث قال اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فهذا احتجاج عليه
فاذا انقطعت حجته وبهت الذي انكر قدرته على البعث حيث لم يهتد لجواب ما احتج عليه وقوله عز وجل
والانعام خلقها لكم يحتمل قوله خلقها لكم على الظاهر ان خلق هذه الاشياء لنا لننتفع بها دفء ومنافع كقوله هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ويحتمل قوله والانعام خلقها
اي هو خلقها ثم اخبر لنا فيها منافع بذكر انواع المنافع والنعم التي انعم عليها مفسرة مبينة واحدة بعد واحدة
في هذه السورة وفي غيرها من السور انما ذكرها بجملة غير مبينة الاكل واحدة منها على ما اشار الى ما في هذه السورة
ليتوسموا بشكرها وليعلموا قدرته على خلق الاشياء لا من الاشياء ثم قوله فيها دفء وقال بعضهم دفء نسل
كل دابة وقال بعضهم ما يلبس منه وقال القتبي الدفء ما استدفأت به ويشبه ان يكون تفسير الدفء والمنافع
التي ذكرها ما فسر في اية اخرى وقوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها
يوم ظعنكم ويوم اقامتكم الاية جعل الله عز وجل الانعام وما ذكر وقاية لجميع انواع الاذى من السماوي وغيره
مما يهيج من الانفس من الحر والبرد والجوع وغير ذلك مما يكثر مدها ويطول مدها وذكرها وجعل فيها منافع كثيرة
من الركوب والشرب والاكل كما قال ولكم فيها منافع وقال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم
منافع كثيرة الى اجل مسمى اخبر ايضا ان فيها جمالا وزينة بقوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فان قال
قائل اي جمال يكون لنا فيها الاراحة وحين السرح ثم قال بعض اهل التاويل وذلك انه اعجب ما يكون اذا راحت عظاما
ضروعها طوالا اسنمتها وحين تسرحون اذا سرحت لرعيها او ان يكون الجمال عند الاراحة والسرح شرب البانها
وقرى الضيف من البانها في الرواح والمشاء وقال بعضهم ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك انهم
كانوا يسرون عند الاراحة والتسريح وذلك السرور يظهر في وجوههم فاذا ظهر ازداد لهم جمالا حسنا وهكذا
المعروف في الناس انهم اذا سروا يظهر ذلك السرور في وجوههم فيزداد لهم جمالا واذا احزنوا واصابهم
ثم يؤثر ذلك الغم نقصانا في خلقتهم فيزداد لهم قبحا وتشويها وقال بعضهم انهم اذا اراحوها او سرحوها رأى
الناس ان اربابها اهل غنى واهل ثروة وانهم لا يحتاجون الى غيرهم وان يكون لغيرهم اليهم حاجة فيكون لهم بذلك
ذكر عند الناس وشرف وذلك تجملهم وشرفهم والجمال لهم فيها ظاهر لان ما يبسط ويفرش انما يتخذ منها ومن
اصوافها وكذلك ما يلبس انما يكون منها وانما يبسط ويفرش ويلبس التجمل والبهاء والله اعلم وقوله عز وجل وتحمل
اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ذكر ايضا ما جعل فيها لنا من النعم ما تحمل من الاثقال من مكان الى مكان
ومن بلد الى بلد ما لم يكن اشتاهن اعني الانعام التي اخبر انها تحمل اثقالا لا نصل الى ذلك بدونه الا بجهد وشدة
وذلك والله اعلم ان الله جعل في هذه الانفس حوائج وقواما بالا قوام لها الا بذلك فلعله لا يظفر بما به قوام النفس
الا في بلد اخر فلو تحمل ذلك بنفسه لكان في ذلك تلف نفسه وذهاب ما به قوامه فذكر انه خلق لنا ما يحمل به من بلد
الى بلد مما به قوام انفسنا وحاجاتنا والله اعلم وقوله عز وجل ان ربكم لرؤوف رحيم اي من رحمته ورأفته ما جعل
لكم من المنافع في الانعام وما ذكر واذكر هذا ليرحموا على هذه الانعام التي خلقها لهم في الانفاق عليها والاحسان
اليها وذكر فيه ومنها تاكلون وذلك لا يوصل الى اكله الا بالذبح فيما يوكل ليس بخارج من الرحمة والرافة وذلك
ينقض على الثنوية قولهم انكروا ذبح هذه الاشياء ويقولون انهم يتالمون بالضرب والذبح والقتل كما تتالمون
انتم فمن قصد قصد لهذا كم بالقتل فهو سفيه عندكم غير حكيم ولا رحيم بل موصوف بالسفاهة والسفه فالله سبحانه

موصوف بالحكمة والرحمة والرافة لا يجوز ان يامر بالذبح والقتل لهذه الاشياء لان ذلك مما يزيل الرحمة فيجاب لهم
بوجوه احدها ان الله خلق هذا البشر في هذه الدنيا للمحنة والعاقبة قصدها اما ثوابا واما عقابا واخبر انه خلق
هذه الاشياء لنا وجعل لنا فيها منافع نتامل ونقصد وقد نجد في الشاهد من هو موصوف بالرحمة والرافة
على نفسه يخرج نفسه للجراحات ويحمل عليها الشدائد والمكرهات لمنافع تقصد ويتامل في العاقبة ثم لم يوصف بالسفه
ولا بالخروج عن الحكمة والرحمة من تحمل الحجامة والافتصاد وشرب الادوية الكريهة الشديدة ما لو لم يتامل ما قصده من
النفع والعاقبة في العاقبة ما تحمل تلك المكروهات والشدائد فلما وصفنا انه تحمل الاذى والالم والمكروه غير خارج
عن الحكمة والرحمة ولا الفعل بما فعل سفه اذ كان لمنافع تقصد في العاقبة وعاقبة تتامل فيبطل قول الثنوية ان ذلك
مما يزيل الرحمة على ان هذه الانعام والبهائم لم تخلق للمحنة والجزاء في العاقبة ولكن خلقت لمنافع البشر فلهم الانتفاع
بها ثم للهم بها ومن يحمل اثقالها والانتفاع بظهورها مع ما ذكرنا ان تحمل المكروهات والانواع الشديدة والالم لا
يخرج الفعل من الحكمة ولا يزيل الرحمة والرافة اذا قصد به النفع في العاقبة وطمع فيه الخير وهذا يدل انه ابيح لنا الانتفاع
بها والذبح على غير جهة حقيقتها لنا حيث ابيح لنا اتلافها اذ لو كان اصول الاشياء لنا لكان لا يمنع عن الاتلاف فدل انه
ابيح لنا الانتفاع بها على غير جهة الحقيقة والاصول لنا فيبطل قول من يقول ان الاشياء في الاصل على الحل والاباحة
حتى يقوم ما يحظر قال ابو عبيد حين تريحون يقال منه ارحت الابل اريحها راحة والاراحة عند العرب ان يعيد الرعاء
مواشيها بالليل الى ماويها ولهذا يسمى ذلك الموضع المراح وقوله وحين تسرحون هو اخراجها الى المرعى يقال سرحتها
اسرحها سرحا وسروحا وكذلك قال القتبي وابو عوسجة والدفء ما ذكرنا انه من الاستدفاء وقوله عز وجل والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقوله وزينة يحتمل وجهين احدهما ان الماشي هو دون الراكب والمشي يورث
نقصانا في الوجه والركوب لا وذلك زينة على ما ذكرنا في قوله ولكم فيها جمال والثاني ان الراكب اذا نظر الى الماشي سر بركوبه
فالسرور يظهر في وجهه وذلك يزيد في حسنه وجماله واصله ما ذكر عز وجل والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
الاية والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة بين انه انما خلق الانعام وما جعل فيها وهو ما ذكر انه جعل فيها الدفء
والمنافع ومنها تاكلون وبين انه انما خلق الخيل وهو ما ذكر لتركبوها وزينة وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن لحوم
الخيل والبغال والحمير لتركبوها ولم يقل لتاكلوها فكره اكلها لذلك وتمام هذا ان الله ذكر الانعام وما ذكر من النعم
والانتفاع بها وبالغ في ذكرها لانه قال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون وقال ولكم فيها جمال حين
تريحون وحين تسرحون الاية وقال هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر وقال ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وقال وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا الى اخر ما ذكر ذكر جميع
ما ينتفع به من انواع المنافع ذكرها ذكرا مبالغا غير مكتوم فدل ما ذكر في الخيل من الركوب وكذلك في البغال والحمير على انه
ليس فيها منفعة اخرى سوى ما ذكر وهو الركوب اذ خرج الذكر لها على المبالغة والاستقصاء ليس على الاكتفاء ولو كان
هنالك منفعة اخرى لذكر على ما ذكر في غيره والله اعلم والثاني ان من الاشياء اشياء يعرف جهتها بنفار الطباع والعبا[illegible]
اول ما بلغوا يرغبون في ركوبها لا احد يرغب في اكلها الا من غير طبيعته عما كان مجبولا به فهو يرغب في اكله واما من ترك
وطبعه فيستخبث وينفر طبعه عن اكله والله اعلم وروي عن جابر قال لما كان يوم خيبر اصاب الناس مجاعة واخذوا
الحمر الاهلية فذبحوها فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الانسية ولحوم الخيل والبغال وكل ذي ناب من
السباع وكل ذي مخلب من الطير وحرم الخلسة والنهبة وروي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
خلاف قال ذلك اطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر وعن اسماء بنت ابي بكر قالت
نحرنا فرسا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلنا وفي بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
عن لحوم الحمر واذن في لحوم الخيل قلنا قد يجوز ان يكونوا اكلوه في الحال التي كان يؤكل فيها الحمر لان النبي انما نهى عن اكل
لحوم الخيل مخصصا فقد يجوز ان يكونوا اكلوا لحم الفرس في حال الاباحة اذ لم يذكر الوقت وعن الحسن قال كان اصحاب
رسول الله عليه السلام ياكلون لحوم الخيل في مغازيهم وكان الحسن لا يرى فيها باسا على كل حال وقول الحسن انهم كانوا
ياكلون لحوم الخيل في مغازيهم يدل على انهم كانوا ياكلون في حال الضرورة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
الخيل لثلاثة فهي لرجل كذا ولرجل اخر كذا وعلى رجل وزر بين انها لا تصلح لغير ذلك ولو صلحت للاكل لقال الخيل
لاربعة وللقتال وللجهاد وللطعام ومما يبين ما ذكرنا ان البغل حرام وهو من الفرسة فلو كانت امه حلالا لكان هو ايضا
حلالا لان حكم الولد حكم امه لانه منها وهو كبعضها فمن حرم لحم البغل لزمه ان يحرم لحم الفرسة في حكم النظر
والمقايسة الا ترى ان حمار وحش لو نزى على حمارة اهلية لم يؤكل ولدها ولو ان حمارا اهليا نزى على حمارة وحشية

فولدت اكل ولد ما فلا يرى انه جعل حكم الولد حكم امه ولم يعتبر بالفحل فلما كان لحم البغل حراما وجب ان يكون لحم الفرس
كذلك الا ان ابا حنيفة رحمه الله كان لا يطلق تحريم اكلها لما فيها من الشبهة والاختلاف والاحاديث المروية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الكراهة للشبهة التي فيها وكان ابو يوسف رحمه الله يبيح اكلها ويجوز
يجوز ان يجيء لابي يوسف في الفرق بين المولود من الفرس وبين ولد الحمار الاهلي بان ولد الحمار يتغير من جنس
امه فحكمه حكم امه والبغل ليس من جنس امه هو من جنس ثالث فكذلك لم يكن سبيلها سبيله والله اعلم وقوله عز وجل
ويخلق ما لا تعلمون اخبر انه يخلق ما لا نعلم فليس لنا ان نتكلف في علمه ذلك او يخلق من النعم فيما خلق ما لا تعلمون
اسم انها نعم او قال لا يقول قوم انه ليس لله ان يخلق شيئا ولا يطلعه المحنى وعلى الله قصد السبيل اختلف فيه قال
بعضهم اي على الله بيان قصد السبيل وهدى يبين الهدى من الضلالة ويبين من السبل الذي تفرقت عن سبيله كقوله
ثم ان علينا بيانه وقوله عز وجل ومنها جائر اي عليه بيان ما يجوز منها قصد السبيل بعدل وجائر او يقال وبالله
يوصل الى قصد السبيل وقال بعضهم وعلى الله اي وبالله يوصل بقصد السبيل وهي السبل التي ذكرنا ومنها جائر كقوله
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وقال بعضهم طريق الحق والعدل لله وقد يستعمل حروف على مكان
له وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي لربهم وكقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
ومنها جائر وهي السبل المتفرقة عن سبيله وقوله عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين قد ذكرنا تاويله وقوله ولو شاء
لهديكم اجمعين يخرج على وجهين احدهما لو شاء اكرم الخلق كله اللطف الذي اكرم اولياءه فاهتدوا به فيهتدون و
الثاني لو شاء اعطاهم جميعا الحال التي يكون بها الاهتداء وهو ما قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة الى قوله ما ذكر
لنا لا يحتمل انه اذ كان ذلك مع الكفار الكفر واجمعا واذا كانت تلك الحال للمسلمين لا يستوي وقوله عز وجل هو الذي
انزل من السماء ماء موصول بقوله خلق السموات والارض بالحق وقوله خلق الانسان من نطفة وقوله والانعام
خلقها لكم والخيل والبغال يقول الذي خلق لكم ما ذكر من الاشياء هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه
شجر هذا ما يحتمل ما ذكرنا انه انزل من السماء ماء لنا ثم اخبر انه منه شراب ومنه شجر ويحتمل هو الذي انزل من السما
ماء ثم اخبر لكم منه شراب ومنه شجر ثم يحتمل قوله منه شراب جميع ما يشرب من الاشربة اذ منه تكون منه
الاشربة جميعا وجميع الاشياء ويحتمل منه شراب الماء خاصة ومنه شجر الشجر معروف هو الذي يعلو ويرتفع
في الارض لا يسمى الحشيش وما يبسط على وجه الارض شجرا فظاهر هذا ان يرجع الى ذلك الا انه ذكر فيه تسيمون
اي ترعون دل هذا انه انما اراد بالشجر المنبسط على وجه الارض والمرتفع عليها وقال القتبي السائمة الراعية وكذلك
قال ابو عبيدة وقال ابو عبيدة اسمت سامت اي رعيتها وكذلك قوله والخيل المسومة اي الراعية وقوله عز وجل
ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات اي ينبت لكم بالماء الذي ذكر انه انزل من السماء الزرع
والزيتون وجميع ما ذكر جعل الله بلطفه الماء لقاح كل الاشياء المختلفة والمتفقة ليس كغيره من الدواب حيث لم يجعل
لقاح شيء من جنس اخر انما جعل لقاح كل نوع من نوعه وجعل في الماء بلطفه سرية توافق جميع الاشياء المختلفة
لا راجح للخلائق على ادراك ذلك وان اجتهدوا لم يقدروا عليه يعرفون الماء ظاهرا ولكن لا يدركون ما فيه من اللطف
والسوية الذي به يكون حيوة كل احد وموافقته وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ذكر ان فيه اية
لقوم يتفكرون ولم يذكر انه لماذا لكنه ذكر انه اية لقوم يتفكرون بالتفكر يعرف انه اية لماذا وهذا يدل على الاشياء
التي غابت عنا نظواهرها بالتفكر والنظر تدرك وقوله عز وجل وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
وما ذكر ووجه تسخير هذه الاشياء لنا هو ان الله خلق هذه الاشياء يجعل فيها منافع للخلق تصل تلك المنافع الى الخلق
شاؤا او ابوا احبوا او كرهوا جعل في النهار معاش الخلق وتقلبا فيه يبتغون ويتقلبون وجعل الليل راحة لهم وسكنا
ينتفعون بهما شاؤا او ابوا وكذلك ما جعل في الشمس والقمر والنجوم من المنافع من انضاج الفواكه والثمرات
وادراك الزروع وبلوغها ومعرفة الحساب والسنين والاشهر ومعرفة الطرق والسلوك بها وغيره المنافع
المنافع ما ليس وسع للخلق ادراكه ينتفع الخلائق بما جعل فيها من المنافع شاءت هذه الاشياء او ابت فذلك
وجه تسخيرها لنا ويحتمل ما ذكر من تسخير هذه الاشياء لنا ما جعل في وسعنا استعمالنا هذه الاشياء والانتفاع بها
والحيل التي بها نقدر على استعمالها في حوائجنا ويحتمل تسخيرها لنا ما ينتفع بهن شئن او ابين بالطباع والله اعلم وقوله
عز وجل مسخرات بامره يحتمل وجهين يحتمل اي بامره تنتفع الخلائق ويحتمل بامره ان كونها في الاصل هكذا ان تنتفع الخلائق
والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون قال في الاية الاولى لقوم يتفكرون يجعل الله عز وجل
التفكر سبيلا للمعقول الى ادراك المغيبة بالحواس الظاهرة اذ لا سبيل للمعقول الى ادراك ما غاب عنه الا بالحواس

الظاهرة

لابد وكذا العقل يجعل الحواس الظاهرة سبيلا للمعقول الى ادراك المغيب منها ذكر عز وجل في الاية الاولى لقوم يتفكرون
وذكر في الاية الثانية لقوم يعقلون وفي الاية الثالثة لقوم يذكرون وفي الرابعة لقوم يشكرون وذلك والله اعلم
كرره على مراتب لانه بالتفكر فيها يعقل ويعلم بعد العلم والعقل والفهم يتذكر واذا تذكر عند ذلك شكر نعمه ثم قوله
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ويتفكرون وما ذكر فيه دلالة وحدانية الله تعالى ودلالة تدبيره وعلمه وحكمته و
دلالة بعث الخلائق ودلالة قدرته وسلطانه لان الليل والنهار باتيانه الجبابرة والفراعنة ويذهبان بعزهم وبخت
شاؤا او ابوا فذلك اية وسلطانه وقدرته ليعلموا ان له السلطان والقدرة لا لهم وفيهما دلالة البعث لانه اذا
هذا ذهب الاخر حتى لا يبقى له اثر ثم ينشئ مثله بعدما لم يبق من الاول شيء ولا اثر فالذي قدر على انشاء النهار و
الليل بعدما ذهب الاول وتلاشى لقادر على انشاء الخلق بعد ما ذهب اثرهم وكذلك الشمس والقمر والنجوم وما ذكر
لما انشئ كله على سنن واحد وتقدير واحد على غير تفاوت فيها ولا تفاضل وعلى غير تقديم ولا تاخير جرى كله على
واحد وتقدير واحد وميزان واحد من غير تفاوت ولا اختلاف دل انه على تدبير واحد جرى ذلك مما على الجزاف
وان مدبر ذلك كله واحد اذ لو كان تدبيره بجماعة لخرج مختلفا متفاوتا فدل انه تدبير واحد لا عدد وانه على تدبير
خرج وجرى كذلك لا بنفسه وانه على حكمته وعلمه جرى كذلك فيه دلالة لزوم الرسالة والعبادة له والله اعلم
وبل قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وقوله عز وجل وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه اي مختلفا اصنافه
وجواهر ويحتمل عز وجل من قدرته وسلطانه ونعمه التي انعمها عليهم اما سلطانه وقدرته ما خلق في الارض وانبت
فيها بالماء لم يرجع الى جوهر الارض وجنسها ولا الى جوهر الماء وجنسه وهما كالوالدين الماء كالاب والارض كالام
فلم يرجع ما خرج منهما من جنسهما ولا من جوهرهما كان في سائر الاشياء يرجع التوالد منها الى جنس الوالدين وجوهرهما
بل يرجع التوالد والمنشؤ من الارض والماء الى جنس البذر وجوهره ليعلم قدرته وسلطانه الى انشاء الاشياء
باسباب وبغير اسباب ومن شيء ومن لا شيء ويذكر نعمه حيث اخبر انه خلق في الارض من الاصناف المختلفة والجواهر
المتفرقة لينتفعوا بها ويحتمل قوله مختلفا الوانه من جنس واحد من شيء واحد لانه يكون من جنس واحد الوان مختلفة
ومن قدر على انشاء الوان مختلفة من شيء واحد لا يعجزه شيء وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يذكرون وفي
اية لقوم يتفكرون وفي اية اخرى لكل صبار شكور وللمتوسمين وفي اية للمؤمنين فيحتمل ان يكون كله كناية على المؤمنين
كانه قال ان في ذلك الاية للمؤمنين انه يجمع الايات جميع ما ذكر من التفكر والتذكر والعقل والاعتبار والصبر والشكر
وغيره ويحتمل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ويعقلون ويذكرون اي لقوم همتهم التفكر والنظر في الايات ولقوم
همتهم التفهم والاعتبار فيها لا لقوم همتهم العناد والمكابرة والاعراض من النظر في الايات والتفكر فيها وفي ذكر
الايات للمتفكرين والعاقلين والمتذكرين لما منفعة الاية تكون لهؤلاء وان كانت الايات لهم ولغيرهم فمنفعتها لمن ذكر والله
اعلم وقوله عز وجل وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا الاية ذكر هاهنا ما يدل الخلق ما فيه من انواع
الاموال التي خلق الله فيه من الحلي والجوهر واللؤلؤ ويذكر ما فيه من الدواب السمك وغيره فلولا تسخيره اياه
للخلق وتعليمه اياهم الحيل التي بها يوصل الى ما فيه من الاموال النفيسة والا ما قدروا على استخراج ما فيه والوصول
اليه لشدة احواله وانتزاعه وقوله عز وجل لتاكلوا منه لحما طريا يحتمل السمك خاصة ويحتمل السمك وما
فيه من الدواب من نوع ما لو كان برهانا كل من حمل الجواميس وغيرها وقوله عز وجل وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
يحتمل الحلية اللؤلؤ والمرجان الذي ذكر في اية اخرى حيث قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ثم يحتمل قوله حلية
اي ما يتخذ منه حلية وهذا جائز ان يسمى الشيء باسم ما يتخذ منه وباسم ما يصير به في المتعقب او يسمى حلية
لانه زينة ولا شك ان اللؤلؤ والمرجان مما زينة وجمال وفي الخيل والبغال كذلك فالزينة في اللؤلؤ والمرجان
اكثر والجمال فيه اظهر اخبر انه جعل لنا الوصول الى ما في قعر البحر وهو ما ذكر من اللؤلؤ وانواع الحلي وما في بطن
البحر وهو ما ذكر من اللحم الطري وما على الوجه الماء وهو السفن التي ذكر ووجه تسخيره اياها الحيل والا
التي عليها عملنا حتى نصل الى ما فيه فكانه قال سخرت لكم البحر من اسفله الى اعلاه وفي ذلك دلالة احدهما اباحة
التجارة بركوب الاخطار لان الغائص في البحر يخاطر بنفسه ووجهه وكذلك راكب السفن فلولا انه مباح له
طلب ذلك والا ما ذكر هذا في منته اذ هو يخرج مخرج ذكر الامتنان والله اعلم وقوله عز وجل وترى الفلك مواخر فيه
مواخر قال الحسن والاصم المواخر السفن المحشوات الواقرة احمالها يذكر منته التي من بها عليهم حيث جعل
لهم السفن والفلك التي يحمل بها الاحمال الثقال العظام في البحار ما سبيلها التنقل والاخذ ادق البحر
فاسكها فيه بالسفن العظام الثقيلة وقال بعضهم مواخر جارية مقبلة مدبرة بريح واحدة في البحر لان ماء البحر

واكد ما تجرى السفن فيه بالرياح حيث اراد وان قصد وان الاشيا وتجرى على مجرى الماء اذا كان له مجرى واما اذا كا
راكدا ساكنا فلا سبيل الى ذلك فيذكر عظيم منته وقدرته على اجراء السفن في الماء الراكد بالريح وقال بعضهم مواخر
اى جوارى تشق الماء شقا ويخرقه يقال مخرت السفينة ومنه مخر الارض انما هو شق الماء لها وهو قول القتبى
فكذلك قال ابو عبيدة انه من شق السفن الماء وقال ابو عوسجة المواخر المستقبلة يقال انما استمخر الانسان الريح اذا
استقبلها وقال ابو عبيدة مواخر من الاستدبار يقال اذا اراد احدكم البول فليستمخر الريح اى يستدبرها والله اعلم وقوله
عز وجل ولتبتغوا من فضله يحتمل التجارة التى جعل فيها حيث جعل سبيل قطع البحار الى بلاد نائية بعيدة بالسفن
لتبتغوا ما فيه قوام ابدانهم وانفسهم اذ جعل بنيتهم بنية لا تقوم الا بالاغذية ولعلهم لا يبلغون ذلك ما به قوام
ابدانهم وبنيتهم في بلادهم فيحتاجون الى البلاد النائية البعيدة فمنهم من يبلغهم بذلك كما من بقطع المفاوز والبرا
بالدواب بقوله وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس او قال ولتبتغوا من فضله بما يستخرج منه ولعلهم
تشكرون جميع ما ذكر من الوان النعم والمنافع من اول السورة الى اخرها يستادى به شكره وفى قوله ولتبتغوا من
فضله دلالة اباحة التجارة وطلب الفضل بركوب الاخطار واحتمال الشدايد حيث اخبر انه سخر البحر حتى امكنهم
ركوبه بالحيل والاسباب التى علمها لهم لان الغواص يخطر بروحه ونفسه وكذلك راكب السفينة وقوله عز وجل
والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم اى القى فى الارض رواسى لئلا تميد بكم لانها بسطت على الماء فكانت تكفؤا باهلها
كما تكفؤا السفينة فى الماء فاثبتها بالجبال لتقر باهلها لكن لو كان ما ذكروا انها بسطت على الماء لكانت لا تكفؤ لا
تضطرب ولكنها تسترسب فى الماء وتتهار فيه لان من طبعها التسفل والتسرب فى الماء الا ان يقال الله عز وجل
جعل بلطفه طبعها طبع ما يضطرب وتكفؤ فعند ذلك يحتمل ما ذكروا والله اعلم ولو قالوا لو انها بسطت على الريح
لكان يحتمل ما قالوا او يكون اشبه بقولهم الا ترى ان السراج فى الاباد والسروب لا يبقى بل ينطفى كما سرج فيه
ان يكون انطفاؤه لريح يكون فى الارض وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والله اعلم بذلك وقال بعضهم بسطت على
ظهور الثور فكانت تضطرب بتحركه فارسيها بما ذكروا والله اعلم ثم قوله والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم و
انهارا وسبلا يخرج ذكر ذلك منه ذكر الامتنان والنعمة لانه له ان يترك الارض على ما خلقها ولا يثبتها بالجبال
لتميد باهلها فلا يقدروا على القرار عليها والانتفاع بها لكنه بفضله ومنه اثبتها بالجبال ليقر اهليها ويقلبها
على الانتفاع بها وكذلك له ان يجعل لهم فيها انهارا جارية فيكون مياههم من امارها وكذلك له ان يحوجهم
بانواع الحوائج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل التى بها يصلون الى قضاء حوائجهم ويكلفهم طلب الرزق والسبل
التى بها يصلون الى قضاء حوائجهم بانواع الحوائج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل لكنه بفضله ومنه بين
لهم الطرق والسبل التى تفضى الى البلدان والامكنة التى فيها تقضى حوائجهم وكذلك بفضله جعل لهم فى الارض
انهارا جارية واثبت الارض بالرواسى لتقر واهليها وذلك كله بمنه وفضله وقوله عز وجل لعلكم تهتدون
الطرق والسبل التى تفضيهم الى الحوائج ويحتمل تهتدون هذا ايضا يخرج مخرج ذكر المنن والنعم عليهم لانه
لو ما جعل الله اعلاما فى البحار والبرارى يعرفون بها السلوك فيها والا لم يقدر احد معرفة الطرق فى البحار
والبرارى ثم يحتمل الاعلام مرة بطعم الماء والجبال التى جعل فيها والرياح ومرة تكون بالنجم يعرفون بطعم
الماء ان هذا الطريق يفضى الى موضع كذا وكذلك يعرفون بالجبال وبالرياح يعرفون السبل الى حوائجهم ومقصودهم
وكذلك بالنجم يعرفون الطرق فالاعلام مختلفة بها يهتدون الطرق والسبل ويحتمل تهتدون بما ذكر من الاعلام
والنجم سبب اهتدائهم الى توحيد الله وقوله عز وجل افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون يحتمل هذا وجهين احدهما على
على الاحتجاج عليهم اى لا تجعلوا من لا يخلق ولا ينفع ولا ينعم كمن هو خالق الاشياء كلها ومنعم النعم عليكم افلا تذكرون
اى ان صرف العبادة والشكر الى غير خالقكم وغير منعمكم جور وظلم والثانى يخرج مخرج تسفيه احلامهم اى تعبدون
من يعلمون انه ليس بخالق ويتركون عبادة من يعلمون انه خالق الاشياء كلها افلا تذكرون والله اعلم وقوله عز وجل وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا يحتمل وجوها احدها وان تعدوا النعم نعمة الله التى انعمها عليكم وابتغيتها لا تقدروا
على عدها لكثرتها والثانى وان تعدوا وان تكلفتم واجتهدتم كل جهدكم ان تقوموا بشكر ما انعم الله عليكم ما قدرتم
على القيام لشكر واحدة منها فضلا ان تقوموا الكل والثالث يخرج على العتاب والتوبيخ اى كيف تصرفون العبادة
من لا يخلق ولا ينعم عن عبادة من يخلق والنعم وكنتم لا تقدرون على احصاء ما انعم عليكم فضلا ان تقوموا بالشكر
وقال الحسن فى قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تعرفوا كل النعم لان لكم من النعم ما لا يعرفه الخلق كقوله نعمة
ظاهرة وباطنة فاذا لم يعلموا لم يقدروا احصاها وقوله عز وجل ان الله لغفور رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما

الهدى المعروف بما ذكر من النجوم عز وجل ومنه والله اعلم وعلامات وبالنجم هم

انكم وان فرطتم على الله وعاندتم بحججه واياته وكذبتم رسله فاذا استغفرتم وتبتم عما كان ذلك منكم يغفر لكم ذلك كله
كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والثانى لغفور اى يستر عليكم ما كان منكم ما لو ظهر ذلك لافتضحتم لكنه برحمته
ستر ذلك عليكم رحيم بالستر عليكم او ذكر لغفور رحيم على اثر ذكر النعم وانواع المنافع ليكونوا رحماء على ما ذكر مما
سخر لنا واذن لنا والله اعلم وقوله عز وجل والله يعلم ما تسرون وما تعلنون هذا يخرج على وجهين احدهما ذكر هذا
ليكونوا ايقظ واحذر لان فى الشاهد من يعلم ان عليه رقيبا حافظا لما يفعل كان هو راقب واحفظ لاعماله ويكون
احذر ممن يعلم انه ليس عليه حافظ ولا رقيب والثانى يعلم ما تسرون من المكر برسول الله والكيد له من القتل والاخراج
وغير ذلك كله منكم ما اسررتم واعلنتم وهو يخرج على نهاية الوعيد والتخويف وقوله عز وجل والذين يدعون من
دون الله يحتمل يدعون اى يسمونها الهة وربما كانوا يدعونهم عند الحاجة ويحتمل يدعون يعبدون اى الذين يعبدون
من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فهذا يرجع الى الاول افمن يخلق كمن لا يخلق وقوله عز وجل اموات غير احيا
لا يحتمل المراد بقوله اموات غير احياء الذين عبد والاصنام والاوثان وجميع ما كفر بالله هم احياء غير احياء لان
الله تعالى سمى الكافر فى غير اى من القران ميتا فيشبه ان يكون قوله اموات غير احياء ايضا وما يشعرون ايان
يبعثون اى يشعرون حين يبعثون اى لو شعروا هذا فى الدنيا ما شعروا فى الاخرة لم يعلموا ما عملوا ويحتمل قوله اموات
غير احياء الاصنام التى عبد وهاهنا اموات غير احياء قال بعضهم اموات لانها لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر ولا
تنفع ولا تضر كانت غير احياء اى ليس فيها ارواح تنتفع كالبهايم والانعام ويكون قوله وما يشعرون ايان يبعثون
راجعا الى الذين عبدوا الاصنام لانها لا تشعر ايان يبعثون وهم يعلمون انها لا تشعر ذلك لكنهم يشعرون ويحتمل يبعثون
وقال بعضهم قوله وما يشعرون ايان يبعثون يبعث الالهة والذين عبدوها جميعا كقوله ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله قال بعضهم يحشر اولئك الذين عبدوا الاصنام وما يشعرون انهم ايان يبعثون اى حين يبعثون وما
شعروا ذلك فى الدنيا ما فعلوا وان كان قوله والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون راجعا
الى الملائكة والملوك الذين عبدوا دون الله يكون تاويل قوله وما يشعرون ايان يبعثون اى لا يشعرون وقت
يبعثون وان كان راجعا الى الاصنام فقوله وما يشعرون ايان يبعثون اى لا يشعرون انهم يبعثون لا يحتمل ان يكون قوله
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ان يقال ذلك فى الاصنام ان اولئك يعلمون انهم لا يخلقون وانما يقال ذلك فى الاصنام
لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع مثل ان ذلك راجع الى الملائكة والذين عبدوهم وقوله عز وجل الهكم اله واحد
قد ذكرنا فيما تقدم ما يبين ابطال ما كانوا يعبدون وما لا يليق بامثالها العبادة لها وتسفيههم الهة ثم ذكر ما يبين
جعل الالوهية والربوبية انه لواحد وانه هو المستحق لذلك دون العدد الذى عبدوها فقال الهكم اله واحد لا العدد
الذى عبدوا اولئك وقوله عز وجل فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة لجعل الالوهية والربوبية لواحد فى
العبادة اليه كقولهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب ويحتمل قوله قلوبهم منكرة لما جاء به الرسول
وهم مستكبرون على ما جاء به من الله وقوله عز وجل وهم مستكبرون يحتمل مستكبرون على رسول الله لم يروه
اهل الخضوع لامثالهم لمثله او مستكبرون الى ما دعاهم الرسل لان الرسل جميعا دعوا الخلق الى وحدانية الله والخضوع
العبادة له وقوله عز وجل لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون يحتمل قوله ما يسرون من المكر برسول الله والكيد
وما يعلنون من المظاهرة عليه او يعلم ما يسرون من اعمالهم الخبيثة التى اسروها وما اعلنوها يخبر انه لا يخفى
عليه شئ من اعمالهم اسروا او علنوا وقوله لا جرم قال الاصم لا جرم كلمة تستعملها العرب فى الايجاب بتحقيق او نفى
تحقيق كقولهم حقا ولعمرى وايم الله ونحوه وقال الحسن هو كلمة وعيد وقال بعضهم لا جرم حقا وبلى ولا بد وكله
يرجع الى واحد وهو وعيد لان قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون وعيد والله اعلم وقوله عز وجل انه لا يحب المستكبرين
لانه لا يحب الاستكبار ولا يليق لاحد من الخلائق ان يتكبر على غيره من الخلق لان الخلق كلهم اشكال وامثال ولا يجوز لكل
ذى مثل وشكل ان يتكبر على شكله لان تكبر بعض على بعض كذب وزور اذ جعل كلهم امثالا واشكالا لذلك كان
زورا وكذبا وقد حرم الله الكذب والزور وجعله قبيحا فى العقول وقوله عز وجل واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا
اساطير الاولين اى قال الاتباع للرؤساء ماذا انزل ربكم قال الرؤساء انزل اساطير الاولين جواب سؤالهم ماذا
انزل ربكم معناه الا انهم كانوا يقرون بالله بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله
فلا يحتمل ان يكونوا اذا سالوا ماذا انزل ربكم فيقولون اساطير الاولين الا ان يكون فى السؤال زيادة قول اوفى
الجواب اضمار فيكون والله اعلم كانه قال واذا قيل لكم ماذا يزعم هذا انه انزل عليه ربكم قالوا عنده ذلك يقولوا اساطير

كقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي قالوا يا ايها الذي انزل عليه الذكر او يكون قوله واذا قيل لهم ماذا انزل
ربكم فقالوا لم ينزل الله شيئا انما تقولون اساطير الاولين ومثل هذا يحتمل ان يكون وقوله اساطير الاولين قال ابو
عوسجة احاديث الاولين والواحد اسطورة وهي الاحاديث المختلقة كقوله ان هذا الا اختلاق اي لا اصل له ولا اصله
الكذب وهكذا عادة اولئك الكفرة يقولون للانبياء اساطير الاولين وكانوا ينسبون ما يقرأ عليهم الى السحر ولو كان
في الحقيقة سحرا او احاديث الاولين كان دليلا له او قال ذلك على الاستهزاء وذلك جائز ان يخرج قولهم ذلك على الاستهزاء
والله اعلم وقوله عز وجل ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم هذا يحتمل وجهين
احدهما انهم يحملون اوزارهم كاملة يعني الذين قالوا للرسل اساطير الاولين ومن اوزار الذين يقلدون رسلهم وقدهم
الذين بعثوا عن السوال عن رسول الله فحملوا اوزارهم انفسهم ووزر الذين يقلدون الرسل ويقتدون بهم بغير علم لانهم
لم يعلموا ان اولئك يقتدون بالرسل فيضلون وهم ان لم يعلموا فذلك عليهم لانهم هم الذين سنوا ذلك وهو كما روي من
سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ويحتمل ليحملوا اوزارهم ومن اوزار الذين طمعوا الاسلام اذا
اسلموا اسقط ذلك الا وزار عنهم وقوله عز وجل ليحملوا اوزارهم لم يفعلوا ما فعلوا ليحملوا اوزارهم ولكن معناه والله
اعلم اي ليصير وليحاطين لا اوزارهم الذين اضلوهم وقوله عز وجل بغير علم يحتمل بغير علم اي تبعه الا ساء ما
يزرون اي ساء ما يحملون وقوله بغير علم اي يعلموا ان تغيرا وزارهم عليهم او لم يعلموا ما يلحق بهم وقوله عز وجل قد
مكر الذين من قبلهم لم تزل كانت عادة الكفرة بالمكر برسل الله والكيد لهم وكذلك مكر كفار مكة برسول الله يذكر
هذا والله اعلم لرسول الله ليصبر على اذاهم اياه كما صبر اولئك على مكر قومهم ونزل بكما فانهم اياهم كقوله فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم مكرهم الذي ذكر كان يخرج على وجهين احدهما فيما جاءت به الرسل كانوا يكلفون
يلبس ما جاءت به الرسل على قومهم والثاني يرجع مكرهم الى نفس الرسل من الهم بقتلهم واخراجهم من بين اظهرهم
ويحتمل تخويف بذلك اهل مكة بصنيعهم لرسول الله ان ينزل بهم كما نزل باولئك الذين مكروا برسلهم لئلا يعاملوه
بمثل معاملة اولئك رسلهم والله اعلم وقوله عز وجل فاتى الله بنيانهم من القواعد قال الحسن هذا على التمثيل
بالبناء الذي بني على غير اساس ينهدم ولا يعلم من اي سبب انهدم فعلى ذلك مكرهم يبطل ويتلاشى كالبناء الذي بني
على غير اساس ويشبه ان يكون على التمثيل من غير هذا الوجه وهو انهم قد مكروا واحكموا مكرهم بهم فيحصنون بذلك
كالبناء الذي يتحصن به فابطل الله مكرهم كقوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا الاية وقوله ومكروا ومكر الله الاية وقوله
عز وجل فخر عليهم السقف من فوقهم هو ما ذكرنا من ابطال مكرهم الذي مكروا يتحصنون كخر وقوع السقف الذي
يتحصن من انواع الاذى والستر ويحتمل على التحقيق وهو ما نزل بقوم لوط من الخسف وتقليب البنيان وامطار
الحجر عليها واما ما ذكر بعض اهل التاويل من الصرح الذي بني لنمرود وبنيانه ووقوعه عليهم فانا لا نعلم ذلك
وقوله عز وجل واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون كذلك كان لا ياتي العذاب الظلمة الكذبة من حيث لا يعلمهم
بذلك كقوله فاخذناهم بغتة الاية وقوله فاتى الله بنيانهم هو من الاتيان ومعلوم انه لا يفهم من اتيانه الانتقال
من مكان الى مكان ولكن اتيان عذاب به اضيف اليه الاتيان لما بامره ياتيهم وعنه
فعلى ذلك لا يفهم من قوله وجاء ربك وقوله الا ان ياتيهم الله في ظلل الاية اتيان الانتقال
ومجيئه من مكان الى مكان وقد ذكرنا هذا وامثاله في غير موضع وقوله عز وجل ثم يوم القيمة يخزيهم اخبر انه
يخزيهم يوم القيمة بعدما عذبهم في الدنيا بقوله واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وقوله يخزيهم قال
اهل التاويل يعذبهم وكان الاخزاء هو الاذلال والاهانة والفضح بذلهم ويهينهم ويفضحهم في الاخرة مكان
ما كان منهم من الاستكبار والتجبر على النبي واصحابه وكذلك قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا اي لا يذلهم
ولا يهينهم لتواضعه وللمؤمنين وخفض جناحه لهم والله اعلم وقوله عز وجل ويقول اين شركاءي الذين
كنتم تشاقون فيهم اي تعادون اولياءه فيهم او تعادونني فيهم وقوله اين شركاءي ليس له شركاء ولكن اضاف
الى نفسه شركاءي على ما زعمتم في الدنيا انها شركاؤه وكذلك قوله فراغ الى الهتهم اي الى ما في زعمهم وتسميتهم
اياها الهة وقوله عز وجل كنتم تشاقون فيهم اي كنتم تخالفون فيهم وتعادون اي تخالفون المؤمنين في عبادتهم
اياها لانهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهم شفعاؤنا عند الله ونحوه كانوا يخالفون المؤمنين
وكانوا يشاقون في ذلك الا انه اضاف ذلك الى نفسه لانهم اولياؤه وانصار دين الله واضاف اليه المخالفة والمشاقة
لانهم خالفوا امر الله وقوله قال الذين اوتوا العلم قال اهل التاويل الذين اوتوا العلم الملائكة الكرام الكاتبون هم
وغيرهم من المؤمنين يحتمل وقوله عز وجل ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين اي الذل والهوان والافتضاح وكل

سوء على الكافرين هكذا يقابل كل معاند ومكابر في حجج الله وبراهينه مكان استكبارهم وتجبرهم في الدنيا والله
اعلم وقوله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة قال الحسن تتوفاهم الملائكة من بين يدي الله يوم الحساب الى النار
وقال بعضهم تتوفاهم الملائكة وقت قبض ارواحهم ظالمي انفسهم بالشرك والكفر بالله على تاويل الحسن يكون
قوله ظالمي انفسهم في الدنيا ويجوز ان يوصفوا بالظلم في الاخرة ايضا بكذبهم حيث قولهم ما كنا نعمل من سوء
وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وامثاله من الكذب حيث ينكرون الاشراك في وحدانية الله وعبادته كان هذا الانكار
والكذب منهم في اول حالهم ظنا منهم ان ذلك ينفعهم فاذا لم ينفعهم انكارهم طلبوا الرد الى الدنيا او الى حال الا
ليعملوا غير الذي عملوا كقولهم فارجعنا نعمل غير الذي كنا نعمل فاذا لم يردوا وايسوا من ذلك فعند ذلك انطق الله
جوارحهم حتى تشهد عليهم بما كان منهم فعند ذلك يقرون ويعترفون بذنوبهم كقوله فاعترفوا بذنبهم وقوله
عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم قال بعضهم يسلمون لامر الله ولكن لو كان ما ذكر والم يكون
ينكرون عمل السوء كقولهم ما كنا نعمل من سوء وقال بعضهم فالقوا السلم هو الاستخذاء والخضوع والتضرع وشبهه
ان يكون قوله فالقوا السلم عند الموت يؤمنون عند معاينة ذلك او سلموا اليهم في الاخرة على ما رادوا في الدنيا المؤمنين
يسلم بعضهم على بعض وقوله عز وجل ما كنا نعمل من سوء في الاخرة والله اعلم بذلك فاكذبهم الله في قولهم ما كنا
نعمل من سوء فقال بل ان الله عليم بما كنتم تعملون هذا وعيد يخبر انه لا يجوز كذبهم في الاخرة ولا يحتمل كما جاز في الدنيا
ولم يظهر وقوله عز وجل فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها وقوله عز وجل فلبئس مثوى المتكبرين اي بئس مقام
المتكبرين الذين تكبروا على دين الله وتكبروا على ما جاء به الرسل من الله وما انزل الله عليهم وقوله عز وجل وقيل
للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قال اهل التاويل قول المؤمنين مقابل قول المشركين واذا قيل لهم ماذا انزل
ربكم قالوا اساطير الاولين ثم اختلف في قوله قالوا خيرا قال بعضهم قوله قالوا خيرا اي قولهم الذي قالوا انزل ربنا
بحق وانه كان خيرا وقال بعضهم قوله قالوا خيرا لحكاية بما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرا اي انزل علينا
خيرا ويحتمل ان يكون الناس الذين ياتون بالافاق يسالون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سالوا المؤمنين فاذا انزل
ربكم قالوا خيرا واذا سالوا الكفرة قالوا اساطير الاولين فيجاز ان يكون اتباع المؤمنين سالوا كبراءهم ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا فقابل ما كان من كبراء الكفرة لاتباعهم اساطير الاولين وقوله عز وجل للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة من النصر لهم والظفر على عدوهم ولدار الاخرة خير لهم مما كان اعطاهم في الدنيا وقال بعضهم الذين احسنوا
العمل في هذه الدنيا لهم حسنة في الاخرة خير لهم مما كان اعطاهم في الدنيا اي الجنة خير وافضل للمؤمنين مما اوتوا
في الدنيا ولنعم دار المتقين قال هذا للمؤمنين مكان ما قال للكافرين فلبئس مثوى المتكبرين ثم نعت الدار التي وعد
المتقين فقال جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون من اللذات والشهوات فان قيل اذا
لو شاؤوا ان يكون لهم درجات الانبياء ومنازل الابرار والصديقين ايكون لهم ما شاؤوا قيل لا يشاؤون هذا لان مثل
هذا انما يكون في الدنيا اما حسدا واما تمنيا فلا يكون في الجنة حسد لان الحسد هو ان يرى شيئا ليس له فيحسد او يتمنى
مثله فاهل الجنة يجدون جميع ما يتمنون ويحيط بما لهم فلا معنى لسؤالهم بهم ما لغيرهم والله اعلم وقوله عز وجل
كذلك يجزي الله المتقين ظاهر وقوله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة طيبين على تاويل الحسن تتوفاهم الملائكة
وهم طيبون من بين يدي الله يوم الحساب يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة وقد ذكر ان السلام هو تحية جعل الله
بين الخلق في الدنيا والاخرة وقد ذكر في غير موضع وقال بعضهم الذين تتوفاهم الملائكة يقبضهم الارواح في الدنيا
يقبضون ارواحهم وهم طيبون وقال بعضهم طيبون احياء واموات وهم المؤمنون الذين طابت اعمالهم في الدنيا
يحتمل السلام وجهين احدهما تحيتهم الملائكة بالسلام في الجنة كما يحيي اهل الايمان في الدنيا بعضهم بعضا والثاني
السلام يكون منهم امن لهم من جميع الافات والمكروه هنا والله اعلم وقوله عز وجل هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة
او ياتي امر ربك هذا الحرف يخرج على اياس من ايمانهم اي ما ينظرون لايمانهم الا وقت قبض ارواحهم او وقت نزول
العذاب عليهم اي لا يؤمنون الا في هذين الوقتين ولا ينفعهم ايمانهم في هذين الوقتين لانه ايمان اضطرار
كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته عند معاينتهم
باس الله لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت يخبر انهم ينظرون ذلك الوقت يؤيس رسوله من ايمانهم لما علم انهم
لا يؤمنون ليرفع عنه مؤنة الدعاء الى الايمان والقتال معهم وقوله عز وجل او ياتي امر ربك يحتمل العذاب
في الدنيا ويحتمل عند معاينتهم العذاب في الاخرة وقوله عز وجل كذلك فعل الذين من قبلهم هذا يحتمل وجهين
احدهما كذلك فعل المعاندون والمكابرون والذين كانوا من قبل برسلهم من التكذيب لهم والعناد وتركهم الايمان

في الوقت الذي ذكر كما فعل قومك من التكذيب لك بالعهد والعناد ويحتمل فعل الذين من قبلهم اي هكذا انزال العذاب
بمن كان قبل قومك بتكذيبهم الرسل والعناد معهم والله اعلم وقوله عز وجل وما ظلمهم الله بما عذبهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث وضعوا انفسهم في غير موضعها الذي وضعها الله حيث صرفوها الى عبادة من لا نفعهم والنعم
عليهم واستحق ذلك عليهم الى من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يستحق العبادة فهم ظلموا انفسهم حيث صرفوها من الحكمة
الى غير الحكمة لان الله انما وضعها حيث توجب الحكمة ذلك والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه والحكمة هي
وضع الشيء في موضعه فهم وضعوا انفسهم في غير موضعها فاما الله سبحانه وتعالى فقد وضعها في المواضع التي
توجب الحكمة وضعها وقوله عز وجل هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك كذلك قال ما ينظرون الا اتيانا
بعد الحجج السمعيات وبعد الحجج العقليات والحجج الحسيات الا نزول الملائكة بالعذاب من الله تعالى عليهم لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اقام عليهم الحجج السمعيات والعقليات والحسيات فلم يؤمنوا به ولم يبق قوة فيقول
انهم ما ينظرون الا الحجج التي تقهرهم وتضطرهم فعند ذلك يؤمنون وهو ما ذكر من نزول العذاب بهم او يقول ما
ينظرون بايمانهم الا الوقت الذي لا ينفعهم ايمانهم وهو الوقت الذي تخرج انفسهم من ابدانهم فاخبرهم ان
ايمانهم لا ينفعهم في ذلك وعموما قال فلم يك ينفعهم ايمانهم الاية وقوله عز وجل وقال الذين اشركوا لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم وقال في سورة الانعام
كذلك كذب الذين من قبلهم وقال قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وقال ههنا فهل على الرسل الا البلاغ المبين وهل
هو حرف استفهام من الظاهر لكن المراد منه ما على الرسول الا البلاغ المبين على ما قاله اهل التأويل لما قد كان من
الله من البيان انه ليس على الرسول الا البلاغ المبين وكذلك قوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة اي ما ينظرون
الا ان تأتيهم كذا وكذلك قوله ام للانسان ما تمنى ام هو حرف شك ومراده للانسان ما تمنى وامثاله مما سبق
من الله ما يبين لهم انه ليس للانسان ما وقوله وقد ذكر قوله وقال الذين اشركوا في سورة الانعام ويحتمل قولهم
هذا وجوها احدها قالوا ذلك على الاستهزاء كقوله ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا والثاني
قولهم لو شاء الله اي لو امرنا الله ان نعبده ولا نعبد غيره لفعلنا كقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
والله امرنا بها الاية والثالث قالوا لو لم يرض الله منا ذلك ما تركنا نفعل ذلك ولكن اهلكنا وقوله عز وجل ولقد
بعثنا في كل امة رسولا يخبر رسوله انك لست باول مبعوث الى امتك ولكن قد بعث الى كل امة رسولا وهو كقوله
وان من امة الا خلا فيها نذير يصبره على ما يصيبه منهم من المكروه والاذى اي لست انت باول ما يصيبه ذلك بل
كان ذلك قبلك اصابهم من اممهم ما يصيبك من امتك وقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله هو على
الاضمار كانه قال ولقد بعثنا في كل امة رسولا وقلنا لهم قولوا ان اعبدوا الله الاية ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
كقوله ما لكم من اله غيره هما واحد والطاغوت قال بعضهم كل من عبد دون الله فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت
هو الشيطان اضيف العبادة اليه بقوله ولا تعبدوا الشيطان الا من يعبد دون من يعبد بامره فاضيف لذلك اليه وقد
ذكرنا هذا ايضا فيما تقدم وقوله عز وجل فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة هذا يدل انه
لم يرد بالهدى البيان على ما قاله بعض الناس اذ قد سبق منه البيان لكل احد وما ذكر ايضا ومنهم من حقت عليه
الضلالة وهذا يرد على المعتزلة قولهم حيث قالوا الهدى البيان من الله لكن الهدى منه في هذا الموضع ليس هو
البيان هو ما يكرم الله به عبده ويوفقه لدينه وقوله فمنهم من هدى الله لاختياره الهدى ومنهم من حقت
عليه الضلالة اي لزمت لزومه الضلالة واختياره اياه وقوله عز وجل فسيروا في الارض قال الحسن قوله
فسيروا على الامر ولكن كانه قال لو سرتم في الارض لرأيتم كيف كان عاقبة المكذبين بالتكذيب وقال بعضهم
سيروا كانه على الحجاج عليهم ان سيروا في الارض فانكم ترون اثار من كان قبلكم الذين اهلكوا بالتكذيب كان النبي
يخبرهم من انباء الامم الخالية وما نزل بهم فينكرونه ذلك فقال عند ذلك فسيروا في الارض فانظروا الى اثار
من كان قبلكم ويشبه ان يكون ليس على الامر بالسير نفسه ولكن على التأويل والنظر في اثار اولئك واخبرهم انه
لم نزل بهم ما نزل والله اعلم وقوله عز وجل ان تحرص على هداهم قال ابو بكر الاصم كان يحب ويحرص على هدى
قرابته كقوله انك لا تهدي من احببت فقال فان الله لا يهدي من يضل اي لا يهدي من يضل اي لا يهديهم بضلالهم
وقت ضلالهم او لا يهديهم وقت اختيارهم الضلال او لا يهدي من علم انه يختار الضلال او لا يهدي من
علم انه يختار الضلال او لا ينجي من يهلك عن الضلال وفيه لغات ثلاث فان الله لا يهدي من اضل الله اي اذا اضله
الله فليس احد يهديه ولا يهدي من يضل ما ذكرنا ولا يهدي من يضل اي لا يهدى من اضله الله اعلم بذلك او لا

يهتدي في الاخرة طريق الجنة من اضله الله في الدنيا لاختياره الضلال وهو كقوله والله لا يهدي القوم الكافرين
والله لا يهدي القوم الظالمين وقت اختيارهم الكفر والظلم او لا يهدي من علم منه انه يختار الضلال والظلم
او لا يهدي من يلزم الضلال وقت لزومه وقوله عز وجل وما لهم من ناصرين ظاهر تأويله وقوله عز وجل و
اقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فان قيل لنا ما الحكمة والفائدة في ذكر قسمهم الذي اقسموا
في القران وجعل ذلك في اية تتلى وذلك قسم الذي اقسموا كان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم
علموا ذلك ليس كالانباء والقصص التي كانت من قبل اذ كان ذلك شيء غاب عنه لم يشهدها فاخبرهم على ما كان
ففي ذلك اثبات رسالته ونبوته فالحكمة والفائدة من ذكرها في القران وجعلها ايات تتلى ليعلم انه انما عرف
ذلك بالله تعالى واما القسم الذي اقسموا ليس فيه ما ذكرنا من اثبات الرسالة وهم قد علموا ذلك فما الفائدة
في ذكره قيل يشبه ان يكون ذكر لنا عز وجل لنعلم نحن عظيم سفه اولئك وقلة عقولهم وحلم الرسول واحتماله
ما احتمل فيهم من الاذى والمكروه لنعلم نحن انه كيف نعامل اسفهاءه واهل الفساد والعصاة من الناس على
ما عامل رسول الله اقوامهم مع عظيم سفههم وقلة عقلهم فهذا ذلك فائدة ذكر قسمهم في القران فقد كان
اولئك الكفرة الكبراء منهم في تلبيس الايات والحجج التي اتت بها الرسل مرة بالقسم الذي ذكر حيث اقسموا
بالله جهد ايمانهم انهم لا يبعثون ومرة بالنسبة الى السحر ومرة بالافتراء ومرة بالنسبة الى الجنون وفي الانباء
بانه انما يعلمه بشر ما يريدون بذلك التلبيس على الاتباع ثم البعث واجب بالعقل والحكمة واخبار الرسل اذ ليس
خبر اصدق من اخبار الرسل واثارهم وهم ممن يقبلون الاخبار فاخبار الرسل اولى بالقبول والتصديق من غيره
لان معهم ايات صدقهم ودلالات تحقيقهم واما العقل فهو ان يكون هذا العالم وانشاؤه للفناء خاصة خارج
عن الحكمة اذ كل عمل لا يكون له عاقبة عبث وهو كما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية اخبر انه اذا لم يكن رجوع اليه
يكون خلقه اياهم عبثا واما الحكمة فهي ان الانتقام لاوليائه من الظلمة واجب لظلمهم والاحسان لاهل الاحسان
فلو لم يكن بعث والحياة بعد الموت لينتقم من الظالم لظلمه ويجزي المحسن لاحسانه يذهب فائدة الترغيب على الطاعة
والاحسان ووعيد الظالم بالانتقام فالبعث واجب للوجوه التي ذكرنا والتفريق بين الاولياء والاعداء
وقد جمعهم في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما وقوله جهد ايمانهم ذكر ان مشركي العرب كانوا لا يقسمون
بالله الا بما يعظم من الامر ويشتبه عليهم تعظيما له واجلالا انما كانوا يقسمون بالاصنام والاوثان التي عبدوها
فاذا حلفوا بالله الا بما يعظم من الامر فذلك جهد ايمانهم وقوله عز وجل بلى وعدا عليه حقا قوله بلى رد
على قولهم لا يبعث الله من يموت فقال بل يبعث وقوله وعدا عليه حقا يحتمل وعدا اي وعدا به بعثهم
حق عليه ان ينجز ما وعد وحقا عليه ان يعد البعث والانجاز له والله اعلم وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس
لا يعلمون وهذا يحتمل وجهين احدهما انه نفى عنهم العلم لما لا ينتفعوا بعلمهم فهو لما نفى عنهم السمع و
البصر وغيرهما من الحواس لما لم ينتفعوا بها انتفاع ما لذلك كان خلقها فنفى ذلك منهم والثاني نفى عنهم
ذلك على حقيقة النفي لانهم لم ينظروا ولم يتأملوا في الايات والاسباب التي بها جعل لهم الوصول الى العلم
ثم يعلموا انهم لم يعذرهم بجهلهم ذلك لما جعل لهم سبيل الوصول الى علم ذلك بالنظر والتأمل في الايات والحجج لكنهم شغلوا
انفسهم في غيرها ولم ينظروا في الاسباب التي جعلها لهم سبيل الوصول اليه فهذا يدل ان من جهل امر الله ونهيه
يكون مؤاخذا به بعد ان جعل له الوصول اليه بالدلائل والاشارات فلا يخرج مؤاخذته اياه وعقوبته اياه بذلك امره
عن الحكمة واما في الشاهد من امر عبده بشيء ولم يعلمه ما امره ثم عاقبه بذلك فهو خارج عن الحكمة اذ لا سبيل له
الى الوصول بما امره به الا بالتصريح ولم يكن منه تصريح اعلام لذلك كان ما ذكر والله اعلم او عدهم الوعيد الشديد
في الاخرة بقوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل قوله ليعلم الذين كفروا
اي ليعلم اتباعهم ان الرؤساء كانوا كاذبين عند انفسهم او ان يكون قال ذلك لما ادعى اولئك الكفرة ان الاخرة لهم
كقوله ولئن رجعت الى ربي الاية فقال جوابا له ليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين لادعائهم الاخرة لانفسهم
ثم قوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه قال بعضهم انما اختلفوا في البعث منهم من صدقه ومنهم من كذبه بقوله
يبين لهم ذلك ويحتمل قوله الذي يختلفون فيه اي في الدين والمذهب لانهم اختلفوا في الدين وكل من ادعى دينا
ومذهبا بحق دعا غيره الى دينه ومذهبه فبان لهم الحق منهم من غيره والصادق منهم من الكاذب وقوله
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل كفرهم بالبعث وانكارهم اياه او كفروا برسول الله صلى الله عليه
وسلم او وحدانية الله انهم كانوا كاذبين في انكارهم ما انكروا ليتبين لهم ذلك في الاخرة وقوله عز وجل انما قولنا لشيء

اذا اردناه ان نقول له كن فيكون يخبر عن سرعة نفاذ امره وسهولة الامر اليه انه يكون اسرع من لحظة بصر او لمحة عين وتنبيه
ولا ان خلق الشيء ليس هو كذلك الشيء لانه غير يكون عن تكوينه ويكون عن المكون وكذا كنى عنه بالشيء لقوله انما قولنا
لشيء فكنى عنه بوقوع القول عليه والتكوين ثبت ان التكوين غير المكون ثم لا يخلو من ان يكون التكوين بتكوين الى ما لا نهاية
له او لا بتكوين وقد بينا فساده عما جميعا وهما وجها الحدث ثبت ان الله تعالى به موصوف في الازل وبالله التوفيق والثاني
من فعله كسب حتى كاسبا ومن فعله باسم سمي به فلو كان فعل الله كلية للخلق يسمى به فيسمى مباشرا كاسبا كالخبيثا مسيا
صغيرا كبيرا ونحو ذلك فان كان يتعالى عن هذا وقد سمي فاعلا عينا ومجبا عن كاسبا معا صغرا فاثبت ان فعله هو غير مفعول
وانه بذاته يفعل الاشياء لا بغيره ولان ذلك لزوم الوصف له به في الازل والله الموفق وقوله عز وجل والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا كان ظلمهم اياهم على وجوه منهم من ظلم بالاخراج من الديار والطرد من البلد كقوله انما ينهيكم
الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم الاية ومنهم من ظلم بالمنع من الهجرة ومنهم من ظلم بالمنع من اظهار
الاسلام والعمل له وانواع ما اوذوا وظلموا باظهارهم الاسلام ومجانبتهم رسول الله واتباعهم اياه ثم وعد لهم
في الدنيا حسنة فقال لنبوئنهم قيل لنعطينهم وهو واحد في الدنيا حسنة يحتمل الحسنة في الدنيا العز بعد الذل و
السعة بعد الضيق والشدة والنصر والغلبة لهم بعد ما كانوا مقهورين في ايدي الاعداء والذكر والشرف بعد
الهوان هذه الحسنة التي بوأهم في الدنيا والمهاجرة المقاطعة كانه قال والذين قاطعوا ارحامهم واقاربهم واموالهم
ومكاسبهم وديارهم فابدل الله لهم مكان الارحام والاقارب نصلاء واخوانا ومكان اموالهم اموالا اخرى وكذلك الدور
وكل شيء تركوا هنالك فابدلهم مكان ذلك كله واما قوله ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون فيشبه ان يكون ذكر هذا لما
حدث كان من الكفرة للمهاجرين لما انزلهم في المدينة وبوأهم فيها واعزهم ورفع ذكرهم وامرهم ونصرهم حسدهم اهل
الكفر بذلك فعند ذلك قال ولاجر الاخرة اكبر واعظم في الاخرة لو كانوا يعلمون ما وعد لهم في الاخرة ويحتمل ايضا
قوله ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون هؤلاء المهاجرين ليخفف عليهم احتمال ما اوذوا وظلموا ويهون والله اعلم
عز وجل الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون قال الحسن اي على ربهم يثقون في انجاز ما وعد لهم في الاخرة انه ينجز ذلك ويحتمل
قوله صبروا على امره او صبروا على الهجرة وانقطاع ما ذهب عنهم وفراق ما كان لهم وقوله عز وجل وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم هذا والله اعلم يكون على اثر ما كان من الكفرة نحو ما قال اهل التأويل انهم قالوا ابعث الله بشرا
رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة ونحوه من كلامهم فقال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم اي الا بشرا
اي لم نرسل من غير البشر فيكون قوله الا رجالا الا كائنين من البشر او ان يكون قوله الا رجالا نوحي اليهم اي لم نبعث من النساء
رسولا انما بعث الرسل من الرجال الى الرجال والنساء والله اعلم وقوله عز وجل فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
قال بعضهم ليس على الامر بالسؤال ولكن لو سألتم اهل الذكر لاخبروكم انه لم يبعث الرسول من قبل الا من البشر وقال
بعضهم هو على الامر بالسؤال اي سألوا اهل الذكر فتقلدوهم اي ان كان لا بد لكم من التقليد فاسئلوا اهل الذكر فقلدوهم
ولا تقلدوا اباءكم ومن لا يعرف الكتاب ولكن قلدوا اهل الذكر قال بعضهم فاسئلوا اهل الذكر فقلدوهم ان كنتم لا
تعلمون بالبينات والحجج لانهم كانوا اهل تقليد لم يكونوا اهل نظر وتفكر في الحجج والبينات ويحتمل ان يكون قوله ان
كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر والرسل التي اتت بها الرسل ليخبروهم ان الرسل انما بعثوا من البشر بالبينات والكتب
فيكون على التقديم الذي ذكره بعض اهل التأويل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم بالبينات والزبر ويحتمل
فاسئلوا اهل الذكر اي اهل الشرف من اهل الكتاب ليبينوا لكم البينات والزبر لانهم يأنفون الكتمان والكذب وان كان
اهل الذكر جميع اهل الكتاب فالسؤال عن الرسل انهم كانوا من الجنس والرجل لانهم يعلمون ذلك وقوله عز وجل وانزلنا
اليك الذكر قيل انزل القران لتبين للناس من انباء الغيب وما غاب عنهم وما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وتبين
لهم جميع ما يؤتون وما يتقون وما يحل وما يحرم ولعلهم يتفكرون في ذلك ويحتمل قوله وانزلنا اليك الذكر لتبين ما
حرفوا من كتبهم وبدلوه وغيروه فيكون فيه اية لرسالتك ويكون الذي انزل اليه كالمنزل اليهم حيث ذكر انه يبين لهم
ما نزل اليه والله اعلم وقوله عز وجل افأمن الذين مكروا السيئات قوله افأمن قد ذكرنا ان حرف استفهام الا انه
من الله على تحقيق ذلك وهو على الايجاب ذلك ثم هو يخرج على وجهين احدهما على الخبر انهم قد امنوا مكره والثاني على
النهي اي لا تأمنوا كقوله افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وهذا يشبه ان يكون على هذا الذي
ذكرنا انه اخبار عن امنهم مكر الله وعلى النهي ان لا يؤمنوا ثم اخبر انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الكافرون
لانهم كذبوا الرسل فيما اوعدوا والهم من العذاب فامنوا الذكر او لما لم يعرفوا الله ولم يعرفوا حقوقه ونعمه ونقمته فلما
لذلك واما من عرف الله وعرف حقه ونعمه وعرف نقمته فانه لا يأمن مكره والله اعلم ثم قوله مكروا السيئات قال

بعضهم

بعضهم مكرهم السيئات هو ما مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ما لو اصابهم ذلك اساءهم وما ظاهروا
عليهم عدوهم وقال بعضهم مكرهم السيئات هو اعمالهم التي عملوها وكل ذلك قد كان منهم كانوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه وكانوا ظاهروا عليهم عدوهم وقد عملوا اعمالهم الخبيثة السيئة وقوله عز وجل ان يخسف الله
بهم الارض اي امنوا اصحاب مكر السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون في الحال
التي لا يكون لهم امن وخوف وقوله عز وجل او يأخذهم في تقلبهم قيل اسفارهم وفي تجاراتهم لان الناس انما يسافرون و
يتجرون في البلدان في الحال التي لا يكون لهم امنهم او يأخذهم على تخوف قال بعضهم على تفزيع وقال على تنقيص من الاموا
وغيره كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية وقال بعضهم او يأخذهم على تخوف ان يأخذ قرية فقرية وبلدة
فبلدة حتى يأتي قريبا منهم ثم يأخذهم كلما اخذ قرية كان لهم من ذلك خوف فذلك اخذ بتخوف وهو ما قال ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم كان يخوفهم حتى نزل بساحتهم فذلك اخذ بالتخوف
يخبر ان عذابه لا يؤمن حلوله واخذه اياهم في كل حال في الحال التي ليس لهم امن ولا خوف اي لم يغلب هذا على هذا
وفي الحال التي يكونون امنين في تقلبهم وحوائجهم وفي الحال التي يكونون متخوفين وقوله عز وجل فان ربكم لرءوف
رحيم حيث لم يستأصلكم ولم يأخذكم بما كان منكم من الافتراء على الله والتكذيب لرسله والمكابرة والمعاندة لاياته وحججه و
وقبيح ولكن امهلكم واخر ذلك عنكم او رءوف رحيم ان تبتم ورجعتم عما كان منكم يرحمكم ويغفر لكم ذلك وقوله عز وجل
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله قوله اولم يروا يحتمل وجهين احدهما
ان قال ذلك لقوم قد تقرر عندهم وثبت ان كل شيء يسجد لله ويخضع له فقال ذلك لهم على العتاب انكم قد علمتم
ان كل شيء لم يركب فيه العقل ولم يجعل فيه الفهم والتمييز يخضع لله ويسجد له فانتم لا تخضعون له مع ما ركب فيكم
العقول وجعل فيكم الافهام ونحوها والثاني على امر اي اعلموا ان كل شيء من خلق الله يسجد له ويخضع وقد اقام لهم
من الحجة على ذلك ما لو تأملوا وتفكروا وليعلموا ان كل ذلك يخضع ويسبح والاظهر قوله اولم يروا الى ما خلق الله من
شيء يتفيؤا ظلاله ان يقولوا ان كان الخطاب لاهل مكة على ما ذكره اهل التأويل لكن يخرج على الوجهين اللذين ذكرهما
ويشبه ان يكون ذكر قوله اولم يروا الى ما خلق الله الاية لما استوحش اهل الاسلام مما عبد اولئك الكفرة الاصنام
وعظيم ما قالوا في الله ما قالوا فقال لهم ذلك اولم يروا الى كذا وقوله عز وجل يتفيؤا ظلاله قال بعضهم يريد بالظلال
شخص ذلك الشيء والظلال كناية عن الشخص كما يقال رأيت ظل فلان اي شخصه وقال بعضهم اراد بالظل نفسه لكن
خضوعه وسجوده يكون للشمس والقمر وعلى تأويل من يجعل الظل كناية عن الشخص يجعل كل نفس تبرز يخضعونها
ويسجد لله معنى سجود هذه الاشياء الموات وخضوعهن من نحو قوله يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله و
نحو قوله يسبحن بالعشي والاشراق وقوله يا جبال اوبي معه والطير وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقوله تكاد
السموات يتفطرن منه وامثاله يحتمل وجوها احدها ان يجعل الله عز وجل بلطفه في سريته هذه الاشياء معنى
تعلم السجود لله والخضوع له وهو كما ذكر في الريح التي تجري بامره رخاء حيث اصاب اخبر انها تجري بامره ولا انها
تعلم امر الله وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اخبر انها تشهد وتنطق ولو انها تفهم وتعلم الخطاب والا ما خوطبت وان
كانت مواتا فعلى ذلك تسبيحها وخضوعها جائز ان يكون الله يجعل في سريته هذه الاشياء ما تعرف السجود
والتسبيح وتفهم والثاني يكون سجود هذه الاشياء وتسبيحها بالتسخير جعلها مسخرات لذلك وان لم تعلم هي ذلك
ولم تعرف لكن جعلها بالخلقة كذلك والثالث ان جعل خلقة هذه الاشياء دالة وشاهدة على وحدانية الله و
الوهيته فهن مسبحات وساجدات وخاضعات له بالخلقة التي جعلها دالة وشاهدة على وحدانية الله والوهيته
والله اعلم معنى سجودهن وخضوعهن والله اعلم وقوله عز وجل وهم داخرون قيل صاغرون ذليلون وقوله عز وجل
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يذكر هذا والله اعلم يسجد له اعلى
الخلائق واعلمهم وهم الملائكة ويسجد له اسفل الخلق واسفله وهو الجبال والسموات والارضين ويسجد له ايضا
ويخضع اسفه الخلق واجهله وهو الدواب وغيرها وانتم ابيتم السجود له والخضوع والمستكبر من عباده
فهؤلاء الذين ذكرهم يسجد ويخبر عن سفه اولئك في ابائهم السجود له والخضوع واستكبارهم عليه وقوله عز وجل
يخافون ربهم من فوقهم قال بعضهم خوف الملائكة والرسل خوف هيبة الله وجلاله لا خوف نزول شيء من نقمته
عليهم وخوف غيره من البشر خوف نزول شيء يضربهم وكذلك رجاؤهم وطمعهم رجاء نفع يصل اليهم رجاء
الملائكة والرسل طمعهم رجاء رضاء الله عنهم لا رجاء نفع يصل اليهم وقال بعضهم يخافون العقوبة والانتقا

لانهم يخافون وكل يخاف يخاف عذاب الله ونقمته الا ترى انه كيف اوعدهم الوعيد الشديد وقال ومن يقل منهم
انى اله من دونه وقال ابراهيم عليه السلام اجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام خاف عبادة غير الله ومن خاف ذلك
يخاف وعيده وعذابه والله اعلم وقوله عز وجل يخافون ربهم من فوقهم الفوق والتحت والاسفل ونحو ذلك من الامكنة
والجهات ليس فيه فضل عز وشرف ومرتبة لما يجوز ان يكون الذى كان فوق هذا فى المكان والجلوس تحته واسفل منه
فلا يزداد وهذا لما ساد وافوقه عز وشرف او مرتبة ولا هذا بما كان تحته ذل وهو ذل هذا لانه لا يفهم من فوقه
فوق المكان ولا تحته لانا من صعد الجبال والامكنة المرتفعة لا يوصف بالعلو والعظمة واذا قيل فلان فوق
امير على العراق او على خراسان كان فى ذلك تعظيم لانه ذكر بالقدرة والسلطان ونفاذ امره ومشيته وقدرته
عليهم واطلاعه على جميع ما يسرون ويضمرون ويعلنون ويظهرون وعلمه على جميع افعالهم فهذا يجوز ان يفهم من
الفوق والله اعلم وقوله عز وجل ويفعلون ما يؤمرون وصفهم الله عز وجل بفضل طاعتهم له وخضوعهم
اياه وهو ما قال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو ما قال لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ومثله وقوله عز وجل وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد لانهم
الخطاب بهذا يحتمل ان كان الخطاب بهذا لاهل مكة فهم قد اتخذوا الهة بقولهم اجعل الالهة الها واحدا الا
انه يخاطب به الثنوية والزنادقة فانهم يقولون باثنين ويشبه ان يكون اهل مكة وان اتخذوا الهة فانهم
الحقيقة عبادة الهين لانهم انما كانوا يعبدون تلك الاصنام بامر الشيطان وطاعتهم اياه فنسب العبادة اليهم
يعبدون هذه الاصنام اضاف العبادة اليه او ان يكون المراد من ذكر اثنين انما هو على الزيادة على الواحد كانه قال
لا تتخذوا ولا تعبدوا اكثر من اله واحد وقوله عز وجل فاياى فارهبون لا تخافوا الاصنام التى تعبدونها فانكم ان تركتم
عبادتها لا تضركم وقوله عز وجل وله ما فى السموات والارض اى وله يخضع ما فى السموات والارض وانتم لا
تخضعون او ما فى السموات والارض كلهم عبيده واماؤه فكيف اشركتم عبيده فى الوهيته الله تعالى وربوبيته
وقوله عز وجل وله الدين واصبا قال بعضهم دائما لان غيره من الاديان كلها يبطل ويضمحل ويبقى دينه فى الدارين
جميعا وقال بعضهم وله الدين واصبا اى خالصا من الوصب والتعب وتاويله والله اعلم اى وله الدين لا يوصل
اليه الا بتعب وجهد فاجتهدوا واتعبوا لتخلصوا له الدين هذا معنى قوله مخلصا وقوله عز وجل افغير الله
تتقون اى اتخالفة غير الله تتقون اى لا تخافوا ولكن اتقوا مخالفة غيره او يقول لا تخافوا غير الله ولا تتقوا سواه
ولكن اتقوا الله واتقوا نقمته وقوله عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون اى تتضرعون
يخبر عن سفههم وقلة عقلهم انهم يعلمون ان له ما فى السموات والارض وان كل ذلك ملكه وان ما لهم من النعمة
منه وان ما يحل بهم من البلاء والشدة هو الكاشف لهم والدافع عنهم ثم يكفرونه ويصرفون شكرها منه الى
غيره فى حال الرخاء والسعة ويؤمنون فى حال الشدة والبلاء فيقول انا المنعم عليكم تلك النعم وانا المالك
من الكشف منكم لا الاصنام التى عبدتموها فكيف كفرتم فى الرخاء والسعة وامنتم بى فى وقت الضيق والبلاء
كانوا يخلصون له الدين فى وقت ويشركون غيره فى وقت فيقول ادعوا الى الدين بقوله وله الدين واصبا ولا تتركوا
الايمان فى وقت وتؤمنون بى فى وقت وكذلك كان عادتهم كانوا يكفرون بربهم فى حال الرخاء والسعة ويؤمنون
به فى حال البلاء والشدة كقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله الاية ويحتمل ان يكون فرض الجهاد على المسلمين والقتال
معهم لهذا المعنى لان من عادتهم الايمان فى وقت البلاء والشدة والخوف ففرض عليهم القتال معهم ليضطروا
الى الايمان فيؤمنوا ويديموا الايمان ومنذ فرض القتال معهم كثر اهل الاسلام فدخلوا فيه فوجا فوجا وكان قبل
ذلك يدخل فيه واحدا واحدا وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال وما بكم من نعمة فمن الله اخبر
عما اعتقدوا وتقرر عندهم ان كل ذلك من عند الله ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل ليكفروا بما اتيناهم
هذا يحتمل وجهين احدهما ان يجعلوا ما اتاهم الله وانعم عليهم سبب كفرهم بالله والثانى يكفرون بنعم الله تعالى
بعبادتهم الاصنام وصرفهم الشكر عنه ويشبه ان يكون اخباره عن سفههم من وجه اخر وهو انهم لم يروا فى
البشر احدا يطاع ويخضع الا احد رجلين دافع بلاء عنه او جار نفع اليه فى الاصنام التى تعبد وها ليس منها دفع
بلاء ولا جر منفعة فلماذا يعبد ونها وقال ابو بكر ليكفروا بما اتيناهم اى بالقران وقوله عز وجل فتمتعوا فسوف تعلمون
هذا وعيد من الله لهم يقول فسوف تعلمون ما ينزل بكم من كفران نعمه وصرف الشكر منه انه مهلككم ومنزل بكم
عذابه وفى قوله وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون اى تتضرعون موعظة للمؤمنين ايضا
لانهم يجعلون انه يتضرعون الى الله اذا اصابهم الضر والبلاء واذا انكشف ذلك منهم تركوا ذلك التضرع اى تعلمون

ان ما بكم من نعمة فمن الله فكيف تصرفون شكرها الى غيره فى حال وقوله عز وجل ويجعلون اى يقولون لما لا يعلمون
نصيبا مما رزقناهم من الانعام والحرث وغيره الذى جعل الله لهم قال بعضهم يجعلون الاصنام والاوثان التى
يعبدون نصيبا مما رزقناهم من الانعام والحرث وغيره الذى جعل الله لهم ولا يعلمون لهم نصيبا فى ذلك وهو
كقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا حرموا على
انفسهم ما جعل الله لهم وجعلوه لالهتهم ويحتمل قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا وهو الشيطان
اى ما يجعلون للاوثان فذلك للشيطان فى الحقيقة هو الذى امرهم بذلك وهو الذى دعاهم الى ذلك وهو
كقوله يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنهم اذا عبدوا الاوثان كان قد عبدوا
الشيطان لانه هو امرهم بذلك ودعاهم الى ذلك فعلى ذلك ما يجعلون للاوثان ذلك للشيطان لما ذكرنا لكن
لا يعلمون ان ذلك له نصيب ويحتمل قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا اى يعلمون ان ليس لها نصيب فى ذلك
ولكن يجعلون ذلك لها بلا علم منهم اى لا نصيب للاوثان فى ذلك وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات
والارض اى اتنبئون الله بما يعلم انه ليس وبحقه اى يعلم غير الذى تنبئون وقد ذكرنا قوله يجعلون على القول اى
يقولون والا لا يملكون جعل ذلك وقوله عز وجل تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويحتمل قوله تفترون تسميتهم
الاصنام الهة ويحتمل افتراءهم على ما قالوا والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا
بها زعموا ان فعل ابائهم وفعلهم كان بامر من الله ورضاه حيث زكاهم على ذلك فذلك افتراؤهم وقوله تالله
لتسئلن عما كنتم تفترون ويحتمل السؤال الجزاء اى تالله لتجزون عما كنتم تفترون ويحتمل السؤال سؤال الحجة ثبتنا
على ما ادعوا على الله من الامر الحجة على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ويجعلون لله البنات اى يقولون لله
البنات يخبر عن شدة سفههم حيث يانفون ويستحيون من البنات ثم ينسبون ذلك الى الله ويضيفونها اليه
يصبر رسوله على اذى الكفرة حيث قالوا فيه ما قالوا انه ساحر وانه مفتر ونحوه عن علم منهم ويقين انه رسول
خالفهم فمن انكر رسالته اولى بالصبر على قوله والحلم منه سبحانه كلمة تنزيه عما قالوا فيه وحرف تعجب حيث
نسبوا الى الله ما يكرهون لانفسهم وقوله عز وجل واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم قال بعضهم
قول العرب بيض الله وجهك ليس وسود الله وجهك ليس على ارادة السواد والقبح ولكن على ارادة ما يكرهه
وقال الحسن قوله ظل وجهه مسودا وهو كظيم اى متغيرا من الغم وهو كظيم اى حزين وهكذا العرف فى الناس
انه اذا اشتد بهم الحزن والغم يظهر ذلك فى وجوههم قبحا وسوادا يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه
على هون ام يدسه فى التراب وهو حى يذكر فيه كيف يصنع به ايمسكه على هون اى على هوان يعنى به ويستحيى ويحبسه ام يدسه فى التراب
فيقول ادرى لختار البنات فابعث الى ربك فانه الحق بها وهو وهى الموؤدة التى قال الله واذا الموؤدة سئلت
وانما كانوا يصنعون ذلك خشية املاق كقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقوله عز وجل الا ساء ما
يحكمون فى جعلهم الله ما يكرهون لانفسهم او فى قولهم والله امرنا بها او فى قولهم هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء قال بعضهم قوله مثل السوء اى لهم
جزاء السوء وهو النار وقال الحسن مثل السوء اى صفة السوء التى وصفوا بها ربهم انه اختار البنات
ولله المثل الاعلى اى الصفة الاعلى التى ليس لها شبه فان تلك الصفة من صفته ويشبه ان يكون قوله لهم مثل
السوء بما سماهم مرة ملائى اسمه فسقة ومرة ظلمة ومرة هم فى الظلمات وامثاله لهم ذلك الوصف بالانكار
الاخرة وذلك مما يوجب الحكمة والعقل والشريعة فلهم ذلك الوصف والمثل السوء بما انكروا ما توجبه
الحكمة والعقل والشريعة ويحتمل مثل السوء ويحتمل مثل السوء النعت والصفة فان كان هو على الشبه فهو
فى الدنيا لما اشبههم فى غيراى من القران بالشجرة الخبيثة والكلمة الخبيثة وبالرماد وبالزبد والتراب ونحوه وان
كان على النعت والصفة فهو فى الاخرة وهو ما ذكر الذين يحشرون على وجوههم وقوله عز وجل ولله المثل
الاعلى اى لاولياء الله المثل الاعلى وهم المؤمنون لما ان الله وصف المؤمنين بالحيوة والنور والعدل وغير ذلك
من الاسماء الحسنة وذلك لله فى الحقيقة لكنه بفضله وصفهم وسماهم بذلك فاضيف الى الله لما بفضله
استوجبوا لا باستحقاق انفسهم وكذلك قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها اضيف ذلك اليه بفضله
سبق حيوة تلك الاسماء التى سماهم ويحتمل قوله ولله المثل الاعلى اى لاولياء الله المثل الاعلى كانه قال والذين
يؤمنون بالاخرة مثل الاعلى مقابل ما ذكر حيث قال للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء وهو العزيز الحكيم
قال الحسن العزيز بالغلبة منه فى الاشياء كلها على ما امره وكل شئ ودونه ذليل الحكيم بالعدل منه فى كل قضا

تشبيه السوء

وقد ذكرنا في غير موضع وقوله العزيز الحكيم في هذا الموضع كانه قال هو العزيز بنفسه لا بخلقه واوليائه كما يكون
لملوك الارض يكون عزهم بجندهم وحشمهم فاذا ذهبوا او عصوه يصير مقهورا ومغلوبا فاما الله سبحانه وتعالى
هو عزيز بذاته والحكيم اي انشاء العصاة منهم على علم منه بذلك لم يخرج ذلك على غير الحكمة والله اعلم وقوله
عز وجل ولو يواخذ الله بظلمهم ما ترك عليها من دابة دل قوله ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ان يستاصلهم ويهلكهم
بما كان منهم لكنه بفضله يؤخرهم الى المدة التي ضرب لهم لانه لو لم يكن له ذلك لم يكن للوعيد التي وعد معنى وقال ابو
زيد البلخي ان الله بما اوعد من الوعيد ليس يوعد لمنفعة نفسه ولا لنفع يصل اليه ولكن يوعد بما توجبه الحكمة فقد دل ان
الوعيد لازم واجب ونحن نقول يوعد بما توجبه الحكمة وقد يحملهم بعد الوعيد فيجوز ان يجوز ان يخرجهم
من النار بعدما ادخلهم النار بما ارتكبوا من الكبائر ثم في قوله ولو يواخذ الله الناس بظلمهم الاية دلالة نقض قول
المعتزلة لانهم يقولون ليس لله ان يهلك من يعلم انه يؤمن في اخر عمره اذ لا يوعد الا بما له ان يفعل لكنه بفضله يؤخر
الى وقت ودلالة ان له ان يفعل ما ليس ذلك باصلح لهم في الدين ثم اختلف في قوله بظلمهم قال بعضهم هكذا الكفرة
خاصة وقال بعضهم لهم وللمؤمنين كل مرتكب زلة اذ ما من احد ارتكب زلة الا وقد استوجب العقوبة بذلك ولكن
يؤخره بفضله عفوا وقوله عز وجل ما ترك عليها من دابة قال بعضهم اراد بالدابة الدابة التي خلقها لهم اذا هلك
الناس فقد اهلك الدواب اذ خلقها ايا لهم وقال بعضهم قوله ما ترك عليها من دابة اي على ظهر الارض من
دابة لان الدواب انما تعيش بالذي يعيش الناس فاذا اهلكوا هم هلكت الدواب ايضا لما ذهب سبب معيشتها
وجائز ان يكون اراد بالدابة البشر اي ما تركهم بظلمهم ولكن يهلكهم وسماهم دابة لانه اذا ذكرهم في موضع الظلم
وان كان سماهم في غير موضع بالاسماء الحسنة وهو كما سماهم في موضع اخر دابة حيث قال وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها ولا شك ان البشر دخلوا في هذه التسمية فعلى ذلك جائز دخولهم في الاخرى وان
كان المراد ما ذكر من الدابة البشر فالانبياء والرسل انما يكون هلاكهم بقطع نسلهم لان الانبياء اكثرهم ولدوا
من الاباء الظلمة فاذا اهلك اباءهم لم يولد الرسل والانبياء فيكون هلاكهم لا بظلم هؤلاء ولكن بقطع النسل
وان كان المراد بتلك الدابة الدواب انفسها فلان الدواب انما انشات للبشر ولمنافعهم فاذا اهلكت الدواب
اهلك منافع لهم والله اعلم وفي قوله لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون دلالة نقض قول المعتزلة لانهم
يقولون يجعل الله للخلق اجالا ثم يجيء كافر فيقتله دون بلوغ الاجل الذي جعله الله حيث اخبر انهم لا يستاخرون
ساعة بعد الاجل المضروب لهم ولا يستقدمون قبل ذلك وهم يقولون بل يستقدمه كافر فيقتله فذلك سرف في القول
وهذا يخرج على وجهين احدهما لا يتاخر الاجل الذي جعل لهم ساعة ولا يتقدم من ذلك والثاني لا يجاب في التاخير
ولا في التقديم وقوله عز وجل ويجعلون لله ما يكرهون كانوا يجعلون لله اشياء يكرهون ذلك لانفسهم من نحو البنات
يقولون لله ويكرهون لانفسهم البنات ويجعلون له الشركاء من عبيده وهم كانوا يكرهون لانفسهم الشركاء
من عبيدهم وامثاله كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية يخبر عز وجل عن سفههم وسرفهم يخبر عن حلمه
حيث لم يستاصلهم ولم يهلكهم بما قالوا في الله في عظيم القول من الولد والشريك ليعلم انه يمهلهم لا
لغفلة ولا سهو ولكن بحلم لان يجل الخلق في ذات الله ولا يعجل بالعقوبة اذ لو اراد اهلكهم ساعة قالوا ذلك ولا
يمهلهم يعيشون لكن اخر ذلك اليوم وهو ما قال ولا تحسبن الله غافلا الاية وجائز ان يكون قوله ويجعلون
لله اي يجعلون لاولياء الله مما يكرهون لانفسهم لانهم يقولون ان لهم الحسنى في الاخرة وهي الجنة وان للمؤمنين
النار ويقول ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقوله عز وتصف السنتهم الكذب قال ابو بكر الاصم
يقولون انا دين الله وعلى الحق لعبادتنا ويقول ان لهم الحسنى يعنون انهم محسنون في اعمالهم وما هم عليه
من دين وقال بعضهم قوله ان لهم الحسنى يعنون البنين لانهم كانوا يضيفون الا البنات الى الله وينسبون البنين
الى انفسهم فذلك الحسنى الذي ذكروا وقال بعضهم بان لهم الحسنى اي الجنة كقوله ولئن رجعت الى ربي الاية
ثم كذبهم في قولهم فقال لا جرم ان لهم النار ليس لهم الحسنى على ما زعموا ولكن النار وقد ذكرنا قوله لا جرم فيما
تقدم كان اهل الكفر فرقا منهم من ادعى الاستدراك في نعيم الاخرة كما كان لهم استدراك في نعيم الدنيا كقوله ام
حسب الذين اجترحوا السيئات ومنهم من ادعى الاخرة لانفسهم كما كانت لهم الدنيا فجائز ان يكون قوله ويجعلون
لله ما يكرهون هم الذين ادعوا الحسنى وهي الجنة لانفسهم وقوله عز وجل وانهم مفرطون هو من الفرط وهو
السبق والتقدم كان الاية في الرؤساء اخبر انهم سابقون اتباعهم الى النار وهو كقوله وقالت اولاهم لاخراهم
الاولى هم المتبوعون واخراهم الاتباع وقال بعضهم يعجلون اليها بين يدي اتباعهم وقال بعضهم مفرطون اي

مذكون

مذكون منسيون في النار وقال بعضهم مفرطون مبعدون عن رحمة الله لكن هذين ليسا بتاويل الاية اذ كل من في
النار فهو منسي متروك فيها مبعد من رحمة الله وقال بعضهم وانهم مدخلون فيها والوجه فيه ما ذكرنا وقوله
عز وجل تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك هذا لا يحتمل ان يكون هذا القسم منه ابتداء لكن كانه عن انكار كان منهم
للرسالة فعند ذلك اقسم بقوله تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك واكد بما انكروا الرسالة بالقسم الذي ذكرنا
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد قوله تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك كما ارسلناك فزين لهم الشيطان اعمالهم
كما زين لامتك ممن كان وليهم يومئذ كما هو ولي لامتك اليوم يصيره وقوله عز وجل فزين لهم الشيطان اعمالهم
يقول ليس هؤلاء باول من زين لهم الشيطان اعمالهم ولكن كان في الامم الماضية من زين لهم الشيطان اعمالهم
فيكذبون رسلهم فلست انت باول مكذب بل كان لك شركاء في التكذيب فهو وليهم اليوم في الدنيا لان الدنيا هي
دار الولاية بينهم كقوله بعضهم اولياء بعض وقوله اولياؤهم الطاغوت واما في الاخرة فيصيرون اعداء كقوله
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض الاية وقوله قال قرينه
ربنا ما اطغيته ونحوه ولا يحتمل ان يكونوا اولياء في الاخرة ثم يلعن بعضهم بعضا ويتبرا بعضهم من بعض فذلك علامة
العداوة وقال بعضهم قوله فهو وليهم اليوم في الاخرة اي اولى بهم فيقرنون بهم كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين فهو وليهم اي صاحبهم كقوله احشروا الاية وكقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وقوله
عز وجل وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه قال بعضهم قوله الذي اختلفوا فيه الكتب التي
كانت من قبلهم لانهم اختلفوا في كتبهم فمنهم من بدل ومنهم من غير وحرف فيقول والله اعلم وما انزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم الذي اختلفوا في كتبهم لان هذا الكتاب انزله مصدقا لما بين يديه من الكتاب يبين هذا الكتاب ما اختلفوا
فيها بهم الحق من الباطل وقال بعضهم الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من الرسل والاديان في الكتاب المنزل عليك
اختلفوا في ذلك كله يبين لهم الحق من الباطل في جميع ما اختلفوا فيه بالكتاب الذي انزل عليه اذ فيه انباء الامم
الماضية وهو لم يشهدها ولم يختلف من يخبره منهم انباءهم على ما كانت فدل انه انما عرف بالله ومنه نزل ذلك
وفيه دلالة ان الحوادث التي علم الله انهم يبتلون بها الى يوم القيامة قد جعل لهم سبيل الوصول الى بلوغها في
الكتاب اما بيان كفاية واما بيان تصريح حيث قال وما انزلنا عليك الكتاب الاية حيث لم يدعهم في الاختلاف
على غير بيان فعلى ذلك حيث علم انهم يبتلون بالحوادث التي ليس لها منصوص في الكتاب لا يحتمل ان لا يبين لهم ذلك
ويدعهم حيارى لكن البيان على وجهين بيان تصريح يعقل ببديهة العقل وبيان كفاية يدرك بالنظر والتامل
والاستدلال والله اعلم في قوله الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي الا لتبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه لانهم
اختلفوا في الحق في ذلك لان كل فريق منهم ادعى انه هو المحق وان الذي هو عليه الحق وان غيره على باطل فاخبر
انه انزل الكتاب عليه ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه وقوله عز وجل وهدى ورحمة لقوم يؤمنون جعل الله
تعالى رسوله وكتابه هدى ورحمة للمؤمنين لانهم امنوا بهما وصدقوهما وقبلوهما فصار ذلك لهم هدى ورحمة
ونورا واما من كذبهما ولم يقبلهما فهو عذاب عليهم وهو كقوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما الذين في قلوبهم مرض الاية وهو ما ذكر وهو عليهم عمى وقوله عز والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض
بعد موتها يذكر عز وجل قدرته وسلطانه حيث اخبر انه ينزل من السماء ماء فيحيي به الارض وهي ميتة ويخرج
منها نباتا وزروعا واشجارا فمن قدر على هذا القادر على احياء الارض بعد موتها انه لا فرق بين الاحياءين الا
فمن قدر على احدهما قدر على الاخر ان في ذلك اي فيما ذكر لاية لقوم يسمعون قال بعضهم لاية لقوم يسمعون
المواعظ وقال بعضهم لاية لقوم يسمعون الايات والحجج واما من لم يسمع فلا يكون له الحجة واصله ان في ذلك
لاية لقوم ينتفعون بسماعهم ولاية لقوم يعقلون اي ينتفعون بعقولهم واصله ان هذا كله يصير اية للمؤمنين
على ما ذكر كله لانهم هم العاقلون عن الله ما امرهم به ونهاهم عنه وهم يسمعون اياته ومواعظه كله كناية عن
المؤمنين والله اعلم وقوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة والعبرة الاية اي انشاء لكم انعاما فيه الاية
هو صلة قوله والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها اي انزل من السماء ماء وانشاء الانعام
لكم فيه الاية انشاء جل وعلا في الانعام لتباعد الاولاد في الوقت الذي لا يحتمل الغذاء بالعلف وجعل لاربابها
الانتفاع بذلك اللبن في الاشياء التي لا يوكل لحمها لم يجعل لاربابها الانتفاع بما يفضل من اللبن لم يجعل لها
فضل لبن وقوله عز وجل نسقيكم مما في بطونه ذكر بالتذكير فظاهره ان يذكر بالتانيث لانه انما اريد به
الامهات التي يدر منها اللبن او جماعة من الذكران منها فكيف ما كان فهو يذكر بالتانيث لكن بعضهم يقول

ذكر باسم التذكير على ارادة الاصل الذي به كان اللبن وهو الفحل وهذا يدل ان ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله لقولهم في لبن
الفحل انه يحرم وقال بعضهم ذكر باسم التذكير على ارادة الجنس والجوهر من بين الاجناس والجواهر دون العدد والجماعة
وقوله عز وجل من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين قال ابن عباس رضي الله عنه معنى استخراج اللبن من
بين فرث ودم وذلك ان العلف اذا وقع في الكرش طبخه الكرش فيجعل الفرث اسفله والدم اعلاه واللبن بين ذلك
ثم يسلط الكبد عليهم فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث في الكرش كما هو وقال بعض الفلاسفة
ان العلف اذا وقع فيه يصير منه فرثا ثم يصير منه دما ثم يصير لبنا خالصا فهو كالنطفة التي وقعت في الرحم
تصير علقة ثم تصير مضغة ما كونه فعلى ذلك اللبن الذي ذكر والله اعلم ويحتمل ما قال بعض الفلاسفة ان العلف
يصير فرثا ثم دما لبنا ويحتمل ان يكون مخرج اللبن بين ما ذكر من الفرث والدم فاي الوجهين كان فيه اللطف الذي ذكرنا
ووجه ذكر هذا والله اعلم على الامتنان وكذلك من الثمرات والاعناب انه بلطفه اخرج اللبن الصافي اصفى الاشيا
والطفه من خبث الاشياء واكدره في راي العين من قدر على حفظ هذه الاشياء مما ذكر بلا حجاب بينهما ولا حاجز
يعرف انه قادر على انشاء الاشياء من لا شيء لان الخلائق لو اجتمعوا على ان يدركوا السبب الذي به كان حفظ هذا
من هذا او منا معه من الخلط بالخبث ما ادركوا ذلك وكذلك ما يخرج من النخيل والكرم من الثمرات الطيبة والاعناب
الحلوة من غير ان يرى اثر ذلك فيها ومن غير ان يدركوا السبب الذي كان به الاعناب والثمرات دل انه قادر على انشا
الاشياء من لا شيء اذ هي خشبة يابسة والله اعلم وقوله عز وجل تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال بعضهم
السكر ما يحرم منه والرزق الحسن ما يوكل تمرا وزبيبا ونحوه وقال بعضهم السكر خمر الاعاجم والرزق الحسن ما
ينبذون ويخللون وياكلون وروي في بعض الاخبار انه حرم السكر ولم يفسر لا بين وفي الاخبار انه بعث معاذا الى
اليمن وامره ان ينهاهم عن نبيذ السكر وعن عبد الله قال ان اولادكم ولدوا على الفطرة فلا تسقوهم السكر فان
الله تعالى لم يجعل في حرام شفاء وليس بين فقهاء الامصار في تحريم السكر ونقيع البسر ونقيع الزبيب اذا اسكر
كثيرها ولم يطبخ اختلاف انها حرام وقد ذكرنا هذا في سورة البقرة ان في ذلك لما ذكر لاية لقوم يسمعون يعقلون
وقالوا لعله يبقى الفرث ما في الكرش لان اللبن كان طعاما خلص من ذلك الطعام دم وبقي منه فرث في الكرش وخلص
من الدم لبنا سائغا اي سهلا في الشرب لا يشجى به شاربه ولا يغص وكذلك قال ابو عوسجة اسغته اي ادخلته
في حلقي سهلا وقوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا اي تتخذون منه ما يحرم اكله ورزقا حسنا ما يحل منه كقوله
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية ويخرج على تذكير النعم في الوقت الذي كان السكر حلالا لا ان تتخذوا منه سكرا
ما تشربون ورزقا حسنا سوى الشراب وقوله عز وجل واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا الى اخر
ما ذكر قال بعضهم اوحى اي قذف في قلوبها ان افعلي ما ذكر قال بعضهم اوحى اي قذف في قلوبها ان افعلي ما ذكر
والوحي هو القذف سمي بذلك لسرعة وقوعه ونفاذه في القلوب من غير ان يرى الملقى فيه والمقذوف في قلبه
ان احدا فعل ذلك والقاه فيه وهو ما ذكر الله للشيطان من الوسوسة في القلوب من غير ان يعلم الموسوس اليه
والمقذوف في قلبه احد دعاه الى ذلك او زينه ذلك وكذلك ما يلهم الملائكة بني ادم من اشياء من غير ان
علموا ان احدا دعاه الى ذلك او القاه في قلوبهم فهذا كله يرد على من ينكر الشيطان والملائكة وهم طائفة من الملحدة
يقولون ان الشهوات والاماني التي جعلت في انفسهم هي التي تبعثهم وتحملهم على ذلك لا الشيطان فيقال لهم
ان الانسان قد يبدا له اشياء من غير ان كان منه تفكر في ذلك او اماني او سابقة تدبير فذلك يدل ان غيره الذي القى ذلك
في قلبه فذلك صنعا وكذلك الخذلان في المعاصي وانواع الاجرام التي يكتسبونها ثم يحتمل قوله واوحى ربك
الى النحل وغيرها من البهائم وجهين احدهما يحتمل انشاء هذه البهائم على طبايع تعرف بالطبع مصالحها
ومهالكها ومعاشها وما به قوام ابدانها وانفسها وما به فسادها وصلاحها من غير ان يعلم انها تسبيح وكذلك
الطير الذي يصير في الهواء من غير ان يعلم بالطيران فعلى ذلك يحتمل فهم هذه البهائم وعرفانها ما ذكرنا المصالح
والمهالك من غير ان يعلم انها تعرف ذلك والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون الله عز وجل جعل خلقة هذه الاشياء
بالذي يفهمون على المخاطبات والامر والنهي ويعرفون ذلك ما لا يعرف البشر الا ترى ان البشر لا يعرف المهالك
والمصالح الا بالتعلم والبهائم وان صغر ذلك تعرف حتى تتوقى المهالك وترغب في المصالح ومما يدل على هذه الاشيا
مما يفهم الامر والنهي والمخاطبات قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء الا ترى انهم فهموا الخطاب حيث ردوا عليهم الجواب بقولهم
انطقنا الله فذلك ما ذكرنا والله اعلم فذلك الوحي والقذف لكل البهائم لا النحل خاصة لما ذكرنا من معرفتها المهالك

والمصالح

والمصالح وما به معاشها وعذرها مما افسدها وهلاكها حتى يعرف ذلك من غير ان تعلم والبشر لا يعرف الا بالتعلم
فهو والله اعلم لوجهين احدهما المحنة ان البشر امتحنوا بالتعليم فذلك من الله امتحان لهم والبهائم لا محنة عليهم
فعرفوا ذلك على غير تعلم او كان البشر لفضل بعض على بعض في العلم بالتعلم اذ البهائم يستوي صغيرها وكبيرها
في معرفة ذلك وفي بني ادم يتفاضل ويتفاوت بالتعلم والله اعلم فان قيل فاذا كان البهائم كلها مشتركة في
ذلك الالهام الوحي فما معنى تخصيص النحل في الذكر من غيرها من البهائم قيل يحتمل تخصيص النحل بالذكر والله
اعلم لما ان هذه الاشياء غير النحل لا تعطي تلك المنافع التي جعلت فيها ولا تبذل للبشر الا بالرياضة والنحل
تعطي ذلك لهم وتبذل من غير تعلم ولا رياضة والله اعلم ثم قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا وقوله ثم كلي من كل الثمرات
وقوله فاسلكي سبل ربك ذللا ونحوه ظاهره لكن حقيقته تمكين وتسهيل نحو قوله سيروا اي كذا في الظاهر
امر في الحقيقة تمكين وتسخير في هذه الاية وفي قوله يخرج من بطونها شراب وفيما سبق من الايات وهو قوله
وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا دلالة قدرته على انشاء الاشياء من لا شيء ودلالة علمه وتدبيره لانه اخرج من هذه الجواهر
المختلفة اشياء من غير جوهرها وجنسها ما لم يكن شيء مما اكل منها هذه البهائم من الجواهر التي اخرج منها
نحو العسل الذي اخرج من الفواكه التي اكلت واللبن من العلف الذي اكل والعصير والسكر والاعناب من الكرم
انه ليس شيء خرج منها من جنس ما اكل ولا من جوهر ما سقي دل انه كان بغير علم قادر على انشاء الاشياء من لا شيء
او لا سبب وفيه دلالة علمه وتدبيره وحكمته لان انشاء ذلك اللبن في البطن على غير جوهر ما تناولت ومن
خلاف لونه في تلك الظلمات دل ان علمه غير مقدر بعلم الخلق وان حكمته غير مقدرة بحكمة الخلق وكذلك
قدرته غير مقدرة بقدرة الخلق ثم قوله فاسلكي سبل ربك قيل طرق ربك ذللا قيل مطيعة وقيل من الذل
اي الرفق واللين كقوله اذلة على المومنين وقوله واخفض جناحك الاية من الذل وهو الرفق واللين وهذا يخرج
على وجهين احدهما ذللت سبل ربها وسهل السلوك فيها حتى تسلك كيف شاءت وقوله عز وجل ومما يعرشون
قيل مما يبنون ويتخذ مما يتخذ من العريش وهو الذي يتخذ من الخشب وقوله عز وجل مختلف الوانه قال الحسن اسود
والعسل يحتمل قال بعضهم مختلف بالطعم وقيل في الالوان الابيض والاحمر الاصفر وقوله عز وجل فيه شفاء للناس
قال بعضهم شفاء الناس من كل داء حتى القروح وكل شيء وقال بعضهم قوله فيه شفاء من داء دون داء وقال
بعضهم فيه شفاء يعني في القران فيه شفاء القلوب للدين ويحتمل قوله فيه شفاء فان اراد هذا فهو ظاهر
لا شك ان فيه ذلك الشفاء ويحتمل فيه شفاء للدين فان كان هذا فيكون ظاهرا من جهة النظر فيه يدرك
ويوصل الى ذلك الشفاء وقوله ثم كلي من كل الثمرات قال بعضهم من نوع ما تاكل النحل وقال بعضهم من جميع
الثمرات التي يكون في الجبال عن عبد الله قال القران والعسل هما الشفاء ان القران شفاء الدين والعسل شفاء
للابدان وقال بعضهم من اهل اللغة ان الوحي في كلام العرب على وجوه منها وحي النبوة فهو ارسال الله الملائكة
الى انبيائه ورسله كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ومنها وحي الاشارة كقوله فاوحى اليهم ان سبحوا
بكرة وعشيا ومنها وحي الالهام وهو قوله واوحى ربك الى النحل وقوله واوحينا الى ام موسى وقوله بان ربك اوحى لها
ونحوه ومنها وحي الاسرار كقوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول الاية وقال بعضهم ان اصل الوحي عند ناعران
يلقي الانسان الى صاحبه شيئا الاستتار والاخفاء وقد يكون ذلك بالايات والحفظ واصل الوحي ما ذكرنا انه سمي
به لسرعته وقرعه وقذفه في القلب وقال ابو بكر تاويل الوحي ان يعلم الذي يوحي اليه ويرشده وذلك من وجهين
احدهما ان الله ارشد بحماكل دابة سوى الانسان الى مصلحتها والهرب عن مهلكها ومتلفها بما فطرها الله عليه
كما ارشد الانسان الى ما يصلحه في دينه ودنياه بالتعليم فتبارك الله تعلم على ما فيه مصلحتها ومفسدتها بادرها عليه
كما علم الانسان بالقول البيان فقال واوحى ربك الى النحل اي ارشدها والهمها بفطرتها ان تتخذي من الجبال بيوتا و
من الشجر بيوتا فيها ومما يعرشون يعني وتتخذي مما يبني الانسان تسكنها وقال العريش الحيطان التي لا سماء لها يتخذها
تتخذ خلايا في كل ذلك لمنافع الخلق ثم قال ثم كلي من كل الثمرات والثمرات مختلفة الطعم والمنظر والمشم فاسلكي
سبل ربك وهو ما سبل الله لها من الرزق والمأوى الا قال تعقول ذلك ذلك لك كل شيء قدره لم رزقك ومسلكك و
ذلك في طلب ما سبل لك لبني ادم وجعلها سببا لمنافعهم وصغر قدر ذلك ليريهم بذلك قدرته وسلطانه على ما شاء
ليعلموا ان خالقهم لا يعجزه شيء ولا انه القادر على ما يعيدهم من البعث والثواب والعقاب وقوله يخرج من بطونها شراب
مختلف الوانه يعود الجنس واحد ثم هو يختلف كالالوان الثمر والعنب وسائر الثمار في اختلاف الوانه وهيئاته ومنظره

وكله عسل فيه شفاء للناس مما فيهم ومنافعهم وفيما اراد الله من قدرته على ما يشاء من ذلك فيه شفاء في الدين والعلم
يعلمون بما يشاهدون من تدبيراته وقدرته على ما يشاء **وقوله** عز وجل ان في ذلك لاية يقول لعبرة ودليلا وبرهانا
لقوم يتفكرون فيما يشاهدون في تدبيراته وتقديره وقدرته على ما يشاء والله اعلم وقال في قوله ومن ثمرات النخيل
والاعناب يقول ولكم عبرة ودليل ان النخل اجذاع خشب لا طعم فيها والكرم ايضا وما فيهما من سعف وان لا عسل
فيها ولا عنب فاخرج الله منهما ثمرات مختلفات فيه عسل وفيه تمر وزبيب وتتخذونه منه ما تتخذونه من الشراب
وقال هذا قبل تحريم الخمر والسكر كل ما اسكرهم وتتخذون منه ايضا رزقا حسنا اي طيبا وهو ما تاكلون منها سوى ما تشربونه
وتكسبون بها اموالا كثيرة من الله عليهم وقال بعضهم السكر كل شيء حرم الله من ثمارها من الشراب الخمر من العنب
والسكر من التمر والرزق الحسن ما احل من ثمرها الدبيب والتمر والنبيذ وقال السكر ما اسكر والرزق الحسن هو الاشيا
ان في ذلك لاية ودليلا وبيانا لقوم يعقلون ما ينبهون فيعلموا ان الذي لم يعجز عما خلق لهم من الثمار من حيث يابس
ان يحيي الموتى ويخلق ما يشاء وما عرفه الخلق انه يكون من النطفة الولد ومن الماء والاشجار الفواكه ومن العلف
اللبن وغير ذلك من الحوادث التي تحدث من الاشياء وتلك اسبابها ما لم يدرك كون تلك الاشياء فيها ولا يرى لا يعرف
ذلك الا بتعليم من هو عالم بذاته لانه علم ذلك لو كان بتعليم لو اجتهد وكل اجتهد هو ما لم يدرك واحد من تلك الاشياء
مما ذكرنا ولونها منها ان الذي علمهم هو عالم بذاته فاذا ثبت كونه عالما بذاته وان كانوا لم يشاهدوا الا عالما بغير
نعلم ذلك هو قادر على انشاء الاشياء من لا شيء وان كانوا لم يشاهدوا الشاهد هو شيئا الا من شيء وفيه ان ما يحدث
ويكون من اللبن بالعلف الذي ياكل او الطعام الذي يتناول والفواكه والثمار التي تخرج ليس يكون بنفس الماء او بنفس
الطعام والعلف ولكن باللطف من الله تعالى لانه قد يسقى ذلك الماء الشجر والنخل في حال ثم لا يكون فيه الثمر وكذلك
الدواب تعلف في حال لا يكون ذلك منه **وقوله** عز وجل والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم
بعد علم شيئا فان قيل لتاسنة له علينا في ذكر خلقنا ثم توفيه ايانا ورده لنا الى الحال التي وهو حال الجهل حتى لا يعلم
شيئا قيل ذكر والله اعلم يحتمل هذا وجوها احدها يذكرهم انه هو الذي خلقكم ثم يتوفيكم ثم هو يلك ردكم الى الحال
التي لا تعلمون شيئا وفي ملكه وسلطانه تتقلبون فكيف عبدتم الاصنام والاوثان التي لا تملكون شيئا من
ذلك **وقوله** في الوهيته وعبادته او يذكر هذا انه خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفيكم بعد ما احياكم ثم يردكم
الى الحال التي لا تعقلون شيئا بعد ما جعل عقلا وعلماء فمن يملك هذا ويقدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت
والبعث بعد الفناء او يذكر ليعلم انه لم يكن المقصود لخلقهم الفنا خاصة لكن لامر اخر قصد بخلقهم وهو ما ذكر
فيما تقدم من انواع النعم وتسخير ما ذكر من الاشياء لهم ليعلموا المقصود في خلقهم لم يكن للفناء خاصة لم يحتج
الى ما خلق لهم من الاغذية والنعم التي انشاء لهم والاشياء التي سخرها لهم وقال ابو بكر الاصم قوله والله
خلقكم وكنتم نطفا امواتا فاحياكم ثم يتوفيكم اطوالا وشيوخا ومنكم من يعمر الى ارذل العمر فيقول يرده بعد قوة
وعلم وتدبير الامور الى الخرف والجهل بعد العلم ليبين لخلقه ان العمر والرزق ليس بهما وبي وقوى لانهما ثابتان ثم يلي
ويبقى بعضها ويرجع الى الجهل ولكن بلطف من الله وتدبير منه لا بالاغذية والله اعلم ان الله عليم بما دبر في خلقه
مما يكون به قدرة حاملهم وبعض بينه الامور وعما يكونون به حكماء علماء ان الذي دبرها حكيم قدير على ما يشاء
والحكمة فيما ذكر من تفريق الاجال ليكونوا ابدا خائفين راجين لانه لو كانت اجالهم واحدة يأمنون ويتعاطون
على امن لما يعلمون وقت نزول الموت بهم والثاني ليعلموا ان التدبير في انفسهم وملكهم لغيرهم لا لهم لان التدبير
والامر لو كان اليهم لكان كل منهم يختار من الحال ما هو اقوى واكد **وقوله** عز وجل والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق قال بعض اهل التاويل يذكر هذا القائل ما اشركوا خلقه وعباده في الوهيته وعبادته يقول فضل بعضكم
على بعض في الرزق والاموال حتى يلعز السادة والموالي فلا ترضون ان يكون عبيدكم وما يليكم شركاء في ملككم واموالكم
فكيف ترضون لله ان يكون عبيده ومماليكه شركاءه الى هذا يذهب بعض اهل التاويل وقال ابو بكر الاصم قوله فضل
بعضكم على بعض في الرزق اغنى بعضكم وافقر بعضا وجعل منكم احرارا وعبيدا فما الذين فضلوا بالغنى والتمليك برادي
رزقهم على ما ملكت ايمانهم من عبيدهم فهم فيه سواء ان يستوي المولى وعبده فيما ملكت يمينه يقول فليس احد
منكم يرضى ان يكون عبده بمنزلته فيما ملكت يملك سواء فاذا رايتم انتم بذلك نقصا بكم لو فعلتم فكيف زعمتم ان
الله اشرك بينه وبين احجار حتى اشركتم وما ملككم الله بينه وبين الاوثان في العبادة وفيما اتاكم من رزق فعلتم
هذا لله وهذا لشركائنا افبنعمة الله تجحدون يقول انعم الله عليهم بانفسهم وازواجهم واموالهم واولادهم
فاشركوا غير الله فيها وجحدوا نعمة الله عليهم بها وعصوا ربها لكن وانما الزمهم النظر في الفضل الذي ذكر انه

فضل بعضهم على بعض اي علي الفضل الذي كان من الله لا الى الاسباب التي اكتسبوها ليعلموا انهم لم ينالوا ذلك الفضل
باستحقاق منهم ولكن انما نالوا بفضل منه ورحمة فيكون ذلك دليلا لهم فيما انكروا من فضل الله واختصاصه
بعضهم بالرسالة والنبوة وان كانوا جميعا من بشر ومن جنس واحد على ما فضل بعضهم على بعض في الرزق و
السعة والملك والحرية والسلطان وان كانوا جميعا في الجنس فاذا لم ينكر هذا النوع من الفضل والاختصاص
لبعضهم على بعض فكيف انكرتم ذلك الفضل والاختصاص بالرسالة من فضله ورحمته فلذلك قال والله اعلم
اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اخبر
انه برحمته وفضله ينال ما ينال من الرسالة وغيرها لا باستحقاق ولا استيجاب كان منهم او ان يذكر سفههم
بانهم يانفون ان يشركوا عبيدهم ومماليكهم في ملكهم واموالهم ولهم منهم منافع من الخدمة والاعانة في
الامور فيما بالهم يشركون احجارا وخشبا لا منفعة لاحد منها في الوهية الله وربوبيته وفي عبادته افبنعمة الله
يجحدون وعلى تاويل النبوة افبفضل الله ورحمته يجحدون انه لا بفضل بعضنا على بعض بالرسالة او يجحدون ما اتاهم
الله من النعم فيصرفون نعمه الى غيره وهي الاصنام التي عبدوها فقالوا هذا لشركائنا او يصرفون شكر نعمه الى
غيره وهي الاوثان التي عبدوها والله اعلم **وقوله** عز وجل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة قال الحسن وغيره الحفدة الخدم والمماليك فهو على التقديم على تاويل هولاء يقول جعل لكم من انفسكم
ازواجا وخدما من جنسكم لانه ذكر فيما تقدم والله فضل بعضكم على بعض في الرزق الاية يذكرهم نعمه وفضله الذي
ذكر انه جعل لكم من جنسكم ازواجا وخدما تحت ايديهم تستمتعون بالازواج وتستخدمون الخدم والمماليك وهم من
جنسهم وجوهرهم يذكرهم فضله ومنه عليهم او نشبه ان يكون هذا صلة قوله واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه
مسودا الاية كانوا يانفون عن البنات ويدفنونهن احياء اذا ولدن انفا منهن يقول والله اعلم كيف يانفون منهن
وقد جعل لكم من البنات ازواجا تستمتعون بهن حتى لا تصبروا عنهن وكذلك جعل لكم من البنات البنين الذين ترغب
انفسكم فيهم ما لولا البنات لم تكن لكم الازواج التي تستمتعون بهن ولم يكن لكم البنون الذين ترغبون فيهم والانصار و
الاعوان والخدم الذين ترغبون فيهم يبين ويذكر تناقضهم في الانفة منهن يانفون منهن ومن البنات يكون ما يرغبون
فيهن هذا يدل ان النساء يصرن كالملك للازواج ويصرن تحت ايديهم في حق ملك الاستمتاع كالمماليك في حق ملك
الرقاب ثم جعل عز وجل التناسل في الخلق على التفاريق وتقليبهم من حال الى حال وتقليبهم ابدا كذلك ليكون اذكر لنعمه
وانظر في اياته وو لانه ولو شاء لانشاء الخلق كله بمرة واحدة وانشاهم بدفعة واحدة وكذلك ما جعل لهم من الارزاق
وانواع النبات لو شاء لاخرج لهم ذلك كله بمرة واحدة في وقت واحد ولكنه انشاء لهم بالتفاريق ليذكرهم النظر
في اياته وتدبيره ليكون ذلك لهم ادعى الى المرغوب واحذر للمرهوب وكذلك ما ورد من الانباء والقصص والمواعيد
وذكر الجنة والنار في القران في غير موضع ليبعثهم ويحثهم على النظر في اياته وتدبيره ويرغبهم في كل وقت في المرغوب
ويحذرهم عن المحذور والمرهوب ثم قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا وقال في اية اخرى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا
انفسكم ونحوه ذكر الانفس في كله ثم لم يفهم اهل الخطاب من هذا كله واحدا وشيئا واحدا وان كان في حق اللسان و اللغة معنا
واحدا لكنه فهموا في كل غيرما فهموا في اخر هذا يدل انه لا يفهم الحكمة والمعنى في الخطاب بحق ظاهر اللسان واللغة
ولكن بدليل الحكمة المجعولة في الخطاب ومن اعتقد بالخطاب الظاهر حسم باب طلب الحكمة فيه والمعنى لا يجعل
المراد منه الظاهر **وقوله** عز وجل وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة هو ما ذكرنا وحفدة اختلف فيه قال
بعضهم الحفدة الخدم المماليك وقال بعضهم الحفدة ولد الوالد وقال ابن مسعود رضي الله عنه الحفدة الاختان
وروي عنه انه قال الحفدة الانصار والاختان عنده واحد وقيل الحفدة الاعوان والاصهار يذكرهم النا نفون فيما
من البنات انكيف يانفون عنهن ومنهن تكون لكم الاعوان والاصهار والاختان في امر الدنيا وقال ابو عوسجة الحفدة
بنو البنين وقال ايضا الحفدة الاعوان والخادم المجتهد في العبادة في العمل يقول حفد يحفد اي خدم واجتهد و
قوله اولئك نسعى ونحفد اي نجتهد وقال القتبي الحفدة الخدم والاعوان يقال هم بنون وخدم وقال اصل
الحفد مداركة الخطو والاسراع في المشي وانما يفعل ذلك الخدم فقيل لهم حفدة واحدهم حافد وقال ومنه
يقال في دعاء الوتر واليك نسعى ونحفد وقال ابو عبيد واصل الحفد العمل وقال ومنه الحرف في القنوط نحفد
اي نعمل والله اعلم **وقوله** عز وجل ورزقكم من الطيبات قال بعضهم الطيبات الحلالات وقال بعضهم الطيبات
اي كل ما طاب ولان ولطف ورزقكم من الدواب والبهائم كل ما حسن وحيث يذكرهم منته عليهم ونعمه
عليهم ليستأدي بذلك شكره **وقوله** عز وجل افبالباطل يؤمنون قال بعضهم بالشيطان يعبدون ويجيبونه

الى ما دعاهم من لا نفقة من البنات وبنعمة الله هم يكفرون اى هذه البنات لكم نعمة فكيف تكفرون بها وقال ابو بكر
يومنون اى بالشيطان الى ما دعاكم بنعمة الله اى بمحمد يكفرون وتركوا الاسلام او بالقرآن وقال ابو بكر الاصم افبالباطل يومنون
يقول تقرون بانكم عبيد لاحجار تذللون لها وتعبدونها وبنعمة الله هم يكفرون يقول وبما انعم الله عليكم في انفسكم وما
حولكم ورزقكم تكفرون به وكان الشكر اولى بكم والله اعلم وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم
رزقا من السموات والارض ولا يستطيعون شيئا وقال بعضهم يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض ولا شيئا فلا تضربوا لله الامثال اى لا تتخذوا لله امثالا من الخلق واشباها في الوهية وعبادته او لا
تقولوا لله ان له اشباها وامثالا او يقول فلا تجعلوا لله امثالا في العبادة واشباها في تسميتها آلهة على ما زعمتم انما
يكون لكم انما يكون بالله لا بالاصنام التي تجعلونها امثالا لله في العبادة والالوهية وحاشا ان يكون فلا تضربوا لله
الامثال اى فلا تضربوا لاولياء الله الامثال فانه يبين محل اوليائه ومكانهم وقوله عز وجل ان الله يعلم ان لا مثل له
من الخلق ولا شبه وانتم لا تعلمون ذلك او ان الله يعلم بمصالحكم وانتم لا تعلمون ما به صلاحكم وصلاتكم وقوله عز وجل
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا ضرب المثل
بهذا وجهين احدهما ان من لا يقدر ولا يملك ان ينفق في الشاهد منكم ليس كمن يملك ويقدر ان ينفق فهو كقوله
هل يستوي الاعمى والبصير وكقوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع اى ليس يستوي البصير
والاعمى والاصم والسميع فعلى ذلك لا يستوي من انفق من يملك الانفاق والانعام على الخلق وهو المعبود الحق كمن
لا يملك ذلك وهو المعبود الباطل والثاني ضرب مثل المؤمن والكافر ان الكافر لا ينفق ما انعم عليه من المال في
طاعة الله ولا في خيراته والمؤمن ينفق جميع ما انعم عليه واعطي في طاعة الله وخيراته فليسا بسواء من انفق
في طاعة الله كمن لا ينفق شيئا احدهما يكون ضرب مثل الاله للخلق والمعبود الحق بالمعبود الباطل والثاني
مثل المؤمن بالكافر وفي الاية وجوه من الدلائل احدها ان القدرة لا تفارق الفعل حيث قال عبدا مملوكا لا يقدر
على شيء ثم قال ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه جعل مقابل الفعل القدرة فلو كانت تفارق الفعل
لكان ذكر مقابل القدرة مثلها او مقابل الفعل فعلا مثله فلما ذكر مقابل القدرة الفعل انها لا تفارق الفعل
وفيه ان العبد لا يملك حقيقة الملك حيث ذكر عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وان قدر ما يملك باذن من له الملك و
كذلك الخلائق كلهم لا يملكون حقيقة الاملاك انما حقيقة الملك في الاشياء لله وان قدر ما يملكون انما يملكون
بالاذن على قدر ما اذن لهم وفيه ان العبد لا يملك الانفاق والتصدق حيث عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال فمن
يملك ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق دل انه لا يملك العبد الانفاق والهبة وقوله عز وجل هل يستويان
مثلا الحمد لله قال بعضهم ذكر الحمد لله على اثر ذكر لانه عرف رسوله النعم والنوع النافع ثم عرفه على اثر ذلك
الحمد لله وقال بعضهم الحمد لله ثناء اخبر ان اكثرهم لا يعلمون بحمد الله وثنائه وقوله ومن رزقناه منا اى من اوليائنا
لا من اولياء دينا وذلك جائز سائغ في اللغة ثم قوله لا يعلمون يحتمل نفي العلم عنهم لما لم ينتفعوا بما علموا وعلى حقيقة
نفي العلم لما لم ينظروا في الايات والحجج ولم يتاملوا فيها فلم يعلموا والله اعلم وقوله عز وجل وضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه الى اخر الاية قالوا هذا المثل كالاول يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا
هما في الاول احدهما المؤمن والكافر شبه الكافر بالمملوك الابكم الذي لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت
بخير ولا ينتفع به وشبه المؤمن بالذي امر بكل خير وينفع يقول هل يستوي هذا مع هذا عندكم لا يستوي
فعلى ذلك لا يستوي الكافر الذي لا يعمل شيئا من طاعة الله ولا ياتي بخير والمؤمن الذي يعمل طاعة الله ويأتي
بكل خير ويأمر بكل عدل بمن هو ابكم والثاني ضرب مثل الاله المعبود الحق بالمعبود الباطل يقول هل يستوي
من اتاكم بكل نعمة وكل خير ويأمر بكل عدل بمن هو ابكم لا يقدر على شيء ولا يبصر ولا ينفع ولا يجيب وهو عيا
على من يعبده ويخدمه هل يستوي هذا مع ذلك لا يستويان مثلا البتة غير ان المثل ههنا ضرب بالذي
لا ينطق بالحق ولا يأمر بالعدل الذي يأمر بالعدل ذكر مقابل الابكم الذي لا يأمر بالعدل وفي الاول ضرب المثل
الذي لا يملك الانفاق بالذي يملك الانفاق وقوله عز وهو على صراط مستقيم اى هو على الحق المستقيم وهو المعبود
بالحق قال ابو عوسجة الكل العيال وكذلك قال غيره من اهل الادب وقال بعضهم الكل الثقيل وهو واحد و
الاخرس والابكم الاخرس وهو الذي لا ينطق البتة وقالوا ما يأمر بالعدل اى التوحيد وقوله عز وجل ولله غيب
السموات والارض هذا يحتمل وجوها احدها ما ذكر اهل التأويل والسؤال عن الساعة وعن وقتها كقوله
يسألونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لحفنا

على اهلها

على اهلها لانه كل خفي ثقيل اخبر انه لا يجليها الا لوقتها فوقت قيامها لا يعلمه غيره والثاني والله اعلم ما غاب
اهل السموات واهل الارض اى ما غيب بعضهم عن بعض فذلك ليس يغيب عن الله بل ما غاب من الخلق وما ظهر لهم
فذلك كله ظاهر بين واحد وهو كقوله يعلم ما تسرون وما تعلنون والثالث ولله غيب السموات والارض اى له علم
ما في سرية هذه الاشياء الظاهرة مما لا سبيل للخلق الى علم ذلك وان كانوا يرون هذه الاجسام والاشياء الظاهرة ويقع
حواسهم عليها لا يعلمون ما في سريتها نحو الماء الذي به حياة كل شيء ونحو النطفة التي يخلق منها الانسان لا
يعلمون المعنى الذي يصير انسانا ونحو السمع والبصر والعقل يعلمون ويدركون ظواهر الحواس ولكن لا يدركون
المعنى الذي به يسمع وبه يبصر وبه يعقل ويفهم يقول والله اعلم ولله علم ما غاب عن الخلق ما في هذه الاشياء
الظاهرة والاجسام المرئية او يقول ولله ملك ما غاب من اهل السموات والارض وملك ما لم يغب عنهم
وظهر منهم كقوله ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير كما ذكر قال والله اعلم ولله العلم الذي غيب
عن اهل السموات واهل الارض وهو الساعة لم يطلع عليها غيره وقوله عز وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر
قال بعضهم قوله وما امر الساعة اهون على الله واسير من لمح البصر اذ ليس شيء اسير واهون على الانسان من لمح البصر
لانه يلمح او هو اقرب بل هو اقرب اى اسير من لمح البصر وقال الحسن اعادة الخلق على الله اسير اهون من لمح البصر
لانه يلمح بصره فيصير به بلحظة ما بين الارض الى السماء وهو مسيرة خمسمائة عام ثم يقول من قدر ان يبلغ ان يخلق
من خلائقه ما يبصره بلمحة البصر مسيرة خمسمائة عام لقادر على اعادة الخلق وبعثهم بعد الفناء بل هو اقرب
اى اعادته اياهم اسرع واقرب من لمح البصر الى هذا يذهب وقال بعضهم وما امر الساعة اى ما وقت قيام الساعة
الا كلمح اى ليس بين وقت قيامها وبين كونها الا كلمح البصر بل هو اقرب من لمح البصر لكنه مثل لمح البصر لما ليس شيء
عند الناس اسرع واهون من لمح البصر لما ذكرنا انه يلمح ولا يشعر به لسرعته وخفته عليه فذكر هذا على التمثيل ليس
على ارادة حقيقة الوقت بقدر لمح البصر ولكن على المبالغة في السرعة وذكر ادنى ما يقع في الادراك ويقدرون به
نحو ما قال لمن تعلق ذرة خيرا يره وشرا يره وما قال ما يملكون من قطمير ولا يظلمون فتيلا ولا يظلمون نقيرا وامثاله
كله ذكر على التمثيل ليس على التحقيق اى ما يعمل من قليل او كثير يره شرا كان او خيرا كان وكذلك لا يظلمون فتيلا
ونقيرا اى لا يظلمون شيئا وكذا ما يملكون من قطمير اى لا يملكون شيئا لان القطمير لا يملك فانما يذكر هذا وامثاله على التمثيل
الذي ذكرنا او ان يكون ما قيل قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر اى ليس ما بين الساعة وبينكم مما مضى من الوقت الا وقته
لمح البصر اى بقي من وقت قيامها مما مضى الا ما ذكر من لمح البصر او اقرب مما ذكر على الاستقصار مما بقي ان الله على كل
شيء قدير وعلى البعث والاعادة وعلى كل شيء لا يعجزه شيء وظاهر الاية ينقض على المعتزلة قولهم لانكارهم خلق افعال
العباد لانه اخبر انه على كل شيء قدير وعلى قولهم هو غير قادر على الف الف شيء وقوله عز وجل والله اخرجكم من
بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ويذكر بهذا قدرته وسلطانه على ما سبق من ذكر سرعة القيامة والعلم بها والحكمة
التي جعل في البعث فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وخلق الولد في ظلمات ثلاث وجعل غذاءه
بغذاء الامهات وبقواهن ثم تقلبه في تلك الظلمات من حال الى حال ما لو اجتهد الخلائق ان يعلموا ما عند الله يقدرون
والامهات وتقلبه من حال الى حال ومن جوهر الى جوهر ما قدروا على ذلك فيدل هذا على ان من قدر على هذا في تلك الظلمات
لقادر على البعث واعادة الخلق بعد الفناء وعلم ما غاب عن الخلق ويذكرنا ابتداء احوالنا انا اخرجنا من بطون امهاتنا
ونحن لا نعلم شيئا ثم صيرنا بالحال صرنا عالمين اشياء يذكرنا نعمه ومنته علينا في بلوغنا الى الحال التي صرنا اليها بعدما كنا
ما ذكر والثاني يذكرنا انكم كنتم بالحال التي ذكر لتعلم انه صيرنا في البطون بلا استعانة باحد منا ولا عون منه الى احد
والله اعلم وقوله عز وجل وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ثم قدر على جعل السمع حتى يسمع الاصوات ويميز
بينها ويبصر ويميز بين الوان اجسام والغذاء ليفهم ويعقل ما له وما عليه ما لا بد لكونه ما به يسمعون و
يبصرون ويعقلون ما به يميزون بين ذكرنا ممن قدر على انشاء الخلق بعد الفناء والاعادة بعد الموت ثم ذكر على اثر
قوله لا تعلمون شيئا السمع والبصر والافئدة فذلك يدل على ان هذه الاشياء من اسباب العلم بالاشياء بها يتوصل
الى العلم بالاشياء فمن اعطي اسباب العلم بالشيء فكانه قد اعطي له العلم به والله اعلم وقوله عز وجل لعلكم تشكرون
هو حرف شك في الظاهر ذكر والله اعلم انه لا كل الناس يشكرون نعمه او لكن يلزمهم الشكر وقوله عز وجل الم يروا
الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله اى من قدر على امساك الطير وهي اجسام كثيرها من الاجسام
في الهواء بلا اعانة في الاسفل ولا تعلق بشيء من الاعلى لقادر على انشاء الخلق واعادتهم بعد الفناء او يقول الم
يروا الى اللطف الذي جعل في الطير والحكمة التي انشاها فيها حتى قدرت على الاستمساك في الهواء والطيران في الجو

ما لو اجتمع الخلايق جميعا ان يدركوه ذلك اللطف او تلك الحكمة ما قدروا على ادراكه وفي ذلك نقض قول المعتزلة
لان الطير ان فعل الطير ثم اضاف ذلك الى الله حيث قال ما يمسكهن الا الله دل ذلك ان لله في ذلك صنعا وفعلا
عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يومنون لجميع ما ذكر يكون اية لمن امن لانه هو المنتفع قال ابو عوسجة في جو السماء البصر بسرعة النظر
وجو السماء هواها ويقال بطن السماء ويقال الجو السماء ويقال الجو ما اطمان من الارض والاول اشبه وقوله
عز وجل والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ظاهر هذا انه قد جعل لنا من البيوت ايضا ما ليس يسكن لانه قال جعل لكم
من بيوتكم سكنا وهو ما ذكر في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة وهو كالمساجد والرباطات وغيرها
ويشبه ان يكون ذكر هذا ليعرفوا عظيم منته ونعمه حيث جعل الارض بحال يقرون عليها ويمكن لهم المقام بها بالرواسي
التي ذكر انه ثبت فيها بعد ما كانت تميد بهم ولا تقربها اخبر انه فيها رواسي او ان يكون حرف من صلة اي جعل لكم
بيوتا تسكنون فيها ثم قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا يحتمل وجهين احدهما اي سخر لكم الارض حتى قدرتم على اتخاذ
المساكن فيها تسكنوا فيها او جعل لكم بيوتا اي علمكم ما تبنون فيها من البيوت ما لولا تعليمه اياكم ما تقدرون على بناء
البيوت فيها يذكر منته عليهم والله اعلم وفي هذه الايات في قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا ونحوه دلالة نقض قول المعتزلة لانه ذكر انه جعل بيوتا سكنا والسكن فعل العباد دل ان لله في فعلهم
صنعا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا قال اهل التاويل جعل لكم من جلود الانعام اي من صوفها الكائنة اضافها الى
الجلود لما من الجلود يخرج ومنها يجر ويوخذ وهو ما ذكر ومن اصوافها وهو صوف الغنم واوبارها وهو صوف
الابل واشعارها ما يخرج من المعز يوم ظعنكم قيل يوم سفركم وسيركم ويوم اقامتكم قال بعضهم في الحضر وقال
بعضهم في السفر حين النزول والحمل في هذا يحتمل الوجهين الذين ذكرنا في قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا احدهما
على التسخير لهم والثاني على التعليم ذكر عز وجل في البيوت المتخذة من المدر السكن حيث قال من بيوتكم سكنا ولم يذكر في
البيوت المتخذة من الجلود والاوبار والاشعار فكانه ترك ذكره في هذا لذكره في الاول ذكر تصريح وذكر في الثاني ذكر دلالة
وقوله عز وجل اثاثا قيل الاثاث والرياش واحد وهو المال وقيل ما يتخذ من الثياب والامتعة وقوله عز وجل ومتاعا الى حين
يحتمل الى حين الى وقت بلى ذلك الاثاث او الى حين وقت فنائهم وقوله عز وجل والله جعل لكم مما خلق ظلالا لا يحتمل قوله
ظلالا البيوت التي ذكر وهي تظلهم ويحتمل الاشجار وجعل لكم من الجبال اكنانا وهي الغيران والبيوت التي تتخذ في الجبال
تقيهم من الحر والبرد وجعل لكم سرابيل قيل القميص والدروع ثم ذكر ما ذكر من البيوت والاكنان والسرابيل تقيكم الحر
وتقيكم ايضا باس العدو كذلك يتم نعمته عليكم ما ذكر من انواع النعم وقوله عز وجل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وذكر
انها تقي من الحر وهي تقي الحر والبرد جميعا فكانه في ذكر احدهما ذكر الاخر كفاية وقوله كذلك يتم نعمته عليكم اي كما
يتم نعمته عليكم ليلزمهم الاسلام او حجته ثم يحتمل النعمة ما تقدم ذكره ويحتمل الرسول وقوله عز وجل لعلكم تسلمون
جميع ما ذكر من النعم والايات في هذه السورة من اولها الى اخرها انما ذكر لهذا الحرف وهو قوله لعلكم تسلمون وما
ذكر لعلكم تشكرون ولعلكم تهتدون ويحتمل ان يكون هذه الاحرف كلها واحد ويحتمل ان يكون لكل حرف من ذلك
معنى غير الاخر والله اعلم وقوله عز وجل فان تولوا عن الاجابة لك وعما تدعوهم اليه فانما عليك البلاغ المبين
اي ليس عليك الا بينه انما عليك التبليغ اليهم والبيان لهم وقوله عز وجل يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
يحتمل النعمة ههنا محمدا صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وما ذكر يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل ويحتمل نعمة الله يعرفون نعمة الله وهو ما ذكر عرفوها انها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم الاصنام وصرفهم
شكرها الى غيره كقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله مع ما يعرفون ان الله هو خالقهم وان ما لهم كله
من عند الله يعبدون الاصنام فيكون عبادتهم دون الله كفران نعمة الله وقال ابو عوسجة يوم ظعنكم يوم سيركم
ظعن يظعن سار والسرابيل القميص يقول تقيكم اي تستركم وقال القتبي ظلالا اي ظلال الشجر والجبال وقوله
كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون هذا والله اعلم في قوم علم الله انهم يومنون بما ذكر لهم من انواع النعم والاشفاق
ليعلم ان الاسلام من اعظم نعم الله لا يناله احد الا بنعمته وقال بعض اهل التاويل سميت سورة النحل سورة النعم لما
فيها من ذكر النعم وانواع منافع الخلق من اولها الى اخرها وقوله عز وجل يوم نبعث من كل امة شهيدا قال
بعضهم شهيدها ان يشهد عليهم من نحو ما ذكر من شهادة جوارحهم عليهم وهو قوله يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم الاية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم الاية وقوله يومئذ تحدث اخبارها
ونحو ذلك من الايات التي فيها ذكر شهادة عليهم عند انكارهم اعمالهم التي عملوها وقال بعضهم شهيدها رسولها
الذي بعث اليهم يشهد عليهم انه قد بلغ اليهم رسالات ربهم وهو كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير والنذير

هو الرسول

هو الرسول المبعوث اليهم وهو ما ذكر ايضا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وكقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال وجئنا بك على هولاء شهيدا اخبر انه يجيء بمحمد صلى الله عليه وسلم
شهيدا على اولئك ان الرسل قد بلغوا الرسالة اليهم وهو ما ذكر فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وقوله
يوم يجمع الله الرسل الاية وقوله ويوم يناديهم فيسال الرسل عن تبليغ الرسالة الى قومهم ويسال قومهم عما اجابوا الرسل
اي هذا يذهب بعض اهل التاويل والله اعلم بجميع ما ذكر في القران من مجيئه واتيانه ونحوه يحتمل ان يكون ذلك البعث
تفسير ذلك كله قوله يوم نبعث من كل امة كذا من ذلك وقوله وجاء ربك والملك هل ينظرون الا ان ياتيهم الله و
قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فهو البعث والله اعلم وقوله عز وجل ثم لا يوذن للذين كفروا قال الحسن
لا يوذن لهم بالاعتذار لانه لا عذر لهم وهو ما قال هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون لانه لا عذر لهم
واعتذارهم لا ينفع لهم شيئا اذا اعتذارهم من نحو قولهم ربنا هولاء اضلونا وقولهم لولا انتم لكنا مومنين
ونحو هذا مما لا ينفعهم ذلك فلا يوذن لهم لذلك ولا هم يستعتبون قال الحسن ولا هم يقالون وكذلك قال في قوله
وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي من المقالين اي لا يقالون مما كان منهم وقال بعضهم لا يوذن لهم ولا يكن
لهم من التوبة والرجوع عما كانوا لان ذلك الوقت ليس هو وقت التوبة والرجوع كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا
بالله وحده الاية وقال فلم يك ينفعهم ايمانهم ونحوه ولا هم يستعتبون العتاب في الخلق وهو تذكير ما كان من القول
يرجع عما كان منه وذلك في الاخرة لا يحتمل ويحتمل قوله ثم لا يوذن لهم بالكلام كقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون
ولا يوذن للشفعاء ان يشفعوا للذين كفروا او يوذن للشفعاء ان يشفعوا المومنين وقوله عز وجل واذا راى الذين
ظلموا العذاب اي وقوع العذاب ونحوه وليله ما ذكر فلا يخفف عنهم دل هذا انه لم يرد روية العذاب ولكن الوقوع فيه فلا
يخفف عنهم لانه يدوم ولا يخفف مما يد... من العذاب ولا ينظرون اي لا يمهلون من العذاب والثاني لا يخفف
عنهم مما استخفوا واستحقوا او استوجبوا او ما ذكر انه لا يكون لعذابهم انقطاع وقوله عز وجل واذا راى الذين
اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هولاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك قال الحسن قوله شركاؤهم اي قرناءهم و
اولياءهم من الشياطين كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية وكقوله وقيضنا لهم قرناء الاية وقوله نقيض له
شيطانا فهو له قرين وقوله نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا الاية وقوله شركاؤهم اولياؤهم كانوا لهم في الدنيا
فهم شركاؤهم الذي ذكر وقوله هولاء شركاؤنا ندعوا من دونك على هذا التاويل كنا ندعوك واياهم من دونك فالقوا
اليهم القول اي يقولون لهم انهم لكاذبون وقال بعضهم قولهم هولاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك الاصنام
التي تعبد ونحوها فالقوا اليهم القول انهم لكاذبون اي يكذبونهم وهو ما ذكر ان عبادتكم لغافلين يكذبونهم فيها فالمراد
يخبرون انهم كانوا غافلين عن عبادتهم وقال بعضهم شركاؤهم الملائكة الذين عبدوهم كقوله ويوم يحشرهم جميعا
ثم نقول للملائكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اخبر انهم انما
عبدوا الجن بامرهم ولم يعبدوهم او يكون شركاؤهم رؤساؤهم الذين اتخذوا الاتباع لهم ويحتمل الاصنام وما ذكر والله
اعلم وقوله عز وجل فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون هو ما ذكرنا يقولون لهم انكم لكاذبون او يكذبونهم فيما يدعون
ويدعون وقوله عز وجل والقوا الى الله يومئذ السلم اي يخضعون كلهم له يومئذ ويخلصون له الدين ويسلمون
له الامر والالوهية وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل عنهم ما طمعوا بعبادتهم الاصنام والاوثان التي عبدوها
من الشفاعة وغيرها كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هولاء شفعاؤنا عند الله بطل عنهم
ما طمعوا ورجوا من عبادة اولئك من الشفاعة لهم والقربة الى الله وقوله عز وجل الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قال بعضهم هولاء كانوا رؤساء الكفرة وقادتهم
ضلوا هم بانفسهم واضلوا اتباعهم فلهم العذاب الدائم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب باضلال غيرهم وهو
كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وكقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع
اثقالهم الاية اخبر انهم يحملون اوزارهم واثقالهم واوزار الذين اضلوهم ومنعوهم عن الاسلام فعلى ذلك قوله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما اضلوا اتباعهم وسعوا في الارض بالافساد وهو قول ابي بكر الاصم وقال بعضهم
ان عذابهم كل ما اراد ان يفتر ينضج الجلود وزيدت لهم بتبديل الجلود فادها كما ارادت ان تخمد زيد لهم سعيرا كقوله
بدلناهم جلودا غيرها وقوله كلما خبت زدناهم سعيرا فذلك هو الزيادة في العذاب ويحتمل غير هذا وهو ان عذاب
الكفر دائم ابدا فيزداد لهم عذابا بما كان لهم في الكفر سوى الكفر اعمال ومساوي كما يعفى ويتجاوز عن المومنين بما كان
منهم من المساوي كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا بمقابل ما كان يعفى عن المومنين والمساوي زيد لاهل الكفر في عذاب

الكفر لمساويهم وفي حرف ابن مسعود زدناهم عذابا ضعفا بما كانوا يفسدون واصله ان جزاء الاخرة من الثواب و
العذاب على المضاعفة لانه دائم لا انقطاع له وما ذكر من الزيادة والفوق غيره فهو على المضاعفة وقوله عز وجل
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يحتمل قوله من انفسهم اي من الجنس ويحتمل ما ذكرنا من شهادة الجوارح
عليهم وقوله عز وجل وجئنا بك شهيدا على هؤلاء هو ما ذكرنا يشهد الرسول عليهم بالتبليغ ويشهد لمن اجابه بالاجابة(?)
وعلى من رده وكذبه بالرد والتكذيب وقوله عز وجل ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء يحتمل قوله تبيانا لكل شيء ما ذكر
في هذه السورة لانه ذكر فيها جميع اصناف النعم وجواهرها ووجوه الاسباب التي بها يوصل اليها وذكر فيها خزائنهم(?)
من انواع الجواهر وفيه ذكر ما وعد واوعد وامر ونهى وذكر ما حل بالاعداء وما ظفر اولياءه بهم وفيه ذكر سلطانه
وقدرته وذكر سفه الكفرة وعنادهم وذكر ما يؤتى ويتقى فذلك تبيان كل شيء او ان يكون في الكتاب تبيان كل شيء او في
القران ما ذكرنا من الامر والنهي والوعد والوعيد واخبار الامم الماضية وامثالهم وجميع ما يؤتى ويتقى وفيه تبيان كل
شيء من الوجه الذي ذكرنا او ان يكون انزل عليه الكتاب لكل ما دعا به الرسل وجاءت به الرسل والكتب جميعا في هذا
الكتاب جميع ما اتى به الرسل من الامر والنهي والوعد والوعيد كقوله ومهيمنا عليه ثم اختلف في ذلك البيان قال بعضهم
يحتمل الاية وجهين احدهما المخصوص على الاصول دون الفروع كذكر الكمال للدين لكن ذلك وصف الدين وقد يبلغ له
الكمال بالكتاب والسنة وهذا الكتاب لم يجز المقتصر عن الاشتغال بما لزمت الحاجة في امر الديانة وذكر ان الكتاب
تبيانا لكل ما وقعت اليه حاجة في اصول الدين من الايمان وانواع العبادات والاحكام مع الحدود والحقوق ومكارم
الاخلاق فتنتظم صلة الرحم وعشرة الاخوان وصحبة الجيران ونحو ذلك فتشتمل هذه الجملة على اصول الدين وما وراءها
يكون موكولا الى بيان الرسول ليبين الكتاب بما شرط له تلاوة ودلالة والوجه الثاني ان يكون تبيانا لكل شيء فتضمنا لما فيه
جملة ومبهمة ومشكلة وليبان الرسول لجملة وتفسيره مبهمه وايضاحه ودلالته على مشكله وقال السنن كلها بيان
الكتاب لارتباط بعض ببعض وقد يحتمل الايات التي فيها ذكر البيان والتفصيل وجوها غير الوجهين اللذين ذكرتهما احدها
انه تبيان كل شيء تظهر فيه التنازع بين اهل الاديان والزمتهم الضرورة فيه الى البيان فجعل الله الكتاب تبيانا الزمهم
بالتدبير العلم بانه من عند الله بعجزهم عما عليه وسمع القوم من نوع ما ذكر فيه من الحجج والدلالة وبما عجزهم عن الطمع في
تاليف مثله ونظمه ليعرفوا ان الله قد اعانهم فيما مسته الحاجة والجاتهم الضرورة الى من يطلعهم عن الحق فيما الواعلم(?)
على ذلك لتولد منه العداوة فانعم الله عليهم به وبين فيه جميع ما بهم اليه من الحاجة لدوام الاخرة والثاني ان يكون
فيه تبيان كل شيء بالطلب من عنده وبالبحث فيه الظفر به بكل ما يلزمهم من الحاجات الى الابد فيكون هو اصل ذلك
لكن باختلاف الاسباب يوصل الى حقيقته به وذلك نحو ما جعل الماء محيوة(?) لكل شيء ووصف ان في السماء رزقكم وجميع
الخلق فانه انزل من السماء اللباس والرياش واخبر انه خلقنا من تراب ثم اخبر انه خلقنا جميعا من نفس واحدة على رجوع
كل ذكر باختلاف الاسباب والتولد اليه والله اعلم وذلك كما قال اهل الكلام في جعل المحسوسات ادلة لكل غائب جعله الله
ادلة توصل اليه بالتامل والنظر فيكون المحسوس مبينا من ذلك والا على اختلاف الدرجات في هذا البيان معاندة(?)
الله كذلك حتى ان الفلاسفة من تكلف استخراج كنية امور العالم العلوي والسفلي وما على ذلك مدار ما عليه
من هذا المحسوس فشانه امر القران والله الموفق والثالث ان يكون فيه بيان على الرمز والاشارة مرة وعلى الكشف ثانيا فما
كان منه على الرمز فهو مطلوب في المعاني وطريق الرسول الى ما في تلك المعاني من الامور مختلفة منها ما يقع لمعونة
الوحي من نبا الكتاب على اختلاف وجوه الوحي من ارسال على لسان ملك او رؤيا او الهام والتامل في ذلك او الاستدلال
بما قد اوضحه بعد توحيد الله للحق في ذلك وعصمة من الزيغ او على ما شاء من ترتيب الحكماء وفتح النظام لغوامض
الامور وغير ذلك مما يريد الله ان يطلع عليه نبيه فانه لطف رب العالمين بما عامل به الاخيار يجل عن احتمال العبادة(?)
عنه او تصويره في الاوهام نحو كتابة الحفظة وقبض بعد الموت ارواح الخلق في وقت واحد في اطراف الارض
ونحو ذلك وكان ذلك كله حد اللطف الذي يعجز البشر عن الاحاطة فعلى ذلك امر تبيان كل شيء مما يحتمل الرجوع بتاويل
الاية الى اغلب الامور واعمها(?) كقوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وغيره ولا قوة الا بالله والاصل عندنا ان ليس
فيبان عد ويحفظ العدد على ما ذكره وهم انه على خمسة اوجه انما هو امران احدهما ما يبين هو والثاني ما يبين
غيره لكن الوجه التي بها يقع ما غاب عن الحواس بالبيان اصله الواقع تحت الحواس اذ البين الذي هو حجر ونور(?)
درجات البيان عن فهم المحجود عنه ان المحجود كون كلا مؤنة خصومة غيره مما يصير بالتامل على الوجوه التي جعلت
للوصول اليه وان بعد او قرب بدليل كل المحسوسات اذا التامل في الاسباب هو سبب الوصول الى ما غاب كاستعمال(?)
الحواس فيما يشهد فمن اراد القطع على حد او شيء يحتاج الى دليل فيه واصل البيان حقيقته هو الظهور واسباب الظهور(?)

الاشياء

الاشياء متفاوتة وعلى ذلك مقاديرها من الظهور وجملته ارتفاع الموانع من القلوب وتجلي حقائق الامور لها على
قدر العقول في الادراك وما يتجلى القلوب على مقدار ما يحتمل من الظهور وقوله عز وجل وهدى ورحمة يجب ان
يكون قوله تبيانا لكل شيء وقوله هدى ورحمة يجب ان يكون قوله تبيانا لكل شيء وقوله وهدى ورحمة كله واحد
الرحمة والهدى والبيان وبرحمته وبهداه يتبين لهم وينتفع لكنهم قالوا البيان للناس كافة يتبين وينتفع الا من عاند
وكابر والهدى والرحمة للمؤمنين خاصة على ما ذكر وهدى وبشرى للمسلمين ذلك للمسلمين خاصة والله اعلم وقوله
عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان الى اخر ما ذكر قال الحسن قوله ان الله يامر بالعدل فيما بين الناس اي يامركم
فيما بينهم بالعدل والاحسان هو ما كلفهم بالطاعة له او ان يكون له الامر بالاحسان الى انفسهم او الى الناس وجائز
ان يكون الامر بالعدل فيما بينه وبين الله والاحسان فيما بينه وبين الخلق اي يعامل ربه بالعدل لان العدل وضع
موضعه وهو لا يقدر على المجاوزة عن العدل لحق يكون في حد الاحسان فيما بينه وبين ربه ويقدر ان صنع الى
اكثر مما يصنعون هم اليه فيكون محسنا اليهم واما الى الله فلا يكون محسنا وايتاء ذي القربى اي اعطاء ذي القربى
الصدقة من غير الزكوة المفروضة وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والبغي هي المعاصي اي نهى عن المعاصي كلها
وقال ابو بكر الاصم يامر بالعدل اي بالحق الذي له عليهم والاحسان هو ما تعبدهم من العبادات والطاعات التي جعل
سبب عطف بعضهم على بعض وايتاء ذي القربى صلة القرابة والارحام وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال
ابن عباس ومقاتل وقتادة هؤلاء قوله يامر بالعدل بالتوحيد والاحسان الى اداء الفرائض وهو قول ابن عباس
وقتادة وقال مقاتل قوله والاحسان هو فيما بينهم ويحسن بعضهم الى بعض وايتاء ذي القربى صلة الارحام وينهى عن
الفحشاء اي الزنا والمنكر اي الشرك والبغي مظالم الناس وقال بعضهم المنكر ما لا يعرف بالشرائع والسنن ويقال
المنكر ما اوعد الله عليه النار والبغي الاستطالة من الظلم ثم يجب حقيقة العدل ما هو فهو والله اعلم وضع كل شيء موضعه
فيدخل فيه كل شيء التوحيد وغيره ويجعل الربوبية والالوهية لله لا شريك فيهما غيره ولا يصرفهما الى غيره ولا
يضيف بل ينسب الربوبية والالوهية الى الله والعبودية الى العباد ولا يضاف العبادة الى الله ولا الربوبية
ولا الالوهية الى العباد وذلك العدل ووضع كل شيء موضعه الربوبية في موضعها والعبودة في موضعها هذا والله
اعلم معنى العدل واما الاحسان فهو ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان جبرئيل سأله عن الاحسان حين سأله عن الايمان
والاسلام فقال ما الاحسان فقال ان تعمل لله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومن يعمل لاخر جيث يراه وينظر اليه(?)
يكون ابدا طالب رضاه في ذلك العمل واخلاصه له وطلب مرضاته فيه فهو يحتمل وجوها ثلاثة اعني الاحسان احدها
ما ذكر انه يعمل له كانه يراه وذلك فيما بينه وبين ربه والثاني فيما بينه وبين الخلق وهو ان يحب لهم ما يحب لنفسه فيما
اذن له في ذلك او نقول على الاطلاق يحب لهم ما يحب لنفسه فان عورض القتال والحروب التي بيننا وبين اهل
الحرب وذلك بالذي لا نحب لانفسنا ونحب لهم قيل في ذلك طلب نجاتهم وتخليصهم من الهلاك والعذاب الدائم
ابدا وذلك مما نحبه نحن لانفسنا ان يسعى احد في نجاة احد منا من التهلكة الا ترى انه قال وما ارسلناك الا رحمة
وليس في الظاهر رحمة لكن في الحقيقة رحمة لحملهم القتال على الاسلام اذ كان قبل نصب القتال والحروب معهم
لم يسلم الا قليل منهم فلما ضرب الحروب معهم والقتال دخلوا في الاسلام افواجا افواجا فصار ذلك في الحقيقة
رحمة وان كان في راى العين في الظاهر ليس برحمة وكذلك هذه المصائب والبلايا التي تحل بالخلق هي في الحقيقة
نعمة ورحمة ولذلك عدها وسماها بعض الناس لما تعقب من الثواب والنعمة اذا صبر عليها ورعى ذلك منه
حقا وعدلا وراى حال الضراء والسراء منه فهو يحسب نفسه في جميع الاحوال تتصرف به من الشدة والضيق
فاذا راى نعمة لما تعقب من الخير والنفع في العاقبة فمن هذه الجهة يجوز ان يقال ذلك نعمة ورحمة واما في الظاهر في
الحال فلا وذلك ان كل بلاء ينزل باحد فيصبر عليه كان في ذلك خصال اربعة احدها تكفير ما كان ارتكب من المعاصي
والثاني معرفة العبودة وملك غيره عليه والثالث ما يعقب من الثواب والنعم الدائم والرابع معرفة النعم
من الشدة يعرف النعم واما الاحسان الى نفسه وهو ان يحفظها عما فيه هلاكها وقوله وينهى عن الفحشاء هو
ما يكبر ويفحش من الشيء والمنكر هو الشيء الغريب الذي لا يعرف الا ترى الى قول ابراهيم انكم قوم منكرون سماهم منكرين
لما لم يعرفهم فالمنكر ما يفعل من هو معروف بالخير والصلاح من الزلات لما يكون ذلك منهم غريبا اذ لم يعرفوا بتلك
من منهم والفحشاء ما يكون من اهل الفساد والشر وذلك مما يكبر ويفحش ذلك منهم والبغي هو الظلم ويحتمل
ان يكون هذا كله المنكر والفحشاء والبغي وكله واحد الفحشاء هو المنكر والفحشاء هو البغي والمنكر هو الفحشاء والبغي
والله اعلم وقوله عز وجل يعظكم قال بعضهم اي ينهاكم عما ذكر كله لعلكم تذكرون وتنتهون عنه وقال بعضهم

والموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتقربها اي طاعة الله وقد ذكرنا وقوله عز وجل واوفوا بعهد الله اذا
عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يحتمل امرها بوفاء العهد العهود التي تعطي بعضهم لبعض امرهم بوفاء
ذلك ونهاهم عن نقضها ويلزمهم وفاء عهد الله وان لم يعاهدوا في ذلك لكنه ذكر وفاء العهد اذا عاهدوا ونهى عن
النقض لان ترك وفاء ما عاهدوا ونقض ما اعطوا على ذلك ونهاهم عن نقضها ويلزمهم وفاء عهد الله وان لم يعاهدوا
في ذلك لكنه ذكر وفاء العهد ان عاهدوا ونهى عن النقض لان ترك وفاء ما عاهدوا ونقض ما اعطوا على ذلك اشد
افحش واوحش مما لم يعاهدوا وهو كقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا
ترك الوفاء ونقضه بعد قولهم سمعنا واطعنا اوحش وافحش من نقضه اذا لم يكن لهم عهد سابق وشرط متقدم
وهذا والله اعلم معنى امره بوفاء العهد اذا عاهدوا وان كان وفاء العهد لازما لهم وان لم يعاهدوا اذ جعل الله البشر
بحيث يقبلون الحكمة والمحنة وجعل بنيتهم وخلقتهم بحيث يقدرون على القيام بذلك كقوله انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها الاية اي خلقتهم وبنيتهم اي لم يجعل خلقة هذه الاشياء وبنيتها تحتمل ذلك و
حملها الانسان اي خلقته وبنيته تحتمل ذلك والقيام بها ويحتمل ان يكون العهود التي امر بعد وفائها اذا عاهدوا
على الايمان التي يحلفون بها حيث قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ذكر الايمان ونهى عن نقضها ثم لا يحتمل ان يكون النهي
من النقض في الايمان التي يأثم بها المرء اذا حلف لانه نهى عن نقضها ولو كان يأثم بعقدها لكان لا ينهى عن نقضها لان
الايمان التي يأثم بها المرء اذا حلف ينقضها او لا يأمر وفائها وحفظها ثم ذكر فيه بعد توكيدها ولم يبح نقض اليمين
وان لم يؤكدها اذا لم يكن في الوفاء بها اثم لكنه ذكر التوكيد لان النقض بعد ذلك اقبح والفحش من النقض على غير التاكيد
على ما ذكر من القبح والفحش في بعض العهود بعد ما عاهدوا وقال بعضهم قوله بعد توكيدها هو حلفهم بالله لان مشركي
العرب كانوا لا يحلفون بالله الا بما يعظم من الامر ويجل وذلك احتراما منهم ولذلك قال بعض اهل التاويل في قوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم يقول لجهد ايمانهم هو قسمهم بالله وقوله عز وجل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا قيل كانوا
يحلفون فيما بينهم على جعل الله كفيلا عليهم وقيل الكفيل هو الشهيد الحافظ وهكذا يؤخذ الكفيل فيما يؤخذ ليحفظ
المال او النفس وقوله عز وجل ان الله يعلم ما تفعلون من الوفاء بما عاهدوا والنقض والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة اختلف
في تاويل الاية قال بعضهم الاية نزلت في مخالفة اهل الكفر بعضهم بعضا وهو ان يرث بعضهم بعضا وينصر بعضهم
بعضهم بعضا ويحلفون على ذلك ويتعيون فان اهلكوا في ذلك في نصر بعضهم بعضا ثم اذا راوا الكثرة والغلبة مع
الغير الذين خالفوا نقضوا ذلك ورجعوا الى الذين معهم الكثرة والغلبة فنهاهم عن ذلك وقال بعضهم الاية في الذين
يكونون بعد رسول الله واصحابه كانه علم انه يكون خوارج واهل اختلاف في الدين فربما كانت الكثرة والغلبة لهم على
اهل العدل وبايعهم ان ثبت بكثرتهم وغلبتهم الكون مع اهل العدل واعانتهم ونقض ما عاهدوا ولذلك قال
انما يبلوكم الله به وقال هذا يدل انه في اهل الاسلام وقال بعضهم الاية في اهل النفاق انهم كانوا يقسمون بالله
انهم ينصرون رسول الله واصحابه ويقولون انا معكم كقوله ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم الاية كانوا
يرون من انفسهم الموافقة لهم والنصر والعون لهم على اعدائهم ويحلفون على ذلك ثم اذا راوا الكثرة مع الكفرة
والغلبة وقلة المؤمنين تحولوا الى اولئك الكفرة ونقضوا ايمانهم وكانوا معهم كقوله فان كان لكم فتح من
الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم الاية ويحتمل قوله ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها من بعد قوة اي لا تكونوا في نقض العهود والمواثيق كالمراة التي تنقض غزلها من بعد قوة وجائز ان يكون
غير هذا يقول ولا تظنوا في الله انه يكون في انشاء الخلق كالمراة التي نقضت غزلها من بعد قوة فلو لم يكن بعث
لكان يكون في انشاء الخلق كالمراة التي نقضت غزلها من بعد قوة وقد عرفتم قبح ذلك فعلى ذلك انشاء الخلق
اذا لم يكن بعث يكون في القبح ما ذكر ثم ضرب الله مثل نقض العهد والمواثيق وكذا الايمان في ذلك ثم نقض ذلك بامراة
تغزل ثم تنقض ذلك الغزل من بعد قوة انكاثا يقول والله اعلم كما لا تنتفع هذه المراة بغزلها اذا نقضت من بعد ما
اياه كذلك لا تنتفع ولا يوثق بمن اعطى العهد ثم نقض بقول فلا هي ترك الغزل فتنتفع به ولا هي ترك القطن والكتان
كما هو فذلك الذي يعطي العهد ثم ينقضه فلا هو حين اعطى اوفاه ولا هو تركه فلم يعطه ونحوه ثم اختلف في تلك
المراة قال بعضهم هي امراة من قريش حمقاء بمكة كانت اذا غزلت نقضته وقال بعضهم هذا على التمثيل يقول والله
اعلم اي لو سمعتم بامراة نقضت غزلها من بعد ابرامها لقلتم ما احمق هذه فعلى ذلك من اعطى العهد والميثاق ثم
نقض كذلك وقوله عز وجل تتخذون ايمانكم دخلا بينكم قال ابو بكر الاصم الدخل الذي لا يصح ولا يستقيم يقال هذا

مدخولا

مدخول اي غير صحيح وقال غيره دخلا اي خديعة ومكرا يخدع بعضكم بعضا وهو قول ابي عوسجة ايضا وقال القتبي
دخلا بينكم اي خيانة وغلا بينكم ان تكون امة اي فريق اربى من فريق وقال ابو عوسجة انكاثا هو جميع النكث والنكث من
الحبل خيوط تنكث ثم تطرق وتصير صوفا ثم من بعد ذلك تغزل قال والمطرق قضيب تضرب به الصوف حتى ينفش
ويلين كما ينفش القطن يقال طرقت الصوف اطرقه طرقا اي ضربته ويقال نفشته انفشه نفشا اي فرقته فهو
متفرق ومنه قوله كالعهن المنفوش ويقال الحبل منتوق اذا كان ذا طاقين ومثلوث ومربوع ومخموس ومسدوس و
مسبوع ومثمون ومعشور وقال القتبي ما نقض من غزل الشعر وغيره واحدها نكث يقول لا تؤكدوا على انفسكم
الايمان والعهود ثم تنقضوا ذلك وتحنثوا فتكونوا كامراة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك فجعلته انكاثا والله اعلم
عز وجل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة قال الحسن لو شاء الله المشية ههنا مشية القهر والقسر اي لو شاء
لجبرهم وقسرهم على الايمان فامنوا جميعا فهذا فاسد لانه لا يكون بالقهر والجبر ايمان لانه لا صنع للعبد في حال
الجبر فيبطل تاويله اذ لا يجوز ان يثبت ايمان في تلك الحال وقال ابو بكر تاويله قوله لو شاء لانزل لهم اية حتى يؤمنوا
جميعا لتلك الاية كقوله ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اخبر انه لو انزل اية يكون لها
خاضعين لكن عندنا انهم ليسوا يؤمنون ويخضعون للاية ولكن بما شاء لهم ذلك ولا يحتمل ان تحملهم الاية على الايمان
الا ترى انهم يكذبون يوم الحشر عند معاينتهم الايات وهو قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا
اين شركاؤكم الاية الى قوله والله ربنا ما كنا مشركين اخبر انهم يكذبون وقد عاينوا الايات وليست الاية التي تنزل
عليهم في الدنيا باعظم من الايات التي يعاينونها يوم القيمة ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب دل ان الاية ليست
تحملهم على الايمان ولا تضطرهم عليه ولكن لو شاء لامنوا بالاختيار فيبطل تاويله ثم الاية تحتمل عندنا وجهين
احدهما قوله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة بظاهر السبب الذي اذا اعطاهم لامنوا له ولولا ان يكون الناس
امة واحدة الاية اخبر انه لو ما يرغب الناس في الكفر فيكونون كفارا كلهم والا لجعل سقف اهل الكفر ومعارج
من فضة فلو انه جعل ذلك بعينه لاهل الاسلام وفي ايديهم لامنوا ايضا كلهم لانه لا يحتمل ان يكون الناس
ذلك في ايدي الكفرة فيختار اهل الاسلام واذا كان ذلك بعينه لاهل الاسلام لا يحمل اهل الكفر على ترك الكفر
والدخول في الاسلام والوجه الثاني ان شاء لجعلهم امة واحدة بلطف منه يشرح صدره للاسلام من
غير ان يعلم ان احدا القى ذلك في قلبه ثم تكون ما مكن للشيطان عدو الله حق يقذف في قلوب الخلق ويلقي وساوس
من غير ان يعلموا ان احدا دعا الى ذلك او القى الى قلوبهم الا ترى ان ابليس لما وسوس الى ادم ليتناول من الشجرة
التي نهي عنه ربه لو علم ان ابليس لما اجابه وكذلك ما مكن للملائكة من تثبيت قلوب الذين امنوا والقاء اشياء في
قلوبهم وتلقينهم وهو قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا من غير ان يعلموا احدا دعاهم
الى ذلك او لقن احد ذلك في قلوبهم فمن ملك تمكين عدوه وملائكته على ما ذكرنا ملك شرح الصدور للاسلام و
الدعاء الى ذلك من غير ان يعلموا ان احدا فعل ذلك وقوله عز وجل ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء على
قول الحسن على الحكم لذلك وقال ابو بكر يضل بالنهي من نهى ويهدي بالامر لكن هذا فاسد لانه لو كان بالنهي
بالامر هاديا لكان مضلا للانبياء والرسل لانه قد نهاهم عما نهى فيكون مضلا لهم فان قيل لم ماذكرت لانهم
لم يرتكبوا المناهي قيل الارتكاب نهاهم فلا يحتمل ان يكون بفعلهم ذلك فدل ان ما ذكرنا فاسد وعلى قولهم يكون
بالنهي عاصيا مضلا وعندنا قوله يضل من يشاء اي يخلق فعل الضلال منهم او يضل من علم انه يختار الضلال على
الهدى ويخذلهم وقوله عز وجل ولتسألن عما كنتم تعملون هو ظاهر وقوله عز وجل ولا تتخذوا ايمانكم دخلا
بينكم قد ذكرنا وقوله عز وجل فتزل قدم بعد ثبوتها قال ابو بكر دل قوله فتزل قدم بعد ثبوتها ان الايات التي تقدم
ذكرها في اهل الاسلام لانه اخبر انه تزل قدم بعد ثبوتها وهو الكفر بعد الاسلام وعندنا ما ذكرنا ان قوله فتزل
قدم بالخوف بعد ثبوتها او بعد ما كانوا امنين لانهم بايمانهم كانوا يامنون وبنقضهم العهد والايمان يخافون
فيكون قوله فتزل قدم كناية عن الخوف والثبوت كناية عن الامن اي صاروا خائفين بنقضهم العهود والايمان
بعد ما كانوا امنين والله اعلم وقوله عز وجل وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله على هذا التاويل يذوقون
ذلك في الدنيا بالقتل والقهر ويحتمل في الاخرة بما صدوا الناس عن دين الله واستدلوا به الكفر بعد الايمان ولكم
عذاب عظيم وقوله عز وجل ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا قال بعضهم عهد الله دين الله وقال بعضهم
الذي عهد اليهم ويحتمل عهد الله ما اعطوا من العهد والايمان اي ينقضوها بشيء يسير انما عند الله هو خير لكم
دائم باق وهذا زائل فان او ما يجزى على وفاء ما عهد ولخير لكم من هذا الذي يجيء بوفاء ما ذكر من العهد خير لكم من

من غير والله اعلم وقوله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق اى ما اخذتم من الاموال واكتسبتم بنقض العهود
والايمان ينفد ويفنى وما عند الله من الجزاء والثواب بعهد الوفاء باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم يحتمل قوله على ما امروا به
ونهوا عنه وصبروا على وفاء العهد باحسن ما كانوا يعملون ويحتمل قوله باحسن اى الجزاء الذي يجزيهم على الصبر
احسن وفاء العهد او يجزيهم باحسن ما عملوا اى يجعل سيئاتهم حسنات كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم والله اعلم وقوله عز وجل من
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة اختلف اهل التاويل فلنحيينه حيوة طيبة قال بعضهم
قوله حيوة طيبة في الاخرة وهي الجنة وقال بعضهم حيوة طيبة في الدنيا فمن قال الحيوة الطيبة هي الجنة في الاخرة
حيوة طيبة والاظاهر قوله من عمل صالحا انما هو على عمل واحد وكذلك قوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة ظاهرة على حسنة
واحدة لكن الوجه فيه ما ذكرنا من يكن عمله في الدنيا صالحا فيفعل ما ذكر وقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة اى ما نوتينا
في الدنيا حسنة او ان يكون على الختم يراد من ختم بالعمل الصالح فيحييه الله حيوة طيبة في الجنة كقوله من جاء بالحسنة
فله كذا وقال الحسن الحيوة الطيبة هي الجنة لان الدنيا ما ينغص حيوته وقال بعضهم حيوة الطيبة في الدنيا
فتاويله من يكون همه وجهده في الدنيا العمل الصالح فلنحيينه حيوة اى نوفقه ونيسر له الخيرات والعمل الصالح
والطاعات وهو ما روى انه قال كل ميسر لما خلق وكقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
وكقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ونحوه فذلك هو الحيوة الطيبة في الدنيا حيث تيسر عليه العمل الصالح
ووفق للطاعات والخيرات وقال بعضهم قوله من عمل صالحا من ذكر او انثى اى قنع في الدنيا بما قسم الله له ورزقه
ورضي به فلنحيينه في الدنيا حيوة طيبة بما ازال عنه هم طلب الفضل وغمه وذلة حرصه عليه لان اكثر هموم الناس
في الدنيا وذلهم لما لم يرضوا بما قسم الله لهم ولم يقنعوا به فهو يحيى حيوة طيبة لما عصم عن ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل ولنجزينهم اى في الاخرة اى باحسن ما كانوا يعملون على تاويل من قال الحيوة الطيبة في الدنيا وقال بعضهم
وهو قول ابي ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون في الدنيا ما ذكر هؤلاء وقال بعضهم حيوة طيبة الرزق الحلال
وقوله باحسن ما كانوا يعملون وقد ذكرنا وقوله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
وقال في اية اخرى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال في اية اخرى وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين الاية يجب ان يتعوذ من همزاته على ما امر رسوله او عند نزغ الشيطان على ما ذكر لكنه اذا تعوذ منه تعوذ
من همزاته ونزغاته فان قيل كيف خص قراءة القران بالتعوذ منه دون غيره من الاذكار والعبادات والاعمال الصالحة
قيل قد يتعوذ منه دون غيره ايضا في غيره من العبادات والاذكار بقولهم بسم الله اذ لا يفتتح شيئا الا به فذلك
تعوذهم منه لكن التعوذ في هذا تعوذ بالكناية والتعوذ في قراءة القران بالتصريح وذلك انه حجة وبرهان قطع
الاعداء فيما هو حجة في نفسه اكثر من الافعال التي يفعلوها الا ترى انه كان يلقنهم اعني الشيطان اولياءه انه
سحر وانه اساطير الاولين وانه انما يعلمه بشر ونحوه وقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم كانوا
يطلبون الطعن في القران لانه حجة وبرهان ولم يشتغلوا في طعن من الافعال او ذكر من الاذكار فلذلك يجوز
ان يكون التعوذ منه فيما هو حجة بالتصريح وفي غيره بالكناية والله اعلم ثم في هذه الاية وفي غيرها من قوله اذا
قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقوله واذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لم يفهم اهلها
منه على ظاهر المخرج ولكن فهموا على مخرج الحكمة لان ظاهر المخرج ان يفهم التعوذ بعد قراءته من القراءة وكذلك
يفهم من الامر بالقيام الى الصلوة الوضوء بعد القيام اليه ثم يفهموا في هذا ونحوه هذا ولكن فهموا اذا اردت
قراءة القران فاستعذ بالله وكذلك فهموا من قوله اذا قمتم اى اذا اردتم القيام الى الصلوة فاغسلوا ولم يفهموا
كل قيام انما فهموا قياما دون قيام اى اذا القيام الى الصلوة وانتم محدثون وفهموا من قوله فاذا قضيت الصلوة
فانتشروا في الارض وفهموا من قوله فاذا طعمتم فانتشروا وكذلك فهموا من قوله فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا
الله الفراغ منها دل ان الخطاب لا يوجب المراد والفهم على ظاهر المخرج ولكن على مخرج الحكمة والمعنى واصل
التعوذ هو الاعتصام بالله من وساوس عدوه وكيده وقوله عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا قال
بعضهم ليس له سبيل على الذين امنوا وقال بعضهم السلطان ليس له حجة على الذين امنوا وقال بعضهم اى ليس له
ملك على الذين امنوا ملك القهر والغلبة انما ملكه على الذين يتولونه لكن ليس له ملك القهر على الذين يتولونه انما
انهم يتبعون ويطيعونه باشارات منه طوعا فدل ان تاويل الملك لا يصح في السلطان ويكون تاويله السبيل والحجة
ثم يحتمل قوله ليس له سلطان على الذين امنوا بالقران لانه ذكر على اثر ذكر القران ويحتمل الذين امنوا بربهم فيهما واحد

في الحاصل انما سلطانه حجته او سبيله على الذين يتخذونه وليا فيطيعونه في كل امره وجميع اشاراته وما يلقون اليهم
واصله ليس له سلطان على الذين امنوا بربهم وعلى ربهم يتوكلون في جميع احوالهم وساعاتهم اى لا سلطان له ولا سبيل
على من يؤمن به ويتكل عليه وقوله عز وجل والذين هم به مشركون اى ابليس يتبعونه ويعدلون بربهم ويحتمل به مشركون
بربهم والتوكل هو الاعتماد به وتفويض الامر اليه في كل حال السراء والضراء في وقت الضيق والسعة فذلك التوكل
به وقوله عز وجل واذا بدلنا اية مكان اية الاية يحتمل وجهين احدهما ما قاله اهل التاويل على النسخ انه يبدل
اية مكان اية وهو على تبديل حكم اية بحكم اية اخرى لا على رفع عينها والثاني قوله واذا بدلنا اية مكان اية اى بدلنا
حجة بعد حجة واية بعد اية لرسالته قالوا انما انت مفتر كلما اتاهم بحجة على اثر حجة واية بعد اية يقولون انما انت مفتر
ينسبون اليه الافتراء انه افترى وذلك كان عادتهم المعاندة والمكابرة كقوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم
الا كانوا عنها معرضين وكقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون ونحوه من الايات
كلما اتاهم بحجة واية بعد اية كانوا يستقبلونه بالتكذيب لها ونسبت رسول الله الى الافتراء من نفسه و
يزداد لهم بذلك كفرا وهو ما قال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم اخبر انه كان يزداد لاهل الايمان
بما ينزل عليهم من سورة ويزداد لاهل الشرك رجسا وكفرا الى كفرهم مثل هذا ولو كان يحتمل يكون تحريف انه مكان
لو كان اقرب ويكون قوله ولو اننا نزلنا بعد حجة واية على اثر اية حديثة فما امنوا كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا وكقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال الاية اى لو ان هذا
القران قران سيرت به الجبال او كلم به الموتى فما امنوا به لعنادهم فعلى ذلك الاول ويحتمل قوله واذا بدلنا اية مكان
اية اذا بدلنا اية بالنسول مكان اية قالوا انما انت مفتر وقوله عز وجل والله اعلم بما ينزل يحتمل قوله والله اعلم
بما ينزل به صلاحهم وغير صلاحهم او ان يكون والله اعلم بما ينزل من يثبت قلوب الذين امنوا كقوله ليثبت الذين امنوا
او ان يكون والله اعلم بما ينزل جبرئيل على رسوله جوابا لقولهم انما انت مفتر وكقوله قل نزله روح القدس من ربك
بالحق اى ليس بمفتر ولكن نزله جبرئيل من ربه وقوله عز وجل قل نزله روح القدس من ربك بالحق يحتمل قوله بالحق
الذي عليهم او بالحق الذي لبعضهم على بعض والحق من الاقوال هو الصدق وفي الافعال صواب ورشد وفي الاحكام
عدل واصابة والحق هو الشيء الذي يحمد عليه فاعله وقوله عز وجل ليثبت الذين امنوا هذا تفسير قوله فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا لانه اخبر انه يثبت الذين امنوا فاذكر من زيادة الايمان هو التثبيت الذي ذكر هاهنا قوله فاما
الذين امنوا فزادتهم ايمانا وذكر قوله انما انت مفتر مقابل قوله والذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم
ليعلم ان الزيادة الذي ذكر في سورة التوبة هي ما ذكر هاهنا من التثبيت والطمانينة ونحوه وقوله عز وجل وهدى
وبشرى للمسلمين اى هدى من الجهالات والشبهات التي كانت تعترض لهم او من الضلالة وبشرى للمسلمين وقال
في اية اخرى وهدى ورحمة للمؤمنين ليعلم ان الايمان والاسلام واحد وقوله عز وجل ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر ولكن كانوا ينقصون واحدا فلانا لكن اخبر من الله على ذكر البشر الا ترى انه اخبر ان لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين دل ان البشر الذي اخبر عنهم يقولون انه يعلم كان منسوبا عليه مشارا اليه
حيث قال لسان هذا اعجمي ولسان النبي عربي فكيف فهم هذا عن هذا وهذا من هذا ولسان هذا غير لسان هذا وما
قال له اهل التاويل انه كان يجلس الى غلام يقول له كذا وهو يهودي يقرا التورية فيستمع الى قراءته وكان يعلم الاسلام
حتى اسلم فعند ذلك قالت له قريش انما يعلمه بشر ولو كان ما ذكر وانه كان يعلم الاسلام فاسلم فللقائل ان يقول
كيف فهم ذلك الرجل منه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولسانه غير لسانه على ما اخبر لكن يحتمل ان يكون ذلك
في القران حيث قالوا انما انت مفتر ثم يقولون انما يعلمه بشر فيقول والله اعلم انه كيف علمه هذا القران وهو لا
يفهم من لسانه الا يسيرا منه فانتم لسانكم عربي لا تقدرون ان تاتوا بمثله ولا بسورة من مثلها ولا باية فكيف قدر
على مثله من لا يفهم لسانه ولا كان ذلك بلسانه يخرج ذلك على الاحتجاج عليهم وبعد فان في قولهم ظاهر التناقض
لانهم قالوا انما انت مفتر ثم قالوا انما يعلمه بشر فالذي علمه غيره ليس بمفتر انما يكون الافتراء من ذات نفسه
فهو ظاهر التناقض وقوله عز وجل عربي مبين يحتمل مبين ما لهم وما عليهم المبين للحقوق التي لله عليهم وما
لبعضهم على بعض او مبين اى بين انه من عند الله ليس بمفتر وهذه الاية ترد على الباطنية قولهم لانهم يقولون
ان رسول الله هو الذي الف هذا القران بلسانه ولم ينزل الله عليه بهذا اللسان فلو كانوا على ما ذكروا ما كان لاو
ادعاء ما ادعوا على رسول الله من الافتراء قوله يلحدون اليه قال بعضهم يميلون اليه وقوله اعجمي والعجمي قال

لالحاد الميل ولذلك سمي الملحد لحد الميله الى ناحية القبر وقال الكسائي من الركون اليه اى يركنون وقوله عز وجل
ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله قال الحسن اذوا الله من كذب بايات الله فهو ليس بمهتد عند الله وقال ابو
بكر لا يهديهم الله بتكذيبهم الايات فهو كله محال على كل من يشتل ويحتمل ان من كذب بايات الله فهو غير مهتد ومن يظن
هذا وقول ابي بكر ايضا من يتوهم ان من كذب بايات الله انه يهديه هذا فاسد خيال كله واصله عندنا قوله ان الذين
لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم لعنادهم ومكابرتهم لانهم كانوا يعاندون ايات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم
انها ايات وانها حق او قال ذلك لقوم علم انهم لا يؤمنون ويموتون عليه فمن علم منه انه لا يؤمن لا يهديه وقوله
عز وجل انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله الا الذين يؤمنون بها ويصدقونها واولئك كذبوها هم الكافرون
وقوله عز وجل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان قوله من كفر بالله من بعد ايمانه يحتمل
وجهين ذكر حيث من كفر بالله في زعم المكره لانه اكرهه به في زعمه كافر بالله لطلبه ذلك منه وهو كقوله فراغ
الى الهتهم فان عمهم لانهم لم يكونوا الهة وكقوله وانظر الى الهك الذي سماه الها لانه في زعم السامري اله والثاني من كفر
بالله شارحا صدره بالكفر هو الكافر به واما من اظهر الكفر بلسانه بالاكراه وقلبه معتقد بالايمان على ما كان مطمئنا
به فهو ليس بكافر واصله ان من اعتقد مذهبا ودينا انه يعتقده بخصال ثلاث احدها يعتقد لحز لما راه ابصر ولحظه
واعلم فيه وهو لا يبلغ ذلك فيعتقده لفضل بصره وعلمه فيه ورايه والثاني يعتقد للشبهة لما يتراءى عنده انه الحق
فيعتقده لذلك الشبهة التي ذكرنا والثالث يتضح له الحق فيعتقده فلهذه الوجوه الثلاثة يعتقد من يعتقد دينا و
مذهبا فاما ان يعتقد الانسان مذهبا عيانا على الجزاف فلا فاذا كان اظهار كفر هذا الاكراه من اكرهه لم يصر كافرا
واصله ان الايمان والكفر انما يكونان بالاختيار فالاكراه يزيل الاختيار واختيار الكفر كذلك يبقى على الايمان على ما كان
لما لم يوجد منه اختيار الكفر فان قيل اليس امرنا ان نقاتل اهل الكفر ليسلموا وذلك اسلام باكراه وعلى ذلك نطق
الكتاب وهو قوله تقاتلونهم او يسلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله ثم اذا اسلم بخوف السيف كان اسلامه اسلاما في الظاهر ما منع كذلك انه اذا اكره على الكفر فاجرى
كلمة الكفر على لسانه كان كفره كفرا في الظاهر فليحكم عليكم كما حكم في الاسلام على الاكراه فما الفرق فيه قيل كذلك
كان يجيء الا ان الله تعالى عفى عباده عن ذلك فابقاهم على الايمان وحكمه وان اظهروا بلسانهم كلام الكفر بعد ان
يكون قلوبهم مطمئنة بذلك فضلا منه ونعمة ولا القياس ان يحكم بحكم الكفر واما الطلاق والعتاق والنكاح
ونحوه هو ظاهر على ما تكلم به حاصل واقع لان الطلاق والعتاق ونحوهما مما تعلقا بالكلام نفسه لا بغيره فهو
وان اكره على ذلك فهو مختار المتكلم به قاصد له لا للمكره لو اوجب ان يستعمل لسانه بالتكلم بما ذكر ما قد دعليه
دل انه على الاختيار يتكلم واما البيع والشراء ونحوه لم يتعلق بالكلام نفسه انه قد يكون بالاخذ والتسليم دون التكلم
به لذلك عمل الاكراه في ابطاله فابقاهم على الايمان وحكمه وان اظهروا بلسانهم كلام الكفر بعد ان يكون قلبه
مطمئنا بذلك وعلى ذلك ما روى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عفوت من امتي الخطاء والنسيان وما
استكرهوا عليه وذلك في الكفر ليس في غيره ولان الاكراه على الكفر كان ظاهرا يوسفيه ولم يكن في غيره من طلاق و
غيره واما قتالنا اياهم ليسلموا فهو يخرج وجوها على المجازاة كقوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
فنقاتلهم ليظهر واعلى الاسلام وان لم يعرف حقيقته على المجازاة والثاني تقبلنا منهم الاسلام على الاكراه لنقرهم
فيما بين المسلمين يدرسون الاسلام ويعلمون منهم حقيقة الا ترى انه قال اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن مؤمنات
ثم امرنا بامتحانهن بقوله فامتحنوهن فانما يمتحن ليظهر حقيقة ايمانهن والا الامتحان معنى لولا ذلك واصله ان الله جعل
حقيقة الايمان والكفر بالقلب دون اللسان وغيره من الجوارح لان غيره من الجوارح يجوز استعمالها بالاكراه واما
القلب فانه لا يملك احد سواه استعماله وذلك لفضله ومنته ولكن من شرح بالكفر صدرا فهو كافر فان ذلك على الاكراه لما ان
انه باختياره الكفر ينشرح له صدره لما لا يعلم الاكراه على القلب فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ظاهر
وقوله عز وجل ذلك بانهم اى ذلك الغضب والعذاب بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة يحتمل وجهين احدهما
استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة جحودا وانكارا لا نفس الاستحباب قد يكون من المؤمن فلا يزول عنه اسم الايمان
كقوله يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اى قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فلم يزل
عنهم اسم الايمان باختيارهم واستحبابهم الحيوة الدنيا فدل ان الاول عن الجحود له والانكار وهذا على الميل اليه دون
الجحود وان يكون كذلك لما لم يروا الاخرة كائنة لا محالة ولكن ظنا ظنوا لعلها كائنة كقولهم ان نظن الا ظنا وما نحن
بمستيقنين واما اهل الاسلام لم يكونوا فيها ظانين شاكين ولكن محققين مستيقنين فاستحقوا بذلك وقوله عز وجل

وان الله لا يهدي القوم الكافرين وقت اختيارهم الكفر وان الله لا يهدي القوم المختارين الكفر على الايمان وقال ذلك
لقوم علم الله انهم يختارون الكفر وانهم يموتون على الكفر فلا يهديهم وقوله عز وجل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم الطبع هو التغطية تغطي ظلمة الكفر نور القلب والسمع نور البصر كان لكل احد نورين وبصرين
ظاهر وباطن يبصر بهما جميعا فاذا ذهب احدهما او عمي صار لا يبصر لكن يبصر بصر الظاهر انما يبصر بنور بصره
ونور السواد فاذا دخل في احدهما افة ذهب الانتفاع وصار لا يبصر شيئا فعلى ذلك للقلب بصر خفي وبصر ظاهر
الذي هو معروف فانما يبصر بهما فاذا اغطى ظلمة الكفر بصر القلب صار لا يبصر شيئا الا ترى انه قال لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اخبر ان الابصار الظاهرة لم تعم ولكن عميت القلوب التي في الصدور
هذا يدل على ما ذكرنا والله اعلم معنى طبع السمع والبصر وقوله عز وجل واولئك هم الغافلون يحتمل غافلون
عن النظر في اياته وحججه ويحتمل غافلون عما يحل بهم بكفرهم وتكذيبهم ايات الله وحججه وقوله عز وجل لا
جرم قد ذكرنا ما قيل فيه لا بد وحقا وقيل هو حرف وعيد لا جرم انهم في الاخرة من الخاسرين قال الحسن انهم
والله اعلم خسروا الجنة ورحمة الله حسروا اهلهم ومنازلهم الذي كان لهم في الجنة وخسرانهم انفسهم حين
قذفوها النار وقال ابو بكر الاصم خسروا النعم الدائمة الباقية بالزائلة الفانية وخسروا انفسهم حيث
قتلوا واسروا في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا قيل عذبوا
على الايمان بمكة ثم جاهدوا واتبعوا النبي واصحابه وهم وصبروا والى ذلك ان ربك من بعدها لغفور رحيم
قيل من بعد الفتنة لغفور ولما كان منهم رحيم ذكر مرتين احدهما قوله ان ربك للذين هاجروا والاخر قال ان ربك
من بعدها لغفور رحيم قيل من بعد الفتنة فيجيء ان تكفي مؤاخذة بقوله لغفور رحيم موصولا بقوله
للذين فعلوا ما ذكر لكنه ذكر مرتين والله اعلم انه لغفور رحيم يعني لهؤلاء الذين فتنوا وعذبوا ولغيرهم
ذكر اهل التاويل ان اناسا من المؤمنين خرجوا الى المدينة فادركهم المشركون ليردوهم فقاتلوهم فمنهم
من قتل ومنهم من نجا فانزل الله ثم ان ربك للذين هاجروا الاية ومنهم من يقول ايضا فيهم نزل قوله الم
احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية واكثرهم قالوا ان قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان انما نزل في عمار بن ياسر وليس لنا الى ذلك لحاجة انما الحاجة فيما ذكرنا من الحكم به والحكمة
والله اعلم وقوله عز وجل يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها قال الحسن تجادل اى تخبر عن نفسها عما عملت من
خير او شر وقال ابو بكر الاصم ان كل نفس رهينة بما كسبت من شر حتى يكون طائرا في عنقه ولكن ليس فيما ذكر عولا
بجادلة المجادلة المخاصمة كانها تخاصم عن نفسها من ارتكاب اشياء ودعوى اشياء على ما ذكر في غير اية من قوله
ثم لم تكن فتنتهم وقال بعضهم ان جهنم تزفر زفرة حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وقد جثا بركبتيه خوفا
منها فعند ذلك تجادل وتخاصم كل نفس عن نفسها ويشبه ان يكون تجادلهم على غير هذا وهو ما ذكر شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فذلك مجادلتهم انفسهم وكقوله
ثم لم تكن فتنتهم وكذلك ما ذكر في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الاية وذلك كله مجادلتهم انفسهم
او ان يقال تجادل لكن لا يفسر ما تلك المجادلة لان الله تعالى ذكر المجادلة ولم يذكر ما تلك المجادلة وقوله عز وجل
وتوفى كل نفس ما عملت اى توفر كل ما عملت وهم لا يظلمون اى لا ينقصون من حسناتهم ولا يزدادون على سيئاتهم
وهذه الاية ترد على المعتزلة لانهم يقولون بالتخليد بصاحب الكبيرة وقد اخبر انه توفى كل نفس ما عملت فما
بالها توفر ما عملت من سوء ولا توفر ما عملت من الخيرات والطاعات وقوله عز وجل وضرب الله مثلا قرية
كانت امنة مطمئنة تختلف في ضرب المثل بهذه الاية وفي نزولها قال بعضهم ضرب المثل لاهل مكة وفيها
نزلت بقريات نزل بهم العذاب بتكذيبهم رسلهم في بني اسرائيل يحذر اهل مكة بتكذيبهم رسول الله نزول
العذاب بهم كما نزل باوائلهم وقال بعضهم ضرب المثل لاهل المدينة وفيهم نزل باهل مكة لئلا يكذبوا محمدا كما كذب
اهل مكة فيحل بهم كما حل باهل مكة من لباس الجوع والخوف بالتكذيب وقوله عز وجل قرية كانت امنة مطمئنة
باستهار وقتادة رغدا من كل مكان قيل هي مكة هذه كانت مكة اهلها كانوا امنين فيها من جني وسبي مطمئنين
ياتيهم رزقهم من كل مكان ويحتمل قرية اخا غيرها كانوا على ما ذكر وقوله عز وجل فكفرت بانعم الله اى كفرت
بالشكر لانعم الله اى لم يشكروها ليس انهم يردونها الله تعالى وقوله عز وجل فاذاقها الله لباس الجوع و
الخوف هو ما يستر وجوه الجواهر الا ترى انه سمى الليل لباسا لما يستر وجوه الاشياء فعلى ذلك الجوع يرفع
السمن والناس الذي قبل الجوع لان الجوع اذا اشتد غير وجه صاحبه ورفع سمنه والجوع ما ذكر انه اصابهم

جوع حتى اكل الكلاب والجيف والعظام المحرقة والخوف ذكر انه بعث رسول الله اليهم الا ترى انه قال نصرت
بالرعب مسيرة شهرين وقيل الخوف القتل وقوله رغدا قال الكسائي رغدا الرسل اذا اصاب مالا او عيشا من غير
عناء قد وقال القتبي رغدا اى كثيرا واسعا وقوله عز وجل ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب
وهم ظالمون قوله رسول منهم اى من انفسهم من جنسهم ومن جنسهم لانه اذا كان من غير جوهرهم لم يظهر لهم
الآية ومن غير الآية ولا الحجة من الشبهة لانه اذا خرج على غير المعتاد والطوق عن قوى البشر وانه حجة اذ لا يعرفون من غير
جوهرهم الخارج عن المعتاد والطوق ويعرف ذلك من جوهرهم وكذلك يعرف صدق من نشاء بين اظهرهم من كذبه
ولا يعرف اذا كان من غيرهم وقوله عز وجل فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا قال بعضهم الحلال والطيب واحد وهو
الحلال لكانه قال كلوا مما احل لكم كقوله فانكحوا ما طاب لكم اى ما حل لكم وقال بعضهم حلالا طيبا اى حلالا يطيب لكم ما
تتلذذون به لان من الحلال ما لا يتلذذ به النفس ولا تستطيب له انفسكم وتتلذذ به لما تستخبث لان الله جعل غذاء
البشر ما هو طيب والله جعل البهائم والانعام ما هو خبيث وخشن لان ما هو طيب ادعى الى الشكر له ويحتمل ان يكون
ويحتمل ان يكون قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا لا تبعة عليكم والآية دلالة انه قد يرزق ما يخبث ولا يحل على ما
يختاره حيث شرطه فيه الحلال وقوله عز وجل واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون الشكر له عليهم لازم
وان لم تعبدوا وهو كقوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين طاعته وطاعة رسوله واجبة وان لم يكونوا
مؤمنين او يقول وحموا شكر نعمه اليه ان كنتم عابدون له بجهة اى اخلصوا العبادة له واشكروا في الاحوال كلها
وقوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير اى حرم اكل الميتة وما ذكر كانه قال هذا وذكر على اثر
تحريمهم اشياء احل لهم تحريم ما حرموا على انفسهم اشياء احل لهم من الزرع والانعام والبحيرة والسائبة وما ذكر
فقال لم يحرم ذلك ولكن انما حرم ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه على هذا يجوز ان يخرج تاويله واما على
الابتداء فانما يبعد والله اعلم وقوله عز وجل فمن اضطر الى ما ذكر من المحرمات غير باغ على ما نهى عنه وهو الشبع
كقوله فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم ولا عاد اليه وقال بعضهم غير باغ يستحله في دينه فلا عاد
ولا متعد في اكله وقال بعضهم غير باغ على المسلمين مفارق بجماعتهم مشاق لهم ولا عاد عليهم بسيفهم
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم واقاويلهم واما تاويله عندنا غير باغ على المسلمين سوى دفع الاهلاك عن نفسه
ولا عاد متعد ومتجاوز اضطراره ولا يحتمل ما قاله بعض الناس غير باغ على الناس ولا متعد عليهم لوجهين
احدهما لانه لا يحتمل البغي على الناس في حال الاضطرار لانه لا يقدر عليه والحال ما ذكر والثاني انه وان كان باغيا
على ما ذكر ولم يبح له التناول من الميتة يكون باغيا على نفسه لانه من لم يتناول هلكت نفسه فيصير باغيا على نفسه
فدل انه على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام يحتمل اى لا تقولوا
الى ما وصف السنتكم من الكذب هذا حلال وهذا حرام وان لا تقولوا الكذب الذى السنتكم هذا حلال وهذا حرام
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لا تقولوا لما احللتموه هذا حلال ولما حرمتموه هذا حرام وهو كقوله قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق الآية وفي هذه الآية دلالة انه لا يبيح لاحد ان يقول هذا مما احله الله وهذا مما حرمه الله
الا باذن من الله ومن يقول بان الاشياء في الاصل على الاباحة او على الحظر فهو مفتر بذلك على الله الكذب لان الله
لم يأذن له ان يقول ذلك بل نهاه عن ذلك مما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لتفتروا على الله الكذب اى تكونوا
مفترين على الله الكذب اذا قلتم ذا فان قيل كيف سماهم مفترين على الله بتسميتهم الحرام حلالا والحلال حراما
قيل لان التحليل والتحريم والامر والنهي ربوبيته فاذا حرموا شيئا واحله الله او احلوا شيئا حرمه الله فكانهم على الله
افتروا انما حرم او احل او حرموا هم واحلوا فاضافوا ذلك الى الله تعالى انه هو الذى حرم او احل فقد افتروا على الله
لا الا من احل شيئا حرمه الله او حرم شيئا احله الله فقد كفر وليس من انتفع بالمحرم او ترك الانتفاع بالمحلل
كفر انما يصير اثما مجرما وكذلك تارك الامر ومرتكب النهي وقوله عز وجل ان الذين يفترون على الله الكذب
في تحليل ما حرم عليهم وفي تحريم ما احله وقولهم والله امرنا بها وقوله عز وجل لا يفلحون اى لا يفلحون وهم
مفترون على الله واما اذا انتزعوا من الافتراء وتابوا افلحوا او لا يفلحون في الآخرة اذا كانوا مفترين على الله في الدنيا
ثم قوله متاع قليل على الابتداء وانما سمى قليلا والله اعلم لوجوه احدها ان متاع الدنيا على الزوال والانقطاع
فكل ما كان على شرف الزوال والانقطاع فهو قليل كما قيل لكل آت قريب لما يأتي لا محالة فعلى ذلك كل زائل منقطع
قليل والثاني سمى قليلا لما هو مشوب بالآفات والاحزان وانواع البلايا والشدائد فهو قليل في الحقيقة او انه سماه
قليلا لما ان متاع الدنيا قليل بما وعد في الآخرة فمتاعها من متاع الآخرة قليل لما ليس فيها الوجوه التي ذكرنا والله

اعلم وقوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وهو ما قص في سورة الانعام وهو قوله حرمنا
عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وقوله فبظلم من الذين هادوا الآية وقوله عز وجل وما ظلمناهم
بتحريم ما حرمنا عليهم لانا انما حرمنا عليهم تلك الطيبات عقوبة لهم وجزاء لبغيهم وهو ما قال في سورة النساء
وهو قوله فبظلم من الذين هادوا وهو ما قال ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر انه انما عليهم ذلك بظلم كان منهم عقوبة
وجزاء لبغيهم لكن هم ظلموا انفسهم في ذلك او ان يكون قوله وما ظلمناهم عبيده واماءه والله انما يمتحن عباده و
اماءه بتحريم مرة وبتحليل ثانيا ولكن ظلموا انفسهم حيث وجهوا الى غير مالكها وصرفوا شكر ما انعم عليهم
الى غيره وقوله عز وجل ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم يحتمل وجهين احدهما ان الفعل فعل جاهل وسفيه
وان لم يجهل يقال لمن عمل السوء يا جاهل يا سفيه والثاني جهل ما يحل به بعمل السوء ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة الى اخره يجيء ان يكون في الآية اضمار لم يذكر لانه قال ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك
واصلحوا ثم كرر ذلك الحرف على الابتداء من غير ان ذكر له جواب وهو قوله ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة من بعدها
لغفور رحيم فظاهر الجواب ان يقول ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك لغفور رحيم
على ما ذكرنا في قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الآية لكن يخرج على الاضمار او على التكرار على ارادة التاكيد او على
الابتداء والاكتفاء بجواب ذكره في موضع اخر ثم قال الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم
هذا والله اعلم جوابه اى ان ربك من بعد التوبة لغفور رحيم فهو قبل ان يعمل عمل السوء والعرب قد تكرر اشياء
ارادة التاكيد والله اعلم وقوله عز وجل ان ابراهيم كان امة واحدة قال عبد الله بن مسعود الامة الذى يعلم الناس
الخير والقانت المطيع لله وقال بعضهم امة امة قانتا اى مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقال بعضهم كان
امة اى اماما يقتدى به في كل خير كقوله انى جاعلك للناس اماما وقال الحسن كان امة اى سنة يقتدى به ويحتمل ان يكون
سماه امة لما كان كالامة والجماعة من القيام مع الاعداء لانه وان كان منفردا وحده مكان قيامه مع الاعداء والكفار
صنيع كالجماعة والامة والمنع منهم كالمنفرد واصل الامة قيل الجماعة والعدد ويحتمل قوله كان امة اى يجمع كل
خير وكل طاعة لما عمل هو من الخير عمل الجماعة واجتمع كل خير فسمى امة لهذا الذى ذكرنا او ان يكون تفسير الامة
ما ذكر على اثره قانتا لله حنيفا والقانت قيل المطيع والقنوت كما ذكر انه سئل من افضل الصلوة فقال طول
القنوت اى طول القيام فعلى ذلك المعنى هو القائم لله في كل ما يعبده ويامره به وقيل امة اى دينا لقوله ان هذه
امتكم امة واحدة اى دينكم دينا واحدا وقوله عز وجل حنيفا قيل الحاج وقيل الحنيف المسلم وقيل المخلص دينه
كل ذلك كان حاجا مسلما مخلصا لله واصل الحنيف الميل اى كان مائلا الى امر الله ويعبده به والله اعلم وقوله عز وجل
ولم يك من المشركين لا شك انه لم يكن من المشركين لكنه ذكر هذا من الوجهين احدهما لما ادعى كل اهل الاديان انهم
على دينه وانتسب كل فرقة اليه فبرأه الله من ذلك واخبر انه ليس على ما هم عليه من الدين وهو ما قال ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا الآية والثاني ذكر هذا انه لم يكن من المشركين بقوله هذا ربي لانه كان ذلك منه على ظاهر
ما نطق كان ذلك في الظاهر اشراكا فنفى شيئه في ظاهر فبراه الله من ذلك واخبر ان ذلك منه لم يكن اشراكا ولكن
على المحاجة خرج ذلك منه محاجة قومه كقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه والله اعلم وقوله عز وجل
شاكرا لانعمه اى لم يصرف شكر نعمه الى غير المنعم بل صرف شكرها الى منعمها والشكر في الشاهد هو المكافاة
ولا يبلغ احد من الخلائق في المرتبة التى يكافئ الله في اصغر نعمة انعمها عليه ولا يتفرغ احد عن اداء ما عليه
من احسان الله عليه فضلا ان يتفرغ لما كافاه لكن الله عز وجل بفضله ومنه سمى ذلك شكرا وان لم يكن في الحقيقة
شكرا كما ذكر الصدقة التى يتصدق بها العبد قرضا كما سمى تسليمه نفسه وبذله لامر الله شراء وان كانت انفسهم
واموالهم في الحقيقة له ولا يطلب المرء في العرف القرض من عبده وكذلك الشراء لكنه بلطفه عامل
عباده معاملة من لا ملك له في انفسهم واموالهم فعلى ذلك في تسمية الشكر والله اعلم وقوله عز وجل اجتباه
قال بعضهم لرسالته ونبوته او اجتباه من بين ذلك القوم وجعله اماما يقتدى به وقوله عز وجل وهداه
الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام وهو ما ذكر قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما الآية وقوله عز وجل
وآتيناه في الدنيا حسنة قال بعضهم الثناء الحسن وقال بعضهم الحسنة في الدنيا لان جميع اهل الاديان
يتولونه ويرضونه ويحتمل ان يكون قوله وآتيناه في الدنيا حسنة اى ما آتاه الله لم يؤته الا حسنة على ما ذكر
في قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة اى ما آتيناه في الدنيا آتيناه كلها حسنة لا قوله حسنة انما هي اسم حسنة وله
او ان يكون وآتيناه في الدنيا حسنة عند قبض روحه اى على الحسنة قبض روحه وقوله عز وجل وانه في الآخرة

من الصالحين اى لا ينقص ما اتاه فى الدنيا مما يوتيه فى الاخرة وقال بعضهم فى قوله واتيناه فى الدنيا حسنة النبوة
والرسالة او ان يقول ان لم يبين الحسنة التى اخبر انه اتاها اياه لكنه خص به كما هو خص فى قوله اللهم صل على
محمد كما صليت على ابراهيم فذكان من ابراهيم معنى حتى خص الله ابراهيم به من بين غيره فذلك الاول والله اعلم
وقوله عز وجل ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا اى دين ابراهيم وسبيله وذكر فى بعض الاخبار عن نبى
الله صلى الله عليه وسلم انه قال جاء جبرئيل الى ابراهيم صلوات الله عليه يوم التروية فراح به الى منى فعلم
المناسك كلها واراه اياه فاوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
فنحن امرنا ان نتبع ملته فى الحج وفى غيره واصل الملة الدين والله اعلم كقوله لا يتوارث اهل ملتين اى دينين
وقوله عز وجل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال بعضهم اختلافهم وذلك ان موسى امر بنى اسرائيل ان يتفرغوا
فى كل سبعة ايام يوما للعبادة وهو يوم الجمعة ويتفرغوا فيه عن عمل دنياهم فقالوا انتفرغ يوم السبت فان الله لم
يخلق يوم السبت شيئا فقال فريق منهم انظروا الى ما يامركم نبيكم فخذوا به فذلك اختلافهم فجعل لهم يوم
السبت على ما سالوا فاستحلوا فيه المعاصى فحرم الله عليهم العمل فيه عقوبة لهم وقال الحسن وقتادة انما
جعل السبت اى اللعن فى السبت فمسخوا قردة الذين اختلفوا فيه وكان اختلافهم انه حرمه بعضهم واستحله
بعض وقال ابو بكر اختلافهم كان فى تكذيب الرسل والانبياء فمنهم من صدق ومنهم من كذب فحرم عليهم
يوم السبت عقوبة او ان يكون اختلافهم ما سالوا موسى من الايات العجيبة والاسولة الوحشية كقولهم
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وكقوله اجعل لنا الها كما لهم الهة ونحوه بعد ما اقام عليهم الايات كانت لهم
فيها كفاية فيشبه ان اختلافهم الذى ذكر ذلك وقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يخرج على وجهين
احدهما انما جعل محنة السبت على الذين اختلفوا فيه اى على الذين فسقوا فيه حيث قال بما كانوا يفسقون
والثانى انما جعل عقوبة السبت على الذين اعتدوا فيه وان الذين اختلفوا فيه لان فريقا منهم قد نهاهم
عن ذلك وفريقا قد اعتدوا فاهلك الذين اعتدوا ونجا الذين نهوهم وقوله اختلفوا فيه يحتمل فيه اى فى
موسى اى فى يوم السبت الذى اختلفوا فيه وعوقبوا فيه والله اعلم وقوله عز وجل وان ربك ليحكم بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يحكم بينهم بالجزاء ويحكم ما يبين لهم المحق من المبطل فيثيب فريقا ويجزى فريقا
فكيف قال ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا يختلفون لكن يشبه ان يكون ذلك بالجزاء على ما ذكرنا وقوله ادع
الى سبيل ربك قيل دين ربك بالحكمة قال الحسن الحكمة القران اى ادعهم الى دين الله بالقران وقال بعضهم
بالحكمة بالحجة والبرهان اى ادعهم الى دين الله بالحجج والبراهين اى الزمهم دين الله بالحجج والبراهين حتى
يقروا به وقوله عز وجل والموعظة الحسنة قال الحسن اى عظهم بالمواعظ التى وعظهم الله تعالى فى
الكتاب وقال ابو بكر اى اذكرهم النعم التى انعم عليهم وجادلهم بالتى هى احسن اى جادلهم احسن المجادلة
بلين القول وخفض الجانب والجناح لعلهم يقبلون دينهم ويخضعوا لربهم وكذلك اختلفوا فى قوله واذ
علمتك الكتاب والحكمة وقوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة قال الحسن الكتاب والحكمة واحد اسم مثنى وهو القران
وقال بعضهم الكتاب هو القران وهو سماع الوحى والحكمة وهى الالهام وهو السنة وقال بعضهم الكتاب هو
التنزيل والحكمة هو المعنى المودع فيه فمن يقول ان الكتاب والحكمة واحد وهو القران يقول فى قوله ادع الى
سبيل ربك بالحكمة القران ومن يقول انه غيره يقول ههنا ان الحكمة الحجة والبرهان اما من جهة الالهام
او من جهة الانتزاع من الكتاب ويحتمل ان يكون قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة التى ذكر فى هذه السورة من
ذلك قوله يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه يعنى من بطون النحل وقوله وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم
مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وما ذكر انه يخرج من الخشب اليابسة الاعناب
وانواع الثمرات ونحوه فذلك كله بحكمته اى ادعهم الى دينه وذكرهم بهذا وهم يفهمون به ليقبلوا دينه
ويخضعوا لامره والموعظة الحسنة ما ذكر فى قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وذلك كله مستحسن
فى العقل وتوجيه الحكمة لان العدل والاحسان وما ذكر من ايتاء ذى القربى الصدقة مستحسن فى عقل
كل احد والانتهاء ايضا عن الفحشاء والمنكر مستحسن مستقبح ارتكابه واتيانه كان الحكمة هى التى تشتمل
على العلم والعمل جميعا حتى يخرج ذلك فيهم او ادعهم باللين وخفض الجناح مرة وبالعنف والخشونة ثانيا
فيكون وضع الشىء موضعه ثم قال يعظكم لعلكم تذكرون وقوله عز وجل وجادلهم بالتى هى احسن يحتمل والله
اعلم اى جادلهم بالذى يعرفون على ما ينكرون وهو ما ذكر افمن يخلق الاية وقوله ويعبدون من دون الله ما لا

يملك لهم

يملك لهم رزقا وقوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الاية وقوله وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر
على شىء الاية وقوله والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم
الاية ونحوه هذا المجادلة لهم باحسن المجادلة بالذى يعرفون انه كذلك على الذى ينكرون ليلزمهم القبول والخضوع له
ثم فى الاية دلالة تعليم المناظرة فى الدين وكيفية المعاملة بعضهم لبعض فيها حيث ادع الى سبيل ربك بالحكمة
التى عنده بالقران او غيره من الحجج والبينات والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن هذا يجب ان يناظر بعضهم
بعضا بالوجه الذى وصف الله وعلى ذلك ما ذكر الله فى كتابه مناظرة الانبياء والرسل مع الفراعنة والاكابر وهو
ما قال الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه الى اخر ما ذكر وقوله وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله الاية و
مناظرة فرعون مع موسى صلوات الله عليه حيث وما رب العالمين قال رب السموات والارض الاية وقال رب
المشرق والمغرب وقوله فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه وما قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى
اعطى كل شىء خلقه ثم هدى وامثاله مما يكثر فهذه مناظرة الرسل والانبياء مع الفراعنة والاعداء فكيف
المناظرة بين الاولياء فهذا كله يرد على من يابى المناظرة فى الدين ويمنع التكلم فيه والاحتجاج وقوله عز وجل
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله فى الاية تنسبهم الى الضلال اشارة وكناية لا تصريحا لانه لم يقل لهم صريحا
انكم قد ضللتم عن سبيله لحسن معاملته التى علم رسوله وامره ان يعاملهم لان ذلك اقرب الى القبول واميل
الى القلوب واخذ الاثر كما قال لموسى وهارون حين ارسلهما الى فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او
يخشى وقوله عز وجل فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اختلف فى سبب نزول ذلك قال بعضهم
فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان نفرا منهم قد مثلوا يوم احد مثلة سيئة من قطع الاذان
وجدع الانوف وبقر البطون ونحوه فقال اصحابهم لئن ادالنا الله منهم لنفعلن كذا وكذا فارادوا ان يجازوا
ذلك فانزل الله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الاية وفيه البشارة لهم بالنصر والظفر على اعدائهم
لانه لم يكن لهم الظفر كيف يقدرون على معاقبة مثل ما عوقبوا دل انه على البشارة لهم بالنصر والظفر
بهم وفيه دلالة جواز من لم يتول القتل والاخذ والضرب لما انهم لا يظفرون بالذين تولوا ذلك
لكن يوجد اخوانهم بهم لما المعونة لبعضهم بعضا فعلوا فيكون فيه دليل اخذ قطاع الطريق بالقتل والقطع
وان كان الذى تولى ذلك بعضا منهم لما ان من تولى ذلك انما تولى بمعونة من بيده وقال بعضهم انما نزلت الاية
فى الابتداء الامر الذى كان القتال مع الكفرة قتل مجازاة مثل قوله وقاتلوا المشركين كافة وكقوله فان قاتلوكم
فاقتلوهم ومثله فاذا كان على المجازاة امرنا لا يتجاوز واعقوبتهم ولكن مثله واما اذا كان القتال معهم لا
قتال مجازاة فانهم يقتلون جميعا اذا ابوا الاسلام بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية وقوله عليه الصلاة
والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وقال بعضهم
لا ولكن الاية نزلت فى اهل الاسلام وحكمه فى القصاص والقطع فيما دون النفس والجراحات امران يجاوز
حقوقهم كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم الاية وقوله كتب عليكم القصاص
فى القتلى الاية وقوله عز وجل ولئن صبرتم على ما ذكر لهو خير اى الصبر خير للصابرين ودل قوله ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين على ان الاية فى القصاص لا فى الحرب لانه فى الحرب لا يقال اصبر ولا يكون الصبر خيرا دل
انه فى غير المحاربة والله اعلم وقوله عز وجل واصبر يا محمد وما صبرك الا بالله اى ما توفيقك على الصبر الا
بالله كقول شعيب وما توفيقى الا بالله الاية والثانى واصبر وما صبرك الا بالله اى تركك القصاص لا بامر الله
حيث امرك به لا لضعف او عجز فيك وقوله عز وجل ولا تحزن عليهم قال بعضهم انه كان يحزن ويضيق صدره لمكان
كفرهم بالله وتركهم الايمان بالله كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات فقال ولا تحزن عليهم لذلك على التسلى والتخفيف لا على النهى عن ذلك ويحتمل ان يكون قوله ولا تحزن
على المؤمنين الذين قتلوا واستشهدوا لانهم مستبشرون وفرحون عند ربهم بما اتاهم الله من فضله اى لا تحزن
عليهم فيما ذكروا ولا تحزن على المؤمنين ولا يضيق صدرك مما يمكر بك اولئك الكفرة اذ كانوا يمكرون برسول الله
وباصحابه ويؤذونهم لغيران لا يضيق صدرك لذلك وقال بعضهم نزلت فى امر حمزة سيد الشهداء انه مثل و
جرح جراحات عظيمة فاشتد على النبى فقال لئن ظفرنا باولئك لنفعلن كذا فنزلت الاية وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به لكن ان ثبت هذا فانه يكون فى الوقت الذى كان يؤخذ غير القاتل والجارح بالقتل وذلك
قد كان فى الابتداء الا ترى انه قال الحر بالحر والعبد بالعبد كانوا هموا ان يوخذوا الحر بالعبد والذكر بالانثى حتى

نزل هذا معناه منسوخا به وبقوله ولكم في القصاص حيوة ولو كان يؤخذ غير القاتل بالقصاص لم يكن فيه حيوة
وان قاتلوا في الحرب مع الكفرة فذلك لا يحتمل لانه في الحرب لهم ان يقتلوا الكل وان لا يتركوا واحدا منهم ودل
انه يخرج على احد وجهين على النسخ الذي ذكرنا او على النهي عن اخذ اكثر من حقه كقوله فاعتدوا عليه الاية
وقوله عز وجل ان الله مع المتقين اتقوا مخالفة الله ورسوله بالنصر لهم والعون فان الله ناصركم ومعكم عليهم
وقوله عز وجل والذين هم محسنون في العمل والتوحيد او يقول ان الله مع الذين اتقوا محارم الله وارتكاب
مناهيه بالنصر لهم والمعونة والذين هم محسنون الى نعم الله بالشكر لها

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان كلمة اجلال الله عن الاكفاء وتنزيهه عن الشركاء وتبرئة
عما قالت الملحدة فيه ونفت الملاحدة به من الولد والحاجات والافات وجميع معاني الخلق وروي في بعض الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله قال هو تنزيه الله عن كل سوء ومعنى قوله سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى هو والله اعلم كانه ذكر ان من قدر على ان يسري بعبده
ليلا مسيرة شهر يقدر على احياء الموتى بعد الموت وتكيكه وعلى حفظ رسوله والنصر له واظهار ايات نبوته
ورسالته وقطع جميع حيل المكذبين والمخالفين وقوله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى سماه اقصى وهو الا
بعد من قصى يقصى قصى فهو قاص كانه لم يكن يومئذ الا المسجد الحرام ومسجده بالمدينة ومسجد بيت المقدس فسماه
لذلك والله اعلم المسجد الاقصى وقوله عز وجل الذي باركنا حوله قيل سماه مباركا لكثرة ازهاره وخيراته وسعته
وقيل سماه مباركا لانه مكان الانبياء ومكانهم فيبرك فيه ببركتهم وبهم والله اعلم وقوله عز وجل لنريه من
اياتنا اي لنريه من اياتنا الحسية بعد ما اراه الايات العقلية لان الايات الحسية اكبر في قطع الشبه ودفع
الوساوس من العقلية اذ لا يشك احد فيما كان سبيل معرفته الحس والعيان وقد يعترض ربما الشبه والوساوس
في العقليات لانه لا يشك احد في نفسه انه عز وجل احب عز وجل ان يري رسوله ايات حسية فيقطع المتعنت
على قبولها والايمان بها والاقرار له انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلموا انما كان يخبرهم من اخبار حيث
قال انه راى عير فلان وامورا يعلمون انه لا يقول الا عن مشاهدة وعيان لانه كان مما اتى من الايات العقليات
قالوا انه سحر وما ذكر من الانباء التي كانت في كتبهم المتقدمة قالوا اساطير الاولين وانما يعلمه بشر لينسبوه الى
عمل سحر ولا افك ولا افتراء ولا اساطير الاولين على ما نسبوه الى السحر مرة والى الافك والافتراء ثانيا
ونحوه وقوله عز وجل انه هو السميع البصير اي من قدر على ما ذكر لا يحتمل ان يخفى عليه شيء من قول او
عمل منهم ما رابت من الاخبار انه عرج به الى السماء حتى راى اخوانه الانبياء الماضين قبله وما ذكر فيها فنحن
نقول ما قال الصديق رضوان الله عليه ان كان قال ذلك فانا اشهد قال ذلك وانا نقول على المقدار ما في الاية
انه اسرى به الى بيت المقدس المسجد الاقصى ولا نزيد عليه لانه من اخبار الاحاد فلا يسع الشهادة له وقوله
عز وجل واتينا موسى الكتاب يعني التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل كل كتاب الله هدى لما استهدى
ورشد لمن استرشد وبيان لمن استوضح لانها دعت الى ثلاث خصال دعت الى معالي الامور ومكارم الا(خلاق)
ومصالح الاعمال ونهت عن ثلاث عن مساوي الاعمال وعن سفاسف الامور ودناءة الاخلاق ورد انها ذكر انه
جعل الكتاب هدى لبني اسرائيل لان منفعة الكتاب حصلت لهم لانهم هم الذين استهدوا به فعلى ذلك هو
هدى لمن استهدى والله اعلم وقوله عز وجل الا تتخذوا من دوني وكيلا اي معتمدا اي قلنا لهم فيه او ذكرنا
لهم فيه او امرناهم فيه الا تتخذوا من دوني وكيلا اي معتمدا او كلا الوكيل هو موكول الامر اليه معتمد في الاحوال
عليه قائم في جميع ما وكل اليه بالتبرع والتفضل وقوله عز وجل ذرية من حملنا مع نوح قال بعضهم
يعني بالذرية الانبياء الذين كانوا من قبل انما كانوا من ذرية نوح ومن حمل معه وهم بشر قال ذكر
هذا لانكارهم بعث الرسل من البشر حيث قالوا ابعث الله بشرا رسولا والثاني يحتمل غيره اي من ذرية من
حملنا مع نوح اي هؤلاء من ذرية من حملنا مع نوح فكيف خالفوا اباءهم الذين كانوا على الهدى وتابعوا غيرهم
او يذكر ان هؤلاء الرسل من ذرية من حملنا مع نوح وهم بشر فكيف انكروا الرسول من بشر ثم قال بعضهم
هو على النداء والدعاء يا ذرية من حملنا مع نوح في السفينة في اصلاب الرجال وارحام النساء زمان
الطوفان لا تتخذوا من دوني وكيلا قيل ربا والها وقيل شريكا واصله ما ذكرنا ان الوكيل هو المعتمد انه كان عبدا
شكورا يعني نوحا قال بعضهم سماه شكورا لانه كان يذكر ربه في كل احواله وقال بعضهم الشكور هو الذي يستوفي

من نال منعه ويجب مساخطه وقال بعضهم الشكور هو المطيع له وقد ذكرنا معنى الشكر انه اسم المكافات
او يقال كانت عبادته الله عبادة شكر لا عبادة استغفار اي كان شكورا في عبادته لا مستغفرا وقوله عز وجل
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين اختلف في قوله وقضينا قال الحسن وغيره اوحينا
اليهم واخبرناهم واعلمناهم في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين وقال بعضهم قضينا عليهم وقال بعضهم كتبنا
عليهم فكيف ما كان ففيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر انه اخبرهم واعلمهم على تاويل من زعم ان القضاء
ههنا هو الاعلام والاخبار لهم فيقال لهم كان اخبرهم واعلمهم ليفسدن في خبره او لا فان كان اخبرهم ليفسدن في
خبره فذلك منه حكم انهم ليفسدن في الارض مرتين فان كان تاويل القضاء الكتاب والحكم فهو ظاهر وهو ما
نقول ان كل فاعل فعلا طاعة كانت او معصية كان بحكم ثم من سال اخر عن المعصية انها كانت بقضاء الله فلا
يجب له على الاطلاق بنعم او بلا الا ان يبين انه ما يريد بالقضاء وما يفهم منه لان القضاء يتوجه الى وجوه يرجع
الى الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات اي خلقهن والقضاء الامر كقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه امر ربك
والقضاء الحكم كقوله فاقض ما انت قاض اي احكم ما انت حاكم ولم يعرف القضاء الفعل والدفع على ما يقوله المعتزلة
ونحوه فلا يجاب على الاطلاق الا ان يبين انه ما اراد بالقضاء فاذا اراد بالقضاء الحكم فعند ذلك يقال نعم
كان بقضائه وحكمه وليس فيما قضى وحكم دفعه في المعصية ثم اختلف في قوله مرتين قال بعضهم من اهل التاويل
ان بني اسرائيل عتوا وبغوا فسلط الله عليهم جالوت فقتلهم وسبى ذراريهم واموالهم فكانوا كذلك زمانا
ثم تابوا ورجعوا عن ذلك فبعث الله داود فقتل جالوت واستنقذهم من يديه وردهم الى ما كانوا ثم عادوا
الى ما كانوا من قبل ثم سلط عليهم بخت نصر ففعل بهم ما فعل جالوت ثم تابوا فبعث محمد صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم بعث اولا بخت نصر ثم فلان وفلان وهو ما قال فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا الى قوله
وان عدتم اي عدتم الى العصيان عدنا الى العقوبة ولكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه من وجوه
الحكمة والدلالة احدها فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عما كان في كتبهم من غير ان
نظر في كتبهم ولا اختلف الى احد منهم فكان على ما اخبر دل انه انما عرف ذلك بالله بما اخبره في كتابه وفيه
انه لم يهلك قوم بنفس الكفر اهلاك استيصال حتى كان منهم مع الكفر السعي في الارض بالفساد والعناد للايات
وفيه ان ليس على الله حفظ الاصلح لهم واعطاؤه في الدين حيث لم يمنعهم على الاتيان ولكن تركهم حتى عصوا ثم
ثم سلط عليهم من قتلهم على تلك الحال ودعاهم الى دينه وهو كفر فلو كان عليه اعطاء الاصلح لابقاهم على الاسلام
فذلك اصلح لهم في الدين وقوله عز وجل ولتعلن علوا كبيرا قيل لتجترئن جراءة عظيمة وقيل لتغيرن ولتعلن
غلبة كقوله ان فرعون علا في الارض اي قهر وغلب الا ترى انه قال وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة
منهم ثبت انه على الغلبة والقهر وقيل العلو هو العتو والجراءة والتكبر وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل فاذا جاء
وعد اولاهما اي جاء وعد هلاك من عصى منهم او خالف امر الله وكفر به بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد
قال الحسن قوله بعثنا عليكم ليس على بعث الوحي اليهم ولكن على التخلية اي خلينا بينهم وبين عباد اولي باس شديد
اي اولي باس بطش شديد وقوة كقوله الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطنا عليكم وقوله بعثنا
عليكم عبادا لنا اولي باس شديد دليل على المعتزلة لانه ذكر بعث عليهم عبادا اولي باس شديد وانما بعثهم جزاء
لمساءتهم ولسوء صنيعهم وذلك شر يفعل بهم دل ان الله صنعا في جميع العباد وقوله عز وجل فجاسوا خلال
الديار قال بعضهم جاسوا من التجسس اي يتجسسون اخبارهم ويسمعون احاديثهم وهم جنود جاءوا من قبل
وقال بعضهم فجاسوا اي قتلوا الناس في الازقة وقيل في الطرق وقوله عز وجل وكان وعدا مفعولا اي الذي قال
لتفسدن في الارض مرتين وعدا كائنا مفعولا اي كان وعدا موعودا مفعولا كائنا والا الوعد لا ياتي وكذلك قوله
وكان وعده ماتيا اي موعوده اتيا وكذلك ما اشبه هذا وقوله عز وجل ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الغلبة والدولة
عليهم وامددناهم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا اي اكثر رجالا منكم قبل ذلك وعد ذلك ثم اذا عصوا ثانيا وكفروا
ربهم سلطه الله عليهم قوما اخرين فدمروا عليهم فذلك قوله فاذا جاء وعد الاخرة الهلاك والتدمير
اي موعود الاخرة ليسوءوا وجوهكم ثم وعد لهم الرحمة ان تابوا ورجعوا عن ذلك بقوله عسى ربكم ان يرحمكم
ثم اوعدهم العود اليهم بالعقوبة بقوله وان عدتم عدنا اي وان عدتم الى المعاصي عدنا عليكم بالعقوبة
ثم قول اهل التاويل انه سلط عليهم بخت نصر وجالوت ثم فلانا وفلانا فذلك لا نعلم الا بالخبر عن رسول
الله فليس في الاية سوى انه بعث عليهم عبادا لنا اولي باس شديد فلان او فلان ولا نعلم ذلك الا بالخبر سوى انه

ذكر هذا التاويل وفيه وجوه من الحكمة لما فيها دلالة من اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن صدق رسولهم
حيث حذرهم العقوبة بعصيانهم فكان كما قال وفيه تحذير لنا عن مثل صنيعهم لانهم ليسوا بذلك اولى من غيرهم
وقال القتبي فجاسوا خلال الديار اى عاثوا بين الديار وافسدوا ويقال جاسوا نحو رددنا لكم الكرة اى الدولة
وقوله عز وجل اكثر نفيرا اى عددا وقال ابو عوسجة اكثر نفيرا هو من الخروج والنفر ومعناه اكثر عددا
وقال ابو عبيدة فجاسوا خلال الديار ومعناه اى فقتلوا فى ديارهم وقال قتادة النفر المقاتلة الذين يستنفرون
للقتال اى لو استنفرتم انتم واستنفروا اولئك كنتم اكثر منهم ثم جاء قوله فاذا جاء وعد اولاهما الى قوله
فجاسوا خلال الديار ومعلوم انه لم يكن فى كتابهم هذا اللفظ بعثنا عليكم فجاسوا على الابتداء ولكن كان والله اعلم
اذا جاء وعد اولاهما لنبعثن عبادا اولى باس شديد يجتسون او يجاسون لكنه خاطب بهذا والله اعلم كانوا
بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كانوا هم لم يفعلوا ما ذكر لكن لما فعل اوائلهم خاطب هولاء
لما كانوا يفتخرون بآبائهم ويقولون نحن ابناء الله واحباؤه فيذكر هولاء نعمه التى انعم على اولئك ويحذرهم
صنيعهم وهو ما خاطبهم بقوله واذ قلتم يا موسى لن نومن لك الاية وقوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على
طعام واحد ونحوه خاطب هولاء الذين كانوا بحضرة رسول الله وعاتبهم على اولئك وفعلهم وان كان
هولاء لم يقولوا ذلك لما رضوا بصنيع اولئك وفعلهم استيداء منهم الشكر لما انعم على اولئك و
تحذيرا لهم على مثل صنيعهم والله اعلم وقوله عز وجل ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان الله اذا [illegible] يرجع
منفعة ذلك وانتم تحزنون وعلى ذلك وان اسأتم فلها اى فعليها كقوله من عمل صالحا فلنفسه الاية اى عليها
ضرر ذلك وعلى ذلك جميع ما امر الله عباده من الاعمال او نهاهم عنها انما امر ونهى لمنفعة انفسهم وحاجتهم
لا لمنفعة له وقال بعضهم وان اسأتم فلها اى اليها اى الى انفسكم تصيرون وقوله عز وجل فاذا جاء وعد الاخرة
اى اذا جاء وعد موعود الاخرة وهو العقوبة بعصيانهم وتكذيبهم رسول الله وقوله فاذا جاء وعد الاخرة
بالتغيير والتبديل الذين ليسوؤا وجوهكم بواوين على الجماعة وبواو واحد على الواحد ليسوء وجوهكم ومن بينهن من يسؤ
وجوهكم ومن قرا بالنون لنسوء وجوهكم اضاف الى نفسه لما بامره ما كان يفعل وبتسليطه اياهم
عليهم وقال بعضهم ذكر الوجه هاهنا كناية عن الخزى والهم والاهانة لهم كما يقول فى السرور اكرم وجهه
اى ادخل فيه سرورا او ذكر الوجه لما بالوجه يظهر ذلك التغيير والقبح والله اعلم وقوله عز وجل وليدخلوا
المسجد كما دخلوه اول مرة فى ظاهر الاية ان يدخل الاولون المسجد فى المرة الثانية كما دخلوا فى المرة الاولى
لانه قال كما دخلوه اول مرة لكن يحتمل ليدخل عباد اخرون المسجد فى المرة الاولى وقال بعضهم المسجد هاهنا
الكنيسة والبيعة وقوله عز وجل وليتبروا ما علوا تتبيرا اى ليهلكوا ما علوا به اى ما غلبوا به وقهروا اى
الاسباب التى بها عصوا وقال ابو عوسجة ما علوا اى ليفسدوا ما هلكوا والتبار الفساد ويقال علوت الشئ
اى ملكت وقوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يحتمل ان يكون ذلك لاولئك الذين تقدم ذكرهم وفيهم نزل
ما نزل ان يرحمهم اذا تابوا وفيه انه يكون على الابتداء عسى ربكم ان يرحمكم بمحمد وان عدتم عدنا اى وان عدتم
الى التكذيب والعصيان عدنا الى العقوبة والقتال الى يوم القيامة وقوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا قيل سجنا لا يخرجون منها وقيل محبسا وحصيرا يحصرون فيها والله اعلم وقوله عز وجل ان هذا القران
يهدى للتى هى اقوم معنى التانيث فى قوله للتى هى اقوم قيل بوجوه قيل ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم
الملل واعدلها والملة هى الدين وقال بعضهم هدى الامور التى هى اعدل الامور واصوبها وقيل يهدى
الى السبيل التى هى اقوم السبل واعدلها يحتمل هذه الوجوه الثلثة التى ذكرناها وجائز ان يكون قوله
يهدى للتى هى اقوم اى للاعمال الصالحات والخيرات لان الاعمال الصالحات قوامها به ثم قوله يهدى
يحتمل وجهين يحتمل يبين والثانى يدعو فهو يهدى الكل لو استهدوا ولكن خص هولاء لما منفعة تكون لمن ذكر
وقد ذكرنا ان هذا القران وغيره من كتب الله هدى ورحمة يدعو الى مكارم الخصال الى معالى الامور ومكارم
الاخلاق ومحاسن الاعمال ومصالحها وينهى عن مساوى الاعمال ودنى الامور وسوء الاخلاق ودناءتها
فهو هدى ورحمة على ما اخبر لمن استهدى به وارشد لمن استرشد وقوله عز وجل ويبشر المومنين الذين
يعملون الصالحات البشارة المطلقة انما جعل للمومنين الذين عملوا الصالحات لم يذكر المومنين خاصة على
غير العمل الصالح فالمسألة فيهم غير المسألة وهولاء وفيه دلالة انه يقع اسم المومنين بدون العمل
الصالح لانه قال المومنين الذين يعملون الصالحات فذلك الاسم يقع بدونه ذلك الاسم وفيه دلالة ان

انا اسم الايمان

415

كبيرا لانه اكبر

ان اسم الايمان قد يستحق بدون العمل الصالح حيث لم يشترط فيه العمل الصالح وقوله عز وجل ان لهم اجرا كبيرا
سماه كبيرا الكبير خطره عند الله كما سمى النار عظيما العظيم خطره عنده او سماه ما يقصد اليه ويرغب فيه وهو
ثواب الجنة والنار اعظم ما يحذر فيها ويرغب عنها وقوله عز وجل وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم
عذابا اليما انكارهم البعث وكفرهم به هو الذى حملهم على تكذيبهم الرسل عما يوجب العقاب فانكروا الاخرة
والبعث راسا ليسلم لهم الدنيا فذلك الذى حملهم على انكار الرسل وتكذيبهم اياهم الا ترى انه قال والذين
بالاخرة يومنون به اى بالقران ولجحدهم بالبعث حملهم على الايمان بالقران والرسل وتكذيبهم الاخرة
حملهم على تكذيب الرسل والله اعلم وقوله عز وجل ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير قال بعضهم انه عند غضب
الانسان يدعو على نفسه وولده واهله ويلعن كدعائه عليهم بالخيرات لذلك انتسب قوله دعائه وقال الحسن ان
الانسان يضايق صدره وقلبه باد فى شئ يكره ويلعن على نفسه واهله فلا يجيبه الله ثم يدعو بالخير فيعطيه او نحوه
من الكلام وقوله ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير هذا يحتمل وجهين احدهما ويدعو الانسان بالشر على العلم منه
بذلك كدعائه بالخير على العلم منه بذلك والثانى يدعو الانسان بالشر لو اجيب فيه على الجهل منه والغفلة كدعائه
بالخير لو اجيب فيه ذلك ثم ان كان ذلك الانسان هو الكافر فهو يدعو على الاستهزاء كقوله فامطر علينا حجارة من السماء
الاية وكذلك قوله سال سائل بعذاب واقع ونحوه وان مسلما فهو يدعو بالشر على نفسه واهله عند الغضب
على علم منه انه ويدعو ايضا بالشر على السهو والغفلة منه نحو ما يسال الاموال والنكاح ولعل ذلك شر له
وقوله عز وجل وكان الانسان عجولا قال بعضهم هذا الادم لانه لما خلقه الله فنفخ الروح فى بعض جسده
هم ان يقوم فيما عجولا لكن كل الانسان خلق فى الطبع من الاصل عجولا الا ترى انه لا يصبر على امر واحد
ولا على شئ واحد وان كان نعمة لم يصبر عليها ولكن يمل منها وكذلك فى اذى شدة وبلاء اذا ابتلى به لم يصبر عليه
فابداء يدا الا وقوله من حالة الى حالة الا ترى ان قوم موسى قد اكرمهم الله بكرامات من انزال المن والسلوى
عليهم من غير كد ولا جهد ولا مؤنة وكذلك اللباس ثم لم يصبروا على ذلك حتى قالوا لن نصبر على طعام واحد
فاسألوا ربهم الفوم والبصل ونحوه على هذا الطبع الانسان ملولا عجولا الا ترى ان الله مكن فى باطنه فى وسعه
ورياضة نفسه وصرفها الى احد الوجهين الذين يجهد ويتخليه ولا يدم وهو ان يرضوها ويعودها على الصبر
والحلم والوقار ويصرف تلك العجلة الى الخيرات والطاعات التى يجب فيها المرء بالعجلة والاناة ظاهر الخلقة
والطبع مشتاقا على العجلة وما ذكر الا ترى انه قال ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا
الا كذا وهو ما ذكرنا والله اعلم لكن بما امتحنه من الامر والنهى والترغيب فى الموعود والترهيب يصير بحيث يبات
اخراجه عما طبع وانشى الى حال اخرى بالرياضة التى ذكرنا الا ترى انه ذكر الطبع والجزع ثم استثنى الا وعلى
ذلك خلق الله الخلق على همم مختلفة واطوار متشتتة لو خلقهم جميعا على همة واحدة بحيث يرغبون جميعا فى معالى
الامور ومعاظم الحرف وارفع الاعمال طبعهم على اطباع مختلفة فمنهم من يرغب فى معالى الامور ومعاظم
الامور والحرف ومنهم من كانت همة الرغبة فى الدون من الامور والحرف فى الحجامة والدباغة والحياكة ونحوها
وكذلك فى الاشياء ومنهم بخلاف ذلك ولو كانت همتهم همة واحدة لذهب المنافع والمعارف جميعا والله اعلم
وقوله عز وجل وجعلنا الليل والنهار ايتين اختلف فيه قال بعضهم المراد بالليل والنهار الشمس والقمر
جعلناهما فى الشمس والقمر الا ترى انه اضاف الاية الى الليل والنهار حيث قال فمحونا اية الليل وجعلنا اية
النهار مبصرة وحيث قال ايضا ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما يعلم ذلك بالقمر الا ترى انه قال ايضا
هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا الاية انما اضاف معرفة عدد السنين والحساب الى القمر دل انه
بالقمر يعلم ذلك وهو قول على وابن عباس رضى الله عنهم وغيرهم من اهل التاويل ويكون تاويل المحو الذى ذكر فى قوله
فمحونا اية الليل ما قالوا فى محوه وهو السواد الذى يرى والنقصان الذى يكون فيه فى اخره وقال بعضهم محى منه
تسعة وتسعون جزءا من سبعين جزءا الى هذا يذهب هولاء واما الحسن وابو بكر وهو لا فانهم يقولون ليس فى الاية
ذكر الشمس والقمر انما ذكر الليل والنهار واخبر انه جعلهما ايتين فهما كذلك ايتان وبهما يعلم عدد السنين والحساب
لانه بالايام يعرف ذلك فاما الشهور فانها انما تعرف بالقمر لا تعرف بالايام ويكون قوله فمحونا اية الليل
وجعلنا اية النهار مبصرة اى جعلنا اية الليل فى الابتداء مظلمة وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة فى الابتداء
وليس كانتا جميعا مبصرتين مضيئتين ثم محى اية الليل واعقب اية النهار مضيئة ولكن انشاء اية الليل فى الابتداء
مبصرة وهو كقوله والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت اى انشاهما فى الابتداء كذلك لان السماء كا

موضعه ترفعهما وكذلك الجبال كانت مبسوطة ثم نصبها ولكن انشاهما في الابتداء كذلك فعلى ذلك قوله فمحونا اية
الليل وجعلنا اية النهار مبصرة اي جعلهما في الابتداء وهو لنظلم المحو وهذا مبصرا مضيئا وجعلنا الليل والنهار
ايتين وهما ايتان مختلفتان بل متضادتان بعضاد كل واحدة منهما صاحبتها اذ كل واحدة تنسخ الاخرى حتى لا يبقى
لها اثر وهما ايتان والثاني على وحدانية الله تعالى لانه لو كان فعل عدد لكان اذا اتى هذا على هذا وغلب عليه منع
عن ان يكون للاخر سلطان او امر فاذا لم يكن دل انه صنع واحد وفيهما دلالة تدبير محيث جريا على سنن واحد ومقدار
واحد على غير تفاوت ويكون فيهما تفاضل او تغير عن حالها كان ومعنى دل انه عن تدبير خرجا ولكانا كذلك وفيه دلالة
علمه وحكمته لما جعل فيهما من المنافع ما لو كان الليل سرمدا لذهب منفعة الليل نفسه ولو كان النهار سرمدا لذهب
منفعة النهار راسا وفيه دلالة البعث لانه يتلف احدهما اذا جاء الاخر حتى لا يبقى له اثر ثم يعيده على مكانه
من غير ان يعلم انه غير الاول ثم قوله ايتين والاية علامة وكلا منهما لا تعرف الا بالتامل والنظر فيهما فعلى ذلك
لا يفهم مراد ما في القران والمعنى المودع فيه الا بالتامل والنظر فيه وفيهما دلالة نقض اصحاب الطبايع واصحاب
النجوم والدهرية وجميع الملحدة اما نقض قول اصحاب الطبايع لما ذكرنا من اتساقهما وجريهما على سنن واحد وامر واحد
دل انه بالتدبير ما صار كذلك لا بالطبع واما نقض قول اصحاب النجوم مسخرة لمنافع الخلق ومغلوبة يغلبها
الشمس ونور القمر حتى لا ترى دل انه لا تدبير لها وان التدبير لغيرها وعلى غيرهم من الملحدة ما ذكرنا من اتصال
منافع هذا بهذا دل انه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لتبتغوا فضلا من ربكم يحتمل الفضل الذي ذكر الرزق
والمعاش الذي ذكر في اية اخرى وجعلنا النهار معاشا ويحتمل انواع فضل تكون في الدين ولتعلموا عدد السنين
والحساب هو ما ذكر انه بهما يعرف وقوله عز وجل وكل شيء فصلناه تفصيلا يحتمل التفصيل اية من اخرى اي لم
يجعلهما اية واحدة على ما ذكر وقال الحسن اي فصل بين ما امرتم به ونهاهم اي بين وفصل ما يؤتى مما يتقى و
فصلناه اي فصله تفصيلا لم يتركه مبهما بل بين غاية البيان وقوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه
قال بعضهم طائره شقاوته وسعادته ورزقه وعيشه وقال بعضهم عمله الذي عمل من خير او شر وقال بعضهم
حظه ونصيبه من عمله وهو جزاؤه ويحتمل ذلك كله يرجع الى واحد لانه انما يسعد ويشقى بعمله الذي
يعمله وكذلك جزاء عمله ولذلك قال الحسن في تاويل قوله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اي باعمالنا التي عملناها
يخرج تسمية العمل وما ذكر واطائر الوجهين احدهما على وجه التفاؤل والتطير كانوا يتفائلون ويتطيرون باشياء
بالطائر وغيره ويقولون جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له بكذا من الشر على طريق الفال والطيرة فخاطبهم
على ما يستعملون واخبر ان ذلك يلزم اعناقهم وهو ما قال الله تعالى يطيروا بموسى ومن معه وكقوله فاذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه وقوله ايضا قالوا اطيرنا بك وبمن معك الاية ونحوه والثاني سمى الاعمال التي عملوها طائرا
لما ان الذي يتولد منه تلك الاعمال كالطائر وهو الهمة ولا يخطر بباله شيئا في الاخطار لا صنع له فيه ثم تبعهم
ثم تبعث الهمة على الارادة ثم الارادة تبعث على الطلب والعمل فالهمة التي في النفس التي يتولد منها الاعمال
كالطائر فسماه لذلك باسمه والله اعلم وقوله عز وجل في عنقه يحتمل ان يكون العنق كناية عن النفس اي الزمنا
نفسه وذلك جائز يقال هذا لك علي وفي عنقي والثاني ذكر العنق كما يقول الرجل لاخر اذا اراد التخلص عن عمل
قلدتك هذا العمل وجعلته في عنقك اي يكون انت الماخوذ به ان كان فيه شر وانت المجزى به الثواب
ان كان فيه خير والمعنى في قوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اي لا يؤخذ غيره بعمله وشقاوته ولكن هو
الماخوذ به وهو ما قال من اهتدى فانما يهتدي لنفسه وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى هذه الايات الثلاثة
معناها واحد وهو ما ذكرنا انه لا يؤخذ غيره بعمل اخر ولا يحمل نفس خطيئة اخرى ولا وزرها ولكن كل نفس هي
تحمل خطيئة نفسها وقوله عز وجل ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا هذا يحتمل وجهين احدهما اي
يجعل ما الزم عنقه كتابا يلقاه منشورا والثاني اي يجعل بما الزم عنقه كتابا وقوله عز وجل اقرا كتابك كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا قيل شهيد وقيل كافيا وحاسبا وهو واحد ان المومن بما سبق من صالحاته يقف بها لا ينقطع
العقول فيها الرجا له في رحمته ويخوفه من مساويه عملا يشهد على نفسه بالعقوبة واما الكافر فانه يشهد على نفسه
بالنار لما لم يكن له ما يطمع رحمته وقوله اقرا كتابك اي يخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا فيقال له اقرا كتابك كفى
بنفسك اليوم حسيبا وفي ذلك لطف عظيم بقراءة كتابه باي لسان كان لم يبين باي لسان يكتب ثم يتذكر جميع ما عمل
في عمره وقد ينسى الرجل عملا يعمل في ادنى مدة لكن هذا يتذكر ساعة وهلة عاملا منه وقوله عز وجل من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه اي من اهتدى اي ما جعل الله عليه من انواع النعم وقام باداء شكرها فانما جعل ذلك لنفسه

لانه هو المنتفع به او يقول لمن اختار الهدى واجابه الى ما دعاه مولاه فانما يهتدي لنفسه اي فانما اختاره ذلك
لنفسه لانه هو المنتفع به وهو الساعي في فكاك رقبته وقوله عز وجل ومن ضل اي من اختار الضلال فانما يضل
عليها اي فانما يرجع عليها ضرره وهو ما ذكر من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اساتم فلها وقوله ومن من عن ذلك فانما يمن عليها الى نفسه يرجع منه وبها له على نفسه كقوله
ومن يشكر فانما يشكر لنفسه وقوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى هو ما ذكرنا اي لا تحمل نفس خطيئة
اخرى ولا تؤخذ بوزر اخرى والله اعلم ذكر هذا ليعلم ان امر الاخرة خلاف امر الدنيا قد يؤخذ نفس مكان اخرى و
يحمل نفس مؤنة اخرى والثاني قد يتبرع بعض عن بعض بتحمل المؤنات والقيام في فكاكها واما في الاخرة فلا يتبرع
بذلك وقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يحتمل ما كنا معذبين تعذيب استيصال في الدنيا الا بعد
دفع الشبه ورفعها عن الحجج من كل وجه ومن بعد ما اصابها وان كانت الحجة قد لزمتهم بدون بعث الرسل ليقطع
عنهم عذرهم من كل وجه او ان يكون قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا افضالا منه ورحمة وان كان العذاب
قد يلزمهم والحجة قد قامت عليهم والعقاب الذي كانوا يعذبون في الدنيا ليس هو عذاب الكفر لان عذاب الكفر ابدا
لا انقطاع له وهذا مما ينقطع وينفصل لكن يعذبون باشياء كانت منهم من العناد ودفع الايات واما عذاب الكفر
فهو في الاخرة ابدا لا ينقطع وفي الاخرة دلالة ان حجة التوحيد قد لزمتهم وقامت عليهم بالعقل حيث قال وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا فلو لم تلزمهم لكان الرسل اذا دعواهم الى ذلك يقولون من انتم ومن بعثكم الينا فاذا لم
يكن لهم هذا الاحتجاج دل ان الحجة قد قامت عليهم لكن الله بفضله اراد ان يدفع الشبه منهم ويقطع عنهم
عذرهم برسول يبعث اليهم لما ان اسباب العلم بالامور ثلثة فمنها ما يعلم بظاهر الحواس بالبديهة ومنها ما يعلم
بالتامل والنظر ومنها ما لا يعلم الا بالتعليم والتنبيه وقال القتبي ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا هو
ما ذكرنا اي نخرج بذلك العمل كتابا وقال ابو عوسجة اي نكتب ما عمل ثم نقلده في عنقه يجيء به يوم القيامة و
قال ابو عبيدة طائره حظه وقال غيره من المفسرين ما عمل من خير او شر الزمناه عنقه وقال القتبي وهذان
المعنيان يحتاجان الى بيان والمعنى فيما نرى والله اعلم ان لكل امرء حظا من الخير والشر قد قضاه الله فهو لازم
عنقه والعرب تقول لكل ما لزم الانسان لزم عنقه وهو لازم طائر عنقه وهذا لك علي وفي عنقي حتى اخرج
منه وانما قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب ما ذكرنا جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له الطائر
بكذا من الشر على وجه الفال والطيرة على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سببا وهو ما ذكر وقوله وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا التعذيب يكون على وجوه ثلاثة احدهم يعذبهم في الدنيا ابتداء بتعذيب امتحانا وابتلاء
بالجريمة كانت منهم كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحوه فيكون
تشديدا وتذكيرا لهم لا تكفيرا والثاني يعذب تعذيب العناد والمكابرة وهو تعذيب اهلاك واستيصال فهو
عقوبة لهم وموعظة للمتقين وعبرة لغيرهم وهو الذي ياتي على اثر وعيد والثالث عذاب الموعود في الاخرة
فيقول وما كنا معذبين في الاخرة حتى نبعث رسولا في الدنيا والاشبه ان يكون ما ذكر من التعذيب هو تعذيب استيصال
والله اعلم وقوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها بالتخفيف والتثقيل امرنا مترفيها ثم
من قال امرنا بالتثقيل يحتمل وجهين احدهما امرنا مترفيها من الامارة والتسليط عليهم اي امرنا عليهم وسلطنا
مترفيها اي اكثرنا عددهم وسلطنا مترفيها فسقوا فيها وتكبروا بها والثاني امرنا مترفيها اي اكثرنا عددهم
ونعيمهم يذكرهم هذا القول لهم وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة
الاية وقولهم نحن اكثر اموالا واولادا الاية كانوا يزعمون انهم لا يعذبون لانهم قد انعموا في هذه الدنيا واكثروا
اموالهم واولادهم فاخبرهم عز وجل انه ما اهلك من الامم الخالية الا بعد ما كثر عددهم ووسع عليهم الدنيا لم
يهلكوا في حال القلة والضيق كقوله ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا اي كثروا وقوله حتى اذا فرحوا بما
اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون لم يؤخذ بالعذاب الامم الخالية الا في حال كثرتهم وامنهم وسعتهم با
يحذرهم لئلا يغتروا بكثرة اموالهم واولادهم وعددهم ومن قال امرنا مترفيها بالتخفيف هو من الامر اي
امرنا عظماءهم وكبراءهم طاعة الرسول والاجابة الى ما دعاهم اليه حتى اذا عصوا رسله وتركوا اجابتهم
على العناد والمكابرة فعند ذلك يهلكون لما ذكرنا انه لم يستاصل الامم الخالية الا بعد عنادهم في ايات الله ومكابرتهم
في دفعها وتكذيبها لا يهلكهم في اول ما كذبوا ايات الله وقالوا رسله وقوله مترفوها مترفيها قال بعضهم
المترف المكرم والمستكبر وكله واحد وفي قوله واذا اردنا ان نهلك قرية دلالة ان الارادة غيرا دلالة الخبر

بتقديم الارادة عن وقت الاهلاك دل انها غيره وفيه انه اراد السبب الذى به يهلكون وهو التكذيب والعناد لما علم منهم انهم يختارون ذلك اذ لا يحتمل ان يريد هلاكهم وهو يعلم منهم غير سبب الهلاك فهذا يرد قول المعتزلة ان الارادة غير المراد وانه لم يرد ما كان منهم من سبب الهلاك والله اعلم وقوله عز وجل فحق عليها القول بما اراد اهلاكهم وجب عليهم او ان يكون قوله فحق عليها القول بما اخبر عن الامم الخالية وهو قوله سنة الله فى الذين خلوا من قبل الاية وقوله عز وجل فدمرناها تدميرا اى اهلكناها اهلاكا وقوله عز وجل وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحتمل ان يكون الخبير والبصير واحدا ويشبه ان يكون بينهما فرق الخبير العالم باعمالهم والبصير بمصالحهم ومعاشهم وبجزائهم يقال فلان بصير فى امر كذا وفلان ابصر من فلان ويحتمل ان يكون بذنوب عباده وهو مكرهم الذى كانوا يمكرون برسول الله وقال وكفى بمكرهم الذى يمكرون بك وقوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد يحتمل هذا وجهين احدهما انهم كانوا يعملون باعمالهم الحسنة فى حال كفرهم من نحو الانفاق والصدقات وبذل الامور وغير ذلك يريدون بذلك العز والشرف والذكر فى الدنيا فاخبر انه من اراد بما يفعل ذلك عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والثانى يكون قوله من كان يريد العاجلة اى لا يريد بها الا جميع الامور وسعتها عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم اخبر انه لا كل من ارادها يعجل له ذلك ولا ما اراد يعجل له ذلك ولكن انما يعجل ما اراد الله ولمن اراد اذ لا كل من اراد شيئا يعطى له ذلك ثم اخبر عما يعطى فى الاخرة من اراد المعاجلة فقال ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا اى مذموما بما سمى باسماء قبيحة دنية مذمومة عند الخلق او يلام ويلام فى النار مدحورا مطرودا من الاسماء الحسنى ومن الخيرات او مبعدا من رحمته وقوله مذموما عند نفسه اى يذم نفسه يومئذ او مذموما عند الملائكة والخلق جميعا وفى قوله وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وجهان احدهما يحتمل ان يكون اراد باهلاك اياهم موتهم باجالهم لقوله كانوا عددا قليلا من نوح ثم كثروا حتى صاروا قرونا ثم ماتوا حتى لم يبق منهم احد ويحتمل ان يكون الاهلاك ههنا اهلاك استيصال فهو يخرج على وجهين احدهما انه قد استوى فى هذه الدنيا اهل الولى والعدو وفى الحكمة التمييز بينهما والتفريق فلا بد من دار تفرق بينهما فيها ويميز والثانى قد هلكوا جميعا وفى العقل والحكمة انشاء الخلق لا لاخر خاصة بلا عاقبة تقصد عبث باطل فدل ان هنالك دار اخرى هى المقصود وبها صار خلق هؤلاء حكمة وفيه الزام البعث وقوله عز وجل ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن تفسير قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد كانه قال من كان يريد العاجلة وهو كافر بربه مكذب بالاخرة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ومن كان يريد الاخرة وهو مؤمن بربه مصدق بالاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن هذا يدل انهم انما ارادوا العاجلة بكفرهم بالاخرة ثم اخبرنا من اراد بعمله فى الدنيا الاخرة وسعى لها سعيها بما سعى وهو مؤمن بربنا قال فاولئك كان سعيهم مشكورا اى مجزيا مثبوبا وقوله عز وجل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اى المؤمن والكافر يعطى هذا وهذا اى لا يحرم عن العاجلة من اراد الاخرة يجيب اولئك لكفرهم بكفرهم بالاخرة انه ليس يعطى الدنيا وسعتها لمن يكفر بالاخرة ولكن يعطى من كفر بها ومن امن بها لئلا يحملهم ذلك على حبهم الدنيا وطلب العز والشرف فيها على كفرهم بالاخرة حيث قال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اى يعطى المؤمن والكافر والبر والفاجر وقوله عز وجل وما كان عطاء ربك محظورا اى رزق ربك وفضله محظورا قال بعضهم محبوسا ممنوعا وقال بعضهم محظورا اى منقوصا وهو فى الاخرة اى لا ينقص فى الاخرة من جزائهم وروى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يعطى الدنيا على نية الاخرة ولا يعطى الاخرة على نية الدنيا وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان العبد همه الاخرة كفى الله له من صنيعته وجعل غناه فى قلبه واذا كانت همه الدنيا افشى الله عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه فلا يمسى الا فقيرا وقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد واما من كان يريد المعاجلة الاخرة فهو ليس بمذموم فهو ما ذكر فى قوله فاولئك كان سعيهم مشكورا وهو ما قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وهو قوله انما يريد الحيوة الدنيا لعب ولهو حيوة الدنيا الدنيا لعب ولهو واما من اراد الحيوة الدنيا للحيوة الاخرة فهو ليس بلعب ولهو لان الدنيا لم تنشأ لنفسها انما انشات للاخرة فمن راها لها واردها لنفسها فهو لعب ولهو ومن راها للاخرة واردها للاخرة فهو ليس بلعب ولا لهو وقوله عز وجل انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض فى الدنيا فى الرزق وفى الخلقة يكون بعضهم اعمى وبعضهم بصيرا ويكون اصم ويكون سميعا ونحوه

فعلى ما يكون

نعلى ما يكون فى الدنيا على التفاوت والتفضيل يكون فى الاخرة كذلك فى المنزلة والقدر عند الله لا فى الضيق والسعة والاحوال التى يكونون فى الدنيا حيث قال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ولم يقل اكثر ولا اوسع دل انه على القدر والمنزلة عند الله لا على اختلاف الاحوال التى يكونون فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ولا تجعل مع الله الها اخر قد ذكرنا فيما تقدم ان النهى فى مثال هذا والخطاب لرسوله وان كان غير موهوم ذلك العصمة التى عصمه فانه غير مستحيل فى ذاته لما ذكرنا ان العصمة انما ينتفع بها مع النهى والامر لانه لولا الامر والنهى ما احتيج اليها او خاطبه به على ارادة غيره على ما يخاطب به ملوك الارض الا قرب اليهم والاعظم والخطر منهم ودون تحسبا بعض الناس ورداليهم والثانى انه يخاطب كلا فى نفسه ليس انه يخص رسوله بذلك ولكن كل موهوم ذلك منه ويحتمل ان يكون يخاطب كقوله يا ايها الانسان ويا ايها الناس ليس انسان احق بهذا الخطاب من انسان فعلى ذلك الاول او يقول يخاطب رسوله ليعلم من دونه ان ليس لاحد وان عظم قدره عند الله وارتفع محله ومنزلته مباحات فى الدنيا لان الرسل هم المكرمون على الله المعظمون عنده فاذا لم يعفوهم فى هذا لم يعف من دونهم الا ترى انه قال لهم الملائكة ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهم اكرم خلق الله حيث وصفهم انهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فعلى ذلك الرسل الا ترى انه قال على اثره وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الى قوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما ومعلوم ان ابويه كانا ماتا فلا يحتمل ان يكون يخاطب رسوله فى قوله وقل رب ارحمهما دل انه خاطب به كل من يحتمل ذلك منه وموهوم وقوله عز وجل فتقعد مذموما عند الناس مخذولا اى ذليلا مقهورا لان الخذلان عوضه النصر والعون الا ترى انه قال ان ينصركم الله الاية ذكر الخذلان مقابل النصر فعلى ذلك قوله مخذولا اى مقهورا ذليلا غير منصور والله اعلم وقوله عز وجل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه قال بعضهم فقضى حكم وقال بعضهم تعنى ههنا امر اى امر ربك الا تعبدوا الا اياه وقال بعضهم فقضى ربك اى وصى ربك وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود وابى رضى الله عنهما انهما كانا يقرآن ووصى ربك قال بعضهم وعهد ربك وقال القتبى وقضى ربك اى حتم ربك وهو من الفرض والالزام اى فرض ربك والزم ان لا تعبدوا الا اياه وكذلك حكم وهو اشبه الا ترى انه قال فى اية اخرى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ثم قال ومن يعص الله ورسوله ان قوله اذا قضى الله ورسوله معناه اى فرض الله ورسوله وحكما امرا فقوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه فرض وحكم وامر ان لا تعبدوا الا اياه الا الله المعبود للحق المستحق للعبادة والربوبية لا تعبدون ندا وشاجدا وقد بان لنا انه هو الاله والرب المستحق للعبادة والالوهية للعبادة والالوهية والربوبية لا الذين تعبدون من دونه من الاوثان والاصنام بوجوه ثلاثة احدها عجز العقول وجهلها عن درك كيفية العقول وما بينها لان العقول لا تعرف كيفية انفسها ولا ما بينها وتعرف محاسن الاشياء ومقابحها فقد عرفت الالوهية لله وحسن العبادة له وقبحها لغيره والثانى ما يوجد فى جميع الخلائق من اثار الوهيته وربوبيته وتحمل العبادة له شكرا له وعلى ذلك جعل فى كل حاجة من جوارح الانسان عبادة شكرا له لما فيها من اثار الوهية والثالث السمع اتيانا ان لا معبود الا الله والالوهية سواه ودونه فذلك معنى ما فرض على خلقه وامرهم ان لا يعبدوا الا اياه وتاويل حكم ربك الا اياه لما انشاء فى خلقته كل اثار واحدانيته وشهادة ربوبيته استحق العبادة له فذلك تاويل من قال فقضى اى حكم واما تاويل من قال وقضى اى امر ربك وكلف الا تعبدوا الا اياه يكون فيه امر بالعبادة له والنهى عن عبادة غيره كانه قال امر ربك ان تعبدوه ونهاكم ان تعبدوا غيره ثم الفرق بين الطاعة والعبادة يجوز ان يطاع غيره ولا يجوز ان يعبد غيره لان الطاعة هى الايتمار كقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم اى ايتمروا واما العبادة هى الاسلام والخضوع له والشكر له ولا يجوز ذلك لغيره سوى الله او ان يكون فى العبادة معنى لا يدرك كمعنى الرحمن لا يدرك حيث لم يجز تسمية غيره به فعلى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وبالوالدين احسانا كانه قال وفرض عليكم ايضا وحكم احسان الوالدين ثم الاحسان فى عرف الناس هو الفعل الذى ليس عليه انما هو فضل ومعروف يصنعه الى غيره هذا هو احسان فى العرف واللغة لكن المراد من الامر بالاحسان الى الوالدين هو الشكر لما ذكر من الاحسان المعروف عند الناس وهو ما ذكر فى اية اخرى ان اشكر لى ولوالديك لان الشكر المكافاة والجزاء لما انعم وصنع من المعروف فهو والله اعلم وان ذكر الاحسان فى هذا وفى غيره من الايات وفى قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وقال فى اية اخرى واعبدوا الله ولا تشركوا به وبالوالدين احسانا وغيرها من الايات فالمراد منه والله اعلم الشكر

لشكر نعمهما ذكر في اية اخرى ان اشكر لي ولوالديك والشكر هو المكافاة امره ان يكافئهما ويجازيهما بعض ما كان منهما
اليه من التربية والبر والعطف عليه والوقاية من كل سوء ومكروه في البطن وبعد ما خرج من البطن حتى كانا
يؤثرانه على انفسهما في السرور ويجعلان انفسهما وقاية له من كل سوء ويحذرونه فامر الولد ان يشكر لوالديه جزاء
ومكافاة لما كان منهما اليه مما ذكرنا هذا ذكر في الحال التي عجزا عن القيام لامر انفسهما ولحوائجهما وذلك والله اعلم
لانهما اذ كان هو بين قادر على حوائج انفسهما وساعيهما بيدان وبدنهما ويحتاجان اليه فيحل برهما واحسانهما اليه
على الطاعة لهما في البر والاحسان اليهما على المجازاة وهكذا المعروف عند الناس اذا بر بعضهم بعضا يبعث ذلك
على المكافاة ليد ومرد ذلك عليهم وانه لا يمتنع لذلك ذكر والله اعلم الاحسان الى الوالدين في الحال التي هي حال ضعف
وعجز حيث قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما ثم امره ان يذكر الحال التي هو عليها وهو حال طفوليته
وصغره انه كيف ابياه ورباه عطفا عليه ولا ناله قولا وفعلا حتى لم يستقذرا منه شيئا ما يستقذر الناس بعضهم
من بعض ولم يبعدا عنه ما يبعد الخلق بعضهم من بعض من انواع الاذى والخبث فامره ان يعاملها اذا بلغا الحال
التي كان هو عليها من الجهل والضعف والعجز عن القيام بالحوائج على ما كان هو وبلغ المبلغ الذي يستقذر منهما
ويبعد عنهما اي لا يستقذر هو منهما ولا يبعد عنهما كما لم يستقذرا هما منه ولا ينهرهما عند السؤال والحاجة اليه
كما لم يفعلا هما له بل يلين ويذل كما لانا هما له وخضعا وهو ما قال والله خلقكم ثم يتوفاكم الاية وقال في اية اخرى
الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اخبر انه يرد من بعد
القوة والعلم الى الحال التي كانوا عليها وحال الضعف والجهل حيث قال والله اخرجكم من بطون امهاتكم الا
وقال خلقكم من ضعف الاية وقال خلقكم من ضعف الاية فقال فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقال بعضهم
قوله فلا تقل لهما اف هو كناية عن اظهار الكراهة عما في الوجه ولا تنهرهما [illegible] العقول والكلام
على ما يفعلا بهما [illegible] ولا تنهرهما [illegible] ذكر اول
حال الاستثقال والكراهة منه واخرها اى لا تقل لهما اف [illegible] الناس شيئا [illegible] في اول حال يرون
شيئا مستثقلا مكروها ويقولون اف [illegible] على العنف والخشونة والنهر وعلى هذا
المعنى قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الاية تاول بعضهم يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم لان النظر بالبصر يحمله على الزنا في الفرج [illegible] وقال بعضهم قوله
من ابصارهم وليحفظوا فروجهم ذكر اول الحال واخرها [illegible] كذلك قوله فلا تقل لهما اف
ولا تنهرهما ذكر اول الحال واخرها [illegible] من الكراهة والاستثقال [illegible]
[illegible] ففيه حجة لابي حنيفة رحمه الله [illegible]
وهو كلام يقطع صلاته حيث قال فلا تقل لهما اف [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل وقل لهما قولا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
عن كل سوء والحفظ عن كل افة وشرف الاية دليل لقول ابي حنيفة حيث قال في المكاتب اذا اشترى والده او
امه صار مكاتبا واذا اشترى اخاه او ذا رحم محرم منه لم يصر مكاتبا الا ان الاب والام يصيران كذلك بحق الجزاء
والشكر فعليه ذلك واما الاخ وغيره من المحارم بحق المعروف فلذلك لا يحتمل ذلك والخطاب في الله وان كان
مع رسوله فالمراد منه غيره لان رسول الله معلوم انه لم يدرك والديه في الوقت او رجل اليه وخاطبه بالخطاب

دل انه اراد بالخطاب غيره وكل يحتمل ذلك وموسى ومن منه واحد ان يعاملها بالمعاملة التي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل واخفض
لهما جناح الذل من الرحمة يحتمل ان يكون الجناح كناية من اليدين لان اليدين في الانسان بموضع الجناح للطائر جناح الطائر بيدا
لكما قال احفض واخضع لهما بيديك كما امره ان يخضع لهما بلسانه بقوله وقل لهما قولا كريما اى اخضع لهما قولا وفعلا
ويحتمل ان يكون الجناح كناية عن النفس اى اخضع لهما بجميع النفس والجوارح وقوله الذل يحتمل ان يكون المراد من الذل الذل
نفسه اى كن لهما كالمستعين المحتاج اليهما لا كالمعين لهما قاضي الحاجة ولكن ذليلا كالمستعين من الاخر رافع الحاجة اليه و
يحتمل ان يكون الذل كناية عن الرحمة التي تكون في القلب اى اخضع لهما برحمة القلب والجوارح جميعا الا ترى انه قال اذلة
على المؤمنين اعزة على الكافرين اى رحماء على المؤمنين اشداء على الكافرين الا ترى انه قال في اية اخرى اشداء على الكفار
رحماء بينهم وذكر مقابل الذل في تلك الاية الرحمة في هذا ومقابل العزة الشدة فعلى ذلك يحتمل ان يكون قوله جناح الذل
كناية عن الرحمة فيكون معناه ان اخضع لهما بالظاهر والباطن جميعا على ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما
والله اعلم وقوله عز وجل وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا قال بعضهم رب ارحمهما كما ربياني صغيرا قال ويحتمل
على الاضمار فيكون والله اعلم كانه قال رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وقول اهل التاويل ان هذا منسوخ نسخه قوله ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية بعيد وامكن ان يكون الاية في المؤمنين والكافرين فالرحمة التي ذكر
في الكافرين سؤال فالرحمة التي ذكر يكون في الكافرين سؤال الهداية لهم وجعلهم اهلا للرحمة والمغفرة وذلك جائز
لقول نوح لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا اى استهدوا ربكم فيهديكم فيغفر لكم ما كان منكم انه كان لم يزل
غفارا ولا يحتمل ان يامرهم بالاستغفار ويعدهم بالمغفرة على الحال التي هم عليها وكذلك استغفار ابراهيم لابيه
او ان يكون من الرحمة التي يتراحم بعضهم لبعض والشفقة التي تكون بين الناس كما يترحم الصغار والضعفاء ثم مثل
هذه المعاملة التي امر الولد ان يعامل ابويه يلزم المؤمنين من جهة الدين ومكارم الاخلاق ان يعامل الناس بعضهم
بعضا غير ان هذا فيما بين الناس ليس بفرض لازم وذلك لازم لانهما حق الشكر والجزاء لهما بما كان منهما اليه من البر
والاحسان وحق التربية والتعظيم حقهما وجليل قدرهما وخصوصيتهما وهو كما يقال لرسوله واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين والا فقد وصف المؤمنين بتراحم بعضهم على بعض على ما ذكر رحماء بينهم وامرهم بذلك
وقوله عز وجل ربكم اعلم بما في نفوسكم قال بعضهم قوله اعلم في نفوسكم من اسرار المحبة لهما والبر والكرامة وقال
ربكم اعلم بما في نفوسكم اى اعلم بما تفعله نفوسكم وهو كما قال عيسى تعلم ما في نفسي اى تعلم ما تفعله نفسي ولا اعلم
ما في نفسك من التدبير والتقدير فعلى ذلك هذا وجائز ان يكون قوله ربكم اعلم بما في نفسكم صلة قوله فلا تقل
لهما اف الاية اى ربكم اعلم بما في ضميركم من الاستثقال بهما والاستثقال والكراهة اذا بلغ المبلغ الذي ذكر
ولكن لا يظهر ذلك لهما ولا تراهق ظاهرك باطنك او ان يقول ربكم اعلم بما في نفوسكم فلا يرون الناس ولا
تصرفوا في ضميركم الى من لا يعلم ذلك يخاطب الكل على الابتداء ان لا يجعل ما في قلبه لغيره بل يخلص له او ان
يكون قوله ربكم اعلم بما في نفوسكم اى ما تفعله انفسكم وتدبرها وقوله عز وجل ان تكونوا صالحين اى تصيروا
صالحين لان قوله تكونوا انما هو في حادث الوقت وقوله عز وجل فانه كان للاوابين غفورا الاوابين والمنيب
[illegible] اختلف في الاواب قال بعضهم الاواب الرجاع التواب وهو قول ابي عوسجة قال الا الفتيق الاواب الذي تاب
مرة بعد مرة وهو من اب يؤب اى رجع وهما واحد وقال بعضهم الاواب المطيع وقيل المسبح [illegible] وقال
ابو عوسجة في قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اى لن لهما وارفق بهما ذكر باللسان الوالدين و
لطفه اياهما قولا وفعلا ما ليس في الظاهر الاية ذكر البر والمال والانفاق عليهما فيشبه ان يكون ذلك داخلا في
قوله وبالوالدين احسانا ولم يذكر ذلك لما ان مال الولد مال لهما الا ترى الى ما روي عن جابر بن عبد الله قال جاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابوه فقال يا رسول الله ان لي مالا وان لي ابا وله مال وان ابي يريد
ان يأخذ مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك او لا ترى ايضا انه اضاف بيوت الولد اليهما حيث
قال ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم قوله من بيوتكم معناه بيوت ابنائكم وقال بعض في قوله انه كان للاوابين
غفورا انه صلوة الضحى ويروى في ذلك خبر اوعن زيد بن ارقم قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على قوم وهم
يصلون الضحى فقال صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال وفي خبر اخر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال امرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث امرني ان اصوم في كل شهر وان لا انام الا على وتر وان اصلي ركعتي الضحى فانها
صلوة الاوابين وغير ذلك احاديث كثيرة في الحث على صلوة الضحى وفعلها وانه صلى هو ركعتين واربعا وستا
وثمانيا لكنه ذكرها [illegible] من صلاها على سبيل التطوع ليس على سبيل الفرض والواجب او السنة المؤكدة

لان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها مرة وتركها مرة فكان تصلاة الليل بذلك فاعلها الفضل وقوله عز وجل وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل كان الاية هي صلة قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اي وقضى ايضا ان تؤتى ذا القربى حقه ومن ذكر اي فرض وحتم وحكمه على اختلاف ما قالوا وهو كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى الاية امر عز وجل ببر الوالدين والشكر وصلة ذي القربى فريضة ومن ذكر ثم اختلفوا في قوله حقه قال بعضهم ذلك الحق فريضة وهو الزكوة حيث جعل ذلك صلة ما هو فرض وهو الشكر له وجعل العبادة له وشكر الوالدين جزاء لما كان منهما اليه وقد ذكرنا ان ذلك فرض لازم فعلى ذلك صلة هؤلاء انه صلتهم فريضة لما جاء من المواعيد الشديدة في قطع والترغيب في صلتهم ومنهم من قال ذلك الحق نفل الا ترى انه قال ولا تبذر تبذيرا ولا تبسطها كل البسط وقال واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ما ذكر من الاعراض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها في الفرض دل في النفل والله اعلم وقوله عز وجل ولا تبذر تبذيرا قال بعضهم التبذير والاسراف واحد وهو المجاوزة عن الحد الذي جعل في الانفاق والمجاوزة عن الحق وغير الحق روي عن ابن مسعود انه سئل عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وكذلك قول ابن عباس رضي الله عنه وقال بعضهم التبذير هو الانفاق فيما لا ينتفع ويحتمل ما ذكرنا انه يترك الانفاق على الحق وهم ذوو القربى ويبذر على الاجنبين وقوله عز وجل ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي كانوا اولياء الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا اي كفورا لنعم ربه وقوله عز وجل واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها عن الحسن قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل فيقول ما لا اجد وانهم تشيعة اهل ابيات الاصاع من طعام فانزل الله تعالى فقل لهم قولا ميسورا اي عدهم انه سوف يأتي بالرزق عن ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله واما تعرضن عنهم اذا سألوك وليس عندك شيء انتظرت رزقا من الله يأتيك فقل لهم قولا ميسورا يكون ان شاء الله شبه العدة وامثال قالوا هذا قالوه ويحتمل قوله واما تعرضن عنهم اعراض الوجه ويحتمل الا فذلك يكون بالاشتغال والاستخفاف مرة ولما ليس عنده شيء يعطيهم ثانيا لكن لا نعرف ان الاعراض كان للاشتغال والاستخفاف او لما ليس عنده ما يعطيهم فامر ان يبين لهم ان الاعراض عنهم ليس للاستغناء والاستخفاف وكذلك ترك الاجابة لهم ولكن لما ليس عنده شيء ليعلموا ان الاعراض عنهم ليس للاستخفاف ولا للاشتغال ولكن لما ليس عنده ما يعطيهم او يطلب ما يعطيهم ما قال فقل لهم قولا ميسورا الجمع اهل التاويل ان هذا الاعراض هو السؤال لانه كان يعرض عنهم لابتغاء ما يعطيهم فذلك الاعراض يرجع منفعة الى السؤال ثم اختلفوا في قوله ميسورا قال بعضهم عدهم عدة حسنة اذا كان ذلك اعطينا وقال بعضهم اي عدهم خيرا وقال بعضهم قل لهم قولا لينا وسهلا وقال ابو عوسجة ميسورا اي حسنا وهو من التفسير وكذلك قالوا اي رد عليهم ردا حسنا الجميع عندهم ان الاعراض لما ليس عنده شيء لا لوجه اخر وقوله عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك في الانفاق اذا كان عندك ولا تبسطها كل البسط فيلومك من يحتاج ولكن لما قال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الاية امرهم ان ينفقوا نفقة ليس فيها سرف ولا اقتار وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وغيره وقال بعضهم لا تمسك عن النفقة فيما امرك ربك به من الحق ولا تبسطها كل البسط فيما نهاك عنه فتقعد كذا وقال بعضهم هذا نهي عن البخل والسرف فلئن كان هذا نهيا عن البخل كان قوله ولا تبسطها كل البسط نهيا عن الجور ولا يحتمل ان ينهى عن البخل والجور لانهما غريزتان طبيعيتان ولا ينهى احدهما كان سببه الطبع والغريزة ولكن ما ذكرنا والله اعلم من كف اليد وقبضها عن الانفاق في الحق والحق وبسطها في غير الحق وذي الحق وقال ابو بكر الاصم دل قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ان قول اليهود يد الله مغلولة انهم لم يريدوا حقيقة اليد ولكن التضييق والتقتير وكذلك لم يرد بقوله بل يداه مبسوطتان حقيقة بسط اليد ولكن اراد التوسيع في الرزق والتكثير الا ترى انه قال ينفق كيف يشاء ثم يحتمل الخطاب في هذه الايات الوجوه الثلاثة التي ذكرنا فيما تقدم في غير موضع احدها انه خاطب رسوله بذلك كله وشاركه فيه قومه وفي القرآن كثير انه خاطب رسوله باشياء فيشركه قومه في ذلك والثاني خاطب كلا في نفسه نحو ما ذكرنا في قوله يا ايها الانسان ويا ايها الناس وقوله قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ونحوه من الخطابات خاطب كل احد في نفسه اذ لا يحتمل انه يخاطب في قوله قل هو الله احد رسوله خاصة ولا يخاطب غيره بالخطاب بل كل الناس وكل انسان والثالث خاطب رسوله على ارادة غيره على سبيل الخصوصية له نحو ما يخاطب ملوك الارض خواصهم واعقلهم من رعيتهم على ارادة ذلك الخطاب

غير المخاطبين فعلى ذلك يحتمل هذا وان يكون خاطب بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك غيره من نفسك ويخاطب بقوله ولا تبسطها كل البسط رسول الله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل ان يكون ما ذكر وقد يحتمل البسط لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فتقعد ملوما محسورا يحتمل قوله ملوما عند نفسك وعند الناس تلوم نفسك بانك لم انفقت وعند الناس لما لم تجد ما تنفق عليهم وعند الله ايضا اذا انفقت في غير حق محسورا قال القتبي اي يحسرك العطية ويقطعك كما يحسر السفر البعير فيبقى منقطعا وقال ابو عوسجة هو من الحسرة وهي الندامة يقال حسر الرجل فهو محسور وقال التبذير الفساد وملوما اي ملوما محزونا وقوله عز وجل ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع الرزق على ما يوسع وهو يغني ويضيق على من يضيق ويقتر اي ذلك الى الله لا الى الخلق ليقطع الرجاء عن الخلق ويرى ذلك من الله لا يرون من غيره والثاني ذكر هذا لنبيه وما الفضل لمن ذكر الفضل ويتبين لهم حيث قال انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ومن الناس من قال بان قوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر صلة قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط يقول والله اعلم ان نفقته وحرمته وكان في تقتير الله الرزق عليه والبسط لم يعن منعك ولا حرمانه ولو وسعت عليه وبسطت وكان في تقديره التضييق والتقتير نفعه بسطك ولا توسيعك ليعلموا ان التوسيع والبسط والتضييق والمنع من الله او ذكر ليقطعوا الرجاء من الخلق ويطمعوا في رحمته وفضله والله اعلم وقوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا بمصالحهم وما لهم وما عليهم او ان يكون الخبير والبصير واحدا او ذكر هذا ليعلم انه كان على علم بما يكون منهم انشاءهم من الخلاف لامره والرد والتكذيب لرسله ولم يخرج فعله وانشاؤه اياهم على علم بما يكون منهم من الحكمة لانه لا منفعة في طاعتهم اياه واتخاذهم ولا مضرة ولا تبعة في خلافهم اياه بل المنفعة والمضرة في ذلك راجعة اليهم لذلك كان انشاؤه اياهم على علم بما يكون منهم حكمة ومن ملوك الارض سفهاء وجهلاء لانه ما يرسلون من الرسل ويعملون من الاعمال ويسعون لمنافع انفسهم ولدفع مضارهم فاذا فعلوا اشياء ممن هم على علم منهم بالضر كان ذلك سفها والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق قال ابو بكر الاصم ان من عادة العرب انهم كانوا يقتلون البنات ويقتلون البنين اذا صاد والجيش لا ينتفعون بهم ويقتلون الاباء والامهات اذا بلغوا ذلك المبلغ وهو ما قال وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما الى اخر ما ذكر وفي قتل ما كانوا يقتلون من البنات والقطع التناسل والتوالد الذي كان المقصود من انشاء هذا العالم ذلك اذ المقصود من انشائه ثم قال نحن نرزقهم واياكم اي لا ياكلون من ارزاقكم بل الكل منكم رزق على حدة ليس في بقائهم نقصان في رزقكم ولا في فنائهم زيادة بل كل ياكل رزقه او لا ترون انه قد انشأ لهم رزقا لا شركة لكم فيه فهو من اشاء اللبن في الضرع ولا تنتفعون انتم به فيظهر ان كلا ياكل رزقه لا يدخل بعض في رزق بعض نقصا ثم قال ان قتلهم كان خطأ كبيرا لما ذكرنا ان في قتلهم قطع ما به قصد في انشاء هذا العالم وفنائه او يقول ان قتلهم كان خطأ كبيرا في الامم الخالية ويشبه ان يكون خطاب ما خاطب هؤلاء الايات من قتل الاولاد والزنا وقتل النفس بغير حق وغيره ذلك ما تقدم وما تأخر لوجهين احدهما ما كان للعرب افعال وعادات السوء بما يخرج على السفه والقبح في العقل خارجة عن الحكمة فنهاهم عن ذلك والثاني ذكر هنا ونهى لما علم انه قد يكون في خلقه ان يفعل ذلك خشية ما ذكر ويحملهم ذلك على ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا اي في العقل كان وقت ما كان فاحشة لان في اباحته ذهاب المعارف التي بها يوصل الى الحكمة والعلم او كان فاحشة في الحكمة الا ترى انه قال ان الله لا يامر بالفحشاء على ان هنالك فحشاء قبل الامر في الحكمة او في العقل حتى قال لا يامر بالفحشاء اذ لو لم يكن لكان قال لا يامر حسب وفي اباحة الانفس ذهاب ما به قصد من انشاء العالم اخبر عز وجل وكان خطأ كبيرا وهو ما يعظم في العقل وذكر في الزنا فاحشة وهو ما يفحش في العقل والحكمة وذكر في قتل النفس الاسراف وقال فلا يسرف في القتل والاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له ويحتمل قوله ولا تقربوا الزنا اي تزنوا فانه كان فاحشة ويحتمل لا تقربوا الاسباب التي بها يوصل الى الزنا وقوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق والحق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل دم امرئ مسلم الا في ثلاث كفر بعد اسلام او زنى بعد احصان او قتل نفس بغير حق حرم الله قتل النفس بغير حق اذ في اباحة ذهاب ما قصد من انشاء العالم وفي التحريم حيوة الانفس وفي اباحة الزنا ذهاب المعارف وجهالتها وفي تحريمها حيوة المعارف وابقائها وفي الوصول

الى الحكمة والعلوم التي يطلب بعضهم من بعض اذ لا يعرف اهل الحكمة من غيرهم وفي ذلك ذهاب العلوم و
الحكمة وفي القتل على الدين اذا استيقن حيوة الدين لان من تفكر قتل نفسه اذا ترك الدين اعني دين الاسلام و
يرجع عنه لم يترك دينه الاسلام ومن تفكر رجمه بالزنا امتنع عن الزنا وتركه ومن تفكر انه يقتل اذا قتل غيره
امتنع عن قتله ولذلك قال ولكم في القصاص حيوة فان قيل في المرأة اذا ارتدت عن الاسلام انها لا تقتل قيل
لانه ليس في قتلها حيوة للحيوة لان النساء اتباع للرجال في الدين لانهن يسلمن باسلام ازواجهن ويصرن في
ذمة بذمة الازواج فاذا كان كذلك فليس في قتلهن حيوة الاترى انه روى ان فلانا اسلم واسلم معه كذا وكذا
نسوة والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ما ذكرنا وقوله ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله يحتمل بالاسلام او بالذمة باعطاء الجزية والا بالحق ما ذكرنا وقوله عز ومن قتل مظلوما فقد
جعلنا لوليه سلطانا اي تسلطا وقهرا وقال بعضهم سلطانا اي حجة عن القتل فيما يستوجب به القصاص ثم
ذكر انه جعل لولية القتل سلطانا ولم يذكر اي ولي فيشبه ان يكون المراد من الولي الذي يخلف الميت في التركة وهم
الورثة اذ هو حق كغيره من الحقوق فذلك الى الورثة فعلى ذلك حق الدم فكانه قال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا
لورثته سلطانا اي حجة فيما يستوجب وفي ظاهر هذه الاية دلالة ان الواحد من الورثة القيام باستيفاء
الدم اذ لو كان للكل لا لاستيفاء لم يدخل في ذلك الاسراف الذي ذكر فلا يسرف في القتل اذ لو رضي به كل الورثة لصار في
ذلك مثله وقد منعوا عن ذلك فاذا كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالة لقول ابي حنيفة رحمه الله حيث قال ان الورثة
اذا كان بعضهم صغارا وبعضهم كبارا ان للكبار ان يقوموا بالاستيفاء دون ان ينتظروا بلوغ الصغار والله اعلم وقوله
فلا يسرف في القتل قال بعضهم لا يقتل غير قاتله وذلك انه كان من عادة العرب قتل غير القاتل وقال بعضهم
فلا يسرف في القتل الاول حيث قتل نفسا بغير حق فذلك اسراف كما قال من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض
فكانما قتل الناس جميعا وقوله فلا يسرف في القتل هذا يحتمل ان يكون خاطب به ولي القتيل فقال فلا يسرف
في القتل اي لا يجاوز الحد الذي جعل له على ما روي اذا قتلت فاحسن القتلة والثاني خاطب به القاتل يقول
له لا تقتل فانه اسراف والله اعلم وقوله عز وجل انه كان منصورا قال بعضهم ان المقتول كان منصورا بالولي
ينصره الولي بقوله فقد جعلنا لوليه سلطانا ويحتمل منصورا بالمسلمين اي على المسلمين والحاكم وغيره دفع ذلك القتل
على تاويل في قوله فلا يسرف في القتل قتل غير قاتل وليه او يزيد في جراحاته ويمثل مثلا يقول احذروا ذلك فان
على المسلمين دفع ذلك عنه او كان منصورا في الاخرة وفي ظاهر هذه الاية دلالة ان القصاص واجب بين الاحرار
والعبيد وبين اهل الاسلام واهل الذمة لان الله عز وجل قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فكانت النفس
اهل الذمة والعبيد داخلة في هذه الاية لانها محرمة وفيه ما ذكرنا ان الكبير من الورثة قتله وان كان فيهم صغار
وروي ان الحسن بن علي رضي الله عنه قتل قاتل ابيه فلانا وفي الورثة صغار لم يدركوا يومئذ ويحتمل ان يكون
انه كان منصورا في ظاهر هذا ان القاتل هو كان منصورا اذ لم يقل هو منصور فيجوز ان يقول كان منصورا قبل قتل هذا
اذ كان على المسلمين نصرة فلما قتل كان غير منصور الا ان يقال ان الولي صار منصورا وذلك جائز وفي قوله ولا
تقربوا الزنا يحتمل النهي عن النفس الزنا ويحتمل اسباب الزنا من نحو القبلة والمس وغيره على ما ذكر العينان
تزنيان واليدان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله او يكذب وقوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
قوله احسن هو افعل فان كان في الاشكال فهو على غاية الحسن وان كان في الجوهرين فهو على طلب الحسن كقوله واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم اي اتبع ما هو طاعة كانه قال ولا تقربوا مال اليتيم الا ما هو خير له وحسن وهو ما قال
ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا يقول لا تاكلوا اسرافا وبدارا ولكن اقربوا ما هو خير له وان كان على طلب الغاية
من الحسن فهو ما قال ابو حنيفة رحمه الله ان اقرب مال اليتيم لمنفعة نفسه فلا يقربوا الا لمنفعة حاضرة
لليتيم لا يقرب ماله لمنفعة مرجوة وان قرب مال اليتيم لليتيم فانه يجوز ان يقرب لمنفعة مرجوة له وان لم
يكن فيه منفعة حاضرة وقد ذكرنا تاويله وما فيه من الدلالة لقول ابي حنيفة رحمه الله فيما تقدم في سورة
الانعام ثم من الناس من احتج بهذه الاية لقول ابي حنيفة حيث قال ان للوصي ان يبيع مال اليتيم من نفسه اذا كان
خيرا له لان له ان يبيع من غيره بمثل قيمته فدل ذكر خير له اذا كان يبيع من نفسه وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي
هي احسن كانه على الاضمار اي لا تقربوا مال اليتيم الا بالوجوه التي هي احسن له وانفع وهو الحفظ له وطلب الربح
والنماء والله اعلم وقوله عز وجل حتى يبلغ اشده اي حتى يستحكم عقله ويشتد تدبيره في ماله واحرازه نفسه
ذلك يكون الامر اليه وليس فيه انه لا يكون بعد ذلك الامر الى الوصي وان كان ولكن باذنه يبيع ويشتري وقوله

عز وجل واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا يحتمل ان يكون قوله بالعهد العقود والمواثيق التي بين الناس امرهم
ان يوفوا بذلك ويحتمل الامر بوفاء العهد ما ذكر في هذه الايات من الامر والنهي من نحو ما قال وقضى ربك ان لا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا الى هذا الموضع اي واوفوا بذلك كله فان ذلك كله كان مسؤلا يسال عنه وفاء كان ذلك
او نقضا وقال بعضهم ان العهد كان مسؤلا اي ناقض العهد كان مسؤلا ثم ان العهد على وجوه احدها ما عهد خلقه
او العهد الذي اخذ عليهم على السن الرسل او العهد الذي يجري بين الناس والله اعلم وقوله عز وجل واوفوا
الكيل اذا كلتم امر بتوفير الكيل اذا كالوا والوزن اذا وزنوا لهم وايفاء حقوقهم وهو ما قال ويا قوم اوفوا المكيال
والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي ما دينهم اذا كالوا او وزنوا تبخسوا الناس ولا يوفوا حقوقهم فنهاهم
عن ذلك واوعدهم بالوعيد الشديد وهو قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم
او وزنوهم يخسرون ذكر تخصيص الكيل والوزن من بين سائر الاشياء ويحتمل وجهين احدهما لما بهما يجري عامة
معاملة الناس فامرهم بايفاء ذلك والثاني تخوف الربا لان الكيل والوزن هما اللذان يكونان دينا في الذمة فاذا
اخذ شيئا منهما اخذ عما كان دينا في الذمة فان نقص او زاد فيكون ربوا لذلك خص وان كان غيره من الاشياء يومر
بالايفاء وقوله عز وجل وزنوا بالقسطاس المستقيم قال بعضهم القسطاس حرف لغة من الكتب السالفة
ليس بعربية وقال بعضهم هو الميزان كقوله اوفوا المكيال والميزان بالقسط وقال بعضهم القسطاس القبان
فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا من الامر بتوفير الكيل والوزن والايفاء لحقوقهم والنهي عن البخس والنقصان وقوله
عز وجل ذلك خير واحسن تاويلا يحتمل قوله ذلك خير ما ذكر من توفير الكيل والوزن وايفاء الحقوق خير في
الدنيا لما فيه امن لهم من الناس واحسن تاويلا اي احسن عاقبة في الاخرة ويحتمل قوله ذلك ما ذكر في هذه الايات
من اولها الى اخرها اذا عملوا بها خير لهم في الدنيا واحسن تاويلا اي عاقبة وقوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك
به علم قيل لا تقف اي لا تقل وقيل لا ترم وقيل لا تتبع فكيف ما كان ففيه النهي عن القول والرمي فيما لا علم له به
ولا ترم ما ليس لك به علم ولا تقل ما ليس لك فيه علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا قال
بعضهم كل اولئك يعني السمع والبصر والفؤاد يسال عما عمل صاحبه كقوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم
الاية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم سال هؤلاء عما عمل صاحبها فيشهدون عليه وقال بعضهم
هو عن كل اولئك كان مسؤلا اي سال المرء عما استعمل هذه الجوارح وانه فيم استعملها وقال بعضهم في قوله
اولئك يعني الخلائق جميعا عنه يعني عما ذكر من السمع والبصر والفؤاد مسؤلا وقال بعضهم في قوله ولا تقف
ما ليس لك به علم يقول لا تقل رايت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم ومنهم من قال في شهادة الزور
فان احتج محتج بهذا في ابطال القياس والاجتهاد فيقول اذا قاس الرجل فقد قال ما ليس له به علم لكن ليس كذا
لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تكلموا في الحوادث برايهم وتشاوروا في امورهم وولى ابو بكر عمر رضوان
الله عليهما الخلافة بغير نص من الرسول عليها وجعلها عمر شورى بينهم ولم يروا ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يقول انهم فعلوا ذلك بغير علم ولا قالوا ما لم يعلموا فدل ما ذكرنا ان معنى قول الله ولا تقف ما ليس لك به
علم ليس يدخل فيه الاجتهاد في الاحكام وتشبيه الفرع الحادث بالاصل المنصوص عليه والله اعلم وقال القتبي
حتى يبلغ اشده اي يتناهى في النبات الى حال الرجال ويقال ثماني عشرة سنة وقال اشد اليتيم غير اشد الرجل
في قوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة والاشد ما ذكرنا من استحكام عقله وتدبيره الى ان لا يوخذ بالنقصان
وهو اذا جاوز اربعين ياخذ في النقصان والى اربعين يكون على الزيادة والنماء ويحتمل قوله ولا تقف ما ليس
لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد اي لا تقف ما ليس لك به علم باسباب العلم وهو ما ذكر من السمع والبصر
وجائز ان يكون ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا يسال عن شكر هذه الاشياء او يسال عما يتحرى
بهذه الاشياء وفي قوله واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم دلالة تجويز الاجتهاد لانه امر
بايفاء الكيل والوزن ولا يعتمد وعلى ذلك الاجتهاد الكائل والوازن لان كيل الرجل يزيد على كيل غيره وينقص
وربما كال الرجل الشيء ثم يعيد كيله هو بنفسه فيزيد وينقص ولا يكاد يستوي المكيالان وان كان من رجل واحد
وانما تكليف الاجتهاد في كيله وترك التعمد للزيادة او النقصان فاذا فعل ذلك فقد وفى الكيل وادى الواجب
وهذا عندنا اصل الاجتهاد والاستحسان لان الكائل المجتهد في توفيته الحق ولا يعلم يقينا انه وفى ما كان
عليه من الكيل الذي سمي في العقد فعلى ذلك الاستحسان انما هو اجتهاد العالم في اختيار احسن ما يقدر
عليه اذا لم يكن للحادثة اصل يردها عليه ويقيسها به والله اعلم وقوله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا لانه ليس

النهي عن المشي بنفسه انما النهي لمشي المرح ثم النهي عن الشي يوجب ضده وكذلك الامر ثم ان النهي عن الشي يوجب الامر بضده وههنا نهي عن المرح فيكون امرا بما ذكر كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال بعضهم
مرحا بطرا واشرا وقيل متعظما مستكبرا بالخيلاء وقوله عز وجل انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا قال
قال بعضهم ذكر خرق الارض وبلوغ الجبال طولا لان من الخلائق من يخرق الارض ويدخلها ويبلغ طول الجبال
وهم الملائكة ثم لم يتكبروا على الله ولا تعظموا عليه ولا على رسوله بل خضعوا له فمن لم يبلغ في القوة والشدة
ذلك اخرى ان يخضع له ويتواضع ولا يتكبر ويحتمل ان يكون ذكر هذا لما انهم كانوا يسعون في اطفاء هذا الدين
وقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول كما لم يتهيا لكم خرق الارض وبلوغ الجبال طولا لم يتهيا لكم اطفاء
نور الله وقهر رسوله وهو ما ذكر ان في سد و دعم الاكبر ما هم ببالغيه او يذكر هذا يقول انك لن تبلغ لكبرك وعظمتك
مرتبة الرؤساء والقادة ومنزلتهم على هذا التمثيل يحتمل ان يخرج والله اعلم او يقول انك لن تخرق الارض اى
لا تقدر ان تخرق الارض فتستخرج ما فيها من الكنوز والمنافع فتنتفع بها ولا تقدر ان تبلغ الجبال طولا فتنتفع
بما في رؤس الجبال من المنافع فكيف تتكبر وتمرح على غيرك وهو مثلك في القوة والشدة واصل الكبر ان من
عرف نفسه على ما ركب هي عليه من الاحداث والافات وانواع الحوائج لم يتكبر على مثله والله اعلم وقوله عز
وجل كل ذلك اى كل ما امر الله به ونهى عنه في هؤلاء الايات كان سيئة بالعقل عند ربك مكروها مسخوطا
فيه دلالة ان الامر الذي امر في هذه الايات ونهاهم عنه لم يكن امر ادب ولا نهي ادب ولكن امر حتم وحكم حيث
ذكر ان ذلك عند ربك مكروه وهذا لو كان ادبا لم يكره اى مثل ما ذكر في مكروه عند ربك وهو كقوله فيتبعون احسنه
اى يستمعون الكل فيتبعون احسنه ويتركون غيره فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل ذلك مما
اوحى اليك ربك من الحكمة اى ذلك الذي امر الله به ونهى عنه في هؤلاء الايات من الحكمة ليس من السفه
اى ما امر فيها هو حكمة وما نهى عنه وقال بعضهم الحكمة هؤلاء ههنا القراءة قوله ذلك اى ذلك الذي اوحى
اليك هو حكمة وقال بعضهم الحكمة الاصابة اى ذلك الذي اوحى اليك صواب وقوله ذلك مما اوحى اليك
ربك من الحكمة اى ما ذكر في هذه الايات وامر به ونهى عنه وهو من الحكمة والحكمة هي وضع الشي موضعه يقول
حكمة وضع كل شي موضعه لا وضع الشي غير موضعه وقوله عز وجل ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم
ملوما مدحورا معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجعل معه الها اخر اذ عصمه واختاره لرسالته
لكنه ذكر هذا ليعلم انه لو كان منه ذلك فيفعل به ما ذكر لمن هو دونه احق ان يفعل به ما ذكر وهو ما قال في
الملائكة ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية ان عصمهم حتى اخبر انهم لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون فمن لم يكن معصوما لم يوصف انه لا يسبق بالقول فعلى ذلك قوله ولا تجعل مع
الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما عند الله وعند نفسك وعند الخلق مدحورا مبعدا مطرودا من رحمته في
النار او خاطب به رسوله واراد به غيره على ما ذكرنا في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل افاصفاكم ربكم بالبنين
واتخذ من الملائكة اناثا يخبر من سفه مشركي العرب انهم نسبوا الى البنات والبنين الى انفسهم بقوله و
يجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وهو الذين حملهم على ذلك قول اهل الكتاب حيث وصفوا
الله بالولد لما وانه ما يكون له الولد يكون له البنات فقال انكم لتقولون قولا عظيما لم يزد على هذا العظيم ما قال
في الله فلم يضرب لقولهم ذلك مثلا لما ليس وراء ذلك مثل يضرب لا نه ضرب مثل ما قالوا بالولد له بانفطار
السماء وانشقاق الارض وخرور الجبال حيث قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
الاية اخبر ان السموات لما ذكر كادت ان تنقلب عن وجهها تعظيم ما قالوا في الله من الولد وقال في الشريك
ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء الاية فهذا غاية ما ذكر من الامثال لمن قال له بالولد والشريك فليس وراء
هذا ما يذكر لمن قال له بالبنات ولكن قال انكم لتقولون قولا عظيما لم يزد على ذلك لان الذي قالوا له ونسبوا اليه
نهاية في السفه والسرف في القول تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا او يقول انكم لتقولون قولا عظيما
في عقولكم لو تفكرتم وتدبرتم لعلمتم ان ما قلتم في الله سبحانه وتعالى عظيم قال ابو عوسجة افاصفاكم ربكم
اى اعطاكم ربكم يقال اصفيته اعطيته واصفاكم اى اختاركم وقوله عز وجل ولقد صرفنا في هذا القران
ليذكروا قال الحسن قوله صرفنا نقول بينا في هذا القران ما نزل بمكذبي الرسل من الامم الخالية بتكذيبهم الرسل
انه قائمة ليذكروا ما نزل بهم فينتهوا عن تكذيبهم الرسل ما يزيدهم ما بينا لهم الا نفورا اى تكذيبا للرسل وقال
بعضهم ولقد صرفنا في هذا القران بينا في هذا القران والايات التي تقدم ذكرها جميعا ما يوتى ويتقى وما

وما عليهم

وما عليهم ليعتبروا فيؤمنوا وما يزيدهم القران الا تباعدا من الايمان به وهو ما ذكر ذلك مما اوحى اليك ربك الاية
وقال بعضهم صرفنا في هذا القران من المواعيد الشديدة انه ما ينزل بهم في الاخرة من العذاب والعقوبة في
بصنيعهم وتكذيبهم الرسل لكن ولم يؤمنوا بالاخرة لم يزدهم ذلك الوعيد الا نفورا ويعد ان الله قد ذكر في القران
المواعظ الكبيرة ما لو انظروا فيه وتاملوا لكانت تنفعهم وتزجرهم عن مثل صنيعهم لكن لم ينظروا والتفكر
ولكن نظر والتفكر لما ان زاد لهم التكذيب وحدث لهم الكفر به اذا نزل كما كان لاهل الاسلام يزداد لهم الايمان
واليقين اذا انزل وجائز ان يكون قوله ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا اى ليتذكروا كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا
فيه ذكركم اى شرفكم او ليذكروا ما نسوا او تركوا وغفلوا عنه ثم قوله صرفنا في هذا القران ليذكروا امتحانا والله اعلم
انه ليلزمهم الذكر او ليكون عليهم او ليامرهم بالذكر وهو ما ذكرنا في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اى ليلزمهم العبادة والطاعة او ليامرهم بالطاعة والعبادة او ارسل
وخلق لمن علم منه العبادة له والطاعة وقوله عز وجل ليذكروا اى ليكون لهم الذكرى بذلك لانه لا يحتمل انه يبين
لهم بيانا ليذكروا ثم لا يكون ولكن ما ذكر ان ليكون لهم الذكر وقد كانت لكن لم تنفعهم وقوله عز وجل وما يزيدهم الا نفورا
ليس القران بالذي يزيدهم نفورا ولكن لما نظروا اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء فزادهم بذلك نفورا عنده وأو
تكذيبا والا القران لا يزيد الا هدى ورشدا على ما وصفه وقوله عز وجل قل لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا
الى ذي العرش سبيلا قال عامة اهل التاويل الاية في الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها اى لو كانت هي الهة معه
كما يقولون اذا لابتغوا التقرب والزلفى الى ذي العرش سبيلا وقال بعضهم لو كانت لهم عقول لابتغت و
امكن لها من الطاعة والعبادة اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا بالطاعة له والعبادة وهو ما قال في الملائكة
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الاية لكن الاشبه ان يكون الله تعالى انه لا يقول في الاصنام
مثل هذا لو كان معه الهة انما هي خشب لكن قال لاتيها ما قال لا تسمع ولا تعقل ولا تبصر وما ذكر في اية اخرى لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وما قال ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا الاية مثل هذا
انه يقال في الاصنام واما ما ذكر لو كان معه الهة كما تقولون الاية معلوم انها ليست من اهل الابتغاء الا ان
يقال ما ذكر بعضهم اى لو كانت الاصنام التي تعبد ونها الهة على ما تزعمون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وتخذوه
معبودا او في الثنوية الذين يقولون بالعدد والذين لهم تدبيرا والذين يقولون بقدم العالم واصوله فهو يخرج على
وجهين احدهما من وجوه فيقول والله اعلم لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا اى اذا لاظهروا دلالة ربوبيتهم
والوهيتهم بانشاء الخلائق كما اظهر الله سبحانه الوهية وربوبيته بانشاء الخلائق ولم يظهر ممن يدعون لهم
الوهية انشاء شي من ذلك فدل انه ليس هنالك له غيره وقال بعضهم لو كان معه الهة كما يقولون اذا لا بتغوا
اى ضادوكم ولا يعني اساءوا في الانشاء والافنا والتدبير ومنعوه عن انفاذ الامر له فيهم واتساق
التدبير فاذا لم يكن ذلك فهم انه لا اله معه سواه ويكون كقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
الاية وقال بعضهم لو كان معه الهة كما تزعمون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا في القهر والغلبة على ما عرف
من عادة ملوك الارض انه يسعى كل منهم في غلبة غيره وقهر اخر ومناصبه كقوله وما كان معه اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض اى غلب وقهر وناصب ويحتمل غير هذا وهو ان يمنع كل منهم ان يكون
الله الواحد بالخلق دلالة الوهية وربوبية وجهة الاستدلال له بذلك فاذا لم يمنعوا ذلك دل انه لا الوهية
لسواه وهو الاول بعينه وقال بعض اهل التاويل لعرفوا فضله ومرتبته عليهم ولابتغوا ما يقربهم اليه وسبيل
ولابتغت الحوائج اليه وهذا هو الذي ذكرناه بدئا من طلب الطاعة له وقوله عز وجل سبحانه نزه نفسه
وبراها عما يقول الملحدة فيه ووصفوه بالشركاء والاشباه والولد وما يليق به فقال سبحانه وتعالى عما يقولون
علوا كبيرا ثم قال تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ثم يحتمل تسبيح ما ذكر وجهين احدهما ان جعل الله
تعالى في خلقة السموات والارض وما ذكر دلالة على وحدانية الله والوهيته وشاهدة له انه واحد لا مثل له
ولا شبه فان كان على هذا فيدخل فيه كل شي ذو الروح وغيره فيكون قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم الكفرة
خاصة واما اهل الاسلام يفقهون ذلك والثاني انه جعل في سرية هذه الاشياء ما ذكر من التسبيح والتنزيه
لكن لا نفقه نحن ذلك ولا نفقه على ما اخبر ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهي لا تعرف ايضا ان ذلك تسبيح على
ما جعل في الجوارح والاعضاء تسبيحا وعبادة له وان كانت هي لا تعرف ذلك انه تسبيح والثالث انه جعل
صوت هذه الاشياء انه تسبيح وان كان لا يعرف ذلك الخواص من الناس وهم الانبياء والله اعلم وقوله عز وجل

وتخلقه ومشيئته له

انه كان حليما غفورا الحلم هو ضد السفه وهو الحليم والثانى يقال الحليم ليس يعجل بالعقوبة غفورا اذا تابوا او غفور
حيث سفه عليهم فضل عليهم الحلم ما ذكرنا ضد السفه والعجلة ذكرهما على اثر ما ذكر منهم من القول الوحش فيه
والعظيم انه حليم ليعلموا انه عن حلم لم ياخذهم بالعقوبة عاجلا وغفورا ليعلموا انهم وان اعظموا القول فيه
يغفرهم ويتجاوز عنهم ان رجعوا وتابوا فان قال لنا ملحد انكم تصفون ربكم بالحلم والرحمة ولو عرفتم ما قلتم ذلك ولم
يعذب على الكفر ابدا لابدين لم يكن حليما ولكن سفيها وكذلك الرحمة وليس خروج الشى على غير موافقة الطبع به
بالذى يخرج صاحبه عن حد الحكمة والرحمة فانتم انما تصورتم الحكمة والرحمة على موافقة طباعكم وليس كذا
وكذلك يقال للمعتزلة حيث قالوا انه لا يفعل الا ما هو اصلح لهم فى الدين لا ان جوار فلو منع الاصلح والاخير لم
يكن جوادا موصوفا بالجود وانما قدرتم وقلتم على وافق طباعكم وانفسكم ولو عرفتم حقيقة الجود ما قلتم
ذا ولا خطر على بالكم شى من ذلك وانما على الله ان يختار لكل ما علم منه ان يختار ويوثر لانه لا يجوز ان يختار
الولاية لمن علم منه ولا يختار عداوته وكذلك لا يجوز ان يختار العداوة لمن علم منه ان يختار ولايته وليس على الله
تعالى حفظ الاصلح لاحد فى الدين بل عليه حفظ ما يوجبه الحكمة والربوبية وفى ذكر تسبيح ما ذكر من جميع الموات
على اثر ما ذكر من قول اولئك الكفرة من وصف الله تعالى بالولد والشريك وكذا ونحوه يخرج على وجوه احدها يذكر
سفههم انه مع ادعائهم العقل والعلم والتمييز والسودد وصفوا الله بالذى لا يليق به وما يستبعد الالوهية و
الربوبية عنه على زعمهم فالذين ليس لهم شى من ذلك التمييز والعقل نزهوه عن ذلك كله وبرءوه من جميع ذلك
والثانى ذكر تسبيحهم على اثر ذلك ليعلم انه لا حاجة الى تسبيحهم ولا منفعة له فى ذلك اذ سبح له جميع الخلائق
سواهم بل منفعة تسبيحهم ترجع اليهم والثالث ذكر لاثبات الرسالة للرسل لانهم ذكروا تسبيح الموات ولا
يفهم ذلك ولا يعقل الا بوحى من السماء فذلك يدل على الرسالة فعلى هذه الوجوه الثلاثة التى ذكرنا يجوز ذكر
تسبيح ما ذكر على اثر ذكر ما ذكر وكذلك ذكر سجود الموات يخرج على هذه الوجوه التى ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا قال بعضهم ان الكفرة كانوا يمنعون
رسول الله عن تبليغ الرسالة الى الناس وقراءة ما انزل اليه من القران عليهم وقد امر بتبليغ الرسالة فانزل الله
عليه الاية فاخبر انه جعل بينه وبين اولئك حجابا مستورا ومكن له التبليغ اليهم بالحجاب الذى ذكر ثم اختلف
فى ذلك الحجاب قال بعضهم شغلهم فى انفسهم بامور واشغال حتى بلغ اليهم ومنهم من يقول القى فى قلوبهم
الرعب والخوف حتى لم يقدروا على منع ذلك ومنهم من يقول صيرهم بحيث كانوا لا يرونه ويسمعون قراءته
وتلاوته ولم يقدروا على اذاهم به والقصد عليه فليفهم وجائز ان يكون ما ذكر من الحجاب هو حجاب الفهم
وذلك انهم كانوا ينظرون اليه بالاستخفاف والاستهزاء فيحجزوا عن فهم ما فيه وهو كقوله ساصرف عن اياتى
الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق الاية يدل على ذلك قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الاية
ثم قال الحسن فى قوله وجعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا اى طبع على قلوبهم حتى
لا يؤمنون ومذهبه فى هذا انه يقول ان الكافر اذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه فلا يؤمن ابدا واستوجب
بذلك العقوبة والاهلاك بالذى كان منهم الا ان الله بفضله ابقاهم لما انه يلد منهم من يؤمن او يبقيهم
لمنافع غيره والا فقد استوجب الهلاك فيقول الحسن اضاف ذلك الى نفسه لما استوجبوهم بفعلهم وقال
ابو بكر الاصم اضاف ذلك اليه لانهم انتفوا عن اتباع الرسل وتكبروا عليهم فاستكبروا الكن نقول له الاستكبار
الذى ذكرت فعلهم لا فعل الله فما معنى اضافة ذلك اليه فهو خيال وقرارها يلزمهم فى مذهبهم وقال جعفر
بن حرب فى الاية اضمار لما عم اضافوا ذلك اليه انه هو جعل كذلك وهو ما قالوا قلوبنا فى اكنة وقلوبنا غلف
ونحوه من الخيال فلو جاز صرف هذه الايات الى ما ذكر وامثال الخيال لجاز لغيرهم صرف الكل الى مثله فهذا
بعيد ولكن عندنا ان اضافة ذلك الى نفسه تدل ان له فيه صنعا وفعلا وهو ان يجد لهم باختيارهم ما اختاروا
واضاف ذلك اليه لما خلق ظلمة الكفر فى قلوبهم وهذا معروف فى الناس ان من اعتقد الكفر يضيق صدره
ويخرج قلبه حتى لا يبصر غيره وهو ليس يعتقد الكفر لئلا يبصر غيره ولا يهتدى الى غيره لكان لا يبصر غيره فيدل
هذا انه يبصر كذلك لصنع له فيه وكذلك من اعتقد الايمان يبصر بنوره اشياء وهو ليس يعتقد الايمان ليبصر بنوره
اشياء غابت عنه دل انه بغيره ادرك ذلك وكذلك المعروف فى الخلق ان من اعتقد عداوة اخر يضيق صدره
بذلك وكذلك من اعتقد ولاية اخر ينشرح صدره له باشياء فهذا كله يدل ان لغيره فى ذلك فعلا وهو ما ذكرنا
من الخذلان والتوفيق اذ خلق ذلك منهم والله اعلم فيدخل فيما ذكرنا فى قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة الاية واصله

ما ذكرنا من الحجاب والغلاف والاكنة انما هو على العقوبة لهم لعنادهم وتكابرهم الحق لانهم كما اذ دادوا عنادا او
زادت قلوبهم ظلمة وعمى وهو ما ذكر فى غير اية حيث قال فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم الاية وقال ثم انصرفوا صرف
الله قلوبهم وقال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخبر ان ما ران على قلوبهم بكسبهم الذى كسبوا او
زاغ قلوبهم باختيارهم الزيغ وصرف قلوبهم باختيارهم الانصراف فعلى ذلك ما ذكر من جعل الحجاب والاكنة
عليها لما كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل واذا ذكرت ربك فى القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال
بعضهم الشيطان اذا ذكر الله ولى عنه واعرض وفر منه وهو ما ذكر واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله الاية وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الاية وقال بعضهم ولوا على ادبارهم
نفورا الانس اى ولوا عما دعوتهم اليه واقبلوا الى اصنامهم التى عبدوها وقوله واذا ذكرت ربك فى القران
يحتمل واذا ذكرت دلالة وحدانية ربك والوهيته وربوبيته او ذكرت دلالة البعث يحتمل ذكر دلالة هذه الاشياء
الثلاثة لانهم كانوا منكرين لهذه الاشياء فعند ذلك ذكرها يولون على ادبارهم نفورا ويحتمل الهرب والاعراض
ويحتمل الكناية عن الانكار والتكذيب وقوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى كانهم يستمعون
الى القران اما لما يستحلون نظمه ووصفه او يستمعون اليه لما فيه من الانباء العجيبة او يستمعون اليه ليجدوا
موضع الطعن فيه فان كان استماعهم للوجهين الاولين فانه موضع الخلاف والتنازع وهو ما يذكر فيه من
دلالة وحدانيته ودلالة الرسالة ودلالة البعث عند ذلك كانوا يولون الادبار نافرين لانكارهم وان كان الاستماع
الاستماع لطلب الطعن فهو يحتمل ايضا واختلف فى قوله نحن اعلم بما يستمعون به قيل كانوا يستمعون اليه
ليكذبوا عليه كقوله لما الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين كانوا يسرعون الى استماع ما يقرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكذبوا عليه وقال بعضهم كانوا يستمعون اليه ليجدوا موضع الطعن فيه وقال
بعضهم استمعوا اليه ليرد الضعفة والاتباع انهم انما يطعنون فيه بعد ما استمعوا اليه وعرفوه فيقع
عندهم صدق الطعن كان فى موضع الطعن والله اعلم وقوله واذ هم نجوى قيل يتناجون فيما بينهم انه مسحور
وانه مجنون وانه كاهن ثم اخبر الله نبيه ما اسروا فيه وتناجوا بينهم ليدلهم على رسالته وانه انما عرف
بالله وسماهم ظالمين لما علموا انه ليس بمجنون ولا مسحور ولكن قالوا ذلك له ونسبوه اى ما نسبوه من السحر
والجنون على علم منهم انه ليس كذلك وقوله عز وجل انظر كيف ضربوا لك الامثال بالمجانين والسحرة والكهنة
فضلوا وضربوا لك الاسباب التى تزجر الناس وتمنعهم عن الاقتداء بك لما وصفوا له ونسبوه اليه من السحر
والجنون والكهانة فذلك كان يمنعهم عن اجابة من اراد اجابته والاقتداء به وقوله عز وجل فضلوا
فلا يستطيعون سبيلا اختلف فيه قال بعضهم لا يستطيعون الى ما قصدوا من منع الناس عنك وصدهم
سبيلا وقال بعضهم لا يستطيعون المكر به والكيد له سبيلا لانهم قصدوا به ذلك وقال بعضهم لا يستطيعون
الى ما نسبوه اليه سبيلا وقال الحسن لا يجدون الى الهدى والايمان سبيلا لما طبع على قلوبهم وجعلها
فى اكنة وغلف ويحتمل ان يكون قوله فلا يستطيعون الى الاحتجاج الى الحجج والدلالات التى اقامها رسول
الله صلى الله عليه وسلم على التوحيد والرسالة والبعث سبيلا والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا ائذا
كنا عظاما ورفاتا اى ائنا كنا عظاما بالية ناخرة ورفاتا قيل ترابا وقيل غبارا وقيل رفاتا اى بالية حتى
اذا مست تكسرت ذهبت كقوله ائذا كنا عظاما ناخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة اى غير كائنة قالوا ذلك
كله انكار البعث واستهزاء به انهم يبعثون ويجزون باعمالهم وهذا كانهم قالوا ذلك على التعجب والاستبعاد
عن كون ذلك والاستهزاء بذلك والجهل به هو الذى حملهم على التعجب والاستهزاء بما ذكر انكر هؤلاء
الكفرة قدرة الله على البعث كما انكر المعتزلة قدرته على خلق افعال العباد وليس لهم الاحتجاج على اولئك
الكفرة بانشاء الاول لان لهم ان يقولوا انكم تقرون بالقدرة على الخلق الاول وتنكرون خلق افعالهم وليس
لكم الاحتجاج وقوله عز وجل قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم قال بعض اهل التاويل
اى لو كنتم حجارة او حديدا لاحييكم لكن هذا بعيد لانهم لم يكونوا ينكرون الموت فلا يحتمل الانكار ولكن كانوا
ينكرون البعث بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا ورفاتا الا ان يقال انكم لو كنتم بحيث لا تبعثون ولا تجزون
باعمالكم لكنتم حجارة او حديدا لم تكونوا بشرا لان الحجارة والحديد ونحوه ذلك غير ممتحن ولا مامور ولا
منهى عنه شى واما البشر فانهم لم ينشاوا الا للامتحان بانواع المحن والامر والنهى والحل والحرمة فلا بد من
الامتحان فاذا امتحنوا باشياء لا بد من البعث للجزاء والعقاب فاذا لم يكونوا ما ذكر ولكن كنتم فاعلموا انكم مبعوثون

ويجزون باعمالكم على هذا يحتمل ان يعرف تاويلهم لا لما قالوا والاظاهر ما قالوا وتاولوا الا يحتمل لما الا احد انكر
الموت ويحتمل قوله كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اى لو كنتم ما ذكر حجارة او حديدا او
اشد ما يكون من الخلق لقدر ان ينشئكم بشرا من ذلك فكيف اذا كنتم بشرا في الابتداء ان نعيدكم بشرا على
ما كنتم كما انشاكم في الابتداء ومن ماء وتراب وليس في ذلك الماء والتراب من اثار البشر شيء من العظام واللحوم
والعصب والجلد وغيرها فمن قدر على انشاء البشر بعد الموت وبعد ما صار ترابا ورفاتا على هذا يجيء
ان يتاول وفيه اخبار يقال قولوا ان لو كنتم حجارة او حديدا او ما ذكر لبعثكم فكيف تظنون انه لا يبعثكم اذا
كنتم ترابا ورفاتا وكلام نحوه وقوله عز وجل او خلقا مما يكبر في صدوركم ذكر واحدا وكل ما يكبر في صدوركم
على ما ذكر فسيقولون من يعيدنا استهزاء منهم به قل الذي فطركم اول مرة انهم وان قالوا استهزاء به وسخرية
فقد امر الله تعالى اولياءه والمؤمنين ان يحاجوهم محاجة العقلاء والحكماء مع الحجج والبراهين وان كانوا
قالوا ما قالوا سفها واستهزاء وعلى ذلك علمهم الله وان كانوا سفهاء وفي قولهم مستهزئين وكذلك
امر رسوله يعاملوا قومهم بحسن المعاملة حيث قال وجادلهم بالتي هي احسن وقال وقل لعبادي يقولوا التي
هي احسن وانما ذكر الله هذه الايات ليحاجوا بها هؤلاء ويعلم كيف المعاملة مع هؤلاء اذ قد اقام الله تعالى
من الايات والحجج على بعثهم واحيائهم حججا كافية بما لا يحتاج الى مثل هذا لما ذكرنا والله اعلم كان الذي حملهم
على انكار ذلك وجوه من الاعتبار احدها انهم لم يروا من الحكمة اماتتهم ثم الاحياء على مثل ذلك اذ لو كانوا
يحييهم ثانيا لكان لا يميتهم كنقض البناء على قصد بنا ومثله والثاني لما راوا قوما قد ماتوا من منذ طويل ثم لم
يبعثوا فيقال لهم انه قد تاخر كونكم وانشاؤكم ثم لم يدل تاخره على انكم لا تكونون فعلى ذلك لا يدل تاخر البعث
على انه لا يكون واما جواب الاول فانه يقال لهم انكم تقرون انه انشاكم اول مرة وانه يميتكم فليس من الحكمة انشاء ثم
الاماتة كانه يكون كبناء للنقض والفناء فاذا كان حكمة كان الثاني ايضا حكمة والله اعلم وقوله عز وجل قل الذي
فطركم اول مرة اى يعيدكم الذي خلقكم اول مرة ولم تكونوا شيئا على ما ذكرنا واعادة الشيء معرفته وانما يتكلفون تعلم
ابتداء الصناعات ومعرفتها ثم يعرفون اعادته بمعرفة ابتدائه فدل انه اهون وايسر وهو ما قال وهو اهون عليه
اى في عقولكم ذلك اهون وايسر وقوله عز وجل فسينغضون اليك رءوسهم اى يحركون رءوسهم استهزاء به وهزءا
ويقولون متى هو على الاستهزاء ايضا اى لا يكون وقوله عز وجل ويقولون متى هو قالوا ذلك جهلا به وانكارا والا لو علموا
انه كائن لا محالة لكانوا لا يقولون ذلك بل يخافونه كما خاف الذين امنوا به وقوله عز وجل قل عسى ان يكون قريبا وعسى من
الله واجب اى يكون لا محالة وقوله عز وجل قريبا اى كائنا القريب يقال على الكون اى كائنا ويقال على القرب والبعد
كذلك يقال على الانكار راسا ويقال على الاستبعاد كقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا اى هم لا يرونه كائنا ونحن
نراه كائنا كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون كانوا يستعجلون بها لما لم يكونوا يرونه كائنا
والمؤمنون يرونه كائنا والله اعلم وقوله عز وجل يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده يحتمل هذا الدعاء والاجابة
دعاء الخلقة واجابة الخلقة لما كانت خلقتهم تعظم ربهم وتحمده في كل وقت وتثني على ما ذكرنا في غير موضع من القران ويحتمل
دعاء القول واجابة القول والفعل لما كانوا عاينوا قدرته وعظمته اجابوا له بحمد وثناء كقوله مهطعين الى
الداع ونحوه او ان يكون قوله يوم يدعوكم يوم القيامة كقوله يوم يدعو الداع الى شيء نكر الاية وقوله مهطعين
مقنعي رءوسهم الاية اخبر انهم يجيبون داعيهم يومئذ ويثنون على الله لما راوا من الاهوال من ترك الاجابة في الدنيا
وقوله عز وجل فتستجيبون بحمده اى يجيبون داعيه بثنائه وبحمده اى يثنون على الله ويحمدونه وقوله عز وجل وتظنون
ان لبثتم الا قليلا قال الحسن قوله تظنون اى تعلمون وتستيقنون انكم ما لبثتم في الدنيا الا قليلا وكذلك قال قتادة
اى تستحقرون الدنيا وتصغرونها لما عاينوا العقبة واهوالها ثم من انكر عذاب القبر احتج بظاهر هذه الاية حيث
قال وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقوله لبثنا يوما او بعض يوم ومثله قالوا في العذاب والشدة لم يكونوا يستقصرون
ويستقصرون المقام فيه اذ كل من كان في عذاب وبلاء وشدة يستعظم ذلك ويستكثر والانسان ابدا هذا المعروف
عند الناس فاذا هم استقلوا ذلك واستقصروه حتى قالوا يوما او بعض يوم وقالوا قليلا وتيسيرا دل ذلك
انهم لم يكونوا في عذاب وبلاء وشدة ولو قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا على التقديم والتاخير يقولون
تاويله ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ليس على ان لا يكون لهم عذاب
فيما بين ذلك ولكن على ما في الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ومن يقول بالعذاب في القبر يقول قوله وتظنون
ان لبثتم الا قليلا في الدنيا ويقولون ذلك في وقت وهو ما بين النفختين كذلك يقولون انه يرفع عنهم العذاب ما بين

النفختين فيهون والثانية وهذا احتمال ويقال ايضا ليس في استقلالهم المقام والاستقصار ما يدل على انه لم يكن لهم عذاب
في القبر لان العرف جار في الناس انهم كانوا في بلاء وشدة ونوع من المرض ثم نزل بهم ما هو اشد من ذلك واعظم
استصغروا ما كانوا هم فيه ونسوه ذلك فعلى ذلك هؤلاء اذا عاينوا عذاب القيامة واهوالها وافزاعها استصغروا
ما كان لهم من العذاب في القبر وشهود ذلك الا ترى انهم اذا عاينوا الجنة ونعيمها نسوا ما كان لهم من النعم في الدنيا
ولا شك انه قد كان لهم نعيم في الدنيا فعلى ذلك العذاب وقال ابو عوسجة ورفاتا قال رفاتا مستكثرة وفتة اى
كسرته وقال القتبي في اكنة جمع كنان مثل غطاء واغطية واذ هم نجوى اى متناجون يقول بعضهم لبعض
مجنون وانه ساحر كاهن واساطير الاولين وقال بعضهم كان نجواهم ما ذكر في سورة الانبياء من قالوا هل هذا
الا بشر مثلكم افتاتون السحر الاية فذلك قوله وقال الظالمون ان تتبعون اى ما تتبعون الا رجلا مسحورا وقال
ابو عبيدة مسحورا اى قد سحر به وقد بينا فسخ قولهم وقد ذكرنا وجه تناقض قولهم فيما تقدم والله اعلم
وقوله عز وجل وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن يحتمل قوله التي هي احسن الوجوه الثلاثة احدها
الدعوة كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة امر ان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة
الحسنة فالتانيث للدعوة كانه قال ادع لهم الدعوة التي هي احسن الدعوة على اضمار الدعوة وجائز على اضمار
الحسنة اى قل لهم ان يقولوا لهم الحسنة التي هي احسن او على اضمار الاقوال كانه قال يقولوا لهم الاقوال التي
هي احسن الاقوال والالفاظ وان يقول يقولوا الذي هو احسن والثاني على اضمار المجادلة المناظرة معهم كقوله
وجادلهم بالتي هي احسن امر رسوله ان يجادلهم احسن المجادلة معهم والثالث في حسن المعاملة معهم و
والصفح عما كان منهم الى المسلمين من انواع الاذى فامرهم ان يحسنوا معاملتهم ويصفحوا عنهم كقوله فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وكقوله ادفع بالتي هي احسن الاية وقوله والكاظمين الغيظ الاية
ونحوه من الايات امرهم ان يعاملوا اولئك احسن المعاملة ولا يكافئوهم بسوء صنيعهم ولكن يعفون
عنهم ويصفحون لما لعلهم يكونون اولياء ويحيا على ما اخبر ويصيرون اخوانا لهم من بعد هذا في حق هذه
الاية واما من جهة الحكمة وهو ان الله تعالى انشا هذا اللسان وجعله ترجمانا بين الخلق به يفهم بعضهم
من بعض وبه يقضي الحوائج بعضهم من بعض وبه قوام معاشهم ومعادهم وبه بعث الرسل والكتب جميعا
فاذا كان كذلك قالوا الواجب ان لا يستعمل في الخير والحكمة ولا ينطق به الا ما هو احسن واصوب والله اعلم
وقوله عز وجل ان الشيطان ينزغ بينهم اى يفسد بينهم ويوسوس اليهم ويغري بعضهم على بعض
ليفسد بينهم وذلك دابه ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اى كان الشيطان منذ كان الانسان عدوا
ظاهر العداوة بينا جعل الله تعالى الشيطان بحيث يوسوس اليهم ويدعوهم الى اشياء يظنون ان ذلك خير لهم
وابدا يلقي لهم ما يقع عندهم ان ذلك انفع لهم ويحبب الى كل مذهبا يقع عنده هو الحق فيقصد بذلك الافساد
والقاء العداوة بينهم ابدا هذا دابه وشانه يحبب كلا الى جهة ويرى كل احد جهة غير الجهة التي ارى
الاخر والله اعلم وقوله عز وجل ربكم اعلم بكم هذا يحتمل وجهين احدهما اعلم بكم بمصالحكم وما لا يصلح
لكم في الدنيا والاخرة والثاني ربكم اعلم بكم بما تسرون وما تعلنون وما تعملون وما تعلنون والا فلا شك انه اعلم
بنا منا وقوله عز وجل ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم قال بعضهم ان يرحمكم ينجيكم من اذى هؤلاء او ان
يشاء يعذبكم فيسلطهم عليكم والثاني ان يشاء يرحمكم فيهديكم الى دينه ويوفقكم لسبيله او ان يشاء
يعذبكم ويخذلكم ولا يهديكم الى سبيله ويوفقكم لدينه وقوله ان يشا يرحمكم يحتمل الرحمة في الدنيا هو
ان يوفقهم على الطاعة ويعينهم على ذلك وفي الاخرة ينجيهم ويدخلهم الجنة واما التعذيب في الدنيا
ان يخذلهم ويتركهم على ما يختارون وفي الاخرة يعذبهم في النار بالذي اختاروا في الدنيا وقوله عز وجل وما
ارسلناك عليهم وكيلا قال بعضهم اى لم نجعلك حفيظا على ردهم واجابتهم وعلى صنيعهم وقال بعضهم
وكيلا اى كفيلا باعمالهم اى لا تؤاخذ انت بصنيعهم كقوله وما ارسلناك عليهم وكيلا اى مسلطا عليهم
وقاهرا لهم وقوله عز وجل وربك اعلم بمن في السموات والارض يحتمل ما ذكرنا انه اعلم بمصالحهم ومفاسدهم
وما يسرون وما يعلنون ويحتمل غير هذا جوابا لقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله
الله اعلم حيث يجعل رسالته يقول والله اعلم وربك اعلم بمن في السموات اى اعلم بمن يصلح للنبوة والرسالة
بمن لا يصلح ومن هو اهل لها او يقول اعلم بمن في السموات والارض اى عن علم بما يكون منهم انشاءهم لا عن
جهل او اعلم بهم من انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض مثل هذا الا

الا في ان له ذلكه يذكر الناز له التي عند ها نزلت ثم اختلف فيما ذكر من تفضيل بعض على بعض قال بعضهم
انه اعطى كل انبياء لم يعط غيره من يكلم ما ذكر انه كلم موسى واتخذ ابراهيم خليلا واعطى عيسى احياء الموتى وابراء
الاكمه وهو روح منه وكلمته واعطى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده واعطى داود زبورا واعطى سيدنا محمد
ان بعث الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومثله وقال بعضهم فضل بعضا على بعض في الدرجة
والمنزلة والقدر عنده فالاول يكون التفضيل في الايات والحجج والثاني في انفسهم والمنزلة والقدرة ويحتمل
ما ذكر من تفضيل بعض في الايات والحجج ويحتمل في كثرة الاتباع يفضل بعضهم على بعض بكثرة الاتباع والثالث يفضل
بعضهم على بعض في القيام بشكر ما انعم عليه وبصبره ما ابتلاه به والرابع
وعلى قول المعتزلة لا يكون لاحد فضيلة عند الله الا باستحقاق منه **وقوله** عز وجل واتينا داود
زبورا بجميع كتب الله زبور لان المزبور هو الكتاب وقد ذكرنا انا لا ندري لاية نازلة ذكر هذا ولا يحتمل ذكر
مثله على الابتداء والائتناف لكن فيه ان التفضيل والمنزلة انما يكون من عند الله ومن صنعه يستفاد لا تدبير من
انفسهم واستحقاق حيث قال انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لئلا
يرى احد الفضل والمنزلة لنفسه باسباب منه ولكن من عند الله وقال الاصم في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض بقوله يخاطب به اهل الكتاب ان اوليكم كانوا يرون لبعضهم على بعض فضلا في الدنيا وبيانه ان اولئك
المفضلين كانوا يبعثون الرسل لما راوا ولهم من الفضل والخصوصية فما بالكم يا اهل مكة لا تبعثون محمدا وقد ترون
فضائل وخصوصية ما لا ترون ذلك لانفسكم ولا لاحد سواه والكلام نحو هذا والله اعلم **وقوله** عز وجل قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وفي سورة سبأ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون
مثقال ذرة الاية فيشبه ان يكون الاية عند ما نزل بهم البلايا والشدائد على ما قاله اهل التاويل فاستغاثوا عند ذلك ان
يطلبوا كشف ذلك عنهم من الذين يعبدون من دونه فيقول لهم ادعوا الذين زعمتم انها الهة دونه تكشفوا عنكم ما نزل بكم
ويشبه ان يكون لا على نازلة ولكن بيان سفههم اولئك حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء
شفعاؤنا عند الله اخبر انه ليس لهؤلاء شفاعة عند الله وان عبادتهم اياها لا تقربهم الى الله زلفى كقوله ام اتخذوا
من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اخبر انهم لا يملكون ما يطمعون بعبادتهم اياها وان
يذكر هذا لنقطع ما يرجون من دون الله من كشف ضرهم ودفعه او جر نفع اليهم وسوق خير على ما اخبر انه
لا يملك ذلك احد سواه كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة الاية وقوله وان يمسسك الله الاية اخبر انه لو فتح
هو رحمة لا يملك احد دونه امساكه ولو امسك هو لا يملك احد ارساله دونه ولو مس ضر لا يملك احد كشفه ولو
اراد خيرا لا يملك احد دفعه ورده وهذا يذكروا لقطع المسلمين لئلا يرجوا احد من الخلائق دون الله ولا يخافوا
احدا سواه ثم صرف اهل التاويل تاويل الاية الى الملائكة لكن الاية تحتمل كل معبود دون الله الملائكة والجن والاصنام
التي عبدوها واما الاية الثانية التي تتلوها فانها في الملائكة والجن وهو قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة اي اولئك الذين يعبدون من دونه ويبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب يرجون رحمته و
يخافون عذابه الاية اختلف فيه منهم من صرفها الى الملائكة ومنهم من صرفها الى الجن وهو قول عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه يقول ان قوما من العرب كانوا يعبدون الجن ثم اسلم الجن فبقي اولئك كانوا يعبدونهم بعد اسلامهم
فيقول اولئك الذين تدعون من دونه يبتغون الى ربهم الوسيلة فكيف تعبدونهم ومن قال انها في الملائكة احتج
في قوله ويرجون رحمته ويخافون عذابه قال الحسن يرجون جنته ورضاه ويخافون عذابه اي خوف الهيبة والاجلال
والعظمة عذاب النار ونقمته لان الله عصمهم من ان يرتكبوا ما يوجب لهم النقمة والعذاب حيث قال لا يعصون
الله ما امرهم وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقال في قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم هذا اخبار انهم لو قالوا ذلك لفعل به ما ذكر ليس على ان يقول احد منهم وقال ابو بكر الاصم يرجون رحمته ثوابه
ويخافون عذابه نقمته حيث قال لهم من الوعيد ما قال ومن يقل منهم الاية فقد ثبت لهم الوعيد فيه لكن
ثوابه ما يتلذذ به ما لم يتألم به ويتوجع ومنهم من يقول من اهل التاويل يرجون رحمته اي جنته لكن هذا يشبه
ان يكونوا يرجون صحبة اهل الجنة كقوله يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم الاية ويجاز عندنا ان
قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الى الاصنام التي عبدوها من دونه ايضا ويكون تاويله يدعون
يبتغون اي لو لم يكن لهم من العبادة والطاعة وركب فيهم من اسبابه لكانوا كما ذكر وهو كقوله لو انزلنا هذا القرآن
على جبل اي لو مكن له وركب فيه ما ركب في البشر ومكن لهم لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله على ما ذكر من صفة

الولد

اهل مكة حيث سالوا العذاب بقوله فامطر علينا حجارة الاية واهل السماء والارض جميعا يحذرون عذابه
وقوله قل ادعوا الذين زعمتم فلا يملكون ما ذكر ليس هو بامر في الحقيقة وان كان ظاهره امرا ولكن اخبار عن عجز ما
يدعون من دونه وتعجيز ما ذكر من كشف الضر ودفعه والتحويل وكذا قوله قل كونوا حجارة الاية ليس هو بامر
انما هو اخبار عن قدرته انه لا يعجزه شيء وان بدلتم اصلب الاشياء واعظمها **وقوله** عز وجل فلا يملكون
كشف الضر عنكم اي دفعه ولا تحويلا يحتمل وجهين احدهما فلا يملكون تحويل ذلك الضر الى غيركم ولا صرفه
والثاني لا تحويلا من الاشد والاثقل الى الاخف والايسر **وقوله** عز وجل ان عذاب ربك كان محذورا اي يحذره
اهل السماء واهل الارض **وقوله** عز وجل وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها
عذابا شديدا قال ابو بكر الاصم وان من قرية الا نحن مميتوها وقد يستعمل الهلاك في موضع الموت كقوله ان امرؤ هلك
اي مات ويقال ايضا هلك فلان اي مات فعلى ذلك يقول قوله الا نحن مهلكوها اي مميتوها قبل يوم القيامة
كقوله كل نفس ذائقة الموت وكقوله كل من عليها فان او معذبوها اي مستقروها عذابا شديدا فعلى تاويله يجمع على
جميع القرى والمدن ليس قرية دون قرية ولا مدينة دون مدينة ولكن على الكل على ما اخبر من اهلاك الكل
بقوله كل نفس ذائقة الموت وكل من عليها فان ويحتمل ما ذكر من اهلاك القرية بعد اهلاكهم على ما فعل بكثير
من القرى وجائز ان يكون يهلك الاهل ويبقى القرية على حالها ثم تهلك بنفسها قبل يوم القيامة والله اعلم على
تاويل ابي بكر يفعل ذلك اما يميتهم موتا باجالهم او يعذبهم عذاب اهلاك وقال الحسن قوله الا نحن مهلكوها
اي مميتوها على ما قال ابو بكر او معذبوها عذابا شديدا يقول اذا قامت الساعة قبل يوم القيامة كقوله ونفخ في
الصور فصعق من في السموات الاية وقوله اذا زلزلت الساعة الاية فذلك كله يوم القيامة وهو يقول ان الساعة
تقوم على شرار الناس فيكون ما ذكر من التعذيب لاولئك الذين تقوم بهم الساعة على قوله وقال قتادة هذا
قضاء من الله كما تسمعه ليس منه بد اما ان يهلكها بموت كقوله كل نفس ذائقة الموت واما ان يهلكها بعذاب
مستأصل اذا تركوا امره وكذبوا رسله وهو ما ذكر من الانتقام وقال بعضهم يميت القرية باجالهم واما القرية
الظالمة فيأخذها بالعذاب الذي ذكر فهو في القرون الماضية احتمل ذلك ويشبه ان يكون قوله وان
من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة وهو ان يهلك رؤساء اهل الكفرة وقادتهم فيصير الدين كله دينا واحدا
وهو الاسلام على ما قال بعض اهل التاويل في قوله اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قالوا هو ان يهلك
اهل الكفر فيجعل اهل الكفر لاهل الاسلام فذلك نقصانها من اطرافها لا يزال ينقص اهل الكفر قرية وبلدة
فبلدة حتى تصير الارض كلها اهل الاسلام وهو ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال زويت لي الارض
فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فذلك والله اعلم تاويل قوله وان من قرية الا نحن
مهلكوها اي نهلك اهل الكفر ويشبه ان يكون قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها
عذابا شديدا على ما اخبر انه كان يفني جميع من كان على وجه الارض ويجعل الارض مستوية لا بناء فيها ولا نبات
حيث قال كل من عليها فان وقال ويسألونك عن الجبال الاية وقال رجت الارض والجبال بسا الاية اخبر انه لا
يبقى عليها احد ولا بناء فيصيرها كلها قاعا صفصفا لا عوج فيها ولا امتا فذلك اهلاكها وتعذيبها والله اعلم
عز وجل كان ذلك في الكتاب مسطورا قال بعضهم الذي عند الله وهو اللوح المحفوظ مكتوبا وقال بعضهم كان
ذلك في جميع كتب الله التي انزلها على رسله مكتوبا اي ما من كتاب انزله الله على رسله الا وكان فيه كل من عليها فان
وكل نفس ذائقة الموت مسطورا والله اعلم **وقوله** عز وجل وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون
اخبر انه ليس يمنعه من انزال الايات تكذيب الاولين بها فان قيل فاي شيء فيما يكذب الاولون بالايات ما يمنع انزالها على
هؤلاء قيل كان على الاضمار اي ما منعنا ان نرسل بالايات الا علمنا بان الاخرين يكذبون بها كما كذب بها الاولون فان
قيل عن هذا يسال من علمه بتكذيب الاخرين كعلمه بتكذيب الاولين ثم لم يمنع علمه بتكذيب الاولين اياها انزالها كيف
منع علمه بتكذيب الاخرين ذلك اوليس قد ارسل الرسل وانزل الكتاب على علم منه انهم يكذبون الرسول والكتاب ثم
لم يمنع علمه بذلك انزاله الكتاب وارساله الرسول فكيف منع علمه بتكذيب الايات منهم عن ارسال الايات ولم يمنع علمه
بتكذيب الرسول على بعث الرسول وانزال الكتاب قيل انه قد مضى من سنته انه اذا انزل الايات على انزل السؤال
اعني سؤال الايات فكذبوها اهلكهم هكذا مضت سنته في القرون الاولى ثم قد سبق من وعده انه لا يهلك هذه
الامة اهلاك تعذيب واستئصال في الدنيا رحمة منه وفضلا على ما اخبر رسوله حيث قال وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين فرحمته انه من عليهم بابقائهم وازالة العذاب عنهم في الدنيا واستئصالهم كلهم قال والله اعلم

وما منعنا ان نرسل بالايات الا ما سبق من وعدنا ورحمتنا ان لا نهلك هذه الامة اهلاك استيصال وتعذيب فلم
الوعد والرحمة الذى ذكرنا منعنا عن ارسال الايات على علم منا انهم يكذبونا اذا ارسلناها اليهم وقد مضت سنة
منا على الاهلاك اذا انزلنا الايات على ارسوالهم ايا ها ثم التكذيب من بعد ثم قد سبق الوعد لهولاء ان لا نهلكوا
فى الدنيا اهلاك تعذيب رحمة منه لهم على ما اخبر انه لم يرسل الا رحمة للعالمين واصله ان الله عز وجل قد
انزل الايات والحجج على اثبات رسالة الرسل ايات كافية وحججا تامة ما لم يقع الحاجة الى غيرها من الايات
والحجج من بعد انما سالوا سوال تعنت وتمرد لا سوال استرشاد واستهزاء فاذا كان سوالهم الايات سوال عناد
وتعنت اهلكوا اذا كذبوها ولم ينظروا كقوله ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون وقوله ما ننزل الملئكة
الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ونحوه الا ترى ان عيسى عليه السلام سالوه ان يسال ربه ان ينزل عليهم مائدة
من السماء لتكون لهم الاية منه فساله فاخبر انه ينزلها عليكم ثم اخبر ما يفعل بهم اذا كفروا بعد ذلك وهم
كانوا يسالونه سوال التعنت والتمرد فقال انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم الاية هكذا كانت سنته فيمن سال
الايات سوال تعنت وعناد وجائز ان يكون الذى منع عن ارسال الايات على اثر السوال واهلاك هذه الامة ما يكون
من الاسلام من نسل هذه الامة بعد سببهم وابقا التناسل الى يوم القيمة والله اعلم واتينا ثمود الناقة مبصرة
قيل اية لرسالة صالح وقال بعضهم مبصرة اى معاينة يعاينونها انها اية من الله لهم حيث راوها مخالفة
لنوقهم وهو ما قال هذه ناقة الله لكم اية فظلموا بها اى كذبوا بها وجحدوها بعد علمهم انها اية من الله
لهم حيث راوها وعاينوها خلافا لنوقهم خارجة عن نوق البشر والله اعلم وقوله عز وجل وما نرسل
بالايات الا تخويفا قال ابن عباس رضى الله عنه وعن الحسن وغيرهما الموت الذريع الى الشريع وقال بعضهم
وما نرسل تخويفا للهلاك على ما ذكرنا من الايات التى سالوها وان يكون قوله وما نرسل بالايات على اثر السوال
بها ثم التكذيب لها الا تخويفا للناس والله اعلم وقوله عز وجل واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اى وقد
قلنا لك ان ربك احاط بالناس الاحاطة بالشىء يكون بالوجوه الثلاثة احدها بالغلبة والقدرة والسلطان و
كقوله وظنوا انهم قد احيط بهم اى اخذهم الهلاك والغلبة وقد دعليهم والثانى الاحاطة العلم به كقوله
وكان الله بكل شىء محيطا اى عالما وقوله ولا يحيطون بشىء من علمه اى لا يعلمون والثالث الاحاطة المعروفة
بين الخلق من احاطة بعضهم بعضا فذلك لا يحتمل فى الله سبحانه تعالى فهو على الوجهين الاولين على احاطة
العلم بهم او القدرة عليهم والغلبة ثم قوله اختلف قال بعضهم احاط باعمالهم بما لهم وما عليهم
وبما لا يصلح لهم وما يصلح وهو ما ذكر تاق قوله وربك اعلم بمن فى السموات والارض وقال بعضهم انهم
كانوا المكر وقد برسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون اطفاء نوره ويمنعونه عن تبليغ الرسالة كقوله
واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فيقول احاط بالناس اى قد علم مكرهم بك بعثك رسولا اليهم وكلفك
على تبليغ الرسالة اليهم لكنه وعدك ان يعصمك منهم ويمنعك عنهم حتى تبليغ الرسالة بقوله والله يعصمك
من الناس وقوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا الاية كان عز وجل يبعث الرسل ويكلفهم
تبليغ الرسالة اليهم على علم منه بما يكون من قومهم من المنع والمكر برسله لكنه عصمهم ومكن لهم حتى
بلغوا الرسالة اليهم فعلى ذلك قوله ان ربك احاط بالناس او القدرة والغلبة عليهم والله اعلم وقوله جل
عز وجل وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس قال عامة اهل التاويل ان الرؤيا التى اراها اياه لم تكن
رؤيا المنام ولكن كانت يقظة ورؤيا غير معاينة بالتى تنام لا بالذى لا ينام منه لا تدرى عنه صلى الله عليه
عليه وسلم انه قال تنام عيناى ولا ينام قلبى فانما اراه من الرؤيا بالعين التى كانت تنام لا رؤيا قلب وعلم قال
سعيد بن المسيب رؤيا منام روى ان نبى الله صلى الله عليه وسلم راى قوما على منابر فساءه ذلك فذكر انهم
كانوا يعطون مالا فذلك فتنة لهم وقال بعضهم انه ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام كانه يدخل
المسجد الحرام امنا فاخبر بذلك واصحابه انه راى ذلك فلما كان عام الحديبية وصرف عن البيت ارتاب بعض
الناس فى رؤياه فذلك فتنة للناس على ما اخبر لكنه لم يبين له من يدخل فيه وقد وعد انه يدخل فيه امنا وهو
ما قال لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الاية وقوله عز وجل الا فتنة للناس والفتنة المحنة الشديدة
فان كان ذلك فى الرؤيا التى راها فى مسير بيت المقدس وما سمع من الايات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر
فان كان على رؤيا منام فهو فتنة لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والشجرة الملعونة فى القران اى كانت الشجرة
الملعونة التى ذكرت فى القران ايضا فتنة لهم كقوله انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم

الاية ووجد فتنتها لهم ما ذكر فى القصة انهم قالوا ان محمدا يقول ان فى النار شجرة والنار من طبعها ان تاكل الشجر
فكيف يكون فى النار الشجرة وهى تاكلها ولكن لم يعرفوا ان شجر النار يكون من النار وشرابهم من النار وكذلك
طعامهم من النار فاذا كان من النار لم ياكلها النار ومنهم من قال الزقوم هو الزبد والتمر فكيف يكون فيها ذلك
فيدعون بذلك الكذب عليه فيما يخبرهم ان فى النار شجرة فتلك الشجرة ايضا كانت فتنة لهم ومحنة فى
تصديق رسول الله وتكذيبه وسمى ملعونة قال بعضهم ان العرب سمت كل مضار ملعونا فلذلك سميت
شجرة الزقوم ملعونة اذا كانت مضارة لاهلها مؤذية قال الحسن سميت ملعونة كلعن اهلها بها فسميت
باسم اهلها وهو ما سمى النار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن يبصر به فسمى باسمه فعلى ذلك هذا واصل اللعن
الطرد ونطرد منها كل خير ونفع فهى ملعونة وكقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس اضاف الاضلال الى
الاصنام لا صنع لها فى ذلك لكن كثيرا من الناس ضلوا بهن فكانها اضللت وكقوله وغرتهم الحيوة الدنيا
اى اغتروا بها وقوله عز وجل فى القران اى ذكرت فى القران الا الشجرة يكون فى القران وهو ما ذكر من
المصائب وغيرها كقوله ما اصاب من مصيبة فى الارض الاية والمصائب لا تكون فى الكتاب لكن ذكرت فيه
ونخوفهم بما ذكرنا وقوله عز وجل فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا هو ما ذكرنا لانهم نظروا اليه بعين
الاستهزاء فزادهم ما ذكر واما اهل الاسلام فزادتهم ايمانا وهدى لانهم نظروا اليه بعين التعظيم و
التبجيل وقوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا قوله
ءاسجد اى لا اسجد كقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال فدل هذا ان قوله ءاسجد معناه اى لا
اسجد ذكر فى قصة ابليس الفاظا مختلفة مرة قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال فى موضع ما
منعك ان تسجد وفى موضع اخر ما منعك ان لا تسجد ونحوه فجائز ان يكون ذكر هذا على اختلاف الاحوال
لا فى حال واحدة هذا من هذا على ما ذكر فى قصة ادم من اختلاف الاحوال حيث قال مرة من تراب وقال مرة
من طين ومرة من صلصال ونحوه وذلك اخبار عن احوال تغيرت فيها وجائز ان يكون ذلك بغير هذا اللسان
ذكرها هنا بالفاظ مختلفة والزيادة والنقصان لان اختلاف الالفاظ لا يغير المعنى وقوله عز وجل قال
ارايتك هذا الذى كرمت على اقر ابليس لعنه الله بالفضيلة لادم والاكرام له اما من الطاعة والنبوة التى اعطاها
الله وان ادعى لنفسه الفضيلة عليه من جهة الخلقة بانه نارى وهو طينى حيث قال ارايتك هذا الذى كرمت
على اقر بالفضل له عليه والاكرام ما الطاعتهم له اوما جعله رسولا الى خلقه وقوله عز وجل لئن اخرتن الى
يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا لا يحتمل ان يخاطب ربه ويقول لئن اخرتنى الى كذا لاحتنكن لانه انما يطلب
التاخير والانظار الى يوم القيامة طالب نعمة منه ومنة فيقول مقابل ما يطلب من النعم لئن اعطيتنى ذلك
لاعصينك انما يذكر مقابل طلب النعمة الطاعة له والشكر على ما قال ونهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
انما يقابل يطلب النعمة الطاعة له واما مقابل المعصية فلا يعرف ثم يخرج قوله لئن اخرتن الى يوم القيامة
على وجهين احدهما على التاكيد يقول اى انك وان اخرتنى الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته او على التمنى منه
الامرين جميعا التاخير والاحتناك ذريته وسواله اياهما ثم اختلف فى قوله لاحتنكن ذريته قال بعضهم
لاحتوينهم ولاحيطن بهم وقال بعض لاضلنهم على ما ذكر فى اية اخرى ولاضلنهم ولامنينهم وقال بعضهم
لاحتنكن لاستزلن وقيل لاستولين وقال القتبى لاحتنكن اى لاستاصلنهم ويقال هو من حنك الدابة
حنك دابته يحنكها حنكا اذا شد فى حنكها الاسفل حبلا يقوده به وقال القتبى اى لاقودنهم كيف
شئت ثم قوله لئن اخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته كان سال ربه التاخير على ما ذكر فى اية اخرى
حيث قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون كان اللعين لما سمع قوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين انه لا ييأس من
الرحمة فى الايمان به حيث ذكر اللعنة عليه الى يوم الدين واللعين وهو المطرود عن رحمته فعند ذلك سال
النظرة الى يوم الدين ليغوى عباده وقد علم اللعين ان طاعة خلقه له لا تزيد فى ملكه شيئا وعصيانهم
لا ينقص فى ملكه شيئا لذلك قال لاحتنكن ذريته ولاغوينهم ولاضلنهم وما ذكر وقوله عز وجل قال
فاذهب فمن تبعك منهم ميع احسانى اليهم وانعامى عليهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله عز وجل
واستفزز من استطعت منهم بصوتك هذا يخرج على وجهين احدهما على التمكن له ذلك واقدره عليه
لانه اياه لما عصى ربه وترك من مراى امره بالسجود لادم جوزاه حيث قال له وان عليك اللعنة الى
يوم الدين مكن له ذلك ليتم له اللعنة والخذلان والثانى قال ذلك على التوعد والتهدد الا ترى انه ذكر هذا

على امر وعيد وهو قوله لمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ثم يخرج قوله واستفزز من استطعت
منهم فان ذلك ولمن تبعك كذا او لما ذكرنا من التمكين له ذلك والاقدار على ذلك ليتم له الخذلان واللعن
الذي لعنه والا لا يجوز ان يكون الله يأمره بما ذكر اذ يخرج الامر بما ذكر مخرج سفه الامر بالفحشاء والمنكر
وانما يامر بالعدل كقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي فلو حمل هذا على الامر لكان امرا بالفحشاء والمنكر فدل انه يخرج على احد الوجهين اللذين ذكرنا
هما او على الاستبعاد والاياس عن ان يملك ولقيده عليهم بما ذكر الا من اختار منهم اتباعه وهو ما ذكر
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الاية والله اعلم **وقوله** عز وجل واستفزز قال القتبي اي استخف
والرجل المجالة وقال ابو عوسجة واستفزز اي استخف اي دعاه فاجابه وامره فاطاعه فعلى هذا
يخرج قوله فاستخف قومه فاطاعوه اي امرهم فاطاعوه او دعاهم فاجابوه **وقوله** عز وجل بصوتك
يحتمل وجوها ثلاثة احدهما على حقيقة الصوت يكون له صوت يدعو الناس به فيسمع ذلك الصوت
النفس الخفية التي تكون في هذه النفس الظاهرة الكثيفة فلا يسمعه النفس الظاهرة على ما يخطر اشياء
بالقلب من غير ان يعلم به الانسان انه من دين جاء ومن اين هيجانه وعلى ما يقذف ويوسوس اشياء في القلوب
من غير ان يعلم ذلك ويطلع عليه فعلى ذلك يجوز ان يكون له صوت يدعو الناس به وان كنا لا نسمعه لكنه
يسمع النفس الخفية بما يسمع النفس الظاهرة وبما يتصل عن بالنفس الخفية الا ترى ان النائم يرى اشياء
ويكون في اقصى الدنيا ونفسه الظاهرة بلقاء ههنا فذلك كله بالنفس الخفية والثاني على التمثيل ليس على
تحقيق الصوت لكن ذكر الصوت لرسل اعلام بعضهم بعضا وبه يدعو بعضهم بعضا عند البعد فذكر الصوت
له مكان الوسوسة التي يوسوس الناس اشياء من بعد ويدعوهم به الى المعاصي ثم وكذلك قال الحسن
في قوله فوسوس اليه الشيطان من بعد من غير ان كان هنالك تقرب منه والثالث على اضافة عمل كل عامل
من نحو الغناء والمزامير وغيره او ما يضاف عمل كل طالح وكل ضال اليه اضيف ذلك كما اضاف موسى حيث
قال هذا من عمل الشيطان وقوله وما انسانيه الا الشيطان ولم يكن ذلك عمل الشيطان حقيقة ولكن
قال ذلك واضافه اليه لما يأمره ودعاه بعمل ذلك وقال عامة اهل التأويل بصوتك بدعائك **فقوله**
عز وجل واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال بعضهم اجلب اي اجمعهم وبعضهم قال واجلبهم اي اعنهم
ايضا وهو قول ابي عوسجة بخيلك ورجلك يخرج على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا احدها ان يكون له خيل ورجال
من جنسه وجوهره يجلبهم بهم وان كنا لا نراهم كما قال انه يراكم هو وقبيله الاية فجائز ان يكون له خيل و
رجالة وجنود لا نراهم نحن وهم يروننا والثاني على ما ذكرنا انه على التمثيل لكنه ذكر الخيل والرجل بالخيل و
المشي يصل بعض الى بعض عند الحاجة اليه في البعد والقرب فذكر ذلك له على ما ذكرنا في الصوت والثالث
اضاف كل خيل راكب في معصية الله اليه والله اعلم **وقوله** عز وجل جزاء موفورا قال القتبي موفورا
اي موفرا وقال غيره وافرا وفي قوله لئن اخرتن الى يوم القيامة دلالة نقض قول المعتزلة لان ابليس
سأل ربه التأخير والابقاء له الى يوم القيامة وقد علم انه اذا اعطاه ذلك لم يبق له ما وعد وابقاه
الى ذلك الوقت وهم لم يعرفوا ذلك بل قالوا انه يجيء وعيد فيقتله فيمنعه على وفاء ما وعد والابقاء الى
الوقت الذي وقت له فهو اعرف بربه منهم وكذلك قال رب بما اغويتني وهم يقولون لم يغوه
فهو اعرف به منهم **وقوله** عز وجل وشاركهم في الاموال والاولاد قال بعض اهل التأويل مشاركته
في الاموال هي ان يجعلوه البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي على ما كانوا يفعلونه واما الاولاد فانما
هو دهرهم ويهودهم ويمجسونهم وهو قول قتادة وقال بعضهم مشاركته في الاموال هي ان يكتسبوها
من خبيث وحرام وينفقوها في مثله وفيما لا يحل واما الاولاد هم ما ولدوا من الزنا وقال بعضهم الاموال
ما كانوا يذبحون لآلهتهم ويجعلون لها من الحرث والانعام والاولاد ما ولدوا من الزنا وجائز ان يكون
هذا صلة ما تقدم من قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك
الى اخر ما ذكر حتى تشاركهم في الاموال والاولاد ثم معنى المشاركة له فيما ذكر والله اعلم هو ان هذه الاموال
والاولاد لله تعالى حقيقة لما هو انشأها فخلقها بحقيقة الملك له لما ذكرنا وظاهر الانتفاع لعبده
اذ هو كله مستحق المحنة بمحنتهم وحق الانتفاع لهم اذ لا يجوز ان يخلق الله شيئا المنفعة نفسه ولكن
يخلق لمنافع انفسهم ليمتحنهم بها وقد شرع الله لهم شرائع وشرع لهم ابليس شرائع وهو ما ذكر انهم

شركاء

شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فاذا صرفوا ذلك الى ما شرع لهم ابليس دون ما شرع الله فقد
اشركوه فيها وكل ما ابيح فيها مما سن لهم ابليس وشرع لهم فذلك شركته فيها وذلك ان الاولاد في
الشاهد انما تطلب لاحد الوجوه الثلاثة اما للاستيناس بهم في حال الوحشة واما للاستنصار بهم والعون
على اعدائهم واما للذكر بعد الوفاة وكذلك الاموال يطلب منها ما ذكرنا الانتفاع بها في حال الحيوة والمعين
المعونة على الاعداء او الذكر بعد الموت بخيرات يتركونها فاذا صرفوها الى ما امرهم ابليس اشركوه فيها و
اياه في الاموال حين ان يامرهم ويدعوهم الى اكتساب مالا يحل والانفاق فيما لا يحل وفي الاولاد كذلك
يامرهم بالمعصية ويدعوهم اليه فيطيعونه ويجيبونه في ذلك والله اعلم ومشاركته **وقوله** عز وجل وعدهم
قال عامة اهل التأويل اي وعدهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث لكن يعدهم بخلاف ما وعدهم الله ويخوفهم
على ضد ما خوفهم الله وعد رجاء يكون منه وعيد وما كان من الله وعد خوف يكون منه وعد نجاة وهو
ما قال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم اخبر ان ما وعدهم قد اخلف فذلك تأويل قوله وما
يعدهم الشيطان الا غرورا اي كذبا وباطلا لانه يخرج كله على خلاف ما وعد **وقوله** عز وجل ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان يحتمل قوله سلطان وجوها ثلاثة احدها القدرة والقهر والثاني الحجة والبرهان
والثالث الولاية فاما القدرة والقهر فليس له عليهم ذلك لانه لم يجعل له قدرة القهر عليهم
شاؤوا او ابوا وكذلك ليس له عليهم الحجة فيما يدعوهم اليه ويأمرهم به كقوله يوم القيامة حين يقول وما
كان لي عليكم من سلطان الاية واما سلطان الولاية فان له ذلك على من اختار اتباعه وتوليه كقوله انما سلطانه
على الذين يتولونه وقوله ان عبادي المخلصين الذين اخلصوا الي ليس لك عليهم سلطان يحتمل قوله سلطان
اي حجة لانهم انما يتبعون امر الله بحجة فلا يتبعون الشيطان بما نبه التي لهم وشبهاته التي يشبه
عليهم او ركبوا هم قوله ليس لك عليهم سلطان اي سلطان القهر والغلبة انما له عليهم الدعاء والتزيين
لا غير وان يكون قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان من الحجة والبرهان والملك على ما ذكرنا انما سلطانه
عليهم سلطان الولاية على الذين يتولونه **وقوله** عز وجل وكفى بربك وكيلا اي حفيظا وكيلا عاصما يعصمك عن
تمويهاته وتسويلاته وناصرا ينصرك على مكائده او مفزعا تفزع اليه او معتمدا تعتمد عليه في جميع امورك
والله اعلم **وقوله** عز وجل ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر يجري ويسير ويسوق الفلك في البحر قال
الحسن اي سخر الفلك او السفن لنا في البحر والدواب في البر لتقطع بها البحار والمفاوز والبراري تتصل
بذلك الى حوائجنا التي جعلت لنا في البلدان النائية والامكنة البعيدة وكذلك قال في قوله تعالى يسيركم
في البر والبحر اي سخر لنا ذلك ونحن نقول كذلك سخر لنا ما ذكر الا ان اضافة ذلك اليه على قولنا هو ان خلق
سير وجريتنا في البر والبحر اي سخر لنا ذلك ونحن نقول كذلك سخر لنا ما ذكر الا اذا اضافة ذلك اليه على
فعلنا المخلوقة له ثم يذكر فيه قدرته وسلطانه وعلمه حيث خلق الخشب وجعل فيها معنى تقر على وجه
الماء وان كان دون ذلك في الثقل يتسفل فيه ويترسب او جعل ذلك بطبيعه بحيث يقر على وجه
الماء ولا يترسب فيه لطفا منه فمن قدر على انشاء ما يقر على وجه الماء بمعنى جعل فيه تعقله عن او
بلطفه لقادر على انشاء الخلق واعادته بعد فنائه وذهابه وان كانت عقول الخلائق لا تدرك ذلك
وافهام البشر تعجز عن دركه فكما قدر على انشاء ما هو طبيعة الترسب في الماء والتسفل فيه بحيث
يقر ويركد على الماء يقدر على ما ذكرنا وحيث قدر على تسليس الامواج في البحر ليعبر فيها لتجري السفن
كما تجري بالماء والجاري فمن قدر على هذا يقدر على ما ذكرنا من الاحياء بعد الفناء وفيه ما ذكرنا من تذكير
نعمه لنا لنشكر وتذكير قدرته وسلطانه لنهاب منه ولا ننكر قدرته وسلطانه في شيء من الاشياء
على ما انكر قدرته بعض خلقه لقصور عقولهم عن درك ذلك وفيه وجوه من الدلالة احدها
تعليم الاسباب التي بها يوصل الى قطع البحار والبراري من اتخاذ السفن والحمل عليها وغير ذلك والثاني
تسخير البحار والبراري لنا ما لولا ذلك ما تهيأ لنا استعمال ذلك والثالث دلالة الرسالة اذ لولا خبر
السماء والا ما يعرف ان ما يحتاج اليه هو في تلك البلدان النائية والامكنة البعيدة وما يعلم ان
ذلك الطريق يفضي الى تلك الامكنة الا بخبر الرسول عن الله تعالى **وقوله** عز وجل انه كان بكم رحيما
قال بعضهم اي من رحمته ان جعل لكم الفلك والدواب لتصلوا بها الى ارزاقكم التي في البلاد النائية
البعيدة وقال بعضهم انه لم يزل بكم رحيما اذ اتقيتم ورجعتم عن ذلك او كانت الاية في المؤمنين ثم نزل

لهم رحيما وان كانت في الارزاق فيهم جميعا فان قالت الثنوية انكم تصفون ربكم بالرحمة والرافة وهو يميتكم ويقتلكم ويحمل عليكم الشدائد والمؤن فذلك ابعد من صفة الرحيم قيل انا قد ذكرنا لكم في غير موضع جواب السؤال ان المرء رحيم على نفسه وله الرحمة والشفقة عليها ثم مع ذلك يحمل على نفسه الشدائد والمؤن العظام لما يأمل من النفع في العاقبة من نحو الحجامة والافتصاد وشرب الادوية الكريهة لما يأمل من النفع في العاقبة ما يحتمل ذلك وكذلك الوالد ان فيهما من الرحمة والرافة لولدهما ما لا يخفى ذلك على احد ثم يحملان على ولدهما ما ذكر من الشدائد والمؤن العظام لما يأملون من النفع لهم في العاقبة ثم لا يمنع ذلك من الوصف بالرحمة والرافة فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى لا يمنع ما يحمل علينا من الشدائد عن ان يوصف بالرحمة ولا يخرجه ذلك عن الحكم بل هو على ما قال وهو ارحم الراحمين وقوله عز وجل واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه اي بطل ما كانوا يأملون من عبادتهم الاصنام الا العبادة التي كانت لله فانه لم يبطل ما لم يوصل من عبادتهم اياه لانهم كانوا يعبدون الاصنام والاوثان ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فاخبر عز وجل عن سفههم لعبادتهم الاصنام وعجزهم عما يأملون منها في الاخرة حيث لم يملكوا دفع شيء مما مسهم وكشف ما اصابهم في الدنيا فكيف يأملون ذلك في الاخرة او ان يكون ضل من تدعون الا اياه اي ضل الالهة التي عبد وها دون الله الا الاله الحق المستحق للعبادة فانه انجاكم ونجاكم من الهلاك وقوله عز وجل فلما نجاكم الى البر اعرضتم هكذا كانت عادتهم انهم اذا خافوا الهلاك على انفسهم اخلصوا الدعاء لله كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية وكقوله وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا فريق منهم بربهم يشركون ويحتمل قوله فلما نجاهم الى البر اعرضتم عن وفاء ما عهدتم وانجاز ما وعدتم لانهم قالوا لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فاعرضوا عن هذا الوعد ولم يعرفوا ذلك وقوله عز وجل وكان الانسان كفورا لنعم ربه يذكر سفههم من وجهين احدهما عبادتهم من يعلمون انه لا ينعم عليهم في حال الرخاء ولا يدفع عنهم البلاء في حال الشدة والثاني ان في الشاهد من انعم على اخر نعمة واحسن اليه يشكر له ويثني عليه واذا حل به بلاء وشدة من احد من الخلائق يدعوا عليه ويلعنه فعاملة اولئك الكفرة مع الله على خلاف معاملة الخلق بعضهم بعضا يخلصون له الدعاء في حال الشدة والبلاء ويكفرون نعمه في حال الرخاء والله اعلم وقوله عز وجل افامنتم ان يخسف بكم جانب البر على ما خسف قوما في البر او يرسل عليكم حاصبا على ما ارسل على قوم من الحصباء وهي الحصى فاهلكهم ثم لا تجدوا لكم وكيلا ناصرا ينصركم او معتمدا تعتمدون عليه وقوله عز وجل ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى اي يحوجكم الى ركوب البحر مرة اخرى فيغرقكم بما كفرتم او يذكر هذا ان من قدر على انشاء ما ذكر من الفلك واجرائها في البحر وتسكين امواجه ورفع اهواله عنكم لقادر على اهلاككم في البر واعادتكم في البحر ثانيا واغراقكم فيه وفي قوله يزجي لكم الفلك في البحر والبر دلالة ان لله في فعل العباد صنعا لانهم هم الذين يسيرون في البحر وهم الذين يجرون الفلك فيه ثم اضاف الاجراء الى نفسه وكذلك السير ليعلم ان له فيه صنعا وفعلا وقوله عز وجل ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي تبعنا بدمائكم ويطالبنا بها وقال ابو عوسجة التبيع الكفيل ويقال المتقاضي في موضع وقال غيره هو من التبعة اي لا تجدوا لكم به علينا تبيعة وهو ما ذكرنا وقال القتبي الحاصب الريح سميت بذلك لانها تحصب اي ترمي بالحصباء وهي الحصى الصغار والقاصف الريح الشديدة التي تقصف الشجر اي تكسرها وكذلك قال ابو عوسجة القاصف الشديدة من الرياح وقوله عز وجل ولقد كرمنا بني ادم كرمهم بان خلقهم في احسن صورة كقوله وصوركم فاحسن صوركم وقومهم في احسن تقويم واحسن قامة كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكرمهم بان ركب فيهم العقول التي بها يعرفون الكرامات من الهوان ويعرفون بها المحاسن من المساوي والحكمة من السفه والخير من الشر وكرمهم بان جعل لهم لسانا يستملون الحكمة وكل خير وبها يتوصلون الى درك الحكمة وجمعها وكرمهم بان جعل رزقهم اطيب الارزاق وجعل لغيرهم ما خبث منها وما فضل منهم وكرمهم بان خلق جميع ما على وجه الارض لهم كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا وكرمهم بان سخر لهم جميع الخلائق وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وجعل بني ادم هم المقصود في خلق جميع الخلائق ونحوه وكرمهم حيث جعلهم بحيث يتهيأ لهم استعمال السماء والارض واستعمال الشمس والقمر واستعمال البحار والبراري وجميع الصعاب والشدائد في حوائجهم ومنافعهم ما لا يتهيأ لغيرهم

من الخلائق فذلك تفضيلهم وجائز ان يكون كرم بني ادم لانه كرم ادم لانه اسجد ملائكته له وبعث رسولا اليهم حيث قال انبئهم باسمائهم فلما كرم ادم صار بنوه مكرمين ايضا ولهذا نقول بان الاب يعير مشتوما بشتم ابنه وما قال اهل التاويل ان فضل بني ادم على غيرهم من الحيوان والدواب حين اكلوا وشربوا بايديهم وسائر الدواب يأكلون بافواههم هذا الذي ذكروا هو من التفضيل الا ان ذكره له خاصية ليس فيه كثير حكمة وفضل لكن فضلهم وكرمهم بما ذكرنا من وجوه الكرامات والله وقوله عز وجل وحملناهم في البر والبحر هذا تفسير ما ذكر من تكريم بني ادم وتفضيله اياهم ثم يحتمل هذا وجهين احدهما ان جعل لهم البر والبحر مسخرين حتى يصلوا الى ما في البطن البحر وظاهر من انواع المال والمنافع وكذلك البر سخر لهم حتى يصلوا الى ما في بطنه من الاموال والمنافع وظاهره والثاني انه جعلهم بحيث يقضون حوائجهم التي كانت لهم من وراء البحر ووراء البر ما لم يجعل ذلك لغيرهم من الخلائق قضاء الحوائج من ورائهما وذلك معنى تفضيلهم الذي ذكر ثم ما ذكر على اثر قوله كرمنا بني ادم وهو تفسير وتفضيله واكرامه حيث قال وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وجائز ان يكون ما ذكر من تكريم بني ادم وتفضيله اياهم هو ما جعل فيهم من الانبياء والرسل والانقياد والاخيار منهم ما لم يجعل ذلك من غيرهم الا ترى ان موسى قال يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الاية وقوله ورزقناهم من الطيبات هو ما ذكرنا ان جعل ارزاقهم وغذائهم ما بلغ في الطيب غايته ولم يكن ذلك غذاء غيرهم من الدواب ورزقهم لانهم لا يأكلون الا بعد ان يستخرجوا منه ما فيه من اذى وخبث وخشونة من النخالة ونحوها وفي الطبخ والنضج حتى يبلغ في الطيب والتلين غايته واما غيره من الدواب فانما يأكلون كما هو نيئا غير مطبوخ ولا نضيج وفيه من الخبث والاذى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اما بعض اهل التاويل فانه قال فضلناهم على كثير ممن خلقنا على الجن والشياطين واصحابهم غير الملائكة وقال بعضهم على كثير ممن خلقنا من الحيوان والدواب تفضيلا بالاكل بالايدي وجعل رزقهم من غير رزق الدواب ويحتمل على كثير ممن خلقنا ممن على وجه الارض من الجن وغيرهم مما لم يرسل الى الجن رسول منهم ولا انزل عليهم كتاب على حدة وما جعل ارزاقهم مما يفضل من البشر من العظام والسرقين وغيره على ما ذكر فذلك وجه تفضيلهم عليهم واما الكلام في تفضيل البشر على الملائكة والملائكة على البشر فانا لا نتكلم في ذلك لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة فالامر فيه الى الله في تفضيل هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء ليس لنا من ذلك شيء ولا يجاز ان يجمع بين اشرار البشر وافسقهم وبين الملائكة الذين لم يعصوا الله طرفة عين فيقال هم افضل من الملائكة ولكن ان كان لا بد فانما يجمع بين الانبياء والرسل والتقي الخلائق وبين الملائكة فنتكلم حينئذ بتفضيل بعض على بعض فهو ما ذكرنا ان الاحرى ذلك الى الله ليس الينا من ذلك شيء والله اعلم وقوله عز وجل يوم ندعو كل اناس بامامهم قال الحسن هذا صلة قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فيقول اي يوم فيقوم يوم ندعو كل اناس بامامهم ثم اختلف في قوله بامامهم قال بعضهم ندعو ابا ما اي بدينهم الذي دانوا به وذبوا عنه ويدعى كل بدينه الذي دان به وذب عنه وقال بعضهم بامامهم اي برؤسائهم وائمتهم الذين اضلوهم اي يدعى الاتباع باشتهم ورؤسائهم الذين اضلوهم حتى يلوم بعضهم على بعض ويلعن بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم عن بعض كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الاية وقوله ويلعن بعضكم بعضا وقوله يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين يدعى الاتباع بالمتبوعين وقال بعضهم يدعى كل اناس بداعيهم الذي دعاهم ان كان رسولا فالرسول وان كان شيطانا فالشيطان وهو قريب مما ذكرنا وقال بعضهم بامامهم كتابهم الذي كتب الملائكة اعمالهم فيه وقال بعضهم يدعى كتابهم الذي انزل عليهم يدعى كل بما ذكر ليعلموا ان الحجة قد قامت عليهم ووجبت لهم العذاب باتباعهم ما اتبعوا بلا حجة ولا برهان وحاصل اقاويل هؤلاء ترجع الى وجوه ثلثة احدها يوم ندعوا كل اناس كان امامهم في خير او شر فيجزى له جزاءه ثم يدعو كل هو وداعوا اتباعه الى ما اعد لهم من الثواب والعقاب والثاني يدعى كل امام ورئيس في خير او شر باتباعه الذين يتبعونه في الدنيا يدعوهم اليه نحو كل رسول يدعى بقومه الذين اتبعوه وكل رئيس وشيطان اتبعهم والثالث امامهم كتابهم الذي كتب لاعمالهم الذي كتبوا كقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ونحوه وقوله عز وجل فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم كلهم قد يقرؤن كتابهم غير ان المؤمن اذا نظر في الكتاب فرح به واستبشر بما فيه فسهل عليه القراءة وهان لما كان فيه يرجح الله واما الكافر اذا نظر في الكتاب حزن واغتم به فعسر عليه قراءة كتابه وهو قوله

واما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه الاية ويقول الكافر ياليتنى
لم اوت كتابيه الاية لانه اتبع ما ابتيع بلا حجة او ان يكون المومن اذا نظر فى كتابه راى سياته مغفورة كقوله
ولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فرح بذلك والكافر راى سياته باقية عليه
وحسناته قد بطلت حزن بذلك واهتم لذلك قال ما قال والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن كان فى هذه اعمى
فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا قال بعضهم من كان فى هذه الدنيا اعمى عن توحيد الله والايمان به مع كثرة
اياته ودلائله على وحدانيته فهو عن الايمان بالاخرة والبعث بعد الموت اعمى وقال بعضهم من كان فى هذه الدنيا
اعمى عن الاخرة اعمى عن الحق فهو فى الاخرة اعمى عن حجته لانه اذا اعمى عن الحق نفسه فهو عن حجته اعمى فيكون
فى المعنى عن الايات والدلالات على وحدانية الله اكثر واظهر من الدلالة على البعث والاخرة اذ ليس شئ
الا وفيه اثر وحدانيته ودلالة الوهيته ولا كذلك الاخرة فهو عن الايمان بها اشد عمى وقال بعضهم من عمى
فى هذه الدنيا عن الايمان بالله فهو فى الاخرة اعمى من الاخرة به لان الدنيا يقبل فيها الايمان وفى الاخرة لم يقبل
وهو ما قال وحيل بينهم وبين ما يشتهون من الايمان كما فعل باشياعهم من قبل اى كما حيل بين اشياعهم وبين
الايمان به عند معاينة باس الله وعذابه وهو قول الحسن وقال ابو بكر قريبا من هذا وهو ان من اعمى عن الرشد
والحق فى هذه الدنيا بجهل فهو فى الاخرة عند علمه بالرشد اشد عمى او كلام نحو هذا وقال من عمى قلبه فى الدنيا عن
الايمان بالله والتوحيد فهو فى الاخرة يكون اعمى الوجه والحواس كقوله لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا وكقوله
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما الاية ما ذكرنا ذاهبة حواسهم لما تركوا الانتفاع بها فى الدنيا
لما جعلت لهم الحواس ويشبه ان يكون قوله من كان فى هذه اعمى بالافتراء على الله فى الاخرة اعمى اى سفه على الله
فيها كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ونحوه يفترون فى الاخرة يكذبون كما كذبوا فى الدنيا
وكقوله انظر كيف كذبوا على انفسهم ثم اخبر عنهم فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال قتادة
ومن كان فى هذه اعمى يقول من كان فى الدنيا فيما اراه الله من اياته من خلق السموات والارض والجبال والنجوم
فهو فى الاخرة الغائبة عنه لم يرها اعمى واضل سبيلا وهو قريب مما ذكرنا وقال ابن عباس رضى الله عنه ومن
كان فى هذه النعم اعمى ان يعلم انها من الله فهو فى الاخرة اعمى عن حجته ويقال عن دين الله واضل طريقا ويقال
ضل عن حجته وقال غيره من اهل التاويل من كان فى هذه النعم اعمى يعنى الكافر عمى عنها وهو يعاينها فلا يعرف
انها من الله فيتفكر ربها فهو فى الاخرة اعمى يقول عما غاب عنه من امر الاخرة من البعث والجزاء اعمى واضل
سبيلا واخطا طريقا وبعضه قريب من بعض والله اعلم **وقوله** عز وجل وان كادوا ليفتنونك عن الذى
اوحينا اليك دل على هذا انه قد كان من الكفرة بشئ من الدعاء الى شئ يصير به مفتونا لو اجابهم الى ذلك وكذلك
كانت عادة الكفرة كادوا ان يفتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفتنوه عن الذى اوحى اليه ويصيروه
عنه كقولهم ائت بقران غير هذا او بدله هكذا كانت عادتهم كانوا يطلبون منه الافتراء على الله والضلال
على وجه المكر به لاضلاله تصريح وكفر تصريح ولكن معنى يؤدى ذلك الى الضلال والكفر يريدون منه المساعدة
لهم فى بعض ما هم فيه بما كانوا يرون منه من الموافقة له والمساعدة لكن الله عصم رسوله عن جميع ما كانوا يطلبون
منه بالايات التى ذكر فى كتابه وبالعقول كقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية لخبر
انهم لا يؤمنون حتى لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضى ومن لم يكن معصوما يجوز ان يوجد منه حرج مما قضى
به وكقوله ان الذين يؤذون رسول الله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة ومن لم يكن معصوما يجوز ان يؤذى
ولا يلحقه اللعنة وقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية فمن لم يكن معصوما يجوز ان يكون الخيرة من امره وقوله
اطيعوا الله ورسوله وامثاله مما يكثر عدها وكذلك المعقول يشهد انه كان معصوما لمن اراد ان يحرف
ويزيل عنه العصمة فيما قيل يتاول فى بعض الايات او حديث يروى فانا لا نقبل تاويله ولا خبره الذى روى
ونشهد انه كذب ويجوز ان يكون فى خبره الذى روى معنى اخر سواه فليس له ان يروى الا بالمعنى كان فيه فتاويل
اهل التاويل انه القى عليه الشيطان ولقنه عند تلاوته افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى
تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى وقال بعضهم لا ندعك تستلم الحجر الا ان تستلم الهتنا وغيره اما ذلك
كله فاسد خيال انه كان لا يجوز حرم اصنامهم فى حال صغره ولا داوه وفا منهم حتى لا يطمعوا ذلك منه
ما دامه صغيرا فكيف طمعوا ذلك الاستلال لها بعدما اوحى اليه وصار رسولا وكذلك ما ذكروا انهم
طلبوا منه ان يطرد بعض الذى اتبعوه عنه ليكونهم اتباعه فهم ان يفعل ذلك فنزل وان كادوا ليفتنونك

عن الذى

عن الذى اوحينا اليك لكن ذلك كله فاسد خيال لا يعقل ما توهموا انه لانهم لم يعرفوه حق معرفته والا لو
عرفوه حقيقة المعرفة ما توهموا انه شيئا من ذلك وبه الله التوفيق والمعونة ثم قوله ليفتنونك عن الذى
اوحينا اليك لتفترى علينا غيره وقد ذكرنا ان عادتهم ذلك الا ان الله عصمه عن ذلك ثم قوله ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا فظاهر الاية ترجيح ما قال اهل التاويل فى هذه الاية لانه يقول ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اخبر انه قد ثبته فلم يركن لانه اخبر انه قد ثبته فلم يكد ان يركن اليهم وقال
شيئا قليلا لا يسمى ذلك شيئا يسيرا ولو كان ما قال اولئك لكان شيئا كبيرا عظيما بل يبلغ الكفر دل انه لم يكن
ما ذكروا وقال لقد كدت تركن وكاد هو حرف قارب اى قارب ان تركن كقوله تكاد السموات اى قارب
ان يتفطرن وليس فيه على الشرك ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا فلم يركن لما ثبته وهو
ما قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وما ذكرنا فى قصة يوسف ولقد همت به وهم
بها لولا ان راى برهان ربه ليس فيه انه هم ولا فيه انه ركن لانه خرج على الشرط وقال الحسن فى قوله لقد
كدت تركن اليهم اى همت لكنه هم به هم خطر خطره ابليس وكذلك قال فى قصة يوسف همت به وهم
عنا وهم بها خطر وقال غيره اراد وا منه ان يجعل لهم مجلسا على حدة ليسلموا فهم به ان يفعل ذلك
لحرصه على اسلامهم واشفاقا عليهم فمثل هذا يجوز الفعل الا ان الرسل لا يجوز لهم ان يفعلوا شيئا
وان صغر الا باذن الله الا ترى ان يونس لما خرج من عند قومه مغاضبا عليهم بغير اذن منه عاتبه ربه
بذلك معاتبة عظيمة حيث قال فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ومثل هذا لو
فعله غيره من دونهم كان محمودا فى ذلك فهذا يدل ان الانبياء لم يكن لهم مع شئ وان قل الا باذن
الله والله اعلم **وقوله** عز وجل اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى ضعف عذاب الحيوة
وضعف عذاب الممات وقال ابو عوسجة ضعف الحيوة اى مثل الحيوة وغيره قال ضعف الحيوة عذاب
الدنيا وضعف الممات عذاب الاخرة **وقوله** عز وجل ثم لا تجد لك علينا نصيرا قيل مانعا وقيل ناصرا
ينصرك وشافعا يشفعك الينا منا **وقوله** عز وجل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك
منها قال الحسن قوله ليستفزونك اى كادوا ليقتلونك وليخرجوك بالقتل وقد كانوا هموا بقتله لكن
الله عصمه عن ذلك بقوله والله يعصمك من الناس **وقوله** عز وجل واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا
هكذا كانت سنة الله فى الامم الخالية انهم اذا قتلوا نبيهم لم يلبثوا بعده الا قليلا حتى هلكوا وقال بعضهم
هو على الاخراج نفسه الا ان الله عز وجل اخرجه اخراج هجرة الى المدينة لما سبق من رحمته وفضله
هذه الامة الاهلاك استيصال فلو كانوا هم اخرجوه لاستوجبوا به الاهلاك لما كان من سنة الله فى الاولين
اهلاكهم اذا اخرجوا رسولهم من بينهم وقال بعضهم على حقيقة الاخراج منهم اخرجوا رسول الله من
بينهم وفعلوا ذلك فلم يلبثوا بعده الا قليلا حتى اهلكهم الله بالقتل يوم بدر وغيره وهو ما قال وكاين
من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم فيه دلالة انهم اخرجوه وانهم
اهلكوا بذلك وكذلك كانت سنة الله فى الرسل اذا فعل بهم قومهم مثل ذلك وقال اهل التاويل فى قوله
وان كادوا ليستفزونك اى ليستزلونك من ارض المدينة حيث نزل بالمدينة قالت له اليهود ان هذه
الارض ليست بارض الانبياء والرسل انما ارض الانبياء والرسل ارض الشام نبيا رسولا فاخرج اليها فخرج
الرسول عليه الصلوة والسلام متوجها الى الشام فعسكر على راس اميال ليثاب اليه اصحابه فنزل به
جبريل بهذه الاية لكن ذكرنا ان هذا وامثاله لا يحتمل لا يجوز ان يخرج رسول من ارض المدينة الى ارض
الشام بقول اولئك اليهود من غير ما كان من الله اذن له فى ذلك هذا لا يحتمل ولا يتوهم منه ذلك والوجه
فيه ما ذكرنا والله اعلم ويشبه ان يكون قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك اى كادوا ان يفتنوك
بالمكر والكيد والخديعة لك ليستفزونك من الارض لانهم كانوا يطمعون ان يفتنوه ويضلوه عن الذى
اوحى اليه على التصريح والافصاح ولكن على جهة المكر والخديعة والله اعلم **وقوله** عز وجل سنة
من قد ارسلنا قبلك من رسلنا على قول الحسن السنة فى الامم الذين قبله انهم اذا قتلوا الرسل اهلكوا وعلى
وعلى قول بعضهم السنة فيهم انهم اذا اخرجوا الرسول من بينهم على علم منه انهم لا يؤمنون بعده الاهلاك
وعلى قول بعضهم على الاخراج نفسه وهؤلاء قد اخرجوا رسولهم من بينهم بقوله الا تنصروه فقد نصره
الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين الاية وقوله وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك

أهلكناهم فلا ناصر لهم لكنهم عذبوا تعذيب رحمة وأهلاك رحمة لا أهلاك استيصال وقوله عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا اى لعذابنا تحويلا وقوله عز وجل اقم الصلوة يحتمل الامر باقامة الصلاة الامر بالدوام عليها واللزوم بها اى الزم بها وادمها او اسم التمام والكمال اى اتمها واكملها بالشرائط التى امرت بها ويحتمل عزله اتم فعلها ولم يفهم من قوله اقم الصلوة الانتصاب على ما ينصب الشئ ويقام به فدل انه لا يفهم من الخطاب ظاهره وقوله عز وجل لدلوك الشمس اختلف فيه قال بعضهم دلوك الشمس زوالها الى غسق الليل اى الى ظلمة الليل وقرآن الفجر فيقول الناس فى هذه الاية بيان اوقات الصلوات الخمس جميعا لانه ذكر اول ما يجب من الصلوة وهى الظهر الى ما ينتهى وهى العشاء فعلى ذلك التاويل اى لا يكون غاية ولكن يكون كانه قال اقم الصلوة لدلوك الشمس وغسق الليل والله اعلم وقوله عز وجل لدلوك اختلف فيه قال بعضهم دلوك الشمس زوالها الى غسق الليل اى الى ظلمة الليل ومنهم من يقول فيه ذكر صلوات النهار لانه ذكر دلوك الشمس وهو زوالها الى غسق الليل وغسق الليل هو بدء ظلمة الليل فيدخل فيه الظهر والعصر فعلى تاويل هذا يكون حرف الى غاية لا يدخل صلوة الليل فيه ثم تخصيص الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والامر له باقامة الصلوة يكون كانه قال اتمم الصلوة فان كان هذا ففيه دلالة صحة صلوة القوم بصلوة الامام وتعلق صلوتهم بصلوة الامام حيث قال اتم لهم الصلوة ولو كان كل احد يقيم صلوة نفسه لكان لا يقول اتم لهم ولكن يقول صل الصلوة فدل انه على ما ذكرنا ثم قوله لدلوك الشمس يحتمل وجهين احدهما اقم الصلوة للذى يدلك له الشمس كقوله يتفيؤا ظلاله الاية والثانى اقم الصلوة للوقت الذى يتلوا دلوك الشمس للصلوة ثم تخصيص الفجر بما ذكر حيث قال ان قرآن الفجر كان مشهودا التخصيص لقرآن الفجر انه مشهود التخصيص لقرآن الفجر انه مشهود والفرضية بها بقوله اقم قراءة الصلوة على ما ذكرنا ثم قوله ان قرآن الفجر كان مشهودا اى لم يزل فى علم الله كان مشهودا وصار مشهودا ثم قال وقرآن الفجر وصلوة الفجر وانما ذكر صلوات النهار ودخل صلوات الليل بقوله ومن الليل فتهجد به لكنهم يقولون التهجد بعد النوم وقد يكره النوم قبل فعل المغرب والعشاء فلا يصح هذا ومنهم من يقول دلوك الشمس غروبها وهو قول عبد الله بن مسعود وغيره وقال بعضهم فيه ذكر صلوات الليل لانه ذكر بدء وظلمة الليل وذلك بالمغرب وقرآن الفجر هو آخر ما ينتهى ظلمة الليل لانه يبقى ظلمة الليل الى وقت الفراغ من الفجر وقوله عز وجل وقرآن الفجر يحتمل هذا وجهين احدهما القرآن يكون كناية عن صلوة الفجر كانه قال اقم الصلوة لدلوك الشمس واقم ايضا صلوة الفجر لانه نسق على الاول ويحتمل قوله وقرآن الفجر اى قراءة الفجر ويجوز ان يقال القرآن مكان القراءة كقوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اى قراءته ثم من الناس من يحتج بفرضية القراءة فى الصلوة بهذا لانه نسق على الاول على ما ذكرنا كانه قال اقم القرآن ومنهم من يقول انما حث على قراءة الفجر دون غيرها من الصلوات لما طول القراءة فيها للتقصير ها عن الاربع لانه لم يجعل غيرها من الصلوات ركعتين فحث على قراءتها لهذا والله اعلم وقوله عز وجل ان قرآن الفجر كان مشهودا قال عامة اهل التاويل تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار اى حرس الليل وحرس النهار وعلى ذلك رويت الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وقوله ان قرآن الفجر كان مشهودا ان القراءة الفجر تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار على هذا حمله اهل التاويل وعلى نحو ذلك رويت الاخبار والاحاديث ويقال فيه اخر وهو ان تشهده القلوب والسمع والعقول لان ذلك الوقت هو وقت الفروغ عن جميع الاشغال والموانع التى تشغل عن الاستماع والفهم منه ما لا يكون ذلك الفروغ لغيرها من الصلوات من صلوة المغرب والعشاء لانهما يقرب من الاشتغال والحوائج الا ترى ان الجهر بالقراءة انما جعل فى الاوقات التى هى اوقات الفروغ عن الاشتغال وهى المغرب والعشاء ثم وقت الفجر هو اخلى وقت عن غيره لانه بعد فراغ النوم وقبل هجوم وقت التقلب فالقراءات فيها والقلوب استشهد لما لكن اهل التاويل صرفوا ذلك الى ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال بعضهم النافلة الغنيمة كقوله يسألونك عن الانفال اى الغنائم وقوله عز وجل نافلة لك اى غنيمة لك تغنم بها غنايم او كلام نحو هذا وقال الحسن قوله نافلة لك اى خالصة لك وخلوصه له هو ان لا يغفل هو عن شئ منها فى حال من الاحوال وغيره من الناس يغفلون فيها عن اسباب وقال بعضهم ذكر انه نافلة له لانه كان مغفورا له فما يعمل يكون له نافلة واما غيره فان ما يعمل من الخيرات يكون كفارة لذنوبهم فلا يكون لهم نافلة والله اعلم وقوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يبعثك ربك مقاما

محمودا

محمودا ما يحمده كل الخلائق الاولون والاخرون وقال بعضهم مقاما محمودا هو مقام الشفاعة والله اعلم اى تشفع امتك واهل العصيان منهم وجائز ان يكون هو صلة قوله ما تقدم من قوله فتقعد مذموما مخذولا وقوله فتقعد ملوما محسورا وقوله فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا وما ذكر من المواعيد لما سمع هذا وفزع سمعه ذلك اخافه وافزعه فنزل قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ان عبدت الله واطعته فى جميع اموره ونواهيه واتممت له الصلوة والصيام وقوله عز وجل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق ظاهر هذا الخطاب يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث امره ان يدعوا بما ذكر وقد عرف هو ما امره من الدعاء بقوله رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق فلا حاجة تقع لنا الى ان نطلب المراد من ذلك الا ان يكون لغير فى ذلك اشتراك فعند ذلك يتكلف فيه ويطلب المراد منه وقد تكلم اهل التاويل فى ذلك قال بعضهم قوله رب ادخلنى مدخل صدق كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة ثم منها الى المدينة وامر ان يدعوا بهذا الدعاء رب ادخلنى فى المدينة مدخل صدق امنا على زعم اليهود واخرجنى من المدينة الى مكة مخرج صدق امنا على زعم كفار مكة ظاهرا عليهم الا ترى انه قال واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا عليهم ففعل الله ذلك له واجابه وقد ذكرنا فى غير موضع هو حرف السلطان يتوجه الى وجوه ثلثة يكون مرة عبارة عن حجة قاهرة غالبة ويكون عبارة عن الاية نافذة غالبة ويكون عبارة وعن   الغالبة ايضا وقد كلا وجد ذلك الله امنته لرسول الله على الكفرة ذلك كله وقال بعضهم رب ادخلنى مدخل صدق فى مكة ليعلم اهل مكة انى قد بعثت اى ولتخرجنى منها مخرج صدق ليعلم يهود المدينة انى نصرت وبلغت ما امرت به وقال الحسن اخرجنى من مكة مخرج صدق وما دخل وقوله مدخل صدق وقال بعضهم رب ادخلنى مدخل صدق فيما حملتنى من الرسالة والنبوة وما امرتنى به لاوفى بها على ما امرتنى وابلغ الرسالة لكن الخلق على ما كلفتنى واخرجنى مخرج صدق اى اخرجنى مما كلفتنى سالما لا تبعة على او كلام نحوه واصله كانه امره ان يسال ربه الصدق فى جميع افعاله واقواله وفى جميع ما يعبده من الدخول فى امر والخروج منه اذ لا يخلو العبد من هذين عن الدخول فى امر والخروج منه سأله الصدق فى كل حال وكل دخول وكل خروج وقال مجاهد رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق وقوله والنبوة وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل من لدنك سلطانا نصيرا قال بعضهم حجة منه وقد اقامها على الكفرة وقال بعضهم سلطانا نصيرا اى يجعل فى قلوب الناس هيبة ليهابونى وقد كان الهيبة بحيث هابوه من مسيرة شهرين وقال بعضهم هو السلطان الذى ينصرون به الدين ويقيمون الحدود والاحكام ونحوه وقيل السلطان هو اقامة الحدود والاحكام والشرايع وهو تفسير الولاية ما يقيمها وقد ذكرنا من الاية اقامة الاحكام ثم قيل فى الصدق والاخلاص قال بعضهم الاخلاص هو ان لا يجعل لشئ بقلبه نصيبا لاحد سواه والصدق وان يجعل لا يجد لذلك لذة الصدق وعندنا ان يجعل الفعل فى جميع افعاله لله لا يجعل لنفسه شيئا من الفعل وعلى ذلك يلزمه الشكر لربه فى جميع خيراته وعن الحسن قال لما مكر كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه فاراد الله بقتال اهل مكة فامر نبيه ان يخرج منها مهاجرا الى المدينة وعلم ما يقول فانزل الله وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وعده الله لينزعن ملك فارس والروم ويجعله لامته وقوله عز وجل وقل جاء الحق وزهق الباطل قال بعضهم جاء الحق وهو الاسلام وقيل جاء الحق القرآن وقيل جاء الحق محمد ونزول جاء اثار الحق فذهب الباطل واثاره او جاء حجج الحق وبراهينه وذهب شبه الباطل ويحتمل فيها ثنايا الحق ويحتمل ما ذكرنا من الاسلام ورسول الله وقوله عز وجل وزهق الباطل اى ذهب وبطل غيره من الاديان وغيره من المذاهب وعبادة الاصنام ونحو ذلك قالوا واصله ان الناس كانوا فى حيرة وفترة حين بعث الرسول لما كانوا فقدوا دين الله وسبيله منذ كان رفع عيسى من الارض الى السماء لا يجدون سبيل الله ولا يهتدون الى شئ حيارى حتى بعث الله محمدا ليدعوهم الى دين الله ويبين لهم سبيله الذى كان يتمسك به الانبياء من قبله ويخرجهم من تلك الحيرة التى كانوا فيها ففعل صلى الله عليه وسلم فذلك الذى قال الله تعالى جاء الحق وزهق الباطل اى جاء الحق الذى فقدوه فسروا بذلك وزهق الباطل اى ذهب واضمحل ان الباطل كان زهوقا اى ذاهبا مضمحلا لا يجدى خيرا ولا يعقب لاهله نفعا والحق هو الذى يعقب ويجدى نفعا لاهله ثم قوله جاء الحق وزهق الباطل لم يفهم اهل الخطاب مجى الحق الانتقال من مكان الى مكان ولا

يذهب الباطل على ما يفهم من محى تلاشيه وذهاب بلاتئه فهموا من مجي الحق ظهوره وعلوه وفهموا من زهوق
الباطل وذهابه فناؤه واضمحلاله وتلاشيه وعلى ذلك لم يفهموا من مجى الاعراض ما فهموا من مجى الاجسام
والاجساد فعلى ذلك لا يجب ان يفهموا من قوله وجاء ربك الانتقال من مكان الى مكان وكذلك لا يفهم من قوله
ثم استوى على العرش استوا الخلق ولا من نزوله نزول الخلق على ما لم يفهم مما اضيف الى الاعراض من الافعال ما
فهموا من الاجساد والاجسام بل فهموا من الاخر فعلى ذلك لا يفهم مما اضيف الى الله تعالى ما يفهم مما اضيف
الى الخلق بل تعالى عن ان يشبه الخلق او يشبهه الخلق بمعنى من المعانى وفى وجه من الوجوه بل هو كما وصف
نفسه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقوله سبحانه وتعالى عما يصفون وتعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا **وقوله** عز وجل وننزل من القران ما هو شفاء أ نفس القران وهو ما ذكرنا ويحتمل المواعيد التى فى
القران من وقايع تكون عليهم وكان فى ذلك شفاء للمؤمنين كقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية او يقول ا
يجوز نفعل بمعنى فعلنا وذلك كثير فى القران ثم قوله ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين اى شفاء للمستشفين
فى الدنيا ورحمة لمن تمسك به فى الاخرة فيه شفاء لمن استشفاه فى الدنيا ورحمة فى الاخرة لمن تمسك به
وعمى وخسار وظلمة لمن اعرض عنه ونظر اليه بعين الاستخفاف والاستثقال واما من نظر اليه بعين
التعظيم والاجلال له فهو له شفاء ورحمة وان كان القران نفسه شفاء ونورا وهكذا فى الشاهد ان ابصر
الاشياء انما يبصر بنور البصر وبنور الهواء بارتفاع ما يستر النور جميعا لانه اذا كان عمى البصير لم يبصر شيئا
وان كان نور الهواء متجليا وكذلك لا يبصر اذا كان نور البصر متجليا بعد ما سترت الظلمة نور الهواء فانما
ما ذكرنا انه لا يبصر فى الشاهد شيئا الا بنورين بنور البصر ونور الهواء فالكافر لم يبصر نور القران وشفاءه
لما سترت الظلمة نور قلبه والمؤمن البصير نوره وشفاءه بنور ايمانه وهكذا الادوية فانها لا تجدى نفعا
وان كانت نافعة شافية فى انفسها الا بقبول الطبيعة لان الطبع اذا لم يقبلها وان كانت شافية نافعة
لم تنفع صاحبها ولم يكن له شفاء وصارت كانها فى الاصل كانت ضارة غير شافية فعلى ذلك القران وان كان
فى نفسه شفاء ونورا صار للكافر عمى وخسارا كان لا شفاء فيه ولا رحمة لما سترت ظلمة الكفر نوره فصار
كانه زايد له رجسا وطغيانا ونفورا وهو ما قال ولا يزيد الظالمين الا خسارا والله اعلم **وقوله** عز وجل واذا
انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه يشبه ان يكون النعمة التى هو ذكر هو محمد لما ذكرنا انهم كانوا فى حيرة اعمى
لا يجدون السبيل الى دين الله وقد اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وذلك الاعراض الذى ذكروا والله اعلم فبعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم ليدعوهم الى دين الله ويبين سبيله وذلك منه نعمة عظيمة اعرضوا عنه وتباعدوا عنه ويشبه ان
يكون ما قال اهل التاويل انه اذا وسع عليه الرزق والعيش اعرض عن الدعاء له ونأى عنه بجانبه **وقوله** عز وجل
واذا مسه الشر كان يؤسا اى يائسا عن الخير ان لا يعود اليه اصلا وهكذا كانت عادتهم انهم كانوا يخلصون
الدعاء له اذا مسهم سوء واصابتهم شدة ويكفرون اذا انجلى ذلك لهم وانكشف كقوله فاذا ركبوا فى الفلك
الاية واذا انعمنا على الانسان الاية وامثاله وان كان الناس كلهم فرقا اربعة منهم من كان مذهبهم ما ذكرنا انهم
كانوا يخلصون له الدعاء فى حال الشدة ويكفرون فى حال الرخاء ومنهم من كان يؤمن به فى حال الرخاء والنعمة
ويكفر به فى حال الشدة كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية وهم اهل النفاق ومنهم من يكفر به
فى الاحوال كلها كقوله   والفرقة الرابعة هم اهل الاسلام يؤمنون به فى حال

بياض الاصل

الرخاء وحال الشدة فى الاحوال كلها على هذا كانوا فى الاصل وعلى هذا يجوز ان يكون قوله واذا مسه الشر
كان يؤسا من الاصنام كقوله ضل من تدعون الا اياه فيكون ايأسهم من الاصنام التى تعبد وهالكى اهل التاويل
صرفوا الى ما ذكرنا من الاياس عن الخير من ان يعود اليهم **وقوله** عز وجل قل كل يعمل على شاكلته لسنا نعلم انه
اى سبب كان هنالك حتى قال قل كل يعمل على شاكلته اذ لا يجوز ان يقال هذا بلا سبب كان منهم ابتدا لكن يشبه
ان يكون قال هذا على الاياس من ايمانهم لما لم ينجع فيهم دعاؤه اياهم وكثرة تلاوة اياته واقامة حججه عليهم الا عنادا
وانكارا فقال عند ذلك قل كل يعمل على شاكلته اى على دينه وطريقته كقوله لكم دينكم ولى دين وكقوله وان كذبوك
فقل لى عملى ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون فهو كله على الاياس عن ان يؤمنوا به ويقبلوا دينه
ثم قال فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى ربكم اعلم بمن منا على الهدى ومن ليس ومن منا اهدى سبيلا نحن وانتم
وقال ابو عوسجة شاكلته اى على ناحيته وقال القتبى شاكلته اى على خليقته وقال القطربى على طريقته وكان

يشبه ان الاية نزلت فى ابتداء الامر حيث قال وننزل ولم يقل ونزلنا من القران ما هو شفاء وجائز ان يكون قوله وننزل من القران ما هو شفاء

هذا اسند وقال بعضهم على نيته وقيل على دينه ومذهبه وقيل على جديلته ومناحيه وكله يرجع الى واحد و
يشبه ان يكون اى كل يعمل بما هو اشبه به وما هو يشبهه لان المشكل هو ما يشبه الشئ يقال هذا شكل هذا
وقوله كل يعمل على شاكلته على قول من يقول على خليقته خلق عليها لانه خلق على علم منه انه يختار ويؤثر والله
اعلم وقوله ان الباطل كان زهوقا قيل ذاهبا باطلا لا يجدى لاهله نفعا لانه يبلى شئ ولا يبقى والحق يجدى لاهله
نفعا ويبقى وعلى ذلك ضرب الله مثل الحق بالشئ الذى يبقى وضرب مثل الباطل بالذى لا يبقى ولا يثبت فقال
كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وقد ذكرنا
فى موضعه ضرب مثل الباطل بالزبد وهو يتلاشى لا ينتفع به فعلى ذلك الباطل وضرب مثل الحق بالماء وهو يبقى
فى الارض فينتفع الناس وضرب مثل الباطل ايضا بالشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الارض ولا يكون
لها قرار بقوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة الاية وضرب مثل الحق بالشجرة الطيبة النابتة فى الارض
ذات قرار وثبات بقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء فهو
على ما وصفهما الحق ثابت باق وله قرار ينتفع اهله والباطل يرى ثم يتلاشى ولا بقاء **وقوله** عز وجل
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى اختلف فيه قال ابو بكر الاصم الروح القران ههنا كقوله
ينزل الملائكة بالروح من امره وكذلك قوله اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الا
الاية قل الروح من امر ربى اى من تدبير ربى معناه لو اجتمع الخلائق ما قدروا على مثله فان قيل كيف سألوا عن
القران وهم لم يعرفوا بالقران فقال سموه قرانا وروحا على ما عنده اعنى عنده رسول الله كقوله وقالوا ما ل
الرسول يأكل الطعام وهم لم يكونوا انه رسول ولكن سموه رسولا لما عنده نفسه وزعمه رسول اى ما لهذا
الذى يزعم انه رسول يأكل الطعام فعلى ذلك قوله ويسألونك عن الروح وهو الذى يحيى الابدان من هلاك
الضلال اى من تمسك به نجا من هلاك الضلال **وقوله** عز وجل قل الروح من امر ربى اى بامر ربى يزيد وعن
ابن عباس رضى الله عنه قال الروح من امر ربى اى من خلق ربى وهما واحد وقال بعضهم الروح هو الملك
وانما سألوه عنه كقوله تنزل الملائكة والروح فيها يعنى الملك وقال بعضهم انما سألوا عن الروح المعروف
الذى به حيوة الابدان ولكنه لم يجبهم فوكل امره الى منعنا لا يدركون ذلك لو بين لهم وامثاله وروى عن
ابى يوسف رحمه الله انه كان ينهى عن الخوض فى الكلام ويحتج بظاهر هذه الاية حيث سألوه عن الروح فلم
يجبهم ولكن فوض امره الى الله وما سئل من الاحكام الا وقد بين لهم كقوله يسألونك عن الخمر والميسر
الاية ويسألونك عن الانفال الاية ويسألونك عن المحيض ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن
مثل هذا ما سئل عن شئ من الاحكام الا وقد اجابهم وبين لهم بيانا شافيا وقال ههنا قل الروح من امر ربى
وقال لجعفر بن حرب ان الله تعالى امر بالتكلم فى الكلام بقوله وجادلهم الاية وقال فلا تمار فيهم الا مراء ونحوه
فكيف نهى عن الخوض فى الكلام لكن ابا يوسف انما نهى عن الخوض فى الكلام الذى لا يدرك ولا يزيد الخوض
فيه الا حيرة وضلالا ونحوه ما روى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفكروا فى الخلق ولا تفكروا
فى الخالق لانه لا يدرك فالتفكر فيما لا يدرك لا يزيد الا عمى وحيرة وتيها واما الخوض الذى يدرك ويعقل
فانه لم ينه عن مثله واصله ما ذكرنا من اباحة التكلم فى الدين والخوض فى الكلام فى كثير من الايات من ذلك قوله
وجادلهم بالتى هى احسن الاية ونحوه قال الشيخ رحمه الله او لا نفسر الروح ما هو لا نعلم انهم ما ارادوا
بالروح وهم قد علموا ما اراد والله وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوا وانما سألوا لمن كان فى كتبهم
ليعلموا صدقه فيما يدعى من الرسالة لما علموا ان غير الرسول لا يعلم ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل وما اوتيتم
من العلم الا قليلا قال بعضهم اى ما اوتيتم من العلم الذى اعطاه والعلم الذى عنده الا قليلا وهو هكذا
انا لم نؤت من العلم الا علم ظواهر الاشياء وباديها لم نؤت علم بواطن الاشياء وحقائقها وذلك انا نعلم ان
البصر يبصر والسمع يسمع واللسان ينطق واليد تقبض وتأخذ والرجل تمشى والعقل يدرك لكن لا نعلم المعنى
الذى جعل فيه وبه يبصر وبه ينطق وبه يأخذ وبه يمشى وبه يدرك وكذلك نعرف هذه الجواهر التى نشاهدها
ونعاينها بان هذا حمار وهذا ثور وهذا كذا ولكن لا نعرف المعنى الذى صار هذا حمارا وهذا ثورا وكذلك
كل جواهر واجناس فلا نعرف من العلوم التى انشأنها الله الا القليل منها ظواهرها واما الحقائق فلا
وقوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك من يقول بان الروح الذى سألوه عنه هو الوحى
والقران الذى انزل عليه يحتج بهذه الاية وبقوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران

لا يأتون بمثله لما خرج ذكرها على اثر سؤال الروح فدل انه ما ذكرنا وقد ضل بهذه الآية فريقان الحشوية فانهم
يقولون ان القرآن والكلام هو صفة الله الذي هو لم يزل به موصوف وانه لا يزايله ثم يقولون القرآن في المصاحف
بعينه وهو في الارض وفي القلوب فقولهم متناقض لانه اذا كان صفة لا هو ولا غيره لا يجوز ان يكون في المصاحف
بعينه او في القلوب قال الشيخ ابو منصور رحمه الله اما الذي في المصاحف هذا ما يفهم به ذلك او ما يوافق
به ذلك عن القرآن ويقال هذا حكاية عن ذلك واما المعتزلة فانهم ينكرون خلق افعال العباد ثم يقولون ان
القرآن مخلوق فعلى زعمهم يكون القرآن والكلام ما يكتسب ويذهب ويجيء وذلك فعل العباد ثم يقولون
افعالهم غير مخلوقة فذلك تناقض في القول بين وعلى قولنا ما ذكرنا من الذهاب والمجيء كله على المجاز اى على
الموافقة لا على الحقيقة كما يقال سمعت كلام فلان وقول فلان وكتبت حديث فلان ونحوه فذلك كله على المجاز
لا على التحقيق لانه لا نسمع قول فلان حقيقة ولا كلامه ولا حديثه ولكن نسمع صوتا يفهم به قوله وكلامه
وحديثه فعلى ذلك الاول يذهب بالذي نسمع ونكتب فاما حقيقة ذلك فلا يوصف بشيء من ذلك ونحوه
فانه قد اضيف المجيء الى الله الذي لا نعرف منه ذلك ثم يحتمل قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ان
يكون صلة قوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك حتى
لا ينتفع به والا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لو شاء ربك لذهب بالذي اوحى اليه وقادر عليه ولئن دفعه
وكذلك نعرف هذا كل مؤمن وان كانت الآية على الابتداء فهو يخرج على ذكر المنة والرحمة اى له ان يرفع هذا
الذي اوحى اليه ليعلموا ان ابقاء النبوة والوحي فضل منه ورحمة وكذلك الوحي اليه في الابتداء وبعثه رسولا
اليهم فضلا واختصاصا لا استحقاقا منه واستيجابا كقوله والله يختص برحمته من يشاء وقوله ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء اخبر ان النبوة له وما ارسل اليه اختصاصا منه وفضلا لا استحقاقا منه فعلى ذلك
ابقاء النبوة والوحي رحمة وفضلا منه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة من وجه احدها ما قالوا انه لا
يختار الله احدا للرسالة والنبوة الا من كان مستحقا لها ومستوجبا لذلك وقد اخبر انه بفضله ولخصائصه
ارسله رسولا وبفضله ورحمته ابقاها وتركها بعدما اوحى اليه وارسله رسله والثاني فيه ان له ان يفعل
ما ليس هو باصلح لهم في الدين حيث اوعدهم برفع ما اوحى اليه وارسله واذهابه اياه ولا يوعد الا بماله
ان يفعل ما اوعد اذ لا يوعد بما له الفعل في الحكمة ثم لا شك ان ابقاء النبوة وترك ما وحى اليه اصلح لهم
من رفعها وتركه اياهم خلوا عن ذلك دل انه قد يفعل ما هو باصلح لهم في الدين وفيه انه قد يكلف خلقه
التوحيد والايمان وان لم يرسل رسولا ولا اوحى اليه وحيا لانه معلوم انه لو لم يرسل الرسول والا كانوا مكلفين
في انفسهم لكان خلقه اياهم عبثا وتركهم سدى فدل انهم مكلفون بتوحيده ومعرفته وان لم يرسل ولا
اوحى حيث اخبر ان بعث الرسالة وابقاءها فضل منه ورحمة وقوله الا رحمة من ربك ان فضله عليك
كبيرا **وقوله** عز وجل الا رحمة من ربك اى ابقاء النبوة والوحي رحمة من ربك وفضله ايضا وابقاء ذلك
كبيرا وفيه ان الحفظ والنسيان وان كانا من العبيد فلله فيهما صنيع به يحفظ حيث قال ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك اخبر انه لو شاء لذهب بالمحفوظ في القلب وينسيه دل ان له قدرة في
فعل العبد وفي قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وجه اخر من الحكمة وهو ان يعلم المؤمنون
ان الفضل كله من الله لا لتدبيرهم ولا لانفسهم في ذلك فضل ومعنى واليه يضيفون جميع ما يجري على ايديهم
من افعال الخير والطاعة والله اعلم **وقوله** عز وجل قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله يشبه ان يكون هذا صلة قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لو اجتمع
الانس والجن على ان يأتوا بمثله ما قدروا عليه **وقوله** عز وجل بمثله اى به ليس كمثله شيء اى ليس كمثله شيء
اذ لا مثل له فدل ان قوله لا يأتون بمثله اى لا يقدرون ان يأتوا به بعدما عاينوه فلان لا يقدر واعلى اتيانه
ابتداء قبل ان نظروا فيه وعرفوا امثاله اشد والعبد اذا نظم الشيء ونقوده بعدما عاينوا الاشياء والصور
اهون وايسر من تصويرها ونظمها قبل ان يعاينوها ويشاهدوها وجائز ان يستدل بهذه الآية على انه كان
مبعوثا الى الانس والجن جميعا حيث قال قل لئن اجتمعت الانس والجن لانه لو لم يكن مبعوثا الى الفريقين
جميعا لم يكن لذكرهما معنى وفائدة وفيه دلالة ان في الجن من لسانه لسان العرب اذ لو لم يكن بذا اولئك
ثم جائز ان يكون قوله لئن اجتمعت الانس والجن مع الجن او الانس مع او هؤلاء مع هؤلاء على ان يأتوا بمثله
وقال بعض اهل التأويل انما ذكر هذا لقولهم انه سحر وانما يعلمه بشر وقولهم ما هذا الا افك مفترى وقولهم

ان هو الا رجل مفترى على الله كذبا ومثله يقول ان الافك والسحر وما ذكرتم لا يكون الا من هذين من الجن و
الانس فاخبر انهم لو اجتمعوا على ان يأتوا بمثله ما قدروا عليه والدلالة على انهم عجزوا عن ذلك ولم يطيع
احد منهم ذلك الا سفهه اظهر الله سفههم الكذب في القرآن حيث قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا
الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء لم يسأل التوفيق ان
كان هو حقا ولكن سأل العذاب دل انه كان سفههم غاية السفه وان هذا الا اساطير الاولين ثم ارتاب فيه
وشك بقوله ان هذا كان هذا هو الحق من عندك والا لم يطمع ولم يخطر ببال احد من الخلائق التكلف لذلك
دل انه آية معجزة قال الله تعالى ثم اختلف في قوله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن قيل مثل نظمه ووصفه وقيل مثل
حججه وصدقه ويحتمل مثل حججه وبراهينه ويحتمل مثل علمه وحكمته ويحتمل مثل احكامه وانبائه يحتمل
قوله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ان يأتوا بمثل هذه الوجوه الخمسة التي ذكرنا ثم قوله بمثله يحتمل ما ذكرنا
اعلى الذي رفع وذهب به على التأويل الذي جعلناه صلة قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
ولئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن الذي ذهب به ورفع لا يأتون بمثله اى لا يقدرون
على اتيانه وان كان على الابتداء فهو على المثل اى لا يقدرون على ان يأتوا بمثله على ما لم يقدروا عليه بعد
ما فرغ سمعهم هذا فلو كان في وسعهم هذا لفعلوا ذلك لتخرج قولهم صدقا وقول الرسول كذبا فاذ لم
يفعلوا ذلك ولم يتكلفوا دل انهم عرفوا ان ذلك من الله وانه آية معجزة خارجة عن وسعهم **وقوله**
عز وجل ولقد صرفنا اى بينا ويحتمل ضربنا ويحتمل فرقنا للناس من كل مثل اى ذكرنا للناس مثلا على اثر
مثل ومثلا بعد مثل ما لو تفكروا فيه وتأملوا لعرفوا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب انفسهم
وسفههم ولعرفوا الحق من الباطل والمحق من المبطل ولكن لم يتفكروا فيه ولم يتأملوا وعاندوا **وقوله** عز وجل
من كل مثل مما يدل كل الامثال ولكن ما ذكرنا من كل مثل لو تأملوا فيه وتفكروا لكان لهم معتبرا وفي قوله ولقد
صرفنا للناس من كل مثل يكون ما ذكر من تصريف الامثال وضربها للناس من وجوه ثلاثة احدها ضرب المثل
لهذه الامة من شهد رسول الله وغيره من مكذبيهم ومصدقيهم بالامم الماضية ما قد حل بالمكذبين منهم
رسول الله من نقمته وعذابه وقد اخبر ان تلك سنة في المكذبين منهم وذكر انه سنة تلك لا تحول
ولا تبدل وهي غير محولة ولا مبدلة لواحدة من الامم والثاني يحتمل تصريف الامثال هو ما بين لهم وذكر
ما به صلاح معاشهم ومعادهم وصلاح دينهم ودنياهم ما لو تأملوا فيها وتفكروا وادركوا ذلك والثالث
يكون تصريف الامثال التي ذكر دعاءه الى دين الله وسبيله بالحكمة والموعظة الحسنة كقوله ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الى هذه الوجوه الثلاثة يرجع جميع ما ذكر من الامثال في القرآن **وقوله**
عز وجل فابى اكثر الناس الا كفورا يحتمل اى اكثر الناس الا كفورا بالامثال التي ضربها في القرآن وصرفها لهم
او يقول فابى اكثر الناس الا كفورا بنعم الله في صرف الشكر الى غيره او كفورا في وحدانية الله والوهيته
وقوله عز وجل وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب الى اخر ما
من الاسولة يشبه ان يكون هذه الاسولة جميعا من فريق واحد ويجوز ان يكون من كل فريق سؤال لم يكن ذلك
من غيره من الفرق كقوله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا كان من كل فريق غير ما كان من الاخر كان من
اليهود كونوا هودا تهتدوا ومن النصارى كونوا نصارى تهتدوا فعلى ذلك يشبه ان يكون الاول كذلك
ثم ان الذي حملهم على هذه الاسولة المحالة الفاسدة وجوه احدها سوالهم ما كان يعدهم رسول الله الجنان
والانهار الجارية والبساتين المثمرة ان هم تابوا واجابوا وكان يوعدهم العقوبات ان تركوا اجابتهم من اسقاط
السماء كسفا كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية سألوه ذلك استعجالا منهم
على الاستهزاء كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها او ان يكون اهل الكتاب علموا مشركي العرب الذين
لا كتاب لهم هذه الاسولة الفاسدة المحالة التي عرفوا انهم لا يجابون فيها ليسألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنها فانه لا يجيبهم ليرى السفلة منهم والاتباع انه لو كان رسولا لاجابهم فيتمادون في
طغيانهم وضلالتهم ويبقون على ما هم عليه او ان يكون الرؤساء منهم والقادة سألوه من ذلك الشيء لم
منهم ان لا يجيبهم ليرى اتباعهم وسفلتهم انهم قد حاجوا رسول الله واعترضوا بحججه وبراهينه لئلا
ينظروا الى حججه وبراهينه ليبقى لهم الرياسة والمنافع التي كانت لهم ولا يذهب ذلك عنهم ثم بين ان
اسولتهم التي سألوها سوال تعنت وعناد لا سوال استرشاد وحاجة ما ذكر في قولهم او تسقط السماء

كما زعمت علينا كسفا او تاتى بالله والملائكة قبيلا **وقوله** عز وجل او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه دل هذا كله ان سوالهم اياه كله سوال معانده لا سوال استرشاد واستهداء لانه
لو كانوا يسالون ما يسالون سؤال استرشاد واستهداء لكانوا لا يسالون اسقاط السماء عليهم اذ لا منفعة
لهم فى ذلك وان فى سوالهم الجنة منفعة يذكر سفهه القدم وتعنتهم وسوء معاملتهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحكمة والفائدة فى جعل سفههم قرانا يتلى الى يوم القيمة ليعرف المتاخرون معاملة السفهاء
اذا ابدا بهم انه كيف يعاملونهم معاملة رسول الله **وقوله** عز وجل قل سبحان ربى امره ان ينزه ربه من ان يكون
لاحد الاحتكام عليه والحكم والذى سالوه احتكامهم منهم على الله فى قوله قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا
رسولا ينزه ربه عن ان يملك سواه ما سالوه من اتيان الجنة وغير ذلك ما ذكر فى الاية والله اعلم **وقوله** عز وجل
هل كنت الا بشرا رسولا اى هل كنت الا بشرا كغيره من الرسل الذين كانوا من قبل من البشر فلم يسالوهم بمثل
الذى تسالونى انتم من الاسولة او ان يسالوا ذلك فلم يجابوا كقوله ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل
موسى من قبل او ان يكون قوله هل كنت الا بشرا رسولا اى ليس الرسول الا ليعترض على المرسل شئ وانما على الرسول
تبليغ ما ارسل وامر بتبليغه او يقول انى لا املك مما تسالونى سوى تسبيح ربى وتنزيهه **وقوله** عز وجل
قل سبحان ربى اى معاظم ربى وتعالى من ان يكون لعباده احتكام واحتيار وقال ابو عوسجة والعتيق الينبوع العين
والينابيع جميع والكسفة القطعة والكسف جميع وقال غيره الكسف بالجزم عذاب وكسفا مثل قطعا والله
اعلم **وقوله** عز وجل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اى اذ جاءهم الرسول بالهدى الا ان قالوا ابعث
الله بشرا رسولا وقال فى سورة اخرى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان
ياتيهم سنة الاولين لكن هذا على الاياس عن ايمانهم انهم لا يؤمنون الا عند معاينتهم باس الله والايمان فى ذلك
الوقت لا يقبل ولا ينفعهم واما قوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا
رسولا فيخرج هذا القول منهم مخرج الاحتجاج لو شاء ان نؤمن لانزل الملئكة كقوله قالوا لو شاء ربنا لانزل
ملائكة فنبه موضع الشبهة لهم ان يقولوا هو بشر فليس هذا اولى بالرسالة اولى من ان نكون نحن رسلا اليه
فذلك موضع الشبهة فاجابهم اذ ذلك لما استنكروا واستبعدوا بعث الرسول اليهم من جوهرهم وجنسهم
فقال قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين اى مقيمين ساكنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ثم
اختلف فيه قال بعضهم لو كان فى الارض ملائكة اى لو كان سكان الارض ملائكة فبعث اليهم رسولا منهم لكان
لهم ان يقولوا ابعث الله ملكا رسولا اى ابعث الله الينا من جوهرنا اى ليس لهم ان يقولوا ذلك فعلى ذلك اذا
كان ساكنها البشر ليس لهم ان يقولوا ابعث الله الينا من جوهرنا رسولا والثانى لو كانت الارض مكان الملائكة
وهم سكانها لكان لكم ان تقولوا ابعث الله بشرا رسولا من غير جوهرنا فاما اذا كانت الارض مكان البشر وهم
وهم سكانها فليس لهم ان ينكروا بعث الرسول منهم ومن جوهرهم لانهم لا يعرفون الملائكة ولا من كان من غير
جوهرهم ويعرفون من كان من جوهرهم فبعث الرسول من جوهرهم اولى بهم من غير جوهرهم او يقول لو كان فى الارض
ملائكة وبشر فعرفوا الملائكة لهم ان يسالوا رسولا من الملئكة لما عرفوهم فاما اذا كان سكان الارض ليس الا
بشر فليس لهم ان يقولوا ذلك لانهم لم يعرفوا قوى الملائكة ولا قوى الجن وقد عرفوا قوى البشر فيعرفون
الايات والحجج من التمويهات اذ عرفوهم ولم يعرفوا قوى الملئكة والجن فلا يعرفوا ما اقاموا انها ايات
وحجج او كان ذلك بقواهم ويعرفون ذلك من البشر اذا خرجت من احتمال وسعهم وقواهم وبعد فانهم
قد اقروا برسالة البشر لانه لا يعرفون الملائكة الا البشر انه ملك فليس لهم ان ينكروا رسالة البشر واصله ما قال
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لما ذكرنا انهم لا يعرفون الملائكة من كان من غير جوهرهم فلا بد من ان يكون رجلا
فكان فى ذلك تلبيس عليهم على ما اخبر والله اعلم **قوله** عز وجل قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم قال بعضهم
كفى بما اقام الله من الايات والحجج على رسالتى وانى رسول اليكم اذ كان ذلك من قول كان من اولئك الكفرة من انكار
الرسالة وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلك على الاياس من ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا الاية
وقوله عز وجل انه كان بعباده خبيرا بصيرا ذكر هذا والله اعلم بانه عن علم باجابتهم وردهم بعثه اليهم رسولا
لا عن جهل ولبس فيها بعلم انهم يردونه ولا يجيبون رسله خروج من الحكمة لانه ليس فى اجابتهم منفعة
للرسل ولا فى ردهم ضرر لهم انما المنفعة فى الاجابة لهم وفى الرد الضرر عليهم لذلك لم يكن فى بعث الرسول
على علم منه بالرد خروج عن الحكمة لان فى الشاهد انما يبعث الرسول لمنفعة يتامل ويتصل اليه او دفع ضرر عنه فاذا

على

علم انه يرد رسالته ولا يجيب كان فى وقت بعث الرسول اليه بعد علمه بالرد خروج من الحكمة او يخرج قوله
انه كان بعباده خبيرا بصيرا على الوعيد وكذلك امثاله وانما احتج علينا بعض المعتزلة بقوله وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى يقولون معنا القضاء والقدر اذ من قولكم ان ما يفعل الانسان من فعل معصية
او طاعة فانما يفعل بقضائه وتقديره فيكون لهم الاحتجاج عليه بان يقولوا منعنا قضاؤك وتقديرك لكن
هذا فاسد لانهم لا يفعلون ما يفعلونه عند وقت فعلهم لان الله قضى ذلك وقدر ولو جاز لهم هذا
الاحتجاج لانه كذلك قضى وقدر فاذا كانوا هم عند انفسهم لا يفعلون ما يفعلونه لانه كذلك قضى عليهم
وقدر لم يكن لهم الاحتجاج عليه بذلك لان القضاء والقدر لم يضطرهم الى ذلك ولا قهرهم عليه بل كان
غيره ممكنا لهم لذلك لم يكن لهم الاحتجاج عليه بذلك لان القضاء بهذا اعنى بالقضاء والقدر ولكان لهم الاحتجاج
عليه ايضا بالعلم اذ لا شك انه علم ذلك منهم فاذا لم يكن الاحتجاج عليه بما علم منهم ذلك اذ لا يقدرون ان
يفعلوا غير الذى علم منهم فعلى ذلك لم يكن الاحتجاج عليه بالقضاء والقدر
لما علم انه يختار ذلك ويؤثره على ضده فجاز ذلك لهم بالعلم وعجزه دل ان ذلك ليس لما قضى
ذلك عليهم وقدر واذا كانوا هم عند انفسهم لا يفعلون وقت فعلهم لما كذلك قضى عليهم فلم يكن الاحتجاج
لهم عليهم بذلك اذ القضاء والقدر لم يمنعهم عن ذلك لما لا يضطرون على ذلك وانما قضى ذلك لما علم انهم
يفعلون ويختارون ذلك لذلك كان ما ذكرنا وكذلك كل من قضى فى الشاهد على احد انما يقضى لما سبق
منه العلم به **وقوله** عز وجل ومن يهد الله فهو المهتدى اى من وفق الله لقبول ما كان من الهدى وعصمه
عما وسوس اليه الشيطان فهو المهتدى عند الله وعند من عقل الهدى ومن يضلل اى من خذله ولم يعصمه حتى
يقبل من الشيطان ما جاء من وساوسه فهو ضال فلن تجد لهم اولياء من دونه يحتمل لن تجد لهم اولياء من
دونه يهدونهم ويوفقونهم او لن تجد لهم اولياء ينصرونهم من دونه ويدفعون عنهم ما نزل
بهم من العذاب والله اعلم **وقوله** عز وجل ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما قال الحسن
يحاسبون حتى يعلوا اسود صنيعهم الذى صنعوا فى الدنيا ثم يحشرون الى جهنم ما ذكر عميا وبكما وصما او كلاما
غير هذا ثم يحتمل قوله الذين يحشرون ما ذكر فى اية اخرى يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقوله افمن يتقى
بوجهه سوء العذاب الاية انما يتقى بوجهه لما يكون ايديهم مغلولة الى اعناقهم وقوله عميا وبكما وصما
هذا يحتمل وجهين احدهما اسماهم عميا وبكما وصما لذهاب منافع هذه الحواس لذاتها فى الاخرة ليس على
حقيقة ذهابها لكن حال بينهما وبين الانتفاع بها ما ذكر لهم من فوقهم ظلل الاية فتلك الظلل تحول بينها
وبين رؤية الاشياء وسماعهم فى الدنيا عميا وبكما وصما ليس على حقيقة ذهاب اعينها ولكن لم ينتفعوا بها
الحواس عقوبة لما لم يستعملوها فيها وما استعملوها انفى ذلك عنهم فعلى ذلك فى الاخرة ويحتمل على حقيقة
ذهاب اعين هذه الحواس عقوبة لما لم يستعملوها فى الدنيا لما له خلقت كقوله لم حشرتنى اعمى وقد كنت
بصيرا **وقوله** عز وجل ماويهم جهنم اى مقامهم جهنم واليها يأوون **وقوله** عز وجل كلما خبت زدناهم
سعيرا قال يخمد لهبها من غير ان يذهب وجع ما اصابهم ثم يزداد لهم سعيرا قال بعضهم كلما خبت اى
نضجت جلودهم وسكنت النار اذا هم سعيرا اى نعود بنار على ما كان وجعلت تلتهب وتستعر كقوله
كلما نضجت جلودهم وقال بعضهم وذلك النار اذا اكلتهم فلم يبق منهم غير العظام وصار واحما سكنت
النار فهو الخبت ثم بدلوا جلودا غيرها جددا لها فيكون وقودا لها والله اعلم وكله واحد وقال بعضهم
كلما خبت اى كلما احرقتهم النار فصاروا رمادا واخلفوا لها خلقا جديدا تعاد وهم النار فتحرقهم و
ذلك قوله زدناهم سعيرا وهو قوله انه لا تبقى ولا تذر منهم شيئا اذا اخذت حتى عن قبلهم **وقوله**
عز وجل جزاؤهم اى ذلك الذى ذكر جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون
خلقا جديدا ثم قال اولم يروا اى اولم يعتبروا ولم ينظروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان
يخلق مثلهم هذا الاعتبار يحتمل وجهين احدهما انكم تقرون ان الله هو خالقكم وخالق السموات والارض
والارض على الابتداء وخلق سائر الخلائق على الابتداء لا احتذاء فتقدم وسبق اعظم واكبر من خلق من قد
تقدر على انشاء ذلك فهو على خلق انشاء امثالكم واعادتكم اقدر واعادة الشئ فى عقولكم اهون وايسر
من ابتدائه والثانى تعلمون انه خلق السموات والارض وخلقكم ايضا فلم يخلقهما للفناء خاصة اذ خلق الشئ
للفناء خاصة لا للعاقبة عبث ولعب فدل انه خلقكم وخلق السموات والارض لعاقبة وهى البعث وعلى ذلك

بياض الاصل

عز وجل قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه انه كائن لا محالة وجائز ان يكون قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه
الموت الذي به ينقضي اجالهم لكنهم لم يخلقهم للموت خاصة ولكن للعاقبة وهو ما ذكرنا وقال القتبي خبت
اي سكنت يقال خبت النار اذا سكن لهبها ولم يطفأ الجمر قلت تمد ثم تخبو فاذا طفئت ولم يبق منها شيء وقيل همدت
اخمد همود او قوله عز وجل زدناهم سعيرا اي نارا تستعر اي تلتهب وقال ابو عوسجة السعير النار اذا اوقدتها
ويقال نار مسعورة اي موقدة وقوله عز وجل فابى الظالمون الا كفورا بالبعث الظالمون هاهنا الكافرون
ولو قال فابى الكافرون الا ظلما كان واحدا وقوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم
خشية الانفاق يحتمل الاية وجوها قال بعضهم هي صلة ما تقدم من اسولتهم وهو قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف وقوله او تكون له جنة ياكل منها
كانوا يسألون هذه الاشياء على التعنت والعناد والاستهزاء فاخبر انه وان اعطاهم ما سألوا لا ينفعون بل
يمسكون على الانفاق ومن سنته انه اذا اعطاهم ما سألوا على السؤال فتركوا الايمان به والوفاء انهم يهلكون
فاخبر انهم يسألون سوال تعنت لا سوال ما يتوسعون بها وفي الاية اثبات الرسالة وهو ما بين انه يخلهم
وامساكهم عن الانفاق وقال بعضهم قوله قل انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق في قوم
خاص علم الله انهم لو اعطوا ما سألوا لفعلوا ما ذكر لا في كلهم وهو كقوله انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
الاية وكقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون فعلى ذلك الاول ويحتمل ان
يكون الاية في قوم ضمنوا لله الانفاق والتوسيع وعاهدوا الله على ذلك ان وسع عليهم فاخبر انهم لا يوفون
ما عاهدوه وضمنوا كقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الاية
ويحتمل ان يكون هذا اخبارا منه عن طبع الخلق وعادتهم وذلك انهم لما استكثروا من الاموال وجمعوا زادوا
بذلك حرصا على جمعها وبخلا على التوسيع والانفاق لما لم يكن قبل الجمع والاستكثار هذا المعروف في الناس فاخبر
انهم يمسكون على الانفاق والتوسيع اذا ملكوا ما ذكر على ما طبع الانسان بالبخل والتضييق عند الاستكثار ما لم يكن قبل
ذلك وقوله عز وجل وكان الانسان قتورا يحتمل ان يكون هذا صفة كل كافر وكذلك قوله ان الانسان خلق هلوعا
ومنوعا يكون عادتهم البخل والجزع عند المصائب وجائز ان يكون صفة كل انسان في الابتداء هكذا يكون ثم بالامتحان
والتجربة يكونون اسخياء صابرين او يكون بخيلا انهم لو ملكوا واعطوا جميع ما يرزقون في عمرهم على التفاريق دفعة
واحدة مجموعا لامسكوا عن الانفاق خشية الفقر في اخر عمرهم اذ لا يعلمون الى ما ينتهون من اجالهم فيحملهم
ذلك على البخل والامساك او يذكر لما انه جبلهم وانشاهم على الامساك والمنع في الابتداء وان لم يكن لهم حاجة
اليه الا ترى الصبيان والصغار من الاولاد يمنعون ما في ايديهم من غيرهم وان لم يكن لهم حاجة الى ذلك هذا
معروف فيهم والمنا جبلهم وانشاهم هكذا ليمتحنهم بالجود والتوسيع والبخل والتضييق والا كانوا في اصل خلقهم
والابتداء انشاهم على ما ذكرنا شحيحا بخلا وهو ما اخبر ان الانسان خلق هلوعا وجزوعا وكان الانسان عجولا لا
انشاهم جزوعا من الالم والمصائب غير صابرين عليها وكذلك انشاهم عجولا لا يصبرون على امر واحد ولا حال
واحد ثم امتحنهم على الصبر وترك الجزع والعجلة فعلى ذلك قوله وان كان الانسان قتورا اي طبعا جبلة ممسكا
والله اعلم ثم ترك ذلك واعتاد ذلك وخلافه وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هذا والله اعلم
فيما اتاه من الايات وامره ان يحاج بها فرعون وان كانت ايات موسى عليه السلام اكثر من تسع كانها تبلغ عشرين
وتزداد عليه ان كان في عصاه اربع من الايات احدها حيث ضرب بها البحر فانفلق وحيث كان يضرب بها الحجر
فينفجر منه عيونا وحيث القاها فصارت ثعبانا وحيث كانت تتلقف حبالهم وعصيهم وامثاله كانها تبلغ الى
ما ذكر لكنه ذكر تسع ايات بينات التي امره ان يحاج بها فرعون وقومه وقوله عز وجل بينات اي انها من عند
الله جاءت وانها ليست من البشر وانها سماوية وبينات اي مبينات ما يبين صدق موسى في جميع ما يخبر
ويقول ويبين عدله في حكمه وفعله لان في ايات الرسل يحتاج الى هذا ان يبين الناس صدقهم في قولهم وعدلهم
في حكمهم لانهم يدعون الى عبادة الله والطاعة له وذلك يوجب على كل عقل وطبع سليم فالحاجة الى الايات
ليست الا لصدقهم وعدلهم في حكمهم ثم اختلف في الايات قال بعضهم العصا واليد والحجر والطمس والخمس
التي ذكرت في سورة المص وهو قوله فارسلنا عليهم الطوفان وقال بعضهم الخمس التي ذكر في سورة المص والعصا
والموت الذي ارسل عليهم واليد البيضاء وانفلاق البحر وقال بعضهم انما الخمس التي ذكر في سورة المص واليد
والحل العقدة التي بلسانه وفي العصا اثنان وقال ابن عباس رضي الله عنه العصا واليد والسنون ونقص من الثمرات

ثم منهم من يجعل السنين ونقصا من الثمرات اية واحدة ومن يجعلها ايتين وكذلك منهم من يجعل اية واحدة ومنهم
من يجعل ايتين ومنهم من يجعل الطمس ومنهم من لا يعد ونحن نجعل العصا اية واحدة والسنين ونقصا من الثمرات
اية واحدة والطمس اية والخمس التي ذكرت في سورة المص فتكون ثمانيا فيكون التاسعة قوله لقد علمت ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لانه قال لقد علمت انها ايات ولم يكذبه فرعون ولم يستقبله بشيء وكذبه
في قوله وهو ما قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اخبر انهم جحدوا بها بعد ما استيقنوا انها ايات
وجحد ظلما وعلوا وما روى صفوان بن عسال المرادي انه قال ان يهوديين اتيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالا
عن تسع ايات التي ذكر انه اتاها موسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان فيقتله ولا تاكلوا
الربوا ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة يا يهود ان لا تعدوا في السبت قال فقبلا
يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي الله فقال عليه السلام فما يمنعكما ان تسلما قالا انا ان اسلمنا يقتلنا اليهود
فان ثبت هذا الخبر عنه فلا يجوز ان يتعدى الى غيره من التاويل والله اعلم وقوله عز وجل فاسئل بني اسرائيل
اذ جاءهم يعني موسى صلوات الله عليه قال بعضهم امر رسولنا صلى الله عليه وسلم ان يسأل بني اسرائيل
الايات التسع التي كانت في كتبهم على التقرير عندهم انه انما عرف ذلك بالله وانه رسول لما علموا انها كانت
تلك الايات في كتبهم بغير لسانه وكان لا يخط بيده ولا كان اختلف الى احد منهم ليعرف ذلك فدل انهم علموا
انه انما عرف ذلك بوحي السماء وقال بعضهم ليس هو على الامر ان يسألهم ذلك ولكن لو سالتهم لاخبروك
عنها كقوله فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون الاية وقوله عز وجل اني لاظنك يا موسى مسحورا في عقلك
اي سحرت والمسحور هو المغلوب في العقل وقولهم متناقض لانهم قالوا مرة ساحر ومرة مسحور فالساحر
هو الذي يبلغ بالبعيد غايته والمسحور المغلوب وقوله عز وجل قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر علمت بالرفع والنصب جميعا قوله علمت بالنصب والرفع جميعا قد قرئا وامكن ان يكون قال
في ابتداء الامر قد علمت ما انزل هذه الايات الا رب السموات والارض وقال في اية اخرى لما اقامها عليه لقد
علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر ما يبصر بها الحق من الباطل من لم يعاند ولم يكابر وقوله
عز وجل اني لاظنك يا فرعون مثبورا قال موسى عليه السلام لفرعون اني لاظنك يا فرعون مثبورا مقابل ما
قال له فرعون حيث قال اني لاظنك يا موسى مسحورا قال بعضهم مثبورا هالكا وقيل مطعونا وقال بعضهم
مبدلا ويحتمل قوله لاظنك يا فرعون مثبورا اي تدعوا على نفسك ما بثبوا وهو الهلاك كقوله واذا القوا منها
مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا اي هلاكا وظن يكون في موضع الظن ويكون في موضع العلم وقوله
عز وجل فاراد يعني فرعون ان يستفزهم من الارض قال اهل التاويل اراد ان يخرجهم ويستخفهم من ارض
اي ارض مصر لكنهم قد كانوا اخرجوا طائعين فيتعلق ان يخرجهم من حيث امر موسى باخراجهم بقوله واوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي ليلا انكم متبعون الاية فيكون تاويل قوله فاراد ان يخرجهم من الارض بالقتل
والهلاك من الدنيا الاخرى انه قال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها اراد
من مشارق الارض ولا كانوهم قد خرجوا من ارضه على ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فاغرقناه ومن معه
جميعا هو ما قال في اية اخرى فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا الاية وقوله عز وجل وقلنا من بعده لبني
اسرائيل اي بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض اختلف فيه قال بعضهم قوله اسكنوا الارض اي
ارض مصر الذي كان يسكن فرعون وهو قوله واورثكم ارضهم وديارهم وقال بعضهم اسكنوا الارض اي ارض
الشام والارض المقدسة كقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقال بعضهم اسكنوا
الارض ليس في ارض دون الارض ولكن اسكنوا اي ارض شئتم مشارقها ومغاربها امنين لا خوف عليكم على
ما ارادوا ان يخرجكم من مشارق الارض ومغاربها بالقتل كقوله واورثنا القوم الذين كانوا الاية وهو قول ابن
عباس رضي الله عنه وعلى هذا في قوله فاذا جاء وعد الاخرة بعث عيسى بن مريم جئنا بكم لفيفا اي جميعا يجمعون
من مشارق الارض ومغاربها على ما تفرقوا وقال بعضهم فاذا جاء وعد الاخرة يعني حيوة عيسى ونزوله من
السماء جئنا بكم لفيفا اي جميعا النزاع من القرى ههنا ومعنا اللفيف جميعا وهو مثل الاول واما عامة اهل
التاويل فانهم قالوا فاذا جاء وعد الاخرة يوم القيامة جئنا بكم لفيفا اي جميعا انتم وفرعون وجنوده حتى يروا
كرامتكم التي اكرمتم بها ويروا هوانهم وقوله عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل قال الحسن ان في القرآن محكما ولبا

يحكم عدل وانباؤه صدق وحق وهو كقوله وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا صدقا فيما انبأه من الانباء وعدلا فيما
من الحكم فيذلك الحق الذي فيه من الحكم العدل والانباء الصدق انزله وفيما الصدق في الاخبار والانباء والعدل
في الاحكام وبالحق **وقوله** عز وجل وبالحق نزل اي بذلك الحق الذي فيه وامر وفرض كم او كلام نحو هذا ويحتمل قوله
بالحق انزلناه اي بالحق الذي لبعضهم على بعض وبالحق نزل اي بذلك الحق الذي لله على خلقه ما دام واستحق
بالحق الذي لبعضهم على بعض ثبت واستحق واصله ان قوله وبالحق انزلناه وبالحق نزل اسم كل محبوب محمود
والباطل اسم كل مكروه ومذموم فمن اتبعه صار محبوبا محمودا ومن خالفه وترك اتباعه صار مذموما وان يكون
قوله وبالحق نزل اي ما ياتيه التغيير والتبديل **وقوله** عز وجل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اخبر انه لم يرسله
الا للبشارة والنذارة لكن هذا في حق الرسالة لم يرسله الا لهذين اللذين ذكروا الا قد كان امتحنه في نفسه بمحن
كثيرة فلم يكن في جميع الاوقات مشغولا بهذين خاصة لكنه في حق الرسالة لم يرسله الى البشارة والنذارة
اي لم يرسلك حافظا ولا وكيلا ولا مسلطا عليهم بل ارسلك لتبليغ الرسالة اليهم ثم للبشارة والنذارة وهما
امران يكونان في عواقب الامور البشارة تكون عاقبة كل محبوب ومحمود والنذارة عاقبة كل فعل مكروه ومذموم
ثم لقائل ان يكون في قوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا البشارة لمن اجاب بما امره به ودعاه اليه والنذارة
لمن ارتكب لما نهي عنه فكيف لا دل هذا على ان النهي يوجب الحظر والتحريم حيث الحقه النذارة بارتكاب
ما نهي عنه قيل ان النذارة عاقبة كل مكروه ومذموم والبشارة عاقبة كل محبوب ومحمود فيكون ذلك الاداب
وغيرها ولان الرسل لم يبعثوا الا لتغيير مناكير وفواحش ظهرت في الخلق وغيره من الفواحش والمناكير لم يبعثوا
لتلك فانه ظهرت فيهم ثم دخل الصغائر والاداب فيما ارسل تبعا والا كان سبب ارسالهم الكبائر والفواحش
فان كان ما ذكرنا كان في النهي نهي ادب ونهي حتم وحكم وبعد فان الله تعالى قد اخبر انه قد يعفو عن كبير من
السيئات وما عفي عنه لم يلحق فيه النذارة والوعيد والله اعلم **وقوله** عز وجل وقرانا فرقناه بالتخفيف والتثقيل
فرقناه قال بعضهم فرقناه بالتخفيف اي احكمناه وثبتناه حتى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وقال بعضهم فرقناه وقطعناه في الانزال سورة سورة واية اية على ما انزل لتقراه على الناس على مكث فهو والله
اعلم لوجوه احدها ما ذكر قوله وقال الذين كفروا لولا انزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك فاخبر
عز وجل انه انما انزله بالتفاريق ليثبت به فؤادك لان ذلك اثبت في القلب وايسر في الحفظ والثاني انزله بالتفاريق
على قدر النوازل ليتجدد لهم البصيرة ويزداد لهم الحجة بعد الحجة ولو كان جملة لم يكن ليتجدد لهم ذلك ولا يزداد
لهم البصيرة او ان يكون انزله بالتفاريق والتنبيه ليتبهم في كل وقت ويعظهم في كل حال اذ ذلك انبه لهم
وا وعظ من ان يكون منزلا جملة واحدة الا ترى ان الاية اذا دامت تكون في التنبيه اقل واذا كانت منقطعة في الاوقات
كانت وخوف وانبه نحو كسوف الشمس بالليل صار بالدوام غير مخوف ولا منبه لهم للدوام وكسوفها بالنهار
صار تليها للانقطاع فعلى ذلك الاول والله اعلم **وقوله** عز وجل قل امنوا به او لا تؤمنوا ظاهر هذا لخرج على
التخيير لكن المراد منه يخرج على حتم المواعيد وتاكيد الوعيد وتغليظه وكذلك قوله اعملوا ما شئتم ظاهره التخيير
لم يفهموا منه على ما خرج ظاهره لكن فهموا منه التاكيد والوعيد وحتم الوعظ وهذا المعروف في الشاهد ان الشاهد
انما نهى الواحد اخاه بامر ووعظه وبالغ فيه فيقول له ان شئت فافعل وان شئت لم تفعل على ما لو فعلت
او لم تفعل فانما ضرر ذلك عليك ان تركته ونفعه يرجع اليك لو فعلت قوله قل امنوا به او لا تؤمنوا فالاضرر علينا
في ترككم الايمان به ولا يرجع نفعه الينا لو امنتم به انما نفعه لكم وضرره عليكم ان شئتم فعلتم وان شئتم تفعلوا
فهو كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وكقوله من عمل صالحا فلنفسه الاية ونحو ذلك
مما يخبر ان كل من عمل خيرا فلنفسه عمل ومن عمل سوءا فعلى نفسه ضرر ذلك فهذا ينقض على اصحاب الظواهر
حيث قالوا يفهم من الخطاب ظاهره لا يتعدى من ظاهره حيث لم يجب ان يفهم من قوله قل امنوا به او لا
تؤمنوا التخيير لكن فهموا الوعيد الغليظ وحتم المواعظ فان قيل ما الحكمة في لزوم الامر وافترامنه اذا كان
بامرنا ونهيا المنافع انفسنا ولضرر على انفسنا ومن لم يعمل في الشاهد لنفسه ولا سعى لنفع نفسه فلا لا
لمه عليه ولا مواخذة قيل في الحكمة ان يفرض علينا السعي في فكاك انفسنا ودفع الهلاك على نفسنا فقام
بانا امر بالسعي في فكاك انفسنا ودفع الهلاك عنها وحاصل امره ونهيه يكون المنفعة لنا لا له وكذلك الصدر
وعلى ذلك يخرج قوله وما ظلمناهم الاية وعلى ذلك يخرج ادم عليه السلام وغيره ربنا ظلمنا انفسنا الاية **وقوله**
عز وجل ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا وهذا ايضا ينقض على اصحاب الظواهر لانه لا كل

من اوتي العلم منهم يخرون للاذقان على ما خرج ظاهره فدل ان الاعتقاد ليس بالظاهر على ما قرع السمع ولكن على
ما توجبه الحكمة ثم قوله ان الذين اوتوا العلم اي ان الذين اوتوا منفعة العلم يخرون للاذقان سجدا ثم يحتمل قوله
يخرون للاذقان سجدا على التمثيل ليس على تحقيق السجود ولكن على الانقياد لما سمعوا والخضوع له والذلة على ما ذكر
من التمثيل في قوله انقلبتم على اعقابكم ليس على حقيقة الانقلاب على الاعقاب ولكن على التمثيل الرجوع وترك
العمل فعلى ذلك العمل وكقوله فنبذوه وراء ظهورهم على ترك العمل به ويحتمل ان يكون السجود كناية عن الصلوة اي
يصلون لله ويحتمل ان يكون على حقيقة السجود خروا لله سجدا اذا تتلى عليهم ايات الله وبكيا وهو كسجود وسحرة
فرعون حين عاينوا ايات الله وبكيا وهو كقوله فالقي السحرة ساجدين فعلى ذلك يحتمل سجود هولاء والله
اعلم **وقوله** عز وجل ويقولون سبحان ربنا عما قالت الملحدة فيه ان كان وعد ربنا لمفعولا اي قد كان موعود ربنا
لمفعولا وكذلك قوله وكان امر الله مفعولا وكان امر الله قدرا مقدورا ان كان ما بامر الله لكائنا ومفعولا اي
قد كان ما باه ووعده مفعولا وهو ما ذكرنا كان وعد الله مفعولا **وقوله** عز وجل ويخرون للاذقان يبكون فان
كان التاويل من السجود الصلوة ففيه دليل لقول ابي حنيفة رحمه الله ان المصلي اذا بكى في صلاته خوفا على نفسه
واشفاقا او سرورا على ما انعم الله عليه واكرمه دينه لم تفسد صلوته واذا كان البكاء للتسلي عما حل به من الشدة
والبلاء افسد صلوته واصله ان البكاء اذا كان لله فهو لا يفسد الصلوة واذا كان للدنيا او للحاجة للنفس
فهو يفسد **وقوله** عز وجل ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم ما يتلى عليهم من القران خشوعا وخضوعا لهم او
الايات وقال الخشوع هو الخوف الدائم في القلب **وقوله** عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى ذكر هذا والله اعلم ان العرب كانت لا تعرف الرسل والكتب المنزلة من السماء
ولا يؤمنون بها وكانت لا تعرف ذكر الرحمن ولا التسمية به وكذلك غيره من الاسماء لما لا سبيل الى معرفة
ذلك اما بالسن الرسل والانبياء واما بالكتب المنزلة من السماء فاذا لم يؤمنوا بالرسل ولا عرفوا الكتب حملهم
ذلك على الانكار والجحود لاسمائه ولذلك قالوا وما الرحمن قوله وهم يكفرون بالرحمن اي يكفرون بذكر الرحمن
واسمه لما ذكرنا او ان يكونوا انكروا اسم الرحمن لما لم يعرفوا انه ماخوذ من الرحمن من الله واما الله فهم يسمون
كل معبود الها على ذلك سموا الاصنام التي كانوا يعبدون نها الهة ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وهولاء شفعاؤنا عند الله فيسمون الله لما هو المعبود عندهم ورجعت عبادتهم الاصنام الى الله حيث
زعموا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كانوا يطلبون بعبادتهم الاصنام القربة الى الله لذلك انكروا غيره
من الاسماء على ان العرب لم ينكروا الشيء الواحد اسمين واكثر وعرفوا ان الاختلاف الاسماء وكثرتها لا توجب
اختلاف المسمى به ولا اوجب عدده وانما قالوا انه كان يدعو لحق الا ان العبادة واحد فالساعة تدعوا
الى عبادة اثنين واكثر انما قالوا على التعنت والعناد والا قد عرفوا الشيء الواحد اسمين واكثر لكنهم انكروا الله
ذلك لما ذكرنا تعنتا منهم وعنادا على هذا يجوز ان يتاول الاية والله اعلم ثم اختلف في تخصيص ذكره بهذين
الاسمين قال بعضهم وجه تخصيصهما لانهما اسمان مخصوصان له لا يجوز ان يسمى غيره بهذين الاسمين واما
غيرهما من الاسماء فانه يجوز ان يسمى غيره بها وقال الحسن خص بذكرهما لانهما اسمان معظمان عند الخلق
ما لم يجعل لغيرهما من الاسماء من التعظيم ما جعل لهذين وقال ابو بكر الاصم خص بذكر هذين لان غيرهما من
الاسماء اسماء اخذت من صفاته واما هذان فانهما ليسا اخذا عن صفته وقال الزجاج الرحمن هو ماخوذ من الرحمة
الا انه النهاية في الرحمة لانه فعلان وهو ما يقال غضبان اذا انتهى غضبه غايته والا فو الرحيم والرحمن كلاهما
من الرحمة الا ان الرحمن فعلان والفعلان هو النهاية من وصف الرحمة لما ذكرنا وغيره من الخلائق لا يبلغون
في الرحمة ذلك المبلغ لذلك الخص بذكر الرحمن دون الرحيم وهذا كله واحد ليس فيه خلاف واصله ذكرنا
لا يشرك غيره في هذين ويجوز في غيره **وقوله** عز وجل فله الاسماء الحسنى اي اسماءه التي يسمى بها كلها
الحسنى ليس شيء منها قبيحا او ان يكون قوله فله الاسماء الحسنى اي كل اعمال صالحة وامور حسنة له اعني
اليه ويضاف ولا يجوز ان يضاف وينسب ما قبح منها وسمج واصله ما ذكرنا ينسب اليه كل حسن وكل شيء
على الاشارة والتسمية به وهو ما يذكر التحيات لله والصلوات والطيبات الى اخره ينسب اليه كل طيب
وكل حسن **وقوله** عز وجل فله الاسماء الحسنى هذا يحتمل وجهين احدهما له اسماء حسنة يسمى بها والثاني
ان كل حسن يسمى به غيره فهو راجع اليه في الحقيقة وهو مسمى به وكل حسن منسوب اليه **وقوله** عز وجل
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اختلف اهل التاويل في ذلك قال بعضهم

قوله لا تجهر بصلاتك اى لا تجعل صلاتك فى مكان غيظا للمشركين ولا تخافت بها اى ولا تسر عن اصحابك فتخفى
عليهم لكن ابتغ بين ذلك سبيلا وقال بعضهم لا تجعل كل صلاتك فى جماعة ولا تخافت بها ولا كلها فى غير
جماعة وابتغ بين ذلك سبيلا ولكن اجعل بعضها بالجماعة وبعضها لا بالجماعة وقال بعضهم لا تجهر بصلواتك
ولا تخافت بها اى لا تجاوز الحد فى الامور والاعمال التى امرتك بها ولا تقصرها عن الحد الذى حددت لك فيها
ولكن ابتغ بين ذلك سبيلا وقال بعضهم ولا تجهر بصلواتك مراءات الناس ولا تخافت بها اى ولا تحتجب بها
للاختفاء وجائز ان يكون قوله ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها اى لا تجهر بجميع الاذكار التى فى الصلوة
وبجميع القران التى فيها ولا تخافت بالكل ولكن بعضها بالجهر وبعضها بالمخافتة وقال بعضهم انه كان يجهر
فى صلوته بحيث يسمعه المشركون فيؤذونه فامره ان لا يجهر بها لئلا يؤذوه ولا تخافت كل المخافتة فيسمع
اصحابك فياخذوا قراءتك وقال بعضهم ذلك فى الدعاء الى الله وتوحيده فى حق التبليغ والمسالة وامثاله ولكن
لا يجوز ان يقطع التاويل فى هذا وامثاله فيقال انه كان كذا الا بخبر منه ثابت لان الخطاب به خطاب له فقطع
التاويل فيه والقول على شئ واحد شهادة على الله وعلى رسوله ولا يحل الشهادة على الله ولا على رسوله
الا بالاحاطة انه اراد ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك
ذكر فى هذه الاية جميع ما يقع به الحاجة الى التوحيد لان من نفى التوحيد وانكره انما نفى لاحد الوجوه التى ذكر منهم
من قال له بالولد وهم اليهود والنصارى ومنهم من قال له بالشريك وهم مشركوا العرب ومنهم من قال له بالولى
والعون من الذل وهم الثنوية وغيرها حيث قالوا انشاء هذا النور ليستعين به على التخلص من وثاق الظلمة
فنزه نفسه وبرأها عن جميع ما قالوا فيه ونسبوا اليه لان الولد فى الشاهد انما يطلب اما للتلهى واما للاستيناس
واما ليستعين ان يقع له الحاجة الى ذلك وتعالى عن ان يكون له شريك لان الشركاء فى الشاهد انما يتخذ
للمعونة وليتقوى بعضهم ببعض ما لهم وما هم فيه والولى من الذل انما هو فى الشاهد للاستنصار والاستعانة
على اعدائه والله تعالى عن ان يقع له الحاجة الى شئ من ذلك فنفى عنه جميع معانى الخلق وجميع ما يتشبه
اليهم ونعوتهم وقوله عز وجل وكبره تكبيرا اى وصفه بما وصف نفسه وانف عنه جميع معانى
الخلق ذكر ذلك فى ذلك تعظيمه وتكبيره او يقول اعرفه بما عرفك نفسه هكذا فقد عظمته وكبرته والولد
فى الشاهد انما يتخذ ويطلب بوجوه احدها للتسلى به عن استيناس من وحشة والحاجة منه فيستعين
به على قضائها او الذل ليخاف من عدوه فينتصر به عليه والله تعالى عن ان يصيبه شئ من ذلك وقوله ولم
يكن له ولى من الذل اى لم يتخذ الاولياء ليستعين بهم من الذل انما اتخذ اولياءه رحمة منه وفضلا ليعزهم
هم بذلك ويكونون عظماء اذكر لم يتخذ وقد خلق الاولاد للخلق ليعلم ان ليس له فى خلق الشئ ما يصح ان يتخذ
لنفسه وقوله عز وجل ولم يكن له شريك فى الملك ولو كان على ما نفى له المعتزلة لكان له شريك فى الملك
على قولهم لانهم يقولون ان الله لم يرد لاحد من الكفرة الملك لهم والغار ادا ولما به فعل قولهم صار العبد
شريكا له فى الملك حيث لم يكن ما اراد وهو كما اراد والله اعلم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب تاويل الحمد ههنا وفى امثاله وامثاله احق الحمد لله لا نعمة
منه وصلت الى كل احد بعينه اى ايها وان وصلت على ايدى من وصلت الى كل من وصلت فان حق الحمد والثناء له
فى تلك النعمة وان حمد من دونه اذ منه ذلك لان من الذى وصل على يديه وان الذى وصلت على يديه كالمستعمل
له فى الحمد والثناء له لا من دونه وجائز ان يكون قوله الحمد لله اى قوله الحمد والثناء لاشق جميع ما ذكر الحمد
لحق به شيئا واما قدرته وسلطانه واما نعمه التى انعم على الخلق كقوله الحمد لله الذى خلق السموات
والارض الاية والحمد لله فاطر السموات والارض الاية والحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ونحوه وقوله
الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ما ذكر الحمد لنفسه والثناء الا ذكر على اثره اما قدرته وسلطانه واما نعمه فاكان المذكور
على اثره النعمة فهو ليستادى به شكره وحمده وان كان المحقق بالقدرة والسلطان فيخرج القول منه مخرج
الامر بالتعظيم له والهيبة والله اعلم وقوله عز وجل انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما
اى لم يجعله عوجا ويجوز زيادة اللام فى مثله كقوله ردف لكم ورد فكم هذا جائز فى اللغة ثم قوله انزل على
عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما اى لم يجعل له عوجا يخرج على وجهين احدهما على التقديم والتاخير على ما

قاله اهل التاويل اى انزل على عبده الكتاب ولم يجعله عوجا والثانى على زيادة بل كانه قال انزل على عبده الكتاب
ولم يجعله عوجا بل جعله قيما على احد هذين الوجهين يخرج والله اعلم ثم قوله ولم يجعل له عوجا قيما اذا لم
يكن عوجا فيما واذا كان قيما كان غير عوج فى كل واحد من الحرفين معنى الاخر الا من عادة العرب تكرار الكلام
واعادته على التاكيد كقوله محصنات غير مسافحات واذا كن مسافحات لم يكن محصنات فكان مؤداهما
معنى واحدا الا انه ذكر لما ذكرنا من عادة العرب التكرار وكذلك ما ذكر لينذر باسا شديدا الباس هو الشديد والشديد
هو الباس هما واحد فعلى ذلك الاول ثم اختلف فى قوله قيما قال بعضهم القيم هو الشاهد اى القيم على الكتب
المقدمة والشاهد عليها فى الزيادة والنقصان وفى التغيير والتحريف يبين ما زادوا فيها وما نقصوا
وما حرفوه وما غيروا كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم الاية وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه
وقوله وان منهم لفريقا الاية كانوا يحرفون نظمه ووصفه ومنهم من كان يحرف احكامه وشرائعه فهذا
القران شاهد وقيم فى بيان ما فعلوا وقال بعضهم قوله قيما اى ثابتا قائما ابدا لا يبدل ولا يغير ولا ينسخ
ولا يزاد ولا ينتقص وهو على ما وصفه لا ياتيه الباطل الاية وهو على ما وصف الحق بالثبات والقيام والباطل
بالذهاب والتلاشى كقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل الاية وما وصف الكلمة الطيبة بالثبات
والقيام وها والخبيثة بالزوال والتغيير والذهاب فعلى ذلك هذا القران لا يمحق وقال بعضهم قيما اى
مستقيما وتاويل المستقيم المستوى المتوافق اى يصدق بعضه بعضا ويوافق اوله اخره واخره اوله اى لم
يخرج مختلفا وهو على ما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولو كان من عند غير الله على
ما قال اولئك الكفرة لكان يخرج مختلفا متناقضا ينقض اوله واخره اوله فاذ لم يكن دل انه من عند الله نزل
ولو كان على ما يقولون اصحاب العموم والظاهر ايضا لم يكن قيما ولا مستقيما بل يخرج مختلفا متناقضا لانهم
يعتقدون على العموم والظاهر ثم يخصون بدليل فهو مختلف واصله فيهم بالحجج والبراهين على اى تاويل كان
وبالله التوفيق وقوله عز وجل لينذر باسا شديدا اى انزله على عبده لينذركم باسا شديدا اى لينذر ببأس
شديد والباس العذاب وقوله عز وجل من لدنه هذا يحتمل وجهين احدهما انزل على عبده الكتاب من لدنه
اى من عنده والثانى لينذر باسا شديدا ينزل من عنده والله اعلم وقوله عز وجل ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات فيه دلالة انه قد يكون المؤمنون يستحقون اسم الايمان وان لم يعملوا الصالحات حيث ذكر المؤمنين ثم
ذكر الاعمال الصالحات خص المؤمنين بعمل الصالحات فى مشيئة الله ان شاء وعفى عنهم وان شاء عذبهم بقدر
عملهم الذى كانوا عملوا وان شاء قابل سياتهم بحسناتهم فان فضلت حسناتهم على سياتهم بدل سيئاتهم حسنات
على ما اخبر فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات هم فى مشيئة الله على ما ذكر وليست لهم البشارة المطلقة التى
للمؤمنين الذين عملوا الصالحات وقوله عز وجل ان لهم اجرا حسنا لا سوء فيه ولا قبح وقوله ان لهم اجرا حسنا
دون قوله ان لهم اجرا كريما كبيرا فى الذكر لكنه صار مثله بقوله ماكثين فيه ابدا لا يخرجون منه ابدا وهم مقيمون
فيه ثم يحتمل وجهين احدهما ماكثين فيه اى لا تاخذهم سامة ولا ملالة فيه فيريدون التحول منه لغيره على
ما يكون فى الشاهد انه يسام المرء ويمل من طعام وان كان رفيعا ويرغب فيما دونه وهو ما قال خالدين فيها
لا يبغون عنها حولا والثانى ماكثين ابدا لا يخوف الخروج والزوال عن النعمة ينغص النعمة على صاحبها
وهو ما قال خالدين فيها ابدا وقال لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله عز وجل وينذر الذين قالوا اتخذ
الله ولدا ما لهم به من علم هذا يحتمل وجهين احدهما اى يعلمون انه لم يتخذ ولدا ولكن يقولون ذلك على العلم
منهم كذبا وزورا كقوله وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم ليس هو لشريك
له وكقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات والارض اى تنبئون الله بما يعلم انه ليس على ما تقولون والثانى
يحتمل قوله ما لهم به من علم اى عن جهلهم يقولون ما يقولون من الولد والشريك لا عن علم تقلدوا الاباءهم
ليسوا باهل كتاب يعرفون به ولا كانوا يؤمنون بالرسل واسباب العلم وهذين الكتاب والرسل فما قالوا انما قالوا
من جهل لا عن علم وكذلك اباؤهم فان كان على هذا ففيه دلالة ان من قال بشئ عن جهل فانه مؤاخذ به حيث قال
وينذر الذين قالوا الاية وقوله عز وجل كبرت كلمة تخرج من افواههم اى كبرت وعظمت تلك الكلمة التى قالوا
على من عرف الله حق المعرفة حتى كادت السموات والارض ان تنشق لعظم ما قالوا فى الله كقوله تكاد السموات
يتفطرن منه الاية وقوله ان يقولون الا كذبا ثم تكلم اهل الادب فى نصب كلمة قال بعضهم انتصب على المصدر
كبرت كلمتهم التى قالوها كلمة كقوله وكلم الله موسى تكليما وقال قطرب هو على الوصف كما يقال بئس رجلا ونعم

وجلا على الوصف به وذلك جائز في اللغة فعلى ذلك هذا وقال الخليل انما انتصب لانها نعت اسم مضمر معرفة
وهو تمييز له قوله ساء مثلا وانما كان نعتا لاسم مضمر لانه قال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا فهذا القول
هو قولهم وقالوا به كبرت العربية كلمة وقد قيل كبرت المقالة كلمة وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل تخرج من افواههم
اي كبرت تكلموا بها وحيقوا كبرت كلمة تكلموا بها وقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا
وقال في اية اخرى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين لخبر انه فاعل ما ذكر ولم يقل لما فعل او لا تفعل في هذا
فيشبه ان يكون النهي ما ذكر في اية اخرى وهو قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولهذا قال بعض الناس
ان في قوله فلعلك باخع نفسك نهي عن الحزن عليهم وعندنا ليس يخرج على النهي ولكن على التسلي والسلوة
ثم اختلف في قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في الاسف قال بعضهم الاسف قال بعضهم الاسف
هو النهاية في الغضب كقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم قال اهل التاويل اسفونا اغضبونا وقال بعضهم
الاسف هو النهاية في الحزن كقوله يا اسفا على يوسف اي يا حزنا ويحتمل ان يكون ما يحزن نا اسفا عليهم ان تتلف
انفسهم في النار بتركهم الايمان او كانت نفسه تغضب عليهم بتركهم الاجابة والمعول في الله سبحانه على
ما قالوا فيه وكلاهما يجوز ان اذ كان ذلك لله كادت نفسه ان تتلف حزنا عليهم اسفا فانه او كادت تتلف
غضبا عليهم وفيه دلالة انه لم يكن يقاتل لكثرة القتل والتلف ولكن كان يقاتلهم ليسلموا حيث كادت
نفسه تتلف اسفا عليهم وفيه فلا يحتمل ان يكون يقاتلهم للقتل في القتل ترك الشفقة ولكن كان يقاتلهم
لينظرهم القتال الى الاسلام فيسلموا فلا يهلكون وفيه تذكير للمسلمين وتنبيه لهم من وجهين احدهما ان الخبر
عن تعظيم محل الذنوب في قلبه فلعل ذلك لو ذنب فيلحقهم اللعن كقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله الاية وفي ذلك زجر عن ارتكاب ما يسوءه ويؤذيه والثاني تعليم منه لامته انه كيف يعامل كفرة واهل
المناكير منهم يقاتلون في الظاهر ويضمرون الشفقة لهم في القلب على ما فعل بهم رسول الله ص وعاملهم وقوله
بهذا الحديث سمى القرآن حديثا وهو ما قال الله نزل احسن الحديث سماه باسامي قصصا وحديثا وذكرا وروحا
وامثاله والنهاية في الحزن والغضب للانبياء انفسهم تقوم بهذين واما غيرهم من الخلائق فلا يحتمل انفسهم
الا لاحدهما اذا كان الحزن ذهب الغضب واذا كان جاء الغضب ذهب الحزن فالانبياء هم المخصوصون بهذا
وقوله عز وجل انا جعلنا ما على الارض زينة لها اختلف فيما اخبر انه جعل الارض زينة قال بعضهم كل ما على
وجه الارض من النبات والشجر والانسان وغيره هو زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فان التاويل على هذا
فيكون وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا القيامة يعني جميع ما على وجه الارض فيبقى قاعا صفصفا وذلك
اخبار عن القيامة وقال بعضهم زينة لها هو النبات التي عليها وما جعل لهم من الرزق ليبلوهم بما جعل
لهم من الارزاق بالامر والنهي والعبادات وغيره لم يجعل ذلك النبات عليها وتلك الارزاق مجانا ولكن ليختبرهم
ويبتليهم بانواع الامتحان فاذا كان كذلك ففيه دلالة ان ليس لاحد ان يتناول مما عليها الا باذن ولا يتقدم على
شيء منها الا بامر من اربابها وقال ابو بكر عبد الرحمن بن كيسان زينة لها اهلها جعل ذلك ليبلوهم وكرههما
انه جعل ما على الارض ليبلوهم ايهم احسن عملا وقال في اية اخرى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن
عملا ثم من الناس من يجمع بين الايتين فيقول جعل الحيوة للابتداء والموت للجزاء فيستدل على ذلك بقوله انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا اخبر انه يبلوهم بالزينة والحيوة لا بالضيق والموت منهم من
يقول امتحنهم بها جميعا بالحيوة ليتزودوا وانتهما بعد الموت كما يتزود في حال السعة والرخاء وحال الضيق
والشدة لمن لم يتزود في حال السعة فلا زاد له في حال الضيق فعلى ذلك ما لم يتزود في الحيوة فلا زاد له بعد
الموت وقوله عز وجل وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اي لمبتليهم وتخبرهم ايضا بذهاب النبات والانزال
وتاويله ان يبتليهم بالرخاء والسعة وبالضيق والشدة كقوله ونبلوكم بالشر فتنة وقوله ولنبلونكم بشيء
من الخوف والجوع الاية وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحوه فعلى ذلك قوله انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا والله اعلم وقوله عز وجل اي تبتليهم
بالسعة والرخاء والضيق والشدة وقال القتبي باخع نفسك وقال ابو عوسجة باخع مخرج نفسه اي اخرجها
وقالا جميعا الاسف الحزن وقال غيرهما الاسف الغضب ايضا دليله قوله فلما اسفونا انتقمنا منهم اي اغضبونا
وقال القتبي الصعيد المستوي ويقال وجه الارض ومنه قيل للتراب صعيد لانه وجه الارض والجرز
الارض التي لا تنبت شيئا يقال ارض جرز وارضون اجراز وكذلك قال ابو عوسجة والجرز التي لا تنبت فيها

والصعيد

والصعيد التراب وقوله عز وجل ام حسبت وقيل قد حسبت ويحتمل بمعنى بل حسبت كقوله ام يقولون
افتراه اي بل يقولون فعلى ذلك قوله ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم وقد ذكرنا في غير موضع ان
حرف الاستفهام من الله يكون على الايجاب والالزام ثم هو يخرج على وجهين احدهما على الامر احسب واعلم
ان انباء الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا او ما ذكرنا هل حسبت وهو كذلك او تقول لا تحسبن ان اصحاب
الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ليس العجب منها بل ان لك اياتنا اعجب منها بكثير والله اعلم ثم اختلف في الرقيم
قال بعضهم الكتاب كقوله مرقوم اي مكتوب وقال بعضهم الرقيم الوادي الذي فيه كهفهم وقيل الرقيم
اللوح الذي كتب فيه اسامي الفتية وقيل الرقيم القرية التي خرجت الفتية منها وكذلك روي عنه ابن عباس
رضي الله عنه انه قال ما ادري ما الرقيم لكني سالت كعبا عنها فزعم انها القرية التي خرجوا منها وقيل الرقيم
الكلب الذي كان معهم قالوا امثال ما ذكرنا وليس بنا الى معرفة الكهف والرقيم حاجة انما ذلك بلسانهم
ولم يسالوا عن الكهف والرقيم وانما سالوا عن اصحاب الكهف والرقيم فما ينبغي لهم ان يشتغلوا به ثم قال بعض
اهل التاويل رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قصة اصحاب الكهف والرقيم وانبائهم فقال اخبركم
غدا ولم يستثن فعاتبه الله فيه ان حبس عنه الوحي كذا وكذا يوما فنزل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله لكن ذلك فاسد وما توهموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم محال لانه كذب لا يجوز
ان يكون رسول الله يقول اخبركم غدا والله لم يامره بذلك او قال ولم يستثن فيحبس الله الوحي عنه ولا يخبرهم
في الوقت الذي قال انه يخبرهم فيظهر كذبه عندهم بعد ما اختاره لرسالته واصطفاه لموضع وحيه ثم
يكذبه فيما اخبر هذا فاسد محال غير محتمل ما توهموا به على الله وعلى رسوله قد كان من كفار مكة السعي في
منع رسول الله عن تبليغ الرسالة الى الناس والحيلولة عن الدعاء الى ما امر ان يدعوهم واستقبال حجج وبراهين
يحتجون بها ثم وقد ذكر في غير قصة وخبر انهم سالوا اليهود عنه وعن نعته هل يجده ونعته في كتبكم الم
تكونوا اهل كتاب يعلمون ذلك فاحتاجوا الى ما يعلمهم ويخبرهم فاسالوا يهود المدينة عنه وعن خبره فقا
نجد نعته في كتابنا كما تقولون فهذا وقت خروجه والا قد قتلوا لهم حدثوا شيئا سنا له لا يعلمه الا نبي
فقالوا سالوه عن ثلاثة خصال فان اجابهم فهو نبي والا فهو كذاب سلوه عن اصحاب الكهف وسلوه
عن ذي القرنين فانه كان ملكا وكان من امره كذا وكذا وسلوه عن الروح فان اخبركم فهو نبي وان لم يخبركم
فهو كذاب فسالوه فاخبرهم عن ذلك وفي بعض القصة سالوه عن الروح فان اخبركم عنه فليس بنبي وانه
يخبركم ولكنه وكل امره الى الله فهو نبي ثم قوله ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا
يحتمل ان يكون الخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره على ما خاطبه في مواضع من القران
والمراد به غيره ويحتمل ان الخطاب له والمراد هو وان كان هو المخاطب بهذا فانه يحتمل قوله ام حسبت الى
اخره وجهين احدهما يقول قد حسبت ان انباءهم واخبارهم كانت من ايات رسالتك ونبوتك عجبا فيكون
الحسبان على هذا التاويل في موضع العلم واليقين كانه قال قد علمت ان انباء اصحاب الكهف واخبارهم
اية عجيبة لرسالتك والثاني اخبار عن احوالهم وتقلبهم من حال الى حال فان كان على هذا فيكون الحسبان
في موضع الحسبان كانه قال قد حسبت ان احوالهم وتقلبهم كان من اياتنا عجبا هذا اذا كان الخطاب به
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واما اذا كان الخطاب به غيره فانه يجوز على الحسبان والظن وغيره والله اعلم
وقوله عز وجل اذ اوى الفتية الى الكهف اي انضموا قال بعضهم الكهف الغار في الجبل وقيل الفضاء
وقيل الملجاء ولكن قد ذكرنا ان لا ندري ما الكهف وما الرقيم ذلك بلسانهم وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة
وهم الفتية اسم الاحداث منهم والشباب لا اسم المشيخة ثم يكون المماليك والخدم ويكون الاحرار والله
اعلم وقوله عز وجل فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة قال الحسن ربنا اتنا من لدنك رحمة اي جنة وهيئ
لنا من امرنا رشدا اي سبيلا وهو ما ذكر في قوله ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا فهذا ليس بذا
انما هو تلقين والهام منه فيكون تفسيره الاول وقال بعضهم قوله اتنا من لدنك رحمة اي رزقا لانهم كانوا
يفارقون قومهم لمكنهم ليسلم لهم دينهم الذي هم عليه وهو الاسلام وقد علموا انه يسع مفارقة الناس
طلبا لسلامة الدين ولكن لم يعلموا انه يسع قومهم وما به قوام انفسهم الى مكان قال عن ذلك فسالوا ربهم
الرزق اشفاقا على انفسهم بقولهم اتنا من لدنك رحمة اي رزقا وهيئ لنا من امرنا رشدا اي احمل جميع امورنا
على الصواب والرشد على ما ذكرنا انهم عرفوا سعة المفارقة الدين ولكن لم يعرفوا سعة ذلك اذا كان فيه خوف

علانية انفسهم فسالوا ربهم ان يجعل امرهم ذلك على الرشد والصواب ويجعل اتنا من لدنك رحمة نعمة وسعة

وهى لنا من امرنا رشدا صوابا يقول اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا وقوله عز وجل فضربنا على اذانهم فى

الكهف سنين عددا الضرب على الاذان هو الحجر عن الاستماع ويقال اضرب عن حديث كذا امسك ثم يحتمل نحو به

الاستماع وجهين احدهما لنحو الا دواح التى بها حيوة الانفس فيكون كناية عن الموت او يكون نحو الارواح الاسماع

التى يسمع لا الموت فلما قال فى اية اخرى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود دل انه انما اراد نحو الارواح الاسماع

التى بها حيوة الانفس وهو كقوله وهو الذى يتوفيكم بالليل الاية وقوله عز وجل ثم بعثناهم من رقودهم

لنعلم اى الحزبين اى لنعلم ما قد علمنا غائبا شاهدا اذ كان عالما بما يكون منهم وتاويله ما ذكرنا ليعلم الخلق

شاهدا كما علم غائبا او ليعلم المخطى منهم من المصيب او يحال وصفه بالعلم بالمخطى ولا مخطى ثمه وبالمصيب

ولا مصيب ثمه فاذا كان كذلك فيكون قوله ليعلم المخطى من المصيب والمصيب من المخطى اذ كان واصله

انه يعلم كائنا ما علم انه يكون وقوله عز وجل احصى لما لبثوا امدا يحتمل ليعلم اى الحزبين قال بعضهم

مشركيهم ومومنيهم من قال الملك والفتية وقال بعضهم هم اختلفوا فى ملبثهم اذ بعثوا قال بعضهم

لبثنا يوما او بعض يوم وقال بعضهم ربكم اعلم بما لبثتم ولكن لسنا ندرى من اى الحزبين وليس لنا الى معرفة

ذلك حاجة سوى انا ذكرنا قول اهل التاويل وقوله عز وجل نحن نقص عليك نباهم بالحق الحق فى النباء الصدق

والحق فى الاحكام العدل وفى الافعال الصواب وقال بعضهم الحق ههنا هو القران فيكون قوله بالحق اى فى الحق

وهو القران اى نقص عليك نباهم فى القران والله اعلم وقوله عز وجل انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم

هدى وربطنا على قلوبهم هذا ان لحق فان معناهما واحد الزيادة والربط كل واحد منهما يودى معنى صاحبه

زيادة الهدى اى ثبتناهم على الهدى ويجوز ان يقال هو التثبيت والربط كذلك ويجوز ان يقال على التجديد

والابتداء لو الايمان حكم التجدد فى كل وقت اذ هو يكون منكرا جاحدا للكفر فى كل وقت فهو مجدد للايمان كذلك

فى كل وقت فان شئت حملته على الثبات والزيادة على ما كان وان شئت حملته على الابتداء والتجدد وكذلك قوله

فزادتهم ايمانا وقال الحسن فى قوله زدناهم هدى اى من حكم انه اى من اهتدى زاده هدى كقوله والذين اهتدوا

لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان لا يجوز ان يكفر اذا اهتدى مرة لا يزال يزيده هدى فاذا لم يكن دل انه لا يصح ذلك

والوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل اذ قاموا فقالوا ربنا يحتمل قوله اذ قاموا بالحجج والبراهين ويحتمل اذ

قاموا بالنهوض الى الكهف حين انضموا اليه او قاموا الله ولدينه او قاموا من عند اولئك الكفرة فقالوا

ما ذكر وتبارك السموات والارض اى قالوا ربنا هو رب السموات والارض ورب ما فيهن وقوله عز وجل

لن ندعوا من دونه الها يحتمل قوله لن ندعو من دونه الها اى لن نسميهم الهة على ما سمى قومهم الاصنام التى

عبدوها الهة وقوله عز وجل لقد قلنا من دونه الهة تسميتهم الهة على زعمهم وعلى ما عندهم كقوله فراغ

الى الهتهم وقوله وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لا يجوز ان يسمى الانبياء الاصنام التى كانوا يعبدونها

الهة وليست بالهة ولكن قالوا ذلك على زعمهم وعلى ما عندهم فعلى ذلك قوله لن ندعو من دونه الها اى

نعبد فانه ذكر فعل العبادة فيه اضمارا اى لن نعبد من دونه الها غيره كفعل قومنا لقد قلنا اذا شططا اى

جورا وظلما ثم قالوا هؤلاء قومنا الذين اتخذوا من دونه الهة يعبدونها لولا ياتون عليهم بسلطان بين اى

هلا ياتون على تسميتهم الهة او استحقاق العبادة لها بحجة بينة ثم حرف هلا يستعمل فى الماضى ويستعمل

فى المستقبل فان كان على الماضى فهو على الانكار اى لم يكن وان على المستقبل فهو على السؤال اى ائتوا بحجة بينة

اى انها الهة كما تزعم ان الله هو الاله الحق وانه خالق السموات والارض ورب ما فيهما قال القتبى فضربنا

على اذانهم اى انمناهم والامد هو الغاية وربطنا على قلوبهم اى الهمناهم الصبر وثبتنا قلوبهم وقوله شططا

اى غلوا يشتط على اى اغلا فى القول وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم ممن جعل

مع الله الهة وقد ذكرنا تاويله فى غير موضع وقوله عز وجل واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله وفى حرف

ابن مسعود رضى الله عنه واذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فتاويل الاية على القراءة الظاهرة وما

يعبدون الا الله اى واذ اعتزلتموهم والذين لا يعبدون الا الله فلا تعتزلوا عبادته لانهم كانوا يعبدون الاصنام

ويعبدون الله ايضا ويرون معبودا فكانهم قالوا واذ اعتزلتموهم والذين لا يعبدون الا الله فلا تعتزلوه وهو

كقول ابراهيم عليه السلام لقومه حيث قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون الاية استثنى

عبادة رب العالمين من بين عبادة من يعبدون دونه وكانوا يعبدون الاصنام ويعبدون الله ويرونه معبودا

الا ان بعضهم لا يرون انفسهم بلغت مرتبة عبادة الله فيعبدون الله الاصنام رجاء ان تشفع لهم عنده او تقرب

عبادتهم الى الله زلفى وامثاله وجائز ان يكون قوله واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله على التقديم والتاخير

واذ اعتزلتموهم فاووا الى الكهف انهم كانوا لا يعبدون الا الله يعنى اصحاب الكهف والثانى ما ذكر واذ

اعتزلتموهم وما يعبدونهم فى الحقيقة الا الله وان كانوا فى الظاهر يعبدون غير الله تاويل قراءة عبد الله

بن مسعود رضى الله عنه واذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون من دون الله ويحتمل ان يكون هذا فيهم

ليس على القول والنطق ولكن التى فى قلوبهم وقذف انهم اذا فارقوا قومهم وباينوا ويأوون الى الكهف ينشر لكم

ربكم من رحمته وقال الحسن انه فى قومهم من قد امن سرا منهم فقالوا انكم اذا باينتم وفارقتم فاووا الى الكهف

فلا نعبد واستهم فلعلهم يلحقونكم ويطلبون لقاءكم فلا نعبد واستهم ويشبه ان يكون قوله فاووا الى الكهف

ينشر لكم ربكم من رحمته كانوا عرفوا ان يفارقوا قومهم اعتزلهم الشيطان فقال انكم تفارقون قومكم الى مكان وليس

معكم شراب ولا طعام فتهلكوا انفسكم فدفعوا وساوسه بقوله ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم

مرفقا ثم قوله ينشر لكم ربكم من رحمته قال بعضهم يخلق لكم ربكم كقوله وانظر الى العظام كيف ننشزها اى

نخلقها وقال بعضهم ينشر لكم اى يبسط والنشر هو البسط وقوله عز وجل من رحمته يحتمل الرزق ويحتمل

كل شىء به ويدفع الهلاك عن انفسهم وقوله عز وجل ويهيئ لكم من امركم مرفقا اى ما ترتفقون به وتنتفعون

وهو قول ابى عوسجة وهو من الرفق والمرفق ايضا مثله لانه ينتفع وقال القتبى مرفقا ما يرتفق به وقال ابو عبيدة

المرفق ما ارتفقت به فاما فى اليدين فهو مرفق والله اعلم وقوله عز وجل وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن

كهفهم قيل تميل عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال كانت لا تصيبهم لا عند طلوعها ولا عند

غروبها لان الكهف كان مستقبل بنات النعش وكل شىء يكون مستقبل بنات النعش لا تصيبه الشمس وقال بعضهم

لا ولكن كان ثمة حجاب وستر يحجب الشمس من ان تقع عليهم لكن هذا لا يصح لانه عز وجل لهم ذلك انه من اياته

وكرامته من كرامته فليس فيها لا يقع عليهم الشمس بحجاب او ستر كبير اية ومنه اما الاية فيها تقع الشمس عليهم

ثم تدفع عنهم ضررها واذاها فانه كانوا بحيث لا تصيبهم الشمس فاذاها وضررها الا ايضا لا تصيبهم فليس

فى ذلك كبير اية وحكمة اذ ليس فيها لا يصيب الشمس ضررا واذى ولكن يذكر لطفه حيث منع ضرر الشمس واذاها

عنهم مع اصابة الشمس اياهم ووقوعها عليهم والله اعلم وقوله عز وجل تزاور عن كهفهم ذات اليمين بينهم

وبين القبلة وكذلك ذات الشمال شمالا اولئك او شمال القبلة فاما بين الجبل والغار على ما قال اهل التاويل

فانه ليس للجبل يمين ولا شمال وقوله عز وجل وهم فى فجوة منه قال بعضهم الفجوة الظل وقال بعضهم الفجوة

الفضاء وقال بعضهم هى سعة المكان يخبر عز وجل عن لطفه ومنته انه قد حشرهم الى غار كانوا يسعون فيه حتى

ينقلبون فيه والغار الذى يكون فى الجبال لا هكذا يكون بل يكون ضيقا وقوله عز وجل من ايات الله هذا يرد قول

من ينكر جرى الايات على يدى غير الانبياء لانه جعل فى اصحاب الكهف عدد من الايات كلها خارجة من احتمال وسع

الخلق وعادتهم لمخالفتهم قومهم بسلامة دينهم احدها ما اخبر انه ضرب على اذانهم وانامهم نوما خارجا عن طبع الخلق

وعادتهم وهو ثلثمائة سنة ثم بعثهم ليتساءلوا بينهم على ما اخبر عز وجل والثانى لم تبل ثيابهم فى مثل تلك المدة

ومثل المكان ولم تتغير الا ترى انهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ولو كانت ثيابهم بالية او متغيرة ولم يستقلوا

ولا استقصروا كل هذا يوما او بعض الا ترى انهم فزعوا الى الطعام ولم يفزعوا الى الثياب حيث قالوا فابعثوا

احدكم بورقكم هذه الى المدينة ولو كانت ثيابهم بالية او متغيرة لكان فزعهم الى الثياب كفزعهم الى الطعام

وهو اولى والثالث ما اخبر من تزاور الشمس اذا طلعت ذات اليمين وقرضها اياهم ذات الشمال والرابع دفع

الحر والبرد عنهم اذ من طبعهما الاهلاك والافساد الشديد والاكثر والخامس ما ذكر من تقلبه اياهم ذات اليمين

وذات الشمال وحفظه اياهم عن ان تفسدهم الارض وتاكلهم اذ من طبع الارض ذلك عند امتداد الوقت

والسادس ما ذكر فى الاية من الهول والهيبة اذا دخل عليهم واطلع بحيث قال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا

ولملئت منهم رعبا حتى فاما ترى فيهم من الاهوال هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف لمن دونه والسابع

حفظه اياهم عن جميع الخلائق حتى لم يطلع ولم يعثر عليهم احد من الخلائق والثامن ابقاؤهم احياء اكثر من ثلثمائة

سنة بلا غذاء والانفس لا تبقى بلا غذاء ابدا دون ذلك وذلك باللطف وامثال هذا كثير عددها واحصاؤها كله

من ايات عظيمة خارجة عن وسع الخلائق وعادتهم فذلك لهم باختيارهم دين الله من بين قومهم وبفرارهم

اياهم ليسلم دينهم اذ الغلبة فيهم يومئذ الكفرة فاكرمهم الله بذلك بالكرامات التى ذكرنا وقوله ان يعلى

احدا من اوليائه قطع مسيرة اياهم بيوم او بساعة او المشى على الماء ونحو ذلك ليس بمستبعد ولا مستنكر وقوله
اهل التاويل انهم كانوا كذا او الكلب كذا او اساميهم كذا او عددهم كذا ونحو ذلك مما لا يعلم الا بخبر الصدق وقول
الحق وقد نهى رسوله ان يستفتي فيهم منهم احدا حيث قال ولا تستفت فيهم منهم احدا وهو ما ذكر هولاء
كله من الاستفتاء الذي نهى رسوله عليه عن ذلك قال ابو عوسجة تزاور اى تميل وتزور ومثله تقرضهم اى تدعهم
على شمالها اى ان الشمس لا تصيبهم طالعة ولا غاربة عند طلوعها وغروبها ويقال قرضته تركته اقرضه قرضا
ويقال قرضت موضع كذا اى جاوزته وتركته خلفي ويقال قرضته اى قطعته بمقراض وتزاور وتزور اى تميل وقوله الكهف
وهم في فجوة منه اى سعة وفجوات جميع ويحتمل قوله ذلك من ايات الله اى ذلك النبأ وما ذكر من قصة اصحاب
من ايات قدرة الله او حجج الله على اثبات رسالة رسوله ونبوته او من ايات كراماته للفتية ولمن اختار من الله وانه
مال غيره وقوله عز وجل من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا وقد ذكرنا في غير موضع وقال
بعضهم تزاور وتقرضهم لا [?] واحد وهو يميل من كهفهم فتدعهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم اى تدعهم ذات
الشمال وقوله وهم في فجوة منه اى في الفقه [?] من الكهف قال ابو معاذ الزاوية قدر ما يعلم وقال بعضهم في قوله
يهيئ لكم اى يبوئ لكم كقوله تبوئ المؤمنين اى تهيئ وهيئ لنا من امرنا رشدا الرشد الصلاح وقال مقاتل لرشدا وحرجا
ويهيئ لكم من امركم مرفقا قال ابن عباس رضي الله عنه عندنا ما كونوا وهو ما ذكرنا كل ما يرتفق به ويقال مخرجا وقوله
عز وجل وتحسبهم ايقاظا وهم رقود وقال بعضهم لانهم كانوا مفتحة الاعين والابصار كاليقظان وقال بعضهم
وتحسبهم ايقاظا لانهم كانوا يتقلبون في رقودهم اليمين والشمال كما يتقلب اليقظان يمينا وشمالا وقال بعض
اهل التاويل انما كان تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ليدفع عنهم اذى الارض وضررها لئلا تفسدوا
ولا يبلا شئ او ان يكون الله قادرا ان يدفع عنهم الاذى وضرر الارض بتقلب من جانب الى جانب وانه كان
مما يفعل من لا يملك دفع الاذى بما ذكرنا فاما من كان قادرا بذاته مستغنيا عن الاسباب التي بها يدفع نفيه
محتمل وقوله على التعليم منه اياهم ان كيف يتقى الاذى وكيف يدفع الضرر فاذا لم يكن بمشهد من الخلق فلا معنى
له وقال بعضهم قوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود لانهم كانوا في مكان الريبة واللصوص مما لا ياوى اليه
الا هارب من ريبة وشر او قاصد ريبة وطالب عثرة ومكابرة لم يكونوا في مكان ينام فيه ويرقد ولا يتخذ
للنوم مثله فقال وتحسبهم ايقاظا وهم رقود لما كانوا في مكان لا ينام فيه للخوف كانهم ايقاظا وهم رقود
والله اعلم ولكن لا ندري لاي معنى ذكر انه يحسب الناظر اليهم كانهم ايقاظ وهم رقود واذا لم يبين الله ذلك
ذلك فلا نفسره وقوله عز وجل ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال هو ما ذكرنا وقوله قد يتقلبون في نومهم
من جانب الى جانب وذكر التقلب وجائز ان يكون لما ذكر بعضهم من دفع اذى الارض وضررها او ذكر فعله لما له
في تقلبهم صنيع وفعل والله اعلم وقوله عز وجل ذات اليمين وذات الشمال ان لا يفهم من ذات الشئ غير
ذات الشئ او شيئا اخر سواه لانه ذكر ذات اليمين فهو اليمين والشمال نفسه لا غير فعلى ذلك في قولنا عالم
بذاته لا يفهم غير علم او عالم وقوله عز وجل وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال بعضهم الوصيد هو فناء
الباب وقال بعضهم الوصيد هو عتبة الباب قال القتبي الوصيد الفناء ويقال عتبة الباب وهذا اعجب
على انهم يقولون يقولون اوصد بابك اى اغلقه ومنها انها عليهم موصدة اى مطبقة واصله ان تلصق الباب
بالعتبة اذا اغلقت فان كان الوصيد هو عتبة الباب ففيه ان الكلب كان داخل باب الغار وان كان الفناء ففيه
انه كان خارج باب الغار وفيه ايضا ابقى الكلب ثلثمائة سنة على ما ابقاهم وان لم يكن من جوهرهم بلطفه
وقوله عز وجل لو اطلعت عليهم لوليت منهم رعبا قال بعض اهل التاويل وذلك ان شعورهم قد طالت واظفارهم
قد امتدت وعظمت فكانوا بحال يرعب منهم ويهاب لكن هذا لا يحتمل لانهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فلو
كانوا على الحال الذي ذكروا من تطاول الشعور وامتداد الاظفار وتغير احوالهم لم يكونوا يقولون لبثنا يوما او بعض
يوم اذ لو نظروا الى انفسهم من تغير الاحوال لعرفوا انهم لم يلبثوا ما ذكروا من الوقت دل ذلك ان الخوف والهيبة
لا لذلك وقال بعضهم لانهم كانوا في مكان الريبة فيما لا يؤدي الى مثله الا لخوف ريبة او طلب ريبة لا ياوى
الا هذين هارب من شر على ما ذكرنا ان من اقام في مهاب ومكان مخوف هاب منه ويخاف انه يكونوا
بحيث يهابون ويخاف منهم لئلا يدنوا منهم احد فلا يقرب فلا يوقظهم احد ليبقوا الى المدة التي اراد الله ان
يبقوا فيه وكذلك يحتمل هذا المعنى في تقلب اليمين والشمال وجائز ان يكون قوله لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ذلك الخوف وتلك الهيبة هيبة الدين على ما روى عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وذلك لدينه وحقيقته امره فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من
هيبة لحوالهم لدينهم الذي اختاروا وامن بين قومهم وفارقوهم ليسلم دينهم الى مكان لا طعام فيه ولا شراب
وذلك لحقيقة ما اختاروا وامن الدين كان ذلك لمعنى لم يطلع الله رسوله على ذلك فلا نفسر والله اعلم وقوله
عز وجل وكذلك بعثناهم اى كما انبأكم من انبائهم وقصصهم كذلك بعثهم او كما ضرب على اذانهم وانامهم سنين
كذلك يبعثهم وقوله وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم بعثهم لما علم ما يكون منهم وهو التساؤل وهكذا لجميع
ما يخلق ويبتغي انما يخلق وينشئ لما يعلم انه يكون منهم لقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا الاية ذرأهم لما علم انه يكون
منهم وهو عمل اهل جهنم وكذلك قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون من علم انه يعبده ويعمل له عمل
اهل الجنة خلقه لذلك هكذا كل ما يخلق انما يخلق لما يعلم انه يكون منه او يخرج الفعل لذلك يخرج الجزاء والجهل
بالعواقب فاذا كان الله عالما بما كان ويكون ويتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيئا لغير ما علم انه
يكون وهكذا في الشاهد من عمل عملا او فعل فعلا لغير ما علم انه يكون فهو عابث او جاهل تعالى الله عن ذلك وله
العصمة وقوله عز وجل قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال بعضهم تاويله ما ذكر
ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امدا وقوله عز وجل لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ذلك لما لم يروا
في انفسهم اثارا واعلاما تدل على طول المكث والمقام فيه ثم لما تذكروا احوالهم وما يرى النائم في نومه
من العجائب واشياء كثيرة عرفوا ان ذلك العدد من الاشياء ومثل ذلك من العجائب التي راوا لا يحتمل
ان يكون في يوم او بعض يوم فعند ذلك وكلوا الامر الى الله فقالوا ربكم اعلم بما لبثتم واما الذي اماته مائة
عام لما بعثه قطع القول في ذلك ولم يكل الامر الى الله حيث قالوا كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم لانه
كان ميتا والميت لا يرى شيئا ولم يكن في نفسه اثار تدل على ذلك فقطع القول فيه ولم يكل الامر الى الله واما
النائم فانه يرى في نومه اشياء فيعرف انه لا يكون في وقت قصير لذلك وكلوا الامر الى الله تعالى وقوله
عز وجل فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فيه انهم لما قالوا وصفهم زاد واهو الورق امر بعضهم
بعضا ان يبعث بالورق ليأتيهم بالطعام وفيه انه اضاف الورق اليهم ولا شك انه كان له فيه نصيب حيث
قالوا بورقكم هذه وفيه دلالة جواز المناهدة في الاسفار وغيرها اذ كان ذلك الورق بينهم وفيه دلالة
جواز الوكالة وانها ليست بمبتدعة ولكن كانت في القرون الماضية وهي تجارة وقوله عز وجل فلينظر ايها
ازكى طعاما اختلف فيه قال بعضهم قوله ازكى طعاما لان بعض اهل تلك المدينة يذبحون للاصنام وباسم
الاوثان التي كانوا يعبدون فقالوا امروا ان ياتيهم بحلال يحل لهم اكله والتناول منه وقال بعضهم ازكى ارخص
واكثر لانهم كانوا في مكان لا يدرون حتى يخرجون منه فطلبوا الاكثر لشدة حاجتهم اليه ويكفي لوقت معا
ونحوه وقال بعضهم ازكى طعاما اى اطيب واجود لان الطيب ازيد للعقول واصلح للانفس وانفع ولذلك
جعل الله ارزاق البشر ما هو اطيب والين لما يزيد ذلك في العقول والفهم وجعل لغيرهم من الدواب كل
خبيث لما ليس لهم عقول يحتاج الى ما يزيد لها فيها واصل الزكاء النماء والزيادة وقوله عز وجل وليتلطف
ولا يشعرن بكم احدا يحتمل قوله وليتلطف اى ليرفق بهم لئلا يشعروا انه من اولئك الذين فارقوهم لدينهم
او امره بالتلطف اى بالسماحة والسهولة في الشراء وما جاء في الخبر رحم الله سهل البيع سهل الشراء ولا
يشعرن بكم احدا انه فلان بن فلان وانه من قوم كذا فيعرفون انه من اصحاب الكهف او لا يشعرن بمكانكم
احدا او لا يشعرن بمكانكم احدا من الناس وقوله عز وجل انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم يحتمل يقتلوكم
وما اراد وابدا وبعيد وكم في ملتهم اى في دينهم الكفر وقوله عز وجل ولن تفلحوا اذا ابدا اى ما دمتم في ملتهم
هذا كانهم لم يعرفوا التقية والا لو اعطوهم بلسانهم ولم يعطوهم بقلوبهم لكانوا قد افلحوا او عرفوا التقية
الا انه لم يكن في القرون الماضية التقية ولم يؤذن لهم فيها او هي رخصة رخص لهم والافضل ان لا يعطى ذلك
ولا يتلفظ والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم اختلف في قوله وكذلك قال بعضهم كما اخرج
المبعوث بشراء الطعام من الكهف مع الورق المتقدم ضربها فكان ذلك سببا لاعلام اهل المدينة عن
الفتية كذلك اعثرنا عليهم اى اطلعنا عليهم وقال بعضهم كما اعلم عن انباء الفتية واصحاب الكهف وقصصهم
من اولها الى اخرها كذلك اعثرنا عليهم اى اطلعنا عليهم والله اعلم وجائز ان يكون قوله وكذلك اعثرنا عليهم
اى كما ضرب على اذانهم ليعلموا ان ما وعد لهم الرسل عن الله حق ثم اختلف في اطلاعهم قال بعضهم اطلع الله
الملك الذي هو بزمانه واهل المدينة بعد ما اناموا لكن حيل بينهم وبين اولئك وقال بعضهم اطلع قيل

ان يبنيهم حيل بينهم وبينهم فسدوا باب الكهف فبقوا هنالك ثم اناهم بعد ذلك ما ذكر فهلك ذلك الملك
وانقرض ذلك القرون ثم ولي ملك اخر مسلم صالح ثم اطلع ذلك الملك عليهم وامثال ذلك فقد قالوا ولا ندري
كيف كانت القصة وفي ظاهر الاية انه اطلع عليهم بعد ما انامهم وبعثهم وليس فيه بيان انه من اطلع عليهم
الملك الاول والثاني او القوم او غيرهم ولا يجوز ان يقطع فيه القول انه فلان لان هذه الانباء ذكر في القرآن
حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلو قطع القول على شيء او زيد او نقص عما كان في كتبهم خرجت من ان يكون
حجة له **وقوله** عز وجل ليعلموا ان وعد الله حق يشبه ان يكون الرسل من قبل كانوا يخبرون قومهم ان نفرا من
من سلكهم اشفقوا على دينهم ويلجأون الى الكهف فيناموا كذا وكذا سنة ثم سيبعثون فكذبهم قومهم بما اخبر
قومهم من انبائهم فقال اعثرنا عليهم ليعلموا ان ما وعد الرسل واخبروهم من نبأ اصحاب الكهف حق
والثاني يحتمل ان يكونوا ينكرون البعث والساعة والرسل يخبرون انهم سيبعثون فاطلع على اولئك ليعلموا ان
البعث والقيامة حق لانه لا عجب في ابقاء النفس اصحاب الكهف في نومهم ثلثمائة سنة او اكثر بلا
غذاء يغتذون ولا طعام يطعمون ولا شيء يقوم به الانفس ان لم يكن اكثر واعظم من احياء الموتى وجميع
العظام الناخرة البالية لانكم تزادون ما لم يروا الا نفس تبقى اياما بلا غذاء فضلا ان تبقى سنين كثيرة ثلثمائة
او اكثر فبعث هؤلاء ليعلم من انكر البعث من قدر على ابقاء الانفس مدة مديدة طويلة بلا غذاء تغتذي لقادر
على احياء الموتى وبعثهم بعد الموت او ان يكون ما ذكرنا بدءا ان الرسل السالفة كانهم اخبروا قومهم عن قصة اصحاب
الكهف فكذبوهم فاطلع الله على ناسهم وشأنهم ليعلم اولئك ان الذي اخبرهم الرسل حق وصدق والله اعلم
ثم ان هذه الانباء والقصص المتقدمة ذكرت في القرآن حجة لرسول الله ودلالة في اثبات رسالته فلا يجوز
ان يقطع القول في شيء لم يبين فيه ولم يوضح ولم يفسر لما يخاف فيه الكذب على الله ولا الزيادة فيها والنقصان
على ما ذكر فيه لما لعله تخرج مخالفة لما ذكرت في كتبهم فلا يكون له فيها حجة ولا دلالة فان قيل كيف علموا ان ما
اخبرهم الرسل حق اذا كانوا لا ينكرون ان وعد الله حق ولكن يظنون ان ما وعدهم الرسل ويخبرونهم انما هو مخترع
منهم لا وعد منهم الله وخبر عنه قيل علموا ذلك انه حق برجوعهم [illegible] ما راوا من الدراهم التي كانت في يد المبعوث
بشراء الطعام من الضرب متقدم وابانا لا يجوز ان يكون تلك الدراهم من كنز اصاب ذلك الرجل لان دراهم
اصحاب الكهف فاذا صدقوا ذلك الرجل في اخباره انها من دراهم اصحاب الكهف فتصديق الرسل اولى فالخبر هم
احق ان يصدق والثاني علموا لما راوا انه انامهم مدة طويلة خارجة عن العادة وحفظهم من كل ضرب واذى
وفساد وابقاهم من غير طعام وشراب على علم منهم ان الانفس لا تبقى ولا تقوم بغير طعام ولا شراب بدون
تلك المدة بكثير فضلا ان تبقى اي مثل تلك المدة فعلموا ان من قدر على حفظ ما ذكرنا وابقاهم لقادر على البعث
والاحياء ولا يعجزه شيء يريد كونه وانه فعال لما يريد والثالث علموا ان ذلك حق لما راوا انه انامهم وقتا طويلا
وحفظهم من جميع الافات ثم بعثهم واحياهم انه لم يفنهم ولم يبعثهم الا لعاقبة تتامل وحكمة تقصد فعلى
ذلك احيا الخلق واماتهم ليس الا لعاقبة تتامل وحكمة تقصد والله اعلم **وقوله** عز وجل اذ يتنازعون بينهم
امرهم لسنا ندري فيما ذا تنازعوا في امرهم فيما بينهم **وقوله** عز وجل فقالوا ابنوا عليهم بنيانا او تنازعوا في
السبب الذي به التجأوا الى الكهف ويشبه ان يكون تنازعهم في البناء الذي ذكر في المسجد وغيره ويحتمل في
عددهم ونحوه ولكن لا نقطع القول فيه اذ وكل امرهم الى الله حيث قال ربهم اعلم بهم **فقوله** عز وجل قال
الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ثم لا يحتمل بناء المسجد عليهم اكراما لهم واعظاما ليذكروهم في ذلك
المكان على قرب منهم على ما ظهر عندهم من اكرام الله اياهم او يتخذون مسجدا للعبادة لانفسهم ليعبدوا الله على
قرب منهم لينالوا من بركتهم ونحوه والله اعلم **وقوله** عز وجل سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال بعضهم كان عددهم سبعة والثامن الكلب
لانه ذكر في الثلاث والخمس رجما بالغيب اي قذفا بالغيب وظنا وقيل رجما بالغيب اي بلا علم ولم يذكر في قوله
سبعة وثامنهم كلبهم وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه قال انا من القليل الذين استثناهم الله وكانوا سبعة
والثامن الكلب لعل ابن عباس قال انا من القليل ظنا واستدلالا لا بالذي ذكر او كان سماعا من رسول الله ذلك
وقال الحسن وابو بكر وغيرهما ان الله تعالى قال قل ربي اعلم بعدتهم ثم استثنى قليلا من عباده فلا يعلم باقي
اولئك القليل من الملائكة او من الجن او منهم فلا ندري منهم ولا كم عددهم وبه نقول نحن وهو ما قال فلا تمار
فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا نهى رسوله ان يستفتي منهم احدا لما لا يحتمل ان يكون ذلك عند

في كتبهم

في كتبهم فلا يطلع رسوله حرف التكذيب ثم اختلف في وقتهم قال بعضهم كان فيما بين عيسى ومحمد وقال
بعضهم ذلك قبل بعث موسى وهو قول الحسن وابي بكر وهؤلاء وهذا اشبه لانهم انما سألوا عنهم اهل التوراة
وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون بعد عيسى وهم لا يؤمنون بالانجيل وقول اهل التأويل كان اسمائهم وقومهم
صاحبة ولو كانت لتدل الله بيان ذلك في الكتب وقال القتبي رجما بالغيب على غير استيقان وهما واحد
وقوله عز وجل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا الى قوله الا ان يشاء الله يحتمل الخطاب بهذا كل الناس ليس احد
اولى به من غيره فيخرج ذلك مخرج التعليم لهم في ترك المراء مع الكفرة الا مراء ظاهرا وكذلك في ترك الاستفتاء
وكذلك العلم والادب بها لا يعود والجدة الاولى الثنيا بها ملحق ويحتمل ايضا ان يكون الخطاب برسول الله لكن
ليس له انه قد كان منه ما ذكر من المراء والاستفتاء والوعد بغير ثنيا ولكن خاطب به رسول الله ليتأدب
غيره من الناس بذلك الادب وهو ما خاطب به بقوله ولا تكونن من المشركين ونحوه من الخطاب التي خاطب
بها لا خاطبه بها الا ان كان منه ذلك او كان فيه ما ذكر ولكن لما ذكرنا من الوجوه فيما تقدم ثم اختلف في
قوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا قال بعضهم ذلك في اصحاب الكهف اي لا تمار فيهم ولا تستفت
فيهم منهم الا قدر ما كان في كتبهم فانك لو ماريتهم بما ليس في كتابهم كذبوك ولكن قدر ما في كتبهم هذا
كان على المسألة فان كان على غير المسألة ففي غير امر اصحاب الكهف على ابتداء المحاجة والحجاج فهو يحتمل وجهين
احدهما اي لا تمار فيهم الا بما هو اظهر ويعرفون ذلك ظاهرا من نحو ما يعرفون ان الاصنام التي عبدوها
لا تنفع ولا تضر ولا تبصر ولا تسمع ونحو ذلك مما يعرفون انها كذلك والثاني لا تحاجهم بلطائف الحكمة
ودقائقها ولكن بشيء محسوس ظاهر من الايات لا بما يلطف ويدق على ما يحاجهم الانبياء بايات حسيات وفي
قوله ولا تستفت فيهم منهم احدا دلالة انه لا يسع النظر في كتاب الفلاسفة الا على جهة العرض لما فيها
على كتاب الله فيؤخذ بما يوافقه ويترك لما في **وقوله** عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله لو كان فيهم الخطاب على ظاهر ما خرج لكان في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي
عن العدة بالثنيا فاذ لم يفهم هذا ولكن فهموا الا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان تقولوا ان شاء الله
على اضمار القول دل ان الخطاب ليس يحمل على ظاهر المخرج ولكن على ما توجبه الحكمة والدليل ثم نهى ان عدة ولا
تستثني فيها وقاس بعض الناس الايمان على العدات فيقول اذا حلف فانه يلزمه ان يستثني فيها وذلك فاسد
لان الايمان تخرج على تعظيم الرب واجلال له فلا يجوز ان يأمر بالثنيا فيها لان الثنيا نقض ذلك التعظيم
وكذلك ما روي اذا حلفتم فاحلفوا بالله ولا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت نهى عن الحلف بغير الله لما
في الحلف به تعظم لذلك الشيء واما العدة فانما هي اضافة الفعل الى نفسه وهو لا يملك حقيقة ذلك
امر ان يلحق الثنيا فيه لئلا يلحقه الخلف في الوعد اذا لم يفعل ما وعد وعلى ذلك ذكر من الانبياء انهم اذا وعدوا
استثنوا فيه كقول موسى ستجدني ان شاء الله صابرا الاية ثم اذا لم يصبر لم يعاتبه بترك الصبر ولو كان حلف
لعاتبه كما عاتب صاحب موسى حيث قال انك لن تستطيع معي صبرا وقد ظهر من الانبياء والرسل الايمان والقسم
ثم لم يذكر عن احد منهم الثنيا في ذلك ودل ان الثنيا في العدات لا في الايمان لا في قوله ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله دلالة ان لا يكون شيء الا بمشيئة الله حيث ندبه الى الثنيا ثم اذا اخرج
على غير ما وعد لم يلحقه الخلف في الوعد دل انه قد شاء وانه اذا لم يشأ او شاء شيئا فلم يكن لم يكن لقوله
الا ان يشاء الله معنى اذا كان ما لم يشأ هو ولم يكن ما هو شاء دل انه ان شاء هو كان وما لم يشأ لم يكن وفيه
انه قد شاء كل طاعة وخير من العبد فلو لم يشأ ما ليس بطاعة لكان لا يستثني وقد علم انه قد شاء ذلك فقد
شاء على انه قد يشاء ما ليس بطاعة اذا علم انه يختار ذلك وذلك على المعتزلة فان قيل انما امر بالثنيا
في العدة لما لعله سيموت قبل ان يفعل ما وعد او يذهب عنه القدرة فيعجز عما وعد قيل ان الاوهام
لا ترجع الى ذلك بل الامكان مشروط فيه وان لم يذكر نحو ما لم يوصف الانسان بالطيران لعدم الامكان فيه
موجودا فهو كالمشروط وان لم يذكر فعلى ذلك في العدات والايمان وغيرها وجائز ان يكون المراد بهذا
الخطاب غير النبي وهو الاشبه لما لا يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يعد عدة ولا يذكر الثنيا لما
لا يعرف ان لا يكون شيء الا بمشيئة الله وارادته واما غير النبي فجائز ان لا يعرف ذلك لذلك كان غيره
اولى بان يخرج منه على التعريف لهم والعلم **وقوله** عز وجل واذكر ربك اذا نسيت هذا يحتمل وجهين
احدهما واذكر ربك اذا نسيت اي اذا ذكرته بعد ما نسيت فاذكره كقوله واما ينسينك الشيطان فلا

تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين فعلى ذلك هذا والثانى واذكر ربك اذا نسيت اى الثنيا فى اخر الكلام
اذا نسيت وله اعنى الثنيا اذا المستثنى ان يستثنى فى اول كلامه على الترك كقوله وانا انشاء الله لمهتدون
استثنوا اول ما وعد واشهوا المستثنى فكانه قال واذكر ربك الثنيا فى اخر كلامك اذا نسيت فى اوله وهو الثنيا
وهذا يرى بعض اصحاب الظاهر لكتاب الله يخاطبهم بذكره اذا انسوا ولا يجوز ان يخاطب احدا فيما نسيانه
فان لم يفهم من هذا دل انه لا يفهم على ما خرج ظاهره ولكن على ما يصح ويوجب الحكمة وقوله عز وجل
وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا قال بعضهم ان قل عسى ان يهدين ربى الاية عما اوضح دلالة
رسالتى واحد لى نسيا لوينتى من امر اصحاب الكهف لانهم قالوا ابينا لرسول ان يخبرهم فيستدلون على رسالته
ويقولوا قد هدانى ربى الاية على دلالة رسالة ووضح ما نسيانا لوينتى واحد للقلوب اذ كانت له ايات حسيات على
رسالته وقال الحسن قوله عسى وعسى من الله واجب اى قد هدانى الرشد والصواب وما غيره من
اهل التاويل يقولون انه وعد ولا يلك ان يخبرهم عما سألوه وقال ان يرشدنى ربى لاسرع من هذا الميعاد
الذى وعدت والله اعلم وقوله عز وجل ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين قال بعضهم هو صلة قوله او ليلبث
الذين قالوا سيقولون ثلاثة رابعهم الاية مع قوله انهم لبثوا فى كهفهم ما ذكر فامره ان يقول لهم الله اعلم
بما لبثوا الاية وقال بعضهم هو قول الله اخبر انهم لبثوا ما ذكر من المدة وازدادوا واستغاثوا قال بعضهم تسع سنين
لكن ليس فيه بيان انه تسع سنين او تسعة اشهر او تسعة ايام فلا ندرى اراد بذلك ذا او ذاك الامر فيه
الى الله على ما امره وسوله ان يقول لهم الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض كان قيل فى قوله ثلاث مائة
سنة كما يقول ثلاثة رجل وثلاثمائة درهم ونحوه وقال بعض اهل الادب انه لم يصف ثلاث مائة السنين ولكنه
اراد تمام الكلام لقوله ثلاث مائة كذلك فقد بينها من اخبر ما كانت الثلاث مائة من السنين على القطع من اول
القطع والله اعلم وقوله عز وجل قل الله اعلم بما لبثوا هو ما ذكرنا انه جعل علم مدة لبثهم فى كهفهم الى الله تعالى
وقوله عز وجل له غيب السموات والارض يحتمل هذا وجوها ثلاثة احدها له علم ما غاب عن اهل السموات واهل
الارض كقوله عالم الغيب والشهادة والثانى له علم ما غيب اهل السموات واهل الارض بعضهم من بعض والثالث
له علم غيب ما شهد اهل السموات واهل الارض لان جميعا شاهدوا من الاشياء وغابوا عيانا وسره لم يعلموا .
من نحو الشمس شاهد وها وعرفوها انها شمس ولكن لم يعلموا ما فيها من المعنى الذى به صلاح الاشياء ومنافعها
وكذلك القمر وانما شاهدوا هذه الاشياء ولكن لم يعرفوا المعنى الذى به صارت نافعة للاشياء ومصلحتها
وكذلك السمع والبصر والعقل ونحوه من الحواس عرفوا هذه الحواس على ظواهرها ولكن لا يعرفون المعنى الذى
به يسمعون ويبصرون ويفهمون فيقول له علم ما غاب عنكم من هذه الاشياء التى شاهد تموها والله اعلم وقوله
ابصر به واسمع هذا الكلام يتكلم على النهاية والغاية والابلاغ من الوصف ويقال اكرم به من فلان اذا
كان بلغ الكرم به غايته وكذلك يقال احسن به من فلان اذا بلغ فى الحسن غايته ونحوه فعلى ذلك قوله ابصر به
واسمع هو وصف له على النهاية كما يقال ما اعلمه وما ابصره وما اكرمه وما احسنه فى العلم انه يعلم ما غاب عن
الخلق وما شاهد وابصر به من الافعال التى يفعلونه واسمع به من الاقوال التى يتفوهون اى يعلم ما غاب
عنهم مما لم يفعلوا ولم يقولوا فالذى قالوه وفعلوه احق ان يعلم يجزيهم من وجل من افعالهم واقوالهم
والله الموفق وقوله عز وجل ولا يشرك فى حكمه احدا يحتمل لا يشرك فى الوهية وربوبية احدا ويحتمل لا
يشرك فى حكمه اى الحكم له ليس لاحد دونه حكم انما عليهم طلب حكم الله فيما يحكمون او لا يشرك فى تقديره
وتدبيره الذى يريد فى خلقه احدا ويحتمل ولا يشرك فى قسمته التى يقسم بين الخلق احدا او لا يشرك
فى حكمه اى فيما جاءت به الرسل ودعت الخلق اليه وقوله عز وجل واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك يحتمل
كتاب ربك اللوح المحفوظ اى بلغ ما اوحى اليك من اللوح الذى عند الله من متلو كقوله بلغ ما انزل اليك
من ربك وهو جميع ما انزل اليه من المتلو وغير المتلو ويحتمل من كتاب ربك الكتاب الذى انزل عليه وهو القران
اى اتل عليهم ذلك الكتاب فان كان هذا ففيه ان القران مما يتقرب بتلاوته ثم قوله بلغ ما انزل اليك من ربك
وقوله واتل ما اوحى اليك من ربك ضيعها وذلك انه امر رسوله بتبليغ رسالته وما انزل اليه ثم معلوم
ان من كان فى اقصى الدنيا والعهد اطرافها لم يقدر رسوله ان يتولى التبليغ بنفسه وكذلك بعد وفاته
لا يجوز ان يتولى بتبليغه فكان ذلك القيام يلزم المسلمين وامتهم بتبليغه فضيعوا ذلك ولهذا ما رخص
والله اعلم بدخول المسلمين دار الحرب التجارة ودخول اولئك دار الاسلام التجارة ايضا لينتهى اليهم خبر

هذا الدين حيث علم انه انه فى اخر الزمان لا يهمون لدينه ولا يتولون بتبليغ ما امر وا بتبليغه ويضيعون
امره فيلزمهم بحجة الله والامال الحاجية فى تلك التجارة والاموال التى يتجرون فيها ولكن ما ذكرنا والله اعلم
وقوله عز وجل لا مبدل لكلماته قال بعضهم لا مبدل لسنته اذ سنته فى المكذبين الاهلاك وفى المصدقين
النجاة هذه سنته وان امكن تعجيلها وتاخيرها فاما نفس لسنته فهى لا تبدل ولا تحول كقوله ولا تجد لسنة
الله تبديلا وتحويلا وقال الحسن فى قوله لا مبدل لكلماته ما وعد واوعد لهم فى الدنيا فذلك فى الاخرة لا
يبدل ولا يحول اذ وعد للمؤمنين الجنة وللكافرين العذاب فذلك لا يبدل وقال بعضهم لا مبدل لكلماته
وهى القران لا يتبدل ولا يغير ولا يزاد ولا ينقص كقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه وقال بعضهم لا مبدل
لكلماته بحججه وبراهينه التى جعل لدينه واقامه له ذلك يلزم الاسلام ودينه الا من قصر عليه فى العبادة او
كان المقام عليه بالحجة معاندا مكابرا واما من لم يكن هذا المعنيان فيسلم لا محالة والله اعلم وقوله عز وجل ولن
تجد من دونه ملتحدا هذا الخطاب وان كان فى الظاهر لرسول الله فهو يخرج مخرج التنبيه على ما ذكرنا فى غير
اى من القران وقوله ملتحدا قال بعضهم مدخلا ولذلك سمى اللحد لحدا لما يدخل فيه وقال بعضهم ملجأ
والله اعلم وقوله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يحتمل واصبر نفسك بالغداة
والعشى يحتمل واصبر نفسك بالغداة والعشى مع الذين يدعون ربهم فيكون فيه الامر بالجلوس لهم بالغدوات والعشيات
للتذكير وتعليم العلم على ما تعارف الناس الجلوس للناس لذلك فى هذين الوقتين اذ ذلك الوقتان خاليان عن الاشغال
التى تشغلهم عن ذلك الغدات والعشى لما لم يجعل عليهم بعد صلوة الغدات صلاة وكذلك بعد العصر الذكر
الذى ذكرنا وتعليم ما يحتاجون فى ليلهم ونهارهم او ان يكون ذلك كناية عن صلوة الفجر والعصر لما جاء فيهما من
وعيد لم يجئ فى غيرهما من الصلوة نحو ما ذكر وقران الفجر كان مشهودا وما روى فى العصر من الوعيد من فاتته العصر
فكانما وتر اهله وماله ويحتمل بصبر نفسه على حفظ هذين لما ذكر نا مع من ذكر او ان يكون لا على ارادة غداة او عشى
ولكن بالكون مع اتباعه فى وقت والصبر معهم وقال اهل التاويل ذكر هذا الان رؤساء كفار مكة سالوه ان يطرد
اتباعه من عنده ويتخذ لهم مجلسا فنزل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الاية وقوله واصبر
نفسك الاية وقالوا فى قوله واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته نزل فى اصحاب الكهف يقول
ولتخبرهم ما سالوك عما اوحينا اليك من اخبار اصحاب الكهف ولا تزيد ولا تنقص عليه فان كان فى امرهم
هذا فرسول الله كان لا يخبرهم الا ما اوحى اليه وانزل عليه من امرهم والوجه فيه ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تعد عيناك عنهم قيل لا تستعد منهم الا غيرهم وقيل لا تصرف ولا ترفع عينيك عنهم تجاوزهم الى غيرهم
تريد زينة الحيوة الدنيا هذا يحتمل وجهين احدهما ان كان على تاويل اهل التاويل انهم سالوه ان يتخذ لهم مجلسا
دون اولئك فيكون تاويل قوله تريد زينة الحيوة الدنيا اى تريد اولئك الذين يطلبون منك مجلسا على حدة يريدون
بذلك زينة الحيوة الدنيا لا يريدون بذلك وجه الله والثانى لو فعلت ما سالوك كان فعل ذلك من يريد زينة الحيوة
الدنيا لان المجلس الذى يحضره الاشراف والرؤساء وانما يريد به زينة الحيوة الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا تاويل الاية على قولنا ظاهر يخرج على ما نطق ظاهر الاية من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
اى من خلقنا ظلمة الكفر بكفر بفعلهم او خذلناهم بكفرهم الذى فعلوا واما المعتزلة فانهم قد تحيروا فيه
وتاهوا واكثروا التاويلات فيها حتى ان منهم من صرف القراءة على وجهها فقال ولا تطع من اغفل قلبه الاخر
وقلبه برفع الباء معناه ان من اغفل قلبه عن ذكرنا على قول المعتزلة على صرف الفعل الى القلب وكذلك
قال الزجاج فى قوله من شر ما خلق ليصح على مذهبهم ويستقيم ومنهم من قال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
اى لا تطع من وجدنا قلبه غافلا وقال ذلك مستقيم فى اللغة يقال قاتلناهم فما اوجبناهم اى وجدناهم
جبناء ويقال فسالناهم فما انجلناهم اى ما وجدناهم ونحوه من الكلام وهو تاويل الجبائى فيما اظن وقال
بعضهم ولا تطع من اغفلنا قلبه اى من خلينا بينه وبين من يفعل وهو كما يقال لمن خلى عبده حتى افسد كثيرا من
الناس يقال سلطت عبدك على الناس وهو لم يسلطه عليهم لكنه يقال له لما قدر على منعه عن ذلك والحيلولة
بينه وبين ما فعل اضيف ذلك اليه فعلى ذلك قوله اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم
نمنعهم وهو تاويل جعفر بن حرب وقال بعضهم اضاف ذلك الى نفسه الاسباب التى اعطاهم من السعة
والغناء والشرف فى الدنيا فتلك الاسباب التى اعطاهم هى التى حملتهم على ذلك فاضيف اليه ذلك لذلك
وهو ما قال ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وهو تاويل ابى بكر الاصم وقال

اشغلنا قلبه اى خذلناهم وطبعنا على قلوبهم وهو يقول ان الكفر احد اذا ابلغ ذلك الحد يخذله ويطبع على قلبه فلا
يومن ابدا فيقال اخذله فى اول حال الكفر وبعد ذلك باوقات وزمان فان قال فى اول حال كفره فهو قولنا وان
لا فى اول حاله ولكن بعد زمان فهو كافر موفق ومومن مخذول على قوله فنعوذ بالله مما قالوا ثم الجواب للاول ما ذكرنا
من صرف التنزيل عن وجهه وظاهره فلو جاز لهم ذلك لقيدهم صرف جميع الاوقات عن ظاهر التنزيل وذلك
بعيد محال واما تاويل الجبائى اى وجدناهم كذا فانما يسوغ له هذا اذا كان بجميع حروف افعل يخرج على ما يقوله
فى اللغة فاما ان يقال فى بعض فان ذلك غير مستقيم وبعد فانه لو كان كما ذكر لكان يقول ولا تطع من اغفلته
عن ذكرنا اى وجدته غافلا عن ذكرنا لانه نهى عن ان يطيع من وجده غافلا فهو لا يعلم من وجده الله غافلا انما يعلم
من وجدهم بنفسه غافلا فاما اذا ما ذكرنا لم يكن للنهى بما ذكر معنى فدل ان تاويل فاسد وخيال وان اضافه اليه
لمعنى يكون من الله واما جواب تاويل جعفر بن حرب انه على التخلية والتسليط فهو انما يقال سلطت عبدى على كذا
على الذم لا على المدح فلا يجوز ان يقال ذلك فى الله على الذم ويضاف اليه ايضا ذلك وكذلك يقال لابى بكر حيث
قال انما اضاف ذلك اليه للاسباب التى ذكر انه اعطاهم يقال له ذلك ويضاف على الذم انك اعطيت كذا حتى
فعل كذا فاما ان يقال على المدح فلا فبطل قوله وتاويله فدل اضافة ذلك الى نفسه انه كان منه فى ذلك معنى يستقيم
اضافته اليه وهو ما ذكرنا من خلق الغفلة فى قلوبهم بكفرهم الذى اختاروا واخذ لانه اياهم لما اختاروا والله
اعلم وقوله عز وجل وكان امره فرطا قال بعضهم فرطا اى ضياعا وهلاكا وقال بعضهم فرطا اى وخسرانا
وخسرانا وقال ابو عوسجة هو من التفريط وقال غيره افرط فى المقول ليس كما قال انا ادوس من مصر ان نسلم
يسلم الناس بعدنا على ما ذكر فى بعض القصة وقال ابو عبيد فرطا اى ندما وقوله عز وجل وقل الحق من ربكم
كانه على الاضمار اى قل قد جئتكم بالحق من ربكم او يقول قل لهم قد تعلمون انى قد جئتكم من الايات والحجج على ما
ادعوكم اليه ما لا يحتمل بيانى ويخرج عن وسعى وطاقتى وقوله عز وجل فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر
ثم يحتمل هذا وجوها احدها من شاء فليومن ومن شاء فليكفر فانه انما يعمل لنفسه ليس يعمل لاحد سواه
كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية فعلى ذلك يخرج
والله اعلم والثانى يقول انى بلغت الرسالة اليكم فلا اكرهكم اما على الاسلام ولا
احد سواى فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر فانه على انما يامر باختياره ومشيئته ومن كفر فانما يكفر باختياره
ومشيئته لا اكرهه على ذلك والثالث ان الايمان والكفر قد بين الله ثم لهما العواقب ما عاقبة من اختيار الايمان وما عاقبة
من اختيار الكفر وهو ما قال انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها الى اخر ما ذكر وقال للمؤمنين ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن الاية يقول قد بين لكل واحد
منهما عاقبته فمن شاء اكتسب لنفسه فى العاقبة الجنان وما فيها من النعم ومن شاء اكتسب ما ذكر فى الكفار
من النار وانواع العذاب فذلك كله يخرج على الوعيد وقوله عز وجل انا اعتدنا للظالمين اى وقت وقولهم النار
نارا هو فى الاخرة وقوله عز وجل احاط بهم سرادقها يحتمل هذا وجهين احدهما على ارادة حقيقته امن السرادق
والثانى على التمثيل اى تحيط بهم النار فلا يقدرون على الخروج منها على ما يمنع السرادق من الخروج فى الدنيا و
دفع الحر والبرد ما كان على حقيقة السرادق فهو والله اعلم على ما جعل الله لهم من انواع ما كانوا يتفاخرون
فى الدنيا من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك يجعل لهم فى الاخرة من ذلك النوع من النار وهو ما ذكر
سرابيلهم من قطران وما قال ليس لهم طعام الا من ضريع والشراب ما ذكر من الصديد والغسلين وغير ذلك
من النوع الذى كانوا يتفاخرون به فى الدنيا ويمنعهم عن الايمان نجعل لهم فى الاخرة من ذلك النوع من النار
وبه يعاقبهم فعلى ذلك جائز ان يكونوا يتفاخرون به فى الدنيا بالسرادق اذا خرجوا فى السفر فيعاقبهم الله فى
النار بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يحتمل استغاثتهم هو ما ذكر فى الاية
ان افيضوا علينا من الماء فيغاثوا بماء كالمهل ويحتمل ان يطلبوا فى النار الماء بعد ما طعموا فيها منها فيغاثون
بالمهل ثم المهل قال عامتهم المهل دردى الزيت او العكر لكنهم اختلفوا فى معنى التشبيه به قال بعضهم شبهه
لغلظه لان الشئ الغليظ يكون الصق واخذ من غيره وقال بعضهم شبهه به لسواده وقال الحسن وابو بكر
شبهه به لكثرة تلونه من الحمرة والصفرة والسواد وكونه لشدته وهو ما ذكر يوم تكون السماء كالمهل شبهه بالمهل
لتلونه لشدة ذلك اليوم وهوله وقوله عز وجل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا
اى ساءت النار مرتفقا اختلف فيه قال بعضهم المرتفق المتكاء وقال بعضهم المجتمع اى بئس الاجتماع وقال

بعضهم

بعضهم مجلسا وقال بعضهم بئس المنزل النار قرنا ثم فيها الكفار والشياطين وقوله عز وجل ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا قال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه قال انا لا نضيع
اجر من احسن عملا منهم ثم قال الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات عدن الى اخر ما ذكر قال ابو عوسجة اسماء فى
البناء الذى يبنى من الكرابيس شبه الدار والحجرة وساءت مرتفقا اى متكا ومنزلا وقال القتبى اسماء فى حجرة
التى تكون حول الفسطاط قال وهو الدخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الظلال والثلاث الشعب والمهل
دردى الزيت ويقال ما اذيب من النحاس والرصاص وساءت مرتفقا اى مجلسا واصل الارتفاق الاتكاء
على المرفق وقوله عز وجل اولئك لهم جنات تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من [illegible]
الذين تركوا استمتاعهم فى الدنيا لها ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق قالوا الاستبرق الديباج الغليظ
والسندس هو الرقيق والغليظ منه لا يلبس لكنه كانه جمع بين ما يلبس وبين ما يبسط فذكر اللبس لما يلبس كما
يقال اطعمت فلانا وسقيا والشراب لا يطعم وقيل ان الاستبرق هو الرقيق من الديباج بلغة قوم فان كان
ما ذكر فكانه انما ذكر ذلك لاولئك والله اعلم وقوله عز وجل متكئين فيها على الارائك قال بعضهم الارائك
السرر فى الحجال والاريكة السرير فى الحجلة وقال بعضهم الارائك السرر عليها الحجال وقال ابو عوسجة
الارائك الوسادة وحسنت مرتفقا قيل منزلا واصل هذا انه وعد لهم فى الاخرة ما كانت انفسهم ترغب
فيه من الدنيا وتتركه ذلك فى الدنيا للموعود فى الاخرة وكذلك حذرهم فى الاخرة باشياء تنفر انفسهم وطباعهم
فى الدنيا ليحذروا وليستوجبوا الموعود فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل واضرب لهم مثلا رجلين
جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب الى اخر ما ذكر جائز ان يكون هذا المثل كان فى الامم المتقدمة وكتبهم سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ليعلم وليتبين لهم صدقه بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يدعى على ما سئل
هو عن قصة ذى القرنين وبناء وبناء اصحاب الكهف واخبارهم ليتبين لهم صدقه اذ علموا ان تلك الانباء
والقصص لا يعلم ولا يعرفها الا من علم كتاب الله اذ كان ذلك فى كتب الله وهم قوم يعرفون تلك الكتب لانها كانت
بغير لسانه ولم يره اختلف الى من يعرفها ليتعلم منه ثم انباءهم على ما كان فى كتبهم فدل ان ذلك انما عرف
بالله وانه صادق فيما يدعى من الرسالة على هذا يجوز ان يقال والله اعلم فيكون فى ذلك اية لرسالته ونبوته
او ان يكون قوله واضرب لهم مثلا رجلين الى اخره اى اضرب لهم مثلك ومثلهم مثل رجلين فيكون مثلك
ومثلهم مثل ما ذكر من رجلين الى اخره او ان يكون قوله واضرب لهم مثلا رجلين اى اضرب للمتكبرين والمتواضعين
حال رجلين كل رجلين هذا سبيلهما يرغب احدهما فى الدنيا وزينتها ويطلبها لا يرى غيرها والاخر يرغب فى الزهد
فيها وترك الطلب لها والرغبة فى الاخرة فان كان على هذا او ما ذكرنا من ضرب مثله ومثل اولئك فهو على
الابتداء يخرج على الاعتبار والتفكر فيها ذكر تنبيها وايقاظا وان كان على السوال عما كان فهو ليس على الاعتبار
ولكن على الانباء انه رسول ففيه اية لرسالته ونبوته ثم قوله واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين
من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا اى بين الجنتين كلتا الجنتين اتت اكلها اى حملها ولم تظلم
اثنا الكلمة خرج على اسم واحد وان كان فى المعنى على التثنية وذلك جائز فى اللغة كقولك كلتا المرأتين صالحة
وكلتاهما صالح وفيه قول الشاعر كلا ثاناها شاعر من حى صدق ولكن الرحى معلوا الثقال وقوله عز وجل ولم تظلم منه
شيئا اى لم تنقص من ثمرها شيئا وقوله عز وجل وفجرنا خلالهما نهرا اى اجرينا بينهما مياها جارية وكان له
ثمر قال بعضهم من قرءه ثمر بالرفع فهو كل ما كان يملك من الجنان وغيرها ومن قرءه بالنصب فهو على الثمر وقال
بعضهم الثمر بالنصب فهو الثمر بالرفع فهو جميع الثمار والله اعلم وقوله عز وجل فقال لصاحبه وهو يحاوره
يكلمه او يجيبه او ينازعه ويناظره انا اكثر منك مالا واعز نفرا لا يحتمل ان يكون هذا الخطاب منه على
الابتداء فيشبه ان يكون كان من صاحبه له وعيد وتخويف فعند ذلك قال له ما ذكر او ان يكون قال يعطيني
ربى فى الاخرة مثل ذلك او خيرا منها فقال له عند ذلك انا اكثر منك مالا واعز نفرا اى قد فضلنى فى الدنيا
وفضلنى عليك فيفضلنى ايضا فى الاخرة عليك حيث قال لاجدن خيرا منها منقلبا ان كان ما تزعم صدقا
انا نبعث ونرد الى الله ولا على الابتداء لا يحتمل وقوله عز وجل ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قيل اى
ظالم نفسه ويحتمل ان يكون قوله لنفسه بدنه وهو ظالم المعنى الذى يكون فى النفس به يستعملها فيما
يستعمل والله اعلم وقوله عز وجل وما اظن ان تبيد هذه ابدا ما دامت نفسه او كانه لم يشاهد الهلاك
ولم ينظر اليه فقال ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان تبيد هذه ابدا قال بعضهم ما اظن اى ما وفق وما

وما اعلم وقال بعضهم هو الظن لان صاحبه كان يناظره فيه فاضطرب فى فنائها وقيام الساعة فشك فيه
والله اعلم وقوله عز وجل ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا اى لو رددت الى ربى فى ما تزعم
لاجدن خيرا منها منقلبا ان كنت صادقا وقوله عز وجل قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك
من تراب ثم من نطفة اى خلق اصلك من تراب وخلقك من نطفة ثم سواك رجلا اى صححك وقومك ولا
جائز ان يكون محاجته اياه فى هذه لانكاره البعث اى كفرت وانكرت قدرة الله على البعث والاعادة
وهو خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة فانت اذا مت وهلكت تصير ترابا او ماء فاذا قدر على
خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من ماء لقادر على اعادتك وبعثك بعد ما صرت ترابا او ماء او يكون
محاجته فى انكاره حكمة فيقول خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة ثم سواك وصححك فاذا لم يبعثك
وبعدك كخلق اصلك اخلقك بما ذكر عبثا غير حكمة اذ من بنى بناء ثم نقضه على غير قصد الانتفاع به كان
فى بنائه فى الابتداء عابثا به سفيها غير حكيم فعلى ذلك خلقك وخلق اصلك من غير اعادة من بعد يكون
سفيها فى غير حكمة وهو ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية صير خلقهم على غير رجوع اليه عبثا او ان يكون
محاجته فى تسفيهه اياه فى جحوده نعم الله بقول اكفرت نعمة الذى خلق اصلك من تراب وخلق نفسك
من نطفة ثم سواك صحيحا فصرفت شكر نعمه الى غيره وعبدت غيره على هذه الوجوه الثلاثة وتحتمل محاجته
اياه اما فى انكار قدرته فى بعثه واعادته او انكاره الحكمة فى البعث او فى انكاره نعمه وصرفه الشكر الى غيره
والله اعلم وقوله عز وجل لكنا هو الله ربى كانه قال لكن الذى خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة
هو ربى ولا اشرك بربى احدا وقال الخليل لكنا انما هو على تاويل لكن انا اقول هو الله ربى كقولنا انى انا الحوك
انهم حين القوا الالف من انا اثبتوها بعد النون والله اعلم وقوله عز وجل ولولا اذ دخلت جنتك نظرت
الى ما انعم الله عليك وقمت بشكره دون ان اشتغلت بازورا ونظرت ذات حالى ويدى اشتغلت بالافتخار
على وكذلك قال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ثم ذكر طمعه ورجاءه على ربه وخوفه حيث قال فعسى
ربى ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء اى يرسل على جنتك حسبانا من السماء قال اهل
التاويل الحسبان العذاب الا ان ابا بكر الاصم قال عذابا على حساب ما عملوا وذلك جزاؤه فى الكفرة وهو ما
ذكر فى الجنتين اللتين اهلكهما حيث قال ذواتى اكل الى قوله ذلك جزيناهم الاية وقال ابو عوسجة حسبانا اى
عذابا والحسبان الصغار من النبل والحسبانة واحده والحسبان جمع والاول عذاب وقوله عز وجل فتصبح
صعيدا زلقا الذى ليس عليه نبت وزلقا اى تسويه وقال القتبى الصعيد الاملس المستوى والزلق الذى
يزل عنه الاقدام وقوله عز وجل او يصبح ماؤها غورا هذا يخرج على وجهين احدهما فيقول ويرسل عليها
حسبانا من السماء اى عذابا فتصير صعيدا زلقا املس لا نبات عليها او يذهب بمائها فتهلك بذهاب الماء
اذ هلاك البساتين يكون بذهاب الماء مرة وبالعذاب النازل عليها ثانيا وقوله عز وجل فلن تستطيع له
طلبا هذا يحتمل وجهين احدهما لن تستطيع له طلبا او لن تستطيع له وجود وقال فى قوله ان ترن انا اقل منك
بالنصب لان الكلام مبنى على قوله ان ترنى وجعل انا صلة واما قوله انا اكثر فوصف انا باكثر فارتفع وقوله
عز وجل فاحيط بثمره اى اهلك ثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها هكذا عادة الناس اذا اصابهم
خسران او مصيبة يقلبون كفهم بعضهم على بعض على الندم والحسرة على ما فات وقوله عز وجل وهى
خاوية على عروشها قيل ساقطة على عروشها وقيل خاوية ذاهبة البركة وقوله عز وجل يا ليتنى لم اشرك
بربى احدا ان كان هذا القول فى الدنيا فذلك منه توبة لان التوبة هى الندامة على ما كان منه وقال بعضهم
هذا القول منه فى الاخرة فان كان فى الاخرة فانه لا ينفعه ذلك والله اعلم وهكذا كل كافر يؤمن فى الاخرة
لكن لا ينفع وقوله عز وجل ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هذا والله اعلم مقابل ما
قال انا اكثر منك مالا وولدا واعز نفرا اى لم يغنه من عذاب الله ما ذكر من النفر ولا قدر ان يقوم بنفسه
منتصرا بالحال الذى ذكر وقوله عز وجل قال بعضهم عند ذلك وقال بعضهم هنالك اى هكذا والولاية لله ثم
اختلف فى تلاوته وتاويله قرا بعضهم الولاية لله بالنصب وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود هنالك الولاية
لله الحق وهو الحق بالرفع وفى حرف حفصة وهنالك الملك والولاية لله الغفور ذى الرحمة وقرا بعضهم
لله الحق اى الولاية لله الحق والولاية بالنصب من الموالاة قال ابن عباس رضى الله عنه لا يبقى احد الا تولى
الله وامن به وعلم انه حق والولاية بالكسر من الامارة والملك على ما ذكر فى حرف حفصة وفى حرف ابى هنالك

الولاية لله الحق بغيره الولاية لله وهو الحق وبغيره هنالك الولاية لله الحق بالخفض وبغيره هنالك
الولاية الحق لله وذكر هذا المثل لرسول الله والله اعلم لا فيه دلالة رسالته وحجة توحيد الله
وقدرته وسلطانه عز وجل هو خير ثوابا وخير عقبا اى ثواب هذا المؤمن منهما افضل ثوابا فى الاخرة
وافضل عاقبة من عقبى ذلك الكافر قال ابن عباس قوله واضرب لهم يعنى لاهل مكة مثلا رجلين
اخوين من بنى مخزوم احدهما مسلم والاخر كافر وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله فى سورة الصفات انى
كان لى قرين الى قوله فراه فى سواء الجحيم لتصدق المسلم منهما بماله وطلب الاخرة وطلب الاخر الدنيا
وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان اخوين ورثا من ابيهما مالا فاقتسماه فاما احدهما التمس بماله
الدنيا وزينتها واما الاخر فتصدق به وطلب الاخرة حتى لم يبق له شئ الى هذا يذهب هؤلاء والله اعلم
وقوله عز وجل واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء اختلف اهل التاويل فى ضرب هذا المثل
قال بعضهم ضرب هذا لمشركى العرب لانهم ينكرون فناء الدنيا وهلاكها لانها لا تبيد ابدا فيقول ان الذى
يعاينون من فناء ما ذكر من النبات وغيره وهلاكه هو جزء منها فاذا احتمل جزء منها الفناء والهلاك
فعلى ذلك الكل وقال بعضهم وجه ضرب هذا المثل وهو ان اهل الدنيا وطلابها اذا اطمعوا بالدنيا
وطمعوا الانتفاع بها والاستمتاع بها كالطمع الذى الغلظ بذلك الذرع والوصول الى الانتفاع ثم
حيل بينهم وبين الانتفاع بالذرع والوصول الى مقصودهم فعلى ذلك الدنيا يحال بين اهلها وطالبيها
وبينها وقال بعضهم وجه ضرب مثل الدنيا بما ذكر من النبات للتزين والتحسين لاهلها والتعجيب لهم
لانها تتزين وتحسن لاهلها كالنبات الذى ذكر انه يعجب اهلها ويتزين لهم ثم يفسد ويصير موتا فعلى ذلك
فى الدنيا وهو ما ذكر فى اية اخرى كمثل غيث اعجب الكفار نباته الاية هكذا وما فيها كله مشوب بالافات
والفساد فى هذا المثل وجوه من الحكمة والدلالة احدها العظمة والاعتبار للمتفكرين والمعتبرين
والحجة على المعاندين والمكابرين فى انكارهم حدث العالم وتحديثه وانكارهم البعث اما احداث العالم لما عاينوا
حدوث اشياء منه واشياء بعد واحد فعلى ذلك الكل واراهم فناء اشياء منها حتى لم يبق لها اثر ثم حدث
مثلها فاذا ظهر هذا فى بعض منها فكذلك الكل فاذا ظهر حدوثه وفناؤه لابد من قاصد يقصد فناءه
ودلالة البعث لما اراهم تجدد ويحدث هذه الانزال والاشجار والنبات وغيره والعود على ما كان بعد
فنائها فعلى ذلك اعادة العالم الذى هو المقصود فى انشاء تلك الاشياء وذلك اولى بالاعادة من غيرهم
من الاشياء اذ هم المقصود دون فى خلق غيرهم من الاشياء وبعد فانهم قد اتفقوا على ان خلق الشئ و
للهلاك خاصة من غير مقصود وعاقبة عبث ليس بحكمة فلو لم يكن بعث ولا اعادة لم يكن فى خلقه
اياهم حكمة لانه يصير خلقه للفناء والهلاك خاصة وفى قوله كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض دلالة علمه وتدبيره وقدرته لانه اخبر انه ينزل من السماء ماء فيختلط به نبات الارض والماء من
طبيعه الفساد والنبات اذا اختلط به فاذا لم يفسد ولكن احياه بالاختلاط دل فى ان فى الماء معنى به يحيى
النبات لا يعلم ذلك غيره دل انه علم بذاته والتدبير هو ما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض
مع بعد ما بينهما دل ان ذلك كان بواحد عليهم مدبر قادر بذاته انه من قدر على ما ذكر من الاحداث والافناء
قادر على الاعادة والبعث والله الموفق وقوله عز وجل فاصبح هشيما قيل كسيرا مكسورا تذروه
الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا هو مفتعل من قدرت وقوله عز وجل المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا والباقيات الصالحات كان هذا ذكر على مقصود الناس انه من كان قصده فى الدنيا كثرة المال والبنين
فهو زينة الحيوة الدنيا وهو الفانى والذاهب على ما ذكر ومن كان مقصوده فى هذه الدنيا الخيرات والاخرة
فهو الباقيات ابدا ثم اختلف فى الباقيات الصالحات قال بعضهم هو قوله سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعلى ذلك روى فى بعض الاخبار عن نبى الله صلى الله عليه وسلم
قال الا ان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر من الباقيات الصالحات وفى بعض الاخبار
انه قال لاصحابه خذوا جنتكم قالوا امن عدو حضرنا قال خذوا جنتكم من النار فقولوا سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فانهن المقدمات المؤخرات الباقيات المنجيات
الصالحات وفى بعض الاخبار لابى الدرداء خذهن قبل ان يحال بينك وبينهن فانهن الباقيات الصالحات
وهى كنز من كنز الجنة قال وما هى يا رسول الله فذكر سبحان الله الى اخره فان ثبت هذه الاخبار فهى كالا

لا يجوز غيره وقال بعضهم الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وهو قول ابن عباس وغيره والامكان
نفيه معنى الاخر وان كل واحد منهما يجمع جميع انواع الخيرات والعبادات في الحقيقة لان سبحان الله هو
تنزيه الرب عن كل افة وعيب والحمد لله هو الثناء له بكل نعمة وصلت منه الى الخلق وجعله مستحقا للحمد
والثناء له دون من سواه وان لا اله الا هو معبود سواه وان لا تستحق العباده غيره والله اكبر هو التعظيم
عن كل ما قيل فيه ونفي كل معان الخلق عنه ولا حول ولا قوة الا بالله هو التبري وقطع الطمع عمن دونه وتفويض
الامور بكليتها اليه والتسليم له فكل حرف من هذه الحروف يجمع في الحقيقة كل انواع العبادات والخيرات
لما ذكرنا وكذلك الصلوات ايضا تجمع كل انواع العبادات لانه يستعمل كل جارحة من جوارحه فيها
في كل حال منها فهي تجمع جميع العبادات والاصل في قوله والباقيات الصالحات انها كل الخيرات و
الطاعات لان الله تبارك وتعالى ذكر وصف الحق بالبقاء والثبات في غير اي من القران ووصف
الباطل بالبطلان والتلاشي والذهاب من ذلك قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد
فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض الاية وقال الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة الاية وامثاله فعلى
ذلك قوله الباقيات الصالحات هي باقية خير عند ربك ثوابا وخير املا اي خير ما يأملونه قال ابو عوسجة
فاصبح هشيما اي يابسا باليا وقال القتبي ومنه تسمى الرجل هاشما وقال ابو عوسجة تذروه الرياح
اي تطيره وقال القتبي اي تنسفه كقوله ينسفها ربي نسفا وعن ابن عباس قال خير عند ربك ثوابا اي خير ما
يثاب الناس عليه وخير املا اي خير ما يامل الناس من اعمالهم يوم القيامة والله اعلم وقوله عز وجل
ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة يذكرهم جل وعلا عن شدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه حيث صار اثبت
شيء واقوى في الدنيا ويكسر اصلب شيء واقوى في الدنيا وهو الجبال لشدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه قال في اية
اخرى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال في اية اخرى وكانت الجبال
كثيبا مهيلا وقال في اية اخرى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقال في اية اخرى هباء
منثورا وامثاله يذكرهم عند شدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه حيث صار اثبت شيء في الدنيا واشد على
الوصف الذي ذكره وبدون هذه الاهوال والافزاع التي ذكر لا تقوم الانفس لبشر في الدنيا فكيف بها
لمثل هذه الاهوال التي ذكر اخرى ان لا تقوم الا ترى ان موسى صلوات الله عليه كان اشد الناس واقوى البشر
ثم لم تقم نفسه لانه كان الجبل حتى صعق الا ان الله حكم ان لا هلاك يومئذ بعد ما احياهم والا كانت انفسهم
لا تقوم بدون ما ذكر من الاهوال ثم ذكر من احوال الحال يكون ذلك في اختلاف الاحوال والاوقات يكون في
ابتداء ذلك اليوم ما ذكر انها تسير وانهم يرونها جامدة وهي ليست بجامدة ثم تصير كثيبا مهيلا
ثم تصير كالعهن المنفوش في وقت ثم تصير هباء منثورا يكون على الاحوال التي ذكر على اختلاف الاحوال على
قدر الشدة والهول والله اعلم ثم يحتمل قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب لشدة ذلك
اليوم تتراءى كانها جامدة وهي تمر مر السحاب وقد يتراءى في الشاهد مثله لهول والفزع والثاني تتراءى
لان دحام الجبال واجتماعها وقد تتراءى في الشاهد السائر كالجامد والساكن للكثرة والالتحام نحو عسكر
عظيم يسير يراه الناظر اليه كانه ساكن لا يسير فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل ان يكون هذه الاهوال التي
ذكر لاهل الكفر والعصاة منهم فاما اهل الايمان والاحسان يكونون في امن وعافية من تلك الاهوال كقوله
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا الاية وقوله عز وجل وترى
الارض بارزة اي ظاهرة ليس عليها بناء ولا شجر ولا جبال ولا حجر ولا شيء تصير مستوية على ما ذكر قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا ويحتمل قوله وترى الارض بارزة اي يكون اهلها بارزين له كقوله وبرزوا لله جميعا
وقوله عز وجل وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا اي نجمعهم جميعا كقوله قل ان الاولين والاخرين لمجموعون
الى ميقات يوم وقوله عز وجل وعرضوا على ربك صفا قال بعضهم عرضوا على ربك جميعا ثم يحتمل قوله
وعرضوا على ربك للحساب وقال بعضهم يعرضون على مقامهم اي يعرض كل فريق على مقامه اي يبعث
كقوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين ويحتمل معنى العرض عليه في ذلك اليوم وان كانوا
في جميع الاحوال والاوقات في الدنيا والاخرة معروضين عليه عالم باحوالهم لما يقرون له جميعا يومئذ منكرهم
ومقرهم بالعرض والقيامة كقوله وبرزوا لله جميعا والامر يومئذ لله والامر في جميع الاوقات لله وكذا
هم بارزون له في جميع الاحوال لكنه خص ذلك اليوم بالاضافة اليه بما يقرون له جميعا في ذلك اليوم بالا

لوهية له والملك ويعرفون حقيقته فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل لقد جئتمونا كما خلقناكم
اول مرة يحتمل هذا وجوها يحتمل لقد جئتمونا بالاجابة والاقرار لنا كما اجاب خلقتكم في اول خلقنا اياها في
الدنيا والثاني لقد جئتمونا كما خلقنا في الدنيا انكم تبعثون وتحشرون وتقوم لكم الساعة والثالث ما قال
اهل التاويل لقد جئتمونا فرادى بلا انصار ينصرونكم ولا اعوان يعينونكم على ما كنتم في الابتداء وقال بعضهم
كما خرجتم من بطون امهاتكم عراة وحفاة ليس معكم مال ينفعكم ولا انصار يناصركم وهو ما قال ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وقوله عز وجل بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا
هذا يدل ان تلك الاحوال التي ذكرنا انما تكون للعصاة ومن انكر البعث حيث قال بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا
يعني القيامة وهذا يدل ان الاهوال والافزاع التي ذكر في الاية الاولى تكون للعصاة الفسقة من خلقه
دون المؤمنين وقوله عز وجل ووضع الكتاب قيل الحساب ويحتمل الكتاب الذي كتبته الملائكة وضع
الكتاب في ايديهم وقوله عز وجل فترى المجرمين مشفقين اي خائفين وجلين وقال بعضهم لما نظروا
في الكتاب فراوا من اعمالهم الخبيثة فيه عند ذلك خافوا مما فيه وقوله عز وجل ويقولون يا ويلتنا مال
هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من اعمال السيئة الا احصيها ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة
من الحسنات والسيئات الا احصاها ويحتمل قوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة اي لا يترك شيئا مما يجزى
به الانسان وما لا يجزى به الا احصاها اي حفظها ووجدوا ما عملوا في الدنيا حاضرا في الاخرة محفوظا غير
ذاهب عنه شيء ولا غائب منه وقال بعضهم انما هو قول الملك يقول لهم ذلك كقوله ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد اي حفيظ والله اعلم وقوله عز وجل ولا يظلم ربك احدا اي يجزي كلا على قدر عمله
ولا ينقص منه او لا ينقص المؤمن من حسناته والكافر لا يترك له سيئة الظلم هو في الشاهد وضع الشيء
في غير موضعه يقول لا يظلم ربك احدا اي لا يكون بما يجزي كلا على عمله ظالما واضعا شيئا في غير موضعه قوله
عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم ذكر الله عز وجل قصة ادم وابليس في غير موضع من القران على الزيادة
والنقصان وانما ذكر كذلك وكرر لما كذلك كان في الكتب المتقدمة مكررا معادا فذكر في القران على ما كان
في تلك الكتب ليكون ذلك اية لرسالة محمد حيث علموا ابدا انه كان لا يعرف الكتب المتقدمة او انما كرره
لحاجة كانت لهم ولعل الله تكون لهم في التكرار ليكون لهم عظة وتنبيها في كل وقت وكل حال وقد
يكرر الشيء ويعاد على التذكير والتنبيه والله اعلم بذلك وقوله عز وجل فسجدوا الا ابليس كان من الجن
اختلف فيه قال بعضهم سمي من الجن لانه كان من الجان الذين يعملون في الجنان فنسب اليه وقال بعضهم
ان من الملائكة قبيلة يقال لها الجن فكان ابليس منها فنسب اليها وقال الحسن ما كان ابليس من
الملائكة قط طرفة عين ولكنه من الجن كما قال الله فهو اصل الجن وهو اول من عصى به من الجن ان ادم
هو اصل الانس وهو ابوهم فعلى ذلك ابليس رب الجن وقال بعضهم كان من الجن اي صار من الجن وكذا
قالوا وكان من الكافرين اي صار من الكافرين وقال بعضهم قال من الجن اي كان في علم الله في الازل انه
يكون من الكافرين وقت عصيانه ربه وابائه السجود لادم وقد ذكرنا هذه المسئلة فيما تقدم
وقوله عز وجل ففسق عن امر ربه قيل عتى وعصى واصل الفسق الخروج المخرج من امر ربه
وكذلك قال القتبي ففسق اي خرج من طاعته يقال فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها
عز وجل افتتخذونه وذريته اولياء من دوني هذا يحتمل وجهين احدهما انه اراد بقوله من دوني
نفسه فكانه قال افتتخذونه وذريته اربابا والهة من دوني وهم لكم عدو وليسوا بالهة
ولا ارباب فكيف يجوز ان يتخذ العدو ربا والها والثاني انه اراد بقوله اولياء من دوني اي
من دون اوليائي فكانه قال افتتخذونه وذريته اولياء من دون اولياء وهم لكم عدو اي كيف تتخذون
الاعداء اولياء وتتركون منهم لكم اولياء ولا تتخذونهم اولياء والله اعلم وقوله عز وجل بئس
للظالمين بدلا اي بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم ان عبدوا ابليس واطاعوه فبئس ذلك لهم
بدلا او ان يكون قوله بئس للظالمين بدلا اي ما اتخذوا اعداءهم اولياء بدلا عن اوليائهم
او بدلا عن الوهيته وربوبيته وقوله عز وجل ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم قال بعضهم قال هذا لمشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله والاصنام التي
عبدوها انها الهة وانها شركاء فيقول ما اشهدتهم خلق الملائكة وخلق الارض ولا خلق

انفسهم ولا كان لهم كتاب ولا اتوا برسول فكيف عرفوا ما قالوا الملائكة بنات الله والاصنام الهة وشركاء
واسباب العلم والمعارف هذا اما المشاهدة واما الرسل فاذا لم يكن لهم واحد مما ذكرنا فكيف عرفوا ربهم
وبم علموا ما قالوا في الله من الولد والشركاء والى هذا ذهب الحسن ومنهم من قال لاتخاذهم ابليس وذريته اولياء
وارباباً وهو صلة ما قال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو الاية وفيه وجوه من التاويل
يقول ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي ما احضرتهم خلق انفسهم لانهم
لم يكونوا في ذلك الوقت ولا خلق السموات والارض لانه خلقهما وهم لم يكونوا ايضا شيئا واشهدتهم ما
علمتهم تدبير خلق السموات والارض ولا تدبير خلق انفسهم فكيف قالوا في الله من الدعاوي والثالث ما
اشهدتهم اي استعنت بهم في خلق السموات والارض ولا في خلق انفسهم فكيف اشركوا في الوهيتي وما
استعنت بهم في ذلك والله اعلم وقد استدل كثير من المتكلمين بهذه على ان خلق الشيء هو غير ذلك الشيء لانه
قال ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقد شهدوا السموات والارض وشهدوا انفسهم
حتى قال لهم وفي انفسكم افلا تبصرون ثم اخبر انه لم يشهدهم خلق السموات والارض وخلق انفسهم دل انه
خلق السموات والارض وخلق انفسهم غير السموات والارض وغير انفسهم **وقوله** عز وجل وما كنت متخذ
المضلين عضدا قال بعضهم متخذ المضلين عن الايمان والهدى اعوانا في ديني والثاني وما كنت متخذ المضلين عبادي
بنصر ديني او يعينون اولياء وقال بعضهم وما كنت متخذ المضلين الذين اضلوا بني ادم عونا فيما خلقت من خلق
السموات والارض وخلق انفسهم وهذا ابليس وذريته وما كنت متخذ المضلين اولياء انما اتخذهم اعداء
وما كنت لاولى المضلين عضدا على اوليائي كقوله لا ينال عهدي الظالمين ونحوه وكله قريب بعضه من بعض **وقوله**
عز وجل ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم قال شركائي على زعمهم والا لم يكن لله شركاء فدعوهم يعني دعوا
الاصنام التي عبدوها فلم يستجيبوا لهم قال ابو بكر الاصم لم يجيبوهم في وقت وقد اجابوهم في وقت اخر
وهو ما قال انا كنا عن عبادتكم لغافلين ولكن قوله فلم يستجيبوا لهم لما كانوا يعبدونها في الدنيا وانما كانوا
يعبدونها طمعا ان يكون لهم شفعاء وانصارا كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وكقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا فيكون قوله فلم يستجيبوا لهم ما طمعوا
بعبادتهم الاصنام من الشفاعة والنصرة ودفع ما حل بهم عنهم والمنع من عذاب الله والله اعلم **وقوله** عز وجل
وجعلنا بينهم موبقا اي بين اولئك وبين الاصنام موبقا قال بعضهم مهلكا وقال بعضهم الموبق الذي
يفرق بينهم وبين الهتهم في جهنم وقال بعضهم نهرا فيها وقال بعضهم جعلنا وصلهم في الدنيا الذي كان بين
المشركين وبين الاصنام موبقا اي مهلكا **وقوله** عز وجل فظنوا انهم مواقعوها اي علموا وايقنوا انهم داخلوها
ولم يجدوا عنها مصرفا اي لم تقدر الاصنام التي عبدوها ان تصرف النار عنهم قال ابو عبيدة ولم يجدوا عنها مصرفا
اي معدلا **وقوله** عز وجل ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل ولقد صرفنا قد ذكرنا وبينا في غير موضع
وقوله عز وجل من كل مثل يحتمل وجهين احدهما من كل مثل اي من كل صفة كقوله وله المثل الاعلى اي الصفات
العليا والثاني المثل هو التشبيه كقوله ليس كمثله شيء فان كان التاويل التشبيه فكانه يقول والله اعلم ولقد
صرفنا اي بينا في هذا القران من كل مثل من كل ما بهم حاجة الى معرفة ما غاب عنهم جعل لهم شبيها مما شاهدوا
او عرفوا ليعرفوا به ما غاب عنهم وان كان تاويل المثل الصفة فكانه يقول والله اعلم ولقد بينا في هذا القران
من كل مثل ما يؤتى وما يتقى وصفة يعرفون بها ما لهم وما عليهم ما ياتون وما يتقون والله اعلم **وقوله** عز وجل
وكان الانسان اكثر شيء جدلا قال اهل التاويل وكان الانسان يعني الكافر اكثر شيء جدلا اي جدالا كقوله ويجادل
الذين كفروا بالباطل ويشبه ان يكون قوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي وكان جوهر الانسان اكثر جدلا من غيره
من الجواهر لان الجن لما عرض عليهم القران والايات قبلوها على غير جدال لما ذكرت حيث قالوا انا سمعنا قرانا
عجبا الاية وكذلك الملائكة لم يكن منهم الجدال ولا المحاجة في ذلك وقد ظهر من جوهر الانسان الجدالات والمحاجات
في الايات والحجج لكثرة ما ظهرت منهم من المجادلة لرسلهم والمحاجة فيما ذكر بعد الاية وقوله وجادلهم بالتي هي احسن وقوله
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وامثال هذا وذلك الحجج
الى انزال كثرة الايات والحجج لكثرة ما ظهرت منهم من المجادلة والمحاجة في الدين على ما وصفت الذي ذكر والله
اعلم **وقوله** عز وجل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي لم يمنع الناس ان يؤمنوا الا التعنت والعناد
لانه قد اكثر عليهم من الحجج والايات ما لم يعاندوا ولا كابروا الا لتركهم الايمان بها والتصديق لكن الذي

منعهم

منعهم عن الايمان ما ذكرنا من عنادهم وتعنتهم الا ان تاتيهم سنة الاولين وسنة الاولين الاستيصال و
الاهلاك فيقول لا يؤمنون الا في ذلك والايمان لا ينفعهم في ذلك الوقت كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما
راوا باسنا **وقوله** عز وجل او ياتيهم العذاب قبلا اي عيانا جهارا قال ابو عبيدة او ياتيهم العذاب
قبلا اي مقابلة وقيلا استينافا وقال مجاهد قبلا فجاءة وقال قبلا قبيلا قال ابو عوسجة قبلا اي
مواجهة كذلك قبلا وقال القتبي قبلا اي مقابلة وعيانا والله اعلم **وقوله** عز وجل وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين اي لم نرسلهم الا لما يوجب لهم البشارة والنذارة انما ارسلوا للامر والنهي ليامروا
والنهي ليامروا الناس بالطاعة لله وينهاهم عن معاصيه لهذا ارسلوا فالبشارة لمن اتبع امرهم وانتهى عما
نهوا عنه والنذارة لمن ارتكب ما نهوا عنه فيكون البشارة للمتبعين لهم في امرهم
والنذارة للمرتكبين المنهي والله اعلم **وقوله** عز وجل ويجادل الذين كفروا بالباطل يحتمل قوله ويجادل
الذين كفروا بالباطل ما نسبوه الى السحر والكهانة والافك وغيره يجادلونه وهو باطل او ان يكونوا
عرفوا انما يجادلونهم به ويحاجونهم باطل وان ما يدعوهم الرسول الى الله حق وصدق ولكن يعاندونه ويجادلونه
وعندهم انه على باطل كقوله يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم الاية عرفوا انه نور لكن عاندوه
في المجادلة والمحاجة بالباطل والله اعلم **وقوله** عز وجل ليدحضوا به الحق اي ليبطلوا به الحق **وقوله**
عز وجل واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا قال بعضهم الايات انشقاق القمر وغيره وما انذروا به
الرسل هو القران وقال بعضهم قوله واتخذوا اياتي هزوا القران والحجج التي اقامها وما انذروا به غير القران
هي المواعيد هزوا وقال هذا التاويل تاويل الاول باطل لا يصح لانه قال على اثره ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه
فاعرض عنها يقول هذا يدل انه اراد بالايات ما ذكرنا من الحجج والبراهين لما ذكر وجائز انهم اذا لم يعملوا
بايات ربهم ولم يستعملوها نسبهم الى المهزئين بها والسخرية وان لم يهزؤوا بها وهو ما سماهم عميا وبكما وصما لما لم ينتفعوا
بهذه الحواس ولم يستعملوها فيما جعلت له وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك فاذا كان فعلى ذلك هذا والله
اعلم ثم يحتمل مجادلتهم اياهم ما قالوا هذا سحر وكهانة وانه افك مفترى ونحوه او ان يكون مجادلتهم قولهم
ابعث الله بشرا رسولا وقولهم ان انتم الا بشر مثلنا واشباه ذلك من المجادلات التي كانت منهم والله
اعلم **وقوله** عز وجل ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها يحتمل قوله ذكر بايات ربه اي وعظ بالايات
التي نزلت بمكذبي الرسل من الامم الماضية فيكون تاويله اي لا احد اظلم على نفسه ممن وعظ بايات ربه فاعرض
عنها ولم يتعظ بما وعظ كان به نجاته او ان يكون تذكيره بايات ربه وهو ما اقام من حججه وبراهينه على توحيده
ورسالة الرسول فلم يقبلها اي لا احد اظلم على نفسه ممن لم يتعظ بما ذكر من الايات والحجج ولم يقبلها والله اعلم
وقوله عز وجل فاعرض عنها يحتمل الاعراض عنها في الابتداء اي لم يقبلها ولم يكترث اليها ولم ينظر
فيها او اعرض عنها بعد ما عرفها انها ايات وانها حجج تعنتا وعنادا **وقوله** عز وجل ونسي ما قدمت
يداه يحتمل اي نسي من الخيانة والشرك او ان يكون قوله ونسي ما قدمت يداه موصولا بالاول اي
لا احد اظلم على نفسه ممن وعظ وجعل له سبيل التخلص والنجاة مما قدمت يداه فلم يتعظ به والله اعلم
وقوله عز وجل انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ان الكفر مظلم اذا اتى به انسان يستر
على نور القلب وعلى نور كل جارحة منه والايمان منير يتنور القلب ويتنور كل جارحة منه ومعنى وهو ما ذكرنا
في غير موضع ان الانسان انما يبصر بنورين نور ظاهر ونور نفسه ويتنور ذلك الشيء فاذا ذهب احدهما
ذهب الانتفاع بالاخر والايمان ما ذكرنا انه منير وفي القلب نور فاذا اجتمع النوران معا فعند ذلك
انتفع به فجعل يفقه ويعقل الشيء بنور القلب وبنور الايمان وكذلك كل جارحة منه من الاذن
والبصر واللسان فجعل يبصر الحق به ويعتبر به ويستمع الحق والصواب والكفر مظلم يمنع ويستر على
على نور الجوارح فجعل لا يبصر ولا يعتبر ولا يستمع ولا يتكلم بالحق وهو ما ذكرنا ان الانسان انما يبصر
الشيء بنور العين وبنور الهواء فاذا ذهب احدهما صار لا يبصر شيئا فعلى ذلك ما ذكرنا وفي الاية
دلالة نقض قول المعتزلة لانه لا يخلو الكفر من ان يكون مظلما قبيحا ذميما بنفسه او بالله تعالى فان
قيل صار كذلك قيل لو جاز ذلك لجاز حدوث الاشياء بنفسها اذ لا فرق بين ان يكون الشيء مظلما قبيحا
ذميما بنفسه وبين ان يكون الاشياء بانفسها على ما كانت فانه بطل بنفسه مظلما قبيحا ثبت ان الله الذي
جعله مظلما قبيحا وهو ما نقول لكن الله خلق فعل الكفر من الكافر مظلما قبيحا وخلق فعل الايمان من المؤمن

سنيرا احسننا والله الموفق **وقوله** عز وجل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا هذا في قوم
علم الله انهم لا يؤمنون ابدا والا لا يحتمل في جميع الكفار اذ من الكفار من قد امن وقال الحسن هو في قوله
الذين جعل على قلوبهم الغطاء والطبع اذ من قوله ان الكفر حد اذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه
فلا يؤمن ابدا وقال بعضهم هو في قوم عادتهم العناد والمكابرة وتكذيب الايات والحجج فاخبر انهم لا يؤمنون
ابدا لعنادهم واصله ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل وربك الغفور ذو الرحمة يحتمل ان يكون على وجهين
احدهما الغفور حيث ستر عليهم ولم يعاقبهم وقت عصيانهم وذو الرحمة يقبل توبتهم اذا تابوا والثاني
الغفور اذا استغفروا وتابوا وذو الرحمة يرحمهم ويتجاوز عنهم ما سبق لهم من الذنوب **وقوله** عز وجل
لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب في الدنيا بل لهم موعد قال الحسن جعل الله لكل امة يهلكون لهلاكهم
موعدا واجلا كقوله ان موعدهم الصبح وقال في اية اخرى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وجعل
موعد هذه الامة الساعة وهو قوله بل الساعة موعدهم قال بعض اهل العلم اهلك الله كل امة كذبت رسولها
لتتعظ الامة التي تاتي بعدها وجعل هلاك امة محمد بالساعة اذ ليس بعدها امة تتعظ به **وقوله** عز وجل
لن يجدوا من دونه موئلا قيل ملجا وقال القتبي يقال لا وألت نفسك اي لا نجت ويقال وال فلان الى كذا اي لجا
وقوله عز وجل وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم
يجعلون للمهلك بالقتل اجلين وقد اخبر عز وجل لمهلكهم موعدا لا يتقدم ولا يتاخر عنه تعالى وفي قوله قدمت
يداه ذكر تقديم اليد وان لم يكن لليد صنع في ذلك لما في العرف الظاهر انما يقدم ويؤخر باليد وكذلك ما ذكر من الكسب
فبما كسبت ايديكم لانه في الشاهد انما يكتسب باليد ونحوه فخرج على اصحاب ان الخطاب على مخرج الظاهر
حيث لم يفهم من ذكر اليد نفسها ولكن فهم غير اليد **وقوله** عز وجل واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع
البحرين قال اهل التاويل لا ابرح اي لا ازال احتى ابلغ كذا فان كان على هذا فهو ظاهر والاحرف الابراح يعرف البراح
من المكان اي لا ابرح المكان حتى ابلغ مجمع البحرين وهو كانه على الاضمار اي لا ابرح اسير معك في ابلغ كذا كانه يسوق
من فتاه انه يسير الى ذلك المكان دونه على ما يقول الخادم لمولاه اذا اراد ان يسير لحاجة انا اسير وانا اذهب
نعند ذلك قال له موسى لا ابرح اي لا افارقك واسير معك حتى ابلغ ما ذكر اي امرت بذلك وقال بعضهم سماه
فتى لانه كان خادمه يخدمه وقال بعضهم سماه فتى لانه كان يتبعه ويصحبه منه العلم **وقوله** عز وجل مجمع
البحرين اي ملتقى البحرين **وقوله** عز وجل او امضي حقبا قيل زمانا ودهرا وقيل الحقب ثمانون سنة وقال
بعضهم هو بلغة قوم سنة وقال بعضهم هو على التمثيل على ما يبعد وقيل سبعون سنة ونحوه والله اعلم
وقوله عز وجل فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما اضاف النسيان اليهما وان كان الذي نسيه هو فتاه وقال
بعضهم اضاف النسيان اليهما على الشرك لانهما فارقا ذلك المكان وتركا الحوت فيه وانما اضاف النسيان
اليهما لما تركاه جميعا فيه وفارقاه وان كان الفتى هو الذي نسيه دون موسى حيث قال وما انسانيه
الا الشيطان وكل منسي متروك وقال بعضهم اضاف اليهما لما كان منهما جميعا النسيان نسي الفتى ان
يذكره ويخبره ان يسرب في البحر ونسي موسى ان يستخبره منه فقد كان منهما جميعا النسيان من الفتى
الاخبار والتذكير ومن موسى الاستخبار عن حاله وقال بعضهم اضاف ذلك اليهما لما نسيا مكان الرجل
الذي امر موسى ان ياتيه ويقتبس منه العلم فهو على الجهل يخرج على هذا التاويل اي جهلا مكانه والله اعلم
وقوله عز وجل فاتخذ سبيله في البحر سربا قال ابو عوسجة سربا اي دخل في البحر كما يدخل في السرب والسرب
هو دخل الارض يقال بالفارسية بجح وقال القتبي سربا اي مذهبا ومسلكا وقول اهل التاويل ان الحوت
كان مشويا فاحياه الله وقال بعضهم كان طريا ولكن ليس لنا الى معرفة الحوت انه كان مشويا او طريا حاجة
وهو قادر على ان يحييه مشويا او طريا في اي حال كان والله اعلم **وقوله** عز وجل فلما جاوزا قال لفتاه حكاية
قال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فيه دلالة ان لا باس للرجل اذا اصابته مشقة
وجهد ان يذكر اصابني كذا او للمريض ان يقول بي من المرض كذا ولا يخرج ذلك مخرج الشكوى والجزع عن الله
حيث قال موسى عليه السلام لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا وجهدا **وقوله** عز وجل قال ارايت اذ
اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وفي حرف ابن مسعود ان اذكر له
قال الحسن لم يكن ينسيه ولكن تركه متعمدا مضيعا وانما اضاف الى الشيطان يقول ان الشيطان هو الذي
حتى تركت ذكر ذلك وكذلك تقول في قوله في قصة ادم فنسي اي ضيع امره وتركه ونحوه من المحال ولكن لا

يحتمل

يحتمل انه يجوز له ان يذكر له عمدا والشيطان مما يسعى بالخيلولة في مثل هذا في امر الدين وفي النعم اذا كثرت و
على انسان فينسى بالاساءة مثله **وقوله** عز وجل واتخذ سبيله في البحر عجبا قال بعضهم عجب موسى
من الفتى انه كيف نسي ان يذكره واحدا احتاج الى ان يحمل مؤنة عظيمة في حمله وقال بعضهم عجب موسى
منه حين حبس له الماء واثره فيه والله اعلم ثم ذكر موسى بخبر الحوت وما صنع فقال ذلك ما كنا نبغ اي نطلب
من حاجتنا من الظفر بذلك الرجل بقوله ذلك لفتاه ثم في الاية وجوه من الفوائد احدها ان يلزم الا تسليا
طلب العلم واقتباسه اذا كان بره وبالناس حاجة اليه وان بعدت الشقة ونات المواضع حيث قال
لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا وفيه ان لا باس للاثنين ان يسافرا ولا لكل واحد واثنين يكونا
شيطانين على ما ذكر في بعض الاخبار ان الواحد شيطان والاثنين شيطانا ولكن واحد دون واحد واثنين
دون اثنين وفيه انه لا يسافر الا بالزاد حيث تزود موسى والفتى الحوت التي ذكر حين خرجا الى موسى حيث
امر موسى ان يخرج الى مجمع البحرين فاما اهل التاويل فانهم قالوا جميعا انه امر موسى ان ياتي الخضر ليتعلم منه العلم ولكن
ليس في القران ذكر الخضر انما فيه ذكر عبد من عباده حيث قال فوجدا عبدا من عبادنا وفيه ان الثنيا انما تلزم في كل
فعل مستقبل مما يشك فيه ويرتاب فاما ما كان سبيل معرفته الوحي واليقين فانه لا يستثنى فيه حيث قال
موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا قال ذلك من غير ثنيا لانه عز وجل ان ياتيه ولا يحتمل
ان يامر بالاتيان في مكان ثم هو يبتلك انه لعله لا ياتيه لذلك قطع القول فيه وكذلك قول ذلك العبد الصالح
لموسى انك لن تستطيع معي صبرا قطع القول فيه من غير ثنيا لانه علم بالوحي انه لا يصبر على ما يرى منه واما موسى
فانه قد استثنى فيما وعد انه يصبر لانه اضاف الى حادث من الاوقات على الشك منه انه يصبر او لا يصبر وعلى الا
الارتياب ليس على اليقين فقال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا مما ذكرنا وفيه ان الرجل اذا اختلف
الى عالم يقتبس منه العلم ويتعلم منه فراى منه مناكير ومظالم يلزمه ان يفارقه ولا يتعلم منه العلم كصنيع موسى
بصاحبه لما راى من خرق السفينة وقتل الغلام وغيره مما كان منكرا وظلما في الظاهر وان كان ما فعل هو فعل
الامر كره موسى صحبته وندم على ذلك اشد الندامة حتى جعله على علم من ذلك كله فهكذا الواجب على الرجل
اذا راى مناكير من الذي ياخذ منه العلم ومظالم ان يفارقه ولا ياخذ من علم والله اعلم وفي قوله ستجدني ان
شاء الله صابرا دلالة ان الاختيار والمستحب في الثنيا ان يكون في ابتداء الكلام لان موسى ابتدا به وكذلك
قوله وانا ان شاء الله لمهتدون فاذا تركه في اول كلامه او نسي يستثني في اخره فيعمل عمله في دفع الحلف في
الوعد والكذب وعلى هذا تاول بعض الناس قوله واذكر ربك اذا نسيت اي استثن في اخره اذا نسيت في اول
كلامك والله اعلم ثم هذه القصص والانباء التي ذكرت لرسول الله على ان رسولا كان منهم على ما ذكرنا في قصة
اصحاب الكهف وغيرها من القصص او على غير سؤال ولكن كانت في كتبهم فذكر له ليعلم انه انما عرف ذلك
بالله تعالى ثم اختلف اهل التاويل في السبب الذي امر موسى على طلب العلم من عند ذلك الرجل
وبعثه عليه قال بعضهم وذلك ان موسى قام خطيبا في قومه فخطب خطبة لم يخطب قط مثلها
فاعجبه ذلك فوقع عنده ان ليس احد اعلم منه فاخبر ان في مجمع البحرين رجلا اعلم منك فامر بالمصير
اليه والتعلم منه وقال بعضهم لا ولكن موسى قد اعطي الشيء وفيها علوم كثيرة فظن انه ليس احد
اعلم منه فاخبر ان في مجمع البحرين عبدا من عبادنا اعلم منك فامر بالمصير اليه والتعلم منه فان كان على ما ذكر
اهل التاويل من السبب فيخرج الامر له بالمصير اليه والتعلم منه مخرج العقوبة له والعتاب لما خطر
بباله ووقع في وهمه ما وقع وجائز ان يكون الامر له بالمصير اليه والتعلم منه ابتداء محنة من الله تعالى اياه
بتعلم العلم من غير سبب كان موسى على ما يؤمر المرء بتعلم العلم ابتداء من غير سبب محنة من الله ليمتحنه بها لكن
نحو ما امر موسى بالمصير الى طور سيناء واعطاه هنالك التوراة في الالواح على غير سبب كان منه و
ابتداء محنة يمتحنه به فعلى ذلك يحتمل امره له بالمصير اليه ما امر والتعلم منه ابتداء محنة امتحنه بها وقول
اهل التاويل ان صاحب موسى الذي امر موسى بالمصير اليه والتعلم منه الخضر وفتاه الذي كان يصحبه
ويتبعه يوشع بن نون فذلك لا يعلم الا بالسمع والخبر عمن يوحى اليه فيعلمه بالوحي واما من اخبر ذلك
وقاله لا عن وحي فلا يعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انما الحاجة ما اودع فيه من انواع الحكمة
والعلوم واما ما ذكر ان فلانا وانه كان في موضع كذا في البحر وان موسى قال له كذا وهو قال لموسى كذا
فان سبيل معرفة ذلك السمع فان ثبت السمع فيه والا لم يجب ان يذكر فيه اكثر مما ذكر في الكتاب لان



الانبياء والقصص التي ذكرت في القرآن انما ذكرت لتكون آية لرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلو
قيل فيها ما لم يذكر في كتبهم من الزيادة والنقصان لكان ذلك سببا لاكذابه لا تصديقه على ما يدعي
من الرسالة وقوله عز وجل ما كنا ذلك اي فقد الحوت هو ما كنا نبغي اذ كان ذلك علما لوجود مكان
ذلك الرجل وقوله عز وجل فارتدا على آثارهما قصصا قال بعضهم اي رجعا عودهما على بدائهما
قال بعضهم اي رجعا يقصان طريقهما وآثارهما الذي مشيا فيه يطلبان المكان الذي فيه فقد
الحوت فيه اي ذلك المكان هو مكان علم وجود ذلك الرجل الذي امر موسى بالمصير اليه وقال بعضهم
اقتصا اثر الحوت في الماء لكن الاول اشبه لان في الآية ذكر آثارهما لا ذكر اثر الحوت وقوله عز وجل فوجدا
عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا يحتمل قوله رحمة من عندنا النبوة حيث قال لموسى انك لن
تستطيع معي صبرا لا يحتمل ان يكون له هذا الا على علم ووحي وحيث قال وما فعلته عن امري اخبر انه لم
ما فعل عن امر نفسه ولكن امر الله والله اعلم ويحتمل قوله رحمة من عندنا كل خير وكل بركة اعطاها الله اياه
او ان يكون رحمة القلب وشفقته التي كانت منه على اهل السفينة بخرقها وقتل ذلك الغلام الذي
قتله اشفاقا منه على والديه او على الناس واقامة الجدار التي كاد ان ينقض فاقامه وامثاله وقوله
عز وجل وعلمناه من لدنا علما هو ظاهر وقوله عز وجل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني في قوله
هل اتبعك دلالة انه كان على سفر ولم يكن مقيما في ذلك المكان ومن سئل من آخر علما فانه يتبعه حيث
يذهب هو في حوائجه لا يومر بالمقام حيث يقيم المتعلم لانه قال هل اتبعك على ان تعلمني وقوله عز وجل
مما علمت رشدا اي ما علمت او تعلمني مما علمت من الرشد والصواب وقوله عز وجل انك لن تستطيع معي
صبرا بما ترى مني من الامور ما يخرج في الظاهر مخرج المناكير وتقول انك نبي ورسول والرسول اذا راى
منكرا في الظاهر لا يسع ترك الانكار عليه والتغيير وانت لا تصبر على ما ترى مني لما لم تعرف شبهة الامر الا انه
وسع له الانكار عليه والتغيير حيث قال له وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي ما لم تعلم علما والله اعلم وقوله
عز وجل قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا يحتمل ان الثنيا منه على امر الدين جميعا على
الصبر الذي وعد وعلى قوله ولا اعصي لك امرا ويشبه ان يكون على وعد الصبر خاصة دون قوله ولا اعصي
لك امرا عهد منه والثنيا لا يستعمل في العهود واما قوله ستجدني ان شاء الله صابرا انما هو فعل اضافه
الى نفسه فلا بد من ان يستثنى فيه وقوله عز وجل فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء مما تنكره نفسك
وتكرهه حتى احدث لك منه ذكرا انه لماذا فعلت ما فعلت وقوله عز وجل فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة
خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها هذا الكلام يخرج على وجهين يخرج على الانكار عليه اي اخرقتها لتغرق
اهلها او للتسفيه او لماذا او ظاهر هذا الحرف استفهام لولا قوله لقد جئت شيئا امرا فان كان على الاول
على الانكار عليه والرد فقوله لقد جئت شيئا امرا ظاهرا اي جئت شيئا عظيما شديدا وان كان على الاستفهام
فهو على الاضمار كانه قال اخرقتها لتغرق اهلها فلئن خرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اي عظيما شديدا
وان كان التاويل على الانكار فهو كما يقال لمن يبني بناء ثم يترك الانفاق عليه في عمارته بنيت لتخرب او لتهدم وكما يقال
لمن زرع زرعا ثم ترك سقيه زرعت لتفسده وتعطله وان كان لم يبن لذلك ولم يزرع كما ذكر ولكن لما كان ذلك
يصير في العاقبة اذا ترك سقيه او عمارة ما بنى فان قيل كيف قال له موسى اخرقتها لتغرق اهلها ولم
يعلم ان ذلك الخرق مغرق اهلها وقد يجوز ان يكون غير مغرق قيل انما اخبر عما يؤل الامر في العاقبة والكائن
من الخرق ان يغرق في الآخرة وهو كما ذكرنا من امر البناء والزرع بنيت لتخرب وزرعت لتفسد وان لم يكن
بناؤه وزراعته لذلك فعلى ذلك قول موسى لصاحبه والله اعلم وقوله عز وجل الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا هذه الآية على المعتزلة لانه قال له انك لن تستطيع معي صبرا ولو انه كان يحتاج الى استطاعة تتقدم
الفعل لا تستقيم الفعل فيكون بها الفعل والا لكانت له اسباب لو لم يوجد غيره لما استطاع الصبر معه
دل ان استطاعة الفعل تقارنه وقال الحسن انما يقال هذا للاستثقال كما يقول الرجل لآخر لا استطيع ان
انظر اليك بغضا وهونا وهو ناظر اليه لكن يقال ذلك على الاستثقال والبغض ليس على حقيقة نفي الا
ستطاعة فعلى ذلك الاول فيقال له هو كما يقال لا استطيع ان انظر اليك نظر الرحمة فهو وان كان ناظرا
اليه نظر رحمة وشفقة فهما سواء وهو ما نقول له والله اعلم وقوله عز وجل لا تؤاخذني بما نسيت
يحتمل هذا الكلام وجوها احدها على التعريض من الكلام اي لا تؤاخذني بما نسيت كقول ابراهيم حيث

قال فنظر

قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم اي ساسقم والثاني على حقيقة النسيان نسي قوله فلا تسألني
عن شيء بعدها لما راى على المناكير في الظاهر وهكذا كانت عادة الانبياء انهم اذا راوا منكرا لا يملكون انفسهم
حتى وغضبا على ما راوا فلا ينكران يكون نسي ما قال له وقال بعضهم على التضييع والترك فهو يخرج على الاول
والله اعلم وقوله عز وجل ولا ترهقني من امري عسرا قال بعضهم لا تكلفني من امر ما يعسر علي وقال
بعضهم الارهاق هو الشدة والتعب وقال بعضهم ولا ترهقني اي لا تغشني عسرا وقوله عز وجل فا
نطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس يحتمل هذا الكلام ايضا وجهين
على الانكار والرد عليه والثاني على الاستفهام والسؤال على ما ذكرنا في الاول اقتلت نفسا زكية بغير نفس او
بحق او لماذا وعلى الانكار والرد على ما راى في الظاهر قتل نفسا ولم يعرف الوجه الذي به يجب القتل وقوله
عز وجل لقد جئت شيئا نكرا هو على ما ذكرنا على الانكار ظاهر وعلى الاستفهام والسؤال على الاضمار اقتلت
نفسا زكية بغير نفس فلئن فعلت لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا ثم اختلف في قوله نكرا قال بعضهم
نكرا اكبر من قوله امرا لان فيه مباشرة القتل واهلاك النفس بغير نفس فهو اكبر وليس في نفس الخرق قتل
اهلاك وانما هو سبب الاهلاك وقد يجوز ان يهلك وقال بعضهم قوله امرا اكبر من قوله نكرا لان فيه اهلاك
جماعة وههنا اهلاك واحدة فهو دون الاول والله اعلم وقوله عز وجل الم اقل لك انك لن تستطيع معي
صبرا ما ذكرنا في الاول وقوله عز وجل قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا
في ترك المصاحبة عذرا لما قلت لي انك لن تستطيع معي صبرا ولم اصبر وقوله عز وجل فانطلقا حتى اتيا اهل
قرية سمى قرية وهي كانت مدينة الا ترى انه قال في آخره واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة دل
انها كانت مدينة والعرب قد تسمي المدينة قرية وقوله عز وجل استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا
فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال الحسن كان ذلك الجدار كهيئة عند الناظر انه سيسقط وقال ابو بكر
الاصم يريد ان ينقض الارادة صفته كل فاعل له حقيقة الفعل او ليس له حقيقة الفعل بعد ان يضاف
اليه الفعل الا ترى انه يقال الجدار سقط وان كان في الحقيقة يسقط وعندنا انه انما يقال ذلك لقرب الحال
وعند الاشراف على الهلاك والسقوط الا ترى ان الرجل يقول ان اردت ان اموت واردت ان اهلك ما
اردت ان اسقط وهو لا يريد الموت ولا السقوط ولكنه يذكر ذلك لاشرافه على الهلاك اليه ليس على
ارادة الفعل ذلك قوله يريد ان ينقض فاقامه اي شرف وقرب على حال السقوط والله اعلم وقوله عز وجل
قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا هذا القول من موسى يحتمل وجهين احدهما قال لو شئت لاتخذت عليه
اجرا السند فتصاحبه الى الطعام لئلا يقع لهما حاجة الى اهل تلك البلدة اذ قد وقع لهما اليوم حاجة حيث
قال استطعما من اهلها مرة فلم يطعموهما فاراد ان ياخذ على ذلك اجرا لئلا يقع لهما حاجة اليهم ثانيا و
يقال له ذلك لما لم ير اهل تلك البلدة اهلا لينفع اليهم المعروف لما راى فيهم من البخل والضنة في الطعام
حيث استطعما هم فلم يطعموهما بخلا منهم وضنة والله اعلم وذكر في بعض القصة ان الجدار الذي اقام
صاحب موسى كان طوله خمسمائة ذراع وقامته مائتي ذراع وعرضه اربعين ذراعا وبحركته طريق [illegible]
لكن لا حاجة لنا الى معرفة ذلك انما الحاجة الى ما فيه من انواع الحكمة والفوائد وقوله عز وجل قال هذا
فراق بيني وبينك سأنبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اي سانبئك بما لم تستطع عليه صبرا اي سانبئك
بيان ما قلت لك انك لن تستطيع معي صبرا ثم بين وفسر له فقال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في
البحر فاردت ان اعيبها اي اجعلها معيبة قوله وكان وراءهم ملك ذكر في بعض الحروف وكان امامهم
ملك ياخذ كل سفينة غصبا فعلى ذلك التاويل فيه فاردت ان اعيبها اي اجعلها معيبة لئلا ياخذها
ذلك الملك غصبا انه كان لا ياخذ الا سفينة صالحة صحيحة والله اعلم وقوله عز وجل واما الغلام فكان
ابواه مؤمنين اختلف في سن ذلك الغلام قال بعضهم كان ذلك الغلام كبيرا بالغا والعرب قد تسمي
الرجل البالغ الذي لم يبلغ بعد او لم يستوعبه غلاما لقربه بوقت البلوغ ولذلك قال له موسى اقتلت نفسا
زكية بغير نفس والصغير مما لا يقتل اذا قتل نفسا بغير حق فلو كان صغيرا لم يكن لقول موسى اقتلت نفسا
زكية بغير نفس وهو كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان ايمانكم تحقن دماءكم اي ايمانكم
تحقن دماءكم اذا ظهر منهم الدم وكقوله لولا ايمان لكان لي ولها شان اذا ظهر منها الزنا فعلى ذلك قوله
اقتلت نفسا زكية بغير نفس لو كانت محتملة القتل بالنفس والله اعلم ثم اختلف في سبب قتل ذلك الغلام

قال بعضهم ذكر ان قتله لكونه كان كافرا وكذلك ذكر في حرف ابي بن كعب واما الغلام فكان كافرا الا ترى انه قال
فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا دل هذا انه كان بالغا كافرا اذ لو لم يكن كافرا لم يلحق والديه منه الطغيان والكفر
وقال بعضهم انما قتله لانه كان لصا قاطع الطريق على الناس ويأخذ اموالهم وعلى قول من يقول انه كان صغيرا
قتله لانه علم انه لو بلغ كان كافرا والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك السبب الذي قتله حاجة ولا
انه كان صغيرا او كبيرا لانه اخبر انه انما قتله بامر الله لا من تلقاء نفسه حيث قال وما فعلته عن امري
ولكن انما فعلته بامر الله ولله ان يأمر عبدا من عباده بقتل الصغير على ما له ان يميته وعلى ما يأمر ملك الموت
بقبض ارواح الخلق فعلى ذلك له ان يميته على يدي اخر وان يقبض روحه اذ له الخلق والامر **وقوله** عز وجل
فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ليس هو الخوف ولكن العلم اي علمنا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وكذلك
ذكر في حرف ابي فان قيل كيف احتج على قتله واهلاكه بما علم انه يلحق ابويه منه الطغيان والكفر وقد ترك
ابليس وجنوده يعيشون الى اخر الدهر وقد علم منه انهم يحملون الناس على الطغيان والكفر ويرهقونهم
انواع المعاصي والفواحش وكذلك هؤلاء الظلمة لا يكون منهم الاكثر وجور على الناس من تركهم على
علم منه بما يكون منهم فما معنى الاحتجاج في قتله واهلاكه بما ذكر من ارهاق الطغيان والكفر بالوالدين
قيل لهذا جوابان احدهما ان الله عز وجل قد يمتحن البشر بمعان وعلل واشياء يمتحنهم تلك المعاني والاشياء
على الرغبة والحث فيما امتحنهم وان كان له الامتحان لا على تلك المعاني ولعلل نحو ما امتحنهم بانواع العبادات
والطاعات بثواب وجزاء ذكر لهم فيها لو فعلوا وان كان له الامتحان بذلك على غير ثواب ولا جزاء وكذلك
العقوبات وغير ذلك من المحن فعلى ذلك الاول والثاني ذكر هذا ليطيب به انفسهم احسانا منه
اليهم وانعاما عليهم اذ له ان يميتهم صغارا وكبارا وعلى ذلك يخرج قوله ولو بسط الرزق لعباده الاية وقد
وسع على كثير من الخلق وكذلك قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية وقد جعل الكثير من الخلق ذلك
لكن هذا لما له ان يفعل ذلك الكل فمن لم يفعل ذلك له انما لم يفعل احسانا منه وافضالا فعلى ذلك الاول انما
ذكر ما ذكر احسانا منه وافضالا والله اعلم **وقوله** عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة
واقرب رحما قال بعضهم خيرا منه زكوة اي صلاحا واقرب رحما اي اوصل رحما وابر لوالديه وقال
بعضهم خيرا منه زكوة اي عملا واقرب رحما اي احسن منه برا لوالديه قال ابو عوسجة رحما من
الرحم والقرابة وقال القتبي رحما اي رحمة وعطفا وزكاة انهما قد اعطيا خيرا منه اي خيرا من المقتول
والله اعلم **وقوله** عز وجل واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما اختلف
في ذلك الكنز قال بعضهم كان ذلك الكنز مالا كنزه ابوهما قال ابن عباس رضي الله عنه حفظ
لصلاح ابيهما وما ذكر منهما صلاحا وقال بعضهم كان ذلك الكنز صحفا فيها علم قال ابو بكر الاصم
لا يحتمل ان يكون علما لان العلم مما يعلمه العلماء ويشترك الناس فيه فلا يحتمل ان يحفظ ذلك
لهما دون الناس فان ثبت وحفظ ما روي في الخبر فهو مال وعلم وروي عن ابن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان تحت الجدار الذي قال الله في كتابه وكان تحته كنز لهما لوح من ذهب
فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف
يحزن وعجبت لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها محمد رسول الله فان حفظ هذا من
رسول الله ففيه مال وعلم لان اللوح من الذهب مما يكنز ويعظم قدره وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة
والله اعلم **وقوله** عز وجل فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك اي نعمة من
ربك واحسانا عليهما اذ كان له ان لا يحفظ ذلك لهما ولا يوصله اليهما على ما لم يحفظ لكثير من اليتامى
والمساكين شيئا من ذلك لكن ذلك منه اليهما فضل وانعام ورحمة عليهما والله اعلم **وقوله** عز وجل
وما فعلته عن امري هو ما ذكرنا انه اخبر عن امر الله فعل ما فعل لا عن امر نفسه **وقوله** عز وجل ذلك تاويل
ما لم تستطع عليه صبرا اي تاويل ما قلت لك في بدء الامر انك لن تستطيع معي صبرا ثم لا يحتمل ان يكون
موسى حيث امر بالذهاب الى ذلك الرجل والاتباع له والصحبة معه ليتعلم منه العلم فلم يستفد منه
الا علم ما انكر عليه وسبب حل ذلك له اذ كان ذلك بانكار ما انكر عليه من الافعال التي هي في الظاهر منكرة
لكن جائز ان يكون استفاد منه علوما كثيرة سوى ذلك لكنه لم يذكر لنا والله اعلم وقول اهل التاويل اسم
الغلامين اليتيمين صاحبي الجدار اصرم وصريم ولا ادري ما الاحاجة بنا الى ذلك وقولهم كان صاحب

موسى خضرا ولذا ما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت فذلك ايضا مما لا يعلم الا بالخبر
عن الوحي ومن السماء فلا نقول فيه الا قدر ما ذكر في الكتاب فانه يخرج ذكره مخرج الشهادة على الله من
غير حصول النفع لنا في ذلك محمل او غيره وليس في الكتاب الا ذكر عبد من عبادنا وذكر الغلامين وذكر الفتى
وذكر غلامين يتيمين في المدينة وامثاله بقال ما فيه ولا نزاد على ذلك مخافة الشهادة على الله بالكذب
والله اعلم **وقوله** عز وجل ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا في الاية دلالة ان الاية
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يسأل هو عن خبر ذي القرنين لانه قال يسألونك ولم يقل
سألوك والخبر الذي روي عن عقبة بن عامر الجهني يدل على ذلك ايضا لانه روي ان نفرا من اهل الكتاب جاؤوا
بالصحف والكتب فقالوا الي استأذن لنا على رسول الله لندخل عليه فانصرفت اليه فاخبرته بمكانهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي ولهم يسألون عما لا اعلم انما انا عبد لا علم لي الا ما علمني ربي ثم
قال ابلغني وضوءا اتوضأ به فتوضأ ثم قام الى مسجد في بيته فركع فيه ركعتين فلما انصرف حتى بدا الى السرور
في وجهه ثم قال لي اذهب فادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي فلما دخلهم فلما رأهم النبي قال لهم
ان شئتم اخبرتكم كما تجدونه في كتابكم فهذا ان ثبت يدل انه نزل عليه نبأ ذي القرنين وخبره قبل ان يسألوا واما
اهل التاويل قالوا جميعا انه سئل قبل ان ينزل عليه خبره ثم نزل من بعد السؤال والله اعلم ثم اختلف فيه
قال الحسن كان نبيا ودليله ما قال قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال هذا القول
من الله اياه فيما ذكر ولا يدل لي الحكم الا من كان نبيا واما علي بن ابي طالب رضي الله عنه فانه سئل عن ذلك
كان نبيا او ملكا فقال لا واحد منهما وقال غير هؤلاء انه كان ملكا يدل على ذلك الخبر الذي روي عقبة
بن عامر الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن خبره ونبائه قال فقال رسول الله كان غلاما
من الروم اعطي ملكا فسار حتى بلغ كذا على ما ذكر في الخبر والاشبه ان يكون انه كان ملكا الا ترى انه قال
انا مكنا له في الارض اي مكنا له الارض جملة ذكر تمكين الارض له جملة يصنع فيها ما يشاء لم يخص له ناحية
منها دون ناحية وليس كقوله او لم نمكن لهم حرما امنا الاية وكقوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه
ههنا خص مكانا لهم دون مكان واما في ذي القرنين ذكر التمكين له في الارض لم يخص ناحية منها دون
ناحية فهو ان ملكه ومكن الارض كلها وقول الحسن انه حكم وولي له الحكم فهذا لا يدل انه كان نبيا لان
الملوك هم الذين كانوا يتولون الجهاد والغزو في ذلك الزمان الا ترى الى قوله ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل
الله ان الملوك هم الذين يتولون الجهاد والغزو والقتال في ذلك مع العدو فعلى ذلك هذا وقوله اما من
ظلم فسوف نعذبه واما من امن كذا يحتمل هذا منه الهاما من الله تعالى او تعليم النبي الملك الذي كان فيه او كان
معه نبي فاخبره بذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل واتيناه من كل شيء سببا اختلف في ذلك قال بعضهم
علم المنازل ان منازل الارض ومعالمها واثارها وقال العلم والقوة وقال بعضهم اعطاه السبب الذي
به صلاح ما مكن له وملك له مما يقع له الحاجة اليه وقال بعضهم ذلك السبب كان انعاما كان عليها
يحمل الخشب فيتخذ منه سفينة ان استقبله بحر فيصير بها ثم ينقضها ويحمل الخشب على الانعام ويصير
البر على الدواب فذلك السبب الذي ذكر واصله انه ذكر انه اتاه السبب الذي به صلاح ما مكن له وملك
عليه ولم يبين ما ذلك السبب فلا ندري ما اراد بذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل حتى اذا بلغ مغرب
الشمس وجدها تغرب في عين حمئة كانه اراد وطلب ان يعرف انها اين تغرب حيث قال وجدها تغرب
في عين حمئة وفيه لغتان حامئة وحمئة قال الواهبي قرأها حامية اراد في عين حارة ومن قرأ حمئة مهموز
يريد الف اراد الحماة وهي الطينة السوداء والله اعلم بذلك **وقوله** عز وجل ووجد عندها قوما قال بعضهم
كانوا كفارا ومؤمنين الفريقان جميعا فقال في الكفار اما ان تعذب وهو القتل وقال في المؤمنين واما
ان تتخذ فيهم حسنا ليس على التخيير ولكن على الحكم في كل فريق على حدة وقال بعضهم كانوا كلهم كفارا فيكون
تاويل قوله اما ان تعذب اذا لم يجيبوك واما ان تتخذ فيهم حسنا اذا اجابوك وامنوا بالله **وقوله** عز وجل
قال اما من ظلم فسوف نعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى هذا الحكم بذلك بتعليم
نبي وملك كان معه او حكم بذلك لما كان عرف ان سنة الله في الكفار القتل والاهلاك وفي المؤمنين الترك
والاحسان او الهم الهاما بذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل وسنقول له من امرنا يسرا قال بعضهم الحسن
يسرا اي معروفا وقال بعضهم يسرا اي معروفا وقال بعضهم اليسر هو اسم كالخير والبركة والله اعلم بذلك

عز وجل ثم اتبع سببا اى بلاغا لحاجته وقال غيره ما ذكرنا من السبب الذى به ملك طريق المغرب والمشرق
وبه بلغ ما بلغ والله اعلم ثم اختلفوا فيما سمى ذو القرنين قال بعضهم سمى ذو القرنين لانه دعا قومه
الى توحيد الله والايمان به فضربوه على قرنه الايمن ثم غاب ما شاء الله وفى بعض الاخبار مات ثم احيى
ثم دعاهم ثانيا فضربوه على قرنه الايسر فبقى عليه لذلك اثر فسمى لذلك ذا القرنين لان كان له قرنا كقرن
الثور وقال بعضهم سمى ذا القرنين لانه كان له ذوابتان اعنى ضفيرتان وقال بعضهم سمى ذا القرنين
لانه بلغ قرنى الشمس مغربها ومطلعها وقال بعضهم سمى ذا القرنين لانه عاش حيوة قرنين والله اعلم
بذلك وليس لنا الى معرفته حاجة وقوله عز وجل حتى اذا بلغ مطلع الشمس بالسبب الذى ذكر
انه اعطاه كما بلغ مغرب الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال الحسن ان تلك
الارض لمبد ولمنبع لا شجر ولا سكن لا يحتمل البناء الحجر فاذا اطلعت الشمس عليهم لم يكن لهم بناء ولا سقف
تغوروا فى البحار فاذا ارتفعت عنهم خرجوا وقال ابن عباس ان الشمس اذا طلعت كانت حرارتها اشد
عند طلوعها من غروبها فتحرق كل شئ حتى لا يبقى لهم ثوب ولا بناء ولا خشب ولا غيره الا احرقته
عز وجل كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا اختلف فى قوله كذلك قال بعضهم قوله كذلك اى كذلك الخبر
رسول الله من بناء ذى القرنين وخبره على ما كان وكان بعضهم لذلك اعطيناه من السبب حتى بلغ مطلع
الشمس كما بلغ مغربها بالسبب الذى ذكر وقال بعضهم كذلك قيل له فى المطلع من قوله اما ان تعذب
واما ان تتخذ فيهم حسنا كما قيل له فى المغرب والله اعلم وقوله عز وجل وقد احطنا بما لديه خبرا قال بعضهم
صلة قوله قل سأتلو عليكم منه ذكرا وقد احطنا بما لديه خبرا اى من علم سأتلو عليكم وقال بعضهم هو
على الابتداء ليس على الربط والصلة على الاول اى قد احطنا علما بما لديه ثم اتبع سببا ما ذكرنا فى بلوغه مغرب الشمس
ومطلعها اى اعطيناه من السبب حتى بلغ بين السدين فى بعض القراءات السدين بالنصب فان كان بين
اللغتين فرق فيشبه ان يكون السدان بالرفع الجبلين اللذين كانا هنالك والسدين بالنصب هو بناء
ذى القرنين وان لم يحتمل الفرق فهو ما بناهما ومكانا فى الخلقة ثم اختلف فى ذلك السد قال بعضهم هو المنفذ
الذى كان محيطا بارض يدخل فيه يأجوج ومأجوج الى هذه الارض فسد ذو القرنين ذلك المنفذ وقال
بعضهم قالا لا ولكن كانا جبلين احدهما سترا بين يأجوج والثانى بين مأجوج فسد ذلك والله اعلم كيف
كان وقوله عز وجل من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قال الحسن كانوا لا يفقهون ما به صلاح
معاشهم وما به معاشهم ولكن كانوا لا يفقهون الهدى من الضلال والخير من الشر ونحوه وقال بعضهم
لا يفقهون قولا من غير كلامهم ولسانهم ولكن يفقهون بلسانهم وكلامهم وذو القرنين كان يعرف
الالسن كلها ففقههم وفقه هو منهم حيث قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض
فهل نجعل لك خرجا اى جعلا اجرا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقال هو ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى
بقوة فهم ذو القرنين منهم وفهموا ايضا منه ما ذكرنا فدل ذلك انهم كانوا يفقهون بلسانه غير
وفى الاية دلالة انهم كانوا لا يفقهون شيئا وقليلا من العقول وان كانوا لا يفقهون كثيرا لانه يقول
لا يكادون يفقهون فهو يتكلم على العرف لا على النفى رأسا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا يا ذا القرنين
ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا جعلا واجرا على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا قال ما مكنى فيه ربى خير على تأويل الحسن يكون قوله ما مكنى فيه ربى من النبوة خير لانه يقول انه
كان نبيا حيث قال له انا مكنا له فى الارض الاية وعلى قول غيره يكون ما مكنى فيه ربى من الملك والسبب
اعطانى وابلغ به مغرب الشمس ومطلعها خير مما تذكرونه وقوله عز وجل فاعينونى بقوة اى بما تقوون
به اجعل بينكم وبينهم ردما اى سدا وقوله عز وجل آتونى زبر الحديد اى قطع الحديد وقال بعضهم
ان الحديد كان الين لهم واطوع من الصفر والقطر ولكن لا يعلم ذلك الا بالسمع وقوله عز وجل حتى اذا
ساوى بين الصدفين اى بلغ ذلك السد راس الصدفين وهما جبلان وسوى بهما والله اعلم وقوله
عز وجل حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى افرغ عليه قطرا اى اصب
عليه قطرا قيل نحاسا وقيل رصاصا ذكر انه كان يبسط الحديد صفا ثم يبسط الحطب فوقه صفا ثم حديدا
فوق الحطب حتى بلغ راس الجبلين وسوى بهما على هذا السبيل ثم اذيب القطر فصب فيه فجعل القطر
يحرق الحطب ويذهب الحديد حتى دخل القطر مكان الحطب وصار مكانه فالتزق القطر بالحديد على هذا

ذكرنا

ذكر انه جعل ذلك السد وقال الحسن كان القطر له كالملاط لنا والله اعلم وقوله عز وجل فما استطاعوا ان يظهروه
اى يعلوه يعنى على ذلك السد وما استطاعوا له نقبا فى اسفله ولا نزيد على المذكور فى الكتاب فى هذه الانباء
والقصص خوفا الشهادة على الله والكذب عليه ولكن نذكر مقدار ما ذكر فى الكتاب لا نزيد على ذلك وفى
الكتاب القدر الذى ذكرنا والله اعلم قال القتبى يقال للجبل السد زبر قطع والقطر النحاس وقوله
عز وجل ان يظهروه اى يعلوه يقال ظهر فلان السطح اذا علاه وكذلك قال ابو عوسجة وقال السدين
ناحيتى الجبل والردم السد الصدفين هو مثل السدين افرغ عليه قطرا اى اصب عليه نحاسا وقوله عز وجل
قال هذا رحمة من ربى يحتمل ان السد الذى بنى وجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج فذلك منه رحمة اى
برحمته كانت تلك الحيلولة او كان ذلك منه نعمة من الله والرحمة هى النعمة اى هذا السد بينكم وبينهم
نعمة من ربى عليكم ثم فيه وجهان احدهما ذكر ان ذلك كان برحمة من الله اذ افرغ منه وقد كان فى الابتداء
حين سألوه ان يجعل لهم السد اضاف الى نفسه حيث قال فاعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما
فدل ذلك ان ما فعل برحمة منه وفضل وان له فى ذلك صنعا والثانى ان فيه ان له ان يفعل بالخلق ما ليس
هو اصلح لهم فى الدين لانه لا يخلو اما ان كان الاول لهم اصلح فى الدين ثم فعل الثانى فلا يكون اصلح لهم فى الدين
وان كان اصلح لهم فى الدين ثم فعل الثانى وان كان اصلح لهم فى الدين والثانى فالاول لم يكن ثم ذكر ان ذلك
رحمة منه وقوله عز وجل فاذا جاء وعد ربى اى فاذا جاء الذى به كان وعد ربى وهو الموعود لان الوعد
لا يجئ لكنه قال موعد ربى وهو خروج يأجوج ومأجوج او فتح ذلك السد جعله دكاء كسرا وهدما
على ما ذكر فجعله دكاء اى هدمه وسواه بالارض وقال القتبى جعله دكاء الصقه بالارض يموج فى بعض
اى يجول بعضهم فى بعض وقوله عز وجل وكان وعد ربى حقا هذا وعد ولا موعود وقوله عز وجل
وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض اى يجول بعضهم فى بعض عند السد الذى بناه ذو القرنين يموج
عنده فى فتح ذلك السد او يذكر هذا لكثرتهم وازدحامهم والله اعلم وقوله عز وجل ونفخ فى الصور
فجمعناهم جمعا ظاهره على الماضى والمراد منه المستقبل اى ننفخ فى الصور فنجمعهم جمعا ومثل هذا
كثير فى القرآن يذكر الماضى بحرف المستقبل والمستقبل بحرف الماضى وقوله عز وجل وعرضنا جهنم
يومئذ للكافرين عرضا يحتمل ان يكون عرضها عليهم قبل ان يدخلوا فيها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين
ويشبه ان يكون العرض كناية عن التعذيب بها بعد ما ادخلوا فيها كقوله النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا وقوله عز وجل كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى قد ذكرنا فيما تقدم فى غير موضع ان ظلمة
الكفر تستر وتحجب نور القلب ونور كل حاسة من حواسه من السمع والبصر والفؤاد ونحوه اذ لكل
حاسة من هذه الحواس نور وضياء فى سريتها لا تبصر ولا تسمع الحق والحجة الا بنور فجميعا نور
الظاهر ونور السرية والباطن فالكفر يستر ويغطى ذلك النور فيجعل لا يبصر الحق ولا ينظر العبر
ولا يتفكر ولا يتجلى له الحق بنور الظاهر والايمان نور وضياء يبصر به ويسمع ويرفع له غطاء كل شئ حتى يتجلى
له الحق ويعرف به حسن كل حسن وقبح كل قبيح فهو كما يرى الانسان الشئ بنور بصره وبنور الهواء فاذا
ذهب احدهما صار بحيث لا يبصر ولا يرى شيئا فعلى ذلك انما يعرف الشئ ويظهر له حقيقته بنورين
بنور القلب وبنور الحواس فان اغطى ظلمة الكفر نور القلب صار لا يبصر شيئا ولا العبر ولا يسمع ولا
ينطق بالحق ونور الايمان بنور ذلك ويغطى فيجعل يبصر كل شئ ويتجلى له الحق من الباطل وعرفوا الآيات من الحجج
والله اعلم وقوله عز وجل كانوا لا يستطيعون سمعا فيه وجهان من الدلالة احدهما انه نفى عنهم استطاعة
السمع وقد كان لهم السمع فدل ان الاستطاعة التى هى استطاعة الفعل تقارن الفعل لا تتقدم ولا
تتأخر حيث قال وكانوا لا يستطيعون سمعا وكذلك قول صاحب موسى حيث قال له انك لن تستطيع معى
صبرا فى مواضع فدل ما نفى منه الفعل انما يقارن الفعل لا يحتمل التقدم والتأخر والثانى فيه دلالة ان
هنالك استطاعة هم يستفيدون بها وعد الله ويستوجبون به فضيعوها باشتغالهم الى غيرها حيث
عوتبوا واستوجبوا ذلك العتاب والتوبيخ بالتضييع الذى كان منهم فلو لم يكن للعتاب والتوبيخ الذى
معنى قال قوم انما نفى عنهم ذلك للاشتغال الذى كان منهم وقد يقال مثله على المجاز للاشتغال
دون الحقيقة يقول الرجل لآخر ما استطيع ان انظر اليك لكذا وهو ناظر اليه لكن قد ذكرنا انه على
الذى قال لا استطيع انظر اليك وهو ناظر اليه غير مستطيع انظر اليه وهو نظر رحمة وشفقة

بعضهم هو على الطبع وهو قول الحسن وقال بعضهم انما نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به كما نفى عنهم السمع
والبصر والنطق لما لم ينتفعوا به ليس على انهم لم يكن لهم تلك الحواس فعلى ذلك ما نفى عنهم من الاستطاعة
لما لم ينتفعوا بها ليس على انها ليست هكذا نفى عنهم ذلك لما عموا وصموا من ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء قال بعضهم افحسب الذين عبدوا في الدنيا
الملائكة والرسل واتخذوهم من دونه اولياء ان يكونوا لهم اولياء في الاخرة ويتولون شفاعتهم يشفعون
لهم وينصرون كلا ان يصيروا لهم اولياء كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى والثاني افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي المخلصين من دوني اولياء ويتولونهم اي لا
يقدرون على ان يتخذوا اولياء من دوني وقد كانوا يدعون المؤمنين الى دينهم وتولي لهم وهو ما قال انه
ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والثالث افحسب الذين
كفروا ان ما عبدوا واتخذوا من دوني اولياء اني امرتهم بذلك او اذنت لهم حيث قالوا والله امرنا بها
ونحوه كلا انه امرهم بذلك او اذن لهم في ذلك ومن قرأ افحسب على الجزم فهو على اسقاط الف الاستفهام
بمعنى فحسب الذين كفروا فهو يخرج على وجوه ثلاثة احدها فحسب الذين كفروا واتخذوا عبادي من دوني
اولياء ما عندنا لهم من جهنم كقوله حسبهم جهنم يصلونها الاية والثاني حسب الذين كفروا واتخذوا
من دوني اولياء اي اماكنهم ذلك وما حان ان يرجعوا الى عبادتي والوهيتي قد اقمت لهم الايات والحجج
على ذلك والثالث حسب لهم من النزل ما اتخذوا من دوني اولياء وقوله عز وجل انا اعتدنا جهنم
للكافرين نزلا قال بعضهم نزلا هو النزول وهو من انزل وقال بعضهم هو من المنزل والانزال اي يكونون
فيها النار فيكون مأواهم ومثويهم من النار قال القتبي النزل ما يقدم للضيف ولاهل العسكر وقوله
عز وجل قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا يشبه ان يكون هذا خرج على
مقابلة قول كان من رؤساء الكفرة وجواب لهم وهو ان الرؤساء منهم كانوا يوسعون الدنيا على بعض
اتباعهم ويحسنون اليهم ثم صاروا اتباع الاتباع اتباعا لرسول الله ودخلوا في دينه فضاقت عليهم
الدنيا وذهب المنافع التي كانت لهم منهم فعيرهم بذلك اولئك الكفرة وتجراعى ما المختار وامن
الذين انه لو كان حقا لاتسع عليهم الدنيا كما اتسع علينا وعليهم ما داموا من ديننا وكلام نحو هذا فاخبر
الله بذلك فقال قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاية ويحتمل ان يكون على الابتداء في اهل الصوامع منهم
والرهبان الذين اعتزلوا النساء وحبسوا انفسهم لعبادة الاصنام والاوثان وجهدوا فيها وحملوا
على انفسهم وشدائد والمشقة فاخبر عز وجل ان هؤلاء احسن اعمالا واضلهم سعيا من الذين طلبوا
الدنيا والرياسة فيها ولم يفعلوا ما فعل هؤلاء وان كانوا في الكفر سواء والاخسر هو الوصف والخبر ان
النهاية والغاية وجائز ان يستعمل افعل في موضع فعل هذا في اللغة غير ممتنع فيكون تاويله قل
هل ننبئكم بالخاسرين اعمالا كقوله الله اكبر اي كبيرا وقوله عز وجل الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
يحتمل وجهين احدهما ضل اي ذلوا العبادتهم التي عبدوا تلك الاوثان والاصنام وخذلوا انفسهم بذلك
وعلى ذلك يخرج قوله اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اذلوا انفسهم في الدنيا بعبادتهم الاصنام
والثاني ضل سعيهم الذي سعوا في الدنيا بعبادتهم الاصنام في الاخرة لانهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحوه فضل ما املوا في الاخرة بسعيهم في الدنيا والاخرة والله اعلم
وقوله عز وجل وهم يحسبون بعبادتهم الاصنام التي عبدوها انهم يحسنون بما ان شفعوا لهم اولئك هو
ورسعوا انهم يحسنون صنعا اي خيرا او صوابا وفي اي ليس لهم ذلك بصنيع الاخير وفيه دلالة انهم
يواخذون بفعلهم الذي فعلوا وان جهلوا الحق وهكذا قولنا ان من فعل فعلا وهو جاهل فانه يواخذ به
بعد ان يكون له سبيل الوصول الى الحق بالطلب والتعلم حيث قال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
ثم اخبر عنهم فقال اولئك الذين كفروا بايات ربهم وحججه وبراهينه وقال الحسن دينه وقد ذكرنا
ذلك في غير موضع وقوله عز وجل ولقائه البعث او المصير اليه وهو مذكور ابدا وقوله عز وجل فحبطت
اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا اي لا نقيم لهم وزنا وهو ما قال عز وجل فما ربحت تجارتهم
فان لم تربح لهم خسرت عليهم وقوله عز وجل ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين
يضلونهم هذا يدل ان قوله لا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قد يقام عليهم الوزن ثم اخبر عز وجل عن

جزاؤهم

جزاؤهم فقال ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ثم ذكر للمؤمنين من الثواب
والجزاء باعمالهم التي كانوا عملوها في الدنيا واختاروا فيها مقابل ما ذكر للكفرة فقال ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات الفردوس نزلا وكان الجنات التي وعد المؤمنين اربع النعيم وجنات
المأوى وجنات عدن وجنات الفردوس ثم كان في كل واحدة منها اعني الجنان فيها معنى الاخرى لانه
جنات المأوى وهو ما يروى اليه وجنات النعيم ظاهر وجنات عدن من المقام او غيره والفردوس
سميت فردوسا لانها تكون ملتفة محفوفة بالاشجار ففي كل واحد منها ذلك كله وقوله عز وجل
نزلا قيل منزلا من النزول وقيل من النزل وهو من الانزال وقوله عز وجل خالدين فيها لا يبغون
عنها حولا اي تحولا اخبر انهم لا يملون ولا يسامون عن نعيمها ويسامون لان السرور بما يمل من
نعمة ويرغب في اخرى فاخبر ان اهل الجنة لا يملون فيها ولا يسامون لهم فيها ما يشتهون
ولهم فيها يتخيرون وروي ان ابن عباس سأل كعبا عن الفردوس فقال هي جنات الاعناب بالسريانية
نية وقال بعضهم ما ذكرنا انها سميت لكثرة اشجارها والتفافها وروي عن عبادة بن الصامت
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض
الفردوس اعلاها درجة من فوقها يكون العرش منها تتفجر انهار الجنة الاربعة فاذا سألتم
الله الجنة فاسألوه الفردوس وقال القتبي لا يبغون عنها حولا اي تحولا وكذلك قال ابو عوسجة
من التحول وقال نزلا قال هذا من الطعام والشراب وجميعها النزل الانزال وجميع الفردوس فراديس
وقال القتبي النزل ما يقدم للضيف والله اعلم وقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي يشبه ان يكون هذا خرج مقابل قوله ونزلنا عليك الكتاب
لكل شيء وقوله وتفصيل كل شيء وجوابه لما ذكر فيه تبيانا لكل شيء وتفصيل كل شيء فقالوا كيف يحتمل
هذا المقدار ان يكون فيه تبيان كل شيء وتفصيل كل شيء فقال عز وجل عند ذلك جوابا لقولهم انه
لو بسط ما اودع فيه هو من نحو المعاني والحكمة وشرح ذلك فكتب بما ذكر لبلغ القدر الذي ذكر وانه
داد وقال الحسن قوله لو كان البحر مدادا لكلمات ربي اي لخلق ربي اي لو قال لما خلق واملى اني خلقت
كذا وخلقت كذا فيكتب بجميع ما خلق لبلغ القدر الذي ذكر فيرجع تاويله الى ما خلق من اصناف الخلائق
واجناس الاشخاص وقال ابو بكر الاصم قوله لكلمات ربي لبيان ما خلق ربي فهو يرجع الاول وقال ثم
ما ذكر هو ان يعرفوا ان خلائقه وما انشاء لما خرج عن الوقوع في الاوهام فالذي انشاء ذلك وخلق
اخرى ان يكون خارجا من الوقوع في الاوهام والتصور فيها والثاني ان يعرفوا قدرته وسلطانه و
احاطة علمه بالخلائق وما انشاء ليعلموا ان من قدر على هذا فهو على البعث الذي انكروا اقدر
ومن احاط علمه بما ذكر فهو على الاحاطة بافعالهم واقوالهم اعلم اعرف ليكونوا على الحذر ابدا
في كل وقت ثم يحتمل قوله كلمات ربي حججه واياته التي اقامها على وحدانيته وربوبيته اي لو كتبت
ذلك لبلغ ذلك الذي ذكر وان كان المراد من الكلمات القرآن فالتاويل ما ذكرنا بدءا انه خرج على الجواب
والمقابلة لقول كان منهم ما قاله الحسن وابو بكر ان كلماته خلقه او البيان عن الخلقة وقوله عز وجل
ولو جئنا بمثله مددا هذا ليس على التحديد ولكن على التعظيم والابلاغ وهو ما قال ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله دل هذا على ان قوله ولو جئنا
بمثله مددا ان ليس لذلك المدد حد ولا نهاية ولكن ذكر على التعظيم له والابلاغ وفيه دلالة ان
ليس لما خلق الله من العلوم نهاية ولا غاية يدركه الخلائق ولكن يوخذ من كل جنس شيء فيعمل به
وفيه ان ليس الامر الا بتعليم العلم والمقصود منه العلم لنفسه ولكن المقصود منه العمل بما يعلم
اذ ليس العلوم نهاية ولا حد يبلغ ذلك البشر فدل انه لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد امره ان يخبرهم انه بشر مثلهم ثم يكون لذلك الامر اخبار
اياهم انه بشر مثلهم وجوه من المعنى احدها انهم كانوا يسألونه ايات خارجة عن وسع
البشر وطوقهم فامره ان يخبرهم انه بشر مثلهم لا يقدر على ما يسألونه من الايات التي تخرج
عن وسع البشر وطوقهم وليس لاحد التحكم على الله والتخير عليه في شيء انما ذلك الى الله ان شاء
انزل وان شاء لم ينزل وانا لا املك شيئا من ذلك والثاني ذكر هذا ليعرفوا انه من الايات التي لا يحتمل

وسيع البشران يا تواسعلها انه انما اتابد لك من عند الله لامن ذات نفسه اذ علموا ان وسيع البشر
لا يحتمل ذلك فلما انا هم بذلك انما اتى بها من عند الله وانه رسول على ما تقول والثالث امره ان
يقول لهم هذا انه مبشر مثلهم لا تلا يحملهم فرط حبهم على ان يتخذوا الهادى على ما اتخذ
قوم عيسى عيسى الهادى بالفرط حبهم اياه **وقوله** عز وجل فمن كان يرجوا لقاء ربه فان كانت الاية
فى مشركى العرب فهم ينكرون البعث ولا يرجونه لكنه يكون ذكر لقاء ربه لهم لانهم عن قوا
فى انفسهم فتدبروا احسنا ان الله اليهم نعمة عليهم فامروا ان يعملوا العمل الصالح ليستديموا بذلك
الاحسان الذى كان من الله اليهم فيحملهم العمل على التوحيد بالله والاقرار بالبعث وان كانت الاية
فى المؤمنين فيكون تاويله فمن كان يرجو لقاء ربه اى ثواب ربه فليعمل عملا صالحا ليثاب عليه لان
الثواب انما يكون للعمل الصالح دون غيره وفيه ما ذكرنا ان المقصود من العلم العمل العمل الصالح
والعلم بما ليس له نهاية فالامر يطلب ما لا نهاية له ليس لنفسه ولكن العمل به والله اعلم **وقوله**
عز وجل ولا يشرك بعبادة ربه احدا يحتمل حقيقة الاشراك فى العبادة والالوهية على ما اشرك
اولئك اشركوا الاصنام والاوثان التى عبدوها فى عبادته والوهيته
ويحتمل المراءة فى العمل الصالح على ما يرى بعض اهل التوحيد
فى بعض ما يعملون من الطاعة والخيرات
والله اعلم بالصواب واليه
يرجع والمآب

بسم الله الرحمن الرحيم قيل كهيعص اسم من اسماء القران وقيل
اسم من اسماء الله وعلى ذلك روى عن على رضى الله عنه انه قال يا كهيعص اغفر لى قال ابو بكر الاصم هذا لا يصح هذا
من على لان هذا لم يذكر فى اسماء الله المعروفة التى يدعى بها وقال بعضهم حروف من اسماء الله افتتح بها السورة فهو
ما ذكرنا وهو الاول وقال بعضهم الكاف مفتاح اسمه كافى والهاء مفتاح اسم هادى والعين مفتاح اسم عالم والصاد
مفتاح اسم صادق وقال ابن عباس الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق
وقال الربيع بن انس الياء من قوله وهو يجير ولا يجار عليه وقال الكلبى هو ثناء اثنى الله على نفسه فقال كاف هاد عالم
صادق يقول كاف لخلقه هاد لعباده عالم ببريته وبامره صادق فى قوله وقال بعضهم لم ينزل الله كتابا الا وله فيه
سر لا يعلمه الا الله وسر القران فى الحروف وقال بعضهم تفسيره ما ذكر على اثر وهو قول الحسن وامثال هذا قد اكثروا فيه وقد
ذكر الوجه فى الحروف المقطعة فيما تقدم فى غير موضع **وقوله** ذكر رحمة ربك عبده زكريا هذا يحتمل وجهين احدهما
على الامر اى اذكر لهم رحمة ربك عبده زكريا بالاجابة له عند سؤاله الولد فى الوقت الذى ايس عن الولد فى ذلك
الوقت فيكون فيه دلالة رسالته حيث ذكر لهم رحمة ربه على زكريا واخبرهم على ما فى كتبهم والثانى ذكر رحمة
ربك اى هذا ذكر رحمة ربك لعبده زكريا فى دعائه وعلى هذا التاويل يكون الذكر هو القران وقد سمى الله القران
فى غير آى من القران والله اعلم **وقوله** عز وجل اذ نادى ربه نداء خفيا فى قلبه على الاخلاص من غير ان ينطق
وقال بعضهم نداء خفيا عن قومه ومن حضره ثم يحتمل وجهين احدهما اخفاه واسره منهم اخلاصا لله واصفاء
له والثانى اخفاه واسره منهم حياء ان يعيبوه انه سأل ربه الولد فى الوقت كبره واياسه والله اعلم **وقوله**
عز وجل قال رب انى وهن العظم منى اى ضعف ورق واشتعل الرأس شيبا اعتذر اليه وقدم زكريا ما حل
من الكبر وبلوغه الوقت الذى لا يطمع فى ذلك الوقت الولد اى بلغت المبلغ الذى ضعف بدنى ورق عظمى
ثم سأل ربه الولد ليس على انه كان لا يعرف قدرة الله انه قادر على هبة الولد وانشائه فى كل وقت الكبر و
والضعف وبالشيب وتغير الشيب لكنه لا يعرف انه يسمع ويصلح سؤال الولد وهبته فى الوقت الذى كان
بلغ هو وهو الوقت الذى لا يطمع فيه الولد فى الاغلب وما ذكر فى سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد
عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك عرف زكريا انه يسمع دعاء هبة الولد و
سؤاله فى وقت الاياس حيث راى عند مريم فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء غير متغيرة
عن حالها فسأل عند ذلك ربه الولد وهو قوله هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة الآية
والله اعلم **وقوله** عز وجل ولم اكن بدعائك رب شقيا قال بعضهم اى كنت تعود فى الاجابة فى دعاى اياك
فيما مضى وقال بعضهم اى لم يكن دعاى فيما يخيب عندك وهما واحد ذكر منته وفضله الذى كان منه اليه **وقوله**
عز وجل وانى خفت الموالى من ورائى قال الحسن خاف مواليه ان يرثوا ماله فاما علمه ونبوته فلا يورث قال ابو بكر
الاصم هذا لا يصح ولا يحتمل ان يخاف زكريا وراثة ما له مواليه فيسأل ربه ان لا الولد ليرث ماله ولكن كان خاف
ان يضيع مواليه دينه وسنته من بعده فسأل ربه ان يهب له الولد ليقوم مقامه فى حفظ دينه وسنته وقال لا
يحتمل وراثة المال لما روى فى الخبر انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة فلو يحتمل هذا من احد وجهين اما ان كان
هذا فى المال له خاصة دون سائر الانبياء واما اذا لم يكن زكريا نبيا فدل هذا انه لا يحتمل وراثة المال فدل انه
على العلم انه يضيع الموالى على من ورائى ويحتمل قوله وانى خفت الموالى من ورائى وسؤاله الولد وجها اخر وهو انه
سأل ربه الولد الرضى التقى ليذكر به بعد وفاته بالاعمال والصنيع الذى كان منه فى حيوته ويدعى له ولا ينقطع
ذكره ودعاء الخلق له وهذا هو المعروف فى الخلق انهم يذكرون ويدعون لهم بالخيرات التى كانت فى حال حيوتهم اذا
كان له ولد صالح فعلى ذلك سؤال زكريا الولد والله اعلم **وقوله** عز وجل وكانت امرأتى عاقرا اى لا تلد **وقوله** عز وجل
فهب لى من لدنك وليا يرثنى بلى امر وقوله يرثنى ويرث من آل يعقوب قال بعض اهل التاويل ما ذكرنا يرثنى
مالى ويرث من آل يعقوب النبوة وقال فهب لى من لدنك وليا وارثا يرثنى مكانى وحبورتى ويرث من آل يعقوب
الملك لانهم كانوا ملوكا وكانوا اخوالا له وهو كان حبرا والله اعلم بذلك ولكن قوله يرثنى ما كان له من العلم والحكمة
والدين وغيره ويرث من آل يعقوب ما كان لهم من العلوم وغيرها فان ثبت ان آل يعقوب اخواله ففيه دلالة
ان ذوى الارحام يرثون بعضهم من بعض والله اعلم **وقوله** عز وجل يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له
من قبل سميا قال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا اى لم نجعل مثل يحيى من قبل فى الفضل والمنزلة لانه روى عن نبى الله

صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكن من ولد ادم احد الا وقد عمل بخطيئه او هم بها غير يحيى بن زكريا فانه لم يهم بخطيئة ولا عمل بها وقال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا اى لم يسم احد قبله يحيى وجايز ان يكون قوله لم نجعل له من قبل سميا اى تولى الله تسميته يحيى لم يول تسميته غيره وساير الخلايق تولى اهلوهم تسميتهم وقوله عز وجل قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقال الحسن عباد الله ان زكريا استوهب ربه الولد فاجابه وبشره فقال انى يكون لى غلام وطلب منه الاية لذلك فقال اجعل لى اية فما عابه على ذلك ولا وبخه ولكن رحمه او كلام نحو هذا وقال غيره انما امسك لسانه واعتقله عقوبة لما سال من الاية لذلك هؤلاء كلهم يجعلون ذلك منه زلة الا ان الحسن قال لم يعبه على ذلك ولا عاقبه عليه ولكن ذكر ذلك رحمة منه اليه وغيره يجعل ذلك عقوبة لما كان منه وجايز ان يخرج ذلك على غير ما قالوا وهو ان قوله انى يكون لى غلام اى على اى حال يكون منى الولد على الحال التى انا عليها او ارد الى شبابى ففى تلك الحال يكون منى الولد فذلك منه استخبار واستعلام عن الحال الذى يكون منه الولد ليس على انه لم يعرف انه قادر على انشاء الولد فى حال الكبر وبسبب وبلا سبب وعلى ذلك يخرج قوله حيث قال كذلك قال ربك هو على هين ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا اى من قدر ان يخلقك ولم تك شيئا وطلبه الاية و العلامة بعد ما بشر يخرج على وجهين احدهما انه لما بشر بالولد لعله اشكل عليه بان تلك بشارة ملك او غيره فطلب منه العلامة ليعرف ان تلك بشارة ملك وانها من الله او من غيره لانه ذكر فى الاية فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى فطلب الاية منه يخرج منه على استعلام بشارة الملك وان ذلك من الله لا انه لم يعرف قدرة الله انه قادر على خلقه فى كل حال هذا لا يظن باضعف مؤمن فى الدنيا فكيف يظن بنبى من الانبيا او ان يكون طلب الاية منه ليعرف وقت حملها الولد وقت وقوعه فى الرحم ليسبق له السرور ويجعله من وقت الولد وعن وقت وقوع بصره عليه والله اعلم وقوله عز وجل على هين لانى الخلق بسبب وبغير سبب وقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا فمن قدر على خلق الاشيا من لا شئ وبلا سبب قادر على خلق الولد فى حال الكبر ومن امرأة عاقر عن الولد وقوله عز وجل قال ايتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وقال بعضهم ايتك الا تكلم الناس ثلاث ليال وانت سوى صحيح وقال بعضهم ثلاث ليال سويا انه ثلوثا تماما بايامها على ما قاله فى اية اخرى ثلاثة ايام الا رمزا ذكر ههنا ثلاث ليال وفى تلك الاية ثلثة ايام والقصة واحدة وقوله عز وجل فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا قوله فاوحى اليهم قيل اوحى اليهم وقيل كتب لهم على الارض وجايز ان يكون اوحى اليهم بالشفتين على ما ذكر فى اية اخرى ثلاثة ايام الا رمزا والرمز هو تحريك الشفة والايماء بها قال ابو عوسجة عاقر وعقيم المرأة التى لا تلد وقوله عتيا قال هو اشد الكبر شيبا اى كثرة الشيب والمحراب قال القتبى جعلته محرابا قصدا او دارا وقال القتبى عتيا اى يبسا ويقال عتيا وعسيا بمعنى واحد ويقال ملك عات اذا كان قاسى القلب غير لين وسويا اى سليما وقوله فاوحى اليهم وقد ذكرنا انه اوحى اليهم وقال بعضهم كتب لهم على الارض وقوله ان سبحوا بكرة وعشيا يحتمل قوله ان سبحوا اى صلوا لله بكرة وعشيا فان كان التسبيح هو الصلوة ففيه ان الصلوة كانت فى الامم الماضية فى ختم الليل ويحتمل التسبيح نفسه والثناء على الله والدعاء له بالغدو والعشيات والله اعلم وقوله عز وجل يا يحيى خذ الكتاب بقوة قال بعضهم خذ الكتاب بما قوى الله واعانك وقال بعضهم خذ الكتاب واصبر على العمل بما فيه وقال بعضهم خذ الكتاب بقوة اى بجد قال ابو بكر الاصم الجد هو الاحكام فى العمل والقوة هى احتمال ما حمل عليه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون بان القوة يتقدم الفعل ثم لا يبقى وقتين فيكون على قولهم اخذا بغير قوة وقد امر ان ياخذه بقوة فقولهم على خلاف ما نطق به ظاهر الكتاب وقوله عز وجل واتيناه الحكم صبيا قال بعضهم اتيناه الحكم اى النبوة فى حال صباه وقال بعضهم اتاه الله الفهم واللب وقال بعضهم الحكمة والعلم فكيف ما كان ففيه فساد مذهب المعتزلة لانهم يقولون ان الله تعالى لا يخص احدا بنبوة ولا من الخيرات الا بعد ان يسبق من المختص له ما يستوجب ذلك الاختصاص ويستحقه ثم الذى كان من يحيى فى حال صباه وطفوليته ما يستوجب به النبوة وما ذكر من الحكم انه اتاه فدل ذلك ان الاختصاص منه يكون لمن كان افضالا منه وانعاما ورحمة لا باستحقاق من المختص له واستيجابه وفى قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة دلالة انه كان نبيا حيث اخبر انه اتاه الكتاب وقوله عز وجل وحنانا من لدنا هو على قوله واتيناه الحكم صبيا واتيناه حنانا ايضا ثم اختلف فى قوله وحنانا من لدنا قال ابن عباس تعطفا من لدنا وقال بعضهم اى رحمة من لدنا وهو قول الحسن وقال بعضهم الحنان المحبة وقال ابو عوسجة حنانك وحنانيك كلاهما يعنى رحمتك وقال اصله من التحنن وهو الترحم وقال القتبى اصله من حنين الناقة على ولدها وقوله وزكوة وكان تقيا قال بعضهم زكوة اى صدقة

تصدق

تصدق بها على زكريا وزوجته فى الوقت الذى لا يرجى من مثلهما الولد وقال بعضهم زكوة اى صلاحا وما ينموا به من الخيرات وجائز ان يكون الزكوة اسم كل خير وبركة وهو كالبر من التقوى كانه قال اعطيناه كل بر وخير وقوله عز وجل وكان تقيا عن جميع الشرور كقوله تعاونوا على البر والتقوى امر تعاونوا على البر وتعاونوا ايضا على دفع الشرور وقوله عز وجل وبرا بوالديه هو على قوله واتيناه الحكم واتيناه البر بوالديه وقوله عز وجل ولم يكن جبارا عصيا بل كان خاضعا لله ذليلا مطيعا وقال الحسن لم يكن جبارا عصيا اى لم يكن ممن يجبر الناس على معصية الله وقال اهل التاويل لم يكن جبارا اى قتالا اى لم يكن ممن يقتل على الغضب ويضرب على الغضب واصله ما ذكرنا انه كان على ضد ما ذكر خاضعا لله مطيعا له على ما ذكر انه لم يرتكب ذنبا ولا هم به وقوله عز وجل وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا يحتمل السلام عليه الوجوه الثلاثة احدها هو اسم كل بر وخير انه عليه كل بر وخير فى هذه الاحوال التى ذكر والثانى السلام هو الثنا اثنى الله عليه فى اول امره الى اخره وبعد الموت فى الاخرة او ان يكون قوله وسلام عليه اى السلامة عليه فى هذه الاحوال التى يكون الشيطان فى تلك الاحوال الاعتراض والنزغ فيها لانه وقت الولادة يعرض وينفسد الولدان وجد السبيل اليه وكذلك عند الموت يعترض ويسعى فى افساد امره فاخبر ان يحيى كان سليما سالما عن نزغات الشيطان محفوظا عنه حتى لم يرتكب خطيئة ولا هم بها والله اعلم وفى قوله يوم يموت دلالة ان الموت والقتل سواء وان كان فى الحقيقة مختلفا لانه ذكر فى القصة ان يحيى قتل ثم ذكر الموت فدل انهما واحد فهذا يرد على المعتزلة حيث قالوا ان المقتول ميت قبل اجله وفيه ان قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات انما نهانا ان نسميهم اموات فى جهة ليس فى الجهات كلها حيث سمى يحيى ميتا وهو كان شهيدا على ما ذكر انه قتل وفى قوله واتيناه الحكم استدلال لابى حنيفة رحمه الله حيث وقف فى اولاد المسلمين والمشركين فقال لا علم لى بهم ولم يقطع فيهم القول لما يجوز ان يجعل الله لهم من المعرفة والتمييز والفهم فى حال صغرهم حتى يرتفوا الى الفهم ومنشيهم على ما اعطى يحيى وعيسى فى حال صباهما و صغرهما الحكم والفهم والمعرفة وقوله عز وجل واذكر فى الكتاب مريم قال الحسن هو صلة قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا اى اذكر رحمة ربك مريم وقال بعضهم واذكر نبأ مريم وقصتها فى الكتاب وقوله عز وجل اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا اى عن المشرق ثم يحتمل قوله انتبذت من اهلها اذا بلغت مبلغ النسا فارقت اهلها وانتبذت منهم لئلا يقع بصر غير ذى الرحم المحرم عليها وان لا يراها احد ولا يبلغ النظر اليها وقال بعضهم مكانا شرقيا اى جلست فى المشرقة لانه كان فى الشتا وقوله عز وجل فاتخذت من دونهم حجابا قال بعضهم احتجبت من دونهم بالغيبة عنهم وقال بعضهم اتخذت من دونهم حجابا اى سترا وقال مقاتل اتخذت من دونهم الجبل حجابا وسترا اى جعلت الجبل بينها وبين اهلها فلم يرها احد منهم وقوله عز وجل فارسلنا اليها روحنا قال ابى بن كعب روحنا هو روح عيسى ارسله الله الى مريم فى صورة بشر فتمثل لها بشرا سويا وقال غيره من اهل التاويل فارسلنا اليها روحنا جبريل وقد سمى الله جبريل روحا فى غير اى من القران روح القدس وغيره فتمثل لها بشرا سويا اى بشر المرئى به انه غير البشر وقال بعضهم بشرا سويا لا عيب فيه ولا نقصان بل كان سويا صحيحا كاملا والله اعلم وقوله عز وجل انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فان قيل كيف تعوذت بالرحمن ان كان تقيا وانما يتعوذ بالرحمن من الفاجر والفاسق قال الحسن قوله ان كنت تقيا مفصول من قوله انى اعوذ بالرحمن منك فيكون على الابتداء كانها قالت ان كنت تقيا لا ينالنى منك سوء ولا يمسنى شر ويحتمل قوله ان كنت تقيا انه حيث دخلت على من غير استيذان منك ولا استيمار ما كنت تقيا ويحتمل قوله ان كنت تقيا اى قد كنت تقيا فعلى هذا التاويل كانه دخل عليها على صورة بشر عرفته بالتقى والصلاح فكيف دخلت على بلا اذن ولا امر وقد يجوز ان يستعمل ان مكان ما ومكان قد وفى القران كثير والله اعلم وقوله عز وجل قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا هو على الاضمار كانه قال انما انا رسول ربك بالقول بان اهب لك غلاما زكيا اى ارسلنى اليك بهذا القول وهو قوله لاهب لك غلاما زكيا وفى حرف ابن مسعود انما انا رسول ربك غلاما زكيا وقوله زكيا اى صالحا طاهرا عن جميع الشرور وقوله عز وجل قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا اذ قالت لم يمسسنى بشر يعلم انه لم يمسها بشر لا بغيا ولا غيره لكن كانها قالت لم يمسسنى بشر انكاحا ولم اك بغيا ثم انى يكون لى ولد كانها لم يعرف الولد الا بسبب لذلك قالت انى يكون لى غلام وقوله عز وجل قال كذلك قال ربك اى اخلق بسبب وبلا سبب وقوله عز وجل هو على هين اى خلق الشئ بسبب وبغير سبب هين على وقال بعضهم قوله كذلك قال ربك للانبياء الذين كانوا من انه يخلق ولدا بلا اب ولا ام وقوله عز وجل ولنجعله اية للناس اى نجعل ولاده بلا اب على ما اخبر الانبياء من قبل اية للناس لرسالتهم لانهم اخبروا انه يولد ولد بلا اب ولا ام فكان ما اخبروا فدل ذلك انهم انما عرفوا ذلك بالله فيكون ذلك اية لصدقهم فيكون قوله وكان امرا مقضيا اى ذلك الخبر الذى اخبر الانبياء من قبل والوعد الذى وعدهم امرا مقضيا كائنا وكان اهل التاويل فى قوله ولنجعله اية للناس انه يجعل عيسى اية للناس حيث ولد بلا اب وكلم الناس

في المهد وغير ذلك من الايات التي كانت فيه وجائز ان يكون اية للناس للبعث لانه انشاه بلا اب ولا سبب و
هم انما انكروا البعث لما لم يعاينوا ولم يعاينوا الولد بغير اب ايضا ثم كان فعلى ذلك البعث اذ لا فرق بينهما لان من قدر
على ان ينشاء الولد بلا اب ولا ماء قدر على الاحياء بعد الموت بل هو اولى وقوله عز وجل ورحمة منا اي رحمة منا للخلق
لان من اهتدى واتبعه كان له به نجاة وهو ما قال الله عز وجل لرسوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وعلى ذلك
جميع الانبياء والرسل الذين بعثهم الله الى خلقه كان ذلك رحمة منه الى خلقه وقوله عز وجل وكان امرا مقضيا
اي كان امرا كائنا وعلى التاويل الذي ذكره ابو بكر الاصم كان ذلك رحمة منه الى خلقه في قوله قال كذلك
قال ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس يكون قوله وكان امرا مقضيا اي كان وعدا وخبرا معلوما على ما اخبر الانبياء
عن نبا عيسى وامه وقوله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا دل هذا على ان الولاد لم يكن على اثر الحمل ولكن كان
بين الولاد وبين الحمل وقت لكن لا نعلم كم ذلك الوقت الا بخبر عن الله وقوله عز وجل فانتبذت به مكانا قصيا
قال بعضهم تباعدت به حياء من اهلها وقال انفردت به مكانا قصيا متباعدا وقوله عز وجل فاجاءها المخاض قال
القتبي فاجاءها المخاض اي جاء بها من المجيء والجاها اليها تقول جاءت بي الحاجة اليك واجاءتني الحاجة و
المخاض هو الحمل ودل قوله فانتبذت به مكانا قصيا ان النخلة التي الجاها المخاض اليها كانت يابسة على ما
قاله اهل التاويل لا هذه انما انتبذت مكانا قصيا وتباعدت حياء من اهلها فلو كانت تلك النخلة رطبة ذات
ثمار لكان الناس ياوون اليها ويقيمون عندها فلا يحتمل ان ياوي اليها مريم وعندها ماوى الناس فثم التجاءها
الى النخلة لتتساند اليها وتستعين بها على ما يقع الحاجة للنساء وقت الولاد الى شيء تستعين به عما نزل بهن من
الشدة والله اعلم وقوله عز وجل قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا يحتمل ان يكون يا ليتني مت قبل
هذا وكنت نسيا منسيا اي او كنت غير معروفة ويحتمل ان يكون على ما ذكر يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا
منسيا لا اذكر بعد الموت بذلك لانه ذكر انها كانت من اهل شرف وكرم ومن اهل بيت النبوة فتمنت ان تكون
غير معروفة لئلا تذكر بسوء بعدها ولا تقذف وقال اهل التاويل وكنت نسيا منسيا اي حيضة ملقاة و
كذلك قال ابو عوسجة النسي الحيض قال ابو بكر الاصم لا يحتمل هذا لانها قد عرفت قدرها عند الله فلا يحتمل
ان تتمنى ما ذكر لكن الانسان ربما يتمنى الامر العظيم اذا اشتد به الامر نحو ما يتمنى الموت في بعض الموت لعظم
ما يحل به فعلى ذلك غير منكر هذا من مريم ان تتمنى ما ذكر اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل فناداها من تحتها
ومن تحتها اختلف فيه قال بعضهم ناداها ملك وقال بعضهم ناداها ابنها عيسى قال ابو بكر لا يحتمل ان يكون الذي
ناداها ملكا لانه قال من تحتها ولو كان ملكا لناداها من فوقها لكن هذا ليس بشيء لان الملك انما ينادي من حيث تراه
من تحت ومن فوق وقال بعض اهل التاويل ناداها جبريل من تحت الوادي الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا والاشبه
ان يكون ابنها عيسى لانها كانت تحزن ان تشتم وتقذف به فعيسى اذا تكلم وصار بذلك المحل تسر هي بذلك لما تعلم انه
ينفي عنها بعض ما طعنت به وقرفت ويحتمل حزنها من وجه اخر وهو انها كانت حزنت خوفا على نفسها وعلى ولدها
لانها اقامت في مكان لا ماء فيه ولا طعام فخافت على نفسها وولدها الهلاك فحزنت لذلك فبشرت حيث قال لها
لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا امنها عن الخوف الذي كان لها ثم السري قال بعضهم من اهل التاويل هو الجدول وهو
النهر الصغير وقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فيه دلالة لزوم الكسب لانه امر مريم
ان تهز النخلة لتساقط عليها الرطب ولو شاء لسقط من غير فعل يكون منها لتجتني هي وذلك عليها اهون وايسر
على ما كان رزقها عندما كانت مؤنتها على زكريا وفيه دلالة ان لا يسع المرء المسالة ما دام به ادنى قوة يقدر
على قوته وفيه دليل ان زكريا كان افضل منها واكبر منزلة عند الله حيث رزقها عندما كانت في عيال زكريا من غير
تكلف كان من زكريا ولا مؤنة فلما فارقت زكريا امرها في الكسب وفيه دلالة ان الايات التي تكون للانبياء يجوز
ان يجري بها على غير ايدي الانبياء حيث جعل لها من نخلة يابسة رطبة ثمر رطبا وحيث جعل من تحتها سريا اي نهرا جاريا و حيث
رزقها عندما كانت في عيال زكريا من غير تكلف احد فذلك يشبه ايات الانبياء والرسل ويقارنها وهذه المحن
التي امتحن بها مريم في الظاهر عظيمة عند الناس وفي الباطن من اعظم كرامات اليها لانه اخبر انه تعالى اصطفاها على نساء
العالمين بقوله ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين وسماها صديقة بقوله وامه صديقة
وذلك لا ينبغي الا من بلغ من البشر في الصدق والصبر له غاية والله اعلم وقال بعضهم في قوله فناداها من تحتها اي من
النخلة وقوله عز وجل فكلي واشربي وقري عينا اي كلي الرطب الذي يتساقط عليك واشربي من السري الذي جعل
تحتك وقري عينا اي وارضي بمكان ما حزنت عليه وخفت على نفسك وعلى ولدك وطيبي نفسا قوله عز وجل فاما
ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وسكوتا وكذلك روي في بعض الحروف وهو في حرف ابي
وقال ثم قوله فقولي ليس على القول نفسه ولكنه اشارة اليهم اني نذرت للرحمن صوما فان كان على هذا ففيه دلالة

ان الاشارة اذا كانت معلمة مفهمة المراد تعمل عمل القول نفسه والكلام ولذلك وقع الطلاق بالاشارة والنكاح وكل
عقد من الاخرس وغيره اذا كانت الاشارة مفهومة معقولة وقال بعضهم قوله فقولي هو على حقيقة القول اي امرت
ان تقول اني نذرت للرحمن صوما فكان نذرها الصوم للرحمن بعد هذا القول والى هذا ذهب الحسن وقوله عز وجل فاتت
به قومها تحمله اي بعيسى قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا قال ابو بكر الاصم لقد فريت عظيما من الامر لكنه يخرج
على تاويله فريت من التقدير يقال فري اي قدر وقال بعضهم لقد افتريت عظيما وهو قذف بصريح بالزنا كقوله يفترينه بين
ايديهن وارجلهن وقال بعضهم شيئا فريا كل قائم من عجب او من عمل فهو فري وهو ههنا عجب فري وهذا اقرب اذ لا
يجوز ان يحمل كلامهم على تصريح القذف وثم لتعريض القذف مساغ ووجه والله اعلم وقوله عز وجل يا اخت هرون قال
بعضهم كانت اخت هرون بن عمران اخي موسى وعلى ذلك روي خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثبت فهو هو
وقال بعضهم لا ولكن كان لها اخ من ابيها يقال له هرون بن ماثان لذلك نسبوها اليه فقالوا يا اخت هرون وقال
بعضهم ان هرون كان رجلا صالحا ناسكا فيهم فشبهوها اليه بصلاحها ونسكها وقال بعضهم ان بني اسرائيل يسمي كل
رجل صالح هرون حبا لهرون لذلك سموها ونسبوها الى هرون لنسكها وصلاحها وقوله عز وجل ما كان ابوك امرء
سوء وما كانت امك بغيا اي ما كان ابوك ما ذكر ولا امك ولا انت فمن اين كان لك هذا هذا تعريض من الكلام
ليس بتصريح فهو ما ذكرنا انهم قالوا ذلك على التعجب ليس على تصريح الفرية والقذف لها وقوله عز وجل فاشارت اليه
اي الى ابنها عيسى ان كلموه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا اي كيف نكلم من كان صبيا في المهد وقوله عز وجل
قال اني عبد الله اتاني الكتاب اي انا في علم الكتاب ولا نعرف ان الكتاب هو الانجيل والتورية او غيره لانه قال في اية اخرى و
نعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل فذكر الكتاب وذكر معه التورية والانجيل فهذا يدل ان الكتاب غير التورية و
الانجيل وقوله عز وجل وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت هذا يدل انه قد تكلم بعد هذه الكلمات وليس كما قال اهل
اهل التاويل انه تكلم بهؤلاء الكلمات ثم لم يتكلم بعد ذلك الى ان بلغ المبلغ الذي تكلم الصبيان لانه اخبر انه جعله نبيا مباركا
فلا يحتمل ان يكون نبيا ولا يتكلم ولا يدعو الناس الى دين الله واي بركة تكون فيه اذا لم يتكلم بخير فدل ذلك منه انه
ليس على ما قالوا هم والبركة هي اسم خير وصلاح والله اعلم وقوله عز وجل واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا يحتمل
الصلوة المعروفة والزكوة المعهودة ويحتمل الصلوة الثناء له والدعاء في كل وقت وفي كل مكان والزكوة كل ما تزكو به
النفس وتصلح وتخلص من كل خبث فان كان الاول الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة فهو على تعليم الناس كانه قال اوصاني
ان اعلم الناس واعلمهم عن الزكوة اذ لم يكن تملك عيسى ما يجب فيه الزكوة فهو يخرج على اعلام الناس عن حكم الزكوة
وان يكون على المواساة فذلك ما قل وكثر سواء وان كان الثاني فهو وغيره من الناس في تلك الزكوة سواء والله اعلم
وقوله عز وجل وبرا بوالدتي اي جعلني برا بوالدتي في صلة بقوله وجعلني نبيا مباركا وجعلني برا بوالدتي ولم يجعلني جبارا
شقيا قد ذكرنا في قصة يحيى وقوله عز وجل والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا هذا ايضا قد ذكرناه
في قصة يحيى غير ان الله تعالى هو سلم على يحيى في تلك الاحوال وههنا ذكر ان عيسى سلم على نفسه وذكر في بعض القصة ان
عيسى ويحيى عليهما الصلوة والسلام التقيا فقال يحيى لعيسى انت خير مني فقال عيسى بل انت خير مني سلم الله عليك وسلمت
انا على نفسي والله اعلم وقوله عز وجل ذلك عيسى ابن مريم اي ذلك عيسى بن مريم ليس على ما قالت النصارى وغيرهم
انه ابن الله وانه ثالث ثلاثة على ما قالوا ولكن عيسى بن مريم عبد الله كما اقر هو بالعبودية حيث قال اني عبد الله ويحتمل
قوله ذلك عيسى بن مريم اي ذلك الذي انباتهم من نبا عيسى قول الحق الذي فيه يمترون اي هؤلاء الكفرة حيث انكروا
انه ليس على ما انباتهم من نبائه اي الذي يشكون فيه هو قول الحق قوله عز وجل ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه نزه
نفسه عن ان يتخذ ولدا لانه لا تقع الاسباب التي لها يتخذ الولد ويطلب منه او يقول ان اتخاذ الولد يسقط الالوهية
لان الولد في الشاهد يكون شكل الاب وشبيها له فلا يحتمل ان يكون الالوهية لمن يشبه الخلق لان الولد في الشاهد
انما يتخذ ويطلب لاحد وجوه ثلاثة اما الوحشة تاخذه فيستانس به واما الحاجة تمسه فيستغني به في دفعه او الخوف
يخاف من اعدائه فيستنصر به فاذ كان الله سبحانه تعالى عن ذلك وله من سرعة نفاذ امره ما ذكر في قوله اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون ثم له من سرعة نفاذ الامر ما ذكر لا تقع له الحاجة الى الولد في معنى من المعاني ولا وجه
من الوجوه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم قول اهل التاويل انه نفخ في جيب مريم او في انفها او في غيره ذلك
من القصص التي ذكروها مما ليس في الكتاب ذكرها فلا يجوز ان يقال ذلك الا بخبر عن الله تعالى او عمن اوحي اليه
فانه لم يعلم صدقه ولا ثبوته فنذكر مقدار ما في الكتاب لا نزاد على ذلك ولا ينقص لان هذه الانباء انما ذكرت لرسول
الله لتكون اية لرسالته ونبوته لانها كانت مذكورة في الكتب المتقدمة وكان هنالك من يعرفها فذكرت له هذه
الانباء على ما كتب في كتبهم ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله فلو زيد فيه او نقص لكانت غير دالة لهم على ذلك وقال
القتبي الصوم الامساك صوما اي صمتا فريا اي عظيما عجيبا والبغي الفاجرة يقال امرة بغي ونسوة بغايا اي فاجرات وكذلك

قال ابو عوسجة وقوله عز وجل ان الله ربي وربكم فاعبدوه انهم كانوا يعرفون ان الله هو ربهم حيث قالوا ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه فكان عيسى قال لهم ارجعوا الى عبادة الذي يعرفون انه ربي وربكم واتركوا
العبادة لمن تعرفون انه ليس ربكم وقوله عز وجل فاختلف الاحزاب من بينهم اختلف فيه قال بعضهم اختلف الذين
تحزبوا في عيسى في حياته منهم من قال هو ساحر وقال بعضهم هو كاهن وقال بعضهم كذا من هذا النحو وقال بعضهم
اختلف الذين تحزبوا في عيسى بعد ما رفع بينهم فمنهم من قال هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم هو ثالث ثلاثة
وامثال ما قالوا على علم منهم انه لم يكن على ما وصفوه وقالوا فيه لكنهم عاندوا وكابروا وقال بعضهم قوله فاختلف
الاحزاب من بينهم الذين تحزبوا واختلفوا في رسول الله لما بعث فمنهم من قال انه ساحر وانه كاهن ومجنون وانه مفتر
وانه كذاب ونحوه ما قالوا فيه على علم منهم ان ما يقول هو يوافق كتبهم وان كتابه مصدق لكتبهم وانه يؤمن بالرسل
الذي يؤمنون هم بهم لكنهم قالوا ذلك على المعاندة والمكابرة فقال اصحاب هذا التاويل الويل الوعيد واختلفوا
فيه والله اعلم والويل لكل كافر ما من كافر الا وله ذلك الوعيد وقوله عز وجل من مشهد يوم عظيم واصف ذلك
اليوم بالعظم لما فيه يجمع الاولين والاخرين ويشهده الجن والانس والملائكة فهو مشهد عظيم ويحتمل انه وصف
بالعظم لانه هو المقصود في خلق العالم في الدنيا فهو انما خلقهم لامر عظيم وهو ذلك اليوم وقوله عز وجل اسمع
بهم وابصر يوم ياتوننا قال الحسن يكونون سمعا وبصرا في الاخرة ليس على ما كانوا في الدنيا عمي بكم صم وقال
بعضهم ما اسمعهم وما ابصرهم يوم ياتوننا وقال بعضهم لا يصح هذا لان هذا ليس على وجه التهزؤ والتعجب و
لكن تاويله اي يسمعون ما قالوا ويبصرون ما عملوا وقال بعضهم اسمع بهم وابصر اي اسمع بحديثهم اليهم واعلمهم
وابصر كيف نصنع بهم يوم ياتوننا والله اعلم وقوله عز وجل لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اي في حسرة بينة
او في هلاك بين وقد ذكرنا ذلك في غير موضع وقوله عز وجل وانذرهم يوم الحسرة قال عامة اهل التاويل الحسرة
هي ان يصور الموت بصورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار فينظر اليه اهل النار واهل الجنة فيندم اهل النار
ويكون لهم الحسرة لما كانوا يطمعون الموت بيائسون منه فذلك الحسرة التي ذكر لكن هذا لا يعلم الا بخبر عن رسول
الله ان ثبت شيء عنه فهو ذاك والا فالحسرة لهم في اعمالهم التي عملوا في الدنيا وهو ما قال كذلك يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم وقوله يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وقوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ونحوه كل على عملوا
في الدنيا يكون لهم ذلك حسرة في الاخرة وندامة وقوله عز وجل اذ قضي الامر اي دخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار وهم في غفلة اي كانوا في غفلة من هذا وهم لا يؤمنون بالله وقوله عز وجل انا نحن نرث الارض و
من عليها هذا والله اعلم كناية عن فناء الخلق جميعا وبقاء الخالق فذلك معنى الوراثة والله اعلم وعلى ذلك سمي
الوارث في الشاهد وارثا لانه باق بعد فناء مورثه والله اعلم وقوله عز وجل واذكر في الكتاب ابراهيم قال الحسن
هو صلة كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا يقول اذكر رحمت ربك ابراهيم وكذلك يحمل هو جميع ما ذكر في
هذه السورة من نحو هذا صلة ذلك كانه ذكر كهيعص في كل ذلك لانه يجعل تفسير كهيعص ما ذكر على اثره وكذلك
يقول في جميع الحروف المقطعة ان تفسيرها ما ذكر على اثرها وما غيره من اهل التاويل فانه يقول واذكر لهم نبأ
ابراهيم وقصته في الكتاب وكذلك يقولون في جميع ما ذكر في هذه السورة من قوله واذكر في الكتاب مريم انما ذكر
نبأها وقصتها في الكتاب لهم واذكر في الكتاب نبأ موسى وخبره وذكره والله اعلم وقوله عز وجل انه كان صديقا نبيا
الصديق انما يقال لمن كثر منه ما يستحق ذلك الاسم وذلك التسديد بدا بما ايستشهد ذاكرا الفضل منهم وصار كانما
له والطبع فكانه سمي بهذا الاسم لكي يجعل بين ظاهره من الحقوق والفضل ودينه وظاهره واداه ناظرة ولا مهلة
لكي يبقى بها ويبودها كما ظهر له ولذلك سماه الله والله اعلم بذلك الذي وفى وقال في اية اخرى واذ
ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن سماه وفيا لمكان ما ذكر انه القيام بوفاء ما ظهر له واتمام ما ابتلاه به والله اعلم
وقوله عز وجل اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا لا يسمع دعوتك ولا يبصر حاجتك
ابدا ويحتمل ان يكون قوله ما لا يسمع اي لا يجيب لو دعوته وحجتك اليه ولا يبصر حاجتك اذا احتجت اليه
ولا يغني عنك شيئا اي لا ينفعك وقال بعضهم ولا يغني عنك شيئا من عذاب الله في الاخرة فكيف تعبد ما لا تعبد
من اذا دعوته سمع واذا عبدته ابصر ونظرك اذا احتجت اليه وسالته والله الموفق وقوله عز وجل يا ابت اني
قد جاءني من العلم ما لم ياتك اي من البيان ما يحل بك بعد الموت اذا مت على ما انت عليه ما لم ياتك ذلك
فاتبعني الى ما ادعوك اليه من دين الله اهدك صراطا سويا اي دينا عدلا سويا قيما لا عوج فيه فهذا يدل
منه انه قد اوحي اليه في ذلك الوقت ويشبه ان يكون عرف ذلك استدلالا لانه واجتهادا اذا عليه وحي كقوله
هذا ربي هذا اكبر حتى انتهى للذي فطر السموات والارض حنيفا وكل ذلك كان له من الله الا ترى انه قال
في اخره وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وقوله عز وجل يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان

للرحمن

للرحمن عصيا انهم لم يكونوا يعبدون الشيطان عند انفسهم ولكن يحتمل اضافة عبادتهم الى الشيطان وجوها احدها
ان الاصنام التي عبدوها ما كانت لتامرهم بالعبادة ولا تدعوهم اليها انما عبدوها فانما عبدوها بامر الشيطان و
بدعائه اياهم فاضاف ذلك اليه للامر الذي كان منه بذلك والثاني ذكر ان الشيطان كان ينطق من جوف الصنم
فعبدوها لكلامه فكانهم عبدوا الشيطان والله اعلم وقوله تعالى يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
قال بعضهم قوله اني اخاف اي اعلم ان يمسك عذاب من الرحمن لو دمت على الكفر وختمت به فاذا كان تاويل العلم فهو
على هذه الشرط يخرج ويحتمل ان يكون الخوف في موضع الخوف اي اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن ان لم تجز
وعده فتكون للشيطان وليا اي قريبا في العذاب وقوله عز وجل قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم ولا شك انه
كان راغبا عن عبادة الهتهم وقوله عز وجل لئن لم تنته لارجمنك يحتمل قوله لئن لم تنته لارجمنك وجوها احدها
لئن لم تنته عن دينك الذي انت عليه لارجمنك اي لاقتلنك والثاني لئن لم تنته عن دعائك اياي الى دينك
لارجمنك اي لاطردنك والثالث لئن تنته عن تذفى الهتنا وسبها وذكرها بسوء لارجمنك اي لاشتمنك
مكان شتمك وتذفك الهتنا فالرجم يشتمل على هذه الوجوه الثلاثة القتل والطرد والشتم فهو مقابل الدين
اي لئن لم تنته عن دينك لاقتلنك وان كان على الطرد فهو مقابل الدعاء اي لئن لم تنته عن دعائك اياي الى
ما تدعو لاطردنك وان كان على الشتم فهو مقابل الشتم اي لئن لم تنته عن شتمك الهتنا لاشتمنك والله اعلم وقوله
عز وجل واهجرني مليا قال بعضهم طويلا وقال بعضهم بعيدا وقال بعضهم دهرا فان مليا اي بعيدا فهو على بعده منه
اي بعد مني وتباعد مني من داره ومقامه وان كان على الدهر والطول فهو يخرج اي تكلمني ابدا والله اعلم وقوله
عز وجل قال سلام عليك يحتمل انه ليس على ان سلم عليه ولكن كلمة بكلام السداد كقوله واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما ما هو ان يقولوا لهم كلام السداد وليس على ان يسلموا عليهم ويحتمل سلام عليك على حقيقة السلام
المعروف لكنه يخرج على الاضمار اي سلام عليك اذا اسلمت وقوله عز وجل ساستغفر لك ربي اذا اسلمت على نحو
ما قلنا ويحتمل قوله ساستغفر لك ربي شيئا سال ربي لو فعلت على السبب الذي يستوجب به الاستغفار وتكون
اهلا للاستغفار وقوله عز وجل انه كان بي حفيا قال بعضهم اي برا لطيفا وقال بعضهم حفيا عالما وقال بعضهم
انه كان عودني الاجابة اذا دعوته قال ابو عوسجة الحفي العالم بالامر ويقال حفي الرجل يحفى اذا سار بلا نعل ولا خف
وجمعه حفاة واحتفى يحتفي اذا اجتنى حشيشا وقوله عز وجل واعتزلكم وما تدعون من دون الله الاعتزال ههنا
اعتزال الهجرة الى ارض الشام ومفارقته اياهم مفارقة المكان والدار كقوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا
فيها للعالمين فقوله ونجيناه النجاة بالفراق منهم وقوله عز وجل وما تدعون من دون الله اي واعتزلكم ما تعبدون
من دون الله ايضا ففيه اخبار عن اعتزاله عنهم بالدار والمكان وعن فعلهم ايضا اعتزلهم عن الامرين جميعا وقوله
عز وجل وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا هذا يحتمل وجهين احدهما اي ادعو ربي عسى ان لا اكون
بعبادة غير الله شقيا كما كان قومه بعبادة غير الله شقيا والثاني ان لا اكون بدعاء ربي اذا دعوته شقيا اي
خائبا محروما الدعاء والله اعلم وقوله عز وجل فلما اعتزلهم اعتزال الدار والمكان بالهجرة الى الارض المباركة ذكر
انه نجاه واعتزل ايضا صنيعهم الذي كانوا يصنعون من عبادتهم غير الله وقوله عز وجل وهبنا له اسحق ويعقوب
وقال في اية اخرى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ذكر الهبة لان الولد هبة من الله تعالى خلقه على الافضال
منه والانعام عليه لانه يعطي لا عن حق كان لهم عليه فذلك فائدة ذكر الولد هبة وقوله عز وجل وكلا جعلنا
نبيا هو ظاهر وهب له ما ذكر ثم اخبر عز وجل انه جعلهم انبياء وقوله عز وجل ووهبنا لهم من رحمتنا اختلف فيه
قال بعضهم الرحمة ههنا هي النبوة اي وهبنا لهم النبوة وقال بعضهم الرحمة النعمة اي من نعمة وهب لهم ما
وهب من النبوة وغيرها والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا لهم لسان صدق عليا اختلف فيه قال بعضهم قوله
لسان صدق هي الكتب التي انزلها الله فيها انباء صدقهم وفضلهم ومنزلتهم هي لسان صدق عليا وقال
بعضهم لسان صدق عليا هم اولادهم الذين جعلهم انبياء ورسلا يذكرون ويعظمون من بعدهم لان جميع الانبياء
والرسل عليهم السلام كانوا من نسل ابراهيم من لدنه الى لدن محمد صلى الله عليه وسلم فهم كانوا لسان صدق
عليا حيث يذكرون بكل خير وبكل بركة ويمن وقال بعضهم لسان صدق عليا هو ما امن جميع اهل الاديان براعني
لابراهيم وودانوا جميعا به وعلى ذلك يخرج تخصيص ابراهيم واله بالصلوة والبركة عليهم والثناء على قوله
قوم حيث قالوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم قوله عز وجل واذكر في
الكتاب موسى هو ما ذكرنا في قوله واذكر في الكتاب ابراهيم وقوله واذكر في الكتاب مريم على قول الحسن
هو صلة قوله ذكر رحمت ربك عبده زكريا اي اذكر رحمة ربك موسى وعلى قول غيره من اهل التاويل اي
اذكر لهم نبأ موسى وقصته في الكتاب وهو ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل انه كان مخلصا قد قرئ بالنصب

والخلوص جميعا قال بعضهم مخلصا اخلصه الله واصطفاه واختاره لرسالته ونبوته وقوله مخلصا بالخفض اى
اخلص عبادته وتوحيده له وقوله عز وجل وكان رسولا نبيا وقال بعضهم الرسول هو الذى امر بالتبليغ والنبى
هو الذى ينبى ويخبر عن التاويل وقال بعضهم الرسول هو الذى نزل عليه الوحى والكتاب والنبى هو الذى ينبى
لا عن لسان واصل النبى هو الذى ينبئ عن كل خير وبركة وسمى نبيا لاجتماع خصال فيه كالصديق لا يسمى به الا
بعد اجتماع كل خصال الخير والبركة مما لو انفرد بكل خصلة من تلك الخصال سمى صادقا فاذا اجتمع ذلك سمى صديقا
فعلى ذلك النبى سمى نبيا لاجتماع خصال وهو ما روى فى الخبر الرؤيا الصالحة جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة
والسمت الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة فهذا يدل ان النبى انما يسمى نبيا لاجتماع خصال الخير والبركة
فيه كما ذكرنا فى الصديق والله اعلم وقوله عز وجل وناديناه من جانب الطور الايمن فان كان الايمن من اليمن
والبركة فيكون تاويله وناديناه من جانب الطور المباركة واليمن وكذلك روى فى الخبر ان موسى عليه السلام
قال اتانى ربى من جبل طور سيناء واطلع من جبل ساعورا وظهر من جبل فاران ومعناه اتانى وحى ربى من جبل
طور سيناء واطلع من جبل ساعورا اى اتى وحى عيسى من جبل ساعورا واتى وحى محمد فى جبل فاران فهو على اليمن
يمن الجبل وبركته وقال بعضهم هو يمين الجبل وقال بعضهم يمين موسى قال ابو بكر الاصم هذا لا يعلم الا بالخبر
ولا نفسره انه ماذا اراد به مخافة التغيير لانه ذكر هذا فى موضع الاحتجاج عليهم فان زادوا او نقصوا على
ما فى كتبهم يبطل الاحتجاج به عليهم وقوله عز وجل وقربناه نجيا قال اهل التاويل هو تقريب بالمكانة
ولكن عندنا هو تقريب المنزلة والقدر والفضل هذا معروف وهو اسلم نجيا من المناجاة اى ناجاه من حيث
لم يطلع على ذلك غيرهما وسمى موسى هذا لانه اخلص بنفسه لله وسلمه له ولذلك سمى المصلى ايضا مناجيا
ربه على ما روى فى الخبر انظر من تناجى حيث فرغ نفسه عن جميع الاشغال وسلمها اليه فسمى لذلك مناجيا و
الله اعلم وقوله عز وجل ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا هو ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل واذكر
فى الكتاب اسمعيل على قول الحسن هو صلة قوله ذكر رحمت ربك عبده زكريا اى اذكر لهم رحمت ربك اسمعيل
وعلى قول غيره من اهل التاويل على الابتداء اى اذكر لهم نبأ اسمعيل وقصته فى الكتاب على الاحتجاج له
عليهم لان هذه الانباء القصص كانت فى كتبهم فاخبر رسوله عن تلك الانباء والقصص على ما كانت ليحتجوا
فيعلموا انه انما عرفها بالله ليدلهم ذلك على نبوته ورسالته ثم اختلف فى اسمعيل قال عامة اهل التاويل
هو اسمعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما وقال بعضهم هو الذى قالوا ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله و
لكن لا نعلم ذلك الا بالخبر عن الله وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل انه كان صادق الوعد قال
عامة اهل التاويل سماه صادق الوعد لانه وعد رجلا ان يقيم عليه وان ينتظره حتى يرجع اليه فاقام مكانه
اياما ينتظره للميعاد حتى يرجع اليه لكن لا يحتمل ان يكون مثل اسمعيل يعد عدة ولا يستثنى وقد نهى الله رسوله
ان يقول انه فاعل كذا غدا حتى يستثنى وهو قوله ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله و
يكون قوله صادق الوعد اى صديقا والصديق هو القائم بوفاء كل حق ظهر له لان كل مومن يعتقد فى اصل
ايمانه وطاعة ربه كل امر يامره والانتهاء عن كل نهى ينهاه ووفاء كل حق عليه فسماه صادق الوعد لقيامه
بوفاء كل حق ظهر له وتجلى والله اعلم وقوله تعالى وكان رسولا نبيا قد ذكرناه وقوله عز وجل وكان يامر اهله
بالصلوة والزكوة اى قومه بالصلوة والزكوة فان كانت الصلوة هى الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة
ففيه كانتا فى الامم الماضية وان كانت الدعاء والثناء وما به تزكوا الانفس وتطهر فهو على جميع الخلايق ذلك
والله اعلم وقوله عز وجل وكان عند ربه مرضيا ظاهر وقوله عز وجل واذكر فى الكتاب ادريس هو ما ذكرنا
وقوله عز وجل انه كان صديقا نبيا قد ذكرنا ايضا وقوله عز وجل ورفعناه مكانا عليا قال الحسن رفعناه
اى رفعه فى الجنة وقال عامة اهل التاويل رفعه الى السماء الرابعة ميت فيها او كلام نحو هذا ولكن
عندنا يشبه ان يكون رفعه اياه فى المنزلة والقدر والرفعة عند الله وعند الناس جميعا على ما ذكرنا
قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقوله عز وجل اولئك الذين انعم الله عليهم اى بالنبوة والرحمة التى
ذكر فيما تقدم والرحمة هى النعمة فهذا يرد قول اهل الاعتزال لانهم يقولون لا يخص الله احدا بالنبوة
ويشئ من الافضال الا من يستحق ذلك ويستوجبه فاخبر الله عز وجل ان ذلك منه انعام وافضال
عليهم من النبيين من ذرية ادم من حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم ايضا ومن ذرية اسرائيل اى يعقوب
ومن ذريته من هداه الله التوحيد واجتباه للرسالة والنبوة والله اعلم وقوله عز وجل اذا تتلى عليهم
ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا قال بعض اهل التاويل هذا فى مؤمنى اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه
اذا تتلى عليهم ايات الرحمن القران بعد ما اسلموا خروا سجدا وبكيا ويشبه ان يكون هذا فى اولئك الذين ذكر انه

انعم الله عليهم كانت لهم ايات فى كتبهم فيها سجود اذا تليت عليهم خروا لله سجدا وبكيا او ان يكون لا على حقيقة السجود
ولكن على الخضوع له والقبول لحججه وبراهينه التى تليت عليهم او ان يكونوا لا يملكون انفسهم اذا راوا ايات الله و
سلطانه ولكن وقعوا سجدا على ما اخبر عن سحرة فرعون عند معاينتهم الايات حيث قال فالقى السحرة سجدا وساجدون
ليس ان سجدوا له ولكن يلقون سجدا لما لا يملكون انفسهم عند معاينتهم الايات قال ابو عوسجة بكيا فيه ثلاث لغات
بكيا وبكيا وهو جماعة الباكى وقوله نجيا يقال فلان نجى فلان اى موضع سره ويحتمل قوله اذا تتلى عليهم ايات
الرحمن خروا سجدا وبكيا ان يكون كناية عن الصلوة وصفهم وقوله عز وجل انهم كانوا يكونون فى الصلوة خاشعين باكين
ثم قال فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات اى خلف من بعد اولئك الذين وصفهم عز وجل
بالصلوة لله والخشوع لربهم والبكا خلف اضاعوا الصلوة اى جعلوها لغير الله وهى الاصنام التى كانوا يعبدونها
اذا جعلوها وصرفوها الى غير الذي يصلى اولئك فقد اضاعوها لانهم كانوا يصلون للاصنام الصلوة التى كان يصلى
اولئك لله ويحتمل ان يكون قوله اضاعوا الصلوة لان الصلوة هى اخر ما يترك ويضيع لانه روى فى الخبر انه قال ستنقض
عرى الاسلام عروة عروة اولها الامانة واخرها الصلوة وقال بعض اهل التاويل اضاعوا الصلوة اضاعتها اخروها
عن مواقيتها لا ان تركوها اصلا فهذا فى اهل الاسلام ان ثبت والله اعلم وقوله عز وجل واتبعوا الشهوات اى اثروا
الشهوات على العبادات وجعلوا الشهوات هى المقصودة دون العبادات وقوله عز وجل فسوف يلقون غيا قال بعضهم
الغى واد فى جهنم لكن هذا لا يجوز ان يقال الا بالخبر عن رسول الله انه قال واد فى جهنم وقال بعضهم الغى العذاب قال
بعضهم الغى الشر وجايز ان يكون سمى جزاء اعمالهم التى عملوها فى الدنيا بالغواية اسم اعمالهم غيا ويجوز تسمية الجزاء
باسم سببه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ونحوه ثم استثنى فقال الا من تاب اى الا من تاب عن الشرك وامن
بالله وعمل صالحا وقوله عز وجل فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا يشبه ان يكون قوله لا يظلمون شيئا اى لا
ينقصون من حسناتهم التى عملوها فى حال ايمانهم لمكان ما عملوا من الاعمال فى حال كفرهم بل يبدل سيئاتهم حسنات مثل
على ما اخبر تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال فى اية ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اخبر انهم اذا
انتهوا عن الشرك لا يواخذهم بما كانوا منهم فى حال كفرهم والله اعلم ثم بين اية جنة فقال جنات عدن التى وعد
الرحمن عباده الذين امنوا بالغيب ثم يحتمل ايمانهم بالغيب اى بالله امنوا به بالخبر وان لم يروه ويحتمل الغيب الجنة
اى صدقوا بها وان لم يروها والنار والبعث بالغيب وقوله عز وجل انه كان وعده ماتيا اى كان موعوده اتيا
ولكن ذكر ماتيا لان كل من اتاك فقد اتيته فسمى لذلك ماتيا وقوله عز وجل لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
وقال فى موضع اخر لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما اى لا يسمعون باطلا ولا ماثما يكون بعضهم
من بعض ولا ماثما ثم بعضهم بعضا الا سلاما والسلام كانه اسم كل خير وبركة وقوله عز وجل ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا قال الحسن ان اطيب العيش واحبه الى العرب الغذاء والعشاء فاخبرهم الله عز وجل ان لهم فى
الجنة الغذاء والعشاء اطيب العيش الى العجم لباس الحرير واللؤلؤ فاعلمهم ان لهم فى الجنة ذلك بقوله يحلون
فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ويقول اهل التاويل ليس فى الجنة بكرة ولا عشى ولا ليل
ولا نهار ولكن يوتون على ما يحبون من البكرة والعشى وعن ابن عباس قال على مقادير الليل والنهار ويشبه ان
يكون قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ليس على تخصيص وقت دون وقت ولكن الاوقات كلها فى كل وقت يحبون
ويشتهون كقوله وفيها ما تشتهى الانفس وفاكهة مما يتخيرون ويخرج ذكر البكرة والعشى ان زمان الجنة يكون
شبه البكرة من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس مثل الوقت الذى يكون بعد غروب الشمس الى ان يظلم لانه اخبر ان
ظله ممدود بقوله وظل ممدود ثم اخبر ان تلك الجنة التى ذكر ان فيها كذا هى التى نورث من عبادنا من كان تقيا
يحتمل ان يكون وعد الجنة المبشر كلهم بشرايط شرط عليهم ان وفوا بها فلهم الجنة جميعا وان لم يفوا بها فلا فمن وفى
بشرايطه التى شرط جعل الذى كان وعد للذى لم يف اذا وفا للذى وفى بذلك فهو الميراث الذى ذكر وعلى ذلك
يخرج قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الاية والوارث هو الباقى عن المورث والخلف عن الميت و
قوله فخلف من بعدهم خلف وقال بعضهم الخلف بالجزم يستعمل فى موضع الذم والخلف بالتحريك والنصب فى
موضع المدح وقال بعضهم هما سواء ويستعملون جميعا فى موضع واحد وقوله عز وجل وما نتنزل الا بامر ربك
هذا الكلام منه لا يكون الا عن سؤال كان منه فكانه قد كان استبطاء نزول جبريل عليه فعند ذلك قال له
انا لا نتنزل الا بامر ربك ثم فيه انه لم يقل ذلك له الا بامر الله لان الله اخبر انهم لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون فلا يحتمل ان يقول له ذلك من تلقاء نفسه فيجعل ذلك اية فى كتاب الله تتلى وقوله عز وجل له ما بين
ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك كان هذا الكلام موصول بقوله وما نتنزل الا بامر ربك لانهما جميعا كانا بجملات
ان له ما بين ايديهم وما خلفهم وما بين ذلك فدل ذلك انه موصول بالاول وجهة الصلة بالاول هو ان يقال

ما نتنزل الا بامر ربك لا نتقدم الا بامره ولا نتاخر ولا نعمل شيئا الا بامره وهو كقوله لا تقدموا بين يدى الله ورسوله و
انا نعزم من اهل التاويل اختلفوا فيه قال بعضهم قوله له ما بين ايدينا هو الاخرة وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما
بين ذلك الحال التى نحن فيها وقال بعضهم قوله له ما بين ايدينا الدنيا وما خلفنا الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين
وامثال هذا لكن الذى ذكرنا بدءنا اولى واشبه ادهو على الصلة بالاول ان لا نتقدم ولا نتاخر ولا نعمل شيئا
الا بامره والله اعلم وقوله عز وجل وما كان ربك نسيا هذا يخرج على وجوه ثلاثة احدها ما قاله بعض اهل التاويل
ان جبريل قد كان احتبس عنه زمانا فقال اهل مكة قد ودعه ربه وقلاه فنزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك
ربك وما قلى على ما قال المشركون فيخرج على هذا قوله وما كان ربك نسيا على الترك اى ما كان ربك تاركك
لما قال اولئك من التوديع والقلى ويحتمل ما كان ربك نسيا كملوك الارض يطلب خدمهم وحولهم وقت نومهم
وحال غفلتهم فيقضون حوائجهم وحوائج من يطلب منهم القيام بها اى ما كان ربك بالذى يسهو ويغفل
كملوك الارض والثالث وما كان ربك نسيا بتاخير نزولك عن وقت النزول بل انزل عليك فى الوقت الذى
هو وقت النزول فهذان الوجهان يخرجان على السهو والغفلة والاول على الترك وقوله عز وجل رب السموات
والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته اى اصبر نفسك عليها وعلى طاعته وقوله عز وجل هل تعلم له
سميا اى ما تعلم له شريكا يشتغل بعبادته عن عبادة الله انما هو اله واحد لا راحة لك عن عبادته ولا ما يشغلك
عنه وقال بعض اهل التاويل هل تعلم احدا اسمه الله سواه وقال بعضهم هل تعلم له مثلا وشبيها وقوله عز وجل
يقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا هذا الكلام يخرج على وجهين احدهما على انكار البعث لسوف اخرج حيا
اى ما اخرج حيا والثانى على التهزؤ والهزء وجواب ما قال لهم اهل الاسلام انكم تبعثون وتحيون فقالوا عند ذلك
على الهزء بهم والسخرية ثم ذكرهم بدء حالهم حيث لم يكونوا شيئا فخلقهم فقال اولا يذكر الانسان انا خلقناه
من قبل ولم يك شيئا فاذ قدر على خلقه فى الابتداء ولم يك شيئا كان على احيائه وبعثه بعد ما كان شيئا
اقدر ثم اقسم انهم يبعثون فقال فوربك لنحشرنهم والشياطين اى لنجمعنهم والشياطين الذين اضلوهم
كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الاية وقوله عز وجل ثم لنحضرنهم حول
جهنم جثيا قال بعضهم جثيا جماعات كقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وقال بعضهم جثيا على الركب
لان اقدامهم لا تقيم لشدة هول ذلك اليوم وقوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة قال بعضهم الشيعة
الصنف اى من كل صنف والشيعة الاتباع كقوله هذا من شيعته وهذا من عدوه اى من اتباعه وقوله عز
وجل ايهم اشد على الرحمن عتيا اى تمردا وعنادا والعاتى هو القاسى المتمرد فى عتوه وقوله عز وجل ثم لننزعن
اى لنخرجن اى نبدأ بهم من كان منهم اشد على الرحمن تمردا وعنادا وهم القادة والرؤساء منهم فيقذفون
فى النار اولا ثم الامثل فالامثل على المراتب التى كانوا فى الدنيا وقوله عز وجل ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صليا اى اعلم بمن اولى بها صليا اى يصلى بالنار وهم القادة والكفرة وقوله يلقون غيا وقال ابو عوسجة الغى
الشر جثيا قال جماعات والجاثى هو البارك على ركبتيه والشيعة الصنف من الناس وقال القتبى جثيا جمع
جاث وفى التفسير جماعات وقال قتادة فى قوله هل تعلم له سميا قال لا سمى لله ولا عدل ولا مثل كل خلقه
يقر له ويعرفه ويعلم انه خالقه وقال بعضهم لا يسمى احد باسمه يعنى بالله وقال بعضهم بالرحمن وقوله
عز وجل وان منكم الا واردها اختلف فيه قال بعضهم الاية فى الكفرة خاصة واستدل باول الاية بقوله
فوربك لنحشرنهم والشياطين الى اخر ما ذكر والمؤمنون لا يحشرون مع الشياطين ولكن انما يحشر الكفار مع
الشياطين كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله ويكون قوله ثم ننجى
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا على ابتداء مع الورود عليها والنجاة منها وقال بعضهم الاية فى المؤمنين
والكافرين جميعا لكن اختلف فى الورود وقال بعضهم الورود الحضور دون الدخول لان الله عز وجل اخبر
ان من ادخل النار فقد اخزاه بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وقال بعضهم الورود الدخول
فيها واستدل بقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وبقوله يقدم قومه يوم
القيمة فاوردهم النار الاية يقول يدخل الفريقان جميعا فيها لكنها تصير جامدة وبردا على المؤمنين على ما
صارت بردا وسلاما على ابراهيم ثم تصير جارة محرقة للكفار والظلمة قال الحسن لا يحتمل ان يدخل اهل
الايمان النار لان الله عز وجل امن المؤمنين ان يكون عليهم خوف او حزن بقوله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فلو كانوا يدخلون النار لكان لهم خوف وحزن قد اخبر ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون دل انهم
لا يدخلونها وجائز ان يكونوا واردين جميعا داخلين فيها لا دخول تعذيب فيها وعقاب لانه ذكر ان ممرهم
جميعا على الصراط والصراط لجهنم كالسطح للدار ومن حلف ان لا يدخل دارا فتسور بسورها او صعد سطحها

من سطوحها حنث ويصير داخلا فيها فعلى ذلك جائز انهم اذا مروا على الصراط نجا اهل الايمان فمروا به وزل اقدام
الكفار فيها فيبقون فيها فكان الفريقان جميعا يوصفون بالدخول على الوجه الذى وصفنا وقال بعضهم ورود
المسلمين المرور بهم على الجسر بين اظهرها وورود المشركين ان يدخلوها وقال النبى صلى الله عليه وسلم
الزالون والزالات وقوله وما ذكر الحسن ان امن المؤمنين ان لا يكون عليهم خوف ولا حزن فجائز ان يكون الله
يدخلهم فيها على غير جهة العقوبة فلا يكون لهم خوف ولا حزن الا ترى انه اخبر انه جعل الملائكة اصحاب
النار بقوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ثم لا يكون لهم خوف ولا حزن وهم بها اوعد وبها اذا خالفوا
امر الله وعصوه بقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية الا ترى انه اخبر ان اهل الجنة
يطلعون على اهل النار فى النار ثم لا يخافون ولا يحزنون بقوله فاطلع فراه فى سواء الجحيم وهم فى الدنيا اذا
طلعوا عليها لا شك انهم يخافون ويحزنون ويسوءهم ذلك اشد الخوف ثم فى الاخرة لا فعلى ذلك جائز ان
يردونها ويدخلونها ولا يخيفهم ذلك ولا يحزنهم ولا يسوءهم والله اعلم بذلك وقوله عز وجل كان على ربك
حتما مقضيا اى فرضا واجبا ثم ننجى الذين اتقوا الشرك او الفواحش ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبتهم
وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قد ذكرنا وقوله قال الذين كفروا للذين امنوا اى الفريقين خير
مقاما واحسن نديا كان هذا القول من الكفرة خرج جواب ما احتج عليهم اهل الايمان بالايات التى ذكرت وحاجوا
عليهم فيقولون انكم تقولون ان الدنيا والاخرة لله فقد وسع علينا الدنيا وضيق عليكم فعلى ذلك يوسع الاخرة
علينا ويضيق عليكم كما فعل فى الدنيا اذ لا يجوز ان يوالينا فى الدنيا ويعادينا فى الاخرة وعلى هذا قولهم نحن اكثر
اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فظنوا انه لما وسع عليهم الدنيا واحسن لهم الندى والمجلس كذلك يكون
فى الاخرة فاكذبهم الله ورد عليهم ذلك فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اخبرهم بما
عرفوا انهم كانوا اهل السعة والزينة ثم اهلكوا بتكذيبهم الرسل وعصيانهم ربهم فلو كان ما ذكر هؤلاء
الكفرة لكانوا لا يهلكون فيلزمهم بما ذكر ان من وسع عليه الدنيا وضيق على الاخر انما يكون بحق المحنة لا بحق
المنزلة والقدر واما الثواب والجزاء فهو بحق القدر والمنزلة والخذلان وقوله عز وجل اثاثا قبل المتاع والمال
ورءيا اى منظرا وقوله عز وجل قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اى خيرا وسعة فى الدنيا حتى
اذا راوا ما يوعدون اما العذاب هو العذاب والهلاك الذى وعدهم رسول الله فى الدنيا واما الساعة
القيامة وقوله عز وجل فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا هذا يدل ان قولهم اى الفريقين خير
مقاما واحسن نديا اراد الخدم والحواشى حيث قال واضعف جندا قال ابو عوسجة حتما مقضيا اى واجبا نديا
اى مجلسا والاندية جمع والاثاث المتاع ورءيا منظرا وعدله اى نطيل عذابه قال القتبى نديا اى مجلسا يقال
للمجلس ندى ونادى ومنه قيل دار الندوة التى كان المشركون يجلسون ويتشاورون فى رسول الله و
والاثاث المتاع والرئى المنظر والشارة والهيئة وقوله فليمدد له الرحمن مدا اى يمد له فى ضلالته ونرثه ما
يقول اى نرثه المال والولد الذى قال لاوتين وقوله ويأتينا فردا لا شئ معه وقوله عز وجل ويزيد
الله الذين اهتدوا هدى جميع ما ذكر الله عز وجل من زيادة الهداية وابتداء الهداية فهو انما يزيد له
الهداية ويهديه ابتداء اذا كان من العبد رغبة فى ذلك وبغية وطلب اذا كان مهتديا يزيد له الثبات على
ما كان عليه فى وقت رغبته وطلب منه وان لم يكن مهتديا يهديه ابتداء هداية فى وقت رغبته وقبوله
على هذا يخرج عندنا ما ذكر بحق الزيادة او بحق الابتداء او يحتمل قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اى
يوفقهم اذا اهتدوا وعرفوا وحدانية الله لانواع الخيرات والطاعات وقالت المعتزلة الهداية الاولى
البيان وهى هداية عامة والهداية الثانية هى شرح الصدر لها والتوفيق وهى هداية خاصة تكون فى وقت
ثان بحق الثواب فعلى زعمهم يجب ان لا يكفر احد بعد ما هداه الله مرة ابدا لانهم يقولون اذا اهتدوا وقبلوا
هدايته مرة يوفقه ويشرح صدره فى الوقت الثانى فهو ابدا يكون على الهداية والايمان فاذا وجد عن كثير
من اهتدوا وامره الكفر من بعد دل ان تاويلهم فاسد وان التاويل ما ذكرنا نحن انه يزيدهم الهداية وقت
رغبتهم وطلبهم الهداية ان كان بحق الزيادة او بحق الابتداء والله اعلم وقوله عز وجل والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير مردا يحتمل الباقيات الامور الباقية التى لها البقاء اى ما يبقى لكم عند الله خير
مما يبطل لان الله عز وجل وصف الحق والخير بالبقاء والمكث ووصف الباطل بالذهاب والتلاشى
بقوله فاما الزبد الاية وقال فى اية ومثل كلمة طيبة الاية وقال ومثل كلمة خبيثة الاية وقال فى اية و
قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا اى ذاهبا فيشبه ان يكون قوله والباقيات الصالحات
خير اى اعمال التى لها البقاء خير لكم عند الله ثوابا من الذى ليس لها البقاء ويحتمل الباقيات اى ما ابقى

الله لكم في الآخرة من الثواب خير لكم مما أعطى لكم في الدنيا لأن هذا فان وذاك باق والله أعلم وقوله عز وجل
أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا قال بعضهم هذا القول قاله العاص بن وائل السهمي لمحاجة
أهل الإيمان في أمر الآخرة أنها لهم دون الكفرة فقال لهم عند ذلك لأوتين مالا وولدا في الآخرة إن كان ما تقولون
أنتم حقا أنا نبعث ونحيى كما أوتيت في هذه الدنيا وقال الحسن قال هذا القول الوليد بن المغيرة وهو ما قال تعالى ذرني
ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد له في الدنيا أبدا
فقال كلا ردا على ذلك وقال ههنا أطلع الغيب أن يكون له في الآخرة ذلك على التأويل الأول وفي الدنيا
في وقت آخر ذلك على تأويل الحسن أم اتخذ عند الرحمن عهدا أي له بذلك عند الله عهد كلا ردا على ما ادعى
سنكتب ما يقول أي سنحفظ ذلك ونمد له من العذاب مدا قال بعضهم قوله ونمد له أي نزيد له من العذاب في
كل يوم كقوله فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا وقال بعضهم نمد له من العذاب مدا أي نعذبه عذابا لا انقطاع له
والله أعلم وقوله عز وجل ونرثه ما يقول قال بعضهم أي نرثه المال والولد الذي قال لأوتين أي لله ما يقول
بأنه له من المال وغيره لا له وقال بعضهم قوله نرثه أنه يعطى في الجنة ما يعطى المؤمنون فنرثه عنه ونعطيه غيره
وجائز إضافة الوراثة إليه على إرادة أوليائه أي نرثه ذلك أولياءه وقوله عز وجل ويأتينا فردا في الآخرة
لا شيء معه ولا أهل كقوله لقد جئتمونا فرادى ويحتمل قوله ويأتينا فردا في الدنيا في الوقت لا شيء معه ولا
أهل ولا ولد على تأويل من يقول في قوله لأوتين مالا وولدا في الدنيا والله أعلم ثم اختلف أهل التأويل
في العهد الذي ذكر أن له عند الله قال بعضهم شهادة أن لا إله إلا الله في الدنيا وقال بعضهم قدم عملا
صالحا وقال بعضهم الصلوة وهو قول مقاتل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال اتخذوا عند الرحمن عهدا
فإن الله يقول يوم القيامة من كان له عندي عهد فليقم فقيل كيف هو قال اللهم فاطر السموات والأرض
عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك في هذه الحيوة الدنيا أنك إن لا تكلني إلى عمل يقربني من الشر ويباعد
من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعله لي عندك عهدا تؤديه إلي يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ويرفع
ابن مسعود هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والأول كأنه أشبه أن يثبت الخبر وقوله عز وجل واتخذوا من
دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا فإن كان على حقيقة العز فهو في القادة منهم والمتبوعين الذين عبدوا تلك
الأصنام والأوثان ليتعززوا بذلك ولا يذلون ويدوم لهم الرياسة التي كانت لهم في الدنيا فظنوا أنهم
إن آمنوا تذهب تلك الرياسة والمأكلة عنهم ويحتمل قوله ليكونوا لهم عزا أي نصرا ومنعة فإن كان هذا
فهو في رؤسائهم والأتباع في الدنيا والآخرة أما ما طمعوا بعبادتهم الأصنام النصر في الآخرة وهو
كقولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله طمعوا بعبادتهم النصر والشفاعة
في الآخرة وأما في الدنيا ظنوا أن آلهتهم التي اتخذوها وعبدوها ينصرونهم في الدنيا حيث قالوا إن
نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فكيف ما كان فقد رد الله عليهم ما طمعوا منها عزا كان أو نصرا فقال
كلا لأنهم إذ لو أعفتهم الخشب وحنوا ظهورهم لها فكفى بذلك ذلا وصغارا وقوله عز وجل سيكفرون
بعبادتهم قال الحسن سيكفر عباد الأصنام في الدنيا ومن عبدوه في الآخرة أنهم ما كفروا وما عبدوها
كقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ينكرون في الآخرة أن يكونوا أشركوا به
غيره أو عبدوا دونه وقال غيره من أهل التأويل سيكفر المعبودون بالعابدين لهم ويتبرؤون منهم و
هو كقولهم شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون وقوله فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ونحوه وقوله
عز وجل ويكونون عليهم ضدا قال بعضهم ضدا أي عونا وقيل أعوانا وهو أن يلقي تلك الأصنام معهم
فيزداد والهم معهم في النار فيحرقون فيها معهم فيزداد والهم بها عذابا فكانت عونا على إحراقهم
وعلى هذا يخرج قول من يقول الضد البلاء أي يكونون بلاء عليهم على ما ذكرنا وهو ما قال إنكم وما تعبدون
الآية فإذا صاروا حطبا بلاء كانوا بلاء وعونا على إحراقهم وقال بعضهم يكونون عليهم ضدا أي قرناء
في النار يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض ويخاصم بعضهم بعضا ويكذب بعضهم بعضا فذلك كله ضد
عليهم ضد ما طمعوا منها لأنهم عبدوها في الدنيا رجاء أن يكون لهم شفعاء في الآخرة ونصرا فكانوا لهم
على ضد ذلك أعداء وقال ابن عباس يكونون عليهم ضدا أي حسرة وكله واحد وقوله عز وجل ألم تر
أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا قال بعضهم أي سلطناهم عليهم كقوله إنما سلطانه عليهم
كقوله إنما سلطانه على الذين يتولونه وقال بعضهم أرسلنا الشياطين أي قيضناهم بهم كقوله ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهما في الحقيقة واحد لأنه إذا أرسلهم تسلطوا بهم قيضوا وقرنوا
بعضهم ببعض وقال الحسن وأبو بكر الأصم أرسلنا الشياطين على الكافرين أي خلينا بينهم وبينهم ولم

يمنعهم

يمنعهم منهم ما ذكر لكن لو كان تأويل الإرسال التخلية وتأويل التقييض كذلك لم يكن لتخصيص الكفار بذلك
معنى إذ قد كان ذلك القدر من التخلية بينهم وبين المسلمين إن كان تأويل التخلية أنه لم يمنعهم منهم ولم
يحل بينهم فدل تخصيص الكفار بهذا وأمثاله ليس هو التخلية لا غير وإن تخصيص هؤلاء بهذا وأمثاله من
قوله طبع الله على قلوبهم وقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة ونحوه وإن كان هنالك من الله معنا في الكفار
ليس ذلك في المؤمنين وفي المؤمنين معنى ليس ذلك في الكافرين وهو والله أعلم إذا علم في المؤمنين الرغبة
والإجابة وفقهم على ذلك وهداهم وإذا علم من الكفار خلاف ذلك وضده خذلهم وأضلهم فذلك تخصيصه
إياهم بما ذكر والله أعلم وقوله عز وجل تؤزهم أزا قال بعضهم تزعجهم إزعاجا قال بعضهم تشليهم إشلاء وتغريهم
إغراء وقال الحسن تحركهم تحريكا وقال بعضهم تقدمهم إقداما إلى الشر وقال بعضهم تأمرهم أمرا وقال بعضهم
توقعهم إيقاعا ونحوه وكله واحد وقوله عز وجل فلا تعجل عليهم أي لا تتكلم على ذا هم إيالك ولا تعالجهم
إنما نعد لهم عدا أي أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا فهي معدودة تنقضي آجالهم عن قريب فلا تتكلم على
ذلك وما يستقبلونك بالمكروه والسوء ثم وجه ما ذكر من إرسال الشياطين عليهم والتمكين لهم من الوسوسة
في الصدور وأعني صدور المؤمنين والنزغ في ورعهم من غير أن يملكوا القهر والقسر على ذلك وما جعلهم بمحل لا
نريهم نحن وهم يروننا على ما أخبر أنه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فهو والله أعلم وذلك أن من علم أن
بحضرته وقربه عدوا له يراقبه ويطلب الفرصة عليه يكون أخفى وأهيب له ممن لا يعلم ذلك ولا كان بقربه
وحضرته عدو وعلى ذلك ما جعل الله عز وجل من الحفظة والكرام الكاتبين صلوات الله عليهم على بني آدم رقباء
عليهم في قليل ما يفعلون ويتفوهون وكثيرهم وإن كان قادرا على ذلك والتذكير لهم واحدا بعد واحد شيئا على
إثر شيء وذلك لما ذكرنا أن من علم أن عليه رقيبا يراقبه ويكتب عليه كل قليل وكثير كان أحذر وأهيب ممن
لم يعلم على نفسه رقيبا والله أعلم وقوله عز وجل يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا أي الذين اتقوا مخالفة
أمر الله في كل ما لا يغلب عليهم لأن المؤمن لا يرتكب المعصية إلا لغلبة شهوة أو لغلبة رجاء إلى المغفرة ربه
ونحوه أو توبة يضمرها بعد ارتكابها على هذا يكون ارتكاب المؤمن مخالفة ربه وقوله عز وجل إلى الرحمن أي إلى
ما وعد لهم الرحمن من الثواب وقوله عز وجل وفدا الوفد في الشاهد هم أهل الكرامة والمنزلة يبعثون
لأمور فكأنه ذكر أن المتقين يحشرون وهم مكرمون معظمون ولهم منزلة عند الله وقدر والله أعلم وقوله
عز وجل ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا الوارد هو طالب الماء والورد الجمع فكأنه قال ونسوق المجرمين إلى جهنم
عطاشا طلابا للماء على ما قاله أهل التأويل والمجرم قال أبو بكر الأصم هو الوثاب في المعصية وأصل الإجرام هو
الاكتساب ولهذا قال بعض أهل الأدب في قوله لا يجرمنكم شنآن قوم أي يكسبنكم وأصله هو كسب الإثم وقوله
عز وجل ونسوق المجرمين فيه أنهم إنما يساقون على كره منهم إذ ذكر في الكافرين السوق وذكر في المؤمنين
الجمع والحشر وقوله عز وجل لا يملكون الشفاعة الشفاعة إنما تكون فيمن استوجب العذاب والعقوبة فأما
من لا عقوبة عليه مغفور الذنب فإنه لا معنى لها ولا فائدة فهو رد على المعتزلة مذهبهم أن صاحب الكبيرة لا يغفر
وصاحب الصغيرة مغفور له فالشفاعة التي ذكر لا تخلو إما أن تكون لأهل الكبائر فيغفر لهم بالشفاعة فيبطل قولهم
أو لأهل الصغائر فله تعذيبهم فكيف ما كان فهو رد قولهم إذ لا معنى لذكر الشفاعة في المغفورين وقالوا إن
الشفاعة في الشاهد أن يذكر محاسن الإنسان عند آخر ليعرف محاسنه ومناقبه ليكون له منزلة وقدر عنده
لكن مثل هذا يجوز ممن يجهل ذلك ولا يعرف محاسنه فأما الله سبحانه هو عالم بذاته يعلم حال كل أحد فلا يحتمل ذلك
قوله عز وجل إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال بعضهم شهادة أن لا إله إلا الله وقال بعضهم العمل الصالح
وقال بعضهم الصلوة على ما ذكرنا وأصل العهد هو أن يشترط عليه شرط الوفاء حتى يفي بما شرط عليه وهو
الوفاء بما أمر به ونهى عنه والله أعلم وقوله عز وجل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قال بعضهم الآية في مشركي العرب
لأنهم هم الذين قالوا الملائكة بنات الله لكن أهل الكتاب قالوا أيضا قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن مريم فهو في كل من قال ذلك ثم قوله لقد جئتم شيئا إدا يخرج على الإضمار حين أخبر عنهم أنهم
قالوا اتخذ الله ولدا أن قل لهم يا محمد لقد جئتم شيئا إدا أي عظيما منكرا أو أن يكونوا لما قالوا ذلك أقبل
عليهم فقال لهم لقد جئتم شيئا إدا عظيما منكرا والله أعلم وقوله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا قال بعضهم مثل هذا إنما يقال على المبالغة في العظيم من الأمور
والنهاية من الضيق والشدة على التمثيل بقول الرجل لآخر أظلمت الدنيا عليه وضاقت عليه الأرض بما رحبت
ونحو على الإبلاغ في الضيق والشدة فعلى ذلك هذا ذكر على الإبلاغ والنهاية في العظيم من قول الذين قالوا
لله سبحانه ثم جعل مثل ما قالوا في العظيم لله عما يعظم من المحسوسات في العقول وهو ما ذكر من انفطارهم

السموات وانشقاق الارض وهد الجبال وهن اصلب الاشياء واشدها ليعرفوا عظم ما قالوه وهكذا يعرف الامور
الغائبة التي سبيل معرفتها الاستدلال بالمحسوسات من الاشياء والمشاهدات منها وجائز ان يكون ما ذكر من
انشقاق الارض وهد الجبال وانفطار السماء على حقيقة ما ذكر ان يكون فيها وان لم يشاهد ذلك منها ولم يحس كقوله
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وقال قائلون ذكر هذا في اهل السموات والارض انهم يكونون كما ذكر بما قالوه تعظيما لله
وانكارا والله اعلم وقوله عز وجل وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن
عبدا وفي الشاهد لا احد يتخذ الولد من عبيده فكيف ينبغي من له ملك السموات والارض وكلهم عبيده ان يتخذ
ولدا من عبيده او ما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا واسباب الاولاد التي بها يتخذ الولد ليست فيه لان في الشاهد انما يتخذ
الولد لثلاث وقد ذكرنا في غير موضع فان كان الله سبحانه تعالى عن ذلك كله لم ينبغ له ان يتخذ الولد وقال بعضهم في
قوله الا اتى الرحمن عبدا في الاخرة اي كلهم يقرون بالعبودة له يومئذ وقوله عز وجل لقد احصاهم وعدهم عدا يحتمل
قوله احصاهم وعدهم عدا من عد انفسهم واحصابه اي لا يخفى عليه شيء او ان يكون على الوعيد ان يحصي اقوالهم بما سلط
عليهم من الملائكة ما يراقبون ذلك منهم كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله كراما كاتبين قال ابو عوسجة
العد الحفظ والاد السوق الشديد وقوله شيئا ادا اي شديدا والورد اي يوردهم اياها اي يدخلهم وقال الورد
النصيب من الماء وقوله هذا اي صوتا يهدا اي يهدم وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا يحتمل هذا وجوها ثلاثة احدها خاطب به اهل مكة انكم اذا امنتم وعملتم الاعمال الصالحات يرفع الله ما بينكم
من التباعد والتعادي فيبدل مكانه المحبة والمودة كقوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم صاروا بالايمان اخوانا مؤلفة قلوبهم بنعمة الله وفضله والثاني يجعل لهم الرحمن
ودا في الجنة اي ننزع عنهم ما في قلوبهم من غل وغش كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
والثالث سيجعل لهم الرحمن ودا في قلوب الانبياء والاخيار واصحاب الدين لانهم انما ينظرون الى الانسان لدينه
وخلوص عمله لله وصفائه له لا الى الدنيا وما يحويه بيده وجائز ان يكون على ما رويت الاخبار ان ثبتت روي عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا نادى اني قد احببت فلانا فاحبوه وكذلك هذا في
البغض وقال كعب وجدت في التورية انه لم تكن محبة لاحد من اهل الارض حتى يكون بدوها من الله تعالى ينزلها
على اهل السماء ثم على اهل الارض وكذلك قال في البغض ثم قال وكذلك وجدت في القران فقرا هذه الاية ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يحبهم ويحببهم الى المومنين في صدورهم فعلى هذا ان ثبت ان
يخاف المرء على نفسه اذا راى الناس لا يحبونه ان يكون ذلك بسوء عمله والله اعلم وقوله عز وجل فانما يسرناه بلسانك
قال بعضهم يسرناه تبليغ الرسالة على لسانه حتى بلغها الى الفراعنة منهم والاكابر الذين كانوا يقتلون من
يخالفهم ويستقبلهم بغير الذي هم عليه قولا وفعلا ويعاقبون على ذلك يسر ذلك عليه حتى بلغها الى امثال هؤلاء
وقدر على ذلك من غير ان قدروا على اهلاكه حيث اخبر انه عصمه منهم بقوله والله يعصمك من الناس وقال بعضهم
يسره على لسانه حتى قدر على التكلم به والنطق لانه كلام رب العالمين قال ابو بكر الاصم هذا لا يحتمل لانه انزله
بلسانه ولسان العرب فلا يحتمل ان لا يقدروا على التكلم به والنطق وقال قائلون يسره على لسانه حيث جعله
بحيث يحفظونه ويقرؤنه عن ظهر قلوبهم ليس كسائر الكتب المتقدمة انهم كانوا لا يقدرون على حفظها و
القراءة عن ظهر القلب والله اعلم وقوله عز وجل لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وقال في اية اخرى
لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين مرة ذكر النذارة للناس جميعا ومرة للذين ظلموا خاصة ومرة للذين
اتبعوا الذكر الاصل في النذارة والبشارة ان البشارة اذا كانت خاصة لاحد فهو له على شرط الدوام على
ذلك ابدا وفيها النذارة له ان لم يدم وكذلك النذارة الخاصة لاحد هي له ما دام بذلك ملتزما فان تاب
ورجع عن ذلك فله فيها البشارة على هذا يكون البشارة الخاصة والنذارة الخاصة يكون في كل واحدة
منها اخرى واما البشارة المطلقة فهي بشارة لا يكون فيها النذارة وكذلك النذارة المطلقة لا يكون
فيها البشارة على هذه الاقسام يخرج البشارة والنذارة والله اعلم وقوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم من
قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا تخويف به اهل مكة باهلاكه القرون الماضية في الدنيا
بتكذيبهم الرسل لئلا يكذبوا محمدا كما كذب اولئك الذين من قبلهم فينزل بهم العذاب والهلاك كما نزل
باولئك يقول لنبيه هل تحس منهم من احد اي هل ترى وتبصر منهم احدا اي لا ترى ولا تبصر منهم احدا او تسمع
لهم ركزا قيل صوتا وقيل ركزا اي لا يذكرون بعد هلاكهم الا بسوء يحذر اهل مكة لئلا يكذبوا رسولهم كما
كذب الذين من قبلهم الرسل فيكونون كما كان اولئك وصاروا مثلهم قال القتبي الالد جمع الد وهو الخصم
الجدل والركز الصوت الذي لا يفهم وقال ابو عوسجة الالد هو شديد الخصومة هل تحس هل تراه وركزا م

اي ذكرا او الركز ايضا الصوت وقال هذا اي صوتا اذا انهدمت وقال ابو معاذ والعرب في البشرى ثلاث
لغات بشرته بالتخفيف فانا ابشره وبشرته بالتشديد فانا مبشره والرجل مبشور ومبشر ومبشر وقوله و
كلهم اتيه يوم القيامة فردا اي وحده ليس معه من دنياه شيء وقال الحسن قوما لدا قال صما عن اذان القلوب
وقال بعضهم فجارا وقيل عوجا عن الحق واصله ما تقدم ذكره والله اعلم

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل طه قال بعضهم من اهل
التاويل قوله طه يا رجل بالنبطية وقال بعضهم بالسريانية وقيل يا فلان وقيل هو اسم من اسماء الله وقيل
حروف من اسمائه ونحو ذلك وقد ذكرنا القول في الحروف المقطعة فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل ما
انزلنا عليك القران لتشقى لا يحتمل ان يكون هذا نزل على الابتداء من غير سبب ولا امر لكنه لم يبين السبب الذي
به نزل هذا فيحتمل ان يكون سببه وجوها احدها ما حمل نفسه من الشدائد والمؤن العظام واجهد نفسه في ذلك
فنزل ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعب به نفسك كقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اي تتعب الا ترى
انه قال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى والثاني انه لما كف نفسه عن الشهوات ومنعها عن جميع ما تهواه من
اللذات فقال اولئك الكفرة انه شقي حيث يراه لم يعط نفسه شيئا من شهواتها ولذاتها والثالث انهم قالوا
ذلك لما راوا انه دعا الفراعنة والجبابرة الى دينه واتباعه واظهر لهم الخلاف واستقبلهم بما يكرهون
وكانت عادتهم القتل واهلاك من يظهر لهم الخلاف فخاطر بذلك فعند ذلك قالوا انه شقي حيث يخاطر
نفسه فقال ما انزلنا عليك القران لتشقى على ما يقول اولئك بل انزله عليك لتسعد حيث اخبر انه عصمه بقوله
والله يعصمك من الناس وان لا يعشر ولا يذكر ذلك الامر والسبب الذي به نزل لانه لم يبين ولا حاجة بنا الى معرفة
ما ذكر وهو قوله الا تذكرة لمن يخشى اي ما انزلنا عليك لتشقى بل انزلناه لتسعد وانزلناه لتذكر به من يخشى
كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقوله عز وجل الا تذكرة لمن يخشى اي عظة لمن يتقي ما به يخشى و
يحتمل قوله لمن يخشى كل مؤمن لان كل مؤمن ليعتقد في اصل ايمانه الخشية منه والاتقاء من نقمته وعذابه وقوله
عز وجل تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى كان هذا نزل على اثر قول قاله اولئك الكفرة وهو ما قالوا انه ساحر
وانه مفتر وانه شاعر وانه انما يعلمه بشر ونحوه فقال جوابا لقولهم تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ليس كما
يقول اولئك انه مفترى وانما يعلمه بشر بل تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى والله اعلم وقوله عز وجل
الرحمن على العرش استوى قال الشيخ رحمه الله القول بالكون على العرش وهو موضع بمعنى كونه بذاته او في كل
الامكنة لا يعدو امن احاطه ذلك به او الاستواء او مجاوزته عنه واحاطته فان كان الاول فهو اذا محدود
محاط به منقوص عن الخلق اذ هو دونه ولو جاز الوصف له بذاته بما يحيط به الامكنة جاز بما يحيط به الاوقات
فيصير متناهيا بذاته مقصرا عن خلقه وان كان على وجه الثاني فلو زيد في الخلق لانتقص ايضا وفيه ما في الاول ولو كان
على الوجه الثالث فهو الامر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من ان ينشئ ما لا يفضل عنه مما يذم من فعل
الملوك ان يفضل عنهم من المقاعد شيئا وبعد فان في ذلك تجزيته بما كان بعضه في ذي ابعاض وبعضه يفضل
عن ذلك وذلك كله وصف الخلائق والله يتعالى عن ذلك وبعد فانه ليس في الارتفاع الى ما يعلو من المكان
للجلوس شرف ولا علو ولا وصف بالعظمة والكبرياء كمن يعلو السطوح والجبال انه لا يستحق الرفعة على من
دونه عند استواء الجوهر فلا يجوز صرف تاويل الاية اليه بل فيها ذكر العظمة والجلال اذ ذكر في قوله لما في السموات
والارض وما بينهما وصفه بالعظمة والسلطان له والقدرة فكذلك على تعظيم العرش اي شيء كان من نور او جوهر
لا يبلغه علم الخلق واضافة الاستواء اليه لوجهين احدهما على تعظيمه بما ذكر على اثر ذكر سلطانه في ربوبيته و
قدرته وخلقه ما ذكر والثاني على تخصيصه بالذكر بما هو اعظم الخلق واجله على المعروف من اضافة الامور
العظيمة الى اعظم الاشياء كما يقال تم لفلان ملك بلد كذا واستوى على موضع كذا الاعلى خصوص ذلك في الخلق
ولكن معلوم ان من له ملك ذلك فما دونه احق به وعلى ذلك قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية
بما صارت له ام القرى ويئس الذين كفروا من دينهم وكذا ما ذكر من ارسال الرسل الى الفراعنة والى ام القرى
لا يخصص ذلك ولكن بذكر عظم الامر فكذلك امر العرش وهو كقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وقوله
امرنا مترفيها على نحو ما غيرهم بهم ويحتمل ان يكون على المنع بوصف المكان اذ هو على الامكنة عند الخلق ولا
يعد والعقول فوقه شيئا فاشار اليه ليعلم علوه على الامكنة وتعاليه عن الحاجة وعلى ذلك قوله ما
يكون من نجوى ثلاثة الاية والنجوى ليس من نوع ما يضاف الى المكان ولكن يضاف الى الاسرار فاخبر
بعلوه عن الامكنة وتعاليه عن ان يخفى عليه شيء ثم بعد رتبته وقدرته بقوله ونحن اقرب من حبل الوريد
اي بالسلطان والقوة وبالوحدة في البقاع كلها لانها امكنة العبادة بقوله وهو الذي في السماء اله

وفي الارض اله ويملك كل شيء بقوله له ملك السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وبقوله له
ملك السموات والارض ثم بعلوه وجلاله بقوله فوق كل شيء وهو بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير فجمع
في هذه الاحرف ما فرق في تلك ليعلم انه بكل ما سمي به ووصف كان ذلك له بذاته لا بشيء من خلقه وكذلك
عزه وشرفه ومجده جل ثناؤه عن الاشباه ولا اله غيره وقال بعضهم يريد بالعرش الملك اذ هو اسم ما ارتفع
من الاشياء وعلا حتى سمي به السطوح ودروس الاشجار والاستواء قيل فيه باوجه ثلاثة احدها الاستيلاء
كما يقال استوى فلان على كورة كذا بمعنى استولى والثاني العلو والارتفاع كقوله فاذا استويت انت و
من معك على الفلك وقوله اذا استويتم اي علوتم والثالث التمام كقوله حتى اذا بلغ اشده واستوى اي
تم واستقر وقد قيل بالقصد والى ذلك وجه بعض اهل الادب قوله ثم استوى الى السماء بمعنى خلق على
التمثيل بفعل الخلق فيما بينهم فعلهم قولا ان يكون بالقصد وان كان لا يقال له القصد ولا توقع الا بالله
ثم الوجه في ذلك لو كان على الاستيلاء العزوا الملك انه مستولي على جميع خلقه وعلى هذا التاويل المحمود عنها
هذا يدل على الامر بن قوله وهو رب العرش العظيم بمعنى الملك العظيم وفيه اثبات عروش غيره فذلك يحتمل
ما يحمل ويحف به الملائكة والله الموفق واما على تاويل التمام والعلو فهو ان الله تعالى قال قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين الاية فاخبر بخلق ما ذكر في ستة ايام على التفاريق ثم اجملها في موضع فقال
ان ربكم الله الذي خلق السموات الى قوله ثم استوى بمعنى خلق الممتحن من خلق الارض والسموات فيهم
ظهر تمام الملك وعلى وارتفع اذ هم المقصود دون من خلق ما بينا قبل ذلك ثم معنى الملك وعلا اذ وصل الى الذين
لهم خلقوا وقد قيل ذا في خلق البشر خاصة بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الاية وقوله لكم ما في
السموات ونحوه وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه ان البشر خلق اليوم السابع فيه التمام والعلو اذ خلق لهم
كل شيء وهم لعبادة الله والحق بهم الجن بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الاية لكن المقصود البشر اذ
تسخير ما ذكرت كله انما يرجع الى منافعهم والله الموفق والاصل عندنا في ذلك ان الله عز وجل قال ليس كمثله
شيء فنفى عن نفسه شبه خلقه وقد بينا انه في فعله وصفته متعال عن الاشباه فيجب القول بالرحمن على
العرش استوى على ما جاء به التنزيل ونفي عنه شبه الخلق لما اضاف اليه واذ لزم القول في الله بالتعالي عن الاشباه
ذاتا وفعلا لم يجز ان يفهم من الاضافة اليه المفهوم من غيره في الوجود والله الموفق وقد ذكرنا هذا في غير
موضع من القرآن وفي قوله له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى الوصف له بالسلطان
والقدرة والملك على ما ذكرنا وفي قوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الوصف له بالعلم في الغيب
والسر والعلانية جميعا ليكونوا ابدا على حذر وخوف ويقظة في جميع افعالهم واقوالهم وفي الاول ليصرفوا
طمعهم ورجاهم من الخلائق الى خالقهم وان لا يطيع ولا يرجى غيره ثم اختلف في قوله وان تجهر بالقول فانه
يعلم السر واخفى قال بعضهم السر ما اسررت به الى غيرك واخفى ما اضمرته واكننته ولم تسره الى احد وقال
قائلون السر ما اسررت به وحدثت به نفسك واخفى ما علم الله انه كائن يكون ولم يعد ولم تعلم به وقال قائلون
السر ما اسره في نفسه واخفى ما خطر في قلبه ولا يضبطه ونحو ذلك واصله في قوله وان تجهر بالقول كانه
يقول او تسر فانه يعلم واخفى والله اعلم وقوله عز وجل الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى قال ابو بكر الاصم
الرحمن وحده الله باسمائه فله الحسنى وهي الجنة وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وهل اتيك حديث موسى
اذ راى نارا ظاهر هذا سؤال واستفهام لكن المراد منه الايجاب ثم اختلف في معنى الايجاب قال الحسن وابو بكر
قوله وهل اتيك امر لم يأتك حديث موسى وسيأتيك ثم اخبره واعلمه بحديثه ونبايه وقال بعضهم هل اتاك اي
قد اتاك حديث موسى ليخبرهم عما كان في كتبهم ليكون ذلك اية لنبوتك ورسالتك وقوله عز وجل فقال
لاهله امكثوا اني انست نارا قيل رايت نارا وقيل علمت نارا لعلي اتيكم منها بقبس ليس في هذه الاية بيان
ان موسى في اي حال كان وفي اي وقت لكن في موضع اخر بيان ذلك وهو ما قال فلما قضى موسى الاجل وسار
باهله انس من جانب الطور نارا هذا يدل انه كان في حال السير والسفر راى ذلك وقال في اية اخرى لعلي اتيكم منها
بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فهذا يدل انه كان في ايام الشتاء والبرد حيث قال لعلكم تصطلون قال
ابو عوسجة لعلي اتيكم منها بقبس القبس النار والاقتباس من النيران ويقال قبس يقبس قبسا اي جاء بالنار
ويقال اقبسني نارا اي اعطني نارا واقتبست ايضا تعلمت وهذا من ذاك لان العلم ضوء ويقال اقبستك اي
علمتك واقتبست اي سألت النار والعلم وقال القتبي انست نارا ابصرت ويكون في موضع اخر علمت كقوله فان
انستم منهم رشدا وقوله عز وجل او اجد على النار هدى هذا يشبه ان يكون قد استقبلته الطرق فلم يعلم
الطريق الذي له من غيره فقال او اجد على النار هدى امن يدلني ويرشدني على الطريق وان كان قد ضل

الطريق

الطريق وعدل عنه فقال عند ذلك ما قال والله اعلم وقوله عز وجل فلما اتيها نودي اي نداء وحي يا موسى
اني انا ربك فاخلع نعليك قال بعضهم انما امره ان يخلع نعليه لانهما كانا من جلد ميتة وقال قائلون
امره بنزع نعليه ليمس قدماه بركة ذلك الوادي ويصيبه من يمنه وقال بعضهم امره بذلك للتواضع
والخضوع له لان لبس النعل يخرج مخرج المباهات فامر بذلك ليكون اخضع له واكثر تواضعا والله
اعلم بذلك وليس لنا ان نفسر ذلك انه لماذا امره بذلك اذ له ان يامر بخلع نعليه لا لمعنى وليس
لنا ان نقول امره لهذا او لعله امره بذلك لمعنى اخر او لا لمعنى فيخرج ذلك مخرج الشهادة على الله
تعالى وقوله عز وجل انك بالواد المقدس طوى المقدس المطهر ولعله سماه مطهرا لما لم يعبد عليه
سواه ودونه اوثان مطهرا المعنى خص به لفضل عبادة او غيرها على ما خص بقاعا بفضل عبادة تقام فيها
من نحو المساجد والحرم وغيره وقوله عز وجل طوى قال بعضهم هو اسم ذلك الوادي وقال بعضهم هو من وطئ
الارض ابن طاء الوادي المبارك حافيا وقال بعضهم طوى قد قدس مرتين وهو قول الحسن وقال بعضهم
طوى يقول يطوى مسيره نحو هذا قد قالوا لكن الاصوب ان لا يفسر الا بعد حقيقة به لانه انباء كانت في
كتبهم ذكرت لرسول الله ليكون له حجة ودلالة على رسالته عليهم ففي التفسير خوف دخول الغلط فيه
وتغيير فاذا تغير لم يصر له عليهم حجة ودلالة على رسالته لذلك كان السكوت عنه اولى والله اعلم وقوله
عز وجل وانا اخترتك اما بالرسالة والنبوة او باشياء اخر كقوله واصطنعتك لنفسي الاية وقال في اية اخرى
انه كان مخلصا اخلصه الله لنفسه بما شاء وقوله عز وجل فاستمع لما يوحى هذا يدل ان النداء الذي نودي
كان نداء وحي وهو قوله فلما اتاها نودي وقوله عز وجل انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وهو لازم كل
امر رسله اول ما امروا بذلك وقوله عز وجل واقم الصلوة لذكري قال بعضهم اقم الصلوة لذكري لتكون
ذاكرا لي لان اكثر ما يذكر المرء ربه انما يذكره في الصلوة لان الصلوة من اولها الى اخرها ذكر الله و
لذلك سمي الصلوة مناجات الرب او ان تكون قوله اقم الصلوة لذكري اي لتذكرني بها يا موسى وقال قائلون
اقم الصلوة لذكري اي اقم الصلوة اذا انت نسيت اذا ذكرتها وعلى هذا روايات الاخبار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك وقرء هذه الاية ان نسيت وجائز ان يكون قوله اقم الصلوة لذكري اي
اقم الصلوة لتستوجب بها ذكري وقال القتبي اقم الصلوة لذكري اي لتذكرني فيها وقوله عز وجل ان الساعة
اتية اكاد اخفيها قال الحسن اكاد صلة كانه قال ان الساعة اتية اخفيها وفي حرف ابي بن كعب ان الساعة
اتية اكاد اخفيها من نفسي ثم يحتمل قوله من نفسي وجهين احدهما اخفيها من خلقي ولا يجب ان يفهم من
نفسه ذاته بالاضافة اليه كما لم يفهم من قوله روحي وروحنا وهو اخفاء من النفس ذاته ولكن فهم
منه خلقه فعلى ذلك لا يفهم من قوله من نفسي ذاته هنا لا يحتمل والله اعلم والثاني ان يكون قوله اكاد
اخفيها من نفسي اي من اخيار عبادي مع عظيم قدرهم ومنزلتهم عندي من نحو الملائكة والانبياء والرسل
اذ من عادة ملوك الارض انهم لا يكتمون سرايرهم من خواصهم بل يطلعونهم على ذلك فاخبر عز وجل والله اعلم
انه اخفاها من خواص عباده واخيارهم فكيف من دونهم فيكون اضافته اياهم الى نفسه لتعظيم قدر
اولئك وفضل منزلتهم كقوله ان تنصروا الله ينصركم والله لا ينصر ولكن ان تنصروا دين الله ينصركم
او ان تنصروا اولياء الله ينصركم وكذلك قوله يخادعون الله والله لا يخادع ولكن يخادعون اولياء
ونحو فعلى ذلك قوله اخفيها من نفسي اي من خواصي واخيار خلقي والله اعلم هذا على اسقاط قوله اكاد
وجعله صلة واما على اثبات اكاد فهو على وجهين احدهما يقال كاد اراد اي اريد اخفيها وهو معروف
باللغة والثاني كاد يقال قارب وهو سائغ في اللغة جاء كاد على ارادة مقاربة كادت الشمس ان
تطلع او تغرب اي قاربت كدت ان اسقط اي قاربت الا انه لم يرد السقوط فاذا كان على هذا فهو تاول
ذلك والله اعلم على التعظيم لها اي قارب ان يخفيها من نفسه فكيف من غيره وقال ابن عباس قريبا من
هذا انه اكاد اخفيها من نفسي فكيف اعلنها لكم انه لا اظهر عليها احدا غيري فكانه استجاز الاخفا في موضع
الاظهار باللغة نحو ما قالوا في قوله واسروا الندامة لما راوا العذاب اي اظهروا فعلى ما كان الاسرار
في موضع الاظهار والكتمان فعلى ذلك اداوا الاخفاء مستعملا في الامرين جميعا وكذلك قال ابو عوسجة
اخفيها اي اظهرها والله اعلم وقوله عز وجل لتجزى كل نفس بما تسعى اي لهذا ما اخفيها لتجزى كل نفس
بما تسعى لانها لو كانت ظاهرة يعاينها كل احد وتعلمها لما كان ذلك جزاء ولكن كان دفعا لانه يعاين كل
انسان ما نزل بهذه النفس بما سعت من العذاب فيمتنع هو عنه واذا راى كل احد ثواب هذا فيسعيه
يرغب في مثله فيكون ذلك كله بحق الدفع لا بحق الجزاء فاخبر انه اخفاها للجزاء والمحنة لا للدفع والله اعلم

وقوله عز وجل فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها اي عن الايمان بها من لا يؤمن بها يعني الساعة والله اعلم اي لا يصدنك عنها باسباب القاها اليك وقد يمتنع الانسان عن الشيء باسباب تعرض وشبه تستقبل وان لم يقدر على منعه بالتصريح والافصاح والله اعلم اي لا يصدنك عن الايمان بها يعني من لا يؤمن بها واتبع هواه في التكذيب بها بالشبه والاسباب التي ذكرنا فتردى اي فتهلك لو صدك عنها فالخطاب وان كان لرسول الله فهو لكل احد من المؤمنين على ما ذكرنا في غير آي من القران فيما خاطب رسوله به وقوله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها الاية كان موسى صلوات الله عليه لم يفهم مراده بسؤاله اياه انه ما اراد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى انه يسأله عن اسمها او يسأله عما له فيها فاجاب بالامرين جميعا عن اسمها و عما له فيها حيث قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى ثم قال الحسن انه والله كان يعلم ان في يده عصا لكنه اراد ان يقرر عنده انه عصا لا حية ليرى له منها اية فيعلم ذلك أن يريد بذلك تنبيهه لا ايقاظه ليعلم انه وقت ما اخذها عصى فيعلم انها اذا صارت كذا ما لاية التي جعلناها لا انها كانت يومئذ كذلك حية والله اعلم قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى ثم يحتمل جعلها حية واراه الاية له منها لما ان قوم فرعون كانوا اهل بصر وحذق في ذلك النوع من السحر فاحب ان يريهم الاية والعلامة من النوع الذي لهم فيه بصر وحذاقة ليعلموا الخروجها عن وسعهم وطوقهم انها اية وعلامة سماوية وربوبية لا بشرية اذ الاعلام التي جعلها الله ايات واعلاما لرسله على رسالتهم انما جعلها ما كانت خارجة عن وسع البشر وطوقهم ليعلموا بذلك انها سماوية ربوبية لا بشرية سحرا ولا كهانة والله اعلم ثم قوله خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى على ما كانت في الحالة الاولى عصا كان موسى خاف حين صارت حية وهو ما قال في اية اخرى فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا فعند ذلك قال له خذها ولا تخف واخبر انه يعيدها عصا على ما كانت والله اعلم وفي قوله وما تلك بيمينك يا موسى دلالة ان العصا انما تمسك باليد اليمنى قال ابو عوسجة تردى اي تهلك يقال ارداه اي اهلكه ويقال ردي الرجل اذا وقع في البئر او من فوق حائط ويقال ردأته اي البسته الردا وارتديت اي لبست الرداء وترديت مثله وقوله اتوكأ عليها اي استعين بها على المشي وقوله واهش بها على غنمي اي اضرب بها الشجر حتى تنتثر ورقها فتاكله غنمي والهش الكرم والبش من البشاشة قال والمآرب الحوائج والارب ايضا الحاجة والاراب جميع ويقال اربت الشيء قسمته وجعلته اربا اي قسما اي جزأته اجزاء وفي قوله وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي دلالة ان الانسان اذا استخبر عن شيء فان عليه ان يخبر المستخبر عما يستخبر على الاجابة له وان كان يعلم ان المستخبر له ان ذلك علم بذلك لان موسى كان يعلم ان ربه كان اعلم بما في يده منه ولم يقل له حين استخبر عما في يده رب انت اعلم به مني ولكنه قال هي عصاي اجابة له وتعظيما لامره والله اعلم وقوله عز وجل واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى قال في اية اخرى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وكان في هذا تفسير الاول وقوله من غير سوء قال عامة اهل التاويل من غير سوء اي من غير برص كانهم ذهبوا الى ان البياض في الانسان اذا اشتد حتى يخالف سائر بدنه لا يكون الا بالبرص لذلك قال من غير سوء اي من غير برص بل اية اخرى سوى اية العصا وجائز ان يكون قوله من غير سوء اي من غير افة وعيب بك واذى لان التغير اذا وقع في بعض بدن الانسان لا يكون الا بعيب وافة تحل به واخبر ان ذلك البياض ليس لافة بك ولا عيب في بدنك ولا فيه اذى ولكن اية لتريها منها والله اعلم وقوله عز وجل لنريك من اياتنا الكبرى قال قائلون الاية في اليد اكبر من الاية في العصا لان سحرا ولئلك كان في العصا والحبال لم يكن في غيره فاراهم اية في غير ما لهم فيه علم وبصر ليعلموا ان ذلك ليس بسحر ولكن اية من الله اراها اياهم وجائز ان يقال اية العصا اكبر من اية اليد لان اولئك كانوا اهل بصر وعلم في السحر في العصا فخروج عصى موسى عما احتمل وسعهم وما به فيه بصر وعلم يدل على ان ما اتى موسى ليس هو بسحر ولكن انه من الله لان فضل بصر الرجل وعلمه في شيء انما يظهر تجاوزته في ذلك عن اهل بصر في ذلك النوع وعلم ان لا يظهر ذلك على اهل الجهل في ذلك فعلى ذلك امر عصى موسى وجائز ان يكون قوله لنريك من اياتنا الكبرى التي ذكر في اية اخرى وهو قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فالايات الكبرى هي التسع التي ذكر في هذه الاية ان كانت لموسى ايات سوى التسع لكن التسع هي اكبر وان يكون ذلك لا على تخصيص اية دون اية بالكبر والعظم ولكن على وصف الكل بذلك كقوله وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها هو على وصف اياته كلها بالكبر والعظم وهو كقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا هو على اثبات النفع في كل واحد منها على ما في الاخر فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى الطغيان هو المجاوزة عن الحدود التي جعلت له وكذلك كان فرعون قد تعدى وجاوز الحد في كل شيء حتى ادعى لنفسه الربوبية حيث قال انا ربكم الاعلى وقوله عز وجل قال رب اشرح

صدري

صدري ان موسى سال ربه ان يشرح له صدره وذكر في محمد انه شرح له صدره بقوله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك ثم جائز ان يكون شرح صدورهم لتوسع ما حمل عليهم من ثقل النبوة والرسالة ليتسع صدورهم لذلك ويقدر على القيام بذلك والوفاء به او ان يكون سأله شرح صدره لما كان الرسل يغضبون لله عند تكذيبهم قومهم حين دعوهم الى دينه ويحزنون على ذلك فيمنعهم غضبهم وحزنهم عن القيام بتبليغ الرسالة كقوله قال رب اني اخاف ان يكذبون الاية اخبر انه يخاف عند تكذيبهم قوله ضيق صدره وثقل لسانه فسأله لذلك ان يشرح له صدره ويطلق له لسانه ويحتمل ما قاله بعض اهل التاويل اشرح لي صدري اي لين لي قلبي لان الانبياء قد امتحنوا في حال واحدة بشيئين متضادين بالغضب لله عند تكذيب قومهم اياهم والرافة لهم والرحمة بما حل بهم بالتكذيب من العذاب فذلك امران متضادان خص الرسل بهما فجائز ان يكون سأل ربه ان يشرح له صدره ليتسع له الامرين جميعا الغضب له والرحمة عليهم وقوله عز وجل ويسر لي امري يحتمل بتبليغ الرسالة اليهم والقيام بها او سأله التيسير بجميع ما امره به ونهاه عنه وقوله عز وجل واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي يحتمل ما ذكرنا انه اذا اشتد به الغضب يكل لسانه ويثقل حتى يمنعه عن النطق به فيظن ذلك اللعين انه لخوف صار كذلك او ان يكون سأل ذلك لافة كانت بلسانه ما كان يمنعه عن التكلم به فسأله ان يحل تلك الافة والرتونة التي كانت به واما قول اهل التاويل انه اخذ بلحية فرعون فلطمه فاراد ان يعاقبه فقالت له امرأته انه فعل ذلك لانه لا يعقل فاني بطشت من جمر وطشت من حلي فهم ان يتناول من الحلي فاهوى جبريل بيده الى الجمر فاخذه وجعله في فيه فثقلت الرتونة التي سأله ان يحلها لذلك لكن ذلك لا يعلم الا بالوحي عن الله انه كذلك والله اعلم وقوله عز وجل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي سأل ربه ان يجعل اخاه معه وزيرا ويشاوره ليتحمل عنه بعض ما حمل عليه من الاثقال اذ قيل الوزير هو الذي يتحمل عن الملك بعض ما حمل وقوله عز وجل اشدد به ازري قال بعضهم قوي ظهري وقال بعضهم اشدد به ازري اي عوني وكذلك ذكر في حرف حفصة وقرا بعضهم اشدد ازري اي على الخبر من موسى وكذلك في قوله واشركه في امري واما قراءة عامة القراء فهو على الدعاء والسؤال وقال ابو عوسجة اشدد به ازري اي ظهري ويقال ازرته اي اعنته ويقال توازروا اي تعاونوا واستوزرته اي استعنت به ومن هذا اخذ الوزير وقال القتبي ازري ظهري ويقال ازرت فلانا على الامر اي قويته عليه فاما اوزرت فصرت له وزيرا واصل الوزارة من الوزر وهو الحمل كان الوزير يحمل عن السلطان بعض الثقل و يرفع عنه وموسى سأل ربه ان يعينه باخيه ويقويه به فيما حمله وان يشركه فيما قلده من الرسالة والقيام بها فاجابه الله لذلك حيث قال سنشد عضدك باخيك وقوله عز وجل كي نسبحك كثيرا يحتمل كي نسبحك كثيرا بالجماعة لان الصلوة بالجماعة تتضاعف على الصلوة وحده وان يعين بعضنا بعضا على التسبيح لك والذكر دعوه وقوله عز وجل انك كنت بنا بصيرا اي انك بضعفنا وعجزنا فيما حملتنا وبلدتنا بصيرا عالما والله اعلم وقوله عز وجل قد اوتيت سؤلك يا موسى اي اعطيت ما سألت وكان سأله اشياء فاوتي ذلك وسؤلك وسألتك لغات ثلاث كلها واحد وقوله عز وجل ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى الاية يشبه ان يكون المنة حين انجاه فيما ابتلي بالبرد واشتباه الطريق حتى قال اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فتلك المنة الاخرى او يكون المنة التي ذكر هو ما انجاه الله حيث قتل ذلك القبطي فاشتد له ذلك الخوف حتى بلغ الاياس فتلك المنة التي ذكر او ما ذكر من الوحي الى امه ان اقذفيه في التابوت وقال بعضهم مننا عليك من النبوة مرة اخرى ثم بين النعمة ثم قال اذ اوحينا الى امك ما يوحى الى اخر ما ذكر والى هذا ذهب اهل التاويل والا فقد كان منه اليه من المنن ما لا يحصى والله اعلم ثم الكلام فيما الهم امه والقي في روعها ان تقذفه في اليم انه يسع لها ان تفعل ذلك وكيف ولا اذ قد يجوز ان يكون من الشيطان مثل هذا نحو ما قال لا غالب لكم اليوم من الناس الاية فلم يعرفوا وقت ما كلمهم بهذا هو شيطان او غيره فعلى ذلك يجوز ان يلقي الشيطان اليها فكيف وسع لها ان تعمل ما عملت من الاخطار لكن يجوز ان يكون في ذلك الالهام وما القي اليها اية ومعنى عرفت بذلك ان ذلك من الله لا من احد سواه وان يكون الله رفع الحجاب والموانع من قلبها وصار لها ذلك كالعيان او صارت كالمضطرة الى ذلك فوسع لها ذلك لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والقيت عليك محبة مني قال عامة اهل التاويل القى عليه محبته في قلب امرأة فرعون حيث قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه الاية لكن التي محبته في قلب امرأته وقلب فرعون ايضا حتى كان اشفق الناس عليه واحبهم اليه بعد ما كان يقتل الولدان بسببه ليجده ويظفر به يذكره عز وجل رحمته و وهو المنة التي ذكر حيث قال ولقد مننا عليك مرة اخرى وقوله عز وجل ولتصنع على عيني والصنع هو فعل الخير والمعروف اي لتصنع اليك المعروف والاحسان وقوله على عيني قال بعضهم لتغذى على حفظي

يقال عين الله اى كن فى حفظ الله وهو قول الحسن وقتادة وقال بعضهم لتربى على عينى اى على علمى و
لا ادن اشبه وقوله عز وجل اذ تمشى اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله اى من يضمه سمى كافل اليتيم
الذى يضمه ويحفظه وهو كقوله ايهم يكفل مريم اى يضمها او يحفظها فهذا يدل انه كان عندهم من احب
الناس اليه واشفقهم عليه حيث قال هل ادلكم على من يكفله والله اعلم وقوله عز وجل فرجعناك الى
امك كى تقر عينها حيث قال لها انا رادوه اليك وعد لها ان يرده اليها فرده وقوله عز وجل كى تقر
عينها ولا تحزن اى يذهب حزنها الذى كان لانها قد كانت حزينة بطرحها اياه فى اليم الا ترى انه
قال ان كادت لتبدى به الاية هذا يدل ان قوله ولا تحزن اى يذهب حزنها الذى كان لها وقوله
عز وجل وقتلت نفسا فنجيناك من الغم يحتمل ان يكون الغم الذى اخبر انه نجاه منه هو الخوف الذى
كان به بقتل ذلك القبطى حيث قال انى اخاف ان يقتلون وقوله فخرج منها خائفا يترقب ويحتمل نجاه
من انواع الغموم اذ كان له غموم وفى الاية دلالة ان لا قصاص يجب فى شبه العمد وان كان القتل
بشىء لا نجاة منه لان موسى صلوات الله عليه كانت له قوة اربعين نفرا على ما ذكر فانما لطمه لطمة
فقضى عليه ثم قال هذا من عمل الشيطان هذا يدل انه كان لا يحل له قتل ثم قال فخرج منها خائفا يترقب قال
رب نجنى من القوم الظالمين سماهم ظلمة فلو كان يحل القتل ويجب القصاص لكان لا يسميهم ظلمة والله
اعلم وقوله عز وجل وفتناك فتونا هو جمع فتنة اى فتناك فتنا وقال بعضهم وفتناك فتونا هو مصدر
الفتنة اى ابتليناك ابتلاء اى بلاء والفتنة فى البلايا والشدائد والغموم التى ذكر انه نجاه منها
ويحتمل النعم والخيرات اذ لم يكن الانبياء فى جميع الاوقات فى البلاء ولكن كانوا فى وقت فى بلاء وشدة
وفى وقت اخر فى نعمة وخير او فتنه بهما جميعا على ما اخبر ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون
وقوله عز وجل فلبثت سنين فى اهل مدين هذا والله اعلم من المنة التى ذكر حيث قال ولقد مننا عليك
مرة اخرى ثم جئت على قدر يا موسى قال بعضهم بالنبوة والرسالة وقال بعضهم على موعود او على قدر
وقت المجىء فكيف ما كان ففيه ان مجىء العبد وذهابه وجميع سعيه يكون بقدر من الله وتقدير منه
وفيه انه يجعل الامور باسباب وان كان قادرا ان يجعل بغير اسباب وقوله عز وجل واصطنعتك
لنفسى اى اخترتك واصطفيتك لرسالتى وبنوتى فذكر نفسه لانه بامره يقوم باداء ذلك وقوله عز
وجل اذهب انت واخوك باياتى هو ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تنيا فى ذكرى اى لا تضعفا فى الدعاء
الى دينى وتوحيدى وفى حرف عبد الله بن مسعود ولا تنيا فى ذكرى فى البلاغ الى فرعون انه طغى امرهما
ان لا تقصرا ولا تعجزا فى تبليغ الرسالة اليه والدعاء الى دينه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا
له قولا لينا قال ابو عوسجة ولتصنع على عينى اى تربى بعينى وسئل عن العين فقال العين العلم ههنا و
العين فى غير هذا المال والعين الادم المخرق والعين المصدر من عان يعين فهو عاين والمفعول به معيون
اذا اصابه بعين والعين الحقيقة كقولك هذا بعينه اى بحقيقته قال والعينة السلف ومثله وقوله واصنع
الفلك باعيننا اى بعلمنا على من يكفله اى يضمه ويضمه وقال ابو عوسجة ثم جئت على قدر يا موسى اى وقت المجىء
واصطنعتك اى اخلصتك لنفسى ولا تنيا فى ذكرى اى لا تفترا ولا تعجزا والله اعلم وقوله عز وجل فقولا
له قولا لينا كان القول اللين اقرب وانجع فى القلب وانجح واقرب الى الاجابة والقبول من القول الخشن
الباد وخاصة فى الملوك والرؤساء اذ طباعهم لا تحتمل ذلك ولا ينجع فيهم بل اكثر صولتهم على من دونهم
انما يكون عند استقبالهم بالخلاف وبما يكرهون فامر عز وجل رسوله موسى وهرون ان يقولا له قولا لينا
ويلطفا معاملته ليكون اقرب وانجع فى قلبه وانجع ولذلك قال لعله يتذكر او يخشى قال الحسن كل لعل هو
من الله فهو على الايجاب لانه قد تذكر وخشى حيث قال لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الاية وحيث قال
امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل لكن لم ينفعه ايمانه فى ذلك الوقت لانه ايمان دفع واضطرار
وقال بعضهم لعله يتذكر او يخشى فى علمكم فان كان على هذا فهو يحتمل الشك وان كان على الاول فهو على
الايجاب لا يحتمل الشك ثم اختلف فى القول اللين قال ابن عباس قال هو قول الله هل لك الى ان تزكى واهديك
الى ربك فتخشى فتوحد قال هذا القول اللين وعن الحسن قولا لينا اى قولا حقا قولا له ان لك مرجعا وقال
بعضهم قولا لينا قول لا اله الا الله وقال بعضهم اى كنياه ونحوه واصله ما ذكرنا بدءا وقوله عز وجل
قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال اهل التاويل قوله ان يفرط علينا اى يعجل بالعقوبة من
قبل ان نسمع حجتنا او ان يطغى بقتلنا بعد ما سمع الحجة منا وجائز ان يكون احد هذين فى الفعل والاخر فى
القول ان يفرط علينا او ان يطغى انهما كان لانه قال فى الجواب لهما قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى انه اسمع

ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما فهذا يدل والله اعلم ان قوله ان يفرط علينا او ان يطغى يرجع احدهما الى القول والاخر الى
الفعل بانه قال فى وقت ذرونى اقتل يا موسى وليدع ربه ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل لا تخافا يحتمل على نفى الخوف
والامن منه كقوله ولا تحزن عليهم ليس على النهى عن الحزن فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل اننى معكما فى النصر و
المعونة لكم والذب عنكم والدفع اسمع ما يقول وارى ما يفعل وقد كان كل منه اليهما النصر والمعونة لهما والدفع
عنهما وقوله عز وجل فأتياه فقولا انا رسولا ربك بتسميته ان يكون قوله ولا تنيا فى ذكرى هذا امر لا تضعفا بتبليغ الر
الرسالة ولكن قولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل لا يحتمل ان يكون اول ما اتياه قالا ان ارسل معنا بنى
اسرائيل قد سبق منهما الدعاء الى توحيد الله والاقرار له بالالوهية والربوبية فاذا ترك الاجابة فعند ذلك قالا
فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم هذا يحتمل وجهين احدهما كانه كان يمنع بنى اسرائيل عن الاسلام وهم ارادوا
الاسلام فقالا ارسل معنا بنى اسرائيل ولا تمنعهم عن الاسلام او كان يستعبدهم فامره ان يستنقذهم من يديه كقوله
ان عبدت بنى اسرائيل الا ترى انه قال ولا تعذبهم وقوله عز وجل قد جئناك باية من ربك وهو ما قال لقد علمت ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقوله عز وجل والسلام على من اتبع الهدى هذا يدل انه لا يبدأ بالسلام على
اهل الكفر ولكن يبدأ باهل الاسلام وان تحية اهل الاسلام هو السلام لا قول الناس اطال الله بقاك ونحوه
وقوله عز وجل انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى كانه قال والسلام على من اتبع الهدى والعذاب
على من كذب وتولى والسلام هو اسم كل خير وبر وقال القتبى ان يفرط علينا اى يعجل ويقدم وقال الفرط التقدم
والسبق وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وهو من السبق وكذلك قال ابو عوسجة
ان يفرط علينا اى يعجل يقال فرط يفرط فرطا اى عجل وقال ولا تنيا فى ذكرى اى تقصرا ولا تعجزا فى البلاغ واصطنعتك
اى استخلصتك لنفسى فاذ لم يفهم من قوله لنفسى ذاته كيف يفهم ولتصنع على عينى ما يفهم من الخلق ولا يتصور
هذا وامثاله فى وهم احد الا من اعتقد التشبيه ولم يعرف ربه والا لو عرف به حق معرفته لا يتصور فى وهمه
تشبيه الخلق به ولا تشبيهه بخلقه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وقوله تعالى قال فمن ربكما يا موسى قال
ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى وقال فى اية اخرى وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما
بينهما الاية رب المشرق والمغرب وما بينهما سأله عن ماهيته فاجاب موسى عن اثار صنعه فى خلقه وانه رب
كل شىء ورب ما ذكر لم يجبه عما سأله من ماهيته وكيفيته حيث قال فمن ربكما يا موسى فجوابه عن الماهية
ربنا فلان وانه كذا ففيه دلالة ان الله لا يعرف من جهة الماهية والكيفية اذ لا ماهية له ولا كيفية انما
اوصاف الخلق فالله سبحانه تعالى عن ان يوصف بشىء من صفات الخلق ثم يحتمل قوله اعطى كل شىء خلقه ثم هدى
وجوها احدها اعطى كل شىء جنسه وشكله او اعطى كل شىء خلقه ما به معاشه وقوامه او يقال اعطى كل شىء
يكون صورة ما قد كان معاشه وقوامه ليعلم انه قادر على بعثهم على الصورة التى كانت وقوله عز وجل ثم هدى
فهو على قوله اعطى كل شىء ثم هدى فان كان التاويل اعطى كل شىء صورته وهيأته فقوله ثم هدى النجاة وان
كان اعطى جنسه وشكله ثم هداه للنسل وان كان قوله اعطى كل شىء ما به معاشهم وقوامهم ثم هداه لما
يتعيشون به ويقومون به وهداه لما يصلح لهم والله اعلم وقوله عز وجل قال فما بال القرون الاولى قال
علمها عند ربى فى كتاب قال بعضهم انما سأل فرعون موسى عن القرون الاولى لانه سمع من ذلك الرجل المؤمن
حين قال انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ولم يكن لموسى بهم علم فوكل علمهم الى الله ثم انزل الله عليه التورية
فبين له فيها امرهم وقال بعضهم سأل فرعون موسى ذلك لان موسى اخبر انه يبعث وخوفه على ذلك فعند ذلك
قال فما بال القرون الاولى لم يبعثوا منذ اهلكوا فقال له ما قال وقال بعضهم قوله فما بال القرون الاولى انما
سأله عن حال القرون الاولى اهم فى الجنة او فى النار فقال علمها عند ربى وقال بعضهم انما سأل عن اعمالهم
فما اعمال القرون الاولى فقال علمها عند ربى اى اعمالهم عند ربى فى كتاب كقوله كتاب مرقوم وقوله
سائق وشهيد وقوله فى كتاب قال بعضهم الكتاب الذى كتب فيه اعمالهم وقال بعضهم فى اللوح المحفوظ
لا يضل ربى ولا ينسى قال هما واحد لا يضل ولا ينسى ذلك الكتاب وقرئ لا يضل ولا يضل من ختم بالهدى
ولا يضل اى لا يضل ذلك الكتاب الذى ذكر ليس انه يرجع الى قوله لا يضل ربى وقوله عز وجل الذى جعل
لكم مهادا هو على قوله ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى الذى جعل لكم الارض مهادا اى فراشا
والذى سلك لكم فيها سبلا والذى انزل من السماء ماء يذكر نعمه التى انعمها عليهم بقوله جعل لكم الارض ...
تفترشون وتتعيشون فيها وتقرون عليها بعد ما كانت تميد بكم وسلك لكم فيها سبلا اى طرقا تسلكون فيها
وتختلفون الى البلدان النائية فى حوائجكم وما به معاشكم وقوامكم ما لولا ذلك ما قام معاشكم ولا قضيت حوائجكم
وانزل من السماء ماء فاخرجنا به اى بالماء ازواجا من نبات شتى ما به معاشكم وقوامكم وقوام انعامكم على اختلاف

ما جعل لكل دابة من ذلك قوتا وغذا لم يجعل ذلك لغيرها لان من الدواب ما ياكل النبات ومنها ما ياكل الحب ومنها ما ياكل
اللحم ونحوه كلوا وارعوا انعامكم اى كلوا انتم ما به قوامكم وارعوا انعامكم فيما به قوامها ان فى ذلك لايات لاولى
النهى قال بعضهم لاولى النهى اى لاولى العقول وقال الحسن ان فى ذلك لايات للذين يتناهون عما نهوا عنه وقال
بعضهم لايات لاولى الورع واولى النهى هم اهل العقول ينهى وبه ينتهى وبه يؤمر ويؤتمر فذلك ايات لهم وكذلك قال
القتبى لاولى النهى اولى العقول وقال النهية العقل وقال بعضهم فما بال القرون الاولى اى ما حالها يقال اصلح الله
بالك اى حالك **وقوله** عز وجل منها خلقناكم وفيها نعيدكم يحتمل قوله منها خلقناكم وجوها احدها منها خلقنا اصلكم
وهو خلق ادم لكنه اضاف خلقنا اليه وان لم يخلق منها كما اضاف الانسان الى النطفة وان لم يكن الانسان
منها لكنه اضاف اليها لانها اصل الانسان فعلى ذلك اضافة خلق انفسنا الى الارض والثانى تنسبنا
اليها لانا من اول ما ننشا الى اخر ما ننتهى اليه يكون قوامنا ومعاشنا من الخارج من الارض فنسب خلقنا اليه
وهو ما قال قد انزلنا عليكم لباسا واللباس على هيئته ما هو لم ينزل من السماء لكنه اضافه اليه لانه كان
باسباب من السماء واصل منه وقال بعضهم ذكر ان الملك ينطلق فياخذ من تراب ذلك المكان الذى يدفن فيه الانسا
فيذره على النطفة التى قضاها الله منها الولد فيخلق من التراب والنطفة فذلك معنى الاضافة اليها لكن
هذا سمعى لا يعرف الا بالخبر فان ثبت فهو هو والا لا يجوز ان يقال ذلك ذاتا **وقوله** عز وجل وفيها نعيدكم يحتمل
قوله فيها نعيدكم اذا متم اى تقبرون فيها فيخرج مخرج الامتنان علينا وذلك لنا خاصة دون غيرنا من الحيوا
ن لا تبادى بهم كقوله ثم اماته فاقبره وان يكون قوله وفيها نعيدكم اى يصيرون ترابا اذا متم فيخبر عن قدرته
وسلطانه اى من قدر على ان يصير الانسان ترابا بعد ان لم يكن ترابا لقادر على ان يصير انسانا على ما كان بعد ما
صار ترابا وهو ما قال ومنها نخرجكم تارة اخرى اى منها نبعثكم وننشئكم مرة اخرى والله اعلم **وقوله** عز وجل
ولقد اريناه اياتنا كلها ولم يره جميع اياته انما اراد بعض اياته لكن ان كان المراد منها الاعلام له فقد اعلم له
الايات كلها لانه اذا اراه اية واحدة او بعض الايات فرؤية اية واحدة او بعضها تدل على اعلام غيرها من الايات
فهو على الاعلام قد اعلمه كلها وهو ما قال له موسى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض علم
اليقين انها الايات وليس بسحر او ان يكون يريد بالايات كلها الايات التى ارسلها الى موسى فقد اراه ذلك
كلها فكذب بتلك الايات وابى ان يصدقها ويقبلها فيسلم **وقوله** عز وجل قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا
بسحرك ياموسى قد علم اللعين انه لم يجيئهم ليخرجهم من ارضهم ولكنه يريد منهم الاسلام لكنه اراد ان يغرى
قومه عليه كقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فهذا اغراء منه قومه عليه **وقوله** عز وجل فلناتينك بسحر
مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال بعضهم سوى المكان الذى نحن فيه
الان وغير هذا المجلس وقال بعضهم مكانا عدلا لا نخلف نحن ولا انت ذلك المكان وقال بعضهم مكانا سوى
اى منصفا وقال القتبى مكانا سوى اى وسطا بين فريقين وقال الكسائى سوى وسوى يريد به سواء وهما
لغتان الا انه يقرأ سوى وقال ابو عبيدة هو مثل طوى وهو النصف **وقوله** عز وجل قال موعدكم يوم الزينة
قال بعضهم يوم عاشوراء وقال بعضهم يوم العيد وقال بعضهم يوم سوقهم لكنا لا نعلم ذلك وليس بنا
الى معرفة ذلك حاجة وهم قوم قد عرفوا ذلك حيث رضوا بذلك ولم ينازعوا فيه **وقوله** عز وجل وان
يحشر الناس ضحى يعنوا اليوم ويعنوا الوقت وهو وقت الضحى وان يحشر الناس ضحى قال بعضهم اى نهاراً
جهاراً كقوله ان ياتيهم باسنا ضحى نهاراً اى جهاراً **وقوله** عز وجل فتولى فرعون اى اقبل فرعون وجمع كيده ثم اتى
على الاعراض عما دعوا اليه فزاغ بهم وهو كقوله واذا تولى سعى فى الارض اى على السعى فى الارض ليفسد فيها **وقوله**
عز وجل قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا يحتمل وجهين احدهما لا تفتروا على الله كذبا فيما اتاكم
الحق وظهر لكم الحجة باتخاذكم فرعون الها لانكم اذا اتخذتم دونه سواه الها ولا اله غيره فقد افتريتم عليه والثانى
لا تفتروا على الله كذبا فيما بان لكم الحق وظهر لكم الحجة فلا تفتروا على الله كذبا بقولكم انه سحر وانه كذب **وقوله** عز
وجل فيسحتكم بعذاب برفع الباء ونصبها جميعا فيسحتكم قال ابو معاذ فيسحتكم يسحتكم ويسحتكم وقرئ
قال اهل التاويل اى يهلككم ويستاصلكم بعذاب ثم يحتمل ذلك العذاب فى الدنيا وعدهم بعذاب يهلكهم ان افتروا على
الله كذبا بعدما بان الحق وظهر لهم البرهان والحجة **وقوله** وقد خاب من افترى فى الدنيا والاخرة **وقوله** عز وجل
فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قال بعضهم قوله فتنازعوا اى تراجعوا امرهم بينهم واسروا النجوى اى السحرة
فيما بينهم سرا من فرعون فذلك قوله واسروا النجوى من فرعون فقال لهم ان هذا لساحران يعنون موسى
وهرون وقال بعضهم فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى بين موسى وهرون يعنون ان كانوا هذان لساحرا
ن يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ولا يشبه هذا انهم اعتزلوا قومهم واسروا النجوى عنهم فيما بينهم انهم

كذا

كذا قوله ان هذان بالالف قال ابو عبيدة هى لغة قوم من العرب يقال مررت برجلان ورايت رجلان فهو على تلك
اللغة وقال بعضهم ان هذا الالف لا تسقط فى الوحدان بحال يقال مررت بهذا ورايت هذا ويجوز فهو كذا اصل لا
يحتمل السقوط فى الاحوال كلها فى الوحدان والتثنية وقال بعضهم ان هذان لساحران اى نعم هذان وذلك لغة
قوم ايضا يقولون ان مكان نعم كقول القائل فى اخر بيته فقلت انه اى نعم وقال بعضهم لا ولكن هو خطأ من الكاتب
وكذلك روى عن عثمان انه نظر فى الكتاب فقال ارى فيه لحنا ستقيمه العرب بالسنتها ونحو هذا **وقوله**
عز وجل يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما هذا القول انما اخذوا من فرعون حيث قال يريدان يخرجكم من ارضكم
الاية وقوله ايضا حيث قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى علم فرعون ان ذلك ليس بسحر لكنه اراد
ان يغرى قومه عليه لئلا يتبعوه **وقوله** عز وجل ويذهبا بطريقتكم المثلى اختلف فيه قال الحسن قوله ويذهبا
بطريقتكم المثلى اى بعيشكم امثل العيش لانهم كانوا جبابرة وفراعنة وكان بنو اسرائيل لهم خدما وخولا و
يستخدمونهم ويستعملونهم فى حوائجهم فكان نعيشتهم بهم فقال ويذهبا بامثل عيشكم حيث قال له موسى
فارسل معنا بنى اسرائيل وقال بعضهم بطريقتكم المثلى اى يذهبا بدينكم ومذهبكم الامثل انه يقول ان الذى
يدعوهم هو اليه هو الرشاد وان الذى يدعوهم موسى اليه هو باطل وانه سحر وفساد كقوله ذرونى اقتل موسى وليدع
ربه انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد وحيث قال وما اهديكم الا سبيل الرشاد وحيث
اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك والهتك ونحوه يدعى انما يدعوهم اليه هو الرشاد وان
الذى يدعو موسى اليه السحر والفساد وقال بعضهم قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى اى خياركم واشرافكم
والامثل فالامثل منكم قال القتبى فيسحتكم اى يهلككم ويستاصلكم يقال سحته الله واسحته وقال ويذهبا
بطريقتكم المثلى اى الاشراف ويقال هولاء طريقة قومهم اى اشرافهم اشتقاق الطريقة من الشريف ويقال
اراد بسنتكم ودينكم والمثلى مؤنث امثل مثل كبرى واكبر فاجمعوا كيدكم اى حيلتكم وقال ابو عوسجة بطريقتكم
المثلى اى بدينكم الافضل وهو الامثل وقال ابو عبيدة ثم ائتوا صفا اى مصلى والصف المصلى وقال الحكى عن
بعضهم انه ما استطعت ان اتى الصف اليوم اى المصلى وقال القتبى صفا اى جميعا وكذلك قال غيره من اهل التاويل
من استعلى اى غلب **وقوله** عز وجل فاجمعوا كيدكم حرف الاجماع يستعمل فى العزم مرة والاجتماع ثانيا اما فى العزم
فاذكر فى الخبر لاصوم لمن لم يعزم رايه من الليل اى لمن لم يعزم على ما روى الخبر لا صوم لمن لم يعزم من الليل
واما الاجتماع ظاهر فان كان على الاجتماع فكانه قال فاجتمعوا على عمل واحد لا تختلفون فيه وعلى العزم اى
اعزموا شيئا واحدا واقصدوا امرا واحدا لكى تغلبوا ثم ائتوا صفا قال بعضهم جميعا غير متفرقين وقال بعضهم ثم
ائتوا صفا اى المصلى الذى كان موعود الاجتماع وهو يوم الزينة **وقوله** عز وجل وقد افلح اليوم من استعلى قيل
من غلب كقوله ان فرعون علا فى الارض اى غلب وجائز ان يكون قوله استعلى اى من طلب العلو واراد ان
يسعد بما وعد فرعون للسحرة من الاجر اذا كانوا هم الغالبين كقوله اين لنا الاجر ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم اذا لمن المقربين فذلك هو ما طلبوا منه فاخبر انهم يظفرون بذلك هذا اذا كان العود من فرعون والله اعلم
وقوله عز وجل قالوا ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى قال بل القوا انما قال لهم بل القوا
بامر من الله واذن منه **وقوله** عز وجل فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه اى الى موسى من سحرهم انها تسعى
فاوجس فى نفسه خيفة موسى اى وقع فى قلبه الخوف وخاف اذا صنع القوم ما صنعوا من السحر ثم
يحتمل ذلك الخوف منه وجهين احدهما خاف على ما طبع البشر عليه من خوف الطبع لا خوف غلبة لانه قال لهم
ما جئتم به السحر ان الله سيبطله كان يعلم صلوات الله عليه ان تموهات السحرة لا تبطل حجج الله واياته فدل ذلك
انه خاف خوف الطبع والجبلة لا خوف القهر والغلبة او ان يكون خوفه لما اخذ سحرا او لئلا اعين الناس خاف
ان يمنعهم ذلك عن ان يبصروا ما جاء هو من الاية والبرهان وقال بعضهم خاف ان يشكوا فيه من تابعه و هو
ما ذكرنا قريبا منه والله اعلم **وقوله** عز وجل قلنا لا تخف انك انت الاعلى اى الغالب فان كان الخوف الذى
ذكر خوف طبع وما جبل عليه المرء فيكون قوله لا تخف على تسكين القلب وتثبيت وان كان الثانى فهو على
البشارة له والاخبار على ان يمنع سحرا وللشك عن ان يبصروا ما تاتى بهم انت من الاية والله اعلم **وقوله** عز وجل والق
ما فى يمينك تلقف ما صنعوا هذا يدل ان سحرا ولئك انما صار سحرا بعد ما القوا ما فى ايديهم لم يكن سحرا وقت
كونها فى يد ذلك حيث قال والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا اى تلقم وتاكل ما صنعوا انما صنعوا كيد سحر و
لا يفلح الساحر حيث اتى اى لا يفلح الساحر حيث اتى بسحره والا تدافع سحرة فرعون وفى حرف ابن مسعود اين اتى
وقال بعضهم حيث كان وحيث وحوث لغتان وهو قول الكسائى **وقوله** عز وجل فالقى السحرة سجدا قالوا امنا
برب هرون وموسى لانهم عرفوا حقيقة ما اتى بهم موسى فعلموا انه سماوى وانه اية ليس بسحر فامنوا ايمانا

لم يرتابوا فيه قط وهذا يدل ان كل ذي بصر وعلم في شي يكون ابصر واعلم في ذلك الشي من غيره حيث لم ينظروا
لما داوا اما اتى به موسى وعاينوا وقتا ينظروا فيه بل لسرعة معرفتهم ذلك لم يملكوا انفسهم بل القوا على
وجوههم على ما اخبر حيث قال فالقي السحرة ساجدين وسجدا وقال القتبي فاوجس في نفسه خيفة موسى
اي اضمر خوفا وقال غيره وقع في قلبه حيث اني حيث كان وقال ابو عوسجة يخيل اليه اي يظن بقوله يخيل الي
اي يريني فهمي وعلمي ان هذا الشي كذا وكذا فاوجس اي احس تلقف وتلقم واحد وقوله عز وجل قال
امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر قال بعضهم يعني موسى وقال بعضهم كبير السحرة
الذي علم غيره السحر وقال في اية اخرى ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها الاية قد علم
فرعون ان ذلك ليس بسحر ولا مكر مكروا به لكنه اراد ان يموه على قومه ويلبس عليهم امر موسى وما جاء من
الايات والحجج لانه هو الذي رباه ونشا بين ظهرانيه واهله فعلم انه لم يتعلم السحر من احد لما فارقه وخرج من
عندهم الى مدين لم يكن هناك ساحر يتعلم منه السحر لكنه اراد التمويه والتلبيس على قومه وكذلك اهل
مكة حيث نسبوا رسول الله الى السحر والكهانة والافتراء والجنون وغيره علموا انه ليس بساحر ولا كاهن
ولا مجنون ولا مفتر لانه نشا بين اظهرهم صغيرا لم يوخذ عليه كذب قط على احد من الخلايق فكيف على الله تعالى
ولا رواه اختلف الى احد من السحرة والكهنة في تعلم ذلك لكنهم ارادوا بذلك التمويه والتلبيس على الناس
لئلا يتبعوه ولا يجيبوه الى ما دعاهم اليه من دين الله وتوحيده ثم الرسل صلوات الله عليهم لو لم يكن معهم
الايات المعجزة ولا الحجج النيرة كانت انفسهم وما عليه طبعوا من السيرة الحسنة والاخلاق الكريمة الجميلة وما
اختاروا من الامور العظيمة الرفيعة دالة على رسالتهم ونبوتهم فكيف وقد جاؤا بالايات المعجزة والبراهين
النيرة وما طبع السحرة من السيرة المذمومة والاخلاق الدنية والامور الخسيسة يدل على كذبهم وافتعالهم
فكيف اشكل عليهم معرفة السحر من الرسالة والتمويه من الحجة لكنهم ارادوا بذلك ما ذكرنا من التمويه على
قومهم والله اعلم وقوله عز وجل فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل يشبه
ان يكون هذا الوعيد منه في وقتين اوعدهم اولا بقطع اليد والرجل من خلاف على الابقاء رجاء ان
ينتهوا عما اختاروا فاذا لم ينتهوا عنه فعند ذلك اوعدهم بالقتل والصلب اذ في القتل والصلب اتلاف
ما دونه من الجوارح فان كان على هذا ففيه ان كل حد يراد به الابقاء فانه لا يوتى على الجوارح كلها والقطع في
السرقة قد يراد به الابقاء لذلك لا يوتى على الجوارح كلها وكذلك قطاع الطريق اذ يراد به الابقاء لم يرد
على قطع اليد والرجل من خلاف وقوله عز وجل اينا اشد عذابا وابقى لو ذاق اللعين شيئا من عذاب ربه
لم يقل مثل هذه المقالة ولولا ما عرف من حلم ربه والا لم يتجاسر ان يتكلم بمثل هذا ويوعدهم ان عذابه اشد
من عذاب الله وقوله قالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البينات اي لن نوثرك بالربوبية والعبادة
والطاعة على ما جاءنا من البينات على ربوبية الله والوهيته وعبادته وقوله عز وجل والذي فطرنا قال
بعضهم لن نوثرك ايضا على الذي خلقنا لكن غيره كانه اشبه وهو ان قوله والذي فطرنا على انفسهم اي
بالذي فطرنا كانهم ايئسوه على العود على عبادته وخدمته وقوله عز وجل فاقض ما انت قاض ليس على
الامر لكن على الاياس عن ابرائك وان فعلت بنا ما اوعدت فانا لا نوثرك وقوله عز وجل انما تقضي هذه
الحيوة الدنيا اي انما تقضي في هذه الحيوة الدنيا وقوله عز وجل انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا
عليه من السحر والله خير وابقى يحتمل قوله والله خير معبود وثوابه ابقى من ثواب غيره وان يكون هذا
جواب قوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى فيقول عذاب الله ابقى والله اعلم قال ابو عوسجة جذوع
النخل ساق النخل واصله وقوله عز وجل انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى
ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى اصل هذا والله اعلم ان من قبل من الله
حيوته بالشكر وطيبها بالاعمال الصالحات طيب الله حيوته وعيشه في الاخرة ومن لم يقبل حيوته من الله بالشكر
في الدنيا بل كفرها وخبثها وقبحها بالاعمال القبيحة الخبيثة الدنية خبث حيوته في الاخرة وعيشه وقوله
عز وجل فاولئك لهم الدرجات هي ما يرتفع ويعلو والدركات ما يتسفل ويتحدر في الارض والدرجات
للمومنين في الاخرة لاختيارهم في الدنيا الاعمال الصالحة الرفيعة العلية فعلى ما اختاروا في الدنيا من
الاعمال الرفيعة العلوية فلهم في الاخرة مقابل ذلك الدرجات العلى واما الدركات فهي لاهل الكفر بما
اختاروا في الدنيا من الاعمال الدنية الخبيثة واجرام كل من زرع بذرع السوء لم يحصد به [illegible]
وقوله عز وجل وذلك جزاء من تزكى اي ذلك الذي ذكر جزاء من اصلح عمله وانماه والزكو هو النماء في
اللغة وقوله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وهو السير بالليل وقوله عز وجل فاضرب لهم

طريقا

طريقا في البحر يبسا اي اضرب بعصاك البحر اجعل لهم طريقا في البحر يابسا كقوله فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق الاية وقوله عز وجل لا تخاف دركا ولا تخشى اي لا تخاف لحوق فرعون وجنوده ولا تخشى غرق البحر ليس على
النهي ولكن على دفع الخوف عنه والامن عن ان يدركهم ويلحقهم الا ترى انه قال كلا انا لمدركون قال كلا ان معي ربي
سيهدين وقوله عز وجل فاتبعهم فرعون بجنوده دل قوله بجنوده على انه كان معه جنود لا جند واحد واما العدد فانهم قد
كانوا كذا الفا وقوم موسى كذا كذا الفا فذلك لا يعلم الا بالخبر وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل فغشيهم
من اليم ما غشيهم اي من الغرق والهلاك وقوله عز وجل واضل فرعون قومه وما هدى قال بعضهم واضل فرعون قومه
وما هداه الله وقال بعضهم واضل فرعون قومه وما هداهم حيث قال وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقيل اضل قومه
وما هدى نفسه وقال بعضهم وذلك جزاء من تزكى اي امن وذلك انه بالايمان تزكوا الاعمال وتنموا وبه تثاب عليها
ويوجر وقال القتبي لا تخاف دركا اي لحاقا وقوله فاتبعهم فرعون بجنوده اي لحقهم وقوله عز وجل يا بني اسرائيل
قد انجيناكم من عدوكم هذا خبر يخبر عما انعم عليهم ومن على ابائهم وابنائهم من حضر رسول الله يذكر هولاء بما
انعم ومن على اولئك والا لم يكن هولاء يومئذ وفيه تذكير النعم والمن على الصحابة في اواخر امورهم لانه امن هم في اخر
امرهم من عدوهم واياسهم عن عودهم الى دينهم وفيه تذكير لنا فيما انعم علينا ومن في اوايل امورنا واخرها
ليس لتذكير لبني اسرائيل خاصة ولكن لنا ولكل من انعم عليه وقوله عز وجل وواعدناكم جانب الطور الايمن لسنا
ندري ان الايمن هو اسم ذلك الجبل او سماه الايمن ليمنه وبركته وقال عز وجل في اية اخرى فلما اتاها نودي من شاطئ
الوادي الايمن او سماه الايمن من يمن موسى عليه السلام فان كان من اليمن والبركة فهو كذلك كان لانه به بدء
وحي موسى عليه السلام وقوله عز وجل ونزلنا عليكم المن والسلوى يذكر هولاء وسع على اوايلهم من الرزق
واحسنهم ليستادي بذلك الشكر على ما انعم عليهم وذلك تذكير لنا ولمن وسع عليه ذلك اذ لم يزل علينا يوسع
الرزق من اول عمرنا الى اخره وقوله عز وجل كلوا من طيبات ما رزقناكم اي قلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم هو
يحتمل وجهين احدهما ان يكون قوله طيبات ما رزقناكم اي من حلالات ما رزقناكم فان كان على هذا ففيه دلالة ان
قد يرزق ما ليس بحلال والثاني من طيبات ما رزقناكم اي ما يطيب به انفسكم ففيه دلالة انه يجوز لنا ان
نختار من الاطعمة ما هو اطيب ان كان على ما يستطيب به الانفس وقوله عز وجل ولا تطغوا فيه الطغيان هو
مجاوزة عن الحدود التي جعلت اي لا تطغوا فيما رزقكم من الطيبات وتجعلونه في غير ما جعل وتتجاوزون عن القدر
الذي جعل وقوله عز وجل فيحل عليكم غضبي برفع الحاء والخفض جميعا يحل ان ينزل عليكم غضبي ويحل بالرفع يجب
وقوله ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى قيل هوى هلك اي يجب عليه هذا اي فقد هلك وكذلك قال القتبي هوى
اي هلك يقال هوت امه اي هلكت وقيل فقد هوى اي سقط في النار يقال هوى في موضع كذا وقوله عز وجل
واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى يحتمل قوله غفار لمن تاب عن الشرك ورجع عنه وامن بتوحيده
وعمل صالحا فيما بين ذلك ثم اهتدى في حفظ ما امره وانتهى عما نهى والثاني غفار لمن تاب عن جميع المناهي وامن
بجميع ما امر وقوله ثم اهتدى اي دام على ذلك وثبت كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله عز وجل
وما اعجلك عن قومك يا موسى قال بعضهم ان موسى صلوات الله عليه خرج بنفر من قومه الى الجبل لياخذ التورية
فعجل حتى خلفهم وتركهم وراءهم فعند ذلك قال له ربه وما اعجلك عن قومك يا موسى وقال بعضهم لم يخرج
بنفر ولكن خرج وحده وترك قومه فاصابهم ما اصاب من الافتتان بالعجل الذي اتخذه السامري وقوله
عز وجل قال هم اولاء على اثري هذا على التاويل الاول اي هم يجيئون على اثري وعلى تاويل الثاني اي تركتهم على
ديني وسبيلي وهو قول الحسن وقتادة وقوله عز وجل وعجلت اليك رب لترضى اي عجلت اليك رب لترضى فيما دعوتني
اجابتك وطاعتك فيما امرتني لترضى هذا على التاويل الذي قال انه خرج وحده وعلى التاويل الذي يقول انه خرج بنفر
يقول والله اعلم وعجلت اليك رب لترضى اذ لم يكن لي سبب ولا شغل يمنعني عن الاسراع الى ما دعوتني و
امرتني وهكذا عندنا ان من لزمه امر الله وفرضه لزمه الاسراع والعجلة الى القيام بادائه اذا لم يكن ثم
سبب يمنعه عن التعجيل له والقيام به والله اعلم وقوله عز وجل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك الفتنة هي
المحنة التي فيها شدائد والبلايا ومعنى الافتتان ههنا هو ما فتنهم بالعجل الذي اتخذه السامري جعله جسدا
بدم ولحم على ما ذكرنا ونفخ فيه الروح وجعل له خوار فذلك معنى الافتتان منه اياهم والله اعلم وقوله عز وجل
واضلهم السامري لانه كان سببا لضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى
فاضاف الاضلال اليه لما ذكرنا من دعايه اليه والسبب الذي كان منه والا لم يملك احد اضلال احد واضاف الا
الافتتان الى نفسه لما ذكرنا من جعل العجل جسدا من لحم ودم وروحاني فان قيل ما معنى اجراه ما يجري على يدي
السامري مع ضلاله من الاية قيل هو والله اعلم انه لو ادعى لنفسه الرسالة لكان لا يتهيا له ذلك لكنه انما ادعى

انه اله واثار العبودية فيه ظاهرة قائمة يعرفه كل احد انه ليس باله واما الرسالة فانه يجوز ان يشتبه على الناس
وتلبس عليهم فيمنع الله عز وجل من ليس برسول اذا ادعى الرسالة اقامة دلالة الرسالة لاشتباهها على الناس وانما
واما الالوهية فلا يمنع عن اجراء ذلك لان اثار العبودية واعلام العجز فيها ظاهرة يعرفه كل احد وهكذا من اتى قرية
لم يبلغهم هذا القران فقراه هذا القران وقال اني رسول الله اليكم لم يقدره الله على قراءته ولو ادعى الربوبية به
لم يمنع لان اثار العجز عن اتيان مثله ظاهرة وفي الرسالة لا لذلك افترقا والله اعلم وقوله عز وجل فرجع موسى
الى قومه غضبان اسفا الاسف هو النهاية في الغضب والنهاية في الحزن وهكذا جعل الله رسله وانشاهم
على نهاية الغضب لله والاسف له عند معاينتهم الخلاف لله والتكذيب له كقوله لرسوله لعلك باخع نفسك
الاية وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا على تاويل
الحسن وعدا حسنا هو الثواب الذي وعد لهم بالدين والسبيل قادهم اولا على اثري اي على ديني وسبيلي وقال
بعضهم وعدا حسنا اي عدلا وصدقا حيث وعد لهم انه يرجع اليهم عند راس اربعين او ثلثين ليلة على ما ذكر
عز وجل افطال عليكم العهد على تاويل الحسن افطال عليكم عهد ما وعد لكم من الثواب والجزاء على دينه وسبيله
حتى نسيتم ذلك وعلى تاويل من قال ان الوعد هو ما وعد انه يرجع اليهم على راس كذا يقول افطال عليكم ومعنى
وعدي حتى فعلتم ما فعلتم وقوله عز وجل ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اي ام تعمدتم الخلاف فيحل
عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي يحتمل الوعد الوجهين الذين ذكرناهما فيما مضى وقوله عز وجل قالوا ما
اخلفنا موعدك بملكنا برفع الميم وكسرها فمن قراء بملكنا برفع الميم اي بسلطاننا وطاقتنا اي لم نفعل بسلطاننا
وطاقتنا ومن قراء بملكنا بكسر الميم ما ملكت ايدينا وقال الكسائي من قراء بملكنا بالرفع معناه بسلطاننا ومن قراء
بملكنا بكسر الميم ونصبه بملكنا معناهما واحد وهو ما ملكت ايدينا وقوله عز وجل ولكنا حملنا اوزارا من زينة
القوم قيل اثقالا من زينة القوم اي من حلي القبط وقوله عز وجل فقذفناها اي قذفنا ما حملنا من حليهم وقوله
عز وجل فكذلك القى السامري اي كذلك قذف ما حمل السامري من حليهم وجائز ان يكون قوله فكذلك القى
السامري ما اخذ من قبضته من اثر الرسول كقوله فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وقوله عز وجل
فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار اي عجلا جسدا جسد عجل وليس هو بعجل في الحقيقة وقال بعضهم عجلا جسدا
لا يتعيش كما يتعيش العجل المولود من البقر والاول اشبه وقوله عز وجل فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي
هذا القول انما قاله السامري قوله عز وجل فنسي قال بعضهم نسي السامري حيث قال لهم هذا الهكم واله موسى
يكون النسيان على هذا التاويل التضييع والترك كانه قال ضيع السامري بعد ما علم وعرف رب العالمين ونسبه
الالوهية الى العجل وقال بعضهم ان السامري لما قال هذا الهكم واله موسى لكن موسى نسي هذا حيث خرج في
طلب غيره ولا يحتمل ان يقبلوا هذا القول منه ويجعلوا العجل الذي اتخذه السامري الها وقد علموا انه انما اتخذ
من حليهم حلوه من القبط لكنه كان في عقدهم انه يجوز اتخاذ اله دون اله رب العالمين والعبادة له رجاء ان يقرب
عبادتهم تلك الالهة الى الله وعلى هذا كانوا يعبدون الاصنام دون الله كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وكذلك قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وكذلك ما اتخذ لهم فرعون
من الهة عبدوها دونه والا لم يحتمل ان يقع عندهم ان رب العالمين هو ذلك العجل لكنه ما ذكرنا انهم كانوا يستجيزون
في اعتقادهم عبادة من دونه فقال عند ذلك ورد عليهم اعتقادهم فقال افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا
يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لا يرون ان لا اذن في عبادة من يرجع اليه القول ويملك النفع والضر وهو البشر فكيف
اذن في عبادة من لا يملك شيئا من ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم
به وان ربكم الرحمن يذكر والله اعلم بهذا رسوله ان الذين كذبوك وجحدوا رسالتك لم يكذبوك لجهلهم
بالرسالة ولكن لتعنتهم وعنادهم على ما ذكر وانباه من قول هرون لقومه لما عبدوا العجل حيث قال يا قوم انما
فتنتم به وان ربكم الرحمن فكانه يؤيسه عن ايمان اولئك لعنادهم وهو ما قال افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان
فريق منهم يسمعون كلام الله وقوله عز وجل انما فتنتم به يحتمل وجهين احدهما فتنتم اي صرتم مفتونين بالعجل و
بصوته وخواره او بغيره والثاني فتنتم اي ضللتم به اي بالعجل وان ربكم الرحمن وقوله عز وجل فاتبعوني اي اجيبوني
الى ما ادعوكم به واطيعوا امري اي ما امركم به وقوله عز وجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى
قال بعضهم لن نبرح اي لن نزال على عبادة العجل مقيمين حتى يرجع الينا موسى وقال بعضهم لن نبرح اي لن نفارق
عبادته ثم قال موسى يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا هذا يدل ان قول هرون لهم انما فتنتم به اراد به الضلال
حيث قال له موسى اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري يحتمل الا تتبعني اي ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا صرت
ما كنت صرت انا وقد علمت الى اين صرت انا او يكون قوله الا تتبعني اي الا تتبع ديني وسنتي وكانت سنته و

ومذهبه القتال والحرب معهم اذا ضلوا وتركوا دين الله فاعتذر اليه هرون فقال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني
اسرائيل ولم ترقب قولي هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما اني خشيت ان اشتغلت وصرت الى ما صرت انت تقول لي
فرقت بين بني اسرائيل لانك لو هتنهم عما اختاروا من عبادة العجل وبينت لهم السبيل لعلهم يتبعونك فحيث لم
تفعل ذلك الذي فرقت بينهم والثاني على تاويل القتال والحرب في قوله الا تتبعني امري خشيت لو قاتلتهم ونصبت
الحرب بينهم صاروا فريقين فاذا تفرقوا اقتتلوا وسفكوا الدماء وتفانوا فترك القتال لما طمع الايمان اذا رجع
اليهم موسى ونهاهم عن ذلك فلعل سنته في القتال مع من لم يطمع منه الايمان هذا على تاويل من يقول بانه هرون
اعتزلهم لما عبدوا العجل مع عشرة الاف نفرا واكثر واقل على ما ذكر واما الحسن فانه يقول كلهم قد عبدوا العجل
الا هرون فمعنى قوله لا يحتمل الحرب والقتال معهم وقوله عز وجل ولم ترقب قولي قيل هو ما قال واصلح ولا تتبع سبيل
المفسدين ودل قوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي بان كان له الشعر فكنى بالراس عن الشعر وقوله عز وجل قال فما
خطبك يا سامري قال الحسن ما حجتك يا سامري على ما فعلت ولا حجة كانت له قط وقال غيره ما خطبك ما شانك
وما امرك والخطب هو الشان والامر في اللغة وتاويله والله اعلم فما شانك اي ما الذي حملك على صنعك الذي صنعت
ثم قوله بصرت بما لم يبصروا به بالياء والتاء جميعا ثم بين ما الذي بصر هو بما لم يبصروهم فقال فقبضت قبضة من اثر
الرسول فنبذتها اما عامة اهل التاويل فانهم يقولون انه قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل فنبذها وليس في
الاية ذكر التراب ولا ذكر الفرس ولا ان ذلك الرسول جبريل او غيره ويشبه ان يكون الذي قبضه هو تراب من اثر
الفرس على ما قاله اهل التاويل وقد ذكر في حرف ابي فقبضت قبضة من اثر فرس الرسول فان ثبت ما قالوا والا
لم نزد على ما ذكر في الكتاب لان هذه الانباء والقصص كانت في كتبهم فذكرت في القران ليحتج بها رسول الله على
اولئك ليعرفوا انه انما عرف ذلك بان الله تعالى فلو زيد او نقص عما في كتبهم لذهب موضع الاحتجاج عليهم بل يوجب
ذلك شبه الكذب عليهم لذلك وجب حفظ ما حكي في الكتاب من الانباء والاخبار من غير زيادة ولا نقصان مخافة
الكذب الا ان ثبت شيء بذكر عن رسول الله انه كان فعند ذلك يقال والا الكف اولى لما ذكرناه في قراءة الحسن
وقتادة فقبصت قبصة بالصاد والقبصة هي الاخذ باطراف الاصابع والقبضة هي بالكف فلا يحتمل ان يبيع الحرفان
جميعا لان الاخذ باطراف الاصابع دون الكف فهو خبر يخبر عما في كتبهم فاما ان يكون ذا او ذا واما ان يكونا جميعا فلا
يحتمل الا ان يقال انه اخذ باطراف الاصابع ثم رده الى الكف فحينئذ يكون او ان يكون بمرتين والله اعلم وقوله عز وجل
وكذلك سولت لي نفسي هذا يحتمل وجهين احدهما اي كذلك سولت لي نفسي انك متى تاخذ قبضة من اثر الرسول
فنبذتها في الحلي يحيى او ان يكون سولت له نفسه على ما كان عادتهم وطبيعتهم انهم لا يعبدون الها لا يرونه ولا يقع
بصرهم عليه حيث قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وكقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال سولت لي
نفسي ان اتخذ لهم عجلا يرونه فيعبدونه او سولت لي نفسي ان في اخذ قبضة اثر الرسول نبأ عظيما او قال لك
اعتذار الجميع ما كان منه من اول الامر الى اخره والله اعلم وقوله عز وجل قال فاذهب فان لك في الحيوة ان
تقول لا مساس قال بعضهم اي لا تزال تقول لا مساس لا تقول غيره عقوبة له وجزاء لصنيعه وقال بعضهم ان
تقول لا مساس لم تمسني ولا امسك اي لا تمسني ابدا اخرجه من بين اظهرهم لما علم موسى منه وقوله عز وجل
وان لك موعدا لن تخلفه يحتمل وان لك موعدا لعذابك لن تخلفه يحتمل ذلك في الدنيا والاخرة وقوله عز وجل
وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا قوله وانظر الى الهك الذي تزعم انه اله لان موسى سمى ذلك الها وهو
كما قال فراغ الى الهتهم التي في زعمهم الهة وقوله عز وجل ظلت عليه عاكفا فقوله ظلت يقال بالنهار وفي
الليل يقال بات وقوله عز وجل لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا وفي هذا اثبات انه لموسى حيث قال لنحرقنه
والعجل الذي هو من لحم ودم ليس من طبع النار احراقه وكذلك الحلي الذهب والفضة ليس من طبع النار احراقه
حتى تصير رمادا ولكن من طبعهما الاذابة ثم اخبر انه يحرقه فدل انه اية وفي قوله لنحرقنه لغتان لنحرقنه
بالتشديد ورفع النون وهو التحريق بالنار ولنحرقنه بنصب النون وهو القطع بالمبرد وقال ابو معاذ من
قرء لنحرقنه بنصب النون فقد كان العجل من الحلي فلم يقدر على تحريقه بالنار فحرقه بالمبرد ومن قرء لنحرقنه
برفع النون والتشديد يقول كان لحما ودما فاحرق بالنار حتى صار رمادا ثم نسف في اليم قال ابو معاذ
قال ابن سليمان لنحرقنه برفع النون بالنار ولنحرقنه بالنصب بالمبرد قال ابو معاذ يا سبحان الله ان كنت تحرقه
بالنار فما حاجتك الى المبرد لكنه اراد مقاتل ان يجمع القراءتين والتاويلين في قراءة واحد لكنه عندنا لا يجوز
ان يكون العجل من لحم ودم في احدى القراءتين وفي الاخرى من الحلي لا لحم فيه ولا دم ويكون القراءتان جميعا
منزلتين وما قاله مقاتل انه حرق بالنار ثم حرق بالمبرد حسن لان النار لا تحرق العجل اذا كان لحما ودما ولكنها
ترتب فابرد بالمبرد فعند ذلك نسف في اليم قال ابو معاذ تقول العرب نسفت البر وانسفته نسفا

اذا خرج المنسفه فعبرت عباره ويقال فى المشى ماذ للغا ننسف يومنا كله نسفا اى نمشى وقال ابو عوسجة
لننسفنه اى لنذرينه نسفا اى رميا والنسف القلع من الاصل وصرفه نسف ينسف نسفا وقال لن نبرح
اى لن نزال بصرت بما لم يبصروا به يقال بصرت وابصرت بصر يبصر بصرا وقبضت قبضة والقبضة باطراف الاصا
وقال لا مساس اى لا يمسك احد ولا يؤذيك وقال ظلت عليه لغة سوى انما هو ظللت وظلت وروى فى حرف
ابن مسعود بصرت بما لم يبصروا به اذ جاء الرسول فقبضت قبضة فالقيتها وفى حرف حفصة اذ مر الرسول وفى حرف
ابى بن كعب ان لك فى الحيوة ان لا مساس ليس فيه ان تقول وفى حرف حفصة ان لك فى الحيوة الدنيا ان تقول
لا مساس وقال بعضهم تاويله لا تخالط الناس ولا تخالطونك ابو معاذ المساس مصدر ماسه مساسا وما
سه كما يقال ضاره ضرارا ومضارة وساره سرارا ومسارة ومن قرا لا مساس كان كقولك نزال ودراك وفى
حرف ابن مسعود وابى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا وانظر كيف يفعل بالهك الذى ظلت وقوله
سولت لى نفسى قال بعضهم شجعت وظاهره زينت لى نفسى وقيل سمى السامرى سامريا لانه كان من قبيلة
يقال لها السامرة وقول هرون لموسى يا بن ام وكان اخاه لابيه وامه قيل اراد بذلك ان يرقه عليه
فيتركه وقوله عز وجل انما الهكم الله الذى لا اله الا هو جايز ان يكون موسى لما احرق العجل ونسفه فى
اليم عند ذلك انما الهكم الله الذى تعرفونه لا اله الا هو وسع كل شىء علما لا يعزب عنه شىء ولا يخفى
عليه شىء فيشبه ان يكون موسى ذكر هذا لهم لما اضمروا هم واسروا حب العجل فى قلوبهم على ما اخبر الله
عنهم بقوله واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم فقال لهم وسع كل شىء علما يعلم ما يسرون وما تظهرون اوان يكون
لا يعلمون انه يعلم ما تسرون وما يضمرون وما يغيب عن الخلق ويكون عندهم كملوك الارض يعلمون الظاهر من
الامور الحاضرة منها ولا يعرفون منها الباطن والغايب فاخبر انه عز وجل يعلم الظاهر والباطن والسر وهكذا
نقص عليك من انباء ما قد سبق ليكون اية لرسالتك ونبوتك وان يقول كما قصصنا عليك هذا النبا
كذلك نقص عليك ساير الانبا والله اعلم وقوله عز وجل وقد اتيناك من لدنا ذكرا قال اهل التاويل الذكر
ههنا القران وهو ظاهر الا ترى انه قال على اثره من اعرض عنه فانه كذا وجايز ان يكون قوله اتيناك من لدنا
ذكرى اى شرفا وذكرا يذكر هو بعدك ابدا ومن اتبعه واجابه الى ما دعاه يصير مذكورا به وقوله عز وجل من اعرض
عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا والوزر الحمل وسميت الاثام حملا لان الاثام تنقض ظهور اصحابها فى النار وتكسرها
كالحمل فى الدنيا ينقض ظهر صاحبه ويكره وهو ما ذكر ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك وقوله عز وجل
خالدين فيه اى فى ذلك الوزر انه لن يفارقهم اوزارهم ابد الابدين وقوله عز وجل وساء لهم يوم القيمة حملا
حمل السوء حمل يورد صاحبه النار وبئس الحمل حمل يورد صاحبه النار ويقال بئس ما حملوا على انفسهم من الاعمال
وقوله من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا يحتمل الاعراض عنه وجهين احدهما اعرض عنه اى كفر به وكذبه ولم يلتفت
اليه والثانى اعرض عنه اى لم يعمل بما فيه ومن لم يعمل من المسلمين بما فيه يخاف ان يكون فى وعيد هذه الاية وقوله
عز وجل يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا قيل يتسارون بينهم و
يتكلمون فيما بينهم كلاما خفيا ان لبثتم الا عشرا مثل هذا الكلام انما يقولون تلهفا وتحزنا على ما كان منهم فى وقت
قليل لاستقلالهم واستصغارهم الدنيا يقولون كيف كان منا كل هذا العمل فى ذلك الوقت القليل ثم اختلفوا
فى ذلك اللبث الذى قالوا ذلك قال بعضهم فى الدنيا استقلوا مقام الدنيا لما عاينوا الاخرة وقال بعضهم لبث
فى القبور ويستدل من ينكر عذاب القبر بهذه الاية يقول لانهم استقلوا مقامهم فى القبور ولو كان لهم عذاب
فى ذلك لا استطالوا ذلك واستكثروا لان قليل اللبث فى العذاب يستعظم ويستكثر لا يستقل ولا يستحقر
فلما استقلوا ذلك دل انهم لا يعذبون فى القبور واستدلوا بنفى العذاب فيه بقوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
ومن يقول بعذاب القبر يزعم ان ذلك انما قالوا فى القبر يقول ذلك بين النفختين يقول هم يعذبون ويكونون
فى العذاب الى النفخة الاولى ثم يرفع عنهم العذاب الى النفخة الثانية عند ذلك يرقدون فيستصغرون مقام
النوم وقد يستصغر الوقت الطويل ويستقل فى حال النوم على ما ذكر فى قصة اصحاب الكهف حين قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم وهم قد اقاموا ثلثمائة سنة وزيادة وجايز ان يكون عذاب القبر عذاب عرض وعذاب
الاخرة عذاب عين كقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فاستصغروا عذاب العرض واستقلوه عند
معاينة عذاب العين ومن يقول ذلك فى الدنيا يقول تحاقرت الدنيا فى اعينهم ومقامهم فيها حين عاينوا
الاخرة واهوالها وقوله تعالى نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما قوله امثلهم قيل
اعقلهم واعلمهم وقيل افضلهم ان لبثتم الا يوما من كان ابصر واعلم بامور الاخرة واهوالها كان اكثر
استخفافا واستحقارا لها وفى حرف ابن مسعود نحن اعلم بما يقولون اذ قال عليهم اذ يقول امثلهم طريقة ان

ابو معاذ قوله عيل عليهم اى اشتبه وخفى وفاتهم علمه وقال منه يقال عالت الفريضة تعول عولا اذا جاوزت السهام
فاشكل على الفارض واشتبه ومنه قيل عيل صبرى وقوله عز وجل ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا يشبه ان
يكون سؤالهم عن احوال الجبال فى ذلك اليوم لما بين احوال الناس فى الساعة بقوله ان زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية وكقوله وترى الناس سكارى الاية وصف لهم احوال الخلق فى ذلك اليوم ولم يصف
احوال الجبال والارض فعند ذلك سالوه عن احوال الجبال فامر رسوله ان يخبرهم بما ذكر انه ينسفها ربى نسفا وما ذكر
ايضا فى اية اخرى هباء منثورا وكالعهن المنفوش وكالفراش المبثوث ونحوه فجايز ان يكون ذلك على اختلاف الاحوال
وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا قال بعضهم قاعا صفصفا اى مستوية
والقاع صفصف واحد وقال بعضهم هى الارض الملسا التى لا نبات فيها ولا زرع وقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا قيل
لا واديا ولا امتا ولا رابية وقال بعضهم العوج الارتفاع والامت الهبوط وقال بعضهم العوج احنا الاودية والامت
الروابى وقيل لا انخفاضا ولا ارتفاعا والقاع الصفصف هو تفسير لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى فيها عوجا ولا
امتا تفسير لقوله قاعا صفصفا وقوله عز وجل يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له لا خلاف له ليس كالداعى فى الدنيا منهم من
يطيعه ويجيبه ومنهم من لا يطيعه ولا يجيبه فاخبر انهم فى الاخرة يجيبون الداعى فى ابر حال كانوا لا يخالفونه وقوله
عز وجل وخشعت الاصوات لا تخشع لكن تخفض وتلين عند خوف اهلها وترتفع عند الامن او ان يكون خشوع الاصوات
كناية عنهم انه يخشعون ويذلون لشدة فزعهم لاهوال ذلك اليوم وقوله عز وجل فلا تسمع الا همسا قيل الهمس الكلام
الخفى الذى لا يكاد يسمعه وقيل وقع الاقدام ونقلها وهو تحركها قال ابو عوسجة يتخافتون بينهم اى اخفى صوته وقوله
امثلهم طريقة اى افضلهم قاعا صفصفا قال القاع الارض الصلبة التى لا شىء فيها والصفصف المستوية والصفصف
جمع والقيعان جمع القاع عوج وعوج واحد ولا امتا والامت هو العوج وهو الثنى وقوله عز وجل وخشعت الاصوات
اى سكنت والهمس الخفى وقوله عز وجل يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا هذا يحتمل و
جهين احدهما لا تنفع الشفاعة ليس ان يكون لهم الشفعاء وتشفع ولكن لا شافع لهم الا من اذن له الرحمن بالشفاعة
لاحد ورضى له بقول الشفاعة انه لا احد يتكلم يومئذ الا باذنه فضلا ان يؤذن لاحد بالشفاعة بقوله لا يتكلمون الا
من اذن له الرحمن وقال صوابا والثانى لا تنفع الشفاعة الا من وفق له الرحمن بما يستوجب الشفاعة له ورضى له قولا
وسال له ذلك وهو قول الشهادة والتوحيد فيرجع احد التاويلين الى الشفعاء انه لا احد يشفع لاحد الا باذنه ورضاه
بالقول قول الشفاعة والثانى يرجع الى المشفوع له انه لا احد يستوجب شفاعة الا من وفق له الرحمن فى الدنيا بالتوحيد
وشهادة الاخلاص والله اعلم وقوله عز وجل يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يحتمل قوله ما بين ايديهم قبل ان يخلقوا وما
خلفهم بعد ما خلقوا وكانوا او يكون قوله ما بين ايديهم ما قدموا من الاعمال وما خلفهم ما تركوا وخلفوا من بعدهم
او ان يكون قوله ما بين ايديهم كناية عن الخيرات اى يعلم ما يعملون من الخيرات وما خلفهم من الشرور وما نبذوا وراء
ظهورهم وجايز ان يكون المراد من البين والخلف الاحوال كلها اى عالم بجميع احوالهم وبكل شىء يكون منهم وهو كقوله
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد اى لا ياتيه الباطل البتة لانه ليس للقران بين ولا خلف
ولكن المراد ما ذكرنا فعلى ذلك الاول وجايز ان يكون المراد ليس البين ولا الخلف ولكن اخبار عن احاطة علمه بهم والله اعلم
وقوله عز وجل ولا يحيطون به علما هذا يحتمل وجهين لا يحيطون بالله علما ولكن انما يعرفونه على قدر ما يشهد لهم الشواهد
من خلقه لان الخلق انما يعرفون ربهم من جهة ما يشهد ويدل لهم من الدلالات من خلقه والاحاطة بالشىء انما
تكون ما كان سبيل معرفته الحس والمشاهدات فاما ما كان سبيل معرفته الاستدلال فانه لا يحاط به العلم والثانى
لا يحيطون به علما اى بعلمه كقوله ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وكقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول الاية وقوله عز وجل وعنت الوجوه للحى القيوم قيل عنت ذلت وخضعت الوجوه وجايز ان يكون
ذكر الوجوه كناية عن انفسهم لما بالوجوه يظهر الذلة والخضوع فكنى بها عنهم فان كان ما اخبر من خضوعهم وذلهم
فى الاخرة فهو على ما اخبر من خضوع الخلايق له فى الاخرة وان كان بعضهم يتكبر فى الدنيا وان كان فى الدنيا فهو على خضوع
الخلقة له خضعت خلقة الخلايق كلهم له وقوله للحى القيوم قد ذكرنا تاويل الحى القيوم فيما تقدم وقوله عز وجل وقد خاب
من حمل ظلما انه قد خاب من حمل الشرك والظلم ههنا الشرك وقد خاب من حمل ما ذكر من الحمل والوزر وهو ما ذكر فى قوله
من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا اى خاب من حمل ذلك الحمل والله اعلم
وقال بعضهم فى قوله يعلم ما بين ايديهم من امر الاخرة وما خلفهم من امر الدنيا ولا يحيطون به يعنى الملائكة به علما
بقولهم لا يعلمون من كلامهم الا ما علمهم اياه فان كان هذا فى الملائكة خاصة فانه لا يحتمل ما ذكرنا من التاويل فى
قوله وما خلفهم من الشرور وما نبذوا وراء ظهورهم لانهم مطيعون الله لا يعصونه طرفة عين ويحتمل غيره من
التاويلات التى ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم فى قوله يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده الا من اذن له الرحمن فى الشفاعة

ورضي له قولا قول لا اله الا الله مسلما في الدنيا مومنا حقا فذلك الذي رضي والشفاعة تحل لهم فاما غيرهم فلا
يشفع لهم وهو ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم اي عملت الوجوه للحي القيوم قالوا
وتاويل عنت الوجوه اي خضعت له بالعمل الصالح في الدنيا على ما ذكر بعضهم من الركوع والسجود وغيره وهو في المومنين
خاصة ليس ان يكون تاويل قوله وعنت اي عملت حقيقة ولكن من الوجه الذي ذكرنا وان كان التاويل في الاخرة
فهو في الفريقين جميعا يذلون له جميعا ويخضعون في الاخرة وان كان من بعضهم التكبر في الدنيا وقوله عز وجل ومن
يعمل من الصالحات وهو مومن فيه دلالة انه قد يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحات حيث قال ومن يعمل
من الصالحات وهو مومن وفيه ان الايمان شرط في قبول الصالحات وجعلها طاعة لله حيث شرط الايمان فيه وقوله
عز وجل فلا يخاف ظلما ولا هضما الظلم ههنا على مذهب النقصان لا ظلم الجور لان الثواب على الاعمال الصالحات بحق
الافضال لا بحق العدل فاذا كان على هذا فيخرج قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف من ينقص
من حسناته شيئا او يزيد في سياته شيئا ويجوز في اللغة ذكر الظلم عن ارادة النقصان كقوله في ذكر الجنتين
كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا والجنة لا توصف بالظلم الذي هو ظلم جور فدل انه اراد بالظلم ههنا
النقصان اي لم تنقص بل اتت بثمارها وافية وافرة وان كان على الظلم الذي هو ظلم الجور فهو على النهي اي لا تخف
منه الظلم والجور وقوله عز وجل وكذلك انزلناه قرانا عربيا اي كما ذكرنا ان من يعمل من الصالحات وهو مومن
فلا يخاف ظلما ولا هضما كذلك انزلناه في القران العربي وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون حرف لعل في جميع
ما ذكر في القران يحتمل وجهين احدهما على الوعد انهم يتقون فهو على الايجاب والثاني لعلهم يتقون اي الزمهم
ان يتقوا بما صرف فيه من الوعيد وان كان على الوعد والايجاب منه فهو على علم انهم يتقون وان كان على الالزام
اي الزمهم فهو في الكل ثم ان كان على الوعد فيخرج قوله او يحدث لهم ذكرا اي ويحدث لهم ذكرا فيكون قوله
لعله يتذكر او يخشى اذا تذكر خشي واذا خشي تذكر فعلى ذلك اذا اتقى فقد احدث له الذكر واذا احدث له
الذكر اتقى وان كان الزمهم ان يتقوا فهو على امر ثم قال بعضهم ذكرا اي عذابا وقوله عز وجل فتعالى الله الملك
الحق مثل هذا انما يذكر على نوازل كانت اما قولا او فعلا يقال فتعالى الله عن ذلك لكن لم يذكر النوازل والله اعلم
وقوله عز وجل ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه يحتمل ما قاله اهل التاويل ان جبريل كان اذا اتاه
بالسورة وبالاي فيتلوها عليه فلا يفرغ جبريل من التلاوة حتى يتكلم رسول الله باولها مخافة ان ينساها
فانزل الله ولا تعجل بالقران فتقرءه من قبل ان يفرغ من تلاوته عليك وقد امنه عن النسيان بقوله سنقرئك
فلا تنسى الاية وكذلك ولا تحرك به لسانك لتعجل به الاية ثم امره عز وجل ان يسال له ان يزيده علما ويحتمل ان يكون
قوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه اي لا تعجل بما ذكر من الوعيد لهم في القران من قبل ان ياتي وقته
كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا وقوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه جائز ما قال اهل
التاويل انه كان يتلو مع تلاوة جبريل فقال له لا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه ان ثبت عنه انه كان
يتلو مع تلاوة جبريل وجائز النهي من غير ان كان منه ما ذكر والله اعلم على ما نهى هو عن اشيا من غير ان كان منه ذلك
وقوله عز وجل ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال الحسن وعامة اهل التاويل ان قوله نسي اي ضيع
وترك ليس نسيان السهو لانه عوتب عليه وعوقب به ولا يعاتب المرء على ما هو حقيقة السهو والنسيان فدل انه على
التضييع والترك ليس على النسيان والسهو الى هذا يذهب هولاء يقبح هذا ان يقال في ادم او في نبي من الانبياء او في
رسول من رسله صلوات الله عليهم انه ضيع والنسيان عندنا على ضربين نسيان يكون عن غفلة منه وشغل ما لولا
ذلك الشغل منه والغفلة لحفظه وذكره ولا ينساه وجائز المعاتبة على هذا النسيان اذ لو كان تكلف لكان لا
ينساه ولا يقع فيه ونسيان لم يقع فيه من غير سبب كان منه لا يملك دفعه وذلك نسيان ما لا يعاتب عليه
لا يعاتب به وهكذا الكلفة من الله تعالى والمحنة انه جائز ان يكلف ويمتحن من لا يعلم ولا يعقل الكلفة وقت تكليفه
اياه بعد ان يحتمل عقله ادراك ذلك لو استعمله فاما من كان عقله لا يحتمل ادراك ما كلفه وان استعمله ولم يهد نفسه
فيه فانه لا يكلف لتبه فعلى ذلك النسيان الذي ذكر من ادم جائز انه لو تكلف لحفظه وذكره فانما عوتب لذلك والله
اعلم وقوله عز وجل ولم نجد له عزما قال الحسن اي صبرا عن الشيطان وقال بعضهم حفظا لما يحفظ امره وقال بعضهم حفظه
صبرا ومحوه والعزم حقيقة القصد والقطع على الشيء وهو ضد النسيان الذي ذكر وقال بعضهم العزم هو المحافظة
على امر الله والتمسك به وقوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى قال لولا قول اهل
التاويل في صرف سجود الملائكة لادم الى حقيقة السجود والا جائز ان يصرف الامر بالسجود الى الخضوع له اذ
السجود هو الخضوع حيث قال يا ادم انبئهم باسمائهم وقد يومر الانسان بالخضوع لمن يتعلم منه العلم وقوله
عز وجل فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى قال اهل التاويل ليس شقاء الدين ولكن تعب النفس والنصب في العمل

وقوله عز وجل ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى اي لا يصيبك الشمس وقوله عز وجل
فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى اي لا يفنى فاكلا منها فبدت لهما سواتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد ذكرنا هذا فيما تقدم قال ابو عوسجة قوله وعنت الوجوه اي ذلت يقال عنا
يعنو عنوا وقال ولا هضما اي ظلما يقال هضمته اي ظلمته واهتضمته مثله وقال ابو عبيدة الهضم النقصان وقال قاعا
صفصفا القاع الارض التي يعلوها الماء وهو قريب مما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وعصى ادم ربه فغوى
كل من عصى ربه فقد غوى العصيان والغواية واحد وقوله عز وجل ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قوله ثم اجتباه
يحتمل وجوها احدها اجتباه للتوبة وهداه لها او اجتباه ربه للرسالة وهداه لها واجتباه ربه للدين وهداه
للتوحيد وهذا جائز عندنا لانه للتوحيد والايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت وكل ساعة لانه مامور بترك
الكفر ونفيه في كل وقت فاذا كان مامورا بترك الكفر في كل وقت منهيا عنه كان مامورا بالايمان والتوحيد فاذا كان
ما ذكرنا دل ان للايمان والتوحيد حكم التجدد الحدث في كل وقت والاظهر قوله ثم اجتباه ربه انه لم يكن يجتبي
قبل ذلك فاجتباه من بعد لكن الوجه ما ذكرنا من اجتباه اياه للرسالة واجتباه للتوحيد والطاعات والخيرات ونحوه
والله اعلم وقوله عز وجل قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو قال الحسن قوله اهبطا اي ادم والشيطان
بعضكم لبعض عدو يعني ذرية ادم وذرية ابليس بعضهم لبعض عدو وقال فيما قال اهبطوا يعني ادم وحوا وابليس
والهبوط ليس هو الانحدار والتسفل من المكان العالي المرتفع انما هو النزول في المكان فجائز ان يكون قوله اهبطوا
بعضكم لبعض عدو اراد ذريتهما ذرية ادم وذرية ابليس وعلى ذلك يخرج قوله فاما ياتينكم مني هدى يعني الذرية
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقت اتباعه الهدى او لا يضل ولا يشقى اذا ختم بالهدى او لا يضل طريق
الجنة ولا يشقى في النار والله اعلم وقوله عز وجل ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الضنك هو
الشدة والضيق ثم اختلفوا فيه قال بعضهم فان له معيشة ضنكا في الدنيا وان كنت في الظاهر واسعة عليهم
لانهم ينفقون لا يرون لنفقتهم خلفا ولا عاقبة ويرون الدنيا انها تدوم فذلك يمنعهم عن التوسيع في الانفاق
خوفا لنفاد ذلك المال وبقاء انفسهم لما ذكرنا انهم لا يرون لنفقتهم خلفا ولا عوضا ولا عاقبة لها فذلك
الضنك وقال بعضهم فان له معيشة ضنكا لانهم يعصون بما اعطوا من المال وانعموا فيه لان توسعهم يكون
في معصية فنفى عنهم الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان باستعمالهم هذه الجوارح في المعصية على
قيامها لما ذهبت منافعها في الطاعة وقال بعضهم فان له معيشة ضنكا في عذاب القبر لكن لا يقال لمن في القبر انه له
معيشة ضنكا حتى يوصف بالضيق وعذاب القبر سبيل معرفة السمع فان ثبت السمع والا فالترك اولى وقال
فايلون ذلك في الاخرة والله اعلم كقوله مكانا ضيقا مقرنين وقوله عز وجل ونحشره يوم القيمة اعمى قال بعضهم
نحشره اعمى عن حجته في دينه لكن متى كانت له الحجة في الدنيا حتى يعمى عنها في الاخرة وقال بعضهم نحشره يوم القيمة
اعمى عمى الحقيقة كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما فهو على حقيقة عمى البصر وهو اشبه والله
اعلم قال مجاهد قوله رب لم حشرتني اعمى قال بلا حجة وقد كنت بصيرا في الدنيا لكن الاشبه ما ذكرنا من حقيقة ذهاب
البصر اذ لم يكن للكافر حجة في الدنيا حتى يقول وقد كنت بصيرا ثم اختلف فيه قال بعضهم ذلك بعد ما حوسبوا
وسيقوا الى النار نعوذ بالله من النار فعند ذلك يعمى عليه البصر وقال بعضهم لا ولكن يبعثون من قبورهم
ويحشرون عميا والله اعلم وقوله عز وجل قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي كما اتتك اياتنا
فصرتها كالشيء المنسي لم تكترث اليها ولم تنظر فيها ولم ترغب فيها كذلك نصيرك في النار كالشيء المنسي عن رحمته لا
يكترث اليك ولا ينظر اليك او ان يقول كما ضيعت اياتنا التي اتتك لنجاتك كذلك نضيع انت ونترك في النار لا نجاة لك
وقوله عز وجل وكذلك نجزي من اسرف ولم يومن بايات ربه اي كذلك نجزي كل من اسرف في الدنيا ولم يومن بايات
ربه ليس احد المخصوص بذلك دون غيره ولكن كل من هذا صنيعه في الدنيا وقوله عز وجل ولعذاب الاخرة
اشد وابقى كانه قد سبق عنه الوعيد لهم في الدنيا بعذاب ثم قال ولعذاب الاخرة اشد وابقى من العذاب الذي اوعد في
والا فعلى الابتداء لا يقال هذا وقوله عز وجل افلم يهد لهم جميع ما ذكر في القران مثل هذا افلم يهد لهم افلم يبين لهم
او لم يروا وامثاله كله انه قد بين لهم وراء ذلك اي قد بين هولاء انهم قد واقفوا اولئك الذين اهلكهم من القرون
الماضية وما نزل بهم بتكذيبهم الرسل والايات التي اتوا بها وهم امنون يمشون في مساكنهم فكيف امن هولاء من
عذاب الله مع موافقتهم اولئك في جميع صنيعهم او يقول افلم نبين لهم سنتي فيمن كان قبلهم من القرون الماضية
بتكذيبهم الرسل وردهم الاية وهم كانوا امنين في مساكنهم فكيف امن هولاء من عذابه وقد ساووا اولئك في جميع
صنيعهم وفعلهم وهما واحد وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لاولي النهى قال بعضهم لاولي الورع وقال بعضهم
اولي النهى هم الذين انتهوا عما نهاهم الله عنه وهم ذوو العقول وقد ذكرنا هذا في غير موضع قال ابو عوسجة

وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى اي لا تظهر للشمس والظما العطش والضحى الحر قاله ابو عوسجة وقال ابو عبيدة وطفقا
وعلقا واحد يقال علق يعلق علقا فهو عالق وطافق وقال يقال من الخصف الخف اذا نعلته ونعلت الخف ويسمى
تلك النعلة والنعايل جمع وقال قوله معيشة ضنكا اي ضيقة قال ابو عبيدة وكل ضيق منزل او غيره فهو
ضنك وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى هو على التقديم والتاخير اي لولا كلمة
سبقت من ربك واجل مسمى لكان العذاب لازما لهم يقول والله اعلم يلزم كل انسان بما عمل قال والاجل
المسمى الساعة التي قال بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وجائز ان يكون قوله على غير التقديم والتاخير
لكنه على الاضمار اي لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما ولكن سيلزمهم الى اجل مسمى وهو ما ذكر في اية اخرى
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما معناه عندنا والله اعلم ولولا كلمة
سبقت من ربك بما يكون يحق الافضال او يقال توجيه الحكمة لكان العذاب لازما لهم وحق الافضال ما سبق
منه من الوعيد انه يؤخر ولا يقال فيما كان طريقه الافضال لم تفضلت واصل هذا ولولا كلمة سبقت من ربك
لكان لزاما لولا ما سبق من وعده انه لا يعذب هذه الامة تعذيب اهلاك وقت تكذيبهم الرسل وردهم الايات
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو ما ذكرنا وهو قوله بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وقوله عز وجل
فاصبر على ما يقولون يصبر رسوله على اذاهم بلسانهم من الشتم والنسبة الى السحر والجنون والافتراء على
الله تعالى ونحوه وان كان وعد انه يعصمه منهم حتى لا يقدروا على اتلافه واهلاكه لان في حفظ نفسه من
الاتلاف والاهلاك اية من ايات رسالته اذ بعثه الى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم وعادتهم قتل من
يخالفهم في شيء واهلاك من يستقبلهم بما يكرهون فدل عجزهم عن اتلافه واهلاكه وحفظ نفسه منهم
انه كان ذلك لاية في نفسه واما اذاهم اياه باللسان ليس في حفظه عنه اية لان ذلك لو كان اية فيهم
وذلك مما لا يؤثر نقصا في نفسه او شيئا الا ترى انهم قالوا في الله ما لا يليق به من الولد وغيره فدل انه
ليس في حفظ نفسه عن اذاهم بلسانهم اية انما الاية فيما ذكرنا من حفظ نفسه من الاتلاف والله اعلم وقوله عز
وجل وسبح بحمد ربك قال اهل التاويل صل بامر ربك وتاويل قولهم هذا صل بامر ربك لانه امره ان يصلي لله بقوله
اقم الصلوة وقوله اتم الصلوة فيكون قوله سبح اي صل بامر ربك الذي امرك بقوله اقم الصلوة ولولا صرف
اهل التاويل التسبيح في هذه الاية الى الصلوة والا يجوز ان يصرف الى غيرها من الاذكار في كل وقت لكن صرفوا الى
الصلوة لان الصلوة تشتمل على معان قولا وفعلا وسائر الاذكار لا يشتمل الا على معنى الذكر قولا فهو اجمع واشمل لذكره
والله اعلم ثم قوله قبل طلوع الشمس قبل صلوة الفجر وقبل غروبها صلوة العصر وقال بعضهم قبل غروبها الظهر والعصر
وقوله عز وجل ومن اناء الليل قيل صلوة المغرب والعشا وقوله عز وجل واطراف النهار قيل صلوة الفجر والعصر فهو
على التكرار والاعادة تاكيدا كقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ذكر الصلوة بجملتها ثم خص الصلوة
الوسطى بالذكر لمعنى فعلى ذلك جائز ان يكون قوله واطراف النهار تكرارا منه لصلوة الفجر والعصر لمعنى وجائز
ان يكون قوله واطراف النهار انه ليس على ارادة وقت دون وقت ولكن يريد به الاوقات كلها وعلى ذلك يخرج
قول من قال في قوله وقبل غروبها صلوة الظهر والله اعلم وقوله عز وجل لعلك ترضى بالنصب والرفع جميعا ترضى
اي يرضيك ربك بما عملت اي ترضى بذلك وقوله عز وجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم هذه
الاية تحتمل وجهين احدهما لا تمدن عينيك اي لا ترغبن في هذه الدنيا ولا تركنن الى ما متع به هؤلاء من الاموال والوانها
وزهرتها وهو كقوله تعالى ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية والثاني قوله ولا تمدن عينيك على حقيقة مد
البصر اي لا تمدن بصرك الى اعين الدنيا والى ظاهر ما هم عليه من الغرور والتزيين ولكن انظر الى الدنيا الى
ما جعلت الدنيا والى ما فيها من سمومها وتنغيصها على اهلها فان من نظر اليها لما فيها من سمومها وتنغيصها
لزهد فيها ورغب عنها ومن نظر اليها والى عينها وظاهر ما هي عليها من الغرور والتزيين لاغتر بها ورغب
فيها وركن اليها ومن نظر الى حقيقة ما هي عليه وجعلت على ما ذكرنا لزهد فيها ورغب عنها ثم معلوم ان
رسول الله لم يكن يمد بصره الى الدنيا او يركن اليها ويرغب فيها لها وانما هو ابتدا نهي رسوله ومعلوم
ايضا انه لو رغب في شيء منها لم يكن ليرغب ليتمتع هو به انما يرغب ويتمنى وله ليوسع به على اهل الحاجة و
الفقر ثم نهاه عن ذلك فدل ان الزهد فيها والرغبة عنها خير من الاخذ منها والوضع في حق حيث نهاه عن
ذلك علم منه انه لا يتمنا ولها ليتمتع هو به ليوسع به على نفسه ولكن ياخذها ليضع في المحقين لهم ثم اختلف
اهل التاويل في التقديم والتاخير قال الحسن هو على تقديم قوله منهم على قوله ازواجا يقول تاويله لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به منهم ازواجا زهرة الحيوة الدنيا فعلى تاويله ازواجا زهرة الحيوة الدنيا اي الوانا
واصنافا من النبات فذلك زهرة الدنيا وقال بعضهم على غير تقديم ولكن على سياق ما ذكر في الاية فعلى

هذا يكون تاويل الازواج اي رجالا منهم والله اعلم وقوله عز وجل لنفتنهم فيه قال اهل التاويل اي لنبتليهم
ونختبرهم وكان الفتنة على المحنة التي فيها شدة وبلاء كانه اخبر انه انما متعهم بما متع من زهرة الحيوة الدنيا ليمتحنهم فيها
بالشدائد كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية وقال في اية اخرى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال وبلوناهم
بالحسنات والسيئات ففي هذه الايات دلالة ان السعة والضيق فيها ليس لفضل اهله ولا لهوانهم ولكن انما
هو محنة يمتحنهم بالسعة والغنا وبعضهم بالشدة والضيق فالتكلم بان هذا خير من هذا كلام لا معنى له مما ذكرنا
من البيان في قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ان الزهد في الدنيا وترك التناول منها حلالا لا وضعها موضعها
وقوله عز وجل ورزق ربك خير وابقى اي ما رزقك ربك من النبوة والرسالة والتوحيد له والايمان به خير وابقى
مما متع هؤلاء من الوان زهرة الحيوة الدنيا واصنافها وقال بعضهم ورزق ربك خير وابقى اي حظك من ربك
خير في الخير وابقى في البقاء مما متع به هؤلاء من زهرة الدنيا وقول اهل التاويل ان نبي الله صلى الله عليه وسلم نزل به
ضيف فاستسلف من يهودي طعاما فابى ان يعطيه الا برهن فرهن درعه عنده فنزل قوله لا تمدن عينيك الاية
تعزية له عن الدنيا لكن لسنا نعرف نزول الاية على ما ذكروا الا ان يثبت والله اعلم وقوله عز وجل وامر اهلك بالصلوة
قال بعضهم اراد باهله قومه وقد يسمى قوم الرسل اهلهم وجائز ان يكون المراد بالاهل الذي يا هلهم وكانوا في
عياله وقوله عز وجل واصطبر عليها اي داوم عليها والزمها فيه ان الصلوة فرضت على الدوام عليها واللزوم
وقوله عز وجل لا نسالك رزقا قال بعضهم لا نسالك جعلا واجرا على نبوتك ورسالتك قوله عز وجل نحن
نرزقك قال بعضهم لا نسال الخلق رزقا بل نحن نرزقهم وقوله عز وجل والعاقبة للتقوى اي لاهل التقوى كقوله
والعاقبة للمتقين وقوله عز وجل وقالوا لولا ياتينا باية من ربه سالوه ان ياتيهم باية من عند ربه على رسالته ونبوته
فقال عز وجل اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي قد اتاهم بينة على رسالته ونبوته ما في الصحف الاولى لان
الكتب المتقدمة كانت بغير لسان رسول الله ولم يكن يعرف الكتابة بلسانه فضلا من ان يعرف غيرها من الكتب
التي كانت على غير لسانه ثم اخبر عن الانباء التي كانت في الكتب المتقدمة على ما كانت فيها دل انه انما عرف تلك
الانباء والقصص التي كانت في كتبهم بالله تعالى فهذا والله اعلم تاويل قوله اولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى
اي قد اتاهم على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل رسوله لقالوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من الناس من يقول ليس لله ان يعذبهم تعذيب اهلاك قبل ان يبعث
رسولا ويحتج بظاهر هذه الاية ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا و
وعندنا ان له ان يهلكهم بعذاب قبل بعث الرسول اليهم لانه تعالى قد اقام عليهم حجة العقل ما لو تاملوا وانظروا فيه
لعرفوا او تركوا حق الله عليهم فاذا كان كذلك فكان اهلاكه اياهم اهلاكا عن بينة وحجة لكنه بفضله ورحمته
لا يهلكهم باول اية يرسل عليهم حتى يرسل الايات افضالا منه ومنة والا كان له اهلاكهم باية واحدة فيكون قوله
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا كذا انما ذلك لقطع ذلك القول منهم لا ان كان لهم ذلك القول و
الاحتجاج بذلك ولان قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا كذا يخرج مخرج الامتنان به انه لم يهلكهم
قبل بعث الرسل فدل ان له اهلاكهم قبل بعث الرسول لما ذكرنا من اقامة حجة العقل عليهم والله اعلم وقوله
عز وجل قل كل متربص كانوا يتربصون هلاك رسول الله وانقلاب امره ورسول الله يتربص بهم عذاب الله
ومواعيده فيهم قال الحسن قل كل متربص فتربصوا اي تربصوا انتم مواعيد الشيطان ونحن نتربص مواعيد الله
وقوله عز وجل فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى قوله فستعلمون في الاخرة علم عيان من اصحاب
الصراط السوي قال بعضهم العدل وقال السوي القيم وفي حرف ابن مسعود واي ومن اهتدى ومن على الهدى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله اقترب للناس حسابهم قال الحسن اي
محاسبتهم وقوله عز وجل وهم في غفلة معرضون ظاهر هذا انه نزل في المشركين لانها نزلت بمكة وكان اكثر اهلها اهل
شرك لكن لاهل الاسلام في ذلك حظ وشرك فيما وصفهم بالغفلة عن ذلك والاعراض عنه واهل الاسلام قد
يغفلون عن الحساب الا ان غفلة الكفر غفلة تكذيب واعراضهم اعراض تكذيب بالحساب والايات التي انزلها
عليهم وغفلة اهل الاسلام ليس كذا قد امنوا بالحساب وصدقوا باياته وعرفوها لكنهم غفلوا عن الحساب
لشهوات مكنة فيهم وغلبت شهواتهم واغفلتهم عنه في هذه الجهة كاولئك فاما من جهة الايمان به والتصديق
بالايات فليسوا كاولئك ثم وصف الحساب والساعة بالقرب والدنو والاتيان كقوله اقتربت الساعة و
قوله اتى امر الله واقترب للناس حسابهم وامثاله هي قريبة كالماتية عند الله لان الله تعالى عرف جملة الاوقات
فهي في جملة ما عرف قريبة كالماتية واما الخلق فانهم قد استبعدوها لانهم انما يعدون ذلك باجالهم و

واعمالهم وقال قتادة ذكر انه لما نزلت هذه الاية اقترب للناس حسابهم واتى امر الله فلا تستعجلوه قال ناس من
اهل الضلال يزعم هذا الرجل ان الساعة قد اقتربت فتناهوا قليلا ثم عادوا الى اعمالهم وكذلك قالوا فى قوله
اتى امر الله تناهوا عنها ثم لما تاخر ذلك عنهم عادوا الى ما كانوا من قبل هذا لانهم فهموا من قرب الساعة واتيان
امره وقتا بقرب ومدة تدنو انما معنى ذلك وقع ان الخبر كذب فكذبوه لانهم انما قدروه باجالهم وما عرفوه من القرب
والدنو وقوله وهم فى غفلة معرضون ما ذكرنا من غفلة تكذيب واعراض تكذيب بعد ما عرفوا انها ايات الله والله
اعلم وقوله عز وجل ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث قوله من ذكر ما يذكرهم ما ياتون وما يتقون او ما يذكر ما
وعدوا وخوفوا او من ذكر يذكرهم ما لهم وما عليهم وقوله محدث قال بعضهم محدث محكم احكمه من ان ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه واحكمه لما اعجز الخلق عن ان ياتوا بمثله وقال بعضهم محدث لان الله
انزل هذا القران بالتفاريق واحدث انزاله فى كل وقت على قدر الحاجة فعلى ما نزل بالتفاريق احدثوهم عند
الكفرة تكذيبه ورده على ما ذكر فزادتهم رجسا الى رجسهم ونحوه فهو محدث من الوجوه التى ذكرنا
لان كل موصوف بالاتيان فهو محدث وقوله عز وجل الا استمعوه وهم يلعبون دل قوله الا استمعوه
وهم يلعبون ان استماعهم اياه استماع استهزاء به وقوله عز وجل لاهية قلوبهم واسروا النجوى
الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الذى اسروا فيما بينهم هل هذا الا بشر
مثلكم افتاتون هذا كان نجواهم وقوله لاهية قلوبهم قيل غافلة قلوبهم عن الذكر واسروا النجوى الذين
ظلموا الذى اسروه هو ما ذكرنا قولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون السحر وفى حرف ابن
مسعود وابى واسروا النجوى الذين كفروا وقال الكسائى وفى بعض الحروف واسروا النجوى الذين ظلموا قال
وفى حرفنا واسروا النجوى ثم اخبر عز وجل عنهم خبرا مستانفا فقال الذين ظلموا كقول الله تعالى ثم عموا وصموا
ثم قال كثير منهم وهذا على كلام مبين والله اعلم وقوله عز وجل قل ربى يعلم القول فى السماء والارض يشبه
ان يكون قوله يعلم القول فى السماء والارض القول الذى اسروا فيما بينهم هل هذا الا بشر مثلكم وقوله
افتاتون السحر وانتم تبصرون وقوله اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر وامثال ما قالوا فيه وينسبوا اليه
اى قل لهم ربى يعلم ذلك القول منكم فى السماء والارض يخبرهم عن ذلك لان من يعلم فى الشاهد ان احدا يطلع
على جميع ما يختار من القول والفعل يترك ذلك ويمتنع عن التفوه به ولا يقدم على ما يختار او ان يكون
قال ذلك على الابتداء والاستئناف انه لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم السميع
لقولهم العليم بافعالهم ثم اخبر عن سفههم وقلة نظرهم فى قولهم وكلامهم وحفظهم عن التناقض فقال
بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فيما نسبوه الى الشعر والسحر والافتراء وانه اضغاث احلام تناقض
فى قولهم لان السحر غير اضغاث احلام كل حرف من هذه الحروف التى نسبوه يناقض الاخر ويبطله فدل انهم انما
قالوا ذلك ونسبوه الى ما نسبوا متعنتين مكابرين لا عن معرفة وعلم قال ذلك ادلنا نقض قولهم وكلامهم
ان السحر لا يدوم ولا يبقى فى وقت اخر فاذا عرفوا وعلموا انه دام وبقى الى اخر الدهر وكذلك ما قالوا اضغاث
احلام والافتراء اعنى ما اتى به رسول الله اليهم وبعد فانه لو كان ما اتاهم به سحرا كان ذلك اية وعلامة على صدقه
ونبوته لان السحر لا يوخذ احدا الا بالتعلم فاذا راوه نشا بين اظهرهم ولم يكن فى قومه ساحر حتى يتعلم منه
ولا اختلف الى احد من السحرة يتعلم منهم السحر ثم اتى به لكان ذلك يدل على انه انما عرف ذلك بان الله تعالى فكيف وقد
اتاهم بالحجج النيرة الواضحة والايات المعجزة الخارجة عن وسع البشر وطوقهم لكنهم اكابروا وعاندوا فى ردها
وتكذيبها والله الموفق وقوله فلياتنا باية كما ارسل الاولون قد علموا علم حقيقة انه قد اتاهم بايات وحجج
ما لو تاملوا فيها ولم يكابروا لدلهم على صدقه ورسالته وقد عرفوا انه صادق لكنه سالوا فى قولهم
فلياتنا باية الاية التى تنزل عند المكابرة والعناد وهى الاية التى نزلت فى الامم الخالية عند تكابرهم
الايات والحجج وهو اهلاكهم واستيصالهم اذ من سنته وحكمه فى الاولين الاهلاك والاستيصال عند تكابر
الايات والحجج وسنته وحكمه فى هذه الامة ختم النبوة بهم وابقاء شريعة محمد صلوات الله عليه الى الساعة و
سنته فى الامم الماضية نسخ شرائعهم واستبدال احكامهم فاذا كان ما ذكرنا جعل وقت اهلاكهم الساعة
وهو ما قال بل الساعة موعدهم الاية وقوله عز وجل ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها اى ما امنت قبلهم
من قرية سالوا الاية سؤال مكابرة وعناد وقوله عز وجل فهم يؤمنون اى لا يؤمن هؤلاء وان اتاهم
باية فانهم لا يؤمنون كما لم يؤمن اولئك المتقدمون لانهم يسالون سؤال عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد
واستهزاء وقوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم كان هذا خرج جوابا لقولهم هل
هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم كذا وجواب قولهم ابعث الله بشرا رسولا وجواب قولهم لولا انزل

عليه

عليه ملك فقال تعالى ما ارسلنا قبلك الا رجالا الا بشرا يوحى اليهم الى عامة الخلق اى الرسالة فى الامم الذين من قبله الى عامة
الخلق كانت فى البشر لم تكن فى الملائكة والا كانت الرسالة الى الخواص فى الملائكة وهم الرسل فعلى ذلك لا تجعل الرسالة
فى هذه الامة الى عامة الخلق فى الملائكة ولكن تجعل فى البشر على ما جعل فى الامم الاولى فى البشر وجائز ان يكون قوله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم اى جعلها فى الذكور منهم لم يجعلها فى النساء والاناث لما لم يستكملن شرائط
الرسالة والنبوة فكان الاول فى بيان الجنس انه لم يجعل الرسالة الى عامة الخلق الى الملائكة ولكن جعلها فى البشر والثانى
فى بيان استكمال شرائط الرسالة واستحقاقها وفى حرف ابن مسعود وابى وما ارسلنا قبله الا رجالا يوحى اليهم فعلى
حرفهما كان خاطب به اولئك الكفرة انه ما ارسلنا قبل محمد الا رجالا يوحى اليهم وفى القراءة الظاهرة المشهورة يكون الخطاب
لرسول الله اى قل لهم انه ما ارسل الله من قبلك الا رجالا يوحى اليهم وقوله عز وجل فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
قال بعضهم انما خاطب به مشركى العرب وامرهم ان يسالوا اهل الكتاب الذى كانوا يؤمنون بالرسل المتقدمة ليخبروكم انه
لم يجعل الرسالة فيهم الى عامة الخلق الا فى البشر وقال بعضهم انما خاطب به من كفر من اهل الكتاب من لا يعرف الكتاب و
غيره محمدا ان سلوا اهل الذكر اى من امن منهم ليخبروكم ان محمدا رسول الله اليكم ان كنتم لا تعلمون انه رسول الله وهذا
التاويل فى رسول الله خاصة من التاويل الاول فى جميع الرسل وقوله عز وجل وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام
قال بعضهم ما جعلنا اجسادا لا ارواح فيها لا ياكلون ولا يشربون ولكن جعلناهم اجسادا فيها ارواح ياكلون
ويشربون ويمشون فى الاسواق وجائز ان يكون قوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام من نحو الملائكة والجن ولكن
جعلناهم بشرا وحاصله انهم كانوا يطعنون الرسل بالبشارة قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقالوا هل هذا الا بشر مثلكم
ونحوه كانوا لا يرون الرسالة تكون من نوع المبعوث اليه فالزمهم ان الرسل الذين كانوا من قبل الذين صدقتم اباؤهم
وامنوا بهم كانوا من البشر بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم ومرة طعنوا الرسل انهم ياكلون الطعام ويشربون
وينكحون ويمشون فى الاسواق كغيرهم من الناس كقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق ونحوه
فالزمهم عز وجل واخبرهم ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا ياكلون ويشربون ويمشون ويقضون حوائجهم
حيث قال وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين فى الدنيا وما قال فى اية اخرى ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم هو كسائر الرسل كانوا من قبل
هو من ياكل ويشرب وينكح وهو رسول وانه بشر كسائر الرسل وهو رسول الله على هذا يخرج تاويله والاية ترد
على الباطنية قولهم ومذهبهم لانهم يقولون ان الرسالة لا تكون فى الجوهر الكثيف الجسدانى الذى ياكل ويشرب
ويفنى ويبيد انما تكون فى الجوهر البسيط الذى لا ياكل ولا يشرب ولا يبيد ولا يفنى فاخبر عز وجل انه لم يجعلهم جسدا
لا ياكلون الطعام ويبيدون بل جعلهم اجسادا ياكلون ويموتون بقوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام و
وما كانوا خالدين وقوله عز وجل ثم صدقناهم الوعد اخبر انه وعد الرسل وعدا لكنه لم يبين ما كان ذلك الوعد
الذى وعد رسله لكن فى اخره بيان ان الوعد الذى وعدهم كان وعد هلاك وتعذيب لانهم قال فانجيناهم ومن
نشاء واهلكنا المسرفين دل قوله فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين ان الوعد كان وعد هلاك فيقول كان وعد
عز وجل الرسول الذين من قبل من اهلاك من كذبهم فكان كما وعدوا وان تاخر ذلك الموعود من وعد الوعد فعلى ذلك
ما وعدكم محمد من العذاب فانه نازل بكم وان تاخر نزوله والله اعلم وقوله عز وجل ولقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
يحتمل قوله ذكركم ما يذكركم ما تاتون وتتقون ويذكركم ما لكم وما عليكم وقال بعضهم فيه ذكركم اى شرفكم ونبلكم
لو اتبعتم وقال الحسن فى قوله فيه ذكركم اى فيه دينكم الذى اسس عليكم به وقال غيره فيه شرفكم ونبلكم لو اتبعتم
كقوله وانه لذكر لك ولقومك اى شرف لك وقوله عز وجل وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة قصمنا اهلكنا واصل
القصم الكسر خوف اهل مكة بتكذيبهم محمدا ما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل وقوله عز وجل وانشانا من بعدها قوما
اخرين وقوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون قوله احسوا قال بعضهم علموا بالعذاب اذا هم يركضون
اى يفرون ويهربون وقال بعضهم يعدون وهو واحد وقوله عز وجل لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه اى
انعمتم فيه ومساكنكم مثل وهذا يخرج مخرج الاستهزاء بهم وقوله عز وجل لعلكم تسالون قال بعضهم تعذبون
وقال بعضهم تحاسبون وقال بعضهم لعلكم تسالون الايمان كما سالتموه قبل نزول العذاب وقيل لعلكم تسالون
عن قتل نبيكم لانهم قتلوا نبيهم تسالون فيما قتلتموه وقال بعضهم كان هذا فى نازلة والله اعلم تلقتهم الملائكة
وهم هاربون فارون فقالوا لهم لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون استهزاء بهم وقال
بعضهم تسالون تفقهون قال بعضهم اضغاث احلام قال الضغث ما لا تاويل له ويقال حلم واحلام ويقال حلم
يحلم حلما فهو حالم اذا راى حلما اى شيئا فى النوم واحتلم يحتلم لا يكون مثل حلم يحلم ويقال من الحلم حلم يحلم حلما فهو حليم
ويقال حلمته اى جعلته حلما والافتراء الكذب والشاعر انما سمى شاعرا لانه يشعر من الكلام ما لا يشعر به غيره

والقصم الكسر والمراد منه الهلاك قصم غيره وانقصم بنفسه اى انكسر وقال احسوا اى استيقنوا بعذابنا وعا
احسنا اى وجدنا واحسست علمت واستيقنت يقال احسست قطعت وتحسست اى تخبرت والحسة الرجون و
قال يركضون يهربون الى ما اترفتم فيه اى انعمتم ومتعتم والاتراف الاكرام وقال ابو عبيد يركضون يعدون
وقوله لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون لتسالوا على الامر ولكن اى لو رجعتم
الى ما اترفتم فيه وكذلك قل سيروا فى الارض فانظروا كذا ليس الامر ولكن لو سرتم فانظروا كذا فعلى ذلك
قوله ارجعوا الى ما اترفتم فيه اى لو رجعتم لعلكم تسالون الحوائج على ما كنتم تسالون من قبل فيخرج على
ذلك مخرج الاستهزاء جزاء لصنيعهم والله اعلم وقوله عز وجل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين يعترفون يومئذ
بالظلم لكن لا ينفعهم ذلك ويندمون على سوء صنيعهم فيطلبون العود الى دنياهم كقوله يا ليتنى قدمت لحيوتى
وقوله عز وجل فما زالت تلك دعويهم اى ما زالت تلك اى قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين دعويهم حتى جعلناهم حصيدا
خامدين فان كان هذا القول منهم فى الدنيا فيكون قوله حتى جعلناهم خامدين بالقتل بالسيف والاهلاك وان
وكان ذلك منهم فى الاخرة فيكون قوله حصيدا خامدين فى النار فى الاخرة والله اعلم وحصيدا اى هالكا وهو محصود
وخامدين كما يقال خمدت النار اذا طفئت وقوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اخبر انه لم يخلق
السماء والارض وما بينهما لتكون سماء وارضا على ما هما عليه ثم تفنيان وتبيدان ولكن خلقتها لعاقبة قصدها
وهو ان يمتحن اهلها لان من عمل فى الشاهد عملا لا يقصد به عاقبة باملء ويرجوا به فهو فى عمله عابث لاغ ولو كان
على ما عند اولئك الكفرة بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا ثواب لكان انشاؤهما وما بينهما باطلا لعبا كقوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير عدم الرجوع اليه خلقتهم عبثا باطلا وقال الحسن لم يخلقهما عبثا ولكن
خلقهما لحكمة من نظر اليهما دلاه على وحدانية منشئهما وسلطانه وقدرته وحكمته وعلمه وتدبيره وقوله
عز وجل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا قال بعضهم لهوا اى زوجة لكن هذا بعيد لانه احتج عليهم على
نفى الولد بنفى الصاحبة بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة فلولا انهم اقروا وعرفوا ان لا صاحبة له
والا لم يكن للاحتجاج عليهم على نفى الولد بنفى الصاحبة معنى ويكون قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا اى ولدا
لان الناس تتلهى بالولد فسماه لهوا لذلك قال لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين هذا يخرج على وجهين احدهما
لاتخذناه من لدنا بحيث لا يبلغ افهامكم ولا يدركه علمكم لان الولد يكون من جنس الوالدين ومن شكلهما وسبيل
معرفته وعلمه الاستدلال الحسى فاذا لم يعرفوا هو بالحس فكيف يعرفون من هو يكون منه لو كان والثانى
ان الغايب انما يعرف بالاستدلال بالشاهد فلو كان له الولد على ما يزعمون لكان لا يعرف لانه لا يمتنع للولد
فى الشاهد اذهبوا الواحد المتفرد بانشاء العالم فيذهب معرفة الولد وادراكه لو كان على ما تزعمون وقوله لو
اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ليس على انه يحتمل ان يكون له الولد او ان يحتمل ان يتخذ ولدا ولكن لو احتمل
ان يكون لم يحتمل ان يدرك ويعلم وكذلك يخرج قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ليس انه يحتمل ان يكون
فيهما الهة ولكن لو احتمل ان يكون فيهما الهة لفسدتا وقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل يشبه ان يكون الحق
الذى اخبر انه يقذف على الباطل القران الذى انزله على رسوله والرسول نفسه او الايات التى جعلها لوحدانيته
والوهيته فيدمغه اى يبطل ذلك الذى قالوا فى الله ما قالوا من الولد والصاحبة وغيره مما لا يليق به فاذا هو
زاهق اى هو ذاهب متلاش قوله ولكم الويل مما تصفون من الولد والصاحبة وجميع ما وصفوا مما لا يليق به
وقوله وله من فى السموات والارض كانه ذكر هذا جوابا لقولهم وردا على وصفهم اياه بالذى وصفوه فقال وله
من فى السموات والارض اى له من فى السموات والارض كلهم عبيده واماؤه ولا احد فى الشاهد يتخذ لنفسه
ولدا من عبيده واما به فاذا لم تروا هذا فى الخلق انفاسى ذلك واستنكافا فكيف تلحقون ذلك فى الله سبحانه وتعالى
واضفتم اليه او ان يخبر غناه من الخلق بان له من فى السموات والارض والولد فى الشاهد انما يطلب لحاجات
تسبق فاذا كان الله سبحانه وتعالى غنيا بذاته بما ذكر ان له كذا لا حاجة تقع له الى الولد تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يشبه ان يكون ذكر هذا لقولهم الملائكة
بنات الله فاخبر انهم ليسوا كما وصفتم ولكنهم عبيده فيه لا يستنكفون عن عبادته ولا يفترون او ان يكون
ذكر هذا لمكان من عبد الملائكة واتخذهم الهة دونه فاخبر انهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يفترون ولم يدعوهم
الى الوهية انفسهم فكيف نسبتم الالوهية اليهم وعبدتموهم دونه او ان يكون قال ذلك انكم ان استكبرتم
عن عبادته فلم يستكبر عنها من هو ارفع منزلة واعظم قدرا منكم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ينزهون الله
ويبرؤنه عما وصفه الملحدة من الولد وجميع ما قالوا فيه مما لا يليق به وهذه الاية تنقض قول المعتزلة ومذهبهم
حيث قالوا ان الاعمال لا انفسها متعبة منصبة فلو كانت الافعال لانفسها متعبة على ما ذكر والكان البشر

والملائكة

والملائكة فيها شرعا سواء فلما اخبر عنهم انهم لا يعيون ولا يفترون ولا يتعبهم العبادة دل انها صارت متعبة
لصنع غيرها لا لانفسها وهذه المسالة فى خلق افعال العباد هم ينكرون خلقها ونحن نقول هى خلق الله عز وجل
كسب للعباد لقد ذكرنا هذا فى غير موضع كلاما كافيا قال ابو عوسجة فيدمغه اى يبطله وقال غيره يهلكه وهو
من قولك ضربت الرجل فدمغته اذا وصلت الضربة الى الدماغ واذا كان ذلك مات كذلك يدمغ الحق الباطل ام
اى يهلكه وقوله فاذا هو زاهق اى ذاهب ويقال زهق اذا مات وهلك والزاهق فى غير هذا السمين ولا
يستحسرون اى لا يعيون ومنه حسير ومحسور ايضا لا يفترون والفتور الاعياء ايضا وقوله ام اتخذوا الهة من
الارض قوله ام اتخذوا استفهام فى الظاهر من الخلق لكن ذلك من الله على الايجاب قد اتخذوا الهة وهكذا كل
ما خرج فى الظاهر من الله على الاستفهام فانه على الايجاب لانه عالم بما كان ويكون لا يخفى عليه شئ وانما الخلق
فانه يجوز ان يستفهم بعض من بعض لما يخفى على بعض امور بعض فيطلب بعضهم من بعض العلم والفهم بذلك
والله الموفق وقوله هم ينشرون يحتمل قوله هم ينشرون وجهين احدهما ينشرون اى يخلقون اى اتخذوا الهة
لا يخلقون كقوله خلقوا كخلقه وكيف اتخذوا الهة لا يخلقون وانما يعرف الاله بالخلق وباثار تكون فى الخلق
فاذا لم يكن من هو لا يخلق كيف اتخذوها الهة والثانى ام هم ينشرون اى يبعثون ويحيون فان كان على البعث والاحيا
فكانه يقول كيف اتخذوا من لا يملك البعث والاحيا الهة وخلق الخلق للبعث والاحيا بعد الموت يخرج على غير
الحكمة فى الظاهر لان من بناه فى الشاهد بناء للنقض خاصة لا لعاقبة تقصد به كان غير حكيم فى فعله عابث
فى بنائه وكذلك قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل خلق الخلق لا للرجوع اليه عبثا
فيخرج هذا على وجهين ام اتخذوا الهة اى قد اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون او لم يتخذوا الهة من
الارض هم يملكون النشر والنشور والله اعلم وقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفى حرف ابن
مسعود وابى وحفصة لو كان فيهن الهة غير الله لفسدن ثم يحتمل قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وجوها لفسدتا اى لم يكونا من الاصل لان العرف فى الملوك ان ما بنى هذا واثبته يريد الاخر نقضه وافناءه
فلم يبقيا ولم يكونا من الاصل لو كان لعدد والثانى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لم يكن منافع احدهما متصل
بمنافع الاخرى للخلق اذ منع كل واحد منهم منافع ما خلق هو من ان تصل الى الاخرى فاذا اتصلت منافع احدهما
بالاخرى دل انه صنع واحد وتدبير واحد لا عدد والثالث لو كان عددا لكان لا يخرج تدبيرهما على حد واحد
فى كل عام فاذا اتسق التدبير وجرى الامر فى كل عام على سنن واحد دل انه تدبير واحد لا عدد اذ لو كان
لعدد لكان يختلف الامر فى كل عام ولم يتسق على سنن واحد ولا جرى على امر واحد وقال بعضهم لفسدتا
هو قول الله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض على ما هو
عادة ملوك الارض وقوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الولد والشريك وقوله لا يسال عما يفعل وهم
يسالون هذا يحتمل وجوها احدها انه لا يسال لان ما يفعل يفعل فى ملكه وسلطانه وانما يسال من فعل فى سلطان
غيره وملك غيره فى ذلك دلالة انه لا يجوز التناول فى شئ الا بالامر والاباحة من مالكه فيبطل قول من يقول
على الاطلاق والاباحة فى الاصل والثانى لا يسئل عما يفعل لانه حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة فانما يسال
من يحتمل فعله السفه فاما من لا يحتمل فعله الا الحكمة فانه لا يحتمل السؤال لم فعلت ولماذا فعلت والثالث
لو احتمل السؤال عما يفعل لاحتمل الامر والنهى ان افعل كذا او لا تفعل كذا او ذلك محال ولو ثبت الامر فيه
لكان يخرج سؤاله سؤال الحاجة لان من يامر من فوقه يامر فانما يكون امره سؤال الحاجة ومن يامر من دونه
فيكون يامره امرا وقوله ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا برهانكم فيه دلالة لزوم الدليل على النافى لانه لما
قال هاتوا برهانكم كان لهم ان يقولوا هات انت البرهان على ما ادعيت من الالوهية ونحن ننكر ذلك فاذ لم يكونوا
يقولون ذلك دل ان الدلالة تلزم النافى وقوله هذا ذكر من معى وذكر من قبلى اى هذا القران ذكر من معى
وذكر من قبلى قال بعضهم هذا القران فيه ذكر من معى من الحلال والحرام اهم وذكر من قبلى اى فيه ذكر
اعمال الامم السالفة واخبارهم وما صنع الله بهم والى ما صاروا اليه او ان يكون قوله هذا ذكر من معى
اى خبر من معى وخبر من قبلى فيكون فيه دليل رسالته لانه اخبر عن انباء الامم السالفة واخبارهم على ما
ذكرت فى كتبهم من غير ان علم ما فى كتبهم بتعلم منهم او بنظر كان منه فيها ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله و
يشبه ان يكون تاويل قوله هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ما ذكر وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون فيه اى هذا ذكر من معى وذكر الرسل من قبلى ومن معهم اى هذا الذكر ارسلنى الى من
معى وارسل الذين من قبلى الى قومهم والله اعلم وقوله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كذلك كانوا
لا يعلمون الحق باعراضهم عنه وقوله وما ارسلنا من قبلك الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اخبر

لم يرسل رسولا من قبل الا بما ذكر من قوله انه لا اله الا انا فاعبدون ثم يحتمل قوله فاعبدون اي وحدوني اي لا لوهيته
عنه لا تصرفوا الالوهية الى غيري ولا تشركوا من دوني والله اعلم **وقوله** وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه بل عباد مكرمون دل قوله بل عباد مكرمون انهم لم ينسبوا الولد اليه ولا قالوا ذلك انه اتخذ ولدا
على حقيقة الولاد ولكن قالوا ذلك على الصفوة والاصطفاء من اضافوا ونسبوا اليه لانه اخبر ان الذين
قالوا انهم ولد من نحو عيسى وعزير والملائكة ليسوا كما وصفوا ولكنه عباد مكرمون ثم اخبر بما اكرمهم فقال
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون اخبر انهم لا يتقدمون في قول ولا فعل الا باذن منه وامر او ان يكون
قوله لا يسبقونه بالقول اي لا يامرون بشيء ولا ينهون عن شيء الا باذن من الله وامر منه والله اعلم **وقوله**
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم هذا قد ذكرناه في سورة طه **وقوله** ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال في اية اخرى
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فيكون تاويل قوله الا لمن ارتضى اي الا لمن اذن له
ثم يتوجه قوله الا لمن ارتضى الى الشفيع اي لا يؤذن لاحد بالشفاعة الا من كان مرضيا دينا وعملا ويتوجه قوله
الا لمن ارتضى الى المشفوع له اي لا يشفع الا لمن ارتضى عنه الرب مذهبا وعملا حتى لم يدخل في عمله نقص ثم
الشفاعة انما جعلت في الاصل للتجاوز فيما دخل في العمل من التقصير ثم لا يخلو الذي يشفع له اما يكون صاحب
الصغيرة فيجوز ان يعذب عليها او ان يكون صاحب كبيرة ففيه دلالة التجاوز والعفو عن صاحب الكبيرة لانا
قد بينا ان الشفاعة انما جعلت لمن منه التقصير في العمل ففيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون
ان صاحب الصغيرة معفو عنه الصغيرة حتى لا يجوز ان يعذب عليها وصاحب الكبيرة لا يجوز العفو عنه و
التجاوز بل هو معذب ابدا **وقوله** وهم من خشيته مشفقون هذا والله اعلم كان صلة قوله لا يسبقونه بالقول
الاية اي من خشية عذابه وهيبته لا يتقدمون بقول ولا فعل ولا امر ولا نهي خوفا منه وهيبة والله اعلم **وقوله**
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين هذا كانه مقطوع عما سبق وتقدم ذكره
غير موصول لان ما سبق هو القول منهم انه اتخذ الرحمن ولدا فلو كان على اتصاله بالاول لكان يقول ومن يقل
منهم اني ولد له لانهم قالوا اتخذ الرحمن ولدا ولم يقولوا انه اتخذ الها فلو كان على الصلة بالاول والجواب
له فهو يخرج على الجواب لهم ومن يقل منهم اني ولد له لكن كانهم كانوا فرقا منهم من قال اتخذ ولدا ومنهم من
عبد دونه الملائكة واتخذهم الهة فخرج هذا جوابا لذلك فقال ومن لم يقل منهم اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم الاية فان قيل لنا في قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقد عبد عيسى
دونه وعبد الملائكة دونه فيكونون حصب جهنم على ظاهر ما ذكر قلنا تاويل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم انكم وما تعبدون من دون الله بامر الذين عبدوا وقالوا لهم اعبدوني حصب جهنم دليله ما ذكر في الاية
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي المشركين الظالمين ههنا اي المشركين
الكافرين ثم قال الحسن في قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه لا يحتمل ان يكونوا يقولون ذلك لما وصفهم
بالطاعة له وترك الخلاف لامره لكنه ذكر هذا ليعلم الخلق ان من قال ذلك وان اعظم قدره عنده وجلت
منزلته انه يجزيه بما ذكر وانه يستوجب لذلك ولكن عندنا العصمة من الملائكة ممكن محتمل دليله
قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه ولانه قد مدحهم بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية وقوله لا هم
يستكبرون عن عبادته الاية فدل ذلك كله على انهم محنا دون ذلك غير مجبولين عليه وقال بعضهم
من اهل التاويل ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم هو ابليس هو كان منهم وهو الذي
قال ذلك اني اله من دونه والله اعلم **وقوله** اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا
ففتقناهما قوله اولم ير يخرج على وجوه احدها ان اعلموا وارادوا ان السموات والارض كانتا كذا
والثاني لو تفكروا وتاملوا لعلموا انهما كانتا والثالث على التنبيه اي قدروا واعلموا انهما كانتا
كذا وكذلك هذا في كل ما ذكر من قوله اولم تروا الى كذا ولم تركذا فهو كله يخرج على هذه الوجوه
ثم يكون قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وجعلنا في الارض رواسي وجعلنا فيها فجاجا سبلا وجعلنا
السماء سقفا محفوظا وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل هذا كان في قوله اولم
ير الذين كفروا كانه يقول اولم يروا كذا اولم يروا ما جعلنا لهم من انواع ما ذكر ثم ذكر هذا يكون لوجوه
احدها ان يذكر نعمه عليهم حيث اخرج من السماء والارض كانتا رتقا ففتق منهما ارزاقهم وذكرهم انه
جعل بالماء حياتهم وجعل لهم الارض بحيث تقر بها اهلها وتسكن بهم وجعلها مهادا لهم وفراشا بالجبال
حتى قدروا على المقام بها والقرار ثم قال انه جعل فيها فجاجا وسبلا ليصلوا الى حوائجهم وشهواتهم و
منافعهم التي جعلت لهم في البلاد النائية وذكرهم نعمه ايضا في حفظ السماء عن ان تسقط عليهم على ما

اخبر انه يمسكها هو بقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وذكرهم ايضا نعمه فيما جعل لهم من الليل
والنهار وفي الشمس والقمر من المنافع ليستادي بذلك كله الشكر على ما انعم عليهم او ان يذكرهم بهذا قدرته وسلطانه
ان من قدر على فتق السماء من الارض وجعل حياة كل شيء في الماء وامساك السماء وحفظها عن ان تسقط بلا عمد
وما ذكر من خلق الليل والنهار وقطع الشمس والقمر بيوم واحد مسيرة خمسمائة عام ان من قدر على كل ما ذكر
لقادر على بعثهم واحيائهم بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا او ان يذكرهم غناه بذاته وملكه ان من كان هذا
سبيله فاني يقع له الحاجة الى اتخاذ الولد او الشريك والصاحبة رد على ما قالوا اتخذ الله ولدا وما اتخذوا
من دونه الهة ونحوه وبين فساد ذلك كله وبطلانه حيث قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله
ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ونحوه يبين بهذا كله فساد ما ادعوا على الله انه اتخذ كذا ثم اختلف
في قوله كانتا رتقا قال بعضهم فتق السماء بالمطر والارض بالنبات فتق السماء وهي اشد الاشياء واصلبها
بالين شيء وهو الماء وكذلك الارض فتقها بالين شيء وهو النبات مع شدتها وصلابتها وهو ما ذكرنا من
لطفه وقدرته وقال بعضهم كانتا رتقا ملتزقتين ففتقهما وجعل بينهما هواء مكانا للخلق وقال بعضهم كانت
السماء واحدة والارض كذلك فجعل من السماء سبعا ومن الارض كذلك سبعا فذلك فتقه اياهما والله اعلم
وقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قال بعضهم الماء نطفة الرجال منه يخلق الخلائق وقال بعضهم وجعلنا
من الماء الذي خلق في الارض وانزل من السماء حياة كل شيء يعلم حياة خلائق الارض بهذا الماء ولكن لا
يعلم حياة اهل السماء بماذا والله اعلم **وقوله** وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم هذا يدل ان الارض
لم يكن من طبعها في الاصل التسفل والتسرب في الماء على ما قاله بعض الناس لانه لو كان طبعها التسفل
والتسرب لكان الجبال تزيد التسفل في الماء والتسرب فاذا لم يكن دل ان طبعها كان الاضطراب والزوال
والتحرك والميد باصلها في التسفل والتسرب ولكن ما ذكرنا فاثبتها بالجبال وان كنا نشاهد بعض
اجزائها انها تسفل وتسرب وهذا كما نقول ان بعض العالم متعلق ببعض وانه لا يخلو عن مكان وكل
العالم لا تعلق له به ولا الامكنة اخذة لها فعلى ذلك الارض وان كان طبعها التسفل والتسرب جعلها
بحيث تقر وتسكن بشيء طبعه التسفل ايضا باللطف **وقوله** وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال بعضهم الفجاج
والسبل واحد وهي الطرق التي جعلها في الجبال وقال بعضهم وههنا الفجاج والسبل واحد وهي الطريق التي
الفجاج السعة والفسحة والسبل الطرق وقال بعضهم الفجاج هي الطرق التي في الجبال والسبل هي التي في
المفاوز **وقوله** وجعلنا السماء سقفا محفوظا قال بعضهم محفوظا اي محبوسا عن ان تسقط عليهم وقال
بعضهم محفوظا من الشياطين اي صار محفوظا منهم حتى لا يستمعوا كلام الملائكة بعد ما كانوا يستمعون
من قبل والله اعلم **وقوله** وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون قال بعضهم
الفلك السما وقال بعضهم استدارة السما وقيل الفلك الجري والسرعة وقيل الفلك فلكه كفلكة
المغزل وهو دورانه وكذلك فلكة الطاحونة هو ما تدور به الطاحونة وهي الحديدة التي تدور بها الطاحونة
وقالوا ان الفلك هو استدارة وكل شيء دار فهو فلك وهو ما ذكرنا **وقوله** يسبحون قال بعضهم يجرون
وقال بعضهم يسبحون يعملون كذلك روي في حرف عبد الله كل في فلك يعملون وظاهر الاية ان يكون هنالك
بحر ونهر فيه يجري الشمس والقمر وفيه تغربان ومنه تطلعان لانه قال في فلك يسبحون والسباحة
هي المعروفة عند الناس وهو ما يسبح المرء في بحر او نهر هذا ظاهر الاية وعلى ذلك جاءت الاخبار روي عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه انه قال خلق الله بحرا دون سماء الدنيا مقدار ثلاث فراسخ فهو موج مكفوف
قائم في الهواء بامر الله تعالى لا يقطر منه قطرة والبحور كلها ساكنة وذلك البحر جار في سرعة السهم ثم انطلاقه
في الهواء مستويا كانه حبل ممدود ما بين المشرق والمغرب فتجري الشمس والقمر والخنس في ذلك البحر فذلك
قوله كل في فلك يسبحون والخنس التي بالنهار تجري بالليل والفلك دوران العجلة في لجة غمرة ذلك
البحر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو بدت الشمس من ذلك البحر لاحرقت كل شيء في الارض
حتى الصخور ولو بدا القمر من ذلك البحر لافتتن به اهل الارض كلهم يعبدونه من دون الله الا من عصمه الله
وفي بعض الاخبار الفلك ماء مكفوف يجري فيه الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وقيل الى الشمس
والقمر والليل والنهار كله دون السماء يدور به الفلك ومثل هذا قد قيل فيه والله اعلم بذلك وظاهر
الاية في الخبر ما ذكرنا ان الشمس والقمر هما اللذان يجريان ويسبحان في ذلك الماء وعلى تاويل بعضهم انهما على
حالهما لا يجريان لكن الفلك هو يجري فيظهران ويبدوان في وقت ويختفيان في وقت ويغيبان في وقت اخر ولو
كانا هما اللذان يجريان لكانا على حالة واحدة ونظيران في الاحوال كلها لكنا لا نعلم ذلك الا بالخبر عن الله

كذلك والله اعلم وقوله وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كان هذا خرج جوابا لقول اولئك
الكفرة في رسول الله صلوات الله عليه والاشبه ان يكون ما اصابهم من الشدايد والفتن والهلاك كانوا يتشاءمون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيرون به ان ذلك انما يصيبهم به وقالوا لولا هو ما يصيبنا من ذلك شئ فقال
جوابا لهم وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد حكمة ان يموت الكل على ما اخبر كل نفس ذائقة الموت فاذا لم يكن لاحد من
الخلد بل كلهم قد ماتوا كيف يتشاءمون بك ان ذلك انما يصيبهم بسببك وشومك افاين مت فهم الخالدون اي
وان مت انت وتخرج من بينهم لا يخلدون هم فيها لان من حكمة ان كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة
والينا ترجعون قد ذكرنا تاويله فيما تقدم في غير موضع وقوله واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا
الذي يذكر الهتكم كان رسول الله كان يذكر الهتهم بسوء ويعيبها فيهزؤن به مكان ما يعيب هو الهتهم ويقولون
اهذا الذي يذكر الهتكم ثم يحتمل ان يكون هذا من القادة منهم والروساء لاتباعهم عليه انه يذكر الهتكم بسوء
اي ان يقول بعضهم لبعض اذا خلوا عنه كقوله واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم الاية وقوله وهم بذكر الرحمن
هم كافرون قال بعضهم كانوا يقولون لا نعرف ما الرحمن فيكفرون باسم الرحمن ويحتمل ان يكون قوله بذكر الرحمن
بنعمة الرحمن وهو محمد عليه الصلوات والسلام اي يكفرون بنعمة او ان يكون هذا ليصبر رسوله ويعزيه على تكذيبهم
ليس اياه بل انهم باكثر من اياه الرحمن فهم يكفرون به ويكذبون ويقولون فيه ما يقولون فاصبر انت على اذاهم
وما قالوا فيك والله اعلم وقوله خلق الانسان من عجل وقال في اية اخرى وكان الانسان عجولا وقال الحسن عجولا
ضعيفا وضعفه هو ان يضيق صدره ويخرج عنه اصابه ادنى شئ حتى يحمله ضيق صدره على ان يدعو على نفسه وعلى
محبته بالهلاك لضيق صدره وذلك لضعفه فيه وعندنا انه خلقه عجولا حتى لا يصبر على حالة واحدة وان كان
الحالة حالة نعمة ورخاء حتى يمل عنها ويسام ويريد التحول الى حالة هي دون تلك الحالة ويرضى بشئ لكنه وان
خلقه على ما اخبر يجعل في وسعه رياضة نفسه حتى يصير صبورا حليما وهو ما اخبر ان الانسان خلق هلوعا اذا
مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين اخبر انه خلقه هلوعا جزوعا ثم استثنى المصلين دل انه
بالرياضة يتحول عن الحالة التي خلقه الى حالة اخرى وهي حالة الحلم والصبر وكذلك ما اخبر وكان الانسان قتورا
لان كذلك في الابتدا لكنه بالرياضة والعادة يصير سخيا جوادا وكذلك ما قال واحضرت الانفس الشح ثم قال
ومن يوق شح نفسه ان الانفس احضرت الشح ثم اخبر ان من يوق شح نفسه فله كذا دل بهذا كله انه بالرياضة
والعادة يحتمل التحول الى حالة السخا والجواد بعد ما كان شحيحا قتورا بخيلا فعلى ذلك ما ذكر من العجلة والهلع
والجزع فيه يحتمل بالرياضة والعادة الى ان يصير حليما صبورا في الامور غير ملول فيها وليست المحنة الا بالرياضة
والعادة فامره ان يروض نفسه ويعودها القيام بجميع ما امره الله ويكفها عن جميع ما نهى عنه فيعتاد اتباع
امره والابتهاد عن نهيه والله الموفق وقوله ساريكم اياتي فلا تستعجلون يشبه ان يكونوا سالوا رسول الله
الايات على رسالته انه رسول اوسالوه ايات على وحدانية الله تعالى وربوبيته فقال ساريكم اياتي من الوجه الذي
يرجع لي ويبين لكم ذلك الا من الوجه الذي تريدون انتم وتسالونه وقال بعض اهل التاويل ساريكم اياتي يعني اثار
من العذاب فيهم وفي منازلهم فلا تستعجلون انتم العذاب على من كان قبلكم من الامم بتكذيبهم الرسل فان سافرتم
ومررتم في الارض رايتم اثار العذاب فيهم وفي منازلهم فلا تستعجلون انتم العذاب الذي يعدكم الرسول كانه
يخوفهم العذاب ويعدهم اياه فكذبوه في ذلك فقال عند ذلك ما قال ويقولون ايضا متى هذا الوعد الذي تعدنا
ان كنتم صادقين بانا نعذب وجائز ان يكون الاية فيهم بتكذيبهم الساعة والقيمة وانكارهم اياها فقال ساريكم
اياتي التي تكون قبل وقوعها فلا تستعجلون وقوعها ووجوبها دليله ما ذكر لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون وقوله بل تاتيهم بغتة الاية وقوله لو يعلم الذين كفروا
ما ينزل بهم بوقوع القيامة حتى لا يملكون كفها عن وجوههم ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون انها تحيط بهم حتى
حتى لا يملكونهم دفعها عن انفسهم ولا يملك ما اتخذوا انصارا واعوانا في الدنيا دفع ذلك ايضا وهو كقوله لهم
من فوقهم ظلل من النار الاية وقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله بل تاتيهم بغتة اخبر انها
تاتيهم بغتة اي فجاة لا يعلم اهلها عن وقت وقوعها فتبهتهم قال اهل التاويل فتبهتهم اي تفجاهم والبهتة
كانها اخيرة يقول تاتيهم فجاة فتحيرهم وهو ما اخبر وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وذلك لتحيرهم في انفسهم
وهو ما ذكر انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الاية يصيرون حيارى لشدة احوالها وقوله فلا يستطيعون
ردها ولا هم ينظرون اخبر انهم لا يملكون دفعها اذا وقعت بهم ولا هم ينظرون في وقوعها ان من ابتلي بالبلاء
في الشاهد فانما يملك دفعه عن نفسه اما بقوة نفسه واما بانصار واعوان ينصرونه ويعينونه في دفعه عنه
واما بالتضرع والابتهال والاستسلام كقوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا الاية فاخبر عز وجل لا يملكون

دفعها بقوى انفسهم ولا بانصارهم الذي استنصروا حيث قال ولا هم ينصرون ولا هم ينظرون بالتضرع والاستسلام
وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فيه تصبير رسول الله على ما يستهزئ قومه به لانه قال ولقد استهزئ برسل من
قبلك اي رسلنا باولئك رسول استهزئ به قومه وفيه تخويف اولئك باستهزائهم به بما نزل باوائلهم باستهزائهم برسلهم
وقوله فحاق قال اهل التاويل حاق نزل ووجب ووقع وامثاله وقال بعض اهل المعاني الحيق هو ما اشتمل على الانسان
من مكروه فعله اي يفعله كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وقال بعضهم حاق اي رجع عليهم واحاط بهم وقوله
قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اي من يحفظكم ويحرسكم من عذاب الرحمن وقيل من يدفع عنكم عذاب الرحمن ثم هذا يخرج
على وجهين احدهما قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اي لو سالتهم من يكلؤكم من عذاب الرحمن لا قروا انه
الرحمن هو الذي يكلؤهم ويحفظهم من عذاب الرحمن لا الالهة التي يعبدونها وهو كقوله قل من رب السماوات والارض
وقل من بيده ملكوت كل شئ ونحوه فسيقولون الله لا الالهة التي يعبدونها فقل ان كيف عدلتم عن عبادته وعبدتم دون
من لا يكلؤكم ولا يدفع عنكم العذاب وقد عرفتم ان الرحمن هو الذي يكلؤكم بالليل والنهار وهو اله السموات والارض
فكيف عبدتم من ليس هو باله فيخرج على الاحتجاج عليهم ولزوم الحجة لهم لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين والثاني يخرج
على التذكر والتنبيه لهم لانهم كانوا ينكرون الرحمن ويقولون ما الرحمن وقوله وهم يكفرون بالرحمن فيخرج قوله قل
من يكلؤكم بالليل والنهار اي كيف تنكرون الرحمن وتكفرون به وهو يكلؤكم بالليل والنهار عن عذابه وعلى هذا يخرج بل
هم عن ذكر ربهم معرضون اي بل هم عن ذكر ربهم الرحمن معرضون اي منكرون له والله اعلم وقوله ام لهم الهة تمنعهم
من دوننا اي ليس لهم الهة من دوننا تمنعهم من عذابنا هو على النفي اي ليس لهم الالهة من دونه وان كان ظاهره
استفهاما لانا قد ذكرنا ان الاستفهام من الله يخرج على تحقيق الايجاب وان كان ظاهره استفهاما ثم بين موضع
الاحتجاج عليهم وهو ما اخبر عن عجزهم حيث قال لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون اي لا تستطيع
الالهة نصر انفسها اذا اراد وابها سوء ولا هم منا يصحبون اي ينصرون تاويله ان كيف عبدتم من دونه واتخذتموها
الهة رجاء شفاعتهم ووسيلتهم حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه وفي قولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله فاذا كانوا لا يملكون نصر انفسها ان اصابها سوء ولا يصحبها من يدفع عنها السوء فكيف اتخذتم الهة دونه
فمن كان عن دفع السوء عن نفسه ونصرها عاجزا عن دفعه عن الاخر ونصره اعجز ثم بين الذي حملهم على ذلك وهو
ما قال بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر ظنوا بما متعهم واباءهم واطال عليهم العمر ولم ياخذهم بالعقوبة
باعمالهم التي عملوها ان الله راض عنهم وانهم على الحق ولهذا قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ادعوا رضاء الله
بما هم عليه واباؤهم ثم بين انه وان تركهم وتناولوا ومتعهم عليه انه قد نقص عما كانوا يملكون هم حيث غلب عليهم
رسول الله على بعض املاكهم وجعله ملكا للمسلمين وهو قوله افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها وجعلناها
ملكا للمسلمين ثم اختلف في تاويل هذا قال الحسن قوله افلا يرون ننقصها من اطرافها اي اعلم انا ناتي الارض ننقصها
من اطرافها اي نحشرهم يوم القيمة من اطراف الارض الى المحشر فذلك نقصها وقال غيره افلا يرون ان رسول الله كلما
بعث الى ارض ظهر عليها قال ننقصها بالظهور عليها ارضا فارضا انهم الغالبون اي ليسوا هم الغالبين ولكن رسول
الله هو الغالب عليهم وقال ابن عباس ننقصها ذهاب فقهائها وخيار اهلها وقال قتادة ننقصها بالموت وكذلك
قال عكرمة ننقصها من اطرافها بالموت وقال لو كانت الارض تنقص لم يوجد الرجل يجلس فيه ونحو هذا قد قالوا
فيه وقوله قل انما انذركم بالوحي هذا والله اعلم يخرج على وجهين احدهما خرج جوابا لقولهم ما انت الا بشر مثلنا
انهم كانوا ينكرون رسالته ويقولون انه بشر كيف خص هو به فيقول اني لست انذركم بما انذركم لاني بشر ولكن انما
انذركم بالوحي من الله وانتم من لا تقبلون بشارة ذي ونذارته والثاني قال ذلك لما تقدم منه في الايات للنذارة
المرسلة غير مضافة الى الله فامره ان يقول لهم اني فيما انذرتكم من النذارة لم انذركم من ذات نفسي ولكن انما انذركم
بالوحي من ربي هذا معناه والله اعلم او فيما انذركم مما نزل بالامم المتقدمة والانباء التي اخبرتكم عنها مما لم تشهدوها ولا انتم
بل انما انذركم بالوحي فذلك موضع الاحتجاج عليهم في اثبات رسالته وقوله ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون
هذا والله اعلم يقول ان الصم اذا اريد ان يدفع عن المهالك لا سبيل ان يدفع عنها ويكف بالنداء والنداء ولكن
يكف ويدفع عن المهالك بالايدي والزاجات كانه قال ذلك لما اكثر دعاءهم الى ما به نجاتهم فابوا ذلك ولم يجيبوا
فقال حينئذ ذلك انكم لا تسمعون الدعاء والنداء الى ما به نجاتكم ولكن تعرفون ذلك بالقتل والسيف او ان يقول
ذلك انكم صم عن الحق حتى لا تسمعونه كالصم بالسمع والصم بالسمع لا يدعى ولا ينادى لانه لا يسمع ولكن يدعى باليد
والاشارة فعلى ذلك انتم صم عن الحق لا تدعون بالنداء ولكن بالذي يعرف الدعاء وهو اليد والله اعلم وقوله ولئن
مستهم نفحة من عذاب ربك قال الحسن نفحة اي طائفة من عذاب ربك وقال بعضهم نفحة ربك وقال بعضهم النفحة
الدفعة وقال بعضهم عقوبة ربك واصل النفحة الرمية ولذلك سمي نفحة الدابة اي رمحها وهو ما ذكر من رمى

الشرك وقوله انها ترمي بشرر كالقصر وقوله ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين وقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيمة في ظاهر الاية ان الموازين هي القسط والقسط هو العدل ولكنه قال ونضع الموازين القسط كانه قال ونضع الموازين التي توضع في الدنيا ويعرف بها حقوق الناس في الاخرة العدل الذي به يعرف حدود الاشياء واقدارها فتكون على هذا التاويل الموازين العدل وتفسير العدل ما ذكر بقوله فلا تظلم نفس شيئا اي لا تنقص من حسناته ولا تزاد على جزاء سيئاته ولكن توفى في كل جزاء عمله ويحتمل ان يكون قوله ونضع الموازين القسط على الاظهار اي تضع الموازين التي يكون في الدنيا يوم القيمة بالعدل ولا تطفف ولا تنقص ولا تخسر كما تفعلون في الدنيا ولكن العدل لا تطفف ولا تنقص تسوى وتستوي في مستويا من غير زيادة ولا نقصان لان الزيادة والنقصان انما تكون في الشاهد لوجوه اما الجهالة او للحاجة وللجور فيحمله ذلك كله على الزيادة والنقصان والله سبحانه تعالى يتعالى عن ذلك كله لانه عالم بذاته غني بذاته عادل فلا وجه للخسران منه والزيادة فيه وقوله وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها اي اتينا بجزائها اي بعينها انه لا يفوت شيء ولا يغيب عنه وليس المراد من ذكر مثقال ذرة الذرة والحبة ولكن ذكر على التمثيل انه لا يفوت عنه شيء ولا يغيب ذلك المقدار من الخير والشر غير غايبة عنه ولا منسي ولكن محفوظ محاسب وقوله وكفى بنا حاسبين لا يشغله كثرة الحساب وازدحامه ليس كمن يحاسب اخر في الشاهد انه اذا كثر الحساب عليه وازدحم شغله ذلك عن حفظ الحساب والله اعلم وقوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء كل كتب الله تعالى فرقان ونور وضياء ومبارك وروح وذكر اما الفرقان فهو ما يفرق بين الحق والباطل وبين الشبه والواضح وبين ما يؤتى ويتقى وبين ما عليهم ولهم والنور ما يتجلى به حقايق الاشياء والضياء هو ما يظهر حسن ما يحلى واستنا وروح هو ما به حيوة كل شيء القران سماه روحا لانه به حيوة الدين وسمي الماحيوة لانه به حيوة الابدان والمبارك هو ما ينال ويصل اليه من كل خير والذكر ما هو يذكر ما لهم وعليهم وذكر قيل هو الموعظة والموعظة قيل هي التي تلين القلوب وتوسع الصدور وتفسح وتخشع بها الفواد على هذا الوصف جميع كتب الله الذي وصف هذا القران بها ثم بين انها على الوصف الذي ذكر لمن فقال للمتقين وان كانت هي في نفسها على الوصف الذي ذكر فانها انما تتجلى بها الشبه من الحقايق والحق من الباطل لمن قبلها واقبل نحوها ونظر اليها بعين التعظيم والاجلال فاما من اعرض عنها فلبست لهم على ما ذكر لكن ما اخبر بقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم ثم بين من المتقون فقال الذين يخشون ربهم بالغيب يحتمل قوله يخشون ربهم اي يخشون العذاب الموعود في الغيب وهو عذاب الاخرة وتفهمها ان المؤمنين خافوا العذاب الموعود في الاخرة فيحذرون ما به يحل ذلك واما الكفار فانه لم يخافوا العذاب الموعود في الاخرة ولم يصدقوه انما يخافون العذاب المعاين المشاهد فاما العذاب الموعود في الغيب فلا يخافونه ويحتمل ايضا قوله يخشون ربهم اي يهابون ربهم ويخافونه وان لم يروه لما راوا من اثار سلطانه وملكه وقوله وهم من الساعة مشفقون خايفون فحاسبوا انفسهم في الدنيا اشفاقا على محاسبة انفسهم في الاخرة وقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه الذكر المبارك ما ذكرنا وقوله افانتم له منكرون ظاهره وان كان استفهاما فهو في الحقيقة ايجاب كانه قال وهذا ذكر مبارك انزلناه ويعرفونه انه كذلك فانتم مع هذا له منكرون يذكر سفههم ويخبر عن عنادهم وقوله ولقد اتينا ابراهيم رشده وقال الحسن رشده دينه وهداه وقال غيره رشده النبوة ويشبه ان يكون قوله اتينا ابراهيم رشده حججه وبراهينه التي حاج بها قومه على غير تعليم من احد وفيه دلالة ان ليس كل رشد وهدى بيان لانه لو كان كله بيانا لم يكن لتخصيص ابراهيم بالرشد كثير معنى اذ هو في ذلك البيان وغيره من الكفرة والفراعنة سواء فدل قوله اتينا ابراهيم رشده انه يكون من الله للمهتدين فضل صنع ليس ذلك في الكافرين وهو التوفيق والعصمة وقوله من قبل قال بعضهم من قبل الاوقات التي يعطي البشر الرشد وهو حال الصغر ويحتمل قوله من قبل اي من قبل محمد وقال بعضهم من قبل موسى وهرون ويحتمل اتينا ابراهيم رشده من قبل اهل الاديان كلها لان جميع اهل الاديان يدعون انهم على دين ابراهيم فلو يحتمل ان يكون دينه ورشده الذي اتيه الله هو كل ذلك بل انما كان ذلك واحدا فوجب النظر فيه والتامل في ذلك ليظهر الدين الذي كان عليه ابراهيم وقوله وكنا به عالمين اي بالدين والرشد الذي عليه ابراهيم عالمين من قبل او ان يكون قوله وكنا به عالمين اي كنا بجميع ما يكون من ابراهيم عالمين وقوله اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون كانه قال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون اي انما يعبد من يعبد لفعل يكون من المعبود الى من يعبده فاما ان يعبد بما يفعل بالمعبود فلا يحتمل وهو ما قال ابراهيم اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون يسفههم ويعيب عليهم لعبادتهم ما ينحتون بايديهم ويتركون عبادة من خلقهم وخلق اعمالهم وقوله قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قد انقطع حجاجهم لما قال لهم ابراهيم ما قال واظهر سفههم ففزعوا الى تقليد ابائهم فقالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين لم ينكر عليهم فعل ابائهم وعبادتهم الاصنام ولكن اقرهم بصنيع ابائهم ثم جمعهم

وابائهم

وابائهم واخبر انتم واباؤكم في ضلال مبين بعبادة الاصنام وقوله قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لما علموا ان مثل هذا القول لا يقول الا من كان عنده حجة وبرهان فقالوا اجئتنا بما تقول بحجة ام انت من اللاعبين تلعب وتهزء واخبر انه جاءهم بالحق وبين لهم ذلك الحق فقال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن لا الاصنام التي تعبدونها اي ربكم رب السموات والارض الذي يعرف بالدلالات والبراهين واثار الصنعة في غيره لا الذي انتم وانحذتموهم والله اعلم وقوله وانا على ذلكم من الشاهدين يحتمل وانا على جميع ما قال وكان منه من الحجاج واقامة الحجج على الوهية الله تعالى وتسفيه اولئك في عبادة الاصنام من الشاهدين او من الشاهدين على خلقها ويجوز ان يقال الشاهد المبين وانا على ذلكم من المبينين والله اعلم وقوله وتالله لاكيدن اصنامكم ان الاصنام لا يقصد اليها بالكيد لكن تاويله والله اعلم لاكيدن لكم في اصنامكم وقوله بعد ان تولوا مدبرين قال عامة اهل التاويل ان ابراهيم انما قال ذلك لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين من الاصنام الى عيدهم لانهم كانوا يخرجون الى عيدهم من العيد فقال لاكيدن من الاصنام اي لاكيدن لكم في اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين منها الى عيدكم وجايز ان يكون قوله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين عني وكانوا في ذلك الوقت بحضرة الاصنام الا يرى انه قال لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ومثل هذا الكلام لا يقال الا بحضرة الاصنام لانه اشار الى الاصنام فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون فقال عند ذلك تالله لاكيدن اصنامكم اي لاكيدن لكم في اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين عني على التاويل الاول الثاني يكون توليهم الادبار عن الاصنام الى عيدهم وعلى التاويل الثاني يكون توليهم الادبار عن ابراهيم والله اعلم وقوله فجعلهم جذاذا وجذاذا قال بعضهم قطعا وقال القتبي جذاذا فتاتا كل شيء كسرته فقد جذذته ومنه قيل للسويق جذيذ والجذ هو القطع والمجذوذ المقطوع وكذلك قوله غير مجذوذ اي غير مقطوع وقوله الا كبيرا لهم لم يكسره لعلهم اليه يرجعون قال بعضهم لعلهم اليه يرجعون يقول الى الصنم الاكبر الذي لم يكسره ابراهيم يرجعون من عيدهم وقال بعضهم لعلهم الى الحجة يرجعون وقيل هو احج القولين اي من الحجة وقال بعضهم لعلهم اليه يرجعون اي يتذكرون وجايز ان يكون قوله لعلهم اليه يرجعون اي يرجعون الى ما يريد ان يكيدهم في اصنامهم لانه انما يريد ان يكيدهم اذا رجعوا الى الاصنام فراوها مجذوذات والكيد هو الاخذ على الامن وكذلك المكر وقوله قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين لو تاملوا كانوا هم الظلمة في الحقيقة لانهم كانوا يعبدون تلك الاصنام رجاء منفعة تكون لهم حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا راوهم لا يقدرون على دفع الكسر والقطع عن انفسهم ودفع من فعل بهم ذلك كيف طمعوا منها نفعا او دفع الضر عن انفسهم لان من عجز عن دفع الضر عن نفسه فهو عن دفعه عن غيره اعجز فهم الظلمة في الحقيقة حيث طمعوا النفع ودفع الضر ممن لا يملك ذلك لنفسه لكن قالوا سفها ذلك منهم وقوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالكيد لهم حين قال لاكيدن اصنامكم [illegible] وذلك القول منه ناس فاخبروا قومهم لما قالوا من فعل هذا بالهتنا فعند ذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالكيد فقالوا لهم ابراهيم وجايز ان يكون قوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالعداوة وهو حين قال فانهم عدو لي الا رب العالمين لما اخبر انه ولي الذين عبدوا الاصنام اعداء له فالمعبود الذي عبدوه يكون عدوا له ايضا فاستدلوا بذلك القول منه انه هو فعل بهم ما فعل والله اعلم وقوله قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قال بعضهم على رؤوس الناس وقيل بحيث ينظر الناس اليه او بحيث يراه الناس وهو واحد وقوله لعلهم يشهدون اختلف فيه قال بعضهم يشهدون عقوبته بما فعل باصنامهم فيكون نكالا وزجرا لغيره عن ان يفعل بها مثل ما فعل هو ولذلك قالوا احرقوه نكالا وزجرا لغيره كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها اي زجرا وكقوله فشرد بهم من خلفهم وقال بعضهم لعلهم يشهدون بفعله الذي فعل بالاصنام لم يريدوا ان يعاقبوه بلا بينة ولا حجة وقال بعضهم لعلهم يشهدون انه قال لالهتهم ما قال والله اعلم وقوله قالوا انت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون اختلف في هذا قال بعضهم هذا القول من ابراهيم كذب في الظاهر فيما اراد ان يكيدهم وان لم يكن في الحقيقة عنده كذبا وكذلك ما قال اني سقيم وكان صحيحا وقوله هذا ربي ومثل هذا قالوا هذا في الظاهر كذب وان لم يرد هو به في الحقيقة كذبا وقال بعضهم انه انما قال ذلك على ان يريهم من نفسه الموافقة لهم في الظاهر ليكون انجح واسمع وللبراهين اقبل فيكون تاويله والله اعلم لعل كبيرهم فعل بهم هذا او ان يكون اكبرهم فعل هذا بهم وكذلك ما قال في قوله هذا ربي قال بعضهم ليس على هذا ولا فيه كذب في الظاهر ولكن قال ذلك على الشرط حيث قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون على فعله بشرط النطق فاذا كانوا لا ينطقون لم يفعله وقوله اني سقيم اي ساسقم وكل حي يسقم يوما وقوله هذا ربي اي هذا ربي اي ليس هذا ربي ولا مثل هذا تدعوه والله اعلم وقوله فرجعوا الى انفسهم اي رجعوا الى انفسهم بالملامة فقالوا فيما بينهم انكم انتم الظالمون هذا يحتمل وجوها انكم انتم الظالمون حيث نسبتم الفعل بهذه الاصنام والكسر الى ابراهيم وعلمتم انه هو فعل ذلك

بهم وانما فعل هذا كبيرهم لما وقع عندهم ان كبيرهم هو الذى فعل بهم والثانى انكم انتم الظالمون حيث لم تحفظوها
من كبيرهم اخرين شركاء فى العبادة حتى غضب عليهم فكسرهم او ان تكون قوله انكم انتم الظالمون تعنون الاصنام
المكسورة يا هؤلاء انكم انتم الظالمون حيث حملتم الكبير على كسركم والله اعلم بما اراد وذلك ولا نجوز لنا ان
نزيد وننقص فى هذه الانباء المذكورة فى الكتاب او نقطع على جهة دون جهة لانها انما ذكرت ليحتج عليهم
بما فى كتبهم فلو زيدا ونقص قطع على جهة دون جهة يذهب الاحتجاج بها عليهم والله اعلم وقوله ثم نكسوا
على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قوله نكسوا على رؤسهم للتفكر والنظر فى قول ابراهيم حيث قال
بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون انما علق فعل الكبير بهم ان نطقوا فقالوا لقد علمت يا ابراهيم
ما هؤلاء ينطقون فكيف قلت بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم فاذا كانوا لا ينطقون لم يفعل كبيرهم ثم قال
افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم فان قيل ان ابراهيم لم يحتج عليهم ان كيف تعبدون
من دون الله ما لا ينطق ولكن قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم قيل قد كان احتج
عليهم من ذلك النوع حيث قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وبعد فانه قد احتج عليهم
لعجزهم عن النطق حيث قال فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ثم قال ههنا افتعبدون من دون الله شيئا ان
عبدتموهم ولا يضركم ان تركتم عبادته اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف هو كلام كل مستخف باخر ومستحقر له
فى فعله يقول اف لكم فابراهيم حيث قال ذلك لهم انما قال استخفافا بهم وبما عبدوه افلا تعقلون ان
عبادة من لا ينفع ولا يضركم لا يصلح ولا يحل وفى انباء ابراهيم خصال ليست تلك فى غيرها من الانباء احدها
انه لم يترك شيئا كان يعبدون الله الا وقد نقض الاكثر ذلك والثانية احتجاج قومه اولا فى فساد مذهبهم
وفساد ما اعتقدوه ثم بعد ذلك اقام عليهم حجة وبراهينه لانه كان قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الافلين وقال
بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوا ان كانوا ينطقون وقال ان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب ونحوه
فلما ابراهيم فساد مذهبهم فعند ذلك ذكر حججه وبراهينه على اثبات الاله الحق حيث قال انى وجهت وجهى للذى
فطر السموات والارض حنيفا وقال الذى خلقنى فهو يهدين الاية وهكذا الواجب على كل متناظر ان يبدا اولا بابطال
فساد مذهب خصمه فاذا اراه فساد مذهبه فحينئذ يذكر حجج مذهبه وبراهين ما يعتقده ليكون لها اسمع
وعند فامها اقبل والثالث انه لم يبتل نبى قط لفرعون مثل فرعونه ولا قوم مثل قومه فى السفه والبغض
والهم بقتله بالنار وجائز ان يكون خصوصيته بالخلة لهذه الخصال التى ذكرناها والله اعلم وقوله قالوا
حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين هذا ظاهر وقوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم جائز ان يكون
قوله كونى بردا وسلاما اى جعلها فى الخلقة بردا وسلاما على ابراهيم خاصة واما على غيره فهى على ما هى
فى طبعها من الاحراق والحر فيكون ذلك من اعظم ايات رسالة ابراهيم ونبوته او ان يكون على الوحى والا
على ما قاله اهل التاويل انه اوحى اليها ان كونى بردا وسلاما على ابراهيم لكنه ان كان على هذا فجائز ان يجعل
فى سريتها ما تفهم امره ويكون فيها ما تعقل ذلك فلم تحرقه وقول اهل التاويل انها بردت حتى لم ينتفع بها
اهل المشرق واهل المغرب ثلثة ايام فذلك لا يعلم الا بالسمع وقوله وارادوا به كيدا الكيد هو الاخذ من حيث الا
من فجائز ان يكونوا كادوه ان حبسوه فى موضع ثم جمعوا عليه الحطب من غير ان علم هو ذلك ثم اوقدوا
عليه النار او ان يكونوا اخذوه معافصة فجعلوه فى المنجنيق ثم رموه فى النار على ما قاله بعض اهل التاويل او
ان يكونوا كادوه كيدا اخر سوى ذلك لم يذكر نحن لا نعلم ذلك وقوله فجعلناهم الاخسرين لا شك انهم فى الاخرة
من الاخسرين واما خسرانهم فى الدنيا فلا نعلم ما ذلك الخسران والله اعلم به وقال بعضهم فى قوله وارادوا به
كيدا وذلك انه لما جعل فى النار انجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما على ابراهيم وامره الله تعالى
بالخروج الى الارض المقدسة فخرج اليها فطلبوه وبعث ملكهم الى اصحاب المناظر لا يمر بكم انسان يتكلم
بالسريانية الا حبستموه فالحوله الله لسانه بالعبرانية فمر بهم فغير عليهم فانطلق ابراهيم متوجها نحو
اهله فذلك قوله وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اى الاسفلين واعلاهم ابراهيم صلوات الله عليه وقوله ونجيناه
ولوطا دل هذا على ابراهيم كان كالمشرف على الهلاك لان لفظة النجاة لا يقال الا فيما كان هنالك اشراف على الهلاك
وفيه ان لوطا كان معه وانكان ابراهيم هو المتبع فى ذلك وهم كانوا يقصدون قصد اهلاك الرسل والاتباع
جميعا وقوله الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قال الحسن بركته ما ذكر فى اية اخرى وهو قوله واويناهما الى ربوة
ذات قرار ومعين كثير المياه والنبت ونحوه وقال بعضهم بركته سعته على اهلها وقال بعضهم بركته لانها
كانت مكان الانبياء والرسل صارت مباركة بهم وجائز ان يكون صارت مباركة بابراهيم ولوطا لما بهم ظهر
الاسلام هنالك والله اعلم وقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال بعضهم النافلة العطية وقال بعضهم

النافلة الفضل واصل النافلة الغنيمة كقوله يسئلونك عن الانفال اى الغنائم والولد وولد الولد فضل منه وعطية
وغنيمة لانه يسمى الولد هبة بقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وسمى الولد مواهبا وخاصة ابراهيم لم
يكن يطمع ان يولد له الولد فى ذلك الوقت فكيف يطمع ولد الولد وقوله وكلا جعلنا صالحين يحتمل قوله صالحين رسلا
او صالحين فى كل امر وكل شئ وقوله وجعلناهم ائمة قادة فى امر الدين يهدون بامرنا يحتمل قوله يهدون اى يدعون
الناس بامرنا كقوله ولكل قوم هاد اى داع وجائز ان يكون قوله يهدون بامرنا اى يهدون الناس الى ما به امرناهم
والى دينه وقوله واوحينا اليهم فعل الخيرات دل قوله واوحينا اليهم انكانوا رسلا ثم يحتمل قوله فعل الخيرات
اى بفعل الخيرات وقوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فيه ان الصلوة والزكوة كانتا فى شرايع المتقدمين وقوله
وكانوا لنا عابدين موحدين او عابدين له فى كل وقت وقوله ولوطا اتيناه حكما وعلما قال بعضهم حكما يعنى النبوة
وقال بعضهم حكما اى الفهم والعقل وعلما وجائز ان يكون قوله حكما اى الحكم الذى يحكم بين الناس وعلما اى العلم
العلم الذى كانوا به يحكم بين الناس ومن قال حكما هى النبوة قال لان الانبيا انما يحكمون بين الناس بالنبوة فكنوا
بالحكم عن النبوة ومن قال بالفهم فهو لانه انما يحكم بين الناس بعدما فهم من الخصوم والحاصل الحكم هو الحكم بين
الناس وعلما اى العلم الذى به يحكم او علما فيما بينه وبين ربه والله اعلم وقوله ونجيناه من القرية التى تعمل الخبائث
اضاف عمل الخبائث الى القرية ومعلوم ان القرية لا تعمل شيئا لكن معناه نجيناه من القرية التى كان اهلها يعملون
الخبائث وكذلك ذكر فى حرف حفصة وقوله الخبائث كل انواع الخبث من الكفر والتكذيب بالاية واللواطة وغيرها
وقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين اى كانوا قوم سوء فى افعالهم واعمالهم التى كانوا يعملونها فاسقين اى خارجين
عن امر الله تاركين له والفسق هو الخروج عن الامر كقوله ففسقوا عن امر ربهم اى خرج وقوله وادخلناه فى رحمتنا
قال الحسن فى جنتنا فسمى الجنة رحمة لانه برحمته يدخل فيها وتدرك وقال غيره فى رحمتنا اى نعمتنا ونعمته النبوة كقوله
لعيسى ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجائز ان يكون قوله رحمتنا اى اعطيناه كل انواع الخير برحمتنا اذ كل من صاب
خير الدنيا والاخرة انما يدركه برحمته وقوله انه من الصالحين من النبيين او من الصالحين اى كان يحل بكل انواع
الصلاح وقوله ونوحا اذ نادى من قبل قال بعضهم من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب لانه ذكر هؤلاء على اثره ثم اختلف
فى ندائه قال بعضهم نداؤه هو قوله فدعا ربه انى مغلوب فانتصر وقال بعضهم نداؤه هو قوله رب انى دعوت قومى
ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا او ان يكون ذلك قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقوله
رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا الاية وامثاله وقوله فاستجبنا له فنجيناه واهله اهله اتباعه من اهله
ومن غيرهم وقوله من الكرب العظيم قال عامة اهل التاويل من الكرب العظيم هو الغرق والهول الشديد الذى كان
وجائز ان يكون الكرب العظيم هو ما قاسى من قومه ولقى منهم بدعائه اياهم الى دين الله فى تسعمائة وخمسين عاما
وما كانوا يسخرون به ويؤذونه من انواع الاذى كقوله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم ونحو ذلك من الاذى الذى
قاساه منهم فانجاه من ذلك الكرب والله اعلم وقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا وفى حرف ابى بن كعب ونصرناه
على القوم الذين كذبوا باياتنا والنصر هو اسم لامرين اسم للمنع واسم للظفر فمن قراناه نصرناه من القوم الذين كذبوا
باياتنا اى منعناه من ان يقتله قومه ويهلكوه والنصر المنع كقوله فلا ناصر لهم اى لا مانع لهم ومن قرا على القوم الذين
كذبوا باياتنا اى اظفرناه على قومه كقوله وما النصر الا من عند الله وقد كان له الامران جميعا المنع والظفر وقوله انهم
كانوا قوم سوء ما ذكرنا من افعالهم واعمالهم وقوله فاغرقناهم اجمعين حتى لم ينج منهم احد قال ابو عوسجة الكرب واحد
وجمعه كروب وهو الهموم والشدايد والكربة واحد والكرب جمع وهو مثل الكروب قال والاكراب تكون للدلاء وهى
جماعة الكرب وهو حبل يشد فى عراق الدلو وعراقى الدلو خشبات الدلو الواحدة عرقوة قال والكراب الحراث وقوله وداود
وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم الاية قال بعض الناس دل تخصيص سليمان بالتفهيم على انه لم
يفهم داود ذلك ويدل على ذلك وجوه احدها اشراكه عز وجل اياهما جميعا فى الحكم والعلم وغيره حيث قال اذ يحكمان
فى الحرث وقال وكلا اتينا حكما وعلما ذكرهما كانا مشتركين فيه وخص سليمان بالتفهيم فدل التخصيص بالشئ احدهما
والاشراك فى الاخر على انه كان مخصوصا به دون الاخر والثانى ان هذه الانبا انما ذكرت لنا لنستفيد بها علما لم يكن
فلو لم يكن سليمان مخصوصا بالفهم دون داود لكان لا يفيدنا سوى الحكم والعلم وكنا نعلم انهما قد اوتيا حكما و
علما وكانا يحكمان بالعلم فاذا كان كذلك فدل التخصيص بالتفهيم لاحدهما على ان الاخر لم يكن منهما ذلك والله اعلم
والثالث فيه دلالة ان المجتهد اذا حكم واصاب الحكم انه انما اصاب بتفهيم الله اياه وبتوفيقه حيث اخبر انه قد
اتاهما جميعا العلم ثم خص سليمان بالتفهيم هو فعل الله حيث اضاف ذلك الى نفسه ثم انكان ما ذكرنا كان فى
ذلك دلالة كان فى ذلك دلالة لاصحابنا فى قتل مسلما فى دار الحرب اسلم هنالك ان عليه الكفارة وليس عليه
الدية حيث قال ومن قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان تصدقوا وان كان من

قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير
رقبة مؤمنة ذكر في الاولين الدية والكفارة جميعا ثم خص الثالثة بذكر الكفارة دون الدية فدل التخصيص له
باحدهما على ان ليس عليه الاخر لانه لو لم يكن كذلك لكان يذكر في الاول الدية والكفارة ولا يذكر في الاخر
فيكون ما ذكر في الاول كالمذكور في الاخرين او لا يذكر ذلك كله في الكل فاذا لم يفعل هكذا ولكنه ذكر كل الواجب
في الاثنين على الابلاغ وترك في الواحد احدهما وذكر الاخر فدل تخصيص الثالث باحد الحكمين على ان ليس عليه
الاخر ثم استدلوا بهذه الاية على جواز العمل والقضا باجتهاد الرأي فمنهم من استدل باصابة المجتهد فيها
يجتهد وان لم يصب هو الحكم الذي هو حكم عند الله فيه حقيقة وهو قول من يقول كل مجتهد مصيب فيما عليه
من الاجتهاد في تلك الحادثة وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله ومنهم من يستدل بخطأ احد المجتهدين وعذره
في خطائه فيذهب الى ان المقصود ما كلف من الحكم في ذلك واحد الحكمين المختلفين فاذا كان المقصود مما كلفنا
من الحكم فيه واحدا فلا يجوز ان يحكم اثنان في شيء واحد بحكمين مختلفين والمقصود فيه واحد فيكونان جميعا
مصيبان حيث خص احدهما بالتفهيم بقوله ففهمناها سليمان فلو كانا جميعا مصيبين كانا جميعا مفهمين فاذا
اخبر انه فهم سليمان ولم يفهم الاخر دل ان المصيب هو المفهم منهما وهو قول ابي حنيفة وبشر وغيرهما ومن استدل
باصابته يستدل بقوله وكلا اتينا حكما وعلما اخبر انه اتاهما حكما وعلما ذلك على انه لم يكن عليهما عنهما فعلا وحكما
فيه ولم يصيبا الحكم الذي هو حقيقة عند الله ثم ذكر في الاية انهما يحكمان في الحرث ولم يذكر انهما حكما بالضمان
او البراءة عن الضمان او كيف كان حكمهما فدل ترك بيان ما حكما فيه على ان ليس علينا ذلك الحكم اذ بين لنا
ما علينا ذلك الحكم اذ بين لنا ما علينا العمل فيه وهو العمل بالاجتهاد وحيث قال ففهمناها سليمان ولم يبين لنا
الحكم الذي حكما فيه فدل بيان احدهما وترك بيان الاخر على ان ليس علينا الذي ترك ذكره وبيانه الا ان اهل
اهل التاويل حملوا حكمهما على الضمان والبراءة وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي
ان ناقة لرجل ضارية دخلت حايط رجل فافسدت ما فيه فكلم رسول الله فقضى ان حفظ الحوايط بالنهار على
اهلها وان حفظ المواشي بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت من ماشيتهم بالليل وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصابت الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شيء لكن
الخبر انما جا في المدينة انما ترعى الماشية في السكك اذ ليس لها مراعي ونحن نقول ان من ارسل ماشية في كل مكان
لا مرعى لها الا كرم انسان او حايطه فافسده فانا يوجب عليه الضمان ضمان ما افسدت وهو كمن يرسل الماء
في ملكه لا يتزجيه فتعدى الى ملك جاره فافسده فعليه ضمان ما افسده فعلى ذلك المواشي اذا ارسلها في مكان لا مرعى
لها ولا زرع الا حايط الاخر فانه يضمن ما افسدت منه ومن الناس من يجعل خبر منسوخا بما جاء جرح العجما جبار لكن
الوجه فيه ما ذكرنا وانما يكون جرحها جبارا اذا تعدت هي من غير ارسال صاحبها فاما اذا كان يصنع صاحبها
فعليه الضمان والله اعلم وقال القتبي نفشت اي رعت ليلا يقال نفشت الغنم بالليل وهي ابل نفش ونفاش
ونفاش واحدها نافش وسرحت وسربت بالنهار وقال ابو عوسجة نفشت فيه غنم القوم يقال انفشنا الغنم
اذا اثرناها في الليل فرعت وهذا النفش ونفشت اي انتشرت بغير علم اهلها نفشت تنفش نفشا فهي نافشة
قال ابو عبيدة النفش بالليل ان تدخل في زرع فتاكله او رعت فتاكل **وقوله** وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
ذكر التسبيح هنا للجبال ولم يذكر في الطير ولكن ذكر في الاية الاخرى حيث قال والطير محشورة كل له اواب
اي مسبح له ثم يحتمل ان يكون تسبيح الجبال ههنا والطير تسبيح خلقة لكنه لو كان تسبيح خلقة لكان تسبيحها
مع داود وغيره سواء وقد ذكر يسبحن مع داود وليعلم ان الله جعل لهذه الاشيا تسبيحا يسبحن الله ويذكرنه و
كذلك ما روي في الاخبار ان الطعام سبح في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه اخذ حجرا فسبح في يده
وانه اخذ كذا فسلم عليه وامثال هذا كثير وذلك كله اية لرسل الله على رسالتهم **وقوله** وكنا فاعلين اي كنا
فاعلين ما نريد ان اردنا ان يسبحن سبحن وان اردنا ان لا يسبحن لا يسبحن اي كنا فاعلين جميع ما نريد
ليس كالخلايق لانهم يريدون اشيا لا تلتئم له **وقوله** وعلمناه صنعة لبوس لكم وقال في اية اخرى والنا له
الحديد ان اعمل سابغات الاية ثم يحتمل قوله والنا له الحديد اي علمناه السبب الذي به يلين الحديد له في صنع به ما شاء
كما علم غيره من الخلق السبب الذي به يلين الحديد ويحتمل ان جعل له الحديد لينا بلا سبب تسخيرا له غيره من
الاشيا الحديدة الصلبة كما اعطى ولده عين القطر حيث قال واسلنا له عين القطر وذلك لم يكن لاحد سواه
وكذلك الحديد الان لو الين حتى يحمل به ما شاء ما لم يكن ذلك في حديد سواه وقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم
قيل اي دروع الحديد لتحصنكم من باسكم اي تقيكم من باسكم اي من عدوكم ومن امر حربكم وفيه قراات
لتحصنكم بالتاء وليحصنكم بالياء وليحصنكم من باسكم اي تقيكم من باسكم ولنحصنكم بالنون قال الكسائي

من قرأ بالتاء لتحصنكم اي الصنعة تحصنكم من باسكم ومن قرأ بالياء ليحصنكم اي اللبوس يحصنكم من باسكم ومن
ومن قرأ بالنون لنحصنكم فانه يقول الله نحصنكم نحن من باسكم **وقوله** تعالى فهل انتم شاكرون ما اعطيكم من النعم التي
ذكر من تسخير الجبال له والطير والحديد والرياح وغيره فهل انتم شاكرون ذلك اي اشكروا له في نعمه لان الاستفهام
من الله على الايجاب والالزام **وقوله** ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره ذكر ههنا عاصفة وقال في اية اخرى فسخرنا له
الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ابن لينة فهو يحتمل وجوها قال بعضهم كانها تشتد اذا اراد سليمان وتلين اذا اراد
وقال بعضهم كانت تشتد وقت حمل السرير وتلين وقت سيره ويحتمل ان يكون عاصفة شديدة في الخلقة لكنها
كانت تلين له وتزجو فكانه يقول سخرنا لسليمان الريح العاصفة الشديدة حتى كانت تلين له **وقوله** تجري بامره الى
الارض باركنا فيها ليقصد غيرها **وقوله** وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك
ذكر نعمه التي كانت عليهم حيث اخبر انه سخر لهما اشد الاشيا واصلبها من نحو الجبال والرياح والبحار والحديد و
الشياطين ايضا وهم اعدا لبني ادم سخر له الاعدا الشياطين والرياح **وقوله** وكنا لهم حافظين يحتمل وجوها
احدها وكنا لهم حافظين حتى لا يضلوا الناس وقال بعضهم وكنا لهم حافظين على سليمان لئلا يتفرقوا عنه لان سليمان
كان لا يملك امساكهم واستعمالهم لكن الله سخرهم له حتى عملوا له وذلوا له وخضعوا له والثالث وكنا لهم حافظين
عن الخلاف لهم والله اعلم **وقوله** وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وقال في اية اخرى اني مسني الشيطان بنصب
وعذاب ذكر في سليمان انه سلطه على الشياطين وجعلهم مسخرين له يستعملهم في كل امر وعمل شاء وذكر في ايوب
على اثر قصة سليمان انه سلط الشياطين عليه وصار هو كالمسخر لهم حيث قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
حتى يعلم ان تسخير الشياطين لسليمان له كان له افضال وانعام لم يكن سبق منه ما يستوجب به ذلك ويستحقه ولا
كان من ايوب اليه من العصيان ما يستحق ذلك وما اصابه من البلاء منه عدل وكان ما يعطى من السلامة والصحة
رحمة منه ونعمة وله ان يعطي من شا ما شاء ويحرم من شا ما شاء الا ترى انه قال في اخره لما رد عليه ما اخذ منه
وكشف عنه البلاء رحمة منا ولو كان ذلك حقا له على الله لم يكن لذكر الرحمة معنى فهذا رد على المعتزلة مذهبهم
ان على الله الاصلح لهم في دينهم لان ما اصاب ايوب من البلاء با اضاف ذلك الى الشياطين حيث قال اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب ولو كان ذلك اصلح له في دينه لكان لا يضيف فعل الاصلح له في الدين الى الشيطان فدل انه ليس على
ما يذهبون اليه ثم قوله وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر يشبه ان يكون فيه اضمار دعا كانه قال اني مسني الضر
فارحمني وعافني وانت ارحم الراحمين الا ترى انه قال فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر دل انه على الدعا خرج والثاني
قوله اني مسني الضر وصرت بحال رحمني من رآني من الخلق وانت اولى من كل الراحمين والله اعلم **وقوله** فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر ظاهر انه كشف عنه ما اصابه من البلاء في بدنه واهله حتى عاد الى الحال التي كان قبل ذلك
وقال بعضهم اوتي اهله في الدنيا ومثل اجورهم في الاخرة وقال بعضهم واتيناه اهله فاحياهم الله ومثلهم معهم
وكانت امرأة ايوب ولدت قبل البلاء اولادا بنين وبنات فاحياهم الله وقال بعضهم اتيناه اهله اي ما يتاهل به
من الاهل والانصار على ما كان له من قبل والله اعلم **وقوله** رحمة من عندنا وذكرى للعابدين يحتمل وجوها احدها
ان من ابتلي ببلاء فصبر على ما صبر ايوب على بلائه فرجه الله عن ذلك البلاء فيفرجه عنه كما فرج لايوب والثاني
يعلم ان ما اصابه ليس لامر سبق منه ولكن ابتدا محنة من الله امتحنه بها وله ان يمتحن من شا بما شاء من المحن
وقوله واسمعيل وادريس وذا الكفل يشبه ان يكون ذا الكفل اسما من اسمائه وجائز انه سمي ذا الكفل لامر كان
منه ذكر انه كان رجلا صالحا تكفل لنبي بامر قومه فوفى ما تكفل به فسمي لذلك ذا الكفل ثم اختلف فيه قال بعضهم
هو رجل صالح على ما ذكرنا وقال بعضهم كان نبيا لكن لسنا نعلم ذلك سوى انه ذكر من الصابرين سماهم صابرين
على الاطلاق وكذلك سماهم صالحين على الاطلاق وذلك والله اعلم لانهم جمعوا جميع انواع الصبر وجميع انواع
الصلاح صبروا على ما ابتلوا به وامتحنوا وصبروا على جميع ما امروا به من الطاعات والقيام بها والقيام بجميع
الخيرات وكذلك الصلاح سماهم به لما جمعوا جميع انواع الصلاح والله اعلم **وقوله** وادخلناهم في رحمتنا قال
الحسن ادخلناهم في رحمتنا وهي الجنة وجائز ان يكون بجميع ما قالوا من الصبر والصلاح كان ذلك كله برحمة الله
وفضله وهكذا ان من نال شيئا من الخيرات والطاعات فانما ينال ذلك كله برحمته والله اعلم **وقوله** وذا النون قال
بعضهم ذا النون هو اسم من اسمائه سمي به وقال بعضهم سماه ذا النون لكونه في بطن النون وهو الحوت اي صاحب الحوت
النون سمي باسمين مختلفين احدهما اسم موضوع والاخر مشتق من فعله ومما كان به وهو ما يسمى عيسى مرة وسماه
مسيحا اخرى احدهما اسم له موضوع والاخر مشتق من فعله وهو مما كان يمسح به المرضى والموتى فيبرؤون وكذلك
ذا الكفل يخرج على هذين الاسمين احدهما موضوع له والاخر مشتق من فعله على ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** اذ ذهب
مغاضبا اختلف فيه قال بعضهم مغاضبا لربه اي حزينا له لانه كان اراد ان يهلك الله قومه لما ايس من ايمان

وقد كثر عنادهم ومكابرتهم تخرج حزينا لذلك وقال بعضهم مغاضبا للملك وذلك ان قومه قد اسرهم عدوهم قبل
رسالته وقد كان الله اوحى اليهم فقال اذا اسركم عدوكم او اصابتكم مصيبة فادعونى فاذا دعوتمونى استجبت لكم
فلما اسروا نسوا ان يدعوه زمانا حتى اذا ذهبت ايام عقوبتهم ونزلت ايام عافيتهم اوحى الله تعالى الى نبى من انبياء
بنى اسرائيل ان ابعثوا رجلا قويا امينا فانى ملقى فى قلوب الذين اسروا قومهم ان يرسلوهم وفى القصة طول غير
انا نختصر فبعث ملكهم يونس الى اولئك الاسارى ليستنقذهم من ايديهم فخرج واتمر بامره لكنه غضب عليه
لما اشتد عليه فذلك قوله ذهب مغاضبا للملك حيث امره بالخروج الى اولئك الاسرا وقال بعضهم ذهب مغاضبا
لقومه وذلك يخرج على وجوه احدها خرج من عندهم لما ايس من ايمان قومه خرج مكيدة لقومه لان السنة فيهم انه
اذا خرج رسولهم من بين اظهرهم نزل بهم العذاب فخرج من عندهم ليخافوا العذاب فيؤمنوا والثانى خرج اشفاقا
على نفسه لئلا يقتل لان قومه هموا بقتله فخرج لئلا يقتل اشفاقا على نفسه كما خرج رسول الله من بين اظهر
قومه لما هموا بقتله لكن رسول الله خرج باذن ويونس بغير اذن والثالث خرج من عندهم لما اكثروا العناد والمكابرة
وايس من ايمانهم خرج لما ذكرنا بغير اذن من ربه وان كان فى خروجه منفعة له خرج ليفرغ نفسه لعبادته اذ كان
مامورا بالعبادة لربه ودعا قومه الى ذلك فلما ايس من ايمانهم خرج لما ذكرنا بغير اذن ربه وان كان فى خروجه
منفعة له ولقومه فعوتب لذلك والله اعلم وقوله فظن ان لن نقدر عليه قال بعضهم فظن ان لن نقدر عليه اى
لن نضيق عليه الامر ولا نبتليه بالضيق والشدائد لما خرج من عندهم فقال فلان مقدر عليه ومقتر عليه الامر وهو
كقوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق وقوله فقدر عليه رزقه اى ضيق عليه رزقه وقوله فنادى
فى الظلمات قالوا فى ظلمات ثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقال بعضهم التقم الحوت حوت اخر فكان
فى بطن حوت وحوت اخر وظلمة البحر فقال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وحده ونزهه عن جميع
ما قيل فيه ثم اعترف بزلته وذنبه فقال انى كنت من الظالمين فسمع الله تعالى دعاءه وقبل توبته واخبر انه كشف عن
الغم الذى كان له حيث قال فاستجبنا له ونجيناه من الغم واخبر انه كذلك ننجى المؤمنين فيرجى ان من ابتلاه الله
بالبلاء والشدة فدعا بما به يونس ان يفرج الله عنه حيث قال وكذلك ننجى المؤمنين وعلى ذلك روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من دعا بدعوة ذى النون استجيب له ثم قال بعضهم التقمه ذلك من الارض لما بلغ
الى قرار الارض فقال ذلك وقال بعضهم كان رجلا صالحا عابدا وكان عود نفسه ذلك قبل ان يدخل بطن الحوت
فلما دخل فيه فكان يقول فيه على ما كان يقول من قبل وهو كقوله فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الاية
وقال بعضهم هذا انه كان من المسبحين قبل هذا والا للبث فيه الى ما ذكر وقال بعضهم لولا انه قال هذا القول لا اله
الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فيه يكون على هذا التاويل كان من المسبحين اى صار من المسبحين والاول
اشبه ثم اختلف فى قوله ونجيناه من الغم قال بعضهم ذلك الغم هو ما ابتلاه الله فى الضيق فى بطن الحوت والبحر فنجاه
من ذلك الغم ولكن جايز ان يكون نجاه من الغم الذى كان به بسبب خروجه من بين اظهرهم وقول اهل التاويل انه
مكث فى بطن الحوت اربعين يوما او ثلثة ايام ونحو هذا فذلك لا يعلم الا بالوحى فان ثبت الوحى فهو هو والا فليس بنا
الى معرفة ذلك حاجة وقال القتبى وذا النون يعنى ذا الحوت وقال ابو عوسجة انما سمى ذا النون لان الحوت النقمة والنون
الحوت والنينان الجمع وقال القتبى قوله فظن ان لن نقدر عليه اى لن نضيق عليه يقال فلان مقدر عليه ومقتر عليه
وقدر عليه رزقه اى ضيق عليه ومنه قوله ايضا يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق والله اعلم وقوله وزكريا
اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا قوله لا تذرنى فردا فى الظاهر نهى وكذلك قوله ربنا لا تزغ قلوبنا وامثاله يخرج فى
الظاهر مخرج النهى وقوله ربنا اتنا ما وعدتنا على رسلك ونحوه يخرج فى الظاهر مخرج الامر لكن الامر والنهى اذا كان
من العبد للسيد فهو تعوذ ودعاء واذا كان من السيد للعبد فهى امر ونهى ليس بتعوذ ولا دعاء ولكن حقيقة الامر
والنهى وكذلك سؤال الامير لرعيته امر ونهى وسؤال الرعية للامير تضرع وتعوذ ودعاء ثم قوله رب لا تذرنى فردا
يحتمل وجهين احدهما رب لا تذرنى فردا فى الطاعة والعبادة والذكر والتسبيح والتحميد ما دمت حيا ولكن اشرك لى
فى العبادة والذكر من يعيننى على ذلك وهو كقول موسى واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه
فى امرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ويكون قوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب اى هب لى لدنك وليا
يعيننى على عبادتى اياك وذكرى وما انا ما دمت حيا ويرث من ال يعقوب اذا مات او ان يكون قوله رب لا تذرنى فردا
بعد مماتى فى قبرى ولكن هب لى من يذكرنى ويدعو لى بعد وفاتى ويحيى امرى وقوله وانت خير الوارثين اى وانت خير
من يرث العباد على هذا التاويل وعلى التاويل الاول وانت خير من يعين على العبادة والطاعة والله اعلم وقوله
فاستجبنا له اى دعاءه ووهبنا له يحيى قال الحسن انه كان يحيى على ما سماه الله فى الطاعة والعبادة وفى الاخرة يحيى
فى الكرامات والثواب الجزيل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله واصلحنا له زوجه يخرج على وجهين احدهما انه جعلناها

بحيث

بحيث يرغب فيها زوجها ذات هيئة ومنظر لانه ذكر فى القصة انها بلغت فى السن ما انه غير شئ والوقف فى النساء
انهن اذا بلغن المبلغ الذى ذكر انها بلغت زوجة زكريا يكن من القواعد اللاتى لا يرغب فيها احد فاخبر انه اصلحها وصيرها
بحيث يرغب فيها ذات هيئة ومنظر والثانى اصلحنا له زوجه اى ولودا بحيث تلد لانه لما بشر بيحيى قال انى يكون لى غلام
وكانت امرأتى عاقرا والعاقر هى التى لا تلد فيكون قوله واصلحنا له زوجه ولودا بحيث تلد والله اعلم هذان الوجهان
محتملان واما قول من يقول بان فى لسانها بذاء وطول وفى خلقها سوء فذلك لا يحل ان يقال الا بثبت وهو على خلاف
ما ذكرهم ووصفهم حيث قال انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ثم المسارعة فى الخيرات انه كان لا يمنعهم شئ عن الخيرات
وهكذا المؤمن هو يرغب فى الخيرات كلها الا ان يمنعهم شئ من شهوة او سهو وقوله ويدعوننا رغبا ورهبا اى رغبة
رغبا فيما عندنا من جزيل الثواب ورهبا من اليم عقابنا والثانى رغبا فيما عندنا من اللطايف من التوفيق على الخيرات
والعصمة عن المعاصى ورهبا مما عندنا من النقمات والخذلان والزيغ وقوله وكانوا لنا خاشعين قال بعضهم الخشوع
هو الخوف الدائم الملازم للقلب لا يفارقه وقال بعضهم متواضعين ذليلين لامر الله تفسير الخشوع ما ذكر بقوله
ويدعوننا رغبا ورهبا وقوله والتى احصنت فرجها اى عفت فرجها وقوله فنفخنا فيها من روحنا قال اهل التاويل
ان جبريل اتاها فنفخ فى جيبها او فى فرجها وهذا ليس فى الاية فلا يجوز القول الا بثبت ولكن قوله فنفخنا فيها من روحنا
كقوله فى ادم ونفخت فيه من روحى اى انشأت فيه من روحى اذ لم يقل احد فيه بالنفخ اى جبريل نفخ فيه فعلى ذلك
قوله فنفخنا فيها من روحنا اى انشأنا فيها من روحنا والله اعلم وقوله وجعلناها وابنها اية للعالمين ذكر فيها اية
واحدة لانها ولدت بغير زوج وولدهن بلا اب فهو واحد اذا كانت هى ولدته بغير زوج فيكون بغير اب فهو اية
واحدة والاية فيها ما ذكر يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين والاية عيسى تكلم فى المهد
فقال انى عبد الله اتانى الكتاب الاية قال ابو عوسجة احصنت اى عفت ويقال امرأة حصان ونسوة حاصنات وحواصن
قال والحصان ويقال امرأة حصان اى عفيفة ومحصنة اى قد احصنها زوجها ومحصنة اى عفيفة وامرأة حصان و
نسوة حاصنات وحواصن قال والحصان ذكر الخيل وحصن جمع وقوله ان هذه امتكم امة واحدة قال بعضهم ان هذه
ملتكم وشريعتكم ومذاهبكم ملة واحدة وشريعة واحدة يعنى شريعة الاسلام وملة واحدة ليست بمتفرقة وقال
بعضهم ان هذه دينكم دين واحد ليس كدين الامم الخالية اديانا مختلفة او ان يكون الامة ما يؤم اليها ويقصد
لان الامة هى الجماعة وهى المقصودة وجايز ان يكون اخبارا عن هذه الامة انهم على دين واحد وملة واحدة ليسوا
مختلفين فيه ولا متفرقين كسائر الامم الخالية كقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الاية وقوله ولا تتفرقوا
فيه الاية اخبر عنهم انهم غير متفرقين ونهاهم عن ان يتفرقوا كما تفرق الاولون الا ترى انه قال على اثره وتقطعوا امرهم
بينهم هذا يدل على انه اخبار عن اهل الاسلام فى صدر الاسلام انهم على شئ واحد وقال الزجاج ان هذه امتكم امة واحدة
ما لزموا الحق واتبعوه واما اذا تركوا لزومه وتركوا اتباعه فهى ليست بامة واحدة والله اعلم وقوله وانا ربكم فاعبدون
وقال فى اية اخرى وانا ربكم فاتقون ليعلم ان العبادة والتقوى واحد فى الحقيقة لان الاتقاء هو ما يجتنب من
الافعال والعبادة ما يؤتى من الافعال والعبادة فاذا اجتنب ما يجب اجتنابه فقد اتى بما يجب اتيانه واذا اتى بما يجب
اتيانه فقد اجتنب ما يجب اجتنابه وهو كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر لانه بفعله اياها يجتنب عن الفحشاء
والمنكر وجايز ان يكون قوله وانا ربكم فاعبدون اى توحدون على ما قال اهل التاويل لانه انما خاطب به اهل مكة وقوله
وتقطعوا امرهم بينهم اخبر عن الاولين انهم اختلفوا فى دينهم وتفرقوا كل الينا راجعون من تفرق ومن لم يتفرق
كقوله واليه ترجعون واليه المصير وقوله فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اى يشكر سعيه و
يقبل ويجد ولا يكفر كقوله وما تفعلوا من خير فلن يكفروه بالثناء والبناء فلن يكفروه واصل الكفران الستر والشكر
هو الاظهار يخبر عز وجل انه لا يستر ما عملوا من الحسنات والخيرات بل يشكر ويظهر وقوله وانا له كاتبون اى يكتب لهم
تلك الحسنات والخيرات كقوله واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة وقوله وحرم على قرية اهلكناها
وحرام بالالف ايضا ثم قوله وحرم وحرام على قول اهل اللسان واللغة واحد يقوم حرم عليك كذا وحرام
كما يقال حل وحلال واما على قول اهل التاويل فانهم يفرقون بينهما فيقولون حرم حتم وواجب على قرية اهلكناها
انهم لا يرجعون لقولهم حتم وواجب على قرية اهلاكهم بعد ما علم انهم لا يرجعون اى لا يتوبون او ان يكون قوله
وحرم على قرية اراد الله اهلاكها انهم لا يرجعون وظاهر قوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ان
يكون لهم الرجوع لا يقول حرام انهم لا يرجعون الا ترى الى قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وظاهره انهم لا يرجعون
حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب الوعد الحق فعند ذلك يرجعون لقوله فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا
الا ان يكون ذكر هذا انهم لا يرجعون لقول قوم لان قوما يقولون ان الخلق كالنبات ينبت ييبس ثم ينبت فعلى ذلك
الخلق يموتون ثم يعودون ويرجعون وبعض من الروافض يقولون يرجع على وفلان فاخبر انهم لا يرجعون ردا

عليهم وتكذيبا لخبرهم لان القران قد صار حجة عليهم وان انكروه لما عجزوا عن ان ياتوا بمثله والله اعلم بذلك كله
قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج كانه قال والله اعلم اضاف فتح ذلك السد الى انفسهم وهم جماعة والا لسا عرف
لنا بنت فتح السد وجها والله اعلم وقوله وهم من كل حدب قيل الحدب الشيء المشرف قيل الحدب كل ما ارتفع من الارض
وقيل الحدب الاكمة وقيل من كل حدب من كل جهة ومن كل مكان ينسلون قيل يسرعون وقيل يخرجون اخبر انهم من كل حدب
اي من كل ناحية ومن كل جهة يسرعون كانهم لما سد عليهم ذلك السد وحيل بينهم وبين ما يتعيشون ويرتزقون من هذا
العلم تفرقوا في تلك الامكنة لطلب ما يتعيشون به فاذا بلغهم خبر فتح السد اتوا من كل جهة وناحية التي كانوا
متفرقين فيها ينسلون يسرعون لانهم مذ سد عليهم السد في جهد من فتح ذلك السد فلما فتح خرجوا مسرعين وهو
ما ذكر وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وقوله واقترب الوعد الحق قوله اقترب اي وقع ووجب الوعد الحق لانه
قد اخبر من قبل هذا الوقت انه قد اقترب بقوله اقتربت الساعة واقترب للناس حسابهم وهو كقوله ان رحمة الله
قريب من المحسنين ليس على القرب ولكن على الوجوب فعلى ذلك الاول يحتمل ان اخبارا عن الوقوع والوجوب وجائز ان
يكون على القرب ايضا ويكون وجوبها ووقوعها في قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا كقوله انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الاية وكقوله مهطعين الى الداع الاية وقوله
يا ويلنا اي يقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا كانهم تذاكروا فيما بينهم انا كنا في غفلة عن هذا ثم تداركوا
انهم لم يكونوا في غفلة ولكن قالوا انا كنا ظالمين في ذلك ضالين اعترفوا بالظلم والضلال وقوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم يقال انحرف من تكلم عن البشر ونحوه وجعلوا انما تكلم عما سواهم من العالم فاذا كان على هذا
الذي ذكروا فيما ينبغي لا وليك ان يفهموا من قوله وما تعبدون عيسى وعزيرا والملائكة يقولون هؤلاء عبد ودون
الله فهم حصب جهنم على زعمكم الى هذا ذهب اهل التاويل ويقولون ثم نزل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون قالوا استثنى من جملة من عبد دون الله من سبقت له من الحسنى وهو عزير وعيسى وهؤلاء لكن قد ذكرنا
انه لا يجوز ان يفهم عن هذا هؤلاء ولكن الاصنام والاحجار التي عبدوها كقوله وقودها الناس والحجارة التي عبدوها
او ان يكون قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الشيطان الذين امروهم ودعوهم الى عبادة غير الله فيكون
العبادة لمن دون الله للشيطان حقيقة لانه هو الامر لهم بذلك والداعي الى ذلك دون من ذكر والان هؤلاء اعني
عيسى وعزيرا والملائكة لم يامروهم بذلك فيكون على هذا كانه قال انكم والشياطين الذين تعبدون من دون الله حصب
جهنم وهو ما ذكر في اية اخرى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الى قوله فاقبل بعضهم
الى بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين دل هذا ان القرين هو الشيطان كقوله نقيض له شيطانا فهو له
قرين وقوله حصب جهنم بالصاد وقرئ بالطاء حطب جهنم قال ابن عباس الحصب بلسان الزنجية هو الحطب وقال
بعضهم بلسان الحبشة ويقال ايضا بالضاد حضب جهنم قال بعضهم الحصب هو من الرمي يحصب جهنم لهم اي يرمى
بهم والحطب هو معروف والحضب هو التهييج اي يهيج النار عليهم وقال الكسائي حضبت النار اي القيت فيها
الحطب وعن عائشة حضب جهنم بالضاد وقوله انتم لها واردون اي داخلون فيها وقوله لو كان هؤلاء الهة
ما وردوها اي لو كان الذين عبدوا دون الله الهة على ما زعموا ما وردوا النار فان قيل انهم لم يقروا انها ترد النار
بل انكروا ذلك فكيف احتج عليهم بهذا لو كان هؤلاء الهة ما وردوها قيل انهم وان لم يقروا بذلك فقد الزمهم عز وجل
الحجة من جهة الكتاب انها ترد النار لما عجزوا عن اتيان مثله فقد لزمتهم الحجة فكانهم اقروا انهم ما وردوها وهو كقوله
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية هم لم يقروا انهم يحيون بعدما ماتوا ولكن لما عرفوا
انهم كانوا امواتا فاحياكم فقد لزمهم الاقرار والحجة بالاحياء بعد الموت فعلى ذلك الاول كانهم اقروا بانها واردة
بما لزمتهم الحجة وقوله وكل فيها خالدون ظاهر وقوله لهم فيها زفير قيل الزفير هو الصوت الخفيض الذي فيه انين
والشهيق هو الصوت الرفيع الذي فيه انين وقيل الشهيق اول نهيق الحمار والزفير هو اخر نهيقه وقوله وهم
فيها لا يسمعون قيل لا يسمعون الخير ويسمعون غيره وقال بعضهم لا يسمعون لانهم يكونون صما بكما عميا في
النار كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وقال القتبي وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
اي حرام عليهم ان يرجعوا ويقال وجب وقال هو حرم وحرام واحد كما قال حل وحلال وقال وهم من كل حدب ينسلون
اي من كل نشز من الارض واكمة ينسلون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشي الذيب اذا بادر و
وقال ابو عوسجة الحدب ما ارتفع من الارض الواحد حدبة ينسلون اي يجيئون وقوله ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى وقال اهل التاويل انه لما نزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قالت الكفرة ان عيسى وعزيرا
والملائكة قد عبدوا من دون الله فهو حصب جهنم فنزل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى استثنى من سبق له
الحسنى منه وهو عيسى وهؤلاء وكذلك في حرف ابن مسعود الا الذين سبقت لهم منا الحسنى على الاستثناء وفي

عن علي رضي الله عنه قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية ذلك عثمان وطلحة والزبير وانا من شيعة عثمان وطلحة
والزبير ثم قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الاية ولكن قد ذكرنا الوجه فيه فان ثبت له نزل بشان هؤلاء والا فهو
لكل من سبق له من الله الحسنى يحتمل الجنة كقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى اي بالجنة فعلى ذلك قوله سبقت
لهم منا الحسنى ويحتمل الحسنى السعادة والبشارة بالجنة وثوابها وقوله اولئك عنها مبعدون اي لا يعودون اليها ابدا
ليس على بعد المكان كقوله اولئك في ضلال بعيد اي لا يعودون الى الهدى ابدا او ان يكون قوله مبعدون عنها مكانا
لكن قد ذكر في اية فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وقال في اية فاطلع فراه في سواء الجحيم
ولا نعلم هذا انه يجعل في قوى اهل الجنة انهم متى ما ارادوا ان ينظروا الى اولئك ويروهم يقدرون على ذلك او
تقرب النار اليهم فينظرون اليهم والله اعلم والاول اشبه انهم لا يعودون اليها ابدا وقوله لا يسمعون حسيسها
اي صوتها وهو ما ذكر من الابعاد اذا بعدوا منها لم يسمعوا حسيسها وقوله وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وهو ما
قال في اية اخرى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر اي لا يحزنهم
اهوال يوم القيمة وافزاعها وتتلقيهم الملائكة اي تتلقاهم الملائكة بالبشارة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
الاية او لا يحزنهم الفزع الاكبر اي لا يحزنهم ما يحل بالكفرة من الفزع والعذاب ليس كمن راى في الدنيا انسانا في بلاء
وشدة او يعذب عذابا فانه يحزن ويهتم بما حل فاخبر انهم لا يحزنون بما حل بالكفرة من العذاب والشدائد قال ابو عوسجة
حصب جهنم قال الحصب والحطب واحد قال ما اكثر من العرب من يتكلم بهذه اللغة قال ولا اعرف حضب جهنم بالضاد و
غيره ما ذكرنا من القاء الحطب والتهييج وقوله انتم لها واردون اي داخلون وقوله لهم فيها زفير الزفير هو شدة النفس
في الصدر يقال زفر يزفر زفيرا وزفرا وقال بعضهم الزفير هو انين كل محزون ومكروب وهو قريب مما ذكرنا وقوله لا يسمعون
حسيسها اي صوتها وهو من الحس وهو الصوت وقال القتبي حصب جهنم ما القي فيها واصله من الحصباء وهي الحصى
ويقال حصبت فلانا اي رميته حصبا بتسكين الصاد وما رميت به حصب بفتح الصاد كما تقول نفضت الشجرة نفضا
وما وقع نفض واسم حصى الجمار حصب وقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كان هذا خرج على اثر سؤال سائل
على غير ابتداء لان الابتداء بمثله على غير تقدم امر لا يحتمل فكانه والله اعلم فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الى قوله
انتم لها واردون وذكر اهل الجنة ووصفهم بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى اخر ما ذكر من قوله هذا
يومكم الذي كنتم توعدون فكانهم قالوا متى يكون ذلك فقال عند ذلك يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب اخبر
ان السماء تطوى كما يطوى السجل للكتاب ثم ذكر في السماء الطي مرة والتبديل في اية بقوله يوم تبدل الارض غير
الارض الاية وذكر الانشقاق في اية كقوله اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت ونحوه كما ذكر في الجبال احوالا
مرة قال وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال في اية ينسفها ربي نسفا وقال في اية لحري هباء منثورا وقال في اية اخرى
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ونحوه فجائز ان يكون كذلك على اختلاف الاحوال على ما ذكرنا فيما تقدم ثم
تتلاشى وتفنى حتى لا يبقى منها شيء كما ذكر هباء منثورا فعلى ذلك السموات والارضون تختلف عليها الاحوال على
ما ذكر ثم يكون اخرها التبديل كما ذكر يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وفيما ذكر في هؤلاء الايات من تغيير
الجبال والسموات والارضين دليل فناء هذا العالم بجملته واسره لان فناء السموات والجبال والارض يبعد عن اوهام
الخلق واما غيرها من الخلائق فانهم يشاهدون فناءه فذكر فناء ما يبعد في اوهامهم ليعلموا ان هذا العالم
يفنى باسره ويستبدل عالما اخر يحتمل البقاء للجزاء والله اعلم وقوله كما بدانا اول خلق نعيده هذا ايضا لا يحتمل الا
على تقدم ذكر فهو يحتمل ما ذكرنا لما سبق من ذكر اهل الجنة واهل النار فقالوا كيف يحيون فقال عند ذلك كما بدانا
اول خلق نعيده ثم اختلف فيه فقال بعضهم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم لحما ثم ينفخ فيهم الروح وقال
بعضهم كما بدانا اول خلق نعيده حفاة عراة على ما خلقوا في الابتداء وقال بعضهم كما بدانا اول خلق نعيده يعني
السموات السبع يطويها الله فيجعلها سماء واحدة كما كانت اولا قبل ان يخلق منها سبع سموات والارضين كذلك
وجائز ان يكون ذكر هذا اخبارا انه قادر على ان يعيدهم كما قدر على ابتداء خلقهم وقوله وعدا علينا انا كنا فاعلين
اي نبعثهم وعدا علينا لا نخلف ذلك على ما قال انه لا يخلف الميعاد ثم اختلف في السجل وفي قراءته قال بعضهم
السجل اسم رجل وهو كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم هو اسم الملك الذي يكتب وقال بعضهم
السجل الصحيفة ثم قال بعضهم من قرا السجل بالتشديد فهو الصحيفة ومن قرا السجل بالتخفيف هو ملك موكل
بالصحف اسمه السجل ويقرا الكتاب وللكتب قال ابو عوسجة كطي السجل للكتب قال يقال اسجل وسجلت اي كتبت
اسجالا وتسجيلا وسجلت ايضا عملت وسجل خلق يقال منه سجل يسجل سجالا والمساجلة المفاخرة ويقال
ساجلته فاخرته ويقال اسجلت الكلام فهو مسجل اي اطلقته وارسلته والله اعلم وقوله ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال بعضهم الزبور كل كتب الله التي انزلها وهي زبور من بعد الذكر اي

اي الكتاب الذي عند الله وهو اللوح المحفوظ معناه والله اعلم على هذا التاويل اي كتبنا في الكتب التي انزلناها بعد
مكان مكتوبا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها كذا وقال بعضهم كتب الله في الزبور المعروف وهو زبور داود بعد
كتب من بعد الذكر اي التوراة ان الارض يرثها يعني الجنة يرثها عبادي الصالحون وكتب ذلك في هذا القران فقال
ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وقال بعضهم ولقد كتبنا في الزبور اي زبور داود بعد ما كتب في الذكر الذي عند
وجايز ان يكون قوله كتبنا في الزبور في بعض كتاب اي في بعض السور من بعد الذكر اي من بعد السورة ان الارض
يرثها كذا وجايز ايضا كتبنا في كتاب من بعد الذكر اي من بعد ما ذكرهم ووعظهم ان الارض يرثها كذا ثم اختلفوا
في قوله ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال عامة اهل التاويل هي الجنة اخبر ان الجنة انما يرثها عبادي الصالحون
وهو ما ذكر في اية اخرى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فيكون هذا تفسير الذلك
وقال بعضهم ان الارض يعني ارض بيت المقدس يرثها عبادي الصالحون وهو كذلك كان لم يزل يرثها عبادي
الله الصالحون الى يوم القيمة وجايز ان يكون قوله ان الارض يرثها امة محمد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فذلك وراثتها وهم عباده الصالحون
كقوله كنتم خير امة الاية انها خير الامم والله اعلم **وقوله** ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين يحتمل قوله في هذا اي
فيما ذكر من قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم
عابدين اي لقوم همهم العبادة او لقوم مطيعين موحدين وجايز ان يكون قوله ان في هذا فيما تقدم من الايات
وهو قوله واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الى قوله انتم لها واردون وما ذكر من قوله
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى اخر ما ذكر ان فيما ذكر كله لبلاغا لقوم عابدين وجايز ان يكون بلاغا للناس
جميعا كقوله هذا بلاغ للناس فيكون قوله لقوم عابدين اي لقوم يلزمهم العبادة وقال بعضهم اي في هذا اي
في هذا القران لبلاغا ابلغهم عن الله لقوم عابدين وفي حرف ابن مسعود ان في هذا الذكر لقوم عابدين
وقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين جايز ان يكون كل رسل الله رحمة من الله للعالمين وكذلك كل كتب الله
رحمة للعالمين على ما ذكر في عيسى ورحمة منا وكان امرا مقضيا وجايز ان يكون ذلك لرسول الله صلوات الله
عليه خاصة فيكون على وجهين احدهما وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وما ارسلناك الا جعلناك رحمة للعالمين
او ان يقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والعالمين هم الجن والانس لانه بعث اليهم ثم الرحمة فيه يحتمل و
وجوها احدها تاخر العذاب عنهم والثاني انه رحمة حتى اذا اتبعوه يكون به نجاتهم وبه عزهم في الدنيا والاخرة
والثالث شفاعته لاهل الكباير في الاخرة ونحو ذلك **وقوله** قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد كانه على الدعا
خرج الامر كانه قال امر في ذني ان اخبركم ان الهكم الله واحد فاصرفوا العبادة اليه ولا تشركوا فيها غيره او ان
يقول اوحي الي ان ادعوكم الى الهكم هو اله واحد والا كان رسول الله يعلم انه اله واحد لكنه خرج على الدعا
والاخبار انه اله واحد وان يخبرهم اني الى ما ادعوكم اليه وامركم به انما ادعوكم وامركم بالوحي بما اوحي الي لا من
تلقاء نفسي قل انما انذركم بالوحي والله اعلم **وقوله** فهل انتم مسلمون ظاهره وان كان استفهاما فهو على الامر والايجاب
كانه قال قد اوحي الي انما الهكم اله واحد فاسلموا له واخلصوا العبادة له لا تشركوا فيها غيره والاسلام هو ان
يجعل كلية الاشياء والاعمال كلها لله عز وجل ثم هو يكون على وجهين احدهما على الاعتقاد ان يعتقد كلية
الاشياء لله لا على تحقيق ذلك بالفعل والثاني على تحقيق جعل الاشياء كلها لله اعتقادا وفعلا وقولا منه تحيا
ومنه يرجو الانجاف غيره ولا يرجو من دونه فهو حقيقة الاسلام **وقوله** فان تولوا هذا يدل ان الاول خرج
على الامر والدعا حيث قال فان تولوا عن الاجابة الى ما دعوتكم اليه فقل اذنتكم على سواء اي اعلمتكم على عدل
وحق كقوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم اي عدل بيننا وبينكم فعلى ذلك هذا يحتمل ان يكون قوله
على سواء اي على عدل وحق ويحتمل ايضا اذنتكم على سواء اي علمتكم حتى صرت انا وانتم في العلم على سواء اي على الاستواء في
العداوة والمخالفة وفي كل امر على الاستواء وهو كقوله فانبذ اليهم على سواء اي على الاستواء في العداوة اي انبذ
اليهم حتى تكونا انت وهم على الاستواء في العلم بالمنابذة والله اعلم **وقوله** وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
اي ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ثم يحتمل قوله ما توعدون الساعة والقيمة التي كانوا توعدون بها وهم كانوا
يستعجلون بها كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فيقول ما ادري اقريب ما توعدون ام بعيد ويحتمل قوله
ما توعدون من العذاب الذي كان يعد لهم انه نازل بهم في الدنيا وهم كانوا يستعجلون به كقوله ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين فيقول ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من العذاب والله اعلم **وقوله** انه يعلم الجهر
من القول ويعلم ما تكتمون يخرج ذلك على الوعيد والتنبيه والزجر عن المكر برسول الله والقول فيه بما لا يليق
يخبر انه ما تظهرون من القول وما تكتمون اي ما تسرون من المكر به وفيه دلالة اثبات رسالة محمد حيث اخبرهم

عما اسروا فيما بينهم من المكر به **وقوله** وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ذكر انه ما ادري لعله فتنة لهم لكن
بعض اهل التاويل قال ما ادري ما قلت لكم من العذاب والساعة ان يؤخر عنكم لمدتكم والمتاع لكم الى حين فيصير
ما قرب لكم من العذاب والساعة فتنة لكم فيقولون لو كان ما خوفنا به محمد حقا لكان نزل بعد فيصير قولي ذلك
فتنة لكم هذا محتمل ويحتمل وجها اخر وهو لما قال وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه كان نخوفهم نزول
العذاب بهم ولكن لم يبين لهم الوقت انه متى ينزل بهم فيقول ما ادري لعل تخويفي اياكم العذاب على بيان
وقته فتنة لكم لانه اذا تاخر عنهم العذاب يامنون عنه فيحملهم ذلك على تكذيبه فيما خوفهم من العذاب ويكون
ما يامنون من العذاب ماعا لهم لانه لو كان وقت نزول العذاب مبينا لكانوا ابدا على خوف فينغص ذلك الخوف
يمنعهم عن المتاع وان لم يبين لهم الوقت فاذا تاخر عنهم يامنون يتمتعون فيقول ما ادري لعل تخويفي اياكم لكم
فتنة ولا يجب ان يفسر قوله لعله فتنة لكم انه اي شي اراد وانهم قد عرفوا انه ما اراد به وليس لنا ان نفسر ذلك
انه اراد كذا الا ببيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** قال رب احكم بالحق تعلق اكثر المعتزلة بظاهر هذه
الاية في مسايل لهم يقولون يجوز ان يدعى بدعوات يعلم الداعي انه قد اعطي ذلك له من نحو سوال المغفرة رب
اغفر لي وهو مغفور ورب اعطني كذا وهو معطى له ذلك ويقول رب اغفر لي وهو يعلم انه لا يغفر له ونحو هذا من المسايل
لهم فيحتجون بظاهر قوله قال رب احكم بالحق امر رسوله ان يدعو به على علم منه انه لا يحكم الا بالحق ونحن نقول
انه لا يجوز ان يدعى بمثل هذا الدعا على الاطلاق الا على اعتقاد معنى اخر في ذلك كان لله فعل ملك فيكون ذلك منه
عدلا وحقا ونحو ان يكون قوله قل رب احكم بالحق اي بالنصر له والظفر على اعدايه وله ان لا ينصره ويكون ذلك عدلا
منه وحقا او ان يكون المراد به احكم بالحق اي بالعذاب الذي هو حكمك على مكذبي الرسل فاما ان يعتقد من قوله
رب احكم بالحق ما اعتقد المعتزلة فيحصل الدعا به اللهم لا تجور ورب اعدل ومن عرف ربه هكذا فهو ليس يعرفه
حقيقة وقال ابو عبيد في قوله رب احكم بالحق اي رب احكم بحكمك وهو الحق وهو محتمل مستقيم وقد ذكرنا هذه
المسالة امثالها فيما تقدم **وقوله** وربنا المستعان على ما تصفون امر رسوله ان يستعين بالله على ما يقولون
من تكذيبهم اياه فيما يدعوا وبعد قال القتبي اذنتكم على سواء اي اعلمتكم فصرت انا وانتم على سواء وانما يريد باذنتكم
واخبرتكم واعلمتكم ذلك فاستوينا في العلم وهو ما ذكرنا وقال ابو عوسجة قوله اذنتكم على سواء اي بلغتكم

والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم **وقوله** يا ايها الناس اتقوا ربكم قد ذكرنا
تاويله في غير موضع **وقوله** ان زلزلة الساعة شي عظيم قال الحسن ان بين يدي الساعة ايات تحجبن التوبة و
قبول الايمان منها الزلزلة التي ذكر ومنها طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال والدابة وخروج ياجوج وماجوج
وامثاله وهو كقوله او ياتي بعض ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
او كسبت في ايمانها خيرا وجايز عندنا ان تكون هذه الايات غاية لقبول التوبة والايمان يقبل الى ذلك الوقت
ولا يقبل بعد ذلك وان تابوا وامنوا او ان يكون قوله لا ينفع نفسا ايمانها لانهم لا يؤمنون لما يشغلهم تلك
الايات عن ذلك ولا يؤمنون لان تلك الايات تعم الخلايق كلهم المؤمن والكافر جميعا فلا يعرف المبطل والضال
انه على الضلال والباطل فيرجع الى الهدى والحق ليس كعذاب ينزل على قوم خاص لان ذلك يعرف اولئك انه انما ينزل
بهم خاصة لما انهم من التكذيب والعناد واذا كانت الايات عامة لم يعرف اهل الضلال انهم على باطل وانه انما ينزل بسببهم
لما يرونه انه قد عم الخلايق كلها فقوله لا ينفع انهم لا يؤمنون كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لا يكون لهم من
يشفع ليس ان يكون لهم شفعاء فيشفعون فلا تقبل شفاعتهم فعلى ذلك جايز ان يكون قوله لا ينفع لانهم يشغلون
عن الايمان فلا يؤمنون فلا تنفع لهم على ما ذكرنا ثم اختلف فيه قال بعضهم زلزلة الساعة قبل القيامة وقال
بعضهم ان زلزلة الساعة هي الساعة وصفها بالشدة والفزع فقال يوم ترونها تذهل اي تشغل كل مرضعة
لشدة احوالها وافزاعها وتضع كل ذات حمل حملها هذا على قول من يقول ان زلزلة الساعة قبل الساعة يكون على
التحقيق اي تذهل عما ارضعت وتضع حملها لانها تكون في ذلك الوقت مرضعات وحاملات فتذهل الاهوال ذلك وانزعهم
عن ولدها وتضع ما في بطنها كقوله يوم يفر المرء من اخيه الاية فذكر هولاء لان من اصاب شيئا من البلاء في هذه
الدنيا يفزع الى هولاء فيخبر ان في ذلك اليوم يفر بعض من بعض لشدة ذلك اليوم وهوله لشغله بنفسه وعلى
قول من يقول ان زلزلة الساعة هي الساعة يخرج قوله تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية على التمثيل اي تذهل عما
ارضعت ان لو كان مرضعة وتضع حملها ان لو كانت حاملا لشدته وهوله والله اعلم **وقوله** وترى الناس
سكارى اي من مكن له وقوى يرى الناس كانهم سكارى وما هم بسكارى والا لم يجز ان تريهم سكارى و
ليسوا هم بسكارى في الحقيقة وانما قلنا انه يرى من مكن له وقوي والا لو كانوا كلهم سكارى لكان لا يريهم

سكارى لان السكارى لا يرى من كان فى مثل حاله سكران او ان يكون خاطب به رسوله ولا يكون فيه ذلك
الهول الذى يكون فى غيره او ان يكون ذلك على التمثيل ليس على التحقيق وقول اهل التاويل يقول لادم فى
ذلك قم فابعث بعثا النار فيقول يا رب كم فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فى النار وواحد
فى الجنة ويروون الاخبار فى ذلك عن رسول الله فان ثبت ما روى عنه فى ذلك والا الكف عن مثله اولى
لانه يجزن حيث يؤمران يتولى بعث ولده الى النار من غيران كان ما يستوجب هذه العقوبة قال القتبى يذهل
اى تسلو عن ولدها وتتركه وقال ابو عوسجة تذهل اى تنسى يقال ذهل يذهل ذهولا واذهلته اى
انسيته وقال غيره اى تشتغل والحمل بالنصب ما فى البطن والحمل بالخفض ما على الظهر والزلزلة الرجفة
يقال زلزلت اى حركت وتزلزلت اى تحركت **وقوله** ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ذكر المجادلة
فى الله ولم يبين فيم جادلوا وقد كانت مجادلتهم من وجوه منهم من جادل فى مشية الله تبارك وتعالى ومنهم من جادل
ان هذا العالم منشا ام لا ومنهم لمن جادل فى وحدانية الله تعالى انه واحد او عدد ومنهم من جادل فى بعث الانبيا و
ارسال الرسل ومنهم من جادل فى انزال الكتب ومنهم من جادل فى دين الله تعالى المدعو اليه ويحتمل هذا قد كرت
مجادلاتهم فيما ذكرنا وكل ذلك كانت مجادلة بغير علم لانهم لانهم لو تفكروا فى هذا العالم ونظروا فيه حق النظر
لعرفوا ان لهذا العالم منشا وانه واحد لا عدد وانه عالم قادر بذاته وانه بعث الرسل والكتب وعرفوا ايضا انه
بعث الرسل لعالم ويجيبهم وانه قادر على ذلك لكنهم لم يتفكروا فيه ولم ينظروا حق النظر فجادلوا فيه بغير علم
وقوله ويتبع كل شيطان مريد يحتمل ان يكون قوله ويتبع كل شيطان مريد الشيطان المعروف نفسه يتابعه فى كل ما
يدعوه وجائزان يكون اراد انه يتبع كل من يعمل عمل الشيطان وهم القادة الذين كانوا يدعون الى اتباع ما يدعو
الشيطان ويوحى اليهم كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم اخبران الشياطين يوحون الى
اوليائهم من الانس ليجادلوكم فذلك معنى قوله ويتبع كل شيطان مريد فعيل بمعنى فاعل على ما ذكر فى اية
اخرى من كل شيطان مارد قال بعضهم كل متمرد فى العناد والمكابرة فهو مارد وقال بعضهم المارد هو المجاوز عن
جنسه فى عتوه وتمرده وذلك سمى الذى لا لحية له امرد لخروجه ومجاوزته اجناسه ورجاله والمارد بالفارسية
ستنبه **وقوله** كتب انه من تولاه فانه يضله قال بعضهم كتب على الشياطين ان من تولاه واتبعه ان يضله و
يهديه ان يدعوه الى عذاب السعير وهو ما قال فى اية اخرى ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وقال بعضهم
كتب على من تولى الشيطان واتبعه انه يضله اى يدعوه الى ما به ضلاله وهلاكه **وقوله** كتب قيل حكم وقيل قضى
وكتب يحتمل الاثبات اى اثبت فى ام الكتاب ان من تولى الشيطان واتبعه انه يضله وقد ذكر اضلال الشيطان فى
غير موضع **وقوله** يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة اى خلقنا اصلكم
من تراب وخلقنا اولاده من نطفة ثم من علقة الاية تاويله والله اعلم ان كيف تشكون فى البعث وتنكرونه
وليس سبب انكاركم البعث الا ان تصيروا ترابا او ماء فى العاقبة وقد كنتم فى مبادى احوالكم ترابا وماء فكيف
انكرتم بعثكم اذا صرتم ترابا او ان يكون معناه ان كيف انكرتم البعث وقد رايتم انه يقلبكم من حال النطفة
الى حال العلقة ومن العلقة الى المضغة ولا يقلب من حال الى حال بلا عاقبة تقصد فلو لم يكن بعث كما
تزعمون لكان خلقكم وتقليبكم من حال الى حال عبثا الى ما اخبران خلق الخلق لا للرجوع اليه عبث لقوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلق الخلق لا للرجوع اليه عبثا فعلى ذلك الاول او ان يكون
تاويله والله اعلم فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الى اخر الاية ولو اجتمع حكماء البشر وعلماؤهم ليعرفوا السبب
الذى خلق البشر من ذلك التراب او من نطفة ما قدروا عليه وما وجدوا للبشرية فيه اثرا ولا معنى البشرية فيه
فمن قدر على ابتداء انشاء هذا العالم من التراب ومن النطفة من غير سبب يوجد فيه ولا اثر لقادر على اعادتهم و
اعادة الشئ فى عقولهم اهون وايسر من الابتداء فمن قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر **وقوله** مخلقة وغير
مخلقة قال بعضهم مخلقة اى مخلوقة خلقا وغير مخلقة اى غير مخلوقة خلقا نطفة على حالها وقال بعضهم مخلقة
اى تامة وغير مخلقة اى غير تامة خلقا خلقها وهو الاشبه لان التشديد انما يذكر لتكثير الفعل والتخفيف لتقليله
لكانه قال مخلقة اى قد اتم خلقها من الجوارح والاعضاء وغير مخلقة اى غير تامة خلقا بل ناقصه **وقوله** لنبين لكم و
نقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى كان قوله ونقر فى الارحام ما نشاء موصولا بقوله ثم من نطفة ثم من علقة ثم
مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم نقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى من ستة اشهر الى سنتين او ما شاء الله ثم
نخرجكم من الارحام بعد الاقرار فيها اطفالا قال بعضهم ثم نخرج كل واحد منكم طفلا وقال بعضهم اسم الطفل
يجمع ويفرد ثم لتبلغوا اشدكم قال بعضهم الاشد وهو ثلاث وثلاثون سنة وقال بعضهم هو من ثمانى عشرة سنة
الى ثلاثين سنة واصل الاشد هو من اشتداد كل شئ وتقوى كل شئ عنده من الجوارح والاعضاء وكل ما ركب فيه

من العقل وغيره ثم عند ذلك يبين لهم ويكون قوله لنبين لكم هذا كله اذا بلغوا المبلغ الذى يرون تقلبه اياهم
من حال الى حال على ما ذكر ثم يحتمل قوله لنبين لكم وجوها احدها يبين قدرته وسلطانه ان من قدر على تحويلهم من حال
التراب الى حال الانسانية والبشرية ومن حال النطفة الى حال العلقة ثم الى اخر ما ذكر قدر على البعث والاحياء بعد
ما صاروا ترابا ويبين علمه فى الظلمات الثلاث الذى كان الولد فيها ان كيف قلبه من حال الى حال فى تلك الظلمات
ليعلموا انه لا يخفى عليه شئ او يبين حكمته وتدبيره فى خلق الانسان من التراب ومن النطفة ما لو اجتمع جميع الحكماء من
البشر والعلماء ليعرفوا المعنى الذى به خلق الانسان منه وصار به بشرا ما قدروا عليه ولا عرفوا السبب الذى به صار
كذلك ليعلموا انه حكيم بذاته وعالم قادر بذاته لا يتعلم عنه ولا باقدار غيره فمن كان هذا سبيله لا يعجزه شئ ولا يخفى
الاشياء من الاشياء ولا من الاشياء على ما شاء وكيف شاء **وقوله** ومنكم من يتوفى اى قبل ان يبلغ اشده دليله
قوله ومنكم من يتوفى من قبل اى من قبل ان يبلغ ذلك المبلغ وهو الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى وقت
يستقذر منه ويستخبث ليس كالصغير والطفل مما يؤمل منه فى العاقبة المنافع والزيادات وهذا لا يرجى منه
ولا يؤمل منه العاقبة بل كلما امر عليه وقت كان اضعف فى عقله ونفسه ولا كذلك الصغير وهو ما قال خلقكم
من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة وقال القتبى ارذل العمر اى الخرق والهرم
وقوله لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى لكيلا يعلم من بعد ما كان يعلمه شيئا ثم ذكر قدرته وسلطانه فقال وترى الارض
هامدة قال بعضهم ميتة وقيل خاشعة وقيل يابسة وقيل بالية **وقوله** فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت قال الزجاج
وربت من الزيادة والنماء وكذلك قال ابو عوسجة يقال ربا يربو اى زاد وهو من الربوا وربات من الارتفاع وربا يربو
ربوة كقوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ثم اضاف الاهتزاز والزيادة الى الارض وهى لا تهتز ولا تربو
انما يربو ويهتز ما يخرج منها من النبات لكن اضاف ذلك اليها لما انها كان اهتزاز ذلك النبات وبها كان النماء فاضاف
اليها او ان كان من الارتفاع والربو فهى ترتفع وتنتفخ وتهتز بالمطر **وقوله** وانبتت من كل زوج بهيج قيل البهيج
الحسن يخبر فى هذا كله قدرته وسلطانه ان من قدر على احياء الارض بعد ما كانت يابسة ميتة لقادر على احياء الموتى
بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا **وقوله** من كل زوج بهيج اى من كل جنس حسن بهيج به اى يسر وهو فعيل بمعنى فاعل
يقال امرأة ذات خلق باهج وقال ابو عوسجة الهامد البالى يقال همد الثوب اذا بلى والهامد ايضا الخامد خمد
النار خمودا وقال بعضهم قوله وربت اى اضعفت النبات **وقوله** ذلك بان الله هو الحق اى ذلك الذى
تقدم ذكره من الساعة وزلزلتها واهوالها وما ذكر من خلق الانسان وتقليبه من حال الى حال وما ذكر من
البعث والاحياء واحياء الارض بعد ما كانت هامدة هو الحق ذلك بان امره هو الحق اى كائن لا محالة الا ترى
انه قال وانه يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور هذا
كله يدل ان قوله ذلك بان الله هو الحق فى تحقيق البعث والاحياء بعد الموت وانه لا يعجزه شئ وانه قادر
عالم وقال بعضهم ذلك يقول هذا الذى فعل وظهر من صنعه يدل على ان الله هو الحق وغيره من الالهة التى
يعبدونها باطل وانه يحيى الموتى فى الاخرة لا الالهة يعبدونها وانه على كل شئ قدير على ما يشاء وهو ما اخبرنا وقال
الحسن الحق هو اسم من اسماء الله تعالى سمى به لانه يحكم بالحق **وقوله** ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم يحتمل قوله
بغير علم حسى ولا هدى اى ولا بيان دليل من جهة العقل ولا كتاب منير اى ولا وحى بين ما يجادل فيه ويخاصم
ويحتمل ان يكون قوله بغير علم اى بغير اذعان من عنده العلم ولا هدى ولا استسلام لمن عنده الدليل ولا
خضوع لمن عنده كتاب منير **وقوله** ثانى عطفه قال بعضهم لاوى عنقه الى معصية الله وقال بعضهم ناظر فى عطفه
اى فى جانبه ومثل هذا لكن حقيقته يخرج على وجهين احدهما على التمثيل والكناية عن اعراضه عن دين الله الحق
والصدود عنه كقوله انقلب على وجهه وقوله انقلبتم على اعقابكم ونحوه كله على التمثيل والكناية عن الاعراض
عن الحق والصدود عنه لا على حقيقة الانقلاب على الاعقاب فعلى ذلك جائز قوله ثانى عطفه يخرج على التمثيل و
الكناية عن الاعراض عن الحق وجائز ان يكون على حقيقة عطف العنق والميل عنهم تكبرا وتجبرا سنة عليهم ثم بين انه
لم يفعل ذلك فقال ليضل عن سبيل الله اى ليضل الناس عن سبيل الله ثم اخبر ما له فى الدنيا بصنيعه فقال له فى
الدنيا خزى وقال بعضهم خزى هو العذاب الذى يفضحه واصل الخزى الهوان والذل وهم لما اعرضوا عن عبادة الله
ودينه تولوا بعبادة الاصنام واتباع الشيطان فذلك الخزى لهم فى الدنيا ثم اخبر ما له فى الاخرة من الجزاء فقال
ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق وعامة اهل التاويل يصرفون الاية الى واحد منهم وهو النضر بن الحارث ويقولون
فى الدنيا خزى لانه اسر يوم بدر فضرب عنقه وقتل صبرا فذلك الخزى له والحسن يقول هذا الخزى لجميع الكفرة
لانه لم يزل هذا صنيعهم منذ كانوا فلهم الخزى فى الدنيا الخسف والحصب على ما كان فى الامم الخالية **وقوله**
ذلك بما قدمت يداك ليس على تحقيق تقديم الايدى ولكن على التمثيل لما بالايدى تقدم فذكر اليد لذلك

عاما من انقلاب الاعقاب وقوله وان الله ليس بظلام للعبيد لانه لا ياخذ احدا بغير ذنب عنه وقوله ومن الناس
من يعبد الله على حرف اختلف في قوله على حرف قال بعضهم يعبد والله على حرف اي على شك يمتحن ربه على انه ان اعطاه
طمعه واملـه في هذه الدنيا حقق له الالوهية والعبادة وان لم يجد طمعه واملـه لا يحقق له ذلك ويقول ليس
هو باله اذ لو كان الها لاعطاه ما يطلب منه على هذا الشك يعبد بالامتحان وقال بعضهم على حرف اي على شرط اي
يعبده على شرط الاعطاء يقول ان اعطاني املي عبدته وان لم يعطني ذلك لم اعبده يكون عبادته على هذا الشرط و
قال بعضهم يعبد الله على حرف اي على حال واحدة وعلى جهة واحدة ليس يعبده على حالين كالمؤمن يعبده في حالين
جميعا حالة الظاهر والباطن وحالة الضرا والسرا وحالة السعة والشدة على ما تعبده الله كقوله وبلوناهم
بالحسنات والسيئات ونحوه عبده المؤمن على الحالين جميعا على ما تعبده الله والمنافق انما يعبده على حالة السعة
والخصب لانه ليس يعرف ربه حق المعرفة فانما يعبده للسعة والرخا واما المؤمن فاذا عرف ربه عبده في الاحوال كلها
لما عرف نفسه عبدا لسيده ولم ير للعبد سعة ترك العبادة لمولاه في كل حال ورأى للمعبود حق استعباده و
استخدامه في كل حال في حال الضيق وحال السعة او ان يكون راى بما يصيبه من الشدايد والبلايا بتقصير كان
منه وتفريط وعبده في الاحوال كلها او لما راى وعرف نعمة ربه عليه كثيرة وراى شكر تلك النعم عليه لازما
فعبده في الاحوال كلها شكرا لتلك النعم واما اولئك لم يروا لله على انفسهم نعما فانما عبدوه على الجهة التي ذكرنا كانوا
فرقا من الكفرة من يعبد الله في حال الشدة والضيق ولا يعبده في حال السعة والرخا كقوله واذا مسكم الضر في
البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ونحوه ومنهم من كان يعبده في حال السعة
والرخا وهو ما ذكرنا من امر المنافق واما المؤمن فهو يعبده في الاحوال كلها لما ان ذاك معبود حقيقة على ما ذكرنا
وقوله وان اصابته فتنة قد ذكرنا ان الفتنة هي المحنة التي فيها بلاء وشدة وقوله انقلب على وجهه وقال بعضهم
هو على التمثيل على ما ذكرنا في قوله نكص على عقبيه وقوله انقلبتم على اعقابكم وقال بعضهم على تحقيق انقلاب وجهه
لانه كان عبادته ظاهرة لم يكن يعبده في الباطن في حال السعة فلما اصابته الشدة ترك عبادته ظاهرة على ما
كان باطنه فهو انقلاب وجهه والله اعلم وقوله خسر الدنيا والاخرة اما خسران الدنيا لانه فات عنه ما كان
يامله ويرجوها وخسران الاخرة ظاهر العذاب والشدايد وجايز ان يكون خسران الدنيا هو خضوعه لمن لا يضر و
لا ينفع للعبادة للاصنام ذلك هو الخسران المبين لانه خسر في الدارين جميعا امله وطمعه والله اعلم وقوله يدعوا
من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه قيل ان الاية في المنافقين وهم كانوا لا يعبدون لكن ذكر انه يعبد الله على حرف
والعبادة على حرف ليست بعبادة الله انما هي عبادة الشيطان فاخبر انه يعبد ما لا يضره ان ترك العبادة له
ولا ينفعه ان عبده يدل على ذلك قوله ذلك هو الضلال البعيد لانه عبد من لا يضره ان لم يعبده ولا ينفعه
ان عبده فذلك هو الضلال البعيد وقوله يدعو لمن ضره اقرب من نفعه قال بعضهم قوله يدعوا ويله من ضره
اقرب من نفعه وقال بعضهم قوله يدعو لمن ضره اقرب من نفعه هذا ان يعبد ضر عبادته اياه في الاخرة و
الاولى حيث قال ما لا يضره ان ترك عبادته في الدنيا ولا ينفعه ان عبده والله اعلم وقوله لبئس المولى
ولبئس العشير قال بعضهم لبئس المولى اي الولي وهو الشيطان ولبئس العشير يعني الصاحب كقوله وعاشروهن
بالمعروف اي صاحبوهن بالمعروف وقال بعضهم لبئس المولى اي الولي وهو الشيطان ولبئس العشير اي القريب
الذي لا يفارق وقال القتبي اي الصاحب والخليل وهو ما ذكرنا كله واحد وقال ابو عوسجة العشير الرفيق الذي
تعاشره وتصاحبه وتخالطه والعشير الزوج ايضا وقال القتبي ثاني عطفه اي متكبرا معرضا وكذلك قال ابو عوسجة
ثاني عطفه اي متكبرا متجبرا والعطف في الاصل الجانب والاعطاف جميع وقوله من يعبد الله على حرف قال
لا يدري احق هو ام باطل وهو الشك يقال اني من هذا الامر على حرف اي على شك لست بمستيقن وقال القتبي
على حرف واحد وعلى وجه واحد وعلى مذهب واحد وقال قتادة على شك على ما ذكرنا وقال ابو عبيد على حرف اي
لا يدوم ويقول انما انا على حرف اي لا اثق بك ونحو هذا واصله ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم قوله يدعو لمن
ضره في الاخرة اقرب من نفعه وقوله انقلب على وجهه اي رجع الى دينه الاول وقوله ان الله يدخل الذين امنوا و
عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد المعتزلة كذبت هذه الاية والاية التي تلي
هذه الاية وهو قوله وان الله يهدي من يريد لانهم يقولون اراد ايمان جميع الخلايق ثم لم يفعل ذلك واراد
جميع الخيرات والكف عن الشرور ثم لم يقدر على وفاء ما اراد ويقولون لا صنع له في افعال العباد ولا تدبير فعلى
قولهم لم يفعل الله مما اراد واحدا من الوف ويقولون ان الله اراد هدى جميع الخلايق لكنهم لم يهتدوا و
هو اخبر انه يهدي من يريد وهم يقولون يريد هدى الخلق كلهم فلم يهتدوا ونحن نقول من اراد الله هداه هو
اهتدى وما اراد ان يفعل فعل وهو ما اخبر فقال لما يريد اخبر انه يفعل ما يريد فيخرج هذا على قولهم على الخلف

الوجهين واما على الخلف في الوعد واما على الكذب في القول والخبر فنعوذ بالله من السرف في القول وقوله من كان
يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تاويل
الاية يخرج على وجهين احدهما من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا صلوات الله عليه ثم نصره فغاظه نصره اياه فيذوق
غيظه فليمدد بسبب اي بحبل من السماء فيختنق ويقتل نفسه ليذهب غيظه الذي غاظه نصره يستريح مما غاظه
والثاني يخرج على الوعد بالنصر والخبر انه ينصره يقول من كان يظن ان ما وعد لهم من النصرة لا يفعل ذلك له
ولا ينصره ولا ينجز ما وعد فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع اي ليحبس ما وعد له من النصر ان غاظه ما وعد ليذهب
غيظه الذي غاظه على هذا التاويل يكون السماء سماء الاصل اي يحبس السبب الذي ينزل من السماء وقال بعضهم
بعضهم قوله من كان يظن ان لن ينصره الله ان لن يرزقه الله ويجعله صلة قوله ومن الناس من يعبد الله على
حرف لانه يجعل الاية في اهل النفاق يقول من كان يظن من اهل النفاق ان الله لا يرزقه اذا كان في ذلك الذين الذي
كان فيه ودام فليمدد بما ذكروا وقال مجاهد كيده ما يغيظ قال ذلك خيفة ان لا يرزق واهل التاويل صرفوا
السماء الى سقف البيت ويقولون القطع الخنق وقال القتبي من كان يظن ان لن ينصره اي لن يرزقه الله وهو قول
ابو عبيدة يقال مطر ناصر وارض منصورة اي ممطورة وقال المفسرون من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا فليمدد
بسبب اي بحبل الى سقف البيت ثم ليقطع اي ليختنق فلينظر هل يذهب كيده اي حيلته غيظه اي ليجهد جهده
وقال ابو عوسجة فليمدد بسبب قال هذا شي لا يكون ولا يقدر عليه وهذا ذم للقول فيه لانه جعل السماء سماء
الاصل وقوله فليمدد اي يمد يده وقوله والسبب في الاصل الحبل اي يعلق سببا فيرتقي في السماء والسبب الحبال
وسبوب جميع ابو حرقال والسبب الحبل بلغة هذيل وقوله ما يغيظ هو شدة الغضب وقوله وكذلك انزلناه ايات
بينات اي مثل هذا او هكذا انزلناه ايات بينات يبين ما لهم وما عليهم وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا اما الصابئون فان الناس اختلفوا فيهم قال اهل الكلام هم
الثنوية قال اهل التاويل هم عباد الملائكة وقد ذكرنا اقاويلهم فيه في سورة المائدة فتركنا ذكره ههنا لذلك
والذين اشركوا قيل هم مشركوا العرب وهم عبدة الاوثان والاصنام وقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة يحتمل
قوله يفصل بينهم اي يحكم بين هؤلاء يوم القيامة لاختلافهم في الدنيا كقوله وقالت اليهود ليست النصارى
على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي ثم قال فالله يحكم بينهم يوم القيامة فالفصل بينهم يوم القيمة هو
الحكم الذي ذكر في هذه الاية ويحتمل قوله يفصل بينهم يوم القيمة في المقام يبعث هؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى
النار فذلك الفصل بينهم جايز ان يكون قوله يفصل اي يبين لهم الحق من الباطل حتى يقرون جميعا بالحق ويسلمون
لكن لا ينفعهم ذلك يومئذ وقوله ان الله على كل شي شهيد من اعمالهم وافعالهم واقرارهم واقوالهم وجميع
وجميع ما كان منهم وقوله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض من في ظاهر اللغة واللسان انما
يعبر به عن الممتحن من البشر والجن والملائكة واما الموات فانه لا يعبر به عنه وانما يعبر عنه بحرف ما لكن ذكر في الاخر
وهو قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال الاية ما يدل انه اراد الكل الممتحن والموات جميعا حيث قال وكثير من الناس و
كثير حق عليه العذاب والا ظاهره ما ذكرنا انه انما يعبر بمن عن الممتحن وبحرف ما عن الكل وجايز ان يكون عند الاجتماع يذكر
باسم الممتحن على ما ذكر عند اجتماع الذكر والانثى باسم الذكور من سجود هذه الاشياء يخرج من وجوه احدها سجود خلقه
يسجد كل شي ذكر بخلقته لله على ما ذكرنا في التسبيح والثاني سجود عبادة كل ممكن منه السجود وتركه وهو سجود الممتحن
والثالث سجوده بذل ما جعل في هذه الاشياء من المنافع لا تأبى بذلها لاحد من الملائكة والشمس والسحر والدواب وكل شي والزم
ما الهم هذه الاشياء من الطاعة لله والخضوع له الا ترى انه قال ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين الا ترى انه
الهم الدواب معرفة اتيان المصالح واتقاء المهالك فجايز ان يعرفن طاعته والخضوع له والله اعلم وقوله وكثير من
الناس في الجنة وكثير حق عليه العذاب في النار ومن يهن الله فما له من مكرم هذا يحتمل وجهين احدهما من خذله الله
وطرده عن عبادته وبابه فما له من مكرم كقوله ومن يضلل الله فما له من هاد وان يقول ومن اهانه الله في النار هم
بالعذاب فما له من منج ينجيه عن ذلك ان الله يفعل ما يشاء على المعتزلة لانهم يقولون شاء اشياء فلم يفعل وهو
يقول يفعل ما يشاء وقوله هذان خصمان اختصموا في ربهم اختلفوا في تاويله وقال بعضهم نزل هذا في ستة بارزوا
ثلاثة من المسلمين حمزة بن عبد المطلب وعلي ابن ابي طالب وعبيدة بن الحارث وثلاثة من المشركين عتبة بن ربيعة
وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فذلك اختصامهم وقال بعضهم اهل الاسلام واهل الكتاب في الذين قالت
اليهود والنصارى نحن اولى بالله منكم يا معشر المسلمين لان نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم
فقال المسلمون بل نحن اولى بالله امنا بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وبكل كتاب انزله الله ثم كفرتم انتم بنبينا و
بكتابنا وبكل نبي كان قبل نبيكم فانزل الله تعالى ما فصل بين المؤمنين واهل الكتاب فقال هذان خصمان اختصموا في

بهم النار والجنة قال النار جعلني الله للعقوبة للعصاة والفسقة وقالت الجنة جعلني الله للرحمة للانبياء والاوليا
ونحوه لكن متى يكون للنار مخاصمة وكذلك الجنة وهو بعيد وقال بعضهم اختصم المسلم والكافر في البعث وجايز ان يكون
اختصامهم ما ذكر من اول السورة الى هذا الموضع من ذلك قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم وقوله ومن
الناس من يعبد الله على حرف وقوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا يكون
يكون اختصامهم بين هولاء الذين ذكرهم في هذه السورة وهم اهل الاسلام واهل الكفر وفي الاية بيان ذلك حيث
قال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار وقال في المومنين ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ثم جايز ان يكون هذا الذي ذكر هو الفصل الذي ذكر في الاية الاولى حيث قال ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة ينزل اهل الاسلام في الجنة واهل الكفر في النار والله اعلم **وقوله** قطعت لهم ثياب من نار كقوله هم
سرابيلهم من قطران الاية **وقوله** يصب من فوق رؤسهم الحميم قيل الحميم الماء الحار الذي انتهى حره غايته **وقوله** يصهر به
ما في بطونهم قال القتبي يصهر يذاب يقال صهرت النار الشحمة والصهارة ما اذيب من الالية وكذلك قال الصهارة
ما بقي من الشحم والالية اذا اذيبا يقال صهرت الشحم اي اذبته اصهره صهرا ولهم مقامع من حديد قال بعضهم المقامع
الاعمدة من الحديد وهو قول ابي معاذ وقال بعضهم المقامع شبه العصا الواحد مقمعة قال ابو معاذ معنى قوله
يصهر به ما في بطونهم اي يذاب ما في بطونهم خاصة واما الجلود فانها تحرق لان الجلد لا يصهر ولا ينصهر وقال
وهذا مثل قول العرب اتيته فاطعمني والله ثريدا اي ولبنا قارصا اي حامضا اي والله وارا او دار اي والله
وحلو نا فارها تضمر لكل شي فعلا يشاكله وفي القران مثله كثير وكذلك في اللسان **وقوله** كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من غم اعيدوا فيها قال بعضهم ان جهنم اذا جاشت القت من فيها الى اعلاها فيريدون الخروج منها فيعيدهم
الخزان فيها بالمقامع ويقول لهم الخزنة ذوقوا عذاب الحريق وقال بعضهم ان جهنم دركات فاذا اشتد العذاب
بهم ينقلبون من دركه السفلى الى دركه العليا ويصعدون ثم يريدون الخروج منها فيعادون فيها كقوله
سارهقه صعودا وقال بعضهم ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بمقامع من حديد
فاذا انتهوا الى اسفلها ضربهم زفير لهبها والله اعلم بذلك **وقوله** ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت اهلها وهو كما ذكر في اية اخرى تجري من تحتهم الانهار **وقوله** يحلون
فيها من اساور من ذهب ولولوا ذكر هذا والله اعلم لقوم رغبوا في هذه الدنيا بالتحلي بما ذكر وتفاخروا به فيها
فهو ما ذكر فلولا الفي عليه اسورة من ذهب والا فلما ارغب الناس في الدنيا في التحلي بما ذكر الا النساء خاصة
فاما ان ذكر للنساء او لقوم تفاخروا به في الدنيا فوعد لهم في الاخرة ذلك كقوله وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين وقوله ولولوا بالخفض والنصب ولولوا قال الكسائي من قرا لولو بالخفض فهو يخرج على وجهين احدهما
يحلون فيها من اساور من ذهب ولولو والثاني يحلون فيها من اساور من ذهب ويحلون فيها من لولو حلية
سوى الاساور ومن قرا بالنصب ولولوا اي يحلون فيها لولوا **وقوله** ولباسهم فيها حرير وكذلك ذكر في
الخبر لهم في الدنيا ولنا في الاخرة **وقوله** وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد جايز ان يكون
هذا في الدنيا والاخرة اما في الدنيا هو قول التوحيد وشهادة الاخلاص واما في الاخرة كقوله دعواهم فيها
سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين فهو قول الطيب الذي هدوا اليه وقال
بعضهم قوله وهدوا الى الطيب من القول هو القران وهدوا الى صراط الحميد الاسلام وشرايعه وقال قتادة
الهموا التسبيح والتحميد كما الهموا النفس وقال الطيب من القول هو كل قول حسن وقوله الحميد يحتمل صراط الحميد
اي صراط الله ويحتمل ان يكون نعت ذلك الصراط اي صراط الحميد والله اعلم **وقوله** ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله والمسجد الحرام قوله كفروا هو خبر ماض وقوله ويصدون خبر مستقبل نسق المستقبل على الماضي
قال الزجاج معناه ان الكافرين والصادين عن سبيل الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وعندنا
تاويله ان الذين كفروا قبل ان يبعث محمد ويصدون الناس عن سبيل الله اذا بعث محمد ثم يحتمل قوله والمسجد
الحرام اي يصدون الناس عن دخول المسجد الحرام اي كانوا يمنعون المسلمين عن دخول المسجد الحرام للاسلام
والسوال عنه والثاني اخراجهم منه كقوله واخراج اهله منه اكبر عند الله **وقوله** الذي جعلناه للناس
سواء العاكف فيه والباد ظاهر هذا ان يكون الذي جعل فيه العاكف والبادي سواء هو المسجد الحرام
لانه قال جعلناه للناس سواء لكن اهل التاويل صرفوا ذلك الى مكة وقالوا سواء العاكف فيه والباد في النزول
في المنازل وظاهره ما ذكرنا ثم يحتمل ان يكون المسجد الحرام مخصوصا بهذا ليس كساير المساجد التي لها اهلها
اهلها احق بها من غيرهم واما المسجد الحرام فان الناس فيه شرعا سواء العاكف والبادي ويحتمل ان يكون ذكر هذا
في المسجد الحرام ان الناس فيه سواء ليعلم ان الحكم في ساير المساجد كذلك ان الناس فيها سواء اهلها وغير اهلها

والله اعلم **وقوله** ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال بعضهم الالحاد فيه هو الشرك فيه والكفر وقال الالحاد هو كل المعاصي
واصل الالحاد هو العدول والميل عن الطريق وتاويله من يلحد فيه الحادا بظلم نذقه كذا وقال بعضهم من هم فيه بالحاد
بظلم نذقه كذا ثم يحتمل تخصيص ذلك المكان بما ذكر وجوها احدها ليعلم ان كثرة الخيرات وتضاعفها مما لا يعلم
في اسقاط المساوي فيه وهو ما روي ان صلوة واحدة بمكة تعدل كذا وكذا صلوة في غيرها من الاماكن وكذلك
كل حسنة فيها والثاني خصت بالذكر فيه على التغليظ والتشديد على ما خصت تلك البقعة بتضاعف الحسنات
والثالث ان اولئك ادعوا انهم اولى بالله من غيرهم لنزولهم ذلك المكان فاخبر ان من يرد فيه بكذا اذاقه بكذا
ليس تخصيص ذلك المكان بما ذكر والعقوبة في غيره ولكن بما ذكرنا وقال بعضهم معناه من يرد فيه الحادا بظلم و
الباء زايدة ومثله قوله تنبت بالدهن معناه تنبت الدهن وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال احتكار الطعام بمكة الحاد وكذلك روي عن عمرو بن عمر وجايز ان يكون ما ذكرنا من التغليظ والتشديد و
تضاعف العقوبة ولذلك كره قوم الجوار بمكة لما تتضاعف عليهم العقوبة اذا ارتكب فيه ماثما والحد فيه وجاز
ما ذكرنا وقد كره قوم بيع رباع مكة واجارتها بقوله سواء العاكف فيه والباد وعلى ذلك رويت الاخبار بالنهي
عن ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مكة مناخ لا يباع رباعها ولا يواجر بيوتها وعن عمر رضي الله
عنه قال يا اهل مكة لا تتخذوا الدور ابوابا ليرد البادي حيث شاء ونهاهم ان يغلقوا ابواب دورهم وليس في
ظاهر الاية ذكر مكة ان في الاية ذكر المسجد حيث قال والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد
انما ذكر ذلك في المسجد خاصة وقال ابو حنيفة رحمه الله اكره اجارة بيوت مكة في الموسم من الحاج والمعتمر فاما
المقيم والمجاور فلا يرى باخذ ذلك منهم باسا وهو قول محمد **وقوله** واذ بوانا لابراهيم مكان البيت قال
بعضهم بوانا اي هيانا له مكان البيت لينزل فيه والتبوية الانزال كانه قال بوانا لابراهيم مكان البيت اي انزلنا
ابراهيم مكان البيت ليتخذ فيه بيتا وقلنا لا تشرك بي شيئا وهكذا بعث الانبياء جميعا بعثوا ان لا يشركوا بالله وامروا
ان يدعوا الناس الى ترك الاشراك بالله تعالى **وقوله** وطهر بيتي للطايفين وادعوا الناس ايضا الى ان لا يشركوا بالله
شيئا ثم يحتمل قوله وطهر بيتي للطايفين ومن ذكر اي طهره من الاصنام والاوثان التي فيه لئلا يعبد فيه غيره
ثم يحتمل وجايز ان يكون قوله طهر بيتي عن جميع الخبائث وعن كل انواع الاذى من الخصومات والبياعات وغيرها
وذلك المسجد الحرام وغيره من المساجد يطهر ويجنب جميع انواع الاذى والخبث والفحش **وقوله** للطايفين والقايمين
والركع السجود قال اهل التاويل للطايفين هم القادمون من البلدان والقايمين المقيمين هنالك والركع السجود
المصلين ويحتمل قوله للطايفين لكل طايف به والقايمين والعاكفين لكل عاكف نحوه والعكوف هو المقام للعبادة
والقايمين لكل قايم عاكف نحوه والركع السجود لكل راكع وساجد نحوه اي كل مصلي وهذا اشبه والله اعلم **وقوله**
واذن في الناس بالحج يحتمل وجهين احدهما على الاعلام ان اعلم الناس ان لله عليهم الحج بالبيت كقوله ولله على الناس
حج البيت الاية والثاني واذن في الناس بالحج اي ادع الناس وناديهم ان يحجوا البيت قال اهل التاويل لما امر الله ابراهيم
ان ينادي في الناس بالحج فنادى فاسمع الله صوته ما بين المشرق والمغرب حتى اسمع صوته ونداه في اصلاب الرجال
وارحام النساء فقالوا لبيك ومن حج بيته فهو الذي اجاب ابراهيم لما ناداهم بالحج لكن لا نعلم ذلك الا بالخبر عن
رسول الله انه كان ما ذكروا والا السكوت عنه وعن مثله اولى وقال ان قوله واذن في الناس بالحج موصول بقوله
واذ بوانا لابراهيم الاية وجايز ان يكون قوله واذن في الناس بالحج لرسول الله او لكل رسول بعث ويكون الامر به
في كل زمان والله اعلم بذلك **وقوله** ياتوك رجالا اي على الارجل مشاة وعلى كل ضامر اي بعير ويذهب سمنه لبعد
المضرب وهو ما ذكر ياتين من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد ثم قوله واذن في الناس بالحج على الدعا والامر فيكون
في قوله ياتوك رجالا دلالة لزوم الحج على المشاة كانه قال مرهم يحجون مشاة على الارجل وركبانا وان كان على
الاعلام فهو على الوعد والخبر انهم ياتوك على الارجل مشاة وعلى الدواب **وقوله** ياتين من كل فج عميق اضاف الاتيان
الى الدواب لانه بالدواب ياتون فاضاف اليها لذلك والله اعلم وقال ابو عوسجة يحلون فيها من الحلي من الذهب
والفضة تقول حليت المراة اي اتخذت لها حليا ويقال حلي الشي يحلى حليا اذا حسن ويقال حلي بعينه اذا حسن
في عينه ويقال حلي الشي يحلو حلاوة فهو حلو ويقال تحليت ان شئت جعلته اكلت حلاوة وان شئت جعلته
من الحلي ويقال حلات الابل عن الماء اي منعت ويقال حليت الشي واحليته اي جعلته حلوا وقال القتبي سواء
العاكف فيه والباد اي المقيم فيه والبادي هو الطاري من البدو وسواء فيه ليس المقيم فيه باولى من النازع اليه
وقوله ومن يرد فيه بالحاد اي من يرد فيه الحادا وهو الظلم والميل عن الحق فزيدت الباء كما يقال تنبت بالدهن وهو
ما ذكرنا وقوله وعلى كل ضامر اي ركبانا على بعير من طول السفر من كل فج عميق اي بعيد غامض وقال ابو عوسجة العاكف
المقيم والبادي من كان في البادية والالحاد الميل عن الحق ومنه اشتق اللحد لحد القبر على كل ضامر اي على كل بعير ضامر اي

على كل بعير ضامر اي خميص البطن يا توك رجالا تقول رجل الرجل يرجل رجلة فهو راجل والفج الطريق العميق البعيد تقال
عمق ابر يعمق عمقا فهو عميق وقوله ليشهدوا منافع لهم قال الحسن يشهدون منا هدا فيذكرون الله فيها ويكتسبون
اشيا تنفع لهم في الاخرة فذلك منافع لهم التي يشهدونها وقال بعضهم من اهل التاويل منافع لهم التي يكسبونها اذا خرجوا
للحج وقال بعضهم المصالح في الدنيا والاخرة الاخرة وهو مثل الاول وجايز ان يكون قوله ليشهدوا منافع لهم الارزاق التي
جعلت لهم في البلدان النائية البعيدة مالو لم يشهدوها لم يسق الله ذلك اليهم لان من الارزاق التي جعلت لهم في
البلدان ما يساق الى اهلها وهم في مقامهم واكنتهم ومن الارزاق ما يساق اهلها اليها مالو لم يا توها لم يسق
ذلك اليهم فجايز ما ذكر من المنافع هو ما غاب عنهم من المنافع والارزاق التي جعلت لهم في البلدان النائية البعيدة
اذا خرجوا الحج نالوها واذا لم يخرجوا اليه لم ينالوا وقال بعضهم ليشهدوا منافع لهم اي متاجرهم وقضاء مناسكهم
وقوله ويذكروا اسم الله في ايام معلومات اختلف فيه قال الحسن هو يوم النحر خاصة وجايز اضافة الواحد الى
الجماعة كقوله وجعل القمر فيهن نورا وانما جعل في السماء الدنيا وكما يقال تواري فلان في دور بني تميم وانما توارى
في دار من دورهم ومثل هذا كثير وذلك جائز في اللسان وقال بعضهم الايام المعلومات هو يوم النحر ويومان
بعده وقال بعضهم المعلومات والمعدودات هي ايام التشريق جميعا وقال بعضهم الايام المعلومات هي ايام العشر
لانها هي ايام الذكر فيها وجايز ان يكون قوله ويذكروا اسم الله في ايام معلومات كناية عن الذبح وايام الذبح ثلاثة
النحر ويومان بعده الا ترى انه قال على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها ذكر الاكل ولم يذكر الذبح فذلك
يدل على ان قوله ويذكروا اسم الله كناية عن الذبح وانما كان كناية عنه لانه بالذكر يقوم الذباح ولا يحلوا منه دونه و
الله اعلم وقوله فكلوا منها قال بعضهم من الاضاحي لان التناول من الاضاحي كان لا يحل فخرج قلبه مخرج رخصة التناول
منها والحل لكن الاضاحي لا يحتمل لان الوقت ليس هو الوقت الاضاحي ولا اماكنها انما هو وقت دم المتعة والقران دم
تطوع وفيه اباحة التناول من دم المتعة والقران وقوله واطعموا البائس الفقير قال بعضهم البائس من البوس وهو
ما اشتد به من الحاجة والشدة وقال بعضهم البائس الذي سالك والفقير المتعفف الذي لا شيء له وقال بعضهم
البائس هو الذي به زمانة والفقير الصحيح الذي لا شيء له وهو مثل الاول وقوله ثم ليقضوا تفثهم قال بعض
اهل الادب التفث لا يعرف في لسان العرب ما يراد به وقال الحسن التفث هو التقشف وهو ترك الزينة يدل
على ذلك ما روي انه سيل عن الحاج فقال كل اشعث تفل وقال ابو عوسجة التفث في الاصل الوسخ يقال
امراة تفثة اذا كانت خبيثة الريح وهو قريب مما قال الحسن انه ترك الزينة واهل التاويل يقولون التفث هو
حلق الراس وقص الاظفار والشارب والرمي والذبح ونحوه وقال بعضهم ثم ليقضوا تفثهم المناسك كلها ورمي
الجمرة من وقف بعرفة بليل وصلى مع الجمع فقد تم حجه وقضى تفثه ظاهر قوله قضى تفثه اي نسكه وجايز ان
يكون قوله قضى تفثه اي حاجه وقت الزينة وهو وقت الحلق واللباس والله اعلم وقوله وليوفوا نذورهم
اي ليوفوا ادفع ما وجبوا لحجه ذكر فيما ساق من الهدي المتعة والجناية الاكل منه لقوله فكلوا منها ولم يذكر الاكل
فيما اوجب بالنذر فكذلك يقول اصحابنا انه يجوز له التناول من هدي المتعة والقران ولا يجوز التناول مما كان
وجوبه بالنذر والكفارة بل عليه ان يتصدق بالكل وهو ما قال ففدية من صيام او صدقة او نسك والله اعلم
وقوله وليطوفوا بالبيت العتيق وهو طواف الزيارة وهو طواف يوم النحر وهو الفرض عندنا ولا يحتمل ما قال له بعض الناس
انه طواف الصدر لان الله تعالى قال ولله على الناس حج البيت وحج البيت هو الطواف بالبيت لا غير وطواف الدخول
وطواف الصدر ليس على اهل مكة ذلك الطوافان وعليهم الحج كما كان على غيرهم من الناس فدل ما ذكرنا على ان قوله و
ليطوفوا بالبيت العتيق هو طواف الزيارة وهو حج البيت الذي قال الله ولله على الناس حج البيت وقوله بالبيت
العتيق قال بعضهم سماه عتيقا لانه اعتقه الله عن الجبابرة عن ان يتخيروا عليه وكم من جبار قصدوا اليه ليهدموه فمنعه
الله عن ذلك وقال بعضهم سماه عتيقا لانه رفع الى السماء الرابعة فذلك المرفوع هو البيت العتيق والبيت العتيق
عندنا هو الذي بناه ابراهيم صلوات الله عليه واسسه ويكون قوله وليطوفوا بالبيت العتيق الذي اسسه ابراهيم
لا بالبيت الحادث الذي احدث الناس الا ترى انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعايشة لولا ان
قومك حديث عهد بالاسلام والا ردت البيت على اساس ابراهيم وجعلت له بابين بابا يدخل فيه وبابا يخرج منه
وروي في بعض الاخبار يرويه عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي البيت العتيق
لانه لم يظهر عليه جبار فان ثبت هذا فهو هو وقوله ذلك ومن يعظم حرمات الله قوله ذلك جايز ان يكون الذي
تقدم ذكره من قوله يا تين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم الى اخر ما ذكر لهم ذلك الذي ذكر ومن يعظم حرمات
وجايز ان يكون لا على ذلك ولكن حرف يذكر عند ختم قصة والفراغ منها ابتداء لا على ربط شيء نحو قوله هذا ذكر
وان للمتقين كذا وان للطاغين كذا قوله وان للمتقين وان للطاغين يصح دون ذكر هذا لكنه ذكر على ختم كلام

الاول

اول وابتداء اخر فعلى ذلك جايز ان يكون قوله ومن يعظم حرمات الله كذلك وقوله ومن يعظم حرمات الله فهو خير له
عند ربه كانه قال ومن يعظم حرمات الله وخرج للحج وانفق المال واتعب النفس فما له عند ربه من الثواب فذلك خير له من
حفظ ماله وحفظ نفسه والا لا شك ان من عظم حرمات الله خير له ممن لم يعظمها وقوله واحلت لكم الانعام و
في حرف ابن مسعود واحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم من المحرمات من الميتة والدم و
ما ذكر في سورة المائدة وقد ذكرنا هذا والله اعلم وقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان جايز ان يكون قوله فاجتنبوا
الرجس وهو الاوثان وجائز ان يكون قوله فاجتنبوا عبادة الاوثان فانه رجس وليس فيه ان غير الاوثان ليس
برجس كقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس فيه انه يحل قتل الاولاد في غير خشية الاملاق فعلى ذلك
هذا وقوله واجتنبوا قول الزور ويحتمل كل قول زور ويحتمل الزور الذي قالوا في الله من الولد والشريك وما لا
يليق به واجتنبوا قول الزور حنفاء لله تاويله والله اعلم واجتنبوا قول الزور وكونوا حنفاء لله غير مشركين به
وقوله حنفاء قد ذكرنا وجايز ان يكون قوله غير مشركين به تفسير قوله حنفاء لله اي كونوا مخلصين لله في جميع
اموركم غير مشركين به في ذلك والله اعلم وقوله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح
في مكان سحيق يحتمل ضرب مثل من اشرك بالله بالساقط من السماء واختطاف الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق
وجوها احدها ما وصف وضرب مثله بشيء لا قرار له ولا ثبات نحو ما قال كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الارض ما لها من قرار ونحو ما قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الاية ضرب مثل الكفر
بشيء لا قرار له ولا ثبات فعلى ذلك ضرب مثله بالساقط من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح لا يدري
اين هو ولا اين يطلب ان اراد والطلبه ولا يظفر به فعلى ذلك الكافر والثاني ضرب مثله بالساقط من السماء
وهي ابعد البقاء والاوهام لا ينتفع ممن سقط منها ولا بشيء من نفسه ولا يبقى نفسه فعلى ذلك الكافر لا ينتفع
بشيء من محاسنه ولا تبقى نفسه ينتفع بها لبعده عن دين الله والثالث من سقط من السماء اثر سقوطه منها
في نفسه وفي جميع جوارحه وظهر ذلك كله فيه حتى لا يرجى برؤه وصحته فعلى ذلك الكافر يظهر اثار الكفر
في نفسه وجوارحه لبعده عن دين الله والله اعلم وقال بعضهم هذا مثل ضربه الله لمن اشرك به في هلاكه و بعده
من الهدى والسحيق البعيد وهو قريب مما ذكرنا وقوله ذلك هو ما ذكرناه في قوله هذا وان للطاغين لشر مآب
وقوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب تاويله والله اعلم اي ومن يعظم شعائر الله بالجوارح فذلك
التعظيم من تقوى القلوب وهكذا الامر الظاهر في الناس انه اذا كان في القلب شيء من تقوى او خير يظهر ذلك في الجوارح
وكذلك الشر ايضا ما كان في القلب يظهر في الجوارح وقوله حرمات الله وشعائر الله قال بعضهم هما واحد وهي هو
المناسك وقال بعضهم الحرمات هي جميع محارم الله ومعاصيه يتقيها تعظيما لها وقد ذكرنا تاويل شعائر الله في
سورة المائدة والسحيق هو المكان البعيد يقال سحق المكان يسحق سحقا فهو سحيق اذا بعد والسحق ايضا البلى
الخلق يقال اسحق الثوب وسحق يسحق سحقا واسحق فهو مسحق والسحوق النخلة الطويلة وقوله او تهوي
به الريح اي تذهب به يقال هوى يهوي هويا اي ذهب بنفسه وقوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق
قال بعضهم لكم فيها منافع من ظهورها والبانها واصوافها الى اجل مسمى اي الى ان
تقلد وتهدى ثم محلها اذا قلدت واهديت الى البيت العتيق وكذلك يقول اصحابنا اي من اوجب بدنة او اهدى
بدنة لا يحل له الانتفاع بها ولا بشيء منها الا في اضطرار فاذا بلغت محلها ونحرت حل الانتفاع بلحمها ومنهم من قال
في قوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى الى وقت محلها من الركوب بظهرها وحلب اللبن وجز الصوف وغير ذلك
مما كانوا ينتفعون بها من قبل ويروى في ذلك خبرا روي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة
فقال اركبها فقال انها بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة يا رسول الله قال اركبها قال انها بدنة يا رسول الله قال
اركبها ويلك به يقول بعض الناس يجوزون الانتفاع بالهدايا والقلائد قبل ان تنحر وتذبح لكن عندنا ذلك في وقت
الحاجة
الشديدة المضطرة اليها ففي مثل ذلك يجوز الانتفاع بملك غيره يدل على ذلك الهدايا ينتفع بها بما ذكرنا ويضمن
ما نقصها ركوبه بها وجايز ان يكون قوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى الى ان تهلك او تستهلكون انتم كقوله ومتاع
الى حين اي الى وقت هلاكها فعلى ذلك الاول ثم يكون قوله ثم محلها الى البيت العتيق والله اعلم والاول اشبه
واقرب لما ذكرنا وقوله الى البيت العتيق ذكر البيت العتيق ومعلوم انه لم يرد به نفس البيت ولكن انما اراد به البقعة
التي فيها البيت لان الدماء لا تراق في تلك البقعة التي هو فيها الحرم كله ينحر ويذبح واراد بقوله وليطوفوا
بالبيت العتيق نفس البيت الا ترى انه قال ههنا بالبيت فانما يطاف به وقال ههنا الى البيت اضاف اليه دل
انه لم يرد به نفس البيت ولكن البقعة التي فيها البيت والله اعلم وقوله ولكل امة جعلنا منسكا قال بعضهم
المنسك الموضع الذي يعبدون وينسكون فيه ويصيرون اليه لعبادتهم ومن ثمة يقال للرجل العابد

ناسك ولذلك قال من قال منسكا اى عيدا يعيرون ويرجعون اليه للعبادة وقال المنسك الدين وقال
الشريعة وقال بعضهم المنسك المنحر والمذبح وجاز ان يسمى فى اللغة الذبح نسكا كقوله ففدية من صيام او
صدقة او نسك وهو الذبح وقوله ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ولو كان النسك عبادة كذكر الصلوة
وهى عبادة لكان لا يذكر النسك فدل انه اراد بالنسك الذبح وقوله ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
الانعام دل قوله ليذكروا اسم الله ان ذكر اسم الله من شرط الذبيحة حيث ذكر ذكر اسم الله ولم يذكر الذبح
فهموا من ذكر اسم الله الذبح دل انه من شرط جوازه وحله سوى الشافعى فانه لم يفهم ما فهم الناس والامم
جميعا حيث لم يجعل ذكر اسم الله من شرط الذبيحة وقوله فالهكم اله واحد كانه ذكر قوله ولكل امة جعلنا منسكا
لقوم اكرموا الذبائح فقال ولكل امة جعلنا منسكا اى ذبحا يذبحون ويذكروا اسم معبودهم عليه ثم اخبر ان معبودهم
واحد فله اسلموا اى اخلصوا ذلك كله وبشر المخبتين قال المتواضعين وقال بعضهم المطمئنين وقال بعضهم الخاشعين
وقال بعضهم كل مجتهد فى العبادة وهو المخبت ويقال المخلصين وتفسير المخبت ما ذكر على اثره حيث قال الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم الاية ومن قال المخبت المطمئن قال الخبتة الطمانينة قوله منسكا ومنسكا فيه لغتان
قال الكسائى من قرا منسكا بكسر السين فهو من نسك ينسك ومن قرا منسكا بالنصب فهو من نسك ينسك
ثم لا خلاف بين اهل العلم فى ان البدن التى تساق والهدايا التى تقلد فى الحج والعمرة لا يجوز ان تنحر فى غير الحرم انما
اختلفوا فى المحصر اذا اراد ان يحل اين ينحر ويذبح هديه الذى يحل به وقد ذكرنا اقاويلهم واختلافهم فى سورة البقرة
ولم يختلف فى ان معنى قول الله ثم محلها الى البيت العتيق يدخل فيه الحرم كله ما ذكرنا وعلى ما روت الاخبار
روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفة كلها موقف ومنا كلها منحر وكل فجاج
مكة طريق ومنحر وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عرفة موقف وكل منا منحر وفى بعض
الاخبار وفى كل ايام التشريق ذبح وعن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى الجمرة فرمى بها ثم اتى المنحر فقال
هذا المنحر ومنا كلها منحر وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ان المنحر بمكة ولكنها نزهت عن الدما ومنا من مكة وقوله
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى خافت وفرقت خوفا منه والصابرين على ما اصابهم من المصائب والرزايا و
المقيمى الصلوة ومما رزقناهم ينفقون هذه الاية قد ذكرنا تاويلها فى سورة الانفال وقوله والبدن جعلناها
لكم من شعائر الله قال بعضهم من فرائض الله وقال الحسن من دين الله والاشبه ان يكون قوله من شعائر الله
اى من معالم دينه وعبادته ونسكه لان الشعائر هى المعالم فى اللغة خصت بها المناسك دون غيرها من العبادات
بجعلها معالم لها والبدنة سميت بدنة لما تعظم فى نفسها وتبدن ويقال للرجل اذا عظم فى نفسه بدن فلان وظاهر
ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال البدنة تجزى عن سبعة ان البدنة هى الجزور والابل حيث قال
البدنة تجزى عن سبعة والبقرة تجزى عن سبعة فرق بين البدنة والبقرة بالذكر والله اعلم وقوله لكم فيها
خير قال بعضهم المنافع الحاضرة من الركوب والحلب والحمل عليها بعد ما قلدت واوجبت هديا وقال بعضهم لكم فيها
خير الى ان تقلد فاذا قلدت فلهم الاجر فى الاخرة وكان هذا اشبه ان يكون قوله لكم فيها خير اى الاجر فى الاخرة
لان الانتفاع بها لا يحل اذا اوجبت بدنة الا فى حال الاضطرار لانه قال فى اية اخرى لا تحلوا شعائر الله وفى الانتفاع
بها احلال شعائره لذلك قال اصحابنا لا ينتفع بالبدن وما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه راى رجلا يسوق بدنة
فقال له اركبها فقال انها بدنة يا رسول الله فقال له الثانية اركبها فقال انها بدنة فقال اركبها ويلك وفى بعض
الاخبار ويحك وهذا عندنا لما راى بالرجل الحاجة الشديدة الى ركوبها وهو ما ذكرنا ان الانتفاع بها يجوز فى حال
الاضطرار ولا يجوز فى حال الاختيار اذ الانتفاع بالمحرمات يجوز فى حال الاضطرار فعلى ذلك الانتفاع التى جعلت معالم
للمناسك والله اعلم وقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف دل هذا ان ذكر اسم الله من شرط الذبيحة لانه لم
يذكر الذبح بنفسه ولكن انما ذكر ذكر اسمه فلولا انهم فهموا من ذكر اسم الله عليها ذبحها ونحرها والا لم يكتف
بذكر اسمه دون ذكر الذبح فدل انهم انما عرفوا ذلك به وانه من شرط جوازها والله اعلم وقوله صواف فيه لغات
ثلاث احدها صوافى بالياء وهو من الاخلاص لله والصفو له والثانية صوافن بالنون وهو من عقل ثلاث قوائم
منها وترك اخرى مطلقة والثالث صواف بالتنوين اى قياما مصطفة وكان جميع ما ذكر يراد ان تجمع فيها
من الاخلاص له وعقل القوائم والقيام وكذلك جاءت السنة والاثار وفى حرف ابن مسعود صوافن بالنون
وتاويله ما ذكرنا وظاهر الاية يدل على القيام لانه قال فاذا وجبت جنوبها وجبت اى سقطت والسقوط انما
يكون من القيام فدل انها تنحر قياما الا مضطجعة والله اعلم وقوله وكلوا منها قد ذكرنا هذا فيما تقدم فى
قوله فكلوا منها واطعموا البائس الفقير والبائس الفقير شك هذا قول بعض وقال بعضهم البائس المعروف
بالبؤس والفقير المتعفف الذى لا يسال وقال بعضهم البائس المسكين والمعتر فقير وقال بعضهم البائس

الضرير والقانع المعتر وقال بعضهم القانع هو الراضى وهو من القناعة وقال بعضهم هو السائل وهو من القنوع
والمعتر الذى يعتريك ولا يسال والقانع هو الجالس فى بيته ونحوه وقال القتبى القانع السائل يقال قنع يقنع قنوعا
ومن الرضا قنع يقنع قناعة والمعتر الذى يعتريك ولا يسال يقال اعترانى وعرنى واعترانى وعرانى وقال ابو عوسجة
القانع السائل والقنوع السؤال والقناعة من الرضا يقال منه قنع يقنع قناعة ويقال تقنعته اى رضيته وتقنعته
اى غطيت راسه بالقناع ونحوه ويقال من المعتر اعتر اعترارا واعترى وعرا يعرو وكلها واحد وقال صواف اى قياما
مصطفة وقال ويكون صافن وصوافن اى قائما على ثلاث قوائم يقال صفن الفرس يصفن صفونا اذا قام على ثلاث قوائم
وقوله وجبت جنوبها اى سقطت الى الارض وجب يجب وجوبا فهو واجب اذا سقط ووجبت الشمس اذا غابت قال
وهذا كله من الصوت يقال سمعت وجبة اى صوتا وقال منسكا اى موضعا ينسكون اليه للعبادة وعن ابن عباس
قال القانع الذى يقنع بما اعطيته والمعتر الذى يريك نفسه ولا يسال وقوله كذلك سخرناها لكم اى البدن التى ذكرنا
ثم يحتمل ما ذكر من تسخيرها اياها لنا وجهين احدهما كذلك سخرناها اى كما سخرناها لكم لركوبها والحمل عليها وانواع
الانتفاع بها فى حال الحيوة كذلك سخرناها لكم ذبحها ونحرها حتى قدرتم على ذلك لعلكم تشكرون له على ذلك او
ان يكون قوله كذلك سخرناها لكم اى مثل الذى وصفنه لكم كل ذلك من تسخيرها اياها لكم والله اعلم وقوله لن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم هذا يحتمل وجهين احدهما لن يقبل الله ذلك الا من كان من
اهل التقوى لا يقبلها من اهل الكفر لانهم قد كانوا ينحرون البدن فى الجاهلية على ما ذكرنا فاخبر انه لا يقبل
ذلك الا ممن كان من اهل التقوى وهو كقوله انما يتقبل الله من المتقين والثانى ان يكون قوله لن يناله الله اى لن
يرفع الى الله الا الاعمال الصالحة الزاكية وما كان بالتقوى واما ما كان غيرها فانه لا يرفع ولا يصعد بها وهو
ما قال ولكن يناله التقوى منكم وقال بعض اهل التاويل ذكر هذا لان اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن نضحوا
بدمائها حول البيت ويقولون هذه قربة الى الله فاراد المسلمون ان يفعلوا مثل صنيعهم فنزل لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرناها لكم قد ذكرنا ما ذكرنا وقوله لتكبروا الله على ما هداكم اى
لتصفوا الله بالعظمة والكبرياء على ما هداكم من اسباب تسخير البدن التى بها يوصل الى الانتفاع بها من انواع
الانتفاع اذ لولا هدانا الله وعلمنا من الاسباب التى تسخر وتذلل والا ما قدرنا على الانتفاع بها لقوتها وشدتها
وصلابتها والثانى بان يكون قوله على ما هداكم من امر الدين والهدى وقوله وبشر المحسنين يخرج قوله المحسنين
على وجوه احدها محسنين الى انفسهم او المحسنين الى وقوله اخوانهم او الذين حسن افعالهم وصلح عملهم
فاما المحسنين الى الله فلا يحتمل والله اعلم وقوله ان الله يدافع عن الذين امنوا وفى بعض القراءات ان الله
يدفع عن الذين امنوا بغير الف وتاويل يدفع اى يدفع عن الذين امنوا جميع شرور الكفرة واذاهم وتاويل يدافع
اى يدافع الكفار عنهم وينصر المؤمنين عليهم وكان قوله يدافع عن الذين امنوا انما نزل بمكة وعد الذين امنوا
هنالك النصر والدفع عنهم فى حال قلتهم وضعفهم وكثرة اولئك الكفرة وقوتهم وهنالك كانوا كذلك اعنى
بمكة قليلا ضعفاء ويكون نزول قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور بالمدينة لا هنالك كان اهل خيانة لانهم كانوا
اهل كتاب وخانوا على رسالة محمد واشياء خانوهم وكتموها ولم يكن يومئذ بمكة احد منهم انما كانوا جميعا اهل
شرك فيشبه ان يكون ما ذكرنا او ان يكون قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور بازاء ما قالت اليهود نحن ابناء
الله واحباؤه فاخبر انه لا يحب كل خوان كفور على ما يقولون بل يبغضهم وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى
الله عليه وسلم لانه اخبر انه ينصرهم ويدفع عنهم اذاهم وشرهم وانهم خونة فكان على ما اخبر فدل انه بالله عرف
ذلك وقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال بعض اهل التاويل ان المشركين كانوا لا يزالون يؤذون
اصحاب رسول الله ويقاتلونهم وهم لم يؤمروا بقتلهم بعد فلما هاجروا الى المدينة امروا بقتلهم بقوله
اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال بعضهم انه لم يكن لهم الامر بقتالهم ولا الاذن حتى امروا بذلك واذنوا
فقال اولئك انكم لم تؤمروا بقتالنا فكيف تقاتلوننا فاخبرهم انهم اذنوا وامروا بالقتال معهم والله اعلم
بذلك وظاهره انه كان هنالك منع عن القتال حتى اذنوا وامروا ولكن لا ندرى لاية جهة كان ذلك والله اعلم
وقوله وان الله على نصرهم لقدير ظاهر على ما اخبر وقوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا
الله قال بعض اهل التاويل اخرج الكفار اصحاب رسول الله من مكة بغير حق بان قالوا ربنا الله وامنوا به
ووحدوه لهذا اخرجوهم وقال بعضهم على التقديم والتاخير يقول كانه قال اذن للذين ظلموا واخرجوا من ديارهم
بغير حق ان يقاتلوهم الا ان يقول ربنا الله فاذا قالوا ذلك يرفع عنهم القتال لان اهل مكة كانوا لا يقرون
بالله ولا يؤمنون به فاذا قالوا ذلك واقروا به انه ربهم رفع عنهم القتال واما من يقر به ويصدقه لكنه ينكر
رسالة محمد ونبوته فما لم يقر بها ولا يصدق بها فان القتال لا يرفع عنهم ومن يقر به ويصدقه بانه رسوله

الا انه ينكر الشرايع فانه يقاتل حتى يقربها ويصدق بها فاذا اقربها رفع عنهم القتال وذلك كله روي في الخبر
انه قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا
بحقها وفي خبر آخر حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوا ذلك عصموا مني كذا وفي خبر آخر حتى يقولوا
لا اله الا الله واني رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة الى آخر ما ذكرنا فالاول الذين لا يقرون بوحدانية الله فاذا
اقروا به رفع عنهم القتال والثاني في الذين يقرون به ولا يؤمنون بالرسالة فاذا امنوا به رفع عنهم القتال والثالث
في الذين يقرون بالله ويؤمنون برسوله لكنهم ينكرون الشرايع فاذا اقروا بها رفع عنهم القتال كانوا اتوا
ثلاثتهم ما ذكرنا فجاء في كل فريق ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع
وبيع الى آخر ما ذكر وقال في آية اخرى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وفي موضع آخر
لفسدت السموات والارض ونحوه قال بعضهم دفع بالنبيين عن المؤمنين ودفع بالمجاهدين عن القاعدين
ما لو لم يدفع لهدمت كذا وما ذكر اي دفع بالاخيار عن الاشرار وبالاخير عن الادون والا لهدمت وفسد ما
ذكر وقال بعضهم لولا ان الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يزكي عمن
لا يزكي وبمن يفعل الخيرات عمن لا يفعل والا لفسدت الارض ولهدمت الصوامع وما ذكر وعلى ذلك عن ابي الدردا
رضي الله عنه انه صلى باهل دمشق صلوة الصبح فقال لو يعلم الناس ما في هذه الصلوة من الخير لحضروها ثم قال لولا ان
الله يدفع بمن يحضر المساجد عمن لا يحضرها وبالغزاة عمن لا يغزو لجاءهم العذاب قبلا او كلاما نحو هذا وقال الحسن ان
في الصوامع والبيع والكنايس من الرهبان والاحبار من تمسك بالاسلام وشرايعه فيدفع بهم عمن لا يتمسك بهم
وقال بعضهم لولا دفع الله باهل هذا الدين اي الاسلام عن الاديان كلها لكان كذا وقال بعضهم دفع بالمسلمين
عن مساجدهم وبالنصارى عن بيعتهم وباليهود عن كنيستهم الى هذا ذهب اهل التاويل والمتقدمون ولو قيل غير
هذا كان اشبه واقرب وهو ان الله خلق هذا الخلق وجعل بعضهم عونا لبعض وردءا في امر المعاش والدين جميعا
وجعل منافع بعضهم متصلة ببعض ما لو كلف كل القيام بنفسه فيه لهلكوا ولم يكن في وسعهم القيام بذلك نحو انه لو
يكلف احد القيام بجميع ما يحتاج اليه من الحراثة والزراعة والحصاد والدياس والتذرية والطحن والخبز وغيره ما لو
كلف واحد القيام بنفسه بذلك كله هلك ولكن جعل بعضهم عونا لبعض وردءا لهم والانتفاع بعضهم ببعض
وكذلك الغزل والنسج والخياطة والقطع والغسل كله على هذا القياس ما لو كلف كل بنفسه القيام بذلك
كله لهلكوا فاذا هلكوا هلك ما لهم خلق من السموات والارض وما فيهما وما سخر لهم وقال بعضهم دفع بما ذكر اهل
المساجد في المساجد من اسم الله عن اهل الصوامع والبيع والكنايس وهو قريب مما ذكرنا من قبل ثم اختلف فيما ذكر من
الصوامع والبيع والصلوات قال بعضهم الصوامع للراهبين والبيع للنصارى والصلوات الكنايس التي تكون لليهود و
المساجد للمسلمين وقال بعضهم الصلوة للصابئين وقال القتبي الصوامع للصابئين والبيع للنصارى وصلوات
صلوات اليهود والمساجد للمسلمين وقال ابو عوسجة الصوامع للرهبانية والبيع للنصارى مصلاهم والصلوات لليهود
وهي شبه البيعة على ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولينصرن الله من ينصره اي من ينصر دين الله نصره الله او من نصر اولياء
اولياء الله نصره وقال الحسن من حكمه ان من نصر الله نصره وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع وقوله ان الله
لقوي عزيز يحتمل قوي لنصر اوليائه عزيز لانتقام اعدائه او ان يكون قوله لقوي عزيز اي قوي فيضعف كل قوي
من دونه عند قواه ويذل كل عزيز عند عزه او قوي لا قوي سواه عزيز لا عزيز سواه وفي ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات وما ذكر دلالة ان لا تهدم الكنايس والبيع وما ذكر والنهي عن
هدمها لانه ذكر الصوامع والبيع وعلى ذلك تركت الكنايس والبيع في امصار المسلمين لم تهدم ولا خلاف بين اهل
العلم في ذلك وانما يمنعون عن احداث البيع والكنايس في امصار المسلمين وقراهم واما العتيقة منها فانهم يتركون
وذلك والله اعلم وقوله الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة الى آخره قال بعضهم هذا نعت من الله
لاصحاب رسول الله ومن تبعه ومدح لهم بالدوام على دين الله الذين قبلوه واخذوه في حال الخوف بعد ما مكنهم
في الارض وامنهم من ذلك الخوف الذي كان في الابتداء واخبر انهم داموا على ذلك ولم يتركوا ما كانوا عليه بل زادهم
حرصا على ذلك وجهدا وكذلك الآية التي ذكر في سورة النور وهو قوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض الى آخر الآية فان كان التاويل هذا فهو رد على الروافض قولهم ومذهبهم لانهم يقولون
انه لما ولي ابو بكر ارتدوا جميعا وتركوا الدين الذي اختاروه فالآيتان تدلان على نقض قولهم انهم ارتدوا لان
الله عز وجل اخبر انه مكن لهم في الارض واستخلفهم ووعد لهم الجنة وانما ارتد من كان اسلامه بالقهر والغلبة
فاذا مكن لهم تركوا ذلك وقال بعضهم ان الآية وان كان ظاهرها خبرا ووعدا فهي في الحقيقة امر ان افعلوا كذا الى
آخر ما ذكر وهو كقوله ولله عاقبة الامور يحتمل قوله عاقبة الامور اي ترجع اليه الامور في الآخرة كقوله والى

الله ترجع الامور وجائز ان يكون قوله عاقبة الامور لاوليائه من النصر والقهر على اعدائه فالمراد بالاضافة اليه اولياؤه
كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي تنصروا اولياءه وتنصروا دينه ينصركم والله اعلم وقوله وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح الآية هذا يخرج على وجهين احدهما وان يكذبوك فيما اخبرتهم وذكرت من التمكين والثبوت على الدين ووعدتهم
الجنة فقد كذبت لهم الامم الذين من قبلك رسلهم اذا اخبروا لهم بشيء او وعدوا لهم بنصر ونحوه وجائز ان يكون قوله
وان يكذبوك في الرسالة وفيما تخبر عن الله من الاخبار بغير رسوله فيقول لست انت باول مكذب في الخلق ولكن قد كذب
الاقوام الذين كانوا من قبلك رسلهم في الرسالة وهو ما قال وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك الآية
وقوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير اي لم يعاقب الله قوما كذبوا رسولهم وقت تكذيبهم الرسل بل
امهلهم حتى اعتروا بتاخير العذاب عنهم وزادهم تكذيبا وعنادا فعند ذلك اخذوا وعوقبوا بالتكذيب وهو ما اخبر
عنهم وهو كقوله لولا يعذبنا الله بما نقول قال الحسن ان الله لم يهلك قوما باول التكذيب ولكن امهلهم قرنا فقرنا و
قوما بعد قوم ورسولا بعد رسول فعند ذلك اذا علم منهم انهم لا يؤمنون اهلكهم وان كان يعلم في الازل من يؤمن
منهم ومن لا يؤمن حتى يعلم علم ظهور وعلم ابتلاء انهم لا يؤمنون وهو كقوله حتى نعلم المجاهدين منكم على ظهور في الخلق
وان كان يعلم علم باطن وخفي وقوله وكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة لم يهلك الله عز وجل اهل قرية اهلاك
استيصال وتعذيب الا بعد عناد اهلها وظلم شرك كقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وكقوله وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم وامثاله كثير على ما ذكرنا وقوله فهي خاوية على عروشها قال فاذا ذهبت السقف وبقيت الحيطان
فهي خاوية على عروشها وقال بعضهم خاوية خربة ساقطة حيطانها على سقوفها وقال الحسن العريش كل ما يرتفع
من الارض وعلا يقال عرش وعروش جميع وهكذا كان ما اهلك الله من القرى منها ما اهلك اهلها وترك القرى
والبنيان على حالها لاوليائها من ذلك فرعون وقومه وغيره من الاقوام ومنها ما اهلك القرى باهلها لم يترك منها
شيئا من نحو قريات لوط وثمود وعاد وهؤلاء وقال بعضهم العروش هي اجذام البنيان واجذام الشجر وكانها اسطوانة
واصل الخاوية خلاؤها عن الاهل وكذلك وقوله وبئر معطلة عطلها اهلها ليس بها احد لانها خربت على ما ذكرنا
من اهلاك اهلها وقوله وقصر مشيد قال بعضهم مشيد بجصص والشيد الجص وقال بعضهم مشيد اي مرتفع و
المشيد بالتشديد المطول المرتفع قال القتبي المشيد المبني وهو الجص والمشيد المطول ويقال هما سوا وهو مطول
وكذلك قال ابو عوسجة او قريبا منه وكانه ذكر هذا لاهل مكة لوجهين احدهما ان كانت لهم قرية فيها قصور مشيدة
متحصنة يتحصنون بها يخبر ان من كان قبلكم اشد قوة واكثر حصنا وقصورا فلما كذبوا رسولهم لم ينفعهم ذلك و
نزل بهم العذاب فعلى ذلك انتم يا اهل مكة اذا كذبتم رسولكم ينزل بكم مثل ما نزل باولئك او ان يكونوا امنين فيها ثم
مطمئنين فقال ان اولئك قد كانوا امنين مطمئنين في قراهم كامنكم ثم نزل بهم ما نزل فانتم وان كنتم امنين فينزل بكم
ما نزل باولئك وهو ما قال الله عز وجل وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة الآية والله اعلم وقوله افلم يسيروا في الارض
اي افلم ساروا في الارض فيكون لهم قلوب يعقلون بها فينظروا او يعرفوا ما حل باولئك بالتكذيب فيمتنعوا عنه و
اذان يسمعون بها اي لم يسيروا فيستمعوا الى الاخبار التي فيها ذكر هلاكهم وما نزل بهم بالتكذيب والعناد لان ما
حل بالاولين انما يعرف ذلك باحد امرين اما بالمعاينة بالنظر اليهم واما بالسماع من الاخبار او ان يكون قوله افلم يسيروا
في الارض اي قد ساروا في الارض لكن لم تكن لهم قلوب عقول او انهم يعقلون بها ما نزل باولئك بالتكذيب فيعتبروا
بذلك ولا كانت لهم اذان يسمعون ما حل بهم او كانت لهم عقول يعقلون بها لو نظروا حق النظر واذان يسمعون بها
لو سمعوا حق السماع لكنهم لما لم ينتفعوا بعقولهم واسماعهم نفى ذلك عنهم وهو ما قال فانها لا تعمى الابصار الظاهرة
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو ما نفى عنهم السمع والبصر لتركهم الانتفاع بها صم بكم عمي وقال بعضهم هذه
الآية في شان عبد الله بن زايدة ابن ام مكتوم الاعمى معناه ان العمى عمى القلب ليس عمى البصر وهو كان عمى البصر لا عمى
القلب هذا معناه ثبت والله اعلم وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده الذين وعد في نزول العذاب
انه ينزل بهم لا يتقدم ولا يتاخر عن ميعادهم وقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال عامة اهل التاويل
نحو ابن عباس والضحاك ومجاهد وهؤلاء انها هي الايام التي خلق الله فيها الدنيا وجعلها اجلا لها يعد كل يوم
من تلك الايام كالف سنة والى هذا صرف عامة اهل التاويل فلا نعلم لذلك وجها وقال بعضهم وان يوما عند
ربك من عذابهم في الآخرة كالف سنة مما تعدون في الدنيا اليوم الواحد الف سنة ووجه هذا ان الوقت القصير
القليل يجوز ان يصير بعيد الطول لشدة العذاب والبلاء نحو ما قيل لهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قصر
مقامهم في الدنيا لشدة ما عاينوا من العذاب فعلى ذلك هذا والله اعلم وجائز ان يكون هذا لا للتوقيت والمدة
ان الآخرة مما لا غاية لانتهائها وكل شيء لا غاية لانتهائه تذكر الوقت ثم يخرج مخرج التمثيل لا التوقيت كقوله وجنة
عرضها كعرض السماء والارض وقال عرضها السموات والارض ليس على التحديد لها والتوقيت ولكن على ما يخرج

عن الاوهام ذكر ذلك ومثلها به فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة اي امهلت
لها لم اخذها وقت ظلمهم ثم اخذتها من بعد والى المصير وقوله قل يايها الناس انما انا لكم نذير مبين هو ظاهر
قد ذكرناه في غير موضع وقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ومعاصيهم ورزق كريم قال
بعضهم سماه رزقا كريما لان من رزق ذلك واعطى يكرم ويعظم قدره وقال بعضهم سماه كريما لان الكريم هو الذي
يقضي عند الحوايج والحاجات فعلى ذلك هذا الرزق من ناله واصاب قضى عنده الحوايج لذلك سمي كريما والله اعلم
وقوله والذين سعوا في اياتنا معاجزين وفي بعض القراات معجزين قال بعضهم معاجزين مثبطين مبطلين يثبطون
الناس عن اتباع النبي والاشبه عندنا ان يكون قوله معاجزين سابقين فايتين لكنه على الاضمار كانه قال والذين
سعوا في اياتنا معاجزين على ظن منهم انه سابقون فايتون عن عذابه اولئك اصحاب الجحيم وقوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قيل في تلاوته وقراءته الاية قال عامة اهل
التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تمنى اي تلا في صلوته او حدث نفسه القى الشيطان على لسانه عند تلاوته
بالنجم اذا هوى حتى اذا انتهى الى قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن
ترتجى وذكروا انه اتاه على صورة جبريل فالقى عليه ما ذكروا ثم اتاه جبريل فاخبره النبي بذلك فقال له انه لم يعرض
عليه قط شيئا مثله وامثال ما قالوا لكنه لو كان ما ذكر هولاء كيف عرفه في المرة الثانية انه جبريل وانه ليس
بشيطان ولا يومن ان يلبس عليه في وقت اخر في امثاله وقال قتادة انه صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان يذكر الله
الهتهم بعيب فلما قرا تلك الاية ومناة الثالثة قال انهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى عندهم يعني به عند اولئك
الكفرة وهم على ذلك كانوا يعبدونها وقال الحسن انه اراد بقوله تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى الملائكة هم
لانهم كانوا يعبدون الملائكة رجاء ان يشفعوا لهم يوم القيمة فاخبر ان شفاعة الملائكة ترتجى وهذا
التاويل اشبه من الاول والاشبه عندنا ان يكون على غير هذا الذي قالوا وهو ان قوله وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الا ان تمنى القى الشيطان في امنيته اي عند تلاوته القران او في تلاوته القران في قلوب الكفرة
ما يجادلون به رسول الله ويحاجونه فيشبهون بذلك على الاتباع ليتبعوهم وهو نحو قولهم انه يحرم ما ذبحه الله
ويحل ما ذبح هو بنفسه ونحو قولهم عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
فقالوا ان عيسى وعزيرا والملائكة عبدوا من دون الله فهم حصب جهنم اذا ونحو قولهم في قوله الم ذلك الكتاب لا ريب
فيه الى حساب الجمل وامثال هذا مما حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجادلوه به فاخبر انه ينسخ مجادلتهم ومحاجتهم
رسوله وانه يحكم اياته حيث قال عند قولهم انه يحل ذبيح نفسه ويحرم ذبيح فبين انه يحرم هذا ويحل الاخر
وهو قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق ولكن كلوا مما ذكر اسم الله عليه فبين انه انما احل
هذا لذكر اسم الله عليه وحرم الاخر بترك ذكر اسم الله عليه وبين في قولهم ان عيسى عبد دون الله والملائكة
عبدوا دونه فهم ليس لحصب جهنم حيث استثنى اولئك فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية فابطل
مجادلتهم ومحاجتهم فصرفهم الاية الى حساب الجمل بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات الاية
فهذا والله اعلم تاويل قوله فينسخ ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته نسخ ما القى الشيطان في قلوب اولئك الكفرة
ما به جادلوه وحاجوه واحكم اياته مما ذكرنا ثم ان ثبت ما ذكر ابن عباس وعامة من ذكرنا حيث قالوا جرى على
لسانه ذلك فجائز عندنا جرى الخطا على لسان من عظم اذا عرف السامع منه مذهبه ودينه الذي يدين به
عرف ان ما جرى على لسانه جرى غلطا وخطا نحو من يعتقد مذهبا فينتحل نحلة تجري على لسانه خلاف ما يعرف
منه الاعتقاد يعرف انه جرى على لسانه غلطا فعلى ذلك الذي ذكره اهل التاويل ان ثبت ما ذكروا عنه انه قاله
ذلك والاشبه فيه ما ذكرنا من القاء الشيطان في قلوب الكفرة ما يجادلون به رسول الله ويحاجونه كقوله
ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم الاية وقال القتبي الا اذا تمنى اي تلا القران القى الشيطان
في امنيته اي في تلاوته وكذلك قال ابو عوسجة وقال وانما في مسنده تجمع وقال غيرهم اذا تمنى اذا حدث وفي
امنيته في حديثه قال بعضهم تمنى وامنيته هو من تمني النفس كقوله ولا تتمنوا ما فضل الله الاية ونحوه وهو
قول الحسن تمنى كبعض ما يتمنى الناس من الدنيا وقال قتادة تمنى ما ذكرنا من تمني النفس ان تذكر الهتهم التي
كانت تدعى وترتجى شفاعتهن على ما ذكرنا والله اعلم وقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
هذا على تاويل القوم ليجعل ما يلقي الشيطان في قلوب اولئك الكفرة فتنة للذين في قلوبهم مرض وعلى تاويلنا
ليجعل ما يلقي الشيطان في قلوب اولئك الكفرة فتنة للذين ذكر لما ظنوا لعله لا يقدر لاجابة لهم او لا يحضره
ما يجيبهم فيكون ذلك فتنة لهم والله اعلم وقوله في قلوبهم مرض كانهم هم المنافقون لانهم هم الموصوفون
المسمون بهذا الاسم كقوله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله

والقاسية

والقاسية قلوبهم كانهم هم الروساء المكابرون المعاندون لرسول الله والكفرة كلهم موصوفون بقساوة قلوبهم
كقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقوله وان الظالمين لفي شقاق بعيد يحتمل اي
لفي عناد ومكابرة بعيد عن الاجابة له او بعيد لاسماع الحق وقبوله وقيل شقاق اي خلاف بعيد اي لا يرجعون الى
الوفاق ابدا وقوله وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيومنوا به وقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
هذه الاية كالايات التي ذكرناها فيما تقدم من ذلك قوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا
فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض الاية ونحوها من الايات التي وصف اهل
التوحيد بالقبول لها والخضوع والاذعان اليها ووصف اهل الكفر بالرد والتكذيب فعلى ذلك قوله وليعلم
الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك علم الذين اوتوا العلم ان القران هو الحق من ربك لانهم نظروا اليه بالتعظيم
بالتبجيل والخضوع له فاقروا به فزادهم بذلك هدى ورحمة وشفاء واولئك نظروا اليه بالاستخفاف والهوان
والتكذيب فزادهم بذلك رجسا وضلالا وقساوة وقوله عذاب يوم عقيم قال بعضهم هو يوم بدر وقال بعضهم
هو عذاب يوم القيمة وهو شديد وجائز انه سماه عقيما لانه لا يرجى النجاة منه ولا الخير وكذلك سميت المراة لا تلد
عقيما لما لا يرجى منها الولد وقوله الملك يومئذ لله يحكم بينهم قال الحسن الملك في الاحوال كلها لله في الدنيا والاخرة
لكن تاويل قوله الملك يومئذ لله اي الحكم يومئذ لله هو يحكم بينهم دون الخلايق لان في الدنيا من قد حكم
بغيره فاما يومئذ فالحكم له وعندنا تخصيص الملك له يومئذ بالذكر وان كان الملك في الايام كلها لله لانهم
جميعا يقرون له بالملك يومئذ لا احد ينازع وفي الدنيا من قد ادعى الملك لنفسه وهو ما ذكره في قوله وبرزوا
لله جميعا والى الله المصير والى الله ترجع الامور ونحوه فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله فالذين امنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ظاهر تاويله وقوله والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا اما اهل التاويل فانهم صرفوا تاويل الاية الى الغزاة والمجاهدين في سبيل الله قتلوا او
ماتوا حتف انفهم فان لهم ما ذكر من الرزق الحسن والمدخل المرضي وظاهره ان يكون في الذين هاجروا الى رسول الله فان
كان فيهم ففيه دلالة نقض قول الروافض حيث قالوا ارتد عامتهم حيث شهد الله لهم بالجنة والرزق الحسن
والمدخل المرضي قتلوا او ماتوا حتف انفهم فلا يحتمل ان يكون منهم قالوا القتبي قوله فتخبت له قلوبهم اي تخضع
وتذل وهو كما ذكرنا في قوله وبشر المخبتين وقال عذاب يوم عقيم كانه عقم عن ان يكون فيه خير او فرج للكافر
وقال ابو عوسجة عذاب يوم عقيم شديد وهو ما ذكرنا وقوله ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل هو الجنة لانه انما ذكر
بعد الموت والقتل فلا يكون رزق حسن الا في الجنة يستحسنها كل طبع وعقل وقوله وان الله لهو خير الرازقين
وان لم يكن رازق سواه لانهم كانوا يطمعون ويطلبون الرزق والسعة من عند من سواه حيث كانوا يعبدون
من دونه طمعا في السعة فاخبر انه هو الرازق ومنه يطمع الرزق والسعة لانه هو المالك لذلك وهو ما قال
احسن الخالقين وان لم يكن خالق سواه وقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو الجنة ايضا يرضى بها كل طبع وعقل
وان الله لعليم حليم عليم بما صنع باوليايه واعدايه او ما صنع هو باوليايه حليم حيث اخر الانتقام من اعدائه لم
ينتقم منهم وقت صنيعهم بما صنعوا باوليايه والله اعلم وقوله ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به قد ذكرنا فيما
تقدم انه جائز في اللغة ذكر حرف ذلك وحرف هذا على الابتداء وان كان مما يخبر به عن غائب نحو قوله هذا
ذكر وان للمتقين لحسن ماب هذا وان للطاغين يستقيم ذكره بدون ذكر هذا وهو ان يقول وان للمتقين كذا وان
للطاغين كذا فعلى ذلك هذا او ان يكون ذكر ذلك صلة ما سبق من ذكر الانبياء والاخبار يقول ذلك الذي ذكرت
لك وانبائك من عاقب به ثم اختلف في سبب نزول هذه الاية قال بعضهم هي في القصاص ان من قتل ولي اخر
فاقتص منه ثم ان المقتص منه بغى على ولي المقتول فقتله لينصرنه على من بغى عليه وهو ما ذكر في اية اخرى وهو
قوله فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ثم قال
فمن اعتدى بعد ذلك فله كذا لكن ذكر ههنا الاعتداء بعد ما اخذ المال وعفا وفي الاول ذكر البغي بعد القصاص
وهو واحد في المعنى وقال بعضهم نزل في المومنين والمشركين وذلك ان المشركين عاقبوا المومنين بعقوبات واعتدوا
عليهم ثم ان المسلمين ظفروا بهم فعاقبوهم جزاء عقوبتهم ثم ان المشركين بغوا على المومنين فوعد الله لهم النصر
عليهم بعد البغي وقال بعضهم قريبا من هذا وهو ان المشركين كانوا يوذون اصحاب رسول الله ومن امن منهم
ويعاقبوهم في اشهر الحج ولم يكن للمومنين اذن بقتالهم في ذلك الوقت فقاتلوهم مكافاة لهم فاخبر الله عز وجل
ووعد لهم النصر اذ بغي اولئك عليهم من بعد فعلى هذا التاويل يكون وعد النصر لهم اذ بغى اولئك عليهم من
بعد وعلى التاويل الاول يكون لهم الوعد بالنصر بعد ما بغى اولئك على هولاء والله اعلم بذلك وقوله ان الله
لعفو غفور للمومنين وقتالهم اولئك في اشهر الحج حيث كان لم ياذن لهم بالقتال او ان الله لعفو غفور اذا

تابوا ورجعوا عما عملوا والله اعلم وقوله ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل قد ذكرنا انه يخرج
ذلك بما يستقيم ذكره على الابتداء والاستيناف على غير صلة وجايز ان يكون صلة قوله لينصرنه الله اي ذلك النصر لمن ذكر
لان من قدر على ايلاج الليل في النهار وايلاج النهار في الليل قادر على ما وعد من النصر لهم وقوله وان الله سميع بصير
سميع لاقوالهم بصير بحوايجهم والسميع يقال هو المجيب اي مجيب لدعايهم بصير بما يكون من الاعداء وان يكون على الابتداء
في كل امر وكذلك ذلك بان الله هو الحق ما ذكرنا وقال بعضهم ذلك بان الله امر هو الذي يفعل هذا وقوله ذلك بان الله
هو الحق قال الحسن الحق هو اسم من اسماء الله به يعطي وبه يمنع وبه يحكم بين الخلق وبه يقضي ونحوه وجايز ان يكون قوله
ذلك بان الله هو الحق ان عنده تحقق ما يطمع في العبادة ويطلب اذ هو الملك لذلك وقوله وان ما تدعون من دونه
الباطل اي ما تطمعون بعبادته من دونه باطل وهو الاصنام التي عبدوها رجاء الشفاعة او طمعا في السعة فاخبر انها
لا تملك ذلك وانما يملك ذلك الله وقوله وان الله هو العلي الكبير اي من عنده يطلب العلو ومن عنده يطلب ويطمع
الرزق والسعة والشفاعة والنصر والظفر والاجابة لا من عند هؤلاء الاصنام التي تعبد ونها يذكر سفههم بعبادة
الاصنام من دون الله وقوله الم تر اختلف فيه قال بعضهم الم تر انما هو حرف تعجيب يعجب رسول الله جميع ما
يفعل من افعاله وقال بعضهم الم تر هو حرف ايضاح الحجج وانارة براهينه كقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل ونحوه
واصله ان ظاهره وان كان استفهاما فهو في الحقيقة تحقيق وايجاب الم تر اي قد رايت واخبرت وهكذا جميع
ما خرج الظاهر في الكتاب مخرج الاستفهام فهو في الحقيقة ايجاب والزام ثم في قوله ان الله انزل من السماء ماء
فتصبح الارض مخضرة وجهان من الاستدلال على منكري البعث احدهما يخبر عن قدرته وسلطانه ان من قدر
على انزال الماء من السماء وشق الارض واخراج النبات منها مع لينه وضعفه وصلابة الارض وشدتها قادر
على احياء الخلق بعد الموت ولا يحتمل ان يعجزه شيء والثاني حيث قدر على احياء الارض بعد موتها ويبسها لقادر
على البعث والاحيا وقد عرفوا ان اعادة الشيء اهون من ابتدائه اذ يقدر على الاعادة من لا يملك على الابتداء اذا
عرف الابتداء وقوله ان الله لطيف خبير قال الحسن اللطيف في الشاهد انما يقال على وجوه ثلثة احدها انه يقال
للشيء لطيف لرقته وذلك عن الله منفي والثاني يقال لطيف لما يتاتى له الاشيا ولا يصعب عليه والثالث
اللطيف هو الرحيم وهذان الوجهان يضافان الى الله والاول لا يجوز اضافته اليه خبير عليم وقوله له ما في السموات
وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد يخبر ان له ما في السموات وما في الارض وانهم عبيده واماؤه وانه لم يخلقهم لحاجة
نفسه ولكن انما خلقهم لحاجة انفسهم حيث اخبر انه الغني بذاته والثاني يخبر انه لم يامرهم ولم ينههم ولا امتحنهم
لمنافع تكون له ولكن لمنافع الممتحنين الحميد هو المحمود في افعاله والحميد الحامد وقوله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
والفلك تجري في البحر بامره يذكرهم نعمه ليتادى به شكره لانه يخبر انه سخر لهم ما في الارض من انواع المنافع ليعلموا
انه لم يخلقهم عبثا ويتركهم سدى لان من كان يخلقه لما ذكر لم يكن خلقه ليكون خلقا متروكا سدى ويخبر انه اعطى
لهم الاسباب التي بها يصلون الى منافع الارض مع شدتها وصلابتها واسبابا التي بها يصلون الى منافع البحر وهي
الفلك التي خلقها لهم ليصلوا بها الى منافع البحر حيث خلق الخشب قائمة على وجه الماء غير متسربة وغيره من الاشياء من
طبعها التسفل والتسرب في الماء من الحديد ونحوها من الاشيا ليعرفوا فضله ورحمته ان كيف ثبت وقر هذا
على وجه الماء ولم يثبت الحديد والحجر ونحوه ثم ثبت الحديد على وجه الماء مع الخشب اذ السفن لا تخلو عن الحديد وبه
يقوم السفن ثم لم يتسرب والله اعلم وقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه اي يمسك السماء لا بالالات
ولا بالاشيا التي يمسك الاشيا في الشاهد وهو ما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الاية هو
وقوله ان الله لرؤف رحيم اي من رافته ورحمته ما خلق لهم وسخر ما ذكر وقوله هو الذي احياكم ثم يميتكم هذا قد
ذكرنا وقوله ان الانسان لكفور جايز ان يكون قوله ان الانسان اي الكافر لكفور بالبعث اي جاحد له او لكفور
لربه في نعمه التي انعمها عليهم حيث ذكر انه سخرها لهم في قوله سخر لكم كذا لانه ينظر في النعم الى اسبابه والحيل
التي يحتال لا الى فضل ربه وافضاله في تلك النعم لذلك صار كفورا لربه في نعمه واما المؤمن فانه ليس ينظر الى
الاسباب والحيل فيها ولكن ينظر الى فضل الله وافضاله وانعامه عليه فيها فيكون شكورا له فيها غير كفور والكافر
ينظر الى ما ذكرت لذلك كان ما ذكر وعلى المعتزلة في قوله ان الانسان لكفور لانه يقول هو الذي سخر الفلك وهم
يقولون لم يسخر الفلك ولكن انما سخر الخشب التي منها يتخذ الفلك لانهم لا يرون لله في فعل العباد تدبيرا ولا
صنعا وهم يكفرون نعمة ربهم فيما ذكر من تسخير الفلك لنا وهم داخلون في نظام هذه الاية على الوجه الذي ذكرنا
وقوله ولكل امة جعلنا منسكا اختلف في المنسك قال بعضهم منسكا اي جعلنا لكل امة دينا يدعون اليه اي
كل امة تدعى الى دين واحد وهو دين الاسلام وهو قول الحسن وقال بعضهم لكل امة جعلنا منسكا اي شريعة
فهذا على الاختلاف اي جعلنا لكل امة شريعة على حدة هم ناسكوه ذلك كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا و

وقال عامة اهل التاويل منسكا اي ذبايح وعيد فالوا ذكر هذا والله اعلم لان من الناس من ينكر ان يكون الذبح شريعة
الله فاخبر ان الذبح سنة وشريعته في الامم كلها ليس على ما قالت الثنوية وقوله فلا ينازعنك في الامر على تاويل من
يقول ان المنسك هو الذي لا يخالجنك في نفسك الذي انت عليه هو دين الله وادع الناس اليه وعلى تاويل من
يقول هو الذبح يقول فلا ينازعنك امر لا يصدنك عن الذبح من ينكر ذلك كقوله ولا يصدنك عن ايات الله وقوله وادع الى
ربك امر ادع الى توحيد ربك او يكون قوله ادع الى ربك الى عبادة ربك وانههم عن عبادة من دونه وقوله انك لعلى
هدى مستقيم يدل ان التاويل الذي ذكرنا في المنسك هو الذي اشبه واقرب لانه ذكر انك لعلى هدى مستقيم
فلا يخالجن في نفسك شك في ذلك والله اعلم وقوله وان جادلوك في امر الذبيحة او في الدين وقد جادلوه في الدين
كثيرا لكن ذلك قالوه والله اعلم عند اياسه عن توحيدهم واسلامهم يقول والله اعلم وان جادلوك في التوحيد والدين
فقل الله اعلم بما تعملون وهو كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير فعلى ذلك قوله الله اعلم بما تعملون
الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من الدين قال بعض اهل التاويل هذه الاية منسوخة نسختها اية
القتال لان فيها حظرا عن القتال والترك على ما هم عليه وتسليم الامر الى الله يحكم بينهم يوم القيمة لكن جايز ما ذكرنا
انه انما قال ذلك عند الاياس منهم عن توحيدهم وقوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض قد ذكرنا في غير
موضع ان حرف الم حرف يتوجه الى وجوه الى التعجيب والى التنبيه والايقاظ تانيا والى ايضاح الحجج والبراهين
ثالثا وقوله ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حججا و
براهين وما ليس لهم به علم يخبر عن سفههم انهم يعبدون غير الله ولا سلطان ولا حجة لهم ولا لهم بذلك علم
لانهم كانوا لا يؤمنون برسول يخبرهم ولا كان لهم كتاب فيعلمون به فيقول انهم يقولون الله امرهم بذلك ولا حجة
لهم في ذلك ولا علم وفيه انه انما بعث الرسل اليهم على علم له منهم انهم يكذبون الرسل لان من الناس من ينكر بعث
الرسل الى من يعلم انه يكذبهم ويترك اجابتهم كمن لا يبعث في الشاهد رسولا الى من يعلم انه يكذبه ولا يجيبه فعلى ذلك
يقولون لا يجوز ان يكون الله يبعث الرسول الى من يعلم انه يكذبه ولا يجيبه لكن الله اخبر انه على علم منهم بالتكذيب وترك
الاجابة بعثهم حيث قال الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض واما قولهم ان من علم في الشاهد تكذيب المرسل
اليه رسوله فانه لا يبعثه اليه لان المرسل انما يبعثه لحاجة نفسه ومنافعه فاذا علم منه تكذيب وترك الاجابة
له لم يبعثه فاما الله سبحانه وتعالى انما يرسل الرسول لحاجة المرسل اليه ومنافعه لا لحاجة نفسه ومنفعته فلو
ضرر يلحقه في تكذيبه وجحوده فجاز ارساله على علم منه بالتكذيب وقوله ان ذلك في كتاب قال بعضهم ان ذلك
العلم في الكتاب الذي عنده ان ذلك على الله يسير لقوله حفظه يسير على الله بغير كتاب لا يصعب عليه حفظ شيء
لانه عالم بذاته لا بسبب ولا تعليم وانما يصعب ذلك على من كان علمه بالشيء بسبب وتعليم وقوله الم تعلم ان
الله يعلم ما في السموات والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير فيه دلالة رد قول القدرية حيث قالوا
يكذب من كذب بالرسول الا بارادة الله فذكر انه على علم منه ذلك بعثهم وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال سيكون في اخر الزمان ناس من امتي يكذبون بالقدر سيكفيكم من الرد عليهم ان تقولوا الم تعلموا ان
الله يعلم ما في السماء والارض وتاويل هذا والله اعلم ان يسالوا فيقال لهم اراد الله ان يصدق في خبره الذي
اخبر او يكذب فان قالوا اراد ان يصدق في خبره لزمهم ان يقولوا اراد جميع ما كان منهم وان قالوا اراد ان يكذب
خبره فيكون كفرا محضا وقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا هو ما ذكرنا انه يسفههم بعبادتهم
دون الله بلا حجة ولا برهان ولا علم وتركهم عبادة الله مع الحجج والبراهين والعلم انه له وانه ربهم مستوجب
للعبادة وقوله وما للظالمين من نصير ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله فيه دلالة اثبات رسالته لانه انما
قال ذلك للرؤساء منهم والقادة فلم يتهيا لهم نصرة شيء ولا رد ما قال بشيء دل انه بالله كان ذلك والله اعلم قوله
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يحتمل الايات الحجج والبراهين ويحتمل القران المنزل عليه تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
الانكار واثر العناد والرد للايات والكراهية والبغض له يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يخبر عن
سفههم وشدة تعنتهم وعتوهم عند تلاوة الايات عليهم واقامة الحجج عليهم حيث قال يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم يسطون قيل يأخذون اخذا وقيل يبطشون بطشا وقال القتبي يسطون اي يتناولونهم بالمكروه من الشتم
والضرب وقال ابو عوسجة يكادون يسطون اي يقعون بهم يقال سطا يسطو سطوا ورجل ذو سطوة وبطشة
اي ذو وقوع وقد وقع قال ويقال سطوت بفلان اي اخذته اخذا شديدا وبطشت به كذلك ثم قال قل افانبئكم بشر
من ذلكم النار ظاهر الاية ليس بجواب لما تقدم وصلته وليس على الابتداء ولكن على نازلة وامر كان منهم لم يذكر لنا
ذلك فاما ابن عباس وغيره من اهل التاويل قالوا انما نزلت جوابا لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه
حيث قالوا اما نعلم قوما اشقى منكم ولا اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم حيث راوهم قد حظرت الدنيا عليهم لم يعطو

من الدنيا شيئا فنزل جوابا لهم قل افانبئكم بشر من ذلكم النار الاية وقال بعضهم هو جواب قوله يكادون يسطون
بالذين يتلون قل افانبئكم بشر من ذلكم النار كقوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله الاية
وقوله يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له قد ذكرنا معنى ضرب الامثال والحاجة اليها وذلك ان العقول بجوازات
يعترض ما يستر عليها سبيل الحق ويحجب عنها ادراك الحق فضرب الامثال ليرتفع عنها ذلك الحجاب والستر ليدرك العقل
سبيل الحق والا لم يجز ان لا يدرك العقول لما جعلت العقول له من درك الحق لكن يمنع عن درك الحق وسبيله ما
ذكرنا من اعتراض الستر والحجب فيستكشف ذلك بما ذكرنا من الامثال ثم في هذا المثل وجهان احدهما يخبر عن تسفيه
احلامهم في عبادتهم من لا يقدر على خلق اضعف خلق وهو ما ذكر لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وتركهم عبادة من
هو خالقهم وخالق جميع الخلايق والثاني يخبر عن قطع ما يأملون ويطمعون من عبادتهم الاصنام حيث قال وان
يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ويتركون عبادة من يومل منه ويطمع كل خير والله اعلم وقوله فاستمعوا له
قال بعضهم اجيبوا له وقال بعضهم استمعوا له استماع من ينظر ويامل الحق ويقبله ومعناه انا اظهر له الاستماع
من لا ينظر الى الحق ولا يقبله والله اعلم وقوله ان الذين تدعون من دون الله قال بعضهم يدعون اى تعبدون من
دون الله وقال بعضهم تدعون من دون الله على الدعاء اى تسمونهم الهة من دون الله وقد كان منهم الامران جميعا
العبادة للاصنام من دون الله وتسميتهم اياها الهة من دون الله وقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فيه ما ذكرنا
من الوجهين من تسفيه احلامهم في عبادتهم من لا يملك خلق اضعف خلق الله وعجزهم عما يأملون من النفع وعن
دفع من يروم بهم الضرر وسلب ما ذكر منها ثم اختلف في قوله ضعف الطالب والمطلوب قال بعضهم الطالب هو
الصنم والمطلوب هو الذباب لكن على هذا التاويل يضمر فيه لو اى ضعف الصنم لو كان طالبا وقال بعضهم الطالب
هو الذباب والمطلوب هو الصنم فان قيل وصفهما جميعا بالضعف الذباب والصنم جميعا على تاويلهم اعنى هؤلاء
فالصنم ضعيف عاجز على ما وصف واما الذباب فهو ليس بضعيف لانه غلب ذلك الصنم ان كان طالبا او مطلوبا هو
فكيف وصفه بالضعف وهو الغالب عليه في الحالين لكنه كانه يرجع قوله ضعف الطالب والمطلوب الى العابد والمعبود
كانه قال ضعف العابد عما يامل ويطمع من عبادته اياه وضعف المعبود عن ابقاء ما يومل ويطمع منه فهذا كانه
اشبه واقرب الى التاويل من الاول والله اعلم وقوله ما قدروا الله حق قدره اختلف فيه قال بعضهم ما قدروا
حق قدره اى ما عرفوا الله حق معرفته حيث قالوا له بالشريك والولد والصاحبة وما قالوا فيه مما لا يليق به
لانهم لو عرفوه حق معرفته لم ينسبوا اليه شيئا مما نسبوا اليه ولا وصفوه بالذي وصفوه وعرفوا براءته وتعاليه
من ذلك لكن حيث لم يعرفوه حق معرفته شبهوه بواحد من خلقه على ما ذكرنا وقال بعضهم ما قدروا الله حق قدره
اى ما عظموا الله حق عظمته حيث صرفوا العبادة والشكر الى غيره اذ لو عظموه حق تعظيمه ما صرفوا عبادتهم وشكرهم
الى غير الذي انعم عليهم وما اشركوا غيره في ذلك علم علم منهم انه انما وصلت اليهم تلك النعم من الله لا ممن عبدوه
وبالله العصمة والصواب ثم يكون تعظيمه ومعرفته على الحقيقة بتعظيم اموره وقبولها والقيام بها لا في قوله
باعظم باكبر ونحوه ولكن على ما ذكرت من تعظيم اموره وقيامه بها وكذلك المحبة لله انما يكون في القيام باموره و
اقباله نحوها والانتهاء عن مناهيه لا فيما في قوله انا احببتك او تصور شيء في قلبه ولكن ما ذكرت والله اعلم
وقوله ان الله لقوي عزيز يحتمل قوله ان الله لقوي لنصر اوليائه وجعل العاقبة لهم عزيز منتقم من اعدائه او
يقول لقوي لانه يضعف جميع القوى عند قوته عزيز يذل جميع العزيز عند عزته او يقول لقوي لانه به يقوى من
يقوى ومنه يستفيد ذلك عزيز لانه به يعز من عز ومنه كان ذلك والله اعلم وقوله ان الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس يحتمل قوله يصطفي من الملائكة رسلا اى اختار رسلا من الملائكة الى الملائكة في بعض ما
امتحنهم من انواع العبادات له والطاعات بعث منهم اليهم رسلا بتبليغ ذلك على ما اختار من الناس رسلا اليهم
فيما امتحنهم ويحتمل اصطفى رسلا من الملائكة الى الرسل من الانس ومن الناس اى اختار منهم اعني من الناس رسلا
الى الانس والله اعلم كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وقوله انه سميع بصير جائز ان يكون قوله بصير لمن يبلغ
الرسالة ومن لا يبلغ وبصير لمن اختارها ومن لم يختر سميع لما يتلقى المرسل اليه الرسول من الاجابة والقبول
والرد والتكذيب وانه على علم منه بالرد والتكذيب ارسل وفيه دلالة انه انما اصطفاهم للرسالة لا لشيء هو
يستوجبون منه ذلك ولكن افضالا منه وانعاما منه لهم حيث قال الله يصطفي كذا وهو ينقض قول المعتزلة
حيث قالوا لا يختار للرسالة الا من كان منه ما يستحق ذلك وقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يحتمل قوله ما
بين ايديهم اى يعلم ما كان قبل ان يخلقهم وما خلفهم بعد ما خلقهم وقال الحسن يعلم باوايل امورهم وباواخرهم
وقال بعضهم ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة وقال بعضهم ما بين ايديهم من الاخرة وما خلفهم
من الدنيا وجائز ان يكون قوله يعلم ما بين ايديهم ما عملوا بانفسهم في حيوتهم ما خلفهم ما سنوا لغيرهم من بعدهم

كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ما قدمت ما عملوهم بانفسهم في حيوتهم وما اخرت ما سنوا لغيرهم من بعدهم وجايز
ان يكون على حقيقة بين الايدي والخلف ولكن لا يخفى عليه شيء من افعالهم واقوالهم والى الله ترجع الامور وقد ذكرنا
معناه فيما تقدم وقوله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير في الاية دلالة ان الايمان
هو شيء خاص وشيء واحد لا اسم جميع الخيرات وهو التصديق لانه ان ثبت لهم اسم الايمان ثم امرهم بالركوع والسجود
وفعل الخيرات لان جميع المخاطبين بهذه الاية عرفوا من خوطب بها فلو كان اسما لجميع الخيرات لكان لا يعرف المخاطب بها
لانه لا يقدر احد على جميع الخيرات فدل انه شيء معروف خاص مما يرجع صاحبه الى حد المعرفة حيث عرف المخاطب
به والله اعلم ثم يحتمل قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير وجوها احدها ان اجعلوا ركوعكم وسجودكم
وعبادتكم عبادة لله لا تشركوا فيها غيره على ما اشرك اهل مكة وغيره من الكفار في عبادتهم غيره وهي الاصنام التي
عبدوها والثاني اعبدوا ربكم بالاسباب والاشياء التي عرفكم انها عبادة وكذلك افعلوا الخيرات التي عرفكم
انها خيرات والثالث ان اجعلوا احوالكم التي انتم عليها من قيام وقعود وحركة وسكون عبادة لله تعالى واجعلوا
تقلبكم ايضا المعاش الذي ابيح لكم واذن فيه عبادة الله فالاول هو عبادة بنفسه التي جعلها الله عبادة نصا
والثاني هو الذي يصير عبادة بالنية والقصد فيكون في جميع احواله مؤدي عبادة وهكذا الواجب على المرء
ان يكون في جميع ما يؤدي من النوافل من الصلوة والصيام وغيره مؤدي فرض وهو ان يؤدي جميع ذلك بنية
الشكر لنعمه وتكفير المعاصية وكلاهما لازمان واجبان فان فعل ذلك كان مؤدي لازم والله اعلم وقوله لعلكم
تفلحون ظاهره خرج على الترجي وفي الحقيقة على الوجوب على ما ذكرنا فيما تقدم وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده
ليس لحق الله غاية يوصل اليها وكذلك قوله اتقوا الله حق تقاته لانه لو كان لحقه غاية لكان الرسل والملائكة يقومون
بوفاء ذلك ويتوهم منهم المجاوزة عن ذلك اذ كل ذي حد وغاية يتوهم المجاوزة فيه فان لم يحتمل المجاوزة دل ان
حقه ليس بذي حد وغاية ويكون تاويل قوله وجاهدوا في الله حق جهاده وحق تقاته حقه الذي احتمل وسعكم
وبنيتكم وطاقتكم لقوله فاتقوا الله ما استطعتم فيكون هذا تفسيرا لقوله حق تقاته وحق جهاده ثم يحتمل قوله
وجاهدوا في الله اى جاهدوا انفسكم في شهواتها وامانيها او جاهدوا اعداء الله في دفع الوسواس والمحاربة
معهم وقوله هو اجتبيكم يحتمل وجهين احدهما هو اجتبيكم للايمان والهدى والتوحيد او هو اجتبيكم جنسا من
افضل الاجناس واكرمهم من بين ساير الاجناس كقوله ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم
في البر والبحر وقال عامة اهل التاويل في قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم اى واحدوا ربكم وجعلوا كل عبادة
مذكورة في الكتاب توحيدا فيكون ذكر العبادة ههنا كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله كانه قال يا ايها الذين
امنوا وحدوا ربكم ثم اختلف في قوله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا قال بعضهم فيه وجوب سجدة التلاوة
وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فضلت سورة الحج بسجدتين على غيرها من السور
فمن لم يسجدهما فلا يقراها وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه قراها فسجد فيها مرتين ثم قال ما ذكرناه وتاويله
عندنا ان قوله فضلت بسجدتين السجدة التي هي من صلب الصلوة وسجدة التلاوة في اول السورة فمن لم يسجدهما فلا
يقراها واصله في وجوب سجدة التلاوة ان كل سجود ذكر في القران للخضوع لله فهو واجب للتلاوة لازم له وكل
سجود كان الامر به يخص بسجود الصلوة فانه لا يلزمه السجدة بالتلاوة فالامر بالسجود في قوله اركعوا واسجدوا امر
بسجود الصلوة لا غير لم يلزم تاليه السجود بالتلاوة والله اعلم وقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج يحتمل اوجها
وجوها احدها ان عليهم معرفة وحدانية الله والوهيته وتعاليه عن الاشباه والشركاء عليهم معرفة نعمه و
القيام بشكرها له والخضوع له في كل وقت وان لم يبعث الرسل لكنه بفضله ورحمته بعث اليهم الرسل ليكون ايسر
عليهم معرفة ذلك واهون والقيام باداء ذلك اخف لان معرفة الاشياء بالسماع من لسان الصدوق والعدل
ايسر والادراك لها اهون من معرفتها بالنظر والتفكر وهو ما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان
الا قليلا اخبر انه لولا فضله ورحمته في بعث الرسل لاتبعوا الشيطان الا قليلا والقليل الذي استثناهم الذين
يتفكرون وينظرون فيعرفون بالتفكر والنظر وذلك لا يعرف الا بجهد وتكلف فعلى ذلك قوله وما جعل
عليكم في الدين من حرج ولكن بعث اليكم الرسل ليكون اوضح لسبيل الحق ومعرفته وان كان له ان لا يرسل ويكلف ذلك
بالنظر والتفكر والثاني لم يجعل عليكم في الدين من حرج في قطع ما ينفع لهم الحوايج وتحريم كل انواع المطاعم والمشارب
والملابس عليهم لكنه اذا حرم نوعا منها اباح نوعا اخر بازائه مما يسد به حاجته ويدفع به علته ولو حرم كل انواعها
كان حرجا في الدين وضيقا والثالث لم يجعل عليهم من العبادات والفرائض التي كلفهم بها والقيام باداءها ما
لا يحتمل وسعهم ولا بنيتهم ولا حمل عليهم امورا شاقة خلاف ما عليه طباعهم وامر معاشهم ولكن كلفهم
بعبادات احتمل بها وسعهم وبنيتهم وحمل عليهم امورا غير شاقة وموافقة لما عليه امر معاشهم وطباعهم وان

بعد ونأى عنهم والرابع انه لم يجعل توبتهم عما ارتكبوا من المعاصي والمآثم قتل بعضهم بعضاً واهلاك بعضهم
بعضاً على ما جعل ذلك لقوم حيث قال لهم فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ولو كلف ذلك كان حرجاً في الدين
وامثال ذلك والخامس جائز ان يكون قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي من شك وشبهة اي قد ازاح عنكم
الشبهة والشك بالحجج والبراهين التي اقامها لكم والله اعلم وقوله ملة ابيكم ابراهيم هذا يحتمل وجهين احدهما ان
لا اراد الزموا ملة ابراهيم والثاني ان هذا الذي ذكر هو ملة ابيكم ابراهيم وقوله هو سماكم المسلمين من قبل
وفي هذا اختلف فيه قال عامة اهل التأويل قوله هو سماكم اي الله سماكم المسلمين وقال بعضهم ابراهيم هو سماكم
المسلمين من قبل حيث قال ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم
مسلمون ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كان ولد اسمعيل وقد دعا له ولذريته بذلك وقوله من قبل وفي
هذا قال بعضهم من قبل وفي الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن وقال بعضهم من قبل في الامم الذين
كانوا من قبل لانه ما من قوم وامة الا وفيهم مسلمون متسمون بهذا الاسم وفي هذا في قومه اي كنتم متميزين
بهذا الاسم في الامم الخالية كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس اي كنتم خير امة في الامم التي كانت من قبل انها
تخرج في هذا الوقت والله اعلم وقوله ليكون الرسول شهيداً عليكم قال قائلون عليكم بمعنى لكم وذلك جائز في
اللغة كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب فعلى ذلك جائز في هذا عليكم اي لكم ويكون تأويله يكون الرسول
لكم شهيداً بالتصديق له وتكونوا انتم شهداء الناس بالتصديق لرسول الله اذا صدقتم اياه وقال بعضهم
ليكون الرسول شهيداً عليكم بمعنى عليكم وتأويله يكون شهيداً عليكم اذا خالفتموه لم تصدقوه وتكونوا انتم اذا صدقتم
رسولكم ووافقتموه شهداء على سائر الناس اذا كذبوا رسولهم انهم كذبوه وخالفوه وفي هذه الاية دلالة ان الاتفاق
حجة على من بعدهم حيث جعلهم شهداء على من بعدهم ومن قبلهم قد ذكرنا تأويل الاية في سورة البقرة وقوله
فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فان اراد الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة ففي الامر باقامة الصلوة امر
باصلاح ما بينهم وما بين ربهم وفي الزكوة اصلاح ما بينهم وبين الخلق كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وفي حرف عبد الله بن مسعود ان الصلوة تأمر بالعدل وتنهى عن الفحشاء والمنكر واعتصموا بالله قال
بعضهم بدين الله وهو ما ذكر فيما تقدم ذكره من قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير الى اخر
ما ذكر فكأنه يقول اعتصموا بالذي ذكر واصل الاعتصام هو الالتجاء اليه فكأنه قال اعتصموا به من كل ما نهى عنه
من الشرور وبكل ما امر به من الخير وقوله هو موليكم قال الحسن هو متولي كل من تولاه بالطاعة وقال بعضهم المولى
الناصر اي هو ناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير المانع والنصير المنتصر ينتصر لهم من اعدائهم ويمنع عنهم
الاعداء وجائز ان يكون قوله هو موليكم اي ربكم وسيدكم كما يقال مولى العبد وهذا مولاه وسيده والله اعلم
ويكون في قوله ليكون الرسول شهيداً عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم قال
ابو عوسجة ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته تعالى في الكلام ما قدرك حق قدرك اي ما
عرفتك حق معرفتك وقالوا الحرج الضيق في هذا وفي غير هذا الموضع قيل هو الشك في قوله فلا يكن في صدرك
حرج منه اي شك والضيق انما يكون من الشك اذا شك في شيء ضاق صدره فيه قال ابو معاذ واصل الحرج
في كلام العرب شجر من شوك ملتف والواحدة حرجة ومنه حرجة سلم وقوله هو اجتبيكم اي اختاركم وفي حرف
ابن مسعود وابي هو اجتباكم وسماكم المسلمين من قبل وفي هذا وهذا يؤيد تأويل من يقول هو سماكم المسلمين
اي الله سماكم وقال بعضهم في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال لم يفرض الله على هذه الامة شيئاً الا
جعل فيه رخصة لهم عند الاضطرار مثل التيمم اذا لم يجد ماء وتصلي قاعداً ومضطجعاً في المرض وتفطر اذا كنت
مريضاً في نحو هذا ليس فريضة الا فيها رخصة ولم يكن من قبل ذلك وهو قول مقاتل ابن حيان وقال قتادة
قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق قال اعطيت هذه الامة ثلاثاً لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي اذهب
فليس عليك حرج وقال الله لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي انت شهيد على قومك
وقال الله لهذه الامة وتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي سل تعطه وقال الله لهذه الامة ادعوني
استجب لكم وقال بعضهم في قوله اركعوا واسجدوا اي صلوا لله كقوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون يقول
صلوا لا يصلون وقال قتادة اركعوا واسجدوا قال لا صلوة الا بركوع واذا توا ما احدثوا بدعا يسجد احدهم مائة
سجدة لا يركع فيمن كان يقال ثلاث مما احدث الناس رفع الايدي في الدعا والاصوات عند المسألة والاحتشاد
في السجود وقال ابو هريرة لا يسجد سجوداً لا ركوع

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قد افلح المؤمنون الفلاح قال
قائلون هو البقاء اي بقي المؤمنون وقال قائلون الفلاح السعادة وقال الفلاح الفوز وامثاله وفي قوله قد

افلح

قد افلح المؤمنون الى اخر ما كان دلالة ان من المؤمنين من هؤلاء بهذا الوصف الذي وصف هؤلاء وان اسم الايمان
يقع بدون الذي ذكر في هذه الاية لانه لو لم يكن لم يكن لذكر ما ذكر من الخشوع في صلوتهم والحفظ لفروجهم
والاعراض عن اللغو معنى دل انه يكون مؤمناً بغير الوصف الذي وصف هؤلاء وكذلك في قوله واشهدوا ذوي
عدل منكم وقوله ممن ترضون من الشهداء فدل ان فيهم من ليس بعدل وفيهم من لا يرضى في الشهداء حيث خص
العدل والمرضي في الشهادة وقوله الذين هم في صلوتهم خاشعون قال الحسن الخشوع هو الخوف الدائم اللازم في
القلب وقال غيره الخشوع في القلب واصل الخشوع كأنه آثار ذل من الخوف يظهر في الوجه وفي الجوارح كلها الا
لا الخوف الذي ذكر هؤلاء الا ترى انه قال وجوه يومئذ خاشعة وقال خاشعة ابصارهم دل هذا ان الخشوع هو
آثار ذل من خوف يظهر في الوجه والجوارح كلها ولذلك قال بعضهم الخشوع في الصلوة هو ان لا يعرف من عن
يمينه وشماله لان ذلك يشغله عن العلم بمن يليه واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله والذين هم عن اللغو معرضون
اللغو كأنه اسم كل باطل واسم كل ما يلغى ولا يعبأ به اخبر انهم يعرضون عن كل باطل وعن كل ما نهوا عنه ويقبلون
على كل طاعة وبكل ما امروا به والذين هم للزكوة فاعلون يحتمل الزكوة الزكوة التي بها تزكوا انفسهم عند الله
وجائز الزكوة المعروفة المعهودة اخبر انهم فاعلون ذلك مؤدون وجائز ان يكون ذكر هذا من المؤمنين من
الطاعة لله والايتمار لامره والرضا به مقابل ما كان من المنافقين من الكراهية في الانفاق والصلوة على
الكسل والمراءة كقوله واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس الاية وقوله ولا ينفقون الا وهم
كارهون وقولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله نعتهم بالكسل والخلاف وترك الانفاق والمراءة في الطاعات ونعت
المؤمنين بضد ذلك وبالرغبة في اوامره والانتهاء عن معاصيه ونواهيه وقوله والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم استثنى في هذا لان هذا مما يحل في حال ويحرم في حال واما اللغو وما ذكر
من اول الاية الى اخره لا يحل بحال واللغو حرام في الاحوال كلها وكذلك ترك اداء الامانة والزكوة والصلوة مما لا
يحل تركه بحال وقوله فانهم غير ملومين ذكر ان لا يلحقهم لائمة في ذلك والله اعلم لوجهين احدهما لقول الثنوية
لانهم لا يرون التناكح فاخبر ان لا لائمة في هذين وانما اللائمة في غير هذين والثاني ذكر لابطال المتعة لانه
استثنى الازواج وما ملكت ايمانهم والمتعة ليست في هذين اللذين استثناهما ثم اخبر ان لا لائمة في هذين وفيما
عداهما لائمة والمتعة مما عدا هذين وهو ما قال ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء والى هذا يصرف حفظ الفروج و
الا كان عامة الناس يحفظون فروجهم عن الزنا ويعرفون حرمته لكنهم كانوا يستبيحون المتعة والاجارة
فيها بحرم ذلك ثم قال فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والعادي هو المجاوز عن الحد الذي حد له وقوله
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون يحتمل الامانات العبادات والفرائض التي فرضت عليهم راعوها اي ادوها في
اوقاتها والعهود التي فيما بينهم وبين ربهم او ان يكون الامانات التي وضعت عندهم والعهود التي فيما بينهم وبين
الخلق راعوها اي حفظوها وادوها الى اربابها ولم يضيعوها والله اعلم وقوله والذين هم على صلوتهم يحافظون
يكون محافظة الصلوة بوجوه احدها يحافظونها باركانها وفرائضها ولوازمها وادابها والثاني يحافظونها باسبابها
التي جعلت لها من الاوقات والطهارات وستر العورات وغيرها من الاسباب التي لا تقوم الصلوة الا بها والثالث
يحافظونها بالخشوع والوقار واظهار الذل له والاخلاص له وغير ذلك من الاشياء مما ندب المصلي اليه وعلى
ذلك جميع ما ذكر من الامانات وغيرها والله اعلم وقوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الوارث
هو الباقي عن الموت وقال الله عز وجل انا نحن نرث الارض اي انا باقون عن الخلق اي يفنى الخلائق وهو يبقى والله
يكون قوله الذين يرثون الفردوس هكذا هو ما وعد الله عباده الجنة ان اجابوه والنهار دعاهم بقوله والله يدعو
الى دار السلام فمن ترك اجابته يصير الموعود الذي وعد له ان اجاب لمن اجابه فذلك الوراثة التي ذكر الله
وقوله الفردوس قيل هو بلسان الروم بستان سمى الله لنا الجنة باسماء مختلفة منها عدن ونعيم ومأوى
وفردوس وفي الحقيقة واحد لان العدن هو المقام والنعيم هو ما ينعم والمأوى فهي كذلك ثم فردوس وعدن
ومأوى ونعيم وروي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس ربوة الجنة العليا وهي
اوسطها واحسنها فان ثبت هذا فهو ما ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الذين هم في صلوتهم خاشعون قال
الاقبال عليها وذلة وعن علي رضي الله عنه قال الخشوع في القلب وان تلين كنفك للمرء المسلم وان لا تلتفت في
صلوتك وقيل التواضع واصله ما ذكرنا وقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين قال بعضهم انما ذكر سلالة
لانه سل من كل تربة وقال ابو عوسجة السلالة الخالص من كل شيء وقوله من سلالة من طين اي من اجود الطين
ذكر مرة من سلالة من طين ومرة من صلصال من حمأ مسنون ومرة قال فانا خلقناكم من تراب ومرة كالفخار ونحوه
وهو آدم عليه السلام وذلك على تغير الاحوال والله اعلم بالصواب وقوله ثم جعلناه نطفة اي ثم خلقنا ولده

ذرية من نطفة اخبر ان اصل ما خلق لادم منه واصل ما خلق ولده منه وهي النطفة وقوله في قرار مكين قال
بعضهم الرحم وجايز ان يكون القرار هو صلب الرجل لان النطفة لا تخلق في الصلب ولا ما خلق الانسان ولكن
تخلق فيه من بعد فيكون الصلب قرارها ومكانها الى وقت خروجها منه الى الرحم وعلى ذلك قوله فمستقر ومستودع
قال بعضهم المستقر الصلب والمستودع الرحم وجايز ان يكونا جميعا واحدا ايهما كان الرحم او الصلب لان كليهما قرار
وما يستودع فيه وقال ابن عباس وغيره السلالة صفوة الماء وقوله ثم خلقنا النطفة علقة والنطفة هي المني
والعلقة الدم والمضغة القطعة من اللحم الى اخر ما ذكر يخبرهم عن تحويله اياهم وتقليبه من حال الى حال لوجوه احدها
يخبر عن قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره ليعلموا ان من قدر على انشاء العلقة من النطفة ما لو اجتمع الخلايق جميعا على
ان يعرفوا سبب خلق ما عن هذا مع احاطة علمهم ان ليس فيها من اثار العلقة شي ما قدروا على ذلك وعلى ذلك
جميع ما ذكر من العلقة من النطفة والمضغة من العلقة والعظم من المضغة والانسان ذلك كله فدل ذلك
كله على انه قادر بذاته فمن قدر على هذا يقدر على انشايهم من الاصل من لا شي ويقدر على احيايهم بعد ما صاروا ترابا
والاعجوبة في خلق الانسان مما ذكر من نطفة والعلقة والمضغة ليست بدون خلقه اياهم من التراب من الوجوه
التي ذكرنا وفيه دلالة علمه الذاتي لان من قدر على تحويلهم من حال الى حال التي ذكرنا في الظلمات الثلاث دل
انه عالم بذاته لا بعلم مستفاد من احد ولا قوة مكتسبة ولكنه بالعلم الذاتي والقوة الذاتية لان من علمه مستفاد
ومن قوته مستفادة ومكتسبة لا يبلغ ذلك وفيه دلالة تدبيره لخروج الخلق جميعا وتوالدهم من اول امرهم
الى اخر ما ينتهون على جري واحد وسنن واحد على غير تغيير في التوالد والتناسل الذي جعل فيهم وكذلك
جميع ما يخرج من الارض من النبات ومن الاشجار والاوراق في كل عام وفي كل سنة يخرج على جرية واحدة وسنن
واحد لا يتغير ولا يتفاوت وفتح خروجه بل على تقدير واحد وميزان واحد دل انه على تدبير ذاتي تخرج لا على
الجزاف وبالله الحول والقوة وفيما ذكر تحويله اياهم وتقلب من حال الى حال دلالة انه لم ينشيهم لانفسهم
وان ما انشا من العالم سواهم انما انشا لهم وانشا انفسهم لعاقبة لانه لو كان انشاءه اياهم لانفسهم
وللفنا الذي ذكر في قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون لكان يتركهم على حالة واحدة ولا يحولهم من حال الى حال
فاذا حولهم وقلبهم من حال الى حال دل انه لا للموت الذي ذكر خلقهم خاصة بقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون ولكن
لعاقبة تقصد وهو البقا الدايم لا لفناء فيه وهو ما ذكر ثم انكم يوم القيمة تبعثون وقوله ثم انشاناه خلقا اخر
اما اهل التاويل فمنهم من قال نفخ الروح فيه وهو قول ابن عباس وغيره وقال بعضهم انبات الشعر ونحوه
وهو قول قتادة وغيره وعن الحسن وغيره ذكرا او انثى وجايز ان يكون قوله انشاناه خلقا اخر غير ما قال هؤلاء
وهو اظهار الجوارح والاعضا وتركيبها فيه لانه اخبر انه يقلبه من حال الى حال وانما يقلبه شيئا واحدا مصمتا
ليس به هذه الجوارح والاعضا انما يكون فيه اثارها لا اعينها ثم ركب فيه اعين الجوارح والاعضا حتى يكون
انسانا فذلك هو انشا خلق اخر ويكون نفخ الروح ونبات الشعر في تركيب ما ذكرنا والله اعلم ومن ينكر خلق
الشي لا من شي ويقول بقدم العالم انما ينكر ذلك لما لم ير في الشاهد صنع شي لا من شي فيقال له وهل
رايت انشا شي من شي على اثر فنا الاصل حتى لا يبقى له اثر فاذا لم تر هذا في الشاهد وقد رايت في الغايب انشا
شي من شي على اثر فنا الاول منه نحو النطفة تصير علقة على تلف النطفة فيه والعلقة مضغة على اثر تلف العلقة
فيها الى اخر ما ذكر كل ذلك منشا من اخر انما كان بعد تلف الاصل فهلا كل ذلك ان عدم الانشا في الشاهد
لا من شي لا يدل على عدمه في الغايب وانه حيث قدر على هذا يقدر على كله وقوله فتبارك الله احسن الخالقين
من الناس من يستدل على انه اذا لم يكن سواه خالقا لم يكن لقوله معنى كقوله ارحم الراحمين واحكم الحاكمين ونحوه
انما قال هذا لما يكون سواه رحيما حكيما كريما فاخبر انه احكم الحاكمين وارحم الراحمين فعلى ذلك ما قال احسن
الخالقين ولكن جاز القول بمثل هذا عند الناس على غير اثبات اخر سواه في ذلك حقيقة وهو يخرج على وجوه
احدها احسن الخالقين مما تنسبون انتم اليه وتجعلونه خالقا عندكم كقوله فراغ الى الهتهم ابراهيم لم يسم
معبودهم الذي عبدوه الها على جعل الالوهية له ولكن على ما سموه هم ونسبوا الالوهية اليه وكذلك قول
موسى حيث قال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا على ما عندهم ليس على تسمية الالهية له حقيقة دل ما
ذكرنا على ان تسمية ما ذكر وذكره يجوز وان لم يكن هنالك سواه الها وخالقا وكذلك قوله فما تنفعهم شفاعة
الشافعين ليس على ان لهم شفعاء يشفعون لهم ولكن لا شفعاء لهم فعلى ذلك ما ذكرنا والثاني تاويل احسن الخالقين
اي لو جاز ان يكون خالق اخر سواه لكان هو احسن الخالقين ولكن لا يجوز وهو كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى
مما يخلق ما يشاء اي لو جاز ان يتخذ ولدا لاصطفاه مما ذكر لكن لا يجوز وكذلك قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لا
تخذناه من لدنا اي لو جاز ان يكون كذا لكان كذا ليس على انه يجوز ان يكون وكذلك قوله ما اتخذ الله من ولد وما

كان

كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق الاية اي لو جاز ان يكون معه اله لذهب بما ذكر لكن لا يجوز فعلى ذلك
فتبارك الله احسن الخالقين اي لو جاز ان يكون هنالك خالق غيره لكان هو احسن الخالقين ولكن لا يجوز والله الموفق
والثالث ذكر احسن الخالقين لما ان العرب تسمي كل صانع شي خالقا فخرج الذكر لهم على ما يسمونهم ليس على
حقيقة الخلق لمن دونه كقول عيسى حيث قال اني اخلق لكم من الطين او ان يكون ذكر هذا لقول من يقول العالم
كان من اربع طبايع من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة او ان يكون لبعض الفلاسفة ان العالم اصله من
اربع او من جنس من الماء والارض والنار وغيره فاخبر انه ليس كذا ولكن هو خالقهم لا من الاشياء التي توهموها
وعلى قول من يقول انه يكون غيره خالقا لكان الخلق غير دال على الخالق وقد جعل الله الخلق سببا لمعرفة الخالق
فلو كان غيره خالقا لكان الخلق غير دال على معرفة الخالق لانه قال خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم اخبر انه لو كان
سواه خالقا وعدلا لكان في ذلك تشابه الخلق عليهم فاذا تشابه لم يكن سببا لمعرفته على ما اخبر في اثبات عدد الالهة
كقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق فاذا بطل هذا ولم يجز عدد الالهة واثبات الالوهية لغيره
فعلى ذلك في الخلق على الوجه الذي ذكرنا وقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون قد ذكرنا
فيما تقدم ان المقصود من خلق هذا العالم لم يكن الاماتة والافناء خاصة ولكن لعاقبة تامل وتقصد حيث
قلبهم من حال الى حال لم يتركهم على حالة واحدة فلو كان المقصود من خلقهم الفناء والهلاك لا غير لكان
يتركهم على حالة واحدة ولم يقلبهم من حال الى حال فدل التحويل والتقليب من حال الى حال على ان المقصود
من الخلق العاقبة على ما ذكرنا والله اعلم على انه اخبر ان خلقهم لا لعاقبة تقصد بها عبث حيث قال افحسبتم
انما خلقناكم عبثا اخبر ان خلقهم لا للرجوع اليه عبثا وقال في اية اخرى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها الاية
صير نقض الغزل بعد ابرامه وقوته سفها منها فلا جايز ان يسفه تلك المرأة بنقض غزلها بعد الاحكام
والابرام بلا نفع يكون لها ثم هو يفعل ذلك انه خلق الخلق للفناء والهلاك خاصة عبث ولعب وعلى
ذلك بناء البناء في الشاهد لا لعاقبة ومنفعة ولكن للهدم والنقض سفه ولعب لذلك قلنا ان
خلق الخلق لا للموت خاصة ولكن لما ذكر من قوله ثم انكم يوم القيمة تبعثون اي تحيون قال القتبي يقال للولد
سلالة ابيه وللخمر سلالة وللنطفة سلالة ويقال انما جعل ادم من سلالة لانه سل من كل تربة وقال ابو
عوسجة السلالة الخالص من كل شي قال معاذ النسل الولد يسل من تحت كل شعرة وقال القتبي المضغة
اللحمة الصغيرة سميت بذلك لانها بقدر ما يمضغ كما قيل غرفة بقدر ما يغرف وقوله في قرار مكين اي
مكان حريز وهو الرحم او الصلب ايهما كان فهو ما وصف وقوله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق وقال
بعضهم سبع سماوات وقال بعضهم سبعة افلاك لم يذكر هذا والله اعلم انهما كان السموات والافلاك التي جعل
لامر الخلق ونحو الجهم لوجهين احدهما يخبر عن قدرته وسلطانه وغناه ان من قدر على خلق ما ذكر وانشايها لا
قادر على انشاء الخلق لا من شي والثاني ان من قدر على هذا يقدر على بعثهم واحيايهم بعد الموت قال القتبي
سبع طرايق اي سبع سموات كل شي طريقة ويقال هي الافلاك كل واحد طريق وانما سمي طرايق لان بعضها
فوق بعض يقال طارقة الشي اذا جعلت بعضه على بعض ويقال ريش طرايق وغيره وقال طرايق اهواء
مختلفة وقوله وما كنا عن الخلق غافلين اي لم نخلقهم على جهل منا باحوالهم ولكن على علم منا بذلك ولا يحتمل
ان يكون خلقه اياهم على علم منه ثم خلقهم للفناء لا لعاقبة تامل لان من يفعل هذا في الشاهد انما يفعل
لما للجهل به او لحاجة والله يتعالى عن ذلك كله او ان يكون قوله وما كنا عن الخلق غافلين خلق ما ذكر اي
اذا ما عرفتم ان خلق هذه الاشياء لا لنفسها ولكن لانفسكم ولمنافعكم فلا يحتمل ان يكون خلقها لكم
بلا محنة ولا ابتلاء فان ثبت المحنة فيكم ثبت الثواب والعقاب فاذا ثبت هذا ثبت البعث والحشر
والله اعلم وقوله وانزلنا من السماء ماء بقدر قال بعضهم بقدر بعلم منا وقال بعضهم بقدر ما يقع لهم
الحاجة والكفاية وجايز ان يكون قوله بقدر اي معلوم مقدر لا يتقدم ولا يتاخر ولا يزداد ولا ينقص
على ما قدر وكذلك جميع الاشياء فاسكناه في الارض يذكر هذا او يخبر عن قدرته وسلطانه اي من قدر
على اسكان الماء من السماء يقدر على البعث وعلى خلق الشي لا من شي خلق اذ لا احد من الخلايق يقدر على ذلك
الا بالحيل التي علمه الله او ان يكون يقول انه حيث جعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء ومنافع السماء
بمنافع الارض لبعد ما بينهما دل اتصال منافع احدهما بالاخر مع بعد ما بينهما على ان منشيهما واحد ومدبرهما
واحد عالم بذاته وقوله وانا على ذهاب به لقادرون كقوله ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا الاية وقوله
فانشانا لكم به اي بالماء جنات من نخيل واعناب اي الكروم يذكر نعمه التي انعمها عليهم من الماء الذي به حيوة
الابدان والاشياء جميعا لتادي به شكره وعبادته وقوله فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه

كثيرة فان كان قوله لكم فيها اى فى الجنات حيث ذكر انه انشاها لنا فواكه كثيرة ففيه حجة لابى حنيفة رحمه الله
ان من حلف ان لا ياكل فاكهة فاكل عنبا لم يحنث حيث ذكر النخيل والاعناب وذكر فيها الفواكه على حدة و
ان كان يعنى به النخيل والاعناب فليس فيه حجة له وقوله وشجرة تخرج من طور سيناء اى انشا لكم ايضا
شجرة من طور سيناء ثم الشجرة التى يكون فى الجبال لا صنع للخلق فى انباتها وما يكون فى الجنان والبساتين
انما يكون بانبات الخلق ثم اضاف كلتيهما ما يكون للخلق فيه صنع وما لا يكون دل اضافة ذلك اليه كله على
ان لله فى فعل العباد صنعا وان جميع ما يكون انما يكون بصنع منه ولطف ويذكرهم نعمه التى انعمها عليهم من
انشاء الجنان لهم والنخيل والاعناب والفواكه التى ذكر لتادى بذلك شكره وفيه دلالة قدرته و
سلطانه حيث انشا الشجرة واخرجها من الجبل وهو اشد الاشياء واصلبها فى تلك الشجرة الدهن
وهو الين الاشياء والطفها فيخبر ان من قدر على اخراج الين الاشياء من اشدها واصلبها لا يعجزه شئ وفيه ان لا بأس
بقران شئ الى شئ فيوكلا جميعا وضم بعضها الى بعض ويجمع فى الاكل حيث قال تنبت بالدهن وصبغ للآكلين
والصبغ هو الادام ثم اختلف فى قوله طور سيناء قال بعضهم الطور الجبل بالسريانية والسيناء الحسن بالحبشية
وقال بعضهم الطور الجبل وما ذكر والسيناء الشجرة الحسنا وقال بعضهم الطور هو الجبل الذى كلم الله موسى
واوحى اليه والشجرة هى شجرة الزيتون وقال بعضهم السيناء الحجارة وقال بعضهم الطور السيناء المبارك بما رحم
على موسى وقال بعضهم الطور الجبل والسيناء شجر حوله وفى حرف ابن مسعود وحفصة وشجرة تخرج من
طور سيناء تخرج الدهن وصبغا للآكلين وقال بعضهم تخرج الثمر قال ابو معاذ انبت النبات ونبت لغتان كقولك
اسرى وسرى وقال الكسائى تقول خرجت بزيد واخرجت زيدا ولا تقول اخرجت بزيد الا ان تقول اخرجت
بزيد عمروا وقال القتبى وصبغا للآكلين مثل الصباغ كما يقال دبغ ودباغ ولبس ولباس وقال ابو عوسجة و
صبغ للآكلين اى الصباغ وهو ما اصطبغت به من شئ ائتدمت فيه وقوله وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما
فى بطونها وفى سورة النحل مما فى بطونه قال بعضهم انما ذكره على العدد والواحدان وفيما ذكره على التانيث على الجمع
وقال بعضهم فيما ذكره بالتذكير اراد به جنسا من الانعام نسقيكم مما فى بطونه وهذا اشبه وقد ذكرنا هذا فيما
تقدم ثم قوله وان لكم فى الانعام لعبرة ووجه العبرة فيها من وجوه احدها ما قال ابن عباس وهو ما ذكر عز
وجل من بين فرث ودم الاية ففى ذلك عبرة ودلالة على وحدانيته وربوبيته وعلمه وقدرته وتدبيره ولطفه
اذ ليس شئ منها الا وفيها دلالة وحدانيته وربوبيته ودلالة علمه وقدرته وتدبيره وفيه انه لم ينشئ هذه
الانعام لانفسها ولكن انشاها للبشر حيث اخبر انه سخرها لنا لنبيحهم بها ثم اختلف فى الانعام قال مقاتل
الانعام كل شئ يوكل لحمه ويشرب لبنه وما لا يوكل لحمه ولا يشرب لبنه فليس من الانعام وقال ابو معاذ ان
من الانعام ما لا يوكل لحمه ولا يشرب لبنه وقال بعضهم الانعام كل بهيمة حتى الوحش والاشبه ان يكون الانعام
هو الابل ولاكنا لا نعلم حقيقته انما هو اللسان فهو ما يسميه اهل اللسان وقوله ولكم فيها منافع كثيرة قيل من الحمولة
وغيرها وقد ذكرنا هذا فى سورة النحل وقوله وعليها وعلى الفلك تحملون يذكرهم نعمه فيما سخر لهم من الانعام و
السفن لتادى به شكره وقوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يرد
عز وجل انباءه والى العزم من الرسل واخبارهم ويكررها على رسول الله ليكون ابدا يقظا ناسيتها ويعرف انه كيف
عامل اولوا العزم قومهم وكيف صبر اولوا العزم من الرسل على اذى قومهم وتكذيبهم اياهم ليعامل هو قومه مثل
معاملتهم ويصبر هو على اذى قومه على ما صبر اولئك على اذى قومهم وتكذيبهم اياهم لهذا ما يردد ويكرر انباءهم
عليه ويعرف قومه ايضا ان لا يظفرون بما يأملون من تكذيبهم العاقبة بل العاقبة تصير له على ما صارت لاولى
العزم من الرسل لا لقومهم والله اعلم وقوله افلا تتقون يحتمل وجوها احدها افلا تتقون مخالفة الله ومخالفة
رسوله او افلا يتقون عذابه ونقمته او وعيده او افلا تتقون عبادة غير الله وقوله فقال الملؤا الذين كفروا
من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم هذا الذى قالوا هو تناقض لانهم قالوا انه بشر مثلهم يريد
ان يتفضل عليكم بما ادعى من الرسالة والاجابة له الى ما دعاهم ثم هم اعنى الرؤساء منهم والقادة ادعوا لانفسهم
الفضل بما استتبعوا هم السفلة وطلبوا منهم الموافقة لهم والاجابة وهم بشر امثالهم فذلك تناقض فى القول
ثم اقروا بتفضيل بعض الخلق على بعض وعرفوا قدرة الله على ذلك قالوا ولو شاء الله لانزل ملائكة فاذ قدر
على تفضيل الملائكة على البشر قدر على تفضيل بعض البشر على بعض ثم اخبر عن نوح انه لا يريد بما ادعى من الرسالة
التفضل عليهم ولكن يريد به النصح لهم والاشفاق عليهم حيث قال ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم
وقال انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وعذاب يوم الظلة ونحو ما قال اجرا انما اراد النصح لهم والشفقة
لا التفضل الذى قالوا هم وقوله ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين هذا قولهم وقد كذبوا فى قولهم وقوله ان هو

الا رجل

الا رجل به جنة قد عرفوا انه ليس به جنون ولكن ارادوا التلبيس والتمويه على قومهم حيث خالفهم فى جميع امورهم
وعادى الرؤساء منهم والقادة ويقولون ما يفعل هذا الا المجنون فيه وافة اصابته فى عقله والا عرفوا فى انفسهم
اعنى القادة انه ليس بمجنون ولكن ارادوا التمويه على قومهم ثم قالوا فتربصوا به حتى حين لسنا ندرى ما ارادوا بالحين
ارادوا الموت او وقت ارتفاع ما قالوا فيه من الجنون او ارادوا وقتا اخر قال مقاتل يريد ان يتفضل عليهم بالرسالة و
ليس له عليكم فضل فى شئ فتتبعونه وقوله ما سمعنا بهذا قال بعضهم اى بالعذاب فى ابائنا الاولين ويقال ما سمعنا
التوحيد فى ابائنا الاولين كما يدعوا نوح وقوله قال رب انصرنى بما كذبون لم يدع عليهم باول ما كذبوه ولكن انما دعا
عليهم بعد ما ايس من عودهم الى تصديقه وهو ما قال انى مغلوب فانتصر وقال اهل التاويل انصرنى بتحقيق ما
ما وعدت لهم من العذاب انه نازل بهم فى الدنيا وعذبهم بما كذبونى فى قولى بان العذاب نازل بهم فى الدنيا
او ان يكون قوله انصرنى بما كذبون اى اجعل لى الظفر عليهم بالتكذيب ونحوه وقوله فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا قال بعضهم بمنظر منا وقال بعضهم بمراى منا وجايز ان يكون صلوات الله عليه ظن لما امر باتخاذ الفلك انهم
لا يتركونه ان يتخذ الفلك فاخبره عز وجل انك تتخذه بحيث يراه وينصرك عليهم بحيث لا يملكون منعك عن اتخاذها
وقوله ووحينا اى بامرنا وقوله فاذا جاء امرنا وفار التنور اى اذا جاء الموعود بامرنا وفار التنور وان يقول اذا جاء
وقت امرنا بالعذاب وفار ما ذكر اى خرج الماء من التنور وظهر وقوله فاسلك فيها قيل ادخل فيها يقال سلكت
واسلكت وهو الادخال كقوله اسلك يدك فى جيبك اى ادخل وتفسير اسلك ما ذكر فى اية اخرى قلنا احمل
فيها وقوله من كل زوجين اثنين يحتمل ان يكون قوله اثنين نعتا لقوله من كل زوجين من الذكر والانثى وجايز ان يكون
قوله من كل زوجين اى من كل زوجين عددين لونين ابيض واسود وطيب وخبيث وقوله واهلك اى احمل اهلك ايضا
فى السفينة وقوله الا من سبق عليه القول اى العذاب والهلاك وقد ذكرنا هذا فى سورة هود وقوله ولا تخاطبنى
فى الذين ظلموا انهم مغرقون اختلف فيه قال قائلون انما نهاه عن مخاطبته فى الذين ظلموا حيث قال ان ابنى من
اهلى نهاه عن ان يسأله فان كان على هذا فقوله ولا تخاطبنى اى لا تراجعنى الكلام فى الذين ظلموا وقال قائلون قوله
ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا فى جملة قومه انهم مغرقون وان كان على هذا فهو نهى عن ابتداء السؤال فى
نجاتهم والله اعلم وقوله فاذا استويت انت ومن معك من المؤمنين على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم
الظالمين هكذا الواجب على كل من انجاه الله من الظلمة ان يحمد ربه على ذلك ويسأله النجاة اذا ابتلى بهم كما علم
نوحا ان يقول ما ذكر ويحمده على النجاة منهم وكما قال موسى حين خرج من عندهم خائفا رب نجنى من القوم الظالمين
وكما سالت امرأة فرعون النجاة من فرعون وقومه حين قالت ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين
ثم علمه ربه ان يسأله الانزال فى منزل مبارك حيث قال وقل رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين ثم
يحتمل سؤاله المنزل المبارك جميع الخيرات والحسنات وعملوا الصالحات ويحتمل سؤاله المنزل المبارك الموضع الذى
فيه السعة والخصب على ما قاله بعض اهل التاويل المبارك بالماء والشجر وغيره فان كان هذا ففيه دلالة اباحة
سؤال السعة والخصب والله اعلم وقوله ان فى ذلك لايات وان كنا لمبتلين قال قائلون قوله ان فى ذلك لايات
اى فى هلاك قوم نوح واغراقهم لايات لمن بعدهم وان كنا لمبتلين بايات تقدمها مما واحسانا ما سوى ذلك
ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله وان كنا لمبتلين بسور الايات التى كانت وجايز فى اللغة ان يعنى ما ويحتمل وجها
اخر وهو ان قوله وان كنا لمبتلين اى وقد كنا لمبتلين ان قد ابتليناهم قبل اهلاكه اياهم ولسنا نعرف ما حقيقة
هذا الكلام وما مراده والله اعلم وقال القتبى فاسلك فيها اى ادخل فيها فقال سلكت الخيط فى الابرة واسلكته وقال
ابو عبيدة كذلك وقال ابو عوسجة وان كنا لمبتلين هذا من الابتلاء اى اختبار ومن البلاء مبتلون وقوله ثم انشانا
من بعدهم قرنا اخرين قيل من بعد قوم نوح قرنا اخرين عادا وغيرهم فارسلنا فيهم رسولا منهم قالوا هو دان اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره جميع الانبياء والرسل انما بعثوا بالدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له وقوله افلا تتقون
مخالفته او عبادة من دونه وجميع معاصيه على ما ذكرنا من قبل وقوله وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا
بلقاء الاخرة اى بالبعث واترفناهم فى الحيوة الدنيا قال بعضهم اترفناهم اى بسطنا لهم فى الدنيا حتى ركبوا
المعاصى وقال بعضهم المترف الغنى الطاغى وقوله ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
ولئن اطعتم بشرا مثلكم الاية قد ذكرنا فيما تقدم انهم تناقضوا فى قولهم ما هذا الا بشر مثلكم الى قوله ولئن اطعتم
بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون لما انهم منعوا الاتباع عن ان يتبعوا الرسل ويطيعون لانه بشر مثلهم ثم طلبوا منهم
الطاعة لهم والاتباع فى امورهم وهم بشر امثالهم فذلك تناقض فى القول وفساد وقوله ايعدكم انكم اذا
متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون قال بعضهم هيهات هيهات استبعاد لامر
وانكار اى بعيدا بعيدا اى امر لا يكون وقوله ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ان كان هذا القول من الثنوية

والدهرية فقوله نموت ونحيا هم بانفسهم لانهم يقولون يموت الانسان فيحيا غيره من البقر والحمر وغيره من تولده
اذا اكل وان كان هذا القول من غير التثنية فنقول قوله نموت ونحيا اي نموت نحن ويحيى الابنا وذكر في حرف ابن
مسعود وابي نحيا ونموت ونحن بمبعوثين وقوله ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين هذا قولهم
وقوله قال رب انصرني بما كذبون فقد ذكرناه قال عما قليل ليصبحن نادمين اي عن قريب يندمون بالتكذيب عن هذا
القول الذي قالوه والانكار الذي انكروه لاشك في ذلك وقال القتبي واترفناهم اي ومنعنا عليهم حتى
اترفوا والترفة منه ومثلها تحفة كان المترف هو الذي يتحف وقال غيره اترفناهم اي انعمنا عليهم وبسطنا لهم
فكله يرجع الى واحد قال ابو عوسجة قوله هيهات هيهات هذا بعيد للامر اي انه امر بعيد على ماذكرنا انه لا يكون
وقوله فاخذتهم الصيحة بالحق قد ذكرنا وقوله فجعلناهم غثاء قال بعضهم الغثاء اليابس الهامد كنبات الارض
اذا يبس وقال بعضهم الغثاء هو الذي يحمله السيل بالموج قال ابو معاذ غثاء احوى اي اسود وقال بعضهم غثاء
اي موتى وجائز ان يكون تاويل قوله غثاء اي كالشئ المنسي الذي لا يذكر البتة لان اولئك الفراعنة والاكابر
اذا اهلكوا لم يذكروا البتة ولا افتخر احد من اولادهم بهم من بعد اهلاكهم كما افتخر اولاد الانبياء والرسل
والصالحين بابائهم واجدادهم من بعدهم وصاروا مذكورين الى ابد الابدين فاما اولئك صاروا كالملقى
المذكر كالشئ الخسيس المنسي المتروك وقوله فجعلناهم غثاء الغثاء ما ذكرنا على قول بعضهم كالزبيم الهامد
الذي يحمله السيل وعلى قول بعضهم كالشئ البالي المتغير وعلى قول بعض الغثاء ما ارتفع على الماء مما لا ينتفع
به وكله واحد وقال القتبي غثاء اي هلكى كالغثاء وهو ما علا السيل من الزبد والقمش لانه يذهب ويتفرق
قال ابو عوسجة الغثاء ما يحمل السيل من العيدان والبعر والاغثية جمع والغثاء حميل السيل ثم ذكر انفس قوم
عاد وثمود وشبهها بما ذكر من الغثاء وكذلك يذكر انفس جميع اهل الشرور والفساد وذكر في اهل الخير
اعمالهم احاديث فيما بينهم واما اهل الكفر والشر فانه لا اعمال لهم تذكر فتذكر انفسهم بعدا وسحقا وقوله
ثم انشانا من بعدهم قرنا من بعد قوم عاد وهؤلاء قرونا اخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون كانه
ذكر هذا لما كانوا يستعجلون العذاب الموعود والهلاك الذي اوعدوا فاخبر ان لكل امة اجل لا تسبق اجلها
باستعجال من يستعجل ولا يستاخرون اجلها الذي جعل لهم وقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى قال بعضهم تترى
تباع واحد بعد واحد وبعض على اثر بعض كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك الاول
فالاول وجعلناهم احاديث لمن بعدهم ولمن بقي منهم يعني الذين اهلكوا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا
موسى قد ذكرنا فاستكبروا وكانوا قوما عالين كقوله ان فرعون علا في الارض وقال بعضهم متكبرين متجبرين
قال ابو عوسجة هو من العلو ليس من التعالي الا يوصف به الخلق قال القتبي تترى اي تتابع بفترة بين كل
رسولين وهو من التواتر والاصل وترى فقلبت الواو تاء كما قلبوها في التقوى والتخمة والتكلان وقال
ابو عوسجة تترى بعضهم على اثر بعض وهو من المتابعة وفي قوله ثم ارسلنا رسلنا تترى دلالة ان اهل الفترة
ومن كان فيما بين بعث الرسل لا عذر لهم في شئ لابقاء الحجج والبراهين قبل ان يبعث اخر وحتى اتاهم
واعلامهم اعني اثار الرسل واعلامهم اخبر انه ارسل الرسل تباعا بعضا على اثر بعض وان كان بين بعضهم
فترة لما ابقى الحجج والبراهين واثار الرسل وعلامهم والله اعلم وقوله فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا و
قومهما لنا عابدون قال بعضهم نذهب نرفعهم بعد ما كنا غالبين عليهم نجعلهم غالبين علينا وكانوا لنا عابدين
اي نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا كيف نصنع ذلك وذلك والله اعلم حين اتوهم
بالرسالة فكذبوهما فكانوا من المهلكين صاروا من المهلكين بالتكذيب وقوله ولقد اتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون يشبه ان يكون حرف لعل لموسى اي اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون عنده ولعل حرف رجاء
وترجي لكن يستعمل مرة على الايجاب والالزام ومرة على النهي كقوله لعلك باخع نفسك اي لا تبخع نفسك وقوله
لعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لا تترك بعض ما يوحى اليك وذلك جائز في اللغة يقول الرجل لاخر
لعلك تفعل كذا اي لا تفعل ونحوه وحرف لعل من الله يحتمل الايجاب والالزام والنهي ومن الخلق على
النهي والترجي والله اعلم وقوله وجعلنا ابن مريم وامه اية خص عز وجل عيسى وامه بان جعلهما اية وجميع
البشر في معنى الاية واحد اذ خلقوا جميعا من نطفة ثم حولت النطفة علقة والعلقة مضغة الى اخر
ما ينتهي اليه فيصير انسانا فالاية والاعجوبة في خلق الانسان من النطفة ومما ذكرنا ان لم تكن اكثر
واعظم لم تكن بدون خلقه بلا اب ولا زوج ومما ذكر لكنه خصهما بذكر الاية فيهما لخروجهما عن الامر المعتاد
في الخلق والعادة الظاهرة فيهم ان يخلقوا من النطفة والاب والتزاوج والتناسل الذي يجري فيما
بينهم والاسباب التي تتوالد في الخلق فلخروجهما عن الامر المعتاد والعادة الظاهرة خصهما بذكر الاية

والاية

والاية والاعجوبة في خلق البشر من النطفة ومما ذكر ان لم تكن اكثر واعظم لم تكن دونه وهو ما خص بني اسرائيل
بالخطاب بالشكر لما انعم عليهم من المن والسلوى ولما انجاهم من ال فرعون لقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم
من ال فرعون وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين وقد كان عليهم من النعم
ما هو اعظم واكثر مما ذكر من المن والسلوى ونجاتهم من فرعون واله لكنه خصهم بذكر المن والسلوى واستاديه
منهم الشكر بذلك من بين ساير النعم لانها خرجت عن المعتاد من النعم المعروفة وهم كانوا مخصوصين بهذا من
بين غيرهم فعلى ذلك عيسى وامه كانا خارجين عن الامر المعتاد مخصوصين بذلك لذلك خصهما بذكر الاية و
والاية ما ذكر بعض اهل التاويل انه خلق من غير اب وولد ته امه من غير بعل وقال بعضهم الاية في عيسى انه
كلم الناس في المهد صبيا ونحوه من ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى ومثله وقوله واويناهما الى ربوة
ذات قرار ومعين ذكر انه اواهما الى ربوة كما يووي الاب والام الولد الى مكان يتعيش به اذا الربوة
هي مكان التعيش فيه الا ترى انه ذكر ذات قرار ومعين وذات القرار هو المكان الذي يستقر فيه ويتعيش
وقوله ومعين المعين هو الماء الجاري الظاهر الذي تاخذه العيون وتقع عليه الابصار وقوله يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال عامة اهل التاويل انما خاطب بهذا محمدا خاصة على ما يخاطب
هو والمراد منه جميع امته في ذلك ولكن جائز ان يقال خاطب به جميع الرسل لانهم جميعا مخاطبون بهذا كله
من اكل الطيبات والعمل الصالح هذا الخطاب فيه وفي غيرهم اذ عمهم جميعا بهذا ثم الطيبات يحتمل ان يراد به
الحلالات كانه قال كلوا حلالا لا غير حرام الا ترى انه قال واعملوا صالحا اي اعملوا صالحا ولا تعملوا سيئا فعلى
ذلك قوله كلوا من الطيبات اي كلوا حلالا ولا تاكلوا حراما ما حبث وفيه انهم يمتحنون كما يمتحن غيرهم بالامر
والنهي ويحتمل ايضا قوله كلوا من طيبات ما طابت به انفسكم وتلذذت فان كان على هذا فهو يخرج على
الاباحة والرخصة ليس على الامر معناه لكم ان تاكلوا ما تستطيب به انفسكم ولكم ان تؤثروا غيركم
به على انفسكم وان كان الاول فهو على الامر يخرج والنهي والله اعلم وقوله اني بما تعملون عليم ظاهر وهو
وعيد وقوله وان هذه امتكم امة واحدة جائز ان يكون قوله وان هذه امتكم امة واحدة في الكتب
المتقدمة وعلى لسان الرسل السالفة كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس اي كنتم خير امة في الكتب المتقدمة
وفي الامم الماضية فعلى ذلك هذا وقال بعضهم قوله وان هذه امتكم امة واحدة اي دينكم دين واحد و
ملتكم ملة واحدة وهي الاسلام وقال بعضهم لسانكم لسان واحد وجائز ان يكون قوله امتكم امة واحدة
لا تختلفون في رسولكم الى يوم القيامة كما اختلف الامم الذين من قبلكم في رسلهم بل تجعلوا رسولكم رسولا
على ما هو عليه واما ساير الامم فانهم قد فرطوا فيهم حتى كان فيهم من جعل الرسول ابنا له كقوله وقالت
اليهود عزير ابن الله والنصارى كذلك واما هؤلاء فانهم لا يزالون على امر واحد والله اعلم وقوله وانا
ربكم فاتقون وقال في اية اخرى فاعبدون وجائز ان يكونا واحدا وجائز ان يكون قوله فاتقون اي خالفوني وقال
اي اعبدوني واطيعوني وقوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا قال بعضهم فقطعوا امرهم وتقطعوا واحد وهما لغتان
تفرقوا وفرقوا زبرا برفع الباء وزبرا بنصب الباء قال ابو معاذ من قراه بالنصب زبرا فمعناه قطعا كقوله اتوني
زبر الحديد وزبرا بالرفع اي كتبا كقوله تجعلونه قراطيس وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ونحوه و
قال في حرف ابن مسعود وابي وتقطعوا الزبر بينهم قال ابو معاذ تقطعوا وتقطعوا لغتان كقولك علقت بالشئ
وتعلقته وحولت وتحولت ووليت وتوليت ونحوه كثير كل حزب بما لديهم فرحون راضون او مسرورون بما لديهم
من الدين او ما ذكرنا فذرهم في غمرتهم حتى حين وقال في اية اخرى فذرهم يخوضوا ويلعبوا وقال ونذرهم في
طغيانهم يعمهون فذلك يحتمل وجوها احدها قال ذلك عند الاياس عن اجابتهم لما علم انهم لا يؤمنون وذلك
في قوم مخصوصين كانه قال ذرهؤلاء واقبل نحو هؤلاء الذين يقبلون امرك ويجيبون دعائك ويسمعون
والثاني فذرهم في غمرتهم ولا تكافيهم حتى انا اكافيهم كقوله فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون
والثالث امره ان يذرهم ويعرض عنهم لئلا يخوضوا في سب الله والطعن في اياته كقوله واذا رايت الذين
يخوضون في اياتنا الاية وقوله حتى حين يحتمل القيامة ويحتمل وقتا اخر لم يبين والله اعلم قال ابو عوسجة قوله
الى ربوة المكان المرتفع واويته اي ادنيته وقال القتبي الربوة الارتفاع وكل شئ ارتفع او زاد فقد ربا
ومنه الربوا في البيع قال ابو معاذ للعرب في الربوة اربع لغات ربوة وربوة وربوة ورباوة وقوله
ذات قرار ومعين قال ابو عوسجة المعين الماء الظاهر الجاري والقرار الثبات وتقول منه قر يقر قرارا
فهو قار واقررته اي اثبته وكذلك قال القتبي وقال معين ماء ظاهر وهو مفعول من العين كان اصله
معيون كما يقال ثوب مخيط وبر مكيل وقوله في غمرتهم قيل في ضلالتهم وغفلتهم وقال الغمر الماء الكثير

وغمرة الحرب وسطها وغمرة الموت شدتها رجل غمر اى سخى لبس لرجع اجعة غمار ويقال غمر الماء اى صار فوقه
قال والغمر العداوة والغمر الذى لم يجرب الامور وقوم اغمار والغمر الدسم والغمر الشدة والغمر جمع والغمر القدح
الصغير والمغامرة المخاطرة تقول غامر بنفسه اى خاطر بها وقوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم
فى الخيرات بل لا يشعرون حسبا ولئك الكفرة الا ما امدهم من الاموال والبنين ما اعطى لهم انما اعطى لهم خيرا لهم
ونزلا لا شرا فاخبر عز وجل وكذبهم فى حسبانهم الذى حسبوا فقال بل لا يشعرون انه انما اعطى لهم ذلك شرا لهم
فعلى ماحسب ولئك الكفرة فيما اعطوا من الاموال والبنين انما اعطوا خيرا حسب المعتزلة فى قولهم ان الله
تعالى لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو اصلح له فى الدين فاخبر ان ذلك ليس بخير لهم فى الدين ولا اصلح لهم د
على ما ذكر فى قوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما وهم يقولون انما يملى لهم ليزدادوا خيرا وبرا وكذلك قالوا فى قوله
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها وهم يقولون لا بل انما اراد ليرحمهم بها فيقال لهم انتم
اعلم ام الله الان يجابروا فى قوله بل لا يشعرون لما انهم قالوا ذلك على الظن والحسبان لا على العلم حيث قال
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين فقال بل لا يشعرون حيث قالوا ذلك ظنا وحسبانا وانما الواجب عليهم ان
يعلموا ذلك علم احاطة ويقين فجواب هذا ان يقال ان عندهم ان ذلك انما اعطى لهم واصلح خيرا وبرا لهم فكا
على يقين من ذلك واحاطة عند انفسهم وانما ذلك الظن والحسبان لهم بما عند الله والا كانوا على حقيقة العلم عند
انفسهم انه انما اعطاهم ذلك وامدهم خيرا فاكذبهم الله فى ذلك ورد عليهم قولهم انه انما اعطاهم ذلك بما ذكر و
بل اخبر انه انما اعطاهم لمضادة ذلك وقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون جايز ان يكون هذا موصولا
بقوله نسارع لهم فى الخيرات على التقديم والتاخير كانه قال انما نسارع فى الخيرات للذين هم من خشية ربهم هم
مشفقون الى اخر ما ذكر لا ولئك الكفرة جايز ان يكون على الابتداء وصف الذين امنوا ونعتهم فقال ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون اى من عذاب ربهم خايفون والذين هم بايات ربهم يؤمنون الايمان بالايات يكون
ايمانا بالله حقيقة لان الايات من الاعلام التى تدل على وحدانية الله وربوبيته والايمان هو التصديق
فاذا صدق اياته وهن اعلام واخبار تخبر عن وحدانية الله فاذا صدق فيها صدق الله وامن به لذلك قلنا الايمان
باياته يكون ايمانا بالله وقوله والذين هم بربهم لا يشركون اى لا يشركون غيره فى عبادتهم وقوله والذين
يؤتون ما اتوا وفى بعض القران والذين يأتون ما اتوا مقصورة وهى قراءة عايشة فمن قرا يأتون ما اتوا
تاويله اى الذين يعملون من عمل وجلت له قلوبهم ان يتقبل منهم ام لا ومن قرا يؤتون ما اتوا فهو من الاعطا
والانفاق يقول والذين يعطون وينفقون ما انفقوا وقلوبهم وجلة ان ذلك يقبل منهم ام لا وفيه دلالة
ان المطيع فيما يطيع ربه يكون على خوف منه كالمسى فى اساءته وكذلك روى عن عايشة انها سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية قالت اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ويزنون فقال لا ولكنهم الذين يصومون
ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ان لا يقبل منهم اولئك يسارعون فى الخيرات وجايز ان يكون قوله وقلوبهم
وجلة لا على ذلك ولكن ما ذكر اى قلوبهم وجلة انهم اى راجعون الى ربهم على السعادة ام على الشقاوة والله اعلم
وقوله اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون اخبر ان الذين نعتهم ووصفهم هم الذين يسارعون فى الخيرات
لا اولئك الكفرة الذين تقدم ذكرهم وقوله وهم لها سابقون يحتمل اى سبقوا الى الخيرات او سبقوا اولئك الكفرة
بها والله اعلم وقوله ولا نكلف نفسا الا وسعها جايز ان يكون ذكر هذا وقاله لما عمل اولئك الكفرة من الاعمال التى
لا تسع ولا تحل فقالوا الله امرهم بذلك بقولهم والله امرنا بها فقال ولا نكلف نفسا الا وسعها اى الا ما يسعها ويحل
كقوله تعالى ان الله لا يامر بالفحشاء ردا لقولهم وتكذيبا ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول لا نكلف نفسا من الاعمال الا ما
يسعها اى طاقتها وذلك يحتمل وجهين احدهما اى لا نكلف احدا من العمل ما يتلف طاقته ووسعه فيه لا نكلف الفقير
من الاعطاء ما يتلف به غناه وكذلك لا نكلف كل حى من العمل ما يتلف به طاقته وحيوته ولكنه انما امره ويكلفه
باسر ويحتمل طاقتهم ذلك العمل والامر فان كان كذلك فقوله ذلك انه لم يرد به طاقة العمل وقدرته ولكن طاقة الاحوال
التى يجوز تقدمها عن الاحوال والثانى ذكر هذا لئلا يقولوا انا لم نطق ما نكلفنا لانهم تركوا الاعمال التى امروا
وكلفوا باعمال شلها التى تركوها وهى المعاصى التى عملوها فما امروا من الاعمال ليس بفوق التى عملوها ولكن
مثلها فلا يكون لهم فى ذلك احتجاج وقوله ولدينا كتاب ينطق بالحق قال قايلون هو الكتاب الذى يكتب فيه اعمالهم
وانما لهم بالخيرات والسيات وذلك كله محفوظ محصى عليهم كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فان كان
هذا فيكون قوله اى بالصدق وقال قايلون هو الكتاب الذى انزل الينا وهو هذا القران ينطق عليكم بالحق اى بالحق
الذى لله علينا وبالحق الذى يكون لبعض على بعض وهو كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وهو ما ذكرنا من الحق
الذى له علينا ومن الحق الذى لبعضنا على بعض وجايز ان يكون هو اللوح المحفوظ فان كان هذا ففيه ان الله لم

لم يزل عالما بما كان ويكون فى الاوقات التى يكون ابد الابدين وهم لا يظلمون فان كان على الكتاب الذى يكتب فيه اعمالهم
فيكون قوله وهم لا يظلمون اى لا ينقص من اعمالهم التى عملوا من الخيرات ولا يزاد فيه على سياتهم بل يحفظ ما عملوا وان
يكون لا يظلمون اى لا يزاد على الجزاء على قدر اعمالهم ولا ينقص من قدرها بل يجزون على قدر اعمالهم والله اعلم وقوله بل
قلوبهم فى غمرة من هذا قيل فى عماية وجهالة وغفلة من هذا قال قايلون قوله من هذا من الكتاب الذى كتب فيه اعمالهم
واحصى عليهم وقال قايلون قوله بل قلوبهم فى غمرة من هذا اى من هذا القران الذى ينطق بالحق اى قلوبهم فى عماية و
غفلة من هذا القران وجايز ان يكون قوله من هذا من الاعمال التى ذكر المؤمنين فيما تقدم ذلك قوله ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يؤمنون الى اخر ما ذكر من اعمالهم فاخبر ان قلوب اولئك الكفرة
فى غفلة وعماية من الاعمال التى عملها المؤمنون والله اعلم وقوله ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون اختلف فيه قال
بعضهم ولهم اعمال من دون ذلك اى من دون ما عمل اولئك الكفرة من الاعمال التى تقدم ذكرها من قوله فذرهم فى غمرتهم
حتى حين ايحسبون انما نمدهم من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون على ما ذكر ثم اخبر ان لهم اعمالا من دون
ما ذكر وقال قايلون ولهم اعمال يعنى المؤمنين الذين ذكر اعمالهم اى لهم اعمال دون الذى ذكر لهم دون تلك الاعمال وقوله
حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون قال اهل التاويل ذلك فى العذاب الذى اخذ اهل مكة فى الدنيا من الجوع
سنين حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة ونحوه لاكن الاشبه ان يكون ذلك فى عذاب الاخرة الا ترى انه يقول اذا هم
يجارون اى يتضرعون ويقول ايضا قد كانت اياتى تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون فانما يخبر ان كنتم تفعلون
كذا فى الدنيا ويذكر اذا هم يجارون فلا يحتمل ان يتضرعوا اليه فى الدنيا ثم لا يقبل منهم ذلك التضرع او ينهاهم عن
التضرع بقوله لا تجاروا اليوم فدل ذلك انه فى الاخرة وهو ما ذكر فلما راوا باسنا الاية مثل هذا يكون فى الاخرة
فى الدنيا ما ذكر ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ذكر فى عذاب الدنيا انهم لم يتضرعوا
فى الدنيا عند نزول العذاب بهم ثم لا يقبل منهم التضرع والاستكانة دل ذلك انه ما ذكرنا الا ترى انه قال
لا تجاروا اليوم نهاهم عن التضرع ولا يحتمل النهى عن ذلك وقوله انكم منا لا تنصرون اى لا تمنعون من عذابه وقوله
قد كانت اياتى تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون قوله على اعقابكم ترجعون على التمثيل ليس على التحقيق لانهم
اذا رجعوا على الاعقاب صار ما كان امامهم وراءهم فكانهم نبذوا ذلك وراء ظهورهم او ان يكون المنقلب
على الاعقاب كالمكب على الوجه والمكب على وجهه مذموم عند جميع من راه وعاينه لهذا شبهه وبه ضرب و
مثله به والله اعلم وقوله مستكبرين به قال عامة اهل التاويل قوله به اى بالبيت ووجه هذا انهم لما راوا انفسهم
امنين بمقامهم عند البيت وفى حرم الله واهل سائر البقاع فى خوف ظنوا ان ذلك لهم لفضل كرامتهم ومنزلتهم
عند الله فحملهم ذلك على الاستكبار على رسول الله ومن تابعه وقال بعضهم مستكبرين به اى بالقران وباوله
اى استكبروا على الله ورسوله لما نزل القران واضافة الاستكبار الى القران لانهم بنزوله تكبروا على الله فاضاف
استكبارهم اليه لانه كان سبب تكبرهم وهو كقوله واذا ما انزلت سورة فزادتهم رجسا الى رجسهم الاية
اضاف زيادة رجسهم الى السورة لما بها ازدادوا رجسهم وكانت سبب رجسهم وان كانت لا تزيد رجسا فى الحقيقة
وقوله سامرا تهجرون قال الزجاج السمر هو ظل القمر فيه كانوا يهجرون والسمر هو حديث بالليل وقوله تهجرون
وقال قايلون تهذون وقال بعضهم تهجرون القران اى كانوا لا يعملون به ولا يعباون فهو الهجر وفيه لغة اخرى
تهجرون وتهجرون وهو كلام الفحش والفساد وقوله افلم يدبروا القول قيل اى فى القران يحتمل قوله افلم يدبروا اى
فيه لو دبروا ذلك القول الذى يقولون فى الاخرة فى الدنيا وهو قولهم او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل وما ذكر
من نزوعهم فى الاخرة وهو قوله اذا هم يجارون وجايز ان يكون قوله افلم يدبروا القول انه قد دبروا القول لكنهم تعاندوا
وكابروا واستكبروا ولم يخضعوا له انفا واستكبارا الا ترى انه اذا فرع اسماعهم قوله فاتوا بسورة من مثله وقوله
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله الاية لا يحتمل ان لا يدبروا فيه دل انهم قد تدبروا
وعرفوه الا انهم تعاندوا وكابروا واستكبروا انفا منهم واستكبارا واستنكافا عن اتباعه والخضوع له قال ابو عوسجة
اذا هم يجارون اى يستغيثون قال واصله من الصياح وقال بعضهم يجارون يصرخون وقيل يصيحون وقوله سامرا تهجرون
ما ذكرنا من الحديث بالليل تهجرون اى تهذون كما يهذى النايم او المريض الشديد المرض قال وهجر يهجر من الهجر وهو
الفحش وهجر يهجر اذا ساد فى المهاجرة وهى شدة الحر وقوله تنكصون قال بعضهم ترجعون وقال بعضهم يتاخرون
كقوله نكص على عقبيه ترجعون وتتاخرون واحد وقوله افلم يدبروا القول قد ذكرنا انه يخرج على وجهين
احدهما على ترك التدبر فيه والتفكر والاعراض عنه اى لم يدبروا فيه ولم يتفكروا والثانى على ايجاب حقيقة التدبر
فيه والتفكر اى قد تدبروا فيه وعرفوا انه منزل من الله لكنهم تركوا اتباعه عنادا وتمردا اشفاقا على ذهاب
رياستهم وطمعا فى ابقائها ودوام ماكلهم ذا الوجهين كان فيه حجج الله وبراهينه على من جهلها ولم يعرفها بالاعراض

عنها وترك التدبر فيها حيث استوجبوا عذاب الله ومقته لجهلهم بها بترك التدبر فيها بعدما كان لهم سبيل الوصول
الى معرفتها وظاهر قوله افلم يدبروا استفهام الا انه في الحقيقة ايجاب لما لا يجوز ان يستفهم الله احدا فهو على الايجاب
لانه علام الغيوب وقوله ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين اي قد جاءهم ما جاء اباءهم الاولين من الرسول لم
يأت هؤلاء شيء الا ما اتى اباءهم لم يخصوهم بالرسول فكيف انكروه الا ترى انهم قالوا لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم قد اقروا ان في الامم المتقدمة رسولا حيث قالوا ليكونن اهدى من احدى الامم وعلى ذلك يخرج
قوله ام لم يعرفوا رسولهم اي قد عرفوا رسولهم لكنهم انكروا وتركوا اتباعه لما ذكرنا في القران من احد الوجهين عنادا
وتكبرا اشفاقا على رياستهم لكن يبقى الا ترى انه قال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الاية وعلى هذا ام يقولون به جنة
اي قد عرفوا انه ليس به جنة وجائز ان يكون قوله ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين اي قد جاء هؤلاء ما لم يأت
اباءهم وخص هؤلاء ما لم يخص اباءهم وكذلك ابن عباس لعمري لقد جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين وجائز ان يكون
قوله افلم يدبروا القول الى اخر ما ذكر من قوله ام يقولون به جنة لانه يخرج على الامر بالتدبر فيه ومعرفة الرسول
انه ليس كما يصفونه من الجنون وغيره كقوله اولم يتفكروا اي تفكروا فيه فانه ليس به جنة على ما يصفونه او على
ما ذكرنا انهم تفكروا وعرفوا انه ليس به جنون ولا شيء مما وصفوا به لكنهم ارادوا ان يلبسوا امره على اتباعهم
وسفلتهم اشفاقا على ابقاء ما ذكرنا وقال بعضهم قوله ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين من البراءة من العذاب
وقوله بل جاءهم بالحق بالرسالة والقران من عند الله وجعل العبادة له من دون الاصنام التي عبدوها ولكن اكثرهم
للحق كارهون كرهوا الحق لما ظنوا ان في اتباعه ذهاب الرياسة والاسباب التي كانت لهم على اتباعهم بعد معرفتهم
انه حق او كرهوا لما لم يعرفوا في الحقيقة انه حق والا لا احد ممن يوصف بصحة العقل وسلامته يكره الحق ويترك
اتباعه الا للوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم وقوله ولو اتبع الحق اهواءهم قال عامة اهل التاويل الحق ههنا هو الله
اي لو اتبع الله اهواءهم في كفرهم وشركهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن وتاويل هذا ان الكفر والشرك مما
لا عاقبة له وكل شيء لا عاقبة له فهو في الحكمة والعقل فاسد باطل غير مستحسن وقال بعضهم الحق ههنا كتاب الله وهو
القران اي لو جاء هذا القران على ما يهوون هم لفسد ما ذكر لانه يكون خارجا عن الحكمة وجائز ان يوصل قوله ولو اتبع الحق
اهواءهم الحق الذي سبق ذكره وهو قوله بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون اي ذلك الحق انه كان رسالة او قرانا
وكل خير لان الحق هو اسم كل خير واسم كل مستحسن وممدوح في العقل والحكمة لو اتبع ذلك الحق اهواءهم وجاء على ما هوت
به انفسهم واشتهت من عبادة غير الله وتسميتهم اياها الهة وانكارهم البعث والتوحيد وغير ذلك من الافعال التي كانوا
يختارونها وعملوها لفسدت السموات والارض وما ذكر لانه يكون خلقهم وخلق ما ذكر من السموات والارض وما فيهن لا
لما توجبه الحكمة والعقل اذ خلقهم وخلق ما ذكر لافعالهم التي يفعلون فاذ خرج افعالهم على غير ما توجبه الحكمة والعقل
بل على السفه والجهل خرج الذي لها خلق ومن اجلها الشيء كذلك اذ خلق الشيء وفعله لا لعاقبة تقصد خارج عن
الحكمة والله اعلم بذلك وجائز ان يكون الحق هو رسول الله اي رسول الله لو اتبع اهواءهم لفسد ما ذكر وقوله بل
اتيناهم بذكرهم قال اهل التاويل بشرفهم وذكرهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك فهم عن ذكرهم معرضون اي عن شرفهم
معرضون وجائز ان يكون الذكر هو الحق الذي تقدم ذكره اي لو قبلوا ذلك الحق واتبعوا لكان يكون في ذلك ذكرهم من
بعد هلاكهم كما يذكر اصحاب رسول الله من بعد ما ماتوا الا ترى ان اولادهم يذكر اباءهم يتعيشون يقولون انا من بني فلان
فيبرهم الناس بذلك ويكرمونهم واما اولئك فانهم لا يذكرون بشيء من ذلك فذلك يدل على ما ذكرنا ويحتمل قوله بل
اتيناهم بذكرهم الثناء عليهم ان لو امنوا كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس الاية وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا
وقوله والسابقون الاولون الاية ونحو ذلك مما اثنى الله على من امن منهم فهم لو امنوا استوجبوا بذلك الثناء وجائز
ان يكون قوله بل اتيناهم بذكرهم اي بدعاء لهم وهو ما دعى الملائكة والرسل للمؤمنين كقوله ويستغفرون للذين امنوا الاية
وقوله واستغفر لذنبك وقول نوح رب اغفر لي ولوالدي الاية وقول ابراهيم ودعائه لهم امنوا استوجبوا دعاء هؤلاء
الملائكة والرسل جميعا وان يكون ما ذكرنا من ابقاء ذكرهم الى يوم القيمة كما بقي ذكر اولئك الذين امنوا به وصدقوه
فيكون في ذلك كله شرفهم وقد دعهم على ما قاله اهل التاويل والله اعلم وقوله ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير جائز
ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم ام قد عرفوا رسولهم
ام يقولون به جنة ام ليس به جنة اي ليس به شيء يمنعهم عن الاجابة له والايمان به مما يعذرونهم في ترك الايمان فعلى
ذلك قوله ام تسألهم خرجا اي لم تسألهم اجرا على ما تدعوهم اليه حتى يمنعهم ثقل ذلك الاجر عن اجابته وتصديقه
كقوله ايضا ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون يقطع ما ذكر جميع اعذارهم وحجاجهم وان لم يكن لهم عذر ولا حجة
في ترك الاجابة له وقال بعضهم الخراج الرزق اي تسألهم رزقا ثم اخبر ان اجر ربك خير وهو خير الرازقين وقوله وانك
لتدعوهم الى صراط مستقيم القائم بالايات والحجج ليس كالسبل التي يسلكونهم بلا ايات ولا حجج ولا براهان وقوله

وان

وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون هذا يحتمل وجهين احدهما ان انكارهم البعث والاخرة هو الذي حملهم
على العدول عن الصراط المستقيم والثاني ان الصراط الذي في الدنيا هو المجعول للاخرة فاذا تركوا سلوكه لشهوات منعتهم عن
ذلك انكروا الاخرة او كلام نحو هذا وقوله لناكبون اي لعادلون عنه والمجانبة والميل المنحرف وقوله ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ذكر الضر ولم يذكر اي شيء كان وليس لنا ان نقول كان الجوع او كذا الا بثبت وفيه
وجهان من المعتبر احدهما ان رفع المحن التي امتحنهم من البلايا والشدايد انما يكون برحمة منه وفضل لا لاهل ما فاله
بفضل الناس بالاستحقاق حيث ذكر رحمته بكشف ذلك عنهم والثاني فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه
اخبر انه وان كشف ذلك الضر عنهم للجوا في طغيانهم فكشف عنهم ذلك فلجوا في طغيانهم على ما اخبر فدل انه بالله عرف ذلك
والله اعلم وقوله ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون يخبر عن سفههم وجهلهم بالله وقسوة قلوبهم
وتمردهم وعنادهم حيث اخبر انهم وان اخذوا بالعذاب لم يتضرعوا اليه وما استكانوا له لجهلهم بعذاب الله حتى اذا
فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون اختلف في قوله مبلسون قال بعضهم المبلس الايس من كل خير وهو ما
وصفهم انهم ليؤس كفور وقنوط ونحوه وقال الزجاج المبلس الساكت المتحير لا يدري ما يحل به فعلى ذلك هم كانوا
حيارى لما نزل بهم العذاب لا يدرون ما يحلون به في دفع ذلك عنهم وقال الكسائي المبلس المنقطع السيء الظن قال و
منه سمي ابليس ابليس لانه ايس من رحمة الله وانقطع رجاؤه عنه وقال ابو عوسجة المبلس اليائس الحزين ويقال ابلس
الرجل اي ايس وحزن وابلس غيره ايضا وانما سمي ابليس ابليس لانه يئس عن رحمة الله فحزن قال وقوله فما استكانوا لربهم
اي لم يذلوا لربهم بالطاعة له والخضوع لما ذكرنا وقوله وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما
تشكرون يذكرهم نعمه التي انعمها عليهم ليتادى بذلك الشكر له عليها لكنه ذكر امهات النعم لم يذكر غيرها وهو
السمع والبصر والفؤاد الذي ذكر اذ بها يوصل الى معرفة كل نافع وضار وكل طيب وخبيث وكل لين سهل وشديد
وكل حلو ومر وكان الانسان مطبوعا على حب النافع والطيب واللين والسهل واختيار على اضداده والهرب من كل
ضار وشديد والقران عن اضداد ما ذكرنا من المختارات عنده فاخبر انه اعطى لهم ما يعرفون به المنافع من الضار و
الطيب ونحوه مشاهدة وخبرا وما به يميزون ذا من ذا ويختارون عندهم من غيره وما ينفعهم مما يضرهم ليتادى
بذلك شكره ويذكرهم في قوله وهو الذي ذراكم في الارض اي جعلكم سكان الارض بقدرته وسلطانه واخبر انه
لم يخلقكم عبثا ولكن للبعث بعد الموت والحشر اليه لما ذكرنا في غير موضع وان خلق الخلق للفناء خاصة لا للبعث والاخرة
بعد الموت عبث ولعب واخبر عن قدرته وسلطانه حيث قال وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار انه
من قدر وملك على احياء الموتى واماتة الحي لقادر على البعث ومن ملك على انشاء الليل بعد ما ذهب اثر النهار وانشاء
النهار بعد ما ذهب اثر الليل لقادر على الاحياء والبعث بعد الموت ثم قال افلا تعقلون اي افلا تعقلون انه كذلك
فكيف تنكرون قدرته على البعث والاحياء بعد ما صرتم رمادا وترابا وكيف تشركون غيره في عبادتكم اياه وتصرفون
الى غيره فيما انعم عليكم ثم اهل التاويل صرفوا قوله وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة الى اخره الى الكفار
وهم يجحدون بنعمته ذكر ويكفرونها وهم لا يشكرون راسا بقوله قليلا ما تشكرون الا ان يقال انهم في بعض الاحايين
ربما يشكرون الله ويتضرعون اليه نحو قوله فاذا ركبوا في الفلك الاية ونحوه من الايات التي ذكر فيها دعاءهم وتضرعهم
الى الله عند ما اصابهم الضر فذلك منهم شكرا وان يقال ان قوله قليلا ما تشكرون اي ما تشكرون راسا كقول الرجل
لاخر قليلا ما تفعل كذا اي لا تفعل اصلا فعلى ذلك هذا ان كان المراد منها والخطاب بها اولئك الكفرة والا الخطاب بها
يحتمل ان يكون راجعا الى المؤمنين اذ هم الذين يقومون ببعض الشكر لنعمه وقليله واما الكفرة فهم يكفرونها ولا يشكرون
راسا وقوله بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا يخبر جل وعلا رسوله سفه قومه وقولهم الذي
قالوه لله بعد ما بين لهم حكمته في خلقهم وانشائه اياهم وذكرهم نعمه التي انعم عليهم وذكر قدرته وسلطانه فيما
ذكر من قوله وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة وقوله وهو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون وقوله
وهو الذي يحيي ويميت ذكرهم ما ذكر في هؤلاء الايات من حكمته في خلقهم وقدرته في انشائه اياهم وعرفهم ذلك
كله ثم بين سفههم في جوابهم رسوله فقال بل قالوا مثل ما قال الاولون يخبر رسوله ان هؤلاء ليسوا باول مكذب لك
ولكن كان لهم شركاء واصحاب في التكذيب قلد هؤلاء اولئك الاولين يصبر رسوله على سفه هؤلاء واذاهم ليصبر على ذلك
كما صبر اخوانه الذين كانوا من قبل اذ يذكر هذا ليسلي بعض ما داخل فيه بتركهم اجابته وخوضهم فيما فيه هلاكهم لانه كان
صلى الله عليه وسلم كاد ان يهلك نفسه لذلك حتى قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولعلك باخع نفسك فبين
ما قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين يقولون
قد وعد اباءنا بمثل ما وعدنا نحن فلم ينزل بهم ما اوعدوا من العذاب ولا يرون ايضا بنا ما تعدنا وهو اساطير الاولين
اي احاديث الاولين ثم امر رسوله ان يسالهم ما يلزمهم الاقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال قل لمن الارض ومن

بها ان كنتم تعلمون فقالوا الله لم يجحدوا ابدا من ان يقولوا لله ويقروا به لانهم لو انكروا ذلك لجهلهم ويظهر جهلهم عند كل الخلايق فقالوا الله فيقول فاذا عرفتم ان ذلك كله له وهو خالقهم فكيف تركتم طاعته واتباع ليس ادعوكم الا الى ذلك ان تجعلوا الارض وما فيها كله لله افلا تعقلون وتقرون بما ادعوكم اليه وعلى ذلك قوله من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله لا بد لهم من ان يقروا بذلك فاذا عرفتم بذلك واقررتم به افلا تتقون مخالفته وتتقون نقمته وكذلك ما قال قل من بيده ملكوت كل شيء فاذا عرفتم ذلك واقررتم به فانى تسحرون قيل فانى تصرفون عن ذلك وقال بعضهم فانى تخدعون وتغرون في ذلك اذا عرفتم ذلك ان كله لله و جائز ان يكون قوله فانى تسحرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون انه ساحر وانه كذاب وهو ليس يدعوكم الا الى ما اقررتم به واعترفتم به فانى تنسبونه الى السحر والله اعلم وقوله ملكوت كل شيء قد ذكرنا فيما تقدم وقوله وهو يجير ولا يجار عليه اي هو يؤمن كل خايف ولا يقدر احد ان يؤمن من اخافه هو وهو كقوله وان يمسسك الله بضر الاية قال ابو عوسجة قوله وهو يجير اي يمنع ولا يجار عليه اي لا يقدر احد ان يمنع منه احدا فانى تسحرون اي تغرون و تخدعون تقول سحرت اي خدعت وغررت وقال تسحرون اي تخدعون وتصرفون عن هذا وسمي السحر من هذا وقوله بل اتيناهم بالحق الحق قد ذكرنا انه يحتمل وجوها احدها بالحق اي بوحدانية الله والوهيته وتعاليه عن الشركاء و الولد وعما وصفوه او ان يكون قوله بالحق اي بالقران الذي عرفوه انه حق وانه من عند الله او ان يريد بالحق محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا انه حق وانه رسول الله اليهم او ان يكون الحق ما ذكر من ذكرهم وما فيه شرفهم ومنزلتهم او بالحق الذي يكون لله عليهم وما لبعضهم على بعض من الحقوق والله اعلم وقوله وانهم لكاذبون في وصفهم ربهم مما يصفون بما لا يليق وصفه به او كاذبون بان القران مفترى ومختلق من عند غير الله او كاذبون في قولهم بانه ساحر وانه مجنون وانه ليس برسول كذبوا في جميع ما انكروا والله اعلم وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق وجايز ان يكون كل حرف من هذه الحروف موصولا بعضه ببعض لما تقدم وجايز ان يكون كل حرف من هذه الاحرف منفصلا من الاول مستبدا بذاته فان كان على الاول فيكون قوله ما اتخذ الله من ولد ولو كان اتخذ ولدا لكان الها اذ الولد يكون من جنس الوالد ومن جوهره لا يكون من خلاف جوهره ولا من غير جنسه في المتعارف فاذا كان الهان الوجه الذي ذكرنا لذهب اذا كل اله بما خلق وان كان منفصلا فهو على ما ذكر من فساد ذلك كله لانه قال ولو كان معه اله على ما زعموا اذا لذهب كل اله بما خلق من الخير والشر او الدلالة على الوهيته ولعلا بعضهم على بعض بالقهر وغلب بعضهم بعضا على ما يكون من عادة ملوك الارض فاذا كان ما قالوا ذهب دلالة الالوهية والربوبية فاذا لم يكن ذلك دل انه واحد لا شريك معه ولا ولد اذ اتساق التدبير وجرى الاشياء على حد واحد وسنن واحد دال على الوهية واحد لا لعدد اذ لو كان لعدد لكان ما ذكر من غلبة بعض على بعض وقهر بعض لبعض ثم ما ذكر لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ثم معلوم ان مثل هذا الاحتجاج لا يكون مع الذين ينكرون الوهية الله ويعبدون الاصنام وهم مشركوا العرب وكفار مكة ولكن انما يكون مع الذين يقرون بالالوهية لله لكن يجعلون معه شريكا لحاجة تقع له وهم الثنوية والدهرية والمجوس واولئك الذين يجعلون خالق الشر غير خالق الخير وخالق هذا غير خالق ذلك قوله سبحان الله عما يصفون على هذا انه تعالى عما وصفوه بالحاجة له في خلق ما خلق والنفع له في ذلك وكذلك قوله وتعالى عما يشركون واما على ظاهر ما تقدم ذكره من اتخاذ الولد والشريك سبحان الله عما يصفونه من الولد والشريك وما قالوا فيه ونسبوا اليه مما لا يليق به او ان يكون قوله سبحان الله عما يصفون كما يوصف المخلوق لانهم وصفوه بالولد والولد في متعارف الخلق لا يكون الا من الوالد والام هذا التوالد المعروف فيما بين الخلق فاذا وصفوه باتخاذ الولد شبهوه بالمخلوق المحدث من الوجه الذي ذكرنا فنزه نفسه عن ذلك وقوله قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وقوله اما تريني ما يوعدون يحتمل وجهين احدهما رب اما تريني ما يوعدون فلا تجعلني في القوم الظالمين لانه كان وعد له ان يريه بعض ما وعد لهم بقوله فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فلا يريك شيئا فقال رب ان اريتني ما يوعدون او لا تريني فلا تجعلني مع القوم الظالمين والثاني انك وان اريتني ما تعدهم على التحقيق فلا تجعلني في القوم الظالمين ثم يحتمل قوله فلا تجعلني في القوم الظالمين وجهين احدهما لا تجعلني في القوم الظالمين في العذاب الذين وعدت لهم ان ينزل لانه من العدل ان تعذبهم وتعاملهم معاملة اهل العدل كانه يقول رب لا تعاملني معاملتك اياهم وان كان ذلك من العدل ان تعاملني مثل ما تعامل اولئك لان رسل الله وان لم يكن لهم زلات ظاهرة فلقد كان من الله اليه من النعم والاحسان ما لو اخذ بشكر ذلك لم يقدر على اداء شكر واحدة منها فضلا عن ان يؤدي شكر الكل الا ترى انه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله فقيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ويحتمل قوله فلا تجعلني في القوم الظالمين في الزيغ والغواية يسال ربه ان يعصمه عن الزيغ بالضلال والغواية الذي عليه القوم الظالمون وهو كدعاء ابراهيم ربه وسؤاله

العصمة

العصمة عن الزيغ بقوله رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وان كان وعد لهم العصمة عن ذلك والله اعلم وقوله وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما يخبر رسوله انه ليس بعجز يؤخر ما وعد لهم من العذاب ولكن بحلم منه وعفو وهو كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم على التنبيه والايقاظ فعلى ذلك يحتمل هذا والثاني يعزي رسوله ويصبره على اذاهم اياه يقول اني مع قدرتي على انزال العذاب عليهم والانتقام منهم احلم منهم واؤخر عنهم فانت مع ضعفك على ذلك اولى ان تصبر على اذاهم وعلى هذا يخرج قوله ادفع بالتي هي احسن السيئة امر لا تكافئهم لاذاهم اياك ولا تشتغل بهم بمجازات ذلك ولكن ادفع ذلك باحسن ذلك وكل مكافاتهم الي حتى انا اكافيهم ونحن اعلم بما يصفون من الكذب والاذى يؤذونك والثاني ادفع بالتي هي احسن السيئة اي ادفع سيئاتهم المتقدمة باحسان يكون منك اليهم ليكونوا لك اولياء واخوانا في حادث الاوقات وهو كقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وقال في اية اخرى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله علم رسوله وامره ان يتعوذ به من الشيطان الرجيم اللعين اذا نزغه ونزغه وسوسته وامره ايضا ان يتعوذ من همزه ايضا وهو همزه وقصده بذلك وامره ان يتعوذ بحضورهم مكان الوسوسة حتى يدفع عنهم ولا يحضرون ذلك المكان وكان التعوذ عن نزغهم ليدفع عنهم لئلا يؤثر في نفسه بعد ما حضروه وسوسة والتعوذ عن همزهم هو ان يدفع عنهم طعنهم ونخسهم لئلا يشغله بالذي قصدوه به والتعوذ عن حضورهم مكان الوسوسة قال الحسن همز الشيطان الموتة والموتة غشيان القلب وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتعوذ من الشيطان الرجيم قال من همزه ونفخه ونفثه وقال بعضهم همزاته ونزغاته واحد وقال القتبي همزات الشياطين نخسها وطعنها ومنه قيل للعايب همزة كانه يطعن ويعيب قال ابو عوسجة همزات الشياطين وساوسهم يقال همز يهمز همزا اي وسوس ومن وجه اخر همز يهمز همزا اي عاب يعيب ومنه قوله ويل لكل همزة لمزة في قوله رب اعوذ بك من همزات الشياطين الى اخر ما ذكر وجهان على المعتزلة احدهما انه امر رسوله ان يتعوذ به مما ذكر فدل ان عنده لطفا لم يعطه ما لو اعطاه الله لدفع به ما ذكر وانه مالك لذلك اذ لو كان غير مالك لذلك يخرج السؤال به مخرج الهزء به اذ من طلب من اخر شيئا يعلم انه ليس عنده ذلك يخرج ذلك الطلب مخرج الهزء به فعلى ذلك هذا والثاني ان كل ما هو بالتعوذ حمل الله له الاعاذة عما يتعوذ عنه فالوجهان جميعا ينقضان على المعتزلة في قولهم ان الله قد اعطى كل الاصلح في الدين واعطى كل العصمة عن كل زيغ وضلال وقوله حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون ظاهر هذا ان يكون قوله رب ارجعون بعد الموت وبعد ما عاين اهوال الاخرة وافزاعها لان الموت ليس هو شيء يأتي من مكان الى مكان انما هو شيء يذهب بالحيوة التي فيهم الا ان اهل التاويل قالوا ان ذلك عند معاينتهم ملك الموت وعند هجومه عليهم باهواله فعند ذلك يسالون الرجعة الى الدنيا والاول اشبه واقرب ثم قوله حتى اذا جاء احدهم الموت ليس هو صلة قوله وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ولا جوابه لانه ليس من نوعه ولا من جنس ذلك ولكنه والله اعلم صلة قوله بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون وجواب قوله واكثرهم للحق كارهون ونحوه الذي تقدم ذكره يقول وانهم على ذلك حتى اذا جاء احدهم الموت فعند ذلك يرجع الى الحق والتصديق لكن ذلك لا ينفعه في ذلك الوقت وقال رب ارجعون ولم يقل رب ارجعني وذلك يخرج على وجهين احدهما ما يسال الملوك ويخاطبون افعلوا كذا على الجماعة وان كان انما يخاطب واحدا على ما خرج جواب الله وقوله انا فعلنا كذا ونفعل كذا والثاني ان يكون قوله رب ارجعون يسال ربه ان يامر الملائكة الذين يتولون قبض ارواحهم ان يرجعوه الى ما ذكر والله اعلم وقوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال بعضهم فيما تركت اي فيما كذبت وقال بعضهم فيما تركت في الدنيا من الاعمال الصالحة فاعمل بها وجايز ان يكون قوله فيما تركت من الاموال فاؤدي منه حقك لان من الكفرة ما كان سبب كفرهم منع الزكوة وجحوده كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون فيسال ربه ان يرجع الى المال الذي تركه ليؤدي الحق الذي كان فيه فمنعه كقوله فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين وقوله فاصدق اي فاتصدق بالصدقة التي منعتها لان الخطاب في الصدقة بقوله وانفقوا مما رزقناكم الاية وهذا اشبه والله اعلم وقوله كلا هو رد لما سالوا من الرجعة وقوله انها كلمة هو قائلها قال بعضهم قوله انها كلمة هو قول الله لن يؤخر الله نفسا الاية هو قائلها يعني الكافر عند معاينة العذاب وهو قوله رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم قوله كلا على هذا يحتمل وجهين احدهما انه لا حقيقة لسؤاله الذي يساله من الرجعة ليعمل العمل الصالح اي انه وان رد ورجع لا يعمل لقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والثاني ان لا منفعة لهم في سؤالهم الرجعة اذ لو رجعوا لا يصلون الى ما يأملون لانهم انما يسالون ليؤمنوا والايمان سبيله الاستدلال فاذا لم يستدلوا به وقت امنهم وفسحتهم فكيف يقدرون على الاستدلال في وقت خوفهم والله اعلم وقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال بعضهم وراءهم امامهم

قال ابو معاذ وشققة من توارت غلت وكل ما توارى عنك امامك كان او خلفك فهو وراءك قال بعضهم
من ورائهم على حقيقة الوراء برزخ الى يوم يبعثون قال بعضهم البرزخ هو ما بين النفختين وقال بعضهم البرزخ
هو الاجل بين الموت والبعث وهو قول الكلبي وقتادة وقال مجاهد البرزخ هو حاجز بين الموت والرجوع
الى الدنيا وقال القتبي وابو عبيدة البرزخ ما بين الدنيا والاخرة وما لا كل شيء بين شيئين فهو برزخ وقال
ابو عوسجة البرزخ ما بين الحدين يعني الدنيا والاخرة وقال بعضهم البرزخ الارض المستوية واصل البرزخ
الحاجز ومنه قوله وجعل بينهما برزخا اي حاجزا وتاويله انهم سألوا ان ردوا الى الوقت الذي يحجزهم عما يتمنون ويشتهون
وهو كقوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانما يشتهون ويتمنون الايمان والاعمال الصالحة وجائز ان يكون قوله
من ورائهم برزخ ارض وراء احوالهم الحكمة الايمان فيه احوال لا يكن فيها الايات وما تمنوا من العمل الصالح والله
اعلم وفيه نقض قول الباطنية لانهم يقولون البعث هو ان يجعل للمؤمن من الاعمال الصالحة صورة روحانية يتمنى
اثاب بتلك الصورة الروحانية ومن الاعمال القبيحة السيئة للكافر صورة قبيحة روحانية هي تعاقب وتعذب ابدا فذلك
البعث عندهم فاخبر عز وجل ان بين موتهم وبين البعث برزخ وهو الاجل الذي ذكرنا والحاجز قد دل ذلك على نقض قولهم
ان ليس البعث الا خروج الصورة الروحانية وقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم ولا يتساءلون ان كان
قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في الناس كلهم فذلك في اختلاف المواطن على ما قال ابن عباس وغيره
من اهل التاويل ان لذلك اختلاف الاوقات لا يتساءلون في موطن وفي وقت ويتساءلون في وقت آخر الا ترى قال واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون ونحوه وان كانت الاية في الكفرة خاصة فهو يخرج على وجهين احدهما لا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون اي لا يكون يتناصر بعضهم بعضا على غيرهم ويستعين بعضهم بعضا ويكونون ردءا لهم في هذه الدنيا
وشفعاء واعوانا وانصارا فاخبر ان ذلك ينقطع بينهم ويذهب ذلك التناصر عنهم في الاخرة والعرب خاصة كانت
يتفاخر بعضهم على بعض بالانساب ويتناصرون فاخبر ان ذلك منقطع عنهم في الاخرة والثاني لا انساب بينهم وما ذكر
يومئذ لشغلهم بانفسهم لفزع ذلك اليوم واهواله ينسى بعضهم بعضا ويهرب منه كقوله مهطعين مقنعي رؤوسهم
لا يرتد اليهم طرفهم الاية وقوله يوم يفر المرء من اخيه الاية وقال وترى الناس سكارى الاية ذكر لشدة
اهوال ذلك اليوم وافزاعه كان لكل امرئ في نفسه شغلا حتى لا يتفرغ الى احد وان قرب منه لشغلهم بانفسهم وان كانت
في الناس جميعا فهو ما ذكرنا ان ذلك في اختلاف المواطن والاوقات يتساءلون في وقت ولا يتساءلون في وقت ويتساءلون
في موطن ولا يتساءلون في موضع او يتساءلون عن شيء ولا يتساءلون عن شيء اخر وروي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال كل نسب كان فهو منقطع الا نسبي او كلام نحو هذا ثم يحتمل قوله الا نسبي وجهين احدهما الشفاعة له في انسابه لا
يكون ذلك لغيره في نفسه فان اراد هذا فهو على حقيقة نسبه والثاني اراد بقوله الا نسبي المعين له في دينه لان
كل من اسعد فقد انتسب اليه فكانه قال ان كل شفاعة ذي نسب فهو منقطع الا شفاعتي لمن اتبعني وانتسب بقبوله دينه
وقوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه جائز ان يكون قوله فمن ثقلت موازينه اي من عظم
قدره ومنزلته عند الله بالاعمال التي عملها من الصالحات والحسنات فهو من المفلحين ومن خفت منزلته وقدره عند
الله باعماله الخبيثة السيئة فهو من الذين خسروا انفسهم والله اعلم وقد ذكرنا اقاويل اهل التاويل في الموازين فيما تقدم
وقوله تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون وقال بعضهم لتحرقهم النار لفحة فلم تدع لهم لحما على عظم الا القته وهم فيها كالحون
وقال بعضهم عابسون وقال بعضهم تلفح اي تنفخ وقال بعضهم تلفح تشوي وتحرق وذلك عادة النار انها تعمل كل هذا
العمل وقال ابو عوسجة تلفح اي تضرب واللفح الضرب يقال لفحته النار اي ضربته فاحرقت وجهه تلفح لفحا فهي لافحة و
الكالح العابس وقوله الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون كانوا يكذبون اياتي وقد ذكرنا في غير موضع وقوله قالوا
ربنا غلبت علينا شقوتنا قال اما ما قال اهل التاويل غلبت علينا اي ما كتبت علينا من الشقاوة فانه لا يحتمل لانهم
يقولون ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط في امره والتضييع فلا يحتمل ان يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم
اذ لو كان ما ذكروا ولئن لكان في ذلك طلب العذر لانفسهم وهم في ذلك الوقت لا يطلبون عذرا لانفسهم ولكنه
يقرون بما كان منهم كقوله فاعترفوا بذنبهم لكن يحتمل وجهين احدهما يقولون ربنا شقينا باعمالنا التي عملناها وظلمنا
انفسنا وكنا قوما ضالين والثاني عملنا اعمالا استوجبنا بتلك الاعمال الجزاء فنحن اولى بذلك الجزاء فغلب علينا جزاء
تلك الاعمال او كلام نحو هذا واما ما قاله اولئك من اهل التاويل غلبت اي كتبت فهو بعيد لانه انما يكتب ما يفعل العبد و
ما يعلم انه يختار لا يكتب غير الذي علم انه يفعل ويختار والله اعلم وقوله ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قوله
فانا ظالمون ظلم عيان وظلم ظاهر والا فقد كانوا اقروا بالظلم بقولهم فاعترفوا بذنوبهم وقوله وكنا قوما ضالين قد اقروا
بالظلم لكنهم اقروا بظلم خبر وظلم سماع لا بظلم عيان فقالوا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ظلم عيان والله اعلم وقوله
قال اخسئوا فيها قال بعضهم قوله اخسئوا اي اسكتوا وقال بعضهم اخسئوا اي ابعدوا فيها قال ابو عوسجة يقال اخسأت

قلوا تا واحسانا اي باعدته شحسا اي تباعد وقوله ولا تكلمون يحتمل وجهين احدهما ان يكون هذا السؤال منهم في اول
ما ادخلوا فيها فقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فانكم ماكثون او ان يكون هذا السؤال منهم بعد ما سألوا ملك الموت مرة بعد
وناداه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وسألوا الخزنة تخفيف العذاب بقوله ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلما يئسوا منه فعند ذلك
يسألون ربهم اخراجهم منها والاعادة الى المحنة فقال اخسئوا فيها اي ابعدوا فيها ولا تكلمون اي تيئيس لهم [illegible]
على الكلام لشدة العذاب فعند ذلك يكون منهم الشهيق والزفير وقوله انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون يخبر عز وجل ان اولئك الكفرة
الذين يسألون الاخراج من النار انكم قد اتخذتم فريقا من عبادي امنوا سخريا وكنتم منهم تضحكون يذكر هذا لهم والله
اعلم ليكون ذلك حسرة عليهم ونكاية وقوله سخريا اختلف في قراءته وتاويله قرأه بعضهم سخريا بكسر السين وقرأ بعضهم
برفعه قال ابو معاذ من قرأه برفع السين فهو من العبودية والخولة اي اتخذتموهم خولا وعبيدا ومن قرأ بكسر السين فهو
من الاستهزاء والهزء وقال الكسائي بالرفع والكسر جميعا من الاستهزاء ولا يقال في العبودية الا برفع السين وقال
بعضهم هما سواء وقوله حتى انسوكم ذكري قال بعضهم حتى انساكم الهزء بهم عن العمل بطاعتي وقيل اضاف الانساء الى
الذكر لانهم كانوا يذكرونهم ويدعونهم الى ذكر الله يهزؤن بهم فاضاف اليه لذلك فكان كاضافة الرجس الى السورة لان
ذلك انما يزداد لهم عند نزول السورة فاضيف ذلك الى السورة وان كانت السورة لا تزيد رجسا فعلى ذلك اضاف
الانساء الى الذكر لما عند ذكره ودعائهم اليه فحملهم على ذلك والله اعلم فاضيف اليه وقوله اني جزيتهم اليوم بما صبروا الاية
اني جزيتهم اليوم الفوز بما صبروا في الدنيا على الاذى والكذب او على اداء ما امروا به ونهوا عنه او ان يكون ذلك كقوله
انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ونصره اياهم هو ان صارت لهم العاقبة والله اعلم وقوله قال كم لبثتم في
الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم اختلف فيه قال مقاتل بن سليمان في القبور وقال ابو معاذ هو
مقاتل وذلك قول من لم يكن عذاب القبر وهو قول الجهمية لانه لو كان في عذاب وشدة لا يقتصر المقام فيه كل هذا
الاقتصار حتى يقول لبثت يوما او بعض يوم بل يزداد له مقام يوم في العذاب كل سنة واكثر فقال الا ان يكون عني
بين النفختين حتى يكون الارواح ترقد فلذا بعثوا استقلوا ذلك المقدار لما كانوا فيه سوا قبل الرقدة من
العذاب في القبور والى هذا يذهب بعض اهل التاويل وجائز عندنا ما قال مقاتل ومحمد بن اسحق بان ذلك يكون في القبر
وذلك لا يدل على نفي عذاب القبر لانهم لا يعدون في القبور العذاب الذي يعدونه في الاخرة فجائز ان يستقلوا
عذاب ان يكون الرجل في بلاء وشدة ثم يزداد له البلاء والشدة فيستقل ذلك البلاء الذي كان به لشدة ما حل به
فعلى ذلك هم جائز ان يكون في عذاب [illegible] لكنهم اذا عاينوا عذاب الاخرة استقلوا عذاب القبر واستصغروه لشدة
عذاب الاخرة او ان يكون عذاب القبر على النفس والروح في الابدان الذي يخرج في حال النوم ليس على روح الحيوة
نحو النائم يرى نفسه في بلاء وعذاب في نومه ويكون في نزاع وكانت نفسه متلفا في مكان لا علم له بذلك و
لا حرج وبها الاحياء فجائز ان يكون عذاب القبر على هذا سبيل الروح الذي يريد به الاشياء لا على روح الحيوة
الذي يحيى وقال قائلون ذلك في الدنيا استقلوا حيوة الدنيا بحيوة الاخرة وهو كقوله فما متاع الحيوة الدنيا
في الاخرة الا قليل الا ترى انه قال فاسئل العادين هذا يدل على ان ذلك في الحيوة الدنيا اشبه حيث امر
بسؤال الذين يعدون وذلك انما يكون في الدنيا لا في الاخرة ثم اختلف في العادين قال بعضهم هم الملائكة الذين
يحسبون اعمالهم في هذه الدنيا ويرقبونهم وقال بعضهم هم ملك الموت واعوانه وقوله قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم
تعلمون اي ما لبثتم الا قليلا لو كنتم تعلمون [illegible] قال القتبي سخريا بكسر السين اي يسخرون منهم ويسخرونهم
يعني بها يتسخر ومن السخرية وقوله حتى انسوكم ذكري اي شغلكم امرهم عن ذكري والوجه فيه ما ذكرنا فيما
تقدم وقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا قوله افحسبتم يحتمل وجهين احدهما افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا لشيء
افحسبتم اي لا تحسبوا انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلقه الخلق لا للرجوع اليه والبعث عبثا والوجه
الاخر انا لا نخلقهم لا لعاقبة تامل اولنا فع تقصد الهلاك خاصة والفناء عبثا كبناء لبناء لا لمنفعة هو
تقصد به ولكن للنقض يكون عبثا في الشاهد وهو ما قال في اية اخرى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد
قوة انكاثا سفهها في غزلها للنقض خاصة لا لمنفعة قصدت [illegible] فلم يكن المقصود
من خلق الخلق الا الموت والفناء خاصة لا لعاقبة تقصد كان سفها وعبثا والثاني ما اخبر انه انما انشاء هذا
العالم على البشر لهذا البشر وله سخر ذلك كله حيث قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه انه ليس غير
البشر منتفعة بهذه النعم التي انشاءها لهم من محن الجن والملائكة ونحوهم اذ لهم قوام بدون ذلك من الشمس
والقمر ونحو من النعم التي ذكرها وانشاءها لهم ثم لا يمتحنهم بالشكر على ذلك ولا يامرهم باوامر ولا ينهاهم
مناهي فذلك ما انشاء لهم من النعم وسخر لهم من الاشياء انهم يبعثون ويرجعون اليه حتى يجزي المحسن

جزاء الاحسان والمسيئ جزاء الاساءة اذ في العقول التفرقة بين الولي والعدو وبين المحسن والمسيئ وبين الشاكر
والكافر ثم رايناهم جميعا في هذه الدنيا عاشوا على السواء في الضيق والسعة لم تر ما يفصل بين الولي والعدو وبين
المحسن والمسيئ وبين الشاكر والكافر فدل ما لم نر من التفرقة بين ما ذكرنا في هذه الدنيا على ان هنالك دارا اخرى
دار الجزاء هنالك يفصل بين ما ذكرنا في الجزاء والله الموفق لا ترجعون قيل لا تبعثون وقيل لا ترجعون اليه بالاعمال التي
عملتموها كقوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقوله فاستقيموا اليه واستغفروه وقوله فتعالى
الله الملك الحق اي تعالى الله عن ان يكون خلق الخلق منه عبثا وتعالى ان يكون خلق الخلق لا لحكمة الملك الحق قال
الحسن الحق اسم من اسماء الله او الملك الحق الذي خلق الخلق للحكمة لا اله الا هو تنزيه وتبرئة عن جميع ما قالوا فيه
وقوله رب العرش الكريم يشبه ان يكون على الاول بتعالى الملك الحق ورب الملك الكريم عن ان يخلقهم لا للحكمة او للبعث
وقالوا الباطنية العرش القيامة ونحن نقول يشبه ان يكون العرش القيمة على ما قالوا هم الا انهم يقولون هو
قائم الزمان وقلنا نحن هي القيمة المعروفة وهي الساعة رب القيمة وهي الملك الذي ذكرنا كقوله لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار خص ذلك اليوم بالملك له وان كان الملك له في الدارين جميعا لما لا ينازع في ملكه يومئذ وقد نوزع
في الدنيا فخلص له ملك ذلك اليوم وصفا له يومئذ وقال بعض اهل التاويل العرش السرير اضافه الى نفسه لكرامته
ومنزلته عند الله والكريم هو نعت ذلك السرير اي الحسن كقوله ومقام كريم اي حسن وهكذا يوصف كل كريم بالحسن وقال
بعضهم هو نعت الرب اي رد وعفو وصفح والله اعلم وقوله ومن يدع مع الله الها اخر ظاهر هذا يوهم ان هنالك الها اخر
لانه قال ومن يدع مع الله الها اخر لكنه يخرج على وجهين احدهما لا تجعل مع الله الها اخر كقوله ولا تجعلوا مع الله الها
اخر وقوله والثاني ومن يدع مع الله الها اخر اي من يسم مع الله الها اخر اذ كانوا يسمون الاصنام التي كانوا يعبدونها
الهة على هذين الوجهين يخرج تاويل الاية وقوله لا برهان له به اي لا حجة لهم بذلك لان الحجة انما تكون برجوع [illegible]
اما بالاخبار التي يجوز الشهادة على صدقها وصحتها واما العقول تشهد على ذلك واما من جهة الحس يدل على ذلك
فلم يكن لهم واحد من هذه الوجوه ثم الحس يكون بالدلالة من وجهين احدهما بوقوع الحس عليه بالبديهة او باثار
تدل على الالوهية فلو كان في ظاهر وقوع الحس دلالة ذلك ولا كان بها اثار تدل على ذلك بل فيها اثار العبودة و
الذل فضلا ان يكون لها اثار الالوهية ولا عذر لهم في ذلك لان العبادة الاخرى انما تكون لرجوع اما النعم والايادي
يكون منه اليه فيعبده شكرا لما انعم عليه واحسن اليه واما الحوايج يطمع قضاءها له من عنده او لما يرى لم في نفسه
من اثار العبودة فاذ لم يكن واحد من هذه الوجوه التي ذكرنا لا عذر لهم في عبادة تلك الاصنام فان قالوا لنا برهان
وحجة في ذلك قيل قطع حجاجكم بما ذكر من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره الاية وقوله فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا ونحو ذلك من ايات فيها قطع حجاجهم وفي حرف حفصة لا برهان له ام لا سلطان
له به وقوله فانما حسابه عند ربه قال قايلون حسابه عند ربه هو قوله انه لا يفلح الكافرون وقال بعضهم
حسابه جزاؤه لصنيعه عند ربه كقوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقوله وقل رب اغفر وارحم وانت خير
الراحمين وجايز ان يكون هذا تعليما من الله لكل احد سؤال المغفرة والرحمة وقيل هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو يخرج على وجهين احدهما ان في حكمته وعدله ان لا يرحم ولا يغفر احدا وان كان في فضله ورحمته ان يرحم ويغفر
والثاني يجعل له العصمة والرحمة بهذا الدعاء وان يكون العصمة تزيد في الخوف كقول ابراهيم رب اجعل هذا
البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وقوله وانت خير الراحمين لان

رحمته اذا ادركت احدا اغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل سورة انزلناها سميناها سورة
وجعل تلاوتها سورة ولم يجعل لغيرها من السور التلاوة سورة كما جعل لهذه فجايز ذلك لكثرة ما فيها من الاحكام من
الفرائض والاداب مما بالناس الى ذلك حاجة او لمعنى لم يذكره او لا لمعنى ولكنه ذكر هكذا وله الخلق والامر قال
ابو عوسجة السورة القطعة من كل شيء يقول سورت الشيء اي قطعته وقال بعض العلماء انما سمي القران بجماعة
السور وسميت السورة مقطوعة من الاخرى فلما قرن بعضها الى بعض سمي قرانا كقوله ان علينا جمعه وقرانه اي تاليف
بعضها الى بعض فاذا قراناه فاتبع قرانه اي فاذا جمعناه والفناه فاتبع قرانه اي ما جمع فيه فاعمل به من امر ونهي ويقال
ليس لشعره قران اي نظم وتاليف ويقال للمراة ما قرات سلى قط اي لم تجمع في بطنها ولدا وقال بعضهم سورة بلا همز هي
المنزلة والرفعة وبالهمز سؤرة البقية ومنه سمي سؤر الكلب وسؤر الحمر وسؤر الطاير اي بقيته والقطعة منه ثم
قرئ بالنصب سورة انزلناها والرفع جميعا سورة وهي القراءة الظاهرة فمن قراها بالنصب اوقع الفعل عليها اي
انزلنا سورة والفعل اذا وقع على شيء انتصب تقدم الفعل او تاخر كقولك زيدا ضربناه وضربنا زيدا وقال بعضهم انما
انتصب لاضمار فيه كانه قال اتبعوا سورة او اذكر وسورة انزلناها كقوله ناقة الله بالنصب اي احذروا ناقة

الله بالنصب اي احذروا ناقة الله ومن قراه بالرفع رفع على الابتداء فكل ما ابتدا به فهو رفع على اضمار هذه سورة انزلناها
وذلك كله جايز في اللغة والله اعلم وقوله وفرضناها قرئ بالتخفيف فرضناها وبالتشديد فرضناها قال الزجاج قوله فرضناها
بالتشديد يخرج على وجهين احدهما اي كثرنا فيها الفرايض والاحكام والثاني فرضناها اي فصلنا فيها بين ما يوتى وبين ما يتقى
وبين ما امر فيها وبين ما نهي وقال واما بالتخفيف فرضناها اي الزمنا [illegible] من الفرايض وادائها وقال القتبي فرضنا بالتخفيف
اي بينا فيها الفرايض وقال ابو عوسجة من قراها بالتخفيف فرضناها اي انزلنا فيها فرايض مختلفة ومن قراه فرضناها
بالتشديد يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم على التكثير والله اعلم وقوله وانزلنا فيها ايات بينات يحتمل قوله
ايات بينات اي حججا بينة بنفسها وبين فيها ما لا احد بالبديهة والتامل او ان يريد بالايات الايات التي جمع فيها امورا
اشيا وتلى لان الاية انما تستحق اسم الاية اذا جمع فيها كلمات وحروف فاما كلمة واحدة وحرف واحد لا يسمى بهذا
الاسم او ان يكون قوله ايات بينات ما ذكر فيها وبين مما يوتى ويتقى وبين ما يحل وما يحرم فذلك كله مبين فيها
والله اعلم وقوله لعلكم تذكرون اي تتعظون بما ذكر فيها من المواعظ وبين فيها ما يزجر عن المعاودة وهي
الحدود التي ذكرها لان سبب الاتعاظ احد شيئين المواعظ التي تلين القلوب والحدود التي تزجر وقوله الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لو كان الخطاب يجب اعتقاده على ظاهر المخرج والعموم على ما قاله بعض الناس
لكان لكل احد ان يقيم على اخر حدا بظاهر قوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فيقول الله امرني بذلك بقوله
فاجلدوا او ان يضربوا جميعا واحدا من الزناة بظاهر قوله فاجلدوا فيزداد الضرب والحد على ما حد الله اضعافا مضاعفة
فدل ان اعتقاد العموم فاسد بظاهر المخرج او ان يقول قايل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العينان
تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله او يكذب سمي الناظر الى ما لا يحل نظره
اليه زانيا والماسي لها كذلك فيلزمه الحد بظاهر قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
فاذ لم يفهم من ظاهر قوله الزانية والزاني ما ذكرنا كله دل ان الاعتقاد على عموم المخرج فاسد وان المراد من قوله
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة راجع الى الخصوص الى مقيم دون مقيم والى زان دون زان
وهو الزاني الذي يجمع في فعل الزنا جميع بدنه العين واليد والرجل والفرج وجميع بدنه ورجع الخطاب الى البكرين
الحرين او الثيبين الحرين اللذين لم يستجمعا جميع احكام الاحصان فاما من استجمع جميع اسباب الاحصان فان حده
الرجم على اتفاق القول منهم جميعا الا ان طائفة من اهل العلم اوجبوا عليه مع الرجم الجلد وفي البكر مع الجلد تغريب
عام والدليل على ان المراد به راجع الى الحرين البكرين او الثيبين اللذين لم يستجمعا اسباب الاحصان ما ذكرنا
من القول المتفق وقوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذكر الخطاب
نصف ما على المحصنات على الاماء على انه اراد بالمحصنات الحراير التي لم يستجمعن جميع اسباب الاحصان وان الخطاب
بقوله الزانية والزاني الى اخر ما ذكر راجع الى الحرين اللذين ذكرناهما ثم لم يضرب في الزنا الذي به زنى وهو الفرج
وقطع في السرقة الذي به سرق وهو اليد فهو والله اعلم لما جعل الحدود زواجر عن المعاودة لم يجعل دافعة
مذهبة امكان ذلك الفعل من الاصل وفي ضرب الفرج ذهاب امكان الفعل من الاصل ولا كذلك في قطع اليد
في السرقة اذ يبقى اخرى بها ياخذ وبها يقبض لذلك افترقا او ان يقال في ضرب الفرج خوف هلاكه في الاغلب و[illegible]
ذلك في قطع اليد بل يبقى حيا في الغالب وقد ذكرنا ان الحدود لم تجعل مهلكة متلفة ولكن جعلت زواجر عن المعاودة
لذلك افترقا وفي قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة دلالة على ان النفي ليس من عذاب الزانيين
ولا من عقوبتهما لانه قال وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين والنفي مما لا يحتمل ان يؤمر بشهوده لانه لا يمكن
فدل انه ليس من عذابهما ويدل ايضا قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من
العذاب لانهم اجمعوا على ان لا نفي على الاماء اذا زنين وقد اوجب عليهن اذا زنين نصف ما على المحصنات او ان ثبت النفي
فهو يحتمل وجهين احدهما انه اراد به قطع الشين الذي يلحقهما بفعل الزنا لانه ليس جرم من الاجرام اكثر شينا واشد من
فعل الزنا فاراد ان ينقطع ذلك من بين الناس او ان يكون اراد به قطع الشهوة التي حملتهم على الزنا بذل السفر
وذلة الغربة او صار منسوخا لما شدد في الضرب بقوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وفيما ذكر النفي لم يذكر
فيه الجلد حسب بقوله عليه السلام اما على ابنك هذا جلد مائة وتغريب عام فجايز ان يكون الضرب كان بالتخفيف
وفيه نفي فلما شدد في الضرب ارتفع النفي وقد جاء عن عمر رضي الله عنه انه نفى رجلا فارتد عن الاسلام عن
الاسلام ولحق بالروم فقال كفى بالنفي فتنة وقال لا انفي بعد هذا ابدا وكذلك روي عن علي رضي الله عنه والله
اعلم وقوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين قال بعضهم لا تاخذكم بهما رافة في تخفيفهما فهو والله اعلم لانه من اعظم الاجرام
في الشين ثم المعتزلة تعلق بظاهر قوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله قالوا ان الله وصف نفسه بالرحمة بقوله
رؤف رحيم ووصف المؤمنين بالرحمة فيما بينهم والشدة على الكفار بقوله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم

ثم نهاهم ان يأخذهم رافة على الزانيين وقت اقامة الحد عليهم دل ان الزاني لا يخرج بفعله من الايمان لما ذكرنا
من دفع الرافة والرحمة عنهما لكن عندنا في الاية دلالة انه ليس على ما ذهبوا اليه لان الزاني لو كان يخرج من
الايمان بفعل الزنا لكان لا يحتاج الى ان يقول ولا تاخذكم بهما رافة لانهم كانوا على ما وصفهم الله بالشدة على غير
المؤمنين بقوله اشداء على الكفار دل ان الزنا لم تخرجه عن الايمان فنهى ان لا تاخذهم بهما رافة الايمان والدين في تعطيل
الحد وتخفيفه او ان يكون النهي عن اخذ الرافة ليتحمل ذلك الحد والالم لينتفع به في الاخرة وهو ان لا يعذب به الاخرة
انه قال ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وفايدته ما ذكرنا انه لا تاخذكم بهما رافة في اضاعة الحد لما تامل
من النفع في الاخرة نحو من يشرب الادوية الكريهة ويفتصد ويحتجم لما يطمع البرء به والنفع في العاقبة فعلى
ذلك جاير ان يكون النهي عن اخذ الرافة في حد الزاني ليقام ذلك عليه ويحمل الم فينجو في الاخرة عن عذابه
والله اعلم وقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وقال بعضهم الطائفة واحد واثنان فصاعدا وكذلك
قالوا في قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا رجلان اقتتلا دل على ذلك قوله فاصلحوا بين اخويكم وهما
اثنان في الظاهر لكن ان ينضم الى كل واحد منهما جماعة من عشيرته فيكون الطائفة جماعة لا واحدا وقال بعضهم الطائفة
جماعة من العشرة فصاعدا ثم يحتمل ان يقال لاي معنى امر ان يشهد عذابهما طائفة من بين سائر الاجرام فهو والله اعلم
يحتمل وجوها احدها المحنة اراد ان يمتحن من حضر ذلك اذا امر قد تنال على ضرب اخر وما يحل لغيره لينزجر عن مثله
والثاني لانتشار الخبر في الناس لينزجروا عن مثله والثالث لئلا يتعدى الضارب والمقيم ذلك الحد ويجاوزه
على الحد الذي جعل له فان هو تعدى منعه من حضره عن المجاوزة والتعدي والرابع لدفع التهمة عن الحاكم لئلا
يتهمه الناس انه انما اقام عليه الحد بلا سبب كان منه ولا جرم فانه كان الامر بشهود الطائفة عذابهما لهذه الوجوه
الثلاثة التي ذكرنا من انتشار الخبر ودفع التهمة عنه ومنع المجاوزة فالطائفة يحتاج ان يكون جماعة كان الواحد
غير كاف لذلك وان كان الاول وهو المحنة فالواحد وما فوقه يكون يمتحن كل في نفسه بحضور ذلك الحد ليتالم به
وقد ذكرنا ان بعض اهل العلم قالوا انه يجمع مع الرجم الجلد واحتجوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام فاما الجلد فلا خلاف في انه حد البكر واما النفي
فما اختلفوا فيه فمنهم من راه واجبا ومنهم من راه عقوبة لهم بعضهم الى الحد ونحن قد ذكرنا المعنى في ذلك ان ثبت
ما نفيناه عن نكر لو ونزيد ايضا نكتة وهي ان الحدود ونهايات المقدار وغايات ولذلك سميت حدودا لان لها
نهاية وغاية كما يقال هذا حد فلان وحد الدار انه منتهاها واخرها فلما لم يكن للنفي مكان معلوم ينفى الزاني اليه
دل انه ليس بحد ولكن اراد به الوجوه التي ذكرنا ما حبسا كما يحبس الداعي حتى يحدث توبة او قطع الشين و
والذكر الذي يحدث الناس به لينسى ذلك ويترك او قطع الشهوات التي جبلهم على ذلك بذلة السفر والغربة او
ان كان فرسا ومشوحا مما شدد فيه الضرب والله اعلم واما قول اصحابنا رحمهم الله في ازالة الجلد عن الثيب اذا كان
محصنا لقول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اغد يا انيس على امراة هذا فان اعترفت فارجمها ولم يذكر جلدا وروي
ايضا في حديث ماعز بن مالك لما رجمه النبي باعترافه ولم يذكر انه جلد وروي ان ابا بكر رضي الله عنه قال
لما اعترف ثلاثا لو اعترفت في المرة الرابعة لرجمك ولم يقل جلدتك علم انه لا يجمع مع الرجم الجلد وما روي عن
عمر رضي الله عنه انه امر برجم امراة زنت ولم يجلدها وروي عن ابن عمر عن عمر مثله الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا
رحمهم الله ويقولون لا يجتمع على رجل في فعل واحد حدان الجلد والرجم جميعا كما لا يجتمع في غيره من الاجرام في فعل
واحد حدان او عقوبتان وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب يجلد ويرجم يحتمل الجلد ثيبا غير محصن ويرجم
ثيبا اخر محصنا او يجلد ثيبا في حاله ويرجم في حال وقد ذكرنا هذه المسالة في سورة النساء وقوله الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك في ظاهر الاية ان لا يحل للزاني ان ينكح الا الزانية من
المؤمنات او المشركة وكذلك الزانية من المؤمنات لا ينكحها العفيف من المؤمنين وانما ينكحها الزاني منهم او
المشرك وفي ظاهر الاية النهي للزاني عن نكاح العفايف واباح نكاح الزانيات والمشركات فان كان كذلك فكان
قوله ولا تنكحوا المشركات الا الزناة منكم فانه يحل لهم ان ينكحوا المشركات وكذلك قوله ولا تنكحوا المشركين الا
الا الزانيات فانه يحل هذا ظاهره لكنهم اجمعوا على ان لا يحل للمؤمن وان كان زانيا ان ينكح المشركة وكذلك لا
يحل للمشركة ان تتزوج بالزاني من اهل الايمان ثم اختلف اهل التاويل في تاويله قال مقاتل ومحمد بن اسحق وهو الا
الزاني من اهل الكتاب لا ينكح اي لا يتزوج الا زانية من اهل الكتاب او مشركة من غير اهل الكتاب والزانية من
اهل الكتاب لا ينكحها الا زان من اهل الكتاب او مشرك من غير اهل الكتاب يزنين علانية وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال نزلت الاية في نفر من اهل مكة هاجروا الى المدينة وكانوا ذوي عسرة وكان بالمدينة بغايا يبغين بانفسهن
ظاهرات بالفجور ولكن محصنات او مخاصب البيوت فهم اولئك المهاجرون ان يتزوجوا باولئك البغايا ليعيشوا من

حصين وسيتهن فذكروا ذلك لرسول الله واستاذنوه في ذلك فنزلت الاية في شانهم الزاني من اهل القبلة المعلن به
لا ينكح الا زانية من اليهود او مشركة الاية وحرم ذلك على المؤمنين اي نكاحهن على المؤمنين لكن هذا يصلح ان لو كان اولئك
المهاجرون مثلهن زناة فاما ان كانوا مهاجرين اهل ايمان وعفة فلا يصلح ان يقال فيهم الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
وهم لم يكونوا زناة الا ان يقال على الابتداء انه لا يفعل ذلك وقال بعضهم قوله الزاني لا ينكح اي لا يجامع ولا يزني
الا بزانية مثله وكذلك الزانية لا تزني الا بزان مثلها او مشرك لا يحرم الزنا وهو قول الضحاك وهؤلاء وقال سعيد بن
المسيب انسخ هذه الاية وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم قوله الزاني لا ينكح الا زانية ومشركة الاية
وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن رجل يزني بالمراة ثم يتزوجها قال هما زانيان ما اصطحبا او يحتمل ان يكون النهي
عن نكاح الزانية والزاني نهيا عن الزنا نفسه لا عن نكاح كانه قال لا تزنوا فانكم اذا زنيتم معروفين به لا تجدون ان
تنكحوا الا زانية او مشركة التي لا تحرم الزنا لان العفايف منهن لا يرغبن في نكاح من صار يعلن الزنا فاذا لم يرغبن
لم تجدوا الا من ذكر وهو ما قال لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ليس النهي عن قربان الصلوة ولكن النهي عن السكر
وشرب المسكر وكذلك ما روي انه قال لا صلوة للمراة الناشزة ولا للعبد الابق انما النهي عن نشوزها وعن اباقه
ليس عن الصلوة فعلى ذلك جاير ان يكون قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
انما نهي عن الزنا انه لا تزنوا ليرغب العفايف [illegible] ؤمنات فيكم ولا يزني النساء ليرغب اهل العفاف من المؤمنين فانهم
اذا زنيتم وصرتم معروفين به معلنين لا تجدوا الا نكاح من ذكر من الزانية او المشركة او ان يكون ما ذكرنا لا يرغب
الزاني الا في نكاح زانية او مشركة وكذلك المراة الزانية لا ترغب الا في نكاح زان مثلها او مشرك او لا يرغب الزاني
في الزنا الا بزانية او مشركة التي لا تحرم الزنا لا ترغب الا بزان مثلها او مشرك الذي لا يحرم الزنا وحرم ذلك على المؤمنين
وحرم الزنا على المؤمنين وان كان على النكاح فيكون تاويل قوله وحرم اي منع عن ذلك المؤمنين اعني نكاح الزانيات
والزناة قال ابو عوسجة الزاني والزاني يقال منه زنا يزني زناء واما زناء يزنؤ زنوءا اي ارتقى يرتقي ويقال
الزناء الضيق ويقال زنيته ازنيه زنا اي ظننت به ظنا والقذف التهمة والرمي اشد من القذف ومن جعل الاية في الزناة
المسلمين وجعل قوله لا ينكح على التزويج لزمه ان يجيز الزانية المسلمة ان تتزوج الزاني المسلم والمشرك على ما ذكرنا بدءا
وهذا لا يقول له احد وفي بطلان هذا القول بيان ان الاية ان كان المراد بها عقدة النكاح فانها نزلت في الزانية المشركة
يريد المسلم ان يتزوجها في حديث مرثد وان كان المراد بذكر النكاح منها الوطء فهو كما قال ابن عباس في احدى الروايتين
عنه انه الجماع ليس يحتمل الاية غير هذين الحالين والله اعلم بما اراد وقد زعم قوم ان المراة اذا زنت حرمت على زوجها فكانهم
ذهبوا الى انه لما لم يحل له ان يطاها لانها اذا كانت زانية لم يحل المقام عليها اذا زنت وهي زوجته لكن التاويل في الاية على
خلاف ما توهم او لانه ما وصفنا انه وجه لتحريمهم الزانية على زوجها ولو كان التاويل على ما توهموه فيجب ان تحرم
الزانية على زوجها من حيث كان ممنوعا من تزويجها لانه لا يجوز للرجل ان يتزوج امراة في عدة من غيره وله ان
يطا امراة وطئت بشبهة فوجبت عليها العدة لم تحرم على زوجها [illegible]
في العدة [illegible] لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله والذين يرمون
المحصنات ذكر الرمي ولم يذكر بم هو [illegible] وقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء ذكر الاربعة الشهود
والزنا هو المخصوص بالشهود الاربعة دون غيره من الاجرام فدل ذلك على ان الرمي المذكور فيه هو
بالزنا ثم قوله المحصنات هو الحراير في هذا الموضع لا العفايف لان قاذف الامة يلزمه التعزير [illegible]
[illegible] فاحشة الاية الا ترى انه اوجب على الاماء نصف ما على المحصنات وهن الحراير ولو جعلنا قوله المحصنات
عبارة وكناية عن العفايف دون الحراير لا سقطنا شهادة الشهود لان العفة [illegible] قوله ان
الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الغافلات عبارة عن العفايف فدل ان المحصنات عبارة عن الحراير ثم
ادخل المحصنين في حكم هذه الاية في الرمي والقذف وان لم يذكرهم لان الاية [illegible] شدد الله [illegible] الزنا وغلظ [illegible]
ما لم يشدد [illegible] في غيره من الاجرام منها ما نهى عن تعطيل الحد فيه واضاعته وتخفيفه حيث قال ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله ومنها امر برجمه اذا كان محصنا [illegible] ومنها ما اوجب على الرامي
من الحد الا ان ياتي باربعة شهداء والزنا بهذا كله مخصوص من بين غيره من الاجرام وذلك والله اعلم لقبحه في
العقل والطبع جميعا وكذلك في الشرع والدليل على انه قبيح في الطبع جميعا والعقل ما نفر عنه طبع كل سليم [illegible]
عنه كل عقل سليم فانه قيل لو كان ينفر عنه الطبع لكان لا يرتكبه ولا يأتيه قيل [illegible] الشهوة التي ركبت فيه قد
تغلبه [illegible]
ومثله روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه فقال له ائذن لي في الزنا فقال له [illegible] بامك
شيئا اكنت تكره فقال نعم فقال له [illegible] دل ذلك انه قبيح في الطبع والعقل جميعا الا الشهوة

تمنعه عن النفار عنه وفيه اشتباه الانساب والمعارف التى جعلت بينا بين الخلق حتى لا يهتدى احد الى معلم بعلمه
الحكمة والادب ومعالم السنن ولا الادعاء بالاباء وارتفع التواصل وحفظ الحقوق التى يقوم بعض لبعض
والشفقة التى جعل لبعض على بعض من التربية فى الصغار وحقوق المحارم وغيرهم وبها امتحن البشر والعالم الصغير
وبطل خلق ما ذكر من الانشاء لهذا العالم وتسخير ما ذكر مما فى السموات والارض لهم فهذا كله يدل على قبح الزنا وانه تناهى
فى الفحش والمنكر حتى لا يعرف هذا العالم قبحه ونهاية فحشه وانما يعرفه العالم الروحانى الذى لم يمكن فيهم هذه الشهوة
ولم يمتحنوا بها واما هذا العالم الذى جعلت فيهم الشهوة لا يعرفون قدر قبحه وفحشه لما تغلبهم وتمنعهم عن النفار عنه
والنظر فى معرفة قبحه لهذا والله اعلم ما شدد الله تعالى امر الزنا وغلظ فى احكامه ما لم يغلظ بمثله فى غيره من الاجرام
وعظم شانه من بين ساير الاثام ثم الذكر انما جاء فى الحراير بما ذكرنا فهو بالرجال من الاحرار ان لم يكن اكثر مما يكون
دونه لان العذر فيهن اكثر وهى الشهوة التى تغلب وتمنع عن النفار عنه وفى الرجال فالعذر فيهم اقل الا ترى انه
ذكر الحد فى الاماء بقوله فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولم يذكر فى العبيد شيئا
فيلزم العبيد ذلك الحد اذا ارتكبه فعلى ذلك ما ذكر من الحد فى النساء والقذف فهو فى الرجال مثله ثم لا يجب الحد
على قاذف الامة التعزير ولا حد عليه وقد سمى الزوجة وان كانت محصنة امة وقال فاذا احصن فان اتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقال والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم سمى ملك اليمين محصنة بقوله
احصن اى تزوجن وقوله عليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اى الحراير فقد بان بهذه الاية ان الاحصان
قد يكون بالحرية ويكون بالتزوج وان كانت الزوج امة اذا كان لها زوج وسمى الطبقة من النساء محصنة قال
محصنات غير مسافحات يعنى العفايف فالاحصان على ثلاثة اوجه وانما يجب الحد على قاذف الحر المسلمة فان رجل
وحرة فعليهما الحد ثمانين وان كان عبدا او امة فعليه الحد اربعين سوطا على ما ذكرنا وقوله والذين يرمون
المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة فظاهر هذا انه لا يقع عند حضرة القذف ولكن له ان
ياتى الى وقت اياسه وهو الموت لمن تخلف بيمين ولم يوقت لها وقتا فانما وقعت الى وقت اياسه تحنث عند ذلك
فعلى ذلك يجى على ظاهره ان يقع على الابد ليس عند حضرة القذف لكن لو وقع على الابد لكان فيه سقوطه اذ لا يقام
الحد بعد الموت اراد بذكر الشهود الاربع زجرا عن قذف المحصنات لما لا يجد الشهود على الحلول فالذى هو اخفى
واسرا بعد والثانى ان الحد قد لزمه بالقذف فان اراد اسقاطه الا ببينة تقوم حضرة ذلك لكن يقى بقصاص
وحق من الحقوق ثم ادعى العفو فى ذلك واسقاط ما اقر له والخروج منه لم يصدق الا ببينة تقوم على حضرة ذلك
قوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء وقع ذلك على حضرة القذف فان اتى بهم والا حد والله اعلم ثم المسالة بانه اذا اتى
باربعة فساق درئ عن نفسه الحد عندنا والقياس ان لا يطالب بشهود عدول لان العدول لا يشهدون
ذلك المشهد ولا ينظرون اليه انما يشهده الفساق فحق ان يدرءهم الحد عنه من العدول وليس كالشهادة
على اقامة حد الزنا لان قصدهم بالنظر الى ذلك المكان قصد اقامة الشهادة وايجاب الحد على فاعل ذلك لذلك
لم يصير وا فسقه ولانهم لا يشهدون بذلك الا عن توبة تكون منهم اذ يملكون التوبة ولان الفساق من اهل الشهادة
ليسوا كالكفار والعبيد وهؤلاء وان كانت لا تقبل شهادة الفساق فهم من اهل الشهادة الا ترى ان من قذف فاسقا
او كانت امراة تقذفها زوجها وهو فاسق انا نحد قاذف الفاسق ويلاعن بين الزوج وبين امراته وان قذف
مسلم كافرا او قذف حر عبدا لم يحد وان قذف احدهما زوجته لم يلاعن بينهما ثم خالفنا فى هذا اللعان فليس
يخالفنا فى ان الحر اذا قذف العبد والمسلم اذا قذف الكافر فلا حد على واحد منهما فهذا كله يدل ان الفساق من اهل
الشهادة والكافر والعبد والمحدود فى القذف ليسوا من اهل الشهادة فاذا كانوا من اهل الشهادة وان لم تقبل شهادتهم
فى غيره فاوجب ذلك شبهة والحدود مما يدرء بالشبهات لذلك درئ عنه الحد واما الكافر والعبد والمحدود فى
قذف فاذا لم يكونوا من اهل الشهادة لم يوجب شبهة فى درء الحد عنه لذلك افترقا ثم المسالة اذا جاء الشهود
متفرقين حدوا ولم تقبل شهادتهم والقياس عندنا ان لا يحدوا لانهم انما يقومون فى الشهادة محتسبين لا يقصدون
به قذفه ولا شتمه واما الرامى فانه يقصد قصد شتمه وقذفه ولان الشاهد يقول رايته فعل كذا والرامى يقول
انت كذا فكان كمن يقول لاخر رايته كفر لم يضرب بهذا القول ولو قال يا فر ضرب لان هذا خرج مخرج الشتم والاول
لا فعلى ذلك الاول لكنهم اقاموا الحد على الشهود اذا جاؤا متفرقين لان الله اكد الشهادة بالزنا بامرين احدهما ان لا
يقبل فيها اقل من اربعة وان لا يقبل حتى يقولوا زنى بها فياتون بهذا اللفظة ويصفوا باكثر مما يوصف غيره من
النكاح وغيره فالشهادة بالزنا احوج الى اجتماع الشهود فى موطن واحد من اجتماع الشهود على النكاح ومن قولهم
ان النكاح اذا عقد بشاهدين متفرقين لم يكن نكاحا فالزنا الذى كان امره اوكد والحاجة اليه احوج واكثر احق
ان لا يقبل والثانى ما جاء عن عمر ان ثلاثة شهدوا على رجل بالزنا وفيهم ابو بكرة فجلدهم عمر جميعا لما لم يشهد الرابع

كما شهدوا وكان ذلك بمحضر اصحاب النبى فلم ينكر عليه احد فكان ذلك اجماعا الا ترى ان ابا بكرة قال بعد ذلك انا اشهد
فهم عمر ان يجلده فقال له على رضى الله عنه ان جلدت هذا فارجم صاحبك فلم ينكر عليه على فى جلده اياهم اذا لم يتم اربعة
انما انكر اذا تم والله اعلم لذلك قلنا انهم اذا جاؤا فرادى متفرقين صاروا قذفة ولا ينتظر بحضور من يجئ منهم كما لم
ينتظر عمر فى مسالة اخرى انه اذا جاء اربعة واحدهم زوج قبل عندنا ورده عنه الحد لما روى عن ابن عباس رضى الله
عنهما وغيره من السلف ولان الشهادة عليها وشهادة الزوج على امراته تقبل وانما ترد اذا شهد لها الا ترى انه لو
شهد عليها فى الديون والقصاص والسرقة وغير ذلك من الحقوق قبل فعلى ذلك فى هذا فان قيل ان الزوج انما يشهد
لنفسه وفيه منفعة له لان هذه اللعان اذا قذفها فهو يريد ان يزيل اللعان عن نفسه قيل انما يكون هذا الزوج اللعان
اذا قذفها قبل ان يرتفعا الى الحاكم فاذا فعل ذلك ثم شهد مع ثلثة لم تجز شهادته واما اذا كان اول ما بدا به ان جاء مع
ثلثة فشهدوا عليها بالزنا فليس يبطل بشهادته عن نفسه شيئا وجب عليه الا ترى ان الاجنبى اذا قذف امراة ثم جاء
يشهد بذلك عليها مع ثلثة ان شهادته لا يجوز لان الحد قد لزمه قبل شهادته فهو يدفع الحد الذى وجب عليه شهادته فلا
تقبل وانه لو جاء مع ثلاثة وكان اول امرهم ان يشهدوا عليها بالزنا فشهادتهم جايزة ولا يقال ان احدا منهم يدفع عن
نفسه شيئا وجب عليه فعلى ذلك الزوج وقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون تسمية الفسق
لهم لا يخلوا اما ان كان لما رموا وقذفوا بريا من ذلك او لما هتكوا عليه الستر من غير ان هتك هو على نفسه فان
كان الاول فذلك لا يعلم الا الله فعلى ذلك توبته لا تظهر عندنا فانما ذلك فيما بينه وبين ربه فكانه قال فاولئك
هم الفاسقون عند الله الا الذين تابوا وان كان الثانى فانا نعلمه فكانه قال واولئك هم الفاسقون عندكم الا الذين
تابوا لكن لا تظهر توبته عندنا الا ان توبته هو ان يعزم ان لا يهتك على اخر ستره او يعزم ان لا يقذف بريا من الزنا ابدا
فاى الوجهين كان تسميته فسقهم فان التوبة من ذلك لا تظهر عند الناس لذلك لم تقبل ولذلك قال ابن عباس
وانما توبته فيما بينه وبين الله اذا تاب غفر الله له ذنبه الفرية وكذلك روى عن غير واحد من السلف من نحو
الحسن وابراهيم وامثالهم قالوا توبته فيما بينه وبين ربه وقوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ليس ثم شهادة رفعت
الى الحاكم فردها ولكن لا تقبلوا لهم شهادة يرفعونها الى الحكام فالجرح على كل شهادة يرفعون من بعد ثم اذا شهد
بعد ما قذف قبل ان يجلد قبلت شهادته وهو قاذف فدل ان شهادته انما ترد بعد ما جلد لما اتهمه الحاكم وكل شهادة
ردت لتهمة فهى لا تقبل ابدا والتهمة التى بها جلد القاذف هى لا تزول ابدا او ان يكون توبته قوله فقد كذبت فيما
قذفت فكما ترد شهادته لتهمة الكذب فاذا اكذب نفسه تقبلها لتحقق الكذب فهذا بعيد واصله ان كل توبة
كانت بعد التمكين فهى لا ترفع الحكم الذى جعل له والحد وكل توبة كانت قبل التمكين فهى ترفع العقوبات كقوله الا الذين
تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فلو لم يرفعوا عنهم تلك العقوبات لكانوا يتمادون فى السعى فى الارض بالفساد واما فيما نحن فيه
فليس فى ذلك التمادى فيه وزعم الشافعى ان حاله قبل الحد وبعد ذلك سواء وهذا خلاف ما نص الله عليه قال الله تعالى والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة الاية وقال فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
فجعلهم كاذبين عند العجز عن اقامة الشهداء وكان امرهم قبل ذلك موقوفا فالواجب ان يجعلهم كاذبين عند عجزهم عن تصحيح
ما قالوا وهى الحال التى جعلهم الله فيها كاذبين فبان بما وصفنا ان من جعل حال المحدود بعد ان ضرب الحد كما له قبل ذلك
مخطى ودل ما وصفنا على انه لا يجب ان يستدل بجواز شهادته قبل ان يجلد على جواز شهادته اذا تاب بعد الجلد على ما ذكرنا
لانا بالجلد علمنا انه قاذف لا لما كان من رميه المراة قبل ان يجلد ومن الدليل على اختلاف الحالين ان عمر لما جلد ابا بكرة قال
له ان تبت قبلت شهادتك وانه قبل ان يجلده لم يرد شهادته لانه لو كان عنده مجروحا بالقذف لم يسمع شهادتهم ولا اعلم
بين اهل العلم خلافا انه لا يقبل شهادته بعد الجلد ما لم يتب وانما يختلفون فى شهادته بعد التوبة وان شهادته قبل الجلد هم
متفقون له فكيف يشتبه الحالتان مع ما وصفنا فالعزم التوبة تزيل فسقه ولا يجوز شهادته وقالوا الاستثناء على اخر الكلام
على الذى يليه وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يدل على بطلان شهادته وان تاب روى عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا فى قذف وعن ابن عباس
قال لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده وذكر حديثا فيه طول وفيه
لم يلبثوا الا قليلا حتى جاء هلال بن امية وهو احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم قال يا رسول الله لقد رايت ثلاثة
مع اهلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا هلال قال والله يا رسول الله لقد رايته وسمعته باذنى
قال فشق على رسول الله الذى جاء به ثم قال الا يجلد هلال ويبطل شهادته فى المسلمين فاشتد ذلك على رسول الله وجعل
يقول يجلد هلال ويبطل شهادته فى المسلمين وقول رسول الله يضرب هلال ويبطل شهادته فى المسلمين وما ظهر
من غمه بذلك وجزعه يدل ان على ان المحدود لا يقبل شهادته بعد توبته لان توبته لو قبلت وكان كساير الاشياء
التى اذا اتيب منها جازت شهادته لما قال النبى يبطل شهادته فى المسلمين الا ان يتوب لانه لا يقال فى شئ من المعاصى فلان

فمن كذا وكذا ابطلت شهادته في المسلمين حتى يقرن الى ذلك الا ان يتوب وقد ذكرنا عن ابن عباس في قوله الا الذين
تابوا قال فاتاب الله عليهم من الفسق فاما الشهادة فلا تجوز وكذلك روي عن كثير من السلف انهم قالوا توبته
فيما بينه وبين ربه وفيه وجه اخر وهو ان القاذف اذا ضرب الحد فهو يقول ما لم يرجع انا صادق في نفسي ولم
يلزمني الحد فيما بيني وبين ربي وانما لزمني في ذلك الحكم فاذا تاب فهو يقول كان الحد واجبا علي فيما بيني وبين ربي
وفي الحكم فذلك اخرى ان لا يزول عنه من ابطال شهادته بذلك الحد ووجه اخر وهو ان القاذف لم يبطل شهادته بقوله
فلان زان لانه مدعى بقوله هذا شيئا قد يجوز ان يكون حقا وانما يصير قاذفا اذا عجز عن اقامة البينة وضربه الحاكم
الحد فاذا كانت شهادته انما بطلت بحكم حاكم لم يزل ذلك الحكم الا بحكم حاكم فان حكم حاكم بجواز شهادته في شيء جازت
شهادته فان قيل يلزمكم على هذا ان تقولوا ان قال الحاكم قد اجزت شهادته في كل شيء ان يجوز لان الحاكم قد رفع
ما لزمه من بطلان شهادته بالحكم الاول قيل قول الحاكم قد اجزت شهادته ليس بحكم انما هو فتوى والحكم انما يكون فيما
تقام له البينة او يقع له الاقرار فان قيل فما تقولون في رجل زنى فحده الحاكم هل يجوز شهادته ان تاب قيل بلى فان
قال بطلت شهادته بحكم اخر وتوبته مقبول بغير حكم حاكم فما منع ان يكون القذف مثل ذلك وما الفرق قيل له الزنا فعل
ظاهر يعرف به فسق الزاني وان لم تجدوا القذف لا يعلم كذب القاذف فيه من صدقه لانه شيء يدعيه على غيره وانما
يعلم انه كاذب في قذفه بما ينفذ عليه من حكم الحاكم فلذلك افترقا ومن الدليل ايضا على ان شهادة القاذف اذا حد
لا تقبل وان تاب انه اذا قال بعد من قذفي فلانا وكنت في ذلك كاذبا فلسنا ندري هل هو صادق في قوله كنت
كاذبا ام هو في قوله ذلك كاذب لان المقذوف ان كان في الحقيقة زانيا فقول القاذف كنت في قذفي اياه كاذبا يكون
كذبا منه وهو في ذلك اسم فاذا كنا لا نقف بتكذيبه نفسه على كذبه فيه من صدقه لم يجعله توبة لان التوبة انما
تكون بما يظهر عند الحاكم من الافعال ما يعلم بنفسها انها طاعة وانه فيها على خلاف ما ظهر من نفسه في الوقت الاول فلما
لم يعرف كذب المكذب لنفسه من صدقه لم يجعل ذلك منه توبة وقلنا توبته فيما بينه وبين ربه لان الله يعلم
هل هو كاذب في تكذيبه نفسه او صادق ونحن لا نعلم ولا دليل لنا من الظاهر عليه فلم نجعل توبته في الحكم و
قلنا حاله الان كحاله قبل ذلك ودليل اخر انا قد علمنا كذبه بقول الله فاولئك عند الله هم الكاذبون فاذا
قال كذبت في قذفي قلنا له لم تفدنا بتكذيبك نفسك فائدة لم نعرفها فانت في هذا الوقت كاذب فانك في الوقت
الاول علمنا انك كاذب فحالك الان في شهادتك كحالك قبل ذلك على ما ذكرنا على ان الشافعي يقول لا ترجع
الملاعنة الى زوجها وان تاب فاذا كانت توبته لا تبطل ما لزمها من الحكم في رجوعها اليه فكذلك لا يبطل ما لزمه
من الحكم في بطلان شهادته والله اعلم وقوله فاجلدوهم ثمانين جلدة ان كان الجلد ماخوذا من الجلود فجائز ان يستخرج
منه هذا الضرب وهو ان لا يجاوز الجلود ولكن يضرب مقدارا ما يالم به ويتوجع ولا يمزق به الجلود ولا يكون فيها و
يستخرج منه التفريق في الاعضاء كلها والجوارح لانه لو ضرب في مكان واحد لخرقه ومزقه سوى الراس والوجه و
المذاكير لما فيه من المأثم والمجاوزة فان كان ذلك ففيه حجة لابي حنيفة رحمه الله في قوله ان الشهود اذا شهدوا
على حد فضربه الامام فاصابه الجراحات ثم رجعوا لا يضمنون ما اصابه من الجراحات لانهم لم يشهدوا على ضرب يجرح ويؤثر فيه
ما اصابه لذلك لم يضمنوا وقول عمر لابي بكرة تقبل شهادتك ان تبت فهو يحتمل ان تقبل روايتك عن رسول الله و
شاهدت التي شهدتها وقد ذكرنا ان الحكم والحد في الاية انما جرى في قذف المحصنات دون المحصنين بقوله والذين
يرمون المحصنات الاية لكن قذف المحصن وشتمه ان لم يكن اكثر في الشين واعظم في الوزر لا يكون دونه فالذكر و
ان جرى في المحصنات فامكن وجود المعنى الذي به جرى ذلك في المحصنات في المحصن وهو ما قال ان الذين يرمون
المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة وهو الايمان والاحصان والعفة لذلك لزم الحكم في هذا
كما لزم في المحصنات وقد ذكرنا ايضا فيما تقدم ان لا يجلد من قذف مملوكة او مملوكا او قذف كافرة اما المملوك
لقوله والذين يرمون المحصنات وقد ذكرنا الدليل على ان المراد بالمحصنات الحرائر دون غيرهن لذلك لم يجلد قاذف
المملوك ولانا لو اوجبنا على قاذفه الجلد لاوجبنا جلد ثمانين فهو لم يأت بما يسقط بما ذكرنا الجلد على قاذف المملوك
واما الكافر والكافرة سقط على قاذفهما الحد لما ذكرنا من قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات فشرط فيه
الايمان والاحصان والعفة فاذا عدم احد ما ذكرنا لم يقم ولانا لو اوجبنا الحد وحددناه لقذف عدو الله ولا يجوز ان
يجلد مسلم بقذف عدو من اعداء الله مع ما فيما ذكرنا من المسائل اجماع بين اهل العلم في ذلك والله اعلم وقوله والذين
يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله يروى عن ابن عباس قال
لما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن عدي الانصاري ان دخل منا رجل بيته فوجد رجلا على بطن امرأته ان اراد ان يخرج
باربعة رجل شهود يشهدون على ذلك قد قضى الرجل حاجته وخرج وان هو عجل فقتل قتل به وان هو قال وجدت فلانا
مع فلانة ضرب به الحد ولاعن امرأته وان سكت سكت على غيظ فذكر انه ابتلي بذلك من بين الناس فاتى رسول

الله فاخبر بذلك وقال وجدت فلانا على بطنها فارسل رسول الله الى امرأته والى فلان فجمع بينهما وبين عاصم فقال
للمرأة ويحك ما يقول زوجك قالت يا رسول الله انه لكاذب ما راى شيئا من ذلك ولكنه رجل غيور وقد لك الذي حمله
على ان يتكلم بالذي تكلم فكان فلان ضيفا عندي يدخل ويخرج علي وهو يعلم ذلك فلم ينهاني عن ذلك ساعة من ليل
ولا نهار ان يدخل علي فسأله عن ذلك فقال يا عاصم اتق الله في حليلتك ولا تقل الا حقا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقسم بالله ما قلت الا حقا ولقد رايته يغشى على بطنها وهي حبلى وما قربتها منذ كذا وكذا فامرهما رسول الله
ان يتلاعنا عند ذلك وقال يا عاصم قم فاشهد اربع شهادات بالله انك لما قلت وانك لمن الصادقين في قولك عليها
ثم قال والخامسة ان لعنة الله عليك ان كنت من الكاذبين ففعل ما ذكر ثم قال للمرأة مثل ذلك فشهدت اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين عليها والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين عليها في قوله فلما تلاعنا وفرغا
من اللعان فرق بينهما ثم قال للمرأة اذا ولدت فلا ترضعيه حتى يأتي به فلما انصرفوا عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ولدته احيمر مثل الدبس فهو الذي يشبه اباه الذي نفاه وان ولدته اسود ادعج جعدا قططا فهو يشبه
الذي رميت به فلما وضعت اتت به رسول الله فنظر اليه فاذا هو اسود ادعج جعدا قططا على ما نعته رسول الله
صلى الله عليه وسلم يشبه الذي رميت به فقال رسول الله لولا اللعان والايمان التي سلفت لكان لي فيها رأي
وفي بعض الاخبار انه لما جمع بينهما قال لهما اتقيا الله فان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فان عذاب الاخرة
اشد من عذاب الدنيا وفي بعض الاخبار ان الاية نزلت في شان هلال بن امية فذكر فيه ما ذكرنا والله اعلم ثم
في هذا مسائل احدها انه ذكر قذف الازواج وذكر فيه اللعان ولم يبين في ظاهر الاية الزوج والزوجة كافرات
او حران مسلمان او مملوكان او كيف فعندنا انه اذا كان احدهما كافرا او مملوكا او كانا جميعا لم يكن بينهما لعان الا
ان يكونا جميعا من اهل الشهادة وحجتهم في ذلك ان الله جعل على الاجنبي الحر اذا قذف اجنبية حرة الحد ثمانين
وجعل حدا الزوج اذا قذف زوجته وهما حران مسلمان اللعان ثم قد ذكرنا اجماعهم على ان الحر اذا قذف امة او ذمية
لا حد عليه فلما لم يكن على الحر القاذف للامة من الحد ما على قاذف الحرة اذا قذف امة لم يكن على زوج الامة من
اللعان ما على زوج الحرة واصل هذا ان الله ذكر الشهادة في رمي الاجنبية المحصنة وابراء القاذف عن الجلد اذا
اتى بها وامر باقامة الحد اذا عجز عن اقامتها ثم استثنى من الشهداء الذين ذكر في قذف الاجنبية شهادة الزوج حين
بقوله ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله فاذا لم يدخلا في تلك الشهادة اذا كانا
مملوكين او كافرين او احدهما لم يدخلا فيما استثنى اذ لثنيا استخراج من تلك الجملة المستثناة وتحصيل منها لذلك بطل
اللعان ووجه اخر في الكافرة وهو ان المرأة تقول في الخامسة عليها غضب الله ان كان من الصادقين وغضب الله يكون
عليها بغير شرط فمحال ان يقول القاضي لها عليك غضب الله بشرط ان كان الزوج صادقا وهو يعلم ان غضب الله عليها في
كل حال لذلك بطل والمخالف لنا اولى بابطال اللعان بين الحرة والامة والمسلم والذمية منا لانهم يزعمون ان العبد ليس
بكفو للحر ولا الكافر بكفو للمسلم في القصاص في النفس وفيما دون النفس فكيف جعلوهما في ايمانهما اكفاء لايمان
الاحرار المسلمين كان يجب ان يقولوا ليست يمين الكافر بمجاوزة ليمين المسلم فلا يوجبون بينهما لعانا والوجه فيه
ما ذكرنا بين انهم المسالة في اباء الايمان اذا ابا احدهم الايمان حد بعض اهل العلم وهو قول الشافعي وعندنا انه لا يجد
بالاباء فذهب من اوجب الجلد بالاباء الى ظاهر قوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم اوجب الجلد في قذف الاجنبي
اذا عجز عن اقامة الشهود ودرأ عنه الحد اذا اتى باربعة يشهدون فعلى ذلك درء عن الزوجين الحد اذا شهد كل واحد
منهما اربع شهادات بالله فوجب اذا ابى احدهما الايمان ان يحد اذ بالايمان يدرأ الحد وبوجب اللعان والثاني ما قال
ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله جعل الايمان سبب درء الحد عنها فاذا ابت ذلك لزمها الحد وعندنا انه لا
يحد بالاباء ليس في الاباء ظهور الكذب اذ ليس كل من ابى اليمين يظهر كذبه فيه وانما يحد لظهور كذبه في القذف وهو
لا يعلم لا يظهر بالاباء وانما حد في الاجنبية اذا لم يات باربع شهداء لانه في الظاهر عند الناس كاذب لانه ليس بينه
وبين الاجنبية سبب ولا معنى يبعثه على اظهار ما ذكروا اما فيما بينه وبين زوجته سبب ومعنى يحمله على اظهار
ذلك وهو الغيرة فاذا كان كذلك فهو في قذف الزوجة في الظاهر صادق عند الناس للسبب الذي ذكرنا لانه
طالب حق قبلها على ما روي لا يوطئن فرشهن من يكره الازواج فلا يزال يصدقه باباء اليمين واما في قذف
اجنبية فهو كاذب في الظاهر لعدم السبب الحامل على اظهار ذلك الكذب حتى ياتي بما يزيل الكذب وهو الشهود
وفي الزوجة على الصدق حتى يظهر كذبه ولا يظهر بالاباء لذلك افترقا ولان الحد لا يقام بالاباء البتة ولان الايمان
لا تقابل بشهادة العدول بحال الا ترى ان من شهد عليه شاهدا عدل بحق فحلف هو بايمان لم تكن تقابل الايمان
تلك الشهادة في سقوط الحق واما قوله ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله جائز ان يكون ذلك
في تلك المرأة التي في امرها نزلت الاية علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبها بالوحي الا ترى انه قال اذا جاءت

بكذا فهو لكذا واذا جاءت بكذا فهو لكذا ثم جاءت به شبيها بالذي رميت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا الايمان لكان لي ولها شان علم كذبها حيث قال لولا الايمان لكان لي ولها شان قد درات تلك المرءة الحد
الذي زاعمها الحبس دون قولنا ايهما ابى اليمين حبس حتى يشهد اربع شهادات بالله او تقر بالزنا ويكذب
نفسه فدرء الحبس عنها بالايمان التي ذكروا انما المرجد بالاباء لان الاباء لا يظهر الكذب كالاقرار ولان الاباء
في الحقيقة اباحة ولو ان انسانا اباح للحاكم ان يقيم عليه الحد لم يحد فعلى ذلك هذا ولما يجوز ان يابى عن
الايمان صونا لنفسه عن اللعن والغضب الذي ذكر فلم نجد لما ذكرتم مسئلتان في هذا ان ذكرها وان لم يكونا في ظاهر
هذه الاية احدهما في الحاق الولد بامه والاخرى في تفريق الحاكم بينهما اذا تلاعنا قال بعض اهل العلم اذا فرغ
الزوج من ايمانه وقعت بينهما الفرقة وان لم يفرق الحاكم وقلنا نحن لا يقع الفرقة بينهما حتى يفرغا من تلاعنهما
عنهما ويفرق الحاكم بينهما والاخرى في الحاق الولد قال اولئك ايضا اذا فرغ الزوج من لعانه نحى الولد امه
وان لم يلتعن المرءة والقياس في لحوق الولد ما قال اولئك انه يلحق بفراغ من اللعان والقياس في وقوع
الفرقة ما قال اصحابنا انه لا يقع الا بعد فراغ الزوجين جميعا وتفريق الحاكم بينهما لان الزوج اذا شهد اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين قد الزم امرءته الزنا في الظاهر فاذا ظهر ذلك ظهر ان الولد ليس منه فجاز ان يلحق بالام
فراغه من اللعان واما الفرقة فانها لا تقع بظهور الزنا الا ترى ان امرءة الرجل اذا زنت لا تقع بينهما الفرقة
الا ترى ان دعوى المرءة باقية بعد الفراغ الزوج من ايمانه لذلك افترقا والاخبار تدل لمذهب اصحابنا في المسئلتين جميعا لانه
روي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا لاعن امرءته في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفى من ولدها ففرق
رسول الله بينهما والحق الولد بالمرءة وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بينهما ففرق بينهما وروي في
الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب قال ذلك لهما ثلثا فابيا
ففرق بينهما وفي بعض الاخبار قال لا حسابكما على الله احدكما كاذب لا سبيل لك عليها فان قيل انما فرق بينهما النبي لان
الفرقة قد وقعت بينهما فاخبره النبي انه لا تحل له وقال لا سبيل لك عليها قيل قولكم ان الفرقة قد وقعت بينهما باللعان
دعوى منكم وظاهر الاخبار يشهد لنا وعلى وهم الخصم ثم يقال لهم الستم تقولون في المولي اذا مضت مدة تربص ارتفعا الى
الحاكم هل تقع الفرقة بينهما اذا امتنع من قربانها وصار قربها ما لم يفعل القاضي وقد فرقت بينكما فان قيل فرقة الايلاء
طلاق وفرقة اللعان غير طلاق عندنا قيل هو عندنا طلاق فان قيل انكم تزعمون ان فرقة الايلاء تقع بمعنى الاجل
فما منع ان تقع الفرقة باللعان تمام اللعان قيل لم يكن للحاكم في الايلاء صنع فلا يحتاج الى حكمه وفي الاخر لا يتم اللعان
الا بالقاضي فلا تقع الفرقة الا بالقاضي ويقال لهم ما تقولون في رجل ادعى حقا فاقام عليه شاهدين عند قاض هل
يلزم الحكم قبل ان يقول القاضي قد حكمت بذلك فان قالوا لا يلزم الحكم حتى يقول قد حكمت قيل لهم ما منع ان اللعان
مثله ويقال لهم ايضا ما تقولون في العنين اجله الحاكم بينهما فان قالوا لا تقع حتى يفرق الحاكم بينهما قيل ما منع في
فرقة اللعان انه كذلك فان قالوا انما صارت الفرقة لا تقع في العنين والمولي حتى يوقعها الحاكم بقول الزوج طلقتها
ادعى لها ويقول لامرءة العنين اختاري الفرقة او المقام معه فلما كان الحاكم ينظر ما يقول المرءة وامرءة العنين لم تقع
الفرقة حتى يوقعها وليس في اللعان شيء ينتظره الحاكم لذلك افترقا فقيل بل ينتظر الحاكم تكذيب المرءة نفسها فيحدها
ويكون امرءته وكذلك ان اكذب الزوج نفسه حده وتركها عنده امرءته واصله انه لا يقع الفرقة الا بعد التعانهما
جميعا وتفريق الحاكم بينهما لانهما اذا التعنا جميعا عند ذلك يكون احدهما ملعونا ايهما كذب والانتفاع بالملعون
حرام الا ترى انه روي في الخبر انهما لما التعنا قال لهما انها موجبة اي اللعنة التي ذكرت فانما يلحق اللعن احدهما اذا
التعنا جميعا فاما بالتعان الزوج خاصة فلا يقع فاذا كان كذلك فيحتاج الى ان يفرق الحاكم بينهما ويطرد احدهما من صاحبه
اذ اللعن هو الطرد في اللغة وهو عندنا كالعقود التي تفسخ لا يكون الا بالحاكم عن ما ذكرنا من العنين والذي يابى الاسلام
وغيرها من العقود فانه لا يقع بينهما الفرقة الا بالحاكم فعلى ذلك هذا وروي عن عمر انه قال المتلاعنان يفرق بينهما
ثم لا يجتمعان ابدا ثم مسئلة اخرى انه اذا فرق بينهما باللعان فاكذب الملاعن نفسه يجوز له ان يتزوجها ام لا
فعند بعض اهل العلم ليس له ان يتزوجها احتجوا بما روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وعن
عبد الله كذلك وعند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله له ان يتزوجها اذا اكذب نفسه وليس في الخبر لا يجتمعان ابدا وان
تاب واكذب نفسه فجائز ان يكون قوله لا يجتمعان ابدا ما داما في تلاعنهما وما اقام على قوله ولم يكذب نفسه وان كانت
فيه حجة لمن قال انهما لا يجتمعان قبل التوبة وبعدها يدل على ما ذكرنا قوله انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم
في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا اي قوله ولن تفلحوا اذا ابدا ما دمتم في ملتهم فاما اذا انقلعوا منها فقد افلحوا فعلى ذلك لا يجتمعان
ابدا ما داما في تلاعنهما وما اقام الزوج على قوله فاما اذا رجع عن ذلك لهما الاجتماع واجمعوا انه اذا اكذب نفسه و
ادعى الولد الحق به فعلى ذلك هي والثاني لو اكذب الزوج نفسه بعد اللعان قبل الفرقة وجب ان يحد ويكونا على نكاحهما

يجب

يجب اذا اكذب نفسه بعد اللعان يحد وله ان يتزوجها ثم فرقة اللعان عندنا طلاق وهي تطليقة بائنة لما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين عويمر وامرءته قال كذبت عليها لئن امسكتها هي طالق ثلثا فصارت سنة في المتلاعنين
فاذا كانت منه الفرقة بين المتلاعنين الطلاق الذي اوقعه عويمر فواجب ان يكون كل فرقة تقع باللعان طلاقا ومن
الدليل على ذلك ان قذف الزوج كان سبب هذه الفرقة وكل فرقة يكون من الزوج او يكون الزوج سببها وتقع بقوله
فانها طلاق كالعنين والخلع والايلاء ونحوه فعلى ذلك فرقة اللعان تطليقة بائنة لان الزوج سببها وتقع به وعلى
ذلك جاءت الاثار عن السلف ان كل فرقة وقعت من قبل الرجال بقول فهي طلاق من نحو ابراهيم والحسن وسعيد وغيرهم
فهو لا وكذلك يقول اصحابنا ان كل فرقة جاءت من الرجال بقول فهي تطليقة فان عورض بانفعال يكون من الرجال
يقع به الفرقة والحرمة من نحو الجماع ونحوه فذلك ليس معارضة لما ذكرنا والله اعلم ثم قوله ولولا فضل الله عليكم
ورحمته هذا الحرف مما يقتضي الجواب ثم يحتمل ان يكون جوابه لولا فضل الله عليكم ورحمته لاظهر الكاذب منهما
من الصادق والمذنب من غيره ويحتمل لولا فضل الله عليكم ورحمته لاظهر الملعون منهما من غيره لكن لا ينتفع به
اذا احدهما مما لحقه اللعن الذي ذكر ولا يحل الانتفاع بالملعون الا ترى انه روي في الخبر امرءة ركبت ناقتها فلعنت
فاستجيب فامرت ان ترفع متاعها وتخلي سبيلها لكن بفضله ورحمته ستر على الملعون حتى يجوز لغيره ان ينتفع به وان
كان لا يجوز لواحد منهما ان ينتفع بصاحبه ما دامت اللعنة فيهما قائمة وجائز ان يكون وجه اخر فيقال لولا فضل
الله عليكم ورحمته لاظهر الملعون منهما والاحل العقوبة بين الزوجين كهي كالاجنبيين وهي الحد ولاظهر الزاني
منهما لكن بفضله لم يجعل والله اعلم وقوله وان الله تواب حكيم جائز ان يكون تواب يقبل التوبة اذا تاب واكذب
نفسه فيرفع اللعن منهما بالتوبة فاذا رفع اللعن جاز لهما الانتفاع والاجتماع بينهما ففيه حجة لقول ابي حنيفة ومحمد
رحمهما في جواز نكاحهما اذا اكذب نفسه حكيم حيث حكم بما حكم بين المتلاعنين او حكيم وضع كل شيء موضعه وفيه
نقض قول المعتزلة في قولهم ان الله لا يفعل باحد الا ما هو اصلح له في الدين واخبر انه لو لم يكن ان يفعل غير الذي
فعل لم يكن لتسميته ما فعل فضلا ورحمة معنى فدل ان له ان يفعل غير الاصلح في الدين وقوله ان الذين جاءوا
بالافك اي بالكذب عصبة منكم اي جماعة منكم ثم اختلف في قوله منكم قال قائلون كانوا من اصحاب عائشة
رموها بما ذكر في الاية وقال بعضهم كانوا منافقين من نحو عبد الله بن ابي راس المنافقين وحسان بن ثابت
وهولاء وقال بعضهم كان ذلك من الفريقين جميعا من اصحاب ابي بكر واقربائه والمنافقين ايضا فان كان ذلك
من اصحاب عائشة واقربائها فذلك يخرج منهم على الفضلة والعثرة ليس على الانتقام والخذلان القرابات والمتصل
بالرجل لا يقصد بعضهم بعضا الانتقام والحذق عليه فاذا كان كذلك فيخرج ذلك منهم ان كان يخرج والدليل
لا يخرج الانتقام وان كان ذلك من المنافقين فهو على الانتقام وطلب الشين منهم لها وكان في ظاهر الاية
دلالة ان ابتداء ذلك الافك من المنافقين ثم تتابع المؤمنون بعد ذلك وتلقى بعضهم من بعض حيث
قال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا فانكان ذلك فهو على ما وصفنا ان ذلك من المؤمنين
غفلة وزلة وعثرة ومن المنافقين انتقام وطلب شين والله اعلم وقوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم وقال
بعضهم لا تحسبوه شرا لكم لانكم توجرون في الاخرة على ما قيل فيكم من الفحش والقذف بما قرفوه بل هو خير لكم في الاخرة
على ما ذكرنا من الاجر ويحتمل قوله بل هو خير لكم في الدنيا لما براه الله فيما قرفوه ودفع عنهم تمكين ما قرفوه ووعد
لهم الجنة بقوله اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم وكان قبل نزول هذه الاية موهومين عند الناس
فيها تمكن احتمال ذلك الفعل الا ترى انه قال في اية اخرى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف
لها العذاب ضعفين وقال من يقنت منكن لله ورسوله الاية كان الامران جميعا موهوم عنهن عند الناس يحتمل ذلك
فلما قرفت بما قرفت رفع الله ما كان موهوم ما عند الناس قبل ذلك ووعد لهم الثواب الكريم والرزق الحسن بقوله
اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم فلا شك ان ذلك خير لهم في الدنيا والاخرة وشر لاولئك الذين
رموها حتى لم يتجاسر احد بعد ذلك ولا اجترء ان يظن فيها ظن السوء فضلا عن ان يقول فيها شيئا وقصة عائشة
رضي الله عنها طويلة لكنا نذكر ما كان بنا الى ذلك حاجة ان اوتعالى بل هو خير لكم لما انزل الله تعالى شانها ايات فيها
براتها عما قرفوا به تتلى تلك الايات الى يوم القيمة وذلك خير لهم والله اعلم وقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
اي اثم ما قرفها به والذي تولى كبره منهم عذاب عظيم هو ذلك المنافق الذي تولى ذلك في الناس وله عذاب عظيم فيه
دلالة انه يموت على نفاقه وكذلك مات على نفاقه فلحقه ذلك الوعيد قيل هو عبد الله بن ابي بن سلول والله اعلم وقال
بعضهم والذي تولى كبره اي عظمه من المعصية يعني عبد الله بن ابي بن سلول له عذاب عظيم لانه كان منافقا وقوله
لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا قال بعضهم هلا اذ سمعتموه قذف عائشة رضي الله عنها
بصفوان كذبتم به اولئك القذفة يقول الامثل بعضهم ببعض خيرا وهلا قالوا هذا افك مبين يقول الله هلا قالوا

القذف كذب مبين وعلى هذا يخرج ايضا قوله لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اى هلا قالوا لهم جيئوا باربعة شهداء على
قذفكم اياهم فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ويحتمل ان يكون قوله لولا اذ سمعتموه ظننتم بهم
ظنا ما يظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين او ان يكون التاويل ان لم يظن احد منكم بنفسه
اذا كان مع ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ظن بصفوان ذلك اذا كان هو مع ازواجه او ان يقال اذا لم يكن
يظن احد منكم بامهاته ومحارمه ذلك الظن فكيف ظن بازواج رسول وهى امهاتكم وامهات جميع المؤمنين والله اعلم
وقوله لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اى لم يكن لهم بما قذفوا شهداء ولا يجدون على ذلك شهداء وجائز ان يكون قوله
لولا اى لم يكن كقوله فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية اى لم يكن من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون
عن الفساد فى الارض الا قليلا والا على تاويل هلا بعيد لانه لم يكن لهم شهداء على ذلك فكيف ياتون وقوله فاذ لم
ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وان اتوا بالشهداء على امر عائشة كانوا كاذبين ايضا فدل ان تاويل قوله
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اى لم يكن لهم شهداء فكيف قذفوها والله اعلم وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
فى الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم هذا يحتمل وجهين لولا فضل الله عليكم ورحمته حيث انزل فى قذفكم
عائشة بصفوان ايات فى براءتها حتى تبتم عن ذلك والا لمسكم العذاب فى الاخرة بذلك والثانى لولا فضل الله عليكم
ورحمته لمسكم العذاب ونعاقبكم بما قلتم فى عائشة فى الدنيا على هذا التاويل العذاب الموعود فى الدنيا وعلى التاويل
الاول الوعيد فى الاخرة لكن بفضله ورحمته رفع عنكم والله اعلم وقوله فيما افضتم فيه اى خضتم فيه وقال بعضهم
فى قوله بانفسهم خيرا بامثالهم خيرا وتاويله لولا ظن المؤمنون بامثالهم خيرا دون ان يظنوا بهم شرا وفيما عظم الله
عز وجل امر القذف وشدد فيه ما لم يشدد فى غيره ولم يعظم وجوه احدها نطمع طمع اهل الفجور والريبة فيهن لئلا
يطمع احد منهم فى المحصنات واولاد الكرام ذلك الفعل فيقطع طمعهم بما شدد فيه لئلا يقرفن بذلك ولا يطمع هم
فيهن ذلك والثانى يترك الناس الرغبة فى مناكحة المحصنات واولاد الكرام ويرغبون فيمن دونهن ويحدث ايضا
التضاغن والعداوت بين القذفة وبين المتصلين بالمقذوفات وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكان كذا
هذا من الله على الايجاب اى قد كان منه ذلك فاذا كان مضافا الى الخلق فهو على انه لم يكن ذلك ولذلك تاول هلا
وعن ابن عباس انه قال فى قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات يقول قال المؤمنين لولا هلا اذ بلغكم عن
عائشة وصفوان ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا يقول لم لم تظننتم بعائشة كظنكم بانفسكم وعلمتم ان امكم لا
تفعل ذلك وكذلك المؤمنة لا تفعل ذلك وقلتم هذا افك مبين لولا هلا جاءوا عليه باربعة شهداء على قولهم ويصدقوهم
على مقالتهم فاذ لم ياتوا بالشهداء كذبتموه فاولئك عند الله هم الكاذبون وهو قريب مما ذكرنا فيما تقدم وقوله
اذ تلقونه بالتشديد اى تقبلونه وتلقونه بالتخفيف اى تاخذونه من الولق وهو الكذب وكذلك قراءة عائشة و
قال ابو عوسجة اذ تلقونه اى تقولونه قال تلقيت الكلام وتلقنت وتلقفت واحد ثم قوله اذ تلقونه بالسنتكم من غيركم
وتقولون بافواهكم فيما بينكم جائز ان يكونا جميعا واحدا اى تتكلمون بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم
امر من غير ان تعلموا ان الذين تكلموا من القذف قد كان والله اعلم وقوله وتحسبونه هينا قال بعضهم تحسبون القذف
ذنبا هينا وهو عند الله عظيم فى الوزر وجائز ان يكون قوله وتحسبونه هينا فى الدين لان القذف يحدث نقصانا فى
الدين والنقصان فى الدين عظيم عند الله وتحسبونه انتم هينا ثم وعظ الذين خاضوا فى امر عائشة فقال ولولا هلا اذ سمعتموه
اى القذف قلتم ما يكون لنا اى ما ينبغى لنا ان نتكلم بهذا الامر وهلا قلتم سبحانك هذا بهتان نعظم لعظم ما قالوا فيها و
البهتان الذى يبهت فيتحير ما لم يكن من قذف وغيره وقال ابو عوسجة البهتان الكذب يقال بهت اى كذب وقوله
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اى القذف ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الايات فى بيان ذلك وبراءتهم او يبين
اوامره ونواهيه والله عليم حكيم اى عليم بكل شئ من قول وفعل حكيم يضع كل شئ موضعه وقوله ان الذين يحبون
ان تشيع الفاحشة فى الذين امنوا كان اهل النفاق هم الذين احبوا ان تشيع الفاحشة والا اهل الاسلام لا يحبون ذلك
ثم يحتمل قوله ان تشيع الفاحشة فى الذين امنوا فى عائشة وصفوان اى احبوا ان تشيع قذف عائشة وصفوان فى
المؤمنين واهل النفاق هم الذين انفوا ذلك فى المؤمنين لهم عذاب اليم فى الاخرة لنفاقهم وقذف عائشة والماخ المؤمنين
فهو ما قال يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين وروى عن عمرة عن عائشة قالت لما نزل عذرى قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القران لما نزل امر برجلين وامراة فضربوا حدهم وعن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبد الله ابن ابى وحسان ومسطح بن اثاثة الحد وفى بعض الاخبار و
امراة ايضا وهى حمنة لكل واحد ثمانين جلدة ثم ما ذكر من قذف عائشة انه بهتان عظيم وقوله وتحسبونه وهو عند
الله عظيم وغيره جائز ان يكون ذلك فى قذف كل محصنة برية دون ان يكون ذلك مخصوصا لعائشة وهو كما ذكر فى
قذف المحصنات والذين يرمون المحصنات الاية وقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين امنوا هذا يحتمل وجهين

احدهما

احدهما يشيعون الفاحشة ويذيعونها فى الذين امنوا هم الذين تولوا اشاعتها واذاعتها فلهم ما ذكر من العذاب الاليم
والثانى يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين امنوا ليكون ذلك ذريعة لهم فى المؤمنين فيقولون ان دينكم لم يمنعكم عن الفواحش
والمنكر لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة لانهم كانوا منافقين منهم كان اول بدء القذف وبهم شاع لذلك كان لهم هذا
الوعيد وقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون اى والله يعلم حقايق الاشياء وانتم لا تعلمون حقايقها وفيه دلالة تعليق الحكم
بالظواهر دون تعليقه بالحقايق وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم لم يذكر جواب قوله ولولا
فضل الله عليكم ورحمته فجوابه ما ذكر فى قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا بفضله زكوا من
زكا وبرحمته نصح من صلح لا بصنع من نفسه وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء
والمنكر نهى المؤمنين ان يتبعوا خطوات الشيطان ولم يبين ما خطوات الشيطان لكنه قال ومن يتبع خطوات الشيطان
فانه يامر بالفحشاء والمنكر فجوابه ان يقول فان خطواته كذا ولم يقل ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يفعل
الفاحشة ولكنه قال فانه يامر بالفحشاء والمنكر لكن جوابه ما قال فى اية اخرى وقال فى اية اخرى يا ايها الناس كلوا
مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء الاية اخبر
ان من اتبعه امر بالفحشاء والمنكر خطوات من الخطوة والخطوة وهما من رفع القدم ووضعه واصله نهى عن اتباع
اثاره وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء التزكية يحتمل التوفيق
والعصمة يزكون بما اعطى لهم من التوفيق والعصمة ويزكون بما ارسل اليهم من الكتب والرسل والتوفيق و العصمة
اشبه وفيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر ان من زكى انما يزكو بفضله ورحمته وهم يقولون لو فعل بهم غير
الذى فعل كان جائرا عندهم فعلى قولهم لا يكون بفضله ولكن عادلا اذ لم يبق فى الشاهد من فعل ما عليه
ان يفعل مفضلا وعلى قولهم انه قد اعطى كلا ما به يزكون ويصلحون لكنهم لم يزكوهم فعلى قولهم لم يزك من زكا
ولكنه انما زكى بما اعطاه له فقد اخبر ان من زكى انما زكى به وانه قد ابقى عنده ما لو اعطاهم ذلك لزكوا وقد
ذلك من زكى وصلح ولم يعط من لم يزك وقوله والله سميع عليم اى سميع لاقوالهم وعليم لافعالهم واصله ما
ذكر يعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة قال بعضهم قوله ولا ياتل اى ولا
يحلف وهو يفتعل من الايلاء وقال ابو عوسجة لا ياتل اى لا يعجز ولا يقصر يقال ائتلى يأتلى والالا لوا لوا وهو
التقصير وترك المبالغة ثم يحتمل قوله اولوا الفضل اى من له الافضال والمعروف وبر اولوا ذوى القربى و
المساكين والمهاجرين فى سبيل الله ذكر اهل التاويل ان ابا بكر كان حلف ان لا ينفع مسطحا بنافعة وكان قريبه
بما تكلم فى عائشة فانزل الله النهى عن ذلك فقال ولا ياتل اولوا الفضل منكم الى الاية وان نزلت فى امر وعنى
كان من ابى بكر فان غيره من الناس يشترك فى معنى ذلك وفى ذلك النهى وكذلك ما قال فى اية اخرى وهو قوله ولا
تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية ذكر ان قوما كانوا يحلفون ان لا يبروا الناس ولا يصلحوا ابدا لئلا ان يكون حلفهم فى ذلك
عذرا لهم فى ترك الانفاق عليهم والتعاون والاصلاح بين الناس فنهوا عن ذلك وذلك اليمين لهم ولمن كان فى معناهم
ليس لهم خاصة فعلى ذلك قوله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الاية وان كان فى ابى بكر فهو فيه وفى الذى فى
معناه وان كان حلف هذا بترك الانفاق لاساءة كانت منهم اليهم والاول على الابتداء لاساءة كانت منهم اليهم و
هذه الايات نزلت لنازلة كانت فى عائشة وصفوان فما نزلت لتلك النازلة لمعنى لا نزلت لانها كانت عائشة او
ابو بكر ولكن لمعنى فكل من وجد ذلك المعنى فيه شرك فى ذلك ويجعل كان هذه الايات كلها نزلت فيه وهو ما قال
ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات فكل محصنة مؤمنة غافلة برية مما رميت به دخلت فى الاية وكل رامى
محصن مؤمن غافل برى مما رمى به فى الاية لوجود المعنى الذى نزلت الاية وعلى ذلك جميع القران اذا انزل لسبب بالمعنى
انزل لذلك المعنى يشترك من وجد فيه ذلك المعنى فيه شرك فى ذلك ويجعل كان هذه الايات كلها نزلت فيه وهو ما قال
ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات فكل رامى محصنة مؤمنة غافلة برية مما رميت به دخلت فى الايات
وكل رامى محصن مؤمن غافل برى مما رمى به فى ذلك الحكم فعلى ذلك ما نزل فى ابى بكر من النهى بترك الانفاق وما عود
من اصطناع المعروف اليه لما كان منه اليه من الاساءة ثم امره بالعفو والصفح وهو قوله وليعفوا وليصفحوا اى اعفوا
عن اساءته واصفحوا اى لا تذكروا عفوكم اياه عن اساءته ولا تذكروا زلته ايضا لان ذكر العفو يخرج مخرج الامتنان كقوله
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اخبر ان المن يبطل الصدقة وذكر الزلة يخرج مخرج التعيير والتوبيخ وامره بالعفو وهو
ظاهر والصفح ما ذكرنا من ترك ذكر العفو والزلة والاساءة جميعا والله اعلم وقوله الا تحبون ان يغفر الله لكم اى قد
تحبون ان يغفر الله لكم ما كان منكم اليه من الاساءة فان احببتم ذلك فاعفوا عمن اساء اليكم والله غفور رحيم وقوله
ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات قد ذكرنا ان المحصنات ههنا من الحراير والغافلات هن بريئات من
الفاحشة المؤمنات ظاهر وقوله لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم كان الاية نزلت فى المنافقين الذين كانت

منهم ابتداء القذف واشاعته في الناس لذلك ذكر فيهم اللعن والعذاب العظيم فهو كما قال ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والمؤمن لا يحب شياع الفواحش في المؤمنين انما ذلك من
عادة المنافقين ثم اللعن في الدنيا هو الحد الذي ضرب وفي الاخرة العذاب الاليم وعظيم كانه ذكر اللعن والعذاب
الاليم اذا لم يتوبوا وماتوا على النفاق فعند ذلك يكون لهم ما ذكر ويدل لما ذكرنا ان الاية في المنافقين قوله
يوم تشهد عليهم السنتهم الاية وانما تشهد هذه الجوارح على الكافر لانكاره باللسان واما المؤمن فانه مقر بذلك
كله لا يحتاج الى ان يشهد عليه الجوارح وهو ما قال اليوم نختم على افواههم ونحوه كانهم ينكرون ذلك في الاخرة كما كانوا
في الدنيا كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم اخبر انهم يحلفون لله في الاخرة كما كانوا يحلفون
لرسول الله في الدنيا فجاز السنتهم تشهد عليهم بعدما انكروا ويشهد عليهم سائر الجوارح اذا انكروا وهو ما قال
في اية اخرى شهد عليهم سمعهم الاية وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا الاية يكون شهادة الالسن بعد ما انكروا
ذلك منهم وحلفوا فعند ذلك تشهد عليهم السنتهم والله اعلم وقوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يؤمنون به
جميعا يومئذ ويقرون بالحق لكن لا ينفعهم ايمانهم يومئذ كقوله لا ينفع نفسا ايمانها ويعلمون ان الله هو الحق المبين
اي يعلمون انما دعاهم الرسول اليه من توحيد الله والاقرار بالربوبية له والالوهية هو الحق المبين اي بين ذلك
والحق المبين ما يبين ما يؤتى وما يتقى وما يحل مما يحرم وقوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات اختلف
فيه قال بعضهم الخبيثات من الكلمات والاقوال للخبيثين من الرجال والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلمات
والقول والطيبات من الكلمات للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من الكلمات وقال مجاهد
هو القول السيء والقول الحسن فالحسن للمؤمنين والسيء للكافرين وذلك ما قال الكافرون من كلمة طيبة
فهي للمؤمنين وقال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين كل بريء مما ليس له نحو من الكلام وابن عباس
رضي الله عنه يقول هذا نزل في الذين قذفوا عائشة وصفوان وهم حسان بن ثابت واصحابه يقول الخبيثات
من الكلام للخبيثين من الرجال احق ان يليق بهم بما قيل لهم والخبيثات من الكلام تخرج من الخبيث من الرجال
يعني بهم حسانا واصحابه الذين تكلموا بالفرية ثم قال والخبيثون من الرجال فلو كانوا هم صالحين طيبين تكلموا به
بالحسن من الكلام والطيب ولكن كانوا خبيثات تكلموا بالخبيث من الكلام ثم قال اولئك يعني عائشة وصفوان
مبرؤون مما يقولون اولئك القذفة ثم قال الله اولئك يعني عائشة وصفوان مبرؤون مما يقول اولئك القذفة لهم
مغفرة ورزق كريم اي حسن قال ابن عباس صرف الاية الى عائشة وصفوان والى قذفتهم وذلك محتمل وهو
قريب من الاول وقال بعضهم الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات
من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال لكن هذا يتوجه الى النكاح شرعا ووجودا اما الشرع
نهيه المؤمنين عن نكاح المشركات بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة فالمشركات من الخبيثات فهن للخبيثين منهم وهم المشركون وكذلك الزانيات
للزناة منهم والمؤمنات هن الطيبات فهن للمؤمنين فكذلك المحصنات الغافلات هن الطيبات فهن
للمحصنين من اهل العفاف والصلاح هذا هو شرع واما الوجود فهو ما صبر ازواج المنافقين والكفرة على كفر
ازواجهن والسب لرسول الله والاذى له وذلك لخبثهن وموافقة ازواجهن فلو كن طيبات لكن لا يصبرن
على ذلك كما لا تصبر المؤمنة بكفر زوجها والزوج بكفر امرأته ومن صبر على ذلك انما صبر لخبثه فبعضهم لبعض
اكفاء الخبيثات والخبيثون للخبيثات وكذلك الطيبات والطيبون والله اعلم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه قال ان الكلمة الخبيثة لتكون في جوف الرجل الصالح فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها
الرجل الخبيث فيضمها الى ما عنده من الشر وان الكلمة الصالحة ليكون في جوف الرجل الخبيث فلا يكون لها
في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الصالح فيضمها الى ما عنده من الخير ثم تلا عبد الله الخبيثات للخبيثين
والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين الاية وجائز ان يكون الخبيثات هي الدركات التي يكون في النار للذين
عملوا اعمالا خبيثة في الدنيا والطيبات هي الدرجات التي يكون في الجنة للطيبين الذين عملوا في الدنيا اعمالا
طيبة فالدرجات في الجنة للطيبين الذين عملوا الطيبات في الدنيا والدركات في النار للذين عملوا الخبائث
والمعاصي في الدنيا وقال بعضهم قوله ان الذين يرمون المحصنات الى قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين
انزلت في المنافقين الذين قذفوا عائشة عبد الله بن ابي واصحابه وكان قذفها منافقون ومؤمنون وهو
ما ذكرنا ان المؤمنين لم يقصدوا ابتداء قذفها ولكن كان ذلك ذلة منهم او غفلة واما المنافقون فقد قصدوا
القذف والفرية فاوجب للمنافقين الحد واللعن والعذاب العظيم على ما ذكر لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب
عظيم ولهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة واما المؤمنون فقال لهم لولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والا[خرة]

لمسكم فيما افضتم به عذاب عظيم وقال بعضهم فضله الاسلام ورحمته القران ولولا ذلك لعذبكم كما عذب اولئك ثم قال
الخبيثات من القول للخبيثين من الناس نحو ما ذكرنا اولئك الا انه زاد فيه من القول والعمل وذلك كله قريب بعضه ببعض
والله اعلم بذلك وقال بعضهم ان الرجل الصالح يتكلم بالكلمة العوراء فيقول القائل قال فلان كذا وكذا فيقول الاخر ما
هذا من كلام فلان وروي عن كعب بن قيل عبد الله فقال ان الكلمة الخبيثة تخرج من لسان العبد فتصعد الى السماء فلا يفتح لها
ابواب السماء وترجع الى الارض فلا تجد لها مستقرا وتذهب الى البحور فلا تجد لها فيها ما كانا نتقول ما اهلك مكانا نتقول ما اجد
موضعا اسكنه غير الموضع الذي خرجت منه فترجع الى صاحبها ثم تلا كعب هذه الاية الخبيثات للخبيثين الاية وقوله يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وروي عن عبد الله بن عباس انه كان يقرأها حتى
تستأذنوا وتسلموا على اهلها وقال تستأنسوا وهو من الكاتب وقال بعضهم الاستيناس الاستيذان وقال بعضهم
الاستيناس الاستعلام وهو ان يطلب من اهل البيت الاذن بالدخول والاستيذان هو طلب الاذن منهم للدخول وروي
عن ابي ايوب قال قلنا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فما الاستيذان قال ان يرفع صوته بالتحميد وبالتسبيح او
بالتكبير ليؤذن للدخول فان ثبت هذا فهو الى الاستعلام اقرب وهو من قوله فان انستم منه رشدا اي علمتم ثم قال بعضهم
قوله حتى تستأذنوا وتسلموا على اهلها على التقديم والتاخير حتى تسلموا او تستأنسوا وهو ان يبدأ فيقول السلام عليكم
ورحمة الله ادخل يسلم اولا ثم يستأذن وهو ما روي السلام قبل الكلام ولكن عندنا ان الاستيذان للدخول فاذا اذن
بالدخول فدخل فعند ذلك ليسلم عليهم كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية فانما امر بالسلام بعد الدخول
فعلى ذلك هذا يستأذن للدخول فاذا اذن له فدخل فبعد الدخول يسلم عليهم لانهم لو سلم اولا ثم استأذن احتاج الى ان يسلم ثانيا
اذا دخل فهذا الذي ذكرنا اشبه بفعل الناس وظاهر الاية والله اعلم ثم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم لم يرجع الى المساجد
ونحوه بل يرجع ذلك الى بيوت مسكونة فذلك يدل كقولنا ان من حلف ان لا يدخل بيتا فدخل المسجد لم يحنث وقوله ذلكم
خير لكم لعلكم تذكرون اي ذلك الاستيذان والتسليم خير لكم من ترك الاستيذان لانه ترك التأدب بما ادبه الله وعلمه
لعلكم تذكرون اي تتعظون بادب الله وروي في بعض الاخبار ان من دخل بيتا بغير اذن قال له الملك الموكل به عصيت
واذيت فيسمع صوته الخلق كله غير الثقلين ويصعد صوته الى السماء الدنيا فيقول ملائكة السماء اف لفلان عصى ربه
واذى وقوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم هذا يدل على ان الاستيذان وطلب الاذن لا لحق انفسهم
خاصة ولكن لانفسهم ولما لهم في البيوت من الاموال لانه قال فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لهم بالدخول
فيها وان لم يكن فيها احد حتى ياذن ارباب الاموال والمنازل بالدخول فيها ليعلم ان النهي عن الدخول للانفس وللاموال جميعا
لان الناس يتخذون البيوت والمنازل صونا للانفس وللاموال جميعا لكما يكرهون اطلاع غيرهم على انفسهم وعيالاتهم فلا يطلب
انفسهم ايضا على اموالهم وامتعتهم فلا يدخل الا باذن من اهلها والله اعلم وقوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو
ازكى لكم ذكر في بعض الاخبار ان الاستيذان ثلاث من لم يؤذن له فيهن فليرجع اما الاول فيستمع الحي واما الثانية
فيحذرهم واما الثالثة فان شاؤوا اذنوا وان شاؤوا ردوا وقيل لا تقعدن على باب قوم ردوك عن بابهم فان للناس
حاجات ولهم اشغال والله اعذر للعذر في بعضها وما تنقم من شيء يا ابن ادم هو ازكى لكم وقوله هو ازكى لكم
لانه اذا لم يؤذنوا بالدخول فتقعدوا على بابهم ولم ترجعوا اورث ذلك معاداة لكم احدها على اهل الدار على ما يقعد
على ابواب اهل التهم من الشرطي وغيره فذلك مكروه عند الناس والثاني يكون للناس اشغال وحاجات في منازلهم وخارج
المنازل فان انتظر وقعد على بابهم ضاق بذلك ذرعهم وشغل قلوبهم ذلك فلعل حاجاتهم لا تتم لشغلهم به لذلك كان
الرجوع ازكى لهم من القعود على الباب والانتظار والله اعلم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستيذان ثلاث
فان اذن لك فيهن والا فارجع وقال بعضهم معناه وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول ان سكت عنكم فلم يؤذن لكم
فقد قيل لكم ارجعوا وان يقولوا بالسنتكم ارجعوا وقوله والله بما تعملون عليم وعيد كقوله والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون ثم الاستيذان على محارمه لازم وان كان يجوز له ان ينظر الى شعر ذات محرمه ووجهها فانه منهي عن النظر
الى ما سوى ذلك من عورتها لما يخشى ان يبدو امن عورة المرأة ان دخل عليها بغير اذن وروي ان رجلا سأل نبي الله صلى
الله عليه وسلم فقال انا اخدم اي وامرتها استأذن عليها قال نعم فسأله ثلاثا فقال له ايسرك ان تراها عريانة قال لا
فاستأذن عليها وكذلك روي عن حذيفة ان رجلا سأله فقال استأذن على اختي فقال ان لم يستأذن عليها رأيت
ما يسوؤك وكذلك قال ابن مسعود وابن عباس هو احدهما في الام وعن الاخر في الاخت لكن امر في الاستيذان على
هؤلاء اسهل وايسر من امر الاجنبي اذ كان مطلقا له ان ينظر الى شعر محرمه ووجهها والله اعلم وقوله ليس عليكم جناح
ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة يحتمل قوله بيوتا غير مسكونة يحتمل وجهين احدهما بيوتا غير محتملة للسكنى وهي الخربات
والمواضع التي يقضى فيها الحوائج وكذلك ذكر في حرف حفصة بيوتا غير معمورة لكم فيها متاع والثاني بيوتا غير مسكونة محتملة
للسكنى الا ان اهلها لم يسكنوها لنزول الناس فيها وهي نحو الحانات والرباطات التي تكون للمارة وعلى ذلك روي في الخبر انه

لما نزل آية الاستيذان قال أبو بكر يا رسول الله فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام ليس فيها ساكن فأنزل الله
تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وذكر في حرف ابن مسعود ليس عليكم جناح في بيت ليس فيه
ساكن ان تدخلوه وقوله فيها متاع لكم ان كان ذلك البيوت التي ينزل فيها اهل السفر فيكون قوله فيها متاع لكم اي فيها
منفعة لكم من الدفء في الشتاء والظل في الصيف ودفع الحر في ايام الحر ودفع البرد في ايام البرد وان كان البيوت هي الخربات
والقباب والسقايات التي كانوا يقعدون في الظهر لقضاء الحاجة فيكون قوله فيها متاع لكم اي الخلاء والبول والله اعلم وقوله
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قال ما تبدون من السلام وما تخفون منه او في كل شيء كقوله والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون يذكر هذا ليكونوا ابدا على حذر وخوف والله اعلم وقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم روي
عن علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي ان لك كنزا في الجنة وانك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فان لك
الاولى وليست لك الآخرة وعن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم لك اول نظرة فاياك والثانية
وعن جرير قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فأمرني ان اصرف بصري وعن ابن عباس قال يغضوا ابصارهم
عن شهواتهم مما يكره الله ثم يحتمل قوله يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وجوها ثلاثة احدها غضوا ابصارهم لكي
يحفظوا فروجهم فان حفظ الفرج انما يكون بغض البصر وحفظه والثاني يغضوا ابصارهم عن النظر الى من يحل من
الاجنبيات لان النظر الى المحارم يحل ويحفظوا فروجهم عن الكل من المحارم والاجنبيات الا الذين استثناهم في آية
اخرى والثالث غضوا ابصارهم عما في ايدي الخلق ولا تطمحوا الى ما في ايديهم كقوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم الآية وقوله ذلك ازكى لهم اي اطهر لهم وادعى لهم الى الصلاح من النظر وعلى هذا الوجه يخرج قوله وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وقوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال الا ما ظهر الرداء والثياب وعن ابن عباس قال الا ما ظهر منها الكحل والخاتم وفي رواية اخرى الكف والوجه وعن عائشة
قالت الا ما ظهر منها القلب والفتخة وهي خاتم اصبع الرجل وعن عبد الله الزينة زينتان زينة باطنة لا يراها الا الزوج
فاما الزينة الظاهرة والثياب والباطنة فالاكليل والسوار والخاتم فان كان التأويل ما روي عن ابن مسعود حيث حمل من
الثياب وغيره ففيه دلالة ان لا يحل النظر الى وجه امرأة اجنبية وان كان ما قال ابن عباس ففيه دلالة تحل النظر الى وجه
المرأة لا بشهوة فان كان ما قالت عائشة من القلب والفتخة ففيه دلالة لا يجوز النظر الى الكفين والقدمين لانهما ظاهرتان
باديتان الا انهما من الظاهر في فرض غسل الوضوء وان كان ذلك ففيه دلالة جواز صلاتها مع ظهور القدم وجائز ان يكون
النظر الى وجه المرأة حلالا اذا لم يكن بشهوة لكن غض البصر وترك النظر ارفق وازكى كقوله يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن انهن حرائر فلا يؤذين كما يؤذى الاماء والذي يدل
ان للمرأة ان لا تغطي وجهها ولا ينبغي للرجل ان يتعمد النظر الى وجه المرأة الا عند الحاجة اليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي
رضي الله عنه انما لك الاولى وليست لك الآخرة وفي بعضها الاولى لك والآخرة عليك لانه كأنه انما يتعمد النظر في الثانية بشهوة تحدث في
قلبه واذنه للذي يريد ان يتزوج امرأة ان ينظر اليها يدل على ان نظر الرجل الى وجه المرأة غير حرام لانه لو كان حراما لم يأذن فيه
النبي لاحد ونرى والله اعلم ان النظر الى وجه المرأة ليس بحرام اذا لم يقع في قلب الرجل من ذلك شهوة فاذا وجد لذلك شهوة
ولم يمتنع ان يؤديه ذلك الى ما يكره فمحظور عليه ان ينظر اليها الا ان يريد به معرفتها او النكاح فانه قد جاء في ذلك روي ان
المغيرة اراد ان يتزوج امرأة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فانظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما وقال في بعض
الاخبار اذا خطب احدكم المرأة فلا بأس ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها للخطبة وان كانت لا تعلم ويستحسن للشابة ان تغطي
لها ان تستر وجهها ويديها عن الرجال ليس ان ذلك حرام ولكن لما يخاف في ذلك من حدوث الشهوة ووقوع الفتنة بهن
فاذا لم يكن للناظر في ذلك شهوة بان كان شيخا كبيرا او كانت المرأة دميمة او عجوزة فانه لا يحظر النظر الى وجوه امثالهن
ولا ينظر الى ما سوى ذلك واصله قول الله تعالى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك
ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ومما يدل على ان الوجه والكفين جائز ان لا يكونا بعورة بان المرأة لا تصلي وعودها مكشوفة
ويجوز ان تصلي ووجهها ويداها ورجلاها مكشوفة فاذا كان كذلك دل ذلك على ان النظر الى ذلك جائز اذا لم يكن ذلك
لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان لان زناء العين لا يكون الا النظر للشهوة فاذا
كان لشهوة دخل ذلك معنى قول رسول الله وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ان الوجه والكفين
ليسا بعورة ما روي عن عائشة قالت دخلت على اختي اسما وعليها ثياب شامية رقاق وهي اليوم عندكم صفاق فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ثياب لا تجيئها سورة النور فأمر بها فاخرجت فقلت يا رسول الله ادبني اختي فقلت
لها ما قلت فقال يا عائش ان الحرة اذا حاضت لا ينبغي ان يرى منها الا وجهها وكفاها فاذا ثبت هذا عنه فهو تبيين ما
ذكرنا والله اعلم وقوله وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن قد ذكرنا ان المرأة يكره لها النظر الى الرجال
من غير محرمها كما يكره للرجل الى المرأة الاجنبية الا ترى انه روي ان اعمين رجلا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض

ازواجه

ازواجه عنده عائشة واخرى فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما فقالت انهما اعميان يا رسول الله فقال لهما
وان كانا اعميين فانكما لستما باعميين او كلام نحو هذا فدل انه ما ذكرنا وعلى ذلك اخبار روي عن خالد بن معدان قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تبيت في مكان تسمع فيه نفس رجل ليس بمحرم ولا يحل لامرئ يؤمن
بالله واليوم الآخر ان يبيت في مكان يسمع نفس امرأة ليست له بمحرم وفي بعض الاخبار انه لم يرخص للمرأة ان يرى غير ذي محرم
منها الا الكف وما ظهر وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على كوع عائشة وقال هذا وعن الحسن انه قال في قوله الا ما ظهر
منها الوجه وما ظهر من الثياب فان ثبت ما ذكرنا من المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث رخص النظر الى الوجه والكف
لقوله الا الوجه والكف استثنى الوجه والكف من سائر الجوارح كان ذلك تفسيرا لقوله الا ما ظهر منها كأنه قال ولا يبدين
زينتهن للاجنبيين الا ما ظهر منها وهو الكحل والخاتم ثم الكحل يكون في الوجه والخاتم في اليد فذكر الزينة يكون كناية عن مواضعها
لان النظر الى الزينة حلال لكل احد اذا كان المراد بالزينة الحلي وما ذكره القوم تدل ان المراد بذكر الزينة مواضع الزينة
لا نفس الزينة والحلي ثم رخص للاجنبيين النظر الى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف ولم يرخص
ما خفي منها وما بطن ثم استثنى المحارم منها ورخصهم النظر الى ذلك بقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن
الى آخر ما ذكر ثم مواضع الزينة الخفية منها الصدر ومنها الاذنان وهما في الرأس ومنها الساق ثم جمع بين الاب ومن
سمى معه وبين الزوج في النظر الى زينة المرأة ولا خلاف في ان الاب لا يجوز له ان ينظر من عورة ابنته الا الى رأسها
وفي رأس الاذنان وقد يكون فيهما القرط ونحوه واذا جاز له ان ينظر الى رأسها ولا خلاف عليها فله ان ينظر الى صدرها وهو
موضع الزينة لانه مما يغطيه الخمار وينظر الى ذراعها وموضع الخلخال من قدميها ورجليها وهو مواضع الزينة الباطنة
التي لا يجوز للاجنبي النظر اليها ثم النظر الى الوجه احق ان يحرم النظر اليه للاجنبي من الرأس وغيره من مواضع الزينة لان
الوجه يجمع فيه جميع المحاسن وغيره من مواضع الزينة ليس فيها محاسن لكن انما حرم النظر الى هذه المواضع لانها عورة
في نفسها فالنظر الى العورة حرام للاجنبي ولان النظر اليها اعني مواضع الزينة لا يكون الا للشهوة والنظر الى الشهوة حرام
اليها فاما المحارم منها فانهم لا ينظرون الى هذه المواضع منها للشهوة ولا يقصدون به ذلك البتة فابيح لهم النظر اليها الى
وكل من يخشى من المحارم النظر اليها للشهوة لا ينظر اليها ثم غيرها من الفرج لا يحل لاحد النظر اليها الاب وغيره الا الزوج خاصة
والمولى الى مملوكته وهو ما قال والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم استثنى الازواج والموالي
من بين غيرهم لان النظر الى ذلك لا يكون الا للشهوة لا يقع فيه حاجة الا فلا يباح ذلك الا لمن له قضاء الشهوة والوطي وهو
الزوج والمولى فانقسم العورة الى جهتين جهة يحل للمحارم منها النظر اليها لحاجة وضرورة تقع لهم وجهة لا تحل لهم الا
للازواج لما لا يقع لهم حاجة ولا ضرورة بالنظر الى ذلك ان الامة ينظر الى شعرها وذراعيها وساقيها وصدرها اذا
اراد شراءها ولا ينظر الى ما سوى ذلك فاذا جاز للاجنبي ان ينظر اليه من الامة جاز لمحرمها النظر الى ذلك من المرأة للحاجة
التي ذكرنا في الآية المحارم جميعا الا الاعمام والاخوال قال بعضهم انما لم يذكرا في هذه الآية لانهما تحل لبنيهما بالنكاح نكره
ان تصفاها لبنيهما ولهذا كره من كره المرأة المسلمة ابداء الزينة الخفية للكافرة من اليهودية والنصرانية لما لعلها تصف
ذلك للمشركين فيرغبون فيها ويتكلفون ذلك وصرف قوله او نسائهن الى المسلمات لكن جائز عندنا ان العم والخال انما لم يذكرهما
للكثرة والتطويل بل لما يكثر ذلك او لما ذكر من اجناسهم وامثالهم فذكر الرخصة في امثالهم كافية والله اعلم وقوله او نسائهن
يحتمل وجوها يحتمل النساء يخالطن بهن او نساء قراباتهن وارحامهن او النساء التي توافقن في دينهن وهن المسلمات على ما قال
اولئك والله اعلم وقوله او ما ملكت ايمانهن قال قائلون او ما ملكت ايمانهن كقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
ونحوه وقال قائلون الاماء والعبيد جميعا فان كان المراد به الاماء فهو ظاهر وان كان المراد به الامة والعبد اباحة
نظر العبد الى شعر مولاته على ما يقوله بعض الناس والاشبه ان يكون المراد به والله اعلم الاماء دون العبيد ما ذكر في
آخر الآية او التابعين غير اولي الاربة من الرجال والعبد من الرجال اذ ذكر التابع والتابع وان كان خصيا او عنينا او
معتوها على ما قالوا فانه لا يحل لهؤلاء النظر الى تلك المواضع على حال فعلى ذلك العبد فيكون الدخول عليهن مضمر في الآية
وكن النساء متاهبات وقت دخول العبيد والتابعين عليهن لانه ذكر التابعين وهم تابعوا الازواج ووقت دخول هؤلاء يكون
معلوما عندهن فيتاهبن له ويسترن والله اعلم بذلك الا ترى انه لا يحل للمرأة ان تسافر بعبدها دل انه ليس بمحرم لها
لذلك لم يحل له النظر الى شعر مولاته فان قيل ما معنى ذكر امائهن ونسائهن وكل النساء يجوز لهن النظر الى المرأة والى
هذه التي ذكرنا قيل خص الله عز وجل بذكر امائهن ونسائهن دون نساء الاجنبيات تأديبا لا حظرا وذلك ان المرأة قد
يضيق عليها ان تستتر من امتها ونساء اهل بيتها لكثرة دخولهن لها وقد يبعد ان تستتر من الاجنبية محاسنها وزينتها
لقلة دخولها الا ترى انه قد نهى المرأة ان تضرب رجلها ليعلم ما تخفي من زينتها وفي ذلك صيانة للرجل والمرأة وابقا
لهما عما يحذر عليها ويخاف فليس ببعيد ان يحمل نهيه المرأة ان تظهر زينتها ومحاسنها الاجنبية لما يخاف على الاجنبية
من فساد قلبها وحدوث الشهوة لها صيانة للنساء والرجال جميعا وابعاد لهم من الزينة ولئلا تصفها لرجل يفتتن بها او

وبكلف الوصول اليها والله اعلم **وقوله** وليضربن بخمرهن على جيوبهن روى عن عايشة رضى الله عنها انها قالت لما نزلت هذه
الاية اخذ النسا ازرهن فشققنها من قبل الحواشى فاختمرن بها وعن ابن عباس بخمرهن على جيوبهن يقول والشدد بخمرهن
على جيوبهن لقول ليرخين بخمرهن على الصدر والنحر فلا يرين منها شيئا قال وكن النساء قبل هذه الاية انما يسدلن خمرهن سدلا
من ورائهن كما يصنع النبط فلما نزلت هذه الاية شددن الخمر على النحر والصدر وفي الاية دلالة ان درع النساكات ذات جيب انما يكون
للدروع وذلك كان لباس النساء وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى الرجال عن لبسة النساء وانه لعن المتشبهين من الرجال
بالنساء وروى انه لعن الرجل يلبس لبسة المرءة والمرءة تلبس لبسة الرجل وعن ابن عباس لعن النبي المؤنثين من الرجال والمذكرات
من النساء وكانه يكره للرجل والله اعلم ان يلبس دراعة وحدها لا قميص تحتها لان ذلك لباس النساء الا ان يكون لها شق دبل
تخرجه من لبس النساء ولم يكره للرجال والله اعلم **وقوله** ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها جايز ان يكون قوله الا ما ظهر منها انما يباح
النظر الى الوجه للحاجة واما على غير الحاجة فلا يباح لما ذكرنا من قوله يدنين عليهن من جلابيبهن الاية وقوله واذا سالتموهن متاعا
فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن فعلى ذلك ترك النظر الى وجه المرءة اطهر للنساء وللنساء جميعا فلا يباح
ذلك الا عند الحاجة اليه وهو معرفتها ليقسم به للشهادة فان قيل ليس النظر يسع الى مواضع الزينة الخفية للاجنبى للتداوى بها
قيل يسع ذلك للضرورة واما الحاجة فلا وفيما ثنانى الحاجة ليست فى الضرورة ثم قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الى اخر ما ذكر
جايز ان يكون المراد رخصة النظر الى الزينة لهولا المسمين فى الاية رخصة النظر الى نفس الزينة لا موضع الزينة فيدخل فى هذه
الرخصة من ذكر من التابعين غير اولى الاربة من الرجال ونحوه لان الزينة فى الصدر وما ذكرنا انما تكون من وراء ثياب تكون على الصدر
ثم رخص النظر للمحارم الى المواضع الزينة الخفية لغير هذه الاية او ان يكون رخصة للمحارم الى مواضع الزينة ولغير المحارم من
المماليك والتابعين غير اولى الاربة ومن ذكر رخصة الدخول عليهن فيكون فى الاية اضمار الدخول كانه قال ولا يبدين
زينتهن الا لبعولتهن ومن دونهن من المحارم ولا يدخل عليهن الا العبيد والتابعون ومن ذكر من غير اولى الاربة فيكون فى وقت
دخول هولا استاحتجاب لان وقت دخول هولا يكون معلوما بعرض فيتاهبن لهم لان العبيد انما على ساداتهم ومواليهم في
حاجتهن اليهم والتابعين ومن ذكر انما يدخلون اذا دخل ازواجهن فيتاهبن لذلك ومثل هذا الاضمار جايز فى الكلام بتبين
ذلك بالشيا كقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ورد قوله غير محلى الصيد انه قد كان
الصيد مذكورا فيه مرادا او لو لم يكن مذكورا لم يكن استثنى منه فعلى ذلك جايز ان يكون فى الاول الاضمار الدخول فيه لهولا
الذين لا يحل لهم النظر الى مواضع الزينة منهن ورخصة الابداء للمحارم لمن او يكون ما ذكرنا فيما تقدم والله اعلم **وقوله**
او التابعين غير اولى الاربة من الرجال قال بعضهم الشيخ الكبير الذى لا حاجة له فى النساء قال بعضهم المعتوه الاحمق الذى لا
يشتهى النساء ولا يغار عليه الازواج وقال بعضهم العنين والخصى وهولاء الذين لا يطيقون الجماع لكن عندنا لا يسع للعنين
ولا للخصى ان يخلوا بامرءة اجنبية وقال الحسن غير اولى الاربة من الرجال هم المخنثون روى عن عايشة قالت كان يدخل على ازواج
النبى صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولى الاربة قالت فدخل النبى ذات يوم وهو ينعت امرءة فقال لا ارى هذا
يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم فحجبوه وعن ام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على اخى ام سلمة فقال
يا عبد الله ان فتح الله لكم غدا الطايف دللتك على بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال لا ارى يعرف ما ههنا لا
يدخلن عليكم وقال بعضهم غير اولى الاربة الذين لا تهمهم الا بطونهم ولا يخافون على النساء وكله واحد الذين لا يستطيعون الحاجة
الى النساء قال ابو عوسجة الاربة الحاجة والارب جميع وكذلك قال القتبى وقال ابن عباس هو الذى لا يستحيى منه النساء **قوله**
او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء قال بعضهم هو الاطلاع اى لم يطلعوا ولم يعلموا ولم يدروا ما هو من الصغر
قال بعضهم لم يظهروا على عورات النساء اى لم يبلغوا الحلم والاول اشبه عندنا وذلك ان الطفل الذى لم يحتلم قد امر بالاستيذان
فى بعض الاوقات لقوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم فالذى يومر بالاستيذان هو اصغر من ذلك
وهو الذى لا يطلع على عورات النساء لصغره والله اعلم **وقوله** ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن اى لا يضربن
احدى رجليها على الاخرى ليقرع الخلخال بالخلخال ليعلم ما يخفين من زينتهن اى ما يوارى الثياب من الزينة وهو الخلخال قد
اخفاه الثياب نهيت المرءة عن ضرب رجلها ليعلم الرجال ما يخفى من زينتها وذلك محظور عليها لما يخرج ذلك مخرج ترغيب
الناس وحثهم عليها اذ الزينة فى الاصل ما جعلت الا للترغيب والتحريض على انفسهم وهى الداعية الى النظر والشهوة وفى
ترك ذلك وترك ابداء الزينة صيانتها للرجال وابعادهم جميعا من الزينة والرغبة فكشف الشابة عن وجهها ونظر الرجل
لشهوة اليها احرى ان يكون محظورا عليه منهيا عنه والله اعلم بالصواب **وقوله** وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون
هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله توبوا الى الله اى ارجعوا الى الله بالطاعة له والخضوع ليكونوا مفلحين او ان يكون قوله وتوبوا الى
الله اى ارجعوا عما قدمتم من المعاصى والمساوى واجعلوا مكان ذلك طاعة له ليعفو عنكم ما قدمتم من المعاصى والله اعلم
وقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم الامر بالنكاح وان خرج مخرج امر واحد فى الظاهر فهو فى الحقيقة على
اقسام الامر فى تزويج الاماء والعبيد يخرج مخرج المعونة والتقوية لان من بلغ ولده النكاح ذكرا او انثى استحيا اقرباؤه و

واهل الشان والمصلحين فى ذلك واستعانتهم على ذلك ولا كذلك السادات فى المماليك دل ان الامر فى احدهما يخرج على
المعونة وفى الاخر على الترغيب ثم تزويج العبد يخرج كانه فعل المعروف او فى ذلك الزام مؤن بلا عوض يحصل له الا ترى انه لا
يملك الا من يملك المعروف من نحو الوصى والاب والمكاتب والعبد الماذون له فى التجارة ولا كذلك تزويج الاماء اذ يملك هو
هولاء ذلك وكل مكتسب خير له لنفسه او لغيره ثم جرى الوفاق بينهم ان المولى ان يزوج امته شاءت هى او ابت واختلفوا
فى تزويج العبد امرءة قال بعضهم له ذلك الا برضاء العبد وقال بعضهم له ذلك شاء او ابى ثم الناس اختلفوا فى قوله وانكحوا
الايامى منكم قال بعضهم الايامى منهن الاناث من الاحرار دون الذكور واستدلوا بابطلان النكاح وفساده اذا كان بغير اذن
الولى بهذه الاية لان الله تعالى امر الاولياء وخاطبهم ان تزوجوهن كما امر المولى بتزويج امته فاوجب للولى الولاية كما
اوجبها للمولى وان كانا مختلفين فى الولاية لكن عندنا لو كانت الاية خرجت على التفسير على ما يقول خصومنا انكحوا الايامى منكم
الاناث لم يكن فيه دليل على ما قالوه ويخرج ذلك على وجوه احدها على الترغيب فى انكاحهن لما يتولى هن النكاح بانفسهن
حياء ويستحيين التكلم بذلك النحى بين فعل ذلك منهن بنفسها سادت مطعونة عندهن او ان يخرج ذلك مخرج المعونة لهن على ما
ذكرنا الا ترى الى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فاحدث فالاثم بينهما ثم
فهذا يدل والله اعلم على وجه المعونة فى تزويج الاب الابن البالغ فاذا كان الاب مامورا من جهة التاديب على المعونة
بتزويج ابنه ولا يوجب ذلك عليه ولاية اذا كره ذلك فكذلك يكون مامورا بتزويج ابنته من طريق المعونة او وجهة الحيا
او ان يخرج ذلك على ما قال خصومنا من ايجاب الولاية له عليها ثم راينا انها اذا رغبت فى النكاح ورضيت به وكره وليها
ذلك جبر الولى على الانكاح وان هى كرهت النكاح وابت ورغبا الولى ذلك وشاء لم تجبر هى على ذلك على ان الحق لها عليه
دون ان يكون الحق فى ذلك له عليها فاذا كان الحق لها عليه جاز ذلك اذا تولت بنفسها لما ذكرنا ان الخطاب للاولياء
يخرج على الوجوه الذى ذكرنا والله اعلم هذا اذا كان فى الاية ذكر الاناث دون الذكور فكيف وان ليس فى الاية ذكر تخصيص
الاناث دون الذكور واسم الايم يقع على الاناث والذكور جميعا الا ترى انه روى عن عمر رضى الله عنه قال لما نزلت
هذه الاية ما رايت مثل ما يلتمس بعد هذه الاية انما التمسوا الغنا فى الباه وما روى عن مخلد ان عمر دعانا الى ان
ينكح من ايمنا وفى الشعر فله ذا وبنى على ايم منهم وناكح وفى بعضها وايم تابى من القوم ايما يجمع فيها اسم الايم الرجال
والنساء ومن الدليل ايضا على ذلك قوله والصالحين من عبادكم وامائكم فدل ذلك على انه حث على تزويج البالغين
من الاحرار رجالهم ونساءهم فان قيل فما وجه امره بتزويج الرجال والامر اليهم فجواب ذلك ما ذكرنا من المعونة والترغيب
فيه ثم قوله والصالحين من عبادكم جايز ان يكون قوله والصالحين اى المؤمنين وجايز ان يكون الصالحين من طلب منكم
الصلاح والعفة او ذكر الصالحين لما كانت العادة فى المملوك انهم يخالطوا اهل الصلاح منكم والاخيار لا على اخراج غيرهم من
حكم ذلك الخطاب والله اعلم **وقوله** ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله من الناس من استدل بهذه الاية ان العبد
يملك لانه ذكر العبيد والاحرار جميعا ثم ذكر فى اخر الغناء دل انه يملك ويستدل بقوله فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن
اجورهن اضاف الاجور والايتاء اليهن دل انهن يملكن لكن عندنا ان المماليك يملك ملك التوسيع وملك التصرف و
يقع لهم غناء التوسيع وغناء التصرف ولا يقع لهم التمليك ولا حقيقة الملك والدلالة على ذلك قوله والله فضل بعضكم
على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء لو كان ما ملكت ايمانهم يملكون ما
يملكوا الموالى والسادات لكان المماليك يفضلون على السادات فى الملك اذ هم الذين يتصرفون ويكتسبون الاموال
دون السادات فدل ذكر تفضيل بعض على بعض انهم لا يملكون ما يملك الموالى والثانى قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون الاية ولو كانوا يملكون على ما يملك السادات لكانوا لهم فيه شركاء دل انهم لا يملكون حقيقة الملك ولكن
يملكون ملك التوسيع والتصرف او ان يكون قوله يغنهم الله من فضله راجعا الى الاحرار منهم دون المماليك وذلك جايز
فى اللسان كقوله ثم روى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حق على الله تعالى ان يغنيهم الله المجاهد فى
سبيل الله والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء وعن عمر قال ما رايت مثل الرجل لا يلتمس فى الباءة والله تعالى يقول ان
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وروى فى الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وروى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم
قال لعمر بن الخطاب ما فعلت بنيات لك قال هن عندى يا رسول الله قال وقد حصن قال نعم قال الا انك لم تحبس واحدة منهن
عن كفو الا انتقص من اجرك كل يوم قيراط وفى بعض الاخبار من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فاحدث فالاثم بينهما
وقوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله الاستعفاف هو طلب العفاف كانه قال يطلب الاسباب
التى تمنعه عن الزنا وتصيره عفيفا حتى يغنيه الله من فضله واسباب العفة تكون اشياء احدها ما روى عن نبى الله صلى
الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فانه له وجاء ونحوه يكتسب اسبابا العفة ان لم عنده ما ينكح حتى لا يقع فى الزنا الى ان اغناه الله كقوله عليه

السلام من استعف اعفه الله وجايز ان يكون قوله وليستعفف اى يتعفف الذين لا يجدون نكاحا لم يجعل الله عز وجل
للذى عجز عن النكاح استباحة الفروج والاستمتاع بها زنا اذا لم يكن عنده ما ينكح كما جعل فى الاموال وغيرها رخصة التناول
فى ملك غيره عند الحاجة والضرورة ببذل العوض ان رخصة التناول فى ملك غيره انما يكون عند الضرورة والضرورة لا تقع فى
الفروج وفى الاستمتاع بها بحال لذلك لم يبح والثانى ان الاستمتاع بالنساء فى الاصل كان انما جعل وابيح لبقاء النسل والتوالد لا لما
انفسهم وقضاء الشهوة فاذا لم يكن عنده ما ينكح ارتفع عنه ابقاء النسل والتوالد والثالث ان السعة والغنا وانواع النعم
هى الداعية الى الحاجة وقضاء الشهوة فاذا كان فقيرا لا يجد ما ينكح زال عنه الاسباب التى تدعو الى ذلك لذلك لم يبح وانما
الحاجات والضرورات وما ذكرنا كلها تقع فى الاموال وانما الحاجات فى التناول منها لانفسهم ولا بقائها لذلك افترقا والله اعلم ثم
فى قوله حتى يغنيهم الله من فضله وقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وجهان من المعنى على نقض قول المعتزلة احدها
انه اضاف الاغناء الى نفسه وهو ليس يعطى احدا شيئا يطرحه ويلقيه فى يده بلا سبب ولكن انما يغنيه ويعطيه باسباب يجعل لهم
فدل اضافة الاغناء الى نفسه على ان له فى تلك الاسباب التى بها لم غناء صنعا وفعلا ليس على ما يقوله المعتزلة ان لا صنع لله
فى افعال عباده والثانى فيه دلالة ان اغناهم وسعتهم فضلا منه ورحمة لا شئ يستوجبون هم بانفسهم ذلك قبله لكن افضال
منه لهم واحسانا اذ لو كان عليه ذلك كان منه عدلا لا افضالا فدل تسمية الفضل ذلك على ان من اعطاه الله يقال ذلك اعطاه
فضلا منه وانما ما لا استيجابا واستحقاقا وذلك يرد عليهم فى الاصلح فى الدين ثم من الناس من استدل بهذه الاية بقوله ان
يغنهم الله من فضله وحتى يغنيهم الله من فضله على تفضيل الغناء على الفقر قالوا لانه سماه فضلا بقوله من فضله وسماه
فى غيره من القرآن رحمة وحسنة وسماه خيرا ايضا فى غير موضع وسمى الفقر والضيق بلاء مرة وسيئة ثانيا وضرا وشدة ثالثا بقوله
وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته
وغير ذلك من الآيات وكان ما سمى من البلاء والشدة والشر والضر والسيئة كله عبادة وكناية عن الضيق والفقر وما ذكر
من الخير والحسنة والرحمة ونحوه كله عبارة عن السعة والغناء فدل تسمية الغناء خيرا وحسنة ورحمة على انه افضل اذ لا شك
ان الخير والحسنة والرحمة خير من الشر والسيئة والبلاء لذلك كان الغناء افضل من الفقر فيقال لهم هو كما قلتم انها خير مما ذكر
الا ان هذه الاسباب التى ذكر هى الداعية الى الفساد الباعثة على قضاء الحاجات والشهوات وانواع المعاصى والتعاطى فى انواع
المحرمات فصارت تدعوه وتبعثه الى ذلك فقولنا انه افضل للمعنى الذى ذكرنا لا لمعنى فيه ممنوع انه اراد ان يكون ما ذكر وسمى خيرا
اعنى السعة عن الناس وكذلك ما ذكر من الضيق شرا وسيئة عندهم لانه كذلك عند الناس لا انهما فى الحقيقة كذلك لما يحتمل ان
يكون الغنا والسعة سبب الفساد والضيق والفقر سبب منعه عن الفساد وان لا يتكلم فى تفضيل احدهما على الاخر لانهما محنتان
يمتحن بهما العباد هؤلاء بالصبر على الفقر والضيق وهؤلاء بالشكر على النعمة والسعة فالكلم فى فضل احدهما على الاخر فضل والله اعلم
وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ظاهر هذا ليس على الكتابة ولكن على الكتاب المعروف وهو كتاب الله تعالى
لان الكتاب المطلق هو كتاب الله تعالى يسألون ساداتهم تعليم الكتاب لهم الا ان الناس لم يفهموا من هذا ولكن فهموا الكتابة للعبيد
والاماء حتى صرفوا الاية اليها فقوله فكاتبوهم ليس على الوجوب والالزام ولكن على الترغيب فيها والحث دليله تركت امة المماليك
بعد موتهم مواريث لورثتهم من لدن رسول الله الى يومنا هذا ولو كان على الوجوب والالزوم لم يكونوا يتركون لان ما عليهم فدل تركهم
ذلك على انه خرج مخرج الترغيب عليها والحث لا على الوجوب والله اعلم وقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا اختلف فيه قال بعضهم
كاتبوهم ان علمتم انهم يرغبون فى انواع الخير واقام الصلوة وانواع الصلاح ودعوا انفسهم ذلك وقال بعضهم ان علمتم فيهم
خيرا اى وفاء وامانة وصلاح وهو قول الحسن وتاويل هذا اى كاتبوهم ان علمتم انهم يقدرون على وفاء ما كوتبوا اوراء ذلك و
قال قائلون خيرا اى حيلة وقال قائلون ما لا وقال قائلون خيرا اى حرفة وروى فى ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مفسرا عن يحيى بن كثير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان علمتم فيهم خيرا اى حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس ان ثبت هذا لا
يحتاج الى غيره من التفسير ولو كان قال ان علمتم لهم خيرا جاز ان يقال معنى ذلك ما لا ولكنه قال ان علمتم فيهم خيرا والمال لا يكون
فيهم وانما يكون لهم فاشبه ذلك والله اعلم ان يكون الخير حرفة كما روى فى الخبر او وفاء وامانة فى الاداء لانه انا العبيد لا
يملكون شيئا لانهم لو كانوا يملكون لكان يرغبهم ويحثهم على العتاق دون الكتابة فدل ترغيبه اياهم عليها انهم
لا يملكون حتى يحمل الكتابة الكسب لهم والخدمة دون الموالى وفى الكتابة ايضا نظر للموالى لانهم ان قدروا على
وفاء ما قبلوا واداءوا الاكان للموالى ردهم الى منافع انفسهم ولو كان عتقا لم يملكوا ردهم الى منافع انفسهم
ويبطل حقهم بلا شئ يصل اليهم والله اعلم وفى قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا دلالة القول بعلم العمل على
ظاهر الاسباب دون تحقيق العلم به حيث قال ان علمتم فيهم خيرا وانما يوصل الى ما ذكر من الخير باسباب تكون لهم على نحو
ما ذكر واقيد من الحرفة والوفاء والاداء للامانة وامثاله وذلك اسباب يتوصل الى الخير ما اكبر الظن والعلم لا على الحقيقة
وفيه دلالة العمل بالاجتهاد على ما يرى بهم من ظاهر الاسباب والله اعلم وقوله واتوهم من مال الله الذى اتاكم
اختلف فى خطابه قال الحسن وغيره فيخرج ذلك على وجهين احدهما ما جعل الله من الحق للمكاتبين فى الصدقات بقوله
انما الصدقات للفقراء الى قوله وفى الرقاب وهم المكاتبون امر ارباب الاموال بدفع الصدقات الى المكاتبين وجعلهم اهلا لها ليستعينوا
بها على اداء ما عليهم من الكتابة فان كان ذلك حق لهم والثانى جايز ان يامر الناس بمعونة هؤلاء المكاتبين على اداء ما عليهم من الكتابة
باموالهم سوى الصدقات ليفكوا رقابهم عن ذل الرق والكسب وقال قائلون انما الخطاب للموالى خاصة لما ان اول الخطاب بالكتابة هو
راجع الى الموالى فعلى ذلك هذا ثم اختلفوا فيه ذكر عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال يترك المولى ثلث من مكاتبته لم ذكر
عنه انه قال ربع الكتابة وروى عن عمر رضى الله عنه انه كاتب غلاما له فحط عنه اول نجمه وقال له خذ فى نجمك فقال عمر
لعل لا اصل فيه اى الكلام نحو هذا ثم تلا هذه الاية قوله والذين يبتغون الكتاب الاية وذكر عن غلام لعثمان بن عفان رضى الله عنه
قال كاتبنى عثمان ولم يحط عنى شيئا ولما روى عن عثمان انه لم يحط عنه شيئا على ان الامر بالايتاء للمكاتبين من الاموال والحط عنهم
انما هو على الاختيار والافضال ليس على الوجوب واللزوم لانه لو كان على الوجوب لكان عثمان بن عفان لا يحتمل ان لا يحط عنه شيئا
ومن جعل ذلك واجبا على المولى ان يؤتيه من ماله ويجعله له كان ذلك خارجا عما روى من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
خلافا لهم لانه روى عن بعضهم الحط عنهم والوضع دون الايتاء من ماله وروى عن بعضهم الاستيفاء على الكمال لا يحط فيه ولا
ايتاء دل ان قوله من يامرهم بالايتاء من اموالهم دون الكتابة خارج من قولهم جملة ثم يبطل ذلك من وجهين احدهما ان من قال بعد
اذا ادى الى كذا فانت حر فحط عن بعض ذلك فادى البقية لم يعتق حتى يؤدى الكل فدل ان قوله واتوهم من مال الله الذى اتاكم ليس
على الوجوب ولكن على الاختيار والثانى انه لا يسمى بعد الاداء مكاتبا وانما هو حر وهو انما ذكر الايتاء وهم مكاتبون حيث قال فكاتبوهم
ثم قال واتوهم فلو كان على ما يقوله قوم لكان ذلك باطلا للوجهين الذين ذكرناهما والله اعلم وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان
اردن تحصنا ليس قوله ان اردن تحصنا شرط فيه لانهن لا يكرهن على البغاء وان لم يردن التحصن دل ان ذلك ليس بشرط
فيه ولا يمكن الاكراه فيه اذ كن لا يمتنعن فيه لكنه خرج ذلك على ما ذكر فى القصة كانوا يكرهونهن على الزنا ابتغاء المال وهن
يردن التحصن فخرج الخطاب والنهى على فعلهم دون ان يكون ذلك شرطا فيه او ان يكون ذلك اكراها اذ لكن سطوعا فى ذلك
وفيه دلالة بطلان المتعة وفسادها لانهم كانوا يكرهونهن اماءهم على ان يواجرن انفسهن للزنا ابتغاء الاجر وليست المتعة
الا كذلك وقال اهل التاويل ان الاية نزلت فى نفر فى المنافقين عبد الله بن ابى وفلان وفلان كانوا يكرهون فتياتهم على الزنا
ابتغاء عرض الدنيا فان كان ما ذكروا فيه دلالة ان الزنا حرام فى الاديان كلها وقوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما يرجع الى الاماء يقول فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهن وكذلك ذكر فى بعض
الحروف انه قرا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم والثانى يرجع الى السادات فان الله لهم غفور رحيم اذا تابوا واصلحوا
والله اعلم وقوله ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات بخفض الياء ونصبها ثم يحتمل ان يكون المراد بالآيات آيات القرآن جميعا وقوله
مبينات بالخفض اى تبين للخلق ما لهم وما عليهم وما لبعضهم على بعض ومبينات بالنصب اى مبينات انها من عند الله وجايز
ان يكون المراد بالآيات الحجج والبراهين فان كان هذا فقوله مبينات بالخفض اى تبين وحدانية الله تعالى وعلم رسالة رسوله
ومبينات بالنصب اى واضحات بينات انها حجج وبراهين وقوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين اى
انه انزل اليكم ايضا مثل الذين خلوا من قبلكم ما حل بهم ونزل بالمكذبين من العذاب وموعظة ما يتعظ المتقون او جعل
فيما انزل من الآيات عليكم امثالا من الذين خلوا من قبلكم ليتعظوا به والله اعلم وقوله عز وجل الله نور السموات والارض قال
بعضهم الله هادى السموات والارض ثم انقطع الكلام واخذ فى بعث محمد صلى الله عليه وسلم وما ضرب له من الامثال فقال
مثل نوره يقول مثل نور محمد اذ كان فى صلب ابيه كمشكوة اى كوة بلغة الحبش غير نافذة فيها مصباح اى سراج المصباح يقول
والله اعلم ذلك السراج المضئ ضوءه فى زجاجة الزجاجة نعتها الصافية التامة الصفاء والمشكاة صلب ابيه عبد الله
والزجاجة وصفاؤها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وطهره من الادناس والمعاصى والمصباح نوره وصفاؤه قلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما فيه من الايمان والحكمة والنبوة كانها كوكب درى محمد صلى الله عليه وسلم وذكره مع اسماء الانبياء
والرسل فى لوح المحفوظ عند الله فى الفضيلة على تلك الاسماء والرسل عليهم السلام كفضل الكواكب الدرى اى المضئ وهى
الزهرة على سائر الكواكب وقوله عز وجل توقد من شجرة مباركة يقول والله اعلم استنار نور محمد من نور ابراهيم لان محمدا على
دين ابراهيم وعلى سنته ومنهاجه فمثل ابراهيم مثل الشجرة مباركة واصل محمد من نسل ابراهيم صلوات الله عليهم وقوله عز وجل زيتونة
لا شرقية ولا غربية والزيتونة المحاسن وطاعة ابراهيم لربه فنفعه الله بحسن طاعته يوم القيمة وفى غيره من المواطن كما ينفع
الزيتونة اهلها فى الدنيا فهى فاكهة وطعام وهى ادام وهو الصباغ والدهن يعنى زيتونة لا شرقية ولا غربية يقول ان
ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن نصرانيا يقول النصارى هو نصرانى يصلى قبلة النصارى من قبل المشرق ولا يهوديا لقول
اليهود انه كان على ديننا يصلى قبل المغرب بيت المقدس يقول الله تعالى لم يكن كما قال هؤلاء ولكن كان حنيفا مسلما مصليا الى الكعبة
وهى قبلته والمهاجر وقوله يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار يقول والله اعلم لو ان ابراهيم لم يكن نبيا لاصاب بحسن طاعة الله
فى الدنيا الفضل مع الانبياء والرسل فى الدنيا والدرجات العلى فى الآخرة وقوله نور على نور لان محمدا وما جاء به الذى جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم وهو النور وهو القرآن من يشاء ممن سبق له فى علمه الشقاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويضرب بها الامثال للناس يعني ويصف الله الامثال للناس ليؤمنوا بالله ويوحدوه ويعرفوا نوره بينة من ضيعة ويصدقوا
بابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام انهما رسولا الرب وهو تاويل المقاتل وقال اهل الكلام قوله الله نور السموات والارض اى
انا والله لاهل السموات والارض مثل نوره الذي به انار وما ذكر مثل المشكاة التي ذكرها الى اخره وجايز ان يكون قوله الله نور السموات
والارض اى بالله نور اهل السموات واهل الارض الا ترى انه قال مثل نوره كذا ولم يقل مثله ولو كان النور هو الله على ما قاله قوم وفهموا
لقال الله نور السموات والارض مثله كذا ولم يقل مثل نوره فدل قوله مثل نوره اى لم يرد بالنور نفسه ولكن ما ذكرنا انه به نور
اهل السموات واهل الارض الا ترى انه قال في اخره يهدي الله لنوره من يشاء انه لم يرد بالنور ما فهموا ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور دل انه ليس على ما فهموه بل انه نور كساير الانوار التي عاينوه وشاهدوه وهم المشبهة وعلى هذا يخرج تاويل
ابن عباس حيث قال الله هادي اهل السموات والارض وقوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب
دري جايز ان يكون قوله مثل نوره اي مثل نور المؤمن الذي في قلبه مثل مشكاة فيها مصباح لان المشكاة هي الكوة التي لا منفذ لها
يدخل فيها الانوار فتكون مظلمة فاذا جعل فيها مصباح اضاء ذلك كله وانار حتى لا يبقى فيها ناحية الا وقد اصابه الضياء والنور
فعلى ذلك القلب وهو مظلم ليس له منفذ يدخل فيه النور من الخارج فاذا امن انار الله قلبه بايمانه حتى ظهر ذلك النور وانتشر
في جميع نواحيه وجوارحه وهو ما قال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اخبر ان من شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فهذا يدل ان قوله مثل نوره انما هو مثل نور المؤمن وعلى ذلك روي في حرف ابي بن كعب قرء مثل نور المؤمن
كمشكاة وفي حرف ابن مسعود مثل نوره في قلب المؤمن وقال الحسن مثل نوره قال مثل القران في قلب المؤمن كمشكوة كوة فيها
مصباح او ان يكون قوله الله نور السموات والارض اي به تجلى الظلمات وتكشف الحجب والسواتر اذ النور انما سمي نورا لما به تجلى الظلم
وتكشف السواتر والحجب الا ترى انه سمي القران نورا والرشد نورا لما به تجلى الشبهة والظلمات وبه ترتفع السواتر و
والحجب وان كانا في انفسهما ليسا بنور وسمي نورا لما ذكرنا من تجلي الاشياء بهما وارتفاع السواتر فعلى ذلك جايز ان يسمى الله نورا
لما به يكون تجلي الظلمات والشبه وانكشاف السواتر وارتفاع الحجب لا انه نور وقوله مثل نوره قال بعضهم مثل نور المؤمن
على ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم مثل نوره في صدر المؤمن وقال بعضهم مثل نور محمد على ما ذكر مقاتل وغيره وقال بعضهم
مثل نور القران وقوله كمشكوة قال الكوة التي لا منفذ لها النور على ما ذكرنا وقال بعضهم موضع الفتيلة من القنديل وقال بعضهم
الحدايد التي تعلق بها القنديل وقوله لا شرقية ولا غربية قال بعضهم هي شجرة مصحرة تطلع عليها الشمس اذا طلعت وتغرب
عليها اذا غربت وهو اجود الزيت وقال بعضهم هي شجرة في كن لا يطلع عليها الشمس اذا طلعت ولا تغرب عليه اذا غربت وقال
بعضهم ليست بشرقية ولا غرب لها ولا غربية لا شرق لها ولكنها شرقية غربية فكيف ما كان فانما ذكر الزيت لصفائه و
خلوصه فيعجب ان يسال اهله فقال اى الزيت اجود واصفا الذي تصيبه الشمس او الذي لا تصيبه او الذي تصيبه في وقت
ولا تصيبه في وقت وقال بعضهم الله نور السموات والارض هو الله سبحانه هادي اهل السموات واهل الارض كالهدى
في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك يكون قلب المؤمن
يعمل الهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وعن ابي بن كعب قال في قوله مثل نوره
يقول مثل نور المؤمن وكذلك يقراها مثل نور المؤمن على ما ذكرنا عن قبل قال فهو عبد قد جعل القران والايمان في صدره
كمشكوة قال المشكاة صدره فيها مصباح قال المصباح القران والايمان الذي جعل في صدره قال المصباح في زجاجة
قال الزجاجة قلبه قال الزجاجة كانها كوكب دري يقول كوكب مضيء توقد من شجرة مباركة قال الشجرة المباركة اصله
قال المباركة الاخلاص لله وحده لا شريك له قال لا شرقية ولا غربية قال فمثله كمثل شجرة التفت بها الشجر فهي خضراء ناعمة
لا تصيبها الشمس على اي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك هذا المؤمن قد اجير من ان يصله شيء من الفتن وقد
ابتلي بها فثبته الله فيها فهو بين اربع خلال ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان قال صدق وان حكم عدل فهو في ساير الناس
كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات قال نور على نور قال فهو يتقلب في خمسة من النور كلامه نور وعمله نور ومدخله نور و
مخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيمة الى الجنة قال ثم ضرب مثل الكافر فقال وهو يحسب ان له عند الله خيرا فلا يجد
فيدخله الله النار وقال في اية اخرى له مثلا فقال او كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب فهو يتقلب
في ظلمات وقال بعضهم في قوله الله نور السموات والارض اي بنوره يهتدي من في السموات ومن في الارض على ما ذكرنا
مثل نوره في قلب المؤمن كمشكوة وهي الكوة غير النافذة على ما ذكرنا فيها مصباح اى سراج كوكب دري مضيء اي منسوب
الى الدر وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة كمشكاة الكوة التي تكون في الحايط ومنا الجماعة وكوى جماعة الكوة وكوكب دري
شديد الضوء ودري هو ايضا من الضوء ماخذها جميعا من الدر وكواكب دراري مضيئة وعن كعب مثل نوره قال ضرب مثل
محمد كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب مثل لسانه وصدره وقلبه يكاد زيتها يضيء قال يكاد محمد يبين
للناس وان لم يتكلم وعن الضحاك بن مزاحم كانها كوكب دري قال لخلقتنا الكواكب من نار يقال لها دري فمن ثمه قال كوكب
دري وقد ذكرنا قول بعضهم في المشكوة قال بعضهم الكوة التي لا منفذ لها وقال بعضهم الفتيلة التي في جوف القنديل وقال

بعضهم القنديل نفسه وقال بعضهم القايم في وسط القنديل وهو موضع الفتيلة وقال بعضهم هي الحدايد التي يعلق بها القنديل
واما الزجاج فهي القنديل وان كان قوله مثل نوره اي نور المؤمن فليس ذلك وصف كل مؤمن ونعته ولكن وصف المؤمن الذي
يجتمع فيه جميع شرايط الايمان وجميع الاخلاق الحسنة والاداب لانه وصفه بظاهره وباطنه نفسه وجسده وقلبه وجميع اعماله
وافعاله لانه قال كمشكوة وهي قلبه فيها مصباح وهو صدره الذي في قلبه المصباح في زجاجة وهو الايمان الذي في صدره
ثم نعت الزجاجة فقال كانها كوكب دري اي مضيء وقال بعضهم من الدر فوصف الكل بالضياء والنور وظاهره الداخل منه
والخارج ونفاوته فهو المؤمن الذي يجتمع فيه جميع الشرايط والخصال المحمودة واما كل مؤمن فلا يحتمل وهذا اشبه الا ترى انه
ذكر نعت الكافر من بعد وخبثه حيث قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وان كان وصف محمد ففيه جميع ما ذكر ونعته
وان كان القران فهو كذلك ايضا وقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار التي ذكرنا يحتمل المؤمن ويحتمل محمد ويحتمل القران
ويحتمل ابراهيم في كل نور على نور وقوله يهدي الله لنوره من يشاء يحتمل يهدي الله لنوره محمد ويحتمل القران ويحتمل الايمان
والهدى وقال بعضهم نور على نور قال فالزيت نور والمصباح نور والقنديل نور وقال المؤمن وعمله نور وكلامه نور و
يحتمل قوله يهدي الله لنوره من يشاء اي بنوره وقال بعضهم الله نور السموات والارض يقول بنوره اضاءت السموات والارض على ما
ذكرنا مثل نوره يقول في القلب المؤمن وهو في حرف ابن مسعود رضي الله عنه في قلب المؤمن وهذا مثل ضربه للايمان والقران
والقلب حين يدخله الايمان والقران كمشكوة يعني الكوة فيها مصباح يعني الايمان والقران في زجاجة يعني القلب والمشكوة
الصدر فكما دخل هذا المصباح في الزجاجة فاضاء فكذلك اضاء القلب ثم خرج من الزجاجة فاضاء من المشكوة فكذلك اضاء الصدر
ثم نزل الضوء من الكوة فاضاء البيت فكذلك نزل النور من الصدر فاضاء الجوف كله فلم يدخله حرام والله اعلم وقوله ويضرب الله
الامثال للناس يحتمل ضرب الامثال لهم وجهين احدهما ضرب لافعالهم واقوالهم مثلا ليعرفوا مقاديرها في الحسن والجمال والعلو
قدرها من الجزاء والثواب وضرب الامثال لهم لا لنفس الكريمين المعظمين المستوجبين كل خير ليرغبوا في مثل ذلك فيستوجبوا
او لذلك وكان ضرب مثل الايمان او القران او محمد او ما كان على اختلاف ما قالوا بالانوار التي ضربها والله اعلم لما انه قد اقام
الحجج والبراهين على الايمان والقران ومحمد حتى صاروا كالانوار التي شبههم بها من الحسن والجمال والضياء اليها حتى يعرف حسن
هذه الانوار وبهاءها كل احد فعلى ذلك المضروب بها المثل صار في الحسن والبهاء والضياء بالحجج والبراهين كالانوار التي
لا يخفى حسنها وبهاؤها على احد وعلى نكرها الا معاند ومكابر وكما مثل الكفر والعناد من القبح والفساد والبطلان
كالظلمات التي ذكر بعضها فوق بعض وكالسراب والزبد الذي ذكر حيث قال والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة وكالظلمات التي ذكر حيث قال او كظلمات في بحر لانه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فقال ابن عباس رضي
الله عنهما كانها كوكب دري قال الانجم الخمسة كلهم دري زهرة وعطارد والمشتري وبهرام وزحل قال قتادة
الدري العظيم منير قال الكساي من قرا دري فهو حسنه وظهوره وارتفاعه يقول دري النجم وعرفان ظاهر في كلام العرب
ومن رفع الدال ومن لم يهمز فهو ينسبه الى الدر ومنهم من يرفع الدال ويهمز والحسن لغة وقال ابن عمرو بن العلا الدري
النجم الذي تراه يتلالا كانه يجيء ويذهب وقد روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل من اهل عليين
ليشرف على اهل الجنة فتضيء الجنة بوجهه كانه كوكب دري وان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما لمنهم وانعما وايضا دري
بالرفع وفي خبر اخر عنه ان اول زمرة تدخل الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر دري بالرفع والذين يلونهم على
اضوء كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان ادميتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم والذي نفس محمد بيده ما
فيها عزب وقوله توقد من شجرة مباركة اختلف في قراته بعضهم يوقد بالياء ورفعها ونصب القاف يقول المصباح يوقد
من قراها بالتاء ورفع الدال ونصب التاء رده على الزجاجة اراد توقد ثم طرح احدى التائين ومن قرا توقد بالتاء ورفعها
يعني الزجاجة التي توقد واهل مكة توقد بالنصب وتشديد القاف يعني المصباح يوقد فلذلك انتصب ومن قرا يوقد يعني
الكوكب او المصباح وقوله لا شرقية ولا غربية قد ذكرنا بعض اقاويلهم فيما تقدم لا كنا نزيد فيها شيئا قال قايل هي شجرة
ضاحية من حين تطلع الشمس الى ان تغرب ليس لها ظل شرقي ولا غربي وزيتها اصفى الزيت واعذبه واطيبه وقال قايل ليست
بشرقية يحوزها المشرق دون المغرب وليست بغربية يحوزها المغرب دون المشرق ولكنها بارزة في صحرا او راس جبل
تصيبها الشمس النهار كله وهو مثل الاول وقال الكساي ليست بشرقية وحدها ولا بغربية وحدها ولكنها شرقية وغربية
كما تقول لا ابنك ولا اتى فلانا له معنيان ان شئت كان معناه لا اتاني واحد منهما وان شئت كان معناه اتاني هما
معا ومثله والله لا اكل ولا اباكل زيد له معنيان وكان يقال رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ويحب الفتنة فالمال والولد قال
الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وهو يرجو الجنة ويخاف النار على ما فسرنا وقال بعضهم لا شرقية يقول لا تفيء الشمس
من اول النهار الى اخره ولا غربية عليها الظل من اول النهار الى اخره ولكنها شرقية وغربية يصيبها الظل والفيء يقول لا اخير
في شجرة في مفياة ولا اخير في شجرة في مضحاة وقايل يقول لا تطلع الشمس ولا تغرب وقايل يقول هي شجرة بالشام ليست بالمشرق
وليست بالمغرب والحسن يقول والله لو كانت هذه الزيتونة في الارض لكانت شرقية او غربية والله ما هي في الارض ولكن هذا

مثل ضربه الله تعالى للنور وهو هذا القرآن واما قوله نور على نور فقال بعضهم ايمان المؤمن نور وعمله فهو نور على نور وقال
بعضهم نور النار على نور الزيت فذلك نور على نور وهو نحو ما يعني الزيت وقال بعضهم نور النار ونور الزيت حين اجتمعا اضا
ولا يضي واحد بغير صاحبه كذلك نور القرآن ونور الايمان واذا اجتمعا لا يكون احدهما مضيئا الا بصاحبه وقال بعضهم ما ذكر
من نور الايمان والعلم ثم معنى تشبيه ما ذكر بالزيت لان الزيت اصفى شي واطهر واطيب شي واضوء للسراج كل المائع من الادام
والدواء وغيره **وقوله** في بيوت اذن الله ان ترفع اختلف فيه قال بعضهم ان ترفع اي تعظم ويرفع قدرها وهي المساجد
على غيرها من البيوت المسكونة يذكر اسم الله فيها والتسبيح والتنزيه من الاقذار والانجاس ومن الامور الدنيوية و
قال بعضهم قوله ان ترفع اي تبنى وتتخذ فان كان التاويل هذا ففيه الامر ببناء المسجد واتخاذها وان كان الاول ففيه
الامر بتعظيم المساجد ورفع قدرها بما ذكر من ذكر الله والتسبيح فيها ثم الاذن في هذا الامر لوجهين احدهما يحق اقامة
الجماعات فيها في هذه الصلوة المعروفة اذ الارض كلها في الاصل جعلت مسجدا حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت لي
الارض مسجدا وطهورا فهي من حق جواز الصلوة مسجد فيخرج الامر به مخرج الامر ببنائها لاقامة الجماعات والثاني امر بها خصوصا
للمساجد دون غيرها من البيوت المسكونة انما الحديث بين بالاذن والاباحة تخص المساجد بالاذن ببنائها خصوصا لما اذ لو كان
اذنا على ظاهر ما ذكر لكان المساجد وغيرها من البيوت سوا والله اعلم **وقوله** ويذكر فيها اسمه فان كان تاويل قوله ان ترفع
اي تعظم ويرفع قدرها فيكون ويذكر فيها اسمه يسبح له تفسيرا لذلك التعظيم والقدر الذي امر اي امر ان تعظم ويرفع
قدرها بذكر اسم الله فيها وما ذكر من التسبيح وان كان التاويل هو الامر بالبناء يكون قوله ويذكر فيها اسمه تسبيح له فيها
كذا على الابتداء اي امر ان يبنى بيوتا مساجد وامر ان يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والاصال ثم اختلف في تلاوة قوله
يسبح له قرء بعضهم يسبح له بنصب الباء وقرء بعضهم يسبح بخفض الباء ومن قرءها بالنصب صرفه على الاول يذكر فيها اسمه يسبح
بالغدو والاصال ثم ابتدأ فقال رجال لا تلهيهم تجارة ومن قرءها بالخفض على خفض الباء صرفه مقطوعا من الاول مبتدأ به
اي يسبح له فيها رجال بالغدو والاصال ثم ابتدأ من قوله لا تلهيهم تجارة ثم قوله ويذكر فيها اسمه جائز ان يراد بذكر اسمه
الصلوة ذكر ذلك بالتسبيح ويحتمل ان يريد بذكر اسمه جميع انواع الاذكار من الخير ويراد بالتسبيح بالغدو والاصال
الصلوة المفروضة ثم قال بعضهم الغدو صلوة الغداة والاصال صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فيجعل الاصيل
عبارة عن هذه الصلوة في اوقاتها وقال بعضهم الاصال صلوة العصر خاصة فاما غيرها من الصلوة فانما عرف لا بهذا
ولكن بشي اخر والغدو وهو صلوة الفجر والله اعلم **وقوله** رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع اي لا تشغلهم تجارة ولا بيع ذكر التجارة
والبيع تجارة ولكن كان اسم التجارة يجمع كل انواع التقلب واسم البيع يقع على خاص ولذلك يقال الذي يجمع انواع التقلب تاجر
وللذي يبيع شيئا خاصا بايع اخبر انه لا يشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم جائز ان يكون قوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله اي لا يشتغلون بالتجارة والبيع ولكن فرغوا انفسهم لذكر الله واقام الصلوة وما ذكر وجائز ان يكونوا يتجرون
ويبيعون لكن تجارتهم وبيعهم لا تشغلهم ولا تمنعهم عن ذكر الله يكونون ابدا في ذكر الله ثم قوله عن ذكر الله يحتمل الصلوة
وقوله واقام الصلوة اي اتمام الصلوة بركوعها وسجودها وقراءتها وجميع اسبابها وشرائطها وجائز ان يكون قوله عن ذكر الله
جميع انواع الاذكار واقام الصلوة اقامة الصلوة نفسها وايتاء الزكوة وقال بعضهم جائز ان يكون قوله عن ذكر الله الخطبة و
اقام الصلوة صلوة الجمعة لانه قال واذا رأوا تجارة الاية وقال اذا نودي للصلوة هي الخطبة غير مسموع من اهل التاويل ولكنه
والله اعلم **وقوله** يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وهو يوم القيمة يخبر عن شدة هول ذلك اليوم وخوفه
لا تثبت القلوب والابصار فزعا منه وخوفا كقوله مهطعين مقنعي رؤسهم الاية وكقوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين
وجائز ان يكون قوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار يعرفون مرة ويجهلون ثانية او يعتبرون يومئذ بما لم يعتبروا
في الدنيا ويقرون بما لم يقروا وقال بعضهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب حين زالت عن اماكنها من الصدور ونشبت
في حلوقهم عند الحناجر ثم قال والابصار ان تقلب ابصارهم فيكونوا زرقا وهو قول مقاتل **وقوله** ليجزيهم الله احسن
ما عملوا ويحتمل قوله ليجزيهم الله احسن ما عملوا اي يجزيهم الله جزاء احسانهم ويتجاوز عن مساويهم ولا يجزيهم بها كقوله
اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية وكقوله ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون **وقوله** ويزيدهم من فضله على
قدر حسناتهم والله يرزق من يشاء بغير حساب قال بعضهم ليس فوقه ملك يحاسبه فهو الملك يعطي من يشاء بغير حساب
لا يخاف من احد يحاسبه كقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويحتمل قوله بغير حساب اي يعطيهم بلا حساب يحاسبهم ويدخلهم
الجنة بلا محاسبة وجائز ان يكون بغير حساب اضعافا مضاعفة ما لا يحصى لا على قدر اعمالهم والله اعلم **وقوله** والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء جائز ان يكون في ضرب مثل اعمال الكفرة بالسراب الذي ذكر من وجهين احدهما
انهم قد عملوا في الظاهر اعمالا طمعوا ان يصلوا اليها في الاخرة وينتفعوا بها من نحو الصدقات والنفقات وصلة الارحام و
نحوه مما هي في الظاهر اعمال الخير فاذا هم حرموا ذلك ولم يجدوا شيئا كالذي يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فسار اليه
فاذا هو لا شي فعلى ذلك الكفار عملوا تلك الاعمال على طمع منهم انهم ينتفعون بها فاذا هم على لا شي كالعطشان الذي يرى

الشراب يحسبه انه ماء فاذا هو سراب والثاني في مثل اعمالهم بالسراب الذي ذكر وذلك انهم قد عبدوا الاصنام والاوثان رجاء
ان ينتفعوا بشفاعتهم في الاخرة كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانت
عبادتهم الاصنام لما ذكروا من شفاعتهم فاذا هم لم ينتفعوا بها فصاروا كالعطشان الذي يرى السراب يحسب انه ماء
فاذا جاءه لم يجده شيئا الى هذا تمام المثل ثم ابتدأ فقال ووجد الله عنده فوفيه حسابه اي وجد الله يوفيه حسابه
عمله وجزاءه او قدم على عمله يوم القيمة لم يجد عمله الذي عمل في الدنيا شيئا الا كما وجد هذا العطشان هذا السراب ووجد الله
عنده فوفيه حسابه يقول على الله فوفاه حسابه اي عمله وقال بعضهم هذا المثل ضرب للكفار وذلك انهم يبعثون
يوم القيمة وقد تقطعت اعناقهم من العطش فيرفع لهم سراب بقيعة من الارض فاذا نظروا اليه حسبوه ماء فاتوه ليشربوا
منه فلم يجدوا شيئا ويؤخذون ثمة فيحاسبون وكذلك اعمالهم تضمحل يوم القيمة فلا يصيبون منها خيرا **وقوله** او كظلمات في بحر لجي
يغشيه موج هذا مثل اخر ضربه الله لاحوال الكافر او كظلمات جسده شبهه بظلمات وذلك ان البحر اذا كان عميقا كان اشد ظلمة
فقال والبحر اللجي تعلوا الكافر بغشاء موج فوق الماء من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات فهو ظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة
السحاب هذه ظلمات بعضها فوق بعض فكذا الكافر قلبه في جسد مظلم في جسد مظلم لا يبصرون الايمان كما ان صاحب البحر اذا
اخرج يده في تلك الظلمة لم يكد يريها اي لم يرها البتة او ان يكون ضرب المثل بظلمات ثلث كظلمات احواله لا يزال يزداد ظلمة
ظلمة كفره في كل وقت وفي كل حال بعمله الذي يعمل كالظلمات التي ذكر فكان كضرب المثل الذي سبق لانوار احوال المؤمن
حيث قال مثل نوره كمشكاة او لنور جسده وصدره وقلبه ثم قوله او كظلمات ليس هو حرف شك ولكنه كانه قال ان ضربتم
مثل عمله بالسراب فمستقيم وان ضربته بالظلمات التي ذكر فمستقيم فايهما ضربت فمستقيم صحيح لا انفرادا او ذاتم ذكر في اعمال
الكفرة مثلين احدهما السراب والثاني الظلمات فجائز ان يكون في المؤمن ايضا مثلين الظلمة التي ذكر مقابل النور الذي
ذكر في المؤمن والسراب الذي ذكر لاعمالهم مقابل ما ذكر من اعمال المؤمنين حيث قال في بيوت اذن الله ان يرفع ويذكر
فيها اسمه الى قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب وقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال بعضهم من لم يجعل
الله ايمانا فما له من ايمان وقيل هدى فما له من هدى وهما واحد والاية على المعتزلة لانهم يقولون لم يجعل الله للمؤمن
من النور الا وقد جعل مثله للكافر وفي الاية اخبار انه لم يجعل للكافر النور اذ لو كان جعل للكافر كما جعل للمؤمن لم يكن لقوله
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور معنى دل انه لم يجعل للكافر النور وقوله فوفيه حسابه يقول في اداء بعمله ثم بطله
وقوله والله سريع الحساب قد ذكرنا في غير موضع قال القتبي السراب ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار والال
ما رأيته في اول النهار واخره الذي رفع كل شي والقيعة القاع وقال ابو عوسجة السراب الذي يثيره الحر فتراه كانه
ماء يجري وهو الذي يكون نصف النهار الى السماء والال في اول النهار الى قريب من نصف النهار والقيعة القاع وهي الارض
اليابسة الطيبة التي يستنقع فيها الماء وقاع واحد وقيعان جميع والظمآن العطشان وقوم ظماء وامراة ظمأى ونسوة ظماء
والظمآن عطشان وظماء ايضا بحر لجي الكثير الماء واللجة وسط البحر يغشيه موج اي يصير فوقه قال الموج طرائق في الماء
يكون اذا هبت الريح وقال الكسائي الظمآن والصديان والعطشان واحد والسراب قبل الزوال والال قبل الزوال وهو
ارفع من السراب والرقراق بعد العصر وقال بعضهم في قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها يقول لم يقاربه البصر كقول الرجل لم
يصب ولم يقارب **وقوله** الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض قوله الم تر والم تعلم ونحوه في الظاهر حرف تعجب
واستفهام يقول الرجل لاخر الم تر كذا والم تعلم كذا على التعجب وعلى الاستفهام لكنه يخرج من الله على وجهين احدهما
اي قد رأيت وعلمت اذ الاستفهام لا يجوز عنه والثاني على الامر اي اعلم ذره واراعي ما ذكرنا في غير موضع وقوله يسبح له
من في السموات والارض يحتمل يسبح من ذكر وجهين احدهما تسبيح تسبيح خلقه وصنعه اذ في خلقه كل احد دلالة وحدانيته
وتعاليه عن الاشباه وتنزيهه والشهادة له بالربوبية والتفرد بالالوهية لما كان يجعل الله تعالى في هذه الخلائق من الطيور
والدواب وغيرها معنى يسبحن له بذلك له بذلك يفهمون هم ذلك من انفسهم ويعرفون انه يسبح وان لم يفهم غيرهم من الخلائق
نحو ما ذكر من تسبيح الجبال والطير في قصة سليمان في قوله يا جبال اوبي معه والطير وقال في اية اخرى يسبحن بالعشي والاشراق
والطير محشورة كل له اواب ولو كان التسبيح ممن ذكر تسبيح خلقه لكان سليمان وغيره من الناس في ذلك شرعا سواء والعشي
وغيره من الاوقات سواء فدل تخصيص سليمان في ذلك وتخصيص الاوقات من بين غيرهم على ان تسبيح هذه الاشياء ليس تسبيح
خلقه ولكنه تسبيح عبادة بالمعنى الذي جعل له فيه وان لم يفهم غيره من الخلائق تسبيحهم الا ترى ان الله تعالى اخبر عن نملة
القول حيث قال قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الاية ثم معلوم انه لم يكن من النملة حقيقة قول كقول المميز و
المتمني ولكنه معنا فهمه منها ذلك فعلى ذلك الاول الا ترى انه اخبر عن نطق الجوارح وشهادتها عليه يومئذ حيث قال اليوم
تشهد عليهم الاية فيفهم هؤلاء من شهادة الجوارح عليهم ما لم يفهم غيرها حتى انكروا عليها ذلك دل ذلك انه ما ذكرنا وذلك جائز
ان يكون المعنى فيهم فهموه ولا يفهم غيرهم الا ترى ان الله جعل في شربة الماء معنى يحيي به كل شي اذا اصابه ووصل اليه
وذلك المعنى لا يعلمه الا الله او من اطلعه الله عليه وايضاه لنفسه رسولا فعلى ذلك تسبيح من في السموات والارض

والطير وغيره جعل في سريتهم معنى يعرفونهم من انفسهم ذلك تسبيحا له وان لم يفهم غيره والله اعلم كقوله وان من شيء
الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله يسبح له من في السموات حرف من انما يعبر به عن المميز وحرف ما يعبر به المميز وقوله
كل قد علم صلوته وتسبيحه قال بعضهم كل من فيها قد علم صلوته وتسبيحه من الملائكة وغيره بلغته ولسانه غير كفار الانس والجن
وجائز ان يكون قوله كل قد علم صلوته وتسبيحه ما ذكرنا ان كلا منهم يعرف ويفهم انه يسبح له وان لم يفهم غيره كانه يذكر
سلطانه وملكه وغناه عن عباده هؤلاء والتسبيح انه من سبح كل شيء في السموات والارض ترك عبادة هؤلاء له وعبادته بجهل
واحد لا ينفع ولا يضر وان يقولوا من له ملك السموات والارض لا ينفع له الحاجة الى عباده احد ولا طاعته وانما الحاجة والمنفعة
في الطاعة والعبادة لهم دون الله ولذلك قال والله ملك السموات والارض على اثر ذلك وقوله والله عليم بما يفعلون جائز
ان يكون هذا على الاول اي عليم بما يفعل من ذكر من التسبيح وغيره او ان يكون على ابتداء وعيد للخلق اي عليم بجميع ما يفعلون
وقوله ولله ملك السموات والارض والى الله المصير قد ذكر في غير موضع وقوله والطير صافات اي قد صف اجنحتها في الطيران
وكذلك قال ابو عوسجة اي صفت اجنحتها في الهواء فلا يحركها وقوله الم تر ان الله يزجي سحابا قيل يسوق سحابا ثم يؤلف بينه
اي بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما قال فيها تقديم وتاخير ثم يجعله ركاما اي قطعا يحمل بعضه على اثر بعض ثم يؤلف بينه
اي يضم السحاب بعضه الى بعض بعد الركام وقال بعضهم قوله يزجي اي يخرجه من الارض فيسيره بين السماء والارض ثم
يجعله ركاما وقوله فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله وقيل خلله اي من خلال السحاب وينزل من السماء من جبال فيها من
قال بعضهم جبال من ثلج وينزل الله على السحاب منها الثلج والبرد وقال بعضهم جبال خلقها الله من برد في السماء ثم ينزل وليس
في الاية بيان ان الجبال التي ذكر انه ينزل من السماء انها من ثلج او برد سوى انه اخبر ان فيها بردا فالاشياء تشبه بالجبال وتضرب بها
اما الكثرة واما للشدة والغلظ والعظم تاكيدا كقوله وترى الجبال تحسبها جامدة في الاية فجائز ان يكون الجبال المذكورة في هذه الاية
هي الجبال التي اخبر انه ينزلها اولا ان هي في السماء او فيما بين السماء والارض وقوله فيصيب به من يشاء في نفسه او زرعه او ثمره
فيفسده ويصرفه عن من يشاء فلا يصيبه وان كان على هذا فهو يخرج على التعذيب وكذلك على البرد يفسد في مكان ويترك
مكانا لا يعم ولكن يصيب مكانا ويخطي مكانا وجائز ان يكون قوله فيصيب من يشاء من بركته يكاد سنا برقه قيل ضوء
برقه كاد ان يقارب ان يذهب ضوء البرق بالابصار من شدة نوره يقلب الله الليل والنهار اختلافهما باتي بهذا
ويذهب بالاخر يذكر هذا والله اعلم صلة قوله ولله ملك السموات والارض الاية يخبر عن سلطانه وقدرته وتدبيره
وعلمه وحكمته ووحدانيته اما سلطانه وقدرته ما ذكر من سوق السحاب بين السماء والارض وتسخيره وضم بعضه
الى بعض دل ذلك انه قادر بذاته لا يعجزه شيء ودل نزول المطر واصابته في مكان دون مكان وتخطيه موضعا دون موضع
مع اتصال السحاب وانضمام بعضه على بعض على السواء انه على التدبير والعلم كان ذلك لا بطباع السحاب وعلى الجزاف ودل
جريان الامر واتساق التدبير فيما ذكرنا وفي اختلاف الليل والنهار وتقليبهما من حال الى حال من النقصان الى الزيادة و
من الزيادة الى النقصان واتصال منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما انه تدبير واحد لا عدد اذ لو كان تدبير عدد
لمنع بعض على بعض عما يريد من التدبير والنفع دل ذلك كله على انه واحد عليم قادر مدبر لا يعجزه شيء ولذلك قال ان في
ذلك لعبرة لاولي الابصار لما ذكرنا فيه من وجوه الاستدلال والاعتبار قال القتبي وابو عوسجة يزجي اي يسوق ركاما
بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله وخلله سنا برقه ضوءه قال ابو عوسجة والركام هو الكثير المتراكم
الذي بعضه فوق بعض يقال ارتكم الشيء اي صار بعضه على بعض ويقال ركمت المتاع اركمه ركما اذا جعلت بعضه فوق
بعض والودق المطر يقال ودقت السماء تدق ودقا اي مطرت يخرج من خلاله اي من بينه وواحد الخلال خلل يكاد سنا
برقه السنا مقصور وهو الضوء ويقال السنا النار وهو واحد وقوله والله خالق كل دابة من ماء هو والله اعلم صلة قوله
ولله ملك السموات والارض الاية ذكر السحاب وما فيه من التدبير والعلم والحكمة وذكر ايضا تقليبه الليل والنهار و
ما فيهما من التدبير والعلم والحكمة والقدرة فعلى ذلك قوله والله خالق كل دابة من ماء يذكر قدرته وسلطانه وعلمه و
تدبيره اخبر انه خلق الخلائق كلهم من هذا الماء على اختلاف اجناسهم وجواهرهم من شيء واحد دل انهم لم يكونوا بالطباع
كذلك ولكن بتدبير واحد عالم بذاته لا بعلم وتدبير مستفاد ولكن علم ذاتي اذ لو كانوا بالطباع لخرجوا على تقدير واحد
وصفة واحدة والثاني انه لا احد من حكماء البشر يدرك كيفية انشاء هذا العالم وخلق هذه الخلائق من هذه المياه
فادخل ذلك وليس في تلك المياه معنى ولا شيء من جوهر الخلائق دل انشاؤه اياهم انه قادر بذاته لا يعجزه شيء يخلق
بسبب وبغير سبب وانه خلق هذه الخلائق بحكمة ذاتية اذ لم يدرك ذلك حكماء البشر ودل خلق هذه الخلائق على
هذه المعاني والاسباب انه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهيهم فاذا ثبت الامر والنهي ثبت الاحياء من
بعد الممات للجزاء ودل قدرته على خلق هذه الخلائق من الماء انه قادر على الاحياء فانه لا يعجزه لان من قدر على هذه القادر
ما ذكرنا ثم وقوله فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين يذكر هذا والله اعلم لاحد وجهين اما يذكر اياه نعمه
ومنته وفضله الذي اعطاهم واحسانه الذي احسن اليهم لانه اخبر انه خلق هذا العالم معتدلا سويا من غير ان كان

منهم احيانا لذلك او يستوجبون ذلك قبله وخلق غيرهم من الدواب مكبين على وجوههم وماشين على بطونهم وذلك
فضل منه ونعمة او ذكر مثلا لحال الكفرة في الاخرة كقوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الاية اخبر ان الكفرة يكونون
مكبين على وجوههم واهل الاسلام يمشون منتصبين مستوين يخلق الله ما يشاء بسبب وبغير سبب ان الله على كل شيء
قدير لانه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة من غيره وقوله لقد انزلنا ايات مبينات الاية قد ذكرنا وقوله ويقولون
امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم اختلف فيه قال بعض اهل التاويل ابن عباس وغيره انه وقعت بين
علي بن ابي طالب وبين عثمان رضي الله عنهما خصومة في ارض اشتراها عثمان من علي فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك فقضى لعلي على عثمان والزمه الارض فقال قوم عثمان انه ابن عمه واكرم عليه منك فقضى عليك له ونحو هذا
من الكلام نزل في قوم عثمان ذلك الى اخر ما ذكر لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يكون عثمان وقومه يخطر ببالهم في رسول الله
ما ذكر وقال بعضهم نزل هذا في بشر المنافق وذلك ان رجلا من اليهود كان بينه وبين بشر خصومة وان اليهودي دعا
بشرا الى رسول الله ودعا بشر الى كعب بن الاشرف فقال اليهودي افكيف علينا ونحو من الكلام فنزل هذا لكنا لا نعلم انه فيمن
نزل سوى ان فيه بيانا انها انما انزلت في المنافقين وفي ظاهر الاية دلالة انهم علموا ان رسول الله لا يقضي الا بالحق
الا ترى انه ذكر في اخره وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اي مسرعين مطيعين ولو كان عندهم انه يقضي بالجور
لكانوا لا ياتونه للقضاء وان كان الحق لهم مخافة الجور والظلم عليهم لكن ما ذكر في سياق هذا يمنع هذا التاويل وهو قوله افي قلوبهم
مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في هذا من الدلالة ان عندهم انه لا يقضي بالحق لهم وانه يجور حيث
قال افي قلوبهم ام ارتابوا ان يخافوا ان يحيف الله عليهم ورسوله فمن كان على هذا الوصف فهو يخاف جوره وحيفه الا ان
يجعل الاية في فرق من المنافقين فرقة منهم عرفوا انه لا يقضي الا بالحق وفرقة منهم كان في قلوبهم مرض وفرقة ارتابوا
وفرقة خافوا جوره وهم كانوا فرقا الا ترى انه قال ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله ومنهم من قال كذا ومنهم
من قال كذا او ان يكون تاويل قوله وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اي وان يكن لهم القضاء بالحق اتوه مذعنين اي
اذا عرفوا انه يقضي لهم لا محالة اتوه والا لا ياتونه فان كان على هذا فما ذكر على سياقه من المرض والارتياب والخوف في
الحيف فيستقيم على هذين الوجهين يحتمل ان يخرج تاويل الاية واما على غير ذلك فانا لا نعلم والله اعلم وقوله وما اولئك
بالمؤمنين لان من ارتاب او شك في رسالته او خاف جوره وحيفه فهو كافر ليس بمؤمن وفي قوله افي قلوبهم مرض
ام ارتابوا ام يخافون يخرج على وجهين وان كان ظاهره حرف شك احدهما على الايجاب والتحقيق اي في قلوبهم مرض
وارتابوا وخافوا على ما ذكرنا في حرف الاستفهام انه في الظاهر وان كان استفهاما فهو في التحقيق علم وايجاب اي قد علمت
ورايت ونحوه لما لا يجوز استفهامه فعلى ذلك هذا والثاني ما ذكرنا انه في فرق فرقة عرفت انه لا يقضي الا بالحق وفرقة منهم
ارتابت وفرقة منهم خافت جوره وظلمه قال القتبي قوله مذعنين اي خاضعين وقال ابو عوسجة مسرعين مطيعين
يقال ناقة مذعان اي سريعة ونوق مذاعين والحيف الجور حاف يحيف حيفا فهو حائف وقوله واذا دعوا الى الله و
رسوله ليحكم بينهم قوله دعوا الى الله يحتمل اضافة الدعاء الى الله وجهين احدهما دعوا الى كتاب الله والى رسوله اذا فريق
موضوع كقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا والثاني اضافته الى
الله هي اضافة الى رسوله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله جعل طاعة الرسول طاعة الله فعلى ذلك جائز ان يراد با
باضافة الدعاء الى الله دعاء الى رسول الله وعلى ذلك يخرج قوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم
ورسوله لا يحتمل ان يكونوا يخافون حيف الله وجوره لكن انما يخافون جور رسوله ام كتابه والله اعلم وقوله انما كان قول
المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم قد ذكرنا اضافة الدعاء الى الله في قصة المنافقين ونعتهم فعلى ذلك في نعت المؤمنين
وقوله ان يقولوا سمعنا واطعنا يحتمل قوله سمعنا اي سمعنا الدعاء واطعنا الامر ويحتمل سمعنا اجبنا واطعنا الامر وجائز
ان يكون قوله سمعنا واطعنا ليس على حقيقة القول منهم والنطق به ولكن اخبار من الله تعالى عما هم عليه واعتقدوه اذ
كل مؤمن يعتقد في اصل اعتقاده طاعة الله وطاعة رسوله فيكون كما ذكر في اية اخرى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا هذا اخبار عما المطعوم ليس انهم قالوا باللسان انما نطعمكم لكذا ولكن اخبار عما في قلوبهم فعلى ذلك
الاول وقوله واولئك هم المفلحون المفلح هو الذي يظفر بحاجته دنياوية واخروية يقال فلان افلح اي ظفر بحاجته والله
اعلم وقوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه يحتمل قوله ويخش الله اي يخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه
فيما بقي من عمره او يخشى الله على ما يكون منه من التقصير والتفريط ويتقه ذلك وكل معصية الله ونحا نحوه فاولئك
هم الفائزون وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة فاولئك هم المؤمنون فهما واحد وقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم قال
بعضهم كل يمين بالله فهو جهد اليمين لانهم من عاداتهم انهم كانوا لا يحلفون بالله الا في العظيم من الامر والخطر فاما الامر الدون فانما
يحلفون بغيره فيكون على هذا كل يمين بالله فهو جهد اليمين ويحتمل ان يكونوا احلفوا ايمانا غليظة شديدة على ما يحلف الناس
في ايمانهم ربما فسمي ذلك جهد اليمين او ان يكون جهد اليمين ما ذكر على اثره وهو قوله لئن امرتهم ليخرجن فهو

ايمانهم والله اعلم وقوله لئن امرتهم ليخرجن قوله لئن امرتهم يحتمل وجوها يحتمل لئن امرتهم ليخرجن من ارضهم التي تخاصموا فيه
فيها اى ليخرجن ويسلموها الى خصمهم ويحتمل لئن امرتهم ليخرجن من جميع املاكهم وما تحويه ايديهم تعظيما لامرك واجلالا
تكيف له يتبعون لقضايك وينقادون لحكمك وجايز ان يكون قوله ليخرجن من المدينة بحيا لانهم وجميع حواشيهم الى
بلدة اخرى وقال بعضهم لئن امرتهم ليخرجن اى امرتهم اى يخرجوا الى الجهاد ليخرجن لانهم كانوا يتخلفون ثم امر رسوله الله ان
نهاهم عن القسم الذي اقسموا فقال قل لا تقسموا طاعة معروفة يقول الطيعوا وقولوا له المعروف وقال بعضهم قوله لئن
امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا اتم الكلام ثم قال طاعة معروفة وفى هذا الكلام حذف للايجاز يستدل بظاهره عليه كانت
القول كانوا انما نفوا ويحلفون في الظاهر على ما يضمرون خلافه فقيل لهم لا تقسموا هي طاعة معروفة صحيحة لا نفاق
فيها لا طاعة فيها نفاق وقال بعضهم لا تحلفوا ولكن هذه منكم للنبي طاعة معروفة حسنة وقال بعضهم طاعة معروفة
يقول طاعة يعرفونها طاعة بالقول والعمل لا تكونوا كاذبين فيها بالقول دون العمل وبعضه قريب من بعض ان الله خبير بما
تعملون فلا تقسموا وفيه دلالة اثبات رسالته لانهم كانوا يسرون ويضمرون فيما بينهم التولي والاعراض عن حكمه
ثم اخبرهم بذلك فاعلموا انه بالله عرف ذلك وقوله قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا اى تولوا عن طاعة الله و
طاعة رسوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم قال فانما على النبي ما امر بتبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم وامرتم من
الطاعة لله ورسوله ويحتمل فانما عليه اداء ما حمل من الفرائض وعليكم اداء ما حملتم وامرتم من الفرائض وجايز ان يكون
قوله فانما عليه ما حمل اى يسال هو ولا ياخذ بما عليكم تسالون انتم ولا تؤاخذون ايضا بما عليه انما يسال كل عما عليه
كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء والله اعلم وقوله وان تطيعوه تهتدوا لا شك
انهم ان اطاعوه اهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين ظاهره وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم قال بعضهم مكث رسول الله بمكة سنين من بعد ما اوحى اليه خايفا
هو واصحابه يدعون الناس الى الله سرا وعلانية ثم امر بالهجرة الى المدينة فكانوا بها خايفين يصبحون في السلاح
ويمسون في السلاح فقال رجل من اصحابه يا رسول الله اما يأتي علينا يوم نامن فيه ونضع فيه السلاح فقال رسول
الله لن تلبثوا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبيا ليس فيهم حديدة فانزل الله هذه الاية على اثر ما
ذكر وقال بعضهم لما صد المشركون رسول الله واصحابه يوم الحديبية وعد الله المسلمين ان يظهرهم وان تفتح لهم
مكة وقال تصديق ذلك ما ذكر في سورة الفتح وهو قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام الاية حتى قال في
اخر ذلك هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الاية وعد رسوله في القران انه يستخلفهم في
الارض ويبرئ فيها كما استخلف الذين من قبلهم فجعلهم خلفاء في الارض وقال قايلون كان وعده اياهم في التورية و
الانجيل والزبور انه يجعلهم خلفاء في الارض كما فعل بالذين من قبلهم ولكن كيف ما كان ذلك الوعد لهم في القران
وفي الكتب المتقدمة ففيه امران اثنان احدهما البشارة للمسلمين والحجة على الكافرين لانه وعد لهم الامن في النصر
لا يرجون ولا يطمعون النجاة فضلا ان يطمعوا الاستخلاف والتمكن في الارض واظهار الدين الذي ارتضى لهم وهو
الاسلام على الاديان كلها فاذا كان مثل ذلك الوعد والبشارة لا يطمع ولا يرجى في مثل ذلك الوقت والخوف علم انه انما
بشرهم بذلك بوحي من الله ووعده فكان ما وعد دل انه بالله وعد ذلك وبشر فذلك الحجة على اولئك وبشارة
للمؤمنين والله اعلم وقوله ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون قوله ومن كفر بعد ذلك ليس بشرط فيه لانه
لو كفر قبل ذلك ايضا فهو فاسق ثم من الناس من قال ومن كفر بعد هذه النعم التي انعمها عليهم ولم يشكروا عليها
فهو كذا وجايز ان يكون قوله ومن كفر بعد ذلك وليس له حرج وقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول فيما
امركم ونهاكم عنه لعلكم ترحمون اى ترجون هو ظاهر قد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع ثم قال لا تحسبن الذين كفروا
معجزين في الارض قال بعضهم معجزين اى فائتين في الارض هربا من عذابه فلا يدركهم وقال بعضهم سابقين في الارض
هربا ابينا حتى لا يجزون لجزهم وهو واحد وماويهم النار ولبئس المصير قد ذكرنا ايضا وقوله لا تحسبن كان رسول الله
يعلم انهم ليسوا بفائتين ولا سابقين عنه لكنه ذكر له هذا كما ذكر في قوله لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون هذا
واحد وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة حسب الذين كفروا ان يعجزوا الله في السموات والارض وان اختلفت الحروف فالمعنى
واحد والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم قال بعضهم ذكر ان
وامرته تسمى اسماء ابنت مرثد اتخذت طعاما لبني فجعل الناس يدخلون بغير اذن فقالت اسماء يا نبي الله ما اقبح هذا انه ليدخل
على الرجل وامرته بغير اذن وهما في ثوب واحد غلامهما المملوك فانزل الله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم وقال بعضهم نزلت
هذه في شان عمر بن الخطاب وهما ما قال وافقت ربي في ثلاث ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له
مدلج الى عمر بن الخطاب ظهيرة ليدعوه فانطلق الغلام ليدعو فوجده نائما قد اغلق عليه الباب فدق عليه الغلام
فاخبر انه في هذا البيت قال فدق الغلام الباب فلم يستيقظ عمر فرجع الغلام وردا لباب فقام من خلف وحرك

يستيقظ فقال الغلام اللهم ايقظه لي قال ودفع الباب ثم ناداه ودخل فاستيقظ عمر فجلس فانكشف منه شيء فراه الغلام
وعرف عمر ان الغلام قد راى ذلك منه فقال عمر وددت والله ان الله نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا ان يدخلوا هذه الساعات علينا
الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله فوجده قد نزل عليه هذه الاية وامر بالاستيذان على دخولهم في هذه الساعات لكن لا حاجة لنا
الى ان نعرف انها نزلت في شان فلان او فلان او في امر فلان وسببه سوى ان نعرف المودع فيها وما ذكر من انواع الاداب
والاحكام بالاستيذان المستاذن عليه لا المستاذن والساعات والاباء ومن يقول الصغار حيث قال ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
والذين لم يبلغوا الحلم وذلك الخطاب والله اعلم يخرج مخرج الامر للاباء والسادات بتعليم امور الدين والقيام بما يحتاجون اليه والتاديب
على ذلك ان اتوا انفسهم وكذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال مروا صبيانكم بالصلوة اذا بلغوا سبعا
واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع خاطب به الاباء والاولياء ان يامروهم بامور الدين امر عبادة والتعليم
لهم والتاديب ان امتنعوا عن ذلك ولم يخاطبهم في انفسهم لجهلهم وقلة معرفتهم بامرهم واذا بلغوا وعرفوا الامر والنهي
فعند ذلك خاطبهم بانفسهم بالاستيذان في انفسهم وما داموا صغارا خاطب به الاباء والاولياء لما لا يجرى عليهم القلم
وليس الخطاب والامر والنهي الاجرية القلم عليهم وترك الامر والخطاب لدفع القلم عنهم واما الامر للاباء لهم بذلك يخرج مخرج
الشفقة عليهم والقيام لبعض مصالحهم وذلك جايز ثم اختلف فيما ملكت ايماننا قال الجماعة هن النساء دون
الرجال واما الرجال فانهم يستاذنون في جميع الاوقات وقال بعضهم هم النساء والرجال جميعا والذي نهى عن الدخول في
هذه الاوقات الثلث اذ هي اوقات غرة وساعات غفلة للذكور والاناث جميعا ومنهم من يقول هم الكبار منهم دون
الصغار والاشبه ان يكون في الصغار منهم لان الكبار منهم والاحرار سواء في حظر النظر الى العورة واباحة الاثر
انه قال والذين لم يبلغوا الحلم منكم وهم الاحرار والصغار فعلى ذلك قوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الصغار منهم ثم
الساعات بتعليم ما ذكرنا من الامور والله اعلم وقوله والذين لم يبلغوا الحلم منكم هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله لم يبلغوا الحلم اى
لم يحتلموا ويحتمل والذين لم يبلغوا الحلم اى لم يبلغوا مبلغ الحلم بعد ما جعلهم في مراتب ثلث اعني الصغار في حال لا يؤمرون
ولا ينهون وهي الحال التي لا يميزون بين العورة وبين غير العورة وهو ما قال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
اى لا يعرفون العورة من غير العورة وحال يعرفون ذلك الا انه لا يقع لهم الحاجة اليها فيؤمرون بالستر عنهم وحال تقع الحاجة
اليها وقضاء الوطر فيؤمرون بالحجاب والتفريق في المضاجع والله اعلم وقوله ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون
ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم احدها اوقات عورات لكم وساعاتها ويحتمل ثلث عورات اى
ثلث حالات يظهر فيها العورة كقولك ان بيوتنا عورة اى ليس بمانع السراق عن السرقة فيها وفيه ان العمل بالاجتهاد في الاغلب
والاكثر من الراي والامر ليس على الحقيقة جايز لانه قد سمي ثلث عورات ونهى عن الدخول بلا استيذان وان كان يجوز ان يكون العورة
مستورة واباح في غيرها من الاوقات الدخول بلا استيذان ويجوز ان يكون هناك كشف العورة حيث قال ليس عليكم ولا
عليهم جناح بعدهن اى بعد ثلث ساعات طوافون عليكم بعضكم على بعض لكنه اباح وحظر بالاغلب والاكثر لا على الحقيقة
وهكذا العمل بالاجتهاد والله اعلم وقوله طوافون عليكم اى يخدمونكم بعد هذه الثلث ساعات يدخلون عليكم بغير اذن
بعضكم على بعض بالخدمة ولا اذن عليهم لما ذكرنا ان الاغلب ان تكون العورات مستورة في غير هذه الثلث ساعات وفي
ساعات وفي ثلث لا وقال القتبي الذين ملكت ايمانكم العبيد والاماء ثلث عورات لكم يريد هذه الاوقات لانها اوقات التجرد
وظهور العورة اما قبل صلوة الفجر فللخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار واما عند الظهيرة فلوضع الثياب للقيلولة واما
بعد صلوة العشاء فلوضع الثياب للنوم بعدهن اى بعد هذه الاوقات ثم قال طوافون عليكم يريد انهم خدمكم فلا باس
بان يدخلوا قال الله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون اى يطوف عليهم في الخدمة قال ابو عوسجة الظهيرة نصف النهار
وظهر يرجع وظهرت اى دخلت في الظهيرة وقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا فقد ذكرنا انه خاطب به الاولياء
في تعليم الاداب والامور الذين الصغار ولم يخاطبهم هو حيث ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم
واذا بلغوا خاطبهم بانفسهم حيث قال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا انه يحتمل واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
وجهين يحتمل اذا احتلموا ويحتمل اذا بلغوا وقت الحلم فالاول على حقيقة الاحتلام والثاني على قرب بلوغ الاحتلام وكان
الاول اشبه لانه خاطبهم في انفسهم وامرهم بالاستيذان فلو لم يكونوا بالغين لم يخاطبهم ولكن خاطب به الاولياء كما خاطبهم
في الاية الاولى وفيه دلالة ان الحد في بلوغ الصغير الاحتلام وعلى ذلك اتفاق القول منهم الا ترى انه قال فليستاذنوا كما
استاذن الذين من قبلهم يقول والله اعلم ما امر به قبل هذه الاية البالغين ان لا يدخلوا بيوتا حتى يستاذنوا على اهله او ان
يكون قوله كما استاذن الذين من قبلهم يعني الكبار ان يكون الاستيذان في الكبار دهرا وظاهرا وفي الصغار لا الا اذا بلغوا
ان يستاذنوا كما يستاذن الكبار منهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق ظاهر الاية وهو ما قال رفع القلم عن ثلث
احدهم الصبي حتى يحتلم واما اذا بلغ خمس عشرة سنة فقد اختلف اصحابنا فيه قال ابو يوسف ومحمد بالغ الحديث ابن عمر رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم اجازه في القتال وهو ابن خمس عشرة سنة ولم يجزه وهو ابن اربع عشرة سنة لكن ليس فيه انه اجازه

البلوغة ولم يجزه لانه لم يبلغ جايزا اجازته في العام الثاني لقوته وطاقته على القتال ولم يجزه في العام الاول لضعفه ووهنه
وعجزه عن القتال واحتج بعض مشايخنا رحمهما الله لقول ابي حنيفة في حديه ثماني عشرة سنة لبلوغ الغلام اذا لم يحتلم قال
لان الوسط من احتلام الغلمان ان يبلغوا خمس عشرة سنة وربما احتلم قبل ذلك وربما تاخر احتلامهم عنه ووجدنا المدة
فيمن نقصت سنه عن اثنتي عشرة ان لم يحتلم فجعل حد الزيادة على الخمس عشرة سنة التي هي وسط بين المختلفين ثلاث سنين
كما كان مقدار النقصان عنها ثلاث سنين وهذا القول من قوله استحسان والله اعلم وقوله كذلك يبين الله لكم اياته
والله عليم حكيم قوله كذلك يبين الله لكم اياته اعلامه اي يبين الله لكم الاعلام التي
يحتاجون اليها في دينهم فرق ما يسع لكم مما لا يسع ولا يتقي ما يتقي وقال بعضهم اياته ههنا امره ونهيه والله اعلم وقوله
والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا قال اهل التاويل قوله لا يرجون نكاحا اي لا يريدون نكاحا لكن الاشبه ان يكون قوله
لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن ان يرغب فيهن الرجال لكبرهن والا كن يردن النكاح وان كبرت وعجزت وقوله فليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وقال بعضهم ثيابهن الرداء وكذلك روي في حرف ابن مسعود انه قرا ان يضعن من
ثيابهن وهو الرداء وقال بعضهم هو الجلباب هو القناع الذي يكون فوق الخمار ولا باس ان تضع ذلك عند اجنبي وغيره بعد
ان يكون عليها خمار صفيق غير متبرجات بزينة تعلق والله اعلم من غير ان تكون وضعت الرداء والجلباب تريد بذلك اظهار الزينة والتبرج
وقوله وان يستعففن خير لهن اي وان لا يضعن ما ذكرنا من الثياب خير لهن من ان يضعن وقال بعضهم الخمار لكنه لا يحتمل
لانه معلوم ان المرءة وان كبرت وعجزت لا تكشف عورتها لاحد لم الزينة ربما تكشف للمحارم ولا تكشف للاجنبي وهو الراس
والصدر فاذا بلغت في السن مبلغا لا تطمع ان يرغب في نكاحها لا تتزين ومعها لا تفعل لا يحل للاجنبي ان ينظر الى شعرها
ولا الى صدرها ولا الى ساقيها وانها ان فعلت وراسها مكشوف فصلوتها فاسدة فاذا كان كذلك فليس يجوز ان
يحمل تاويل وضع الثياب الخمار لما ذكرنا ولكن الرداء والجلباب الذي يلبس اذا خرجن من منازلهن فان قيل لما اطلق لهما هذه
الاية ان تضع خمارها عن راسها اذ لم يرجها احد قيل للشابة ايضا يجوز لها ان تضع الخمار عن راسها اذا دخلت في البيت فذلك ليس
على ان العجوز اذن لها ان تضع ثوبها وهو الجلباب والملاءة الذي كانت تغطي بها وجهها اذا خرجت واذا كان المطلق لها هذا فالواجب
على الشابة ان لا تظهر وجهها اذا كانت تشتهى ولا يبديها فاذا كان ذلك قوله الا ما ظهر منها وهو الزينة التي لا يمكن سترها الخمار
وهو الكحل والله اعلم وقوله غير متبرجات بزينة قال بعضهم اي غير مظهرات محاسنهن وقال بعضهم غير متبرجات اي غير متزينات بزينة و
المتبرجة المتزينة لاظهار الزينة والزينة هي الداعية المرغبة الى النظر اليها وقضاء الشهوة فكانه اباح لها وضع الثياب اذا كانت
غير متزينة لذلك واباح لها ايضا اذا لم يكن بها محاسن يرغب فيها واذا كان بها ذلك لم يبح وقوله وان يستعففن خير لهن يحتمل وجهين
يحتمل وان يستعففن ولا يبدين محاسنهن خير لهن من ان يبدين ويحتمل وان يستعففن ولا يضعن ثيابهن حتى يكون ذلك علما
بين معرفة الحرة من الامة خير لهن من الوضع كقوله يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن انهن حراير فلا يؤذين
كما يؤذى الاماء والله اعلم وقوله والله سميع عليم كان قوله سميع ههنا صلة قوله ايضا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والابير
في هذه الاية ما يوصل به او ان يكون جوابا له قال ابو القتيبي القواعد من النساء هن العجز واحدها قاعد ويقال انما قيل لها قاعد
لقعودها عن الحيض والولد ومثلها ترجو النكاح اي تطمع فيه ولا اراها سميت قاعدا بالقعود عما ذكر الا انها اذا اسنت
عجزت عن التصرف وكثرة الحركة واطالت القعود فقيل لها قاعد بلا هاء ليدل بحذف الهاء على انه قعود كبر كما قالوا امرءة حامل
بلا هاء ليدل على انه حمل حبل وقالوا في غير ذلك قاعدة في بيتها وحاملة على ظهرها وقال والعرب تقول امرءة واضع اذا
كبرت فوضعت الثياب ولا يكون هذا الا في الحرة وقال ابو عوسجة غير متبرجات اي غير مظهرات محاسنهن والمتبرجة المتبرزة
باظهار الزينة وحاصل قوله ليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة يخرج على وجهين والله اعلم احدهما يكون
معنى قوله لا يرجون نكاحا غير متبرجات بزينة كل واحد من الحرفين يكون معناه معنى الاخر كقوله محصنت غير مسافحات اذا كن
محصنات كن غير مسافحات واذا كن غير مسافحات كن محصنات فعلى ذلك قوله لا يرجون نكاحا اذا كن لا يرجون النكاح كن غير متبرجات
والله اعلم لان التزين انما يكون منهن طمعا في النكاح والثاني يحتمل لا يرجون النكاح ويتزين ويتبرجن فقال ليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن غير مظهرات الزينة على هذين الوجهين جايز ان يخرج تاويل الاية وقوله وان يستعففن عن ذلك كله خير لهن
والله اعلم وقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض اشفاقا عليهم ورحمة يقال انه لا يبصر طيبا لطعام فلعله
ياكل الخبيث وانما اكل الطيب ويقول ان الاعرج لا يستوي جالسا اذا قعد فلا يقدر ان يتناول فيما التناول انا وان المريض لا
ياكل مثل ما ياكل الصحيح وكان الرجل لا ياكل من بيت ابيه ولا من بيت امه انما لم يكون فيه وكذلك ما ذكر الى اخره حتى يكونوا
فيه وكذلك الصديق وهولاء فانزل الله هذه الاية في رخصة ذلك كله وقال بعضهم ان هولاء الزمنى وفي العميان والعرج
والمرضى وذوي الحاجة منهم يستتبعهم رجال الى بيوتهم ويستضيفونهم فان لم يجدوا لهم طعاما او شيئا ياكلونه ذهبوا بهم الى بيوت
اباءهم ومن عدد معهم فكره ذلك المستتبعون التناول من غير بيوت اولئك بلا دعوة ولا اذن سبق منهم فانزل الله في ذلك
اباحة لهم ورحمة واحل لهم الطعام حيث وجدوه وقال ان الاعمى والاعرج والمريض وهولاء الذين كانت بهم زمانة كانوا

يتحرجون

يتحرجون من مواكلة الاصحاء مخافة ان يتقذروا منهم ويستقذروا ويقول الاعرج لا اواكل الناس لاني اخذ من المجلس مكان رجلين
واضيق عليهم وقال الاعمى اني افسد عليهم طعامهم وكذلك المريض منهم يقول مثل ذلك فانزل الله الرخصة في ذلك ورفع
عنهم الجناح في مواكلتهم فيقول لان الحق عليهم ان يترحموكم لما بكم من الزمانة وان يدعوا لكم بالرفع عنكم لا التقزز والاستقذار
عنكم وقال بعضهم ان الرجل الغني كان يدخل على الرجل الفقير والزمن فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لاجنح واخرج ان اكل
من طعامك وانا غني وانت فقير فانزل الله في ذلك ولا على انفسكم الى اخر الاية وقال بعضهم كان هذا في اهل الجهاد ان الرجل
كان يخرج الى الجهاد فيخلف اخر في منزله فيحفظ ماله واهله والقيام بحاجاتهم فكان يتحرج ولا ياكل من ماله شيئا ولا من طعامه
لما لم يسبق منه الاذن في ذلك فانزل الله في ذلك رخصة واباحة التناول من ذلك الى هذا انتهت اقاويل اهل التاويل
وتاويلهم والاشبه عندنا ان يكون تاويل الاية في غير ما ذهبوا اليه وهو ان يكون قوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج اي ليس على هولاء حرج ان ياكلوا من بيوت ابائهم وامهاتهم او بيوت اخوانهم او بيوت
اعمامهم الى قوله او بيوت خالاتكم لانهم انما ياكلون بالحق لان من كان زمانة كان له التناول من اموال من ذكر من الاباء والامهات
والقرابات اوتفرض لهم النفقة في اموالهم فيكون في ذلك دلالة وجوب النفقة لهم في اموالهم ويكون قوله ولا على انفسكم
جناح ان تاكلوا من بيوتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم اي لا باس ان تاكلوا من بيوتكم او ما ملكتم مفاتحه او من بيوت صديقكم
اذ ليس يباح للرجل التناول من مال نفسه ومن مال صديقه في حال عذر ولا يباح في حال الصحة والسلامة بل يباح في الاحوال
كلها دل ان التاويل الذي ذكرنا اشبه فيصرف تناول الزمنى في اموال القرابات بحق النفقة والحق ومن ليس به زمانة في ماله
ومال صديقه بحق الملك والصداقة ولا يرتفع القرابة ولا يزول صلتها ثم اختلف في قوله ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
قال بعضهم من بيوت اولادكم وقال بعضهم من بيوت ازواجهم ونسائهم وقال بعضهم من بيوت انفسهم وهو ما يجد الرجل
في بيته من طعام فانه لا باس ان ياكله وكذلك لا باس للرجل ان يتناول من بيوت زوجته لانه لم يذكر في الاية بيت الولد وبيت
الزوجة على الاشارة والنفس فيصرفون تاويل قوله ان تاكلوا من بيوتكم الى هولاء وقوله او ما ملكتم مفاتحه اي خزاينه
يحتمل العبد لان السيد يملك مال عبده ويحتمل الوكيل والحافظ ان ياكل من طعامه وادمه بغير اذن السيد ويحتمل قوله او
ما ملكتم مفاتحه السيد نفسه صاحب الخزاين وما لكها ثم ذكر الاكل من بيوت من ذكر على التاويل الذي ذكرنا واستدللنا
على ايجاب النفقة لهولاء الزمنى في اموال من ذكرنا من القرابات يخرج على وجهين احدهما ذكر البيوت لانهم اذا كانوا زمنى
يستوجبون السكنى ايضا مع النفقة فذكر البيوت لكونهم فيها وسكناهم معهم والثاني ذكر الاكل من بيوتهم لما يفهم
من الاكل الاخذ منها لانه ذكر في ايات الاكل والمراد المفهوم منه الاخذ كقوله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما وقوله لا تاكلوا الربوا مفهوم المراد من الاكل المذكور في هذه الايات
الاخذ لا الاكل نفسه فذكرها هنا الاكل من بيوتهم لما يفهم منه الاخذ كما فهم من ذلك وعلى تاويل اهل التاويل مستقيم
ظاهر ذكر البيوت اذ لا يجعلون ذلك الاكل والتناول منه اكلا وتناولا بحق وقوله ليس عليكم ان تاكلوا جميعا او اشتاتا
قال بعضهم ذكر هذا لان قوما كانوا لا ياكلون وحده ولا يرون ذلك حسنا في الخلق ويتحرجون ذلك حتى يكون معهم غيرها
فرخص الله تعالى لهم ذلك ورفع عنهم الحرج فقال ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا وعلى تاويل من يقول انهم
استضافوا قوما لم يجدوا في بيتهم شيئا ياكلونه ذهبوا بهم الى بيوت هولاء فيتحرج اولئك الاضياف الاكل من بيوت
من ذكر وارباب البيوت ليسوا فيها فرخص لهم في ذلك وعلى تاويل من يقول انهم كانوا يتحرجون الاكل مع هولاء
تقززا واستقذارا ترغبهم في الاكل مع اولئك وترك التقزز عن ذلك ويدل التاويل الاول ما روي عن اصحاب رسول
عن محمد بن علي قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى احدهم انه احق بالدنانير والدراهم من اخيه المسلم
قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم لياتين على الناس زمان يكون الدنانير والدرهم احب الى الرجل من اخيه المسلم وعن
ابن عمر قال لقد رايتني وما الرجل المسلم احق بدنانيره ودرهمه من اخيه المسلم فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على
انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض فصير المسلمين اجمع بعضهم لبعض كانفسهم كقوله ولا تقتلوا انفسكم اي لا
يقتل بعضكم بعضا وقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ونحو ذلك من الايات فصير بعضهم لبعض لانهم كشئ
واحد جعلهم بالرحمة بعضهم لبعض ويحزن بعضهم بحزن بعض ويسر بعضهم بسرور بعض ونحو فهم جميعا كشئ واحد وانفسهم جميعا
كنفس واحدة لذلك جعل السلام بعضهم على بعض في حق السلام واحدا ويجعل واحدا اخر وهو ان بعضهم اذا سلم على بعض يرد عليه
مثله فيصير كانه هو يسلم على نفسه وكذلك قوله ولا تقتلوا انفسكم احد اخر فيقتل به فيكون كانه قتل نفسه اذ لولا قتله اياه لم يقتل
وكذلك قوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل انه اذا اكل بالباطل بغير رضاه ضمنه فاذا ضمنه فكانه اكل مال نفسه بالباطل و
يحتمل انه اراد به السلام على انفسهم اي ليسلم كل على نفسه وان لم يكن فيه احد وكذلك روي عن ابن عباس قال اذا دخل المساجد
اذا دخلتها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعلى ذلك روت الاخبار من دخل بيتا او مسجدا ليس فيه احد فليقل
السلام علينا من ربنا والسلام على عباد الله الصالحين وعلى ذلك جائز ان يكون قوله لا تقتلوا انفسكم بترك الانفاق عليها

وكذلك قوله لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وجائز ان يراد بالانفس اهليهم اى سلموا على اهليكم وهو الاولى ثم اختلف فى السلام قال بعضهم السلام من السلامة اى عليك السلامة من جميع الافات والنكبات وقال بعضهم السلام هو اسم من اسماء الله فتاويله عليك اسم الله الذى لا يضر معك شئ ولا يلحقك به اذى كقوله بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء **وقوله** تحية من عند الله التحية كانها الكرامة كانه قال كرامة من عند الله لكم وقوله مباركة المباركة هو الذى ينال به كل خير وبر وان يسمى مباركا لما ينمو الشئ ويذكو **وقوله** طيبة اى ما يستطيب به كل احد وقال بعضهم طيبة اى حسنة فتاويله ما يستحسن به كل احد وقال بعضهم قوله تحية من عند الله يقول سلام من امر الله لكم مباركة بالاجر طيبة بالمغفرة والله اعلم **وقوله** وكذلك يبين الله اى مثل الذى يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون اى كى تعقلون ما لكم وما عليكم وما لبعضكم على بعض وقوله بيوتكم ما ذكرنا قال بعضهم البيت المسكونة كقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم **وقوله** انما المؤمنون الذين امنوا بالله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه وقال فى اية اخرى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية وقال فى اية اخرى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا هذا والله اعلم ليس ما ذكر من الاستيذان وترك الارتياب وزيادة الايمان بالتلاوة ونحوه شرط الايمان ولكن والله اعلم ان الاول بالمؤمنين هذا ان لا يذهبوا حتى يستاذنوا رسوله وان لا يرتابوا وان يجاهدوا وان يزدادوا لهم بالتلاوة ما ذكر ليس على جعله شرطا بالايمان ولكن ما ذكرنا من الاولى بهم والاختيار لهم ما ذكر والله اعلم ثم ذكر فى هذه الاية ان المؤمنين لا يذهبون عنه ولا يفارقونه الا بالاستيذان منهم من رسول الله وذكر ان المنافقين يذهبون ويفارقونه تسللا ولواذا حيث قال قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وقال فى اية اخرى لا يستاذنك يؤمنون بالله واليوم الاخر ذكر انهم لا يستاذنونه وانما يستاذنك المنافقون بقوله انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فهذه الايات فى ظاهر المخرج مختلفة وان كانت فى المعانى المدرجة فيها موافقة فهذا يبطل قول من يحتج بظاهر المخرج اذ الملحدة انهم اعتقاد تعود هو مختلف فى الظاهر وانه من عند غير الله لوجد وافيه اختلافا كثيرا فدل ما ذكرنا ان الاحتجاج بظاهر المخرج باطل والا فاسد خيال ثم جائز ان يكون ما ذكر من استيذان المؤمنين وترك الاستيذان او تلك للخروج منه لا الاستيذان المؤمنون للخروج الا بعذر واولئك يستاذنون للخروج لا للعذر كقوله تعالى ان بيوتنا عورة وما هى بعورة واما المؤمنون فلا يستاذنون الا بعذر وان يكون ذلك فى نوازل مختلفة او فى فرق او ان يكون المؤمنون يظهرون له عذرهم ويفوضون امورهم الى رسول الله على ان ينظر فى ذلك فان راى الصواب ان ينصرف انصرفهم وان راى الصواب الكون والمقام معه اقاموا معه والمنافقون لا على ذلك كانوا يفعلون على هذا والله اعلم جائز ان يخرج تاويل الايات التى ذكرنا ثم قوله وان كانوا معه اى مع رسول الله على امر جامع اختلف فيه قال بعضهم يوم الجمعة ويوم العيد وقال بعضهم فى الغزو والجهاد فى سبيل الله ويخبر ان المؤمنين يكونون معه لا يذهبون عنه الا باذنه والمنافقون يتسللون ويذهبون مستخفين منه او يقعدون ويخرجون من عنده واسلم واذا كانوا معه على امر جامع اى على امر طاعة لم يذهبوا حتى يستاذنوه وقال بعض من اهل التاويل هذه الاية نسخت الاية التى فى سورة براءة حيث قال فى ذلك عفا الله عنك لم اذنت لهم لانه قال فى سورة النور فاذن لمن شئت منهم اذن له بالاذن لهم فى هذه الاية وغيره فى ذلك بالاذن لهم لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم الامر بالاستغفار لهم يخرج مخرج الامر بالتشفع لهم **وقوله** لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا يحتمل وجهين احدهما لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا يحتمل وجهين احدهما لا تجعلوا دعاء الرسول اياكم الى ما يدعوكم اليه كدعاء بعضكم بعضا مرة تجيبونه ومرة لا تجيبونه كما يجيب بعضكم بعضا اذا دعاه مرة ولا يجيب تارة بل اجيبوا رسول الله فى جميع ما يدعوكم اليه وفى كل حال تكونون والثانى لا تجعلوا دعاءكم الرسول اذا دعوتموه كما يدعو بعضكم بعضا يا فلان ويا فلان ولكن ادعوه باسم هو مخصوص به يا رسول الله ويا نبى الله على ما اخرجه مخصوص من بينكم ليس كذلكم فمن ذلك فى الدعاء والاجابة اجعلوه مخصوصا تعظيما له واجلالا لخصوصية له وتفضيله وهو ما ذكر فى اية اخرى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض **وقوله** قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال بعضهم ان المنافقين اذا كانوا فى امر جامع فيسمعون رسول الله يذكرهم ويسابّهم وعيوبهم فيتسللون كراهية لما سمعوا يلوذ بعضهم ببعض وقال بعضهم نزل هذا فى المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون من عنده بغير استيذان منهم اياه **وقوله** لواذا اى يستترون بالشئ ويلوذ بعضهم ببعض ويستتر بعضهم ببعض ويخرجون **وقوله** فليحذر الذين يخالفون عن امره يحتمل قوله يخالفون عن امره اى يخالفون امره وحرف عن يكون صلة فيه وجائز ان يكون على ظاهر ما ذكر يخالفون عن امره فان كان على هذا كانه قال يخالفون عن امره اى يعدلون عن امره ويزيغون عنه كقوله ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير **وقوله** ان تصيبهم فتنة يحتمل الفتنة الكفرة ويحتمل الفتنة القتال والتعذيب فى الدنيا او يصيبهم عذاب اليم فى الاخرة والله اعلم **وقوله** الا ان لله ما فى السموات والارض ليس ههنا ما يستقيم ان يجعل قوله الا ان لله ما فى السموات والارض صلة له الا ان يجعل ذلك صلة قوله من يجعل له الولد والشريك او صلة قوله ما هذا الا بشر مثلكم فيقول من له ما فى السموات والارض لا يحتمل ان يقع الحاجة الى الولد والشريك ومن له ملك ما فى السموات والارض يختار لرسالته من يشاء بشرا او ملكا ليس لاحد القول فى ذلك والله اعلم **وقوله** يعلم ما انتم عليه هذا وعيد منه واعلام انه مراقبهم مطلع عليهم فى جميع احوالهم ليكونوا ابدا على حذر ولان من

علم ان عليه رقيبا وحافظا كان انبه وايقظ واحذر ممن لم يعلم ذلك او ان يكون على علم باحوالكم وما انتم عليه من الخلاف لامره عليكم وارسل اليكم رسولا لا على جهل بذلك وغفلة او يؤخر عنكم العذاب على علم بما انتم عليه لليوم الموعود لا بسهو وغفلة كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الاية فعلى ذلك قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا اى انما يؤخر ذلك عنهم الى يوم المرجع اليه فعند ذلك ينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم قال ابو عوسجة يتسللون اى يذهبون مستخفين ويقال انسل الرجل اى انسرق من الناس اى فارقهم ولا يعلمون به والتسلل من الجماعة وقوله لواذا اى يلوذ لا ذمنى واختفا ويقال لاذ بى اى استتر بى وقال القتبى قوله يتسللون منكم لواذا اى من يستتر بصاحبه فى انسلاله ويخرج يقال لاذ فلان ولواذ مصدر

بسم الله الرحمن الرحيم **وقوله عز وجل** تبارك قال اهل التاويل تبارك من تفاعل وهو من تعالى لان البركة هى اسم كل رفعة وفضيلة وشرف فكان تاويله تعالى من العلا والارتفاع وقال اهل الادب تبارك هو من البركة والبركة هى اسم كل فضل ودر وخير اى به ينال كل فضل وشرف وبر قال ابو عوسجة هو تنزيه مثل قولك تعالى وقال الكسائى والقتبى هو من البركة وهو ما ذكرنا **وقوله** نزل الفرقان على عبده سماه فرقانا قال بعضهم لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام وبين ما يؤتى وما يتقى وعلى هذا جائز ان يسمى جميع كتب الله التى انزلها على رسله فرقانا لانها كانت تفرق بين الحق والباطل وبين ما يحل وما يحرم وبين ما يؤتى وما يتقى ولذلك سمى التورية فرقانا بقوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان واما القران هو من قرن بعضه الى بعض يقال قرنت الشئ اذا ضممته اليه قرن يقرن قرنا وقال بعضهم سمى القران فرقانا لانه انزل بالتفاريق مفرقا وسائر الكتب انزل مجموعة لكن الوجه فيه ما ذكرنا بديا وهو اقرب واشبه **وقوله** ليكون للعالمين نذيرا جائز ان يكون قوله نذيرا للعالمين اى القران الذى انزله عليه يكون نذيرا لمن ذكر ويحتمل قوله ليكون للعالمين نذيرا اى ليكون محمد بالقران الذى انزل عليه نذيرا كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وكقوله واوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ اى من بلغه القران من الخلق فرسول الله نذير ثم **وقوله** للعالمين جائز ان يراد به الانس والجن ثم ذكر النذارة فيه ولم يذكر البشارة فان كان على هذا فهو حجة لابى حنيفة رحمه الله ان ليس للجن ثواب اذا اطاعوا سوى النجاة من العقاب ولهم عقاب بالاجرام لان الله تعالى لم يذكر لهم الثواب فى الكتاب وذكر لهم العقاب بالعصيان حيث قال يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا به يغفر لكم الاية جعل ثوابهم نجاتهم من عذاب اليم وجائز ان يكون فى النذارة بشارة ايضا ما كان وما يكون الى يوم القيمة لانهم اذا اتقوا مخالفة الله ومعاصيه كانت لهم العاقبة فلهم بشارة فى ذلك ونذارة كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **وقوله** الذى له ملك السموات والارض جائز ان يكون قوله له ملك السموات والارض صلة قوله تبارك الذى نزل الفرقان ووجهه والله اعلم اى تعالى من ان يكون النذير الذى بعثه لحاجة نفسه لجر منفعة اليه او لدفع مضرة عنه على ما يبعثه ملوك الارض من الرسل لحوائج انفسهم اما لجر منفعة اليهم او لدفع مضرة عنهم ولكن انما بعث النذير والبشير الى الخلق لمنافع انفسهم اذ لا يحتمل ان يكون من له ملك السموات والارض ان يبعث النذير والبشير لمنافع نفسه وحاجته لغناه واما ملوك الارض لا يملكون ذلك فلما يرسلون ويبعثون من الرسل انما يبعثون ويرسلون لمنافع انفسهم وحوائجهم لدفع مضرة او جر منفعة وجائز ان يكون قوله تبارك اى تعالى من ان يتخذ ولدا او شريكا فى الملك على ما نسبوا اليه من الولد والشريك فقال تعالى من ان يكون له الولد او الشريك اذ له ملك السموات والارض فالولد فى الشاهد انما يتخذ لاحدى خلال ثلاث وقد ذكرنا وبعد فان الولد فى الشاهد انما يكون من جنس الوالد ومن جوهره ويكون من اشكاله وكل ذى شكل وجنس يكون فيه منقصة وافة وكذلك الشريك انما يكون من جنسه ومن شكله وانما يقع الحاجة الى الشريك اما لعجز وافة فاذا كان الله سبحانه له ملك السموات والارض وحوائجهما فانى يقع له الحاجة الى الولد والشريك **وقوله** وخلق كل شئ فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه اخبر كل شئ وعلى قولهم اكثر الاشياء لم يخلقها من الحركات والسكون والاجتماع والتفرق وجميع الاعراض لانهم يقولون انها ليست بمخلوقة لله ولا صنع له فيها **وقوله** فقدره تقديرا جائز ان يكون قوله فقدره تقدير الحكمة او قدره تقدير الوحدانية والوهبة وقدره تقديرا اى جعل له حدا وجميع الخلائق على ذلك ما عرفوا قدره ولا حده من صالح وغيره ما لو لم يقدر ذلك لفسد **وقوله** واتخذوا من دونه الهة اى معبودا ثم تسميته اياها يعنى الاصنام التى عبدوها الهة على ما عندهم وفى زعمهم انها الهة والاله عند العرب المعبود يسمون كل معبود الها وكذلك قوله فراغ الى الهتهم عندهم وفى زعمهم وقول موسى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا فى زعمهم وعندهم ان كل معبود اله والا فدعاهم بتسميتهم الاصنام الهة ثم بين سفههم وقلة فهمهم فى عبادتهم الاصنام وتسميتهم اياها الهة حيث قال لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اى يتركون عبادة من يعلمون انه خالق كل شئ ويعبدون من يعلمون انهم لا يخلقون وهم يخلقون ويتركون عبادة من يعلمون انه يملك النفع والضر ويعبدون من لا يملك النفع لهم ولا الضر ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اى يعبدون من يعلمون انه لا يملك النفع لهم ان عبدوه ولا الضر ان تركوا عبادته ولا يملكون النفع والضر لانفسهم ايضا وهو قوله ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا لغيرهم فعلى هذا الظاهر يحتمل ان يكونوا سموا انفسهم الهة لا الاصنام لانهم يملكون ضر الاصنام ونفعها والاصنام لا تملك لهم ولا لانفسها وقال

بعضهم في قوله لا يملكون موتا اى الموت الذى كان قبل ان يخلق الناس كقول الله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا واما قوله
ولا حيوة يقول لا يملكون ان يزيدوا في هذا الاجل الموجل ولا نشورا اى بعثا بعد الموت وقال بعضهم لا يملكون ان يميتوا احيا قبل
اجله ولا حيوة ولا يحيون ميتا اذا جاء اجله ولا نشورا اى بعثا على ما ذكرنا وبالله العصمة وقوله وقال الذين كفروا
ان هذا الا افك افتراه يعنون هذا القران الذى انزل على رسول الله وكان يقرءه عليهم يقولون ما هذا الا افك اى كذب افتراه
من تلقاء نفسه ويخترعه من نفسه ان اهل الشرك كانوا يكذبون الانبياء والاخبار من غير ان كانت لهم اسباب التى بها
يوصل الى معرفة صدق الاخبار وكذبها وذلك كانت عادتهم وهمتهم والاسباب التى يعرف بها صدق الاخبار وكذبها
هى الكتب السماوية والرسل التى نطقوا عن وحى السماء فكفار مكة لم يكن واحد من هذين فكيف ادعوا على رسول الله
اختراع هذا القران واختراعه عن نفسه وانه مفترا على غير كون اسباب معرفة الكذب والصدق لهم فى الاخبار مع ما ظهرت
لهم ايات رسالته واعلام صدقه فى الاخبار حيث لم يوخذ عليه كذب قط ولا راوه اختلف الى احد من اهل الكتاب ولا كان
يحسن ان يخط بيمينه كتابا وما قرع اسماعهم من اول الامر الى اخر الابد قوله فاتوا بسورة من مثله وقوله فاتوا بعشر سور مثله
مفتريات فدل عجزهم وترك تكلفهم ذلك على انهم عرفوا انه من عند الله وانهم كذبة فى قولهم انه افك مفترى وقوله واعانه
عليه قوم اخرون وقالوا انه افك مفترى واعانه على ذلك قوم اخرون فى افترائه واختراعه وهم قوم من اهل الكتاب اسلموا وقد
كانوا يجدونه فى التورية والانجيل نعته وصفته وما كان انباهم رسول الله وتخبرهم من الانباء المتقدمة والاخبار الماضية فا
ذاخبروهم بذلك حين سالهم اولئك المشركون عما يخبرهم رسول الله وقالوا انه كما يقول وانه صادق فى ذلك كله وانا نجد ذلك
فى كتابنا فلما سمعوا اولئك من اهل الكتاب ما سمعوا من تصديقهم اياه عند ذلك قالوا واعانه عليه قوم اخرون ثم اخبر انهم جاؤا ظلما
وزورا اما قوله ظلما لانهم كذبوه وانه مفترا من غير ان كان لهم اسباب معرفة الكذب والصدق فهو ظلم حيث وضعوا ذلك في غير
موضعه واما قوله وزورا لانهم قالوا انه مختلف وانه سحر وانه انما يعلمه بشر وانه اعانه عليه قوم اخرون وانه اساطير الاولين اكتتبها
فهى تملى عليه بكرة واصيلا فقد ظهر كذبهم بهذا فيما بينهم لانهم متى رواه اختلف الى واحد منهم يعلمه ذلك او متى راوه كتب شيئا
قط او يحسن الكتابة قط وقولهم اساطير الاولين فاذ عرف تلك الانباء والاحاديث التى كانت من قبل ولا شك انها لم تكن بلسانه
وانما كانت بلسان اولئك ثم الاخبار عما فى كتبهم بلسانه انما عرف ذلك بالله وقوله فهى تملى عليه بكرة واصيلا قال اهل التاويل
غدوا وعشيا فلو كان على ذلك لكانوا يحضرونه فى البكرة والعشى فيسمعونه ويشاهدونه ما يملى عليه اذا لوقت الحضور ولكن
عندنا كانهم ارادوا بالبكرة والعشى اول الليل واخره الاوقات التى هى ليست باوقات الحضور والجلوس يقولون يا تونه سرا
فتملى عليه وتعلم فلو كان ذلك ايضا لكانوا ارقبوه وتحفظوه سرا لعرفوا ذلك ويشاهدوه فاذ لم يفعلوا ذلك دل انهم كانوا
يعرفون صدقه انهم كذبة فى زعمهم لكنهم كابروه وعاندوه فى ذلك ثم اخبر انه انما انزله عليه الذى يعلم السر فى السموات والارض حيث
قال قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ليس بمختلق منه ولا مفترى ثم قوله يعلم السر فى السموات والارض اى يعلم الاعمال
الخفية والسرية من اهل السموات والارض اى يعلم الكوائن التى فى السموات والارض وخفيانها وقال بعضهم قوله قل انزله الذى يعلم
السر اى قل لهم يا محمد انزله اى هذا القران الذى يعلم السر وذلك انهم قالوا بمكة سرا ما هذا الا بشر مثلكم فانه بشر مثلكم فانه بشر
مثلكم بل هو ساحر افتاتون السحر وانتم تبصرون ففى ذلك دلالة اثبات رسالته لانهم قالوا سرا فيما بينهم ثم اخبرهم بذلك دل انه بالله
عرف ذلك وقوله انه كان غفورا رحيما فى تاخير العذاب عنهم رحيما حين لا يعجل عليهم بالعقوبة اذا تابوا ورجعوا عن التكذيب الى التصديق
على ما ذكرنا وقوله انه كان غفورا رحيما فى تاخير العذاب يحتمل قوله غفورا رحيما اذا تابوا عن ذلك وامنوا به ورجعوا الى الحق او غفورا رحيما
لا يعجل بالعقوبة اى رحمته وفضله لا يعجل بعقوبتهم لعلهم يتوبون وقال القتبى تبارك تفاعل من البركة وكذلك قال الكسائى
وقد ذكرنا ذلك وقال ابو عوسجة تبارك مثل قولك تعالى على ما ذكرنا وقال الفرقان هو الحق فرق بين الحق والباطل والقران هو من قرن
بعضه الى بعض والزبور هو اسم كتاب والزبر جمع زبرت كتبت والزبر قطع الحديد كقوله اتونى زبر الحديد اى قطع الحديد الواحدة
زبرة والتورية اسم كتاب لا اظنه بالعربية قال ابو معاذ الاساطير الاحاديث واحدها اسطورة كارجوزة واراجيز واحدوثة
واحاديث واعجوبة واعاجيب وفى حرف حفصة وهى تتلى عليه وهما لغتان وفى سورة البقرة ان يمل هو فليملل وليه بالعدل وقوله
وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق كان الكفرة يطعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيئين احدهما انه
من البشر بقولهم ما هذا الا بشر مثلكم وان انتم الا بشر مثلنا كانوا لا يرون ان يكون من البشر رسول كقوله وقالوا لولا انزل عليه ملك
الاية وقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ونحو ذلك والثانى كانوا يطعنون بالفقر والحاجة وصفاته اليه حيث قالوا او
يلقى اليه كنز او تكون له جنة وحيث قالوا ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق كانهم ينكرون الرسالة فى الفقراء وذوى الحاجة ويرونها
فى ذوى الملك والاموال ولذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فمعنى ذلك قولهم ياكل الطعام كما ياكل الفقراء
ويمشى فى الاسواق فى حوائجه كما يمشى الفقراء لو كان رسولا لكان ملكا غنيا ياكل الطعام الملوك ولا يقع له الحاجة الى يمشى فى
الاسواق فى حوائجه فاجاب لهم فى طعنهم فيه انه بشر مثلهم وانكارهم الرسالة فى البشر بوجوه احدها قوله لولا انزل عليه ملك
قال ولو انزلنا ملكا لقضى الامر الاية معناه والله اعلم انه لا ينزل الملك الا بالعذاب فلو انزل لانزل بالعذاب فاهلكوا والثانى ما

قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا تاويله والله اعلم انه لم يجعل فى وسع البشر رؤية الملك على صورته وعلى ما هو عليه لان جوهر
هذا غير جنس وذلك وجوهرهم غير جوهر ذلك ولو جعلناه هكذا لكان لبسنا ما كان يلبس ولتلك القادة على الاتباع كقولهم انه
ساحر وانه كذاب وانه مجنون فكان فى ذلك تلبيس عليهم والثالث قال قل لو كان فى الارض ملائكة الاية اى لو كان اهل الارض
لكنا انزلنا عليهم بالرسول ملكا من جنسهم وجوهرهم لانهم اعرف بهم واطبع لهم فما عندهم ممن هو من غير جوهرهم وجنسهم فاذا كان
اهل الارض بشرا فالرسول اذا كان منهم فهم اعرف به وصدقه اظهر عندهم وقلوبهم اليه اميل الى من هو من غير جنسهم واجاب
لطعنهم فى اكله ومشيه فى الاسواق حيث قال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فى حوائجهم
اى غيره من الرسل الذى تؤمنون انتم بهم كانوا فقراء ياكلون الطعام ويمشون فى حوائج انفسهم فلم يمنع ذلك عن ان يكونوا موضعا
لرسالته ففى ذلك محمد والفقر وذو الحاجة احق ان يكون موضعا لرسالته من الغنى المثرى لان الناس يتبعون الغنى ومن له
الملك والثروة فلو كان الرسول غنيا مثريا ملكا لكان لا يظهر متبع الحق من غيره واذا كان فقيرا محتاجا لظهر ذلك اللهم الا ان يكون
ملكا هو اية الرسالة نحو ملك سليمان داود وذلك لنفسه اية لرسالته على ما قال وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى والله اعلم
وقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا كانهم قالوا ذلك لما نزل قوله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
قالوا عند ذلك لولا انزل اليه ملك الاية وقالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها عند سماع قوله الذى له ملك
السموات والارض اى قالوا لو كان محمد رسول من له ملك السموات والارض ونذير العالمين على ما يقول لكان انزل معه ملك
نذيرا ولكان اعطى هو كنزا اى مالا او تكون له جنة ياكل منها على ما يكون لرسل ملوك الارض لكن الجواب لهم ما ذكر تبارك
الذى جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار الاية لو شاء اعطاك خيرا مما يقولون من البستان والقصور على ما اعطى
لكن ليس فيما منع منقصة لك ولا فيما اعطاهم فضيلة وقوله وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا لانه كان
عادتهم بنسبة الرسول الى السحر والجنون والكذب وقوله انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فتاويله والله اعلم اى انظر الى
سفههم انه كيف ضربوا لك الامثال وشبهوك بها ينسبونك مرة الى السحر وقالوا انك ساحر ومرة الى الجنون وقالوا انك مجنون
ومرة الى الشعر انك شاعر ومرة الى الكذب حيث قالوا بل هو كذاب اشر ونحو هذا مما كانوا ينسبونه اليه فيقول والله اعلم انظر الى
سفههم انه كيف ضربوا لك الامثال وينسبونك الى ما ذكروا وعلى علم منهم انك لست كذلك ولا على ذلك وانك على الحق وهم على باطل
وكذب او ان يكون قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال ما قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ويلقى اليه كنز او تكون له جنة
ياكل منها وامثال ما سالوه فيقولون لو كان ما يقول انه رسول لكان ذلك له اعلام الرسالة وامارات صدقه فى مخبرات
الاعلام والايات ليست تاتى على شهوات انشاء المعاندين وامانيهم ولكن انما تجىء على ما توجبه الحكمة مما يدل على صدق ما ادعى
ويظهر كذب من عاند وتولى وقد اتاهم محمد الله بحجج وبراهين ما اظهر لهم صدق ما ادعى من الرسالة والنبوة لكنهم عاندوه او
كابروه لم يقربوا بها خوفا ان يذهب عنهم رياستهم وقوله فضلوا الاية انهم قد ضلوا عن الهدى اى ضلوا اى بعد لوا بضربهم
الامثال لهم ونسبتهم اياه الى ما نسبوه اليه فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والى ما سئلوا عن الاشياء وفى حرف حفصة فلا
يهتدون سبيلا وقال بعضهم فلا يستطيعون مخرجا من الامثال التى ضربوها لك والله اعلم وقوله تبارك الذى ان شاء جعل لك
خيرا من ذلك قد ذكرنا انه خرج جواب ما سئلوه من الاشياء من الملك والكنز والجنة وانواع الطعن الذى طعنوه اى لو شاء
لاعطاك خيرا من ذلك ثم اخبر ان الذى حملهم على ذلك السؤال وانواع الطعن فيه هو تكذيبهم بالساعة حيث قال بل
كذبوا بالساعة لم يروا الامور هم عاقبة ينتهون اليها فيثابون عليها او يعاقبون ثم اخبر ما اعد لهم بتكذيبهم الساعة فقال
واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ثم وصف ذلك السعير فقال اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله اذا راتهم من مكان
بعيد يحتمل وجهين احدهما يجعل لهما اسبابا تريهم كما يرونها واذا صاروا فى مكان بحيث يرونها كانها راتهم وقوله واذا القوا
منها مكانا ضيقا قيل ان النار يرفع ويعلو لهبها ويرد من كان من اعلاها الى اسفلها ويرد من كان فى اسفلها الى اعلاها
فيجمعهم جميعا فيضيق عليهم المكان ويشتد بهم العذاب كلما ضاق عليهم المكان كان العذاب لهم اشد وقوله مقرنين قال
بعضهم مقيدين بعضهم ببعض ثم قال بعضهم الشيطان يقرن ويقيد كل بشيطانه الذى دعاه الى ما دعاه واتبعه كقوله
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الاية وقال بعضهم يقرن العابد والمعبود من دونه وهو الاصنام التى
عبدوها كقوله احشروا الذين ظلموا الاية وقوله دعوا هنالك ثبورا اى هلاكا والثبور الهلاك قوله وانى لاظنك
يا فرعون مثبورا اى هالكا والثبور والويل هما حرفان يدعو بهما كل من كان فى الهلكة والشدة فقال لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اى لا تدعوا هلاكا واحدا كما يكون فى الدنيا ان من هلك مرة لا يهلك ثانيا واما فى النار فان
لاهلها هلكات لا تحصى كقوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وكقوله كلما نضجت جلودهم الاية وانما يسالون
ويدعون بالهلاك لما يرجون من الهلاك النجاة من ذلك العذاب وهكذا كل من ابتلى بشديد يتمنى الهلاك والموت وقوله قل
اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون يشبه ان يكون هذا القولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى
اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها فيقول اذلك الذى سالتموه انتم خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون او يكون قال ذلك

لهم لما راوا لا انفسهم الفضل والمنزلة في الدنيا لما وسع عليهم الدنيا واعطوا من حطامها فقال اذلك الذي اعطيتم في الدنيا
من السعة خير ام جنة الخلد التي اعطى المتقون والله اعلم **وقوله** لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا يحتمل
قوله وعدا مسئولا ما سالته لهم الملائكة كقوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم الاية او سؤال الرسل كقوله ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك الاية او وعدا مسئولا اي ما سالوهم ربهم فوعد لهم ذلك فهذا يدل انهم انما يدخلون الجنة بالسؤال و
التشفع لهم والتضرع لا انهم يستوجبون ذلك باعمالهم وقال بعضهم في قوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين في السلاسل
وذلك انهم اذا القوا فيها تضايق عليهم كتضايق الزج في الرمح فالاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يخفضهم اللهب فيزدحمون
في تلك الابواب الضيقة تضايق عليهم فعند ذلك يدعون بالثبور فيقولون يا ثبوراه ويا ويلاه وروي مثله عن عبد الله بن عمرو
كان يقول ان جهنم لتضيق على الكافر كتضيق الزج في الرمح وقوله دعوا هنالك ثبورا يقول ويلا وهلاكا قال الله تعالى لا تدعوا اليوم
ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ثم قيل اذلك خير بعينها الذي ذكر ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء لاعمالهم ومصيرا
اي منزلا قال ابو عوسجة التغيظ من الغيظ والزفير والشهيق يكون في الحلق وشهق يشهق شهيقا وشهقا وهو تنفس في الحلق
شديد له صوت وقال ثبورا اي هلاكا وصرفه ثبر يثبر ثبرا فهو مثبور وقال القتيبي تغيظا وزفيرا اي تغيظا عليهم كقولك فلان
المفسرون وقال بعضهم بل يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم واعتبروا ذلك بقول الله تعالى لهم فيها زفير وشهيق وعند
الاولين بقوله تكاد تميز من الغيظ هذا اشبه التفسيرين انشاء الله لانه قال سمعوا لها ولم يقل سمعوا فيها ولا منها وقال ثبورا
اي بالهلكة كما يقول القائل واهلاكاه والله اعلم **وقوله** ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول انتم اضللتم عبادي
هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اختلف فيه قال بعضهم عنى بذلك الذين عبدوا دون الله والمعبودين وهم الملائكة لان من العرب
من قد عبدوا الملائكة كقوله في اية اخرى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم الاية وقال بعضهم هو عيسى بن مريم انت قلت للناس الاية وقال بعضهم يحشر الاصنام ومن عبدها ثم ياذن
لها في الكلام فيقول انتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل كقوله يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم
وشركاؤكم فزيلنا بينهم الى قوله ان كنا عن عبادتكم لغافلين ولو كان عيسى او الملائكة لكانوا عالمين بعبادتهم اياهم غير غافلين
دل ذلك انها الاصنام التي عبدوها دون الله واياها يسالون وكل ذلك محتمل اذ قد كان منهم ذلك كله والله اعلم **وقوله** فيقول
انتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل والله عز وجل كان عالما بما كان منهم لكن السؤال اياهم والله اعلم يخرج مخرج
توبيخ اولئك الكفرة وتعييرهم لانهم يعبدون من ذكر من دون الله ويقولون هم امروهم بذلك وكانوا مغتبطين القول عندهم
صادقين فيما يخبرون ويقولون فاراد ان يظهر كذبهم عند الخلائق لذلك سالهم والله اعلم بالكائن منهم من انفسهم لكنه يخرج
على ما ذكرنا ثم نزهوا عن جميع ما لا يليق به وبرؤا انفسهم عن ان كان منهم امر او نهي مما نسبوا اولئك اليهم وهو اعلم بهم
فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء قال اهل التاويل اولياء اي اربابا وهم لم يتخذوا اربابا من دونه
لكنه عندنا يخرج على وجهين احدهما ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اولياء انت ولينا وهم المتبوعون او ان يكون ما كان ينبغي لنا ان
نتخذ من دونه ولا نتبع ولا نامر سواك وفي بعض القراءات ان نتخذ من دونك اولياء برفع النون لكن اهل الادب يقولون هو
خطاء **وقوله** ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر هذا يحتمل وجهين احدهما ان اباءهم قد امهلوا ومتعوا في هذه الدنيا حتى يامنوا
على ذلك من غير ان اصابهم شيء مما اوعدوا في كتابهم وما اوعدهم الرسل من العذاب والهلاك على ما اختاروا من الذين هم عليه
فظنوا انهم على حق من ذلك حيث لم يصبهم من المواعيد المذكورة في كتابهم او مما اوعدهم رسلهم بشيء فعلى هذا التاويل
الذكر الذي انهم نسوا هو كتابهم او ما اوعدهم رسلهم بشيء والله اعلم فان كان هذا فالاية في اهل الكتاب منهم ويحتمل ان يكون
الاية في الفراعنة والقادة من هؤلاء الكفرة متعوا في هذه الدنيا في احوال ورياسة ووسع عليهم المعيشة حتى دعوا الناس
واتباعهم الى ما هم عليه من التكذيب برسوله وما انزل عليه فاجيبوا بالاحوال التي عندهم فنسوا ما في القران من الوعيد وكانوا
قوما بورا والبور قال بعضهم الهلاك وقال بعضهم البور الفساد **وقوله** فقد كذبوكم اي فقد كذبكم اولئك المعبودون
بما تقولون انهم امروكم بذلك وكانوا عندهم صدقة **وقوله** فما تستطيعون صرفا ولا نصرا هذا يحتمل وجوها احدها اي ما يستطيع
اولئك الكفرة صرف قول من عبدوه وتكذيبهم حين كذبوهم في قولهم ولا نصرا اي ولا استطاعوا الانتصار منهم حين كذبوهم
وعلى ذلك يخرج قراءة من قرا بالتاء فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ويحتمل فما يستطيعون اي اولئك المعبود صرف عذاب الله ونقمته
عنكم ولا كانوا لهم نصرا لانهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والثالث فما تستطيعون
صرفا اي فداء ولا نصرا اي ولا ناصرا اي لا يقبل منهم الفداء ولا كان لهم ناصر ينصرهم في دفع العذاب عنهم كقوله لا يقبل منها
عدل ولا ينفعها شفاعة وقال القتيبي وابو عوسجة قال بعضهم الصرف الحيلة من قولهم انه ليتصرف وقال بعضهم الصرف
النافلة سميت صرفا لانها زيادة على الواجب والعدل الفريضة وقد روي في الخبر من طلب صرف الحديث ليبتغي به اقبال وجوه الناس
لم يرح رائحة الجنة اي من تحسينه بالزيادة فيه وقال بعضهم الصرف الدية والعدل رجل مثله كانه يريد لا يقبل منه ان يفتدي
منه برجل مثله وعدله ولا يصرف عن نفسه بديته ومنه قيل صارفي وصرف الدراهم بالدنانير لانك تصرف هذا الى هذا واصله

ما ذكرنا قال القتيبي ابو عبيدة قوما بورا اي هلكى وهو من بار يبور اذا هلك وبطل يقال بار الطعام اذا كسد وبارت
الايم اذا لم يرغب فيها وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من بوار الايم قال ابو عبيدة يقال رجل بور وقوم
بور لا يثنى ولا يجمع وقال ابو عوسجة قوما بورا لا خير فيهم ورجل بائر وكذلك قال ابو زيد بورا اي ليس فيهم من الخير شيء
وقال قتادة بورا فاسدين بلغة اهل عمان وقال ما نسي قوم ذكر الله قط الا باروا وفسدوا **وقوله** ومن يظلم منكم نذقه
عذابا كبيرا اما على قول بعض الخوارج كل ظلم ارتكبه فهو في ذلك الوعيد على اصل مذهبهم وعلى قول المعتزلة كل صاحب كبيرة في
ذلك الوعيد واما على قول المسلمين فذلك الوعيد لمرتكبي الظلم ظلم كفر وشرك واما ما دون ذلك فهو في مشيئة الله ان شاء
عذبه وان شاء عفى عنه **وقوله** وما ارسلنا من قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق قد ذكرنا
فيما تقدم ان هذا انما خرج جوابا لقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فاخبر ان الرسل الذي كانوا من
قبل محمد كانوا ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق على ما ياكل هو ويمشي ثم من الناس من كره الركوب في الاسواق بهذا وقال
انه اخبر عن الانبياء والرسل جملة انهم كانوا يمشون في الاسواق لم يذكر منهم الركوب فدل ذلك منهم انه مكروه منهي فيشبه
ان يكون ما قال هؤلاء وانه يكون مكروها لانه يخرج الركوب في الاسواق مخرج التعزز والمباهاة فالواجب على كل مسلم
ان يكون تعززه بالاسلام وبدينه التي اختاره الله تعالى وخاصة على العلماء يجب ان يكون تعززهم وتباهيهم بالعلم الذي
اعطاه الله لهم واكرمهم فانه عز لا يعقبه ذل ولا يورث صغارا ولا قهرا واما كل عز كان سوى ما ذكرنا فهو الى ذل ما يصير
سريعا كانه ليس بعز في الحقيقة لو تامل والله اعلم **وقوله** وجعلنا بعضهم لبعض فتنة الفتنة كانها هي المحنة فيها شدة وبلاء
ثم قال اهل التاويل انه لما اسلم عبد الله وابو ذر وعمار وبلال وصهيب وامثال هؤلاء قالت الفراعنة من قريش نحو ابو جهل
والوليد وامثالهما انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا اتبعوه من موالينا واعرابنا رذالة كل قوم فازدروهم وازدرهم و
استهزؤا بهم فانزل الله هذه الاية هؤلاء الفقراء الذين اتبعوا رسول الله ليصبرهم على اذاهم فقال فتنة اتصبرون اي اصبروا على
اذاهم الامر هذا يحتمل وقال الحسن قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة جعل اهل البلوى فتنة لغيرهم وغير اهل البلوى فتنة لاهل
البلوى يقول الاعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان ويقول الفقير لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان وكذلك يقول
السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان لكنه اعطى لاهل البلوى وامرهم بالصبر عليه واعطى لاهل النعمة وامرهم
بالشكر عليها وجائز ان يكون غير هذا وهو قريب من هذا وذلك انه اعطى بعضا النعمة وجعل بعضهم اهل ضيق وشدة ثم
جعل كل فريق محتاجا الى الفريق الاخر جعل الغني والمثري محتاجا الى الفقير في بعض اموره والفقير محتاجا الى الغني لغناه
وجعل لبعض على بعض مؤنة ما لولا فقر الفقير لم يعرف الغني قدر غناه ولولا الفقير قد دفقره ولا ذام بعض بحماية
مؤنة بعض ثم امرهم بالصبر على تحمل مؤنة الاخر بقوله اتصبرون اي اصبروا على الامر يخرج وان كان ظاهره استفهاما وسؤالا
والله اعلم **وقوله** وكان ربك بصيرا اي على بصر وعلم جعل بعضا فتنة لبعض ليس على سهو وغفلة **وقوله** وقال الذين لا يرجون
لقاءنا قال اهل التاويل لا يرجون اي لا يخافون ولا يخشون لقاءنا اي البعث بعد الموت وقال اهل الكلام الرجاء هو الرجاء
لا الخوف لكن جائز ان يكون في الرجاء خوف رجاء لان الرجاء الذي لا خوف فيه هوان والخوف الذي لا رجاء فيه اياس
فكلاهما مذمومان الاياس والامن جميعا **وقوله** لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا جائز ان يكون قولهم لولا انزل علينا الملائكة
رسلا دون ان انزل للبشر رسالة الينا لانكارهم البشر رسولا كقولهم ما هذا الا بشر مثلكم ويحتمل قولهم لولا انزل علينا
الملائكة بالوحي والرسالة لما دونك ونحن الرؤساء والملوك والقادة يقولون لو كان ما تقول حقا وصدقا انك رسول
لانزل عليك الوحي والملوك فنحن احق بالرسالة منك اذ نحن الملوك والرؤساء كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وامثال هذا لانكارهم الرسالة لمن هو دونهم في الدنياوية او ان يكون ذلك كقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا او يكون له شاهدا انه رسول او نرى ربنا عيانا ويكلمه وتعالى عن ذلك والله اعلم **وقوله** لقد استكبروا في انفسهم لا
ستكبارهم ان لا ترى غيره مثلا لها ولا عدلا ولا اشكالا في نفسه وامره فان كان هذا فهو ما لم يروا رسول الله اهلا للرسالة
وموضعا لصغره وحاجته وراوا انفسهم اهلا لها فاستكبارهم هو ما لم يروا غيره مثلا ولا اشكالا لانفسهم فاستكبروا
ولم يخضعوا الرسول الله ولم يطيعوه ولم يتبعوه انفا منه بعد علم انه محق لذلك وانه رسول اليهم **وقوله** وعتوا عتوا كبيرا
قال بعضهم العتو هي الجراءة وهو اشد من الاستكبار وقال بعضهم العتو هي الغلو في القول غلوا شديدا وقال بعضهم هو من
التكبر **وقوله** يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا كله من كلام العرب اذا كره احدهم الشيء قال
حجرا حراما هذا فاذا راوا الملائكة كرهتهم وقالوا حجرا محجورا فعلى ذلك القول الكفرة هم يقولون حجرا محجورا اذا راوا الملائكة
وما معهم من المواعيد قال بعضهم ان الملائكة يتلقون المؤمنين بالبشرى على ابواب الجنة ويقولون للكفرة لا بشرى لكم و
يقولون حجرا محجورا اي تقول الملائكة حرام البشرى للمجرمين او حرام عليهم الجنة ان يدخلوها والحجر على هذا القول هو الحرام وقال
بعضهم الحجر هاهنا هو المنع والحظر يقولون انهم يمنعون ويحظرون عما طمعوا وقصدوا بعبادتهم الملائكة والاصنام التي عبدوا
حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فيقول يمنع عنهم ما قصدوا وطمعوا بعبادتهم

او يكون ثواب الاخوات التي عملوها في هذه الدنيا من صلة الارحام والصدقات ونحوها مما هي في الظاهر خيرات يضعف
ثوابها في الاخرة كقوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ونحو
ذلك كله والله اعلم وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا هو ما ذكرنا من الاعمال عملوها في هذه الدنيا
رجاء ان يصلوا اليها في الاخرة فجعلناه هباء منثورا قال اهل التاويل قدمنا اي عمدنا وقصدنا الى ما عملوا من عمل لكن
عندنا اي جعلنا اعمالهم تلك في الاصل هباء منثورا قال منبثا وهو رهج الدواب وقال بعضهم الهباء المنثور هو غبار
الشباب وقال بعضهم هو الغبار الذي يكون في شعاع الشمس وهو الذي يسمى الذر وقال بعضهم قوله حجرا محجورا اي عوذا
معاذا يقول المجرمون يستعيذون من الملائكة قال ابو عوسجة وعتوا عتوا كبيرا هو من التكبر ويقال من الخلاف عتا عتيا اذا خالف
يقال في الكلام لا تعت علي ان لا تخالفني وقال بعضهم هو من الشدة واليبس كقوله وقد بلغت من الكبر عتيا اي يابسا وقال حجرا
محجورا اي حراما محرما وحجر عليه ماله اي منعته من اخرجه حجرا ويقال تحجرت عينه اذا لطخت اجفانها بشي من الندا وقوله هباء منثورا
اي لا شي والهباء هباء النار اي رماد يكون على اعلى النار اذا خمدت ويقال هبا النار تهبوا هبوا اذا خمدت والجمر على حالها
الا انه قد غطاه ذلك الهبا وكل شي ليس لشي فهو هباء ونقول هذا هباء اي لا شي ومنثور قد نثر وقوله اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا واحسن مقيلا وصف عز وجل اعمال الكفرة مرة بالهباء المنثور ومرة بالرماد ومرة بالسراب ومرة بالتراب الذي
يكون على الصفوان وهو الحجر الاملس اذا اصابه الوابل ووصف اعمال المومنين بالثبات والقرار ونحو وعن ابن مسعود
رضي الله عنه لا ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة ثم قرا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
واحسن مقيلا وكذلك ذكر في حرفه في سورة الصافات ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قراهو ثم ان مقيلهم لالى الجحيم ايالي
الجحيم ويشبه ان يكون ذكر هذا لقولهم او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها اي لنا اموال وجنان وليس له من ذلك
شي فقال الجزاء لهم اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا
وصف السماء لهول ذلك اليوم باوصاف وذكرها احوالا فقال في اية اخرى واذا السماء كشطت واذا السماء انشقت
واذا السماء انفطرت وقال يوم نطوي السماء ويوم تبدل الارض ونحو ذلك وذلك في اختلاف الاوقات يكون في كل وقت
على الحال التي وصف وذلك ما وصف الجبال مرة بالهباء المنثور ومرة كالعهن المنفوش ومرة كثيبا مهيلا ومرة قال وترى
الجبال تحسبها جامدة الاية ونحو من الاوصاف التي وصفها فكذلك السماء لشدة هول ذلك اليوم وفزعه وقوله تشقق
السماء بالغمام اي تشقق عن الغمام فتبقى بالغمام كقوله واذا السماء كشطت وجائز ان يكون قوله بالغمام اي تبقى الغمام فوق
رؤس الخلائق يظلهم وهذا يدل ان قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام انما معناه بظلل من الغمام فان كان
على هذا فيرتفع الاشتباه والله اعلم وقوله الملك يومئذ الحق للرحمن يحتمل اضافة ملك ذلك اليوم اليه وان كان الملك له
في جميع الايام في الدنيا والاخرة وجوها احدها ان ملك الاخرة ملك دائم باق لا فناء له وملك الدنيا جعله فانيا لا دوام
ولا بقاء والثاني يقر له جميع الخلائق بالملك له في ذلك اليوم وان لم يقر له البعض في الدنيا جعله فانيا والثالث لا ينازعه
احد في ملك ذلك اليوم وان كان له منازع في الدنيا او ان يكون المقصود تجلي هذا العلم في ذلك اليوم بظهور الخلق ويتبين
بان يعلم كل احد ان خلقهم في الدنيا لذلك اليوم كان لا الدنيا خاصة وقوله للرحمن وقال في اية اخرى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار لتعلم العرب ان الرحمن المذكور في هذه الاية هو الله الذي لا اله الا هو ذكر في تلك الاية لان العرب
تسمي وتعرف كل معبود الها ولا تعرف الرحمن معبودا ولا تسمية الرحمن فعرفهم ان الله والرحمن الذي ذكرهما واحد وقوله وكان يوما
على الكافرين عسيرا ظاهر لا شك فيه فكذلك يكون وقوله ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
الاية قال بعض اهل التاويل نزلت الاية في عقبة بن ابي معيط كان يواخي رسول الله ويوادده وكان رسول الله يجيبه اذا دعاه
الى طعامه فدعا يوما رسول الله الى طعامه فقال لا حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فتشهد بذلك فطعم من طعامه
فبلغ ذلك ابي بن خلف فاتاه فقال صبوت يا عقبة محمدا واجبته الى ما دعاك اليه فلم يزل على ذلك حتى يرجع عقبة عن ذلك وارتد
عن دينه وفي حديث طويل فنزلت الاية في شانه وصنيعه وندامته وحزنه على ما فعل فقال ويوم يعض الظالم على يديه يقول
يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الى اخر ما ذكر وذكر ان عقبة وابي بن خلف قتلا احدهما يوم بدر والاخر يوم احد ولكن
الاية في كل ظالم وكل كافر يكون على ما ذكر ثم يحتمل قوله يعض الظالم على يديه على التمثيل والكناية عن الندامة والحسرة لان من
اشتد به الندامة والحسرة والغيظ على شي كاد ان يعض يديه غيظا منه على ذلك كما كني بغل اليد عن ترك الانفاق وبالبسط
عن كثرة الانفاق والمجاوزة فيه وكما كني بالنبذ وراء الظهر عن ترك الانتفاع وقلة النظر فيه والاكتراث اليه وكقوله
نكص على عقبيه عن الرجوع ونحو وقوله يردوكم على اعقابكم وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وامثال هذا كل هذا على التمثيل
والكناية عن الرجوع والثبات والاخذ والترك فعلى ذلك جائز ان يكون عض الايدي كناية عن شدة الكآبة والغيظ على
ما حل به ويشبه ان يكون على التحقيق تحقيق عض اليد يجعل الله عقوبته بعض اليد كما جعل عقوبة انفسهم حيث جعل
انفسهم حطبا للنار يعذبون ويعاقبون والله اعلم وقوله يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا السبيل الذي دعاه الرسول

اليه يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يحتمل الانسان ويحتمل الشيطان اي لم اتخذ الشيطان خليلا ولم اطعه فيما دعاه والانسان
الذي دعاه فيما قلنا وقوله لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني يحتمل قوله عن الذكر اي الشرف الذي يذكر به المرء اضلني عن ذلك
الشرف واضلني عما يذكر في هذا واضلني عن الذكر اي عن القران وما فيه من الذكر والله اعلم وقوله وكان الشيطان للانسان
خذولا اي تاركا له متبريا منه يقول كما قال في اية اخرى حكاية عنه اني بري منك ويقول كما قال وما كان لي عليكم من سلطان
الاية او ان يكون كما ذكر ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض الاية او ان يكون ذلك الخذلان منه له في الدنيا يمنيه باماني
ويزينه اشياء ثم لا يوصله اليها وقوله وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا هو الذي لا ينتفع به و
لا يعمل وقال ابو عوسجة والقتبي مهجورا اي تركوه مهجورا اي متروكا اي جعلوه كالهذيان والهجر الاسم يقال فلان يهجر
في منامه اي يهذي وهو بالفارسية بازيه كفتن وقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اي مثل الذي جعلنا لك
من العدو من الكفرة جعلنا لكل نبي من قبلك عدوا ثم العداوة تكون في الدين مرة ومرة في الانفس واحوالها فان كان العدو
عدوا في الدين فجميع الكفرة له اعداء لانهم له في الدين ويكون حرف من صلة اي جعلنا لكل نبي المجرمين اعداء وان كان على تحقيق
واثباتها فالعداوة عداوة في الدين والاحوال وذلك راجع الى الفراعنة واضداد الرسل ما من رسول الا وله فراعنة واضداد
ينازعونه يقاتلونه ويهمون قتله ثم بشر رسوله بالحفظ له والنصر والظفر على اعدائه وهو قوله وكفى بربك هاديا ونصيرا
وقوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة ذكر بعض اهل التاويل ان اهل مكة كانوا ياتون رسول الله
فيعنتونه ويسالونه ويقولون يا محمد اتزعم انك رسول من عند الله افلا اتيتنا بالقران جملة واحدة كما انزلت التورية
جملة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود فقال كذلك لنثبت به فوادك اي بمثل الذي نثبت به فوادك ثم يحتمل
قوله لنثبت فوادك وجهين احدهما انزلناه متفرقا لنثبته في فوادك فتحفظه وتذكره لان تحفظ الشي اذا كان ساعة فساعة
كان حفظه اهون وايسر من حفظه اذا سمع جملة واحدة وخاصة اذا كان الكلام من اجناس وانواع والثاني لنثبت به
فوادك اي لنثبت بما في القران من الحكمة والمعاني في فوادك ثم يحتمل قوله فوادك انه يراد به فواد من يستمع اليه ويسمعه
فان كان هذا فهو كقوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث الاية على ما ذكرنا انه يكون اسرع حفظا واهون ثباتا من
سماعه جملة وجائز ان يكون اراد فواده كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وقوله سنقرئك فلا تنسى
الا ما شاء الله كان يعجل بحفظه اذا قرئ عليه خوفا ان يذهب فاخبر انه نثبت فواده وننزله بالتفاريق لكي يحفظه ويحفظه
ويذكره ثم ان كان المراد تثبيته في الفواد هو ما فيه من الحكمة والمعاني وقراءته على الناس على مكث كذلك فهو والله
اعلم ينزله على قدر النوازل والحوائج ليكون احفظ لتلك المعاني واعرف بمواضعها وتقدير غيرها من النوازل به من ان ننزله
جملة في دفعة واحدة والله اعلم وقوله ولا ياتونك بمثل اي بصفة يشبهون بها على الخلق الا جئناك بصفة هو احق مما اتوها
فيرتفع بذلك الشبه عنهم اعني عن الخلق وان يقال ولا ياتونك بصفة هي باطلة الا جئناك بحق اي بصفة هي حق فتبطل تلك
وتضمحل واحسن تفسيرا اي بيانا من الاول على التاويل الاول والثاني ظاهر لا شك انه احسن واحق قال ابو عوسجة و
رتلناه ترتيلا اي انزلنا بعضه من بعض وعلى اثر بعض لم ينزله في مرة واحدة وكذلك قال في قوله ونزلناه تنزيلا وقال
بعضهم قوله ورتلناه ترتيلا اي بيناه تبيانا وقال بعضهم في قوله ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا قال
لا يخاصمونك بشي ولا يجادلونك الا جئناك بالحق يعني القران واحسن تفسيرا يقول جئناك بالقران باحسن مما جاءوا به تفسيرا
وهو قريب مما ذكرنا بديا وفي حرف حفصة الا جئناك بالحق منه واحسن تفسيرا وهو شبيه ببعض التاويلات التي ذكرنا وقوله
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا يشبه ان يكون ذكر هذا على مقابلة سبقت والا على الابتداء لا يستقيم
ذكره فجائز ان يكون ذكره على مقابلة قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا الاية هذا ذكر مقام اهل الجنة فذكر مقابل ذلك
مكان اهل النار فقال الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا اي شر مكانا في الاخرة واضل سبيلا
في الدنيا او يكون مقابل قوله قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا فقال الذين يحشرون على
وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا من الذين امنوا بل مقامهم الجنة اعني المومنين ومقام الكفرة النار فهم شر
مكانا منهم وفي بعض الاخبار ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة فقال ان الذي امشاه على
رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه وقوله ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا ذكر ههنا
انه كان وزيرا له وذكر في اية فاتياه فقولا انا رسولا ربك وفي اية اخرى انه كان نبيا حيث قال ووهبنا له من رحمتنا اخاه
هرون نبيا فكان ما ذكر ذلك كله كان نبيا ورسولا وكان له وزيرا والوزير هو العون والعضد كانه قال وجعلنا معه اخاه
هرون وزيرا اي عونا وعضدا كقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري الاية سال ربه المعونة له والاشتراك
في امره وقال فارسله معي ردءا يصدقني وقال الزجاج الوزير هو الذي هو ملجاء اليه في النوائب ويعتصم بامره و
هو واحد وقوله فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا كانه قال فقلنا اذهبا الى القوم فادعوهم
الى توحيد الله فذهبا اليهم فدعوا فكذبوا باياتنا ثم دمرناهم تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا وقوله وقوم نوح لما كذبوا الرسل

اغرقناهم جايزان يكون قوله لما كذبوا الرسل نوحا خاصة لانه ذكر قوم نوح فان كان ذلك ففيه دلالة لتجويز تسمية الواحد
باسم الجماعة وجايزان يكون نوح دعاهم الى الايمان به وبجميع الرسل فكذبوه وكذبوا الرسل جميعا والله اعلم وقوله اغرقناهم
لم يغرقهم على اثر تكذيبهم اياه ولكن انما اغرقهم ما دعاهم الف سنة الا خمسين عاما وقوله وجعلناهم للناس اية يحتمل قوله
وجعلناهم للناس اية اى اية للمكذبين والمصدقين لما بين حكمه في المكذبين منهم الاهلاك والاستيصال وفي المصدقين منهم
النجاة والخلوص منه فذلك اية لكل مكذب ومصدق لما دليله قول عاقبة امرهم عاقبة المكذبين الاهلاك وعاقبة المصدقين
النجاة فان قيل انهم جميعا قد هلكوا المصدقون منهم والمكذبون قيل اهلاك المكذبين منهم اهلاك عقوبة وتعذيب و
مصدقين هلاك بانقضاء اجالهم لا اهلاك عقوبة ثم ذكر وجعلناهم للناس اية فمعنى جعل انفسهم اية ما ذكرنا وقال
في اية اخرى وجعلناها اية للعالمين اى السفينة قال بعضهم جعل السفينة اية لان من طبع السفن انها اذا امتد
الاوقات وطال الزمان انها تفسد وتتلاشى فهى بعد باقية كما هى اعنى سفينة نوح لكن ذلك لا يعلم انه كما ذكر الا
فالوجه فيه ما ذكرنا وقوله واعتدنا للظالمين عذابا اليما هكذا جزاء كل ظالم ظلم كفر وشرك ان يعد له العذاب الاليم
وقوله وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا اخبر انه اهلك هؤلاء كلهم بالتكذيب عادا وهم قوم هود و
ثمودا وهم قوم صالح واصحاب الرس قال بعضهم سموا اصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في بئر اى دسوه فيها وقال بعضهم
الرس هو اسم البئر كانوا نزولا عليها فبعث اليهم شعيبا فكذبوه فسموا بذلك ونسبوا الى تلك البئر وعن ابن عباس انه
سأل كعبا عن اصحاب الرس فقال انكم معاشر العرب تدعون البئر رسا والقبر رسا وتدعون الخد رسا فخد واحد خدا
في الارض فاوقد فيها النيران للرسولين اللذين ذكر الله في يس اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
والله اعلم بذلك وقوله وكلا ضربنا له الامثال اى ذكرنا لاهل مكة امثال من تقدم منهم من الامم من المكذبين و
المصدقين وما حل بهم وما اليه آل عاقبة امورهم بالتكذيب حيث قال وكلا تبرنا تتبيرا اى اهلكنا اهلاكا و
قال بعضهم تبرنا اى كسرنا بالنبطية يقول احدهم للشيء اذا اراد ان يكسره ابره وقوله ولقد اتوا يعني والله اعلم
اهل مكة على القرية التي امطرت مطر السوء وهي الحجارة يعني والله اعلم قريات لوط اى يمر عليهم اهل مكة في تجاراتهم
ويأتونها وهو كما قال في الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين الاية افلم يكونوا يرونها ما حل بهم بالتكذيب فيعتبروا
بل كانوا لا يرجون نشورا اى بعثا بعد الموت واحياء اى انما كذبوا الرسل لانهم لا يؤمنون بالبعث ولا يخافون نشورا
وقوله واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا كانوا اذا رأوه هزؤوا به واذا خلا بعضهم الى بعض
يقولون فيما بينهم ابعث الله بشرا رسولا هكذا كانت عادة الكفرة يهزؤون به اذا حضروه واذا غابوا عنه قالوا ما ذكر وقوله
ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وفي قوله كاد ليضلنا عن عبادة الهتنا دلالة انه انما اراد ان يضلهم عن عبادة
الاصنام بالحجج والايات دليس وصنيع النبي صرفهم ومنعهم عن ذلك الا من وجه لزوم الايات والحجج الا انهم تلك الايات
والحجج وكابروها وثبتوا على عبادة الاصنام والاوثان والا علموا من جهة الايات والحجج التي اقامها عليهم انه على الحق وانهم على الباطل
ثم وقوله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا اى يعلمون حين لا يقدرون على الجحود لما كادوا انزل بهم العذاب
وقع من اضل سبيلا هو اى يعلمون او المؤمنون لانهم وان علموا بالايات والحجج انه على الحق وانهم على الباطل وعلموا الموعود من العذاب
واخبر انهم يعلمون عند وقوعه بهم علما لا يقدرون على جحوده ولا انكاره كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده الاية ثم
قولوا ردنا نعمل غير الذي كنا نعمل وقوله ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا وامثال ذلك اذا عاينوا الموعود في الدنيا
يقرون به ولا يقدرون على الجحود فكذلك قوله وسوف يعلمون علما لا يقدرون على الانكار والجحود حين يرون العذاب من
اضل سبيلا وقوله ارأيت من اتخذ الهه هواه قال بعضهم انهم كانوا يعبدون اشياء حجرا وغيره فاذا رأوا احسن منه في
رأي العين والمنظر تركوا عبادة ذلك وعبدوا ما هو احسن منه وقال بعضهم كلما هويت انفسهم شيئا عبدوه وكلما اشتهوا
شيئا اتوه لا يحجزهم عن ذلك ورع ولا تقوى لله ويحتمل وجهين اخرين سوى ما ذكر هؤلاء احدهما تركوا عبادة الاله
الذي قامت الحجج والايات بالالوهية والربوبية ولزموا عبادة من لم يقم له الايات والحجج بذلك بهواهم والثاني
انهم عبدوا ما عبدوا من الاصنام بلا امر كان لهم بالعبادة لا بد من امر يؤمر بها بل عبدوا بهواهم او كلام نحو هذا هو
وقوله افانت تكون عليه وكيلا اى لست انت بوكيل ولا مسلط عليهم ولا حافظ اى لا تسأل انت عن اعمالهم ولا تحاسب
عليها بل هم المسؤولون عنها وهم محاسبون عليها كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله
فان تولوا فانما عليه ما حمل الاية والله اعلم وقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون قوله ام تحسب وان كان في الظاهر
استفهاما فهو في الحقيقة على الايجاب وهكذا كل استفهام من الله يخرج على الايجاب او على النهي كانه قال قد حسبت ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون اى لا ينتفعون بما يعقلون انهم الا كالانعام بل هم اضل قال بعضهم كالانعام لان همتهم ليست الا
كهمة الانعام وهي الاكل والشرب ليست لهم همة سواه ليس للانعام همة العاقبة فعلى ذلك الكفرة فهم كالانعام من
هذه الجهة وقوله بل هم اضل قال قائلون قوله اضل لان الانعام تعرف ربها وخالقها وتذكره وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه

[illegible]

يمطر في موضع اخر ولا يرسل في مكان ويرسل في مكان اخر ليعلم انه عن تدبير كان هكذا لا بالطبع لانه لو كان بالطبع كان ذلك
كله لا جايزان يمطر في مكان ويترك في مكان اخر دل انه بالتدبير كان ما كان وبالامر واما قدرته ما ذكر من احياء الارض الميتة
بعد موتها واماتتها بعد حيوتها وما يعلم كل احد حيوتها وموتها ويقر بذلك فمن قدر على هذا قادر على احياء الموتى بعد الموت
ولا يعجزه شيء واما حكمته ان ما خلق مما ذكر وانشاه لم ينشئه عبثا يهملهم لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بشيء ولا يجعل
لهم عاقبة يثابون ويعاقبون ولا يستأدى منهم شكر ما انعم عليهم من انواع النعم مما يعجز عقولهم عن ادراكه ويقصر عن
تقدير مثله ليعلم انه قادر بذاته لا يعجزه شيء ثم قال فابى اكثر الناس الا كفورا قال الكسائي الكفور برفع الكاف الكفر و
الكفور بفتح الكاف الكافر والشكور بضم الشين الشكر والشكور بفتح الشين الشاكر وهو المؤمن فيكون تاويله فابى اكثر
الناس الا كفرا بالله وتكذيبا لنعمه بصرفهم العبادة الى غيره والثناء لهم ونظرهم ان هذا من نوء كذا ونوء كذا والله اعلم

وقوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا هذا يحتمل وجهين احدهما لو شئنا لرخصنا عنك بعض ما حملنا عليك من المؤن من مؤنة
التبليغ والقيام بذلك وحملناها غيرك فيكون عليك ايسر واهون من القيام بالكل والثاني لو شئنا لجعلنا غيرك ايضا اهلا
للرسالة وموضعا لها في زمانك وحيلك فبعثناه في بعض القرى والمدن لكنا لم نجعل غيرك اهلا لها وخصصناك بها
من بين غيرهم من الناس فهو الامتنان بحرج والاختصاص له ثم لا يخلو ذلك من ان يكون فيهم من يصلح للرسالة ويصلح ان
يكون اهلا لها وموضعا فلم يرسل او كان لم يكن فيهم من يصلح لذلك فيكون تاويله لو شئنا لجعلنا فيه من يصلح للرسالة و
يصلح ان يكون اهلا لها وموضعا فاي الوجهين كان فهو ينقض على المعتزلة قولهم لانه ان كان فيهم من يصلح لها وارسل كان
اصلح له فلم يرسل فقد ترك ما هو اصلح له واخبر ان يكون لا يصلح فيهم احد لذلك لكنه يملك ان يصلحه ويجعله اهلا لها فهو
اصلح له واخير ثم لم يفعل دل ان له ان يترك الاصلح والاخير في الدين وقوله فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا فيه
وجهان احدهما ان لا يجوز للرسل التقية والامتناع على التبليغ اليهم والقيام بمجاهدتهم وان خافوا على انفسهم الهلاك حيث
قال فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ولم يكن معهم الا قليل ممن اتبعه ان كان ذلك بمكة لان سورة الفرقان فيها
نزلت والثاني فيه دلالة اثبات رسالته لانه امر بالخلاف لهم والقيام بمجاهدتهم بالحجج والآيات وهم يعلمون ان لا يكون في
وسع واحد القيام لذلك لامثالهم وكانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فعلموا انه انما قام لذلك بالله لا بنفسه اذ لا
يملك واحد القيام لذلك والله اعلم وقوله وهو الذي مرج البحرين قال مرج اي خلع ماء المالح على ماء العذب وقال بعضهم مرج
اي ارسل البحرين احدهما عذب والاخر اجاج وقال بعضهم مرج اي افاض احدهما على الاخر قال ابو معاذ العرب تقول مرجت الدابة
اذا خليتها وتركتها تذهب حيث شاءت ومرج الوالي الناس من السجون اذا ارسلهم فاذا رعيت دابتي في المروج قلت امرجت
دابتي امرجها امراجا وانما سمي المرج مرجا لانه متروك للسباع غير محمي ومرج الذي يرعى دابته في المرج والدابة الممرجة وقال
ابو عوسجة مرج البحرين مرجهما اي خلطهما فهو مارج وقال فهم في امر مريج اي مختلط ويقال مرجت عن كل شيء اذا خلفت والله اعلم
ثم اختلف في البحرين قال بعضهم احدهما بحر الارض والاخر بحر السماء وجعل بينهما برزخا اي حاجزا عن ان يختلط احدهما
بالاخر وهو الهواء وقال بعضهم احدهما بحر السماء والاخر بحر تحت الارض وجعل بينهما برزخا وهو الارض وقال بعضهم بحران
على وجه الارض احدهما بحر الروم والاخر بحر الهند وقال بعضهم بحران احدهما بحر الشام والاخر بحر العراق احدهما مالح اجاج
والاخر عذب وكان الاجاج هو الذي بلغ في الملوحة غايته والفرات هو الذي بلغ في عذوبته غايته ذكر منته وفضله و
لطفه حيث لم يخلط احدهما بالاخر بل حفظ كلا على ما هو عليه الى ان تقوم الساعة فعند ذلك يصير الكل واحدا كقوله واذا
البحار سجرت ثم ان كان احدهما بحر السماء والاخر بحر الارض فالحاجز بينهما الارض وان كانا يجريان في الهواء فالحاجز بينهما ليس
الا اللطف وكذلك وان كان الثالث ليعلم ان من قدر على حفظ هذا من هذا بلا حجاب ولا حاجز الا باللطف لقادر على احياء الموتى
بعدهم ولا يعجزه شيء وله الحول والقوة وقال ابو عوسجة ماء اجاج شديد الملوحة ويقال اج الماء يؤج اجا ويقال لما عذاج
اي ماء مري وقوله وهو الذي خلق من الماء بشرا اي من النطفة يخبر عن فضله ومنته وقدرته ولطفه اما اللطف وقدرته
حيث خلق البشر من النطفة ولو اجتمع جميع حكماء البشر على ان يعرفوا ويدركوا البشر من النطفة او يدركوا كيفيته لم يقدروا
على ذلك دل انه قادر بذاته لطيف لا يعجزه شيء واما فضله ومنته ما اخبر انه جعل لهم نسبا وصهرا اما النسب فيه يتعارفون
ويتواصلون ما لولا ذلك ما تعارفوا ولا تواصلوا واما الصهر فلما به يتزاوجون ويتوادون ويتوالدون كقوله والله
جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة وقال وجعل بينكم مودة ورحمة يذكر فضله ومنته
ليتادى به شكره ليعلم ان خلق مثل هذا لا يخرج عبثا باطلا بلا محنة ولا عاقبة وكان النسب مما لا يجري بينهم التناكح والتزاوج
والصهر ما يحل ويجري بينهم التناكح والتزاوج وفي حرف حفصة وهو الذي خلق من الماء نسبا وصهرا قال ابو معاذ الصهر الختن
والختن ابو المرأة والختنة ام المرأة والاختان آل المرأة واهلها والاصهار آل الفتى واهله وقال ابو عوسجة وصهر امت
المصاهرة من الجانبين جميعا المعروف عندنا انه انما سمي قرابة الزوج اختانا وقرابة المرأة اصهارا وذلك لسان وهو على ما
تعارف بينهم والله اعلم وقوله ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي يعبدون من دون الله ما يعلمون انه
لا ينفعهم في الاخرة ان عبدوه ولا يضرهم في الدنيا ان تركوا عبادته وهو كما ذكر هل هن كاشفات ضره الاية وامثال ما ذكر
في غير اي من القرآن سفه اولئك بعبادتهم الاصنام وتركهم عبادة الله وقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا اي تاويله
والله اعلم وكان الكافر الكافر واوليه ظهيرا على من اطاع ربه يكون بعضهم لبعض عونا وظهيرا على اولياء الله والا لا يكون
الكافر على الله ظهيرا ولكن على اوليائه ويكون ذكرا لبني على ارادة وليه ومن الطاعة كقوله ان تنصروا الله ينصركم وكقوله
يحادون الله ونحو ذلك مما يراد به اولياؤه لا نفسه وقوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا مبشرا لمن اطاعه ونذيرا لمن
عصاه والبشارة هي الاعلام لما يلحق من السرور والفرح في العاقبة بالاعمال الصالحة والنذارة هي الاعلام لما يلحق
من المكروه والمحذور في العاقبة بالاعمال السيئة القبيحة وقوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء اي ما اسألكم على الذي
الذي ادعوكم اليه من اجر كقوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لا اسألكم اجرا على ذلك حتى يمنعكم ثقل الغرم

عن اجابتي فعلى ذلك قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وكان فيه اضمار اي لا اسألكم عليه
اجرا الا من شاء ولكن انما اسألكم ان تتخذوا الى ربكم سبيلا وان يقول قوله الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي ولكن من اراد
الى ربه سبيلا الطاعة واجابني ويحتمل قوله قل ما اسألكم على تبليغ الرسالة اليكم وما ادعوكم اليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
فيعرفه اوان يكون قوله الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا هو كقوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله
وتوكل على الحي الذي لا يموت امره بالتوكل على الله والتوكل هو الاعتماد عليه بكل امر وقوله وسبح بحمده اي نزه ربك وبرئه عن الآفات كلها
والعيوب بشيء يثني عليه وهو التسبيح بحمده وقال بعض اهل التاويل اي صل بامر ربك لكن التاويل ما ذكرنا وقوله وكفى به بذنوب
عباده خبيرا اي كفى به عالما بذنوب عباده اي لا احد اعلم بها منه وقوله الذي خلق السموات والارض وما بينهما قد ذكرناه في
وقوله فاسأل به خبيرا قال قائلون قوله فاسأل به راجع الى قوله الرحمن وذلك ان بعض كفار مكة قالوا لما سمعوا ذكر الرحمن
الا كذلك قول الشعر فنحن ذلك فقال النبي هذا كلام الرحمن فقال اهل العلم انه الكلام الرحمن الذي هو
يعلمك فقال النبي الرحمن هو الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما من عندي ياتيني ذلك فقال ان الله واحد
وهو يقول والله يعلي والرحمن يعلي اسم تعلمون ان هذا القرآن كلام نحوهم وجائز ان يكون قوله وما الرحمن
الرحمن عرفوا الله تاكيرا ذلك لانه لم يكونوا يسمعون ذلك فخرهم بقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية
كل معبود لها وكذلك يسمون الاصنام ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم الى عبادة الرحمن
فظنوا انه غيره فقالوا ذلك واخبر ان الرحمن والاله واحد ليس هو
غيره حيث قال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا الى اخر ما ذكر يقول الله تعالى الرحمن
غير لا اله الرحمن هو الذي جعل في السماء بروجا وكذلك لا يجعلون ان الذين جعل في السماء البروج وهي النجوم وجعل فيها السراج
وهي الشمس والقمر هو الله فاخبر ان الرحمن هو ذلك لا غير وفي قول بعضهم ان قوله الذي خلق السموات والارض
الاية من المكتوم وفي الاية دلالة انه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم ويفسر حيث قال فاسأل به خبيرا ولو كان مما لا يعلم
لا يامره ان يسأل به خبيرا وان امره بالسؤال لكان لا يحتمل ان لا يخبره دل ذلك انه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم لكن
لا يعلمه الا الخبير والخبير هو العالم ثم يحتمل الله الجبريل او من يعلمه والله اعلم وقوله فاسأل به قال بعضهم بالله وقال بعضهم
بالذي سبق ذكره ثم قوله ثم استوى على العرش وقوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قد ذكرنا انسجد لما تامرنا
بالمباء والثناء جميعا وقوله وزادهم نفورا اي زادهم دعاؤه الى عبادة الرحمن نفورا عن رسول الله وقال بعضهم في قوله
فاسأل به خبيرا يقول ما اخبرتك من شيء فهو كما اخبرتك لا شك فيه والله اعلم وقوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا
قوله تبارك قد ذكرنا ان بعضهم يقولون هو من البركة وقال بعضهم هو من التعالي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا
منيرا هو ما ذكرنا انه خرج جوابا لقولهم وما الرحمن وكذلك قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي جعل احدهما خلفا للاخر اذا
ذهب هذا جاء هذا لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يذكر الليل والنهار لمن اراد ان يتذكر مواعظه او يشكر نعمه لانهما يذكران
قدرته وسلطانه حيث يقهران الجبابرة والفراعنة ويغلبانهم حيث بطلانهم وياتيانهم شاؤا او كرهوا لا يقدرون دفعهما
عن انفسهم وفيهما دلالة الاحياء والبعث بعد الفناء والهلاك حيث ذهب هذا في باخر بعد ان لم يبق من اثره شيء فمن قدر على
هذا قدر على البعث والاحياء بعد الموت وذهاب اثره ويذكران ايضا نعمه والاءه لانه جعل النهار متقلبا لمعاشهم ومطلبا لرزقهم
وما به قوام انفسهم وجعل الليل مستراحا لابدانهم وسكونهم لا قوام للابدان لاحدهما دون الاخر الا ترى انه كيف ذكر نعمه
فيهما حيث قال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة الاية وقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه الاية يذكرهم عظيم نعمه فيهما اعني في الليل والنهار لتتادى به شكر نعمه
ذلك هذا ما ذكرنا قوله جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا النعم التي جعل فيهما وقال بعضهم قوله
خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يكون كل واحد منهما خلفا للاخر فيما يفوت فيه من التذكر والشكر له اي ما فات في احدهما
من التذكر والشكر يقضي في الاخر وقال الحسن قريبا مما ذكرنا وقال من فاته شيء بالليل ادركه بالنهار ومن فاته شيء بالنهار ادرك
بالليل وعلى مثل ذلك روي عن عمر ان رجلا قال له يا امير المؤمنين اني فاتتني الصلوة الليلة فقال عمر ادرك ما فاتك من ليلتك
ثم قرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال بعضهم خلفة من الاختلاف اي يخالف احدهما الاخر ثم يحتمل الاختلاف وجهين
احدهما يجي هذا وذهاب الاخر على ما ذكرنا كقوله واختلاف الليل والنهار والثاني هو اختلاف اللون بالسواد والبياض
احدهما اسود والاخر ابيض والله اعلم وقوله جعل في السماء بروجا وقال بعضهم البروج هي النجوم العظام والواحد برج وهو قول
ابي عوسجة الاعرابي وقال بعضهم البروج القصور في السماء فيها تنزل الشمس في كل ليلة وروي عن سلمان ان رجلا اتاه
فقال يا سلمان اني لا استطيع قيام الليل قال ان كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار وذكر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول اصيبوا من هذا الليل ولو ركعتين ولو اربعا وذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان في كل ليلة
ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا الا اعطي في هذا الليل والنهار فانهما مطيتان تقحمان الناس الى اجالهم تقربان كل

بعيد ويبليان كل جديد ويحييان كل موعود حتى يؤدى ذلك الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يصير الناس باعمالهم
الى الجنة والى النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت وقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وصف عز وجل اهل الصفوة
والاخلاص من عباده انهم يمشون على الارض هونا الى اخر ما ذكر والا كانوا كلهم عباد الرحمن لكن وصف اهل الصفوة منهم والاخلاص
والتقى وقوله يمشون على الارض هونا قال بعضهم حلما اتقيا بغير مرح ولا بطر وقال بعضهم هونا اى متواضعين لا خيلاء ولا كبرياء
ولا مرحا وعن الحسن قال هم المؤمنون قوم ذلل ذلت والله الاسماع والابصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى والله ما بالقوم
من مرض وانهم لاصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم وفى بعض الاخبار مرفوعا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ واصله انهم يمشون هونا من غير
ان يتاذى بهم احد اى يلحق باحد منهم ضرر ومعنى والله اعلم وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال بعضهم اذا خاطبهم
الجاهلون وسافههم السفهاء لا يجاهلون اهل الجهل والسفه ولكن قالوا السلام عليكم وقال بعضهم اذا سمعوا الشتم
والاذى قالوا سلاما اى سدادا وصوابا من القول ورد امر وقال اعرضوا عن سفههم وجهلهم بهم ولم تكافوهم كقوله
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الاية يخبر عز وجل عن صحبتهم اهل السفه والجهل وحسن
معاشرتهم اياهم ورفقهم بهم فكيف يعاملون اهل الخير والعقل منهم ويصاحبونهم فهذه معاملتهم الخلق على الوصف
الذى وصف ثم اخبر عن صنيعهم لله وركوعهم اليه فقال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما عن الحسن قال لما نزلت هذه
الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله الذى يبيتون الليل وايديهم على ركبهم ثم قال من صلى ركعتين بعد العشاء
فقد بات لله تعالى ساجدا قائما وقال الحسن كانوا يبيتون لله على اقدامهم ويفترشون وجوههم سجدا لربهم تجرى دموعهم
على خدودهم فرقا من ربهم وقال لامر ما سهر له ليلهم ولامر ما خشع له نهارهم وقوله والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم يحتمل ان يكون هذا اخبارا من الله تعالى عما فى ضميرهم ليس على حقيقة القول والدعاء لان من بلغ فى العبادة والورع
المبلغ الذى وصفهم لا يشغلون انفسهم بالسؤال عن دفع المضار وجر النفع ويحتمل على الدعاء والقول على ما اخبر والله اعلم
ثم اخبر عن عذابها فقال ان عذابها كان غراما قال الحسن الغرام اللازم الذى لا يفارق صاحبه وكل غريم يفارق غريمه غير عذاب
جهنم وقال بعضهم الغرام الهلاك وقال انها ساءت مستقرا ومقاما اى جهنم بئس المستقر وبئس المقام لاهلها هو مقابل ما ذكر
لاهل الطاعة الجنة حيث قال حسنت مستقرا ومقاما وقال بعضهم غراما عذابا فى الاخرة ما نعموا فى الدنيا وفى حرف ابن مسعود كان
غراما انما ابتليتا انها ساءت مستقرا ومقاما وقال ابو عوسجة هن ياهون الرفق يقال هان يهون هونا فهو هاين وقوله اذا عز
اخوك فهن اى اذا اشتد فارفق به والغرام الهلاك وكذلك قال القتبى غراما اى هلكة وقال بعضهم هونا رويدا سلاما اى
سدادا من القول لا رفث فيه ولا هجر وقوله اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال بعضهم لم يسرفوا فى غير حق كسبوا طيبا وانفقوا
قصدا واعطوا فضلا ولم يجوروا واستبشروا ولم يقتروا اى لم يمسكوا عن الحق وقوله وكان بين ذلك قواما اى بين الاسراف و
العسر مقصدا وهو تاويل مقاتل وقال بعضهم الاسراف هو الانفاق فى معصية الله ولم يقتروا اى لم يمنعوا عن طاعة الله وكان
بين ذلك قواما اى عدلا لا يمسك عن حق ولا ينفقون فى باطل ولكن نفقته فى طاعة وقال بعضهم الاسراف فى النفقه هو
الانفاق فيما لا ينتفع من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة التى كانوا يتركونها سدى ولا ينتفعون بها والاقتار هو الامساك
عن الانفاق فيما ينتفع به وقال بعضهم الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذى جعل له فى الانفاق فى الاكثار والاقتار هو المنع عن
الحد الذى جعل له وكان بين ذلك قواما اى وسطا كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولكن بين
ذلك واصله لم يسرفوا اى لم ينفقوا ولم يمنعوا الا فيما امروا ان ينفقوا فيه وكان بين ذلك قواما اى قائما فى ذلك يحتمل
ان ما يفعلون لا يفعلون الا بامر واخبر انهم لا يدعون مع الله الها اخر يحتمل هذا وجهين لا يدعونه اى لا يعبدون دون الله
غيره او لا يسمون غير الله ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون اخبر فى الاية الاولى فى قوله يمشون على الارض
هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما عن معاملتهم الخلق وصنيعهم بينهم وبين العباد حيث اخبر انهم يمشون هونا لا يؤذون
احدا ولا يضرونه واذا اذاهم اهل الجهل والسفه لم يكافوهم لاذاهم ولكن احتملوا ذلك عنهم وتجاوزوا وقالوا لهم قولا سديدا
هذه معاملتهم فيما بينهم وبين الخلق بالنهار واخبر عن معاملتهم ودعائهم ربهم بالليل حيث قال والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم الاية ثم اخبر عن صنيعهم فى اموالهم التى فى ايديهم انهم لا ينفقونها
الا فيما امروا ولم يضيع فيها واخبر عن صفوتهم واخلاصهم لله فى العبادة وكفهم عن محارم الله حيث قال اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وقوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون وقوله والذين
لا يشهدون الزور موصول بهذا ايضا ومقدم عن قوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما كانه قال ولا يشهدون الزور ومن يفعل
ذلك اى ما ذكر من قتل النفس المحرمة والزنا والشهادة الزور والشرك يلق اثاما قال بعضهم اثاما اى واديا فى جهنم وقال
بعضهم اثاما عذابا فى النار وقوله لا يشهدون الزور وقال بعضهم لا يشهدون مكان الزور وهو الغناء اى لا يشهدون
المكان الذى يتغنى فيه وقال بعضهم لا يشهدون بشهادة الزور وهو الكذب وقوله واذا مروا باللغو مروا كراما مردد

الكرام الى ان قدروا على تغيير ما عاينوا من اللغو والمنكر غيروه وعطفوا على وجههم من غير ان دخل فى ذلك فساد فان لم يقدروا
مضوا على وجوههم ولا اشتغلوا به كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وفى قوله ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون
دلالة نقض قول الخوارج باكفارهم اصحاب الكبائر لانه اخبر انها محرمة بعد ارتكابها الزنا والقتل كما هى قبل ارتكابها الا بالحق
حيث قال ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق [illegible]
[illegible] لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس [illegible]
[illegible]
[illegible] والقوام الوسط ويقال لا قوام لى بهذا الامر اى لا طاقة لى به [illegible]
[illegible] والقوام النفقة [illegible]
[illegible]
[illegible] والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله يضاعف له العذاب يوم القيمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وعباد الرحمن [illegible]
[illegible]
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات
وما ذكر ايضا لازواجه حيث قال يا نساء النبى من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين كل من كان
اعظم قدرا واكثر نعما عليه فعقوبته اذا عصى ربه اكثر واشد من الذى لم يبلغ ذلك المبلغ ولا تلك المرتبة فيكون ضعف
عزه وجزاء مثله والثانى ان يكون ذلك للائمة اعنى الكفرة والرؤساء دون الاتباع لا عملوهم بانفسهم ودعوا غيرهم
الى ذلك كقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم او ان يكون ذلك لهم للعناد الذى كان منهم والمكابرة ثم استثنى من
تاب منهم فقال الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الاية فان كان الاية فى الذين قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
فكان فيه دلالة جواز توبة المرتد اذا تاب ورجع الى الاسلام حيث استثنى من تاب منهم وقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات يحتمل وجهين احدهما يوفق الله اذا تابوا وندموا على ما فعلوا من السيئات فى الدنيا حتى يعملوا مكان كل سيئة عملوها
فذلك معنى تبديل الله حسنات اى يوفقهم على ذلك والثانى يبدل الله سيئاتهم حسنات فى الاخرة لما كان منهم الندامة و
الحسرة على كل سيئة كانت منهم فى الدنيا وعلى ذلك روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ليأتين اقوام يوم القيمة ودوا انهم
استكثروا من السيئات فقيل له يا ابا هريرة ومن هم قال هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات وكانه روى مثله عن عبد الله بن مسعود
وقوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا لا يرجع عنها ابدا وعلى ذلك يخرج قوله ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين اى ان يكن منكم عشرون صابرون فليثبتوا ليغلبوا مائتين على الامر دليله قوله حيث قال الان خفف الله عنكم الاية و
الثانى ان يكون ذلك لقوم خاص علم الله انهم اذا تابوا توبة لا يرجعون عنها ابدا والا ليس كل من تاب يكون على توبته ابدا
وقوله والذين لا يشهدون الزور قد ذكرناه واذا مروا باللغو مروا كراما قد ذكرناه ايضا وقال بعضهم اذا اوذوا صفحوا وقال
بعضهم انهم كانوا اذا اتوا على ذكر النكاح او غيره كنوا عنه قال ابو عوسجة والقتبى يلق اى عقوبة الاثام العقوبة وقوله مروا
كراما اى لم يخوضوا فيه واكرموا انفسهم عنهم صما وعميانا اى لم يتغافلوا عنها وقال بعضهم انهم اذا وعظوا بالقران لم يخروا
عليها صما وعميانا عند تلاوة القران فلا يسمعون ولا يبصرون ولكن يخرون عليها سمعا وبصرا وهو واحد وقوله والذين
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين قد نعتهم عز وجل فى معاملتهم انهم كيف عاملوا ربهم بالليل والنهار
ونعتهم ايضا فى معاملتهم عباده انهم كيف عاملوا عباده ثم نعتهم فى معاملتهم اهليهم ودعائهم لهم فقال يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين فهو والله اعلم لما امرهم ان يقوا انفسهم واهليهم النار بقوله قوا انفسكم واهليكم
نارا الاية فعند ذلك دعوا ربهم وسالوا ان يهب لهم من ازواجهم وذرياتهم ما تقر به اعينهم فى الدنيا والاخرة
وقال بعضهم لجعلهم صالحين مطيعين ذلك يقر اعيننا قال الحسن والله ما شئ احب الى العبد المسلم من ان يرى ولده
او حميمه يطيع الله وقال زهيد يحبون بطاعة الله فتقر بذلك اعيننا والله اعلم وقوله واجعلنا للمتقين اماما قال
بعضهم اى اجعلنا ائمة هدى وتقوى يقتدى بنا وقال بعضهم بحال يقتدى بنا المتقون واصله والله اعلم كانهم
سالوا ربهم ان يجعلهم بحال من اقتدى بهم صار متقيا لا من اقتدى صار زيغا الا فاسقا والله اعلم تاويله والاسوا

ان اجعلنا اماما للمتقين لا معنى له ان يطلبوا لانفسهم الامامة ولكن على الوجه الذي ذكرنا والله اعلم ثم اخبر عن جزائهم
في الاخرة بصنيعهم في الدنيا وصبرهم على ما امروا فقال اولئك يجزون الغرفة بما صبروا والغرفة هي اعلى المنازل واشرفها
اخبر انهم يجزون ذلك ويكونون فيها وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه اولئك يجزون الجنة بما عملوا وجائز ان يكون الغرفة
المذكورة في الاية كناية عن الجنة يدل له حرف ابن مسعود وجائز ان يراد به نفس الغرفة وهو لارتفاعها وعلوها على غيرها
من المنازل وذلك مما يختار الكون فيها في بعض الاوقات في الدنيا والناس يرغبون فيها لاشرافها وارتفاعها على غيرها فرغبهم
بذلك في الاخرة وقوله ويلقون فيها بالتخفيف والتشديد ويلقون تحية وسلاما اي يلقاهم الملائكة بالتحية والسلام
كقوله سلام عليكم بما صبرتم وقوله سلام عليكم طبتم او يلقى بعضهم بعضا بالتحية والسلام ويحيي بعضهم بعضا ويسلم
بعضهم على بعض وقوله خالدين فيها دائمين حسنت مستقرا ومقاما تاويله والله اعلم اي حسنت لهم الجنة مستقرا و
مقاما حتى لا يملوا فيها ولا يسأموا ولا تاخذهم الوحشة والكآبة كنعيم الدنيا يمل عنها ويسأم عند الكثرة وطول المقام
فيها وقوله قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم قال بعضهم ما يعبأ بكم ربي اي ما يعتد بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى التوحيد
لتوحدوه وتطيعوه وقال بعضهم ما يعبؤ اي ما يصنع بكم ربي وتاويله والله اعلم اي ما يصنع ربي بعذابكم ان وحدتموه
والمعتمد بقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقوله فقد كذبتم فسوف يكون لزاما اختلف فيه قال
بعضهم هو عذاب يوم بدر يعني الزم بعضهم بعضا وكذلك قال ابن مسعود قال مضت اية الدخان والبطشة واللزام
يوم بدر وقال بعضهم لزاما اي عذابا لازما غير مفارق وهو عذاب الاخرة وقال ابو عوسجة ما يعبؤ بكم ربي اي ما يصنع
يقال عبؤت عبأ فهو عابئ اذا احتاج اليكم ويقال ما اعبؤ بهذا الامر اي ما اصنع به ويقال العباءات بغلاوى اي احتجب الله

وكذلك قول القتبي والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طسم قد ذكرنا تاويل الحروف المعجمة
فيما تقدم وكذلك قوله تلك ايات الكتاب المبين قد ذكرنا تاويله ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين كان يشتد
على رسول الله تركهم الايمان وتكذيبهم اياه اشفاقا وخوفا عليهم وتعظيما لله واجلالا له حتى كادت نفسه تهلك حزنا على ذلك
وكقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا والاسف هو النهاية في الحزن كقوله يا اسفى على يوسف
وقال بعضهم الاسف هو النهاية في الغضب كقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم قيل اغضبونا وقد ذكرنا في سورة يوسف على ما ذكر الله
رسوله ووصفه كان مطبوعا يحزن ويتاسف لمكان كفرهم وتكذيبهم كقوله عزيز عليه ما عنتم الاية يحزن عليهم اشفاقا عليهم
ويغضب عليهم لله تعظيما له واجلالا له لما ضيعوا امره ونهيه وهكذا الواجب على كل من راى اخر في فاحشة او كبيرة ان
يحزن ويترحم عليه ويغضب لله لما ارتكب من الفاحشة وقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
قالت المعتزلة قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية مشيئة قسر وقهر حتى يضطروا لها فيؤمنوا لكن عندنا مشيئة الايمان
والاختيار اي ان نشأ ايمانهم ننزل عليهم اية فيؤمنوا الان الاية لا تضطر احدا ولا تقهر على الايمان دليله قوله ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية اخبر انهم لا يؤمنون وان فعل ما ذكر ولا يضطرهم ذلك على الايمان وكذلك ما اخبر عنهم في الا
حيث قال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الاية وقوله ثم لم تكن فتنتهم الاية اخبر عن حلفهم وانكارهم في الاخرة انهم
لم يكونوا على ما كانوا ولا يكون اية اعظم مما عاينوا من انواع العذاب ثم لم يمنعهم ذلك عن التكذيب ولا اضطرهم على الاقرار
والتصديق دل ان الاية وان كانت عظيمة لا تضطر اهلها على الايمان والتصديق وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم ما يغنينا
عن ذكرها في هذا الموضع فظلت اعناقهم لها خاضعين اي مائلة وخضعت لها والاعناق كناية عن انفسهم وعن
ابن عباس قال فظلت اعناقهم لها خاضعين قال سيكون لنا دولة على بني امية فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة وهوان لهم
بعد عزة فقد كان ذلك وقال بعضهم الاعناق السادة والقادة والواحد عنق اي اذا اسلم القادة اسلم الاتباع اتباعا
والله اعلم وقوله وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث قال بعضهم يقول كلما نزل شيء من الموعظة والذكر فهو محدث
من الاول وجائز ان يكون قوله وما ياتيهم من ذكر اي ما ياتيهم من ذكر ما يرفع به ذكرهم في الاخرين وشرفهم في الخلق
الا كانوا عنه معرضين لانهم لو امنوا لذكروا في الناس ويبقى لهم ذكر وشرف كذكر الانبياء والرسل فيهم الى اخر الدهر
وقوله محدث هو محدث على هذين الوجهين الذين ذكرناهما قال القتبي وابو عوسجة فظلت اعناقهم كما تقول ظلت اليوم
قال والاعناق السادة والواحد منه عنق وقوله فقد كذبوا الاية هي ظاهرة قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله اولم
يروا الى الارض هذا يحتمل وجهين احدهما قدرا وما انبتنا واخرجنا منها والثاني على الامر اي روا ما انبتنا في الارض
واخرجنا منها من كل زوج كريم قال الحسن الكريم الحسن كالبهيج وقوله من كل زوج اي جنس حسن وقوله ان في ذلك
لاية يحتمل قوله لاية لوحدانية الله والوهيته واية لسلطانه وقدرته واية لعلمه وتدبيره لان من قدر على احياء النبات
والارض بعد ما يبس وجف لقادر على احياء الموتى وبعثهم ودل اخراج النبات من الارض في كل عام على حد واحد وعلى قدر
ووزن واحد على انه انما خرج ذلك على تدبير وعلم ذاتي وقدرة ذاتية ليست بمستفادة ودل ذلك كله انه فعل واحد قادر

مدبر عالم لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء والله الموفق وقوله وما كان اكثرهم مؤمنين يحتمل قوله وما كان اكثر الذين بعث
اليهم محمد مؤمنين وهم الذين كانوا وقت بعثه وجائز ان يكون وما اكثر ما يكونون مؤمنين وقوله وان ربك لهو العزيز
الرحيم جائز ان يقال العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه ويحتمل العزيز على الخلائق كلهم وهم اذلاء دونه يعز من عز
وقوله واذ نادى ربك موسى واوحى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون فيه دلالة ان موسى صلوات الله
عليه كان مبعوثا رسولا الى فرعون وقومه وان كان لم يذكر في بعض الايات قومه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى
وقال بعضها الى فرعون وملائه فهذا لانهم كانوا الرؤساء والقادة فاذا استواهم اتبعهم الاتباع في ذلك والا كان
في الحقيقة رسولا اليه والى قومه جميعا الاتباع والمتبوعين لما ذكر في الاية وقوله قوم فرعون الا يتقون كانه على
الاضمار ان ائت القوم الظالمين وقل لهم الا تتقون ثم قوله الا يتقون يحتمل وجهين احدهما الا تتقون مخالفة امر الله ونهيه
او نقول الا تتقون نقمة الله وعقوبته والله اعلم وقوله قال رب اني اخاف ان يكذبون لم يقطع موسى القول في التكذيب
ولكنه على رجاء كان ذلك وذلك والله اعلم كقوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى كان على رجاء ذلك منه لهذا والله
اعلم وجائز ان يكون على القطع والعلم منه بالتكذيب كانه قال اني اعلم ان يكذبون لكن ذلك جائز في اللغة وقوله ويضيق
صدري ولا ينطلق لساني لان عليه ان يغضب لله اذا كذبوه فاذا اشتد بالمرء الغضب ضاق صدره وكل لسانه وهو ما
دعا به وسأله حيث قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني الاية وهو ما ذكرنا ان الغضب اذا
اشتد بالمرء يضيق صدره حتى يمنعه عن الفهم ويكل لسانه حتى يمنعه عن العبادة والبيان وجائز ان يكون ذلك لانه كانت
بلسانه ثم ضيق الصدر يكون لوجهين احدهما لعظم امر الله وجلاله وقدره اذا كذبوه وردوا رسالته وامره ضاق لذلك صدره
او يضيق لما ينزل عليهم من عذاب الله ونقمته بالتكذيب اشفاقا عليهم منه والله اعلم وقوله فارسل الى هرون ولهم علي
ذنب فاخاف ان يقتلون قوله فارسل الى هرون كسؤاله اياه حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري
واشركه في امري فعلى ذلك قوله فارسل الى هرون يكون معي في الرسالة وكقوله هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا الاية
وذنبه الذي ذكر انه عليه هو قتل ذلك القبطي وهو قوله فوكزه موسى فقضى عليه ذلك ذنبه الذي لهم عليه ثم قال
كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون وقوله كلا رد على قول موسى فاخاف ان يقتلون كانه قال لا تخف وهو ما قال في اية
اخرى حيث قالا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال عند ذلك لا تخافا انني معكما اسمع وارى فعلى ذلك قوله
كلا فاذهبا اي لا تخافا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون وقال في تلك الاية انني معكما اسمع وارى اي اسمع ما تقولون لهما
وارى ما يفعلون بكم فامنعهم عنكما لانهما ذكرا الخوف منه من شيئين من الفعل والقول حيث قالا اننا نخاف ان يفرط
علينا بالقول او ان يطغى بالفعل وقوله فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل وقوله ان ارسل
معنا بني اسرائيل ليس على ارسال الحقيقة معه ولكن على ترك استعبادهم كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم اي خل بينهم
وبين استعمالك اياهم واستعبادك والله اعلم ثم قال له فرعون الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين يذكر نعمه التي
انعمها عليه بتربيته اياه صغيرا وكونه فيهم دهرا وكفران موسى لما انعم عليه وهو ما قال وفعلت فعلتك التي فعلت وانت
من الكافرين وهو قتل ذلك القبطي الذي وكزه موسى بذلك فاخبر انه فعل ذلك حيث قال فعلتها اذا وانا من الضالين وقوله
فعلتها اذا وانا من الضالين اي فعلت كذلك وانا كنت من الجاهلين لانه لم يعلم ان وكزته تلك تقتله والا لو علم ما وكزه لانه لم يحل له
قتله حيث قال هذا من عمل الشيطان دل ذلك منه انه كان لم يحل قتله الا انه جرى ذلك على ابن خطاء وجهل وفيه دلالة
ان الرجل قد يعاتب ويؤاخذ بما يجري على ابن خطاء وجهل ويخاطب بذلك حيث قال فعلتها اذا وانا من الضالين ثم قال ففررت
منكم لما خفتكم وهو حين قال له الرجل ان الملأ ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج الاية فخرج منها خائفا يترقب وذلك قوله منهم
وقوله فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين قال بعضهم قوله فوهب لي ربي حكما اي نبوة وقال بعضهم حكما اي علما بالحكم
وجعلني من المرسلين وقد كان ذلك له كله وقوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وهو استعبادك اياهم اي انا
ذكرت هذا فاذكر ذاك هذا يحتمل وجوها احدها اي تذكر ما انعمت علي وتمنها ولا تذكر مساويك ببني اسرائيل وهو استعبادك
اياهم اي اذا ذكرت هذا فاذكر ذاك والثاني ان تلك نعمة تمنها علي حيث لم تعبدني وعبدت بني اسرائيل يخرج على قبول المنة
منه والثالث وتلك نعمة لو خليت عن بني اسرائيل ولم تستعبدهم لولا ذلك غلب وتمام هذا يقول موسى لفرعون اتمن علي يا
فرعون بان اتخذت بني اسرائيل عبيدا وكانوا احرارا فقهرتهم وقال موسى فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين بذلك
لم يعلم انه يتولد من وكزته الموت وكذلك روي في بعض الحروف وانا من الجاهلين دل انه على الجهل ما فعل ذلك لا على القصد
وقال بعضهم في قوله وتلك نعمة تمنها علي يقول وهي منة تمنها بقوله الم نربك فينا وليدا يقول تمن بها علي ان تستعبد بني
اسرائيل وتمن علي بذلك ثم قال فرعون لموسى وما رب العالمين فقال له موسى رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم
موقنين ثم قال لمن حوله الا تستمعون انما قال اللعين هذا والله اعلم لما وقع عنده ان موسى حاد عن جواب ما سأله لانه
انما سأله عن ماهيته فهو انما اجاب عن فعله وربوبيته فظن انه حاد عن جواب ما سأله وكذلك قال لقومه الا تستمعون

الى ما يقول موسى تعجبا منه انى اساله عن شيء وهو يجيبني عن شيء اخر ثم قال موسى ربكم ورب ابائكم الاولين تعالى عند ذلك
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون نسبه الى الجنون لما ذكرنا انه ظن انه حايد عن الجواب في كل ما ذكر انما كان السؤال منه عن الماهية
وهو لم يجبه عنها فعند ذلك قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون لم يجبه موسى في كل ما ذكر عن الماهية
ولكن اجابه في الاول في بيان ربوبيته والوهيته حيث قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ذلك تعرف اللعين
انه ليس هو رب السموات والارض لا يعلم ان لا صنع له في ذلك وانه لم ينشئهما ولكن انشاهما رب العالمين على ما ذكر موسى لكنه كان
لم يعرف حدثهما ولا فناءهما بما ذكر له موسى لما لم يشاهد حدثهما وفناءهما وهو ما قال ربكم ورب ابائكم الاولين ذكر له
ما شاهد حدثه وفناءه فاذا عرف حدث ما ذكر وفناءه يعرف ان لم يكن بنفسه ولا كون نفسه ولكن محدث احدثه وعند
برد بين ثم قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ذكر منها قدرته وسلطانه وهو يأتي بالنهار من المشرق وبالليل من المغرب
ويطلع الشمس من المشرق ويغربها من المغرب وكذلك القمر والنجوم ففيه دلالة البعث لان من قدر على ان يأتي بالنهار
من كذا وبالليل من ناحية كذا والشمس والقمر من كذا قادر على البعث لا يعجزه شيء ففي كل حرف من هذه الاحرف دلالة واستدلال
على شيء ليس ذلك في الاخرى ففي قوله رب السموات والارض دلالة ربوبية الله والوهيته وفي قوله ربكم ورب ابائكم
الاولين دلالة حدث ما ذكر وفنائه ودلالة محدث له ومدبر وفي قوله رب المشرق والمغرب دلالة قدرته وسلطانه على
البعث على الوجه الذي ذكرنا وفي ذلك دلالة ان الله تعالى لا يعرف بالماهية ولا بالمائية ولكنه انما يعرف من جهة الاستدلال
بخلقه وبالايات تدل على وحدانيته حيث سال فرعون موسى عن الماهية فاجاب له على الاستدلال بخلقه ثم قال اللعين
لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال بعضهم انما اوعده السجن ولم يوعده القتل لانه طلب منه الحجة على ما ادعى من
الرسالة حيث قال فات بها الاية ولو قتله لكان لا يقدر على اتباعها وقال بعضهم لا ولكن كان سجنه اشد من القتل ومن كل عقوبة
فقال له موسى اولو جئتك بشيء مبين اي ببيان ربوبية الله والوهيته او ما يبين اني رسول فقال له فرعون فات به ان كنت
من الصادقين بالرسالة وما ادعيت فدل قول فرعون لموسى حيث قال له فات به ان كنت من الصادقين انه قد عرف رسوله
وانه ليس باله على ما ادعى وان الاله غيره حيث طلب منه الاية وقوله ان كنتم موقنين بالايات التي تدل على وحدانية الله تعالى
ووحدانيته ذكر هذا مقابل انكارهم الصانع والايقان هو العلم الذي يستفاد من جهة الاستدلال ولذلك لا يقال الله موقن
وقوله ان كنتم تعقلون ذكر مقابل قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون **وقوله** فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
قال بعضهم الثعبان هي الكبيرة العظيمة من الحيات وقال في موضع اخر فلما راها تهتز كانها جان وقال في موضع اخر فاذا هي حية تسعى
فجائز ان يكون كالثعبان بعدما طرحها والقاها وقبل ان يطرحها كالجان وهي حية الصغيرة والله اعلم **وقوله** ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين بياضا خارجا عن خلقة البشرية وخارجا عن الافة على ما ذكر في اية اخرى من غير سوء **وقوله** قال للملأ حوله
ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره هذا منه اغراء وتحريش منه لقومه على موسى لئلا ينظروا اليه بعين التعظيم
ما اتاهم من الاية واذا حيث قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وموسى كان لم يرد اخراجهم من ارضهم ولكن ذلك اغراء منه لهم
عليه ليتبعوه كانه يقول يريد ان يخرجكم من ارضكم فيفسد عليكم معاشكم ويضيق عليكم متاعكم ومنقلبكم **وقوله** فماذا
تامرون هذا يبين انه كان عرف انه ليس باله فتبين دناءته وقلة معرفته لانه لا يقول ملك من الملوك لقومه ماذا
تامرون وخاصة من يدعي لنفسه الالوهية بقوله ما علمت لكم من اله غيري فدل انه كان خسيس الهمة دني الراي والبال
وقوله قالوا ارجه واخاه اي احبسه واخره وابعث في المدائن حاشرين الحاشر الجامع والحشر الجمع ياتوك بكل سحار عليم
وكان يجب ان يعرفوا ان السحر يقابل بسحر مثله ولا يحتاج الى ان يسال قومه ذلك لكنه كان التعين ما ذكرنا من قلة التمييز
في الامر وخساسة الهمة ودناءة الراي **وقوله** فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة
ان كانوا هم الغالبين قال الذين يتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ولم يقل نتبعهم ان كانت معهم الحجة ليعلم انه لم [illegible] وعرف ان لا
حجة معهم وان الحجة مع موسى حيث وعد اتباع الغالبين دون من معهم الحجة وفي حرف ابن مسعود وقال للناس هل انتم مجتمعون
الى السحرة انهم [illegible] منهم الغالبين **وقوله** فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم
اذا لمن المقربين هذا ظاهر قال اهل التاويل قال بعضهم [illegible]
وقال الساحر كذا وغير ذلك من الكلام مما ليس في الكتاب ذكره وليس ينبغي لهم ان يشتغلوا بشيء من ذلك لانه ليس
شيء يتعين القران لانه يخرجه ذلك من الزيادة والنقصان ويكون الكذب في الحكاية [illegible] في رسالة رسول الله
هذه الانباء كانت في كتبهم فذكرت لرسول الله لتكون اية له في الرسالة فان زادوا او نقصوا [illegible] هذا
بذكره كتبنا على هذا الوجه ما ينبغي لهم ان يزيد او ينقص على ما ذكر في الكتاب وينقصوا [illegible] وذلك مقابل
رسول الله **وقوله** قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فان قيل كيف قال موسى القوا السحر [illegible] وهو يعلم انه سحر
يلقون هو سحر كفرهم بالسحر قيل هذا وان كان في الظاهر امرا فهو في الحقيقة ليس بامر انما هو تهدد [illegible]
وصنعكم وذلك كثير في القران ظاهره امر وهو في الحقيقة توعيد وذلك كثير في القران ظاهره امر وهو في الحقيقة توعيد كقوله لابليس

واستفزز

واستفزز من استطعت منهم بصوتك الاية ليس يخرج على الامر ولكن على الوعيد والتهدد اي وان فعلت ذلك فلا سلطان
لك عليهم كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله ان عبادي ليس لك سلطان وقوله اعملوا ما شئتم والثاني امرهم بذلك ليظهر
كذبهم ويتبين صدقه وحجته اذ بذلك يظهر او قال لهم ذلك لما كان ذلك سبب ايمان اولئك السحرة والله اعلم **وقوله** فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون هذا يدل ان السحرة كانوا يعبدون فرعون حيث قالوا بعزة فرعون وقد علموا عجز فرعون
وضعفه حيث فزع اليهم وقالوا فماذا تامرون **وقوله** فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون وقد قرئ تلقف بالتخفيف
قال ابو عوسجة تقول تلقفت الشيء والتقفته اي اخذته وقال غيره تلقف اي تلقم وهو واحد وقوله يافكون وهو الفاعل
بمعنى المفعول اي ما فوك وذلك جائز في اللغة وامثاله كثير كقوله في عيشة راضية ونحوه **وقوله** فالقي السحرة ساجدين
اخبر لسرعة ما سجدوا كانهم القوا لما بان لهم من الحق وظهر فقالوا امنا برب العالمين قال اهل التاويل ان فرعون قال عند
ذلك انا رب العالمين فقال السحرة رب موسى وهرون لكن الامتناع عن هذا وامثاله مما لم يذكر في الكتاب اولى لما ذكرنا انه
انما يحتج عليهم هذه الانباء على تصديق من اهل الكتاب له في ذلك لما هي مذكورة في كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذبونه
في ذلك فيذكر القدر الذي في الكتاب لئلا يدخل فيه الزيادة والنقصان فيفرق به ويكذب الا ما ظهر عن رسول الله
القول به فيقال والا الامتناع والكف اولى ثم قال فرعون امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر ان فرعون
قد علم ان ما جاء به موسى هو حجة لكنه كان يلبس على قومه واصحابه ويغريهم عليه فقال مرة ان هذا لساحر عليم وقال
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقال مرة انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون وقال ان هذا لمكر مكرتموه
في المدينة الاية ثم اوعدهم بوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين فقالوا لا ضير
انا الى ربنا منقلبون اي انا الى ثواب ربنا الذي وعد لنا لراجعون لا يضرنا ما توعدنا به قال ابو عوسجة والقتبي
لا ضير هو من ضاره يضوره ويضيره بمعنى ضره وقد قرئ وان تصبروا لا يضركم كيدهم شيئا بالتخفيف يعني لا يضركم فقالوا انا
نطمع ان يغفر لنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين قال بعضهم ان كنا اول المؤمنين وقال بعضهم ان كنا اي اذ كنا اول اهل مصر
ايمانا وجائز ان كنا اول المؤمنين للحال وقال بعضهم اهلا لنا وبيان فرعون قد فعل بهم ما اوعد من قطع الايدي و
والارجل والصلب لكن ليس في الاية بيان ظهور حلول ما اوعدهم فلا نقول به لمخافة الكذب **وقوله** واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي انكم متبعون اسر سير الليل وهو ما قال في اية اخرى فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه
وقوله فارسل فرعون في المدائن حاشرين اي ارسل في المدائن من يحشر الجنود والعساكر وقالوا ان هؤلاء يعنون اصحاب موسى لشرذمة
قليلون قال بعضهم الشرذمة الجماعة العصابة اي عصابة قليلة قال بعضهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون اي طائفة قليلة
وانهم لنا لغائظون اي لنا غائظون في الحلي الذي استعاروه منا اي ودوابه مغايظة لنا وقال بعضهم وانهم لنا لغائظون
بما فعلناهم من قتل اولادهم واستعباد نسائهم ورجالهم فيفعلون بنا ما فعلنا بهم ان ظفروا بنا **وقوله** وانا لجميع حاذرون
وحذرون قال بعضهم من الحذر وقال بعضهم وانا لجميع حاذرون اي مودون اي مقوون اي معنا اداة اصحاب الحرب
والمقوي الذي دابته قوية وقال بعضهم حاذرون اي مستعدون للحرب وقال بعضهم حاذرون لما حدث لهم من الخوف
والحذر للحال حذر المعاودة احذروا ان يعودوا الينا وحذرون اي كنا لم نزل منهم على حذر وقال ابو معاذ حاذرون
مؤدون من الاداة اي تام السلاح وفي خروج موسى ببني اسرائيل مع كثرتهم على ما ذكر انهم كانوا ستمائة الف فصاعدا من غير
علم القبط بذلك اية عظيمة اذ لا يقدر نفر الخروج من محلة او ناحية الا ويعلم اهلها بخروجهم ففي ذلك كان اية عظيمة خرجوا من
غير ان علم احد منهم بذلك **وقوله** واخرجناهم يعني فرعون وقومه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم اي حسن كذلك واورثناها
بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين اي تبع فرعون وقومه حين شرقت الشمس اي طلعت ومشرقين اي كانوا في الشمس اي قوم موسى
صاروا في الشمس [illegible] **وقوله** فلما تراءى الجمعان جمع موسى وجمع فرعون اذا ترأى بعضهم بعضا قال
اصحاب موسى انا لمدركون قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين كان قوم موسى لم يعلموا بالبشارة التي بشرها الله موسى انهم لا يدركونهم
وهو ما قال لا تخاف دركا ولا تخشى اي لا تخاف دركهم ولا تخشى فرعون وقومه لذلك قالوا انا لمدركون وكانت البشارة لهم جميعا
لموسى خاصة يدل ذلك قول موسى كلا ان معي ربي سيهدين على اثر قولهم انا لمدركون اي كلا انهم لا يدركونكم فاوحينا الى موسى
ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي انشق وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود فانشق فكان كل فرق كالطود العظيم اي كالجبل العظيم
والطود واحد والاطواد جماعة **وقوله** وازلفنا ثم الاخرين قال الحسن ازلفنا اي اهلكنا ثم الاخرين وقال بعضهم جمعنا ومنه قيل
ليلة المزدلفة اي ليلة الازدلاف وهو الاجتماع وكذلك قيل للموضع جمع فان كان التاويل هذا ففيه دلالة ان لله في فعل العباد
صنعا وتدبيرا لانه اضاف الجمع اليه وهم انما كانوا اخرجوا بالمعصية فدل ذلك انه ما ذكرنا وقال بعضهم وازلفناهم ثم الاخرين اي ادنينا
وقربناهم ومنه ازلفك الله اي قربك الله ويقال ازلفني كذا عند فلان اي قربني منه والزلف المنازل والمراقي لانها تدنو
بالمسافر ومنه ازلفت الجنة للمتقين اي ادنيت وقربت وكذلك قال ابو عوسجة والقتبي **وقوله** وانجينا موسى ومن معه اجمعين
ثم اغرقنا الاخرين الاية ظاهرة **وقوله** ان في ذلك لاية اي في هلاك فرعون وقومه وانجاء موسى ومن معه متعظ ومزجر لمن

بعد هم حيث راوا امر اهلكنا لاعداء وانجى الاولياء، وماكان اكثرهم مؤمنين هذا يحتمل وجوها قال بعضهم لم يكن اكثرهم
بتوحيد الله اذ لو كان اكثرهم مؤمنين لم يعذبوا في الدنيا ولكن غير هذا كما نراه شبه اى لو لم يهلكهم الله تعالى ولكن ابقاهم لم يؤمن
اكثرهم وقال بعضهم اوماكان اكثرهم من بني اسرائيل مؤمنين اى لم يدم اكثرهم على الايمان بل ارتد اكثرهم من بعد ما انجاهم حيث
قالوا لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة والله اعلم وقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم المنتقم من فرعون وقومه الرحيم بموسى
ومن معه من المؤمنين هذا في الموضع مستقيم ان يصرف تاويل العزيز الى الاعداء والرحيم الى الاولياء كل حرف من ذلك الى الفريق
الذي يستوجب ذلك الرحمة الى المؤمنين والنقمة الى الاعداء وقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم اى اتل على اهل مكة نبأ ابراهيم
وخبره لانهم كانوا من اولاد ابراهيم ومن نسله وهم يقلدون في اباءهم في عبادتهم الاصنام وابراهيم فهلا اتبعوا ابراهيم ومن
كان معه وفي بعض اولاده اسمعيل واسحق وهؤلاء كانوا مسلمين عباد رب العالمين لا عباد الاصنام فهلا اتبعوا ابراهيم
ومن كان معه على دينه من ابائهم دون من اتبعوا من عبدة الاصنام بسفه احلامهم في عبادتهم وتقليدهم اولئك الذين
عبدوا من ابائهم الاصنام وتركهم تقليد من لم يعبدها وعبد الله ثم قول ابراهيم حيث قال لابيه وقومه ما تعبدون يحتمل
قوله ما تعبدون على ما ذكر في اية اخرى ماذا تعبدون ائفكا ويحتمل ما تعبدون اى من تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
اى نقيم لها عابدين اى نديم على عبادتها والعكوف على الشيء هو الاقامة عليه والدوام قال ابو معاذ النحوي ظل لا يقال الا نهارا
ومحال ان يقال ظل ليله يصنع كذا حتى يقول بات ليله ومنه الحديث ظل نهاره صائما وبات يبين سفيهم هل يسمعونكم
اى اهل يجيبونكم اذ تدعونهم ويحتمل هل يسمعونكم على السماع نفسه اى هل يسمعون دعاكم اذ تدعونهم كقوله ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم الاية وقوله اذ تدعون يحتمل تعبدون ويحتمل الدعاء نفسه وان كان على العادة فلا يحتمل تاويل السماع
وقوله او ينفعونكم او يضرون وهل يقدرون على نفعكم وضركم ان ارادوا ذلك بكم وشاؤا وان يكون ماذكر اهل التاويل
هل ينفعونكم ان عبدتموها واطعتموها ويضرون ان عصيتموها وتركتم عبادتها فبهتوا ولم يقدروا على الجواب له سوى
ماذكروا من تقليد اباءهم في ذلك فقالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون لما عرفوا ان تلك التي عبدوها لا تملك ضرا ولا
نفعا لكنهم عبدوها تقليدا لابائهم لما وقع عندهم ان اباءهم ما عبدوها الا بامر اذ لو لم يكن ذلك بامر ما تركوا لكن قد كان
ان في اباءهم من لم يعبدها قط فلم يقلدوهم فكيف قلدوا اولئك دل ان الافاسد وقوله افرايتم ما كنتم تعبدون انتم
واباؤكم الاقدمون ثم قال انهم واباءهم الذين عبدوا الاصنام من قبل عدو لي رب العالمين استثنى رب العالمين فيكون على
الاضمار اى فانهم جميعا عدو لي يقول لهم عدو لي واني بريء منهم الا ان يكون فيكم من يعبد رب العالمين فيكون على الاضمار اى فانهم
جميعا عدو لي الا من عبد رب العالمين وقال بعضهم يقول ان العابد والمعبود كلهم عدو لي الا رب العالمين اى الا المعبود بالحقيقة
الذي يستحق العبادة فانه ولي وقال بعضهم ليس على الاستثناء ولكن على الابتداء كانه قال انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي
ولكن رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم
يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر هذا لهم ان الاله المستحق للعبادة هو هذا الذي يصنع هذا وهو الملك
النفع ودفع الضر لا الاصنام التي تعبدونها انتم واباؤكم وقوله رب هب لي حكما قال بعضهم فهما وعلما وجائز ان يكون ابراهيم
سال ربه الابقاء على الحكم اذ كان قد اعطاه العلم والحكم كقوله اهدنا الصراط المستقيم وسال الزيادة على ما اعطاه كقوله وقل
رب زدني علما ويحتمل ان يكون سال ربه قبول حكمه في الخلق ورفع الحرج له عن قلوبهم على ما ذكر في حكم رسول الله حيث قال
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية وقوله والحقني بالصالحين اى توفني على توفيت الصالحين حتى الحق
بهم هذا والله اعلم معنى له الالحاق بالصالحين ان يتوفاه على الذي توفى اولئك وهو الاسلام ليلحق بهم والله اعلم وقوله
واجعل لي لسان صدق في الاخرين اى اجعل لي الثناء الحسن في الناس وكذلك ابراهيم صلوات الله عليه جميع اهل الاديان على اختلافهم
قد انقادوا له وانتسبوا اليه وادعوا انهم على دينه وان دينه هو الذي هم عليه من اهل ملة الاوهم يتولونه وقوله
واجعلني من ورثة جنة النعيم اى اجعلني باقيا من بعد موتي في جنة النعيم اذا الوارث هو الباقي عن الموروث وكذلك
تاويل قوله انا نحن نرث الارض ومن عليها اى نبقى بعد فناء اهلها اذ الوارث هو الباقي فمعنى ذلك قول ابراهيم ع
اجعلني من الباقين في جنة النعيم والله اعلم وقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لا يحتمل ان يكون استغفار ابراهيم لابيه
والله اعلم على ماذكر في ظاهر الاية واغفر لابي فانه من الضالين يطلب من ربه المغفرة له لانه من الضالين لانه لا يجوز له
ان يدعو له وهو كذلك لكن كان من ابراهيم الاستغفار له فاخبر الله له انه من الضالين فيكون هذا الثاني اخبار من الله
لابراهيم انه من الضالين والاول قول ابراهيم وكذلك قال بعض اهل التاويل في قصة بلقيس حيث قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة فصدقها الله تعالى في مقالتها وقال وكذلك يفعلون يجعلون قوله
وكذلك يفعلون تصديقا من الله لها لا قول تلك المرأة ومثال ذلك كثير في القرآن يكون بعضه مفصولا من بعض ولو
القى معاذيره لا تحرك به لسانك قوله ولو القى معاذيره مفصول من قوله لا تحرك به لسانك لا وصل بينهما فعلى ذلك
دعاء ابراهيم يحتمل ان يكون قوله واغفر لابي مفصولا من قوله انه كان من الضالين هذا جائز ان يكون اخبار من الله

لابراهيم

لابراهيم حين دعا له بالمغفرة انه من الضالين وجائز ان يكون قوله واغفر لابي اى اعطه ما به تغفر خطاياه وهو التوحيد
فيكون سؤاله سؤال التوحيد له والتوفيق على ذلك وبه يغفر ما يغفر من الخطايا كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك
يخرج دعاء هود لقومه حيث امرهم ان يستغفروا ربهم وهو قوله ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه واسلموا له طلب
منهم ابتداء الاسلام لا يحتمل ان يقول لهم قولوا استغفر الله ولكن امرهم ان يأتوا بما يغفر لهم وهو التوحيد وكذلك
قول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا وقول هود لا يحتمل الا ان يكون على ما ذكرنا والله اعلم
يجعل سائله في الذي كذب بكذا وقوله ولا تخزني يوم يبعثون قال اهل التاويل لا تخزني اى لا تعذبني يوم يبعثون وكان الاخزاء
هو العذاب الذي يهتك الستر على صاحبه فسأله ان لا يهتك الستر عليه ان كان منه ما يهتك ستره فسأل ذلك وهذا
اذا العصمة لا ترفع عن اصحابها الخوف بل كلما عظمت العصمة كان الخوف اشد لان الانبياء صلوات الله عليهم كان خوفهم اشد على
انفسهم من غيرهم ثم الاشبه ان قال لهم كذلك لانه اشد خوفا انه مما هو دونه الى قول ابراهيم حيث قال واجنبني و
بني ان نعبد الاصنام وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين وشبه كثير وقوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم لا ينفع ونفس لا يكون في نفع ولا ينفع دفع الضرر كقوله لا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة كقوله ان الذين كفروا لو
ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم وكذلك قوله لا يجزي والد عن ولده ولا
مولود هو جاز عن والده شيئا وقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وقوله يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه وقوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي ظاهر ما استثنى من الاية دلالة انه
ينفع المال والبنون اذا اتوا بقلب سليم حيث قال لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ويشبه ان يكون كذلك
كذلك ينفعهم والاولاد اذا اتوا ربهم بقلب سليم لما اشغلوا اموالهم في الطاعات وانواع القرب وعلموا الاولاد الاذكار
الصالحة والاخلاق الحسنة فتنفعهم ذلك يومئذ كقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن
وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اخبر انهم اذا امنوا وعملوا نفعهم اموالهم والاولاد عند الله وجائز ان يكون
على غير ذلك اى لا ينفع مال ولا بنون وانما ينفع من اتى بقلب سليم والقلب السليم هو السالم عن الشرك والسليم
عن الافات والخالص لربه لا يجعل لغيره فيه حقا ولا نصيبا وشرط فيه اتيانه به ماذكر لعل انه ما لم يقبض على السلامة
والتوحيد لا ينفع ما كان منه من قبل من الطاعات اذا لم يقبض على التوحيد وكذلك شرط في الحسنات الاتيان فقال من جاء
بالحسنة فله كذا ولم يقل من عمل الحسنة وهو ما ذكرنا ان لا يخرج من الدنيا على التوحيد لا ينفعه ما عمل من الحسنات والله اعلم
وقوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين يحتمل قوله ازلفت اى قربت وبرزت اى ظهرت
الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وقربت الجحيم للضالين وفي هذه القراءة
الظاهرة برزت اظهرت وقوله وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله اى ثم يقال لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله في
الدنيا هل ينصرونكم ويمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون من عذاب الله لانهم يطرحون جميعا العابد والمعبود في النار كقوله
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وانما قال ذلك لهم لانهم كانوا يقولون في الدنيا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال لهم ذلك في الاخرة هل ينصرونكم الاية وقوله فكبكبوا فيها هم والغاوون قال
الزجاج هو من كبكبوا اى كب بعضهم على بعض وقال بعضهم كبكبوا اى كبوا على التكرار والاعادة مرة بعد مرة اى يكونون في النار
هذا وقال القتبي كبكبوا القوا على رؤوسهم
هو الرمي والالقاء على وجوههم في النار وهو من قوله فكبت وجوههم في النار والغاوون قيل
الشياطين وقيل الغاوون الذين اغووهم وقال ابو معاذ الضالون وقال بعضهم جميع
فيها وجنود ابليس اجمعون قال بعضهم الغاوون هم الشياطين وجنود ابليس ذريته اى الشياطين الذين اضلوهم وقوله
قتادة وقال بعضهم الغاوون هم كفار الجن وجنود ابليس هم الشياطين وقال بعضهم الغاوون هم الانس من الكفار وجنود ابليس
سائر الكفار اى اتباعهم وذريتهم والله اعلم وقوله قالوا وهم فيها يختصمون ذكر انهم يختصمون في النار ولم يذكر فيم يكون
خصومتهم فجائز ان يكون خصومتهم ما ذكر في اية اخرى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الى اخر
ما ذكر وقوله قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار الاية وقوله ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا الاية ومثاله
واشباهه من المجادلات التي تجري فيما بين الاتباع والمتبوعين وقال بعضهم اختصامهم ما ذكر على اثره حيث قال تالله ان كنا لفي ضلال
مبين اذ نسويكم برب العالمين الاية هذه هي مخاصمتهم وقوله تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين فان كان في
هذه الاصنام التي عبدوها وذلك في تسميتهم الهة وجعلهم العبادة لها وتسويتها برب العالمين في التسمية والعبادة وان كان
قولهم هذا الشيطان فهو في اتباعهم امره ودعاءه اليهم ولا لاحد من الكفرة يقصد قصد عبادة الشيطان او يسميه الها
ولكن على ما ذكرنا من متابعتهم امره وفي حرف ابن مسعود اذ نسويكم برب العالمين اذ كنا نشرككم برب العالمين وقال بعضهم اذ كنا
نطيعكم كما نطيع رب العالمين وقال بعضهم اذ نعدلكم برب العالمين ونعبده قريبا من بعض وقوله وما اضلنا الا المجرمون قيل اضلنا

الا اولنا وكذلك في حرف ابن مسعود وما اضلنا الا الاولون وما قيل هذا انهم لما راوا الاولين تركوا على ما كانوا عليه من
الكفر والشرك ولم يعذبوا في الدنيا ولا اصابتهم نقمة ظنوا انهم امروا بذلك ورضي الله عنهم بذلك وهو ما ذكر في اية اخرى واذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وقوله فما لنا من شافعين لانهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله فلم يشفعوا لهم
اي ليت لنا شفعاء يشفعون ولو كانت لهم شفعاء لا تنفعهم على ما قال فما تنفعهم شفاعة الشافعين وهو ما قال لو ان
لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به ليس انه كان ينفعهم فعلى ذلك هذا وقوله ولا صديق حميم الحميم القريب اي ليس لهم
حميم بهم بابرهم وقوله فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين وقوله فلو ان لنا كرة اي لو ان لنا رجعة الى المحنة فنكون من المؤمنين
فاخبر الله انهم لو ردوا لعادوا بقوله ولو ردوا لعادوا الى ما كانوا فيه لما نهوا عنه وقد ذكرنا وقوله ان في ذلك لاية ما ذكرنا
من الاخبار والانباء لاية وعبرة لمن اعتبر وما كان اكثرهم مؤمنين قال بعضهم لو كان اكثرهم مؤمنين ما عذبوا في الدنيا وجائز ان
يكون لو ردوا الى المحنة التي سالوا الرجعة اليها ما كان اكثرهم مؤمنين وجائز ان يكون نفي منهم والله اعلم وان ربك لهو العزيز الرحيم
قد ذكرناه وقوله كذبت قوم نوح المرسلين ذكر كذبت بالتانيث على اضمار جماعة كانه قال كذبت جماعة قوم نوح ولا القوم يذكر
ولا يؤنث وقوله المرسلين لان من كذب رسولا من الرسل جميعا لان كل رسول يدعو الخلق الى الايمان بجميع الرسل وبعد فان نوحا
كان يدعو قومه الى الايمان بالرسل الذين يكونون بعده لذلك قال والله اعلم كذبت قوم نوح المرسلين وقوله اذ قال لهم اخوهم نوح
قال اهل التاويل كان اخاهم في النسب وليس باخيهم قال الشيخ ابو منصور رحمه الله عليه ان الله تعالى سمى الناس جميعا بني آدم يقول
يا بني ادم على بعدهم من ادم فيجوز ايضا تسميتهم اخوة على بعد بعضهم من بعض وقوله الا تتقون نقمة الله وعذابه في مخالفتكم امره
ونهيه او يقول الا تتقون عبادة غير الله وطاعة من دونه اني لكم رسول امين هذا يخرج على وجهين احدهما اي كنت امينا فيكم قبل
هذا تصدقونني في جميع ما اخبرتكم وانبائكم فما بالكم لا تصدقونني الان اذا اخبرتكم اني رسول الله اليكم والثاني يقول اني لكم رسول
امين ائتمنني الله وجعلني امينا على وحيه فابلغكم الرسالة واودي الامانة شئتم او ابيتم قبلتم او لم تقبلوا فلا اخافكم ما توعدون
بعد ان جعلني الله امينا وتمنني على امانته كقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقوله فاتقوا الله واطيعون اي اتقوا
نقمة الله وعذابه واتقوا مخالفة الله في امره ونهيه واطيعون فيما ابلغكم عن الله وادعوكم اليه وما اسالكم عليه من اجر اي
لا اسالكم على ما ادعوكم اليه وابلغكم اجرا او شيئا يمنعكم ثقل ذلك عن الاجابة ولا احلكم في اموالكم وانفسكم مؤنة فيما
ادعوكم اليه والى عبادة الواحد وعبادة اهون واخف على انفسكم من عبادة العدد ولا احلكم ايضا في اموالكم مؤنة تمنعكم
ثقل ذلك عن اجابتي ان اجري اي ما اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون ما ذكرنا اي اتقوا نقمة الله وعذابه
واتقوا مخالفة في امره ونهيه واطيعوني فيما ادعوكم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون يقولون نصدقك وانما اتبعك
الضعفاء منا والسفلة من لا راي لهم ولا تدبير ولو كنت صادقا لاتبعك الاشراف والرؤساء فكان في اتباع الارذال
ومن ذكروا اعظم اية من الرسالة من اتباع الاشراف وذلك ان الارذال من الناس هم اتباع لغيرهم لما يأملون من فضل مال ونيل
منهم او رياسة ومنزلة تكون لهم او الفضل بصير وحظ وعلم في الدين فيصيرون اتباعا لمن كان عنده من هذه الخصال شيء
فالرسل صلوات الله عليهم حيث لم يكن عندهم اموال ولا طمع رياسة ولا منزلة اتبعهم الضعفاء والسفلة مع خوفهم
على انفسهم من اولئك الاشراف من القتل والصلب بمخالفتهم اياهم فاتبعوهم الا لما تبين عندهم انهم على حق وان ما يدعون
صدق ففي اتباع من ذكرنا اعظم دلالة على صدق الرسل فيما ادعوا من الرسالة لو تاملوا لتفكر في ذلك وقول نوح وما
علمي بما كانوا يعملون يحتمل وجهين احدهما يقول لم اكن اعلم ان الله يهديهم للايمان والتوحيد من بينكم يعني الضعفاء
ويدعكم لا يهديكم ثم قال ان حسابهم اي ما جزاء هؤلاء الذين اتبعوني من الارذال الا على ربي لو تشعرون والثاني وما علمي
بما كانوا يعملون اي ما انا بعالم بما يعملون هم في السر وما ذلك على ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي حسابهم عليهم فيما
يعملون في السر فهذا يدل ان التاويل الاخير اشبه واقرب من الاول وكان من اولئك طعن في الذين امنوا بانهم يعملون في السر
على خلاف ما اظهروا حتى قال ذلك وفي بعض القراءات لو يشعرون بالياء فهو راجع الى المؤمنين الذين اتبعوه يقول حسابهم
على الله فيما يعملون في السر اي لو يشعرون ذلك ولا يعملون في السر خلاف ما يعملون في العلانية والله اعلم وقوله وما
انا بطارد المؤمنين قال اهل التاويل انهم سالوا نوحا ان يطرد اولئك الذين امنوا به من الضعفاء حتى يؤمنوا هم به فقال
عند ذلك وما انا بطارد الذين امنوا الاية وما انا بطارد المؤمنين وجائز ان يكونوا طعنوا في الذين امنوا انهم قالوا ذلك
ظاهرا واما في السر فلم يسلموا على ذلك فقال نوح عند ذلك وما انا بطارد المؤمنين وما انا بطارد الذين امنوا يدل على ذلك قول
نوح حيث قال للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا هذا القول منه يدل على ان كان منهم طعن في اولئك امنوا به حيث وكل امرهم
الى الله فقال الله اعلم بما في انفسهم والله اعلم وقوله ان انا الا نذير مبين قد ذكر فيما تقدم في غير موضع وقوله قالوا لئن لم تنته
يا نوح لتكونن من المرجومين هو المقتول بالحجارة وهو اشد قتل لذلك اوعده وقال بعضهم لتكونن من المشتومين باللسان لكن
الاول اقرب لانه قد كان منهم الشتم فلا يحتمل الوعيد به ثم دعا نوح عند ذلك فقال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا
اي اقض بيني وبينهم قضاء اي اقض بيني وبينهم قضاء اي اقض عليهم بالعذاب والهلاك لانه لا يرى انه قال ونجني ومن معي

من المؤمنين فدل سؤاله نجاة نفسه ومن معه من المؤمنين على ان قوله فافتح بيني وبينهم فتحا سؤال منه هلاك من كذبه وهو ما قال
في قصة اخرى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الذي وعدت انه ينزل بهم وهو العذاب فعلى ذلك هذا ثم لا يحتمل ان يكون دعا
منه في اول تكذيب كان منهم بل كان ذلك بعدما ايس من ايمانهم لانه لبث فيهم ما قال الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما
وفي كل ذلك دعاهم الى توحيد الله وانما دعا عليهم بالهلاك بعدما اخبره الله تعالى عن امرهم واياسه عن ايمانهم فقال
لن يؤمن من قومك الا من قد امن واذن له بالدعاء عليهم بما دعا اذ الانبياء صلوات الله عليهم لا يدعون على قومهم بالهلاك
الا باذن من الله في ذلك الا ترى انه ذكر انه عاتب يونس بالخروج من بينهم بلا اذن كان من الله له بالخروج من بينهم فاذ عوتب
هو بالخروج بلا اذن فلا يحتمل ان يدعو بالهلاك بلا اذن والله اعلم وقوله فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون قيل المملوء
قال ابو معاذ والعرب تقول شحنا السفينة فلم يبق الا الدفع وهو السوق وتقول العرب شحنا عليهم بلادهم خيلا ورجالا
اي ملاناها وقال بعضهم المشحون المجهز الذي قد فرغ منه فلم يبق الا دفعه وهو واحد وانما شحنت باصناف من الخلق في
الا كان المؤمنون قليلي العدد وهو ما قال فيها من كل زوجين اثنين اخبر انه انجى من كان معه في الفلك المشحون واهلك الباقي
ان في ذلك لاية اي في نبا نوح لاية لمن كان بعدهم او ان في هلاك قوم نوح واغراقهم لعبرة لمن بعدهم وما كان اكثرهم
مؤمنين الى اخر القصة قد ذكرنا وقوله وقوله كذبت عاد المرسلين هو والله اعلم ما ذكرنا اي ما كذبت جماعة عاد المرسلين
وقوله المرسلين ما ذكرنا ان كل رسول دعا قومه الى الايمان به وبجميع الرسل فمن كذب واحدا منهم فقد كذب بالكل وقوله
اذ قال لهم اخوهم هود هو كان اخاهم في النسب لانهم جميعا ولد ادم على بعد من ادم فعلى ذلك هم الاخوة فيما بينهم على بعد بعضهم
من بعض وقوله الا تتقون يحتمل وجهين احدهما الا تتقون نقمة الله وعذابه او الا تتقون مخالفة امر الله ومناهيه اني لكم
رسول امين فيما ائتمنني الله وبعث على يدي اليكم هدايا نافعة فلا تنقبلوا مني هداياه واماناته وان يكون ما ذكرناه من قبل والله
اعلم وقوله فاتقوا الله واطيعون ما ذكرنا وما اسالكم عليه من اجر اي اسعى في نجاتكم وتخليصكم من عذاب الله وما ابتغي
على ذلك اجرا وفي الشاهد لا يحمل احد لاحد الا ويطمع على ذلك منه اجرا وانا لا اسالكم على ذلك اجرا فيمنعكم ذلك عن قبول
ذلك مني ان اجري اي ما اجري الا على رب العالمين وقوله اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع هذا يحتمل وجوها
احدها كانهم كانوا يبنون بنيانا لا حاجة لهم الى ذلك البنيان ولا ينتفعون به فهو عبث لان كل من بنى بناء او عمل عملا لا ينتفع
ولا يحتاج اليه فهو عابث لذلك سمي ما بنوا عبثا والثاني جائز ان يكون ذلك المكان لهم كالمكان العبث والاجتماع للهو فنسبوا
على ذلك المكان نسبة عبثا لما لم يكن اجتماعهم في ذلك الا للعبث واللهو والثالث ان يكون ذلك المكان مكانا يمر فيه الناس
فبنوا فيه اثارا ما يضلون الناس بها لما يرون انه طريق ولم يكن ذلك فكان قصدهم من ذلك البناء باطلا وكل باطل عبث والله اعلم
وقوله لعلكم تخلدون ولا تموتون اي تنفقون نفقة من يطمع ان يخلد في هذه الدنيا ليس نفقة من يموت ويرجو ثوابه
وعاقبته او ان يكون قوله لعلكم تخلدون لما وسع عليهم الدنيا ورزق لهم النعمة يحسبون انهم مخلدون لان من وسع عليه
الدنيا ويكون النعمة والسعة في هذه الدنيا يطمئن فيها ويسكن وهو كما قال يحسب ان ماله اخلده فعلى ذلك الاول والله اعلم
وقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين كني والله اعلم بالجبار الظالم والمعتدي اي واذا بطشتم بطشتم ظالمين والريع هو المكان
المرتفع وقال بعضهم هو الطريق ومصانع قال بعضهم بنيان وقيل الحياض وقال ابو عوسجة الريع ما ارتفع من الارض و
جمع الريعة ريع ارياع وهما واحد والريع الريع ايضا يقول اراع المال اذا ربحت عليه وجمعه ارياع ومصانع هي في موضع
قصور وفي موضع حياض يجتمع فيها الماء الواحد مصنعة من كلاهما وقال البطش الاخذ يقال بطشت فلان ابطش بطشا اذا
اخذته وتعسفت عليه وقال القتبي ايضا الريع الارتفاع من الارض والمصانع البناء واحدها مصنعة فكان المعنى انهم
يستوثقون في البناء والحصون ويذهبون الى انهم تحصنهم من اقدار الله وقضايه وعدا ان يكون ما ذكر لانه قال
في اخره لعلكم تخلدون اي تبنون بناء كانهم مخلدون ولا يموتون وقال واذا بطشتم بطشتم اي اذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب
الجبارين واذا عاقبتم قتلتم وقال بعضهم بطشتم اخذتم بالظلم والاعتداء ولا استحلال لما حرم الله وقال ابو معاذ وكل بناء
مصنعة وفي حرف حفصة وتبنون مصانع كانكم خالدون والاية العلم وقال بعضهم الريع ما استقبل الطريق من الجبال
والظراب وقال قتادة كل شرب في الارض وقال محمد بن اسحق انهم كانوا اذا سافروا فلا يهتدون الا بالنجوم فبنوا القصور
الطوال عبثا علما بكل طريق يهتدون بها في طرقهم وقال بعضهم مصانع اي مجالس ومساكن لعلكم تخلدون ما بقيت بكم
والجبار هو الذي يضرب او يقتل بلا حق بلا خوف تبعة في العاقبة وقوله فاتقوا الله واطيعون قد ذكرنا وقوله واتقوا الذي
امدكم بما تعلمون امدكم قيل اعطاكم وهو من المدد اي اعطاكم النعم تباعا واحدة لا تنقطع ثم هو يحتمل وجهين احدهما اتقوا
كفران الذي اعطاكم النعم فلا توجهوا شكرها الى من لم ينعم عليكم ولم يمدها لكم وانتم فعلون وهو عبادتهم الاصنام التي
لا يقدرون على اعطاء شيء من النعم والثاني اتقوا نقمة الذي اعطاكم هذه النعم فان الذي قدر على انعامها قدر على الانتقام
وعلى التاويل الاول اتقوا كفرانها فان قدر على اعطائها قدر على صرفها عنكم على هذين الوجهين والله اعلم ثم ذكر الذي
امدهم من النعم فقال امدكم بانعام وبنين وعيون وجنات هذا وغيره مما لا يحصى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم

قال بعضهم اي اعلم ان يريد بكم عذاب يوم عظيم وقال بعضهم الخوف ههنا هو الخوف نفسه لانه كان يرجوا الايمان
منهم بعد فقال اني اخاف عليكم العذاب اذا دمتم على هذا فقالوا عند ذلك مجيبا له سواء علينا اوعظت ام لم تكن من
الواعظين الوعظ هو الاخبار عن عواقب الامور من ترغيب وترهيب اي سواء علينا خوفتنا العذاب او لم تخوفنا لا
نصدقك ولا نجيبك الى ما تدعونا اليه ثم قالوا ان هذا الا خلق الاولين قيل فيه بوجوه احدها اي ما هذا الذي نحن
عليه الا دين الاولين وما ابيت انت وتدعونا اليه هو حادث بديع والخلق يجوز ان يكنى به عن الدين كقوله لا تبديل لخلق الله
اي لدين الله وقال بعضهم قوله ان هذا اي ما هذا الذي تقوله الا كذب الاولين واختلاقهم اي تكذب وتختلق كما اختلق
الذين كانوا من قبلك من الرسل كقوله ما هذا الا اساطير الاولين فان كان على هذا فيكون قوله كذبت عاد المرسلين هنا
لانهم كذبوا الرسل جميعا وقال بعضهم قوله ان هذا الا خلق الاولين قالوا هكذا كان الناس قبلنا يعيشون ما عاشوا
ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقال بعضهم الوعظ هو النهي كقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي ينهيكم وقوله
وقوله وما نحن بمعذبين عليه على ما تزعم وتخبر كما لم تعذب الاباء وقوله فكذبوه فاهلكناهم قيل اهلكوا بالريح كقوله و
اما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الاية وقوله ان في ذلك لاية قد ذكرناه وقال ابو عوسجة والقتبي خلق الاولين
اي اختلاقهم وكذبهم يقال خلقت الحديث واختلقته اذا افتعلته قال الفراء والعرب تقول للخرافات احاديث الخلق
قال ومن قرأ خلق الاولين بضم الخاء اراد عادتهم وشانهم وقوله كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح
الا تتقون قد ذكرنا تاويله فيما تقدم اني لكم رسول امين اي كنت امينا قبل ذلك فكيف تتهموني اليوم ويقال
امين على الرسالة ناصح لكم وقد ذكرنا تاويله الى قوله ان اجري الا على رب العالمين وقوله اتتركون فيما ههنا امنين
يخرج على وجهين احدهما اتتركون هذا وان اخرج على الاستفهام فكانه على الاخبار ولا تتركون فيما ذكر امنين والثاني اتتركون
اي انظنون ان تتركوا فيما ههنا امنين اي لا تظنوا ان تتركوا في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وقال بعضهم
الهضيم المتهشم وقال بعضهم الدقيا رطب وهو الذي يسمى المذنب وعن ابن عباس قال هو الذي قد ارطب واسترخى وهو
اللين وعن الحسن الذي ليس له نوى وقال بعضهم هو من الرطب الهضيم وهو الذي ينقطع لينه ومن اليابس
المتهشم يتكسر ليبوسته وقال القتبي والهضيم الطالع قبل ان ينشق عنه القشر وينفتح وقال ابو عوسجة الهضيم الذي
لا شوك فيه ولا مشقة وقال بعضهم الهضيم هو الذي تراكب بعضه بعضا يكون فوق بعض ولو قيل ان الهضيم هو الحلو
الذي لا اذى فيه ولا مشقة يهضم كل ما فيه داء ومرض ولذلك يسمى الجاشوم هاضوما وهو الذي يهضم الطعام
والله اعلم وقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بالالف وفرهين بغير الف فارهين اي حاذقين مجيدين اي لهم
حذاقة وبصر في نحت البيوت في الجبال يقال فلان فاره في امر كذا اي حاذق فرهين اشرين بطرين اي فرحين قال
القتبي والفرح قد يكون السرور ويكون الاشر ومنه قول الله تعالى ان الله لا يحب الفرحين اي الاشرين قال ومن قراها
فارهين بالالف فهي لغة اخرى يقال فره وفاره كما يقال فرح وفارح ويقال فارهين حاذقين وقال ابو عوسجة
فارهين وفرهين اي مسرورين ويقال فره يفره فرها فهو فره وفاره وقوله فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر
المسرفين يقول والله اعلم اتقوا نقمة الله في مخالفتكم امره واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين اي لا تطيعوا امر من ظهر
منه الاسراف والفساد ولكن اطيعوا امري اذ لم يظهر لكم مني اسراف ولا فساد ولا تطيعوا الذين تعلمون انهم يفسدون
في الارض ولا يصلحون او ان يكون قوله ولا تطيعوا امر المسرفين موصولا بقوله ما انت الا بشر مثلنا يقول لهم صالح
تتركون طاعتي والاجابة لي لاني بشر مثلكم فلا تطيعوا اذا اشرافكم وهم الذين ظهر لكم منهم الفساد والاسراف
ولم يظهر لكم مني شيء من ذلك يخبر عن سفههم وقلة تمييزهم حيث تركوا اتباع الرسل وطاعتهم لانهم بشر دونهم في
كل شيء لما براه صالحا ولا تطيعوا امر المسرفين فقالوا انما انت من المسحرين اختلف فيه قال بعضهم يقولون انما انت سوقة
مثلنا لست بافضلنا وانما نتبع عن الملوك وذي ثروة من المال وانت لست بملك ولا لك ثروة فيهم والله اعلم طعنوا
صالحا كما طعن كفار مكة رسول الله حيث قالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقال بعضهم يقولون
انت بشر مثلنا في المنزلة ولا تفضلنا بشيء لست بملك ولا رسول فات باية ان كنت من الصادقين بانك رسول
فنتبعك كما اطعنا اولئك وقال القتبي انما انت من المسحرين من له سحر والسحر الرئة واسحار جميع وقال بعضهم من
المسحرين لكنه غذا لكثرة يشد والله اعلم ثم قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ذكر اهل التاويل
ان الماء مقسم بينهم كان يوم لهم ويوم للناقة استدلوا بقوله ولكم شرب يوم معلوم فلما كان يوم لهم معلوم يكون
كان يوم لها معلوم لكن ليس في الاية دلالة ان الامر وصفوا ولكن في الاية ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر و
ظاهره ان الماء بينهم بالقسمة لا شرب وقوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم جائز ان يكون الماء بينهم بعضه للناقة
وبعضه لهم يوم معلوم ليس للناقة في ذلك اليوم شيء والله اعلم وقد ذكرنا ان هذه الانباء انما ذكرت في كتبهم
حجة لرسول الله فلا مزاد على ما ذكر في الكتاب مخافة ان يذهب حجته عليهم اعني اهل الكتاب لئلا يكذبوا رسول الله

فيما يخبر من الانباء التي في كتبهم وقوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين يحتمل قوله فاصبحوا
نادمين اذا اهلكوا والا لو ندموا على صنيعهم وتابوا قبل ان يهلكوا لقبل ذلك منهم وقوله فاخذهم العذاب كل اية انما هم
الرسل على اثر السؤال فكذبوها اخذهم العذاب فاهلكوا وقوله ان في ذلك لاية قد ذكرنا وقوله كذبت قوم لوط المرسلين
قد ذكرنا انه انث على اضمار جماعة كانه قال كذبت جماعة قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون الى قوله العالمين
قد ذكرناه فيما تقدم وقوله اتاتون الذكران من العالمين وقال في اية اخرى انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
وقوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم اي تذرون ما جعل الله ذلك طلبا لابقاء هذا النسل لانه لم يجعل النساء
لهم لقضاء الشهوة خاصة ولكن انما جعل لهم الازواج لابقاء هذا النسل ودوامه فيعيرهم لوط بتركهم اتيان النساء
لما في ذلك انقطاع ما جعلن هن له وهو ابقاء النسل واشتغالهم بالرجل وليس في ذلك النسل هذا والله اعلم معنى قوله
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم اي انما خلق لبقاء النسل لا لقضاء الشهوة خاصة لكن جعل فيهم ومكن قضاء الشهوة
ليرغبهم على ذلك ليبقى هذا النسل الى يوم القيمة والا لو لم يجعل ذلك فيهم لعلهم لا يتكلفون ذلك ولا يحملون هذه المؤن التي
يتكلفون ذلك ولا يحملون هذه المؤن التي يتكلفون حملها لذلك وفي الاية دلالة ان المرأة هي المملوكة عليها دون الزوج
والزوج هو المالك عليها حيث قال وتذرون ما خلق ربكم من ازواجكم وقال في اية اخرى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا الاية اخبر انه خلق النساء لنا لا انه خلقنا لهن وفي ذلك الحجة لاصحابنا في قولهم ان المسلم اذا تزوج نصرانية بشهادة
نصرانيين جاز النكاح لانه هو المالك عليها النكاح وهي المملوكة والله اعلم وقوله بل انتم قوم عادون اي بل انتم قوم تجاوزون
هذه الذين حد لكم او عادون حقه الذي له عليكم او عادون وقوله قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين
ذكر الانتهاء ولم يبين عماذا لكن جائز ان يكون قالوا لئن لم تنته يا لوط من تعييرك الذي تعيرنا به لتكونن من المخرجين حيث قال ما سبقكم
الاية وقوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم ويحتمل لئن لم تنته من دعائك الذي تدعونا اليه لتكونن كذا وقوله لتكونن
من المخرجين يحتمل نفس الاخراج اي نخرجك من القرية ومن بيننا وجائز ان يكون اراد بالاخراج اخراجا بالقتل كقول قوم نوح حيث
قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وهو انشبه قال لوط اني لعملكم من القالين اي من المبغضين اي كيف توعدوني
بالاخراج واني لعملكم الذي تعملون من المبغضين اكره المقام فيكم وابغض رؤية اعمالكم التي تعملون كيف توعدونني
بالاخراج ثم دعا فقال رب نجني واهلي مما يعملون هذا يحتمل وجوها احدها رب نجني واهلي من عذاب ما يعملون وجزائه وان
يكون رب نجني اهلي من عمل ما يعملون من الخبائث كقول ابراهيم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام او ان يقول رب نجني ونجاه
عن رؤية ما يعملون ومعاينته ثم قال فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله وامطرنا
عليهم مطرا فساء مطر المنذرين يحتمل ان يكون امطر عليهم الحجارة بعدما قلبهم ظهرا لبطن وبطنا لظهر كقوله فجعلنا عاليها
سافلها وامطرنا عليهم حجارة وجائز ان يكون جعل عاليها سافلها بما امطر عليهم من الحجارة وجائز ان يكون جعل القريات ومن فيها
عاليها سافلها وامطر على من كان غائبا منهم الحجارة قال ابو عوسجة والقتبي من القالين اي من المبغضين يقال قليت الرجل
اذا ابغضته ومن ذلك قوله ما ودعك ربك وما قلى والغابر الباقي وقوله كذب اصحاب الايكة المرسلين والايكة قال بعضهم
هي الشجرة نسبوا اليها وقال بعضهم الايكة الغيضة اذ قال لهم الا تتقون قال بعض اهل التاويل وانما لم يقل ههنا اخوهم شعيب
لان شعيبا لم يكن من نسلهم اعني من نسل اصحاب الايكة لذلك لم يقل اذ قال لهم اخوهم شعيب وقال في سورة هود حيث قال
والى مدين اخاهم شعيبا لانه كان من نسل اهل مدين ويقولون ان شعيبا كان من اهل مدين وهو كان منهم والى اصحاب الايكة
وهو لم يكن منهم لذلك قال ثم اخاهم ولم يقل ههنا لكن ليس فيما لم يقل انه اخوهم ما يدل انه لم يكن من نسلهم ولا من
نسبهم لان جميع اولاد ادم اخوة اذ يسمى جميع البشر بنوع فعلى ذلك اولاده اخوة واخوات ثم لا ندري ان مدين غير الايكة
والايكة غير المدين فبعث شعيبا اليهم جميعا او هما واحد نسبوا الى مدين والى الايكة مرة والى مدين ثانيا والله اعلم
بذلك وقال القتبي الايكة الغيضة وجمعها ايك وقال ابو عوسجة الايكة شجرة والايك جمع ايكة وقال لا اعرف ليكة
بلا الف وكذلك قال ابو عبيدة وقال ابو زيد اصحاب ليكة اصحاب بادية والله اعلم وقوله اوفوا الكيل ولا تكونوا من
المخسرين وكذلك قال لاهل مدين في سورة هود ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ذكر
جميعا ايفاء الكيل فلسنا ندري انه قد ظهر فيهما جميعا نقصان الكيل والوزن فامرهما بايفاء ذلك اذ كانت القصة واحدة
فذكر فيهما ذلك ثم في قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم جواز الاستدلال من وجهين احدهما وقوع المبيع بملك المشتري والتاجر
بيع الجزء من الكيل والوزن شائعا من الكل لانه قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم اضاف الاشياء الى الناس ونسبها اليهم فلو
ان ذلك ملك لهم والا لم يكن اشياءهم ولكن كانت اشياء هؤلاء اذ لا يخلو ذلك اما ان كان ثمنا او كان مبيعا فكيف ما كان
فهو موصوف بالملك لهم دون الذين عليهم ايفاء ذلك وقوله اوفوا الكيل كانه قال اوفوا الكيل والوزن فيما عليكم ايفاؤه
ولا تبخسوا الناس اكثر مما لكم عليهم وزنوا بالقسطاس المستقيم القسطاس قال بعضهم العدل اي وزنوا الناس حقوقهم
بالعدل ولا تنقصوها وقال بعضهم القسطاس هو القبان وهو الميزان وقوله المستقيم المستوي كانه قال وزنوا بالميزان المستوي

لا تجعلوا احدى الكفتين اثقل من الاخرى كانهم يجعلون الكفة التي يوفون بها حقوق الناس اثقل والكفة التي يستوفون من الناس
اخف فامرهم ان يسووا الكفتين جميعا وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تفسدوا فيها وقوله واتقوا الذي خلقكم
والجبلة الاولين اي اتقوا نقمة الذي خلقكم وخلق الجبلة الاولين انه كيف عذبهم وانتقم منهم بظلمهم والجبلة هو الخليقة يعني
اي الخلق قالوا انما انت من المسحرين قال بعضهم هو الذي سحر مرة بعد مرة فعلى هذا التاويل يكون انما انت من المسحرين لكن الشدة
التكثير قال بعضهم انما انت مخلوق وبشر مثلنا وقد ذكرنا وقوله وان نظنك لمن الكاذبين هذا يدل انهم انما قالوا ذلك ظنا
منهم لا يقينا وحقا فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين سالوا شعيبا العذاب على التعنت كما سال [illegible]
امطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فنزل بهم العذاب من حيث سالوا امر السماء وعن الحسن قال سلط الله الحر
على قوم شعيب سبعة ايام او لياليهن حتى كانوا لا ينتفعون بظل بيت ولا ببرد ماء ثم رفعت لهم سحابة في البرية فوجدوا تحتها
الروح فجعل بعضهم يدعو بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها اشعلها الله نارا فاحرقتهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة الآية
وقال بعضهم سقطت عليهم تلك السحابة فقتلتهم والظلة قال ابو عوسجة حر شديد وقال القتبي كسفا اي قطعة من السماء
والكسف القطع وقال بعضهم اصابهم حر شديد وغم في بيوتهم فخرجوا يلتمسون الروح قبله فلما غشيتهم تلك السحابة اخذتهم
الرجفة فاصبحوا جاثمين وقال بعضهم ظلل العذاب اياهم وبعضه قريب من بعض وعن ابن عباس قريبا من هذا قال بعث الله
عليهم وهجا وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلما احسوا بالموت بعث لهم سحابا فاظلتهم فتنادوا تحتها فلما اجتمعوا سقطت
عليهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة والظلة السحابة وهو قريب من الاول وقول شعيب ربي اعلم بما تعملون
من نقصان الكيل وغيره من صنيعهم وقوله فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة كذبوه فيما اخبر من نزول العذاب بهم او كذبوه
فيما ادعى من الرسالة وما سوى ذلك هو مذكور فيما تقدم وقوله وانه لتنزيل رب العالمين وانه اي القران تنزيل رب العالمين
اي نزله رب العالمين نزل به الروح الامين لقولهم انما يعلمه بشر وقوله نزل به الروح الامين على قلبك قوله على قلبك يحتمل
وجوها احدها ان جبريل لما ينزل من القران انما ينزله على قلبه لا يحجبه شيء عن قلبه والثاني على قلبك اي لا يذهب عنه بل انه
يجمعه في قلبك كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه او ان يكون قوله على قلبك اي يثبته على قلبك لقولهم
لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك او ان يكون قال ذلك لما انتهى الى قلبه وحفظه غاية حفظه فال على
قلبك كانه القي في قلبه وكذلك يقال وقوله لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين كانه والله اعلم على التقديم والتاخير يخرج
اي نزل به الروح الامين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من المنذرين والباطنية يقولون انزله على رسوله كالخيال الغير
موصوف بلسان ثم ان رسوله اداه بلسان العربي المبين اي بينه لكنه ليس كذا لانه قال في اية اخرى انا انزلناه قرانا عربيا ابطل
قولهم انه اداه بلسانه عربيا من غير ان انزله كذلك ولو كان على ما يقوله الباطنية انه لم ينزله بهذا اللسان الشافي لسان العرب
وان الرسول هو الذي صيره بهذا اللسان واداه به لكان لا يصير جوابا لقولهم انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي
وهذا لسان عربي مبين ولا حجة عليهم فاذ ذكر هذا جوابا لقولهم وحجة عليهم دل انه انما انزل عليه عربيا وان تاويل الاية ما
ذكرنا على التقديم والتاخير وقوله وانه لفي زبر الاولين قال بعض اهل التاويل وانه اي بعث محمد وصفته كان في كتب الاولين
وجائز ان يكون قوله وانه اي هذا القران كان ذكره في كتب الاولين انه ينزل على رسول الله محمد لا ان عينه كان فيها او ان
كان بعضه في زبر الاولين لا الكل والله اعلم وقوله اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل قال بعض التاويل اولم يكن لهم
محمد اية ان علماء بني اسرائيل كانوا يعلمون انهم يجدونه مكتوبا عندهم في الكتب لكن تاويله اولم يكفهم علم علماء بني اسرائيل انه
انه رسول ثم الاية بوجهين احدهما ما ذكر ان اهل مكة ارسلوا الى اليهود بالمدينة يسالونهم عن رسول الله فاخبروهم
عنده انه يخرج في وقت كذا وان نعته كذا وهذا وقت خروجه والثاني يقول اولم يكفهم اية اسلام علماء بني اسرائيل
وفقهائهم انه رسول نحو ابن سلام وغيره اذا كانوا لا يسلمون الا عن علم وثبت انه رسول اذ كان في اسلامهم ذهاب ماكلتهم
ورياستهم والله اعلم وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين قال بعضهم نزلناه على رجل منهم
عربي فلم يؤمنوا به فكيف لو نزلناه على اعجمي وقال بعضهم لو نزلنا هذا القران على بعض الاعجمين فقراه عليهم يقول اذا لكانوا
شر الناس فيه ما فهموه وما دروا ما هو وقريب الاول وقال بعضهم لو نزلناه على بعض الاعجمين من الدواب فكلمهم هذا
ما صدقوه يذكر سفههم وتعنتهم ويحتمل قوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي لو انزلناه اعجميا فلم يفهموه لقالوا لولا
فصلت اياته اعجمي وعربي ولكن نزلناه عربيا لئلا يقولوا ذلك والله اعلم وقوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
قال بعضهم هكذا سلكنا الكفر والتكذيب وادخلناه في قلوب المجرمين وقال بعضهم كذلك سلكناه يعني البيان والحجج
في قلوب المجرمين حتى عقلوه ولزمتهم الحجة لكنهم تركوا الايمان تعنتا وعنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم حين لا
تنفعهم ايمانهم لان ايمانهم عند معاينتهم العذاب ايمان دفع واضطراب لا ايمان الحقيقة وهو كما قال فلما راوا باسنا قالوا
امنا بالله وحده لانه ايمان دفع العذاب عن انفسهم حين خرج انفسهم من بين ايديهم وايمان اضطرار لا ايمان اختيار لذلك
لم ينفعهم وقوله فياتيهم بغتة اي ياتيهم العذاب فجاءة وهم لا يشعرون لانه عز وجل اذ علم منهم انهم لا يؤمنون ابدا

فانزل عليهم العذاب بغتة ولو علم منهم انهم يؤمنون حقيقة عند معاينة العذاب لانزل عليهم العذاب معاينة مجاهرة هم
ليؤمنوا فيقبل منهم ذلك ويرفع العذاب عنهم كما قبل ايمان قوم يونس حيث قال فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا
قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا قبل منهم الايمان عند معاينتهم العذاب لما علم منهم انهم يحققون
الايمان في ذلك واما من كان همتهم العناد والمكابرة [illegible] لا يحققون الايمان وقوله فيقولوا هل نحن منظرون لا يزالون يطلبون
النظرة والرجعة الى الدنيا وتاخير العذاب عن انفسهم اذا نزل بهم كقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب وكقوله يا ليتنا نرد فيتمنون
الرجوع والنظرة لكن لا يجابون الى ذلك وقوله افبعذابنا يستعجلون قال اهل التاويل هذا جواب لهم لما وعدهم النبي
العذاب ينزل بهم متى العذاب تكذيبا له واستهزاء يقول الله عند ذلك افبعذابنا يستعجلون ولقولهم متى هذا الوعد وقولهم
امطر علينا حجارة ومثله والا ليس هذا في الظاهر جوابا لقوله فيقولوا هل نحن منظرون وجواب هذا والله اعلم وقوله افرايت
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون يقول ما يغني تاخير العذاب عنهم وامهالهم عن وقت
يمنعون من عذاب الله من شيء لا ينفعهم ذلك او ان يكونوا سالوا العذاب في الظاهر واستمهلوا في الحقيقة فخرج قوله افرايت
ان متعناهم سنين الاية جوابا لاستمهالهم او ان يكون بعضهم استعجل العذاب او استمهل غيرهم فخرج هذا جوابا من
استمهل ثم خوفهم فقال وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى يقول وما اهلكنا من قرية اهلاك استيصال وانتقام
الا بعد الانذار واقامة الحجة والبيان ذكرى اي موعظة وزجرا عما هم فيه او ذكرى يذكر ما لهم وما عليهم وما يبعثهم
على بعض وقوله وما كنا ظالمين في تعذيبهم اي لم نعذبهم بلا ذنب ولا جرم ولكن بعنادهم ومكابرتهم لان العذاب في
الدنيا لا يكون لنفس الكفر ولكن لعناد ومكابرة وانما عذاب الكفر في الاخرة وعلى ذلك يخرج قوله وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا اي ما كنا معذبين في الدنيا تعذيب انتقام حتى نبعث رسولا فيظهر منهم العناد والمكابرة فعند ذلك يعذبهم
الله وقال بعضهم وما كنا ظالمين اي ما كنا نعذبهم الا من بعد البيان والحجة والقطع العذر والله اعلم وفي مصحف ابي
وما اهلكنا من قرية الا بذنوب اهلها وقوله وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم قال بعضهم ما تنزلت بالقران
الشياطين فذلك جواب لقول اهل مكة ان محمدا كاهن معه رائي وهو ياتيه بما يقول يعنون بالرائي الشيطان و
كانت الشياطين من قبل يقعدون من السماء مقاعد يستمعون فيها الوحي من الملائكة فينزلون به على الكهان فمن بين
مصيب ومخطئ فقالوا لمحمد كذلك فاكذبهم الله تعالى في مقالتهم تلك فقال فما تنزلت برأي بالقران الشياطين وما
ينبغي لهم ان ينزلوا بالقران وما كانوا يستطيعون اي قد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب واخبر انهم عن
السمع لمعزولون وفي قوله وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون دلالة انه من اراد ان يجعل القران حجة لغير
الذي جعل هو حجة لم يقدر على النطق به ولا التلاوة ممن من ياتي افقا من افاق الارض لم ينبته اليهم هذا القران فادعى
لنفسه النبوة وجعل يحتج بهذا القران فانه لا يقدر على تلاوته ولا النطق لانه انما جعل حجة وبرهانا للمحق لا للمبطل ثم قال
وما تنزلت الشياطين وما ينبغي لهم ان ينزلوا وما يستطيعون اخبر انهم لا يستطيعون ذلك وانهم معزولون عن
ذلك وقد ذكرنا وجه النهي لرسول الله في قوله فلا تدع مع الله الها اخر وامثاله والله اعلم وقوله وانذر عشيرتك
الاقربين روي عن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريشا فخص وعم فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك من الله نفعا ولا ضرا يا معشر بني
قصي انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم من الله ضرا ولا نفعا وقال يا معشر بني عبد مناف انقذوا انفسكم
من النار فاني لا املك لكم من الله ضرا ولا نفعا وكذلك قال لبني عبد المطلب وقال لفاطمة ابنته يا فاطمة بنت محمد
انقذي نفسك من النار فاني لا املك لك من الله ضرا وما نفعا ولكن لك رحم وسابلها ببلالها اي ساصلها
وفي بعض الاخبار انه قال عند نزول هذه الاية اني ارسلت الى الناس عامة وارسلت اليكم يا بني هاشم وبني عبد المطلب
خاصة وهم الاقربون وهو اخوان ابناء عبد مناف وعن الحسن قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع اهل بيته
قبل موته فقال الا ان لي عملي ولكم عملكم الا اني لا املك لكم من الله شيئا الا ان اوليائي منكم المتقون الا لا اعرفنكم
يوم القيمة تاتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم وياتي الناس بالاخرة وعن قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بات ليلة على الصفا يدعو عشيرته فخذا فخذا يدعوهم الى الله قال في ذلك المشركون لبات هذا الرجل يهوت
منذ الليلة يقول يصيح فانزل الله في ذلك قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى الاية ومعنى التخصيص
في انذار عشيرته في هذه الاية يحتمل وجهين وان كانوا داخلين في جملة انذار الناس جميعا في قوله نذيرا للعالمين اذهم من
العالمين احدهما جائز ان يكونوا هم يطمعون شفاعة رسول الله يوم القيمة بقرابته واتصالهم به وان لم يطيعوه ولم يجيبوه
الى ما يدعوهم اليه ما روي عنه انه قال كل نسب وسبب منقطع يومئذ الا نسبي وسببي فيشبه ان يكونوا يطمعون
شفاعته يومئذ وان خالفوه بحق القرابة والوصلة ما لا يطمع ذلك غيرهم من الناس الا بالطاعة والاجابة فامره ان
ينذرهم بان لا يتكلوا الى شفاعته ولكن احتالوا حيلتهم بالطاعة له والعمل بما يامر وهو ما ذكر في الاخبار التي ذكرنا التي

لا املك لكم من الله نفعا ولا ضرا الا ان اوليائي منكم المتقون ان لا ولاية لهم اذا لم يتقوا لمخالفته ولم يطيعوه والثانى
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قيل لين جانبك لمن اتبعك من المؤمنين كما امر رسوله ان يتواضع ٥
لهم ويرحم وقال فى الوالدين واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال فى المؤمنين بعضهم لبعض فيما بينهم رحماء بينهم اذلة ٥
على المؤمنين اعزة على الكافرين ذكر الذل فيما بينهم والرحمة ولم يذكر فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذل والله اعلم لان الذل
كانه يرجع الى الخضوع واستخدام بعضهم بعضا وذلك فى رسول الله بعيد لا يحتمل ان يامره بالخدمة لهم وجائز ان يمتحن بعضهم
بخدمة لهم وجائز ان يمتحن بعضهم بخدمة بعض والله اعلم وقوله فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون فالراء راجع الى
قوله وانذر عشيرتك الاقربين وموصول به كانه قال وانذر عشيرتك الاقربين فان عصوك برئ مما تعملون قد كان رسول برئا
مما كان يعمل اولئك الكفرة يحتمل ان يكون لما انذرهم رسول الله طلبوا منه ان يطيعهم فى بعض امورهم ويشاركهم فى بعض اعمالهم
حتى يطيعوا اولئك له فى بعض ما يامرهم ويدعوهم اليه ويشاركونه فى بعض اعمالهم فقال عند ذلك انى برئ مما تعملون
يتبرا مما يدعونه اليه وطلبوا منه مساعدته اياهم والاعراض عما يعملون فقال وتوكل على العزيز الرحيم كانه امنه
عن شرهم وكيدهم فقال توكل على العزيز الرحيم ولا تخف مخالفتهم اياك فيما تدعوهم اليه او امره ان يكل نفسه اليه
ويفوض جميع اموره فى كل وقت فقال وتوكل على العزيز الرحيم العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه او الشديد
باعدائه الرحيم باوليائه او ذكر العزيز لانه به يعز من يعز وهو يرحم من يرحم من لم يعزه هؤلاء يكون عزيزا ومن لم
يرحمه هؤلاء ينفع ترحم غيره والعزيز هو الذى لا يعجزه شيء وقوله الذى يراك حين تقوم فى ظلمة الليل وحدك قائما وجالسا
وعلى حالاتك يراك فى تقلبك ايضا فى الساجدين فى الصلوة مع الناس فى الجماعة وبعضهم يقول فى تقلبك فى الساجدين
فى المصلين يقول كما يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من امامه لكن هذا ليس تاويل الاية الاكلام قاله من ذات نفسه
ولو كان ما ذكر لكان يقول يراك يرفع البناء لا بالنصب وروى فى بعض الاخبار انه قال انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع و
لا بالسجود ولا بالقيام فانى اراكم خلفى كما اراكم امامى والذى نفسى بيده لو رايتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا يا رسول
وما رايت قال رايت الجنة والنار وقال بعضهم يراك حين تقوم الى الصلوة تصلى وحدك ويراك مع المصلين فى جماعة
وهو مثل الاول وفى حرف حفصة وتقلب وجهك فى الساجدين انه هو السميع العليم السميع لمقالتهم مما يخفون ويسرون
وما يعلنون والعليم بضمائرهم وخفياتهم والسميع المجيب لمن دعاه العليم باعمالهم وافعالهم وقوله هل انبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل افاك اثيم خرج هذا والله اعلم وما تقدم ذكره من الايات جوابا لقول كان رؤساء الكفرة وقادتهم لا
يزالون يلبسون على اتباعهم والسفلة امر رسول الله وما نزل فقالوا مرة اساطير الاولين ومرة ما هذا الا افك مفترى
وانه شاعر وانه ساحر ومرة قالوا انما يعلمه بشر واشكال هذا فجائز ان كان منهم ايضا قول ان الشياطين هم الذين تنزلت
بهذا القران عليه مما اكثر انهم قالوا انما يجيء به الرئي وهو الشيطان فيلقيه على لسانه فقال عند ذلك جوابا لهم وما تنزلت
الشياطين وما ينبغى لهم الاية ولكن انما تنزل به جبريل حيث قال قل نزله روح القدس الاية ثم اخبر عن الشياطين انهم
على من ينزلون حيث قال هل انبئكم على من تنزل الشياطين فقال تنزل على كل افاك اثيم ذكر هذا ليعلموا ان الشياطين
لا تتنزل الا بالكذب والباطل لا تنزل الا على كذاب افاك وكان جعلوا ما عندهم ان محمدا لم يكذب قط ولا افك ابدا اذ لم
ياخذوه بكذب فيما بينهم قط فيقول والله اعلم كيف يتنزل عليه الشياطين وهو معروف عندكم انه ليس بكذاب ولا
افاك وقد تعلمون ان الشياطين لا تتنزل الا بالكذب والباطل على هذا يخرج تاويل هذه الاية والا على الابتداء لا يحتمل ان يكون
ثم اخبر عن صنيع الشياطين فقال يلقون السمع واكثرهم كاذبون وقال بعضهم يلقى الشياطين باذانهم الى السمع فى
السماء لكلام الملائكة وذلك ان الله اذا اراد امرا فى الارض علم به اهل السماء من الملائكة فتكلموا به فيسمع الشياطين ذلك
فيخبرون به الكهنة فيخبر الكهنة اهل الارض بذلك فيقولون انه يكون فى الارض كذا فى وقت كذا ثم قال واكثرهم كاذبون
على هذا التاويل واكثر الشياطين كاذبون فيما يخبرون الكهنة من اخبار السماء وقال بعضهم ان الجن كانوا يصعدون
الى السماء فيسترقون اسماعهم الى السماء فيستمعون من اخبار اهلها ثم ينزلون به على الكهنة ويسمع الكهنة ايضا
من اخبار الرسل ويخلطون ما سمعوا من الرسل من الحق بما سمعوا من الشياطين من الباطل فيحدثون الناس بذلك
فما كان من الرسل حقا وما كان من الشياطين فيكون باطلا فذلك تاويل قوله واكثرهم كاذبون اى اكثرهم الكهنة كاذبون
فيما يخبرون الناس مما سمعوا من الشياطين وقال بعضهم كانوا يسمعون من الجن حقا لكنهم يخلطون من عند انفسهم كذبا
فيحدثون به الناس حتى فما كان الناس يتركون ما يسمعون منهم من الكذب بعد توهم بذلك الحق الذى نزل به من السماء
فيراجعونهم ويصدقونهم فذلك قول الله واكثرهم كاذبون اى اكثر قولهم كذب والله اعلم بذلك وقوله والشعراء
يتبعهم الغاوون وقال بعضهم رجلان شاعران كانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما من الانصار والاخر
من قوم اخرين فهجوا رسول الله واصحابه ومع كل واحد منهما غواة من قومه فذلك قوله والشعراء يتبعهم الغاوون
قال فاستاذن شعراء المسلمين النبى ان يقتصوا من المشركين فاذن لهم النبى فهجوا المشركين ومدحوا النبى فذلك قوله

الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اخبر فى الاول والشعراء يتبعهم الغاوون فاستثنى شعراء المسلمين بقوله الا الذين امنوا و
قال بعضهم الشعراء عصاة الجن يتبعهم غواة الانس كقوله شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض وقال بعضهم هم الكفار
يتبعون ضلال الجن والانس وهو مثل الاول وقوله الم تر انهم فى كل واد يهيمون قال بعضهم فى كل فن ياخذون اى يمدحون قوما
بالباطل ويذمون قوما بالباطل وانهم يقولون ما لا يفعلون وانهم يسرفون ما لا يعلمون وكذلك ذكر فى بعض الحروف انه كذلك
وقال بعضهم انهم فى كل لغو وباطل يخوضون وانهم يقولون ما لا يفعلون يقول فى اكثر قولهم يكذبون وقال بعضهم وانهم
يقولون ما لا يفعلون اى يقولون فعلنا كذا وفعلنا كذا وهم كذبة لم يفعلوا ذلك وقال ابو عوسجة يهيمون اى يذهبون ويعشقون
ويركبون كل واحد هام يهيم هيما فهو هايم ويقال الهايم العطشان يقول هام يهيم هيما وهيمان وعطشان وقوم هيم والهايم
المواشى المحب الذى هو عطشان الى لقاء من يحب والتهويم النوم يقال هوم يهوم تهويما وقوله فشاربون شرب الهيم هم العطاش
والواحد هيمان وقال القتبى فى كل واد يهيمون اى فى كل واد من القول وفى كل مذهب يذهبون كما يذهب الهايم على وجهه وقوله
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا هذا الاستثناء يحتمل ان يكون من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون وهو انه
كانهم قال اولئك الشعراء وهم القادة منهم نحن نقول بمثل ما قال محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الشعر وانشدوا واجتمع اليهم
غواة من قومهم يستمعون اشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبى واصحابه فاستثنى شعراء المسلمين الذين قالوا الشعر وانشدوا
فى انتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يتبعهم الغاوون وان يكون
الاستثناء من قوله الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يهيمون
فى كل واد ويقولون ما يفعلون ولا يقولون ما لا يفعلون بل يذكرون الله كثيرا وينتصرون رسوله وانفسهم من بعد ما
ظلموا فيكون الاستثناء فى احد التاويلين من الاتباع وفى الاخر من الايمة والقادة فكان منهم قول سبق فى ذلك حتى
قال والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخر ما ذكر اذ لا يحتمل على الابتداء دون قول كان منهم على ما ذكر فى قوله وما تنزلت به
الشياطين وقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين الاية قد كان من اولئك الكفرة قول وطعن بان الشياطين هم الذين
ينزلون به عليه حتى خرج جوابا لهم وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وان لم يذكر ذلك لنظهر ذلك فى الجواب
ان كان منهم قول وطعن وان لم يذكر ثم اوعدهم وقال وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون يحتمل فى الاخرة فى منقلب
الظلمة وهى النار يعلمون علم عيان يومئذ وان لم يعلموا ذلك فى الدنيا علم الاستدلال لما تركوا النظر فيه او يعلمون ذلك
علم عيان فى الاخرة وان علموا فى الدنيا علم استدلال لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله طس قد ذكرنا فيما تقدم تاويل الحروف
المعجمة واقاويل الناس فيها وكذلك الايات قد ذكرنا وقوله وكتاب مبين يحتمل قوله مبين اى بين واضح لان ابان قد يستعمل
فى موضع بان يقال بان وابان ويحتمل وكتاب مبين اى يبين انه رسول من الله او يبين باذن الله عليهم او ما لبعضهم على بعض او
ما لهم وما عليهم وقوله هدى وبشرى للمؤمنين قوله هدى يحتمل وجهين احدهما دعاء كقوله ولكل قوم هاد اى داع يدعو
الخلق الى توحيد الله فهو ذلك يحتمل قوله هدى اى دعاء يدعوهم الى توحيد الله فكان هذا لهم وللناس كافة والثانى
جائز ان يريد بالهدى الهدى الذى هو نقيض الضلال ونقيض تهدى للمؤمنين خاصة وان كانت دعاء بالبيان والدعاء فهو للكل
وقوله هدى وبشرى للمؤمنين جميعا وعلى الدعاء يكون قوله وبشرى للمؤمنين اى يدعوهم الى الايمان بالله ورسوله فاذا امنوا
به كان لهم بشرى ثم نعت المؤمنين ووصفهم فقال الذين امنوا يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة يحتمل قوله يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة اى يقرون بهما ويلتزمون لان من الناس من كان يؤمن بالله ورسوله لكنهم ابوا الايمان بالصلوة والزكوة
كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم لا يخلون بما امرهم بتخليتهم الى ان تمضى السنة فيجب الزكوة عليهم فيجب
تخلية سبيلهم ولكن الامر بتخليتهم الان يقرونهما ويلتزمونهما فيجب عند ذلك تخلية سبيلهم وكذلك قوله فاخوانكم فى الدين لا يتوهم
الزكوة فيؤتونه لانه يلتزمونهما ولا يقرون بهما ليس على فعل الايتاء فهو ذلك الاول يحتمل هذا والثانى يحتمل الامرين جميعا
القبول والاقرار والايتاء جميعا انه اذا قبلوها واقروا بهما واعطوها فحينئذ يستوجبون هذه البشارة ثم ذكرت قوله
وهم بالاخرة هم يوقنون الايقان بالشيء هو العلم به من جهة الاستدلال والاجتهاد والاسباب التى تستفاد بها العلم به الا
لا العلم الذاتى ولذلك لا يوصف الله على الايقان به ولا يقال يا موقن لانه عالم بذاته لا بالاسباب وبالله التوفيق
وقوله ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم يحتمل قوله زينا لهم اعمالهم الاعمال التى هم عليها بما كتب فيهم من الشهوة
والامانى ويحتمل زينا لهم اعمالهم الاعمال التى عليهم اى زين لهم الخيرات والطاعات لكنهم ابوا ان يتوا بها فانما قيدنا
قالوا بهذا التاويل وابوا ان يقولوا بالاول لان يكون من الله تزيين ما هم فيه من الشرك والكفر وانواع الفواحش لهم وان
صان تزيين ذلك الى الشيطان حيث قال وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وقال ان الشيطان سول لهم ومن
ذلك من الايات فقالوا اضافه الى الشيطان ولا يجوز ان يضاف الى الله ذلك بعينه قد اثبات الله انا زينا لهم اعمالهم التى

هم نهيا الى الله من جهة ما ركب فيهم من الشهوات والاماني التي توافق طباعهم وانفسهم لان التزيين يقع بنفس الحق و
افعاله اذ الكفر بنفسه ليس بمزين ولا مستحسن انما هو شتم رب العالمين ولكن تزيينه واستحسانه هو موافقة ما يميل من الاعمال
طباعه والجهة التي تضاف الى الشيطان من التزيين والاضلال غير الجهة التي تضاف الى الله اذ الجهة التي تضاف الى الشيطان
هو دعائه وتمنيته الى ما يوافق طباعهم فمن هذه الجهة يجوز اضافته الى الشيطان والجهة التي تضاف الى الله فهو ما ركب
فيهم من الشهوات والاماني وجعل الطباع موافقا لها والا الصدق وجميع الخيرات انما يكون مزينا مستحسنا في العقل للعاقبة
والكفر وجميع المعاصي مستقبح في العقل للعاقبة اذ حمد احدهما واثيب على فعله وذم الاخر وعوقب لسوء اختياره او يكون
اضافة ذلك الى الله لما خلق افعالهم واعمالهم التي عملوها واخرجها من العدم الى الوجود وهي من هذه الجهة فعله وهو حجة قولهم
في بابهم خلق افعال العباد **وقوله** فهم يعمهون قيل يترددون وأصل العمه الحيرة اي يتحيرون اولئك الذين لهم سوء العذاب
اي لهم ما يسوءهم من العذاب في الاخرة لاختيارهم سوء الاعمال في الدنيا في الدنيا وهم في الاخرة هم الاخسرون الاخسرون
والخاسرون واحد وجائز ان يقال لهم الاخسرون للقادة منهم والرؤساء لانهم ضلوا بانفسهم واضلوا غيرهم هم اخسر
من الاتباع كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة **وقوله** وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم هذا يحتمل وجهين احدهما
لتلقى القران من الله على يدي رسوله وهو جبريل وجائز ان يكون حكيم عليم هو جبريل نفسه اي انك لتلقى القران من لدن
جبريل وهو الحكيم بصنيع الوحي والقران حيث امر بوضعه فيه اذ الحكيم هو المصيب في فعله الواضع للشيء موضعه و عليم
بما امر به وارسل وهو كذلك كان اذ يجوز ان يقال للمخلوق حكيم عليم الا ترى الى قول يوسف حيث قال اني حفيظ عليم فعلى
ذلك هذا جائز والاول اشبه انما يؤدي كلام مرسله وقال ابو عوسجة وانك لتلقى القران يقال تلقيته اخذته و تلقيته
واحد وكذلك قال القتبي تلقى اي لتاخذ وقال محمد بن اسحق وانك لتلقى القران اي لتولى بالقران كقوله وما يلقيها الا
الذين صبروا اي وما يؤتيها والله اعلم **وقوله** اذ قال موسى لاهله اني انست نارا قيل رايت وابصرت سآتيكم منها بخبر او
بشهاب قبس وقال في اية اخرى لعلي اتيكم منها بقبس واجد على النار هدى هذا يدل انه كان ضل الطريق على ما ذكره اهل
التاويل وقال في اية اخرى اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون ذكر على التقديم والتاخير
على اختلاف الالفاظ والحروف والقصة واحدة والمتمني بذلك موسى لا غير فهذا يدل ان ليس على الناس تكلف حفظ
الالفاظ والحروف بلا تقديم ولا تاخير ولا تغيير بعد ان اصابوا المعنى المودع فيها اعني في الالفاظ وحفظوها من غير تغيير
يدخل في المعنى المودع اذ قصة موسى هذه وغيرها من قصص الانبياء صلوات الله عليهم ذكرت في الكتاب على التقديم و التاخير
على اختلاف الالفاظ والحروف في كثير من الاحكام في الشهادات والاخبار وغيرها انما عليهم اصابة المعنى ثم **وقوله** بشهاب قبس
قال بعضهم الشهاب خشبة في طرفها نار والقبس النار وشهابا نجيع ولا يسمى النار قبسا الا ما يحمل من موضع الى موضع
يقال قبست النار قبسا وقبست وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقال بعضهم القبس الجمر والشهاب النار الموقدة وهو
قول ابي عبيدة وقال بعضهم الشهاب النور والشهاب الكوكب سمي شهابا لضوئه ونوره وقال بعضهم بشهاب قبس
اي شعلة من نار والجذوة كانها خشبة فيها نار وهو مثل الاول وقوله لعلكم تصطلون على ان الوقت وقت البرد وايام
الشتاء حيث ذكر الاصطلاء وهو الاستدفاء والله اعلم **وقوله** فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها اشتغل اهل
التاويل في هذا وصرف بعضهم تاويله الى ما لا يريح الاسماعة ويبعد عن الحق والصواب وغير لكن لو جاز ان يعبر ويكنى بحرف
من عن غير مميز وغير ذي فهم وعقل لاستقام التاويل فيه ولم يقع فيه شبه فيجيء كانه قال ان بورك ما فيه النار وما
حولها ويكون عبارة عن المكان الذي فيه النار وما حولها من الامكنة اي بورك في ذلك المكان الذي فيه النار
وما حولها الا انه قال في اية اخرى انك بالواد المقدس طوى اي طوي فيه البركات وقال في اية باركنا حوله لخبر عن
بركة ذلك المكان فعلى ذلك لو جاز ان يعبر بحرف من عن غير المميز والفهم ويكنى به جاز صرف التاويل الى ما ذكرنا من
المكان او يقال بورك من في النار ومن حولها اي بورك ما في النار من النور وما حول ذلك وما يستفاد به وبسنا
وهو ما استفاد به من النبوة والرسالة هذا كله اذا جازت العبارة والكناية بحرف من عن ذي التمييز والفهم فان
جاز هذا لاستقام ان يقال هذا او ان يكون التاويل منصرفا الى ما ذكر في حرف ابن مسعود وابي على طرح حرف من
وحرف في ذكر ان في حرفهما نودي ان بوركت النار ومن حولها وكذلك جائز في اللغة ان يقال بورك في فلان
وبورك فلانا وبوركت وبورك فيهك وكذلك على الكسائي انه قال ذلك فان كان ما ذكر عن ابن مسعود وابي
ثابتا صحيحا لم يقع فيه شبهة ولا ريب وان لم يجز العبارة بحرف من عن غير التمييز فجائز ان يصرف حرف من الى موسى
فيكون كانه قال بورك في الذي اتى النار وهو موسى او بورك فيمن جعل له اقتباس النار فيتصرف تاويل من الى موسى
وتجعل له من البركة في تلك النار ما لا يحصى من استفادة النبوة والارشاد الى الطريق والاصطلاء وغير ذلك
والله اعلم **وقوله** وسبحان الله رب العالمين ذكر هذا والله اعلم تنزيها عن جميع ما قال له بعض اهل التاويل وتبرية منه
عن ذلك كله من نحو مقاتل ومن قال بمثل قوله مما يؤدي الى التشبيه والتشبه **وقوله** يا موسى انه انا الله العزيز

الحكيم اي الذي اعطاك ذلك انا الله العزيز الحكيم او يقول اي الذي جعل لك ذلك الله العزيز الحكيم او ان يقول انه الذي اراك
هذا واكرمك به انا الله العزيز الحكيم او ان يقول انه الذي اراك اي الذي جعل لك ذلك العزيز الحكيم العزيز الذي لا يعجزه
شيء الحكيم العزيز الذي لا يعجزه شيء الحكيم المصيب في فعله غير مخطئ او ان يقال عزيز لا يزل ابدا قط لانه عزيز بذاته الحكيم
يضع كل شيء موضعه لا يخطئ قال ابو معاذ وقال مقاتل بن سليمان يا موسى انه يقول ان النور الذي رايت انا الله وهذا
محال لا وجه له لانك لا تقول ان الذي رايت رايت انا الانسان راه او لشيء اخر ولكن تقول انا الذي رايت ومحال ايضا
قوله لما ذكر في حرف ابن مسعود نودي يا موسى لا تخف بكلمة الله ومخاطبته ثم يقول ان النور الذي رايت انا المحال
ايضا لقول الله اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر قال الله فلما اتيها ولم يقل اتاه ومحال ايضا ان يكون الله نعالى لانك
لا تقول بان الذي رايت انا اخوك فقال قول مقاتل محال من اربعة اوجه خلاف نظام الاية واصله ما ذكرنا فيما تقدم
وقوله والق عصاك فلما راها تهتز في الاية الامر بالقاء العصا ولم يذكر انه القاها ولكن فيه اضمار والق عصاك فالقاها
فلما راها تهتز اي تتحرك كانها جان ذكر اهل التاويل ان الجان هي الحية الصغيرة ليست بعظيمة لكنه اخبر ان موسى خافها و ذكر
مدبرا وموسى لا يحتمل ان يخاف من حية صغيرة على الوصف الذي ذكر فكانها عظيمة لكنها في تحركها والتوائها صغيرة ذا الحية
العظيمة الكبيرة لا تقدر على التحرك والالتواء كالصغير لذلك خافها موسى حتى نهاه الله عن ذلك وقال لا تخف اني لا يخاف لدي
المرسلون **وقوله** ولم يعقب قال بعضهم لم يرجع وقال بعضهم لم يلتفت وهو ماخوذ من العقب والجان قال بعضهم من الجن
والجان الحية ولا يكون الا من الجن وهو قول ابي عبيد **وقوله** لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون فان قيل كيف نهاه عن الخوف
واخبر انه لا يخاف لديه المرسلون وقد مدح الله الملائكة وغيرهم من الخلائق بالخوف من ربهم حيث قال يخافون ربهم من فوقهم
وقال في اية اخرى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعونه تضرعا وخيفة وامثال ذلك من الايات مما فيها مدحهم بالخوف منه
لكنه يخرج على وجوه احدها انه قد امن موسى حيث قال لا تخف انك من الامنين فكانه قال ها هنا لا تخف بعد ما امنتك اني
لا يخاف لدي المرسلون اذا امنتهم والثاني لا تخف من غيري اي لا يخاف لدي المرسلون من غيري فكانه قال والله اعلم على
هذا التاويل انما نهاه عن الخوف من غيره واخبر انه لا يخاف لديه المرسلون والثالث اخبار وامن منه من خوف الاخرة و
هولها كانه قال لا تخف فاني سادمن المرسلين من خوف يومئذ ثم استثنى فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء هذا ايضا
يخرج على وجوه احدها لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم اذا بدل حسنا بعد سوء والثاني لا يخاف لدي المرسلون ولكن
من ظلم من سواهم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم رجاء المغفرة وطمع العفو فيما كان منه والثالث لا يخاف
لدي المرسلون الا من ظلم منهم نحو موسى بقتله النفس واخوة يوسف ثم بدل حسنا وتاب عن ذلك فاني يخاف ايضا
والله اعلم **وقوله** وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء كان الله تعالى قادرا ان يجعل يده بيضاء من غير ادخاله اياها في
جيبه لكنه امتحن موسى بالامر بادخالها في جيبه وكذلك قادر ان يصير عصاه في يده حية لكنه امتحن بالامر بالقائها والله
ان يمتحن عباده بكل انواع المحن **وقوله** تخرج بيضاء من غير سوء قيل من غير افة من برص وغيره وقد ذكرنا معناه فيما تقدم
وقوله في تسع ايات الى فرعون وقومه وقال بعضهم يد موسى في تسع ايات اي من تسع ايات وقد يجوز استعمال الحرف
في مكان من كما قال لفلان كذا وكذا من قاتهم با خلوا منها اي منها خالون وقال بعضهم في تسع ايات اي مع تسع ايات قال ابو معاذ
وقد يكون معنى في ومع واحدا فيما لا يحصى عدده تقول خرجت في اهل مرو الى اهل مكة ومع اهل مرو الى مكة فاذا قلت
خرجت في تسعة احتملنا لا انك احصيتا لعدد في تسعة انت تاسعهم ومع تسعة انت عاشرهم وقال بعضهم هو على
الانقطاع من الاول كانه قال لرسوله محمد ولقد بعثنا موسى في تسع ايات الى فرعون كما قال ولقد اتينا موسى تسع
ايات بينات **وقوله** الى فرعون وقومه دل هذا انه كان مبعوثا الى فرعون وقومه جميعا اذ ذكر في اية الى فرعون خاصة
وفي اية الى فرعون وملائه وذكر ههنا الى فرعون وقومه فكان مبعوثا الى الكل **وقوله** فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اي يبصر
ويعلم كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به وقرا بعضهم مبصرة بنصب الصاد اي بينة ظاهرة يبصر فيها وكذلك قال موسى لفرعون
لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقالوا هذا سحر مبين لم يزل عادة فرعون اللعين تلبيس امر
موسى واياته على قومه لئلا يؤمنوا به ولا يطيعوه فيما يدعوهم قال هذا ساحر مبين وانه هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره وامثال ذلك مما يلبس على قومه امره ويموه عليه لئلا يطيعوه فيما يدعوهم اليه ولا يجيبوه **وقوله**
وجحدوا بها اي جحدوا بالايات وجائز في اللغة ان يقال جحد بها وجحدها واحد ثم قال بعضهم ان الجحود لا يكون الا بعد
العلم به والايقان ولكن يجوز ان يقال الجحد بعد المعرفة والعلم وقيل ان يعلم به ويعرف اذ الجحود ليس الا الانكار وقد يكون
الانكار للشيء للجهل به وبعد المعرفة وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه قال فلما جاءتهم اياتنا مبصرة جحدوا
بها ظلما وعلوا واستيقنتها انفسهم انها من الله وانها ايات ليست بسحر ولو كان سحرا في الحقيقة لكان اية لانه يسحر
على غير تعلم يكون منه انه رسول الله وقوله ظلما لانهم جحدوا الايات وسموها سحرا فوضعوا الايات موضع السحر لم
يضعوها موضعها والظلم هو وضع الشيء غير موضعه **وقوله** وعلوا اي تكبرا وعنادا فانظر كيف كان عاقبة

المفسدين لبس على الامر له بالنظر في ذلك ولكن على تنبيه اولئك والزجر لهم عام فيه اي انظر ما نزل بهم الجحود لآيات وعنادهم
فيها على ما نزل باولئك والله اعلم وقوله ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين فيه
وجهان من الاستدلال احدهما في خلق افعال العباد والثاني في ترك الاصلح اما الاستدلال على خلق الافعال لانه قال اتينا داود
وسليمان علما وقال علمنا منطق الطير وقال في رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان
علمه البيان ونحوه من الآيات فيما اضاف التعليم والفعل الى نفسه فلو لم يكن له في ذلك صنع لم يكن لاضافة ذلك اليه معنى فدل
انه خلق افعالهم منهم فان قيل انما اضاف ذلك الى نفسه بالاسباب التي اعطاهم قيل لا يحتمل ذلك لانه قد اعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم جميع اسباب الشعر ولم يكن غيره من الشعراء احق باسباب الشعر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخبر انه لم يعلمه
الشعر دل انه لم يرد به الاسباب ولكن اراد ما ذكرنا واما في ترك الاصلح فهو ما ذكر من قوله ولقد اتينا داود وسليمان علما وقال
يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء انما ذكر هذا على الامتنان والافضال فلو كان لا يجوز له ان لا يعطيه ذلك و
لا كان له ترك ما فعل بهم من الافضال لم يكن لذكر ذلك له على الافضال والامتنان معنى ولا كان داود وسليمان يحمدانه على
ما اعطاهما ولا كان هو يستوجب الحمد بذلك اذ فعل ما عليه ان يفعل دل انه انما اعطى ذلك لهم وفعل بهم ذلك على جهة الافضال
والامتنان وكان له ترك ما فعل وان كان ذلك لهم اصلح في الدين فهذان الوجهان ينقضان على المعتزلة مذهبهم في انكارهم خلق
الافعال وجواز ترك الاصلح في الدين ثم قوله علما بالقضاء والحكم والعلم بكلام الطير والدواب وقال بعضهم فضلناه بالنبوة والعلم
لكن عندنا ذكر انه اتاهما العلم ولم يبين ما ذلك العلم انه علم ما فالمحافظة الكذب على الله والله اعلم وقوله وورث سليمان داود قال
اهل التأويل ورث النبوة والحكم والوارث هو الباقي بعد هلاك الآخر وفنائه كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نبقى بعد
هلاك اهلها وفنائهم وقوله انا لنحن الوارثون اي الباقون بعد فنائهم لا انه ورث شيئا لم يكن له من قبل وذلك قوله واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم الآية اي ابقاكم وتركم في ارضهم وديارهم وقوله وتلك الجنة التي اورثتموها اي ابقيتم فيها و
امثال ذلك كله راجع الى البقاء فعلى ذلك قوله وورث سليمان داود اي بقي في ملكه ونبوته وعلى ذلك ما سال ذكريا ربه
من الولد حيث قال فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب لا يحتمل ان يسال ربه ولدا يرث ماله من بعد وفاته ولكن
كانه سال ربه الولد ليبقى في نبوته ورسالته بعد وفاته ليبقى النبوة في نسله والله اعلم وقوله وقال يا ايها الناس علمنا منطق
الطير واوتينا من كل شيء لا يحتمل ان يذكر هذا صلوات الله عليه على الافتخار والتباهي ولكن ذكر فضل الله ونعمه التي اعطاه و
من عليه كقوله واما بنعمة ربك فحدث الا ترى انه قال ان هذا لهو الفضل المبين ثم قوله واوتينا من كل شيء لا انهم لم يؤتوا كل شيء
حتى لم يبق شيء الا اوتوا شيئا دون شيء ولكن كانه قال واوتينا من كل شيء سا كان ان يؤتيناه او ان يكون واوتينا من كل شيء مما يؤتى
الانبياء والملوك وما يحتاج اليه والله اعلم وقوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال بعضهم
قوله فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم كانه لا بد لهم ان ينتشروا ويتفرقوا ولكن يسيرهم مجموعين على كل صنف منهم وزعه
ترد اولهم على اخرهم وذلك من سيرة الملوك وامرة العساكر ليسير اجنودهم مجموعة غير منتشرة ولا متفرقة وقال ابو عبيدة
فهم يوزعون اي يساقون وقال اوزعني اي الهمني والوزع من الكف والسوق تقول وزع اي كف ووزع اي ساق وقال
مرة يوزعون يجمعون يقال وزعنا الابل اي جمعته وزعنا الاتقى توزعون اي يدفعون واصل الوزع الكف والمنع قال
وزعت الرجل اي كففته ووازع الجيش هو الذي يكفهم عن التفرق والانتشار وهو ما ذكرنا وقوله حتى اذا اتوا على واد
النمل وقتلك لانها لا تخلط الناس حيث امكنها ذلك الدوابيا بصوته حتى اذا اتوا على واد النمل وكانت تخالط الناس على الطريق
حتى اذا اتوا على وادي اليه قيد النمل ذلك انها كانت لا تخالط الناس وكان لها مكان على حدة والله اعلم وقوله قالت نملة
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون يحتج قوله قالت نملة على وجهين احدهما على حقيقة القول
من النملة كما يكون من الطير الملك الله سليمان ذلك والقاه في مسامعه لطفا منه وفضلا من بين سائر الخلق على ما ذكرنا
في قوله وان من شيء الا يسبح بحمده الآية والثاني ان يجعل الله في سرية النمل معنى يفهم بعضها من بعض المراد ويفهمهم
من انواع الحوائج على غير حقيقة القول الهم الله سليمان على ذلك حتى فهم منها ما كانت تفهم بعضها من بعض لطفا منه وفضلا
وهو كقوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ليس لاحد بقول لهم ذلك انما تقيد عليه ذلك لكن الله اخبر عما في
من ضميرهم ومرادهم من التصدق على غير حقيقة القول منهم فعلى ذلك قول النمل اخبر سليمان بما كان في سرها فيما بينهم
من غير ان كان منها نطق وكلام يفهم منه الخلق والله اعلم وقال الباطنية ليس المراد من ذكر النمل المعروفة وقبيلها وكذلك
قالوا في الهدهد لم يرد به الهدهد المعروف اذ لا يجوز للهدهد ان يعلم اكثر مما يكون لسليمان ولغيره ولكن اراد به الرجل وهو
الامام الذي يدعو الناس الى الهدى ويدلهم على الرشد وليس كما قالوا لانه انما ذكر هذا على التعجب ولو كان ذلك انسانا لم
يكن للكلام لم يكن لذكر ذلك منه كبير تعجب ولا فائدة ودل انه ليس كما قالوا وقوله لا يحطمنكم اي لا يكسرنكم والحطم الكسر
وفي حرف ابن مسعود لا يحطمنكم على ادراج النون والتشديد وقوله وهم لا يشعرون قال بعضهم هذا من اخبار سليمان
ومدح عليه في ملكه وسلطانه انه لو شعر بكم لا يحطمكم ولا يهلككم وقال بعضهم وهم لا يشعرون اي لا يشعر جنوده بكم

النمل وهذا يدل ان النملة كانت رئيس سائر النمل وسيدتها حيث قالت ذلك من بين غيرها من النمل وعلى كل رئيس وسيد القوم
ان يحفظ رعيته وحواشيه او ما يحملهم على الفساد وقول من قال ان النمل يومئذ كانت كالذباب عظيما لا يحتمل لانها لو كا
كما ذكر لم يكن لقوله وهم لا يشعرون معنى لانها لو كانت كالذباب يشعرون بها فدل انها كانت على ما هي اليوم والله اعلم وقوله
فتبسم ضاحكا من قولها قال بعضهم تبسم ضاحكا اي سبح لله لما فهم من قول النمل وحمد عليه وتبسم الانبياء التسبيح وجائز
ان يكون التبسم هو السرور اذ التبسم انما يكون لسرور يدخل في الانسان فقوله فتبسم ضاحكا اي سر بما اعطاه الله من عظم
المنزلة والملك الا ترى انه سال ربه الالهام بشكر نعمه التي اتاه الله حيث قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
وعلى والدي سال ربه الالهام واللطف الذي يكون فيه ليشكر نعمه ولو كان الالهام هو الاعلام على ما قاله بعض الناس
لم يكن سليمان ليساله ذلك لانه كان يعلم ان عليه شكر نعمه وكذلك يعلم كل احد ان عليه شكر منعمه فدل سؤاله الالهام على
الشكر انه انما سال اللطف الذي عنده به يشكر نعمه اذا اعطاه وهو التوفيق لا الاعلام الذي قالوه وقوله وعلى والدي فيه
يجب على المرء شكر النعم التي انعم الله على والديه وسال ربه ايضا ان يوفقه على العمل الذي يرضاه منه حيث قال وان اعمل صالحا
ترضيه وقوله وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين جائز ان يكون سؤاله هذا بادخاله فيما ذكر كسؤال يوسف حيث قال توفني
مسلما والحقني بالصالحين سال ربه التوفيق على الاسلام والالحاق بالصالحين ففي ذلك سؤال سليمان ليشبه ان يخرج على ذلك
ثم فيه دلالة ان النجاة ودخول الجنة انما يكون برحمة الله لا بعمل حيث قال وادخلني برحمتك بعدما سال ربه العمل الصالح المرضي
عنده وقوله اوزعني اي الهمني والايزاع الالهام والوزع الكف والسوق وقال القتبي واصل الايزاع الاغراء بالشيء يقال اوزعته
بكذا اي اغريته وهو موزع بكذا ومولع بكذا وقوله وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال تدرون كيف تفقد سليمان الهدهد ثم قال انه اذا كان في فلاة من الارض دعا الهدهد فسال عن بعد الماء
في الارض وعورته فهو يعلمه من بين غيره من الطيور ولذلك تفقده وساله عن حاله وذكر انه سال ابن سلام عن ذلك فاخبر
بذلك لكن هذا بعيد لان سليمان صلوات الله عليه كانت له الريح مسخرة ذكر انها كانت تحمله وتسير به كل غداة مسيرة شهر وكل
عشية كذلك وهو قوله ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر فلو يحتمل انه اذا وقعت له الحاجة الى الماء ان لا يبلغ الى
الماء حتى يحتاج الى ان يحفر له البئر فيستخرج منه الماء او ما كان له من الشياطين والجن مسخرين له منها الجن حتى قال واحد منهم انا
اتيك به يعني عرش بلقيس قبل ان تقوم من مقامك وقال الاخر انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فمن له سلطان وقوة على
العدد الذي ذكر لا يحتمل ان يقع له الحاجة الى الماء واذا وقعت يحتاج الى ان يتكلف وصوله اليه بالهدهد مع تكلف الحفر في الارض
هذا بعيد مرة والله اعلم الا ان يخرج على الامتحان ويكون تفقده الطير لما كان عليه حفظهم جميعا ومنعه اياهم عن الانتشار في الارض
والتفرق لما ذكرنا والله اعلم لما على كل ملك وامير حفظ رعيته وحاشيته والتفقد عن احوالهم واسبابهم فعلى ذلك هذا ثم يحتمل
ان يكون من صنف من الطير واحد لا عدد حتى قال مالي لا ارى الهدهد اذ لو كان عددا من الهدهد لقال مالي لا ارى هدهدا من
الهدهد الا ان يكون الذي فقده كان رئيسا لغيره من الهدهد سيدهم فجائز ان يقال ذلك مالي لا ارى الهدهد من بين غيرهم
يغيب عن بصري ولا ادري ام كان من الغائبين منهم فكانه سال واحدا منهم عن ذلك فاخبر انه من الغائبين فعند ذلك قال
لاعذبنه عذابا شديدا الآية فقال الباطنية في ذلك ان سليمان لا يحتمل ان يعذب من ليس بمخاطب في شيء ولا يجري عليه القلم فدل
وعيده اياه من التعذيب والذبح انه لم يكن هدهدا معروفا ولكن كان رجلا ممن يخاطب ويجري عليه القلم وكذلك قالوا في
النملة انه كان رجلا ممن يكون منه الكلام والفهم واما النملة المعروفة فلا يحتمل لكن الجواب لهم في ذلك ان الله خلق هذه
الدواب والطير وغيرها من الاشياء لمنافع البشر ولحاجاتهم فجائز تعذيبها وذبحها للرد الى منافعهم اذا امتنعت عن الانتفاع
بها او يعذبه لما يشغله عن ذكر الله والقيام ببعض امور على ما ذكر في آية اخرى حيث قال اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب الآية لما شغلته عن ذكر ربه فعلى ذلك جائز ان يكون تعذيب الهدهد
على الوجوه التي ذكرنا ومن الناس من استدل بهذا على مخاطبة الطيور والدواب وغيرها وتكليفها بامور كما يكلف غيرها
من الخلائق واحتج على هذا بقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم اخبر ان الطير وغيره امم
امثالنا وقد اخبر في آية اخرى انه لم تخل امة عن ان يكون فيها نذير بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير لا انه الى هي
امثالنا من الانس والجن دليله قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله ولقد ذرانا لجهنم والانس الا
ونحوه كثير وقوله الا امم امثالكم ليس في الخطاب والتكليف ولكن في اشياء كثيرة وقوله فمكث غير بعيد اي لم يمكث
طويلا حتى جاءه وفي حرف ابن مسعود فمكث غير بعيد ثم جاءه فقال احطت بما لم تحط به كانه سأله اين كنت فقال
عند ذلك له احطت بما لم تحط به وفي حرف ابي احطت بما لم تحط به انت ولا احد من جنودك اي بلغت ما لم تبلغ انت
او علمت ما لم تعلم انت ولا احد من جنودك ثم قال وجئتك من سبا بنبا يقين لا شك فيه فكانه ساله عند ذلك النبا
فقال عند ذلك والله اعلم اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء اي اوتيت من كل شيء يؤتى الملوك على ما ذكرنا
في قوله واوتينا من كل شيء ثم العجب من امر بلقيس انه كيف خفي خبرها وامرها على سليمان كل ذلك الخفاء وكان يقرب منه و

ملكة جبارة ذات سلطان وملك وكل يذهب في كل غدو ومسيرة شهر وفي كل رواح كذلك كيف لم يطلع على امرها وخبرها
وكانت الجن والشياطين مسخرين له ومنها الذين يعملون له الاعمال الصعبة الشديدة ويطوفون في الافاق والافق و
كان هو يبعثها الى الدعاء الى توحيد الله كيف خفي عليه امرها وخبرها كل هذا الخفا حتى اخبره بذلك الهدهد هذا والله
امر عجيب ومن عادة الملوك ايضا انهم يطلع بعضهم على امور بعض ويعلم باحوالهم لكن يحتمل خفا خبرها عليه لما لا
يتجاسر كل احد ان يكلمه في ذلك وان يعلمه عن حالها وان كان لا يعلم هو ذلك الا بعد السؤال وطلب الخبر تعظيما له
واجلالا له وهكذا الملوك ليس يتجاسر كل احد عن ان يخبره عن كل امر وخبر الا بعد السؤال اياه تعظيما لهم وتوقيرا فيكون
ذلك امر سليمان مع بلقيس او ان يكون لامر وسبب لم يبلغنا ذلك ولم نشعر به وقال بعض اهل التاويل في قوله وتفقد
الطير فقال مالي لا ارى الهدهد انما طلبه وتفقده لان الطير قد تظله على راسه من الشمس فلما نظر الى الطير وجد
موضع الهدهد خاليا يقع عليه الشمس فعند ذلك قال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين وقوله في قوله
لاعذبنه عذابا شديدا اي لانتفن ريشه حتى يصيبه الشمس فذلك هو العذاب الشديد لكن لا نفسر ما ذلك العذاب
الشديد الذي وعد سليمان مخالفة الكذب والله اعلم وقوله فمكث غير بعيد قال بعضهم غير طويل وجائز ان يكون
فمكث وصار ياتي في مثله من كان بعيد لانه انما يعبر عن المكان لا عن الوقت في النظام فقال احطت بما لم تحط به كانه
الناصحة والشفقة يقول اتيتك من العلم والخبر بالمرئيات ما لا احد من جنودك فكيف تعذبني وفي حرف عبد
فمكث غير بعيد ثم جاءه قال ابو معاذ مكث بنصب الكاف ورفعها مكث لغتان وقوله وجئتك من سبإ بنبإ يقين
قال بعضهم حق لا شك فيه اي عند هدهد واما عند سليمان فلا الا ترى ان سليمان قال له سننظر اصدقت ام كنت
من الكاذبين وقف في خبره لينظر اصدق ما يقول ام كذب وقال بعضهم بنبإ يقين اي عجيب ثم اختلف في قوله من سبإ بنبإ قال
بعضهم سبا اسم رجل نسب القرية اليه وقال بعضهم اسم بلدة وقال ابو عوسجة سبا ابو اليمن فمن جعلها اسم بلدة لم يجر ومن
جعلها اسم رجل جره والله اعلم وقوله اني وجدت امراة تملكهم كانه على الاضمار اي وجدت امراة تملكهم اي تملك اهل سبا
الا ترى انه قال في اخره وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ذكر القوم في اخر الاية دل ان الاهل كان مضمرا فيه
وقوله واوتيت من كل شيء اي اوتيت من كل شيء كما يؤتى الملوك من الذكر من الاسباب والهيئة وغير ذلك وقال بعضهم واوتيت
من كل شيء في بلادها ولها عرش عظيم قال اهل التاويل اي لها سرير حسن عظيم ضخم كذا وكذا ذراعا طوله وكذا وكذا ذراعا عرضه و
جائز ان يكون العرش كناية عن الملك كانه قال ولها عرش عظيم اي ملك عظيم وقوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله قال هذا لعظم ما وقع عند الهدهد من السجود لغير الله ليعلم ان الطير وغيرها من البهائم يعرفون الله ويوحدونه وهو
كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده ثم وقوله يسجدون للشمس من دون الله اي يعبدون الشمس من دون الله وجائز يطيعون
للشمس ويخضعون لها من دون الله وقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم اي زين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة السيئة واراها
حسنة فصدهم عن السبيل وهو سبيل الله لان السبيل المطلق هو سبيل الله وهو الاسلام والكتاب المطلق كتاب الله
وقوله فهم لا يهتدون فان كان هذا القول من هدهد تاويله فصدهم عن السبيل فهم غير مهتدين لانه لا يحتمل ان يعرف
انهم لا يهتدون في حادث الوقت وان كان من الله فهو اخبار انهم لا يهتدون ابدا لما علم انهم لا يهتدون والله اعلم
وقوله الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء اختلف في تلاوته بالتخفيف والتشديد فمن قراه بالتشديد الا يسجدوا فهو يخرج
على وجهين احدهما على طرح لا كانه يقول فهم لا يهتدون ان يسجدوا اي هم لا يهتدون ان يسجدوا والثاني صلته فيه فصدهم
عن السبيل الا يسجدوا ومن قراه بالتخفيف فهو يخرج على اي الا يا اسجدوا لله وقال بعضهم الا بالتخفيف هلا يسجدوا لله وكذلك
ذكر في حرف ابن مسعود انه قراها هلا يسجدوا لله وهو حجة ومن قراه بالتخفيف وفي حرف ابي الا تسجدوا لله بالتاء على المخاطبة
الى قوله ويعلم ما تسرون وما تعلنون وذكر في حرف حفصة الا تسجدون بالنون قال الكسائي ومن شدد الا فانه زين
لهم الشيطان ان لا يسجدوا على ما ذكرنا واما التخفيف فهو على وجه الامر اي اسجدوا والا صلة ويا صلة ايضا ثم قال
بعضهم من قرا بالتخفيف يلزمه السجود لانه امر واما من قرا بالتشديد فلا يلزم لكن عندنا سواء يلزمه السجود بالتلاوتين
جميعا انه لا يحتمل ان يلزم السجود بما يامر غيره بالسجود ولا يلزم فيما يخبر عنهم انهم لا يسجدون بل لزوم السجود فيما يخبر انهم لا
يسجدون اولى خلافا لصنيعهم واظهارا للطاعة لله في ذلك والله وقوله يخرج الخبء في السموات والارض الخبء ما يخبا من الشيء
ما كان قال بعضهم خبا في السماء المطر فيخرج وفي الارض النبات فيخرج ذلك النبت ويحتمل الخبء ما يخبا بعضهم من بعض و
يسره بعضهم بعضا يخبر انه يظهر ذلك ويعلمه الا ترى انه قال يعلم ما تخفون وما تعلنون على الوعيد ليكونوا على حذر ابدا
وفي حرف حفصة الا يسجدوا لله الذي يعلم غيب السموات والارض وقوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ذكر هذا و
الله اعلم جواب قوله ولها عرش عظيم يقول رب العرش العظيم هو الله الذي لا اله الا هو لا ما عنى بلقيس وقوله سننظر
اصدقت ام كنت من الكاذبين اي سننظر اصدقت فيما اخبرت واتيت من امر بلقيس ام كنت من الكاذبين في ذلك وقف في خبره
ولم يصدقه ولم يكذبه الى ان يظهر له الصدق او الكذب وهكذا الواجب على كل من اخبر بخبر ان يقف فيه الى ان يظهر له الحق

في ذلك اذ كان الخبر ممن يحتمل الغلط والكذب ثم قال له اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم لا يحتمل ان يكون سليمان امر الهدهد
بذهاب الكتاب اليها وتوليه تبليغ ذلك اليها وهو اعظم من خبره الذي اخبره بذلك بعد ما وقف في خبره قبل ان تبين و
يظهر له صدقه في خبره فدل توليته اياه تبليغ الكتاب اليها انه قد ظهر له صدقه فيما اخبره من امر تلك المراة اما بوحي من الله
اليه او انتهى اليه من الخبر ما قد علم بذلك علم يقين واحاطة فعند ذلك ولاه تبليغ الكتاب اليه حيث قال له اذهب بكتابي هذا
فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون وقوله ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون يحتمل وجهين احدهما الق الكتاب اليهم ثم
تول اي استتر واختف عنهم فانظر ماذا يقولون وماذا يردون فيما بينهم من الكلام والجواب والثاني على التقديم والتاخير كانه
قال الق الكتاب اليهم فانظر ماذا يرجعون من الجواب ثم تول عنهم ففعل ما قال له سليمان من القاء الكتاب اليها وان لم يذكر
في الاية حيث قالت يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم فكانهم قالوا ممن ذلك الكتاب فقالت عند ذلك انه من سليمان وقوله
كتاب كريم قال بعضهم اي حسن لما رات فيه من الكلام الحسن والقول اللطيف وقال بعضهم كتاب كريم اي مختوم وقد ذكر في
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كرم الكتاب ختمه او كلام نحو هذا او شبهه وجائز ان يكون فيه اضمار اي القي
الي كتاب من انسان كريم وسليمان كان معروفا بالكرم فيشبه ان يكون قد اتاها خبر كرمه والملأ قالوا هم الاشراف واهل السؤدد
وقال الزجاج سموا الملأ لما اجتمع عندهم من حاجات الناس وحسن الراي والتدبير في كل شيء من الامور او كلام نحو هذا وقوله انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم هو ما ذكرنا كانهم سالوها ممن ذلك الكتاب فقالت انه من سليمان وسالوها ايضا ما في ذلك الكتاب
فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين قوله الا تعلوا علي اي لا تتكبروا ولا تتعظموا علي واتوني مسلمين
مخلصين لله بالتوحيد اي اجعلوا انفسكم سالمة لله خالصة له لا تجعلوا لاحد سواه فيها شركا ولا حقا لانه اخبر انهم كانوا يسجدون
للشمس من دون الله فيخبر في الكتاب حيث افتتح بسم الله الرحمن الرحيم ان الذي يستحق السجود والعبادة هو الرحمن الرحيم
لا ما تعبدون انتم ثم من عادة الانبياء والرسل الايجاز في الكلام والرسائل لا يشتغلون بفضول الكلام وتطويله على ما
ذكر من كتاب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين ذكر ان هذا القدر كان الكتاب والله
اعلم وقوله قالت يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون استشارت اشراف قومها وطلبت منهم الراي
في ذلك وهكذا عادة الملوك وعادتهم اذا ارادوا امرا واستقبلهم امر يستشيرون اولي الراي من قومهم واهل الحجى والتدبير منهم ثم
يعملون بما يعملون بتدبير يكون لهم وما يرون ذلك صوابا وعلى ذلك امر الله رسوله ايضا واصحابه بقوله وشاورهم في الامر ثم امره انه
على الامر ان يتوكل على الله في ذلك وان يكل امره اليه وقوله حتى تشهدون يحتمل وجهين ما كنت قاطعة امرا حتى تحضروني او ما كنت قاطعة
امرا حتى تشهدون انه صواب وانه حق فاجابوها فيما طلبت منهم الراي والتدبير في ذلك فقالوا نحن اولو قوة واولو باس شديد
اي نحن اولو قوة في انفسنا واولو باس اي حرب وقتال شديد اي لنا معرفة في ذلك ومع ما قالوا وكلوا الامر اليها حيث قالوا والامر
اليك فانظري ماذا تامرين وهكذا الواجب على وزراء الملوك والرعية انهم اذا استشاروهم في امر ان يدلوهم على الاصوب
والاحسن لهم ثم يكلوا الامر اليهم وقصة سليمان صلوات الله عليه مع ما فيها من العجائب والاداب ففيها معرفة سياسة الملوك
وتعلم ادابهم من ذلك ما قال سليمان فهم يوزعون ومن ذلك قوله وتفقد الطير الاية وقوله لاعذبنه عذابا شديدا ومن ذلك
استشارة بلقيس اشراف قومها في ذلك وجوابات قومها لها واخبارها اياهم من طبع الملوك وعادتهم من الافساد والقتل
والاذلال حيث قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون قال اهل التاويل هذه
شهادة من الله لها بما قالت والتصديق لها فيما اخبرت انهم كذلك يفعلون بكبرائهم ثم قال واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة
بم يرجع المرسلون ذكر انها قالت اني في هذا ارى ان يك صاحب دنيا فعسى ان نرضيه بالمال فيمسك عنها ويكف وان يك نبيا
فلا يقبل ذلك منا وسيعرف فعلت وارسلت اليه بهدايا فلم يقبلها سليمان فعرفت انه نبي وهذا كان منها تدبير و
حسن الراي في الامر واحتياط وتثبت في ذلك لم تشتغل بالحرب والقتال ما اشار لها قومها وقال ابن عباس قالت
بلقيس لما اتاها كتاب سليمان واستشارت قومها في ذلك وطلبت فيما امر فاخبرها بما افتوا قالت ابعث اليه بهدية فان
قبلها فهو ملك نحاربه وان لم يقبلها فهو نبي اتابعه قال ابو عوسجة فناظرة قال انظر به اي امهلته والنظرة في الدين
خاصة وهو الانظار وقوله فلما جاء سليمان الرسول الذي بعثت بلقيس الهدية ويحتمل فلما جاء سليمان المال الذي حمل
اليه يحتمل اذا وذا وقوله قال اتمدونن بمال اي اتعطونني بمال وقال اهل الادب اتمدونني بمال من المدد والمدد الزيادة
كامداد القوم ويكون الاعطاء كقوله وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ويحتمل هنا الزيادة والله اعلم وقوله فما
اتاني الله خير مما اتاكم اي ما اتاني الله من النبوة والعلم والحكمة خير مما اتاكم من الاموال ويحتمل فما اتاني الله فاتبتكم اذا اسلمتم
خير مما اتاكم اذا لم تاتوني واتيتم الاسلام او كلام نحو هذا وقال بعض اهل التاويل فما اتاني الله من الملك لانه
سخر له الجن والانس والشياطين والطيور والرياح وجميع الاشياء فذلك التسخير واعظم من ملكها والاول اشبه واقرب
اذ لا يحتمل ان يفتخر سليمان بملكه على غيره انما يكون افتخاره بالدين والنبوة والله اعلم وقوله بل انتم بهديتكم تفرحون قال
بعضهم هل انتم بهديتكم تفرحون اذا ردت اليكم لكن هذا بعيد لا يفرح برد الهدية اذا ردت عليه ولم تقبل بل الحرب على

على ذلك وتبجح لكنه يقول والله اعلم بل انتم اولى بالفرح بالمال والهدايا منا لان مرادكم المال والدنيا ومرادنا الدين و
الدار الاخرة وكلام نحو هذا والله اعلم بذلك وقوله ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها قال ذلك والله اعلم للرسول
الذي اتاه بالهدية ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بها اذ لم ياتوا مسلمين ولنخرجنهم
منها اذلة وهم صاغرون ان لم ياتوني مسلمين ثم قال سليمان صلوات الله عليه يا ايها الملؤ [illegible] قومه
وهكذا العادة في الملوك انهم اذا طلبوا [illegible] انما يطلبون اهل الشرف والمنزلة منهم ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني
مسلمين قال بعض اهل التاويل انما قال هذا لانه علم نبي الله انهم سياتونه مسلمين [illegible] قبل ان
يكون ذلك من اسلامهم وقبل ان يحرم ذلك عليه لكن هذا لا يحتمل ان يكون رغبة سليمان في الاموال
هذا الذي ذكر بعدما رد هداياها اليها واخبرهم انكم تفرحون بها لا انكم اهل دنيا ذو رغبة [illegible]
رغبتنا في الدين به نفرح ونستبشر كل هذا الاستعجال رغبة في اسلامها وعرشها لكنه والله اعلم يخرج على وجهين احدهما ان اراد
ان يريهم قوته وسلطانه ان يرفع واحد من جنوده عرشها مع عظمه [illegible] منهم [illegible] من بينهم ليعلموا ان
من قدر على هذا لقادر ان ياتيهم بجنود لا طاقة لهم بها [illegible] ولا قبل لهم بها [illegible]
وغلبتهم والثاني اراد ان يريهم اية من ايات نبوته اذا اتوه قبل ان ياتوه مسلمين ليعلموا انه نبي ليس بملك وهذا اشبه
الذي ذكرنا لكنه قبل ان يقوم [illegible] يعلموا انه نبي ليس بملك وقوله قال عفريت من الجن [illegible] في اللغة
وقوله انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك قال بعضهم مقامه مجلسه الذي كان يقضي فيه الى ان يفرغ من قضائه [illegible]
[illegible] عليه لقوي امين لان الجن اقوى من الانس وصف نفسه بالامانة لان الجن لا يرغبون الاموال من رغب الانس
قال بعضهم امين على فرج تلك المراة مقامه مجلسه [illegible] ومقامه الذي ذكر وقال
بعضهم اراد سليمان ان يكون اسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب ذكر انه كان رجلا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا
دعي به اجاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ثم اختلف في رد الطرف قال بعضهم هو ان يبعث رسولا الى منتهى
طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به وقال بعضهم هو الرجل ينظر الى الشيء البعيد قبل ان يرجع اليه طرفه فلما راه مستقرا عنده قال
بعضهم دخل في نفق الارض فخرج بين يدي سليمان [illegible] والله اعلم اتاه اذا دعاه بما دعا به [illegible]
[illegible] فهذا يدل ان الايات قد تجري على غير ايدي الرسل لكن تكون الاية لرسول وان كانت تجري على ايديهم ثم
ثم قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر [illegible] والله ما جعله فخرا ولا اشرا ولا بطرا ولكنه جعله شكرا وقوله
قال بعضهم ما عاد ذلك الرجل بذلك الاسم تراه مستقرا عنده وقع في قلب سليمان شيء وخطر بباله ان يكون رجل عنده علم
ما ليس عنده من العلم قال فوهم الله له على الخبر وقيل له انه من حوالك الله فقال سليمان هذا من فضل ربي يقول ما اعطى
ذلك الرجل مما لم يعطني ليبلوني ءاشكر اذ كان مثله تحت يدي ام اكفر لكن لا يحتمل انه يشكر الله على ما اعطى غيره ثم يحتمل قوله
هذا من فضل ربي اي ما اتاه ولك مسلمين والنبوة والعلم اتاه الله تعالى ذلك من فضل ربي اراد تسخير ما سخر له ليبلوني ءاشكر
ام اكفر اي ليمتحنني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ليعلم انه انما يمتحن بالشكر ويامره به لا لمنفعة نفسه ولكن
لمنفعة الممتحن المامور به وقوله فان ربي غني كريم غني عن شكره كريم يقبل القليل منه واليسير وقوله قال نكروا لها عرشها
قال اهل التاويل نكروا اي غيروا لها عرشها كانه امر ان يغيروا بعض ما عليه من الزيادة والنقصان ليمتحنها وتعرفها
عرشها ام لا والمنكر هو الذي لا يعرف كقوله قوم منكرون وقوله نكرهم واوجس منهم خيفة اي لم يعرفهم وقوله نكروا لها
عرشها كان يجب ان يقال نكروا عرشها ويكون لها زائدة الا ان يقال نكروا لها اي نكروا لاجلها عرشها وهذا يشبه ان يكون وقوله
ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون وقال اهل التاويل اتهتدي انه عرشها او لا تهتدي اليه وجائز ان يكون قوله ننظر
اتهتدي الى دين الله وتوحيده ام تكون من الذين لا يهتدون الى دين الله وقوله فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو قال
بعضهم شبهت هي عليهم ولبست امرها كما فعلوا هم بها من تغيير عرشها عليها وتلبيسه عليها لكن قولها كانه هو لم ينقطع فيه القول
لما رات فيه شبه سريرها ووقفت فيه ودل قوله فلما جاءت قيل اهكذا عرشك ان العرش لم يحمل وهي عليه نائمة على ما قاله
بعض التاويل انه حمل دونها من قبل ثم جاءتهم بعد ذلك والله اعلم الا ترى انه لو امرهم ان يغيروا عرشها وهي عليه لم تشعر به
هذا بعيد والله اعلم بذلك وقوله واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ان كان هذا القول من سليمان فكانه يقول قد اوتينا
العلم من قبل علمها بانه عرشها ولنا غنية عن السؤال لها عنه لكن نسالها مستخبرين عن ذلك ممتحنين لها وقوله وكنا
مسلمين اي صرنا مسلمين جميعا او ان يكون هذا صلة قوله ولقد اتينا داود وسليمان علما فهذا العلم الذي قال واوتينا
العلم من قبلها وكنا مسلمين والا في الظاهر ليس هذا صلة ما تقدم من قوله قالت كانه هو والله اعلم وقوله وصدها ما كانت
تعبد من دون الله قال بعضهم صدها عبادتها الشمس والاصنام التي عبدوها دون الله عن الاسلام وعبادة الله
وقال بعضهم وصدها سليمان عن عبادة ما كانت تعبد من دون الله لانه ذكر انها اسلمت وقوله قيل لها ادخلي الصرح
قال بعضهم الصرح صحن الدار وهو قول الزجاج وقال القتبي وابو عوسجة واكثر اهل التاويل الصرح هو القصر ثم لا

ندري ما سبب بناء ذلك الصرح وما سبب امره اياها بالدخول فيه وكشفها عن ساقيها اما اهل التاويل فانهم قد اختلفوا
في ذلك قال بعضهم قالت الجن لما اقبلت بلقيس لقد لقينا من سليمان ما لقينا من التعب فلو اجتمع سليمان وهذه المرأة
وما عندها من العلم لهلكنا وكان ام هذه المرأة جنية فقالوا تعالوا نبغضها ونكرهها الى سليمان فقيل لسليمان ان رجليها
مثل حافر الدواب لان امها كانت جنية فامر سليمان عند ذلك فبني له بيت من قوارير فوق الماء وارسل فيه السمك
لتحسب انه ماء فتكشف عن رجليها فينظر سليمان اصدقت الجن ام كذبت فلما رات حسبته الماء وكشفت عن ساقيها فنظر
اليها سليمان فاذا هي احسن الناس قدمين وساقين فلما رات الجن ان سليمان راى ساقيها قالت الجن لا تكشفي عن ساقيك
قالت الجن انه صرح ممرد من قوارير وقال بعضهم لا ولكن ذكر لسليمان ان على ساقيها شعرا وانها شعراء فامر بذلك ليعرف
ذلك وقال بعضهم لا ولكن خافت الجن عند ذلك ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه اشياء كانوا اطلعوها عليه وافشوا اليه
فارادوا ان يكرهوها اليه فلطخوها بعيوب في عقلها ونفسها فقالوا ايانبي الله ان في عقلها شيئا قال
بلى فجاءت الجن بماء فاجروه فتركوه لجة ثم جاؤوا بالسمك والضفادع فارسلوها في الماء ثم جاء بها الى ذلك الماء فلما راته حسبته
لجة وكشفت عن ساقيها فقالوا لسليمان ان في عقلها افة الا ترى انها لا تعرف الصرح من الماء ولا تميز بينهما ونحو هذا من
الكلام لكن لا نعلم ما سبب ذلك ولا يحتمل ان يكون سليمان يحتال هذه لينظر الى ساقيها وهي اجنبية ثم جائز ان يكون لغير ذلك
اراد ان يريها انه من ايات نبوته حيث اتخذ صرحا ممردا من قوارير للطافته وذلك خارج عن تدبير البشر لتعلم هي ان ذلك تدبير
السماء لا تدبير البشر او ان يكون اراد بذلك والله اعلم ان يريها عظم ملكه وسلطانه لتعلم انه يفعل ما يشاء قادر على ذلك
لا ينفعها سوى الطاعة له والاجابة والخضوع لله والاسلام له فعند ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي فيما عبدت دون الله و
اسلمت مع سليمان لله رب العالمين اي اخلصت واسلمت نفسي لله رب العالمين قال القتبي عفريت اي شديد وثيق واصله العفر
زيدت التاء فيه يقال عفريت نفريت وعفرية نفرية وعفاريت نفاريت وقال ابو عوسجة العفريت الخبيث المارد وعفاريت
جمع وقال سندها اي ردها ومنعها وقال الصرح القصر والصروح جمع ولجة الماء المجتمع الكثير وقال الممرد هو المملس بالطين
او بالجص وما كان وقال غيره الممرد الطويل وقال القتبي ومن ذلك يقال الامرد الذي لا شعر على وجهه ويقال للرملة التي لا
تنبت مرداء ويقال الممرد المطول ومنه قيل لبعض الحصون مارد وقال الكسائي الممرد الاملس ويقال منه سمي الامرد امرد
وقوله ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله يحتمل هذا لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وامرناه ان يقول لهم
اعبدوا الله وجائز ان يكون قوله ان اعبدوا الله بالرسالة اي ارسلناه ليدعوهم الى عبادة الله وقوله اعبدوا الله يحتمل
وحدوا الله ويحتمل العبادة نفسها ان اعبدوا الله ولا تشركوا غيره فيها ولا تشركوا في تسمية الالوهية غيره ولكن جعلوه
نكتف بما كان فعنده امرها بالتوحيد له في العبادة وجعل الالوهية له وقوله فاذا هم فريقان يختصمون قيل فريقان هو من صالح
وكذب به والمرسلين فيم كانت خصومتهم ومن كانت في هذه الاية لكنه بين في اية اخرى وفسر وهو ما قال الملأ الذين
استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال
الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون هذه الخصومة التي ذكر في قوله فاذا هم فريقان يختصمون بين الرؤساء من
الكفرة والمؤمنين بصالح والله اعلم وقوله يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اي لم تستعجلون قبل الرحمة واستعجالهم
العذاب والسيئة ما ذكر في اية اخرى وهو قوله فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من
المرسلين فذلك استعجالهم السيئة قبل الحسنة وقوله لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون اي لولا توحدون الله ولا تشركوا
غيره في العبادة وتسمية الالهية لعلكم ترحمون وفيه اطماع لهم انهم لو امنوا وتابوا عنه لرحمهم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقوله قالوا اطيرنا بك وبمن معك ان تشاءمنا بك وبمن معك بنزول الكفرة لرسل الله صلوات الله عليهم ولمن امن منهم اطيرنا
اذا اصابتهم الشدة والبلاء ويتطيرون بهم ويتشاءمون ويقولون انما اصابنا هذا بشؤمكم واذا اصابهم رخاء وسعة هم
قالوا هذا لنا بنا ومن انفسنا وهو ما قالوا قوم موسى حيث قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه الاية وكذلك قال
اهل مكة لرسول الله حيث قال وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
كانوا يتطيرون برسول الله ويتشاءمون بما يصيبهم من الشدة وما ينزل بهم من البلاء فاخبر الله رسوله وامره ان يقول لهم
كل من عند الله اي الرخاء والشدة من عند الله ينزل وهو باعث ذلك لا انا فعلى ذلك قوله طائركم عند الله اي ما ينزل لكم و
يصيبكم من الشدة والرخاء انما نزل من عند الله لا بنا ولا بكم او يقال ما ينزل بكم من العذاب في الاخرة انما يصيب بتكذيبكم
اياي في الدنيا او ان يقال طائركم عند الله اي جزاء طيركم عند الله هو يجزيكم بها بعذاب الدنيا او الاخرة بل انتم قوم تفتنون
تبتلون مرة بالشدة ومرة بالرخاء لاعمال تكسبون من الاعمال وجائز ان يكون قوله تفتنون بالعذاب بما تكسبون من الاعمال التي
ان تعذبون بها قال ابو عوسجة طائركم عند الله يقول الله اعلم بطائركم وما تطير به وقال القتبي طائركم عند الله اي ليس
ذلك لي وانما هو من الله وهو ما ذكرنا وقوله وكان في المدينة تسعة رهط قال بعضهم الرهط انما يقال من ثلاثة الى
تسعة واذا انقص عن ذلك واذا زاد يقال رجال وقال ابو عوسجة الرهط النفر والواحد ورهط جمع فرجال وجميعا

احدهما تسعة رهط اى تسعة نفر من الاتباع وغيره يفسدون فى الارض ولا يصلحون والثانى تسعة رهط لا تسعة نفر من الرؤساء
ولكل احد منهم رهط من الاتباع يفسدون فى الارض ولا يصلحون جايز ان يكون هذا اخبارا من الله انهم يفسدون ابدا فى الارض
ولا يؤمنون ابدا وجايز ان يكون اخبارا عن حالهم اى يعملون الفساد والمعاصى ولا يصلحون اى لا يسعون بالصلاح وقال ابن
عباس ان هؤلاء التسعة كانوا من ابناء اشرافهم وكانوا بالحجر وكانوا فساقا فقال بعضهم لبعض لنقتلن صالحا واهله ثم لنقولن
لوليه اى لقومه من ورثته ما قتلنا وهو قوله لنبيتنه واهله ثم لنقولن ما شهدنا مهلك اهله فتحالفوا على ذلك فاتوا
صالحا ليلا فدخلوا عليه باسيافهم ليقتلوه واهله وعند صالح ملائكة جاءت من الله تعالى تحرسه فقتلوا الرهط فى دار صالح
بالحجارة فذلك قوله ومكروا مكرا بصالح واهله ومكرنا مكرا اى اهلكناهم وهم لا يشعرون انهم يهلكون وقال بعضهم هؤلاء
التسعة الرهط لما اتفقوا انهم يبيتون صالحا ويقتلونه واهله بعدما عقروا الناقة وقالوا فيما بينهم ما نحوسنا فى ذلك هو
ليقولن ولنقاسمن ما شهدنا مهلك اهله اى ما حضرنا فى هلاكهم على هذا التاويل يكون على التقديم والتاخير وقال بعضهم هؤلاء
التسعة كانوا اشراد قومه خرجوا الى بعض المغار ليشربوها ثم ليبيتوا على صالح واهله فشربوا هنالك فانهدمهم الصخرة وعذبوا
فيه فذلك قوله ومكروا بقتل صالح وهلاكه مكرا ومكرنا حيث اهلكناهم مكرا وهم لا يشعرون ولكرهوا الاخذ بغتة وقوله
ومكروا مكرا ومكرنا مكرا اى جزيناهم جزاء مكرهم ثم اختلف فى قراءة لنبيتنه واهله ثم لنقولن بالنون فذلك قوله بعضهم لبعض
وقرا بعضهم بالتاء لتبيتنه ثم لتقولن فذلك قول الرؤساء للاتباع ومن قرء بالتاء يجعله خبرا عن الله تعالى لهم فتلك بيوتهم
خاوية بما ظلموا اى لم تسكن فيها احدا ولكن تركناها خالية كذلك وقال بعضهم خاوية اى خربة بما ظلموا كقوله وهى خاوية على عروشها
اى ساقطة خربة وقد كان ذلك كله منها ما جعل لغيرهم مسكنا اذا اهلكهم من نحو ما اورث بنى اسرائيل ديار القبط واموالهم و
وانزلهم فيها ومنها ما تركها كذلك خالية بعدما اهلك اهلها ومنها ما اهلك اهلها وخربها وتركها كذلك **وقوله** ان فى ذلك
لاية اى فى هلاكهم من ذكر الاية ولعبرة يعتبرون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون مخالفة الله ومخالفة امره ونهيه وقوله
وقوله ولوطا اذ قال لقومه كان فيه اضمار كانه قال ارسلنا لوطا الى قومه اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون
اى اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون وتعلمون انها فاحشة ائنكم لتاتون الرجال شهوة اى اشتهاء لكم من دون النساء
يقول تاتون الذكور وتدعون النساء وهو ما قال فى اية اخرى اتاتون الذكران من العالمين الاية **وقوله** بل انتم قوم
تجهلون قال بعضهم ولكن انتم قوم تجهلون اى تجهلون الا فتعصون ويشبه ان يكون هذا جواب قول كان من قومه
نحو ما قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين فقال عند ذلك بل انتم قوم تجهلون ما تقولون اى على جهل ما تقولون
ذلك او كلام نحوه والله اعلم **وقوله** فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم قوله فما كان جواب قومه
فى وقت الا ان قالوا كانا لا فى الاوقات كلها لانه قد كان منهم قول وجوابات نحو ما قالوا ائتنا بعذاب الله الاية ونحو
قولهم انهم اناس يتطهرون دل هذا منهم انهم قد علموا ان ما ياتون ويعلمون انه خبيث وفحش ومنكر حيث قالوا انهم اناس
يتطهرون ثم يحتمل قولهم هذا وجوها احدها انهم قالوا ذلك استهزاء منهم بهم والثانى قالوا اخرجوا ال لوط فانهم يستقذرون
اعمالنا وافعالنا والثالث على التحقيق انهم اناس يتطهرون **وقوله** فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين فيه دلالة
ان غير الزوجة يجوز ان يسمى اهلا قال الشافعى اهلا تاويل اهله بناته وقوله قدرناها من الغابرين دلالة خلق افعال العباد حيث
اخبر انه قد رها من الغابرين والغبور والبقاء فعلها فاخبر انه قد ذلك منها وخلق وقوله من الغابرين اى الباقين فى عذاب الله
وفى حرف ابن مسعود ولقد وحينا اليه اهل كلهم الا عجوزا فى الغابرين **وقوله** وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين اى ساء
مطر المنذرين الذى لم يقبلوا الانذار ولم ينفعهم الانذار **وقوله** قل الحمد لله امر نبيه بالحمد له والثناء عليه على هلاك اعداء
الرسل الخالية قال وسلام على عباده الذين اصطفى وهم الرسل والانبياء صلوات الله عليهم وجايز ان يكون امره اياه بالحمد له
والثناء عليه لما انعم عليه من انواع النعم منها ما ذكر وان هلاك اعداء الرسل وابقاء اوليائهم تخويفا لاعداء رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يهلكوا كما هلك اعداء الرسل الخالية او ان يكون امره اياه بالحمد له والثناء عليه لما انعم فى نفسه من انواع النعم من
النبوة والرسالة والهداية ونحوه والله اعلم **وقوله** وسلام على عباده الذين اصطفى يحتمل الرسل كقوله وسلام على المرسلين ويحتمل
الامر بالسلام على اصحابه وجميع المؤمنين كقوله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم امر رسوله بالسلام على
المرسلين وعلى اصحابه وعلى المؤمنين ثم فى قوله اصطفى دلالة ان لا احد يستوجب الصفوة الا بالله حيث قال اصطفى **وقوله** الله
خير اما يشركون اى الله خير هذا بالامم الخالية من اهلاك الاعداء وابقاء الرسل والاولياء ام الاصنام التى تشركونها فى عبادته
وهى لا تملك شيئا من ذلك يقول والله اعلم الم تعلموا ان الله يملك ما ذكر من اهلاك اعدايه وابقاء رسله والاصنام التى
تعبدونها دونه لا تملك شيئا فكيف تشركونها فى الوهيته والامر يذكر جواب قوله الله خير اما تشركون جوابه ام يقولوا بل الله خير
وكذلك روى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ثبت انه كان اذا قرء هذه الاية قال بل الله خير وابقى واجل واكرم
وقوله امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدايق ذات بهجة يذكرهم بهذا وجهين احدهما قدرته
وسلطانه فى خلق ما ذكر من السموات والارض وانزال الماء من السماء وانبات النبات من الارض واخراجه على اقرارهم ان الله

خالق ذلك لا غيره فيقول فاذ علمتم ان الله هو خالق ذلك كله فكيف اشركتم غيره من لا يملك ذلك ولا يقدر فى تسمية الالهية
والعبادة والثانى عن اتساق الامور والتدبير فيهما جميعا واتصال منافع احدهما بالاخر على تباعد ما بينهما ليعلم ان منشيهما ومدبرهما
واحد لا عدد فاذ عرفتم ذلك فكيف اشركتم غيره فيهما وهو كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وهذا الحرف على الثنوية والذين
يقولون بالعدد وانكارهم الواحد والاول على المقرين بالواحد الا انهم اشركوا الاصنام فى التسمية والعبادة **وقوله** حدايق
ذات بهجة قال بعضهم الحدايق الحيطان والبساتين ما دون الحيطان وقال بعضهم الحدايق الحوايط التى حفت بالاشجار والبناء
هى الملتفة بها وقال ابو عوسجة الحدايق البساتين والرياض والحديقة الروضة وقال القتبى الحدايق البساتين واحدها حديقة
سميت بذلك لانها تحدق بها اى تحظر ذات بهجة حسن المنظر وجايز انها سميت ذات بهجة لما تبتهج صاحبها اذا نظر اليها **وقوله**
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اى ما تقدرون انتم ان تنبتوا شجرها فمن هو دونكم اشد وابعد فكيف اشركتم فى العبادة وتسمية الاله
من هو دونكم فى كل شىء **وقوله** االه مع الله اى لا اله مع الله بل هم قوم يعدلون يحتمل هذا وجهين يحتمل يعدلون اى يجعلون من لا يملك
ما ذكر عديلا لله والثانى يعدلون اى يعدلون عن الله ويميلون الى غيره من العدول والله اعلم امن جعل الارض قرارا يقرون
عليها ويتعيشون فيها ويبيتون وجعل خلالها انهارا ينتفعون بها انواع المنافع ويشربون وجعل لها رواسى اى الجبال لئلا تميد بهم
وجعل بين البحرين حاجزا قال بعضهم جعل بين بحر الفارس وبحر الروم جزيرة العرب حاجزا وسمى جزيرة لما جزر الماء فيها اى ذهب وقال بعضهم
بحر الشام وبحر العراق وقال بعضهم قوله وجعل وجعل بين البحرين حاجزا بين العذب والمالح حاجزا ونطفه لا يختلط هذا بهذا ولا هذا بهذا
لطفا منه يذكرهم نعمه عليهم ولطفه انكم كيف اشركتم فى عبادته والوهيته من لا يملك ذلك وصرفتم شكرها الى غير المنعم االه مع الله
اى لا اله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون لان من لا ينتفع بما يعلم فكانه جاهل نفى عنهم العلم لتركهم الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر
واللسان والعقل لتركهم الانتفاع بهذه الجوارح والحواس وان كانت لهم هذه الجوارح فعلى ذلك جايز نفى العلم عنهم لتركهم الانتفاع
به والثانى بل اكثرهم لا يعلمون لما لا يتكلفون النظر فيما ذكرنا ولا يعلمون ان بينهما حاجزا والله اعلم **وقوله** امن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض يخرج على الصلة بقوله الله خير اما تشركون كانه يقول من يملك اجابة المضطر وكشف السوء
عنه ويجعلكم الخلفاء فى الارض خير امن لا يملك من ذلك شيئا فجواب ذلك ان يقولوا بل الذى يملك ذلك خير من لا يملك ولا يقدر
ذلك ويخرج على الوجهين الذين ذكرتهما احدهما الم تعلمون ان الذى يجيب المضطر ويكشف السوء هو الله تعالى لا الاصنام التى
تعبدونها فكيف اشركتموها فى الالهية والعبادة والثانى انه اذا اجاب دعوة المضطر وكشف السوء وجعلكم خلفاء الارض بعد هلاك
اوايلكم فدل ذلك انه واحد لا عدد اذ لو كان فيه عدد لكان اذا اجاب هذا وكشف السوء يرد الاخر ومنع فدل بقاء ذلك كله انه
الا انه واحد لا شريك له هذا على الثنوية والاول على المشركين غيره فى العبادة له وتسمية الالهية **وقوله** االه مع الله اى لا اله
مع الله قليلا ما تذكرون وعلى ذلك يخرج قوله امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته على الوجوه التى
ذكرناها وكذلك قوله امن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض امن يقدر على ما تقدم ذكره يملك البعث بعد
الموت والاحياء يلزمهم البعث بهذا اى من يقدر ما ذكر االه مع الله بل الله هو المتفرد بذلك دون من يعبدون وتشركون
وقوله قل هاتوا برهانكم اى من لم فى هذا وانكر ذلك وادعى الشريك فيه لغيره قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فى مقالتكم
وقوله بشرا اى البشارة ونشرا اى النشر من التفريق والزرع **وقوله** خلفاء الارض يخلفون من قبلهم من الامم قال ابو معاذ وواحد
الخلفاء خليف وواحد الخلايف خليفة والخليف من الخالف كالعليم من العالم وقوله االه مع الله يقول والله اعلم يفعل ذلك
بكم يرزقكم وينزل لكم من السماء ماء وينبت لكم فى الارض ما تاكلون ويحيى انعامكم اى مع الله اله يهديكم فى ظلمات البر والبحر ويرسل
لكم الريح بشرا ويجيب المضطر ويكشف السوء عنه وكل ما ذكر اى ليس معه اله سواه بل الله هو يفعل ذلك كله بكم فكيف
اشركتم غيره فى الهيته وعبادته على علم منكم ان الذين تعبدون من دونه لا يملك شيئا ان يفعل ذلك بكم يذكر سفههم وقوله
بصرهم ومعرفتهم ثم قال قل هاتوا برهانكم ان كنتم اى مع الله اله فعل ذلك بكم ان كنتم صادقين ثم قال قل لا يعلم من فى
السموات والارض الغيب الا الله كانه قال والله اعلم لرسوله قل لا يعلم من تعبدون من اهل السموات ومن فى الارض الغيب الا الله
لان بعضهم كان يعبد اهل السموات وهم الملائكة وبعضهم كانوا يعبدون من فى الارض يقول لا يعلم من تعبدون من دون الله
من فى السموات والارض الغيب انما يعلم الغيب الله ثم قوله الغيب يخرج على وجهين احدهما ما يغيب بعضهم من بعض تقول ما يغيب
بعضهم من بعض فهو يعلم ذلك والثانى لا يعلم الغيب الا الله اى ما كان وما يكون الى ابد الابدين لا يعلم ذلك الا الله واف
اعلم وعلى ذلك ومنهم من صرف الغيب الى البعث والساعة يقول لا يعلم الساعة احد متى يكون الا الله **وقوله** وما يشعرون
ايان يبعثون قال اهل التاويل وما يشعر اهل مكة متى يبعثون لكن لو كان الجهل بوقت البعث شرعا سواء لا احد يعلم من اهل
السموات والارض انه متى تبعث الان يكون الاية فى منكرى البعث فحينئذ جاز صرفه الى بعض دون بعض فاما فى وقت البعث
فالناس فى جهلهم بوقت البعث سواء وهو ما قال فى اية اخرى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها الاية اخبر انه لم يطلع احدا على
علم ذلك عند الله **وقوله** بل ادارك علمهم فى الاخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون اختلف فى قراءته وتاويله اما القراءة
فانه قرا بعضهم اداركه بالتشديد والالف وقرا بعضهم ادرك باسقاط الالف والتشديد وقرا بعضهم بلى بانبات الياء

في بلى وعلى انه لو وقف عليها اادرك على الاستفهام بلى آدرك ومنهم من قرا على الاستفهام اادرك على غير اثبات الياء في حرف بل و
على غير قطع منه فمن قرأ ادارك بالتشديد على غير استفهام يقول معناه تدارك واجتمع اى تدارك علمهم في الاخرة يقول بلغ
علمهم بالاخرة اى لم يدرك ولم يبلغ علمهم بل هم في شك منها بل هم عمون يسفههم ويجهلهم يقول ما بلغ علمهم بالاخرة وقال بعضهم
بل ادرك علمهم في الاخرة اى ام ادرك علمهم اى اضمحل علمهم وذهب وعن ابن عباس وغيره قالوا بل ادرك علمهم في الاخرة بل اجتمع علمهم
بان الاخرة كائنة وهم مشركوا العرب بل هم في شك منها قال يقولون لعل الاخرة كائنة ثم يشكون فيها فيقولون ما ندرى اكائنة
ام لا بل هم منها عمون يعنى جهلة بها وجائز ان يسمى الشاك في شئ عميا وابو عوسجة والقتبى يقولان ادارك علمهم اى تدارك
ظنهم في الاخرة وتتابع بالقول بل هم منها عمون اى من علمها وقال بعضهم من اهل الادب لا يستقيم قراءة من قرء باثبات الياء
في بلى والصلة بالاول لان بلى بالياء انما يستعمل في الايجاب والاثبات وما تقدم من الكلام هو على الانكار والنفى وذلك غير
مستقيم في اللغة والكلام والله اعلم وقوله وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون كانهم قالوا ذلك لاحد وجهين
اما استهزاء بما يخبرهم الرسل انكم مبعوثون او قالوا ذلك احتجاجا احتجوا به على الرسل يقول لهم الذى قالوا لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
من قبل ان هذا الا اساطير الاولين يحتجون فيقولون لقد وعد آباؤنا بالبعث كما وعدنا نحن ثم لم نرهم بعثوا منذ ماتوا فعلى ذلك
نحن وان وعدنا فلا نبعث كما لم يبعث آباؤنا ثم قال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين يقول والله اعلم
لو سرتم في الارض فنظرتم الى ما حل بمكذبى الرسل من العذاب والرسل انما كانوا يدعون الى توحيد الله والاقرار بالبعث بعد الموت
فكل ذلك ينزل بكم ما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل بالبعث وغيره فيكون قوله سيروا في الارض ليس على حقيقة الامر بالسير و
لكن على ما ذكرنا اى لو سرتم فنظرتم ما حل بهم بتكذيبهم او ان يكون الامر بالسير في الارض امرا بالتفكر فيما نزل باولئك الامم
بالنظر في عاقبة امرهم امرا بالاعتبار بهم وفي امر اولئك امر بهذا ليزجرهم ذلك عن مثل صنيعهم وفعلهم وقوله و
لا تحزن عليهم قالوا تاويله قوله لا تحزن عليهم بما يحل بهم من العذاب انك لم تحزنهم على انفسهم ولم ترجوها وقال بعضهم
قوله ولا تحزن عليهم ان لم يسلموا كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وكقوله باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وامثال ذلك كادت نفسه تهلك وتتلف اشفاقا
عليهم بما ينزل بتركهم الاسلام فقال ولا تحزن عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ليس على النهى ولكن على تسكين هم
وتعزيتها على ما هى عليه لئلا تتلف وتهلك وهو ما قال انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم
بالمهتدين وقوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون هذا يحتمل وجهين احدهما لا تكن في ضيق مما يستهزءون بك ويسخرون بما توعدهم
من العذاب والهلاك الا ترى انهم قالوا على اثر ذلك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قالوا ذلك له استهزاء بما يوعدهم فكانه
قال لرسوله لا تكن في ضيق مما يستهزءون بما توعدهم فان الله يجزيهم جزاء استهزائهم بك والثانى لا تكن في ضيق مما يمكرون
اى مما يريدون ويهموا بقتلك فان الله يحفظك ويحوطك فلا يصلون اليك مما يريدون من قتلك واهلاكك وهو
ما قال والله يعصمك من الناس وفيه دلالة اثبات رسالته حيث امنه واخبره انه يحفظه ويعصمه من جميع الاعداء وهو بين اظهرهم
فذلك آية من آيات النبوة والرسالة والله اعلم وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قد ذكرنا انهم انما يقولون
ذلك استهزاء وتكذيبا بما كانوا يوعدون من العذاب بتكذيبهم اياه ثم كانوا يوعدون مرة بعذاب ينزل بهم في الدنيا كما نزل
باوائلهم بتكذيبهم الرسل ومرة يوعدهم بعذاب ينزل بهم في الاخرة فيكذبونه في ذلك كله ويستهزءون به ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وكذلك قال اوائلهم لرسلهم فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ثم قال قل عسى ان يكون
ردف لكم بعض الذى تستعجلون هذا يحتمل وجهين احدهما قرب ردف لكم بعد هذه الحال وبعد هذا القول الذى قالوا بعض الذى
تستعجلون اى ينزل بكم بعد هذه الحال بعض الذى تستعجلون وهو العذاب وقوله ردف لكم اى يدنو منكم ويقرب والثانى
عسى ان يكون ردف لكم بعد الحزن والمكروه الذى يحل بكم بالموت بعض الذى تستعجلون وهو عذاب القبر لانهم وقت الموت
يحزنون ويكرهون لما شاهدوا وعاينوا من حالهم ولذلك يسألون ربهم الرجوع والرد الى المحنة ثانيا نحو قولهم رب ارجعون
وقولهم او نرد فنعمل ونحوه وقوله وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون يحتمل قوله ذو فضل على الناس
وجوها احدها ذو فضل في تاخير العذاب عنهم ولكن اكثرهم لا يشكرون ذلك الفضل ولكن يستعجلون والثانى ذو فضل
على الناس في دينهم في بعثه وارساله اليهم من يزجرهم ويصرفهم عما يستوجبون من عذاب الله ونقمته وهو الرسول
لكنهم لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه بل يعاندونه ويكابرونه او لذو فضل على الناس فيما انعم عليهم في اموالهم
وانفسهم لكنهم لا يشكرون في ذلك بل يصرفون شكره الى غير المنعم والله اعلم وقوله وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم
وما يعلنون قوله تكن صدورهم يحتمل وجهين احدهما ما تكنونه في صدوركم وتسرون فيها وما تعلنون اى ما تبدون
وتظهرون فيها يعلم ذلك كله او ما تكن صدورهم اى ما تخفى انفس الصدور وتستر فيها وما تعلنون وما تحمل الصدور
اصحابها على ابداء ما فيها واظهاره وهو ما ذكر في الخبر حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الانسان مضغة
اذا صلحت صلح جميع بدنه وهو القلب والله اعلم وقوله وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين

هذا

هذا يخرج على وجهين احدهما ما من غائبة في السماء والارض مما كان ويكون ابد الآبدين الا كان ذلك مبينا في كتاب مبين
يخبر انه كان لم يزل عالما بما كان منهم ابد الآبدين وانه عن علم بافعالهم وصنيعهم خلقهم وانشأهم لا عن جهل وغفلة والثانى
وما من غائبة في السماء والارض اى ما من غائبة من الخلق ما يغيب بعضهم من بعض ويستر بعضهم بعضا الا كان ذلك في كتاب
مبين الا كان ذلك عند الله محفوظا مرقوما يثبتهم ليكونوا على حذر يقول انما يغيب بعضهم من بعض فهو عند الله محفوظ
رقيب لا يغيب عنه شئ كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والله الموفق قال بعضهم في قوله عسى ان يكون
ردف لكم اى عجل لكم وقوله ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون مقطوع من قوله ان هذا القرآن
يقص على بنى اسرائيل كانه قال يقص على بنى اسرائيل ما يبين لهم ثم قال على الاستئناف اكثر الذى هم فيه يختلفون وقال بعضهم
لا ولكن هو موصول بعضه ببعض ان هذا القرآن يقص اى يبين على بنى اسرائيل اكثر مما اختلفوا فيه فان كان على ما يقول
هذا فهم بانفسهم يبينون الاختلاف فالذى هم فيه لا يحتاج الى ان يبين القرآن الذى هم فيه يختلفون اذ هم يبينون ما اختلفوا
فيه تاويل والله اعلم ان هذا القرآن يبين لهم الحكم في اكثر ما يختلفون او يبين لهم الحق في اكثر ما يختلفون فيه وفي ظاهر
الآية انه يبين لهم اكثر الذى هم فيه يختلفون انه قد بقى شئ مما اختلفوا فيه لم يبين لهم حيث قال اكثر الذى هم فيه يختلفون لكن قوله
اكثر الذى هم فيه يختلفون اى يبين لهم ما فيه نص القرآن ولم يبين لهم ما فيه دليل القرآن او يبين لهم ما فيه نص القرآن ولم
يبين ما فيه سنة الرسول ونحوه والله اعلم وقوله وانه اى القرآن الذى ذكر لهدى ورحمة اى هدى ورحمة اى هدى من
الضلالة لمن اتبعه في الدنيا وعمل به ورحمة في دفع العذاب عنهم في الآخرة فيكون هو هدى ورحمة لمن آمن به وقوله ان ربك
يقضى بينهم بحكمه حكمه هو عدله كانه يقول ان ربك يقضى بينهم بعدله لا يجور ولا يظلم في الحكم والقضاء وهو العزيز العليم العزيز
الذى لا يعجزه شئ العليم الذى لا يخفى عليه شئ عزيز بذاته عالم بذاته وقوله فتوكل على الله اى توكل على الله واعتمد عليه ولا
تخف مكرهم وما يريدون ويقصدون ان يكيدوا بك كقوله والله يعصمك من الناس وقوله انك على الحق المبين لان معك حجج
وبراهين ليس مع اولئك حجج وبراهين وان كان كل منهم يقول انا على الحق فانت على الحق المبين لا هم لان معك حججا وبراهين
الذى انت عليه حق وان الذى هم عليه باطل ليس بحق وقوله انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
قال بعض اهل التاويل بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى يوم بدر يا فلان ويا فلان وهم قتلى بعدما [illegible]
جمعوا في قليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا الم تكذبوا نبيكم وتكفروا بربكم وتقطعوا ارحامكم فانزل الله هذه الآية انك
لا تسمع الموتى لكن عندنا ان الله تعالى سمى الكافرين موتى في غير آى من القرآن لما لم يجعلوا انفسهم في عبادة الله ولا استعملوها
في طاعته فهم كالموتى وسماهم صما لما لم يسمعوا الحق ولم يقبلوه وسماهم بكما لما لم ينطقوا بالحق ولا تكلموا به وسماهم عميا
لما لم يبصروا الحق وسماهم موتى لما لم يستعملوا ابدانهم في الحق فنفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولا استعملوها
فيما انشئت وخلقت وان كانت لهم هذه الحواس فعلى ذلك سماهم موتى وهلكى وفي موضع آخر شبههم بالانعام واخبر انهم
اضل لما لم يستعملوا انفسهم فيما انشئت هى له ولم ينتفعوا بها فان قيل ما معنى قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
اخبر انه لا يقدر على ان يسمع الصم اذا ولوا مدبرين ولا يقدر ان يسمع الصم وان اتوا مقبلين ولو بولوا قيل معناه والله اعلم
انهم صاروا صما لا ينتفعون بما سمعوا لاعراضهم وتركهم امكان النظر فيه ولو اقبلوا اليه لانتفعوا به فيصير مسمعا لهم
يخبر عن شدة تعنتهم ومكابرتهم انهم كالصم المدبرين لا يمكن اسماعهم محال ولا تفهيمهم وان جهدوا اما الصم المقبلون
فانهم قد يمكن اسماعهم وتفهيمهم بجهد بالاشارة والايماء ونحوها والله اعلم بذلك وقوله وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم
وفي بعض القراءات وما انت تهدى العمى عن ضلالتهم هذا يدل ان ليس كل الهدى البيان على ما قالت المعتزلة لانه لو كان
الهدى كله بيانا في جميع المواضع على ما قالوا لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين للكفار عن ضلالتهم و
وقد بين لهم فاخبر رسوله وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم دل هذا ان عند الله هداية ولطفا اذا سألوه وطلبوا منه
ذلك فاعطاهم لاهتدوا وآمنوا فهذا ينقض على المعتزلة قولهم وقوله ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون
اى ما تسمع الا اهل الايمان بالآيات واهل الاسلام منهم فاما اهل العناد والمكابرة فلا وقوله واذا وقع القول عليهم
اخرجنا لهم دابة من الارض قال بعضهم قوله واذا وقع القول عليهم اى اذا وقعت الحجة عليهم ولزمت فكذبوها اخرجنا لهم
دابة وقال بعضهم واذا وقعت السخطة والغضب عليهم اخرجنا لهم دابة وقوله وقال قائلون اذا وقع القول عليهم اى
اذا بلغوا في الكفر حدا يعلم الله انهم لا يؤمنون ابدا بعد ذلك اخرجنا لهم دابة لكن قد ذكر في غير موضع ان هذا لا يصح و
لا يجوز لان الله عز وجل لم يزل عالما بما كان ويكون منهم ابد الآبدين فليس علمه باحوالهم بما يكون منهم اذا بلغوا ذلك الحد بل لم
يزل عالما بما يكون منهم وهذا الحرف الذى يقول هذا القائل يوهم الى انه انما يعلم ذلك منهم اذا بلغوا ذلك الحد وقبل ذلك لا
فهو قبيح وقول من قال اذا وقعت الحجة عليهم فهو لا يحتمل ايضا لان الحجة قد كانت قامت قبل ذلك الوقت وليست تقوم
الحجة عليهم في ذلك الوقت فيكون التاويل احد وجهين احدهما ما ذكر من وقوع العذاب ووجوب العقوبة والسخطة عليهم
كقوله اولئك الذين حق عليهم القول اى العذاب ووجب عليهم والثانى اى وقت خروج الدابة التى وعد لهم انها

تخرج اخرجنا لهم فى ذلك الوقت اى لا يتقدم خروجها عن الوقت الموعود ولا يتاخر كقوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون وهكذا كل شى جعل الله لظهور ذلك وكونه وقتا لا يتقدم ولا يتاخر ذلك الوقت هذا والله اعلم يشبه ان يكون
تاويل الاية وقوله تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون قراء العامة بالتشديد تكلمهم من التكليم والتحديث وكذلك فى بعض
الحروف تحدثهم وتنبئهم وقد قرئ تكلمهم بالتخفيف وهو من الجراحة وهو ما ذكر فى الاخبار والقصص ان الدابة اذا خرجت تخرج
الكافر وتسم وسمة وعلامة حتى يعرف الكافر من المؤمن فيقال يا مؤمن ويا كافر سئل ابن عباس عن ذلك وقال تكلم المؤمن
وتحدثه وتجرح الكافر والله اعلم ثم اختلف فى قوله ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اختلف فى تلاوته وتاويله ان الناس
بنصب الالف وان الناس بكسرها فمن قراء بالنصب ان الناس جعل ذلك القول من الدابة ثم يخرج على وجهين احدهما يقول الدابة ان
الناس كانوا بى وبخروجى لما وعد لا يوقنون فى خروجى وانا اذا خرجت والثانى انها تخبر عن الله وتبلغ ان الناس كانوا بالله
وبغيرها من الايات لا يوقنون ومن قرا بالخفض ان الناس يجعل ذلك القول من الله ابتداء اخبارا انهم كانوا لا يزالون لا يوقنون
باياتنا وفى خروج الدابة اعظم ايات فى اثبات رسالة رسول الله ونبوته لانه اخبر انها تخرج فى وقت كذا فتخرج على ما اخبر فى ذلك
الوقت على الوصف الذى وصف فيدلهم على صدقه وقوله ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا يجمع القادة منهم و
الاتباع والمتبوعين فيساقون الى النار جميعا كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية وكقوله وسيق الذين كفروا الاية و
كقوله ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون قال اهل التاويل يوزعون اى يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا وقد ذكرنا
الوزع فيما تقدم وما قيل فيه وقوله حتى اذا جاؤوا اى حتى اذا جاؤوا جميعا واجتمعوا يعنى الكفار قال لهم اكذبتم باياتى ولم
تحيطوا بها علما يحتمل ولم تحيطوا بها علما اى قد احطتم بها علما انها ايات لكن كذبتم وانكرتم انها ايات عنادا ومكابرة اذ يجوز ان
تكلم بالنفى على اثبات ضده كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض اى يعلم ضد ذلك وخلاف ما يقولون انهم
وذلك جائز فى القران كثير وان يكون قوله ولم تحيطوا بها علما اى لم تتفكروا فيها ولم تنظروا اليها نظر التعظيم والاجلال لكى توقنوا
وتحيطوا بها علما انها ايات والا لو كان التاويل على ظاهر ما ذكر لكان لهم عذر فى تكذيبها اذا لم يحيطوا بها علما اذ من لم يحط العلم
بالشى فله عذر الرد وترك القبول لكن يخرج على الوجهين اللذين ذكرتهما والله اعلم ثم قال اماذا كنتم تعملون فى تكذيب الايات
والاعمال التى عملوها بالحجة والبرهان ووقع القول عليهم اى وجب القول بالعذاب ووقع ما وعدوا من العذاب بما ظلموا
حيث قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ونحوه وقوله فهم لا ينطقون اى لا ينطقون بالحجة مما يكون لهم به عذر
وقوله الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لايات اى فى الليل والنهار الايات لقوم ثم الايات التى ذكر
فيهما يكون من وجوه احدها دلالة وحدانيته ودلالة علمه وتدبيره وحكمته ودلالة كرمه وجوده ودلالة قدرته وسلطانه و
دلالة قدرته على البعث والاحياء بعد ما صاروا رمادا وترابا اما دلالة كرمه وجوده ما جعل لهم فى الليل والنهار من منافع تدوم ما
داموا ثم تلك المنافع تكون من وجهين احدهما جعل النهار للتقلب والتصرف لمعاشهم وما به قوام دنياهم وجعل الليل راحة لهم
وسكونا ولو جعلهما جميعا للتقليب ما قام به معاشهم وما به قوام انفسهم وابدانهم ابدا لانه لا تلتئم ذلك الا بالراحة ولو
جعلهما جميعا للراحة لم يقم امر معاشهم فمن رحمته وفضله جعل احدهما للراحة والاخر للتقلب وهو ما ذكر فى اية اخرى ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والثانى من النعمة التى ذكر انه جعل الذى للتقلب انما جعل ذلك التقلب
للكل لا لبعض دون بعض وكذلك الذى هو مجعول للراحة والقرار انما جعله كذلك للكل لا لقوم دون قوم ولو جعل كذلك
لكان لا يقوم امر معاشهم ولا ما به يقوم ابدانهم وانفسهم ولكن من رحمته وفضله جعل المجعول وقتا للراحة للكل لا لبعض
دون بعض وكذلك المجعول للتقلب ليظفر المشترون بالباعة بالمشترين ليلتئم امر معاشهم ودنياهم واما دلالة وحدانيته
ما جعل منافع احدهما متصلة بالاخر اذ لا يقوم احدهما الا بالاخر على اختلاف جوهرهما ليعلم ان مدبرهما ومنشيهما واحد
اذ لو كان عددا لكان ما اراد هذا ايصاله منع الاخر فاذ لم يكن ذلك جريا على سنن واحد واتساق واحد دل انه تدبير واحد
لا عدد ودلالة علمه وحكمته انهما منذ كانا على ميزان واحد وعلى تقدير واحد من غير تغير وتبدل يقع فيهما دل ان منشيهما عالما
ذاتيا وحكمة ذاتية لا علما مكتسبا مستفادا كعلم الخلق واما دلالة القدرة والسلطان لانهما يقهران الخلق كله من الجبابرة
والفراعنة شاؤوا او ابوا حتى اذا اراد واحد منهم فى منع احدهما او يزيد فى احدهما او ينقص من الاخر لم يقدر عليه او ان اجتمعوا
جميعا على دفعهما او دفع احدهما دون الاخر لم يقدروا عليه دل ان لمنشيهما قدرة وسلطانا اذ من قدر على انشاء هذا لا يعجزه
شى ودلالة القدرة على البعث لانه يتلف احدهما ويذهب به لا يبقى اثره ثم ياتى بالاخر على تقدير الاول فمن قدر على انشاء
هذا بعد ذهاب الاخر بجملته وذهاب اثره لقادر على انشاء الخلق بعد فنائهم وهلاكهم وانه لا يعجزه شى ثم جعل هذا
ما ذكرنا وخلق ما خلق من المنافع التى ذكرنا لهذا العالم لمحنة يامرهم وينهاهم وجعل لهم عاقبة فيها يثاب من اطاعه و
يعاقب من عصاه اذ لو لم يكن عاقبة لكان تخليقهم عبثا لا حكمة فيه لان من بنى بناء للفناء والنقض خاصة لا لعاقبة
تامل تنفعه كان بانيه عبثا غير حكيم فعلى ذلك خلق الخلق لا لعاقبة تقصد عبث ليس بحكمة والايات لمن امن بها وصدق
فاما من لم يؤمن وكذب بها فهى ايات عليهم لا لهم وقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض اختلف

فى النفخ ما هو وفى عدده واختلف فى الصور ايضا ما هو وكيف هو اما الاختلاف فى النفخ فمنهم من يقول ليس على حقيقة
النفخ ولكن اخبار عن خفة قيام القيمة على الله اخبر بالنفخ فيها لانه اخف شى على الخلق واهونه فاخبر به عنها وهو ما قال وما
امر الساعة الا كلمح البصر شبه امرها بلمح البصر لما ليس شى اخف على المرء من لمح البصر فعلى ذلك ذكر النفخ عند قيامها لخفته على الخلق
ومنهم من يقول ذكر النفخ لسرعة نفاذ الساعة اذ ليس شى اسرع نفاذا من النفخ وهو ما قال الا صيحة
ذكر ذلك وشبهها بالصيحة والرجفة لسرعة نفاذها اذ ليس شى اسرع نفاذا من الصيحة والرجفة فيقول ليس على حقيقة
النفخ ولكن اخبار عن خفتها على الله او سرعة نفاذها على ما ذكرنا وهو ما قال فنفخنا فيه من روحنا ليس انه ينفخ فيه نفخا
ولكن يجعل كما قال وجعلنا فيه من روحنا ومنهم من يقول على حقيقة النفخ فان كان على هذا فهو ان يمتحن الملك من غير ان
يقع له الحاجة الى ذلك نحو ما امتحن الكرام الكاتبين بكتابة اعمال الخلق وافعالهم من غير وقوع الحاجة اليه لكن امتحانا منه
ملائكته بذلك او ان يكون لذلك احد اذ هو عالم بما كان وبما يكون كيف يكون ومتى يكون واى شى يكون واما اختلافهم فى عدد
النفخ قال قائلون انه واحد يحتج بقوله الا صيحة واحدة وقوله وقوله وانما هى واحدة ومنهم من يقول بالنفختين
يقول بقوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة اخبر انه يردف الاولى غيرها ويحتج بقوله ايضا ونفخ فى الصور فصعق من
فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى ومنهم من يقول بالنفخات الثلاث يقول الاولى للفزع والثانية
للصعق على ما ذكر فى الاية والثالثة للاحياء ومنهم من يقول بالثلاث الا انه يجعل ذلك كله بعد الموت احدها للفزع فى
القبور والثانية للاحياء فيها والثالثة للاخراج منها والنشر ويقول هذا القائل بعذاب اهل القبر بين النفخة الثانية
الى النفخة الثالثة وعلى ذلك رويت اخبار فى ذلك فان ثبت فهو ذاك والا نقف فيه واما اختلافهم فى الصور قال بعضهم يكون
ينفخ فى الخلق والصور جمع صورة قال الزجاج لا يحتمل هذا لان الصور على سكون الواو وليس هو من افراد الصور ولا من جمعها
لان الفرد هو صورة بالهاء وجمع الصورة صور بتحريك الواو وعلى ما ذكر فى الاية فاحسن صوركم ومنهم من يقول هو قرن
ينفخ فيه كقرن كذا يبوق كبوق كذا لكنا لا نفسر شيئا مما ذكرنا من النفخ والصور انه كذا ولا نشير الى شى انه ذا الا ان ثبت
شى من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال به وليس هو بشى يوجب العمل به فيتكلف صحته او سقمه انما هو
شى يجب التصديق به فنقول بالنفخ والصور على ما جاء ولا نفسره والله اعلم وقوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض
وقال فى اية اخرى فصعق من فى السموات ومن فى الارض انما هو اخبار عن شدة هول ذلك اليوم كقوله وترى الناس
سكارى الاية وكقوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ونحوه وقوله الا من شاء الله قال بعضهم الا من شاء الله
هم الشهداء فى الارض وعلى ذلك روى فى بعض الحديث انه قال ما اعطى ادمى بعد النبوة افضل من الشهادة لا يسمع الشهيد
الفزع يوم الفزع الاكبر قال لصاحبه الشهيد قال لا يسمع كنا زين الصلوق (?) وقال بعضهم هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت وقال بعضهم هم الانبياء والرسل لكن لا نقول نحن ان اهل الثنيا هم كذا ولا نشير الى احد لانا لا نعلم ذلك
الا ان ثبت فى ذلك خبر عن رسول الله فنقول به وجائز ان يكون الذين استثناهم هم الذين اخبر عنهم فى اخر الاية انهم يكونون
امنين من فزع ذلك اليوم وهوله وهو ما قال من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون وقوله وكل اتوه
بالمد اتوه وبقطع الالف مضمومة التاء فيه على مثال فاعلوه وهو جمع ات كقوله الا اتى الرحمن عبدا وانه جمع اتا وهو من سياتونه وقرا
بعضهم بقصر الالف ونصب التاء على الاتيان قد اتوه وقوله داخرين قيل صاغرين ذليلين والداخر الذليل وقوله وترى الجبال
تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب قال بعضهم وهى تمر كذا لكثرتها وازدحامها يرى الناظر اليها ويحسبها كانها جامدة وكذلك
العسكر العظيم يحسب الناظر اليه كانه ساكن جامد لكثرتهم وازدحامهم فعلى ذلك الجبال وقال بعضهم لا ولكن لشدة ذلك اليوم
وهوله وفزعه على الناس يحسبون كانها جامدة وهى تمر مر السحاب وهو ما ذكر وترى الناس سكارى وما هم بسكارى الاية لشدة
هول ذلك اليوم وفزعه وقال بعضهم لا ولكن الجبال لهول ذلك اليوم وفزعه تمر مر السحاب وسيره كقوله وتكون الجبال كالعهن
المنفوش واصله انما يذكر هذا وما تقدم من هول ذلك اليوم وشدته على الخلق ليتعظوا وينزجروا وقوله صنع الله الذى اتقن
كل شى وقال بعضهم اتقن احكم وابرم وقال بعضهم اتقن اى احسن كل شى قال بعض المعتزلة كيف يكون الكفر حسنا وهو
قبيح لانه شتم رب ولا يجوز ان يقال الله خلق شتم نفسه او احسن شتم نفسه او احسن كفرا لكافر وغير ذلك من الخرافات
فيقال لهم لا يقول احد انه خلق الكفر وحسنه او احسن شتم نفسه على هذا الاطلاق من قال ذلك فهو كافر ولكن نقول
فعل الكفر من الكافر قبيحا وخلق فعل المعصية من العاصى قبيحا لكنه من حيث خلقه ذلك وجعله حجة عليه حسنا متقنا محكما
وان كان ذلك الفعل منه قبيحا باطلا سفها جورا اعنى من الكافر الا يرى ان من تكلف ان يعرف فعل الكفر منه سفها و
جورا كان غير مذموم لانه تكلف ان يعرف ما هو سفه فى الحقيقة سفها ويعرف ما هو حق حقا فهو من هذا الوجه
عارف حق وحكمة لان الحكمة توجب ان يعرف كل شى على ما هو فى نفسه حقيقة فعلى ذلك خلق فعل الكفر من الكافر
على الوجه الذى ذكرنا هو حسن متقن محكم وان كان من حيث فعل الكافر قبيحا سفها باطلا وهذا كما يسعه على الاطلاق
انه رب كل شى وخالق كل شى ولا نقول يا خالق الانجاس ويا رب الاقذار ونحوه وان كان هذا داخلا فى الجملة انه خالقها وربها

لانه على الاطلاق يخرج مخرج المدح له والثنا وعلى التخصيص يخرج مخرج الذم له فعلى ذلك الاول وقوله صنع الله الذى اتقن كل شىء
انه وصف الجبال بما وصف من اتقانها وافسادها واخراجها الصفة التى انشاءها الى ماذكر لم يخرج من الاتقان والاحكام
والابرام ليعلم ان ليس فى افساد الشىء خروج عن الاتقان اذا كان ذلك بحكمة والله اعلم وقوله انه خبير بما تفعلون وقيل لهم
وقوله من جاء بالحسنة قالوا جميعا الحسنة ههنا التوحيد والايات وقوله فله خير منها قيل فيه بوجوه احدها من جاء
بالتوحيد توحيد يوم البعث فله خير منها ويحيله ربه بالتوحيد اذا ختم به فله ماذكر شرط المجىء به ولم يقل من عمل
بالحسنة فله كذا لان الرجل قد يعمل بالحسنات ثم يفسدها ويبطلها فلا يثاب بها عليها ليعلم ان ما ينتفع بالحسنات فى
الاخرة بالحسنة التى ختم بها عليها وجاء بها ربه وقال بعضهم قوله فله خير منها اى ما يعطى فى الاخرة له من الثواب
والثواب والجزاء انما يكون من الحسنة التى كانت منه فى الدنيا منها يكون له جميع الخيرات فى الاخرة وقال بعضهم فله خير منها
اى الذى اعطى له فى الاخرة من الخيرات خير مما ترك فى الدنيا من النعم واصبر عليها فذلك خير مما ترك كقوله الا الذين صبروا
وعملوا الصالحات اولئك لهم كذا وقال بعضهم فله خير منها اى رؤية الرب ولقاؤه خير مما اعطى غيرها من الخيرات على ما
فى الدنيا رؤية الملك ولقائه على الرعية اعظم وافضل عندهم من غيره من الكرامات وان عظمت وجلت وقال بعضهم له
الثواب والجزاء فى الاخرة خير مما عملوا به من الخيرات فى الدنيا لان الثواب وجوبه الفضل والرحمة لا الاستيجاب والاستحقاق
الا فى الحكمة والعقل وجوبا للعمل وليس فيهما وجوبا للثواب فاهو سبيله فضل الله لخير مما هو غيره لكنه عوض بان له
الى ماكان سبيل وجوبه الحكمة والعقل خير مما سبيل وجوبه الافضال اذا ماكان سبيل وجوبه بالحكمة والعقل لا يسع
تركه وماكان وجوبه الافضال له تركه لكنه قال ان اقول فله خير منها اى فى طباعكم ووهمكم ذلك الثواب خير من ذلك لا
انه فى الحقيقة خير وهو كقوله وهو اهون عليه اى فى طباعكم وعندكم ان اعادة الشىء اهون من ابتدائه اذ ليس شىء اهون
على الله من شىء ولكن عندكم ان اعادة الشىء اهون من ابتدائه فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله وهم فى فزع يومئذ
امنون اخبر انهم اذا اقروا بهم بالتوحيد يكونون امنين من فزع ذلك اليوم وهوله وقوله ومن جاء بالسيئة اى
بالشرك فكبت وجوههم فى النار المكب على الوجه هو الملقى على الوجه كقوله يوم تقلب وجوههم فى النار المكب على
الوجه هو الملقى على الوجه كقوله يوم تقلب وجوههم فى النار وقوله هل تجزون الا ماكنتم تعملون اى ما تجزون الا
باعمالكم وقوله انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وقوله حرمها يحتمل وجهين يحتمل حرمها اى منعها منه
من الاستلاب والاختطاف فيها كقوله وحرمنا عليه المراضع ليس على التحريم حتى لا يحل له ذلك ولكن على المنع والحظر اى
منعنا منه المراضع والثانى على التحريم نفسه وهو ما جعل فى كل احد من الكافر والمسلم فى الجاهلية والاسلام حرمة ذلك
المكان حتى لا يتناول احد من صيد تلك البقعة ومن شجرها وحشيشها والله اعلم وقوله وامرت ان اكون من المسلمين وان
اتلو القران اى وامرت ان اتلو القران ايضا عليكم كانهم اوعدوه بوعيد وخوفوه به وطلبوا منه الموافقة لهم فقال عند ذلك
لهم انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة وهو رب كل شىء اى امرت ان اكون عبدا له لا اجعل نفسى عبدا لغيره وامرت
ايضا ان اجعل نفسى سالما له لا اجعل لاحد فيها شركا كما جعلتم انتم وامرت انتم ايضا بذلك كله وامرت ايضا ان اتلو
القران عليكم فانا اتلو عليكم كذبتمونى او لم تكذبونى فانى لا اخاف كيدكم ولا مكركم والله اعلم وفى قوله انما امرت ان
اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها دلالة لزوم الرسالة لان اهل مكة وغيرهم تداركوا جميعا بحرمة تلك البقعة من
اوايلهم واواخرهم ما عرفوا ذلك الا بالرسل دل ان اوايلهم يقرون بالرسالة والنبوة فعلى ذلك يلزم هؤلاء
الاقرار بها والله اعلم وقوله فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه يخبران من امن وقبل الهدى فانما يفعل ذلك لمنفعة نفسه
ومن ضل ايضا فانما يكون ضرره عليه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله فقل انما انا من المنذرين
اى ليس على الا الانذار فاما غير ذلك فليس عليكم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله ما عليك
من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء وقوله وقل الحمد لله سيريكم اياته هذا يحتمل وجهين احدهما سيريهم اياته
وحدانيته وربوبيته وايات رسالته وقوله فتعرفونها اى بالايات ماذكر كقوله سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم
والثانى سيريهم ما وعد لهم من النصر والمعونة ليعرفوا عيانا على ما عرفوا خبرا وقوله وما ربك بغافل عما يعملون قال
بعضهم هذا الحرف وعيد للظالم وتعيير وزجر وتعزية للمظلوم وتسلى له وقال بعضهم هذا الحرف ترغيب ترهيب قال الشيخ

قوله ردف لكم اى تبعكم واللام زايدة كانه قال ردفكم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله طسم تلك ايات الكتاب المبين قد
ذكرنا تاويل هذا فيما تقدم فى غير موضع ما يغنى ذكره فى هذا الموضع وقوله نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق
من نبا موسى وفرعون اى من خبرهما وقوله بالحق اى بالصدق بما يعلم انه صدق وحق جايز ان يكون قوله بالحق اى
بالحق الذى لموسى على فرعون وقومه او بالحق الذى لله عليه والله اعلم وقوله لقوم يؤمنون يحتمل وجهين احدهما
نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون للمؤمنين لانهم هم المنتفعون بالانباء وما فيها واما من لا يؤمن فلا ينتفع بها فلا

والثانى لقوم يؤمنون بالانباء والكتب المتقدمة هم يعرفون انه حق لما فى كتبهم ذلك والله اعلم وقوله ان فرعون علا فى
الارض قال بعضهم تجبر واستكبر وابى ان يخضع لموسى ولامثاله وقال بعضهم علا فى الارض اى بغى وقهر فيكون تفسيره ما
ذكر انه يستضعف طايفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم هذا والله اعلم يشبه ان يكون علوه وبغيه فى الارض ويشبه
ان يكون قوله علا فى الارض ارتفع قدره وارتفع رتبته فى الارض لما ادعى لنفسه الالوهية والربوبية بعد ما كان عبدا كساير
العباد او دونهم فعلا قدره وارتفعت منزلته بدعواه بذلك وعلا فى الارض اى غلب وقوله وجعل اهلها شيعا قيل فرقا
يستضعف طايفة ويذبح طايفة ويستحيى طايفة ويعذب طايفة وجايز ان يكون قوله وجعل اهلها شيعا اى جعل لكل طايفة
منهم عبادة صنم لم يجعل ذلك لطايفة اخرى وجعل طايفة اخرى على عمل اولئك وحوايجهم ليتفرغوا لعبادة الاصنام التى
استعبدهم لها لان الشيع فرق يرجعون جميعا الى اصل واحد والى امر واحد انه كان من المفسدين كذلك كان لعنه الله وقوله و
نريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض هذا فى الظاهر اخبار لرسوله انه سيفعل ذلك لانه من عليهم وفعل ذلك لانه
يقول نريد ان نمن على الذين كذا وقد من عليهم بذلك فهلا قال وقد منا على الذين استضعفوا فى الارض لكن معناه والله اعلم
اى كنا نريد فى الازل ان نمن عليهم وان نجعلهم ائمة وان نجعلهم الوارثين والا الظاهر ماذكرنا وقوله ونجعلهم ائمة يحتمل
وجهين احدهما نجعلهم جميعا ائمة لمن بعدهم نقتدى وننقاد لهم او ان يكون قوله ونجعلهم ائمة اى نجعل فيهم ائمة وقادة لهم
اى نجعل بعضهم ائمة لبعض كقوله لموسى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء والائمة المذكورة ههنا كانهم هم الانبياء
الذى ذكر فى هذه الاية ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض هذا كما ذكر فى اية اخرى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها الاية اى يرثون الارض ويملكهم بعد فرعون وقومه والوارث هو الباقى على ماذكرنا كانه قال يبقون
هم فى ارضهم ويملكهم بعد هلاكهم كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها اى نبقى نحن بعد هلاك الارض وهلاك من عليها والله
اعلم وقوله ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اى يريدون ماكانوا يحذرون منه وهو هلاك ذهاب الملك
هذا كانوا يحذرون فاريهم ذلك لانه كان يذبح ابناءهم اشفاقا على بقاء ملكه وحذرا ذهابه قال الزجاج ان من حماقة فرعون و
قلة عقله ان كان يذبح ابناءهم لقول الكهنة انه يذهب ملكه بغلام يولد فى العام الذى قالوا فلا يخلوا اما ان صدقوا فى قولهم فيذهب
ملكه وان قتل الابناء وان كذبوا فى قولهم فلا معنى لقتل الابناء لانه لا يذهب لكنه فعل ذلك بهما لحمقه وسفهه وجهله
بنفسه وقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض بالنجاة من فرعون واله واستنقاذه اياهم من يديه ومن
قتل الولدان وغير ذلك من انواع التعذيب والله اعلم وفى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض الى اخر ماذكر
وجوه على المعتزلة فى قولهم ان ليس لله ان يفعل بعبادة الا ما هو اصلح لهم فى الدين وانه لو لم يفعل ذلك كان ذلك جايرا له
فيقال لهم لو كان عليه فعل الاصلح لهم فى دينهم على كل حال لكان لا معنى لذكر المنة على الذين استضعفوا فى الارض فى
جعلهم ائمة فى ابقائهم فى ارضهم وتمكينه اياهم فى ملكهم ووراثتهم اياه لانه على زعمهم فعل بهم ما عليه ان يفعل اذ ذلك
اصلح لهم فى الدين وكل من فعل ما عليه ذلك الفعل لا يكون له الامتنان على المفعول به ذلك فدل ذكر المنة فيما ذكر انه فعل
على انه فعل ما لم يكن عليه ذلك ولكنه فعل ذلك بهم متفضلا وله ان لا يفعل ذلك ويقولون ايضا ان فى هلاك فرعون
وقومه اصلح لهم من ابقايهم وكذلك فى اماتة كل كافر فى ذكر فيه المنة دل ذلك انه ليس على ما يقولون وان ذلك منقوض
مردود عليهم ويقولون ايضا ان الارادة من الله لهم امر لهم بامرهم به فلو كان امرا على ما يزعمون لكان الامر منه قد شمل
الكل ثم يصير جميع ائمة وقادة ولكن انما اراد بعض دون بعض دل ان الارادة غير الامر وانه اذا اراد لاحد شيئا كان ما اراد
ليس على ما يقولون انه اراد ايمان كل كافر لكنه لم يؤمن بعد ما اعطاه جميع ما عنده من القوة والعون على ذلك حتى لم يبق
عنده شىء من ذلك الا وقد اعطاه فدل ماذكر على فساد مذهبهم وقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه قال عامة اهل
التاويل ان الوحى ههنا وحى الالهام والقذف فى القلب لا وحى ارسال ذات رسوله وذلك لا يجوز لكن يقال جايز ان يلهمهم
فى ارضاعه والقائه فى اليم فاما ان يلهمهم ماذكر لا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين هذا مما لا سبيل الى
معرفة ذلك وعلمه الا بتصريح قول ومشافهة اخبار الهمهم الا ان يقال انه كانت لموسى ايات الرسالة واعلامه بما عرفت هى
تلك الاعلام والايات التى كانت له انه يرد اليها وانه يبعث رسولا الى وقت وقد كانت بالرسل اعلام وايات الرسالة فى حال
صغرهم وصباهم نحو عيسى حيث كلم قومه فى المهد فقال انى عبد الله اتانى الكتاب الى اخر ما ذكر وان محمدا لما ولد ولد بالليل اضاءت
بلاد الحجة واستضاءت بنوره حتى ظنوا ان الشمس قد طلعت ونحوه فعلى ذلك جايز ان يكون لموسى اعلام وايات عرفت انه بها
انه رسول وانه يرد اليها وانما تكلفنا بهذا التخريج قول اهل التاويل انه وحى الهام وقذف فى القلب لا غير وعندنا جايز ان يكون الوحى
اليها وحى ارسال رسول اليها واخبار من غير ان صارت هى بذلك رسوله نحو ماذكر فى قصة مريم ان الملك لما دخل عليها فزعت
منه حيث قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا وذلك من البشارات التى
بشرها بالولد فلم تصر بما ارسل اليها من الرسل وشافهوها رسوله فعلى ذلك ام موسى ونحو بشارات الملائكة لام
ابراهيم بالولد وهو قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ونحو مما كثر ذكره لم يصر بذلك رسولا وعلى

ذلك الوحي الى ام موسى يحتمل ما ذكرنا وجائز ذلك من غير ان صارت بذلك رسولة وهو اشبه واقرب والله اعلم وقوله
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال بعضهم في الآية اضمار لانهم لم يلتقطوا ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن كان
فيه اضمار اي التقطه آل فرعون ليتخذوه ولدا ووليا فكان لهم عدوا وحزنا اذا كبر ونحو هذا وقال بعضهم ذلك اخبار
عما في علم الله انه كان يكون ما ذكر معناه اي فرعون فكان في علم الله تعالى انه يكون لهم عدوا وحزنا وذلك جائز في اللغة
يقال لدوا للموت وابنوا للخراب لا يلدون للموت ولا يبنون للخراب ولكن اخبار عما يكون امرهم في الآخرة والله اعلم وقوله ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ظاهر وفيه نقض قول المعتزلة وقوله وقالت امرأة فرعون قرة
عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا هذا لطف من الله ورحمة حيث القى محبته في قلوبهم وحلاوته في
اعينهم وهو ما ذكر منته عليه حيث قال والقيت عليك محبة مني لتنادى بذلك لتشكر عليه قال ابو معاذ قال مقاتل قرة ايضا
قرة عين لي ولك لا يقول لفرعون لك بقرة عين قال ابو معاذ وهذا محال ولو كان كذلك لكان في القراءة تقتلونه وهذا
محال القول عسى ان ينفعنا ولو كانت القراءة عين لي ولك لا تقتلوه لكان مقاتل مصيبا وقوله وهم لا يشعرون يحتمل وجهين
احدهما وهم لا يشعرون ان هلاكهم واستيصالهم على يديه والثاني لا يشعرون انه هو المطلوب بقتله من بين الكل والله اعلم
وقوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا قال بعضهم فارغا من هم موسى وحزنها عليه وقال بعضهم فارغا من كل شيء الا من موسى و
ذكره وكاد قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا صلة قوله ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك الآية وهو يحتمل وجوها احدها ان
الله رفع الحزن والخوف وطمعها من عمران كان ثمة قول او كلام والثاني على القول لها لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من
المرسلين فان كان على هذا فهو على البشارة لها بالرد اليها وجعله رسولا او على النهي والزجر عن الحزن عليه والخوف عليه والحزن
عليه هو حزن مفارقته عنها والخوف عليه خوف الهلاك كقول يعقوب حيث قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب
ذكر الحزن عند المفارقة والذهاب عنه والخوف عند الهلاك فرفع الله عنها حزن المفارقة وبشرها بالرد اليها وجعله
رسولا وامنها عن الهلاك فيكون قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا مما خافت عليه وحزنت والله اعلم وقوله ان كادت لتبدي به
لولا ان ربطنا على قلبها كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لكنه ربط على قلبها بما ذكر من قوله لا تخافي ولا تحزني الآية
فلم يكن ان تبدي وهو كقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اي كان يهم بها لو لم ير برهان ربه لا انه هم بها و
هو كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اي كاد يركن اليهم شيئا قليلا لو لم يثبته لكنه ثبته فلم يركن
اليهم ونحوه فهو على ذلك الاول وقال اهل التأويل ربطنا قلبها بالايمان وجائز ان يكون ربطه قلبها لما ذكر من قوله ولا تخافي
ولا تحزني الآية وقال بعضهم فارغا من عهد الله الذي كان عهد اليها انساها عهد الله عظم البلاء الذي حل بها فكادت
تبدي به ثم تداركها الله بالرحمة فربط على قلبها فذكرت واطمأنت وقال بعضهم لما تخذه فرعون ولدا فصار الناس يقولون
ابن فرعون فادركتها الرقة وحبا لولده فكادت تقول بل هو ابني والاول اشبه وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة
ان كادت لتشعر به وقوله وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره وقوله فبصرت به عن جنب قيل عن بعد اي كانت تتبع اثره من
بعد منه وقال بعضهم الجنب ان يسمو بصر الانسان الى موضع بعيد وهو الى جنبه يقرب منه وذلك عند الناس معروف ظاهر
فيهم ذلك وقال بعضهم في قوله فبصرت به عن جنب قال متجنبا اي وهي معرضة عنه كاجنبية وقوله وهم لا يشعرون انها منه
تراقبه او تنظر اليه وتحفظه او لا يشعرون ان هلاكهم على يديه بصرت وابصرت واحد وقوله عن جنب عن ناحية بعيدة و
جوانب جماعة ويقال رجل جنب وقوم اجناب وجانب ولجناب واجنبي واجانب اي غريب وهذا كله من الاجناب وهو قول
ابو عوسجة والقتبي وقوله وحرمنا عليه المراضع من قبل حرم تحريم منع وحظر لا تحريم الاطلاق والارسال لا التحريم
الذي ضد الحل وذلك لطف من الله تعالى وفضل ورحمة حيث منع موسى عن ان يرتضع من النساء وهو طفل وحجة امثاله
الارتضاع والرغبة في تناول من كل لبن ومن كل مرضع ترضعه لا تمييز لهم في الارتضاع عند امتناعه وكفه نفسه عن
الارتضاع من النساء اجمع ان ذلك لطف من الله اعطاه ليمتنع عنه ففي ذلك جائز ان يكون عند الله لطف لو اعطى الكافر لكان آمن
هذه الحكمة والرغبة فيه لآمن واهتدى لكنه لما عرف رغبته وحاجته فيه واختياره له منع ذلك عنه ولم يعطه وهذا الحرف
ينقض على المعتزلة مذهبهم في زعمهم ان الله قد اعطى كل كافر السبب الذي به يؤمن وما به يصير مؤمنا حتى لم يبق شيء مما يكون
به ايمانه الا وقد اعطاه لكنه لم يؤمن فينقض قولهم ما ذكرنا من امر موسى ان عنده لطف لم يعطه لو اعطاه لآمن ولقد
لكنه لم يعطه لما ذكرنا وفيه لطف لهم وهو ان فرعون والقبط كانوا يقتلون الولدان من الذكور ليصير الذي يخاف
هلاكه وذهاب ملكه على يديه مقتولا فجعل الله بلطفه ورحمته محبته في قلب فرعون وقلوب اهله حتى صار احب الخلق
اليهم وصاروا هم اشفق الناس وارحمهم عليه حتى خافوا هلاكه وطلبوا له المراضع لئلا يهلك بعدما كانوا يطلبون هلاكه
وتلفه وذلك لطف منه له ورحمة هو ما قال والقيت عليك محبة مني وبالله نستفاد كل فضل ونعمة وقوله فقالت هل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم قوله فقالت اي اخته التي كانت تتبعه وتمشي على اثره وذلك منها تعريض الدلالة لهم الى
امه لئلا يشعروا انها امه حيث قالت هل ادلكم على اهل بيت ولم تقل على امرأة لها لبن وهي ترضع ولعلها قالت لهم ذلك

وقع عندهم انها امه ولكن دلتهم الى اهل بيت ليقع عندهم انهم اهل بيت وقبل ولادهم ولهم ولد يكفلونه لكم اي يقبلونه
ويضمونه الى انفسهم وهم له ناصحون يحتمل قولهم وهم له ناصحون اي لفرعون لا يخونونه فيه ويحتمل وهم له ناصحون لموسى
وقوله فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن يحتمل قوله كي تقر عينها بالمقام معه والسكون عندها ولا تحزن على فراقه او ان يقال
كي تقر عينها ولا تحزن اي تسر برده اليها وذلك وذلك معروف في النساء ظاهر انهن يحزن بمفارقة الاولاد ويفرحن لذلك و
يسررن اذا رجعوا اليهن واجتمعوا وقوله ولتعلم ان وعد الله حق كانت تعلم هي والله اعلم وعد الله حق كاين لا محالة لكن
علم خبر لا علم عيان ومشاهدة وكانه قال لتعلم علم عيان ومشاهدة ما علمت علم خبر لان علم العيان والمشاهدة اكبر وابلغ وادفع
للشبهة من علم الاخبار الا ترى ان ابراهيم سأل ربه ان يريه احياء الموتى وان كان يعلم حقيقة انه يحيي الموتى وانه قادر على ذلك
لكنه كان يعلم علم خبر فاحب ان يعلمه علم عيان ومشاهدة لانه اكبر وابلغ وادفع للوساوس من علم الاخبار فعلى ذلك الاول
وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون والمعتزلة فيهم لانه اخبر انه يملأ جهنم من الجنة والناس اجمعين حيث قال لاملأن جهنم
وهم يقولون اراد ان لا يملأ جهنم لانهم يقولون انه اراد ايمان كل الناس جميعا وشاء ذلك لهم فلم يؤمنوا فعلى قولهم انما
شاء ذلك لهم فشاء ان لا يملأ جهنم منهم فذلك خلف في الوعد وكذب في القول على قولهم وقوله ولما بلغ اشده واستوى
قال بعضهم اهل التأويل الاشد هو ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلثين سنة ثم هو ما بين الثلاثين الى الاربعين استواء الشدة
ثم يأخذ بعد الاربعين في النقصان ثم غير ما تجره الاربعين سنة وقال بعضهم بلغ اشده ثلث وثلثون سنة واستوى اربعون
وعن ابن عباس مثله وقال بعضهم بلغ اشده قال الاشد الحلم والاستواء اربعون سنة واصل الاشد ان يشتد كل شيء منه وصار
يحتمل ما قصد به وجعل فيه ويدخل في ذلك العقل وكل شيء واستوى اي استوى ذلك واستحكم وصار بحيث يحتمل ذلك
وجائز ان يكون الاستواء هو تفسير الاشد الذي ذكر وقال ابو عوسجة والقتبي واستوى اي استحكم وانتهى شبابه
واستقر فلم يكن فيه زيادة واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله آتيناه حكما وعلما اي آتيناه العلم الذي يحكم به بين الناس
وعلما بمصالح نفسه ومصالح الخلق وقال بعض اهل التأويل الحكم الفقه والعقل والعلم قبل النبوة وقوله وكذلك نجزي
المحسنين يحتمل قوله وكذلك نجزي المحسنين في الآخرة بالوعد الذي وعد لهم في الدنيا كما جزى موسى بايجاد ما وعد لهم او ان يكون من
موسى احسان وجهد في طلب العلم وغير ذلك مما اعطاه ذلك ويخبر انه كذلك يجزي من ذكر كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وقوله ولتعلم ان وعد الله حق كما وعد اياها ان يرده اليها ويجعله من المرسلين ومعناه ما ذكر فيما تقدم قال الكسائي يقال
امرأة مرضع ما دامت ترضع فاذا فطمت سميت مرضعة ما دامت حبلى فهي مرضعة اي سترضع وقوله ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها
قال بعضهم اهل التأويل على حين غفلة اهل المدينة وهو ضد الظهيرة وذلك وقت القائلة وقال قائلون على حين غفلة اهل المدينة
وهو عند الظهيرة وذلك وقت القائلة وقال القائلون على حين غفلة اهل البلد عن دخول موسى انه دخلها من غير ان شعروا به وعرفوا
انه موسى على هذا التأويل الغفلة تكون على دخول موسى عليهم وعلى الاول على غفلة اهل المدينة اي وقت غفلتهم فان كان على هذا يحتمل
ان يكون غفلة اهلها وان كان ذلك يوم عندهم خرجوا اليه فدخلها المدينة ليطلع احوالها واسبابها الا ان يكون العادة
فيهم انهم باجمعهم يقبلون بذلك المحتمل والله اعلم وقوله فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه قال بعض
اهل الادب ان قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه انما يقال للشاهد المشار اليه فاما للغائب فانه لا يقال لكن قالوا ان فيه
اضمارا او لفظا كانه قال فوجد فيها رجلين يقتتلان من نظر اليهما يقول هذا من شيعته وهذا من عدوه ثم قال اهل التأويل احدهما
كان اسرائيليا والآخر قبطيا فان قيل كيف سمي اسرائيلي من شيعة موسى وذلك اول ما دخل موسى المدينة وبنو اسرائيل يومئذ كانوا
عباد الاصنام وقد حبب ذلك اليهم حتى قالوا لموسى بعد ما اخرجهم من المدينة وبعد هلاك فرعون والقبط جميعا اجعل لنا الها
كما لهم آلهة وكذلك بقوله تعالى كانا كافرين جميعا الا ترى انه قال فلن اكون ظهيرا للمجرمين لكن يخرج هذا على الاضمار كانه قال
يكون هذا من شيعته وهذا من عدوه او يقول يكون هذا من قوم هم شيعته ويسمي هذا عدوا في قوم هم اعداؤه وعلى هذا يخرج
قوله فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما وان لم يكونا عدوا لهما الا انه اضاف ذلك الى ما ذكر والتحري يستدل على وهم مقاتل وجهه في تأويله
انهما كانا كافرين جميعا الكي يخرج على ما ذكرنا والله اعلم وقوله فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه اي استغاثه لكن
كان في علم الله انه يكون من شيعته على الذي في علم الله انه يبقى عدوا له ينصره والاستغاثة هي الاستغاثة والاستنصار اي سأله
ان يكون من شيعته وقوله فوكزه موسى فقضى عليه قال ابو عوسجة الوكز الطعن في الصدر وقال الزجاج والقتبي وغيرهما
الوكز الدفعة فوكزه اي دفعه فقضى عليه قال بعضهم اي فرغ منه كقوله لما قضى موسى الاجل وقوله قضي الامر الذي
فيه تستفتيان اي فرغ ونحوه وقال بعضهم فقضى عليه اي قتله وكلاهما سواء اذا قتله فقد فرغ منه وهو لم يتعمد قتله
ولا قصده لكن الله قضى اجله وجعل انقضاء عمره بوكز موسى وهو في الظاهر قاتل لانه قال اني قتلت منهم نفسا فاخاف
ان يقتلون ولم يكذبه الله موسى في قوله ان لم يقتل وقال ايضا اني ظلمت نفسي فاغفر لي الآية وفيه دلالة جواز الا
لقول ابي حنيفة حيث قال من قتل آخر بحجر عظيم او بخشبة عظيمة مما لا ينجو من مثله انه لا يقتل به ولا يجب القصاص فيه لان
موسى لما وكز ذلك القبطي فمات وذكر انه قتل اربعين رجلا لم ير القصاص به واجبا حيث قال له ذلك الرجل ان الملأ

يازرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ولو كان القصاص واجبا
لكان اولئك لم يكونوا ظلمة فى قتله بل يكون هو الظالم فيه ولا يحتمل ان يكون القصاص واجبا ايضا وموسى لفر من وهرب وفى ذلك
ابطال لحقهم دل انه لم يجب ولا شك ان وكزة من له قوة اربعين رجلا الى الهلاك اسرع والاقرب واعلى من الضرب بالحجر العظيم والخشبة
الغليظة فاذ لم يجب فى هذا لم يجب فى ذلك والله اعلم وقوله رب بما انعمت على قال بعضهم بما انعمت على بالمغفرة فلم تعاقبنى بقتل النفس
وعصمتنى من ان اعاقب به فى الدنيا وجائز ان يكون بما انعم عليه هو قوته التى اعطاها اخبر انه لا يكون بها ظهيرا للمجرمين والله اعلم
وقوله فاصبح فى المدينة خائفا يترقب اكثر ما ذكر فى القران اصبح اى صار كقوله او يصبح ماؤها غورا اى صار وقوله ان اصبح ماؤكم
غورا ونحوه واما ههنا قوله فاصبح فى المدينة خائفا انما يريد الصباح نفسه وقوله يترقب قول عامة اهل التاويل يترقب اى
سوءا ينال منهم وقال ابو عوسجة الترقب الخوف كانه قال خائفا يخاف هلاكه واصل الترقب هو النظر والرقوب ان يرقب من
من يطلبه ومن ياتيه فى طلبه وهو من الرقيب وقوله فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين
كان الرجل الذى اخبر انه من شيعة موسى كان ضعيفا فى نفسه حيث لا يقدر ان يقوم لواحد فيستنصر به من موسى ويستعينه به
الا انه كان يخاطب وينازع ويقاتل لسوء فيه وبلاء يقال ديانع والا لم يكن بنفسه من القوة ما يقوم لواحد من حيث لا يقاتل
شيء ولكنه لما ذكرنا من سوء به ولذلك قال له موسى انك لغوى مبين لكن موسى انما عرف غوايته بالاستدلال الذى ذكرنا لا
بالمشاهدة ولذلك اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما لئلا يقتله ولم يهلكه لما عرف غوايته بالاستدلال لا حقيقة وذكر ههنا البطش
وهو الاخذ باليد وفى الاول ذكر الوكز وهو الدفع والطعن على ما ذكرنا فهو والله اعلم لانه لما وكز الاول فاتى الوكز على نفسه
فقتله فامتنع ههنا من هذا البطش عن اهلاكه واتلافه ولا يأتى على نفس الاخر كما فعل الوكز ثم قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما
قتلت نفسا بالامس اختلف فى قائل هذا قال عامة اهل التاويل ان قائل هذا هو الذى استصرخه واستغاثه قالوا لانه ظن ان موسى
انما اراد بطشه واخذه واليه قصد لذلك قال اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس وقال قائلون هذا القول انما قال له ذلك
القبطى فان كان هذا فهو يدل ان قتله ذلك الرجل بالامس كان ظاهرا حيث علم به القبطى وكان قوله على حين غفلة من اهلها
اى من دخول موسى المدينة وان كان هو الاول كان قتله اياه خفيا غير ظاهر فعلى هذا يكون الغفلة على اهل المدينة ليس على
دخول موسى والله اعلم وقوله ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما تريد ان تكون من المصلحين لان الذى يصلح من الاثنين
لا يقتل ولا ياخذ احدهما دون الاخر ولكن يصلح بينهما على السواء الذى قال ما قال وقوله ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض
وقال بعضهم يقول هكذا فعل الجبابرة يقتل النفس بغير نفس وقال بعضهم الجبار هو الذى يحمل الناس على هواه ويغلب ما يريد
يقهرهم على ذلك شاؤا او ابوا وقال بعضهم الجبار هو الذى يتكبر على الناس لا يرى لهم لنفسه فضلا او كلاما نحوه ونبيا اكلا وقاتل
اخر على الغضب بغير حق فهو جبار وقوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يحتمل ان يكون اقصى المدينة هو مسكن فرعون ومقامه
فمنه جاء ذلك الرجل وان يكون اقصى المدينة موطن الملاء والاشراف الذين ذكر انهم ائتمروا على قتله وقوله يسعى والسعى
هو العدو فى اللغة كانه يسرع المشى اليه ليخبره بذلك وقوله ان الملاء ياتمرون بك ليقتلوك ياتمرون قال بعضهم يتشاورون
فى ذلك وقال الزجاج ياتمرون بك اى يامر بعضهم بعضا ان يقتلوك وقال القتبى ياتمرون اى يهمون فى قتلك وذكر عنه انه
قال ياتمرون يتشاورون بك وهو قول ابو عوسجة واصل الايتمار فى اللغة هو الطاعة والاتباع لما يؤمر من الفعل كان فرعون
امر الملاء ان يقتلوه فاطاعوه او ائتمروا الامر والله اعلم وقوله فاخرج انى لك من الناصحين قال الزجاج قوله لك صلة والصلة
لا تتقدم الموصول به ولكن معناه فاخرج انى لك من الناصحين الذين ينصحون لك وليس كما قال الصلة تتقدم وتتاخر وذلك ظاهر
فى الكلام وقوله فخرج منها خائفا يترقب قد ذكرنا هذا دل قوله خائفا يترقب ان الخوف قد يكون من دون الله وجائز ان
يخاف من غيره ليس كما يقول بعض الناس ان لا يسع الخوف من دون الله وحقيقة الخوف تكون من الله يخاف ان ينتقم منه على
يدى هذا والله اعلم وقوله رب نجنى من القوم الظالمين يحتمل الظالم كل مشرك لان كل مشرك ظالم ويحتمل قوله رب نجنى من القوم
الظالمين حيث هموا قتله وقتل موسى ذلك القبطى لم يوجب عليه القتل والقصاص لانه لم يتعمد قتله او لم يقتله بسلاح يجب
القتل قد ذكرنا انهم تجاهروا قتله ظلما وقوله ولما توجه تلقاء مدين قال بعضهم لم يخطر بها اذ اسلك ذلك الطريق ونفذ فيه نحو تلقاء
مدين او وقع تلقاء المكان المقصود اليه وقوله قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل اى الطريق الذى كان يقصد ويطلبه
وهو طريق مدين وذكر انه كان ضل الطريق وقوله ولما ورد ماء مدين اى ورد البئر التى كان ماء مدين من تلك البئر وجد عليه امة
من الناس يسقون امة اى جماعة وقيل اناس من يسقون اغنامهم ومواشيهم ووجد من دونهم امراتين تذودان اى تحبسان اغنامهما
لتسقيها ثم قوله ووجد امراتين تذودان قال بعضهم تذودان حتى يفرغ الناس ويصدروا ويخلو لهما البئر وقال بعضهم
تذودان اى تطردان اغنامهما لتسقياها ثم قوله ووجد من دونهم امراتين تذودان يحتمل وجهين احدهما غنمهما ولا تسقيانها
حتى يصدر الرعاء لما انه كان تسقيان غنمهما مع الغنم اولئك الرعاء حتى يصدروهم والثانى لا تمنعان ذلك ولكنهما تستحيان
ان تزاحما الرجال وتختلطا بهم فتنتظران فراغهم وصدور الرعاء عنها فان قيل فما بالهما لا تختلطان وقت اجتماع القوم وتشهدان
فى ذلك الوقت ولا تنتظران خلوة البئر عنهم قيل لما ذكر ان على راس البئر حجر ملقى عليه لا يطيقه الا كذا كذا وكذلك الولد التى

يستقى منها لا يطيقها الا كذا كذا من عشرة الى اربعين على ما ذكر فهما تشهدان ذلك البئر وقت شهود القوم وحضورهم لمكان
نزح الدلو واستقاءها ولو تخلفتا وانتظرتا خلاء البئر عنهم ثم ياتيان لم تقدرا على نزح الماء والدلو ودفع الحجر الذى ذكر انه كان على
راس البئر لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله ما خطبكما اى شانكما وما امركما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لما ذكرنا وقرئ يصدر
بنصب الياء وبالرفع جميعا فمن قرا بالنصب فانه يقول حتى يصدر الرعاء باغنامهم اى يرجع ومن قرا بالرفع حتى يصرفوا ويرجعوا
اغنامهم والله اعلم وقوله وابونا شيخ كبير تذكران والله اعلم عذر ابيهما فى تخلفه عن سقى الغنم وارساله اياهما فى ذلك دون
تولى ذلك بنفسه فقالا ذلك لكبره وضعفه ما يتخلف عن ذلك ورسلهما والا لا معنى للذكر كبر ابيهما الا بسبب يحملهما على
ذلك سوى ما ذكرنا وجائز ان يكون لمعنى اخر لا نعلمه وقوله فسقى لهما ثم تولى الى الظل دل ان البئر التى كانت تسقى الماشية
منها كانت فى الشمس حيث اخبر انه لما سقى لهما تولى الى الظل وفيه ان لا باس بان يجلس فى الظل وقوله فقال رب انى لما
انزلت الى من خير فقير قيل ان هذا منه شكاية عما اصابه من الجوع لانه ذكر انه خرج من المصر الى مدين هاربا من فرعون وقومه
بغير تزود وهو مسيرة ثمان ليال وفيه دلالة ان لا باس للرجل ان يخبر ويذكر عما هو من الشدة والبلاء حيث ذكر موسى
حاله التى هو فيها من الجوع الذى اصابه وكذلك ما قال فى اية اخرى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك يرد قول من يقول
ان مثل هذا يخرج مخرج الشكاية عن الله ولو كانت شكاية لكان موسى لا يقول ذلك ولا يذكره وقوله فجاءته احديهما تمشى على
استحياء قوله تمشى مشى من لم يعتد الخروج او تمشى على استحياء اى تمشى مشى من لم يخالط الناس على التستر والتغطية قالت
ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا هذا يدل على ان لا باس ان ياخذ على المعروف الذى يصنع الى اخر ولا فضل على
من صنع اليه المعروف والتبرع ان يعطى المعروف ويتبرع به بلا اجر والا فضل على المتبرع ولا صانع المعروف ان لا ياخذ على ذلك
بدلا الا ان موسى كان قد اشتدت به الحاجة لذلك كان ما ذكر واخذ المعروف ما ذكر بدلا والله اعلم وقوله فلما جاءه وقص
عليه القصص اى لما جاء ابا المراتين وقص عليه قصته قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين دل قوله هذا لموسى لا تخف
نجوت من القوم الظالمين انه لم يكن لفرعون على ذلك المكان سلطان ولا يد ولو كان له سلطان لكان له فيه الخوف الذى كان
من قبل ولم يكن ينجو موسى منه دل انه لم يكن له عليهم سلطان وقوله الظالمين يحتمل المشركون لان كل مشرك ظالم ويحتمل نجوت
من القوم الظالمين الذين يقتلون بغير حق حيث قال رب نجنى من القوم الظالمين وقوله قالت احديهما يا ابت استاجره
ان خير من استاجرت القوى الامين قال اهل التاويل قال ابوهما لما قالت له استاجره فما يدريك انه امين ما قوته وامانته
فقالت اما قوته فانه رفع الحجر من راس البئر وحده وكان لا يطيقه الا كذا كذا نفرا ونزح الدلو من البئر
وحده وكان لا يطيقه الا كذا كذا فذلك قوته واما امانته فانه قال لى امشى خلفى وصفى لى الطريق فذلك امانته ولكن قد كانت
تعرف امانته قبل ذلك لما جرى بينه وبينهما من المعاملة حين قال لهما ما خطبكما وحين سقى لهما فى مثل هذا تعرف امانته فى ترك
النظر اليهما وترك الاعتراض لما يوجب التهمة والله اعلم وقولها يا ابت استاجره كان اباها كان فى طلب اجير قوى امين لكنه لا يجد
ولا يظفر به لذلك قالت له استاجره ان خير من استاجرت القوى الامين اذ لا يحتمل ان يكون من له ماشية وله غناء وبه حاجة الى
رعى ذلك وسقيه وقد بلغ فى نفسه من الكبر والضعف ما ذكر يرسل ابنته فى الرعى والسقى ولا يستاجر الاجير ليتولى ذلك له
دون بناته لا يحتمل ذلك وخاصة ما وصف ابنته من الحياء حيث قال فجاءته احديهما تمشى على استحياء دل ذلك انه كان فى طلب
وانما ارسل ابنته فى سقى الغنم وهو مضطر الى ذلك محتاج اليه لذلك قالت له يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوى
الامين ثم قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج طلبته هى الاستيجار وهو عرض عليه النكاح لما رغب
هى فى النكاح او هما لا الاستيجار لما لم ترض نفسها الرغبة فى النكاح وان كانت لها الرغبة حياء والله اعلم ثم قوله على ان تاجرنى ثمانى
حجج يحتمل وجهين احدهما انه جعل عمله ثمانى حجج بدلا للنكاح ومهرا لبعضها ثم تحديد ثمانى حجج لما راى عمل ثمانى سنين مثلها وقوله
فان اتممت عشرا فمن عندك اى فان اتممت عشرا وزدت على مهر المثل فمن عندك اى لك ذلك فضل منك واحسانا والثانى
قوله على ان تاجرنى ثمانى حجج ليس على جعله بدلا للنكاح ولكن على الاعمال المعروفة على اجر معلوم على حدة من غير ان ذلك مهرا لها
ثم التحديد بثمانى سنين على هذا الوجه يخرج على احد حرفين احدهما انه لما قص عليه قصته علم انه لا يقدر على العود الى
المصر وراى انه لا امن له الناحية بدون ما ذكر من المدة او لما راى ان نفسه تنزع وتتوق بالعود الى ذلك فى ذلك الوقت شرط ذلك
عليه لئلا تحدث نفسه بالرجوع اليه الى ذلك الوقت وقوله فان اتممت عشرا فمن عندك اى فان زدت سنتان على ذلك فمن فضلك
واحسانك وما اريد ان اشق عليك فى الزيادة على ذلك والله اعلم ثم قال ستجدنى ان شاء الله من الصالحين فى جميع ما يجرى بينك و
بينى من المعاملة والصحبة وفيه ان الاستثناء فيما يعدون كان ظاهرا فى الامم السالفة ثم اختلف فى المراتين قال بعضهم كانتا ابنتا شعيب
وقال بعضهم ابنتى اخى شعيب وقال الحسن لم يكن شعيب ولكنه كان سيد الماء يومئذ وليس لنا الى معرفة من كان حاجة انما الشان
لم يكن فى دين موسى والله اعلم وقوله قال ذلك بينى وبينك اى الشرط والله اعلم بينى وبينك ايما الاجلين قضيت اى ثمانى او
واما العشر فلا عدوان على يقول لا سبيل لك على بعد ذلك ولا تبعة والعدوان هو الظلم والمجاوزة عن الحد الذى جعل له يقول
لا ظلم على ولا مجاوزة على اى الاختيار لى فى اى الاجلين اخترت وشئت اتمم وقال والله على ما نقول وكيل قال بعضهم والله كفيل

على سالتي ومقالتك والوكيل هو الشهيد والحافظ كانه يقول والله على ما نقول شهيد ذكر ان جبريل جاء الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان سئلت اى الاجلين قضى موسى فقل ابرهما واوفاهما وان سئلت اى المرأتين تزوج فقل اصغرهما فان
ثبت هذا فقد قضى الاجلين جميعا الثماني والعشر وليس في الاية الا قضاء الاجل حيث قال فلما قضى موسى الاجل وقال
الفتى على ان تاجرني اى تجازيني من التزويج والاجر من الله انما هو الجزاء على العمل وقوله فلما قضى موسى الاجل قال اهل التاويل
ما ذكرنا انه قضى اتمهما واكثرهما لكن لا نعلم الا بالخبر الصحيح عن فعل ما ذكروا وليس في الاية الا قضاء الاجل فلا يزاد على ذلك
الا بثبت ما روى من الخبر فهو والله اعلم وقوله وسار باهله آنس من جانب الطور نارا آنس قيل ابصر واحس نارا قال بعضهم
ان موسى لم يكن راى نارا ولكن انما راى نورا فظن انه نار ويحتمل ذلك لانه اخبر انه آنس نارا وان لم يكن ذلك في الحقيقة نار
ولكن نورا كان يوجب الكذب في الخبر الا ان يقال على الاضمار آنس من جانب الطور نارا في ظنه انه نار فقال لاهله امكثوا انى
آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار اى امكثوا لعلى آتيكم منها بخبر يدلنا ويخبرنا عن الطريق فكانه قد ضل الطريق
فيقول لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار اى آتيكم بجذوة من النار لو بقيتم فيه ولو اخبركم بخبر الطريق لعلكم تصطلون هذا يدل
انه كان في ايام الشتاء وفي وقت البرد فلما اتاها نودي من شاطئ الوادى الايمن في البقعة المباركة قال بعضهم الايمن اى عن
يمين الجبل وقال بعضهم عن يمين موسى وقال بعضهم يمين الشجر ولكن الايمن المبارك وهو من اليمن الوادى كاليمن والبقعة
المباركة قال بعض اهل التاويل يسمى مباركا لكثرة اشجارها وانزالها وكثرت مياهها وعشبها ولكن سماه مباركا والله اعلم
لانه مكان الانبياء والرسل وموضع الوحي وقوله نودي من الشجرة ان يا موسى انى انا الله رب العالمين والله ان يسمع ويخبر من شاء
من شاء فيم شاء وكيف شاء كما اسمع مريم من تحتها حيث قال فناداها من تحتها ان لا تحزني وقوله وان الق عصاك ليس هذا الموضع
بقوله انى انا الله رب العالمين وان الق عصاك ولكن تلك ما ذكر في سورة طه انى انا ربك فاخلع نعليك الى اخر ما ذكر ثم قال في اخره
وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان قال بعضهم الجان الحية الصغيرة وقال بعضهم الجان ما بين العظيمة والصغيرة والله اعلم
وقوله ولى مدبرا اذا راها ولم يعقب اى لم يلتفت ولم يرجع لشدة خوفه وفزعه وقوله يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين
قوله لا تخف يحتمل وجوها احدها على رفع الخوف من قبله واذ كان الامن فيه والثاني على البشارة انه لا يؤذيه كانه يقول لا تخف
انك من الامنين فانه لا يؤذيك والثالث على النهي اى لا تخف فانى احفظك وارفع اذاه عنك كقوله قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط
علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما وارفع ذلك عنكما وقوله
او جذوة بكسر الجيم ورفعها قال بعضهم عود قد احترق بعضه وقال قتادة اصل شجرة فيها نار وقال ابو عوسجة الجذوة
مثل الشهاب سواء والجذى جمع الجذوة وقال ابو عوسجة الجذوة الغليظة وقال القتبي الجذوة عود قد احترق اى قطعة منها
رشا ملي اى شط الوادي آنس ابصرت وكذلك قوله فان آنستم منهم رشدا اى ابصرتم وعلمتم وقوله اسلك يدك في جيبك على ما ذكر
في اية اخرى وادخل يدك في جيبك هذا يدل ان لا باس بتغيير الالفاظ واختلافها بعد اصابة المعنى وما قصد بها تخرج بيضاء من غير سوء
قد ذكرنا فيما تقدم وقوله واضمم اليك جناحك من الرهب بالضم والرهب والفتح قد قرئ بهما جميعا ثم قال بعضهم هو على التقديم
والتاخير قوله من الرهب موصول بقوله اقبل ولا تخف انك من الامنين من الرهب اى الخوف والفرق وقال بعضهم امره ان يضم يديه
الى نفسه لان ذلك اخوف واهيب واعظم من ارسالها وذلك معروف ايضا في الناس انهم اذا دخلوا على ملك من الملوك ضموا
ايديهم وجناحهم الى انفسهم تعظيما لهم وتحببا وخوفا منهم فعلى ذلك جائز ان يامره بضم يديه الى نفسه ليكون بين يدي ربه
اهيب واخوف ما يكون واعظم ما يجب له وهو ما قال له فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وقوله فذانك برهانان من ربك
اى اليد والعصا اللذان ذكرهما برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين وقوله قال رب انى
قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا وقال في سورة الشعراء قال رب انى اخاف ان يكذبون الى قوله
فاخاف ان يقتلون اخر في هذا ما كان مقدما في المذكور في ذلك وذكر على اختلاف الالفاظ وتغيير الحروف ليعلم انه ليس على التتابع
حفظ الالفاظ والحروف بعد اصابة المعنى وفهم ما قصد بها واودع فيها لان الله ذكر هذه الانباء والقصص التي كانت من قبل
في القران على اختلاف الالفاظ وتغيير الحروف على التقديم والتاخير والزيادة والنقصان ليعلم ان المقصود والمراد بذكرها ما فيها لا عين اللفظ
والحرف فاذا عرف ما فيها وفهم جاز الاداء باى لسان كان وباى لفظ والله اعلم وقوله هو افصح مني لسانا يحتمل وجوها احدها
ما قال اهل التاويل فانهم قالوا كان في لسانه رتة اى عقدة لما ادخل في فمه من النار فذلك لا نعلمه وقد قال في اية واحلل عقدة من
لساني يفقهوا قولي فجائز ان يكون ذلك خلقة خلقه هكذا ما خلق بعض الخلق افصح وابين من بعض او ان يكون لما ذكر له من الخوف
والذنب ما لم يكن ذلك لاخرين ولا شك ان من اشتد به الخوف منع صاحبه عن التكلم والبيان وذلك متعلم معروف في الناس
وهو ما قال انى اخاف ان يكذبون الاية او ان يكون ذلك لان نشوء هرون كان فيهم وهم بلسانه اعرف ومنطقه افهم ولموسى
تربيت كان معتزلا عنهم وقوله فارسله معي ردءا اى عونا يصدقني ثم بين في اية اخرى انه فيم طلبه منه عونا وهو ما قال
واجعل لي وزيرا من اهلي هارون الاية ويصدقني فيما اقول اذا كذبوني ثم اسالني به اذا ضاق صدري بالتكذيب والرد
ما جاوز به فقال سنشد عضدك باخيك العضد كناية وعبارة عن القوة فيه يكون فيمن تكون وهو كقوله [illegible]

ذكر الاقدام يثبت وقوله نكص على عقبيه لانه بالعقب ينكص ومثله كثير فعلى هذا ذلك وقوله ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما
باياتنا قال قائلون هو على التقديم والتاخير اى نجعل لكما سلطانا باياتنا فلا يصلون اليكما وقال بعضهم ونجعل لكما سلطانا
ندفع عنكما اذاهم وشرهم كقوله لا تخافا انني معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما وادفع ذلك عنكما فلا يصلون
اليكما بالايات التي معكما وقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون يحتمل هذا وجهين الغالبون بالحجج والبراهين اى يغلب حجتكما سحرهم وغيرها
منهم او ان يكون عاقبة الامر لكما او ان يكون ذلك في الاخرة قال ابو معاذ العرب تقول اردات الرجل اى اعنته وقال ابو عوسجة
سنشد عضدك باخيك اى اعينك به واقويك والعضد كناية عن القوة لانه فيه يكون القوة وبه يقوى من يوصف بالقوة على ما ذكرنا
وقوله فلما جاءهم موسى باياتنا اى جاء موسى فرعون وقومه باياتنا اى اعلام ما انشاها موضحات مظهرات يظهرن ويوضحن
رسالة موسى ونبوته وقد اظهرن لهم ذلك وعرفوا انها ايات من الله نزلن الا ترى ان موسى قال له يا فرعون لقد علمت
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لكنهم عاندوا وكابروا وقالوا ما هذا الا سحر مفترى هذا منهم تمويه وتلبيس
على الاتباع والسفلة ولم يزل عادتهم التمويه والتلبيس على الاتباع امر موسى وقوله وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين
يقولون والله اعلم ان اباءنا قد عبدوا الاصنام على ما نعبد نحن وقد ماتوا على ذلك من غير ان نزل بهم ما توعدنا من الحلول
العذاب فعلى ذلك نحن على دين ابائنا وعلى ما هم عليه فلا ينزل بنا سيما تذكر وتعدنا به من العذاب ثم قال موسى ربي اعلم
بمن جاء بالهدى من عنده ومن يكون له عاقبة الدار هذا والله اعلم كانه ليس بجواب لقولهم ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا
في ابائنا الاولين ويكون جوابا هذا ان كان هو قوله انه لا يفلح الظالمون كني بالظلم عن السحر يقول والله اعلم ليس بسحر لاني قد علمكم
وفهمكم وقد افلح اذ لو كان سحرا ما انبتكم به ثم انه لا يفلح اذ الله تعالى اخبر ان الساحر لا يفلح بقوله انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح
الساحر حيث اتى وقال ايضا ما جئتم به السحر الاية وقد اصطلح على ظهوره انه ليس بفساد ولكنه صلاح ويكون قوله ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده ومن يكون له عاقبة الدار ما ذكر في سورة المص حيث قالوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال
سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون فقال عند ذلك ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن يكون له عاقبة الدار انهم
او نحن ويقول ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده جوابا لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد والله اعلم وقوله وقال فرعون يا ايها
الملأ ما علمت لكم من اله غيري كانه قال الملأ خصوصية لهم لانه كان اتخذ للاتباع اصناما يعبدونها وجعل للملأ عبادة نفسه و
الجنسة لما قدر الاتباع اهلا لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام ورأى الملأ اهلا لذلك ففيهم ومنه اتخذت الوثنية عبادة
الاصنام دون الله لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله وقالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقوله فاوقد لي يا هامان على
الطين فاجعل لي صرحا قال اهل التاويل اول من اتخذ الاجر هو ولا نعلم ذلك يحتمل ان يكون من قبل ذلك وقوله فاجعل لي صرحا اى
قصرا لعلي اطلع الى اله موسى كان يعرف انه ليس باله السماء والارض اذ لا يملك ذلك فكانه اراد بقوله علمت لكم من اله غيري
قومه واهله خاصة واني لاظنه من الكاذبين كان جميع ما كان بين موسى وفرعون من الكلام كان على الظن كقوله اني لاظنك يا موسى
مسحورا وكذلك قال له موسى واني لاظنك يا فرعون مثبورا وقوله واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق الاستكبار هو ان لا
يرى لنفسه شكلا ولا نظيرا وهو كذلك كان لا يرى لنفسه شكلا ولا نظيرا لانه يدعي لنفسه الربوبية والالوهية واستكباره ما به لما
استعبدهم بني اسرائيل واستعبدوهم او استكبروا ان يخضعوا لموسى ويجيبوا الله الى ما يدعوهم اليه وقوله وظنوا انهم الينا لا يرجعون
فاخذناه وجنوده اخذناه لنعذب واهلك فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعذبون بظلمهم وقوله وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار ذكر في هؤلاء انه جعلهم ائمة في الشر وذكر في الرسل واهل الخير انه جعلهم ائمة في الخير حيث قال وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات وما قال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير فكان من الله تعالى في اهل الخير صنع ومعنى حتى صاروا بذلك
ائمة الخير بما لم يكن ذلك منه باهل الشر وائمة السوء فهذا على المعتزلة لانهم يقولون لم يكن من الله الى الرسل وقادة الخير الا وقد كان
ذلك منه الى كل كافر وفاسق فلو كان على ما قالوا لكان لا يحتمل ان يصير هؤلاء ائمة الخير واولئك ائمة الشر فدل ذلك انه منه الى هؤلاء
معنى خصوا به لذلك ما ذكر ما لم يكن ذلك الى اولئك الا ان يقولوا ان هؤلاء صاروا ائمة الخير باعمالهم واولئك ائمة الشر باعمالهم
وان كان ما من الله اليهم على السواء لكن يضاف ذلك الى الله باسباب يكون منه وكانت حقيقة ذلك منهم وبعملهم نحو ما قال انما تنذر
من اتبع الذكر اضافه اليه ان الى من اتبع الذكر وان كان رسول الله ينذر من لم يتبع وكذلك ما قال في الشياطين انما يدعو حزبه وهو يدعو
الحزبين جميعا لكنه اضاف دعاءه الى حزبه لما منهم يكون له الاجابة واضاف انذار رسول الله الى من اتبع وخشي لطاعتهم له فعلى ذلك
الاول اضاف ذلك الى نفسه لفعلهم لكن عندنا لا يكون من الخلق في فعل الخلق حقيقة الفعل انما يكون منهم الاسباب ويكون من الله
في افعالهم الاسباب وحقيقة الفعل فيكون اضافة ذلك الى الله على حقيقة الفعل والاسباب جميعا والى الخلق الاسباب تكون
منهم اليهم والثاني انما خص بالانذار من اتبع الذكر لانه انما يقصد بالانذار لمن اتبعه لا من لا يتبعه وكذلك الشيطان انما يقصد
اياهم ضررهم وان كان الرسول ينذر الخلق جميعا الذي يتبعه والذي لا يتبعه وكذلك الشيطان يدعو الحزبين جميعا لان هذا يقصد
ضررهم بما يدعوهم اليه الا ترى انه قال يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير والرسول بما ينذر يقصد نفعهم لذلك خص الانذار لمن
اتبعه وخشي في دعائه وقوله ائمة يدعون الى النار ذكر هذا لانهم لو دعوهم الى النار لا يجيبونهم ولكن يدعونهم الى اعمال يوجب

لهم المنادلو اجابوهم وهو كقوله فما اصبرهم على المنادى ما اصبرهم على عمل يستوجبون به النار وقوله ويوم القيمة لا ينصرون كان الشفعا
ساهم النصر والشفاعة بعبادة الاصنام فيخبر انهم لا ينصرون لما ساهم وقوله واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة هو ما عذبوا فى الدنيا
واستوصلوا ويوم القيامة هم من المقبوحين قال بعضهم مسودون وجوههم وجايز ان يكون ذلك جزاء ما افتخروا فى هذه الدنيا
بالحلى والزينة وطعنوا فى موسى وعيروا بها حيث قالوا فلولا القى عليه اساورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين بجزائهم يكونون
فى الاخرة على غير الحال التى كانوا فى الدنيا وافتخروا بها وقال بعضهم المقبوح هو السواد مع الزرقة وقوله ولقد اتينا موسى الكتاب
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى من نحو عاد وثمود وهولاء الذى كانوا من قبل من الامم اى ارسلناه بعد هلاك من ذكر
بصاير للناس يشبه ان يكون قوله بصاير للناس اى هلاك من ذكر من القرون الاولى بصيرة وعبرة لمن يكون من بعدهم ليزجرهم
ذلك عن تكذيب الرسل ويكون ذلك اية لرسالة موسى والثانى يكون قوله بصاير للناس وهدى ورحمة اى الكتاب الذى اتاه
الله موسى هو بصاير وهدى ورحمة لهم اذا قبلوه واتبعوه وعملوا به وكذلك كان جميع كتب الله هدى ورحمة وبصيرة
لمن امن بها وعمل بها وجايز ان يكون هذا جوابا وصلة لقولهم ما سمعنا بهذا فى اباينا الاولين يقول والله اعلم انكم لو تسمعوا
ذلك فى ابائكم الذى اتبعوا رسلهم فاجابوهم فاما من كذبوهم فانا اهلكناهم بتكذيبهم الرسل واستاصلناهم والله اعلم
وقوله وما كنت بجانب الغربى قال بعضهم جانب الغربى حيث تغرب الشمس والقمر والنجوم والشرقى حيث تشرق وتطلع وقال بعضهم
جانب الغربى اى بجانب الوادى الغربى والله اعلم ما اراد به وقوله وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين
وما كنت ثاويا فى اهل مدين اى مقيما وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يحتمل وجوها احدها انك لم تكن شاهدا هذه المشاهد التى شهد
موسى حيث قضينا الى موسى الامر بجانب الغربى ولم تكن شاهدا هنالك وما كنت فى اهل مدين ثاويا حتى تعلم امر موسى وحينه وما
كنت بجانب الطور حيث نادينا موسى ونحوه اى لم تكن شاهدا هذه المشاهد التى كان موسى شاهدا فيها ثم اعلمنا لك تلك الانباء
والاخبار على ما كانت فتتلو تلك الانباء والاخبار على اهل مكة فتكون اية لنبوتك وحجة لرسالتك اذ لم تشهدها ولا اختلفت الى
احد ممن يعرفها فعلمك ثم اتيت على ما كانت ليعرفوا انك انما عرفت بالله تعالى والثانى يحتمل ان يذكر هذا له امتنانا عليه لتستديم
شكره لانه ذكر انه اوحى الى موسى وذكر محمدا وامته فى شرفهم حتى تمنى موسى ان يجعل من امته يقول والله اعلم لم تكن انت شاهدا
فى هذه المشاهد فذكرتك وامتك او ان يذكر هذا له على الاختصاص له ليعرف ان امر الرسل والوحى اليهم على الاختصاص لهم من الله لا
كان منهم على هذه الوجوه الثلثة يحتمل ان يخرج تاويل ما ذكر له وقال بعض اهل التاويل فى قوله وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب
الطور اذ نادينا يقول لمحمد لم تعاين هذا ولم تشهده وانما هو شى انزلناه عليك لتتلوه على اهل مكة وقوله ولكنا انشانا قرونا
فتطاول عليهم العمر هذا ليس بصلة بالاول ولكن على الابتداء يقول والله اعلم لكنا انشانا قرونا بعد انقراض الرسل ودروس
اعلامهم واثارهم وتطاول العهد والعمر ثم بعثنا فيهم رسولا يحيى به اثارهم ونظهر فيهم سننهم واعلامهم رحمة منا اليهم وهو ما
قال فى اخره ولكن رحمة من ربك اى ارسلناك اليهم رحمة منا لهم وهو ما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وان يكون قوله ولكن
رحمة من ربك اى ما انبائك واعلمك من انباء موسى واخباره حيث لم تشهدها من رحمة ربك حيث جعلها اية لنبوتك وحجة لرسالتك
والله اعلم وقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك هذا يحتمل وجهين احدهما لتنذر قوما ما انذر الرسل الذين من قبلك قومهم
والثانى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اى لم ياتهم نذير من قبلك لعلهم يتذكرون اى على رجاء التذكر تنذرهم او ان يكون
ذلك خاصة لمن تذكر اذا كان على الايجاب وقوله ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم لولا ينتظم الجواب فليس ما ذكر على اثره جوابا
له الا ان يقال ان قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة وذلك جايز فى اللغة كقوله ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
اى لم تقولوا ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقوله ولولا فضل الله عليه ورحمته لمسكم اى لم يمسسكم جميع ما ذكر فى هذه السورة من لو
لا كله انه لم يكن فعلى ذلك جايز ان يكون تاويل قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة اى لم تصيبهم مصيبة ولولا اصابتهم مصيبة و
هى العذاب فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو كقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
على هذا يخرج تاويل هذا ثم فى هذه الاية وفى قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله وجهان احدهما على من يقول بان ليس لله ان
يعذبهم بما كان منهم قبل بعث الرسل اليهم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفى الاية بيان ان له ان يعذبهم وان لم يبعث
لانه اوعدهم الهلاك فلو لم يكن له التعذيب والاهلاك لم يكن للوعيد فايدة ان لله الهلاك فى الدنيا والاستيصال لكنه اخر عنهم
فضلا منه ورحمة والثانى على المعتزلة فى قولهم الاصلح لانه لا يخلو اما ان يكون ما اوعدهم اصلح لهم من الترك او الترك لهم اصلح فان كان
ما اوعدهم فقد تركهم فيكون فى تركهم اياهم جايرا على قولهم لانه لم يفعل ما هو اصلح لهم فى الدين وان يكون الترك لهم اصلح فيكون بما
اوعدهم جايرا اذا اوعد بما كان غيره اصلح لهم مما اوعد فدل ما ذكرنا على ان ليس على الله حفظ الاصلح لهم فى الدين ثم قوله بما قدمت
ايديهم ليس الكفر نفسه العناد والمكابرة مع الكفر لان عذاب الكفر فى الاخرة ليس فى الدنيا لان الله تعالى ابقى كثيرا من الكفرة لم
يهلكهم ولم يعذبهم فى الدنيا ولكن انما اهلك واستاصل فى الدنيا من عاند وكابر الرسل فى الايات والحجج التى اتوها بهم واقاموها عليهم
على اثر سؤالكم منهم فعند ذلك اهلكهم واستاصلهم لا بنفس الكفر ثم معا كان له التعذيب قبل بعث الرسل لم يعذبهم ولكن
اخر عنهم الى ان بعث الرسل اليهم بالايات والحجج لينقطع به حجاجهم ومنازعتهم فضلا منه وان لم يكن لهم الاحتجاج عليه بقولهم

لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين يحتمل قوله فنتبع اياتك الايات التى يبعث بها الرسل بالايات وجايز ان يكون
قوله فنتبع اياتك يعنون بالايات الرسل انفسهم لانهم ايات لانفسهم وحجج والله اعلم وقوله فلما جاءهم الحق من عندنا جايز ان يكون
الحق الذى ذكر الرسول نفسه ويحتمل الحق الكتاب الذى انزل عليه والايات وقوله قالوا لولا اوتى موسى هذا يحتمل وجوها احدها قالوا
هلا اوتى محمد من انواع النعم من المن والسلوى وغيره من غير تكلف ولا تعب مثل ما اوتى موسى لو كان رسولا على ما يقول او ان يقولوا
لولا اوتى من الايات الحسيات الظاهرات من نحو اليد والعصا والحجر الذى كان ينفجر منه الماء والغمام وما ذكر من الضفادع والقمل والدم
والطوفان وغير ذلك مثل ما اوتى موسى او ان يقولوا لولا اوتى محمد القران جملة عيانا جهارا كان اوتى موسى التورية جملة عيانا
جهارا والله اعلم بذلك ما عنوا به ثم بين الله تعالى واخبر انهم انما يسالون ما سالوه سؤال العناد والمكابرة لا سؤال الاسترشاد وطلب
الحق حيث قال اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل اى ولم يكفر هولاء الذين سالوك الايات بما اوتى موسى يعنى اهل مكة لانهم كانوا
مشركين لم يؤمنوا برسول قط من قبل ويحتمل قوله اولم يكفروا اى اولم يكفر قوم موسى بعد سؤالهم الايات اذا اتاهم بها فعلى
ذلك هولاء يكفرون بما اوتيت والاول اشبه ثم قالوا سحران تظاهرا وقد قرا ساحران بالالف قال بعضهم ساحران موسى و
هرون وقال بعضهم موسى ومحمد وقال بعضهم عيسى ومحمد وقوله سحران بغير الالف كتابان لكنهم اختلفوا وقال بعضهم
التورية والانجيل وقال بعضهم الفرقان والتورية ونحوه وقال بعض اهل الادب اولى واقرب لانه ذكر التظاهر والتظاهر انما يكون بين
الانفس لا يكون بين الكتب تظاهرا اى تعاونا وقال بعض اهل الادب ايضا سحران بغير الف اولى لانه اراد به الكتابين الا يرى
انه طلب منهم بما قالوا اتيان الكتاب حيث قالوا فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما رد على ما قالوا وطالبوا منه لكن نقول
نحن لا يجب ان نختار احدى القراءتين على الاخرى لانه انما هو خبر اخبر عنهم انهم قالوا ذلك فمرة قالوا ساحران ومرة قالوا سحران
فاخبر على ما قالوا وكذلك قوله سيقولون لله وسيقولون الله بالالف وبغير الالف لا نختار احدهما على الاخر لانه خبر اخبر عنهم على
ما كان منهم فهو على ما اخبر والله وقال بعض اهل التاويل فى قوله لولا اوتى موسى قالت اليهود امر قريشا ان تسال ان يوتى
محمد مثل ما اوتى موسى يقول الله لرسوله قل لقريش يقولوا لهم اولم يكفروا بما اوتى موسى يعنى يهود وقالوا ساحران تظاهرا قال
قول يهود لموسى وهرون وهو ما ذكرنا اقرب والله اعلم وقوله وقالوا انا بكل كافرون ما اوتى موسى وما اوتى محمد على اختلاف
ما ذكرنا ثم قال قل يا محمد لقريش اهل مكة فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما من التورية والفرقان او التورية والانجيل
على اختلاف ما قالوا اتبعه ان كنتم صادقين فى زعمكم انهما سحران تظاهرا وانه مفترى ايتوا انتم من عند الله بكتاب اتبعه الى
ذهب اهل التاويل ووجه اخر يشبه ان يكون اقرب منه وهو ان قوله فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اى ايتوا بكتاب
من عند الله انه امركم بعبادة الاصنام والاوثان لانهم كانوا يعبدون الاصنام دون الله ويقولون الله امرهم بذلك ويقولون
هولاء شفعاؤنا عند الله وان عبادتهم اياها تقربهم الى الله زلفى ونحو من الكلام فيقول والله اعلم ايتوا بكتاب من عند الله
انه امركم بذلك هو اهدى منهما اى ابين منهما واوضح من هذين لان هذين انما جاءا بالنهى عن عبادة غير الله ومنعهما دونه لقوله
ايتوا بكتاب هو اهدى وابين مما منه من هذين ان كنتم صادقين ان الله امركم بذلك ويكون عبادتكم اياها ما تزعمون هذا جايز
ان يكون اقرب من الاول والله اعلم وقوله فان لم يستجيبوا لك فى اتيان ما تطلب منهم وتسال من الكتاب فاعلم انما يتبعون
اهواءهم بغير علم وهم كانوا يعلمون انهم انما يتبعون عبادة الاصنام وتحريم الحلال وتحليل الحرام اهواءهم ويجعلون هواهم هو
الامام اذ لا يؤمنون برسول حتى يكون لهم الكتاب ثم قال ومن اضل اى لا احد اضل ممن اتبع هواه على فراد منهم وعلم ان ليس احد
اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اى من غير بيان من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى والله اعلم ان الله لا يهدى قوما
يتبعون اهواءهم لا يتبعون الحجج والبراهين لا يهديهم ما داموا فى اتباع هواهم او لا يهدى القوم الذى ظلمة الحجج والبراهين و
الله اعلم وقوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون اختلف فيه قال قايلون هو القران ثم يخرج هو على وجهين احدهما
وصل القران بعضه ببعض حتى خرج كله موافقا بعضه بعضا مصدقا مجتمعا غير مختلف فان فرق فى الانزال على تباعد الاوقات وطول
المدد لعلهم يتذكرون ان مثل هذا لا يكون الا ممن يعلم الغيب ولا يعزب عنه شى ولا يغيب اذ لو كان هو ممن لا يعلم ذلك من كلام
المخلوق يخرج مختلفا متناقضا على ما يكون من كلام المخلوق فى تباعد الوقت وطول المدة مختلفا متناقضا والثانى وصل مواعظ
القران بعضها ببعض ومواعيده بعضها ببعض ووعده بعضها ببعض وكذلك اوامره ونواهيه وان تفرق نزولها واختلف
مواطنها يرعوهم لما يدعوهم به مرة بعد مرة لعلهم يتذكرون به ومنهم من يقول فى قوله وصلنا لهم القول اى الانباء واخبار
الامم الخالية نبا بعد نبا وخبرا على اثر خبر ما نزل بمكذب الرسل منهم من الهلاك والحدثان وبمصدق الرسل من النجاة والبقاء فى النعم الدايمة
على اثر ما منهم بذلك وعلم انه كان بهم ذلك لعلهم يتذكرون ذلك وينزجرون عن تكذيب رسولهم مخافة ان ينزل بهم بالتكذيب
ما نزل باولئك وجايز ان يكون قوله وصلنا لهم القول اى قول التوحيد ووجد هذا ان وصلنا التوحيد حتى جعلنا فى كل قوم
اهل توحيد لم نخل قوما ولا امة عنه كقوله ولكل قوم هاد وكقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق ونحو ذلك من الايات يدل
على ان كل امة وقرن اهل توحيد لعلهم يتذكرون ان فى ابائهم من قد امن بالرسل وصدق بهم ولا يقولون انا وجدنا اباءنا على ما هم عليه
فيشبه ان يكون هنا وصل القول الذى ذكر وصلنا القول قال ابو عوسجة والقتبى اى اتبعنا بعضه بعضا فاتصل عندهم وقال

بعضهم وصلنا اى بينا اتينا شيا فشيا حتى صار عندهم ظاهرا وقال ابو معاذ وصلنا في كلام العرب اتممنا كصلتك الشيء بالشيء م
وقوله الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وقال في اية اخرى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقال في اية اخرى فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هولاء من يؤمن به وقال يحرفون
الكلم عن مواضعه وامثاله يذكر هذه الايات من اهل الكتاب من لم يؤمن ويذكر في الاولى على الاطلاق ان الذين اوتوا
الكتاب من قبله هم به يؤمنون جايز ان يكون قوله الذين اتيناهم الكتاب واستقبلوا به هم يؤمنون به او ان يكون الذين اتيناهم
الكتاب فيتلونه حق تلاوته هم يؤمنون به على ما ذكر في اية اخرى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به و
اما من لم يتله حق تلاوته فلا يؤمن به فاما اهل التاويل فانهم صرفوا الاية الى قوم خاص من اهل الكتاب عبد الله بن سلام
واصحابه الذين اسلموا ويشبه ان يكون الاية في قوم خاص منهم الا ترى انه قال على اثره واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من
ربنا انا كنا من قبله مسلمين يذكر اهل التاويل انهم كانوا امنوا به قبل ان يبعث محمد فلما بعث ثبتوا على ذلك وامنوا به على ما كانوا امنوا
قبل وفيه دلالة ان الايمان والاسلام واحد لانهم قالوا امنا به وقالوا انا كنا من قبله مسلمين دل انهما واحد وكذلك قوله
فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهم واحد ذكر مرة الايمان ومرة الاسلام دل انهما واحد وقوله
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا هذا يحتمل وجوها ثلثة احدها يؤتون اجرهم مرة بالاسلام ومرة بما صبروا على زوال الرياسة
منهم وذهابها لانهم كانوا اهل رياسة ومنزلة وقدر فذهب ذلك كله عنهم بالاسلام فلهم الاجر مرتين لذلك والثاني يؤتون
اجرهم مرتين مرة بالاسلام ومرة بما صاروا قدوة وايمة لمن بعدهم يقتدون بهم احد الاجرين باسلام انفسهم والثاني
بدعايهم غيرهم اليه على ما يعاقب الروساء منهم والقادة ويضاعف العذاب عليهم مرتين مرة بضلال انفسهم ومرة باضلاله
غيرهم كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وجايز ان يكون ايتاء الاجر مرتين لما يصيرون ايمة
وقدوة لغيرهم في الخير ويضاف عليهم العذاب اذا صاروا ايمة وقدوة في الشر الا ترى انه قال في نساء رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وذلك والله اعلم بما يصرن ايمة لغيرهن
يقتدون بهن فهو ذلك الاول وجايز ان يكون يؤتون اجرهم مرتين بالاسلام نفسه ويكون الصبر كناية عن الايمان كقوله الا
الذين صبروا وعملوا الصالحات اى امنوا واسلموا واما اهل التاويل فانهم يقولون يؤتون اجرهم مرتين مرة بايمانهم بمحمد قبل ان
يبعث ومرة بايمانهم بعد ما بعث والاول اشبه وقال بعضهم يؤتون اجرهم مرتين بالصبر وامرة باسلامهم ومرة بما صبروا وحملوا على
اذى اولئك الكفرة ولم يكافوهم بل خاطبوهم بخير حيث قال سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وروى في بعض الاخبار عن نبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل امن بنبيه ثم اذا بعث نبي اخر امن به ومملوك لرجل يخدمه ويحسن خدمته ويعبد ربه و
رجل ذو جارية ثم اعتقها فتزوجها وقوله ويدرءون بالحسنة السيئة هذا يحتمل وجهين احدهما يحسنون اليهم بعد ما اساءوا اليهم وايذائهم
اياهم على ما كانوا يفعلون ويصنعون اليهم قبل ذلك والثاني يدرءون بالحسنة السيئة اى يعفون عن اذاهم ولا يكافونهم فيكون
كقوله خذ العفو وامر بالعرف الاية والاول كقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله ومما
رزقناهم ينفقون اى ينفقون في حق الله وسبيل الخير والاول كافر ينفق كقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح
فيها صر الاية وقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه هذا ايضا يحتمل وجهين اذا سمعوا منهم من الكلام من كلام اللغو والاذى والفرية
اعرضوا عنه اى لم يكافوهم لاذاهم والثاني اذا سمعوا ما يلغون به من الباطل اعرضوا اى لم يخالطوهم فيما هم فيه فليسوا هم لا
ينهون ولا يمنعونهم عن ذلك اذا راوا النهي ينجع فيهم واذا راوا لا ينجع فيهم فعند ذلك اعرضوا عنه وهو كقوله واذا مروا باللغو
مروا كراما وقوله وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يقولون هذا لهم اذا لم ينجع النهي والموعظة ولم يقبلوا ذلك عند ذلك يقولون
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اى لكم جزاء اعمالكم ولنا جزاء اعمالنا وكذلك قوله لكم دينكم ولي دين لم يقل هذا لهم في ابتداء الدعاء ولكن
بعد ما ايس عن ايمانهم واجابتهم فهو ذلك لا اول وقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين هذا يشبه ان يخرج على وجهين احدهما على
القول منهم بالسلام عليهم انهم كانوا لا يخاطبون الجهال ولا يخالطونهم الا بالسلام خاصة بهذا القدر يخالطونهم حسب والثاني ليس
على حقيقة قول السلام عليهم ولكن على الصلح وترك المكافاة لهم وتركهم اياهم على ما هم عليه اذ السلام هو الصلح والله اعلم
وقال بعضهم ردوا عليهم معروفا لا نبتغي الجاهلين يعنون لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وقوله انك لا تهدي من احببت
ذكر اهل التاويل انه هذا نزل في ابي طالب عم النبي وذلك ان ابا طالب قال يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا
فقال له النبي عليه السلام تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة في
اخر يوم من الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكن اكره ان يقال خرع عند الموت
ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك واحتمل غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة
وجدك ونصيحتك ولكن سوف اموت على ملة الاشياخ فلان وفلان فانزل الله في ذلك انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء فهو على المعتزلة لانهم يقولون ان الهدى البيان ولو كان بيانا على ما يقولون لكان رسول الله يقدر اى يبين
له وقد بين لكن الجبائي يحتج لهم فيتاول ويقول ان رسول الله كان يحرص ان يدخله الجنة فيقول انك لا تهدي طريق الجنة

له حتى تدخلها او كلام يشبه هذا وذلك بعيد وقال جعفر بن حرب هذا ليس في ابتداء الهداية ولكن في اللطائف التي تخرج مخرج
الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في البدء والالف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى الاية فيخبر انك لا تملك الهداية اللطيفة
التي تخرج مخرج الثواب ان تهديهم فيقال له اخبرنا عن تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في الا
ينفع لهم دون الابتداء فان قالوا نعم فيقال لهم فذلك عليه ان يفعل بهم اذ من قولهم ان عليه ان يعطي كل كافر ما ينفعه
ويصلح له في دينه فكيف منع ذلك وذلك ينفعهم والثاني يقال لهم ان تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم واللطائف
على ما كان منهم في الابتداء يستوجبها او لا يستوجبها فلا معنى للنفي على قولهم لانهم يقولون ان على الله ان يعطي ذلك وان كان
لا يستوجبها فلا معنى لنفي له ولكن الله يهدي من يشاء على قولهم فيبطل الاحتجاج به على قولهم وعندنا زيادة الهداية
وابتداؤها سواء وهو على ما اخبر رسوله انه لا يهديه ولكن لو كان كل الهداية بيانا على ما قالوا لكان قد بين لهم فدل ذلك انه ان
ثم هداية سوى البيان عند الله اذ المعطي لعبده يصير بها مؤمنا وهو التوفيق والعصمة والسداد وذلك لا يملكه رسول الله
انشاء ذلك وابتداعه بل الله هو المالك بذلك وقوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا دل قولهم ان نتبع
الهدى معك هو على انهم عرفوا ان ما جاء به رسول الله ويدعوهم اليه هو الهدى حيث قالوا ان نتبع الهدى معك وقوله
نتخطف من ارضنا يخرج قولهم هذا على وجهين احدهما اى نهلك ونفنى جوعا اذا خالفنا اهل الافاق في الدين لان ارزاقهم وما
قوام ابدانهم انما يحمل ويجاء من الافاق فيقولون انا اذا اتبعنا الهدى معك وخالفناهم في الدين اي اهل الافاق منعونا الميرة فن
نهلك ونموت جوعا فذلك تخطفهم من الارض والثاني قالوا ذلك مخافة ان يغزوا ويسبوا ويقتلوا اذا خالفوا اهل الافاق والا
في الدين واتبعوا الهدى مخافة الاسر والقتل فاجابهم الله ورد عليهم اعتلالهم في الوجهين فقال اولم نمكن لهم حرما امنا
يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا يقول والله اعلم انا جعلناهم في الحرم امنين وما ياتي اليهم من انواع الثمرات باللطف لا بموافقة
الدين الا ترى انهم مع موافقة الدين كانوا يتخطفون الناس منهم حيث قال في اية اخرى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف
الناس من حولهم اخبر انهم مع موافقتهم في الدين يتخطفون دل انه انما جعل لهم الحرم امنا والميرة اليهم باللطف لا بالموافقة في
الدين حتى لا يتعرض لاهل الحرم في الحرم ولا خارجا منه ولا يتعرض ايضا من دخل الحرم بشيء ليعلم انه انما كان كذلك باللطف من الله
لا بالموافقة في الدين والثاني انهم كانوا يعبدون الاصنام دون الله فيه لا يمنعهم الرزق ويؤمنهم فيه فلا يفعل ذلك بهم
عند عبادتهم الله وتركهم عبادة غيره احق ان يرزقوا ويامنوا فيه وقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء قال اهل التاويل ثمرات كل
شيء اي من كل جنس ونوع من الثمرات يجبى اليه وظاهره ان يجبى اليه من كل شيء ارفعه وانفعه وذلك ثمرته لان ثمرة كل شيء ار
وانفعه يقال ثمرة الشيء كذا وثمرة هذا الكلام كذا اى ما ينتفع من هذا هذا والله اعلم وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون اى ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان ما يحمل اليهم من الافاق ويجبى اليه من الثمرات والاطعمة انما هو باللطف لا بموافقة الدين وكذلك لا يعلمون ان
امنهم فيه باللطف لا بموافقة الدين والله اعلم وقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها قال بعضهم كفرت معيشتها وقال
بعضهم لم ترض معيشتها وفيه اضمار في بطرت معيشتها فانتصب لانتزاع حرف في وتاويله والله اعلم اى كم اهلكنا من قرية
بطر اهلها في معيشتها حتى لم يروا شكر ما انعم عليهم وجعلوا عبادتها لغير الذي جعل لهم السعة والرخاء فانتم يا اهل مكة م
اذا بطرتم واشرتم في سعتكم وخصبكم تهلكون كما اهلك من كان قبلكم وهو كما قال فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء
الاية وقوله فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من القريات قريات اذا اهلك اهلها اسكن غيرهم نحو قريات فرعون وغيره
جعل مساكنهم لبني اسرائيل حيث قال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض الاية وقوله واورثناها بني اسرائيل كذا
ومن القريات ما جعلها خربة معطلة لم يسكن غيرهم فيها نحو قريات لوط وغيره وقوله وكنا نحن الوارثين اى الباقين والوارث
هو الباقي في اللغة على ما ذكرنا انفا في غيره موضع وقوله وكنا نحن الوارثين يخرج على وجهين في هذا احدهما اخبار عن هلاك اهل الاد
وفنائهم ويبقى هو كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها والثاني اخبار عن هلاك اولئك وجعلها
لغيرهم ان المتقين كقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والله اعلم قال ابو عوسجة نتخطف من ارضنا
اى نوخذ وقوله يجبى اليه من الجباية اى يجمع يقال جبيت اجبي جباية وجبيا وجبي يجبي اي جاز يجوز بطرت معيشتها اي لم ترض م
معيشتها وقال القتبي اى اشرت وقوله في امها رسولا اى في اكثرها واعظمها قدرا وهي مكة والنبي منهم والكتاب انزل عليهم وقالوا لا
وانها كلمة لا يتكلم بها احد يعنون بالكسر وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا جايز ان يكون تلك القرى
التي اخبر انه غير مهلكها حتى يبعث في امها رسولا القريات التي هي حول مكة لا يهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا فيل
في اعظمها وهي مكة رسولا يتلو عليهم اياتنا فان كان هذا فيكون الاهلاك الانتزاع من ايديهم وجعلها في ايدي اهل الاسلام
على ما كان لان الله كان يفتح على رسوله قرية فقرية وبلدة فبلدة حتى جعل الكل في ايدي المسلمين وهو ما قال ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله وهو وعد فتح مكة وذلك اهلاكهم والثاني جايز ان يكون هذا
في كل القرى وجميع الرسل انه كان لا يهلكها بالكفر نفسه حتى يبعث في اعظمها واكبرها وهي المصر رسولا يتلو عليهم اياته وذلك يشبه
كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر بعث الرسول في امها لانه اذا بعث الرسول في اعظمها وهو المصر ينتشر وينتهي الى

الاملاق والصغار منها والقرى لما انهم يدخلون المصر لحوائجهم فيتهيأ للرسول تلاوة الايات عليهم والدعاء لهم واذا كانوا في بعض
القرى لا يتهيأ لهم ذلك والله اعلم وقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي معاندون مكابرون لا نهلكهم اهلاك تعذيب
بنفس الكفر في الدنيا حتى يكون منهم العناد والمكابرة انما يعذبون عذاب الكفر في الاخرة وهو عذاب الابد وقوله وما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى اي انهم كانوا يتفاخرون بما اوتوا من السعة ومتاع الحيوة الدنيا واهل الزهد والتقوى
اثروا الباقي في الموعود في الاخرة على متاع الحيوة الدنيا وزينتها ولذلك قال افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع
الحيوة الدنيا فجواب هذا ان يقال بل الموعود الحسن الملاقي بالذي له عاقبة خير من المتاع الفاني الذي ليست له عاقبة لكنه لم يذكر
جواب فجوابه ما ذكرنا ان كل استفهام كان من الله فهو على الايجاب في الحقيقة ليس على الاستفهام وقوله ثم هو يوم القيمة من المحضرين
اي يحضرون في النار وقيل من المحضرين اي المعذبين وكلاهما واحد وقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون قوله شركائي
الذين في زعمكم انهم شركائي حيث اشركتموهم في العبادة وتسمية الالوهية والا لم يكن لله شريك فيقول اين شركائي الذين زعمتم انهم
شركائي ثم قوله اين شركائي انما يقال لهم لقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول اين شفعاؤكم
من زعمتم انهم شفعاؤكم عند الله واين قربتكم وزلفاكم بعبادتكم اياها حيث زعمتم ان عبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى اين ذلك
لكم منهم وقوله قال الذين حق عليهم القول يحتمل قوله حق عليهم القول القول الذي قال لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ويجوز ان
يكون قوله حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب كقوله واذا وقع القول عليهم اي وجب العذاب عليهم وكقوله ووقع القول عليهم بما ظلموا
اي وجب العذاب عليهم بالظلم او نحوه ثم اختلف في الذين حق عليهم القول فمنهم من يقول هم رؤساء الكفرة وائمتهم الذين اضلوا اتباعهم
الى الضلال ومنهم من يقول هم شياطين الجن وللفريقين جميعا في الكتاب ذكر قال في ائمتهم اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقال قالت
اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا وامثال هذا كثير وقال في شياطين الجن ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
وقال احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية ونحوه كثير ايضا وقوله ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا يقولون اغويناهم كما غوينا
يعتذرون انه لم يكن منا اليهم الا الدعاء والاشارة الى الغواية وهو كقول ابليس اللعين وخطبته يومئذ حيث قال وقال الشيطان
لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الاية فعلى ذلك هؤلاء يقولون لم يكن منا اليهم سوى الدعاء بلا برهان ولا حجة فاتبعونا فلا
تلومونا ولوموا انفسكم حيث تركتم اجابة الرسل ومعهم براهين وحجج واجبتمونا بلا حجة ولا برهان فاغويناكم كما غوينا ولو كنا
على الهدى لهديناكم كقولهم لو هدانا الله لهديناكم وقوله تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون انما تبرؤوا انا لم نامرهم بالعبادة لنا والا
كانوا عبدوهم ثم ان للمعتزلة ادنى تعلق بهذه الاية لانهم يقولون انما اضافوا الغواية الى انفسهم حيث قالوا اغويناهم كما غوينا دل
ان الله لا يغوي احدا فيقال لهم انا لا ننفيه ولا نجيز اضافة الغواية الى الله فيما يخرج مخرج الذم له وانما نضيف فيما يخرج مخرج المدح
والثناء عليه ثم قد اضاف ابليس الغواية اليه ولم ينكر عليه حيث قال رب بما اغويتني في غير موضع وقال يضل من يشاء ونحوه كثير
في القران فما خرج مخرج المدح له والثناء عليه يضاف اليه وما خرج مخرج الذم له فلا وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم وقوله
حق عليهم القول يوم قال لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ثم قالت الشياطين في الاخرة ربنا هؤلاء الذين
اغوينا يعنون كفار بني ادم هؤلاء الذين اضللناهم عن الهدى كما ضللنا تبرأنا اليك يا رب ما كانوا ايانا يعبدون تبرأت الشياطين
ممن كان يعبدها فقالوا لم نامرهم بعبادتنا وقيل للكفار بني ادم ادعوا شركاءكم يقول سلوا الالهة التي سميتموها الهة ام الهة
تدعوهم اي سالوهم فلم يجيبوهم الالهة بانها الهة وقوله اين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا ان معي شركاء على ما ذكرنا من
قبل والله اعلم وقوله وقيل ادعوا شركاءكم يحتمل شركاءكم في الخلقة اي شركائكم في العبادة ادعوهم ليشفعوكم ويقربوكم الى الله على
زعمتم في الدنيا فدعوهم فلم يستجيبوا لهم لما لم يجعل في وسعهم الاجابة لهم واجيبا كاينا في الاخرة وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
اي لو راوا العذاب في الدنيا لكانوا يهتدون ولكن لم يروه هذا وجه ووجه اخر انهم لم يصدقوا بالعذاب في الدنيا ولو صدقوا لا
هتدوا والمخافة نزول العذاب بهم والثالث لو انهم كانوا مهتدين في الدنيا ما راوا العذاب في الاخرة والله اعلم وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا
اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء اختلف فيه قال قائلون انما يسالون عن اجابتهم الرسل ماذا اجبتموهم على علم منه انهم ماذا اجابوهم
فعميت عليهم الانباء اي الاجابة فلم يتهيأ لهم الاجابة لهول ذلك وفزعهم وقال بعضهم انما يسالون عن الحجة والعذر الذي به تركوا
تركوا اجابة الرسل فيقول لهم لاي حجة وعذر تركتم اجابتهم فعميت عليهم الانباء اي الحجج والعذر لما لم يكن لهم الحجة والعذر في تركهم
اجابتهم فهم لا يتساءلون قال بعضهم لا يسال بعضهم بعضا بل يتبرأ بعضهم من بعض ويكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا على ما ذكر
في الكتاب وقال بعضهم لا يتساءلون بالانساب يومئذ كما كانوا يتساءلون في الدنيا كقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون والله اعلم بذلك ثم ان بعض المعتزلة تكلم فيه وقالوا لو كان الامر على ما يقوله القدريون والجبريون في المشيئة والارادة
لكان يسهل لهم الاحتجاج ويهون لهم العذر فيقولون يا ربنا اجبناهم ما نفذ من مشيتك وارادتك وما مضى من قضائك وكتابك
علينا اذ كنت انت قضيت وكتبت علينا او شئت واردت ما كان منا من التكذيب لهم وترك الاجابة فلم يكن لنا تخلص مما شئت
وقضيت علينا الى هذا الحال نذهب جعفر بن حرب وهذا منه تعليم لاولئك الكفرة الحجاج بالباطل والكذب بين يدي رب العالمين
للتكذيب الذي كان منهم ثم يقال لهم لو كان لهم ذلك الحجاج على زعمكم فان يكون ذلك لهم يقولوا ولكن انما يكون بكتاب الله وسنته

رسوله وقول المسلمين اجمع حيث قالوا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وبكتاب الله ما ذكر في غير آي من القران يهدي من يشاء وقوله
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله ولو شاء ربك لامن من في
الارض كلهم جميعا الاية وامثاله مما لا يحصى من الايات [illegible]

[illegible]

الخيرة وقد ذكرنا ان قوله ويختار ما كان الخيرة من امرهم انه يخرج على وجهين احدهما انه الاختيار في امرهم و
ان يكون هو ما يختار لهم دفعه والثاني هو يختار لهم الخيرة في امرهم لانه هو العالم بمصالح امورهم وما يرجع الى الادنى والاخرة
هم لا يعرفون ذلك فعلى ذلك قوله له الحكم في الدنيا والاخرة لان انفس الخلق له دونهم فله الحكم في امورهم وافعالهم كله
الحكم في احوالهم لانه لا يلحقه الخطاب في حكمه اذ هو عالم بما تركه ولا يلحقه التهمة ايضا في دفع مضرة او جر نفع لانه غني بذاته
فله الحكم في الدارين جميعا والله الموفق وقوله له الحمد في الاولى والاخرة يخرج على وجوه احدها ما قاله اهل التاويل ان
اولياءه يحمدونه في الدنيا والاخرة في الجنة حيث قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية وقولوا اذا دخلوا الجنة الثاني وقال
بعضهم في الاولى والاخرة يقول في السموات والارض وتصديقه قول الله وله الحمد في السموات والارض وقوله ايضا يسبح لله
ما في السموات والارض وقوله تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن والثالث له الحمد في الاولى والاخرة وهو ان جعل الدنيا
مشتركة بين الاعداء والاولياء في نعمها غير مفترقة ومختلفة واما الاخرة فقد فرق فيها بين الاولياء والاعداء فجعل للاولياء
النعم الدائمة وللاعداء العذاب الدائم فله الحمد على ذلك والرابع له الحمد في الاولى والاخرة لما جعل الدنيا دار المحنة والاخرة دار
الجزاء لم يجعلها دار المحنة او ان يكون قوله له الحمد في الاولى والاخرة اي له الحمد من الخلق في كل حال وكل وقت كقوله فخر

دعواهم ان الحمد لله رب العالمين انهم يحمدونه في بدء كل امر وختمه او ان يكون له الحمد وقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيمة او ان جعل النهار سرمدا اي دائما لا ليل فيه الى اخر ما ذكر من قوله افلا تسمعون وافلا تبصرون يخرج ذكره لوجهين احدهما
في تسفيههم في صرف العبادة وبالشكر الى الاصنام التي كانوا يعبدونها على علم منهم انها لا تملك شيئا مما ذكر من جعل الليل نهارا
وجعل النهار ليلا وتركهم عبادة من يعرفون انه يملك ذلك كله وكذلك ما ذكر في اية اخرى حيث قال افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني
الله بضر هل هن كاشفات ضره الاية يقول والله اعلم فاذا لا يملك ما تعبدون من دون الله دفع ضر اراده الله بي وجعله رحمة اراد ها
الله وجعله ضرا فكيف تعبدونها وتتركون عبادة من يملك جعل هذا وهذا ودفع هذا بهذا يعني ذلك يقول والله اعلم كيف تعبدون
من لا يملك جعل الزمان كله ليلا دائما لا نهار فيه وجعل النهار نهارا كله دائما لا ليل فيه وتتركون عبادة من يملك ذلك كله يجعل
وقت الراحة والقرار دائما في يذكرهم عظيم نعمه ومنته حيث انشأ هذا العالم محتاجا الى ما به قوام انفسهم وابدانهم في دينهم ودنياهم
ثم جعل ذلك كله على التعاون والتظاهر بعضهم بعضا ما لو جعل ذلك على غير ذلك لا يقوم انفسهم وابدانهم بذلك حيث جعل الليل
وقت الراحة والسكون والنهار وقت التقلب والتعيش ولو كان ذلك وقت الراحة لا يقوم انفسهم ابدا التعيش والكسب ولو
كان كله وقت التقلب والكسب لا راحة فيه لا تقوم ايضا انفسهم بذلك لكنه من رحمته وفضله جعل لهم وقت الراحة انما جعله
للكل لا لبعض دون بعض وكذلك ما جعله وقت التقلب انما جعله لذلك للكل لا لبعض دون بعض يقوم لهم اسباب التعيش
وما به قوام انفسهم وابدانهم ولو كان ذلك كله وقتا لاحدهما لم يقم انفسهم ولا بقي هذا العالم الى الوقت الذي جعل له البقاء الى
ذلك الوقت وهو ما ذكر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وقوله افلا تسمعون
وافلا تبصرون انما هو سمع عقل وقلب وبصر عقل وقلب كانه يقول افلا تسمعون هذا بالعقل وافلا تبصرون بالعقل و[illegible]
كقوله فانها لا تعمى الابصار الاية وقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون قد ذكرناه وهذه الايات
التي يكررها ويعيد مرة بعد مرة من قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وقوله ويوم يناديهم اين شركاءي الذين
كنتم تزعمون وقوله وقيل ادعوا شركاءكم وامثال ذلك مما يكثر على علم منه انهم لا يصدقونها ولا يقبلونها ولا يستمعون
اليها وان كررت واعيدت غير مرة فهو والله اعلم يخرج على وجهين احدهما لزوم الحجة لما مكنهم او الاستماع والسماع وان
كانوا لا يستمعون اليها والثاني يكون فيه عظة للمؤمنين من وجوه احدها الشكر على ما عصموا من عبادة غير الله و[illegible]
عبادة الله المستحق لها ليعرفوا عظيم نعمه عليهم والثاني ليحذروا عاقبتهم في الرجوع الى ما هو عليه اولئك الكفرة على
ما هم والرسل والانبياء وان اولوا العصمة خافوا عاقبتهم في الرجوع الى ذلك كقوله ابراهيم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وامثاله
كثيرا والثالث تحرز المعاملة بلا تعاملوهم في العمل كما عامل اولئك في الاعتقاد لان المؤمنين وان خالفوهم اولئك الكفرة
في الاعتقاد في الاشراك غيره في العبادة فربما يوافقونهم في العمل فكررت هذه الانباء والايات عليهم واعيدت مرة بعد مرة [illegible]
ان كان اولئك لا يستمعون اليها من الوجوه التي ذكرنا والرابع كررت غير مرة لما لعلهم لا يغفلون في وقت ويغفلون في وقت
فيغفلون لو كررت لعلنا اذكرت واعيدت لئلا يقولوا انها لم تعد [illegible] والله اعلم وقوله ونزعنا
من كل امة شهيدا فقيل شهيدها رسولها كقوله اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا ويحتمل
سمي شهيدا لانه يشهد على ما عملوا وحضر ما كان منهم والله اعلم من التكذيب والقبول والرد فقلنا هاتوا برهانكم
في تسميتكم الاصنام الهة وفي استحقاقها العبادة او في زعمكم هولاء شفعاؤنا عند الله [illegible]
وحجتكم على ما زعمتم وقوله فعلموا ان الحق لله هذا ايضا يحتمل وجوها احدها علموا ان الالوهية له والربوبية له وعلموا ان
الشفاعة لله لا للاصنام التي عبدوها انهم يكونوا شفعاء عند الله كقوله قل لله الشفاعة جميعا او ان يكون الحق الذي لله
عليهم هي العبادة له او ان يكون ما جاءت به الرسل من الحق انما جاءوا من عند الله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ضل عنهم ما كانوا
يأملون من عبادتهم تلك الاصنام من الشفاعة والزلفى وقوله ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم كان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ونقمته

ونقمته كقوله اهل مكة نحن اكثر اموالا واولادا وقال بعضهم بغى عليه لان النبوة جعلت في موسى والحبورة في هرون ولم يجعل له
لقارون شيء فاعتزل عن موسى واتبعه ناس كثير فاعتدى عليه ونحو هذا كثيرا مما قالوا والاشبه ان يكون بغيه الذي ذكر عليه
كبغي فرعون وهامان عليه حيث قال ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان فقالوا ساحر كذاب وقوله
وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الايات فكان منه ما كان من فرعون وهامان من
التكذيب والرد لرسالته وتسميته ساحرا كذابا فذلك هو البغي عليه ولا يفسر البغي عليه لانه ذكر البغي ولم يبين ما ذلك البغي
والله اعلم بذلك وقال قايلون بغيه عليهم هو ان زاد في ثيابهم شبرا فذلك ايضا لا نعلمه فهو مثل الاول وقوله واتيناه
من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة قال بعضهم مفاتحه خزائنه وقال بعضهم مفاتحه جمع مفتاح وهي
في الاصل مفاتيح وذكر ان كنوزه كذا كذا الفا وان مفاتيحه كانت كذا وكذا بغل وانها من جلود كذا او من كذا قدر كذا فذلك مم
ايضا لا نعلمه ولا نفسره ولا نذكره الا قدر ما ذكر في الكتاب انه ذكر في الكتاب الكنوز والمفاتح وذكر ان العصبة تنوء بها وذلك
لكثرة ما ذكر ولكن لا نعلم قدره وعدده ما هو ولا كم هو وذلك العصبة ايضا لا نعلمه كم عدده الا ان اهل التاويل يقول
بعضهم من عشرة الى اربعين ويقول بعضهم من عشرة الى خمس وسبعين وبعضهم من عشر الى خمس عشرة ونحن نفسره ولا نذكر
عدده سوى انه اسم جماعة يتعصب بعضهم بعضا وينصر بعضهم بعضا يرجعوا جميعا الى امر واحد وكذلك الشيعة هي جماعة يتشيع
بعضهم بعضا ولذلك قال اخوة يوسف لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي يتعصب بعضنا لا ندعه يأكله ولئن لم نفعل
ولم نحفظه انا اذا لخاسرون وقوله لتنوء بالعصبة اختلف فيه قال بعضهم لتثقل بالعصبة تلك المفاتح وقال القتبي لتنوء
اي تميل بها العصبة اذا حملتها من ثقلها وقال ابو عوسجة لتنوء بالعصبة اي تعجز العصبة عن حملها وقال بعضهم تنوء
تثقل والعصبة جماعة وقوله اذ قال له قومه لا تفرح قال بعضهم لا تبطر ولا تأشر ان الله لا يحب البطرين الاشرين وجائز
ان يكون قوله لا تفرح اي لا تفتخر على الناس بما اتاك الله من المال ولا تتكبر عليهم او لا تفرح لا تسكن اليها ولا تركن الى ذلك ان الله
لا يحب من دون وقوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة كان كثرة ما اتاه الله من المال انسته الاخرة وشغلته عنها وحمل
لما حمله ذلك على الجحود والانكار فقال وابتغ الدار الاخرة بما اتاك الله ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس من مالك
وبكى تقدم الاخرة قال الحسن في قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا الى الاخرة كان امران يأخذ من ماله قدر عيشه ويقدم
ما سوى ذلك الاخرة وكذلك قال في قوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اي قدم الفضل وامسك ما يبلغك واحسن كما احسن
الله اليك قال يكفيك ما احل الله لك من الدنيا فان فيه غناء وكفاية واصله ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لك من الدنيا ما اكلت ولبست وافنيت وما تصدقت جعل المقدم من الدنيا لك واما ما خلفته فهو لغيرك وهكذا ان الدنيا
لم تخلق للدنيا لتبقى اهلها فيها ولكن ما خلقت لتفنى هي ويفنى اهلها وخلقت الاخرة للبقاء فنصيبه من الدنيا ما قدم وانفق
في طاعة الله وفي سبيله ليس ما خلفه في هذه الدنيا وقوله واحسن كما احسن الله اليك يحتمل قوله احسن الى نفسك في
ليس بوجوه كما احسن الله اليك واحسن الى الخلق كما احسن الله اليك وقوله ولا تبغ الفساد في الارض هذا يدل انه كان
ينفق في الصد عن سبيل الله حيث قال ولا تبغ الفساد في الارض ولو كان في ترك الانفاق لم يكن في ذلك بغي الفساد في
الارض ثم الواجب على من حضر الملوك وشهد مجالسهم من اهل العلم ان يخوفوا الملوك ويواعدوهم بما اوعد قوم موسى قارون
وخوفوهم ويامروهم بالصلاح في انفسهم وفي رعيتهم كما امر اولئك قارون وينهونه كما نهاه اولئك فان اجابوهم والا اشتغلوا
عنهم وكفوا انفسهم عن الاختلاف اليهم فان لم يفعلوا فهم شركاؤهم في جميع ما يفعلون والله اعلم وقوله قال انما اوتيته على علم عندي
اختلف فيه قال بعضهم ان قارون كان اقرا الناس بالتورية واعلمهم بها وسمي قارون لذلك وذكر انه سمي المنور لحسن صوته بالتورية
قال بعضهم سوى ذلك والله اعلم وقال بعضهم قوله انما اوتيته على علم عندي وهو الكيميا ذكر انه كان يعالج صنعة الذهب و
وقال انما اوتيته على علم عندي اي على خير عندي قال ذلك على اثر قول اولئك ولا تنس نصيبك من الدنيا الى قوله ولا
تبغ الفساد في الارض كانهم اوعدوه بذهاب ذلك عنه وهلاكه فقال والله اعلم انما اوتيته ذلك على علم عندي لم اوتيه الا
بلا سبب وكانه قال الله اعلم بشيء لا احق بما اوتي من المال والكنوز وترك الانفاق في الخير كان ينفق في صد الناس عن سبيل الله
ولذلك قال ولا تبغ الفساد في الارض وانه كان عارفا بالله حيث قالوا له وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة وقالوا ان الله لا
يحب المفسدين دل هذا منهم انه كان عارفا بالله وقوله اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ذكر
هذا والله اعلم لما انه كان يفتخر ويتكبر على الناس بما اوتي من الاموال والكنوز والاتباع ويحسب انه يدفع العذاب الموعود في
هذه الدنيا بذلك عن نفسه او يظن انه لما اوتي ذلك لا يعذب كظن اولئك الكفرة حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
فجائز ان كان من قارون من الاعجاب بالكثرة والجمع ما ذكر باولئك فقال عند ذلك اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من
القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ثم لم ينجهم ذلك عن دفع ما نزل بهم من العذاب فعلى ذلك انت يا قارون والله اعلم وقوله
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون اختلف فيه قال بعضهم لا يسألون عن ذنوبهم كقوله يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي
والاقدام وقال بعضهم لا يسأل هذه الامة عن صنيع مجرمي الامم الخالية وجائز ان لا يسألهم عن ذنوبهم لانهم لا يردون مما يعلمون

من الاعمال ذنوبا ولكن انما يسألون عن الدليل الذي به لا يرون تلك الاعمال ذنوبا والله اعلم وقوله فخرج على قومه في زينته قال عامة
اهل التأويل انه خرج على بغال شهب ومعه كذا وكذا من الجواري على كذا وكذا بغال شهب عليهن من الثياب كذا وقال بعضهم انه خرج
على براذين كذا بيض مع كذا وكذا غلمان وجوار ونحو ما ذكروا لكنا لا ندري على اي زينة خرج ولكنا نعلم انه خرج على الزينة التي يخرج
امثاله من الملوك ولا نفسر انه كذا على كذا وكذلك لا نفسر العلم الذي ذكر انه اوتي ما اوتي له من المال والكنز انه كان عنده كذا من
العلم والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله وقال الذين اوتوا العلم اي اوتوا منافع العلم ان فيه لوتي العلم ربما
ولا يوفق من الانتفاع له به ما اوتي هؤلاء حيث قالوا لاولئك ويلكم ثواب الله لمن امن وعمل صالحا لم يكن من اولئك الا التمني ان يؤتوا
مثل ما اوتي قارون ثم نهاهم الذين اوتوا منافع العلم والانتفاع به عن ذلك التمني فدل ذلك ان التمني لا ينبغي فيما لا ينبغي الا
شتغال به والطلب حيث قالوا لهم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وما يلقيها الا الصابرون اختلف في قوله ولا
يلقيها كيف ذكره بالتأنيث وانما تقدم له ذكر ثواب فالاول وما يلقيه لكن اختلف فيه قال بعضهم وما يلقيها كناية عن تلك المقالة
التي كانت من اولئك الذين اوتوا العلم لاولئك الذين يريدون الحيوة الدنيا اي ما يلقى تلك المقالة التي قالوها لاولئك الا
الصابرون وقال بعضهم لا ولكن ذلك كناية عن الاعمال اي وما يلقى تلك الاعمال ولا يوفق الا الصابرون وقال قائلون لا ذكر
يلقيها كناية عن الدار الاخرة يقول وما يلقى تلك الدار الا الصابرون قال ابو عوسجة والقتبي ولا يلقيها اي لا يوفق ويقال
لا يرزق والصابرون يحتمل المؤمنين نفسه كقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
ان سوا ويحتمل الصابرون الذين صبروا انفسهم وحبسوها على اداء ما افترض الله عليهم ولم يولوا انفسهم شهواتهم وهواها والله
اعلم ثم كان في قوم موسى خصال ثلاثة لم يكن تلك ولا امثالها في غيره من الامم احدها ما ذكر من صلابة الذين اوتوا العلم وبقيتهم و
طمانيتهم فيما وعدوا في الاخرة من الثواب وصبرهم على اداء ما افترض الله عليهم وحبسهم انفسهم عن مناهم وشهواتهم ولصلابتهم
وقوتهم في الدين ما وعظوا قارون حيث قالوا له وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة الى قوله ان الله لا يحب المفسدين وهو
كان ملكا يومئذ ولما قالوا لاولئك الذين يريدون الحيوة الدنيا ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا والثاني ما ذكر من سحرة
فرعون حين اوعدهم بالقطع والصلب والقتل بايمانهم الذين امنوا فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون وقالوا فاقض ما انت قاض
وامثال ذلك مما لم يبالوا لما حل لهم ما اوعدهم وخوفهم من انواع العذاب والثالث ما ذكر من الذي كان يكتم ايمانه حيث قال و
قال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وانا اظهر ذلك حين
قال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه كانه هم ان يقتله الا ترى ان ذلك الرجل المؤمن الذي كان يكتم ايمانه قال لهم اتقتلون رجلا ان
يقول ربي الله لم يبال هلاك نفسه باظهار الايمان بعد ان اعان نبي الله موسى ونفع له بما قال واستقبل فرعون وقومه انما
استقبل فهذه خصال لم تذكر عن قوم قط من سوى قوم موسى مثلها ولذلك وصفهم ونعتهم بفضل الهداية والعدالة وهو ما
قال عز وجل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وهكذا الواجب على كل مؤمن اذا ريب منه الخذ ويخاف على دينه ان
يذهب به او ان يدخل فيه النقصان ان لا يسدد ذلك وان خاف على نفسه تلفها وهلاكها وتعذيبها باشد ما يكون من العذاب
الا ترى ان الله مدح اصحاب الاخدود بما احتملوا اشد العذاب واسوء القتل ولم يتركوا الايمان ولم يعطوا اولئك الكفرة ما ارادوا
منهم فهكذا الاختيار على كل مسلم ان يختار ما اختار اولئك وهكذا الواجب على كل من ياتي الامراء والسلاطين ويحضر مجالسهم من
العلماء ان يعظوهم ويامروهم بكل ما فيه تقى وينهون عن كل محظور وحرام ويدلوهم على كل خير وكل ما هو طاعة لله كما فعل قوم قارون
بقارون والا لم يحضروا مجالسهم ولا اتوهم طائعين فان فعلوا فانهم يكونون شركاءهم وذكر عن بعض السلف انه قال في عيسى
وقارون عبرة لمن اعتبر ان عيسى صلوات الله عليه زاهد في الدنيا زهدا حتى لم يجد لنفسه مسكنا يسكن ولا مغارا يقر فيه و
لا اتخذ لنفسه ما يتعيش به ولا اشتغل بشيء منها فرفعه الله الى السماء فجعل عيشه ومقره فيها في كرامة الله وجواره و
قارون كان يرغب في هذه الدنيا رغبة وجهدا في طلبها ما قدر وسعه وركن اليها ركونا حتى خسفه الله في الارض
وادخله فيها مع كنوزه واتباعه فيكون فيها الى يوم القيامة ففي ذلك عبرة واية لكل راغب وزاهد فيرغب الزاهد في الزهد
فيها ويزجر الراغب عن الرغبة فيها والله اعلم وقوله فخسفنا به وبداره الارض بالبغي الذي بغى عليهم اعني على موسى
واصحابه وقوله فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله كانه كان يفتخر بالمال والحواشي ويتقوى بذلك في دفع عذاب الله و
نقمته لذلك قال فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله اي لم يغن في دفع عذاب الله عنه اتباعه وحواشيه وهو
كقول اولئك نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وكان ظنهم ذلك وقولهم انما كان بوجهين احدهما ظنوا ان اموالهم
واتباعهم تدفع عنهم عذاب ونقمته كما تدفع نقمة بعضهم من بعض فيما بينهم كقول ذلك الرجل ساوي الى الجبل يعصمني
من الماء والثاني ظنوا انهم انما اعطوا هذه الاموال والاتباع في هذه الدنيا لكرامة لهم عند الله فلا يعذبهم ابدا والله اعلم
وقوله واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس كانوا تمنوا ان يعطوا مثل ما اعطي قارون يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر ويكانه لا يفلح الكافرون قال بعض اهل الادب ويك موصوله وانما هو كان وكانه قال مقابل ويكانه
اي لكنه ويكان وقال بعضهم قوله ويكان الله اي اعلم ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ولكنه واعلموا انه لا يفلح الكافرون

لكن

لكن الله يبسط الرزق لمن يشاء ولكنه لا يفلح الكافرون وقال بعضهم الم تر ان الله يبسط الرزق والم تر انه لا يفلح كذا و
قال الزجاج وي مقطوعة من كانه وهو حرف يفتتح به التندم ثم ابتداء بقوله كانه لا يفلح الكافرون ثم في الاية نقض قول المعتزلة
في وجوب الاصلح على الله لانهم ذكروا منة الله في منعه اياهم ما تمنوا بالامس مما اوتي قارون فلو كان ما اعطى قارون اصلح له
دينه لم يكن في منعه عن هؤلاء منة دل ان ما اعطى قارون لم يكن اصلح له بل المنع اصلح له وان ليس على الله حفظ الاصلح للعباد
في الدين وقوله تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين في ظاهرها ان كل من لا يريد
العلو في هذه الدنيا ولا فسادا فيها يكون من اهل تلك الدار وكذلك ما ذكر من دار الاخرة وجهنم هي من دار الاخرة ايضا لكن الاية
تخرج على وجهين احدهما انها نزلت في رؤساء الكفرة وفراعنتهم هم الذين كانوا يريدون العلو في هذه الدنيا بالتكبر والتجبر على
الرسل والفساد فيها في صرفهم الناس عن دين الله واتباع الرسل فقال والله اعلم تلك الدار الاخرة اي الجنة ليست لهؤلاء ولكن
لمن تواضع للرسل ودعا الناس الى دين الله واتباع الرسل والثاني يكون الاية في الذين كانوا يعملون بالخيرات والطاعات منهم
في خصوصه الاطعام والتصدق على الفقراء والانفاق في ذلك فاخبر انهم وان كانوا يعملون بتلك الاعمال فانما يعملون الدنيا والعلو فيها
لا للاخرة فتلك الدار الاخرة ليست لهم انما هي للذين يعملون ويريدون بها الدار الاخرة وقوله تلك الدار الاخرة كانه يقول تلك
الدار التي دعوا اليها ليست لمن ذكر وهي الدار التي قال الله والله يدعوا الى دار السلام فالدار الاخرة هي الدار التي دعوا
اليها وهي الجنة الدار الاخرة على الاطلاق كالجنة كالكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله ونحو وقوله والعاقبة للمتقين
اي تلك الدار الاخرة للمتقين وقوله من جاء بالحسنة فله خير منها هذا يخرج على وجوه احدها قال اهل التاويل على التقديم والتأخير
اي فله منها خير ومعناه ان ما يكون له في الاخرة من الخير انما يكون بتلك الحسنة التي جاء بها في الدنيا وهي التوحيد والثاني قوله
فله خير منها اي ما اعطوا في الاخرة من الخير والثواب خير مما يعطون في الدنيا بصبرهم وحبسهم انفسهم عن شهواتها واماتيها والثالث
فله خير منها اي ثواب الله وما اكرموا به خير مما عملوا في الدنيا والرابع ان توفيقه اياهم وارشاده خير مما عملوا او ان يكون ذكر الله
وحده خير مما ذكر كقوله ولذكر الله اكبر وقوله ومن جاء بالسيئة فالواجب ان السيئة هو الشرك فلا يجزى الا مثلها لكن مثلها هو
التخليد في النار ابدا وهم لا يظلمون فيما يجزون بها بل ظلموا انفسهم وقوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد اختلف
في قوله فرض عليك القران قال بعضهم فرض اي نزل عليك وقال بعضهم فرض عليك العمل بالقران وقال بعضهم فرض تبليغ ما انزل
عليك من القران والرسالة الى الناس واختلفوا ايضا في قوله لرادك الى معاد قال بعضهم الى مكة وقال بعضهم المعاد هو البعث والساعة
وقال بعضهم المعاد الجنة وبعد الموت وكله البعث والمعاد هو البعث في الظاهر وجائز ان يسمى مكة معادا لما يعود الناس اليها مرة كما
يسمى مثابة لما يثوبوا الناس اليها مرة بعد مرة لكن من يقول بان المعاد هو مكة يقول ان النبي صلوات الله عليه لما امر بالهجرة الى
المدينة فهاجر اليها اشتاق الى بلده ومولده ومولد ابائه فنزل جبريل عليه بهذه الاية بشارة له في العود اليها ظاهرا عليهم قاهرا
لهم فكانه قال له مكة هذا تأويل من يقول بان المعاد هو مكة وجائز ان يكون على غير هذا وهو يخرج على وجهين احدهما كانه خرج على الفراق
منهم اشفاقا على هلاكهم لاخراجهم الرسول من بين اظهرهم لان الامم السالفة اذا اخرجت عنهم الرسل نزل بهم العذاب فخاف انهم
لما اخرجوه من بين اظهرهم وابوا اجابته ان يهلكوا ويعذبوا كقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات فبشره بهذا انه رادك اليها وستعود اليهم فيتبعونك ويؤمنون بك وهم لا يهلكون اهلاك استيصال
وتعذيب كسائر الامم والثاني يذكر على الامتنان عليه يقول ان الذي انزل عليك القران والقاه عليك بعد ما لم تكن ترجوا لقائه
عليك وانزاله ولكن رحمة ومنة القاه اليك وانزله عليك حيث قال وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فعلى
ردك الى مكة من بعد ما لم تكن ترجو ردك وعودك اليها وان كان المعاد هو البعث فهو يخرج ايضا على وجهين احدهما على البشارة
كانه يقول ان الذي فرض عليك القران يردك ويبعثك ممن كذبك وممن صدقك فينتقم من كذبك جزاء التكذيب ويجزي
من صدقك جزاء التصديق والثاني يذكره ويخاطبه وانما يريد به قومه اي سيبعثون وسيعودون اليها فيكون كالايات التي
يخاطب بها رسوله والمراد بها قومه فهو يخرج على الوعيد لهم الا ترى انه قال ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين
اي ربي اعلم من جاء بالهدى فيجزيه جزاء الهدى ومن هو في ضلال مبين فيجزيه جزاء ضلاله ويخرج ذكر هذا عند ادعاء اولئك
الكفرة انهم على الحق والهدى وانهم كانوا على الحق والهدى وانتم على ضلال فيقول ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في
ضلال مبين نحن او انتم فهو على التحاكم الى الله ان يحكم بينهم فيجزي كلا بما جاء به والله اعلم وقوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك
الكتاب الا رحمة من ربك فهو يخرج على وجهين احدهما وما كنت ترجوا ان كنت مطيعا اي خاضعا ان يلقى اليك الكتاب
وينزل عليك وتصير رسولا اي لم تكن تطمع ذلك ولكن الله بفضله ورحمته جعلك رسولا نبيا والثاني ما كنت ترجوا ان
ان يكون في قومك وقبيلتك رسالة فضلا ان ترجوا وتطمع في نفسك لانهم ليسوا من بني اسرائيل ولا من اهل الكتاب و
الرسالة من قبل كانت لا تكون الا في بني اسرائيل ولكن الله جعل الرسالة في العرب في نفسك برحمته وفضله والله اعلم وقوله
فلا تكونن ظهيرا للكافرين هذا يخرج على وجوه احدها على النهي انه لا تكن ظهيرا وان كان لا يكون للعصمة التي عصمه الله لان العصمة
لا تمنع النهي والامر بل منفعة العصمة انما تكون عند النهي والامر والثاني على الاياس له والاياس ان يكون ظهيرا لهم في وقت

من الاوقات فاسدة الله عن ذلك فقال لا تخف فانك لا تكون ظهيرا لهم وهو ما ذكر فی قوله ولا تحزن عليهم وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على رفع الحزن والحسرة بتركهم الايمان فعلى ذلك الاول والثالث ان الخطاب وان كان له فی الظاهر فالمراد منه غيره على ما ذكرنا فی غير آی من القرآن انه خاطب به رسوله والمراد به غيره وكذلك يحتمل فی قوله ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين فی هذا ما فی الاول من الوجوه التی ذكرنا وكذلك هذا فی قوله ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو **وقوله** كل شیء هالك الا وجهه قال بعضهم قوله كل شیء يرجى منفعته وشفاعته من دون الله باطل الا ما ابتغی منه وعمل له وقال بعضهم كل شیء هالك وزائل الا هو فانه حی لا يموت دائم لا يزول وقال بعضهم كل امر وجهة يتوجه اليها ويعمل به هالك لا الجهة والوجه الذی امر هو بالتوجيه اليه والعمل به وهو قريب بالاول والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **وقوله** عز وجل الم قد ذكرنا فی غير موضع

وقوله احسب الناس قوله احسب الناس هو ان كان فی الظاهر استفهاما فهو على الايجاب لما قد ذكرنا ان كل استفهام واستخبار وسؤال كان من الله فهو يخرج على التقرير والايجاب لانه به خبير عليم لا يحتمل الاستفهام والاستخبار اذ حقيقة الاستفهام منه ذلك ثم يخرج قوله احسب الناس على احد وجهين ای تحسب الناس والثانی ای لا يحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا **وقوله** ان يقولوا امنا ذكر الايمان ولم يذكر من بالله او بغيره وليس احد من الخلائق الا هو يؤمن باحد ويكفر بغيره وليس فی الاية بيان ايمان به او من الا ان الله تعالى سخر الخلق على الفهم من الايمان المطلق المرسل الايمان بالله وبرسله وتخرجهم حتى فهموا من الكتاب المطلق كتاب الله والنار الوعد الجنة وامثال ذلك مما فهموا من الكتاب المطلق كتاب الله وفهموا بما ذكرنا من الايمان المطلق الايمان بالله وبرسله وفهموا ايضا من الدين المطلق دين الله فيكون قوله ان يقولوا امنا بالله او برسله **وقوله** وهم لا يفتنون ای لا يبتلون والفتنة هی الابتلاء الذی فيه الشدة يمتحن الله عباده باختلاف الاحوال مرة بالضيق والشدة ومرة بالسعة والرخاء وانواع العبادات ليكون ذلك علما للخلق فی صدق الايمان به والكذب فيه فيعرف صدق كل مخبر عن نفسه الايمان بالله تعالى وكذبه اذ قد يجوز ان يكون فيما يخبر ويقول انه كاذبا فجعل الله تعالى العلم فی صدقهم وكذبهم اعمالا يظهر بها عندهم صدقه ما لو كان الابتداء والامتحان بجهة لعله لا يظهر ذلك وهو ما اخبر عن المنافقين فقال ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية هذا يدل ان الفتنة هی المحنة التی فيها الشدة والبلاء وما قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فانما يظهر صدق الرجل فی ايمانه بما يصيبه من الشدة فاما السعة والرخاء فهو ما يوافق طبعه وهوى نفسه فلا يظهر صدقه بما يوافق طبعه وانما يظهر ذلك بما يخالف طبعه ويثقل عليه تحمل ذلك ثم قال بعضهم نزلت الاية فی قوم اظهروا الايمان باللسان واضمروا الخلاف والكذب وقال بعضهم نزلت فی قوم امنوا بالله ورسوله حقيقة ثم عذبوا بانواع العذاب ليتركوا الايمان ويكفروا به وفيهم نزل فاذا اوذی فی الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكيف ما كان ففيه ان من اقر بالايمان وقبله تحوف بانواع المحن من خفة الطبع ومخالفته ليظهر صدقه عند الناس فيما ملوته على ذلك والله اعلم **وقوله** ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا والله اعلم فيما تقدم ان يعلم ظاهرا كائنا ما قد علمه غير كائن انه يكون وليعلمه موجودا ما قد علمه غير موجود انه يوجد والله اعلم **وقوله** ام حسب الذين يعملون السيئات هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما قد حسب الذين ما ذكروا والثانی لا يحسب على النهی **وقوله** ان يسبقونا لا احد يظن ان يسبق الله فی عذابه ونقمته لكنهم انما رأوا الكافر والمسلم فی هذه الدنيا على السواء فی نعيمها وسعتها ورأوا ايضا عند الموت انه لم ينزل على الكافر عذاب كالمسلم ظنوا ان لا بعث وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا واحلهم ذلك على انكار البعث كقوله وما خلقنا السماء والارض حين خلقهما اذ لم يكن بعث باطلا وهم قد علموا انه خلقه اياها ليس بباطل ولكن صار احدها اذا لم يكن بعث باطلا فاذا انكروا البعث ظنوا ان العذاب والاخراء والله اعلم **وقوله** من كان يرجو لقاء الله اضاف اللقاء الى نفسه وكذلك ما ذكر من المصير اليه لقوله واليه المصير واليه يرجع الامر كله وقوله وبرزوا لله جميعا ونحو هذا كله لان خلق الدنيا وخلق العالم فيها لا للفناء لكن المقصود بخلقها وخلق العالم فيها الاخرة فانما اضاف خلق هذه الاشياء فيها حكمة بالاخرة اذا لو لم يكن اخرة كان تخلق ما ذكر فی هذه الدنيا لعبا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلقهم لا للرجوع اليه لعبا باطلا **وقوله** فان اجل الله لات وهو السميع العليم بما يقولون ويظهرون والعليم بما يضمرون ويسرون لان الفتنة نعت المنافقين او السميع المجيب العليم بحوائجهم واموره والله اعلم **وقوله** ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه وكذلك قوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ای فعليها تعرف هذا ان الله انما امتحن الخلائق لا لحاجة له فيما امتحنهم فی دفع مضرة او جر نفع لكن انما امتحنهم لحاجة انفسهم فی دفع المضار وجر المنافع وكذلك انما انشأ الدنيا وهذا العالم فيها لا لحاجة له فی انشاء ذلك ولكن الحوائج انفسهم وكذلك ما انشأ من الخلائق سوى البشر انما انشأ البشر وله سخر جميع ذلك وجعل البشر يقدر على استعمال الجميع ذلك لمنافع انفسهم وحاجتهم وهو ما ذكر فی غير آی من القرآن حيث قال وسخر لكم ما فی السموات وما فی الارض جميعا منه وقوله هو الذی خلق لكم ما فی الارض جميعا ونحو ذلك فعلى ذلك انما امتحن العالم لحاجة انفسهم فی

دفع مضار وجر نفع لذلك قال ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ای لحاجة نفسه ومنفعة نفسه لا لمنفعة او لحاجة الله تعالى ان الله لغنی عن العالمين هذا تفسير ما ذكرنا ثم المجاهدة تكون مرة مع الشيطان والجن ومرة مع اعدائه من الانس ومرة مع اعدائه من الانس ومرة مع هوى النفس ومرة فی امر الدنيا كل ذلك مجاهدة فی الله قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والله اعلم **وقوله** والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم كان ما عملوا من الحسنات والصالحات يكفر بها سيئاتهم **وقوله** ولنجزينهم احسن الذی كانوا يعملون هذا يحتمل وجوها احدها ان جزاءهم الذی يجزون بتلك الاعمال واحسن من اعمالهم التی عملوا الا ان قدر ذلك الجزاء عندهم وعظم واحسن من قدر من اعمالهم اذ ليس لاعمالهم عندهم كثير قيمة وقدرا ذ منهم من يحيی ليلة بدرهم او بما يسد به حاجته فی يوم او ليلة والثانی ان الاعمال التی يعملها المرء تكون على وجوه سيئات تكفر بالتوبة او بما كان يعاقبون عليها وحسنات يجزون بها الثواب الجزيل واباحات يعملون الحوائج انفسهم بما لا يعاقبون عليه ولا يثابون فيقول والله اعلم لنجزينهم احسن الذی عملوا وهو الحسنات والخيرات عملوها لله او ان يكون قوله ولنجزينهم احسن الذی كانوا يعملون ان يكفر سيئاتهم بنوع من الحسنات ويثابون على احسنها وهو ما قال لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذی كانوا يعملون والله اعلم بذلك **وقوله** ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرئ ايضا احسانا قال الزجاج قوله حسنا اجمع واقرب لانها ترجع الى حسن الشیء فی نفسه والی حسنه عند ذلك الانسان يقال حسن كذا اذا كان فی نفسه حسنا والاحسان هو ما يحسن عند ذلك المعمول له او كلام نحو هذا قال الشيخ رضی الله لكن الاحسان هو اسم ما حسن ايضا فی نفسه يقال الحسن فاذا احسن فهذا حسن والله اعلم **وقوله** وان جاهداك لتشرك بی ما ليس لك به علم ان كان هذا الخطاب لاهل الايمان فيكون تأويل الاية وان جاهداك لتشرك بی ما ليس لك به علم ای بان له شريك ای تعلم بان ليس له شريك فلا تشرك بی وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فی السموات ولا فی الارض ای يعلم بخلاف ما يقولون فعلى ذلك قوله يحتمل ما ليس لك به علم بان له شريك ای لك العلم بخلافه بان ليس له شريك وان كان الخطاب لاهل الكفر يقولون على الله ما ليس لهم به علم **وقوله** فلا تطعهما امر البر للوالدين والاحسان اليهما والطاعة لهما ما لم يكن فی طاعتهما معصية الرب ليعلم ان ليس يجب طاعتهما فی كل شیء وفی كل ما كان عندهما احسان ولكن فيما كان فی ذلك طاعة الخالق **وقوله** الی مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وعيد ليكونوا ابدا على حذر فی اعمالهم لا يعملون بما فيه معصية الرب **وقوله** والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فی الصالحين كانه قال والذين امنوا وعملوا الصالحات ولهم سيئات لنكفرن عنهم تلك السيئات باعمالهم الصالحات ثم لندخلنهم فی الصالحين الذين لا سيئة لهم وهم الانبياء اذ اكثر ما ذكر فی الكتاب الصالحين انما اريد بهم الانبياء صلوات الله عليهم وهو ما ذكرنا والله اعلم على تكفير السيئات عنهم على ما ذكر فيما تقدم وهو ما قال والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذی كانوا يعملون او ان يكون قوله لندخلنهم فی الصالحين ليجعلنهم من الصالحين فان قيل ما معنى قوله لندخلنهم فی الصالحين وهم قد عملوا الصالحات قيل معناه ما ذكرنا بدءا انهم قد عملوا الصالحات الا ان لهم سيئات يكفر بها بالصالحات ثم ليجعلنهم فی الصالحين الذين لا سيئة لهم والله اعلم **وقوله** ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذی فی الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال بعض اهل التأويل ناس يؤمنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الناس او مصيبة فی انفسهم وأموالهم افتتنوا فجعلوا ذلك فی الدنيا كعذاب الله فی الاخرة ثم قال ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم وذلك عن المنافق ومنهم من يقول انزلت الاية فيمن حقق الايمان سرا وعلانية الا انه عذب لاجل ايمانه بالله وبرسوله فترك الايمان وكفر فهی تأويل هذا يجعل قوله ولئن جاء نصر من ربك فی اخر ما ذكر على القطع من الاول والابتداء منه من صنيع المنافقين وخبرهم والله اعلم ويحتمل قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله ای جعل فتنة الناس وتعذيبهم اياه فی اعطاء ما سألوه وهو الكفر كعذاب الله فی اعطاء ما سأل من اهل الكفر وهو الايمان لان اهل الكفر اذا نزل بهم عذاب الله واشتد بهم خوف نزوله عليهم اعطوا الله ما سألهم من الايمان به والتوحيد له وهو ما قال فاذا ركبوا فی الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ويحتمل وجها اخر وهو ان جعل فتنة الناس فی ترك الايمان كعذاب فی ذلك ای جعل العذاب الذی من الناس كانه من الله جاء فترك الايمان **وقوله** اوليس الله باعلم بما فی صدور العالمين فان كانت الاية فيمن حقق الايمان بالله سرا وعلانية فيخرج هذا على التغيير له فی ترك الايمان بما عذاب به لانه كان يقدر ان يظهر الكفر لهم باللسان فيدفع العذاب عن نفسه ويكون فی الحقيقة فی السر مؤمنا على ما ذكر الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وان كانت الاية فی المنافقين فيقول كيفما اسررتم الكفر والخلاف له فی القلب انتم تعلمون ان الله عالم بما فی صدور العالمين فيخبر رسوله بما اضمروا واسروا من الخلاف والله اعلم **وقوله** وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين قد ذكرنا تأويل هذا ان يعلم كائنا ما قد علم انه سيكون ويعلم موجودا ظاهرا ما قد علم انه يوجد ويظهر **وقوله** وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم كانهم قالوا ذلك لهم بعد ما عجزوا عن الطعن فی الحجج والايات ما يوجب شبهة فيها عند الناس وبعد ما انقطعوا عن الحجاج فيها والاحتجاج عليها فلما عجزوا عن ذلك كله فعند ذلك اشتغلوا بما ذكر وقالوا للمؤمنين ما ذكر اتبعوا سبيلنا ای ديننا ونحمل خطاياكم يقولون والله اعلم اتبعوا سبيلنا فانه صواب فان اصابكم خطاء او اخطأتم فی الاتباع له فانا نحمل خطاياكم وقال بعضهم قالوا لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فاتبعونا و ان كان عليكم شیء فهو علينا وهو قريب من الاول او ان يقولوا لهم اتبعوا سبيلنا فان الله امرنا به فان اخطأتم فی ذلك

فانا نحمل خطاياكم او نحو هذا القول منهم تناقض لانهم ذكروا انهم كانوا يخطئون في الاتباع لهم دينهم الان يريدون بذلك ما ذكر
والثاني انما كانوا يضمنون ويحملون خطاياهم لا باذن من له الطلب في الخطايا ولكن باذن من عليه ذلك وذلك لا يسقط التبعات
باذن من عليه ثم اخبر انهم لا يحملون ذلك حيث قال وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون يحتمل قوله انهم لكاذبون
فيما يذكرون من حمل خطاياهم اي لا يقدرون على حملها او كاذبون في الدعاء الى اتباع سبيلهم او كاذبون ان الله امرهم بذلك
والله اعلم وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم يحملون اوزارهم بضلالهم انفسهم واثقالا باضلالهم غيرهم ودعائهم
اليه كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم في خبر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من داع دعا الى هدى فاتبع عليه الا كان له مثل اجور من اتبعه ولا ينقص من اوزارهم شيء وقوله وليسئلن يوم القيمة
عما كانوا يفترون قال بعضهم افتراؤهم اتخاذهم الاصنام الهة ان يكون الافتراء في الفعل والقول جميعا وجايز ان يكون افتراؤهم
ما ذكروا من حمل خطاياهم او ما قالوا ان الله امرهم بذلك او تسميتهم الاصنام التي عبدوها الهة والله اعلم وقوله ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما هذا النبأ لوجهين احدهما يصبر رسوله على اذى قومه لانه ذكر ان نوحا
لبث في قومه الف عام غير خمسين عاما كان يدعوهم الى توحيد الله فلم يجبه الا نفر من اهله فلم يمنعه من الدعاء الى دين الله
ما اوعدوه من المواعيد حيث قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ونحو ذلك من المواعيد فذلك لم يمنعه عن الدعاء
ولذلك قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثاني ينقض على المتقشفة مذهبهم لانهم يقولون ان الموعظة اذا لا تنجع في
الموعوظين لتفريط الواعظ وترك استعمال نفسه في ذلك فيقال ان نوحا قد دعا قومه الف سنة الا خمسين عاما فلم يجبه الا نفر
فلا يحتمل ان يكون منه تقصير وتفريط فدل انها لا تنجع ربما لشقاوة الموعوظ وقوله فاخذهم الطوفان قال بعضهم هو المطر
الشديد وجايز ان يكون الطوفان كل بلاء فيه الهلاك والطوفان هو ما ارسل عليهم من الماء فاغرقهم والله اعلم وقوله
فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة اي من دخل السفينة وجعلناها اية للعالمين قال بعضهم جعلها اية هو ان هلكت كل
سفينة كانت وهي باقية اليوم على ما هي وقال بعضهم وجعلناها اية لمن بعدهم تمنعهم عن تكذيب الرسل والعناد معهم قال
الزجاج الاستثناء يخرج على تاكيد ما تقدم من الكلام كذكر الكل على اثر ما تقدم من الكلام او كلام نحوه وقلنا نحن اذا كان ما تقدم
من الذكر كافيا تاما فيخرج الثنيا على اثره مخرج التاكيد لما تقدم نحو قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط الى قوم مجرمين
كان تام مفهوم ان لا يدخل فيها لوط حيث ذكر المجرم اذ آله غير مجرمين فهو كاف مفهوم لا يحتاج الى ذكر آل لوط لكنه ذكر
على التاكيد له وكذلك قوله محصنين غير مسافحين ومحصنات غير مسافحات اذا قال المحصنين يفهم انهن غير مسافحات
ولا متخذات اخدان لكنه ذكر على التاكيد واذا كان ما تقدم من الكلام مجملا مرسلا فيخرج ذكر الثنيا مخرج تحصيل المراد منه
على اضمار حرف من فيه كقوله الف سنة الا خمسين عاما كانه قال فلبث فيهم من الف سنة تسعمائة وخمسين وكذلك
قول الناس لفلان علي عشرة دراهم الا كذا كانه قال لفلان علي من عشرة دراهم كذا فهو على التحصيل يخرج ذكره وقال بعضهم
الطوفان كل ما طاف فاشتد من سيل او غيره وكذلك الموت الجارف يسمى الطوفان وماء الطوفان وهو ما ذكر في سورة الاعراف
وقال بعضهم هو الغرق والله اعلم وقوله وابراهيم اذ قال لقومه هو نسق على قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا ابراهيم
ايضا الى قومه او ان يكون نسقا على قوله فانجيناه واصحاب السفينة وانجينا ابراهيم ايضا من الغي في النار او يقال اذكر ابراهيم
اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه يحتمل في حق الاعتقاد اي وحدوا الله وقوله واتقوه الشرك ويحتمل قوله اعبدوا الله
في حق المعاملة اي اليه اصرفوا العبادة واتقوه اي اتقوا عبادة من تعبدون من الاوثان يكون قوله اتقوا في موضع النهي
اي اعبدوا الله ووحدوه ولا تعبدوا غيره يكون فيه نهي عن مخالفة ما تقدم من الامر افعلوا كذا واتقوا ما يضاده ويخالف
والله اعلم وقوله ذلكم خير لكم اي عبادة الله خير لكم وقوله ان كنتم تعلمون يحتمل قوله ان اذ كنتم تعلمون ان ذلكم خير لكم و
جايز ذكر ان مكان اذ في اللغة او يكون قوله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون
افكا اي تخلقون كذبا في تسميتكم الاوثان الهة معبودين اي ليسوا بالهة ولا معبودين او يقال وتخلقون افكا اي كذبا في
صرف عبادتكم اليها واستحقاق العبادة اي لا يستحقون العبادة انما المستحق للعبادة الله دون من تعبدون وقال بعضهم
اي جعلتم كذبا من الالهة لا حقا وهو قريب مما ذكرنا ثم بين سفههم في صرف العبادة الى الاصنام وتحيرها عن عبادة ... قال
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا يقول والله اعلم ان في الشاهد لا يخدم احد احدا الا لما يامل من النفع له
بالخدمة او لسابقة احسان كانت اليه فالاصنام التي تعبدونها لا يملكون ان يرزقوكم ولا ينفعوكم ولا كان منها اليكم
سابقة شيء فكيف تعبدونها وقوله فابتغوا عند الله الرزق اي اعبدوا الله الذي يرزقكم وينفعكم ويملك ذلك لكم و
اتركوا عبادة من لا يملك ذلك واعبدوه يحتمل وجهين اللذين ذكرناهما فيما تقدم التوحيد والعبادة وقوله واشكروا له
اي اشكروا الله فيما انعم عليكم واليه ترجعون وقوله وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم هذا يحتمل وجهين احدهما و
ان يكذبوك فيما يخبر من نبأ ابراهيم فقد كذب امم من قبلكم رسلهم فيما اخبروا عن ابراهيم بعد الانتساب كل فريق
منهم اليه وادعاء نحلته ومذهبه والثاني وان يكذبوك فيما تبلغ اليهم من الرسالة فقد كذب امم من قبلك رسلهم

في تبليغ الرسالة وما على الرسول الا البلاغ المبين بين لهم انه رسالة ربهم بالحجج والبراهين والايات والله اعلم
اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده انهم قدروا ان كيف انشأ الله الخلق في الابتداء وان عجزوا عن الاسباب التي خلقهم
ولا احتمل وسعهم ذلك فعلى ذلك يعيدهم على ما ابداهم وان عجز وسعهم عن احتمال ذلك وادراكه اذ الاعجوبة في
الاعادة ليست باكثر من الاعجوبة في البداية بل الاعجوبة في ابتداء الانشاء اكثر من الاعادة لما الاعادة عندكم ايسر واهون
من الابتداء فمن قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر ان ذلك على الله يسير الابتداء والاعادة جميعا لا يعجزه شيء اذ هو
قادر بذاته قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق كان الامر بالسير في الارض والنظر ليس هو سيرا بالاقدام
فيها ولكن امر بارسال الفكر فيها من الخلائق والنظر في بدء ما فيها من الخلق متقنا محكما بالتدبير والعلم والحكمة بلا
اسباب ليعلم ان التقدير في ابتداء الانشاء والاعادة بالخارج عن احتمال وسعهم وقواهم خطأ وان الذي قدر على
انشاء الخلق وابتدائه بلا سبب ولا شيء وان لم يحتمل وسعهم وبنيتهم وقواهم ذلك فعلى ذلك الاعادة والنشاة الاخرى
وان كانت خارجة عن احتمال وسعهم وقواهم قادر عليها او ان يقال انظروا واعتبروا ان بدء الخلق والنشاة من الحكيم العالم
الذاتي بلا اعادة ورجوع ليس بحكمة في العقل والحكمة جميعا ان في الحكمة والعقل التفريق بين الولي والعدو وبين الشاكر
والكافر وبين المطيع والعاصي اذ قد سوى بينهم في الدنيا واشركهم فيها حتى جعل للكافر ما للشاكر والولي والعدو والمطيع
والعاصي فلا بد من الاعادة في دار يفرق بينهم ليخرج بدؤ انشائهم وخلقه الخلق على الحكمة والتدبير والعلم لا على السفه و
العبث والله اعلم ان الله على كل شيء قدير في النشاة الاولى والاخرة جميعا لا يعجزه شيء اذ هو قادر بذاته يعذب
من يشاء ويرحم من يشاء يحتمل هذا في الدنيا يعذب من يشاء في الدنيا اي يمتحنه ويبتليه بالشدة والضيق ويرحم من يشاء
اي يمتحنه بالسعة والرخاء فيكون التعذيب كناية عن الشدة والضيق والرحمة كناية عن السعة والرخاء وهو كقوله ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فعلى ذلك قوله يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون اي ترجعون ويحتمل التعذيب
في الاخرة والرحمة فيها اي يعذب من يشاء في الاخرة من كان في الدنيا اهلا له مستوجبا ويرحم من يشاء من كان في الدنيا اهلا لها
مطيعا لله وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء اي ما انتم بمعجزين الله في السماء وعلى قول المعتزلة يكونون معجزين الله
في الارض على تمام مذهبهم لانهم يقولون ان الله قد اراد ابقاء الاخيار واهل الصلاح ثم يجيء كافر فيقتلهم قبل اجلهم الذي اراد
الله ابقاءهم الى وقت وكذلك يقولون اراد الله ان يرزقهم الحلال واراد ان يكون اولادهم من رشد ونكاح لكنهم يطلبون
الرزق من حرام ويزنون فيخلق اولادهم من زنا شاؤوا ابى لا يقدر التخلص عما يريدون هم فاي اعجاز يكون اشد من هذا نعوذ
بالله من السرف في القول وما انتم بمعجزين في الارض هم يعلمون اعني الكفرة انهم لا يعجزون الله ولا يقدرون على اعجازه لكنه
يذكر لانهم كانوا يعملون عمل من هو معجز فائت عن عذاب الله ونقمته وهو كقوله والذين يسعون في اياتنا معاجزين هم يعلمون
بانهم لا يقدرون ان يسعوا في اياته معاجزين لكنهم يسعون في دفع اياته والانكار لها السعي خاضع قابل فعلى ذلك الاول
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير اي ما لكم من دون الله مما طمعتم من النصر لكم والشفاعة اي ليس لكم ذلك لانهم عبدوا
تلك الاصنام لما طمعوا شفاعتها عند الله لهم والزلفى حيث قال واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا وقولهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه فيقول ما لكم مما طمعتم بعبادتكم تلك الاصنام من ولي ولا نصير
والذين كفروا بايات الله ولقائه قوله كفروا بايات الله يحتمل ايات الله الايات التي جاءت بها الرسل في اثبات الرسالة
لهم ويحتمل اياته الايات التي جعلها الوحدانية والوهية ولقائه اي كفروا بالبعث وقد ذكرنا فيما تقدم وجه تسمية البعث
لقاء وقال الحسن ايات الله دين الله وكذلك يقول كل اية في القران الدين اولئك يئسوا من رحمتي قال بعض اهل التاويل
من رحمتي اي من جنتي وتاويل هذا الانهم قد كفروا بالبعث فاذا كفروا به زعموا ان لا ثواب ولا جزاء وجايز ان يكون قوله من
رحمتي اي من رسلي وكتبي لان الله سمى رسله وكتبه رحمة في غير اي من القران ايسوا منهم حيث كذبوهم وكفروا بهم ايسوا
ان يرسل الرسل او ينزل الكتب ويحتمل قوله اولئك يئسوا من رحمتي اي اولئك عليهم الاياس من رحمتي لما كفروا باياته ورسله
واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فما كان جواب قومه الا كذا ليس في جميع
الاوقات وجميع المشاهد ولكن جايز ان يكون هذا ما كان جواب قومه في مشهد الا كذا او ان يكون فما كان جواب قومه اي
ما كان اخر جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه والا لم يحتمل ان لا يكون منهم الا ما ذكر من الجواب بل كان جوابات واجوبة
سواه لكن يحتمل ما ذكرنا ان ما كان جواب قومه في مشهد الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه او ما كان اخر جواب قومه الا ان قالوا
اقتلوه وحرقوه وهذا ما ذكرنا في قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله لا يحتمل ان لم يكن منهم الا هذا ولكن ما ذكرنا
والله اعلم فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ذكر الايات في ذلك فجايز يكون ما ذكر
في هذه السورة من اولها الى اخرها الايات لمن ذكر وجايز ان يكون فيما ذكر خاصة لكن ليس من شيء الا وفيه ايات من وجوه اية
الوحدانية واية الالوهية واية علمه وحكمته وتدبيره وبعثه فهو ايات لقوم يؤمنون ذكر الايات للمؤمنين يحتمل
وجهين احدهما ذكر الايات لهم لانهم هم المنتفعون بها دون من كفر والثاني الايات لهم على المكذبين بها والكافرين اي حجة لهم

عليهم كقوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه والله اعلم وقوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا كذا هو صلة قصة ابراهيم
واليه يرجع وهو ما تقدم من دعايه اباهم حيث قال وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله الاية وقوله وقال انما اتخذتم من دون
الله اوثانا يقول والله اعلم ما اتخذتم من دون الله معبودا وسميتموها الهة فهو ليست بالهة ولا معبود انما هي اوثان تتخذ
بينكم في الحيوة الدنيا يقول والله اعلم اتخاذكم هذه الاصنام معبودا واجتماعكم عليها انما هي مودة حيوة الدنيا لا مودة لها
عاقبة او تدوم بل تصير في العاقبة عداوة وبغضا وهو ما ذكر ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
قال بعضهم يتبرا بعض من بعض ويكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
وقال بعضهم يتبرا المتبوع من الاتباع كقوله ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وقوله سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا ونحوه ثم اخبر ان ماوى الكل النار وما لهم من ناصر ينصرهم من عذاب الله او يدفع عنهم العذاب ثم اختلف
في قوله وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم قال بعضهم هذا قول ابراهيم لقومه كقوله اتعبدون ما
تنحتون وكقوله هل ينصرونكم او ينتصرون وقال بعضهم هذا قول رسول الله لقومه وجائز ان يكون هذا قول كل
رسول لقومه الذين عبدوا الاصنام والله اعلم وقوله فامن له لوط قوله فامن له لوط يحتمل وجهين احدهما قوله
فامن له لوط اى اظهر له لوط الايمان من بين غيرهم وقد كان لوط مؤمنا من قبل ليس انه احدث له الايمان في ذلك
الوقت ولم يكن مؤمنا قبل ذلك ولكن ما ذكرنا انه اظهر له الايمان من بين غيرهم والثاني فامن له لوط فيما دعاه اليه
وهو الهجرة اى صدقه فيما اخبر انه امر بالهجرة فاستصحبه فيها وقوله انى مهاجر الى ربى قال اهل التاويل هذا قول ابراهيم
كقوله انى ذاهب الى ربى وجائز ان يكون قول انى مهاجر الى ربى قول لوط فلم يفهم من قوله انى مهاجر الى ربى وقوله
انى ذاهب الى ربى انتقاله اليه او المكان او شيء مما يوجب التشبيه مما يفهم من الخلق فكيف فهم من قوله هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله في ظلل وقوله وجاء ربك واستوى وامثاله مما يفهم من مجيء الخلق واتيانه واستوائهم اذ لا فرق بين مجيء الاخر
اليه وبين مجيئه الى اخر هذا في الشاهد سواء فكيف فهم في الغايب في احدهما ما لم يفهم من الاخر وهما سيان في الشاهد
فدل انه لا يجوز ان يفهم منه في شيء من ذلك ما يفهم من الخلق اذ اخبر انه ليس كمثله شيء وقوله ووهبنا له يعني لابراهيم
اسحق ويعقوب ذكر انه وهب له اسحق ويعقوب ليعلم ان الولد هبة الله وكذلك ولد الولد لان يعقوب كان ولد
ولده حيث قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكلهم هبة اياه قال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
الذكور وقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب لم تزل النبوة في ذرية ابراهيم من لدنه الى هذا الوقت كان جميع انبيا
بني اسرائيل من ولد اسحق ونبينا محمد صلوات الله عليه كان من ولد اسمعيل عليه السلام وقوله واتيناه اجره في الدنيا
اختلف في الاجر الذي اخبر انه اتاه ابراهيم في الدنيا قال بعضهم هو ما وهب له من الولد في الكبر وقال بعضهم هو
ما سخر له الالسن باجمعها على الثناء الحسن عليه حيث نسب جميع اهل الاديان على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم انهم
على دينه وسنته وسيرته وتولى كل بر وجائز ان يكون قوله واتيناه اجره في الدنيا ما اخبر انه جميع المؤمنين واعطاهم
وهو ما قال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وما ذكر من ثواب الدنيا فما من مؤمن الا وقد اتاه الله في الدنيا اجرا
وثوابا فذلك الذي اتى ابراهيم ولا نفسر ما ذلك الاجر الذي ذكر انه اتاه الله والله اعلم وقوله وانه في الاخرة لمن
الصالحين هذا يخرج على وجهين احدهما انه لو لم يكرمه الله بالنبوة والرسالة لكان هو ايضا في الاخرة من الصالحين
والثاني ذكر الصلاح له لحقيقة صلاحه ان يكون هو ممن حق الصلاح وكذلك ما ذكر في موسى وهرون حيث قال
انهما من عبادنا المؤمنين اى من عبادنا الذين حققوا الايمان وغيرهم من المؤمنين لم يحققوا او ان يكون ما ذكرنا اى لو لم
يكن الاكرام الذي اكرمه وهو النبوة لكان من المؤمنين ايضا والا ليس في ذكر الايمان والصلاح لهم كبير منقبة و
فضيلة عند الناس اذ يسمى بهذين كل مؤمن ومصلح والله اعلم وعن ابن عباس في قوله واتيناه اجره في الدنيا قال عمله ما جرى
في الاخرة وقتادة قال اتاه الله عافية وعملا صالحا وثناء حسنا وقال فلست تلقى احدا من اهل الملل الا يرضى بابراهيم
والله اعلم بذلك وقال بعضهم ما ذكرنا انه اعطى الولد الطيب في كبر سنه وقوله ولوطا اذ قال لقومه كانه يقول والله
اعلم وقوله اذكر لوطا اذ قال لقومه ثم ذكر اياه يخرج على وجهين احدهما ان اذكر نبأ لوط وخبره ليكون ذلك اية على رسالتك
ونبوتك اذ يعلمون انك لم تشاهده ولا شهدت زمنه فاخبرت على ما في كتبهم ليعرفوا انك انما عرفت ذلك بالله والثاني
اذكره ان كيف صبر على اذى قومه وكيف عامل قومه مع سوء صنيعهم من ارتكاب الفواحش والمناكير وسوء معاملتهم
اياه فاصبر انت على اذى قومك وسوء معاملتهم اياك هذا والله اعلم يشبه ان يكون معنى ذكر لوط اياه وعلى هذا يخرج قوله
ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله اى اذكر ابراهيم ونباه ان كيف عامل قومه وماذا قال لهم وكيف صبر على اذاهم فعامل
انت قومك مثله واصبر على اذاهم كما صبر اولئك والله اعلم وقوله انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
قال لهم ما سبقكم بها من احد من العالمين ثم لم ينههم عن ان يعارضوه لقوله ما سبقكم بها من احد من العالمين بل قد كان
سبقنا بذلك احد فكان في ذلك وجهان احدهما ان يكون ذلك اية لرسالته وانه انما علم بالله انه لم يسبقهم بها احد ما

ماذكر

ماذكرنا انها في انهم يعبدون الاصنام ويرتكبون فواحش ويقولون انا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وان الله امرهم
بذلك ليعلم انهم كذبة في قولهم ان اباهم على ذلك حيث اخبر انه لم يسبقهم بها من احد ولو كان اباؤهم على ذلك لذكروا
وعارضوه فلما لم يفعلوا لم يشتغلوا بشيء من ذلك ليعلم انهم كذبة فيما يقولون والله اعلم وقوله انكم لتاتون
الرجال وهو ما ذكر اتاتون الذكران من العالمين وقوله وتقطعون السبيل قال بعضهم اى تعرضون الطريق لمن امر بكم
لعملكم الخبيث لانه ذكر انهم انما كانوا يعملون ذلك بالغرباء وقال بعضهم وتقطعون السبيل اى تقطعون السبيل
من قطع الطريق وتاتون في ناديكم المنكر اى تعملون في مجلسكم المنكر اختلف فيه قال بعضهم اى تعملون في مجالسكم
المواطة ايضا وقال بعضهم حذف بالحصى والرمي بالبندق ونحوه والله اعلم كيفية ذلك ولكن بين سوء صنيعهم في كل حال وكل وقت
يعملون الخبيث ويعملون الفواحش والمناكير كلها في الطرق وفي المجالس وفي المنزل ما سبقكم بها من احد من
العالمين والله اعلم ثم قال فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله وقال في موضع اخر الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم وقال في موضع اخر فكيف يكون من المجرمين هذه الايات في الظاهر بعضها مخالف لبعض لانه يقول في بعضها فما
كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله وفي بعضها وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وفي كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم فهو يخرج على وجوه احدها ان يكون قولهم الا ان قالوا اخرجوهم
واخرجوا ال لوط انما قال ذلك بعضهم لبعض اخرجوهم وقوله ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين انما قالوا ذلك للوط فاذا
كان كذلك فليس في الظاهر خلاف والثاني ان ما كان جواب قومه في مشهد وفي وقت الا كذا وكذا ثم اجابوا
اخر سوى ما اجابوا في ذلك المشهد وفي ذلك الوقت وان يكون قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من
الصادقين نزول العذاب انما قالوا له استهزاء وتكذيبا ثم دعا لوط ربه فقال رب انصرني على القوم المفسدين فاجيب
وقوله ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بشارة بالولد في كبر سنه وسن زوجته ما لم يطمع من مثلها الولادة انه مهلكوا
ذلك الوقت دعوا ما ذكر فبشرناها باسحق ويحتمل غيره قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين وقال لوط لغيره
انا ارسلنا الى قوم لوط لم يذكر وفيه ما من رسلنا ويبين في هذا ثم قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله الا امرأته في الاية الدليل من وجهين احدهما يخرج الخطاب على العموم والمراد منه الخصوص لان الملائكة قالوا
انا مهلكوا اهل هذه القرية ولم يجر الاستثناء لكل اهل القرية ثم استثنوا لوطا واهله بعد ما قال ابراهيم ان فيها لوطا
حيث قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله والثاني فيه جواز تاخير البيان حيث لم يبينوا الا بعد سؤال ابراهيم اياهم
وفيه وجه اخر في امتحان الملائكة مختلفة الاشياء لان هولاء امروا بالبشارة وامروا باهلاك قوم لوط ليعلم انهم يمتحنون
بمختلف الاشياء والله اعلم وقوله وتاتون في ناديكم المنكر وروي عن ام هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله
وتاتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون اهل الارض ويسخرون منهم فان ثبت هذا كان تفسيرا لا يحتاج الى غيره والنادي قال
ابو عوسجة المجلس والندي مثله جماعة وكذلك النادي قال ابو معاذ الندي والنادي ما ينادي جميع النادي الذي وجميع الندي
الاندية وتندى كثرات بعض الناس في سورة مريم واحسن نديا اى مجلسا وقراءة العامة نديا والله اعلم وقوله ولما
ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ظاهر هذا انه سيء بالفعل بهم حيث ظن انهم يفعلون بهم لا يعلم من قبح
الخبيث من الحيل وضاق بهم ذرعا هو كله يشكل بها الاول عند انقطاع جميع الحيل فلو انه كان ذلك لما ان اقصى الحال
بهم ارجو وما قصدوا بهم الامر انه قال في اية اخرى لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد وقالوا لا تخف ولا تحزن
انا منجوك واهلك هذا يدل على انهم قد قصدوهم ولوطا بالهلاك الا ترى انه قال في اية اخرى لن يصلوا اليك دل هذا
انهم قد قصدوه بالهلاك حتى قالوا انا منجوك واهلك وانهم انما ارادوا بالاخراج لقولهم لتكونن من المخرجين اخراج قتل اذ
لو كان اخراجا من القرية لا بقتل لكان لا يكون له النجاة منهم والامن والله اعلم وقوله الا امراتك كانت من الغابرين وفي
بعض الايات الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين والغبور فعلها ثم اخبر انه قد قدر ذلك دل ان افعال العباد مخلوقة
لله مقدرة له والله اعلم وقوله انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء اى عذابا والرجز اسم كل عذاب فيه
سوء الا ترى انه قال في اية اخرى هذا يوم عصيب اى شديد ثم ذكر انه نزل من السماء فان ثبت ما ذكر ان جبريل
ادخل احدى جناحيه تحت الارض فرفع بها قريات لوط الى السماء حتى سمع اهل السماء صياحهم وضجيجهم ثم
ارسلها فهو نزول العذاب من السماء وان يكون قوله حجارة من سجيل ان السجيل لو كان مكانا منه ينزل فهو في السماء
على ما يقول بعض الناس انه مكان وقال بعضهم هو اسم ذلك الحجر والله اعلم وقوله ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون
اية بينة لمن عقل وعرف السبب الذي اهلك قريات لوط كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون لما
ذا اهلكوا اى تعقلون هذه الانباء والقصص ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم وكررها واعادها مرة بعد مرة لان
الانباء والقصص انما تذكر للحجاج على الكفرة وتكرر وتعاد ليحتج بها عليهم واما الاحكام فانما هي لاهل الاسلام خاصة فهم
يكتفون بما عليهم من الاحكام فلا يقع الحاجة الى التكرار والاعادة ثم الكفرة كانوا على اصناف بلا انه منها اصل العنات

والمكابرة واهل شك وحيرة واهل استرشاد ومن كان همته الاسترشاد يؤمن بها بالبديهة وفي اول ما وقع في مسامعهم فلا يقع
الحاجة الى التكرار والاعادة واما اهل العناد والمكابرة فانها تكرر عليهم لعلها تنجع فيهم فيؤمنون بها وهذه الايات كانت ايات
وحجج التوحيد والبعث والرسالة وعلى ذلك جاءت الرسل بالدعاء الى التوحيد والى الاقرار بالبعث والايمان به والى الايمان بالرسل
شعيب عليه السلام جمع هذه الخصال الثلاث في قوله يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين دعاهم
الى التوحيد بقوله اعبدوا الله وفيه نهي عن عبادة من دونه ودعاهم الى الايمان بالبعث بقوله وارجوا اليوم الاخر اي خافوا
عذاب ذلك اليوم ونهي عن جميع المعاصي بقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين
قد ذكرناه هذا وقوله والى مدين اخاهم شعيبا اي ارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا ومدين قال بعضهم اسم رجل نسب اليه وقال بعضهم
اسم موضع وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم ان الرسل صلوات الله عليهم قد خوفوا الكفرة بعذاب
ينزل بهم في الاخرة بتكذيبهم اياهم وعنادهم فلم ينجع ذلك فيهم ولم يرتدعوا عما هم فيه حتى اوعدوهم بعذاب ينزل بهم في الدنيا فلم
ينجع ذلك ولم ينتهوا عن ذلك حتى اوعدوهم بنزول ما قد شاهدوه وعاينوا من اثار من قد اهلكهم بتكذيبهم الرسل وردهم
اجابتهم وهو ما قال وعادا وثمودا اي اهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم اي قد تبين لكم من مساكنهم ما تعرفون
انهم انما اهلكوا بالذي انتم عليه وهو التكذيب والرد باخبار تصدقونهم وباثار تشاهدونها وهو كما قال وانكم لتمرون
عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون والله اعلم وقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اي زين لهم الشيطان اعمالهم
كما زين لكم وصدهم عن السبيل كما صدكم وكانوا مستبصرين اختلف فيه قال بعضهم اي كانوا يحسبون انهم على هدى وحق وقال بعضهم
كانوا مستبصرين اي كانوا عالمين بان العذاب ينزل بهم بما شاهدوا وعاينوا من اثار من تقدمهم وعلمهم بانهم انما اهلكوا
بالذي هم عليه لكنهم عاندوا وقال بعضهم كانوا مستبصرين اي هالكين في الضلالة وقال بعضهم وكانوا مستبصرين اي
كانوا بصراء علماء في انفسهم يعرفون الحق من الباطل ليس كغيرهم من الامم الاخرى انهم قد طلبوا من رسلهم الحجة والاية على ما
يدعون اليه حيث قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وقال قوم صالح فات باية ان كنت من الصادقين ونحوه وقال قتادة مستبصرين
اي معجبين بضلالتهم وقوله وقارون وفرعون وهامان اي اهلكنا قارون وفرعون وهامان بتكذيبهم موسى فتهلكون
انتم يا اهل مكة بتكذيبكم محمدا وقوله ولقد جاءهم موسى بالبينات اي كذبوه بعد ما جاءهم موسى بالبينات على نبوته و
رسالته كما جاءكم محمد وقوله فاستكبروا في الارض جاز ان يكون استكبروا وابوا ان يخضعوا لموسى او استكبروا في الارض
اي سعوا في الارض بالفساد تكبرا واستكبارا وما كانوا سابقين اي فائتين عن عذاب الله وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من
ارسلنا عليه حاصبا اي الحجارة وهم قوم لوط وقوم هود اهلكوا بالريح العاصف حيث قال وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم قال ابو معاذ الحاصب عند العرب الريح التي فيها الزنانير
وهي صغار من الحصى ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم صالح وقوم شعيب وهؤلاء ومنهم من خسفنا به الارض قارون
واصحابه ومنهم من اغرقنا قوم نوح وفرعون يذكر اهلاك هذه الامم والجبابرة لاهل مكة ولغيرهم من الكفرة وقد تواترت
عليهم بذلك الاخبار وظهرت لهم الاعلام والامارات ليرتدعوا عما هم عليه ولئلا يعاملوا رسولهم كما عامل اولئك رسلهم
فيعذبون كما عذب اولئك وقوله وما كان الله ليظلمهم في تعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث كذبوا الرسل
وكابروا ايات الله وحججه وبراهينه وعاندوها والله اعلم قال ابو عوسجة قوله سيء بهم اي اغتم من ذلك يقال سيئت به
اساء سوءا انا مسوء وقوله جاثمين اي لزقوا بالارض وكانوا مستبصرين اي قد علموا والمستبصر العالم فاخذتهم الصيحة
اي صيح بهم فماتوا والعنكبوت هذه التي تغزل وهي دويبة كثيرة القوائم وعناكب جمع وقوله مثل الذين اتخذوا من دون
الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا يشبه ضرب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ببيت العنكبوت هم الرؤساء منهم
والمتبوعون يقول والله اعلم مثل اتخاذكم اولئك اولياء من دون الله وما تاملون منهم كمثل بيت العنكبوت لا ينفع ولا يغني
ما يؤمل من البيت من دفع الحر والبرد وغيره فعلى ذلك اتخاذكم واتباعكم هؤلاء اولياء من دون الله مثل ما ذكر لا ينفع ولا يدفع
ولا يدفع عنكم ما ينزل بكم وهو ما قال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض الاية ظاهر ما ذكر من الاولياء او يكون المتبوعين منهم وجايز ان يكون الاصنام التي اتخذوها الهة ضرب مثل عبادتهم
الاصنام واتخاذهم اياها الهة ببيت العنكبوت وذلك ان العنكبوت اتخذ البيت وجاء ان ينتفع به كما ينتفع بسائر البيوت
في دفع الحر والبرد والستر والحجاب فلما ان وقعت الحاجة اليه لم ينتفع كما كان يامل منه في شيء مما كانت تامل فعلى ذلك هؤلاء الذين
اتخذوا الاصنام الهة وعبدوا وجاءوا ان ينفعهم ذلك يوما فلما ان وقعت لهم الحاجة لم يجد واما كانوا يأملون من عبادتهم
اياها واتخاذهم الهة بل في بيت العنكبوت شيء من المنفعة وليس لاولئك المعبودين لتلك الاصنام شيء مما كانوا
يأملون فهي دون بيت العنكبوت في المنفعة لكنه والله اعلم ضرب مثلها ببيت العنكبوت لما لا شيء اوهن واضعف عند الخلق
من بيتها وهو ما شبه اعمال الكفرة برماد اشتدت به الريح وبسراب بقيعة لما ليس شيء اضيع ولا ابعد في الوجود والقدرة عليه
في يوم ما ذكر فشبه اعمالهم به فعلى ذلك فشبه اتخاذ اولئك الاصنام الهة واولياء من دون الله ببيت العنكبوت والله اعلم وقوله

وان

وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اي اضعف وابعد من المنفعة بيت العنكبوت فعلى ذلك عبادتهم الاصنام واتخاذهم اياها معبودا
وهن وابعد مما يأملون لو كانوا يعلمون اي ان كانوا يعلمون ضعفها وعجزها والله اعلم وقوله ان الله يعلم ما يدعون من دونه
من شيء والله اعلم ان الله لم يزل عالما بما يكون منهم من اتخاذهم الاصنام معبودا وانه عن علم انشاهم ذلك لا عن غفلة وسهو لكن
انشاهم لمنافع انفسهم ولحاجة لهم ومنفعة له في انشايه اياها وهو ما قال ان الله لغني عن العالمين وقال هاهنا وهو العزيز
الحكيم العزيز قيل انه المنيع وقيل انه الذي يذل كل شيء دونه لكن العزيز عندنا هو الذي لا يعلو سلطانه شيء ولا يقهر ملكه شيء
ويعلو سلطانه وارادته على جميع الاشياء ويقهرها والحكيم قيل الذي له الحكم وقيل هو المصيب وقيل هو الذي يضع كل شيء موضعه
والحكيم عندنا هو الذي لا يلحقه الخطا في التدبير والله اعلم وقوله وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال قيل
انه لا يعقلها الا العالمون والعقل يسبق العلم بالشيء اذ بالعقل يعلم ما يعلم فكيف ذكر انه لا يعقل الا العالمون ولم يقل وما يعلمها
الا العاقلون وهو والله اعلم لوجوه احدها ان الامثال انما تضرب لتقريب ما يبعد عن الاوهام وكشف ما استتر من الاشياء
على الافهام وتجليها عما خفيت فلا يعقل الامثال انها لماذا ضربت الا العالم والثاني ان العقول تعرف اسباب الاشياء ودلايلها
فاما ان تعرف حقايق الاشياء وانفسها فلا من نحو المسالك والطريق الى البلدان تعرف مسالكها وجهاتها التي بها يوصل اليها
فاما اعيانها فلا وكذا المراقي التي بها يعلو ويرتفع فاعيان العلو فلا واما العلم فانه به يوصل الى معرفة حقايق الاشياء وانفسها
وصورها لذلك كان ما ذكر والثالث ان يكون قوله وما يعقلها اي وما ينتفع بما ذكر الا العالمون وهو كما قال صم بكم عمي نفى عنهم
هذه الحواس وان كانت لهم انفس تلك الحواس لما لم يستعملوها فيما جعلت وانشئت ولم ينتفعوا بها نفى عنهم تلك فعلى ذلك جايز
ان يكون قوله وما يعقلها الا العالمون اي ما ينتفع بما يعقل الا العالم فاما من لم ينتفع فلا يعقل والله اعلم وقوله خلق السموات
والارض بالحق يحتمل قوله بالحق اي للعاقبة وهو البعث لانه لم يخلقهما لانفسهما وكذلك لم يخلق الدنيا للدنيا ولكن انما خلقها للاخرة
اذ بالاخرة يصير خلقها حكمة وحقا لانه لو لم يكن خلقها للعاقبة كان خلقها عبثا باطلا وهو ما قال وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا الا كافر يظن انه خلقهما باطلا ولكن لما تركوا الايمان بالبعث وانكروا البعث كانهم ظنوا انه خلقهما
باطلا اذ لولا البعث كان خلقهما باطلا وعبثا فاما اذا خلقهما حقا وحكمة بالبعث فاذا انكروا اما به صار خلقه اياهما حكمة وحقا
فقد ظنوا الباطل بخلقهما فنسال الله التوفيق والصواب ويحتمل قوله ان خلقهما لتدلا الى الحق لانهما تدلان الى وحدانية الله و
ربوبيته وتعاليه عن الاشباه والشركاء وجميع الافات او ان يكون بالحق الذي لله عليهم او بالحق الذي لبعضهم على بعض والله
اعلم ان في ذلك لايات للمؤمنين صيرابة لمن اقربها وامن انه هو المنتفع بها فاما من انكر وجحد وكذبها فهو اية عليه لا له والله اعلم
اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة جايز ان يكون قوله اتل ما اوحي من الكتاب اليك واقم الصلوة اي الكتاب
الذي اوحي اليك ويحتمل اتل ما اوحي اليك من الكتاب عليهم واقم بهم الصلوة فالخطاب وان كان لرسول الله فهو لكل احد
على ما ذكرنا في ساير الخطابات والله اعلم وقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر هذا يخرج على وجهين احدهما على الا
والثاني على الالزام فاما وجه الامتنان فهو ان جعل لكم الصلوة تمنعكم عن الفحشاء والمنكر ما لو لم يجعلها لكم لا شيء
يمنعكم عن الفحشاء والمنكر فمن عليهم بجعل الصلوة لهم لما يمنعهم عما ذكر واما وجه الالزام فانه يخرج على وجهين احدهما
ان الصلوة لو كان موهوما منها النطق والنهي لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر على ما اضاف التعذير والتزيين الى الحيوة
الدنيا انه لو كان هذا الذي كان من الدنيا كان من له التعزير كان ذلك تعزيرا فعلى ذلك الصلوة لو كان منها حقيقة الامر و
النهي لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر والثاني اضيف النهي الى الصلوة لما بها يعرف ذلك فقد يضاف الاشياء الى الاسباب
وان لم يكن حقيقة ما اضيف اليها نحو ما يضاف الامر والنهي الى الكتاب والسنة ونحوه يقال امرنا الكتاب بكذا ونهانا عن كذا
وان لم يكن منها حقيقة ولا نهي لما بهما يعرف الامر والنهي وهما سببا ذلك فعلى ذلك جايز اضافة النهي الى الصلوة ان
يكون على هذا السبيل وقوله ولذكر الله اكبر اختلف فيه قال بعضهم ذكر الله الاكبر في العبادات من انفس تلك العبادات
ووجه هذا والله اعلم ان العبادات انما يكون بجوارح يغلب ويقهر ويستعمل فلا يعرف تلك انها لله الا بالتاويل واما ذكر
انما يكون باللسان والقلب وهما لا يغلبان ولا يستعملان ولا يقهران فهو يعرف ان ذلك لله حقيقة فهو اكبر وقال بعضهم
ولذكر الله اكبر من ساير الاذكار التي ليست لله هذا ليس فيه كبير حكمة لان ذلك يعرفه كل احد وقال بعضهم ذكر الله
اكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر عن الصلوة وقال بعضهم ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه لان ذكره اياكم رحمة ومغفرة
وذلك مما يعد له ولا يوازيه شيء واما العبد فانه يذكره بادنى شيء وقال بعضهم ذكر الله اكبر اي ما وفق الله العبد
من ذكره اياه وطاعته له اكبر من نفس ذلك الذكر ونفس تلك العبادة وذكر في حرف ابن مسعود وابي وحفصة
ان الصلوة تامر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لم تنهه
صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا ولم تزدد بها عند الله الا مقتا وعن سلمان الفارسي قال ذكر الله اياكم
اكبر من ذكركم اياه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لهذا وجهان احدهما يقول ذكر الله اكبر مما سواه من اعمال البر والاخر يقول ذكر
الله اياكم اكبر من ذكركم اياه والضحاك يقول العبد بذكر الله عند ما احل له وحرم عليه فياخذ بما احل له ويجتنب ما حرم عليه

وقتادة يقول لا شيء اكبر من ذكر الله واصله ما ذكرنا من الوجوه التي تقدم ذكره وقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
قال بعضهم تنهى وتمنع ما دام فيها لا يعمل بالفحشاء والمنكر والثاني ان الصلوة تامر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر اي لو كان لها
النطق والامر والنهي لكانت تنهى عما ذكر والوجه فيه ما ذكرنا بدءا والله اعلم وقوله والله يعلم ما تصنعون وعيد ليكونوا ابدا على
حذر ويقظة وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم الاية تخرج على وجوه ثلاثة احدها ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم فلا تجادلوهم الا بالتي هي احسن ولا غيره وهم الذين لا يقبلون الحجة ولا يؤمنون
اذا لزمتهم الحجة وهم اهل عناد ومكابرة والاول يقبلون الحجة ويؤمنون بها والثاني ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي
احسن فقوله الا الذين ظلموا منهم ليس على الثنيا من الاول ولكن على الابتداء كانه قال الذين ظلموا منهم قولوا امنا بالذي انزل
الينا الى اخر ما ذكر اي قولوا لهم هذا ولا تجادلوهم فانكم وان جادلتم اياهم فلا يؤمنون وهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم
حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني قوله الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم ليس على الثنيا من الاول ولكن ابتداء نهي
اي لا تخشوهم واخشوني فهي ذلك يحتمل الاول مثله والثالث وجائز ان يكون قوله وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم الى
اخر ما ذكر هي المجادلة الحسنة التي امروا بها لان ذلك مما يقبلها العقل والطبع وبها جاءت الكتب والرسل فلا سبيل الى
رد ذلك وقال بعضهم ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي جادلوا الذين يصدقون منهم ولا يكتمون نعت محمد وما
في كتبهم من الحق واما الذين ظلموا انهم يكتمون ولا يصدقون فلا تجادلوهم وهو كقوله فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
والاول كقوله تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية والمجادلة الحسنة هي التي جاء بها الكتاب ويوجبها العقل ثم فيه دلالة
جواز المناظرة والمجادلة مع الكفرة في الدين وكذلك في قوله وجادلهم بالتي هي احسن ليس كما يقول بعض انه لا يجوز المناظرة
معهم وذلك لجهلهم بحجج الاسلام وبراهينه ما نهوا عن المجادلة والمناظرة معهم وقال بعضهم من لا عهد منهم فجادلهم
بالسيف ومن كان معه عهد وكتاب فجادلهم بالحجج وقال بعضهم هو منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية ومنهم
من يقول من ادى اليكم الجزية فلا تغلظوا له القول وقولوا لهم قولا حسنا ومن لم يؤد فاغلظوا لهم وجادلهم بالسيف والله اعلم
وقوله وكذلك انزلنا اليك الكتاب اي كما اخبرناك في الكتاب فقل لهم او جادلهم وقوله فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به
يخرج على وجهين احدهما الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته فهم يؤمنون به على ما ذكر في اية اخرى الذين اتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به فيكون هذه الاية تفسير الاولى واما من لم يتلوه حق تلاوته ولا يؤمنون به والثاني
فالذين اتيناهم الكتاب وانتفعوا به اي يؤمنون بالذين اوتوا منافع الكتاب ومن هؤلاء من يؤمن به يحتمل قوله ومن هؤلاء
اي من اهل مكة من يؤمن به وقد امن كثير منهم وجائز ان يكون اشارة الى قوم كانوا بحضرته فقال ومن هؤلاء من يؤمن به
والله اعلم وما يجحد باياتنا الا الكافرون وقال قتادة لا يكون الجحود الا بعد معرفة ان اليهود والنصارى عرفوه كما عرفوا
ابناءهم لكنهم يجحدونه وكل من انكر شيئا فقد جحده عرفه او لم يعرفه وقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
تاويله والله اعلم اي ما كنت تتلو لارتاب المبطلون فيقولون انما انباهم من الانباء المتقدمة او كلام الحكمة انما تلقفت و
احدثت من تلك الكتب المتقدمة او كتب الحكماء ولو كنت تخطه بيمينك يقولون ان ذلك من تاليفك ووصفك لان القران حجة
عليهم من وجهين احدهما ما ذكر فيه من الانباء المتقدمة المترجمة بغير لسان المتقدم ما علموا بجمعهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان لا يعرفها مترجم ولا شهدها هو ثم انباهم على ما كان فعلموا انه بالله عرفها والثاني هو اية معجزة نظما ووصفا ما
يعلمون انه ليس من نظم البشر ولا وصفه فيقول ما كنت تتلو من قبله كتابا فيه تلك الانباء والحكمة ولا تخطه بيمينك فيقولون
من تاليفك ومن نظمك فلو كنت كذلك اذا لارتاب المبطلون بما ذكرنا على عناد منهم ومكابرة ولارتاب المحقون وان كانا كما
ذكر لما عرفوا صدقه باشياء وبايات كانت فيه وقال بعضهم في قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب يقول قبل القران
ولا تخطه بيمينك اي لا تكتبه بيدك ولو كنت تقرأ كتابا من قبله او كنت تكتب بيدك اذا لارتاب المبطلون يقول لاتهموك
هذا قد ذكرناه ولكن نقول في قوله بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يقول بل هو اليقين انك لا تقرأ ولا [illegible]
عند الذين اوتوا العلم وهم مؤمنوا اهل الكتاب من نحو عبد الله بن سلام واصحابه وقوله بل هو ايات بينات في صدور الذين
اوتوا العلم يحتمل القران اذ فيه ايات وحدانية الله وحججه وايات البعث وحججه او ايات ويحتمل قوله بل هو ايات بينات
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من اول ما نشأ الى اخر عمره اية لما ذكر من النور في وجه ابيه ما دام في صلبه ثم في رحم
امه اذ وقع في زوجها من ضياء الليلة التي ولد فيها ثم من ظل السحاب لدى الملة وقت ما خرج من وطنه وامثاله ذلك
كثير ما لا يعد ولا يحصى والله اعلم فذلك كله يدل على رسالته ونبوته لا يرتاب فيه الا المبطل المعاند المكابر وقوله في
صدور الذين اوتوا العلم جائز ان يكون قوله في صدور الذين اوتوا العلم اي اوتوا منافع العلم اي هو ايات بينات في صدور
الذين اوتوا منافع العلم فاما من لم يؤت منافع العلم فلا وقوله وما يجحد باياتنا الا الظالمون يحتمل الظالم ظالم الايات لما لم
يضعوها في موضعها ويحتمل الظالمون الكافرون وقوله وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه وفي بعض القراءات اية من ربه
على القران فكانهم سألوه مرة اية كقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية وانما نزل اذا [?] السؤال ومرة سألوه ايات

كقوله

كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وكقولهم او تكون لك جنة من نخيل و
عنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا الاية ونحوها من الايات التي سألوها فمرة سألوها ايات ومرة سألوه اية فنقول من قال
اختار قراءة ايات على قراءة اية محال اذا ثبت انه قراءة فاخبر عن وصل على ما كان منهم والله اعلم وقوله قل انما الايات
عند الله اي من عنده يجيء الايات فكانهم اذا سألوه ايات قاهرة يقهرهم ويضطرهم على القبول والاقبال اليه لا ايات
يكون في ذلك وجه الاختيار لكن سؤال عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد واستهداء وقوله ان الله قد عفا عن هذه
الامة عن انزال ما به هلاكهم على اثر سؤال العناد والمكابرة وان كان في غيرها من الامم السالفة ينزل عليهم الهلاك و
العذاب على اثر سؤال العناد والمكابرة والله اعلم وقوله وانما انا نذير مبين هذا يحتمل وجهين احدها وانما انا نذير من
الله مبين ان الله امرني بذلك وارسلني اليكم والثاني انما انا نذير مبين اي ليس علي الا الانذار لكم ابين النذارة فاما
غير ذلك فليس علي كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء الاية ونحوه وقوله اولم يكفهم انا
انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم هذا يدل انهم انما سألوه سؤال عناد واستهزاء لا سؤال استرشاد حيث قال ان فيما انزل
عليهم من الكتاب كفاية لمن كانت همته الاسترشاد والانصاف فاما من كانت همته العناد والمكابرة فلا وان في ذلك لرحمة
اي فيما انزل من الكتاب عليك لرحمة اي رشدا وذكرى موعظة لقوم يؤمنون وقوله قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا هذا
يقال لوجهين احدهما عند الاياس من قبول الحجج والايات يقول كفى بالله شهيدا اي حاكما بيني وبينكم انا على الحق وانتم على الضلال
[illegible] والثاني كفى بالله شهيدا اني قد بلغت ما امرت بتبليغه اليكم واتيان ما اتيتكم به من الايات والحجج يعلم ما في السموات
والارض فالذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون وقوله ويستعجلونك بالعذاب كان استعجالهم العذاب
وسؤالهم الايات على علم منهم انه لا ينزل ولا ياتيهم يخرج مخرج الاستهزاء بالرسل والتمويه والتلبيس على الاتباع والضعفاء
لانهم يعلمون ان الله لا يعذب ولا يهلك هذه الامة اهلاك استيصال وانتقام كما اهلك الامم المتقدمة بالعناد والاستهزاء
بالرسل اذ قد امهلهم وقت فاذ علموا ذلك من الامهال والتاخير سألوا الرسول العذاب الذي اوعدهم والايات القاهرة
ووعدوا الايمان لو جاءهم بها واقسموا على ذلك بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية تمويها وتلبيسا على اتباعهم
وضعفائهم يرونهم انهم على حق في الايمان فيما يدعوهم الرسول وانه لو اتى باية وحجة يؤمنون ويتبعونه وهم فيما يسألونه
من الايات والعذاب عالمون انهم معاندون كذبة متمردون ملبسون مموهون على الاتباع والسفلة لما ذكرنا والله اعلم
وقوله ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة الاية فان قال لنا ملحد انه حيث اخر عنهم العذاب وامهلهم علم
منهم انهم يستعجلون ذلك اولم يعلم ذلك فان قلت على غير علم منهم فقد اثبت الجهل له وان قلت على علم منه ذلك فكيف امهل
وتعجل ما يكون منهم قيل امهاله العذاب عنهم وضرب الاجل رحمة منه لهم وفضل كما قال ولولا رحمة التي جعل لهم على
نفسه لعاجلهم العذاب كما جاء الامم الخالية عند سؤالهم الرسل العذاب والايات بالعناد والاستهزاء وهو كقوله وما
[illegible]

وحرمهم واهل قراباتهم ومعونتهم ولما وعد لهم جل وعلا التوسيع عليهم لو خرجوا وهربوا اشفاقا على دينهم وكذلك روي
عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فر بدينه من ارض الى ارض اخرى وان كانت شبرا وجبت له الجنة وكان رفيق
مع ابيه ابراهيم ونبيه محمد ونحو من الكلام وعلى مثل ذلك جاءت الاثار من السلف في تاويل الاية انما دعيتم الى المعاصي
فاهربوا في الارض فان ارض الله واسعة وقال بعضهم اذا عمل بالمعاصي في الارض فاهربوا الى اخرى فان ارضي واسعة
وهو ما ذكروا امروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ووعد لهم السعة والحسنة في الدنيا وفي الاخرة اعظم منها وهو ما قال والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر اعظم لو كانوا يعلمون وقال هذه الاية ان
ارضي واسعة فان منعتم عن عبادتي في ارض فاخرجوا منها الى اخرى فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فان ارضي واسعة لا
عذر لكم بالمقام في ارض تمنعون عن عبادتي واظهار ديني المستضعفين الذى استثناهم في اية اخرى حيث قال المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا عذر لهم بما بهم من الضعف لترك الخروج و
المقام من اظهرهم وكتمان الايمان والعبادة له سرا ان لم يقدروا على اظهاره فاما من كانت له حيلة الخروج ثم يعذر
وقوله كل نفس ذائقة الموت ذكر هذا والله اعلم على اثر ما ذكر لئلا يمنعهم عن الخروج والهجرة خوف ضيق العيش
يقول والله اعلم ان كل نفس تذوق الموت اذا استوفت رزقها لا محالة ولا تذوق الا استيفاءها رزقها فلا يمنعكم
خوف ضيق العيش فانها تذوق ذلك لا محالة خرجت او لم تخرج اذا استوفت رزقها وهو ما قال قل لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لو كان المكتوب عليه القتل يبرز لا محالة حتى يقتل فعلى ذلك المكتوب
عليه الموت يذوق لا محالة خرج او اقام والله اعلم ثم الينا ترجعون وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم اى
لنبوئنهم غرفا يقال بواها انزل وحيا ولنثوينهم من الثوا وهو الاقامة وقال القتبي هو من تبوأت بالمقام اذا ثبت له و
بالباء لنبوئنهم اى لننزلنهم وقال ابو عوسجة اى لننزلنهم منها منزلا ليقيمون فيه والثوا الاقامة وقال ابو معاذ بواها
هيأها والمثوى المنزل والثاوي النضيف خالدين فيها نعم اجر العاملين اى ثوابهم وجزاؤهم وقوله الذين صبروا وعلى
ربهم يتوكلون يحتمل قوله الذين صبروا اى خرجوا وهاجروا وصبروا على الهجرة وعلى ربهم توكلوا في الخروج والرزق
والذين صبروا على الطاعات واداء الفرائض او ان يكون الصبر كناية وعبادة عن الايمان اى الذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون ويثقون ويفوضون كقوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اى لكل مؤمن ومحمد بن اسحق يقول انزلت
الاية بمكة في ضعفاء مسلمي مكة يقول ان كنتم في ضيق بمكة اظهار الايمان بها فان ارض المدينة واسعة فاياي
فاعبدون بها علانية ثم خوف بالموت ليهاجروا فقال كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون في الاخرة ثم نعتهم
فقال الذين صبروا على الهجرة وبالله يثقون في هجرتهم وذلك ان احدهم كان يقول بمكة كيف اهاجر الى المدينة وليس بها
مال ولا معيشة فوعظهم بما ذكر وقوله وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم من الناس من يجعل الاية صلة
قوله يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة انهم امروا بالهجرة من بلدتهم والخروج من مقامهم ليسلم لهم دينهم فاشتد
ذلك عليهم وضاق بذلك ذرعهم لضيق العيش عليهم هنالك لما لا يتهيا لهم ولا يتاتى لهم حمل اموالهم والمكاسب
التي بها يتعيشون في بلدهم ويتسعون بها فاخبر ان له خلائق يرزقهم حيث ما توجهوا وحيث ما كانوا لا يحملون معهم شيئا
من الرزق بل يرزقهم حيث ما كانوا فعلى ذلك هو يرزقكم حيث ما كنتم حملتم مع انفسكم شيئا من الاموال والمكاسب او لم
تحملوا فلا يضيقن صدوركم بترككم الاموال والمكاسب في بلدكم وجاز ان يكون لا على الصلة بما تقدم ولكن على ابتداء التذكير و
تنبيه البشر لئلا يعلقوا قلوبهم باسباب الرزق لان للبشر فضل تعلق القلوب باسباب المعاش والرزق ما ليس
ذلك لغيرهم فيخبر ان الرزق ليس يتعلق بالاسباب بل يرزق بسبب وبغير سبب انه قد يرزق ويبسط من ليس له من الاسباب
شيء نحو ما ذكر من رزق الطير والدواب وغير ذلك من البشر الذي يرزقون بلا اسباب ومكاسب وهو ما قال يرزقه من حيث
لا يحتسب واكثر الارزاق يكون للناس بلا اسباب ومكاسب ولذلك ذكر والله اعلم على اثر ذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له يبسط لمن يشاء وان لم يكن له سبب ويقدر على من يشاء وان كان معه سبب لئلا يعلقوا قلوبهم
قلوبهم في الرزق بالاسباب والمكاسب وعلى قول المعتزلة ان الله لا يقدر ان يبسط الرزق لمن يشاء لانهم لا يجعلون
لله في الاسباب والمكاسب صنعا وانما يجعلون منه خلق اصول الاشياء من الانبات والاخراج من الارض واما غير ذلك
فهو كله للخلق على قولهم فذلك النبات والخارج منها الكل ليس بعضهم بذلك اولى من بعض فيذهب فايدة ما ذكر من
البسط والتوسيع والتقتير على قولهم وقوله وهو السميع العليم على اثر ما ذكر يخرج على وجوه احدها المجيب بخلاف عن
ويشاورون العليم بحوائجهم حيث كانوا واين كانوا او السميع لقولهم انا لا نجد ما ننفق ونتعيش العليم بما اضمروا ويحتمل
وقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون انهم اعطوا جميعا بالسنتهم
ان الذي خلق السموات والارض وما سخر لهم من الشمس والقمر وما نزل من السماء من الماء وما احيا به الارض هو الله
لا غيره فيخرج قوله فانى يؤفكون على اثر ما اعطوا بالسنتهم ونطقوا به على وجهين احدهما انى يصرفون عما اعطوا بالسنتهم

ونطقوا

ونطقوا به الى صرف الشكر والعبادة الى الاصنام التي يعلمون انها لم تخلق شيئا مما اعطوا بالسنتهم والثاني فانى يؤفكون اي
في تسميتهم الالهة على علم منهم انها ليست بالهة والله اعلم وقوله قل الحمد لله على اثر ما ذكر يخرج على وجوه احدها امره ان يحمد ربه فيما
لم يبتل بما ابتلى اولئك من التكذيب والعناد والكفر بربهم والثاني امره يحمد ربه لما في ذلك اظهار سفههم حيث اعطوا بالسنتهم
ان ذلك كله من الله وانه خالق ذلك كله ثم صرفوا ذلك الى غيره والثالث يقول بعضهم قل الحمد لله على اقرارهم بان ذلك كله انهم
خلق الله وان ذلك كله منه والله اعلم وقوله بل اكثرهم لا يعقلون اى لا ينتفعون بعقولهم نفى عنهم العقول لما لم ينتفعوا بها
كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان لما لم ينتفعوا بهذه الحواس فعلى ذلك هذا والثاني لم يعقلوا لما تركوا النظر والتفكر في
الاسباب بها يعقل الاشيا والله اعلم وقوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب قوله اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لو كانت
الاية على ظاهر ما نطق به دون معاني تودع فيه وحكمة تجعل فيه على ما يحمله بعض الناس لكان لاهل الالحاد في ذلك مطعن لانه
يقول ما الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وهو خلقها لهوا ولعبا وهو خلقها دعوى التناقض فيه حيث قال وما خلقنا السماء و
الارض وما بينهما باطلا وقال في اية اخرى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين فلو جمع بين هذا وبين الاول
فهو في ظاهر متناقض اذ يذكر في بعضها انه لم يخلقهما وما بينهما باطلا لعبا ويذكر في بعضها ان الحيوة الدنيا لهو ولعب
وهو خلقها لكن تاويل قوله وما هذه الحيوة الدنيا على ما تقدرون انتم وعلى ما عندكم الا لهو ولعب فاما ما عند اهل التوحيد
وما في تقديرهم فهي حكمة وحق ثم هو ما ذكر من اللهو واللعب عندهم يخرج على وجهين احدهما انهم راوا انه خلق الانسان
وجعل برايه من نطفة ثم حولها الى علقة ثم الى مضغة ثم الى الانسان الذي سويا الى اخر ما حوله فلا يحتمل ان يخلقه و
يحوله من حال الى الاحوال التي ذكر ثم يفنيه بلا عاقبة يجعل لهم ولا منفعة فيكون كما ذكر ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من
بعد قوة انكاثا اي نقضها الغزل من بعد احكامها اياه بلا انتفاع به لهوا ولعبا فعلى ذلك تخليق الحيوة الدنيا وخلق ما فيها من
العالم بعد احكامه وتحويله حالا بعد حال وتحويلا بعد تحويل واحكاما بعد احكام للفناء خاصة على ما يقدر اولئك الكفرة
بلا عاقبة يجعل لهم او منفعة لهو ولعب وسفه باطل على ما ظن اولئك وقدروه فاما ما في تقدير اهل التوحيد واهل
الايمان من العاقبة لهم فهو حكمة وحق والثاني معنى اللهو واللعب الذي ذكر على ما عندهم هو ان الجمع والتسوية بين العدو
والولي وبين العاصي والمطيع وبين المخالف والموافق سفه باطل وقد سوى بينهم في هذه الدنيا واشركهم جميعا في نعيمها
وسعتها وشدتها وخيرها وشرها يتمتع الولي فيها كما يتمتع العدو ويبتلى فيها المطيع كما يبتلى العاصي فلو لم يكن دار اخرى فيها
يفرق بين الولي والعدو وبين المطيع والعاصي لكان خلقه اياهم في الحيوة الدنيا سفها وباطلا اذ سوى بينهم في هذه الدنيا
واشركهم جميعا في هذه او ان يكون الحيوة الدنيا على ما اتخذوها وعملوا فيها لهوا ولعبا او ان يقال الحيوة الدنيا الحيوة الاخرة
لهو ولعب لانها خلقت فانية منقطعة وخلقت حيوة الاخرة باقية دائمة فهو كما قال قل متاع الحيوة الدنيا قليل و
الاخرة خير [illegible] متاع الاخرة لان متاع الدنيا فان منقطع ومتاع الاخرة دائم باق وقوله وان الدار
الاخرة لهي الحيوان [illegible] لو كانوا يعلمون [illegible]
فيها والله اعلم وقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين [illegible] على المعتزلة في قولهم ان الله [illegible]
في الدين [illegible] انهم اخلصوا الدين لله اذا ركبوا في الفلك ولا شك ان ذلك لهم اصلح في الدين ثم لم يبقهم على ذلك
ليكونوا على ذلك الاخلاص دائما بل اعادهم الى ما كانوا فيه [illegible] الاصلح لهم في الدين وقوله
ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون [illegible]
منهم الكفر [illegible] وكان اخلاصهم الدعا في الفلك لم يكن اخلاص اختيار
ولكن اخلاص دفع البلاء عن انفسهم [illegible] لما كانوا يكونون ذلك في الاحوال كلها
فهذه الاية وان كانت في اهل الكفر ففي ذلك تنبيه وتوبيخ لاهل الاسلام لانهم لا يقومون بالشكر لله واخلاص العبادة له في
حال السعة [illegible] في حال الضيق والشدة [illegible] ان يكونوا في الاحوال كلها مخلصين [illegible]
[illegible] والله اعلم وقوله [illegible]
[illegible] وقوله فسوف يعلمون [illegible]
[illegible]
وفي قوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب [illegible] المجالس والاعمال التي تعملون وتعقدون مجالس
[illegible] في هذه الدنيا الا لهو ولعب لا يبقى ولا ينتفعون بها الا ما ابتغي بها وجه الله والدار الاخرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ان يقول لهم اعلموا ان الله جعل الحرم لكم مامنا تامنون فيه والناس من حولكم على خوف يسلبون ويسبون ويقتلون ثم يخرج
تذكيره اياهم هذا على وجهين احدهما ان الله قد جعل لكم الحرم مامنا تامنون فيه لتعظيمكم حرم الله وبيته والناس حولكم على
خوف وانتم تشاركون من حولكم في الدين فكيف تخافون الاختطاف والاستلاب اذا دنتم بدينه واتبعتم رسوله فاذا منكم
يكونكم في حرم الله وتعظيمكم بيته ودفع عنكم الاستلاب والاختلاف فكيف تخافون ذلك اذا انتم بدينه واتبعتم امره بل
الامن والسعة اذا دنتم بدينه واتبعتم امره اكثر واحق فكانهم انما تركوا اتباع دينه خوفا من الاختلاف فكقولهم ان نتبع
الهدى معك نتخطف من ارضنا فقال لهم اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ او يذكرهم انه قد امنكم وصرف
من عبادتكم الاصنام وصرفكم الشكر اليها عند كل مكروه وسوء يكونكم في مجاورة بيته وحرمه فاذا صرفكم العبادة اليه و
شكرتم نعمه احق ان يومنكم ويوسع عليكم نعمه ويدفع عنكم ما لم يدفع عمن حولكم وانتم شركاؤهم في عبادة الاصنام واتخاذهم
اياها الهة على هذا يخرج والله اعلم وقوله افبالباطل يؤمنون يحتمل قوله افبالباطل اي مما اوحى اليكم ابليس من الباطل
يؤمنون وهو ما اوحى اليهم ان هؤلاء شفعاؤكم عند الله وعبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى كقوله وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم الاية وقوله وبنعمة الله يكفرون اي بما اوحى اليكم محمد من الله يكفرون او ان يكون قوله افبالباطل
يؤمنون اي بالشرك يؤمنون وبنعمة الله يكفرون اي بتوحيد الله يكفرون او ان يكون النعمة ههنا هو القران او ما ذكرنا
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قد ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج على وجهين
على الخبرية وعلى الايجاب تارة فالالزام اعلموا ان ليس احد من المفترين اظلم ممن افترى على الله كذبا وعلى الخبر اي قد علمتم
ان ليس احد من المفترين اظلم ممن افترى على الله وقد عرفتم بعقولكم قبح الافتراء والكذب فيما بينكم فلا كذب ولا افتراء
اوحش واقبح من الافتراء على الله فكيف افتريتم عليه وهو اوحش واقبح وقوله او كذب بالحق يحتمل كذب بالحق برسول
الله او بالقران الذي عجزوا عن اتيان مثله او بالتوحيد او كذب بالحق الذي ظهر حقه وصدقه لما جاءه وقوله
اليس في جهنم مثوى للكافرين كانه يقول اعلموا ان جهنم مثوى للكافرين يذكره على التعيير على اذاهم والتسلي لما كان
يضيق صدره لمكان تركهم الايمان والاياس منهم وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يشبه ان يكون هذا
صلة قوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب اي ليس من اجهد نفسه في طلب الدنيا والعمل لها الا لهو ولعب و
اما من اجهد نفسه لله وطلب مرضاته فهو حق وله دار الحيوة التي لا موت فيها ولا انقطاع ويشبه ان يكون
على الابتداء لا على الصلة بالاول يقول والذين جاهدوا انفسهم في هواها وشهواتها وامانيها حقيقة ابتغاء
مرضات الله وطلب الهداية والدين وسبيله لنهدينهم سبلنا ذكر السبيل ههنا لما سبق ذكر الجماعة يقول
جاهدوا فينا لنهدينهم كلا سبيلا فيكون سبيلا للكل واما قوله ولا تتبعوا السبل ان السبل على الاطلاق على
تقدم ذكر من الهدى او شئ من الاضافة الى الله هي سبيل الشيطان والله اعلم وقوله وان الله لمع المحسنين
يحتمل قوله ان الله لمع المحسنين في التوفيق لهم في الاحسان والاعمال الصالحة او مع المحسنين في النصر لهم و
المعونة لهم مع اعدائهم او مع المحسنين وتولاهم فلم يغلبهم احد من الخلق قوله لمع المحسنين ومع المتقين مما
ما يفهم من الخلق وذي الاجسام والجثات كيف فهم بعض الناس من قوله ثم استوى على العرش وجاء ربك وياتيهم في كذا ما يفهم
من استوى الخلق ومجيئهم واتيانهم ليعلم ان فهم ذلك ما يفهم من الخلق بعيد محال وبالله العصمة

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى
الارض وفي بعض القراءات غلبت الروم بفتح الغين على المستقبل يذكر اهل التاويل انما يذكر هذا لان المشركين كانوا يجادلون
المسلمين وهم بمكة يقولون ان الروم اهل الكتاب وقد غلبتهم المجوس وانتم تزعمون انكم ستغلبون بالكتاب الذي انزل على نبيكم م
نستغلبكم كما غلب فارس الروم فانزل الله تعالى هذه الاية الم غلبت الروم في ادنى الارض الاية لكن تذكر في اخره ويومئذ
يفرح المؤمنين بنصر الله ينصر من يشاء فلا يحتمل فرح المؤمنين بغلبة الروم على فارس ويسمى ذلك نصر الله وهم كفار وغلبتهم عليهم
معصية اللهم الا ان يكون فرحهم بما يظهر الايمان بكتاب الله وتصديقها والعمل بها وهم كانوا اهل كتب ورسول الله صلى الله عليه
وسلم كان بعث مصدقا لكتب الله ورسله اجمع ففرحوا بذلك فان كان كذلك فجائز الفرح بذلك وتسمية نصر الله واما على الوجه الذي
يقولون هم فلو وجدنا ان في ذلك اية عظيمة في اثبات رسالة نبينا محمد صلوات الله عليه ونبوته وصدقه ما لم يجد الكفار فيه م
طعنا ولا النسبة الى الكذب والافتراء على ما قالوا وطعنوا في ساير الايات والانباء وقولهم انما يعلمه بشر ونحو ذلك من المطاعن التي
طعنوا في القران والانباء المتقدمة حيث قالوا ان هذا الا اساطير الاولين وما هذا الا افك مفترى فمثلها لم يجدوا فيما اخبر من غلبة الروم
على فارس لانها اخبر عن غلبة ستكون وستحدث لا عن غلبة قد كانت ومثل هذا لا يدركه البشر ولا يستفاد منهم اذ لا يبلغه علم البشر
ولا يدرك بالقياس بالسابق منه الامور فاذا كان على ما اخبر دل انه بالله علم ذلك وبوحي منه اليه عرف ذلك وهم جاز ان يستدلوا
ما كان من قبل من غلبة فارس على الروم ان يقولوا تغلب فارس على الروم غا يشهد مع مرة او يرجع لخبر يستند ولون بذلك من نحوان

يقولونهم اهل كتاب وعبادة يكونون مشاغيل بالنظر فيها والعمل ببعض ما فيها لا يتفرغون للقتال والحرب وان يقولوا انهم نصارى
اعني اهل الروم وليس في سنتهم ومذهبهم القتال والحرب فيستدلون بمثل هذه الوجوه على ان لا غلبة تكون لهم ولا ظفر واما اهل
الاسلام ليس لهم شئ من تلك الوجوه ولا بغيرها وجه الاستدلال بغلبة اولئك مما قالوا دل ذلك الا وحيا من الله اليه واعلاما
منه اياه فكان في ذلك اعظم اية صدق رسوله واكبرها فيكون فرح المؤمنين وذكر نصر الله باظهار تلك الاية في تصديق رسوله
اذ نصر رسوله حيث اظهر صدقه ورسالته وقوله غلبت وغلبت غلبت على الماضي لما كان من غلبة فارس على الروم وغلبت بالفتح
على المستقبل اي تغلب الروم على فارس وهو كقوله فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا على الامر في المستقبل وباعد بين اسفارنا على الخبر
فعلى ذا الاول وقوله في ادنى الارض قيل اقرب الارض فارس وقال بعضهم ادنى الارض اي ادنى ارض الشام وقيل الارض
التي تلي فارس والله اعلم وفي قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وفي قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وفي قوله ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله وهو على المعتزلة احدها يقال لهم وعدان بغلبة الروم على فارس وقد اراد ان ينجز ما وعد حقا صدقا ام
ان قالوا لا فقد اعظموا الفرية والخشوع حيث زعموا انه اراد ان لا يفي بما وعد انه يكون فان قالوا نعم قيل دل انه اراد ما فعلوا وان
كان الفعل منهم فعل معصية وغلو فاذ محاربة كل فريق اصحابهم معصية اذ لم يؤمروا بذلك وانما امروا بالاسلام فدل ان الله
مريد لما يعلم انه يكون منهم وان كان ما يكون منهم معصية والثاني ما اخبر بفرح المؤمنين بغلبة هؤلاء على اولئك على اي جهة كان
فرحهم لاثبات اية عظيمة على رسالة نبيهم ونبوته على ما ذكرنا او لانهم كانوا اهل كتاب الله ودراستها احبوا غلبتهم عليهم وفرحوا
بذلك ولا يحتمل ان يفرحوا بذلك ولم يامرهم بذلك ولا اراد منهم ذلك دل انهم انما فرحوا ذلك لما اراد ذلك والثالث في قوله بنصر الله
ينصر من يشاء دلالة ان الله في فعل العباد صنعا وتدبيرا حيث ذكر فعل بعضهم على بعض ثم سمى نصر الله دل ان له في ذلك تدبيرا وقوله
بضع سنين قيل البضع سبع وقيل ما دون العشر فهو بضع وكذلك ذكر في الخبر ان ابا بكر رضي الله عنه لما خاطر المشركين وبايعهم في ذلك
بخطر في سنين ذكرها فمضت تلك المدة ولم يغلب الروم على فارس فقال رسول الله لابي بكر اما علمت ان ما دون العشر بضع كله فزد في الاجل
وزد في الخطر ففعل ذلك فلم تمض تلك السنون حتى ظهرت الروم على فارس وفي بعض الحديث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكونوا
ان توجلوا اجلا دون العشر فان البضع ما بين الثلاث الى العشر فزايدوهم وماددوهم في الاجل ففعلوا حتى ظهرت الروم على فارس
فذكر الحديث ثم المسئلة في المخاطرة التي كانت بين ابي بكر وبين اولئك الكفرة احدها ان مكة كانت يومئذ دار حرب دليله قوله واذ يمكر بك
الذين كفروا الاية وذلك كان قبل الهجرة وما امر بالهجرة ايضا الى المدينة ونحوه كثير وذلك كان كله قبل غلبة الروم على فارس فاذا
كانت مكة يومئذ دار حرب جازت في العقود في دار الحرب فيما بينهم وبين اهل الحرب وان كان مثلها في دار الاسلام غير جايز وهو
دل لابي حنيفة رحمه الله في اجازته عقد الربوا في دار الحرب فيما بينهم وبين اهل الاسلام وان كان مثله في دار الاسلام غير جايز
والثاني جاز ذلك يومئذ وان كانت فيه جهالة اسنان الابل والجهالة في العقود انما تبطل العقود لخوف وقوع التنازع بينهم
في الاخرة والتنازع في امثالهم لا يوهم وقوعه اذ كانوا اهل شرف وكرم واهل جود لا تنازعون في امثالها فاذا كان التنازع في مثلها
مرتفعا من بينهم جاز ذلك ان يكون التنازع بينهم في الدين فاما في الاموال فلا يقع لما ذكرنا ومنهم من يقول كان ذلك جايزا في
الجاهلية فاما اليوم فقد جاء النهي عن القمار فنسخه واما عرفنا النهي عن الميسر والميسر هو القمار فيكون النهي عن الشئ نهيا عما هو
في معناه والله اعلم وقوله لله الامر من قبل ومن بعد قال بعضهم لله الامر من قبل غلبة فارس الروم ومن بعد غلبة فارس الروم و
يقال لله الامر من قبل حين ظهرت الفارس على الروم ومن بعد ما ظهرت الروم على فارس وجايز ان يكون قوله لله الامر في خلقه
اي التدبير فيه وله الامر فيهم اي ليس لاحد في الخلق ولا تدبير وانما ذلك له كقوله الا له الخلق والامر له التدبير فيهم والامر وفي
قراءة من قرا غلبت الروم بالنصب يكون قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون حين تظاهر عليهم المسلمون في اخر الزمان حين يفتح قسطنطنية
وفي حرف ابن مسعود وحفصة وتجعل سنين قريبا وقوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء فرح المؤمنين بنصر الله
حيث نصر رسوله باظهار الاية له في اثبات الرسالة والنبوة وصدقه وذلك النصرة وما يقول بعض اهل التاويل نصر الروم على فارس
بعيد لان ما كان الفعل فعل معصية لا يقال نصر الله وانما يقال ذلك فيما كان الفعل فعل طاعة والوجه فيه ما ذكرنا انه نصر رسوله
ما ذكرنا وهو العزيز الرحيم ذكر العزيز على اثر ما سبق لانه عزيز بذاته فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب وهنا ولا نقصا في ملكه
وسلطانه ليس كملوك بعض عبيد مملوك الارض واتباعه وحشمه لان ملوك الارض اعزاء بذلك فاذا هلك ذلك ذهب عزهم
فاما الله سبحانه وتعالى اذ هو عزيز بذاته لا بشئ فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب نقصا ولا ذلا فيه وقوله وعد الله لا يخلف و
انما يكون خلف الوعد فيما نشاهد لاحدى خصال ثلث اما لندامة استقبلته فيما وعد فيمنعه تلك الندامة من انجاز ما وعد و
حفظ الوفاء له واما الحاجة وقعت له فيما وعد فمنعته تلك الحاجة عن وفاء ما وعد وانجاز ما اطمع واما العجز يكون به لا يقدر على
انجاز ما وعد فيحمله عجزه وفاء ما وعد وانجازه فاذا كان الله سبحانه يتعالى عن الوجوه التي ذكرنا كان ما وعد لم يحتمل الخلف منه و
لا تقع الا بالله وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحتمل قوله لا يعلمون لما لم ينظروا ولم يتفكروا في الاسباب التي هي اسباب العلم
بعد ما اعطاهم اسباب العلم لكنهم اذا تركوا النظر في الاسباب والتفكر فيها لم يعلموا فلم يعذروا بذلك لتركهم النظر والتفكر فيها
ويحتمل قوله لا يعلمون اي لا ينتفعون بما علموا فنفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بهذه الحواس وان كانت لهم هذه الحواس وقوله يعلمون

ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون يحتمل قوله ظاهر الاشياء في المنافع ولا يعلمون باطن المنافع بها وكيف نحو ما يعلم ان الماء
حيوة الاشياء ويعلمون ان بالطعام قوام الابدان ولكن لا يعلمون قدر منفعته وكيفيته وما في سريته ذلك من المنافع وكذلك السمع
والبصر واللسان لا يعلم حقيقة ذلك وكيفيته وان كان يعلم انه بها يسمع ويبصر ويتكلم ويفهم وجائز ان يكون قوله يعلمون ظاهرا منافع
الحيوة الدنيا وعن منافع الآخرة هم غافلون واما الشارات منافع الدنيا لا ينكرون لها ولكن ليعلم بها منافع الآخرة وابن عباس و
الكلبي وهؤلاء يقولون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا قالوا يعلمون معايشهم وتجاراتهم وحرفهم وجميع الاسباب والمكاسب و
الحيل التي بها تقوم امور دنياهم وهم عن الآخرة هم غافلون اي لا يؤمنون بها والله اعلم وقوله اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق
الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق قد ذكرنا في غير موضع ان كان استفهام من الله وسؤال يخرج على الايجاب والالزام
ثم الايجاب يخرج على وجوه احدها ان قد تفكروا واعتبروا ونظروا وعرفوا انه ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق
لكنهم عاندوا وكابروا ولم ينقادوا للحق ولم يقروا والثاني يخرج على الامر اي تفكروا وانظروا واعتبروا لتعلموا انه ما خلق الله
السموات والارض الا بالحق لكنهم لم يتفكروا ولم ينظروا بعد ما اعطوا اسباب العلم به فلم يعذروا بتركهم التفكر والنظر والاعتبار و
على هذه الوجوه الثلاثة يخرج قوله اولم يسيروا في الارض ونظروا وعلموا ما حل بالمكذبين بالتكذيب وما صار عاقبة امرهم اوسيروا
في الارض على الامر لتعرفوا ما اصاب اولئك بالتكذيب اولم يسيروا في الارض على ما ذكرنا فلا يعلموا عاقبة امور اولئك ثم قوله
الا بالحق قيل فيه بوجوه احدها ان ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق الذي عليهم من الشكر له فيما انعم عليهم و
التعظيم له والتبجيل والثاني الا بالحق الذي لله عليهم من الشكر له فيما انعم عليهم اي ما يحمد بفعله عاقبته ما لولا ذلك لكانت عاقبته لكان
لا يحمد اذ في الحكمة التفريق بين الولي والعدو وقد اشركهم جميعا في هذه الدنيا بين الولي والعدو فلو لم يجعل دارا اخرى يفرق فيها
بينهما لكان لا يحمد فيما اشركهم فيها والثالث الا بالحق اي بالبعث لانه لولا البعث لكان تخلقه السموات والارض وما بينهما
عبثا باطلا لاحقا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون سمي البعث لقاء الرب و
المصير اليه والرجوع اليه والبروز اليه والخروج وان كانوا في الاوقات كلها بارزين له خارجين صائرين اليه لا يخفى
لانه خلقه اياهم انما صار حكمة لذلك البعث والمقصود بخلقهم ذلك البعث لذلك سمي البعث بما ذكرنا وقوله اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هو يخرج على الوجوه التي ذكرنا في قوله اولم يتفكروا في انفسهم وقوله
كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها يذكر اهل مكة ويوبخهم في تكذيبهم رسول الله وسوء معاملتهم
اياه ما ذكر من القرون الماضية انهم مع شدتهم وقوتهم وبطشهم وكثرة اتباعهم ومواشيهم واموالهم وطول اعمارهم و
بنيانهم لم يتهيأ لهم الانتصار والامتناع عن عذاب الله اذا حل بهم بتكذيبهم الرسل فانتم يا اهل مكة دونهم في القوة والبطش
والحواشي والاتباع فكيف يتهيأ لكم الانتصار والامتناع من عذاب الله اذا كذبتم الرسول والله اعلم فما كان الله ليظلمهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى اي جائز ان يكون على التقديم والتاخير ثم كان عاقبة الذين اساؤا
السوءى معطوفا على قوله فما كان الله ليظلمهم يقول ما حل بهم من العذاب وعذبوا في هذه الدنيا بتكذيبهم لم يظلمهم الله ولكن
ظلموا انفسهم بما اساؤا ويحتمل ان يكون قوله فما كان الله ليظلمهم في تعذيبهم في الدنيا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم يكون
قوله ثم كان عاقبة الذين اساؤا في الدنيا السوءى في الآخرة في النار فيكون في الدنيا ما عذبوا في الدنيا عذاب عناد ومكافاة
وما يعذبون في الآخرة تعذيب كفر وتكذيب وهو ما قال ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى ان كذبوا بايات الله وقال
بعضهم اثاروا الارض اي كربوا الارض وعمروها اكثر مما عمروها قومك يا محمد اي بقوا فيها اكثر مما بقي فيها الذين ارسلت اليهم وقال
بعضهم عاشوا يعمرون الارض اكثر مما عمرها اهل مكة وقال بعضهم عمروها عملوا بها اكثر مما عمل هؤلاء وبعضه قريب من بعض وقال
ابو عوسجة واثاروا الارض اي حرثوها وقال القتبي اثاروا اي قلبوها للزراعة ويقال للبقرة المثيرة وقال الله تعالى لا ذلول تثير الارض
وقوله اساؤا السوءى اي جهنم وكذلك قال الكسائي السوءى هي النار كقوله ... للكافرين النار اي كان عاقبتهم النار بما كذبوا
بايات الله واستهزؤا بها وقوله ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى يحتمل قوله اساؤا الى الرسل بالتكذيب وانواع الاذى ويحتمل
اساؤا الى انفسهم حيث اهلكوها واتحفوها في النار والسوءى اسم من اسماء النار كالسعير والهاوية ونحوها والحسنى
اسم من اسماء الجنة وقوله ان كذبوا بايات الله يذكر اهل مكة ويخوفهم ان ما حل باوائلهم القرون الماضية من الاهلاك والا
انما كان بتكذيب الايات والاستهزاء بها في هذه الدنيا فانتم يا اهل مكة اذا كذبتم الايات والحجج والاستهزاء ثم بها يصيبكم
ما اصاب اولئك بالتكذيب والايات يحتمل حجج التوحيد وحجج الرسل في اثبات الرسالة او اثبات البعث وقوله وكانوا بها يستهزؤن
يحتمل بالايات التي ذكرنا او ما وعدهم الرسل من العذاب والاهلاك فاستهزؤا بذلك وقوله الله يبدؤ الخلق ثم يعيده هذا
في الظاهر دعوى لكنه تدبير فيما تقدم من الايات ما يلزمهم الاعادة والاحياء بعد الموت حيث قال اولم يتفكروا في انفسهم
ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق الاية وفي قوله اولم يسيروا في الارض وغيرها من الايات ما الزمهم
انه لو لم يكن اعادة وبعث كان خلقهم عبثا باطلا خارجا عن الحكمة والقدرة في ابتداء الانشاء ان لم يكن اكثر مما يكون دون
الاعادة فمن ملك وقدر على الابتداء كان على الاعادة اقدر اذ اعادة الشيء عندكم اهون وايسر من ابتداء انشاء على ما ذكر في قوله

وهو اهون عليه وقوله ثم اليه ترجعون ذكر الاعادة والاحياء بعد الموت الرجوع اليه لما ذكرنا ان المقصود في خلقهم في هذه الدنيا
الاعادة والاحياء لذلك سمى الاعادة الرجوع اليه والمصير والبروز له وان كانوا في جميع الاحوال صائرين اليه راجعين بارزين
له خارجين وقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قال بعضهم الابلاس هو الاياس يبلسون اي يايسون في الآخرة عما كانوا
يطمعون بعبادتهم تلك الاصنام والاوثان في هذه الدنيا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ونحوه يقول يايسون في الآخرة عما طمعوا بعبادتهم في الدنيا حين شهدوا عليهم وكفروا بهم وجعلوا يلعنون عليهم
ويتبرؤن منهم وقال بعضهم يايسوا من كل خير وقال بعضهم الابلاس هو الفضيحة اي يفتضحون بما عملوا وقال بعضهم المبلس
كل منقطع وحاد ساكت كالمتحير في امره وقال بعضهم المبلس هو كل ايس حزين وقوله ولم يكن لهم من شركائهم هو ما ذكرنا
ان الاصنام التي عبدوها وسموها الهة لا تشفع لهم وكانوا بشركائهم كافرين يحتمل هذا وجهين احدهما الاصنام بهم كافرون
او هم يكفرون بالاصنام اذا لم يشفعوا لهم وصاروا شهداء عليهم او كل يكفر بصاحبه كقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا والله اعلم وقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون سمى الله تعالى ذلك اليوم يوم الجمع بقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع و
سمى يوم الافتراق فهو يوم الجمع في اول ما يبعثون ويحشرون ثم يفرق بينهم تفريقا لا اجتماع بينهم ابدا كقوله فريق في الجنة
وفريق في السعير فهو يوم الجمع في حال ووقت يوم الافتراق في حال ووقت اخر وبعض اهل التاويل يقولون قوله يومئذ يتفرقون
العابد والمعبود والتابع والمتبوع بعد ما كانوا مجتمعين في الدنيا وهو ما ذكر في اية اخرى ويوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض الاية فهذا تفرقهم على قولهم بعضهم والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
امنوا بكل ما امروا ان يؤمنوا به وعملوا بكل ما امروا ان يعملوا فهم في روضة يحبرون والروضة كانها اسم من اسماء الجنان
وقوله يحبرون قال بعضهم يكرمون وقال بعضهم يحبرون يسرون والحبرة السرور ومنه يقال كل حبرة يتبعها عبرة والزجاج
يقول يحبرون ينعمون والحبرة النعمة الحسنة والله اعلم بذلك وقوله والذين كفروا اي جحدوا توحيد الله وانكروه
وكذبوا باياتنا يحتمل كذبوا باياتنا ايات التوحيد وايات الرسالة وايات البعث فاولئك في العذاب محضرون اي يحضر
الاتباع والمتبوع جميعا في النار ويجمع بينهم كقوله احشروا الذين ظلموا الاية وقوله فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم
انكم في العذاب مشتركون وقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون قوله فسبحان الله فيه لا محالة من قوله سبحان
الصلوة اي صلوا لله ولو كانت افهام اهل زماننا هذا لكانوا لا يفهمون سوى التسبيح المذكور ثم يحتمل تسميتهم
التسبيح صلوة وفهمهم منه ذلك لوجهين احدهما لما في الصلوة تسبيح فسموها بذلك لما فيها ذلك او لما ان التسبيح تنزيه
والصلوة من اولها الى اخرها تنزيه الرب لان فيها اظهار الحاجات اليه والعجز والضعف وفيها تعظيم الرب واجلاله و
بالجلال والرفعة ففهموا من التسبيح الصلوة لما ذكرنا لما هي من تنزيه الرب من اولها الى اخرها ثم منهم من قال ان الصلوة
الخمس ذكرت في هذه الاية بقوله فسبحان الله حين تمسون صلوة المغرب والعشاء الاخرة وحين تصبحون صلوة الفجر وعشيا
صلوة العصر وحين تظهرون صلوة الظهر ومنهم من يقول لا بل ذكرت فيها اربع صلوات حين تمسون المغرب وحين تصبحون
الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون واما العشاء الاخرة ففي قوله ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم والله اعلم وقوله
وله الحمد في السموات والارض يحتمل قوله وله الحمد على التقديم يقول سبحان الله وله الحمد فيكون الحمد كناية عن الصلوة كالتسبيح
او لما فيها من التحميد او يقول له يحمده اهل السموات والارض والله اعلم وقوله حين تمسون وحين تصبحون وحين تظهرون اي
اذا دخلوا في المساء والعشاء والصبح والظهر وقوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يخبر عن قدرته في انشاء الاشياء
مبتديا لا من اصل لانه قال يخرج الحي من الميت والميت ليس فيه الحيوة وكذلك الميت من الحي وليس في الحي موت ولكنه يخرج
هذا من هذا على ابتداء الحيوة فيه وابتداء الموت فيه من غير ان كان فيه ما ذكر ثم اختلف فيه اهل التاويل قال بعضهم يخرج
الناس والدواب والطير من النطف ويخرج الميت يعني النطف من الحي من الناس والدواب والطير وقال بعضهم يخرج الحي
من الميت اي المسلم من الكافر والميت من الحي اي الكافر من المسلم ولكن يجيء على هذا ان يقول يخرج من المسلم ما يكون كافرا و
من الكافر ما يصير مسلما لانه ما يخرج لا يوصف بالاسلام ولا بالكفر ولا ينسب واحد منهما وقت الخروج حتى يبلغ فيكون منه فعل
الكفر او فعل الاسلام وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وفي الايات التي تقدم ذكرها من نحو قوله اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الاية وقوله اولم يسيروا في الارض الاية وامثال ذلك مما يذكر ويخبر ادلة الكفرة عن قدرته
وسلطانه والزمهم ذلك نقض قول المعتزلة لانهم لا يجعلون لله القدرة على فعل بعض بعوضة فلا يكون لهم الاحتجاج على
اولئك الكفرة في القدرة على الاعادة والانشاء بعد ما صاروا رمادا او كلاما نحو هذا وقوله وكذلك تخرجون اي كذلك
تبعثون وتحيون كما اخرج الحي من الميت والميت من الحي من غير ان كانت الحيوة في الميت والموت في الحي والله اعلم وقوله ومن اياته
يحتمل ايات وحدانيته وربوبيته وحججه وايات بعثه واحيائه وايات رسالة الرسل ونحوه وقوله ان خلقكم من تراب
يخرج على وجوه احدها انه نسب خلقنا الى التراب لانا انما خلقنا من اصل خلق ذلك الاصل من التراب وهو ادم وان لم تكن انفسنا
مخلوقة من تراب حقيقة كما نسب خلقنا الى النطفة وان لم يخلق انفسنا كما هي من النطفة لكنه اضاف ذلك ونسب الى النطفة

لما هي اصل ما خلقنا منها والثاني نسبنا الى التراب لما جعل اغذيتنا وما به قوام انفسنا وابداننا في الخارج من التراب فانما هو
اخبار بما به قوام انفسنا وابداننا وان نخلق من التراب من الاصل فيخبر والله اعلم انكم لا تنصورون خلق الجسم ان انشأنا هذا من
تلك الطينية التي منها تكون الاجسام بعد مشاهدة طينتها ومعاينتكم اياها ورايتم القدرة له على خلقها قبل ان نشاهد
طينها والثالث خلقنا نسبا الى التراب وهو ادم على ما ذكرنا الا ان قوله خلقكم اي قدركم من ذلك الاصل والتخليق
هو التقدير في اللغة وذلك جائز في اللغة وانما قدرنا على تقدير ذلك الاصل وذلك جائز نسبتنا واضافتنا الى التراب
ان صح ما ذكر في بعض الاخبار ذكر ان ملكا ياتي بكف من تراب فيذره في تلك النطفة في رحم المراة فيخلق منه حينئذ الولد
فان صح هذا فيكون خلق جميع الناس واصلهم من تراب وقوله ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي ثم انا انتم ذريته من بعد بشر
تنبسطون كقوله وينشر رحمته اي يبسط وتنتشرون اي تتفرقون في حوايجكم وفي طلب اغذيتكم وما به قوام انفسكم و
الله اعلم وقوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله خلقكم من انفسكم ازواجا اي من
اجناسكم واشكالكم لتسكنوا اليها يقول انما جعل ما تسكنون اليه وتستانسون من جنسكم وشكلكم ما تعرفون لم يجعل
في غير جنسكم وشكلكم كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من انفسكم اي من جنسكم وشكلكم من تعرفون صدقه
ونقده وامانته ما لو كان من غير جنسكم وشكلكم لا تعرفونه فعلى ذلك جائز قوله خلق لكم من انفسكم ما تسكنون اليها
ولا تستانسون بهم ما كانوا من غير جنسهم لا يكون ذلك اذ يستانس كل ذي شكل بشكله وجنسه والثاني ما ذكر انه
اراد ادم وحوا اي خلق زوجته حوا من نفسه فجعلها له سكنا يسكن اليها ويستانس بها والله اعلم وقوله وجعل
بينكم اي بينكم وبين الازواج مودة ورحمة يحتمل قوله مودة وجهين احدهما يود لما جعل له موضعا لقضاء شهوته
وحاجته وكذلك هي توده لذلك ورحمة اي يرحم بعضهم بعضا ويحنن اليه اذا نزل به واحد منهما ما يمنع قضاء الشهوة
والحاجة والثاني يود بعضهم بعضا ويرحم بالطبع والخلقة اذ كل ذي طبع يود شكله وجنسه اذا كان في حال السعة
والرخاء والسرور ويرحمه اذا نزل به البلاء والشدة هذا معروف عند الناس ان يتراحم بعضهم على بعض في حال نزول
البلاء والشدة ويتوادهم في حال السعة والسرور وقال الحسن وجعل بينكم مودة اي الجماع ورحمة اي الولد
فكيف ما كان فهو يخبر عن لطفه ومنته حيث جعل بين الزوجين المودة والرحمة على عدم القرابة والرحم وبعدهما
نسبا لما ذكرنا في المودة والرحمة كالقريبين وذوي الرحمين واقرب القريب وذلك على المعتزلة لانه اخبر انه جعل
بينهم مودة ورحمة وذلك فعل الزوجين في الظاهر ثم اضاف ذلك الى نفسه واخبر انه جعل دل ان له صنعا في
ذلك فيبطل قولهم ان ليس لله صنع في فعل العباد ويبطل اللطف الذي ذكر انه جعل بينهم وقوله ان في ذلك لايات لما
ذكر من ايات وحدانيته وربوبيته وايات البعث والنشور وايات الرسالة والنبوة لقوم يتفكرون لقوم ينتفعون بتفكرهم
وهم المؤمنون او لقوم يتفكرون ويتدبرون ويعتبرون فيعرفون فاما من لا يتفكر ولا يتدبر فلا ينتفع به فهو ليس باية له
والله اعلم وقوله ومن اياته وحدانيته وربوبيته والوهيته وايات بعثه وقوله خلق السموات والارض في خلق السموات
ورفعها في الهواء واقرارها فيه اية لانه غير موهوم مثله من فعل الخلق وفي قدرتهم وكذلك خلق الارض وبسطها في
اقرارها على الماء او على الريح خارج من فعل الخلق ومن قدرتهم غير موهوم ذلك في اوهامهم وعقولهم من غير الواحد العالم
القادر بذاته فاذا كان ما ذكر غير موهوم في اوهامهم من غير الله فهم انما انكروا البعث لما لم يعاينوا ذلك ولا شاهدوا
في اوهامهم فكيف انكروا البعث وان كان غير موهوم ذلك في اوهامهم بعد ان كان ذلك موهوما من الله مشاهدا مثله
لمثل هذا والله اعلم بذكر هذا وقوله واختلاف السنتكم والوانكم كانه يقول وفي خلق اختلاف السنتكم اياته ايضا
لان الالسن بحيث خلقة الالسن غير مختلفة ولكن انما تختلف بحيث النطق والتكلم بها حتى لا يقع في التكلم بها والنطق
والصوت تشابه بحال وخروجه عما يقدرون من الكلام وان كانت بحيث خلقتها واحدة غير مختلفة فهذا على المعتزلة
لقولهم ان اقوال العباد غير مخلوقة لا صنع لله فيها فلو لم يكن له فيما تكلمون وينطقون على اختلاف ذلك صنع لم
ايه تكون له في ذلك فدل انه انما صار اية له لما له صنع في ذلك وكذلك فيما تختلف الالوان بفعل يكون من الخلق و فيه
عند الغضب والسرور والفرح ثم اخبر ان ذلك اياته دل انه خالق لافعالهم حتى كان اية له والله اعلم واهل التاويل
يقولون السنتكم عربي وعجمي ونبطي وتركي ونحو ذلك والوانكم ابيض واحمر واسود ونحو اصله ما ذكرنا ان في ذلك
الاية للعالمين جاز ان يكون ايات لمن انتفع به من العالمين او انه لمن تفكر وتدبر من العالمين لانه اذا تفكر وتدبر من
العالمين لانه اذا تفكر وتدبر عرف وجه الاية في ذلك وقوله ومن اياته منامكم بالليل والنهار لان النوم ياخذهم من غير
ان يعرفوا انه من ان ماتاه وماخذه ثم ياخذ منهم جميع منافع الاحياء من السمع والنطق والفهم والرؤية وجميع
ما ينتفع به قبل ذلك ثم يرد ذلك اليهم من غير ان عرفوا بذلك فيعودون الى ما كانوا من المنافع والاكتساب ليعلم
ان من قدر على مثل هذا يقدر على احياء الروح ونفسه ورده اليه فهو اخو الموت قال الله تعالى يتوفيكم بالليل سمى
النوم الوفاة وهو مثله لما ذكرنا ان جميع منافع الاحياء يرتفع ويزول بالنوم ثم يرد اليه من غير ان يشعر بذلك

فمن قدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت وقوله وابتغاؤكم من فضله جهة الاية فيما يبتغون من فضله هو خلقه تلك
المكاسب والتجارات والحرف التي يبتغون بها الرزق اخبر انه خلق ذلك منهم ففيه دلالة خلق افعال العباد فهو على المعتزلة
لانكارهم خلق افعالهم وان يكون جهة الاية فيه ما عرفهم تلك المكاسب والتجارات والحرف وعلمهم اياها واخرجهم اليها
ليصلوا الى منافعهم والله اعلم وقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يحتمل قوله لقوم يسمعون اي ينتفعون بسمعهم
او لقوم يجيبون والسمع يجوز ان يعبر به عن الاجابة كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن دعاه او ان يكونوا قوله لقوم يسمعون
اي يعقلون ويجوز العبارة عنه كقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي يعقلون ويقال لقوم يسمعون المواعظ فيقبلونها
فينتفعون بها وقوله ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا قيل فيه بوجهين احدهما يريكم البرق للخوف والطمع تخافون سلطانه
وقدرته ان يصيبكم ذلك البرق فيذهب بابصاركم وطمعا ترجون رحمته بصرفكم عنكم والثاني خوفا وطمعا اي يريكم البرق
تخافون وتطمعون تخافه المسافر فيمنع مسيرة ومنعه عنه وتطمعون اي يطمع المقيم رحمته ما يكثر به انزاله ومعاشه والثاني
تخافون الصواعق وتطمعون المطر وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها هو ظاهر قد ذكرناه
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يحتمل ما ذكرنا لقوم يعقلون ينتفعون بعقولهم او لقوم يعقلون لو تدبروا وتفكروا والله اعلم
وقوله ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره هو ما ذكرنا انه دل ما على شيء غير موهوم ذلك في اوهام الخلق قيام شيء من
انما لهم على مثله وهو الهواء والماء والريح فكيف حملهم خروج شيء من اوهامهم على انكاره وتكذيبه وهو البعث والاحياء بعد
الموت فمن قدر على احدهما قدر على الاخر وقوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اختلف فيه قال بعضهم هو على التقديم
اي ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون من الارض والدعوة هي النفخة الاخيرة وقال بعضهم هو ما ذكر الدعوة تكون من الارض
من صخرة بيت المقدس من هنالك يسمعون الدعوة ثم اختلف في الدعوة والصيحة والنفخة والصور ونحو ما ذكر فمنهم من يقول
على حقيقة الدعوة والصيحة والنفخة والصور على ما ذكر وقال بعضهم لا ولكن ذلك اخبار عن سرعة نفاذ الامر وعبارة عن
خفة ذلك وهونه كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
ليس ان كان منه كاف ونون لكنه ذكر باخف حروف يفهم منه المعنى فعلى ذلك ذكر الصيحة والنفخة والدعوة والصور
والله اعلم وفي قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون دلالة واخبار انه قادر على الانشاء والاحياء بلا سبب
لانه اخبر انه دعاكم دعوة ثم تخرجون والدعوة ليست هي سبب للاحياء والانشاء بل اخبر انه يخرجهم اخراجا بحيث انه ما ذكرنا وقد
ذكرنا في اختلاف الالسن لو لم يكن ما يسمع منهم وما ينطقون مخلق في الحقيقة فاذا اياته عبث لان الحروف تشهد خلقه
ولا جسم ولا سمعه وربما احتج فيكون بمعنى من يقول الله ايات في الكلام احتج بها على عبادة الذين لم يطلعهم عليه ولا سبيل
لهم الى التطلع عليها وذلك بعيد من العقول فثبت ان الله قد خلق كل نطق على ما عليه يعرفها المتفكر بما يرى من عجز
المتفوه به على التقطيع الذي يقدره في نفسه وعلى الحد الذي يجب ان يكون عليه دون ان يقع في ذلك
تفاوت واختلاف فصلح ان ذلك كان لا انه على ما كان عليه بل الله جعل ولا حول الا بالله وما ذكر من اختلاف فاما
قد يحتمل يتغير العباد نحو ما يظهر عند شدة السرور وما يتغير الذي يظهر عند شدة الغضب [illegible]
قول المعتزلة [illegible] ان المتولد هو من فعل الخلق فعلى ذلك القول يكون اللون [illegible] تخليق الله والله اعلم
الاعتبار فيه [illegible]
[illegible]
ان يكون [illegible] من طرائق الخلقة والتدبير [illegible]
[illegible] والله الموفق وقوله وله من في السموات والارض كل له قانتون [illegible]
الملك والتدبير [illegible]
[illegible]
بانواع العبادة والطاعة [illegible]
[illegible]
وقوله كل له قانتون قال بعضهم القنوت القيام [illegible]
في الوجود والعدم والانشاء والاعادة وفي كل حال [illegible]
في كل حال [illegible]
وقال بعضهم كل له قانتون اي مطيعون [illegible] على طاعة الخلقة له والشهادة له بالوحدانية والربوبية
[illegible] في صورته ما يشهد له بالوحدانية والربوبية
[illegible]
[illegible]

قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ونحو ذلك من
الاحوال التي كانوا يخلصون له ويطيعون والله اعلم وقوله وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده لا يحتمل ان يخلقهم ويميتهم
لحاجة نفسه او لمصلحة لانه غني بذاته او يمتحنهم لمنفعة نفسه او يأمرهم بذلك ولكن انما يبدئ ويعيد لحاجة انفسهم
او يخبر ان من قدر على ابتداء الشيء يملك اعادته وهو اهون عليه اختلف فيه قال هو اهون عليهم ابتداؤه واعادته كقوله
وذلك على الله يسير وقوله هو علي هين ويجوز العبارة بافعل عن فعيل نحو ما يقال الله اكبر اي كبير واعظم بمعنى عظيم
ونحو كثير فعلى ذلك قوله وهو اهون عليه اي عليه هين اذ ليس شيء اصعب على الله من شيء او شيء اهون عليه من شيء
بل الاشياء كلها بمحل واحد داخل تحت قوله كن انما اهون يقال اهون وايسر لمن كان فعله بسبب فيهون عليه اذا كثرت
الاسباب ويصعب عليه ذلك اذا قلت وضعفت فاما الله سبحانه هو الفاعل للاشياء وصانعها والقادر عليها بسبب
وبلا سبب فلا جائز ان يقال شيء اهون عليه من شيء وانما يجوز ذلك من كان فعله لا يكون الا بسبب وقال بعضهم قوله
وهو اهون عليه في عقولكم وتدبيركم وتقديركم اي اعادة الشيء في عقولكم وتدبيركم اهون من ابتداء الخلق ما
يملكون تصوير ما لم يسبق له المثال والتصوير ابتداء وقد يملكون تصوير الاشياء وتمثيلها اذا سبق لهم مثال
راءوه وشاهدوه فثبت ان اعادة الشيء في عقولكم وتدبيركم اهون من ابتدائه فاذا عاينتم واقررتم انه قادر على
ابتدائه فهو على اعادته املك واقدر ولا قوة الا بالله وقال بعضهم قوله وهو اهون عليه يعني على ذلك الشيء اهون
على ذلك الشيء من ابتدائه لانه في ابتدائه ينقله ويحوله من حال النطفة الى حال علقة ثم من حال المضغة الى حال التصوير
والنسمة الى ما ينتهي اليه حتى يصير خلقا وصورة فيخبر ان اعادته ليس على هذا التقدير والتحويل من حال الى حال ولكن
كما ذكر وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقوله الا صيحة واحدة ونفخة واحدة
وما ذكر فالاعادة لذلك الشيء اهون على ذلك الشيء من الابتداء وقوله وله المثل الاعلى في السموات والارض اي له
الصفات العالية ثم هو يخرج على وجوه احدها بان كل موصوف بالعلو والرفعة من دونه فهو الموصوف به في الحقيقة
على ما ذكرنا ان كل من حمد دونه فذلك الحمد له في الحقيقة راجع اليه ذلك كقوله وله الحمد الاية والثاني له الصفة العالية
ما يخالف صفات الخلق وشبههم كقوله ليس كمثله شيء لا يشبه صفاته صفات المخلوقين ولا تشبه صفات الخلق صفاته
وهو ما قاله بعض اهل التاويل الذي لا مثل له ولا شبه لا اله الا هو واحد لا شريك له والثالث وله الصفات العالية
مما لا يضاد بعضها بعضا عالم لا يجهل فيه قادر لا يعجز فيه عزيز لا ذل فيه واشباه ذلك مما لا يدخل في ذلك نقصان او عيب
بوجه من الوجوه ليس كالخلق انهم يوصفون بالعلم بجهة وبشيء وبالجهل بجهة اخرى وبالقدرة بجهة اخرى وبشيء اخر
وبالعجز بجهة اخرى وبشيء اخر وبالعز بجهة اخرى وبشيء اخر وبالذل بجهة وبشيء اخر فانه سبحانه وتعالى موصوف بصفات
لا يضاد بعضها بعضا ولا يدخل في ذلك نقصان بجهة من الجهات وفي حال من الاحوال لانه بذاته موصوف بذلك لا بغير
ولا بسبب واما غيره فانما يوصفون بذلك باسباب وباعيان تكون لهم بذلك كان ما ذكر ولا قوة الا بالله وقوله وهو
العزيز الحكيم الذي لا يلحقه الذل والضرر بمخالفة خلقه اياه وعصيانهم له ليس كملوك الارض اذا لم يطيعوا اتباعهم وخدمهم
ورعيتهم يذلون ويلحقهم الضرر باعراضهم عنهم لان عزهم كان بهم فباعراضهم عنهم ومخالفتهم اياهم يذلون فاما الله سبحانه
عزيز بذاته لا يلحقه الضرر والذل بمخالفة الخلق اياه او ان يكون قوله العزيز المنتقم عمن يخالف امره ويعصيه او يشرك غيره
في الوهيته وربوبيته والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير بخبر والله اعلم اي وان خلقتهم وانشاءهم على علم منه
انهم يخالفونه واعانتهم بكل انواع المعونة على علم منه بذلك منهم فان فعله ليس بخارج عن الحكمة كما يكون في الشاهد
ان من اعان عدوه بانواع المعونة وهو يعلم ان معونته اياه تزيد له في معاداته وعصيانه ومخالفته هو موصوف
بالسفه غير موصوف بالحكمة لانه يسعى في هلاك نفسه ويعينه على ذلك بمعونته اياه ومن سعى في اهلاك نفسه فهو غير
حكيم فاما الله سبحانه حيث خلقهم وانشاهم اعانهم بكل انواع المعونة على علم منه بما يكون من الخلاف له والعصيان
والمعادات غير خارج فعله عن الحكمة لما ذكرنا انه لا يلحقه الضرر ولا النقصان بما علم انه يكون منهم من الخلاف له والعصيان
والعداوة ولا قوة الا بالله وقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم قال بعضهم ضرب لكم مثل من مثل خلقكم والله اعلم يبين لكم
مثلا من انفسكم ما لو تفكرتم فيه وتاملتم لظهر لكم سفهكم بعبادتكم الاصنام دون الله او تسميتكم الاصنام بالله ثم يخرج
ضرب المثل بما ذكر على وجوه احدها قوله هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء اي لم تسووا
انتم انفسكم بالذي ملكت ايمانكم فيما رزقتم حتى تكونوا انتم وهم سواء في ذلك فكيف زعمتم ان الله قد سوى نفسه
وما ملك من خلقه في ملكه والوهيته والثاني يقول هل ترضون ان يكون ما ملكت ايمانكم شركاءكم فيما تملكون من
الاموال فاذ لم ترضوه فكيف زعمتم ان الله يرضى ان يشرك مماليكه في ملكه وسلطانه او يقول فان لم ترضوا لانفسكم
اشراك ما ملكت ايمانكم في ملككم ولم تسووا مماليككم بانفسكم في ذلك فكيف رضيتم ذلك لله وسويتم نفسه ومماليكه
وعدلتم به من دونه والله اعلم وقوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي تخافون مماليككم كما تخافون احرارا امثالكم وقال بعضهم

تخافون

تخافون لانهم كما يخاف الرجل لابنه لابيه واخيه واقاربه وبعضهم يقولون تخافون عبيدكم ان يرثوكم بعد الموت كما تخافون
ان يرثكم الاحرار منكم او لبابكم وهو قول مقاتل لكن الميراث ليس من الاية في شيء والاول اشبه وفي قوله ضرب لكم مثلا من
انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء دلالة لا يكون له حقيقة الملك في الاشياء كالاحرار
لانه اخبر انهم ليس هم بسواء في الشرك فيما رزق السادات وملكوا على العلم انهم يشتركون جميعا في المنافع دل انهم يملكون
منافع الاشياء ويشتركون الاحرار فيها ولا يملكون حقيقة الاملاك وكذلك يدل قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شيء الاية لما نفى عنه القدرة على شيء والله اعلم يكون تاويل قوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله اي يغنهم الله من فضله بالمنافع لا بحقيقة ملك الاشياء والله اعلم وقوله كذلك
نفصل الايات اي نبينها لقوم يعقلون اي لقوم ينتفعون بعقولهم والثاني في قوله نفصل الايات نفرق واحدة بعد
واحدة على ما ذكر من اول السورة الى هذا الموضع من قوله من اياته كذا ومن اياته كذا والتفصيل يخرج على وجهين احدهما
التبيين والثاني التفريق في الذكر فصلت اياته بينت وفصلت فرقت واحدة بعد واحدة ثم قال لنا قايل في هذه
الايات التي ذكرت ما يدل على ايجاب البعث قيل في هذه التي ذكرت دفع الشبهة التي لها انكروا البعث لانهم انكروا البعث
ممتنعا بالشبهة التي اعترضت لهم ففي هذه الايات دفع تلك الشبهة التي لها انكروا البعث ممتنعا حيث راوهم بدا خلقهم
وقيام السماء والارض بالذي ذكرهم ايجاب البعث يكون بالاخبار الصادقة وهي اخبار الرسل الذين ظهر صدقهم او بما
ذكرنا ان خلق الخلق بلا عاقبة يجعل لهم للفناء خارج عن الحكمة لوجوه احدها ما ذكرنا ان بناء البناء في الشاهد
للنقض والافناء خاصة بلا منفعة تامل في العاقبة سفه خارج عن الحكمة فعلى ذلك خلق الخلق للفناء خاصة بلا
عاقبة يكون خارجا عن الحكمة والثاني انه لو لم يجعل البعث ودارا اخرى ليفرق بين العدو والولي فيها فقد سوى بينهما
في هذه الدار وفي الحكمة ان يفرق ولا يسوى بينهما فلو لم يكن دار اخرى فيها يفرق لكان ذلك خارجا عن الحكمة و
الثالث في الحكمة ان يجزي المحسن لاحسانه والمسيء في اساءته وقد يكونان في هذه الدنيا ويخرجان منها لا يصيب المحسن
جزاء احسانه ولا المسيء جزاء اساءته فلا بد من دار اخرى يجري فيها كل بعمله وفيما ذكرنا ايجاب البعث والله اعلم وقوله اتبع الذين
ظلموا اهواءهم يحتمل قوله الذين ظلموا انفسهم حيث لم يستعملوها فيما امروا بالاستعمال فيه لم صرفوها الى غير ما امروا بالا
ستعمال فيه او ظلموا حجج الله واياته وبراهينه حيث لم يتبعوها ولم يضعوها موضعها حيث وضعت وقوله اهواءهم في
عبادتهم الاصنام وصرفها عن الله الى من لا يستحق العبادة والشكر وذلك لهواهم لانه ليس معهم حجة ولا برهان كقوله
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة وبرهانا وقوله فمن يهدي من اضل الله اي احد سوى الله يهدي
من اضل الله اي من يوثر الضلال والاختيار اضل الله لا يهدي سواه وما لهم من ناصرين ينصرهم في دفع عذاب الله عن
انفسهم او ما لهم من ناصرين اي من مانعين يمنعهم عن عذاب الله وقوله فاقم وجهك للدين حنيفا قال بعضهم هذا الخطاب
لرسول الله لانه ذكر الايات فيما تقدم حيث قال ومن اياته كذا وكذا ثم ذكر الذين اتبعوا اهواءهم بغير علم ثم قال لرسول
الله اقم وجهك للدين حنيفا قال الشيخ رحمه الله وعندنا ان الخطاب به وبغيره لكل احد كقوله قل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد كانه يخاطب كل من انتهى هذا ان قل هو الله احد ويا ايها الكافرون فعلى ذلك قوله فاقم وجهك للدين
حنيفا هو لكل احد ثم الاقامة يحتمل وجهين احدهما اقم اي داوم جهدك وقصدك والثاني اقم اتمم واقم ما ذكر ثنا
للدين حنيفا قال بعضهم الحنيف هو من حنف القوم وسله معناه كن مائلا الى الدين في كل حال وكل وقت وقال بعضهم هو
من الاخلاص والاسلام له وقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم فسر ذلك تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها
هذا يحتمل وجوها فطرة الله اي معرفة الله التي جبل الناس عليها ان يكون الله يجعل في كل صغير وطفل من المعرفة ما يعرف
وحدانيته وربوبيته على ما جعل لهم من المعرفة ما فيه غذاؤهم وقوامهم من اخذ ثدي امهاتهم في حال صغرهم و
طفولتهم ولذلك يخرج قوله كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ثم ما جعل في الجبال من معرفة التسبيح لربها
والتمجيد لكن ابواه يشبهان ذلك عليه ويصرفانه والثاني فطرهم وجبلهم ما لو تركوا وعقولهم لكانوا وفطروا اذا فطر كل
منهم وجعل في خلقة كل دلالة وحدانيته وربوبيته وكذلك قوله كل مولود يولد على الفطرة اي على الخلقة التي يدل و
تشهد على وحدانية الله وربوبيته ما لو تركوا وخلي بينهم وبين عقولهم لادركوا والثالث فطرهم على ما يحتملون الا
متحان لا تبديل لخلق قال عامة اهل التاويل لا تبديل لدين الله سماه خلقا وعلى قول المعتزلة له تبديل لانهم يقولون
ان فعل العبد ليس بمخلوق ويتناولون في قوله لا تبديل لخلق الله اي لا تبديل لما يقع الدعاء اليه كلام نحو هذا فيقال
ان الدين هو ما يدين المرء وهو فعله ماخوذ من دان يدين ثم اخبر انه خلق الله فدل انه مخلوق وجائز ان يكون
قوله لا تبديل لخلق الله اي لما فيه دلالة وحدانية وشهادة ربوبيته كقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي لا
تفاوت فيما فيه دلالة الوحدانية له والشهادة له والله اعلم وقوله ذلك الدين القيم اخبر ان ذلك الدين القيم
بالحجج والبراهين ليس كدين اهل الكفرة اتباع الهوى او ان يكون الدين القيم اي المستقيم على وضع الله انه

الدين الحنيف وقوله منيبين اليه هو صلة قوله فاقم وجهك للدين حنيفا كانه يقول فاقم وجهك للدين حنيفا منيبين اليه فهذا
يدل على ان الخطاب بقوله فاقم وجهك للكل حيث قال منيبين اليه اقبلوا اليه وانيبوا اليه ثم الانابة تقع فيما يقع به الامر
كانه يقول والله اعلم انيبوا الى الله بما يامركم به وانتهوا عما نهاكم عنه والتقوى من الانابة كهو من البر كقوله تعالى
بروا وتتقوا بما يامركم به وتتقوا عما نهاكم عنه وقوله واقيموا الصلوة هو يحتمل وجوها اقيموا اى الزموا وداوموا فعلها
الى اخر ما ينتهون اليه على ان يقع الامر بها مرة واحدة والثانى اقيموا اى اتموها بركوعها وسجودها والقراءة
وغير ذلك والثالث اقيموا اى وفوا قامتها باسبابها التى جعلت لها وفى الصلوة احوال ثلث احدها الجواز والثانى
التمام والكمال والثالث التزيين والتحسين ثم الجواز بحق الاركان والتمام بحق الشعوب والتزيين بحق الحواشى ويجب
على كل مصلى خصالا لصدق النية وحق الاخلاص له وحق الخشوع وقوله ولا تكونوا من المشركين يحتمل اى لا يكونوا من المشركين
غير الله فى الصلوة والعبادة اى لا تصلوا لغير الله ولا تعبدوا او لا يكونوا من المشركين غير الله فى الصلوة والعبادة
اى لا تصلوا لغير الله ولا تعبدوا من دونه او لا تكونوا من المشركين من دونه فى تسميته الالوهية والالهية
لانهم كانوا يسمون الاصنام التى يعبدونها الهة او ان يكون صلة قوله منيبين اليه اى كونوا منيبين اليه
موحدين مقبلين على طاعته مخلصين ولا تكونوا من المشركين له غيره وقوله ولا تكونوا من الذين فارقوا دينهم
وكانوا شيعا قال بعضهم لا يكونوا من المشركين ولا يكونوا من الذين فارقوا دينهم ثم قوله ولا تكونوا من الذين فارقوا
دينهم وفرقوا فهو يحتمل وجهين احدهما فارقوا دينهم الذى جاءتهم الرسل او فارقوا دينهم الذى فطروا عليه
وهو ما جعل فيهم من شهادة التوحيد له والربوبية وقوله وكانوا شيعا يحتمل صاروا شيعا اى فرقا واحزابا بعد
ما كانوا على ما فطروا او على ما جاءتهم الرسل او كانوا شيعا ما يشيع ويتبع بعضهم بعضا لان الشيعة هم الذين
يرجعون الى اصل واحد وامر واحد والله اعلم وقوله فرقوا دينهم اى قطعوا دينهم وجعلوه قطعا وفرقا واديانا
من نحو اليهودية والمجوسية والنصرانية وغيرها كل حزب بما لديهم فرحون يقول والله اعلم كل اهل دين وملة بما
عندهم من الدين رضوان به فرحون وجائز ان يكون قوله ولا تكونوا من المشركين فى الذى فطرتم عليه وهو ما جعل
فى خلقة كل واحد شهادة الوحدانية له والدلالة يقول لا تكونوا من المشركين فى ذلك والله اعلم وقوله فاذا
مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه قال قائلون منيبين مخلصين كقوله دعوا الله مخلصين له الدين وقال
قائلون موحدين واصل الانابة الرجوع اى راجعين اليه عما كانوا فيه من الشرك فالانابة هى التوحيد وان كان
لانابة الاخلاص فهو رجوع عن الاشراك فى العبادة وان كان عن العصيان فهو الطاعة واصله الرجوع
عما كانوا فيه ففيه وجوه من الاحتجاج على اولئك وتنبيه وعظة للمؤمنين اما الاحتجاج عليهم انه معلوم لانهم
كانوا لا يركبون السفن والبحار مع المؤمنين ولكن كانوا يركبون بانفسهم ثم اخبر عما اخلصوا له والدعاء له والتضرع
ولانه بالله عرف ذلك فذلك دل على رسالته والثانى فيه دلالة انهم قد عرفوا وحدانية الله والوهيته حيث
فزعوا عند الشدائد والبلايا الى الله واخلصوا له الدين ثبت انهم قد عرفوا سفه انفسهم فى عبادتهم الاصنام وتركهم
عبادة الله تعالى والثالث تصديقا لقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لانهم كانوا يسالون الرد الى الدنيا ليؤمنوا به
كقولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا فاخبر انهم يعودون الى ما كانوا كما عادوا اذا كشف الضر واما العظة والتنبيه
للمؤمنين فهو ان يكون فى الاحوال كلها على حد واحد فى حال الرخاء والشدة ذاكرين له شاكرين لانهم فى حال الشدة
والبلايا اكثر ذكرا له وانابة من حال السعة والرخاء فينبههم ليكونوا فى كل حال ذاكرين له منيبين اليه راجعين
وفيه دلالة شرف سفه اولئك الكفرة حيث انابوا اليه واخلصوا له الدين عندما يصيبهم الشدة والبلاء و
يعرضون عنه ويشركون فى الوهيته عند السعة وفى طباع الخلق فى الشاهد خلاف ذلك ان من ضيق على اخر و
شدد فهو يعرض عنه ويبغضه ومن نعم عليه من ملوك الارض واحسن اطاعه واحبه فهم لشدة سفههم عكس
طباعهم وخالفوا طباع الناس جميعا والله اعلم وقوله ثم اذا اذاقهم منه رحمة اى السعة والرخاء اذا فريق منهم فهم
يشركون قال قيل ما قال من ذكر هذه الايات وامثالها وهم كانوا لا يؤمنون بها ولا ينظرون فيها قيل قد يحتج عليهم بما
لا يعرفون ولا ينظرون فيه او ان ينظرون فى ذلك فريق منهم ويعرفونه والله اعلم وقوله ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا
اختلف فيه قال بعضهم هو على التقديم والتاخير يقول اذا اذاقهم منه رحمة لئلا يكفروا وانما اذاقهم رحمة لئلا
يكفروا لكنهم كفروا الى هذا ذهب مقاتل وعندنا ما ذكرنا اذاقهم منه رحمة ليكون منهم ما قد علم انهم يختارون
ويكون منهم وهو الكفر ولا جائز ان يذيقهم الرحمة لئلا يكفروا وعلم منهم انهم يختارون الكفر ويكون منهم ذلك فدل
انه ما ذكرنا ثم فى الاية دلالة نقض قول المعتزلة فى قولهم ان على الله الاصلح للعباد لهم فى الدين وقولهم انه اذا علم من احد
منهم الايمان فى وقت من الاوقات ليس له ان يخترمه ولكن عليه ان يبقيه الى ذلك الوقت لانه لو اخترمه قبل ذلك
الوقت لكان هو المانع ايمانه فيقال لهم ان اولئك الكفرة لما اخلصوا دينهم لله فى حال الشدة وخوف الهلاك لم يبقهم الله

على ذلك الاخلاص والحال التى كانوا مخلصين الايمان والدين بل وسع عليهم وحولهم من تلك الحال حتى عادوا الى ما كانوا دل انه ليس
على الله حفظ الاصلح للخلق فى الدين وفيه امر نبيه بقتال الكفرة مطلقا ولعلهم يسلمون فى وقت لو تركوا او بعض منهم دل
انه ليس ذلك عليه وقوله فتمتعوا هو فى الظاهر امر ولكنه يخرج على الوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقد ذكر فى اخرى فتمتعوا
فهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون قال بعضهم ام انزلنا بل انزلنا عليهم سلطانا
حججا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اى يبين ويعلم لهم ان الذى هم عليه شرك ليس بتوحيد لانهم كانوا يقولون انا على التوحيد
وانا نعبد هذه الاصنام ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحوه فيقول بل انزلنا عليهم ما يبين لهم و
يعلم ان ذلك شرك وليس بتوحيد ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله ام انزلنا عليهم سلطانا اى ما انزلنا عليهم سلطانا
فيامرهم بما كانوا يشركون او ياذن لهم بذلك كقوله ام للانسان ما تمنى فعلى ذلك قوله ام انزلنا عليهم سلطانا اى لم ينزل
عليهم سلطانا يامرهم بما كانوا به يشركون او كانوا يدعون بذلك امر الله كقولهم والله امرنا بها ففيه وجهان على اولئك
الكفرة احدهما ما ذكرنا انهم كانوا يدعون بذلك الامر من الله فيخبر انهم كذبة فى قولهم بان الله امرهم بذلك بل لم يامرهم
بذلك ولا انزل عليهم الكتاب والسلطان فى اباحة ذلك والثانى يذكر سفههم فى عبادتهم الاصنام لانهم كانوا
يعبدون الاصنام ويسمونها الهة بلا سلطان ولا حجة كانوا يطلبون على ذلك ثم كانوا يطلبون من الرسول
ايات تقهرهم وتضطرهم على رسالته وما يوعدهم بعد ما اتاهم من الاية ما اعجزهم وانباهم انه رسول فالعبادة
اعظم واكبر المعبود من الرسالة فاذ لم تطلبوا لانفسكم الحجة والاية القاهرة فى اباحة ما تعبدون من دون الله
فكيف تطلبون من الرسول الاية القاهرة فى اثبات الرسالة وقال بعضهم ام انزلنا عليهم سلطانا كتابا فيه
عذر لهم فهو يشهد بما كانوا به يشركون وقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
اذا هم يقنطون اذا اريد ان يسوى بين هذه الاية والاية التى قبلها وهو قوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم
منيبين اليه الى اخره ويجمع بينهما يكون قوله اذا هم يقنطون من الاصنام التى يعبدونها انه يقول فى هذه الاية
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون وفى الاولى يقول واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين
فوجه الجمع بينهما ما ذكرنا ان يكون القنوط من الاصنام والله اعلم كقوله واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون
الا اياه او ان يكون قوله اذا هم يقنطون عندما اشتد بهم الضر والشدة حينئذ يئاسون من رحمة الله والاول فى الابتداء ما اصابهم
من الضر فزعوا الى الله وانابوا اليه او ان يكون احدى الايتين فى قوم والاخرى فى قوم اخرين لانهم كانوا فرقا واحزابا فى الكفر والشرك
فى الاحوال كلها فى حال الضيق والسعة ومنهم من كان يشرك فى حال الضيق ويؤمن فى حال السعة كقوله واذا اذقنا الانسان
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور وكقوله
ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ومنهم من كان يخلص الدين
فى حال الضر والشدة ويعاند ويتمرد فى حال السعة والرخاء كقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون ونحوه فكانوا فرقا واحزابا على ما ذكرنا فجائز ان يكون احدى الايتين فى فريق وقوم والاية الاخرى
فى قوم اخرين وما ذكرنا من اختلاف الاحوال يقنطون عندما اشتد بهم الضر والشدة وينيبون اليه عند ما لم يشتد بهم ذلك
ولم يتطاول او ما ذكرنا من القنوط من الاصنام والانابة الى الله كقوله ضل من تدعون الا اياه والا الايمان فى الظاهر يشاكل
الى الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون
يحتمل قوله ان فى ذلك الايات لقوم يؤمنون على الكافرين كقوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه ثم وجه الايات لهم على
كفار مكة من وجوه فى اثبات الرسالة وفى البعث وفى اظهار سفههم فى عبادة الاصنام واشراكهم واياها فى عبادة الله لان
اهل مكة كانوا ينكرون الرسالة والبعث ويرون عبادة غير الله فالاحتجاج عليهم بهذه الاية على الوجوه التى ذكرنا فاما
الاحتجاج فى اثبات الرسالة فهو من وجوه ثلثة احدها انهم كانوا ينكرون الرسالة لانه بشر ولا يرون للبشر بعضهم على بعض فضلا
كقولهم ما هذا الا بشر مثلكم فيريهم الفضل لبعضهم على بعض فى الرزق موسعا على بعض مضيقا مقترا على بعض فاذ ثبت عندهم
ظهور الفضل لبعض على بعض فيما ذكرنا يجوز الفضل على فى الرسالة والثانى ذكر مقابلة لقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من
القريتين عظيم فيخبر ان الامر ليس اليهم انما ذلك الى الله يختار من يشاء لما يشاء من الرسالة والنبوة وغيرهما كما يختار التوسيع على
من يشاء والتضييق والتقتير على من يشاء وان كانوا جميعا يتمنون السعة ويحبونها ويهربون من الضيق والتقتير ولكن الامر
فى ذلك الى الله والثالث وسع على بعض وضيق على بعض بالجهة التى وسع على بعض غير الجهة التى ضيق على بعض فلا بد من
رسول يخبر عن ذلك ويعلم ما على هذا وما على هذا وما جهة التوفيق بينهم والتفضيل فى الرزق والله اعلم واما الاحتجاج عليهم فى
البعث بها فمن وجوه ايضا احدها انه جمع فى هذه الدنيا بين الولى والعدو وسوى بينهما فى التوسيع والتضييق اذ وسع على
العدو والولى جميعا وضيق على الولى ووسع على العدو وفى الحكمة والعقل التفريق بينهما لا الجمع والتسوية وقد سوى بينهما
فى هذه الدنيا وجمع فلا بد من دار اخرى فيها يفرق بينهما فيلزمهم البعث والله الموفق والثانى انه وسع الرزق على من هو فى

تقدير كل احد وعقله ان يكون موسعا عليه مرزوقا وهو العاقل العارف بجميع اسباب السعة والغناء وفي التقدير على خلاف ذلك
فلا بد من كان فيه يظهر التفضيل للعقول والمعارف والرغبة فيها والرهبة عن اضدادها ومن هو اهل التوسيع ومن هو اهل
الحرمان اذ قد اشتركوا في هذه والثالث انه يعتبروا وينظروا بان من قدر على توسيع الرزق وحرمانه بالاسباب الخارجة عن تقديرهم
وتدبيرهم وبغير اسباب لقادر على احياء الاشياء الخارجة عن تقدير قدرتهم وتدبيرهم والله اعلم واما وجه الاحتجاج عليهم بعبادتهم
غير الله وفي ذلك تناقض وذلك انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانت لا تشفع
لهم في الدنيا ولا تقربهم الزلفى فيها في التوسيع والبسط ودفع الضيق وفي الاخرة لا يحتمل لانهم كانوا لا يؤمنون فهو تناقض
وسفه وسرف القول وهذه الاية وغيرها من الايات تنقض على المعتزلة لانهم لا يجعلون لله في مكاسب الخلق وحرفهم وتجاراتهم
وجميع اسبابهم التي بها يرتزقون ويتعيشون تصنعا وانما يجعلون ذلك في الخارج من الارض وغيرها فالناس في ذلك وتضييق
اذ لم يكن له في تلك الاسباب والمكاسب صنع فدل ان له في ذلك صنعا حتى يقع منه البسط والتوسيع والتضييق والله اعلم
وقوله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا يكون للمؤمنين في ذلك ايات على الكفار والثاني لقوم ينتفعون
بايمانهم والمؤمنون هم المنتفعون بها فاما من كفر بها فلا ينتفع وجائز ان يكون في ذلك العبرة من وجه اخر لقوم يؤمنون وهي
ان لا يعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب التي يكتسبون بها ولكن يرون الرزق من الله انه يرزقه باسباب وبغير اسباب وفيه
هذا لهم على ان من رفع الحاجة الى اخر فلم يقضها ان يرى حرمانها من الله لا من ذلك الرجل وقوله فات ذا القربى حقه يحتمل قوله
حقه اي حاجته لا على حق كان له كقوله ما لنا في بناتك من حق اي من حاجة او معلوم انه لم يكن لهم في بناته حق ولكن ارادوا
بالحق الحاجة فعلى ذلك الاول وكذلك قوله والمسكين وابن السبيل اي سد المسكين حاجته ومسكنته وكذلك ابن السبيل
ويحتمل قوله فات ذا القربى حقه الحق الذي كان لهم لكنه لم يبين ذلك الحق في هذه الاية وبين في اية اخرى كقوله كتب عليكم اذا حضر
احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين وما ذكر من المواريث قوله يوصيكم الله
في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الاية ونحو ذلك من الحقوق وحق المسكين وابن السبيل ما ذكر من الصدقات والزكوة والله
اعلم وقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله يحتمل قوله ذلك خير اي الايتاء الاقربين والمساكين والفقراء خير من الايتاء
للاغنياء وغيرهم وان يكون قوله ذلك خير اي ذلك الايتاء اذا اريد به وجه الله مما لا يراد به وقوله وابن السبيل اختلف فيه قال
بعضهم هو المنقطع عن ماله يعان حتى يصل الى ماله وقيل الضيف ينزل فيحسن اليه الى ان يرجع ويرتحل وجائز ان يكون قوله
ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي ان من ليست له عندك نعمة فيكون ذلك مكافاة للملك والنعمة ولكن على ارادة لوجه
الله والله اعلم واولئك هم المفلحون قد ذكرنا ان الفلاح هو البقاء وقيل النجاة قال ابو عوسجة الفيم المستقيم منيبين اليه
اي تائبين تفيطون يياسون وقوله وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله قال عامة اهل التاويل
هذا في العطايا التي يعطي بعضهم بعضا ويهدون ليصيبوا اكثر مما اعطوا واهدوا مجازاة ومكافاة لذلك كان يقول
وما اتيتم من عطية وهدية ليربوا في اموال الناس لتزداد وامن اموال الناس ولتلتمسوا الفضل من اموالهم يقولون هذا
ربوا حلال لا وزر فيه ولا اجر فهو مباح للناس عامة لا باس فيه واما قوله فلا تمنن تستكثر فهو للنبي خاصة يقول
لا تعطه لتعطي اكثر منه ابتغاء الثواب في الدنيا ولكن اعط ابتغاء ثواب الاخرة ويستدلون بالمحة ذلك بقوله فلا يربوا
عند الله يقول لا يزداد ولا يتضاعف ذلك عند الله ولم يقل ما قال في الربوا المحرم المحظور حيث قال يمحق الله الربوا
ويربي الصدقات ذكر المحق هنالك وههنا ذكر فلا يربوا عند الله اي لا يزداد ولا يتضاعف لكن لو قيل انها في الربوا المحظور
كان جائز محتملا ويكون قوله فلا يربوا عند الله كقوله فما ربحت تجارتهم انها اذا لم تربح خسرت الا ترى انه قال اولئك هم الخاسرون
دل انها اذا لم تربح خسرت فعلى ذلك قوله فلا يربوا عند الله اذ لم يرب عنده محقه وخسروا والله اعلم لولا صرف اهل التاويل
التاويل الى الهدي والعطايا التي يبتغى بها الثواب في الدنيا والمكافاة فيها اكثر مما اعطوا والا جاز صرفه الى الربوا المعروف
بين الناس في العقود وكذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الهدية يبتغى بها وجه الرسول وقضاء
الحاجة والصدقة يبتغى بها وجه الله والدار الاخرة ثم بين ما الذي يربو عند الله وهو ما قال وما اتيتم من زكوة تريدون
وجه الله ثم اختلف فيه قال بعضهم هو ما يكون من زكوة المال يريدون به وجه الله فهو الذي يقبله الله ويضاعف عليه و
منهم من قال كل صدقة اعطاها اراد وجه الله لم يرد بها الثواب في الدنيا فهي التي تتضاعف وتزداد عند الله فاولئك هم
المضعفون وكان يجب ان يقال فاولئك هم المضعفون بنصب العين لانه هو يضاعف لهم لكن الزجاج يقول هو كما يقال
الموسر هو الذي له يسار والمقوي هو الذي له القوة ونحو فعلى ذلك المضعف هو الذي له الضعف وعندنا هم المضعفون
لانهم هم الذين جعلوا الاحاد عشرات والاضعاف المضاعفة بتصدقهم ابتغاء وجه الله فهم المضعفون لا نفسهم ذلك
ثم يجوز ان يستدل بهذه الاية على اباحة هذه المعاملات التي تجري فيما بين الناس لانه اجاز الهدية والعطية على قصد
الفضل والزيادة لا يجوز فعلى ذلك المعاملة يجوز على قصد الزيادة والفضل وان كان على شرط الزيادة لكن ابا حنيفة رحمه الله
كره هذه المعاملات ولم يكن الهدية طلب الفضل لوجهين احدهما ان ليس العرف في الناس في الهدايا اعطاء الفضل وان

كان على قصد او ذلك طلب الفضل لا محالة بل يكافون مرة الاكثر ويكافون بعضا ويحرمون بعضا فلا يكره واما المعاملة فلا يكون
الا على قصد ذلك الفضل فلا يرضون منهم الا حفظ المقصود فيها واهل العطايا والهدايا قد يرضون بالثناء الحسن والشكر لهم
واهل المعاملة لا يروي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسدى اليه معروفا فليكافه والا فليشكره والثناء
عليه او كلام نحو هذا والثاني ان اهل المعاملة يشترطون قبل المعاملة الزيادة وان كانوا يشترطون في عقد المعاملة ولا كذلك
اهل العطايا والهدايا بل يتعرضون فيما بينها لذلك افترق والله اعلم وقوله الله الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون
ذلك ثم رزقكم وانتم تعلمون ذلك ان الارزاق بحكم غيره ثم يميتكم وانتم تعلمون ان لا يملك احد غيره ذلك فعلى ذلك يملك احياء
ولا يملك احد ممن تعبدون دونه من الاصنام ذلك فكيف تعبدون دونه وهو قوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
هذا يحتمل وجهين احدهما هؤلاء الذين تعبدون شركاؤكم فيما ذكر من الخلقة والرزق فكيف تعبدون وتتخذون الهة دونه
والثاني هل من شركائكم الذين اشركتموها في عبادة الله والوهيته تملك ما ذكر يقول لا تملك شيئا مما ذكر على علم منكم انها
لا تملك ذلك فيقول فكيف تشركونها في الوهيته ثم نزه نفسه وبراها عن جميع العيوب التي وصفه الملحدون فقال سبحانه
وتعالى عما يشركون لان حرف سبحانه حرف تنزيه عن جميع العيوب والتعالي هو وصف وتبرئة عن ان يغلبه شيء او يقهره
عبر من العلو متعال عن ان يغلبه شيء او يقهره وقوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس هذا يحتمل وجهين احدهما
ان يكون قوله ظهر الفساد في البر والبحر وهو الشرك والكفر بما كسبت ايدي الناس من الامور التي كانوا يتعاطون من
قطع الطريق والسرق والظلم وانواع اعمال السوء التي يتعاطونها ذلك هو سبب شركهم وكفرهم بالله وبذلك كان
شركهم وكفرهم ذلك كان يغطي قلوبهم حتى لا تنجلي قلوبهم للايمان كقوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وكقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الاية ونحوه فان كان هذا فهو على حقيقة تقديم الايدي والكسب والثاني ان يكون
ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس هو القحط وقلة الامطار والانزال والضيق وقوله بما كسبت ايدي
الناس هو شركهم وكفرهم وتعاطيهم ما لا يحل اي ذلك القحط والضيق وقلة الانزال والشدائد لهم لشركهم وكفرهم
واعمالهم التي اجترحوها ويكون ذكر كسب الايدي على المجاز على الحقيقة ولكن لما باليد تكتسب وباليد تقدم ذكر
اليد كقوله ذلك بما قدمت يداك ولعله لم تقدم شيئا لكنه ذكر انه ظهر هو الشرك والكفر بحقيقة كسب الايدي من اعمال
السوء التي ذكرنا ذلك كان يمنعهم عن الايمان وكشف الغطاء عن قلوبهم وفي التاويل الاخر الفساد الذي ظهر هو
القحط وقلة الامطار والانزال والضيق بما كسبت ايدي الناس هو الشرك والكفر وتعاطي ما لا يحل لا على حقيقة الايدي
ولكن ما ذكرنا ثم اختلف في قوله في البر والبحر قال بعضهم البر هو المفازة التي لا ماء فيها والبحر القرى والامصار وقال
بعضهم اما البر فاهل العمود والبحر اهل القرى والريف وقال بعضهم البر قتل ابن ادم اخاه والبحر الذي كان ياخذ كل سفينة
غصبا وجائز ان يكون لا على حقيقة ارادة البر والبحر ولكن على ارادة الاحوال نفسها على ما ذكرنا من القحط والضيق وقلة الانزال
بما كسبت ايدي الناس من الشرك والكفر ليذيقهم بعض الذي عملوا وهو الشرك هذا اشبه وعن الحسن قال افسدهم الله في
بر الارض وبحرها باعمالهم الخبيثة لعلهم قال يرجع من كان بعدهم ويتعظون بهم وقتادة يقول لعل راجعا يرجع
لعل تائبا يتوب لعل مستعتبا يعتب واصله لكي يلزمهم الرجوع والتوبة عما عملوا وينبههم عن ذلك كله وقال بعضهم
ظهر الفساد في البر والبحر اي اجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوب الناس قال ابو عوسجة الربوا ان الربو شيئا
يتبع اصحاب الربوا ليربوا اي ليزيد ويكثر يقال ربا ماله اذا كثر والقتبي يقول اي ليزيدكم من اموال الناس من زكوة
وصدقة وقوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل قد ذكرنا في غير موضع انه ليس على حقيقة
الامر بالسير في الارض ولكن كانه يقول لو سرتم في الارض لنظرتم لرايتم اثار عاقبة من كان قبلكم من المشركين وهكذا
في الرسل وما حل بهم فينبئكم ويمنعكم عن تكذيب الرسل والشرك بالله وان يكون هو على الامر بالتفكر والنظر والاعتبار
كانه يقول تفكروا واعتبروا في اثارهم في الارض وانظروا الى ماذا صار عاقبة مكذبي الرسل من قبل فينزل بكم بالتكذيب
ما نزل باولئك والله اعلم وقوله فاقم وجهك للدين القيم قد ذكرنا فيما تقدم في قوله فاقم وجهك للدين حنيفا وقوله
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله قال بعض اهل التاويل لا يقدر احد على رد ذلك اليوم من الله ثم يخرج على وجهين
احدهما لا مرد له من الله اي لا يردون من ذلك اليوم الى ابتداء المحنة كقولهم يا ليتنا نرد الاية وقولهم فارجعنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ثم اخبر عنهم فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فعلى ذلك جائز ان يكون قوله لا مرد له من الله اي
لا يردون الى ما يسالون الرد والثاني لا مرد له من الله اي لا مرد له من الله ولا عفو ولا توبة اذا اتاهم ذلك اليوم كقوله
لا ينفع نفسا ايمانها الاية وقوله يومئذ يصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون هو يوم الانتقام
ويوم الجمع ويوم الفصل على الاختلاف الاحوال والاوقات والله اعلم وقوله من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم
يمهدون اي من كفر فعليه جزاء كفره وعليه ضرر كفره ومن امن وعمل صالحا فله ثواب ايمانه ولم ينفعه عمله لانه عز وجل انما
امتحنهم بانواع ما امتحن لمنافع انفسهم وحاجتهم لا لحاجة او منفعة له وكذلك قوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله

ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية وهو ما ذكرنا انه انما امرهم ونهاهم وامتحنهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم ولا لمنفعة او لنفسه لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله يمهدون قال بعضهم يفترشون وقال ابو عوسجة والقتبي فلانفسهم يمهدون او يوطئون وهو من المهاد والمهاد في الاصل الفراش وقوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله هذا يدل ان الثواب والجزاء سبيل وجوبه الفضل في الحكمة لما سبق من الله اليهم من ما لو استوفاه لهم القيام بشكر واحدة منها فضلا ان تقوم للكل فاذا كان كذلك صار الثواب والجزاء وجوبه الفضل لا الاستحقاق ولا الاستيجاب واما العقوبات فوجوبها الاستحقاق اذ في الحكمة وجوبها لذلك افترقا وجائز ان يكون قوله ليجزي الذين امنوا اي يجزيهم في الاخرة بالخيرات التي عملوها في الدنيا وذلك من فضله بدءا لولا ذلك وبفضله والله اعلم وقوله ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات ان في الرياح ايات في نفسها وفيها بشارات اما الايات هي ايات سلطانه وتدبيره من وجوه انه انشا هذه الرياح في الهواء وفي الارض وفي الجبال وفي السماء تصيب الخلائق وتغشيهم وتوذيهم وتفزعهم من غير ان يروها او يقع عليها البصر ومن غير ان يدركوها او يدركوا كيفيتها او ماهيتها ليعلم ان من الاجسام ما هي غير مدركة ولا اخذ البصر عليها وترى منها طيبة لينة وخبيثة وشديدة كاسرة عاصفة يعذب بها قوم وينصر بها قوم على ما ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ومن بشاراتها ما تلقح الاشجار والنخيل وتشق الارض وتنبت النبات منها وتجمع السحاب وتاتي بالمطر وتجري بهم السفن والفلك في البحار في الماء الراكد والفلك لولا الريح فذلك كله من البشارة وانواع المنافع جعل فيها يعلم كل بالاعلام والاثار انها نافعة او ضارة مهلكة ثم سماها مبشرات ليعلم ان البشارة قد يكون بدون النطق والكلام من نحو الكتاب والاشارة او الرسالة اذ ليس للريح نطق ولا كلام ثم سماها مبشرة والله اعلم وقوله وليذيقكم من رحمته هذا يدل ان هذه البشارة والمنافع التي جعل لهم كان من رحمته وفضله لا استيجابا ولا استحقاقا وسمى ذلك كله رحمة لانه برحمته يكون والله اعلم وقوله ولتجري الفلك بامره وقوله بامره يحتمل بتدبيره اي بتدبيره تجري السفن في البحار على ما ذكرنا او ان يريد بامره تكوينه كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وكقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله ولتبتغوا من فضله هذا يدل على انما يصل اليهم من المنافع انما يصل من فضله ورحمته لا يصل من فضله ورحمته لا يصل اليهم بتلك الاسباب والمكاسب لئلا يروا ذلك من تلك الاسباب ولكي يروا ذلك من فضل الله ورحمته وقوله ولعلكم تشكرون اي لكي يلزمهم الشكر لله والله اعلم وقوله ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا في هذه الاية تصبير رسول الله على اذى الكفرة حيث قال ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات وفيه ايضا بشارة للمؤمنين ونذارة لاولئك الكفرة اما النذارة لهم بقوله فانتقمنا من الذين اجرموا اخبر ان اولئك لما كذبوا الرسل وعاملوهم بما تعاملون انتم يا اهل مكة رسول الله فانتقمنا منهم جزاء معاملتهم فعلى ذلك ينتقم منكم كما انتقم من اولئك واما البشارة للمؤمنين في قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين اخبر ان عاقبة الامر تكون للمؤمنين وفيه ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا من البشر فكيف تنكرون رسالة محمد اذ كان من البشر وفيه قد اتى قومه بالبينات كما اتى اولئك الرسل قومهم بالبينات وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين هو يخرج على وجهين احدهما اي كان حقا علينا جعل العاقبة للمؤمنين لا ان يكون عليه حقا نصر المؤمنين في الدنيا ولكن جعل العاقبة للمؤمنين حقا كقوله والعاقبة للمتقين والثاني كان حقا علينا نصر المؤمنين بالحجج التي اعطاهم اي كان حقا اعطاء الحجج لهم والنصر والمعونة بالحجج اي اعطاء الحجج لهم وقال بعضهم نصره اياهم انه انجاهم مع الرسل واهلك اولئك والله اعلم وقوله الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا كانه يخبر عن قدرته وسلطانه حيث انشا الرياح بحيث يجمع السحاب ويفرق ويبسطه ويجعله قطعا يمطر في مكان ولا يمطر في مكان يقول والله اعلم ان من قدر ان يسلط الرياح في جمع السحاب وتفريقه يملك تسليط الرياح على تعذيبكم او يقول ان المعبود المستحق للعبادة هو الذي يرسل الرياح لما ذكر والامطار لا الاصنام التي تعبدون ان تعلمون انها لا تملك شيئا مما ذكرنا ويذكر نعمه التي عليهم لتادي بها شكرها او يطمعهم ايمان بعضهم بعد ما كانوا ايسين عن ايمانهم كما اطمعهم المطر والسعة بعدما قحطوا وكانوا ايسين عنه الا ترى انه قال فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين قال ابو عوسجة فتثير سحابا اي ترفعه وقال ابو عبيد تجمعه كما يستثير الرجل العلم فيجمعه وقوله ويجعله كسفا قال بعضهم قطعا قطعا وقال بعضهم بعضها الى بعض ويحمل بعضها على بعض وقوله فترى الودق يخرج من خلاله اي المطر يخرج من خلال السحاب اي من بين السحاب وثقوبه من خلله ومعناه نقبه وقوله لمبلسين ايسين والابلاس الاياس ولذلك سمي ابليس ابليس لانه ايس عن رحمة الله وقوله فانظر الى اثار رحمة الله يحتمل ان يكون قوله الى اثار رحمة الله اي المطر اراد بالرحمة المطر سمى المطر رحمة لانه يكون برحمته

او ان

او ان يكون الاثار هو المطر بنفسه جعله من اثار رحمته واعلامه ثم الامر بالنظر والاعتبار باثار رحمته يحتمل وجوها احدها امرهم بالنظر الى ذلك ليعلموا انه رحيم كي يرغبوا فيما رغبهم ويرجوا فيما اطمعهم ودعاهم اليه اذ قد ظهر اثار رحمته فكل رحيم يرغب فيما رغب واطمع او ان يكون الامر بالنظر الى اثار رحمته اذ ذلك راجع الى منافع ابدانهم وانفسهم وما به قوامهم ليتادى بذلك شكره وفي ذلك يقع الحاجة الى من يعرفهم تلك النعم ويعرف شكرها فيكون في ذلك الترغيب في قبول الرسالة واثباتها او ان يكون سمى المطر رحمة لما يرجع ذلك الى منافع ابدانهم وما به قوام انفسهم ليعرفوا ان الرحمة هي راجعة الى منافع دينهم واخرتهم وهو رسول الله اذ سماه في غير موضع رحمة بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او الامر بالنظر الى ذلك المطر وانه كيف يحيي هذه الارضين الموات وينبت فيها من الوان النبات وهذه الاشجار اليابسة كيف تخضر بعد يبوستها بهذه الامطار ليعرفوا ان من ملك هذا وقدر على ذلك وهو خارج عن وسعهم وتقديرهم لقادر على احياء الموتى وبعثهم بعد الممات وان كان خارجا عن تقديرهم ووسعهم وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء وقوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا يعني به الزرع النبات الذي يخرج من الارض بالمطر قال بعضهم راوه يابسا اذا اصابته الريح الباردة لظلوا من بعده يكفرون اي لاقاموا على كفرهم اذا اصابهم ما ذكر وهو كقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون فعلى ذلك قوله لظلوا من بعده يكفرون اي يقنطون من رحمته والله اعلم وقوله فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين جائز ان يكون لا تسمع الموتى يريد بالموتى انفسهم ولا تسمع الصم الدعاء الصم انفسهم ايضا وقوله ولا تسمع الكفار والضلال اذا ولوا مدبرين او ان يكون قوله لا تسمع الموتى كناية عن الكفار وكذلك الصم والعمي وقد سمى الله الكفار موتى وصما وعميا في غير موضع من القران ثم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين حكمة وهو انه لا يقدر ان يسمع الاصم الدعاء اذا ولى مدبرا ولكن يقدر ان يفهم الاصم الدعاء اذا اقبل واما اذا ادبر فلا يقدر ان يسمعه وكذلك الحكمة في قوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم وهو الذي يعمى عن ضلالته ويظن انه على الهدى وغيره على الضلال فاما من كان مقرا بالضلال فانك تقدر ان تهديه يخبر عن شدة سفههم وتعنتهم وعماهم في ضلالتهم والله اعلم وقوله ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اي ما تسمع الا من يؤمن باياتنا هذا يدل على ان قوله فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم هي المواعظ لا نفس الهدى حيث قال ان تسمع الا من يؤمن باياتنا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر اي انما ينتفع بالانذار من اتبع الهدى او ان الذي يقبل النذارة من اتبع الهدى فاما من لم يتبع الهدى فلا ينتفع فعلى ذلك يحتمل قوله ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اي ما ينتفع او لا تسمع المواعظ الا من يؤمن بذلك والله اعلم وقوله الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة هذا يحتمل وجهين احدهما قوله خلقكم من ضعف اي من النطفة وهو ما قال في اية اخرى الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف ثم قوله ثم جعل من بعد ضعف قوة اي انسانا يقوى على امور وعلى اشياء ثم جعل من بعد قوة ضعفا اي شيخا فانيا كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وجائز ان قوله خلقكم من ضعف اي اطفالا لا على الخلقة التي انتم عليها اليوم ضعفاء لا تقدرون على اشياء وامور ولا يقوى شيء منكم على شيء ثم جعل من بعد ذلك الضعف قويا تقدرون على اشياء وامور ثم يجعل من بعد تلك القوة والقدرة ضعفا شيوخا لا يقدرون على شيء على ما يكون يحتمل هذين الوجهين ثم فيه وجهان من الدلالة احدهما على البعث والثاني على القدرة على انشاء الخلق والاشياء لا من اصول اما الدلالة على البعث لانهم كانوا ينكرون البعث وانشاء الشيء لا من اصل لخروج ذلك عن فهمهم وتقديرهم فيخبر ان النطفة تصير علقة وليس فيها من العلقة ومن اثارها شيء وكذلك العلقة تصير مضغة وليس فيها من اثار المضغة شيء وكذلك المضغة تصير انسانا فيه عظم وجلد وشعر ولحم وليس شيء من ذلك فيها فمن قدر على ما ذكر لقادر على خلقة الشيء لا من اصل وقادر على البعث اذ كل ما ذكر اخراجه وهو خارج عن فهمهم وعن تقديرهم فلزمهم الاقرار بالبعث وانشاءهم لا عن اصل وان لا يقدروا قدرته وفهمهم بقدرة الله وقوته على ما شاهدوا الاشياء خارجة عن فهمهم وعن تقديرهم بقوة قدرته والثاني ان ما ذكر من تحويل النطفة الى العلقة والعلقة الى المضغة والمضغة الى الصورة والانسان لم يحولهم ولم ينقلهم ليكونوا كما ذكر بلا عاقبة يكون لهم ولا بعث فلو لم يكن بعث لكان ما ذكر من تحويل حال الى حال عبثا باطلا على ما ذكر وكذلك فيما احدث في الاطفال من القوة والقدرة بعد ما كانوا ضعفاء لا يقوون ولا يقدرون على شيء انه انما احدث ذلك فيهم ليمتحنوا ويجعل لهم ثوابا وعقابا اذ لو لم يكن بعث ولا عاقبة لكان فعل ذلك عبثا باطلا وفيه القدرة على انشاء الشيء واحداثه لا من شيء اذ كان التركيب موجودا على التمام ولا قوة بهم ثم حدث القوة ولا اصل لها ولا اثر من اثارها دل ان تقدير قوى الخلق وقدرتهم وقوى الله وقدرته محال والله الموفق وقوله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير باحوالهم والقدير على انشاء الاشياء لا من اشياء وعلى البعث بعد الموت والله اعلم وقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة قال بعض اهل التاويل يقسم المجرمون انهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة وكذلك يقولون

في قوله كم لبثتم في الارض عدد سنين وقالوا لبثنا يوما او بعض يوم الاية لكن لا شبه ان يكون قوله يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة في الدنيا في الجنة لا في القبور واستقصروا مقامهم في الدنيا تكذيبا لما ادعى عليهم من الزلل والمعاصي
وانواع الكفر يقولون انا لبثنا في الدنيا وقتا لا يكون منا في مثل ذلك الوقت وقدر تلك المدة الزلل والمعاصي
الا ترى انهم قد كذبوا في انكارهم طول المقام فيها حيث قال كذلك كانوا يؤفكون اي كذلك كانوا يكذبون في
الدنيا ان لا بعث ولا حيوة بعد الموت ولا حساب ولولا هذا التكذيب لهم على اثر قولهم ما لبثوا غير ساعة والا
كان الظاهر انهم قد استقصروا المقام في الدنيا لطول المقام في الاخرة وشدة العذاب في ذلك وهوله لكنه والله
اعلم ما ذكرنا انهم يقسمون انهم ما لبثوا غير ساعة في الدنيا انكارا وجحودا لما ادعى عليهم من الزلل والمعاصي يقولون
انا لم نلبث في الدنيا الا ساعة كيف عملنا فيها هذه الزلل وانواع الشرك والكفر فاخبر انهم كذلك كانوا يؤفكون
اي كذلك كانوا يكذبون في الدنيا ويقسمون حيث قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
فذلك القسم منهم انهم ما لبثوا غير ساعة كذب وانكار للمقام كما كذبوا وانكروا الشرك حيث قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين وقوله وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اختلف فيه
قال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه قال الذين اوتوا العلم في كتاب الله اي اوتوا العلم بكتاب الله والايمان
لقد لبثتم فهذا يوم البعث وقاله بعضهم قال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في علم الله في الدنيا الى
يوم البعث فهذا يوم البعث وبعضهم يقول وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فيما كتب الله لكم من
الاجال الى انقضاء اجالكم وفنائها وقوله فهذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه وتكذبونه ولكنكم كنتم لا تعلمون
هذا يخرج على وجهين احدهما على حقيقة نفي العلم عنهم لكنهم لا يعذرون لجهلهم بذلك لما اعطوا اسباب العلم لو
تفكروا وتاملوا لعلموا والثاني على نفي الانتفاع بعلمهم على ما نفى عنهم حواس كانت لهم لما لم ينتفعوا بها فعلى ذلك
جائز نفي العلم عنهم بذلك لما لم ينتفعوا بما علموا والله اعلم وقوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ليس على
ان يكون لهم عذر فلا ينفعهم ولكن لا عذر لهم البتة اذ ان يكون معذرتهم ما ذكروا ما لبثوا غير ساعة فذلك
معذرتهم فلا ينفعهم ذلك لانهم كذبة في ذلك وقوله ولا هم يستعتبون الاستعتاب هو الاسترجاع عما كانوا فيه
انهم لا يطلب منهم الرجوع عما كانوا عليه في ذلك الوقت والعتاب في الشاهد ان يعاتب كي يترك ما هو عليه ويرجع
عما كان منه فيما مضى وذلك لا ينفع للكفرة في ذلك اليوم وقوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا اي راوا ذلك
الزرع والنبات مصفرا اي يابسا لما اصابه من الريح والبرد لظلوا من بعده قيل لداموا وقيل اصاروا وقيل لمالوا
وكله يرجع الى معنى واحد وهو ما تقدم ذكره من القنوط اي يقنطون وييأسون من رحمته ويكفرون بهذه
النعم وفي حرف ابن مسعود فانك لا تسمع الموتى انك لا تبعث الموتى وقوله ولقد ضربنا للناس في هذا القران
من كل مثل جائز ان يكون ما ذكر من ضرب المثل للكفار خاصة يقول قد بينا لهم ما يعظهم ويزجرهم عما هم فيه و
يدعوهم الى الايمان والتوحيد لكنهم اعتقدوا العناد والمكابرة وقوله ولئن جئتهم باية لو جئتهم بالاية التي
سالوك ايضا فلا يصدقوك ولا يقبلوا الهدى ويقولون ما ذكر ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون ويحتمل
ان يكون ما ذكر من ضرب المثل للفريقين جميعا المؤمن والكافر ويكون التاويل والله اعلم ولقد بينا للناس
لاعمالهم واحوالهم من القبيح والحسن مثلا وشبها ما يعرفون به قبح كل قبيح وحسن كل حسن وما بين لهم الحق
من الباطل والعدل من الجور لان اولئك الكفرة لم يعتبروا ولم يتاملوا ثم رجع الى وصفه اولئك الكفرة فقال
ولئن جئتهم باية اي بزيادة في البيان والوضوح ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون والله اعلم وقوله كذلك
يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون قد ذكرنا في غير موضع ان قوله لا يعلمون يخرج على وجهين احدهما لم يعلموا لما لم يتاملوا
ولم ينظروا في اسباب العلم لكي يعلموا ولا عذر لهم في جهلهم ذلك لما اعطوا اسباب العلم لكنهم لم يستعملوها
فنفى عنهم ذلك فلم يعذروا والثاني نفى عنهم العلم على وجود العلم لهم وكونه لما لم ينتفعوا بعلمهم على ما ذكرنا
من نفي الحواس عنهم مع وجودها وكونها لهم تلك الحواس لما لم ينتفعوا بها ولم يستعملوها فيما جعلت تلك
والتثبيت لها فعلى ذلك العلم والله اعلم وقوله فاصبر ان وعد الله حق قال بعضهم فاصبر على ما تكذيبهم اياك
بالعذاب الذي وعدت لهم ان وعد الله حق في العذاب بانه نازل بهم وجائز ان يكون قوله فاصبر اي اصبر على اذاهم
الذي يؤذونك ان وعد الله حق في النصر لك والمعونة وقوله ولا يستخفنك الذين لا يوقنون كانه يقول لا
يحملنك اذاهم اياك حتى تدعوا عليهم بالعذاب والهلاك وقال بعضهم لا يستخفنك اي لا يستفزنك ويقول لا
يستجهلنك واصله ما ذكرنا ان لا يحملنك اولئك الكفرة على الخفة والعجلة والجهل حتى تدعو عليهم بانزال العذاب
والهلاك لهم وهو والله اعلم كان من الاستخفاف

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل الم قد ذكرنا تاويله في غير موضع فيما تقدم وما ذكر فيه وقوله تلك
ايات قال بعضهم تلك اشارة الى ما بشر به الرسل المتقدمة اقوامهم من بشارات بعوث يقول تلك البشارات هي ايات الكتاب اي هذا
القران وقال بعضهم تلك ايات التي في السماء هذا الكتاب ومنهم من قال تلك ايات التي انزلت متفرقة فجمعت فصارت قرانا
والله اعلم وقوله الكتاب الحكيم سمى الكتاب حكيما كريما مجيدا ونحوه فيحتمل تسميته حكيما وجوها احدها لاحكامه واتقانه اي
محكم متقن لا يبدل ولا يغير وهو كما وصف عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية والثاني سماه حكيما لان
من تمسك به وعمل بما فيه يصير حكيما مجيدا كريما والثالث سماه حكيما لانه نزل من عند حكيم كقوله تنزيل من حكيم حميد وقوله هدى
ورحمة للمحسنين قوله هدى اي توفيقا وعصمة ومعونة للمحسنين وكذلك هو رحمة لهم في دفع العذاب عنهم واما ما يقوله اهل
التاويل هدى اي بيانا للمحسنين فهو بيان للكل ليس لبعض دون بعض فلا يحتمل الهدى البيان في هذا الموضع ولكن ما ذكرنا من
المعونة والتوفيق والعصمة والمحسن هٰهنا جائز ان يكون المؤمن كقوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور الصبار هو المؤمن والشكور
هو المؤمن سمى المؤمن صبارا مرة وشكورا مرة ومحسنا مرة لانه يعتقد بالايمان كل ما ذكر من الصبر والشكور والاحسان وكل خير
والله اعلم وقوله الذين يقيمون الصلوة الاية قد ذكرنا تاويله فيما تقدم في غير موضع وقوله اولئك على هدى من ربهم تاويل
الهدى ما ذكرنا في هذا الموضع من التوفيق والعصمة والمعونة واولئك هم المفلحون قد ذكرناه ايضا وقوله ومن الناس من يشتري
لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم اختلف في قوله من يشتري لهو الحديث قال بعضهم ليس على حقيقة الاشتراء نفسه ولكن على
الايثار والاختيار لان الاشتراء هو المبادلة اخذ واعطاء ولكن اثروا واختاروا واثروا الضلال بعد قيام حجته عندهم على الهدى مع
علمهم ذلك اثروا لهو الحديث واختاروه على الحق وحكمة الحديث واختاروا الفاني على الباقي فسماه شراء لذلك وقال بعضهم هو على
حقيقة الاشتراء لكنهم اختلفوا فمنهم من يقول انه على اشتراء المغنية والمغني كانوا يشترون ليلهوا بهم ويلعبوا ومنهم من قال
كان يشتري ويكتب من لهو الحديث وباطله من حديث الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم باحاديث عاد وثمود و
انا احدثكم باحاديث فارس والروم وذلك اشتراؤه لهو الحديث واضلاله الناس عن سبيل الله فاعرضوا عن القران والايمان
بمحمد ويتخذها هزوا وكان اذا سمع شيئا من القران اتخذها هزوا وهكذا اعداء الكفرة واهل النفاق كانوا يستهزؤون بالقران و
برسول الله واصحابه ثم اوعدهم الوعيد الشديد حيث قال اولئك لهم عذاب مهين وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما
يقولان في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث هو شراء المغنية والغناء وقد روي مرفوعا وروي عن ابي القاسم عن ابي
امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في التجارة فيهن وثمنهن حرام
ومثله انزلت هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية فان ثبت هذا فهو تفسير لهو الحديث الذي ذكر في الاية وقوله
واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اي اعرض متعظما متجبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا على التقرير ويحتمل على نفي الحقيقة
فان كان على التقرير فهو على ترك الاستماع وان كان على حقيقة النفي فقد ذكر في كثير من الاي ذلك قوله صم بكم عمي وذلك يحتمل
وجهين والله اعلم ثم اوعده العذاب الشديد حيث قال فبشره بعذاب اليم وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات قوله امنوا
بجميع ما امروا بالايمان به وعملوا الصالحات بما تعبد وامر العمل بالطاعات والصالحات لهم جنات النعيم كل الجنان التي وعد
للمؤمنين نعيم يتنعمون فيها خالدين فيها وعد الله حقا اي ما وعد للمؤمنين الجنات النعيم هو حق كائن لا محالة وهو العزيز الحكيم
خلق السموات بغير عمد ترونها قال بعضهم خلق السموات بعمد لا ترونها وقيل لعل لها عمدا لكن لا ترونها وقال بعضهم خلقها
بلا عمد لكن الاعجوبة فيما خلقها بعمد لا ترونها ليست بدون الاعجوبة في خلقها بلا عمد لان ذلك مثلها بعمد لا ترى اعظم في
اللطف والقدرة من رفعها بلا عمد ان العمد لو كانت مقدار الريشة او الشعرة ترى فرفعها مع ثقلها وعظمها وغلظها
على عمد لا ترى هو الطف من ذلك واعظم في الاعجوبة كما ذكرنا فايهما كان ففيه دلالة ان لا يجوز تقدير قوى الخلق بقوى
الله تعالى بقدرته ولا سلطان الخلق بسلطانه بل هو القادر على الاشياء كلها بما شاء وكيف شاء لا يعجزه شيء وقوله والقى
في الارض رواسي ان تميد بكم وقال في اية اخرى وجعل فيها رواسي هي الثوابت اي اثبتنا الارض بالجبال كقوله والجبال
ارسيها اي اثبتها وقوله ان تميد بكم اي لا تميد بكم ذكر الميل وهو الميل والاضطراب وليس من طبع الارض الميل والاضطراب
وانما طبعها التسرب والتسفل والانحدار فلا يدري ان كيف حالها في الابتداء وما في سريتها ما حملها على الاضطراب
والميد حتى اثبتها وارسيها بالجبال والله اعلم بذلك وقوله وبث فيها من كل دابة قال بعضهم بث خلق وقيل بث فرق وفيه انه
جعل الارض مكانا ومعدنا لكل انواع الذوات الممتحن وغير الممتحن والمميز وغير المميز والسماء لم يجعل الا لنوع من الخلق اهل
العبادة وقوله وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي انبتنا فيها من كل لون يتلذذ به الناظر اليه كريم ينال
منه كل ما اراده وتمناه اذ الكريم هو ما يطلع منه ينال كل ما طمع واريد منه وقال بعضهم الكريم الحسن اي انبتنا فيها من
كل لون حسن ما يستحسنه الناظر ويتلذذ به على ما ذكر في اية اخرى من زوج بهيج ما يبهج ويسر به كل ناظر اليه والله
اعلم وقوله هذا خلق الله يقوله ما ذكر من خلق السموات والارض وما بث من الدواب وما انبت من كل زوج كريم قوله
فاروني ماذا خلق الذين من دونه يذكر سفههم يقول انكم تعلمون ان ما ذكر من السموات والارض وجميع ما فيهما هو كله خلق الله و

انه هو خالق ذلك كله وان الاصنام التي تعبدونها من دونه لم تخلق شيئا من ذلك ولا تملك خلق شيء فكيف تعبدونها من
وسميتموها الهة وصرفتم العبادة والوهية عن الذي خلقكم وخالق السموات والارض وما فيهما وانما استحق الالوهية
والربوبية بخلقه ما ذكرنا الاصنام اذ لم يكن منها خلق فكيف سميتموها الهة وعبدتموها دون الله هذا والله اعلم
تاويله قوله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي لم تخلق يخبر عن سفههم وقلة معرفتهم وسرفهم في القول والفعل والله
اعلم وقوله بل الظالمون في ضلال مبين يحتمل الظالمون وجوها احدها ظلموا انفسهم حيث وضعوها في غير موضعها الذي
امرهم الله ان يضعوها وهو وضعهم اياها في عبادة الاصنام او ظالمي حدود الله حدها لهم لم يحفظوها على تلك الحدود بل
جاوزوها او سماهم ظلمة لما ظلموا انعم الله ولم يشكروها والله اعلم وقوله في ضلال مبين اي في حيرة بينة او هلاك
بين وقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة قال بعضهم الحكمة هي الاصابة في القول والفعل من غير نبوة وقال بعضهم اعطي الفهم
واللب وقيل الفهم والفقه في الدين وقيل العلم كانه يقول اعطيناه العلم والفهم بالكتب المتقدمة والفقه هو معرفة
الشيء بنظيره الدال على غيره او معرفة من غاب بما شهد ومعرفة الخفي الباطن بالظاهر ونحوه والفلاسفة يقولون
الحكمة هي المعرفة مع العمل والحكيم هو الذي له المعرفة والعلم والعمل جميعا فحينئذ يسمى حكيما وقوله ان اشكر لله
كانه قال ولقد آتينا لقمان الحكمة والحكمة يحتمل الوجوه التي ذكرنا وقلنا له ان اشكر فيما اعطاك من الحكمة وغير ذلك
من النعمة وهذا يدل ان الله فيما يكسب المرء من الحكمة والعلم صنعا اذ لو لم يكن له لقوله آتينا معنى اذ هو العبد و
كسبه الاترى انه امره ان يشكر له على ذلك ولو لم يكن له صنع في ذلك لكان الامر بالشكر له على ما صنع له فيه اذ
يخرج ذلك مخرج طلب الحمد والشكر على ما لم يفعل وقد ذم من احب ان يحمد بما لم يفعل فلا يحتمل ان يامرهم بالحمد والشكر
على ما لم يفعل ولا صنع له في ذلك دل ان له فيه صنعا وهو ينقض على المعتزلة في قولهم ان ليس لله في فعل العبد
صنع والله اعلم وقوله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه هذا يدل ان ما يامر عباده وينهاهم وفيما امتحنهم ويامرهم وينهاهم
لمنافع انفسهم وحاجتهم لا لمنفعة نفسه او لحاجته حيث قال ومن شكر فانما يشكر لنفسه حيث يتم تلك النعم ويديمها
فهو بالشكر ينفع نفسه ومن كفر فانما ضرر كفره يلحقه دون الله الاترى انه قال ومن كفر فان الله غني حميد اي غني
عن شكره وحمده حميد وان لم يحمده احد من خلقه لانه غني بذاته حميد بصنايعه والاية وان لم يحمد وهو ولم يشكر
على ذلك لا ينفعه شكر احد ولا حمده ولا يضره كفران احد ولا ترك الشكر والحمد وبالله الحول والقوة وقوله واذ
قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم يحتمل قوله ان الشرك لظلم عظيم وجوها احدها
ظلموا انفسهم حيث وضعوها في غير موضعها واوقعوها في المهالك بعد ما صورها احسن تصوير ومثلها احسن
تمثيل واعظم الظلم من عمل وسعى في هلاك نفسه الظلم عظيم ظلموا نعم الله حيث صرفوا شكرها الى غير منعمها وظلموا
ظلما عظيما حيث لم يقبلوا شهادة وحدانية الله والوهيته فيما جعلها في خلقتهم وبنيتهم اذ جعل في خلقة كل احد الشهادة
على وحدانيته وربوبيته وذلك اعظم الظلم والله اعلم وقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يذكرها هاهنا بما
ذا وصاه فبين الوصية بما ذكر في اية اخرى حيث قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا واحسانا هو اسم ما
حسن من فعله وقيل حسنا هو اسم ما حسن ما كان بفعله وهما واحد في الحاصل وقوله حملته امه وهنا على وهن
اي ضعفا على ضعف [illegible] ووجع على وجع امرهما بالاحسان اليهما جميعا
ثم ذكر ما حملت الام من المشقة والشدة ولم يذكر من الاب شيئا [illegible] المشقة التي
[illegible]
[illegible]

على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما امر في الاية الاولى بالاحسان اليهما وبالبر لهما والطاعة ثم بين انه لا
في كل امر يطاعان ولا في جميع ما يامران وبين ان يجاهدان انما يطاعان ويجابا فيما يؤذن لهما لا فيما لا يؤذن ولا يباح
يجابان بل يؤمر بالخلاف لهما واعتقاد المعادات فضلا ان يطاعا او يجابا الى ما ادعوانه او يامران وكذلك ذكر في
الخبر لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق وانما امر بحسن المصاحبة لهما والمعروف فيما لم يكن في ذلك معصية الخالق
حيث قال وصاحبهما في الدنيا معروفا وقوله واتبع سبيل من اناب الي قال بعضهم اتبع دين من اقبل الي
ورجع الى طاعتي وهو النبي او ان يكون قوله واتبع سبيل من اناب الي اي اتبع سبيلي وديني كقوله وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه فعلى ذلك الاول جايز ان يكون تاويله اتبع سبيلي وديني ولا تتبع غير سبيل من اناب
ورجع الي ولا تتبع سبيل من لم ينب ولم يرجع الي ثم اخبر برجوع الكل اليه من رجع واناب اليه ومن لم يرجع
ولم ينب اليه على الوعيد حيث قال الي مرجعكم الاية وهو كقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله الى قوله
فسيحشرهم اليه جميعا اي من استنكف ومن لم يستنكف فيحشرهم اليه جميعا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله يا بني انها
ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله لا يحتمل ان يكون هذا الكلام
والقول من لقمان كان لابنه ابتداء من غير سؤال كان في ذلك فيعلم انه كان ذلك منه عن سؤال لكن لا نعلم ما
ما كان السؤال وعما كان فاما ان كان السؤال عن علمه فاخبره بما ذكر من حبة مستترة التي ذكر مكنونة في اخفا
الامكنة عن الخلق فيما لا يطلع احد منهم ولا يبلغه على الخلايق يات بها الله اي يعلمها الله فان كان على هذا
ذكر فيلزمهم ان يكونوا ابدا مراقبين اعمالهم واحوالهم في جميع حالاتهم واوقاتهم وجميع امورهم لما لا يخفى
عليه شيء او ان يكون السؤال عن قدرة الله وسلطانه فاخبر ان الله تعالى قادر على استخراج تلك الحبة التي استترت
واحتجبت عن الخلق بالحجب التي ذكرها بعجز الخلايق عن استخراج مثلها من مثل تلك الحجب والامكنة فخافوه
قدرة الله ورهبوا سلطانه في الانتقام منهم في مخالفة امره ونهيه او ان يكون السؤال عن الرزق فيخبر بهذا ان الشيء
وان كان في مكان لا يبلغه وسع البشر وحيلهم في استخراج ذلك منه والوصول اليه بحال فالله سبحانه بلطفه يرزق
الخلق باشياء خارجة عن وسعهم وحيلهم ما لا يبلغ هم الطمع في ذلك ليكونوا ابدا في كل حال مطمئنين في الرزق لا
يوبسهم عجزهم ولا بعد حيلهم عن ذلك وان لا يعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب التي بها يكتسبون ولذلك قال
ويرزقه من حيث لا يحتسب او ان يكون السؤال عن جزاء ما يعمل المرء من قليل او كثير وعما اعظم ولطف فيخبر انه يجزي
بقليل العمل وكثيره وكذلك يقول بعض اهل التاويل ذلك يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل من خير او شر فتكن
في صخرة في جبل او في السماء او في الارض يات بها الله اي يجازيها فيكون على هذا التاويل كقوله فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا فاي شيء كان ففي ذلك دلالة وحدانية الله ودلالة علمه وتدبيره ودلالة قدرته وسلطانه ودلالة
الثقة به والتوكل عليه في الرزق والتفويض في الامر في كل ما خرج عن وسع الخلق والله اعلم وقوله ان الله لطيف
خبير قال عامة اهل التاويل ان الله لطيف في استخراج تلك الحبة خبير بمكانها وتاويل هذا الكلام اي يستخرج
تلك الحبة من الحجب التي ذكر والاستار التي بين استخراجا لا يشعر بها احد ولا علم كيفية الاستخراج منها ولا ماهيته و
واللطيف هو البار ثم يخرج هو على وجهين احدهما بارزا بما ارسل من الرسول وما انزل من الكتب ليدلهم الى ما
يهتدون والى ما به نجاتهم خير يجيبهم والثاني تاويل اللطيف يحتمل وجهين احدهما البار على ما ذكرنا والثاني في
استخراج امور لا يبلغها وسع الخلق ولا علمهم وحيلهم والله اعلم وقوله يا بني اقم الصلوة يحتمل الامر باقامة
الصلوة وجهين احدهما الصلوة التي عرفتها العرب وهي المسالة والدعاء والثناء على الله والتمجيد له كقوله ان
الله وملائكته يصلون على النبي الاية وهذه الصلوة المذكورة في هذه الايات هي الدعاء والاستغفار والرحمة
فعلى ذلك يشبه ان يكون الامر باقامة الصلوة هو الابتهال الى الرب حوائجه ومغفرته ليكون ابدا في كل حال
متضرعا الى الله مظهر حاجته اليه ومثنيا عليه وعصفا عظمته وجلاله وكبرياءه والثاني اراد به الصلوة
المعروفة المعهودة على شرايطها التي جعلت وشرعت فان كان هذا ففيها ايضا ما في الاول من الدعاء والثناء
على الله تعالى والوصف له بالعظمة والجلال لانها خلت من اولها الى اخرها ذلك وان كان اراد الصلوة الصلوة
المعروفة ففيه ان الصلوة التي شرعت لنا كانت للامم على ذلك يخرج قول ابراهيم حيث قال رب اجعلني مقيم الصلوة
وقول عيسى حيث قال واوصاني بالصلوة والزكوة والله اعلم وقوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر المعروف اسم كل
بر وخير وكل مستحسن في العقل والطبع والمنكر اسم كل شر وسوء مستقبح في العقل والطبع ثم يخرج قوله وامر
بالمعروف وانه عن المنكر على وجوه احدها المعروف الذي جاءت به الرسل عن الله وشرعوه للخلق ودعوا الخلق اليه
والمنكر ايضا هو الذي انكره الرسل ونهوا الخلق عنه او ان يكون المعروف هو الذي يقبله كل عقل صحيح ويستحسنه
كل طبع سليم والمنكر هو الذي ينكره كل عقل صحيح ولا يقبله ويستقبحه كل طبع سليم تعرف بالبديهة قبحه و

وحسنه او بعرفانه معروف او منكر عن التامل والتفكر فكله يرجع الى واحد الى ما ذكرنا بديا لكنه يختلف فيما
ذكرنا من السبب وقوله واصبر على ما اصابك من الاذى بالامر بالمعروف وينهى عن المنكر اهل السفه منهم والفسق
لا بد من ان يصيب الاذى من تولى ذلك وهذا يدل ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من اللوازم لا يسع تركه وان
اصابه الاذى فى ذلك وقوله ان ذلك من عزم الامور قال بعضهم ان ذلك من عزم الامور والحزم من الاحكام المتقن و
اتقانه كانه يقول ان ذلك من محكم الامور ومتقنها لان الشئ اذا احكم وشدد يؤمن عن سقوطه وذهابه فعلى
ذلك ما ذكر وقال العزم هو القطع والثبات على شئ تقول عزمت على كذا وعلى امر كذا اذا قطع رايه وتدبيره و
واضطرابه وجعله بحيث لا يرجع ولا يتحول عنه الدنيا والاخرة من امورها ولكن ثبت على ما عزم وقطع فهو العزم
والله اعلم وقوله ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا قوله ولا تصاعر ولا تصعر بالالف وبغير الالف كلاهما
لغتان ثم اهل التاويل او اكثرهم يقولون قوله لا تصاعر خدك للناس اى لا تعرض بوجهك عن الناس تعظما
وتجبرا وتكبرا وكذلك فى قوله ولا تمش فى الارض مرحا بطرا فرحا بالمعصية فى الخيلاء والعظمة متكبرا تجبرا واعاتهم بعيرة
بالاعراض المتكبر والتجبر وكذلك قول الحسن انه قال هو الاعراض عن الناس من الكبر استحقارا لهم واستخفافا بهم والزجاج
يقول الصعر هو ان ياخذ البعير فيلوى عنقه فعلى تاويله يكون قوله اى لا تصعر اى لا تلو عنقك عن الناس وابو عوسجة يقول
زبما من ذلك يقول لا تصعر اى لا تجبر وهو ان يلوى عنقك فلا تنظر اليهم كبرا ويقول الصعر هو اعوجاج فى العنق يقال
رجل اصعر وبعير اصعر وبه صعر ويقال فى الكلام فلان صعر خده اذا لوى راسه عن الناس فلم ينظر اليهم كبرا منه وقال
كما قال الزجاج الصعر داء ياخذ البعير فيلوى عنقه واصله الاعراض على ما ذكره اهل التاويل واهل الادب ثم هو يخرج على
وجهين احدهما ما ذكر اهل التاويل من حقيقة الاعراض تكبرا وتعظما لانفسهم استخفافا بالناس واستحقارا لهم لما لم يروا الناس
اشكالا وامثالا لانفسهم وعلى ذلك يخرج قوله ولا تمش فى الارض على حقيقة المشى على التكبر والتجبر على ما ذكرنا والثانى
ليس على حقيقة الاعراض الوجه عنهم ولا حقيقة المشى بالاقدام ولكنه كناية عن الامتناع عن الامر بالمعروف والنهى عن
المنكر والترك لذلك لا على التكبر والتجبر عليهم فى الاستخفاف بهم ولكن على الحذر والخوف عنهم فان كان الامتناع والاعراض
عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فلم يعدوا فى ترك ذلك لما يحذرون ويخافون منهم وكذلك يخرج قوله واقصد
فى مشيك واغضض من صوتك على الوجهين الذين ذكرناهما احدهما على الامر بقصد المشى وخفض الصوت حقيقة المشى
وحقيقة الصوت والثانى على الكناية عن كيفية المعاملة وما بينهما فيما بين الناس فان كان على حقيقة المشى والصوت
فكانه يقول اى اقصد فى المشى فى الناس ولا تمش تكبرا مستخفا بهم مستحقرا لتؤذيهم واغضض من صوتك اى لا ترفع
صوتك فوق اصواتهم فتؤذيهم بالصوت ولكن لينهم بالقول وقال بعضهم امش هينا لينا ناكس الراس ناظرا حيث
تمشى غير ناظر الى ما لا يحل ولا يسع ولا ترفع صوتك على الناس فتؤذيهم فيكون صوتك عندهم كصوت الحمير الذى ذكر
فينكرون كما ينكر صوت الحمير وان كان على الكناية عن الاحوال فى المعاملة فيما بين الناس فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
اى مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تطلبوا لانفسكم فى ذلك العلو والرفعة ونفاذ القول وقبوله ولكن كونوا
فى ذلك عادلين قاصدين غير طالبين العلو والرفعة ونفاذ القول وقبوله وقوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير يحتمل
وجهين احدهما ما ذكرنا اى لا ترفع صوتك على الناس فتؤذيهم كما يؤذى الحمار فيكون صوتك عليهم كصوت الحمار وينكر
هذا لان الحمار انما يصيح لحاجة نفسه وشهوته وسائر الاشياء اذا صاحوا انما يصيحون لحاجة اهلها فيذكر انكم اذا امرتم
بالمعروف ونهيتم عن المنكر لا تفعلوا المنفعة انفسكم او لحاجتكم ولكن قوموا لله فى ذلك او لما ذكرنا اخفض صوت الحمير لا
ليس من صوت الا وفيه لذة ومعونة غير صوت الحمير فانه ليس فيه لذة ولا منفعة وذكر لنا قيل انه اول زفير اهل النار و
شهيقهم وقوله ان الله لا يحب كل مختال فخور قال المختال المتكبر البطر وقال بعضهم المختال الخداع الغدار والفخور يحتمل الذى
يفتخر بكثرة المال او لما لا يرى احدا اشكالا لنفسه وقوله الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض قوله الم تروا
قد ذكرنا انه يخرج على وجهين احدهما على الخبر ان قد راوا وعلموا انه سخر لهم ما ذكر والثانى على الامر اى انظروا وروا انه سخر لكم
ما فى السموات وما فى الارض لينتفعوا بجميع ما يحتاجون اليه ويصلوا الى مرادهم وحاجتهم والى قضاء وطرهم كيف شاؤوا
بما شاؤوا وان يذكر قدرته وسلطانه ان من ملك تسخير ما ذكر لنا ومكنا واقدرنا على تدبير استعمال ما سخر لنا والانتفاع
لقادر على البعث والاحياء بعد الموت لا يعجزه شئ وان يذكر حكمته وعلمه ان مثل هذا التسخير لا يكون الا بحكمة ولو لم
يكن هذا البعث وعاقبة لكان تخلق الخلق وتسخير ما ذكر لعبا باطلا على ما ذكرنا فى غير موضع وقوله ما فى السموات
المسخر ما فى السموات يحتمل المطر والسحاب والشمس والقمر ونحو ما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض حتى
لا يقوم منافع الارض الا بمنافع السماء او الملائكة لانهم قد امتحنوا ببعض ما يقع بمنافع البشر والله اعلم وقوله
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ذكر عن ابن عباس انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة قال اما الظاهرة يا ابن عباس فالاسلام وما سوى من خلقك وما اسبغ عليكم من

الرزق واما ما بطن فستر مساوى عملك فلم يفضحك بها فان ثبت الخبر فلا يقع الحاجة الى غيره وهو تاويل الاية
والى هذا ذهب عامة اهل التاويل وجائز ان يكون النعمة الظاهرة هو ما ظهر من الحسن والطهارة واما النعمة الباطنة
ما ستر من الانجاس والاقذار ما لو ظهر ذلك لم يدن منه احد لخبثه ونجاسته وبعضهم يتولون الظاهر باللسان
والباطنة بالقلب وقال مجاهد ظاهرة الاسلام والرزق وباطنة ما ستر من الذنوب والعيوب وهو قريب مما ذكر
فى الخبر المرفوع والله اعلم وقوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم المجادلة فى الله يحتمل فى توحيد الله او فى الرسالة
انه ارسل او لم يرسل او فى البعث ايبعث او لا يبعث ونحوه او يجادل فى كتابه وقوله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير
اسباب العلم ثلاثة العقل والسنة والكتاب يتفكر وينظر بالعقل فيعرف وبيان السنة والكتاب يبين فلم يكن
مع الذين يجادلون رسول الله فى الله شئ من ذلك وخاصة اهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل بالكتب فكانه يقول ومن
الناس من يجادل فى الله وهم يعلمون انه ليس معه معقول ولا بيان من السنة ولا كتاب والله اعلم وقوله واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وقال فى اية اخرى
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وقال فى اية اخرى انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قل اولو
جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم كانه يقول لرسول الله ان قل لهم تتبعون اباءكم وتقلدونهم وان ظهر لكم و
تبين ان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وانهم من اصحاب السعير وتتبعونهم اثارهم مقتدون بهم وان ظهر لكم
وتبين ان الذى ادعوكم انا عليه وجئتكم اهدى مما عليه اباؤكم اذ تتبعون اباءكم كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
حتى ان قالوا نعم نتبعهم وان كانوا كما ذكرت فانه يظهر ويبين عنادهم ومكابرتهم عند اتباعهم حيث ظهر الحق لهم
لم يتبعوا بل اتبعوا اهواءهم ويظهر كذبهم فى قولهم والله امرنا بها او فى قولهم ان اباءهم على ما هم عليه بل فى اباءهم
ما هو على خلاف ما هم عليه ونحوه وان قالوا لا نتبعهم اذا كانوا على ما ذكرت فعند ذلك يقرون ويثبت عندهم بالحجج
والبرهان وفيه دلالة ان اهل الفترة يعذبون ويؤخذون بتركهم الدين والشرائع لان هؤلاء الذين اخبر انهم من اصحاب
السعير هم اهل الفترة ما بين عيسى وبين محمد واهل التاويل يقولون اوكان الشيطان يدعوهم اى بل كان الشيطان
يدعوهم الى عذاب السعير ومحمد بن اسحق يقول لا تصعر خدك للناس اى لا تعرض بوجهك تكبرا عن فقراء الناس اى
اذا كلموك ومرحا اى فخرا بالخيلاء والعظمة ان الله لا يحب كل مختال فخور اى بطر مرح فخور فى نعم لا يؤخذ بالشكر
واقصد فى مشيك دويدا لا تختل فى مشيك والاستكبار حيث لا يحل واغضض اى اخفض من صوتك اى من كلامك يامر
لقمان ابنه بالاقتصاد فى المشى والمنطق ثم ضرب للصوت الرفيع مثلا فقال ان انكر الاصوات لصوت الحمير لشدة
صوتهم وقوله الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح وسخر لكم ما فى
الارض اى الجبال والانهار والبحار فيها السفن والاشجار والنبت عاما بعام واسبغ عليكم نعمه ظاهرة تسوية الخلق
والرزق والاسلام باطنة اى ستر من الذنوب من ابن ادم فلم يعلم بها احد ولم يعاقب فيها فهذا كله من النعم
فالحمد لله على ذلك حمدا كثيرا كما هو اهله وقال فى قوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم فى زعمه ان لله البنات
اى الملائكة ولا هدى اى لا بيان معه من الله بما يقول ولا كتاب له فيه حجة واصله ما ذكرنا يجادل فى الله من الوجوه
التى ذكرنا بغير علم من جهة العقل ولا هدى اى ولا بيان من جهة السنة ولا كتاب من الله فيه حجة له واسباب
العلوم هذه فلم يكن له شئ مما ذكر وبالله العصمة قال ابو عوسجة المرح النشاط وهذا لا يكون الا من الكبر لانه يعجب
قصد فى مشيك اى امش مشيا رفيقا واغضض من صوتك اى ارفق لا تصوت صوتا شديدا وهذا ايضا من
التجبر واسبغ اى واسع والسابغ الواسع التام الطويل العريض وقال القتبى لا تصعر معرض للوجه انكر الاصوات
اقبحها عرفه فتح دفع فى المحاجة وقوله ومن يسلم وجهه الى الله يحتمل قوله وجهه اى نفسه كانه قال ومن يسلم
نفسه لله وجعلها سالمة له لم يجعل لاحد فيها شركا وهو محسن فى عمله الى نفسه اى لا يستعملها الا فى طاعة الله
وفيما امر فاذا فعل ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى اى فقد استمسك باوثق العرى واثبتها على ما ذكر فى
اية اخرى لا انفصام لها اى فقد استمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ولا انقطاع ولا زوال لانها
ثبتت بالحجج والبراهين لا بالهوى فكل شئ ثبت بالحجة والبرهان فهو ثابت ابدا لا زوال له ولا انقطاع وكل شئ
ثبت بالهوى فهو يزول وينقطع عن قريب لزوال الهوى وجائز ان يكون قوله وجهه لله اى يسلم وجه امره
فالوجه عبارة وكناية عن امره اى يسلم امره الى الله ويفوضه اليه او يكون كناية عن نفسه فتاويله ما ذكرنا
بديا واهل التاويل يقولون يسلم وجهه اى دينه لله اى يخلص دينه لله كقوله ولكل وجهة هو موليها اى
لكل دين ومذهب والله اعلم وقوله وهو محسن يحتمل وجوها احدها ما ذكرنا وهو محسن الى نفسه فى عمل لا
يستعملها الا فيما امر بالاستعمال فيه وهو طاعة الله لا يوقعها فى المهالك او هو محسن الى الناس بالمعروف
والبر او محسن اى عالم كما يقال احسن اى علم وبعض اهل التاويل يقول ومن يسلم وجهه لله اى اخلص عمله لله

وهو محسن اى مؤمن كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن وهو قول ابن عباس ومقاتل يقول ومن يسلم وجهه لله اى
مخلص دينه لله وهو محسن فى عمله فقد استمسك **وقوله** فقد استمسك بالعروة الوثقى هو ما ذكرنا انه استمسك
باوثق العرى واشبهها لانه انما ثبت بالحجة والبرهان لا بالهوى والتمنى والله اعلم **وقوله** والى الله عاقبة
عاقبة الامور هذا يخرج على وجوه احدها والى الله تدبير عاقبة الامور وتقديرها لا الى الخلق والثانى اليه
له التدبير والتقدير جميع عاقبة الامور وان يخص رجوع عاقبة الامور والمصير والرجوع اليه والبروز له
والخروج وان كانوا فى جميع الاوقات كذلك لما ذكرنا ان المقصود من خلق هذا العالم الثانى والمقصود من خلق
الدنيا الاخرة اذ به يصير حكمة وحقا فخص ذلك له واضافة اليه لذلك او يذكر ذلك لما لا ينازع فى ذلك اليوم
وقد نوزع فى هذه ولذلك قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **وقوله** ومن كفر فلا يحزنك كفره حزنا تتلف
وتهلك فيه كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فيخرج قوله فلا يحزنك كفره على التخفيف عليه والتسلى لتنفى على
نهى وكذلك قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على التخفيف والتيسير ليس على ترك الاشفاق والحزن عليهم لانه لو
الله كادت نفسه تتلف اشفاقا عليهم وحزنا على كفرهم فيخرج ذلك على التخفيف عليه والتسلى والثانى قوله فلا يحزنك
كفره لا يحزنك تكذيبه اياك فذكر كفره لانه بتكذيبه ما يصير كافرا وهو سبب كفر كقوله لا يحزنك الذين يسارعون
بالكفر الاية كان رسول الله يحزن ويهتم بتكذيبهم اياه فيما يقول ويخبر عن الله فيقول لا يحزنك تكذيبهم اياك فانهم
الينا يرجعون فنجزيهم ونكافئهم جزاء التكذيب والثالث فلا يحزنك كفره اى فان ضرر ذلك الكفر عليهم لا عليك
كقوله ما عليك من حسابهم من شىء الاية ونحوه من الايات يخبر رسوله اى لا يحزن على كفر من كفر فان ضرر ذلك يلحقهم
دونك والله اعلم والرابع **وقوله** الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا هذا وعيد اى الينا
مرجعهم فننبئهم عما اغفلوا عنه واختاروه فى الدنيا فيحفظونه ويتذكرون ما عملوا وان يكون قوله فننبئهم بما عملوا
اى نجزيهم ونكافئهم جزاء اعمالهم ويكافئهم ان الله عليم بذات الصدور اى عالم عما كان منهم وما كان جزاؤهم والله اعلم
وقوله نمتعهم قليلا اى فى الدنيا لان متاع الدنيا قليل على ما وصفه قل متاع الدنيا قليل اى يتمتعون يمرون
من ذلك القليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ذكر هذا مقابل ما ذكر لاهل الجنة حيث قال خالدين فيها لا يبغون
عنها حولا فيخبر ان اهل النار يضطرون ويدفعون الى النار لانهم يدخلونها اختيارا كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا
وقوله غليظ جائز ان يكون كناية عن استداده وطوله وجائز ان يكون كناية عن شدته والمه او جراحته كقوله تلفح وجوههم
النار الاية وقيل يغلظ عليهم العذاب لونا بعد لون والله اعلم **وقوله** ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله اخبر رسوله انك لو سألتهم من خلق السموات والارض يقولون ذلك ويجيبونك الله خلقهم ثم يخرج قوله
قل الحمد لله على اثر اقرارهم له بالتوحيد له والتفرد وبالخلق على وجهين احدهما امر رسوله بالحمد له لما لا يحتاج الى اقامة
الحجة على وحدانية الله وربوبيته سوى اقرارهم اذ هم اقروا له بالوحدانية فيما ذكر فعلى ذلك يلزمهم ذلك فى كل شىء
دق او جل فيقع الامر له بالحمد على ذلك او ثناء رسوله بالحمد له لما انجاه وخلصه وسلمه عما ابتلوهم وتتوا من
التكذيب وعبادة الاصنام بعد اقرارهم بالوحدانية له والالوهية محمود على افضاله عليه ورحمته وعصمته له
من اولئك الكفرة على هذين الوجهين يخرج تاويل امر الحمد على اثر ما ذكر والله اعلم ويكون قوله بل اكثرهم لا يعلمون
مقطوعا مفصولا من قوله قل الحمد لله اذ لو لم يجعل مفصولا منه يخرج الامر بالحمد له فى النظام على ما لا يعلم او لند ذلك
لا يصلح ثم قوله بل اكثرهم لا يعلمون يخرج على وجوه احدها ما ذكرنا انه نفى عنهم العلم على حقيقة العلم لما لم ينتفعوا بما علموا
على ما نفى عنهم حواس كانت لهم لما لم ينتفعوا بها من نحو البصر والسمع واللسان ونحوه فعلى ذلك العلم والثانى لا يعلمون
لما تركوا النظر والتفكر فى اسباب العلم او ان يكون قوله ههنا بل اكثرهم لا يعلمون ان عبادتهم الاصنام لا تقربهم الى الله
زلفى ولا تشفع لهم لانهم انما كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان تزلفهم الى الله ورجاء ان يكونوا لهم شفعاء عند الله
بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وتقربونا الى الله زلفى ان يكونوا لهم وسيلة بجزاء اعمالهم عملوها فى الدنيا فى الاخرة
والله اعلم **وقوله** لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد كانه يخبرهم ويذكرهم ان ما يامرهم به وينهاهم عنه
وما يمتحنهم من جميع انواع المحن لا لحاجة نفسه او لدفع المضرة عن نفسه ولكن لحاجة انفس الممتحنين ولمنفعتهم
ولدفع المضرة عنهم اذ من بلغ ملكه وغناه وسلطانه المبلغ الذى ذكر حتى كان له جميع ما فى السموات والارض لا
يحتمل ان يامر الخلق وينهى او يمتحن لحاجة نفسه ولكن لحاجة الخلق فى جر المنفعة ولدفع المضرة او يذكرهم نعمه عليهم
ليتادى به شكره حيث سخر لهم ما ذكر من السموات والارض وما فيهما وحقيقة ملك ذلك كله له **وقوله** ان الله هو
الغنى الحميد الغنى بذاته لا يعجزه شىء او غنى عمن استغنى عنه حميد قيل اهل ان يحمد ويشكر بذاته وقيل حميد فى
فعاله وصنايعه ويكون الحميد بمعنى الحامد ويكون بمعنى المحمود والله اعلم **وقوله** ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله لا يحتمل ان يكون ذكر هذا الكلام ابتداء من غير امر او سؤال

وخطاب سبق من القوم حتى ذكر هذا لكنا ما نعلم ما سبب ذلك وما قصته وما امره حتى انزل هذا لكن ابن عباس رضى الله عنه
يقول ان اليهود اعداء الله سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وما هو فنزل قل الروح من امر ربى اى من
علم ربى لا علم لى به وقال قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا اى يسير فى علم الله فلما قرأ عليهم هذه الاية قالوا كيف
يزعم هذا وانت تزعم ان من اوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير قال فنزل ولو ان ما فى
الارض من شجرة اقلام يقول بريت الشجرة اقلاما والبحر تمده من بعده سبعة ابحر فيكون كلها مدادا يكتب بها علم الله
لانكسرت الاقلام ولنفد المداد ولم ينفد علم الله فيما اعطاكم من العلم قليل فيما عنده من العلم كثير فيما عندكم الى هذا
يذهب اكثرهم ولكن غير هذا كانه اشبه بسبب نزوله وذكر وهو يخرج على وجهين احدهما ما ذكرنا فى قوله لله ما فى
لله ما فى السموات والارض انه بلغ ملكه وسلطانه ما لو صار ما ذكر من الاشجار كلها اقلاما والبحار كلها مدادا
تكتب بها اسماء خلقه وملكه وسلطانه لنفد ذلك كله ولم ينفد خلقه ولم يبلغوا غايته ذلك او ذكر هذا لهذا القرآن
لقول كان من الكفرة فى قلته فى نفسه وصغر ما كتب هو فيه ان يقولوا كيف يسع فى هذا المقدار علم الكتب السالفة
المتقدمة وهى اوقار وهى جزء فيخبر والله اعلم انه جميع فى هذا من المعانى والعلم والحكمة ما لو فسره وبين ما اودع فيه
وضمنه ما لو جعل ما فى الارض من الشجر اقلاما والبحار مدادا فكتب ما اودع فيه وضمنه لنفد ذلك كله ولم ينفد ما
جمع فيه وضمنه هذا والله اعلم يشبه ان يكون تاويله وسبب نزوله والله اعلم بين لك ان الله عزيز حكيم **وقوله** ما
خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال بعضهم ذكر هذا لان نفرا من قريش قالوا للنبى ان الله خلقنا اطوارا نطفة
علقة مضغة عظاما لحما ثم تزعم انا نبعث خلقا جديدا جميعا فى ساعة واحدة فقال الله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم
ايها الناس جميعا على الله فى القدرة الا كبعث نفس واحدة ان الله سميع لقولهم الذى قالوا انا لا نبعث بصير بامر
الخلق والبعث وجائز ان يكون قال هذا لما قد اقروا ببعث نفس واحدة لما انتهى لهم الاخبار مما كان فى الامم السالفة
من الاحياء بعد الممات وتواترت على ذلك من ذلك قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال
لهم الله موتوا ثم احياهم وكقولهم حيث قالوا ارنا الله جهرة الاية وكقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وقوله فاماته
الله مائة عام ثم بعثه مكانهم فاقروا ببعث هؤلاء لما تواترت عنهم اخبار بذلك وانكروا بعث سايرهم فقال ما خلقكم
ولا بعثكم جميعا الا كبعث نفس واحدة اذ ثبت لواحد ففى الكل كذلك او ان يذكر هذا لان الاسباب انما تختلف فى
الامور على الخلق وتعسر تحصيلها لاوقت اما العجز او الجهل او لشغل فاذا كان الله سبحانه وتعالى متعاليا عن ان يعجزه شيئا ويخفى
عليه شىء او يشغله شىء عن شىء فصار خلق الكل عليه وبعث الكل كخلق كل نفس واحدة وكبعث نفس واحدة او ان
يذكر لان الواحد والكل والقليل والكثير ما كان وما يكون تحت قوله كن فيكون فقيل كن مترجم به من غير ان كان منه كاف
او نون لكنه ذكر كن لانه اوجز حرف فى كلام العرب واقصر كلام يترجم به من غير ان كان منه كاف او نون والله اعلم
وقوله ان الله سميع بصير كانه قد كان من اولئك من قول او كلام فى ذلك حتى قال سميع ذلك بصير عالم لذلك و بصير
باحوال الخلق وباموره **وقوله** الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر يذكرهم
قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره وفيه دلالة البعث اما قدرته لما ادخل الليل فى النهار والنهار فى الليل ثم حفظهما
على حد واحد وعلى ميزان واحد على غير تفاوت يقع فى ذلك ولا تغير فمن قدر على ذلك لا يعجزه شىء ولا يخفى عليه شىء
وكذلك ما ذكر من سير الشمس والقمر وما يقطعان فى يوم واحد وليلة واحدة مسيرة خمس مائة عام ما لا يتصور ذلك
فى اوهام الخلق ولا فى تقديرهم قطع ذلك المقدار من المسيرة مثل تلك المدة ودل انشاء احدهما واحدا اثر بعد ما
ذهب الاخر برمته وكليته حتى لا يبقى له اثر على انه قادر على الاحياء بعد الموت وبعد ما ذهب اثره ففى ذلك دلايل من
وجوه احدها دلالة قدرته حيث ادخل احدهما فى الاخر وحفظهما كذلك على حد واحد وتقدير واحد على غير تغيير و
تفاوت يقع فى ذلك دل ذلك على قدرته وعلمه وتدبيره ودل انشاء كل واحد منهما بعد ما ذهب الاخر على القدرة
على البعث **وقوله** كل يجرى الى اجل مسمى الى الوقت الذى جعل له لا يتقدم ولا يتاخر وان الله بما تعملون خبير ظاهرا
وباطنا هذا وعيد ليكونوا ابدا خايفين حذرين متيقظين والله اعلم **وقوله** ذلك بان الله هو الحق اى ذلك الذى ذكر
خلق الخلق وانشاء ما ذكر وتسخيره لما ذلك وسعيه فى الليل والنهار والشمس والقمر وجميع ما ذكر هو صنع الاله
الحق تسمية الالوهية والعبادة وان ما تدعون من دونه من الاصنام مبطلون غير مستحقين تسمية الالوهية
والعبادة او هو الحق لانه هو الذى يسوق اليكم هذه النعم والمنافع وان ما تدعون من دونه الباطل لا ينفعكم عبادتكم
اياها وان الله هو العلى الكبير **وقوله** الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله وقال فى موضع اخر وجرين بهم بريح طيبة
وقوله بريح طيبة هى النعمة التى ذلك فى هذه الاية وقوله تجرى فى البحر بنعمة الله يحتمل وجهين احدهما ما جعل لهم
الفلك بحيث تجرى على وجه الماء مع لحال ثقيلة ومن طبعها التسرب فى الماء والانحدار فيه جعلها بحيث تستمسك
على وجه الماء وتجرى ليصلوا الى حوائجهم ومنافعهم فى امكنة متباعدة ممتنعة ما لولا السفن لم يصلوا الى ذلك

بجان والثانى ماذكر من ريح طيبة التى بها تجرى السفن فى البحار وما دها واكد ساكن فيعمل تلك الريح الطيبة عمل جريان
الماء وسكونه وكذلك نعمته والله اعلم وقوله ليريكم من اياته يحتمل ايات وحدانيته وايات قدرته وسلطانه وايات نعمته
اما ايات نعمه ماذكر وايات قدرته وسلطانه ماذكرنا انه من قدرته وسلطانه ان جعل الفلك والسفن فى البحار بحيث
يتمسك ويحتبس ولا تسترب ولا تنحدر مع احمال ثقيلة ومن طبع ذلك كله التسرب والانحدار وما ذكر من اجرائها
بالريح الطيبة ولو كان فعل عدد ولا فعل واحد لكان يمنع عن جريها دل انه تدبير واحد لا عدد وقوله ان فى ذلك
لايات لكل صبار شكور جايز ان يكون الصبار هو المؤمن والشكور كذلك الصبر كناية عن الايمان والشكر كناية عن الايمان
كقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ذكر الصبر مكان قوله امنوا لانه ذكر فى اية اخرى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
والشكر كناية عن الايمان كقوله ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقوله تشكروا
اى تؤمنوا ويحتمل صبار على بلاياه وشكور على نعمائه او جعل الايات لمن ذكر لانه هو المنتفع بها دون غيرهم او صبار فيما
اصابهم فى البحر من الشدائد والاهوال وشكور فيما دفع عنهم وانجاهم من تلك الاهوال والله اعلم وقوله واذا غشيهم موج
كالظلل قال بعضهم كالظلل اى كالظلل هو سواد من كثرة الماء ومعظمه وقيل يصير الموج كالظلة فوق السفينة وجائز
ان يكون الظلل التى ذكر على التمثيل لا على التحقيق كناية عن حيرتهم فى الدين كقوله او كظلمات فى بحر لجى يغشيه موج من فوقه
موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها وهو على المثال لا على التحقيق يخبر عن حيرتهم
فى الدين وتشبهه فعلى ذلك الاول ثم ذكر اهل التاويل ان الاية فى اهل الكفر كانوا يخلصون الدعاء لله والدين له
عندما اشتد بهم الخوف على الهلاك عند معاينتهم الاهوال والشدائد فى البحار لان اهل الاسلام يخلصون له الدعا
والدين فى احوال كلها فهى فيهم وقوله فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد قال بعضهم مقتصد اى حسن القول بلسانه
كافر بقلبه وقال بعضهم فمنهم مقتصد اى عدل اى بقى على الايمان والاخلاص الذى كان منه فى تلك الاحوال لم يعد
الى الكفر وقال بعضهم فمنهم مقتصد الوسط العدل وهو ماذكر والله اعلم وقوله وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور
قيل الختار الغدار وقال بعضهم الختار هو الذى يبلغ فى الغدر غايته ونهايته وقوله وان الله هو العلى الكبير العلو يحتمل
وجهين احدهما العلو القهر والغلبة كقوله ان فرعون علا فى الارض اى غلب وقهر وقوله تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا فى الارض فعلى ذلك يشبه ان يكون قوله العلى اى القاهر الغالب والثانى انه يكون العلى الارتفاع
فان كان الارتفاع فهو مرتفع وتعالى عن ان يحتمل ما يحتمل الخلق من التغير والزوال وغير ذلك مما يحتمل الخلق ارتفع وتعالى
عن احتمال ما يحتمل الخلق والكبير اى تكبر عن ان الخلق يلحقه شئ مما يلحق الخلق والله اعلم وقوله يا ايها الناس اتقوا
ربكم فى الجهة الذى له عليكم وادوله ذلك او اتقوا مخالفة ربكم ومعصيته او اتقوا نقمة ربكم وعذابه لكنه يختلف
الامر بالاتقاء فى المؤمن والكافر يكون للكافر اتقوا الشرك وعبادة غير الله وفى المؤمن اتقوا مخالفة الله فى جميع ما
امركم ونهاكم واتقوا عبادة غير الله او الشرك فى حادث الوقت واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيئا يذكرهم على الاياس وتقطع طمع بعضهم عن بعض بالوصلة التى كانت بينهم فى الدنيا و
المنافع التى كان بعضهم بعضا فى الدنيا يخبر ان ذلك كله منقطع فى الاخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل بنفسه
حتى لا ينفع احد صاحبه وخاصة ماذكر من الولد لوالده والوالد لولده مما لا يحتمل قلب واحد منها ان يلحق
المكروه بالاخر ولا يصبر ان لا يدفع ذلك عنه بكل ما به وسعه وطاقته للشفقة والمحبة التى جعلت فيهم ثم اخبر
ان لا ينفع احدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل
نسب وسبب فهو منقطع الا نسبى وسببى ونسبه دينه الذى دعانا اليه وعلمناه وسببه شفاعته يوم
القيمة فذلك كله منقطع الا هذين فانه من تمسك بدينه فانه يشفع يوم القيمة فيما قصر وفرط فاما من لم يقبل
دينه ولم يجبه الى ما دعاه فانه ليس له واحد من هذين من الاسباب والانساب منقطع كقوله وتقطعت بهم
الاسباب وقال بعضهم قوله واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده قال هذه الاية فى الكفار فاما المؤمنون فينفع
الوالد ولده والولد والده فى الاخرة يدفع الى ابنه بفضل عمله وكذلك الولد الى ابيه كقوله اباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا والله اعلم وقوله ان وعد الله حق فيما ذكر من الاياس وقطع طمع بعضهم من بعض وما ذكر
من قيام الساعة وكونها انها لكونها لا محالة او فى الثواب والعقاب وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا هذا يحتمل وجهين على
التحقيق والتمثيل اما التحقيق ان لا تشغلنكم الحيوة الدنيا ولذاتها ولا تلهينكم عن ذكر الله وعن الاخرة ولا تغتروا بها
فانها لعب ولهو على ما هى عندكم لانها عندهم انها انما انشئت وخلقت لها لا للاخرة فالدنيا على ما هى عندهم لعب
ولهو واما على ما هى عندنا هو حق ليس بباطل لانها انشئت للاخرة ولغيرها لها وانما التمثيل اضافة التغرير اليها
لان ما كان منها من التزيين والتحسين فى الظاهر واظهار بهجتها وسرورها ولذاتها لو كان ممن له التمييز والعقل والفهم
والحقيقة التزيين والتحسين كان تغريرا فعلى ذلك ما كان منها على النظام فهو تغرير على التمثيل او ان يكون ماذكر ان

لا تغتروا بالحيوة الدنيا وما فيها من لذاتها والله اعلم وقوله ولا يغرنكم بالله الغرور قيل الغرور الشيطان لا يغرنكم و
يقول ان الله كريم جواد رحيم ولا يعذبكم او يقول ان الله غنى قادر لا يامركم ولا ينهاكم اذ انما يامر وينهى فى الشاهد
من كان محتاجا فاما الغنى فلا يامر ولا ينهى والله اعلم وقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام
ذكر فى بعض الاخبار عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا
الله وعد هذه الخمسة التى ذكرت فى هذه الاية وكذلك روى ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمسة
لا يعلمهن الا الله قوله ان الله عنده علم الساعة الى اخر الاية فان ثبت هذا فهو ماذكر ويرجع ذلك الى معرفة حقيقة
ماذكر والا جاز ان يقال انه يعلم بعض هذه الاشياء بالاعلام من نحو المطر انه متى يمطر او ما فى الارحام انه ولد وانه ذكر او
انثى وكان لم يعلم ما بينه ما فى الارحام نحو ما يعلم المنجمة ذلك بالحساب وبالاعلام يخرج ذلك على الصدق مما اخبروا وما الا
نرى ان ابراهيم صلوات قال انى سقيم لما نظر فى النجوم اى ساسقم وروى ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه قال انى القى
الى ما بطن خارجة جارية وكان كما ذكر فلا يحتمل ابا بكر يعلم ذلك لما القى اليه ورسول الله لا يعلم الا الساعة فانه لا يطلع
عليها احد الا ان يقال بان رسول الله لم يؤذن له بالتكلم والقول لشئ الا من جهة الوحى من السماء فان الاشتغال بتكلم
تضييع لكثير مما امتحن وترك لبعض ما يؤمر وينهى او لما يخرج ذلك مخرج التطير والتفال واكتساب الرزق على غير الجهة
التى حمل وابيح فكان المنع لذلك والله اعلم ثم قوله ان الله عنده علم الساعة كقوله يسئلونك عن الساعة ايان
مرسيها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو وقوله يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها فيم انت من ذكريها
الى ربك منتهاها اخبر انه لا يجليها لوقتها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم انك انما انت منذر من يخشيها فاما
ما سوى ذلك فليس اليك او ان يكون قوله ان الله عنده علم الساعة اى ذكر الساعة واهوالها ولم يذكر ثانيها وحدها
وقدرها فاخبر انه يعلم هو ذلك وقوله وينزل الغيث سمى المطر غيثا فيشبه ان يكون سماه غيثا فيما به قوام انفسهم
ودنياهم وسماه فى موضع رحمة مباركا فتسمية لما به نجاة انفسهم وابدانهم وذلك صرف الرحمة وسماه مباركا
كالماء به ينمو ويزداد كل شئ اذ البركة هى اسم كل خير ينموا ويزداد بلا اكتساب وقوله ويعلم ما فى الارحام من انتقال
النطفة الى العلقة وانتقال العلقة الى المضغة وتحوله من حال الى حال اخرى وقدر زيادة ما فيه فى كل وقت
وفى كل ساعة ونحو ذلك لا يعلم الا الله وانما العلم بان فيه ولدا وانه ذكر او انثى فجايز ان يعلم ذلك غيره ايضا وقوله
وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تكسب نفس باى ارض تموت جايز ان يكون كتم ذلك واخفاه ليكونوا فى كل حال على
حذر وخوف وعلى يقظة اذ لو كان اطلعهم على ذلك لكانوا امنين الى ذلك الوقت فيعملون لكل ما يريدون ولشغلوا
فيكون فى ذلك ارتفاع المحنة فليس ذلك عليهم ليكونوا ابدا فى كل وقت وكل حال على حذر وخوف ويقظة والله
اعلم وقوله ان الله عليم خبير وذكر بعض اهل التاويل ان رجلا من اهل البادية يقول له الوارث بن عمرو بن حارثة بن
محارب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان ارضنا اجدبت فمتى الغيث وترك امرأتى حبلى فما تلد وقد علمت فى
وحدت ففى اى ارض اموت وقد علمت ما عملت اليوم فماذا اعمل غدا ومتى الساعة فانزل الله تبارك وتعالى فى مسئلة
المحاربى ان الله عنده علم الساعة لا يعلمها غيره وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام من ذكر او انثى وما تدرى نفس
اذا جحر ماذا تكسب غدا من خير او شر وما تدرى نفس باى ارض تموت فى سهل او جبل او بر او بحر ان الله عليم خبير بهذا
الذى ذكر كله فقال النبى ابن السايل عن الساعة فقال المحاربى ههنا فقرا النبى صلوات الله عليه هذه الاية قال
ابو عوسجة قوله كالظلل اى ما استظللت بها والظلة السحاب قال القتبى كالظلل جمع ظلة يريد ان بعضه فوق بعض
فله سواد من كثرته والبحر ذو ظلول لامواجه والختار الغدار والختر اقبح الغدر واشده وقال ابو عوسجة الختار هو
الكذاب الغدار يقال ختر يختر خترا فهو ختار وقوله واتقوا يوما لا يجزى اى لا تغنى تقول جزى يجزى جزاء فهو جاز اى
اغنى واجزى يجزى مثله واجزانى عن كذا وكذا اى كفانى وكذلك قال القتبى وقال الغرور بنصب الغين الشيطان
والغرور بضم الباطل والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل الم قد ذكرنا تاويله فى صدر الكتاب
وقوله تنزيل الكتاب الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله والسبيل المطلق والطريق المطلق سبيل الله
وطريقه وقوله لا ريب فيه انه منزل من الله لانه انزل على ايدى الامناء البررة لم يغيره ولا بدلوه ولا حرفوه او يقول
لا ريب فيه انه ليس بمختلق ولا مخترع ولا مفترى من عند الرسول بل منزل من عند رب العالمين او لا ريب فيه لا شك
على ما يقول الناس لكل محكم من الامر المبين والله اعلم من رب العالمين العالم هو جنس من الخلق وجوهر منه والعالمين
جمعه فيدخل فى ذلك الاولون والاخرون الذين يكون الى اخر ما يكونون فقيه انه يوصف جل وعلا انه رب لكل ما كان
وما يكون كقوله مالك يوم الدين اخبر انه مالكه وهو بعد ما لم يكن اعنى ذلك اليوم وقوله ام يقولون افتريه قوله

ام يقولون هو استفهام وشك في الظاهر لكنه من الله يخرج على تحقيق الالزام والايجاب او تحقيق نفي على ما لو كان
ذلك من مستفهم ومسترشد كيف يجاب له ويقال فيه وانما يقال للمستفهم لا او بلى فعلى ذلك هو من الله على
تحقيق اثباتها والايجاب او تحقيق نفي اذ لا يحتمل الاستفهام والسؤال كقوله ام للانسان ما تمنى كانه قال
ليس للانسان ما تمنى فعلى ذلك كانه قال ههنا بل يقولون افتريه ثم رد ما قالوا انه افتريه فقال بل هو الحق
من ربك يحتمل قوله هو الحق من ربك ليس بمخترع ولا مخترق من محمد بل منزل من عند الله على ما ذكر في
قوله لا ريب فيه من رب العالمين او هو الحق من ربك ليس بكلام البشر ولانه وسعهم اتيان مثله فهو الحق
منه لا ياتيه الباطل من بين يديه الاية وقوله لتنذر قوما اي لتنذر بالكتاب الذي انزل قوما ما اتيهم
من نذير من قبلك هذا يحتمل وجهين احدهما على الجحد اي لتنذر قوما لم ياتهم نذير وهم اهل الفترة الذين
كانوا بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام والثاني لتنذر قوما الذين قد اتاهم من نذير من قبلك
وهم اباؤهم واجدادهم الذين كانوا من قبله الذين قد اتاهم نذير من قبله والله اعلم وقوله لعلهم
يهتدون هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما لتنذر قوما لكي تلزمهم به حجة الاهتداء والثاني لتنذر قوما
على رجاء وطمع ان يهتدوا والله اعلم وقوله الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في
ستة ايام هذا ايضا قد ذكرنا فيما تقدم وقوله ثم استوى على العرش وفي هذا ايضا قد ذكرنا
فيما تقدم تاويلات كثيرة لكنا نذكر فيه حرفا لم نذكر فيما تقدم من الذكر وكانه اصوب واقرب
الى الحق وهو ان ذلك حرف وكلام لم يجعل الله تعالى في العقول والافهام سبيل الدرك له و
المعرفة اعني لقوله ثم استوى على العرش لانه ذكر ذلك الحرف في موضع اخر وامره ان يسال به خبيرا
حيث قال ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا ولو كان ذلك الحرف مما لعقول البشر وافهامهم
سبيل الوصول الى معرفته ودركه لادركه عقل رسول رب العالمين وفهمه من غير ان يسال به الخبير من
كان الله او جبريل فاذا امره بالسؤال عنه دل انه بالعقل والفهم لا يدرك ولا يعرف ولكن بالسمع عن
الله ولم يذكر عن الرسول انه فسر ذلك او قال فيه او ساله احد عنه والله اعلم وقوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
يقول اهل التاويل ما لكم من دونه من ولي ينفعكم في الاخرة ولا شفيع يدفع عنكم عذابه او ان يكون قوله ما لكم من دونه من ولي
ورب واله يلي امركم سواه ولا شفيع ولا تجعل لكم الاصنام التي تعبدونها شفعاء وانتم تعلمون ذلك فكيف تعبدونها
دونه او يذكر على الوعيد لهم اي ليس لاوليك ولي ولا ناصر ولا شفيع لا هو ولا غيره واما المؤمنين فانه وليهم كقوله ذلك بان
الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقوله افلا تتذكرون فيما ذكر من صنعه فتوحدونه والله اعلم وقوله
يدبر الامر من السماء الى الارض قال اهل التاويل يدبر الامر اي هو يقضي القضاء وحده من السماء والارض وعندنا انه
تخرج على وجهين احدهما يدبر الامر اي هو يكون الامر ويدبره وهو يجعل الخلق بحيث يقبلون الامر والنهي ويحتملون المحنة
وهو يخرج الامر كله على الحكمة والتدبير والثاني يدبر الامر اي يولي من يدبر الامر من السماء الى الارض نحو ما ولي ملك
الموت قبض ارواح الخلق ونحو ما ولي بعض ملائكته امر الامطار والنبات وغير ذلك فجائز ان يكون الاول تدبيره ملائكته
امر ما بين السماء والارض فان كان الاول فليس ذكر السماء والارض حدا ولا تقديرا يدبر ذلك ولا يدبر ما سوى ذلك
لكن ذكر هذا المنتهى الى ذلك ينتهي تدبير البشر وعلمهم واما ما سوى ذلك فلا وان كان الثاني فهو على التحديد والله اعلم
وقوله ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره قال بعض اهل التاويل ثم يعرج اليه يقول يصعد الملك اليه في يوم واحد من ايام
الدنيا كان مقدار ذلك اليوم الف سنة مما تعدون انه لان ما بين السماء والارض مسيرة خمس مائة عام فينزل مسيرة
عام فينزل مسيرة خمسمائة عام وذلك مقدار مسيرة الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا وذكر في موضع اخر خمسين
الف سنة فجائز ان يكون ذلك وصف يوم القيمة فيخرج ذلك على التحديد والتقدير ولكن على التعظيم لذلك اليوم و
الوصف له بما يعظم في قلوب الخلق وهو وصفه بالعظم كقوله اليوم عظيم او ان يكون التحديد والتقدير ان كان تحقيقه
لاختلاف احواله واوقاته على اختلاف الامور يكون الف سنة ذكر حال ووقت لامر وخمسين الف سنة بحال اخرى
لامر اخر على سمى ذلك اليوم مرة يوم الجمع ومرة يوم التفريق ويوم الفصل ويوم الحساب ويوم البعث ولكن بجميع
ذلك كله لاختلاف الاحوال والاوقات الامور المختلفة فعلى ذلك يشبه ان يكون الاول كذلك والله اعلم ويكون قوله
ثم يعرج اليه اي يصير اليه ذلك كقوله واليه المصير واليه ترجعون واليه يرجع الامر كله ونحو وقوله ذلك اي
هذا الذي صنع ما ذكر من هذه الاشياء عالم الغيب والشهادة يحتمل هذا وجوها عالم ما غاب عن الخلق والشهادة
وعالم ما يشهدون ويعلمون او عالم ما يكون والحديث والشهادة ما قد كان ومضى او عالم ما يغيب بعض من بعض
والشهادة ما يشهدون ويظهرون او عالم ما يغيب عن الخلق كيفية المنافع من الاشياء الظاهرة وما منها نحو ما
غاب عنهم المعنى المضمر الموعود في الطعام والشراب والاغذية جميعا الذي به حيوة انفسهم وقوامهم وكذلك السمع

والبصر والفهم والعقل لا يدرك المعنى الذي يسمع ويبصر ويفهم ويدرك وما به حيوة انفسهم والله اعلم وقوله العزيز
الرحيم العزيز في هذا الموضع المنتقم من اعدائه الرحيم على اوليائه او العزيز الذي لا يعجزه شيء الرحيم الذي له رحمة
يسع الخلايق في رحمته او العزيز الذي به يعز من عز والرحيم الذي برحمته يرحم من يرحم ومنهم من يقول في قوله
ويوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال من منتهى امره من اسفل
الارضين الى منتهى امره فوق السموات مقدار ذلك خمسون الف سنة ويوم كان مقداره الف سنة ذلك نزول الامر
من السماء الى الارض والارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقداره الف سنة لكن قوله من منتهى امره من اسفل الارضين
الى منتهى امره فوق السموات كذا فاسد لانه لا يجوز ان يكون لامره وملكه نهاية واحد والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله
الذي احسن كل شيء خلقه بالجزم والتحريك جميعا كلاهما لغتان ثم يحتمل قوله احسن كل شيء اي علم كل شيء خلقه انه كيف
يخلق من غير ان يعلمه احد او اعانه عليه احد وفي الشاهد يقدر احد ولا يمكن له صنع شيء الا بعلم يعلمه ذلك ويعينه
يعين على ذلك يخبر عن جهلهم وسفههم بتقدير قدرة الله وقوته بقوى انفسهم وقدرتهم في انكارهم البعث بحجة
عن تقدير الخالق وامتناعه عن وسعهم يقول لا تقدروا قدرة الله بقدرة انفسكم وقواكم فانكم لم تقدروا على ما علمه بعلمكم اذ
هو يعلم بذاته بلا معلم وانتم لا تعلمون الا بمعلم فعلى ذلك هو قادر بذاته لا يعجزه شيء وانتم لا تقدرون الا بغير او بسبب و
ويحتمل هذا الوجه وجها اخر وهو ان قوله احسن كل شيء خلقه اي علم كل شيء من خلقه ما به مصالحهم وفسادهم و
ما يؤتى وما يتقى والثاني احسن كل شيء خلقه اي احكم كل شيء خلقه واتقنه ثم يخرج هذا على وجهين احدهما اتقن واحكم
فيما به من المصالح وما في وفي كل شيء من التسوية والتفرقة وفي الجمع والتصوير والثاني احسن اي اتقن واحكم كل شيء خلقه
في الشهادة على وحدانية الله والوهيته اي جعل في كل اثر وحدانيته ليشهد على وحدانيته وربوبيته وقال بعضهم احسن
كل شيء خلقه لم يخلق الانسان في خلق البهايم وصورتها ولا البهايم في خلق الانسان وقتادة يقول كل شيء من خلقه
حسن على نحو ما خلق وعلم كيف يخلقه وهو قريب مما ذكرنا خلقه بالجزم يكون معناه والله اعلم اي احسن خلق كل شيء
منه وخلقه ثم المعتزلة في هذه الاية اي في تعلق يقولون اخبر انه احسن كل شيء خلقه والكفر والشتم ربنا العالمين
ونحوه كله قبيح وسفه دل انه لم يخلقه وانه ليس بخالق لذلك يقول لهم اخوانكم الزنادقة يعارضونكم ويقولون ان
الخنزير والنجاسات وجميع السباع الضارة والموذية وجميع الخبائث كلها قبيحة فالله ليس بخالق لها انتم تدعون في قولهم
وسؤالهم في ذلك فان زعمتم في الاول في الكفر والشتم وجميع فعل الشرور انه ليس بخلق له لانه قبيح صار مردود يلزمكم قول
الزنادقة فيما يقولون ويذكرون في اثبات خالق سواه لانه قبيح صار مردود ويقال لهم ان الله جل وعلا سمى ابليس ...
فيها اذا لم يخلقه لانه اخبر انه لم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ثم يقال لهم انا نقول انه خلق فعل الكفر من الكافر
قبيحا وخلق فعل الشر والشتم من الشرير والشاتم قبيحا خلق فعل الشرع على ما هو وعلى ما عرفه فلا عيب يلحق في جعل ما هو
قبيح قبيحا لكن يلحق الكفر لعله قبيحا على ما هو وكذلك جميع الشرور فعلى ذلك ليس في خلق ما هو قبيح في نفسه قبيحا عيب على ما لم
في تكلف معرفة القبيح ليعرفه قبيحا على ما هو حقيقة عيب هذا اذا كان التاويل على ما يذهبون هم اليه فاما اذا كان ما ذكرنا
في قوله احسن اي علم واعلم وليس يدخل في ذلك الشيء ما ذكروا والله اعلم وقوله وبدا خلق الانسان من طين قال عامتهم يعني
ادم وقوله ثم جعل نسله اي نسل ادم ثم سواه ونفخ فيه من روحه وقال بعضهم لا ولكن ذلك نعت ولده وذريته لان
الاعجوبة في خلق ولده في الارحام في ثلاث ظلمات من النطفة ان لم يكن اكثر من خلق ادم من طين لا يكون اقل لان صنع
الاشياء الظاهرة البادية وتسويتها في الشاهد ايسر واهون من صنعها وتسويتها اذا كانت غايبة مستكنة
والظاهر ان يكون قوله وبدا خلق الانسان من طين ادم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ذريته لان النسل
هو الولد والذرية من سلالة قال بعضهم السلالة هو الصفو من ماء والخالص من كل شيء وقال بعضهم السلالة
هي من السل سل السيف اي اخرجه ونزعه فعلى ذلك قوله من سلالة من ماء اي استخرج من الظهر وسل منه ونزع والمهين هو
على بعض الضعيف يقال منه مهين مهانة فهو مهين وهو قول ابو عوسجة والقتبي وقوله ثم سواه اي جمعه وقومه وركب
بعضه ونفخ فيه من روحه وهو من الريح والنفخ يتفرق في الجسد لذلك ذكر والله اعلم وقوله ثم سواه يحتمل ما ذكرنا من
تركيب الجوارح والاعضاء او سواه وجعله بحيث يحتمل المحنة والامر والنهي فيه من روحه اي جعل فيه الروح وذكر النفخ
لما ذكر على تحقيق النفخ فيه والله اعلم وقوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ذكر جل وعلا جميع ما يوصل الى العلوم
الغايبة والحاضرة جميعا ويدرك ويوجد السبيل اليها وهو السمع والبصر والقلب في الانسان لانه بالسمع يوصل الى
ما غاب عنهم من العلم يسمعون ما عند غيرهم وكذلك بالبصر يرى ويبصر ما عند غيره وبالقلب يفهم ويحفظ ويميز بين ما
وشيء يشبه انه قد اعطاهم ما به يدركون ويصلون الى ما غاب عنهم ويفهمونها ويميزون وهو ما ذكر الحواس ثم قال
قليلا ما تشكرون قال اهل التاويل قوله قليلا ما تشكرون اي لا تشكرون قط لانهم يقولون انما خاطب به لاهل
مكة اولا فيقال انهم يشكرون قليلا لكنهم يفسدون وينقصون ما يشكرون بكفرانهم من كان منها اهل الاسلام وان كان

تشكرهم لما ذكر من هذه الحواس قليلا فانهم قد اعتقدوا في اصل العقد الشكر له في جميع نعمه والكفار اعتقدوا الكفرات
له والايجي ان يكون تقوله قليلا ما تشكرون للمؤمنين ولهم فقال ذلك لا للكفرة والله اعلم وقوله ءاذا ضللنا في
الارض انا لفي خلق جديد هذا القول منهم في الظاهر يخرج على الاستفهام والسؤال انا نبعث ونخلق خلقا جديدا او على
الايجاب والتحقيق انا نبعث لا محالة فلا يحتمل بذلك لايمة ولا تعيير لو كان على ظاهر المخرج منهم لكنهم انما قالوا ذلك استهزاء
وانكار البعث دليله ما قال على اثره بل هم بلقاء ربهم كافرون والاظاهر ذلك القول منهم على احد الوجهين الذين ذكرنا
اما استفهاما واما ايجابا وهو ما اخبر عن المنافقين قالوا نشهد انك لرسول الله هذا القول منهم حق وصدق لكنهم
لما اضمروا خلاف ذلك لم ينفع ذلك لهم حيث قال والله يشهد انهم لكاذبون فعلى ذلك القول منهم في الظاهر ما ذكرنا
لكنهم انما قالوا ذلك استهزاء وانكارا للبعث وجحودا قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم هذا الحرف في الظاهر ليس
هو بصلة للاول لانه انما يقال هذا عن سؤال سابق في توفي الخلق وقبض ارواحهم انه من فيقال عند ذلك يتوفيكم
ملك الموت وجايز ان يكون على الصلة بالاول لانهم انكروا البعث واحياءه اياهم من التراب لما لا يرون لله القدرة على
ذلك فيذكر انه مكن واقدر عبدا من عبيده على قبض ارواح جميع الخلايق من المشرق الى المغرب من غير ان يعلمه احد انه
كيف يقبض وكيف يمكن له ذلك فيخبر ان من قدر على هذا لا يقدر على احياء الخلق بعد ما صاروا ترابا ورمادا بل قادر
على ما يشاء كيف شاء متى شاء لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ثم قوله يتوفيكم يحتمل من توفي العدد ويجعلهم وفاء
لعددها كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا وجايز ان يكون التوفي من الاستيفاء ووفاء التمام اي يستوفي الروح
كله حتى لا يبقى في الجسد منه شيء ثم في الاية دلالة خلق افعال العباد لانه اخبر ان ملك الموت يتوفيهم ويميتهم و
قد اخبر انه خلق الموت والحيوة فدل ان جميع ما يفعل العباد وهو خلق الله وقال القتبي ضللنا في الارض اي بطلنا
وصرنا ترابا وقال غيرهم هلكنا وقال ابو عوسجة ضللنا بالضاد اذا صرنا في القبور وبلينا بها ويقال ضللنا بالكسر
من الضلال ويقال ضللت شيء كذا وكذا اذا لم تدر اين ذهب ويقال صللنا بالصاد وهو من صل اللحم اي انتن وقوله
يرجع اليه اي يبعث في قول القتبي وابو عوسجة ويرجع اي احيي نسله اي ولده وقال لم السلالة الخالص من
كل شيء وقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم يقول والله اعلم لو ترى يا محمد ما نزل بالمجرمين يومئذ
من العذاب وقيامهم فيه من الحال الشديدة والهوان بالتكذيب الذي كان منهم واساءتهم اولئك لرحمتهم ولم
تكلف مكافاة اساءتهم وتكذيبهم لعظم ما نزل من العذاب والشدائد ما كسبوا رؤسهم عند ربهم ندامة وحسرة
وحزنا على ما كان منهم على مثل هذا يخرج التاويل والا ليس في ظاهر الاية جواب قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤ[سهم]
فجوابه ما ذكرنا ونحوه والله اعلم وقوله ربنا ابصرنا وسمعنا هذا يخرج على وجهين احدهما قوله ابصرنا الحجج و
البراهين عيانا بعد ما كنا ابصرناها في الاولى بالدلالة وسمعنا اي قبلنا واجبنا فارجعنا الى الاولى او المحنة
نعمل صالحا انا موقنون والثاني ربنا ابصرنا صدق الرسل وايقنا بما وعدونا واوعدونا في الدنيا وسمعنا سماع ايقان
وصيان فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون والله اعلم وقوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها اي لو شئنا لاتينا كل
نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم الاختيار لذلك لاهتدوا ولكن لم يعطهم ذلك اللطف لما لم يعلم منهم
كون ذلك واختيارهم وعلى القول المعتزلة شاء ان يعطي كل نفس ما به اهتدت وقد اعطاها لكنها لم تهتد فهو
مخالف للاية لانهم يقولون شاء ان يهتدي كل نفس واتى كل نفس ما به تهتدي لكنها لم تهتدوا ولكنهم يقولون
المشية ههنا مشية الجبر والقسر فيقال لهم زعمتم انه قد شاء ان يهتدوا واتاهم ما به يهتدون فلم يهتدوا ولم
ينفذ مشيته فاني ينفذ ويملك ان يشاء مشية يقهرهم ويجبرهم حتى يهتدوا وكيف يومن على ذلك وذلك يبعد
على قولكم فيقال لهم ايضا ان الايمان والتوحيد في حال القهر والقسر لا يكون ايمانا لان القهر والجبر يرفع الفعل
عن فاعله ويحوله عنه فكيف يصح ما يقولكم على هذا وقوله ولكن حق القول مني لاملأن جهنم اي لكن وجب القول
مني بما علمت انه يكون منهم ويحدث ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم انهم يختارون الرد والتكذيب وقوله
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذه الاية دلالة انه قد علم ما يكون منهم من عمل ما يستوجبون به جهنم بعد قوله
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم حيث خص الجن والانس فيما يملأ بهما جهنم فان قيل انه قال في اية اخرى
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة قيل هم اصحاب النار في تعذيب غيرهم ويسومهم باصحابها فيما ينتهي اليهم العذاب والله
ان يجعل ويمحي من يشاء على تعذيب من شاء والله اعلم وقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا هذا النسيان الذي
ذكر منهم ليس هو نسيان غفلة وسهو لانه لا كلفة يلزم في حال السهو والغفلة ثم هو يخرج على وجهين احدهما
تضييع وترك تصديق الرسل بما اوعدوهم به وتكذيبهم ورد الحجج والايات لذلك والثاني نسيتم اي جعلتم ذلك
كالمنسي لم يكترثوا اليه ولا عباوا به وكذلك يخرج قوله انا نسيناكم على وجهين احدهما اي نجعلكم كالمنسي عن رحمته
وفضله لا يكترث ولا يعبأ بكم كما جعلتم انتم اياته وحججه وما دعوكم اليه كالمنسي المتروك الذي لا يكترث اليه و[الثاني]

انا نسيناكم اي نجزيكم جزاء نسيانكم وترككم وتضييعكم ويجوز تسمية الجزاء باسم اصله واوله وان لم يكن الثاني
الحقيقة سيئة ولا اعتداء فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي ذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون وتعتقدون المذهب للخلود والابد لان لكل مذهب ودين انما يعتقدون المذهب وينتحلونه
للابد فعلى ذلك جعل تعذيبهم في النار للابد واما من ارتكب المآثم والزلات من المؤمنين فانما ارتكب عند شدة الحاجة
وغلبة الشهوة في وقت ارتكابه لا للابد لذلك افترقا وقوله انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا يخرج
قوله انما يؤمن اي يحقق الايمان بالله وباياته الذين اذا ذكروا خروا وسجدوا لله حقيقة ثم يحتمل خروا سجدا حقيقة السجود
عند تلاوة الايات التي فيها ذكر السجود واما ان يكون ذكر خرور الوجه والسجود كناية عن الخضوع لها والانقياد والاستسلام
والقبول لها فاحدهما على الحقيقة السجود وعند تذكر الايات لهم والتلاوة عليهم والثاني على الكناية عن القبول لها وا[لا]
الاستسلام والا ليس من ذي مذهب من اهل الكفر من عبدة الاوثان وغيرهم الا وهو يدعي الايمان بالله وباياته ويزعم
ان الذين هو عليه هو الايمان به والمؤتمر بامره الا ترى انه كيف اخبر عنهم حيث قال واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
اباءنا والله امرنا بها كانوا يدعون في جميع ما يعملون ان الله تعالى امرهم بذلك وانهم مؤمنون به مؤتمرون بامره فاخبر انه
انما يحقق الايمان بالله وبالايات الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا لا اولئك الذين يدعون ذلك وليسوا كذلك وقوله
وسبحوا بحمد ربهم التسبيح هو تنزيه الرب وتبرئته عن جميع ما قالت الملحدة فيه ونسبوا اليه مما لا يليق به يقول سبحوا بحمد ربهم
اي ذكروه بمحاسنه ومحامده وبرؤه ونزهوه عن جميع ما وصفه اولئك ونسبوا اليه هذا والله اعلم هو التسبيح بحمد ربهم
وقوله وهم لا يستكبرون لا احد يخطر بباله ان يستكبر على الله او على امره ولكن كانوا يستكبرون على رسله لما لا يرونهم اهلا لذلك
وان يكونوا يستكبرون على ما يدعون اليه ولا يجيبوا لذلك وقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع روي عن انس بن مالك رضي الله
عنه انها نزلت في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن اختلف فيه الروايات ذكر في بعضها انها نزلت في نفر من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يحلون بالنهار فاذا جن عليهم الليل اضطجعوا بين المغرب والعشاء فناموا فانزل الله هذه
اجتنبوا عن ذلك وذكر عنه انهم كانوا يصلون بين المغرب والعشاء فنزلت الاية فيهم فان كان هذا نزول الاية لكن يخرج
مخرج المدح لهم والثناء الحسن وان كان الاول فهو على النهي والتوبيخ لذلك ثم اختلف اهل التاويل في تاويلها قال بعضهم
هو التنفل والتطوع والصلوة فيما بين المغرب والعشاء الاخرة ومنهم من يقول هو التجافي عن المضاجع لصلوة العشاء
والفجر يصليهما ومنهم من يقول تتجافى جنوبهم بذكر الله كلما استيقظوا ذكروا الله اما صلوة واما قياما واما قعودا
لا يزالون يذكرون الله ومنهم من يقول تتجافى جنوبهم عن المضاجع قيام الليل والصلوة فيه وهذا اشبه التاويلات
لانه نام عن المضاجع والتجافي عن المضاجع انما يكون في الوقت الذي يضطجع فيه وفيه يقع الامتداح والثناء الحسن
لانه وقت الغفلة والنوم واما سائر الاوقات ليس كذلك والله اعلم وقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا يحتمل قوله يدعون
ربهم خوفا وطمعا اي يعبدون ربهم ويحتمل حقيقة الدعاء ثم قوله خوفا وطمعا قال بعضهم خوفا من عذاب الله وطمعا
في رحمته او ان يكون قوله خوفا اي يخافون التقصير في العبادة وطمعا اي يطمعون احسانه واحسانه في العفو و
التجاوز وهكذا عمل المؤمن بين الخوف والطمع يخاف التقصير فيه ويطمع احسانه ذكر عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال ربكم عز وجل وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع امنين فاذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة و
اذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة ثم اخره قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا الاية وقوله ومما رزقناهم ينفقون
يحتمل الزكوة المفروضة ويحتمل ينفقون صدقة التطوع وجايز ان يكون قوله ومما رزقناهم من القوى والاسباب السليمة
ينفقون اي يعملون والله اعلم وقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال ربكم اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا على النفس انها
لا تعلم الامثال ما احست وعاينت وشاهدت فاما العقل فانه جايز ان يعلم ويخطر ما لم يرله مثالا والله اعلم وعلى قول
المعتزلة يدعون ربهم امنا واياسا لا على الخوف والطمع على ما ذكر لانهم لا يخلوا اما ان يكون اصحاب الصغاير او اصحاب
الكباير فان كانوا اصحاب الصغاير فهم امنوا على قولهم لانه لا يسع له ان يعذب على الصغيرة على قولهم واصحاب
الكباير فهم ايسوا من رحمته اولا يسع ان يغفر على قولهم مخالف لظاهر الاية قال ابو عوسجة تتجافى جنوبهم اي لا
يضعونها بالارض يقال تجافى جنبي اذا لم يضطجع ولم ينم وجافيت جنبي اي لم الزقه بالارض وقال القتبي تتجافى
اي ترتفع عن الارض ونزلا من النزول والنزل ما يجعل للرجل ياكله وينفقه وقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون ان اهل التاويل يقولون نزلت الاية في شان علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط كان بينه
وبين علي رضي الله عنه كلام وتنازع حتى قال له علي انك فاسق وانا مؤمن فنزلت الاية فيهم لكن الاية في جميع المؤمنين
والفاسقين يخبران ليس بينهم استواء ثم جايز ان يكون ذكر هذا ونزل كان من اولئك الكفرة الفسقة للمؤمنين ان
منزلتنا ومنزلتكم وقدرنا في الاخرة عند الله سواء فنزلت الاية لذلك انهما ليسا بسواء بين منزلة المؤمن عند الله و

وما ذكر من الثواب له والكرامة والمنزلة الفاسق ما ذكر من الخلود في النار ابدا كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية ويذكر ذلك على الابتداء انكم تعرفون في عقولكم ان ليس المؤمن المصدق في الشاهد في المنزلة والقدر عندكم كالخارج عن امره وكالمكذب له فكيف تطمعون الاستواء عند الله وانتم الفسقة الخارجون عن امر الله واولئك الصادقون له والله اعلم بذلك ثم الخوارج والمعتزلة يقولون لو كان الفاسق مؤمنا على تقولون لم يكن لما ذكر معنى فدل ان الفاسق لا يكون مؤمنا حيث ذكر انهم لا يستويان وان المؤمن ماواه في الجنة والخلود له فيها والفاسق مقامه في النار خالدين فيها على ما ذكر فلو كان على ما تقولون لكانا يستويان او كلام نحو هذا فيقال لهم وانتم تتفقون ان هذا الفاسق المذكور في الاية ليس بمؤمن وانه لا يستوي المؤمن لانه ذكر الفسق مقابل الايمان دليله اخر الاية حيث قال ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ذكر التكذيب والتكذيب هو مقابل الايمان والتصديق وكل فسق كان مذكورا مقابل الايمان فهو كفر وتكذيب فهو لا يكون مؤمنا ولكن هاهنا فسقا ذكر لا مقابل الايمان كفر كقوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء فعلى ذلك الفسق المذكور مقابل الايمان كفر لا يقع فيه استواء بحال واما الفسق المذكور لا مقابل الايمان فجاز ان يقع فيهما استواء وهو ان يغفر له ذنبه ويكفر عنه سيئته ويدخله الجنة حيث قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال في اية اخرى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وقال في اية اخرى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية هو في مشية الله ان شاء عذبه وان شاء تجاوز عنه واصحاب الحديث يقولون ان جميع الطاعات ايمان بهذه الاية لانه قال افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ثم فسر ذلك المؤمن فقال اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى وعد لهم الجنات بالايمان وعملوا الصالحات فيقال ان الوعد المطلق هو لمن امن وعملوا الصالحات فاما من امن ولم يعمل من الصالحات شيئا لانا نقول بان له ذلك الوعد المطلق ولكن له الوعد الذي الذي ذكرنا وفي الاية دلالة ان قد يحمل المؤمن غير الصالحات وهو مؤمن لانه لم يكن منه غير عمل الصالح لم يكن لشرط العمل الصالح له معنى دل ان قد يكون من المؤمن غير العمل الصالح وذلك على المعتزلة والخوارج **وقوله** ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اختلف في العذاب الادنى قال بعضهم هو القتل يوم بدر ومنهم من يقول هو الجوع في السنين التي كانت لهم فيها والضيق والشدة ومنهم من يقول هو المصائب التي تصيبهم وامثال ذلك كثيرة لكن ذلك العذاب ليس هو عذاب الكفر لان عذاب الكفر يكون في الاخرة ابدا دائما لا زوال ولا انقطاع فاما عذاب الدنيا لهم عذاب عنادهم وما يكون منهم من الجنايات في حال كفرهم يعذبون في الدنيا ليذكرهم ذلك العذاب في الاخرة العذاب الدائم ليمنعهم عما به يعذبون في الدنيا عن عذاب الاخرة وكذلك ما اعطى لهم من اللذات والنعم في الدنيا وان كان منقطعا ليذكرهم ذلك وتلك اللذات لذات الاخرة ونعمها الدائمة ولذلك رغب الله خلقها الى طلب الاخرة والخيرات لهم فيها من اللذات كذا في غير اي من القران حيث قال وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين الاية ونحو كثير العذاب الاكبر هو عذاب الاخرة وهو عذاب الكفر والتكذيب **وقوله** لعلهم يرجعون لكي يلزمهم حجة الرجوع عما هم فيه من التكذيب لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين والله اعلم **وقوله** ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها قوله ومن اظلم اي احد اظلم ممن ذكر بايات ربه ووقع له المعرفة والعلم انها ايات ربهم ثم اعرض عنها بعد ما عرفها وعلم بها ليس احد اظلم من ذلك التذكير بايات ما ذكرنا انهم يذكرون ليقع لهم بانها اياته ثم يحتمل ايات وحدانيته وايات رسالته وايات البعث او ايات القران والله اعلم **وقوله** انا من المجرمين منتقمون هم هاهنا جرم كفر ينتقم منهم انتقام الكفر والتكذيب **وقوله** ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه اختلف فيه قال بعضهم لا تكن في مرية من لقائه اي من ان تلقاه يوم القيمة وقال بعضهم ولا تكن في مرية من لقاء موسى التورية فان الله القى الكتاب عليه اي التورية حقا تلقيها عيانا وقال بعضهم فلا تكن في مرية لقائه ليلة اسرى به فقد روى مثل هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اسرى وعرج الى السماء فقال له موسى كذا وكذا ذكره في امر الصلوة وفرض فلو ثبت ذلك لانه لا يثبت دل ذلك انه اوحى له فقال ما ذكرنا ورأى ذلك في المنام ورؤيا الانبياء حق او كيف كان لامر الله والله اعلم **وقوله** وجعلناه هدى لبني اسرائيل قال بعضهم جعلنا موسى هدى لبني اسرائيل وجهين احدهما البيان اي جعلناه بيانا لهم يبين ما لهم وما عليهم وما لله عليهم والثاني هدى لبني اسرائيل يدعون خلق به الى توحيد الله والوحيته الهدى المضاف الى الخلق يخرج على هذين الوجهين على البيان والدعاء والهدى المضاف الى الله يخرج على هذين الوجهين على البيان والدعا والهدى المضاف الى الله يخرج على وجوه اربعة على البيان وعلى الدعاء الذي ذكرنا ايضا وعلى وجهين اخرين احدهما التوفيق والمعونة والثاني على خلق فعل الاهتداء منهم على هذه الوجوه الاربعة يخرج اضافة الهدى الى الله والى الخلق على وجهين الذين ذكرناهما فان قيل كيف خص موسى انه جعله هدى لمن ذكر وذلك قد يكون في غيره وهو ما جعل في خلقه كل احد شهادة وحدانيته والوهيته قيل ذلك انما يدرك بالنظر

والتفكر واما فيما ذكر يدرك بالبديهة والله اعلم **وقوله** وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا اي قادة في الخير يحتمل قوله يهدون بامرنا اي يدعون الناس بما امرهم وهو التوحيد اي يهدون اي يبينون لهم بالذي امرنا لهم وما عليهم لما صبروا قال بعضهم اي بما صبروا على البلاء وتعذيب فرعون اياهم واذاه اياهم اي امنوا ودعوا غيرهم الى ذلك على الخوف كقوله فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم الاية وقال بعضهم لما صبروا على الطاعات وقد قرئ لما صبروا بالتشديد والله اعلم اي انما يهدون لما كان منهم الصبر على ذلك اي بالصبر الذي كان منهم هدوا اولئك **وقوله** وكانوا باياتنا يوقنون انها من الله و انها اياته وقال بعضهم لما صبروا اي لم يركنوا الى الدنيا ولا اشتغلوا بها ولكن صبروا على امره وكلفوا والله اعلم **وقوله** ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ان اهل الاديان جميعا والمذاهب على اختلاف اديانهم ومذاهبهم اتفقوا ان الدين الا الذي واحد وان الدين الذي امر الله ان يدينوا به واحد لكن كلا منهم ادعى ان الذي هو عليه دين الله وان الامر من الله وتم ما يدين هو به وغيره على باطل على غير دين الله الذي امر ان يدانه به ولذلك قالوا واذا فعلوا فاحشة الاية فاخبر انه يفصل بينهم ويبين الدين الذي امر ان يدينوا به في الدنيا بيان الاحتجاج عليهم والاقد ابان لهم واظهر الدين الذي امرهم ان يدينوا به بالحجج والايات وعرفوا ذلك لكنهم كابروا وعاندوا وكتموا ذلك ولبسوا على الناس والاتباع فيبين ما كتموا في الدنيا ويبينوا في الاخرة فيظهر هم عنادهم ومكابرتهم احتجاجا عليهم وان كان الحق قد بان لهم وظهر في الدنيا هذا والله اعلم يشبه ان يكون تاويل الاية **وقوله** اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم يقول والله اعلم اولم يبين لاهل مكة ولم يكفهم من الهداية والبيان ما اهلكنا من قبلهم من القرون الذين يمشون ويمرون في مساكنهم فيرون ما حل بهم ومن اهلك ومن نجا منهم فيقع الاعتبار لهم عن ذكر من وجهين احدهما زعموا ان اباهم على ما هم عليه وانهم يقلدونهم في ذلك وانهم امروا بذلك فيخبر انكم اولاد من نجا منهم لا اولاد من اهلكوا لانهم استوصلوا فلا يحتمل ان يكونوا اولاد من استوصلوا فدل انهم اولاد من نجا منهم وانما نجا منهم المصدق لا المكذب فيخبر ان كيف لا تتبعون اباءكم الذين نجوا منهم وهم المصدقون دون الذين اهلكوا بالتكذيب والعناد والثاني يعتبرون فيعلمون ان اهلاكهم واستيصالهم كان التكذيب والعناد مع الرسل والخلاف لهم فيمنعهم ما حل بهم بالتكذيب و الخلاف للرسل عن تكذيب رسول الله ومجادلتهم اياه **وقوله** ان في ذلك لايات افلا يسمعون قال بعضهم افلا يسمعون ذلك حيث يمشون في مساكن اولئك ويمرون فيها قال بعضهم افلا يسمعون ما يحدث لهم عن اولئك وما حل بهم و بما نزل ذلك بهم وقال بعضهم افلا يسمعون افلا يعقلون لما اهلكوا واستوصلوا فيمتنعون عن ذلك كقوله وقال بعضهم افلا يستمعون الوعيد الذي اوعد لهم وقيل افلا يسمعون التوحيد والله اعلم **وقوله** اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا الى اخر ما ذكر هذه الاية ذكرت في الاحتجاج عليهم لانكارهم نزول العذاب بالتكذيب والخلاف للرسل فيخبر ان من قدر على سوق الماء الى الارض الميتة اليابسة واحياها لقادر على احيائكم بعد الموت اذا لا يخوبه والقدرة في احياء الارض الميتة اليابسة ان لم يكن اكثر فلا تكون دون انكم وكيف انكرتم القدرة على احياء الموتى و قد عاينتم اوهو اكثر او مثله في الارض الجرز قال ابو عوسجة هي التي لا نبت فيها وارضون اجراز وارض اجراز وكذلك قال القتبي الارض الجرز اليابسة التي لا نبت فيها وجمعها اجراز ويقال سنون اجراز اذا كانت سني جدب قال بعضهم الارض الجرز هي التي تاكل نباتها اي يحترق فيها يقال امرأة جرزاء اذا كانت اكولة او كلام نحوه تاكل منها من الزرع الذي ذكر انه يخرج من الارض اليابسة بالماء انعامهم وانفسهم افلا يبصرون قدرته في اخراج ما ذكر بما فيه غذاؤكم وغذاء ما سخر لكم من الانعام او يذكرهم نعمه يقول افلا تبصرون فكيف تكفرونه وتعبدون غيره وتصرفون الشكر الى غيره وذكر عن عمر رضي الله عنه انه قال الارض الجرز التي لا نبات فيها **وقوله** ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قال بعضهم ان اصحاب رسول الله كانوا يقولون تحدثون ان لنا يوما او شك ان نستريح فيه وننعم فيه يعنون يوم القيمة فقال كفار مكة متى هذا الفتح وهو القضاء ان كنتم صادقين قاله كاين فان كان البعث والقيامة حقا صدقنا يومئذ و امنا فانزل الله تعالى قل يا محمد لهم يوم الفتح يوم القضاء لا ينفع الذين حين يعذبون وقال بعضهم ان اصحاب رسول الله كانوا يتذاكرون وهم بمكة فتح مكة لهم فكان ناس من اهل مكة اذا سمعوا ذلك منهم هزءوا بهم وسخروا ويقولون لهم متى فتحكم الذي تزعمون فنزل ويقولون متى هذا الفتح يا اصحاب محمد ان كنتم صادقين انها تفتح عليكم لكن هذا بعيد لانه يقول على انه قيل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ولا ينظرون ولو كان فتح ولو كان فتح مكة لكان ينفعهم ايمانهم ولهم نظرة وانظار دل انه يبعد صرفه الى فتح مكة والاول اشبه ان يكون لما ذكر من ترك قبول الايمان والانظار وفي الدنيا يقبل ذلك كله فظهر ان الاول اشبه كان السؤال عن الساعة او عن المحاكمة الا ان ثبت ما ذكر في الخبر انه لما فتح مكة اقام النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ذلك اليوم وانهزم المشركون فخرجوا من مكة وقام من اقام بها فامنه النبي صلى الله عليه وسلم فادلج

خالد بن الوليد تلك الليلة وثمة في سبعمائة رجل ومعه ابو قتادة الانصاري فاسروا في اسفل مكة حتى سقطوا من وراء الحرم فوجدوا الذين كانوا يهزون باصحاب محمد ويقولون متى فتحكم هذا فوق جبل قد تحصنوا فيه فلما راوا خالد بن الوليد قالوا هذا خالد بن الوليد واخته وقد كان بنيه وبينهم في الجاهلية اخنة فقال لهم خالد بن الوليد ما لكم كيف قالوا قد اسلمنا قال ان كنتم قد اسلمتم فانزلوا فنظر بعضهم الى بعض فقال رجل منهم اطيعوني ولا تنزلوا اليه فوالله لئن نزلتم اليه ليهلكنكم انه خالد بن الوليد واخته قالوا والله ما علينا سبيل لقد اسلمنا ثم نزلوا ووضع عليهم خالد بن الوليد السلاح واعتزل ابو قتادة فقال معاذ الله ان اعين على شيء مما ههنا فبلغ ذلك النبي فبعث اليهم علي بن ابي طالب بالدية من غنائم خيبر فوداهم اليه بالدية حتى بعث اليهم بروعة الميلغين راعوهم وما في الكلاب كانوا كسروها فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء لهم فذلك قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم يا محمد الى مدة لهم وانتظر بهم العذاب اي القتل وهلاكهم انهم منتظرون هلاككم وقال بعضهم فاعرض عنهم الى ذلك اليوم وانتظر بهم فتح مكة انهم منتظرون هلاكك او ان يكون قوله فاعرض عنهم الى الامكان لا وهم اياك وانتظر مكانا انا ايام

انهم منتظرون ذلك والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين جاز ان يكون ظاهر الخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو للناس عاما انه قال على اثره واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا خاطب به الجماعة وقد خاطب رسوله في غيرآي من القران والمراد به غيره فعلى ذلك جائز ان يكون ههنا كذلك ويشبه ان يكون المراد بالخطاب ايضا خاصة لكن ان كان خاطب به مما يشترك فيه غيره دخل في ذلك الخطاب وفي ذلك النهي وان كان مما يتفرد به من نحو تبليغ الرسالة اليهم وما تضمنته الرسل وانا خاف على نفسه القتل والهلاك فان عليه ذلك لا محالة كقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية واما اهل التاويل فما اختلفوا فيه قال بعضهم نزلت الاية وذلك ان نفرا من اهل مكة ابو سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابو الاعور السلمي وهؤلاء قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابي راس المنافقين بعد قتلى احد وقد اعطاهم النبي الامان على ان يكلموه فقالوا للنبي وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وفيهم نزل ودع اذاهم وتوكل على الله وفي بعض الروايات قالوا ذلك وعنده عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ائذن لي يا رسول الله في قتلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فان كان على هذا فالنهي عن نقض العهد والامان وان كان على الاول فالنهي عن اتباع ما طلبوا منه من رفض الهتهم والعبادة لها وبعضهم يقولون ان اهل مكة نحو شيبة بن ربيعة وهؤلاء قالوا له انا نعطيك يا محمد كذا وكذا من المال ونزوجك كذا وكذا امراة كثيرة المال فارفضنا والهتنا والا فتنك المنافقون فلان وفلان عدوا افتراءً فانزل الله تعالى الامر في ذلك بالنهي عن اتباع ما طلبوا منه ودعوه اليه وامره بالتوكل على الله في ترك الاتباع لهم واصله ما ذكرنا النهي وان كان خاصة فيما ذكرنا فهو وان كان معصوما فالعصمة لا تمنع الامر والنهي بل العصمة انما تنفع اذا كان ثم نهي وامر ولولا النهي والامر لكان لا معنى للمعصية ولا منفعة لها والله اعلم وقوله اتق الله في ترك تبليغ الرسالة اليهم ولا تطع الكافرين والمنافقين في اتباع ما دعوك اليه وطلبوا منك او في غيره ان الله كان عليما حكيما بما كان ويكون منهم اي على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد عليك بعثك لا على جهل حكيما في ذلك اي بعثه اياك اليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد لا يخرجه عن الحكمة ليس كملوك الارض اذا ارسل بعضهم الى بعض رسالات وهدايا على علم من المرسل ان المبعوث اليه يرد الرسالة والهدايا يكون سفها لانهم يبعثون ويرسلون لحاجة انفسهم اعني انفس المرسلين فاذا ارسلوا على علم منهم بالرد والتكذيب كان ذلك سفها خارجا عن الحكمة فاما الله سبحانه انما ارسل الرسل وبعثهم لمنفعة انفسهم وحاجتهم فعلمه بالرد والتكذيب لا يخرجه عن الحكمة وقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك هذا يحتمل الخصوص له به على ما ذكرنا ويحتمل العموم على ما ذكرنا في اية اخرى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يدل على ذلك قوله ان الله كان بما تعملون خبيرا خاطب بالكل والله اعلم وهو ما ذكرنا انه على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد وقوله وتوكل على الله اي اعتمد على الله في تبليغ الرسالة ولا تخف اذاهم وكفى بالله وكيلا اي حافظا يحفظك ويمنعهم عنك كقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يقول بعض اهل التاويل انها نزلت في رجل يقال ابو معمر وكان من احفظ الناس وادعاهم فقالوا ان له قلبين قلب يسمع وقلب يحفظ فنفى فنزل ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ويقول بعضهم كذلك انها نزلت في ابي معمر وكان يسمى ذا قلبين لحفظه الحديث حتى اذا كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر تلقاه ابو سفيان بن حرب وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما فعل الناس قال انهزموا فقال له ما بال

نعلك

نعلك في يدك والاخرى في رجلك فقال ما شعرت الا انهما جميعا في رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده ونحوه قد قيل ولكن لا ندري ما سبب نزول هذا وروي عن ابن عباس انه سئل عن هذه الاية فقال كان نبي الله صلى الله عليه يصلي يوما فخطر خطرة اي دفع في قلبه فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزلت هذه الاية وهذا يشبه ان يكون سبب نزول الاية او ان يكون نزول في المنافقين وذلك انهم كانوا يصلون مع النبي والمؤمنين ويرون المنافقة لهم من انفسهم ويقولون نشهد انك لرسول الله ثم يرجعون الى اولئك فيقولون انا معكم انما نحن مستهزؤن ونحوه فذكر هذا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي دينين في جوفه الايمان والنفاق او قلبين في جوفه قلبا للهدى وقلبا للاخر او نزلت في المشركين الذين يقرون بالوحدانية لله وانه هو الخالق كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويعبدون الاصنام مع هذا فنقول والله اعلم لم يجعل لرجل قلبين في جوفه قلبا للشرك وقلبا للايمان والتوحيد ولكن جعل قلبا واحدا لاحد هذين اي قلبا لقبول الشرك وقلبا لقبول الايمان وبعضهم يقول هو على التمثيل اي كما لم يجعل لرجل واحد قلبين وكذلك لا يكون الظاهر من امراته امه في الحرمة ولا يكون دعي الرجل ابنه يقول نزل في النبي وزيد بن حارثة كان النبي تبناه كانوا يسمونه زيد بن محمد فجاء النهي عن ذلك فقال ما جعل ادعياءكم ابناءكم الى هذا مذهب عامة اهل التاويل وبعضهم يقول تاويل قوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم اي لم يجعل الرجل نسبين ينسب اليهما واصله عندنا ان قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما ذكرنا ولم يجعل ازواجكم اللائي تستمعون بهن بالتشبيه بالامهات كالامهات اي لم يحل لكم ذلك ولم يبح ولم يشرع وجعل ادعياءكم ابناءكم اي لم يجعل سبب ذلك ولم يشرع وان كان قد يكون في النسب الفاسد نحو الجارية بين الاثنين اذا ولدت فالدعياه جميعا ونحو النكاح الفاسد والملك الفاسد لم يجعل كذا اي لم يحل ولم يشرع كقوله وما جعل الله من بحيرة اي لم يشرع ولم يحل ذلك وان كان يكون لم يفعلوا ففعلى ذلك قوله وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم اي لم يشرع ذلك السبب ولم يحل ذلك في الاسلام ما كان في الجاهلية لانه لا يكون ذلك فيما لم يشرع في الفاسد من النسب على ما ذكرنا ان النسب ثبت في النكاح الفاسد وان لم يشرع والحسن يقول في قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال كان رجل يقول ان نفسا تامرني بكذا ونفسا تامرني بكذا فنزل ذلك والحكمة فيما لم يجعل لواحد قلبين وجعل له سمعين وبصرين لان الادراك بالسمع والبصر انما يكون بالمشاهدة فيخرج ذلك مخرج معاونة بعضهم بعضا وما يدرك بالقلب انما يدرك بالاجتهاد وقد يختلف ثلثان فيما يجتهدان في شيء فيما قضى احدهما صاحبه اذ يجوز انه يرى صاحبها خلاف ما يراه الاخر واما السمعان والبصران لا ان كذلك لذلك اختلفا وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه جائز ان يكون سبب ذلك ما ذكر من ادعاء مسيلمة الكذاب الرسالة لنفسه وتواطؤ اصحابه على ذلك والله اعلم ما جعل الله ان يرسل رسولا الا جعله مختلفا لدينين تتضاد الشرائع يدعو كل الى دين غير الاخر والى شريعة يضاد بعضها بعضا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيلمة الكذاب وقوله وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم يحتمل هذا وجهين احدهما على النهي الذي ذكرنا ان تشبهوا ازواجكم بظهور امهات ولا تحرموهن على انفسكم كحرمة الامهات ولذلك قال وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا والثاني ان لم يجعل الله ازواجكم حراما ابدا كالامهات وان جعلتم انتم ولكن جعلهن لكم بحيث تصلون اليهن بالاستمتاع على ما تصلون اليهن وتستمتعون بهن بعد هذا القول يذكر هذا ام القول يذكر هذا على المنة والنعمة لتادي به شكر لما ابقى لهم الاستمتاع فيهن بعد هذا ولم يجعلهن لهم كالامهات على ما ذكر والله اعلم وقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم اي ما جعل ادعياءكم ابناءكم في الحقوق الى الاباء وهو ما ذكر في بعض القصة انه اذا ادعى الرجل منهم ودنا منهم مع اولاده فهو شيء كانوا يفعلونه في الجاهلية دعي اليه ونسب يقول والله اعلم ما جعل ما كنتم تدعون الابناء في الجاهلية للعون والنصرة ابناءكم في الاسلام فيما جعلوا والثاني ما جعل ادعياءكم ابناءكم في حق النسبة كما ذكر انهم كانوا يقولون لزيد بن حارثة زيد بن محمد ذلك قولكم بافواهكم انما هو قول تقولونه بالسنتكم فيما بينكم والله يقول الحق انهم ليسوا بابنائكم او ان قوله والله يقول الحق وقوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله اعدل عند الله اي انسبوهم اليهم ان علمتموهم فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم قال بعض اهل التاويل فانسبوهم الا ابيهم من اسماء مواليكم او اخوانكم او بني عمكم مثل عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن واشباه ذلك الاسماء واسماء مواليكم وان يقولوا قوله فاخوانكم في الدين اي سموهم اخوانا وذلك اعظم في القلوب واخذ من التسمية بالاباء والنسبة اليهم وذلك ان الحاجة الا معرفة الاباء والنسبة اليهم انما تكون عند الكتابة والشهادة وعند الغيبة فاما عند الحضرة فلا وقوله ومواليكم قال بعضهم نزل في شان زيد بن حارثة وهو كان مولى رسول الله وكان يسمونه زيد بن محمد فهو عن ذلك فيقول فان لم تعلموا اباءهم فانسبوهم الى مواليهم وجائز ان يكون قوله ومواليكم من الولاية وكقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال انما المؤمنون اخوة وقوله ليس عليكم فيما اخطاتم به يقول والله اعلم ليس عليكم بالنسبة الى غير الاباء اذا كنتم

محظن غير عارفين للاباء انما الجناح والحرج عليكم اذا كنتم عامدين لذلك عارفين لهم اباء كانه اباح التبني فالتواخي
فيما بينهم ولم يبح النسبة الى غير الاباء وايجاب الحقوق فيما بينهم وكذلك روى في بعض الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته واهله فكان الزبير اخا عبد الله بن مسعود
فمكثوا بذلك ما شاء الله ان يمكثوا حتى نزلت الاية وقال بعضهم ليس عليكم جناح فيما اخطاتم به بقول ذا دعوت
الرجل لغير ابيه وانت ترى انه كذلك ولكن ما تعمدت قلوبكم بقول لا تدعوه لغير ابيه متعمدا فان الخطاء
ما قال فان الله يقول لا يواخذكم به ولكن ما اردف به العمد وهو مثل الاول وذكر ان عمر رضي الله عنه سمع
رجلا يقول اللهم اغفر لي خطاي فقال له عمر استغفر العمد فاما الخطا فقد تجوز لك عنه وكان يقول ما اخاف عليكم
الخطا ولكن اخاف عليكم العمد وما اخاف عليكم العايله ولكن اخاف عليكم ان تزدروا اعمالكم ولكن اخاف عليكم
ان تستكثروها وذكر ان ثلوثا لا يعلمن (?) عليها ابن ادم الخطا والنسيان والاستكراه وذلك روى عن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال ذلك وقال بعضهم الخطاء ههنا هو ما جرى على اللسان من غير قصد والعمد ما يجرى على قصد
وهو ما ذكرنا والله اعلم وكان الله غفورا رحيما لما فعلوا وقوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم قال بعضهم النبي
اولى بهم من بعضهم ببعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم اي لا تقتل بعضكم بعضا اذ لا احد يقتل نفسه فسلموا على
انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض ليس انه يسلم الرجل على نفسه ولكن ما ذكرنا فعلى ذلك قوله النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم اي بعضهم من بعض ثم يحتمل قوله اولى بهم من انفسهم من الطاعة له والاحترام له و
التعظيم اي هو اولى ان يعظم ويحترم ويطاع من غيره او ان يكون اولى بهم في الرحمة والشفقة لهم اي هو ارحم بهم
واشفق من انفسهم وهو على ما وصفه من الرحمة والرافة حيث قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم وليس احد من الناس بغير علم ما يفعله من الماثم او ان يكون اولى بهم اي احب اليهم من انفسهم
واولادهم محبة الاختيار والايثار وليست محبة الميل القلب لان ميل القلب يكون بالطبع وذكر في الخبر ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال ليس يؤمن حتى اكون انا احب اليه من نفسه وولده واهله او كلام نحو هذا او ان يكون
اولى بهم في الاخرة بالشفاعة لهم يشفع لهم فينجون من النار به لا باعمالهم والله اعلم وذكر في بعض الحروف
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وازواجه امهاتهم وهو حرف ابي وابن مسعود وابن عباس رضي
الله عنهم قوله وهو اب لهم في الرحمة والشفقة او فيما يلزم من الطاعة والتعظيم والاحترام ونحوه وقوله
وازواجه امهاتهم قال اهل التاويل وازواجه امهاتهم في الحرمة اي لا يحل لهم ان يتزوجوهن ابدا كالامهات ولكن
يجي ان يكون ذلك وفاته فاما في حيوته اذا طلقهن فيجي ان يحللن لغيره لانه قال يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا الاية ولو لم يحللن لغيره لم يكن لما ذكر لهن من التمتيع والتسريح معنى بهذه الحرمة يجي ان يكون بعد
الموت وهو ما قال ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا انما شرط هذا بعده ليكن ازواجه في الاخرة او ان يكون
قوله وازواجه امهاتكم اي حرمة ازواجه من بعده ابدا انما شرط هذا بعده ليكن ازواجه في الاخرة ومنزلتهن كمنزلة
امهاتهن ليستوجبن ذلك لحرمة رسول الله ومنزلته قبلهم واما الباطنية فانهم يقولون في قوله وازواجه
دلالة ليس يريد به ازواج النبي الا ترى انه يحل للناس نكاح اولادهن ولو كن امهات لم يحل لانهم يصيرون اخوة
واخوات فادخل ذلك دل انه ما ذكرنا هذا قولهم لكن الجواب لذلك ما ذكرنا جائز انه سماهن امهات اي منزلتهن و
حرمتهن كمنزلة الامهات لحرمة رسول الله ومنزلته وذلك جائز انه ذكر الشهداء احياء عنده وان كان في الحقيقة
موتى لفضل الكرامة لهم والمنزلة عند الله فعلى ذلك ذكر الامهات لازواجه ما ذكرنا والله اعلم وقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله قال بعضهم في كتاب الله في حكم الله كقوله كتاب الله عليكم اي حكم الله
عليكم وقال بعضهم في كتاب الله فيما انزل من الكتاب وهو الله ذلك وذلك كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
الاية ما ذكر المكتوب عليهم الذي ذكر على اثره ثم اختلف في تاويل قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
من المؤمنين والمهاجرين قال بعضهم ان المواريث في بدا الامر لم تكن تجري الا فيما بين المؤمنين المهاجرين من القرابات
والارحام فان كان مومنا لم يهاجر لم يرث ابنه ولا اباه ولا اخاه المهاجر ولا سائر قرابته اذا مات احدهما الا ان
مؤمنين مهاجرين فعند ذلك يتوارثون فعلى ذلك التاويل يكون قوله الا ان تفعلوا الى اوليائكم الذين لم يهاجروا
من المؤمنين ان توصوا لهم شيئا فيقول قايل هذا التاويل ان هذا نسخ بالاية ذكر في سورة الانفال وهو قوله
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الاية ولم يذكر فيه الهجرة اذا كانوا مسلمين واما الكافر فانه لا يرث المسلم وعلى ذلك
روي في الارحام انه قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وقال لا يتوارث اهل ملتين وقال بعضهم تاويل
قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين من الاقربين منهم اي واولوا الارحام
من المؤمنين والمهاجرين الاقرب فالاقرب منهم بعضهم اولى ببعض من الابعدين في المواريث اي الاقرب منهم بعضهم

ببعض من الابعدين في المراد (?) فالاقرب منهم بعضهم اولى ببعض من الابعدين الا ان تفعلوا الى اوليائكم
معروفا على هذا التاويل يكون قوله الا ان تفعلوا الى اوليائكم الابعدين معروفا وصية او شيئا فذلك معروف
فصار (?) المواريث للقرابات الادنى فالادنى من المؤمنين دون الابعدين فيكون الاية التي في الانفال
وهذه سواء على هذا التاويل فيكون الاقرب فالاقرب والادنى اولى بالمواريث من غيرهم وبعضهم يقول ان
الاية نزلت ناسخة لما كان منهم من التوارث بالمواخات لان النبي كان يواخي بين رجلين فاذا مات احدهما
ورثه الباقي منهما دون عصبته حتى نسخ ذلك بالاية التي ذكر فعلى ذلك يكون قوله الا ان تفعلوا الى
اوليائكم معروفا هو ان يصنعوا الى الذين اخى بينهم النبي معروفا ثم اختلف في اولى الارحام المذكورين في الاية
قال بعضهم هم الذين ذكرهم في قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى اخر ما ذكر وقال
بعضهم ليسوهم وانما الذي ذكر في ذلك هم الذين يبين لهم حد مواريثهم فاما غيرهم فانما هم في قوله و
اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فانما يرث الاقرب فالاقرب منهم وكذلك يقول ابو حنيفة رحمه الله
ان اولى الارحام انما يرث الاقرب فالاقرب منهم ليس كالعصبات لان الابنة لا شك انها اقرب من ابن العم ثم يكون لها
النصف للابنة والبقية وقوله كان ذلك في الكتاب مسطورا قال بعضهم في اللوح المحفوظ بان المؤمنين بعضهم اولى ببعض في
المواريث من الذين كانوا يتوارثون وقال بعضهم قوله في الكتاب اي في التورية مكتوبا ان يصنع بنو اسرائيل الى بني لوى بن
يعقوب معروفا ليعود الغني على الفقير والله اعلم وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا قال بعضهم خص هؤلاء لان اهل الشرع من الرسل هؤلاء كقوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا الاية لكنه ذكر في اية اخرى ما يدل ان غير هؤلاء كان لهم ايضا شرع كقوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده الاية وجائز ان يكون تخصيص هؤلاء باخذ الميثاق لانهم هم اولوا العزم من الرسل حيث قال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل او يكون لا على التخصيص لمن ذكر ولكن على ارادة الكل والله اعلم ثم اختلف في اخذ الميثاق
على ان يبشر بعضه ببعض يبشر نوح بابراهيم وابراهيم بموسى وموسى بعيسى وعيسى بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقال
اخذ ميثاقهم ليصدق بعضهم بعضا وان يدعوا الى عبادة الله وان ينصحوا لقومهم وجائز ان يكون ما ذكر من اخذ الميثاق
منهم لما ذكر على اثره ليسال الصادقين عن صدقهم اخذ منهم الميثاق في تبليغ الرسالة الى قومهم ليسالهم انهم قد بلغوا
واخذنا منهم ميثاقا غليظا لان تبليغ الرسالة الى الفراعنة منهم واعدائه صعب شديد مخاطرة فيه هلاك النفس وفوات
الروح وهو ما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية وقوله ليسال الصادقين عن صدقهم الصدق اكثره
ما يقع في الانباء والاخبار كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وهو ما اخبرهم وانباهم من القران وغيره وقال في اية
اخرى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا في نبائه وعدلا في حكمه ثم صدقه في النبا وعدله في الحكم سمى القران مرة صدقا
ومرة عدلا ومرة حقا فالحق يجمع الامرين النبا والحكم جميعا والصدق يكون في النباء خاصة والحكم في العدل ثم يحتمل سؤال
الصادقين وهم الرسل عن صدقهم وجهين احدهما يسالهم عن تبليغ ما امرهم بالتبليغ الى قومهم وعن انباء ما [illegible]
الا بينوا اولئك هل بلغتم وهل انباءهم اولئك والثاني يسالهم عن اجابة اولئك لهم هل اجابوكم الى ما دعوتهم لان منهم
من اجابهم وصدقهم ومنهم من لم يجب ولم يصدق فيخرج السؤال عمن اجاب على التقرير ومن لم يجب على التنبيه والتوبيخ وهو
سؤال الفريقين جميعا الرسل عن التبليغ والمرسل اليهم عن الاجابة كقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين
والله اعلم واعد للكافرين منهم عذابا اليما بتركهم الاجابة والتصديق والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها كانه يقول والله اعلم اشكروا ما انعم الله عليكم واحسنوا صحبة نعمة
في النصر لكم والدفع عنكم ثم الامر في تذكر ما انعم عليهم وجوه من الحكمة والدلالة احدها تذكير لنا في مقاساة اوليك
السلف واصحابه في الدين وعظيم ما امتحنوا في امر الدين حتى بلغوا الدين الينا لكي لا نضيعه نحن بل يلزمنا ان نحفظه
ونتمسك به ونتحمل فيه كما تحمل اولئك والثاني فيه اية لرسالته وذلك انهم كانوا جميعا هم واعداؤهم فجاءتهم الريح والملائكة
فاهلكتهم دون المؤمنين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وذلك انه عظيمة والثاني
يذكرهم ما اتاهم من الغوث عند اياسهم من انفسهم وشرفهم على الهلاك وخروج انفسهم من ايديهم لان العدو قد احاطوا بهم
حيث قال اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم وبلغ امرهم وحالهم ما ذكر حيث قال واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
الاية وان يذكرهم لما كان منهم من العهد والميثاق ان لا يولوا الادبار ولا يهربوا كقوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
لا يولون الادبار الاية يذكرهم عظيم نعمة التي كانت عليهم في النصر لهم على عدوهم والدفع عنهم وحالهم ما ذكر في الاية
وذلك يوم الخندق تحزبوا المؤمنين في [illegible] امكنة يقاتلونهم من كل وجه شهر فبعث الله عليهم بالليل ريحا باردة
وبعث الملائكة فقلعتهم والله اعلم وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا يذكر انه لا عن غفلة وسهو تركهم هنالك حتى احاط بهم
العدو ولكن اراد ان يمتحنهم عظيمة او يقول انه بصير علمه فيجزيكم جزاء عملكم وصبركم على ذلك والله اعلم وقوله اذ جاؤكم من

فوقكم ومن اسفل منكم قال بعضهم من فوق الوادي ومن اسفل منه وقيل احاطوا بهم من النواحي جميعا وجائز ان يكون ذلك
كناية عن الخوف اي احاط بهم حتى خافوا على انفسهم الهلاك وعلى ذلك يخرج قوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذا وصف المنافقين زاغت الابصار اي شخصت وبلغت القلوب الحناجر لشدة خوفهم كقوله
اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت وامثال هذا قد وصفهم في غير اي
من القران ما وصفهم هنا وهذا يشبه ان يكون وقال بعضهم هذا وصف حال المؤمنين شخصت الابصار وبلغت القلوب الحناجر لما
احاطوا بهم من فوق ومن اسفل ثم جائز ان يكون ذلك على التمثيل اي كادت ان تكون هذا وجائز ان يكون على التحقيق وهي ان تزول
عن اماكنها وتبلغ ما ذكر والله اعلم وقوله وتظنون بالله الظنونا قال بعضهم ظن ناس من المنافقين ظنونا مختلفة يقولون
هلك محمد واصحابه ونحوه من الظنون الفاسدة السوء وكقوله ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ونحوه وجائز ان يكون
ذلك الظن من المؤمنين ظنوا بالله ظنونا لتقصير او تفريط كان منهم نحو قوله ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن
عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وكقوله ان الذين تولوا منكم الاية ثم قال هنالك ابتلي
المؤمنون بالقتال والانواع وزلزلوا زلزالا شديدا قيل جهدوا واجهدوا اشد الجهد وقيل حركوا تحريكا شديدا وقوله واذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض يحتمل ان يكون قوله واذ يقول المنافقون مرض وهما واحد وهم المنافقون وجائز ان
يكون المنافقون هم الذين اضمروا الخلاف لله واظهروا الوفاق على اتباع الحق لهم ويظهرونه والذين في قلوبهم مرض هم الذين
كانوا مرتابين في ذلك لم يتبين لهم ذلك ولم يحق قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال عامة اهل التاويل الذي
وعد لهم فتوح البلدان قالوا لما احاط بهم اعني بالمؤمنين الكفار قال ذلك المنافقون وقوله واذ قالت طائفة منهم
يا اهل يثرب قيل يثرب المدينة ويقال يا اهل يثرب يا اهل المدينة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال للمدينة
يثرب فليستغفر الله فانما هي طابة ثم قال بعضهم ان قوله واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا انما
قاله اهل النفاق لبعض لا مقام لكم فارجعوا ثم يحتمل قوله لا مقام لكم وجهين احدهما ما قالوا ما وعد الله ورسوله
من الفتح والنصر الا غرورا والثاني لا مقام لكم فارجعوا الى ما لم يقع عندهم انهم يصلون الى ما كانوا يطمعون ويأملون
لانهم كانوا يخرجون رغبة في الاموال وطمعا فيها وهو ما وصفهم ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية وجائز
ان يكون هذا القول من المؤمنين لاهل النفاق فان كان من المؤمنين لاهل النفاق فان كان من المؤمنين لاولئك فالقول
فيه انهم ارادوا ان يطردوهم لتسللهم وجبنهم لئلا يهزموا جنود المؤمنين بانهزامهم لانهم قوم همتهم الانهزام فاذا
انهزموا هم انهزم غيرهم فالمعنى اذا كان ذلك من المؤمنين لهم ظاهر المعنى اذا كان اهل النفاق بعضهم لبعض والله اعلم
وقوله ويستاذن فريق منهم النبي بالرجوع الى المدينة كقوله انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت
قلوبهم وقوله يقولون ان بيوتنا عورة قال بعض اهل التاويل بيوتنا عورة خالية من الناس ليس فيها احد فنخاف السرق
عليها والاخذ والمكابرة ويحتمل ان يكونوا ارادوا بالعورة دخول العدو عليها اذا كانوا هم في جندك العورة اي يدخل علينا
مكروه ما بخروجنا وبهذا اوكلاهم نحوا فاكذبهم الله في قولهم وقال وما هي بعورة لان الله يحفظها ما وعد حتى لا يدخل عليهم مكروه
المخاوف ولا يصيبهم وقوله ان يريدون الا فرارا من القتال وقوله ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم
سئلوا الفتنة لاتوها هذا يحتمل وجهين احدهما اي لو دخلوا عليهم من اطراف المدينة ونواحيها ثم دعوا الى الشرك لاجابوهم
وما تلبثوا بها الا يسيرا اي لم يمتنعوا عن اجابتهم بل لاجابوهم بما دعوا وقال بعضهم انهم لو كانوا في بيوتهم فدخلوا عليهم
من نواحيها ثم سئلوا الاموال وما تحويه ابيتهم لاتوها اي لاعطوها وما تلبثوا بها الا يسيرا اخبر عن نفاقهم وخلافهم لهم
في السر انهم يعطون لاولئك ما يريدون من الاموال او الدين ويوافقونهم ولا يأبون نفوسهم المنية والله اعلم وقوله
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وقال بعضهم كان اناس غابوا وقعة بدر وما اعطى الله اصحاب بدر
من الفضيلة والكرامة فقالوا لئن شهدنا قتالا لنقاتلن فساق الله ذلك اليهم حتى كان في ناحية المدينة وقال
بعضهم قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وذلك انهم كانوا عاهدوا الرسول على عهدهم
بمكة على العقبة بيعا واشترط عليهم لربه ولنفسه اما لربه ان يعبدوه وان لا يشركوا به شيئا واشترط لنفسه
وان ينصروه ويعززوه ويحموه وان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم ونساءهم واولادهم فقالوا فاذا فعلنا
ذلك فما لنا يا نبي الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة قالوا قد فعلنا فذلك قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
ليلة العقبة حين شرطوا النبي المنعة ان لا يولوا الادبار منهزمين وكان عهد الله مسؤولا اي يسأل من نقض العهد
في الاخرة ومن جائز ان يكون قوله وكان عهد الله مسؤولا يجزى بانقضاء او وفاء يجزون على وفاء العهد ونقضه وقوله
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل قال التاويل ان قضي عليكم الموت او القتل فلن ينفعكم الفرار
وقال بعضهم ان حضر القضاء اجالكم الموت او القتل لن ينفعكم الفرار بل ينقضي واصله ان كان المكتوب عليكم الموت
او القتل لن ينفعكم الفرار منه بل يأتي لا محالة كقوله لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم

الاية

الاية اي محالة المكتوب عليهم القتل وان كانوا في بيوتهم فيقتلون واذا لا تمتعون الا قليلا قال بعضهم انما الدنيا قليل الى
اجالكم وجائز ان يكون معناه ولئن نفعكم الفرار عنه الى تمتعون الا قليلا كقوله افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم
ما كانوا يوعدون الاية وقال ابو عوسجة والقتبي ادعياءكم من تبنيتموه واتخذتموه ولدا ما جعلهم بمنزلة الصلب
وكانوا يورثون من ادعوا ذلكم قولكم بافواهكم ان قولكم على التشبيه والمجاز ليس على التحقيق والله يقول الحق وقوله
ما اقسط اعدل اذ زاغت عدلت ومالت وبلغت القلوب الحناجر اي كادت تبلغ الحلوق من الخوف والحناجر جمع الحنجرة
وهي المذبح وقوله وزلزلوا اي شددوا عليهم وهولوا وازلزلوا الشدائد واصلها من التحريك واللاي يتظاهرون
والاي بالياء واحد والله اعلم وقوله قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم رحمة ذكر هذا على اثر قوله قل لن
ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل يقول والله اعلم انكم وان فررتم من الموت او القتل فان الله ان اراد بكم
سوء وهلاكا بها لا يملك احد دفعه عنكم وان اراد بكم رحمة ونجاة وخيرا لا يملك احد منعه عنكم وقد تعلموا انكم لا تجدون من
دون الله وليا ينفعكم ولا نصيرا ويمنعكم عن حلول ذلك عليكم والله اعلم وقوله قد يعلم الله المعوقين هم المانعون منكم
والقائلين لاخوانهم قال بعضهم هم اليهود ارسلوا الى المنافقين وقالوا من ذا الذي يحملكم على قتل انفسكم بايدي ابي
سفيان ومن معه من اصحابه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة ما استبقوا منكم احدا فانا نشفق عليكم فانما انتم اخواننا
ونحن جيرانكم هلموا الينا وقال بعضهم هم المنافقون عوق بعضهم بعضا ومنع عن الخروج مع رسول الله الى قتال العدو
وفيه اثنان احدهما دلالة على اثبات الرسالة لانهم كانوا يسرون هذا ويخفون فيما بينهم ثم اخبرهم بذلك ليعلموا انه
انما علم بذلك بالله تعالى والثاني ان يكونوا ابدا على حذر مما يضمرون من الخلاف له كقوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
سورة الاية وقوله ولا يأتون الباس الا قليلا اي لا يأتون القتال والحرب الا رياء وسمعة هذا والله اعلم يشبه
ان يريد بالقليل انهم لا يأتون اتيان من يريد القتال والقيام معهم ولكن رياء وسمعة واظهار الموافقة
لهم والله اعلم وقوله اشحة عليكم قال عامة اهل التاويل اي بخلاء على الانفاق عليكم اي لا ينفقون عليكم ولا
على سبيل الخير والله اعلم وقال بعضهم الشح ايضا هو الحرص يقول اشحة اي حراصا على قسمة الغنيمة يخبر عن حرصهم
في الدنيا وركونهم اليها وميلهم فيها ثم اخبر عن جبنهم وفشلهم وشدة خوفهم وهو قال فاذا جاء الخوف رايتهم
ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت يخبر انهم لجبنهم وفشلهم يصيرون كالمغشي عليه من الموت
فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد يخبر عن شدة حرصهم في قسمة الغنيمة ورغبتهم فيها انهم اشح قوم واسوءهم
مقاسمة يقولون اعطونا انا قد شهدنا معكم كقوله الم نكن معكم ونحوه وقوله اشحة على الخير قال بعضهم هذا قولهم
اي انا اشح منكم على رسول الله وعلى دينه واضن منكم على الخير اي نحن احرص عليه منكم وقال بعضهم اشحة على الخير اي حراصا
على الغنيمة والنيل منها ثم اخبر عنهم وعن خلاف فيهم لمحبة قال اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم التي عملوها في الكفر
وكان ذلك على الله يسيرا اي منعهم الذي صنعوا على الله يسيرا اي لا يعسره وقال بعضهم حبط اعمالهم وتعذيبهم اياهم مع
كثرة اتباعهم واعوانهم على الله يسير لا يشتد عليه ولا يصعب والله اعلم وقوله يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي يحسب
هؤلاء المنافقون ان الاحزاب لم يذهبوا من الرعب والجبن والفشل الذي فيهم يوم الخندق وان يأت الاحزاب اي يقبل
الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب اي بانهم كانوا بمنزلة البداء وانهم تركوا اوطانهم وديارهم يسألون
عن انبائكم كانت همتهم التخلف والفرار من القتال وطلب اخبار المؤمنين انهم ما فعل بهم نحو ما قال ويحلفون بالله انهم
لمنكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون هكذا كانت عادتهم نعم
ابتلاهم الله بما كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويضمرون الخلاف لهم والعداوة بفضل فشل وجبن ما لم يكن في
غيرهم ففي ذلك تحذير للمؤمنين وزجر عن مثل هذا الصنيع ومثل هذا المعاملة لئلا يبتلوا بمثل ما ابتلي اولئك وفيه ان يعامل
بعضهم بعضا على الظاهر الذي ظهر دون حقيقة ما يكون وعلى ذلك تجري الحكم على ما عمل رسول الله واصحابه واهل النفاق
وحكمه على ما اظهروا دون ما اضمروا في الانكحة والصلوة وغير ذلك من الاحكام والله اعلم وقوله ولو كانوا فيكم ما قاتلوا
الا قليلا قال بعضهم ما قاتلوا الا قليلا اي الا ما يدفعون عن انفسهم لو قصدوا فاما الدفع عن المؤمنين ودينهم فلا
وجائز ان يكون المراد بالقليل اي لا يقاتلون بالسنة حقيقة القتال وهو ما ذكر عنهم حيث قال لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا اي فسادا في امركم والله اعلم وقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قال بعضهم ذلك حيث كان
يباشر القتال بنفسه فباشروا معه فمن باشر معه القتال واساه باسوة حسنة ومن لم يفعل فلم يواسه والاسوة
القدوة اسوة حسنة اي سنة صالحة او نحوه مثله هذا انما يذكر عن ذلك تكون امام المنافقين او من المؤمنين فيقول
لكم في التاسي برسول الله والاقتداء والقدوة به فهو يخرج على وجوه اي لقد كان لكم في رسول الله قبل ان بعث
وقبل ان يوحي اليه فيما عرفتم من حسن خلقه وكرمه وشرفه وامانته واسوة حسنة فكيف تركتم اتباعه اذا بعث
رسولا والثاني لقد كان لكم اختصار لكم في رسول الله اذا بعث رسولا اسوة حسنة فيما انزل اليه واوحي اليه و

نبيا شاهد تموه من حسن خلقه وكرمه فلو اجب عليكم ان تتاسوا به والثالث لقد كان لكم بالمؤمنين اسوة استواء بهم في النعيم
فيما شرع لكم رسول الله سن واسوة هي الاستواء كقول الناس فلان اسوة غرمائه اي يكون المال بينهم على الاستواء هذا
والله اعلم يشبه ان يكون تاويل الاية وقوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر قال بعضهم يكون في رسول الله اسوة لمن يخاف
الله واليوم الاخر ويرجو الاحسان فاما المنافق والذين لا يؤمن بالبعث فلا يكون فيه اسوة له وجايز ان يكون قوله
لمن كان يرجوا الله اي لقد كان لكم اسوة حسنة ولمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وان يكون لكم في رسول الله اسوة
حسنة وفيمن كان يرجوا الله واليوم الاخر والله اعلم وقوله وذكر الله كثيرا ذكر الله يحتمل في نعمته واحسانه بنيا
لشكره وحسن الثناء او بسلطانه وملكه او جلاله وعظمته وكبريائه والله اعلم وقوله ولما راى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله حيث اخبرهم انكم ستلقون كذا في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء قالوا لما عاينوا ما وعدهم واخبرهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله فيما اخبرنا من الوحي قبل ان يكون وقبل ان نلقاه وما زادهم الا ايمانا اي ما زادهم الا ايمانا ما راوا وعاينوا مما
وعد واخبر الا ايمانا وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعد لهم ان يوم الخندق يكون من الاحزاب كذا والجنود
كذا وانكم ستلقون يومئذ كذا فلما راوا ذلك وعاينوا قالوا عند ذلك ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله
وما زادهم الا ايمانا وتصديقا لرسول الله لان ذلك اية وحجة لرسالته فهو يزيد لهم تصديقا له وتسليما اي
تسليما لامر الله وتفويضا وقيل وما زادهم ما اصابهم يوم الخندق الا ايمانا وتصديقا الى تصديقهم الاول ويقينا
الى يقينهم الاول وتسليما لامر الله لان ذلك الامر كان قضاه عليهم ان يصيبهم فسلموا لامره فصبروا عليه واصله ما
ذكرنا والله اعلم وقوله ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه قوله من المؤمنين يخرج على وجهين احدهما
من المؤمنين الذين هم عندكم مؤمنون رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ورجال لم يصدقوا وهم المنافقون لان ظاهر
هذا الكلام يدل على ان من المؤمنين الذين هم في الظاهر عندهم مؤمنون لم يصدقوا فاما من كان في الحقيقة مؤمنا فقد صدق
عهده والثاني ذكر من المؤمنين خص بعض المؤمنين بصدق ما عهد وهم الذين خرجوا لذلك لم يكن خرجوا لذلك العهد
وتخلف بعض من المؤمنين لعذر فلم يتهيأ لهم وفاء ذلك العهد لهم صدقه وكذلك يخرج قوله فمنهم من قضى نحبه
اي وفى جهده ومنهم من ينتظر بالوفاء ان يرتفع عنه العذر فيفي ذلك والله اعلم ثم قوله فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر وفاه وقال بعضهم من قضى نحبه اي اجله عليه ومنهم من ينتظر ذلك اي على شرف الهلاك وقوله وما
بدلوا تبديلا هذا يقوي التاويل الذي ذكرنا اخيرا في قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ان الذين
خلفهم العذر لم ينقضوا عهده والذين لا عذر لهم فخرجوا فوفوا كلهم لم يبدلوا عهد الله تبديلا لانه انما خلفهم العذر
فلم يكن في ذلك تبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم على ما وفوا ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم هذا
يدل ان المنافقين من قد تيب حيث قال ويعذب المنافقين ان شاء ويتوب عليهم ويعذب الذين مات على نفاقه ان
الله كان غفورا رحيما حيث رحمهم ولم ياخذهم وقت ارتكابهم الجرم ولكن امهلهم والله اعلم وقوله ورد الله الذين
كفروا بغيظهم اي رد كفار مكة يوم الخندق لم ينالوا خيرا قال بعضهم اي غنيمة اي ردهم بغيظهم لم يصيبوا شيئا
من الغنيمة فجايز ان يستدل على تملك اهل الحرب اموال المسلمين اذا احرزوها حيث قال لم ينالوا خيرا اي ما لا وجايز
ان يكون قوله لم ينالوا خيرا اي سرورا بما كانوا يا ملون ويطمعون فلا يتمكنون على ايديهم لما احاطوا بهم وضيقوا عليهم
الامر حتى احتاجوا على الخندق فكانوا في ايديهم يقول انهم لم ينالوا ذلك السرور الذي كانوا يا ملونه ويرجونه والله اعلم
وقوله وكفى الله المؤمنين القتال حيث بعث عليهم الريح وسلط عليهم الملائكة حتى هزموهم حتى كفوا القتال والحرب
معهم وكان الله قويا عزيزا اي كان الله لم يزل قويا عزيزا الا انه قوي بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل وان الخلق وليانع
الذل الضعف ليس كملوك الارض اذا ذهب اصحابهم او دخل فيهم ذل وصف ذل ملكهم لانه عز بنجبه وحشمه فاما
الله سبحانه قوي بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل ولا وهن بذهاب اوليائه وقال بعضهم في قوله رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه كان رجال فاتهم يوم بدر فقالوا لئن حضرنا قتالا لنفعلن ولنفعلن فلما كان يوم الاحزاب قاتلوا
فذلك قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا عليه فمنهم من قضى نحبه اي مات على ما شاهد الله عليه ومنهم
من ينتظر يوما اخر يكون فيه قتال فيقاتل على ما عاهد الله عليه وما بدلوا تبديلا وفي حرف ابي ومنهم من بدل تبديلا ويرجع
ذلك الى المنافقين الذين ذكرهم وقال القتبي قوله ان بيوتنا عورة اي خالية واصل العورة ما ذهب عنه الستر
والحفظ فكان الرجال ستر وحفظ للبيوت فاذا ذهبوا اعورت البيوت تقول العرب اعور المنزل اي ذهب ستره
او سقط جداره واعور الفارس اذا كان فيه موضع خلل للضرب بالسيف يقول الله وما هي بعورة لان الله
حافظها ولكن يريدون الفرار وقوله ولو دخلت عليهم من اقطارها اي من جوانبها ثم سئلوا الفتنة اي الكفر
لاتوها اي اعطوها من ارادة وما تلبثوا بها الا يسيرا اي بالمدينة وحين قربها لاتوها بغير هدا لما بداروا

اليها

اليها وقال ابو عبيدة قولهم ان بيوتنا عورة من ناحية العدو والعورة الموضع الذي يخاف منه وقوله اقطارها اي من
نواحيها الواحد قطر ثم سئلوا الفتنة اي عرضت عليهم وهو الكفر وقال القتبي سلقوكم بالسنة حداد يقول اذوكم بالكلام
يقال خطيب مسلق وسلاق وفيه لغة اخرى صلقوكم بالصاد وهو الضرب وابو عبيدة يقول قريبا منه سلقوكم اي
كلموكم وضربوكم بالسنة حداد اي طوال والمسلق الضرب والخاطب لسلاق والمسلاق من هذا وهو طول اللسان والجراة
على الكلام وقوله لا مقام لكم بنصب الميم لا يكون الا من القيام ولا مقام لكم برفع الميم يكون من الاقامة وهو قول ابو عبيدة
وابو عبيدة يقول لا مقام لكم اي ليس لكم مقام تقومون فيه ولا مقام اي لا اقامة لكم وقال ابو عبيدة المقامة المجلس
مقاما تجمع المقام موضع القدمين والمقام الموضع الذي يقيم فيه الرجل وقال المعوقين قال المعوق المحتبس والمعوق
الذي يعوق غيره اي يحبس وقوله اشحة عليكم اي حراصا على ما نالكم من الشر الواحد شحيح يقال شح يشح شحا فهو شحيح اي
حريص يحرص حرصا فهو حريص وقال غيره اشحة عليكم اي بخلاء لا ينفقوا عليكم او في سبيل الله وقال بعضهم يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا من شدة الفرق فهم هؤلاء المعوقون اليهود والمنافقون وان يات الاحزاب هم الفرق اعداء
رسول الله واصحابه يودوا لو انهم بادون في الاعراب يقول لخارجون في الاعراب من الرهبة يسالون عن انبائكم
يقول ليتنا نرتحل عن خبر المؤمنين ساعة بعد ساعة جزعا ورهبة يقول الله للمؤمنين ولو كانوا فيكم اي معكم عند القتال
هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ما قاتلوا الا قليلا ورميا بالحجارة من ضعفهم وخوفهم وما ذكرنا دفعا عن انفسهم واما غيره
فلو وقوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم ذكر في القصة ان اليهود وهم يهود بني قريظة ظاهروا
ابا سفيان واصحابه على رسول الله وعلى المؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فلما انهزم المشركون تحصن
بنو قريظة في حصونهم ورجع النبي المدينة فجاء جبريل فقال له يا محمد والله وضع اهل السماء اسلحتهم وقد وضعتم
انتم اسلحتكم اخرج الى قريظة فقال له النبي فكيف اصنع بهم وهم في حصنهم قال اخرج اليهم فوالله لادقنهم دق البيض
كالبيضة على الصفا ولاخرجنهم من حصنهم فنادى رسول الله في الناس وامر بالخروج الى بني قريظة فخرج فحاصرهم كذا
كذا ليلة حتى صالحهم على حكم سعد بن معاذ نزلوا على حكمه فحكم سعد ان يقتل مقاتلهم ويسبي ذراريهم ونساؤهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله فاخرجت المقاتلة فقتلوا وسبوا ذراريهم فقسم
ارضهم بين المهاجرين فقال قومه والانصار اثرت المهاجرين بالعقار وقسمنا فقال انكم ذو عقار وان القوم لا عقار لهم
او كلام نحو هذا فذلك قوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب يعني الذين ظاهروا ابا سفيان والمشركين جميعا على رسول الله
اصحابه من صياصيهم اي من حصونهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم المقاتلة وتاسرون فريقا وهم النساء والذراري
واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها اي لم يملكوها اختلف في قوله وارضا لم تطؤها قال بعضهم هي
ارض مكة وقال بعضهم هي ارض الشام وقال بعضهم هي ارض خيبر [illegible]
فتحها وتركها في ايدي اهلها وكذلك بلاد الشام وغيرها وعن الحسن هي ارض الروم وفارس وما فتح الله [illegible] فقد
فتحها وقسم بين ما ذكر وجعلها فيئا [illegible] والمنقلب اليه
[illegible] قال داود واورثكم ارضهم [illegible]
[illegible] كقوله ولله ميراث السموات والارض [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

نزل البادية يودون ان يكونوا في البادية مع الاعراب وقال بعضهم في قوله واشباههم نعلمها هو ما يظهر على المسلمين
الى يوم القيمة وقوله يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها قال بعض اهل التاويل
انهن جلس فجعلن تخيرن الازواج في حيوة رسول الله فنزلت الاية توبيخا لهن وتعييرا على ذلك لكن هذا بعيد
محال لا يحتمل ان يكون ازواجه يتخيرن الازواج وهن تحته في حيوته فذلك سوء الظن بهن وقال بعضهم انهن وقال
بعضهم انهن طلبن النفقة منه فنزل ما ذكر وقيل انهن قد تحدثن بشيء من الدنيا وركن اليها فنزل ما ذكر عتابا لهن
وتعييرا ونحو ذلك فقد قالوا جائز ان يكون الله يمتحن رسوله وازواجه بالتخيير واختيار الفراق منه ابتداء امتحانا
من غير ان يكون منهن شيء مما ذكروا ولا سبب وعلى ذلك روي في الخبر عن عائشة رضي الله عنها قالت لما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بتخيير ازواجه بدا بي فقال اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي حتى تستامري ابويك قالت
وقد علم ان ابواي لم يكونا ليامراني بفراقه قالت ثم قال ان الله يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة
الدنيا وزينتها الى قوله اجرا عظيما فقلت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وفعل سائر
ازواجه مثل ما فعلت وفي بعض الاخبار انها قالت بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة فدل قولها لما امر
رسول الله بتخيير ازواجه ان ذلك من الله ابتداء امتحان من غير ان كان منهن ما ذكروا من الركون الى الدنيا و
التحدث بما ذكر وفيه وجوه من الدلالة احدها اباحة طلب الدنيا وزينتها من وجه يحل ويجمل حيث قال فتعالين
امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ولو لم يكن يحل ذلك لهن وكن منهيات عن ذلك لكان رسول الله لا يفارقهن حتى
يخترن المنهي من الامر وقد كان يملك حبسهن في ملكه حتى يخترن ما ذكره من المنهي دل ذلك والله اعلم ان ذلك
كان يحل ويجمل وفيه ان رسول الله لم يكن عنده ما ذكر من الدنيا والزينة وما يستمتع بها او لو كان عنده ذلك
لم يعن ان يخيرهن بالفراق منه لما ذكر عنده ذلك ولا هن يخترن الفراق منه وعنده ذلك دل انه لم يكن عنده
ما ذكر ويبطل قول من يقول انه كان عنده الدنيا ويفضل الغنا على الفقر بذلك وفيه دلالة ان ازواجه كن يحللن
لغيره في حيوته اذا فرقهن منه لانهن اذا لم يحللن لغيره لم يكن لقوله فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا
معنى لانهن اذا لم يحللن لغيره وعندهن ما ذكر من الدنيا يحملهن ذلك على نحوه فدل انهن كن يحللن لغيره في
حيوته اذا فارقهن وانما لم يحللن لغيره اذا مات فيكون له حكم الحيوة كانه حي في حق ازواجه ويخرج قوله هم
خالصة لك من دون المؤمنين في الاخرة لا تحل لغيره فيكون زوجته في الجنة ثم اختلفت الصحابة فيمن خير
امرأته فاختارت قال بعضهم اذا خيرها فهو تطليقة رجعية واذا اختارت فهي بائنة وهو قول علي
وقال بعضهم اذا اختارت نفسها فهي ثلاث ثنتين واذا اختارت زوجها فلا شيء وقال بعضهم اذا اختارت زوجها
فهي تطليقة رجعية وان اختارت نفسها فهي تطليقة بائنة وعندنا ان التخيير نفسه لا يكون طلاقا فاما
ان اختارت زوجها لا شيء واذا اختارت نفسها فهي بائن اما قوله اذا اختارت زوجها لا شيء لما روي عن
عائشة قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعد ذلك طلاقا واما قوله اذا اختارت نفسها
فتكون بائنا لانه خيرها بين ان تختار نفسها لنفسها وبين ان تختار نفسها لزوجها فان اختارت نفسها
فهي بائن لانا لو جعلناه رجعيا لم يكن اختيارها نفسها لنفسها ولكن لزوجها اذ لزوجها ان يراجعها شاءت
او ابت وكان التخيير بين النفسين على ما ذكرنا واما قول من يقول بان نفس التخيير طلاق فهو باطل لما ذكرنا
من تخيير رسول الله ازواجه فلم يكن ذلك طلاقا واما من قال بالثلاث اذا اختارت نفسها فهو كذلك عندنا
اذا ذكر في تخيير الثلاث واما قول من قال بالرجعي فهو اذا صرح بالتطليق فهي كذلك والله اعلم وقوله ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا وزينتها الارادة ههنا ارادة الاختيار والايثار الحيوة الدنيا وزينتها لا ميل القلب والرضا
وكذلك قوله وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة هي ارادة الاختيار والايثار وهو ما يراد ويختار
فعلا لا ميل القلب والرضاء به لانه لا يمكن شهوا مجعول فيه هذه الحاجة يميل قلبه ويركن الى ما تمتع بحيوة
الدنيا ولذتها ويرضاه ويحب فدل انه اراد ارادة الفعل والاختيار لا ارادة القلب ورضاه ثم فيه ما ذكرنا
من حلهن لغير رسول الله اذا اخترن الفراق منه لما ذكر انه يمتعن ومعلوم انهن لا يكتسبن بانفسهن حتى
يمتعن ولم يكن عندهن ما يمتعن فدل انه انما تمتعهن باموال ازواجهن فدل ذلك على حلهن لغيره في حيوته
اذا فارقهن والله اعلم قوله وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة معلوم انهن اذا اخترن الحيوة
الدنيا وزينتها لا يحتمل ان لا يردن الله لكن اضافة ذلك الى الله لاختيارهن المقام عند رسوله فدل ذلك
ان كل ما اضيف الى الله ورسوله كان المراد به رسوله نحو ما قال فان لله خمسه وللرسول وقوله قل الانفال
لله والرسول وامثال ذلك ثم الزهد في الدنيا يكون بوجهين احدهما ترك المكاسب التي يتوسع الدنيا ويكون
بها السعة في الدنيا ويوثرها لغيره على نفسه واختيار حال الضيق من غير تحريم ما احل وطيب له والثاني

ما عند لغيره وايثاره على نفسه وجعله اولى به منه لا في تحريم الحلاوات والطيبات وقوله فان الله اعد للمحسنات منكن
اجرا عظيما يحتمل قوله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما اي اذا اخترن المقام عند رسول الله يصرن محسنات بذلك فاعد لهن ما ذكر
فيكون ذلك الاختيار منهن الاحسان فاستوجبن ما ذكر ويحتمل وان كنتن تردن الله ورسوله ورضين على ذلك واكتسبن
الاعمال الصالحات والاحسان حتى متن على ذلك فاعد لكن لا بنفس اختيارهن المقام معه والله اعلم وقوله يا نساء النبي
من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين قال بعضهم الفاحشة المبينة هي النشوز البين وقال
بعضهم لا بل الفاحشة المبينة هي الزنا الظاهر ويقال مبينة بشهادة اربعة عدول ومبينة بالكسر اي بينة ظاهرة
يضاعف لها العذاب ضعفين الجلد والرجم في الدنيا ولكن كيف يعرف ضعف الرجم في الدنيا من لا يعرف حد رجم واحد
اذا كان ذلك في عذاب الدنيا وان كان ذلك في عذاب الاخرة فكيف ذكر فاحشة مبينة وكذلك عند الله ظاهر بين وقال
بعضهم يضاعف لها العذاب ضعفين في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فمثلي حدود النساء واما في الاخرة فضعفي ما يعذب به
سائر النساء وجائز ان يكون هذا ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها اذا اخترن الدنيا فمن اتين بفاحشة ضوعف لهن من
العذاب ما ذكر واذا اخترن المقام عند رسول الله والدار الاخرة فلهن الاجر مرتين او ان يكون اذا اخترن المقام عند رسول
الله والدار الاخرة ثم اتين بفاحشة ضوعف لهن ما ذكر من العذاب بلا تحسبن انهن اذا اخترن الله ورسوله والدار الاخرة ثم
ارتكبن ما ذكر عوقبن ضعف ما عوقب به غيره واذا اطعن الله ورسوله ضوعف لكن الاجر مرتين والله اعلم
والاشبه ان يكون من ضعف العذاب في الاخرة على ما يقول بعض اهل التاويل الا ترى انه ذكر لهن الاجر كفلين ومعلوم ان في
ذلك في الاخرة فعلى ذلك العذاب واما قوله مبينة عند الخلق وان كان عند الله مبينة ظاهرة وذلك جائز في اللغة وقوله
وكان ذلك عند الله يسيرا هذا يحتمل وجهين احدهما اي عذابهن على الله يسير هينا لا يثقل ولا يشتد لمكان رسول الله بل على
الله يسير هين والثاني ان اتيانكن الفاحشة ومعصيتكن على الله يسير اي لا يلحقه ضرر ولا تبعة ليس كمعصية خواص
الملك له في الدنيا يلحقه الضرر والذل اذا عصوه واعرضوا عنه فاما الله سبحانه عزيز بذاته غني لا يضره عصيان عبيده
بل ضروا انفسهم وقوله ومن يقنت منكن لله ورسوله اي من يطع منكن الله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين
في الاية دلالة فضيلة ازواج رسول الله لمكان رسول الله وعظيم قدره حيث خاطبهن من بين غيرهن من النساء كما خاطب
مريم بقوله يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ثم تحتج الشافعي بقوله نوتها اجرها مرتين لنا وليه في قوله
الطلاق مرتان بقوله يقول قوله الطلاق مرتان اي تطليقتان في دفعة واحدة مرة واحدة من غير احداث التطليق والفعل فيما
بينهما يستدل على ذلك بقوله نوتها اجرها مرتين اي اجرين من غير احداث فعل فيما بينهما ولكن بفعل واحد وقوله يوتكم كفلين
من رحمته اي اجرين لكن عندنا بجزاء الانباء بمعنى الايجاب اي يوجب لها الاجر مرتين نحو قوله فاتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة اي اوجب لهم ثواب الدنيا وثواب الاخرة فعلى ذلك ونحوه كثير والله اعلم وقوله يا نساء النبي لستن كاحد من النساء
قال بعضهم احد ههنا جمع في الكلام من واحد لانه يرجع الى واحد الى جماعة وقوله واحد انما يرجع الى الفرد خاصة وانما يخاطب به
الواحد وقوله ان اتقيتن يحتمل قوله ان اتقيتن اختيار الدنيا وزينتها واتقيتن ايضا نقض اختيار رسول الله والدار الاخرة
وجائز ان يكون على الابتداء ان اتقيتن مخالفة الله ومخالفة رسوله وقوله لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فانكن معشر ازواج
النبي تنظرن الى الوحي وتصحبن رسول الله بالليل والنهار وترين افعاله وصنيعه فانكن احق الناس بالتقوى وترك
الميل الى الدنيا والركون اليها من لا ينظر اليها ولا يصحبه الا في الاوقات مرة او يكون قوله لستن كاحد من النساء في
الفضيلة على غيرهن من النساء لانكن ازواج رسول الله في الاخرة وترتفعن الى درجات رسول الله وتكن معه فلا تكن لستن
كغيركن من النساء في الفضيلة والدرجة ان اتقيتن ما ذكرنا من مخالفة رسول الله واختيار الحيوة الدنيا وزينتها والميل
اليها والركون فيها والله اعلم فلا تخضعن بالقول قيل فلا تلين في القول فيطمع الذي في قلبه مرض قال بعضهم اي فجور وزنا
وقلن قولا معروفا اي حسنا شديدا وقال بعضهم فيطمع الذي في قلبه مرض اي نفاق وهذا اولى لان اصحاب رسول الله
لا يحتمل ان يكون واحد منهم يطمع في ازواج رسول الله نكاحا لحال او رغبة فيهن بعد علمنا منهم انهم اذا علموا من رسول الله
رغبة في ازواجهم طلقوهن لينزوجهن رسول الله فلا يحتمل بعد ما عرف منهم هذا ان يطمع احد منهم ويرغب في ازواجه
نكاحا فضلا ان يرغب فجورا ولكن ان كان ذلك فهو من اهل النفاق وجائز ان يرغبوا فيهن نكاحا لانهن اعظم الناس نسبا
وحسبا واكرمهم جمالا وحسنا فجائز ان وقوع الرغبة فيهن من اهل النفاق لما ذكرنا واما من اهل الايمان فلا يحتمل ذلك لما ذكرنا
ويدل على ذلك قوله واسرحكن سراحا جميلا دل هذا انهن بحيث يرغب فيهن ويطمع وقال بعضهم فلا تخضعن بالقول
يقول فلا ترمين بقول يقارب الفاحشة فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا يعني قولا حسنا يعرف لا يقارب
الفاحشة لكن هذا بعيد لكن اصله فلا تخضعن بالقول اي لا تقلن قولا يعرف به الرغبة في الرجال والميل الى الدنيا
والركون فيها وقلن قولا معروفا ما يكون فيه تغيير المنكر والامر بالمعروف والله اعلم وقرن في بيوتكن قد قرئ
بكسر القاف وفتحها ومن قراء بالكسر من الوقار ومن قراء بالفتح وقرن جعله من القرار والسكون فيها ولا تبرجن

تبرج الجاهلية الاولى قال بعضهم تبرج الجاهلية الاولى قبل ان بعث رسول الله كانت تخرج نساؤهم متبرجات بزينة
مظهرات فامر الله ازواج رسوله بالستر والحجاب عليهن وادناء الجلباب عليهن وهو ما قال يدنين عليهن من جلابيبهن و
قال بعضهم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال الجاهلية التي ولد فيها ابراهيم اغصوا اموالا كثيرا وكن يتبرجن في ذلك الزمان
تبرجا شديدا وامر ازواجه بالعفة والترك لذلك لكنا لا ندري ما اراد بالجاهلية ومن اراد بذلك الذين كانوا بقرب خروج
رسول الله وبعثه او الذين كانوا من قبل في الامم السالفة والتبرج كانه هو الخروج بالزينة على اظهارها اعني اظهار الزينة
قال القتبي فلا تخضعن بالقول اي لا تلن به وقوله وقلن قولا معروفا اي صحيحا وقوله وقرن في بيوتكن بالكسر من الوقار
يقال وقر في منزله يقر وقورا وقرن بفتح القاف من القرار وكانه من قررت واقررن في بيوتكن فحذفت الراء الاولى
وحول فتحتها الى القاف كما يقال ظلن في موضع كذا من اظللن قال الله تعالى فظلتم تفكهون فذ تقرا الا في موضع فيه
العين فاما في الاستقرار فانما هي قررت وقوله واقمن الصلوة واتين الزكوة يحتمل ان يكون الامر لهن بايتاء الزكوة
من حليهن لانهن لا يملكن شيئا سوى ذلك ما يجب في مثله الزكوة الا ترى انه وعد لهن التمتيع والسراح الجميل اذا اردن
الحيوة الدنيا وزينتها فلو كان عندهن شيء من فضول الاموال لكن ينفقن ويتمتعن وان لم يكن عند رسول الله ما
ولا يطلبن ذلك من عنده فدل ذلك انهن لا يملكن شيئا من ذلك فيجوز ان يستدل بظاهر هذه الاية في ايجاب الزكوة
في الحلي وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه وقوله واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله امرهن
باقامة الصلوة وايتاء الزكوة والطاعة لله ورسوله لئلا يغترون بما اخترن المقام مع رسول الله وايثارهن
اياه على ان ذلك كافيهن في الاخرة ولا شيء عليهن سوى ذلك من العبادات بل اخبر انكن وان اخترتن المقام معه
واثرتن اياه على الدنيا وزينتها لا يغنيكن ذلك عما ذكر والله اعلم وقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا قال بعضهم ان هذه الاية مقطوعة عن الاولى لان الاولى في ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذه في اهل بيته وهو قول الروافض ويستدلون بقطعها عن الاولى بوجوه احدها ما روي عن ام سلمة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم انها قالت عني بذلك عليا وفاطمة والحسن والحسين وقالت لما نزلت هذه الاية اخذ النبي ثوبا
فجعله على هؤلاء ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقالت ام سلمة جانبا لبيت البيت يا رسول الله
من اهل البيت قال بلى انشاء الله وعن الحسن بن علي انه خطب للناس بالكوفة اتقوا الله فينا وانا امراؤكم وانا اضيافكم
ونحن اهل البيت الذي قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويقولون ايضا ان الاية الاولى
ذكرها بالتانيث حيث قال واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله وهذه ذكرها بالتذكير دل انها هي
مقطوعة عن الاولى ويقولون ايضا انه وعد ان يذهب عنهم الرجس ويطهركم تطهيرا وعدا مطلقا غير مقيد و
ذلك الرجس الذي ذكر مما يحتمل ازواجه ممكن ذلك فيهن غير ممكن في اهل بيته ومن ذكره ويقولون ايضا ما
روي عنه انه قال تركت فيكم بعد الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن يردا ان يكم الحوض وكلام
نحو هذا ففسر العترة باهل البيت ونحو ذلك من الوجوه واما عندنا فهي غير مقطوعة من الاولى اما ان يكون على
الاشتراك بينهن وبين من ذكر ومن اولاده اذ اسم اهل البيت مما يجمع ذلك كله في العرب او يكون الاية لهن
على الانفراد فاما ان تخرج ازواجه عن اهل بيته والبيت يجمعهم فلا يحتمل ذلك واما قولهم انه ذكر هذه الاية
بالتذكير والاولى بالتانيث فعند الاختلاط كذلك يذكر باسم التذكير واما قولهم انه وعد لهم منه خرج مطلقا غير
مقيد فكذلك ازواج رسول الله لم يات منهن ما يجوز ان ينسبن الى الرجس والقذر لانهما عوقبن على ذلك
وتدبيرهن بالحيل واخرجن فيما اخرجن واما قولهم الذين تركهما فينا بعده الكتاب والعترة سنة على ما قيل وقوله
اهل بيتي كانه قال تركت الثقلين كتاب الله وسنتي يا اهل بيتي وذلك جائز في اللغة واما ما روي عن ام سلمة فانه
في الخبر بيان على ان ازواجه دخلن حيث قالت له ام سلمة البيت من اهل البيت قال بلى انشاء الله وفي هذه الاية
دلالة نقض قول المعتزلة من وجوه احدها ما يقولون ان الله قد اراد ان يطهر الخلق كلهم الكافر والمسلم و
اراد ان يذهب الرجس عنهم جميعا لكن الكافر حيث اراد ان يطهر نفسه ولا يذهب عنه الرجس لم يطهر فلو كان
على ما يقولون لم يكن لتخصيص هؤلاء عنا لتطهير ودفع الرجس عنهم فايدة ولا منة دل انما يطهر من علم منه
اختيار الطهارة وترك الرجس واما من علم منه اختيار الرجس فلا يحتمل ان يذهب منه الرجس ويريد منه عنهما
يعلم انه يختار وان التطهير لمن يكون انما يكون بالله لا بما نقوله المعتزلة حيث قال ويطهركم تطهيرا او على قولهم
لا يملك هو تطهير من اراد تطهيره اذا لم يبق عنده ما يطهرهم فذلك كله ينقض اقوالهم ومذهبهم وقوله
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة هذا يحتمل وجهين احدهما قوله اذكرن اي احفظن ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله والحكمة وجعل بيوتكن موضعا لنزول الوحي والثاني اذكرن على حقيقة الذكر اي اذكرن
ما من الله عليكن وجعلكن من اهل بيت يتلى فيه من ايات الله والحكمة وجعل بيوتكن موضعا لنزول الوحي

فيها وتحصن بذلك ما لم يجعل في بيت احد ذلك يذكرهن عظيم ما انعم ومن عليهن لينادي به شكره ليعرفن منه
الله ونعمه عليهن وقيل ومن ايات الله يحتمل ايات القران ويحتمل حججه وبراهينه والحكمة قالت الفلاسفة الحكيم
هو الذي يجمع العلم والعمل جميعا وقال بعضهم الحكيم المصيب والحكمة هي الاصابة وقيل هي وضع الشيء موضعه
وهي نقيض السفه واصل الحكمة في الحقيقة كانها هي الاصابة في كل شيء والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطاء في الحكم
والغلط قال بعضهم الحكمة ههنا هي السنة وقوله ان الله كان لطيفا خبيرا اللطيف هو البار وقال فلان لطيف
اذا كان بارا وقال في اللطيف هو الذي يستخرج الاشياء والخفية الكامنة فلا تتوهمها العقول استخراجها من
مثلها وقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى اخرها ذكر ان ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
وامرءة يقال لها انيسة بنت كعب اتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالتا يا رسول الله ما بال ربنا يذكر
الرجال في القران بالخير ولا يذكر النساء في شيء فنزل ان المسلمين والمسلمات ثم قوله ان المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات الاسلام والايمان هما في الحقيقة واحد اعني في الحقيقة المعنى واحد وان كانا مختلفين
بجهة لان الاسلام هو ان يجعل كل شيء لله سالما خالصا لا يجعل لغيره فيه شركا ولا حقا والايمان هو التصديق
لله بشهادة كل شيء له بالوحدانية والربوبية والالوهية في جعل الاشياء كلها لله خالصة سالمة له
والذي صدق الله بشهادة كلية الاشياء له بالوحدانية والربوبية واحد لان المخلص هو الذي يرى كل
شيء منه خالصا والموحد هو الذي يرى الوحدانية له والربوبية في كل شيء فهما في الحقيقة المعنى واحد والله
اعلم وقوله والقانتين والقانتات القنوت هو القيام في اللغة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن
فضل الصلوة فقال طول القنوت وفي بعضه طول القيام فسر القنوت بالقيام ثبت ان القنوت هو القيام فيكون
تاويله والله اعلم القائمين والقائمات بجميع اوامر الله ومناهيه وكذلك يخرج تاويل اهل التاويل القانتين المطيعين والمطيعات
لله لان كل قائم ما يامر اخر فهو مطيع له هذا كانه يقول يكون في الاعتقاد والله اعلم وقوله والصادقين والصادقات
الى اخره يكون في معاملته في تصديق ما اعتقدوا وقبلوا يصدقون ويوفون بالاعمال فيما اعتقدوا وقبلوا وقوله
والصابرين والصابرات الصبر هو كف النفس وحبسها عن التعاطي في جميع محرمات المحظورات وعلى ذلك يخرج قول
اهل التاويل على امر الله وطاعته وعلى امر الله والمصائب يكفون عن جميع ما لا يحل فيه ويرون ذلك من تقديره
والخاشعين والخاشعات قال بعضهم الخاشع المصلي وقال بعضهم الخاشع المتواضع واصل الخشوع هو الخوف اللازم
في القلب وهو قول الحسن يخافون في كل حال لا يخافون غيره ويرجون الله ولا يرجون غيره وهكذا عمل المؤمن يكون
حقيقة خوفه ورجائه منه وانما الكافر فانه لا يخاف ربه ولا يرجون منه لانه لا يعرفه ولا يخضع له وعلى ذلك المعتزلة
انما خوفهم من اعمالهم السيئة ورجاؤهم منها اعني من اعمالهم الحسنة لا من الله حقيقة وكذلك على قولهم لا يكون
لاحد رجاء في شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رجاؤه في اعماله لقولهم انه ليس لله في افعال العباد شيء
من تدبير ولا تقدير وقوله والمتصدقين والمتصدقات اي منفقين في طاعة الله والصائمين والصائمات قد ذكرنا
ان هذا راجع الى حقيقة الفعل في الصيام والصدقة والصدق في القول والمعاملة والخشوع منه وجائز ان
يكون في القبول والاعتقاد وعلى ما ذكرنا والله اعلم وقوله والحافظين فروجهم والحافظات فيما لا يحل كقوله والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم وما ملكت ايمانهم وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات قال بعضهم اي المصلين
لله الصلوات الخمس وقال بعضهم الذاكرين الله كثيرا والذاكرات باللسان على كل حال لكن غيره كانه اولى بذلك اي
الذاكرين حق الله الذي عليهم كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم قال جعفر بن حرب المعتزلي دلت هذه الاية على ان الكفر مما لم
يقضه الله لانه لو كان مما قضاه الله لكان لا يكون لهم الخيرة والتخيير فاذا قال انه اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون
لهم الخيرة دل انه مما لم يقضه الله لكن نقول ان القضاء ههنا ليس هو قضى الخلق على فهم هو ولكن القضاء ههنا الامر
والحكم كقوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اي امر ربك واوجب ان لا تعبدوا او ان يكون الحكم كقوله فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اي مما حكمت فاذا كان القضاء يحتمل الامر
والحكم على ما ذكرنا فيكون كانه قال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا امر الله ورسوله
امرا اي اذا حكم الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وهكذا يكون فيما امر الله ورسوله بامر وحكم بحكم ان
لا يكون لاحد التخيير في ذلك ومما يدل ايضا على ان القضاء ايضا ههنا ليس هو القضاء الذي فهم المعتزلة تخصيصه
ذلك الى رسوله ايضا حيث قال اذا قضى الله ورسوله امرا ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يملك
القضاء الذي هو قضاء خلق دل ان المعتزلة اخطأت وغلطت في فهم ذلك وقصرت عقولهم عن درك ذلك وان
التاويل يخرج على ما اجمع اهل التاويل على ان قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون الخيرة من

امرهم انما نزلت في زينب بنت جحش يذكرون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اعتق زيد بن حارثة وتبناه وكان مولى له ثم
فخطب له زينب بنت جحش فقالت زينب اني لا ارضاه لنفسي وانا من اتم نساء قريش وكانت ابنة عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنت ميمونة بنت عبد المطلب فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد رضيته لك فزوجي نفسك
منه فابت ذلك فنزل قوله فيها وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم
لكن ان كان على ما يذكرون من الخطبة لها فلا يحتمل ان يجبرها على النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس للولي
مع الثيب امر وقال النبي صلى الله عليه وسلم البكر تستأمر في نفسها والثيب تشاور ثم يحل الاية فجبرها على النكاح ممن لا
ترضاه الا ان يكون على الامر من الله تعالى ومن رسوله فعند ذلك لا يكون لها التخيير في ذلك لان الله ان يامر من شاء على النكاح
من شاء وله الحكم بالنكاح لمن شاء على من شاء وليس لهم التخيير في ذلك فاما في الخطبة نفسها دون الامر والحكم من
الله لا خير في ذلك الا ترى انه ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب ام سلمة فقالت ان اوليائي غيب فقال له
ليس احد من اوليائك لا يرضى بي او كلام نحو هذا فخطبها ولم يجبرها على ذلك فعلى ذلك زينب الا ان يكون على الامر
والحكم على ما ذكرنا او ان يكون سبب نزول الاية فيمن ذكر اهل التاويل في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت جحش
ويكون الوعيد الذي ذكر فيه في غيره فيما فيه امر من الله او حكم نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
صلى الفجر فراى رجلين جالسين فقال لهما ما بالكما لم تصليا معنا فقالا انا قد صلينا في رحالنا فقال اذا صليتما ثم
اتيتما المسجد فصليا معهم فتكون لكما سبحة وانما قال فصليا معهم لا في صلاة الفجر ولكن في الصلاة التي يتطوع بعدها
وقوله ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وان كان هذا في المؤمنين فيكون الضلال هو الخطاء كانه قال فقد
اخطأ خطاء بينا ويجوز هذا في اللغة ثم قول اخوة يوسف لابيهم وتفضيله يوسف عليهم حيث قالوا ان ابانا لفي ضلال
مبين اي في خطاء بين حيث يفضل لا منفعة له منه على من له منه منفعة فعلى ذلك وان كان في المنافقين فهم في ضلال
بين فالضلال من المؤمن لا يفهم ما يفهم من الكافر والمنافق الا ترى ان الظلم من المؤمن لا يفهم منه ما يفهم من المنافق
او الكافر الا ترى ان ادم وحوا لما ارتكبا وقربا تلك الشجرة قالا ربنا ظلمنا انفسنا لم يريدا الظلم كفرا وعلى ذلك قوله
فتكونا من الظالمين فعلى ذلك المفهوم في ضلال المؤمن غير المفهوم من ضلال المنافق والكافر والله اعلم وقوله
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه قال اهل التاويل انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالاعتاق لانه ذكر
ان زيدا كان عربيا من اهل الكتاب اصابه النبي صلى الله عليه وسلم من سبي اهل الجاهلية فاعتقه وتبناه فانعم الله عليه
حيث اعطاه الاسلام ووفقه للهدى وانعم عليه الرسول حيث اعتقه ويحتمل انعام الله عليه ايضا في الاعتاق
حيث وفق رسوله للعتاق او في خلق فعل الاعتاق من رسوله واجرائه له وعلى قول معتزلة ليس لله على زيد
وعلى جميع المسلمين في الاسلام انعام ولا افضال لوجوه احدها انهم يقولون قد اعطى كلا سبب ما يلزمهم
الاسلام وهو القوة لكنهم انما يسلمون لا بصنع من الله في ذلك فعلى قولهم كان من الله سبب لزوم الاسلام
فاما في الاسلام نفسه فلا صنع له فيه فاذا كان كذلك فلا منة يكون منه عليهم ولا انعام والثاني يقولون
ان ليس لله ان يفعل بالخلق الا ما هو اصلح لهم في الدين ولا شك ان الاسلام لهم اصلح فعليه ان يفعل ذلك ومن ادى
حقا عليه لا يكون فعله منعما ولا مفضلا وانما هو مؤدي حق عليه والثالث يقولون ان ليس من الله الى الانبياء و
المؤمنين جميعا شيء الا وقد كان ذلك منه الى ابليس واتباعه والى جميع الفراعنة فاذا كان قولهم ومذهبهم ما ذكرنا
لم يكن لله على احد من اهل الاسلام في اسلامهم انعام ولا افضال والله اخبر ان له عليهم في ذلك نعمة ومنة وكذلك
فهم منه ذلك في قوله يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله امسك عليك زوجك
واتق الله ذكر بعض اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابصر امرأة زيد فاعجبته وودها ففهم
زيد ذلك منه فقال لرسول الله اني اريد ان اطلق فلانة فان فيها كبرا تتعاظم علي وتؤذيني بلسانها فعند ذلك قال له
النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في طلاقها فلا تطلقها لكن لا نقول نحن شيئا من ذلك
الا بخبر ثبت من رسول الله يخبر انه كان ذلك وجائز ان يكون زيد استاذن رسول الله في طلاقها على ما يطلق
الرجل امرأته لما يميل منها لسبب يكون فقال له عند ذلك امسك عليك زوجك واتق الله ولا تطلق زوجك بلا سبب
يستوجب به الطلاق لانه لا يسع للرجل ان يطلق زوجته بلا سبب يحمله على الطلاق من تضييع حدود الله و
ترك اقامتها او معنى نحو ذا ما سبب يكون في ذلك فلا يسع او ان يكون قوله امسك عليك زوجك اي تزوجها
واتق الله في ترك تزوجها فيكون هو مأمورا بنكاحها كما كانت هي مأمورة بتزويجها نفسها منه فيقول اتق الله
في ترك الامر للنبي ذلك في ترك ما ندبت اليه وامرت به والله اعلم وقوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه قال
عامة اهل التاويل تخفي في نفسك حبها واعجابها ما الله مبديه اي ما الله مظهره في القران اي حبها وتزوجها
وقال قائلون وتخفي في نفسك يا محمد ليت انه طلقها ما الله مبديه اي مظهره عليك حتى ينزل به قرانا لكن

هذا بعيد محال لا يحتمل ان يكون النبي يقول لزيد امسك عليك زوجك واتق الله ثم يخفي ليت انه يطلقها حتى يتزوجها
هو وجائز ان يكون قوله وتخفي في نفسك هذا القول نفسه هو الابداء حيث جعله اية يتلى بعد ما اخفى رسول الله شيئا
في نفسه ما لولا ذكر الله اياه ذلك لم يعلم الخلق انه اخفى شيئا ولا يدري ما الذي اخفاه كذا وكذا الا بخبر يجيء عنه هو
فيقول اني اخفيت في نفسي كذا فعند ذلك يسع فاما على الوهم فلا يقول به وقوله وتخشى الناس والله احق ان
تخشاه قال بعضهم وتخشى الناس اي تستحي قالة الناس ان تزوج امرأة ابنه وتترك نكاحها والله احق ان تستحي منه في
ترك ابيح اباك بالنكاح وقال بعضهم وتخشى الناس ان تتقي قالة الناس وتستحي منهم في امر زينب وما اعجبت هي لك حسنها
وجهها والله احق ان تخشاه ذلك وجائز ان يكون قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه على الابتداء على غير الحاق بالاول
في كل امر وكل شيء كقوله فلا تخشوهم واخشوني والله اعلم وقوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها قال اهل التاويل قضى
زيد منها وطرا اي حاجة اي جماعا فان كان الجماع فانه ذكر الجماع فيه ليعلم ان حليلة ابن التبني تحل للرجل وان الوطء هو عقد
النكاح والجماع جميعا وان كان كل واحد منهما سبب الحظر والمنع في نكاح حليلة ابن الصلب وجائز ان يكون قوله فلما قضى زيد
منها وطرا اي قضى همة نفسه وبلغ غاية ما همت نفسه منها فعند ذلك زوجناكها ذكر ان زينب بنت جحش كانت تفتخر
على سائر ازواج النبي فتقول زوجكن اباؤكن ورسول الله والله زوجني نبيه فوق سبع سموات ففيه دلالة رسالته
لانه اخفى في نفسه ما كان يخشى قالة الناس في ذلك واستحى منهم وفي العرف ان من اخفى شيئا يستحيي من الناس ان يظهر
عندهم ان يكتم ذلك من الناس ولا يظهره فاذ كان رسول الله اظهر ما كان يخشى قالة الناس فيه ولم يكتمه منهم دل انه
رسول اذ لو كان غير رسول لكتمه واخفاه ولم يظهره لما ذكرنا من العرف في الناس من كتمان ما يستحيون منهم واظهره وكذلك
روي عن عمر وعائشة انهما قالا لو كان رسول الله كاتما شيئا من القران كتم هذه الاية وقوله لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا في الاية دلالة لزوم الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر و
يامر به وفي كل فعل يفعله في نفسه الا فيما ظهر الخصوصية فاما فيما لم تظهر فعلى الناس اتباعه فيما يخبر ويفعل لانه
قال لا يتزوج امرأة رغبة ثم قال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ولو كان يخبرهم بذلك خبرا لحل لهم
ذلك فعلى ذلك اذا فعل هو ذلك اخبر ان ذلك لكيلا يكون على المؤمنين حرج فمثل فعله والله اعلم وفيه وجه اخر
وقوله اذا قضوا منهن وطرا ذكر قضاء الوطر منهن لان من النساء من يحرمن على بعض هؤلاء بالعقد
ولكن انما يحرمن بقضاء الوطر ومنهن من يحرمن بالعقد نفسه دون قضاء الوطر فاخبر ان ازواج الادعياء وان قضوا
منهن وطرا فانهن لا يحرمن عليهم والله اعلم وكان امر الله مفعولا اي ما كان امر الله مفعولا وكذلك ما قيل الصلوة امر
الله تكون والا الصلوة هي فعل العباد فلا تكون امر الله ولكن بامر الله فعلى ذلك قوله وكان امر الله مفعولا اي ما يكون
بامر الله مفعولا ثم يحتمل ذلك وجهين احدهما التكوين يكونه فيكون مكونا كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون والثاني على الايجاب واللزوم اي ما يكون بامر الله يكون واجبا لازما اذا اراد به الايجاب واللزوم والله اعلم
وقوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له هذا يحتمل وجهين احدهما فرض اي بين الله كقوله سورة انزلناها وفرضناها
اي بيناها ويحتمل فيما فرض الله له اي اوجب الله عليه ويقال فرض عليه اي حرم وفرض له اي احل له وكذلك قوله قد
فرض الله لكم تحلة ايمانكم يحتمل هذا وجهين اي بين لكم تحلة ايمانكم والثاني اوجب عليكم تحلة ايمانكم والله اعلم وقوله
سنة الله في الذين خلوا من قبل قال بعضهم هكذا كان سنة الله فيمن كان قبله من الرسل مثل داود وسليمان وهؤلاء
كثرة النساء ليس ذلك ببدع في رسول الله محمد وفي كثرة نساء الرسل لهم اية عظيمة لانهم اثروا الفقر والضيق على
السعة والغنا وكفوا انفسهم عن جميع لذاتها وحملوا على انفسهم الشدائد في العبادات والامور العظام الثقيلة وهذه
الاشياء كلها اسباب قطع قضاء الشهوات في النساء والحاجة فيهن فاذ لم تقطع تلك الاسباب عنهم دل انهم بالله
تولوا عليها وقال بعضهم سنة الله في الذين خلوا من قبل اي كذلك كان سنة الله في الذين قبل محمد يعني داود النبي حين
هوى المرأة التي فتن بها جمع الله تبارك وتعالى بين داود وتلك المرأة فكذلك جمع بين محمد وبين امرأة زيد اذ هويها
كما فعل بداود لكن هذا بعيد وقيل سنة الله في الذين خلوا من قبل انه لا يحرج على احد فيما لم يحرم وجائز ان يكون سنة
في الذين خلوا من قبل في حل نكاح ازواج الادعياء كما يحل لهم ذلك فعلى ذلك لرسول الله والله اعلم وقوله وكان امر الله
قدرا مقدورا هو ما ذكرنا في قوله وكان امر الله مفعولا اي ما كان بامر الله وتقديره مقدورا قال ابو عوسجة الدعي
الذي يدعى بعد ما يكبر والادعاء ان يكون الرجل نفى ولده ولم يقبله ثم ادعاه من بعد ذلك هذا هو المعروف عندي
قال وفي موضع اخر ولهم ما يدعون اي ما يتمنون ويشتهون ويقال ظللنا اليوم فيما ادعينا اي وجدنا كل ما اشتهينا
يقال من هذا ادعيت ادعي ادعاء وقال الوطر الحاجة والاوطار جميع والخيرة اي صيرت اليهم الخيرة وهو من قولك اي
شيء تختار ما كان لهم الخيرة من امرهم اي لم يجعل اليكم الاختيار ان شئتم فعلتم وان شئتم لم تفعلوا والقنوت في الاصل
القيام على ما ذكرنا وقوله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله يقول اهل التاويل هو محمد

عاصية فعناه والله اعلم ان كان هو ابرا دبر انه فيما تزوج خليلة دعيه زيد مبلغ رسالات ربه حيث قال لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وتبليغ الرسالة يكون مرة بالخبر والقول ومرة بالفعل يلزم الناس في
اتباعه في فعله كما يلزم في خبره وامره الا فيما ظهرت له الخصوصية في فعل ما وجايز ان يكون قوله الذين يبلغون
رسالات الله هم الانبياء الذي قال سنة الله في الذين خلوا من قبل نعتهم وقال الذين يبلغون رسالات الله وسنة
الله في محمد كسنة اولئك الذين كانوا من قبل فما ذكر ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله يقول والله اعلم يخشون في
ترك تبليغ رسالة ولا يخشون احدا سواه في التبليغ ويكون قوله الا الله بمعنى سواه على المبالغة في الاول الا انه قال
ولا يخشون احدا كانبيا اي لا يخشون احدا كان كانبيا اي يخشون احدا فيما يبلغون لكن يحتمل ما ذكرنا ان لا يخشون
احدا فيما يبلغون سواه وجايز ان يكون قوله ولا يخشون احدا الا ما يصيبهم من الاذى والبلاء بالتبليغ يقول لا يرد
ذلك من اولئك ولكن بتقدير من الله اياه والا كانوا يخافون من اولئك الا ترى انهم قالوا اننا نخاف ان يفرط
علينا او ان يطغى وحيث قال موسى فاخاف ان يقتلون واخاف ان يكذبون ونحو او ان يكون في الابتدا يخافونهم ثم امنهم
الله فلم يخافوا حيث قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى والله اعلم وقوله وكفى بالله حسيبا قيل شهيدا على تبليغ
الرسالة وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم معناه والله اعلم ما كان محمد ابا احد ابوة يحرم بها حلايل الابناء والا كان
هو ابا لجميع المؤمنين حيث قال النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اذا كانت ازواجه امهاتنا فهو اب
لنا على ما ذكرنا لكن التاويل فيه ما كان محمد ابا احد من رجالكم ابوة تحرم بها حلايل الابناء ولكن ابوة التعظيم والتبجيل
وابوة الشفقة والرحمة وهو ما قال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
الاية وكذلك قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم يحتمل وجهين اولى ان يعظم ويكرم ويشرف من كفى له وتعزروه و
توقروه وتسبحوه والثاني اولى بالمؤمنين اي اشفق عليهم وارحم بهم من انفسهم وهو وصفه جل وعلا من رحمته و
رافته حيث قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يخرج على
وجهين احدهما في حق الانتساب اليه اي ليس هو ابا احدكم ينسب اليه ويدعى به لانه ذكر انهم يدعونه ويسمونه
زيد بن محمد انه يجوز التبني ولا يجوز النسبة اليه ولا التسمية به كقوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله
والثاني في حق الحرمة كانه قال ليس هو ابا احد كم في حرمة حلايل الابناء عليه ابناء التبني ولا في حق النسبة وان
كان هو ابا لكم في الشفقة والرحمة والرافة على ما ذكرنا بديا ولكن رسول الله ما ذكرنا في التعظيم له والتبجيل في
المعاملة والمصاحبة اولى الدعوة بها والتسمية وقوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين اي ليس بابي احد من رجالكم على ما
ذكرنا ولكن رسول الله ليلا يعاملوا رسوله معاملة ابائهم ولا يصاحبوه صحبة غيره ولكن يعاملوه معاملة
الرسل في التعظيم له والتبجيل والاكرام لان ابوته وشفقته الاباء شفقة دنياوية ولان الرجل قد ينبسط مع
والده في اشياء لا ينبسط مثله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا قال ولكن رسول الله وخاتم النبيين اي ختم به
الرسالة لا نبي بعده وقوله وخاتم النبيين جايز ان يكون ذكره واخباره انه خاتم النبيين لما علم جل وعلا انه يسمي
غيره بعده نبيا على ما قالت الباطنية قايم الزمان هو نبي فاخبر بهذا ان من ادعى ذلك لا يطالب بالحجة والدلالة
ولكنه يكذب وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا نبي بعدي فاخبر انه به ختم النبوة وقوله
وكان الله بكل شيء عليما لم يزل الله بما كان ويكون دينا بمصالحهم عليما وقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا اما اهل التاويل يقولون اذكروا الله في كل حال وفي كل وقت ذكرا كثيرا باللسان وجايز ان يكون تاويل
امره بالذكر له كثيرا اي اذكروا نعمه لتشكروا له واذكروا اوامره لتوتمروا ونواهيه لتنتهي ومواعيده لتخاف وعده
لترغب واذكروا عظمته وجلاله وكبريائه لتهاب ذكرا كثيرا اي دايما يذكرون ما ذكرنا ليكون ما ذكرنا ابدا ما يكون
ذلك بالذكر والله اعلم وقوله وسبحوه بكرة واصيلا البكرة هي لختم الليل وابتداء النهار والاصيل هو ختم النهار
وابتداء الليل فكانه امر بالذكر له والخير في ابتداء كل ليل وختمه وابتداء كل نهار وانقضايه ليتجاوز عنهم ويعفي
ما يكون منهم من الزلات وخلوه ذلك وعلى ذلك ما روي في الخبر ان من صلى العشاء الاخرة والفجر بالجماعة فكانما
احيا الليلة وجايز ان يكون ذلك ليس على اداء البكرة والاصيل ولكن على ذكره كل وقت وكل حال ليس من وقت
ولا حال الا ولله على عباده شكر وصبر الشكر لنعمايه والصبر على مصايبه وقال بعضهم الامر بالذكر له بالبكرة
والاصيل هي الصلوة الخمس من الظهر الى اخر الليل اصيل فيدخل فيه صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء و
في البكرة صلوة الفجر وقوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته اما صلوة الله هي الرحمة والمغفرة والصلوة الملائكة
الاستغفار وطلبا العصمة والنجاة كقوله ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما الاية وقوله
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم الاية وقوله ويستغفرون لمن في الارض جايز ان يكون المؤمنين خاصة
وجايز ان يكون الكل الكافر والمؤمن فان كان هذا فيكون استغفارهم طلب الاسباب التي بها يستوجبون المغفرة

وهو

وهو الهدى كقوله هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا الا يحتمل ان يستغفروهم
وهم كفار ولكن يطلبون منه التوبة عن الكفر ليستوجبوا المغفرة وكذلك استغفار ابراهيم لابيه لا يحتمل ان يستغفر له
وهو كافر ولكن كان يطلب له من الله ان يجعله بحيث يستوجب المغفرة والرحمة وهو الهدى والله اعلم وقوله ليخرجكم
من الظلمات الى النور قال بعضهم ليرحمهم حيث اخرجهم من اصلاب ابائهم قرنا فقرنا الى ان بلغوا ما بلغوا وجايز اخراجه
اياهم من ظلمات الكفر الى نور الهدى بدعاء الملائكة واستغفارهم لهم وكان بالمؤمنين رحيما لم يزل بما فيه بالمؤمنين
رحيما وقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام جايز ان يكون تحية الملائكة عليهم سلام كقوله عليكم بما صبرتم وتحية بعضهم
على بعض سلام لا غير ليس كتحيتهم في الدنيا اطال الله بقاءك وكيف حالك ونحو ما يقولون في الدنيا ويسال بعضهم
بعضا عن احوالهم يقول ليس تحية اهل الجنة ذلك ولكن سلام كقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما
او ان يكون قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام اي صوابا وسدادا لا غير كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
ليس ان يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون قولا صوابا سدادا لا يبلونهم بمثل ما خاطبوهم فعلى ذلك جايز ان يكون قوله
تحيتهم يوم يلقونه سلام اي صواب من الكلام وسداد واعد لهم اجرا كريما اي حسنا وقوله يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا يحتمل قوله شاهدا على تبليغ الرسالة ليشهد لهم بالاجابة لهم اذا اجابوه ويشهد عليهم
اذا ردوه وخالفوه وقال بعضهم شاهدا على امتك بالتصديق لهم وقيل شاهدا عليهم بالبلاغ وقوله ومبشرا
ونذيرا اي يبلغ اليهم ما يكون لهم البشارة ان اطاعوه ويبلغ اليهم ايضا ما يستوجبون به النذارة اذا خالفوه والبشارة
هي اخبار عن الخيرات التي تكون في عواقب الامور الصالحة والنذارة اخبار عن اخر ان يكون في عواقب الامور السيئة
او نحوه من الكلام وقوله وداعيا الى الله يحتمل قوله داعيا الى الله الى توحيد الله او الى طاعة الله او الى دار السلام
كقوله والله يدعو الى دار السلام او الى ما يدعو الله اليه وقوله باذنه قيل بامره وقوله وسراجا منيرا اختلف فيه قال
بعضهم هو صلة قوله انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وجعلناك سراجا منيرا فالسراج المنير هو الرسول على هذا
التاويل وقال بعضهم السراج المنير هو القران يقول ارسلناك داعيا الى الله والى السراج المنير وهو هذا وقوله
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فيه دلالة ان البشارة انما تكون بفضل من الله لا انهم يستوجبون باعمالهم
شيئا من ذلك والله اعلم وقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين هذا قد ذكرنا في اول السورة وقوله ودع اذاهم
هذا يحتمل اعرض عنهم ولا تكافيهم بما يؤذونك او ان يقول ودع اذاهم اي اصبر على اذاهم وقوله وتوكل على الله اي
اعتمد بالله وكفى بالله وكيلا اي كفى بالله معتمدا او ان يقال كفى بالله وكيلا اي حافظا او مانعا والله اعلم وقوله
يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ذكر ان رجلا جاء الى ابن عباس فقال
كان بيني وبين عمتي كلام فقلت يوم اتزوج ابنتك فهي طالق ثلاثا فقال تزوجها فهي لك حلال اما القراءة هذه
الاية يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات الاية تجعل الطلاق بعد النكاح وعندنا انه اذا حلف انه تزوجها فهي
طالق يكون طلاقا بعد النكاح وليس في الاية منع وقوع الطلاق اذا اضافه الى ما بعد النكاح ثم طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن يحتمل المماسة الجماع اي من قبل ان تجامعوهن ويحتمل من قبل ان تدخلوهن المكان الذي تماسوهن
والا تدخل بها المكان الذي يماسها ثم طلقها يجب كمال الصداق وان لم يجامعها ولم يدخل المكان الذي يماسها حتى
طلقها عامسها ثم طلقها وجب نصف الصداق ويدل على ذلك قول الله حيث قال وكيف تاخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض والافضاء ليس هو الجماع ولكن الدنو منها والمس باليد وشبهه والله اعلم وقوله فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها هذا يدل على ان العدة من حق الزوج عليها حيث قال فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ولا يجوز له ان يجمع
بين اختين فيما له من حق فعلى ذلك ليس له ان يجمع بين الاختين في حق العدة التي له قبلها والله اعلم وقوله
فمتعوهن قال بعضهم هذه المتعة منسوخة بالاية التي ذكر في سورة البقرة حيث قال وان طلقتموهن من قبل ان
تماسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقال بعضهم هي التي وهبت نفسها بغير صداق فان لم يجب
الصداق وجبت المتعة وعندنا ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا نصف الصداق ولا يجب عليه المتعة وجوب
حكم لكن ان فعل ومتعها فهو افضل واحسن وان كان لم يفرض لها صداقا حتى طلقها قبل الدخول بها فهي واجبة على
عسره ويسره والله اعلم وقوله وسرحوهن سراحا جميلا قال بعضهم السراح الجميل هو ان يمتعها اذا سرحها وقال بعضهم
السراح الجميل هو ان يبذل لها الصداق وقال بعضهم السراح الجميل هو ان يقول لا تؤذوهن بالسنتكم اذا سرحتموهن
والله اعلم وقوله يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وقبلت ويكون الايتاء عبارة عن القبول
والضمان يحتمل هذا وجهين احدهما انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وقبلت ويكون الايتاء عبارة عن
القبول جايز نحو قوله وان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو على القبول تاويله فان تابوا وقبلوا
ايتاء الزكوة فخلوا سبيلهم هو على القبول والضمان ليس على فعل الايتاء نفسه اذ لا يجب الا بعد حولان الحول

وكذلك قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية ليس على نفس الاعطاء ولكن حتى يقبلوا الجزية اذ
الاعطاء انما يجب اذا حال الحول فعلى ذلك لجائز ان يكون قوله اللاتي اتيت اجورهن وضمنت واثبت انا احللنا لك ازواجك
اللاتي هن لك اذا اتيت اجورهن اى قبلت معناه انا احللنا لك ابقاهن اذا اتيت اجورهن وفيه دلالة ان المهر قد
يسمى اجرا فيكون قوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن اى مهورهن فيكون الاستمتاع بهن استمتاعا في النكاح
فعلى ذلك يجوز ان يكون قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون
المؤمنين فيكون الخلوص له بلا اجر لا بلفظة الهبة لانه ذكر على اثر ذكر حل ازواجه بالاجر كانه قال انا احللنا لك
ازواجك اللاتي اتيت اجورهن واحللنا لك ايضا امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها بلا اجر خالصة لك من دون المؤمنين
بغير اجر لان خلوص الشيء انما يكون اذا خلص له بلا بدل ولا مؤنة فاما ان يكون الخلوص بلفظة دون لفظة فلا
وبعد فانه قد ذكر في اية اخر الاية ما يدل على ما ذكرنا وهو قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم دل هذا ان خلوص
تلك المرأة له بعد فان ذكر هذا له خرج مخرج الامتنان عليه فالمنة له عليه في لفظة الهبة ليست تلك في لفظة
التزويج بقوله مكان قوله وهبت زوجت دل ان المنة له عليه فيما صارت له بلا مهر لا في لفظة الهبة او ان يكون
قوله خالصة لك من دون المؤمنين في الآخرة اى لا تحل لاحد سواك اذا تزوجتها وصارت من ازواجك فاما
ان يفهم من قوله خالصة لك من دون المؤمنين بلفظة الهبة فلا اذ لا فرق بين ان يقول وهبت وبين ان يقول
زوجت وبعد فان كثيرا من الصحابة واهل التاويل من نحو عبد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم
لم يفهموا من قوله خالصة لك بلفظة دون لفظة حتى روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال في قوله انا احللنا لك
ثم لم تكن فيهن من الموهوبات فما بال الشافعي فهم ذلك ما ذكر وبعد فانه ليس من عقد الا وهو يحتمل الانعقاد
بلفظة الهبة من البياعات والاجارات وغيرها فعلى ذلك النكاح والله اعلم وقوله وما ملكت يمينك اى قد احللنا لك
ما ملكت يمينك واحللنا لك ايضا وغيرها وعلى ذلك النكاح بنات عمك وبنات خالك وبنات خالاتك ثم جائز ان
يكون حل بنات من ذكر من الاعمام والاخوال للناس بهذه الاية لانهن لم يذكرن في المحرمات في سورة النساء فيكون
ذكر حلهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرا للناس كافة كما كان ذكر حل نكاح حليلة زيد بن حارثة له حلالا للناس
في ازواج حلائل ابناء التبني حيث قال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم فعلى ذلك الاول او ان يكون
مرخصة حل نكاح بنات الاعمام والعمات وهن من كر بقوله واحل لكم ما وراء ذلكم اذا ذكر المحرمات في الاية على الابلاغ
ما كان بنسب وما كان بسبب ثم قال واحل لكم ما وراء ذلكم فيكون ما وراء المذكورات حلالا بظاهر الاية الا ما كان
في معنى المذكورات في الحرمة والله اعلم وقوله اللاتي هاجرن معك لم يفهم احد من قوله هاجرن معك الهجرة معه
حتى لا يتقدمن ولا يتاخرن بل دخل في قوله معه من هاجر منهن من قبل وما بعد والله اعلم وقوله ما فرضنا عليهم
في ازواجهم قال بعضهم ما فرضنا على الناس في ازواجهم وهي اربع نسوة لا تحل الزيادة على الاربع وما ملكت ايمانهم
وهي الجواري والحرم يجوز الزيادة على ذلك وان كثرن وقال بعضهم فكان مما فرض الله ان لا يتزوج الرجل امرأة الا بولي
ومهر وشهود الا النبي خاصة فانه يجوز له ان تهب المرأة نفسها بغير مهر وبغير ولي والله اعلم وقوله قد علمنا ما فرضنا
عليهم في ازواجهم فرضنا اى بينا ما يجوز وما لا يجوز اى بين ذلك كله في الازواج او فرضنا اوجبنا عليهم في ازواجهم
من الاحكام والحقوق ونحوها والله اعلم وقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء اختلف فيه عن الحسن
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها النبي او يتزوجها وانه ان ترك خطبتها
كان لغيره ان يخطبها ثم اذا خطبها رسول الله لم يكن لاحد ان يخطبها بعد ذلك الا ان يترك خطبتها او كلام نحو تفسير
تاويل الاية الى ما ذكرنا وكذلك يقول قتادة ان الاية في الخطبة وقال بعضهم هذا في قسمة الايام بينهن كان يسوي
بينهن في قسمهن فوسع الله عليه في ذلك فاحل له فقال ترجي من تشاء منهن اى من نسائك اى تترك من تشاء
منهن فلا تأتيها وتؤوي اليك من تشاء فتأتيها ومن ابتغيت ممن عزلت يقول ممن اخترت من نسائك ان تاتيها فعلت
فقال ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن على ترك القسم اذا علمن ان الله قد جعل لك ذلك حلالا وانزل فيهن الاية و
يرضين بما اتيتهن كلهن اذ علمن ان الرخصة جاءت من الله تعالى لما كان الطيب لانفسهن واقل لحزنهن من ترك ذلك وقال
بعضهم ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتي كن تحته خشين ان يطلقهن فقلن يا رسول الله اقسم لنا من نفسك
ما شئت ومالك ما شئت ولا تطلقنا فنزل ترجي من تشاء منهن ان تعتزل من تشاء منهن اى تعزلهن بغير طلاق وتؤوي اليك
اى ترد وتضم من تشاء منهن اليك فلا جناح عليك وقال بعضهم الاية في ترك نكاح ما اباح له من القرابات من تشاء
منهن وفي الاقدام على نكاح من تشاء ما اباح له من القرابات من تشاء منهن وفي الاقدام على نكاح من تشاء منهن لانه
على اثر ذلك ذكرت يقول ترجي من تشاء منهن يعني من بنات العم والعمة والخال والخالة فلا تزوجها وتؤوي اليك
اى تضم اليك من تشاء منهن فتزوجها فخير الله رسوله في نكاح القرابة دل ذلك قوله ومن ابتغيت منهن فتزوجها

من عزلت

من عزلت منهن فلا جناح عليك اى لا حرج عليك في ذلك ذلك ادنى يقول اجدر واحرى واقرب ان تقر اعينهن اى النساء
اللاتي عندك واخترنك ولا يحزن اذا علمن انك لا تتزوج عليهن ويرضين بما اتيتهن كلهن من النفقة وكان في نفقتهن قلة
وجائز ان يكون قوله ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن ذلك حين خيرهن رسول الله بين
اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار رسول الله والدار الاخرة فاخترن رسول الله تقول والله اعلم انا اخترنا المقام عند رسول الله
والدار الاخرة فاخترن رسول الله ذلك فذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن عن قلة النفقة والجماع ويرضين بما اتيتهن كلهن
من النفقة والله يعلم ما في قلوبكم من الحب والرضا وكان الله عليما حليما وقوله لا يحل لك النساء من بعد اختلف في قوله من
بعد قال قائلون من بعد اختيارهن رسول الله والدار الاخرة لان الله لما خيرهن بين اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار
رسول الله والدار الاخرة فاخترن الله ورسوله والدار الاخرة فشكر الله عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد اى
من بعد اختيارهن المقام معك ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك فان على هذا فخرج الحظر
والمنع مخرج الجزاء لهن والمكافات لما اخترن على الدنيا وما فيها لئلا يشركهن غيرهن في قسمهن منه وروى عن عائشة رضي
الله عنها انها قالت ما شرطنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخترناه والدار الاخرة ان لا يتزوج علينا ولا يتبدل بنا
من ازواج فاستثنى بما ملكت يمينه لانه لا حق لهن في القسم وقال بعضهم قوله لا يحل لك النساء من بعد اى من بعد المسلمات
كتابيات لا يهوديات ولا نصرانيات اى لا تتزوج يهودية ولا نصرانية فتكون من امهات المؤمنين الا ما ملكت
يمينك اى لا باس ان تشتري اليهودية والنصرانية فان كان على هذا ففيه حظر الكتابيات لرسول الله لما ذكر خاصة واما
واما المؤمنون فانه اباح لهم نكاح الكتابيات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فيكون حل الكتابيات
للمؤمنين دون النبي بازاء الزيادة والفضل الذي كان يحل لرسول الله قال بعضهم قوله لا يحل لك النساء من بعد اى
من بعد المذكورات المحللات له في الاية التي قبل هذه الاية من بنات العم والعمات وبنات الخال والخالات يقول لا
لا يحل لك من النساء سوى من ذكر ان تتزوجهن عليهن ولا تبدلهن ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك و
الله اعلم وقوله لا يحل لك في الخلق ان تتزوج عليهن بعد اختيارهن والدار الاخرة على الدنيا وما فيها من الزينة او ان
يكون على التحريم نفسه في الحكم وليس لنا ان نفسر انه تحريم اذا تحريم الحظر والمنع في الخلق او تحريم الحكم لان ذلك كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان نعرفه انه مال اد ذلك والاشتغال به فضل والتبدل بهن يحتمل في الطلق
يطلقهن فيتزوج غيرهن ويحتمل بالموت اذا متن ايضا لم يحل له ان ينكح غيرهن والله اعلم قال ابو عوسجة ترجي
من تشاء منهن اى تحبس من تشاء منهن ولا تقربها وقال القتبي ترجي ان تؤخر يقال ارجيت الامر وارجاته
اى اخرته وكذلك قالوا في قوله ارجه واخاه وقال بعضهم احبسه وقال بعضهم اخره وقوله تؤوي اليك اى تضم
وكان الله على كل شيء رقيبا اى حفيظا وقيل شاهدا وقوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم
الى طعام غير ناظرين اناه يحتمل النهي عن دخول بيوت النبي وجهين احدهما لا تدخلوا بيوت النبي بغير اذن كما دخل الرجل
على امه وان كن هن كالامهات لكم بغير اذن فيكون النهي عن الدخول في بيته نهيا عن الدخول بغير اذن كقوله لا
تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا ويحتمل لا تدخلوا بيوت النبي ضيفا الا ان يؤذن لكم الى طعام الا ان تدعوا
الى طعام لان رسول الله كان اذا هيأ له من الطعام دعا اصحابه فيأكلونه وكان لا يمسك ولا يدخر فضل الطعام
لوقت اخر فاذا نزل به ضيف ولم يكن عنده ما يقدم اليه استحيى وشق عليه ذلك فنهوا عن الدخول عليه والنزول به
ضيفا لما ذكرنا وامروا بالانتظار الى ان يدعوا الى الطعام فعند ذلك يدخلون عليه ويضيفونه فان كان الاول
ففيه الامر بالحجاب والنهي عن الدخول بلا استيذان وان كان الثاني ففيه النهي عن النزول به ضيفا قبل ان
يدعوا لما ذكرنا ويكون الامر بالحجاب في قوله واذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب وقال بعضهم
ذكر هذا لان اناسا من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله وغداءه فاذا حضر ذلك دخلوا عليه بغير اذن
فجلسوا في بيته ينتظرون نضج الطعام وادراكه فنهوا عن ذلك وكانوا اذا اكلوا او فرغوا منه جلسوا في
بيته ويتحدثون ويستانسون فنهوا عن ذلك وامروا بالانتشار والخروج من عنده وعند نسائه ولم يكن
يحتجبن قبل ذلك منهم فشق ذلك على النبي والله اعلم وجائز ان يكون الامر بالانتشار والخروج من عنده
لما كان لرسول الله امور وعبادات يحتاج الى القيام بها اما بينه وبين الله او بينه وبين غيرهم من الناس فكانوا
يشغلونه عن ذلك لذلك او لما ذكر بعض اهل التاويل من الحاجة له من ازواجه والخلوة بهن وقت القيلولة
والله اعلم وقوله ان ذلكم كان يؤذي النبي الدخول عليه بغير اذن والانتظار لنضج الطعام اراد به
والجلوس بعد فراغهم من الطعام والحديث او ما كان وقوله فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ورسول
الله ايضا كان لا يستحيي من الحق لكنه تستحيي ان يقول لهم اخرجوا من منزلي ولا تدخلوا علي ونحو ما
يقبح ذلك في الخلق ان يقول الرجل للاخر لا تدخلوا منزلي او اخرج من منزلي لما يرجع ذلك الى دناءة الاخلاق

والنجي فلما انزل الله تعالى الاية وامر ان يقول لهم واخبرهم بذلك فلم يستحيي عند ذلك لما صار ذلك من حق الدين فرضا هو
عليه لازما ان يعلمهم الاداب ويخبرهم بما يلزمهم من حق الدين وكان قبل ذلك في حق الملك وحيا لنفسه لما انزل الله
الاية وامر بذلك صار من حق الدين لذلك كان ما ذكره الله اعلم وقوله والله لا يستحيي من الحق اي يدع ولا يترك
ان يعلمهم الحق والادب وقد ذكرنا معناه في قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا الاية وقوله واذا سالتموهن
متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وجائز ان يكون المعنى الذي يكون اطهر لقلوب
الرجال غير المعنى الذي يكون اطهر لقلوبهن وذلك المعنى الذي يكون اطهر لقلوبهم من الفجور والهم لقضاء
الشهوة وما تدعو النفس اليه واطهر لقلوبهن من العداوة والضغينة لا الفجور وقضاء الشهوة وذلك
انهم قد عرفن انهن لا يحللن لغيره نكاحا لما اخترنه والدار الاخرة على الدنيا وزينتها وقد اوعدن بارتكاب الفاحشة
العذاب ضعفين على ما ذكر وذلك يمنعهن ويزجرهن عن ارتكاب ذلك فاذا كان كذلك فانما عرفن من الداخلين هم
عليهن والناظرين اليهن نظرة شهوة وقع في قلوبهن لهم العداوة والضغينة فيقول السؤال من وراء الحجاب اطهر لهم
قلوبكم من الفجور والريبة واطهر لقلوبهن من العداوة والضغينة والله اعلم بذلك وجائز ان يكون ذلك واحدا وهو لكونه
والفجور لما ركب فيهن من الشهوات وركب فيهن من فضل الدواعي الى ذلك والله اعلم وقوله وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قال بعضهم اهل التاويل ان ازواج الرسول لما احتجبن بعد نزول اية الحجاب
ونهوا عن الدخول عليهن والنظر اليه قال رجل انتهى ان ندخل على بنات عمنا وبنات عماتنا وبنات خالنا وبنات خالاتنا
اما والله لئن مات لاتزوجن فلانة ذكر امرأة من نسائه فنزل وما كان لكم اي لا يحل لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا لكن هذا قبيح لا يحتمل ان احدا من الصحابة يقول ذلك او واحد ممن صفا ايمانه وحسن
اسلامه ان يقول ذلك او يخطر بباله ذلك الا ان يكون منافقا ويحتمل وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله فيما تقدم ذكره
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ابتداء نهي وجائز ان يكون وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله في نكاح ازواجه فيكون
اذاء رسول الله في نكاح ازواجه من بعده ولو كان لا يحل ازواجه للناس لما ذكر اهل التاويل لانهن امهات لم يحتج
الى النهي عن نكاحهن بعده اذ لا احد يقصد قصد نكاح الام ولكن كان يحل لهم ذلك وكان المعنى في ذلك ما ذكرنا من
التعظيم له والاحترام حتى نهاهم عن نكاح ازواجه من بعده وجعله في حرمة ازواجه على غيره بعد وفاته كانه حي و
كذلك جعل في حق ماله وملكه في منع الميراث لوارثه كانه حي لم يرث ماله وارثه بل جعل باقيا ابدا على ملكه وكذلك ازواجه
وكذلك جعل في حق الرسالة والنبوة كانه حي لم تنسخ شريعته بعد وفاته بشريعة اخرى كما نسخت شريعة الانبياء
الذين كانوا قبله اذا ماتوا بشريعة اخرى بل جعل كانه حي في ابقاء شريعته الى يوم القيمة فعلى ذلك جعل في ازواجه
كانه حي في حرمة ازواجه في الاخرة وعلى ذلك يخرج تاويل قوله عند نافلة لسن كاحد من دون المؤمنين اي هي للنبي خاصة
لا تحل لاحد بعدك فتكون زوجته في الجنة والله اعلم وقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما يحتمل اذى رسول الله ونكاح
ازواجه عند الله عظيما او عظيما في العقوبة عند الله وقوله ان تبدوا شيئا او تخفوه اي تبدوا شيئا للعباد او تخفوه
عنهم فان الله كان بكل شيء عليما اي ما ابديتم وما اخفيتم عليما لا يخفى عليه شيء يذكر هذا ليكونوا ابدا على حذر وخوف
والله اعلم وقوله لا جناح عليهن في ابائهن اي لا حرج ولا ماثم على النساء في دخول من ذكر عليهن بلا اذن ولا حجاب
من ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ذكر هؤلاء ولم يذكر الاعمام
ولا الاخوال فقال بعضهم انما لم يذكر هؤلاء ولم يبح لهم ذلك لانهن يحللن بالنكاح لاولادهم الاعمام والاخوال فاذا دخلوا
عليهن فراوهن متجردات متزينات فيصفوهن لاولادهم وقد يصف الرجل لولده حسن المرأة وفتحها فينزل وصفهم
اياهن لاولادهم منزلة رؤيتهم بانفسهم فيزيد لهم رغبة فيهن او رهبة عنهن والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن
انما لم يذكر الاعمام والاخوال لما في ذكر المذكور من بني الاخوة وبني الاخوات غنى عن ذكر الاعمام والاخوال لانهم جميعا
من جنس واحد ومن نوع واحد في معنى واحد وقد يكتفى بذكر طرف من الجنس اذا كان في معنى المذكور نحو ما ذكر من
اجناس المحرمات على الابلاغ وترك من كل جنس شيئا لم يذكره اذ الذي لم يذكره هو معنى المذكور ففي ذكر من ذكر غنى
عن الذي لم يذكر فعلى ذلك في ذكر بني الاخوة وبني الاخوات غنى عن ذكر الاعمام والاخوال اذ هم في معناهم والله اعلم
وجائز ان يكون لم يبح الدخول للاعمام والاخوال لانهم اذا دخلوا عليهن فراوهن متجردات فلعل بصرهم يقع على وجهه
فينظر اليها بشهوة فيخبر من على اولادهم وهم اذا تزوجوهن لم يعلموا انهن محرمات عليهم فمنع دخول الاعمام والاخوال
عليهن لذلك والله اعلم وقوله ولا نسائهن قال بعضهم اي نساء المسلمات يقول يحضر نساء المسلمات واباح لهن
الدخول عليهن بلا اذن وان يرينهن متزينات ولم يبح ذلك لليهوديات والنصرانيات وامثالهن مخافة ان يصفن
ذلك سبب افتتانهم بهن والرغبة فيهن والله اعلم وقال بعضهم نساؤهن قراباتهن حصر هؤلاء من بين غيرهن
من الاجنبيات وذلك يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا من خوف وصف الاجنبيات وذلك يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا

من

من خوف الاجتاب لازواجهن والمتصلين بهن من حسنهن وزينتهن اذا راينهن متجردات متزينات ولا يخاف ذلك من
قراباتهن والثاني خص القرابات لما بينهن ابتلاء وليس بالاجنبيات ذلك وقد يخف الحكم بما فيه الابتلاء ويغلظ فيما هو
اخف منه ودونه اذا لم يكن فيه ابتلاء وعلى ذلك جائز ان يقال ان الاعمام والاخوال لم يكن في الاية والرخصة لان ليس بهم
الابتلاء وبين ذكر ابتلاء والله اعلم وقوله ولا ما ملكت ايمانهن يحتمل الاماء خاصة كقوله والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم لم يفهموا منه سوى الاماء فعلى ذلك جائز ان يكون المفهوم من قوله ولا ما ملكت
ايمانهن الاماء ويحتمل الاماء والعبيد جميعا فان كان على الاماء والعبيد جميعا فذلك والله اعلم انما اباح الدخول للعبيد على مولياتهم
بلا اذن لانهم انما يدخلون عليهن ان حاجاتهن اليهم في اوقات معلومة وهن في تلك الاوقات يكن متاهبات له
لدخولهم عليهن محتجبات عنهم وعلى ذلك يخرج ما روي ان مكاتبا لعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها كان يدخل عليها فلما
ادى فعتق منعته عن الدخول عليها وهو لما ذكرنا انه كان يدخل عليها لوقت حاجتها اليه وكانت متاهبة لدخوله عليها
والا لا يحتمل ان يكون يدخل ويراها متجردة او متزينة بعد ما امرن بالاحتجاب فعلى ذلك العبيد لا يحل لهم النظر الى مولياتهم
ولا يكونوا محرما لهن او ان احتمل الاية العبيد فهم بالاذن يدخلون لا بغير اذن فيكون الاذن مضمرا فيه ثم قال واتقين
الله فيما ذكر من المنع دخول من لم يبح دخوله عليهن والنظر اليهن ان كان على كل شيء شهيدا هذا التحذير والتوعيد لهن
والله اعلم وقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ذكر في بعض الحديث
انه لما نزلت هذه الاية قيل له يا رسول الله هذا لك فما لنا فنزل قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم
من الظلمات الى النور الاية قد بين ما يصلونه عليهم وصلوة الملائكة وهو ما ذكر من اخراجهم من الظلمات الى النور
وهو دعاؤهم الى الهدى والرشد وذكر عن كعب بن عجرة قال لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قمت اليه فقلت يا رسول الله السلام قد عرفناه فكيف الصلوة عليك يا رسول
الله قال قل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد
وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد ففي الاية الامر للمؤمنين ان يصلوا على النبي ثم لما سأل
هو عن كيفية الصلوة عليه وماهيته قال لهم ان يقولوا اللهم صل على محمد وهو سؤال ان يتولى الرب الصلوة
عليه وفي ظاهر الاية هم المامورون بتولي الصلوة بانفسهم عليه لكنه صلوة الله عليه لما امروا بالصلوة عليه
وهو غاية من الثناء لم يرتق وسعهم وطاقتهم القيام بغاية ما امروا به من الثناء عليه امرهم ان يكلوا ذلك
الى الله ويفوضوا اليه وان يسالوه ليتولى ذلك هو دونهم لما يرتقي وسعهم القيام بغاية الثناء عليه والاية
في ظاهر الاية سؤال الرب ان يصلي هو عليه ولكن فيها الامر ان صلوا انتم عليه والله اعلم وقوله كما صليت وباركت
على ابراهيم واله تخصيص ابراهيم من بين غيرهم من الرسل يحتمل ما ذكره اهل التاويل انه ليس من اهل دين ومذهب
الا وهو يدعي ويزعم انه على دينه ومذهبه وانه يتاسى به لذلك خصه بالصلوة عليه من بين غيرهم من الانبياء و
جائز ان يكون لا لهذا ولكنه لمعنى كان فيه وفي سريرته لا نعرفه نحن خصه بذلك من بين غيرهم والله اعلم وقوله
وبارك على محمد البركة كانها اسم كل خير يكون ابدا على النماء والزيادة في كل وقت وقد ذكرنا فيما تقدم ما قيل في صلوة
الله عليهم وصلوة الملائكة وصلوة المؤمنين وقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
والاخرة اختلف فيه قال بعضهم نزلت الاية في اليهود حين قالوا يد الله مغلولة وهو فقير ونحن اغنياء وفي النصارى
حين قالوا المسيح ابن الله وانه ثالث ثلثة وفي المشركين العرب حين قالوا الملائكة بنات الله والاصنام الهة و
نحو ذلك واذاهم رسول الله حين شجوا له وكسروا رباعيته وقالوا انه مجنون وانه ساحر وامثال ذلك فانزل الله ان
الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله يقول عذبهم الله في الدنيا والاخرة فاما تعذيبه اياهم في الدنيا قتلهم
بالسيف يوم بدر يعني مشركي العرب واهل الكتاب بالجزية الى يوم القيمة وفي الاخرة النار وقال بعضهم قريب من
ذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله هم اصحاب التصاوير والتماثيل فلهم ما ذكر وقوله ان الذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا اي يقعون فيهم وقال بعضهم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في
الدنيا والاخرة هم الذين قذفوا عائشة بصفوان اذوا رسول الله في زوجته عائشة حين قذفوا وهي بريئة مما
قذفوا وقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات صفوان وعائشة وقال بعضهم نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وعلى هذا عذابهم في الدنيا الحد وفي الاخرة النار وجائز ان يكون هذا الوعيد في قاذف كل مؤمن ومؤمنة بغير ما
اكتسب والله اعلم وقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله اضافة الاذى على الله على ارادة رسوله خاصة لان
الله لا يجوز ان يقال انه يتاذى بشيء او يؤذيه شيء لان الاذى ضرر يلحق والله يتعالى عن ان يلحقه ضرر او نفع بل هو
القاهر الغالب القادر الغني بذاته ويكون المراد اضافة الاذى اليه رسوله خاصة على ما ذكرنا في قوله يخادعون
الله اي يخادعون رسوله او يخادعون اولياءه لان الله تعالى لا يخادع وكقوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا

دين الله بيضركم اذا ان تنصروا رسوله و اولياءه ينصركم و امثال ذلك كثيرا في القران نسب ذلك الى نفسه على ارادة
اوليائه فعلى ذلك هذا والله اعلم وبالله العصمة والتوفيق الا ان يريد بالاذى اعنى ما ذكر من اذى الله المعصية فهو
جائز وكذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اذانى فقد اذى الله اى من عصانى فقد عصى الله فى الاية
بيان وقوع المراد على الاختلاف والتفاوت من لفظ واحد لانه ذكرها هنا اذى رسول الله وعقب الوعيد الشديد
من اللعن والعذاب فى الدنيا والاخرة وذكر فى الاية التى قبلها حيث قال ان ذلكم كان يؤذى النبى وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله وما ذكر من الاذى ثم لاشك ان المفهوم من هذى الاذى المذكور فى هذه الاية غير المفهوم
من الاذى المذكور فى قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وان احدهما فى المؤمنين
والاخر الكفار وان كان ظاهر اللفظ فى المخرج واحدا وكذلك المفهوم من الظلم الذى ذكر فى قوله ومن يظلم منكم
نذقه عذابا كبيرا غير المفهوم من الظلم الذى قال ادم ربنا ظلمنا انفسنا والمفهوم من الضلال الذى قال موسى فعلتها
اذى وانا من الضالين لفرعون وسائر الكفرة وكذلك الفسق ومثل هذا كثير لا يجب ان نفهم من امثال هذا شيئا
واحدا او معنى واحدا وان كان اللفظ لفظا واحدا ولكن على اختلاف المواقع وفى الاية دلالة عصمة رسول الله وانه
لا يكون منه ما يستحق الاذى بحال وقد يكون من المؤمنين والمؤمنات ما يستوجبون الاذى ويستحقونه حيث
ذكر الاذى لرسول الله مطلقا مرسلا غير مقيد بشئ حيث قال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله وذكر اذى
المؤمنين مقيدا بشرط الكسب حيث قال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فدل شرط الكسب
على انهم قد يكتسبون ما يستحقون الاذى ويكون منهم ما يستوجبون ذلك واما الرسول فلا يكون منه ما يستحق
ذلك او يوجب له ولا اذى الا بالله واللعن هو الطرد فى اللغة طردهم عن رحمته وبعدهم عنها والبهتان قيل هو الذى
يقال بما ليس فيه ويبهت قيل تحير وانقطع حجاجه وقال بعضهم والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
انزل فى قوم همتهم الزنا بالاماء وكانت الحراير يومئذ يخرجن بالليل على زى الاماء فيتبعوهن ويطلبوا من الاماء
فكان ذلك يؤذيهم ويتأذين بذلك حيا فشكوا ذلك الى رسول الله فى ذلك فنزل والذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ثم امرن عند ذلك بالقاء الجلباب وارخائه عليهن ليعرفن انهن حراير وينهين ان
يتشبهن بالاماء لئلا يؤذين وهو قوله يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن
ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وقال بعضهم نزل هذا بالمدينة فى نساء المهاجرين وذلك ان المهاجرين
قدموا الى المدينة وهى ضيقة ومعهم نساؤهم فنزلوا مع الانصار فى ديارهم فضاق الدور عليهم فكانت
النساء يخرجن بالليل الى البراز فيقضين حوائجهن هنالك فكان المريب يرصد النساء بالليل فياتيها فيعرض
عليها وانما كان يطلبون الولايد والاماء فلم تعرف الامة من الحرة بالليل لان زيى كان واحدا يومئذ
فذكر نساء المؤمنين ذلك الى ازواجهن ما يلقين بالليل من اهل الريبة والفجور فذكروا ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الى اخر
ما ذكر امر الحراير بارخاء الجلباب واسداله عليهن ليكون علما بين حراير والاماء وروى عن عمر رضى الله عنه
ان جارية مرت به متقنعة فضربها بالدرة وقال اكشفى قناعك ولا تتشبهى بالحراير وامر الاماء بكشف
ما ذكر والحراير بستر ذلك وقد امر الحراير فى سورة النور بضرب الخمر على الجيوب بقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن
لئلا يظهر الزينة التى على الجيوب ونهين ان يظهرن ويبدين زينتهن للاجنبيين الا ما ظهر منها وامرهن فى
هذه الاية على ارخاء الجلباب واسداله عليهن ليعرفن انهن حراير فلا يؤذين بما ذكرنا ثم اختلف فى الجلباب
قال بعضهم هو الرداء والجلابيب الاردية وهو قول القتبى امرن ان يلبسن الاردية والملاء وقال ابو عوسجة
الجلابيب المقانع الواحد جلباب يقال تجلببت اى تقنعت وهو الذى يكون فوق الخمار وفى الاية دلالة رخصة خروج
الحراير للحوائج لانه لو لم يحل لهن الخروج لم يؤمرن بادخال الجلباب على انفسهن ولكن ينهاهن عن الخروج فدل انه يجوز لهن
الخروج للحاجة والله اعلم **وقوله** لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض جائز ان يكون قوله لئن لم ينته
المنافقون عما سبق ذكره من التعرض للنساء بالزنا والفجور بهن وانهم هم فاعلون لذلك بهن واما المسلمون فلا
يحتمل ان يتعرضوا الشئ من ذلك لو قت فقال لئن لم ينته المنافقون ومن ذكر عن ذلك يفعل بهم ما ذكر وقال
بعضهم ان اهل النفاق كانوا يرجفون اخبار العدو ويذيعونها ويقولون قد اتاكم عدد وعدة من العدو كقوله
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يخيفونهم ويضعفونهم لئلا تغزوا اولئك الكفرة
ليسرون النفاق والخلاف لهم ويظهرون الوفاق ويسرون فيما بينهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول فنهوا عن ذلك حيث قال فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول فنهوا عن ذلك فقال هاهنا
لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض سنبعهم ذلك لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا لنغرينك

غير المفهوم من الضلال مع

بهم اى لنسلطنك عليهم وقال بعضهم لنحملنك عليهم وقال بعضهم لنولعنك بهم وكان الاغراء هو التخلية بينه وبينهم حتى
يقاتلهم بالسيف ويقتلهم وكان قبل ذلك يقاتلهم بالحجة فامر بالمقاتلة بالسيف فى هذا الوقت واخبر انهم ملعونين
اينما ثقفوا اى ظفر وجدوا اخذوا وقتلوا لان اللعن هو الطرد وانهم يقتلون تقتيلا وانهم لا يجاورونك الا قليلا
لا تعلم بهم وقوله والذين فى قلوبهم مرض قال بعضهم هم الزناة والمنافقون هم المنافقون والمرجفون [illegible]
وكانهم قوم كانوا يحبون ان يفشوا الاخبار ويقال الاراجيف [illegible] الذى كان
فى [illegible] والذين فى قلبه مرض هو الذى فى قلبه ريب واضطراب لم يكن مع الخوف [illegible]
والمنافق **وقوله** سنة الله فى الذين خلوا من قبل قال بعضهم سنة الله فى الامم السالفة الاهلاك [illegible]
يكون قوله سنة الله فى اهل النفاق من الامم السالفة ما ذكر فى هؤلاء وقال مقاتل فى الذين خلوا من قبل اهل بدر
اسروا وقتلوا والله اعلم **وقوله** سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا **وقوله** يسألك الناس عن الساعة
عنها ما ذكر فى اية اخرى حيث قال يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها فقال قل انما علمها عند الله فيه
دلالة اثبات رسالة رسول الله لانه سئل عنها فوض وقتها الى الله [illegible]
على انه لم يعلم بما يفعله [illegible] فى الدنيا اذا سئلوا عن شئ قالوا شيئا وان لم يعلموا [illegible]
لهم فاذا لم يفعل صلى الله عليه [illegible] قال علمها عند الله دل انه رسول الله
اليهم **وقوله** وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا فى [illegible]
الساعة تكون قريبا لعل يخاف لعل من الله واجب [illegible]
قريب والله اعلم **وقوله** ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا [illegible]
وعجزين عليه واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا [illegible]
على الجهمية لانهم يزعمون ان الجنة والنار تفنيان [illegible]
لان الشئ الغير المتناهى خارج عن علمه [illegible]
بالمتناهى انه متناهى ولا يجوز ان يخرج شئ عن علمه متناهيا كان او غير متناهى وعلمه بالمتناهى انه متناهى ويجوز ان يخرج شئ
عن علمه متناهيا كان او غير متناهى وبالله العصمة واما العلاف فلانه يقول ان اهل الجنة واهل النار يصيرون بحال فى
وقت ما حتى اذا اراد الله ان يزيد لاحد منهم لذة او نعمة او عذابا لم يملك عليه او كلام نحو هذا فنعوذ بالله من السرف فى
القول على الله **وقوله** لا يجدون وليا ولا نصيرا ما طمعوا فى الدنيا ورجوا من كثرة الاسباب والحواشى وعبادة الاصنام
وغيرها ان ينفعهم ذلك وينصرهم فى الاخرة بل ضل عنهم ذلك وجروا على ما اخبر وضل عنهم ما كانوا يفترون والله اعلم **وقوله**
يوم تقلب وجوههم فى النار وقال فى اية اخرى الذين يحشرون على وجوههم واصله ما ذكر فى قوله افمن يمشى مكبا على وجهه
اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم يفعل بهم فى الاخرة على ما كانوا فى الدنيا **وقوله** يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا لا يزال الكفرة قائلين لهذا القول مترددين له فى الاخرة لما راوا من العذاب يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا الرسول المطلق رسول الله والسبيل المطلق هو دين الله هو المعروف فى القران **وقوله** وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا فاضلونا السبيلا قال بعضهم السادة الملوك والكبراء العلماء وجائز ان السادة القادة والكبراء دونهم و
الرسولا والسبيلا اثبتوا الالف فيه عند الوقف واما عند الوصل فلا وذلك ان من عادة العرب ان لا تقف على الحركة
ولكن تولدها الفا اذا كانت فتحة واذا كانت كسرة ياء **وقوله** ربنا اتهم ضعفين من العذاب ظنوا ان يكون لهم بعض النسلى
والفرج اذا راوا ولئك الذين اضلوهم فى زيادة من العذاب على ما يكون للرجل بعض التسلى اذا راى عدوه فى بلاء وشدة ثم لم
يكن لهم من ذلك تسلى بل كان لهم من ذلك زيادة عذاب وشدة فقالوا عند ذلك يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس
القرين الاية **وقوله** يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا يقول عامة اهل التاويل
ان موسى كان لا يغتسل فما يراه احد فقال بنو اسرائيل اتدرون على ذلك عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان بنى اسرائيل
طعنوا فى نبى الله موسى بذلك فذهب ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على حجر فسعى الحجر بثوبه فجعل موسى يعدو فى اثره ويقول
حجرى يا حجر ثوبى حتى مر به على ملاء بنى اسرائيل فعلموا انه ليس به شئ فذلك قول فبراه الله مما قالوا وكان موسى تبا ذكى
ما كانوا يطعنون فيه فعلى ذلك رسول الله كان ينادى اذا قالوا زيد بن محمد فامر ان يدعوه لابيه بقوله ادعوهم لابائهم
هو اقسط عند الله زيد بن حارثة لكن هذا التاويل بعيد لان موسى كان يدعوهم الى ستر العورة لا يحتمل ان يطعنوا هم
في الاغتسال معهم وان يكشف عورته لهم او ينظر الى عورة احد هذا وحش من القول او يسلط حجرا فيذهب بثيابه
حتى يراه الناس متجردا والله اعلم وقال بعضهم اذوه لانه خرج بهرون الى بعض الجبال فمات هرون هنالك فرجع موسى
اليهم وحده فقالت بنو اسرائيل لموسى انت قتلته حسدا فقال موسى ويلكم انقتل الرجل اخاه فاذوه بذلك فقال
لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا لما حملته الملائكة فوضعته بينهم فقال لهم لم يقتلنى احد انما مات

والعنهم لعنا كبيرا جائز ان يكون هذا اى لعنهم ... وقوله مع

اجلى فتبدلت قوله فبرأه الله مما قالوا هذا يشبه ان يكون وغيره كانه اقرب واشبه وهو ما كان قوم كل رسول نسبوا رسولهم الى الجنون مرة والى السحر ثانيا وانه كذاب مفترى ونحوه علم علم منهم انه رسول الله ولا شك انهم كانوا يتاذون بذلك او لذلك قال واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون انى رسول الله اليكم لا يحتمل ان يكون هذا فى الاول لانهم لو كانوا علموا انه ليس به ما ذكروا لم يوذوه فدل ان اذاهم اياه فى ما ذكرنا وفى امثال ذلك وكذلك ما نهى قوم رسول الله من الاذى له لما نسبوه مرة الى الجنون والى السحر ثانيا والى الافتراء والكذب على الله ثالثا لا يعاد كرا ولئك وكان عند الله وجيها اى مكينا فى القدر والمنزلة والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يحتمل ان يكون قوله اتقوا الله اى اتقوا الشرك فى حادث الوقت وقولوا قولا سديدا اى اشهدوا بالتوحيد فى رحانه الوقت لانه انما خاطب به المؤمنين يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم اى بالتوحيد لانه بالتوحيد يصلح الاعمال ويتذكر به ويغفر ما كان من الذنوب وبه يكون الفوز العظيم وبالله التوفيق ويحتمل قوله اتقوا الله فى الخيانة فيما بينكم وبين الخلق اى لا تخونوا الخلق وقولوا قولا سديدا اى صدقا وحقا اى لا تكذبوا ولا تقولوا فحشا ونحوه ويحتمل اتقوا الله ولا تعصوه واعملوا بالمعروف وانهوا عن المنكر وقولوا قولا سديدا ومرادا الناس والهوا عن المنكر يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم الى اخر ما ذكر والله اعلم وقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال قد تكلف اهل التاويل تفسير هذه الامانة المذكورة فى الاية قال بعضهم هى كلمة الشهادة والتوحيد ومن قال هى جميع الفرائض التى افترض الله على عباده ومنهم من قال هى الصلوة والصيام والحج وامثاله وجميع الامر ونواهيه لكن التكلف والاشتغال بالتكلم فى ماهية هذه الامانة المذكورة المعروضة على من ذكر فضل لا يجب ان يتكلف تفسيرها انها كذا لانها مبهمة لا يعلم الا بالخبر الوارد عن الله تعالى انها كذا وان يجعل ذلك من المكتوم لا يشتغل بالتفسير والله اعلم بذلك ثم اختلف فيما ذكر من عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال وما ذكر من ابائها عن احتمالها والاشفاق فقال بعضهم قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ومن ذكر اى خلقنا خلق ما ذكر من السموات والارض والجبال خلقة لا تحتمل حمل ما ذكر من الامانة فابين ان يحملنها اباء خلقة اى لم يخلق خلقتها بحيث لا تحتمل ذلك وحملها الانسان اى خلقنا خلقة الانسان خلقة تحتمل ذلك الى هذا يذهب بعضهم عرضنا حقيقة العرض الا انه على التخيير بين ان يقبل ويحمل وفى ذلك فيكون لها الثواب او لا يقبل فيكون لها العقاب فى الاخرة وبين ان لا تحمل ولا تقبل فتكون كساير الموات تفنى بفناء الدنيا لا ثواب لها فى الاخرة ولا عقاب والا ان يعرض عليهن ما ذكر عرض لزوم وايجاب ثم بين ما بين ذلك ويشفقن منها وقد وصفهن الله بالطاعة له والخضوع فى غير اى من القران حيث قال فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقالوا لو انزلنا هذا القران على جبل الاية وقال فى اية اخرى يسبحن والطير وكذا ونحوه ولكن ان كان على حقيقة العرض فهو على التخيير الذى ذكرنا وحملها الانسان فكان له الثواب ان قام بها وعليه العقاب ان لم يقم وقال بعضهم قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال اى اعرض على اهل السموات واهل الارض واهل الجبال فلم يحملوها الا الانسان فانه حملها انه كان ظلوما جهولا قال الحسن ظلوما لنفسه جهولا لامر ربه وقال بعضهم وانا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها اى ابين ان يعصين الله واشفقن منه اى لم يعصوا قط وحملها الانسان اى عصى الانسان ربه فيجعل الحمل كناية عن العصيان والوزر يقول لانه ما ذكر فى القران الحمل الا فى الوزر والخطايا كقوله ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة وقوله ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ونحوه كثير وقوله انه كان ظلوما جهولا الى اى تاويل من هذه التاويلات التى ذكرنا صرف هذا اليه استقام والله اعلم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الامانة العبادة قال الله تعالى للسموات والارض والجبال تاخذن العبادة بما فيها قلن يا رب وما فيها قال ان احسنتن جزيتن وان اسأتن عوقبتن فابين ان يحملنها واشفقن منها اى خفن وعرضت على الانسان فقبلها وهو قول الله لبنى ادم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون اما خيانتهم الله ورسوله ومعصيتهما واما خيانة الامانة تركهم ما افترض الله عليهم من العبادة فتارة يقول اما والله ما بهن معصية ولكن قيل لهن اتحملنها وتؤدين حقها قلن لا نطيق ذلك فقبل الانسان وهو ادم اتحملها وتؤدى حقها قال نعم انه كان ظلوما جهولا اى حقها وفى حرف ابى وابن مسعود وحفصة فابين اى فلم يطقنها وقال ابو معاذ الاباء فى كل كلام العرب على وجهين احدهما هذا وهو العجز والاخر قوله الا ابى اى عصى وترك الامر والحسن يقول عرضت الامانة على السموات وما ذكر فقيل لهن انا خذنا الامانة بما فيها قلن يا رب وما فيها قيل لهن ان احسنتن جزيتن وان اسأتن عوقبتن قلن لا وحملها الانسان انه كان ظلوما لنفسه جهولا بربه وهو المثل الاول وقال بعضهم كان ظلوما لنفسه فى ذكره المعصية جهولا بعاقبة ما

على والوجه فيه ما ذكرنا بدءا انه لا يفسر الامانة انها ما هى وكيف كان ذلك العرض على من ذكر من السموات والارض والجبال وابائهن واشفاقهن والله اعلم ما اريد بذلك وقوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله من ذكر اى ليعذب من علم انه لا يقوم بوفائها ويضيعها التى الامانة التى احتملها وانما نسبها من ذكر من المنافقين والمشركين ويثيب من لم يضيعها وقام بوفائها وهم المؤمنون قال ابو عوسجة السداد الاستقامة تقول سدد لك وقال ابو عبيدة السديد القصد وكذلك قال القتبى والقصد كانه العدل والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله قال اهل التاويل حمد نفسه بان صنع الى خلقه ثم هو يخرج على وجهين احدهما على التعليم خلقه الحمد له والثناء عليه لالائه واحسانه الى خلقه ما لولا تعليمه اياهم الحمد له والثناء عليه لم يعرفوا ذلك والثانى حمد نفسه لما لم يرا فى وسع الخلق والقيام نعاته الحمد له والثناء عليه على الائه واياديه ذلك بنفسه وقوله وهو ما ذكر فى قوله صلوا عليه وسلموا تسليما فقالوا قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلوة فقال ان تقولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الى اخره فهذا تفويض الصلوة الى الله والدعاء له ان يصلى هو عليه دونهم فهو والله اعلم كانه لم يرفيهم وسع القيام بحقيقة الصلوة عليه ولا بغاية الثناء فامرهم ان يفوضوا ذلك اليه لكونه هو القاضى لذلك عنهم فعلى ذلك الحمد لله واصل الحمد له هو الثناء عليه بجميع محامده واحسانه باسمائه الحسنى والشكر على جميع نعمائه الاية وقوله الذى له ما فى السموات وما فى الارض كانه قال والله اعلم الحمد لله الذى له ملك السموات وهو المستحق له لا الاصنام التى عبدتموها وسميتموها الهة وقوله وله الحمد فى الاخرة وقال بعضهم له الحمد فى الاخرة اى يحمده اهل الجنة اذا دخلوا الجنة كقوله الحمد لله الذى هدانا لهذا وقوله الحمد لله الذى صدقنا وعده وقوله الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ونحوه يحمده اولياؤه فى الاخرة ويحمده اولياؤه فى الاولى كقوله له الحمد فى الاولى وجائز ان يكون قوله له الحمد فى الاخرة اى له الحمد فى انشاء الاخرة لهذا انشاء الدنيا وما فيها انما كان حكمة بانشاء الاخرة ولو لم يكن انشاء الاخرة لكان خلق ذلك كله عبثا باطلا فانشاء الاخرة صير انشاء الدنيا وما فيها من الخلائق حكمة واخبر ان له الحمد على انشاء ما صار انشاء الدنيا حكمة والله اعلم وقوله وهو الحكيم الخبير قد تقدم معنى الحكيم فى غير موضع وهو الذى لا يلحقه الخطاء فى التدبير وهو الواضع كل شئ موضعه والفلاسفة يقولون الحكيم هو الذى يجمع العلم والعمل جميعا وهو ما ذكرنا والحكيم لما احكم كل شئ وانقنه حتى شهد كل شئ على وحدانيته ودل على الهيته وقوله يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يخبر ان الارض مع كثافتها وغلظها لا يحجب عنه ما يدخل فيها وما يخرج منها وكذلك السماء مع صلابتها وشدتها لا يحجب عنه شئ كما يحجب عن الخلائق ويخبر ان كثرة ما يدخل فى الارض ويخرج منها وازدحامه وكثرة ما ينزل من السماء من الامطار وما يعرج اليه من الدعوات والملائكة لا يشغله عن العلم بالاخر كما يشغل الخلائق لانه عالم بذاته لا بسبب والخلق عالمون باسباب فعلمهم بسبب يشغلهم عن الاسباب الاخر فاما الله سبحانه وتعالى عن ان يشغله شئ او يحجب عنه شئ وهو الرحيم الغفور وقوله وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربى لتاتينكم قال بعضهم انهم اقسموا باللات والعزى ان لا بعث ولا حيوة بعد الموت فامر الله نبيه ان يقسم بالله الواحد بلى بعث وقيامة بقوله قل بلى وربى لتاتينكم وجائز ان يكون على غير هذا وهو ما قال فى اية اخرى حيث قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا هم اقسموا بالله انه لا يبعث من يموت فامر رسوله فى هذه الاية ان يقسم بالله الذى اقسموا انه يبعث وهو قوله قل بلى وربى لتاتينكم وكان قسمه بما اقسم عندهم اصدق من قسمهم لانهم لم ياخذوا عليه كذبا قط ولا اتهموه فى شئ يدل على ذلك ما اخبر الله عنهم حيث قال قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اخبر انهم لا يكذبونك فى مقالتك ولكن همهم جحود الايات والكادها فيكون قسمه مقابل قسم اولئك فى انكارهم البعث ليعلم كذب انفسهم فى قسمهم بقسم رسول الله بما ذكرنا والله اعلم وقوله عالم الغيب بالخفض وقرئ عالم الغيب بالرفع وعلام الغيوب فمن خفضه جعله صفة ونعتا لما تقدم من قوله قل بلى وربى عالم الغيب ومن رفعه جعله على الابتداء ويجعل الكلام تاما بقوله وربى لتاتينكم ثم استانف فقال عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة ثم قوله لا يعزب عنه قد قرئ برفع الزاء وخفضها لا يعزب وكلاهما لغتان والعازب فى كلام العرب الغايب وقال بعضهم لا يعزب اى لا يبعد وهما واحد وقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وقال فى الاولى يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها جائز ان يكون هذه الاية فى جواهر الاشياء واجناسها المختلفة لانه اخبر عن علمه بما يلج فى الارض وما يخرج منها وما يصعد فيها وما ينزل وذلك علم جواهر الاشياء وقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة الى اخر ما ذكر فى الافعال والاعمال يخبر انه لا يخفى عليه شئ ولا يغيب عنه شئ من افعالهم واعمالهم لتكونوا ابدا على حذر والا ترى انه على اثر ذلك الجزاء حيث قال ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك ... احدا الا انه ذكر

في الاية الاولى الداخل في الارض والخارج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ولم يذكر في ذلك الساكن فيهما والمقيم وما
يكون فيهما فذكر ذلك في قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض يخبر عن احاطة علمه بالاشياء كلها من الساكنة
والمقيمة والمتحركة والمنقلبة فيها والله اعلم وقوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والمغفرة
هي التغطية والستر ثم يكون الستر بوجهين احدهما يستر على اعين الزلات انفسها ان لا تذكر والثاني يستر بالجزاء الحسن اذا لم
يجز لزلات هذا المؤمنين يستر عليهم الزلات مرة يترك ذكرها ومرة بترك الجزاء عليها واما الكافر فانه اذا جرى على سيئة فقد
اظهر وفشى ولم يستر عليه او ان يكون قولها ولئك لهم مغفرة اى ستر وهو انه اذا ادخلهم الجنة انساهم زلاتهم حتى لا
يذكرون ابدا لان ذكر زلاتهم لربهم يبغض عليهم لذاتهم وتنعمهم وقوله ورزق كريم قيل الكريم الحسن وجايز ان يكون
سماه كريما لان من ناله كرم وشرف كقوله اولئك في جنات مكرمون والله اعلم وقوله والذين سعوا في اياتنا معاجزين
يحتمل حقيقة سعيهم في اياته بما ذكر كقوله وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ذكر وهم
عليها والاعراض عنها فهو فسعي وجايز على التمثيل اى يعملون عمل من اعجز الايات بالجحود لها والرد والعناد والمعجز هو
المسابق وما انتم بمعجزين في الارض اى مسابقين فائتين اى لا يعجزونني ولا تفوتون عني اولئك لهم من رجز
اليم الرجز العذاب الاليم اى مولم وذلك جايز في اللغة وقال ابو عوسجة المعاجز الهادب يهرب لكي يعجز وقوله ويرى
الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق قال بعضهم الذي اوتوا العلم هم المؤمنون مؤمنوا اهل الكتاب
الذين اوتوا العلم علم التورية والانجيل وغيرهما يقول والله اعلم يعلم الذين اوتوا منافع تلك الكتب ان ما انزل اليك
من ربك هو الحق باجمعهم جميعا الذين اوتوا العلم بتلك الكتب لما يجدون نعته وصفته فيها يعلمون انه هو الحق من ربك
لكن بعضهم عاندوا ولم يؤمنوا به وبعضهم قد امنوا به وقال بعضهم قوله ويرى الذين اوتوا العلم هم اصحاب محمد صلوات الله
اى الذين اوتوا منافع ما انزل اليهم يعلمون انه هو الحق من ربك فاما من لم يوت منافع العلم فلا يعلم وفي حرف ابن
مسعود ويعلم الذين اوتوا الحكمة من قبل الذي انزل اليك من ربك هو الحق يعني القران وقوله ويهدي الى صراط العزيز
الحميد قوله يهدي يحتمل يدعو ويحتمل يهدي اى يبين لهم صراط العزيز الحميد وقوله وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل
ينبئكم كان بعضهم يقول لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد قولها اذا مزقتم يحتمل انه
قال لها النبي يقول اذا تفرقت جوارحكم او عضا وكم تكونوا خلقا جديدا فان كان على هذا فهو والله اعلم كانه من اهل الدهر
ذلك القول لانهم يقولون بقدم العالم ولا يقولون بفنائه لان اهل مكة كانوا فرقتين فرقة تذهب اهل الدهر وفرقة
يقولون بحدث العالم ويقرون بفنائه لكنهم ينكرون احياء بعدما لفنا فان كان ذلك من هولاء فيكون قوله ينبئكم
اذا مزقتم كل ممزق اى اذا ذهبت اجسادكم وبقيت اللحوم والعظام وكنتم رمادا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اى تكونوا
خلقا جديدا يخرج ذلك منهم على احد وجهين اما على استبعاد في ذلك في وهامهم وعقولهم انه لا يكون ذلك او على
النبي انه كيف يكون ذلك فقالوا عند ذلك افترى على الله كذبا ام به جنة يقولون على الله كذبا ام به جنون اذ لم
يسمع ذلك من احد من قبل ولا كذا بل اثر كان ذلك انه كان ما ذكر فرد الله ذلك عليهم وقال بل الذين لا يؤمنون بالاخرة اى
بالبعث والاحياء بعد الموت هم المفترون على الله هم في العذاب والضلال البعيد جزاء قولهم ام به جنون يقولون انهم
في شقاق بعيد كانه هو الذي لا يرجع الى الهدى ابدا فيكون الاية في قولهم علم الله انهم يختمون على الضلال ولا يؤمنون
ابدا فيكون في ذلك دلالة اثبات الرسالة وقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض قد ذكر قوله
افلم يروا اولم تروا ونحوه انه يخرج على وجهين احدهما قد رأوا على الخبر والثاني على الامر انظروا الى ما بين ايديهم وما
خلفهم من السماء والارض ثم يقول بعضهم لبعض حيثما قدم الانسان اذ بين يدي من السماء مثل الذي بين خلفه
وكذلك الارض وقتادة يقول لينظروا وكيف احاطت بهم السماء والارض وهما واحدان نشا نخسف بهم الارض
كما خسفنا من كان قبلهم ونسقط عليهم كسفا من السماء اى عذابا من السماء كما انزل على من كان قبلهم بالتكذيب
والعناد يذكر هذا على اثر قولهم افترى على الله كذبا ام به جنة او لم تنظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء و
الارض لتعرفوا ان قولهم انه رسول الله وانه صادق وان ما يقول انه يبعث بعد الموت وان العذاب ينزل بهم لا عن جنون
ذلك عن علم وعقل ومعرفة لان من قدر على انشاء السماء من سعتها وغلظها وشدتها وكذلك الارض قدير
على البعث وخسف من يشاء وانه لا يعجزه الخسف واسقاط السماء على من يشاء ان اسقطوا وتقولوا ونصرا في قوله ان في
ما ذكر من السماء والارض عبثا بلا وليكن انشاءها على الحكمة وعابا ليس انشاءها حكمة بالبعث والاحياء بعد الموت
ومصيرهم اليه واما لفناها خاصة فلا يكون حكمة والله اعلم ما اراد بذلك وقوله ان في ذلك لاية لكل عبد منيب المنيب
قيل هو المطيع لله وقيل هو المقبل على الامر الله والمنيب كانه هو المؤمن لانه هو المصدق بالايات فاذا كان المؤمن
هو المصدق بالايات فيكون هو المنتفع بها فيكون له الاية واما المكذب بها فلا ينتفع بها فلا يكون الاية له في الحقيقة
وقوله ولقد اتينا داود منا فضلا اى على كفؤ له ولقد اتينا داود وسليمان علما وقال بعضهم فضلا اى بينا وقال

بعضهم الفضل هو الملك الذي اتاه الله وجايز ان يكون ما ذكر من الفضل انه اتاه هو ما ذكر على اثره من تسخير الجبال والطير
والتسبيح معه والانة الحديد له بلا نار ولا شيء حتى اتخذ منهم ما شاء ان يتخذ من الدرع والات الحروب وقد اتى الله داود
من الفضل ما لو تكلفنا عده واحصاء ما قدرنا عليه وقوله يا جبال اوبي معه قيل سبحي معه وقوله والطير من نصب الطير
جعلها مسخرة له كانه قال سخرنا له الطير ومن رفعها جعله على النداء يا طير اوبي معه اى سبحي معه ثم اختلف في تسبيح هم
الجبال والطير قال بعضهم تسبيح خلقة لا تسبيح قول ونطق لما جعل في خلقة كل شيء الشهادة له بالوحدانية والالوهية
لكن ذكر ههنا ان سبحي معه ولو كان التسبيح مع داود فائدة لان تسبيح الخلقة يكون كان معه داود او لم يكن ولكن جايز
ان يجعل الله تعالى في سيرة الجبال من التسبيح ما يفهم منها داود ولم يفهم ذلك غيره على ما ذكرنا في قبل النملة لسائر النمل
حيث قال قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الاية جعل الله تعالى في سيرة النمل معنى القي ذلك في مسامع سليمان
ففهم منها ذلك ولم يلق ذلك في مسامع غيره من الجنود فعلى ذلك تسبيح الجبال والطير والله اعلم وقوله والنا له الحديد
جعل له اية لنبوته لما الان له الحديد بلا نار ولا سبب يلينه حتى كان يعمل منه ما شاء ولم يجعل في وسع احد من الخلايق
سواه استعمال الحديد الا بالنار واسباب اخر ليكون له في ذلك اية وقوله ان اعمل سابغات كانه قال والنا له الحديد و
قلنا له ان اعمل سابغات قال بعضهم السابغات هي الدروع وقال بعضهم هي الواسعات وقيل هي الطوال فكانه امر ان يتخذ من الدروع
ما يأخذ من الراس الى القدم ما يصلح لحربا لعدو وقوله وقدر في السرد قال بعضهم كانت الدروع قبل ذلك صفايح مضروبة
فسرد فيها الله خلقا بعضها في بعض والسرد المسامير والخلق يقول قدر المسامير في الخلق لا تدق المسامير وتوقع
الحلق فتسلسل ولا تضيق الحلق وتعظم المسامير فتقصم وتكسر ولكن مستويا لتكون احكم قال ابو عوسجة والقتبي
وقدر في السرد في النسج اى لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق ومنه قيل لنساج الدروع سراد
وزراد كما يقال صراط وسراط وزراط والسرد الخرز ايضا وقال غيره السرد الحروف فطبق الحلق وادخال الحلق
بعضها في بعض وقوله واعملوا صالحا جايز ان يكون قوله اعملوا صالحا فيما ذكر من عمل الدروع ويحتمل في غيره من الاعمال
انه بما تعملون بصير هو على الوعيد والله اعلم وقوله ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر اى تجري بالريح
في غدوها مسيرة شهر وفي رواحها مسيرة شهر وذلك انه له فضلها من الاية كان لرسول الله حيث اسرى في
ليلة واحدة مسيرة شهرين من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما كان لسليمان من الملك بالاعوان مما كان لسليمان
من الملك بالاعوان من الجن والانس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حيث قال نصرت بالرعب مسيرة
شهرين اعظم مما كان لسليمان فلا يكون دونه وما كان لابيه داود من الاية الحديد له بلا سبب وما ذكر كان
لمحمد انشقاق القمر له وذلك اعظم في الاية مما ذكر وما كان لموسى من انفجار العيون من الحجر كان لمحمد من اصابعه حتى ذكر انهم
كانوا الفا واربعمائة نفر شربوا جميعا منه ورووا وذلك ان لم يكن اعظم في الاية لا يكون دونه وما كان لعيسى من احياء الله
الموتى واجرائه على يديه كان لمحمد مقابل ذلك كلام الشاة المصلية المسمومة التي اخبرته انها مسمومة فلا تتناوله
حين لما اراد التناول منها فايات كثيرة حتى لم تذكر الاحد من الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اية الا ويمكن ان يذكر لمحمد
جميعا مقابل ذلك مثلها او اعظم منها ثم يحتمل ذكر ملك سليمان وابيه لئلا يحسد واحدا عليه الصلوة والسلام على ما اعطاه
الله له من الملك والشرف ليعرفوا انه ليس هو المخصوص بالملك والشرف وتكن له في ذلك شركاء ولخوان اعظام انه مثل
ذلك والله اعلم وقوله وارسلنا له عين القطر قيل النحاس وقيل الصفر قيل اسلنا له جعل به ما احب كما الين لابيه الحديد
فيعمل به ما احب من الدروع وغيرها بلا سبب والله اعلم وقوله ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه قيل بامر ربه اى
سخر الله الجن له وامرهم بطاعته في جميع ما يأمرهم فيما احب شاؤا او كرهوا يخرج قوله باذن ربه على وجهين احدهما على التسخير له
فيكون الاذن كناية عن التسخير والثاني باذن ربه اى بامر ربه اى امرهم ربهم ان يطيعوه في جميع ما يؤمرون ويزيغ وقوله
ومن يزغ منهم عن امرنا اى عصاه فيما امر به نذقه ما ذكر يحتمل اضافة امره الى نفسه لما يأمره ما يستعملهم فيما يستعملهم
والله اعلم وقوله يعملون له ما يشاء من محاريب قال المحاريب هي المساجد وقال بعضهم هي القصور والمحاريب هي اشرف
المواضع ذكر كناية عن غيرها والله اعلم وقوله وتماثيل قال بعضهم هي التماثيل كهيئة تماثيل الرجال يصودون في المساجد
تماثيل الرجال العباد الزهاد والملائكة والنبيين والرجال المتواضعين لكي اذا راهم الناس مصورا عبدوا عبادتهم و
تشبهوا بهم او ان يكون تماثيل لا رأس لها نحو الاواني والكيزان ونحوها او ان يكونا التماثيل يومئذ غير منهي العمل بها فاما
اليوم فقد نهوا عن العمل بها مخافة ان يعبدوا ذلك لا عبادة غير الله ولذلك اغر ابليس قوما حتى عبدوا الاصنام فالاصنام
من الاصنام ولانها ما تغير به المرء على عبادته والله اعلم وقوله وجفان كالجواب قال بعضهم القصاع كالجواب كهيئة حياض
الابل حتى يجلس على القصعة الواحدة الف وزيادة يأكلون منها وقال بعضهم وجفان كالجواب اى كالحوبة من الارض
التي يحفر الماء يعظم ذلك فيه انهم كانوا يجتمعون في الاكل لا ينفرد دونه وقوله وقدور راسيات اى كانوا
يتخذون له قدورا عظاما في الجبال التي لا تحرك من مكانها راسيات اى ثابتات كما ذكر والجبال الرواسي اى الثوابت

وقال بعضهم وقدور راسيات هي القدور العظام التي افرغت افراغا واكفيت لعظمها اكفاء وهما واحد والله اعلم
وقوله اعملوا آل داود شكرا قال بعضهم اي اعملوا لآل داود شكرا لانه ذكر انه ليس من زمان في ليل ونهار الا ويكون
من آل داود دايما بالنهار ومصليا بالليل او كلام نحوه فامروا بالشكر لهم وقال بعضهم كانه قال اعملوا يا آل داود
شكرا لما اعطيتكم من الملك والفضل وقليل من عبادي الشكور اي قليل من عبادي المؤمنين والشكور كناية عن المؤمن
على ما ذكرنا في قوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن والله اعلم قال ابو عوسجة والقتبي واسلنا له
عين القطر اي اذبنا له عين النحاس والشكور هو الشكور والفعول والفعال هما اللذان يكثران الفعل فكان الشكور
لربه ويشكر مع الاعتقاد فيكون منه الاعتقاد والمعاملة جميعا وقوله فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة
الارض ذكر هذا ان موته كان بحضرة اهله وبمشهد منهم حيث ذكر ما دلهم على موته الا ان دابة الارض تاكل منساته ثم
ثم يذكر بعض اهل التاويل انه سال ربه ان يعمي على الجن موته حتى يعلمه الانس انهم كانوا يعلمون الغيب اعني الجن ما
لبثوا في العذاب المهين وبعضهم يقول سال ربه ان يعمي على الجن موته حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس فقد ابوا حولا يعملون
فلما فرغوا من بنائه خر سليمان ميتا من عصاه وكان متكئا عليها وبعضهم يقول ما حضره الموت وكان على فراشه في البيت
لم يكن على عصاه فقال لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس وكان بقي عليه سنة ففعلوا فلما فرغوا من بنائه
خر عليه الباب والباب فعند ذلك علمت الجن بموته والله اعلم وقوله فلما تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب المهين في حرف ابن مسعود فلما قضينا عليه الموت وهم يدابون له حولا ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل
منساته فلما خر تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين لانهم كانوا يدعون علم الغيب
فابتلوا بذلك ودل قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض على انهم كانوا لا يدنون منه لاحد وجهين اما الهيبة و[سلطانه] له
على الناس فان ذلك اطاع له كل شيء وخضعوا له من الجن والطير والوحش وغير ذلك او لما كان يكثر عبادة الله و[الخضوع]
بوحده وتفرد بنفسه لم يحضروا ان يدنوا منه والا لو دنوا منه لرواه انه مات او انه الموتى اللهم الا ان يكون بعضهم اتى
لا هله لا تخبروا احدا بموتي وامرهم ان يكتموا موته والله اعلم وقوله تاكل منساته قيل المنساة العصاه
سمى منساة منسا لانه كان يهابها او يزجر ما اراد تاخيره وبها يدفع ما اراد دفعه ثم في امساكه العصا احد
وجهين اما لضعفه في نفسه كان يتقوى بها في امور ربه او يمسكها لخضوعه وتواضعه لربه او فيه دلالة
ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا لا يشغلهم الملك وفضل الدنيا ولا الحاجة ولا الفقر عن القيام
بامر الله وتبليغ الرسالة الى الناس وهما يشغلان غيرهم وهم كانوا فريقين قد وسع عليهم الدنيا نحو سليمان
وابراهيم وغيرهما وفريق قد اشتدت بهم الحاجة والفقر وكلاهما ما يشغلان عن القيام بامر الله وتبليغ
ليعلم انهم لم ياخذوا من الدنيا ما اخذوا للدنيا ولكن اخذوا للخلق ولله قاموا فيما قاموا لذلك لم يشغلهم
ذلك عن القيام لما ذكرنا والله اعلم ودل قوله ما لبثوا في العذاب المهين انه كان يأمرهم ويستعملهم في امور
لشاقة واعمال صعبة حيث ذكر لبثهم في ذلك لبثا في العذاب المهين والله اعلم وقوله عز وجل لقد كان لسبا في مساكنهم آية
يحتمل الآية التي ذكر لهم في مساكنهم الجنتين اللتين ذكرهما احدهما عن اليمين والاخرى عن الشمال ويكون لهم فيهما عبرة
فتحملهم على الشكر لربهم عليهما والحمد له والثناء عليه في تلك النعم او يذكرهم قدرته على ما لهم وسلطانه وحججه فيحملهم
ذلك على الخوف في العواقب والعقاب على خلافه ورجاء الثواب على طاعته فلم يتذكروا وان يكون الآية التي ذكر لهم
في تبديل الجنتين كان لهم فيهما كل سعة وخصب وكل الوان الفواكه والجواهر على غير مؤنة تلحقهم لانه قال في غير آي
من القرآن قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين فاخبر ههنا انه ان لهم في تبديل جنتيهم جنتين
آية لو اعتبروا واتعظوا فلا يقع لهم الحاجة الى النظر في آثار من تقدم منهم بل العبرة في ذلك لهم اكثر لانهم عاينوا هذا
على ما بنوا من انواع النعم ثم غير ذلك وبدل عليهم وما تقدم منهم انما يعرفون ذلك عن خبر يبلغهم لان اصلهم قد
هلكوا وهذا على المشاهدة والمعاينة وقوله عن يمين وشمال قيل عن يمين الوادي وشماله ويحتمل عن يمين الطريق
وشماله فيكون عن يمينهم وشماله وقوله كلوا من رزق ربكم واشكروا له كانه قالت لهم الرسل كلوا من رزق ربكم
واشكروا له او ذكر انه بعث فيهم كذا كذا رسولا ثم وصف بلده سبا انها طيبة حيث قال بلدة طيبة يحتمل ما ذكر
من طيبها هو سعتها وكثرة ريعها ومياهها والوان ثمارها وفواكهها وقوله ورب غفور اي ان ربكم ان شكرتم فيما رزقكم
وانعم عليكم رب غفور لذنوبكم اي يقال رب غفور اي ستور ويستر عليكم ذنوبكم ولا يفضحكم اذا اسلمتم وتقوتم واطعتم
وشكرتم نعمه ذكر ان المراة منهم كانت تحمل المكتل على راسها والمغزل بيدها فتدخل البستان فيمتلي مكتلها من
الوان الفواكه والثمار من غير ان تمس شيئا بيدها لكثرة ريعها ونزلها والله اعلم ثم ذكر سبب تبديل الجنتين اللتين
كانتا لهم وبما كان التبديل وهو ما قال فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم قال بعضهم كان اهل سبا اذا مطروا
ياتيهم السيل من مسيرة شهر ايام كثيرة فعمدوا فسدوا العرم وهو الوادي ما بين الجبلين بالصخر والقير وجعلوا عليه

الابواب فعصوا ربهم فاعرضوا عنه وكفروا نعمه فسلط الله تعالى على ذلك السد الذي بنوا الفار فنقبته فغرق وغشي
الماء ارضهم فغرق اشجارهم وابد انعامهم ودفن مجاريهم وذهب بجناتهم ومنهم من يقول العرم هو المسنات واحدها
عرمة فذهب السيل الذي ارسل عليهم بالمسنات فيبست جناتهم وابدل لهم الثمار والاعناب ما ذكر من الخمط والاثل
والسدر حيث قال ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل الاكل قيل هو الثمر والخمط الاراك وقال بعضهم شجر العضا
وهي شجر ذات شوك والاثل قيل هو شبيه بالطرفاء الا انه اعظم منه والسدر هو معروف عندهم وقال ابو عوسجة قريبا
من ذلك قال الاكل الحمل والخمط عندي السدر وحمله قال الخمط الريح الطيبة وتقول هذا شجر له خمطة اي ريح طيبة و
الخملان تاخذ شيئا من ههنا وثمة فتخلطه والاثل شجر ايضا لا حمل فيه والزجاج يقول الاثل هو الثمرة التي فيها المرارة
بطعمها او كلام نحوه وقوله ذلك جزيناهم بما كفروا اخبر انه جزاهم بالكفر والنعم ولم يشكروا ربهم عليها وقوله وهل نجازي
الا الكفور لله في نعمه وقوله وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة قيل متواصلة بعضها ببعض من ارضهم
الى الشام على كل ميل قرية وسوق وكل شيء فيها وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين من الجوع والعطش
والسباع وكل مخاف منه ثم جايز ان يكون ما ذكر من القرى الظاهرة كان لهم من الجنان التي ذكرنا بدءا فيكون هذا سوى
الاول فلما لم يشكروا ربهم في ذلك كله ابدل لهم الكل بما ذكر جايز ان يكون لا على الصلة بالاول لكن ما ذكر بعض اهل
التاويل انه لما غير عليهم ذلك وابدل ضاق بهم الامر فمشوا الى رسلهم فقالوا ادعوا ربكم فليرد علينا ما ذهب عنا
ونعطيكم ميثاقا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا فدعوا فرد الله عليهم وجعل لهم ما ذكر قرى ظاهرة فذكرهم الرسل
وعدوا ربهم فابوا فغير ذلك والله اعلم فسبا ذكر ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اخبرني عن سبا اجبل هو ام ارض فقال له لم يكن جبلا ولا ارضا ولكن كان رجلا من العرب ولد عشر قبايل فاما ست
فتيامنوا واما اربع فتشاموا وقال بعضهم كان سبا رجلا اسمه سبا وسباهم الذين في سورة النمل وقال بعضهم هو
اسم قرية وفي قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما
امنين دلالة خلق الافعال لانه اخبر انه جعل بينهم وبين القرى المباركة قرى ظاهرة والقرى ما اتخذها اهلها ثم اخبر
انه جعل ذلك والجعل منه خلق دل انه خلق افعال العباد واخبر ايضا انه قدر السير فيها والسير هو فعل العباد والتقدير
هو الخلق سيرهم وخلق اتخاذهم القرى وذلك على المعتزلة لانكارهم خلق افعال العباد وقوله قرى ظاهرة قال
عامة اهل التاويل قرى متواصلة بعضها ببعض يسيرون من قرية الى قرية وينزلون فيها من غير ان تقع لهم
الحاجة او يلحقهم مؤنة وجايز ان يكون قوله قرى ظاهرة نعمها بينة وقوله وقدرنا فيها السير يحتمل قوله وقدرنا
فيها السير اي قدرنا فيها السير يسيرون فيها وعلى الامر اي قدرنا فيها السير وقلنا لهم سيروا فيما انعم عليكم وتقلبوا
فيها ليالي واياما امنين من الجوع والعدو وكل آفة وقال بعضهم في قوله وقدرنا فيها السير اي جعلنا ما بين القرية
والقرية مقدارا واحدا وقوله فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا فيه لغات من خمسة اوجه احدها ربنا باعد وبعد
كلاهما على الدعاء والسؤال والثالث وبعد وبعّد قال ابو معاذ ولولا تغيير الكتابة لكان يجوز بوعد ومن قراء
بعد بين اسفارنا يخرج على الشكاية مما بعد من اسفارهم واما على السؤال والدعاء فهو والله اعلم لانهم ساموا وملوا
لكثرة ما انعم الله عليهم ورفع عنهم المؤن وطال مقامهم فيها سألوا ربهم ان يحول ذلك عنهم سفها منهم وجهلا وكان
كقوم موسى حين انزل عليهم المن والسلوى ورفع عنهم المؤنة ساموا وملوا في ذلك وقالوا لن نصبر على طعام
واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وما ذكر وافعل ذلك هؤلاء ومن قرا بعد بين اسفارنا على
الشكاية شكا الى ربه لما ذهب عنهم السعة والخصب واصابهم الجهد والمؤنة واما قوله باعد على الخبر فكانه كانت
فيهم ذلك كله فيهم من سال تحويله ومنهم من شكا اذا زال ذلك وتحول ومنهم من اخبر بزواله وعلى ذلك يخرج
قول موسى لفرعون حيث قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر بالرفع ولقد علمت
بالنصب كانه كان ذلك من موسى الامران جميعا قال في البدء لقد علمت فلما تحقق عند فرعون وعرف انه من الله
فعند ذلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لانه كان احدهما قبل ذلك الاول
وما يشبه ذلك والله اعلم وقوله فجعلناهم احاديث اي اهلكناهم اهلاكا وكذلك قوله ومزقناهم كل ممزق اي
اهلكناهم كل اهلاك حتى صاروا واعظة وعبرة من بعدهم وقال فجعلناهم احاديث الناس على حقيقة الحديث يتحدثون
بامرهم وشانهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم كل تفريق اي في كل وجه الفريق حتى وقع بعضهم بالمدينة وبعضهم
بالشام وبعضهم بالبحرين وعمان ونحوه والله اعلم وقوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يحتمل ان يكون
الصبار والشكور هو المؤمن كانه قال ان في ذلك لعبرة وعظات لكل مؤمن او آيات لكل صبار على طاعة الله وامره
شكور لنعمه او آيات لكل صبار على البلايا والمحارم شكور لنعم الله عليه ثم يخرج على وجهين احدهما في الاعتقاد والثاني
في المعاملة يعتقد الصبر لربه على جميع اوامره ومناهيه والشكر على جميع نعمائه والمعاملة ان يصبر على ذلك ويشكر له

في تيه وقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اختلف في ظنه قال بعضهم ظن بهم ظنا فوافق ظنه فيهم حين قال لئن
لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا من عصمته مني وما قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولا
ضلنهم ولامنينهم ولامرنهم الى اخر ما ذكر فقد صدق ما ظن فيهم وقال بعضهم صدق عليهم ابليس ظنه وذلك ان ابليس
خلق من نار السموم وخلق ادم من طين ثم قال ابليس ان النار تغلب الطين فمن ثمه صدق ظنه فقال لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين يقول الله فاتبعوه ثم استثنى عبادي المخلصين فقال الا فريقا من المؤمنين يعني عباد
المخلصين فانهم لم يتبعوه الذين قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال قايلون من ههنا صله كانه قال فاتبعوه
الا فريقا وهم المؤمنون وجايز ان يكون قوله فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الذين هم في الحقيقة واما من كان عندكم
من المؤمنين في فقد اتبعوه لانه لا كل مؤمن عندنا هو في الحقيقة مؤمن او ان يكون قوله فاتبعوه فيما دعاهم اليه والله
اعلم وقوله وما كان عليهم سلطان قال الحسن والله ما ضربهم بالسيف ولا طعنهم بالرمح ولا اكرههم على شيء
وما كان منه الا غرورا واما في وسوسة ودعاهم اليها فاجابوه وقال بعضهم قوله وما كان له عليهم من سلطان
اي حجة ليس له حجة عليهم اي لم يمكن من الحجة ولكن انما مكن لهم الوساوس والتمويهات ثم جعل الله للمؤمنين
مقابل ذلك حججا يدفعون بها شبهه وتمويهاته وقوله الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك هذا
يخرج على وجوه احدها لنعلم كاينا ما قد علمه انه يكون والثاني ليعلم شاهدا للخلق ما قد علمه غايبا عنهم والثالث
يكنى بالعلم معلومه اي ليكون المعلوم وذلك جايز في اللغة كقوله حتى ياتيك اليقين اي الموقن به وذلك كثير في
القران وقوله وربك على كل شيء حفيظ من الايمان والشرك وغيره من الاعمال حفيظ عالم به وقوله قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله انهم الهة الملايكة والاصنام ومن عبدوهم من دونه هل يملكون لكم شيئا من دفع
ضر وجر نفع فيقول لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر فكيف تسمونه
الهة او ان يقول قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله انها الهة فليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم من جوع
وغيره وكقوله هل هن كاشفات ضره او اراد في برحمة هل هن ممسكات رحمته فالجواب لذلك ان يقولوا لا
يملكون مثقال ذرة ولا اصغر ولا اكبر فكيف يملكون وما ذكر يذكر والله اعلم سفههم وفرطهم في عبادتهم
من يعلمون انه لا يضر ولا ينفع وتسميتهم اياها الهة وما لهم فيهما يعني في خلق السموات والارض وحفظهما
من تعبدون من دونه من شرك وما له منهم من ظهير اي من عون في ذلك فكيف سميتموها الهة وشركاء في العبادة
وقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يقول والله اعلم لا يملك احد الشفاعة لاحد الا لمن اذن الله
بالشفاعة فهو لم ياذن بالشفاعة لاحد من الكفرة فذكر هذا والله اعلم لقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ولقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او يذكر ان من ترجون منهم الشفاعة بالمحل الذي
ذكرهم من الخوف والفزع فكيف ترجون شفاعتهم كقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولا يملكون مثقال ذرة ولا اصغر
منه ولا اكبر فكيف يملكون الشفاعة لكم او نحوه من الكلام والله اعلم وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ما
ذا قال ربكم قالوا الحق ليس لهذا الحرف في ذا الموضع صلة يوصل بها ولا تقدم يعطف عليه وعلى الابتداء لا يستقيم
فبعض اهل التاويل يقول كان بين عيسى ومحمد فترة زمان طويل لا يجري فيها الرسل فلما بعث الله محمدا وكلم جبريل
بالرسالة الى محمد سمع الملايكة ذلك فظنوا انها الساعة قامت فصعقوا مما سمعوا فلما انحدر جبريل جعل كلما
يمر بكل منهم جلى عنهم وكشف فقال بعضهم لبعض ماذا قالوا الحق اي الوحي وقال بعضهم كان الوحي اذا نزل من السماء
نزل كانه سلسلة على صخرة قال فيفزع الملايكة بذلك فيخرون سجدا حتى اذا فزع عن قلوبهم قال اذا انجلى عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وقوله حتى اذا فزع من قلوبهم قيل جلى وكشف الغطا قال الكسائي
حتى اذا فزع مشتقة من الفزع يقول اخرج ما فيها من الفزع كما تقول هيبة عن قلبه وقد يدور فزع كل واحد ومن
قرا فرغ بالراء اخرج وترك فارغا من الخوف والشغل وهي قراة ابن مسعود قال بعضهم في قوله قالوا ماذا قال
ربكم قالوا الحق يقولون يخبرون بالامر الذي جاؤا به ولا يقولون الا الحق لا يزيدونه ولا ينقصون وقوله قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض اي لا يملكون انشاء ذرة في السموات
والارض وما لهم في انشائها فيهما من شرك وما له منهم في انشاء ذلك من عون فكيف تعبدونهم وتسمونهم
الهة وجايز ان يكون قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ذلك الفزع منهم وذلك الفزع
منهم في القيمة فزعوا لقيامها وقد قرى حتى اذا فزع بنصب الفاء اي حتى اذا فزع الله اي كشف الله عن قلوبهم
الفزع وجلى ذلك عنهم والله اعلم وقوله قل من يرزقكم من السموات والارض هذا في الظاهر وان كان استفهاما
فهو على التقرير والايجاب لانا قد ذكرنا ان كل استفهام كان من الله فهو على التقرير والايجاب ثم لو كان
ذلك ممن يكون منه الاستفهام لكان جواب قوله من يرزقكم من السموات والارض ثم قال في اخره فيقول

الله فيقول لهم فاذا علمتم ان الله هو رازقكم فكيف صرفتم عبادتكم عنه الى من تعلمون انه لا يملك شيا من رزقكم كقوله
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق انه لا يملك شيا من رزقكم ذكر في حرف
ابن مسعود وحفصة قل من يرزقكم من السموات من المطر ومن الارض النبات فان اجابوك فالوا الله والا فقل الله
يفعل ذلك فكيف تعبدون غيره وانا واياكم لعلى هدى يقول ذلك رسول الله لاهل مكة انا لعلى هدى وانا واياكم لفي ضلال
مبين وقال بعضهم معناه وانا لعلى هدى واياكم لفي ضلال مبين ولكن ليس هذا في الظاهر هذا الكلام وجايز ان يكون
هذا على تعريض الشتم بالضلال والحكاية لذلك كما يقول الرجل لاخر في حديث او خبر يجري بينهما ان احدنا لكاذب في ذلك
اي انت كاذب في ذلك لكنه تعريض منه ذلك للنبي بتصريح وقال قتادة هذا قول محمد واصحابه لاهل الشرك والله ما نحن
وانتم على امر واحد والله ان احد الفريقين لمهتدي والفريق الاخر في ضلال مبين وانتم تعلمون انا على هدى لما اقمنا من الدلايل
والحجج والبراهين على ذلك وانتم لا وقال بعضهم قال ذلك لان كفار مكة قالوا للنبي واصحابه تعالوا ننظر في معايشنا
من افضل ربنا الخيام انتم نعم ذلك يكون في الاخرة فرد الله ذلك عليهم في قوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية
وقوله قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون قال بعضهم قال ذلك لانهم كانوا يعيرون رسول الله واصحابه
ويوبخونهم بعيبهم الاصنام التي عبدوها وذكرهم اياها بالسوء وما يدعون عليه من الافتراء بانه رسول الله فيقول لهم
لا تسالون ايم عما اجرمنا نحن وما نسال عما تعملون وهو كقوله في سورة هود قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون
او ان يكون قوله قل لا تسالون عما اجرمنا اي عما دنينا من الدين او عما عملنا من الاعمال ولا نسال عما تعملون انتم اي عما
تدينون من الدين كقوله لكم دينكم ولي دين كقوله لي عملي ولكم وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وانما يقال هذا بعد ظهور
العناد والمكابرة فاما عند الابتدا فلا والله اعلم وقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم هذا
والله اعلم صلة ما تقدم من قوله قل من يرزقكم من السموات قل الله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وصلة
قوله قل لا تسالون عما اجرمنا لانهم قالوا لرسول الله واصحابه انا لعلى هدى وانتم على ضلال مبين فقال عند ذلك جوابا لهم
قل يجمع بيننا ربنا اي يجمع بيننا ثم يفتح اي يقضي بيننا بالحق من منا على الهدى ومن منا على الضلال نحوا وانتم وهو الفتاح
العليم وهو الحاكم العليم بما ظهر وما بطن حقيقة والمفاتحة هي المحاكمة يقال هلم حتى نفاتحك الى فلان اي نحاكمك وذلك
جايز في اللغة ويحتمل قوله ثم يفتح بيننا بالحق اي يكشف كل خفي منا وكل ستر وباطن فيجعله ظاهرا بيننا لينظر الذي
من هو على الحق من الباطل والهدى من الضلال وهو الفتاح العليم اي الكاشف المظهر العليم بعلم الظاهر والباطن
جميعا والاعلان والاسرار جميعا والله اعلم وقوله قل اروني الذين الحقتم به شركاء اي اروني الذين الحقتم
بالله شركاء في تسميتكم الاصنام الهة او اروني الذين الحقتم به شركاء في العبادة وجايز ان يكون قال ذلك للذين
عبدوا الملايكة واشركوهم فيها كانه قال اضمارا يقول اروني الذين الحقتم به شركاء هم خلقوا شيئا ام هل رزقوا
ام هل احيوا ام هل اماتوا فان ادعيتم انهم لم يخلقوا ولم يرزقوا ولا يقدرون ذلك وعلمتم ان الله هو خالق
ذلك كله وهو الرزاق فكيف اشركتم من لا يملك ذلك في الوهية كلا بل هو العزيز الحكيم منهم من يقول كلا ردا
على قولهم شركاء اي ليسوا شركائي بل هو المنفرد الواحد الحكيم ومنهم من يقول هو رد على قوله هل خلقوا شيئا ام هل
رزقوا شيئا يقول كلا اي لم يخلقوا ولم يرزقوا بل هو الله المنفرد بذلك والله الموفق قال ابو عوسجة فزع ذهب وقال
القتبي فزع خفف وقوله وما ارسلناك يا محمد الا كافة للناس بشيرا بالجنة لمن اتبعه ونذيرا بالنار لمن خالفه وعصاه وقوله
قوله كافة للناس قال بعضهم اي ما ارسلناك الا جامعا للناس الى الهدى داعيا اليه ومنهم من يقول وما ارسلناك
الا كافة للناس اي ما ارسلناك الا الى الناس جميعا الى العرب والعجم والى الانس والجن كساير الانبياء انما ارسلوا الى
قوم دون قوم والى بلده دون دون بلدة وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه انه قال اعطيت اربعا لم يعطهن نبي
قبلي احدها ما ذكرنا بعثت الى الناس جميعا عامة الى الاحمر والاسود والعرب والعجم والثاني جعلت لي الارض مسجدا
وطهورا وارعب لنا عدونا مسيرة شهرين واحلت لي الغنايم وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقال بعضهم لا يعلمون
ويحتمل لا يعلمون اي لا ينتفعون بما يعلمون والا يعلمون او لا يعلمون حقيقة لما لم ينظروا في الحجج والايات قد تكون لهم لو نظروا
واعلموا والله اعلم وقوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا القول منهم انما يقولون على الاستهزاء
والسخرية ليس على الاسترشاد وعلى انه لا يكون ذلك وانه كذب كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا والذين
مشفقون منها اخبر ان اولئك يستعجلون بها لتركهم الايمان بها استهزاء منهم والذين امنوا خايفون منها لايمانهم بها
انها كاينة لا محالة لكن الله سبحانه لم يجبهم بما يجيب المستهزؤ ولكن اجابهم بما يجاب المسترشد بلطفه وكرمه وجوده
حيث قال قل لكم ميعاد يوم اي لكم ميعاد الذي وعدكم محمد انه كاين لا محالة وهو يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا
تستقدمون وهكذا الواجب على كل مسؤل اذا كان سايله يسال له سؤال استهزاء ان يجيبه جواب ما يجاب المسترشد لا
يجاب المستهزء ولا يدع علمه وحكمته لسفه السفيه ولا لهزء الهادي ولكنه يحفظ حكمته وعلمه وعقله ولا يشتغل

بجواب شئ وبالله العصمة وقوله لا يستأخرون عن ساعته ولا يستقدمون فان كان على طلب التأخير وطلب التقديم
ففيه تعيير وتوبيخ لهم كأنه يقول ليس لكم من الخطر والقدر والمنزلة ما يؤخر لكم ما يستأخرون او تقدم لكم ما
يستقدمون وان كان على حقيقة ترك التأخير وترك التقديم كانه يقول ميعادكم يوم لا تملكون تأخيره اذا جاء و
لا تقديمه عن وقته ولا رفعه والله اعلم وقوله وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذى بين يديه
كان هذا القول منهم والله اعلم خرج عن مخاصمة وقعت بينهم وبين المؤمنين فى شان القران فتحاكموا الى الكتاب
على اتفاق منهم على ما فى كتبهم فلما خرج ذلك على موافقة قول المؤمنين ومخالفة قول اولئك قالوا عند ذلك لن
نؤمن بهذا القران ولا بالذى بين يديه والا على الابتداء من غير تنازع وخصومة كان بينهم فى ذلك غير مستقيم و
يذكر بعض اهل التاويل ابن عباس وغيره ان رهطا بعثهم قريش الى المدينة الى رؤساء اليهود ليسألوهم
عن محمد وبعثه فاخبروهم انه كاين وانه مبعوث فلما رجعوا اليهم فاخبروهم انهم تدعرفون وهو عندهم فى التورية
والانجيل فعند ذلك قالوا ما قالوا ثم كأنه اشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل عليه فقال له
على التعزية والتصبر على ذلك ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اى محبوسون الى ربهم اى على المحاسبة
ما كان منهم من العناد والمكابرة والتكذيب اى لو رايت ما فيهم من الذل والهوان لرحمتهم ولاخذتك الرأفة
لهم والله اعلم وقوله يرجع بعضهم الى بعض القول اى يلوم بعضهم بعضا فيقولون ما ذكر بقوله الذين استضعفوا
اى السفلة والاتباع للذين استكبروا اى القادة منهم والرؤساء لولا انتم فبما صرفتمونا عن دين الله وصددتمونا
عنه لكنا مؤمنين به تابعين له لانهم كانوا يصدرون لارائهم ويقبلون قولهم لما هم كانوا اهل شرف ومعرفة
والسفلة لا يعقلون لولا انتم لكنا نتبع راى انفسنا فنؤمن به لكن قلتم لنا انه كذب وانه افترى وانه سحر
فنحن صدقناكم فى ذلك وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم قولهم
نحن صددناكم هو على التقرير اى لم نصدكم وان كان ظاهره استفهاما ولكن انتم بانفسكم تركتم اتباعه لان
الرؤساء منهم كانوا يقولون للاتباع ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون ويشرب مما تشربون اخبروا انه بشر
مثلهم ثم اخبروهم انكم لئن اطعتم بشرا مثلكم اذا لخاسرين ونحو بشر فكيف اتبعتمونا واطعتمونا بل كنتم
قوما مجرمين فى اتباعكم بما اتبعتمونا او ان يكون قوله لولا انتم لكنا مؤمنين اى لولا تلبيسكم وتمويهكم انه ليس
كذبا وانهم سحرة فيما يقولون ويدعون وانهم يفترون على الله والا لكنا مؤمنين والثانى لولا منعكم ايانا عن
النظر والتفكر فى امورهم والتامل فى الحجج والايات لكنا مؤمنين هذا قول الاتباع للرؤساء ثم اجاب لهم الرؤساء
فقالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين يقولون والله اعلم انا صددناكم ومنعناكم عن اتباعهم
ظاهرا وعلانية فمتى منعناكم سرا من غير ان نطلع ونعلم نحن بذلك اوما ذكرنا قوله ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم
اذا لخاسرون وقد عرفتم انا بشر مثلكم فاطعتمونا وتركتم طاعة الرسل لانهم بشر فاجاب لهم الاتباع فقالوا
بل مكر الليل والنهار بل مكركم ايانا وقولكم فى الليل والنهار انهم كذبة سحرة وخداعكم ايانا وانهم بشر مثلكم
تركنا اتباعهم اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا او يقولون بل مكركم فى الليل والنهار اذ تامروننا ان
نكفر بالله اى من تخويفكم ايانا وهيبتكم من الاخذ على البغتة والغفلة تركنا اتباعهم فى السر واظهروا لكم
الخبر بهذه مناظرات اهل الكفر فيما بينهم يومئذ ورد بعضهم على بعض ولعن بعضهم بعضا يذكرها فى الدنيا
ليلزمهم الحجة وان يقولوا يومئذ انا كنا عن هذا غافلين فانه قيل انهم كانوا لا يؤمنون بهذا القران ولا بالبعث فكيف
يلزمهم ذلك وهم لا يستمعون له قيل انهم قد مكنوا من الاستماع والنظر فيه ويلزمهم الحجة وان لم يستمعوا له و
الله اعلم وقوله واسروا الندامة لما راوا العذاب قال بعضهم اسروا الرؤساء الندامة نصرف الاتباع و
صرفا انفسهم عن دين الله واتباع الرسل لما راوا العذاب وقيل اسروا الندامة الاتباع والرؤساء جميعا وقوله
واسروا الندامة قال من الاسرار والاخفاء اخفى بعضهم من بعض وقال بعضهم اخفى الكفرة والندامة على المؤمنين
وقال القتبى اسروا الندامة اى اظهروا وهو من الاضداد ويقال اسررت الشئ اخفيته واظهرته واما غيره من اهل
التاويل فانهم قالوا هو من الاخفاء وقوله وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا الاغلال جماعة الغل وهو
ما يجعل فى اليد ثم يشد اليد الى العنق هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا يجزون الاجزاء عملهم فى الدنيا وقوله
وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون قال بعضهم المترف المتكبر وقال اخرون
المترف هو الذى يجمع صنوف المال مع العناد والتكبر وقال بعضهم المترفون هم الرؤساء منهم وهذا ينقض
على المعتزلة قولهم ان الله لا يفعل الا ما هو اصلح له فى الدين ولا شك ان هؤلاء المترفين انما قالوا ما قالوا
وفعلوا ما فعلوا السعتهم وبسطهم فى المال فلو لم يكن ذلك لهم ما فعلوا ذلك دل ان المنع لهم عن ذلك
اصلح لهم من البسط والله اعلم وقوله وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها ما ذكر قال بعضهم المتكبر

المتكبر وقال بعضهم المترف الذى يجمع مع الكبر والعناد والاموال وقال بعضهم مترفوها اغنياؤها وكله واحد وهم رؤساؤهم
وفيه نقض قول المعتزلة فى الاصلح على ما ذكر وقوله وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا يخرج قولهم ذلك لوجهين احدها قالوا ذلك انا
اذا اوتينا فى الدنيا الاموال والاولاد فلا يعذبنا فى الاخرة على ما تزعمون او ان يقولوا ذلك انك لو كنت بعثت رسولا على
ما تزعم فنحن اولى بالرسالة منك لانا اكثر اموالا واولادا والله اعلم وقوله قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
هذا ايضا ينقض على المعتزلة ومن يقول بان الله لا يبسط على احد الرزق اذا لم يكن فى البسط صلاح له ودين وكذا
لا يقتر على احد ذلك اذا لم يكن فى التقتير خير له وعندنا يبسط الرزق لمن يشاء وان لم يكن خيرا له وكذلك يقتر على من
يشاء وان كان شرا له على ما نطق ظاهر الاية ليس عليه حفظ الاصلح لهم ولا الخير والله اعلم وقوله ولكن اكثر الناس
لا يعلمون اى لا ينتفعون بعلمهم ولا يعلمون حقيقته لما تركوا النظر والتفكر فى اسباب العلم ليعلموا او يعد ذلك
لما لم يكن لهم العلم به وقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قالوا ذلك لما لم يروا فى الحكمة ان يحسن احد
الى عدوه والسعة هى من الفضل والاحسان ثم راوا لانفسهم ذلك فظنوا انهم اولياء الله وان الرسل حيث ضيقت
عليهم الدنيا انما ضيقت لانهم ليسوا باولياء الله لذلك قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وهذا القول
منهم الانكار هو البعث فان كانوا مقرين به لكانوا لا يقولون ذلك ويعلمون ان السعة فى الدنيا والضيق فيها
محل الامتحان اما اذا بعث ودار اخرى للجزاء ففى الحكمة ان يجزى الولى جزاء الولاية والمسئ من العدو جزاء الاساءة
والعداوة واما الدار التى هى دار الامتحان والابتلاء فيجوز ذلك محل الامتحان فى الحكمة ولذلك خرج الجواب لهم حيث
قال قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يبسط الرزق لا لفضل وقدر له ونعمة عنده ويقتر على ما يشاء
لا لعداوة وجناية كانت منه اليه محل الامتحان الا ترى انه قد وسع على بعض المؤمنين وضيق على بعض اولئك
فظهر ان التوسيع لاهل السعة ليس لفضل لهم وقدر او نعمة كانت لهم عنده وحتى تكون ذلك منهم مكافاة لذلك
وكذلك التضييق لاهل التضييق لم يكن لجناية او اساءة كانت منهم اليه لما ذكروا لما ذكرنا الا ترى انهم اذا راوا
انه وسع على بعض وقتر على بعض هؤلاء علموا انه يملك ان يوسع على من قتر عليه ويقتر على من وسع عليه فيكون فى
ذلك لهم ترغيب فى التوحيد واختيار له والتحذير على الكفر وعما هم فيه اذ يملك التقتير على من وسع عليه والتوسيع
على من قتر عليه فيبطل هذا كله قولهم نحن اكثر اموالا واولادا الاية ويبين ان التقتير والتوسيع ليس لفضل ولا لقدر
ولا لجناية ولا لذنب ولكن للامتحان والله اعلم وقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى يخبر ان اموالكم
واولادكم لا تقربكم عندنا زلفى ولكن ما ذكر حيث قال الا من امن وعمل صالحا اى ذلك الذى تقرب عندنا زلفى من
اى من سواء كان له مال وولد او لم يكن فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا من الناس من احتج بتفضيل الغنا على
الفقر بهذه الاية يقول اخبر ان لهم جزاء الضعف اذا امنوا وعملوا الصالحات بالاموال التى اعطاهم واما الفقير فليس له
ذلك اذ ليس عنده ما يضاعف له او كلام يشبه هذا واما عندنا ان قوله فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا لهم جزاء
الضعف بالصالحات والحسنات التى عملوها لان وعده يجزى لكل من عمل بحسنة عشر امثالها ووعد لمن عمل السيئة
ان لا يجزى الا مثلها فلكل من عمل بحسنة او صالحة عشر امثالها وذلك جزاء الضعف له وذلك للغنى والفقير جميعا
وذكرنا فى غير موضع ان التكلم فى فضل الغناء على الفقر او الفقر على الغنا كلام لا معنى له لانهما سببان يمتحن بهما لا
لاحد فى ذلك يمتحنان فى تلك الاحوال احدهما بالشكر والاخر بالصبر فمن وفى بما امتحن هو بذلك فهو افضل ممن لم يف
بذلك وبه يستوجب الفضل ان استوجب فاما بنفس تلك الحال فلا لكن من يفضل الغناء على الفقر يذهب الى ان الله
تعالى سمى الضيق بلاء وشرا وشده فى غير موضع من القران وسمى السعة خيرا ونعمة وحسنة فى غير موضع ولا شك
ان الخير والحسنة افضل واحد من الشر والسيئة فلو لم يكن هذا شرا وسيئة فى الحقيقة لم يسمه بذلك وهذا الخيل
لم يسمه ومن يقول بتفضيل الفقر على الغنا يذهب الى ان الغنى اذا اعطى وبذل استوجب ذلك الفضل لما يفقر نفسه
ويحوج واصله ما ذكرنا وقوله وهم فى الغرفات امنون من جهة النعمة وحزنه والله اعلم وقوله والذين يسعون
فى اياتنا معاجزين اى يسعون فى اياتنا سعى من يكون معاجزا الا سعى من لا يكون وهو ما قال ام حسب الذين يعملون
السيئات اى يعملون عمل من يحسب انه يسبق وهو كقوله يخادعون الله لا احد يقصد قصد مخادعة لعلمه انه لا
يخادع ولكن كانه قال يعملون عمل من يخادع لا عمل من يعلم انه لا يخادع لا عمل من يعلم انه لا يخادع فعلى ذلك والله اعلم وقوله
فى اياتنا معاجزين اما كان سعيهم فى الايات فى ايات الوحدانية وايات البعث وايات الرسالة ليسقطوا عن انفسهم مؤنة
ذلك وقبولها والعمل بها اولئك فى العذاب محضرون قال القتبى فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا لم يرد فيما يرى
اهل النظر والله اعلم انهم يجازون عن الواحد بواحد مثله ولا اثنين وكيف يكون هذا والله يقول من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وخير منها ولكنه اراد لهم جزاء الضعف انما هو مثل يضم الى مثل الى ما بلغ وكان الضعف
الزايد اى لهم جزاء الزيادة ويجوز ان يجعل الضعف فى معنى جميع اى جزاء الاضعاف ونحوه فزده عذابا

شفعا اي جعلت مثله او جعلته مضاعفا اي تدخلهم اليه جعلا اخر نه صلاه قال زلفى هي اسم ما زلفت اليه
ومنه ازلفته ادنيته وقال القتبي اي قربة ومنزلة عندنا وهما واحد والله اعلم وقوله وما اموالكم ولا
اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ذكر الاموال والاولاد ثم ذكر التي بالتانيث قال بعضهم هذا من مقاويم الكلام
كانه قال وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم ولولا ذلك لقيل بالتي على الادميين نحو الاموال قال
ابو معاذ ويجوز ان يجمع الاموال والاولاد ثم تقول التي لانك تقول ذهبت الاموال وهلكت الاولاد كقوله
قالت الاعراب امنا وقال رسلهم ونحوه كثير من القران فعلى ذلك عند الجمع وقوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين قال ابن عباس رضي الله عنه فهو
يخلفه في الدنيا والاخرة لان ما انفق العبد لو كان الله اخلفه له في الدنيا ما احصى احدكم ما له ولا يجد مكانا
يحمله فيه او كلام هذا معناه وقال اخر كل نفقة كانت في طاعة الله فان الله يخلفها في الدنيا او يدخرها لوليه
في الاخرة ومجاهد يقول اذا اصاب احدكم مالا فليقتصد في النفقة ولا يتأول قوله وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه فان الرزق مقسوم وقال بعضهم هو يخلفه اذا كانت في غير اسراف ولا تقتير وهذه التاويلات كلها ضعيفة
لان الاية والله اعلم في منع اولئك الانفاق مخافة الفقر وخشية الاملاق لانها نزلت على اثر قوله قل ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يقول والله اعلم يعلمون ان الله هو الباسط لكم والموسع عليكم و
على الخلق كله الرزق وهو المقتر ايضا على من شاء التقتير عليه فاذ كنتم انه هو الفاعل على ذلك فكيف يمتنعون عن
الانفاق خشية الفقر فهو القادر على البسط والخلف بلا انفقتم وهو القادر على التقتير بغير انفاق كان منكم
او ان يذكر هذا ليقطعوا اطماعهم عن الخلق من الناس والبذل لهم فيما ينفقون على ما ينفق الرجل من النفقة
تطمع من الناس بدله والمعروف مكافات لما انفق فيقول اقطعوا الطمع من الناس فيما ينفقون فان الله هو المخلف
لذلك لا الناس ويحتمل ما قال ابن عباس انه يخلف في الاخرة اذ لو اعطى لكل ما انفق في الدنيا خلفا ما احصى احدكم
ما له ولا اين يحمله هذا هكذا اذا كان الخلف من نوع ما انفق واعطى تماما اذا جاز ان يكون الخلف من نوع ما انفق
ومن غير نوعه من نحو ما يدفع عنه الامراض المتصلين له من انواع البلايا والشدايد ويعطيه من انواع النعم من السلامة
له في نفسه ودينه والصحة وغير ذلك مما لا يحصى فذلك كله بدل وخلف مما انفق وذلك انه اذا علم في سابق
علمه انه ينفق جعل ذلك في الاصل خلفا عما انفق وعلى ذلك يخرج ما روي ان صلة الرحم تزيد في العمر اذا علم انه
يصل رحمه زاد في عمره في الاصل ما لو يعلم انه لا يصل رحمه لكان يجعل عمره دون ذلك الاول وروي عن جابر بن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما انفق المرء على نفسه واهله او وقى به
عرضه فهو له صدقة وكل نفقة انفقها مؤمن فعلى الله خلفها ضامنا الا نفقة في معصية او نفقة في
بنيان او لا يحتاج اليه وقوله ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ليس قول الملائكة فيما خاطبهم ربهم لما
خوطبوا بقوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون حيث قالوا يعبدوننا حيث قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم لانه قال لهم
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون نحو ان يقولوا بلى او لا فاما ان يكون قولهم سبحانك انت ولينا من دونهم بل
كانوا يعبدون الجن الا ابتداء بذلك فلا يحتمل الا ان يقال ان اولئك الكفرة ادعوا على الملائكة الامر لهم بالعبادة
اياهم دون الله فهنالك يحتمل ان يقول اهؤلاء عن امركم عبدوكم فعند ذلك قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ونحن
براء منهم ما امرناهم بعبادتنا وانت اعلم منا بل كانوا اطاعوا امر الجن والشياطين في ذلك اذ لو كنا
امرناهم بذلك لم نكن اولياءك ولكنت انت ولينا من دونهم وهذا كما يقول لعيسى حيث قال اانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله وقد كان علم جل وعلا انه لم يقل ذلك ولكن كان اولئك ادعوا عليه الامر والقول لهم
في ذلك لعيسى تعييرا لهم وتوبيخا على سفههم واظهارا لكذبهم في دعواهم فعلى ذلك الاول يحتمل ان يخرج على ذلك
والله اعلم وقوله بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون هم كانوا لا يقصدون عبادة الجن ولكن ما بامرهم كانوا
يعبدون ما يعبدون نسب العبادة اليهم كقوله يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وهو كقول ابراهيم يا ابت لا تعبد
الشيطان وهم كانوا لا يقصدون بعبادتهم الشيطان لكنهم لما عبدوا من دونه بامر الشيطان نسب العبادة اليه كانهم
عبدوه وقوله فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اي لا يملك يوم القيمة ما املوا وطمعوا من عبادتهم الاوثان
من التقريب لهم الى الله زلفى والشفاعة لهم عنده لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى يقول لا يملك بعضكم لبعض ما املوا وطمعوا من عبادتهم لاولئك نقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون اي كنتم تكذبون الرسل بما اوعدكم بها في الدنيا وقوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قد ذكر
الايات والبينات في غير موضع وقوله بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون هم كانوا لا يقصدون عبادة الجن

ولكن لما بامرهم كانوا يعبدون ما يعبدون نسب العبادة اليهم كقوله يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وهو كقول ابراهيم
يا ابت لا تعبد الشيطان لكنهم لما عبدوا من دونه بامر الشيطان نسب العبادة اليه كانهم عبدوه وقوله فاليوم لا يملك
بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اي لا يملك يوم القيمة ما هذا الا رجل يريد كل رسول ان يصد قومه عما كان يعبد من الاصنام
والاوثان لكن هذا القول من اولئك الرؤساء اغراء الاتباع على الرسل يقولون الا ترون ان واحدا قد خالف الاباء
في دينهم ويريد ان يصدكم عن دين ابائكم وما هذا الا افك مفترى اي ما يدعو محمد اليه ليس الا افك مفترى وقال
الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وقوله للحق لما جاءهم اي جاءهم الحق وهو القران والتوحيد من البيان
والايضاح له انه الحق وانه من عند الله جاء وهو الايات والبراهين التي جاءت له انه حق وانه من عند الله جاء لا انه
مفترى او افك وسحر ما تزعمون ولم تزعمون ولم يزل طعن اولئك الكفرة في الايات والحجج بانها سحر وانها افك مفترى
يلبسون بذلك على اولئك الاتباع والسفلة ويموهون عليهم وينفرون لئلا يتبعونه ويستميلون لهم والله اعلم
وقوله وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وهو والله اعلم صلة وما هذا الا رجل يريد
ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقولهم ان هذا الا سحر مبين يقول والله اعلم جوابا
لقولهم وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيخبرهم ان ما يقول محمد افك مفترى وما ارسلنا اليهم ايضا من قبله رسولا
يخبرهم انه كذب مفترى ويظهر الكذب في القول والخبر انما يكون باحد هذين الامرين اما بكتاب او بنبي وهم لا يؤمنون
بكتاب ولا نبي فكيف يدعون عليه الكذب والافتراء يخبر عن سفههم وقلة عقولهم وعنادهم بعد ما خصهم عز وجل
وفضلهم على غيرهم من البشر حيث بعث الرسول منهم ومن انفسهم والكتاب على لسانهم ولغتهم بعد قسمهم انه
لو بعث اليهم نذيرا ورسولا لاتبعوه حيث قالوا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم فلما جاءهم نذير لم يؤمنوا به ولم يعرفوا نعمة الله عليهم وخصوصيتهم فيما خصهم والله اعلم وقوله
وكذب الذين من قبلهم يذكر رسوله ويصبره على تكذيب اولئك له يقول قد كذب الذين كانوا من قبلهم و
مثلهم لست اول مكذب بل كذب اخوانك من قبل والله اعلم وقوله وما بلغوا معشار ما اتيناهم يقول والله اعلم
لم يبلغ هؤلاء الذين كذبوك عشر اولئك في قوة والغنى والفضل والعلم والاتباع والاعوان وغير ذلك مما كانوا
كذلك لم يقوموا في دفع العذاب الذي نزل بهم بالتكذيب عن انفسهم فهؤلاء الذين هم دون اولئك بما ذكرنا
احرى ان لا يقوموا لدفع عذاب الله عن انفسهم اذا نزل بهم بالتكذيب وقوله فكذبوا رسلي فكيف كان نكير يقول
والله اعلم اليس وجدوا عذابي حقا قال الزجاج هو نكيري بالياء لكن طرحت الياء لانه اخر الاية وحينما فانفيت الكسرة علامة
لها او كلام يشبه هذا قال ابو عوسجة نكيري عقوبتي وقال القتبي اي انكاري وقوله قل انما اعظكم بواحدة قال بعضهم بواحدة
اي بكلمة الاخلاص والتوحيد وقال بعضهم اي بطاعة الله وقال بعضهم بواحدة اي بكلمة واحدة كقول الرجل لصاحبه
اكلمك كلمة واحدة واسمع مني كلمة لكن الواحدة التي وعظهم بها عندنا ما ذكر على اثره حيث قال ان تقوموا لله مثنى
وفرادى اي تقوموا لله وتفكروا وتنظروا فيما بينكم هل راى احد منكم به جنونا قط وقال بعضهم يريد بالمثنى ان
يتناظر الرجلان في امر النبي وفرادى اي تفكروا قط وقال بعضهم يريد بالمثنى اي يتناظر الرجلان في امر النبي فان ذلك
ما دلهم على ان النبي ليس بمجنون ولا كذا على ما تزعمون ثم كان الذي حملهم على ان نسبوه الى الجنون وجوها احدها انهم راوه
قد خالف الفراعنة والجبابرة الذين كانوا يقتلون من خالفهم على الغضب في ادنى شيء بلا اعوان ولا اتباع له فقالوا
لا يخاطر بهذا الا من به جنون فنسبوه الى الجنون والثاني انهم راوه قد خالف دينهم ودين ابائهم جملة من بينهم فقالوا
لا يحتمل ان يسب دينا تعقله من بين الكل لا يسب احد ذلك فاتهموه في العقل والثالث انه كان في حال صغره و
صباه لم يروه اشتغل بشيء من اللعب وخالط الصبيان في شيء من امورهم بل اعتزلهم من حال صباه الى ان الوقت
الى ان الوقت الذي بلغ فقالوا ان به جنونا والا لم يعتزل الناس كل هذا الاعتزال ثم اخبر انكم لو تفكرتم ونظرتم عرفتم
ان ليس بصاحبكم جنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد في الاخرة ان عصيتم اي رسول الله اليكم نذير
بين يدي عذاب شديد في الاخرة ان عصيتم عوقبتم في الاخرة وقال بعضهم في قوله ان تقوموا مثنى وفرادى
ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة يقول والله اعلم الا يتفكر الرجل منكم وحده او مع صاحبه فينظر ان في
خلق السموات والارض وما بينهما الذي خلق هذه الاشياء وحده انه واحد لا شريك له وان محمدا الصادق
في قوله بان الله واحد لا شريك وما بصاحبكم من جنون ان هو الا نذير وقوله قل ما سالتكم من اجر فهو لكم هذا يحتمل و
جهين احدهما سال قال بعضهم انه صلى الله عليه وسلم سال قومه ان يودوا قرابته وان لا يؤذوهم كقوله قل لا
اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وما قال في اية اخرى قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا يقول ما سالتكم من اجر يعني المودة في القربى فهو لكم اي الذي سالتكم هو لكم وهو المودة في القربى و
اتخاذ السبيل الى ربي والثاني قوله ما سالتكم من اجر فهو لكم اي لم اسالكم على تبليغ الرسالة اليكم اجرا منكم

نمنعكم فقوله لنا لاجر عن مه عليكم عن الاجابة كقوله ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون وقوله ان اجري الا
على الله اي ما اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد باني نذير وما بي جنون او هو على كل شيء شهيد باني لم اسالكم
عليه اجرا او على كل شيء من صنيعكم شهيد عالم به والله اعلم وقوله قل ان ربي يقذف بالحق هذا يحتمل وجوها
يحتمل يقذف بالحق اي يقضي بالحق او يقذف بالحق اي يتكلم بالوحي ويلقيه وقوله علام الغيوب كل شيء غاب
عن الخلق وقد ذكر ذلك في غير موضع وقوله قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد الاية اختلف فيه قال
بعضهم ما يبدئ الاوثان والاصنام التي عبدوها وما يعيد اي لا تخلق شيئا ولا تحييه ولا تميته كقوله ولا
يملكون موتا ولا حياتا ولا نشورا وقال بعضهم ما يبدئ الشيطان الخلق فيخلقهم وما يعيد خلقهم في الاخرة
فيبعثهم بعد الموت بل الله يفعل ذلك او ان يكون قوله قل جاء الحق اي حجج الحق وما يبدئ الباطل وما ابدا الباطل
اي يقذف حجج الحق علام الغيوب قال بعضهم هو ما ذكر في اية اخرى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه الى اخر
الاية قال ترهق الباطل وتثبت الحق اي نقذف بالحق على الباطل فتهلك الباطل وتثبت الحق وهو ايضا ما ذكر
فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقوله قل ان ضللت بكسرة اللام ونصبها كلاهما
لغتان قال الكسائي تقول العرب ضل يضل ضلالة وضل يضل بالخفض والنصب جميعا ثم قوله ان ضللت فانما
اضل على نفسي يخرج على وجهين احدهما ان ضللت فان يكون ضرر ضلالي على نفسي لا يكون على الله من ذلك شيء كقوله
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها والثاني ان ضللت
فانما يكون ذلك على نفسي ولا يكون على انفسكم من ضلالي شيء كقوله قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون
ونحوه وقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي هذا يخرج ايضا على وجهين احدهما وان اهتديت الى طاعة الله وشرع الدين
فبما يوحي الي ربي في ذلك اي فبوحيه اهتديت الى ذلك والثاني وان اهتديت الى دينه وهدايته فبتوفيقه اياي
وعصمته اهتديت اما في الهداية الى الله والضلال الى نفسه فهو لما ذكرنا انه كان من الله اليه لطف ذلك ليس
ذلك في الضلال وعلى قول المعتزلة يجيء ان يكون المعنى فيهما واحدا لانهم يقولون انه لا يكون من الله والنبي فلا يكون
منه اليه في الهداية الا كما كان منه اليه في الضلال والله اعلم وقوله انه سميع قريب قال بعضهم سميع اي مجيب للدعاء
كقوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب الاية وقال بعضهم سميع لمقالتكم لمحمد حيث قالوا له لقد ضللت حين تركت دين
ابائك قريب اي يجيب له وقيل سميع الدعاء قريب الاجابة والله اعلم وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان
قريب اختلف فيه قال بعضهم وذلك انهم بعثوا جيشين قاصدين تخريب الكعبة فلما بلغوا البيداء خسف باحدهما والاخر
بنفر وينفلت منهم مخبر فيحول وجهه في قفاه فيخبرهم بما لقوا وذلك قوله ولو ترى اذ فزعوا عن الخسف والعذاب فلا فوت
عن عذاب الله واخذوا من مكان قريب او من تحت اقدامهم يخسف بهم الارض وعلى ذلك يخرج قوله وحيل بينهم وبين ما
يشتهون من تخريب الكعبة كما فعل باشياعهم من قبل وهم اصحاب الفيل وعلى ذلك روي عن ام سلمة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال تغزو هذا البيت جيش حتى اذا كانوا بالبيداء خسف بهم فلا ينفلت منهم الا واحد يخبر عنهم قال رسول
الله وان كان فيهم المكره قال رسول الله يبعثون على نياتهم وقال بعضهم قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وهو عند الموت
يفزعون منه فلا فوت لهم منه واخذوا من مكان قريب على المكان والحسن يقول فزعوا من القبور فلا فوت يقول اخذوا
عند ذلك وهو المكان القريب وقال بعضهم ذلك عند القيامة يفزعون عند معاينتهم العذاب وافزعهم ذلك ولا يفوتون
الله وقالوا امنا به وهو كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية وكقوله فرعون حين ادركه الغرق امنت انه لا اله
الا الذي امنت به بنو اسرائيل ونحوه وقوله عز وجل وانى لهم التناوش من مكان بعيد وقال بعضهم من مكان بعيد انهم
سالوا الرجعة والرد فنالوه من مكان بعيد قال من الاخرة الى الدنيا وقال بعضهم اي لا سبيل لهم الى الايمان في ذلك
الوقت وقد كفروا به من قبل في حال الدعة والرخاء فلم يؤمنوا وقال بعضهم من مكان بعيد اي من حيث لا ينال ولا يكون
ذلك كقوله اولئك ينادون من مكان بعيد اي من حيث لا يكون ابدا ليس على الارادة حقيقة المكان وقتادة يقول
هو عند الموت وعند نزول العذاب بهم ليس من احد يمنع ذلك الوقت الا وهو يؤمن ويتمنى الايمان لكن لا ينفع كقوله
يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية على ما ذكر والله اعلم وقوله وقد كفروا به من قبل ويقذفون
بالغيب من مكان بعيد قال بعضهم معناه والله اعلم وذلك انهم كانوا في الدنيا يكذبون في الاخرة ويكفرون بالغيب
يقولون لا بعث ولا احساب ولا نار وذلك قذفهم من بعيد وفي حرف ابن مسعود ويقذفون بالغيب ويرجمون
بالظن وقال بعضهم يقذفون بالغيب اي يتكلمون بالايمان من مكان تباعد عنهم فلا يقبل منهم فقد غاب عنهم الايمان
عند نزول العذاب فلم يقدروا عليه وحيل بينهم وبين ما يشتهون من قبول التوبة والايمان عند نزول العذاب بهم
او عند معاينتهم اياه كما فعل باشياعهم من قبل يقول كما عذب اوائلهم من الامم الخالية من قبل هؤلاء انهم كانوا
في شك من العذاب والبعث والقيامة مريب وقال بعضهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون من اهل او مال او زهرة

وقال بعضهم في قوله ويقذفون بالغيب من بعيد هو قولهم هو ساحر هو شاعر كاهن والتناوش عند عامة اهل التاويل
وقال بعضهم الرجعة والرد لانهم طلبوا الرجعة والرد الى الدنيا قال ابو عوسجة التناوش التناول من موضع بعيد
لا يكون من قريب والقتبي يقول انا لهم التناوش اي تناول وما ارادوا بلوغه وذلك ما طلبوا من التوبة من
الموضع الذي لا يقبل فيه التوبة قال ابو معاذ والزجاج الناس في كلام العرب الطلب يقول ناشت اليه اي
طلبت منه لكن هذا ليس من باب التناوش وقوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون هو ما ذكرنا من اختلافهم منهم
من قال بين الايمان والتوبة ومنهم من قال بين شهواتهم التي كانت لهم في الدنيا لكن كان على الايمان والتوبة
فانما حيل بينهم وبين القبول للايمان والتوبة لا نفس الفعل فذا قوله وان كانت على الشهوات فهو على حقيقة
حيلولة الفعل وكذلك ان كان على تخريب البيت على ما يقوله بعض اهل التاويل والله اعلم وقوله كما فعل
باشياعهم من قبل قال ابو عوسجة باشياعهم بامثالهم واشباههم فهو والله اعلم باشباههم وامثالهم
في التكذيب والجحود وقال بعضهم هو من شيعة الرجل انهم كانوا في شك مريب قال بعضهم انهم كانوا في شك
من العذاب بانه غير نازل بهم وقال انهم كانوا في شك من البعث والاحياء بعد الممات وشكهم وريبهم لما
استبعدوا الاحياء بعد الهلاك وبعد ما صاروا رمادا فمن هذه الجهة انكروا ثم لم يروا خلق الشيء للفناء
خاصة لا لعاقبة وحكمة فارتابوا في ذلك والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض ما ذكر في
القرآن الحمد لله الا وذكر على اثره التعظيم لله والاجلال له وذكر ما انعم به على الخلق ليلزمهم الشكر له والثناء
عليه نحو ما ذكر الحمد لله فاطر السموات والارض ونحو ما قال الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض الاية
ونحو قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض الاية وقوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية
جميع ما ذكر في القرآن من الحمد له ما ذكر على اثره ما يوجب التعظيم له والتبجيل والثناء عليه والشكر له بعثا منه الخلق الثناء
على ذلك والشكر له وبالله المعونة والقوة على ذلك وقوله فاطر السموات والارض قال بعضهم الفاطر هو المبتدئ او
البارئ وهو قول من اهل الادب وكذلك ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما ادري ما فاطر السموات والارض حتى جاء
اعرابيان فاختصما في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها فعند ذلك عرفنا وكلام نحو ويجيء ان يكون الفاطر هو الشاق
اي شق السموات كلها من واحدة وكذلك الارضين كقوله اذا السماء انفطرت اي انشقت كما قال ان الله فالق الحب والنوى
اي الشاق لكن جميع ما اضيف الى الله من الشق والفطر والجعل وغيره من نحو قوله جاعل الملائكة رسلا كله على اختلاف
الالفاظ عبارة عن الخلق اي خالق ذلك كله واصل الخلق في اللغة هو التقدير خلقتها اي قدرت وكذلك قال الكسائي ان
الفطر في كلام العرب هو الشق معناه هو الشق معناه انه شق من السماء ست سموات ومن الارض مثلهن ومنه الحديث
حتى تفطرت قدماه دما وقوله جاعل الملائكة رسلا وفي ظاهر الاية انه جعل جميع الملائكة رسلا فان كان على ذلك فكانه
ولى كل واحد منهم امرا من امور الخلق والعباد وان كان على بعض فيكون تاويله جاعل من الملائكة رسلا او في الملائكة رسلا
ثم اخبر عن الملائكة انهم اولو اجنحة مثنى وثلاث ورباع يطيرون بها ليس كالطيور التي تطير بجناحين لو يبد لها جناح او جناحان
يمنعه عن الطيران كالاصبع الزائدة لبني ادم يمنعهم عن بعض العمل لا تزيد لهم نفعا بل ينقص واما ما ذكر من عدد
الاجنحة للملائكة فذلك لا يمنعهم عن الطيران بل يزيد لهم قوة ومقدرة على ذلك ثم قال يزيد في الخلق ما يشاء
قال بعضهم يزيد في الملائكة على اربعة اجنحة ما يشاء ان الله على كل شيء قدير من خلق الاجنحة في الزيادة قدير و
ذكر ان لاسرافيل ستة اجنحة ولجبريل ستمائة جناح ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه يقول اري رسول الله صلى
الله عليه وسلم جبريل وله ستمائة جناح وقال بعضهم يزيد في الخلق ما يشاء اي الصوت الحسن وقال بعضهم الشعر الحسن
فهو فيما ذكر من الزيادة في الاجنحة اشبه واقرب وهو على كل شيء قدير من الزيادة والابتداء لا يصعب عليه وقوله
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها عن ابن عباس من عافية وقال قتادة اي من خير وقال مقاتل وغيره اي من رزق
كقوله واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك اي من رزق وكله واحد اذ الخير يشتمل على العافية والرزق وكذلك
كل واحد من ذلك وقال بعضهم الرحمة الغيث والمطر وهو ما ذكرنا كله يرجع الى واحد من ذلك ثم قوله ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها ولا يمسك فلا مرسل له من بعده يخرج على وجهين احدهما على تسفيه احلام الكفرة
في عبادتهم الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله يقول والله اعلم تعلمون انتم انه ليس لكم مما تعبدون من دون
الله نفع او خير ولا كشف ضر عنكم او سوء فكيف تعبدونها كقوله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله
بضر الاية اي تعلمون انهن لا يملكن ذلك والله هو المالك لذلك كله فكيف صرفتم العبادة اليهاوالها او يقول انكم
تعلمون ان ما تعبدون من الاصنام من دون الله لا يرزقونكم ولا انها يبتغي الرزق ولا كانت منها اليكم سابقة

نعمة فانما يعبد لاحدى هذه الوجوه من يعبد اما لسابقة نعمة او نيل خير وجر نفع او كشف ضر ودفع سوء او طمع
في العاقبة فاذ لم يكن شيء من ذلك من الاصنام ومن الله ذلك كله فكيف صرفتم عبادتكم عنه اليها كقوله ان
الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون
هذا اذا كان قوله ما يفتح الله للناس من رحمة راجعا الى الكفرة واذا كان ذلك راجعا الى المؤمنين فهو يخرج على وجهين
احدهما فيه قطع الطمع من الخلق والاياس عما في ايديهم وان لا يرجعوا من دونه ولا يخافوا غيره بل فيه الامر بان يروا
ذلك كله من الله وانه هو المالك لذلك دون الخلق والثاني قطع طمع الرزق من المكاسب والاسباب التي يكتسبونها
والامر فيها اعني المكاسب اي يرونها نعمة وان يروا ارزاقهم من فضل الله وعلى قول المعتزلة اذا فتح الله لاحد
رحمة يقدر عبد في ان يمسك ذلك وان امسك هو قدر ان يرسل لانهم يقولون ان الله اذا جعل لاحد اجلا و
ضمن له الحيوة ووفاء الرزق الى منتهى الاجل فيجيء عدو من اعدائه فيقتله قبل انقضاء اجله واستيفاء رزقه فذلك منع
على قولهم عن وفاء ما ضمن وما جعل له من المدة والاجل وفي حرف ابن مسعود وما يفتح الله على الناس من رحمته وقوله
وهو العزيز الحكيم قد ذكرناه في موضع وقوله عز وجل يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من
السماء والارض كانه هو صلة ما تقدم ثم هو على التقرير والايجاب وان خرج مخرج الاستفهام في الظاهر كانه يقول والله
اعلم انكم تعلمون انه ليس من خالق غير الله وتعلمون انه هو رازقكم دون من تعبدونه لا اله الا هو فاني تؤفكون اي لا اله
الا هو فما الذي حملكم على افككم وكذبكم انها شركاؤه وانها الهة وانها شفعاؤكم عند الله وان عبادتكم اياها تقربكم
الى الله زلفى اتاكم كتاب او رسول وانتم لا تؤمنون بكتاب ولا رسول فمن اين تؤفكون وتكذبون والله اعلم وقوله وان
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك معلوم انهم كانوا لا يكذبون في قوله هل من خالق غير الله ولا في قوله ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل لها من بعده لانهم كانوا يعلمون انه ليس من خالق غير الله ولا
فاتح رحمة سواه اذا كان هو ممسكها ولا ممسك لها اذا كان هو مرسلها ولكن انما كانوا تكذيبهم اياه فيما يخبر انه
رسول الله اليهم كذبوه في الرسالة او فيما يخبر انه اوحي اليه من الله كذا او فيما يخبر عن البعث بعد الموت انه كائن
وامثال ذلك فاما فيما ذكرنا فلا وهو تعزية منه لرسوله ليصبر على تكذيبهم اياه ليعلم انه ليس باول مكذب بل
قد كان اخوانه من قبل فقد كذبوا من قبل فيما اخبروا قومهم عن الله فصبروا على ذلك فاصبر انت ايضا كقوله فاصبر كما
صبر اولوا العزم من الرسل الاية والله اعلم وقوله والى الله ترجع الامور والى يرجع تدبير الامور كلها اي لا تدبيرهم
للخلق في ذلك او يقال الى الله يرجع الحكم في الامور وهو الحاكم فيها كقوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله
والله اعلم وقوله يا ايها الناس ان وعد الله حق قال عامة اهل التاويل ان وعد الله حق اي البعث انه كائن لا
محالة وجائز ان يكون قوله وعد الله حق فيما وعد من الثواب على الطاعات ووعد حق فيما اوعد من العقاب
على السيئات انه يكون والله الموفق وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا معنى قوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا والله اعلم اي
لا تشغلنكم الحيوة الدنيا عن ذكر الحيوة الاخرة عن الحيوة الاخرة والا فالدنيا لا تغر احدا في الحقيقة وكذلك هي
ليست بلعب ولا لهو ولا هي غارة ولكن يغتر اهلها بها لما غفلوا عما جعلت هي وانشئت وهو ما ذكرنا انها جعلت
زادا للاخرة وبلغة اليها فمن لم يجعلها زادا للاخرة ولا بلغة الى الوصول الى الاخرة ولكن جعلها في غير ما جعلت
هي وانشئت وهي الحيوة فيها والمقام بها صارت لعبا ولهوا وصارت غرورا ذمها كالمنشئات لانفسها لا للا
وهذا كما قال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم اخبر ان السورة كانت تزيد لاهل الايمان ايمانا ولاهل
الكفر والنفاق رجسا وعمى والسورة لا تزيد رجسا لهم ولا عمى في الحقيقة لانه وصف القران بانه نور وانه
هدى ورحمة وبرهان ولكن صار عمى رجسا لمن اعرض عنه وكذب به ورده واما من تلقاه بالقبول واقبل
اليه ونظر اليه بالتعظيم والاجلال له والخضوع فهو له نور وهدى ورحمة فعلى ذلك الدنيا وما فيها من
النعم واللذات انما جعلها على غير ما جعلت هي وانشئت صار لعبا ولهوا وغرورا ولو وجدت هي على ما انشئت
مكان مادحت لكان حقا وصدقا لانه سمى نعيمها حسنة وخيرا وصلاحا ونحوه فلو جاز ان يذم الحسنة والخير
حق الذم على اهلها حيث اغتروا بها وصرفوها في غير ما سيرت وجعلت لغفلتهم عما جعلت هي وصرفهم اياها الى غير
الذي صرفت وجعلهم بها وعلى ذلك لا يجوز ذم الغناء والسعة والصحة والسلامة لان ذلك كله نعم من الله
انعمها على الناس فيجب ان ينظروا الى ما عليهم لله من الشكر في ذلك فيودوه وكذلك العز والثناء الحسن ونحوه
لا يجب ان يذم شيء من ذلك بل يذم من لم يعرف ان العز فيم انما العز في طاعة الله والعبادة له لا في معاصيه فهؤلاء
سموا معصية الله عزا لجهلهم العز وكذلك الثناء الحسن يجب ان يحمد ربه ويشكره لما ستر على الخلق فضائحه ومسـ
حتى اثنوا عليه ما لو بدا ذلك واظهر لهربوا منه فضلا ان يثنوا عليه ويحمدوه فيجب ان يشكر ربه ويثني بما ستر على

معاصيه

معاصيه وفضائحه والله الموفق وقوله ولا يغرنكم بالله الغرور والغرور بفتح الغين هو الشيطان يقول لا يغرنكم بالله الشيطان
ثم يحتمل قوله بالله الغرور وجوها احدها لا يغرنكم الله اي بكرمه وجوده يقول انه كريم وجواد غفور يتجاوز عنكم ويعفو
عنكم معاصيكم ومساويكم والثاني لا يغرنكم بالله الغرور اي بغناه يقول انه غني ما به حاجة الى عبادتكم اياه وفيما امركم به
ونهاكم عنه والثالث ان يكون قوله لا يغرنكم بالله عن طاعته وعبادته فتعصوه وذلك جائز في اللغة الباء مكان عن كقوله
عينا يشرب بها عباد الله اي عنها اذ لا يشرب بالعين وانما يشرب عنها والله اعلم وقوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا يذكر هذا والله اعلم لان ما يدعوا الشيطان الخلق اليه في الظاهر يخرج مخرج الشفقة لهم والنصيحة كما يدعوا الاولياء لان
يدعوهم الى قضاء شهواتهم ولذاتهم وما تهوى به انفسهم وان كان يقصد به هلاكهم الا ترى انه كيف اظهر لادم
وحواء الشفقة لهم والنصيحة حيث قال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الى قوله لمن الناصحين ونحو
ذلك فقصد بذلك ما ذكر فوسوس لهما الشيطان الاية هذا كان يقصد في دعائه اياهما الى التناول من تلك الشجرة
التي نهاهما ربهما فعلى ذلك فيما يدعوا الناس به الى قضاء شهواتهم وحاجاتهم في الظاهر فهو يقصد بذلك هلاكهم
لما لعنهم المولى ما يظهر ويبدي لهم لذلك قال انه عدو لكم فليس تولي فاتخذوه عدوا اي لا تجيبوا عن دعائه وامره على حذر
كالعدو والمرء دعاء عدوه انما يدعوا حزبه قال بعضهم اهل طاعته وقال القتبي وغيره جماعة حزبه انصاره والحزب الانصار وقال
بعضهم حزبه ولاته الذين يتولونه ويتبعونه وكله واحد ثم قوله انما يدعوا حزبه هو يدعو حزبه لكنه خص حزبه بالدعاء لانهم هم
المجيبون له والمطيعون فاما غير حزبه فلا يجيبونه وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وكان ينذر
من اتبع الذكر ومن لم يتبع الذكر لكن خص بالانذار من اتبع الذكر لما ان متبع الذكر هو المنتفع به دون من لم يتبع لذلك
خص والله اعلم فعلى ذلك ما خص بدعائه حزبه لان حزبه هم المجيبون له والمطيعون وقوله ليكونوا من اصحاب السعير
فقصد بدعائه حزبه الى ما يدعوهم ليكونوا من اصحاب السعير والا فالظاهر لو كان اظهر لهم الدعاء الى اصحاب السعير ما اجابوه
ولا اطاعوه ولكن دعاهم الى اعمال توجب لهم السعير او ليكون لهم عداوة السعير كقوله
الذين كفروا لهم عذاب شديد هو ظاهر والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير قوله لهم مغفرة لما عملوا
من غير الصالحات بعد ايمانهم او مغفرة لذنوبهم في الايمان واجر كبير لايمانهم واعمالهم الصالحات وقوله افمن زين له
سوء عمله فراه حسنا ليس لهذا الحرف في ذا الموضع جواب فجائز ان يكون جوابه في قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
على التقديم له كانه يقول والله اعلم افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء او ان يكون قوله افمن زين له سوء عمله فلزمه كمن قبح له فينتهي عنه ليسا بسواء
كقوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ذكر ان قوله او من كان
ميتا فاحييناه نزل في عمر بن الخطاب وقوله كمن مثله في الظلمات في ابي جهل فعلى ذلك الاول او ان يكون ما ذكر
مبنيا على التقديم والتاخير وقوله فان الله يضل من يشاء عن الهدى ويهدي من يشاء من الضلال الى الهدى
يضل من علم منه انه يختار الهدى وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات هذا يحتمل وجوها احدها قوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات على النهي اي لا تقتل ولا تذهب نفسك عليهم حسرات اشفاقا على ما نزل بهم بتركهم الايمان
لان رسول الله كان ان يهلك نفسه اشفاقا عليهم فنهاه عن ذلك كقوله والثاني تخفيف الحزن عليه ورفعه عنه وتسليته
اياه لانه كان يشتد به الحزن لمكان كفرهم وتكذيبهم اياه وتركهم الايمان به ليس على النهي كقوله ولا تحزن عليهم وقد ذكرنا
معناه فيما تقدم مقدار ما حفظنا عنه والله اعلم وقوله ان الله عليم بما يصنعون هذا يخرج على وجهين احدهما ان الله تعالى
على علم بصنيعهم انشاهم لا عن جهل بما يكون منهم والثاني عليم بما يصنعون فلو تكافئهم ولا تشتغلن بشيء مما يكون
منهم ولكن فوض ذلك الى الله واسلم اليه وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فا
حيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور اي كذلك يحيي الموتى وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وقوله من كان يريد
العزة فلله العزة جميعا قال بعضهم من كان يريد القوة والمنعة بعبادة الاصنام ومن عبد من دونه فلله العزة
جميعا اي فبعبادة الله وطاعته ذلك في الدنيا والاخرة اي فمن عنده اطلبوا ذلك كقوله من يريد ثواب الدنيا والاخرة
اي من عنده اطلبوا ذلك في الدنيا والاخرة وقال بعضهم من كان يريد العزة اي العزة والنصرة فلله العزة جميعا اي فبه
يكون عز الدنيا والاخرة بالاصنام التي يعبدونها وقد كان منهم بعبادتهم الاصنام طلب العز لا غير طلب العز كقوله
واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وطلب القوة والمنعة كقوله واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون
فاخبر ان ذلك انما يكون بالله وبطاعته فمن عنده اطلبوا الا من عند من تعبدون من دونه والله اعلم وقوله اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اختلف فيه قال قائلون اليه يصعد الكلم الطيب هو الوعد الحسن والعمل الصالح
يرفعه هو انجاز ما وعد اي انجاز ما وعد من الوعد الحسن وفي ذلك انجاز الوعد الحسن الذي وعد قال بعضهم
اليه يصعد الكلم الطيب هي كلمة التوحيد وشهادة الاخلاص والعمل الصالح يرفعه اي اخلاص التوحيد لله يرفع

الكلم الطيب الذي تكلم به فعلى هذا التاويل يصعد الكلم الطيب عليه ما لم يخلص ذلك فيه وقال قايلون اليه يصعد الكلم
الطيب هي كلمة التوحيد على ما ذكرنا والعمل الصالح يرفعه اي يرفع الله العمل الصالح لصاحبه يعني لصاحب الكلام
الطيب فعلى هذا التاويل يصعد الكلم الطيب اليه دون العمل الصالح وبعض اهل التاويل يرفع الكلام التوحيد
الطيب العمل الصالح الى الله وبه يتقبل الاعمال الصالحة وظاهر الاية ان يكون العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم
الطيب لكن الوجه فيه والله اعلم ما ذكرنا من الوجوه وقال بعضهم يقولان العمل الصالح يرفع الكلام الطيب والوجه
فيه ما ذكرنا وقوله والذين يمكرون السيئات قال عامة اهل التاويل والذين يعملون السيئات وجايز ان يكون
ما ذكر من مكرهم السيئات هو مكرهم رسول الله واذاهم اياه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك الاية ويمكر الله بهم في الدنيا بالهلاك والقتل وفي الاخرة بالعذاب الشديد حيث قال لهم عذاب
شديد في الاخرة ومكر اولئك هو يبور اي هو يهلك من البوار وهو الهلاك وهو قتلهم ببدر والله اعلم
وقوله والله خلقكم من تراب خلقكم اي قدركم مع كثرتكم من اول امركم الى اخر ما تنتهون اليه من التراب
الذي خلق ادم منه اذ الخلق في اللغة التقدير وقوله ثم من نطفة اي قدركم ايضا مع كثرتكم وعظمكم
من تلك النطفة يخبر عن علمه وتدبيره في تقديره ايانا مع كثرتنا في ذلك التراب وفي تلك النطفة وان لم نكن
نحن على ما نحن عليه في ذلك التراب والنطفة لا يعجزه شيء او ان يكون اضافته ايانا الى ذلك التراب والماء
لانه كان ذلك اصلنا ومبادي امورنا وكان المقصود بخلق ذلك التراب والماء والاصل هذا الخلق وهو العاقبة
وقد يذكر ويضاف العواقب الى المبادي وتنسب اليها اذا كان المقصود من المبادي العواقب وله نظاير
جهة كثيرة وقد ذكرنا في غير موضع وقوله ثم جعلكم ازواجا اي خلقكم من ذلك ذكرا وانثى ليسكن بعضكم
الى بعض او جعلكم ازواجا اصنافا وفي حرف ابن مسعود والله خلقكم من نفس واحدة ثم جعلكم ازواجا
والله اعلم وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه يقول والله اعلم ما تحمل من انثى من اول ما تحمل الى
اخر ما تنتهون اليه الا بعلمه السابق وكذلك لا تضع كل حامل منا اول ما تضع الى اخر ما تنتهي اليه
الا بعلمه السابق انها تحمل كذا وقت كذا من كذا وانها تضع كذا في وقت كذا يخبر عن علمه السابق من
اول منشاهم الى اخر ما يكونون وينتهون اليه انه كان كله بذلك التقدير الذي كان منه والله اعلم
وقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب قال بعضهم قوله ما يعمر من معمر اي ما يطول له من عمر
وان طال وما ينقص من عمره اي ما ينقص وقصر من ذلك ولم يطول الا في كتاب اي الا كان ذلك كله في كتاب مبينا
هكذا مطولا ومقصرا وقال بعضهم وما يعمر من معمر اي من كثرة عمره وطال او قل عمره فهو يعمر الى اجله الذي كتب له ثم قال
ولا ينقص من عمره كل يوم وكل ساعة حتى ينتهي الى اخر اجله الا في كتاب في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقه ان ذلك على الله
يسير قال صاحب هذا ان كتابة الاجال ان كتبه الله في اللوح المحفوظ على الله هين وقال اخرون يا من هذا في قوله ولا ينقص
من عمره في جري الليل والنهار والساعات الا في كتاب وذلك ان الله تعالى كتب لكل نسمة عمرا ينتهي اليه فاذا جرى
عليه الليل والنهار نقص ذلك عمرها حتى يبلغ ذلك اجلها فمن قضى له ان يعمر حتى يدركه الكبر او عمر دون ذلك فهو
بالغ ذلك الاجل الذي قضى له وكان ذلك في كتاب ينتهون اليه ان ذلك على الله يسير يقول قايل هذا ان حفظ ذلك
على غير كتاب يسير هين وجايز ان يكون قوله ان ذلك على الله يسير اي ان علم ما ذكر وتقديره من اول منشاهم وتغيير
احوالهم الى اخر ما يكونون وينتهون اليه يسير اي لا يخفى عليه وقوله وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ
شرابه وهذا ملح اجاج فيه وجوه من المعتبر احدها يذكر ان لا يستوي في الحكمة الخبيث من الرجال والطيب منهم كما
لا يستوي المالح من المياه والاجاج العذب منه والسايغ وقد استوى الطيب من الرجال والخبيث في منافع الدنيا
وما كان تهادي في الحكمة التفريق بينهما والتمييز دل ان هنالك دارا يميز بينهما ويفرق اذ قد استويا في منافع وخطا
وفي الحكمة التفريق والتمييز لا الجمع والاستواء وذلك يدل على البعث والثاني فيه ان المنشا من الاشياء
في هذه الدنيا والمخلوق فيها لم ينشئها الحاجة نفسه ولكن لحوايج الخلق ومنافعهم وما يكون لهم العبرة في ذلك
اذ من انشا شيئا لحاجة نفسه انشا الذ الاشياء واحلاها وانفعها له لا مرا مالحا اجاجا لا ينتفع به يخبر عن غناه
عما انشا من الاشياء فعلم انه لم ينشئها لحوايج نفسه ولكن لما ذكرنا وهو على المعتزلة في قولهم انه لم يخلق شيئا الا
ينتفع به وانه لا يفعل بهم الا ما هو اصلح لهم في الدين اذ قد انشا ماء اجاجا مالحا لا ينتفع به ليكون لهم عبرة في
ذلك والثالث فيه ترغيب في ايمان الخبيث الكافر ورفع الاياس عن توحيدهم وقطع الرجاء عن عودهم اليه حيث
اخبر عما ياكلون من الماء المالح والاجاج والعذب السايغ جميعا اللحم الطري ما حقق مثله اذا القي فيه او وضع مثله اللحم الطري
ان يفسد من ساعته ويذكرهم ايضا عن قدرته لمن قدر على حفظ ما ذكر من اللحم الطري في الماء الذي لا يقدر على
الدنو منه والقرب فضلا ان يكون فيه حفظ ما ذكر من الانسان فمن قدر على هذا لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء

والرابع يذكر نعمه التي انعمها عليهم حيث قال ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها يذكر عظم نعمه
وقد رتب جعل البحار مسخرة مذللة يقدرون على استخراج ما فيها من الحلي والجواهر والوصول الى المنافع التي هي
وراء البحار وقطعها بسفن انشاها لهم واجراها في الماء الراكد الساكن برياح تعمل عمل جريان الماء بل الاعجوبة في اجراء
السفن بالرياح في المياه الراكدة الساكنة اعظم واكثر من جريانها على جرية الماء لانها في الماء الجاري لا تجري الا على الوجه
الذي يجري الماء وفي البحار تجري بريح واحدة من الاسفل الى الاعلى ومن الاعلى الى الاسفل حيث شاؤوا دل ان الاعجوبة
في هذا اكثر واعظم ومن ملك هذا لا يعجزه شيء او ان يكون المثل الذي ذكر في البحرين احدهما عذب والاخر ملح
اجاج مثله يكون للعمل الصالح وهو التوحيد والعمل السيء وهو الكفر يقول كما لا يستوي في الفضل الماء
العذب والماء المالح فعلى ذلك لا يستوي العمل الصالح والعمل السيء وقوله وترى الفلك فيه مواخر قال بعضهم
مواخر تجريان احدهما مقبلة والاخرى مدبرة بريح واحدة وتستقبل احدهما الاخرى وقال بعضهم المواخر هي
التي تشق الماء وتقطعه من مخر يمخر وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله لتبتغوا من فضله هذا يدل ان ما يصاب بالاسباب
والمكاسب انما هو فضل الله اذ قد تكتسب ولا يكون منه شيء والله اعلم وقوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يذكر هذا لاهل مكة لانكارهم الصانع وانكارهم البعث وانكارهم
الرسل لانهم كانوا فرقا ثلثة منهم من ينكر الصانع والتوحيد ومنهم من ينكر البعث ومنهم من ينكر الرسل ففي
الاية دلالة اثبات الصانع والتوحيد وفيها دلالة البعث والانشاء بعد الموت وفيها دلالة اثبات الرسالة
اما دلالة اثبات الصانع والوحدانية له اتساق الليل والنهار والشمس والقمر وما ذكر وجريانها وجريان
الامور كلها على سنن واحد وميزان واحد وقدر واحد من اول ما كان الى اخر ما يكون من غير زيادة او نقصان
يدخل فيه او تقديم او تاخير يكون فيه يدل على ان لذلك كله صانعا مدبرا انشاه ودبر كل شيء على ما كان وحفظ
كله على ميزان واحد اذ لو كان بنفسه لكان لا يجري على حد واحد ولا ميزان واحد بل يتفاوت او يتفاضل وكذلك
لو كان فعل عدد لكان يتقدم ويتاخر ويتغير ويمتنع ويذهب راسا على ما يكون فعل العدد من الملوك انما اراد الاخر منع
نفسه ومنعه وما اراد هذا نفيه وابطاله اراد الاخر اثباته وذلك معروف فيهم من مخالفة بعض بعضا فدل الاتساق
ما ذكرنا وجريانه على تدبير واحد انه فعل واحد وتدبير واحد لا عدد وبالله القوة ودل ذهاب الليل والقمر بكليته
حتى لا يبقى له اثر وكذلك ذهاب ضوء النهار ونوره وكذلك الشمس والقمر واتيان الاخر بعد تلفه انه يبعث
اذ لو لم يكن بعث كان تدبير ذلك كله وتقديره لعبا باطلا وان من قدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت انه
لا يعجزه شيء فاذ ثبت ما ذكرنا لا يحتمل ان يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بانواع المحن فلا بد من رسول
يامر وينهى ويخبر عما لهم وعليهم وفيه ان مدبر ذلك كله عليم حكيم ثم يخبر ان الذي فعل ذلك كله هو ربكم الذي
له الملك يقول الذي فعل هذا كله لا الاصنام التي عبدتم دونه وسميتموها الهة فكيف صرفتم العبادة
اليها والوهية وما تعبدون من دونه لا يملكون ما ذكر حيث قال والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يسفه
احلامهم في عبادة من عبدوا دونه على علم منهم انهم لا يملكون ما ذكر وصرفهم العبادة عن الله على علم منهم ان ذلك كله من
الله وهو المالك لذلك ثم يخبر عن عجز من عبدوه حيث قال ان تدعوهم على حقيقة الدعاء لا يسمعوا دعاءكم حقيقة
ولو سمعوا ما استجابوا لكم اي لو سمعوا دعاءكم ما يملكون اجابتكم في دفع ضر وسوء ولا جر نفع او ان يكون قوله ان
تدعوهم اي تعبدوهم لا يسمعوا دعاءكم اي لا يجيبوكم الى ما تقصدون بعبادتكم اياهم او ان يقول ما قبلوا ذلك عنكم
ولا ينفعكم فيه والله اعلم وقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم يكفرون يوم القيمة ان يكونوا شركاءكم او امروهم
بذلك كقوله سيكفرون بعبادتهم الاية وقوله ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم ونحوه والله اعلم وقوله ولا ينبئك مثل خبير اي لا ينبئك احد مثل الذي انباك الخبير في الصدق
والحق او ان يكون قوله ولا ينبئك مثل خبير اي لا يكون نباء احد مثل الخبير فاعمل به واقبل اليه ولا تقبل على نباء غيره والله
اعلم وفي قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وجهان من اللطف احدهما يسلخ حتى يذهب اثره وياتي في الاخر
او يزيد في هذا وينقص من الاخر ويدخل من ساعات هذا في ساعات الاخر وفيه نقض قول الثنوية في قولهم ان منشئ الخير
غير منشئ الشر ويقولون ان النور من منشئ الخير والظلمة من منشئ الشر فلو كان ما ذكروا لكان اذا ذهب النور وجاءت
الظلمة هي الغالبة والنور هي المغلوبة في يدها وكذلك النور اذا جاء وذهبت الظلمة صارت هي مقهورة مغلوبة في يد النور
والنور هو الغالب عليها قاهرا ومغلوبا مقهورا في يدي صاحبه يجب ان لا يقدر على استنقاذ نفسه من يده اذ على ما
يكون من عادة الاعداء اذا غلب بعضهم بعضا وقهر بعضهم بعضا ان يخلص منه فاذ لم يكن ولكن جاء كل واحد منهما في وقته
بعد ذهابه دل على التقدير الذي ذكرنا دل انه فعل واحد وتدبير واحد لا تدبير عدد وبالله الحول والقوة والقطمير يقول
القطمير هو القوقة التي تكون في النواة وابو عوسجة يقول هو القشرة الرقيقة التي تكون بين لحم التمرة وبين نواتها وهو احد

واحد وجعله سواء وقوله يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فيه وجوه من الدلالة احدها انه انما امركم
ونهاكم وامتحنكم بانواع المحن لحاجتكم وفقركم اليه لا لحاجة وفقر له في ذلك فان ائتمرتم واطعتموه فالى انفسكم يرجع منفعة
ذلك وان عصيتم فعلى انفسكم يحوض ضرر ذلك كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها والثاني يقول تعلمون
ان فقركم وحاجتكم الى الله لا الى الاصنام التي تعبدونها واتخذتموها الهة فكيف صرفتم العبادة والشكر الى من تعلمون انكم
لا تحتاجون اليه ولا تفتقرون والثالث يامرهم بقطع اطماعهم من الخلق لانه خاطب الكل والاخبار انكم جميعا فقراء الى الله
الطامع والمطموع فيه فاقطعوا اطمعكم ورجاءكم عن الخلق واطمعوا ذلك من الله فانه الغني الحميد والخلق جميعا فقراء
اليه يؤيسهم عن الطمع والرجاء عن الخلق والله اعلم وقوله ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد يخبر عن غناه وقدرته لو
اذهبكم لتعلموا انه لم ينشئكم ولا امركم ولا نهاكم لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن لحاجة انفسكم وقوله وما ذلك على
الله بعزيز يحتمل هذا وجهين احدها لا يعز ولا يثقل عليه ذهابكم وفناؤكم لانه لم ينشئكم لحاجة نفسه فذهابكم وفناؤكم
وبقاؤكم عليه واحد والثاني لا يصعب عليه ولا تعز ذهابكم واحداثكم ولا يعجزه شيء يخبر عن قدرته والله اعلم وقوله
ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء كان هذا صله قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
الاية يؤيسهم ليقطعوا اطماعهم يومئذ عن تناصر بعضهم بعضا وتحمل بعضهم مؤن بعض وشفاعة بعضهم لبعض على ما
كانوا يفعلون في الدنيا كان ينصر بعضهم بعضا في الدنيا اذا اصابهم شيء ويفدي بعضهم عن بعض ويشفع بعضهم لبعض
كانوا يحتالون بمثل هذه الحيل في الدنيا ليدفعوا عن المتصلين بهم الضر فاخبر ان ليس لهم ذلك في الاخرة كقوله فلا
مساعد ولا ينفعها شفاعة ولا هم ينصرون وقوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا ومثله كثير يؤيسهم عن ان يكون لهم في الاخرة ذلك والله اعلم وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب هذا يخرج
على وجهين احدها انما ينتفع بالانذار الذي يخشون ربهم بالغيب فاما لا يخشى ربه فانه لا ينتفع به والا كان منذر
من اتبع الذكرى ومن لم يتبع ومن خشي ربه ومن لم يخش والثاني كانه يقول انك تنذر غير الذي اتبع الذكر وغير
الذي خشي ربه فانما تتبع انذارك ويقبله الذي خشي ربه واتبع ذكره والله اعلم وقوله ومن تزكى فانما يتزكى
لنفسه اي من عمل خيرا فانما يعمل لنفسه او من جاء بالتوحيد والاعمال الصالحة فانما اجره وعمله ثوابه عليه
والى الله المصير قد ذكرنا في غير موضع فائدة تخصيص ذكر المصير اليه والمرجع اليه في ذلك اليوم وان كانوا
صائرين اليه في كل وقت وقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وما يستوي الاحياء ولا الاموات ضرب هذا المثل يخرج على وجوه احدها شبه الاصنام التي كانوا يعبدونها بالاعمى
والظلمة والميتة والحرور والحقيقة لانها كذلك عميان موتى لا نور فيها يقول والله انكم تعلمون ان الذين
تعبدون من دون الله عميان موتى لا نور فيها يقول والله انكم تعلمون ان الذي تعبدونه لا بصر ولا نور
ولا حياة ولا شيء من ذلك وان الله هو البصير ومنه يكون كل خير ونفع فكيف اخترتم عبادة من هذا سبيله على
عبادة الله تعالى وبالله الهداية والعصمة والثاني شبه اولئك الكفرة بالعميان والظلمة والموت وما ذكر والمؤمنين
بالبصير والنور والظل والحيوة ليس على ارادة حقيقة البصر والحيوة وما ذكر لان لهم بصرا يبصرون وهم احياء
فيقولون نحن بصراء والاحياء وانتم العميان والاموات وما ذكر لكن شبههم بالعميان والموتى انه لا حجة لهم
ولا برهان على عبادتهم الاصنام وهم يعلمون انه لا حجة لهم ولا برهان على ذلك من كتاب او رسول او نحوه
انما هو هوى يهوون ذلك والمؤمنين في عبادتهم الله حجة وبرهان فمن كان له حجة في عبادته فهو بصير حي نور
ومن ليس له ذلك فهو اعمى ميت ... لانهم ليس لهم كلهم علم
وحاله واحد بل فيهم العميان والبصراء وفيهم الاحياء والاموات وفيهم ما ذكر وقد استووا جميعا في ما تقع هذه
الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهم لا الجمع فلا بد من دار اخرى سوى هذه يفرق بينهم اذ في الحكمة والعقل التفريق
لا الجمع والله اعلم وقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور دل قوله ان الله يسمع من يشاء على
ان قوله وما انت بمسمع من في القبور انما اراد به الكافر ثم اخبر ان رسوله لا يسمع لانه لا يقدر على ذلك وليس
عنده ذلك اذ لو كان بيانا مبينا او دعاء على ما فعل به لكان يسمع ويبين وبعد ذلك ذا علم يقدر به من
الله على ذلك دل ان عند الله لطف وشيء لم يعطهم ذاك لو اعطاهم ذلك اهتدوا وامنوا وكذلك هذا في قوله
انك لا تهدي من احببت ولو كان بيانا على ما تقوله المعتزلة الهدى من احب وقد احب ذلك فلم يهتد دل ان
عند الله شيئا لو اعطى ذلك لاهتدى ولم يكن ذلك عند رسوله وهو التوفيق والعصمة وهذا ينقض على المعتزلة
قولهم ان الله قد اعطى كل كافر ما به يهتدي لكنه لم يهتد لا يحتمل قوله ان الله يسمع من يشاء على
دل انه لا يحتمل وقوله ان انت الا نذير هذا يحتمل وجهين احدها ليس عليك الا الانذار باللسان كقوله
فانما عليك البلاغ وقوله ما على الرسول الا البلاغ والثاني لا تؤاخذ بتركهم قبول الانذار كقوله ما عليك من حسابهم

من شيء الاية وقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل الاية ويحتمل الانذار بالسيف بالامر اياه بالقتال معهم حتى يؤمنوا او
ان كان على هذا فهو يحتمل النسخ يؤمر بالقتال في وقت ولا يؤمر في وقت واما الانذار باللسان فهو لا يحتمل
النسخ ابدا والله اعلم وقوله انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا يحتمل قوله بالحق اي بالتوحيد اي ارسلناك لتدعو الناس
الى توحيد الله وارسلناك بالحق اي بالحق الذي لله عليهم وما لبعضهم على بعض وارسلناك بالحق اي بالحق وهو البعث الذي
هو كائن لا محالة وقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالجنة لمن امن بالله واجابك ونذيرا بالنار لمن عصاه وخالف امره
وترك اجابتك هذا يدل على انه لم يرد في قوله ان انت الا نذير بحاصره ليس بشيرا وقوله وان من امة الا خلا فيها
نذير قال بعضهم ليس من اصناف الخلق وجواهرهم على اختلاف جواهرهم واصنافهم الا وقد خلا لهم نذير يامرهم وينهاهم
ويمنع ويبيح كقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم الاية اخبر ان الخلق على اختلاف
اصنافهم وجواهرهم امم امثال البشر فيحتملون ما يتحمل البشر من الامر والنهي والمذاق والبشارة وقال
بعضهم ذلك راجع الى الجن والانس خاصة ليس الى الكل لانهما هما المخصوصان بالخطاب والنطق والعقل ونحو
ذلك وفيهما اظهر بعث الرسل والنذر ولم يظهر ذلك في غيرهما لكنه قال وان من امة هذين من القرون
الا خلا فيها نذير والله اعلم وقوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات يعزي
رسوله ويصبره على تكذيب قومه اياه يقول لست انت باول مكذب من الرسل بل قد كذب اخوانك الذين من قبل
بعدما جاءوا بالبينات والزبر اي بالكتاب المنير اليهم فجميع ما جاءوهم به لك كذبوهم فصبروا على تكذيبهم فاصبر انت
ايضا على تكذيب قومك والله اعلم وقوله ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي اخذت الذين كفروا رسلهم
بالتكذيب فاخذ قومك على تكذيبهم اياك ايضا يذكر هذا له ليصبره على ذلك وينفي حزنه على تكذيبهم اياه او يذكر
زجر العقوبة عن تكذيبهم اياه فينزل بهم من العذاب ما نزل باولئك بالتكذيب وقوله فكيف كان نكير قال بعضهم
فكيف كان انكاري وقال بعضهم عذابي ودل قوله بالكتاب المنير قوله الله نور السموات والارض انما سمي الكتاب
في غير اي من القرآن نورا هو نور بما ينير القلوب والصدور وقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به
ثمرات مختلفا الوانها الى اخر ما ذكر فيه فوائد من الحكمة احدها انه جعل عز وجل طبع الماء مما يلائم ويوافق طباع
هذه الثمرة على اختلاف جواهرها والوانها حتى يكون كل شيء منها وقوامه بهذا الماء وكذلك جعل طبع هذا الماء
يلائم ويوافق طباع جميع الخلائق من البشر والدواب والطير والوحش وجميع الحيوان على اختلاف جواهرهم
واصنافهم وغذائهم حتى صار هو غذاء وحيوة لهم وقياما لجميع ان من ملك هذا وقدر تدبير هذا على اختلاف
ما ذكرنا من الجواهر والاغذية وتدبيره لا يعجزه انشاء شيء لا من شيء ولا يخفى عليه شيء وفي ذلك دلالة البعث
انه من بلغت قدرته وتدبيره وعلمه هذا المبلغ لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء والثاني انه انشاء ما ذكر من مختلف
الجواهر بهذا الماء وجعله سبب الحيوة ما ذكر من البشر والدواب وغيره من غير ان يكون في ذلك الماء الذي انشاء
ذلك منه وجعله سببا لحيوتهم من اثر ذلك فيه او من جنسه ليعلم انه لم يكن انشاء هذه الاشياء بهذه المادة
لا جعله سببا له في انشاء ذلك لكان يكون تلك الاشياء المنشاءة مشاكلة الماء مشابهة له دل انه جعل ذلك
سببا للخلق في الوصول الى ما ذكرنا من الاغذية لهم من غير ان يروا اثرا منهم من تلك الاسباب والمكاسب ولكن
من فضل الله والثالث انشاء هذه الفواكه والثمرات مختلفة الوانها وطعمها لما علم من البشر من الملالة والسامة
من نوع واحد ولون واحد لتتم نعمه عليهم لتادي بذلك الشكر عليها والله اعلم وقوله ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف
الوانها وغرابيب سود قال بعضهم انشاء الجبال ايضا مختلفة من بيض وحمر وغرابيب كما انشاء الثمرات والدواب
والانعام مختلفا الوانه كاختلاف الجبال والثمار وكذلك وغرابيب جمع غربيب وهو الشديد السواد يقال اسود غربيب هو
قول القتبي وابو عوسجة ورجل غربيب الشعر اي اسود الشعر وماخوذ من الغراب لانه اسود والجدد الخطوط والطرائق
في الجبال وقال ابو عوسجة الجدة الخط والجدد جميع الخطوط ويقال الجدة اي خططت يقال ثوب جديد وثياب جدد
ومن الجبال جدد اي طرائق مختلفة الوانها بعضها بيض وبعضها غرابيب وهي سود يذكر قدرته وتدبيره ان الجبال مع
غلظها وشدتها وارتفاعها جعلها بحيث ينطرق فيها في صعودها وهبوطها فمن قدر على هذا لا يعجزه ولا يخفى عليه شيء
ويذكر نعمه عليهم حيث سخرها لهم ليقضوا بها حوائجهم فيما بعد عنهم وصعب عليهم والله اعلم وقوله انما يخشى الله من
عباده العلماء هذا يحتمل وجوها احدها ان الذي يحق على العالم بالله ان يكون هو يخشاه ويخاف سلطانه وهيبته وقدرته
وجلاله والثاني ان العالم بالبعث والمؤمن به هو يخشى مخالفة الله في اوامره ونواهيه لما يعلم من نقمته وعذابه
من خالفه وعصى امره فاما من يعلم بالبعث ولم يؤمن به فلا يخافه كقوله والذين امنوا مشفقون منها وقوله ان
الذين هم من خشية ربهم مشفقون ونحوه او ان يكون قوله انما يخشى الله من عباده العلماء عباده من جملة المؤمنين
يقول والله اعلم انما يخشى الله من عباده المؤمنون به المصدقون عذابه ونقمته فاما من لم يؤمن به فلا يخافه وقد ذكرنا

في قوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وان في ذلك لايات لكل مؤمن ويكون الصبار والشكور كناية عن المؤمنين
فعلى ذلك هذا يحتمل وقال اهل التاويل على التقديم والتاخير اي اشد الناس لله خشية اعلمهم بالله والخشية قال الحسن
هو الخوف الدائم اللازم في القلب غير مفارق له والله اعلم وقوله ان الله عزيز غفور قال بعضهم العزيز المنتقم من اعدائه
والغفور لذنوب المؤمنين وقال بعضهم العزيز في ملكه ومن دونه ذليل غفور اي ستور على ذنوب المؤمنين
وقوله الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة يحتمل ما ذكر من تلاوة الكتاب ههنا ما ذكر في اية اخرى حيث قال
يتلونه حق تلاوته واقاموا ما فيها من الامر بالصلوة والامر بالزكوة او ان يكون قوله يتلون كتاب الله اي يتبعون
كتاب الله فيما فيه من ما لهم وما عليهم يتبعون كله من الاقدام على الحلال والاجتناب عن الحرام والمستفقون
بكتاب الله هم الذين اتبعوا ما فيه من اقامة الصلوة والانفاق مما رزقوا فاما من تلاه ولم يتبع ما فيه فكانه لم يتل
وهو كما نفى عنهم هذه الحواس من البصر والسمع واللسان وغيره لتركهم الانتفاع بها وان كانت لهم تلك الحواس حقيقة
المؤمن لما انتفع بها وان لم تكن له تلك حقيقة فعلى ذلك يحتمل الاول والله اعلم وقوله واقاموا الصلوة وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية يحتمل قوله سرا وعلانية في كل حال وفي كل وقت لا يتركون الانفاق على كل حال كقوله
اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء اي ينفقون على كل حال ويحتمل وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
اي يتصدقون الصدقة ظاهرا وباطنا اي ما ظهر للناس وعلموا به وما خفي عنهم واستتر لما قصدوا بها وجه الله
لا مراءاة الخلق ممن كان قصده بالخيرات وجه الله لا مراءاة الخلق فعلمهم به وجهلهم سواء لا يمتنع عن ذلك والله اعلم
وقوله يرجون تجارة لن تبور سمى ما يبذل العبد لله تجارة وان كان ذلك له في الحقيقة لطفا منه واحسانا وكذلك ما
ذكر من ايفاء الاجر لهم على اعمالهم حيث قال ليوفيهم اجورهم فذلك ليس في الحقيقة اجرا لما لا يستوجبون الاجر قبله
بتلك الاعمال لما عليهم من الشكر فيما انعم عليهم من انواع النعم ومتى يتفرغون عن شكر ما انعم عليهم حتى يكون ذلك
اجرا لهم لكنه عز وعلا بفضله وانعامه وعدهم الثواب والاجر على حسناتهم واعمالهم الصالحات افضالا منه وانعاما
منه وسمى ذلك تجارة كان ليس ذلك له في الحقيقة ترغيبا منه الخلق على ذلك وتحريضا لهم في ذلك والله اعلم
ويزيدهم من فضله على ذلك ايضا وقوله انه غفور شكور يحتمل قوله غفور اي ستور لمساويهم شكور اي مظهر لمحاسنهم
[illegible] ايام الجنة ليعلم احد انه كان محسنا لا مسيئا او غفور يتجاوز عن مساويهم شكور يقبل اليسير من العمل القليل
منه ويجزيهم على ذلك الجزيل من الثواب والله اعلم وقوله لن تبور قال ابو عوسجة والقتبي لن تبور اي لن تفنى
او لن تكسد يقال بارت التجارة تبور فهي بايرة اذا كسدت ليوفيهم اجورهم من الايفاء يقال اوفيته حقه
اي اعطيته كله وقوله والذي اوحينا اليك يا محمد من الكتاب وهو القران هو الحق انه من عند الله مصدقا لما بين يديه
اي موافقا للكتب التي قبله ثم يكون موافقته اياها باحد سببين اما في الاخبار والانباء ان يوافق الانباء والاخبار
التي في القران انباء الكتب المتقدمة واخبارها ويصدق بعضها بعضا فكذلك كانت الكتب كلها داعية الى توحيد الله
والعبادة له والطاعة او يوافق الاحكام فان كانت الموافقة في الاحكام ففيها الناسخ والمنسوخ لكنه لم
يجعل في حق الناسخ والمنسوخ مختلفة الا ترى ان في القران ناسخا ومنسوخا ثم اخبر انه لو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا ولو كان الناسخ والمنسوخ خلافا في الحقيقة لكان من عند غير الله على ما اخبر دل ان بينهما وفاقا ليس
باختلاف وقال بعضهم ان محمدا يصدق ما قبله من الكتب والرسل وهو ما ذكرنا ان جميع الكتب والرسل دعوا
الخلق الى توحيد الله وعبادته وقوله ان الله بعباده لخبير بصير اي لخبير بصير بما به مصالحهم او لخبير بصير اي على علم
وبصيرة منه بتكذيب القوم رسلهم بعث الرسل اليهم لا عن جهل منه بذلك لا يخرجه عن الحكمة كما قال بعض الملحدة
ان ليس بحكيم من بعث الرسل الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته فهكذا لو كان بعث الرسل لحاجة المرسل والمنفعة
يكون له رسالة وبعثه الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته فاما الله سبحانه وتعالى يتعالى عن ان يرسل الرسل لحاجة له
او المنفعة بل لحاجة المبعوث اليه والمرسل لم يخرج عليه برده وتكذيبه عن الحكمة والتوفيق بالله او ان يكون
قوله لخبير بصير يخرج على الوعيد اي عالم باحوالهم وافعالهم ليكونوا ابدا على حذر ومراقبة والله اعلم وقوله ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات اختلف فيه
قال بعضهم فمنهم ظالم لنفسه هو ممن اصطفاه الله من امة محمد وهم اصحاب الكبائر في قول بعض وقال بعضهم
اصحاب الصغائر وقال بعضهم اصحاب الكبائر والصغائر جميعا ومنهم من يقول هو في الناس جميعا المتبع له وغير المتبع
اختلف في قوله ظالم لنفسه وقال بعضهم المنافق الذي اظهر الموافقة لرسوله واضمر الخلاف له وقال بعضهم هم
اليهود والنصارى فقد امنوا به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به وقال بعضهم هم المشركون وقد اقسموا انه لو
جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فهؤلاء كلهم في النار وما ذكر من الاصطفاء والاختيار على قول هؤلاء يكون
لرسول الله بعثه اليهم ليدعوهم الى توحيد الله والاشبه ان يكون قوله فمنهم ظالم لنفسه من امته ومن متبعي الرسول

ما روي

ما روي في الخبر عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال تلا رسول الله هذه الاية فقال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة
بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن ان لن ينجو ثم تناله الرحمة
فيدخل الجنة ثم قال رسول الله وهم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية وكذلك روي عن انس وعائشة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ثبت عنه فهو تاويل الاية وتفسير الظالم من اهل التوحيد والملة والمقتصد قال بعضهم
هو الذي يخلط عملا صالحا بعمل سيء كقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقال بعضهم هو الذي يقوم
باداء الفرائض والاركان واما غيره فلا والسابق يخرج على وجهين احدهما سابق بالخيرات كلها لا تقصير فيه ولا نقصان
او سابق بالخيرات فيه تقصير ونقصان وقد ذكرنا هؤلاء الفرق الثلاثة في غير موضع والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار الاية ثم قال واخرون اعترفوا بذنوبهم وقال واخرون مرجون لامر الله فالذين اعترفوا بذنوبهم
هم المقتصد والاخرون هم الظالم لنفسه وقال في موضع اخر والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات
النعيم وقال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود الى اخر ما ذكر وقال واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في
ظاهر هذا ان اصحاب الشمال المكذبون حيث ذكر في اخر هذه السورة الفرق الثلاثة حيث قال فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل
ظاهر هذا ان الظالم لنفسه هو المكذب والكافر في قوله واصحاب الشمال في ظاهر ما ذكر في سورة التوبة انه من اهل
التوحيد حيث قال واخرون مرجون لامر الله الاية والله اعلم بذلك وقوله باذن الله يحتمل بعلم الله ويحتمل بمشيئة الله
وقيل بامره وقوله ذلك هو الفضل الكبير يقول والله اعلم هذا الذي اورثناهم من الكتاب هو الفضل الكبير كقوله
وكان فضل الله عليك عظيما او يقول ادخالهم الجنة فضل منه كبير وروي عن عمر رضي الله عنه قال فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال الا ان سابقنا سابق وان مقتصدنا ناج وان ظالمنا مغفور له وقال عثمان
ابن عفان رضي الله عنه الا ان سابقنا اهل الجهاد منا وان مقتصدنا اهل حضرنا وان ظالمنا اهل بدونا وابن عباس
رضي الله عنه يقول الظالم لنفسه الكافر وعن الحسن قال الظالم لنفسه المنافق وهو هالك واما السابق والمقتصد
فقد نجيا وقوله جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ذكر التحلي فيها بالذهب
واللؤلؤ ولبس الحرير وليس للرجال رغبة في هذه الدنيا في التحلي بذلك ولا لبس الحرير اللهم الا ان يكون للعرب
رغبة فيما ذكر فخرج الوعد لهم بذلك والترغيب في ذلك وهو ما ذكر من الخيام فيها والقباب والغرفات وذلك اشياء
تستعمل في حال الضرورة في الاسفار وعند عدم غيره من المنازل والفرق عند ضيق المكان فاما في حال الاختيار
ووجود غيره فلا لكنه خرج ذلك لهم لما لهم في ذلك من فضل رغبة الا ترى انهم قالوا لولا القي عليه اساورة
من ذهب ذكروا ذلك لما لذلك عندهم فضل قدر ومنزلة ورغبة في ذلك او يذكر هذا لهم في الجنة اعني الذهب
والفضة والحرير وما ذكر ليس على ان هذا مما يشابه به مماثلا او مما له في الجوهر على التحقيق سوى موافقة الاسم لما
روي في الخبر ان فيها يعني في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبال بشر على ما ذكر
وما ذكر ايضا ان ما في الجنة لا يشبه ما في الدنيا او لا يوافقه الا في الاسم او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قال بعضهم انما يقول هذا الظالم لنفسه الذي ذكر في قوله فمنهم ظالم لنفسه
انهم يحبسون على الصراط حبسا طويلا او يحاسبون حسابا شديدا فيطول حزنهم بذلك ثم يؤذن لهم بالدخول في
الجنة فعند ذلك يقولون ذلك ويحمدون ربهم على اذهاب ذلك الحزن عنهم وقال بعضهم لا بل يكون
هذا كل مسلم اذا دخل الجنة لما يخاف كل مسلم ويحزن بتبعاته ومساويه ما لا يدري الى ماذا يكون مصيره ومرجعه واين
مقامه في الاخرة فلما ادخل الجنة امن كان يخافه في الدنيا ويحزن عليه وسلم من تلك [illegible] يحمد ربه عند ذلك
وقال بعضهم ذلك الحمد انما يكون منهم ذهب عنهم غم العيش والخبز الذي كان لهم في الدنيا اذ كل بهم لعيشوا في الدنيا
فلما دخلوا الجنة ذهب ذلك عنه فعند ذلك يحمد ربه وقال بعضهم يحمدون ربهم لما يامنون الموت عند ذلك اذ ذكر في الخبر انه
يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش فيذبح بين ايديهم فعند ذلك يامنون الموت والله اعلم وقوله ان ربنا لغفور
شكور لمساويهم من غفران كان منهم ما يستوجبون المغفرة شكور لحسناتهم حيث قبلها منهم واعطاهم الثواب وقال
اهل التاويل غفور لذنوبهم شكور يعطيهم الجزاء الجزيل للعمل القليل وقوله الذي احلنا دار المقامة من فضله دار
المقامة لما لا يتمنى التحول منها ولا الانتقال لا يبغون عنها حولا وقوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب يحتمل
ليس من صاحب نعم في هذه الدنيا وان اعطيت الا وهو يمل منها ويسأم ويتمنى التحول منها والانتقال وكذلك
ليس من لذة وان جعلت في هذه الدنيا الا وهي تعقب افة وتعبا فاخبر ان نعيم الجنة انها مما لا يتمنى ولا يبتغي التحول
منها ولا لذتها تعقب افة ولا تعبا ولا اعياء وجائز ان يكون قوله لا يمسنا فيها لغوب وذلك ان من حل بقرابته
وبالمتصلين سيء في هذه الدنيا من افاتها يهتم لذلك ويتكلف دفع ذلك عنهم فاخبر انهم اذا دخلوا في دار المقامة

لا يصيبهم شيء من ذلك والله اعلم وقال بعضهم في قوله ان ربنا لغفور شكور شكر لهم ما كان منهم من ذنب وفي حديث رفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان ربنا لغفور شكور قال اشكروا الله للحسنات اليسير من الحسنات وغفر لهم الذنوب العظام والنصب الاذى وقال العناء واللغوب التعب **وقوله** والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا اى لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا فيستريحوا من عذابها ولا يخفف عنهم من عذابها وفي قوله ولا يخفف عنهم من عذابها نقض قول الجهم وابى الهذيل المعتزلي واما قول الجهم لانه يقول انقطاع العذاب عن اهل النار فاخبر انه لا يخفف عنهم العذاب فلو كان يحتمل الانقطاع يحتمل التخفيف فاذا اخبر انه لا يخفف عنهم دل انه لا ينقطع وكذلك قول مالك لهم انكم ماكثون لما طلبوا منه التخفيف ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب واما على قول ابى الهذيل فانه يقول ان العذاب قد يعتري عن اهل النار ويصير بحال لو اراد الله ان يزيد في عذابهم شيئا ما قدر عليه وكذلك يقول في اللذات اهل الجنة انها تصير بحال وتبلغ مبلغا لو اراد الله ان يزيد لهم شيئا منها ما قدر عليه فظاهر الاية يكذبهم ويرد قولهم حيث قال ولا يخفف عنهم من عذابها **وقوله** وكذلك نجزي كل كفور لنعم وجاحد وحدانيته **وقوله** وهم يصطرخون فيها قال بعضهم يصيحون فيها قال بعضهم الاصطراخ الاستغاثة اى يستغيثون واصطراخهم قولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل يفزعون اولا الى كبرائهم الذين اتبعوهم في الدنيا يطلبون منهم رفع بعض ما هم فيه من العذاب والتخفيف عنهم حيث قالوا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء فاجابوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال في اية اخرى انا كل فيها الاية فلما ايسوا وانقطع رجاؤهم بالفرج من عندهم فزعوا عند ذلك الى خزنة جهنم حيث قالوا ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات فلما ايسوا منهم وانقطع رجاؤهم فزعوا الى مالك يطلبون منه ان يسال ربه ليقضي عليهم بالموت حيث قال ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك فلما ايسوا سألوا ربهم الاخراج عنها ليعملوا غير الذي عملوا حيث قالوا ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فاحتج عليهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اى اولم نعمركم فيها من العمر مثل العمر الذي يتعظ به من يتعظ فهلا اتعظتم فيه ما اتعظ من اتعظ فيه وقد اعطاكم مثل الذي اعطانا اولئك او كلام نحو هذا وجاءكم النذير قال بعضهم جاءكم الرسول وانذركم هذا فقد كذبتموه وقال بعضهم وجاءكم النذير اى الشيب ومعناه والله اعلم اى قد رأيتم وعاينتم تغير الاحوال في انفسكم من حال الى حال من حال الصغر الى الكبر ومن الشباب الى الشيب ثم الرد الى ارذل العمر فهلا اتعظتم به كما اتعظ اولئك فذوقوا ما انذركم به الرسل فما للظالمين من نصير **وقوله** ان الله عالم غيب السموات والارض هذا يخرج على وجهين احدهما على الوعيد والتخويف اى هو عالم بالاشياء التي يمتحنها بمحن ولا امرها باوامر ولانها ها عنها فالذين امتحنهم بانواع المحن وامرهم باوامر ونهى عن مناهي فالذين امتحنهم بانواع المحن وامرهم باوامر ونهى عن مناه واحق ان يكون عالما بهم والثاني انه على علم بما يكون من خلق السموات واهل الارض خلقهم وبعث اليهم الرسل من التكذيب لهم والرد عليهم لا عن سهو وجهل بما يكون منهم ليعلم انه انما بعث اليهم الرسل لحاجة انفس المبعوث اليهم والمنفعة لهم في ذلك لا لحاجة المرسل والباعث والمنفعة له لذلك يخرج البعث على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد للرسل على الحكمة وفي الشاهد على السفه لان في الشاهد انما يبعث الرسل الى من يبعث لحاجة نفسه والمنفعة له في ذلك يخرج البعث اليه على علم منه بالتكذيب والرد عليه سفها وباطلا ومن الله حكمة وحقا والله اعلم **وقوله** انه عليم بذات الصدور وكان ذات الصدور هم خصهم بعلم ما يكون منهم لانهم اهل تمييز وبصر وامتحان فيخرج الوعيد والتحذير واما غيرهم من الدواب ونحوها فلا محنة عليهم ولا تمييز لهم لذلك خص هؤلاء بذلك وان كان عالما بالكل بذات الصدور وغير ذات الصدور والله اعلم **وقوله** هو الذي جعلكم خلائف في الارض فان المخاطبون به رسول الله والامة فيخبر انه جعلهم خلائف من تقدم منهم من القرون والامم الماضية بعد ما اهلكوا واستوصلوا وان كان المخاطبون به بني ادم كلهم فيخبر انكم خلف من تقدمكم من الجن والملائكة لانه ذكر ان الجن كانوا سكان الارض قبل بني ادم فجعلوا خلائف الجن ثم وجه الحكمة في جعل بعض الخلائف بعض وانشاء قرون بعد قرن وافناء اخر بعد انشاء اخر وجوه احدها ليعرفوا انه انما انشاءهم لعاقبة تقصد وتتأمل حيث انشأ قرنا ثم افناهم ثم انشأ غيرهم ولو لم يكن في انشائهم الا هذا كان انشاؤه اياهم للفناء خاصة اذ من بنى في الشاهد بناء للنقض والفناء لا للعاقبة تقصد كان في بنائه سفيها فعلى ذلك انشاء هؤلاء في هذه الدنيا لو لم يكن لعاقبة كان الانشاء للفناء وذلك عبث غير حكمة والثاني ان يعرفوا ان الدنيا ليست هي بدار قرار ومقام انما هي مجعولة زادا للاخرة وبلغة اليها ومسلكا لها ومنزلا ينزل فيها ثم يرتحل كالمنازل المجعولة للنزول فيها في الاسفار والتزود منها ثم الارتحال لا للمقام فيها فعلى ذلك الدنيا جعل لما ذكرنا لئلا يطمئنوا اليها ولا يركنوا ويعملون عمل من يريد الارتحال عنها لا عمل المقيم فيها والثالث ان يعرفوا ان الالام التي جعلت فيها واللذات ليست بدائمة ابدا بل على شرف الزوال والتحول لان في الحيوة النغ وفي الموت الما ذلك ذات

اللذات ولا الالام ولكن انقضيا ليجعل فيهما ما يوصف بالدوام وكثير ولا زال والرابع ان يعتبروا بمن تقدم منهم من القرون انه على ماذا يكون الثناء الحسن ويبقى الاثر والذكر الجميل وباي عمل ينقطع ويفنى ذلك فمن كان من متبعي الرسل وعادة الخير والتوحيد والطاعة فبقي له اثر الخير والثناء الحسن والذكر الجميل ومن كان من اتباع اهل الكفر والشر لم يبق لهم شيء من ذلك ليعلموا بالذي يبقى لهم الثناء الحسن ويعقب لهم الذكر لا الذي يقطع ذلك والله اعلم فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا الا خسارا اى لا يزيد كفرهم بالله وبرسوله وعبادتهم الاصنام الا مقتا وخسارا لانهم كانوا يعبدونها رجاء ان تشفع لهم يوم القيمة ورجاء ان تقربهم عبادتهم الى الله زلفى يقول والله اعلم لا يزيد ذلك لهم الا مقتا من ربهم وخسارا او ان يكون اعمالهم التي عملوا في هذه الدنيا من صلة الارحام والقرب التي رجوا منها البر والنفع في الاخرة لا يزيد ذلك لهم الا مقتا وخسارا والله اعلم **وقوله** قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ظاهر قوله اروني امر لكنه يخرج على وجهين احدهما على الاعجاز لانه يعجز بعد ما تعبدون من دونه خلق السموات والارض ولا اشراكه في خلق السموات والارض ولا انزال كتاب من السماء ليأمرهم بذلك بل الله هو الخالق لذلك كله وهو القادر عليه فكيف صرفتم العبادة عنه والالوهية الى من هو عاجز عن ذلك كله والثاني على التنبيه والتعيير لهم والتسفيه لاحلامهم يقول والله اعلم انكم تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها دون الله وتسمونها الهة لم يخلقوا شيئا مما ذكر ولا لهم شرك في ذلك ولا لكم كتاب يبيح لكم ذلك ويأذن لكم وتعلمون ان الله هو الفاعل لذلك كله حيث قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولا لهم كتاب في ذلك لان الكتاب حجة وصوله اليه الرسول وانتم لا تؤمنون بالرسل فكيف عبدتموها وتركتم عبادة من تعلمون انه الفاعل لذلك والقادر **وقوله** ماذا خلقوا من الارض يحتمل جواهر الارض نفسها ويحتمل الخارج منها مما به معاشهم وقوامهم وكذلك قوله ام لهم شرك في السموات يحتمل في جواهرها ويحتمل ما ينزل عنها مما به معاشهم وارزاقهم **وقوله** فهم على بينات منه اى على حجة وبيان منه **وقوله** بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا يحتمل وعدهم الدين ذكر بعضهم بعضا ما قالت القادة منهم والرؤساء للاتباع هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وما لبسوا هم على الاتباع من امر الكتاب والرسول هو ساحر كذاب وانه مفترى وامثال ذلك مما يكثر عده فذلك كله منهم تغرير للاتباع **وقوله** ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده يحتمل ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله اروني ماذا خلقوا من الارض فان كان على هذا فيقول تعلمون ان الله هو رافع السموات والارض والممسك لها والمانع عن ان تزولا عن مكانهما لا يقدر احد الى عادتهما ولا امسكهما سواه فكيف تعبدون من يملك ذلك او ان يكون صلة قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض لانه كادتا ان يتفطرن وتنشق حين قالوا الله ولد وله شريك فاذا قالوا اتخذ الله ولدا كادتا ان تزولا من مكانهما وتسقطا عليهم لعظيم ما قالوا في الله سبحانه وجائز ان يكون لا على الصلة بشيء مما ذكر ولكن على الابتداء فان كان على الابتداء فهو يخبر عن قدرته وسلطانه حيث رفع السماء وامسكها في الهواء مع غلظها وشدتها بلا عمد من تحت ولا شيء من فوق يمنعها عن الانحدار والزوال عن مكانها والقرار على ذلك والتقرير وفي الشاهد ان ليس في وسع احد من الخلائق امساك شيء في الهواء ولا اقامته الا باحد هذين السببين اما من تحت واما من فوق وكذلك الارض حيث وجهها وبسطها على الماء ومن طبعها التسرب والتسفل في الماء لا القرار عليه حيث لا يجد مكان منها الا ويخرج منه الماء فدل تقرير الارض على الماء وامساك السماء في الهواء بلا شيء يقرها ويمنعها عن التسفل والانحدار انه الواحد القادر بذاته لا يعجزه شيء **وقوله** انه كان حليما غفورا حليما حين لم يرسل السموات عليهم لعظيم فريتهم على الله والقول فيه مما لا يليق به سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا حيث لم يعجل بعقوبتهم في الدنيا غفورا رحيما حيث ستر عليهم ذلك ولم يفضحهم في الدنيا والله اعلم **وقوله** واقسموا بالله جهد ايمانهم هو قسمهم بالله ومعناه والله اعلم ان العرب كانت من عادتهم انهم كانوا يحلفون بالاباء والطواغيت لا يحلفون بالله الا فيما اعظم امره وجل قدره تأكيدا لذلك الامر لذلك كان قسمهم بالله جهد ايمانهم وقد ذكرنا معنى جهد الايمان فيما تقدم **وقوله** لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فيه دلالة انهم قد وقعت لهم الحاجة وتشهيهم الضرورة الى رسول يبين لهم امر الدين وما فيه مصالحهم وما لهم وما عليهم حيث اقسموا وعهدوا انه لو جاءهم نذير لاتبعوه واقتدوا به ثم تركهم لذلك العهد لما لم يروه اهلا لذلك لما كان هود وهم في امر الدنيا استكبارا منهم عليه ولذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم او ان تركوا اتباعه ونقضوا عهدهم لما رأوا مذاهب الناس مختلفة فظنوا ان الاختلاف يرتفع من بينهم به فاذ لم يرتفع تركوا اتباعه او لمعنى اخر لا نعلمه والله اعلم **وقوله** ليكونن اهدى من احدى الامم قال بعضهم يعنون اليهود والنصارى وجائز ان يكونوا ارادوا بذلك الامم جميعا لكنهم لم يروا الحق الا واحدا منها فقالوا ليكونن اهدى من احد الامم والله اعلم **وقوله** فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض

لما ذكرنا وقوله ومكر السيئ يحتمل مكرهم ما مكروا برسول الله من انواع المكر حين هموا قتله واخراجه كقوله واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ويحتمل ايضا ما ذكر انه لما خرج ودعا الناس الى توحيد الله اقعد واعلى
الطرق والمراصد اناسا يقولون لمن قصد رسول الله انه ساحر وانه كذاب وانه مجنون يصدون الناس
بذلك عنه فذلك كيدهم ومكرهم وقد كان منهم برسول الله من انواع المكر سوى ذلك مما لا يحصى وقوله
ولا يحيق المكر السيئ الا باهله يحتمل قوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهو في الدنيا من انواع العذاب
والقتل الذي نزل بهم ويحتمل ان يكون ذلك في الاخرة والله اعلم وقوله فهل ينظرون الا سنة الاولين
قال بعضهم ما ينظرون الا سنة في الاولين وسنة الاولين والاستيصال والاهلاك عند العناد والمكابرة
وقال بعضهم ما ينظرون الا ايمانهم الا سنة الاولين وسنة الاولين الايمان عند مشاهدتهم العذاب وانه كان
لا يقبل ولا ينفعهم ذلك كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية وقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا
ولن تجد لسنة الله تحويلا هذا يحتمل وجوها احدها لن تجد لسنة الله وهي الاستيصال عند العناد والمكابرة
تحويلا وان اختلف جهة الهلاك والاستيصال كقوله يضاهئون قول الذين كفروا من قبل وقوله تشابهت قلوبهم لا شك
ان نفس القول منهم مختلف في الكفر وسببه متفرق ثم اخبر ان قول هؤلاء ضاهاه قول اولئك وتشابهت قلوب بعضهم
بعضا وان كان سبب ذلك وجهة الكفر مختلفا فعلى ذلك سنة لا تحول ولا تبدل وهي الاستيصال وان كان جهة ذلك
وسببه مختلفا والثاني فلن تجد لسنة الله التي سن فيهم مدفعا ولا مردا اي لن يجدوا الى دفع ما سن فيهم و
من العذاب والهلاك مردا كقوله ولا يجدون عنها محيصا والثالث فلن تجد لسنة الله وهي ايمانهم الذي يؤمنون
عند معاينتهم العذاب وعند نزوله بهم تحويلا وتبديلا اي يؤمنون لا محالة ولكن لا ينفعهم ذلك في ذلك الوقت
والرابع ان كل سنة سن في كل قوم وكل امة وان اختلف لن تجد لذلك تحويلا ولا تبديلا والله اعلم وقوله اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذا يخرج على وجوه احدها قد ساروا في الارض ونظروا الى ما حل
باولئك بالتكذيب في العناد لكن لم يتعظوا بهم ولن ينفعهم ذلك والثاني على الامر ان سيروا في الارض وانظروا
بالذي نزل باولئك ومم نزل واتعظوا بهم وامتنعوا عن مثل صنيعهم والثالث انهم وان ساروا في الارض و
انظروا في اثارهم لم ينفعهم ذلك والله اعلم وقوله وكانوا اشد منهم قوة اي انهم كانوا اكثر عددا واشد قوة
وبطشا منكم ثم لم يمكن لهم دفع ما نزل بهم وحل فانتم يا اهل مكة مع قلة عددكم وضعفكم لا تقدرون على دفع
ذلك عن انفسكم وقوله وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض الاعجاز في الشاهد يكون بوجهين
احدهما الامتناع يقول لا يقدر احد ان يمتنع عنه ومن عذابه والثاني القهر والغلبة يقول لا يسبق منه بالقهر
والغلبة بل هو القاهر والغالب على خلقه انه كان عليما قديرا وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا اي بما كسبوا
من المعاصي والمساوي ما ترك على ظهرها من دابة اي على ظهر الارض ووجهه اكتفاء بما سبق من ذكر الارض
وهو قوله ان الله يمسك السموات والارض وعلم الناس وفهموا من ذكر الظهر ظهر الارض كتب ما يكتب ثم
قوله ما ترك على ظهرها من دابة قال بعضهم المراد بالدابة الممتحنون المميزون وهم بنو ادم خاصة لانهم اهل اكتساب و
اجتراح اذ قد ذكر الاهلاك بما يكتسبون وهم اهل الاكتساب دون غيرهم من الدواب وقال بعضهم كل دابة من البشر و
غيره من الدواب انما انشئت للبشر ولحوائجهم لا لحاجة انفسها او المنفعة لها حيث قال هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا وقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فاذا كان غيره من الاشياء منشاة لهم فاذا اهلكوا
اهلك ما كان منشاة لحوائجهم ولمنافعهم وليكون اهلاك ما ذكرنا من الدواب خروجا عن الحكمة على ما يقول الثنوية
انه ليس من فعل الحكيم الامر بذبح اسلاء الدواب والانتفاع بلحمها فهل هكذا اذا كانت تلك منشاة لا لانفسها ولمنافعها
فاما اذا كان ما ذكرنا انها منشاة لنا ولمنافعنا فجايز الانتفاع بها رقبة بعينها ومرة بلحمها ولا يكون فعل ذلك و
ولا الامر به عن حكمة ثم الفرق بين اباحة الانتفاع بلحم اسلاء الدواب وحظر لحم الدابة منها والمضرة لانه جعل حفظ
ما ليس بضار ولا مضر الينا وعلينا جعل مؤنتها والذب عنها ودفع المضرة اما الضارة منها والمضرة فهي ممتنعة بنفسها
متحملة مؤنتها فلذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اي لم يؤاخذهم بما كسبوا على ظهرها لما
جعل لهم من المدة احيانا يقتضي ذلك وبقي بما جعل لهم من المدة وما ضرب لهم من الوقت فاذا جاء اجلهم فان الله كان
بعباده بصيرا اي عن بصيرة وعلم بكسبهم وصنيعهم وما يكون منهم ضرب لهم المدة والوقت الذي ينتهون اليه ويبلغون
اجالهم لا عن جهل بل لم يزل عالما بما يكون منهم لكن لما كان ضرر ذلك الذي علم انه يكون منهم راجعا اليهم انشاهم و
جعل لهم المدة وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم قال القتبي اسا ورجع سوار وهو الذي يجعله المراة في معصمها
والنصب المشقة والتعب واللغوب الاعياء يقال لغب يلغب لغوبا فانا لاغب والغبني غيري اي كلفته حتى
اعياه وهو قول ابي عوسجة والاصطراخ صياح الصحيح والمقت البغض

سوره يس

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يس والقران الحكيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا انسان يعني
محمدا اقسم به يا محمد ان هذا القران من عند الله نزل وهو بلسان الحبشة وقال بعضهم هو بلسان طي وقتادة يقول قسم
اقسم بالقران انك لمن المرسلين ويقول كل هجاء في القران فهو اسم من اسماء القران وقال بعضهم هو من فواتح السورة و
قال بعضهم فواتح يفتتح بها كلامه وقال بعضهم اسم من اسماء الرب ومن معاذ بن جبل وكعب رضي الله عنهم قالا يس قسم
اقسم الله به يا محمد انك لمن المرسلين على صراط مستقيم دل ان الخطاب به على اثر قوله يس على انه هو المراد بقوله يس اذ لا
يستقيم الخطاب بقوله انك لمن المرسلين الا على سبق خطاب له وذكر اسم قال عكرمة هو حرف من الهجاء الذي افتتح به السور
كساير حروف الهجاء التي اقسم الله بها بتلك الحروف من القران والايات والكتاب اذ من عادة العرب الا القسم بكل ما
عظم خطره وجل قدره فان قيل كيف اقسم بالقران وهم كانوا ينكرون القران انه من عند الله قيل انهم ان كانوا ينكرون فقد
عظم قدره وجل خطره عندهم بما عجزوا عن اتيان مثله بعد قرع اسماعهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية ونحوه
والثاني اقسم به وان كانوا ينكرونه لما ان اقسمه به يحملهم هذا السؤال منه اذ كانوا لا يقسمون الا بما عظم قدره وجل
خطره يقولون ما هذا القران الذي اقسم به ربنا الا ترى انه قال تنزيل العزيز الرحيم فكانه على سؤال خرج على هذا على قول
من يقول بان القسم بالله حقيقة لا بتلك الاشياء مستقيم وعلى قول من يجعل القسم بها لا على الاضمار وما ذكرنا وقوله
الحكيم اي المحكم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على ما وصف وقال بعضهم المحكم بالحلال والحرام والوعد والوعيد
من غير ان يكون فيه اختلاف وقال بعضهم الحكيم لان من تمسك به وعمل بما فيه يصير حكيما وقوله انك لمن المرسلين ولم يقل
انك لرسول وكلاهما سواء غير ان قوله انك لمن المرسلين الذين اشتراهم من قبل وصدقوا بهم زيادة ليس ذلك في قوله
انك لرسول والله اعلم وقوله على صراط مستقيم قال بعضهم المستقيم القايم وتاويله القايم بالحجج والبراهين ليس بالهوى
كساير الاديان والسبل وقال بعضهم المستقيم المستوي اي مستوي على ان من سلكه افضاه الى الله وبلغه الى دار
السلام وقال بعضهم المستقيم اي استقام بالحق والعدل والصدق لا زيغ فيه ولا جور ولا عدول ولا اعوجاج ويحتمل
ان يكون ذلك وصف النبوة والرسالة التي تقدم ذكرها ويحتمل وصف الدين وذلك عامة قول اهل التاويل والله اعلم
وقوله تنزيل العزيز الرحيم اي ذلك القران الذي اقسم به هو تنزيل العزيز الرحيم اي من عنده نزل واحكم سمى نفسه
عزيزا رحيما عظيما لطيفا ظاهرا باطنا اولا اخرا وفي الشاهد من وصف بالعز لا يوصف بالرحمة ومن وصف بالعظم
لا يوصف باللطافة ومن وصف بالظاهر لا يوصف بانه باطن ومن وصف بالاول لا يوصف بالاخر ليعلم ان المعنى
الذي وصف به الخلق غير الذي وصف به الرب تبارك وتعالى لان من وصف من الخلق بواحد مما ذكرنا لم يستحق الوصف
بالاخر انما وصف به الرب تبارك وتعالى غير ما يوصف به الخلق تعالى الله علوا كبيرا وقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم
اختلف فيه قال بعضهم لتنذر قوما مثل الذي انذر اباؤهم من ايات التي اقامها فلم يقبلوها فهم غافلون امرت
وقال بعضهم لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اي لتنذر قوما اميين لم ينذر اباؤهم من قبل يقول قابل لم يكن انذار في
الاميين من قبل كانه يقول لتنذر قوما اميين لم ينذر اباؤهم الاميون من قبل ولذلك قال لئن جاءهم نذير ليكونن
اهدى من احدى الامم وهو كقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وقوله وما ارسلنا اليهم من قبلك من نذير اي
لم يرسل اليهم من قبلك من نذير واصله ان يخبر انه لا ينجع في هؤلاء النذارة كما لم ينجع في ابائهم بل هم غافلون ثم الانذار
يحتمل ان يكون بالنار في الاخرة والتعذيب بها ويحتمل بالايات التي اقامها في الدنيا والقتل فيها والله اعلم وقوله لقد حق
القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون قيل هو قوله لابليس حيث قال لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ومن الجنة
والناس اجمعين اي حق ذلك القول ووجب ثم يحتمل ذلك في الذين ذكره بعض اهل التاويل ان نفرا هموا برسول الله قتله
واذاه فاهلكهم الله يوم كذا الا واحدا او اثنين ويحتمل ان يكون ذلك في جميع مكذبيه وراد رسالته ومنابذي اتباعه
ولا شك ان اكثر من بعث هو اليهم كانوا كذلك لهم في الاخرة او في قوم خاص علم الله انهم لا يؤمنون الا ترى انه قال
على اثر ذلك وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ثم في قوله لاملان جهنم وقوله لقد حق القول على اكثرهم نقض قول
المعتزلة ورده عليهم لانه وعد عز وجل انه يملا جهنم ممن ذكر فيقال لهم اراد ان يفي بما وعد ام لا فان قالوا لم يرد فقد
ارادوا ان يخلف ما وعد وذلك وحش من القول سرف وان قالوا اراد ان يفي بما وعد لزمهم ان يقولوا اراد افعالهم
التي فعلوا فيلزمهم قولنا وبالله العصمة وقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون يحتمل ان يخرج
على التمثيل ويحتمل على التحقيق فان كان على التمثيل ويحتمل على التحقيق فاذ كان على التمثيل فهو وصفه اياهم بالبخل والكف
عن الانفاق على الفقراء والمساكين واهل الحاجة من اصحاب رسول الله وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك نهاه عن البخل
والكف عن الانفاق كغلول اليد لا يقدر على الانفاق ليس على الارادة على اليد حقيقة ولكن على ترك الانفاق فعلى ذلك
جايز ان يكون ذلك وصفا لهم بالبخل وترك الانفاق عليهم وان كان على حقيقة الغل والاعناق يحتمل ما قاله اهل التاويل

ان اباجهل لعنه لعنه حلف لئن راى محمدا ليدمغنه فاتاه ابوجهل وهو يصلى ومعه حجر فرفع الحجر ليدمغ به النبى صلى الله عليه
وسلم فيبست يده الى عنقه والتزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه قال رجل انا اقتله فاخذ الحجر فلما دنا منه طمس الله بصره
فلم ير النبى وسمع قراءته فرجع الى اصحابه فلم يبصرهم حتى نادوهم فذلك قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
ويحتمل ان يكون ذلك لهم فى الاخرة ان كان على التحقيق وهو كقوله اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم و
قوله لهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونحو ذلك ما ذكر فيكون قوله جعلنا اى سنجعل ذلك لهم وكذلك جائز فى الكلام
كقوله لعيسى حيث قال واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اى يقول له يوم القيمة فهو بعيد غير معقول
نفى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من قوله انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا وجعلنا من بين ايديهم سدا الى اخر ما ذكر فى الاخرة اى
سنجعل لهم فى الاخرة ذلك ويحتمل ان يكون فعل ذلك بهم فى الدنيا من قصدهم برسول الله ما قصدوا حتى لم يجدوا السبيل
اليه لا من بين يديه ولا من خلفه ولا جهة من الجهات او ان يكون قوله وجعلنا من بين ايديهم ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون على التمثيل اى جعلنا بينهم وبين الحق سدا من امام ومن خلف فاغشينا ابصارهم فلا يبصرون الحق ابدا وذلك
فى القران كثير والله اعلم وقوله انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان ان الغل يكون طرفه فى العنق وطرفه الاخر
فى اليد فيكون اليد اليمنى مغلولة الى العنق وعلى ذلك على ذلك ذكر فى حرف ابن مسعود انه قرا انا جعلنا فى ايمانهم
اغلالا وفى بعض الحرف فى ايديهم اغلالا وقوله فهم مقمحون قال بعضهم رافعوا رؤسهم الى السماء لانه كذلك يكون
اذا غل عنق المرء الى الذقن لا يستطيع ان ينظر الى الارض ولذلك قيل للابل اذا شربت الماء اقمحت اى رفعت رؤسها
وقال بعضهم الاقماح هو غض البصر وقال ابو عوسجة والقمح المقمح الذى يرفع راسه ويغض بصره ويقال غاض
طرفه بعد رفع راسه جمعنا ايديهم الى اعناقهم وقوله تنزيل العزيز الرحيم وقد قرا بالرفع والنصب والخفض جميعا فمن قراها
بالرفع فهو على الابتداء ومن قراها بالخفض فهو على النعت كقوله والقران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم ومن قراء بالنصب فعلى
نعت القطع لان الكلام قد تم دونه وقوله فاغشيناهم بالعين والغين جميعا فمن قراء بالغين فهو من الغشاوة ومن قراء
بالعين فهو من قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن وهو من الاعراض وفى قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
وجهان من الاستدلال على المعتزلة لقوله واغشيناهم اضاف الى نفسه وان كان منهم صنع ويجوز ان يستدل بخلق فعلهم
منهم وقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فمعناه والله اعلم ينتفع بالانذار من اتبع واجابك فيما تدعو
اليه والا كان ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع ومن خشى الرحمن ولم من يخش او انما ينتفع بانذارك من اتبع الذكر
وخشى الرحمن واما من لم يتبع الذكر ولم يخش الرحمن فلا ينتفع او ان يكون فيه اخبار بانذاره من يتبع الذكر وليس
فيه نفى عن انذار من لم يتبع الذكر ولا تخصيص منه بانذار احد الفريقين دون الاخرين والله اعلم والذكر يحتمل
القران ويحتمل غيره من الذكرى كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقوله وخشى الرحمن بالغيب بالاثار و
الاخبار التى انتهت اليهم من غير مشاهدة وقعت لهم او بالغيب بما راوه من اثار سلطانه وقد رتها بوعده وخشوا
عذابه ونقمته والله اعلم وقوله فبشره بمغفرة واجر كريم يحتمل البشارة بالمغفرة عما سلف من الذنوب والاجرام اذا
رجعوا عنها او عن تقصير كان منهم فى الفعل فى خلال ذلك وان اعتقدوا فى الجملة ان لا يحالفوا ربهم فى فعل و
لا فى قول اذ كل مؤمن يعتقد فى اصل ايمانه ترك مخالفة الرب فى كل الاحوال وان تخلل فى بعض افعاله تقصيرا
ومخالفة الرب لغلبة شهوة او طمع فى عفوه ورحمته واجر كريم قيل حسن ويحتمل تسميته كريما لما يكرم كل من نال
ذلك والله اعلم وقوله انا نحن نحيى الموتى كانه والله اعلم يذكر هذا ليس فى موضع الاحتجاج عليهم ولكن على الاخبار
انه هو يحييهم اذا ماتوا وقوله ونكتب ما قدموا واثارهم قال عامة اهل التاويل نكتب ما قدموا من خير وشر فى حياتهم
وعملوه ونكتب ايضا اثارهم وهو ما سنوا من سنة خير وشر فاقتدى بهم بعد موتهم على ما ذكر فى الخبر ان من سن
سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة من غير ان ينقص من اجورهم شئ ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها و
وزر من عمل بها الى يوم القيمة من غير ان ينقص من اوزارهم شئ وهو كقوله ايضا ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر وقال
بعضهم واثارهم اى خطاهم التى خطوها فى الخير والشر وقال قتادة ولو كان الله مغفلا شيئا من شانك يا ابن ادم اغفل
ما تعفى الرياح من هذه الاثار وروى على هذا عن ابن عباس وابى سعيد الخدرى رضى الله عنهما قالا ان الانصار كانت منا
زلهم بعيدة من المسجد فارادوا ان ينتقلوا قريبا من المسجد فنزل انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال النبى
صلى الله عليه وسلم ان اثاركم تكتب فلم ينتقلوا فان ثبت هذا فهو دليل لمن يقول بالاثار الخطا وقوله وكل شئ احصيناه
فى امام مبين اى كل شئ من اعمالهم من خير او شر محصى محفوظ فى امام مبين اى فى الكتاب الذى يكتب اعمالهم فى الدنيا
كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم اى بكتابهم الذى كتب اعمالهم فيه الاية انه قال فمن اوتى كتابه بيمينه الاية
ويحتمل فى امام مبين فى ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ والله اعلم وقوله واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون
يحتمل الامر لرسوله بضرب مثل اصحاب القرية لقومه وجهين احدهما ان الخبر قد كان يبلغ هؤلاء الذين بعث اليهم الرسل وما

نزل بهم بسوء معاملتهم الرسل فامره ان يعلم قومه ذلك ويبين لهم فيسئلون عن ذلك اهل الكتاب فيخبرونهم بما كانوا فى كتبهم
فيعرفون بصدق رسول الله فيما اخبرهم فيكونون عن ذلك اهل الكتاب فيخبرونهم بما كان فى كتبهم فيعرفون صدق رسوله فيما اخبر
فيكونون على حذر عن مثل صنيعهم ومعاملتهم الرسل وعلى ذلك يخرج هذه الانباء والقصص المذكورة فى الكتاب على هذين
الوجهين والله اعلم وقوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث اى قوينا بثالث اختلف فيه قال بعضهم ان عيسى
ابن مريم كان بعث اليهم اولا رسولا فاتاهم فدعاهم الى التوحيد واقام على ذلك حججا وبراهين فكذبوه وقالوا ما نعرف ما تقول
ثم بعث من بعده رسولين فقال لهما ذلك الرسول انهم سيكذبونهما كما كذبونى قبلكما وسيقولون لكما اذ دعوتماهما الى
التوحيد ماذا تحسنان فاذا قلتما نبرئ الاكمه والابرص قالوا فينا من يحسن ذلك فاذا قلتما نشفى المريض قالوا فينا
من يحسن ذلك ونحوه ولكن قولا انما يحيى الموتى وانا اقول لهم لا احسن انا فهو قوله فعززنا بثالث اى قوينا وشدد
بثالث اى قوينا وشدد بثالث ففعلوا ذلك فقالوا عند ذلك قد دنوا استيتم علينا بهذا الكلام او نحو الطامم او كلام نحوه
فاخذوا وعذبوا واهلكوا وهو قول ابن عباس رضى الله عنه ومنهم من يقول بعث اولا رسولان فكذبوهما فبعث
ثالث بعد ذلك فعززنا بثالث اى عززنا الرسولين بثالث اى قويناهما وقرا بعضهم عززنا بالتخفيف اى غلبنا
لكن ذكر انهم قتلوا جميعا واهلكوا اعنى الرسل فكيف يكون الغالب مقتولا مهلكا ويجوز ان يكون المقتول مقويا
دل ان قراءة من يقراء بالتخفيف ضعيف والاول اقوى واقرب والله اعلم وقوله فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا
ما انتم الا بشر مثلنا لم يزل قول الكفرة للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شئ وكذلك قول مكة
مكة لرسول الله انه ساحر وانه مجنون وانه مفترى مختلق وقولهم وما انزل الرحمن من شئ وقوله ربنا يعلم انا
اليكم لمرسلون لما اى سوابق ايمانهم وتصديقهم اياهم فزعوا الى الله وتضرعوا اليه او ان يقولوا بان الله اعلم
بما اطلعكم بانا اليكم لمرسلون بالحجج والايات وقوله وما علينا الا البلاغ المبين اى ليس علينا من ترك اجابتكم
لنا ورد الرسالة شئ انما ذلك عليكم وقوله قالوا انا تطيرنا بكم دل هذا القول منهم على انه قد نزل شئ من العذاب
والشدة حتى تشاءموا بهم ذلك ولم يزل عادة الكفرة التطير بالرسل عند نزول البلاء بهم كقوله فاذا جاءتهم
وبمن معك وقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه الاية وقوله قالوا طائركم معكم يقول والله اعلم شؤمكم
معكم حيثما كنتم ما دمتم على ما انتم عليه من العناد والتكذيب ويذكر اهل التاويل ان القرية كانت انطاكية
وان الذى بعث هؤلاء الرسل اليهم عيسى صلوات الله عليهم ولكن لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك
حاجة وقوله قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون قال بعضكم تشاءمكم معكم اين كنتم وحيثما
كنتم ما دمتم على ما انتم عليه وقال بعضهم طائركم معكم اذ ذكرتم فلم تقبلوا التذكير ونحوه ويحتمل وجها اخر ان
الذى اصابكم كان مكتوبا فى اعناقكم ائن وعظتم بالله تكفرون بل انتم قوم مسرفون وقوله وجاء من اقصى المدينة
رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين قال عامة اهل التاويل ان هذا الرجل يسمى حبيب النجار وهو من بنى اسرائيل كان
فى غار يعبد الله فلما سمع بالرسل نزل وجاء فقال ذلك ما قال لكن لا ندرى من كان وليس لنا الى معرفة
اسمه حاجة ثم يحتمل قوله من اقصى المدينة رجل يسعى رغبة فى الرسل لئلا يهلكوا اعنى الرسل فقال يا قوم
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون اى اتبعوا المهدى والهدى مما يجب ان يتبع ولا يسئلكم على اتباع الهدى
اجرا فيمنعكم الاجر عن اتباع الهدى او ان يقول اتبعوا المرسلين واعلموا انهم مهتدون ويحتمل لا يسئلكم الاجر ولا الشرف فى
الدنيا ولا العز اذ كل من لا يسئل هذا فهو مهتد وكل مهتد متبع وهذا يدل ان طلب الاجر فى ذلك مما يحمل صاحبه على ترك
فى ترك الاتباع وكذلك قوله ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اى لا يسئلكم اجرا فيمنعكم ثقل الاجر عن اجابته واتباعه
وهذا ينقض ويبطل قول من يجيز اخذ الاجر على تعليم القران والعلم لانه اذا كان له ان لا يعلم الا بالاجر كان له ان لا يعلم بلا
اجر ففى ذلك ابطال الدين والشرائع وحمل الرخصة لهم فى ترك ذلك مع قبيح والله اعلم وقوله وما لى لا اعبد الذى فطرنى
واليه ترجعون يخرج على وجهين احدهما على الاحتجاج عليهم بعد ما سئل لكان من او لئك له فى الرجوع الى عبادة من يعبدونه
دون الله وترك عبادة الله تعالى انكم تعبدون هذه الاصنام رجاء ان يقربكم ذلك الى الله زلفى وما لى لا اعبد الذى هو
انتم الزلفى والقربة منه والثانى على التذكير والتنبيه لهم انتم تعلمون ان الذى فطرنا وخلقنا هو المستحق للعبادة لا من لم
يفطر ولم يخلق ثم تعلمون ان الله هو فطرنا وخلقنا الاصنام التى تعبدونها وما لى لا اعبد الذى فطرنى واترك الذى لم يفطرنا
والله اعلم وقوله ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا هم ينقذون يقول ءاتخذ من دون الله
معبودا لو اراد الله بى ضرا لم يملك ذلك المعبود دفع ذلك عنى ولو نزل بى شئ او بلاء منه لم يقدر استنقاذى منه و
لو طلبت منه جر نفع لم يقدر على جلبه الى واترك عبادة من اعلم ان ذلك كله منه وهو المالك لذلك كله من جر نفع ودفع
ضر وبلاء وفى الحكمة العاقل لمن يملك ذلك كله لا لمن لا يملك وبالله التوفيق انى اذا لفى ضلال مبين اى لو فعلت ذلك فانا
كنت فى ضلال مبين تذكرا انه لما قال لهم ذلك امر بقتله فعند ذلك قال انى امنت بربكم فاسمعون يحتمل قوله فاسمعون

اى اجيبوك فى قوله اتبعوا المرسلين والاية قال بعضهم فاسمعون اى اشهدوا لى ويحتمل قوله فاسمعون حقيقة السماع و
السماع اى اسمعوا قولى وايمانى لا ينفعنى عنه ما تعوننى والله اعلم وقوله قيل ادخل الجنة قال بعضهم اى اوجبت له الجنة
ما ذكر للشهداء وارى الثواب فقال عند ذلك يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى الاية ويحتمل دخوله الجنة ما ذكر للشهداء
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين الاية او ان يكون قوله قيل ادخل الجنة ان يقال له فى الاخرة كقوله لعيسى ءانت قلت
للناس وانا هو ان يقال له يومئذ فعلى ذلك يحتمل الاول وقوله يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين
قيل انهم نصحهم حيا وميتا ولم يترك نصيحتهم لمكان ما عاملوا وفعلوا به من السوء وانواع التعذيب ولكن تمنى اى ليت قومى
ان يكونوا يعلمون ما اعطى هو بالايمان بربه والتصديق رسله ليعطوا مثل ما اعطى هو وهكذا الواجب على كل مؤمن ان
لا يترك نصيحته لجملة المؤمنين وان لحقه منهم اذى او سوء وقال قتادة ولا يلقى المؤمن الا ناصحا ولا يلقى غاشا
لما عاين ما عاين من كرامة الله قال ليت قومى يعلمون يتمنى والله ان يعلم قومه ذلك اعلموا ان اهل الايمان ليسوا باهل غش
ولا غائلة لعباده وقال قيل لروحه ادخل الجنة فتمنى روحه ان الى ما صار هو ليؤمنوا بالرسل ولا يكذبوهم
وقوله وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء اى من بعد قتل ذلك الرجل من جند من السماء من الملائكة اى لم ننزل
على قومه فى هلاكهم بعد صنيعهم بمكانه واهلاكهم اياه جندا من السماء ولكن اهلكوا بصيحة واحدة اى لم نفعل بهم كما
يفعل ملوك الارض اذا قتل رسلهم واهلك اولياءهم يبعثون بجنود فى استيصال من فعل ذلك بهم ولكن اهلكهم
بصيحة واحدة ثم يحتمل قوله ان كانت الا صيحة واحدة اى قدر صيحة واحدة اى اهلكوا بقدر صيحة واحدة فى سرعتها
ويحتمل الاهلاك بالصيحة اى اهلكوا بالصيحة والله اعلم وقوله فاذا هم خامدون قيل موتى مثل النار اذا خمدت و
طفئت لا يسمع لها صوت وقوله يا حسرة على العباد فى تركهم الايمان بالله وتكذيبهم الرسل والاستهزاء بهم والحسرة
قال بعض اهل الادب هى الغاية من الندامة اى انتهت الندامة غايتها يقال حسرة وقال بعضهم الحسرة والحزن
والتحزن والتندم وهو واحد ثم قال بعضهم فى قوله يا حسرة على العباد اى يا حسرة الرسل على ذلك المؤمن المقتول
على الايمان بهم وقال بعضهم يا حسرة اولئك الكفرة على انفسهم اذا عاينوا العذاب على ما كان منهم من الاستهزاء
على الرسل كقوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وقوله يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله والله اعلم وقوله الم يروا كم اهلكنا
قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون فان قيل كيف احتج عليهم بالرجوع اليهم وهم كانوا ينكرون البعث والرجوع
بعد الموت فهو يخرج على وجوه احدها الم يروا اى قد راى اهل مكة هلاكهم فى الدنيا وانهم اليهم لا يرجعون احياء
فيجىء وهم انهم بما اهلكوا فى هذه الدنيا وعاد عذبوا فهلا يعتبرون وينظرون انهم انما اهلكوا بتكذيب الرسل
فيرتدعوا عن ذلك وان كل يعنى الامم كلها يقول والله وما كل الا جميع لدينا محضرون فى الاخرة او يقول الم يروا
كم اهلكنا قبلهم بالتكذيب للرسل من القرون انهم اليهم لا يرجعون ابدا حتى يوم القيمة وهو واحد وان يكون ذلك
يخرج على ابطال قول اهل التناسخ حيث قالوا ان الارواح اذا خرجت من ابدان قوم دخلت فى اخرى فيقول والله اعلم
ردا عليهم الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون اذ لم يروا ولا اخبر انه خرج من جسد هذا
ودخل فى اخر وان يكون ذلك يخرج على نقض قول قوم وهو ما ذكر ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل فقيل ان ناسا
يقولون ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة ثم قال بئس القوم نحن اذا ان كنا نكحنا نساءهم وقسمنا ميراثهم ثم تلا الم
يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون او ان يكون على ايجاب البعث ان كذب الرسل ومن صدقهم و
من عمل ما يحمد عليه وما يذم قد استووا احياء فى هذه الدنيا فلا بد من دار اخرى يميز فيها بين المصدق وبين المكذب
وبين المحمود والمذموم يؤيد ذلك قوله وان كل لما جميع لدينا وقوله لدينا وعندنا ونحو من الحروف خصها بذلك
الاسم وان كانوا فى جميع الاوقات كذلك لما ذكرنا ان المقصود من انشاء هذا ذلك ومن هذا العالم الفانى ذلك العالم
الباقى اذ لو لم يكن ذلك ولا ذلك العالم الباقى لم يكن انشاء هذه حكمة لانه يحصل الانشاء والخلق على الافناء خاصة
واحداث الشىء للافناء خاصة لا لعاقبة تقصد عبث باطل وقوله واية لهم الارض الميتة احييناها جاز ان يكون قوله
واية لهم اى اية البعث لهم و الارض ميتة فى وقت يابسة لا نبات فيها ولا شىء ثم تراها حية مخضرة متزينة
بانواع النبات متلونة بالوان الخارج منها فيخبر ان من قدر على هذا القادر على احياء الموتى بعد ما بليت اجسادهم
وصاروا رمادا وان من قدر على هذا لا يعجزه شىء ولا يصعب عليه شىء فهذه اية ظاهرة على البعث مشاهدة
محسوسة وفيه انه يحتاج الى ان تستخرج منها بالحكمة وهو ما ذكر واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون انه لما اخرج من الارض
حبا وجعل غذاءهم فيه من غير ان استوجبوا ذلك منه دل انه انما جعل ذلك ليمتحنهم بانواع المحن على علم منه ان منهم من
يشكر ومنهم من يكفر وقد سوى بينهم فى هذه بين الكافر منهم وبين الشاكر فلا بد من دار اخرى فيها يقع التمييز بينهم
الثواب للشاكر والعقاب للكافر اذ فى الحكمة التفريق لا الجمع وعلى ذلك ما ذكر من جعل الجنان والنخيل والاعناب وتفجير
العيون وغيره وذكر فى اخره افلا يشكرون رب هذه النعم كلها او ان يكون وجه الدلالة فيه من وجه اخر وهو انه لما

انشاءهم وعلم لا يصلح لهم من الغذاء وما لا يصلح وما لا يكون قبل ان ينشئهم دل انه عالم بذاته قادر لا يعجزه شىء ولا يخفى
عليه شىء او ان يكون لما انشا هذه الاشياء التى ذكر لهم لا يحتمل ان يتركهم سدى لا يمتحنهم بشىء ولا يامرهم بشىء ولا ينهى
عن شىء فاذ ثبت المحنة ثبت البعث وظهر الثواب والعقاب وفى قوله واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها
حبا الى اخر ما ذكر من انواع الفواكه والثمار وغيرها اية الوحدانية له والالوهية ودلالة الجود والكرم له ليرغبوا فيه
ويطمعوا منه ودلالة عدل له وسلطان ليهابوه ودلالة البعث لما ذكرنا ودلالة ان هذه النعم منه ليشكروه حيث قال
فى اخره افلا يشكرون والله اعلم وقوله سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون من
الناس من يقول ان الازواج هى التى لها مقابل من الاشكال والاضداد مما للخلق فيه فعل ومما لا صنع لهم فيه حيث قال مما
تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ويستدل بذلك على خلق افعال العباد وهو ما قال خلق الازواج كلها من الازواج ما يكون
فعلا لهم وقد اخبر انه خلق كلها دل انه خالق افعالهم والله اعلم وقوله واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فى ذلك
اية من وجوه احدها اية القدرة على البعث والاحياء بعد الموت والثانى اية الوحدانية له والالوهية والثالث اية العلم
الذاتى والتدبير الازلى اما دلالة البعث فهو ما ذكر من جعل ما هو ليل نهارا ومن جعل ما هو نهار ليلا بعد ذهاب اثره وفناء حكمه
حتى لا يبقى منه شىء ومحق الاخر وانتزاع هذا من هذا وادخاله فى الاخر دلالة انه قادر بذاته لا يعجزه شىء وله قدرة ذاتية
لا مكتسبة مستفادة فمن قدر على هذا قادر على الاحياء بعد الموت اذ الاحياء بعد الموت ليس بابعد مما ذكرنا من جعل الليل
نهارا وجعل النهار ليلا والاعجوبة فى هذا ان لم يكن اكثر اعنى فى جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا وادخال احدهما فى الاخر
ليس بدون الاحياء بعد الموت فاذا كان كذلك دل انه قادر بذاته لا باقدار من غيره فلا يعجزه شىء ولا قوة الا بالله واما دلالة
الوحدانية فهو انشاء الدهر من اول انشائه الى اخر ما ينتهى اليه واجراؤه على مجرى واحد وسنن واحد من الليل والنهار
وادخال هذا فى هذا وهذا فى هذا دلالة انه فعل واحد اذ لو كان فعل عدد لكان اذا اتى احدهما بالليل غلب على الاخر فلم
يقدر المغلوب على اتيان النهار بعد ذلك وغلبه صاحبه وقهره وكذلك منشئ النهار اذا غلب منشئ الليل لم يقدر على اتيانه
بالاخر وغلبته عليه ومنع كل واحد منهما صاحبه عن ادخال شىء مما انشاءه هو فيما انشاءه الاخر فاذا لم يكن ما ذكر
دل انه واحد فهو على التسوية واما دلالة العلم الذاتى له والتدبير الازلى هو اجراء الدهر من اول ما انشاءه على تقدير
حاجة اهله اعنى حاجة اهل الدهر وعلى تقدير منافعهم واتساقه على امر واحد على غير تغير وتفاوت تقع فى ذلك او تفاوت
الى ما ينتهى اليه وينتهى حاجتهم ومنافعهم دل انه كان لم يزل عالما بحوائجهم ومنافعهم حيث اجرى الدهر على تقدير
حوائجهم وتدبير منافعهم وان له علما ذاتيا وتدبيرا ازليا لا علما مكتسبا ومستفادا وان له القدرة والسلطان حيث
لم يقدر احد ان يدفع ظلمة الليل عن نفسه اذا احتاج الى النهار ولا ملك دفع النهار اذا وقعت الحاجة فى الليل ولا احد
ان ياتى باحدهما مكان الاخر فى وقت اخر بل اظلم الليل الخلائق كلهم وستر عليهم كل شىء شاؤا او ابوا واضاء لهم
النهار على كل مستور عليهم وابدا لهم على كل مختفى شاؤا او ابوا دل انه بالقدرة الذاتية كان ذلك والسلطان الذاتى
لا مكتسب مستفاد اذ ذاتى علم كل ذاتى لا يعجزه شىء ولا يخفى عليه شىء فى حال من الاحوال وهذا يبطل قول الفلاسفة
ان العقل يدرك بنفسه كالنار حارة بطبعها محرقة بذاتها فلو كان يدرك بنفسه لكان لا يجاز ان يكون ولا يدرك
هنالك او يشتبه عليه شىء بوجه من الوجوه فاذا حيل بينه وبين المدرك دل انه دراك بغيره فيدلك على قدرة
ما تجلى واكتشف والله اعلم وقوله نسلخ اى ننزع منه النهار وقوله فاذا هم مظلمون اى داخلون فى الظلمة يقال
اظلم فلان اذا دخل فى الظلمة ثم سورة يس نزلت كلها بمكة محاجة الى اهل مكة فى انكارهم التوحيد وانكارهم
البعث والقدرة على الاحياء ما صاروا رمادا وانكارهم الرسالة وهم كانوا طبقات على هذه المذاهب المختلفة
منهم من انكر التوحيد ومنهم من انكر البعث ومنهم من كان ينكر الرسالة ونحوها فبين الله تعالى فى هذه السورة
وذكر فيها الحجج على منكر التوحيد وعلى منكر البعث وعلى منكر الرسالة وهو ما ذكر من الايات من ذلك قوله
واية لهم الارض الميتة احييناها ففى دلالة القدرة على البعث على ما بينا فيما تقدم وفى قوله واخرجنا منها حبا
فمنه ياكلون دلالة الوحدانية له لانه اخرج ما ذكر من النبات والجنات والاعناب والنخيل الى اخر ما ذكر بمنافع
من السماء متصل بالارض فدل اتصال منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما على ان منشئهما ومدبرهما
واحد اذ لو كان فعل عدد لكان فيه تمانع وتنازع على ما ذكرنا فيما تقدم من فعل ذوى العدد من التغالب والتدافع
والتنازع فى العرف والله اعلم وما ذكر ايضا من الليل والنهار على تضادهما واختلافهما فى ذات العين وسلخ احدهما
من الاخر وادخال احدهما فى الاخر دلالة الوحدانية ودلالة البعث ودلالة العلم الذاتى والتدبير الازلى اما دلالة الوحدانية
فهو ما جمع فى الليل والنهار على تضادهما واختلافهما فى منافع الخلق وحوائجهم كانهما متشاكلان فدل ذلك على انهما
فعل واحد لا عدد لكان فيه تنازع وتمانع على ما ذكرنا من منع كل واحد منهما الاخر ودفعه عن انفاذ امره فى ذلك
واتساق تدبيره وفعل الدوام على ذلك واتساق الامر على سنن واحد ومجرى واحد انه فعل واحد فيه دلالة

لما ذكرنا من اذهاب احدهما واقرار الاخر بعد ذهابه واتيان كل واحد منهما بكليته ودل اجراؤهما مجرى واحدا من اول ما
انشاهما الى اخر ما ينتهي ذلك وينتهي العالم على تقدير منافعهم وحوائجهم انه عالم بذاته مدبر بنفسه وان له علما ذاتيا
وتدبيرا ازليا لا مكتسبا مستفادا وعلى ذلك ماذكر من جريان الشمس والقمر وتسخيرهما لمنافع هذا العالم وحوائجهم
وقطعهما في يوم وليلة واحدة مسيرة خمسمائة عام فدل ذلك كله على انه لا شريك له قادر لا يعجزه شيء وعالم مدبر لا
يخفى عليه شيء وعلى ذلك ماذكر في قوله واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون دلالة الوحدانية والقدرة و
العلم والتدبير من حيث جعل اطراف الارض كلها على تباعد ما بينها متصلة بمنافع الخلق وحوائجهم باسباب
انشاها لهم وعلمهم ليصلوا الى تلك المنافع والحوائج فدل انه فعل واحد اذ لو كان فعل عدد لكان في ذلك على ما ذكرنا
وانه عالم بذاته مدبر ولذلك قال تقدير العزيز العليم اي ذلك الذي ذكر كله تقدير الذي لا يعجزه شيء والعليم الذي
لا يخفى عليه شيء وبالله العصمة والشمس تجري لمستقر لها وفي بعض الحروف والشمس تجري لا مستقر لها فعلى هذا القول
اي تجري ابدا لا مستقر لها ولا قرار ومن قرأ تجري لمستقر لها اي لنهاية وغاية ثم اختلف في تلك النهاية فمنهم من يقول نهايتها
وغايتها هو ذهاب هذا العالم وانقضاؤه وتبدل عالم اخر كقوله اذا الشمس كورت وقوله الشمس والقمر بحسبان
فذلك نهايتها ومنهم من يقول مستقرها هو نزوله في كل يوم في منزل لما ذكر ان لها منازل تنزل كل يوم في منزل
ثم تطلع من مكان اخر ولذلك قال والقمر قدرناه منازل ومنهم من يقول نهايتها ما ذكر في الخبر انها اذا غربت ترتفع الى
السماء السابعة فتخر لله ساجدة تحت العرش ثم يؤذن لها بالطلوع ذكر في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لما اذن لها بالطلوع والارتفاع يأتيها جبريل بحلة من ضوء العرش على مقدار ساعة النهار في طوله في
الصيف وقصره في الشتاء وما بين ذلك في الخريف والربيع فتلبس تلك الحلة كما يلبس احدكم ثوبه وذكر في القمر
كذلك من الجلوس والسجود لله الا انه ذكر فيه ان جبريل يأتيه من نور الكرسي وفي بعض الاخبار يكتسي من نور
فيلبس تلك او تلك الضوء والنور كما يلبس احدكم ثم فذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا كما
ذكر في الخبر وقال بعضهم مستقرها جريانها في البحر الذي خلق الله دون السماء مكفوف قائم فيه تجري الشمس
والقمر والجواري الكنس ويحتمل قوله تجري لمستقر لها اي تجري في مكان وتستتر منها والله اعلم وقوله ذلك تقدير
العزيز العليم العزيز الذي لا يعجزه شيء ويعز من ان تعلمه شيء والعليم الذي لا يخفى عليه شيء وقال بعضهم
العزيز الذي اظهرها انه الذي يخرج لا ترى اعوالا داثر لذلك والحاجة فيه ظاهرة واما دلالة الرسالة فان اهل مكة
لم يكونوا يعرفون التوحيد وعرفهم واتاهم الحجة والبراهين دل انه رسول عرف ذلك والله اعلم وقوله والقمر قدرناه
منازل اي قدرناه منازل يزيد وينقص ويستوي وكذلك جعل الشمس منازل ايضا تزداد وتنقص وتستوي
لكن جعل منازل القمر في نفسه يتغير ويزداد ويستوي وينتقص واما الشمس فانه جعل تغيرها في
الزيادة والنقصان والاستواء في الازمنة والاوقات فاما في نفسها فليس فيها تغير ولا نقصان ولا زيادة
فهو والله اعلم لما ذكرنا انه جعل القمر سببا للوصول الى معرفة الاوقات والحساب والحج بقوله يسئلونك عن الاهلة قل
هي مواقيت للناس والحج وعلى ذلك جعل طلوعه وغروبه مختلفا في الليل والنهار وفي كل وقت وكل ساعة و
اما الشمس فانها في نفسها على حالة واحدة لا زيادة فيها ولا نقصان ولا تغيير الا في وقت الذي تنكسف وكذا
طلوعها وغروبها في وقت واحد لا يختلف ولا يتغير الا في ازمنتها واوقاتها فانه يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا
ويدخل في هذا هذا ومن هذا في هذا واما الايام فانه لم يجعل فيها تغييرا فهو والله اعلم لما لا يشتد على الناس حفظها و
لا جعل سببا لتعريف الاوقات والحساب وقوله حتى عاد كالعرجون القديم قيل انه عود الكباسة القديم الذي
تدانى عليه حول فاستقوس ودق شبه القمر اخر ليلة يطلع بها واول ليلة قال بعضهم شبه القمر بالعرجون
القديم وهو العذق اليابس المنحني القديم الذي اتى عليه الحول وهما واحد وقوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر و
لا الليل سابق النهار جائز ان يكون ذكر الشمس كناية عن النهار نفسه والقمر كناية عن الليل الا ترى انه ذكر الليل والنهار
على اثر ذلك حيث قال ولا الليل سابق النهار يخبر انه لا يدرك هذا هذا ولا سابقا لهذا وجائز ان لا يكون ذكرهما كناية عن
الليل والنهار عن بيانه ولكن حقيقتهما ان لا يدرك ضوء هذا هذا ولا ضوء هذا هذا فيغلبه ولكن يكون هذا في وقت لا
يجتمعان في وقت واحد ويذكر انه لا يغلبه هذا ما دام في سلطانه ولا هذا على هذا ما دام سلطانه قائما يخبر عن قدرته و
علمه وتدبيره واما قدرته فهو ما ذكر من تقدير الشمس والقمر والليل والنهار وحفظها حتى لا يغلب احدهما صاحبه بعد
به ولحفظه اياهما على قدر انه انما كان بتقدير ذاتية ودل اجراؤه اياهما على مجرى واحد وعلى سنن واحد منذ انشأهما و
قدرها الى اخر ما ينتهي اليه هذا العالم انه كان بعلم ذاتي وتدبير ازلي لا مستفاد مكتسب وهذا ينقض على الثنوية مذهبهم
ان منشئ الظلمة غير منشئ النور لانه لو كان اثنين على ما يقولون لكان اذا غلب هذا على هذا وجاء سلطانه منعه من ان
يأتي الاخر فاذا لم يكن دل انه فعل واحد لا عدد وقوله وكل في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر قال بعضهم كل في تلك اي

في دورانه واستدارته يجرون على ماذكر لا يمنع هذا هذا وعلى هذا لنا ان بل هو الدوران الذي يدور عليه الشمس والقمر وقال
بعضهم ان تحت السماء في الهواء بحر مكفوف فيه تطلع الشمس وفيه تغرب ولكن لنا الفرقان كان على هذا فيكون قوله في فلك يسبحون
على حقيقة السباحة والعومة ويروى في ذلك الخبر على ماذكرنا وقال القتبي وابو عوسجة تنسلخ اي تخرج والعرجون عرجون
النخلة مثل العنقود من العنب والقديم من جماعة يسبحون من السباحة ثم قوله واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون
اختلف في ذلك الفلك قال بعضهم هي السفينة التي حمل فيها نوح واتباعه وقال بعضهم اراد به السفن كلها التي يحمل عليها
ويركب والفلك يقال هي واحد وجماعة فان كان المراد بالفلك السفينة المشحون وهي السفينة نوح كان قوله وخلقنا لهم
من مثله ما يركبون غيرها من السفن التي اتخذت للركوب وان كان المراد به غيرها من السفن كان قوله وخلقنا لهم من
مثله ما يركبون انما هي الانعام التي يركبون عليها في المفاوز والبراري كقوله وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ونحوه
ثم ان كان المراد بقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون السفن كانت في ذلك نقض قول المعتزلة في قولهم افعال العباد
ليست مخلوقة حيث اخبر انه خلق السفن والسفن انما تسمى سفنا بعد ما اتخذت ونحتت فاما قبل ذلك فهي تسمى
خشبا والله اعلم ثم قوله واية لهم انا حملنا ذريتهم يحتمل قوله حملنا ذريتهم معنيين احدهما انا حملنا من انتم ذريتهم
في الفلك المشحون وهم الذين حملهم مع نوح في السفينة والثاني انا حملنا ذريتهم في اصلاب ابائهم وارحام
امهاتهم في الفلك نسبهم اليهم لما انهم اصل الاولاد كقوله خلقكم من تراب وانما نسبنا الى ادم لانه اصلنا وهو
المخلوق من التراب فعلى ذلك هذا لكن التأويل الاول والثاني لغير جائز في التأويل الثاني ان كان المراد بقوله
واية لهم انا حملنا من انتم من ذريتهم فاتبعوا ابائكم من ذرية من نجا من ابائكم وهو الذين امنوا برسلهم وصدقوا
لا من كذب به فكيف لا تتبعونهم لان العرب من عادتهم انهم لا يزالون محتجين انا وجدنا اباءنا على امة وعلى اثارهم
مقتدون وان المراد المعنى الثاني فيقول ان في ابائكم من صدق الرسل وامن بهم ومنهم من كذبهم فكيف اتبعتم الذين
كذبوهم دون الذين صدقوهم ثم جهة الاية في الفلك ما ذكرنا فيما تقدم في غير موضع اما في تذكير ما انعم عليهم
حيث سخر لهم البحار والبراري حتى يصلون الى قضاء حوائجهم ومنافعهم في الامكنة النائية بعضها بالسفن التي
انشاها لهم والانعام التي خلقها لهم او يخبر عن قدرته وسلطانه ان من قدر على تسخير هذا وايصال هذا بهذا لا يعجز
شيء ولا يخفى عليه شيء او يخبر عن وحدانيته وربوبيته اذ لو كان ذلك فعل عدد لامتنع ولم يتصل ولم يصلوا الى
قضاء حوائجهم او يخبر سفههم بعبادتهم الاصنام التي عبدوها حيث قال وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم
يخبر انا لو شئنا اغراقهم لا يملك الاصنام التي تعبدونها الاغاثة لهم والاستنقاذ من ذلك بل هو المالك لذلك
كقوله ضل من تدعون الا اياه وكقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر وقوله الا رحمة منا ومتاعا الى حين يحتمل
قوله الا رحمة من ربك اي لو شاء لاهلكهم واستاصلهم بالعناد والتكذيب للرسول كما فعل باوائلهم لكن رحمته
اخر عن هؤلاء ذلك وجعل لهم متاعا الى حين وذلك منه رحمة والذين كانوا من قبل عند رؤيتهم بأس الله كقوله
فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده الاية ثم اخبر انه لم ينفعهم ذلك حيث قال فلم يك ينفعهم ايمانهم ولكن
رحم هؤلاء لمكان رسول الله فقبل ايمانهم عند رؤيتهم بأسه وفي قوله وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم الاية
دلالة نقض قول المعتزلة لقولهم في الاصلح لما لا يخلو اما ان يكون اغراقه اياهم اصلح لهم في الدين والله اعلم
وقوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون اختلف في قوله ما بين ايديكم وما خلفكم قال
قائلون ما بين ايديكم وما خلفكم قال قائلون ما بين ايديكم ما كان من عقوبات الله وقال قائلة فيمن كان قبلكم
من عنادهم في اياته وتكذيبهم رسله بقوله اتقوا ذلك واحذروا نزوله عليكم فسمى بين ايديهم لانه مضى بين ايديهم
وما خلفهم من امر الساعة وعذابها سمى خلف لانه بعد وراءهم غيرها في يقول احذروا ذلك وقال قائلون ما بين
ايديكم هو عقوبات الاخرة هي بين ايديهم ستأتيهم وستنزل وما خلفكم ما مضى من عقوبات التي نزلت بمن كان
قبلكم فصار ذلك وراءه وخلفا يقول احذروا ذلك وجائز ان يكون على غير هذا يقول والله اعلم احذروا ذنوبكم
التي عملتم ومعاصيكم التي عصيتم في الدنيا واحذروا ايضا ما تسنون ايضا لمن بعدكم كقوله علمت نفس ما قدمت و
اخرت ما قدمت مما عمل هو وما اخرت ما سن لغيره من بعد وقوله لعلكم ترحمون اي اذا فعلتم ذلك استوجبتم الرحمة
بفضله والله اعلم وقوله وما تأتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين هذا والله اعلم في قوم خاص
اعتادوا العناد والمكابرة في رد الايات والاعراض عنها لما كان سؤالهم الايات سؤال تعنت لا سؤال استرشاد
ولو كان سؤالهم سؤال استرشاد لكان قد انزل لهم من الايات واتاهم بما يلزمهم قبولها والتمسك بها ثم الاعراض
والعناد يكون بوجهين احدهما يعرض عنها لما لم يقع له الاتباع والنظر فيها والثاني يعرض عنها اعراض عناد بعد
التحقق والتيقن والعلم بها انها ايات والله اعلم وقوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم يحتمل قوله انفقوا اي صلة
الارحام والقربات على حقيقة الانفاق ويحتمل ان اقبلوا الانفاق وهو الزكوة قوله ويل للمشركين الذين لا يؤتون

الزكوة اى لا يقبلوا الانبياء والله اعلم وقوله انطعم من لو يشاء الله اطعمه بهذا قالت المعتزلة فى قولهم ان الله لا يفعل الا
ما هو اصلح له فى الدين يقولون لو كان الانفاق والرزق اصلح لهم فى الدين لرزقهم الله على ما رزقنا فيقال للمعتزلة
امره اياهم بالانفاق على من ذكر لا يخلوا من ان يكون النفقة لهم والرزق اصلح فى الدين فلم يرزقهم ولم يوسع عليهم
واما ان يكون المنع اصلح لهم وترك الانفاق فان كان الاول فقد ترك فعل ما هو اصلح فى الدين والثانى فقد امر هؤلاء
بفعل ما هو ليس باصلح فكيف ما كان ففيه بيان انه ليس على الله حفظ الاصلح للخلق فى الدين انما عليه فعل ما فيه
وحفظ ما يكون حكمة وهؤلاء لم ينظروا الى توجيه الحكمة وفى الحكمة الامتحان والابتلاء هذا بالسعة وهذا
بالشدة والضيق ثم اوجب على من وسع عليه فى الفضول ما له حقا لهذا الفقير والمضيق عليه وبين ذلك الحق وبين
قدره وحده ليتأدى بذلك شكره وضيق على هذا فطلب منه الصبر على ذلك ان منع هذا حقه والا لم يسبق ممن وسع
عليه ما يستوجبه تلك النعمة والسعة ولا ممن ضيق عليه ما يستوجبه ذلك ولكن محنة يمتحنهم بما هذا بالشدة
والضيق وهذا بالسعة والكثرة هذا مأمور بالشكر اداء ما اوجب عليه فى ماله وهذا بالصبر على حاجته
ان منع حقه وعلى ذلك روى فى الخبر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير
فيكم ولو شاء لجعلكم فقراء لا غنى عنكم ولكنه ابتلى بعضهم ببعض لينظر كيف عطف وكيف صبر الفقير وقوله
ان انتم الا فى ضلال مبين قال بعضهم هذا قول الكفرة للمؤمنين لم يكتفوا بذلك القول الذى قالوه ولكن نسبوهم
الى الضلال والجهل وقال بعضهم هذا القول من الله جواب لهم لقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والله اعلم
وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ليس بصلة على ما تقدم من الكلام لكن كانهم خوفوا بترك
الانفاق بالعذاب فقالوا عند ذلك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ثم قال ما ينظرون الا صيحة واحدة اى
لايمانهم الا ذلك الوقت يقول والله اعلم اذا بلغوا ذلك الوقت وعاينوا ذلك فعند ذلك يؤمنون لكن لا
ينفعهم الايمان فى ذلك الوقت لقوله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وقوله
تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون يخبر عن سرعة قيام الساعة وغفلة
اهلها عنها كقوله فتأتيهم بغتة اى فجأة وهم لا يشعرون وعلى ذلك روى بعض اخبار عن نبى الله صلى
الله عليه وسلم قال لتقومن الساعة والرجلان يتبايعان الثوب فلا يطويانه حتى تقوم الساعة وعن
ابى هريرة رضى الله عنه فى قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فقال تقوم الساعة
والناس فى اسواقهم يحلبون اللقاح ويذرعون الثياب ويتبايعون وهم فى حاجاتهم وعن الزبير بن
العوام رضى الله ان الرجلين يتبايعان اذ نادى مناد قد قامت الساعة ونحوه وقوله فلا يستطيعون توصية
اى وصية وكذلك ذكر فى حرف حفصة وابى فلا يستطيعون وصية وقوله تأخذهم وهم يخصمون يحتمل
ما ذكرنا ان الساعة تقوم وهم على ما كانوا عليه من قبل فى البياعات والخصومات والمنازعة وعلى ذلك
جاءت ويحتمل وهم يخصمون اى يختصمون فى الساعة والبعث انها لا تقوم ولا تكون لانهم كانوا ودل
قوله فلا يستطيعون ولا الى اهلهم يرجعون اى استطاعة الفعل تكون مع الفعل لا تتقدم الفعل لانها
لو كانت تتقدم لكانوا يستطيعون التوصية والرجوع الى اهلهم اذا قامت بهم دل هذا على انها لا تتقدم
الفعل لكنها تقارنها وتجامعه والله اعلم وقوله ونفخ فى الصور قد ذكرنا القول فى الصور فى غير موضع و
اختلافهم قال قائلون الصور هو شبه القرن ينفخ فيه وعلى ذلك روى عن عبد الله بن عمرو قال سئل النبى صلى الله
عليه وسلم عن الصور فقال قرن ينفخ فيه فان ثبت فقد كفينا مؤنة الاشتغال بغيره وقال قائلون هو على التمثيل
لا على التحقيق لكنه ذكر النفخ لسرعة امرها وقيامها اذ ليس شئ اسرع نفاذا ولا اخف من النفخ عبارة عن سرعتها
ونفاذها كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وهو قوله ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
قال اهل التأويل ونفخ فى الصور ثلاث نفخات بين كل نفخة مهلة كذا كذا سنة يقولون فى النفخة الاولى يموت فيها كل شئ مما
خلق الله كقوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم ينفخ ثانيا فيحيون بها ويخرجون
من قبورهم وهو قوله ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وينفخ ثالثا فيجتمعون عند ربهم وهو قوله
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون والله اعلم بذلك والنسل هو سرعة الخروج اى يسرعون وقال
ابو عوسجة النسل هو المشى ينسلون اى يمشون لكنه مشى مع سرعة وهما واحد وقوله قالوا يا ويلنا من بعثنا من
مرقدنا من الناس من ينكر لعذاب القبر بهذه الآية يقول المرقد هو موضع الراحة والراقد هو الذى يكون فى راحة
ولو كان لهم عذاب او كانوا فى عذاب لم يكونوا فى رقدة ولا راحة دل انه لا يكون ومنهم من يقول يكون فى القبر عذاب
عذابا الا انه يرفع عنهم ما بين النفختين ارقادا يخفف عنهم فاذا بعثوا ورأوا احوال القيمة قالوا عند ذلك يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا ومنهم من يقول لهم فى القبر عذابا الا انهم لما عاينوا عذاب الآخرة واهوالها صار عذاب القبر وهم

كالرقاد عند عذاب الآخرة ومنهم من يقول يناموا نومة قبل البعث ثم يبعثون ومثل هذا وجائز ان يكون النفس فى حال الموت تجد
تلك المرارة كما تجد النفس التى تخرج من النائم المعذب بعينه وتجد لذة ايضا اذا كانت له وترى فى النوم وانزاعا وذلك معروف
فعلى ذلك هؤلاء الكفرة يعذبون بما ذكرنا فاذا بعثوا قالوا عند ذلك يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا والمرقد هو الموضع الذى ينام
فيه او ان يكونوا فى عذاب عمى فى القبور لكنهم اذا عاينوا عذاب الآخرة وشاهدوا اهوالها هان ذلك العذاب الذى كان لهم فى
القبر وسهل عند عذاب الآخرة فصار ذلك كالرقاد لهم عند عذاب الآخرة فقالوا عند ذلك يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا والله اعلم
بذلك وقوله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال بعضهم هذا قول الملائكة لهم عند قولهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
قال بعضهم قول المؤمنين لهم عند قولهم الذى قالوا وجائز ان يكون ذلك ايضا قولا ولئلا الكفرة يقرون بالبعث عند معاينتهم
البعث يقولون هذا الذى وعد لنا المرسلون وصدقوا فى ذلك ونحن كذبناهم فيه لكن لا ينفعهم تصديقهم اياهم بذلك فى ذلك
الوقت وهو كايمانهم عند معاينتهم بأس الله وهو قوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده فعلى ذلك هؤلاء لكن لا ينفعهم
وقوله ان كانت الا صيحة واحدة يحتمل على حقيقة الصيحة يجعل الله تلك الصيحة على الاحياء والبعث لا ان يكون الصيحة سببا
للاحياء والبعث ويحتمل لا على حقيقة الصيحة ولكن على قدر الصيحة كأنه يقول والله اعلم ما كانت الا قدر صيحة واحدة اى البعث
لكنه ذكر الصيحة لان الصيحة اسرع شئ وايسر على الخلق من غيره على ما ذكرنا فى النفخ فى الصور كقوله وما امر الساعة الا
كلمح البصر ذكر هذا لانه اخف شئ على الخلق واهونه عليهم فيعبر به عنه ويكنى بما ذكر ليعلموا خفة ذلك على الله وسهولته وهونه
وانه ليس يثقل عليه شئ وقوله فاذا هم جميع لدينا محضرون ذكر ان قوله ان كانت الا صيحة واحدة فى البعث فاذا كان ذلك فى
البعث فعند ذلك احضارهم عند الله واما الاول فانما هو فى الهلاك والموت وقوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا الظلم فى اللغة
هو وضع الشئ فى غير موضعه كأنه يقول والله اعلم اليوم لا توضع نفس فى غير موضعها ولكن توضع على وضعها فى الدنيا
او يكون الظلم عبارة عن النقصان كأنه يقول والله اعلم فاليوم لا تنقص نفس عما استوجب كقوله ولم تظلم منه شيئا اى لم تنقص
منه او يقول فاليوم لا يحمل على نفس ذنب غيرها ولا يوضع وزر غيرها بل يجزى كل نفس جزاء عملها والله اعلم وقوله ان اصحاب
الجنة اليوم فى شغل فاكهون يخبر والله اعلم فى شغل اهل الجنة وانهم كانوا مشغولين فى النعيم فان ذلك الشغل يحجبهم عن
غيرهم من الاشياء وكذلك جميع الخلائق انهم اذا اشتغلوا فى شئ حجبوا عن غيره ومنعوا فاما الله سبحانه تعالى عن ان يشغله
شئ او يحجبه شئ عن شئ ثم الاشتغال فى الدنيا مما يغم اهلها ويؤذى فاخبر ان شغل اهل الجنة مما لا يغمهم ولا يؤذيهم
حيث قال فى شغل فاكهون قيل ناعمون بما هم فيه قيل معجبين فى ذلك وقال القتبى فاكهون يتفكهون ويقال للمزاح
فكاهة وفاكهون اراد روى فكاهة وقال ابو عوسجة فاكهون من الفاكهة الممازحة ثم قال بعضهم شغلهم فى افتضاض
العذارى وقيل شغلهم فى كل نعيم وفى كل كرامة على ما ذكر والله اعلم وقوله هم وازواجهم فى ظلال يخبر ان اهل الجنة و
ان كانوا لا يحجبون عن شئ ولا يمنعون شيئا فانهم اذا كانوا مع ازواجهم لا يقع عليهم بصر غيرهم فينغص ذلك وهو كما ذكر
حور مقصورات فى الخيام يخبر انهم اذا كانوا مع ازواجهم لا يطلع عليهم غيرهم والله اعلم والظلال جمع ظلة وقوله على الارائك متكئون
الاتكاء على الارائك انما هو للراحة يخبر والله اعلم عن غاية راحتهم ونهاية كرامتهم والا ليس فى الاتكاء على الارائك فضل
كرامة ومنزلة ولكن يذكر عن راحتهم ونعمهم كقوله لا يبغون عنها حولا وقال القتبى الارائك السرر فى الحجال واحدها
اريكة وقال ابو عوسجة الارائك الوسائد وعن الحسن قال الارائك الحجلة وهى بلغة اهل اليمن يسمون الحجلة اريكة
وقوله لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون الفاكهة هى التى تؤكل على الشهوة لا على الحاجة يخبر والله اعلم ان اهل الجنة انما
يأكلون ما يأكلون على الشهوة لا على الحاجة وقوله ولهم ما يدعون قيل ما يتمنون وقيل ما يسألون وجائز ان يكون ما
يدعون من الدعوى ان يعطون جميع ما يدعون لانفسهم ليس كالدنيا وقال ابو معاذ ولهم ما يدعون اى ما يشتهون
ويتمنون فى الجنة والله اعلم وقوله سلام قولا من رب رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما يردون اليهم اعنى الملائكة سلام
الله بحق التبليغ اليهم سلام الله نحو ما يبلغ بعضهم الى بعض سلام بعض اقرأ فلان منا السلام فعلى ذلك يقولون
ان الله قد اقرأ عليكم السلام والثانى ان يسلم عليهم الملائكة بأمر ربهم يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما
صبرتم والثالث ان يكون القول من الله وعدا بالسلامة لهم فيها من كل آفة وبلاء يكون فى الدنيا كقوله ادخلوها
بسلام آمنين ونحوه وفى حرف ابى وابن مسعود سلاما قولا بالنصب فهو اعلم كأنهما يجعلون تمام الكلام فى قوله يدعون
ثم يقطع سلاما قولا منه واما قراءة هؤلاء برفع السلام فمعناها والله اعلم ولهم ما يدعون سلام تم الكلام ثم قطع
قولا منه وقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون كان اهل الجنة واهل النار يكونون مختلطين فيفرق هؤلاء لانهم يكونون
فى الابتداء مجموعين ولذلك سمى يوم الجمع ويوم الحشر ثم يفرق بينهم كقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير وسمى يوم
الفصل واصل قوله وامتازوا اليوم ليس على الامر فى الحقيقة ان افترقوا ولكن على حقيقة التفريق على ما ذكر فى آية اخرى
ليميز الله الخبيث من الطيب واصل الامتياز الافتراق والاعتزال وبه يقول ابو عوسجة والقتبى ان الامتياز هو التفريق
والتنحى وقوله الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان يخرج قوله الم اعهد اليكم على التحذير لهم ثم العهد العهد

الذي ذكر انه عهد اليهم ان لا تعبدوا الشيطان يخرج على وجوه ثلاثة احدها عهد خلقة وبنية اذ قد جعل الله تعالى
في خلقة كل احد وبنية ما يشهد على وحدانيته وجعل العبادة له ويصرفها عمن دونه فنقضوا ذلك العهد وصرفوا
العبادة الى غيره والالوهية والثاني ما اخذ عليهم من العهد على لسن الرسل والانبياء من الامر والنهي والثالث
ما جعل فيهم من الحاجات والشهوات التي تحملهم قضاؤها من عنده على صرف العبادة اليه والشكر له على نعمائه وجعل
الالوهية له وسعيهم صرفها الى غيره وجعلها لمن دونه فنقضوا ذلك كله وتركوه فان قيل ذكر عبادة الشيطان ولا احد
يقصد قصد عبادة الشيطان ولا يعبده بل كل يفزع عن عبادته ويهرب منه لكنه يخرج على وجهين احدهما يحتمل ان
يريدوا الشيطان المردة من الكفرة والائمة منهم الذين صرفوهم عن عبادة الله سموا الشيطان شيطانا لبعده عن رحمة الله
اي بعد كقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا والثاني نسب
تلك العبادة الى الشيطان واضافها اليه وان كانوا لا يقصدون بعبادتهم الشيطان لما يأمره يعبدون من الاصنام
فنسب اليه بالامر او لما كان منه بداية الامر والله اعلم وقوله انه لكم عدو مبين عداوته للناظر بينة في كل شيء حتى في
المأكل والمشرب والملبس كقوله فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما الاية هو يريد ان يوقعنا في المهالك فهو عدو لنا
وقوله وان اعبدوني هذا صراط مستقيم اي اعبدوني فان عبادتي هو الصراط المستقيم وقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا
يحتمل قوله اضل اي اهلك هو ما اهلك من القرون المتقدمة نحو عاد وثمود وقرونا غير ذلك والاضلال يكون الاهلاك
في اللغة ويحتمل على حقيقة الاضلال عن الهدى ثم هو يخرج على وجهين احدهما ان قد رايتم وعلمتم انه قد اهلك الله خلقا
كثيرا بابليس بما ضلوا به واستاصلهم كذلك تكونوا انتم يا معشر اهل مكة على حذر منه لئلا ينزل بكم كما نزل باولئك
بضلالهم به والله اعلم وقوله افلم تكونوا تعقلون انه فعل ذلك بهم يخرج على التعيير والتوبيخ لهم لتركهم النظر في
امر اولئك والثاني وقوله جبلا كثيرا قال بعضهم جميعا كثيرا وقال بعضهم خلقا كثيرا وقال بعضهم امما كثيرا
وكله واحد واصله من قولك جبلهم على كذا اي طبعهم ويقرأ جبلا وجبلا برفع الجيم والتشديد وخففها والتشديد
قال ابو عوسجة الجبلة والجبلة الخلق وقوله هذه جهنم التي كنتم توعدون يشبه ان يكونوا لما راوا جهنم قالوا ما هذا
الذي نراه فعند ذلك قيل لهم هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا ويحتمل على التوبيخ والتعيير لهم اي هذه هي
جهنم التي كنتم توعدون بها اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اي ادخلوها اليوم بما كنتم تكذبون بها والله اعلم وقوله
اليوم نختم على افواههم اي نطبع على افواههم فلا تتكلم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون كانهم
والله اعلم لما انكروا كفرهم وشركهم وعملهم الذي عملوه في الدنيا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وامثاله عند ذلك
باذن الله سائر جوارحهم واركانهم بالنطق والشهادة عليهم بما عملوا كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم الاية وقوله شهد عليهم
سمعهم الاية ثم انطق السنتهم حتى يعاتبوا الجوارح في شهادتها عليهم لقوله لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي
انطق كل شيء وفيه ان النطق والكلام الذي يكون من اللسان لا يكون لانه لسان او لنفس اللسان ولكن للطف
يجعل الله ذلك في اللسان فينطق فحيثما جعل ذلك اللطف والمعنى وفي اي جارحة ما جعل نطقت وتكلمت ولو كان
النطق والكلام لنفس اللسان لكان يجب ان ينطق لسان كل ذي لسان لما له اللسان فاذ لم ينطق دل انه للطف جعل
فيه به ينطق ويتكلم فحيث ما جعل ذلك المعنى واللطف نطق وتكلم وكذلك السمع والبصر وكل جارحة منه من اليد
والرجل وغيره جعل لطفا ومعنى به يسمع السمع وبه يبصر البصر وبه تاخذ وتقبض اليد وبه تمشي وتذهب الرجل فاينما
جعل ذلك اللطف وذلك المعنى كان منه ذلك ما كان من السمع والبصر وغيره وكذلك الاطعمة والمياه ليس لغذاء في
اعينها ولكن في لطف جعل الله فيها لطفا ومعنى يصير ذلك غذاء الا ترى ان عين الطعام يبقى فيرمى به ولا ينتفع بما فيه
من الغذاء والله اعلم وقوله عز وجل ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون قال بعض اهل التأويل
لو نشاء لطمسنا عين الضلال فابصروا فلم يبصروا الطريق فانى يبصرون وقد فقأنا اعينهم وقال بعضهم لو نشاء لحولنا
ابصارهم من الضلالة الى الهدى فلو طمسنا اي حولت الكفر لاستبقوا الصراط يقول لابصروا طريق الهدى ثم قال فانى
يبصرون يقول فمن اين يبصرون الهدى ان لم اعم عليهم طريق الكفرة ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اي لاقعدناهم
على ارجلهم لا يتقدمون ولا يتأخرون ويشبه ان يكون على خلاف هذا على التمثيل يقول والله اعلم لو طمسنا اعينهم
واعميناهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون اي لا يبصرون الطريق فعلى هذا اذا طمسنا اعين القلوب واعميناها فانى
يبصرون الهدى اي لا يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول والله اعلم
على التمثيل اي لو حولنا ظاهر خلقتهم وصيرناها خنازير وقردة حتى ذهبنا بمنافع انفسهم الظاهرة فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون فعلى ذلك اذا مسخنا قلوبهم وحولناها عن مكانها ما انتفعوا بها كما لم ينتفعوا بظواهر جوارحهم
هو على التمثيل لا على التحقيق وفي قوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم دلالة ان الله
في ذلك صنعا اذ لو لم يكن فيما يختارون من الافعال والاعمال صنع لم يكن ليتوعدهم على اذهاب ذلك وتحويله عن

عن مكانه فلذا لان له صنعا في ذلك وفعلا قال الحسن وقتادة في قوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فتركناهم عميا
يترددون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اي لاقعدناهم على ارجلهم على ما ذكرنا فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون
يقول والله اعلم ما استطاعوا ان يتقدموا ويتاخروا وابن عباس رضي الله عنه يقول ما تقدم ذكره اي لو نشاء اعمينا
الضلال فلم يبصروا الطريق فانى يبصرون اي كيف يبصرون او نحو من الكلام ومقاتل يقول لو نشاء طمس اعينهم
ظاهرة فاستبقوا الصراط فانى يبصرون اي لا يبصرون وهو قريب مما ذكرنا آنفا وجائز ان يكون على التمثيل على ما ذكرنا بديا
ويحتمل على التحقيق ان من قدر على الطمس والمسخ وما ذكر من التنكيس لا يعجزه شيء من البعث وغيره او خلق الانسان للطمس
والمسخ خاصة لا للعاقبة فقصد ليس بحكمة او يذكر انه لو نشاء لطمسهم ولمسخهم لكنه تركهم فلم يطمسهم ولم يمسخهم
ليبقوا في النعمة ليشكروا النعم وقوله ومن نعمره ننكسه في الخلق اي من نعمره حتى يدركه الهرم والضعف يقول نرده في
الخلق الاول لا يعقل فيه كعقله الاول كقوله ومنهم من يرد الى ارذل العمر افلا تعقلون اي من فعل هذا او قدر على هذا
لا يعجزه شيء ويبادي ثم شكره قال القتبي المطموس هو الذي لا يكون بين جفنيه شق فاستبقوا الصراط اي فتجوزوا
قال ابو عوسجة طمسنا اعينهم اي اعميناهم والمسخ هو تغيير الصور والابدان وقوله ومن نعمره ننكسه في الخلق اي نصيره
ضعيفا بعد ان كان قويا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له نزل هذا والله اعلم عند قولهم انه شاعر وانه كذاب فاخبر انه لم
نعلمه الشعر وما ينبغي له الشعر تكذيبا لهم وردا عليهم انه شاعر وان هذا القران شعر جعل الله عجز رسوله عن القيام
بانشاء الشعر بعض اية من ايات رسالته كما جعل عجزه عن تلاوة الكتاب من قبل وكتابته وخطه بيمينه اية من ايات رسالته
ليعلم اولئك الذين قذفوه بالشعر والافتراء من نفسه والكذب على الله وبالسحر انه انما اخبر عن وحي من الله لا بما يقولون
هم وهم على يقين وعلم انه ليس بشاعر ولا ساحر ولا كذاب لما لم يرو انه اختلف الى احد منهم من تعلم ذلك ولا كان تعنت من
كثير منهم انما اخذ ذلك ولا اخذ على كذب قط لكنهم نسبوه الى ما نسبوه من الشعر والسحر والكذب تعنتا منهم و
عنادا ليلبسوا امره بذلك على اتباعهم وسفلتهم لئلا يذهب رياستهم ومنفعتهم وفي قوله وما علمناه الشعر وما
ينبغي له دلالة نقض قول المعتزلة حيث اخبر انه لم يعلمه الشعر وقد اعطى له جميع اسباب الشعر وقال في القران علم
القران وعلمه البيان انه كان من الله لطف سوى السبب فيما اخبر انه لم يعلمه لم يعطه ذلك اللطف فلم يتعلم
وفيما اخبر انه علمه اعطاه ذلك اللطف فتعلم ولو كان التعليم هو نفس السبب لكان قد اعطاه في الوجهين جميعا
السبب فيما اخبر انه لم يعلمه وفيما اخبر انه قد علمه دل ان التعليم له فيما كان منه تعليم له بلطف منه سوى السبب
لا بنفس السبب اذ نفس السبب قد كان له في الامرين جميعا والله اعلم وقوله وما ينبغي له ان يشتغل بشيء مما يتلهى به والشعر
في الاصل انما جعل للتلهي والتلذذ ولذلك جعل بينه وبين طبعه انشاء الشعر ليكون ابدا مشتغلا بما هو حكمة وعلم و
فيما امر الله لا بما فيه التلهي والسهو والله اعلم وقوله ان هو الا ذكر وقران مبين ان هو اي ما هذا القران الا ذكر
لما نسوه من امر الله ووعده ووعيده وبما لهم وما عليهم يذكرهم ما نسوه وتركوه ومبين يبين لهم ما لهم وما
عليهم او يبين لهم ما يؤتى وما يتقى او يبين لهم انه من الله جاء ومن عنده نزل لا من عند المخلوقين او ذكر لاهل الكتاب
يذكرهم فيما نسوه مما كان في كتبهم من نعته وصفته وما عليهم القيام به وما ليس ومبين لمشركي العرب انه رسول وان
هذا القران من عنده جاء به وكل كتب الله ذكر ومبين ورحمة ونور وشفاء على ما اخبر والله اعلم وقوله لينذر من كان
حيا قال بعضهم من كان عاقلا يقول لينذر بالقران من له عقل حي فيؤمن ويحق القول اي السخطة على الكافرين
في علم الله انهم لا يؤمنون وقال بعضهم لينذر من كان حيا مؤمنا لان الله تبارك وتعالى سمى المؤمن حيا في غير
اية والكافر ميتا ويحتمل قوله لينذر من كان حيا اي لينفع النذارة وتنفع من كان حيا اي مؤمنا على ما ذكرنا وان
كان ينذر الفريقين جميعا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب هو ينذر من اتبع الذكر ومن لم
يتبع الذكر لكن النذارة انما تنفع وتنفع لمن اتبع الذكر وخشي الرحمن خاصة وكقوله وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين هو يذكرهم جميعا لكن المنفعة للمؤمنين فعلى ذلك الاول ويحتمل قوله من كان اي من يطلب بحيوته
الباقية الحيوة الدائمة ويحق القول على الكافرين القول الذي قال لاملان من الجنة والناس اجمعين وقوله
اولم يروا انا خلقنا لهم قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان قوله اولم يروا ولم تروا ونحوه انه في الظاهر حرف
استفهام لكنه من الله على الايجاب والالزام ثم هو يخرج على وجهين احدهما على الخبر انهم قد راوا ما خلق لهم من الانعام
وما ذكر والثاني على الامر على الرؤية والنظر فيما ذكر اي تدبروا فان كان على الخبر انهم قد راوا ما خلق لهم من
الانعام فهلا تفكروا واعتبروا فيما خلق لهم من الانعام وغيرها انه لم يخلق لهم ذلك عبثا باطلا ولكن لحكمة
ولو لم يكن بعث على ما يقولون هم كان تخلق ذلك عبثا باطلا او ان يقول ان من قدر على خلق ذلك من الانعام
ويسخرها لهم ما لو تركها كانها خلق منها لم يغنها لا متلوث الارض لا يحتمل ان يعجزه شيء او لا يقدر على البعث
والاحياء بعد الموت او ان يقول ان من قدر على تصوير ما ذكر من الانعام وغيره في الارحام وتركيب فيها

ما ركب فيها من الاعضاء والجوارح في الظلماء لا يحتمل ان يخفى عليه شيء ويجوز او يفعل ذلك على التدبير الذي
فعل بلا حكمة او يذكر انه خلق لهم من الانعام وذللها لهم وجعل لهم فيها من المنافع ما ذكرنا بلا شكر يلزمهم
يتادى على ذلك شكر ما انعم عليهم وعلى هذا لو كان على الامر بالرؤية فيما خلق والنظر والله اعلم وقوله مما عملت
ايدينا انما يحتمل ما عملت ايدي الخلق من الزراعة والغرس وغير ذلك مما يعمله الخلق لنسب ذلك الى نفسه و
يحتمل ما عملت ايدينا اي قوتنا كقوله والسماء بنيناها بايد وقوله خلقت بيدي اي بقوتي ويحتمل والله اعلم وقوله فهم
لها مالكون قال بعضهم قادرون عن الانتفاع بها والاستعمال لها يقول الرجل فيما له في حقيقة الملك انا غير
مالك عليه اذا كان غير قادر على الانتفاع به ولا مالك على استعماله وقيل مالكون اي ضابطون قادرون على
امساكها يقال فلان غير ضابط على ابله ودابته وهما واحد والله اعلم وقوله وذللناها لهم فمنها ركوبهم
ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يخبر عن انواع ما جعل لهم من الانعام وانعم عليهم لتادية
بذلك شكره والله اعلم وقوله واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم يخبر
عن سفههم وقلة بصرهم وفهمهم لاتخاذهم الاصنام الهة وعبادتهم اياها رجاء النصر لهم وتركهم عبادة
الله على وجود المعونة والنصرة وجعله كله شيء لهم ثم يكون رجاؤهم بذلك ما قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وذلك في الاخرة ويحتمل رجاء النصر لهم بعبادتهم الاصنام
في الدنيا في دفع ما ينزل بهم من البلاء والشدائد كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه
ثم اخبر ان الاصنام التي تعبدونها وما رجعوا منها لا يستطيعون نصرهم وما رجعوا من شفاعتهم والنصر
لهم واخبر ان ما عبدوا دونه يصير اعداء لهم قال وهم لهم جند محضرون في الاخرة كقوله واتخذوا من دون
الله الهة ليكونوا لهم عزا هذا على تاويل بعضهم من اهل التاويل يجعل الاصنام جندا عليهم واعداء لهم على ما ذكرنا
ويحتمل قوله وهم لهم جند محضرون اي المشركين جند للالهة التي يعبدونها اي هم يغضبون لها ويقومون
في دفع منهم بها فسادا واهلاكا اعني اصنام التي كانوا يعبدونها كقوله قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ثم
اختلف فيه قال بعضهم ذلك في الاخرة وقال بعضهم ذلك في الدنيا والله اعلم وقوله فلا يحزنك قولهم انا
نعلم ما يسرون وما يعلنون كان من اولئك الكفرة لرسول الله اقوال مختلفة مرة كان منهم من ذكر واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية مرة قالوا انه ساحر وانه كذاب وانه شاعر ومرة قالوا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة ومرة قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ومرة طعنوا فيه وفيما اتاهم من الحجج ولا ندري اي
قول كان منهم لم يحزن عليه حتى قال له فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اي لا تحزن على قولهم
فانا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنحفظ عليهم ذلك ونكافيهم على ذلك او نعلم ما يسرون وما يعلنون فننصر لك
عليهم ونعينك او ان يكون حزنه عليهم اشفاقا عليهم لما كان يعلم نزول العذاب بهم والهلاك لعنادهم ومكابرتهم
والله اعلم وقوله او لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة هذا يخرج على وجهين الذين ذكرناهما احدهما على خبر ان
فداى الانسان انا خلقناه من نطفة فهلا تفكروا واعتبروا ان من قدر على خلق الانسان من نطفة ابتداء لقادر
على اعادته بعد ما صار رمادا وترابا وان كان على الامر بالرؤية والنظر اي فلير الانسان ولينظر ان من قدر على
خلق الانسان مبتدا من نطفة لقادر على اعادة اي اعادة الشيء في الشاهد اهون وايسر من ابتدائه
اذ قد يحتذى ويصور بعد ما وقع البصر على الشيء ويرى ولا سبيل على احتذاء ما لم يروا ولا تصوير ما لم يعاينوا
احتج الله عليهم بالشيء الظاهر الذي يعلم كل احد ذلك من غير تفكر ولا تامل والا الاحتجاج عليهم بالاشياء
التي لم يذكر ابلغ واكثر نحو خلق الانسان من هذه النطفة على الصورة التي صورها والنسمة التي خلقها فيها
ما لو اجتمع حكماء البشر كلهم ان يعرفوا كيفية خلقه منها من تركيب العظم والشعر والعين والبصر والسمع
والعقل وجميع الجوارح ما قدروا على درك ذلك او لو اجتمعوا على ان يعرفوا كيفية غذائهم بالاطعمة والاشربة
التي جعلها غذاء لهم والقوى التي بها يتقوون على امر ان كيف قدر وقسم على السواء في الجوارح كلها والمواد
التي يبنون ويزيدون على الاستواء فلو زاد في بعضها من قوى ذلك الطعام والشراب دون بعض يزداد
نوع على بعض ونحو ذلك من العجائب ما لا سبيل الا معرفة ذلك الا بعد طول التفكر والتامل لكنه احتج
بالشيء الظاهر ليدركوا بالبديهة ولا بد ويكون الاخر لا يعرفه الا بالتامل والتدبر والله اعلم وقوله فاذا هو خصيم
مبين اي جدل بين وقوله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ما ذكر من ضرب المثل له قال من يحيي العظام وهي
رميم وقوله ونسي خلقه يحتمل وجوها احدها اي اغفل عن القدرة في خلقه نفسه ما لو نظر وتفكر لعرف
انه قادر على الاعادة والثاني اغفل عن الحكمة في ابتداء خلقه نفسه ثم يخرج هذا على وجوه احدها انه لو
نظر وتفكر في حق نفسه انه خلق من نطفة ثم حول النطفة علقة وحول العلقة مضغة وحول المضغة

خلقا وانسانا تاما متقنا ثم صيره بحيث ما ياخذ في النقصان بعد ما كان تاما فمن فعل هذا في الشاهد ان يحكم الشيء ويتقنه
ويتمه ثم يهدمه بلا عاقبة يقصد به كان غير حكيم فعلى ذلك كان ما احكم الله من الخلق واتقنه وتممه ثم جعل ينقضه
منه ويوهنه فلو لم يكن اعادته وخلقه ثانيا كان خارجا عن الحكمة فلو نظر في ابتداء خلق نفسه لعرف انه نعيده وننشئه
ثانيا والثاني لو نظر وتفكر في ابتداء خلق نفسه انه كيف دبره في تلك الظلمات الثلاث وقدره على احسن تقدير في ذلك
فلو نظر وتفكر ان من قدر على تدبيره وتقديره في ظلمات الثلاث على ما دبره وقدره قادر وهو كقوله وهو الذي يبدأ
الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي هو اهون في عقولكم وتقديركم اعني اعادة الشيء في عقولكم وتقديركم اهون من
ابتدائه فاذا قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر ومثل اذ ذلك في عقولكم اهون وايسر والا ليس في وصف الله
تعالى ان شيئا اهون عليه من شيء بل الاشياء كلها تحت قوله كن فيكون من غير ان كان منه كاف او نون او شيء من ذلك لكنه
عبر به لانه اخف على الالسن واي سر واقصر كلام او جزء يؤدي به المعنى ويفهم منه المراد والثالث انه خلق هذه الاشياء
والجواهر كلها سوى الاشر للبشر والمنافعهم فلو لم يكن بعث ولا نشاة اخرى كان خلق هذه الاشياء لهم عبثا باطلا
ولذلك قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا كان ظنهم ان لا بعث ولا اعادة ثم اخبر
انه لو كان على ما ظن اولئك كان خلق ما ذكر عبثا باطلا او ان يكون قوله ونسي خلقه اي اغفل عن بدو خلقه انه كان من
ماء او تراب فعلى ذلك اذا افناه يصير ماء او ترابا فيعيده منه على ما انشاه منه بديا ثم في قوله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة دلالة نقض قول الباطنية وفساد مذاهبهم حيث
قالوا ان اعادة الخلق وانشاءه ليس على هذه البنية والصورة التي انشاها بديا ولكن ينشي نفسا روحانية
على خلاف ما شاهدوها وعاينوها فالاية تكذبهم وتنقض قولهم حيث قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي
انشاها اول مرة اخبر انه يحيي العظام التي انكروا احياءها واستبعدوا ذلك وعلى ذلك قال ولقد علمتم النشاة الاولى
فلولا تذكرون احتج عليهم بعلمهم النشاة الاولى لانكارهم النشاة الاخرة فلو كان على خلاف ذلك لم يكن للاحتجاج
عليهم بذلك معنى فدل انه ينشي ويعيدهم على الهيئة الاولى والثاني ينقض عليهم قولهم ايضا حيث قالوا يوصل الى
معرفة ذلك من الذي يعلمه الرسول ويخبره دون النظر والتفكر والتدبر فلو كان على ما يقولون لم يكن لقوله ونسي
خلقه ولا لقوله الم يتفكروا في انفسهم وقوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وقوله وفي انفسكم افلا تبصرون
معنى فدل انه قد يوصل الى معرفة ذلك بالتفكر والنظر كما يوصل بخبر الرسول الذي قد ظهر صدقه للخلق فيلزمه الحجة في
هذا كما تلزمه في ذلك وقوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اختلف فيه قال بعضهم هو
نوع من الشجر يقال المرخ كانوا يورون منه النار وقيل هو الزيتون الذي يسرج منه وتاويله ان الشجر اخضر حضرته انما
يكون من الماء والماء يطفي النار والنار تاكل الحطب والخشب فمن قدر على الجمع المتضادين وحفظ كل واحد منهما عن صاحبه
لما السبيل منها التناكر والتدافع لقادر على البعث وانه لا يعجزه شيء وقال بعضهم قوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فاذا انتم منه توقدون هو انشاء لهم من الشجر يتنزهون بها ويتلذذون ما دام اخضر فاذا ادرك وبلغ ينتفعون
بثمارها وفواكهها ثم يصيرها حطبا يوقدون منها النار ويصطلون فمن قدر على ما ذكرنا لا يحتمل ان يعجزه شيء او من فعل
ما ذكر لا يحتمل ان يفعله عبثا باطلا فلو كان على ما قاله اولئك الكفرة ان لا بعث ولا نشور كان فعل ذلك عبثا
باطلا والله اعلم وقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى والله اعلم اوليس من
قدر على انشاء السموات والارض مبتدا الا من شيء ولا اصل لا يحتمل ان يعجزه اعادة الخلق وبعثهم او يقول ان من قدر على
خلق السموات والارض وما فيها قادر على ان يخلق مثلهم وخلق المثل اعادة لانه اما ان يكون بعد هلاك الذين انشاهم
وبعد ما اماتهم او يخلق مثلهم مع بقائهم سواهم وفي ذلك ابتداء خلق واعادة فيلزمهم الاقرار بالبعث والقدرة على
الاعادة ثم اخبر عن قدرته فقال بلى وهو الخلاق العليم اي هو خلق كل شيء من جواهر الاشياء والعالم لهم او هو الخلاق في
في الدنيا والاخرة العليم يحتمل وجوها يحتمل العليم بحاجتهم او العليم بمصالحهم ومعاشهم وما لا يصلح او العليم باحوالهم
وانفسهم ما ظهر منهم وما بطن وما اسروا وما اعلنوا وقوله انما امره اذا اراد شيئا يحتمل انما حاله اذا اراد شيئا ان
يقول له كن فيكون قد ذكرنا معنى هذه الاية فيما تقدم ان كل ما كان ويكون ابدا الابدين انما يكون بكن الذي كان من
غير ان كان منه كاف او نون او شيء من ذلك انما هو اخبار عن سرعة نفاذ امره ومشيئته واخبار عن خفة ذلك عليه
بقوله والله اعلم كما لا يثقل عليكم قول كن فعلى ذلك لا يثقل على الله ابتداء خلق ولا اعادته ولا شيء من ذلك ثم نزه
نفسه وبراه وذكر تعاليه عما ظن اولئك من العبث في خلق شيء وبطلانه فقال فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء
واليه ترجعون اي تعالى وتبرأ عن ان يكون خلقه على ما ظن اولئك حيث قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا ذلك ظن الذين كفروا فكان ظنهم ان لا بعث ولا نشور ثم اخبر انه لو لم يكن لكان خلق ما ذكر عبثا باطلا •
فقال تعالى عن ان يلحقه في خلق شيء عبث وفساد وكذلك قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا الا انه صير خلق الخلق لا

للرجوع اليه عبثا باطلا او ان يقول شيئا ان يثقل عليه اعادة الخلق وابتداءهم او يتعاظم ان يعجزه شئ والله اعلم قال
القتبي وابو عوسجة رميم اي بالية يقال رم العظم اذا بلي فهو رميم ورمام كما يقال رفات ورفات وقوله من الشجر الاخضر
نارا قال اراد الزنود التي تورى بها الاعراب من شجر المرخ والعفار والحمد لله على كل حال والصلوة والسلام على محمد واله

وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والصافات صفا فالزاجرات زجرا اختلف فيه
قال بعضهم الصافات هي الطير اذا صفت اجنحتها بين السماء والارض وذكر عن ابن مسعود قال الصافات والزاجرات
والتاليات كلهم الملائكة قال الصافات اصطفت الملائكة صفا لعبادة الله عز وجل وتسبيحه وكذلك ذكر عن ابن عباس
وغيره الا ان غيره يفسر الزاجرات والتاليات اي ملائكة ولسنا نذكر عن ابن مسعود التفسير وقال بعضهم الزاجرات هم
الملائكة الذين يزجرون السحاب والامطار والتاليات ذكر اهم الملائكة يتلون القران والوحي على الرسل والانبياء
عليهم السلام وقال قتادة الصافات صفا اقسم الله عز وجل الخلق ثم خلق قال الصافات الملائكة صفوف في السماء
فالزاجرات زجرا ما ذكر الله في القران من زواجر عن المعاصي والمساوى فالتاليات ذكرا ما تلي عليكم في القران من
اخبار الرسل عليهم السلام والانباء الامم التي كان قبلكم وجايز ان يكون الصافات هم الملائكة الذين يصلون لله عز وجل
صفوفا على ما ذكرنا فالزاجرات زجرا هم الملائكة الموكلون بارزاق الخلق وسوقها اليهم يسوقون اليهم سوقا فالتاليات
ذكر هم الملائكة الموكلون بالتسبيح والتحميد وجميع الاذكار ثم وجه القسم بالملائكة الذين ذكر والله اعلم انه عز وجل
قد عظم شان الملائكة وامرهم ولذلك في قلوب الكفرة حتى قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وقولهم لولا انزل
عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر وقول فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين وقولهم لولا انزل علينا الملائكة
او نرى ربنا وما وصفهم الله عز وجل انهم لا يعصون الله ما امرهم الاية ولا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله عز وجل
يسبحون الليل والنهار الخ عظم الله عز وجل امر الملائكة عليهم وشانهم في قلوب اولئك الكفرة وصدقهم عندهم ثم
اقسم بهم على وحدانيته بقوله عز وجل ان الهكم لواحد على هذا وقع القسم ثم اخبر عن صنع ذلك الواحد الذي هو
الحكم وله الخلق جميعا وذكر نعته فقال عز وجل رب السموات والارض وما بينهما ورب المشرق يخبر عن وحدانيته وتفرده
حيث انشاء السموات وانشاء الارض وما ذكر وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ومنافع
المشارق متصلة بمنافع المغارب على بعد ما بينهما ولو كان فعل عدد لمنع بعض اتصال منافع بعض ببعض على ما
يكون من فعل ذوي عدد وغلبة بعض على بعض فاذ لم يمنع ذلك بل اتصل بعض ببعض دل انه فعل واحد لا شريك
له ثم تخصيص ذكر السموات والارض ما ذكر دون غيره من الخلايق لما عظم قدر السماء في قلوبهم لنزول ما ينزل
منها من الامطار والبركات وغيرها والارض بخروج ما يخرج منها من الانزال والارزاق ولذلك يخرج ذكرهما والله اعلم
فيما ذكر حيث قال فيهما ما دامت السموات والارض تعظم قدرها في قلوبهم ودوامهما عندهم خرج ذكرهما وان كانتا
تفنيان ولا تدومان ابدا والله اعلم ثم قال عز وجل رب السموات والارض وما بينهما قال بعض المعتزلة وهو
جعفر بن حرب فان قال لنا قايل من قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما انه رب اعمالنا وافعالنا فنقول
له ان اردت انه رب اعمالنا وافعالنا قبل ثم قال فيقال لهم انقولون انه خالق الكفر وخالق الشر ونحوه وفي
افعال الخلق الكفر والشر ونحوه قيل له لا يقال ذلك على الاطلاق انه خالق الكفر وخالق شر وان كان يقال في الجملة
افعال الخلق ورب كل شئ وخالق كل شئ لان ذكره على الجملة يخرج على تعظيم ذلك الشئ نحو ما يقال رب محمد ورب
البيت انما هو تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيم ذلك البيت خاصة فعلى ذلك وصفنا اياه بالجملة انه خالق افعال
العباد وخالق كل شئ يخرج على وصف الرب بالعظمة والجلال وعلى الاشارة التي تبنى منها والتخصيص على تعظيم ذلك
الشئ خاصة لذلك جاز ان يوصف انه خالق افعال العباد جملة لما ذكرنا انه يخرج على المدح والتعظيم وعلى الاشارة على
المذمة له وتعظيم ذلك الشئ لذلك افترقا والله الموفق ثم يقال لهم قولكم انه مالك لها وليس بخالق هل يقال
الاحد انه مالك كذا الا لما يشئ ذلك او لتمليك من يملكه فاذ ثبت انه مالك الاعمال والافعال ثبت انه خالقها
اذ لا يقال مالك كذا الا للمقدرة على ذلك او لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ورب المشارق قال بعض اهل التاويل
ان للشمس ثلثمائة وستين مشرقا تطلع كل يوم من كوة وكذلك يقولون في المغارب انها تغرب كل يوم من كوة
لكن يشبه ان يكون اراد بالمشارق والمغارب كل شئ يشرق وكل شئ غارب من الشمس والقمر والنجوم والكواكب
وغيرها يخرج قوله عز وجل رب المشرقين ورب المغربين واما اهل التاويل فانهم يقولون مشرقي الشتاء والصيف
وكذلك مغربيها وقوله عز وجل انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ليس ان هذه السماء التي نراها ونعاينها
هي سماء الدنيا وغيرها سماء الاخرة ولكن سماها سماء الدنيا لدنوها من اهل الارض وقربها منهم واهل الارض
هم الجن والانس والها جرى الخطاب في ذلك وفي فزع وعلى ذلك قول اهل التاويل انها انما سميت سماء الدنيا

لدنوها من اهلها ولقربها منهم والله اعلم وقوله عز وجل انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب اخبر انه عز وجل زينها
بزينة الكواكب وزين الكواكب نفسها اضافها الى نفسها وهي الزينة لها لا غير فهو والله اعلم كانه قال عز وجل انا
زينا السماء الدنيا بزينة وهي الكواكب وقال انا زينا بزينة فيسئل ما هي فقال الكواكب وقوله عز وجل وحفظا من كل
شيطان مارد وحفظه اياها ما ذكر في قوله عز وجل لا يسمعون الى الملاء الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا قال ابن
عباس وغيره قوله لا يسمعون الى الملاء الاعلى كانوا يسمعون ولا يسمعون وقال بعضهم كانوا لا يسمعون اخبارهم
الملائكة وحديثهم فيما يتراجعون عنهم من امر الله وهم الملاء الاعلى ومن يقول انهم كانوا لا يسمعون يذهب الى ما ذكر
في سورة الجن حيث قالوا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اخبر ان من يستمع الان يجد له شهابا رصدا اخبر ان من يستمع الان يجد له ما ذكر
دل انهم كانوا يسمعون فان قيل كيف يوفق بين هذه الاية وبين قوله عز وجل ويقذفون من كل جانب دحورا الا من
خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب استثنى الخطفة وقال هاهنا فمن يستمع الان يجد له كذا ثم الخطفة الا
ان يكون على التمثيل الى موضع يختطف او على حقيقة الخطفة وهي الاستلاب والاخذ على السرعة والله اعلم لكن
يشبه ان يكون الاية التي عز وجل وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا فمن يستمع الان يجد له شهابا
رصدا في المؤمنين منهم الا ترى انهم قالوا انا لما سمعنا الهدى امنا به واما ما ذكر في سورة الصافات فهو في الكفار
منهم والمردة الا من خطف الخطفة من الشياطين الذين يستمعون والله اعلم ثم قوله عز وجل وانا لمسنا السماء ثم قوله
عز وجل وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية دلالة اثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه كان يخبرهم ان الجن
يصعدون الى السماء الدنيا ويستمعون من اخبار الملائكة وحديثهم فيما يتراجعون فيما بينهم من امر الله في الارض
ثم يخبرون الكهنة بذلك فيخبر الكهنة اهل الارض عن ذلك انه يكون غدا كذا وفي يوم كذا وكذا وانه انقطع ذلك بالوحي
ويمنعون فقالت الجن ذلك واخبرت عن انفسهم كذلك كانوا يفعلون فصدقوه على ما اخبر من صنيعهم فان قيل كيف
صار ذلك اية له وانما اخبر عن قول الجن هم وبه ظهر ذلك ومنه عرف قيل هكذا لكن انقطاع الكهنة بعد وحديثهم يدل
على ان ذلك قد كان ثم انقطع ذلك بالرسالة والله اعلم فان قيل فاذا دل ان الملائكة حفظ السماء وحرسها كيف اغفلوا
عما دلوا من حفظها وحرسها وامتنعوا بها حتى امكن اولئك من الاستماع والاختطاف وما ذكر قيل جايز ان يشتغلوا
باعمال ويمتحنون بامور اخر سوى ذلك فيمكن ذلك لهم ما ذكر والله اعلم فان قيل كيف كانت صنعة الشياطين من
الاستماع منهم والخطف وقد بدات وعاينت ما اصاب من فعل ذلك من القذف والرمي والاحراق قبل ان الشياطين
عادتهم طلب العمل في كل وقت وجايز ان يكونوا فعلوا ذلك لما كانوا يظنون ويقع عندهم انهم في غفلة وسهو من امورهم
وان كانوا يعلمون ما يصيب من فعل ذلك والله اعلم ثم جايز ان يستدل بقوله عز وجل انا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع الاية بقول علمائنا فيمن حلف ان لا يكلم فلانا فناداه من حيث لا يسمع لا يحنث واذا ناداه من حيث يسمع
حنث وان لم يسمع لما ذكرنا انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ومعلوم انهم كانوا يقعدون من الارض الى الملاء الاعلى
لكن لا يسمعون ثم لم يذكر منهم الا في المكان الذي يسمع دل انه على ما ذكرنا من الدلالة والله اعلم وقوله عز وجل لا
يسمعون الى الملاء الاعلى الاشراف منهم واهل المنزلة والكرامة ويحتمل الجماعة لان الملاء هو اسم للشيئين للجماعة
منهم واسم لاهل الشرف والمنزلة والكرامة ثم لا يدرى كيف سماع الجن من الملائكة وما سبب ذلك ان يكون تلك
الاخبار وما يريد الله عز وجل احداثه في الارض مكتوبا في كتاب ينظرون فيه فيعلمونه او يحدث الملائكة فيما بينهم
بذلك فيستمع هؤلاء منهم ذلك او كيف جهة سماعهم ذلك منهم وما يشبه ذلك والله اعلم وفيه ان الجن يفهم كلام
الملائكة وان اختلف جواهرهم والله اعلم وقوله عز وجل فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا قيل هي السموات
والارض والجبال وقيل الملائكة واكثرهم قالوا قوله عز وجل هم اشد خلقا ام من خلقنا اي السموات والارض
كقوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس الاية يقول والله اعلم سلهم ان خلقهم واعادتهم
اشد واكبر واعظم من خلق السموات والارض واذا قدرتم انتم قد دنتم على خلق السموات كيف انكرتم قد دنتم على
اعادتكم بعد ما متم وكنتم ترابا ورفاتا والله اعلم وقوله فاستفتهم رسلهم ونحو ذلك مما امر الله عز وجل رسوله
صلى الله عليه وسلم ان تسلهم وتستفتهم يخرج من الله عز وجل على وجوه احدها على التقرير عندهم والتنبيه لهم او على
التعيير لهم والتوبيخ او على التعليم حجة الحجاج والمناظرة فيما بينهم وبين خصومهم وهكذا كل سؤال او استفتاء كان
من خبير عليهم لمن دونه يخرج على هذه الوجوه وكل سؤال واستفتاء كان من الجهال الخبير عليهم يخرج على استرشاد وطلب الصواب
وقوله فاستفتهم وسلهم وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية وسل بني اسرائيل وقل هو الله احد وقل كذا هكذا كله
يخرج على التقرير والتنبيه وعلى تعليم المحاجة الحجاج والمناظرة لا على الامر لانه لو كان الامر لكان لا يقول ذلك للمامور
بالتبليغ سل ولا قل ولا شئ من ذلك ولكن يبلغ اليه رسالته وامره ان يقول لكم ان افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا

ان ذلك لامر تكل في امر نفسهم ان قولوا لهم وان فعلوا بهم كذا والله اعلم وقوله عز وجل فاستفتهم اهم اشد خلقا الآية
امرهم ان يستفتهم ولم يذكر فيهم ما استفتوا ولا اجابوه ولا اولا قال انهم لو اجابوك وافتوك بكذا فقل لهم كذا او جيبهم
بكذا فجايز ان يكون الجواب ما ذكرنا انكم لو لم تشاهدوا خلق ما ذكر من السموات والارض وغيرها سوى خلق انفسكم
ثم شاهدتم خلقنا اعني ما ذكر بها من السموات والارض والجبال وغيرها هل تنكرون قدرته على خلق ما شهدتم وعاينتم انه
لم يخلقها الا هو كيف انكرتم قدرته على اعادتكم وبعثكم وقوله عز وجل انا خلقناهم من طين لازب قد ذكر والله اعلم
ضعفهم وشدة ما خلق من سواهم انهم تعلمون ضعف انفسكم وعجزها وشدة من سواكم وقوتها وصلابتها ثم انها مع شدة
قوتها وصلابتها اخضع لله واطوع منكم نحو ما ذكر من طاعتها له والخضوع ما جئت قال عز وجل ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين وقوله عز وجل لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ونحو ذلك
مما يكثر والله اعلم او ان يذكر لقوله عز وجل انا خلقناهم من طين لازب بدء خلقهم واصله الذي خلقوهم منه انكم
انما عرفتم ابتداء خلقكم واصلكم الذي منه خلقتم انه تراب او طين باخبار الرسل وبقولهم وانتم يا اهل مكة ممن
لا يؤمنون بالرسل فكيف صدقتم الرسل بما اخبروا من اصلهم وبدء خلقكم ولم تصدقوهم بما يخبرونكم من اعادتكم
وبعثكم بعد موتكم فان صدقتموهم في ذلك لزمكم التصديق لهم في كل ما يخبرون ويقولون والله اعلم او يقول
انه انشاء من تلك النفس الواحدة التي خلقها من تراب من الخلق ما لو تركهم جميعا لم يفنهم ولم يمتهم لامتلأت الدنيا
منها فمن قدر على انشاء ما يملأ الدنيا منه من نفس واحدة لا يحتمل ان يعجزه شيء من البعث والاعادة وغير ذلك و
الله اعلم او ان يقول في قوله عز وجل انا خلقناهم من طين لازب اي قد انشاء من تلك النفس ومن ذلك الاصل قرنا
وقرنا بعد قرن بعد افناء كل قرن انشا قوما اخر فلا يحتمل ان يكون المقصود من انشاء لهم الانشاء ثم الافناء و
النقض خاصة لا عاقبة تقصد بالانشاء والافناء اذ في الشاهد من كان مقصوده في البناء البناء والنقض خاصة كان
غير حكيم فاذا عرفتم الله عز وجل انه حكيم فلا يحتمل ان يكون مراده من انشايكم وافنايكم ذلك خاصة لا غير وذلك مزيل
الحكمة ويوجب السفه تعالى الله عن ذلك وعن جميع ما يصفه الملحدة علوا كبيرا او ان يقول انكم عرفتم انه انما انشاكم
من تلك النفس التي انشاها من تراب او طين على اتفاق منكم فاذا متم وفنيتم صرتم ترابا او طينا فكيف انكرتم اعادته
اياكم من تراب او طين وقد اقررتم ان اصلكم تراب او طين والله اعلم على الوجوه التي ذكرنا يجوز ان يخرج وقوله عز وجل
بل عجبت ويسخرون بالنصب يحتمل وجوها احدها عجبت منهم انكارهم ما انكروا بعد كثرة قيام الآيات والحجج عليهم في
ذلك وهم ينكرون ويسخرون لما انك تزعمهم لعظيم ما نزل بهم من العذاب والشدايد وما يستقبلهم من الامور
المهمة وهم يسخرون والله اعلم او يقول بل عجبت لما تدعوهم انت الى ما به نجاتهم وفلاحهم وهم يسخرون ونحو ذلك
يحتمل والله اعلم بما كان يعجبه وفي بعض الحروف بل عجبت بالرفع وكذلك ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان
يقرأ بالرفع بل عجبت فان ثبت ذلك وصح اضافة العجب الى الله فهو في الشاهد وان كان لظهور عظيم ما قالوا لو لم يخفيا
عليهم مستترا عند ذلك يقع لهم التعجب فهو في الله عز وجل وان كان لا يحتمل ان يخفى عليه شيء فذلك لعظيم ما كان منهم من
الانكار من قدرته على الانشاء والجحود في ذلك فيكون ما ذكر من حرف التعجب منه كناية عن الانكار والدفع لقولهم و
ذلك كاضافة الامتحان الى نفسه وان كان في الشاهد ولا يستعمل الا في الاستظهار ما خفي عليهم واستتر منهم فهو
من الله يخرج على الامر والنهي اعني الامتحان وان كان في الشاهد بين الخلق لا يكون الا لما ذكرنا فعلى ذلك جايز اضافة
التعجب الى الله على ارادة الانكار منه عليهم والرفع بقولهم والله اعلم ومن الناس من انكر هذه القراءة وقال لا يجوز
اضافة التعجب الى الله عز وجل لما هو لم يزل عالما بما كان ويكون وهو في الشاهد انما يكون لظهور عظيم من الامر
قد جهلوا لكن هذا وان كان في الخلق ما ذكر فهو من الله على غير ذلك على ما ذكرنا من اضافة الامتحان اليه والابتلاء
وان كان بين الخلق لما ذكرنا وقد ظهرت اضافة اليه بقوله وان تعجب فعجب قولهم وهو يخرج على الانكار عليهم والرد
لعظيم انكارهم ما قالوا وانكروا والله اعلم ومن الناس من قال في قوله عز وجل بل عجبت فيما اضافه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي عجبت من هذا القرآن حين اعطاك اياه ويسخرون منه اولئك الكفرة ويحتمل معنى وهو ان
يقال ان قوله عز وجل بل عجبت اي جعلت ما انزلت عليك من القرآن والوحي امرا عجيبا او ان يقال كان انكارهم رسالتك
وتكذيبهم الآيات امرا عجيبا وهم يسخرون ونحوه والله اعلم قوله عز وجل واذا ذكروا لا يذكرون ابن عباس يقول
واذا وعظوا لا يتعظون والموعظة والتذكير واحد وقتادة يقول واذا ذكروا لا يذكرون اي لا ينتفعون
بالموعظة على ما ذكرنا في قوله صم بكم عمي اي لا ينتفعون بتلك الحواس وان كانت لهم تلك لكن لا عاقبة له فعلى ذلك
قول قتادة وجايز ان يكون على حقيقة التذكير ما نسوا من الآيات والحجج يقول انهم واذا ذكروا ما نسوا وتركوا
واغفلوا عنه لا يتذكرون والله اعلم وقوله عز وجل واذا رأوا آية يستسخرون هذه الآيات وامثالها ذكرها والله اعلم
لقوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا

الا سحر مبين الى اخر ما ذكر يخبر عن عنادهم ومكابرتهم الآيات ويذكر سفههم ثم في ذكر من عنادهم وسفههم وجعلهم آيات
من القرآن شيئا ابدا وجهان من الحكمة احدهما صير ذلك آية لرسالته صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم كانوا على ما اخبر
منهم من العناد والسفه وعلى ذلك ختموا وقبضوا دل انه بالله عرف ذلك وبوحيه علم والله اعلم والثاني يخبر والله اعلم
على ما راى سلفنا من سفه اولئك وعناد وما قاسوا منهم وما لحق بهم من الاذى والضرر والسوء لئلا يضيق صدرنا في
سفه من سفه علينا من اهل الفساد والفسق وان لا نترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لسفه السفيه ولا لاذى
المؤذي ولا سوء يقال بل يجب علينا ان نتأسى بسلفنا ونقتدي بهم واذا اصابنا منهم ما اصاب اولئك من الاذى
والسفه وان عاندوا وكابروا وظهر ومنهم كل فسق وسوء على ما فعلوا وتلك واحتملوا منهم ما كرهوا نحتمل عن سفهائنا
مثله والله اعلم والا لو لم يكن في ذكر من سفههم وعنادهم ما ذكرنا من الحكمة كان لا معنى لذكر سفه اولئك وعنادهم
وجايز ان يكون الشيء سفها باطلا في نفسه ويكون حكمة ودليلا لغيره والله اعلم على ما قال بعض الناس ان الكذب بنفسه
يجوز ان يكون دليل الصدق وكلام السفه والباطل دليل الصدق والحكمة والله اعلم وقوله واذا رأوا آية يستسخرون اي
واذا انزل عليهم آية على سؤال منهم يسخرون ويستهزؤن يخبر عن سفههم انهم وان الآيات فانهم لا يسألون سؤال استرشاد
ولكن سؤال وهزء كقوله عز وجل ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا سكرت ابصارنا وكقوله ولو
اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقالوا ان هذا الا سحر
مبين كان هذا القول لاولئك الكفرة الرؤساء من الشيطان اللعين حتى يموهون على اتباعهم عند ما ظهر وكثر من الآيات
لما كانوا يعلمون ان لا كل احد يعرف السحر وتمويه آياته وفعله يلبسون بذلك على اتباعهم ليقع عندهم انها السحر لا
الآية والله اعلم ولو كان سحرا حقيقة لكان من آيات الرسالة فكيف اذا كان انه لما كانوا يعلمون انه لم يختلف الى احد
ممن معرفة بالسحر فتعلم فدل انه ما عرف ذلك الا على ما ذكرنا ان ما انباء والخبر عن انباء الامم الخالية واخبارهم يدل على
رسالته لما علموا انه لم يختلف الى احد ممن له المعرفة بتلك الانباء والاخبار ولا نظر في كتبهم ليعرف ذلك ثم اخبر على ما كان
في كتبهم دل انه بالله عرف ذلك وبوحي منه اليه علم فعلى ذلك لو كان فكيف اذا كانت انه عظيمة معجزة وقال الزجاج
حرف التعجب انما يكون عند ظهور التعجب من الامر وعن عظيمة فاما ما اضيف الى الله فهو على الانكار منه والرد على من انكر
عظيما من الامر ظاهرا وكلام نحو والله اعلم وقوله عز وجل ولهم عذاب واصب قيل دائم كقوله عز وجل وله الدين واصبا
اي دايما وقيل عذاب واصب اي شديد وقوله عز وجل من طين لازب قيل ملتزق وقيل ملتصق باليد اذا لمس وقوله
دحورا قيل طردا وهو مطرود وقوله شهاب ثاقب قيل معنى قد وقوله واذا رأوا آية يستسخرون وقال بعضهم
يسخرون وقال بعضهم يستسخرون ويطلبون ثم اتباعهم السحرة يعني القادة على الآية والله اعلم والله عز وجل ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون قد ذكر انهم يقولون ذلك
وما تقدم على القيام والبعث وعلم منهم انهم لا يؤمنون ابدا وان بين لهم حجة الاحياء والقدرة عليهم لذلك اكتفى
بقوله قل نعم وانتم داخرون قد ذكرنا انهم كانوا يقولون ذلك ولم يذكر شيئا من الحجاج سوى قوله نعم وقوله وانتم داخرون
اي صاغرون ذليلون كقوله عز وجل يرهقهم ذلة والله اعلم وقوله فانما هي زجرة واحدة يحتمل قدر زجرة واحدة يخبر
عن سرعة قيامها ومرورها ويحتمل على حقيقة الزجرة لكن يخبر عن خفة ذلك وهونه عليه كقوله كن فيكون من غير الكاف
منه كافا ونون او شيء من ذلك لكنه احف كلام على الالسن يؤدي به المعنى ويفهم به المراد من ذلك فعلى ذلك جايز
ان يكون قوله زجرة واحدة اخبار عن خفة ذلك عليه وهونه من غير ان جعل الزجرة سبب احيا او سبب من ذلك و
الله اعلم وقوله فاذا هم ينظرون الى ماذا يؤمرون وعن ماذا ينهون لان الذي اصابهم في الآخرة انما كان لتركهم الامر في
الدنيا فاذا عاينوا ما كانوا يوعدون في الدنيا بتركهم الامر ينظرون الى ماذا يؤمرون وينهون عنه والله اعلم او ينظرون
كالمتحيرين لانهم كانوا ينكرون البعث ويكذبونه فاذا عاينوا تحيروا وتاهوا وتحيروا وهكذا الامر المتعارف في الخلق ان من
انكر شيئا او كذبه ثم اخبر به واعلم حتى تيقن به وتحقق عنده ما انكر تحير وزجر فعلى ذلك هؤلاء لما انكروا في الدنيا وكذبوه
ثم عاينوا ذلك وتيقنوا به تحيروا وتحيروا به ينظرون المتحير المتفكر والله اعلم وقوله وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين
هذا كلام يقال عند الوقوع في الهلاك وقوله هذا يوم الدين يوم الحساب اي يوم الحساب ويوم الجزاء وكذلك قوله مالك
يوم الدين ويحتمل هذا يوم الذي ينفع كل من معه الدين دينه والدين المطلق هو دين الله وكذلك السبيل المطلق
هو سبيل الله وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون قوله هذا يوم الفصل اي يوم القضاء والحكم كقوله
عز وجل ان ربك يفصل بينهم يوم القيامة اي يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون والله اعلم يحتمل قوله هذا يوم الفصل
اي يفرق ويفرق بينهم اي بين الكفار واهل الايمان وبين الخبيث والطيب كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب و
يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا الآية وقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقوله فريق في الجنة وفريق في السعير
والله اعلم وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم قيل الزوج هو اسم للشكل واسم للصنف اسم لهما جميعا يحتمل قوله وازواجهم

اى اشكالهم وقرناؤهم من الجن والانس والشياطين يامر الملائكة ان يجمع بين من كان يجتمعون فى هذه الدنيا ويحبون
الاجتماع معهم يجمعوا فى عذاب الاخرة على ما كانوا يستحبون الاجتماع فى الملاهى والطرب فى هذه الدنيا ويجتمعون
على ذلك فعلى ذلك يجمع بين اولئك قرنائهم جهنم ويقرن بعضهم الى بعضهم فى العذاب كقوله ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وكقوله والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ونحوه وقوله فاهدوهم
الى صراط الجحيم كقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ونحوه والله اعلم وقال قتادة وغيرهم هذا يوم الدين اى
يدان لبعض الناس من بعض فى المظالم والحقوق وقوله عز وجل وقفوهم انهم مسؤلون يحتمل الوقف للحساب ويحتمل
مسؤلون اى محاسبون وعن ابن عباس قال ان دون الحساب يوم القيمة كذا كذا موقفا فى كل موقف يوقفون
مقدار كذا عاما ثم تلا هذه الاية ويحتمل السؤال عما فعلوا ولكن مسؤلون لماذا فعلوا ويحتمل الوقوف فقفوا الى بعضهم
بعضا والمحاسبة فيما بينهم والمراجعة كقوله وقالت اولاهم لاخراهم كذا وقال اخريهم لاولاهم كذا على اخبار ما يجرى
فيما بينهم من الخصومة ومراجعة القول واللائمة وقوله ما لكم لا تناصرون اى ما لكم لا تنصرون اى ما لكم لا ينصر كم الاصنام
التى عبدتموها فى الدنيا رجاء النصر والشفاعة كقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى فيخبر عن اياسهم من نصر ما عبد واعلى رجاء النصر لهم والشفاعة كقوله بل هم اليوم مستسلمون اى خاضعون ذليلون
لله لما علموا ان لا يكون النصر والعون الا منه فعند ذلك مستسلمون له وقال بعضهم يستسلمون فى عذابه وقوله واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قال بعضهم اقبلت الانس على الشياطين فقالوا لهم انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قال بعضهم
من قبل الخير والطاعة فتثبطوننا وتشطوننا عنه وقال بعضهم من قبل الدين والتوحيد من حيث نحترس وهو
الاول وقال بعضهم من قبل الحق ونحوه فرد عليهم اولئك بل لم تكونوا مؤمنين يقولون انكم تركتم الايمان بانفسكم
وباختياركم لا انا منعناكم منه وقالوا وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اى ما كان لنا عليكم من
حجة او برهان الزمناكم به بل اطعتمونا طوعا واستجبتمونا بما دعوناكم فهذه المناظرة والمجادلة فيما بينهم كمناظرة
ابليس فى موضع اخر حيث قال عز وجل وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان
لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا انفسكم اى دعوتكم بلا حجة ولا برهان فاستجبتم
فعلى ذلك يقول هؤلاء بل لم تكونوا مؤمنين باختياركم تركتم الايمان بلا سلطان ولا حجة كان عليكم وكمناظرة القادة مع
حيث قالت اخريهم لاولاهم فما كان لكم علينا من فضل ونحوه والله اعلم ويحتمل قولهم انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اى
من جهة القوة اى انكم على الحق وانكم مؤمنون ونحو ذلك ويحتمل لا على حقيقة اليمين ولكن تاتوننا من كل جهة كقوله
ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم الاية اى من كل جهة لا على حقيقة ما ذكرنا والله اعلم وقد ذكرنا ان
قوله عز وجل وما كان لى عليكم من سلطان اى قوة سلطان اى لم يكن لاتباعكم اياما وطاعتكم لنا حجة او برهان
الزمناه عليكم فيما دعوناكم اليه اتباعا من غير ان الزمناكم فلا تلومونا ولكن لوموا انفسكم بل كنتم قوما طاغين
اى بطغيانكم اتبعتمونا لا بما ذكرتم والله اعلم ثم قالوا فحق علينا قول ربنا انا لذائقون يشبه ان يكون هذا قول الاكابر
منهم والمتبوعين للاصاغر والاتباع منهم ان احق علينا قول ربنا قال بعضهم اى وجب علينا وعليكم عذاب ربنا
او يشبه ان يكون القول الذى اخبر انه احق عليهم هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين والله اعلم وقوله
فاغويناكم انا كنا غاوين يحتمل ان يكون هذه المعاينة التى ذكرت كانت بين الاتباع والمتبوعين من الانس كقوله
عز وجل وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا كذا وكقوله ربنا هؤلاء
اضلونا فاتهم كذا ويشبه ان يكون بين الانس والشياطين ثم قوله فاغويناكم يحتمل اغويناكم حين اخبرهم الغواية
والضلال او عرفتم انا لسنا على الهدى ولم نقم عليكم الحجة فاتبعتمونا على علم منكم الا على الغواية فاغوينا حينئذ والا
الاغلال والغواية الضلال فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون اخبر انهم جميعا الاتباع والمتبوعون يشتركون
فى العذاب ليس ان يشتركوا فى نوع من العذاب ولكن يجمعون ثم انهم العذاب على قدر عصيانهم وجرمهم وقوله انا
كذلك نفعل بالمجرمين قال ابو بكر الاصم المجرم هو المرتاب فى المعصية الفادح فيها والله اعلم وقوله عز وجل انهم
انا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اى كانوا اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون ثم يحتمل قوله يستكبرون
على هذه الكلمة ولكن يستكبرون على الاتباع القائلين لهم لا اله الا الله كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وكقوله ءانزل عليه الذكر من بيننا كانوا يانفون ويستكبرون على اتباع رسول الله صلى الله
عليه وسلم لذلك قالوا ما قالوا وجائز ان يكون ما ذكر من استكبارهم استكبارا على هذه الكلمة حقيقة فيخرج
استكبارهم عليها انكارا لهذه الكلمة وجحودا لها بقولهم اجعل الالهة الها واحدا والله اعلم ويقولون ائنا لتاركوا
الهتنا لشاعر مجنون يشبه ان يكون على الانكار لها لما ذكر من قولهم على اثر ذلك وهو ما قال ائنا لتاركوا الهتنا
لشاعر مجنون ثم جمعوا فى هذا متضادين لان الشاعر هو الذى يبلغ الجهل غايته ثم جمعوا بينهما فى رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم وكذلك قولهم ساحر ومجنون الساحر هو الذى يبلغ فى علم الاشياء غايته والمجنون فى الجهل دل انهم انما
يقولون عن عناد وتعنت وقوله عز وجل بل جاء بالحق وصدق المرسلين الحق قال بعضهم بالحق الذى لله عليهم وما لبعضهم
على بعض واصل الحق ان كل ما يحمد على فعله هو الحق وكل ما ندم عليه فهو باطل وصدق المرسلين اخبر انه صدق اخوانه من
المرسلين والله اعلم وقال ابو عوسجة وقتبى الصافات هى الطير التى صفت بين السماء والارض والزاجرات زجرا
الزجر يقال زجرت الابل زجرا اى صحت له الزجر الصياح والتاليات كما تقول تلوت القرآن اى قرات وتلوت تبعت و
التالى التابع والقذف الرمى يقذفون اى يرمون دحورا اى مباعدة دحرته اى باعدته وطردته واصب اى دائب خطف
الخطفة اى سلب الشئ والخطفة الاستلاب بسرعة فاتبعه اى اتبعه شهاب ثاقب الشهاب الكوكب والثاقب الشديد
الضوء الحريقال ثقبت النار اى التهب واشتدحرها واثقبتها اوقدتها سخرت واستسخرت كقوله وقر واستقر واحد وسخرته
وسخرته وسخرية بالتشديد وسخرت فلانا اى استعملته بغير اجر مستسلمون اى منقادون واعطوا بايديهم يقال استسلم الرجل
اذا اعطى بيده واسلمته تركته لم اعنه ولم انصره وازواجهم اشكالهم يقول العرب زوجت اى اذا قرنت واحدا باخر وهم دوا
وهم من الشياطين كنتم تاتوننا عن اليمين اى تخدعوننا وتمنعوننا عن طاعة الله والله اعلم وزوج الشئ وشكله ونظائره
لعنده فهو لها جميعا وقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يحتمل ما ذكرنا انه على الاضمار انه اذا قيل لهم
قولوا لا اله الا الله يستكبرون ويحتمل وجها اخر انهم اذا قيل لهم اتركوا عبادة الاصنام واصرفوا عبادتكم الى الاله الذى
هو فى الحقيقة له وهو المالك للنفع والضر وهو الله جل وعلا وسبب هذا قولهم ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون
امر بترك عبادتنا الهتنا لقول شاعر مجنون والله اعلم ذكر ان نفرا من رؤساء قريش اتوا ابا طالب فقالوا ما يريد منا
ابن اخيك محمد فدعاه فقال ما تريد منهم يا ابن اخى فقال له يا عم انما اريد منهم كلمة يملكون بها العرب ويزيد لكم بها و
فى بعض القصة انه قال لهم اريد منكم كلمة يدين لكم بها العرب ويؤدى اليكم بها العجم الجزية فقالوا وما هى
فقال لا اله الا الله وانى رسول الله فقالوا اجعل الالهة الها واحدا وذكر انهم قالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر
مجنون ويحتمل ما ذكرنا فيما تقدم والله اعلم والاية فيمن يقر بالصانع ليس فيمن ينكر الصانع راسا من نحو الدهرية
وغيرها حيث نفى الالوهية لمن دونه واثبتها لله عز وجل بقوله لا اله الا الله ولو كان ذلك مع اهل الدهر لكان لا
معنى النفى الالوهية لغيره بل يحتاج اثباتها فحسب فدل ان الاية فيمن يقر بالصانع لكنه يشرك غيره فيها وهم مشركوا
العرب وغيرهم والله اعلم ثم اخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه حيث قال عز وجل بل جاء بالحق وهو كل ما اتاه
من التوحيد والاسلام والرسالة وكل فعل محمد فاعله عليه ولا يذم وقوله عز وجل وصدق المرسلين الذين كانوا قبله فى
جميع ما جاء به من الحق انكم لذائقوا العذاب الاليم بالكذب والرد لذلك كله وما تجزون الا ما كنتم تعملون ثم استثنى المؤمنين حيث
قال عز وجل الا عباد الله المخلصين فانهم لا يذوقون العذاب الاليم والا لو كان مستثنى من قوله وما تجزون الا ما كنتم تعملون
او لا يكون لهذا حق الاستثناء من الاول ولكن الابتداء ذلك جائز فى اللغة سائغ فى اللسان والله اعلم ثم بين ما لهؤلاء المخلصين
فقال اولئك لهم رزق معلوم فان قيل كيف يجمع بين قوله يرزقون فيها بغير حساب وبين قوله لهم رزق معلوم
قال بعضهم من اهل التاويل المعلوم حين يشتهونه يؤتون به ويحتمل ان يكون الكثير الذى لا يحسب ولا يعد لكثرته فهو
فى نفسه معلوم محدود وان يريد بالمعلوم انه صار ما وعدوا فى الدنيا لهم فى الاخرة معلوما معروفا عند الوصول
اليه كان ذلك لهم موعودا فاذا وصلوا اليه صار معلوما محدودا وقوله فواكه وهم مكرمون اى معظمون مشرفون
وقوله فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس من معين يخبر انهم لهم فى الجنة ما يستحبون ويختارون
فى الدنيا من الجلوس على السرر على المواجهة والمقابلة والشرب على ذلك والكاس قيل كل اناء او قدح فيه
شراب فهو كاس وقوله بكاس من معين المعين قال بعضهم هو الجارى وكانه يخبر ان جمهور اهل الجنة تجرى
فى الانهار كقوله عز وجل وانهار من خمر لذة للشاربين وقال بعضهم المعين هو الظاهر الذى يقع البصر عليه كقوله
قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين اى ظاهر وقوله عز وجل بيضاء لذة للشاربين ذكر ان خمورهم
فى الاخرة بيضاء لان البياض يظهر كل ما فيه من الاذى والافة ويرى فاما غيره من الالوان فانه قلما يظهر
فلا يرى الا بالجهد او ذكر انها بيضاء لان البيضاء من الالوان المستحسن الطباع كلها وهو المختار عندنا قال الزجاج
الخمر لذة للنفس الروحانية لا الجسدانية الا يرى ان الخمر يشربها الناس ويظهر كراهة ذلك فى وجوههم من
العبوسة وغيرها ثم مع هذا يعودون ويشربون دل انها لذة لا لهذا النفس الجسدانية ولكن للنفس الروحانية
وكلام نحوه والله اعلم وقوله عز وجل لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وينزفون بنصب الياء وكسر الزاء ورفعها
ونصب الزاء وقوله عز وجل لا فيها غول اى لا افة فيها ولا صداع ولا اذى ولا هم عنها ينزفون من قراها ينزفون
برفع الياء ونصب الزاء يقول لا ينزف الخمر عقولهم اى لا يذهب بها اى لا يسكرون بشرب الخمور الدنيا من قراها
ينزفون اى يفنى شرابهم وتاويل هذا الكلام ان اهل الدنيا اذا اخذوا فى الشراب لا يتركون شربهم الا لاحدى

الحالين اما الذهاب بعقولهم وذلك عند شدة سكرهم واما الغثاء الشراب لاحدى هاتين الحالتين يتركون شربهم فيخبر ان اهل الجنة لا يذهب بعقولهم الخمر ولا يغثون شرابهم ولا كان فيها افة ولا ضرر والله اعلم قال ابو عوسجة
نظام لا غول يقال الجارى لا فيها غول اى سكر ولا ضرر ولا يكون الاغتيال الا من الخديعة والقتل فى الاولاد
هى ان يرضع المرأة ولدها وفى بطنها اخر والمغلول المتلون ولذلك سميت الغول غولا انها تتلون وتغتال جميع
ينزفون قال الزنيف السكران وقال القتبى لا فيها غول اى لا يغتال عقولهم فيذهب بها يقال الخمر غول
للحلم والحرب غول للنفوس والغول البعد ولا هم عنها ينزفون اى لا يذهب خمرهم وينقطع ويذهب عقولهم
والخمر التى جعلها الله لاهل الجنة فى الاخرة هى التى لم يشربها فى الدنيا ولم يتناول منها ولا يلتذ بها والله اعلم
وقيل فيها غول اى غائلة لها اى الصداع اى لا يتجع منها الرأس ولا هم عنها ينزفون اى يسكرون ينزف عقولهم
فيذهب وفى قوله الا عباد الله المخلصين بنصب اللام دلالة انه قد كان من الله جل وعلا لطف به استوجبا الاخلاص
والخصوصية وهو ينقض على المعتزلة قولهم والله اعلم **وقوله** عز وجل قاصرات الطرف اى لا ينظرن الى غير ازواجهن
جبل الله عز وجل البشر على الغيرة ولا يستحب الرجال ان ينظر ازواجهم الى غيرهم ولا النساء ان ينظر ازواجهن
الى غيرهن فاخبر عز وجل عن ازواجهن فى الجنة انهن لا ينظرن الى غير ازواجهن حبا لازواجهن وطلبا لرضاهم والله
اعلم **وقوله** عين قال بعضهم واسعات العيون فى الجمال لان السعة فى العين اذا جاوز الحد تحسن ولا يكون فيه
جمال ولكن يكون فيه قبح والله اعلم وقال بعضهم عين اى حسان العيون والعين جماعة العينا والله اعلم **وقوله**
عز وجل كانهن بيض مكنون اى مستور لا يصيبه مطر ولا ريح ولا غبار ولا شمس ولا شئ مما يصيب فى الدنيا
كقوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان والله اعلم وقال بعضهم عين اى حسان العيون والعين جماعة العينا و
الله اعلم وقوله كانهن بيض مكنون مدحى وكن من الحر والغبار والمطر فلم يتغير وهو مثل الاول وقال بعضهم بيض
مكنون هو كبيض النعام الذى مكنته الريش من الريح وغيره فهو بيض الى الصفرة فكانه يزف فذلك المكنون
وقال بعضهم شبههن بالبياض الذى يكون بين القشر وبين اللحم وهو بيض شئ يكون والله اعلم بذلك لكن فيه
وصفهن بالجمال والبهاء والحب لازواجهن وقال بعضهم البيض المكنون وهو المصون وهو وصفهن بالصون
والصيانة كقوله حور مقصورات فى الخيام والله اعلم **وقوله** فاقبل بعضهم الى بعض يتساءلون قال قائل انى
كان لى قرين يقول ائنك لمن المصدقين الى اخر ما ذكر فى بعض القصة ان رجلين شريكين كان لهما ثمانية الف
دينار فاقتسما وذكر اربعون الف درهم فعمد احدهما الى ماله فاشترى به قصورا وبساتينا وفرشا وجوارى
ونساء فانفقه فى امر الدنيا وعمد الاخر الى ماله فانفقه فى طاعة الله وطلب رضائه وطلب بعد الدائمة فى الاخرة
هذا مؤمن والاخر كافر المعاصى ثم اصاب الذى انفقه فى طاعة الله وطلب رضائه حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبى
هذا لعله ان ينال منه بمعروف فاتاه فسأله فابى ان يعطيه شيئا وقال له ما شانك وما فعلت بمالك فاخبره
بما فعله به فقال له ائنك لمن المصدقين اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اى محاسبون فرجع فقضى لهما
ان توفيا فنزلت فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم وهو المؤمن حين ادخله الله الجنة اى كان لى
قرين يقول ائنك لمن المصدقين بالبعث بعد الموت اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اى لمحاسبون قال
هل انتم مطلعون كانه قال لاصحابه هل انتم مطلعون فى النار لينظر ما حاله ثم اخبر انه اطلع فراه فى سواء الجحيم
ذكر اطلاعه ولم يذكر اطلاع اصحابه فجائز ان يكون اخبر عن اطلاع كل واحد منهم فى نفسه انه اطلع فراه فى سواء
الجحيم اى وسط اى وسط الجحيم وان كان اخبر مطلعين اليه فيها كقوله عز وجل يا ايها الانسان انك كادح
ويا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وان كان خاطب انسانا فانما خاطب به كل انسان فى نفسه فعلى ذلك
جائز ان يكون قوله عز وجل فاطلع فراه فى سواء الجحيم انما اخبر عن اطلاع كل منهم والله اعلم وكانوا جميعا ه
مطلعين ثم فى الاية سببان عجيبان احدهما ما ذكر من اطلاع اهل الجنة على اهل النار انها يكون قريبة من الجنة حتى
ينظر بعضهم الى بعض فيرون ان يكون بعيدة منها الا ان ابصار اهل الجنة يكون ابعد وابصر مما يكون فى الدنيا فجائز
ان يجعل الله عز وجل ابصار اهل الاخرة ابصر وابعد حتى لا يمنعه ولا يمنعه بعد المسافة والمكان عن النظر والرؤية
والله اعلم والثانى انه كيف يعرفه فى النار والنار مما يحرقه ويغير وجهه ولونه وجميع اعلامه وسيماه ولكن
جائز ان يكون الله عز وجل يعرفه باعلام يجعل له يعرفه بتلك الاعلام وذلك على الله عز وجل يسير هين واهل
التاويل يقولون يجعل الله عز وجل لاهل الجنة كوى منها اذا اراد ان ينظر احدهم الى من فى النار فتح الله له كوة
ينظر الى من شاء من مقعده الى النار فيزداد بذلك شكرا وهو قوله فاطلع فراه فى سواء الجحيم اى فى وسط الجحيم
كقوله عز وجل سواء السبيل اى وسطه فقال تالله ان كدت لتردين اى همت لتغوين وكذلك فى حرف ابن مسعود
لتردين لتغوين وقال الكسائى تالله وبالله ووالله بغير واو ولغات بخبر ان بالله يكون على الاسف مرجعها الى سفاه

بقول لولا ان الله انعم على بالهدى ولولا ان الله رحمنى فهذا ان المعنى واحد يقول له امرك دينك واتبعنى وقال لتردين اى
لتهلكنى يقال اردت فلانا اى اهلكته والردى الموت والهلاك وهو قول ابى عوسجة والقتبى **وقوله** لمدينون قال بعضهم
لمحاسبون وقال ابو عوسجة والقتبى لمجزيون والدين الجزاء وقال بعضهم مكنون اى مستور لا يصيبه غبار ولا ريح وقوله ان
كدت لتردين اى همت واردت ان تهلكنى وتغوينى لو اجبتك واتبعتك فيما دعوتنى اليه وسالتنى ثم اخبر انه لولا نعمة ربى لكنت
من المحضرين معه وهذا على المعتزلة لقولهم انه عليه هداية كل احد ثم لو اسعه عنه كان نحايرا فى منع ذلك وهذا الرجل
اخبر انه بنعمته ورحمته اهتدى ما اهتدى وانه لو لم يكن منه اليه نعمة لكان من المحضرين فيها فهو اعرف بربه من المعتزلة
وكذلك الشيطان وجميع الكفرة اعرف بنعمة ربهم من المعتزلة لانهم قالوا هل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ
قالوا لو هدانا الله لهديناكم لقد جاءت رسل ربنا بالحق ومثله كثير فى القران انهم جميعا راوا الهداية لهم من الله نعمة ورحمة
ولم يعط الكفرة ذلك والمعتزلة يقولون بل هدى كل كافر ومشرك لكنه لم يهتد واهل الجنة قالوا ايضا وما كنا
لنهتدى لولا ان هدانا الله وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ومثله كثير فى القران والله اعلم **وقوله** افما نحن بميتين الا موتتنا
الاولى يحتمل ان يكون قوله افما نحن بميتين على الايجاب والالزام ليس على الاستفهام وسوال بعضهم الا نموت فيها
ولا نعذب واذ لم نمت ولم نعذب فيها فاذا كان ذلك فوزا عظيما ولذلك ذكر ابو معاذ عن الكسائى ان هذا م
استفهام تعيين وفى القران كثير مثله وقال قد يكون الاستفهام على التعجب ويكون على التعيين ويكون عن الجهالة
ويكون قوله الا موتتنا الاولى الا بعد موتتنا الاولى وقد مضت لا يذوقون فيها **وقوله** ولمثل هذا فليعمل العاملون
اى لمثل هذه العاقبة التى اعطيناكم وظفر بها يعمل العاملون لا مثل ما فيه صاحبه الذى فى النار ثم قال ذلك خير
نزلا ام شجرة الزقوم يحتمل قوله عز وجل اذلك خير نزلا من النزل والمقام اى المقام الذى نزلنا فيه نحن خير ام شجرة الزقوم
ويحتمل قوله عز وجل اذلك خير نزلا ان يكون من الانزال اى ما لنا من الطعام والماكل والمشرب خير ام شجرة الزقوم
قال بعضهم اعنى بعض الكفار لبعض لما خوفوا بها هل يدرون ما الزقوم هو التمر والزبد فقالوا بهذه الذى يخوفنا به
محمد وقال بعضهم ان محمدا يخوفنا بشجرة فى النار والنار من طبعها ان تحرق الشجرة وتاكله فكيف يكون فى النار
الشجرة تكذيبا منهم وانكارا لها فبين الله عز وجل تلك الشجرة ونعتها لها فقال انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم طلعها
كانه رؤوس الشياطين اخبر ان تلك الشجرة خرجت من اصل الجحيم وان نشئت منها والشجرة التى انشئت من النار لا تاكلها
النار ولا يحرقها كما تاكل غيرها من الاشجار التى لم ينشأ منها ومثل هذا جائز ان يكون الشئ الذى يكون نشوئه
ومنبعه من كل شئ لا يهلكه كونه فى ذلك السمك الذى يكون اصل نشوئه فى الماء ولا يهلكه الماء وكذلك جميع دواب
البحر وان كان غيرها من الدواب فى البرية يهلك فيها ويتلف فعلى ذلك الشجرة منشاءه منها لا يهلكها النار ولا
يحرقها وان كان غيرها من الاشجار يا كلها ويحرقها والله اعلم والجحيم قيل هو معظم النار وغلظها يقال اجحمت النار
اى اعظمتها يقال نار جحيمة اى عظيمة **وقوله** طلعها كانه رؤوس الشياطين اختلف فيه قال بعضهم انه نوعا من الحيات
يسمى شياطين لها رؤوس سود قباح لها عرف كعرف الديك وطلع تلك الشجرة وثمرتها وقبحها وسوادها ه
برؤوس من تلك الحيات وقال بعضهم هو نوع من النبات بالبادية يستقبحه الناس اشد الاستقباح شبه طلع
تلك الشجرة وثمرتها بذلك النبات وقال بعضهم انها الابكة سود قباح يستقبحها اهل مكة سموها شياطين
شبه ثمارها تلك الشجرة وطلعها رؤوس تلك الجبال والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن حقيقة رؤوس الشياطين
لان الله عز وجل جعل الشياطين فى قلوب اولئك الكفرة فصل بعض وقبح والنفار منها وان لم يروها ولم يعاينوا
فشبه طلع تلك الشجرة ورؤوس الشياطين ليفصل انكارهم وبعضهم اياها حقيقة وفى ذلك اية عظيمة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لانهم لم يروا الشياطين ببصرهم ولا عرفوهم معاينة وانما عرفوهم باخبار الرسل عليهم
السلام وبما استنكروها واستقبحوها وهم قوم لا يؤمنون بالرسل عليهم السلام فاذ قبلوا اخبار رسل
الله فيهم لزمهم ان يقبلوا قوله فى الرسالة وفى جميع ما اخبر والله اعلم **وقوله** عز وجل انا جعلناها فتنة للظالمين
يحتمل قوله فتنة يعنى به الشجرة التى انشئت من اصل الجحيم وهى شجرة الزقوم عذابا للظالمين يعنى به الشجرة كقوله
يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون ذوقوا فتنتكم اى عذابكم هذا الذى كنتم به تستعجلون ويحتمل قوله جعلناها
اى تلك الشجرة الزقوم فتنة للظالمين فى الدنيا ومحنة القصة بها لهم هو انكارهم اياها عن الجهة التى ذكروا
ان النار يحرق ويأكل الشجر فكيف يكون فيها شجر انكارا لهم وتكذيبا بها والثانى ما ذكر بعضهم ان الزقوم هو
الزبد والتمر صار تلك فتنة لهم لما ذكرنا وسببا لعذابهم والله اعلم **وقوله** عز وجل فانهم لاكلون منها اى من الشجرة الزقوم
انها تخرج من اصل الجحيم **وقوله** فمالئون منها البطون جائز ان يشتد والله عليهم الجوع حتى ياكلوا منها فيملؤن بطونهم منها
كقوله عز وجل فشاربون شرب الهيم وهى الابل التى بها داء بطونها من المساس لا يغنى ذلك الشرب وهو الحميم ولا يدفع
عنهم العطش الذى بهم فعلى ذلك ما جعل طعامهم من تلك الشجرة كقوله عز وجل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الاية انهم

ملؤا بطونهم فان ذلك يدفع عنهم الجوع كقوله لا يسمن ولا يغني من جوع والله اعلم ثم ان لهم عليها وفي حرف عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه ثم ان مصليهم ولا الى الجحيم وقوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان لهم على تلك الشجرة التي
جعل طعامهم خلطا من حميم اذ ثم ان لهم على تلك الشجرة ثم وقوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي ثم ان مردهم اي ثم انهم يردون
الى الجحيم لانهم يرجعون بانفسهم ولكن يردون فيها كقوله ادخلوا ابواب جهنم هم لا يدخلون فيها ولكن يدفعون فيها هم
كقوله عز وجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا والجحيم وهو معظم النار على ما ذكرنا يقال نار جاحمة اي عظيمة وقوله انهم الفوا
اباءهم ضالين اي وجدوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون فيه ان ما ذكر من العذاب للاتباع منهم لا للمتبوعين ولم يذكر
عذاب المتبوعين في الاية حيث قال انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون قال بعضهم يسرعون وهو شبه الهرولة
والاهراع هو الاسراع وهو قول القتبي وابو عوسجة وقال بعضهم يهرعون اي يسعون وهما واحد وقوله عز وجل ولقد
ضل قبلهم اكثر الاولين يقول والله اعلم ولقد ضل قبل قومك يا محمد من الاولين اكثرهم من الامم الخالية من لدن ادم
جرا الى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ادم ومن بينهما من النبيين وقوله ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي لقد ارسلنا
في الذين ضلوا قبل قومك منذرين ينذرهم ما من قوم الا بعث لهم نذيرا كما ارسلنا الى قومك وقوله عز وجل فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين يقول والله اعلم انظر كيف صنعنا بمن انذرنا بالعاقبة فلم يؤمن ولم يقبل ولم ينفعه النذارة
الا عباد الله المخلصين استثنى منهم وهم الذين نفعتهم النذارة وقبلوها فنجوا مما ذكر من عذابهم والله اعلم ويحتمل
سماهم المخلصين لما صفاهم الله واخلصهم للعبادة وقوله عز وجل ولقد نادانا نوح الاية قال بعضهم حين دعا ربه تعالى
عليه السلام ربنا اني مغلوب فانتصر فكانه انما دعا ربه بالهلاك على قومه فاجاب الله دعاءه وهو ما قال عز وجل
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر الى اخر ما ذكر ثم ان الرسل عليهم السلام هم مخصوصون بها من بين غيرهم الناس احدها
ان ليس لهم الدعاء على قومهم بالهلاك وسؤال العذاب عليهم الا بعد مجيء الاذن لهم من الله عز وجل بالدعاء عليهم
فنوح عليه السلام انما دعا ربه بانزال الهلاك عليهم بالاذن من ربه والثاني لم يكن لهم الخروج من بين اظهرهم
عند نزول العذاب بهم الا باذن من الله عز وجل على ذلك ولذلك جاء العتاب ليونس عليه السلام والتغيير لما خرج من
بينهم عند نزول العذاب بلا اذن كان من ربه حيث قال عز وجل وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر
عليه الاية هما خصلتان لهم خاصة صلوات الله عليهم واما لغيرهم من اهل الدين فلهم ان يدعوا على الفجرة
والفسقة منهم باللعن والهلاك فلهم ان يفرقوا منهم وان يخرجوا من بين اظهرهم لفسقهم وفجورهم وكان
هذا بعد من مصالح الاعمال لهم وقوله عز وجل فلنعم المجيبون وهو الرب تبارك وتعالى ذكر المجيبين على الجماعة انا
نفعل كذا وفعلنا كذا وهو كلام الملوك فيما بينهم ثم كل فعل يضاف الى الله تعالى فيه غيره او نسب يراد شيئا يكون فاضلا و
ذلك بينه وبين فعل غيره نحو ما قال عز وجل في موضع اخر وهو احكم الحاكمين ونحو قوله عالم لا كالعلماء ونحوه مما
يخرج ذلك لانه قادر على وفاء ما وعد واخبر وانجاز ذلك لا يعجزه شيء وغيره من الخلايق لعلهم لا يقدرون على وفاء
ذلك والقيام بانجاز ما وعدوا ولذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ونجيناه واهله من الكرب العظيم يحتمل
ما هم من الكرب العظيم هو دعاءه قومه الى توحيد الله عز وجل تسعمائة وخمسين سنة وما ساقاه منهم من انواع
الاذى من التكذيب وغيره فانجاه الله من كرب ذلك حين اهلكهم ويحتمل الكرب العظيم هو الهول الشديد وهو الغرق
اغرق قومه وانجاه منه سماه عظيما لشدة ما اصابهم وقوله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين اي جعلنا ذرية
نوح عليه السلام من ساير ولد ادم وذريتهم واهلك غيرهم ولذلك كان بقي نسله الى يومنا هذا وهلك نسل غيره
والله اعلم وقوله وتركنا عليه في الاخرين يشبه ان يكون ما ذكر انه ترك في الاخرة ما ذكر على اثره من السلام حيث
قال عز وجل سلام على نوح في العالمين اي ابقينا عليه الثناء الحسن في الاخرين حتى يثنوا عليه جميعا ويصدقوه و
يقولون فيه خيرا وحسنا والله اعلم ويحتمل ما قاله بعضهم سلام الله على نوح في العالمين وسلم له جميع العالمين في
جميع الاوقات كما سلم عيسى على نفسه حيث قال والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وما سلم على يحيى
عليه السلام حيث قال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ذكر السلام عليهما في اوقات ثلاث ثم في
يوم في الاوقات كلها والله اعلم وقوله عز وجل انا كذلك نجزي المحسنين اي انا هكذا نجزي كل محسن نجزاه الله باحسانا
الينا الحسن في العالمين رغبا للناس في الاحسان اما الى الخلق واما الى انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل انه من
عبادنا المؤمنين وليس في ذكره انه من المؤمنين كثير منفعة له وهو من اولي العزم من الرسل لكن يحتمل ذكره
اياه لمنه من المؤمنين وجوها احدها انه من عبادنا المؤمنين قبل الرسالة وقبل ان يبعث رسولا اي لم يصر
مؤمنا وقت الرسالة ولكن كان لم يزل مؤمنا قبل الرسالة والثاني انه من عبادنا المؤمنين بك يا محمد يذكر
هذا البشارة صلى الله عليه وسلم ويفرح عليه والرسل عليهم السلام جميعا يؤمن بعضهم ببعض والثالث انه كلهم من
عبادنا المؤمنين المحققين الموقنين اي وفاء ما اعتقدوا بلسانه وهذا كان الرسل كلهم موقنين ما اعتقدوا واعطوا بلسانهم

وهكذا

وهكذا يعتقد كل مؤمن في اصل ايمانه واعتقاده اي لا يعصي ربه وان لا يخالفه في شيء من اموره ونواهيه لكنه لا يفي
ما اعتقده فعلا بل يقع ربما في معاصيه وفي مخالفة امره ونهيه والله اعلم وقوله عز وجل وان من شيعته لابراهيم اي
ابراهيم عليه الصلوة والسلام من شيعته نبينا محمد عليه السلام يقول على دينه ومنهاجه وقال بعضهم من شيعة
نوح اي ابراهيم من شيعة نوح عليه السلام على ما تقدم ذكر نوح عليه السلام حيث قال ولقد نادانا نوح الى اخر ذلك ان
ابراهيم من شيعته على دينه ومنهاجه وقيل الذكرها الجاء ربه بقلب سليم عن جميع ما يمنعه من الاجابة لربه فيما دعاه
والصبر على ما امتحنه وابتلاه والله اعلم وعلى ذلك سماه الله عز وجل في كتابه الكريم وابراهيم الذي وفى جميع ما
امره وامتحن به والله اعلم وجائز ان يكون ذلك في الاخرة يقول جاء ربه بقلب سليم كقوله عز وجل ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين لخبر انه في الاخرة يكون من الصالحين وذلك سلامة قلبه والله اعلم وقوله عز و
جل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا الهة دون الله قد اختلف سؤال ابراهيم صلوات الله عليه بقوله مرة
قال لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ومرة قال ماذا تعبدون ثم ذكر في غير هذا الموضع اجابتهم اياه حيث
قالوا نعبد اصناما وما قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين ولم يذكرها هنا شيئا قالوا له ثم معلوم انه لا بهذا الكلام
اجابوه ثم ذكر على اختلاف الالفاظ والحروف ليعلم ان تغيير الالفاظ وتبديل الحروف لا يغير المعنى وكذلك جميع
القصص التي ذكرت في القران بذكرها مكررة معادة مختلفة الالفاظ والحروف والقصة واحدة ليدل ان
الماخوذ والمقصود من الكلام معناه لا لفظه وحروفه والله اعلم ثم قوله عز وجل ائفكا الهة دون الله تريدون
يقول والله اعلم افكا اي كذبا بتسميتكم الاصنام التي تعبدونها من دون الله يقول كذبا ذلك لست بالهة
دون الله عبادتها او يقول افكا اي كذبا الالهة التي اتخذتموها الهة دون الله تريدون ان تتخذوا الهة وهو
القربان الاول وقوله عز وجل فما ظنكم برب العالمين يقول والله اعلم فما ظنكم برب العالمين اي يفعل بكم اذا اتخذتم دون
الله الهة وصرفتم العبادة والشكر عنه الى من دونه وقد تعلمون انه هو المنعم عليكم هذه وهو اشد اليكم هو الاحسان
وهو اليكم او يقول فما ظنكم برب العالمين انه يرحمكم ويفعل بكم خيرا في الاخرة بعد تسميتكم الاصنام الهة
وعبادتكم اياها دون الله بعد علمكم انه هو خالقكم وهو سخر لكم جميع ما في الدنيا وهو انشاها لكم فما تظنون به
ان يفعل بكم ان يرحمكم ويسوق اليكم خيرا اي لا يظنون به ذلك ولكن ظنوا خير اصنعكم وقوله عز وجل فنظر نظرة
في النجوم فقال اني سقيم اي سأسقم وذلك جائز في اللغة كقوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون للحال فعلى ذلك
قول ابراهيم عليه السلام اني سقيم اي سأسقم او يقول اني سقيم وهو صادق اذ ليس من الخلق احد الا و
سقم ومرض وان قل فعلى ذلك قول ابراهيم عليه السلام وقول من قال ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات احدها
هذا اني سقيم وذلك وحش من القول سمج لا جائز ان ينسب الكذب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من انبيائه
لا يقع قط في وجه من الوجوه ويذكر اهل التأويل ان قومه ارادوا ان يخرجوا بابراهيم التي عندهم فنظر ابراهيم نظرة
في النجوم فقال اني سقيم ليخلفوه ويتركوه ليكسر اصنامهم التي تعبدونها على ما فعل من الكسر والنحت ويذكرون
انه انما نظر في النجوم قومه كانوا يعملون بالنجوم ويستعملونها وعلم النجوم فان كان ذلك فهو والله اعلم اراد ان يريهم
من نفسه الموافقة ليلزمهم الحجة عند ذلك وهو ما ذكر في قوله هذا ربي وهذا اكبر ونحوه قال ذلك على اظهار
الموافقة لهم من نفسه ليكون الزم الحجة عليهم واشرف عليه اهون وايسر فهكذا الامر بالمعروف في الخلق
ان من اراد ان يصرف اخرا عن مذهب او دين انه اذا اظهر من نفسه الموافقة له عليهم ضربا باليمين وقوله عز وجل
فراغ الى الهتهم اي فراغ الى ما اتخذتموهم وسميتموها الهة ذكرها على ما عندهم وعلى ما اتخذها والا لم يكونوا الهة و
كذلك قول موسى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي انظر الى الهك الذي هو عندك والا لم يكن هو اله
وقوله عز وجل فراغ الى الهتهم فقال الا تاكلون كان طعاما موضوعا بين يديها لذلك قال الا تاكلون وقوله عز وجل
ما لكم لا تنطقون تجاوبيكم وقوله ما لكم لا تنطقون انه من فعل بها ما فعل كقوله من فعل بالهتنا يا ابراهيم قال
بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون عن من فعل بهم هذا سفه قومه في عبادتهم الاصنام وهو لا يملك
ولا تنطق ولا يملك دفع من قصد بها ضررا فكيف تطمعون شفاعتها لهم في الاخرة وهي لا تملك ما ذكر والله اعلم وهو
كقوله هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وقوله فراغ عليهم ضربا باليمين اي مال ورجع عليهم وقوله
ضربا باليمين اختلف فيه قال بعضهم ضربا بيمينه التي كانت منه حيث قال تالله لاكيدن اصنامكم والله اعلم
قال بعضهم ضربا باليمين بالقوة وقد يعبر باليمين عن القوة كما يعبر باليد عن القوة وقال بعضهم ضربا باليمين اي بيد اليمنى
نفسه على ما يعمل المرء اكثر اعماله باليمين وقوله عز وجل فاقبلوا اليه يزفون ظاهر هذا انهم اليه وقت ما كسرها
وفعل بها ما فعل لكن في اية اخرى ما يدل ان اقبالهم اليه كان بعد ما خرج من عندها وغاب وكان بعد ذلك بزمان
الا يرى انهم قالوا من فعل هذا بالهتنا قالوا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الاية ولو كانوا اقبلوا اليه مرفين وهو عندها

حاضر لم يجيبوا الا ان يقولوا من فعل هذا بالهتنا بل يقولون ان ابراهيم فعل ذلك بها ولو كان يقول ابراهيم بل فعله
كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون معنى والله اعلم وقوله عز وجل يزفون قال بعضهم يمشون اليه وقال بعضهم
يمشون اليه وقال بعضهم يسرعون وهو قول ابي عوسجة واصل الزفيف كانه المشي فيه سرعة على ما يسرع في المشي
اذا اصابه شيء او فعل به امر والله اعلم وقوله عز وجل اتعبدون ما تنحتون يسفههم بعبادتهم ما ينحتون بايديهم و
يتخذونها بانفسهم على علم منهم انها لا تملك نفعا ولا ضرا والذي نحتها اولى بالعبادة له اولى من ان يعبد ان كان يجوز
العبادة لمن دونه من ذلك المنحوت اذ هو يملك شيا من النفع والضر والمنحوت لا فاذ لم تعبدوا الناحت لها والمتخذ
وهو اقرب وانفع فكيف يعبدون ذلك المنحوت الذي لا يملك شيا وتركتم عبادة الذي خلقكم وخلق اعمالكم ومن
اصحابنا من احتج على المعتزلة بهذه الاية في خلق افعال العباد يقولون اخبر عليه السلام عن خلق انفسهم وعن
خلق اعمالهم حيث قال والله خلقكم وما تعملون لكنهم يقولون ليس فيه دلالة خلق افعالهم الا ترى انه قال عليه
السلام اتعبدون ما تنحتون وهم لا تعبدون النحت انما يعبدون ذلك المنحوت فعلى ذلك لم يخلق افعالهم واعمالهم
ولكن خلق ذلك المعمول نفسه والله اعلم لكن الاحتجاج عليهم من وجه اخر في ذلك كانه اقرب واولى وهو ان صير
ذلك المعمول خلقا لله تعالى بقوله خلقكم وما تعملون لانهم انما يعبدون ذلك المعمول مخلوق لله دل ان عملهم الذي
عملوا به مخلوق لذلك قلنا ان فيه دلالة خلق اعمالهم والله اعلم وهو كقوله عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين انما صارت التواب والمتطهر محبوبا بالجنة التوبة والتطهر وصار المعتدي غير محبوب لصنعه الاعتداء
فعلى ذلك المعمول صار مخلوقا لخلقه عمله والله اعلم وقوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا قال بعضهم لبعض ابنوا له
بنيانا نجمع فيه الحطب فتعظم فيه النار فتصير جحيما ثم القوا ابراهيم في الجحيم والجحيم قد ذكرنا انه معظم النار وقوله
عز وجل فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين اي هالكين يقولون ما ناظرهم الله بعد ذلك حتى اهلكهم ويشبه ان
يكون ما ذكرنا والله اعلم فارادوا اهلاك ابراهيم عليه السلام فصاروا من الهالكين والله اعلم وقوله عز وجل وقال
اني ذاهب الى ربي سيهدين قال بعضهم ذاهب الى ربي بقلبي وعملي ونيتي وذلك في الاخرة ويحتمل ذاهب الى ما امرني
ربي او الى ما اذن لي اي وقد امر بالخروج الى الشام من مكة او ذاهب الى ما فيه رضاء ربي او طاعة ربي ونحو ذلك
والله اعلم وقوله عز وجل سيهدين قال بعضهم اي سينجيني مما رايت من قومي وقال بعضهم سيهدين الطريق
وذلك جائز نحو قول موسى عليه السلام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل لما توجه الى مدين فعلى ذلك جائز قول
ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي ذاهب الى امر ربي اي متوجه الى امر ربي ان اتوجه سيهدين ذلك
الطريق والله اعلم وقال بعضهم سيهدين لدينه وذلك اول ما هاجر من الخلق اي لتعلم دينه وقد ذكر في حرف
حفصة اي مهاجر الى ربي سيهديني والله اعلم وقوله عز وجل رب هب لي من الصالحين كانه قال رب هب لي غلاما
واجعله من الصالحين دليل ذلك ما ذكر له من البشارة له بالغلام على اثر ذلك ان سؤله كان سؤال الغلام ثم
فيه دليل جواز سؤال الولد الذكر بربه لكنه يسئله بشرط السؤال والطلب كما سال الانبياء وسال ابراهيم عليه
الصلوة والسلام رب هب لي من الصالحين وقال زكريا عليه السلام هب لي من لدنك ذرية طيبة وما ذكر وحكي
عنهم مدحا لهم وثناء عليهم حيث قال عز وجل والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا
للمتقين اماما يجب على من يسال ربه الولد ان يساله على هذه الشرايط التي سالته الانبياء عليهم السلام
سوالهم الولد على ذلك سولا لله عز وجل وما يصلح لقيامه لامره وعبادته لا ما ان يساله اياه لذة لنفسه
وسرورا له في الدنيا فلا ثم يحتمل قوله ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الى اخر ما ذكر وجهين
احدهما اي هب لنا من ازواجنا وذريتنا ما يقر به اعيننا وهب لنا من ازواجنا من الولد والذرية ما يقر به اعيننا على ما
سال زكريا عليه السلام حيث قال ذرية طيبة ثم فيه دلالة ان الولد هبة الله لهم وعطاء لهم ولذلك قال
ذرية طيبة يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والله اعلم يعني ما صار الولد هبة
من الله وقوله عز وجل فبشرناه بغلام يصير حليما اذا بلغ مبلغ الامتحان بالاعمال والامر والنهي اي بشرناه بغلام
حليم يحلم فيما امتحن اذا بلغ مبلغا يمتحن فيه قال قتادة ان الله عز وجل لم يذكر احدا ولا وصفه بالحلم سوى
ابراهيم وولده الذي بشر به والله اعلم وقوله عز وجل فلما بلغ معه السعي اي بلغ بحيث يقدر ان يسعى معه
الى الجبال وهو ان يسعى ويمشي معه وهي الحجة وقال بعضهم فلما بلغ معه السعي اي بلغ بحيث يعمل ويمتحن عندنا
قال له يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى وترى بالنصب والرفع جميعا فيه دلالة ان رؤيا الانبياء
والرسل عليهم الصلوة والسلام على حق يجري كالامر المصرح الا ترى انه لما قال له اني ارى في المنام اني اذبحك و
قد عرف حرمة ذبح بني ادم وقتلهم قال لهم ولده افعل ما تؤمر ولو لم يكن امرا لم يقل افعل ما تؤمر ولا قال له
ابراهيم اني ارى في المنام اذبحك وقد عرف حرمة ذبح بني ادم وقتلهم الذي لا يسع الاقدام عليه والعمل و

والله

والله اعلم ثم قوله لابيه افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين دلالة ان لا كل مامور بامر من الله شاء الله ان
يفعل ما امر حيث اخبر ستجدني من الصابرين ان شاء الله وقد ذكرنا ان ابراهيم عليه السلام كان مامورا بالذبح فاذا امر هو
بالذبح امر هذا ان يصبر على الذبح ولا يجزع ثم اخبر انه يصبر ان شاء الله دل ان لا كل مامور بامر شاء منه ان يفعل ذلك
ولكن شاء ان يفعل ذلك ممن علم منه ان يختار ذلك الفعل ويفعله ومن علم منه انه لا يفعل ذلك لا يجوز ان شاء ذلك
منه الفعل وكذلك قول موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا وهذا على المعتزلة لقولهم
ان الله تعالى اذا امر احدا بامر شاء ان يفعل ما امره به لكنه تركه لما لم يشاء هو والله اعلم وقد بينا فساد قولهم
في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وقوله عز وجل فلما اسلما وتله
للجبين يحتمل قوله اسلما اي استسلما لامر الله فيما امرهما هذا بالذبح وهذا بالبذل والطاعة في ذلك او اسلم هذا
ابنه وهذا نفسه لله عز وجل واصله اسلما انفسهما لامر الله والطاعة في ذلك وقوله وتله للجبين اي صرعه و
كبه على وجهه فيه انه لم يضجعه كما يضجع الامر بما يريد ان يذبحه من الشياه وغيرها ولكنه اضجعه على وجهه فهو
والله اعلم لما اراد ان ينفذ امر الله ويقدر على اذا ما امر به فلعله لو اضجعه على ما يضجع غيره من الذبح نظر كل واحد
منهما الى وجه الاخر فرحم هذا فيترك ذبحه وهذا ينظر في وجهه فيجزع ويترك طاعته او على ما قال اهل التاويل ان
ولده قال لابراهيم عليهما السلام كذا فيفعل ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
يجوز ان يحتج بهذه الاية على المعتزلة لقولهم ان الله عز وجل اذا امر احدا بامر يجوز ذلك الفعل منه واراد ان يفعل ما
امره به ونحن نقول يجوز ان يريد غير الذي امره به يريد ان يكون ما علم انه يكون منه ويختاره حيث قال عز وجل يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا ولم يكن منه بحقيقته ذبح الولد وقد امر بذبحه فلو كان في الامر ارادة كون ما امره به لكان لا يصدق
في الوفاء بالرؤيا ولم يكن ذلك منه حقيقة لكنهم يقولون ان الامر بالذبح لم يكن الا ما كان منه من ذبح الكبش من
ذلك اراد فكان ما اراد ومذاهبهم الاحتيال لدفع ما ذكرنا لكن نقول ان الامر بالذبح انما كان بذبح الولد حقيقة لا بذبح
الكبش دليله وجوه احدها قول ابراهيم حيث قال اني ارى في المنام اني اذبحك وقول ولده عليهما السلام يا ابت افعل
ما تؤمر فلو لم يجعل الامر من الله له بالذبح امرا بالذبح على ذبح الولد حقيقة كذا لجهلهما في قولهما وامر الله وفي تسميتهما ما
سميا فلا يجهلهما في ذلك فدل ان الامر كان على حقيقة ذبح الولد لا على ذبح الكبش على ما يقولون والله اعلم والثاني
ان ابراهيم وولده عليهما السلام قد مدحا واثني عليهما بالصنيع الذي صنعا هذا باضجاعه اياه للذبح وهذا ببذله
نفسه له والطاعة له في ذلك فلو كان الامر منه لهما لا على الاضجاع والبذل لذلك لم يكن لهما في ذلك الصنيع فضل
مدح ولا فضل ثناء ومنقبة اذا كل احد اضجاع الولد لذلك وللاخر البذل له فاذ مدحا واثني عليهما في صنيعهما الذي
صنعا وصار لهما منقبة عظيمة الى يوم القيمة حتى سمي هذا ذبيح الله وهذا خليل الله حيث قال الله عز وجل وفديناه
بذبح عظيم فلو كان الامر بالذبح ذبح الكبش لا ذبح الولد لم يكن الكبش فداء عنه اذ لا يسمى الفداء الا بعد ابداله
غيرا عنه واقامة غيره مقامه دل على ما ذكرنا والله اعلم لكنه انما اضجعه وتله للجبين على ما ذكر صار كالممنوع عن تنفيذ
الفعل غيرنا ولكن امر الله عز وجل على ما ذكر في القصة ان الشفرة قد انقلبت عن وجهها فلم يقطع فمن امر بامر ثم
منع عما امر به وحيل بينه وبين ما امر به لم يصر تاركا للامر ولا كان موصوفا بالترك له لذلك كان ما ذكر والله اعلم
ثم يجوز ان يستدل بهذه الاية لمسايل لاصحابنا احدها في المراة اذا اسلمت ما يمنع الزوج عن الاستمتاع بها والجماع
صارت موفية مسلمة ما على نفسها الى زوجها فاستوجبت بذلك كمال الصداق ولزمتها العدة اذ لا يملك سوى
ما فعلت وان لم يجامعها زوجها وفيمن عنده امانة اذا اسلمها الى صاحبها وصيرها بحال يقدر على اخذها وقبضها
يصير مسلما اليه مؤديا خارجا منها يوما وان لم يقبض الاخر ولم يقع في يده وفي البايع اذا سلم المبيع الى المشتري
وخلى بينه وبين ذلك يصير مسلما اليه خارجا من ضمان ذلك وعهدته وان لم يقبضه المشتري ونحوه من المسايل
مما يكثر احصاوها اذ ليس في وسعهم الا ذلك المقدار من الفعل وقوله عز وجل وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا لو كان هذا القول بعد ذبح الكبش ففيه حجة لقول اصحابنا حيث قال ابو حنيفة رحمه الله ان من اوجب
على نفسه ذبح ولده يخرج منه بذبح الكبش لما اخبر انه قد صدق الرؤيا بذبح الكبش فعلى ذلك بذبح الكبش يصير هذا
موجبا على نفسه ذبح كبش لا غير والله اعلم وان كان قوله قد صدقت الرؤيا قبل ذبح الكبش باضجاعه اياه واسلامه
لذلك ففيه ما ذكرنا انه بذل وتسليمها نفسه منزلة اتيان غير ذلك اذ منع عن ذلك لا انه ترك ذلك وقوله عز وجل
ان هذا لهو البلاء المبين ان الامر بذبح الولد الذي امر به ابراهيم محنة عظيمة ويقول بعض اهل التاويل ان هذا لهو
البلاء المبين اي النعمة العظيمة اي في الفداء الذي فدا لابراهيم عليه السلام نعمة عظيمة وقوله عز وجل وفديناه
بذبح عظيم وهو الكبش قال بعض اهل التاويل سماه عظيما لانه كان يرعى في الجنة اربعين خريفا ويقول بعضهم كان
ذلك الكبش في نفسه عظيما والله اعلم وقوله عز وجل وتركنا عليه في الاخرين قال اهل التاويل اي تركنا عليه في

الاخرين الثناء الحسن ويجوز ان يكون قوله وتركنا عليه في الاخرين ذلك السلام الذي على ذكره حيث قال عز وجل
سلام على ابراهيم ترك ذلك فينا التسليم عليه وعلى جميع المرسلين كقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على
المرسلين كقوله فامرنا ان نثني ونسلم على جميع الانبياء والمرسلين وكقوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويكون الانبياء
عليهم السلام بعضهم الى بعض كما كان بعضهم من شيعة بعض وان يكون ذلك السلام من الله لهم امانا من كل خوف وسلامة
من كل خبث وقوله عز وجل كذلك نجزي المحسنين اي كذلك نجزي كل محسن ان نترك له السلام والثناء الحسن في الاخرين و
الله اعلم وقوله عز وجل انه من عبادنا المؤمنين يحتمل هذا وجوه احدها انه كان من عبادنا المؤمنين قبل ان يوحى اليه وقبل
ان يبعث رسولا ويحتمل انه من عبادنا المؤمنين الذين حققوا الايمان في قول وفعل ووفاء ما عليه او انه كان من عبادنا المؤ
محمد صلى الله عليه وسلم والانبياء جميعا بعضهم يصدق بعضا ويؤمن به والله اعلم وقوله عز وجل وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين كان سال ربه الولد بقوله هب لي من الصالحين فاستجاب الله دعاءه وبشره بما ذكر ثم اخبر انه نبي من الصالحين
يحتمل قوله نبيا من الصالحين ان نبيا من السلف كقوله عز وجل والحقني بالصالحين اي نبيا نصيره ويحتمل من
الانبياء كقوله عز وجل هذا نذير من النذر الاولى ويحتمل ان يكون البشارة في الولادة الولد الذي سال ربه
ويحتمل ان يكون البشارة في الولادة الولد الذي سال ربه ويحتمل ان بشر له بنبوته وبشرهما بهما بالولادة بالنبوة
جميعا والله اعلم وقوله عز وجل وباركنا عليه وعلى اسحق البركة هي اسم لكل خير لا يزال على الزيادة والنماء ويقول
ان البركة شيء من اعطي كان لا يبعه عليه والله اعلم وقوله عز وجل ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين اي مؤمن
مصدق وظالم لنفسه اي كافر وهو ما قال عز وجل اني جاعلك للناس اماما فقال ابراهيم عليه السلام ومن ذريتي
قال لا ينال عهدي الظالمين اخبر ان في ذريته من لا ينال عهده كما ذكر هنا ان في ذريته محسن وهو مؤمن وظالم
لنفسه مبين اي كافر ظالم مبين او ان يكون قوله عز وجل محسن الى نفسه او محسن الى الناس وهو اسحق وما روي ان رجلا
ساله فقال يا رسول الله اي الناس اكرمهم حسبا قال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله
ابن ابراهيم خليل الله فهو قالوا الا لا حاجة لنا الى معرفة ذلك انه فلان او فلان اذ لو كان لنا الى بيان ذلك حاجة لتبين
وازال الاشكال والاختلاف الناس عن ذلك والتكلم فيه فضل تكلم اذ لا يحتمل ان يكون بالناس حاجة الى معرفة ذلك وبيانه
ثم لا تبين لهم ولا نعرف ذلك فدل ترك الشارع لذلك على ان لا حاجة لهم الى ذلك والله اعلم وقال ابو عوسجة والقتبي
الذبح الكبش واسم ما يذبح والذبح نصبا لذال مصدر ذبحت هذا قول القتبي وقال ابو عوسجة الذبح بالنصب هو الفعل
وهما واحد وقال القتبي البلاء المبين الاحسان المبين العظيم وقوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهرون يحتمل ما ذكر من
المنة عليهما الرسالة والنبوة التي اعطاهما والايات والحجج التي اعطاهما وخصهما بهما الذي ابقى لهما الذكر والثناء الحسن
عليهم في الاخرين لقوله عز وجل وتركنا عليه في الاخرين سلام على موسى وهرون وانما وجب عليهم ذكر المنن والنعم
التي خصهم بها وفضلهم من بين غيرهم واما ان يوجب عليهم ذكر كل ما من عليهم وانعم عليهم فذلك ليس في وسع احد
القيام بذكر جميع ما من عليهم وانعم والشكر لها وانما يجب القيام بذكر ما خصوا بها ظاهرا وان كان في الجملة احد عليهم
ان يرد جميع النعم والمنن من الله جل وعز فضلا منه وانعاما لا احقا عليه بقوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهرون
ما خصوا بها من الرسالة والنبوة والايات والحجج التي وقعت لهم الخصوص فاما في كل ما من عليهم وانعم فلا على ما ذكرنا
انه ليس في وسع احد القيام بشكر احسن نعمه في عمره وان طال والله اعلم وقوله عز وجل ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم
قال عامة اهل التاويل قوله عز وجل ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم اي من الغرق ولكن جائز ان يكون من الكرب العظيم
الذي نجاهم منه ما ذكر من قتل الرجال واستحياء النساء حيث قال يقتلون ابناءهم ويستحيون نساءهم الاية وما استعبدهم
واستخدموهم انجاهم من ذلك الذل وانواع البلايا والشدائد التي كانت عليهم كقوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
اخبر انهم كانوا مستضعفين فانجاهم الله من ذلك كله وهو الكرب العظيم وقوله عز وجل ونصرناهم فكانوا هم الغالبين
يحتمل قوله ونصرناهم بالحجج والايات التي اعطاهم ونصرناهم حيث انجاهم واهلك فرعون والقبط والله اعلم وقوله عز وجل
واتيناهما الكتاب المستبين والتورية ثم يحتمل قوله عز وجل الكتاب المستبين بوجهين احدهما استبان لكل من العقل ذ
النظر انه من عند الله نزل لان التورية نزلت ظاهرا في الالواح ليس كان القرآن لا يعرف انه من عند الله نزل الا بعد التامل و
النظر لانه نزل في الاوقات الخالية التي لا يطلع عليه احد سرا عن ظهر القلب والثاني انه استبان لكل من نظر فيهما ما لهم
وما عليهم وما يؤتى وما يتقى وقوله عز وجل وهديناهما الصراط المستقيم يحتمل الصراط الذي من سلكه افضاه الى مقصوده
وبلغه الى الصراط المستقيم لما بالحجج والبراهين قام لا بالهوى ولا النفس وقوله عز وجل وتركنا عليهما في الاخرين سلام على
موسى وهرون هو ما ذكرنا فيما تقدم ابقى لهم الثناء الحسن في الاخرين وهو السلام الذي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل
انا كذلك نجزي المحسنين اي انا كذلك نبقي ونترك لكل محسن الثناء الحسن في الاخرين كما تركنا لهؤلاء وهو المعروف في
الناس ان كل محسن صالح فان مات فانه يذكر بالخير بعده ويثنون عليه بالثناء الحسن والله اعلم وقوله عز وجل انهما

من عبادنا المؤمنين يحتمل الوجوه التي ذكرنا فيما تقدم من عبادنا المؤمنين قبل الرسالة او من عبادنا المؤمنين بمحمد
صلى الله عليه وسلم او لعبادنا المؤمنين الذين حققوا الايمان قولا وفعلا والقيام بوفاء ما وجب بعقد الايمان وعهده و
الله اعلم وقوله عز وجل وان الياس لمن المرسلين هذا ينقض على الباطنية مذهبهم لانهم يقولون ان الرسل عليهم السلام
ستة ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ما سواهم ائمة وفي الاية اخبار ان الياس كان من
المرسلين هذا كله ينقض قولهم ويرد مذهبهم وقوله عز وجل اذ قال لقومه الا تتقون عبادة غير الله او يقول الا تتقون
الا تخشون ان الله ولا تخافونه في ترككم عبادته واشتغالكم بعبادة غيره او الا تتقون نعم الله في مخالفتكم امره و
نهيه والله اعلم وقوله عز وجل اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين قال بعضهم اهل التاويل البعل هاهنا الرب
بلسان قوم وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن قوله عز وجل اتدعون بعلا قال فقال رجل من يعرف الابل
فقال اعرابي بعلها اي ربها فقال ابن عباس كفا في الاعرابي جوابها لكن لا يحتمل ان يكون المراد من قوله اتدعون بعلا
اي ربا الا ان يكون ذكر انه بلسان قوم فيقول اتدعون ربا تخلقون انه لا يضر ولا ينفع وتذرون عبادة من تخلقون
انه يملك ذلك وقال بعضهم البعل الاسد هاهنا وكذلك يقول في قوله هذا بعلي شيخا اي سيدي وقال بعضهم البعل هو اسم
الصنم هاهنا يقول اتعبدون صنما وتذرون احسن الخالقين واصل البعل الزوج كانه يقول لهم اتدعون من له ازواج و
اشكال وتذرون عبادة من الازواج والاشكال والله الموفق وقال ابن عباس رضي الله عنه اول هذه ثماني واخرها
مصري وهو قوله وتذرون احسن الخالقين يسمون كل صانع خالقا والخلق هو التقدير في اللغة ينسبانا الى الخلق على المجاز
وان كان حقيقة التقدير لله عز وجل ذكر على ما عندهم لا لحقيقة الخلق والله اعلم ثم يحتمل قوله عز وجل احسن الخالقين
اي احكم واتقن على ما ذكر وهو احكم الحاكمين اي جعل كل شيء اثر شهادة وحدانية الله وربوبيته او لحسن الخالقين لما ذكر
انه خلقهم وخلق اباءهم الاولين وانه ربهم ورب خلايقهم فقالوا من احسن الخالقين فعند ذلك ما ذكر وقال الله ربكم و
رب ابائكم الاولين ثم اخبر عنهم انهم كذبوه مع ذكر لهم وهو ما قال عز وجل فكذبوه فانهم لمحضرون ولم يذكر فيما ذا
لكن فيه بيان انهم انما المحضرون للنار والعذاب لان اهل اللذات هم المحضرون انفسهم والعذاب يحضرون دها لا
بانفسهم كقوله عز وجل يدعون الى نار جهنم دعا وقوله عز وجل يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله ويصلى
سعيرا ونحوه ثم استثنى العباد المخلصين منهم انهم لا يحضرون النار وقوله عز وجل وتركنا عليه في الاخرين سلام على
الياسين هو ما ذكرنا انه ابقى لهم الثناء الحسن انما اهلك بتكذيبه الرسل وعنادهم ومن نجا منهم انما نجا بتصديقهم
والاجابة لهم واياكم وتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم فيدل بكم كما يدل باولئك وقال عز وجل وانكم لتمرون عليهم
اي على من هلك من مكذبي الرسل بالليل والنهار فتعلمون انهم انما هلكوا بالتكذيب للرسل وقوله عز وجل افلا تعقلون
وتعرفون وتمتنعون عن تكذيبه والله اعلم وقوله عز وجل وان يونس لمن المرسلين هذا ينقض على الباطنية قولهم
حتى قالوا ان الرسل ليس الاستة لا يعدون يونس ونوحا عليهم السلام منهم فيخالفون ظاهر الاية وهو قوله عز
وجل وان يونس لمن المرسلين وهم يقولون ليس من المرسلين وبالله العصمة وقوله عز وجل اذ ابق الى الفلك المشحون
ذكرها هنا الاباق وفي سورة الانبياء الذهاب وهو قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فمن الناس من يجعل هذا غير
الاول اباقه الذي ذكر وذهابه لكن جايز ان يكون ذكر الاباق وذكر الذهاب وان كان وذكر في ذا العين في
ظاهر اللفظ مختلفا فهما في المعنى واحد فيكون قوله عز وجل اذ ابق من قومه مدينة ليسلم له او ابق الخوف على نفسه
من قومه او ابق على ما اوعد قومه من نزول العذاب بهم اذا لم يؤمنوا به وكان الرسل صلوات الله عليهم يخرجون
من بين اظهر قومهم اذا اخافوا نزول العذاب الا ان يونس خرج من بينهم قبل ان ياتيه الاذن من الله عز وجل الخروج من
بينهم لذلك صار وجاء العتاب له والتعيير لا لما يقوله عامة اهل التاويل من الخرافات التي يذكرون وينسبون اليه
ما لا يجوز نسبة ذلك الى اجهل الناس بربه واحسبهم فضلوا ان يجوز نسبة ذلك الى نبي من انبيائه ورسوله من رسله
وقوله عز وجل فساهم فكان من المدحضين ذكر في القصة انه عليه السلام لما ابق الى سفينة فركبها واراد ان تجري
البحر فجعلت تكفؤ وتقف كادت ان تغرق فقال القوم بعضهم لبعض ان فيكم لرجلا مذنبا عظيم وكانوا يعرفون ذلك
من عادتها من قبل كانت اذا ركبها مذنب تغرق وتضرب في الماء فلم يعرفوا من هو ذلك فاستهموا امرا فساهم يونس
في كل مرة فلما راى ذلك يونس عليه السلام قال لهم يا قوم القوني في البحر حتى لا تغرقوا جميعا فابوا وقالوا لا نلقي نبيا من
انبياء الله في البحر فالقى هو نفسه فيه فالتقمه الحوت على ما اخبر الله عز وجل حيث قال فالتقمه الحوت وهو مليم ثم قوله
فساهم فكان من المدحضين قال فكان من المغلوبين في القرعة والاستفهام اي خرجت القرعة عليه والمدحضين هو الذي
لا حجة له فيما يريد والله اعلم وقوله عز وجل فالتقمه الحوت وهو مليم قال بعضهم هو مليم اي مذنب وقال بعضهم مليم من
الملامة انه كان يلوم نفسه فيما صنع من الخروج من بينهم بلا اذن من الله والله اعلم وقوله عز وجل فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون يحتمل قوله فلولا انه كان من المسبحين وقيل قبل ذلك من المصلين له والا للبث في بطنه الى ما ذكر

ولذلك قيل من عمل الله تعالى في حال الرخاء نفعه الله في ذلك في حال البلاء ورفعه اذا عثر والله اعلم قيل في الحكمة ان العمل
الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ والله اعلم ويحتمل كان من المسبحين اي صار من المسبحين في بطن الحوت
وهو قوله عز وجل فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه والله اعلم وقوله
عز وجل فنبذناه بالعراء وهو سقيم العراء قيل هي الارض العراء التي لا شجر فيها ولا نبت ولا كن وقال ابو عوسجة العراء الارض
التي لا ظل والمدحض المغلوب وهو مليم اي اتى امرا يلام عليه وقال القتبي العراء هي الارض التي لا يتوارى فيها بشجر وغيره كانه
من عري الشيء والله اعلم البعل الزوج وقوله عز وجل وهو سقيم ذكر ان الحوت لما نبذه بالعراء لم يكن به شعر ولا جلد ولا ظفر
ولا شيء سقيم من السقم وهو المرض اي مريض لما مسه نظر الحوت والله اعلم وقوله عز وجل وانبتنا عليه شجرة من يقطين
قال بعضهم هي شجرة القرع انبت عليه ليأكل منه ويستظل بها وقال بعضهم كل شجرة تنبسط على وجه الارض مما تنبسط اطرافه امتد اصله
وحد فهو يقطين من نحو البطيخ والقرع وغيرها والاشبه ان يكون شجرة القرع لانها اسرع الاشجار نبتا وامتدادا وارتفاعا
في السماء في مدة ووقت قريب والوصول الى الانتفاع بها اكلا واستظلالا بها ما لا يكون مثل ذلك في مثل تلك المدة من
الاشجار والله اعلم وعلى ذلك روي انه قيل يا رسول الله انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وهو مزيد في العقل فهذا
يدل ان ثبت انها كانت شجرة القرع والله اعلم ثم فيه لطف من الله عز وجل حيث انبت عليه شجرة في وقت لطيف لا ينبت مثلها
الا بعد مدة لطيفة ووقت مديد وابقى عليه الضعف وقتا طويلا مما يربح ذلك ويزول في وقت يسير في العرف ليذكره
ما انعم عليه ويقوم بشكره وهو كما ذكر في قصة صاحب موسى الحمار حيث قال عز وجل انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه
وانظر الى حمارك ابقى طعامه وشرابه وحفظه وقتا طويلا غير متغير مما طبعه التغير في وقت يسير وغير مما طبعه البقاء لطفا
منه فعلى ذلك انبت على يونس شجرة في وقت لطيف مما لا ينبت مثلها الا في وقت طويل وابقاء ذلك الضعف الذي
كان به والسقم مما سبيله الزوال والارتفاع في وقت يسير لطفا منه ليذكر ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون هذا يحتمل وجوها احدها ما ذكرنا ان حرف الاستفهام اذا اضيف الى الله فهو على التقدير والايجاب
ليس على حقيقة الاستفهام فعلى ذلك حرف الشك الى مائة الف بل يزيدون او نقول ويزيدون لما يتعالى عن الشك
والثاني قوله او يزيدون حتى يزيد كقوله عز وجل يقاتلونهم او يسلمون اي حتى يسلموا او كانه وقت ما بعثه اليهم كانوا
مائة الف ثم ازدادوا بعد ذلك والله اعلم والثالث يزيدون مائة الف او يزيدون عند الناس فمعناه ان من نظر
اليهم لا يظن دون مائة الف ولكن يظن مائة الف وزيادة والله اعلم فآمنوا فمتعناهم الى حين قيل امنوا به فلم
يهلكوا ولكن اخرهم الى وقت موت حتفهم وقال عز وجل في اية اخرى فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم
يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي اخبر هاهنا انه لم ينفع قوما ايمانهم عند معاينتهم العذاب الا قوم يونس و
كذا قال عز وجل في اية اخرى انه لم ينفع الايمان عند معاينة العذاب حيث قال عز وجل في اية اخرى فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا ثم لا يدرى انه انما يقبل ايمان قوم يونس لانهم امنوا عند خروج يونس عليه السلام من بين اظهرهم
قبل ان يقبل العذاب عليهم لما كانوا يعلمون ان الرسول متى ما خرج من بينهم بعدما اوعدهم بالعذاب ينزل بهم
لا محالة فآمنوا به فان يعاينوا او ان يكون العذاب قد اقبل عليهم فعاينوه عند معاينتهم فعند ذلك امنوا فان
كان الاول فهو ايمانهم انما امنوا به عند خروجه منهم فهو مستقيم قبل ايمانهم لانهم لم يؤمنوا عند معاينتهم العذاب
ولكن انما امنوا قبل ذلك وان كان الثاني فجائز ان يكون قبل ايمانهم ونفعهم ايمانهم وان عاينوا العذاب لما عرف
جل وعلا ان ايمانهم كان حقا وهم صادقون في ذلك محققون لم يكونوا رافعين العذاب عن انفسهم الا بايمان حقيقة
والله اعلم وقوله فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون الاستفتاء والسؤال يخرج على اربعة اوجه ان كان الاستفتاء
والسؤال ممن عليهم خبر لاهل الجهل يكون تقريرا وتنبيها اذا لم يكونوا اهل عناد واذا كانوا اهل عناد فهو تسفيه وتوبيخ
لهم واما كان الاستفتاء من جاهل مصدق طالب رشد تعليم خبر يكون استرشادا وطلب الصواب واذا كان من معاند
مكابر فهو يخرج على الاستهزاء به والسخرية كقولهم امطر علينا حجارة من السماء انما قال ذلك استهزاء بهم ثم ما ذكر
من الاستفتاء لهؤلاء انما يكون تسفيها منه لهم في قولهم لله عز وجل ولد والملائكة بنات الله سبحانه ونحوه من الفرية
العظيمة التي لا فرية اعظم منها ولا كذب اكبر منه لان درك الاشياء ومعرفتها انما يكون في الشاهد باحد وجوه ثلثة
احدها المشاهدة والثاني الخبر والثالث الاستدلال بما شاهدوا وعاينوا على ما غاب عنهم ثم معلوم عندهم اي عند
هؤلاء انهم لم يشاهدوا الله حتى عرفوا له الولد ولا كانوا يؤمنون بالرسل حتى يكون عندهم الخبر بما قالوا ونسبوا اليه
من الولد وغيره اذ الخبر انما يوصل اليه بالرسل وهم لا يؤمنون بهم ولا كانوا شاهدوا وما استدلوا على ما قالوا فيه
ونسبوا اليه حتى دلهم ذلك على ذلك فسفههم في قولهم الذي قالوا فيه وما نسبوا اليه انهم كذبة في ذلك الى اسباب العلم
بالاشياء ما ذكرنا ولم يكن لهم شيء من ذلك ولذلك قال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقاله
عز وجل اصطفى البنات على البنين يقول اختار لنفسه ما يقول امر عنه وينسبون اليه ما لا تستنكفون انتم عنه بسفههم

في قولهم ونسبتهم الى الله ما قالوا فيه ونسبوها اليه الى اخر ما ذكر والله اعلم وفيه تصبير رسول الله على اذاهم وتركهم و
الايمان والاتباع لانهم علمهم انه خالقهم ورازقهم وقديم الاحسان اليهم قالوا فيه ما قالوا وقوله عز وجل ما لكم كيف تحكمون
يحتمل قوله ما لكم كيف تحكمون اي ما لكم تحكمون بلا حجة ولا علم وقوله افلا تذكرون ان هذا الحكم جور وظلم عظيم كقوله عز
وجل تلك اذا قسمة ضيزى وقوله عز وجل ام لكم سلطان مبين اي لكم حجة وبيان على ما تزعمون وتقولون في الله سبحانه
وقوله فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين اي ائتوا بكتاب من عند الله فيه ما تذكرون من الولد وغيره وقوله وجعلوا بينه و
بين الجنة نسبا قال عامة اهل التاويل ان الجنة هم الملائكة لقولهم اولئك الكفرة ان الملائكة بنات الله وما قالوا في قوله
ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي علمت الجن الذي وصفوا له نسبا انهم لمحضرون النار وعذاب الله ويحاسبون على قول مجاهد
وغيره والذين اولئك على الاتباع انهم ملائكة الله والله اعلم وقوله عز وجل سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين
قوله سبحان الله نزه نفسه عما وصفوه الذي تقدم ذكرهم وتبرأ عن جميع ما قالوا فيه ثم استثنى عز وجل الا عباد الله
المخلصين ولسنا ندري ما موضع الثنيا هاهنا على اثر ما ذكر من التنزيه لنفسه يحتمل الاستثناء وجهين احدهما
سبحان الله عما يصفون اولئك الكفرة من الولد وغيره الا عباد الله المخلصين والثاني سبحان الله عما يصفون
اي من اخلص منهم وامن فانه غير بريء مما يصفه لما يجوز ان يسلم منهم فتى فيصفونه بما يليق به لان المؤمن والمخلص
لا يصف ربه الا بما يليق به والله اعلم وقال بعضهم الا عباد الله المخلصين استثنى من قوله ولقد علمت الجن انهم لمحضرون
للناس سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانهم لا يحضرون النار والعذاب على ما سبق استثناء هؤلاء
الذين اخلصوا ممن يحضر فيما تقدم والله اعلم وهو على التقديم والتاخير وقوله عز وجل فانكم وما تعبدون ما انتم عليه
بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول والله اعلم انكم وما تعبدون لا يملكون بفتنتهم وانه يضلونهم الا من هو في علم
الله انه يختار الضلالة لما يصليه النار وعلى حق المعونة لهم لا حقيقة الاضلال وهو ما ذكر عز وجل في اية اخرى ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وما اخبر انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والله اعلم وقال بعضهم من قوله عز وجل الا من هو صال الجحيم الا من كتب عليه
في اللوح انه يصلى الجحيم وقال بعضهم الا من رضي الله عليه انه يصلى النار واصله ما ذكرنا والله اعلم وما تعبدون الجن
الذين عبدوا الجن او الملائكة ويحتمل الاصنام التي عبدت اذ قد ينسب اليهن الاضلال لقوله رب انهن اضللن كثيرا
من الناس والله اعلم وقوله عز وجل وما منا الا له مقام معلوم يحتمل هذا ان اعني الملائكة وجهين احدهما قالوا ذلك
تنزيها لانفسهم عن ان يامروا بالعبادة لهم اي لم نتفرغ نحن بعبادة هؤلاء طرفة عين فكيف نامر هؤلاء بعبادتنا كقوله
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم اي الجن في الطلب ولا شك فكيف نتفرغ لذلك او ان يقولوا ان ولا تبك والثاني
شغلتنا عن جميع ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ما انتم بمضلين احدا من عبادي ما لكم هذا الذي يعبدون الا من
دونكم يعني اهل النار وذكر عن عمر بن عبد العزيز عن الحسن ايضا انهما قالا في قوله عز وجل ما انتم عليه بفاتنين الا
من هو صال الجحيم يقول ما انتم بمضلين بالملكم احدا الا من قدر انه يصلى الجحيم وهو قريب ما ذكر والله اعلم الا له مقام معلوم
يحتمل مكان معلوم محدود لا يبرح منه ولا يفارق ويحتمل مقام معلوم اي عبادة معلومة نحو ما ذكر حكيم بن حزام قال بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ما نحن فيه ولكن امر اخر والله اعلم ثم قوله الا عباد الله المخلصين نصب اللام على ظاهر
ما قالوا ان يكون من المخلصين بكسر اللام اي لو كان كنا نحن نخلص له التوحيد والعبادة لكن المخلص ان يخلصنا الله
لو كان كذا والله اعلم ثم اخبر انهم كفروا بما اتاهم البيان وان اولئك المتقدمين انما اهلكوا لما ذكر محمد عليه الصلوة والسلام
لكنهم عاندوه وكابروه وكفروا به وقوله عز وجل فكفروا به فسوف يعلمون علم عيان ومشاهدة اذ عرفوا علم خبر بالحجة والا
والله اعلم وقوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون اختلف فيه قال بعضهم ان الرسل
عليهم السلام كانوا منصورين لم يبلغ رسول قط فانما قتل الانبياء والرسل المرسلين الذين يبلغون رسالة الرسل
الى قومهم ويخبرون عنهم فاما الرسل انفسهم فهم لم يقتلوا ولا قتل احد منهم عصمهم الله تعالى عن الناس وعما
هواهم وقال بعضهم انهم منصورون لما نصر العاقبة لهم اذ لم يكن رسول الا وقد كانت العاقبة له وان غلب في
الاخرة ابتداء وقال بعضهم انهم لهم المنصورون بالحجج والايات والبراهين انهم يغلبون بحججهم وبيانهم ويرفعون
بها الشبه والتمويهات والله اعلم ويستدل صاحب التاويل بقوله عز وجل وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير وفي
بعض القراءات قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا اخبر انهم وان قتلوا
فانهم لم يهنوا ولم يضعفوا ثم قال عز وجل وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ثم اخبر انه اتاهم الله ذلك حيث قال فاتاهم كذا والله اعلم دل وان غلبوا وقتلوا
فهم المنصورون ذكر انهم لهم بحرفين ومعناهما واحد على التاكيد كقوله عز وجل وانا لنحن الصافون وقوله في انا
الله وان كان الواحد كما في قوله عز وجل وان جندنا لهم الغالبون اي رسلنا او اتباعنا واولياؤنا هم الغالبون على

ماذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فتول عنهم حتى حين اى لاتكافئهم باذاهم الى ذلك الحين او لا تقابلهم فكيف ماكان ففيه
وجهان من الدليل احدهما دليل على رسالته حيث اخبرانهم يكونون على الكفر الى الحين الذى ذكر ويهلكون على ذلك حيث قال
فتول عنهم حتى حين والثانى فيه دليل حفظه اياه وعصمته كما كانوا يهمون به من القتل والاهلاك حيث قال منعه من قتالهم
ونهاه عن التعرض لهم الى وقت على المعلوم ماكان منهم من الهم بقتله واهلاكه لوحده والسبيل اليه فدل ان الله
عز وجل قد عصمه وحفظه عنهم حين قال لهم ما قال حيث قال عز وجل وابصرهم فسوف يبصرون كقوله فكيدونى
جميعا ثم لاتنظرون وقوله عز وجل وابصرهم فسوف يبصرون عيانا ومشاهدة وقال بعضهم وابصرهم العذاب اذا انزل بهم
خبر فسوف يبصرون وقوعا ويحتمل قوله وابصرهم اى عرفهم ان العذاب ينزل بهم فسوف يعرفون اذا انزل بهم وقوله عز وجل
افبعذابنا يستعجلون دل هذا انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب بهم والله اعلم انما يستعجلون العذاب استهزاء بالرسل
عليه السلام وتكذيبا له فيما يوعدهم ان العذاب ينزل بهم ثم قوله عز وجل افبعذابنا يستعجلون هو حرف التعجب كيف
عذابى لم يعرفوا قدرى وسلطانى فى انزال العذاب والاهلاك اذا اردت تعذيب قوم واهلاكهم اى قدرت ذلك
وملكت عليه ثم اخبرانه اذا انزل العذاب بساحتهم ساء صباحهم حيث قال عز وجل فاذا نزل بساحتهم فساء
صباح المنذرين ثم قوله عز وجل فاذا نزل بساحتهم يحتمل النزول بالساحة اى نفرهم ويحتمل النزول بالساحة
النزول بهم والوقوع عليهم كقوله عز وجل ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتى
وعد الله فى نزوله بهم والله اعلم يحتمل نزوله بساحتهم ماذكرنا من نزوله بقربهم او نزوله بهم ووقوعه عليهم ثم
قوله عز وجل فساء صباح المنذرين ساء صباحهم لان ذلك العذاب اذا حل بهم صيرهم معذبين فى النار ابدا الابدين
والله اعلم وقوله عز وجل وتول عنهم حتى هذا قد ذكرنا فيما تقدم وكذلك قوله عز وجل وابصر فسوف يبصرون ويقول
بعضهم اى ابصر فسوف ينظرون لكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين فى هذه الاحرف الثلث جميع ما بينه من الخلق على الخلق من التوحيد وجميع ما عليهم من التفويض اليه فى
الامور كلها وجميع ما عليهم من الثناء الحسن والحمد له فيما انعم عليهم وما الزمهم من الثناء الحسن على جميع المرسلين اما حرف
التوحيد فهو قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون نزه نفسه وبرأ عن جميع ما قالت الملاحدة فيه مما لايليق به من الولد
والشريك والصاحبة وغير ذلك فيرجى ان يثاب قائل هذا ثواب كل واصف لله عز وجل بالبراءة له والتنزيه عن
ذلك كله وفى قوله عز وجل رب العزة وصف بالعز والقوة وتفويض الامر اليه فيرجى ان يثاب قائل هذا ثواب كل
واصف لله بالعزة والقوة واما الثناء الحسن على المرسلين فهو قوله عز وجل وسلام على المرسلين امر الله عز وجل
عباده ان يثنوا على المرسلين جملة وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمتم على فسلموا على اخوانى
المرسلين فانما انا رسول من المرسلين اما الثناء الحسن على الله بكل ما انعم عليهم واحسن اليهم فهو قوله عز وجل والحمد لله
رب العالمين فيرجى ان يثاب قائل هذا وثانيه على المعرفة به مما فيه ثواب جميع القائلين به والثانين والله اعلم وذكر عن على
ابن ابى طالب رضى الله عنه قال الحسنا ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله اعلم ورب العزة قال بعضهم هو رب المنعة والقوة
ويحتمل رب العزة اى به يتعزز كل من يتعزز ويرجع اليه كل عزيز وكذلك كل من حمد واثنى على شىء فحقيقة ذلك الحمد والثناء
راجع اليه تعالى والله اعلم بحقيقة مراده

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ص والقرآن ذى الذكر قال بعضهم ص انما هو اسم تلك
السورة التى ذكر وكذلك قوله ق والقرآن وكذلك جميع حروف المقطعات ولله ان يسمى ما شاء بما شاء وباى اسم شاء
وقال بعضهم انما هو اسماء الرب تبارك وتعالى وقال بعضهم انما هو فواتح السورة وقد ذكرنا ان يفسره ماذكر على انه و
قد ذكرنا فى غير موضع ما قيل فى الحروف المقطعة وقال بعضهم صاد اى عارض بالقرآن قال ابو عبيدة صاد من المصاداة
وقال الزجاج صاد بالقرآن اى مايل به وحادث بالقرآن وقال بعضهم صاد بالقرآن اى باد بالقرآن وقيل اقبل بالقرآن
ونحوه والله اعلم وقال بعضهم هو قسم اقسم بقوله والقرآن وقوله عز وجل ذى الذكر يحتمل ذى الشرف سماه ذكرا
لان كل شريف يذكر فى كل ملاء من الخلق او سماه ذكرا لما يذكرهم كل ما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يتقى والله اعلم قال
بعضهم ذى البيان وقوله عز وجل بل الذين كفروا فى عزة وشقاق ذكر ان ابا طالب كان مريضا فجاء النبى صلى الله عليه وسلم
يعوده وعند راسه مقعد رجل فقام ابو جهل يجلس فيه وعنده ملاء من قريش فشكوا النبى صلى الله عليه وسلم
الى ابى طالب فقالوا انه يقع فى الهتنا قال يا ابن اخى ما تريد منهم قال يا عم انى اريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب
وتؤدى اليهم بها العجم الجزية قال وما هى قال لا اله الا الله فقال ابو جهل اجعل الالهة الها واحدا بذلك اخبرهم
بالعزة التى ذكر حيث قال بل الذين كفروا فى عزة وشقاق وقوله عز وجل فى عزة قال بعضهم منعة معاندين ممتنعين

وقال بعضهم فى عزة فى حمية ولعظمة والحمية هى التى تحمل على الخلاف والمعصية والله اعلم ثم اختلف فى موضع القسم ههنا
قال بعضهم القسم فى قوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص قيل فى قوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن
بوجهين احدهما ان هذا فى كل كافر ومشرك ينادى عند موته وهلاكه ويسال رب الرجوع والعود الى الدنيا من كقوله
رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا وكقوله فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب الاية ونحوه لكن لاينفع ذلك النداء
والغوث ويسال التاخير على ما اخبر انه اذا جاء اجلهم لايستاخرون ساعة ولايستقدمون ومنهم من يقول هذا فى الجملة فى
الامم التى من قبل واستوصلت بالتكذيب والعناد كانوا ينادون عند نزول ذلك بهم ووقوعه عليهم ويسئلون الغوث
ويظهرون الايمان كقوله عز وجل لما راوا قالوا امنا بالله وحده لكن لاينفعهم فى ايمانهم فى ذلك الوقت على ما اخبر الله
عز وجل لانه ايمان دفع العذاب واضطرار لا ايمان اختيار ويخوف فهذا اهل مكة ان نزل بهم مثل ما نزل باولئك ويندمون
على صنيعهم كما ندم اولئك والله اعلم ثم قوله عز وجل ولات حين مناص هو فى الاصل ولاه فانا وصل بحين صارت و
هو ولات كانه يمين اى والله وهو قول الكسائى وقال بعضهم هو ولا وليس هنالك ياء وانما التاء فى حين اى
تحين وربما يزاد التاء فى حين والات ونحوه وقال بعضهم ولات بالياء وقد قرئ بالتاء والوقف عليهما قوله حين
مناص وابن عباس رضى الله عنه يقول ليس بحين ددد ولا فرار وقال بعضهم ليس بحين معاث وقيل ليس بحين
جزع والله اعلم وقوله عز وجل بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم يحتمل هذا وجهين احدهما عجبوا ان جاءهم منذر منهم
اى من بشر مثلهم كقوله عز وجل هل هذا الا بشر مثلكم وقوله عز وجل ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
وقولهم ابعث الله بشرا رسولا كانوا ينكرون الرسالة فى البشر ويقولون لولا انزل علينا الملائكة والثانى بل
عجبوا ان جاءهم منذر منهم اى من دونهم فى امر الدنيا لما راوا انفسهم قد فضلوا فى امر الدنيا دونه فقال انزل عليه الذكر
من بيننا وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم لم يروا من دونهم فى امر الدنيا على ماذكر والله اعلم وقوله
عز وجل وقال الكافرون هذا ساحر كذاب دل هذا القول منهم انه قد كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
معجزة الى بها حتى قالوا ساحر كذاب علموا انه رسول الله لكنهم عاندوا وارادوا بقولهم ساحر كذاب ان ينفروا
اتباعهم عنه كما اغرى فرعون قومه على موسى عليه السلام حين قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وعليه
السلام لم يرد ان يخرجهم من ارضهم انما يريد الاسلام منهم فعلى ذلك هؤلاء الرؤساء عرفوا انه ليس بساحر ولكنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ارادوا ان يغروا قومهم واتباعهم عليه وليسوا امرهم عليهم لئلا يتبعوه
وكذلك قوله عز وجل اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب هذا القول من الرؤساء والمتبوعين منهم اغراء
عليه لما عرفوا من حب عبادة الاصنام والاوثان فى قلوبهم فقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب
وقوله عز وجل وانطلق الملاء منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم اختلف فى قوله ان امشوا قال بعضهم ان الملاء
منهم والاتباع اتوا ابا طالب يشكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر الهتهم بسوء فلما كلموه فى ذلك لم يلتفت
امرهم فيما طمعوا منه ولم يجبهم الى ما دعوه اليه وسالوه فقال الملاء وهم اشرافهم للاتباع امشوا من عنده واصبروا
على عبادة الهتكم او ان يقال ان قال الملاء للاتباع ان امشوا الى الهتكم واصبروا على عبادتها او ان يكون قولهم
ان امشوا الى ابى طالب وقولوا له كذا واصبروا على كذا ويقولون امشوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم
وقوله عز وجل ان هذا لشىء يراد ولسنا ندرى ما ارادوا بقولهم ان هذا لشىء يراد فجائز ان يكونوا ارادوا بذلك ان
محمدا صلى الله عليه وسلم وان دعاكم الى ترك عبادة الاصنام لاتترككم كذلك ولكن يدعوكم الى عبادة غيره ويطلب منكم
اشياء ارادوا ولسنا نعرف ذلك ما بذلك والله اعلم وقوله عز وجل ما سمعنا بهذا فى الملة
الاخرة قال بعضهم الملة الاخرة هى ملة عيسى عليه السلام قالوا ذلك لان النصارى اختلفوا فى عيسى عليه السلام
منهم من اتخذه الها ومنهم من اتخذه ولدا لله عز وجل فيتركون عبادة الواحد الذى يدعوا اليه محمد صلى الله عليه وسلم
فى الملة الاخرة وهى النصرانية اذ من صيره الها عنده ومن قال انه ولد صيره بحيث يحتمل الشريك فيقولون ظهرت
عبادة العدد فى الملة الاخرة فكيف يمنعنا محمد عليه السلام عن عبادة العدد ويدعونا الى عبادة الواحد فقال
بعضهم فى قوله فى الملة الاخرة هى الحال التى كانوا عليها يقولون ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة التى نحن عليها وكان
اباؤنا عليها لا على عبادة الواحد يقولون ان هذا الاختلاق من عند محمد صلى الله عليه وسلم عز وجل انزل عليه الذكر
من بيننا يدل على انهم قد رأوا ان من انزل عليه الذكر من السماء انما ينزل الفضل وخصوصية لكن انما رأوا الفضل
والخصوصية لانفسهم لما لهم الفضل فى الدنيا فلم يروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك انكروا انكار
الذكر عليه دونهم ولذلك قالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله انزل عليه الذكر من بيننا ثم
اخبر عز وجل انهم شاكون فى ذكره حيث قال بل هم فى شك من ذكرى وقال بل هذا والله اعلم ان الشك هو الذى
لا يوجب القطع بشىء بل يوجب التوقف فبطل القطع على شىء فكيف قطعتم على الرد والانكار دون ان يقفوا فيه

والله اعلم وقوله عز وجل بل لما يذوقوا عذاب ثم يحتمل ان يكون هذا على الاخبار عن الاياس من ايمانهم انهم لا يذوقو(ن)
حتى يذوقوا العذاب كقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم
وقال مقاتل اللام زائدة كانه قال بل هم في شك من ذكري بل لم يذوقوا عذابي يذكر سفههم في ردهم الذكر
وتكذيبهم اياه على الشك منهم والشك يوجب الوقف في الشيء لا القطع في الرد والتكذيب لم ثم فيه الدلالة
على ان الحجج والبراهين قد يلزم من جهلها ولم يتحقق عنده اذا كانت بسبيل التحقق لها او الوقوف عليها بالتامل
والنظر فيها وان كانت لم يتحقق بالبديهة وعند فرقها سمعة فوجهة لقول علمائنا ان من اسلم في دار الاسلام
ولم يعلم ان عليه شرايع واحكام كان ماخوذا بها لما مر بعد ورد في جهله بها لانها بسبيل ما يوصل اليها بالسؤال
والبحث عنها والفحص منها والله اعلم وقوله عز وجل ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب قد ذكرنا فيما
تقدم ان حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج على الايجاب والالزام مما لو كان ذلك من سفههم حقيقة يتضمن
الجواب له فقوله عز وجل ام عندهم خزائن رحمة ربك جواب كقولهم انزل عليه الذكر من بيننا فجوابهم ليس
عندهم رحمة ربك حتى يختاروا الرسالة والنبوة لانفسهم او لمن ساءوهم كقولهم لولا نزل عليه الذكر من بيننا
هذا القران على رجل من القريتين عظيم كانوا لا يرون وضع الرسالة الا فيمن كانت له اموال وله سعة في الدنيا
وفضل ومال فذكر ان عندهم خزائن ربك حتى يجعلوا الرسالة والنبوة فيما شاءوا واختاروا لذلك قال الله عز وجل
ام يقسمون رحمة ربك اي لا يملكون قسمة رحمة ربك بل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا الاية يخبر انهم على
ما لا يملكون توسيع المعيشة على من ضيق عليه ورفع من وضع فعلى ذلك ليس اليهم اختيار النبوة والرسالة لمن شاءوا
واختاروا بل اختيار ذلك الى الله عز وجل فقالوا اذ كنا احق بهذا في الدنيا فنحن ايضا احق بالرسالة والنبوة على ما كنا
احق في الدنيا بالسعة والفضل فيها بل لو عرفوا ان ما نالوا من السعة في الدنيا وفضل الاموال انما نالوا بذلك
رحمة الله وفضله لا بحق كان لهم على الله فلو عرفوا كانوا لا ينكرون وضع الرسالة فيمن اختار الله عز وجل وضعها
فيمن شاء وعلى ذلك قول المعتزلة انهم لا يريدون ان يفعل باحد شيئا الا ما هو اصلح له في الدين وانه لو فعل ما ليس
باصلح له في الدين لكان جائرا ظالما فيرون حفظ الاصلح له حقا كما راى اولئك الكفرة السعة والاموال حقا على الله
فراوا انفسهم احق ايضا بالرسالة والنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان المعتزلة يقولون في الم الصغار
ان ليس لله ان يولمهم الا بعوض يجعل لهم بازاء ذلك الالم عوضا يرضونهم بذلك اذ جعلوا انفسهم لم حقيقة
حيث لم يجعل الله الايلام الا بالعوض ومن احد الا حقا لغير لا ياخذه الا ببدل وعوض برضاء ذلك الغير فهذا بنا بعض
في قولهم ان على الله حفظ الاصلح للخلق في دينهم حيث لم يجعلوا له ذلك الا بعوض يجعل لهم والله اعلم وذلك
ودل اتساق القول انه وهاب على ان ما ينال من خير وسعة او فضل انما ينال برحمة وفضل لا بحق عليه لان من
ادى حقا عليه لا يقال انه هاب ولا يسمى وهابا على ما اعطى من اعطى انما اعطاه تفضلا منه ورحمة لا حقا
كان عليه وقوله عز وجل ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما هو مثل الاول اي لهم ملك السموات والارض فيملكوا
ما شاءوا من الامور ويختاروا وضع الرسالة فيمن شاءوا فهم اي ليس لهم ملك السموات والارض فيملكوا ما ذكر
ويختارون قالوا بلى نملك ذلك وادعوا ذلك فعند ذلك يقال فليرتقوا في الاسباب ثم اختلف في الاسباب التي ذكر
قال بعضهم السبب ما بين السماء والارض وكذلك ما بين كل سماء سبب والاسباب جماعة وقال بعضهم الاسباب
طرق السماء وقال بعضهم هي الابواب التي في السماء يفتح للوحي ومعناه والله اعلم اي فليرتقوا في الاسباب ان كانوا
صادقين بان محمدا صلى الله عليه وسلم كذا وانه ساحر وانه اختلقه من تلقاء نفسه اي يفتح له ابواب السماء فيستمع
الى الوحي حتى يوحى عز وجل الى النبي صلى الله عليه وسلم لقولهم ان هذا الا اختلاق ارادوا ان يكون والله اعلم ان يرتقوا ملكا فينزل
فيخبر ان محمدا صلى الله عليه وسلم كاذب فيما يدعي لقولهم ان لا انزل اليه فيكون معه نذيرا والله اعلم وقوله عز وجل
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب قال بعضهم حرف ما هنالك صلة كانه قال عز وجل جند هنالك مهزوم
من الاحزاب وجائز ان يكون على تحقيق ما فيه اي جند ما يهزم هنالك من الاحزاب لا كل الاجناد وهو الجند الذي
خرجوا عليه بالمناهلة وهم الذين قالوا اللهم انصر اهدانا واوصل رحما وانفع مالا واخير للخلق فغلبوهم وقهروا
وقال عامة اهل التاويل هو الجند الذي قتل يوم بدر والله اعلم ثم في الاية وجوه ثلثة من الدلالة احدها الامن
له من ان يصلوا الى قتله واهلاكه على الاحاد والافراد كقوله عز وجل فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وفيه
الامن له عن ان يصلوا الى قتله واهلاكه على الجمع والاجتماع عليه كقوله عز وجل انهم يهزمون جميعا وفيه
بشارة له انهم يهزمون في ضعفه وقلة اعوانه وانصاره مع كثرة اولئك وعدتهم ففي الوجوه الثلثة
التي ذكرنا دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بما ذكر فكان على ما اخبر دل انه بالله تعالى عرف ذلك
صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب حين تحزبوا عليه قال بعضهم

انه ساحر وقال بعضهم انه كذاب وانه مفتري وانه مجنون على ما تحزبوا عليه وتفرقت قلوبهم فيه وتلونت والله اعلم وقوله
عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الى قوله اولئك الاحزاب اي الفرق وقوله ان كل الا كذب الرسل فحق
عقاب يذكر هؤلاء الاحزاب الذين كانوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرهم عن صنيعهم ومعاملتهم الرسل لوجهين
احدهما كيفية معاملة الرسل عليهم السلام اولئك الكفرة مع تكذيبهم اياهم وسوء معاملتهم وصنيعهم مع الرسل و
انواع البلايا التي كانت منهم انبيهم انه كيف تاملوهم وصبروا على اذاهم ليعامل هو قومه مثل معاملتهم قومهم ويصبر
على اذاهم كما صبروا وذلك على اذى قومهم وسوء صنيعهم كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثاني يذكر
هذا لاهل مكة ويحذرهم ما نزل بالامم المتقدمة بتكذيبهم الرسل وعنادهم وتمردهم معهم ليحذروا تكذيبهم محمدا صلى الله
عليه وسلم وان لا يعاملوه كما عامل اولئك رسلهم عليهم السلام فينزل بهم كما نزل باولئك من العذاب والاهلاك وقوله
فحق عقاب قال بعضهم اي وجب عليهم عقابي كقوله عز وجل فحق عقاب اي نزل بهم العقاب ووقع عليهم والاكاب
العذاب واجبا على الكفار وقوله عز وجل وفرعون ذو الاوتاد قال بعضهم ان فرعون كان اذا غضب على احد من قومه مده
بالاوتاد فيما فيه بها ويعذبه والله اعلم وقال بعضهم فرعون ذو الاوتاد اي ذو البناء المحكم وقال بعضهم كانت لهم
اوتاد وارسان اي حبال وملاعب يلاعبون بها والله اعلم وقوله عز وجل وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها
من فواق عز وجل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيسه عن ايمانهم انهم لا يؤمنون الا عند وقوع العذاب بهم حتى لا
ينفعهم ايمانهم كقوله عز وجل ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم ثم قوله
عز وجل الا صيحة واحدة يحتمل ان يكون سمى نفس العذاب صيحة وجائز ان يكون ذكر صيحة لما ان العذاب اذا نزل بهم ووقع
عليهم يصيحون فسمى ذلك صيحة لصياحهم او ان يكون ذلك اذا نزل بهم كان فيه صياح وصوت لشيء الهائل قال ابو عبيد
العظيم الشديد اذا هو نزل ووقع وما لا الى الارض كان فيه صياح وصوت حتى يفزع الناس منه فعلى ذلك الصيحة التي
ذكر يحتمل ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ما لها من فواق قال ابو عبيدة من فتحها اراد ما لها من راحة ولا افاقة
كانه ذهب الى افاقة المريض من علته ومن ضمها جعلها من فواق الناقة وهو ما بين الحلبتين ويريد ما لها من فواق
انتظار ومكث قال ابو عبيدة والقتبي ما لها من فواق اي من انقطاع او هي دائمة ابدا لا ينقطع وقال الكسائي
الفواق بالنصب والرفع لغتان وهو من فوق الناقة بين الحلبتين والرضعتين وقال عامة اهل التاويل ما لها
من فواق اي من مرد ومرجع وقرار وقال بعضهم هو من البصرة يقول هي اقرب من ذلك كقوله عز وجل وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب والله اعلم واصل الفواق كانه من العود والرجوع كقولك اللبن الضرع بعد ما حلب مرة و
الله اعلم ذكر عن الحسن من قوله عز وجل ص والقران ذي الذكر يقول حادث القران بقلبك وهو من قول العرب صاد
الدابة اذا كانت صعبة قاطعتها حتى ذلت ولانت وقال ابو عبيدة ص هو اشد كلام وهو شبه قسم قال والصاد
وفي غير هذا الموضع العطشان وقوم صادون ثم اختلف في موضع القسم على ما ذكر قال الكسائي من القسم في القران
ما هو ظاهر لا يخفى ومنه غامض فمن ظاهره قوله عز وجل فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وجوابه قوله انه لقول
رسول كريم ومن غامضه ص قال بعض الناس موضع قسمه قوله عز وجل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار والله اعلم
لا انه مستطال الكلام وخاصة القصص ما لا يكون ذلك قسمة ولكن قسمه والله اعلم عندي ص والقران ذي الذكر
ثم اعترض بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا كم اهلكنا القسم ههنا كم اهلكنا ولكن لما اعترض بل الذين
كفروا صار قوله ردا عليه وجوابا له وهو غريب لطيف غامض وقوله عز وجل ذي الذكر قال بعضهم ذي الشرف
اي من اوتيه شرف وقيل ذي البيان وقيل ذي الذكر فيه ذكر ما يؤتى وما ينبغي وذكر من كان قبله من الامم
الخالية وقوله عز وجل في عزة وشقاق قيل في تكبر وتكذيب وقيل في حمية وخلاف وقيل في غفلة ونحوه وقوله عز
وجل فنادوا ولات حين مناص قال بعضهم اي هربهم في غير وقت الهرب ومناص مهرب وناص ينوص نوصا وهو التقدم
والفوت وقال القتبي ولات حين مناص اي لا حين هرب على ما قال ابو عبيدة وقال النوص التاخر في الكلام و
النوص التقدم واصله ما ذكرنا ان ذلك الوقت ليس هو وقت الهرب ولا وقت النجاء ولا وقت الغوث على ما
يغره وقوله عز وجل ان هذا لشيء عجاب قال بعضهم عجاب بلغة قوم عجيب وقال الكسائي العجاب والعجاب والعجيب والعجب
كلها لغات واحدة وقال ابو عبيدة هو تكثير للعجب كما يقال كبار وكبار وقوله عز وجل وانطلق الملأ منهم ان امشوا
منهم وقال للاتباع على ما ذكرنا ان امشوا واصبروا على الهتكم قال بعضهم قوله ان امشوا الى ابي طالب وابنوا على عبادة
الهتكم ان هذا قال بعضهم بقبول اسلام وذلك كان حين اسلم عمر رضي الله عنه بشيء اي لامر يراد فمشوا الى ابي
طالب وقال له ما ذكرنا فيما تقدم والقصة طويل وقال بعضهم ان امشوا اي امضوا وارجعوا الى عبادة الهتكم و
اصبروا عليها وقال بعضهم قوله ان امشوا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصبروا على عبادة الهتكم ان هذا لشيء يراد
باهل مكة والله اعلم وقوله ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة يعنون عبادة اله واحد وترك عبادة الالهة في الملة الاخرة

قال عامة اهل التاويل الملة الاخرة النصرانية واليهودية كلها وقال بعضهم يعنون الملة الاخرة الملة التى هم عليها و
اناؤهم يقولون ما سمعنا عبادة اله واحد وترك عبادة الالهة فى الذين نحن واباؤنا عليه ان هذا الا اختلاق من نفسه
وقالوا انزل عليه الذكر من بيننا يعنون النبوة والكتاب والوحى وهو افقرنا واصغرنا ونحن اكثر شيئا واعظم شرفا
يقول الله عز وجل بل هم فى شك من ذكرى لانه لم ينزل عليه لما يذوقوا عذاب وهو قول مقاتل ثم قال ام عندهم خزائن
رحمة ربك اى يحتمل نعمة ربك اى بايديهم مفاتيح الرحمة والنبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤا اى ليست تلك
بايديهم ولكنها بيد الله العزيز فى ملكه الوهاب يهب النبوة والرسالة لمن يشاء ويضعها فيمن يشاء ثم قال عز وجل ام
لهم ملك السموات والارض وما بينهما اى ليس لهم ذلك ولكن عز وجل فيوحى الرسالة الى من يشاء ويجتبا رجالا من يشاء
ثم قال فليرتقوا فى الاسباب اى الاسباب اى الابواب التى فى السماء وان كانوا صادقين بان محمدا صلى الله عليه وسلم
اختلقه من تلقاء نفسه اى فليستمعوا الى الوحى حين يوحى الله الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم يقول اولئك وقال بعضهم
السبب ما بين السماء والارض اصلب من الحديد ادق من الشعر يعرج به الملائكة وهو المعراج ببصرة الميت اذا خرجت روحه
وقال بعضهم فليرتقوا اى فليصعدوا فى طرقها فيعلموا علم ذلك انزل عليه الذكر او لم ينزل والله اعلم والارتقاء الصعود
او ان يقول ارتقوا انهم السبب الذى ادعى محمد صلى الله عليه وسلم وانزلوا مثل الذى اتى به محمد انه ليس برسول او ان تقولوا انتم
انتم بالذى اتى به محمد صلى الله عليه وسلم من الذين والاسباب حتى تختصوا بالنبوة والرسالة كما اختص محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله عز وجل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب قال وعد الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انه سيهزم جند المشركين فقال
عامة اهل التاويل جاء تاويلها يوم بدر وقد ذكرنا تاويله فيما تقدم والله اعلم والاحزاب هم الذين يحزبون عليه اى تفرقوا
وقوله عز وجل وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اختلف فيه قال بعضهم عجل لنا قطنا اى كتابنا وذلك ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان يوعدهم انهم يؤتون كتابهم بشمالهم فيه اعمالهم التى عملوها فى الدنيا فى الاخرة فعند ذلك قالوا
لا تعجل لنا قطنا اى كتابنا الذى يوعدنا انه يعطى بشمالنا قالوا ذلك استهزاء بهم وتكذيبا له وقال بعضهم عجل لنا
قطنا اى نصيبنا وحظنا من العذاب الذى توعدنا به ويجدنا يوم الحساب قالوا ذلك استهزاء بهم وتكذيبا له ولذلك قال له
على اثر ذلك اصبر على ما تقولون تصبيره وتعزية على ما يقولون ليصبر على ذلك والله اعلم وجائز ان يكون قوله عز وجل عجل لنا
قطنا ليس على سؤال العذاب والكتاب الذى حمله عامة اهل التاويل عليه ولكن سؤال السعة والنصيب فى الدنيا
ويكون ذلك فى قوم لا يؤمنون بالاخرة سألوا ما وعدوا من النعيم فى الاخرة والسعة فى الدنيا وذلك اشبه لانهم
سألوا ربهم ان يعجل ذلك لهم فلو كان على ما يحمله اهل التاويل من سؤال العذاب والكتاب على الاستهزاء بالرسول
والتكذيب له سألوا الرسول ذلك ولم يسألوا ربهم ذلك فدل ذلك على انه اشبه واقرب والله اعلم ويكون
ذلك قول سعيد بن جبير قال ذكرت لهم الجنة فاشتهوا ما فيها فقالوا ربنا عجل لنا قطنا اى نصيبنا من الجنة وقوله
عز وجل اصبر على ما يقولون على ما تقدم من قولهم انه ساحر وانه كذاب وانه اختلق هذا القران من ذات نفسه ونحوه يؤيد
وقوله عز وجل واذكر عبدنا داود يحتمل قوله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم واذكر عبادنا داود وجوه احدها
ان اذكر نبا داود ونبا من ذكر فى هذه السورة من قوله واذكر عبدنا ايوب وعبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب ومن
ذكرهم عليهم السلام وعلى محمد فى هذه السورة اى اذكر نباهم الذى لم يكن لتعرف انت ولا قومك من قبل هذا لعلهم
يصدقونك ويؤمنون بك كقوله عز وجل تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين والثانى فى قوله عز وجل واذكر عبدنا داود اى اذكر صبر هؤلاء على اذى قومهم وتكذيبهم
اياهم لتصبر على اذى قومك وتكذيبهم اياك كما صبروا ولذلك كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثالث
اذكر داود ومن ذكر من الانبياء اى اذكر لهم المصدقين وما يكون لهم من الكرامات والثواب كما ذكرت لهم المكذبين
وما نزل بهم من العذاب لعلهم يرجعون ويصدقونك ليعلموا من نجا منهم بم نجا ومن هلك منهم بم هلك او ليعلموا
فى ان اوليهم المصدقين لهم والمومنين فكيف اتبعتم المكذبين منهم دون المصدقين والله اعلم ويحتمل قوله
عز وجل واذكر عبدنا اى اذكر جهد داود وجهد من ذكر هؤلاء فى العبادة والدين وامثال ذلك يحتمل والله
اعلم وقوله عز وجل ذا الايد انه اواب قال عامة اهل التاويل ذا الايد ان القوة على العبادة وجائز ان يكون قوله
عز وجل ذا الايد فى امر الله فى امر الدين لانه الين له الحديد حتى كان يتخذ منه الدروع وغيرها من الاسلحة ويخرله
الطير والجبال كان يسبح معهم بالعشى والاشراق وحتى كان يستعمل ما اتخذ الحديد فيمن شاء من امر الدين من
المحاربة مع الاعداء والدفع عن اهل الاسلام والدفع عنهم والله اعلم وقوله عز وجل انه اواب قال بعضهم اواب مطيع
لله مقبل على طاعته وقال بعضهم اواب اى يسبح لله ذكر انه كان كثير التسبيح وكذلك قال عز وجل يا جبال
اوبى معه اى سبحى معه هذا يحتمل وجائز ان يكون قوله عز وجل اواب اى رجاع الى الله يرجع فى كل امر ويفزع
فى كل نائبة وحادثة وقال بعضهم ذا الايد انه اواب اى ذا الاحسان والعمل الصالح اواب اى تواب وقتادة

يقول ذا القوة فى العبادة وذا الفقه فى الاسلام وقال البصرى الدين وقال ابو عوسجة قطنا اى كتابنا يقال قططت اى
كتبت قط قطا وا ما قاط والكتاب مقطوط والقط ايضا القطع يقال قططنا اظفارى والقط الذم ويقال قطى اى حسبى
وقطك اى قال القتبى القط الصحيفة المكتوبة وهى الصك وقوله عز وجل انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق
هو على التقديم والتاخير كانه قال عز وجل انا سخرنا الجبال يسبحن اخبر انه سخر الجبال والطير وما ذكر لداود وكى يطيعنه
يسبحن معه وفيه لطف من الله عز وجل فى هذه الاشياء والخصوصية لداود فى ذلك حيث صير الجبال والصخر بحيث
يفقهن وقت تسبيح داود معه على ما اخبر عز وجل حيث صير الجبال مع شدتها وصلابتها بحيث يفرقن وقت تسبيح داود
يعرفن تسبيحه ويسمعه ويلين له فجائز ان يجعل قلب الكافر بحيث تلين وتخضع لله بلطفه اذ قلبه ليس اشد قسوة و
من الجبال فاذا جعل لطفه فيها لانت وخضعت فعلى ذلك اذا جعل ذلك اللطف فى قلب الكافر لا يحتمل ان لا يلين
ولا تخضع اذ هو ليس باصيب واشد من الجبال التى ذكرنا والله اعلم واما الخصوصية له فان الله عز وجل جعل لكل من
الرسل خصوصية فى شئ لم يجعل مثل ذلك الخصوصية لاخرى فى ذلك الشئ بعينه ولطفه وخصوصه داود ما
ذكر من تسخير ما ذكر له الجبال والطير والتسبيح معه وما ذكر من الاية الحديد له وغير ذلك من الاشياء وخصوصية
سليمان ما ذكر من تسخير الرياح له وحملها اياه حيث شاء الى ما شاء مسيرة شهر بغدوه ومسيره شهر بعشية حيث قال
عز وجل ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وما ذكر من فهم نطق الطير له والنطق معه وفهمه تسبيحها ونحو
ذلك كثير ومثل هذا ما قد جعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ذكر انه اخذ احجارا فسبحن فى يده حتى سمع ذلك
من حضره وما ذكر ان اصابعه يسبحن ونحو كثير فلكل منهم خصوصية فى شئ ليست تلك لغيره والله اعلم وقوله عز وجل
والطير محشورة اى مجموعة مسخرة اى سخرت له الطير ايضا وقوله عز وجل كل له اواب قال بعضهم كل له مطيع وقال
بعضهم كل له مسبح فان كان قوله عز وجل كل له اواب اى مطيع فهو يحتمل لداود وان كان الاول هو المسبح فهو لا يحتمل
لداود ولكن لله تبارك وتعالى والله اعلم قوله عز وجل يسبحن بالعشى والاشراق جائز ان يكون لا على ارادة حقيقة العشى
والاشراق ولكن على ارادة التسبيح معه فى كل وقت فيكون العشى كناية عن الليل والاشراق كناية عن النهار يخبر انهن
يسبحن فى كل وقت من الليل والنهار والله اعلم ويحتمل ان يكون يسبحن فى العشيات والغدوات خاصة كقوله عز وجل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث قال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى والله اعلم ثم جائز ان يكون ما
ذكر من تسبيح هذه الاشياء صلوة يسبحن اى يصلين لله كقوله عز وجل الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض والطير
صافات ثم قال عز وجل كل قد علم صلوته وتسبيحه دل ان لها صلوة والله اعلم ومن الناس من يقول يسبح هذه الاشياء
التى ذكر هو تسبيح خلقة لا تسبيح نطق وكلام لكن لو كان على هذا لكان لا معنى لذكر تسبيحهن مع داود عليه السلام اذ دل
انه على تسبيح النطق وان كان على الصلوة فهو ان لا يجوز الصلوة لاحد حتى يشرق
مع داود وغيره فى كل وقت
الشمس ويرتفع حيث ذكر اشراق الشمس والله اعلم ثم من الناس من حمل قوله عز وجل والاشراق على صلوة الضحى وهو
قول ابن عباس رضى الله عنهما ذكر عنه ذكر انه سأل امها فى عن صلوة الضحى كل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل فى بيتها فاخبرته انه فعل قال ابن عباس رضى الله عنهما وقلت اى صلوة الاشراق يعنى صلوة الضحى والله اعلم ثم
سميت صلوة الضحى صلوة الاوابين وقوله عز وجل وشددنا ملكه واتيناه الحكمة قال عامة اهل التاويل فى قوله وشددنا
ملكه لانه كان يحرسه كل ليلة ثلثة وثلاثون من بنى اسرائيل لكن ليس فيما ذكر واكثر شد الملك وتقويته اسماهو وضعف
الا ان يجعلوا ما ذكر واكثرة اعوانه وانصاره وفضل اتباعه وحواشيه فعند ذلك يحتمل ما ذكروا فاما فى
نفس ما ذكروا من الحرس له والحفظ فليس فيه كثير شد ولا فضل منقلبة وجائز ان يكون غير هذا اشبه له وان
بما ذكر ملكه وهو يخرج على وجهين احدهما اشد ملكه مما ذكر من الاية الحديد حتى كان يتخذ منه باسا من الدروع
وغيرها من اسباب الحرب والتاهب لها وما يصلح للقتال ما لم يعط بمثله لاحد سواه فتنقطع بذلك طمع المبان غيره
له فى ذلك والراغبين فى ملكه وامن هو بذلك ذهابه فهو شد ملكه والله اعلم والثانى شد ملكه بما ذكر من
تسخير الجبال له والطير والتسبيح معه وما ذكر من طاعة هذه الاشياء له والخضوع لامره فمن بلغ امره ملكه هذا المبلغ
الذى وصف من طاعة من ذكر التسخير له وعبادته لله تعالى وطاعته لربه فى نفسه حيث قال عز وجل واذكر عبدنا
داود ذا الايد انه اواب لم يقصد احد من ملوك الارض قصده ولا طمع فى زوال ملكه اليه بحال وهذا اشبه ان يجعل
تاويل شد ملكه الذى ذكر والله اعلم مما قاله اهل التاويل وقوله عز وجل واتيناه الحكمة قال بعض اهل التاويل
واتيناه الحكمة وفصل الخطاب اى البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه لكن ليس فيما ذكروا من جعل البينة على
وجعل اليمين على المنكر كثير منقبة وخصوصية اذ قد اعطينا نحن مثله وقد ذكر على الخصوصية له ثم جائز ان يكون
ما ذكر من الحكمة انه اياها له احكام امره فيما بينه وبين ربه العبادة له اى لله تعالى والطاعة له فى كل وقت على ما وصفه
حيث قال ذا الايد انه اواب اى ذا القوة والجهد فى العبادة لله والطاعة له فيهم وانزال كل منهم منزلة وتاليف قلوب

لخصهم من بعض وجمعهم على دين واحد ومذهب واحد حتى لم يقع تنازع ولا اختلاف في الدين والله اعلم وعلى ذلك يخرج
قوله عز وجل وفصل الخطاب اى قطع الخصومات فيما بينهم على التاليف والتلطف وايصال كل الى حقه من غير ان يقع
بينهم خشونة او ضغينة والله اعلم وقوله عز وجل وفصل الخطاب قال بعضهم ما ذكرنا من القضاء بين الخصوم بالبينة
على المدعى واليمين على المنكر وليس في ذلك كثير منقبة ولا خصوصية وقال بعضهم هو اما بعد وهذا ايضا ليس بشئ
والاصل فيه ما ذكرنا والله اعلم والخطاب وهو الخصومة قال ابو معاذ كالجدل والخصام يقول خاطبه مخاطبة واحدة
الا ان يجاد له فكل فاعله لها جمان فعال ومفاعلة وقال ابو عوسجة الفصل القضاء والخطاب الخصومة يقول خاطبه
الرجل اى خاصمته والاشراق وهو طلوع الشمس ووقوعها في كل ناحية بنورها كقوله عز وجل واشرقت الارض
بنور ربها والله اعلم وقوله عز وجل وهل اتاك نبؤ الخصم قد ذكرنا في غير موضع ان حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج على
الايجاب وعلى التقرير والتبيين ثم قوله عز وجل اتاك نبؤ الخصم على وجهين احدهما اى قد اتاك نبؤ الخصم فتفكر فيه
كيف ابتلاه الله عز وجل وفتنه ما ذكر والثاني في قوله عز وجل هل اتاك نبؤ الخصم واتاك وارسل اليك نبأه وخبره
ان كيف ابتلاه وفتنه وعلى هذا يجوز ان يكون قوله عز وجل واذكر عبادنا داود اى اذكر ما قربه هو واذكر منقربه
اياه واذكر خصومة الخصمين اليه او اذكر ما اعطى هو من الحكمة والحكم وفصل الخطاب ثم قوله نبؤ الخصم هو حرف
التوحيد والوحدان وقوله عز وجل اذ تسوروا المحراب حرف الجماعة وكذلك قوله عز وجل اذ دخلوا على داود بالجماعة
وكذلك قوله عز وجل ففزع منهم ذكر بحرف الجماعة وقوله عز وجل قالوا لا تخف ثم ذكر حرف التثنية حيث قال عز وجل
خصمان بغى بعضنا على بعض ذكر بعضه بحرف الوحدان والافراد وبعضه بحرف التثنية وهي قصة واحدة وقال بعضهم
اما قوله عز وجل الخصم فهو مصدر ومصدر الجمع ومصدر الجمع والفرد والتثنية واحد واما قوله تعالى تسوروا ودخلوا
وقالوا ونحوه قد يقال للاثنين ذلك لان الاثنين جماعة كقوله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما والقلوب
جماعة وانما هو قلبان وذلك كثير في القران وذلك جائز في اللغة شايع فيها وعندنا جائز ان يكون قوله عز وجل
تسوروا ودخلوا عليه وقالوا لا تخف ونحوه ان كان مع الخصمين الملكين ملائكة سواهم شهود على دعواهما وخصومتهما
تسوروا معهما عليه فلما فزع منهم قالوا لا تخف وان كان الذي تخاصم بين يديه اثنان لما لا يحتمل ان يقول داود لاحد
الخصمين ولقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ينسبه الى الظلم ويصفه بالبغي بلا شهود يشهدون الا ان يكون من
الاخر اقرار على ما يدعى عليه فاذا كان كذلك فيشبه ان يكون ما ذكرنا انه كان مع الملكين ملائكة اخرون شهود
يشهدون على ذلك وحاصل الخصومة لاثنين منهم وفيما اضيف الفعل الى الجماعة كانوا جماعة في التسور والدخول عليه
والقول منهم لا تخف وفيما اضيف الى الاثنين كان اثنان في الخصومة والله اعلم ثم فيه من الكلام والقول حيث قالا
خصمان بغى بعضنا على بعض وان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وقوله اكفلنيها وعزني في
الخطاب ونحوه من الكلام والقول الذي كان منهما كيف حققا ذلك وقطعاه انهما خصمان ولم يكونا في الحقيقة خصمين
وان لهذا كذا وكذا نعجة ولهذا واحدة ولم يكن في الحقيقة ذلك وان هذا بغى على هذا ونحو ذلك من الخصومات التي
جرت بينهما ولم يكن ذلك كذلك في الحقيقة كيف قالا ذلك وحققاه وهم ملائكة والملائكة لا يحتمل ان يكذبوه قط
او رسلهم ليكذبوا لكنه والله اعلم على التقرير والتمسك اى لو كان لاحدهما كذا وكذا نعجة وللاخر واحدة فغلب صاحب
النعاج الكثيرة على صاحب النعجة الواحدة فاخذها اليس يكون ظالما ويكون باغيا ليس على التحقيق ولكن لما ذكرنا هم
يقدر ان عندهم الزلة ويمتلئ من الخطوة ان كانت له على ما يقوله اهل التاويل يقدرونه وقد ذكر الله عز وجل اشياء
كثيرة على التمثيل والتقرير على تقرير اشياء غفلوا عنها وسهوا ليتقرر ذلك عندهم وسهوا فيها فعلى ذلك يشبه ان
يكون خصومة هؤلاء الملائكة عند داود عليه السلام وما كان منهم من القول والخصومة ليتقرر ما كان منه
من الهفوة والزلة ليعرف ذلك ويرجع عنها والله اعلم ثم قول اهل التاويل ان طايرا وقع بين يديه قريبا منه
فنظر اليه وصار معجبا به فهم ان ياخذه وارتفع الى كوة المحراب فصعد لياخذه فوقع بصره على امراة فاعجبته
فان هذا يحتمل ان يكون واما قولهم ادام النظر ما هنا فانه لا يحتمل ان يكون مثل داود نبي من الانبياء عليهم السلام
انه يديم النظر الى ما لا يحل النظر اليه واما الاول من الذهاب ليطلب ذلك الطاير والنظر اليه انه من ابن والى
ما فذلك يحتمل ان يكون ثم هو يكون معذورا في الصعود الى الكوة والارتفاع للنظر الى الطاير قد حسبت له لما كانت
الطيور قد سخرت له وسبحت في التسبيح معه والطاعة له وجائز ان يكون له البحث والفحص عن حال ذلك الطاير
على ما اخبر عن سليمان حيث قال عز وجل وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد فاذا كان ما ذكرنا كان هو في الصعود
الى الكوة والارتفاع الى ذلك معذورا لكن وقع بصره عليها بلا قصد منه ولا علم بحالها وما قلبه اليها لحسنها و
جمالها وذلك ما يكون بلا تكلف ولا صنع وذلك مما لا يملك دفعه نحو ما كان مثل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى امراة زيد حتى وعدها انكاحها حيث قال عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وما ذكر من بعث زوجها الى

لقتال ليقتل فهذا ايضا غير محتمل لكن يحتمل بعثه اياه ليجاهد اعداء الله وكان ذلك فرضا عليه فصار مقتولا فيه من
غير قصد ان يتوهم منه انه قصد قتله واهلاكه والله اعلم فان قيل كيف عوتب كل هذا العتاب حتى بعث الله الملائكة
اليه بالخصومة عنده والتمسك لما ذكر وتقرير ذلك عنده ثم اخبر انه غفر له بعد طول المدة ان كان معذورا في ذلك
قيل يؤاخذ به قيل ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يؤاخذون بادنى شئ كان منهم ما لا يؤاخذ غيرهم بذلك
بل بعد ذلك منهم من ارفع الخصال واجلها نحو ما عوتب يونس عليه السلام في خروجه من بين قومه ليسلم دينه
ونفسه لكنه خرج بلا اذن كان له من الله فعوتب لذلك فعلى ذلك داود عليه السلام وانما فعل بلا اذن من
الله عز وجل والله اعلم ثم في بعث الملائكة اليه فيما ذكر وجوه من الحكمة وانواع من الفايدة احدها جواز الحجاب
والحرس حيث دخلوا عليه من غير الباب والثاني رفع الحجاب عن الخصوم والجلوس للقضاء في وقت حاجة الخصوم
لا على وقت حاجة نفسه حيث قالوا دخلوا من غير الباب للخصومة بلا اذن منه والثالث قدرة الملائكة على التصور
بصورة البشر مع كون نفس الكثيفة ووجود معهم وذلك يرد على الفلاسفة مذهبهم ان النفس الروحانية خلقت
منتشرة متحركة في كل حال لكن الجسد الذي جعل فيه يمنعه عن ذلك فاذا نام ذلك الجسد او مات ذهبت تلك النفس حيث
شاءت الى حاجتها الا ترى ان الملائكة قد تسوروا عليه بصورة البشر دل على انه ليس على ما وصفهم ثم قوله عز وجل
اذ تسوروا المحراب قال بعضهم صعدوا واصل التسور هو الدخول من العلو والارتفاع وهو النزول من السور وهو
الحائط المشرف المرتفع وقوله عز وجل ففزع منهم لما خاف دخول الموهن في ملكه اذ دخلوا بلا اذن من غير الباب او فزع
لما ظن انهم لصوص مكابرون او لما عرف انهم ملائكة جاؤا بامر عظيم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تشطط
اى لا تجر وقوله اكفلنيها وقال لعطيناها قال بعضهم يقال اكفلنيه اى اعطنيه وهو قول ابو عوسجة وقال بعضهم
اى ضمها واجعلني كافلها وهو قول القتبي وقوله وعزني في الخطاب قال بعضهم غلبني في الخصومة وقوله عز وجل و
ان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض ثم استثنى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اى الذين امنوا واعتقدوا
في ايمانهم الاعمال الصالحات فانهم لا يبغون بعضهم على بعض ثم اخبر ان من امن واعتقد في ايمانه العمل الصالح
اى من اتقى من المؤمنين قليل وترك البغي قليل منهم وهذه الاية شديدة صعبة على ما ذكرنا وفيه ان المؤمن يجوز
الذي اعتقد في ايمانه العمل الصالح وترك البغي على غيره قليل في كل زمان ودهر والله اعلم وقوله عز وجل وظن داود انما فتناه
اى علم داود وايقن ان خصومة الملكين عنده فيما اختصما فيه محنة له الممتحن بها لا انهما كانا ممتحنين بذلك فاستغفر ربه
اذا ايقن بذلك انه هو الممتحن بذلك لا غيره والله اعلم ثم فسر اهل التاويل الظن هاهنا الايقان اى ايقن وكان الايقان
هو علم يستفاد بالاسباب على ما استفاد داود عليه السلام علما بخصومة الملكين عنده وكذلك لا يضاف الايقان الى الله
انه ايقن كذا لان علم يستفاد بالاسباب وهو عالم بذاته لا بسبب وانما العلم بانه قد يستفاد بسبب وبغير ذلك اضيف
اليه حرف العلم ولم يضف حرف الايقان والله اعلم فان قيل بالحكمة في ذكر زلات الرسل صلوات الله عليهم والاصفياء
في الكتاب وهو وصف نفسه انه غفور وانه ستور وقد امرنا التستر على من ارتكب شيئا من ذلك بالغفران والعفو
فكيف ذكر هو زلات انبيائه واصفيائه حتى تقرء زلاتهم في المساجد والكتاب باعلى صوت الى يوم التناد وما الحكمة
في ذكر ذلك قال الشيخ ابو منصور محمد الفقيه رضي الله عنه يخرج ذلك زلات الانبياء صلوات الله عليهم في القران
وترك التستر عليهم على وجوه احدها ذكرها ليكون ذلك اية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان طوب الخلق وانفسهم
لا يحتمل ذكر مساوى الاباء والاجداد وكذلك لا يحتمل قلوبهم ذكر مساوى انفسهم فاذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك دل انه على امر من الله عز وجل بذكر ذلك ليعلم ان الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه عن امر منه ذكر ذلك و
الله اعلم والثاني ذكر زلاتهم امتحانا منه عباده ان كيف يعاملون رسلهم بعد ما عرفوا منهم الزلات واظهر عنهم
العثرات وكيف ينظرون بعين الرحمة والرافة يمتحنهم بسائر انواع المحن والثالث ذكر منهم ليعلم الخلق كيف
عاملوا ربهم عند ارتكابهم الزلات والعثرات فيعاملون ربهم عند ارتكابهم ذلك تماما عامله الرسل بالبكاء والتضرع
والفزع اليه والتوبة على ذلك والله اعلم او ان يكون ذكرها ليعلم ان ارتكاب الصغاير لا يزيل الولاية ولا يخرجه
من الايمان ودلت على الخوارج بقولهم ان من ارتكب صغيرة ولا كبيرة يخرج من الايمان او ان يكون ذلك ليعلم ان الصغيرة
ليست بمغفورة ولكن له ان يعذب عليها وليس على ما قالت المعتزلة ان ليس لله ان يعذب احدا على الصغيرة و
الله اعلم وزلات الانبياء عليهم السلام في قلوب الناس فخافوا عليها فلولا انهم عرفوا ان الله ان يعذبهم عليها و
الا لم يخافوا منها كل ما ذكر منهم يذكر عن الحسن ان داود جزى الدهر اربعة اجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادة ربه و
يوما لقضاء بني اسرائيل ويوما لعباد بني اسرائيل ويذكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا
فقالوا هل ياتي على الانسان يوم لا يصيب به ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك قال فلما كان يوم عبادته
غلق ابوابه وامر ان لا يدخل عليه احد فاكب على الزبور يقرءها فابتلوا بما ذكروا قال ولذلك سمي احبابا والله اعلم

وابن عباس وهؤلاء قالوا انه كان له تسع وتسعون امرءة فكان يكون عند كل امرءة يوما فاذا كان راس المائة
يفرغ للعبادة ففي ذلك اليوم اصابه ما اصابه وقال بعضهم في قوله عز وجل وعزني في الخطاب اي غالبني في الكلام اي اذا
تكلم ان يكون ابين مني واذا دعا ودعوت ان يكون اكرم مني وما امليا ان يكون اعرض على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
فغفرنا له ذلك اي زلته التي كانت منه وعثرته وما يقول اهل التاويل ربه ادعى الله اي فستغفرت لك لكن لا ينال
يتعلق بك اوريا في رؤوس المحاريب فاستوهبك منه او عرضته كذا فذلك مما لا يقول ولا يعلم ذلك ولا يصح ذلك ولا
يستقيم على ما ذكرنا نحن انه لم يكن منه او ربما ما يحفظه ما يذكرون انما امره بمجاهدة اعداء الله وكان له ان يأمر الا انه
عوتب لان الانبياء عليهم السلام كانوا يعاتبون بادنى شيء كان منهم ويعيرون على ذلك لذلك كان ما ذكرنا وقد عرفنا انه
كان منه شيء عوتب عليه ثم تعلمنا ان من ربه غفر له بقوله عز وجل فغفرنا له ذلك فاما ما سوى ذلك الذي ذكره اهل التاويل
فلا يعرفه فان صح شيء منه يقال به والا الترك اولى به واسلم وقوله عز وجل وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يحتمل قوله
عز وجل له عندنا لزلفى في الباقي عمره اي له في باقي عمره ما يزلفه لدينا ويقربه عندنا والله اعلم او ان يكون له زلفى
عنده في الاخرة اي له كرامة ومنزلة والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلناك خليفة في الارض يحتمل قوله جعلناك خليفة
في الارض يحتمل قوله في جملة اهل الارض من الرسل والانبياء والملوك في غيرهم على الشريف والوضيع والله اعلم ويحتمل قوله
ويحتمل قوله عز وجل جعلناك خليفة في الارض في الرسل خاصة وكلا التاويل يرجعان الى واحد الا ان احدهما يرجع الى
العامة منهم والله اعلم وقوله عز وجل فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فلم ينهه عن هوى النفس ولكن
نهاه عن اتباع هواها ان النفس قد تهوى في الحكم بغير حق حيث قال فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى لان
النفس انشئت على الهوى والميل الى اللذات والشهوات وعلى ذلك طبعت ونبت فيكون في هواها الى ما تهوى
غير مالك ولا قادر على دفعه لذلك لم ينهه عن هواها ولكن نهاه عن اتباع هواها ويقدر على منعها بالعقل وردها
الى اتباع الحق لذلك ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فيضلك عن سبيل الله ذكر انه لو اتبع هواها اضله سبيله
ولا كل هوى اذا اتبعه المرء اضله عن سبيله لكنه اذا اتبعه في شيء بعد شيء يحمله على الاضلال عن سبيله اذا من
ضل من سبيله انما يضل لاتباعه هواه كقوله عز وجل ارايت من اتخذ الهه هواه اخبر ان من اتخذ الها دونه انما
اتخذه بهواه لا بحجة والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب اي تركوا الاعمال التي تعمل ليوم الحساب بما نسوا يوم الحساب اي تركوا الاعمال التي تعمل ليوم الحساب او بما
نسوا اي بما تركوا الايمان به والاقرار والله اعلم وقوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا الباطل هو
هو العمل الذي يذم عليه والحق هو الذي يحمد عليه فاعله وقوله عز وجل ذلك ظن الذين كفروا لم يظن احد من الكفرة ان
الله خلق شيئا باطلا لكن يكون خلق ما ذكر من السماوات والارض وما بينهما من الاهل مخلوقا باطلا على ما عبدوا والئك الكفرة
في حسبانهم لان عندهم ان لا بعث بعدما ماتوا فكان خلق ذلك كله لو لم يكن بعث ولا نشور خلقا باطلا لوجهين
احدهما انه لو لم يكن بعث يحصل انشاؤه اياهم للفناء خاصة وانشاء الشيء وبناؤه للفناء خاصة لا لعاقبة يقصد
عبث باطل سفه كقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا الى اخر الاية صير خلقه اياهم اذا لم يكن رجوع عبثا لذلك كان
ما ذكرنا والثاني انه لو لم يكن بعث لكان تخليقهم غير حكمة لانه قد جمعهم جميعا في نعيم هذه الدنيا ولذاتها الولي و
العدو في الحكمة التفريق والتمييز بينهما فلو لم يكن دار اخرى للتفريق بينهما لكان في خلقهم غير حكيم وعندهم
جميعا انه حكيم ثم يقول قتادة في قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الى قوله بما نسوا يوم الحساب
يقول لم يذكر الله عز وجل من شأن داود عليه السلام ما ذكر الا ان يكون داود قضى نحبه من الدنيا على طاعة الله
والعمل به والعدل فيها وقوله عز وجل ولكن الله تعالى وعظ نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين موعظة بليغة شافية
وليعلم من ولى هذا يحكم شيئا انه ليس بين الله وبين العباد سبب يعطيهم خيرا ولا يدفع عنهم به شرا الا بطاعة
الله والعمل بما يرضى وقوله عز وجل انا جعلناك خليفة اي جعلناك الخلافة فيمن ذكرنا وقوله عز وجل ام
نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار هو صلة قوله عز وجل
ذلك ظن الذين كفروا اي ظنهم ان لا بعث ولا نشور فيقول والله اعلم انه لو كان على ما ظن اولئك الكفرة ان
لا بعث لكان في ذلك جعل الذين امنوا وعملوا الصالحات في هذه الدنيا كالمفسدين في الارض وجعل المتقين
كالفجار اذ قد سوى بينهم في هذه الدنيا وجمعهم في لذات هذه الدنيا وشهواتها وفي حسناتها وسيئاتها وفي الحكمة
التفريق بينهما والتمييز وقد سوى بينهما في الدنيا على ما ذكرنا من جمعهم في المحنة بالخير والشر فلو كان على ما ظن
اولئك ان لا بعث ولا حشر لكان ذلك الجمع والتسوية بين الولي والعدو وفي الشاهد من سوى بين من عاداه
وبين من والاه وجمع بينهم في البر والجزاء كان سفيها غير حكيم جعل ذلك الله سبحانه لو لم يجعل دارا اخرى يفرق
بينهما فيها كان غير حكيم اذ قد سوى بينهما وجمع تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم من الناس من يقول

يجب ان يفرق بينهما في الدارين جميعا في الدنيا والاخرة وقد فعل حيث سمى هؤلاء ضلالا وهؤلاء مؤمنين وجعل
الكفار ولاة لهم ووفق المؤمنين واعزهم وهو قول المعتزلة ومنهم من يقول لا يجب ذا في الاخرة لان الدنيا دار المحنة
والابتلاء يمتحن الفريقان جميعا بالخير مرة والشر ثانيا وبالحسنة تارة وبالسيئة اخرى على ما اخبر حيث قال عز وجل وبلوناهم
بالحسنات والسيئات وما ذكر ونبلوكم بالشر والخير فتنة الاية اخبر عز وجل انه يمتحنهم ويبتليهم بالخير والشر وبالسيئة
والحسنة وذلك للفريقين جميعا على ما ذكرنا من جمعه اياهم جميعا في الحالين فانما هي محمولة الجزاء خاصة ثم هناك
يقع التفريق والتمييز بينهما لا فيما فيه المحنة والابتلاء والله اعلم واما قولهم انه قد فرق بينهما حيث سمى هؤلاء
ضلالا هؤلاء مؤمنين وجعل هؤلاء ووفق اولئك فليس ذلك بتفريق بينهما لانه انما سماهم ضلالا كفرة بفعلهم
الذي اختاروه وصنعوا واثروا على غيره فانما هو تسمية فعلهم لا جزاء يجزون به والله اعلم في قوله عز وجل
ذلك ظن الذين كفروا من النار دلالة لزوم الحجة والوعيد على الظن والجهل وان لم يتحقق لهم العلم بذلك ان
مكنوا من العلم وجعل لهم السبيل الوصول الى معرفة ذلك وانما لزمهم ذلك الوعيد والحجة بما لهم صنعوا معرفة ذلك
والعلم بها لانهم لو تاملوا فيه ونظروا لوقع لهم علم ذلك لكنهم تركوا علم ذلك وضيعوا فلم يعذروا في ذلك و
على ذلك يقول في القدرة ان من منع عن القدرة وحيل بينه وبينها كان غير مكلف بها ولا مخاطبا معذورا ومن
لم يمنع عنه ولكن ضيعها لا انه ترك العمل به كان مكلفا به غير معذور لانه هو الذي ضيع ذلك وتركه بالاختيار و
الا دل غير مضيع لها ولا تارك لذلك امر وذلك على المعتزلة والله الموفق وقوله عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك
ليدبروا اياته سماه مباركا لانه من اتبع وتمسك به وعمل بما فيه صار شريفا مذكورا عند الناس عظيما على اعينهم و
قلوبهم وذلك معنى المبارك ان ينال كل بر وخير يكون ابدا على الزيادة والنماء والله اعلم وقوله عز وجل ليدبروا
اياته وليتذكر اولوا الالباب اخبر انه انزله ليدبر في اياته ليعرفوا ما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يتقى انما يعرف
ذلك بالتامل والتدبر والتفكر وقوله عز وجل وليتذكر اولوا الالباب اي ليتذكر وليتعظ اولوا الالباب مما
فيه من المواعظ والاداب وغير ذلك وقوله عز وجل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اثنى
الله عز وجل على داود وابنه سليمان عليهما الصلوة والسلام بالاوبة اليه والرجوع وهو ما قال عز وجل
في داود عليه السلام واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب ثم فسر بالاواب وقال في سليمان عليه السلام
اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد الى اخر ما ذكر ودل ذكر قوله عز وجل اذ عرض عليه على اثر قوله انه اواب
انه انما كان اوابا بالذي ذكر منه لانه حزن فاد لا يذكر الا عن شيء سبق ونسي عز وجل داود عليه السلام الابا
بما ذكر من تسبيحه بالعشي والاشراق والفزع اليه بما هو به والله اعلم وقوله اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد قيل الصافنات هي الخيل وقال بعضهم الصافنات هن القائمات على ثلث قوائم وانحات احد الرجلين
واحدى اليدين على طرف الحافر وقال بعضهم الصافنات هن القائمات لا غير وعلى ذلك ما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تمنى ان يقوم له الرجال صفونا اي قياما فليتبوأ مقعده من النار او كلام
نحو ذلك والجياد قيل السراع والله اعلم وقوله عز وجل فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب
ودل ما سبق من ذكر الصافنات الجياد بالعشي على ان قوله عز وجل حتى توارت بالحجاب انما اراد به توارى الشمس
بالحجاب اذ ليس شيء يتوارى بالحجاب سوى الشمس ثم قوله عز وجل اني احببت حب الخير حتى شغلني عن ذكر ربي او المحبة يجوز
ان يكون بها عن الايثار والله اعلم والثاني ان احببت حب الخير حبا حتى توارت الشمس بالحجاب على التقديم والتاخير والله اعلم
ثم قوله عز وجل حب الخير يجوز ان يكنى الخير عن الخيل نفسه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل معقود
في نواصيها الخير الى يوم القيمة سمى الخيل خيرا فعلى ذلك قوله تعالى اني احببت حب الخير عن ذكر ربي وذكر ربي والله اعلم
وقال بعضهم صفونها قيامها وبسطها قوائمها وقوله عز وجل ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق قال
عامة اهل التاويل اخذ يعقر سوق الخيل ويضرب اعناقها والسوق هو جماعة الساق لما شغلته عن ذكر ربه و
هو صلوة العصر حتى غفل عنها فجعل يقطع سوقها ويضرب اعناقها كفارة عما شغل عن ذكر ربه ثم ان ثبت ما ذكروا
من عقر السوق والاعناق انه على الحقيقة فهو يخرج على وجهين احدهما انه كان ذلك في شريعته جائزا وان كان في شريعتنا
لا يجوز نحو ما ذكر عنه من تعذيبه الهدهد وغيره حين تفقده ولم يجده حيث قال عز وجل وتفقد الطير فقال ما لي
لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه الاية فمثله لا يجوز تعذيب الطير في شريعتنا
فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكروا من عقر الخيل وضرب الاعناق له جائزا وان كان ذلك لا يجوز عندنا والله اعلم وان
يكون ذلك منه قبل النهي عن القتل ثم جاء النهي عنه بعد ذلك فخرج عليه ذلك وعلينا جميعا وجائز ان يخرج تاويل
الاية على غير حقيقة عقر الساق وضرب الاعناق لكن ما ذكر من الاعناق يكون كناية عن الذبح وقوله عز وجل فطفق
مسحا بالسوق كناية عن التسليم الى الناس او ان يكون ما ذكر من المسح بالساق والاعناق كناية عن مسح وجهها

وراسها بعد ما ردوها عليه والتسليم الى الناس من غير ان كان هناك عقر وذبح او كفارة عقل عن ذكر ربه قال
الحسن قال سليمان عليه السلام والله لا يشغلن عن عبادة ربي احد ما عليك لكن كشف عراقيبها وضرب اعناقها
ثم اختلف في ذلك الخيل التي عرضت عليه فشغلته عن ذكر الله فغفل ما ذكر قال بعضهم انها خيول اخرجها الشياطين
من مروج البحر لسليمان عليه السلام لها اجنحة بعدوا ونظر وقال بعضهم لا ولكن كانت خيلا ورثها من ابيه داود
عليه السلام وكان داود عليه السلام اصابها من العمالقة وقال وما بقي يوم في ايدي الناس من الخيل فمن نسل بقية
تلك الخيل والله اعلم قال بعضهم لا ولكن اهل دمشق من العرب واهل نصيبين جمعوا جموعا لسليمان عليه السلام
فاصاب منهم الف فرس عربيات فعرض عليه الخيل حتى شغلته عن ذكر ربه ففعل ما ذكر من قطع العراقيب وضرب
الاعناق والله وعن الحسن في قوله عز وجل ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق قال كشف عراقيبها وضرب
اعناقها فابدل له الله خيرا منها واسرع الريح تجري بامره الاية قال ابو قوله عز وجل فطفق مسحا بالسوق والاعناق
يقول العرب مسح علاوته بالسيف مسحا اي ضربا وقال القتبي قوله عز وجل فطفق مسحا اي فاصل يمسح يضرب سوقها
واعناقها قال ابو عوسجة فطفق اي اخذ وجعل يمسح اي يقطع يقال مسح عنقه اي قطعها وقال القتبي الصافنات
الجياد يقال هي القايمة على ثلاث قوايم وقد قامت الاخرى على طرف الحافر من يد كان او من رجل والصافن في كلام العرب
الواقف من الخيل وغيرها على ما ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يقوم له الرجال صفونا
فليتبوأ مقعده من النار اي يديمون له القيام وقال ابو عوسجة الجياد من الخيل السراع والواحد جياد ورجل جواد
اي سخي وقوم اجواد اي احببت الخير اي المال على ما ذكر ربي وفي حرف حفصة اي الها في حب الخير عن ذكر ربي
اي شغلني **وقوله** عز وجل ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اختلف اهل التاويل في سبب فتنة سليمان
عليه السلام الذي ذكر انه عز وجل فتنه وانه القى على كرسيه جسدا اختلافا كثيرا سوى ما يطول الكتاب بذكر كل ما
ذكروا ولا يدرى الكان ذلك سبب فتنته ام لا مع علمنا ان ذلك كله لم يكن سبب فتنته انه كان فيما كان واحدا
منها ولا ندري ما هو لذلك تركنا ذكر ما ذكروا ولكن انه كان سبب افتتانه ثم يخرج قوله عز وجل ولقد فتنا سليمان
على وجهين احدهما انه امتحن بامر فكان منه في ذلك زلة وغفلة فعوقب بما ذكر وعوقب بنزع ملكه وانا في انه فتنه
وامتحنه بنزع ملكه منه لا بزلة منه ولا عثرة وصرفه الى غيره لا بسبب كان منه وزلة وجعله لغيره ثم انه كان بنزع
الملك منه بادنا سبب كان منه وزلة فعوقب لان الانبياء صلوات الله عليهم كانوا مخصوصين بالعتاب والتعيير بادنى
شيء يكون منهم ما بعد ذلك الذي كان منهم من افضل الاعمال على ما ذكرنا فيما تقدم ثم كان منهم من التوبة والتضرع الى
الله عز وجل بالذي كان منهم لما عرفوا لا نفسهم من الخصوصية لهم من الكرامات والفضايل التي خصوهم بها فراوا
على انفسهم لما اكرموا من انواع الكرامات والفضايل التي خصوهم بها من التوبة له وفضل التضرع والابتهال الى
الله لما راوا ما ارتكبوا كفرانا له فيما انعم عليهم واحسن اليهم فضل تضرع وابتهال ما لا يلزم مثل ذلك غيرهم في مثل ما
كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل والقينا على كرسيه جسدا يحتمل ان يكون كرسيه ملكه فيكون ما ذكر كناية عن
نزع ملكه وجايز ان يكون ما ذكر من القاء الجسد على كرسيه حقيقة الكرسي القي عليه جسدا يشبه جسد سليمان
في الجسمية لا في العلم والمعرفة والبصر وما كان فيه من الكرامات كقوله عز وجل عجلا جسدا له خوار اي عجلا مجسدا
في الجسدية لان جسد العجل الذي اتخذه هو جسد العجل المعروف على ذلك عز وجل على كرسيه جسدا يشبه جسد سليمان
في الظاهر في الجسدية كجسد سليمان فيما فيه من اللحم والبصر وغير ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ثم اناب يحتمل وجهين
احدهما ثم اناب الى الله تعالى ورجع اليه بجميع اموره وان كان فيه زلة وعثرة واناب ورجع واقبل وتاب والله اعلم
وقوله عز وجل قال رب اغفر لي وهب لي ملكا يحتمل سؤاله المغفرة عند سؤاله الملك امرا فيما بينه وبين ربه لان
الملك مما يتلذذ به وفيه هوى النفس وعلى ذلك خرج سؤال زكريا عليه السلام لما سال ربه عز وجل الولد سال
امرا فيما بينه وبين ربه في ذلك وهو قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ولذلك خرج سؤال الانبياء فيما سالوا مما
فيه اللذة وهوى النفس من الولد وغيره قرنوا في ذلك السؤال امرا فيما بينهم وبين ربهم فعلى ذلك سؤال سليمان
عليه السلام والملك قرنه بالمغفرة في ذلك ثم يحتمل سؤاله المغفرة نفسها مما يكون منه من التقصير في ذلك ويكون
سؤاله المغفرة سؤال الاسباب التي بها يكون المغفرة لا نفس المغفرة نحو قول نوح عليه السلام لقومه استغفروا ربكم
انه كان غفارا وقول هود عليه السلام واستغفروا ربكم ثم توبوا لا يحتمل ان يامر قومهم ان قولوا نستغفر الله
ولكن امرهم ان ياتوا بالاسباب التي بها يصيرون اهلا للمغفرة وبها يستوجبون التجاوز فعلى ذلك سؤال المغفرة
ما ذكرنا والله اعلم ثم يحتمل سؤاله الملك والله اعلم اراد ان يستسلم له الخلق في الاجابة الى ما يدعوا اليه من وحدانية
الله تعالى وجعل العبادة له لما راى ان اجابة الناس وانقيادهم الى ما عند من السعة والغنا اسرع ولقوله اقبل
ورغبتهم فيه اكثر فاذا كان ما ذكرنا وهو شكاف فيما بينهم ان اجابتهم اعني اجابة الناس والملوك ولمن

عنده السعة والغنى اسرع لهم واطوع فكان في سؤاله الملك له نجاة الخلق كلهم لما يستسلمون له ويجيبون الى ما يدعوهم اليه
فيكون نجاة الاهلاك بعده والله اعلم ثم قوله عز وجل هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يحتمل وجوها احدها انه سال له ملكا لا
ينزع عنه بعد اذ نزع مرة على ما يقول اهل التاويل والثاني سال ربه ملكا لا يكون لاحد ما بقي هو وحي فيكون له اية لنبوته
على انه لنبوته على ما ذكرنا لو كان مثله لاحد منهم فلم يكن له في ذلك انه لنبوته والثالث ساله ملكا لا ينبغي له الذكر والثنا
الحسن كقول الناس اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت وباركت على ابراهيم ونحوه فعلى ذلك جايز ان يكون سليمان
عليه السلام اراد ان يكون مذكورا على السن الخلق بالثناء الحسن بالملك الذي ساله والله اعلم **وقوله** عز وجل فسخرنا له
الريح تجري بامره بين ما اعطاه من الملك بما ذكر من تسخير الريح له والجن والشياطين وغير ذلك ما لم يكن ذلك لاحد من
ملوك الارض سواه وهذا يدل على ان تسخير هذه الاشياء التي ذكر انه سخرها لسليمان عليه السلام كان بلطف
من الله عز وجل لا يكون ذلك بالحيل اذ لا يملك احد من الخلايق تسخيرها ما ذكر من الخلق لنفسه ولو كان يملك ذلك
بالحيل لكان يعني لذلك مع العلم ان كل ملك لا يترك لنفسه من الحيل ما يريد من ملكه ويبقيه الى ما بقي هو وحي
فاذ لم يكن دل انه انما كان لسليمان ذلك ملك بالله لطفا منه ليكون اية من ايات النبوة والله اعلم ثم قوله عز وجل
تجري بامره رخاء حيث اصاب وصف تلك الريح باللين والرخوة في هذا الموضع وقال في اية اخرى الريح عاصفة تجري
بامره وصفها بالشدة فجايز ان يكون هي في اصل الخلقة شديدة لكنها صارت لسليمان عليه لينة سهلة وقال
تكون هي وقت الحمل شديدة لكنها تصير لينة سهلة والله اعلم اراد ان يكون قوله عز وجل عاصفة على اعداء الله
رخاء لينة على اوليايه والله اعلم ثم فيما ذكر من جرية الريح بامره حيث اراد وقصد او ان يكون قوله عز وجل لطف الله
عز وجل لسليمان حين جعله حيث يفهم الريح مراده ويفهم هو منها ما اراد حتى كان يستعملها فيما شاء وكذلك
ما فهم من نطق الطير وكلامه وكلام النمل الذي ذكر ويفهم هي منه فذلك كله بلطف منه له ورحمه **وقوله** عز
وجل كل بناء وغواص اي سخرنا له الشياطين حتى يستعملهم فيما شاء بعضهم في البناء وبعضهم في الغوص في البحر
لاستخراج ما فيه من الاموال ليتفرغ الناس بعبادة الله والخدمة لا يكون لهم شغل في الشان ولا في مونة انفسهم
والله اعلم **وقوله** عز وجل واخرين مقرنين في الاصفاد واخرين لم يطيعوه فيما امرهم من الاعمال في البناء والغوص
وغير ذلك من الاعمال جعلهم في الاصفاد وهي الاغلال يجعل في الاعناق ليدفع شرهم وسوءهم عن الخلق حيث لم يطيعوه
فيما امرهم بالعمل للخلق ليتفرغوا للعبادة وفيه ما ذكرنا من ايته نبوته لسليمان عليه السلام واللطف له حيث مكن له
من استعمال ما ذكر من الجن والشياطين والريح وسخر له ذلك ليعلم انه انما قدر على ذلك بلطف منه لا بالحيل والاسباب
وقوله عز وجل هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب قال عامة اهل التاويل هذا في الشياطين التي ذكر انه سخرها
في العمل واخرين فجعله اياهم في الاصفاد خيره بين ان يمن على من شاء منهم فيخلي سبيله وبين ان يمسك من شاء
منهم فلا يخلي سبيله وقال بعضهم ذلك التخيير في الشياطين وفي جميع ما اعطاه له من الملك وقوله في الاصفاد ان
يمن فيقطعه من شيت وان شئت امسكت فلا يعط احدا شيئا ولا تبعة عليك في ذلك الاعطاء ولا في الامساك
والله اعلم وجايز ان يكون لا على التخيير ولكن امتحن بالاعطاء لقوم والمنع عن قوم فيقول هذا عطاؤنا فامنن اي اعط
وابذل لمن امرت وامتحنت بالاعطاء من كان اهلا لذلك وامسك عن ليس هو باهل لذلك ومن لم يؤمر بدفعه
اليه وهو كقوله عز وجل اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا ان ليس على التخيير ولكن على تعذيب من هو اهل للعذاب
مستحق له والحاد الحسن فيمن كان اهلا على ما بين في ذلك واظهر في ذلك حيث قال عز وجل اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد
الى ربه الاية واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى فعلى ذلك يحتمل الاول والله اعلم وقال الحسن قوله عز وجل عطاؤنا
فامنن وامسك بغير حساب يقول هذا ملكنا الذي اعطيناك يقول اعطه منه ما شئت وامنع منه ما شئت لا
تبعة عليك فيه من الاخرة وهو قريب ما ذكرنا في احد التاويلين رجع احدهما الى الشياطين خاصة في الحبس في
العمل من شاء منهم والتسريح لمن شاء منهم والاخر الى كل ما اعطاه من الملك والله اعلم وقوله عز وجل بغير حساب
اي اعطاه له من الملك ما لا يحسب من الكثرة والعدد **وقوله** عز وجل وان له عندنا لزلفى اي القربة وحسن ماب
اي مرجع هذا يدل على ان ما اعطاه من الملك لم يحطه عن مرتبته ولا نقص من قدره عند الله لانه انما ساله الملك و
الله اعلم ما ذكرنا من رغبة في نجاة الخلق لسرعة اجابتهم اياه الى ما يدعوهم اليه لا لرغبة منه في الدنيا ولذاتها وطلب
العز فيها ولكن لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وان له عندنا لزلفى اي الاسباب التي تزلفه الى الله وتقربه من
التوفيق والعصمة والمعونة على الطاعة وذلك يكون في الدنيا والاول يكون في الاخرة والله اعلم هذا من اعظم
المنن واللطف حيث امنه عن جميع انواع التبعات يغفر له بغير حساب ويبشره بالزلفى وحسن المرجع والله اعلم ثم
اختلف في سبب فتنة سليمان عليه السلام وفي ذنبه قال بعضهم وذلك ان الله تعالى امره ان لا يتزوج امراة
الا من بني اسرائيل فتزوج امراة من غير بني اسرائيل وجعل لها صنما تعبد في بيته كذا كنا نويا فابتلاه بسلب ملكه عقوبة

فلي قد رما عبد من الصنم في بيته وقال بعضهم كانت فتنة سليمان عليه السلام التي ذكرنا بين من اهل الجرادة وكانت الجرادة امرته وكانت من احب نسائه اليه وكان اذا اراد ان يجنث او يدخل الخلاء اعطاها خاتمه وان ناسا من اهلها جاؤا يخاصمون قوما الى سليمان احب ان يكون الحق لاهل الجرادة فيقضي لهم فعوتب حين لم يكن هواه فيهم واحدا وهو قول ابن عباس وقد ذكرنا نحن انه يجوز ان يكون نزع الملك منه وما ذكر فتنة اياه بلوى له ولا سبب كان منه ابتداء محنة وابتلاء وذلك جائز والله ان يفعل ما يشاء بمن شاء وكيف شاء من نزع الملك وغيره والله اعلم وقال القتبي وابو عوسجة رخاء اي رخوة لينة وهو من اللين ويقال رجل رخو اي ضعيف في عمله وقوم رخاء قال والرخاء الساكن ويقال استرخى اي سكن وقوله عز وجل فامنن او امسك بغير حساب ومثله قوله ولا تمنن تستكثر اي تعط لتاخذ من المكافاة اكثر مما اعطيت وقال الفراء سمى العطا منا وقوله عز وجل حيث اصاب اي اراد قال الاصمعي العرب يقول اصاب الصواب فاخطا الجواب اي اراد الصواب والاصفاد الاغلال التي تشد بها الايدي الى العنق ودلت قول سليمان عليه السلام ودعاؤه ربه باستيهاب الملك قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد بعدي انك انت الوهاب ذلك على ان الملك الذي اعطاه لم يكن حقا عليه اذ لو كان حقا له لكان لا يستوهبه ولا يقول له انك انت الوهاب ولكن يقول له اعطني حقي اذ كل ما يستحق له قبل اخر لا يوصف دا اعطاه اياه انه وهاب ولكن مودي حق عليه ويدلك هذا ايضا على ان ليس على الله حفظ الاصلح والدين اذ لو كان عليه حفظ الاصلح في الدين واعطى الاخر لكان لا يستوهب الملك له اصلح في الدين ولكن يقول اعطني حقي فدل استيهابه منه الملك على ان ليس عليه حفظ الاصلح في الدين ولا اعطى الاخر وان له ان لا يعطيه وان اعطاه الملك له فضل منه ورحمة والله اعلم فان قيل فيه تفضيل الغنى والسعة على الفقر والضيق لما ان الله عز وجل جعل الغنى والسعة اية من ايات النبوة والرسالة ولم ير الفقر والضيق جعلهما اية من ايات النبوة فهلا دل جعل الغنى اية من ايات النبوة على انه افضل من الفقر يقال لهم ان الغنى والملك انما جعله اية لرسالة نبي واحد واكثر الانبياء عليهم السلام كانوا فقراء واهل الحاجة والضيق في امر الدنيا فيما كانوا ما دروا من الضيق والفقر وقلة اعوانهم وانصارهم بعد قولهم وظهر ما دعوا الناس الى دعواهم وهو التوحيد والاسلام مع وجود رغبة الناس فيمن عنده السعة والغنى ونفادهم وقلة رغبتهم ممن عنده الفقر والضيق فدل اختيار اكثر الانبياء الحال التي ينفر طباع الناس عنها على الحال التي يرغبون فيها مع حرصهم ورغبتهم في الدين على ان الحال التي اختاروهم افضل واخير من الحال الاخرى والله اعلم وكذلك قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم نهاه ان يمد عينيه الى ما متعوهم علم منه ان لو مد عينيه الى ذلك ويختاره اما يمد ويختار لسعة قومه واصحابه في ابواب الشر والخير وانه لا يختار ولا ياخذ الا ما يحل ويطيب فدل النهي عما ذكر على العلم منه ما وصفنا على ان ذلك افضل من الاخر والله اعلم وقوله عز وجل واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب ثم لا ندري ما الذي كان من الله من تمكين الشيطان عليه حتى اضاف ذلك الى الشيطان وليس لنا ان نقول انه مكن عليه كذا وفعل كذا في كذا وفعل به كذا الا ان يثبت عن الله ثم وجه الحكمة في تمكين الشيطان على اوليائه فيما مكن في امر الدين ليعلم جهة الفضل من جهة العدل وجهة الحكم من جهة الرحمة وانه له يمتحن عباده بما شاء وكيف شاء من انواع الشدائد والبلايا على ايدي من شاء بلا اسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك او له ان يحسن الى من شاء من انواع الخير والنعم ابتداء بلا اسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك فعلى ذلك بلاء ايوب عليه السلام والشدائد التي اصابته جائز ان يكون بلا سبب كان منه يستوجب ذلك ولكن ابتداء امتحانا منه اياه بذلك ثم قوله مسني الشيطان بنصب وعذاب انه وان اضافه اليه هو في الحقيقة من الله لما اخبر انه على يديه كقوله عز وجل يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم اخبر ان حقيقة العذاب منه وان كان على ايديهم يجري ذلك هو كقوله تعالى وان يمسسك الله بضر اي ما يمس الانسان من ضر يكون على يدي اخر ويكون من الله وله في ذلك صنع وفعل لا على ما يقول له المعتزلة ان لا صنع لله في فعل العباد واخبر انه لو اراد باحد ضرا ومسه بذلك لا كاشف لذلك الضر ولا دافع وانه لو اراد خيرا باحد لا راد لذلك الفعل غيره فهو على المعتزلة ايضا وقوله بنصب ونصب واحد وهو تعب كذلك يقول القتبي النصب والنصب واحد مثل حزن وحزن وهو العناء والتعب وقال ابو عبيدة النصب الشر والنصب الاعناء ومنهم من يقول ان احدهما فيما يصيب ظاهر جسده والاخر فيما يصيب باطنه والله اعلم وقوله عز وجل اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب جائز ان يكون لما قال اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين دعا عند ذلك ان كشف عنه البلايا التي مسته كانه قال اي مسني الضر فاكشف ذلك عني وانت ارحم الراحمين بذلك على ذلك قوله عز وجل فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر دل هذا على ان قد كان منه دعاء وسؤال في كشفه الضر عنه فاستجاب الله دعاءه عند ذلك قال اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب جائز ان يكون لما ضرب برجله

الارض وركضها نبع منها عينان احدهما للاغتسال فيها والاخرى للشرب منها ماؤها بارد على ما يوافق للشرب ويحتمل ذلك والاخرى ماؤها ما يوافق للاغتسال وهو دون ذلك في التنزيل على ما قاله اهل التاويل عامة كقوله عز وجل جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وانما السكون فيما يسكن وهو الليل والابتغاء بالنهار وجائز ان يكون العين واحدا الا انه لما اغتسل منها كان ما يوافق الشرب قال بعض اهل التاويل كان به البلاء بظاهر الجسد وبباطنه فما كان بظاهره ذهب بالاغتسال وما كان بباطنه ذهب بالشرب والله اعلم ثم قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم واذكر عبدنا ايوب اي اذكر صبره من البلاء عز وجل بانواع الشدائد والبلايا فاصبر انت اذا ابتليت بشيء من البلايا وعلى ذلك يخرج جميع ما ذكر في هذه السورة وامره ان يذكرهم بالذي ابتلاهم من الشدائد ان كيف صبروا له على ذلك ومن امتحنهم بالسعة والملك يقول ان اذكرهم ان كيف شكروا ربهم والطاعة والله اعلم وقوله عز وجل ووهبنا له اهله ومثلهم معهم اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم وهب له اهله باحيائه من هلك من اهله وماله وزاد له على ذلك ضعفهم في الدنيا رحمة منه وفضلا والحسن يقول بعد ان احياهم له باعيانهم وزاده مثلهم معهم وقال بعضهم قيل له يا ايوب ان اهلك في الجنة فان شئت اتيناك بهم وان شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك قال لا بل اتركهم في الجنة فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا والله ان يحيي من شاء بعد ما اماته وله ان يوجر على ذلك ما شاء الا يرى انه قال على اثره رحمة منا وذكرى لاولي الالباب دل قوله رحمة منا ان كشف الضر عن ايوب واعطاه ما اعطاه رحمة منه وفضلا ورحمة كان له ان لا يكشف الضر عنه وان لا يرد عليه اهله ولا يزيد له وهو على المعتزلة لانه لا يخلو اما ان يكون ما اعطى ورد عليه اصلح له وقد اخبر انه رحمة كان ذلك له وفضل ولو كان عليه حفظ الاصلح له في الدين كان في تركه ومنعه جائرا عندهم ظالما او ان يكون منعه ذلك عنه اصلح له فاعطاه وترك الاصلح له فدل ان ليس على الله حفظ الاصلح لاحد في الدين والله اعلم وقوله عز وجل وذكرى لاولي الالباب اي ذكرى وعظة ومن ينتفع باللب ليعلم ان ليس التضييق لمقت منه وسخطه لمن ضيق عليه ولا في التوسيع رضاء منه ولكن محنة يمتحن من شاء بالشدة والبلايا ومن شاء بالسعة والرخاء وقوله عز وجل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث اختلف في السبب الذي كان من ايوب عليه السلام الحلف بضرب امراته ولكن لسنا ندري ما السبب الذي حمله على الحلف بضربها ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك السبب غير انا نعلم انه كان من المحلوف عليه معنى استوجب بذلك الضرب حيث حلف هو بالضرب وامره الله عز وجل بالضرب ثم معلوم ان غضبه لنفسه ثم اختلف في قوله عز وجل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به قال بعضهم قضبان واغصان ونحو ذلك لايوب خاصة وقال بعضهم هو له وسنة الناس ان من حلف ان يضرب كذا خشبة او سوطا يجمع قضبانا او غصانا فضرب بها برت يمينه وليس في الاية انه ضرب به مرة او مرارا حتى يخرج بضربه المرة عن يمينه ثم الاصل عندنا ان منهم بضرب اخر كان بالضارب هينا وابدا يعرف انه يريد الضرب فيجرد بالمضروب هينة واثر وهذا لنا لم نجا يراني يكون المراد به تلك الهيئة والاثر الضرب نفسه ليس يمينه وان الافضل فيها ترك الضرب والكفارة عن الحنث ثم اثنى الله على ايوب عليه السلام فقال عز وجل انا وجدناه صابرا بما ابتلاه الله في نفسه واهله وماله نعم العبد انه اواب اي راجع اليه عز وجل في جميع احواله في حال الشدة والبلاء وفي حال السعة والرخاء والله اعلم وقال ابو عوسجة اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذلك ركض دابته اذا ضربها برجله حتى تسرع وكذلك قال القتبي قال والضغث مثل الكف من الحشيش وغيره ومن كل شيء واضغاث جميع وقال القتبي الضغث الحزمة من الكلاء او من العيدان وهو قريب من الاول وقال المغتسل الماء وهو الغسول ايضا وقوله عز وجل ولا تحنث من الحنث والحنث في الاصل الاثم وبر يمينه اذا صدق فيها ووفاه وقوله عز وجل واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب يحتمل قوله عز وجل واذكر من ذكر من الرسل عليهم السلام واهل الصفوة اذكر هؤلاء بما لقوا من اعدائهم على الجهد فيها او يقول اذكر الاسباب التي بها صار هؤلاء اهل صفوة الله ومحل احسانه ليحملك ذلك على طلب تلك الاسباب ليصير من اهل صفوة الله ونحوه يحتمل او يقول اذكر هؤلاء الصالحين لتتسلى بذكرهم عن بعض حزنك وهمومك والله اعلم وقوله عز وجل اولى الايدي والابصار قيل اولى الايدي اي اولى القوة في العبادة والبصر في الدين ثم معلوم ان هؤلاء لم يكونوا اهل قوة في انفسهم وانما كانوا اهل قوة في العبادة في الدين ليعلم ان القوة في الدين غير القوة في النفس وقيل اولى القوة في طاعة الله والبصر في الحق وقيل في الفقه وقيل اولى الفهم في كتاب السهو واحد ثم قوله اولى الايدي والابصار دلالة ان قد يفهم بذكر الايدي غير الجاحة وبذكر البصر غير العين لانه معلوم انه لم يرد بذكر الايدي الجوارح ولا بذكر الابصار الاعين ولا فهم منه ذلك ولكن فهم باليد القوة وبذكر البصر الفهم او ما فهم فعلى ذلك لا يفهم من قوله عز وجل خلقت بيدي ونحوه الجارحة على ما يفهم من الخلق ولكن القوة او غيرها لكن كنى باليد عن القوة لما باليد يقوى وكنى بالبصر عن درك الاشياء حقيقة لما بالبصر يدرك الاشياء وقوله عز وجل انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وتلك الخالصة التي اخلصهم بها بعضهم انا جعلناهم اذكر

الناس لدار الاخرة وقال بعضهم اى اخلصناهم بخالصة للنبوة والرسالة وذكرا الدار وان لا يذكروا غير دار الاخرة و
اصله ان الله عز وجل اخلصهم وصفاهم واختارهم ناسا وخصهم بها وجعل همتهم الرغبة فى الاخرة والزاهد فى الدنيا واختيار
ذكر الاخرة على ذكر الدنيا او ان يكون قوله عز وجل اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وذكرهم صاروا مذكورين مشرفين
فى الدار وقوله عز وجل وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اختارهم على علم الرسالة وقوله عز وجل واذكر اسمعيل و
اليسع وذا الكفل وكل من الاخيار يحتمل قوله عز وجل واذكر وجوها على ما ذكر ناسبر هولاء على ما لقوا من قومهم فتشتيذ
انت على الصبر بما تلقى من قومك او يقول اذكر حسن معاملة هولاء ربهم وحسن سيرتهم فيما بينهم وبين الخلق
لتعامل انت ربك مثل معاملتهم ومثل سيرتهم او يقول اذكر هولاء ومن ذكرى اى اثر عليهم بحسن الثناء واذكرهم
بخير اثنى عليهم وامر الناس ان يثنوا عليهم على ما تقدم ذكره ليكونوا ابدا احياء بحسن الثناء والذكر او ان يقول اذكر
هولاء ان كيف عاملهم الله واختيارهم لرسالته وما ذكر الله والله اعلم ثم قوله عز وجل واليسع قال بعضهم هو
الياس وقال بعضهم هو غيره وكان ابن عم الياس والله اعلم وذا الكفل اختلف فيه ايضا قال بعضهم كان الياس
فى رعايته نبى عليه السلام فى زمن ملك فقتل الملك ثلثمائة منهم فتكفل رجل الياس فى مائة نبى فكفلهم وخبأهم
عنده يطعمهم ويسقيهم حتى خرجوا من عنده وكان الكفل بمنزلة من الملك فلذلك سمى ذا الكفل لانه خبأهم وكفلهم
والله اعلم وقال بعضهم سمى ذا الكفل لانه كفل لله عز وجل فوفى لله به فسمى ذا الكفل وقال ابو موسى الاشعرى ان ذا الكفل
لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا فتكفل بعمل رجل صالح عند موته كان يصلى لله عز وجل كل يوم مائة صلوة فاحسن
الله عليه الثناء فى كفالته وقال بعضهم ان نبيا من الانبياء قال لقومه ايكم يتكفل بتبليغ ما بعث انا الى الناس بعدى
لاضمن له الجنة والدرجة العلى فقال شاب انا اتكفل لتبليغ على ذلك ووفى ما كفل فسمى ذا الكفل لذلك والله
اعلم وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انه لما زاد ان اليسع كان فلان سوى ان يعرفهم انهم من الاخيار على ما ذكر
الله عز وجل والله اعلم وبعد فان معرفة ذلك اخبار الاحاد يوجب علم العمل ولا يوجب علم الشهادة وليس هنا
سوى الشهادة على الله والتزلفا الى قوله عز وجل هذا ذكر يحتمل قوله هذا ذكر اى شرف وذكر للذى تقدم ذكرهم
من الاخيار لانهم يذكرون ابدا بخير بحسن الثناء عليهم بما كان منهم من حسن السيرة والعمل فذلك شرفهم
حيث صاروا مذكورين على السن الناس وهم اتراب او ان يكون ذكرهولاء وعظة لمن بعدهم او ذكر لك وعظة
ليعرف حسن معاملة الرب بهم او هذا القران ذكر وعظة لمن اتبعه والله اعلم وقوله عز وجل وان للمتقين لحسن
مآب جعله الاتقاء هو ان يتقى المهالك التى اتقوا جميع ما يهلكهم وحسن مآب اى مرجع بين بين ووصف حسن
المرجع الذى يرجعون اليه حيث قال عز وجل جنات عدن وقوله عز وجل جنات عدن اى مقام يقال عدن فى مكان كذا
اى اقام كانه جنات مقام فيها لا يبغون عنها حولا ولا عدلا على ما اخبر الله عز وجل لا يبغون عنها حولا وقال بعضهم عدن
الذى هو وسط الشئ كانه ذكر ان جنة عدن كان وسط الجنان والله اعلم وقوله عز وجل مفتحة لهم الابواب يحتمل قوله
مفتحة لهم الابواب يقال له ادخل اى باب من ابوابها شئت على ما يقوله بعض الناس ويحتمل ان يكون ابواب كل احد منهم
فى الجنة يكون مفتحة لان الاغلاق والابواب انما يكون فى الدنيا انما الخوف السرق او نظر الناس الى اهله وحرمه ودخل
نظر اهل الى الناس لهذا المعنى تتخذ الابواب فى الدنيا والغلق والاغلاق دونهم وليس المعنى فى الجنة لما اخبر ان ازواجهم
يكن قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن ولا يكون فيها خوف السرق للذلك كان ما ذكر والاشبه ان لا يكون
فيها ابواب لما ذكرنا ان الابواب انما تتخذ لخوف السرق والنظر فى حرمهم والله اعلم وقوله عز وجل متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة وشراب هذا والله اعلم كانه وصفها لاجتماعهم لانه ذلك يدعا بالفواكه والشراب فى الدنيا
واما فى حال الانفراد فقل ما يدعون فى الشراب ثم فيه اخبار انهم يدعون فى الجنة بالفواكه والشراب جميعا وفى الدنيا
العرف فيهم ان اهل الشراب فلما يجمعون بين الفواكه والشراب يرجعين اما الخوف الضرر بهم اذا جمع او لما لا يوجد ان
وليس هذان المعنيان فى الجنة والله اعلم وقوله عز وجل بفاكهة كثيرة كان ذكر الكثير كنا يتم من انواع الفواكه و
مختلفة من كل نوع ليس بعبارة عن الكثرة من نوع واحد والله اعلم وقوله عز وجل وعندهم قاصرات الطرف اى
طرفهن يقصرون على ازواجهن لا ينظرون الى غير ازواجهن ولا يريدون غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل اتراب قالوا
مستويات الاسنان اراد ان يكونون جميعا الازواج والزوجات على سن واحد وان يخبر انهم جميعا يكونون
على حال واحدة لا يتغيرون ولا يهرمون كما يكون فى الدنيا بعضهم اكثر سنا من بعض واضعف حالا من الاخر ولكن
لا يهرمون ولا يكبرون ولا يضعفون والله اعلم وقوله عز وجل هذا ما توعدون ليوم الحساب كانه يقول لهم
الملائكة هذا ما توعدون اهل الجنة فى القران ثم اتاهم من الله بشان يبقى لهم ذلك ابدا وهو ما قال عز وجل
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اى انقطاع وذهاب نفد الشئ اذا افنى وذهب والله اعلم وقوله عز وجل هذا
اى هذا الذى ذكرنا ثواب المتقين وجزاهم ونفوسهم ثم بين جزاء الطاغين وقوله عز وجل وان للطاغين

لشر مآب اى لبئس المرجع فبين ذلك المرجع ما هو فقال عز وجل جهنم يصلونها فبئس المهاد اى بئس ما مهدوا لانفسهم و
قوله عز وجل هذا اى هذا الذى ذكرنا جزاء الطاغين والطغيان يرجع الى وجوه الا ان اصله هو الذى لا يجتنب المهالك
ولا يتقى والمتقى هو الذى يتقى المهالك ويجتنبها حقيقة التقى والطغيان ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فليذوقوه
حميم وغساق كان الملائكة يقول لهم اذا دخلوا جهنم والقوا فيها فليذوقوه حميم وغساق والحميم هو الشراب الذى
قد انتهى حره غايته ونهايته والغساق اختلفوا فيه قال بعضهم هو ما يسيل من الصديد والقيح والدم فجعل ذلك شرابهم
فى النار وقال بعضهم الغساق هو الزمهرير والزمهرير هو اكبر ما البرد الذى بلغ غايته ونهايته يحرق بشدة برده كما
يحرق الحميم الذى بلغ نهايته شدة حره والله اعلم وقوله عز وجل واخر من شكله ازواج اتفق اهل التاويل واكثرهم
على ان قوله عز وجل واخر من شكله ازواج هو العذاب كانه يقول واخرى شكل ما ذكر من العذاب لهم ثم اختلفوا
فى ذلك العذاب الذى قالوا من شكله قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه هو الزمهرير وروى عن الحسن واخر
من شكله ازواج الوان من العذاب وقال بعضهم زوج من العذاب ويشبه ان يكون قوله عز وجل واخر من شكله
ازواج اى قوم من شكل اولئك الذين ذكرهم يقربون الى اولئك فيجمعون فى العذاب كقوله عز وجل احشروا الذين
ظلموا وازواجهم او ان يكون فوج اخر يدخلون من شكل الاولين وهو ما ذكر عز وجل هذا فوج مقتحم معكم يقول المتبوع
للاتباع لما دخلوا النار وراوهم لا مرحبا بهم اى لا سعة بهم وهو من الرحب وهو السعة فاجابهم الاتباع لا بل انتم لا مرحبا
بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار وقال بعضهم قالت خزنة النار هذا فوج مقتحم فيردون على الخزنة لا مرحبا بهم انهم صالوا
النار فيرد عليهم القوم الذين تقحموا النار وعدوهم بل انتم لا مرحبا بكم واصل هذا ان هولاء لعن بعضهم بعضا لقوله
عز وجل ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ونحو ذلك من الايات وقوله عز وجل قالوا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
فى النار وهذا كقوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هولاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وهذا قول الاتباع للقادة و
الرؤساء منهم ثم رد القادة على الاتباع وهو قوله عز وجل وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فعلى
ذلك هذه المناظرة التى ذكرت هاهنا بين القادة والاتباع ثم قوله عز وجل انتم قدمتموه لنا وقوله من قدم لنا
هذا اى انتم شرعتموه لنا فى الدنيا وسننتموه ولذلك قولهم من قدم لنا هذا اى من شرع لنا وسن الذى كنا عليه
وامرنا به فزده عذابا فى النار وهو كما ذكر فى سورة سبا حيث قالوا اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والله اعلم
قال القتبى الغساق ما يسيل من جلود اهل النار ولحومهم من الصديد يقال غسقت عينه اى سالت ويقال هو البارد
المنتن وكذلك قال ابو عوسجة وقوله عز وجل واخر من شكله ازواج من مثله الشكل المثل والشكل بفتح الشين
وشكلت المرءة اذا تغنجت والتقحم الدخول والتحمت كله واحد وهو الدخول وقوله عز وجل لا مرحبا بهم اى لا سعة بهم
والرحب والرحبا الواسع وقوله عز وجل وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار الى اخر ما ذكر ذكر هذا يقول
فى الاخرة فى النار وهذا ليلزمهم الحجة وان لا تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لان هذه السورة مكية نزلت بمحاجة
اهل مكة فى اثبات التوحيد واثبات الرسالة ومنهم من ينكر البعث ذكر الانباء المتقدمة لاثبات الرسالة فيما
تقدم وذكر حجج البعث فى هذه الايات وحجج التوحيد فى اخره ذلك كله لهم ليلزمهم الحجة وان انكروا ذلك لئلا يقولوا
انا كنا عن هذا غافلين ثم فى هذه الاية دلالة ان عقوبة الله قد تلزم وان لم يحقق عنده الحق ولم يعرفه حقيقة
حيث اخبر انهم يقولون فى النار وما ذكر عز وجل ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار لانه معلوم انهم لم يعلموا
حقيقة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا ما تركوا اتباعه ولا سخروا منهم وعلى ذلك يخرج مباهلة
ابى جهل يوم بدر حيث قال اللهم اتنا اوصل رحما واكثر كذا على ما ذكر وانصر عليه ومعلوم انه لو كان يعلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم على حق لكان لا يجترئ على المباهلة دل انه لم يعلم حقيقته انه على حق فعوقبوا فان لم يعلموا لما امكن لهم من
العلم والمعرفة لو تاملوا واحسنوا النظر فى ذلك والله اعلم ثم قوله عز وجل ما لنا لا نرى كنا نعدهم من الاشرار قال اهل
التاويل انهم ينظرون فى النار فلا يرون من كان يخالفهم فى دينهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كانوا
يستهزؤن بهم فى الدنيا ويسخرون منهم يقولون كنا نسخر منهم فى الدنيا فاين لهم وما لنا لا نريهم ان زاغت عنهم
الابصار اى حارت وشخلت ابصارنا فلا نريهم لكن لا يحتمل ان يكونوا يقولون على هذا الذى يقوله اهل التاويل ولكن
يقولون على التلهف والتندم على ما كان منهم فى الدنيا من ترك اتباعهم والسخرية منهم فتظهر عندهم ان اولئك كانوا على
حق اعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وانهم على باطل فلا يحتمل ان يقولوا ذلك على غير التلهف والتندم وقد عرفوا
بما نا عدموا وجعلوا فى النار عرفوا انهم يكذبون فى النار يعنى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كانوا على خلاف ما كانوا
اولئك الكفرة والله اعلم او ان يقولوا ذلك على الاستغاثة بهم يقولون ان اولئك الذين كانوا اتخذناهم سخريا فى الدنيا اعلهم
يشفعون لنا فيعينوننا يطمعون النجاة اذا ابتعوهم فى ذلك لو تمنا ونحو ذلك كقوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
وهذا الذى ذكرنا هو اشبه مما يقوله اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قال بعضهم

القسم بقوله عز وجل ص والقران وقع على هذا على ما ذكرنا وقال بعضهم هذا على التقديم والتاخير يقول ان ذلك الذى ذكره
من امر بعض على بعض حيث قال قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا وقوله ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار و
ماذكر فى سورة الاعراف قالت اخريهم لاوليهم كذا واوليهم لاخريهم كذا اى ذلك التخاصم الذى ذكر لحق كاين فيما بينهم و
الله اعلم وقوله عز وجل قل انما انا منذر ليس على ما حملتم شئ انما ذلك عليكم انما على الانذار لكم فقط وقوله عز وجل وما من اله
الا الله الواحد القهار يقول والله اعلم ما من اله يعبد دونه بالحق الا هو الواحد القهار الذى تفرد وتوحد بتدبير
ما هو فيه قهر الخلائق كلهم بقدرته وقوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ويخبر عن غناه
وسلطانه يقول والله اعلم ان له رب السموات والارض وما بينهما ومنشئهما وما بينهما فلا تحسبن ما امركم ونهاكم
عنه انما امركم ونهاكم عنه لحاجة نفسه او لمنفعة له ولكن انما امركم ونهاكم لمنفعة لكم لانفسكم ولحاجتكم
او يقول يعلمون انه هو ربكم ورب ما ذكر من السموات والارض وما بينهما فكيف تعبدون من يعلمون ان ليس بربكم و
لا اله وانما اله ما نزل فيتركون عبادته وطاعته وقوله عز وجل العزيز الغفار اى لا يلحقه الذل بذل اوليايه وعداوته
لانه عزيز بذاته لا باحد ليس كملوك الارض يذلون اذا ذل اولياؤهم واتباعهم لاعزهم باوليائهم واتباعهم فاذا ذلوا
ذل من كان عزه بهم فاما الله سبحانه وتعالى هو عزيز بذاته لا يلحقه الذل بذل اوليائه ولا هلاكهم وقوله عز وجل قل هو
نبأ عظيم انتم عنه معرضون له تاويلان احدهما ان هذا القران الذى انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم نبأ عظيم انتم
عن التفكر فيه والنظر معرضون لان فيه ذكر ما نزل بالمكذبين بالتكذيب والعناد وفيه ذكر من نجا منهم ثم نجا وذكر
ما نوى وما يتقى وفيه ذكر البعث وذكر الجنة والنار ونحو ذكر ما لهم وما عليهم فهم عن التفكر فيه والنظر معرضون
ما لو تفكروا فيه ونظروا لادركوا كله ووصلوا الى معرفة كل ما فيه مما ذكرنا والله اعلم والثانى فى قوله عز وجل قل هو نبأ
عظيم انتم عنه معرضون اى البعث والحشر هو نبأ عظيم انتم عن السعى له والعمل لذلك معرضون تاركون تحمل له وبه
عن البعث والحشر بحمل الاعراض عن السعى له والعمل له وقد يحتمل على القران بجميل الاعراض عن التفكر
فيه والنظر والله اعلم وقوله عز وجل ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الاية اختلف فى ملأ الاعلى
قال عامة اهل التاويل الملأ الاعلى هم الملائكة الذين تكلموا فى ادم عليه السلام حين قال لهم الرب عز وجل انى جاعل
فى الارض خليفة قالوا عند ذلك اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية وقوله عز وجل اذ يختصمون ليس على
حقيقة الخصومة ولكن على التكلم فى ذلك كقوله عز وجل يتنازعون فيها كاسا ليس على التنازع المعروف عند الناس فى
الخصومة ولكن على اختلاف الايدى ففى ذلك ما ذكر من اختصامهم والله اعلم ومعناه ما كان من علم من اختصام الملأ
الاعلى وما كان منهم من التكلم الا ان اوحى الى فعلمت وانما انا نذير مبين وقال بعضهم ما كان لى من علم بالملأ الاعلى
اذ يختصمون وما كان اختصامهم فى الكفارات وفى الدرجات وفى المنجيات والموبقات حتى علمنى الله ذلك بالوحى
الى واعلمنى ذلك ويذكرون ان الكفارات هو اسباغ الوضوء فى المكروهات وبذل الطعام عند الضيق والشدايد و
نحوها مما يطول ذكره والله اعلم وجايز ان يكون قوله عز وجل ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اى بالجمع و
الاعلى وهو جمع يوم القيمة سمى الجمع الاعلى لانه جمع الاولين والاخرين من الخلق جميعا اى ما كان لى من علم بذلك الجمع
حتى علمت بالوحى وقوله عز وجل اذ يختصمون فى ذلك اليوم وفى ذلك اليوم يقع الخصومات كقوله عز وجل ثم انكم يوم
القيمة عند ربكم تختصمون وهو على حقيقة الخصومة وجايز ان يكون الملأ الاعلى هم الاشراف من اولئك الكفرة والقادة
منهم الذين هلكوا بالتكذيب ومن نجا منهم بالتصديق يقول ما كان لى من علم بهم وما نزل بهم اوحى الى فعلمت بالوحى
كانهم سالوه عن ذلك فاخبر اى كنت كواحد منكم فى ذلك حتى علمت ذلك بالوحى الا انما انا نذير مبين امرنى ذلك واوحى
الى ان انذركم بذلك حتى اعلم بالوحى والله اعلم وقوله عز وجل اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ظاهر هذا ان يكون
لا على القول منه لهم ولكن على الخبر انه كان ما ذكر والله اعلم ثم ذكر الذى خلق منه ادم على اوصاف مختلفة مرة ذكر انه
خلقه من طين ومرة من تراب ومرة من حما مسنون ومرة كالصلصال ومرة كالفخار ومرة لازب وغيره على اختلاف ما ذكر
فجايز ان يكون كل وصف من ذلك قد كان ووصف عن حال كان ترابا ثم صار طينا ثم ما ذكر ووصف والله اعلم وقوله عز وجل
ونفخت فيه من روحى واضافة الروح الى نفسه كاضافة من خلق فيه اليه اذ الروح خلق من خلق بقيه كساير الخلايق
وقوله عز وجل فقعوا له ساجدين لو لا ما قال اهل التاويل سجود الملائكة لادم الحقيقة السجود والا كنا انصرف
الامر الى الخضوع له والاستسلام كما اجمع الملائكة الى معرفة هذه الاسماء الى ادم وبه عرفوها حيث قال عز وجل
يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم فكن صرف اهل التاويل سجود الملائكة الى حقيقة السجود له جايز لانهم يمتحنون
بالامر والنهى وقد بينا ذلك فيما تقدم ثم استثنى ابليس من الملائكة واخبر انه استكبر وابى ان يسجد له حيث قال عز وجل
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وكان من الكافرين على قول يقول ان ابليس كان من الملائكة فلما ابى السجود حمله
لحكمه الى نفسه صار كافرا ليعلم ان كل احد وان عظم قدره جلت منزلته يحتمل خلاف ما هو فيه وسده وانه منى امتحنه

بامر نفرك امره تكبرا واستخفافا وخذله ووكله الى امر نفسه فصار كافرا مخذولا حقيرا ليكونوا ابدا على حذر وفزع الى الله
عز وجل على ما اخبر من عظم قدر الملائكة عند الله وجليل منزلتهم عنده اخذلهم ووكلهم الى انفسهم صاروا كما صار ابليس
والله اعلم ثم قوله عز وجل وكان من الكافرين اى كان فى علم الله انه يكفر او كان بمعنى صار من الكافرين اذ ابى السجود و
استكبر كقوله عز وجل لادم عليه السلام فتكونا من الظالمين اى فتصيرا من الظالمين والله اعلم وقوله عز وجل قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى قد ذكرنا فيما تقدم فى غير موضع ان تخصيص اضافة الشئ الواحد الى الله عز
وجل يخرج مخرج تعظيم ذلك الواحد وذلك الفرد كقوله بيت الله وساجد الله وان المساجد لله ورسول الله و
ولى الله واشباه ذلك وخص هذه الاشياء بالاضافة اليه وان كانت البقاع كلها والخلق كله له على التعظيم
لذلك فعلى ذلك يخرج اضافة خلق ادم الى نفسه يخرج تعظيم ادم حيث قال لما خلقت بيدى وان كان جميع الخلايق
هو خلقهم ويخرج اضافة كلية الاشياء الى الله وكلية الخلايق اليه يخرج تعظيم الرب والمدح له نحو قوله عز وجل
خالق كل شئ ورازق خلق منشئ العالم ومبديها وهو على كل شئ قدير مالك الموت وغير ذلك على ما ذكرنا فيما تقدم
والله اعلم ثم قوله بيدى قد تكلفت اهل الكلام والتاويل فى تاويل اضافة اليد الى الله عز وجل منهم من قال
القوة ومنهم من قال كذا لكن التكلف فى ذلك فضل مما قد يضاف اليد الى من لا يد له ولا جارحة ولا عضو نحو
قال عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يفهم احد بذكر اليد له ولا الخلف ما يفهم من الخلق و
لا ذهابهم وكذلك ما ذكر من بين يدى البرهان نجى الخلق ولا من زهوق الباطل ما يفهم من مجئ الخلق ولا ذهابهم و
كذلك ما ذكر من بين يدى البرهان حيث قال عز وجل قد جاءتكم موعظة من ربكم وقد جاءكم برهان من ربكم وامثال
ذلك مما يكثر عده واحصاؤه لم يفهم احد من الخلايق من مجئ هذه الاشياء التى ذكرنا مجئ الخلق ولا فهم من ذكر
اليد لما ذكرنا من الاشياء خارجة ولا عضوا فكيف يفهم من ذكر اليد فافهم من الخلق لولا فساد اعتقادهم لهم
والجهل بتعاليه عن معنى الغير والا لم يخطر بباله بذكر ذلك لله او اضافته اليه ما يخطر بباله من الخلق و
معنى الخلق او ان يكون ذلك ذكر نفسه واضافته اليه من اليد وما ذكر لما باليد يكون فى الشاهد لو احتمل
كون ذلك من الخلق نحو ما قال ذلك بما قدمت ايديكم وما كسبت يداك ونحو ذلك مما يعلم فى الحقيقة ان ذلك لم يكن
ذلك يكسب به حقيقة ولا عمله من نحو الكفر وغير ذلك من الاشياء لكنه ذكر اليد لما باليد يكتسب فى الشاهد و
يعمل اكثر الاعمال والافعال واضاف ذلك اليها لما ذكرنا وان لم يكن منها عمل حقيقة فعلى ذلك اضافة اليد
الى الله فيما اضاف على ما كان ذلك من الخلق انما كان اليد وعلى ذلك يخرج ما ذكر من استوائه على العرش بعد
ان ذكرنا فيه ما يليق به ونفينا عنه ما لا يليق واصل ذلك ما عرفنا الله عز وجل متعاليا عن جميع معانى الغير
عن كل صفات يوصف بها الغير على ما ذكر فى كتابه ليس كمثله شئ فاذا كان كذلك لا حاجة يقع لنا الى
تاويل اليد وما ذكروا انه ما اراد به والله اعلم وقوله عز وجل استكبرت ام كنت من العالين معناه والله اعلم
استكبرت للحال عندنا اتيت السجود له ام كنت فى اعتقادك من العالين اى المستكبرين ويحتمل قوله
عز وجل ام كنت ام صرت من العالين اى استكبرت وصرت من العالين على ما فى قوله عز وجل وكان من الكافرين
اى صار من الكافرين ثم حرف الشك والاستفهام من الله عز وجل قد ذكرنا انه على الايجاب والقطع كانه
قال بلى كنت فى الله انك تكفر ويقول وصرت من العالين اى ممن يطلب العلو كقوله تعالى ان فرعون
علا فى الارض وقوله عز وجل قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ابليس عليه لعنة الله ان
النار لما كان من طبعها الارتفاع والعلو ومن طبع الطين السفل والانحدار الذى طبعه الارتفاع والعلو
خير من الذى طبعه السفل والانحدار لذلك قال والله اعلم انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين او
لما راى ان اصلاح الاشياء كلها ونضجها بالنار فقال عند ذلك لكن لو يظن الملعون وحقق النظر لعلم ان الطين خير
من النار لان من الارض والارض كالاصل والام لغيره لان الاشياء يكون صلاحها ونضجها بالنار ولا بد لها من الارض
كالابن من الام الوالدة وعلى غيرها ما ذكرنا والله الموفق ثم كفره باثباته السجود له ما لم يرا امر الله له بسجود من هو خير
واعلى لمن دونه حكمه وحقا فكفر لما راى انه وضع الامر فى غير موضع الامر والله اعلم وقوله عز وجل فاخرج منها قال بعضهم
اى اخرج من الجنة وقال بعضهم من السماء الى الارض وقال بعضهم اى اخرج من الارض الى جزاير البحر والله اعلم بذلك و
ليس لنا ان نتكلف القطع على القول فيه ان امره بالخروج من كذا وقد عرف اللعين انه تمادى امره بالخروج منها ثم ذكر مرة فاخرج
منها ومرة قال فاهبط منها ونحو ذلك من الالفاظ المختلفة وكذلك ما ذكر مرة قال ما منعك ان تسجد اذ امرتك
وقال فى موضع ما لك ان لا تسجد وتكون مع الساجدين ونحو ذلك على الفاظ المختلفة فذلك كله يدل على ان ليس
على الناس حفظ الالفاظ والحروف وكذلك ما ذكر فى القصص على اختلاف الالفاظ مكررة معادة وقوله عز وجل فانك
رجيم اى لعين كانه قال فانك لعين على السن الناس ليس يذكره احد من اعدائه واتباعه واوليائه الا ويقصد لعنه وقوله

عز وجل وان عليك لعنتي الى يوم الدين كانت اللعنة عليه الى يوم الدين هو خذلانه وطرده عن رحمته ودينه لما
علم انه لا يعود الى اختيار توحيده وطاعته ابدا والا كان عليه لعنته في الدنيا والاخرة فاما في الدنيا ما ذكرنا من خذلانه
وتركه في العمر واما في الاخرة طرد وعن جنته والله اعلم ثم سال ربه ان ينظره الى يوم يبعثون فاجاب حيث قال
عز وجل فانك من المنظرين وانما انظره والله اعلم انه يختار الكفر والخلاف له ابدا ثم قوله عز وجل الى يوم الوقت المعلوم
هو يوم اختلف فيه الوقت المعلوم هو يوم البعث الى ذلك انظره على ما سبق منه السؤال على النظر الى يوم يبعثون
وقال بعضهم الوقت المعلوم هو النفخة الاولى وقال بعضهم لم يبين له ذلك الوقت ولذلك ذكر منه الخوف
وهو ما قال عز وجل نكص على عقبيه وقال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين ولو كان بين له الوقت المعلوم
لكان لا يخاف دون ذلك الوقت ولكنه يامن فدل خوفه انه لم يبين له ذلك وهو معلوم عند الله والله اعلم
وقوله قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا
الا من اتبعك من الغاوين كانه يقول والله اعلم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ان يغويهم الا من كان في علمه انه
يختار الغواية ولو لم اتباعه فيكون لهم عليهم سلطان الاغواء فاما من كان له في علم الله انه يختار الايمان والتوحيد
فلا سبيل لك عليهم والله اعلم ثم قال بعض المخلصين للتوحيد فان كان ذلك فيكون قوله عز وجل لاغوينهم يكون
كفرا وقال بعضهم المخلصين من الهلاك فان كان ذلك فيكون قوله لاغوينهم اي لاهلكنهم وقال بعضهم المخلصين من
كل ذنب وكل معصية لكن الوجهين الاولين اشبه واقرب والله اعلم وقوله عز وجل قال فالحق والحق اقول قد قرا بنصبهما
جميعا فالحق والحق اقول وقد قرا ايضا برفع الاول ونصب الثاني فالحق والحق فمن قرا بالرفع فيكون معناه والله اعلم
انا الحق والحق اقول ومتى يكون الحق على هذا ومن قرا على النصب فهو على التاكيد تاكيدا على اثره كانه يقول اقول
الحق الحق وهو يقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ثم جائز ان يحتج بهذه الاية على المعتزلة فيقال لهم اراد
الله عز وجل ان ينجز ما وعد وان يصدق خبره الذي اخبر انه كان يكون اولم يرد ان ينجز ما وعد وان لا يخرج خبره على
الصدق فان قالوا لم يرد اعظم القول لانهم زعموا انه اراد ان يخلف ما وعد وان يكون في خبره فذلك عظيم القول
حيث وصفوا ربهم بالسفه اذ من اراد ان يخلف وعده وان يكون في خبره فهو سفيه على زعم من قال ذلك وان قالوا
اراد ان ينجز ما وعد وان يصدق خبره فيقال لهم اراد ان يتبعوا ابليس واراد ان يؤمنوا ولا يتبعوه فان قالوا
اراد ان يؤمنوا ويتبعوا ابليس فيقال اراد ان يجوز ويظلم عن زعمكم لانه ان يملا جهنم ولم يرد ما يستوجبون ذلك
فدل على ان الله تعالى ما علم انه يكون منهم والله اعلم وقوله قل ما اسالكم من اجر هذا يحتمل وجوه احدها لا اسالكم
على ما ادعوكم من الشرف والذكر في الدنيا والاخرة من اجر ولا احد في الشاهد ممن يبذل للاجر من الشرف والذكر ولا
يعطيه ذلك الا باجر فكيف يتركون اتباعي ولا يسالون ذلك مني ويقول لا اسالكم ما ادعوكم اليه من اجر فيمنعكم ثقل
ذلك الاجر وذلك العجز عن اجابتي كقوله عز وجل ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي ليست تسالهم اجرا حتى
يمنعهم ثقل ذلك العجز عن الاجابة وقوله عز وجل وما انا من المتكلفين قال عامة اهل التاويل وما انا ممن تكلفت ذلك
من تلقاء نفسي ولا امرتكم بما امرتكم الا بالوحي والمتكلف عند الناس في الظاهر الذي يقول ويقول بلا اذن وقال ابو عوسجة
المتكلف هو الذي يتكلف ما لا يعنيه ويفعل ما لم يؤمر به وجائز ان يكون قوله عز وجل وما انا من المتكلفين اي ما انا
من المتحملين ما حملتم اذا خلفتموني والله اعلم وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين اي ما هذا القران وهذا النبا
الاعظم ويكون لمن انتفع به وقوله عز وجل ولتعلمن نباه بعد حين يحتمل نبا القران ويحتمل البعث والحساب اي يعلمون
ان ذلك حق بعد حين ثم ذكر عز وجل في جهنم انه يملاها ولم يذكر في الجنة انه يملاها فجائز ان يكون ما ذكر من
الملاء هو ان يضيقها عليهم وفي التضييق زيادة في الالم وان يكون في سعة الجنة حكمة ولا يكون ذلك في جهنم
لان السعة يطلب للنزهة والانتشار في البساتين وغير ذلك وليس ذلك في جهنم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم يقول والله اعلم
ان الكتاب الذي يتلوا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوكم اليه هو تنزيل من عند الله كقوله نزل به الروح الامين على
قلبك الاية وقوله عز وجل العزيز الحكيم على اثر قوله تنزيل الكتاب من الله يخرج والله اعلم انه يدعوكم محمد صلى الله عليه وسلم
الى اتباع الكتاب والطاعة ليس لذلة به يطلب بكم العز او الضعف في التدبير فيطلب بكم الاستعانة فيه لانه عزيز
بذاته حكيم لا يلحقه الخطاء او الضعف في التدبير ولكن انما امركم بما امر ونهاكم عما نهى ليكتسبوا لانفسكم ولينتفعوا
فاما الله سبحانه عزيز بذاته غني حكيم بنفسه وقال بعضهم العزيز هو الذي لا يعجزه شيء والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطا
في التدبير وقال بعضهم هو العزيز دونه اذا يصير ذليلا عزه ويكون عز من دونه عز ذلا والحكيم هو المصيب في
فعله وتدبيره وقيل هو الذي وضع كل شيء موضعه وقال بعض اهل التاويل العزيز هو المنيع وتاويل المنيع الممتنع من جميع

مكايد الخلق وعن جميع حيلهم بالتفرد له وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق
يحتمل قوله عز وجل بالحق اي بالحق الذي لله عليكم وبالحق الذي لبعضكم على بعض او لما اهل التاويل بالحق اي للحق اي انزلناه
للحق لم ننزله عبثا باطلا لغير شيء ولكن انزلناه للحق لحقوق والاحكام ونحن وامور والله اعلم وقوله فاعبد الله مخلصا
له الدين جائز ان يكون ما ذكر من انزاله الكتاب بالحق ذلك هو ما امره من العبادة له امره بوفاء ذلك الحق له ثم يحتمل قوله
فاعبد الله مخلصا له الدين وجهين احدهما اصل في الاعتقاد اي اعتقد جعل كل عبادة وطاعة لله خالصا لا يعتقد احدا شركاء
والثاني في المعاملة ان كل عبادة وطاعة اجعلها لله خالصا لا يجعل لغيره فيه شركاء والله اعلم واما اهل التاويل قالوا
فاعبدوا الله وحده له مخلصا له الدين وتاويل هذا ان اجعل الوحدانية والالوهية لله في كل شيء وقوله عز وجل
الا لله الدين الخالص اي ولله شهادة الوحدانية والالوهية في كل شيء ويحتمل ايضا قوله عز وجل الا لله الدين الخالص
اي دين الله هو الدين الخالص لانه دين قام بالحجج والبراهين وما غيره من الاديان فهوى النفس وما بينها الا بالحجج والايات
والله اعلم وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء عرفوا انما كانوا يعبدون من الاوثان وغيرها ليسوا بالهة في الحقيقة و
لا لهم الالوهية حقيقة وان حقيقة الالوهية لله لكنهم سموها الهة لانهم كانوا يعبدونها وكل معبود عند العرب الهة
لان الاله هو المعبود وغيره وتسمية كل معبود لها لذلك سموها الهة وان عرفوا ان ليست لهذه الاشياء الوهية حقيقة
وان ذلك لله عز وجل ثم ان الذي حملهم على عبادة ما عبدوا من دون الله وجهان احدهما لما لم يروا انفسهم يصلح لعبادة
الاله العظيم ويقدر على القيام بخدمته فعبدوا هذه الاشياء رجاء ان يقربهم عبادة هؤلاء الى الله زلفى وان هؤلاء
شفعاؤهم عنده وذلك ما راوا في ملوك الدنيا ان كل احد لا يجد السبيل الى خدمة ملوكها او يقدر على القيام بين يديه
والخدمة له فيخدم من له بالملك وعظم قدره ومنزلته عند الملك ليقربه ذلك المخدوم له الى الملك اذا بدت له الحاجة
او الشفاعة وعلى ذلك ما ذكر في قصة فرعون انه كان اتخذ لقومه اصناما يعبدونها من دونه لما لم ير كل احد منهم يصلح
الخدمة وهو ما اغرى قومه على موسى حيث قالوا ويذرك والهتك ونحو هذا وجه والثاني عبدوهم لما راوا اباءهم
قد عبدوها وتركوا على ذلك حتى نابوا ما استدلوا بتركهم على ذلك على ان الله قد كان رضي بعبادتهم الاصنام وامرهم بذلك
لقوله اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ولذلك قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا و
قولهم لو شاء الرحمن ما عبدنا من دونه من شيء استدلوا بتركه اباهم على ما عبدوا من الاصنام على ذلك ولم يعاقبهم
في الدنيا وكانوا لا يؤمنون بالاخرة حتى يزجرهم ايها على ان الله قد رضي عنهم بذلك وامرهم عن امره فعلوا ذلك
فرد الله ذلك عليهم فقال ان الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يحتمل قوله فيما هم فيه يختلفون
في محمد صلى الله عليه وسلم انهم اختلفوا فيه فمنهم من قال انه ساحر ومنهم من قال انه شاعر وانه مجنون وانه مفتري ونحوه
فيخبر انه يحكم بينهم ليبين انما ذكروا اهوائهم ويحكم بينهم ان الاصنام التي عبدوا لا يشفع لهم وان عبادتهم لا يقربهم
الى الله زلفى وقد بين لهم في الدنيا ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر ولا بساحر ولا كذاب دال ما قالوا لما
انباهم واخبرهم باخبار عرفوا ان الساحر ولا الشاعر لا يعرف مثلها نحو ما اخبرهم بنصر الله اياه والظفر له عليهم اعني على
الاعداء فكان على ما انباهم وكذلك ما انباهم بانباء واخبار عرفوا انه صادق في ذلك مما لا يستفاد مثلها بالسحر ولا
بالكهانة الا بالوحي من الله عز وجل لكنهم عاندوا وكابروا وكذلك بين لهم ايضا ما عرفوا ان الاصنام التي عبدوها في الدنيا
لا يملكون الشفاعة يوم القيمة حيث ابتلاهم باحوال وافزاع بركوب البحار والضيق عليهم حتى فزعوا الى الله في كشف ذلك
عنهم ودفعه منهم لم يفزعوا الى الاصنام التي دعوها لقوله عز وجل فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقوله
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ونحو ذلك مما ابتلاهم بالشدائد والبلايا عرفوا ان معبودهم الذي
عبدوه لا يملك دفع ذلك عنهم ولا كشفه وانما المالك لذلك هو الله المعبود الحق ثم يناقض وقولهم لانهم كانوا
ينكرون رسالة النبيين بقولهم ابعث الله بشرا رسولا فيرون للحجب والاشجار الالوهية والعبادة فذلك
تناقض ظاهر وقال بعضهم في قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي مقربتهم
فيشفعون لنا الى الله تعالى وقوله ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون وقوله عز وجل ان الله لا يهدي من هو
كاذب كفار قال ابو بكر لا يهدي احدا بالضلال والكفر ولكن انما يهدي بضد الضلال والكفر او كلام نحو ما قال الجبائي
لا يهدي طريق الجنة في الاخرة اي لا يهدي من كان في الدنيا كاذبا كفارا في الاخرة طريق الجنة وجائز ان يكون قوله
عز وجل ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار من مثله قوله عز وجل ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله كفار لنعمه يصرفهم العبادة الى غير المنعم وقال جعفر بن حرب ان الله لا يهدي الى الزيادات التي يهدي ويعطي
من اختار الهدى لانه يقول ان من اختار الهدى واهتدى كان عند الله لطفا ورحمة يعطي ذلك زيادات وفضل
زيادة على ما كان اختاره كقوله عز وجل والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم هذه التاويلات كلها للمعتزلة
واما عندنا فان قوله ان الله لا يهدي من هو في علمه انه يختار الكفر وقت اختيار الكفر والضلال اي لا يوفقه

الهدى ولا يحبه وفت اختيار الكفر ولكن يخذله الكفر ولكن يخذله وكذلك يقول في قوله عز وجل والله لا يهدى القوم الظالمين والكافرين ونحوه اى لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر والظلم والله الموفق والثانى لا يهدى اى لا يخلق فعل من هو فعل كفر فعل هدى ولكن يخلق فعل كفر وكذلك فعل من هو فعل هدى فعل كفر ولكن يخلق كل فعل على ما يفعله الفاعل ويختاره يخلق فعل الكافر كفرا وفعل المهتدى فعل هدى يخلق كل فعل على ما يختاره الفاعل ويفعله ان كان هدى يخلقه هدى وان كان كفرا كفرا قال بعضهم اهل التاويل ان الله لا يهدى من كان فى علمه ان يختم بالكفر ويخرج به من الدنيا والله اعلم ثم قوله عز وجل من هو كاذب كفار يحتمل وجهين احدهما من هو كاذب كفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى كفار لنعم الله وكاذب فى القول كفار فى الفعل والله اعلم وقوله عز وجل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ظاهر هذا ان ايجاد الولد له من المحتمل والممكن ليس من الممتنع وكذلك ظاهر قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا ظاهر هذا الذى ذكر هو من المحتمل وكان الممتنع ايضا كقوله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا دلت هذه الايات على ان ايجاد الولد من الممتنع والعظيم فى العقول والقلوب جميعا ثم قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اى لو جاز او احتمل ايجاد الولد على ما يقولون انتم وتتوهمون لاصطفى ولاختار مما يشاء هو شاء ليس على ما تختارون انتم لو شئتم وان الملائكة بنات الله على ما تزعمون اذا العرف فى الخلق ان من اتخذ لنفسه شيئا انما اتخذ من اعز الاشياء وارفعها واعظمها قدرا عندهم لا من احسن الاشياء واذلها وهو كقوله عز وجل فراغ الى الهتهم اى الى الهتهم التى اتخذوا ولك الهة فى الحقيقة ولكن سماها بالذى عندهم وكذلك قول موسى عليه السلام وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا اى انظر لا الذى اتخذه الها سماه على ما هو عنده فعلى ذلك قوله عز وجل لو اراد الله على ما فى ظنونكم وتوهمكم انه اتخذ الولد لاختار مما ذكر لا مما تقولون انتم لو احتمل ذلك ذلك على ما فى ظنكم وحسبانكم لكان مما ذكر والثانى فى معنى الايجاد راجع الى البنين اذ كانت الكفرة ينسبون الملائكة الى انهم بناته لما عرفوا من كرمتهم على الله عز وجل وقربتهم عنده ينسبونه الى انهم بناته والى ان عيسى ابنه انما اتخذ الا ما ولا دوسى يستنصر بهم فبراه الله عز وجل نفسه عن احتمال الشكل وخوف الغلبة فقال سبحانه هو الله الواحد القهار فى قوله عز وجل الواحد القهار رفع ما قالوا فيه واحاله ذلك لما اخبر انه واحد فى الذات ولو كان له ما ذكر من الولد لم يكن واحدا فى الذات اذ كل محتمل الولد منه هو من شكل الولد فاذا عرفهم انه واحد فى الذات لم يحتمل الولد وما ذكر وا وفى قوله عز وجل القهار رد لا لذا احاله ذلك لانه اخبر انه قهار والولد فى الشاهد انما يتخذ لاحد وجوه اما الوحشة اصابته فيستانس واما الحاجة تمسه فيدفع بالولد ذلك واما الغلبة شهوة فيقضيها فيتولد من ذلك الولد واما الوراثة ملكه بعد موته وهو قايم باقى لا يزول ملكه ابدا واما الاستعانة به والنصرة على اعدايه لاحد هذه الوجوه ذكرنا يحتاج المرء الى اتخاذ الولد قادر بذاته قاهر غنى لا يحتمل ما ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق يحتمل قوله بالحق اى بالحق الذى لله عليهم وللبعض على بعض من الحق او ان يكون قوله بالحق اى للحق وهو البعث ما لو لم يكن البعث لكان خلقهما عبثا باطلا على ما ذكر فى اية اخرى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وجايز ان يكون قوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق اى بالحكمة وهو ان جعل فى خلقه كل شى اثر وحدانيته والوهيته ما يعرف كل انه فعله وان لم يشا خلقه وقوله على ما يكون ذلك فى فعل احد من الخلايق اثر معرفة فاعله والله اعلم وقوله عز وجل يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل كما ذكر فى اية اخرى يولج فى النهار ويولج النهار فى الليل يذكر دلالة وحدانيته حيث جعل منافع الليل متصلة بمنافع النهار ومنافع النهار متصلة بمنافع الليل على اختلافهما وتناقضهما وتضادهما ليعلم انهما فعل واحد وكذلك ما جعل من منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ليعلم ان منشئهما واحد اذ لو كان عددا لامتنع ذلك اذا العدد المعروف من عادة الملوك انفراد كل بملكه وسلطانه والاستيلاء على ما استولى وقبض به الاخر ونفاذ امره فى سلطانه فاذا لم يمتنع ذلك دل انه فعل واحد وكذلك ما ذكر من تسخير الشمس والقمر ولمنافعهم وجريتهما فى يوم واحد مسيرة العشرة اعوام او ما ذكر من غير ان يغير احد سيرهما انهما يسيران وقت سيرهما الابد فعلمهما ذلك دل ان لهما منشى وانه واحد ودل اتساقهما وجريانهما على سير واحد منذ كان الى اخر ما يكونان ويدوران على ان منشئهما واحد عالم مدبر عرف حاجة اليهما ابا الابدين ومنافعهم بذلك وقوله عز وجل كل يجرى الى اجل مسمى اى كل مما ذكر يجرى الى الوقت الذى جعل له لا يتقدم ولا يتاخر ولا ينقطع ما كان بالحق جاعله والله اعلم او الى منازل معلومة لا يجاوزانها وقوله عز وجل الا هو العزيز الغفار وهو العزيز بذاته لا يعجز بما ذكروا له من الاولاد ولا بطاعة من اطاعة الغفار لمن كان له اهلا للمغفرة ما لا يخرج مغفرته اياه عن الحكمة والله اعلم وقوله عز وجل يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وقال بعضهم اى يدخل احدهما على الاخر كقوله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل الاية وقال بعضهم يكور الليل على النهار اى يغشى احدهما بالاخر كقوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا

وقال

وقال بعضهم يكور اى يلف هذا بهذا وهو من كور العمامة ومنه قوله اذا الشمس كورت اى جمعت ولفت واصل التكوير اللف والجمع وهو قول ابو عوسجة والقتبى وقوله عز وجل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ظاهر هذا انه خلقنا من تلك النفس قبل خلق زوجه منها لانه حرف ثم انما هو حرف اتباع وارداف وحرف ترتيب لاحرف جمع فاذا كانت كذلك فظاهره يوجب ما ذكرنا لكن اهل التاويل اختلفوا فى معنى ذلك ذكر عن ابن عباس رضى الله عنه فى بعض الروايات انه تاويل فى ذلك وقال عز وجل خلقكم من نفس كانت واحدة ثم جعل منها زوجها او كلام نحو هذا وعندنا ان قوله عز وجل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يخرج على ظاهر ما ذكر لكن الخلق هو التقدير فى اللغة كانه قال عز وجل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها او كلام اى تدركم جميعا على كثرتكم من ازل ما انشاءكم الى اخر ما ينشئكم من تلك النفس الواحدة منها قدرنا وقوله عز وجل ثم جعل منها زوجها ثم اخرجنا منها زوجها ثم اخرجنا منها من تلك النفس وزوجها والا كان تقديره انا بانيها كان قبل زوجها منها وهو الظاهر على ظاهر ما خرج الكلام والله ثم كان من خلق ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ظاهر الانزال هو ان ينزل من علو يرتفع الى سفل ويتحدر لكن اللغة لا يمتنع عن استعمال لفظ الانزال لا على حقيقة الانزال من علو الى سفل يقال نزل فلان بارض او بمكان كذا او ببلد كذا وان لم يكن هناك منه نزول منه علوا الى متحدر وسفل فعلى ذلك هذا واصله كل حرف من حروف الانزال وغيره مما اضيف الى الله عز وجل مما يستقيم صرفه الى خلقه ان المراد منه خلقه نحو قوله عز وجل انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وانزلنا الحديد فيه باس شديد وغير ذلك مما يكثر ذكره فهو خلقه اياه فعلى ذلك قوله عز وجل وانزل لكم من الانعام اى خلق لكم من الانعام ما ذكر على ما ذكر وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اى خلق لكم ما ذكر فعلى ذلك حرف الانزال والله اعلم ثم ظاهر قوله من الانعام ثمانية ازواج يخرج ان يكون على احد وجوه ثلاثة اما ان لا يسمى الانعام ولا يكون الا الثمانية الازواج التى ذكر انه خلقها لنا فان كان على هذا فيكون حرف من ها هنا صلة كانه قال عز وجل وانزل وان يسمى كل ما خلق من الدواب انعاما الا انه لم يجعل لنا منها الا الثمانية الازواج التى ذكر فان كان هذا فيكون حرف من حروف تبعيض وتجزية او ان يسمى كل الدواب انعاما الا انه لم يحل لنا كل شى منها من جميع انواع الانتفاع بها من الازواج التى ذكر فانه قد احل لنا كل شى من هذه الاصناف الثمانية من لحومها والبانها واصوافها وكل شى منها واما ما سوى ذلك من الانعام فانه لم يحل لنا اكل شى منها من اللحوم وغيرها ولكن احل لنا الانتفاع بظهورها من نحو الحمير والبغال وغير ذلك مما يشتهى والله اعلم ثم الثمانية التى ذكر انها خلقها لنا فى هذه الاية هى التى ذكرها فى سورة الانعام وهو قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى قوله ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين الى اخر ما ذكر فيشبه ان يكون ما ذكر من ثمانية ازواج انه انزل فى سورة الزمر التى هى احل لنا كل شى منها واما ما سوى ذلك فانه انما احل لنا الانتفاع بها لم يحل لنا اكلها الا انه ذكر فى سورة الانعام الاحل ثم ذكر على اثر هذه الثمانية الازواج الابل والبقر والضان والمعز حيث قال عز وجل كلوا مما رزقكم الله ثم قال عز وجل ثمانية ازواج من الضان اثنين الى اخر ما ذكر وهذا يدل على ان قوله عز وجل قل لا احد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه انما هو مما ذكر اى لا احد محرما من هذه الاصناف الثمانية الا ما ذكر من الدم والميتة ولحم الخنزير ثم يخرج استثناء لحم الخنزير يخرج الاستثناء عن جنس المذكور على كون ذلك الغير فيه وذلك جايز فى الكلام كقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والاصطياد الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد فعلى ذلك الاول كانه اضمر فيه استثناء لحم الخنزير منه والله اعلم وقوله عز وجل يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق قال اهل التاويل تحويله من حال الى حال من نطفة الى علقة ثم الى مضغة حتى يتم خلقا مستويا فى ظلمات ثلث قيل الرحم والبطن والمشيمة وقيل الظهر يخبر عن قدرته وتدبيره وعلمه اى تدبير قدر على الخلق الانسان وكل خلق فى تلك الظلمات الثلث والتسوية بين كل شى منه من اليدين والرجلين والعينين والاذنين والسمعين والبصيرين وقسمة الاعضاء على السواء حتى لا يزداد احد اليدين على الاخرى وكذلك احد الرجلين واحدى العينين واحدى الشفتين وكذلك كل شى منه فى تلك النطفة واليدين والرجلين والبصر وكل الجوارح ما لو اجتمع الحكماء جميعا حكماء البشر لم يعرفوا كون شى من الجوارح والنفس وتقديرها من تلك النطفة وتصويرها منها ليعلم انه قادر على خلق الاشياء من شى ومن لا شى وبسبب وبغير سبب جعل من الاشياء لبعض الاشياء لم يجعلها استعانة منه بها على انشاء ذلك وان من قدر على تقدير ما ذكر تصويره فى الظلمات التى ذكر على السبيل التى ذكر فانه لا يخفى عليه شى ولا يعجزه شى يحتج عليهم لانكارهم البعث وانكارهم بعث الرسل والحجج يخبران من فعل ما ذكر بما ذكر من تغييرهم من حال الى حال وتحويلهم من صورة الى صورة اخرى انه لا يفعل ذلك ليتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهيهم ولا يمتحنهم لانه ان لا يبعثهم ليجزى المسئ منهم والعاصى جزاء الاساءة والعصيان والمحسن منهم والمطيع جزاء الاحسان والطاعة ان قد سوى بينهم فى هذه الدار وفى الحكمة والعقل والتفريق بينهما فلا بد من دار اخرى يفرق بينهما والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم له الملك يحتمل ذلكم الله ربكم اى ذلكم الله الذى ذكر من تقديركم وتصويركم فى ظلمات تلك النطفة

هو ربكم الذي فعل ذلك او ان يكون قوله عز وجل ذلكم الله ربكم له الملك في جميع ما ذكر من قوله عز وجل خلق السموات
يكور الليل على النهار وما ذكر من تسخير الشمس والقمر وجريانهما على سنن واحد وعلى قدر واحد وما ذكر من خلقنا جميعا
من نفس واحدة الى اخر ما ذكر يقول ذلكم الله الذي فعل كله هو ربكم لا اله الا هو فانى تصرفون اى فانى تصرفون
عبادتكم الى غيره او فانى تصرفون الوهيته وربوبيته الى غيره وتجعلون له شركاء واندادا وقد تعلمون ان الذي فعل
ذلك كله هو الله الواحد الذي لا شريك له ولا مثل او يذكر انما ذكر من النعم التي اعطاكم واسدى اليكم هو ربكم الذي
خلقكم فكيف تصرفون شكرها الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر
وان تشكروا يرضه لكم روي عن ابن عباس انه قال ان تكفروا فان الله غني عنكم اى تكفرون دين الله الاسلام ولم
يقبلوا فانه لا يقبل منكم وان تشكروا اى وان تسلموا يرضه لكم اى يقبل منكم كقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه وقال غيره ان تكفروا وحدانيته فان الله غني عن عبادتكم وان تشكروا اى توحدوه يرضه لكم من الاول وجائز ان يكون
قوله ان تكفروا النعم التي عدوها عليكم فيما تقدم ذكرها من قوله خلق السموات والارض يكور الليل على النهار وقوله وانزل
لكم من الانعام الى اخر ما ذكر من النعم يقول ان تكفروا هذه النعم يقول ان تكفروا هذه النعم التي عدوها عليكم فانه غني عنكم
وان تشكروا ما وعد عليكم من النعم يقبل ذلك منكم والله اعلم واصله ان الله عز وجل بين سبيل الهدى ورغبهم اليه وبين
سبيل الضلال وحذرهم عنه ثم بين ان من سلك سبيل الهدى فله كذا ومن سلك سبيل الضلال فله كذا فيصير الى كذا
او ان يقول ان من سلك سبيل الهدى يرضى لنفسه عاقبة السبيل الذي سلك فيه كقوله عز وجل وجوه يومئذ ناعمة
لسعيها راضية ومن سلك سبيل الضلال والكفر يمقت ذلك السبيل في العاقبة كقوله عز وجل ان الذين كفروا ينادون
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اخبر انهم يمقتون انفسهم اذا يردوا وعرفوا انهم خطوا الطريق وبالله العصمة وذكر في
حرف عبد الله بن مسعود والله يكره لعباده الكفر وقوله وان تشكروا يرضى عنكم وكذلك ذكر هذا في حرف ابي وحفصة خاصة
واصل قوله ان تكفروا فان الله غني عنكم اخبار انه لم يأمركم فيما امركم به ولا نهاكم عما نهاكم عنه لحاجة نفسه او لمنفعة له
في ذلك ولكن انما امتحنكم بما امتحنكم لحاجة انفسكم ولمنفعتكم ولدفع الضرر عنكم وكذلك ما انشأ من الانشاء
لم ينشئها لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن انما انشأها لكم ولمنافعكم وكذلك يقول لم ينشئها لانفسها حتى اذا
اتلف شيئا منها عوضها لها على ما تقول المعتزلة انه ليس لله ان يتلفها الا ان يعطيها لها عوضا بازاء ذلك ولكن انشأها
للبشر ولهم يرد من تلف شيئا منها والله اعلم وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى يذكر هذا والله اعلم جوابا لقولهم حيث قال
عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الاية اخبر انه لا احد يحمل وزر اخرى ولكن
يحمل وزر نفسه وانما في خبر ان امر الاخرة على خلاف امر الدنيا لان في الدنيا فيحمل بعض اثام بعض واوزارها فاما
في الاخرة فانه لا يحمل احد وزر اخر ولا اثامه والله اعلم وقوله عز وجل ثم الى ربكم مرجعكم الاية خص البعث بالرجوع اليه
مرة وبالمصير ثانيا والبروز له ونحو ذلك وان كانوا في جميع الاحوال راجعين اليه صائرين لان المقصود من انشائهم
في هذه الدنيا ذلك البعث فخص لذلك رجوعا اليه والله اعلم وقوله انه عليم بذات الصدور قال اهل التأويل انه عليم
بما في الصدور وعندنا عليم بكل ما يصدر من الخير والشر وذكر بذات الصدور لان اصحاب الصدور هم يصدرون ويظنون
في صدورهم وقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اخبر الله الخلق
ما كان من عادة الكفرة في غير اي من القران انهم كانوا يخلصون الدين لله ويتضرعون اليه اذا مسهم بلاء او شدة اذا
ركبوا وكان لهم خوف الهلاك وفزع كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية وغير ذلك من الايات وكل
كل بلاء وشدة اصابهم فزعوا الى الله عز وجل وتضرعوا اليه وقوله ثم اذا كشف عادوا الى ما كانوا من قبل وقوله نسي
ما كان يدعوا اليه من قبل يحتمل قوله نسي اى لا يملك الاصنام التي عبدوها رفع ذلك عنهم ولا كشفه او نسي ان لا ينفع
شفاعتهم اياهم ونحوه كقوله عز وجل واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه اى نسوا ما علموا من عجز الاصنام ونحوه
وقوله وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله كان الاية في الرؤساء منهم جعلوا اندادا ليضل الناس عن سبيله قل تمتع
بكفرك قليلا في الدنيا انك من اصحاب النار ذكر انه من اصحاب النار لما علم انه يختم على الكفر والله اعلم ثم الحكمة
في ذلك هذا وامثاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل وجوه احدها يصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سوء معاملتهم
اياه كما حكم عن سوء معاملتهم ولم يستأصلهم على اثر ذلك وذلك اعظم في العقل ويخبر الاواخر عن سوء معاملتهم
ليحذروا عن مثل معاملتهم ربهم ليحذروا عن مثل معاملتهم ربهم ويخبر عن حلمه ان كيف منهم فاعلم انت والله اعلم
ليضل وليضل فيه ثلاث لغات وقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قال بعضهم
هذه الاية صلة ما تقدم من قوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه
من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله كالذي هو قانت اى مطيع لله اناء الليل والنهار ويحذر عذابه ويرجوا رحمته
ليسا بسواء عندكم الذي اطاع الله في جميع اوقاته واحوال تقصيره في ذلك راجع رحمته لطاعته والذي عصى ربه ولم

بعمله فاذا عرفتم انهما ليسا بسواء ثم رأيتم انهما قد استويا في نعم هذه الدار وسعتها وشدائدها وفي الحكمة التفريق بينهما
علم ان من دارا اخرى يفرق بينهما فيها يثاب المحسن المطيع جزاء احسانه وطاعته ويعاقب الكافر المسيء جزاء كفره وظلمه
والله اعلم ومنهم من يجعل لهذه الاية مقابل لكنه يقول مقابلها ليس الاول ولكن لم يذكر لها مقابل ويقول على ما عرفتم
انه لا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم فعلى ذلك لا يستوي الذي اطاع ربه اناء الليل واجهد نفسه في عبادة الله والذي عصى
ربه وكفر نعمه وقد ظهر الاستواء بينهما في هذه الدنيا لا بد من التفريق بينهما في دار اخرى فيها تفرق وتميز لكان تخليق هذا العالم على
ما كان باطلا سفها غير حكمة والله اعلم وقوله يحذر الاخرة اى يحذر عذاب الاخرة وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود انه قرأ
يحذر عذاب الاخرة وقوله ويرجوا رحمة ربه دلت الاية على ان المؤمن يجب ان يكون بين الرجاء والحذر يرجوا رحمته لا عمله و
يحذر عذابه لتقصيره في عمله ثم الرجاء اذا جاء وحده يكون امنا وقد قال الله عز وجل فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
والخوف اذا جاء وحده يكون ياسا وقال الله عز وجل لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويجب ان يكون المؤمن كما
ذكر عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا لا يجاوز احدهما وجائز ان يكون قوله عز وجل ويرجون رحمة
ربه انه جنته على ما سمي الجنة رحمة في غير موضع لما برحمته ينال هي والله اعلم وقوله عز وجل هل يستوي الذين يعلمون
في معرفة نعم الله والقيام بشكرها والحذر عن عصيانه وعذابه وقوله والذين لا يعلمون في كل ذلك الجواب ان يقال لا يستوي
الذين لا يعلمون وهو ما قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله انما يتذكر اولوا الالباب انما يتذكر بمواعظ الله
اولوا العقول والبصر والمعرفة والله اعلم وقوله اناء الليل اى ساعات الليل وقانت اى مطيع واصل القنوت هو الطاعة
وقيل القنوت القيام وهو القيام في الطاعة والله اعلم وفي قوله يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه دلالة جواز الارجاء لانه لا يقطع
على احدهما دون الاخر وكذلك في قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا رغبا ورهبا وفي القطع على احدهما كفر على ما ذكرنا
من قوله فلا يأمن مكر الله ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فادل المجاوزة في الخوف اياس والمجاوزة في حد الرجاء
امن وقد ذكرنا انه كفر وقوله قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم يحتمل قوله اتقوا ربكم وجوها اتقوا سخط ربكم واتقوا
نقمة ربكم واتقوا مخالفة ربكم ونحوه واصل التقي ما يهلكوه اى اتقوا ما يهلككم والله اعلم وقوله للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة لهم في الاخرة وجائز ان يكون لهم الحسنة في الدنيا والاخرة حسنة ولدار الاخرة خير الاية وكقوله عز
وجل والذين هاجروا في سبيل الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في هذه الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر ثم يحتمل الحسنة وجوها
اخر استغفار الملائكة لهم والانبياء عليهم السلام لان الله عز وجل امتحن ملائكته على استغفار المؤمنين والرسل
كقوله ويستغفرون لمن في الارض وكذلك امتحن رسله بالاستغفار للمؤمنين وكذلك المؤمنين يستغفر بعضهم
لبعض ونحوه وقوله وارض الله واسعة ذكر هذا والله اعلم لان من امن منهم بمكة كانوا يظهرون الموافقة
لاعدائهم ويتقون فيما بينهم وكان لهم اسباب التعيش في بلدهم ولم يكن لهم ملك في بلد غيرهم فخافوا الضياع
انهم خرجوا من بلدهم فيها اخرجوا منها الى غير بلدهم فيمتنعون عن ذلك فخاطب الاية على الرخص والاطماع لهم فقيل ذلك
التعيش واسباب في غير ذلك البلد وهو ما ذكر في اية اخرى وهو قوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم
كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها لم يعذروا في تركهم الهجرة واظهارهم الموافقة
لاعدائهم ولهم طاقة وسعة التحول من بلدهم الى بلد غيرهم الا من لم يكن به طاقة الخروج من بينهم وهم الذين استثناهم
وهو قوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والله اعلم وقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وجوها احدها
بغير حساب اى بغير تبعة ولا تسوية كقوله لمن توصل العذاب او بغير حساب اى لا يحاسبون لما ليس وراء ذلك الدار
الاخرة دار اخرى يحاسبون فيها ما اعطوا في الاخرة ليس كدار الدنيا محاسبهما وثوابها في الاخرة واما ما اعطوا في
الاخرة فلا يحاسبون في غيرها ويحتمل بغير حساب اى مقدر بالحساب ولكن اضعافا مضاعفة ويحتمل بغير حساب اى بلا نهاية
ولا غاية والله اعلم ثم الصبر هو حبس النفس اما على اداء ما امر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه او حبسها وكفها في تحمل
ما حلت من الشدائد والمصائب والمؤن العظام احتملوا ذلك ولم يجزعوا وهو ما ذكر في غير اي من القران ولنبلونكم
بالشر والخير فتنة ونحوه وقوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين يحتمل ان يكون
قال هذا لما ان اهل مكة كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم ودين ابائهم وكانوا يطمعون عوده
اليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين لان اكون اول المسلمين ذكرها هنا
انه امر ان يعبد الله مخلصا له الدين وقال في اية اخرى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله الاية وقال في اية
اخرى قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا الاية اخبر انه لو اتبع اهواءهم فيما هم فيه يضل اذا وكان من المهتدين ذكر في
الايات النهي وترك اتباعه اهواءهم ولم يذكر الامر فيها الامر بعبادة الله مخلصا له الدين او ان يقول اني اذا امرتكم
بعبادة الله امرت انا ايضا في نفسي ان اعبده مخلصا لست انا اكون امر غيره شيئا ولا ائتمر بنفسه او هو غيره ما هو
بذلك وهو ما قال وامرت لان اكون من المسلمين او يقول لست انا كالملوك يأمرون اتباعهم باشياء ويستعملون في

امرهم لا يتسولون ذلك لانفسهم والله اعلم وقوله قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم الخوف ها هنا ليس هو
حقيقة الخوف ولكن العلم كانه قال اني اعلم ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فايسهم الله بالمدينة عن عوده الى دينهم و
قطع طمعهم عنه وهو ما قال عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فاما ما داموا بمكة فانهم كانوا طامعين في ذلك
راجين فيه والله اعلم وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم انه يخرج هذا الحرف منه مخرج التهدد لهم
والتوعد يقول اما انا فانما اعبد الله الحق وله اخلص ديني فاعبدوا انتم ما شئتم فانه ما يجزيكم جزاء عبادتكم كقوله
تعالى اعملوا ما شئتم الاية وذلك معروف في كلام الناس يقول الرجل اعمل ما شئت او قل ما شئت فانك الجزاء كما تعمل
على الوعيد له فعلى ذلك قوله تعالى عز وجل فاعبدوا ما شئتم من دونه والله اعلم ويحتمل وجها اخر لا على الوعيد ولكن
يقول قد تبينت لكم واوضحنا السبيلين جميعا بالايات والحجج سبيل النجاة الذي اذا سلكتموه نجوتم وهو سبيل الله
وسبيل الهلاك الذي اذا سلكتموه هلكتم وهو سبيل الشيطان فان اردتم النجاة فاسلكوا سبيل كذا وان اردتم
سبيل الهلاك فاسلكوا سبيل كذا والله اعلم ثم قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة
كنايته كما امرهم ان يقوا انفسهم واهليهم النار قال عز وجل قوا انفسكم واهليكم نارا ليكون لهم انفسهم واهليهم يوم
القيمة ويسلم لهم ذلك وقد مكن لهم ذلك وهلكوا فتركوا ذلك ولم يقوها ولا اهليهم النار فقال عند ذلك خسروا
انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين الا عند ذلك تبين لهم انهم خسروا انفسهم واهليهم وانهم قد امروا
بالسعي للاخرة والعمل لها ووعدوا اذا سعوا لها وعملوا النجاة في الاخرة الدائمة والاهل في الجنة واذا لم يسعوا لها
ولم يعملوا خسروا انفسهم واهل الذين وعدوا فيها اذا سعوا وهلكت انفسهم الا ذلك هو الخسران الا هنالك تبين
لهم انهم خسروا خسرانا مبينا والله اعلم وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ان يكون ما كان تحتهم من النار
ان يوصف بالمهاد لا بالظلل كقوله عز وجل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود
انه قيل لهم من لهم جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ذلك يخوف الله به عباده والله اعلم لكن جائز ان يكون الظلل
الذي تحتهم هي ظلل لمن تحتهم وهي لاولئك الذين فوقهم مهاد والذين ليس تحتهم احد مهاد وانساد والله اعلم لان النار
دركات والنار ليكون كل طبقة لمن تحتها ظلل ولمن فوقها مهاد على ما ذكرنا وقوله ذلك يخوف الله به عباده او ذلك هو
الذي ذكر في القران من المواعيد يخوف الله عباده يا عباد فاتقون اتقوا سخط الله ونقمته او اتقوا مخالفة الله او اتقوا المهالك
وقوله والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها اختلف في الطاغوت قال بعضهم هو الشيطان اي اجتنبوا من ان يأتمروا
واطاعوه وقال بعضهم الطاغوت هم الكهنة كانوا يأتون الكهنة فيخبرونهم بامور فيعملون بقولهم ويصدقونهم
يقول اي اجتنبوا من ان يطيعوا الكهنة فيخبرونهم بامور فيعملون بقولهم ويصدقونهم يقولون اي اجتنبوا من ان يطيعوا
الكهنة في امورهم ونهيهم وقال بعضهم كل معبود دون الله فهو طاغوت وهو من الطغيان وهو المجاوزة عن حدود الله
وقوله وانابوا الى الله اقبلوا ورجعوا الى ما امرهم الله به او رجعوا الى ما به طاعتهم وتركوا ما به مخالفته وانتهوا عن مناهيه
والانابة الى الله هي الرجوع الى امر الله والى ما به طاعته والله اعلم وقوله عز وجل لهم البشرى وهو ما ذكر في قوله
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فعلى ما ذكر لهم البشرى
لهم في الدنيا وفي الاخرة لانهم اولياء الله وقوله فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اختلف فيه
قال بعضهم الذين يستمعون كلام الناس من الخير والشر والحسن والقبيح فيتبعون احسنه اي يروونه ويحكون منه ما هو
شر وقبيح وقال يستمعون القران وكلام الناس واحاديثهم فيأخذون بالقران ويتبعونه ويتركون كلام الناس
واحاديثهم فهو اتباع الاحسن منه وهو القران وقال بعضهم يستمعون وفيه الناسخ والمنسوخ فيتبعون احسنه
اي ناسخه ويعملون به ويتركون منسوخه به وقال بعضهم يستمعون الى القران وفيه الامر والنهي فيتبعون
امره وينتهون عما نهى عنه والله اعلم وجائز ان يكون قوله فيتبعون احسنه اي يتبعون الحسن منه
الحسن بمعنى الحسن والله اعلم وقال قائلون فيتبعون احسن ما في القران من الطاعة لله كقوله وامر
قومك يأخذوا باحسنها الاية وتأويله ما ذكرنا ان يأخذوا ما فيه من الامر وايتمروا به وانتهوا عما فيه من
المناهي والله اعلم وقوله واولئك هم اولوا الالباب اي اولئك هم المنتفعون بلبهم وعقولهم حيث اختاروا
واثروا واهتدوا بتدبر ونظروا اليها بالتعظيم والاجلال واهتدوا وقوله افمن حق عليه كلمة العذاب افانت
تنقذ من في النار ذكر الله تعالى في هذه السورة اشياء لا يعرف لها اجوبة في الظاهر الا بالتأمل والاستدلال
على غيره من ذلك ما ذكر افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار كانه يقول والله اعلم افمن حق
عليه العذاب كمن له البشرى في الاخرة لانه ذكر فيما تقدم للمؤمنين البشرى حيث قال عز وجل والذين اجتنبوا
الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى الاية على هذا يخرج جوابه افمن وجب عليه العذاب كمن
وجب له البشرى لا سواء او ان يقول افمن حق وجب عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام او ان يقول

هذا

هذا الذي ذكر كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحرصة على اسلام قوم احب ان يسلموا فقال هذا له على الاياس من اسلامهم
يقول افمن وجب عليه العذاب فانت تنقذ وتخلصه من النار من قد وجب عليه العذاب وهو ما قال عز وجل انك لا
تهدي من احببت وكقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين كان لا يقدر ان يكرههم على الاسلام لكنه كان يحب
ويحرص على اسلامهم ويحزن لتركهم الاسلام كقوله ولا تحزن عليهم وقوله لعلك باخع نفسك فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات ونحو ذلك كان يحزن وكادت نفسه تتلف اشفاقا عليهم فيقول افمن وجب وحق عليه العذاب تقدر ان تنقذه من
النار اي تقدر على ذلك والله اعلم ثم بين الذين انقذوا من النار وهم الذين اتقوا ربهم حيث قال عز وجل لكن
الذين اتقوا ربهم يحتمل اتقوا مخالفة ربهم او اتقوا سخط ربهم ونقمته ثم بين ما اوعد لهم في الاخرة فقال عز وجل لهم
غرف من فوقها غرف مبنية ذكر ان لهم غرف في الجنة والغرف على الغرف في الشاهد انما تتخذ لضيق المكان لكن ذلك
في الجنة ليس لذلك ولكن لما كان عرف من رغبة الناس في الدنيا في الارتفاع والعلو والكرامة والتفضيل والاعلى
في الارض ورغبتهم في الاخرة على ما رغبوا واحبوا في الدنيا ولكن اهل الجنة الدرجات ولاهل النار الدركات ثم قوله تجري
من تحتها الانهار يخبر ان امر الجنة على خلاف ما اهل الدنيا اذ في الدنيا كلما ارتفع وعلا من البنيات كان الماء منها ابعد
الوصول اليه اصعب فاخبر انهم وان كانوا في الغرف والدرجات فابصارهم مما يقع على الماء والماء لا يبعد عنهم ولا
يصعب والله اعلم ثم ذكر في الغرف البناء الا ذكر في السماء انه بناها فلم يعنهم من بنائه ما ذكر ما فيهم من بناء الخلق فكيف
من محنه وغير ذلك بما فيهم من مح الخلق وابنائهم لو لا ما كان فيهم من فساد اشغالهم والله اعلم وقوله الم تر يخرج على
وجهين احدهما على الخبر اي قد رايت والثاني على الامر ان وهو ثم الخطاب وان كان في الظاهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو لكل احد يحتمل النظر والتامل ثم جهة الحكمة المودعة فيما ما ذكر من انزال الماء من السماء وجعله ينابيع في الارض
والينابيع هي العيون التي تخرج من الارض والابار التي جعلت فيها ليعلم ان المياه الخارجة من الارض والجارية فيها
اصلها منزلة منها وهي الطهور على ما اخبر انه انزله طهورا وان اختلف طبعه لاختلاف جواهر الارض ما لم يخالطه شيء
من جواهر الارض من القذر والنجاسة وغيرها من الالوان التي تخرج من ان يكون طهورا بغيره عن جوهره الذي انزل
من السماء ثم جعل الله عز وجل في شربه ذلك الماء معنى ولطفا ما يوافق جميع الاشجار والنبات وكل خارج من الارض
وان اختلفت جواهرها والوانها وطعمها ليعلم ان من قدر على جعل ما جعل في الماء من اللطف والمعنى الذي يوافق كل شيء من
النبات والشجر وان اختلف جواهرها والوانها وطعمها لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ولا يقوم الا بالله او ان يقول ان من
تكلف زرع الزراعة في الارض وتحمل المؤن العظام الى ان بلغ المبلغ الذي ينتفع به وينال منه النفع فتركه لم ينتفع
به ليس يوصف بالسفه وبغير الحكمة فكذلك الله سبحانه لما انشاءكم صغارا وغذاكم بالوان الاغذية والاطعمة حتى
كبرتم والمغنم مبلغ الانتفاع لكم ثم ابليكم بلا عاقبة تقصد في ذلك كان غير حكيم وتدبر فيتم حكمنا فدل ان المقصود في
ذلك كله حتى يكون انشائه اياكم صغارا وتربيته اياكم بالوان الاغذية التي جعل لكم حكمة وهو البعث ما لولا ذلك كان
سفها غير حكمة على ما ذكر من اخراج الزرع من الارض بالماء الذي اخرج ثم تركه فيها حتى صار يابسا لا ينتفع به كان
سفها غير حكيم فعلى ذلك ما كان عندا ولتلك الكفرة ان لا بعث كان ما ذكر والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك اي فيما ذكر
من انزل الماء من السماء وادخاله في الارض واخراج ما ذكر منها به وما ذكر موعظة لاولي الالباب اي لمن انتفع
بلبه وعقله لما ذكرنا وما ذكر لاهل الجنة من الغرف وغير ذلك ثم قال عز وجل والله لا يخلف الله الميعاد لان من يخلف
في الشاهد وعدا انما يخلفه اما يخلفه لحاجته او لما بدا له من البدوات فيرجع عما وعد والله سبحانه وتعالى عن ذلك كله
لا يحتمل خلف الوعد منه وقوله فسلكه ينابيع في الارض اي ادخله فيها وجعله ينابيع في الارض اي ادخله فيها وجعله
ينابيع اي عيونا وقوله ثم يهيج اي ييبس وقوله ثم يجعله حطاما مكسرا ثم الرفات والفتات وهو قول ابي عوسجة والقتبي
ويقال هاجت الارض والنبات في اليبس حطاما اي متكسرا وقوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه قيل شرح الله وسع الله وقيل رحب الله وقيل لين الله والكل واحد ثم يحتمل قوله افمن شرح الله صدره
للاسلام فيسلم فهو على نور من ربه اي يجعل الله صدره النور اي يجعل الله في صدره النور اذا اسلم حتى يبصر الحق وحججه
وبراهينه بصورة الحق انه حق والباطل انه باطل وانه يبصر كل شيء بذلك النور على ما هو حقيقته انه حق وباطل فيأخذ
الحق ويعمل به ويترك الباطل ويجتنبه والله اعلم وان يكون قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يكون
نوره وهو اسلامه الذي هداه وشرح صدره لنوره حتى اسلم وهو ما روي في الخبر ان رسول الله عليه السلام سئل انه
هل ينشرح صدره للاسلام وكيف ينشرح فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا دخله النور انشرح لذلك الصدر وانفسح
فسيح له اخبر ان النور اذا دخل الصدر انشرح لذلك الصدر وانفسح له بذلك النور والله اعلم وجائز ايضا ان يكون قوله
عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام في الدنيا فهو على نور من ربه في الاخرة كقوله عز وجل والذين امنوا معه نورهم
يسعى بين ايديهم وبايمانهم الاية والذين كفروا طبع الله على قلوبهم فيظلم ويضيق لما لقي في الظلمة ابدا والله اعلم ومنهم

من قال من شرح صدره للاسلام الاسلام نفسه اذا اسلم فهو على نور من ربه كتاب قال هذا المؤمن به
يأخذ واليه ينتهي وما سئل النبي صلى الله عليه وسلم هل لذلك اي لانشراح الصدر للاسلام علامة
فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الموت هذا في تحقيق
ليس في المعاملة في العمل ولكن في الاعتقاد اي تجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود ثم يرد من ليتنا
الا حرج ثم قوله افمن شرح الله صدره للاسلام يحتمل ان يكون على الاستفهام على ما ذكر ويحتمل ان لا يكون على
الاستفهام ولكن على الايجاب فان كان على هذا فهو على اسقاط الالف فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه الاية كقوله في اية اخرى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا فعلى ذلك يحتمل ان يكون هذه الاية على هذا والله اعلم وان كان على الاستفهام فلا بد ان يكون
له مقابل يعرف ذلك به ليس انه جوابه ثم قال بعضهم جوابه في قوله فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله كأنه
يقول ليس المنشرح صدره للاسلام كالقاسي قلبه بالكفر وهو قول الكسائي وجائز ان يكون جوابه و
مقابله ما تقدم ذكره فهو قوله افمن حق عليه كلمة الكفر الاية كانه يقول افمن حق عليه العذاب كمن شرح
صدره للاسلام اي ليس من وجب عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه والله اعلم
وقوله الله نزل احسن الحديث يحتمل قوله عز وجل نزل احسن الحديث اصدقه خبرا واعدله حكما وهو ما ذكر
في اية اخرى ووصفه بالصدق والعدل حيث قال عز وجل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اي صدقا في
خبره وعدلا في حكمه فعلى ذلك يحتمل قوله احسن الحديث خبرا واعدله حكما والله اعلم وجائز ان يكون قوله احسن
الحديث اي اتقنه واحكمه وهو متقن محكم وهو ما وصفه بالصدق والعدل في اية اخرى قال لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد اخبر انه لا في القران باطل من بين يديه ولا من خلفه وذلك لاتقانه
واحكامه والله اعلم وهو احسن الحديث لان من تامله ونظر فيه وتفكر انار قلبه واضاء صدره وهداه الى
الخير والحق ودفع عنه الوساوس والشبهات وكل سرور قضاه الى كل خير وبر فهو احسن الحديث اذ الاحاديث
يحتمل ما يحتمل هو لما ذكرنا وغير ذلك والله اعلم وقوله كتابا متشابها قوله متشابها اي ليس بمختلف ولا متناقض
ليس كحديث الناس وكتبهم مما يختلف ويتناقض حديثهم وكتابهم وحاجة فيما امتد من الاوقات وطال
وبعدت مدته وهو ما ذكر افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا دل
كونه متفقا متشابها غير مختلف في طول نزوله وتفرقه وتباعد ايامه في الانزال انه من عند الله
نزل ومنه جاء اذ لو لم يكن من عنده لخرج مختلفا متناقضا على ما يخرج حديث الناس وخبرهم مختلفا ومتناقضا
والله اعلم وقوله مثاني قال اهل التاويل سماه مثاني لما ثني فيه الانباء والقصص مرة بعد مرة واصله انه
سماه مثاني لانه ذكر فيه المواعظ والذكرى وكررها في غير موضع لما لو لم يكررها اغفلوا عنها وسهوا منها لان
الحكيم اذا وعظ احدا عظة وزجره ونهاه عنه وكرر عز وجل عليهم المواعظ والزواجر ليكونوا ابدا متيقظين متذكرين
لذلك والله اعلم لكيلا يغفلوا عنها ولا يسهوا وقوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و
قلوبهم الى ذكر الله قال اهل التاويل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم عند تلاوة اية الرهبة
والخوف وتلين قلوبهم عند تلاوة اية الرحمة والرهبة جميعا يكون وجائز ان يكون ذلك لهم بجميع القران
بما فيه من الرحمة والرهبة جميعا يكون فيما المواعظة تلين قلوبهم تقشعر جلودهم ويخاف انفسهم لان اية
الرحمة ليس باحق بتليين القلوب من اية الرهبة بل اية الرهبة احق بذلك وقتادة يقول كانت جلودهم
تقشعر وعيونهم تبكي وقلوبهم تطمئن اليه ولا يذهب عقولهم ولا يغشى عليهم كما راينا اهل البدع يفعلونه
وانما ذلك من الشيطان وقوله عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء قد بين سبل الهدى والحجة وبراهينه
وبين سبيل الضلالة والباطل فمن سلك سبل الهدى فبتوفيقه سلك وبمعونته اهتدى ومن سلك طريق
الفكر والباطل فبخذلانه ضل وزاغ وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد اخبر ان من اضله الله فلا هادي له وعلى
ما قال في المعيشة والرزق وحيث قال عز وجل ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا
مرسل له من بعده وقال عز وجل في الضراء والخير حيث قال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يمسسك بخير فلا راد لفضله ذكر في الضلالة والهدى ما ذكر في الرزق والضر والخير ذلك ان الله
في فعلهم وصنعهم تدبيرا ليس على ما تقوله المعتزلة ان لا تدبير لله في ذلك وان من اهتدى انما يهتدي
بنفسه ومن ضل وزاغ انما ذلك بنفسه لا تدبير لله في ذلك فالاية تنقض قولهم ومذهبهم وقتادة يقول
في قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وانما يذكر الله اهل
الايمان كانت تقشعر بذلك جلودهم وتبكي اعينهم وتطمئن قلوبهم ولا تذهب عقولهم منه لما انال

تقشعر احد عنهم فلم يكن ذلك الا فعلا في اصحاب البدع وانما هو من الشيطان ونحن ما كان في هذه الامة اعلم
من نبيه صلى الله عليه وسلم ومن بعده اصحابه لم يكن عليهم انما مثل المحبة في نبيه صلى الله عليه وسلم
والفاقة في دينه ولقد ما لنا من احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب اصحابه فهذا فانه
ما كان في اهل البدع وقوله عز وجل افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كانه لم يذكر مقابل هذا في
هذا الموضع فجائز ان يكون مقابله ما تقدم وهو قوله لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف تجري من تحتها الانهار فمن يتقي بوجهه
سوء العذاب ان هذا كهذا وان يكون مقابله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو في النعيم الدائم ليس
هذا كذا ثم قوله عز وجل افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو في النعيم الدائم ليس هذا كذلك
والذي يتقي بوجهه سوء العذاب يكون يخرج ذكر ذلك على وجوه احدها كناية عن الشفعاء واهل النصر كانه
يقول لا يكون لهم من يشفع ويملك دفع العذاب عنهم او ان يكون لهم من ينصرهم او اعانهم بلا يد له
يتقي بها سوء العذاب عن وجهه لان في الناس احد من اصاب شيئا من العذاب يتقي ذلك العذاب عن
وجهه بيده فيخبر انه لا يد له في الاخرة يتقي العذاب بها عن وجهه بل يصيب العذاب وجهه فكانه يتقي به
او يكون ذكر الوجه كناية عن نفسه وهو ما ذكرنا انه لا يكون له من يملك دفع العذاب عنه او ان يكون
ذكر الوجه كناية عن قلبه انه يتصل ويرجع ذلك العذاب الى قلبه ولا يملك دفعه والله اعلم وقوله و
قيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون يحتمل قوله اي ذوقوا الجزاء ما كنتم تكسبون ويقول ذوقوا ما اخترتم
من الكسب وهذا انما نفرق لانه يعطى لهم الكسبين جميعا وما يكون لكل كسب في العاقبة فاختاروهم
الكسب الذي كان عاقبته الذي اعاينهم فكانهم اختاروا تلك التي حل بهم باختيارهم ذلك الكسب والله اعلم
وقوله كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون بخوفهم وتحذرهم ما نزل بالمتقدمين بتكذيبهم
الرسل عليهم السلام والخلاف بعد ما انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبعث وما عليهم يوم القيمة
فلم يلتفتوا وصدقوا فخوفهم بما يحل بهم يوم القيمة حذرهم بالذي اتي اليهم اخبر يعني رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتحذروا وقوله من حيث لا يشعرون اي من حيث يامنون العذاب اي نزل بهم وقوله
فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون العذاب الذي نزل بهم في الدنيا بما
عوقبوا بالكفر ما هو عقوبة العناد والتعنت والافعال فعلوها في حالة الكفر فهو في الاخرة ابدا لا بد من فيه
دائم ذلك قال ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقوله ولقد ضربنا في هذا القران من كل مثل اي بينا للناس
في هذا القران من كل مثل يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم اخبرهم ما لهم وما عليهم او ما لله عليهم او لبعضهم
على بعض وامثاله والله اعلم وقوله لعلهم يتذكرون هذا يحتمل وجهين احدهما لكي يلزمهم التذكر كما
والاتعاظ والثاني لكي يلزمهم ما يتذكرون ويتعظون وقوله قرانا عربيا كقوله انا انزلناه قرانا عربيا
لكي يفقهوه ويعرفوه كقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية وقوله غير ذي عوج
يحتمل وجهين احدهما انه لا يخالف الكتب المتقدمة بل يوافقها لان الكتب كلها جاءت على الدعاء الى
توحيد الله وربوبيته فكذلك القران فهو لا يخالف سائر الكتب بل يوافقها والثاني لا عوج فيه لما لا
يخالف بعضه بعضا ولا يناقض بل يخرج كله بعضه بعضا متسقا على تباعد نزوله في الاوقات وبالله التوفيق
ويحتمل غير ذي عوج اي ليس بمائل ولا زائغ عن الحق وقوله لعلهم يتقون اي يتقون المهالك او نقمة
الله ونقمته وقوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان
مثلا اي لا يستويان شبها ان يكون ما ذكر من مثل الرجلين من المشرك والمسلمون والكافرون ثم يحتمل
الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون اي متشاكسون في شبهه يدعي كل انه له او متشاكسون في الملك فيه
يقول كل عبري او في الملك في قوم يدعي كل ان الملك له فيه لو يدعي كل ان الملك فيهم ولا يثبت لواحد منهم
النسب فيه ينسبه هو الى واحد منهم فيبقى متحيرا ولا يثبت لواحد منهم الملك الذي يدعي
عن له النفقة وما يجب على ذي الملك من حقوق الملك فبقي ضائعا متحيرا فاذا كان الملك لرجل واحد
او النسب او الملك سالما له يصل الى كل حق له ويكون محفوظا في نفسه مروعا فيكون مثل الذي فيه شركاء
متشاكسون هو الذي يعبد الشيطان او الاصنام ودعوى النفس ويدعوه شيطان الى غير الذي دعى
الاخر وكذلك الهوى يدعو صاحبه مرة الى كذا ومرة الى غير ذلك فيبقى الذي فيه شركاء متشاكسون يدعي
هذا وهذا والذي يعبد الله الحق الذي يشبه لو حقيقة الحجج والايات كالرجل السالم لواحد يكون ابدا على حالة
واحدة سليما مما ذكر ثم قال وقوله هل يستويان مثلا اي هل يستوي الرجل الذي يدعي فيه شركاء متشاكسون
والرجل الذي يكون لرجل واحد فيما ذكرنا اي يستويان وقال اهل التاويل هل يستويان من يعبد الهة شتى

مختلفة والذي يعبد ربا واحدا وهو المؤمن وقد راوا انهم قد استووا في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما
وفيه دلالة البعث وكذلك في قوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان وقد
استووا في هذه الدنيا دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما اذ في الحكمة والعقل التفريق بينهما والله
اعلم وقوله عز وجل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ذكر الحمد على اثر ذلك يخرج على وجهين احدهما انه يحمد
ربه على ما خصهم بالتوحيد من بين الكفار بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم والثاني امر ان يحمد ربه
على ما جعله سالما خالصا لم يجعل فيه شركاء متشاكسون قال ابو عوسجة والقتبي الشركاء المتشاكسون
اي مختلفون يتنازعون ويتشاحون ورجلا سلما اي خالصا ومن قرا سلما الرجل اراد سلم اليه فهو
سلم ثم قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم يحتمل الانبياء منهم والخواص كقوله انما يخشى الله
من عباده العلماء وجائز ان يكون اراد جميع المؤمنين وكذلك ذكر في حرف ابي وابن مسعود تقشعر
منه جلود الذين يؤمنون بربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وفي حرف حفصة تطمئن به
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال بعضهم في قوله عز وجل يتقي بوجهه سوء العذاب يتقي
والله اعلم ليس الضال الذي يتقي النار بوجهه كالمهتدي الذي لا يصل النار الى وجهه ليتساويا
على ما ذكرنا وقوله انك ميت وانهم ميتون وجه ذكر هذا على اثر ما تقدم من قوله ضرب الله مثلا
رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما هل يستويان مثلا وقد استووا في هذه الدنيا من اخلص
نفسه ودينه لله وللرسول صلى الله عليه وسلم ومن جعل فيه شركاء ولم يسلم نفسه لله وهو
الكافر ثم يموت انت ويموتون ثم قال لو لم يكن دار اخرى يميز فيها ويفرق بين الذي جعل نفسه
سلما لله خالصا له وبين من لم يجعل ذلك لكان في ذلك استواء بين من ذكر وفي الحكمة ان لا استواء
بينهما وتدعون ان السالم نفسه لله ويموت الاخر دل ان في ذلك بعث فيثاب هذا ويعاقب الاخر
والله اعلم او ان يذكر هذا لما كانوا يتشاءمون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيرون فيما
يصيبهم من المصائب والشدائد حتى قال عز وجل افائن مت فهم الخالدون اي لا يخلدون
فعلى ذلك يقول عز وجل انك ميت وانهم ميتون ايضا اي لا يبقون هم بعد موتك ابدا ولكنهم
يموتون ولو كان ما يصيبهم بك انت على ما يزعمون هم فيخبرون انه لا يصيبهم بعد موتك نحو هذا
يحتمل والله اعلم او ان يقول انك ميت فتصل الى ما وعد لك من الكرامات والثواب ويموتون ثم
يصلون الى ما اوعدوا من المواعيد والعقوبات والله اعلم ثم قوله عز وجل ثم انكم يوم القيمة
عند ربكم تختصمون وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال كنا لا نعلم ما تفسير هذه الاية وكنا
نقول من نخاصم فلما وقعت الفتنة بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كفح بعضنا
وجوه بعض بالسيوف عرفت انها نزلت فينا وذكر عن الزبير لما نزلت هذه الاية فقال يا رسول الله
اتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا فقال نعم فقال ان الامر اذا لشديد وروي عن
بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين لما نزلت هذه الاية انهم قالوا كيف نختصم ونحن اخوانا فلما قتل
عثمان رضي الله عنه فلما وعدوا اما علموا انها لهم وفيهم والله اعلم ثم خصومتهم هذه يوم القيمة يحتمل
وجهين احدهما في المظالم في الحقوق التي كانت لبعض على بعض او في الدين امر الدين او ان يكون قوله
عز وجل انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون لما لم تعطوا المحاجة غايتها في الدين
والدنيا ولم تنجع وتقبلوها اخبر انهم يختصمون في ذلك يوم القيمة في الوقت الذي يعاينون العذاب
ويظهر لهم الحق فينقادون لها في ذلك الوقت فلا ينفعهم ذلك والله اعلم وفي حرف ابن مسعود
انك مائت وانهم مائتون والعرب تقول مات يمات فهو مائت وقوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب
على الله وكذب بالصدق اذ جاءه يقول لا اظلم اعظم ولا افحش ممن يكذب على من يتقلب في احسانه
ويتصرف في نعمائه وانتم تتقلبون في نعم الله وانواع احسانه فلا ظلم ولا افحش من الكذب عليه و
الكذب بالصدق اذ جاءه ولا ظلم اعظم ولا افحش من تكذيب خبره واصدق من خبره ولا احديث
من حديث وقوله عز وجل اليس في جهنم مثوى للكافرين كانه يقول اليس جهنم كان للكافرين مثوى
كقوله عز وجل حسبهم جهنم يصلونها اي حسبهم جهنم عقوبة لهم بكفرهم وتكذيبهم والله اعلم
وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به اختلف اهل التاويل قال بعضهم والذي جاء بالصدق جبريل
عليه السلام والمصدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم والذي جاء بالصدق محمد صلى الله
عليه وسلم وصدق ابو بكر صديق رضي الله عنه وسلم واصحابه جميعا قلنا اهل التاويل على اختلافهم

اتفقوا ان الذي جاء به جبريل ومحمد عليهما الصلوة والسلام هو التوحيد وان كان التاويل ما ذكر اهل التاويل
وعلى ذلك قوله ذلك جزاء المحسنين اي الموحدين ففيه نقض قول الخوارج والمعتزلة ان صاحب الكبيرة ليس
بمؤمن وانه يخلد في النار لانه قال والذي جاء بالصدق وصدق به وكل مرتكب الكبيرة مصدق بالذي جاء
به جبريل عليه السلام ومحمد صلوات الله عليه ثم اخبر انهم هم المتقون اي اتقوا الشرك وقال لاولئك ايضا
ان يكفر عنهم ما ارتكبوا من المساوي هو قوله ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا دل ان لهم مساوي ثم ان شاء
عذب على تلك المساوي وقتا ثم اعطاهم ما وعد وان شاء عفا عنهم وتجاوز واعطاهم ما ذكر فكيف ما كان
فلهم ما ذكر اذ هم على تصديق بما جاء محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم وجائز ان يكون قوله عز وجل والذي
جاء بالصدق وصدق به يحتمل وجهين احدهما صدق بقلبه اي جاء بالقول وتصديق القول والثاني صدق
به في المعاملة في اختيار كل ما يصلح ولا يوافق الذي جاء به وعلى ذلك ذكر عن الحسن قال يا ابن ادم قلت لا اله
الا الله صدقتها فان كان التاويل هذا فهو اشد لكنه وان لم يعامل الذي يوافق الذي جاء به وهو التوحيد
لم يجتنب ما ذكرنا فان له ما ذكر اما بعد التوحيد واما بعد العفو والله اعلم وقوله لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك
جزاء المحسنين دل هذا ان ذلك الوعد للجماعة ليس لواحد ولا اثنين وهو لجميع المؤمنين وقوله ليكفر الله
عنهم اسوء الذي عملوا ويجزيهم باحسن الذي كانوا يعملون ذكر نوعين من العمل السئ والحسن ثم اخبر انه
يكفر عنهم اسوء الذي عملوا ويجزيهم باحسن فيحتمل الاحسن الحسنات نفسها يجزيها ويكفر السيئات واعظمها
ويجزي على احسن الحسنات واعظمها فعلى هذا الاحسن واسوء من نوعها احسن الحسنات واسوء السيئات
وعلى الاول من غير نوعها اي يكفر السيئات ويجزي بالحسنات والله اعلم وقوله اليس الله بكاف عبده وعباده
ايضا الاية يحتج بها على اثبات الرسالة وكذلك قوله فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو وكذلك قوله
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ونحو ذلك وامثاله كثير لانه بعثه
وحده لا عون معه ولا ناصر له من البشر رسولا الى الاعداء وكان يقرع اسماعهم هذه الايات التي
وغير ذلك من قوله ثم كيدون فلا تنظرون ثم لم يقدروا على اهلاكه بل عصمه من كيدهم ومكرهم على
ما قال والله يعصمك من الناس فبلغ اليهم ما امر بتبليغه من غير ان قصدوا على ما قصدوا به وفي ذلك
لطف من الله عظيم او دلالة على اثبات الرسالة ثم قوله عز وجل اليس الله بكاف عبده وان خرج مخرج
الاستفهام في الظاهر فهو في الحقيقة على الايجاب والتقرير لانهم كانوا يعلمون ان الله عز وجل هو الكافي
لخلقه من ذلك انهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا سئلوا من يرزقكم قالوا الله
ومن انزل من السماء ماء ومن اخرج من الارض النبات ونحو ذلك قالوا الله فعلى ذلك قوله اليس
الله بكاف عبده اي تعلمون ان الله هو الكافي لجميع خلقه في الدفع والدفع عنهم والنصر لهم فاعرفتم ذلك
يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يخوفونه والله اعلم وقوله عز وجل ويخوفونك بالذين من
دونه اختلف فيه قال بعضهم باهل الارض جميعا يقولون له ان العرب يفعل بك كذا ويعملون بك كذا كانوا يخوفونه
بهم وقال بعضهم كانوا يخوفونه بالاصنام التي كانوا يعبدونها ان يصيبه سوء واذى من ناحيتها كقوله عز وجل
ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وكان هذا اشبه بالاية لانه ذكر على اثر ذلك وعقبه الاصنام حيث قال
عز وجل قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن
ممسكات رحمته فهذا يدل ان ما ذكر من تخويفهم اياه انما كان الاصنام التي كانوا يعبدونها وقوله ومن يضلل
الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اخبر انه اذا اراد هداية احدكم لم يملك احد اضلاله واذا
اراد ضلال احد لم يقدر احد على هدايته ذكر في الدين انه لا احد يملك دفع من اراد من هدى او ضلال
ولا منعه على ذلك على ما ذكر في الرزق واسباب العيش وعلى ما ذكر في الانفس وحفظها حيث قال ما يفتح
الله من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له وقال في الانفس ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته وقد اجتمعوا في ذلك في الرزق والعيش وضر الانفس وحفظها
انه لا احد يملك دفع ما اراد هو فعلى ذلك في الدين لان الذكر خرج في الكل على مخرج واحد وذلك على المعتزلة هم
لقولهم ان الله تعالى قد اراد هداية كل احد وبصر كل ولي ولكن غير منعه عن ذلك فهو وحش من القول قبيح
وما لقد العصمة والنجاة وقوله عز وجل اليس الله بعزيز ذي انتقام هو على الايجاب والتقرير اي تعلمون انه عزيز
ذو انتقام اي عزيز لا يعجزه شيء ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله قد علموا ان لا خالق وعرفوا انه لا يملك احد سواه كشف ما اراد هو من الضر باحد ولا امساك
ما اراد من الرحمة باحد ولذلك فزعوا اليه عند نزول البلاء بهم ولم يفزعوا الى من عبدوهم من دونه من الا

ولا الى احد من الخالقين دل ذلك على انهم قد عرفوا ان ذلك به ينال من خيرا وغيره ولذلك فزعوا اليه
عند نزل البلاء بهم ولم يفزعوا احتج عليهم بالحجج ولو لم يكونوا علموا بذلك لم يكن ليحتج عليهم بذلك وهم
بذلك منكرون والله اعلم وقوله عز وجل قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون في قوله حسبي الله ما ذكرنا
من اللطف والدلالة على اثبات الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني
عامل فسوف تعلمون هذا يحتمل وجهين احدهما على الاياس منهم انهم لا يؤمنون ولا يجيبون الى ما
دعوا اليه بعد ما اقيم عليهم الحجج والبراهين كانه يقول اثبتوا انتم على دينكم واعملوا له ونثبت نحن
على ديننا ونعمل له فسوف تعلمون انا على الحق نحن او انتم وهو كقوله لكم دينكم ولي دين اي لا
ادين انا بدينكم ولا انتم تدينون بديننا ولكن يلزم كل منا دينه الذي عليه فعلى ذلك الاول والثاني
على التوبيخ لهم والتعيير يقول اعملوا على مكانتكم انتم مما تقدرون من الكيد لي والمكر واني عامل ذلك
بكانتكم كقوله عز وجل ثم كيدون فلا تنظرون وغير ذلك من الايات التي فيها ذكر توبيخهم وتعييرهم والله اعلم
وفي هذه الاية وفيما تقدم من قوله عز وجل اليس الله بكاف عبده الى هذا الموضع تقرير وتوبيخ ومنابذة
واياس فاما الاياس فهو في قوله يا قوم اعملوا على مكانتكم والتقرير في قوله ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله والمنابذة في قوله قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون والتوبيخ في
قوله اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه جايز ان يكون قوله ومن يضلل الله فما له من
هاد ومن يهد الله فما له من مضل يخرج على الصلة بقوله اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين
من دونه كانه يقول من اضل الله حتى لا يعلم ان الله هو كاف عبده وان ما يخوفونه به ولا يقع به
خوف ولا يلحق به ضرر فلا هادي له ومن هدى فعرف ذلك فلا مضل له عن ذلك والله اعلم بذلك
وقوله عز وجل من ياتيه عذاب يخزيه جايز ان يكون ذلك العذاب الذي ياتيه هو عذاب في الدنيا
من نحو القتل والتعذيب بالذي اهلك الاولون المعاندون للرسول يخزيه اي يفضحه ويحل عليه
عذاب مقيم في الاخرة وهو عذاب الكفر والى ذلك ذهب بعض اهل التاويل وجايز ان يكون ذلك
كله في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق هذا كانه والله اعلم
انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالعدل على ما ذكر في اية اخرى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس فعلى ذلك ويكون قوله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها انشاء الله عز وجل
البشرى والاكاميرا بين الخبيث والطيب وبين الحسن والقبيح وبين ما لهم وما عليهم وبين السبيلين جميعا
غاية البيان واوضح كل سبيل نهاية الايضاح من سلكه انه الى ماذا يفضيه وينهيه ثم امتحنهم في ذلك ومكن لهم
من السلوك في كل واحد من السبيلين بعد البيان منه انه من سلك سبيله كذا افضاه الى كذا ومن سلك سبيل
كذا فضاه الى كذا امتحانا منه ثم اخبر انه فيما امتحنهم لم يمتحنهم لمنفعة يرجع اليه المضرة يدفع عن نفسه و
لكن انما امتحنهم لمنفعة يرجع اليهم اذا اختاروا وترك سلوك سبيل الباطل وهو ما ذكر في غير اي من القران
احدهما هذا حيث قال فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها والثاني بما قال عز وجل ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اساتم فلها اي فعليها وغير ذلك من الايات التي بين انه انما امتحنهم لمنفعة انفسهم واكتساب
الخير الدائم لهم ولا قوة الا بالله ثم قوله وما انت عليهم بوكيل يخبر انه ليس عليك الا تبليغ ما ارسلت
وامرت بتبليغه اليهم كقوله ان عليك الا البلاغ وقوله عز وجل فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله
فما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله وما ارسلناك عليهم حفيظا والوكيل
هو الحفيظ والله اعلم وقوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها الى اخر ما ذكرنا ان ابن عباس كل نفس لها
سبب تجري فيه فالتي قضى عليه الموت فيجري في الجسد كله لكن لم يفهم مما ذكر ابن عباس تاويل الاية
وعن سعيد بن جبير قال يجمع بين الارواح الاحياء وبين ارواح الاموات فيتعارف ما نشاء الله ان يتعارف
فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها وبهذا ايضا لم يفهم شيء من تاويل الاية وقال
الكلبي انا ثم متوفي حين رد الله اليه فاما التي يتوفاها حين موتها وانه يقبض الروح والنفس جميعا ويرسل
التي يتوفاها في منامها حتى يبلغ اجلها المسمى وهو الموت ويقال انما يقبض الله من النائم النفس والروح لم
يفارقه فاذا قبض الروح ذهبت النفس مع الروح وهذا ذكر الكلبي اقرب الى تاويل الاية من الذي ذكرا ولكن
واصله ان الله عز وجل جعل في الاجساد اشياء دراكة يحيا الاجساد في حال نومها على الهيئة التي كانت من قبل لبس
اثر الموت لكنها لا يدرك ولا يبصر ولا يعقل شيئا وبها اثار الحياة بدلنا هذا على انها في حال النوم قد ذهب منها و
خرج ما به يدرك الاشياء وبقي منها ما به يحيى وهو الروح فاذا خرج الروح منها وان كانت لا يدرك شيئا على الهيئة

التي كانت من قبل دل ذلك على ان الذي يدرك الاشياء غير الذي به يحيى والله اعلم الا يرى انها في حال النوم تلك الا
الدراكة حيث كانت تتالم وتتلذذ وتقضي الشهوات وهي في اقصى الدنيا هذا كله يدل على ما ذكرنا والله اعلم ثم على
هذا جايز ان يكون ما ذكر من عذاب القبر انه انما يكون على تلك الانفس الدراكة لا على الروح على ما ذكرنا من
تالمها وتلذذها بعد خروجها من الاجساد ومفارقتها عنها والله اعلم ثم اضاف في هذه الاية التوفي
الى الله وفي اية اخرى اضافه الى الرسل حيث قال الله عز وجل توفته رسلنا الاية واضاف مرة الى ملك
الموت حين قال عز وجل قل يتوفيكم ملك الموت الاية ثم يحتمل اضافة التوفي والى ملك الموت وجهين احدها
وان كان حقيقة التوفي والموت بالله لما يخلق فعل قبض الروح منها ويشبه ذلك منهم وهو كما ذكر من
البشرى لهم وطمانينة القلوب عند بعث الله اليهم الملائكة بالاعانة لهم والنصر حيث قال عز وجل وما جعله
الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به قال عز وجل وما النصر الا من عند الله اخبر انه جعل لهم بعث الملائكة
بشارة النصر وان حقيقة النصر ليس من عند الله فعلى ذلك ما ذكر من اضافة التوفي الى الرسل لما يخلق
فعل قبضهم الروح وكان حقيقة ذلك لله عز وجل والله اعلم والبشارة ان يكون من الله لطف في ذلك
ومعنى لا يكون ذلك منهم لكنه لم يبين ما ذلك اللطف وذلك المعنى الذي يكون منه والله اعلم بذلك ثم
قوله يتوفى الانفس حين موتها اي حين خلق موتها بقبض الروح وقوله والتي لم تمت في منامها لم يقبض
الروح ويرسل اليه النفس الدراكة الى الاجل جعل لها والله اعلم وقوله يتوفى الانفس جايز ان يكون
من القبض اي يقبض الانفس وجايز ان يكون من العد كقوله انما نعد لهم عدا وقوله ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون يحتمل قوله لايات العبر والاعلام او الحجج وقوله لقوم يتفكرون ويعلمون ان من قدر
على استخراج تلك الانفس الدراكة من الاجساد والابقاء بها على الهيئة التي كانت الى الوقت لا
شيئا ثم ردها اليها واعادتها على ما كانت قادر بذاته لا يعجزه شيء او من قدر على انشاء النفس الدراكة
في الاجساد حتى يدرك بها لا يحتمل ان يعجزه عن اعادة الاجساد بعد ما بليت وفنيت وذلك اللطف من
هذا واكبر لان الناس قد يتكلفون تصوير الانفس ظاهرة ولا احد ولا يتكلف تصوير نفس دراكة من
من غيرها والله اعلم وقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء على ما ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان حرف الاستفهام
والشك اذا اضيف الى الله عز وجل فهو على الايجاب والالزام ثم قال بعض اهل التاويل ان قوله عز وجل ام
اتخذوا من دون الله شفعاء هم الملائكة الذين عبدوها لكنه بعيد لانه قال عز وجل وذلك قل لو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون والملائكة اهل العقل والعلم وانهم يملكون ذلك اذا جعل لهم وملكوا لكن الاية
في الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله رجاء ان يشفع ويقرب عبادتهم اياها الى الله زلفى كقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهو اشبه بالاصنام التي كانوا يعبدونها
من الملائكة والله اعلم ثم قوله ام اتخذوا من دون يخرج على وجهين احدهما بل اتخذوا من دون الله شفعاء
لا تنفعهم ولا يكونون شفعاء لهم ولا يملكون ذلك ولا يعقلون والثاني بل اتخذوا لانفسهم من دون الله شفعاء
ولا يملك احد جعل الشفاعة لاحد دون الله الا من جعل الله له الشفاعة ولا يجعل الله لاحد الشفاعة الا
من كان عند الله عهدا ومن ارتضى له الشفاعة كقوله عز وجل ولا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى يدل على هذا قوله حيث قال اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله
الشفاعة جميعا هو ما ذكرنا هو المالك الشفاعة جميعا لا يملك احد سواه الا من جعل الله له الشفاعة وارتضى
فاما ان يملك احد سواه اتخاذ الشفاعة لنفسه او جعل الشفعاء لنفسه فلا والله اعلم وقوله ثم اليه ترجعون
في البعث او ترجعون الى ما اعد الله لهم والله اعلم وقوله واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قال بعض اهل التاويل اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم توحيد الله في القران
اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اي نفرت كقوله عز وجل في بني اسرائيل واذا ذكرت ربك في القران وحده
ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الذين عبدوا من دونه من الالهة كقوله في سورة النجم حيث
قال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والقى الشيطان في فمه تلك الغرانيق العلى عندها ترتجى
فرح الكفار حين سمعوا ان لها شفاعة الى هذا يذهب مقاتل وغيره لكنه ليس كذا وغير هذا كانه ادل به واقرب وهو
قوله عز وجل واذا ذكر الله وحده اشمازت اي اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم توحيد الله والوحدانية اذ ذكر هذا
اهل التوحيد وهذا الالوهية ممن عبدوا دونه اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون اي نفرت وانكرت كقولهم اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله عز وجل واذا ذكر الذين من دونه واذا ذكر اهل الكفر الذين عبدوا
من دونه عبادتهم اياها وتعلقهم بها اذا هم يفرحون ويستبشرون والله اعلم وقوله اشمازت قال بعضهم انقبضت

ونفرت وقال القتبي وابو عوسجة اشمأزت انكرت وذعرت ويقال في الكلام ما لي اراك مشمئزا اي مذعورا و
يقال اشمأز المكان اي بعد وقال بعضهم اشمأزت اي استكبرت وكفرت والله اعلم وقوله عز وجل قل اللهم فاطر السموات
والارض امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم وهو كلام التوحيد وقوله فاطر السموات والارض يحتمل مبدئ
ويحتمل مبدع او خالق السموات والارض والله اعلم وقوله عالم الغيب والشهادة يحتمل قوله عالم الغيب والشهادة
ما اشهد الخلق بعضهم على بعض هو عالم بذلك كله او الغيب ما غاب عن الخلق كلهم والشهادة ما شهده الخلق او ان يكون
قوله عالم الغيب والشهادة اي عالم ما يكون انه يكون والشهادة ما قد كان يعلم ذلك كله يعلم ما يكون انه يكون وما كان
بعلمه كائنا والله اعلم وقوله انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون يوم القيمة كقوله فالله يحكم بينكم يوم القيمة
الاية او ان يكون قوله انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون في هذه الدنيا فهو يخرج على وجوه احدها ما جعل الله
في خلقهم اثبات الصانع وشهادة الوحدانية لله عز وجل والوهية والثاني بما انزل الله من الكتب والرسل ويبين
لهم فيها ما لهم وما عليهم ثم ان كان في الاخرة فجائز ان لا يكون يحكم بيننا فيما وسع علينا الحكم في الامر في الدنيا
ويرتفع المحنة به في الاخرة من نحو الاحكام التي سبيل معرفتها بالاجتهاد لا يحكم بذلك بيننا بشيء من ذلك و
اما ما كان غير موسع علينا في الدنيا ترك ذلك وهو ما لا يرتفع المحنة به في الدارين جميعا من نحو التوحيد
والدين فذلك يحكم بيننا في الاخرة والله اعلم وقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة كانه والله اعلم يذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم
ليصبره على اذاهم اياه وان يشفق عليهم بما ينزل بهم في الاخرة لانه اخبر عن عظيم ما ينزل بهم مع تنعمهم
وتمتعهم بهذه الدنيا لو كان ما في الارض من الاموال وضعف ذلك ايضا لهم لافتدوا ذلك كله من
سوء ما ينزل بهم من العذاب وكذلك ما ذكر من قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا
يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون يخبر عن سوء معاملتهم ربهم على علم منه
انهم يؤذون رسوله صلى الله عليه وسلم وان ذلك يشتد عليهم ويشق لينظر انهم كيف عاملوا
ربهم من سوء المعاملة لينفرهم عن سوء معاملتهم اياه ولا يترك الرحمة والشفقة عليهم
بما ينزل بهم في الاخرة من سوء العذاب والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون قال بعض اهل التأويل بدا لهم من الله شهادة الجوارح عليهم والنطق ما لم يكونوا
يحتسبون ذلك ولكن غير هذا كانه اقرب بدا لهم من الهوان والعذاب لهم في الاخرة ما لم يكونوا يحتسبون
فهو يخرج على وجهين احدهما انهم كانوا يقولون حيث فضلنا الله في هذه الدنيا بفضول الاموال
والكرامة فمثل ذلك يكون في الاخرة مفضلين عليهم كما كنا في الدنيا ولذلك قالوا واتبعك الارذلون
وقولهم الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي ونحوه فبدا لهم وظهر في الاخرة ما لم يكونوا يحتسبون
ما ذكرنا من الهوان لهم والعذاب والثاني انهم كانوا ينكرون رسالة ربنا صلى الله عليه وسلم ويقولون
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقالوا أانزل عليه الذكر من بيننا الاية ونحو ذلك
من الكلام كقولهم ايضا لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا يرون الرسالة توضع الا في العظيم من امر
الدنيا فاخبر انهم يبدو لهم ما لم يكونوا يحتسبون لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم سيئات
ما كسبوا يحتمل قوله بدا اي ظهر لهم جميع ما صنعوا في الدنيا حتى حفظوها وذكروا ذلك كله والثاني
بدا لهم ما حسبوا حسنات سيئات والله اعلم او ان يكون ذلك في الجزاء اي بدا لهم وظهر جزاء ما كسبوا يدل
على ذلك قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون والله اعلم وقوله واذا مس الانسان ضر دعانا ثم
اذا خولناه نعمة منا لا يحتمل ان يكون اراد كل انسان يكون على ما وصف وذكر ولكنه انسانا دون
انسان ولا يجوز ان يشار الى واحد انه فلان وكذلك ما ذكر من مس الضر الانسان لا يشار الى ضر دون
ضر ولكن ما اعلم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم انه ما ذا لان ذلك يخرج مخرج الشهادة على الله
عز وجل والامتناع عن الاشفاق اليه والتسمية له اسلم ثم كانت عادة اولئك الكفرة لعنهم الله عند
نزول البلاء بهم والشدة الفزع الى الله عز وجل واخلاص الدعاء له فبعد الكشف عنهم ذلك والنزع(?)
العود الى ما كانوا من قبل على ما ذكرهم في غير اي من القران ثم قوله عز وجل ثم اذا خولناه ثم قوله عز وجل
ثم اذا خولناه نعمة منا اي اعطيناه نعمة اي ملكناه نعمة وقوله عز وجل قال انما اوتيته على علم اي على خلة(?)
مني اعطيت ذلك وقال بعضهم انما اوتيته على شرف ومنزلة علمه الله مني وفي حرف ابن مسعود رضي
الله عنهم انما اتيته الله علم علم وقال بعضهم ما ذكرنا قال انما اوتيته على علم اي على علم وشرف اعطيت ذلك
قال الله عز وجل ردا بقوله بل هي فتنة والفتنة هي المحنة التي فيها شدة اي بل هي محنة فيها شدة

وبلاء والمحنة من الله بامره ونهيه ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لكن اكثرهم لا يعلمون انها لم يعط لفضل وشرف له ولاجله
منه ولكنه لامر ونهي والله اعلم وقوله قد قالها الذين من قبلهم غير ما قال الرجل قال انما اوتيته على علم كان من
قارون حين قال انما اوتيته على علم عندي ولم يزل العادة من الكفرة والرؤساء منهم واهل الثروة قائلون بمثل
هذا الكلام والقول وهو ما اخبر عن قوم فرعون حين قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه وما قال اهل مكة نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وغير ذلك من امثال هذا لم
يزالوا قائلين بهذا ثم اخبر ان ذلك لم يغنهم حيث قال فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون هذا يحتمل وجهين احدهما ما قالوا
انما اوتيناه لذلك امه(?) وفضل لنا عند الله والثاني ما قال انما اوتيناه هذا بحيل من عندنا واكتساب اخبر ان ذلك لم يغنهم
عن دفع عذاب الله عز وجل عنهم اذا نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل عنهم اذا نزل بهم والله اعلم وقوله فاصابهم
سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا اوعد اهل مكة وخوفهم انه ينزل بهم ويصيبهم
بكسبهم الذي يكتسبون كما نزل باولئك الاولين بمثل كسبهم وصنيعهم وقوله وما هم بمعجزين اي ما هم بمعجزين عما
يريد بهم من الانتقام عنهم والتعذيب والله اعلم وقوله عز وجل اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يذكر هذا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامة وفضل عند الله ولا لحق قبله ويضيق على من يشاء لا لهوان له
عنده ولا لجناية ولكن امتحانا لهم بمختلف الاحوال يمتحن هذا بالسعة ليستأدي به منه الشكر ويضيق على هذا ليطلب
منه الصبر على ذلك او يمتحن بعضهم بالسعة وبعضهم بالشدة والضيق ليعلموا ان ذلك كله في يد غيرهم لا في ايديهم اذ
يمتحنهم بمختلف الاحوال ليكونوا ابدا فزعين الى الله في كل وقت وكل ساعة ولو كان السعة والنعمة والكرامة عند الله
وفضل على ما ظن اولئك لكان لا يحتمل ذلك مختلف المذهب الذي يناقض بعضه بعضا ويضاد بعضه بعضا نحو
المسلم والكافر وقد وسع على المسلم ووسع على الكافر وقد ضيق عليهما جميعا بدل ان التوسيع ليس للكرامة والمنزلة و
عند الله او الحق عليه ولا التضييق والتقتير لهوان اذ لو كان لذلك لكان لا يجمع بين متضادين المذهب ومختلفهما
فاذ جمع دل ان المعنى الامتحان لا لما ظن اولئك والله اعلم وقوله ان في ذلك فيما ذكر من التوسيع والبسط والتضييق
والتقتير لايات اي لعبرة وعظة لقوم يتفكرون يؤمنون انه لم يوسع على من وسع الكرامة له عند الله ومنزلة وفضل
ولا يضيق على من ضيق لهوان له عنده ولا جناية والله اعلم وقوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله قال بعض اهل التأويل ان الاية نزلت في شان الوحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب في الجاهلية انه اراد
ان يسلم الوحشي قد ذكر ما كان منه من قتله رضي الله عنه فظن انه لا يقبل منه لعظم جنايته فنزلت الاية على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسر واخبر انه لا يقبل فاسلم بعد ذلك والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن ناسا قد اصابوا ذنوبا
عظاما في الجاهلية من نحو القتل وكباير فاشفقوا ان لا يتاب عليهم فانزل الله هذه الاية يدعوهم الى التوبة و
الاسلام واطمع لهم القبول منهم والتجاوز عما كان منهم وهو كانه اشبه واولى لان الوحشي من كان يخص بنزول الله الاية
بشانه خاصة ثم قوله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله يحتمل وجهين احدهما
يقول والله اعلم يا عبادي الذين جنوا على انفسهم واوردوها المهالك بارتكاب ما ارتكبوا من الاسراف والكباير
لا تقنطوا من رحمة الله فان قنوطكم من رحمة الله واياسكم منه لا يغفر ولا يجاوز وذلك اعظم واقطع اذ رجع احدهما
الى انفسهم والاخر الى رحمة الله وفضله والثاني يقول الكم وان اسرفتم فيما ارتكبتم من الكباير والفواحش و
اعرضتم عن امر الله فلا تقنطوا من رحمة الله اذ تبتم عما كنتم فيه ورجعتم عما كان منكم في الوقت الذي كانت انفسكم
في ايديكم يقبل ذلك منهم ويتجاوز عما في الوقت الذي خرجت انفسكم من ايديكم فلا يقبل ذلك منكم وهو وقت
نزول العذاب بهم واشتداده عليهم لان التوبة في ذلك الوقت توبة اضطرار وكره توبة دفع العذاب عن انفسكم
كقوله عز وجل فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده ثم اخبر انه لا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت خرجت انفسهم
من ايديهم حيث قال عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا والله اعلم وقوله عز وجل ان الله يغفر الذنوب
جميعا لمن شاء انه هو الغفور الرحيم وذكر عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال ارجى اية في القران
هذه الاية وذكر ان سورة الزمر كلها نزلت بمكة الا هذه الاية فانها بالمدينة والله اعلم وقوله عز وجل
وانيبوا الى ربكم واسلموا له الاية كلها صلة ما تقدم من قوله من قوله يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة بعد اذا اقبلتم الى قبول ما دعيتم اليه ورجعتم عما كان منكم ثم قال
عز وجل وانيبوا الى ربكم واسلموا له قال بعضهم انيبوا يقبل لكم الى الطاعة ربكم واخلصوا له تلك
الطاعة ولا تشركوا فيها غيره قيل وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا الى ما دعاكم ربكم واسلموا له اي اخلصوا له
التوحيد وان يقول اجعلوا كل شيء منكم له واصل الانابة هو الرجوع الى طاعة والنزوع عما كان عليه
الاداء(?) يقول عز وجل سيصيبنا اليه واتقوا الاية وقوله عز وجل من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون

يقول والله على الصلة الاول ان انيبوا اليه واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب فلا يقبل منكم الانابة والتوبة
اذا اقبل عليكم العذاب ثم لا تنصرون هذا يحتمل وجهين احدهما ثم لا ينصرون بانابتكم الى الله عز وجل في ذلك
الوقت الذى اقبل عليكم العذاب على ما ذكرنا اى تخافون من ذلك الوقت والثانى لا ينصرون بعبادة من
عبدتموه من الاصنام والاوثان على رجاء ان يشفع لكم ويرفع عنكم العذاب اى انيبوا الى عبادة الله الحق
قبل نزول العذاب بكم فانكم ان كنتم على عبادة من يعبدون دونه لا تنصرون والله اعلم وقوله عز وجل
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يحتمل وجوها احدها كانه ... ما امركم ربكم وانتهوا عما نهاكم ربكم عنه والثانى
اتبعوا ما في القران واحلوا حلاله وحرموا حرامه واجتنبوا يقول اعملوا بها وبادروا في العمل به من قبل
ان ياتيكم العذاب بغتة والثالث ان الله عز وجل قد بين السبيل جميعا سبيل الخير والشر على الابلاغ [illegible]
اتبعوا سبيل الخير منه ولا تتبعوا سبيل الشر فيكون تاويل هذا كانه يقول اتبعوا الحسن منه ولا تتبعوا
غيره ونحو ذلك وقد ذكرنا فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم
لا تشعرون كانه موصول بالاول يقول لا تؤخروا الانابة اليه والتوبة فان العذاب لعله سينزل بكم
في وقت لا تشعرون انتم به ولا تقدرون ان ترجعوا اليه وتنيبوا والله اعلم وقوله عز وجل ان تقول
نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وما بعده من الايات كانه موصول بقوله عز وجل وانيبوا الى ربكم
واسلموا له كانه يقول وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله الاية وقبل
ان يقول ان الله هدانى لكنت من المتقين وقبل ان يقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين كان كل
ذلك صلة ما تقدم من قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يقول
ما ذكر في وقت لا ينفعه ذلك القول ولا يعينه من عذاب الله ولا يدفعه ثم قوله على ما فرطت في جنب الله قال بعضهم في
ذات وقال بعضهم في ذات الله وقال بعضهم ما فرطت وضيعت من امر الله وامثال ذلك ولسنا نحتاج الى تفسير
قول ذلك الرجل الذى كان منه حتى قال ذلك وهو تضييع توحيد الله او تضييع حد الله او ما كان فيه من تكذيب
البعث [illegible] على ما كان منه من تضييع ما ذكرنا من توحيد الله وحده او كفران نعمه او انكار ما ذكرنا من البعث
والله اعلم وقوله عز وجل وان كنت لمن الساخرين قال بعضهم وان كنت لمن الساخرين من القران وقال بعضهم من اهل
توحيد الله قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر من اهل طاعته وقال هذا قول ضعيف منهم وقوله عز وجل
او تقول حين ترى العذاب الى اخره قول ضعيف منهم جائز ما قال ان كل قول من ذلك قول ضعيف على ما قال قتادة جائز
ان يكون كل ذلك من كل كافر والله اعلم وقوله عز وجل لو ان الله هدانى لكنت من المتقين ذلك الكافر الذى قال هذا
القول اعرف بهذا انه الله من المعتزلة وكذلك ما قال اوائلنا الكفرة لاتباعهم حيث قالوا لو هدانا الله لهديناكم يقولون
لو وفقنا الله للهداية واعطانا الهدى لدعونا اليه ولكن حيث علم منا اختيار الضلال والغواية وترك الرغبة لك
الهدى والاستخفاف به اضلنا وخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم الله واعطاهم التوفيق لكنهم
لم يهتدوا فان قيل هذا قول اهل الكفر فلا دلالة فيه لما يذكرون قيل وان كان ذلك قول الكفرة فذلك القول منهم
عند معاينة العذاب فلو كان على خلاف ما ذكروا لكان الله يكذبهم في ذلك كما كذبهم في اشياء قالوا حيث قالوا
ارجعنا نعمل صالحا وقوله تعالى رب ارجعون لعلى اعمل فقال الله عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ونحوه والله
اعلم والاصل في الهداية ان عند الله لطف من اعطى ذلك لاهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن حرم ذلك ولم يعطه
ضل دعوى ويكون استيجاب العذاب وما ذكر لتركه الرغبة في ذلك والاستخفاف به والتضييع واشتغاله بضده
لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لكنت من المتقين الشرك اى المهالك والله اعلم وقوله عز وجل او تقول
حين ترى العذاب لو ان لى كرة اى رجوعا فاكون من المحسنين قيل من الموحدين ويحتمل كل احسان وطاعة والله اعلم
وقد كذبه الله عز وجل في قوله هذا حيث قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ثم كذبهم بلى قد جاءتك اياتى فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين يقول والله اعلم بلى قد جاءتك اياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الخير
من الباطل والخير من الشر والكذب من الصدق وكنت من اختيار الهداية على الغواية ومكن لهم اختيار الحق على الباطل
والصدق على الكذب لكن تركتم ذلك وضيعتم واستخففتم به واشتغلتم بضد ذلك فاما جاء ذلك التضييع
من قبلكم لا من قبل الله عز وجل قد اتى بالحجج والايات والبيان في ذلك غاية ما يجب ان ترى ما لم يكن لاحد عذر
في الجهل في ذلك والترك والله اعلم واكثر القران على التذكير في قوله عز وجل بلى قد جاءتك اياتى الى اخره على
ارادة ومخاطبة وقد يقرا بالتانيث على ارادة النفس التى تقدم والخبر عنها ويروى في ذلك خبر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قرا بالتانيث بلى قد جاءتك والله اعلم وقوله عز وجل ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله و
جوههم مسودة كذبهم على الله يحتمل ما قال عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله

ارنا

امرنا بها وكان الله عز وجل لم يامرهم بذلك فكذبوا على الله عز وجل انه امرهم بذلك او ما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ونعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او ان يكون كذبهم على الله هو انكارهم البعث وقولهم ان الله لا يقدر على البعث و
الاحياء بعد الموت ونحو ذلك والله اعلم والمعتزلة يقولون في قوله عز وجل ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله و
جوههم مسودة هم المجبرة فيجب ان يكونوا هم اقرب في كونهم في وعيد هذه الاية من المجبرة لانهم يقولون ان الله لا يامر
احدا بشيء الا بعد ان اعطاه جميع ما يحمل ويقتضى به حتى لا يبقى شيء من ذلك ثم قال ذلك ثم يسال ربه المعونة والعصمة
فهو بالسؤال كانهم لما اعطاه وهو كفران النعمة لان يسال ما قد اعطاه ربه او ان يكون هازيا به لانه يسال وليس عنده
ما يسال على قولهم على ما ذكرنا من مذهبهم وكل من سال يعلم انه ليس عنده ذلك ولا يملك ذلك فهو هزء به والله اعلم
وقوله عز وجل اليس في جهنم مثوى للمتكبرين على توحيد الله او متكبرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتكبر هو الذى
لا يرى لنفسه نظيرا ولا شكلا ولذلك يوصف الله عز وجل بالكبرياء لانه لا نظير له ولا شكل ولا يجوز لغيره لان غيره
ذا اشكال وامثال ولا قوة الا بالله وفي حرف ابن مسعود وحفصة رضى الله عنهما على ما فرطت من ذكر وفي حرف ابن مسعود
رضى الله عنه ايضا في قوله بلى قد جاءته اياتنا من قبل فكذب وكان من الكافرين والله اعلم والمثوى المقام والمثوا المقام
وما كنت ثاويا من ذلك اى مقيما وقوله عز وجل ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة كانه يقول عز وجل
لو رايت يا محمد يوم القيمة لرحمتهم واشفقت عليهم بما هزءا به وما نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل وينجى الله الذين اتقوا
بمفازتهم وبمفازاتهم يخرج على وجهين احدهما قوله بمفازتهم اى بالاعمال والاسباب التى فازوا بها على اشكالهم و
قوله عز وجل لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وقوله عز وجل لا يمسهم السوء بعد المفازة والنجاة والا قبل ذلك قد يمسهم
السوء ولا هم يحزنون وهو على الجهمية وعلى ابى الهذيل العلاف امام المعتزلة اما على الجهمية لقولهم ان الجنة تفنى و
تنقطع اهلها ولذاتها فاذا كان ما ذكروا مسهم السوء والحزن وعلى قول ابى الهذيل ايضا كذلك لانه يقول ان اهل الجنة
يصيرون [illegible] حتى اذا اراد الله ان يزيدهم شيئا واللذة لم يملك ذلك فان كان ما ذكر هو فقد يمسهم السوء والحزن ايضا
فالبلاء على قوله ان السوء والحزن انما مس رب العالمين فنعوذ بالله ممن تعالى نعقب كفرا وقوله عز وجل لا يمسهم السوء و
لا هم يحزنون على ابطال قول اولئك والله اعلم وقوله عز وجل خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل هو نقض على المعتزلة
قولهم على وجوه احدها ان قولهم ان شيئية الاشياء لم يزل كانت اذ من قولهم ان المعدوم شيء فاذا كان المعدوم شيئا
على قولهم كان شيئية الاشياء لم يزل كائنة ويقولون انه لم يكن من الله الا ايجادها فاذا كان ما ذكروا لم يكن هو خالق
شيء به فضلا من ان يكون خالق كل شيء على ما ذكر ووصف نفسه بخلق كل شيء فيكون قولهم في التحقيق والتحصيل قول
الدهرية والثنوية لان الدهرية يقولون بقدم الطينة والهيولى ونحوه ويكون كون الشيء من لا شيء وكذلك
الثنوية يقولون بقدم النور والظلمة ثم كون كل جنس من جنسه وكون كل شيء من اصله فعلى ذلك قول المعتزلة
ان المعدوم شيء يرجع في التحقيق الى ما ذكرنا من اقاويلها ثم قوله خالق كل شيء يخرج على ذكر الربوبية والالوهية
والوصف له بالمدح لما ذكرنا ان الاضافة كلية الاشياء الى الله عز وجل يخرج مخرج الوصف له بالتعظيم والاجلال
والاضافة الاشياء المخصوصة اليه يخرج مخرج التعظيم المضافة اليه واذا كان قوله عز وجل خالق كل شيء مخصوصا
شيئا دون شيء على ما يقوله المعتزلة لم يخرج مخرج الوصف له بالربوبية والالوهية ولا خرج مخرج المدح له والتعظيم
ثم لا شك انه لو لم يكن خلقها لافعال الخلق لم يكن خالقا من عشرة الف شيء فدل انه خالق الاشياء كلها الافعال و
الاجسام والجواهر جميعا فانكم لا تقولون خالق الانجاس والاقذار والخنازير ونحوه فانما يرجع قوله عز وجل خالق كل
الى الخصوص قيل انه لا يقال ولا يوصف بخلق هذه الاشياء على التقييد والتخصيص يا خالق الانجاس والاقذار وما ذكر
لانه يخرج الوصف له بذلك مخرج التهجى والذم وكان في الجملة يوصف بذلك ويدخل الاشياء كلها في ذلك لما ذكرنا
ان قوله عز وجل خالق كل شيء مخرج الامتداح والتعظيم له والوصف بالربوبية والالوهية الا ترى انه لا يقال على
التخصيص انه وكيل وان كان في الجملة يقال كما ذكرنا وهو على كل شيء وكيل لانه في الجملة يخرج مخرج وصف الربوبية
له والالوهية والوصف بالمدح وعلى التخصيص والافراد وعلى التهجى والذم لذلك افترقا والله اعلم وقوله عز
وجل له مقاليد السموات والارض انه يقول له مقاليد السموات والارض قيل مفاتيح وهى فارسية عربت
وجائز ان يكون قوله عز وجل مفاتيح جميع البركات والخيرات على اهل السموات والارض يخبر ان ذلك كله بيده ليس بيد احد
سواه منه يطلب ذلك ومنه يستفاد والله اعلم ثم لم يفهم مما اضيف اليه من المقاليد الخلق لو اضيفا اليهم فكيف
فهم مما اضيف اليه من مجيء واستواء وغير ذلك مما فهم مما اضيف الى الخلق والله اعلم وقوله عز وجل والذين كفروا
بايات الله اولئك هم الخاسرون كان الله عز وجل جعل هذه الدنيا وما فيها لاهلها ومن احوالهم يتجرون بها ويشترون
بها الاخرة ويتزودون لها ولذلك قال عز وجل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله عز وجل
يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة فمن يتزود وجعلها بلغة الى الاخرة سمى خاسرا مغبونا والله اعلم وقوله عز وجل قل

افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون دلت هذه الاية على ان سفه اولئك الكفرة قد بلغ غايته وجاوزحد
حتى دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العبادة من دونه بعد ما عرفوا فضله بالرسالة والرسول وخصوصيته
حتى انكروا الرسالة في البشر وبعث البشر رسولا فلولا ما وقع عندهم من الفضيلة للرسل والخصوصية له والا لم
يحتمل ان ينكروا وضعها في البشر وبعث البشر رسولا ثم قد اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيان والحجج
ما قد قرر عندهم اية الرسول اليهم فما تقرر عندهم ذلك دعوه ان يعبد غير الله دونه فيكون لهم فيهذا
منهم تناقض في القول وسفه حين صيروا الفضل والمخصوص بالرسالة ذا العبادة من دونه كغير المفضل و
المخصوص بها والله اعلم ليعلم انهم لسفههم وتعنتهم كانوا يدعونه الى من دون الله والله اعلم وقوله عز وجل
ايها الجاهلون سماهم جهلة بما امروه ودعوه الى العبادة غير الله وكذلك قال موسى عليه السلام لقومه حين سالوا
موسى ان يجعل لهم الها كما لهم الهة فقال انكم قوم تجهلون ثم يحتمل قوله عز وجل ايها الجاهلون وجوها احدها ايها الجاهلون
في التسوية بين المفضل والمخصوص وبين من لم يخص فذلك في عبادة غير الله او جاهلون عن هداية الله وخصوصيته
او جاهلون عن جميع نعمه واحسانه حيث لم يذكروه فيها والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اوحي اليك والى الذين
من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك يحتمل هذا وجهين احدهما كانه يقول ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك وقبل
لكل رسول لئن اشركت ليحبطن عملك ذكر هذا ليعلم ان الشرك يحبط العمل وان اتى به من قد جل قدره وعظمت
منزلته عنده والثاني ولقد اوحي اليك والى من كان قبلك لئن اشركت انت ليحبطن عملك وقوله عز وجل بل
الله فاعبد وكن من الشاكرين يحتمل وجوها يحتمل كن من الشاكرين لنعم الله جميعا او الشاكرين للخصوصية التي
خصصت بها او الهداية التي هديت والله اعلم وفي حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما له مقاليد السموات و
الارض اي له ملك السموات والارض قال الكسائي مقاليد فارسية معربة وواحد المقاليد اقليد وقال بعضهم
في قوله عز وجل اليس الله بكاف عبده قال بلى والله ليكفينه الله ويعزه وينصره كما وعده واصله ما ذكرنا والله
اعلم وقوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا ذكر اهل التاويل ان اليهود اتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا له ان ربك كذا وكذا وان السموات على كذا منه والارض على كذا ذكروه له ووصفوه ووصفوه
كما يوصف الخلق فنزل قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره قيل ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق عظمته
ويذكر اهل الكلام ان اليهود مشبهة ولذلك قالوا بالولد حيث قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله فلو لم يكونوا عرفوه ما يعرف به الخلق لم يكونوا يقولون له بالولد كما يقولون للخلق من الولد فذلك
ما وصفوه له وذكر والله انهم عرفوه بمعنى الخلق فتعالى الله عما يقوله الملاحدة علوا كبيرا ثم قوله عز وجل وما
قدروا الله حق قدره او ما عظموه حق عظمته اي لم يعظموا الله حق عظمته ما يحتمل وسع الخلق وكذلك لم يعرفوه
حق معرفته التي يحتمله وسع البشر فيهم فاما معرفة الله حق معرفته او يعظموه حق لانه لا يحتمله وسع الخلق
ذلك وانما كلفهم ما احتمله وسعهم فالمشبهة حيث وصفوه ما وصف الخلق ومن بعد ما بينوه لم يعرفوه المعرفة
التي يحتمل وسع الخلق وسعهم به ان الله سبحانه جعل سبب معرفته او الاستدلال بآثار الافعال لا بافعال
المحسوسات فلا يفهم معرفته ولا يقدر بمعرفة الخلق وتقديرهم مما جعل الله سبحانه وتعالى الخلق على قسمين قسما
منها ما يحاط به ويدرك حقيقته وهو المحسوس منه والمدرك وقسما مما يعرف بآثار الافعال والاستدلال بها
وهو غير محسوس من نحو العقل والبصر والسمع والروح وغير ذلك فاذ لم يدرك من خلقه ولم يحط به مما
سبيل الاستدلال بآثار الافعال الا بالحس فالذي انشأ ذلك وابدعه احق ان لا يدرك ولا يحاط بمعرفته ما
يحاط ويدرك المحسوس اذ الموصل الى معرفة الاستدلال بآثار الافعال بالمحسوس والله اعلم وكذلك ما اضاف
الى نفسه من الاحرف لا يفهم منه ما لو اضيف ذلك الى الخلق من نحو الاستواء والمجيء والاتيان ونحو ذلك ولا يقدر منه
ما يقدر من الخلق على ما لم يفهم من مجيء الحق واتيانه ما فهم من مجيء الخلق ولا اتيانهم فعلى ذلك لا يفهم قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه ما يفهم من قبضة الخلق وطيهم ويمينهم بل يفهم من ذلك كله من قوله عز وجل انما
قلنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون كل ما ذكر من القبضة والطي واليمين في ذلك كن كاف ونون او شيء
من ذلك لكنه ذلك كن لانه اخف كلام على الالسن واوجز حرف يفهم منه المعنى وتعديه فيما بين الخلق والله اعلم
واصله ان الله عز وجل خاطبهم بما يعارفوا فيما بينهم حقيقة وان كان ما يعاد فوا فيما بينهم منفي عن الله تعالى نحو ما
ذكر لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقوله عز وجل ذلك بما قدمت ايديكم وقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا خلفه لما باليد يتقدم ويؤخر في الشاهد وان لم يكن ما ذكر عمل اليد وذكر بين يدي ما ذكر وان لم يكن بين
بين يديه لما في الشاهد كذلك يتقدم فعلى ذلك ما اضاف الى نفسه من احرف كانت تلك منفية عنه لما في الشاهد
بذلك يكون والله اعلم واصل ذلك ان قد يعنت بالتنزيل على ما ذكر من اضافة ذلك الاحرف الى الله ونسبته به

بدليل ان ليس كمثله شيء في العقل نفي الاشباه والشركاء لزم القول بوقوع تلك الايات على ما يناله
به نفي بينه وبين الخلق في الفعل وفي جهة من جهات الخلق اذ هو متعال عن جميع جهات الخلق في حد الاحداث
والخلق فيلزم الايمان بها على ما نطق به الكتاب بعد المتشابه وتفويض المراد الى من جاء عنه ذلك
معا توحيد الاضافة الى الله عز وجل من نحو قوله عز وجل حدود الله ونحوه يحتمل وجهين المضاف منه
الى غيره نحو ذلك ما ذكرنا على امكان وجوه فيما يبقى معنى التشابه من ذلك ما يتضمن فيها نحو قوله عز وجل
ان ينصروا الله ينصركم الاية والى الله المصير والمرجع ويرجوا لقاء الله وردوه الى الله والرسول في
غير ذلك مما اضيف الى الله ولا معنى لتحقيقه في ذلك فيضم في ذلك منه ووعد ووعيد وغيره ذلك
في الوجوه ما يطول ذكره ويكثر تتبعه امر هذه الايات والثاني ان اضافة الامور في الشاهد الى الملوك
وذكر قولي لهم ليس بخرج مخرج تحقيق كما هو ما جرى به الذكر ولكن على الكناية والعبارة عن غيره نحو ما
قال يقع كذا في يد فلان وفي قبضته وامر كذا في فلان انما يراد بذلك قوته وقدرته فعلى ذلك ما ذكر
من قبضته ويمينه انما هو الوصف له بالقوة والسلطان والقدرة على ذلك وقوله عز وجل
سبحانه وتعالى عما يشركون يحتمل تنزيه نفسه عما وصفه المشبهة وشبهوه بالخلق او عما اشرك عبدة الاصنام
الله في العبادة وتسميتهم اياها الهة وقوله عز وجل والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
هو على التقديم والتاخير كانه يقول عز وجل الارض والسموات جميعا قبضته مطويات بيمينه والله اعلم
وقوله عز وجل ونفخ في الصور اختلف في قوله عز وجل ونفخ في الصور اهو على حقيقة النفخ ام لا قال
بعضهم ليس هناك نفخ ولا شيء وانما ذكر النفخ عبارة عن خفة الامر على الله عز وجل امر قيام الساعة
كقوله عز وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وهو اهون عليه وقال بعضهم ليس نفخ انما
عبارة عن قدر النفخ انه يحيى ويموت على قدر النفخة لانها اسرع شيء في الدنيا هي النفخة وقال بعضهم
هو حقيقة النفخة من غير ان كانت النفخة سببا للاحياء والاماتة ولكن على جعل النفخة علما واية
للاحياء او الاماتة المتحن من تلك الملك الذي كان موكلا به على ما المتحن ملك الموت بقبض الارواح في
في اوقات جعل له فعلى ذلك ما ذكر من النفخة والله اعلم ثم اختلف في الصور ايضا قال بعضهم هو
الخلق فيها ينفخ والى ذلك جميع اهل الكلام وقال ليس هو صور الخلق ولكن انما هو قرن لانه قال الصور
ولم يقل صور بالتثقيل وانما ذكره بالتخفيف وهو القرن وذكر صور الخلق بالتثقيل صور حيث قال
فاحسن صوركم فلسنا ندري انهما يقال جميعا ام لا الصور والصور والله اعلم وقوله عز وجل فصعق
من في السموات ومن في الارض قال عامة اهل التفسير والتاويل الصعق هو الموت وقال بعضهم الصعق
هو الغشيان كقوله عز وجل وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه الا ترى انه قال عز وجل فلما افاق وانما
يفاق من الغشيان ولا يفارق من الموت والله اعلم بذلك وقوله عز وجل الا من شاء الله اختلف فيه
قال بعضهم انما استثنى الشهادة الذين استشهدوا في الدنيا والله اعلم وقال بعضهم الا من شاء الله
هو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت والله اعلم وقوله عز وجل ثم نفخ فيه اخرى قال بعضهم
يكون نفخات نفخة يحملهم على الفزع ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الاية
الاخرى يموتون بها والثالثة يحيون بها وعلى هذا يروى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ينفخ ثلث ذكر كما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم نفختان على ما ذكر في هذه الاية احديهما يموتون
والثانية يحيون بها والله اعلم وقوله عز وجل واشرقت الارض بنور ربها يحتمل بنور الذي انشاه
الله عز وجل لها وجعله فيها ليس ان يكون لذاته نورا وشيء يضيء ويكون قوله عز وجل بنور ربها
كقوله عز وجل بنعمة ربك واحسان ربك والاء ربك لا يفهم منه سوى النعمة والنشاة والالاء
المجعولة فعلى ذلك قوله عز وجل بنور ربها لا يفهم منه نور الذات ولا شيء من ذلك ثم قوله عز
وجل واشرقت الارض اي اضاءت جاز ان يكون الله عز وجل يسمي ارض الاخرة ارض مضيئة مشرقة
لما اخبر انه يبدل ارضا غير هذه حيث قال عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الاية كانت
هذه مظلمة وتلك مضيئة على ما ذكرنا والله اعلم او ان يكون اشراقها ارتفاع سواتها وظهور
الحق لهم وزوال الاشتباه والالتباس وكانت امورهم في الدنيا شبهة ملبسة ويقرون يومئذ
جميعا بالتوحيد له والالوهية والربوبية وهو على ما ذكر من قوله عز وجل وبرزوا لله جميعا و
قوله عز وجل واليه ترجعون واليه المصير وقوله الملك يومئذ لله ونحو ذلك ذكر البروز له و
الرجوع اليه والمصير وان كانوا في الاحوال كلها بارزون له راجعون اليه صائرون والملك له في

الدارين جميعا حضن البروز والرجوع اليه والملك له لما يومئذ يظهر الحق لهم من المبطل ويومئذ برزوا جميعا بالتوحيد
والملك فعلى ذلك يحتمل اشراق الارض واضاءتها لما يرتفع السواتر يومئذ يزول الشبه ويظهر الحقايق والله اعلم
او ان يكون اشراقها اما ظهر لكل ما عمل في الدنيا من خير او شر وعرفه يومئذ وان كان في الدنيا لم يظهر ولم يعرف مما عمل
من خير وشر كقوله عز وجل يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
الاية والله اعلم او ان يكون ارض الاخرة مضيئة مشرقة لما لا يقضى عليها الرب تعالى عز وجل وارض الدنيا مظلمة
بعصيان اهلها عليها الرب عز وجل وذلك كما روي في الخبر ان حجر الاسود من الجنة لكنه كذا لكنه صار اسود لما
ايدي الخاطئين العاصين والله اعلم وقال عز وجل بنور ربها قال بعضهم بعدل ربها اي رضي بعدل ربها وهو ما قال
عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالعدل والله اعلم وجايز ما ذكر بنور انشاه وجعله فيها
والله اعلم وقوله عز وجل ووضع الكتاب وقال عز وجل في اية اخرى ووضع الميزان فجايز ان يكون الكتاب الذي ذكر انه
وضعه هو ذلك الميزان فيكونان واحدا وجايز ان يكون الكتاب غير الميزان وقال بعضهم الكتاب هو الحساب بما قد
حفظ عليهم ولهم من خير او شر يجد ورقه وقال بعضهم هو الكتاب الذي يوضع في ايديهم يومئذ فيه ما عملوا بقرب
وهو مثل الاول والله اعلم وقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء اختلف في الشهداء قال بعضهم الشهداء هم الرسل
يؤتى بالنبيين والمرسلين يشهدون عليهم كقوله عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
وقوله عز وجل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا وقوله عز وجل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم الاية وقال بعضهم الشهداء
ها هنا هم الملائكة والحفظة الذين يشهدون عليهم باعمالهم التي عملوها وقال بعضهم الشهداء هم الذين استشهدوا
في هذه الدنيا والله اعلم وجايز ان يكون ما ذكر من الشهداء هم الجوارح التي تشهد عليهم يومئذ كقوله عز وجل يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية وقوله عز وجل وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وقوله عز وجل وهم لا يظلمون اي لا يحمل
على المرسل ولكن يحمل عليه ما عمل والله اعلم وقوله عز وجل ووفيت كل نفس ما عملت اي ووفيت كل نفس كافية ما عملت
من سوء فاما ما عملت من خير فلا توفى وكذلك كل نفس مسلمة ما عملت من خير لا ينقص منها شيء وما عملت من سوء
جايز ان يتجاوز الله عنها ويبدل له حسنات كقوله عز وجل فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والله اعلم وقوله عز وجل
وهو اعلم بما يفعلون اي عالم بما يفعلون من خير او شر وقوله عز وجل وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا قيل امة امة
وجماعة جماعة كقوله عز وجل يحشرون الى النار ونحوه وقوله عز وجل حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها جايز ان يكون لها ابواب
يدخلون فيها وجايز ان يكون الابواب المذكورة لا على حقيقة الابواب ولكن على الجهات والسبل التي كانوا فيها اي في
الدنيا وعملوا بها يدخلون النار بتلك الجهات والسبل التي كانوا في الدنيا وعملوا بها كما يقال فتح على فلان باب كذا
ليس يراد حقيقة الباب ولكن سبيل بابه والله اعلم وقوله عز وجل وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم
ايات ربكم يحتمل قوله عز وجل ايات ربكم اي التوحيد وحججه ويحتمل ايات البعث التي انكروه قال بعض اهل التاويل
ايات القران وقوله عز وجل وينذرونكم بالايات لقاء يومكم هذا وقوله عز وجل قالوا بلى قد فعلوا ذلك وقوله عز وجل
ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قال اهل التاويل ولكن حقت كلمة العذاب اي علم العذاب وهو ما قال عز وجل وعد
انه يملأ جهنم منهم وهو قوله عز وجل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي حق وعد ذلك عليهم والله اعلم وجايز
ان يكون ما ذكر من العذاب هو كلمة الشرك والكفر اي حقت كلمة الكفر والشرك الذي عملناه سمي كلمة الكفر كلمة العذاب
لما عذبوا وعوقبوا والله اعلم وقوله عز وجل قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين تاويله ظاهر و
المتكبرين يحتمل المتكبرين على اياته وحججه ويحتمل المتكبرين على رسله وانبيائه صلوات الله عليهم والله اعلم وقال القتبي
وابو عوسجة اشرقت اي اضاءت وانارت وزمرا اي جماعات والواحد زمرة ويقال تزمر القوم اذا اجتمعوا زمر تهم
او جمعتهم واصله ان يساق كل فريق على ما اجتمعوا وكانوا في الدنيا جماعة جماعة وامة امة وعلى ما يجتمعون في هذه الد
اهل الخير على اهل الخير واهل الشر على اهل الشر وسرورا بالاجتماع في ذلك لكي اهل الخير يساقون الى الجنة على ما كانوا يجتمعون
في هذه الدنيا على الشر مغتفين والله اعلم وقوله عز وجل وسيق الذين اتقوا يحتمل اتقوا الشرك ربهم او اتقوا سخطه
ونقمته او اتقوا المهالك وقد ذكر فيما تقدم والله اعلم وسيق وان كان في النظام خبرا عما مضى لكنه يخرج على وجهين احدهما
على الاستقبال وذلك جايز في اللغة استعمال الحرف الماضي على ارادة الاستقبال كانه قال يساقون والثاني كان خبرا عما قد كان
مضى فقال عز وجل وسيق ولذلك ذكره بحرف سيق والله اعلم وقوله عز وجل زمرا قد ذكرناه اي جماعة جماعة وامة امة
على ما كانوا في هذه الدنيا ويجتمعون على ذلك فعلى ذلك يساقون في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها فتح الابواب لهم يحتمل حقيقة الابواب ويحتمل كناية عن الوجوه والسبل التي ياتونها في الدنيا لا على حقيقة
الابواب والله اعلم وقوله عز وجل وقال لهم خزنتها سلام عليكم بداء الخزنة بالسلام عليهم فجايز ان يكون الله عز وجل امتحن
الخزنة بالسلام على المؤمنين كما امتحن رسول الله صلى الله عليه وسلم بداءة السلام على من هو قوله عز وجل واذا جاءك

الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم الاية ثم يحتمل سلام الخزنة عليهم السلام والبراءة عن جميع العيوب والافات
التي في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل طبتم فادخلوها خالدين فقوله طبتم يحتمل اي صرتم طيبين لا يمسون ابدا
وقد برائتم من الافات والعيوب كلها والله اعلم ويقول طاب العيش ابدا من حيث ما ياتيكم بلا عناء وقوله
عز وجل وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده لا شك ان الله عز وجل اذا وعد لصدق وعده لكن معنى قولهم
الحمد لله الذي صدقنا وعده اي الحمد لله الذي جعلنا مستحقين وعده اذ وعده الا شك انه يصدق ولا قوة
الا بالله وقوله واورثنا الارض قيل انزلنا الارض اي الجنة وقوله عز وجل نتبوأ من الارض حيث نشاء
يحتمل قوله حيث نشاء يرغب فيها وهم لا يرغبون الزوال منازل عنهم او ان يكون قولهم نتبوأ من الجنة
حيث نشاء اي جميع مكان الجنة مختار ليس مما يجده في الدنيا مكانا دون مكان لان جميع امكنتها ليست
بمختارة فيقع فيها الاختيار فاما الجنة فجميع امكنتها مختارة فلا يقع هنالك اختيار مكان على مكان والله اعلم
والاظاهر قوله تعالى نتبوأ من الجنة حيث نشاء ما لهم وما لغيرهم والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل فنعم اجر العاملين ظاهر وقوله عز وجل وترى الملائكة حافين من حول العرش قيل محدقين حول العرش
وقوله عز وجل يسبحون بحمد ربهم قال بعض اهل التاويل يسبحون بحمد ربهم هو ان يسبحوا بثناء ربهم
وحمده ويذكرونه وينزهونه عن جميع معاني الخلق بحمد وثناء يحمدونه ويثنون عليه على ما ذكرنا في غير موضع والله
اعلم وقوله عز وجل وقضي بينهم بالحق قيل بين الامم والرسل وقيل بين الخلايق كلهم وجايز ان يكون في
وقيل الحمد لله رب العالمين قال الحسن فتح الله نعمه في الدنيا بالحمد له وهو قوله عز وجل خلق السموات والارض
الاية قوله عز وجل الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الاية وغير ذلك في الايات وختم نعمه في الاخرة بالحمد له
حيث قال الحمد لله رب العالمين وهو قوله عز وجل واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين الحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل حم قال بعضهم هو هجاء اسماء الرب
جل وعلا وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ترى انه الذي حم كاين اي الذي قضى كاين الا انه ذكره بالهجاء كمن
بالهجاء ذكر زيدا بالهجاء وقد قلنا نحن ان تفسير الحروف المقطعة ما ذكر على اثرها وقد ذكرنا اقاويل الناس واختلافهم
فيها في غير موضع ما اغنانا عن ذكرها في هذا الموضع والله اعلم وقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
قد ذكر قوله تنزيل الكتاب في سورة الزمر غير انه ذكر العزيز العليم وها هنا ذكر العزيز العليم وهما واحد
والله اعلم وقوله غافر الذنب يخرج على وجهين احدهما غافر الذنب اي متجاوز الذنب وهو في حق المؤمنين
خاصة والثاني غافر الذنب اي ساتر الذنب وهو يحتمل للكافر والمؤمن جميعا يستر كثيرا على المؤمن والكافر
جميعا الذنب في الدنيا ولم يفضحهما ويتجاوز عن المؤمن خاصة في الاخرة والله الموفق وقوله عز وجل
وقابل التوب خبر انه يقبل التوبة وان عظمت المعصية وجلت الذنوب وكثرت والله اعلم قال ابو عوسجة
التوب جماعة التوبة وقوله شديد العقاب اي لمن يتب وقوله ذي الطول قال ابو عوسجة اي ذي
القدرة وقال القتبي ذي التفضل يقال طل علي برحمتك اي تفضل وقيل ذي السعة والغناء وقيل ذي
النعم كل قريب بعضه من بعض وقوله لا اله الا هو اليه المصير وحد نفسه واخبر ان مصير الخلق اليه في
الاخرة فيجزيهم باعمالهم والله اعلم وقوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا اي ما يجادل في دفع
ايات الله والطعن في ايات الله الا الذين كفروا بالله او كفروا بايات وكانت مجادلتهم ما ذكر حيث قال
ليدحضوا به الحق اي يبطلوا به الحق اهل الكفر هم الذين كانوا يجادلون في دفع ايات الله والطعن فيها
فاما اهل الايمان بها كانوا يفرحون بنزولها ويزداد لهم ذلك ايمانا كما قال تعالى والذين اتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه وكقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فحول ذلك
من الايات كان يستسلمون لها ويقبلونها ويستقبلونها بالتعظيم والتبجيل وبالله التوفيق وقوله
عز وجل فلا يغررك تقلبهم في البلاد معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغره تقلبهم في البلاد
لكنه ذكر الخطاب له واراد به غيره لما يحتمل ان يظن قوم ان اهل الكفر لما كانوا في امن في التقلب في البلاد
في البلاد في عيشهم وان اهل الايمان في ضيق وشدة وخوف ان ذلك على الحق وهؤلاء على الباطل فجايز ان
يظن ظان ما ذكرنا فاخبر الله عز وجل ان الامن والسعة ليس بدليل على كون صاحبه على الحق ولا الضيق
والشدة على كون صاحبه على الباطل ولكن محنة امتحنهم مرة بالسعة والامن ومرة بالضيق والخوف
دليل ذلك وجود الحالين جميعا في كل فريق مع اختلاف مذاهبهم وتضاداتها ولهم ويحتمل ان يكون المراد

منه اهل مكة اي لا يغررهم تقلبهم في البلاد وامنهم وسعتهم بعد ما نزل باهل الافاق والنواحي انهم على الحق وان ذلك
انما يدفع عنهم لمكانهم وانما يدفع ذلك عنهم ويكونون على امن لمكان كونهم بقرب من البيت لحرمته وشرفه والله اعلم وقوله
عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم ذكر هذا التصبير رسوله عليه الصلوة والسلام على تكذيب قومه اياه
ومجادلتهم اياه بالباطل يقول لست انت باول من كذب قومه ولا باول من جادله قومه بالباطل لم يزل الامم المتقدمة
يكذبون رسلهم ويجادلونهم بالباطل فصبروا على ذلك فاصبر انت على تكذيب قومك ومجادلتهم اياك بالباطل كما صبروا اولئك
كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية وهي ما ذكر في قوله عز وجل وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق همت كل امة برسولهم ما ذكر لكن الله تعالى بفضله عصم رسوله عما هم اهلك الكفرة بهم من القتل و
المجادلة بالباطل وفي ذلك اية من ايات الرسالة لهم حيث حفظهم عما هموا بهم وكادوا بلا اعوان وانصار كان للرسل
مع كثرة اولئك الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل فاخذتهم فكيف كان عقاب اي كيف وجدوا عقابي اليس وجدوه
حقا على ما وعد الرسل عليهم السلام انه نازل بهم او يقول اليس وجدوه اليما شديدا والله تعالى اعلم وقوله عز وجل
وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار يحتمل قوله حقت كلمة ربك على الذين كفروا ما ذكر في قوله سنة
الله في الذين خلوا من قبل الاية وقوله وقد مضت سنة الاولين يحتمل ان يكون قوله حقت كلمة ربك على الذين كفروا ما قال
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فذلك الذي حق عليهم من كلمة ربك والله اعلم وقوله عز وجل الذين يحملون العرش
ومن حوله يسبحون بحمد ربهم قد ذكرنا في غير موضع ان التسبيح بحمد ربهم هو الثناء عليه والحمد له بالتبرية والتنزيه
عن جميع اوصاف الخلق ومعانيهم عن جميع ما قالت الملحدة فيه وقوله عز وجل ويستغفرون للذين امنوا هذه ارجى اية
للمؤمنين والايات التي فيها استغفار الرسل للمؤمنين من نحو قول نوح عليه السلام حيث قال رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وقول ابراهيم صلوات الله عليهم رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم
الحساب وما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات حيث قال له استغفر
لذنبك وللمؤمنين لانه لا يحتمل ان يامر بالاستغفار ثم لا يجيبه اذا فعل ثم قال بعض المعتزلة ان قوله جل وعلا و
استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات انما هو في الذنوب الذي ليس له ان يعذبهم عليها وهي الصغاير وليس له
ان يغفر الكباير ويستدل على ذلك بقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك انما امر ان يستغفر للذين تاب فاما من لم
يتب ولم يامره بالاستغفار فيجب القول بما قلنا عملا بما لايتين لكن نقول نعم انه لو كان استغفاره لمن ذكر خاصة لاصحاب
الصغاير على ما قالوا لصير كأنه امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول استغفر لهم ولا يجب عليهم اذ هم مغفور ذنبهم فيحصل
قولهم على ما ذكرنا وذلك كفر وحش من القول والله اعلم ثم يجيء ان يكون المعتزلة والخوارج في النظام بعد الخلايق في
المعاصي واقربهم الى الطاعات ونحن اقرب الخلايق الى المعاصي وابعدهم عن الطاعات لانهم لا يرون النجاة الا باعمالهم
ولا يرون برحمة الله ولا بشفاعة احد ولكن باعمالهم فيجب ان يكونوا ابدا متمسكين ملازمين على الطاعات في كل وقت و
ساعة لا يعصون الله طرفة عين ونحن لم نر النجاة بالاعمال ولكن انما نرى ذلك برحمة الله تعالى وبشفاعة من ارتضى
بشفاعة فيجب ان يكون معتمدنا على رحمة وفضله غير مشتغلين بشيء من الطاعات في الحقيقة يجب ان يكونوا هم اقرب
الخلايق الى المعاصي وابعدهم من الطاعات ونحن الزم الخلايق بالطاعات وابعدهم عن المعاصي لانا نرى عند الله
لطايف وفضايل باقية لم يعطنا ما لم اعطانا لم يبقنا الا الخير والطاعات وعصمنا عن المعاصي وانواع الشرور والفحشا
فيجب ان يكون متمسكين على الطاعات لنصل الى تلك اللطايف وهم لا يرون بقي عنده شيء من اللطايف بل يقولون قد
اعطانا كل شيء حتى لم يبق عنده شيء من مصالح الدين فيجب ان يكونوا ما ذكرنا والله اعلم ثم قولنا ان الله تعالى ينجينا برحمته
وبشفاعة من جعل له الشفاعة لا باعمالنا وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل احد الجنة الا برحمة
قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته والمعتزلة يقولون لا بل ندخل باعمالنا وكذلك قول
الخوارج واصل قولنا ان الله عز وجل ان يعذب عباده على جميع المعاصي على الصغاير والكباير جميعا وله ان يغفر جميع المعاصي
سوى الشرك والكفر على ما ذكرنا من دلايل الايات وغيرها وقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما قوله وسعت كل شيء
رحمة فرحمة الدنيا يدخل فيها الكافر والمؤمن جميعا فاما رحمة الاخرة فهي للمؤمن خاصة وهو ما ذكر في قصة موسى
عليه السلام حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة الى قوله ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين
يتقون الاية كقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة
يوم القيمة كانه يقول هي للذين امنوا والذين لم يؤمنوا ثم هي خالصة للذين امنوا يوم القيمة فعلى ذلك قوله وسعت كل
شيء رحمة هي رحمة الدنيا جميع المؤمن والكافر جميعا في تلك فاما رحمة الاخرة لست الا للذين امنوا والله اعلم وقوله
علما اي علم من فيها من الخلق وقوله عز وجل فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك يحتمل وجوها احدها فاغفر للذين تابوا
من الشرك واتبعوا سبيلك الى دينك هو الاسلام والثاني اي فاغفر للذين تابوا عن الكباير والفواحش واتبعوا

سبيلك

سبيلك اي طاعتك والثالث فاغفر للذين تابوا عن جميع المعاصي صغايرا وكبايرا واتبعوا طاعتك والله اعلم
وقوله وقهم عذاب الجحيم ظاهر قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما لا يمكن العمل بها على قول المعتزلة لان رحمة
عندهم لا يسع واحد فانه ليس له ان يعفو عنه فان عندهم ان من ارتكب كبيرة ليس له ان يرحمه ولكنه
يعاقبه على زعمهم خالدا مخلدا واذا كان قولهم مذهبهم فليست رحمته واسعة بزعمهم ثم يقولون ايضا ان الله
تعالى قد هدى كل كافر واعطاه ما يهتدي به لكنه لم يهتدي وانه لم يبق عنده ما يهديه به فعلى هذا القول
رحمته لا تسع لهداية كافر فاذا رحمه الله تعالى بزعمهم على خلاف ما ذكر الله تعالى وصفها بالسعة والله
واما عندنا فهو ما ذكرنا من جميع الكل في ذلك لما ذكرنا ان تلك الرحمة هي رحمة الدنيوية واما ذكرنا
من كون اللطايف عنده من اعطاها اهتدى والله الموفق وقوله عز وجل ربنا وادخلهم جنات عدن التي
وعدتهم هذا يخرج على وجوه احدها ان الوعيد كان منه لجملة المؤمنين فسألوا ان يدخل قوما على الاسارة والتعيين
في جملة ذلك الوعد لاحتمال الخصوص في الجملة والله اعلم والثاني سألوا ان يجيبهم على الاسباب والاعمال
التي يستوجبون ذلك والله اعلم والثالث يجوز ان يكون الوعد لهم بشرط الذي سألوا والله تعالى اعلم في
الازل انه يوجد ذلك الشرط وهو سؤالهم فيكون لهم ذلك الوعد ومثل ذلك جايز قال الله تعالى كان
على ربك حتما مسؤولا انما يعذبهم بسؤال هؤلاء على ذلك كان جزاء تقديره انه لا يعذبهم اذا سألوا وعلم انهم
سألوا وعلى ذلك الحديث الوارد ان الصدقة تزيد في العمر جرى تقديره في الازل انه يوجد منه الصدقة هو
فيكون عمره زايدا عليها لو علم انه لا يتصدق وانما لا يجوز التعليق بالشرط في حق الله تعالى على نحو ما يكون
في حق العباد ان يوجد عند وجود الشرط ولا يوجد عند عدمه ولا علم لهم بعاقبة ذلك والله تعالى عالم
بالعواقب فمتى علق شرط كان ذلك منه في الازل حكما على ان يوجد مع ذلك الشرط لا محالة لما علم وجود ذلك
الشرط مع علمه انه لو لم يكن ذلك الشرط كيف كان والله الموفق اما ظاهر الاية انه اذا وعدها لهم ه
لادخالها لا محالة فيها فلا معنى للسؤال في ذلك لما يخرج السؤال في مثله يخرج السؤال في تصديق الوعد
والامتناع عن الخلف ولكن الاية تخرج على الوجوه التي ذكرنا وقوله تعالى ومن صلح من ابائهم وازواجهم
وذرياتهم الاية سألوه ايضا ادخال هؤلاء في ذلك الوعد ايضا على ما ذكرنا وقوله وقهم السيئات هذا يحتمل
انهم سألوا ان يقيهم في الاخرة امورا يسوءهم من الاهوال والافزاع وغير ذلك من العذاب ويحتمل في الدنيا
ان يحفظهم من الشرك وغيره يدل عليه قوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تق السيئات في الدنيا فقد رحمته
يومئذ وذلك الفوز العظيم وقوله تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم الاية ذكر
ان اهل النار اذا دخلوا النار وعاينوا ما انكروا من البعث والعذاب تجعل كل انسان منهم يمقت نفسه
ويلومها فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا اوجب عليكم من اللعن والنقمة اكثر مما تمقتون به انفسكم واشد هذا
وجه ووجه اخر جاز ان يقال لهم ان الواجب عليكم اذا تروا مقت الله واياكم وقت ارتكابكم العصيان
وعند تعاصيكم ما تعاطيتم اكبر واشد من مقتكم انفسكم حين معاينتكم العذاب ودخولكم النار وانكم
ان رايتم مقت الله اياكم عند ارتكابكم ما ارتكبتم انه ينزل بكم لزجركم ومنعكم عن ارتكاب ذلك وتعاطيه
وحملكم على ايثار ما دعيتم اليه من التوحيد لله تعالى والايمان به والله تعالى اعلم وعلى هذين التاويلين
يرجع تاويل قوله ولذكر الله اكبر احدهما ان ذكر الله تعالى اياكم بالرحمة والمغفرة اكبر واعظم من
ذكركم اياه وصلوتكم وعبادتكم له والثاني ان ذكر نفس نهي الله تعالى اياكم عن المعاصي وقت ارتكابها
اكبر في الزجر عنها والمنع من الصلوة نفسها ان كانت الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر لما
ان الصلوة فيها اعمال تشغل عن ذكر النهي والله اعلم ثم قوله تعالى مقتكم انفسكم يحتمل وجهين احدهما اي
من مقت بعضكم بعضا كقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ويحتمل ذلك لقوله
ان الصلوة تنهى اي يمقت كل انسان نفسه لما كان من العصيان والكفر وانما احتمل هذين الوجهين
لان المنع لهم من طاعة الله تعالى واتباع امره ونهيه يكون بانفسهم ويكون من بعضهم بعضا فيكون محتملا
لكلي الوجهين وهو كقوله تعالى اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله وقوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة ولا تهلكوا بعضكم لبعض اذ الظاهر ان المرء مع قيام عقله لا يهلك نفسه ويلقيها في التهلكة
وكذا لا يسلم على نفسه ويحتمل الظاهر ايضا ان يسلم على نفسه اذا دخل البيت ولم يكن معه غيره و
لذلك نهي عن اهلاك نفسه عند شدة الغضب ونحو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل قالوا ربنا
امتنا اثنتين قال بعض اهل التاويل كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا
ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهما حياتان وموتتان وهو قول ابن

عباس وابن مسعود فيما ارى ويقولون كقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية وقال بعضهم قوله
ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين احدى الموتتين هي التي تنقضي بها اجالهم ثم يحييهم في القبر وهو اشبه واقرب
لانهم يكونون في اصلاب ابائهم امواتا لا يقال امتنا وهم كانوا امواتا وقوله عز وجل فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج
من سبيل يحتمل اعترافهم بذنوبهم هو ما انكروا في الدنيا قدرة الله تعالى على البعث والاحياء بعد الموت والعذاب
لما عاينوا ذلك وشاهدوا اقروا به فانكارهم ذلك هو ذنبهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ذنوبهم التي عرفوا بها
ما ذكر في سورة تبارك حين قال لهم الخزنة لما القوا في النار الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شيء فيكون اعترافهم بذنوبهم هذا والله اعلم وقوله ذلك بانه اذا دعي الله وحده كفرتم قوله
ذلك بانه اي ذلك المقت الذي ذكر والعذاب الذي نزل بكم انما كان بانه اذا دعي الله وحده كفرتم اي كفرتم
بتوحيده وان تشرك به اي بتوحيد الله تؤمنوا به اي تصدقوا هذه الاية كقوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون فهما بمعنى واحد والله اعلم وقوله عز وجل
فالحكم لله العلي الكبير قال قتادة لما خرج اهل حروراء قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون
قال قيل هم القراء قال عليه السلام ليسوا بالقراء ولكنهم الخيابون الجيابون قالوا انهم يقولون لا حكم الا لله قال
علي رضي الله عنه كلمة حق اريد بها باطل وذكر وعري بها باطل وقوله هو الذي يريكم اياته اختلف في قوله
يريكم هو ما اراهم بمكذبي رسله ومصدقيهم من اوائلهم حيث استاصل هؤلاء بتكذيبهم رسله ونجى مصدقيهم
بتصديقهم اياه ليمتنع هؤلاء عن تكذيب رسوله وقال بعضهم اراهم ايات وحدانيته وربوبيته وقدرته و
سلطانه في السموات والارض ما لو تاملوا لعرفوا ذلك وهو كقوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض ايات
وحدانيته وربوبيته وذكر انهم يمرون عليها اي يرونها لكنهم يعرضون عنها والله اعلم وقال بعضهم في قوله
هو الذي يريكم اياته يا اهل مكة اذا سافرتم رايتم ايات المتقدمين ومنازلهم وهلاكهم وهو الاول بعينه و
قوله تعالى وقوله وينزل لكم من السماء رزقا يخبر عن ايات وحدانيته ايضا انه ينزل رزقهم من السماء وجعل ذلك
ينقطع عن استنزال الرزق من السماء ليعلم ان منشئ الارض والسماء واحد حيث اتصل منافع السماء بمنافع
الارض على بعد ما بينهما ويحتمل انه يذكر نعمه عليهم حيث يعلمون انه هو الذي انزل ارزاقهم من السماء دون ما
يعبدون من الاصنام فكيف يصرفون عبادتكم وشكركم الى غيره وقوله وما يتذكر الا من ينيب اي وما يتذكر
بما ذكر من الايات ولا يتاملها الا من ينيب اليه بطاعته او يقول لا يتذكر ولا يتعظ باياته ومواعظه الا من
اليه بالقبول لامره وطاعته وقوله فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون كان هذا صلة ما تقدم من قوله
تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة الاية وصله قوله ذلك بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم كقوله فادعوا الله يا اصحاب محمد وايها المؤمنون مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ذلك ووحدوه و
لا تشركوا به شيئا على ما تشرك به اهل مكة والله اعلم وقوله عز وجل رفيع الدرجات يحتمل وجهين احدهما رفيع
السموات درجة على درجة وطبقا على طبق على ما رفعها واحدة على اخرى والثاني قوله رفيع الدرجات اي
درجات اهلها ومنازلهم التي جعلها لهم في الاخرة على تفضيل بعض على بعض في الدرجات كقوله تعالى انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اخبر انه فضل بعضا على بعض في الدرجات في الاخرة
فجائز ان يكون ما ذكر من رفع الدرجات هي رفع السموات درجة فدرجة فهو اخبار عن قدرته وسلطانه انه
من قدر على رفع السموات في الهواء واقرارها فيه بلا سبب من اسباب امساكها من التعليق بشيء مع ثقلها
وغلظها ولا شيء يقر في الهواء بحيث لا ينحط ولا يسفل ولا يرتفع عن اماكنها بلا سبب من الاسفل والاعلى لا
يحتمل ان يعجزه شيء او يخفى عليه شيء او يمنعه عما يريد والله اعلم وان كان المراد بالدرجات التي يجعل لاهلها
في الاخرة انما ليستوجبوها بالله تعالى باعمال يكون لهم والله اعلم وقوله عز وجل ذو العرش يلقي الروح من امره اختلف
فيه قال بعضهم هو جبريل عليه السلام يلقي اي ينزل بالوحي والنبوة على من يشاء من عباده كقوله نزل به الروح
الامين على قلبك اخبر انه امين ليعلم انه ليس في انزاله غلط ولا شيء مما قاله بعض الروافض انه بعث الى فلان
اداه الى غيره وقال بعضهم الروح ها هنا هو الوحي والرسالة يقول يلقي وهو الوحي على من يجتبي ويصطفي من عباده
الله والله اعلم وقوله لينذر يوم التلاق اختلف فيه قال بعضهم يوم تلقاء اهل الارض اهل السماء وقال بعضهم
يوم تلقى الاخرون الاولون وجائز ان يكون قوله يوم يلقى الانسان عمله وافعاله التي عملها والله اعلم وقالت
الباطنية اي يوم تلقى الصور المتولدة من الاجساد باعمال الخير والشر التي كانت لهم في الدنيا الصور التي كانت
لهم في الدنيا روحانية لان من مذهبهم ان من مات منهم يحدث يتولد بالاعمال التي كانت لهم من الخير صور روحانية
يلقى هذه الصورة الحادثة المتولدة من الاجساد بعد الموت ويكون البعث عندهم للارواح فيتصل هذه الارواح

النورانية بالنور الصرف ويستدلون بقوله يومهم بارزون انه يبرز تلك الصور الروحانية من الاجساد اذ
الخلايق كلهم في جميع الاحوال والاوقات بارزون ظاهرون لله تعالى لم يكونوا في وقت المستورين عنه ولكن هذا فاسد
لانه لو كان الامر على ما يقوله الباطنية لكانت النفس اذا ماتت وخرجت منها الصور الروحانية قرات وربما كانت برزها
مختلطة غير مجتمعة غير مختلطة وان الادراك للاجساد بواسطة الصور الروحانية يجب ان يكون البعث للكل والله اعلم
ولكن الوجه في ذلك ما ذكرنا واصله انه سمي ذلك اليوم على ما سمي يوم الجمع ويوم التغابن ويوم الحشر وغير ذلك سمي ذلك
اليوم على اسماء مختلفة كل اسم لذلك لمعنى غير المعنى الاخر والله اعلم وقوله عز وجل يومهم بارزون قال بعضهم اي
ظاهرون لا شيء هنالك يسترهم اي يرتفع يومئذ جميع السواتر وهو كقوله تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي
لا شيء يستر فيها يذكر هذا لان من الناس من يعود بستر الاشياء عن الله تعالى بالسواتر ردا لقولهم ويحتمل ان يكون قوله يومهم
بارزون سمي ذلك اليوم البروز لما يتفقون جميعا ويقرون بالكلمة التي اختلفوا في الدنيا فيها فيبرزون جميعا متفقين مقرين
على تلك الكلمة يومئذ وهي هذه التوحيد والله اعلم ويحتمل ان يكون سماه يوم البروز والمصير والرجوع وما ذكر ان المقصود
عن انشاء الدنيا وما فيها من الخلايق ذلك اليوم وتلك الدار وكذلك صار انشاء الدنيا وانشاء ما فيها حكمة لما عرفناه لا انشا
للافناء خاصة ليس بحكمة فخص ذلك اليوم بما ذكرنا وان كانوا في جميع الاحوال بارزين له ظاهرين له والله اعلم وقوله
عز وجل لا يخفى على الله منهم شيء ظاهر وهو رد لقول من يقول ان شيئا يستر على الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار قال عامة اهل التاويل اذا اهلك تعالى اهل الارض واهل السماء فلم يبق احد الا الله تعالى فعند
ذلك يقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيقول هو في نفسه ويجيب نفسه لله الواحد القهار ولكن هذا بعيد لا يحتمل
ان يقول لمن الملك اليوم ولا احد سواه ويجيب نفسه لله الواحد القهار لما لا حكمة في ذلك ان يسال نفسه ثم يجيبها
لكن الوجه فيه والله اعلم انه انما يقول لهم ذلك اذا بعثهم واحياهم لمن الملك اليوم فيقول الخلايق له باجمعهم لله الواحد
القهار يقرون له جميعا يومئذ بالملك والربوبية وان كان بعض الخلايق في الدنيا قد نازعوه في الملك فيها وادعوا لانفسهم
فيقرون يومئذ ان الملك في الدنيا والاخرة لله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل اليوم تجزى كل نفس بما كسبت اي من خير ومن
شر لا ظلم اليوم اي لا يجزى غير ما كسبت ويحتمل لا ظلم اي لا نقصان في الحسنات التي عملوها ولا زيادة على السيات التي اكتسبوها
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل ان الله سريع الحساب قد ذكرنا هذا ايضا والله اعلم وقوله وانذرهم يوم الازفة
سمي ذلك اليوم الازفة لقربه ودنوه منه وعلى ذلك سماه غدا وقريبا كقوله اقتربت الساعة وقوله اقترب للناس حسابهم
الاية فعلى ذلك سماه ازفة لدنوه وقربه منهم يقال ازف فلان الى فلان اي قرب ودنا منه ومعناه اي انذرهم بالبعث
مرجع عاقبتهم ومصيرهم لان اهل العقل والتمييز انما يعملون ويسعون للعاقبة وما اليه يرجع امورهم وهو ذلك اليوم
والله اعلم وقوله عز وجل اذ القلوب لدى الحناجر يخبر عن شدة حالهم وفزعهم في ذلك اليوم ليس ان يزول قلوبهم عن اماكنها
ويرتفع الى الحناجر حقيقة ولكنه وصف اشتداد حالهم في ذلك اليوم وكثرة خوفهم وفزعهم وضيق صدورهم وهو كقوله تعالى
وضاقت عليهم الارض بما رحبت اي ضاقت صدورهم وقلوبهم بما حل بهم من الشدايد والاهوال ليس ان صارت الارض
في الحقيقة ضيقة لا يسعون فيها ولكن وصف لضيق صدورهم لعظم ما نزل بهم فكنى بضيق الارض عن ضيق صدورهم
فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من كون القلوب لدى الحناجر كناية عن ضيق صدورهم لشدة حالهم وعظيم ما حل بهم والله
اعلم والحناجر هي مواضع الذبح من الشاة وغيرها من الدواب واحدها حنجرة وقوله كاظمين قال بعضهم الكاظم المغتم الذي
يتردد حزنه في جوفه غيظا لما كان منه في الدنيا وقيل الكاظم لا يتكلم قد كظم من الخوف وقيل الذي لا يفتح فمه وهو قريب
بعضه من بعض والله اعلم وقوله عز وجل ما للظالمين من حميم اي قريب وقيل الحميم هو الذي يهتم بامر صاحبه ويسعى في دفع ما
نزل به من البلاء وقوله ولا شفيع يطاع اي يجاب يذكر انه لا يكون لهم في الاخرة قريب يهتم لامرهم ولا شفيع يشفع لهم
فيجاب كما يكون ولذلك قوله لا ينفع شفاعة الشافعين اي لا يكون لهم شفعاء ينفعهم شفاعتهم وهو ما قال عز وجل
في اية اخرى لا خلة ولا شفاعة الاية وقوله عز وجل يعلم خائنة الاعين والخيانة واحد وهو ما قال عز وجل ولا يزال تطلع على
خائنة منهم اي خيانة منهم وقال بعضهم هي النظرة بعد النظرة اما الاولى فليس فيها شيء واما الثانية فعليه ما ثمها
وقوله وما تخفي الصدور اي ما لم يتكلم به المرء ولم يحول ذلك يعلمه الله تعالى وقال بعضهم خائنة الاعين هي النظرة فيما لا
يحل والغمزة بعينه وهو مثل الاول وقال بعضهم خائنة الاعين هي التي ينظرها غفلة الناس اذا غفلوا عنه نظر الى ما يهواه
ويحبه وما تخفي الصدور وهو ما ذكر عز وجل عن ما تكن صدورهم وما يعلنون يذكر هذا ليكونوا ابدا مراقبين انفسهم حافظين
لها عما لا يحل من السمع والبصر والفؤاد على ما ذكر في اية اخرى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا ليكونوا ابدا على
حذر من ذلك وخوف والله اعلم وقوله عز وجل والله يقضي بالحق قال اهل التاويل الحكم بالحق والقضاء المذكور في الكتاب
يخرج على وجوه احدها يقضي اي يامر كقوله تعالى وقضى ربك اي لا تعبدوا الا اياه وكقوله اذا قضى الله ورسوله امرا
اي اذا امرا فقوله والله يقضي بالحق اي يامر بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء اي لا يملكون الامر بالحق

فكيف تعبدون من دونه والثاني القضاء الوحي والخبر كقوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب اي اوحينا اليهم فكان يقوله
والله يوحي بالحق ويخبر به والذين يدعون من دونه لا يملكون الوحي ولا الخبر فكيف اخترتم عبادتهم على عبادة من يوحي بالحق
ويخبر به والله اعلم والثالث القضاء هو الخلق والانشاء كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن فيكون قوله على هذا
والله يقضي بالحق اي يخلق بالحق والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا وقد يعلمون استحقاق العبادة انما يجوز بالخلق والا
وهو كقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق وكقوله تعالى خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بقول لخلق من يدعون دونه كخلق الله حتى
تشابه ذلك عليهم فيعبدوهم اذ يعلموا ان من خلق ليس كمن لم يخلق وقد يعلموا انها لا تخلق شيئا فكيف عبدتموها والله اعلم ثم قول
اهل التاويل يقضي بالحق اي يحكم بالحق يخرج على وجهين احدهما اي يحكم بالحق في الدنيا بالايات والحجج ما عرف كل احد انها حجج
وايات وبراهين والحكم بما ذكرنا حكم بالحق والثاني اي يحكم بالحق في الاخرة وهو الشفاعة اي لا يجعل الشفاعة لمن
يعبدون على رجاء الشفاعة كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولكن انما يجعل لمن ارتضى كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى
والله اعلم وقوله تعالى انه هو السميع البصير روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال السميع للمؤمنين والبصير لعقاب اولئك
وقيل السميع لاقوالهم البصير بافعالهم وجائز ان يكون قوله تعالى ان الله هو السميع البصير صلة ما تقدم من قوله تعالى يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور ويقول السميع بما يكون منهم ظاهرا من قول او فعل والبصير بما اخفوا في قلوبهم ومكن صدورهم
يخبر بهذا ليكونوا ابدا مراقبين حافظين ما ظهر وما خفي والله اعلم وقوله عز وجل اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة هذا يخرج على وجهين احدهما قال الحسن انهم لو ساروا فنظروا
في اثار من كان قبلهم من مكذب الرسل لكان لهم في ذلك زجر ومنع عن مثل صنيعهم ولذلك قال بعضهم هو على الخبر اي قد
ساروا في الارض فنظروا في اثار من تقدمهم لكنهم لم ينظروا نظر اعتبار انه لماذا اصابهم ما اصابهم والله اعلم وقال
قائلون هو على الايجاب والالزام امر بسيروا في الارض وانظروا في اثار اولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كقوله تعالى
قل سيروا في الارض فانظروا ولكن نقول ليس على حقيقة السير في الارض بالاقدام والانظر العين والبصر ولكنه
امر منه لهم بالتفكر والاعتبار في اثار من كان قبلهم والى ما ذا صار عاقبة امر من صنيع مكذبي الرسل ومصدقيهم
لينزجروا عن مثل صنيع مكذبيهم ويرغبوا في مثل صنيع مصدقيهم والله اعلم وقوله وكانوا هم اشد قوة في ابدانهم
وانفسهم واثارا اي خبرا وذكرا في الارض ويحتمل اثارا في الارض اي اشد عملا في الارض وليس كما يقول بعض
المعتزلة اي انهم كانوا اشد منهم قوة في الخيرات فان كان ما ذكر فذلك ليكون اصلح لهم وهذا بعيد سمج من
القول والوجه فيه ما ذكرنا انهم كانوا اشد منهم قوة في ابدانهم وانفسهم وقوله عز وجل فاخذهم الله بذنوبهم يخبر
ان اولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كانوا اشد اثارا في الارض ثم لم يمنعهم شدة قواهم في ابدانهم وانفسهم
وما ذكر اثارا في الارض ولم يدفعوا عن انفسهم ما نزل بهم من عذاب الله فانتم يا اهل مكة دونهم في البطش
والقوة فكيف تمتنعون عذاب الله اذا نزل بكم والله اعلم وقوله عز وجل وما كان لهم من الله من واق ذكر والله
اعلم ان اولئك قد عبدوا الاصنام رجاء ان يشفع لهم في الاخرة وتقربهم الى الله زلفى كما تعبدون انتم
على رجاء الشفاعة لكم والتقريب له ولو كانت عبادتهم اياها طريق الشفاعة وسبب التقريب لكان يقيهم
من عذاب الله في الدنيا كما ادعى اليهود انهم ابناء الله واحباؤه فقال وما عليهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم
اي في الدنيا لو كنتم على ما تزعمون اذ لا احد يهلك ويعذب ولده وحبيبه في الدنيا فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل
ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقوله ذلك يقول ذلك العذاب والاهلاك الذي نزل بهم لما
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا وكذبوا الايات والادلة التي اتتهم رسلهم انهم رسل الله الي
اليهم فاصابهم ما اصابهم كذلك فانتم يا اهل مكة اذا كذبتم الرسول بعد ما اتاكم بالبينات والادلة
على رسالته ينزل بكم ما نزل باولئك بالتكذيب والعناد ورد الايات والادلة والله اعلم وقوله
ولقد ارسلنا موسى باياتنا يحتمل باياتنا اي بحججنا وذكرنا انه يحتمل ان الايات والسلطان واحد ويحتمل
انها غيران وقوله الى فرعون وهامان وقارون ليعلم انه كان مبعوثا الى الكل لم يبعث الى بعض دون بعض
وقوله فقالوا ساحر كذاب دل قولهم ساحر كذاب على ان موسى عليه السلام قد اتاهم من الايات والحجج ما عجزوا عن اتيان
مثلها والمقابلة لها فخافوا ان يتبعه الناس لذلك فموهوا بقولهم ساحر كذاب على الناس لئلا يتبعوه فيما بعد عوام
لما عرف الناس السحر ليس [illegible] كل احد وان اكثر الناس يعجزون عن السحر وكانوا يعرفون ان السحر يكون كذبا فموهوا بذلك
القول امر موسى عليه السلام على اتباعهم ونسبوه الى الكذب من غير ان ظهر من موسى كذب قط وقد كان لم يزل تمويه وتلبيس
على قومه امر موسى مخافة ان يتبعوه لما اتاهم من الحجج والادلة التي ظهرت عندهم انها حجج وادلة من ذلك وقوله عز وجل
برهان انه سحر حكم من سحره وقوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر قال هذا لما اتبعوا السحرة وامنوا به لبعوه بذلك امرهم على ان لم يتبع
موسى من لا يتبع وقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها وغير ذلك من التمويهات التي كانت منه فعلى ذلك

هذا القول منهم حيث قالوا ساحر كذاب لا يعتقدوا وجائز ان يكون قولهم انه كذاب لانهم اعتادوا عبادة الاصنام دون الله
فلما جاء موسى صلوات الله عليه بانهيهم عن عبادة ما اعتادوا من العدد ودعاهم الى عبادة الواحد قالوا انه كذاب وكذلك
قال اهل مكة لرسولنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا حتى كذبا لما دعاهم
الى عبادة الواحد ومنعهم عن عبادة ما اعتادوا من العدد والله اعلم وقوله عز وجل فلما جاءهم بالحق من عندنا قال بعضهم
لما جاءهم بالتوحيد وقال بعضهم اي جاءهم بالرسالة وكان غير هذا اقرب اي فلما جاءهم بما ظهر عندهم من الحجج انها ايات
وانها من عندنا جاء والله اعلم وقوله عز وجل قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم امر اتباعه ان يقتلوا
ابناء من امن منهم لينزجروا بذلك عن متابعة موسى لما راى انما كان من التمويهات والحيل لم يمنعهم عن اتباعه بل كانوا يتبعون
فاوعدهم بقتل الابناء كما كان امر بقتل الابناء عند ما قيل له ان ذهاب ملكك بمولود يولد كذا والله اعلم وقوله عز وجل وما
كيد الكافرين الا في ضلال لا شك ان كيدهم في الاخرة في ضلال ولكن اراد كان كيدهم في الدنيا ظهر انه ضلال حيث لم ينفعهم
كيده وحيله وتمويهاته عن اتباع موسى عليه السلام وقوله وقال فرعون ذروني اقتل موسى قال هذا لما راى انه لم ينفعهم
عن اتباع موسى عليه السلام ما ذكر من قتل الابناء قال عند ذلك ذروني اقتل موسى وجوها احدها يحتمل انه هم فرعون
ان يقتل موسى عليه السلام فمنعه قومه والملأ من قومه عن قتله فقال عند ذلك ذروني اقتل موسى والثاني يحتمل
انه قال هذا ابتداء من غير ان كان منهم منع اياه عن قتله وهو كما قال جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم ذرني ومن
خلقت وحيدا من غير ان كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم منع له عن ذلك وهذا في كلام العرب موجود سائغ التكلم
به على الابتداء من غير ان كان من احد منع عما يريدون ان يفعلوا والله اعلم والثالث يحتمل ذروني اقتل موسى اي ذروني
لا ينهني في قتل موسى اي لا تلوموني اذا انا قتلته والله اعلم وقوله وليدع ربه يحتمل وجهين احدهما انه كان ذلك من فرعون
يقول ذروني اقتل موسى وليدع ربه ليمنعني عن قتله ان كان صادقا فيما يدعي من الرسالة لان من ارسل رسولا منع احدا
قتله والضرر به منعه الرسل عن ذلك يقول والله اعلم والثاني يكون ذلك امرا من الله عز وجل موسى بالدعاء على فرعون بالهلاك
لما هم قتله وعلى ذلك الرسل عليهم الصلوة والسلام قد اذن لهم بالدعاء على فراعنتهم ومعانديهم ومكابريهم اذا بلغوا
في العناد غايتهم وتمرد نهايتهم والله اعلم وقوله عز وجل اني اخاف ان يبدل دينكم قد كان هنالك تبديل الدين فانه قد
اظهر موسى عليه السلام دين الحق وامن من اتباعه لكن كانه اراد والله اعلم بقوله ان يبدل دينكم اي يذهب بدينكم
من الاصل وقوله عز وجل او ان يظهر في الارض الفساد ذكر اللعين وسمى اظهار التوحيد في الارض ودين الاسلام فسادا ليعلم
ان كل مدعي شيئا وان كان مبطلا في دعواه فعنده انه على حق وان خصمه باطل لا يقبل قول احد على احد الا ببرهان والله
اعلم يحتمل ان فرعون اللعين اراد بقوله او ان يظهر في الارض الفساد قتل ابنائهم اي يقتل موسى ابنائكم مجازاة لما قتلتم
ابنائهم والله اعلم وقوله عز وجل وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب يحتمل قوله من كل متكبر
اي متكبر على التوحيد ويحتمل متكبر على الرسل لا يؤمن بما يدعو الرسول الى الايمان بيوم الحساب والله اعلم وقوله عز وجل
وقال رجل مؤمن من ال فرعون هذا يحتمل وجهين احدهما من ال فرعون في الظاهر والا لم يكن في الحقيقة من اله انما هو
من ال موسى واتباعه حيث امن به وترك اتباع فرعون والله اعلم والثاني اله اي من نسبه لانه ذكر انه كان ابن عمه
والله اعلم وقوله يكتم ايمانه اشفاقا على نفسه ولا يظهر الموافقة لهم على ما هم فيه اذ قد رخص الكتمان دون اظهار
الموافقة لهم وعلى ذلك المكره على اظهار الكفر اذا قدر على ان لا يظهر ما اريد منه من كلمة الكفر ولا يكتفي بالامتناع لا يسع
اظهار ذلك لهم ما دام لم يقصد ويخيفه يسع فعلى ذلك ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
فيه اخبار انه كان يكتم ايمانه اشفاقا على نفسه لما خاف اهلاك رسول الله موسى عليه السلام فعند ذلك اظهر ما كان
يكتمه وان كان في اظهار ذلك اهلاك نفسه بعد ما يرجو نجاة نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهكذا يجب
ان لا يسع كتمان ما كان يكتمه وان كان نفسه يهلك اذا اظهر اذا كان في اظهار ذلك نجاة رسول من رسل الله تعالى عليهم
الصلوة والسلام يجب يدفع الهلاك بها عن نفس ذلك الرسول ولذلك ذكر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان اهل
مكة لما هموا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاكه القى ابو بكر رضي الله عنه نفسه عليه وقال ما قال ذلك الرجل
الذي كان يكتم ايمانه حيث قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فعند ذلك نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يكن نزل قبل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقد جاءكم بالبينات ما يبين انها ايات من عند الله لا اختراعا
من موسى عليه السلام ويبين انه صادق فيما يقول ويدعي وقوله وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم
بعض الذي يعدكم اي وان كان كاذبا فيما يدعوكم اليه فعليه كذبه وان كان صادقا فيما يقول ويدعي يصبكم بعض الذي
يعدكم فهو يعلم انه صادق فيما يقول حقيقة ولكن لما كان عند القوم ذكر على ما في زعمهم رفعا للقتل عن موسى
عليه السلام ثم الاشكال انه قال يصبكم بعض الذي يعدكم والرسل اذا وعدوا شيئا يصيبهم كله يجوز ان يكون خوف
ما اخبروا او دون ما ذكر والكن يخرج على وجوه احدها انه كان وعدهم ان يصيبهم العذاب في الدنيا والاخرة فيقول يصبكم

يعدكم ذكر ان يصيبهم بعض الذي صح

بعض الذي يعدكم وهو ما وعد لهم انه يصيبهم في الدنيا واما ما وعد لهم في الاخرة فهو يصيبهم في وقت اخر وهو في
الاخرة مما اصابهم في الدنيا فهو بعض ما جرى الوعيد منه لهم لان الوعيد كان منه في الدنيا والاخرة والله اعلم و
الثاني يحتمل انه كان عليه السلام وعدهم بانواع من العذاب وقد اصابهم بعض ذلك من الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم ونحو ذلك وفي بعض ما وعدهم هو هلاكهم فكانه يقول لهم انه قد اصابكم كثيرا من ذلك فيصيبكم بعض ما يعدكم الذي
فيه هلاككم مبالغة في الزجر لما قد اصابهم ما وعد لهم من انواع العذاب ولم يكن وعده كذبا فبعض ما يعدكم وهو الهلاك
كيف يكون كذبا والله اعلم والموفق والثالث يراد بالبعض الكل لانه اراد بهذا البعض الهلاك وهو البعض الاقصى فيدخل
التالي لان اذا وعد بانواع من العذاب منها الهلاك يكون الهلاك هو البعض الاقصى اذ لا عذاب في الدنيا بعد الهلاك ويكون
ساير انواع العذاب في الدنيا يكون قبل الهلاك فاذا اريد به هذا البعض يدخل فيه ما قبله ويكون ذكره ذكر الكل اذ لا وجود له
بدون سايرها لذلك قال يصيبكم بعض الذي يعدكم اي يصيبكم كل الذي يعدكم والله اعلم وقوله عز وجل ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب هذا يخرج على وجهين احدهما انه لا يهدي من هو في علمه انه لا يوثر الاسراف والكذاب والثاني لا يهدي من
هو يختار الاسراف والكذب وقت اختيارهم الاسراف والكذب وقوله عز وجل يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن
ينصرنا من باس الله ان جاءنا يخرج على وجهين احدهما يحتمل ان يقول ذلك بعد ما سالوه ان يتبع دينهم وما هم فيه اي لو
اتبعكم واجبتكم ومعكم الملك والحشم وغلبة وليس معي ذلك فاذا جاء باس الله وعذابه فنصرتم انتم ممتنعين عنه بما معكم
فمن ينصرنا بامره عذاب الله وليس معنا ذلك وان كان يعلم حقيقة انما معهم من الغلبة لا يمنع من عذاب لكن قال ذلك بناء
على اعتقادهم اظهارا للعذر عندهم كيلا يقدموا على قتله لصيانة حيوتهم ومثل لا حيلة لا باس وبه والله اعلم والثاني يقول على
الرفق بهم واظهار الموافقة لهم في الظاهر بقوله انه قد جاءنا من الله البينات ما اوضح الحق وبين السبيل فاذا رددنا ذلك
وكذبنا ثم جاءنا باس الله حلة وعذابه فمن يمنعنا عنه وينصرنا من عذابه اذا خالفنا امره وتركنا اتباع دينه على هذين القولين
يخرج القول منه والله اعلم وقوله عز وجل قال فرعون ما اريكم الا ما ارى قال بعضهم اي ما امركم الا بما رايته لنفسي وقال
بعضهم ما اختار لكم الا ما اختار لنفسي ذلك لكن اللعين ان يختار لهم ما اختار لنفسه لان ما اختار لنفسه باطل فاسد و
كذب اللعين ايضا حيث قال ما اختار لكم الا ما اختار لنفسي لانه اختار لهم ان يعبدوه ولم يختر لنفسه عبادة او لذلك ان يعبدهم
فهو كذب من القول وقوله عز وجل وما اهديكم الا سبيل الرشاد كذب ايضا في قوله انه لا يهديهم الا سبيل الرشاد بل كان يهديهم
سبيل الغي وقوله عز وجل يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كانه
اضمار القول اني اخاف عليكم يوما مثل يوم الاحزاب ويوما مثل يوم قوم نوح وعاد فهو والله اعلم صلة قوله فيما تقدم يا قوم لكم
الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا وعظهم مرة واحتج عليهم بما جاءهم موسى بالبينات حيث قال اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وتتركون اتباعه وتتبعون رجلا لم ياتكم بالبينات هذا منه احتجاج عليهم
ان كيف تقتلون رجلا وتتركون اتباعه بعد ما جاءكم بالبينات من ربكم وتتبعون من لا بينة معه ولا برهان بسفههم في
صنيعهم الذي ارادوا ان يصنعوا به والله اعلم ووعظهم ايضا وعظا لطيفا فيه رفق حيث قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يقول والله اعلم انكم ان قتلتم ذلك الرجل بعد ما جاءكم بالبينات وتركتم اتباعه فجاءكم
عذاب وباسه فمن ينصركم عن ذلك العذاب ويمنعكم عنه اذ قتلتم نبيه بغير حق ثم وعظهم وعظا بما نزل بمكذبي من كان
قبلهم من الرسل حيث قال اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ثم داب قوم نوح وعاد وثمود يقول اني اخاف عليكم ان ينزل بكم
ويقع عليكم من عذاب الله بتكذيبكم الرسول موسى عليه السلام وترككم اتباعه بعد ما جاءكم بالبينات انه رسول وانه
صادق فيما يقول ويدعي كما نزل ووقع من العذاب بالاحزاب الذين كانوا من قبلكم ممن ذكر بتكذيبهم الرسل واستقبالهم اياهم
بما استقبلوا بعد ظهور صدقهم عندهم بما يستقبلون انتم رسولكم موسى بعد ما ظهر صدقه عندكم بالبينات التي جاءكم
والله اعلم ثم ما ذكر من الاحزاب يحتمل ان يكون تفسيره ما ذكر انه من قوم نوح وعاد وثمود ويحتمل سواهم من الامم والله اعلم
ثم قوله مثل داب قوم نوح وعاد وثمود قال بعضهم اي مثل صنيع قوم نوح ومن ذكر وفعلهم وقال بعضهم اي مثل عذاب
قوم نوح ومن ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وما الله يريد ظلما للعباد وفي هذه الاية للمعتزلة نوع تعلق يقولون ان الله
لا يريد من العباد ما تفعلون من افعال الظلم والجور وقد اخبر الله تعالى انه لا يريد ظلما للعباد لكن الاية في التحقيق عليهم
لانه قال في اية اخرى يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة اخبر انه اراد ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة ولو لم يرد منهم ما يستوجبون
به العذاب كان في تعذيبهم اياهم ظالما على زعمهم دل انه اراد منهم ما يستوجبون به العذاب وهو فعل الظلم والله اعلم ثم
تاويل الاية يخرج على وجهين احدهما ان الارادة هي صفة كل ما فعل يفعل عن اختيار فكانه قال والله لا يظلم عباده كقوله
تعالى وما ربك بظلام للعبيد والثاني فيه اخبار انه لا يعاقب احدا بذنب غيره ولا يواخذ بجريمة غيره ولا يزيد على قدر
ما يستحقون به العذاب او لا ينقصهم من ثواب حسناتهم كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وغير ذلك من الايات
فما ذكرنا اخبار انه لا يجزيهم باكثر مما يستحقون ليس على ظلم او لذلك والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم اني اخاف عليكم يوم

التناد يوم تولون مدبرين الاية وعظهم ايضا بعذاب الاخرة وما يكون منهم من الندامة بتركهم اتباع الرسول بعد
ما وعظهم وبعذاب الدنيا وما نزل باوايلهم بصنيعهم مثل صنيعهم وهو ما قال اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون
مدبرين الاية ثم قوله يوم التناد فيه لغات ثلاث احديها يوم التنادي بالياء والثانية بالتخفيف على حذف الياء والثالث
بالتشديد فمن قراها بالتشديد يقول هو من ند يند ندا اذا مضى وجهه هاربا فارا من عذاب الله اذا عاينوا العذاب
وهو من ندا وبل وغيره والله اعلم ومن قرا بالياء فهو التفاعل من النداء فهو على نداء بعضهم بعضا يوم القيمة كقوله
تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقوله عز وجل ونادى
اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله ويوم يناديهم اين شركاءي الذين كنتم تزعمون وقوله يوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونحوه ومن قرا بغير الياء فقد حذف الياء كقوله فاقض ما انت قاض واصله التنادي والله
اعلم ثم قوله تعالى يوم تولون مدبرين قال بعضهم يوم تولون هاربين من النار مدبرين عنها كقوله تعالى يوم يفر المرء من
اخيه وقوله عز وجل ما لكم من الله من عاصم اي ما لكم من عذاب الله اذا نزل بكم من مانع يمنعكم من عذابه وقوله عز وجل
ومن يضلل الله فما له من هاد قد ذكرنا وقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات اي جاءكم يوسف من
قبل موسى عليهما الصلوة والسلام بالبينات اي بالايات والادلة على الرسالة وصدقه جايز ان يكون هذا قوله ذلك الرجل
لقومه يخبرهم عن سفه اوايلهم من تكذيبهم يوسف بارض مصر قبل موسى وما كان القول منهم بعد ما ذهب من بينهم
وردهم اياته وحججه التي اتاهم بها وما اخبر انهم واوايلهم لم يزالوا في شك وريب مما جاءهم الرسل من الايات والادلة
وهو ما قال عز وجل فما زلتم في شك مما جاءكم به يقول كم نزل عادتكم وعادة اوايلكم هذا وقوله حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله
من بعده رسولا جايز ان يكون وان خاطبهم بقوله جاءكم يوسف بالبينات وقوله فما زلتم في شك مما جاءكم وقوله قلتم لن
يبعث الله من بعده رسولا انما اراد اباءهم واوايلهم لان يوسف عليه السلام لم يكن في زمن هولاء مبعوثا اليهم
على ما غاب الابناء بصنيع اباءهم في غير اي من القران كقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل وقوله ثم اتخذتم العجل
من بعده هولاء لم يقتلوا الانبياء ولا اتخذوا العجل وانما فعل ذلك اباؤهم واوايلهم ثم جاء العتاب لهم بصنيع بسوء
صنيع اباءهم واوايلهم فعلى ذلك هذا وجايز ان يكون وان خاطبهم بما ذكر من سوء الصنيع وتكذيب انما يخبر عن صنيع
اباءهم فيحذرهم عن مثل صنيع اولئك من التكذيب لهم والرد لادلتهم والقول بعد ذهابه من بينهم والكذب على الله
انه لم يبعث رسولا يقول اياكم ان تكذبوه وتردوا اياته وحججه ثم تقولوا اذا مات موسى لن يبعث الله من بعده رسولا
كما قال اوايلهم اذا مات يوسف لم يكن من بعده رسول يقول لهم حتى اذا هلك قلتم لن يبعث من بعده رسولا بشيء ان
يخرج الاية على هذا والله اعلم وقوله عز وجل كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب فقد ذكرنا تاويله من وجهين فيما تقدم
ثم قوله حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا يخرج على وجهين احدهما امنوا به وانكروا رسالة غيره بعده يقول لهم
لن يبعث الله من بعده رسولا والثاني انكروا رسالته في حال حيوته ولم يومنوا به فاذا هلك انكروا ان يكون هو
مبعوثا اليهم رسولا فيحذرهم هولاء صنيع اولئك ان لا يكونوا كذلك امنوا به وانكروا رسالة غيره من الرسل بعده او
يقولوا لا نكون كذلك يكذبونه ما دام حيا فاذا هلك يكذبون رسالته يحذرهم سفه اوايلهم والله اعلم وقوله
عز وجل الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم اي يجادلون في دفع ايات الله وردوها بغير حجة وسلطان
اتاهم من الله او بغير حجة يكن لهم الاحتجاج بها والا كان اهل الايمان قد يجادلون فيها حتى اذا ظهر انها ايات الله امنوا بها
واقروا بها لكن الوجه فيه ما ذكرنا اي يجادلوا في دفع ايات الله وردوها بغير حجة اتاهم كقوله تعالى وجادلوا هم
بالباطل ليدحضوا به الحق والله اعلم وقوله كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا هكذا الواجب على اهل الايمان ان يمقتوا
من الاعمال ما مقتها الله تعالى ان يمقتوا من مقته الله تعالى من اعدايه وعلى ذلك ذكر انه اخبر انما لكم حب ما احبه الله و
بغض ما ابغضه الله او كلام نحوه وشرعا لكم حب ما ابغضه وبغض ما احبه الله تعالى وقوله عز وجل كذلك يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار اي هكذا يطبع الله على كل قلب من جادل في دفع ايات الله وردها بغير حجة اي يطبع على
كل من يعود التكبر والتجبر على الايات والرسل والله اعلم ثم قوله كذلك يطبع الله من هو كذلك وكذلك يضل ويحق
كلمه حروفا لاعتزال بين الله تعالى العلل التي لها لا يهديهم ويضلهم وكذلك في قوله لا يهدي من هو مسرف كذاب
ومسرف مرتاب ونحوه اي لا يهدي من كان طبعه وعادته الاسراف والكذب وكفران النعم ودفع الايات والحجج بلا حجة و
برهان فاما من كان طبعه وعادته غير هذا لكن الجهل جهل ذلك او لما يتحقق عنده لغلبة وقلة التامل او لاشتغاله
بامور الدنيا او المعنى من المعاني يجوز ان يهديه الله تعالى ويرشده على هذا يخرج هذه الايات والله اعلم وعلى ذلك ما كان
من فرعون اللعين من التمويهات والتلبيسات على اتباعه في امر موسى عليه السلام بعد معرفته ان ذلك ليس بفلح
في الايات والحجج التي اتاهم موسى عليه السلام اراد ان يموه ويلبس على قومه فكل من كان عادته وطبيعته ما ذكرنا من
التمويه والتلبيس والمجادلة في دفع الايات بلا حجة والتكبر عليها فلا يهديه الله تعالى ويطبع على قلبه والله اعلم وقوله

عز وجل وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى المشبهة تعلق بظاهر
هذه الاية يقولون لولا ان موسى عليه السلام كان ذكر واخبر فرعون ان الاله فى السماء والا لما امر فرعون هامان ان يبنى له
ما يصعد به الى السماء ويطلع الى اله موسى على ما قال تعالى اخبارا عن اللعين لكنا نقول لا حجة لهم فانه جايز ان يكون هذا
من بعض التمويهات التى كانت منه على قومه فى امر موسى عليه السلام ومن بعض مكايده التى كانت منه به من نحو
قوله ساحر كذاب وقوله انه لكبيركم الذى علمكم السحر وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ونحو ذلك من التمويهات
التى كانت منه فعلى ذلك قوله ابن لى صرحا فاطلع الى اله موسى تمويه منه على قومه يموه بقوله ان موسى انما يدعوا الى
اله فى السماء فهو يحوا له يكون فى الارض يموه بذلك على الناس امر موسى من غير ان كان من موسى ذكرا وخبر ان الله
تعالى فى السماء على ما كان منه ساير التمويهات وان لم يكن من موسى ذكر تلك التمويهات له والله اعلم ويحتمل ان فرعون
قال ذلك لما راى ان البركات والخيرات ينزل من السماء فظن انه فى السماء ثم اختلف فى الاسباب قال بعضهم اسباب
السموات ابوابها ويحتمل اسباب السموات هى الطرق التى يصعد الى السماء وحقيقة الاسباب هى ما يوصل بها الى
اشياء يقصد اليها وقد علم اللعين ان الله لا يصل الى ذلك بما ذكر من بناء الصرح لكنه اراد بذلك ما ذكرنا من التمويهات
والتلبيس على قومه والله اعلم **وقوله** عز وجل وانى لاظنه كاذبا بعد ما قطع القول فيه انه كاذب وانه كذاب ليعلم
انه كان على حق وانه صادق لكنه يموه بذلك على قومه **وقوله** وكذلك زين لفرعون سوء عمله قال بعضهم اى زين
زين الشيطان عليه سوء عمله بالاتباع وكثرة الاموال والحشم الذى اعطى له زين له سوء عمله بالاسباب التى
اعطيت له فيكون الله تعالى زينا له سوء عمله باعطاء الاسباب ويحتمل ازين له سوء عمله اى خلق فى طبعه ان يرى
ذلك حسنا مزينا وان كان قبيحا فى نفسه حقيقة على ما تقدم ذكره **وقوله** وصد عن السبيل وقرا وصد بالفتح فله معنيان
احدهما صد هو بنفسه صدودا والثانى صد الناس عن سبيله صدا ومن قرا صد بالضم اى لم يوفق ولم يرشد لما
علم منه اختيار صده **وقوله** وما كيد فرعون الا فى تباب اى فى خسار التباب الخسار يقال فى قوله تبت يدا ابى لهب
اى خسرت ويقال تبا له اى كان كالة وقيل تبت يد الرجل اى خابت ثم اخبر عما ذكر وعظ ذلك الرجل المؤمن من اهلهم
وهو قوله تعالى وقال الذى امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد اى ابين لكم سبيل الرشاد خوفهم بما نزل بالذى
بتكذيب الرسل وترك اتباعهم ومرة بين سفههم فى انفسهم بسوء صنيعهم ومرة وعظهم ونصحهم ودعاهم الى اتباعه
ليبين لهم سبيل الرشاد ويهديهم اليه وان خاف على نفسه الهلاك بعد ما اظهر الايمان ولم يبال هلاك نفسه و
قال الكسائى الرشاد والرشد والرشد ثلاث لغات ولا يقرا ههنا غير الرشاد ثم قال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا
متاع اى متاع ومنفعة يبلغ الى منتهى اجالكم يبلغ به العاصى والمطيع الى اجله يخبر انها على الانقضاء والذهاب ويخبر
ان دار الاخرة هى دار القرار باهلها ان كان اهلها اهل خير قرت بهم خيرا ابدا لا يزول وان كان اهلها اهل شر قرت بهم
الشر ابد الابدين ثم اخبر عدله لله تعالى فى اعدائه وفضله واوليائه حيث قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها اى لا يجزى
ولا يزيد لهم على مثل جنايتهم لان المثل هو عدل فى جميع الاشياء يخبر ان لا يزيد على عقوبة عملهم ولكن يجزيهم بمثله
واما جزاء الحسنة فانه يزيد لهم على قدر ما يستوجبون تفضلا منه واحسانا ثم فيه دلالة نقض قول المعتزلة ان
صاحب الكبيرة فى النار ابدا لو كان على ما ذكروا كان فى ذلك التسوية بين صاحب الكبيرة وبين صاحب الشرك فاما
ان يكون نقصانا لصاحب الشرك عن مثل عقوبته او زيادة لصاحب الكبيرة وقد اخبر انه لا يجزى الا مثلها فذلك خلاف
ظاهر الاية **وقوله** عز وجل ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة دل هذا على ان العمل الصالح
لا ينفع ولا يجزى به الا من كان منه الايمان به **وقوله** يرزقون فيها بغير حساب يحتمل بلا تبعة ويحتمل بلا تقدير وعدد
قد ذكرناه فيما تقدم **وقوله** عز وجل ويا قوم ما لى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار كانه قال يا قوم ما لى ولكم ادعوكم
الى ما به نجاتكم واصلح لكم وتدعوننى انتم الى ما به هلاكى فتى يكون بيننا موالاة واجتماع اى لا يكون انما يذكر هذا وامثاله
فى المواعظ اذا انتهت غايتها وبلغت نهايتها فلا تنجع فيهم وهو كقوله تعالى لكم دينكم ولى دين وقوله تعالى لى عملى ولكم
عملكم الاية ثم فسر ما يدعونه اليه وما يدعوهم اليه من النجاة حيث قال يدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم
وانا ادعوكم الى العزيز الغفار وهذا منه تفسير ما دعاهم الى النجاة وبيان ما يدعونه الى الهلاك ثم قوله واشرك به ما ليس
لى به علم قد يستعمل قوله ما ليس لى به علم فى نفى العلم اى ليس ذلك وذلك فى اثبات العلم مجاز وضده يقول واشرك به
ما ليس لى به علم ولا كان من الشريك وغيره او يقول يدعوننى لاكفر بالله ولا اشرك به ما ليس لكم به علم والله اعلم ثم
يخبر ما يعبدون من الاصنام وغيرها وهو ما قال عز وجل لا جرم ان ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا
فى الاخرة لا جرم اى حقا يقول والله اعلم حق ان ما تدعوننى اليه ليس له دعوة اى لم يدعوكم الى عبادة نفسها
اى الاصنام التى عبدوها والاول اشبه لانهم كانوا يعبدون تلك الاصنام رجاء ان ينتفع لهم فاخبر انها لا تشفع
يقول ليس له دعوة لى شفاعة والله اعلم **وقوله** عز وجل وان مردنا الى الله يقول والله اعلم ان مرجعنا الى ما اعد الله

لنا اعد لكم النار واعد لى الجنة وان المسرفين هم اصحاب النار والمقتصدين من اصحاب الجنة والله اعلم **وقوله** عز وجل فستذكرون ما اقول لكم اى ستذكرون اذا عاينتم ما اعد لكم واعد لنا ان ما كنتم عليه ودعوتمونى اليه دعاء الى
الهلاك وما دعوتكم اليه هو دعاء الى الجنة او يقول ستذكرون ما نصحت بدعائى اياكم الا ما به نجاتكم **وقوله** عز وجل
وافوض امرى الى الله هذا يخرج على وجوه احدها كانهم خوفوه واوعدوه بانواع الوعيد والتخويف فقال عند ذلك
وافوض امرى الى الله واتوكل عليه فيحفظنى ويدفع عنى شركم وما تقصدون بى والله اعلم والثانى وافوض امرى
الى الله اى عليه اتوكل واكل فى جميع الامور من الخيرات والشرور وهو الكافى لذلك والثالث اظهار الحاجة والمؤنة
ابدا يكون يظهر الحاجة الى الله تعالى فى كل وقت وكل ساعة والله اعلم والرابع وافوض امرى الى الله اى لا اشتغل
بشىء فى امرى اصيره الى الله تعالى وعلى قول المعتزلة لا يصح تفويض الى الله تعالى لانهم يقولون ان عليه ان يعطى جميع
ما يحتاج اليه المكلف حتى لا يبقى عنده واذا لم يبق عنده شىء فليس لتفويض الامر اليه معنى والله الموفق **وقوله** عز
وجل فوقاه الله سيئات ما مكروا دل هذا على انهم قد قصدوا قصدا المكر به حيث اخبر انه وقاه سيئات ما مكروا والمكر
انهموا به قتله ويحتمل غيره ثم يحتمل ما وقاه عن مكرهم ما وقى موسى عليه السلام لما اهلكهم والنجاة عن شرهم
ويحتمل توجيه اخر لا نفسره لانا لا نحتاج اليه وانما حاجتنا الى ان نعلم ان كل من بذل نفسه لله تعالى وحفظهم **وقوله**
عز وجل وحاق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا استدل بعض الناس على عذاب القبر
بقوله النار يعرضون عليها وانما يعرض ارواحهم على النار فتالمت اجسادهم فى القبور ذلك وكذلك يعرض
ارواح اهل الجنة على الجنة فيتلذذ اجسادهم فيتلذذ الارواح بعدان لحدث فيها الحيوة التى بها تحقق الالم واللذة هذا فى القبر
ثم اذا دخلوا النار يكون لهم ما ذكر من العذاب حيث قال ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب والله اعلم
وجايز ان يكون ما ذكر من العرض على النار قبل القيمة قبل ان يدخلوا النار كقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا
يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون يكون عرضهم على النار وهو وقت وقفهم للسؤال
وحبسهم لذلك ثم يدخلون النار فيكون لهم العذاب الذى ذكر وهو قول الحسن ثم قوله غدوا وعشيا يحتمل قدر غدو وقدر
عشى ان كان الناوى فى عذاب القبر ويحتمل ما قال بعضهم ان يقال لهم هذا لكم ما دامت الدنيا ويحتمل انه ذكر على ارادة
الغدو والعشى حقيقة ذلك كل وقت لكن يتجدد الالم والوجع بكل قدر عشى وغدو والله اعلم وذكر عن ابن مسعود
رضى الله عنه قال جعلت ارواح ال فرعون فى اجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال يا ال فرعون هذه داركم
قال عبد الله فذلك عرضها فان ثبت هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه فهو تفسير لما ذكر من الغدو والعشى ثم ان ثبت
هذا عنه فهو سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه باب لا يدرك بالتدبير مما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال
ان نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات احدكم عرض على مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان
كان من اهل النار فمن النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعث اليه يوم القيمة فان ثبت هذا وصح عنه فهو دليل لوجوب
عذاب القبر والله اعلم وجايز ان يكون قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اى يعذبون فى الاوقات كلها بعدا دخالهم
فيها وذكر الغدو والعشى يخرج على سكون النار فى اوقات ثم تلتهب كقوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا والله اعلم فان
قيل ما الحكمة فيما ذكر من ادخال ال فرعون من اشد العذاب والخصوصية لهم فى ذلك من بين غيرهم من الكفرة قيل لوجهين
احدهما ان غير موسى من الرسل عليهم الصلوة والسلام قد نسبوا الى السحر كما نسب اليه موسى لكن لم يتبين ولا تحقق
لغيرهم براءة رسلهم فيما فرقهم الرؤساء والقادة منهم بالسحر والكذب مما وجد منهم التمويه على السفلة والاتباع وقد
تحقق لال فرعون براءة موسى مما قرفه فرعون بالسحر والكذب وتبين عندهم صدق ما ادعى من الرسالة وذلك فى رجوع
سحرة فرعون ان ما جاء به موسى حق وما يقوله صدق وانما نهم موسى عليه السلام نهارا جهارا واختاروا القطع والصلب
ولم يمتنعوا عن متابعته وما راوا من انقلاب العصا حية تسعى وتلقف ما صنعوا فيكون عنادهم اشد ومكابرتهم اكبر فلذلك
استحقوا اشد العذاب والله اعلم والثانى ان ايات موسى عليه السلام اكثرها كانت حسية وايات غيره عقلية ومعرفة
ما كان سبيله الحس مما لا يتمكن فيه شبهة وقد يتمكن الشبهة فيما كان سبيله العقل فيكون عنادهم اشد وبعد ذا انهم قد
اسعوا فرعون لما ادعى لنفسه من الالوهية بلا حجة وبرهان طلبوا منه وتركوا اتباع موسى عليه السلام بما ادعى من الرسالة
بعد ما اقام على ذلك من البينات والحجج والبراهين فلذلك كان لهم اشد العذاب والله اعلم **وقوله** عز وجل واذ يتحاجون
فى النار محاجتهم فى النار ما ذكرها هنا وفى اى من القران وهو ما ذكر فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل
انتم مغنون عنا نصيبا من النار قد علم الضعفاء والاتباع لا يملكون دفع ما هم فيه لانهم لو كانوا يملكون ذلك لدفعوا
عن انفسهم فاذا لم يملكوا دفع ذلك عن انفسهم فلان لا يملكون دفع ذلك عنهم احق لكنهم قالوا ذلك لهم تلك لتزداد
حسرة وندامة وهو كقوله تعالى فى اية اخرى فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء الى قوله سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص ويحتمل انهم انما قالوا لهم ذلك لما قالوا لهم فى الدنيا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيقولون لهم

لك فى الاخرة فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ اى حاملون عنا بعضا الذى علينا من العذاب انا كنا لكم تبعا
فى الدنيا فانا لو انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقوله عز وجل قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم
بين العباد هذا من اولئك الذين استكبروا جوابا للضعفاء على احد امرين اما ان يكون ولا يكن نجوا بالاخرة وهو جواب لقولهم
الذى قالوا فى الدنيا ونحمل خطاياكم فيقولون ان الله قد حكم بين العباد وان لا يزيد العذاب على مثل السيئة وقد حكم
الله تعالى على كل منا بالمثل فلو يزيد على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب كان فزع الكفرة ابدا الى الخلق اذا نزل بهم البلاء فى الدنيا الا ان يضطروا فعند ذلك فزعوا
الى الله تعالى فاما ما لم يبأسوا منهم فلا يفزعون اليه فعلى ذلك يكون فزعهم فى الاخرة الى الخلق وهو ما سألوا
اهل الجنة من الماء اخبر الله تعالى عنهم بقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم
الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فلما ايسوا من ذلك عند ذلك فزعوا الى مالك وهو ما اخبر الله تعالى عنهم
بقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون سالوا الموت فلما اخبرهم انهم ماكثون فعند ذلك
فزعوا الى الخزنة وقالوا ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات فلما ايسوا منهم
وما سألوا لوهم من تخفيف العذاب عنهم عند ذلك فزعوا الى الله تعالى وهو قولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا
نعمل وقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فلم يفزعوا الى الله تعالى الا بعد انقطع رجاؤهم منهم
وايسوا والله العصمة والنجاة وقد استدل بقوله تعالى اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى من لا يرى الحجة
والحكم يلزمهم بمجرد العقل دون الرسل عليهم السلام حيث احتج عليهم الخزنة بتكذيبهم الرسل وردهم بالبينات التى
اتتهم الرسل واستدلوا ايضا بقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وقوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا و
غيرها من الايات التى فيها انه لا يعذبهم الا بعد ما قامت عليهم الحجة من جهة الرسل ولزمهم الحكم بهم فعند ذلك يعذب
لكن تأويل الاية يخرج عندنا على وجهين احدهما ان يكون ذلك فى قوم خاص الذين لا يرون لزوم الحجة والحكم الا بحجة
الرسالة فيحتج عليهم بما كانوا يرون به فيكون اقرب الى الالزام والحجة وان كان يجوز ان يحتج عليهم بما هو حجة وهم لا
يرونها حجة والله اعلم والثانى انما ذكر ذلك على المبالغة والنهاية فى الحجة وان كانت الحجة قد تلزمهم والحكم قد ثبت
بدون ذلك وهو العقل لان ارسال الرسل واقامة المعجزات اقرب الى الوصول الى الحق وقد اقام كلى الحجتين قد ذكرنا
اظهر الحجتين لتكون اقرب الى اظهر عنادهم وهذا كما فى تعذيب الكفر فى الدنيا انهم لم يعذبوا بنفس الكفر حتى كان منهم مع
الكفر الاستهزاء بالرسل والعناد لهم وغير ذلك وانما كانوا يستوجبون العذاب بنفس الكفر لكن تركت تعذيبهم حتى
يبلغوا النهاية والابلوغ فى التكذيب والعناد وهو كقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون ذكر
هذا على النهاية والابلوغ فى الخيانة منهم وان كانوا يستوجبون العذاب بمجرد منع الزكوة دون جحود البعث دون جحود
الزكوة فعلى ذلك الايات التى ذكر هى على الابلوغ والنهاية وان كان الحجة يلزمهم والحكم يثبت بدون الرسل والله الموفق
وبعد فان فى قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ان الحجة والحكم قد لزمتهم بدون الرسل لانه لو لم يلزم لكان
فى العذاب ظلما لانه يعذب قبل ان يلزمهم الحكم فيصير تقدير الاية ولو انا ظلمناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع اياتك لانه يكون ظلما فيما عذبتنا والظلم من الله تعالى محال فيستحيل تقدير الاية على هذا الوجه دل
ان التعذيب قبل الرسل عدل وحكمة وليس بظلم والله الموفق وبعد فان فى قوله اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات
دلالة ان الحجة انما يلزم بالبينات لا بانفس الرسل والبينات قد وجدت وسببا المعرفة وطريقها وهو العقل قال فى
وقوله عز وجل قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ليس على الامر بالدعاء ولكن معناه انكم وان دعوتم لا ينفعكم دعاؤكم
كقوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اى هلاكا والله اعلم وقوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين
امنوا فى الحيوة الدنيا يحتمل ما ذكر من النصر للرسل والمؤمنين وجوها احدها اى ننصرهم فى الدنيا بالحجج والايات التى
اعطاهم فى الدين حتى يدفع بها تسويلات الشيطان وتمويهات السحرة وتغلبها وتعلوا على الكل هذا فى الدنيا وفى
الاخرة ايضا ننصرهم بما يشهد لهم عليهم الملائكة والجوارح بالتكذيب للرسل والمؤمنين وانهم دعوهم الى التوحيد
والايمان لكنهم كذبوهم وكفروا بما دعوهم اليه فذلك نصرة اياهم فى الدنيا والاخرة والله اعلم والثانى ننصرهم لما
يجعل لهم العواقب واخر الامر وان كان فى الابتداء قد يكون عليهم وعلى ذلك لم يذكر عن احد من الرسل الا وقد كان
عاقبة الامر له وهو كقوله تعالى والعاقبة للمتقين هذا النصر هو النصر فى الابدان والاول هو نصر فى الدين ولكن ان
كان هو نصر فى الابدان فهو نصر يرجع الى الدين لما يقيم الدين بسلامة الابدان ويتحقق به عن المسلمين والله الموفق
والثالث ذكر نصرهم اعطاهم من النعمة فى الدنيا والسعة فيها وهو يذكر للرسل والمؤمنين نصرا ونعمة ومعونة
اما هى للكفرة فيه محنة لا غير لا يذكر باسم النصر والنعمة اذ هى فى حق المسلمين وسبيله الى النعمة الابدية وفى

حق الكفرة الى العذاب الابد فيكون نعمة فى حقهم حقيقة ولذلك قال تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا
يفتنون وقال بل هى فتنة وقوله نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون قد اخبر انما اعطاهم من الاموال والسعة انما هى
فتنة لهم والله اعلم فان قيل ذكر انه ينصرهم وقد نرى مؤمنا قد يقتل محجة ويعجز من قاتله ويراه مغلوبا والكافر هو الغالب
قيل عن هذا جوابين احدهما من حمل العاقبة له والغلبة والنصر فى اخر الامر والثانى جايز ان يكون وعده النصر لهم والظفر
بالحجة بالشريطة وهى القيام بوفاء ما لله عليهم من الحق فى ذلك فالنصر والظفر بالحجة فى المناظرة ان يكون بزجى عمره
فى معرفة الحجج والدلايل وان يكون عارفا بطرق النظر ومتى كان هذا الشرط موجودا يكون النصر له لا محالة وشرط فى المحاربة
ان يكونوا قاصدين اعزاز دين الله تعالى دون ابتغاء الدنيا وكلمتهم واحدة ونحوها ومتى كان المحاربة بشرايطها يكون الظفر
لا محالة للمسلمين وذلك كقوله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم والله اعلم وقوله عز وجل ويوم يقوم الاشهاد وهو الملائكة
يكتبون اعمال بنى ادم يشهدون عليهم بما عملوا من الاعمال وقال بعضهم الاشهاد هم الرسل يشهدون عند رب العالمين
على الكفرة بالتكذيب والرد وقال بعضهم يشهد عليهم الجوارح يومئذ بما كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل يوم لا
ينفع الظالمين معذرتهم ذكر هاهنا لا ينفع الظالمين معذرتهم وفى موضع اخر ولا يؤذن لهم فيعتذرون وبينهما
اختلاف من حيث الظاهر لان القول بان لا ينفع معذرتهم بعد وجودها منهم وقد اخبر انه لا يؤذن لهم بالاعتذار
لكنهم يعتذرون بلا اذن لهم فلا يقبل اعتذارهم ولا ينفعهم ذلك فيكون جمعا بينهما من هذا الوجه ويحتمل لا ينفع
الظالمين معذرتهم لو كان منهم الاعتذار ولا يقبل اعتذارهم لكن لم يؤذنوا الاعتذار حتى يعتذروا وهو كقوله تعالى لا يقبل منها
عدل ولا ينفعها شفاعة اى لو كان منهم ذلك لا يقبل وكذا قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اى لو كان شفعاء يشفعون
لهم لكان لا ينفعهم شفاعتهم لا ان كان لهم شفعاء فعلى ذلك قوله وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى الهدى هاهنا وجوها احدها
اى اتيناه التورية وفيها البيان والدعاء الى الرشد وجميع كتب الله تعالى فيه هدى ونور ورحمة والثانى اى اتاه التوحيد
والاسلام ويحتمل اياه النبوة والرسالة واتاه كل ما لله عليه من حق والله اعلم وقوله عز وجل واورثنا بنى اسرائيل الكتاب
هدى وذكرى لاولى الالباب يحتمل قوله الكتاب التورية خاصة ويحتمل التورية وساير الكتب لان الكتب فى بنى اسرائيل كانت
كثيرة كان فيها التورية والزبور والانجيل وغير ذلك فجايز ان يريد بالكتاب جميع الكتب التى كانت فيهم اذ ذكر الكتاب بالالف
واللام وانه يحتمل الجنس والعهد فيجوز الصرف الى التورية لمكان العهد ويجوز الصرف الى الجميع لمكان الجنس والله اعلم
وفى الاية دلالة ان لا جميع كتب الله تعالى التى انزلت فيهم غيرت وبدلت بل فيهم ما لم يغير ولم يبدل حيث قال واورثنا بنى اسرائيل
الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب ثم قوله تعالى هدى هو ما ذكرنا ان جميع كتب الله تعالى هدى من الضلالة الى الرشد
وبيانا لما لله عليهم وبيان البعض على بعض وقوله وذكرى قال بعضهم موعظة وقال بعضهم تفكرا لاهل اللب والعقل وجايز
ذكرى اى ذكر ما سبق اى يذكرهم ما نسوا وقوله لاولى الالباب لان اهل اللب هم الذين يتفكرون ويتاملون فيه وان
اهل اللب هم المنتفعون بالذكرى وما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فاصبر ان وعد الله حق يحتمل قوله فاصبر وجوها احدها
التكذيب كان ينادى بتكذيبهم اياه والثانى كان ينادى باستهزائهم به والثالث انواع ما يكيدونه من همهم قتله وضربه
وغير ذلك والثالث يحتمل قوله تعالى فاصبر اى اصبر على تبليغ الرسالة اليهم ولا يمنعك تكذيبهم اياك ولا يمنعك ذلك عن
تبليغها والله اعلم والرابع اصبر ولا تستعجل لهم العذاب قبل ميقاته وذلك ان الرسل عليهم الصلوة والسلام كانوا لا يستعجلون
العذاب ما لم يؤذن لهم بذلك والله اعلم ثم قوله فاصبر ان وعد الله حق ان كان المراد من وعد نفس الوعد فيكون تأويله
ان وعد الله صدق اى لا يخلف ولا يكون كذبا لا تخلف الوعد فى الشاهد انما يكون لاحد معنيين اما العجز عن القيام بوفائه
واما الضرر يخاف ان لحقه لو قام بوفاء ما وعد والله تعالى برئ عن المعنيين جميعا متعال عن ذلك وان كان المراد من قوله
تعالى ان وعد الله حق اى موعود الله فيكون تأويله ان موعد الله تعالى لكاين حقا فوعد الله تعالى
تعالى على الوجهين اللذين ذكرناهما وعلى هذا يذكر امر الله تعالى قد يراد به نفس الامر كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد ويذكر
ويراد به المفعول كقوله تعالى وكان امر الله مفعولا ويكون عن موعود الله مفعولا والله اعلم وما ذكر الصلوة امر الله ثم لسنا
ندرى ما كان من وعده لرسوله حتى اخبر انه كاين فجايز ان يكون ما قال اهل التاويل انه وعد له ان يعذب كفار مكة يوم
بدر بالقتل وغير ذلك فكذبوه وقالوا مستهزئين به متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قال فاصبر ان وعد الله حق ويحتمل غيره
والله اعلم وقوله عز وجل واستغفر لذنبك وجايز ان يكون ما ذكر فى قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وما
باستغفاره اياه وجايز ان يكون قوله ليغفر لك الله ما يغفر له من امته بشفاعته كما ذكر فى الخبر يغفر للمؤذن مدى صوته
اى يجعل له الشفاعة الى حيث يبلغ صوته والله اعلم وقوله عز وجل وسبح بحمد ربك قد ذكرنا التسبيح بحمد ربه ثم جايز ان
يريد بالتسبيح ذاته وان كان كذلك فيكون ذكر العشى والابكار ليس هو ذكر التوقيت له ولكن الاوقات كلها الليل والنهار
كقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ليس يريد نفس الغداة والعشى خاصة دون غيرها
من الاوقات بل هما عبارتان عن جميع الاوقات كانه يقول اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم اناء الليل والنهار فعلى ذلك الاول

يحتمل هذا والله اعلم وان كان المراد من التسبيح هاهنا الصلوة فكانه يقول فصل بحمد ربك بالعشي والابكار وكناية عن الصلوة النهار او ان يكون الابكار كناية عن صلوة الغداة والعشي كناية عن صلوة العشاء على ما ذكره بعض الناس والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم قال عامة اهل التاويل ان اليهود جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدجال انه منهم وانهم في الطول كذا ونحوه وعلى ذلك نسقوا الايات التي تتلوا هذه الاية ولكن لسنا ندري بما ذا صرفوا المجادلة لهم في ايات الله الى المجادلة في الدجال ولا يسع ان نحمل ما ذكر من مجادلتهم في ايات الله على المجادلة في الدجال الا ان يثبت خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر ان المجادلة المذكورة في الاية في الدجال فحينئذ يصرف الى ذلك والله اعلم ثم قوله ان الذين يجادلون في ايات الله اي يجادلون في دفع ايات الله بغير حجة اتتهم من الله وكانت المجادلة في دفع ايات الله من رؤساء الكفرة واكابرهم كانوا يموهون بمجادلتهم في دفع ايات الله تعالى والطعن فيها على اتباعهم وسفلتهم ليبقى لهم الرياسة والماكلة التي كانت لهم وما ذكر وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الاية وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وغير ذلك من الايات لم يزل الاكابر منهم والرؤساء يطعنون في ايات الله تعالى ويدفعونها يريدون التمويه والتلبيس على اتباعهم وسفلتهم ليبقى لهم العز والشرف الذي كان لهم ويبطلوا به الحق نوع كقوله عز وجل ليدحضوا به الحق وقوله عز وجل يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم هذا كان مرادهم من مجادلتهم في ايات الله والطعن فيها ثم اخبر عز وجل انهم يجادلون ويفعلون كبرا منهم على ايات والخضوع لرسله عليهم السلام حيث قال عز وجل ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه اي ما في صدورهم الا كبر اي كبرهم هو الذي حملهم على المجادلة في ايات الله ثم الذي حملهم بسبب العز والشرف ظنوا ان العز والشرف انما يكون الاتباع الذين يصدرون عن رأيهم ولو عرفوا انهم يكون العز والشرف لكانوا لا يفعلون ذلك انما العز والشرف في طاعة الله عز وجل واتباع امره ليس في اتباع من اتبعهم ولا لايتمار من ائتمرهم ولكن فيما ذكرنا والله اعلم ثم اخبر انهم ليسوا ببالغي الى ما قصدوا من اطفاء النور الذي اعطى المؤمنين ولا ادحاض الحق وابطاله حيث قال عز وجل ما هم ببالغيه وقوله وياي الله الا ان يتم نوره وقوله عز وجل فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال عامة اهل التاويل امره ان يستعيذ بالله من فتنة الدجال لكن عندنا امره ان يتعوذ بالله من مكايد اولئك الاكابر والفراعنة الذين هموا ان يمكروا به ويكيدوه امره ان يتعوذ من مكرهم وكيدهم كما امره ان يتعوذ بالله من الشيطان حيث قال وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الاية وهذا اولى من الاول والله اعلم وقوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس قال اهل التاويل اي لخلق السموات والارض اكبر من خلق الدجال لكن قد ذكرنا بعد صرف الاية الى الدجال ثم يحتمل قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وجهين احدهما الاية نزلت في مقرين بخلق السموات والارض منكرين بالبعث يقول ان خلق السموات والارض ابتداء بلا احتذاء بغير اكبر واعظم من اعادة الناس فاذ عرفتم انه قدر على خلق السموات والارض مبتديا بلا احتذاء بغير كان قدرته على اعادة الخلق احق اذ اعادة الشيء في عقولكم اهون من البداية كقوله وهو اهون عليه فكيف انكرتم قدرته على البعث وقد اقررتم بقدرته على خلق ما ذكر والثاني ان يكون الاية نزلت في مقرين بخلق الناس منكرين بخلق السموات والارض يقول ان خلق السموات والارض وامساكها في الهواء لا تعليق من الاعلى ولا عماد من الاسفل مع غلظها وكثافتها اكبر واعظم في الدلالة على حدثها وخلقها من خلق الناس لان خلق الناس انما يكون بالتغير والتولد من حال الى الحال الاخرى فيجوز ان يتوهم كون ذلك وافتراقه ثم اجتماعه من بعد وظهور ذلك منه واما السماء فهي على حالة واحدة فلا يمكن توهم ذلك لما ذكرنا والله اعلم ويحتمل ان يكون الاية في نازلة كانت وسبب لسنا نحن نعرف ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما يستوي الاعمى والبصير قال بعضهم لا يستوي من عمي عن توحيد الله وشكر نعمه من ابصر وحدانية الله وقام بشكر نعمه كما لم يستو عندكم من جهل حق اخر وكفر نعمه واحسانه من عرف حقه وقبل احسانه وقام بشكره فاذا عرفتم ان لا استواء بين هذين عندكم فعرفوا انه لا يستوي من عمي عن وحدانية الله وشكر نعمه من ابصر وحدانيته وقام بشكره وكذلك ما ذكر من قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات والمسيء يقول اذ قد عرفتم انه لا يستوي من امن وصدقه اخر واحسن اليه من كذبه واساءة اليه فعلى ذلك لا يستوي من امن بالله وصدقه وقابل احسانه بالشكر من كذبه وكفر نعمه واحسانه وقال بعضهم اراد بقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير حقيقة لا عمى عمى البصر والبصر نفسه يقول لتعرفوا انه لا يستوي الاعمى اعمى البصر نفسه في الدنيا فعلى ذلك لا يستوي من عمي عن دينه من ابصر في الاخرة وقد عرفتم انهم قد استووا في هذه الدنيا اعني المسيء والمحسن والصالح والمفسد والمطيع والعاصي وفي الحكمة التفريق بينهما دل هنالك دارا اخرى يفرق بينهما فيها والله اعلم وقوله عز وجل قليلا ما يتذكرون اي قليلا ما تتذكرون ان الاستواء بين من ذكر من المحسن والمسيء والصالح والمفسد والمطيع والعاصي والله اعلم وقوله عز وجل ان الساعة اتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لخبر انها اتية لا محالة وقد ذكرنا

انما خلق الدنيا وما فيها حكمة بالساعة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بها والله اعلم وقوله عز وجل وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الاية نزلت في اهل التوحيد بقوله ادعوني استجب لكم ثم تخرج على الاستغفار مرة لما كان منهم من التضييع في خوف الله تعالى وما امرهم به ونهاهم عنه والتفريط في ذلك استغفروا اغفر لكم ويحتمل ادعوني استجب لكم اطلبوا مني التوبة عن ذلك اتوب عليكم والله اعلم وان كانت الاية في اهل الكفر فيكون قوله ادعوني استجب لكم اي وحدوني اغفر لكم ويحتمل اعبدوني في اغفر لكم وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقد جاء في بعض الاخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدعاء هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم وفي بعض الاخبار الدعاء مخ العبادة واصل هذا انه ينظر كل احد الى ما ارتكبه فان كان سببا يستوجب به العقوبة كان استغفاره القيام بقضاء ما تركه وضيعه والعزم على ان لا يعود الى ذلك ابدا وان كان سببا غير معروف تركه يستغفر الله تعالى ذلك ويطلب منه التجاوز والمغفرة والله اعلم واصل ذلك ما قال الله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله عز وجل فاني قريب اي اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ذكر الاجابة بالشريطة وهو انهم اذا امنوا به واوفوا بعهده يوف لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين استدل بعض الناس بهذه الاية على ان قوله ادعوني انما اراد به العبادة على ما ذكرنا فان قيل ان هذه السورة نزلت بمكة واهل مكة كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي ظاهر ذلك انهم لا يستكبرون عن عبادته لكنهم لم يروا انفسهم اهلا لعبادة فعبدوا غيره دونه كمن يعظم ويخدم خادما من خدم ملك من ملوك الدنيا لا يكون مستكبرا عن خدمة الملك لكن تاويل الاية يخرج على وجهين احدهما ان الله تعالى امر عباده بطاعة رسوله والاجابة له الا ما يدعوهم فاذا لم يجيبوا الى ما يدعوهم اليه ولم يطيعوه استكبارا منهم وتكبرا عليه صار ذلك منهم كالاستكبار عن طاعة الله وعن عبادته والثاني انهم وان كانوا عبدوا الاصنام رجاء ان يقربهم الى الله زلفى ولم يقصدوا قصد الاستكبار عن عبادته فهم تركوا عبادته مع انهم امروا بها وبلغ اليهم امره على السنة الرسل فكانهم استكبروا عن عبادة الله تعالى اذ في الشاهد يخدم المرء لبعض خواص الملك ليقربه اليه لكن اذا امره الملك ان يخدمه ويقربه الى مجلسه فامتنع يعد ذلك منه استكبارا ويبين انه خدمته لذلك ما كان ليقربه الى الملك حيث قربه فلم يقرب ففي الغائب كذلك لذلك كان استكبارا منهم والله اعلم وقوله سيدخلون جهنم داخرين قال القتبي وابو عوسجة داخرين صاغرين ذليلين وقوله عز وجل الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يذكرهم نعمه التي انعم عليهم ليستادي بذلك شكرهم حيث قال جعل لكم الليل لتسكنوا فيه راحة لانفسكم وابدانكم والنهار مبصرا تبصرون فيه معايشكم وما تحتاجون اليه ثم قوله والنهار مبصرا اي يتبصر به وفيه وقوله عز وجل ان الله لذو فضل على الناس اخبر ان ذلك كله منه لهم فضل ومنه ورحمة لا باستحقاق يستحقون ذلك قبله ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون يقول ذلك الصنع بكم هو ربكم لا الاصنام التي تعبدون من دونه خالق كل شيء وهو خلقكم وخلق كل شيء واحد لا شريك له فانى تؤفكون اي انى تصرفون وتعدلون عن عبادته والقيام بشكره والله اعلم وقوله عز وجل كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون عن عبادة والقيام بشكره قبلكم واصل الافك الصرف كقوله اجئتنا لتافكنا اي لتصرفنا والله اعلم وقوله عز وجل الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء علمهم بناء يذكرهم عظم نعمه عليهم حيث جعل لهم الارض بحيث يقرون عليها ويتعيشون والسماء بناء عليهم حيث لا يسقط عليهم وجعل منافع بعضها متصلة بمنافع البعض على بعد ما بينهما ليعلم ان ذلك كله صنع واحد وقوله عز وجل وصوركم فاحسن صوركم يحتمل وجهين احدهما قوله فاحسن اي احكم واتقن في الدلالة على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته على ما ظهر في كل شيء من الدلالة على وحدانيته وربوبيته والثاني في قوله فاحسن صوركم اي حسن تركيبها منتصبا قامتها غير منكبة سائر الصور التي خلقها منكبة على وجهها وقوله عز وجل ورزقكم من الطيبات قال بعض اهل التاويل اي رزقكم من الحلال لكن الاشبه اي رزقكم من اطيب ما اخرج من الارض لان الله تعالى اخرج من الارض نباتا مختلفة تحمل اطيبه والينه رزقا للبشر وسائره رزقا للدواب والله اعلم وقوله ذلكم الله ربكم ذلك الذي صنع بكم هذا هو ربكم لا الاصنام التي تعبدونها فتبارك الله رب العالمين وقوله عز وجل هو الحي لا اله الا هو قال اهل التاويل الحي هو لا يموت ابدا لكن هذا مما يعرفه كل احد واصل الحي هو الزيادة والغاية في الثناء عليه والمدح لا كل شيء يبلغ في الانتفاع به غايته سمي حيا نحو الارض والاشجار وكل شيء يبلغ في الانتفاع به والله اعلم وقوله لا اله الا هو هو المعبود وفي لسان العرب يسمي العرب كل معبود اله كانه يقول لا اله ولا معبود ويستحق العبادة الا هو وقوله فادعوه مخلصين له الدين اي ادعوه باخلاص الدين له ثم يحتمل قوله فادعوه مخلصين وجهين احدهما اي اعبدوه مخلصين له العبادة لا تشركوا فيها غيره من نحو ما كانوا يعبدون الاصنام دونه رجاء الشفاعة لهم وتقربهم اليه لتخلصوا العبادة والدين والاخلاص هو التصفية له والثاني ادعوه على حقيقة الدعاء والتسمية كانه يقول والله اعلم ادعوه وسموه الها لا تدعو ولا تسموا غيره الها لانهم كانوا يسمون ويدعون الاصنام التي تعبد الها الهة وقوله عز وجل الحمد لله رب العالمين

ای الحمد لله رب العالمین علی خلقه بما انعم علیهم وصنع الیهم والله اعلم وقوله عز وجل قل انی نهیت ان اعبد الذین تدعون
من دون الله لما جاءنی البینات من ربی کان الکفرة دعوا رسول الله صلی الله علیه وسلم الی عبادة ما عبدوا هم من الاصنام
فقال انی نهیت عن ذلک وهو کما ذکر فی غیره من القران حیث قال قل انی امرت ان اعبد الله مخلصا له الدین وقوله
عز وجل ولا تکونن من المشرکین وغیر ذلک من الایات وقوله لما جاءنی البینات من ربی یحتمل وجهین ان کان المراد من البینات
القران او الایات التی نزلت معجزة له وعلی ما قاله اهل التاویل فهو علی التاکید والابلاغ فان کان النهی عن عبادة غیر الله
لکان الشرک بالله لازما قبل مجیء الرسل وما انزل من البینات علی ما تقدم والله اعلم والثانی یحتمل قوله لما جاءنی من ربی
العقل ولم یعرف به ذلک ویکون قوله جاءنی ای ظهر لی کقوله تعالی جاء الحق ای ظهر الحق والله اعلم وقوله وامرت ان
اسلم لرب العالمین ای امرت ان اجعل الخلق وکل شیء لله سالما خالصا لا اشرک فیها غیره والله الموفق وقوله هو الذی
خلقکم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة یذکرهم الوجوه التی بها یوصل الی معرفة شکر ما انعم علیهم حیث قال
هو الذی خلقکم من تراب ای خلق اصلکم من تراب ثم من نطفة ای خلقکم من نطفة یذکرهم هذا لیعلم خلقه ایاهم من
تراب ای خلق اصلهم لیس باستعانة منه بذلک التراب لانه لو کان علی الاستعانة منه به لکان لا معنی الخلق انفسهم من
الماء علی الصورة التی خلق من تراب وعلی جنسه اذ لیس فی الماء من اثار التراب شیء ولا فی الماء والنطفة من اثار العلقة
شیء ولا فی العلقة من اثار الطفولیة شیء من اللحم والعظم والجلد والشعر وغیر ذلک لیس فی التراب معنی الماء ولا فی
الماء معنی التراب ولو کان علی الاستعانة بذلک لکان المخلوق من احدهما لا یکون مثل المخلوق من احدهما لا یکون مثل المخلوق
من الاخر فی ترکیبه وتصویره وهما یختلفان فی انفسهما وکذلک ما ذکر من تقلبه من حال الی حال وتبدیله من نوع الی نوع
ولیس فی کل حال تقلب الیها من الحال التی کانت شیء ولا من شبهها لیعلم ان کل ذلک انما کان بقدرة ذاتیة وعلم
ذاتی وتدبیر ذاتی لکذلک لا بالاستعانة شیء مما ذکر ولا سبب له فی ذلک ولکن کان لمعنی جعل فیه کان ذلک کذلک بوجود
ذلک المعنی والله اعلم وقوله عز وجل ثم لتبلغوا اشدکم ای تبلغوا حتی یشتد کل شیء منه من البنیة والعقل وغیر ذلک
وقوله ثم لتکونوا شیوخا ومنکم من یتوفی من قبل ای منکم من یتوفی من قبل ان یبلغ شیخا وقوله ولتبلغوا اجلا مسمی لا
ای لتبلغوا الاجل الذی جعل لکم وقوله لعلکم تعقلون ای تعقلون ما بین لکم وذکرکم وقوله وهو الذی یحیی ویمیت ای
وهو الذی یحیی کل شیء ویخلق موت کل شیء وعلی قول المعتزلة یجیء ان یسمی کل عبد یحیا میتا لقولهم ان القتیل
لیس بمیت باجله بل بسبب القاتل لقولهم ان المتولدات من الفعل هو فعل ذلک الفاعل نعنی قولهم هذا یجوز تسمیة
کل عبد محییا والله اعلم وقوله عز وجل فاذا قضی امرا فانما یقول له کن فیکون من غیر ان کان منه کاف او نون فی ذلک تکونه
والله الموفق وقد ذکرنا فیما تقدم علی الابلاغ وقوله عز وجل الم تر الی الذین یجادلون فی ایات الله قوله الم تر هو علی حقیقة
الرؤیة والنظر ویحتمل الم تر الم تعلم معناه الم تعلم سفه الذین یجادلون فی ایات الله اجهل الذین یجادلون فی ایات الله
والطعن فیها بلا حجة علی ما تقدم ذکره قوله یجادلون فی ایات الله بغیر سلطان اتاهم ضعفی ذلک هذا وقوله عز وجل انی
تصرفون ای بای حجة تصرفون عن ایات الله او این یصرفون ویعرضون عن ایات الله بعد ما تقرر عندهم انها
ایات الله والله اعلم وقوله الذین کذبوا بالکتاب وبما ارسلنا به رسلنا جائز ان یکون قوله الذین کذبوا بالکتاب وبما ارسلنا
رسلنا تفسیر لما ذکر فی الذین یجادلون فی ایات الله وجائز ان یکون قوله الذین کذبوا بالکتاب وبما ارسلنا به رسلنا
ای الذین کذبوا بالکتاب الذی اتاهم الرسل وکذبوا بما ارسلنا به رسلنا ای کذبوا ایضا بما اتاهم الرسل بالوحی من
کتاب اذ الوحی قد یکون متلوا وغیر متلو علی قوله وبما ارسلنا به رسلنا تفسیر الکتاب وعلی التاویل الاول قوله وبما ارسلنا به
رسلنا ای الکتاب فیکون تفسیرا له والله اعلم وقوله فسوف یعلمون وعید لهم ای سوف یعلمون عیانا بعد ما علموا
خبرا والله اعلم وقوله عز وجل اذ الاغلال فی اعناقهم والسلاسل یسحبون فی الحمیم ذکر ان فی السلاسل قراءة
الرفع والنصب والخفض فمن رفعها یقول معناه اذ جعل الاغلال والسلاسل فی اعناقهم یسحبون بها فی الحمیم ومن قرا
بالخفض فتاویله اذ الاغلال فی اعناقهم وفی السلاسل اذ جعل الاغلال فی السلاسل فیسحبون بها فی الحمیم ومن قال
فی النصب کانه قرا اذ الاغلال فی اعناقهم والسلاسل یسحبون فی الحمیم ای یسحبون السلاسل فی الحمیم وقوله یسحبون
ای یجرون والحمیم قد قیل هو ما انتهی حره وغایته وقوله ثم فی النار یسجرون ای یوقدون
ذکر ما یسقون منها وهو الحمیم وذکر ما یحرقون به قال ابو عوسجة ای یحرقون وصرفه سحب یسحب سحبا اسحبنا ای جر
وقوله یسجرون ای یوقدون وقد بهم یقال سجرت ای اوقدت منه وصرفه سجر یسجر سجرا وقوله ثم قیل لهم این ما کنتم
تشرکون من دون الله ظاهر هذه الایة ان هذا القول لهم بعد ما دخلوا النار لانه ذکر علی اثر قوله اذ الاغلال
فی اعناقهم والسلاسل یسحبون فی الحمیم ثم فی النار یسجرون وظاهرها ان قوله ثم قیل لهم این ما کنتم تشرکون من دون
بعد دخولهم النار وظاهر قوله بعد هذا متصلا به ادخلوا ابواب جهنم خالدین فیها فبئس مثوی المتکبرین علی ان
ذلک القول انما یقال لهم قبل ان یدخلوا النار وقوله عز وجل قالوا ضلوا عنا بل لم نکن ندعوا من قبل شیئا هذا القول

منهم یخرج علی وجهین احدهما علی انکارهم وجحودهم عبادة الاصنام التی عبدوها فی الدنیا واشرکوها ایاه فی الوهیته وهو کقوله
ثم لم تکن فتنتهم الایة وبقوله فیحلفون له کما یحلفون لکم انکروا ما کان منهم واقسموا علی ذلک وهذا یدل علی ان الایة لا یتصل
اهلها التی جعلوا الایات والتصدیق لها لانهم انکروا ان یکونوا مشرکین بعد ما عاینوا العذاب وظهر لهم خطاؤهم وکونهم علی
الباطل ثم لم ینفعهم ما عاینوا من الکذب والثانی فی قوله بل لم نکن ندعوا من قبل شیئا لیس علی الانکار والجحود ولکن لما راوا
ان عبادتهم الاصنام لم ینفعهم یومئذ ولم یغنهم عما نزل بهم قالوا عند ذلک بل لم نکن ندعوا شیئا من قبل ای الذی
کنا نعبد فی الدنیا کان باطلا لم یک شیئا حیث لم ینفعنا ذلک فی هذا الیوم فان کان تاویل الایة هذا فهذا یدل علی ان قوله
این ما کنتم تشرکون من دون الله بعد ما دخلوا النار وان کان التاویل الاول علی الانکار والجحود فذلک یدل علی ان ذلک
القول قبل ان یدخلوا النار حین یشهد علیهم الجوارح وذلک یقرر قوله ادخلوا ابواب جهنم والله اعلم وقوله عز وجل کذلک
یضل الله الکافرین ای هکذا یضل الله من علم منه اختیار الکفر والضلال یضله وهو کقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم
اذ علم منهم اختیار الانصراف صرفهم وکذلک قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ای اذ علم منهم انهم یختارون الزیغ ازاغهم
والله اعلم وقوله ذلکم بما کنتم تفرحون فی الارض بغیر الحق وبما کنتم تمرحون ای ذلک الذی جزیتکم من النار بما کنتم تسرون
فی الدنیا بالباطل اذ هم کانوا کذلک فی الدنیا یفرحون ویسرون علی کونهم علی الباطل وقیل یفرحون ای یبطرون لکن هو
علی الفرح والرضاء بما اختاروا لانفسهم وقوله وبما کنتم تمرحون ای وبما کنتم تتکبرون کذلک کانوا یسرون ویرضون
بکونهم علی الباطل ویتکبرون بذلک علی رسول الله صلی الله علیه وسلم والمؤمنین والمرح التکبر وهو کقوله ولا تمش فی
الارض مرحا ای تکبرا وقوله ادخلوا ابواب جهنم الایة وقد ذکرنا فیما تقدم وقوله فاصبر ان وعد الله حق قد ذکرنا هذا
ایضا وقوله فاما نرینک بعض الذی نعدهم او نتوفینک فالینا یرجعون کانه قال یتوقع رسول الله صلی الله علیه وسلم
نزول ما وعد لهم ویخطر ذلک بباله ویطمع ذلک فنهاه عن توقع نزول العذاب الذی وعد للکفرة فی الوقت الذی
یطمع فیه وعن الخطر بباله النصر لهم واهلاکهم اولئک فی الوقت الذی یتوقع کانه یقول ان شئنا اریناک بعض الذی نعدهم
وان شئنا توفیناک ولم نرک شیئا وهو کقوله وهو لیس لک من الامر شیء او یتوب علیهم او یعذبهم والاظهر قوله فاما نرینک
بعض الذی نعدهم او نتوفینک حرف شک لا یحتمل ذلک من الله تعالی اذ هو یعلم انه یفعل ذا او لا یفعل ویکون ذا او لا یکون
لکن الوجه فیه ما ذکرنا انه کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یطمع نزول ما وعد ویحدث نفسه بذلک فیقول له لیس
ذلک الیک انما ذلک الینا علی ما ذکرنا والله اعلم وعن ابن عباس رضی الله عنه انه قال هذه الایة من المکتوم لان
ظاهره شک وفی الایة دلالة الرسالة لانها خرجت مخرج العتاب للنبی صلی الله علیه وسلم والتوبیخ له ثم اظهر ذلک علی
الناس والتبیل فی مثله فی عرف الناس الاخفاء والاسرار عن الناس فدل انه انما اظهر علیهم للامر بالتبلیغ وکذلک قوله
تعالی لیس لک من الامر شیء او یتوب علیهم او یعذبهم اذ المرء لا یظهر مثل ذلک من غیر امر وتکلیف ممن وجب علیه طاعته
والله الموفق وقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلک یقول لست انت باول رسول ارسلت الیهم فاستبعدوا ذلک
وانکروک وکذبوک بل قد ارسل الی الامم السالفة رسل مثل ما ارسلناک الی هؤلاء وقوله منهم من قصصنا ومنهم
من لم نقصص علیک فی الایة دلالة انا لم نؤخذ المعرفة اعین الرسل واسامیهم علی التعیین کانا لا نأخذ بالایمان بالله
تعالی بجمیع ما جاء عنه علی التفصیل والتعیین باسامیهم لک علی الجملة وعلی هذا قلنا ان الایمان برسول واحد من الرسل
ایمان بجمیع الرسل اذ المرء یوجد منه الانکار بغیر علی الجملة والتعیین وکذلک الایمان بالله تعالی ایمان بالرسل جمیعا لان
الایمان بالله ایمان بامره ونهیه فیکون ایمانا بمن جاء بالامر والنهی علی ما بینا والله الموفق وقوله وما کان لرسول
ان یاتی بایة الا باذن الله کانهم سالوه ان یاتی بایة بعد ایة علی اثر ایة اخری فقال عند سؤالهم ذلک وما کان
لرسول ان یاتی بایة الا باذن ای لیس لرسول ان یاتی بالایة علی شهوته او علی شهوة السائل وهذه الایة یدل علی
نقض قول الباطنیة فانهم یقولون ان انفس الرسل جواهر روحانیة یاتون بها الایة حیث شاؤا وکیف شاؤا
لکان الرسل عندهم بسبب الجواهر الروحانیة التی فیهم قدرة اتیان الایات کیف شاؤا من غیر اذن من الله تعالی ومن
سؤال منهم ایاه فی وقت الاتیان ولو کان الامر علی ما قالوا لم یکن لقوله وما کان لرسول ان یاتی بایة الا باذن الله
تعالی وانه یخالف الایة فان فیها اخبارا انه لا یاتی الرسل بالایات من الله تعالی والله الموفق وقوله عز وجل فاذا جاء امر الله
قضی بالحق وخسر هنالک المبطلون ای اذا جاء الامر بعذاب او اذا جاء الامر موعود الله بعیر الامر عن الموعود لذلک
او عد وقد ذکرنا معنی الخسران فیما تقدم وقوله الله الذی جعل لکم الانعام لترکبوا منها ومنها تاکلون ذکرهم بهذه
الایة وبالایة التی تقدم ذکرها وجهین احدهما یذکرهم نعمه التی انعمها علیهم حیث قال لکم اللیل والنهار لتسکنوا فیه
ولتبتغوا من فضله وقال جعل لکم الارض قرارا والسماء بناء وصورکم فاحسن صورکم ورزقکم من الطیبات ثم
قال ههنا جعل لکم الانعام لترکبوا منها ومنها تاکلون ذکرهم اولادهم وانشاءهم حیث خلقکم من تراب من نطفة
الی اخر ما ذکر وفیه دلالة وحدانیته وعلمه وتدبیره وقدرته ثم ذکرهم من بعد نعمه الی اخره لیستادی بذلک شکر

وجه على ذلك هذا وجه والثانى يذكرهم انه انما انشا هذه الاشياء الذى ذكرها وعدها عليهم للبشر لم ينشئها لانفسها
كانه يقول والله اعلم قد انشا هذه الاشياء لكم ينتفعون بها ويستعملونها كيف شئتم فابالكم اشد انكارا وكفرا بالنعمة
من غيركم من العالم وساير العالم اشد خضوعا واستسلاما للنعمه والقيام بشكرها له ثم بالاية نقض قول المعتزلة لانهم
يقولون ليس لله تعالى ان يولم طفلا ولا انعاما الا بعوض يعوضها ثم لا شك ان ما سخر من الانعام والدواب للبشر ويمكن
لهم استعمالها والانتفاع بها انواع المنافع انها تتاذى وتتالم بذلك فيجب على قولهم ان لا يكون لله تعالى ان يولم الانعام
برضى به هذه الاشياء اذ هكذا حكم كل مجعول بعوض ان يشترط رضا اربابها فى العوض واذ لم يكن هذه الاشياء من
اهل الرضا تحيث ان لا يجوز التعويض فدل ان ذلك بناء على ما قلنا من ان الاصلح ليس بجواب والله الموفق ثم جعل
منافعها مختلفة منها الركوب ومنها الاكل وغير ذلك من الانتفاع باصوافها واوبارها وما اعطى لهم ايضا من السفن
يركبون بها البحار ليصلوا الى حوائجهم فى الامصار التى بعدت منهم وبان فضله ومنه فى ذلك قوله ولكم فيها
منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون وقوله ويريكم اياته فاى ايات الله تنكرون يحتمل انه
اراهم ايات وحدانيته والالوهية واراهم ايات نعمه واحسانه اليهم ونحوها يقول فاى ايات الله اذا كم تنكرونها
انها ليست من الله تعالى وقوله عز وجل اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وقد ذكرنا
معناه فى غير موضع وقوله وكانوا اكثر منهم واشد قوة اى كانوا اكثر عددا منكم واشد قوة والبطش وقوله واثارا
فى الارض اى اثر اعمالا منكم ثم كان عاقبتهم الهلاك والاستيصال وقوله فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول لم
يغن عنكم كثرة العدد والحشم والاموال ولا قوة الابدان فى دفع العذاب عن انفسهم فانتم يا اهل مكة احرى ان لا يغنى
عن دفع العذاب عن انفسكم اذا نزل بكم مع ضعفكم وقلة عددكم والله اعلم وقوله عز وجل فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا
بما عندهم من العلم يحتمل قوله فرحوا بما عندهم من العلم وجهين احدهما اى فرحوا بما عندهم انه علم وليس هو فى الحقيقة علم لكن عندهم
ان ذلك علم وهو كقوله وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا اى انظر الى الهك هو عندك اله والا لم يكن ذلك عند
موسى عليه السلام الها لكن ذكر على ما عند ذلك الرجل التعريف فعلى ذلك قوله فرحوا بما عندهم من العلم اى بما عندهم انه
علم وان لم يكن فى الحقيقة علما والله اعلم والثانى يحتمل ان يكون على حقيقة العلم وذلك من اهل الكتاب قد كان من اهل
الكتاب الايمان بما عندهم من الكتاب وهو على الحقيقة علم لا شك فيه لكنهم لما كذبوا غيره من الكتب والعلوم وكفروا
بها لم ينفعهم ايمانهم بما عندهم من العلم كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون
بما وراءه وهو الحق كان ايمانهم بما انزل اليهم حقا لكنهم لما كفروا بغيره ابطل ذلك الكفر ايمانهم بالذى انزل اليهم فعلى ذلك
الاول والله اعلم وقوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اى يحيق بهم العذاب بما كانوا يستهزءون قوله فلما راوا باسنا قالوا
امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يحتمل هذا وجهين ان يكون هذا القول منهم وما ذكر من الايمان اذا راوا
باس الله بعد وفاتهم فى قبورهم اعذاب الله فان كان التاويل هذا فهذا يدل على عذاب القبر لمن شاء الله تعالى فى حقه العذاب
والله اعلم والثانى يحتمل ان يكون ذلك منهم فى حياتهم حين راوا باس الله فى الدنيا امنوا بما ذكروا فان كان ذلك فى الحقيقة
فلم ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقد تقدم ذكر هذا فى سورة
يونس على الاستقصاء والله اعلم وقوله سنة الله التى قد خلت فى عباده ان لا يقبل الايمان عند رؤية باس الله و
معاينة عذابه والثانى كذلك سنة الله التى قد خلت فى عباده من التعذيب والانتقام من مكذب الرسل فى الدنيا
استيصالهم يخوف اهل مكة بما انزل اليك ليحذروا مثل صنيعهم وقوله وخسر هنالك اى خسر عند ذلك الكافرون والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم ظاهر هذا ان تفسير حم
هو قوله تنزيل وحم خبره لمبتدا محذوف فقد تنزيل مبتدا من الرحمن الرحيم وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم والاصل فى حواميم وساير الحروف المقطعة انها تبعث سامعها على التفكر والتامل لانه لا يفهمها وقت قرعها
السمع حتى يتامل ويتفكر فيها لانها كلام لم يسمعوا قبل ذلك على الاستماع والتفكر فيها والنظر فيقع ما هو المقصود من
الخطاب فى سماعهم ويعرفوا وجه الاعجاز فيتوسلوا بذلك الى الحق والله اعلم وقد ذكرنا فى الحروف المقطعة وجوها اخر
فيما تقدم ثم ذكر هاهنا رحمته ورافته ليرغبهم فيما رحمهم ويراف بهم وهو قوله حم تنزيل من الرحمن الرحيم وذكر فى سورة
الاولى عزه وقدرته وسلطانه وعلمه ليحذروا مخالفته وعصيانه ظاهرا وباطنا حيث قال حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم وليطلبوا العز من عنده والله اعلم وقوله كتاب فصلت اياته قال اهل التاويل فصلت اياته اى بين فيه من
الحلال والحرام وما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يتقى ونحوه وعندنا يحتمل قوله فصلت اياته وجهين احدهما فصلت اياته
اى فرقت كل اية من الاخرى من خواتم التوحيد فرقت من ايات الرسالة وفرقت ايات البعث من غيرها فرق كل اية من
الاخرى والله اعلم والثانى يحتمل التفريق فى الانزال اى فرقت اياته فى الانزال لم يجمع بينهما فى الانزال ولكن فرق فى اوقات

متباعدة ويحتمل قوله فصلت بينت على غير ما قاله اهل التاويل وهو ان بينت اياته بالحجج والبراهين حتى يعلم انها ايات من الله
تعالى والله اعلم وقوله قرانا عربيا لقوم يعلمون اى انزله بلسان يعلمون ويفهمون لا بلسان لا يعلمونه ولا يفهمونه اى
انزله بلسانهم ويحتمل لقوم يعلمون اى ينتفعون بعلمهم اى حصل انزاله لقوم ينتفعون فاما من لا ينتفع به فلم يحصل الا
الانزال له والله اعلم وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه قرانا عربيا لقوم يعقلون وقوله بشيرا ونذيرا البشارة والنذارة
هى الزجر عما يوجب لهم من الحسنات فى الخيرات فى العاقبة والنذارة هى الزجر عما يوجب لهم من السيئات والمكروهات فى
العاقبة والنذارة هى الزجر فصار معنى الاية ان النبى صلى الله عليه وسلم ارسل داعيا الى الحسنات وزاجرا عن السيئات
والله اعلم وقوله فاعرض اكثرهم يحتمل اعراضهم عنه وجهين احدهما اعرضوا عن التفكر فيه والتامل والثانى اعرضوا عن
اتباعه بعد ما تاملوا فيه وتفكروا وعرفوا انه حق وانه من الله تعالى لكنهم تركوا اتباعه عنادا منهم ومكابرة حذر
ذهاب الرياسة والله اعلم وقوله فهم لا يسمعون اى لا يجيبون على ما ذكرناه وقوله عز وجل وقالوا قلوبنا فى اكنة
مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر لا شك ان قلوبهم على ما ذكروا انها فى اكنة وفى اذانهم وقر لانه ذكر جل وعلا انه جعل
على قلوبهم اكنة وفى اذانهم وقرا لا يفقهون ما يدعون اليه ولا يسمعون ذلك وان كانوا يفقهون غيره ويسمعون
لانهم كذلك قالوا ان قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه والله اعلم وقوله عز وجل ومن بيننا وبينك حجاب ان ثبت
ما ذكر بعض اهل التاويل ان ثوبا رفعوا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو اكن انت يا محمد فى
اخراو نحوه من الكلام فهو ذلك والا احتمل ان يكون قوله ومن بيننا وبينك حجاب هو ما حجبتهم ظلمة الكفر و
غفلتهم عن فهم ما دعوا اليه وعلم ما دعاهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم قوله فاعمل اننا عاملون هذا يحتمل وجهين
احدهما اعمل انت بدينك فانا عاملون بديننا كقوله تعالى لكم دينكم ولى دين والثانى فاعمل انت فى كيدنا فانا
عاملون فى كيدكم والمكر بكم والله اعلم ويحتمل ان يقولوا اعمل انت لالهك فانا عاملون لالهتنا والله اعلم وقوله
عز وجل قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد هذا الحرف يخرج على وجهين احدهما كانه يقول لهم انما انا
بشر مثلكم افهم واعقل ما يوحى الى واسمع ذلك فانتم فى قولكم ان قلوبنا فى اكنة وفى اذاننا وقر لا عذر لكم فى
ذلك لانه انما يحجبكم عن ذلك ويغطى قلوبكم عن فهم ذلك الكفر الذى انتم عليه والضلال الذى انتم فيه
فاتركوا ذلك حتى تفهموا وتعقلوا ما تدعون اليه وتؤمنون به كما افهم انا واعقل اذ انا بشر وانتم بشر والله اعلم
والثانى يقول انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما بشر مثلكم امرت ان ابلغ اليكم ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه
بالطاعة وقيل اى استقيموا الى ما دعاكم اليه من التوحيد وقوله واستغفروه اى انتهوا عما انتم عليه من الكفر
والضلال ليغفر لكم ما كان منكم فى حال الكفر كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل ان يكون على
حال يحيث يقبل استغفاركم وطلب تجاوزكم والله اعلم وقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم
بالاخرة هم كافرون او شكال انه لماذا خص المشرك الذى لم يؤت الزكوة وينكر الاخرة بالويل وقد يلحق الويل
للمشرك اتى الزكوة او لم يؤت امن بالاخرة او كفر بها فنقول قال بعض اهل التاويل معناه وويل للمشركين
الذين لا يؤمنون بايتاء الزكوة ولا يؤمنون بالاخرة وخصهم بذكر جحود الزكاة والاخرة لما كان سبب كفرهم
ذلك وكان سبب كفرهم مختلفا منهم من كان سبب كفره بخله فى المال وشحه حمله ذلك على انكار الزكاة والا
متناع عن الايتاء ومنهم من كان كفره انكار جزاء الاعمال حمله ذلك على انكار الاخرة ومنهم من كان سبب
كفره الخضوع لمن دونه او مثله فى امر الدنيا حمله ذلك على انكار الرسالة والجحود لها وغير ذلك من الاسباب
التى حملتهم على الكفر والضلالة وهى مختلفة ويحتمل قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون لا على زكاة الاموال
ولكن على زكوة الانفس كانه يقول انه وويل للمشركين الذين لا يحملون ولا يسعون فيما به تزكوا انفسهم ويسر
ذكرها ويصلح اعمالهم به ولا ما يجزون به فى الاخرة اى ويل لمن لا يعمل ذلك والله اعلم وهذان الوجهان
جواب عن تعلق بظاهر هذه الاية على ان الكفار يخاطبون بالشرايع حيث الحق الوعيد بهم بترك ايتاء الزكوة
والزكوة من الشرايع والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
قال بعضهم غير ممنون اى غير مقطوع وذلك فى الاخرة وقال بعضهم اى غير محسوب وقال بعضهم اى
غير ممن عليهم وذلك فى الاخرة ايضا ومعناه والله اعلم ان من كان يعمل فى حال شبابه وقوته الصالحات
والطاعات ثم كبر وعجز عن اتيانها انه لا يمنع ولا ينقص منه الاجر الذى كان يجرى عليه ويكتب له فى حال
شبابه وقوته والله اعلم وقوله عز وجل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك
رب العالمين تاويل هذه الاية ما ذكرنا فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم الاية
وهو يخرج على وجوه احدها كيف تكفرون وحدانيته وتكفرونه وهو الذى احياكم لا الاصنام التى تعبدونها
والثانى تنكرون قدرة الله فى البعث وقد رايتم قدرته والابتداء والانشاء كم وتقلبكم من حال والثالث

والثالث كيف تكفرون برسول الله وقد خلقكم الله وامتحنكم بانواع المحن وكلفكم وامركم باوامر ونواهي
ما لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكنكم القيام باكثرها وكان تخلفه اياكم عبثا فعلى هذه الوجوه
يخرج قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الاية اي انكم لتكفرون وحدانية الله تعالى وقد خلق
الارض في يومين وما ذكر والثاني انكم لتكفرون وتنكرون قدرته على البعث وقد خلق الارض في يومين على
بعد اطرافها وسعتها فكيف تنكرون قدرته على البعث وقد رايتم قدرته على خلق ما ذكر والله اعلم والثالث
انكم لتكفرون نعمه التي انعمها عليكم من خلق ما ذكر من الارض وغيرها وما انعم عليكم من بعث الرسول عليه
السلام فكيف تصرفون شكرها الى غير الذي لم يفعل ذلك بكم وتنكرون رسالة رسوله ولا بد من رسول
يرسل اليكم وذلك من اعظم النعم واجلها فيخرج تاويل الاية على هذه الوجوه التي ذكرنا احدها في انكار و
حدانية الله والوهيته والثاني في انكارهم قدرته على البعث والثالث في انكارهم رسالة الرسول وصرفهم
شكر نعمه الى غيره بعبادتهم غير الله والله اعلم ثم الحكمة في خلق الارض وجعله الحد الذي ذكر يومين
وان كان قادرا على خلق كل شيء بلا تحديد ولا توقيت فقال بعضهم فيه تعريفه الخلق والتعليم لهم الاناة
في الامور وترك الاستعجال فيها والاصل في ذلك عندنا ان الله جل وعلا جعل امر الدنيا وامر هذا العالم
على التجديد والتقلب من حال الى حال نحو ما ذكر من تقليبه وتغييره من حال النطفة الى حال علقة ومن
حال العلقة الى حال المضغة الى حال تركيب الجوارح ثم الى حال الانسان ثم من تلك الحال الى ان يكبر يقلبه
من حال الى حال اخرى وكذلك امر الدنيا وما فيها من الفواكه والنبات وغير ذلك ينشئها ويحدثها في كل عام
وان كان لو شاء احدثها في عام واحد وفي ساعة واحدة وابقاها الى اخر الابد لكن لم يفعل ذلك لما بني امر
هذا العالم على الفناء والفساد فيستدل بطريان هذه الاحوال عليها على اصل الوضع ولذلك ركب فيهم
المرض والسقم والسلامة والصحة وبني امر الاخرة على البقاء والدوام فعلى ذلك من التجديد والتوقيت
في خلق الارض والله اعلم ويحتمل ان يقال جعل ذلك على التجديد والتقدير لانها دار محنة وابتلاء انما تقع
على التوقيت والتقدير في اوقات متباينة واسباب مختلفة فاما الاخرة فلا محنة فيها ولا بلية فهي على
الدوام والبقاء لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وجعل فيها رواسي من فوقها اي جعل في الارض
جبالا لا ارسى بها الارض واثبتها لانه ذكر ان الارض كانت على الماء وكانت تميد باهلها لكنه ارساها بالجبال
وقرها بها وفيه نوع رد لانه معلوم ان الجبال التي اثبت بها الارض واقربها كانت تزيد في ثقل الارض
فالسبيل فيه الترسب في الماء والا غمار فيه لا الاثبات بها والاقرار لكنه جعل الجبال سبب اثبات
الارض واقرارها تعليما منه الخلق تعليق الاشياء بعضها ببعض وتعليقها بالاسباب من غير ان يكون
الاسباب معونة له على ذلك ولو شاء اثبتها وارساها بلا سبب ولا شيء علقه به لكنه علق الاشياء
بالاشياء والاسباب لما ذكرنا من تعليم الخلق تعليق الاشياء بالاسباب والله اعلم وقوله و
بارك فيها يحتمل وبارك فيها اي في الجبال فقد جعل الله تعالى فيها البركات الكثيرة منها المياه التي اخرج
منها والعيون ومنها الذهب والفضة وغيرها ومنها الثمار والاشجار التي ينتفع بها وانواع النبات
التي يصلح للادوية وغير ذلك من المنافع التي يكثر عددها واحصاؤها ويحتمل قوله وبارك فيها اي في الارض
فقد جعل الله تعالى في الارض البركات الكثيرة من المياه التي تخرج منها وانواع النبات والثمار وغير ذلك مما بها
قوام الخلق جميعا وغذاؤهم من البشر والدواب والله اعلم والبركة هي اسم كل خير يكون ابدا على الزيادة و
النماء والله اعلم وقوله وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين اي قدر في الارض اقوات اهلها
وارزاقهم في اربعة ايام سواء للسائلين قال الزجاج سواء للسائلين بثلاث لغات بالنصب والرفع
والخفض فمن خفضه سواء للسائلين صيره صفة ونعته للايام كانه قال في اربعة ايام سواء اي مستويات
ليس بعضها اطول من بعض ومن قرا بالنصب سواء صيره مصدرا اي سواء وتسوية ومن قرا بالرفع صيره
على الابتداء يقول والله اعلم اي ذلك الاقوات التي قدرها سواء للمحتاجين اي كفاية لهم على قدر حاجتهم
ثم اختلف في قوله سواء للسائلين عن ابن عباس رضي الله عنه قال من سال عن ذلك وجده كما قال الله
تعالى ويقول ابن عباس رضي الله عنه وانا من السائلين فكان قول ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكرنا اي
كفاية للسائلين المحتاجين على السواء وقال بعضهم عدلا للسائلين اي سواء يقول لمن شاء الرزق من
السائلين وقال الحسن في اربعة ايام سواء لمن سال عن خلقه في اربعة للسائلين او كلام نحوه وقال
بعضهم فيه تقديم الكلام يقول قدر فيها اقواتها سواء في اربعة ايام للسائلين ثم الاقوات
والارزاق سواء والله اعلم ثم في هذا مسئلتان احدهما في تكوين الخلق واحداثه وما ذكر من تقدير الا

في الاوقات فعندنا ان الله تعالى لم يزل مكونا محدثا وان ما كان ويكون الى اخر الابد انما يكون بتكوين كان منه
في الازل لا بتكوين يحدث منه في كل وقت يحدث المكون والخلق والاصل في ذلك ما ذكرنا فيما تقدم انه اذا اضيف
الاوقات الى فعله فتكوين التوقيت للخلق اعني المفعول لا لفعله لما ذكرنا انه لا حاجة تقع له في المعونة بشيء مما
ذكر للتوقيت وانما ذكر ذلك لئلا يتوهم قوم المفعول والخلق وليعلم انه محدث والله اعلم ومسئلة اخرى في
ذكر التحديد والتوقيت في خلق ما ذكر لحكمة جعل في ذلك من غير ان يصعب عليه خلق ذلك في ساعة او طرفة
عين اذ المعنى في خلق ما ذكر في ايام واوقات ذلك معنى موجود على السواء وهو ان الله تعالى لم يزل قادر
بذاته له قدرة ذاتية وعلم ذاتي لا مستفاد فالاوقات انما يحتاج اليها من كان يعمل بقدرة مستفاده و
وعلم مستفاد واستعانة له بذلك فاما الله سبحانه وتعالى ما يكون منه انما يكون بقدرة ذاتية وعلم ذاتي
لا حاجة تقع الى الاستعانة بشيء من ذلك لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام الاربعة الايام التي ذكر هي مع خلق الارض يومين لخلق الارض ويومين لتقدير الاقوات
لاهلها والارزاق فيكون اربعة ثم ذكر خلق السموات فذا جميع يكون ستة ايام وهو ما ذكر في اية اخرى
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فكان تمام ذلك في ستة ايام وقد ذكرنا معنى ستة ايام في غير موضع وقوله
عز وجل ثم استوى الى السماء يخرج على وجهين اي ثم استوت المنافع والاقوات التي قدرها في الارض وجعلها معاشا لاهلها
بالسماء لانه جعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء لولا السماء لم يستو منافع وما قدر لهم فيها فبالسماء استوى ذلك
لهم اي تم بذلك والله اعلم والثاني قوله ثم استوى الى السماء اي ثم استوى الهواء والجو الذي بين الارض والسماء الجو
السماء ما لولا ذلك الهواء لم يستو ذلك لان السماء لو كانت ملتزقة بالارض لا هواء بينهما لكانت لا تخرج ما جعل في الارض
من الاقوات والمعايش فبالهوى استوى ذلك والله اعلم ومنهم من صرف الاستواء الى الله عز وجل ومعنى ذلك انه استوى
امره وملكه بخلق السماء او استوى المقصود بخلق الارض واهلها وما فيها بخلق السماء واما التاويلان اللذان ذكرنا
هما متوجهان الى غير ذلك احدهما رجع الى استواء الهواء والثاني الى استواء ما جعل في الارض والله اعلم وعلى هذا يخرج ما
سئل ابن عباس رضي الله عنه عندنا روي ان رجلا سال ابن عباس رضي الله عنه فقال قرات ايتين احديهما تخالف
الاخرى فقال له من قبل رايك اثبت ما هما فقال السائل قوله تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
الى قوله ثم استوى الى السماء وقوله تعالى والسماء بناها رفع سمكها فسواها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها فقال
السائل ان ظاهر الاية الاولى انه خلق الارض في يومين قبل خلق السماء وفي ظاهر الاية الثانية انه خلق السماء ثم خلق
الارض فقال ابن عباس رضي الله عنه خلق الله تعالى الارض قبل ان يخلق السماء فدحا الارض بعد ما خلق السماء والله
اعلم اراد به بسط الارض بعد خلق السماء فاما خلق اصل الارض قبل خلق السماء والله اعلم وعندنا انه ليس في
ظاهر هاتين الايتين مخالفة ولا فيه بيان انه خلق الارض قبل السماء ولا هذا بعد هذا لانه ذكر هاهنا انه خلق الارض
في يومين ثم قال ثم استوى الى السماء ذكر الاستواء الى السماء وليس فيه انه خلقها بعد خلق الارض بل فيه انما
استوى اليها بعد خلقها وليس فيه اثبات خلقها قبل ذلك والله اعلم وقوله وهي دخان قال بعضهم دل قوله وهي
دخان على انه كان هناك نار حتى خلق السماء بدخانها لكن لا نعلم ذلك الا بالسمع ويحتمل ان يكون قوله وهي دخان
اي شبه الدخان لا حقيقة الدخان ومنه خلق السماء والارض وقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين قال بعضهم في قوله ائتيا اعطيا ما جعل فيكما من المنافع والاقوات او كرها ثم اختلف فيه انه على التكوين
والتسخير ما ذكر من الطوع والكره او على حقيقة القول والامر في ذلك قال بعضهم ذلك على التكوين والتسخير خلقهما
اي انشاهما وخلقهما على اخراج ما فيهما من المنافع والاقوات والارزاق التي جعل فيهما وكذلك ما ذكر من الطوع والكره
لا قول منه لهما ولا امر لكنه طبعهما وانشاهما كذلك قال بعضهم ذلك على حقيقة القول والامر منه لهما نحو ما ذكر
لكل شيء من الجبال وغيرها انه يسبح لله تعالى على الوجهين لكن شرط خلق الحيوة التي لا بد منها للنطق والسماء فعلى ذلك
هاهنا والله اعلم وقال بعضهم في قوله ائتيا طوعا او كرها اي ائتيا عبادتي ومعرفتي وذلك ان الله تعالى حين خلقهما
عرض عليهما الطاعة والشهوات واللذات على الثواب والعقاب فابين ان يحملنها الاية فهذا الاباء والاعطاء هو
اعطاء الخلقة والتكوين ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فقضاهن سبع سموات في يومين اي خلقهن في يومين
هو موصول بقوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وكذلك قوله تعالى وقدر فيها اقواتها في
اربعة ايام سواء للسائلين وقد ذكرنا الوجوه في ذلك ثم الاعجوبة في خلق السموات ورفعها اعظم واكبر من
خلق الارض وقد ذكرنا في خلق السموات من الوقت مثل الوقت الذي ذكر في الارض وهو يومان ليعلم ان الوقت
الذي ذكر في ذلك ليس لما تعذر عليه ذلك ويصعب بدون ذلك الوقت ولكن لحكمة في ذلك لم يطلع الخلق
على ذلك وكانت الحكمة فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله واوحى في كل سماء امرها وهم الملائكة الذين جعلهم ه

املاؤها وقال قايلون اي امر كل اهل سماء امرها وامتحنهم محنة وقال هو ما امر به واراد وهما واحد والله اعلم
وقوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح اي بالكواكب وقوله وزينا السماء الدنيا اي زينا السماء التي دنت منكم
هي مقابل القصوى من الدنو ليس ان هذه السماء التي تراها وتشاهدها مزينة بالكواكب هي سماء الدنيا فانية
وغيرها من السماء الاخرى لا يفنى بل كلها يفنى يعني هذه وغيرها بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات
وقوله والسموات مطويات بيمينه فهو كلهن ذاهبات فانيات دل ان قوله وزينا السماء الدنيا اي التي
دنت منكم وهي مقابل القصوى لا مقابل الاخرة والله اعلم وقوله وحفظا يحتمل وجهين احدهما اي حفظناها وجعلناها
محفوظة عما ذكر من ان يسترق الشياطين والجن اسماعهم الى خبر السماء وما يتحدث به الملائكة فيما بينهم فيلقون
ذلك على سماع اهل الارض على ما كانوا يفعلون من قبل اي حفظناها بالكواكب التي جعلها لرميهم الكواكب و
تقذفهم لتكون سماع ذلك من جهة الوحي على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الفاء من ذكر وهو كما ذكر في
اية اخرى حيث قال انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملاء الاعلى
الاية ويحتمل وجها اخر وحفظا اي حفظناها على ما هي حتى لا تسقط على الخلق كقوله ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا وقوله تعالى ويمسك السماء ان تقع على الارض ونحوه والله اعلم وقوله ذلك تقدير العزيز العليم يقول
ذلك الذي ذكر كله وصنع هو تقدير العزيز العليم اي تقدير من لا يعجزه شي ولا يخفى عليه شي ويحتمل قوله ذلك
تقدير العزيز العليم اي تقدير من له العز الذاتي والعلم الازلي لا انه قدر ذلك وصنع يستفيد بذلك العز والعلم
اذ هو عزيز بذاته وعليم بذاته والله اعلم وقوله سبحانه وتعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود كانت معروفة عندهم ظاهرة انها نزلت بهم لتكذيبهم الرسل وتركهم اجابتهم الى ما دعوا اليه حيث خوف
هولاء بذلك كانه يقول انذرتكم بتكذيبكم اياي وترككم اجابتي الى ما دعوتكم اليه بالذي نزل بعاد وثمود بتكذيبهم
الرسول الذي ارسل اليهم وتركهم الاجابة الى ما دعوا اليه والله اعلم ثم وقوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود لم
يرد به عين عذاب اولئك ومثله في راي العين ولكن مثله في الهلاك والاستيصال الا ترى ان عذاب عاد وثمود كان
مختلفا في راي العين عذاب عاد بخلاف عذاب ثمود وهما في المعنى واحد فعلى ذلك ما اوعد هولاء بمثل عذاب عاد و
ثمود لم يرد مثله في راي العين ولكن في المعنى وهو كما ذكر في قوله تشابهت قلوبهم وقوله يضاهون قول الذين
كفروا من قبل لم يرد به التشابه والمضاهات على ان نفس القول منهم وعين الكلام كان واحدا بل كان سبب كفرهم
مختلفا وقول هولاء بخلاف قول اولئك وما كان من هذا الفريق خلاف ما كان من الفريق الاخر لكن لما كان التكذيب
من هولاء له كالتكذيب من اولئك والرد لهم من هولاء كهو من اولئك في ان كان كفرا واحدا سواء في هذه الجهة
وصف قلوبهم بالتشابه واقوالهم بالمضاهات والله اعلم وهذا يدل على ان الاستواء من جهة واحدة يوجب
التشابه والتماثل والله اعلم وقوله اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم ان لا تعبدوا الا الله هذا
يحتمل وجوها احدها اذ جاءتهم الرسل بنباء من كان قبلهم وانباء من كان بعدهم انهم جميعا قالوا لقومهم ان لا تعبدوا الا الله
والثاني اذ جاءتهم الرسل بالوعيد والتخويف بعذاب ينزل بهم من بين ايديهم اي من حيث يرونه ويعلمونه ومن خلفهم اي
من حيث لا يرونه ولا يعلمون وهو كقوله عز وجل افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون او امن اهل القرى
ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون ونحوه وقيل بعث الله الرسل قبلهم وبعدهم بالذي ذكر وهو الدعاء الى توحيد الله
وجعل العبادة له والله اعلم وقوله عز وجل قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون هذا القول
منهم يناقض قولهم وتكذيبهم الرسل وانكارهم رسالة البشر وطعنهم رسالة الملائكة لانهم ما عرفوا الملائكة ولا
عاينوا وانما عرفوا الملائكة وعلموا بكلامهم برسل البشر فكيف انكروا رسالتهم مع لو كان الرسل اليهم الملائكة لم يعرفوا
انهم ملائكة الا بقولهم لما لم يتقدم لهم معرفة بالملائكة فهذا يناقض انكارهم الرسل من البشر والثاني ما قالوا
انما بما ارسلتم به كافرون قد اقروا برسالتهم حيث قالوا انا بما ارسلتم به كافرون لانهم لم يقولوا انا بما جئتم به
الينا كافرون ولكن قالوا انما ارسلتم فذلك مما يناقض قولهم ويرد تكذيبهم والله اعلم وانما قالوا ذلك اعني
قولهم لو شاء الله لانزل ملائكة تعنتا منهم وعنادا والا فقد علموا انهم رسل الله فيما يقولون بما قالوا على التعنت
منهم والعناد والله اعلم وقوله فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة جايز ان يكون
استكبارهم في الارض بغير الحق على اهل الارض بما ذكروا من فضل القوة لهم وشدتها من بين غيرهم كقوله تعالى واذا بطشتم
بطشتم جبارين فهو ذكر ذلك فجايز ان يكون استكبارهم على اهل الارض بغير الحق لشدة بطشهم وقوتهم على غيرهم
والله اعلم ويشبه ان يكون استكبارهم واتباع الرسل فلم يروا انفسهم ان يجعلوها تحت تدبير الرسل وامرهم وان
يخضعوا لهم ويستسلموا لما دعوهم اليه وقالوا من اشد منا قوة ثم قال الله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم
قوة هذا استفهام على طريق التقرير معناه قد راوا وعلموا ان الله الذي خلقهم هو اشد قوة والرسل عليهم الصلوة

والسلام لم يكونوا يوعدونهم ويخوفونهم بقوى انفسهم ولا يجوز ان يكون منهم حتى قالوا من اشد منا قوة ولكن انما
كانوا يوعدونهم ويخوفونهم بعذاب ينزل من عند الله وبقوته وسلطانه يوعدونهم ويدعون قوته وسلطانه لذلك
قال اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم وقوله وكانوا باياتنا يجحدون دل هذا على انهم قد كذبوا هودا
عليه السلام وانكروا اياته وذلك قولهم يا هود ما جئتنا ببينة وانه قد اتاهم بايات رسالته وقوله فارسلنا
عليهم ريحا صرصرا ذكرها اهلكهم به من العذاب وهو الريح الشديدة الباردة كذا قال ابو عوسجة وقوله في ايام نحسات
وهو ما ذكر في سورة الحاقة حيث قال واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام
حسوما وقال في موضع اخر في يوم نحس مستمر ثم اختلف في تفسيرها قال بعضهم نحسات مشومات نكدات
وهذا قول القتبي وقال بعضهم نحسات من النحس يقال النحس مومنا والنحس الغبار في الاصل وقوله لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا اي عذابا يذلهم ويفضحهم عند الخلق جميعا وقوله ولعذاب الاخرة عليهم اذل وافضح واشد
من عذاب الدنيا وقوله وهم لا ينصرون يحتمل ينصرون بقوتهم التي كانت لهم واعتمدت عليهم بقوتهم من اشد منا
قوة ويحتمل لا ينصرون بالاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم والشفاعة وقوله واما ثمود فهديناهم يحتمل ما
ذكر من الهداية لهم حقيقة الهدى وهو التوفيق وحقيقة خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين وهو ما سالوا
من الايات وهي الناقة بالناقة وقوله على ما سالوا امنوا به وصدقوه ثم كفروا به بعد ذلك وكذبوه وعقروا
الناقة على ما ذكر والله اعلم وقوله ويحتمل قوله فهديناهم اي بينا لهم غاية ما يبين الحق من الباطل بما يعرفه كل ذي لب وعقل
انها اية وانها من الله تعالى حجة جاءتهم بها الاية التي سالوها على الاشارة والتعيين وهي الناقة والله اعلم وقوله فاستحبوا
العمى على الهدى اي اختاروا الهدى على الكفر واختاروا عما يعمون على ما بين لهم ثم اخبر عما نزل بهم من العذاب باختيارهم
العمى على الهدى وهو قال فاخذتهم صاعقة العذاب الهون اي عذاب يهانون فيه وهو من الهوان والاذلال وكل
عذاب الله صاعقة وقوله عز وجل ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون اي انجينا الذين اختاروا الهدى على العمى وكانوا
يتقون اختاروا العمى على الهدى وقوله عز وجل ويوم يحشر اعداء الله الى النار اي تجمع والحشر الجمع يجمعون في النار وهو
كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الاية وقوله فهم يوزعون اختلف فيه
تاويله قال بعضهم يوزعون اي يساقون كقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وقال بعضهم يوزعون اي
يدفعون كقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون فيها دفعا والوزع الدفع وقال بعضهم يوزعون اي
يحبسون اي يحبس اولهم على اخرهم حتى اذا اجتمعوا جميعا فعند ذلك يجعلون في النار كقوله تعالى ليميز الله الخبيث
من الطيب الاية وقوله حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون كانهم يوقفون
ويحبسون في مكان فيما بين النار فيسألون عما كانوا يعملون وهو كقوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون فينكرون
ما كان منهم كقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين وقوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا فعند ذلك ينطق الله جوارحهم
ويشهد عليهم بما عملوا وما كان منهم وهو قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقال
بعضهم جلودهم كناية عن الفروج وهو قول الحسن وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي
انطق كل شي ينطق اذ لا كل شي ينطق ذكر واكل شي واراد به الخاص لا العام والله اعلم وكان غير هذا اقرب يقولون
انطقنا الله انطق كل شي به يعصون الله تعالى وهو ما ينطق الله تعالى الاشياء التي بها عصوا ربهم وهي الاصنام
التي عبدوها وغيره مما عبدوا دون الله كقوله ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله الاية وقوله وقال شركاؤهم
ما كنتم ايانا تعبدون وما ذكر من اخبار الارض وحديثها بما عملوا عليها بقوله يومئذ تحدث اخبارها وغير ذلك من الاماكن
التي فيها بان انه ينطق الله تعالى الاشياء التي عبدوها وعصوا بها ربهم فعلى ذلك ينطق الله الجوارح التي بها
عصوا ربهم فيشهد عليهم بجميع ما كان منهم والله اعلم وقوله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم اختلف فيه قال بعضهم اي ما كنتم تعلمون وتستيقنون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون الظن هاهنا على هذا التاويل حقيقة الظن والجهل اي ولكن جهلتم ان الله لا يعلم
كثيرا مما تعملون فلو كان تاويل الاية ما ذكر هولاء ففيه دلالة ان العذاب قد يلزم ويجب وان جهل ذلك ولم يتحقق عنده
العلم به اذا كان بحيث امكان الوصول الى علم ذلك ومعرفته بالنظر والتامل والتفكر بغير ذلك من الاسباب لكنه ترك
التامل فيه فلم يعلم ذلك فلم يعذر بجهله وهكذا الحكم ان من مكن له العلم واسباب المعرفة فلم يتكلف معرفته لم يعذر
في جهله وليس قال ابو حنيفة في الاطفال لا علم لي لهم لما لا اعلم انهم قد بلغوا المبلغ الذي يدركون الاشياء بالتامل
والتفكر ام لا والله اعلم وقال بعضهم وما كنتم تستترون اي كنتم لا تقدرون ان تستتروا من سمعكم ولا ابصاركم ولا
ولا جلودكم فاحد لا يستطيع ان يستتر من نفسه اذا علم شيئا فذلك ظنكم ان ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون في السر
وقوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اردكم من ذلكم جهلكم على ما صنعتم بان الله تعالى لا يعلم ذلك وهو لا يخفى عليه

خافية عليكم وذلك ارداكم او اغويكم واضلكم عن الهدى والله اعلم وقال قتادة يا ابن آدم ان عليك لشهودا غير متهمة
من بدنك فراقبهم واتقى في سرك وعلانيتك فانه لا يخفى عليه خافية الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية ومن
استطاع ان يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة الا بالله ثم قال الظن ظنان ظن منجي وظن مردي فاما المنجي
فقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم الاية وقال اني ظننت اني ملاق حسابيه واما الظن المردي فقوله وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقوله ان يظن الا ظنا ونحوه والله اعلم قال وذكر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول ويحدث ذلك عن ربه جل جلاله عبدي انا عند ظنك وانا معك اذا دعوتني وقال الحسن انما عمل الناس
على قدر ظنونهم بربهم فاما المؤمن فاحسن بربه الظن فاحسن العمل واما الكافر والمنافق فاذا اساء به الظن فاساء
العمل ثم تلا قوله عز وجل وما كنتم تستترون اي ليشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم وقال الجلود كم
الاية وقال الجلود كناية عن الفرج وفي حرف حفصة وما كنتم تخشون في حرف ابي وابن مسعود رضي الله عنه ولكن
زعمتم ان الله لا يعلم كذا وكذلك في حرفهما فذلكم زعمكم الذي زعمتم والزعم في كلام العرب الكذب وفيه يستعمل
وقوله تعالى ارداكم قال بعضهم اهلككم والردى الهلاك وقيل اوردكم المهالك ويحتمل ارداكم اي اغواكم واضلكم
على ما ذكرنا وقوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم هذا يخرج على وجهين احدهما اي فان يصبروا على ما هم عليه من الاعمال
التي استحقوا بها فالنار مثوى لهم في الاخرة والثاني اي فان يصبروا في الاخرة في النار فالنار مثوى لهم اي لا ينفعهم الصبر
على ذلك ولا يكون الصبر سبب الفرج عن ذلك وهو كقوله سبحانه وتعالى اخبارا عنهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص فيكون احد التاويلين في الدنيا والثاني في الاخرة وقوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين معناه والله اعلم
وان يستقيلوا ما كان منهم فما هم من المقالين اي اقالة ذلك منهم ولا يرضى عنهم وان استرضوا وقوله وقيضنا لهم
قرناء كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الاية ثم اختلف في قوله وقيضنا قال بعضهم هيأنا لهم في الدنيا
قوما من الشياطين وغيرهم وقال بعضهم اي مكنا الشياطين حتى تقذفوا في قلوبهم من الوساوس وغيرها او كلام
نحوه وقال بعضهم اي خلينا بينهم وبين الشياطين حتى يعملوا بهم ما ذكر وقوله فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم
اختلف في قوله ما بين ايديهم وما خلفهم قال بعضهم فزينوا لهم ما بين ايديهم اي حسنوا لهم التكذيب بالاخرة و
الحساب والثواب والعقاب اي ليس ذلك وقوله وما خلفهم اي حسنوا لهم امر الدنيا وانها دائمة باقية وقيل ما بين
ايديهم وما خلفهم اي وما يريدون اي يعملوا من بعد والثالث ما بين ايديهم ما عملوا بانفسهم وما خلفهم ما سنوا
لغيرهم من بعدهم كقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت والله اعلم وقوله عز وجل وحق الحق يحتمل وجب عليهم القول
بالعذاب او [illegible] وقوله في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس اي مع امم وذلك جائز وقوله قد خلت من قبلهم
اي من قبل هؤلاء من الانس والجن من الامم الخالية انهم كانوا خاسرين وقوله عز وجل وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه اي لا تسمعوا انهم بانفسكم والغوا فيه لئلا يسمع منه قراءة ولا صوته دل هذا القول على
انهم قد عرفوا انه حجة وانه من عند الله جاء وان من سمع ذلك اذعن له اطاع اذا لم يكابر عقله ولهذا لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه لئلا يذعن ولا يطاع لعلكم تغلبون وقال بعضهم قوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه بالمكاء
والتصدية وكانوا يفعلون ذلك ليخلطوا عليه صلوته والقراءة لعلكم بالمكاء والتصدية لقولهم وما كان صلوتهم
عند البيت الا مكاء وتصدية وقوله عز وجل فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوء الذي كانوا يعملون
اي لنذيقن كفروا وداموا على الكفر وحتى ماتوا على ذلك فاما من كفر في وقت ثم ترك ذلك واسلم فليس له ذلك ثم
من الناس من يقول ان قوله فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا اراد به في الدنيا وقوله ولنجزينهم اسوء الذي
كانوا يعملون في الاخرة يجعل احد العذابين في الدنيا والاخرة وجائز ان يكون ذلك كله في الاخرة ثم دل قوله ولنجزينهم
اسوء الذي كانوا يعملون ان لهم محاسن في الدنيا لكن تلك المحاسن يبطل ولا يجزون بها شيئا وانما يجزون على المساوي
التي عملوها في الدنيا لان المحاسن انما يثبت ويبقى ويستوجب بها الجزاء اذا اتوا بالايمان والتوحيد فاما اذا لم
ياتوا به لم ينتفعوا وابطلنا المحاسن ولم يجزوا بها وقد ذكر للمؤمنين مقابل ذلك ان يكفر عنهم سيئاتهم ويجزوا باحسن
ما كانوا يعملون وهو قوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله ليكفر الله عنهم اسوء
الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وعد للمؤمنين تكفير المساوي التي عملوا في الدنيا والجزاء لهم بالمحاسن
التي عملوها ووعد للكافرين اسقاط محاسنهم والجزاء على مساويهم لما لم ياتوا بالايمان والله اعلم وقوله عز وجل
ذلك جزاء اعداء الله النار هذا يدل على ان ذلك في الاخرة وقوله لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا يعملون قوله دار الخلد
اي دار البقاء يخلدون فيها ابدا فيكون اسما للجنة ويحتمل ان يكون في الجنة دار وموضع يسمى دار الخلد فيكون اسم
موضع خاص والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا
ليكونا من الاسفلين قال بعضهم الذي اضلهم من الجن هو ابليس لانه اول من عصى الله تعالى وسن لهم ذلك ومن

ومن الانس ولد آدم الذي قتل اخاه لانه اول من سن القتل ولكن عندنا انهم سالوا ان يريهم الذي اضلهم كل جني
يوسوس ويقذف في قلوبهم الوساوس والمساوي وكل انسي يدعوهم ظاهرا الى الضلال وهكذا كل ضال وكافر
انما كان ذلك الضلال والكفر لوساوس من جني او تلقين من انسي بلسانه سالوا الله تعالى ان يجعلهم ظاهرين يجعلوهم
تحت اقدامهم لما يكون العذاب في كل ما كان اسفل اشد لذلك سالوا ذلك وهو ما سالوا ربهم زيادة العذاب لهم في اية
اخرى حيث اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وقوله فزده عذابا ضعفا في النار فعلى ذلك
سؤالهم هؤلاء والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا روي عن عمر بن الخطاب عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية قال امتي امتي لان اليهود قالوا ربنا الله ثم قال عزير ابن الله وان النصارى
قالوا ربنا ثم قال المسيح ابن الله وان امتي قالوا ربنا الله ولم يشركوا به احدا وكذلك روي عن ابي بكر الصديق رضي
الله عنه انه قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئا فان ثبت ذلك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه تفسير الاقامة التي ذكر والله اعلم وقال بعضهم اي قالوا ربنا الله
ثم استقاموا في الاخلاص العمل له والقيام بذلك وقال بعضهم ثم استقاموا على اداء الفرايض والشرايع والحدود وقيل ثم
استقاموا في الطاعات له والاستقامة وجوهها ثلاثة احدها في الاعتقاد اعتقدوا ان لا يعصوه ويجتنبوا جميع ما يخالف
امره ونهيه والثاني استقاموا في اجتناب جميع ما يخالف ما اعطوا بلسانهم انه ربنا الله واقاموا بوفاء ما اعطوا بلسانهم
قولا وفعلا والثالث قاموا في جميع الاعمال مخلصين لله تعالى عز وجل لم يشركوا فيها احدا ولا اعطوا لاحد فيها نصيبا من الرياء
اياه وغيرها برضا الله تعالى سالما والله اعلم وقوله عز وجل تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا اختلف فيه قال
بعضهم ذلك عند قبضهم الارواح في الدنيا يبشرهم بما ذكر وقال بعضهم تقول لهم الملائكة يوم القيمة عند معاينتهم الاهوال
والافزاع ليسكن بذلك قلوبهم عند تلك الاهوال والشدايد والله اعلم ثم اختلف في قوله لا تخافوا ولا تحزنوا اي لا تخافوا
ما امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم من الاهل والاولاد وقيل لا تخافوا ما يقدمون عليه من الموت وامر الاخرة ولا تحزنوا
على ما خلفتم من اهل ودين وقال بعضهم لا تخافوا من العذاب ولا تحزنوا على فوت ما وعدتم من النعيم فانها دائمة لا
يفوت ولا ينقطع ابدا وقوله عز وجل وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون على السن الانبياء والرسل عليهم الصلوة
والسلام ثم قال ان البشارة التي ذكر في الدنيا ان قبض الارواح فلما ذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر لان المؤمن يرى له الجنة ويبشر بها في ذلك الوقت فيصير الدنيا له سجنا لما عاين مما
هي له وجعل له من الثواب والكافر لما راى له مكانه في النار وبشر له صارت له الدنيا جنة وعلى ذلك يخرج قوله عليه الصلوة
والسلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه والله اعلم وقوله عز وجل نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة هذا يخرج على وجهين احدهما يشبه ان يكون هذا القول من الذين بشروهم بما بشروا يقولون
نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وجائز ان يكون ذلك من الله تعالى وان كان المذكور على اثر البشارة الملائكة
وذلك كقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا ... انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ثم ان كان ذلك من الله سبحانه و
تعالى فيكون تاويله نحن اولياؤكم في عصمتكم في الدنيا واوليكم في الاخرة في المعونة او نقول نحن اوليكم في النصر و
التوفيق في الدنيا والجزاء والثواب في الاخرة والله اعلم وان كان ذلك من اولئك الذين بشروهم يقولون نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا بالصحبة فكذلك تكون في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل ولكم فيها ما تشتهي انفسكم هذا يحتمل و
جهين احدهما ما تشتهي انفسكم اي لكم ما يرغب به انفسكم وتتوق اليه او لكم فيها ما يتلذذ به انفسكم وتتنعم بها
وقوله ولكم فيها ما تدعون قيل ما تتمنون وتسالون او يقول ما تدعون من الدعوى والله اعلم وقوله نزلا من
غفور رحيم قال بعضهم نزلا اي رزقا من غفور رحيم وهو من الانزال وقال بعضهم نزلا اي انزالا في المنزل من
غفور رحيم والله اعلم وقوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا كانه يقول ومن احسن مذهبا وسيرة ممن
دعا الى الله اي الى توحيد الله ودينه او دعا الى المعروف والنهي عن المنكر اي دعا غيره الى ذلك وعمل بنفسه وهذا الحرف
يجمع جميع الخيرات والطاعات فان كان قوله ومن احسن قولا على ما ذكرنا من المذاهب والسيرة فكانه يقول ومن احكم
واتقن مذهبا وسيرة ممن ذكر وان كان على حقيقة القول فيكون قوله ومن احسن قولا اي من اصدق قولا ممن قال
ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وقال انني من المسلمين اي اختار الانتساب الى الاسلام من بين غيره من الاديان و
المذاهب وقد ابى سائر الفرق الانتساب الى الاسلام سوى اهل الاسلام والثاني انتسب الى مخلص الله سبحانه وتعالى
تسميتهم به وهو الاسلام كقوله تعالى هو سماكم المسلمين وقوله امة مسلمة لك وقال في حق ابراهيم عليه السلام اسلم
قال اسلمت لرب العالمين ويكون اسم المؤمن خاصا لاهل الحق فان اليهود والنصارى سموا انفسهم مؤمنين ولا يمنعون
عن الطلاق انا اسلم المسلمين ولهذا يقال دار الاسلام ولا يقال دار الايمان وان كان الاسلام والايمان واحدا لاختصاصهم
هذا الاسم بهؤلاء والله اعلم ويقال انه اختار النسبة الى الاسلام وغيرهم من الناس انتسبوا الى ما لهم من الفرق التي

والشرف فيها وغير ذلك من الاسباب التي كانت لهم في الدنيا ثم اختلف فيه قال بعضهم هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال بعضهم هم المؤذنون وعلى ذلك روينا الاخبار انها نزلت في المؤذنين وقال بعضهم ذلك في كل
مؤمن دعا الخلق الى طاعة الله تعالى وعمل بنفسه والله اعلم وعن الحسن انه تلا قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله وعمل صالحا قال هذا صفوة الله هذا خيرة الله وهذا احب اهل الارض الى الله تعالى اجاب في دعوته ودعا الناس
الى ما اجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في اجابته وقال انني من المسلمين ربه هذا خليفة الله تعالى والله اعلم
وقوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة قيل ولا الاخير ههنا زائدة كانه قال ولا تستوي الحسنة وقد يزاد حرف
لا في الكلام وقد ينقص فعلى ذلك هذا ثم جائز ان يكون قوله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة وقوله ادفع بالتي هي
احسن كل واحد منهما موصول بالاخر يقول لا تستوي الحسنة وجائز ان يكون كل واحد منهما مقطوعا من الاخر على
الابتداء فان كان احدهما موصولا بالاخر يقول لا تستوي الحسنة والسيئة في جلب حب القلوب واللين والتعطف
لها بل الحسنة تجلب حب القلوب والميل اليها لا السيئة ادفع بالتي هي احسن اي ادفع بالحسنة دون السيئة وهو
كقوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الاية فعلى ذلك يقول ههنا انه لا
تستوي الحسنة والسيئة في الطاعة والميل وجلب حب القلوب بل هما مختلفان مفترقان فادفع سيئتهم بالحسنة
والله اعلم وجائز ان يكونا جميعا على الابتداء لا اتصال لاحدهما بالاخرة فان كان على الابتداء فمعناه والله اعلم انكم تعلمون
بعقولكم ان لا استواء بين الحسنة والسيئة ولا بين المحسن والمسيء وكذا الاستواء بينهما في الحكمة وقد رايتم انهما قد
استويا في هذه الدنيا في جميع منافعها ولذاتها وجمع بينهما في هذه وفي الحكمة والعقول التفريق بينهما دل ان هنالك
دارا اخرى يفرق بينهما في الجزاء والثواب فيها والله اعلم وهو ما ذكر في اية اخرى افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون
وقوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار اي لا نجعل هذا كهذا في هذه الدنيا
فدل ذلك على ان هنالك دارا اخرى فيها يقع ذلك التمييز والتفريق فعلى ذلك هذا فالله اعلم وقوله عز وجل ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم صرف عامة اهل التاويل ذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم والى ابي جهل لعنه الله انه امر رسوله عليه الصلوة والسلام ان يدفع سيئة ابي جهل بالحسنة لكن هذا لا يحتمل
لانه لم يذكر ان ابا جهل صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر حيث قال فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم بل دامت عداوته اياه الى ان خرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر واغرى الناس عليه فرجع ذلك الا
اليه فقتل في ذلك اليوم فدل انه لا وجه لصرف الاية الى هذا ثم يخرج قوله ادفع التي هي احسن على وجهين احدهما
ادفع سيئتهم في حادث الوقت بحسنة يكون منك لهم اي اذا احسنت اليهم كفوهم عن الوسائة اليك في حادث
الوقت والله اعلم فيكون قوله ولكم في القصاص حيوة والثاني اي ادفع سيئتهم بالعفو والصفح عنهم اي لا تكافهم
بمساويهم ولكن تجاوز عنهم واصفح فاذا فعلت ذلك يصير الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي لا يقابل
ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما يلقاها الا الذين صبروا عن امر الله تعالى والقيام بجميع اموره او يقول لا يعطى
ولا يؤتى المعاملة التي ذكر ولا يوفق لذلك الا من عزم على الصبر على ما امر الله تعالى والصبر على ذلك وقوله ولا
يلقاها الا ذو حظ عظيم يقول ولا يعطى هذه المعاملة التي ذكر من الدفع بالحسنة والصفح عن المجرم الا من
كان له حظ ونصيب عظيم عند الله تعالى والله اعلم وقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله هذا
يخرج على وجهين احدهما جائز ان يكون الاستعاذة التي ذكر مباشرة الاسباب التي بها يدفع نزغ الشيطان
ووساوسه امره ان ياتي بالاسباب التي يتهيا له ان يدفع بها نزغاته وهمزاته وهذا كالاستغفار الذي امرهم
ليس هو امرا بان يقولوا يستغفر الله بالسنتهم ولكن امر بمباشرة اسباب يقع ويجب لهم المغفرة بها فعلى ذلك
الاستعاذة والثاني جائز ان يكون امره بالاستعاذة اياه امرا له بسؤال لطف من عند الله يدفع نزغاته وهمزاته
والله اعلم وعلى قول المعتزلة لا يصح الاستعاذة منه لانهم يقولون انه قد اعطى كل ما به يدفع نزغاته وهمزاته حتى
لم يبق عنده شيء ما اعطاه اياهم من اللطف وغيره والله الهادي وقوله عز وجل ومن اياته الليل والنهار
والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون كانه يقول والله اعلم ان الشمس والقمر
اثنان من ايات الوهيته تعالى ووحدانيته كالليل والنهار انهما اثنان من ايات الله فاذا لم تعبدوا الليل والنهار
فكيف عبدتم الشمس والقمر والله اعلم او يقول ان الشمس والقمر اثنان من ايات الله تعالى سخرها لمنافع الخلق
كالليل والنهار مسخرات للخلق والمنافع التي جعل فيهما للخلق ان لم يكن اكثر لم يكن دون منافع الشمس والقمر
فاذا لم تعبدوا الليل والنهار فكيف عبدتم هاتين يذكر هذا لانهم من كان يعبد الشمس ومنهم من كان يعبد
القمر ونحوه يذكر سفههم بعبادتهم غير الله وقوله عز وجل واسجدوا لله الذي خلقهن اي اسجدوا لله الذي انشا هذه
الاشياء وسخرها لكم ان كنتم اياه تعبدون واي ان كنتم بعبادتكم هذه الاشياء تقصدون القربة عند الله تعالى وانما

كنتم

كنتم بعبادتكم هذه الاشياء اياه تريدون لانهم كانوا يعبدون هذه الاشياء دون الله تعالى رجاء القربة عنده و
الزلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فيقول ان كنتم اياه تقصدون بعبادة هذه الاشياء دون الله
تعالى رجاء القربة عنده والزلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول ان كنتم اياه تقصدون هذه الاشياء
فاسجدوا له واعبدوا الما امركم بالسجود له والعبادة والله الموفق وقوله فان استكبروا وقد ذكرنا فيما تقدم ان لا احد
يقصد قصد الاستكبار على الله تعالى ثم يخرج هذا على وجهين احدهما انهم تداموا بطاعة الرسول عليهم الصلوة والسلام
فاذا استكبروا عن ايتمارهم لما دعوهم الله فيصير استكبارهم عليه كالاستكبار على الله تعالى والثاني لما تركوا عبادة الله
تعالى وقد جعل في انفسهم دلالة عبادة الله تعالى فاذا تركوا العبادة لله تعالى فقد تركوا الايتمار بامره ولم يعتقدوا الايتمار
لذلك الامر فيكون استكبارا عليه والله اعلم وقوله عز وجل فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون
يقول والله اعلم فان استكبر هؤلاء عن عبادة الله تعالى فاوحشك ذلك فاذكر عبادة من عنده من الملائكة بالليل والنهار
حتى يستانس بذلك والله اعلم وهو كقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك وان مستوحش باستهزائهم به فذكر له
استهزاء اولئك باخوانه ليقل ذلك عنه لما علم انه ليس اول من استهزئ به فهذا مثله والثاني فان استكبر هؤلاء
على عبادة الله وقد عبدوا الملائكة والاصنام وغيرهم فالذين هم عند ربك ممن عندهم هؤلاء لم يستكبروا بل هم يسجدون
له بالليل والنهار وهم لا يسامون وهو كقوله تعالى اولئك يدعون سعون الى ربهم الوسيلة الاية كقوله تعالى
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون يقول ان استنكف هؤلاء عن ان يكونوا عبيدا لله
والمسيح ومن ذكر لم يستنكفوا عن ذلك وقوله تعالى وهم لا يسامون تخبر انهم لا يسامون عن عبادته كما يسام البشر
اعيانا عن عبادته والله اعلم وقوله عز وجل ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
الاية وقال فيما تقدم ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر فيما ذكر من الايات ايات وحدانيته وايات قدرته و
علمه وتدبيره وايات حكمته اما ايات وحدانيته في الليل والنهار والشمس والقمر هو انه اذا كان سلطان احدهما لليل
او نهار او شمس او قمر لم يمنع عن كون الاخر ولو كان ذلك فعل عدد لكان منع الاخر عن اتيان ما يذهب بسلطانه فاذا
لم يكن دل انه فعل واحد ودل جريان ما ذكر من الليل والنهار والشمس والقمر على سياق واحد وسنن مذ كانا الى
اخر ما يكونان على ان منشئهما عليهم مدبر ذاتي ومدبر ذاتي ليس بمستفاد ولا مكتسب ودل سيرهما وجريانهما يوم وا
وليلة واحدة مسيرة كذا وكذا عاما على ان منشئهما قادر له قدرة ذاتية لا يعجزه شيء اذ القدرة المستفادة والمكتسبة لا
يبلغ ذلك وكذلك في احياء الارض بعد موتها واخراج النبات منها دلالة ذلك كله من دلالة الوحدانية ودلالة العلم
الذاتي والقدرة الذاتية والحكمة والتدبير لانه لما احياها بعد موتها واماتها بعد احيائه اياها دل انه فعل واحد لا عدد
لانه لو كان فعل عدد لكان اذا احياها هذا منع الاخر عن الاماتة وكذا اذا امات هذا منع الاخر عن الاحياء على يكون من فعل
ذي عدد من ملوك الارض فاذا لم يمنع ذلك دل انه فعل واحد ودل جريان ذلك كله في كل عام على مجرى واحد وسنن
واحد وعلى مقدار واحد من النبات وغيره على انه انما كان بعلم ذاتي وحكمة ذاتية ودلت القدرة على احيائها بعد موتها
واماتتها بعد حياتها ان قوله قدرة ذاتية لا يعجزه شيء من البعث وغيره ثم جعل جل وعلا في الماء معنى يوافق ذلك المعنى
جميع النبات الخارج من الارض على اختلاف اجناسها وجواهرها حتى يكون حياة كل شيء من ذلك به ان ذلك كان كذلك
بلطف منه لا يبلغه فهم البشر ولا علمهم ثم ذلك النبات مع لينه وضعفه ورقته يشق تلك الارض مع شدتها وصلابتها
ويخرج منها ما لا يتوهم خروج اشد الاشياء منها يفعل احد سواه ذلك على قدرته ولطفه والله اعلم ثم قوله ترى الارض
خاشعة ابرسية خشنة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اي تحركت نباتها وتزينت وصارت حية وقوله وربت اي
زبو وتربو ما عليها من النبات قال القتبي اهتزت بالنبات وربت علت وانتفخت وقال ابو عوسجة اهتزت اي فرحت
وربت من الزيادة وقوله ان الذي احياها لمحيي الموتى هو ما ذكرنا ان الذي ملك وقدر على احيائها لقادر على احياء الموتى
بعد موتهم انه كان على كل شيء قدير اي لا يعجزه شيء وقوله عز وجل ان الذين يلحدون في اياتنا قرا بعضهم يلحدون برفع الياء
وقرا بعضهم بنصبها فمن قرا بالرفع تاويله ان الذين يميلون عن قبول اياتنا قال ابو عوسجة الالحاد الميل واحد الملحد
من هذا ومن قرا بالنصب يقول يعلون في اياتنا ان الذين يعملون في دفع اياتنا وابطالها لا يخفون علينا وعيد منه لهم يقول
لا يخفون هم وما يفعلون علينا فنجزيهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة فيشبه
ان يكون هذا صلة لاثنين تقدم ذكرهما احدهما قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الاية هذه في المؤمنين وقال في الكافرين فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الاية والاية الثانية قوله عز وجل ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة يقول افمن يلقى في النار باعماله السوء خير ام من ياتي امنا عن ذلك باعماله الحسنة اي يعلمون ان
من يلقى في الاخرة في النار ليس كالذي ياتي امنا عن ذلك كله والله اعلم وقوله اعملوا ما شئتم يحتمل هذا وجهين احدهما
على التخيير لانه جل وعلا بين السبيلين جميعا على المبالغة بيانا شافيا واضحا وبين عاقبة كل سبيل من سلكه الاما

ذا يقضي ثم قال اعملوا ما شئتم اي اسلكوا اي سبيل شئتم فان سلكتم طريق كذا فلكم كذا والله اعلم والثاني على الوعيد
وكذا قوله انه بما تعملون بصير على الوعيد وقوله عز وجل ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم سمي القران ذكرا وهو
يحتمل وجوها احدها سماه ذكرا لان من اتبعه وعمل بما فيه صار مذكورا شريفا او سماه ذكرا لما يذكر لهم ما نسوا من
احكام الله تعالى او يذكرهم بالله عليهم من حق لما لبعضهم على بعض والله اعلم وانه لكتاب عزيز اي عزيز لا يذله
جحود الجاحدين ولا تكذيب المكذبين او يقول عزيز عند الله تعالى اكرم به محمدا صلى الله عليه وسلم وعزيز من اتبعه
وعمل به كما ذكرنا انه يشرف من اتبعه وعمل بما فيه والله اعلم وقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
قال بعضهم اهل التاويل اي لا ينزل كتاب من بعده فيكذبه او يبطله ولا قبله كتاب يكذبه او يبطله بل يخرج موافقا
لما قبله من الكتب والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي ابليس لا يستطيع ان
يبطل منه حقا او يحق منه باطلا او ينقص منه حقا او يزيد فيه باطلا بل هو على ما ذكرنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال بعضهم ما ذكرنا لا يكذبه الكتب التي كانت قبله وقوله ولا من خلفه انه لا يجي من بعده كتاب يكذبه ومعنى هذا انهم
كانوا يردون ذلك ويدفعونه وليست لهم حجة من الله تعالى في ردهم اياه ولا في دفعه بل يدفعونه بلا حجة ولا برهان تنزيل
من حكيم حميد وعن الحسن قال في قوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ان الله سبحانه تعالى حفظه من
الشيطان فلا يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا ثم قرا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ودل قوله لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه على ان كل ما اضيف اليه اليدين والخلف لا يفهم منه بذكر اليدين الجارحتين او بذكر الخلف
والبدان بقوله من بين يديه ولا من خلفه فعلى ذلك ما انسيف الى الله تعالى من اليدين ومن بين يديه ما يفهم اليدان
انه حقيقة الجارحتين والله الموفق وقوله عز وجل تنزيل من حكيم حميد اي هذا القران هو تنزيل من حكيم حميد الحكيم
هو الذي لا يلحقه الخطا في تدبيره او في حكمه والحميد هو الذي لا يلحقه الذم في فعله والله الموفق وقوله ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم الاية لم يخرج لجواب في هذا الموضع ثم قال بعضهم جوابه ما ذكر في اية اخرى بعد هذا وهو قوله
اولئك ينادون من مكان بعيد وقال بعضهم بجوابه ما ذكر في حم المؤمن حيث قال الله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل
من قبلك يخبر النبي ويصبره ليصبر على ما كانوا يقولون انه كذاب وانه ساحر وانه مجنون وانما يعلمه بشر وانه شاعر
وغير ذلك من انواع الاذى كانوا يؤذونه وكان يشتد عليه ذلك ويثقل لانه كان يدعوهم الى ما به نجاتهم وهم كانوا
يستقبلونه بما ذكر فقال الله تعالى عند ذلك ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك من التكذيب والنسبة الى السحر
والجنون وغيره ذلك يصبره على ذلك وهو كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية ويحتمل ان يكون ما ذكر ذلك
له ليسلي بعض ما يلحقه من الضجر والوحشة بالذي قال والله اعلم انه ليس باول مكذب من الرسل ولا باول
متاذي في ذات الله تعالى والله اعلم وقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم يقول والله اعلم على اثر ذلك ان
ربك لذو مغفرة لمن تابوا ورجعوا عن ذلك وذو عقاب لمن لم يتوبوا وداموا على ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون على الصلة
لقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم اي انه لذو مغفرة يغفر لهم ما كان منهم من التكذيب للقران لو تابوا
ورجعوا وصدقوا وذو عقاب لهم ان لم يتوبوا ولم يثبتوا على ذلك والله اعلم ويذكر هذا اي ليس اليك
مكافاتهم ومجازاتهم بما كان منهم انما ذلك الينا ان شئت عفرت لهم اذا رجعوا عنه وان شئت عا
قبتهم وهو كقوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم الاية وقوله عز وجل ولو جعلناه قرانا
اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ااعجمي وعربي وقال في اية اخرى ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم
ما كانوا به مؤمنين وقال في موضع اخر ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان
هذا الا سحر مبين يذكر في هذه الايات كلها سفه اهل مكة وشدة تعنتهم يقول لو انزلنا عليك الكتاب
جملة في قرطاس بحيث يرون نزوله من السماء ويعاينوا قالوا هذا الا سحر مبين ويقول ايضا والله اعلم
ولو نزلنا هذا القران على بعض الاعجمين بلسان فقراه عليهم اي على اهل مكة بلسان العرب بحيث يفهمون
ما كانوا به مؤمنين لان قراءة الاعجمي اياه بلسان العرب اكبر في الاية واعظم في الاعجوبة من قراءة العربي بلسان
العربية اي قراءة كل واحد شيئا بغير اللسان الذي هو لسانه اكبر في الاية واعظم في الاعجوبة من القراءة
بلسان هو لسانه يقول لو نزلنا على من لسانه العجم والقران عربي فقرا الاعجمي ذلك على اهل مكة بلسان
العرب فهو اكبر اعجوبة واعظم في الاية لكانوا لا يؤمنون به فعلى ذلك يقول والله اعلم ولو جعلناه قرانا اعجميا
وعاينوا نزول ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم وفهمه واداه وقراه عليهم بلسان العرب وقالوا لولا
فصلت اياته ااعجمي يعنون القران وعربي اي محمد عليه الصلوة والسلام يقولون للقران اعجمي ومحمد عربي كيف
يكون هذا اي لا يكون هذا ويكذبونه ولا يؤمنون به وذلك لما ذكرنا ان اداه بلسان ليس ذلك لسانه
وقراه بعين ذلك اللسان اكبر في جعله اية واعظم في الاعجوبة اذ يمكن الاختلاف من نفسه باللسان الذي هو

لسانه وموهوم ذلك وغير موهوم ذلك اذا لم يكن ذلك بلسانه يخبر عن سفههم وشدة عنادهم في تكذيبهم
محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به والله اعلم وقال بعض اهل التاويل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان احيانا به لعل على
رجل اعجمي يقال له ابو فكيهة فقالوا انما يعلمه بشر فانزل الله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا بلسان اعجمي لقالوا كذا
وكذا لولا فصلت اياته بالعربية اي بينه حتى يفقهها ويعلمه ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ولقالوا اعجمي انزل عليه
القران ومحمد عربي فانزله عربيا ليفقهوه فلا يكون لهم الاعتلال والاحتجاج وقال بعضهم لولا فصلت اياته
حتى نفقهها اعجمي القران وعربي الرجل وقال ابو معاذ يكون معنى هذا ان الله تعالى يستفهم قرانا عربيا اعجميا على رجل
عربي فلا يفقهون فيكون الحجة لهم بذلك وهو مثل الاول وقال بعضهم اعجمي وعربي استفهام من قريش يكون معناه
لو انزلناه قرانا اعجميا على رجل عربي وكيف يفهم او كيف يعقله لكنا قد ذكرنا ان هذا في الدلالة اكثر وفي الاعجوبة
اعظم والوجه فيه ما ذكرنا بدءا وقال القتبي لولا فصلت اياته انزلت عربية مفصلة بالاي كان التفصيل للسان
العرب لكن لسنا ندري ما يريد بهذا الكلام ان التفصيل للسان العرب وقال بعضهم لولا فصلت اياته اي هلا
فرقت اياته حتى جعل من كل لسان من لسان العجم ولسان العرب حتى يفهمها اهل كل لسان والله اعلم وفي هذه
الاية دلالة على انه لو انزله بلسان العجم لو كان قرانا وان اختلاف اللسان لا يغيره ولا يحوله عن ان يكون قرانا
والله اعلم فيكون دليلا لقول ابي حنيفة رحمه الله انه اذا قرا بالفارسية في صلواته تجوز والله اعلم وقوله عز وجل
قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى وصف الله تعالى هذا القران
بالشفاء والرحمة والهدى وسماه مرة عزيزا كريما مجيدا وهو يمحو من الضلالة والحيرة والشك وكل شبهة وشفاء
داء وسقم يكون في الدين والا نفس جميعا هو شفاء لذلك كله وهو هدى ثم يحتمل الهدى وجهين في هذا الموضع احدهما
هو هدى لكل ضالة اي دعا الى الذي يضاد الضلال والثاني هدى اي جعل بيانا لكل حيرة وشك وشبهة من اتبعه
وقبله ونظر اليه بعين التعظيم والتبجيل دعاه الى سبيله ودينه ويخرجه من الضلال ويكون بيانا لكل من فيه الحيرة
والشك والشبهة ويجلي له الطريق ويوضح له السبيل ويخرجه من الشبهات فهو للمؤمنين من الهدى والشفاء لانهم
قبلوه واتبعوه وتكلفوا العمل بما فيه واما الكفرة فهو عليهم عمى وحيرة وشك لانهم لم يقبلوه ولم يتبعوه ونظروا
اليه بالاستخفاف والهوان ونبذوه وراء ظهورهم فلم يبصروا ما فيه فهو صار لهم عمى وما ذكر والله اعلم ولذلك
قال تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد سماهم عنه وان كانوا بانفسهم حضورا شهودا وسماهم موتى وان كانوا
في الحقيقة احياء وسماهم صما وبكما وعميا وان كانت لهم هذه الجوارح في الحقيقة لما لم ينتفعوا بهذه الجوارح بالذي
جعلت هذه الجوارح له وانسبت نفعها عنهم ليعلم ان المقصود ما ينشاه هذه الجوارح والانفس لا انفس هذه الجوارح
والانفس ولكن لطلب ما غاب عنها وخفي اذ انفسهم في الحقيقة كانت شهودا وحضورا سماهم غيبا وبصراء
سماهم موتى وعميا وما ذكر ليعلم انها انما جعلت ليكتسبوا بها الحيوة الدائمة والبصر الدائم وما ذكر من كل شيء من
التتبع وغيره وكذلك هذه النعم التي جعلت في الدنيا جعلت ليكتسبوا بها النعم الدائمة فاذا لم يستعملوها فيما
جعلت صار كما ذكر والله اعلم وقال بعضهم وهو عليهم عمى اي في الاخرة جزاء ما نسوه في الدنيا كقوله تعالى لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقيل قوله ينادون من كان بعيد عبارة
عن قلة افهامهم يقال للرجل الذي لا يفهم انت تنادى من كان بعيد والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه كانه يقول والله اعلم انا لقد اتينا موسى الكتاب ما عرفوا انه انما نزل من عند الله تعالى حيث
شاهدوا انزوله جملة ومع انهم عرفوا ذلك اختلفوا فيه حتى كذبه بعضهم فعلى ذلك يقول والله اعلم لو انزلنا القران
عليك اعجمي فاذنته اليهم بلسانك العربي لكذبوك ولا يصدقونك وان كان ذلك في الدلالة اكثر في الاعجوبة اعظم
على ما فعل قوم موسى بالكتاب الذي انزل على موسى عليه السلام يذكر سفههم وتعنتهم وقوله عز وجل ولولا
كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب لما من هذه الاية على ان ما ذكر من المنة والرحمة في
تاخير العذاب انما هو لقوم موسى وهو قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لكن اهل التاويل قد اجمعوا على صرف هذه المنة
والرحمة في تاخير العذاب الى ان هذه الامة وكذا انهم ظهرت المنة في العفو عن الاهلاك في الدنيا دون سائر الامم
والله اعلم ثم نظام قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم استدلال واحتجاج لاهل الالحاد لان مثل هذا في الشاهد
انما يقال لاحد معنيين اما الجهل بالعواقب او العجز عن وفاء ما وعد لكن الله تعالى عن الوصف بالجهل بعواقب الامور
والوصف بالعجز عن شيء بما اقام من الايات والبراهين علم العلم والقدرة ثم وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك يحتمل
الحجة كقوله تعالى ويحق الحق بكلماته وقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي اي لحجج ربي ويكون الكلمة منه الذي
كقوله تعالى وكلمة الله هي العليا ونحوه وقيل الكلمة هي الساعة التي اخر عذاب هذه الامة فقال بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر والله اعلم وجائز ان يكون الكلمة ما عنى ما سبق من المنة لهذه الامة ان لا يعذبها وقت استحقاقهم

الثواب او سبق منه المنة والرحمة بتاخير الهلاك عن وقت اكتسابهم اسباب الهلاك على المعتزلة والخوارج لقولهم ان ليس لله ان يعفوا او يؤخر العذاب عمن وجب عليه او استحقه او كلام نحوه حيث من ورحم بتاخير العذاب عنهم الى وقت ولو لم يستحقوا العذاب لم يكن لذكر المنة والرحمة في ذلك المعنى فهو كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم وقوله عز وجل من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يخبر عز وجل انه انما امتحنهم لا لمنافع يجر الى نفسه او لمضار يدفع عن نفسه ولكنه انما امتحنهم وامرهم ونهاهم لمنافع يكتسبون لانفسهم ولمضار يدفعون بذلك عن انفسهم وليس كملوك الارض انهم يمتحنون الخلق ويامرون وينهون ويستعملونهم لمنافع انفسهم ولمضار يدفعونها بذلك عن انفسهم فاما الله سبحانه وتعالى فانه انما يمتحن الخلق لمنافع يجرون الى انفسهم ولمضار يدفعون به عن انفسهم فلهم حصول منافع ذلك الامتحان والامر والنهي وعليهم حصول منافع ذلك الامتحان والامر والنهي وعليهم حصول ضر ذلك فلا نفسهم يعملون ما يعملون من الخير والطاعة وعليهم ما يعملون من الشر ولذلك قال وما ربك بظلام للعبيد الاية قد بين السبيلين جميعا بيانا شافيا واقام لكل شيء ذلك والبراهين حججا ومن ان يمر مسلك سبيل ذا افضاه الى كذا في العاقبة اما نعيم دايم وسرور دايم واما عذاب دايم وشر دايم فمن سلك السبيل الذي عاقبة النار والحزن فمن قبل نفسه اخذ ذلك وهو الذي اوقع نفسه في ذلك ومن سلك السبيل الذي عاقبة الجنة والنعم دائمة فيه وباختياره وصل ذلك فهو تفسير قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد والله اعلم وقوله عز وجل اليه يرد علم الساعة اجمع من امن بالله تعالى وصدق رسله عليهم السلام من اهل السماء واهل الارض ان ليس عندهم علم بوقت الساعة فان ذلك خفي عليهم لا يعلمونه وان علم ذلك عند الله تعالى وهو ما قال عز وجل يسالونك عن الساعة ايان مرسيها الاية وغير الباطنية والروافض فان علم ذلك عندهم على مذهبهم وفي زعمهم اما الروافض فانهم يعدون الائمة ويقولون ان الساعة على امام كذا وفي زمان كذا واما الباطنية يقولون ان اسم الساعة والقيامة ونحو ذلك انما هو اسم قائم الزمان وانه فلا يكون فعلى قولهم ينظر وقت قيامها فهو خلاف ما ذكر في الكتاب وما اجمع عليه اهل السماء والارض والله اعلم وقوله عز وجل وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه جايز ان يكون من اخراج الثمر من الاكمام وما ذكر من حمل الانثى ووضعها وهو موصول بقوله اليه يرد علم الساعة فان كان على ذلك فمعناه لا يعلم ذلك كله الا هو لا يعلم وقت خروجها لاحد ما وانها تخرج او لا وكذلك الولد لا يعلم كيفية علوقه ولا وقته ولا مقداره وانه يعلق او لا علم ذلك الى الله تعالى كعلم الساعة والله اعلم وجايز ان يكون قوله وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه على الابتداء ليس على الصلة بالساعة ولكن موصولا بما تقدم من قوله ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الى اخر ما ذكر فعلى ذلك يقول والله اعلم ومن اياتنا لوحدانيته ووحدانيته وايات قدرته وعلمه وتدبيره ان يخرج الثمرات من اكمامها ومن اياته ان تحمل الانثى وتضعه وهو ان الله تعالى انشا تلك الثمرة في الاكمام كذا الولد في البطن في حجب وسواتر ورباه في تلك الحجب والسواتر وغذاه باغذية ودفع عنه جميع الاذى من البرد والحر وجميع ما يؤذيه لضعفه ولطافته لطفا منه وجعل وسوى في تلك الحجب والسواتر باحسن سوى ليعلم الوحدانية ووحدانيته وان له علما ذاتيا وقدرة ذاتية ازلية لا اكتسابا مستفادا اذ العلم المستفاد والقدرة المستفاد لا يبلغ ذلك والله اعلم ثم وقوله عز وجل من اكمامها اي المواضع التي كانت فيها مسترة وغلاف كل شيء كمه وانما قيل كم القميص وقال ابو عوسجة اكمامها غلفها وهي التي يكون فيها حمل ان سمى الشقوق يقال يعتقب الاكمام عن الثمرة اي تشققت وقوله عز وجل ويوم يناديهم ابن شركاي يذكرهم ويخبر عما يسالون يوم القيمة وما يكون من جوابهم لذلك السؤال لعلهم يمتنعون عن ذلك ويحذرون يقول ويوم يناديهم ابن شركاي اي ابن الذين تزعمون انهم شركاي في الدنيا او ابن الذين تعبدون في الدنيا وتزعمون انها الهة وانها شفعاؤكم عندي والا لا يحتمل ان يقول لهم الرب جل وعلا ابن شركاي ولا شريك له ولا اله غيره ولكن ما ذكرنا وقوله عز وجل قالوا اذناك ما منا من شهيد قال بعضهم اذناك اسمعناك وقيل اعلمناك والاشبه ان يكون معنى اذناك اخبرناك اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم لا يتحقق اما الاخبار للعالم عن الشيء يتحقق عما علم به والله اعلم ثم اختلف في ذلك انه قول من قال بعضهم هو قول اولئك الكفرة الذين نودوا يومئذ يقولون اخبرناك ان لم يكن منا احد شهيدا بذلك او يقولون بالشريك او بالاله سواك يخرج على الانكار والجحود والكذب انهم لم يقولوا ذلك ولم يفعلوا وهو كما ذكر عنهم في اية اخرى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا الاية فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين انكروا ما كان منهم من الاشراك فعلى ذلك قوله اذناك ما منا من شهيد اي لم يشرك فيك احد ولم يتخذ ما دونك الها والله اعلم وقال بعضهم قوله قالوا اذناك ما منا من شهيد هذا من قول الاصنام والذين عبدوهم من دون الله في الدنيا يقولون ما منا من شهيد على عبادة اولئك ايانا ولا امرناهم بذلك وهو كقوله

وقال لشركاؤكم ما كنتم ايانا تعبدون وقولهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اخبروا انهم كانوا غافلين عن عبادتهم اياهم واياهم وانهم ما امروهم بها فعلى ذلك قوله تعالى اذناك على هذا التاويل هو ما ذكروا ان كنا عن عبادتكم لغافلين والله تعالى اعلم ثم ان الكفرة في يوم القيمة مرة انكروا عبادتهم غير الله واحيانا اقروا بها وتبرءوا منها ومرة سالوا الرجوع الى المحنة والرد الى الدنيا على اختلاف الاحوال والاوقات في ذلك اليوم اذ لا يكون هذه الاسولة المختلفة في وقت واحد والله اعلم وقوله عز وجل عنهم ما كانوا يدعون من قبل هو ما ذكر في اية اخرى حيث قيل لهم اين شركاؤكم الذين كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام في الدنيا رجاء على ان يشفع في الاخرة ويقربهم الى الله زلفى فلما ايسوا مما رجوا منها وطمعوا قالوا ضلوا عنا فعلى ذلك قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا وقوله عز وجل ما لهم من محيص اي ايقنوا وعلموا ان لا محيص ولا نجاة وقال ابو عوسجة ما لهم من محيص اي محرب وقوله عز وجل لا يسام الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط وقال في اية اخرى واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هاتان الايتان في ظاهرها يخرج احدهما مخالفا للاخرى لانه ذكر في احديهما الاياس والقنوط اذا مسه الشر وفي الاخرى كثرة الدعاء اذا مسه الشر والبلاء ومن طباع الخلق والعرف فيهم انهم اذا ايسوا وقنطوا لا يدعون ولا يسالون بل يتركون سؤالهم واذا طمعوا ورجعوا عند ذلك سالوا ودعوا هذا هو العرف فيهم فدل ان بينهما مخالفة من حيث الظاهر لكن نقول ان الاية تخرج على وجوه يحتمل ان كل واحد من الايتين في انسان بعينه يشار اليه سوى الاخر كان عبادة احدها على الاياس والقنوط من الخير ترك الدعاء والسؤال وكان عادة الاخر الدعاء والتضرع اليه والسؤال عن كشف ذلك عنه فاخبر جل وعلا رسوله عليه الصلوة والسلام ما اضمر كل واحد منهما في تغيير احدهما الاياس والقنوط والسؤال والطمع في الخير ليكون لهم عليهم دلالة الرسالة واثبات النبوة اذ انبا عن ضمير كل واحد منهما وما في نفسه ليعلم انه رسول وانما علم ذلك بالله جل وعلا والله اعلم والثاني ان الكفرة كانوا فرقا وكانوا على مذاهب شتى مختلفة فرقة كانت تطمئن في حال الرخاء وتنقلب في حال البلاء والشدة كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به الاية وفرقة كانت تفزع الى الله تعالى وتقبل اليه عند اصابة الشدة والبلاء ويعرض عنه عند كشف ذلك عنهم وتوسع النعم عليهم نحو قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك الاية ونحوه كثير في القران وفرقة كانت تكون في الحالين جميعا على الاعراض عنه وترك الاقبال اليه والطاعة له لا يفزعون اليه ولا يقبلون لا في حال الرخاء والسعة ولا في حال البلاء والشدة كقوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وفرقة كانت ترى الحسنة والخير من انفسهم واذا اصابتهم سيئة وشدة تطيروا بالرسل عليهم السلام كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك واذا كانت الكفرة على هذه المذاهب المختلفة وكانت اجناسا شتى فيكون كل اية منها في جنس غير الجنس الاخر وفي اهل مذهب غير اهل مذهب اخر فاما المسلمون فيكونون في الحالين جميعا على التوحيد والاقبال الى الله تعالى في حال الرخاء والسعة وفي حال البلاء والشدة على ما استثناهم الله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الاية وامثال ذلك من الايات وصفهم جل وعلا بالثبات والقرار على دينهم في الاحوال كلها والله اعلم والثالث جايز ان يكون ما ذكر من الايتين على ما ذكر اخبار عما طبع عليه البشر والشيء انما الشيء البشر وطبع على الرغبة في الخير والسعة والنفار عن الشدة والبلاء والكراهة له فهذا اخبار عما طبع عليه وانشئوا ليس على حقيقة اظهار ذلك منهم قولا او فعلا على ما طبع كل انسان راغبا حريصا في السعة والرخاء وانه ما ذكر لا يسام من دعاء الخير كارها نافرا عن البلاء والشدة والله اعلم وقوله عز وجل ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وقال بعضهم هذا لي اي اعطانيه من خير علمه مني وجايز ان يكون ما ذكرنا انهم كانوا ينظرون بالرسل عليهم الصلوة والسلام عند البلاء والشدة والسعة يرون من انفسهم حيث قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه الاية وقوله عز وجل وما اظن الساعة قائمة كانوا يكرون البعث والجزاء للاعمال في الدنيا ثم يقولون فلئن كان ما يذكر محمد من البعث والجزاء للاعمال والجنة ان ذلك لنا دونهم وهو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ان رجعت الى ربي على ما يقوله محمد ان لي عنده للحسنى وهو على ما قالوا في الدنيا لو كان خيرا ما سبقونا اليه لما راوا السعة لانفسهم في الدنيا دون المؤمنين فعلى ذلك في الاخرة قالوا لنا دونهم والله الهادي ثم اخبر تعالى عما ينبيهم باعمالهم في الاخرة وهو قوله تعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ اي ننبئهم بجزاء ما عملوا لان ذلك كان منهم تمنيا وتشهيا بل نذيقهم العذاب الغليظ والله اعلم وقوله عز وجل واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هو ما ذكرنا من دعائهم وسؤالهم الخير

وطمعهم ذلك وقوله فذو دعاء عريض قال ابو عوسجة ونأى بجانبه اي تباعد عما امر به وذو دعاء عريض اي كثير
الدعاء لا يمل ولا يسام وكذا قال القتبي وقوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله يقول ان كان هذا القران من عند الله
ثم كفرتم به وجايز ان يكون على الابتداء ليس بجواب لقوله ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به ويكون كان لم يذكر جواب
ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لما عرفوا المراد من عاند وعادى ما كان من عند الله انه ما يحل بهم وما يصنع وهو كقوله
تعالى ائفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين لم يذكر له جواب لما عرفوا ان من تريدون عبدة دون الله بعد
معرفتهم انه افك وانه كذب وليس اله ان الله ماذا يفعل بهم فلم يذكر له جواب لمعرفتهم بما يفعل بهم فعلى ذلك
قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به يجوز ان لم يذكر له جواب لما عرفوا انه ما يفعل بهم وما يستوجبون منه
بما عاندوه بعد معرفتهم انه من عند الله جاء ثم كفروا به والله اعلم وان كان موصولا نحوا به ما ذكر من قوله من اضل
ممن هو في شقاق بعيد فيكون كانه يقول والله اعلم ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فاذا كفرتم ضللتم فمن
اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف وبعد فيكون جوابه كانه قال لا احد اضل ممن عرف انه من عند الله ثم خالفه
وتباعد عنه على ما ذكر في قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا فعلى ذلك الاول
والله اعلم وقوله عز وجل سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اختلفوا فيه قال بعضهم
سنريهم اياتنا اي نريهم عذابنا الذي نزل بالامم المتقدمة في بلاد عاد وثمود وقوم لوط كانوا يمرون عليها ويعرفون
انه لماذا نزل بهم ذلك وهو لتكذيبهم الرسل وعنادهم ونريهم عذابنا ايضا في انفسهم بعد وحيث قتل فراعنتهم
يومئذ حتى تبين لهم انه الحق يقول ان القران هو الحق من الله لان فيه الاخبار عن العذاب الذي كذبوا محمدا
صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم سنريهم اياتنا في الافاق هو ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على البلاد والقرى النائية
وفتحها عليه وفي انفسهم اي فتح مكة وظهوره عليهم على ما وعد له ربه جل وعلا من النصر له والفتح البلاد والقرى
فيكون هذا ان اتنا ويلون اية رسالته ونبوته والله اعلم ويحتمل قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم ايات
وحدانيته والوهيته اما في الافاق وما جعل منافع البلاد النائية والقرى المتباعدة متصلة بمنافع انفسهم و
منافع البلاد القريبة ومنافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ليعلم انه تدبير واحد وفعل فرد لا
عددا وان يكون اياته في الافاق رفع السماء مع غلظها وكثافتها وسعتها بلا سبب ولا تعليق من اعلاها ولا
عماد من اسفلها وفي انفسهم ما حولهم وقلبهم في الارحام من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة
الى حال المضغة ثم من حال المضغة الى حال الانسان والتصوير والتركيب الى اخر ما ينتهي اليه امره ليعلم انه
صنع واحد وتدبير فرد لا تدبير لاحد سواه في ذلك فهذان اثنان ويلون في اية الالوهية والواحدانية والاولات
في اثبات الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد كانه يقول اولم يكف ربك شاهدا
انه من عنده على ما تقول انت ويقول اولم يكف ربك ناصرا ومعينا ويكون قوله اولم يكف اي لم يكفهم ما جاء من
عند الله من البينات والقران كقوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية فعلى ذلك يحتمل هذا
يحتمل اولم يكفهم انه على رسالتك او انه على وحدانية الله تعالى ما جاء من عند الله والله اعلم وقوله عز وجل الا انهم
في مرية من لقاء ربهم اي الا انهم وقد تهم في البعث هو الذي حملهم على تكذيب ما جاء من عند الله وان كان والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل حم عسق قال بعضهم حم هو اسم من اسماء الله تعالى
وقيل هو اسم القران وقال بعضهم حم اي قضي ما كاين وقد ضعف هذا القول ابن عباس رضي الله عنه والصحيح من الاقوال انه حم
خبر المبتدا محذوف وتنزيل الكتاب بحرمة من الله صفة الكتاب والتقدير هذا حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الرحيم وقال
بعضهم في عسق عين عبارة عن عذاب والسين عن المسخ والقاف كناية عن القذف يقول لصاحب هذا القول يخرج عين من
من الارض فيها عذاب ومسخ رجل من اهل الامة بالبادية فيقذفه الناس بالحجارة والله اعلم وقال بعضهم هو قول ان
حسق على اسقاط حرف العين ثم يقول السين كل فرقة يكون والكاف كل جماعة تكون وذكر انه كان يعلم علي ابن ابي طالب كرم
الله وجهه حسق العين وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما حسق على طريق العين وقال بعضهم العين عبارة
عن العذاب والسين عبارة عن سيكون والكاف عبارة عن الوقوع اي قضي ما سيكون ذلك والله وذكر عن جعفر بن محمد بن
علي رضي الله عنهم قال العين عبارة عن العذاب والسين عبارة عن سيكون ولم يفسر القاف وقال العجب وكلامهم والله اعلم
وقال بعضهم العين عبارة عن علمه والسين السلام والقاف عبارة عن القدرة ويحتمل وجايز ان يكون كل حرف من هذه الحروف
المقطعة عبارة عن صفة من صفاته او اسم من اسمائه على عادة العرب بالاكتفاء عن حرف عبارة عن جميع الكلمة فالحاء عبارة عن
حلمه وحكمته وحكمه والميم عبارة عن ملكه ومجده والعين عبارة عن علمه والسين عبارة عن سنائه وسودده والقاف عبارة
عن قدرته يكون كل حرف من هذه الحروف عبارة عن اسم من اسمائه او صفة من صفاته وعبارة عن حكم من احكامه وهذا الذي

ذكرنا كله على الامكان والاحتمال لا يسع ان يحقق فيه التفسير انه كذا وانه اراد كذا لانه من المتشابهة وانه من السر الذي
لم يطلع الله تعالى عليه احدا الا رسله عليه الصلوة والسلام وقوله عز وجل كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك اي كما
اوحي اليك فقد اوحي الى الذين من قبلك مثله ثم اختلف في قوله كذلك قال بعضهم اي كما اوحينا اليك بسورة حم عسق
اوحيناها الى الذين من قبلك وقال بعضهم اي كما اوحينا اليك بهذه الحروف بعينها حم عسق بعينها فقد اوحينا بعين هذه
الحروف الى الذين من قبلك وهو حم عسق وقال بعضهم كما اوحينا اليك حم عسق اوحينا الى الذين من قبلك من الرسل يعني
ذلك والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ليس نبي الا وقد اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على ما ذكرنا وقوله
له ما في السموات وما في الارض يخرج ذكر هذا في هذا الموضع على وجوه احدها اي له ما في السموات وما في الارض شهود على
الوهيته ووحدانيته والثاني ان ما في السموات والارض وما فيها له دلالة وحدانيته وربوبيته والثالث له ما في
السموات وما في الارض اي كلهم عبيده وملكه فلا يحتمل ان يتخذ من ملكه وعبيده ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة
وما قالوا اذ لا احد يتخذ من عبيده وملكه ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة فعلى ذلك يتعالى الله من ان يكون له
في ملكه ما ذكروا والله اعلم وقوله وهو العلي العظيم العلو والعظمة في الشاهد يكون من وجوه ثلاثة احدها العلو عبارة عن القهر
والغلبة يقال فلان عال اي غالب وقاهر والعظمة عبارة عن القدر والمنزلة ونفاذ الامر والثاني يكون العلو عبارة عن
الكبرياء والسودد وكذلك العظمة والثالث العلو يكون عبارة عن الارتفاع في المكان والعظمة عظمة في البدن والنفس
وهذا مما لا يكون فيه كثير منقبة وقدر ولا شي من ذلك ولا يزيد ذلك في صاحبه ولا مرتبة والله يتعالى عن الوصف
بهذا فانما يرجع الوصف له بالعلو والعظمة الى الوجهين الاولين السلطان والقدرة والنفاذ الامر والمشية او الكبرياء
والغلبة فاما ما يرجع الى الارتفاع في الامكنة والعظمة في البدن فهو صفة المخلوق وهم الموصوفون بذلك تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا وقوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن يحتمل هذا وجهين احدهما تكاد يتفطرن لذنوب اهل الارض وفسادهم
وعظيم ما قالت الملحدة في الله من الولد والشريك والصاحبة كادت تنشق لذلك وتتساقط كقوله في اية اخرى تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا بين في هذه الاية انها كادت يتفطر وتنشق لذلك
لما ادعوا وهو دعواهم للرحمن ولدا فعلى ذلك يحتمل ههنا هذا المعنى والله اعلم والثاني كادت تنشق لبكاء اهلها عليها واشفاقا
ورحمة على اهل الارض ويحتمل تكاد تنشق لعظمة الرب وجلاله وعظم سلطانه كقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله اخبر انه لو جعل في الارض والجبال والسماء من المعنى والتمييز ما جعل في البشر
لكانت هذه الاشياء بالوصف الذي ذكر من الخضوع لها وهو كما ذكر في اية اخرى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار و
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يخبر عن شدة خضوع هذه الاشياء وخشوعها لربها
وتذللها له وعناد الكفرة واستكبارهم وقلة خضوعهم وخشوعهم لربهم والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله تعالى تكاد السموات
يتفطرن من فوقهن لكثرة اهلها وازدحامهم فيها وعبادتهم لربهم على ما ذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم اطت السماء
وحق لها ان تئط ما من موضع قدم فيها الا وملك فيها ساجد او راكع او قائم يسبح الله تعالى ويصلي له والله اعلم وقوله
والملائكة يسبحون بحمد ربهم يدل على ان ما ذكر من تفطر السماء لعظم ما يقوله الملحدة فيه من الشريك والولد والصاحبة
حيث قال على اثره والملائكة يسبحون بحمد ربهم اي الملائكة ينزهونه ويبرؤونه عما يقولون فيه ويثنون عليه بالثناء
الذي يليق به ويصفونه بما هو اهله والله اعلم وقوله ويستغفرون لمن في الارض امتحنهم جل وعلا بالتسبيح له والثناء له
والاستغفار لاهل الارض على ما ذكر ثم قال بعضهم ان قوله ويستغفرون لمن في الارض منسوخ بقوله تعالى فاغفر للذين تابوا
لان الاول عام لجميع اهل الارض والثاني خاص لكن هذا بعيد محال ان يستغفر الملائكة ويطلبون التجاوز من ربهم لمن يقول
بالشريك والولد والصاحبة واذا كان كذلك كان استغفارهم رجع الى المؤمنين خاصة على ما ذكر في اية اخرى ويستغفرون
للذين امنوا وبقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فكان المراد من العام وهو الخاص لان المراد منه العموم ثم صار
منسوخا بورود الخاص متراخيا والله اعلم ثم ان كان استغفارهم لجملة اهل الارض على ما يقول فهو عبارة عن طلب السبب
الذي به يقع لهم المغفرة وهو التوبة عن الشرك والتوحيد فيكون هذا سؤال التوحيد والهداية لهم يقع المغفرة لهم بذلك
التجاوز ويصيروا لذلك اهلا وعلى ذلك يخرج استغفار ابراهيم عليه الصلوة والسلام لابيه انه سؤال وطلب السبب الذي
به يقع المغفرة له وان يجعله اهلا لذلك وكذا امر الرسل عليهم الصلوة والسلام قومهم بالاستغفار لهم وهو ما قال
هود عليه السلام ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا لا يحتمل ان يقولوا لهم
اطلبوا واسالوا ربكم السبب الذي به يقع المغفرة لكم وهو التوبة عما هم عليه واختيار الهداية والرشد لانفسهم ليكونوا
لذلك اهلا فعلى ذلك يخرج استغفار الملائكة ان كان لجملة اهل الارض على ما يقول بعض اهل التاويل وعلى هذا الاجابة
الى النسخ ولا يحتمله والله اعلم وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل قوله اولياء الاصنام التي عبدوها دون الله
كقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى

انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله والله اعلم وقوله الله حفيظ عليهم يخبر انه لا عن غفلة وجهل منه بعملوت
ما يعملون ولكنه حفيظ عليهم وعلى اعمالهم لكنه يوخر ذلك عنهم لحكمه والله اعلم وقوله وما انت عليهم بوكيل يحتمل
وجهين احدهما وما كنت عليهم بوكيل اى توخذ انت بمكانهم كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم والثانى ما انت
عليهم بوكيل اى بمسلط عليهم ولا حفيظ انما انت رسول فعليك البلاغ كقوله تعالى ان عليك الا البلاغ وقوله وما على
الرسول الا البلاغ والله اعلم وقوله وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا اى جعلنا قرانا عربيا ليكون اقرب الى الفهم واولى
ان يكون حجة عليهم وابلغ فى الحجاج لانه ذكر فى الانباء السالفة والاخبار المتقدمة باللسان العربى غير لسان تلك الانباء
ومن غير ان يختلف الى احد من اهل ذلك اللسان لنرهم لتعلم منهم بلسانهم والنقل بلسان فدل انما عرف بالله تعالى
وقوله لينذر ام القرى ومن حولها اى لينذر اهل ام القرى واهل من حولها من القرى ثم يحتمل تسمية كلة ام القرى
وجوها ثلث احدها سماها ام القرى لما منها دحيت سائر الارضين والقرى والثانى سماها ام القرى لانها اول بيت وضع
للناس واول بناء بنى فى الارض فسماها لذلك ام القرى والله اعلم والثالث سماها ام القرى لما على الناس ان يومونها ويقصدونها
بالزيادة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما بعث رسولا فيها فانها يوم ويقصد بالدعوة اول ما يوم ويقصد ثم
من بعد ذلك يوم الى سائر القرى والبلدان ويقصد والام القصد ومنه اخذ التيمم ولذلك سماها ام القرى والله اعلم
وقوله وتنذر يوم الجمع ويحتمل ان يكون قوله وتنذر يوم الجمع اى تنذر بالقران يوم الجمع لا ريب فيه وقوله فريق فى الجنة
وفريق فى السعير قد بين الله تعالى السبيلين جميعا على الابلاغ وبين عاقبة كل سبيل الى ما ذا يفضى من سلكها والله
اعلم وقوله ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة يخبر ان عنده من اللطايف والقدرة ما لو شاء لجعلهم جميعا امة واحدة و
دين واحد وهو ما قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية فلو جعل
ذلك لاهل التوحيد والايمان لكانوا جميعا على دين الاسلام على ما اخبر انه لو كان ذلك مع اهل الكفر لكانوا جميعا اهل
كفر ثم وقوله ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة لا يحتمل مشية الجبر والقسر على ما يقوله المعتزلة لوجوه احدها انه لا يكون
الايمان فى حال الجبر والقهر لانه لا صنع لهم فى ذلك ولا اختيار لهم والثانى ان كل احد بشهادة الخلقة مؤمن موحد
لله تعالى ثم لم يصيروا بذلك مؤمنين فعلى ذلك بالجبر والقهر اذ فى الحالين ليس فعل المؤمن انما هو فعل غيره فدل انه اراد
ان يشاء منهم ما يكون مختارين فى الايمان لا مجبورين والثالث ان الايمان بالجبر والقهر مما لا يعرفه الناس ولا يطلق اسم
الايمان عليه فى العرف وقد وعدهم الايمان وجعل الدين واحدا وهو عند التعارف ينصرف الى ما يوجد منهم عن طوع
واختيار لا بالجبر والقهر فيكون الاية منصرفة الى المعهود عند الناس على ما هو الاصل فى الكلام والله الموفق وعنده
اراد به مشية الاختيار واخبر ان عنده من اللطايف ما لو اعطى الكل لامنوا جميعا اختيارا لكنه لم يعطهم ذلك ولو شاء
لما علم منهم انهم لا يرغبون فيه ولا يختارون ذلك ولكن انما يختارون ضد ذلك نقيضه لذلك لم يشاء لهم لمن علم انه
يختار ذلك فضلا وقوله ولكن يدخل من يشاء فى يخبر ان من اعطى ذلك انما يعطيه رحمة منه وفضلا لا انهم يستحقون
ذلك منه يستحقون عليه والله الموفق ثم ان الله تعالى سمى الايمان مرة ورحمة لقوله ولكن يدخل من يشاء فى رحمته
ومرة سماه منة بقوله ولكن يمن على من يشاء وبقوله بل الله يمن عليكم ان هداكم الاية فلو كان الايمان يقوم بالذى
يكون الكفر من القدرة ولم يكن من الله تعالى الى المؤمنين الا وقد كان مثله الى الكافر على ما يقوله المعتزلة ان الايمان
انما يكون بالذى يكون الكفر لم يكن تسمية هذا نعمة ومنة ورحمة وتسمية الكفر ضده معنى والله الموفق وبعد فانه
لو كان على ما يقوله المعتزلة لكان ما ذكر من النعمة والمنة والرحمة انما يكون بالخلق ومنهم لا بالله تعالى ومنه دل ان
عنده لطايف من اعطى تلك اللطايف امن واهتدى ومن لم يعطه اياها لم يؤمن وقد اعطى المؤمن تلك ولم يعط الكافر
لذلك كان ما ذكرنا والله الموفق ثم فى تخصيص ام القرى ومن حولها بالنذارة وجوه اذ ذكر فى اية اخرى انه نذير للعالمين
جميعا بقوله ليكون للعالمين نذيرا اذ كان مبعوثا الى جميع العالم لا الى بعض دون بعض كان بعض الانبياء عليهم السلام
فلا بد ان يكون التخصيص ام القرى ومن حولها معنى وحكمة احدها لما يحتمل ان يكون لاهل المكة طمع فى شفاعته وان
لم يتبعوه اما بحق القرابة والافضال واما بحق الايادى ولمن حولهم بحق الجوار فذكر تخصيصهم بالانذار بيوم الجمع حتى
يزول طمعهم بدون الاتباع والردع عن الشرك اذ ذلك لا يزول بمطلق الانذار بيوم الجمع حتى يزول طمعهم بدون الاتباع
والردع عن الشرك اذ ذلك بمطلق الانذار لما عندهم وفى زعمهم ان المراد بذلك غيرهم لما لهم من زيادة سببا لوسيلة
معه والله اعلم والثانى اى ينذر هولاء ومن ذكر شفاها ولمن بعد منهم خبرا وخص هولاء بحق البداية ثم بالاقرب
فالاقرب وعلى ذلك يخرج قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين على الوجوه التى ذكرنا والله اعلم وقوله سبحانه وتعالى و
الظالمون ما لهم من ولى ولا نصير اى ما لهم من ولى يشفع ولا من نصير ينصر ويمنعهم من عذاب الله تعالى وقوله ام
اتخذوا من دونه اولياء اى اربابا والله هو الولى اى هو الرب وهو يحيى الموتى وقد عرفوا ان الاحياء انما يكون
بالله تعالى لا بالاصنام التى عبدوها وان كانوا ينكرون البعث والاحياء بعد الموت فلو عرفوا انه لو كان انما يكون

بالله تعالى لا بالاصنام التى عبدوا دونه وهو على كل شىء قدير ظاهر قد تقدم ذكره وقوله وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله
يحتمل قوله وما اختلفتم فيه وجوها احدها فى القران والثانى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالث فى الدين فان كان
اختلافهم فى القران فقوله فحكمه الى الله فيما اقام من الحجج والبراهين انه من الله وانه من عنده جاء حيث عجزوا عن اتيان
مثله او مقابله شىء يوازيه وان كان اختلافهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رسول او ليس برسول فقد اقام
من الدلائل والبراهين ما يدل على رسالته ونبوته سمعيات وعقليات ما لا يتعرض لردها الا من كابر عقله او عاند لبه
وكذلك لو كان اختلافهم فى الدين فقد اقام ما يعلم كل ذى عقل ولب انه هو الحق وانه هو الصواب وان غيره من الاديان
ليس بحق وقال بعض اهل التاويل فى قوله وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله تعالى اى الى كتاب الله تعالى كقوله فان تنازعتم
فى شىء فردوه الى الله والرسول اى الى كتاب الله لكن هذا لا يصح فان قوله فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول
انما هو فى المؤمنين اذا وقع بينهم الاختلاف فى شىء من الاحكام يرد ذلك الى كتاب الله والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم
واما قوله تعالى فما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله انما هو فى محاجة الكفرة فهو فى ذلك المعنى اذا هم لا يعتقدون كونه
حجة وانما يرجع الى دليل اخر والله اعلم وقوله ذلكم الله ربى اى ذلك الذى يعقل هذا هو ربى عليه توكلت فى كل امرى
واليه انيب بالطاعة ويحتمل ان يكون اختلافهم الذى ذكر هو اختلافهم فى الله تعالى كقوله والذين يحاجون فى الله وقوله
ذلكم الله ربى اى ذلكم الذى تختلفون فيه هو ربى عليه توكلت اى عليه اعتمدت واليه انيب اى اليه ارجع ثم نعته تعالى
فاطر السموات والارض وقال فى موضع اخر الحمد لله فاطر السموات والارض وفى موضع اخر خلق السموات والارض وقال
فى موضع اخر بديع السموات والارض قال بعض الباطنية المبدع هو الذى ينشئ الاشياء لا من شىء والخالق هو الذى ينشئ
الشىء من لا شىء والفاطر هو الذى ينشئ من شىء او نحوه من الكلام وعندنا ان هذه الاسماء وان اختلفت الفاظها وافترق
اشتقاقها وماخذها فهى فى المعانى واحدة الابداع هو الانشاء بلا احتذاء سبق والخلق هو الانشاء والتقدير لكن غيره لا
يجوز ان يسمى خالقا لانه لا يقدر على تقدير شىء الا على مشاهدة تقدم عاينه وراه والفطر كانه ماخوذ من الشق ينشق الشىء
ويخرج منه اشياء وكله الخلق وفاعله خالق على الحقيقة وهو الله تعالى وبالله القوة والتوفيق وقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا
اى جعل من نفس آدم وحواء عليهما السلام ازواجا نسبنا جميعا اليهما لانهما الاصل وانا جميعا انما كنا من ذلك الاصل وهو
كنسبة ابائنا الى التراب بقوله خلقكم من تراب وانما خلق اصلنا من التراب لكنه نسبنا اليه لما منه كنا جميعا فعلى ذلك ان
يكون قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا اى من نفس ادم وحواء ونسبنا اليهما لما منهما كنا جميعا والله اعلم والثانى بقوله جعل
بعضكم من بعض ازواجا اى خلق اى خلق الاناث من الرجال من الاناث وهو ما ذكر فى اية اخرى جعل لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها الاية والثالث جعل لكم من مثل خلقكم ازواجا اى اصنافا واشكالا لا جعل الخلق طه اذا اشكال وامثال
وذا ازواج وكذلك يخرج قوله ومن الانعام ازواجا على وجهين احدهما يقول والله اعلم انه جعل الانعام ايضا اناثا وازواجا
اشكالا والثانى جعل منها الذكور والاناث ايضا كما جعل من البشر والله اعلم وقوله يذرؤكم فيه اختلف فى تاويل قوله
يذرؤكم وفى المراد بقوله فيه ان الماء كانه عن ما قال بعضهم يذرؤكم اى يكثركم وقيل يعيشكم فيه وقيل يرزقكم فيه
ويعمركم وقيل وانما قوله فيه قال بعضهم يحتمل قوله فيه اى فيها كناية عن الانعام وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود
رضى الله عنه يذرؤكم فيها اى فى الانعام لما جعل للبشر فيها من انواع المنافع واما من قرا يذرؤكم فيه بغير الالف فهو يجعله
كناية عن العالم كانه يقول يذرؤكم فيه اى يخلقكم فى العالم ويكثركم فيه ويعيشكم ويعمركم وقال بعضهم يذرؤكم اى يكثركم فى
هذا التزويج الذى جعل بينكم اى يكثركم بسبب هذا التزويج ولولا هذا التزويج لم يكثر الناس وجائز ان يكون قوله فيه كنا
عن التدبير يقول يذرؤكم فيه يخلقكم فيه نسلا بعد نسل كقوله تعالى ذرأكم فى الارض وهو القتبى وابو عوسجة وقوله
عز وجل ليس كمثله شىء الاية يستدل بعض اهل التشبيه بان له مثلا بقوله تعالى ليس كمثله شىء يقولون لو لم يكن له مثل لم
يذكر كاف التشبيه حيث قال كمثله شىء لكن نفى شبيه الاشياء عن مثله فيكون فيه اثبات مثل له لا يشبه سائر
الاشياء سواء او كلام نحو هذا وعندنا قوله تعالى ليس كمثله اى ليس مثله شىء والكاف قد يزاد فى الكلام وقال بعضهم اى
ليس كهو شىء والعرب قد تقيم المثل مقام النفس واصله ان الخلق ذوا اعداد وكل ذى عدد له اشكال وامثال من حيث
العدد والتصديق ذلك ان الخلق وان كانوا ذوا امثال واشكال واشباه فليس يشبه بعضهم بعضا من جميع الوجوه وكل
الجهات ولكن انما يشبه بعضهم بعضا من جميع الوجوه او بوجه او بصفة او بجهة او بنفس ثم صار بعضهم امثالا
لبعض واشباها بتلك الجهة وبذلك الوصف فدل ان الله تعالى ليس يشبه الخلق ولا له مثال منهم بوجه من الوجوه
ولا له شبه لا ما يرجع الى الصفة ولا ما يرجع الى النفس وهو تعالى عن جميع معانى الخلق وصفاتهم ودل قوله تعالى ليس
كمثله شىء لانه نفى عن نفسه المثلية ولم ينف الشيئية لكن يقال شىء لا كالاشياء ينفى عنه شبه الاشياء والشىء اثبات
وفى الاثبات توحيد ولو لم يكن شيئا لكان يقول ليس هو شىء دل انه ما ذكر وقوله سبحانه وتعالى وهو السميع البصير
ذكر فى غير موضع والله الموفق وقوله عز وجل له مقاليد السموات والارض وقال فى اية وعنده مفاتح الغيب وقوله ولله

خزائن السموات والارض وقوله بيده ملكوت كل شيء ونحوه ذلك من الايات فيها ذكر المفاتح والمقاليد والخزائن التي
اضافها الى نفسه ثم لم يفهم الخلق من المفاتيح المضافة والمقاليد والخزائن ما يفهم لو اضيف الى الخلق بل فهموا من المفاتح
المضافة الى الخلق والمقاليد المنسوبة اليهم معنى لا يفهموا ذلك المعنى من المفاتح والمقاليد المضافة الى الله تعالى فانبغى
ان يفهموا من قوله بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان وقوله لما خلقت بيدي استكبرت ونحو ذلك مما
يفهموا من اليد المضافة الى الخلق لكنه ذكر المفاتح والمقاليد واضافها الى نفسه لان كل محجوب ومستور عن الخلق فيما
بينهم انما يوصلهم الى ذلك المحجوب ومستورعنهم بالمفاتيح والمقاليد التي ذكر فعلى ذلك ما اضاف الى نفسه من اليد و
عرفها لما باليد يبسط في الشاهد وبها يمنع وبها يكتسب ويفعل ما يفعل فاضاف الى نفسه ما به يكون في الشاهد من
الفعل والبسط والمنع كناية عن هذه الافعال والله الموفق **وقوله** تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فيه دلالة
نقض قول المعتزلة لان الرزق المذكور يحتمل وجوها احدها ما ذكر في قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون
وهو المطر والثاني الاملاك التي يكتسبون والثالث المنافع التي جعل لهم ثم الاشكال ان الاملاك التي يكون لهم والمنافع
التي ينتفعون بها وجعلت لهم انما يكون باسباب واكتساب منهم ثم اضاف ذلك الى نفسه في البسط والتقتير حيث
قال يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر دل ان الله تعالى في ذلك صنعا وتدبيرا وهو ان خلق اكسابهم واسبابهم التي بها
يوصل اليهم الرزق والله اعلم **وقوله** عز وجل انه بكل شيء عليم قد تقدم **وقوله** عز وجل شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
الدين يذكر ويراد به الجزاء وهو قوله مالك يوم الدين اي يوم الجزاء او يذكر ويراد به الحكم كقوله تعالى خبرا عن يوسف
عليه السلام ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي في حكم الملك ويذكر ويراد به المذهب المعتقد كقوله تعالى لكم دينكم ولي
دين وقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام فكان المعنى من قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا هو المذهب وما
يعتقد وما ذكر الدين معرفا بالالف واللام وانه للجنس فيكون كانه قال شرع لكم من الاديان جملة الدين الذي وصى
نوحا ومن ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهو التوحيد لله تعالى والعبادة له والانبياء والرسل عليهم الصلوة
والسلام جميعا انما بعثوا الدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له وان اختلفت شرايعهم واحكامهم وذلك قوله لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والله اعلم ومن الناس من يقول شرع لكم من الدين اي شرع لكم الدين ويجعل من صلة زائد
فيه اي شرع لكم الدين الذي وصى به نوحا ومن ذكر والوجه فيه ما ذكرنا فان قيل ما معنى تخصيص نوح ومن ذكر من
الانبياء عليهم الصلوة والسلام والكل بعثوا الدعاء الى هذا الدين وقد وصى الكل بهذا الدين فنقول قال بعضهم انما
خص نوحا ومن ذكر بهذا لان التحليل والتحريم لم يكن قبل زمن نوح عليه السلام وانما جاء ذلك في زمن نوح عليه السلام
لذلك خص نوحا بما ذكر ويحتمل ان يكون ذكر هؤلاء لا على تخصيصهم بذلك من بين غيرهم من الانبياء ولكن ذكر بعضا
ههنا وترك ذكر البعض ليس انه شرع له ما وصى به نوحا ومن ذكر من الانبياء ولم يشرع له ما وصى به غيرهم بل شرع له ما
وصى به هؤلاء وغيرهم من الذين كقوله تعالى فبهداهم اقتده ذكر بعض هؤلاء وغيرهم ثم امره ان يقتدي بما هم عليه ذلك
ان ذكر البعض في موضع ليس للتخصيص لما ذكر البعض في موضع اخر والكل في موضع اخر والله اعلم ويحتمل تخصيص
هؤلاء بالذكر لمعنى لم يطلعنا الله تعالى على ذلك المعنى كما خص ابراهيم عليه الصلوة والسلام بالصلوة عليه على ما امرنا به
النبي صلى الله عليه وسلم لقوله كما صليت على ابراهيم لمعنى لم يطلعنا على ذلك والله اعلم **وقوله** ولا تتفرقوا فيه اي
في عبادة الله تعالى اي اعبدوه جميعا يحتمل وجهين احدهما ولا تتفرقوا فيه اي في عبادة الله تعالى اي اعبدوه جميعا و
والثاني لا تتفرقوا فيه اي في الدين الذي ذكر وهو التوحيد **وقوله** عز وجل كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اي عظم
عليهم دعاؤك الى التوحيد وعبادة الله وحده **وقوله** الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب هذا ينقض
على المعتزلة لانه تعالى اخبر انه يجتبي اليه من يشاء ولو كان على ما يقوله المعتزلة انه قد اعطى الكل جميع ما اعطى المؤ
من المؤمن حيث صار مجتبى مصطفى مختارا انما كان منه بفعله لا امر الله تعالى وقد اخبر انه هو يجتبي من يشاء وهو يهدي
فبطل قولهم **وقوله** ويهدي اليه من ينيب اي هو يهدي من يطلب منه ما به يكون الهدى وهو التوفيق اي ما لم
يطلب منه ذلك ولم يشاء فانه لا يهدي به ولا يوفقه قال بعضهم ويهدي اليه من ينيب تفسير قوله تعالى الله
يجتبي اليه من يشاء اي يجتبي للهداية من ينيب اليه فلا يجتبيه للهداية لكن المراد من الهداية ههنا ليس هدى
البيان فذلك عام لمن اناب اليه ومن لم ينب ولكن الهدى ههنا هدى الرحمة او هدى النعمة والنعمة سمى
التوحيد والايمان مرة رحمة كقوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته وسماه نعمة كقوله صراط الذين انعمت عليهم
وسماه منة كقوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وسماه نورا كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فلذلك قلنا ان الهدى المذكور ههنا ليس هو هدى البيان ولكن سواه والله اعلم **وقوله**
عز وجل وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم هذا يخرج على وجوه احدها اي انهم تفرقوا في رسول الله محمد عليه افضل
الصلوة من بعد ما جاءهم اي ما تفرقوا فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الا من بعد ما جاءهم العلم

ا ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي وصى به نوحا ومن ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويحتمل اي
ما تفرقوا في الايمان بالرسل والكفر بهم الا من بعد ما جاءهم العلم انهم على الحق وانهم رسل الله مبعوثون اليهم فتفرقوا ام
فامنوا بالبعض وكفروا بالبعض بغيا بينهم ويحتمل اي وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم ان الفرقة ضلالة وهلاك
اي عن علم بالفرقة انها ضلال وهلاك تفرقوا والله اعلم **وقوله** عز وجل بغيا بينهم يحتمل حسدا بينهم لما قيل انهم كانوا
مؤمنين به قبل ان يبعث لما وجدوا نعته وصفته في كتبهم ظنا منهم انه يبعث منهم فلما بعث من غيرهم حسدوه وكفروا
والله اعلم ويحتمل قوله بغيا بينهم اي عدوانا وظلما يكون فيما بينهم ذلك التفرق **وقوله** عز وجل ولولا كلمة سبقت من
ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم اي لولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب عنهم الى وقت والا كانت الكلمة منه
في تعجيل العذاب بهم والله اعلم **وقوله** عز وجل وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم اي ان الذين اعطوا الكتاب من بعد
الرسل الذين ذكر في شك منه مريب اخبر انهم كانوا في شك مما جاء به الرسل لكنهم لم يعذروا في شكهم لما تركوا النظر
والتفكر في ذلك ولو نظروا في ذلك وتفكروا فيه لوقع ذلك لهم وبان الحق فلم يعذروا في ذلك لانه منهم كان ذلك
الشك والريب ولو تفكروا وانجلى لهم **وقوله** عز وجل فلذلك فادع واستقم كما امرت اختلف في قوله تعالى فلذلك فادع
واستقم عن ابن عباس رضي الله عنه اي فبهذا القرآن الذي انزل اليك فادع وكذا قال قتادة فبهذا القرآن فادع وقيل
فلذلك وعدان بين الكلبيات فادع وقال بعضهم اي والى ذلك الكتاب فادع وقيل فالى التوحيد الذي بعث الرسل الى الدعا
اليه فادع وقال بعضهم فبذلك اي فلاجل ذلك الذي بعث الرسل فادع اي ادع الى التوحيد الذي لاجله بعث الرسل
والله اعلم ثم في قوله فاستقم كما امرت دليل على انه كان قد سبق له الامر بالاستقامة ثم يحتمل ما ذكر من الاستقامة
التي امر بها هو تبليغ الرسالة اليهم ويحتمل العبادة له والطاعة ويحتمل الاستقامة في التوحيد له ودعاء الخلق اليه
والله اعلم **وقوله** ومن تاب معك هذين الوجهين الاخرين يخرج الامر بالاستقامة لمن تاب معه والله اعلم **وقوله** ولا
تتبع اهواءهم اي ترك الدعاء الى التوحيد اذ هو هوى الكفرة اي بترك هو الدعاء الى التوحيد ويحتمل انه نهي عن
اجابته اياهم فيما دعوهم اذ هو هوى الكفرة ان يجيبهم فيما دعوهم اليه من الشرك والله اعلم **وقوله** قل امنت بما انزل الله
من كتاب امره بان يخبر بانه مؤمن بجميع الكتب التي انزل الله على رسله ليوافقوا في الايمان بجميع الكتب او ليعلم الكفرة كانوا
يؤمنون ببعض الكتب ويكفرون ببعض **وقوله** عز وجل وامرت لاعدل بينكم يحتمل وجوها احدها اي امرت لاعدل بينكم
في الحكم اي احكم فيما بينكم بالعدل كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا ويحتمل قوله وامرت لا
عدل بينكم في الدعاء الى توحيد الله ودينه والعدل في الدعاء دعاهم الى دينه الذي امر ان يدعوهم اليه وجائز ان يكون
قوله وامرت لاعدل بينكم اي امرت ان اكون عدلا فيما بينكم اي سواء يسوي بينهم ثم بعث الذي كانوا يدعوهم الى
توحيده وهو قوله الله ربنا وربكم **وقوله** لنا اعمالنا ولكم اعمالكم هذا يخرج على وجهين احدهما على المنابذة كقوله لكم
دينكم ولي دين وانما يقال هذا بعد ما انتهت الحجج غايتها والحجاج نهايته فلم تنجع ذلك فيهم وايسوا منهم والثاني يقول انا
لا نؤاخذ باعمالكم ولا انتم تؤاخذون باعمالنا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه **وقوله** لا حجة بيننا وبينكم يحتمل قوله
لا حجة بيننا وبينكم اي لا حجة بقيت فيما ادعيت ودعوتكم اليه الا وقد اقمتها عليكم اي لم يبق حجة في ذلك الا وقد اقمتها
ويحتمل ان يقول لا حجة بيننا اي لا محاجة ولا خصومة بيننا بعد ما بلغ الامر ما بلغ ثم قال الله يجمع بيننا في الاخرة واليه المصير
وقوله والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له قال بعضهم ان اهل الكفر قالوا للمؤمنين ان دينكم الاسلام انما كان
ما دام محمد بين اظهركم وما دام حيا فاذا مات فتصيرون انتم ومن تبع الاسلام الى ديننا او كلام نحو هذا فنزل لقولهم ذلك
والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وقال بعضهم ان اليهود قدموا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا للمؤمنين ان ديننا افضل لانه دين الانبياء عليهم السلام فقال حجتهم داحضة اي هكذا اذا كان على
دين الانبياء وهو الاسلام فاما اذا تركوا دين الاسلام وتمسكوا باليهودية واختاروها فليس بافضل ولا شيء
دونها وقال بعضهم ان قريشا قالوا كيف نعبد من لم نره ولم نعاينه انه من هو وكيف هو او كلام نحو هذا فنزلت والذين
يحاجون في الله من بعد ما استجيب لهم حجتهم داحضة عند ربهم لان التوحيد ومعرفة الله تعالى انما يكون بالدلائل والايات
في الدنيا عن غيب ليس بالمعاينة والمشاهدة فنزول الامتحان ثم يحتمل ان يكون نزول الاية لقوله كان منا ولذلك
على ما ذكر اهل التاويل ويحتمل ان يكون على غير ذلك ومعناه والذين يحاجون في الله في دفع ايات الله وردها ويحتمل
اي في دفع توحيد الله والوهيته من بعد ما استجيب له اي من بعد ما استجيب له عن الخلقة انه واحد وانه رب كل
شيء ويحتمل قوله من بعد ما استجيب له بما في كتبهم من الايمان بها وبما فيها من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصفاته ثم اخبر ان حجتهم داحضة عند ربهم هذا يخرج على هذين يحتمل اي حجتهم داحضة يوم القيمة اي باطلة غير مقبولة
ويحتمل اي حجتهم داحضة في الدنيا بما اقام الله تعالى من حجج التوحيد فابطل حججهم **وقوله** عز وجل وعليهم غضب ولهم عذاب
شديد بما نالجزاء لهم في الاخرة **وقوله** عز وجل الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان يحتمل قوله بالحق الذي لله عليهم

او بالحق الذى لبعضهم على بعض والميزان اى العدل فيما بينهم اعنى الخلق وجايز ان يكون قوله بالحق اى بالصدق بما فيه
من الانبياء والاخبار والميزان اى بالعدل فى الاحكام جعل الميزان كناية عن العدل اى حوطا بنى العدل وسببه وهو كقوله
تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وقوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على
ان لا تعدلوا اعدلوا وقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اى صدقا فيما فيه من الانباء والخبر وعدلا فى الحكم فيما بينهم
والله اعلم ثم قوله تعالى يحتمل ان يكون عطفا على الكتاب وهو انما والمراد منه العدل فيصير تقدير الاية والله اعلم الله الذى
انزل الكتاب بالحق وانزل العدل فيما بين الخلق او انزل العدل فى الاحكام ويحتمل ان يكون عطفا على الحق فيصير تقدير انزل
الكتاب بالحق وبالعدل فى الاحكام وفيما بينهم والله تعالى اعلم وقوله عز وجل وما يدريك لعل الساعة قريب لم
يطلع الله جل وعلا احدا العلم بوقت الساعة على ما ذكرنا فى غير موضع وقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها كان
استعجالهم بها استهزاء منهم وتكذيبا لهم انها كائنة فكانوا يستعجلون استعجال تكذيب لها وقوله عز وجل والذين امنوا
مشفقون منها ويعلمون انها الحق لان اهل الايمان والتوحيد زلات ومساوى لم يتبين لهم التجاوز عنها والعفو منها
فيكون ابدا خائفين مشفقين لتلك الزلات والمساوى وما يكون فيها من الاهوال والافزاع فاما اهل الكفر فهم
لا يؤمنون بها ولا يصدقون انها كائنة فلا يخافونها وما فيها من الاهوال وقوله عز وجل الا ان الذين يمارون
فى الساعة لفى ضلال مبين قوله يمارون يحتمل يجادلون ويخاصمون فيها انها ليست بكائنة ويحتمل يمارون
من المرية وهو الريب والشك اى يشكون فيها ودل قوله لفى ضلال بعيد انهم لا يؤمنون ابدا وقوله
عز وجل الله لطيف بعباده يرزق من يشاء الاية ومن الناس من قال ان الاية وان جاءت مخرجا عاما
فهى خاصة للمؤمنين هو لطيف اى بار بالمؤمنين بهما ومنهم من يقول ان الاية للفريقين جميعا للكافر والمؤمن
بار بهما لطيف بهما بما يرزقهم جميعا الكافر والمؤمن فاما فى الاخرة فهو رحيم بار بالمؤمنين خاصة ويحتمل
ان يكون رحيم بارا بالفريقين اما فى حق المؤمنين لا شك انه بار رحيم بهم واما الكفرة بار فى حقهم حيث اخر
عنهم العذاب فى الدنيا ثم فى حق المحنة يجوز ان يوصف بالرحمة فى الفريقين جميعا على ما ذكرنا فان قيل انه وصف
بالحلم والرحمة وقد اخبر انه يعذبهم فى الاخرة قيل انه وان عذبهم فان ذلك لا يخرجه عن الحلم والرحمة لانه لو ترك تعذيبهم
يكون سفيها لانهم قد استحقوا بالكفر التعذيب ابدا وليس فى التعذيب خروج عن الرحمة والحلم بل فى ترك التعذيب
سفه وخروج عن الحكمة لذلك كان ما ذكرنا والله الموفق وقوله عز وجل يرزق من يشاء قد ذكرنا فى قوله تعالى يبسط
الرزق لمن يشاء تاويله ومعناه والله اعلم وقوله عز وجل وهو القوى العزيز هذا يخرج على وجهين احدهما انه لا يقوى لشىء
لما ارادهم بموانعهم ولا يعجزه ذلك لانه قوى بذاته عزيز بنفسه والثانى القوى فى الانتقام والانتصار من اعدائه
لاوليائه العزيز الذى لا يعجزه شىء ولا يلحقه الذل فى ترك الطاعة له والايتمار وقوله عز وجل من كان يريد حرث
الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها جعل الله تعالى الدنيا مزرع لاهلها ما زرعوا فيها حصدوا ذلك
فى الاخرة اى زرعوا فيها حصدوا ذلك فى الاخرة اى زرعوا حسنا حصدوا خيرا ونعيما فى الاخرة وان زرعوا فيها شرا
وسوءا حصدوا فى الاخرة شرا وعذابا دائما وكذلك سبيل التجارة يتجرون فيها فان اتجروا خيرا وحسنا ربحوا فى الاخرة وان اتجروا شرا
وسوءا خسروا فى الاخرة وكذلك السبيل جعلها مسلكا الى الاخرة والاخرة غاية لها فان سلكوا سبيل الخير وما امروا به افضى
بهم ذلك الى الخير والنعيم الدايم والسرور وان سلكوا سبيل الشر وما نهوا عنه افضى بهم الى العذاب الدايم والحزن
الدايم وما ذكر فى غيره من القران قوله ان الله اشترى من المؤمنين الاية وقوله عز وجل ومن الناس من يشرى نفسه
ابتغاء مرضات الله الاية وقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الاية وقوله اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة و
قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الاية ونحو ذلك مما على هذا سماها الدنيا والاخرة والله
اعلم ثم قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه يخرج على وجهين احدهما اى من كان يريد محاسنه فى الدنيا
وخيراته ثواب الاخرة وخيراته نزد له فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا هو التوفيق على الطاعات والزيادة له والثناء واما
فى الاخرة فالنعيم الدايم والسرور الدايم والثانى اى من كان عمل الاخرة وسعى لها نزد له ما ذكر من المحاسن ويكون
الارادة ههنا صفة لكل فاعل كقوله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وهى لا يكون بدون الفعل فكانت
ذكرها ذكرا للفعل مقرونا وكان المراد منها الارادة مع الفعل فكذلك يخرج قوله ومن كان يريد ثواب الدنيا نؤته منها
على وجهين احدهما من كان يريد محاسن الدنيا وسعتها نؤته منها وتوسيع قلبه والثانى من كان يريد اى من عمل الدنيا
وسعى لها نؤته منها وما عمل لها وما له فى الاخرة من نصيب وقوله عز وجل ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به
الله قال بعض اهل التاويل ام لهم آلهة دون الله شرعوا لهم اى سنوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله يعنون بالشركاء الاصنام
التى عبدوها لكن علموا ان الاصنام لم يشرعوا لهم من الدين شيئا الا ان يقال بانه اضاف ذلك الى الاصنام لما انهم شرعوا
لانفسهم عبادتها فاضيف اليها لذلك وهو كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس وانهن لم يضللن احدا لكنه

اضاف اليهن الاضلال لما بهن ضلوا فاضاف اليهن الاضلال لما بهن ضلوا فاضافه اليهن على التسبيب فعلى ذلك الاول
يحتمل ذلك ويشبه ان يكون غيره اولى ذلك وهو ان القادة والرؤساء هم الذين سنوا للاتباع وشرعوا لهم من الدين
ما لم ياذن به الله اى ما لم يامر به الله وهم كذلك كانوا يفعلون يشرعون للاتباع دينا من ذات انفسهم بلا حجة و
لا برهان فيتبعون به والرسل عليهم الصلوة والسلام قد اتوهم بالدين بالحجج والبراهين من الله تعالى فلم يتبعوهم فيقول
انهم يشرعون يتبعون بشرع بلا حجة ولا برهان بذكر سفههم فيما ذكر فكان المراد من الشركاء هم الرؤساء والقادة و
الله اعلم قال ابو عوسجة والقتبى من كان يريد حرث الاخرة اى عمل الاخرة يقال فلان يحرث الدنيا اى يعمل لها و
يجمع المال ومنه قول ابن عمر رضى الله عنه احرث للدنيا كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا و
سمى الرجل حارثا شرعوا لهم اى ابتدعوا وسنوا وكذلك فى قوله شرع لكم اى ابتدع وسن وقوله عز وجل ولولا
كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم يحتمل وجهين احدهما الحكم كانه يقول لولا ان الله تعالى حكم فى
هذه الاية بتاخير العذاب الى يوم القيمة وهو ما ذكر انه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة لهم بقوله وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين والثانى الفصل البيان تاويله لولا ما وعد فى الدنيا انه يفصل بينهم ويبين
فى الاخرة بما ذكر هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ونحوه وقيل ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق
ان الجزاء يوم القيمة لقضى بينهم فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا
وهو واقع بهم ذكر اشفاق الكفرة والظلمة وخوفهم فى الاخرة واشفاق المؤمنين وخوفهم فى الدنيا
ومن خاف عقوبته فى الدنيا امنه الله تعالى عن خوف الاخرة ومن استهزاء بعذاب الله فى الدنيا خوفه ابدا
فى الاخرة وعلى ذلك يخرج قوله عليه الصلوة والسلام لا يجمع الله على احد خوفين خوف الدنيا وخوف الاخرة
من خافه فى الدنيا امن فى الاخرة ومن لم يخف فى الدنيا خاف فى الاخرة ثم اخبر ما للمؤمنين فى الاخرة وهو
قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذكر ما لكل فريق
بما كسبوا فى الدنيا والاخرة قال القتبى وابو عوسجة الروضة البستان وقال الكسائى الروضة العشب
النور وقوله عز وجل ذلك هو الفضل الكبير اخبر ان ما يعطى لهم من الاخرة والفضل منه لانهم يستوجبون ذلك
وسماه كبيرا لانه دائم لا ينقطع ابدا وقوله عز وجل ذلك الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات
قوله ذلك الذى يبشر الله اى الذى ذكر من الفضل الكبير ولهذا انه يعطيهم يبشر الله تعالى به من ذكر من عباده
الذين امنوا وعملوا الصالحات والله اعلم وقوله قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى قال بعض اهل التاويل
قالت الانصار انا فعلنا وفعلنا كذا فكانهم افتخروا وقالوا لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم
فاتاهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله تعالى قالوا بلى يا رسول قال الم تكونوا فقراء فا
غناكم الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبونى قالوا ما تقول يا رسول الله قال الا تقولون
الم يخرجك قومك فاويناك او لم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا
للركب بين يديه وقالوا اموالنا وما فى ايدينا لله ولرسوله والفضل لرسوله فنزلت قوله قل لا اسئلكم عليه
اجرا الا المودة فى القربى لكن ذكر فى الخبر ما لا يليق ذلك بالانصار ان يظنوا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذلك ما ذكر من فخرهم وقولهم لنا الفضل عليكم هذا لا يحتمل منهم فدل ان الحديث غير صحيح او الزيادة التى لا
يحتمل والله اعلم وفى بعض الاخبار ان الانصار رضى الله عنهم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه
تنوبه النوائب من القرابة وغيرهم فتعالوا حتى نجمع له شيئا من اموالنا فيستعين به على ما ينوبه من الحقوق
ففعلوا ثم اتوه به فقالوا انك قد تنوبك نوائب وحقوق وليست عندك لها سعة فاتيناك لنا بشىء
تستعين به على ما ينوبك من النفقة الى اهلك والنازلين بك فنزل قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا ثم يخرج
قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى على وجوه احدها يقول لا اسئلكم على ما ابلغكم من الرسالة
وادعوكم الى الايمان بالله تعالى ذى اجرا الا صلة ارحامكم وقرابتكم اى لا اسئلكم على تبليغ الرسالة اليكم وما
ادعوكم اليه اجرا الا ان تصلوا قرابتكم وارحامكم فيدل الاية على وجوب صلة الارحام ويحتمل ان يكون ذكر
هذا ردا لقول اولئك الكفرة حيث قالوا ان محمدا جاء بقطع الارحام وتفريق القرابات حتى فرق بين اجابة الى
دعاه اليه وبين من لم يجبه من الوالد والولد والزوج والزوجة ونحو ذلك فقال عند ذلك لا اسئلكم
عليه اجرا ولا ادعوكم الى قطع الارحام والقرابات بل ما اطلب منكم الا صلة الارحام بما دعوتكم اليه و
يحتمل ان يقول لا اسئلكم على ما ادعوكم اليه اجرا ولا اقبله منكم ان اعطيتمونى الا ان تصلوا فى حق القرابة
والرحم التى بينى وبينكم فاقبله منكم وقد كان بينه وبينهم قرابات ورحم ويحتمل ما قال الحسن فقال والله
ما كان نبى الله تعالى يسال على هذا القران اجرا ولكنه امر ان يتقربوا الى الله تعالى بطاعته وحسبكم كان معه

الاية الا المودة في القربى اي الا التقرب الى الله تعالى وتوددا لعمل الصالح وقال بعضهم الا المودة في القربى الا ان تودوا
لاجل قرابتي كانوا تودون لقرابتكم وتواصلون بها ليس هذا الذي جئت به بقطع ذلك عني ولست اسئلكم على الذي جئت به
اجرا غيره سكم على ذلك وقال قتادة ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان لا يسال على هذا القران وتبليغ اجرا الا
المودة في القربى الا ان يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة وكل بطون قريش بينه وبينهم قرابة وقال بعضهم الا ان
تودوا قرابتي وقال بعضهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم يتبعوني الى ما ادعوكم اليه وامركم به فاحفظوني
في قرابتي واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا هو كقوله تعالى من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه والله اعلم قال ابو عوسجة الاقتراف الاكتساب والمقارفة المعاشرة وقرف فلان فهو
مقروف اي انهم بشيء وقوله عز وجل ان الله غفور شكور قوله غفور اي يغفر لهم وان لم يحققوا التوبة والرجوع
سرا وعلانية ولم يستوجبوا الغفران والعفو وقوله شكور اي يشكر ويقبل منهم الشكر وان لم يحققوا له حق
الشكر ولم يستحقوا قبوله فضلا منه ونعمة والله اعلم وقال اهل التاويل غفور للذنوب شكور للحسنات يضاعفها
والله اعلم وقوله عز وجل ام يقولون افترى على الله كذبا اي بل يقولون افترى محمد على الله كذبا وقوله فان يشا الله
يختم على قلبك اختلف فيه قال بعضهم فان يشا الله يختم على قلبك بالصبر حتى لا تجد مشقة استهزائهم بك ولا
غصة تكذيبهم اياك وقال بعضهم فان يشا الله ان ينسيك فلا تبلغه اليهم فلا يستهزؤن بك ولا يكذبونك او كلام
نحوه وعندنا انه يخرج على وجهين احدهما ما ذكرنا انه يشا الله يختم على قلبك بالصبر حتى لا تجد مشقة الاستهزاء ولا
غصة التكذيب والثاني يحتمل فان يشا الله يختم على قلبك كما ختم قلوب اولئك الكفرة حتى لا يفهم ولا يعقل
الحق من الباطل كما فعل باولئك يذكر احسانه اليه وفضله له بما اكرمه بانواع الكرامات التي اكرمه بها ليشكره
على ذلك ويرحم على اولئك بما ختم على قلوبهم وما نزل بهم من انواع العذاب وعلى ذلك بلغ امره صلى الله عليه وسلم
من الرحمة والشفقة عليهم ما ذكر فلعلك باخع نفسك على اثارهم الاية وقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات و
كادت نفسه تهلك اشفاقا عليهم ورحمة والله اعلم وقوله عز وجل ويمحق الله الباطل ويحق الحق بكلماته هذا يخرج على
وجهين احدهما اي يظهر ويظفر اهل الحق على اهل الباطل وينصرهم حتى يصير اهل الحق ظاهرين قاهرين على اهل الباطل
فذلك محق الباطل واحقاق الحق والله اعلم والثاني يحق الحق بالحجج والبراهين ويمحق الباطل بالحجج والبراهين حتى يعرف
كل احد الحق من الباطل بالحجج التي اقامها اذا تامل فيها حق التامل وهو كقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون والله اعلم بكلماته اي الحجج وبراهينه وقوله عز وجل انه عليم بذات
الصدور وقال اهل التاويل اي عليم بما في الصدور ولكن قوله بذات الصدور عبارة عن من له الصدور وعن الراي
والتدبير وهم البشر والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات قد ذكرنا انه
لا احد يحقق التوبة هو ان يهرب وينفر عما استوجب به النار كهربه من النار لو كان فيها وفراره منها لو وجد بها
ولا احد يهرب من الذنب وينفر منه كهربه وفراره من النار لو كان فيها لكن الله بفضله وكرمه يقبل ذلك منه
وان لم يكن التوبة منه على الحد الذي ذكر ثم قوله تعالى يقبل التوبة عن عباده اي يقبل حسناتهم وخيراتهم ويعفوا
عن السيئات اي يكفر عن سيئاتهم كقوله تعالى نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم والله اعلم وقوله عز وجل
ويعلم ما تفعلون هذا وعيد يخبر رسوله عليه الصلوة والسلام انه يعلم ما يفعلون سرا وعلانية وانه عن علم بما
يكون منهم امتحنهم وامرهم ونهاهم والله اعلم وقوله عز وجل ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يجيب الذين
امنوا بما يدعوا ويسالون ربهم وهو كقوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
اي يجيبهم على الذي ذكر في الاية والله اعلم وقوله عز وجل ويزيدهم من فضله اي يزيدهم من فضله ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب امرئ مسلم وهي الجنة وذلك زيادة من فضله والله اعلم وقال في حق الكفرة والكافرون لهم
عذاب شديد وقوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض قال اهل التاويل ان الاية نزلت في اهل الصفة
تمنوا ان يكون لهم الدنيا فان كانت فيهم فكانه طلب عليهم الضيق والفقر وقال بعضهم لبغوا في الارض ان ينقلبوا
من لباس الى لباس ومن مركب الى مركب ولكن ليس في ذلك كثير بغي فلا يصح صرف التاويل اليه ثم عندنا يخرج
الامتنان والافضال وله ان يبسط عليهم وان علم منهم البغي الا ترى انه لو لم يوسع على فرعون لا يدعي الالوهية لكنه
من على بعض المؤمنين فضيق عليهم حتى لا يبغوا فيلزمهم بذلك القيام بشكر ما من عليهم وانعم بالتضييق حتى لا يبغوا وكذا
يخرج ما روى منع الله عطا وفيما ذكرنا جواب عن خلق نظام الاية على ان الاصلح واجب حيث قال ولو بسط الله الرزق
لبغوا في الارض بين ان الاصلح لهم ان لا يبسط لانا نقول قد بسط كثيرا من الفراعنة والكفرة فبغوا لكن ذكر هذا لبيان
المنة والانعام بالتقتير والتضييق في حق البعض ثم لا يبغوا والله اعلم ثم البغي هو التعدي من حد الله الذي حد لهم والجاوز
عنه ولكن لا نفسر الحد الذي سمي التعدي عنه بغيا لما لا يعلم ما هو والله اعلم ويحتمل ان يكون والله اعلم معنى قوله و

ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض انه لو بسط عليهم ووسع لزمهم الشكر والبسط وكثرة المال يشغلهم
ويمنعهم عن القيام بشكره وما وجب عليهم من الفرايض والاحكام ولكن ينزل بقدر ما يشاء ما لا يشغلهم ولا يمنعهم
عن القيام بالذي يلزمهم والله اعلم وقوله عز وجل انه بعباده خبير بصير قد تقدم تاويله ثم حاصل تاويل الاية يرجع الى
وجوه ثلاثة احدها الى اهل الكفر انه لو وسع عليهم وبسط لبغوا في الارض اعتصاروا كلهم اهل كفر وضلال كقوله
تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية والثاني يتوجه الى خاص من المؤمنين لما علم منهم انه لو بسط
عليهم ووسع لبغوا في الارض فضيق عليهم وقتر امتنانا منه وفضلا لئلا يبغوا وهو كما ذكرنا في احد تاويله قوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون انه ان كان على حقيقة له خلقهم فهو في الذي منهم انه يعبدون لا محالة ليعبدون
على ما ذكرنا اما الذين يعلم انهم لا يعبدونه لا يحتمل ان يخلقهم للعبادة ولكن يخلقهم لما علم انه يكون منهم والله اعلم
فعلى ذلك قوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض يرجع الى قوم خاص يعلم الله تعالى منهم انه لو بسط عليهم
ووسع لبغوا في الارض فضيق عليهم فضلا منه ومنة فيلزمهم القيام بشكر ذلك له والله اعلم او ان يرجع ذلك الى
جملة الخلق من مؤمن وكافر انه لو وسع وبسط على الكل لصاروا جميعا ملوكا ومن عادة الملوك وطباعهم البغي و
الغلبة على من نازعهم في ملكهم ومملكتهم وفي ذلك التفاني والفساد فوسع على بعضهم وبسط وضيق على بعض
لئلا يبغي بعض على بعض او في ذلك تعاون وتفاسد والله اعلم بذلك وقوله عز وجل وهو الذي ينزل الغيث من بعد
ما قنطوا وينشر رحمته يحتمل قوله من بعد ما قنطوا من الاصنام التي عبدوها رجاء الغوث والشفاعة لهم والزلفى عند الله
قنطوا ما رجعوا منها كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه والله اعلم ثم سمى المطر رحمة وغيثا اي الغوث
ليعلم ان له ان يمسك عنهم ويمسكهم على الحال الاولى في القحط والضيق اذ لو كان عليه ارساله ولم يكن له امساكه لم يسمه
رحمة ولا غوثا لان من عليه فعل شيء لم يوصف بالفضل والرحمة فهو على المعتزلة في الاصلح والله الموفق وقوله وهو الولي
الحميد يحتمل الولي اي هو الرب الحميد هو المستحق للحمد او الولي هو الحافظ لهم والولي كل نعمة اعطاهم وقوله عز وجل ومن
اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة قوله تعالى ومن اياته يحتمل من ايات ربوبيته وتوحيده خلق السموات
والارض وما ذكر او ايات حكمته وعلمه وتدبيره خلق ما ذكر او ايات قدرته وسلطانه بما ذكر او من ايات احسانه ونعمه
وايا دبر ما ذكر وقد بينا وجه كل ذلك ودلالة على قدر فهمنا منه فيما تقدم ثم اختلفوا في قوله وما بث فيهما من دابة
وقال بعضهم قوله تعالى وما بث فيهما اي في الارض خاصة الا ترى انه قال من دابة وهي اسم لما يدب واهل السماء ملائكة
ولهم الطيران دون الدبيب وهو كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وقال بعضهم فيهما اي
في السماء الملائكة وفي الارض الدواب لكنه سمى اهل السماء باسم ما في الارض من الدواب وذلك جائز في اللغة ذكر
شيئين باسم احدهما كقوله استعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة والكناية ترجع الى الصلوة لفظا والمراد منه ما سبق
من الصبر والصلوة وكذا قوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها كنى عن التجارة واراد كليهما ونحو ذلك فعلى ذلك
هذا ثم وقوله وما بث فيهما قالوا اي نشر وقوله عز وجل وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يحتمل ما ذكر من جمعهم بعثهم
واحياءهم قدير على ذلك كما هو قدير على ما ذكر من خلق السموات والارض وما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير يحتمل ما ذكر من المصيبة التي يصيبهم المصيبة التي تعم الخلق جميعا ممن كان
منهم الزلة وما ذكر من كسب اليد وممن لم يكن منهم كسب اليد من الزلة والمصيبة من نحو الجدب والقحط وغلبة
الاعداء وغير ذلك من الاشياء التي تعم الخلايق ممن كان منه الجناية وممن لم يكن من الصغار والدواب والابرار
والاخيار ويكون ما اصاب من كان ذلك منه واستوجبه تنبيها لهم وموعظة او كفارة لما كان منهم من كسب اليد
وما اصاب ذلك ممن لم يكن منهم ذلك من الصغار والاخيار فذلك في الحكمة وهو يخرج على وجهين احدهما بسبب ذلك
لهم ابتلاء ولشيء سبق منهم ليعلم انما يعطيهم من السلامة والصحة والحسنات والخيرات كان فضلا منه وهم عبيده و
اماؤه وملكه ان شاء ابقاهم او ان يفعل بهم ما ذكر وان لم يسبق منهم ما ذكر من كسب اليد والزلة ليعوض بعوضهم
في الاخرة وكيف ما كان فهو غير خارج عن الحكمة والايلام للتعويض جائز ممكن لكن ليس بواجب لا محالة التعويض
خلافا للمعتزلة فان عندهم واجب على الله العصمة وجائز ان يكون ما ذكر من المصيبة التي يصيبهم بكسب ايديهم
كان في نفسه يصيبه بما سبق منه من شيء ان كبيرة او كتيبة فالسبيل فيه ان ينظر كل في نفسه ما الذي سبق منه حتى
اصاب ما اصاب فيراجع نفسه عن ذلك ويتوب الى الله تعالى ثم يخرج ذلك لهم اما تنبيها وزجرا عن المعاودة الى مثله
واما جزاء وتمحيصا لما كان منهم ويلزمهم الشكر على ذلك وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يصيب
ابن ادم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفوا الله اكثر وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى
في اعطايهم الخيرات والحسنات والسعة محسنا متفضلا منعما لان من اعطى اخر شيا بعوض لا يوصف بالافضال و
الانعام وقد سمى نفسه بذلك محسنا منعما فيكون ما قالوا خلاف ذلك والثاني ان كان بعوض على ما يقولون يجب

ان يعوضهم عوضا يرضون بذلك العوض ويكون ذلك العوض مثل ما اخذ منهم وهم لا يشترطون ذلك دل ان له ان
يفعل لهم ما ذكرنا واصله ما ذكرنا ان الخلق كلهم عبيده واماؤه ولكل ذي ملك ان يفعل في ملكه ما يشاء لا لائمة
عليه اذ كان له حقيقة الملك فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى اذ له حقيقة ملك الاشياء فله ان يفعل ما يشاء بلا
عوض ولا بدل والله اعلم وقوله عز وجل ويعفو عن كثير ليس احد يصيبه شيء من الشدة والبلاء الا ويكون في ذلك
عفو منه جل جلاله لانه ما من الم الا ويتوهم زيادة الالم في ذلك فيكون منع تلك الزيادة عنه عفوا عنه وفضلا
وذلك هذا في هلاك كل شيء من حقوقه ما يقل ويكثر ويحتمل ان يكون قوله ويعفوا عن كثير اي لا يكل ذلة منهم
يكون يواخذهم بها بل يواخذهم ببعض ويتجاوز عنهم في بعض والله اعلم وقوله وما انتم بمعجزين في الارض يقول
لا تقدرون الهرب مما يريد ان يصيبكم به لا تجاوز مما يريد ان يفعل بكم ولا لكم ملجاء وقوله عز وجل وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير ينصركم ويمنعكم من عذاب الله والله اعلم وقوله عز وجل ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام يحتمل اياته ما
ذكرنا من ايات وحدانيته وربوبيته وايات قدرته وسلطانه وايات علمه وتدبيره وحكمته وايات نعمه واحسانه
وهو ما جعل الله عز وجل في سرية الخشب في السفن معنى لو اجتمع حكماء البشر ليعرفوا ذلك المعنى واللطف الذي جعل
في الخشب ما قدروا على ادراكه وذلك المعنى واللطف المجعول فيها وما جعل من طبعها السكون على وجه الماء والقرار
عليه مع ثقلها وغلظها وان كان بدون ذلك الثقل والعظم بكثير من غير جوهر الخشب مما يتشرب في الارض ويتحدر وكذلك
ما يحمل في السفن من الاحمال العظيمة الثقيلة مما طبع كل من ذلك الحمل ان يتشرب ويتحدر في الماء لو لم تكن السفن
وما ذكر من خشب والله اعلم ثم وقوله كالاعلام قال عامة اهل التاويل اي كالجبال في البحار وقال القتبي وابو عوسجة
الاعلام الجبال واحدها علم ومعنى هذا الكلام هو ما ذكر من ميد الارض باهلها والتشرب في الماء ثم ارساها واثبتها
بالجبال وطبع الجبال التشرب والانحدار في الماء فيجيء ان يزيد في التشرب والانحدار في الماء لا ان يثبتها ويقرها على وجه
الماء لكن بلطفه ومنه اقرها الارض ولا يثبتها ومنع بها عن التشرب والانحدار والميد باهلها فعلى ذلك هو
السفن في البحار يستقر على الماء ولا يتحدر كالجبال مع الارض في القرار على الماء والله اعلم ويحتمل قوله كالاعلام معنى
اخر وهو الاعلام انفسها وهو ان جعل السفن سببا وطريقا للوصول الى منافع بعدت منهم وصعبت عليهم فاذا
حمل فيها الاحمال من بلد الى بلد اخر ومن مكان الى مكان بشر اهل المحمول اليهم بتلك الاحمال والسفن اذا راوها في البحار
يحمل اليهم لسعة يرجون بها منافع يتصل لهم وكذلك يبشر اهل البلد المحمول اذا راوها راجعة اليهم سالمة لما يحصل لهم
من الاثمان والاعواض بما يكون اعلاما وادلة لهم على الاصول الى الاعراض والمنافع والله اعلم وقوله عز وجل ان يشاء
يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره يذكر فضله ومنته بما اجرى هذه السفن في البحار التي ذكر فاخبر انه لو شاء لا
سكنها ومنعها على الجريان ثم صير الريح نوعين احدهما طيبة بها يجري السفن والاخرى عاصفة شديدة تهلك بها السفن
وهو ما ذكر في اية اخرى وهو قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الاية
ثم في ذلك وجوه ثلاث يدل على ان الريح ليست تجري السفن وتهب بطبعها وبنفسها ولكن بالله تعالى احدها انه
اخبر انه جعل نوعا منها طيبة تجري السفن والاخرى عاصفة تهلك السفن وتهيج الامواج والثاني ما ذكر في
هذه الاية ان يشاء يسكن الريح انه لو شاء لا يسكن الريح فيصير رواكد على ظهر الماء فدل انه هو المجري لها حيث
كان هو المسكن والثالث ان فعل الطبيعي على سنن واحد كالحرارة في النار والبرودة في الثلج وامثال ذلك و
لو كان جريان الريح وهبوبها بنفسها وطبعها لكانت لا تسكن في حال ولا يكون مرة طيبة سالمة ومرة
شديدة عاصفة مهلكة دل ان ذلك كان بالله تعالى بالطبع والله الموفق وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور وهذا يحتمل وجهين احدهما سمى المؤمن صبورا شكورا والثاني من صبر على ما اصابه من الشدائد والمصائب التي ذكر
صبورا ومن شكر ما ذكر من النعم في السفن وغيرها شكورا والله اعلم ثم وقوله رواكد على ظهره قال ابو عوسجة
والقتبي اي وقوف وصرفه ركد يركد ركودا وركوذا وقوله عز وجل او يوبقهن بما كسبوا او يعفو عن كثير جائز
ان يكون هو صلة ما ذكر في السفن الجواري في البحر حيث قال ان يشاء يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره يقول انه
ان شاء اسكن الريح التي بها يجري السفن في البحار فيصير رواكد في الماء وان شاء ارسل ريحا عاصفة شديدة
فيهلكوا يعني السفن واذا اهل السفن بما كان منهم يخبر انه له ان يفعل ما ذكر من الهلاك في البحر والابقاء فيه لكنه
بفضله ينجي من النجي واخرج سالما والله اعلم وكذا قال ابو عوسجة يوبقهن اي يهلك اهل السفن ويحتمل ان يكون ذلك
صلة ما تقدم من قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فيكون ما يصيبهم من المصيبة ما بلغت النفس
او مما يبلغ النفس فيكون كل ذلك لهم مما كسبت ايديهم على ما ذكر ثم اخبر انه يعفوا عن كثير مما كسبت ايديهم مما هم
يستوجبون الاهلاك ويتجاوز عنهم والله اعلم وقوله ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص المجادلة في ايا
يخرج على وجهين احدهما ان يجادلوه في تقدير احكام الله تعالى وفهم ما ضمن فيها وذلك ممدوح محمود وهو كقوله تعالى

ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله عز وجل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فهذه المجادلة والمراء المذكور
في هذا محمود والمجادلة الثانية هي المجادلة في دفع احكام ايات الله تعالى عن فهم ما ضمن وهي مذمومة وما ذكرها
ههنا من قوله ويعلم الذين يجادلون في اياتنا هي المجادلة في دفع احكام اياته ثم اخبر انه لا محيص لهم ولا ملجا من
عذاب الله بمجادلتهم في دفع اياته والمنع عن فهم ما فيها والله اعلم وقوله عز وجل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا
وما عند الله خير وابقى هذا يخرج على وجهين احدهما ان الله تعالى اعطى من اعطى هذه النعم واللذات في هذه الدنيا ليكتسبوا بها
نعمة دايمة ولذة باقية وكذلك ما اعطاهم من السمع والبصر وغير ذلك من الحواس ليكتسبوا بها ما يدوم ويبقى فمن
استعمل ما اعطاه من الاموال واللذات مما ذكرنا في غير ما امر به وجعل سمي خاسرا غابنا وكذلك من استعمل ما اعطاه
من الحواس في غير ما جعلت وامر باستعمالها فيه سمي اصم ابكم اعمى وكذلك النفس اذا لم يكتسب بها حيوة دايمة سمي ميتا
والله اعلم او ان يقال انهم ما اعطوا في هذه الدنيا من اللذات والمنفعة الا ترغيبا فيما ابقى عنده ووعدهم في الاخرة و
كذلك ما امتحنوا من الشدائد والمصائب الا تحذيرا وترهيبا عما اوعدهم وخوفهم في الاخرة ثم وقوله فما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا اي يتمتعون به فيفنى ويزول عن سريع وما ابقى ولم يؤتكم هو الباقي الدايم ثم بين ان ما ابقى عنده
لمن يقوله الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون امنوا بان له الدنيا والاخرة وان له الخلق والامر وانه بريء عن جميع معاني
الخلق وعلى ربهم يتوكلون اي يكلون امورهم الى ربهم هو مفزعهم ومعتمدهم لا يفزعون الى احد سواه ولا يعتمدون
غيره في جميع احوالهم ثم نعتهم ايضا بما ذكر من الاجتناب عن الكبائر والفواحش فقال والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش جائز ان يكون ما ذكر من كبائر الاثم هي الفواحش والفواحش هي كبائر الاثم كل واحد منهما في معنى الاخر
والله اعلم وقال بعضهم كبائر الاثم انواع ما بها يصير المرء مشركا وهي كبائر الشرك والفواحش هي التي يوجب الحد
في الدنيا وقيل كبيرة ما يكبر ويعظم من الذنب والفاحشة ما يفحش من الفعل وقد ذكرنا وجوها في ذلك فيما تقدم في
سورة النساء والله اعلم وقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون اي اذا ما غضبوا مما يرجع الى الاموال والانفس وامثالهما
يغفرون ويتجاوزون عن ذلك فاما ما يرجع ذلك الغضب الى امر الدين فانه لا يسع المغفرة عن ذلك ولكن يجب
الرجوع والتوبة الى الله والله اعلم وقوله عز وجل والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة اي اجابوا لربهم الى
ما دعاهم ربهم وقد دعاهم الى دار السلام بقوله والله يدعوا الى دار السلام لكن جعل لاجابتهم شرايط
واعلاما من وفى بها استوجب الموعود وهو كقوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم الاية وقال الله اني معكم
لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة الى اخر ما ذكر فعلى ذلك علم اجابتهم لربهم وشرطها ما ذكر من قوله تعالى واقاموا
الصلوة الى اخر ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وامرهم شورى بينهم ذكر بعضهم ان الانصار كانوا يتشاورون فيما
بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم غايب فنزل هذا مدحا لهم على فعالهم وذكر عن الحسن انه تلا هذه الاية
قوله وامرهم شورى بينهم قال والله ما تشاور قوم قط الا هداهم الله تعالى لافضل ما يحضرهم واصله ان الله
تعالى جل وعلا امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشاور صحابته حيث قال وشاورهم في الامر وقول الحسن
ما شاور قوم في امر قط الا هداهم الله تعالى لافضل ما يحضرهم لان في التشاور اجتماع العقول والافهام واذا
اجتمعت كانت الى استدراك الحق والصواب اسرع وابلغ ما انفرد كل عقل بنفسه والله اعلم وقال القتبي وامرهم
شورى بينهم اي يتشاورون فيه وقوله ومما رزقناهم ينفقون ظاهر وقوله عز وجل اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
صير المنتصر من الباغي والغافر لظالمه من ظلمه جميعا في الذين استجابوا لربهم الى ما دعاهم الله والمنتصر مستوفي
حق جعل له والغافر تارك الحق لكن اذ جعل له الاستيفاء دخل فيما ذكر من المستجيبين لله تعالى لكن الغافر
افضل من مستوفي الحق وعلى ذلك حث الله تعالى رسوله بالعفو عن المظلمة وترك الانتصار والمكافات واخبر ان
من عزم الامور حيث قال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ويحتمل ان يكون قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون
راجع الى الاذى باللسان من نحو الشتمة والسب والذي لا يؤثر في النفس فراحتهم على المغفرة والعفو وقوله
في ذلك وقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون راجع الى ما يؤثر في الانفس والابدان تاثيرا من الجراحات
وغيرها حثهم على العفو فيما رجع الى الاذى باللسان وان لا يكافوهم على ذلك وفيما رجع الى الانفس والابدان
جعل لهم الاستيفاء والانتصار وان كان ترك الاستيفاء والعفو عن الكل افضل على ما قال وان تعفوا اقرب للتقوى
والله اعلم وقوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها سمى الثانية سيئة وان لم يكن في الحقيقة سيئة لانها جزاء
السيئة فسماها باسم الاولى او سماها سيئة لانه لو لم يكن الاولى كانت السيئة الثانية ايضا فسماها على ما هو في نفسها
من باب الاضرار والضرر سيئة في نفسه وان كان يصير حسنا لغيره والله اعلم ويشبه ان يكون سماها بما ذكر لاختلاف
الاحوال هي عند الذي يقتص منه ويجازى بها سيئة وتلك الحال عنده حال سيئة وهو كقوله تعالى ونبلوهم بالحسنات
والسيئات سمي حال الضيق والشدة سيئة لانها عندهم سيئة وحال السعة والرخاء حسنة لانها عندهم حسنة

وان لم يكن تلك الحال في الحقيقة لسيئة لكنه سماها سيئة على ما عندهم فعلى ذلك جائز ان سمي الثانية سيئة لما هي
عند المفعول به سيئة والله اعلم وقوله عز وجل فمن عفى واصلح فاجره على الله هو ما ذكرنا انه وان جعل لهم حق الاستيفاء
والانتصار والعفو عن ذلك افضل ثم فيه دلالة ان لا يجمع بين العفو واخذ البدل اذا لم يكن من الاخر والرضاء
بذلك لانه قال فمن عفى واصلح فاجره على الله اخبر انه اذا عفى عنه يكون اجره على الله فليس له ان ياخذ من المعفو
عنه شيئا والله اعلم فهو ينقض على من يقول بانه ياخذ البدل من الجاني شاء او ابى وان يعفو عنه وياخذ البدل
والله اعلم وقوله عز وجل انه لا يحب الظالمين لانه لا يحب الظالمين والظلم هو وضع الشئ في غير موضعه فمن اخذ ما
ليس له اخذه فهو ظالم وقوله عز وجل ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل اى اولئك ما عليهم من حجة
او ما عليهم من تبعة وقوله انما السبيل على الذين يظلمون الناس انما الحجة والتبعة على الذين يظلمون الناس ابتداء
وقوله عز وجل ويبغون في الارض بغير الحق اى ياخذون من الناس ما ليس لهم ان ياخذوا فالتبعة والحجة عليهم
فاما من ياخذ حقا وجب له واستوفاه فلا تبعة عليه ولا حجة في حرف ابن مسعود رضي الله عنه انما السبيل
على الذين يظلمون الناس ويفسدون في الارض وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اى من صبر على الاذى
والمظلمة وعفى عنها وتجاوز فان ذلك اى ذلك من تحقيق الامور واحكامه والله اعلم وقوله عز وجل ومن يضلل
الله فما له من ولي من بعده اى من اضله لما اختار ولاية الشيطان لا ولي له سواه يدعوه يرشده او لا ولي ينفعه من بعده
وهو كما قال انما سلطانه على الذين يتولونه اخبر ان سلطان الشيطان على من لا يتولاه وقوله عز وجل وترى الظالمين
لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل قال اهل التاويل اى هل الى رجوع الدنيا من سبيل يقولون يسألون
ربهم الرجوع الى الدنيا والاشبه ان يكون سؤالهم الرجوع الى المحنة التي قبل موتهم اى سألوا ان يكلفهم و
يمتحنهم في الاخرة ويظهروا الطاعة لله تعالى في اوامره ونواهيه والله اعلم وقوله عز وجل وتراهم يعرضون
عليها قال اهل التاويل يعرضون على النار قبل ان يدخلوها كقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا و
زفيرا وكقوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان الاية وقوله عز وجل خاشعين من الذل لان الله تعالى
اذلهم في الاخرة بما اختاروا في الدنيا من سوء صنيعهم واعطوا انفسهم شهواتهم ومناهم وقوله عز وجل ينظرون
من طرف خفي يحتمل ما ذكر من نظرهم من طرف خفي ما ذكر في اية اخرى مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم
وافئدتهم هواء لشدة هولهم وفزعهم في ذلك اليوم لا يرفعون رءوسهم ولا ينظرون الى موضع والله اعلم
ويحتمل ان يكون قوله ينظرون اليه من طرف خفي اى لا ينظرون الى الناس ولا يقبلون بوجوههم اليهم الا نظر
التلصص والتغفل حياء منهم لسوء فعالهم وهكذا المعروف في الناس لان من فضح الى اخر لا يتهيأ له رفع
الطرف اليه ونظره اليه مقبلا الا على التلصص منه والتغفل فعلى ذلك اولئك والله اعلم وقال بعض اهل
انهم يحشرون عميا فلا يرون باعينهم انما يرون بقلوبهم وهو الطرف الخفي وقال القتبي ينظرون من طرف
خفي اى قد غضوا ابصارهم من الذل وقال ابو عوسجة اى ينظرون نظرا مستقيما والله اعلم وقوله عز وجل
وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الاية يخرج ما ذكر من خسران انفسهم
واهليهم على وجوه احدها ما ذكر بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امروا بان يقوا انفسهم واهليهم النار
فهم حيث لم يقوا ما ذكر من الانفس والاهل خسروا والله اعلم والثاني في قوله خسروا انفسهم واهليهم اى خسروا
بسبب اهليهم كقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لما يتعاملون امورا بسبب الاموال والاولاد والازواج
هي فتنة لهم وكقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فقد يخسر الرجل ويصير مؤاخذا بسبب هؤلاء والله اعلم
والثالث يحتمل ان يكون خسرانهم انفسهم واهليهم ما قالوا ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وقوله
عز وجل ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى خسر ما كان رجا وطمع ان له عند ربه في الاخرة الحسنى على هذه الوجوه
الثلاثة يخرج تاويل الاية والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ليس من احد من كافر ومسلم الا وله
اهل ومنزل في الجنة فان اطاع الله تعالى اتى منزله واهله وان عصاه خسر نفسه واهله ومنزله في الجنة
وورثه المؤمنون عنه لكن لا يحتمل ان يكون عز وجل يبيع عمله انه يموت كافرا ان يجعل له الاهل والمنزل في الجنة اللهم
الا ان يفعل ذلك ليكون لهم حسرة على ذلك وغيظا والله اعلم وقوله وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من
دون الله يخرج على وجهين احدهما اى ما كان للاصنام التي عبدوها دون الله تعالى ولاية نصر لهم وقدرة دفع
العذاب عنهم لانهم كانوا يعبدونها في الدنيا رجاء ان تشفع لهم في الاخرة وان تزلفهم عنده فاخبر الله تعالى
ان ليس لها ولاية النصر لهم على ما رجوا وطمعوا من عبادتها الشفاعة لهم والدفع عنهم والله اعلم والثاني
وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله اى ما كان للرؤساء الذين اتخذوهم في الدنيا اربابا والاية
النصر لهم لانهم لا يملكون دفع ذلك عن انفسهم فكيف يملكون دفع ما نزل باتباعهم يخبر ان ليس لهم ولاية

دفع العذاب عنهم والله اعلم وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من سبيل يحتمل قوله فما له من سبيل اى من حجة
اى من اضله الله فلا حجة له ان يقول انك اضللتني لانه انما يضله لما يختاره هو ويؤثره وعلى بينه وبين يختاره
ويؤثره ولا اصل لاحد يفعل ما يفعل من المعاصي وقت فعله لان الله تعالى قضى له ذلك او اراده وقدره وقضاه
انما يفعله لغرض له لهواه لم يكن له الاحتجاج عليه بذلك وبالله العصمة والثاني انه ليس له حجة عليه بذلك لانه
يعلم انه لو خير بين ما يريد ان يختاره ويؤثره وبين ضد ذلك على ضده يختار تحصيله ويؤثره على ترك ذلك
فكيف يكون له حجة بذلك والله الموفق ويحتمل قوله فما له من سبيل اى اضله تعالى فما له الى الهدى من سبيل
اى ليس له سبيل ولكن على السبيل اى لا يملك احد رشاده ويحتمل اى من اضله الله فما له من سبيل اى ليس له
سبيل لكن عليه السبيل والله اعلم وقوله عز وجل استجيبوا اى اجيبوا له وقد ذكرناه عز وجل من قبل ان
ياتي يوم لا مرد له من الله الاية هذا يخرج من وجهين احدهما اى اجيبوا له من قبل ان ياتي يوم لا يملك احد
رد ذلك اليوم اذا اتاهم لانه هو اليوم الذي يجري فيه المواثيق وفيه اهوال وافزاع يقول لا احد يملك رد
ذلك اليوم والله اعلم والثاني اى اجيبوا من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لما ينزل فيه بهم من العذاب والعقاب
والله اعلم وقوله عز وجل ما لكم من ملجأ يومئذ هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما انهم انما كانوا يعبدون
الاصنام في الدنيا ليكون لهم شفعاء وملجأ يلجئون اليها يقول ما لكم اولئك الاصنام ملجأ يلجئون اليها
بل يكونون كما ذكر في اية اخرى وضل عنهم ما كانوا يفترون وقوله تعالى بل ضلوا عنهم الاية والله اعلم والثاني
ما لكم من ملجأ يومئذ اى ما لهم من حيل يحتالون بها دفع ما نزل بهم من العذاب على ما يكون في الدنيا من
حيل يحتالون دفع ما نزل بهم من البلايا والشدائد وبالله النجاة وقوله عز وجل وما لكم من نكير هذا ايضا
يخرج على وجهين احدهما اى لا يملكون اى ينكروا على ما يفعل بهم ذلك بما كسبت ايديهم فلا يقدرون على
انكار ذلك على الله تعالى والثاني ما لكم من نكير اى ما لكم من تغيير اى ما يملكون دفع ذلك عن انفسهم ولا
منعه وتغييره وقيل لا يملكون اى يمنعوا الله تعالى عما يريد ان يفعل بهم وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى
فان اعرضوا اى ان تولوا عن اجابتك الى ما تدعوهم اليه فما ارسلناك عليهم حفيظا هذا يخرج على وجهين احدهما
اى لا يملكون اى ينكروا على الله ما يفعل بهم لانه انما يفعل بهم ذلك بما كسبت ايديهم فلا يقدرون على انكار ذلك على الله
والثاني ما لكم من نكير اى ما لكم من تغيير اى ما يملكون دفع ذلك عن انفسهم ولا منعه وتغييره وقيل لا يملكون ان
يمنعوا الله تعالى عما يريد ان يفعل بهم وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فان اعرضوا اى ان تولوا عن اجابتك الى ما تدعوهم
اليه فما ارسلناك عليهم حفيظا هذا يخرج على وجهين احدهما يحتمل اى فما ارسلناك اى يحفظ عليهم افعالهم واعمالهم
ان عليك الا البلاغ اى ما عليك الا التبليغ انما حفظ اعمالهم على الملائكة الذين جعلوا حفاظا عليهم وهم الكرام
الكاتبون والثاني فما ارسلناك عليهم حفيظا يحتمل فما ارسلناك اى يمنعهم عما يفعلون حسا انما عليك البلاغ وبيان
الحق وانت غير مؤاخذ بما يفعلون وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحو ذلك قوله عز وجل واذا اذقنا
الانسان منا رحمة فرح بها ان كان هذا في المسلم فيكون قوله فرح بها اى رضي بها وسر بها وان كان في الكافر فيكون
قوله فرح بها اى بطر بها واشر وقوله عز وجل وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور وهذا
ايضا ان كان في المسلم فانه اذا اصابه شدة او بلاء ينسى ما كان اليه من الله تعالى من النعم فجعل يشكو عما اصابه
فهو كفور للنعم التي كانت له من قبل ذلك وان كان في الكافر فهو ظاهر انه كفور لنعمه واحسانه اجمع والله اعلم
وقوله عز وجل لله ملك السموات والارض يخبر انه بما يامرهم وينهاهم وبما يمتحنهم بانواع المحن ليس يامر ولا ينهى ولا
يمتحن لحاجة نفسه في جر منفعة او استفادة خير او دفع مضرة او بلاء اذ له ملك السموات والارض ولكن
انما يامرهم وينهاهم ويمتحنهم لحاجة انفسهم لاصلاحها وفكاكها او نجاتها عن المهالك وهو كقوله ومن شكر فانما
يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد يخبر بما ذكر انه غني لا ينفعه ايمان مؤمن ولا يزيد في ملكه ولا يضره
كفر كافر ولا ينقص من ملكه ان يكون قوله لله ملك السموات والارض كقوله قل اللهم مالك الملك الاية
ويحتمل ان يقول له ملك السموات والارض اى هو يؤتي الملك من له الملك في الدنيا وهو ينزع ممن يشاء على ما ذكر
في اية اخرى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الاية وفيه نقض قول المعتزلة في خلق افعال العباد
منهم وانكارهم ان يكون فعل الله تعالى لانه وقوع المشترك في ذلك بينهم وبين الله تعالى فيكون ذلك فعل الله تعالى
وفعل العباد وهو تفسير الشركة في الشاهد فيقال لهم ان الله تعالى قال له ملك السموات والارض وقال في اية اخرى
ولم يكن له شريك في الملك اخبر ان ليس له شريك في الملك وقد راينا الملوك في الدنيا ثم لم يوجب ذلك الشركة
في ملكه لاختلاف المعنى والجهات اذ حقيقة الملك له ولغيره ليس حقيقة الملك انما له ملك الانتفاع لا على الاطلاق
فعلى ذلك افعال العباد من الخيرات خلقها الله تعالى فيكون على قولهم غير خالق لاكثر الاشياء مما يشاء وهذا لان

قوله يخلق ما يشاء اما ان خرج على الوصف بالربوبية تعالى والالوهية او على وجه الوعد والخبر بانه يخلق ما يشاء فان
كان على الوصف له بالربوبية فلا يكون ذلك وصفا لربوبيته اذ لا يكون خالقا لجزء من عشرة الاف جزء من الاشياء
التي يشاء ان يخلقها وان كان على الوعد والخبر فيخرج الخبر كذبا على قولهم فنعوذ بالله تعالى من السرف في القول والله
الموفق وقوله عز وجل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور يخبر تعالى ان الاولاد جميعا من الذكور والاناث
مواهب الله تعالى وهدايا فيجب ان يقبلوها من قبول الهدايا والهبات على الشكر له والمنة ثم بدا بذكر الاناث ثم
بالذكور لان من الناس من اذا ولد له الاناث يعد مصيبة ويثقل ذلك عليه وعلى ذلك ما اخبر من الكفرة انهم اذا
بشروا بالانثى ظلت وجوههم مسودة بقوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يخبر عن ثقل
ذلك عليهم وغيظهم على ذلك فبدا بذكر ذلك لئلا يعد اهل الاسلام اولاد الاناث مصيبة وبلاء ما عدها الكفرة
والله اعلم وقوله عز وجل او يزوجهم ذكرانا واناثا التزويج هو الجمع بين الشكلين والمتماثلين في الحقيقة وقد يسمى
التزويج بين المتضادين مجازا والله اعلم فيكون معنى قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يقرون ويجمع بين الاناث
والذكور فيهب له من النوعين جميعا في حالة واحدة وقال القتبي او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يجعل بعضهم بنين وبنات
تقول العرب زوجت ابلي اذا قرنت بعضها ببعض وزوجت الكبار بالصغار اذا قرنت كبيرا بصغير وقوله عز وجل و
يجعل من يشاء عقيما والعقيم من النساء التي لا تلد وهي لا توصف بالبركة ويقال انها ليست مباركة لا يرغب فيها والله
اعلم وقوله عز وجل انه عليم قدير عليم بانشاء الاولاد والاناث في الرحم قدير على ذلك او عليم بمصالح الخلق قدير لا يعجزه
شيء وقوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء كانت
هذه انما ذكر واخبر عن نازلة او سؤال كان عن كيفية الرسالة وهل الرسل عليهم الصلوة والسلام يرون ربهم
ويشاهدونه ويشافهونه فاخبر انه ليس من البشر من يكلمه الا بالطريق الثلاثة التي ذكرها والسؤال وقع عن الرؤية
في الدنيا فيكون الجواب بناء على السؤال والله اعلم ثم قوله الا وحيا ما يرى في المنام ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام
حقيقة وقوله او من وراء حجاب نحو ما كلم موسى عليه الصلوة والسلام التي في مسامعه صوتا مخلوقا على ما شاء و
كيف ما شاء كان ثم ثالث وقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء اي يرسل ملكا يخبره عن الله تعالى وطرق الوصول الى
معرفة ذلك في الدنيا الوجوه التي ذكرنا اما الالهام والالقاء في الاوهام واما الالقاء في المسامع واما رسول يرسل
فيخبر عن امره وكلامه فاما ان يحتمل وسع احد رؤيته او يشاهده او يعاينه في الدنيا فلا والله الموفق ثم اختلف في قوله
او من وراء حجاب قال بعضهم الحجب انفسها هي حقيقة الحجب وقال بعضهم الحجاب هو عجزهم عن احتمال رؤيته لان الله تعالى
انشاهم على بنية وخلقة لا يقوم انفسهم القيام لذلك على ما اخبر عز وجل حيث قال لموسى عليه السلام ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني اي فان احتمل ذلك فاحتمل ما سالت والله اعلم وفي الاية ان الله تعالى مكلما
للبشر بالرسول وان لم يشافه الرسل وكان ذلك تسمية بطريق المجاز اذ لم يكن في الحقيقة كلام الرسول كلام المرسل
وكذلك في قوله وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله لا يكون ما يسمع من الرسول عليه السلام
كلام الله حقيقة وكذا ما يقال سمعت من فلان قول فلان او حديث فلان كله على المجاز ليس على التحقيق والله اعلم
ويحتمل ان يكون سبب نزول قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية قول اولئك الكفرة حيث اخبر الله تعالى
بقوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية الاية وقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا سالوا
ان يروا ربهم جهارا فقد حجبوا عن رؤية الله تعالى في الدنيا والاخرة حيث قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وسالوا
ان يكلمهم شفاها فاخبر انه لا يكلم احدا شفاها ولكن يكلم بما ذكر من الاوجه الثلاثة حيث قال وما كان لبشر ان يكلمه
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا ردا عليهم فاخبر الله تعالى ان طريق تكليمه الخلق في الدنيا هذه الوجوه
التي ذكر وقد كلم البشر من هذه السبل والطرق التي ذكر حيث قال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اخبر انه نزل اليهم
ما ذكر كما انزل على الرسول وحيث قال وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله الاية وغير ذلك من
الايات مما يكون كانه تكليمهم بما ذكر كما كلم الرسل عليهم الصلوة والسلام من الوجوه التي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا كانه يقول هكذا اوحينا الى الرسل الذين من قبلك بالوجوه والطرق التي ذكرنا كما
اوحينا الى الذين من قبلك والله اعلم وقوله روحا من امرنا قال بعضهم روحا اي جبريل بامرنا بعضهم اي اوحينا اليك
امرا من امرنا وقال بعضهم روحا من امرنا اي الكتاب الذي انزله عليه واوحيه اليه سماه روحا لانه يحيى به الدين
ويكون به الدين ويحيى به الابدان وهو حيوة الذكر والشرف وهو كقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم حيوة الذكر والشرف والله اعلم وقوله عز وجل ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فاما الكتاب فانه
لو سئل انه كان لا يدريه ولا يعلمه حتى ادراه واعلمه واما الايمان حيث اخبر انه لا يدريه فهو يحتمل وجوها احدها ما
كنت تدري ما الايمان في حق اللسان او ما كنت تدري ما الايمان في حق الايمان او ما كنت تدري ما الايمان في حق قدره

ومحله ومنزلته عند الله تعالى فان كان في حق اللسان فهو ظاهر انه كان لا يدري في حق ابتداء الامر ان الايمان هو التصديق
او التوحيد وما هو وهو معروف انه كان لا يدريه في حق اللسان حتى اداه واعلمه انه ما هو وكذلك جميع اهل اللسان
لا علم لهم بذلك حتى علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل وسال النبي صلى الله عليه وسلم ما الايمان وما الاسلام على صورة
اعرابي حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا كان جبريل عليه السلام نزل ليعلمكم معالم دينكم والله اعلم وان كان
في حق فعل الايمان ومباشرته وكنهه فهو اذا كان غير قادر على فعله واتيانه على حده وكان لا يدريه لكنه لا يدري فانه لا يوصف
بالجهل به الا ترى ان الصغار لا يدرون ولا يقال انهم جهلة وانما يوصف بالجهل من الكفرة والنظر واسباب العلم ثم ترك
ذلك فعند ذلك يوصف بالجهل فاما من لم يملك ذلك ولم يبلغ هذا المبلغ فانه لا يوصف بالجهل الا ترى انه يقال
للاعراض والاشياء انها لا يدري ولا يوصف بالجهل فعلى ذلك يجوز ان يوصف ويقال انه كان لا يدري ولا يوصف
ولا يقال انه كان تجاهلوا به والله اعلم الا ترى ان الولد في النظر لا يوصف بان له سمعا وبصرا ونحو لانه ليس محل للسماع
والبصر فاذا اخرج منه فعند ذلك يجعل له لما مكن من السماع والبصر وهو ما ذكر بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار عند ما مكن لهم ذلك والله اعلم وان كان المراد انه لا يدري في حق المحل والمنزلة
والقدر فهو هكذا كان لا يدري ما محل الايمان وقدره عند الله تعالى حتى لا اداه واعلمه محله ومنزلته والله اعلم وقوله
عز وجل ولكن جعلناه نورا فان كان المراد هو الايمان فهو نور بالحجج والبرهان وهو كما ذكر افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه وان كان المراد هو الكتاب فهو نور لما يرفع جميع حجب القلوب وسواترها من اتبعه ونظر اليه
بعين التعظيم والله اعلم وقوله عز وجل يهدي من يشاء من عبادنا من علم انه يختاره شاء ان يهديه ثم وقوله يهدي
يحتمل القران ويحتمل الايمان نفسه اي يجعله بالايمان مهتديا والله اعلم وقوله عز وجل وانك لتهدي الى صراط
مستقيم قوله لتهدي يحتمل لتدعوا ولتدين لهم الصراط المستقيم ثم فسره بقوله تعالى صراط الله الذي له ما في السموات
وما في الارض ليفهم من صراط الله ما يفهم من صراط الخلق او صراط فلان فكيف يفهم من مجيئه او اتيانه ما يفهم من
مجيء الخلق او اتيانه فهذا يدل ان لا كل ما اضيف الى الله تعالى يفهم منه ما يفهم مما يكون من الخلق والله اعلم وقوله عز
وجل الا الى الله تصير الامور ويحتمل الا الى الله ترجع تدبير الامور ويحتمل الا الى الله تصير الامور في الاخرة وهو البعث والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم والكتاب المبين قال قتادة هو اسم السورة و
قال غيره حم قضي ما هو كائن وقد ذكرنا وقوله والكتاب المبين قال قتادة مبين بركته وهداه ورشده وقال
بعضهم مبين بين الحلال والحرام ما يتقي وما يبقى وقال بعضهم مبين بين الحق والباطل وهو عندنا مبين بانه من الله
تعالى ليس هو من انباء البشر ولا من توليدهم ولكنه من الله تعالى حيث عجزوا عن اتيان مثله والله الموفق وقوله
انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون كانه يقول جعلنا ذلك الكتاب عربيا لعلكم تعقلون وقيل جعلناه اي انزلناه قرانا
عربيا وقيل جعلناه قرانا اي سميناه قرانا ليس ان جعله قرانا ولكن معناه جعلناه عربيا اي نظمناه بالعربية لتعقلوا او
سميناه قرانا ثم قوله تعالى لعلكم تعقلون يخرج على وجوه احدها اي انزلناه عربيا على رجاء ان يعقلوا والثاني انزلناه عربيا
لتعقلوا وذلك يرجع الى قوم مخصوصين قد عقلوه وفهموه اذ لم يعقلوه جميعا ولا يتصور ان ينزله لتعقلوه ولا تعقلوه فان
ما اراد الله تعالى يكون لا محالة وما فعل يفعل قال الله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والثالث انزلناه
عربيا لكي يلزمهم ان يعقلوه ويتبعوه ليزول لعذرهم والاحتجاج على الله تعالى اذا كان على غير لساننا والله اعلم وعلى هذا يخرج
تاويل لعل في جميع القران انه للتحقيق اذا كان من الله تعالى فان قيل فعلى التاويل الاخير كيف يخرج قوله لعلكم تفلحون لا هو
يستقيم ان يقال لكي يلزمكم ان تفلحوا قيل معناه لكي يلزمكم السبب الذي به تفلحون وهو مباشرة الايمان والطاعات
والله اعلم وقوله عز وجل وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم قوله وانه في ام الكتاب يرجع الى وجهين احدهما اي القران
في اصل الكتاب ومنه اقول وهو اللوح المحفوظ وام الشيء اصله ويسمى ام القرى لمكة لهذا والثاني اي القران في الكتب
المتقدمة فان الامات سميت امهات لتقدمها على الولد وهو كقوله وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي
الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وقوله عز وجل لعلي حكيم قال ابن عباس رضي الله عنهما اي هو على الكتب و
احكمها واعدلها وقال بعضهم وصف كتابه بالعظمة والمنزلة والشرف عنده وقوله حكيم يحتمل وجهين احدهما حكيم
بمعنى محكم كقوله تعالى احكمت اياته اي بالحجج والبراهين والثاني سماه حكيما لما حصل فيه من الحكمة والله اعلم وقوله
عز وجل افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين اختلف في الذكر قال بعضهم القران وقال بعضهم الرسول
وقال بعضهم العذاب والعقوبة واختلف في قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا قال بعضهم افنتركك ونذرك فلا نذكر
سدا ان كنتم مسرفين اي لا نامركم كذا ولا ننهاكم كذا ولا نحل لكم كذا وقال بعضهم افنترك الوحي لا نامركم بشيء ولا ننهاكم
عن شيء ولا نرسل اليكم رسولا وقال بعضهم افنضرب اي فنذهب عنكم بهذا القران سدى لا تسالون ولا تعاقبون

على تكذيبكم اياه وقال بعضهم افنضرب عنكم اى نمسك عنكم فلا نذكركم صفحا اى اعراضا وهو قول القتبي يقول
صفحت عن فلان اى اعرضت عنه واصل ذلك انك توليه صفحتك يقال ضربت عن فلان اى امسكته وقال ابو
عوسجة افنضرب اى نسكت ضربت واضربت اى سكت وقوله صفحا اى ردا يقال سالنى فلان حاجة فصفحته
صفحا اى رددته والله اعلم وبعضه قريب من بعض ثم الاصل عندنا ان الذكر يحتمل ما قالوا فيه من المعانى
الثلاثة القران والرسول والعذاب لكن لا يحتمل قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان يخرج على الابتداء على غير تقديم
النوازل لانه لا ابتداء بمثله ثم النوازل يحتمل ان كان منهم قول يقولون يا محمد لو كان ما تقوله انت انه من
عند الله وانك رسوله فكيف انزل الكتاب او ارسل الرسول الينا على علم منه انا نكذبه ونرده ولا نقبله
ومن علم من الملوك فى الشاهد انه يكذب رسوله ولا يقبل لا يبعث الرسول فكيف بعثك رسولا الينا
او انزله عليك او بعثك رسولا فكذبناه وكذبناك ورددناك فلو يرفعه ويرفعك دون تركه فينا
فيقول الله تبارك وتعالى جوابا لهم وردا لقولهم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين يقول
انا لا نترككم سدى وان علمنا منكم التكذيب والرد للرسول والوحى ولا يمنعنا ذلك عن انزاله اليكم وتركه
فيكم ولا يحملنا ذلك على رفعه من بينكم بل نامركم وننهاكم وان كنتم تكذبونه ولا تقبلونه وهذا لما ذكرنا فى
غير موضع ان حرف الاستفهام من الله تعالى يخرج على الايجاب والتحقيق وقوله افنضرب اى لا نترك انزاله واذ
وان علمنا منكم التكذيب والرد وهو كقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله عز وجل ايحسب الانسان ان
يترك سدى اى لا يترك سدى ولا يحسبون انا انما خلقناكم عبثا فعلى ذلك قوله عز وجل افنضرب عنكم الذكر فان كان
الذكر هو القران او الرسول فالتاويل ما ذكرنا وان علم منكم الرد والتكذيب فلا يمنعه ذلك عن انزاله عليكم وبعثه
رسولا اليكم وان انكرتم وان كذبتموه ورددتموه فلا نحمله ذلك على رفعه من بينكم وتركم وكفى كفركم وهو كما
ذكر فى قوله وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزءون اى انا وان علمنا منا ولهم
التكذيب للرسل والكتاب ولا يمنعنا ذلك عن انزاله عليهم وبعثهم اليهم فعلى ذلك انتم وان علمنا منكم تكذيب
الرسول وكتابه لا يمنعنا ذلك عن ارساله وانزاله ليلزمكم الحجة او لعل فيكم من يصدقه ويؤمن به او غيركم
يؤمن به ويصدقه وان كذبتم انتم هذا ان كان تاويل الذكر رسولا او كتابا وان كان تاويل الذكر العذاب
فيصير كانه يقول افنترك تعذيبكم او نمسك عنه ولا نعاقبكم وانتم مسرفون اى مشركون على ما ذكر على انه
لعذاب حيث قال فاهلكنا اشد منهم بطشا اى قوة معناه عذبناهم بالتكذيب مع شدة بطشهم وقوتهم وانتم
دونهم لا تعذبون بل تعذبون والله اعلم وعن قتادة يقول لو ان هذا القران رفع حين رده اوائل هذه
الامة فهلكوا لكن الله تعالى بفضله ورحمته كرره عليهم دعاهم اليه كذا كذا سنة او ما شاء الله تعالى وعن الحسن
قال لم يبعث الله تعالى نبيا الا انزل عليه كتابا فان قبله قومه والا رفع فذلك قوله افنضرب عنكم الذكر
صفحا ان كنتم قوما مسرفين لا تقبلونه فتلقته قلوب نقية فقالوا قبلناه ربنا قبلناه لو لم يفعلوا ذلك لرفع
ولم يترك على ظهر الارض منه شئ ثم القراءة العامة ان كنتم منصوبة الالف بمعنى اذ كنتم وتقرا ايضا ان كنتم
مكسورة على ان الشرط ومعناه لا نترك ولا نمسك عن انزاله وان كنتم قوما مسرفين والله اعلم وقوله عز وجل
وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزءون فيه دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم
الى الصبر عما يعامله قومه حيث ذكر له ان ما ارسل من الرسل الذين كانوا قبله عاملهم قومهم من الاستهزاء
بهم والاذى لهم مثله معاملة قومك اياك فصبروا على ذلك فاصبر انت على اذى قومك اياك وسوء معاملتهم
والله اعلم وفيه انه يرسل الرسول وان علم منهم انهم يكذبونه وكذا ينزل الكتاب وان علم منهم انهم يردونه
ولا يقبلونه لانه ليس يرسل الرسل ولا ينزل الكتب لمنفعة نفسه ولا لدفع المضرة عن نفسه ولكن
انما يرسل وينزل لمنفعتهم ولدفع المضرة عن انفسهم فسواء عليه ان قبلوه او ردوه وليس كملوك الارض
اذا ارسلوا رسولا وكتابا الى ما يعلمون انهم يكذبون رسلهم ويردون كتابهم يكونون سفهاء لانهم انما يرسلون
لحاجة انفسهم ولدفع المضرة فحيث لم يحصل غرضهم بل يلحقهم بذلك النقص وزيادة ضد له واستخفاف لم يكن
ذلك حكمة بل يكون سفها فاما الله سبحانه وتعالى اذا لم يرسل ولم ينزل لجر النفع ودفع الضر بل لالزام الحجة و
ازالة العذر ونحو ذلك كان حكمة والله الموفق وقوله عز وجل فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين
فيه تحذير اوائلنا الكفرة ان ينزل بهم الرسل وسوء معاملتهم اياه كما نزل باولئك الكفرة المتقدمين
بتكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم والله اعلم ثم وقوله فاهلكنا اشد منهم بطشا يحتمل وجهين
احدهما اى اهلكنا من كان اشد قوة وبطشا من هؤلاء ثم لم يتهيأ لهم الامتناع بشدة قوتهم و
بطشهم عما نزل بهم من العذاب فعلى ذلك لو نزل لهؤلاء لم يتهيأ لهم مع ضعفهم والثانى ان يكون قوله

اشد

اشد منهم بطشا وصف ذلك العذاب الذى نزل بهم اى بتلك العذاب اشد منهم بطشا فلا يمتنع بطشهم و
قوتهم اما اذا كان شدة العذاب وبطشه دون بطشهم ربما لا يعمل ولا يؤثر فيهم لذلك وصف العذاب بكونه
اشد منهم بطشا وهو كقوله تعالى ان عذابى لشديد والله اعلم وقوله عز وجل ومضى مثل الاولين هذا يخرج على وجهين
احدهما مضى مثل الاولين اى صار عذاب الاولين عبرة وعظة ومثلا للمتاخرين كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها
وما خلفها وموعظة للمتقين والثانى مضى مثل الاولين اى مضى عذاب الاولين وهو عذاب الاستيصال فلا يعذب
هذه الامة بمثل عذابهم لفضيلة نبينا محمد عليه افضل الصلاة واكمل التحيات وبركته ورحمته وهو ما قال الله عز وجل
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين بفضله ورحمته ابقى هذه الامة الى يوم القيمة والله اعلم وقوله عز وجل ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فى قولهم وجوابهم ان الله خلق السموات والارض
دلالة انهم قد عرفوا انه رسول لكن كذبوه عنادا ومكابرة لان اهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل حتى يزعمون
انا عرفنا ان الله خلق السموات والارض بقولهم وينكروا رسالته خاصة بل ينكرون الرسل اجمع ثم هم ما عرفوا
ان الله هو خلق السموات والارض الا بالرسل اذ هم ليسوا من الذين عادتهم الاستدلال والنظر فى الدلائل ليعرفوا
انه تعالى بالدلائل العقلية والنظر فى العوام جملة المعرفة بالدلائل السمعية فكان الظاهر هذا ان معرفتهم ان
الله خلق السموات والارض بقول الرسل عليهم السلام لكنهم كذبوه ولم يصدقوه عنادا منهم ومكابرة وما به
عرفوا سائر الرسل من المعجزات موجود ومعاين لهم فى حق رسولنا صلى الله عليه وسلم لا بد ان يعرفوه رسولا لكنهم
كذبوه عنادا فدل ان قولهم هذا دليل على معرفتهم برسالته والله اعلم ثم تمام الاحتجاج بهذا ان يقال لهم قد عرفتم
ان الله هو خلق السموات والارض فهلا عرفتم انه لم يجعلها عبثا باطلا فكان اقرارهم بخلقه اياها اقرارا بالخلقة
على وجه الحكمة ولن يخرج خلقه على الحكمة الا بالاقرار بالرسل والبعث والثواب والعقاب ما عرف غير مرة او ان لما
فاذا عرفتم ان الله تعالى هو خلق السموات والارض وما ذكر الى اخره فكيف انكرتم قدرته على البعث والاعادة بعد
الموت والاعجوبة فى خلق السموات والارض اعظم واكثر من الاعجوبة فى بعثكم واعادتكم فكيف انكرتم ما هو اقل
فى القدرة والاعجوبة والله الموفق وقوله عز وجل الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون
جائز ان يكون ذكر هذا على سبيل النعت والوصف لله تعالى صلة لقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم الذى وصفه انه جعل الارض كذا وانزل كذا ويحتمل ان يكون اراد ولئن سالتهم عن الارض
وما ذكر انه من جعلها مهدا ومن جعل لهم فيها سبلا فقالوا الله جل ذلك على ما قالوا فى السموات والارض وفيه
وجوه من الدلالة احدها يذكرهم نعمه عليهم حيث جعل هذه الارض بحيث يمهدونها ويفترشون وينتفعون بها بانواع
المنافع وبحيث يمكن لهم الوصول الى حوائجهم التى فرقها فى الامكنة المتباعدة بما جعل لهم فيها سبلا وطرقا يسلكون
فيها ليصلوا الى الحوائج التى فرقت فى البلدان المتباعدة ما لو لا جعله فيها السبل والطرق التى جعل ما قدروا السلوك
فيها ولا عرفوا انهم من اى جهة يصلون الى حوائجهم التى فرقت فيلزمهم بما ذكر القيام بشكره على تلك النعم وفيه
دلالة حكمته بين لهم انه انما جعل لهم ما ذكر لحكمة لم يجعلها عبثا باطلا فيلزمهم حيث فرق حوائجهم فى الامكنة متباعدة
ثم مكن لهم الوصول اليها ليعلم ان الذى ملك انفسهم عموما الناطرف الارض اذ لو كان هذا غير مالك ذلك لمنعهم
عن الوصول الى حوائجهم وفيه دلالة قدرته حيث جعل لهم فى الارض ما ذكر من التسخير لهم حتى ظهروها ويفترشونها
ويسلكوا فيها السبل التى جعلها لهم الى حيث ارادوها وقصدوها ذلك ليعلم ان من قدر على ما ذكر لا يعجزه شئ
وقوله عز وجل والذى نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون فيما ذكر من انزال الماء من السماء
ونشره فى الارض وانبات النبات فيها بذلك الماء دلالة من الوجوه التى ذكرنا فى قوله جعل لكم الارض مهدا فانه انزل
الماء من السماء ليكون فى الارض انواع النعم التى ذكر وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما
ليعلموا اعظم نعمه عليهم فيعلموا ان مالكهما واحد وما جعل فى الماء من المعنى واللطف ما يوافق جميع النبات والثمار
على اختلاف النبات والثمار واختلاف اجناسها وجواهرها ليعلم ان من قدر على احياء الارض بذلك المعنى الذى جعل
فى الماء موافقته جميع النبات والثمار على اختلاف جواهرها واجناسها لا يحتمل ان يعجزه شئ من بعث وغيره اذ الاعجوبة
فيما ذكر من احياء الارض بذلك الماء وموافقة المعنى المجعول فى الماء جميع ما ذكر اعظم واكثر من البعث لانه
اعادة وذلك ابتداء فمن ملك وقدر على ما ذكر من الاشياء فهو على البعث اقدر واملك ولذلك قال الله تعالى
وكذلك تخرجون اى تبعثون والله الموفق وقوله والذى خلق الازواج كلها جائز ان يدخل فيما ذكر من خلق
الازواج كلها جميع ما يكون لها ازواج من مقابلات واشكال اذ الازواج قد يقع ويستعمل فى الاضداد والاشكال
من الافعال والجواهر من الكفر والايمان والطاعة والمعصية فيكون فى ذلك دلالة خلق افعال العباد اذ اخبر
انه خلق الازواج كلها ومن هذه الافعال ازدواج وان كانت متضادة متقابلة والله اعلم وقوله عز وجل

وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون فيه ما ذكرنا من الوجوه انه فرق حوايج الخلق في امكنة بعيدة وبينهم و
بين امكنة حوايجهم مفاوز وفيافي وبحار فجعل لهم في المفاوز انعاما يركبونها ليصلوا الى حوايجهم وفي البحار سفنا
يركبونها ليصلوا الى حوايجهم التي في البحار ويذكرهم ليستادي بذلك شكر ويذكرهم قدرته ان من ملك هذا وقدر لا يعجزه
شيء وقوله عز وجل لتستووا على ظهوره جعل ظهوره بحيث يستوون عليها ويقرون وكان له ان يجعل ظهورها بحيث
لا يستوون عليها ويقرون وهذا من نعمة الله تعالى عليهم وقوله عز وجل ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ثم نعمته
يخرج على وجوه ما ذلل لهم من الانعام وسخرها لهم بقوتها وشدتها وجعل لهم ان يستعملوا الدواب وهي تتالم وتتلذذ كما
تتالمون وتتلذذون ثم جعلها منعة لهم لا ان جعلوا لها او ان يكون نعمة التي امرهم ان يذكروها الاسلام والتوحيد
قولوا الحمد لله الذي هدانا الاسلام وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين او يامرهم او يذكروا ما انشا لهم
من النعم العظيمة وقوله وما كنا له مقرنين قال بعضهم مطيقين يقال انا لك مقرن اي مطيق ويقال انا مقرن لهذا العمل
اي قوي عليه واصل هذا التاويل ان الدواب والانعام في انفسها اشد واكثر قوة واعظمها من البشر لكن الله تعالى بفضله
ومنه علم الانسان الحيل حتى قدر على استعمال الدواب والانعام مع قوتها وشدتها حيث شاؤوا وفيما شاؤوا وسخرها لهم
ويحتمل ان يكون قوله وما كنا له مقرنين اي لم يجعلنا من قرن الدواب ومن اشكالها والله اعلم وقوله وانا الى ربنا لمنقلبون
هذا يحتمل وجوها احدها يحتمل البعث على ما قاله اهل التاويل ويحتمل وانا الى ما جعل لنا ربنا من الوصول الى حوايجنا لمنقلبون
بها وراجعون والله اعلم ويحتمل وانا الى اوطاننا ومنازلنا راجعون بها ما لولا هي لم يتهيا لنا الرجوع الى ذلك ولا الوصول
الى ما جعل لنا من الحوايج التي فرقت في الامكنة المتباعدة والله اعلم وقوله عز وجل وجعلوا له من عباده جزءا قال عامة اهل
التاويل اي الكفرة جعلوا الله تعالى من عباده انثى اي بنات وقال الزجاج جزءا اي نصيبا قال وان الجزء عند بعض العرب البنت
لان الكفرة قد اختلف انواع كفرهم وهم مختلفون في كفرهم بقول الثنوية بالاثنين يقولون ان الله تعالى هو خالق الخيرات وخالق
الشرور وغيره على حسب ما اختلفوا في ذلك لغيرها هو هؤلاء الثنوية جعل الله تعالى من عباده جزءا وهو الخيرات ولم تجعل له الجزء
الاخر وشركوا الذي يجعلونه فيما رزقهم جزءا لله تعالى وجزءا لشركائهم حيث قال وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وهؤلاء جعلوا له جزءا مما رزقهم وهو الطعام وفريق اخر جعلوا له جزءا من
عباده وهو الاناث ولم يجعلوا له البنين كقوله تعالى ويجعلون لله البنات فحمل الجزء له على ما ذكرنا ما اظهر مما ذكره
اهل التاويل وصرفوه اليه والله اعلم وقوله عز وجل ان الانسان لكفور مبين اي كفور لنعمه مبين اي بين كفرانه وقوله
عز وجل ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين هو على الاضمار كانه يقول ام يقولون ام اتخذ مما يخلق بنات لنفسه
واصفاكم بالبنين وهو ما ذكر في اية اخرى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ثم قوله تعالى ام اتخذ اي قالوا
بل اتخذ مما يخلق بنات ويذكر في هذه الايات سفه اهل مكة وشدة تعنتهم لانهم قوم لا يومنون بالرسل وما ذكروا من
اتخاذ الولد وما ادعوا بان الملائكة بنات الله وما اقروا ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ان الله هو خالق ذلك
كله مما لا سبيل الى معرفة ما قالوا وادعوا الا بالرسل وهم ينكرون الرسل فكيف ادعوا ما ادعوا وهم ينكرون خبرهم
لان من ادعى ولدا لغايب لا يعلمه الا بخبر صادق وكذلك معرفة الملائكة انما هو بخبر بانهم ثم هم ينكرون الاخبار و
نبينا نقض دعواهم وتفحيل على ما ذكرنا ثم اخبر عنهم ما يظهرون من الحزن عند ما يولد لهم من الاناث وما يلحقهم من
الكراهة في ذلك بقوله تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ثم قوله بما ضرب للرحمن
مثلا اي شبها بالحق وانه يخرج على وجهين احدهما بما جعلوا له ولد والولد هو شبيه الوالد فكان في اثبات الولد اثبات
المثل والشبيه والثاني في اثبات الولد له اثبات المشابهة بينه وبين جميع الخلق لان الخلق لا يخلوا اما ان يكون
مولودا من اخر او يولد منه اخر واما ان يكون له شريك فيما يملكه او يكون هو شريك غيره فيكون البعض شبيها
بالبعض فمن اثبت لله شريكا وولدا فقد جعله شبيها بالخلق ولهذا بين الله تعالى من الولد والشريك تبريا واحدا
بقوله تعالى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك نفي الولد والشريك عن نفسه نفيا واحدا وبراه واحده و
الله الموفق ثم وقوله ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين ويحتمل ان يكون تفسيرا لقوله وجعلوا له من عباده
جزءا وعلى ذلك قوله اهل التاويل انهم جعلوا هذه تفسيرا الاولى وجايز ان يكون لا على التفسير للاولى ولكن على الابتدا
في قوم اخرين سواهم على ما ذكرنا نحن من التاويل والله اعلم وقوله عز وجل ومن ينشو في الحلية وهو في الخصام غير
مبين اختلف فيه قال بعضهم هي الاصنام التي عبد وما حلوها وزينوها بانواع الزينة والحلي والله اعلم ولو من حلي
بالحلي وزين بالزينة وهو لا يملك نفعا ولا ضرا ولا تكلما ولا خصومة ولا شيئا من ذلك ولا يلتفت اليه ولا يكترث
له لولا ثمن الحلي والزينة التي بها فجعل العبادة له لكن منه خلق ما ذكر من السموات والارض وما فيهما من المنافع
اي ليس هذا بسوء لذلك يذكر سفههم في اختيارهم الاصنام التي هذا وصفها في العبادة على عبادة الله تعالى منه
كل سعي بصير رسوله صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتكذيبهم اياه وسوء معاملتهم معه والله اعلم وقال بعضهم قوله

او من ينشو في الحلية وهو في الخصام غير مبين هي الاناث والله اعلم ان الانثى ضعيف قليل الحيلة وهي عند الخصومة والمحاورة
غير مبين بصف عجزهن وضعفهن ونقصانهن يقول والله اعلم كيف نسبوا الى الله عز وجل ما هو اضعف واعجز وانقص فيما
ذكر وقد انفوهم منها واختاروا لانفسهم ما هو اكمل واقوى وهم الذكور وهو صلة قوله عز وجل ام اتخذ مما يخلق بنات و
اصفاكم بالبنين الى اخر ما ذكر وكل حرف مما تقدم ذكره من قوله وجعلوا من عباده جزءا ونحو ذلك ثم وقوله عز وجل
او من ينشا في الحلية يحتمل ان يرجع الى معنى اخر فيما ذكر من الايات وكل حرف من هذه الحروف يرجع الى فريق غيره
الفريق الاخر لانهم كانوا في المذاهب مختلفين متفرقين وجايز ان يرجع الكل الى معنى واحد والله اعلم وفي هذه الايات
ما ذكرنا من الرجوع من تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على اذى القوم ومن بيان سفه اولئك ومن التحذير لما يامر
نهم والله اعلم وقال القتبي او من ينشا في الحلية اي يربى في الحلي وهي البنات يريد جعلهم بنات لله تعالى وهم اذا كانت
لاحدهم بنت ظل وجهه مسودا وهو كظيم اي حزين والخصام جمع خصيم غير مبين اي غير مبين الحجة وقال ابو عوسجة او
من ينشو في الحلية اي ينشا كما يقال نشا الصبي ينشو اي يشب ويرتفع والخصام المخاصمة وقال ابو معاذ ينشا
في الحلية والله اعلم نبت ويقرا ونشا وينشا بالتشديد وينشا بالتخفيف وهما لغتان وقرا بعضهم ينشا في الحلية
والله اعلم وقوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسالون
فان قيل كيف سفههم في جعلهم عباد الرحمن اناثا وقد جعل الله من عباده اناثا اذا عابهم على ذلك قيل عن هذا
وجهين احدهما انما سفههم وعابهم لشهادتهم على الله سبحانه وتعالى انه جعل الملائكة اناثا وهم لم يشاهدوها
ولا يومنوا بالرسل عليهم السلام حتى يقع لهم العلم والخبر بذلك بقول الرسل والله اعلم والثاني ان الله تعالى وصف ملائكته
بانهم لا يفترون من عبادته وانهم لا يستحسرون وانهم مطيعون لله تعالى على الدوام بحيث لا يرد منهم عصيان على ما نطق بذلك
الكتاب فهم اذا قالوا انهم اناث وصفوهم بالضعف والعجز فلا يتهيا لهن القيام بما ذكر والله اعلم ثم وقوله عز وجل و
جعل الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقوله ويجعلون لله البنات وقوله ويجعلون لله ما يكرهون ليس على
حقيقة الجعل ولكن على الوصف له والقول اي قالوا ان الملائكة بنات الله ووصفوا لهم بما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل
ولو شاء الرحمن ما عبدناهم تعلق المعتزلة بظاهر هذه الاية في ان الله تعالى لم يشا الكفر من الكافر وانما شاء الايمان
قال الكفار ادعوا ان الله تعالى شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
اي لو شاء منا ترك عبادة الاصنام لتركناها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم
فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون وعندنا الاية تخرج على وجوه احدها انهم في
قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم صدقة فان معناه لو شاء منهم تركهم عبادة الاصنام ما عبدوها ولكن شا
ان يعبدوها فعبدوها فيكون هذا منهم اخبارا عن المخبر به على ما هو فيكون صدقا ثم قوله تعالى ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون يحتمل انما سماهم كذلك لما قالت المعتزلة انهم ادعوا واخبروا ان الكفر بمشية الله تعالى
وانه شاء منهم الكفر دون الايمان فالله تعالى شاء منهم الايمان دون الكفر فقد اخبروا على خلاف المخبر به فيكونون
كاذبين ويحتمل انهم قالوا ذلك وفي قلوبهم بخلاف ما اخبروا وهو ان الكفر ليس مما شاء الله تعالى وانما شاء
الايمان كما تقوله المعتزلة ولكن يقولون ذلك ردا على المسلمين الذين يدعونهم على الايمان والنزوع عن الكفر انه
اذا كان شاء منا الكفر دون الايمان كيف نؤمن ونترك الكفر والاخبار عما هو به وان كان صدقا ولكن اذا
كان في قلب المخبر واعتقاده خلاف ذلك فيكون ذلك الاخبار في نفسه صدقا لكن من حيث انه اختار اما في
الضمير يكون كذبا وهذا كقول الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهم في قولهم نشهد انك لرسول الله صدقة لكن في اخبارهم عما في
ضميرهم كذبة لما لا يوافق ظاهر كلامهم حقيقة ما في قلوبهم فرجع تكذيب الله تعالى اياهم لكذب قلوبهم و
ان كانوا في نفس قولهم انك لرسول الله صدقة واذا احتمل الوجهين فلا يكون الاية حجة لهم مع الاحتمال
وعلى الوجهين جميعا يكونون كاذبين لذلك قال انهم الا يخرصون والله اعلم والثاني انهم وان كانوا صادقين
في ذلك فهم بما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية لا على الجد فيكون قصده تلبيس الصدق على الناس و
رده كقوله عز وجل ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا وهذا القول من هذا الانسان حق وصدق لكن
انما قال ذلك استهزاء منه وانكارا للبعث الا ترى ان الله تعالى وعظه على ذلك وذكره حيث قال او لا يذكر
الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فعلى ذلك قول اولئك وان كان في الظاهر صدقا فهم انما قالوا ذلك
استهزاء وسخرية على سبيل الانكار وتلبيس الحق فيكون اخبارهم من هذا الوجه ولهذا الغرض خرصا وكذبا
والله اعلم والثالث غرضهم بذلك الاحتجاج على المسلمين في توعيدهم بالعذاب بسبب العناد والكفر انه كيف
عذب وانا انما باشرنا الكفر بمشيته ولو شاء ان نترك العبادة للاصنام تركنا فاذا كان شاء منا الكفر حتى كفرنا لما

عاقبنا فابطل احتجاجهم بقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون اى هم جاهلون فى الاحتجاج بهذا كاذبون فى انهم باشروا الكفر بسبب مشية الله تعالى اياهم الكفر ولكن لسوء اختيارهم واسباب حاملة لهم على ذلك واصله ان لا احد من العصاة والفسقة والكفرة يفعل ويحتمل ان الله تعالى شاء ذلك منهم فاذا كان وقت فعله لا يفعل لان الله تعالى شاء ذلك منه لم يكن له هذا الاحتجاج والعذر انما قالوا والله الموفق والرابع يحتمل انهم يقولون لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقولهم ما شاء ما اشركنا اى لو امرنا الله تعالى بترك عبادتنا اوثاننا الاصنام ما عبدناهم لكن امرنا ان نعبدهم كانوا يدعون انما يعبدون الامر من الله تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها او ارادوا بالمشية الرضا يقولون لولا ان الله تعالى قد رضى بذلك عنا دعن اباءنا والا ما تركنا وهم على ذلك فاستدلوا بتركهم على ما اختاروا على ان الله تعالى قد رضى بذلك عنهم فرد الله سبحانه وتعالى بقوله ان هم الا يخرصون وبقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء الاية وقد ذكر على الاستقصاء فى قوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا الاية والله اعلم وقوله عز وجل ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون اى لم نؤتهم كتابا ليكون لهم العلم بذلك [illegible] فى قولهم لانهم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب وذلك اسباب العلم وليس تلك الاسباب لما لا يؤمنون بها ولا يصدقون وقوله عز وجل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون انهم قوم ينكرون ويكذبون بعلة انهم بشر ثم اقتدوا باباءهم واتبعوهم وهم بشر ايضا فهذا تناقض فى القول بذكر سفههم وتناقضهم فى القول وقوله عز وجل وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون يصبر رسوله على ما قال هؤلاء انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون انه ليس ببديع من هؤلاء بل قال اوائلهم لرسلهم على ما قال قومك يصبره صلى الله عليه وسلم ويعزيه ويذكر سفههم فى اتباعهم اباءهم واقتدائهم بهم و هم بشر فيقول فاذا كنتم لا محالة يتبعون البشر فاتبعوا امرهم اهدى من اباءكم وهم الرسل وهو ما قال عز وجل قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم فقالوا عند ذلك انا بما ارسلتم به كافرون عنادا وتعنتا منهم و قال بعضهم ان قل يا محمد اولو جئتكم اى ان جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم من الدين افتتبعوني فيما جئتكم فردوا عليه وقالوا انا بما ارسلتم به كافرون وقوله عز وجل فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين هذا وعيد ثم قال بعضهم فانتقمنا منهم بقولهم وهو رجوع الى ذكر الامم الخالية فقال فانتقمنا منهم بالعذاب الذى نزل ويحتمل ان يكون قوله تعالى فانتقمنا منهم بذلك جائز وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المكذبين يحتمل مكذبي الرسل ويحتمل مكذب العذاب والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى ولا اشكال انه عليه السلام تبرا من عبادة جميع ما تعبدون واستثنى عبادة الذى فطره فكيف يستثنى من جملة عباده من يعبدون والاستثناء من جنس المستثنى منه فيقول قال بعضهم انه تبراء من عباده من عبدوا واستثنى عبادة من فطره لانهم من عبدوا الذى فطر الله تعالى فلو تبراء من عبادة جميع ما يعبدون على الاطلاق لصار متبريا عن عبادة الله لذلك استثنى عبادة الله تعالى والله اعلم لكن الاشكال انه لم يظهر ان فى قومه من يعبد الله تعالى وهو الذى فطره وخلقه فما معنى الاستثناء فيقال ان لم يكن فى قومه من يعبد الذى فطره فكان فى ابائهم واوائلهم من يعبد الذى فطرهم فرجع استثناؤه الى ذلك والله اعلم ويحتمل انه انما استثنى الذى فطره على طريق الاحتياط لاحتمال ان يكون فيهم من يعبد الله تعالى ولا وقوف له على ذلك فيصير متبريا من ذلك ولو تبرا ممن يعبد [illegible] والله اعلم ويحتمل ان يكون استثنى الذى فطره لانهم كانوا يعبدون هذه الاصنام والاوثان دون الله تعالى رجاء ان يشفع لهم فيقربهم الى الله زلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فرجع استثناؤه الى حقيقة الدين الذى قصد وبالعبادة وهو الذى فطرهم والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا استثناء منقطعا هو الاستثناء ويخالف الجنس بمعنى لكن معناه انى براء مما تعبدون ولكن اعبد الذى فطرنى وذلك جائز فى اللغة كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله عز وجل الا ان تكون تجارة عن تراض اى ولكن تجارة عن تراض لانه لا يجوز ان يستثنى التجارة عن تراض عن الباطل ولا السلام من اللغو ونحو ذلك كثير وذلك والله اعلم وقوله عز وجل اننى براء مما تعبدون ذكر ان هذا الحرف براء على ميزان واحد فى الواحد والتثنية والجمع وقوله عز وجل فانه سيهدين هذا يخرج على وجهين احدهما اى يستثنى على الهدى والثانى اى فانه سيهدين فى حادث الوقت والهدى مما يتجدد فينصرف الى ارادة حقيقة الهدى فعلى هذين الوجهين يخرج يحتمل ان يخرج على التوفيق على الهدى والعصمة عن ضده فى المستقبل ولا يحتمل ان يريد بهذا الهدى البيان بان يقول فانه سيبين لى لانه قد بين لجميع ما يقع له الحاجة اليه فلا يحتمل ان يسأل البيان ولا يحتمل الامر ايضا فانه قد تقدم الامر به ويرجع الى حقيقة الهدى او الى التوفيق والعصمة ويكون فى الاية دلالة على ان عند الله تعالى لطفا وهو ما ذكرنا من اعطى ذلك يصير مهتديا وانه لم يعط الكفرة ذلك ولو اعطاهم لامنوا والله الموفق وقوله عز وجل وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون هذا

يحتمل وجهين احدهما الكلمة الباقية هى كلمة الهداية والتوحيد فانه سال ان يجعل ما وجد منه من التبرى من غير الله تعالى وتحقيق عبادة الله تعالى بقوله انى برئ مما تعبدون الا الذى فطرنى كلمة باقية وانه كلمة التوحيد فان قوله لا اله نفى غير الله وقوله الا الله اثبات الوهية الله تعالى وذلك معنى قوله انى برئ مما تعبدون الا الذى فطرنى وهو كقوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية واجاب الله تعالى سؤاله فى دعاه لم يزل فى ذرية ابراهيم عليه السلام وعقبه من يقولها وذلك قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون والثانى الكلمة الباقية هى كلمة الدعوة الى الهدى والتوحيد وهى عبارة عن ابقاء النبوة والخلافة فى ذريته الى يوم القيمة وهو ما قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى و قال لا ينال عهدى الظالمين اخبر ان الظالم من ذريته لا ينال عهده فاما من لم يكن ظالما فانه لا ينال عهده و قد استجاب الله دعاءه فلم يزل الدعوة فى ذريته والنبوة وفى خلفائهم الى يوم القيمة قال الله تعالى ولكل قوم هاد والله اعلم وقوله عز وجل بل متعت هؤلاء واباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين اخبر انه متعهم واباءهم فى مكان لا نبات فيه ولا زرع ولا ماء سخر الناس وحملهم على ان يحملوا اليهم الطعام و الاغذية وانواع الفواكه من الامكنة البعيدة ويجلبون اليهم ما ذكرنا فذلك ما ذكر من تمتيعهم اباهم وقوله عز وجل حتى جاءهم الحق اى القران ورسول مبين اى محمد صلى الله عليه وسلم بين انه من عند الله تعالى جاء وانه رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون لم يزل كانت عادة رؤساء الكفرة والاشراف منهم التكلم بهذا الكلمة عند نزول الايات والمعجزات يريدون بذلك التمويه على اتباعهم والتلبيس فعلى ذلك قول هؤلاء سحر وانا به كافرون وقوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ظن هؤلاء انه لما وسع عليهم الدنيا وانعم عليهم ويعطى لهم الاموال انما اعطوا ذلك ووسع عليهم الكرامة لهم عند الله وفضل وقدر لديه ومن ضيق عليه الدنيا لم يعط ذلك انما ضيق عليه ومنع لهوان عنده فقالوا الدعاء محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة ونزول القران عليه من الله تعالى لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ظنوا ان من عظم قدره ومنزلته عند الخلق بما وسع عليه واعطى من الاموال هو عند الله كذلك قال لو كان ما يقول محمد حقا ان هذا القران من عند الله هلا انزل على رجل من القريتين عظيم فاخبر عز وجل انه لم يوسع الدنيا على من وسع لفضل منزلته وقدر عنده وعلى من ضيق انما ضيق لهوان له عنده لكن رب ضيق عليه يكون عظيما عند الله ورب موسع عليه يكون مهانا عنده وقوله عز وجل اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا وهو يخرج على وجهين احدهما اى انهم لا يملكون قسمها على تدبيرها انشأوا وعلى تقديرها خلقوا وهى ما ذكر من المعاش واسباب الرزق من التوسيع والتفضيل فالذى لم يجعل لهم فى ذلك شئ من تدبيره وتقديره احق واولى ان لا يملكون قسمها ذلك بينهم واختيار ذلك النبوة و الرسالة ووضعها حيث شاؤا هذا احد التاويلين والله اعلم ثم قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم دلالة فى خلق افعال الخلق لان التفضيل والتوسيع فى الرزق والمعيشة انما يكون باكتساب يكون منهم واسباب جعلت لهم فاخبر انه هو يقسم ذلك دل ذلك على انه هو منشئ اكسابهم وخالق افعالهم وان له فى ذلك تدبيرا الا انا نرى من هو اعلم واقدر على اسباب الرزق كانت الدنيا عليه اضيق وهو دونه فى تلك الاسباب والاكتساب كانت عليه اوسع ذلك على انه على تدبيرهم خاصة لكانت تكون هى اوسع على من هو اجمع لاسبابها واكتسابها واقدر على ذلك ويكون على من ليست له تلك الاسباب ثم قال جعفر بن حرب للخروج عن هذا الالزام فقال انما وسع لان التوسيع له اصلح واخير وضيق على من ضيق لان التضييق له اصلح واخير فى الدين فيقال لو كان التوسيع والتضييق لاجل الاصلح لهم فى الدين والاخير لم يكن ما ذكر من رفع بعض على بعض وتفضيل بعض على بعض فى الرزق معنى وقد اخبر انه رفع بعضهم على بعض درجات ولو كان الكل فى ذلك سواء لا يكون لبعض على بعض فى ذلك فضل ولا درجة ولان لو كان على ما يقولون هم انه يعطى كل ما هو الاصلح فى الدين والاخير لهم فى ذلك فهؤلاء الفراعنة منهم والرؤساء لو لم يكن لهم تلك السعة وتلك الاموال لكان لا يتهيأ فعل ما فعلوا ومنع الناس عن اتباع رسول الله عليهم الصلوة والسلام وعلى ذلك فرعون انما ادعى لنفسه الالوهية بما اعطى له من الملك والسعة ما لو لم يكن له ذلك لم يدع ذلك وكان ذلك اصلح فى الدين فدل ان الله تعالى قد يترك ما هو الاصلح لهم فى الدين وان ليس عليه حفظ الاصلح لهم فى الدين وقوله عز وجل ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا بكسر السين والاستهزاء وتاويله انه عليم منهم ان بعضهم يستهزئ ببعض ويهزا بعضهم بعضا اعطى ذلك لهم ليكون منهم ما علم منهم من الهزء والسخرية لا ان يكون يرفع بعضهم على بعض ليامر بما علم انه يكون منهم و الله اعلم وقوله عز وجل ورحمة ربك خير مما يجمعون يحتمل قوله رحمة ربك النبوة اى ما اختار رسول الله صلى الله

عليه وسلم من الرسالة والنبوة خير مما يجمع اولئك الكفرة ويحتمل ما يدعوهم محمد صلى الله عليه وسلم اليه ويختار لهم من
التوحيد والدين خير مما يجمعون هم من الاموال ويحتمل ما وعد لاهل الايمان من الثواب والكرامة بايمانهم وهو الجنة
خير مما يجمعون والله اعلم وقوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون الاية لولا ان يصير الناس كلهم على واحد وهو دين الكفر والا لجعلنا للكفار
ما ذكرنا في الاية دلالة التزهيد في الدنيا لانه ذكر انه اعطى الكفار ما ذكر لولا رعاية قلوب ضعفة حتى لا يتحولوا
الى دين الكفر فامنع الكافر ما منع انما منع بسبب المؤمن فيجب ان يزهد فيها وفي الاية دلالة جوده وكرمه حيث
لم يمنع من عادى اولياءه وعاداه نعيم الدنيا وفي الشاهد ان من عادى اخر يمنعه ذلك ما عنده من الفضل و
المال وفيها دلالة هوان الدنيا على الله تعالى على ما ذكره اهل التاويل اذ لو كان لها عنده خطر او قدر لم يعط
الكافر منها جناح بعوضة او جناح ذباب فدل ذلك على هوانها على الله تعالى وفيه دلالة نقض قول المعتزلة
حيث قالوا ليس على الله ان يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم في الدين لانه اخبر تعالى انه لولا ما يختار اهل الايمان الكفر
والدخول فيه والا لجعل لاهل الكفر ما ذكر من جعل النعم فلو كان الاصلح واجبا في الدنيا لكان يجب ان يعطي لاهل
الايمان مثل ذلك الذي ذكر انه لو اعطى لاهل الكفر فيكونون جميعا اهل كفر واذا اعطى ذلك لاهل الايمان لا
يكونون جميعا اهل الايمان وهو الاصلح في الدين ومع ذلك لم يعط دل انه ليس على الله تعالى حفظ الاصلح لهم في الدين
ولا حفظ الاخير والله الموفق والاصل في قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية
انهم خيروا في هذه الدنيا ان يختاروا النعيم الدائمة واللذات الفانية والنعمة الزائلة المنقطعة فمن اختار واثر النعيم
الدائمة واللذة الباقية على نعمة الزائلة واللذة ضيق عليه النعيم الزائلة واللذات الفانية لما اثر واختار الباقية
على الفانية ومن اثر الفانية الزائلة على الباقية الدائمة وسع عليه الفانية لما اختار واثر وهو ما ذكر في قوله
تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد
الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن الاية بين لكل ما اختار واثر من النعيم الفانية والدائمة وذكر الفضة والذهب
وان كانت اشياء اخر قد يكون ارفع واعظم قدرا منها لان هذين هما اخر الاشياء عندهم وبهما يوصل الى كل رفيع
وعظيم والله اعلم ثم ما ذكر من جعل السقف والمعارج من الفضة وما ذكر من الزخرف هو رد ما قال له فرعون
في حق موسى عليه السلام لولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين اي الخساسة الدنيا
وهوانها لم يعطها الا دلائل والاخبار من عباده ولولا ما يكون من تزلزل اهل الايمان والانكار في حق كل كما قد قيل
ما قيل في حق فرعون واشباهه والله اعلم وقوله عز وجل وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين اي كل
ما ذكر ليس الا متاع الحيوة الدنيا اعطي من اثره على نعيم الاخرة والعاقبة للمتقين كما اختاروها على غيرها والله المستعان
قال القتبي المعارج الدرج يقال عرج اي صعد ومنه المعراج لانه سبب الى السماء او طريق عليها يظهرون اي يعلون
ظهور على البيت اي يعلون سطحه والزخرف الذهب وكذا قول ابو عوسجة المعارج المصاعد والمعراج الصعود
الزخرف وكل شيء حسن والزخرفة التحسين والتزيين وهذا اشبه الاول الاخرى انه قال في اية اخرى حتى اذا اخذت
الارض زخرفها اي زينتها وحسنها والسقف جميع السقف وهو سقيفة البيت وقوله عز وجل ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا قال بعضهم يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن وقال بعضهم يعش اي يعمى بصره
عن ذكر الرحمن اي يعمى عنه ولا يقبله وقال بعضهم عشا يعشوا من يعمى البصر من الاعراض وقال ابو عبيد من
يعش عن ذكر الرحمن اي يظلم بصره وقال الفراء ومن يعش اي يعرض عنه ومن يعش بنصب الشين اي يعمى عنه
وقال ابو عوسجة يعش اي يتجاوز وان شئت جعلته من العشى وهو ظلمة البصر وان شئت جعلته من
التعاشي وهو التغافل والله اعلم وقوله عز وجل عن ذكر الرحمن ذكر القران ويحتمل التوحيد والايمان ويحتمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل نقيض له شيطانا فهو له قرين قال بعضهم نقيض نقدر والتقييض
التقدير لقاء تقيض الله لك تحرى قدر لك وقال ابو عوسجة وقال بعضهم نقيض اي تهيئ له شيطانا و
نضم اليه فهو له قرين والاصل في ذلك ان من اثر معصية واختارها على طاعة كانت لذته وشهوته في ذلك
فالشيطان حيث اختار معصيته على طاعته صارت لذته في ذلك وعلى ذلك من اتبعه فيما دعاه واجابه الى
ما دعاه اليه صارت لذته في ذلك قارنه ولازمه في ذلك ليكونا جميعا في ذلك في الدنيا والاخرة على ما ذكر
في اية اخرى احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية وقوله عز وجل وانهم ليصدونهم عن السبيل السبيل
المطلق هو سبيل الله والدين المطلق هو دين الله والكتاب المطلق هو كتاب الله وقوله عز وجل ويحسبون
انهم مهتدون كانوا يحسبون انهم يهتدون لان الشياطين كانوا يزينون لهم ويقولون ان الذي انتم عليه
دين ابائكم واجدادكم ولو كانوا على باطل لاعاجلتهم ما تركوا على ذلك ولكن اهلكوا واستوصلوا فاذا لم يهلكوا

وتركوا على ذلك ظهرا انهم كانوا على الحق والهدى كانوا يحتجون لهم ويزينون كذلك وظنوا انهم على الهدى كما نقل
لهم الشيطان والله الهادي وقوله عز وجل حتى اذا جاءنا اي الكافر وقرينه في الاخرة قال الكافر يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين فبئس القرين يحتمل ان يقول في الاخرة يا ليت كان بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين حتى لم
اكن اراك ولم اتبعك ويحتمل ان يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين في الاخرة وقوله عز وجل بعد المشرقين
قال بعضهم ما بين مشرق الصيف الى مشرق الشتاء ويحتمل قال بعضهم اي بعد المشرق والمغرب لكن ذكر
باسم احدهما كما يقال عمرين واسودين سماهما باسم احدهما الا ان الاسود منهما واحد وهي الحية دون الاخرى
والمراد من عمرين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فعلى ذلك قوله بعد المشرقين وقوله فبئس القرين حيث الجاه
والقاه في النار والاهلاك لما ذكرنا وقوله عز وجل ولن ينفعكم اليوم اي لا ينفعكم في الاخرة الاعتذار
اذ ظلمتم انفسكم في الدنيا اي وضعتموها غير مواضعها والله اعلم وقوله عز وجل انكم في العذاب مشتركون
ظاهر وقوله افانت تسمع الصم او تهدي العمي ولا يملك هداية من كان في ضلال مبين ثم معلوم انه لم يرد بالهدى
هداية البيان ولا اسماع الاذان لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملك ذلك كله وقد فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولكن اراد الهداية التي لا يملك الا هو والاسماع الذي لا يملك غيره وهو التوفيق والعصمة والتي
الذي اذا اعطي من اعطي اهتدى بذكر عجز رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهو على المعتزلة لانه اخبر ان
عنده لطايف واشياء لم يعطها كل احد انما اعطى بعضا دون بعض فمن اعطاه تلك اللطايف والاشياء لم يعطها
كل احد انما اعطى بعضا دون بعض فمن اعطاه تلك اللطايف اهتدى وهو ما ذكرنا من التوفيق والعصمة وعلى قولهم
ليس عند الله شيء يملك به هدايتهم لانهم يقولون قد اعطى كل كافر ما لو اراد الكافر ان يهتدي بصير مهتديا بذلك
ولم يبق عنده شيء يملك بذلك هدايتهم فعلى قولهم يجيء تعالى عن ذلك كعجز رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
وهو انما ذكر ذلك اعلموا انه هو المالك لذلك دون عباده ومعلوم انه انما ذكر على الربوبية والالوهية له في
ذلك والله الموفق وجائز ان يكون قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي انما ذكر لاياس رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون والله اعلم وقوله عز وجل فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك
الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فيه دلالة منع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سؤال انزال العذاب الموعود
لهم عليهم ثم المنع فيه من وجهين احدهما النهي عن سؤال بيان الوقت ان يسأله متى ينزله عليهم والثاني النهي عن
استعجاله كقوله ولا تستعجل لهم كانه يقول ليس ذلك اليك انما ذلك الي ان شئت انزلت في حيوتك واريتك ذلك
ان شئت امتك ولم ارك شيئا من ذلك وهو كما قال ليس لك من الامر شيء الاية وقال قتادة في ذلك ان الله تعالى
اذهب بنبيه صلى الله عليه وسلم وابقى النقمة بعده ولم يره في امته الا الذي يقر به عنه وليس نبي ورسول الا و
قد راى في امته العقوبة غير نبيكم عافاه الله تعالى عن ذلك ولا اراه الا ما يقر به عنه قال وذكر لنا ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم اري الذي تلقى امته من بعده فما زال الا مستغضا ما استنفاظ ضاحكا حتى لحق بالله تعالى وقال
الحسن قريبا من قول قتادة في قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون قال اكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يريه في امته ما يكره ورفعه الله تعالى وبقيت النقمة وقوله عز وجل فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط
مستقيم الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه ثلاثة احدها القران وهو الظاهر من الوحي اليه والثاني وحي
بيان يبين للناس ما لهم وما لله عليهم وما لبعضهم على بعض على لسان الملك جبريل وغيره على ما اراد الله تعالى والثالث
وحي الهام وافهام كقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله تعالى وما اراه الله تعالى هو ما الهمه وافهمه امره عز وجل
بالتمسك على انواع ما اوحي اليه ما هو قران وما هو بيان وما هو افهام واداه منه ان يزيغ او يزل او يعدل عن الصراط
في ذلك كله ويشرع في ذلك كله انك لو تمسك بجميع ما اوحي كنت اليك على صراط مستقيم حيث قال فاستمسك بالذي
اوحي اليك انك على صراط مستقيم وقوله عز وجل وانه لذكر لك ولقومك وجائز ان يكون المراد بالذكر جميع
انواع ما اوحي اليه فان قوله وانه كناية عن قوله بالذي اوحي اليك اي جميع ما اوحي اليه شرف له ولقومه لما
اختصه واختاره بذلك من بين غيرهم والله اعلم ويحتمل ان يكون المراد من الذكر حقيقة الذكر اي ما اوحي اليه ذكر له
ولقومه يذكرهم ما لله عليهم وما لبعضهم على البعض والله اعلم وقوله وسوف تسألون يحتمل وسوف تسألون
بشكر ما اوحي اليك وان يصبر ما اوحي اليك ذكر لك ولقومك وعن القيام بشكر ذلك ويحتمل وسوف تسألون
القيام باداء جميع القران وفيما اوحي اليه ويحتمل وسوف تسألون من كذبه على ما يقول بعض اهل التاويل وسوف
تسألون اشكرتم تلك النعمة ام لا ويحتمل وسوف تسألون يوم القيامة عن القران هل علمتم بما فيه والله اعلم وقوله
عز وجل واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون والاشكال ان ما كان يعتقد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايات صدقه اظهر من امره ان يسأل من اهل الكتاب اذ ابان صدقه بمعجزات المعجزات

الكفرة عن اتيان مثلها وليس مع بن امره بالسؤال عن ذلك اثبات المعجزات ثم معنى السؤال لهم عن اهل الكتاب
عن ذلك فنقول امره عز وجل اياه بالسؤال عنهم يخرج على وجهين احدهما بيننا لهم سؤال توبيخ وتعيير وسؤال تقرير
وتنبيه هل اتى رسول من الرسل عليهم الصلوة والسلام الذى ارسل من قبلك او كتاب بالامر بعبادة غير الله
فيقرون جميعا انه لم يات رسول باباحة ذلك ولا امر احد منهم بذلك والثانى ان هذا امر لغيره ان تسالهم و
ان كان ظاهر الامر والخطاب له ما ذكر من ادلة تصديقه اظهر من دلالة تصديق اولئك وهو كقوله يبلغان عندك
الكبر الى قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وكقوله تعالى فلا تكونن من الممترين والمشركين اذ معلوم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان لا يشك ولا يمترى فى شئ من ذلك فرجع خطابه الى غيره ما ذكرنا ويحتمل ان يكون
قوله تعالى وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية اى لو سالتهم عن ذلك لقالوا جميعا لم يرسل بامر بعبادة
غير الله تعالى والله اعلم وحكاية على هذا وليس من نسخة الاصل سمعت مفسرا انجاريا يقول نزلت هذه الاية ليلة
المعراج ورسول صلى الله عليه وسلم لما دخل بيت المقدس راى الرسول والانبيا عليهم الصلوة والسلام مجتمعين ثم تقدم
وصلى بهم ركعتين فقام جبريل عليه السلام من الصف وقال يا محمد وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وقوله
عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه قد ذكرنا ايات موسى عليه السلام التى اتاها فى غير موضع
وفيه الامر بتبليغ الرسالة وقوله عز وجل فقال انى رسول رب العالمين وفيه ان التقية لا يسع للرسل عليهم السلام
فى ترك تبليغ الرسالة وان خافوا على انفسهم الهلاك وقوله عز وجل فلما جاءهم موسى باياتنا اذا هم منها يضحكون
هكذا عادة الفراعنة والرؤساء من الكفرة انهم اذا اتاهم الرسل بالايات ضحكوا منهم واستهزؤا بهم كقوله تعالى
ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الاية وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها قال بعضهم ان كل اية
تاخرت عن الاية الاخرى فهى اعظم واكبر من التى تقدمت نحو ما كان منهم من الاستعانة حيث قالوا ادع لنا ربك بما
عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ثم هو مما اراهم من الايات قبل ذلك اعظم وقال بعضهم الا هى اكبر
من اختها كانت اليد اعظم واكبر من العصا لان العصا قد تتهيا للسحرة تمويهها وتحويلها من جنس العصى وجوهرها
الى غير من الجواهر ولم يتهيا لهم تحويل اليد عن جوهر اليد وقد كان ذلك لموسى عليه السلام دل ان اية اليد اكبر
من اية العصى والله اعلم وقال بعضهم هذا ليس على تحقيق جعل اية اكبر واعظم من اية العصا ولكن وصف
الكل بالعظم واكبر كقوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ليس على اثبات القرب فى احدهما
دون الاخر ولكن وصف قرب كل واحد منهما من الاخر على السواء وكما يقال فى العرف ان افراس فلان كل
واحد اعدى من الاخر وان اصحاب فلان كل واحد افضل من الاخر وانه لا يراد بذلك الترجيح ولكن اثبات المعنى
عن السؤال فعلى ذلك قوله تعالى وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها وصف لهما جميعا بالكبر والله اعلم
ثم ذكر قوله تعالى فلما جاءهم موسى باياتنا اذا هم منها يضحكون وغير ذلك من امثاله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ليصبره على قومه وانواع ما كانوا يستقبلونه من الاستهزاء به وباتباعه والضحك بما اتاهم من الايات
والحجج على رسالته وعلى ذلك ما قال وكذلك نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك اخبر انه انما قص
عليه انباء الرسل المتقدمة لتسلية فؤاده والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك
بما عهد عندك الاية والاشكال انهم كيف يسمونه ساحرا وكانوا يطلبون منه ان يدعو ربه ويسال الحق
يكشف عنهم العذاب فنقول روى عن ابن عباس رضى الله عنهما سموه ساحرا لان الساحر عندهم هو العالم
المعظم الذى بلغ فى العلم غايته ونهايته لذلك قالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك والا لا يحتمل ان يكونوا
يسالونه ويطلبون منه ان يدعو ربه ليكشف عنهم العذاب ثم يسمونه ساحرا ويعنون به سحرا للكذب
والباطل والله اعلم وقال مقاتل انهم قالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك قال لهم موسى عليه السلام كيف
ادعوا ربى ليكشف عنكم ما نزل بكم وقد تسموننى ساحرا فرجعوا عن ذلك فقالوا يا موسى ادع لنا ربك
بما عهد عندك على ما ذكر فى سورة الاعراف والله اعلم ويحتمل ان يكون قولهم يا ايها الساحر ادع لنا ربك
سموه ساحرا على ما كان عندهم انه ساحر فيقولون انك ساحر الا ان تدعو ربك فيكشف عنا الرجز فعند ذلك
نعلم انك لست بساحر وانك رسول فنؤمن بك ويحتمل ان يكون عندهم ان اليد البيضاء والعصا وما اتى به
موسى مما يبلغ السحر الى تغيير ذلك عن جوهره ويستفاد بالسحر مثله لكن سالوا منه ان يسال ربه ما ذكروا
لما علموا ان اجابة الدعا فيما دعا لا يكون لساحر ولا يجاب الا للرسول والذى على الحق فانما اجابك الى ما
سالت امانك والله اعلم ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك على حقيقة ارادة السحر على التناقض والتمويه على
الاتباع كقولهم مهما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما الاية لا يسحرهم بها لان الاية هى التى لها حقيقة ودوام
والسحر هو الذى لا حقيقة له ولا دوام فاذا كان اية لا يسحرهم بها فلا يكون سحرا واذا كان سحرا لا يكون

اية تكانت عادة اوانهم خرجت على التناقض على ما ذكر فى غير اى من القران فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم وقوله عز
وجل بما عهد عندك ان كان الله عز وجل عاهد موسى عليه السلام لئن امنوا كشف عنهم العذاب فلما دعا وكشف عنهم
العذاب لم يؤمنوا والله اعلم ولشبه ان يكون عهد اليه ما جاء به نبيا واختصه لرسالته ويحتمل قوله تعالى عهد
عندك على الاضمار كانهم قالوا ادع لنا ربك بما عهد كل واحد منا عندك لئن كشفت عنا العذاب انا لمهتدون
وهو قوله تعالى فى اية اخرى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الا ترى انه قال فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون
اى ينقضوا ما عهدوا وعهدهم ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم اليس لى
ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون يقول اللعين هذا مقابل ما ادعى موسى عليه السلام من الرسا
يموه بذلك على قومه واتباعه اى لئن كان الله ارسل رسولا فانا احق واولى بالرسالة من موسى ولذلك قال
ام انا خير من هذا الذى هو مهين اى ضعيف لا مال ولا حشم ولا تبع ولا يكاد يبين حجته وكذلك قال فلولا
القى عليه اساورة من ذهب كما القى على وكما اعطانى من المال والذهب او يقول ان من كان له رسول يكرمه
بانواع الكرامات ويبذل له اموالا فاذ لم يؤته شيئا من ذلك فليس برسول ويقول انه لو كان رسولا كما يقول
لالقى الله عليه من الاساورة ما القيت انا على اتباعى وحشمى ونحوه وكان فرعون لا يزال يموه امر موسى عليه
السلام على قومه من ذلك قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ومنه قوله انه لكبيركم الذى علمكم السحر ونحو
ذلك هذا منه تمويه على قومه والله اعلم وقوله عز وجل ولا يكاد يبين قال بعضهم اى لا يكاد يبين حجته لما
فى لسانه عقدة وهو يقول لعى اللسان قال بعضهم ان فرعون لا يعنى ذلك لان الله تعالى قد اذهب تلك العقدة
واللوثة التى فى لسانه حين دعا وسال ربه بقوله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى وقد اجاب الله دعاءه حيث قال
قد اوتيت سؤلك ولكن اراد والله اعلم لا يكاد يبين حجته اى ليست له حجة ياخذ القلوب وقال القتبى ام انا خير
من هذا الذى هو مهين قال اما انا خير منه وجايز ان يكون قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين موصولا بقوله
فرعون حيث قال اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون انا خير منه بان لى ملك مصر وليس
لموسى عليه السلام ذلك على ما ذكرنا وقوله عز وجل فلولا القى عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين
هذا القول منه يخرج على وجهين احدهما يقول ان كان موسى يدعى الملك فى الدنيا ويطلبه فهلا القى عليه اساور
من ذهب كما يلقى على الملوك من الاساور والتاج وغير ذلك وان كان يدعى الرسالة لنفسه فهلا كان معه الملائكة
مقترنين ولا يزال الكفرة يطلبون من الرسل الايات وهم يتمنون هم ويشتهون فاخبر ان الايات ليست باتى على ما يتمنون
ويشتهون ولكن على ما اراد الله تعالى والثانى يجمع الامرين جميعا فيقول انه يدعى الرسالة والرسول معظم عند المرسل
فيقول ان كان ما يقول حقا فهلا القى عليه الاساور تعظيما وهلا كان معه الملائكة مقترنين تعظيما له واجلالا والله
اعلم وقال بعضهم فى قوله فلولا القى عليه اسورة من ذهب اى سورة لانه الرجل منهم اذا ارتفع فيهم سوروه
او جاء معه الملائكة مصدقين له بالرسالة قال القتبى وابو عوسجة اساور واسورة جمع السوار ورجل
اسوار اى رامى وقوم اساورة وانما سمى الرامى اى سوارا لانه اذا جاء الرمى جعل فى يده سوار من ذهب وقوله
عز وجل فاستخف قومه فاطاعوه قال بعضهم اى فاستخف بقومه واستزلهم فاطاعوه وقال بعضهم فاستخف
قومه طاعوه اى استزلهم واستفزهم بالخروج على اتباع موسى وطلبه فاطاعوه وذلك انه امرهم بالخروج معهم
فى طلب موسى لما خرج من عندهم نحو البحر فاطاعوه فى ذلك وخرجوا معه فى طلبه حتى اصابهم ما اصابهم وكان
هذا اشبه واقرب والله اعلم وقوله عز وجل فلما اسفونا انتقمنا منهم هذا يخرج على وجهين احدهما اى فلما عملوا
الاعمال التى استوجبوا بها الغضب انتقمنا منهم على ذلك لان ظاهر قوله تعالى اسفونا اى اغضبونا وصفة الغضب فى
الحدوث لله تعالى لا يجوز فكان المراد ومنه ظهور اثر الغضب استيجاب العذاب والله اعلم والثانى فلما اسفونا اى اغضبوا
اولياءنا انتقمنا منهم اى سلطنا عليهم بدعاء اوليائنا الاولياء او ننتقم منهم بسبب اغضابهم اولياءنا كقوله تعالى
يخادعون الله اى يخادعون اولياء الله فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين هو يخرج على
وجهين احدهما جعلناهم فى العقوبة سلفا للمتاخرين ومثلا للمؤمنين اى عبرة لهم وهو كقوله فجعلناها نكالا
لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين والثانى جعلناهم سلفا ومثلا للاخرين فى العظة والانزجار لهم لينتهوا
عن مثل ما فعلوا خوفا عن الوقوع فيما وقعوا والله اعلم وقال القتبى فجعلناهم سلفا بالرفع والنصب وهو من
التقدم اى جعلناهم قدما تقدموا مثل خشب وخشب وثمر وثمر وكذلك يقول ابو عوسجة وقال السلف المتقدم
والجميع سلوف وقوله عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون اختلف فيما ذكر من ضرب المثل لعيسى
ابن مريم عليهما الصلوة والسلام قال بعضهم لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
قال اولئك الكفرة الذين كانوا يعبدون الاصنام ان عيسى عبد دونه وعزيرا والملائكة يعبدون دونه فهولاء

جميعا في النار اذ الانهم عبدوا دونه فان كان هولاء في النار فقد رضينا ان نكون معهم وهم معنا وهو ما ذكروا
على ان الهتنا خير ام هو يعنون بقولهم هو عيسى عليه السلام فذلك منهم يخرج على وجهين احدهما لئن جاز ان يعذب
عيسى عليه السلام ومن عبد من هولاء دون الله في النار رضينا ان يعذب الهتنا في النار اذ هم ليسوا بخير من
عيسى عليه السلام وهولاء الذى عبدوا دون الله من الملائكة وغيرهم والثاني يقولون ان كان عيسى يعذب في النار
لما عبد دونه فالهتنا التي نعبدها دونه خير منهم فلا يعذب لانها خير فاحد التاويلين يرجع الى انهم يقولون لو جاز
وصح ان يعذب كل معبود دونه جاز ان يعذب الاصنام التي نعبدها نحن والثاني يقولون اذ كان يعذب عيسى و
غيره الذين عبدوا دونه فالاصنام التي نعبدها لا تعذب لانها خير من اولئك والله اعلم فنقول انما يكون لهم
هذا الاحتجاج بالاية ان لو كانت الاصنام انما تحرق في النار وتعذب بها اعني الاصنام فاما اذا كانت الاصنام انما
يحرق في النار وتعذب بها من عبدها وعقوبة لمن اتخذها اربابا دون الله فلا وانما يحرق الاصنام التي اتخذوها
من الحجارة والحديد والصفر لزيادة وتعذيب العبدة كقوله تعالى وقودها الناس والحجارة لانه لا جناية من الاصنام
ولا ضرر لها بالاحراق فكيف يحرق عيسى ومن عبد دونه من الملائكة وفي احراقهم تعذيبهم اذ هم يتضررون
بها ولا جناية منهم فاذا كانت ادخال الاصنام التي عبدوها واحراقها في النار لتعذيب اولئك الذين عبدوها فلا معنى
لتلك الخصومة والمجادلة التي كانت منهم والله اعلم وبعد فان في الاية بيانا على ان الذى ذكر من جعل المعبود
حصب النار راجع الى عباد الاصنام والاوثان خاصة دون غيرها لانه خاطب اهل مكة بقوله انكم وما تعبدون
من دون الله الاية واهل مكة كانوا لا يعبدون الا الاصنام والاوثان لا عيسى ولا غيره من البشر والملائكة فذلك
لهم ولكل عابد الاصنام دون غيرهم من المعبودين استدلالا بهم والله اعلم على انه في الاية بيانا ايضا انه لم يرجع
الى ما ذكروا من عيسى وغيره فانه قال وما يعبدون من دون الله وكلمة ما تستعمل في غير العقلاء من الحجارة وغيرها
لا في ذوات العقلاء وعلى ان الاية بيانا في الوجه الاخر ايضا على انهم غير مرادين بها فانه استثنى وخص بقوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون اخبر ان من سبقت لهم منه الحسنى يكون مبعدا عنها ولا شك
ان عيسى والملائكة عليهم السلام قد سبقت لهم منه الحسنى فلا يحتمل صرف تلك الاية اليهم والله اعلم ويحتمل ان يكون
قوله انكم وما تعبدون من دون الله الاية الى كل من منه الامر بالعبادة لهم والدعاء الى ذلك وهم الشياطين لان
من عبد دون الله احدا انما يعبده بامر الشياطين لان من عبد دون الله احدا انما يعبده بامر الشياطين ودعائهم
اليه فاما من كان يتبرا من الامر لهم بذلك وعبادتهم له فلا يحتمل وذلك نحو قوله تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون
من دون الله وقال ابراهيم لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكن من عبد
شيئا دون الله انما يعبد بامر الشيطان فاذا عبده هذا وما ذكرنا كلها يبطل مجادلة الكفار فيما خاصموا والله اعلم
وقال بعضهم ضرب المثل لعيسى عليه السلام هو ان الله تعالى لما ذكر عيسى عليه السلام في القران قال مشركوا
العرب من قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ما اردت بذكر عيسى قال وقالوا انما يريد ان نحبه كما احب النصارى
عيسى وعبدته فقالوا الهتنا خير ام هو فلو يصنع محمد ذلك بالهتنا فوالله لهم خير من عيسى او ما قالوا
فقال الله عز وجل ما ضربوه لك الا جدلا اى الا الجدال لونك بالباطل وهو قول قتادة يحتمل ان يكون ما ذكر
من ضرب المثل بابن مريم عليهما السلام من قومه اعنى عيسى لا من قوم محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه قومه
قد اختلفوا فيه فمنهم من قال انه اله وانه رب ومنهم من قال انه ابن الاله ومنهم من قال انه امه الهان
ونحو ذلك من الاختلاف الذى كان بينهم فيه فيكون قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا قال قومه على ما ذكرنا
فيه ثم قال اذا قومك منه يصدون اى يعرضون من عيسى او يضجون على ما ذكرنا والله اعلم او ان يكف و
يمسك عن بيان ذكر المثل الذى ذكر في الاية لما لا حاجة الى ذلك وهو شئ ذكره اولئك الكفرة والله اعلم ثم قوله
تعالى اذا قومك منه يصدون قرئ برفع الصاد وكسرها قال القتبي وابو عوسجة يصدون بالكسر يضجون
والتصدية منه وهو التصفيق ومن قرا بالرفع يقول يعدلون ويعرضون وقوله عز وجل وقالوا الهتنا خير ام
هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون هو يخرج على الوجهين الذين ذكرناهما والله اعلم وقوله عز وجل ان
هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اى عبرة واية لبني اسرائيل لما كان هو مولودا من غير والد
ولما كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وما كان منه من تكليمه للناس وهو في المهد وغير ذلك من الايات
التي كانت خصوصا بها والله اعلم وقوله عز وجل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة على وجهين احدهما اى لو نشاء ثم
لجعلنا من جوهركم وجنسكم ملائكة ان انشاء الملائكة من النور على ما ذكر ليس ذلك منه استعانة بتلك النور
لانشاء الملائكة منه لا قادر بذاته لا يعجزه شئ ينشئ ما يشاء من ما شاء كيف والثاني اى لو نشاء لجعلنا
الملائكة بدلا منكم نهلككم ونبدل مكانكم ملائكة لا يعصون ولا يخالفون ولا يفترون عن العبادة ولا يستحسرون

لكن

لكن لم تفصل ذلك لما ليس في عصيان من عصاه ولا لمخالفة من خالفه له ضرر ولا بطاعة من اطاعه واتبع امره
ونهيه نفع ولا انشاء هذا العالم والخلق لحاجة نفسه ولا امتحنهم بانواع المحن لمنفعة نفسه ولا لمضرة يدفع
بذلك عن نفسه ولكن انشاءهم وامتحنهم لحاجة فاذا كان ما ذكرنا كان انشاء من يعلم انه يعصيه ولا يطيعه
حكمة وفعل من يعلم في الشاهد انه يضره ولا ينفعه سفه لانه انما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه فصار فعله مع علمه
ما ذكرنا يكون سفها فافترق الامران والله الموفق ثم قوله تعالى ملائكة في الارض يخلفون يحتمل وجهين احدهما
اى يخلف الملائكة بعضهم بعضا قرنا عن قرن بالتناسل والتوالد كالبشر يخلف بعضهم بعضا قرنا عن قرن بالتناسل
والتوالد اذ ليس في الملائكة توالد وتناسل والله اعلم والثاني يخلفون اى يكونون خلفا وبدلا عنكم بعد هلاككم على ما
ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وانه لعلم الساعة وعلم للساعة كلاهما قد قرئا ثم اختلف في ذلك فمنهم من يقول هو
عيسى عليه السلام يكون نزوله من السماء علما للساعة واية لها فيكون على هذا هو صلة ما تقدم من قوله وجعلناه
مثلا لبني اسرائيل كانه قال وجعلناه مثلا اى اية وعبرة لهم على ما ذكر وجعلناه ايضا علما للساعة والله اعلم وقال
بعضهم قوله وانه لعلم للساعة اى محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه من القران علم لانه به ختم النبوة والرسالة
وقال انا والساعة كهاتين واشار الى اصبعين من يده وانما بعثه الله تعالى عند قرب الساعة فهو علم للساعة
بالتثقيل فمعناه العلامة لها والدليل عليها ومن قرا علم للساعة بالجزم فمعناه يعلم به قرب الساعة والله اعلم
وقوله عز وجل فلا تمترن بها اى لا تشكن بالساعة فانها كائنة لا محالة وعلى ذلك يقولون في بعض التاويل
في قوله تعالى فقد جاء اشراطها اى اعلامها اى محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وقوله عز وجل واتبعون
هذا صراط مستقيم فان كان قوله وانه لعلم للساعة هو محمد صلى الله عليه وسلم فكانه قال عليه السلام انا علم للساعة
وقريب منها فاتبعوني وان كان عيسى على نبينا وعليه السلام يقول انه علم للساعة واية لها فاتبعوني قبل ان
يخرج وينزل والله اعلم وقوله عز وجل ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ويحتمل قوله تعالى ولا يصدنكم الشيطان
عن الايمان بالساعة وكونها فانه عدو مبين ويحتمل لا يصدنكم عن محمد وعن الصراط المستقيم الذى ذكر فانه عدو مبين
بين عداوته اباكم والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء عيسى بالبينات الاية قال اهل التاويل بالبينات هي ما كان ياتي به
من نحو احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وانباء ما ياكلون وما يدخرون ونحو ذلك والاصل في ايات الانبياء و
الرسل عليهم الصلوة والسلام انها كانت من وجوه ثلاثة يلزمهم التصديق بهم احدها ما ياتون في كل صغير
وعقل [illegible] ذلك ما يعلم كل ذي لب وعقل على ان ذلك حكمة وحق عليهم اتباعهم في ذلك وهو توحيد الله تعالى
وتنزيهه عن ما لا يليق به والله اعلم والثاني كانت في انفسهم واحوالهم التي كانوا عليها بينات يلزمهم
تصديقهم وهو انهم نشوا بين اظهرهم وكانوا فيهم طول عمرهم فلم يوخذ عليهم كذب قط ولا ظهر منهم ما يرجع الى
دناءة الاخلاق ولا شئ من ذلك والله اعلم والثالث ما كانوا ياتون من الافعال والمعجزة الخارجة عن قوى
العباد والمعتاد من فعلهم ما يلزم كل منصف قبولها فعلى هذه الوجوه التى ذكر كانت ايات الرسل عليهم الصلوة
والسلام والله اعلم وقوله عز وجل قال قد جئتكم بالحكمة قال بعضهم الحكمة هاهنا هو الانجيل وقد ذكرنا في اي اخر
الكتاب والحكمة حيث قال وان علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ثم جائز ان يكون الكل واحدا وجائز
ان يكون الكتاب ما يكتب ويتلى والحكمة ما اودع في المتلو والمكتوب من المعنى والله اعلم ويحتمل ان تكون
راجعة الى كل ما يوجب العقل القول به وقوله وقد ذكرنا فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل ولابين لكم بعض
الذى تختلفون فيه قال بعضهم اى ابين لكم كل الذى تختلفون فيه اذ لا يجوز ان يبين بعضا ويترك البيان
لبعض وقد يذكر البعض ويراد به الكل نحو ما يقال في كثير من المواضع الخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام
والمراد بذلك امته ويحتمل ان يكون المراد من البعض هو البعض نفسه لا الكل ثم هو يخرج على وجوه ثلاثة احدها
اى ابين لكم بعض ما تختلفون فيه ثم ياتيكم رسول بعدى ويبين لكم باقي ذلك او كلام نحوه لانه لم يقل ابين
بعض ما اختلفتم فيه ولكن قال بعض الذى تختلفون فيه فهو في الظاهر في الاستقبال والثاني يقول ابين
لكم الاصول ما تقدرون على استخراج الفروع من تلك الاصول والله اعلم والثالث يقول ابين لكم بعض
الذى تختلفون فيه وهو يرجع الى امر الدين دون الراجع الى امر المعاش والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا
الله واطيعون فيما امركم به وادعوكم اليه وانهاكم عنه ويحتمل ان يكون يقول اتقوا الهكم والزموا ما بينا لكم
واطيعون في ذلك وقوله عز وجل ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه ذكر هذا لهم ليعلموا انه وان عظم قدره
عند الله وجلت منزلته عنده فانه لم يخرج من العبودة انه عبد الله ليس باله ولا ابن له على ما زعم اولئك الكفرة
والله الهادي وقوله عز وجل فاختلف الاحزاب من بينهم هذا يحتمل وجهين احدهما ان
يكون حرف من صلة زائدة ومعناه فاختلف الاحزاب بينهم واختلافهم فيما بينهم في عيسى ظاهر بين والثاني

فاختلف الاحزاب من بينهم اى اختلف الاحزاب من اختراع كان منهم فيما بينهم او كلام مخترع ولذلك كان الاختلاف
الواقع بينهم انما كان باختراع من ذات انفسهم لا ان كان ذلك سماعا من الرسل عليهم الصلوة والسلام ولذلك
نهى هذه الامة عن الاختلاف والتفرق حيث قال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
وقد اختلفت هذه الامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قاتلهم ابو بكر الصديق رضى الله عنه
على ذلك واتبعه سائر الصحابة على ذلك حتى قاتل الرجال وسبا النساء والذرارى وظهرت ايضا الخوارج
فى زمن على بن ابى طالب رضى الله عنه فقاتلهم على رضى الله عنه على ذلك حتى اجتمعوا على الوفاق وغير ذلك
من الاختلاف والتفرق الذى كان ظهر ووقع فيما بينهم وكان فى ذلك دلالة الرسالة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه ذكر عز وجل فى كتابه انهم يختلفون بعد وفاته وانهم ينقلبون على اعقابهم حيث قال افائن مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية وقال فى ارتدادهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى
الله بقوم يحبهم ويحبونه هذا فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وقال فى على كرم الله وجهه انما وليكم الله
ورسوله والذين امنوا الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل هذا بالتاويل كما يقاتل نحن على [illegible]
يعنى عليا رضى الله عنه وقد كان كل ما ذكر من الاختلاف والتفرق والتنازع فى الدين من الانقلاب على
الاعقاب والارتداد والامتناع عن اثبات الزكوة واتيان ما ذكر من قوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين وغلبة حزب واهل توحيد على اولئك ففى ذلك كله دلالة اثبات الرسالة اذ خرج
على ما اخبر صلى الله عليه وسلم وذكر فى المستقبل والله اعلم ثم ان الله عز وجل بفضله ورحمته رفع ذلك الا
ختلاف والتفرق والتنازع من بينهم وجمعهم على الفة وحب ولم يرفع من بنى اولئك فقال فاختلف الاحزاب
من بينهم والاحزاب الفرق الذى تحزبوا اى تفرقوا وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل فويل للذين ظلموا من
عذاب يوم اليم ظاهرة وقوله عز وجل هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اى فجاءة وهم لا يشعرون باتيانها
وقيامها والله اعلم وقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يحتمل قوله الا المتقين الموحدين فيكون
خلة اهل الكفر فيما بينهم فى الدنيا عداوة فى الاخرة لقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
وما ذكر فى غير اى من القران لعن بعضهم على بعض وتبرا بعضهم عن بعض كقوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا الاية واما خلة الموحدين المؤمنين فيما بينهم فهى خلة فى الدارين جميعا هذا يحتمل والله اعلم ويحتمل ان
يكون قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين استثنى خلة من يقى النار بنفسه وفى صاحبه ايضا
بما امره بالطاعة الله تعالى والقيام بالجزاء وزجر عن معاصيه ومخالفة امره كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
قوا انفسكم واهليكم نارا امرهم بوقاية انفسهم واهليكم نارا امرهم بوقاية انفسهم واهليهم وانما
يقولون ذلك النار بالقيام بالاسباب التى امروا على القيام بها والامتناع والانتهاء عما نهوا عنها
وزجروا منها فى كل خلة فيما بين المؤمنين على هذا الوجه فهى خلة ومودة فى الدارين جميعا لا يصير عداوة لانها
لله تعالى وطلب مرضاته فاما الخلة التى تكون فيما بينهم للدنيا فهى تصير عداوة ايضا على ما ذكرنا والله اعلم و
قد روى فى الخبر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال الاخلاء اربعة مؤمنان والكافران فمات احد المؤمنين
فيسئل عن خليله فقال اللهم لم ار خليلا امر بمعروف ولا انهى عن منكر منه اللهم اهده كما هدانى
وامته على امتى فانه كان يامرنى بالمعروف والخيرات والطاعة وينهانى عن المنكر والشر والمعصية ثم
ومات احد الكافرين فيسئل عن خليله فقال اللهم لم ار خليلا امر بمنكر ولا ينهى عن معروف منه اللهم اضله
كما اضلنى وامته كما امتنى قال ثم يبعثون يوم قيامة فقال لعن بعضكم على بعض فاما المؤمنان فيثنى كل واحد
منهما على صاحبه ثناء حسنا واما الكافران فيثنى كل واحد منهما على صاحبه ثناء قبيحا وعلى هذا السبيل روى
هذا الحديث عن على رضى الله عنه وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال احب فى الله وابغض فى الله
ووال فى الله وعاد فى الله فانما ينال ولاية الله بذلك لا ينال ما عند الله الا بذلك وقال ولن يجد عبد
طعم الايمان وان كثرة صلوته وصيامه وصدقته حتى يكون كذلك وقد صار عامة مواخاة الناس اليوم على
ولكن لا تجزى عن اهله شيئا ثم قرا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقرا لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر فقول ابن عباس يومى الى ان كل خلة ومواخاة فيما بين المؤمنين للدنيا فهى تصير عداوة
فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون اى لا خوف عليكم خوف الفوت
كقوله تعالى لا يبغون عنها حولا ولا انتم تحزنون اى لا خوف عليكم الاحوال اى لا حزن لهم فى حال كونهم فيها و
لا لهم فيها خوف غير ذلك ولا زوال له عليهم لان خوف الزوال مما ينغص صاحبه النعمة التى هى له فخبر ان
ذلك دائم باق لا زوال له ولا فناء والله اعلم وقوله عز وجل الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين والاشكال

انهم

انهم سماهم مؤمنين مسلمين بالايات والايمان والاسلام يكون بالله تعالى فنقول لان الايمان هو التصديق فى اللغة
بما اثبات الايمان بوحدانيته والوهيته لان جهته سبيل معرفة الله تعالى وطريق العلم به انما هو بالايات والحجج التى
اقامها على ذلك ليس من جهة العيان والمشاهدة فالايمان والتصديق بها تصديق بالله حقيقة والايمان
به والله اعلم وقوله وكانوا مسلمين ظاهر هذا يوهم ان الايمان والاسلام غيران لكن هذا من حيث ظاهر
العبارة فاما فى الحقيقة فهما يرجعان الى معنى واحد لان الاسلام هو جعل كل شئ لله تعالى سالما لا يشرك فيه
غيره كقوله تعالى ورجلا سلما لرجل اى خالصا سالما لا حق لاحد فيه سواه والايمان هو الوصف له بالربوبية
فى كل شئ ومعنى هما فى الحاصل والتحقيق يرجع الى معنى واحد لانك اوصفته بالالوهية والربوبية فى كل شئ لله
تعالى سالما واذا جعلت كل شئ لله تعالى سالما وصفته بالالوهية والربوبية فى كل شئ فدل ان حاصل الايمان
والاسلام واحد وان كانا من حيث ظاهر العبارة مختلفين والله الموفق وقوله عز وجل ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
تحبرون ويحتمل الازواج من وجهين احدهما الازواج المعروفة وهى الاهل لما وقوهم فى الدنيا عن الاسباب التى
بها يستوجبون النار كقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ويحتمل الازواج التى ذكر القرناء والاشكال التى
اعانوهم على الاعمال الصالحة التى بها نالوا الجنة كقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم هاهنا قرناءهم و
شركاؤهم الذين اعانوهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل تحبرون قال ابو عوسجة والقتبى اى تسرون والحبرة السرور
وقال بعضهم تحبرون اى تكرمون وتنعمون وهو ما ذكر ان ليس عليهم خوف الزوال والفناء ولا حزن الحال والله اعلم
وقوله عز وجل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب يحتمل ذكر الصحاف من الذهب والاكواب وجوها احدها ذكر
ذلك لهم فى الاخرة ترغيبا لهم فيها وتحريضا لما يرغبون بمثل ذلك فى الدنيا ليرغبهم بذلك الى السعى للاخرة والله
اعلم وقوله والثانى يحتمل انما ذكر ذلك لان اهل الدنيا كانوا يتفاخرون بهذه الاشياء فى الدنيا فيخبر ان لا ولياء
ذلك فى الاخرة وذلك دائم هذا فانى ولا عبرة للفانى فلا معنى للافتخار به ويحتمل انه ذكر ذلك لانه حرم عليهم
الانتفاع فى الدنيا باستعمال الذهب والفضة والحرير فاخبر ان لهم الانتفاع بذلك فى الاخرة التى هى دار التنعم
فاما ما سوى ذلك من الفرش والاوانى فانه لا باس بذلك وهو مباح فى الدارين جميعا واما ذكر الاكواب يحتمل ترغيب
على ما ذكرنا لانهم يتمنون ويرغبون فيها فى الدنيا والثانى يخبر ان لا سوية عليهم فى حمل الاوانى ورفعها عند الشرب و
الاكل ولا يتولون ذلك بانفسهم ولكن الخدم هم الذين يتولون سقيهم والصحاف جمع الصحيفة وهى القصعة التى ليست
بضخمة والاكواب الاباريق التى لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب ويقال كيزان لا عرى لها قاله ابو عوسجة والقتبى
وقوله عز وجل وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ذلك فى الجنة ليس كنعيم الدنيا لانه فى الدنيا قد تشتهى شاربها
ولا تلذه العيون والله اعلم ويحتمل انه انما ذكر ذلك فى الاخرة لما منعوا وحرموا فى الدنيا ما اشتهت انفسهم الانتفاع به والتلذذ
عوضا وبدلا عما كفوا انفسهم فى الدنيا عن الانتفاع بذلك واعطاء الانفس ارحموا ومنعوا وحيل بينهم وبين ذلك
وتلذ به الاعين لما غضوا ابصارهم فى الدنيا عما لا يحل والله اعلم وقوله عز وجل وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون
ان الله عز وجل بفضله عود عباده لما كان منه من الاحسان والانعام كان ذلك كله منهم اليه فضلا منه حيث نسب
الجنة التى يعطيهم الى اعمالهم التى عملوها وان كانوا لا يستوجبون الجنة وما فيها بالاعمال الحسنة ولذلك ما ذكر فى
الخبر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا
ان يتغمدنى الله برحمته اخبر ان لا احد يدخل الجنة الا برحمته لكنه نسب الجنة التى يعطيهم ما ذكر من الثواب الى اعمالهم
فضلا منه وانعاما وكذلك ما ذكر من قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ذكر
انه اشترى انفسهم واموالهم بالجنة فيعطيهم بانفسهم واموالهم فى الحقيقة له ولا احد يشترى ملكه وماله بماله
نفسه وملكه لكنه ذكر ذلك شراء افضالا منه كان لا ملك له فى ذلك ولا حق وكذلك ما ذكر من الاقراض له و
اقرضوا الله قرضا حسنا ولا احد يستقرض ماله وملكه من غيره لكنه عاملهم معاملة من لا ملك له فى اموالهم وانفسهم
بما جعل لهم من الثواب والعوض فعلى ذلك نسبة الجنة والثواب الذى ذكر لهم الى اعمالهم افضالا منه وانعاما منه
وانعاما وان لم يستوجبوا ما ذكر بالاعمال والله اعلم وقوله عز وجل لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون مثل هذا الوعد
كان انما جاء لاهل مكة فكان لا فواكه لهم فيها ولا ثمار فخبر ان لكم فى الجنة من الفواكه كثيرة ما لا يفنى ولا ينقطع منها
تاكلون ما شئتم فلا يؤذيكم ولا تضركم وان اكثرتم والله اعلم ويحتمل انما ذكر لما عرف من رغبة الناس الى الفواكه والثمار
فى الدنيا رغبهم بها فى الاخرة وحثهم على دفع ذلك لهم والله اعلم وقوله عز وجل ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون
الاجرام هو الكسب فى اللغة والمجرم الكاسب يرجع ذلك الى كل كاسب مما جل او دق الا ان الناس عرفوا من اطلاق
المذكور المجرم الخاص وهو الكافر المشرك فلا يجوز صرفه الى كل كاسب والله اعلم وقوله عز وجل لا يفتر عنهم يذكر هذا ليعلم
ان النار وان انضجت جلودهم واحرقتهم لا يفتر الالم عنهم بنضج الجلود بل التوجع والالم بعد نضج جلودهم واحراقهم على

ماكان قبل النصح والله اعلم قال وهم فيه مبلسون قال بعضهم المبلس الايس وقال بعضهم المبلس هو الساكت عن
الكلام لكن لا يرجوا الفرج من نطقه لان من تكلم الفرج يرجوا من نطقه او كلام نحوه وقوله عز وجل وما ظلمناهم في
التعذيب الذي يعذبون ولكن كانوا هم الظالمون ولكن هم الذين ظلموا انفسهم حيث عبدوا من لا يملك دفع العذاب عنهم
وتركوا عبادة من يملك دفع ذلك عنهم والله اعلم ويحتمل وما ظلمناهم في ترك البيان عليهم اي لم نترك بيان ما عليهم وما لهم بل
بينا لهم عاقبة السبيلين جميعا انه الى ما يفضي عاقبة هذا السبيل ولكن هم ظلموا انفسهم حيث اختاروا السبيل الذي افضاهم
الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون كانهم يقولون يا مالك سل ربك ليقض
علينا بالموت يفزعون اولا الى المؤمنين وهو قولهم ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
فلما ايسوا من ذلك يفزعون الى الله تعالى يسألون الرجوع الى المحنة ليعملوا غير الذي عملوا بقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل فلما ايسوا عن ذلك عند ذلك يفزعون الى مالك ليسأل ربه ليقضي عليهم الموت فقال انكم ماكثون
وهو ما قال عز وجل لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم الاية والله اعلم وقوله عز وجل لقد جئناكم بالحق هذا على اثر
ما ذكر كقوله تعالى انا لننصر رسلنا على اثر قوله اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات الاية يحتمل ان يكون القولان جميعا من الله
اعني قوله تعالى لقد جئناكم بالحق وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والله اعلم ويكون ان يكون العذاب جميعا من الملائكة انه جائز
اضافة الرسل الى الملائكة انهم رسل كقول الناس رسولنا فعل كذا والله اعلم ثم قوله لقد جئناكم بالحق الحق كل ما يحمد
عليه ويحمد هو عاقبة ذلك الفعل والباطل كل ما يذم عليه فاعله ويذم هو عاقبته والله اعلم ثم الحق المذكور ويحتمل
القران ويحتمل الحق ما تركوا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما دعاهم اليه ويقولون الحق هو الذي عليه اباؤنا
وانا على اثارهم مقتدون ثم قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم وقال ههنا لقد جئناكم بالحق اي جئناكم
بما هو اهدى والحق مما عليه اباؤكم وقوله ولكن اكثركم للحق كارهون فان قيل كيف قال لكن اكثركم للحق كارهون وانما
خاطب به اهل النار وكانوا جميعا كارهين للحق يقول انه يخرج على وجهين احدهما ان اكثرهم قد عرفوا انه الحق لكنهم كرهوا
اتباعهم والانقياد له عنادا منهم ومكابرة بعد ظهور الحق عندهم وتبينه لديهم مخافة ذهاب الرياسة عنهم وزوال
ماكلتهم ولم يظهر لاقلهم ولم يعرفوا والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من كراهة اكثرهم للحق لحق الطباع كان في طباع اكثرهم
كراهة ذلك الحق والله اعلم وقوله عز وجل ام ابرموا امرا فانا مبرمون ثم يحتمل ان يكون ما ذكر ابرامهم امرا ما ذكر في اية
وهو قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ابرامهم امرا هو مكرهم الذي مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر والله اعلم
ويحتمل ان يكون ابرامهم الذي ذكر غير ذلك وكيف ما كان ففيه وجهان من الدلالة احدهما ليعلموا ان الله تعالى عالم سميع بما يبرمون
فيما بينهم من امر سر لانه في ظنهم ان الله لا يعلم ولا يسمع ما يبرمون من الامر سرا ولذلك قال تعالى ام يحسبون انا لا نسمع
سرهم ونجواهم والثاني فيه دلالة اثبات الرسالة لانهم ابرموا ذلك الامر فيما بينهم سرا ثم اخبرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما ابرموا وحكموا من الامر ليعرفوا انه انما علم ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل فانا مبرمون يحتمل فانا جازون
جزاء ابرامهم ويحتمل فانا مبرمون اي الينا يرجع تدبير ابرامهم الامر ومكرهم جميعا وعلى ذلك قوله فلله المكر جميعا على
هذين الوجهين اللذين ذكرناهما وقوله عز وجل ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي بل يحسبون على ما ذكرنا ان حرف
الاستفهام منه يخرج على الايجاب كانه قال بل يحسبون الا ترى انه قال بلى ورسلنا وقوله عز وجل ورسلنا لديهم
يكتبون هذا وعيد وتنبيه منه لهم يخبر ان رسله يكتبون ما يسرون ويخفون من المنكر وغيره ليكونوا ابدا على
حذر وتيقظ والله اعلم وقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين يخرج هذا على وجهين احدهما اي
ما كان للرحمن اي وليس للرحمن ولد ثم يخرج قوله فانا اول العابدين على هذا التاويل على وجهين احدهما ما كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين له بالتعالي والتنزيه عن الولد اي فانا اول من يعبد الرحمن بالايمان والتصديق انه ليس له ولد
على هذا اعبد والله تعالى والثاني ما كان للرحمن ولد فانا اول الانفين وهو من عبد يعبد اي انف يانف فيكون هذا
تنزيه تصريح عن الولد والاول تنزيه له بالكناية هذا اذا كان معنى قوله قل ان كان للرحمن ولد ما كان للرحمن ولد ثم
وقوله عز وجل وانا اول العابدين يخرج على التاويل ايضا على وجهين احدهما اي لو كان للرحمن ولد على زعمكم وعلى
ما عندكم فانا اول من ابرا عن ان يكون له ولد وادعوكم الى الرحمن الذي لا ولد له وهو كقوله تعالى اين شركائي
الذين كنتم تزعمون اي اين شركائي في زعمكم انتم انهم شركاء وقوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا
اي انظر الى الهك الذي هو في زعمك انه اله والثاني يحتمل ان يقول له قل لو كان يجوز ويحتمل ان يكون له ولد فانا
اول من اجمع على ذلك واول من اقول انا بذلك فاذ لم اقل بذلك وانا رسول الله فظهر انه لا يحتمل ولا يجوز
ان يكون له ولد وهو كقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي لو كان يجوز ان
يريد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى ممن عنده ومما يختارون انتم لكن لا يحتمل ولا يجوز ان يتخذ ولدا وقال بعضهم في قوله
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين يقول كما اني لست اول من عبد الله فكذلك ليس للرحمن ولد كقول الرجل

لو كان ما تقول حقا فانا حمار ومعناه ليس الذي تقول بحق كما اني لست بحمار والله اعلم ثم نزه نفسه عن الولد وانه لا يجوز ان يكون
له ولد حيث قال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي رب السموات ورب الارض ورب من فيهن ورب
العرش قال اهل التاويل اي رب السرير لكن لا يحتمل ان يكون تاويل العرش ههنا السرير فينسب الى السرير فيقال رب السرير و
يجوز نسبته ايضا لانه ربا السرير فيثبت المشاكلة في النسبة بينه وبين الخلق الا ان يقال ان لذلك السرير عند الخلائق موضعا
وقدرا عظيما يليق التفخيم به وانه من اعظم المخلوقات واعجبها فكان نسبته هذا الى الله سبحانه وتعالى من باب التعظيم والاجلال
له بمنزلة نسبة كل العالم اليه فيكون جائز والله اعلم ويحتمل ان يكون تاويل العرش ههنا هو الملك يقول سبحان رب السموات
والارض ورب الملك عما يصفون ثم قد بينا الحكمة ذكر السموات والارض على اثر ذكر الولد في غير موضع وقوله عز وجل فذرهم
يخوضوا ويلعبوا هذا في الظاهر امر تركهم على ما هم عليه من الخوض واللعب وغيره مثل هذا مما لا يليق بالحكمة اذ هو حرام في
العقل لكن يخرج وان كان صيغته صيغة الامر كقوله اعملوا ما شئتم هو في الظاهر وان كان امرا فهو في الحقيقة وعيد فعلى ذلك
هذا يخرج على الوعيد ويحتمل ان يخرج على ترك المكافات على ما يسمعون من الاستهزاء بهم والانواع على الاذى الى اليوم الذي
يلاقون ويعاينون العذاب حتى لا ينفعهم الندامة والرجوع في ذلك اليوم واصل ذلك ان الله تعالى قد اوعدهم بمواعيد شديدة
ووعظهم بمواعظ بليغة فلم ينجع تلك المواعيد فيهم ولا ينفعهم شيء من ذلك والثاني قد بين ما يزيل عنهم السيئة وما
يوجب التعلق به اوضح لهم طريق الحق والهدى فلم يسلكوا سبيل طريق الحق فاوعدهم بما ذكر في ذلك اليوم ما لا
ينفعهم ندامتهم في ذلك الوقت والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي اله في اللغة
هو المعبود كانه يقول والله اعلم انكم تعلمون ان الله تعالى هو المعبود في السماء وهو المعبود في الارض والاصنام
التي تعبدونها انهم لا تعبدها الا وانتم كيف تركتم عبادة المعبود والذي هو معبود في السماء والارض واخترتم
عبادة من ليس بمعبود الا بعبادتكم ويحتمل ان يقول تعلمون انتم ان الله سبحانه وتعالى هو اله السماء والارض
واله من فيهما وانه خالق ذلك كله لقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والاصنام
التي تعبدونها انتم لا تعبدها الا انتم فكيف تركتم عبادة المعبود والذي هو معبود في السماء والارض واخترتم
عبادة من ليس بمعبود الا بعبادتكم ويحتمل ان يقول تعلمون انتم ان الله تعالى هو اله السماء والارض واله ما فيها
وانه خالق ذلك كله لقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والاصنام التي تعبدونها لم
تعلم لا تعبدها الا انتم فكيف تركتم عبادة المعبود والذي هو معبود في السماء والارض واخترتم عبادة من ليس بمعبود
الا بعبادتكم ويحتمل ان يقول تعلمون انتم ان الله تعالى هو اله السماء والارض واله ما فيها وانه خالق ذلك كله لقوله
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والاصنام التي تعبدونها لم تفعلوا ذلك ولا يملكون شيئا
من ذلك فكيف اتخذتموها الهة دونه والله اعلم وقوله عز وجل وهو الحكيم العليم ذكر الحكيم والعليم على اثر ذلك
يخرج على وجوه احدها السؤال الثنوية ان الله عز وجل لا يجوز ان يبسط الرزق ويوسع الدنيا على من يعلم انه
يعاديه ويشتمه ويعادي اولياءه ويشتمهم لان في الشاهد من يصنع الى من يعلم انه يعاديه معروفا فليس بحكيم
فعلى ذلك يقولون ان ذلك ليس من الله تعالى ولكنه من اله غيره سفيه لانه وصف نفسه بالحكمة وانه يزيل
الحكمة وكقول البراهمة في انكارهم الرسالة في انكارهم الرسالة اصلا يقولون ليس من الحكمة بعث الرسل الى
من يعلم انه يكذبه ويكذب رسله ولا يقبل رسالته بل يقتله ويعاديه لذلك ينكرون رسالة الرسل فاخبر تعالى
عز وجل بقوله الحكيم العليم انا اعطاني اياهم ما اعطيتهم وبعث الرسل اليهم على علم مني بما يكون منهم من التكذيب
والعداوة لا يخرجني عن الحكمة ويخرج فاعل ذلك في الشاهد عن الحكمة لان ملوك الارض انما يرسلون الرسل
ويبعثون الهدايا لمنافع انفسهم ولحاجتهم فاذا علموا ان المبعوث اليهم الرسل والمصنوع اليهم المعروف ما ذكر
خرج من الحكمة فاما الله تعالى انما بعث الرسل لحاجة المبعوث اليهم ولمنافع انفسهم فكذلك ما يعطيهم من
الدنيا لمنافع انفسهم فلم يخرج ذلك من الحكمة لانه لا يضره معاداة من عاداه ولا ينفعه موالاة من والاه بل
كل ذلك راجع اليهم بل صنيع المعروف الى من يعلم انه يعاديه يكون وصفا له الكرم والجود ولذلك ما ذكرنا
ويبطل قول الثنوية والبراهمة والله الموفق وقوله عز وجل وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما
بينهما قوله تبارك قال اهل التاويل اي تعالى وتعاظم عما قالت الملحدة فيه من الشريك والولد والصاحبة
وغير ذلك مما لا يليق به ولا يجوز فيكون تنزيه عن جميع ما قالوا فيه وهو كحرف سبحان الذي يكون تنزيها عما
قالوا فيه والله اعلم قال بعضهم اهل الادب تبارك هو من البركة لكن بعض العلماء قالوا ان هذا التاويل
لا يصح لان قوله تبارك هو من وقوع بنفسه فهو اسم ملازم ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بوقوع البركة
لكن عندنا تبارك وتفاعل هو فعل اثنين تجاوز نسبة البركة اليهما على حقيقة وقوعهما باحدهما وهو الخلق
للايصال على ما هو الاصل في مثل هذا وله نظائر كثيرة واحسن تاويل تبارك ما قاله اهل التاويل تعالى وتعاظم عن

جميع ما قالت الملحدة فيه مما لا يليق به من الولد والشريك وغير ذلك لكن هو على التأويل لا على تحقيق الاسم فعلى
ما فسروا في قوله وتعالى جد ربنا اى عظمته والجد هو في الحقيقة ليس هو اسم العظمة ولكن هو مخرج الامر على
ما يريد ويشاء وتسمية الناس فيما بينهم بالفارسية بختيار فتفسيرهم الجد بالعظمة لتقارب تسمية العظيم وخروج
الامور على ما يريد ويشاء فعلى ذلك تفسيرهم تبارك بما قالوا تعالى وتعاظم على التأويل لا على حقيقة الاسم اذ
هو من البركة لكن كل من بورك فيه صار معظما لما قاطلقوا عليه تبارك بمعنى تعالى لا بمعنى حقيقة الاسم و
الله اعلم ثم **وقوله** وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما بيان منه وتعليم للخلق ما يجوز النسبة
فقال له ملك السموات والارض وقال وله ما في السموات والارض ونحو ذلك يبين لهم ان تنسبوا اليه
هذا ولا ينسبوا اليه من الولد والشريك والصاحبة ونحو ذلك لان نسبة الاشياء بكليتها تخرج مخرج الوصف له
بالعظمة والجلال نحو ما ذكرنا من قوله تعالى له ملك السموات والارض وقوله وهو بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير
وقوله خلق كل شيء ونسبة خاصية الاشياء اليه تخرج مخرج التعظيم والتبجيل لتلك الاشياء ثم ينظر بعد هذا فان كان
تلك الاشياء الخاصة مما يجوز تعظيمها نسبت اليه واضيفت نحو قوله بيت الله ومساجد الله ورسول الله وغير ذلك
من الاشياء التي يعظمها الله تعالى ورفع قدرها ومنزلتها عنده وان كانت الاشياء مما يستقذر ويستقبح ويستذل
فلا يجوز النسبة اليه والاضافة لما ذكرنا ان نسبتها اليه واضافتها تخرج مخرج التعظيم لها وهي ليست بمعظمة
ولكنها مستذلة مستقذرة فيكون وضع الشيء في غير موضعه وانه خلاف الحكمة والله الموفق **وقوله** عز وجل وعنده
علم الساعة تخرج على وجوه احدها اى وعنده علم ساعة الصعقة كقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الارض الاية ويحتمل وعنده علم الساعة الزلزلة كقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم ويحتمل وعنده علم
ساعة الفزع والهول كقوله ففزع من في السموات الاية ويحتمل عنده علم ساعة القيامة كقوله يوم يقوم الناس لرب
العالمين ونحو ذلك والله اعلم اخبر انه لم يطلع الله عز وجل علم حقيقة ما ذكر احدا من خلقه **وقوله** واليه ترجعون
قد ذكرنا في غير موضع ان تخصيص ذلك بالرجوع اليه تخرج على وجوه وان كانوا في جميع الاحوال راجعين الى الله تعالى
صائرين اليه احدها لان المقصود من انشائهم ذلك اعني البعث كي لا يكون خلقهم عبثا على ما ذكرنا غير مرة ويحتمل
تخص ذلك اليوم بالرجوع اليه والمصير والخروج لانه يومئذ تخلص خروجهم ورجوعهم اليه وانقيادهم له وقد ذكرنا
والله اعلم **وقوله** عز وجل ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة انهم كانوا يعبدون الملائكة رجاء ان يكونوا
لهم شفعاء لما عرفوا من خصوصيتهم وفضلهم عند الله تعالى وذلك معروف في الناس انهم يخدمون ويكرمون خواص
ملوكهم رجاء ان يشفع لهم اولئك الخواص عند الملك لو نزل بهم بلاء او وقعت لهم حاجة يوما من الدهر فعلى ذلك
هؤلاء الكفرة كانوا يعبدون الملائكة لما عرفوا من خصوصيتهم وفضل منزلتهم عند الله ثم اخبر عز وجل عن الملائكة
انهم لا يملكون الشفاعة بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهو قوله الا من شهد بالحق وهم يعلمون اى الا لمن شهد
بوحدانية الله تعالى والالوهية لا يشفعون لاولئك انما يشفعون لمن ذكر وان كانت لهم خصوصية عند الله تعالى
لان الله عز وجل نهى اولئك ان يعبدوا الملائكة ويعظموهم من جهة العبادة لذلك لا يملكون الشفاعة لهم فيكون
مثل هذا مثل ملك نهى قومه ان يخدموا او يعظموا احدا سواه من خواصه فاذا فعلوا ذلك وخدموهم وتركوا نهيه
لا يملك اولئك الخواص ولا يتجاسرون على طلب الشفاعة عند الملك لاولئك الذين نهاهم الملك ان يخدموهم ويعظموهم
دونه فعلى ذلك الملائكة لم يجعل لهم شفاعة لاولئك الذين عبدوهم دونه الا لهم ذكر وهم الذين عبدهم دونه
الا لمن ذكر وهم الذين شهدوا بالحق وقاموا بعبادة الله تعالى فقد اذن الله لهم بالشفاعة لاولئك والله اعلم
ويحتمل ان يكون قوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة اى لو كانت لهم الشفاعة لكانت لا ينفعهم كقوله
تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اى لو كانت لهم شفعاء لكانت لا تنفعهم شفاعتهم ليس ان يكون لهم
شفاعة او شفعاء وهو كقوله تعالى لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه الاية وكقوله عز وجل لا يقبل منها
عدل الاية فعلى ذلك يحتمل قوله عز وجل ولا يملك الذين من دونه الشفاعة اى لا ينفعهم والله اعلم **وقوله**
عز وجل الا من شهد بالحق وهم يعلمون يخرج قوله وهم يعلمون على وجهين احدهما يرجع الى الملائكة فيكون كانه يقول
ولا يملك الا الذين يدعون من دونه الشفاعة وهم يعلمون انهم لا يملكون الشفاعة والثاني يرجع الى من شهد
بالحق يكون كانه يقول ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون انهم يشهدون
بالحق والشهادة بالحق ما ذكرنا يعني يشهدون على وحدانية الله تعالى والوهيته وانه هو المستحق بالعبادة
دون من عبدوهم والله اعلم **وقوله** عز وجل ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال في اول السورة ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ثم نعته فقال الذي جعل لكم المهد ما ذكر
تدا تى واجمعا ان الذي خلق السموات والارض وخلقهم وما يحتاجون اليه هو الله تعالى ثم علما هم وعرفانهم

بذلك على الاصنام التي يعبدونها والله الهادي وقال اهل التأويل اى فانى يكذبون بعد علمهم ومعرفتهم ذلك في تسميتهم
معبودهم الها وشكرهم غير الذي صنع ذلك لهم بالعبادة له دون الله تعالى **وقوله** عز وجل وقيله يا رب قرئ بنصب
اللام وكسره فمن قرأ بالنصب جعله معطوفا على قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ونسمع قيله اى قوله
الذي اعتقدوه اى بل نسمع ذلك كله ومن قرأ بالكسر عطفه على قوله وعنده علم الساعة اى وعنده علم الساعة وعلم
قيله **وقوله** عز وجل يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كانه على الاضمار اى قيل لهم قل ان هؤلاء قوم لا يصدقون وفيه
دلالة اثبات رسالته لانه اخبر انهم لا يؤمنون وقد كان على ما اخبر لم يؤمنوا دل انه بالله عرف ذلك وعلمه **وقوله**
عز وجل فاصفح عنهم اى اعرض ودعهم وقل سلام اى قل الصواب والحق فسوف يعلمون يوما فهو وعيد لهم ويحتمل
ان يكون قوله وقل سلام اى سلام عليهم لكنه على المؤمنين ليس على اولئك الكفرة فسوف تعلمون بالتاء يكون
لو صرفا الى المؤمنين وهو كقوله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم فيكون كانه عز وجل
قال فسوف تعلمون انما المؤمنون ما نزل باولئك والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل** حم والكتاب المبين قد ذكرنا تأويله فيما تقدم **وقوله**
عز وجل انا انزلناه في ليلة مباركة قال اهل التأويل انما انزلنا الكتاب اى القران في ليلة القدر من لوح المحفوظ الى
السماء الدنيا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالتفاريق ويحتمل ان يكون الهاء راجعة الى قوله حم اى قضى ما هو كائن
على ما قال بعض اهل التأويل اى ما قضى في كل سنة من الموت والحياة والرزق ونحو ذلك ينزل في ليلة القدر ونسخها
الى الملائكة الذين وكلوا على ذلك فهذا يحتمل ويحتمل ان يكون الهاء راجعة الى ما تضمن في قوله حم على ما اراد به والله اعلم
ويحتمل انه اراد بهذا انزال شيء وامر في ليلة القدر عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيخبر انه انزل ذلك
ولم يبينوا لنا ذلك لما لا حاجة لنا الى معرفته وقالت الروافض في قوله تعالى انا انزلناه ان الله تعالى انزل شيئا
على رسوله ليكون ذلك الشيء على رأسه وعلى رؤوس الائمة الذين يكونون بعده بحيث يرون ذلك دون غيرهم
اذا استقبلهم امر او بدا لهم شيء نظروا في ذلك الشيء عرفوا ما احتاجوا ربما يكون من الصلاح او كلام نحو هذا والله
اعلم واما عند اهل التأويل هو ما ذكرنا راجع ذلك الى الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ما ذكرنا
من تضمين ما ضمن في قوله حم وكذلك قالوا ايضا في قوله انا انزلناه في ليلة القدر وقوله في ليلة مباركة وهي ليلة
القدر سماها مباركة وقد سمى المطر والماء منزل من السماء كقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء مباركا وكذلك الارزاق
المنزلة من السماء والمستخرجة من الارض مباركة بقوله بركات من السماء والارض والمبارك هو الذي عنده يدرك
كل الخيرات والبركة هي اسم كل خير يكون ابدا على الزيادة والنماء فسمى تلك الليلة مباركة لما يحصل فيها من الخيرات والبركات
والله اعلم **وقوله** عز وجل انا كنا منذرين يحتمل انا كنا منذرين للخلق اذا انشئوا وبلغوا المبلغ الذي يستوجبون الانذار و
يحتمل انا كنا منذرين الخلق بالرسل هذا هو الظاهر ان هذا القول من الله تعالى والله اعلم قال انا كنا منذرين بالقران
بما انزل على **وقوله** عز وجل فيها يفرق كل امر حكيم يحتمل اى يفصل ويبين كل امر هو كائن في ليلة القدر ويحتمل اى يبين
في ليلة القدر كل ما يكون تلك السنة ثم **وقوله** كل امر حكيم يحتمل اى كل امر فيه حكمة ويحتمل كل امر محكم متقن
امرا من عندنا **وقوله** عز وجل رحمة من ربك يحتمل قوله رحمة اى ما انزل من الكتاب هو رحمة من ربك ويحتمل
ليلة القدر اى جعلها رحمة ويحتمل ما ذكر من امر حكيم هو رحمة منه ويحتمل اى الرسول المبعوث اليهم رحمة منه لهم
وهو كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم **وقوله** عز وجل انه هو السميع يحتمل قوله السميع باقوالهم
التي اسروها العليم بافعالهم واعمالهم التي اخفوها واضمروها ويحتمل السميع المجيب لمن دعا العليم بما يرجع الى مصالحهم
في دينهم ودنياهم والله اعلم **وقوله** عز وجل رب السموات والارض وما بينهما قال بعضهم رب الشيء هو مصلحه معناه
مصلح السموات والارض وما فيهما وحافظ ذلك كله وقال بعضهم رب السموات والارض اى مالكهما ومالك ما
بينهما ويحتمل رب السموات والارض اى خالقهما وخالق ما فيهما ومنشئ ذلك كله والله اعلم **وقوله** عز وجل ان كنتم
موقنين قال بعضهم هذا على الاتمام الاية ومراعاة المقاطع على وجهها هذا واشباهه يخرج على هذا والله اعلم ويحتمل ان
يكون قوله ان كنتم موقنين على اثر قوله رب السموات والارض اى هو رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم تعلمون
انه رب ما ذكر فكيف تصرفون العبادة واسم الالوهية الى من ليس برب ما ذكر ان الايقان هو العلم بالشيء حقيقة
ثم نعت الرب فقال لا اله الا هو فكانه يقول لا معبود يستحق العبادة سواه لا اله الا هو المعبود عند العرب
يقول لا يستحق الاشياء التي يعبدون العبادة انما المستحق لها هو الذي لا اله غيره ويحتمل ان يقول لا يستحق اسم
الالوهية الا هو لا الاشياء التي سميتموها الهة ثم نعته فقال يحيي ويميت ربكم ورب اباءكم الاولين اى هو يحيي
ويميت وهو ربكم ورب اباءكم الاولين ان من عبادة العرب انهم كانوا يعبدون ويخدمون شيئا دون الله تعالى رجاء

أن يشفع لهم ويقربهم ذلك العبادة الى الله تعالى فيقولون ان الذين يعبدون من دونه لا ينفع لهم العلم بعبادتكم اياها فاصرفوا العبادة الى الذى يعلم بعبادتكم على كل حال واخلصوا له ذلك ولا تشركوا غيره وقوله عز وجل بل هم فى شك يلعبون يحتمل قوله عز وجل بل هم فى شك اى فى امر القرآن ويحتمل بل هم فى شك فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم ليس هو على حقيقة الدخان ولكن على التمثيل والمجاز ثم اختلف فى كيفية ذلك مع اتفاقهم انه قد مضى ذلك وقد كان قال بعضهم بدخان اى بجدب وقحط جعل الدخان كناية عن الجدب لوجوه احدها ما بينا ان الجائع فى القحط كان بينه وبين السماء والناس دخان من شدة الجوع كالذى يشتد به العطش يرى السراب ماء وذلك لانه لما اشتد الجوع ضعفت ابصارهم وغطاها الجوع فيكون الجوع سبب تراءى الدخان فاستقر له والثانى فى سنة الجدب بسبب الارض وينقطع النبات فيرتفع الغبار ويصعد الريح ليبسها فيشبه ذلك الغبار الذى يرتفع من يبس الارض بالدخان فسمى باسمه ولذلك قيل السنة غبراء وقيل جوع اغبر لان العرب ربما وصفت الدخان موضع الشر اذا علا فيقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان وقالوا ان هذا القحط الذى جعل الدخان كناية عنه قد كان فانه اشتد بهم القحط وقلة الامطار ويبست الارض وارتفع الغبار وصعد الريح كالدخان وضعفت ابصارهم لشدة الجوع حتى كانوا يرون السماء كالدخان على ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال كان احدهم ينظر الى السماء فيرى كهيئة الدخان من شدة الجوع وقال بعضهم انما مثل الارض يومئذ كمثل بيت اوقد ليس فيه خصاصة وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قد مضى الدخان وهو سنون كسنى يوسف كجهد الناس والله اعلم ومنهم من يقول هو على حقيقة الدخان وانه لم يمض بعد وكذلك روى عن على رضى الله عنه انه قال ان الدخان لم يمض بعد ياخذ المؤمن كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى وكذلك قول ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه والحسن وغيرهم ويحتمل صرف الدخان المذكور فى الآية على التمثيل اشبه لان الامر اذا اشتد وبلغ نهايته يشبه بالنار كقوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله وليس هناك نار ولكن وصف شدة الحرب فعلى ذلك جائز تشبيه على ما اشتد بهم من الجوع والجدب والقحط بالدخان الذى ذكر وكذلك يصف الناس الامر اذا اشتد يقولون هاج الدخان ونار والله اعلم وقوله عز وجل يغشى الناس هذا عذاب اليم يحتمل قوله يغشى الناس اى غشى الناس ما ذكر وهو عذاب اليم على تاويل من قال انه ماض كائن ويحتمل يكون قوله تعالى يغشى الناس هذا عذاب اليم اى يغشى فيقول الناس هذا عذاب اليم وهو على قول من يقول انه لم يمض بعد والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انا مؤمن بك فيما تدعونا اليه لو كشف عنا العذاب فى معنى الشرط والجزاء وهو كقول موسى عليه السلام حيث قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الآية ويحتمل ان يكون قوله انا مؤمنون على الحال كانهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون للحال فاخبر الله تعالى وعز انهم لا يؤمنون وانهم كذبة فيما قالوا حيث قال تعالى انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين يقول انى يتوبون او من اين ينفعهم توبتهم فى ذلك بعد ما اخرجت انفسهم من ايديهم وقد جاءهم رسول قبل ذلك الوقت مبين انه رسول والله اعلم وقوله عز وجل ثم تولوا عنه يحتمل اى اعرضوا عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن ويحتمل تولوا عما دعاهم اليه رسول الله وامرهم به ويحتمل تولوا عن رسول الله نفسه وقوله عز وجل وقالوا معلم مجنون قولهم معلم لانهم يقولون انما يعلمه بشر وقوله مجنون نسبوه الى الجنون لوجهين احدهما ما ذكر انه اذا انزل به الوحى تغير حاله ولونه لثقل ذلك عليه فيقولون به آفة وجنون والثانى لما دعا وقد خاطر بروحه ونفسه لانه خالف الفراعنة منهم والاكابر الذين كانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم ودعاهم الى غير الذى كانوا عليه اذا نسبوه الى الجنون والله اعلم وقوله عز وجل انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون قال بعضهم انكم عائدون فى معاصيكم وكفركم الذى كنتم فيه وقال بعضهم اى انكم عائدون الى عذاب يوم القيمة والله وقوله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال بعضهم ذلك يوم بدر وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه وقال بعض اهل التاويل وقالوا ذلك اشد من الدخان وقال بعضهم هو عذاب يوم القيمة وهو قول ابن عباس والحسن والله اعلم وقوله عز وجل ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون يقول والله ولقد فتنا قوم فرعون بموسى قبل قومك بك ويحتمل ان يقول ولقد فتنا فرعون بمثل الذى فتنا قومك ثم احسان قوم فرعون بمثل الذى فتن قومه وجوهها احدها ان موسى عليه السلام قد اتاهم بالآيات والمعجزات ما لم يقدر فرعون على مقابلة تلك الآيات وعجزوا ان ياتوا بمثلها فعلموا انها آيات الله تعالى وكذبوها وردوها ونسبوا موسى الى السحر والكذب والافتراء على الله تعالى ففعل ذلك اهل مكة برسول الله صلى الله عليه وسلم وعاملوه بالذى عامل اولئك موسى من النسبة الى السحر والجنون والكذب والافتراء على الله تعالى والله اعلم وقال بعضهم ان فرعون وقومه اذ ذكروا موسى وحضروه لانه ولد فيهم كما اذ ذكر اهل مكة محمدا صلى الله عليه وسلم فقال انت اصغرنا وافقرنا واقلنا حيلة كما قال فرعون

لموسى الم نربك فينا وليدا الآية ويحتمل ان يكون اهل مكة سألوا اليهود من الانباء التى يجدون فى كتبهم ليحاجوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون منه ليظهروا الكذب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبرهم عن الانباء المتقدمة والله اعلم وقوله عز وجل وجاءهم رسول كريم كان جميع رسل الله عليهم الصلوة والسلام كراما لان الله تعالى كان بعثهم الى قوم جهال سفهاء كان لهم الركون الى الدنيا والميل اليها والرغبة فيها فبعثهم اليهم كرام الخلق ليداووا اولئك الاقوام ويتهياء لهم المعاملة لهم والتحمل منهم لسوء ما كانوا يعاملونهم والله اعلم وكذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم حيث قال وانك لعلى خلق عظيم وقوله عز وجل ان ادوا الى عباد الله يقول ان ارسلوا معى بنى اسرائيل وخلوا عنهم ولا تحبسوهم ولا تستعبدوهم فانهم احرار ويحتمل ان يقول ارسلوا معى بنى اسرائيل فانهم يعينونى فى اجابتى الى ما ادعوهم اليه ويطيعون فى اتباعى فيما امرهم به وقوله عز وجل انى لكم رسول امين اى انى لكم رسول امين على الوحى والرسالة ويحتمل ان يقول انى كنت امينا فيما بينكم لا يظهر لكم منى خيانة ولا المعتم على كذب قط فلماذا تكذبونى وتنسبونى الى السحر والله اعلم وقوله عز وجل وان لا تعلوا على الله قال بعضهم اى وان لا تتكبروا ولا تتعظموا على رسل الله لكن عندنا معناه وان لا تتكبروا وتتعظموا على الله ولا تتعظموا على عبادة الله او على دينه اذ لا احد يقصد قصد التكبر على الله تعالى وان نسب اليه فهو على ارادة اوليائه او دينه كقوله ان تنصروا الله ينصركم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل انى آتيكم بسلطان مبين اى آتيكم بحجة بينة انها من الله وانى رسول الله وهو ما آتاهم من الآيات المعجزات والحجج البراهين والله اعلم وقوله عز وجل وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون لا يحتمل ان يكون هذا الكلام من موسى عليه السلام على ابتداء بلا سبب كان من فرعون ولا امر سبق فكان سببه ونازلته والله اعلم هو ما ذكر فى سورة اخرى حيث ذرونى اقتل موسى وليدع ربه الآية فلما قال فرعون ذلك وهم ان يقتل موسى قال له موسى عند ذلك انى عذت بربى وربكم ان ترجمون دلالة انه من آيات الله الرسالة له لانه قال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه فيمنعنى عن قتله فقال انى عذت بربى وربكم الآية دل هذا القول على انه علم قول فرعون وقصده بقتله وتوسل بالدعاء الى الله تعالى ليمنعه عن ذلك وعلم ان الله تعالى يعصمه عن شره وكيده حتى قال ذلك والله اعلم وقوله وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون يقول فان لم تصدقونى فيما ادعوكم اليه وامركم به فاتركونى فاقصد وامن به ولا يمنعكم تصديقى واتباعى والله اعلم وقال بعضهم اى دعونى خفافا اجابنا لا على ولا لى وقال بعضهم وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون ولا تقتلون والله اعلم وقوله فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون وهو كقوله حيث قال وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وكقوله نوح عليه السلام انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا ونحو ذلك يقولون والله اعلم يا ربنا انا قد عاملناهم المعاملة التى امرتنا ان نعاملهم وتحللنا الحيل التى علمتنا ان نحتال معهم فلم ينجع ذلك فيهم ولم يتبعونا ولا اجابونا الى ذلك فهل من حيلة سوى ذلك او معاملة غير ذلك نعاملهم بها لعلهم يتبعونا ويجيبونا هذا الدعاء وهذا القول منهم ليكون بعد ما اجهدوا انفسهم فى دعائهم الى الحق زمانا طويلا ليس يحتمل فى ابتداء الامر والله اعلم وقوله عز وجل فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون كان فى اخراج موسى عليه السلام بنى اسرائيل من بين اظهر اعدائهم ليلا من غير ان شعر وعلم احد من اعدائهم بذلك وهم العدد الذى ذكر فى القصة انهم زهاء ستمائة الف عظيمة عجيبة لموسى عليه السلام على رسالته اذ خروج مثل من بين اظهرهم عسير صعب لكن خروج العدد الذى ذكر فى القصة والله اعلم ثم وقوله عز وجل انكم متبعون هذا يخرج على وجهين احدهما اى قوم فرعون يتبعونهم ليردوهم الى الامر الذى كانوا يستعملونهم من قبل من نحو الاستخدام ولا الاستعباد والله اعلم والثانى ان يتبعونهم للعباد والحرب لانه ذكر فى القصة انهم اخذوا اموالهم من الحلى واللباس فخرجوا بها فجائز ان يكون اتباعهم اياهم ليقاتلوهم كما يقاتل الاعداء والله اعلم وقوله عز وجل واترك البحر رهوا يحتمل قوله واترك البحر كان موسى عليه السلام ان يضرب البحر بعضا ليصل الماء بعضه ببعض لئلا يعبر فرعون وقومه فقال له اتركه كما هو فانهم جند مغرقون ثم اختلف فى قوله رهوا قال بعضهم هى فارسية عربية اى اترك البحر راه وقال بعض اهل اللسان رهوا اى ساكنا وقال بعضهم رهوا منفلقا وهو قول ابو عوسجة وقال اهل التاويل رهوا اى يابسا وهو كقوله فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا وقوله تعالى انهم جند مغرقون قد وعدهم جل وعلا ان يغرق فرعون وقومه فعل وقوله عز وجل كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين اى ناعمين وقيل معجبين من الناس من قال ان هذه الآية مخالفة للاخرى الاخرى فى ظاهر المخرج وهو قوله عز وجل ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الآية ثم قال الله تعالى قد اجيبت دعوتكما فاذا كانت قد اجيبت دعوتهما فى طمس اموالهم فطمست لا محالة فكيف ذكر كم تركوا من جنات وعيون الآية وما معنى قوله كذلك واورثناها قوما آخرين لكن عندنا انه لا مخالفة بين الآيتين اذ جائز ان يكون طمس اموالهم التى كانت لهم من الحلى وغير ذلك من الصامت ونحو خاصة فاما الاموال التى كانت لهم بالشركة من نحو البستان والمزروع واشباهها فذلك لم يطمسها ولكنه تركها على ما هى عليها لبنى اسرائيل وهو قوله عز وجل كذلك واورثناها قوما آخرين اى مثل ذلك واورثناها قوما آخرين وهو ما ذكر فى آية اخرى حيث قال واورثنا القوم

الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فيه ان بني اسرائيل قد عادوا الى مصر ونزلوا اوطانهم ومنازلهم
ونسائهم والله اعلم وقوله عز وجل فما بكت عليهم السماء والارض قال بعضهم اي فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض بل
سروا بذلك واستبشروا بهلاكهم فيكون ذكر نفي البكاء لاثبات ضده وهو السرور والفرح لا لعينه وذلك جائز في اللغات
بذكر نفي الشيء ويراد به اثبات ضده لا عين النفي كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم ليس المراد اثبات نفي الربح اي لم تخسر بل المراد
اثبات الخسران والوضيعة اي خسرت ووضعت فعلى ذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اي ضحكت وسرت
واستبشرت بهلاكهم لانهم جميعا ابغضوهم وعادوهم لادعائهم ما ادعوا من الالوهية لفرعون والله اعلم وقال بعضهم
فما بكت عليهم السماء والارض يحتمل ان المراد به ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله
باب في السماء يصعد اليه عمله الصالح وفي الارض مصلى يصلي فيه فاذا مات بكى ذلك عليه كذا كذا يوما وليس لهم
ذلك فلا يبكي عليهم وجائز ان يكون ايضا قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اي لم يبق لهم احد يبكي عليهم من
الاولاد وغيرهم لانهم استوصلوا جميعا من الاولاد وغيرهم فلم يبك عليهم احد فاما سائر الموتى قد يبقى لهم من يبكي
عليهم لذلك كان ما ذكر والله اعلم ويحتمل ان يذكر بكاء السماء اذا عظم الامر على التمثيل من نحو موت الملوك والقادة
ومن عظم قدره عندهم فيخبر الله عز وجل ان موت فرعون واتباعه لم يعظم على اهل السماء والارض لما قدر لهم عندهم
والله اعلم وقوله عز وجل ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين قال بعضهم نجينا بني اسرائيل من العذاب الذي نزل
بفرعون وقومه وهو الغرق في البحر اغرق اولئك ونجى هؤلاء ويحتمل ان يكون المراد انه نجاهم من العذاب الذي كانوا
يعذبون من نحو القتل والاستخدام والاستعباد وانواع العذاب الذي كانوا يعذبونهم ما داموا بين اظهرهم وفي ايديهم
فنجاهم من ذلك حيث اخرجهم من بين ايديهم والله اعلم وهو اشبه ما قال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون
وقوله عز وجل انه كان عاليا من المسرفين قوله عاليا اي غالبا عليهم قاهرا لهم بانواع القهر الذي كان يقهرهم والله اعلم
وقوله عز وجل ولقد اخترناهم على علم على العالمين اي اخترنا بني اسرائيل وقوله عز وجل على علم يخرج هذا على وجوه احدها اي
على علم اي بسبب علم اتيناهم ذلك لم يؤت ذلك غيرهم ليظهر فضيلة العلم على العالمين وشرفه والله اعلم والثاني يحتمل
اخترناهم على علم منا باسباب فيهم واشياء لم يعلم ذلك الاشياء والمعاني في غيرهم بها استوجب الاختيار على العالمين والثالث
اي اخترناهم على علم اي بسبب علم لتحوج غيرهم اليهم فصاروا مختارين مفضلين بسبب تعليمهم اياهم ما احتاجوا اليه
فيكون لهم فضل الاستاذ على التلميذ وهذا كما يقول ان العرب افضل من الموالي لان الموالي احتاجوا الى العرب في معرفة
لسانهم ومعرفة اشياء احتاجوا اليها فاستوجبوا الفضيلة لحاجتهم اليهم ولذلك فضل قريش على سائر العرب لما
احتاجت سائر العرب الى قريش في معرفة اشياء لا يصلون الى ذلك الا بهم ففضلوا على غيرهم لذلك يحتمل انه احوج
الى بني اسرائيل غيرهم في معرفة اشياء فاستوجبوا بذلك الاختيار والفضيلة على غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل
واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين يحتمل قوله بلاء من وجهين احدهما اي محنة بينة وهي انواع امتحنهم من البلايا
والشدائد والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون قوله بلاء مبين اي نعم عظيمة وهو ما اتاهم من انواع النعم من المن
والسلوى وتظليل الغمام عليهم وخروج العيون من الحجر ومجاوزة من البحر واهلاك عدوهم وغيرهم من النعم التي اتاهم
ما لا يحصى وهو ما ذكر في سورة البقرة وهو قوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اي نعمة عظيمة من ربكم عظيمة
والله اعلم وقوله ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين يقول الله تعالى وهو اعلم ان الذي يحمل
هؤلاء على الانكار والتكذيب وترك الايمان بل انكارهم البعث والاحياء بعد الموت كقوله تعالى والذين يؤمنون
بالاخرة يؤمنون به فمن امن بالاخرة فاما من لم يؤمن بالاخرة لا يؤمن به والله اعلم واصله ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث لدعاء الخلق الى الزهد في هذه الدنيا والرغبة في الاخرة والقطع عن جميع شهواتهم وملاذهم في
الدنيا وتاخير ذلك الى الاخرة فمن امن بالاخرة سهل عليه ترك ذلك كله وهان عليه قطع نفسه عن قضاء ذلك
كله ومن انكر الاخرة وجحدها اشتد ذلك عليه وصعب حمله ذلك على انكارها والجحود لها والله اعلم وقوله عز وجل
فاتوا باباءنا ان كنتم صادقين هذا منهم احتجاج عليه يقولون صادقا فيما تقول انه يبعث ويحيا فاحي من ذكر ولكن
هذا احتجاج باطل لان الايات والحجج ليست تنزل وتاتي على ما تشتهي الانفس اولئك ولكن تنزل على ما يوجبه الحكمة و
وعلى ما فيه الحجة لا على ما يريد المقام عليهم الحجة كما في الشاهد ان الواجب على المدعي اقامة ما هو حجة في ذاتها لا اقامة
ما يريدها المدعى عليه والنبي صلى الله عليه وسلم قد اتاهم من البيان والحجة ما يوجب البعث والاحياء بعد الموت
لو تاملوا ولم يكابروا عقولهم ولكن سؤالهم منه اية اخرى مردود عليهم والله اعلم وبعد فان الله تعالى عز وجل
قد وعد البقاء لهذه الامة الى يوم القيمة ولو اعطاهم ما سألوا من الايات ثم انكروها هلكوا واستوصلوا
اذ من سنته ان كل اية اتت ونزلت على اثر سؤال كان منهم ثم انكروا كان في ذلك هلاك وعذاب لذلك لم يعطهم
ما سألوا والله اعلم وقوله عز وجل اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم ليس في هذا جواب لقولهم

فاتوا

فاتوا بابائنا ان كنتم صادقين ولم يات بجواب ذلك انما كان لانهم لم يستحقوا الجواب لهذا السؤال لانهم
سألوا ذلك تعنتا وعنادا ويحتمل ان يكون في هذا جواب لقولهم وسؤالهم الاية المخترعة وفي الاية دلالة على
البعث ايضا بيان الاول انه اخبر عن قوم تبع ومن ذكر من الامم الخالية كانوا ينكرون رسالة رسلهم ويكذبونهم
ويوعدونهم الرسل بالعذاب والهلاك فيكذبونهم ايضا فيما يوعدون من البعث فاهم الهلاك يقول اهم خير
ام قوم تبع ومن ذكر اي اولئك هم اشد قوة ام هؤلاء وهم علموا ان اولئك اشد قوة وبطشا ثم لم يتهيأ لهم
الامتناع من عذاب الله اذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل وانكارهم البعث فانتم دون اولئك فكيف يتهيأ لكم الامتناع
من العذاب الذي نزل بكم وهو كقوله تعالى أكفاركم خير من اولئكم واذا لم يتهيأ لهم الدفع ومن سنته
الاستيصال بالتكذيب للايات المخترعة وقد وعد البقاء لهذه الامة الى يوم القيمة وكونه رحمة للخلق لذلك
لم يعطهم الاية التي سألوا والله اعلم واما الثاني وهو انه لما اخبر ان تعذيب اولئك الكفرة لتكذيب الرسل
وانكار البعث حق حتى يستحق منكره العذاب والله اعلم وذكر ان تبعا كان رجلا صالحا وعن عائشة رضي الله عنها
تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وذكر انه كان رسولا وقد ذكرنا نعته والله اعلم وقوله عز وجل و
ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وقال في اية اخرى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
ذلك ظن الذين كفروا ان الكفرة كانوا لا يطلقون القول فلا يقولون ان الله تعالى خلقهما وخلق بينهما باطلا
ولعبا لكن خلق ذلك كله على تمنياهم وظنهم وعلى ما عندهم يصير عبثا لانهم كانوا ينكرون البعث ويقولون
ان لا بعث ولا حساب ولا ثواب وعقاب فاذا كان تمنياهم وظنهم ان لا بعث ولا نشور يكون خلقهم خلق
السموات والارض وما ذكر على زعمهم لم يكن الا الافناء والاهلاك ومن لم يقصد في ابنائه الا النقض في
المشاهد والافناء في العاقبة كان في بنائه وقصده سفيها غير حكيم تعالى ذلك الله سبحانه في خلقه اياهم وانشائه
وتحويله اياهم من حال الى حال اخرى من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال المضغة ومن
حال المضغة الى حال تصوير الانسان ثم الى حال الكبر لو لم يكن ما ذكرنا من المقصود سوى الافناء والاهلاك
على ما زعموا كان سفها باطلا لا حكمة غير ذكرنا من قصد في البناء الافناء خاصة لا غير كان في فعله وقصده لاعبا
عابثا سفيها ولذلك سفه الله تعالى تلك المرءة التي لم يكن قصدها في غزلها الا نقضه في العاقبة حيث قال
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا الاية فعلى ذلك خلق الخلق اذا لم يكن بعث ولا نشور على ما قال
اولئك الكفرة وظنوا كان كذلك سفها غير حكمة ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
جعل خلقه اياهم لا الى رجوع عبثا والله الموفق وقوله عز وجل ما خلقناهما الا بالحق قال بعضهم الا لاقامة الحق
وقال بعضهم الا لامر كائن مراد واصل الحق هو ان يحمد عليه فاعله في العاقبة والباطل هو ما يذم عليه فاعله وانما
خلق جل وعلا ما ذكر ليحمد على فعله لا يذم ولو لم يكن القصد في خلقهم الا الافناء والاهلاك لكان لا يحمد عليه ولكن يذم
على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون انهما لا يخلقا باللهو وعبثا وهو ما ظنهم والله اعلم وقوله عز وجل ان
يوم الفصل ميقاتهم اجمعين سمى يوم القيمة مرة يوم الجمع ومرة يوم التفريق ومرة يوم الفصل فهو يوم الجمع لما يجمع فيه
الخلائق جميعا وكذلك يوم الحشر ويوم الفصل يحتمل وجهين احدهما انه يفصل بين اوليائه واعدائه فينزل اولياءه في دار
الكرامة والمنزلة وهي الجنة واعداءه في دار الهوان والعقاب وهي ما قال فريق في الجنة وفريق في السعير ويحتمل
ان يكون قوله يوم الفصل اي يوم القضاء والحكم اي يقضي ويحكم بين المؤمنين والكافر يومئذ فيما تنازعوا واختلفوا
في الدنيا بقوله ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ويحتمل ايضا ما ذكرنا من الفصل بين الاولياء
والاعداء ما لو لم يكن ذلك في الاخرة بينهم كان جامعا مسويا بين اولياءه والاعداء وهم استووا واجتمعوا
في الدنيا في ظاهر احوالهم ومن سوى بين وليه وعدوه كان سفيها غير حكيم دل ان هنالك دارا اخرى يفصل
بينهما ويميز والله اعلم وقوله عز وجل يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون هذا في الكفار خاصة يخبر انه
لا ولي ينفعهم في الاخرة ولا يعين بعضهم بعضا على ما يعاون في الدنيا اذا نزل ببعض منهم بلاء وشدة وهو ما ذكر
في اية اخرى يوم يفر المرء من اخيه الاية وقوله عز وجل واخشوا يوما الاية وقوله تعالى لا يقبل منها عدل ولا هم ينصرون
والله الموفق ثم قوله تعالى لا يغني مولى عن مولى شيئا يحتمل مولى الاعلى ومولى الاسفل على ما يعين بعضهم بعضا
في الدنيا ويحتمل كل ولي وقريب يخبر انه لا قريب يملك دفع ما نزل به ولا ولي ولا يملك نصرة ومعونة لان ولاءهم
يومئذ يصير عداوة بقوله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين الاية استثنى وعلى ذلك
استثنى في هذه الاية ايضا حيث قال الا من رحم الله ومن عليه وهدى الايمان ورزقه التوحيد فانه يكون بعضهم
لبعض شفعاء واولياء ينصر بعضهم بعضا ويشفع بعضهم لبعض والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الرحيم العزيز
في نقمته من اعدائه لاوليائه الرحيم للمؤمنين الذين استثنى في الاية حيث قال الا من رحم الله وقوله ان شجرت الزقوم

طعام الاثيم ظاهر الاية انها طعام كل اثيم بل هو طعام اثيم دون اثيم وهو الكافر لان الاثيم المطلق هو الاثيم من كل وجه وهو
الكافر فاما المؤمن المسلم لا يكون اثيما مطلقا مع قيام ايمانه وكثرة طاعته فلا يكون صاحب الكبيرة داخلا تحت الاية قال
بعض اهل التاويل انه يدل قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم في بعض الكفار بالعسل والزبد وقالوا لاصحابه تعالوا
نتزقم فان محمدا وعدنا بذلك لما كان الزقوم هو الزبد والتمر والعسل بلغة قوم من العرب فنزل عند ذلك قوله تعالى انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين لا اخبر انها شجرة انبتت من النار كقوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
الاية ليست كسائر الاشجار ثم شبهها بالمهل بقوله تعالى كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم والمهل هو دردي الزيت ثم يحتمل
تشبيهها بالمهل وجهين احدهما لالتصاقه بالبدن لانه قيل انه الصق الاشياء بالبدن ويحتمل انه شبهها بذلك لكدرة لونها
وتغيرها من حال الى حال ثم ان يشكل انه ليس في اكل دردي الزيت فضل شدة وكثير مونة فما معنى التشبيه به لكن نقول انه
بين ان ذلك المهل والدردي من النار حيث قال كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ثم الاشكال انه شجرة الزقوم كيف يكون
الاثيم فيحتمل ذلك وجهين احدهما انه يخرج منها شيء ويسيل فيسقى ذلك الكافر ويحتمل انه ياكل كما هي فيذوب في بطنه فيغلي
فيكون ما ذكر وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه راى فضة قد اذيبت فقال هذا المهل فجائز ان يكون على هذا كل ما يكون
يذاب ويحرق فهو المهل والحميم هو الشيء الحار الذي قد انتهى حره غايته والله اعلم وقوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء
الجحيم ظاهر هذا ان يكون هذا ذلك بعد ما ادخلوا في النار لكن يحتمل ايضا ان يكون ذلك في اول ما يراد ان يدخلوا النار
كقوله خذوه فاعتلوه اي قودوه الى سواء الجحيم يقال هي يقلون يعتل الى السلطان اي يجر ويقاد وقال بعضهم هو العنف
الذي فيه شدة وتعنيفا اي سوقوه سوقا شديدا عنيفا وبعضه قريب من بعض والجحيم هو معظم النار والله اعلم وقوله
عز وجل ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم اي من شراب الحميم جعل الله عز وجل لاهل النار من الوان الشراب الحميم والصديد
ونحوهما كان ما جعل لاهل الجنة من انواع الشراب حيث قال فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين الا ان الفريقين جميعا لا يتولون شربها بانفسهم ولكنهم يسقون على ما ذكر في اهل الجنة في غير
اي من القران حيث قال يسقون من رحيق وقوله تعالى ويسقون فيها كاسا ونحو ذلك كثير وقال في اهل النار ثم صبوا فوق
راسه من عذاب الحميم وقوله تعالى يسقى من عين انية وقال في اية اخرى من غسلين وقوله عز وجل ذق انك انت العزيز
الكريم قال اهل التاويل انما يقال هذا لابي جهل اللعين وله ذلك العذاب الذي ذكر في الاية وهو المراد بالاثيم كان في الدنيا
يفتخر ويقول انا العزيز الكريم وليس ما بين كذا الى كذا اعز مني وانا المتعزز المتكرم فيقال له في الاخرة ذق هذا الذي ذكر
انك العزيز الكريم في الدنيا يعظمونه ويهيبونه ويحتمل ان يكون هذا في كل كافر يتعزز في الدنيا ويتكرم وكل رئيس منهم والله
اعلم وقال بعضهم في قوله عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم اي ذق فانك لست بعزيز ولا كريم ثم يقال ذلك له على التهزي
اي لو كنت عزيزا كريما ما دخلت النار والله اعلم وقوله عز وجل ان المتقين في مقام امين فيه لغتان مقام بالرفع و
مقام بالنصب الميم فمن قراه بالنصب فهو موضع المقام وهو المنزل والمسكن معناه في مسكن امين اي امنوا فيها من الاوجاع
والاوصاب والاسقام ومن قراه برفع الميم هو المصدر يعني الاقامة اي مقيمون فيها امنون عن الخروج عنها والزوال والله
اعلم وقوله عز وجل في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين قالوا السندس ما رق من الديباج و
الاستبرق ما غلظ منه ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من اللبس ما رق منه فاما ما غلظ منه فانه يبسط وان كان ذلك
اللبس فيهما في الظاهر بينا و[?] ما رق منه وما غلظ فالمراد من ذكر اللبس يرجع الى ما يلبس وهو الذي يرق منه ويدق
وجائز في اللغة ان يذكر الشيئان باسم احدهما اذا كان بينهما ازدواج في الجملة عادة او حقيقة والله اعلم ويحتمل انه ما ذكر
جميعا لما يكون من رغبة الناس اليهما جميعا في الدنيا فرغبهم الاخرة ووعدهم ان يكون لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
متقابلين يخبر ان مجلسهم في الجنة نحو مجلسهم في الدنيا مقابل بعضهم بعضا حيث قال كذلك على اثر ذلك يكونون في الجنة
كما كانوا في الدنيا مقابلة بعضهم بعضا واجتماعهم في المجلس في الشراب وغيره والله اعلم وقوله عز وجل وزوجناهم بحور
عين قال بعضهم بحور اي ببيض الاوجه وعين اي حسان الاعين وقال بعض اهل الادب الحور في العين وهو شدة سواد
سوادها وبياض بياضها ويقال امرأة حوراء ونسوة حور ورجل احور وقوم حور والعيناء الجنة يقال رجل اعين
ورجال عين وامرأة عيناء ونسوة عين فالجماعة على هيئة واحدة في هذا الباب في المذكر والمؤنث والله اعلم وقوله
عز وجل يدعون فيها بكل فاكهة امنين تاويله والله اعلم اي ثمار الجنة وفواكهها ليس لها فساد ولا انقطاع ولا انقصاف
ولا زوال يدعون يسالون ان يحضرها لا يسالون في الدنيا بقي شيء او هل عندكم شيء من الفواكه ونحو ذلك لما ذكرنا
ان ثمار الدنيا انقطاع وفناء وليس لثمار الجنة وفواكهها كذلك ما ذكرنا والله اعلم وقوله امنين يحتمل وجهين احدهما
امنين من انقطاع فواكهها وثمارها ويحتمل امنين فيها في الجنة ليس لهم خوف الخروج عنها والزوال وامنوا عن جميع
الافات التي تكون في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى والاشكال انه نفى
الموت في الجنة واستثنى الموتة الاولى وليس في الجنة موت اصلا وكيف يستثنى الموتة الاولى وان ظاهر الاستثناء

ان يكون

ان يكون من جنس المستثنى منه فيوهم ان يكون في الجنة موت قال بعضهم ان الا ههنا بمعنى غير وسوى وفيه اضمار كانه
لا يذوقون فيها اي في الجنة الموت سوى الموتة الاولى ذاقوا في الدنيا لان الموتة الذي ذاقوا هي الموتة الاولى لا يتصور
ذوقها ثانيا لو كان يكون مثلها ولان الجنة ليس بمحل الموت فكان المراد ما قلنا اي لا يذوقون في الجنة موتا سوى الموت
التي ذاقوا في الدنيا وهو كقوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم الاية اي سوى ما قد سلف انه كان فاحشة في ذلك الوقت
على احد التاويلين والله اعلم وعندنا يخرج تاويله على وجهين احدهما لا يذوقون فيها الموت الا ما ذاقوا من الموت الاولى
لانه ذلك في الخبر انه يؤتى بالموت يوم القيمة على صورة كبش املح او كذا فيذبح بين ايديهم فعند ذلك يامنون الموت
هنالك والله اعلم والثاني لا يذوقون فيها الموت ولا يرون الا الموتة الموتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا ثم ان يعرفونها
ويذكرونها فاما سويها فلا والذوق سبب المعرفة فاستعير للمعرفة مجازا والله اعلم وقوله عز وجل ووقاهم عذاب
عذاب الجحيم ليس هو تخصيص وقاية عذاب الجحيم فحسب بل المراد نفيهم العذاب كله لكن الجحيم معظم النار فذكره كناية عن
عن الكل فضلا منه ليس باستحقاق منهم بالاعمال على ما تقدم ذكره في غير موضع وقوله عز وجل ذلك هو الفوز العظيم
الفوز باحد شيئين اما الظفر ما تامل ورجا فاذا ظفر ذلك يقال فاز واما النجاة مما يحذر ويخاف اذا حذر امرا وخاف
فيخلص من ذلك يقال فاز فاما ما كان فهو فوز والله اعلم وقوله عز وجل العظيم جميع امور الاخرة وحالها سمي عظيما من
من العذاب والنعيم قال الله تعالى ليوم عظيم وعذاب عظيم وفوز عظيم وقوله فانما يسرناه بلسانك هذا يخرج على وجهين
احدهما كانه يقول فانما انزلنا القران بلسانك ويسرناه للذكر ليلزمهم التذكر لانه انزله بلسانه ويسره لقومه لانه
لو كان منزلا بغير لسانه لم يكن ميسرا لهم للذكر وهو ما ذكر في اية اخرى ولقد يسرنا القران للذكر اخبر انه يسره للذكر لا
يسره باللسان ولكن معناه ما ذكرنا انه انزله بلسانه ويسره للذكر والله اعلم والثاني فانما يسرناه على لسانك
في ذكرته وحفظته بلا كتابة ولا نظر في كتاب لانه ذكر انه كان عليه الصلاة والسلام يحفظ سورة طويلة اذا نزل
عليه جبريل صلوات الله عليه وقد امنه الله سبحانه وتعالى سنقرئك فلا تنسى وقوله عز وجل لعلهم يتذكرون
وهو يخرج على وجوه احدها لكي يلزمهم التذكر ويحتمل لكي يتذكروا ما قد نسوا من حق الله الذي عليهم او ليتعظوا
بمواعظ الله تعالى وقوله عز وجل فارتقب انهم مرتقبون على وجهين احدهما ارتقب ما وعد الله ان ينزل بهم من العذاب
فانهم مرتقبون هلاكك وانقطاعك ويقول ارتقب ولا تكافئهم ولا تدع عليهم بالهلاك فانهم مرتقبون بما القى
الشيطان في امنيتهم بان ملكك يزول وانه يعود اليهم والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فارتقب انهم
مرتقبون والارتقاب الانتظار والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب قد ذكر في غير موضع وقوله العزيز الحكيم
وقد ذكرنا ايضا تاويل العزيز الحكيم في غير موضع ايضا ثم انما ذكر قوله العزيز الحكيم على اثر ذلك الكتاب ليعلم انه ما انزل
الكتاب وما امرهم وما نهاهم وامتحنهم بانواع المحن ليتعزز هو بذلك او يزيد له عزا وسلطانا او فوقا اذا ائتمروا وانتهوا
واذا خالفوه ولم يطيعوه فيما امرهم وارتكبوا ما نهاهم يلحقه ذل او نقصان في ملكه وسلطانه بل انما فعل ذلك من الامر
والنهي وانواع المحن لمنفعة النفس الممتحنين ليتعززوا اذا اتبعوا امره واطاعوه ويلحقهم ذل ونقصان اذا تركوا اتباعها
بخلاف ملوك الارض فانه يزيد لهم اتباع من اتبعهم عزا وسلطانا وفوقا في ملكهم وترك اتباعهم اياهم وارتكاب ما نهاهم
عنهم توجب لهم ذلا ونقصانا في ملكهم لان المخلوق كان عزيزا بغيره فاذا زال ذلك زال العزة وصار ذليلا فاما الله سبحانه
وتعالى عزيز بذاته فلا يلحقه النقصان بمخالفة من خالفه ولا يزداد عزه باتباع من يتبعه قوله الحكيم والحكيم هو الذي
لا يلحقه الخطاء في التدبير يذكر هذا ليعلم ان ما ينشئ من الخلائق على علم منه انهم لا يكفرون به ويعصونه لم يزل عنه
الحكمة ولا اخرجه منها لما ذكرنا انه لم ينشئهم بحاجة له فيهم او لمنفعة يرجع اليه ولكن لحاجة لهم ولمنفعة يرجع الى
انفسهم ومثله في الشاهد يزيل الحكمة ويدخل في حد السفه لما ذكرنا انهم انما يفعلون لحوائجهم فكان مع العلم بانه لا
منفعة له فيه بل مضرة لا يكون حكمة منهم لذلك افترق الشاهد والغائب والله اعلم وقوله عز وجل ان في السموات
والارض لايات للمؤمنين وايات لقوم يوقنون وايات لقوم يعلمون ونحو ذلك يخرج ذكر الايات لهؤلاء وجوه احدها
اي يكون ما ذكر من الايات لهؤلاء ايات على اعدائهم يحتجون بها عليهم فيكون هي ايات لهم على اعدائهم والثاني ان منفعة
هذه الايات تحصل لهؤلاء وهم المنتفعون بها اعني منها دون من ترك اتباعها والثالث هي ايات لمن اعتقد اتباع الايات
والايقان بها وهم المؤمنون فاما من اعتقد رد الايات وترك الاتباع لها فليست هي ايات لهم والله اعلم وقد ذكرنا في
غير موضع جهة الايات فيما ذكر من السموات والارض واختلاف الليل والنهار وانزال الماء من السماء واحياء الارض
به واخراج ما اخرج منها ان في ذلك ايات حسية وايات وحدانيته وايات قدرته وسلطانه وايات علمه وتدبيره
وايات حكمته وغير ذلك ما يطول الكتاب بذكرها والله الموفق وقوله عز وجل تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق

قوله عز وجل تلك اشارة الى الايات التى تقدم ذكرها نتلوها عليك بالحق انها من الله تعالى لما عجزوا عن ادراك ذلك من
الحكمة البشرية به فيعلموا انها من الله تعالى وقوله عز وجل فباى حديث بعد الله واياته يؤمنون هذا يخرج على وجهين احدهما
بقوله والله اعلم لو كانوا تواتوا بالدين يقبلون حديثا فقط فاى حديث اظهر صدقا من حديث الله تعالى ولا ابين حقا فيه [illegible]
لانه ايات معجزات وعجزوا عن اتيان وان كانوا بالدين لا يقبلوا حديثا فيلحقهم السفه فى ذلك فيكفى مؤنتهم والله اعلم
وقوله عز وجل ويل لكل افاك اثيم الافاك هو المصروف عن اتباع ما يوجب الحكمة اتباعه وقال بعضهم الافاك الكذاب
والاثيم هو الذى اعتاد الاثم وهو اكثر من الاثم ثم نعت ذلك الافاك فقال يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا
كان لم يسمعها يحتمل قوله ايات الله تتلى عليه القران ويحتمل ايات وحدانية الله عز وجل وايات رسالة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اخبر عن تعنته وعناده فى ايات الله حيث قال ثم يصر مستكبرا بعد تلاوة الايات عليه بعد
معرفته وفهمه انها ايات الله كما كان يصر قبل ذلك لانها ايات خارجات عن وسعهم اذ عجزوا عن اتيان مثلها فاذا
كانت خارجة عن احتمال وسعهم فكذلك هى خارجات عن وسع محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو واحد من البشر مثلهم
فيعرفوا انه انما قدر على اتيان مثلها بالله تعالى بما اوحى اليه واعلمه بذلك كان لم يسمعها عنادا منه واستكبارا ثم
اوعد العذاب الاليم وهو قوله فبشره بعذاب اليم اى مولم موجع وقوله عز وجل واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا
اولئك لهم عذاب مهين اى عذاب يهينهم باستهزائهم بالايات ثم قال من ورائهم جهنم اضاف جهنم الى ورائهم يحتمل
ان يكون المراد من ذكر من ورائهم وراء الدنيا كانه قال من وراء هذه الدنيا لهم جهنم لكنهم اضافه ذلك اليهم لانهم
فيها وهم اهلها والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله من ورائهم جهنم اى من وراء احوالهم التى هم عليها جهنم وقوله عز وجل
ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء يحتمل لا يغنى عنهم ما كسبوا اى ما عملوا من القرب التى عملوها
رجاء ان ينفعهم ذلك فى الاخرة او يقربهم ذلك الى الله زلفى يخبر ان كل ذلك مما لا يغنيهم ولا ينفعهم فى الاخرة وقوله
عز وجل ولهم عذاب عظيم وعد لهم فى حال وكل امر كان منهم عذابا غير العذاب فى حال اخرى ذكر فى الحال التى عبدوا الاصنام
دونه واتخذوها اربابا العذاب العظيم وذكر لهم باستهزائهم بايات الله العذاب المهين عذابا يهينهم ويهانون فى ذلك
وذكر لهم باصرارهم بما هم عليه واستكبارهم على ايات الله وعلى رسوله عليه الصلوة والسلام العذاب الاليم حتى يكون
تعالى بكل كان منهم نوعا من العذاب غير النوع الاخر وبصفة غير الصفة الاخرى والله اعلم وقوله عز وجل هذا هدى
اى بيان لهم وقوله عز وجل والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم اى عذاب من عذاب اليم اذ الرجز هو
العذاب كانه فسر ذلك العذاب ووصفه بالالم والله اعلم وقوله عز وجل الله الذى سخر لكم البحر يذكرهم عظيم نعمه فى تسخير
البحر لهم مع احوالهم وكثرة امواجها وامتناعها عن منافع الخلق صيرها بلطفه ورحمته لهم كسائر البقاع فى الوصول
الى ما فيها من الجواهر واللالى بالغوص فيه والخوض والاصطياد ولما فيه من انواع الصيد وغير ذلك من الاشياء وجعل
عليهم واسباب جعل لهم حتى يصلوا الى ما فيها من انواع الجواهر والاموال النفيسة والله اعلم وسخرها لهم ايضا حتى عبروا
البحر ومروا عليه بسفن اعطاهم وجعل عليهم حتى تعدوا على عيون والمرور عليه لتصلوا الى قضاء حوائجهم التى تكون فى
البلدان النائية وهو ما قال لتجرى الفلك فيه بامره ثم قوله تعالى بامره يحتمل ان يكون عبارة عن تكوينه اى بما كونه
انشاه كذلك كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والثانى يحتمل بامره اى بالامر الذى له على العباد
وسائر خلقه ويحتمل بامره باذنه وقوله عز وجل ولعلكم تشكرون اى لكى يلزمكم الشكر بذلك او ما ذكرنا فيه من الوجوه
والله اعلم وقوله عز وجل وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه اى سخر لهم ما فى السموات من الملائكة والشمس
والقمر والنجوم وغيرها وما فى الارض من الاشجار والنبات والبهائم والدواب حتى يستعملوها كلها فى منافعهم وحوائجهم
كما استعملوا املاكهم التى يحوونها بايديهم بتسخير الله تعالى اياهم ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل جميعا اى جميع ذلك
من الله تعالى اخبر انه سخر جميع ما فى هذين فى السموات والارض ثم اخبر ان فى ذلك الايات لقوم يتفكرون وقد ذكرنا
جهة الاية فى ذلك فى غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله امر تعالى عز وجل
المؤمنين بالعفو والصفح عمن اساء اليهم وظلمهم حتى امرهم بالعفو والمغفرة عمن ظلمهم واساء اليهم من الكفرة ليعلم
عظيم موقع العفو والصفح عن المظلمة والاساءة عند الله وما يكون لذلك من الثواب الجزيل والله اعلم فان قيل ان هذه
الايات انما نزلت بمكة ومن اسلم من اهل مكة بمكة كانوا مستخفين مقهورين فى ايدى الكفرة ثم لا يتهيا لهم الانتصار
منهم والانتقام عن مساويهم وانما يؤمر المرء بالعفو عن مظلمة من ظلمه واساء اليه عن مقدرة الانتقام والانتصار
فاما من لا يكون على مقدرة من ذلك فلا معنى للامر له بذلك اذ هو عاجز عن ذلك فيتحول الامر بالعفو والصفح
عنهم وان كان اهل الاسلام منهم مقهورين مغلوبين فى ايدى اولئك الكفرة على ما ذكرتم لوجهين احدهما انه امرهم
بذلك ليتقربوا بذلك الى الله ويجعلون ذلك وسيلة وقربة فيما بينهم وبين ربهم وان لم يكن لهم مقدرة الانتقام
والانتصار منهم ليكون العفو عنهم بحق القربة لا بحق التذلل والخشوع اذ يعفو الكل عن اختيار وطوع ويصبر على ذلك

ابتغاء

ابتغاء لوجه الله تعالى ويترك الجزع فى نفسه والمخاصمة لو قدر على الانتقام وهو ما امر رسوله عليه الصلوة والسلام
بالهجرة الى المدينة بعدما اجتمعوا انهم يريدون ان يقتلوه او يخرجوه حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية لتكون
الهجرة له الى الله تعالى بحق القربة لا بحق التذلل باخراجهم اياه والله اعلم والثانى ان يرجع الامر بالعفو الى كل واحد منهم
فى خاصة نفسه وقد كان من المسلمين فيهم من يقدر على الانتقام والانتصار من الافراد والاحاد منهم وان لم يكن
لهم المقدرة على الانتقام من جملتهم والله اعلم ثم وقوله عز وجل لا يرجون ايام الله هذا يخرج على وجوه احدها ايام الله
اى نعم الله الدائمة التى لا زوال لها ولا انقطاع التى وعدها فى الاخرة لاهل الايمان وهو ما قال فى اية اخرى فى قصة موسى
على نبينا وعليه الصلوة والسلام حيث قال وذكرهم بايام الله اى بنعم الله تعالى الا ترى ان موسى عليه الصلوة والسلام
فسر ايام الله بالنعمة حيث قال على اثره واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون الاية والثانى
لا يرجون ايام الله على حقيقة الايام لانهم كانوا يرون هذه النعم والسعة فى الدنيا بجهد انفسهم وكدهم لا بما اجرى
الله تعالى النعم اليهم فى الايام والله اعلم والثالث لا يرجون ايام الله اى لا يخافون نقمة الله وعقوبته وقوله عز وجل
ليجزى قوما بما كانوا يكسبون اى ليجزى كل قوم بما كسبوا من خير او شر يجزى من عفى عنهم جزاء العفو ويجزى المحسن جزاء
الاحسان والمسئ جزاء الاساءة والله اعلم وقوله عز وجل من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يخبر ان من عمل
من خير فانما يعمل لنفسه ومن عمل من سوء فانما يعمل على نفسه يخبر ان من عمل من خير او صالح فلنفسه سعى فى
الاخرة ومن عمل من شر فعلى نفسه سعى فى الاخرة كمن عمل فى الدنيا من الاكل والشرب فلنفسه يعمل ومن جنى من
جنايات فعلى نفسه فى الدنيا والاخرة حيث يهلك به نفسه ويرجع اليه وبال ذلك فى الاولى والاخرة فعلى ذلك ما
قلنا والله اعلم وقوله عز وجل ثم الى ربكم ترجعون اى ثم الى ما وعدكم ربكم من الثواب والعقاب ترجعون وقوله عز وجل
ولقد اتينا بنى اسرائيل الكتاب قال اهل التاويل اى التورية والاشكال انه اتى بنى اسرائيل جملة كتبا كثيرة اما التورية و
الانجيل والزبور وهى كتب معروفة قد بين فيها وقد يجوز ان يكون لهم كتب غيرها فما معنى ذكر الكتاب وما معنى حمله
على ان التورية الا انا نقول يجوز ان يريد بذكر الكتاب فانه ادخل الالف واللام فيكون لاستغراق الجنس ويحتمل انه اراد
التورية كما قال اهل التاويل اذ يجوز ان يذكر اسم العام ويراد به الخاص وهو الواحد منهم ويحتمل ان يكون التورية هو الكتاب
الذى فيه عامة الاحكام فانه قيل ان الزبور ليس فيه الحكم انما فيه التسبيح والتحميد وكذا الانجيل ليس فيه الاحكام فلذلك
يجوز ان يكون المراد به التورية لهذا والله اعلم وقوله عز وجل والحكم قال بعضهم والحكم اى فهم ما فيه وقال بعضهم الحكم
فهم ما فى الكتاب والحكم الظاهر داخل تحت قوله الكتاب بين بقوله والحكم انه اعطى له الحكم الظاهر فيه والحكم استخرج منه
بالاستنباط والاجتهاد والله اعلم ويحتمل ان يراد بالكتاب هو ما تلى فيما بينهم وبين ربهم والحكم هو ما امرهم فيه ان
يحكموا فيما بين العباد والله اعلم وقوله عز وجل والنبوة انما ذكر النبوة لان النبوة كانت ظاهرة فى بنى اسرائيل فانه ذكر
ان فى بنى اسرائيل كذا كذا رسولا ونبيا والله اعلم وقوله عز وجل ورزقناهم من الطيبات قد كان رزقهم الطيبات ما ذكر
من المن والسلوى وغير ذلك من الطيبات فلا يحصى وقوله عز وجل وفضلناهم على العالمين قد ذكرنا تفضيلهم
على العالمين فى موضعه وقوله عز وجل واتيناهم بينات من الامر قال بعضهم بينات من الامر اى ايات من الامر وقيل
بينات من الامر اى ما بين لهم من الحلال والحرام والشبه وبناء كان قبلهم والله اعلم ويحتمل بينات من الامر اى بيان
ما يقع حاجة اليه من الامر وعندنا بينات من الامر يخرج على وجهين احدهما واتيناهم بينات من الامر اى بينات التكوين
ودلالته لما جعل الله لهم فى نفس كل احد من دلالات وحدانيته والوهيته او ما اقام من الايات فى العالم على التكوين
يدل على جعل الالوهية والربوبية له وقوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم على ما ذكرنا من امر التكوين
اى ما اختلفوا فى صرف الالوهية والوحدانية عن الله تعالى الى غيره الا بعد ما جاءهم العلم اى الا من بعد ما بين لهم انه
الالوهية والربوبية بالدلالة الواضحة والحجة النيرة وان له الخلق والامر الا انه ذكر العلم واراد به اسباب العلم و
دلائله والله اعلم والثانى يحتمل قوله تعالى واتيناهم بينات من الامر من المجئ من الامر والنهى والتحليل والتحريم وبيان
ما يؤتى وما يتقى وما لهم وما عليهم ثم وقوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم واختلافهم فيما امتحنوا
يتوجه الى وجوه احدها ما اختلفوا فيما امتحنوا من الدين او فيما امتحنوا فى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاجابة الى ما يدعوهم الله والطاعة له ويحتمل اختلافهم الذى ذكر الاختلاف فى القران او فيما امتحنوا من التحليل
والتحريم ثم يخبر تعالى جل وعلا انهم اختلفوا الا من بعد ما ادهم العلم بالحق فى ذلك فى البيان انه من الله وان ما هم
عليه باطل مضمحل ثم اخبر ان اختلافهم انما هو لبغى بينهم وحسد حملهم ذلك على الاختلاف فيما بينهم ثم اخبر انه يقضى
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم قوله تعالى عز وجل يقضى بينهم يوم القيمة يحتمل وجهين احدهما اى يجزيهم
فى الاخرة جزاء اختلافهم فى الدنيا او يقضى اى يفصل ويبين لهم يوم القيمة الحق من الباطل والمحق والمبطل والله
اعلم وقوله عز وجل ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها يحتمل ان يكون هذا صلة قوله تعالى واتيناهم بينات من

الامر كانه يقول واتيناهم بينات من الامر وجعلنا ذلك شريعة لك فاتبعها انت وان يتبعوها هم والشريعة هى
الملة والمذهب وهى ما شرع فيه ويذهب اليه كذلك قال القتبى قال يقال شرع فلان فى كذا اذا اخذ فيه ومنه
مشارع الماء الفرض التى يشرع فيها الناس والواردة وقال ابو عوسجة الشريعة السنة والله اعلم ثم اخبر ان الذى
هم عليه انما هو هوى النفس فقال عز وجل ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يحتمل قوله تعالى لا يعلمون لما لم يتاملوا فيه
ولم يتفكروا اما لو تاملوا وتفكروا فيه لعلموا لانه قد ذكر فى اول الاية انهم انما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم اى
ما جاءهم من دلايل العلم ما لو تاملوا ونظروا فيها لعلموا والثانى نفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بما علموا وما جعل لهم من
العلم والله اعلم وقوله عز وجل انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اى لو اتبعت اهواءهم لن يغنوا عنك من الله
اى لم يغنوا ولن تعى دفع ما ينزل بك من عذاب الله شيئا وهو ما قال فى اية اخرى وان كادوا ليفتنونك عن الذى
اوحينا اليك لتفترى علينا غيره الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية ثم اخبر ان الظالمين بعضهم
اولياء بعض بقوله وان الظالمين بعضهم اولياء بعض يحتمل ولاية الدين والمذهب اى بعضهم يوالى بعضا فى
الدين ويحتمل فى غيره اى يلى بعضهم امر بعض فى الاعانة والنصرة والله اعلم وقوله عز وجل والله ولى المتقين يحتمل
اى يلى امور المتقين ويحتمل ولى المتقين اى ناصرهم ومعينهم وقوله عز وجل هذا بصائر للناس سمى الله تعالى هذا القران
مرة بصائر وهو ما يبصر به ومرة هدى وبيانا ورحمة ونورا وغيره وهو هكذا هو هدى وبيان ونور وبصيرة
لمن اتبعه ونظر اليه بعين التعظيم والتبجيل وقبله ويحتمل بصائر بيان يبين لهم انه من الله فيبين لهم الحق من
الباطل ويبين لهم ما لهم وما عليهم لمن ذكر لقوم يوقنون وقوله عز وجل ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون قال بعض اهل التاويل نفر من الكفرة قالوا
والله ان كان ما يقوله محمد من الثواب والنعيم فى الجنة حقا فنحن اولى بذلك منهم كما كنا فى نعيم الدنيا ولذاتها اولى
منهم ولنعطين افضل مما يعطون ولنفضلن عليهم كما فضلنا فى الدنيا فانزل الله سبحانه وتعالى فى ذلك ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية لكن هذا التاويل ضعيف لان هذا لا يصلح
ان يكون جوابا للنازلة التى ذكرها اهل التاويل لان اولئك قالوا نحن اولى بما يكون فى الاخرة من النعيم واللذات
منهم كما كنا فى الدنيا اولى وكما فضلنا فى الدنيا نفضل فى الاخرة فلا يكون قوله تعالى ان نجعلهم سواء جوابا لما قالوا لانهم
انما قالوا نحن اولى بذلك ونحن نفضل فيها كما فضلنا فى الدنيا فاذا كانوا حسبوا انهم مفضلون على المؤمنين فى الاخرة
دون المساواة كيف يخبر عنهم انهم احسبوا التساوى ولا خلف فى خبر الله عز وجل والله اعلم لكن الاية عندنا انما كانت
فى منكر البعث وجاحده يقول والله اعلم ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء
الاية اى لو كان الامر على ما ظن اولئك ان لا بعث ولا نشور كان فى ذلك جعل الذين اجترحوا السيئات اى الشرك
كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم لانهم جميعا قد استووا فى هذه الدنيا فى لذاتها ونعيمها و
شدايدها والامها وفى الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز وانزال كل واحد منهما منزلته وما يستحقه المسيء
العقوبة وجزاء الاساءة والمحسن الاحسان والافضال وجزاء الاحسان فاذ لم يجمع بينهما فى هذه الدنيا على ما ذكرنا
دل ان هنالك دارا اخرى فيها يفرق ويميز بينهما فيحق الثواب والعقاب والله اعلم وهو كقوله تعالى وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا لو كان كما ظن اولئك الكفرة ان لا بعث ولا نشور كان خلق
ما ذكر من السموات والارض وما بينهما باطلا على ظنهم فلذلك قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
صير خلق السموات والارض اذا لم يكن هنالك رجوع اليه عبثا باطلا والله اعلم فهذا اولى واحق ان يصرف اليه الاية
وعلى ذلك ما ذكر فى قوله عز وجل قل هل يستوى الاعمى والبصير والسميع الاية وقوله عز وجل مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا لا يستويان ولو كان الامر على ما ظن اولئك ان لا بعث ولا نشور
ولا حياة كان فى ذلك استواء بين من ذكر وقد سوى بينهم فى الدنيا فى الحكمة والعقل التفريق بينهما اذ لا يجوز
التسوية بين الولى والعدو وقد سوى بينهما فى الدنيا فثبت ان المراد بنفى الاستواء بينهما فى دار اخرى والله
الموفق ثم تعلق اهل الكلام فيما يعطى الولى والعدو وفى هذه الدنيا من النعمة والسلامة على قول اكثر المعتزلة
ان الله تعالى لا يعطى احدا فى الدنيا كافرا او مؤمنا شيئا الا وهو اصلح له فى الدين ثم قولهم لا يستاهل عفوا
عفو ثم فى الاخرة لانهم يقولون انما يستوجبون الثواب والجنة باعمالهم لا برحمة الله تعالى فاذا ادعى عن المعنى فلا
كان مستحقا لكنا ... فضلا وعندنا ان ما اعطاهم انما يعطيهم فضلا لانه رحمة فيعرفون فضله و
واحسانه وعفوه واكثر اصحابنا يقولون ان جميع ما اعطى الكافر فى الدنيا فهو شر له كقوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقوله عز وجل ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات
بل لا يشعرون وكذلك ما يعطى اياهم يكون ذلك شرا لهم وما اعطى خيرا لهم ولكن عندنا ليس هذا

على الاطلاق والارسال ولكن ما كان توفيقا منه على المبرات فى نفسها فهو خير له ان ما يعطى اياهم يكون ذلك شرا لهم
وما كان تخذيلا فهو شر له وليس على الله حفظ الاصلح على ما يقوله المعتزلة ولكنه يفعل بهم ما هو حكمة عدل كما يفعل
ما هو احسان وفضل والله الموفق قال القتبى اجترحوا السيئات اى اكتسبوها ومنه قيل لكلاب الصيد جوارح وقوله
عز وجل خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون كانه يقول والله اعلم خلق السموات
والارض بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت اى انما خلق ما ذكر بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت فلو لم يكن جزاء بما كسبوا
فى الدنيا فى الاخرة على ما قال اولئك الكفرة ان لا جزاء من الثواب والعقاب لان كان انكار البعث لم يكن خلقهما بالحق
ما ذكرنا فتبين انه انما صار خلقهما انما كان حقا للجزاء وهذا يدل على ان الاية الاولى هى فى منكر البعث ليست فيما
ذكر اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه هذا يخرج على وجهين احدهما على التحقيق على ما قاله
عامة اهل التاويل انهم عبدوا كل شىء استحسنوا كانوا اذا استحسنوا شيئا اخر احسن منه تركوا عبادة الاول لما
ان ذلك كانت عادتهم وذلك اتخاذ الالهة بهواهم اذ الاله هو المعبود عندهم وهو التحقيق الذى ذكرنا والثانى
على التمثيل وهو ما قال قتادة انهم ما هووا شيئا الا ركبوه لا يمنعهم مخافة الله عما هووه ولا يردعهم خشية عما اشتهوا
فصيروا اهواءهم متبعا فهو كالاله لهم لا يتبعون امر الله فلا يكترثون له او كلام نحوه والله اعلم وقوله عز وجل واضله
الله على علم هذا يخرج على وجوه احدها اى اضله الله على علم منه بذلك الانسان بالطريق الهدى والحق لانه اضله على خفا
من ذلك الانسان بالطريق الحق وسبيله اى قد بين له السبيل وطريق الحق لكنه باختياره الضلال اضله لما
علم منه انه يختار الضلال والكفر ليكون ما علم انه كان ويختار والله اعلم والثالث اضله الله تعالى على علم اى انشاء منه
فعل الضلال على علم منه بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة هذا يخرج
على وجهين احدهما اى غطى قلبه باهواه وجعل فيه ظلمة فتلك الظلمة وذلك الغطاء اوجب غطاء السمع والبصر و
حال بينه وبين سماع الحجج والبراهين وصار ظلمة البصر وغطاؤه مانعا لهم عن اكتساب التدبر والتفكر ويحتمل ان
يكون ما هووه مانعا لهم عن اكتساب الحيوة الدائمة لما لو اتبعوا امر الله تعالى وما دعاهم اليه كانت لهم تلك الحيوة
كقوله عز وجل استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وكقوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه فما هووه واتبعوا
منعهم عن اكتساب الحيوة الدائمة المدعو اليها والله اعلم وقوله عز وجل فمن يهديه من بعد الله هذا ايضا يحتمل
وجهين احدهما حقيقة الهداية وهو التوفيق والعصمة فكانه يقول والله اعلم فمن يقدر دون الله هدايته
وتوفيقه بعد اختياره الضلال والثانى الهدى البيان فكانه يقول والله اعلم فمن يقدر ان ياتى ببيان اكثر وابين
من بعد بيان الله تعالى الذى بين له اى لا احد يقدر ذلك افلا تذكرون اى افلا تعقلون او افلا تذكرون بيانات
الله او ما بين لهم والله اعلم ثم الاية فى قوم علم انهم لا يؤمنون ابدا لئلا يشتغل بهم ولا يهتم لهم ولكن يشتغل بغيرهم
ويقطع طمعه عن ايمانهم والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا اى قالوا ما الحيوة الا الحيوة الدنيا
ويحتمل انهم يقولون ما هى اى لا حياة الا الحيوة التى دنت منا وقوله عز وجل نموت ونحيا يخرج على الوجهين احدهما
اى نموت نحن ونحيا ابناؤنا واولادنا والثانى نموت اى كنا ميتين فحيينا نموت بمعنى كنا امواتا ونحيى اى قد صار لنا
حياة ثم لا حيوة بعد تلك الحيوة والله اعلم وقوله عز وجل وما يهلكنا الا الدهر هذا يخرج على وجهين احدهما اى لا يهلكنا
الا مرور الازمنة والاوقات اى بسبب مرور الاوقات ينتهى اجالنا ونبلغ الى الهلاك وكذلك قال القتبى وما يهلكنا
الا الدهر اى الا مرور السنين والايام والثانى ان يكون الدهر عندهم عبارة عن الابد فكانهم يقولون فى قوله وما
يهلكنا الا الدهر وما يهلك انفسنا الا ان انفسنا لم تجعل للابد ولا للبقاء للابد بل جعلت للانقضاء والفناء والله
اعلم وقوله عز وجل وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون اى ما هم الا على ظن يظنون والثانى وما لهم بذلك اى و
ما لهم بما قالوا وما يهلكنا الا الدهر من علم ان هم الا يظنون اى ما هم الا على ظن يظنون اى على ظن يقولون ذلك لا عن
علم والله اعلم وقوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اى واذا تتلى عليهم اياتنا فى البعث والحيوة بعد الموت بينات اى
ما يوضح ويبين لهم البعث والحيوة بعد الموت وقوله عز وجل ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا باباءنا ان كنتم صادقين
والاشكال انه ذكر ما كان حجتهم والحجة هى التى اذا اقامها الانسان وافى بها عذر فى ذلك وما قالوا لم يكن حجة اذ لم
يعذروا فيقول معنى قوله ما كان حجتهم اى ما كان احتجاجهم الا ان قالوا كذا او يقول ما كانوا يحتجون الا ان قالوا كذا
ثم وقوله ائتوا باباءنا ان كنتم صادقين فيه دلالة ان لا يلزم المسؤول ان ياتى بحجة يختارها السائل ويشتهيها لكن
يلزمه ان ياتى بما هو حجة فى نفسه ويلزمه الاتباع بها فاما ان يلزم على ما يختاره السائل ويتمناه فلا وقد اتاهم الله تعالى
من الايات والحجج ما الزمهم القول بالبعث والاقرار به ثم اخبر ان الله تعالى هو يحييكم ثم يميتكم لا الدهر كما قالوا وهو قوله
قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة يحتمل قوله قل الله يحييكم اى يحييكم فى قبوركم ثم يميتكم فيها ثم يجمعكم
الى يوم القيمة او يقول الله يحييكم فى ابتداء الامر ثم يميتكم فى الدنيا عند انقضاء اجالكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة وقوله

ه عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى لا يعلمون لكن اكثر الناس لا ينتفعون بما يعلمون او يعقلون ولكن اكثر الناس لا يعلمون
م لما تركوا النظر والتامل فى اسباب العلم وقوله ولله ملك السموات والارض هذا يخرج على وجوه احدها اى ولله ملك
كل ملك فى السموات والارض ولله ملك السموات والارض اى خزائن السموات والارض وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود
رضى الله عنه او يقول ولله حقيقة ملك السموات والارض فان كان الثانى بل هو الاول فان له ملك كل ملك فى السموات
والارض ففيه اخبار واعلام بليغ اتباع اولئك الملوك والتعظيم لهم والاجلال والخدمة لهم بما فى ايديهم من الملك
وا السلطان وفضل الاموال بل فيه الامر بصرف ذلك كله الى الله تعالى والقيام له بالشكر لا لاولئك لان الذى فى
ايديهم لله تعالى وهو الجاعل فى ايديهم والواضع عندهم فاليه يلزم صرف الشكر والعبادة والله اعلم وان كان تاويل
الملك الخزائن ففيه منع الاطماع عما فى ايدى الناس والامر بصرف ذلك الى الله تعالى والرجاء منه دون من سواه والله
اعلم وان كان الثالث وهو ان حقيقة الملك لله تعالى ففيه انه فيما امتحنهم فى الدنيا بانواع المحن لم يمتحنهم لمنفعة يجر
الى نفسه والمضرة يدفع عنها وكذلك ما يثيبهم فى الاخرة ويعاقبهم ليس يفعل ذلك لمنفعة كانت له فى الدنيا او دفع
مضرة عنه ولكن لحكمة اوجب ذلك لهم وعليهم والله اعلم وقوله عز وجل ويوم تقوم الساعة سمى القيمة ساعة لما
ان يكون سماها لسرعة قيامها ونفاذها كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب او ان يكون سماها لما
لما يكون حسابهم وامرهم يوم القيمة انما يكون فى ساعة والله اعلم وقوله عز وجل يومئذ يخسر المبطلون يحتمل اى يتبين
يتبين خسران المبطلين فى الدنيا وعلى ذلك يتبين خسران كل مشركين فى تجارة الدنيا اذ فى عمل عند القسمة يتبين خسران
عملهم وتجارتهم واصله ان الله تعالى جعل الدنيا وما انشاء فيها من الاموال والاملاك رؤوس اموال لاهلها يتجرون و يكتسبون
بها الربح فى الاخرة وانه انما انشاء الدنيا للاخرة لا انه انشاها لنفسها ولذلك قال ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم الاية وقال ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل وترى كل امة جاثية
كل امة تدعى الى كتابها يحتمل ان يكون ما ذكر من الجثو للركب فى الاخرة تعريف لهم وانبا انهم يختصمون يوم القيمة جاثين
كما يختصمون فى الدنيا عند الحكام والامراء جاثين للركب والله اعلم ويحتمل ان يذكر جثوهم لما يقوم لهم الاقدام او لا يحملهم
لهول ذلك اليوم والخوف فيها فيكونون جاثين للركب ويقومون بها والله اعلم وقوله عز وجل كل امة تدعى الى كتابها
يحتمل كتابها كل فى نفسه وهو كقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه وقوله تعالى فاما من اوتى كتابه بيمينه و
اوتى كتابه بشماله ونحوه ويحتمل قوله كل امة تدعى الى كتابها الذى دعيت كل امة اليه فى الدنيا من نحو القران ونحوه
يقال يا اهل الانجيل يا اهل التورية ونحو ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون كل امة تدعى الى كتابها اى الى حسابها الذى
عملت فى الدنيا تفسير ذلك ما ذكر اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تعملون فى الدنيا وقوله عز وجل هذا كتابنا ينطق عليكم
بالحق يحتمل الكتاب الذى اضافه الى نفسه هو القران الذى كان ينطق لهم بالحق اى بالحق الذى لله عليهم وما لبعضهم
على بعض او بالحق اى بالصدق وانه من الله تعالى والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك الكتاب هو الكتاب الذى يكون لكل بالانفراد
الذى كتبته له الملائكة مما عملوا من خير وشر وهو كقوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والله اعلم
وقوله عز وجل انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اختلف فى تاويله قال بعضهم ان الحفظة تكتب اعمال بنى ادم ثم يعارضون
ذلك بما فى اللوح المحفوظ المكتوب فيه ان فلان يعمل كذا وكذا فلا يزيد شىء ولا ينقص وعن ابن عباس رضى الله عنهما
يقول قريبا من هذا ان فى السماء كتابا عليه ملائكة والملائكة الذى مع بنى ادم يستنسخون من ذلك الكتاب ما يعملون
ثم قال وقد يكون النسخة الا من كتاب وشىء والله اعلم وقال بعضهم ملكان موكلان بالكتابة يكتب كل واحد منهما
ما بينها فاذا اراد ان يصعدا الى السماء بما عرض كل واحد منهما كتابه الذى كتبه مع كتاب الاخر فلا يخطى حرفا ما كتبه هذا
ما كتب الاخر والله اعلم وقال بعضهم عرض كتاب الناس اعمالهم كل يوم اثنين وخميس فينسخ منه الخير والشر وما ثبات
عليه وعقاب ويلقى ما سوى ذلك مما لا ثواب له ولا عقاب والله اعلم ويحتمل ان يراد من الاستنساخ ابتداء الكتابة
من اخذ من كتاب ونحوه فانه يجوز ان يستعمل الاستنساخ فى ابتداء الكتابة على غير اخذ من كتاب او غيره كقوله نسخة الخط
النسخة اى كتبته فيكون كانه قال انا كنا نستنسخ اى نكتب ما كنتم تعملون ونثبته عليكم من خير او شر نجزيكم به
كقوله ان فيها اعمالهم تكتبه عليهم جملة وهى التى كتبت عليهم الحفظة وقال ابو عوسجة الجاثية هى التى تجثت وتجلس
ويقال جثا اى بركنا على ركبها للخصومة وقال القتبى جاثية على الركب اى انها غير مطمئنة وقوله تدعى الى كتابها
اى حسابها وقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق اى شاهد عليهم بما عملوا وذكر انه ينطق عليهم ويشهد وقوله تعالى انا كنا
نستنسخ اى نكتب على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فاما الذين امنوا اى امنوا بجميع ملكان عليه الايمان به و
التصدق له وقوله عز وجل وعملوا الصالحات اى عملوا ما فيه صلاحهم وما يوجبه الحكمة من العمل فيدخلهم ربهم فى
رحمته اى فى جنته رحمة لانها نال برحمته ويدخل فيها وسماها رحمة لانها هى لهما والغاية التى يطلب بالرحمة و
يراد بها والله اعلم وقوله عز وجل ذلك هو الفوز المبين الا ان الفوز هو الظفر بما يؤمل ويرجى من العمل او رفعة الغوز

هو اللوح الذى لا خرف بعده والله اعلم قوله عز وجل واما الذين كفروا افلم تكن اياتى تتلى عليكم كان فيه اضمارا لان قوله تعالى
واما الذين كفروا انما هو اخبار على المعاينة وقوله تعالى افلم تكن اياتى تتلى عليكم خطاب وشافهه فليس هو من جواب الاول
ولا من نوعه فكانه قال والله اعلم واما الذين كفروا فى الدنيا يقال لهم فى الاخرة اذا طلبوا الرجوع والاقالة او التخفيف و
نحو ذلك افلم تكن اياتى تتلى عليكم فى الدنيا ثم يحتمل اياته ايات وحدانيته والوهيته او ايات قدرته وسلطانه على التعذيب
او ايات قدرته على البعث او ايات رسالة رسله والله اعلم وقوله عز وجل فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين لا احد يقصد
قصد الاستكبار على ايات الله لكنهم لما كذبوها وردوا اياته ولم يجلوا بها فكانهم استكبروا عليها وهو كما قال لا تعبدوا
الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنهم لما عبدوا الاصنام بامر الشيطان فكانهم عبدوه ويحتمل ان يكونوا
استكبروا على رسله فيكون استكبارهم على رسله كانهم استكبروا عليه او استكبروا على اياته والله اعلم وقوله عز وجل
وكنتم قوما مجرمين قيل المجرم هو المرتاب فى المعصية والله اعلم وقوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب
فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين كان عندهم فيها ريب لكنهم لو تاملوا ونظروا
فيها اتاهم من اياته زال عنهم الريب الذى كان لهم فيها ويحتمل ان يقال هذا على الاتقان اذا كان القايل به موقنا
وان كان الذى يقال له شاكا فى ذلك والاول اقرب واشبه ثم الناس رجلان فى الساعة موقن بها ويحقق
ولكن فى العمل بها والاستعداد لها كالظان والثانى ظان بها شاك فيها جاحد لها ومكذب كالموقن ان لا
يكون ثم الاتقان بالشىء هو العلم بالاسباب الظاهرة وقد يدخل فى تلك الاسباب ادنى شبهة وشك لذلك
ذكر فيه الظن والله اعلم واما العلم بالشىء قد يكون بالتجلى له بلا سبب ولذلك وصفه الله تعالى بالعلم
ولم يوصف بالاتقان والايقان انه موقن لما ذكرنا ان احدهما يكون باسباب والاخر لا والله اعلم فيمكن فى
الاتقان ادنى شبهة وشك وقد يعمل غالب الاسباب على حقيقة الاعمال نحو الحكم على الشىء بعلم بما او عد به
اسبابه ليس على الحقيقة والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم سيئات ما عملوا هذا يخرج وجهين احدهما بدا لهم
ان الاعمال فى الدنيا انما اسباب فى الاخرة لانهم عملوها فى الدنيا وعندهم انها حسنات فيظهر لهم فى الاخرة
انها سيئات والثانى بدا لهم سيئات ما عملوا اى ظهر لهم فى الاخرة وتذكروا سيئات ما عملوها فى الدنيا فى
الاخرة والله اعلم وقوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اى نزل بهم ووجب ما كانوا يستعجلون من الرسل و
هو العذاب الذى كانوا يوعدونهم لانهم كانوا يستعجلون ذلك استهزاء منهم بهم بانه غير كائن ولا نازل بهم ما
كانوا يوعدونهم والله اعلم وقوله عز وجل وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا والاشكال انهم كيف
ينسون يومئذ لانهم لو كانوا ينسون لسلوا من العذاب لكن ما ذكر من النسيان يخرج على وجهين احدهما كنى
بالنسيان عن الترك يقول اليوم نترككم فى النار وفى العذاب كما تركتم انتم العمل لذلك اليوم والنظر فيه والثانى
على التمثيل اى اليوم نصيركم فى النار كالشىء المنسى لا يكترث اليكم ولا يلتفت ولا يعبأ بكم كما صيرتم انتم ذلك اليوم
كالشىء المنسى لم تكترثوا اليه ولم تعملوا به والله اعلم وقوله عز وجل وماواكم النار وما لكم من ناصرين جعل الله تعالى
النار لهم ماوى بازاء كل ما افتخروا فى الدنيا على رسل الله عليهم السلام واتباعهم من المنازل والمراكب والملابس
وغير ذلك واخبر انه لا ناصر لهم يملك اخراجهم من تلك النار والماوى الذى جعل لهم ولا يقدر دفع ذلك عنهم و
الله اعلم ثم اخبر ان بعض ذلك الذى اصابهم ونزل بهم انما كان بما ذكر من اتخاذهم ايات الله هزوا فى الدنيا هزؤا بها
وسخروا بالرسل عليهم السلام ثم ايات الله يحتمل ما ذكرنا من ايات وحدانيته والوهيته وايات قدرته وسلطانه
على البعث او ايات رسالة الرسول عليه الصلوة والسلام وقوله عز وجل وغرتكم الحيوة الدنيا قد ذكر فيما تقدم
معنى نسبة التغرير الى الحيوة الدنيا واضافة اليها وان لم يكن منها على التحقيق تغرير وخداع وهو انهم انما
اغتروا بها فنسب فعل التغرير اليها كانها هى غرتهم وقد ينسب الفعل الى السبب الذى به صار ذلك وان لم يكن منه
حقيقة ذلك نحو قوله تعالى والنهار مبصرا اى يبصر به وذلك كثير فى اللغة او يقال ان ما كان منها لو كان ذلك ممن
يحتمل الغرور ويملك ذلك كما تغررا والله اعلم وقوله فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون اختلف فى قوله
ولا هم يستعتبون قال بعضهم انهم يعاتبون الى ان يدخل النار الم تفعلوا كذا ولم تفعلوا كذا فاذا دخلوا النار ترك
العتاب ويجعل كالشىء المنسى فيها والله اعلم وقال بعضهم ولا هم يستعتبون اى لا يسترجعون الى ما يطلبون
من العود والرجوع الى العمل الصالح لقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل الاية ثم فى قوله ان نظن
الا ظنا وقوله وراى المجرمون فظنوا الاية وقوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم دلالة ان لا ايجاب
فيهم على ظاهره خرج الخطاب لانه ذكر الظن فى المومنين والمراد به الايقان لا ظاهر الظن وذكر فى الكافرين
الظن واريد به الحقيقة ولا يجوز ان يفهم من الظن فى الفريقين معنى واحدا بل يفهم من هذا غير الذى فهم من
الاخر والله اعلم وقوله عز وجل فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين ان جميع ما ذكر فى القران من الحمد له

انا ذكر لاحد شيئين احدهما بما يستحق من الثناء بتعاليه عن جميع معاني الخلق وصفاتهم والثاني بما يستحق من الثناء
عليهم بالنعم والاحسان الذي منهم لهم وهو ما قال الحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي خلق السموات والارض ونحو
ذلك والله اعلم واصل اخرانه اذا اضيف كلية الاشياء الى الله تعالى ففيه وصف له بالعظمة والجلال واضيف جزئية
الاشياء اليه وخاصيته فانه تعظيم تلك الخاصية المضافة اليه وفي قوله تعالى فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين اضافة كلية الاشياء اليه والخاصية والجزئية ففيه الامران جميعا فان قوله عز وجل فلله الحمد
رب السموات والارض اضافة جزئية الاشياء اليه وخاصية وقوله عز وجل رب العالمين اضافة كلية الاشياء اليه
والله اعلم وقد تقدم ذكر الرب في غير موضع وقوله عز وجل وله الكبرياء في السموات والارض هذا يخرج على وجهين
احدهما في الوصف بالكبرياء والعظمة على اهل السموات واهل الارض مصنوع بالكبرياء والعظمة او من حقه
على اهل السموات واهل الارض ان يصنعوه بالكبرياء والعظمة والجلال والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الحكيم
اي هو العزيز الذي لا يعجزه شيء ولا يغلبه العصيان او هو العزيز بما به يعتز من اعز دونه ومن وصف بعز
دون ذلك راجع في الحقيقة اليه الحكيم الذي وضع كل شيء موضعه او الحكيم الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير والله
الموفق الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله عز وجل وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق قوله عز وجل الا بالحق في خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق الذي صار انشاء ذلك
وخلقه حكمة لانه لو كان الامر على ما ظن اولئك الكفرة وتوهموا ان لا بعث ولا جزاء من ثواب وعقاب كان انشاء
ما ذكر من السموات والارض وخلق ذلك كله عبثا باطلا على ما تقدم ذكره في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل
والذين كفروا عما انذروا معرضون يحتمل عما انذروا معرضون وجهين احدهما بما انذرتهم من النظر والتفكر فيما ذكر من
خلق السموات والارض وما انشا من المنافع وجعل ذلك انه لم يفعل ذلك كله عبثا باطلا ولكن للعاقبة ولا يراد
اذ عرفوا بعقولهم انه لا يخلق الخلق على ان يهملوا ويتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يمتحنون فاعرضوا
عن النظر والتفكر في ذلك فهم معرضون عن ذلك لترك النظر والتفكر والله اعلم والثاني عما انذروا بما نزل بمن تقدم
من مكذب الرسل عليهم الصلوة والسلام والثاني بما انذروا واعلموا من العذاب في الاخرة فهم معرضون عن ذلك كله و
الله اعلم وقوله عز وجل قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني
بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين يحتمل ان يكون ما ذكر هاهنا موصولا بعضه ببعض ويحتمل ان يكون بعضه
مفصولا عن بعض فان كان على الوصل فكانه يقول ارايتم ما تعبدون من دون الله من الاصنام وتدعونها الهة هل
خلقوا مما لكم من المنافع ومما به حيوتكم وقوامكم ومعاشكم مما يخرج الارض او هل ينزلون لكم من المنافع الذي
جعل لكم في السماء من الامطار وغيرها او هل اتاكم كتاب من عند الله فيه انه امركم بعبادة من تعبدونه واثارة من علم
هو يخرج على وجهين احدهما او جاءكم من الحكماء الاولين المتقدمين كتابا وقولا فيه الامر بذلك او استخرجتم من العلوم
ذلك فعلمتم به يقول والله اعلم ان الاسباب التي تحمل الناس على العبادة والخدمة لهم هذه الوجوه اما منافع تصل
منهم مما به قوامهم ومعاشهم وحياتهم واما كتاب من الله تعالى فيه محنة لهم وامر لهم في ذلك او كتاب من الحكماء و
الرسل يامرونهم وهم قوم لا يؤمنون بالرسل ولا بالكتاب وليست لهم علوم يستخرجونه من العلوم يقول ليس
لكم مما ذكر من الاسباب والعلوم بما عبدتموها فكيف اخترتم عبادتها على عبادة من عرفتم ان ما به قوامهم وحيوتكم
منه والله اعلم وان كان مفصولا من بعض فيكون كانه يقول اروني ماذا خلقوا من الارض منافع وغيرها ام لهم
شرك فيما ذكر بان قالوا قد خلقوا ما ذكر ولهم شرك فيما ذكر فقل لهم ائتوني بكتاب من قبل هذا من كتاب الحكماء
او العلوم المستخرجة من العلوم ان كنتم صادقين انهم خلقوا ما ذكرتم او لهم شرك فيما ذكر والله اعلم وقد علموا انهم
لا يقدرون ان يروه ما ذكر لما لم لهم من هذه الاسباب شي اذ هي اسباب العلم وقد عجزوا عن ذلك كله ثم وقوله عز
وجل واثارة من علم قال بعضهم او خاصة من علم وقال بعضهم او بقية من علم او ايليهم وهو قول القتبي اي بقية
من علم يوثر عن الاولين وقرى اثرة واثارة واصله ما ذكرنا من الوجهين احدها كتاب الحكماء والرسل عليهم السلام
والثاني العلوم المستخرجة من سائر العلوم وقال بعضهم او اثارة من علم هو الخط وهو قول ابن عباس رضي الله عنه
وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام يخط فمن صادف مثل خطه و
قال ابو عوسجة او اثارة من علم اي قديم من علم قال من اثارة الشحم القديم وقيل اثارة من علم اي رواية عن الانبياء
عليهم الصلوة والسلام ثم ذكر سفههم وبين نهاية تعنتهم وقوله عز وجل ومن اضل ممن يدعوا من دون الله

من لا يستجيب له الى يوم القيمة لانه لا يملك اجابته ويحتمل ذلك والثاني لا يستجيب له الى يوم القيمة ثم اذا اجابه يوم القيمة
اجابه باللعن والتبري كقوله تعالى ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله عز وجل اذ تبرا
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم وغير ذلك
من الايات التي فيها ذكر تبري بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضا والله اعلم وقوله عز وجل وهم عن دعائهم غافلون
لم يكن منهم لهم امر بذلك ولا دعاء ولا شيء من ذلك كقوله تعالى ان كنا عن عبادتكم لغافلين وقوله عز وجل
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين هو ما ذكرنا انه يصير بعضهم لبعض اعداء يتبرؤن منهم
ويلعنون هم ويكفرون بعبادتهم وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي بينات انها من الله تعالى او بينا
واضحا ما يبين لهم ما عليهم مما لهم ومما لبعض على بعض وما لله عليهم وقوله عز وجل وقال الذين كفروا للحق
لما جاءهم هذا سحر مبين يحتمل ان يكون الحق الذي قالوا انه سحر هو تلك الايات البينات التي ذكر انها تتلى عليهم قالوا
لها انها سحر ودل قولهم انها سحر على انها كانت معجزات خارجات عن وسعهم حيث نسبوها الى السحر وقوله عز وجل
ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هذا حرف المنابذة يقول ان افتريته فلا تملكون انتم
رفع عقوبة ذلك الافتراء عن نفسي وهو كقوله تعالى ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي يقول علي اثم ذلك
وجرمه وانما يقال هذا انتهاء الحجج والبراهين غايتها حتى لا ينطبع منهم القبول والنجع فيهم ويوس منهم فعند ذلك
يقال وينابذ والله اعلم وقوله عز وجل هو اعلم بما تفيضون فيه اي بما تخوضون فيه يقول هذا ويذكر دليلا يقولوا
ولا تدعوا غفلته عن ذلك بل يذكرهم انه كان عالما بما يسرون ويعلنون وقيل تفيضون من قولهم افاضوا اذا علموا
ويحدثوا وهو قول القتبي وقوله عز وجل كفى به شهيدا بيني وبينكم يخرج على وجهين احدهما اي يشهدون في
الاخرة انه قد بلغ رسالته والثاني اي كفى به شهيدا بيني وبينكم في الدنيا بما علم ما كان منهم من الشرك والتكذيب
ومعني من التبليغ فهو شاهد بما كان مني ومنكم في الدنيا من سر وعلانية والله اعلم وقوله وهو الغفور الرحيم
ذكر هذا في الموضع هذا على اثر ما ذكر من غاية سفههم وتعنتهم والله اعلم كانه يقول انكم وان بلغتم في السفه ما
بلغتم فانكم اذا رجعتم عن ذلك وتبتم يغفر لكم ما كان منكم والله اعلم ثم وقوله عز وجل ومن اضل ممن يدعوا من
دون الله ان كان على حقيقة العبادة فهو صلة قوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك في السموات الاية يقول والله اعلم ومن اضل ممن يعبد من لا يملك ما ذكر من خلق الارض ولا له شرك
في السموات وما ذكر وترك عبادة من خلق السموات والارض وشهد كل شيء له بذلك واتى بالحجج والبراهين
على ذلك اي لا احد اضل ممن ترك عبادة من هذا وصفه وصرف العبادة الى الذين لا يملك شيئا من ذلك والله اعلم
وان كان على الدعاء نفسه فهو صلة ما ذكر من قوله لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون اي
ومن اضل ممن يدعوا من دون من لا يملك اجابته ولا يسمع دعاءه وترك دعاء من يملك اجابته ويسمع دعاءه
ويقدر قضاء ما يدعون ويسالون اي لا احد اضل من اختار دعاء من لا يملك شيئا من ذلك على دعاء من يملك
ذلك كله يسفههم في صنيعهم واختيارهم على ما اختاروا والله اعلم وقوله عز وجل قل ما كنت بدعا من الرسل كانه
هذا انما ذكر والله اعلم لانكار مكة الرسل من البشر واستعظامهم وضع الرسالة فيهم فقال عند ذلك ما كنت
بدعا من الرسل اي لست انا اول رسول من البشر بل قد ارسل الرسل من قبل كانت من البشر في افاق الارض واطرافها
فما بالكم تنكرون رسالتي وان كنت من البشر وتستعظمونها وسائر الرسل الذين من قبلي كانوا من البشر والله اعلم
قال ابو عوسجة ما كنت بدعا اي ما انا باولهم قد ارسل قبلي وقال القتبي وما كنت بدءا منهم ولا وقوله عز وجل وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم هذا يخرج على وجوه احدها اي ما كنت ادري قبل ذلك ما يفعل بي ولا بكم ارسل واخص بالرسالة
واختارها وابعث اليكم وتلزمون انتم اتباعي والاجابة الى ما ادعوكم اليه والله اعلم والثاني وما ادري ما يفعل بي ولا
بكم من اخراجي من بين اظهركم واهلاككم كما فعل بالرسل الذين كانوا من قبل واقوامهم امروا بالخروج من بين اظهرهم ثم
تعقب ذلك استيصال قومهم اي ما ادري ايفعل بي وبكم ما ذكرنا كما فعل بمن تقدمنا من الرسل وقومهم والله اعلم
والثالث وما ادري ما يفعل بي ولا بكم مخافة التغيير عليه وتبديل الحال ولم يزل الرسل عليهم الصلوة والسلام
يخافون تغيير الاحوال عليهم وتبديل ما انعم عليهم وذهاب ما اختصوهم به كقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقال شعيب عليه السلام الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما الاية وما
ذكر في سورة يوسف عليه السلام ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية وقول يوسف عليه
السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين وقول يوسف عليه السلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك لم تزل كانت الرسل عليهم الصلوة والسلام على خوف
من تغيير الاحوال التي كانوا عليها فعلى ذلك جاز ان يكون قوله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي تغير علي وعليكم ثم

وذلك والله اعلم قد مر على الاستقصاء هذا الكلام وحقيقة ذلك على نترك ام اليوم عليها نحن التي الاحوال الا
اجمعين عليهم الله رضوان واصحابه وسلم عليه الله صلى الله رسول يؤذون كانوا مكة اهل ان التاويل اهل بعض
بانواع الاذية فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يلقون منهم فقال اني لم اومر بشيء فيهم من القتال
وغيره فاصبروا على ذلك ولكني رايت في المنام ان اهاجر الى ارض اخرى ذات كذا فاستبشروا بذلك فمكثوا بعد
ذلك زمانا لا يرون شيئا مما ذكر فشكوا اليه ثانيا بما يلقون منهم وقالوا ما نرى ما قلت لنا من الخروج عنهم فقال
انما رايت ذلك في المنام ولم يات به وحي من السماء اي كون ذلك ام لا يكون او نحو هذا من الكلام وهذا لا يحتمل
ان يكون لانه لا نظن باصحابه رضي الله عنهم ان يقولوا له ما نرى الذي قلت لنا من الخروج عنهم وفي ذلك اتهامه
بذلك وترك تعظيمه ولا نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم انما رايت ذلك في المنام ولم يات به وحي
من السماء جوابا لقولهم ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالوحي من السماء دل ان هذا لا يحتمل ان يصح
وثبت والله اعلم اما جاز بعض ما ذكر في القصة من الشكاية منهم من الاذى والوعد لهم بالخروج من بينهم و
الله اعلم والوجوه التي ذكرنا اشبه واقرب الى العقل والله اعلم وقوله عز وجل ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير
مبين ظاهر وقوله عز وجل قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن
واستكبرتم الاية قال بعضهم ان عبد الله بن سلام امن برسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد انه رسول الله
ثم شهد بمثل ذلك ابن يامين وقال بعضهم ابن يامين اولا انه رسول وامن به وصدقه ثم شهد بمثله ابن سلام
والله اعلم والاشبه في هذا ان يكون قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل التورية او موسى عليه السلام على ذلك
كقوله تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا شهد كتاب رسول الله ورسوله
عليه السلام والله اعلم ولان عبد الله بن سلام انما اسلم بالمدينة وكذلك ابن يامين وهذه السورة مكية لكنهم
يقولون هذه السورة مكية الا هذه الايات الثلاث والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه يحتمل ان يكون هذا القول من الاجلة والرؤساء منهم الذين كان منهم صلة الارحام وانواع
الخيرات والاعمال الصالحة قالوا انا قد سبقناهم في الخيرات سوى ذلك فلو كان ذلك الذي تدعونا اليه خيرا
ما سبقونا كما لم يسبقونا الى سائر الخيرات وقوله عز وجل واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم اي واذ لم يهتدوا
به هم من بيننا فيقولون هذا القران افك قديم اي كذب قديم فكان قولهم لكان خيرا ما سبقونا اليه بمعنى الاحتجاج
وقولهم فسيقولون هذا افك قديم تكذيب منهم ورد لذلك ثم وقوله افك قديم يقولون والله اعلم من نزل من
من ادعى الرسالة يدعي على الله ما يدعي محمد صلى الله عليه وسلم من انزال الكتاب عليهم وبعثه اياهم ابن سلام الى الله
بطلب الرسالة لهم عليهم وقوله عز وجل ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اماما يقتدى به ورحمة لمن اتبعه في
دفع العذاب عنه وقوله تعالى وهذا كتاب مصدق ذكرها هنا مصدق ولم يذكر انه مصدق لماذا لكن قد ذكر في غيراي
من القران مصدقا لما بين يديه ثم وقوله مصدقا لما بين يديه يحتمل اي موافقا لما لم يحرف ولم يغير من تلك الكتب
لان تلك الكتب قد حرفوها وغيروها ولم يغيروا ولم يحرف هذا الكتاب وقد حفظه الله تعالى عز وجل عن التبديل و
التغيير فهو مصدق موافق لما لم يغيروا ولم يحرف من تلك الكتب والله اعلم وقوله لسانا عربيا اي انزله بلسان
عربي ليعلم انه باخذ محمد صلى الله عليه وسلم من تلك الكتب لان تلك الكتب كانت على غير لسان العرب ولسانه عربي
ولكن جاءه من الله تعالى بلسانه وقوله عز وجل لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين فمن قرا لتنذر بالتاء فتاويله
لتنذر يا محمد الذين ظلموا ومن قرا بالياء لينذر اي لينذرهم القران وقد ذكرنا فيما تقدم تفسير النذارة والبشارة
والله اعلم وقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاستقامة احتمل وجهين احدهما اي قالوا ربنا الله في
ثم استقاموا على دلالة القول الذي قالوا وثبتوا على ذلك ولم يغيروا ولم تبدل لهم تلك والله اعلم والثاني
قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الوفاء بالعمل بما اعطوا بلسانهم وقلوبهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك
اصحاب الجنة خالدين فيها وقد ذكرناه في غير موضع عز وجل جزاء بما كانوا يعملون نجعل ذلك لهم جزاء اعمالهم بفضله
ورحمته لا انهم يستوجبون ذلك بنفس عملهم ولكن بالتفضل ورحمة وذكر جزاء الاعمال فضلا منه وقوله عز وجل
ووصينا الانسان بوالديه احسانا وحسنا كانه قال امرنا الانسان ان يحسن الى والديه فالحسن هو اسم ما
يقع بهم من البر وهو المفعول والاحسان هو اسم فعله الذي يفعل بهم وقوله عز وجل حملته امه كرها ووضعته
كرها وقال في اية اخرى حملته امه وهنا على وهن وقال في اية اخرى حملت حملا خفيفا اي انها في اول الحمل حملا
خفيفا فلما كبر اثقلت وهو وصف الولد وقوله عز وجل وهنا على وهن وذلك في الام لانها لا تزال تضعف وتهن
من اول ما حملت الى اخر ما وضعت وقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها في اول ما تحمل تجد كراهة في نفسها
الى وقت وضعها والثاني يشبه ان يكون على الجمع في الام دون الولد على اختلاف الاحوال وهو في الابتداء يخف

عليها اذا دنا وقت وضعها وما ذكر من الوهن فهو ما ذكرنا انها لا تزال تزداد ضعفا فيها وهذا من اول حملها
الى وقت وضعها وما ذكر من الكراهة فهو اذا اتم حملها شق ذلك عليها وكذلك الوضع لا شك ان ذلك يشق
عليها والتاويل الاول على التفريق في حال يرجع الوصف الى الولد في حال الى الوالدة والثاني يرجع ذلك كل الى الوصف
الام وعلى التاويل يحصل التوفيق بين الايات لرجوعها الى اختلاف الاحوال فامكن الجمع بين الكل في احوال و
الاختلاف انما يكون في حال واحد والله اعلم وقوله عز وجل وحمله وفصاله ثلثون شهرا اختلف فيه قال
بعضهم ان الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حملته امه كرها اي بمشقة ووضعته بمشقة ثم ب
ضعته على تمام ستة اشهر وقال بعضهم الاية نزلت في الحسن والحسين رضي الله عنهما وضعته على ما ذكر في
المدة ثم منهم من يقول الاية وان نزلت في نازلة بعينها لكن ما ذكر من الحكم فذلك في كل انسان وهو ان يكون
الولد ثابت النسب من الاب بهذه المدة فانه روي عن عمر رضي الله عنه انه اتي بامراة وضعت في ستة اشهر
فاراد ان يرجمها فقال ابن عباس رضي الله عنه يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد جعل لها في كتابه مخرجا قال الله
تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقال وحمله وفصاله ثلثون شهرا ستة اشهر
حملها ورضاعه سنتين فاخذ بقول ابن عباس رضي الله عنهم ودرا عنها الرجم وكذلك روي عن عثمان
رضي الله عنه انه اتي بامراة وضعت لستة اشهر فهم ان يرجمها فقال له ابن عباس رضي الله عنه اما انها
لو خاصمتكم بكتاب الله خصمتكم ثم تلا هذه الاية وكذلك ذكر عن علي رضي الله عنه ان عثمان رضي الله عنه
لما امر برجم المراة التي وضعت لستة اشهر فسمع علي رضي الله عنه فاتى عثمان رضي الله عنه فقال له
ما صنعت فقال له عثمان رضي الله عنه وهل تلد المراة الولد التام لستة اشهر قال نعم ثم تلا عليه
هذه الاية فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم قد دروا الاية في كل امراة وضعت لتلك المدة في حق ذلك هو
الحكم الذي ذكر والله اعلم ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا وضعت لستة اشهر ارضعته
حولين كاملين لان الله تعالى عز وجل يقول وحمله وفصاله ثلثون شهرا واذا وضعت لسبعة اشهر ارضعته
ثلاثة وعشرين شهرا واذا وضعته لتسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا فعلى قياس هذا جاز انها
وضعته لسنتين ان يكفي رضاع ستة اشهر زاد وينقص على ذلك القدر الا ترى انه روي ان المراة التي حملت
سنتين ولدت وقد نبتت له ثنيتان فمثل هذا الولد لا يحتاج من الرضاع ما لا يحتاج الذي ولد لستة اشهر
لذلك كان ما ذكرنا ثم اذا احتمل النقصان عن الحولين لما ذكر جاز الزيادة على الحولين على ما قال ابو حنيفة رحمه الله
لان ما ذكر من الحولين انما هو رضاع اقل الحمل وهو ستة اشهر لان الذي ولد لستة اشهر كان الى الاغتذاء
بالطعام ابعد من الذي ولد لتسعة اشهر لضعفه في نفسه والذي ولد لتسعة اشهر فهو الى الاغتذاء بالطعام
اقرب منه والذي ولد لسنتين هو اقرب الى الاغتذاء بالطعام من المولود لتسعة اشهر لقوته وقلة حاجته الى الغذاء باللبن
فاذا كان قوله تعالى حولين كاملين هو اقل رضاع يكون لانه ذكر المولود لاقل الحمل حيث قال وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ثم
قال وفصاله في عامين فاذا كان اقل احتمل الزيادة الذي ذكر ابو حنيفة رحمه الله وهو ستة اشهر على السنتين كا يصير
رضاع اكثر الحمل ستة اشهر واعتبر في الباب الى قوة الولد واحتمال الغذاء بالطعام وعدم الاحتمال والله اعلم وقوله عز وجل
حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة الى اخر ما ذكر ذلك هذه الاية التي ذكرنا نزلت في نازلة حيث اخبر انه اذا بلغ
ذلك المبلغ قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي الاية ثم قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
ذكر اول ما يستدعقله ويدخل في القوة الى الوقت الذي يكون على الزيادة فاذا جاوز ذلك الوقت ياخذ في الانتقاص
وهو اربعون سنة وقال اهل التاويل بلوغ الاشد هو ثمان عشرة سنة الى اربعين وهو ما ذكرنا انه اول وقت دخوله
في الزيادة والقوة الى الوقت الذي اذا بلغ ذلك ياخذ في النقصان والله اعلم وقوله عز وجل قال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي دل قوله علي وعلى والدي على انه على الرجل شكر ما انعم على والديه واحسن اليهما كما يلزمه
شكر ما انعم عليه لما يكون بدو اسلام الاولاد الصغار بالوالدين وما لهما من النعم يصل نفعها اليهم ايضا فيلزمهم شكر
ما انعم عليهم بالايمان والنعم في وقته وقوله عز وجل وان اعمل صالحا ترضاه هذا على كل مسلم ان يدعو بمثل هذا الدعاء
ليسال ربه التوفيق على عمل صالح ترضاه وقوله عز وجل واصلح لي في ذريتي هذا يحتمل وجهين احدهما اي اصلح لي في ذريتي
على طرح حرف ومنه كقوله هب لي من لدنك ذرية طيبة وقوله عز وجل فهب لي من لدنك وليا يرثني والله اعلم ثم قوله
تعالى اوزعني الهمني وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه سال ربه ان يوزعه شكر ما انعم عليه ومن قولهم انه
ليس على المرء الشكر الا بعد اعطاء جميع ما به الشكر حتى يبقى عنده مزيد فيكون مثل هذا الدعاء لعبادهم واعلى قولهم
لانهم يسالون ما يعلمون انه ليس عنده ذلك وانه لا يملك وكذلك قوله وهما يستغيثان الله ومن قولهم انه ليس عنده
ما يغيثه فيخرج دعاؤهم على ما ذكرنا على مذهبهم وبالله العصمة وقوله عز وجل اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا

ويتجاوز عن سياتهم كان لهم عملان حسنات سيئات فاخبر انه يتقبل عنهم حسناتهم ويجزيهم جزاها ويتجاوز عن سياتهم
ويكفرها ولا يجزيهم جزاها فضلا منه ورحمة والمراد من الحسن الحسن ويجوز ذلك في اللغة وقوله عز وجل وعد الصدق
الذي كانوا يوعدون اي ذلك الذي اخبر وذلك انه يتقبل لهم هو وعد الصدق يفي ذلك لهم وهو قادر على وفاء ما وعد ومن
يكون منه الخلف في الوعد في الشاهد انما يكون لاحد وجوه ثلثة اما لعجز يمنعه عن وفاء ما وعد او جهل وبدو يبدو له
فيرجع عن ذلك او حاجة والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك كله للقدرة الذاتية والغنى الذاتي والعلم الازلي والله الموفق
وقوله عز وجل والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج الى اخر ما ذكر خرج اهل التاويل هذه الاية في عبد الرحمن بن
ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ووالدته فلان والاية الاولى في ابي بكر الصديق ووالديه وهي قوله ووصينا الانسان
بوالديه فيقولون ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه اطاع والديه وامر بالاحسان اليهما والشكر لهما وسال التوفيق في
الشكر له على ما انعم عليه وانعم على والدته وعبد الرحمن ابنه قد عصى والديه وخالفهما فيما يدعوانه اليه وقال لهما اف لكما
رد الحديث قال اف لكما اتعدانني ان اخرج من القبر واحيى وقد خلت من قبلي من القرون فلا اراهم بعثوا ونحو ذلك من
الكلام الا ان هذا لا يصح لان عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق في جلة الصحابة رضي الله عنهم فالظاهر انه لم يكن منه مثل
هذه المجادلة لان اهل التاويل قالوا انه كان قال لوالديه ان كان ما يقولون حقا اخرجوا فلانا وفلانا ذكر نفرا من اجداده
فقال اولئك الذين حق عليهم القول الاية ولا يحتمل ان يكون هذا جواب ما تقدم من القول لانه في وجوب ما ذكر وهو
استحقاق عذاب عليهم مع العود والاحياء في الدنيا ولانهم لو كانوا يعادون لا يسقط ذلك الذي حق عليهم اذ هم لا يؤمنون
الا ترى ان الله تعالى قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لكن جائز لكن ان يكون الاثنان في رجلين من ولد بني ادم عليه
السلام مع والدته اطاع احدهما والديه واجابهما الى ما دعواه اليه وخالفهما في امرهما فاستحقا والذين وخالفهما
في امرهما وقال لا ما ذكر في الاية وقال من اجابهما ما ذكر وهو كما ذكرنا في قوله تعالى حملت حملا خفيفا صرف اهل التاويل
باجمعهم هذه الاية الى ادم وزوجته حوا عليهما السلام وقلنا نحن جائز ان يكون الاية هذه في كل والد وولد يقولان
ما ذكر ويدعون الى ما ذكر فلما اتاهما ما ذكر من الصلاح كانا كما ذكر فعلى ذلك جائز ان يكون الاثنان اللذان ذكرناهما
يكونان في كل ولد مع والديه من اجاب والديه ومن عصاهما والله اعلم فلا يصرف الاية الى من ذكروا الا ببيان من الله
تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم انها في كذا وكذا وفي فلان وفلان نقل على طريق التواتر فعند ذلك يقال ما قالوا
فاما اذا لم يثبت النصوص والاشارة الى قوم بالتواتر فالكف عن ذلك اسلم والله اعلم وذل قوله تعالى وهما يستغيثان
ويلك امن ان عند الله لطفا لو اعطى ذلك لامن قولك يستغيثان الله تعالى ويامرانه بالايمان يقولان امن والله اعلم
وقوله عز وجل ولكل درجات مما عملوا من خير او شر وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون اي ليوفيهم اجزاء اعمالهم وجزاء
اعمالهم من خير او شر وهم لا يظلمون اي لا ينقصون من خيراتهم ولا يزاد لهم في سيئاتهم وقوله عز وجل ويوم يعرض
الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وقال في اية اخرى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس
هذا بالحق وقال في اية اخرى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ونحو هذا يذكر بهذه الايات وامثالها ليعرفوا
ما كان وما استوجبوا من العقوبات انما استوجبوا بما كان منهم في الدنيا من التكذيب والاستهزاء باياته لينزجروا عن ذلك
ثم وقوله عز وجل اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها يحتمل وجهين احدهما اذهبتم طيباتكم التي اعطيتموها
في منافعكم واتلفتموها ولم تؤدوا شكرها ولم تقوموا بوفائها والله اعلم والثاني اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا اي
اتلفتموها ولم تكتسبوا بها الطيبات الموعودة في الاخرة والنعم الدائمة فكل ما اعطي في هذه الدنيا من الاموال انما
اعطي ليستعينوا بها على عمل الاخرة وليتزودوا بها ويجعلوها زادا للاخرة فاما اذا جعلوها في غير ذلك فهو اتلاف وجعل
في غير ما جعل وذلك وبال عليهم وحسرة وهو ما قال الله تعالى وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وكذا ذكر مثل ما ينفقون
في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فكل نفقة كانت في غير ما ذكر من الاستعانة على زاد الاخرة والتزود لها فهو في الحيوة الدنيا
وهو لعب ولهو وهو ما ذكر من الريح فيها صر والله اعلم وقوله عز وجل فاليوم تجزون عذاب الهون اي عذاب يهانون
به ويهينكم ذلك العذاب وقوله عز وجل بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق يحتمل استكبارهم الذي ذكر
على الرسل استكبروا على الرسل فتركوا اتباعهم فاستكبروا على اياته وقوله عز وجل وبما كنتم تفسقون والفسق
هو الخروج عن امر الله تعالى وقوله عز وجل واذكر اخا عاد وهذا يحتمل وجهين احدهما اي اذكر نبا اخا عاد وهو هود عليه
السلام بما عامله قومه من سوء المعاملة وما قاسى هو منهم لتتسلى بذلك بعض ما عامل به قومك معك والله اعلم
والثاني وذكر نبا عاد وما نزل بهم من العذاب والاستيصال بتكذيبهم الرسل والاستكبار عليهم والاستهزاء بهم
ليحذر به قومك في تكذيبك والاستهزاء بك والله اعلم وقوله عز وجل اذ انذر قومه بالاحقاف اي خوف قومه هود
بالاحقاف وقد اختلف في تاويل الاحقاف قال بعضهم الاحقاف هو اسم الارض خوفهم بنزول العذاب هنالك
وقال بعضهم هي جبال من رمل مستطيلة مرتفعة وقال القتبي واحد الحقف وهو الرمل ما اشرف كثيبا واستطال

والجن

والجني وقال ابو عوسجة الاحقاف رمل بشحر عمان وهي بلاد عاد فيما زعموا وشجر تلاوة وقيل الحقف الرمل المعوج وقال الا
حقاف الجرجين نصب لما رمان الغرق ينضب عن المكان من الجبل ويبقى اثره وينضب من مكان اسفل من ذلك ويبقى
اثره دون ذلك الاحقاف وقيل ايضا الاحقاف جبل بالشام وقيل هو المكان الذي كان منازل عاد ومقامهم والله اعلم
وقوله عز وجل وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا الله اي خلت الرسل من قبل هود ومن بعده عليه الصلوة و
السلام وقوله عز وجل الا تعبدوا الا الله كان الخطاب بهذا وقع للكل يقول لم الرسل عليهم السلام ينذر قومهم
بانواع العذاب عند تكذيبهم اياهم ولم يزل الرسل عليهم السلام من قبل ومن بعد دعوا الناس الى عبادة الله تعالى ونهوهم
عن عبادة غيره وقوله عز وجل اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يحتمل قوله اخاف عليكم حقيقة الخوف لما لم ييأس من ايمانهم
واتباعهم اياه لذلك لم يقطع منهم القول بنزول العذاب بهم والله اعلم ويحتمل ان يكون الخوف هو العلم حقيقة اي
اعلم ان ينزل بكم عذاب يوم عظيم ان دمتم على ما انتم عليه وقد يذكر الخوف في موضع العلم وقوله عز وجل قالوا اجئتنا
لتافكنا عن الهتنا اي قالوا لهود عليه الصلوة والسلام اجئتنا لتصرفنا عن عبادة الهتنا وقال بعضهم لتردنا عن عبادة
الهتنا وقال بعضهم لتكذبنا في الهتنا والافك الكذب وكله واحد واصل الافك الصرف كانهم قالوا اجئتنا لتصرفنا
عن عبادة الهتنا والله اعلم وقوله عز وجل فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين كانوا يقولون ذلك استهزاء به منهم ولم
يزل الكفرة يسالون ويستعجلون العذاب الذي كانوا يوعدون استهزاء لهم وتكذيبا بما يوعدون والله اعلم قال
وقوله قال انما العلم عند الله الاية اجابهم هود عليه الصلوة والسلام ان العلم بنزول العذاب ووقته عند الله وابلغكم
ما ارسلت به من الدعاء الى توحيد الله تعالى والنهي عن عبادة غيره او يقول ابلغكم ما امرت من التبليغ نزول العذاب
بكم ولستا ابلغكم انه متى ينزل بكم لما لم اومر به وقوله عز وجل ولكني اريكم قوما تجهلون دين الله او تجهلون ايات الله
ورسله او تجهلون نعم الله واحسانه او تجهلون امر الله تعالى وقوله عز وجل فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا
عارض ممطرنا قال بعضهم العارض السحاب فقالوا هذا سحاب ممطرنا وكان حقيقة العارض هو الريح التي فيها عذاب
اليم ظنوا انها سحاب ولم يكن سحابا ولكن كانت تجيء لهم من ذلك الجانب كان ياتيهم السحاب الممطر قالوا هذا عارض
ممطرنا وقوله عز وجل بل هو ما استعجلتم به كان هود عليه الصلوة والسلام قال لهم ليس هو بعارض ممطر ولكن هو ما
استعجلتم به من العذاب حيث قلتم فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين هو ريح فيها عذاب اليم ثم وصف ذلك الريح
فقال كما اخبر الله تعالى بقوله عز وجل تدمر كل شيء بامر ربها يخرج قوله تدمر كل شيء بامر ربها على وجهين احدهما تدمر
كل شيء ارسلت وامرت بتدميره لا يجاوز امر ربها على وجهين ولا تدمر ما لم ترسل ولم تؤمر بتدميره كقوله تعالى
في عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم هذه الاية تفسر قوله تدمر كل شيء اتت
عليه وامرت بتدميره فاما ما لم تؤمر بالتدمير فلا على ما ذكر في تلك الاية والله اعلم والثاني تدمر كل شيء اي عند من
عاينها وتاملها عنده انها تدمر كل شيء لا تبقي شيئا على وجه الارض لشدتها وقوتها لكنها لا تجاوز امر ربها الا
ترى انها لا تدمر هودا واتباعه وهم فيهم ويقرب منهم وهو كقوله تعالى وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اي
ياتيه اسباب الموت وما به يموت لو كان فيه امر الموت فعلى ذلك قوله تعالى تدمر كل شيء اي تدمر كل شيء عند من عاينها
ونظر في احوالها واهوالها ان لو كان لها امر بذلك لكنها لم تجاوز امر ربها الا ترى انه قال في اية اخرى فاصبحوا لا
ترى الا مساكنهم في ظاهر هذه الاية انها قد ابقيت مساكنهم ولم يدمرها وكذلك قال في اية اخرى تنزع الناس كانهم
اعجاز نخل منقعر قال بعضهم انهم لما التجؤا الى مساكنهم وهربوا منها كانت تدخل الريح مساكنهم وتخرجهم منها
فتلقيهم في صحاريهم او فتتهم موتى وقال بعضهم تنزل مفاصلهم وتقطع ثم تلقيهم اي فتتهم على ما وصفهم
وشبههم باعجاز نخل منقعر فالريح التي تعمل اخراج اهلها من مساكنهم والقاءهم في الفيافي لان تعمل في هدم المساكن
والمنازل اولى ومع ذلك وكذلك اذا عملت في نزع المفاصل وقطعها ففي نقض البنيان والمساكن اولى ومع
ذلك لم تعمل في هدم مساكنهم فدل ما ذكرنا انها لم تجاوز امر ربها في الاهلاك والله اعلم وقوله عز وجل فاصبحوا
لا ترى الا مساكنهم الاية ويحتمل لا ترى الا مساكنهم وجهين احدهما اي لم تترك الريح من عاد وما لهم الا المساكن التي
ذكروا والثاني لا ترى الا مساكنهم الا اثار مساكنهم فعلى احد التاويلين تركت لهم المساكن لم تهلكها وعلى التاويل
الاخر تركت اثار مساكنهم فاما نفس مساكنهم فقد اهلكتها وهذان التاويلان مرجعا على ما ذكر من التاويلين في قوله
تعالى تدمر كل شيء بامر ربها فالاول على التاويل الاول في قوله تدمر كل شيء ارسلت وامرت بتدميره ولم يؤمر بتدمير
مساكنهم فبقيت والتاويل الثاني على التاويل الثاني في قوله تدمر كل شيء عند من عاينها ونظر اليها لشدتها
وقوتها فتدمر مساكنهم ايضا فلا ترى الا اثارها لكن سماها مساكن باسم ما قد كان وانه امر مستعمل في عرف
لسان اللغة والله اعلم وقوله عز وجل كذلك نجزي القوم المجرمين كان المجرم هو الذي يديم اكتساب الجرم والاثم
وقال بعضهم هو الوثاب في الجرم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الاية قال بعضهم ان ها هنا

فى موضع لكانه يقول ولقد مكناهم فيما لم نمكن لكم من القوة والشدة والعقل والبصيرة وغير ذلك وذلك قوله تعالى وجعلنا لهم
سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ اى قد مكناهم فيما ذكرنا لما لم تمكنوا
لكم يا اهل مكة فى ذلك ثم اذا اتاهم عذاب الله بتكذيبهم الرسل لم يملكوا دفع عذابه فانتم حيث لم يكن لكم ذلك احرى ان لا تملكوا
دفع عذابه اذا نزل بكم بتكذيبهم الرسول عليه السلام وقال بعضهم ان حرف ان صلة زائدة فيكون تقدير الاية كانه يقول
ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد ثم لم يملكوا دفع العذاب عن انفسهم فانتم لا تملكون
ايضا دفعه عن انفسكم وكان لهم ما لكم مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد وقوله عز وجل وجعلنا لهم سمعا وابصارا
وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ على التاويل الاول حيث ذكرنا انهم مكنوا ما لم تمكن هؤلاء
هؤلاء يكون ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد لا يراد به اعيانها حقيقة لكن السمع يكون كناية عن العقل كقوله تعالى
امانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ذكر السمع ثم فسره بالعقل ويكون قوله ابصارا اريد به البصائر فالبصر يذكر
ويراد به البصيرة اذ قد وصفهم الله تعالى بذلك بقوله وعادا وثمود الى قوله وكانوا مستبصرين ويكون قوله تعالى وافئدة
كناية عن القوى فالفؤاد يكنى به عن القوة يخبر تعالى انهم مكنوا من العقل والبصيرة والقوة ما لم تمكنوا انتم يا اهل مكة
ثم لم يقدروا على دفع العذاب اذا نزل بهم فانتم كيف تملكون دفعه وليس لكم تلك الاسباب وعلى التاويل الثانى
كان المراد هو حقيقة ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد فيكون معناه ما ذكرنا ان لكم هذه الاسباب مثل ما لهم ثم
هم لم يقدروا على دفع ما حل بهم من العذاب فانتم لم تقدروا ايضا بها والله اعلم ثم بين الله سبحانه وتعالى الذى
بهم نزل ما نزل من العذاب حيث قال اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وكان استهزاؤهم
مرة بما يوعد لهم الرسل عليه الصلوة والسلام بالعذاب ومرة كانوا يستهزؤن بالرسل عليهم السلام لما يدعوهم
الى ما دعوا والله اعلم ثم عذاب عاد بالريح التى وصفها الله تعالى فى سورة الحاقة وذكر فيها حيث قال واما عاد
فاهلكوا بريح صرصر عاتية اى شديدة عادية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما الاية وقال فى اية اخرى
وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى خلق الله تعالى البشر
على طبع وبنية وحال يحذرون ما نزل باشكالهم وامثالهم بذنوب ارتكبوها ويتعظون بغيرهم فكانه يقول احذروا
صنيع الذين اهلكوا ما حولكم ويقربكم لئلا ينزل بكم ما نزل باولئك الذين اهلكوا حولهم لم يندعوا عن ذلك وان
لا يعاملوا رسوله كما عامل اولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل وعنادهم واستهزائهم بهم
يحذرهم ما نزل باولئك الذين اهلكوا حولهم لم يرتدعوا عن ذلك وان لا تعاملوا رسوله عليه الصلوة والسلام
كما عاملوا اولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل باولئك والله اعلم وقوله عز وجل وصرفنا الايات لعلهم يرجعون
قوله تعالى وصرفنا الايات يخرج على وجهين احدهما اى جعلنا الرسل عليهم الصلوة والسلام ايات اقاموها على قومهم
ما تعلمهم بذلك على صدقهم وكذبوهم بها فعند ذلك اهلكناهم فعلى ذلك جعلنا لمحمد صلى الله عليه وسلم من الايات
ما يعلمكم يا اهل مكة ويعرفكم عن صدقه وتدلكم على رسالته فلا تردوها حتى لا ينزل بكم ما نزل بهم والله اعلم والثانى
وصرفنا الايات اى بثثنا فى الافاق والاطراف الثانية ما حل باولئك ونزل بهم بتكذيب الرسل وما كان منهم من
العناد والرد ما يلزم من بلغ ذلك الخبر واتصل به ما نزل باولئك الرجوع عن مثل صنيعهم ومثل معاملتهم
فاحد التاويلين يرجع الى انتشار ما نزل باولئك فى الافاق ليرجعوا عن ذلك فيصير ذلك اية له فيحملهم على الرجوع
عن صنيع اولئك ليرجعوا عن ذلك والثانى اخبار انه جعل لكل رسول ونبى اية على صدقه ودلالة على رسالته اى لم
يهلكهم الا بعد لزومهم التصديق لهم والله اعلم وقوله عز وجل فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
هذا يخرج على وجهين احدهما يرجع الى الله تعالى والاخر يرجع الى الاصنام التى عبدها واتخذوها الهة فاما الذى يرجع الى
الله تعالى فيقول لولا نصرهم الله اى هلا نصرهم الله تعالى عند نزول العذاب بهم ولا يهلكهم لو كان عبادتهم الاصنام
مما يقربهم الى الله زلفى ويكونون شفعاء عنده يقول والله اعلم لو كان تحقيقكم حقا ان ذلك مما يقربكم الى الله هلا نصرهم
الله عند نزول ذلك بكم فاذا لم ينصر الله تعالى اولئك بل اهلكهم فاعلموا انه ليس الامر كما توهمتم وظننتم والله اعلم
والثانى فيقول والله اعلم لو كان للاصنام التى تعبد ونها شفاعة عند الله تعالى على ما زعمتم هلا نصروا اولئك ودفع
الهلاك عنهم بشفاعتهم واذ لم يفعلوا ذلك ولم ينصروهم ولم يدفعوا عنهم فعلى ذلك لا يملكون دفع ذلك عنكم
اذا نزل بكم ما نزل باولئك والله اعلم وتفسير لولا ههنا هلا وهلا يستعمل فى الماضى فيكون معناه لم يفعل اى لم
ينصرهم والله اعلم وقوله عز وجل بل ضلوا عنهم اى ضل هؤلاء عنها او ضل الاصنام عنهم فلم يكن لهم منهم ما طمعوا
ورجوا بسبب عبادتهم اياها والله اعلم وقوله عز وجل وذلك افكهم وما كانوا يفترون يحتمل ان يكون افكهم وافتراؤهم
هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو والله اعلم وقوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى اى فرغ من قراءته ولوا الى قومهم منذرين قال بعضهم ان النذر من الجن

والرسل والنذر من الانس فان كان ما ذكر فجائز على هذا ان يكون النفر الذين ذكر انهم انصرفهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليستمعوا القران منه هم النذر يدل على ذلك قوله ولوا الى قومهم منذرين وفى ظاهر قوله تعالى
يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون اياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا ان قد يكون منا لجن الرسل
كما يكون من البشر الا ان يقال بانه قد يذكر الاثنان والمراد به احدهما وذلك جائز فى اللغة كقوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل صرفنا اليك نفرا من الجن اى القينا هم
وقذفنا فى قلوبهم حتى صاروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا اليه ليستمعوا القران منه ويحتمل انه امرهم
فى الكتب التى اعطوا امرا فيها بالتوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستمعوا القران لانه عز وجل على اثره خبر عنهم
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه هذا يدل على انهم قد عرفوا الكتب قبل هذا
الكتاب حيث قالوا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه فجائز ان يكونوا امروا بتلك الكتب استماع هذا
الكتاب والعمل به ويحتمل ان يكونوا عرفوا فوائد ذلك لما كانوا يسترقون السمع الى السماء فيستمعون اخبار السماء
ثم ينزلون فيخبرون اهل الارض بذلك يكون العلم لهم بذلك من الوجوه الثلاثة التى ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا به فيه دلالة لزوم العمل بخبر الواحد لان النفر الذين حضروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الجن سمعوا القران منه وصدقوه كانوا قليل العدد لما رجعوا الى قومهم فانما يرجع كل الى قومه وقد يحتمل الاجتماع
والتواصل على ذلك ودعا كل قومه الى اجابة داعى الله تعالى وحذرهم مخالفته وانه يحتمل ما ذكرنا من الافراد والاحاد دل الخبر
الواحد حجة فى حق العمل وهو ما قال عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين فكان العمل بخبر الاحاد
والافراد ظاهرا مشهورا فى الانس والجن حيث ذكر ما ذكرنا والزمهم الاجابة والحذر والله اعلم ثم وقوله تعالى اجيبوا داعى
الله يحتمل الاجابة له فى الاعتقاد والايمان به ويحتمل فى المعاملة فى كل امر وفى كل شئ تكذلك قوله ومن لا يجب داعى الله
فيما دعاه فليس بمعجز فى الارض اى ليس بسابق ولا هارب من عذابه يقول والله اعلم ان ليس يقدر احد التخلص
من عذابه بهربه منه والفرار عنه كما يقدر الفرار والهرب بعض من عذاب بعض فى الدنيا ربما وكذلك ما قال وليس
من دونه اولياء اى ليس لهم من دونه اولياء ينفعونه ويدفعون العذاب عنهم كما يقوم بعض فى دفع ما يلحقهم من البلاء بالـ
والشدائد فى الدنيا او ليس قوله وليس لهم من دونه اولياء ان لا ولاية لهم اذ قال فى موضع اخر بعضهم اولياء بعض
ولكن لا ينفع ولايتهم يومئذ كما لا ينفع فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل اولئك فى ضلال مبين اى من يجب داعى الله
فهم فى ضلال مبين وقوله عز وجل اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض الاية والاشكال ما معنى قوله او لم
يروا وهم لم يشاهدوا خلقها ولم يروا لكن قال بعضهم اولم يخبروا وقال بعضهم اولم يعلموا اى قد اخبروا او علموا ذكر هذا
لانهم كانوا مقرين جميعا ان الله هو الذى خلق السموات والارض ثم وقوله عز وجل ولم يعى بخلقهن بقادر على ان
يحيى الموتى يقول والله اعلم اى لما علموا ان الله سبحانه وتعالى هو خلق السموات والارض ولم يضعفه خلق ما ذكر
ولم يعجزه ذلك عن تدبير ما يحتاج ذلك اليه من الامساك والقيام بما به قوام ما خلق فيهن من الخلائق واصلاحهم
فاذ لم يعجز عما ذكره لا يحتمل ان يكون عاجزا عن احياء الموتى وعن شئ البتة اوليقول حيث لم يعى ولم يظهر فيه
لضعف بخلق ما ذكر دل ذلك على انه انما لم يضعفه لان قدرته ذاتية ومن كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شئ
لما غيره انما يعمل باسباب فيقدر على العمل على قدر الاسباب ويعجز عما عنه والله اعلم او يقول اذ قد عرفتم ان الله
تعالى هو خلق السموات والارض ثم لا يحتمل ان يخلقهما عبثا باطلا اذ لو لم يكن بعث كان خلقهما باطلا عبثا واصله
ما ذكرنا بديا ان من قدر على انشاء ما ذكر من السموات والارض فيهما بلا احتذاء بعدم ولا استعانة بغيره لم
الامساك والقوام على التدبير الذى دبر الى اخر الدهر لا يحتمل ان يعجزه شئ وقوله عز وجل بلى انه على كل شئ قدير
لانه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة قال ابو عوسجة والقتبى قوله ولم يعى بخلقهن يقال عييت بالامر
اى لم احسنه ولم اتوا علمه وقوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا
مرة قيل لهم الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم قالوا بلى ومرة قيل لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا
نقص عليهم يومئذ ليعترفوا بالذى كانوا ينكرون فى الدنيا الرسل والايات وكانوا ينكرون كون البعث
وعذابه فيعرضون على النار فيقال لهم هذا الذى وعدتم فى الدنيا اليس هو حق فيعترفون ويقولون بلى وربنا
فيقال لهم ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل يلزم الرسل الصبر من وجوه ستة ثلثة مما خصوا لهم بها لا يشركهم غيرهم فيها وثلاثة مما يشترك غيرهم
فيها فاما الثلثة التى خصوا بها احدها هو بعثوا للتبليغ الرسالة الى الفراعنة والاكابر والجبابرة التى كانت
عادتهم وهمتهم القتل واهلاك من خالفهم وعصى امرهم ومذهبهم فلم يعذر فى ترك تبليغ الرسالة اليهم مع ما ذكرنا
من خوف الهلاك والقتل فاما غيرهم من الناس فدابيع لهم كتمان الدين الحق منهم حتى لا يهلكوا والثانى الزمهم الصبر

بالمقام بين اظهر قومهم واحتمال ما كان يلحقهم منهم من الاستهزاء بهم والافتراء عليهم والتكذيب لهم وانواع الاذى
الذي كان منهم الى الرسل لم يؤذن لهم بمفارقتهم لذلك ولذلك قال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت منه
سوى الخروج من بين قومه لسلامة دينه اولم يسلم ثم اصابه ما اصاب بذلك الخروج لما لم يؤذن له بالخروج
والله اعلم والثالث لم يجعل لهم الدعاء على قومهم بالهلاك والعذاب وان كان منهم من التمرد والتعنت ما كان فهذه
الثلاثة من المعاملة مما اختص الرسل عليهم السلام بها من بين ساير الناس واما الثلاثة يشترك فيها غيرهم احدها
امروا بالصبر على ما يصيبهم وينزل من البلايا والشدايد والثاني امروا بالمحافظة على العبادات جعلت عليهم و
محافظة حدودها والصبر على القيام بها والثالث امروا بالصبر على ترك قضاء الشهوة وترك اعطاء النفس
هواها ومناها فهذه الثلاثة لهم فيما بينهم وبين ربهم اعطاء النفس هواها ومناها فهذه الثلاثة لهم فيما
بينهم وبين ربهم وهي مما يشترك فيها غيرهم والثلاثة الاولى لهم فيما بينهم ومن الخلق وهم قد خصوا بتلك
الثلاثة دون غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل اولوا العزم من الرسل قال بعضهم اولوا العزم من الرسل هو نوح
وابراهيم ويعقوب ويوسف وموسى عليهم الصلوة والسلام وهؤلاء عدوا نفرا منهم وقال بعضهم هم الرسل
جميعا وجايز ان يكون اولوا العزم من الرسل هم الذين كانوا منهم الصبر على ما ذكرنا من المعاملة مع قومهم وقيل
اولوا العزم هم الذين كانوا ابدا مستقطين القايمين بامر الله الحافظين لحدوده وقالوا في ادم عليه السلام ولم
نجد له عزما والله اعلم وقوله عز وجل ولا تستعجل لهم اى لا تستعجل عليهم بالهلاك والنقمة وقوله عز وجل
كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وهذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم كانك لا
توعدهم بالعذاب الا ساعة من نهار وهذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم كانك لا توعدهم بالعذاب الا ساعة
من النهار مما لا يحملهم على ترك قضاء شهوتهم ومنع ما هم فيه من الاحوال والثاني كانهم اذا عاينوا عذاب الاخرة
وشاهدوه استقصروا المقام في الدنيا كانهم لم يلبثوا الا ساعة من نهار وهو كقولهم عز وجل كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم وقوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة استقصروا
المقام في الدنيا اذا عاينوا يوم القيمة واهوالها والله اعلم وقوله عز وجل بلاغ قال بعضهم الابلاغ وقيل البلاغ
من البلغة اى زاد يبلغ به السفر حيث يريد والله اعلم وقوله عز وجل فهل يهلك الا القوم الفاسقون كانه
يقول لا يهلك هلاك الدايم المؤبد الا القوم الفاسقون والا الهلاك الذي ليس هو بالهلاك الدايم المؤبد
مما يهلك الفاسق وغير الفاسق اذ الموت حتم على الكل او يقول لا يهلك هلاك العذاب الا الفاسق فاما الهلاك
الذي هو هلاك النجاة والفوز عن شدايد الدنيا فيما يهلك به الصالح والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قال عامة اهل التاويل هم اهل مكة والاشبه ان يكون الاية
في كفار مدينة وهم اهل الكتاب لان السورة مدينة على ما قال بعض اهل التاويل لكن جايز ان يكون كما قال
اهل التاويل بانها نزلت في كفار مكة لان هذه السورة ذكرت على اثر خبرهم وعقيب نبابهم في سورة الاحقاف
ثم ان كانت الاية في كفار المدينة واهل الكتاب فيكون قوله تعالى الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل
عليه اضل اعمالهم اى ابطل ايمانهم الذي كان لهم بساير الانبياء وبمحمد عليه الصلوة والسلام لانهم كانوا مؤمنين
به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به يقول والله اعلم قد ابطل ايمانهم الذي كان منهم قبل ذلك بما كفروا به اذا
بعث وان كانت الاية في كفار مكة على ما قال اكثرهم فيكون قولهم الذين بوحدانية الله تعالى او كفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وبما انزل عليه اليه الصلوة والسلام او كفروا بالبعث ونحو ذلك اضل اعمالهم او ابطل حسناتهم
التي كانت لهم في حال كفرهم من نحو الصدقات وصلة الارحام وفك الرقاب وغير ذلك من الاعمال التي كانوا
يتقربون بها والله اعلم قد ابطل اعمالهم التي كانوا يتقربون بها ويرونها قربة عند الله او يقول قد ابطل عبادتهم
التي كانوا يعبدون من الاصنام وغيرها ليقربهم عبادتهم الى الله زلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول قد ابطل ذلك ولم يكن على ما رجوا وطمعوا والله اعلم
وقوله عز وجل وصدوا عن سبيل الله يحتمل اى صدوا بانفسهم اى اعرضوا عن سبيل الله على ما ذكر عنهم
ويحتمل وصدوا عن سبيل الله اى صدوا عن سبيل الله وقد كان منهم الامران جميعا اضل اعمالهم اى ابطلها
يقال ضل الماء في اللبن اذا غلب فلم يتبين والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد صلى الله
عليه وسلم وامنوا بما نزل عليه وثبتوا على ذلك لم يضل اعمالهم ولم يبطل ايمانهم الذين كان منهم بل يكفر سيئاتهم
التي كانت منهم من الكفر وغيره من السيئات او يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد

صلى الله عليه وسلم وامنوا بما نزل عليه وثبتوا على ذلك لم يضل اعمالهم ولم يبطل ايمانهم الذين كان منهم بل يكفر سيئاتهم
التي كانت منهم من الكفر وغيره من السيئات او يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد صلى الله
عليه وسلم كفر عنهم سيئاتهم وهو الكفر والمساوي التي كانت لهم من الكفر كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
ان كانت الاية في مؤمني مشركي العرب واهل مكة فيكون قولهم كفر عنهم سيئاتهم الشرك والمساوي التي كانت لهم
في حال الكفر وان كان في مؤمني اهل الكتاب فيكون قوله كفر عنهم سيئاتهم في حال ايمانهم والله اعلم وقوله وهو الحق
من ربهم هذا يخرج على وجهين احدهما امنوا بما نزل لمحمد عليه الصلوة والسلام وهو الحق من ربهم نزل وكل شيء من الله
فهو الحق والثاني وهو الحق من ربهم اى وهو الصدق من ربهم وقوله عز وجل واصلح بالهم اى حالهم وشانهم فيما كان
من قبل وفيما بعده ثم اخبر ان الذين ابطل اعمالهم لاي لذلك الكفرة وما ذكر وثبت الذين امنوا ولم يبطل اعمالهم وما
ذكر من اصلاح حالهم هو ما قال ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يحتمل الباطل الشيطان او هو النفس او كل باطل
وهو الذي يذم عليه فاعله ومتبعه وقوله عز وجل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم يقول لهؤلاء ما ذكر لاتباعهم
الباطل ولهؤلاء ما ذكر لاتباعهم الحق وقبوله وقوله عز وجل كذلك يضرب الله للناس امثالهم اى شكل الذي بين
ما لهؤلاء وما لهؤلاء يبين ما لكل متبع الباطل ومتبع الحق وضرب المثل هو ان يبين لهم ما خفي واشتبه عليهم بالذي
ظهر عندهم وتقرر ويجلى لهم البصير الذي خفي عليهم واشتبه ظاهرا متجليا وقوله عز وجل فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
وقال في اية اخرى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان جايز ان يكون قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا
فضرب الرقاب في القتال والحرب وكذلك قوله تعالى فاضربوا منهم كل بنان في الحرب والقتال ايضا يضربون ويقتلون
على ما يظفرون ويقدرون بهم من المفاصل ولكن ابانه من المفصل والله اعلم لما روى في الخبر اذا قتلتم فاحسنوا القتل
وحسن القتل هو ان يضرب ويبان من المفصل والله اعلم فعلى ذلك جايز ان يخرج تاويل قوله تعالى فاضربوا فوق الا
عناق واضربوا منهم كل بنان وتاويل قوله فضرب الرقاب وجايز ان يكون لا على التقديم والتاخير والاضمار وتكون
كل اية على معظم ما ذكر والله اعلم ثم ان كان على ما ذكرنا من التقديم والتاخير والاضمار فيكون كانه قال تعالى فاذا
لقيتم الذين كفروا فاضربوا الرقاب حتى اثخنتموهم واسرتموهم فاضربوا فوق الاعناق لان الامام بالخيار عندنا اذا
اخذهم وظفر بهم ان شاء قتلهم وان شاء من عليهم وتركهم بالجزية يقول حتى يعطوا الجزية عن يد ويكون قوله فشدوا
الوثاق على هذا في الذين يستوثقون بالمواثيق وان شاء فاداهم لكنهم اختلفوا في المفاداة وقال بعضهم يفدون بالاموال
واسارى المسلمين منهم وقال بعضهم يفادون بالاسراء منهم ولكن لا يجوزان يفادوا بالاموال وهو قولنا وقال بعضهم
لا يفادون باسراء المسلمين ولا بالاموال وهو قول ابي حنيفة رحمه الله واختلفوا في قتل الاسراء منهم قال بعضهم
لا تقتلون ولكن يمن عليهم او يفادون وقال بعضهم الامام بالخيار ان شاء قتلهم وان شاء من عليهم وان شاء فاداهم
بالاسارى من المسلمين اما القتل فلما ذكرنا من الاستدلال بقوله فاضربوا فوق الاعناق وما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه استشار ابا بكر وعمر وساير الصحابة رضي الله عنهم في اساري بدر فاشاروا الى المن عليهم
والترك واشار عمر الى القتل فيهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك لو جاءت من السماء نار ما نجا منكم الا
عمر او كلام نحوه دل ان الحكم فيهم القتل اعني في هؤلاء الذين حكم فيهم عمر رضي الله عنه بالقتل لذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما نجا الا عمر فدل هذا الخبر ان الامام ان يقتل اسارى اهل الشرك وله ان يمن عليهم بالترك
بالجزية في حق اهل الكتاب والعجم فانه لما جاز لنا في الابتداء ان ناخذ منهم الجزية اذا ابوا الاسلام وتركهم على ما هم
عليه فعلى ذلك بعد الظفر بهم والقدرة عليهم ثم قال بعضهم الاية وقوله واما منا بعد واما فداء يخالف من حيث
الظاهر لقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم ونحو ذلك ولكن امكن التوفيق بين الايتين هذه
في قوم والاخرى في قوم اخرين او هذه في وقت والاخرى في وقت اخر والله اعلم وقوله عز وجل حتى تضع الحرب
اوزارها وقال بعضهم يخرج عيسى بن مريم عليه السلام فعند ذلك مذهب الحروب والقتال اى
اقتلوهم وافعلوا بهم مما ذكر الى وقت خروج عيسى عليه السلام وقال بعضهم حتى تضع الحرب اوزارها
اى حتى تضعوا اسلحتهم وتركوا القتال وقال بعضهم حتى يذهب الكفر والشرك ولا يكون الدين الا دين الاسلام
وهو كقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اى شرك وكفر والله اعلم قيل الاثخان هو الغلبة والقهر بالقتل و
الجراح وقال ابو عوسجة اثخنتموهم اى اكثرتم فيهم القتل والجراحة ويقال في الكلام ضربته حتى اثخنته حتى
لا يقدر ان يتحرك والوثاق ما اوثقت به كل يدي الرجل ورجليه يقال اوثقته واستوثقت منه وقوله اوزارها
اى اثقالها واحدها وزر وهو الثقل وقال القتبي حتى تضع الحرب اوزارها او تضع اهل الحرب السلاح واصل
الوزر ما حملته فسمي السلاح وزرا لانه يحمل والله اعلم وقوله عز وجل ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم قوله
ذلك الذي امرتهم به من اول ما ذكر من قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الى قوله حتى تضع الحرب

اوزارها والله اعلم وقوله عز وجل ولو يشاء الله لانتصر لاوليائه من اعدائه بلا قتال ولا نصب الحرب فيما
بينهم ثم انتصاره منهم يكون مرة بان يهلكهم اهلاكا ويقهرهم قهرا ومرة ينتصر منهم بان يسلط عليهم اضعف
خلقه واخسه فيقهرهم باضعف خلقه وقوله عز وجل ولكن ليبلو بعضكم ببعض اى يمتحن بعضكم بقتال بعض
وبانواع المحن ان شاء الله عز وجل هذا البشر فى ظاهر الاية بعضهم مشابها لبعض غير مخالف بعضهم بعضا
فانما يظهر اختلاف بالامتحان بانواع المحن على اختلاف الاحوال فعند ذلك يظهر المصدق من الكذب والحق
من المبطل والموافق من المخالف والمحقق من المضطرب والموقن من الشاك على ما ذكرنا وبلوناهم بالحسنات
والسيئات ونبلوكم بالشر والخير فتنة وخلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وغير ذلك من الايات التى ذكر
الاختلاف والامتحان فيها باختلاف الاحوال انه عند ذلك يظهر ما ذكر من التصديق والتكذيب والتحقيق
وغيره ثم لو كان جل وعلا انتصر لاوليائه من اعدائه بما ذكرنا بان ينصرهم على اعدائهم نصرا بلا امتحان وكلفة منه
لاوليائه لكان التوحيد له والتصديق لرسله بحق الاضطرار لا بحق الاختيار لانهم اذا راوا انهم يستاصلون
ويهلكون اهلاكا لا محالة فيها باهم لكانوا لا يخالفونهم بل يوافقونهم لمخالفة الهلاك والاستيصال فيرتفع الابتلاء
والامتحان عنهم فلا يظهر المختار من غيره لذلك كان ما ذكرنا وقوله عز وجل والذين قاتلوا فى سبيل الله فلن يضل
اعمالهم سيهديهم هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والذين قاتلوا فى سبيل الله فهزموا او غلبوا او هزموا فى وقت
فى قتال فلن يضل اعمالهم التى كانت منهم من الجهاد مع الاعداء وغير ذلك من الاعمال التى كانت لهم سيهديهم
فى الاخرة الجنة وقوله عز وجل ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال بعضهم اى يدخلهم الجنة التى بينها لهم فى الدنيا
ووصفها وقال بعضهم عرفها لهم فى الاخرة حتى يعرف كل منزلة واهله من غير اعلام واد له جعلت لهم كما
يعرف كل احد فى الدنيا منزلة واهله وخدمه والله اعلم وقال بعضهم عرفها لهم يقال فلان يعرف اى يطيب
وطعام معروف اى مطيب وهو قول القتبى وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم اى ان تنصروا
دين الله ينصركم اى ان تنصروا اولياء الله ينصركم على اعدائكم ثم نصرنا دين الله واولياؤه يكون مرة بالانفس
والاموال ببذلها فى سبيله لابتغاء وجهه والثانى يكون نصرا بالحجج والبراهين باقامتها عليهم مما امرنا من
اقامة الحجج والايات ثم يكون نصر الله ايانا من وجهين احدهما بنصرنا على اعدائه بما يغلبهم ويقهرهم لكن ان كان
هذا فيكون فى حال دون حال وفى وقت دون وقت لا فى كل الاحوال والثانى يكون نصره ايانا بما يجعل
العاقبة وان كانوا غلبنا وقهرنا فى بعض الحروب والقتال وكانوا هم الغالبين علينا قاهرين لنا والله اعلم
وقوله عز وجل ويثبت اقدامكم يحتمل فى الحروب والقتال او يثبت اقدامهم فى الاخرة كيلا تزل والله اعلم
وقوله عز وجل والذين كفروا فتعسا لهم اى هلاكا لهم وقيل اى خيبة عند الهزيمة والقتل وجائز ان
يكون اريد به الهلاك واصل التعس هو العسور والسقوط وهو الهلاك فيرجع الى ما ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم اى ذلك الذى ذكر لهم من التعس والهلاك وابطال
الابطال الاعمال بانهم تركوا اتباع ما انزل الله على رسوله اذ كل من ترك اتباع شئ اعتقادا فقد كرهه
والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اى كرهوا ما انزل الله على غير بنى اسرائيل
فان كان هذا فالاية فى اهل الكتاب لانهم لم يروا الرسل من غير بنى اسرائيل والله اعلم وقوله فاحبط
اعمالهم اى بتركهم اتباع ما انزل الله وبقوله والله اعلم وقوله عز وجل افلم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم قد ذكر فيما تقدم انه يخرج على وجوه ثلاثة احدها اى
لو ساروا فى الارض لعرفوا ما نزل بالمكذبين بما ذا نزل بهم وهو تكذيبهم للرسل وكفرهم بهم ويعرفوا
ان من نجا منهم بما ذا نجا وهو التصديق لهم والايمان بهم والثانى على الامر اى سيروا فى الارض فانظروا
ما الذى نزل بمكذبى الرسل ومستهزئيهم ليكون ذلك مزجرة لهم عن مثل معاملتهم الرسول عليه السلام
والثالث اى قد ساروا فى الارض لكن لم ينظروا ولم يعتبروا فيما نزل باولئك انه بما ذا نزل بهم ولو نظروا
كان ذلك زجرا لهم عن المعاودة الى مثل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل دمر الله عليهم وللكافرين امثالها
هذا يخرج على وجوه احدها اى دمر الله عليهم وللكافرين سوى هؤلاء الكفار الذين دمر الله عليهم امثال
ما لهم من الهلاك بتكذيبهم والثانى اى دمر الله عليهم وللكافرين امثالها اى للكافرين من قومك امثالها
وهذا وعيد القوم والثالث ان يقول لقومه ولكل كافر امثال ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ذلك
بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم تاويله اى ذلك الذى ذكر لهم لاجل ان الله ناصر
الذين امنوا وامنوا به وصدقوه تدفع العذاب عنهم باتباعهم امره وان الكافرين ذلك لما ليس هو ناصر لهم
لتركهم اتباع امره وتصديقهم اياه فلم يدفع العذاب عنهم او يقول ذلك اى دفع العذاب عن الذين امنوا

لما ان الله يتولى امورهم وعصمهم وانه لم يتول امور الكفرة اى لم يعصمهم وخذلهم وتركهم على ما اختاروا لعلمه منهم
باختيارهم ما اختاروا من التكذيب وتولى المؤمنين وعصمهم لعلمه بما يختارون من التصديق والاتباع له والله اعلم
ثم ذكر عاقبة المؤمنين من الاتباع لامره والتصديق لرسله عليهم السلام وهو قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار وبين مآل اولئك الذين اختاروا من الكفر به والتكذيب لرسله فى
العاقبة حيث قال والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم اى منزل لهم بما اختاروا
والله اعلم وذلك ان اهل الايمان والتوحيد نظروا فى جميع احوالهم وامورهم الى ما فيه امر الله تعالى وما يعقب لهم نفعا
فى العاقبة لم ينظروا الى ما فيه قضاء شهواتهم ومناهم بل اختاروا امر الله على جميع ما ذكرنا واولئك الكفرة لم ينظروا
الى ما فيه امر الله ولا يوجب لهم فى العاقبة من النفع بل اختاروا شهواتهم ومناهم وما فيه هواهم على ما فيه امر الله
ونهيه فجعل للمؤمنين فى الاخرة قضاء شهواتهم التى تركوا قضاءها فى الدنيا وكفوا انفسهم عن مناها مكان ذلك فى
الجنة والبساتين التى وعد لهم فى الاخرة وجعل لاولئك الكفرة فى الاخرة مكان ما قضوا فى الدنيا من شهواتهم واعطاء
انفسهم مناها النار وما ينقصهم ما اعطوا انفسهم فى الدنيا ثم وقوله والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام
يحتمل تشبيه اولئك الكفرة بالانعام فى الاكل وجهين احدهما اخبر انهم يأكلون وهمتهم فى الاكل ليست الا الشبع وامتلاء
البطن وقضاء الشهوات لا ينظرون الى ما امر الله به ونهاهم عنه كالانعام التى ذكر همتها ليست فى الاكل الا الشبع وامتلاء
البطن واقتضاء الشهوة والله اعلم والثانى يخبر عنهم انهم لا ينظرون وشربهم الى عاقبة ولا الى وقت ثان بل نظرهم
الى الحال التى هم فيها كالانعام التى ذكرها انها تأكل ولا تنظر ولا تدخر شيئا لوقت ثان ولا تترك شيئا ما دامت تشتهى فعلى
ذلك اولئك الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم
كان سنة الله تعالى فى الذين كانوا من قبل انه اذا اخرج الرسل عليهم السلام من بين اظهرهم اهلكهم فيخبر ان اهل مكة
قد استوجبوا العذاب اذا اخرجتك من بين اظهرهم كما استوجب اولئك الكفرة لكن الله بفضله ورحمته اخر ذلك عنهم لانه
بعثك اليهم رحمة كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او اخر ذلك عنهم لما وعد انه خاتم الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ليبقى شريعته ورسالته الى يوم القيمة ولو اهلكهم واستاصلهم على ما فعل باولئك
لانقطعت رسالته وشريعته وقد وعد انها تبقى وانه رحمة لهم وانه لا يخلف الميعاد ثم اخبر ان اولئك الكفرة
اكثر اهلا واشد قوة وبطشا من هؤلاء ثم لم ينتهيا لهم دفع ما نزل بهم بقوتهم فى انفسهم وبطشهم ولا كان
لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله ولا مانع يمنعهم عنه فانتم يا اهل مكة اولى ان لا تدفعوا عن انفسكم العذاب اذا
انزل بكم والله اعلم وقوله عز وجل اخرجتك اضاف الاخراج الى قومه وهم لم يتولوا اخراجه بانفسهم بل اضطروه
حتى خرج هو بنفسه لكنه اضاف الاخراج اليهم لان سبب خروجه من بينهم كان منهم فكانهم قد اخرجوه وهو كما ذكر
من اخراج الشيطان ادم وحوا عليهما السلام من الجنة بقوله فاخرجهما مما كانا فيه والشيطان لم يتول اخراجهما
حقيقة لكن لما كان منه من اشياء حملهم ذلك على الخروج فكانه وجد الاخراج منه واصله ان الاشياء والافعال
ربما ينسب الى اسبابها وان لم يكن لتلك الاسباب حقيقة الافعال والله اعلم وقوله عز وجل فلا ناصر لهم هو خبر من
الله تعالى اى لا يكون لهم ناصر وهو يحتمل وجهين احدهما لا يكون ناصر فى الاخرة والثانى على اضمار لم يكن لهم ناصر
وقت ما عذبوا فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم
لم يخرج لهذا الحرف جواب لما هم عرفوا بالبديهة ان ليس من كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ويتبع
هواه يعرف ذلك بالبديهة كمن يقول ليس المحسن كالمسئ وليس من يحسن كمن يسئ ونحو ذلك مما يعرفه كل
احد لا يحتاج الى بيان وجواب فعلى ذلك هذا ثم فى ذلك وجهان احدهما يذكر سفههم باختيارهم اتباع هواهم
وما زين لهم من سوء عملهم على اتباع من كان على بينة منه وبيان على علم بذلك ويقين والله اعلم والثانى فيه
ذكر دلالة البعث يقول والله اعلم لما عرفتم ان من كان على بينة من ربه ليس كمن يتبع هوى نفسه وقد استويا
فى هذه الدنيا انتفع هذا كما انتفع الاخر وفى العقول لا سواء بينهما تدل استواءهما فى هذه الدار على ان هناك
دارا اخرى ثم يفرق بينهما ويميز والله الموفق وقوله عز وجل مثل الجنة التى وعد المتقون يخرج على وجوه احدها قوله
تعالى وعد المتقون على حقيقة المثل كانه يقول مثل الجنة التى وعد المتقون من جناتكم هذه لو كانت جناتكم فى
الدنيا على المثل الذى وصف فى الاخرة اليس كانت كل احد يرغب فيها ويحرص فى طلبها ليكون تلك الجنة له
فما بالكم لا ترغبون فى تلك الجنة التى وعد المتقون فى الاخرة لا ترغبون فيها ولا تحرصون فى طلبها والله اعلم و
يخرج على هذا التاويل قوله تعالى كمن هو خالد فى النار اى ليس من كان خالدا فى جنة من جناتكم التى ما ذكر وصفها
كمن هو خالد فى نار من نيرانكم والثانى يحتمل قوله تعالى الجنة التى وعد المتقون ما ذكر فيخرج على الصلة لما تقدم من

قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ثم وصف ونعت الجنة التي اخبر
انه يدخلهم فيها فقال مثل الجنة وعد المتقون اي صفتها فيها انهار من كذا وكذا الاية وعلى هذا ما ذكر في اخره
من هو خالد في النار يحتمل ان يكون صلة قوله فالنار مثوى لهم ثم وصف تلك النار التي اخبر انها مثوى
له وما وى فقال وسقوا ماء حميما الاية والثالث يذكر على من وعد له ما وعد للمتقين من الجنة وما فيها من النعم
ليس كمن وعد له النار الا ترى انه جل وعلا ذكر في اخره ما ذكر من وصف الجنة كمن هو خالد في النار وسقوا
ماء حميما فقطع امعاءهم اي ليس هذا كهذا ولا سواء بينهما اي لا مساواة وهو كقوله تعالى فيما تقدم من حيث
قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم اليس هذا كهذا فعلى هذا يحتمل ما ذكر من
وصف الجنة ووصف النار اي ليس من وعد له الجنة التي وصفها ونعتها كمن وعد له النار التي وصفها ما ذكر
والله اعلم ثم قال انهار من ماء غير اسن الاية يخبر ان ما يكون في الجنة من المياه والخمور والالبان وما ذكر ليس
كالتي في الدنيا لان المياه في الدنيا تتغير باحد وجهين اما النجاسة وافة يصيبها او لطول الزمان والمكث فيخبر
ان ليس في الجنة شيء يغير مياهها وكذلك اللبن في الدنيا يتغير ويفسد عن قريب اذا ترك لما ذكر فيخبر ان البان
الجنة لا يفسد لترك ولا يصيبها شيء فيفسدها ويخرجها عن طعم اللبن والله اعلم وقوله عز وجل وانهار من
خمر لذة للشاربين يخبر ان الخمر في الجنة مما يتلذذ بها اهلها عند الشرب ليس كخمور الدنيا يكره اهلها عند شربها
ويعبسون وجوههم عند التناول منها والله اعلم وقوله وانهار من عسل مصفى اي انها من عسل خلق وانشى
مصفى لا كدورة فيه لا انه كان كدرا فصفي او كما خلق بعضه كدرا وبعضه مصفى ولكن خلق كله مصفى من الاصل
وهو كقوله تعالى رفع السموات اي خلقها في الابتداء مرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها والله اعلم
وقوله عز وجل ولهم فيها من كل الثمرات يحتمل اي من كل الثمرات التي عرفوها في الدنيا وراءها او يقول لهم فيها
من كل الثمرات التي يريدون فيها والله اعلم وقوله عز وجل ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا
ماء حميما فقطع امعاءهم اي ليس من وعد له ما ذكر من الجنة وهو خالد فيها متنعم بما ذكر من الوان النعم
النعم ما ذكر من المياه والخمور والالبان كمن هو خالد في النار وما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ومنهم من يستمع
اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا جعل الله عز وجل ايات رسالته
رسوله صلى الله عليه وسلم وحججه على المنافقين صنيعهم وما اسروا في انفسهم من الخلاف له والعداوة له
فاطلع الله رسوله على ما اسروا في انفسهم واضمروه ليكون ذلك اية رسالته وحجة لنبوته اذ علموا ان لا
احد يطلع على ما في القلوب الا الله تعالى فاذا اخبر رسول الله لهم بما اسروا واضمروا علموا انه انما عرف ذلك بالله
تعالى كقوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وقوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ونحو ذلك ثم الناس
في الاستماع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفترقون الى فرق ثلث فالمؤمنون كانوا يستمعون اليه للاسترشاد
والاسترادة الهدى وهو كقوله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا الاية فاما الذين في قلوبهم مرض الاية
وقوله تعالى واتاهم تقواهم يحتمل قوله اتاهم تقواهم اي اعطاهم ما اتقوا مخالفة امره ويحتمل اتاهم تقواهم
اي يوفقهم ما يتقون مخالفة امره من بعد في المستانف وقال بعضهم اي اعطاهم الله ثواب اعمالهم
في الاخرة يقول كلما جاء من الله امر اخذوا به فزادهم الله تعالى هدى واتاهم تقواهم اي اجرهم وفي حرف
ابن مسعود رضي الله عنه وانطاهم تقواهم اي اعطاهم وهي لغة معروفة انطى اي اعطى وكذلك قراء
انا اعطيناك الكوثر وقوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة كان هذه الاية نزلت في قوم علم الله
انهم لا يؤمنون الا عند قيام الساعة كانه يقول ما ينظرون لايمانهم الا الساعة اذ تاتيهم بغتة لكن لا
ينفعهم الايمان في ذلك الوقت كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا كانه والله اعلم يؤيس رسوله صلى الله عليه وسلم عن الطمع في ايمانهم قبل ذلك الوقت وقوله
عز وجل فقد جاء اشراطها هذا يخرج على وجهين احدهما يحتمل ما ذكر من مجيء اشراطها هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانه خاتم الانبياء به ختمت النبوة وروي عنه انه قال بعثت والساعة كهاتين واشار الى اصبعين جمع بينهما
وان كان التاويل فهو على تحقيق مجيء اشراط الساعة حقيقة وتحققت والثاني يحتمل ان يكون ما ذكر من مجيء اشراطها
هي الاعلام والشرايط التي جعلت علامات لقيامها من نحو نزول عيسى وخروج دابة الارض وخروج الدجال وغير ذلك
فقد مضى بعض تلك الاعلام فيكون قوله فقد جاء اشراطها اي كان قد جاء اشراطها اذ كل ما هو ات جاء فكان
قد جاء كقوله تعالى اتى امر الله وقوله عز وجل فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يحتمل وجهين احدهما من اين ينتفعون
بايمانهم في ذلك الوقت وكيف لهم منفعة الذكرى اذا جاءت والتوبة لا تقبل حينئذ والثاني من اين لهم

الايمان والتوبة اذا جاءتهم الذكرى اي ما يذكرهم في الدنيا قبل ذلك فلم يؤمنوا ولم يتذكروا والله اعلم وقوله
عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله هذا يخرج على وجهين احدهما اعلم في حادث الوقت انه لا اله الا الله كقوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ونحو ذلك والثاني يقول فاعلم انه لا اله المستحق
العبادة والمعبود والحق هو الاله الذي لا اله غيره او الاله عند العرب هو المعبود ويقول ان المعبود الذي يستحق
العبادة هو الله تعالى لا الاصنام التي عبدتموها دونه وتزعمون ان عبادتكم اياها يقربونا اليه زلفى والثالث
امره ان يشغل قلبه في كل وقت وكل حال بكلمة الاخلاص والتوحيد والقول له والله اعلم وقوله عز وجل و
واستغفر لذنبك جائز ان يكون قوله واستغفر لذنبك انما هو لافتتاح الكلام والابتداء على ما يؤمر المرء ان
يبتدي بالدعاء لنفسه عند امره بالدعاء لغيره وكان حقيقة الامر بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات دون نفسه
ولكن امر بالدعاء لنفسه استحبابا والله اعلم وجائز ان يكون له ذنب فيامره بالاستغفار له لكن نحن لا نعلم
وليس علينا ان نتكلف حفظ ذنوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام وذكرها وكل موهوم منه الذنب يجوز
ان يؤمر بالاستغفار كقول ابراهيم عليه السلام حيث قال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين لكن
ليس ذنب الانبياء وخطاياهم كذنب غيرهم فذنب غيرهم ارتكاب القبايح من الصغاير والكباير وذنبهم
ترك الافضل دون مباشرة القبيح في نفسه والله الموفق ثم ارجى اية للمؤمنين هذه الاية لانه عز وجل
امر رسوله عليه السلام ان يستغفر لهم فلا يحتمل ان لا يستغفر وقد امره مولاه بالاستغفار ثم لا يحتمل ايضا
انه اذا استغفر لهم على ما امره فلا يجيب له وكذلك دعاء ساير الانبياء عليهم السلام نحو دعاء نوح عليه
الصلوة والسلام رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ونحو ذلك وكذلك دعاء ساير
الانبياء عليهم الصلوة والسلام نحو دعاء نوح عليه السلام رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا و
للمؤمنين والمؤمنات وقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
ونحو ذلك وكذا استغفار الملائكة لهم ايضا لقوله ويستغفرون لمن في الارض وقوله فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك الاية هذه الايات ارجى ايات للمؤمنين ودعوات الانبياء عليهم السلام افضل وسايل يكون
الى الله تعالى واعظم قربة عنده والله اعلم وقوله عز وجل واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فيه دلالة
نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الصغاير مغفورة لا يجوز لله تعالى ان يعذب عباده عليها والكباير
مما لا يحل له ان يغفرها لهم الا بالاستغفار منهم والتوبة فهذه الاية تنقض قولهم ومذهبهم لانه امر رسوله
ان يستغفر لهم فلا يخلو اما ان يكون صغايرهم وهي مغفورة عندهم فكانه يقول لا تخش لانها مغفورة لا
يسع له ان يعذب عليها ولو عذب يكون جائرا وكباير ولا يحل له المغفرة عنها فيكون قوله اللهم اغفر لهم
كانه قال اللهم جر لان مغفرته اياهم عن الكباير ويكون جورا ووضع الشيء في غير موضعه فكيف ما كان ففيها
نقض قولهم ووجه لقولنا ان له ان يعذبهم عليها وان كانت صغاير وله ان يعفو عنها وان كانت كباير
والمغفرة عن الذنب يكون والله الموفق للصواب وقوله عز وجل والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال بعضهم و
الله يعلم متقلبكم في النهار ومثواكم من الليل وقيل يعلم ما يتقلبون بالنهار ويسكنون وهما واحد وقال
بعضهم والله يعلم متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الاخرة اي مقامكم فيها وهو يخرج عندنا على وجوه احدها يحتمل
هذا الظن قوم وتوهمهم ان الله تعالى يجهل عواقب الامور حيث انشاء هذا العالم فجحدوه وجحدوا نعمه
فلا يحتمل ان ينشئهم ويجعل لهم النعم وهو يعلم انهم يجحدونه ويكفرون نعمه لان من فعل مثل في الشاهد فهو عابث
غير حكيم فعلى ذلك هذا على زعمهم فقال تعالى جوابا لهم والله اعلم يعلم متقلبكم ومثواكم اي على علم بما يكون منهم انشاءهم
وخلقهم لا عن جهل على ما ظنوهم لكن ما ينبغي لهم ان ينسبوا الجهل الى الله تعالى بجهلهم بحق الحكمة في فعله لان الله
جل وعلا لم ينشئ هذا العالم لحاجة له ولمنافع نفسه بل انما انشاءه لانفسهم ولحاجتهم فاليهم يرجع منفعة الايمان
والطاعة وعليهم يكون مضرة الجحود والرد فاما في الشاهد فمن يامر احدا او ينهاه عن امر او ارسل اليه رسولا
على علم منه بالرد والجحود فهو سفيه غير حكيم لانه انما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه ومنفعة له فاذا علم منه الرد
والانكار فهو غير حكيم فافترق الشاهد والغائب لافتراق وجه الحكمة والله الموفق والثاني قوله تعالى والله
يعلم متقلبكم ومثواكم اي يعلم جميع احوالكم من حركاتكم وسكونكم وجميع تقلبكم ليكونوا ابدا على حذر ويقظة والله
اعلم والثالث يعلم متقلبكم ومثواكم اي يعلم متقلبكم في الدنيا ويعلم الى ماذا يكون مرجعكم في الاخرة اي انشاءهم
كان على ما علم انه يكون منهم كقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم وقال في اية اخرى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي انشاء من علم انه يختار الكفر وعدوته لجهنم وانشاء من علم انه يختار التوحيد وولايته للجنة والله الموفق
وقوله عز وجل ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال الى الذين امنوا

كانوا يتمنون انزال السورة ويقولون هلا نزلت سورة لوجوه احدها ليكون السورة حجة لهم وانه على اعدائهم
في الرسالة والبعث والتوحيد والثاني كانوا يستعدون بانزال السورة انشاء ويزداد لهم يقينا وتحققا في الدين
كقوله تعالى واذا ما انزلت سورة الى قوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما المنافقون فزادتهم رجسا
الى رجسهم على ما ذكر والثالث يتمنون نزول السورة ليتبين لهم المصدق من الكذب والمحقق من المريب هذه
الوجوه التي ذكرنا يكون لاهل الايمان لذلك يتمنون والله اعلم وقوله عز وجل فاذا انزلت سورة محكمة اي محدثة والمحدثة
ليست بتفسير المحكمة الا ان يعنوا بالمحدث الناسخ والناسخ هو المحدث والمتاخر نزولا وهو محكم لانه يلزم العمل به والله اعلم
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه لولا انزلت سورة محدثة والوجه ما ذكرنا والمحكمة عندنا على وجهين احدهما اي محكمة
بالحجج والبراهين والثاني لما انزلت على ايدي قوم وتداولت فيما بينهم فلم يغيروه ولم يبدلوه بل حفظوه ليعلم انه من عند الله
حقا ومنه نزل وقوله عز وجل وذكر فيها القتال جعل الله عز وجل في القتال خصالا احدها كره اهل الاسلام وكرهة الى
وان كان في ظاهر القتال اتلاف الانفس والاموال لانه قبل ان يفرض القتال كان يدخل في الاسلام واحد واحد فلما فرض القتال
دخل فيه فوج فوج على ما اخبر يدخلون في دين الله افواجا والثاني ليتبين المصدق منهم من المكذب لهم والمحقق من المريب
لانه لم يكن ليظهر ويتبين لهم المنافق من غيره الى ذلك الوقت فلما فرض القتال عند ذلك ظهر وتبين لهم اهل النفاق
والارتياب من اهل الايمان والتصديق والثالث فيه اية الرسالة لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا
عددا قليلا لا عدة لهم ولا قوة امروا بالقتال مع عدد لا يحصون ولهم عدة وقوة ليعلم انهم لا نفسهم يقاتلون ولكن
بامر الله تعالى اذ لا يحتمل قيام امثالهم لامثال اولئك مع كثرتهم وقوتهم والله اعلم واما اية البعث فلان امروا بقتال
اقاربهم وارحامهم والمتعلق بهم وفي ذلك قطع ارحامهم وقطع صلة قراباتهم ليعلم انهم انما يفعلون هذا بالامر لما
تؤمل ويقصد اذ لا يحتمل فعل ذلك بلا عاقبة تقصد وبلا شيء يعتقد والله اعلم وقوله عز وجل رايت الذين في
قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت كان اهل النفاق يكرهون نزول ما يبين عما في ضميرهم من النفاق
والارتياب كقوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم واذا انزلت السورة يزداد لهم ما ذكر حيث
قال واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وقوله عز وجل فاولى لهم طاعة وقول معروف قال اهل
التاويل هذا وعيد لهم قوله اولى لك فاولى الاية لكن ظاهر ليس بوعيد ولا عديد انما ظاهره اي احرى لكم واولى ان
تطيعوا وان تقولوا معروفا فاذا تركوا ذلك يكون وعيدا والله اعلم وقوله عز وجل فاذا عزم الامر اختلف في تاويله قال بعضهم
هو صلة قوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال وعزم الامر فعند ذلك كان ما ذكر من المنافقين
حيث قال رايت الذين في قلوبهم مرض وليس في نفس ذكر القتال ما ذكر من نظر المغشي عليه من الموت انما ذلك
الوصف وتلك الحال عند وجوب القتال ولزومه وتاكيده عليهم وذلك في قوله تعالى فاذا عزم الامر اي وجب
وفرض فعند ذلك يكون حالهم ما ذكرنا لا بذكر نفس القتال فلا والله اعلم وقال بعضهم فاذا عزم الامر هو في الاخرة
اي جاء التحقيق وظهر ما كان اوعدهم الرسول عليه الصلوة والسلام من نزول العذاب بهم في الاخرة فلو صدقوا الله
في الدنيا لكان خيرا لهم في الاخرة حيث كان لا ينزل العذاب بهم في الاخرة اي لو صدقوا رسول الله فيما يوعدهم من
العذاب انه ينزل بهم في الاخرة وتركوا النفاق في الدنيا لكان خيرا لهم في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اختلف في تاويل هذه الاية وقال بعضهم قوله تعالى فهل عسيتم اي
فلعلكم ان توليتم اي وليتم امر هذه الامة ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم قال ابن عباس رضي الله عنهما
قد كان هذا وهم بنو امية ولوا امر هذه الامة ففعلوا ما ذكر من الفساد في الارض وقطع الارحام وكان لهم اتصال
برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان منهم ما ذكر والله اعلم وقال بعضهم ان الاية في المنافقين كانوا ياتون رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون منه ما قال ثم اذا تولوا عنه كانوا يسعون في الارض بالفساد وما ذكر كقوله
تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الى قوله واذا تولى سعى في الارض الى قوله والله لا يحب الفساد
وقال بعضهم ما اراه الا نزلت الاية في الحرورية وهم الخوارج وجائز ان يكون هذا ما ذكر في اية اخرى حيث قال
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وقد انقلبوا على ما اخبر وهو في اهل الردة والله اعلم وقال قتادة فاذا عزم
الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم اي طاعة الله ورسوله وقول المعروف عند حقائق الامور خير لهم فهل
عسيتم ان توليتم يقول ان توليتم عن كتابي وطاعتي ان تفسدوا في الارض يقول كيف رايتم القوم حين تولوا
عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن واكلوا المال الحرام ويحتمل ان يكون الاية في
الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به والله اعلم وقوله عز وجل اولئك الذين
لعنهم الله اللعن هو الطرد رحمة وهو كقوله لابليس وان عليك لعنتي الى يوم الدين اي انك مطرود عن رحمتي وقوله
تعالى لعنهم الله اي طردهم عن رحمته والله اعلم وقوله عز وجل فاصمهم واعمى ابصارهم اي اصمهم حتى لا يسمعوا سماع الاعتبار

والتفكر

وتفكر ما لو تفكروا وتاملوا ونظروا نظر معتبر لادركوا والله اعلم وقوله عز وجل افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
الاية فيه انهم لو تدبروا وتاملوا فيه لادركوا ما فيه وفيه ايضا انهم لو تدبروا العذاب لفتح تلك الاقفال التي ذكر
انها عليها وذهب بها والله اعلم وقوله عز وجل ام على قلوب اقفالها اي على قلوب اقفالها ثم يحتمل اقفالها الظلمة التي فيها وهي
ظلمة الكفر تلك الظلمة تغطي نور البصر ونور السمع وجائز ان يكون ما ذكر من الاقفال هي كناية عن الطبع والله اعلم وقوله
عز وجل ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم قوله سول لهم اي زين
اضاف التزيين مرة الى الشيطان ومرة الى نفسه فما يفهم من تزيين الشيطان غير الذي يفهم من تزيين الله تعالى كالاضلال
المضاف الى الله تعالى والمضاف الى الشيطان فالمفهوم من اضلال الله تعالى غير المفهوم من اضلال الشيطان فعلى ذلك
التزيين وقوله عز وجل واملى لهم اي اخرهم وامهلهم الى اجل ووقت كقوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير
لانفسهم الاية اي يؤخرهم ليكون ما ذكر والله اعلم وقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى
الاية جائز ان يكون الاية في اليهود لما ذكرنا انهم كانوا امنوا به قبل ان يبعث كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الاية ارتدوا على ادبارهم من بعد ما امنوا به واتبعوه وجائز ان يكون في المنافقين
ارتدوا على ادبارهم واظهروا الخلاف بعد وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اظهروا الموافقة لهم في حيوته
والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر قوله ذلك بانهم ان
كان راجعا الى قوله ان الذين ارتدوا على ادبارهم فان كان المراد بذلك اليهود فالمعنى فيه غير المعنى لو كان في
المنافقين وان كان قوله ذلك بانهم راجع الى قوله الشيطان سول لهم فاذا احتمل ذلك الوجهين فلا نفسره
انه الى ماذا يرجع ثم قال بعضهم الذين كرهوا ما انزل الله هم المنافقون قالوا اليهود سنطيعكم في تكذيب محمد
والتظاهر عليه وقال بعضهم هم اليهود ظاهروا سائر الكفرة على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ثم كراهة
نزول ما انزل الله تعالى على رسوله عليه الصلوة والسلام كان من اليهود وجميع الكفرة لقوله تعالى ما يود الذين كفروا
من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله اعلم وقوله عز وجل والله يعلم اسرارهم هذا يدل
على انه لا يفسر قوله ذلك بانهم قالوا ولا يشار على انه اراد كذا ورجع الى كذا لما اخبر الله تعالى انه هو العالم باسرارهم
وهو يبين ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم
اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه لا احد يقصد قصد اتباع سخط الله ولا كراهة رضوانه لكنهم لما اتبعوا
الفعل الذي كان الله يسخط ذلك الفعل فكانهم اتبعوا سخطه وكذلك لما تركوا اتباع ما كان الله يرضاه وكرهوه
فكانهم كرهوا رضوانه وكقوله تعالى لا تعبدوا الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنهم لما اتبعوا فيما
يامرهم ويدعوهم اليه فكانهم عبدوه وهو تسمية الشيء باسم سببه واللغة غير ممتنعة الشيء باسم سببه
والله اعلم وقوله عز وجل فاحبط اعمالهم التي كانت قبل ارتدادهم في حال اتباعهم اياه والله اعلم وقوله عز وجل ام
حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اي حسب المنافقون ان لن يظهر الله عداوتهم وان لن
يبدي الله ما في قلوبهم من العداوة حمل الله جل وعلا في اظهار ما اسر اهل النفاق وابداء ما اخفوه فيما بينهم اية
عظيمة ودلالة ظاهرة على رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم
ولتعرفنهم في لحن القول كانه على التقديم والتاخير كانه قال ولو نشاء لاريناكهم بسيماهم بالنظر اليهم بالبديهة
ولتعرفنهم ايضا في لحن القول اي لو نشاء لجعلنا لهم اعلاما في الوجه والقول لتعرفهم ولكن لم نجعل لهم ولكن
جعل معرفتهم باعمال يعملون فيظهر نفاقهم بذلك والله اعلم كقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا وقال
في اية اخرى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم وقوله رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون
اليك نظر المغشي عليه من الموت الاية وقوله عز وجل ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
وقوله انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم ونحو ذلك من الايات مما كان يظهر
نفاقهم وخلافهم بالاعمال التي كانوا يعملون فدل هذه الايات على انه كان لا يعرفهم بالسيماء والنطق والقول
والاجسام وانما يعرفهم بافعال كانوا يفعلونها والله اعلم وقال بعضهم ولتعرفنهم في لحن القول اي نحوى الكلام
فكان يعرفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلموا فيخرج على هذا التاويل وقوله ولتعرفنهم على الوعد اي تعرفهم
في حادث الوقت والله اعلم وقال ابو عوسجة يقال رجل لحن بحجته ويقال لحن يلحن اذا اخطأ لحنا فهو لاكانه من
العدول والميل عن الحق وقال القتبي في لحن القول اي في نحوى كلامهم وقوله عز وجل والله يعلم اعمالكم يحتمل
هذا وجهين احدهما والله يعلم ما تسرون من الاعمال وتخفونها والثاني على الجملة اي يعلم جميع اعمالهم ما اسروا
واعلنوا فيخرج على الوعيد كقوله انه بما تعملون بصير والله اعلم وقوله عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و
الصابرين هذا يخرج على وجوه احدها اي حتى يعلم ما دنا في المجاهدين منكم والصابرين من غير المجاهدين وغير الصابرين

يكون المراد من اضافة العلم الى نفسه علم اوليائه كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم وقوله عز وجل يخادعون الله وهو
خادعهم ونحوه فالمراد منه اوليائه على احد التاويلات والله اعلم والثاني يكون المراد بالعلم المعلوم وذلك جائز في
اللسان واللغة كقول الناس للصلوة امر الله اي مامور الله كقوله عز وجل حتى ياتيك اليقين اي الموقن به وقوله
ومن يكفر بالايمان اي بالمؤمن به ونحو ذلك كثير والثالث اي يعلم كاينا ما قد علمه انه سيكون اذ لا يجوز ان يوصف
هو بعلم ما سيكون بعلمه كاينا او يعلم ما قد كان يعلمه انه يكون كاينا ولكن يوصف بما قد علمه كاينا انه علمه كاينا
او يعلم ما علم سيكون انه يكون لانه يوجب الجهل ويكون التغير في ذلك المعلوم لا في علمه والله الموفق وقوله
عز وجل ونبلوا اخباركم اي نبلوا في اخباركم التي اخبرتم عن انفسكم كقوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وقوله عز وجل من عاهد الله الى اخر ما ذكر ابتلوا في تلك الاخبار التي اخبروا عن انفسهم والله
اعلم ويحتمل ان يكون ابتلوا في قولهم الذي قالوا او اعطوا بالسنتهم حيث قالوا امنا كقوله تعالى الم احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فثبتوا فيما قالوا واخبروا اي ابتلوا فالفتنة والمحنة والابتلاء والبلاء
واحد والله اعلم وقال بعضهم ونبلوا اخباركم اي نظهر نفاقهم للمسلمين اذ كان الله تعالى عالما قبل ان يبلوهم والله اعلم
وقوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قوله كفروا اي كفروا نعم الله من الكفران او كفروا
بتوحيد الله وقوله وصدوا عن سبيل الله يحتمل قوله صدوا اي اعرضوا بانفسهم عن دين الله ويحتمل صدوا اي صدوا
الناس عن دين الله والله اعلم وقوله عز وجل وشاقوا الرسول اي عادوه وعاندوه من بعد ما تبين لهم الهدى
وقوله عز وجل لن يضروا الله شيئا يحتمل لن يضروا الله بكفرانهم نعمه او كفرهم بوحدانية الله تعالى ومعناه والله
اعلم انه ليس يامر بما يامر وينهى عما ينهى لدفع مضرة عن نفسه او لجر منفعة الى نفسه ولكن يامر وينهى لحاجة
الانفس اولئك ولمنافعهم بتركهم اتباع امره والانتهاء عن نهيه ضروا انفسهم والله اعلم وجائز ان يكون المراد
من قوله لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا الله بما كفروا وصدوهم عن سبيله بل ضروا انفسهم كقوله تعالى ان تنصروا
الله ينصركم اي ان تنصروا اولياء الله ينصركم وقوله عز وجل وسيحبط اعمالهم يحتمل حبط الاعمال بالارتداد بعد الايمان
واحداث الكفر بعد الاسلام ويحتمل اعمالهم التي كانت لهم بالايمان قبل بعثه صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل اطيعوا
الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم قال بعضهم اطيعوا الله في الجهاد ولا تبطلوا احسانكم بالريا والسمعة وفي
حرف ابن مسعود رضي الله عنه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله واطيعوا الرسول ويحتمل ولا تبطلوا اعمالكم بالارتداد
والكفر بعد الايمان ويحتمل اي لا تبطلوا اعمالكم بالارتداد والكفر بعد الايمان ويحتمل اي لا تبطلوا اعمالكم بالمن على الله
وعلى الرسول في الاسلام اي لا تمنون على الله او على رسوله كقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي
الاية وقال قتادة ولا تبطلوا اعمالكم بالرياء وقال فمن استطاع منكم ان لا يبطل عملا صالحا بعمل سيء فليفعل ان الشر
يكسح الخير وانما ملاك العمل خواتيمه فمن استطاع ان يختم بخير فليفعل ولا قوة الا بالله وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه
قال ما كنا معشر اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نرى شيئا يبطل اعمالنا حتى نزلت هذه الاية فقلنا ما الذي يبطل اعمالنا
الكباير الموجبات والفواحش فكنا على ذلك حتى انزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
الاية فلما نزلت هذه الاية كففنا عن هذا القول وجائز ان يكون قوله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم قال هذا ليكونوا ابدا على
التيقظة والحذر لئلا يبطل اعمالهم من حيث لا يشعرون كقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون وفي حرف ابي
رضي الله عنه ولا تبطلوا ايمانكم وقوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله
لهم تاويلها ظاهر وقوله عز وجل فلا تهنوا وتدعوا الى السلم اي لا تضعفوا وتدعوا الى الصلح كذلك قال القتبي
وقال ابو عوسجة السلم بكسر العين الصلح ولا اعرف بفتح السين ههنا له معنى وقوله عز وجل وانتم الاعلون اي وانتم
الغالبون فيه النهي عن الدعاء الى الصلح اذا كانوا هم الاعلون اعني اهل الاسلام ثم قوله تعالى وانتم الاعلون يحتمل
وجوها يحتمل الاعلون بالحجج والبراهين في كل وقت ويحتمل وانتم الاعلون والغلبة في العاقبة اي اخر الامر لكم ويحتمل
وانتم الاعلون في الدنيا والاخرة لانهم وان غلبوا في الدنيا وقتلوا كانت لهم الاخرة وان ظفروا بهم كانت لهم الدنيا والاخرة
وقال بعضهم وانتم الاعلون اي وانتم اولى بالله منهم وهو ما ذكرنا في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل والله معكم يحتمل
معكم في النصر والغلبة ويحتمل معكم في الوعد الذي وعد اي ينجز ما وعد لكم في الدنيا ويفي بذلك وقوله عز وجل ولن
يتركم اعمالكم اختلف فيه قال بعضهم اي لن يجعل الله للكافرين عليكم مظلمة ولا تبعة وهو يحتمل في الدنيا والاخرة
كقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وقال بعضهم لن يتركم اعمالكم اي لن ينقصكم اعمالكم وكذا قال ابو عوسجة
يقال وترته اي نقصته وقال بعضهم لن يظلمكم اعمالكم يقال وترني حقي اي بخسنيه كذلك وقال القتبي ولكن كلاهما واحد
في المعنى اي لا ينقص من اعمالهم شيئا ولا يظلمون فيها ولا يبخسون والله اعلم وقوله عز وجل انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو اي حيوة الدنيا على ما عندهم وعلى ما يعدون لعب ولهو لانهم كانوا يقولون ان لا بعث ولا حيوة فعلى ما عندهم

يكون حيوة الدنيا على ما ذكر من اللهو ويحتمل انه سماها لهوا ولعبا لانهم على ما يزعمون انشاءها للانقطاع والفناء لا لم
تكتسب بها الحيوة الدايمة في الاخرة وانشاء الشيء للانقطاع والفناء خاصة بلا عاقبة يقصد يكون لعبا ولهوا ثم
اللعب واللهو يجوز ان يكونا شيئا واحدا ويجوز ان يكون احدهما ما يستمتع بظاهر الاشياء والاخر ما يستمتع بباطن الاشيا
اللعب هو ما يستمتع بظواهر الاشياء واللهو هو ما يتلهى ببواطنها والله اعلم وقوله تعالى ان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم
اي وان تؤمنوا بما امرتم الايمان وتتقوا عما نهيتم عن مخالفة امره يؤتكم اجوركم جعل الله عز وجل بفضله ورحمته لاعمالهم
التي يعملون لانفسهم اجرا اذ لا احد يعمل لنفسه ويأخذ الاجر من غيره لانهم بالاعمال يستفعلون عن انفسهم التكليف بالشكر
لنعم الله تعالى حيث اسدى عليهم النعم ابتداء لكنه جعل لاعمالهم اجرا كانهم يعملون له ابتداء وان كانوا عاملين لانفسهم في
الحقيقة واليه يرجع منافع اعمالهم ولان انفسهم واموالهم في الحقيقة لله تعالى فكيف يستحقون الاجر على مولاهم باعمالهم
هذا كما ذكرنا من الاقراض له والشراء منهم كان لا ملك له في ذلك وان ليس له ذلك وان كان حقيقة املاكهم وانفسهم
لله تعالى فضلا منه وكرما فعل ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ولا يسألكم اموالكم هذا يخرج على وجهين احدهما اي ليس
يسألكم الانفاق من اموالكم وانما يسألكم من ماله ليستمتعوا بمال غيره لانفسكم ويجعلون ذخرا لانفسكم غير ان يسألكموها
فيحفكم تبخلوا اي لو كان يسألكم من اموالكم لبخلتم وتركتم الانفاق منها والثاني ولا يسألكم اموالكم اي يسألكم الانفاق
من جميع اموالكم ولكن انما يسألكم الانفاق من طائفة من اموالكم ان يسألكموها فيحفكم اي لو يسألكم جميع اموالكم
لحملكم ذلك على البخل وترك الانفاق فاذ يسألكم الانفاق من جزء من اموالكم فلما ذا بخلتم وتركتم الانفاق وقوله هو
فيحفكم تبخلوا يخرج من وجوه احدها اي يحملكم على البخل لو يسألكم جميع الاموال ويحتمل فيحفكم اي يجعلكم حفاة لا شيء يبقى
عندكم الاحفاء ان يأخذ كل شيء عندك وهو من الاستيصال ومنه احفاء الشوارب وقال ابو عوسجة الاحفاء شدة المسألة
اي ان يلح عليكم فيما يوجبه في اموالكم يبخلوا يقال الحفي في المسألة والح واحد والله اعلم وقوله عز وجل ويخرج اضغانكم
اي لو امر بالانفاق من جميع اموالكم ومن اموالكم حقيقة يظهر ذلك من اضغانكم التي في قلوبكم لان ذلك الامر
انما يجري على السن الرسل فيوجب ذلك اظهار ما في قلوبهم من الضغاين للرسل عليهم السلام فان كان تاويل
هذا وهو في المنافقين فيكون الامر بالانفاق سبب اظهار نفاقهم وضعفائهم فكان كالامر بالقتال كان سببا
لاظهار نفاقهم وان كان في المسلمين فيحتمل انه قال ذلك تحريضا لهم على الانفاق والتصديق اي انه سبب اخراج
الضغاين والعداوة لما فيه من التحبب والتودد بايصال ما هو محبوب اليه والله اعلم وقوله عز وجل ها انتم
هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله اي ها انتم يا هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله اي في اظهار دين الله
وفي طاعة الله او في الجهاد لان الانفاق وذلك كله في سبيل الله والله اعلم وقوله عز وجل فمنكم من يبخل ومن يبخل
فانما يبخل عن نفسه جعل الله عز وجل الانفاق لهم حقيقة اذا انفقوا مما امرهم الله تعالى بالانفاق في طاعته عند ذلك
يصير تلك الاموال لهم لانهم اذا انفقوا فيما امر الله تعالى انتفعوا بها في الدنيا بما استمتعت انفسهم وتلذذت وانتفعوا بها
ايضا في الاخرة وقت حاجتهم وفقرهم بذلك انفسهم وتلذذت وانتفعوا بها ايضا في الاخرة وقت حاجتهم وفقرهم لتلك
تحقق ويحصل لهم تلك الاموال فاما عند تركهم الانفاق فيما امروا بالانفاق والبذل فلا يتحقق لهم تلك الاموال هو
المجعولة في ايديهم لانه اما ان يجعل لوارثهم او يأخذهم منهم بلا سبب من غير ان يجعل لهم بذلك نفع والله اعلم فذلك
تاويله قوله تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله اعلم لما يهلك نفسه بترك الانفاق منها ولم يمنع ولم ينتفع به وقت
حاجتهم اليه في الاخرة وقال بعضهم قوله فمنكم من يبخل عن الصدقة والانفاق في طاعة الله ومن يبخل بالصدقة في طاعة
الله فانما يبخل عن نفسه بالجزاء في الاخرة وقوله عز وجل والله الغني وانتم الفقراء اي والله الغني عن انفاقكم وعما يامركم
بالانفاق وانتم الفقراء الى ما ينفقون اي انتم المنتفعون بذلك الانفاق الذي يامركم به لانه يرجع منفعة ذلك
او يامر لحاجة نفسه ولكن انما يامركم بذلك لحاجتكم اليه يوما والله اعلم ويحتمل ان يكون يقول والله الغني عنكم وعما
في ايديكم وانتم الفقراء اليه في كل وقت وكل ساعة في جميع احوالكم واوقاتكم كقوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى
الله والله هو الغني الحميد ويحتمل والله الغني عن اموالكم وانتم الفقراء الى مغفرته ورزقه وجنته ورحمته وقوله عز وجل
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قال بعضهم فتولوا وهم اهل مكة واستبدل قوما غيرهم وهم اهل
المدينة لكن هذا بعيد لان السورة مدنية فلا يحتمل الخطاب به لاهل مكة بقوله وان تتولوا ومنهم من يقول الله
عز وجل اخبر وعد اهل المدينة انهم ان يتولوا استبدل غيرهم اطوع منهم لله تعالى فلا تولي استبدل غيرهم وقال
بعضهم هو على وجهين احدهما قوله وان تتولوا يستبدل قوما اي لم يتولوا ولم يستبدل قوما غيركم والوجه الاخر
قد تولوا استبدل بهم النخع واحمس وناس من كندة والذين تولوا حنظلة واسد وغطفان وبنو فلان وقوله عز وجل
ثم لا يكونوا امثالكم اي لا يكونوا امثالكم في الطاعة لله تعالى بل اطوع له واخضع والله اعلم وذكر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي وقال والذي

نفسي بيده لو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من فارس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت غنما سودا وردفها
غنم بيض فاختلطت بها فتعقب بين جميعا قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اولت قال العجم يشركونكم في
دينكم وانسابكم قالوا العجم يا رسول الله قال نعم لو كان الايمان معلقا بالثريا لتناوله رجال من العجم واسعدهم به
اهل فارس فان ثبت هذا الخبر فجايز ان يستدل به على جعل العجم اكفاء العرب لانه قال يشركونكم في انسابكم فاذا اشركو
في انسابهم صاروا اكفاء لهم ويحتمل ان يكون قوله يشركونكم في انسابكم لانهم ينسبونهم فيلد منهم اولاد فيشتركوا فيها
ذكر والله اعلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل قوما قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان
ثم قال هذا وقومه هذا وقال في حديث اخر والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا قال بعضهم هو فتح مكة وقال بعضهم هو صلح الحديبية الذي بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين اهل مكة حين صدوهم عن حرمهم مكة وحالوا بينه وبين زيارة البيت وكان له فيها اعني في قصة الحديبية
امران وايتان ظاهرتان عظيمتان احدهما انه اصابه ومن معه من اصحابه عطش فاتى باناء فنبع من ذلك الاناء من الماء
مقدار ما شرب منه زهاء الف وخمسمائة حتى رووا جميعا فذلك اية عظيمة حسية على رسالته والثاني اخبر بغلبة
الروم لفارس وذلك علم غيب وكان كما ذكر واخبر فدل انه انما علم ذلك بالله تعالى وفي قصة الحديبية روي عن رجل
يقال له مجمع بن حارثة قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها ان الناس يوجفون
الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما للناس قال اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف مع الناس
حتى وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم اسم موضع فلما اجتمع اليه بعض ما يريد من الناس قرا عليهم
انا فتحنا لك فتحا مبينا قال قال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي والذي نفسي بيده انه لفتح قال ثم قسمت
الحديبية على ثمانية عشر سهما وكان الجيش الف وخمسمائة وفي بعض الاخبار ان الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين المشركين ولم نر فتحا الا لو ترى لعاقلتنا قال فنزلت سورة الفتح فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عمر رضي الله عنه فاقراها اياه فقال يا رسول الله فتح هو قال نعم وعن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
بالحديبية فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل انها فتح هو قال نعم وعن جابر انه قال ما كنا نعد الفتح
الا يوم الحديبية وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الاية انا فتحنا لك فتحا مبينا
بالحديبية وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لم يكن في الاسلام فتح الاعظم من صلح الحديبية وضعت الحرب اوزارها
وامن الناس كلهم ودخل في الاسلام في السنتين اكثر مما كان دخل قبل ذلك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة من الحديبية وفي الحديث طول تركنا ذكره والله اعلم وقوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا يخرج
على وجوه احدها اي انا قضينا لك قضاء بينا بالحجج والبراهين على رسالتك ونبوتك ليعلم انك محق على ما تدعي
صادق في قولك ليغفر لك الله بما اكرمك وعظم امرك بالرسالة والنبوة اي اعطاك ذلك واكرمك به ليغفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر والثاني انا فتحنا لك فتحا مبينا ما لم يطمع احد من الخلايق انه يفتح عليك امثال ذلك
الفتوح ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والثالث انا فتحنا لك جميع ابواب الحكمة والعلوم وجميع ابواب
الخيرات والحسنات ليغفر لك بما اكرمك من ابواب الحكمة والخيرات يخرج على هذه الوجوه الثلاثة والله اعلم ثم وقوله
عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر على وجهين احدهما يرجع الى ذنبه اخبر انه غفر له ثم لا يجوز لنا ان
نبحث عن ذنبه ونتكلف انه ما كان ذنبه وانس كان زلته لان البحث عن زلته ما يوجب التنقيص فيه فمن تكلف
البحث عن ذلك يخاف عليه الكفر لكن ذنبه وذنب ساير الانبياء عليهم الصلوة والسلام ليس نظير ذنبنا اذ ذنبهم
بمنزلة فعل مباح منا لكنهم نهوا عن ذلك والله اعلم وجايز ان يكون قوله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر اي يغفر ذنبه ابتداء غفران اي عصمة عن ذلك وذلك جاير في اللغة والله اعلم والوجه الثاني يرجع
الى ذنوب امته اي ليغفر لك الله ذنوب امتك وهو ما يشفع لامته فيغفر له اي لشفاعته وهو كما روي
في الخبر يغفر للمؤذن مد صوته اي يجعل له الشفاعة فعلى ذلك جايز ان يكون قوله ليغفر لك الله اي يغفر له امته
بشفاعته والله اعلم وقوله عز وجل ويتم نعمته عليك يحتمل اتمام نعمته عليه هو ما ذكرنا من الرسالة والنبوة وفتح
ما ذكر من ابواب الخيرات والحكمة في الدنيا والاخرة والشفاعة في الاخرة او اظهار دينه على الاديان كلها واياس اولئك
الكفرة عن عوده الى دينهم كقوله اليوم اكملت لكم دينكم الاية والله اعلم وقوله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا يحتمل
اي ينصرك نصرا عزيزا بالغلبة عليهم والقهر والظفر لا صلحا ولا موادعة وعلى ذلك يخرج قول اهل التاويل نصرا عزيزا

لا يستدل ولا يستدل وظاهر الاية ليس على ذلك لانه قال على اثره ليغفر لك الله لان الخيرات والحسنات تكون سببا
للمغفرة فجايز ان يكون ما ذكر من الفتح له والمغفرة هذا لا ما ذكره الا ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسأل من الفتح لما
اقدم على اسباب الفتح وهو القتال مع الكفرة ونحو ذلك من الخيرات التي تكون سبب المغفرة الا ان الله اضاف الفتح الى نفسه والقتال
منهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من الفتح له ليغفر له هو ان الله جعل رسوله بحيث لا يخط بيده خطا ولا يكتب كتابا و
لا يفهم كتابه وهو ما وصفه الله جل وعلا بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
فيه على ما ذكر ثم مع انه جعله هكذا احوج جميع حكماء الخلق اليه واحوج ايضا جميع اهل الكتب السالفة اليه في معرفة ما تضمن
كتابه المنزل عليه وجعله رسولا اليهم فيكون كانه قال انا فتحنا لك السبل والحكمة وانواع العلوم والخيرات والحسنات ليغفر له
اي انما فتح لك ما ذكرنا ليغفر لك ويتم نعمته عليك من النبوة والحكمة واظهار دينه على الاديان كله ويهديه صراطا مستقيما
وينصره نصرا عزيزا اعطاه ما ذكرنا وذلك كله النصر العزيز والله اعلم وجايز ان يكون قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك اي
من ذنب امتك وما تاخر من ذنبهم على ما قال بعض اهل التاويل ويتم نعمته عليهم من انواع الخيرات والامر لهم والاياس لتلك
الكفرة عنهم ويهديهم صراطا مستقيما وينصرهم نصرا عزيزا اي فتحنا لك ما ذكر ليكون لامتك ما ذكرنا من المغفرة لهم واتمام
النعمة والهداية لهم الصراط المستقيم والنصر لهم النصر العزيز اي نصرا يعزون به في حيوتهم وبعد وفاتهم في الدنيا والاخرة
والله اعلم ومن الناس من يقول ان الله جل وعلا امتحن رسوله عليه الصلوة والسلام في الابتداء بالخوف حين قال وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم وجد النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وجدا شديدا ونزل بعده انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الى
اخره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك نزلت على اية احب الي مما على الارض ثم قراها النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا هنيئا مريئا يا نبي الله قد بين لك ماذا يفعل بك ولم يبين ماذا يفعل بنا فنزل قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات
الاية والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين قال بعضهم السكينة هي كهيئة الريح لها جناحان
ولها راس كراس الهر لكن هذا ليس بشيء لانه عز وجل قال السكينة في قلوب المؤمنين بحقيقة الدين وهو تفسير العلم
وهذا يدل على ان الخالق العلم الوسند لا في ومنزله ومثبته هو الله تعالى وهم يقولون ان خالقه هو المستدل فيكون
حجة عليهم قال بعض المعتزلة اضافة انزال السكينة الى نفسه على سبيل المجاز على التحقيق كما يقال فلان انزل فلانا في منزله
او سكنه وان لم يكن منه حقيقة انزاله اياه في المنزل لكن اضيف اليه ذلك لانه وجد منه وسبب به يصل ذلك الى نزوله
في منزله وسكنه فعلى ذلك اضاف انزال السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا فلا يقال في مثله لانه كان منه او بسبب
جعله ذلك وهو كقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله وانما يقال ذلك التحقيق انزال ذلك ليسكون ما ذكر على
ما اخبر انه فتح ليغفر له ما ذكر والله اعلم ثم وقوله عز وجل ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يخرج على وجوه احدها ما قال ابو حنيفة
رحمه الله ليزدادوا ايمانا بالتفسير على ايمانهم بالجملة والثاني ليزدادوا ايمانا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه مع ايمانهم بسائر
الرسل والكتب لانهم كانوا امنوا بها وصدقوها وهذا في اهل الكتاب خاصة والثالث ليزدادوا ايمانا في حادث الوقت مع
ايمانهم فيما مضى من الاوقات فاذا وصل هذا بالاول فيكون بحكم الزيادة وان شئت جعلته بحكم الابتداء اذ للايمان
حق التجدد والحدوث في كل وقت والله اعلم وقوله عز وجل ولله جنود السموات والارض فان كان نزوله على اثر قول ذلك
المنافق على ما ذكر بعض اهل التاويل حيث قال لاصحابه هو عمر محمد ان الله قد غفر له وان له على عدوه ظفرا ويهديه
صراطا مستقيما وينصره نصرا عزيزا هيهات هيهات لقد بقي له واكثر واكثر كان اهل فارس والروم هم اكثر عددا فعند
ذلك نزل ولله جنود السموات والارض فمعناه اي لله تدبير جنود السموات والارض ينصر من يشاء على من يشاء و
يجعل الامر لمن يشاء ليس لهم التدبير والانفاذ الامر على من شاؤوا ولكن ذلك الى الله تعالى وهو كقوله تعالى قل ان الامر كله
اي لله تدبيركم لا ينفذ مكركم الا باذن الله تعالى فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله عليما حكيما اي عن علم
بما يكون منهم من ايثارهم عداوة الله على ولايته واختيار خلافه له انشاهم لا عن جهل ليعلم انه لم ينشئهم ولم يامرهم
بما امرهم وامتحنهم بما امتحن لحاجة نفسه او لمنافع ترجع اليه ولكن لحاجة اولئك ولمنافعهم ولذلك قال الحكيم لان
الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير فاذا كان انشاؤه اياهم وما امرهم به ونهاهم عنه لا لحاجة له في ولا منفعة
ولكن لحاجتهم ومنفعتهم كان حكيما في انشائه اياهم علم منه بما يكون منهم من ايثار العداوة له على ولايته واختيار
الخلاف له والمعصية والله الموفق وقوله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها الاية وان هذه صلة قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ليدخل المؤمنين
والمؤمنات الاية انزل السكينة في قلوبهم اي انزل ما تسكن بها في قلوبهم ليزدادوا وايضا لك ايمانا وانزل السكينة
ايضا ليدخلهم فيما ذكر كما ذكر في رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله فتح له ليغفر له
فعلى ذلك انزل السكينة في قلوبهم ليزدادوا لهم الايمان وليدخلهم جنات التي وصف ثم اخبر ان ذلك لهم عند الله
فوزا عظيما لا هلاك بعده ولا تبعة والله اعلم وقوله عز وجل ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات

ذكر للمنافقين والمشركين من العذاب مقابل ما ذكر للمؤمنين من انزال السكينة عليهم وادخالهم الجنة جزم هؤلاء
السكينة التي ذكر ان قلوب المؤمنين بها يسكن لما علم انهم يختارون على عداوتهم ويؤثرون عداوة اوليا
على ولايتهم وعلم من المؤمنين انهم يؤثرون ولايته على عداوتهم ولايته اوليائه على عداوتهم فانزل
السكينة في قلوبهم ولم تنزل على اولئك هذا ليعلم ان من بلغ في الايمان الحد الذي ذكر انما بلغ ذلك
بالله تعالى وبفضله وبرحمته ولا قوة الا بالله وقوله الظانين بالله ظن السوء جايز ان يكون قوله عز وجل
الظانين بالله ظن السوء هم المنافقون الذين ذكرهم في آية اخرى حيث قال بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء ظنوا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يرجع الى اهله وكذلك المؤمنون لا يرجعون الى اهليهم ابدا ثم اخبر ان ذلك الظن
منهم ظن السوء فيحتمل ما ذكر هاهنا الظانين بالله ظن السوء هذا ما ذكرنا والله اعلم وجايز ان يكون
قوله الظانين بالله ظن السوء هم المشركون ثم ان كانوا من المنافقين فيكون ظنهم بالله ظن السوء
ان لا يرجع هو واصحابه الى اهليهم ابدا وان كانوا من مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ظنهم بالله
ظن السوء ان لا يكرم محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولا يعظمه بالنبوة لا يختاره ولا يؤثره على غيره من
الناس الذين يختارون هم كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فيكون ظنهم بالله ظن
السوء على هذا ان لا يكرم الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يختاره ونبوته والله اعلم وان كانوا ذلك
من مكذبي البعث ومنكريه فيكون ظنهم بالله ظن السوء وهو ان لا يقدر على البعث والاحياء بعد الموت
ثم اخبر ان عليهم دايرة السوء الذي ظنوا ان لا يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار عليهم
ما ظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تفرقوا من اوطانهم وهتك استادهم ونحو ذلك وان كانوا
مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم انه لا يرسله ظنهم كان ما ظنوا لانه بعث هو رسولا ولم يبعث من اختاروه
وان كانوا من منكري البعث فعليهم كان عذاب اليوم وفيه هلاكهم والله اعلم وقوله عز وجل وغضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا اخبر عز وجل انهم استوجبوا غضب الله ولعنه بالذي كان
منهم من سوء ظنهم بالله ورسوله واعد لهم جهنم بذلك وساءت مصيرا لهم وقوله عز وجل ولله جنود
السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما ذكر على اثر ما ذكر عزيزا حكيما ليعلم ان عزه ليس بما ذكر من الجنود التي
له في السموات والارض ولكنه عزيز بذاته له العز الذاتي الازلي والله اعلم وقوله عز وجل انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا قوله شاهدا الله هو الله تعالى عباده وما لبعضهم على بعض فعلى هذا التاويل يكون
قوله شاهدا اي مبينا اي لتبين ما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وهو قول ابي بكر الاصم وقال
بعضهم اي شاهدا للرسل عليهم السلام بالتبليغ بالاجابة لمن اجابهم وشاهدا على من ابى الاجابة بالاباء
والرد فعلى هذا التاويل يكون قوله شاهدا على حقيقة الشهادة على ما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم
اي ارسلناك شاهدا على امتك على الانبياء عليهم الصلوة والسلام بالتبليغ ومن ذكرنا والله اعلم
وقوله عز وجل ومبشرا ونذيرا البشارة هي تذكر عواقب الخيرات والحسنات والاخبار عن احوالها انها
الى ماذا يفضي اربابها وعمالها ليرغبهم فيها والنذارة هي تذكر عواقب الشرور والسيئات والاخبار
عن احوالها انها الى ماذا يفضي اربابها ومرتكبها ليزجرهم عنها والله اعلم وقوله عز وجل ليؤمنوا بالله
ورسوله خاطب بهذا البشر كله وفي الاول خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه يقول على الجمع
بينهما في الخطاب ارسلناك رسولا شاهدا لتؤمنوا انتم بالله ورسوله ويحتمل ان يكون على الاضمار
اي انا ارسلناك مبشرا ونذيرا وقل لهم انما ارسلت لتؤمنوا بالله ورسوله وهو كقوله تعالى يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن معناه يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النساء فطلقوهن
لعدتهن فعلى ذلك جايز ما ذكر والله اعلم وقرئ بالياء وهي ظاهرة ثم الايمان بالله تعالى هو ان يشهد له
بالوحدانية والالوهية وان له الخلق والامر في كل شيء وكل امر والايمان برسوله هو ان يشهد له بالصدق
في كل امر وبالعدالة له فيما يحكم ويقضي ويصدقه في كل ما يقوله ويجيبه في كل ما يدعوا اليه ويطيعه
في كل امر يامر به وينهى عنه والله اعلم وقوله عز وجل ويعزروه اختلف فيه قال بعضهم اي ينصروه
ويعينوه وقال بعضهم اي يطيعوه وقال بعضهم اي يعظموه فمن يقول ان قوله ويعزروه ليس على
النصر والاعانة ولكن على التعظيم او على الطاعة استدل بما قال في آية اخرى وعزروه ونصروه
ذكر التعزير وعطف النصر عليه والمعطوف غير المعطوف عليه فدل انه غير النصر ولكن جائز ذكر الشيء
الواحد بلفظين مختلفين ومعناهما واحد على التاكيد وكذلك من يقول بالتعظيم يقول امرهم بتعظيمه

في الحرفين اعني قوله ويعزروه ويوقروه وذلك جايز في الكلام ويحتمل ان يكون التعزير هو الطاعة له والتوقير
هو التعظيم والله اعلم ومن قال بالنصر والمعونة في التبليغ تبليغ الرسالة الى الخلق والدفع عنه والذب و
التعظيم له في قلبه وجميع جوارحه والله اعلم وقوله عز وجل وتسبحوه بكرة واصيلا والتسبيح اجمع اهل التاويل
ان قوله تعالى وتسبحوه بكرة راجع الى الله تعالى وكذلك ذكر في بعض القراءات وتسبحوا الله بكرة واصيلا والتسبيح
هو التنزيه في الافعال والاقوال فجاز نسبة ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان بريا من العيوب في الافعال
والاقوال عيب وان كان هو تنزيهها عن الحدوث والفناء وآفات تحل في نفسه فذلك لا يجوز اضافته ونسبته الى
الله عز وجل فاما غيره لا يجوز اضافة ذلك اليه واصله ما ذكر اهل التاويل من صرفه الى الله تعالى وقوله عز
وجل بكرة واصيلا صرف اهل التاويل البكرة الى صلوة الفجر والاصيل الى صلوة المغرب والعشاء ولكن جايز
ان يكون البكرة كناية عن النهار والاصيل كناية وعبارة عن الليل فكانه يقول سبحوا بالليل والنهار جملة في كل
وقت والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون اجمع اهل التاويل او دعا منهم على ان المبايعة
المذكورة في هذه الاية هي البيعة التي كانت بالحديبية بايعوه على ان لا يفروا اذا القوا عدوا قال معقل بن يسار
لقد رايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن
اربع عشرة مائة اي الف واربع مائة نفر وقال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر وجايز ان يكون
المبايعة على ان يغزوا ذكر في آية اخرى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار والمبايعة هي
المعاهدة الا ترى انه قال في آية اخرى ومن اوفى بما عاهد عليه الله ذكر في اول الاية المبايعة وفي اخرها المعاهدة ليعلم ان
المبايعة والمعاهدة سواء والله اعلم ثم اضافة مبايعتهم رسوله الى نفسه يحتمل وجهين احدهما لما بامره بايعوه
وذكر ونسبها الى نفسه لعظم قدره وجليل منزلته عنده والله اعلم وقوله عز وجل يد الله فوق ايديهم قال بعضهم
يد الله في جزاء المبايعة فوق ايديهم في المبايعة وكلام نحو هذا ان يكون قوله تعالى يد الله فوق ايديهم اي
يد الله في الجزاء اذا وفوا بالعهد فوق ايديهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما بايعوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانت لهم عنده يد فيخبر ان جزاء الله الذي يجزيهم بوفاء ذلك المبايعة فوق ايديهم التي لهم عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من يد الله واضافتها اليه يريد بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانه يقول يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندكم فيما بايعتم فوق ايديكم عنده لما يحتمل ان يقع عنده
ان يكون لهم يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بايعوه كقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا الاية فيخبر ان يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوق ايديكم عنده بالمبايعة التي بايعتم والله اعلم ويحتمل اي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمد والبسط بالمبايعة فوق ايديهم والله اعلم ويحتمل قوله يد الله فوق ايديهم اي توفيق الله تعالى اياكم ومعونته
على مبايعتكم رسوله فوق وخير وفائكم ببيعته وعهده والله اعلم وجايز ان يكون قوله يد الله فوق ايديهم الى
يد الله في النصر لرسوله فوق ايديهم كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم حقيقة النصر انما يكون
بالله تعالى ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل فمن نكث فانما ينكث على نفسه هذا يخرج على وجهين احدهما كقوله تعالى من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ذلك من نكث فانما له جزاء نكثه وهي الثاني ومن اوفى فله ما ذكر من جزاء الوفاء
والثاني ومن نكث فانما ينكث على نفسه اي من نكث فعليه ضرر نكثه واليه يرجع ذلك الضرر لا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين لان الله جل وعلا وعد النصر له والظفر باولئك
فمن نكث فانما يرجع ضرر نكثه اليه اذ الله يفي لرسوله صلى الله عليه وسلم ما وعد من النصر له والله اعلم وقوله
عز وجل سيقول لك المخلفون من الاعراب قوله تعالى المخلفون سماهم مخلفين ولم يخلفهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا اصحابه ولكن الله تعالى جل وعلا خلفهم عن ذلك بان احدث فيهم فعل التخلف لما علم منهم ما كان
من اختيارهم التخلف كقوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم اي منعهم فعلى ذلك ما ذكر من المخلفين ان الله
سبحانه وتعالى خلفهم عن ذلك وهم اكتسبوا فعل التخلف في انفسهم دل انه خالق افعال العباد هو الله تعالى والله
الموفق وقوله عز وجل خبرا عنهم شغلتنا اموالنا واهلونا هذا القول منهم قول اعتذار وطلب العذر من رسول
صلى الله عليه وسلم وقولهم واستغفر لنا طلبوا منه الاستغفار مع اظهارهم للعذر في التخلف بقولهم شغلتنا اموالنا
واهلونا يقولون وان حبستنا اموالنا واهلونا لم يكن لنا التخلف عنك واستغفر لنا ولكن مع هذا لم يقبل عذرهم
لانهم كانوا لا يحققون في طلبهم الاستغفار منه لانهم اهل نفاق لا يؤمنون برسالته ولا بالبعث كي ينفعهم
المغفرة في الاخرة الا ترى انه قال في آية اخرى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الاية دل
هذا الفعل منهم على انهم كانوا غير محققين طلب الاستغفار منه بقولهم فاستغفر لنا حيث قال يقولون بالسنتهم ما
ليس في قلوبهم اي يقولون بالسنتهم قولهم فاستغفر لنا ما ليس في قلوبهم حقيقة ذلك ولا جايز ان يصرف

قولهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم الى قولهم شغلتنا اموالنا واهلونا اي كاذبين في العذر ولكن
طلبوا الاستغفار حقيقة لا يقال هذا لانهم كانوا صادقين في ان اموالهم واهلوهم شغلتهم عن ذلك
فلا يمكن صرف الاية الى ذلك والله الموفق وقوله عز وجل قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا
او اراد بكم نفعا قد ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله تعالى يكون على الايجاب فيخرج ان لو كان ذلك السؤال
من يستفهم كيف يجاب له فيكون من الله تعالى على الايجاب اي لا احد يملك لكم نفعا ان كان الله اراد بكم
ضرا ولا احد يملك لكم ضرا ان كان بكم اراد الله نفعا يخبر انكم وان تخلفتم لحفظ اموالكم واهليكم فان
الله تعالى لو اراد بكم ضرا لا تملكون دفعه عن انفسكم وان لم تتخلفوا ولكن خرجتم معه فلا يملك احد
لضر لكم غير انه لا عذر له في التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اوعدهم فقال بل كان الله بما
خبيرا اخبر الله عز وجل انفس المنافقين وصنيعهم ابين دلالة على رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
حق المنافقين حين كان يطلع رسوله على جميع ما اسروا في انفسهم واضمروا في قلوبهم ليعلموا انه انما عرف
ذلك بالله جل وعلا وجعل الاية له في حق الاية له في حق غيرهم من الكفرة من غير صنيعهم وانفسهم حتى علموا
بذلك انه بالله قد رعلى ذلك والله اعلم وقال اهل التاويل اي اراد بكم ضرا اي الهزيمة واراد بكم نفعا
ظهورا على عدوكم وغنيمة يحتمل ان يكون الخطاب بهذا لاهل الايمان والوعظ لهم بذلك لان اهل النفاق كانوا
لا يصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقبلون ما يقول من المواعظ وغيره وقوله عز وجل بل
ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا فان قيل ما الذي حملهم على الظن الذي ظنوا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لا يرجعون الى اهليهم ابدا اذا كان ذلك في خروجهم الى الحديبية على ما قال
اهل التاويل ان ذلك كان في خروجهم الى الحديبية وكان خروجهم الحج وقضاء المناسك لا للقتال والحرب
معهم حتى يقع عندهم انهم لا يرجعون بل يهلكون في ذلك واهل مكة لم يكونوا يمنعون احدا من اهل الايمان
يدخل مكة للحج وقضاء المناسك قيل لان اهل النفاق كانوا قد كتبوا الى اهل مكة واعلموهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم خرجوا اليكم للحج وزيارة البيت فقالوا انا لا ندعهم يدخلون مكة
بل نقاتلهم ونحاربهم ولا نتركهم يدخلون فاذا كان منهم ما ذكرنا فجاز ان يكونوا ظنوا ما ذكرنا من
ظنهم فاما على غير ذلك فلا يحتمل مع اجتماع اهل التاويل على ان ذلك كان في امر الحديبية والله اعلم وقوله
عز وجل وظننتم ظن السوء اي ظننتم برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ظن السوء
انهم لا يرجعون الى اهليهم ويحتمل ظننتم بالله ظن السوء انه لا ينصر رسوله ولا يعينه وقوله عز وجل
وكنتم قوما بورا قال بعضهم بورا اي هلكى اي يصيرون قوما هلكى فيه دليل انهم يموتون على
نفاقهم وقال الحسن كنتم قوما بورا اي فاسدون لا خير فيهم وكذلك يقول ابن عباس رضي الله
عنهما ان البور هو الفاسد وقال بعضهم البور في كلام العرب لا شيء وقال القتبي البور الهلكى وقوله
عز وجل ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا هو ظاهر وقوله عز وجل ولله ملك
السموات والارض قيل فيه بوجوه احدها ولله خزاين السموات والارض وكذلك ذكر في حرف ابن
مسعود رضي الله عنه انه يقراءه ولله خزاين السموات والارض والثاني ولله ملك كل ملك في السموات
والارض اي لله حقيقة ملك كل ملك في السموات والارض والثالث ولله ولاية اهل السموات
والارض وسلطانه اي الولاية والسلطان له على اهل السموات والارض ثم يحتمل ذكر هذا وجهين
احدهما يخبر انه فيما يامرهم وينهاهم ويمتحنهم بانواع المحن بما يامر وينهى ويمتحن لا لحاجة نفسه ولا لمنفعة له
اذ له ملك السموات والارض ولا يحتمل من له ملك ما ذكر ان يقع له الحاجة الى ما ذكر والمنفعة لانه
غني بذاته ولكن يامرهم وينهاهم ويمتحنهم بالمحن لحاجتهم ولمنفعتهم والله اعلم والثاني يذكر هذا
ليقطعوا الرجاء عما في ايدي الخلق ويصرفوا الطمع والرجاء الى الله تعالى ومنه يرون كل نفع وخير يصل
اليهم ومنه يخافون في امر كل فيه خوف لا يخافون سواه ولا يطمعون غيره وهو ما اخبر يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله والله الغني الحميد ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء كانه
يقول والله اعلم هو يغفر لمن يشاء وهو المالك لذلك وهو يعذب من يشاء اي ليس يملك احد
مغفرة ذنوب احد سواه ولا تعذيبه انما ذلك منه وله ملك ذلك وله الفعل دون خلقه ليصرفوا
طمعهم ورجاءهم في كل امر الى الله تعالى ومنه يخافون في كل امر فيه خوف والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله
غفورا رحيما اي وكان الله لم يزل رحيما لا انه حدث ذلك لم يخلقه والله الموفق وقوله سيقول المخلفون
من الحديبية خلفهم الله عز وجل لما علم منهم من اختار التخلف وقوله اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا

نتبعكم الاية ذكر اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح اهل مكة عام الحديبية ورجع اشتد ذلك
على اصحابه رضي الله عنهم لما كانوا طمعوا دخول مكة لبيته زيادة بشرهم ربه بفتح خيبر وان الغنيمة لهم فعند ذلك لما انتهى
الى المنافقين المخلفين عن الحديبية تلك البشارة له بفتح خيبر عليهم قالوا ذرونا نتبعكم نصيب معكم الغنائم
وانما رغبوا في اتباعهم معهم لما علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق فيما يخبر بها البشارة له والفتح والغنيمة
بلا قتال ولا حرب يقع هنالك وقوله عز وجل يريدون ان يبدلوا كلام الله لان البشارة بفتح خيبر وجعله غنيمة
لمن شهد الحديبية فاما من تخلف عنها فليس له في ذلك من نصيب فاخبر الله تعالى انهم يريدون ان يبدلوا ما
وعد الله تعالى للمؤمنين الذين شهدوا الحديبية فتح خيبر خاصة فان يشركوهم فيها وفي قوله فان رجعك الله الى طائفة
منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فلما سالوا الخروج الى خيبر والاتباع لهم
وقد نهيهم عن الخروج معهم ابدا يريدون ان يبدلوا ذلك النهي الذي نهوا في سورة براءة فيحتمل الامرين جميعا
ذكر الشيخ رحمه الله وعامة اهل التاويل على ان قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معي ابدا نزل في غزوة تبوك وانها بعد خيبر فلم يكن خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخيبر بعد النهي الذي نهوا عن الخروج معه لكن كانه لم يثبت عنده نزول الاية في غزوة تبوك او وقع الخطاء من
الذين تلقفوا منه وكتبوه والله اعلم وقوله عز وجل قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل يحتمل قوله كذلكم قال الله
من قبل هي البشارة التي ذكرنا لمن شهد الحديبية قال ان مغانم خيبر لمن شهد الحديبية واما من لم يشهد فلا ويحتمل
قوله من قبل ما ذكر في سورة براءة فقل لن تخرجوا معي ابدا والله اعلم وقوله عز وجل فسيقولون بل تحسدوننا بل
كانوا لا يفقهون الا قليلا كانوا يقيسون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانفسهم لانهم اذا اصابوا شيئا
اعني المنافقين كانوا يحسدون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا ان لا يكون لهم في ذلك نصيب
ولا حظ حسدا منهم لهم فلما منعهم المؤمنون عن الخروج الى خيبر وقالوا ان الله نهاكم ان تخرجوا معنا وقد شهد
بالفتح قالوا عند ذلك بل تحسدوننا في اصحابنا تلك الغنائم لم ينهنا الله تعالى عن الخروج معكم فاسفهوا المؤمنين بانفسهم
بل كانوا لا يفقهون الا قليلا الفقه هو الاستدلال بما عرفوه وشهدوه على الذي لم يعلموه وغاب عنهم يخبر ان هؤلاء
لا يعرفون الاستدلال وقال بعضهم الفقه هو معرفة الشيء بنظيره الدال على غيره والله اعلم وقوله عز وجل قل
للمخلفين من الاعراب وهم الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم اولي باس شديد على قول ابن عباس رضي الله
عنه ومقاتل وهؤلاء هم بنو حنيفة وفيهم مسيلمة الحنفي الكذاب استنفرت اليهم الاعراب بعد نبي الله صلى الله عليه
وسلم فدعاهم ابو بكر الصديق الى قتالهم وقال الحسن هم اهل الفارس والروم وقال قتادة وغيره دعوا الى قتال
هوازن وثقيف يوم حنين وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول دعوا يوم حنين الى هوازن وثقيف
فمنهم من احسن الاجابة ورغب في الجهاد ومنهم من ابى لكن ما قال قتادة هوازن وثقيف يوم حنين كان في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تولى ذلك وقال في اية اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا الاية فلا يحتمل ان يدعوا
الى قتال هؤلاء هو تولى قتالهم وقد قال الله تعالى خبرا عنه ولن تقاتلوا معي عدوا فاذا لم يحتمل هذا رجع
التاويل الى ما قال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما انهم انما دعوا الى قتال اهل اليمامة وهم بنو حنيفة
دعاهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لكن لو كان ما قال اهل التاويل قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا نزل في غزوة
تبوك وهي بعد يوم حنين فيكون ما قاله قتادة محتملا والله اعلم او ان يكون قوله ولن تقاتلوا معي عدوا
في قوم خاص وهو ما قال استاذنك اولوا الطول منهم اي اهل الغنا والثروة انما قال ذلك لان الطول الذين
استاذنوه القعود مع القاعدين والله اعلم ويحتمل قوله تعالى ستدعون الى قوم اولي باس شديد في اهل فارس
والروم على ما قال الحسن وذلك انما فتح في زمن عمر رضي الله عنه وقوله عز وجل تقاتلونهم او يسلمون ومن قراها
يقاتلونهم او يسلموا بالالف فيكون تاويله تقاتلونهم حتى يسلموا وقوله عز وجل فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا
اي ان تطيعوا فيما دعيتم الى الجهاد يؤتكم الله اجرا حسنا ذكر انه يؤتيهم اجرا حسنا لان توبتهم تكون فيما كان كفارة
وكان نفاقهم انما ظهر بتخلفهم عن الجهاد فعلى ذلك يكون توبتهم في تحقيق الجهاد وقوله وان تتولوا فيما دعيتم
اليس كما توليتم عن الحديبية وغيره يعذبكم عذابا اليما ثم عذر اهل العذر منهم بقوله تعالى ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كما عذر اهل العذر من المؤمنين بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الاية وقوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما لانهم اذا تولوا عادوا الى ما كانوا وقوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة يحتمل قوله لقد رضي الله عن المؤمنين الماضي عزموا من الوفاء على ما بايعوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم والصدق لذلك والتحقيق لما عهدوا من الوفاء لذلك اخبر الله ان قد رضي الله عنهم لذلك فيحتمل

نستدل به على الصدق ذلك وتحقيقه وان لم يخبرنا الله انهم قد عزموا على ذلك فيجوز لنا ان نشهد انهم
قد عزموا على ذلك فيجوز لنا ان نشهد انهم قد عزموا على الوفاء لذلك والصدق له وقد يكون من
الاستدلال ما يجوز الشهادة له بالحق والصدق اذا كان في الدلالة مثل ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
فعلم ما في قلوبهم هذا يحتمل وجوها احدها ما ذكرنا علم ما في قلوبهم من العزم على الوفاء والصدق
لما اعطوا بايديهم من انفسهم والثاني علم ما في قلوبهم من الخوف والخشية وذلك يتوجه وجهين
احدهما انهم خشوا ان لا يتهيأ لهم القيام باهل مكة لانهم كانوا مستعدين للحرب والقتال وهم كانوا
خرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت خشوا ان لا يقوموا لهم فلم يفوا ما عاهدوا والثاني خشوا
ان لا يقدروا على وفاء ما بايعوا واعطوه لان في ذلك ما يصيبه جميع اهل الاديان والمذاهب و
الله اعلم والثالث علم ما في قلوبهم من الكراهة التي يذكرها اهل التاويل لكن تلك الكراهة ه
الاختيار لانهم طمعوا الوصول الى البيت ورجوا دخولها فلما جرى الصلح بينهم على ان لا يدخلوا عامهم
ذلك فانصرفوا فاشتد ذلك عليهم فكرهوا ذلك كراهة الطبع لا كراهة الاختيار وقد يكره طبع
الانسان شيئا والخيار غيره كقوله عز وجل وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وكقول يوسف رب السجن احب الي مما يدعونني اليه محبة الا-
لا محبة الطبع بل الطبع الى ما يدعونه اميل من السجن وقوله عز وجل فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا
قريبا اي انزل عليهم ما يسكن به قلوبهم لما علم تحقيق الوفاء لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصدق ما اعطوا من انفسهم واثابهم مكان ما كانوا يرجون ويطمعون من دخول مكة وما كرهه انفسهم من
من الرجوع فتحا قريبا وهو فتح مكة او فتح خيبر والله اعلم ثم وقوله اثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها اختلف فيه
منهم من صرف الفتح القريب المذكور في الاية الى فتح خيبر والمغانم خيبر حين بشروا بالحديبية بفتح خيبر وجعل
المغانم لهم مكان ما منعوا من دخول مكة وحيل بينهم وبين ما قصدوا او في الطريق بعد منصرفهم من الحديبية
على ما ذكر في القصة والله اعلم ومنهم من صرف الفتح الى مكة لانه ذكر في القصة انهم بشروا في الطريق بعد
انصرافهم من الحديبية بفتح مكة ويكون قوله اثابهم على هذا التاويل بمعنى ويثيبهم وذلك جائز في اللغة فعل
بمعنى يفعل كقوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس كذا يعني يقول له وقوله تعالى
ومغانم كثيرة ياخذونها على هذا ينصرف الى غيره من المغانم لانه لم يكن بمكة غنائم والله اعلم ومنهم من قال
واثابهم فتحا قريبا الفتوح كلها التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته وكذلك قوله ومغانم و
جائز ان يكون الكفرة حمله اي لو قاتلوكم لولوا الادبار والله اعلم وقوله عز وجل سنة الله في الذين خلوا من
قبل ما بين في كل امة من هلاك لم يجعل عن ذلك الهلاك في غيرها من الامم نحو ما جعل هلاك قوم نوح
الغرق وكذلك قوم فرعون وكذلك جعل هلاك عاد بريح صرصر وثمود بالطاغية جعل الله تعالى هلاك
كل امة بنوع لم ذلك لغير يقول لم يكن لذلك تبديل الى غيره وكذلك ما جعل لكل امة هلاكا من هلاك لم
يبدل ذلك ولم يجعل ذلك في غيره وجائز ان يكون قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل ان جعل عاقبة الامر
للمؤمنين وقوله عز وجل ولن تجد لسنة الله تبديلا في امتك ولكن جعل عاقبة الامر لهم كما جعل عاقبة الا-
في سائر الامم للمؤمنين وقوله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم مع كثرة اولئك وقوتهم وتاهبهم للقتال
وضعف هؤلاء وقلة عددهم لان اولئك كانوا خرجوا للقتال والحرب مستعدين لذلك متاهبين وهؤلاء
كانوا خرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت فكيف ايدي اولئك مع عدتهم وقوتهم وكثرتهم هؤلاء مع
وقلة عددهم حتى اظفرهم باولئك بما ذكر في القصة ان المسلمين كانوا اشتغلوا بالترامي بالنبل والحجارة حتى
هزموهم وادخلوهم بطن مكة على ما ذكر ثم اظفرهم بهم كيف ايدي هؤلاء عنهم ويتم لهم الظفر بهم ليعلم هؤلاء
ان التدبير في الامر الى الله تعالى دونهم وله السلطان على الخلق جميعا لا سلطان لاحد في سلطانه ولا قوة الا
بالله واما ذكر من الامتنان هو ما ذكر من كف ايدي اولئك عن هؤلاء عند شدة خوفهم منهم وفزعهم
بما ذكرنا من قوة اولئك وكثرتهم وضعف هؤلاء وقلة عددهم حتى اظفرهم بذكر منته عليهم ليستأدي
شكره ويكف ايدي هؤلاء عنهم فان قيل ما كف ايدي اولئك عن هؤلاء المنة ظاهرة ولكن اية منة يكون
في كف ايدي المؤمنين عن اولئك الكفرة قيل الجائز ان يكون المنة في كف ايدي المؤمنين عن اولئك الكفرة
ليستأدي منهم شكره بذلك وهو الاسلام والله تعالى على جميع خلقه منة ليستأدي منهم شكرا على الكافرين و
المسلمين جميعا ويحتمل ان يكون المنة في كف ايدي المؤمنين عن اولئك عن المؤمنين ايضا هو ما ذكر على اثره ولولا
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم انه لو لم يكف ايدي المؤمنين و

عنهم

عنهم حتى يتم لهم الظفر بهم قد دخلوا مكة وهنالك مؤمنون لاصابهم ما ذكر من المعرة وغيره فكان في كف ايدي
المؤمنين عن اولئك منة عظيمة عليهم لما بينا من قتل من فيهم من المؤمنين من غير علم والله اعلم وقوله عز وجل
ببطن مكة وهم لم يكونوا في بطن مكة انما كانوا بالحديبية وبينها وبين مكة اميال لكن يخرج على وجهين احدهما
اظفرهم بهم وهزمهم وهربهم حتى ادخلهم بطن مكة على ما ذكرنا انهم هزموهم حتى ادخلوهم في بيوتات مكة والله اعلم
وقوله عز وجل وكان الله بما تعملون بصيرا لم يزل الله تعالى عالما بما لهم بصيرا وفيه دلالة خلق افعالهم لانه ذكر
انه كف ايدي هؤلاء عن اولئك وايدي اولئك عن هؤلاء ثم قال هو عالم بما تعملون بصير ان له في فعلهم صنعا والله
اعلم وقوله عز وجل هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام اي صدوهم عما قصدوا وهو الطواف بالبيت والزيارة له
وذلك في المسجد الحرام ذكر صدهم عن المسجد الحرام صدهم عما فيه والله اعلم وقوله عز وجل والهدي معكوفا ان يبلغ
محله وقوله معكوفا اي محبوسا والعكوف هو الحبس ومنه سمي العاكف والمعتكف ثم وقوله والهدي معكوفا ان يبلغ
محله على دم هدي المتعة هو مكة او منا فاما الحرم نفسه فليس هو محله لكانه قال وصدوا الهدي عن ان يبلغ م
محل الذي جعل لهدي المتعة وهو منا او مكة لانه ذكر في الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم معتمرا او ذكر
انه كان متمتعا وفيه ان دم المتعة ان منع عن محله سقط وخرج وحكم المتعة ويعود الى ملكه وله ان يصرف
الى ما شاء الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر تلك البدن التي ساقها عن الاحصار في الحرم دل ان هدي
المتعة اذا منع عن المحل سقط ويخرج عن حكم المتعة وفيه ان دم الاحصار لا يجوز اراقته الا في الحرم اذ الحديبية بجميع
الحرم والحل جميعا عندنا فانما كان نحرها في الحرم والله اعلم وقوله عز وجل ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
ان تطؤوهم اي تقتلوهم وتهلكوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي لولا ما فيها اعني في مكة من رجال مؤمنين ونساء
مؤمنات لاتم لكم الظفر بهم ودخلتم عليهم لكن منعكم عن دخولكم مكة لما ذكر ثم اختلف في قوله تعالى فتصيبكم منهم
معرة بغير علم قال بعضهم لزمكم الدية بقتلهم وكذا روي عن محمد بن اسحق وقال بعضهم الكفارة وقال بعضهم الاثم
والذنب اي يصيبكم منهم الاثم بقتلكم اياهم هذا لا يحتمل لانهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون لا يلحقهم الاثم والذنب
لان الله تعالى وضع الاثم عنا فيما لا نعلمه ولم يضع طريق العلم به قال الله تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن
ما تعمدت قلوبكم وعندي يخرج على وجهين احدهما اي فيصيبكم من الكفرة واهل النفاق ما يسوؤكم بقتلكم اياهم من اللا-
والتعيير وغير ذلك من القيل والقال يقولون انهم قتلوا اصحابهم ومن كان على دينهم من اهل الاسلام فيجدون بذلك
سبيلا الى ما ذكرنا فيسوؤكم ذلك والله اعلم والثاني يصيبكم الاسف والحزن والندامة الدائمة بقتلهم اهل الايمان
واهل الاسلام اذا علمتم انكم قتلتم اصحابكم واهل دينكم والله اعلم ثم المخالف لنا تعلق بهذه الاية في مسئلتين احدهما
فيمن اسلم ولم يهاجر الينا انه يجب الدية في قتله لقوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم وهي عنده الدية والثانية هل
يباح الرمي الى حصون المشركين اذا كان فيها اسارى المسلمين واطفال المسلمين وتحرق الحصون اذا رمي الى الكفار الذين يتترسون
اطفال المسلمين قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد وزفر والثوري لا باس برمي حصون المشركين وان كان فيهم اسارى
المسلمين واطفالهم ولا باس بان يحرقوا الحصين ويقصدوا به المشركين دون المسلمين وكذلك لا احراق سفينة
الكفار اذا كان فيها اسارى المسلمين وقال مالك لا يحرق سفينة الكفار اذا كان فيها اسارى المسلمين وقال
الاوزاعي اذا تترس الكفار باطفال المسلمين لم يرموا ولا يحرق الحصن ولكن لا باس بان يرمى الحصن بالمنجنيق ونحو
ذلك وقال الشافعي لا باس بان يرمى الحصن وفيه اسارى واطفال المسلمين ولم يترسوا بهم فله قولان واحتج
هؤلاء من عادتهم انهم كانوا يعبدون ما يهوون وما لتا لهم انفسهم من الاصنام والاوثان وغيرها وينصرون
من عبدوها ويدفعون عنهم فيذبون عنها فجائز ان يكون الذي حملهم على ذلك وهو نصرهم اولئك الاصنام
وعبادها والذب عنهم حمية الجاهلية والله اعلم وقوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين جائز
ان يكون ما ذكر السكينة التي اخبر انه انزلها على رسوله ومن ذكر هو شيء انزله من السماء لطفا منه عليهم حتى
سكنت لذلك قلوبهم وجائز ان يكون لا على حقيقة انزال شيء من مكان الى مكان ولكن انشا في قلوبهم ما يسكن
به قلوبهم كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اي انشا لكم من الانعام ما ذكر وخلقها لهم ليس ان
انزلها عليهم من مكان الى مكان ولكن على الانشاء والخلق فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم السكينة يحتمل اسبابا التي
يسكن قلوبهم وانفسهم والاسباب يختلف ويحتمل شيئا اخر سوى ذلك وهو اللطف الذي جعل لهم فسكن
قلوبهم بذلك اللطف والله اعلم وقوله عز وجل والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها يحتمل هذا وجهين احدهما
الزمهم كلمة بها يتقون النار ثم يحتمل كلمة التقوى كلمة الاخلاص وغيرها ما يتقيهم النار والله اعلم ويحتمل قوله
والزمهم اهلها وكلمة التقوى حتى يصير ظاهرة في الخلق ابدا الى يوم القيمة والله اعلم وقال بعضهم كلمة التقوى
هي بسم الله الرحمن الرحيم وذلك انه لما كتب كتاب الصلح فيما بين اهل مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال ذلك اكتب كذا لا ندري ما الرحمن الرحيم وذلك كلمة التقوى والله اعلم و
الوجه فيه ما ذكرنا وقوله وكانوا احق بها واهلها اي بتلك الكلمة وكانوا اهلا لها وكان الله بكل شيء عليما وقال
بعض اهل التاويل كلمة التقوى هي كلمة الاخلاص وكانوا احق بها واهلها من الامم السالفة واهلها والله اعلم
او كان احق بها في الاهلها في الخلق والقيام بذلك او كانوا احق بها في التزامها في انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق قال اهل التاويل قوله صدق الله رسوله اي احقق الله رسوله الرؤيا التي
اراها اياه بالحق اي بالوفاء لذلك ويحتمل اي بصير النبي صلى الله عليه وسلم صادقا عندهم فيما اخبرهم انه راى وجعله
صادقا في ذلك والاول اشبه وقوله عز وجل لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين هذا يخرج على وجهين احدهما
على الامر ان ادخلوا المسجد الحرام وان كان في الظاهر خبرا كرؤيا ابراهيم عليه السلام حيث قال اني ارى في المنام
اني اذبحك ثم قال الله تعالى جل وعلا افعل ما تؤمر دل على ان ما راى ابراهيم صلوات الله عليه من الرؤيا هو امر بذلك فان
كان التاويل هذا يخرج الثنيا المذكور رخصة على انه كانه يقول ادخلوا المسجد الحرام محلقين ومقصرين ان شاء الله
ان تاسوا في دخولكم واذا لم تاسوا لم يشا ان تدخلوه والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله لتدخلن المسجد الحرام على وعد
فيخرج الثنيا المذكور على وجهين احدهما على التبرك والتيمن كما يتبرك بذكر اسمه في فعل يفعل والله اعلم والثاني
على الامر الكل في نفسه اذا اخبر غيره انه يدخل ان يقول ان شاء الله كما يؤمر بالثنيا من اخبر اخر شيئا انه يفعله كقوله
تعالى عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ويحتمل ان يذكر الثنيا لان الوعد في الظاهر و
ان كان للجملة كقوله لتدخلن فجائز ان يكون المراد منه بعض منهم لا الجملة لاحتمال ان يموت بعض منهم او ان لا
يكون هو معهم اذا والجملة فذكر الثنيا لئلا يكون خلف في الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم واخبار انه حققها يحتمل
ما ذكر من دخول المسجد الحرام على اثره فان كان ذلك فيكون قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام هو تفسير لتلك الرؤيا
وجائز ان يكون الرؤيا في غير ذلك وقوله لتدخلن المسجد الحرام ابتداء وعد وامر من الله تعالى وكذلك ما ذكر قوله
حيث قال وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس يحتمل ما ذكر في هذه الاية لتدخلن المسجد الحرام
الى اخر ما ذكر ويحتمل غير هذا ايضا وقد اخبر انه حققها وصدقها والله اعلم ثم وقوله عز وجل محلقين رؤوسكم
ومقصرين يخبر انهم يدخلون المسجد الحرام محلقين مقصرين ثم يخرج على وجهين احدهما في ابتداء الاحرام يخرج على
التزين ما يتزين المحرم في ابتداء احرامه من نحو الطيب واللباس والحلق والقص ونحو ذلك غير انهم يحلقون
على التزين في المسجد الحرام امنين من الكفار فان كان على ذلك فهو على الثياب والطيب وغير ذلك وذكر ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان معتمرا فسميت تلك عمرة القضاء حيث منع في عام الحديبية وكان معتمرا تلك العمرة وان كان
حاجا فيكون قوله لتدخلن المسجد الحرام بعد رجوعهم من منى الى طواف الزيارة في ذلك الوقت يكونون محلقين
مقصرين والله اعلم فان قيل الحكمة في امره رسوله صلى الله عليه وسلم بالخروج للحج عام الحديبية على ما علم منه
انه لا يقبل الى مكة وانه يحال بينه وبين دخول مكة وقضاء النسك اذ لا يحتمل الى ذلك الا بامر من الله تعالى
ليس هو كغيره من الناس انهم يفعلون افعالا بلا امر ثم يمنعون او ينهون عن ذلك فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا يفعل شيئا الا عن امر منه له بذلك قيل يحتمل انما امر بذلك مع علم بانهم يمنعون عن ذلك تعليما
منه رسوله وامته حكم حكم الاحصار ان من احصر عن الحج ومنع عن دخول مكة القضاء النسك ما الذي يلزمه
وثم يخرج منه والله تعالى ان يعلم خلقه احكام شرعية مرة بامر يامرهم بذلك او يخبر بخبرهم ومرة يفعل النبي صلى الله
عليه وسلم يمتحنهم بما شاء له الحكم والامر في الخلق والله اعلم وقوله عز وجل لا تخافون اي تدخلون مكة امنين لا
تخافون عدوكم ولا منعهم اياكم وقوله عز وجل فعلم ما لم تعلموا هذا يخرج على وجوه احدها اي علم ما وعد لكم من فتح خيبر
وغنائمه ما لم تعلموا ويحتمل اي علم ما ارى رسوله صلى الله عليه وسلم من الرؤيا وتحقيقها ما لم تعلموا ويحتمل اي علم في رجوعكم
عن الحديبية اشياء لم تعلموها انتم من اظهار ما اظهر من النفاق من اهل النفاق منهم واهل الاضطراب من
المحققين والمصدقين وغير ذلك والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فعلم ما لم تعلموا يقول
ان ذلكما لدخول الى سنة ولم تعلموا انتم والله اعلم وقوله عز وجل فجعل من دون ذلك فتحا قريبا قال بعضهم جعل
من قبل ان يدخلوا مكة فتحا قريبا اي عاجلا فتح خيبر والله اعلم وقول اهل التاويل انه اشتد على الناس رجوعهم
من الحديبية وصد المشركين عما قصدوا وبعد ما اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم انه راى في المنام انهم يدخلون
على ما وقع عندهم ان رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام حق كالوحي لكن هذا لا يحتمل من المسلمين انما يحتمل
من المنافقين على ما ذكر انهم قالوا حين يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ان الرؤيا او كلام نحو
فرد هذا يحتمل من المنافقين واما من المسلمين فلا يحتمل ان يقع في قلوبهم شيء من ذلك لما لم يكن في الاية بيان
ولا توقيت انهم متى يدخلون بل فيها الوعد بالدخول ليس فيها انه متى الا ترى ان يوسف عليه السلام راى

رؤيا وخرجت تلك بعد اربعين سنة او اقل او اكثر فعلى ذلك لا يحتمل ان يخفى عليهم اذا لم يكن في الوعد توقيت انه يجوز
ان يتاخر وان يتقدم والله اعلم ثم فيما ذكرنا من امر الحديبية وصد المشركين اياهم عن دخول مكة والحيلولة بينهم وبين
ما قصدوا انه لا يحتمل ان يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقصد الحج وزيارة البيت مع اصحابه بلا امر منه بذلك لما
ذكرنا ثم ان ثبت له الامر بذلك على علم من الله تعالى انه لا يصل الى تحصيل المامور به وما قصد من دخول مكة
زائرين وما يكون من المشركين من المنع لهم والصد عن ذلك وما اراد تحصيل ما امرهم بذلك فهذا دليل على ان الله
تعالى قد يامرهم ويريد غير الذي امر به وانه يريد ما علم انه يكون منهم الذي امر به وهو كما امر ابراهيم عليه الصلوة
والسلام بذبح ولده ثم كان حقيقة المراد بالامر بذبح الولد ذبح الشاة والكبش دل ان الامر بالشيء لا يدل
على انه اراد الذي امره به بل يريد ما علم انه يكون منهم من خلافه وضده والله اعلم عز وجل هو الذي ارسل رسوله
بالهدى اي ارسله بالهدى من كل ضلال وحيرة او ارسله بالبيان من كل عمى وشبهة وهو هذا القران الذي سماه
مرة هدى ورحمة ونورا ونحو ذلك وهو ما وصفه جل وعلا ان من تمسك به يكون ما ذكر هدى من كل ضلالة وحيرة
ونورا من كل ظلمة وبيانا من كل عمى وشبهة ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ودين الحق جائز ان يكون الحق هو
نعت الدين وهو الاسلام وهو دين الحق وسائر الاديان باطلة ويحتمل ان يكون قوله قوله تعالى ودين الحق اي
دين الاله الذي هو الاله الحق المستحق الالوهية وغيره من الاديان دين الشيطان ولا قوة الا بالله وقوله
عز وجل ليظهره على الدين كله الاظهار هو الغلبة ثم يخرج غلبته على الدين كله على وجهين احدهما اي غلب هذا
الدين على الاديان كلها بالحجج والبراهين انه حق وانه من عند الله جاء وقد كان بحمد الله كما ذكر حتى عرف اهل الاديان
كلها بالحجج والبراهين انه حق الا من كابر عقله وعاند الحق وغفل عن دلائله ولا قوة الا بالله والثاني يغلب على
الاديان كلها اي يغلب على اهل الاديان كلهم حتى يصير اهل الاسلام ظاهرين غالبين من بين غيرهم ونوادي
جميع اهل الاديان ويختفوا ولكن ذلك في وقت دون وقت وهو الوقت الذي ذكر بعض اهل التاويل
وهو في وقت خروج عيسى عليه السلام يصير اهل الاديان كلهم اهل دين واحد وهو الاسلام وجائز ان
ليظهره على الدين كله اي يظهر ما يحتاج اهل هذا الدين كله وما يحدث لهم من الحاجة على الاديان كلها بما ضمن
معاني يقع الكفاية بها الحوادث كلها والله اعلم وقوله عز وجل وكفى بالله شهيدا هذا يحتمل وجهين احدهما وكفى بالله شهيدا
بان ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اي بما جاء به من عند الله فان كان التاويل هذا فانما يكون هذه الشهادة
في الاخرة والثاني يحتمل قوله تعالى وكفى بالله شهيدا بما انشا له من الايات والحجج شهادة منه على رسالته ونبوته و ذلك
في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل محمد رسول الله من الناس من احتج على تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام بهذه الاية وبغيرها من الايات يقول لم يذكر محمدا صلى الله عليه وسلم في القران الا وخاطبه
باسم الرسالة والنبوة كقوله يا ايها النبي ويا ايها الرسول وقوله محمد رسول الله ونحو ذلك وسائر الانبياء
عليهم السلام انما خاطبهم باسمائهم التي جعلت لهم خلقت دون اسم الرسالة والنبوة كقوله يا نوح اهبط بسلام
منا ويا لوط ويا موسى ويا هرون ويا هود ويا صالح جميع من ذكرهم سواه انما ذكرهم باسمائهم الموضوعة في
اصل الخلقة ولم يحلوا ولم يسموا باسماء الرسالة والنبوة ولذلك الفضل جعل له من بين غيرهم وكذلك جميع
لتفضيل امته واصحابه على سائر الامم حيث خاطب هذه الامة باحسن الاسماء فقال يا ايها الذين امنوا وقوله يا
ايها المؤمنون وقال في سائر الامم يا بني ادم ونحو ذلك ومما يدل على فضيلتهم وقوله تعالى خير امة الاية اي كنتم
خير امة في الكتب المتقدمة مما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل والذين امنوا معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية
ما وصفهم ونعتهم ورجع الى اصحابه على الاجتماع اي الكل موصوفون بهذه الصفات التي ذكر في الاية وانها كلها
فيهم وهو كقوله تعالى في صفتهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اي اشداء على الكفار رحماء على المؤمنين
وصفهم بذلك جملة فعلى ذلك ههنا ويحتمل ان يكون ذلك وصف بعضهم دون بعض او وصف عامتهم فاما
الكل فلا وذلك نحو ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال لولا قوله تعالى منكم من يريد الدنيا
ما كنا نرى ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا فانما يكون ذلك وصف امثال عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه ثم قد جعل الله تعالى الرحمة والرافة نعتا للمؤمنين يتراحم بعضهم بعضا وكذلك روي في الخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال لا يدخلوا الجنة حتى يتراحموا قالوا كلنا نتراحم ولكن فقال ليس ذلك رحمة انما
الرحمة ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه ولكن او كلام نحوه وروي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمؤمنون كلهم كرجل واحد ان اشتكى عينه تداعى له سائر جسده والحمى وليس فيما وصفهم بالشدة على الكفار
على ان ليس لهم شفقة عليهم فان النبي صلى الله عليه وسلم له شفقة عظيمة عليهم حتى كادت يهلك نفسه لذلك
لذلك قال الله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قال ولعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين فعلى ذلك

اصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم القتال الموضوع فيما بينهم رحمة في الحقيقة وان كان في الظاهر ليس برحمة
لانه وضع ليضطرهم ذلك الى قبول الاسلام والتوحيد وقبولهم ذلك نجاتهم وما وصفهم بالرحمة على المؤمنين
ليس فيه انهم ليسوا باشداء عليهم اذا عاينوا منهم المناكير والفواحش حتى يتركوا التغيير عليهم بل من الشفقة لهم
عليهم ما يغيرون عليهم المنكر اذ في ذلك نجاتهم لا يزيل عنهم الرحمة التي وصفهم بها بل هي ذلك من الشفقة لهم
والرحمة والله اعلم ثم نعتهم وقال تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر
السجود وقوله عز وجل تريهم ركعا سجدا يحتمل وجهين احدهما وصف لهم بالمداومة في اقامة الصلوة بالجماعات
واراد بالركوع والسجود هو الصلوة على طريق الكناية والثاني عبارة عن الخضوع لربهم والتواضع للمؤمنين والله اعلم
وقوله عز وجل يبتغون فضلا من الله ورضوانا يحتمل قوله يبتغون فضلا من الله اي الجنة اي يبتغون بكل ما وصفهم
من الرحمة والشدة والركوع والسجود والجنة والفضل يذكر عبارة عن الجنة في القران في غير موضع وجائز ان يكون
ما ذكر من ابتغائهم الفضل من الله تعالى ما يتعيشون به وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله اي يبتغون ما يتعيشون
وقال بعضهم يبتغون فضلا اي يبتغون معيشة يتقون بها على طاعة الله وقوله عز وجل ورضوانا اي رضاه
وهو بمعنى الفضل ايضا على التكرار للتاكيد كقوله تعالى وابتغوا من فضل الله لكنه اخبر انهم يبتغون ذلك الفضل
والرضوان من الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود اختلف فيه قال الحسن وغيره
اي اثر الخشوع والصلوة في وجوههم وقال بعضهم ان الرجل اذا قام من الليل فاطال القيام والسهر تبين سهر الليل
في وجهه اذا اصبح من الصفرة وتغير اللون وذلك كله في الدنيا وكذلك روي عن الحسن قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله قوما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة وقال قتادة اثر الصلوة في
وجوههم وهو اثر التراب لكن ذلك بعيد وقال سيماهم في وجوههم من اثر السجود يوم القيمة وهو بياض وجوههم من
اثر السجود والوضوء وكذلك روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني اعرف امتي من بين غيرها من
الامم قيل وكيف تعرف يا رسول الله امتك من بين الامم فقال امتي غر محجلون يوم القيمة من اثر السجود ولا يكون
ذلك لاحد الامم غيرهم والله اعلم وجائز ان يكون على غير ذلك يجعل الله تعالى في وجوههم من اثار العبادة له والجهد فيها
من النور والحلاوة والحسن ما يعرفون انهم اهل عبادة الله تعالى وطاعته والله اعلم وقوله عز وجل ذلك مثلهم في
التورات ومثلهم في الانجيل يحتمل وجهين احدهما اي شبههم فما بالكم لا تعظمون انتم هؤلاء ولا تتبعونهم كما
والله اعلم والثاني يحتمل ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل اي ذلك نعتهم ووصفهم في التوراة و
الانجيل اي على ذلك نعتوا ووصفوا في التوراة والانجيل اي على ذلك نعتوا ووصفوا في التوراة والانجيل
وقد عرفتم فهلا اتبعتموهم اذ نعتوا ووصفوا في القران وقال بعضهم قوله ذلك مثلهم في التوراة مقطوع
مقصود وهو ما تقدم من قوله والذين معه اشداء على الكفار الى قوله من اثر السجود ثم ابتداء فقال ومثلهم في الانجيل كزرع
اخرج شطأه الاية وهذا يحتمل وهو وجه حسن وعلى التاويل الاولين ما ذكرنا من وصفهم كانه في التوراة والانجيل جميعا ثم
نعتهم ايضا بقوله تعالى كزرع اخرج شطأه والله اعلم ثم ذكر نعت اصحابه رضي الله عنهم في هذه الاية ولم يذكر نعت رسوله
صلى الله عليه وسلم وانما ذكر نعته في اية اخرى وهو قوله تعالى النبي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية الاية ذكر نعته
وصفته في الاية صلى الله عليه وسلم ونعت اصحابه رضي الله عنهم في هذه السورة والله اعلم ثم وقوله عز وجل
مثلهم في التوريه ومثلهم في الانجيل الاية دلالة الرسالة لانه اخبر ان نعتهم في الكتب المتقدمة كما ذكر في
القران ثم لم يقل احد من اهل الكتب المتقدمة ان ليس ذلك نعتهم او شبههم في تلك الكتب ثبت انه بالله عرف
ولا قوة الا بالله ثم وقوله عز وجل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه الاية شبههم
بالزرع الذي ذكر والله اعلم لانهم لحيوا سنن الدين وشرايعه التي كانت من قبل بعدما درست وانقطع اثرها
لانه لم يكن فيما بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام رسول فقد انقرض ذلك واندرس ثم جاء محمد عليه
افضل الصلوة واكمل التحيات بعد دروس ذلك وانقراضه كالزرع الذي يخرج وحده وهو النبت الواحد في
الاول ما يخرج فاعانه اصحابه وازروه كانوا اليه التي تنبت حول الساق بوازر الحلقة والنبت فاما شطأه
فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم خرج وحده كما خرج اول النبت وحده واما الوالية التي تنبت حول الشطأه
فاجتمعت فهم المؤمنون كانوا في قلة كما كان اول الزرع دقيقا ثم زاد نبت الزرع فغلظ فآزره فاستغلظ
كما ازداد المؤمنون بعضهم ببعض حتى استغلظوا واستووا على امرهم كما استغلظ هذا الزرع فاستووا على سوقه
ثم اختلفوا في الشطاة قال ابو عوسجة هو قصب الزرع اي صار له واشطأ الزرع اي صار له ورق فآزره اي
قواه سوقه جمع ساقه وقال ابو عبيدة شطأ الزرع فراخه وصغاره يقال قد اشطأ اذا افرخ وقال الفراء شطأه
اي سنبله تنبت الحبة عشرا او تسعا او ثمانيا فآزره اي اعانه وقواه قوله فاستغلظ اي غلظ فاستوى على سوقه

جمع ساق ومنه يقال قام كذا على سوقه انما ازداد به تما هي وبلغ الغاية يقول والله اعلم كما ان الزرع اذا قام على
السوق فقد استحكم فهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اي خرج وحده فايده باصحابه فقوي و
اشتد كما قوي الطاقة من الزرع بما نبت منها حتى غلظ وعظمت واستحكمت والله اعلم وقوله عز وجل يعجب
الزراع ليغيظ بهم الكفار قال بعضهم الزراع هو محمد صلى الله عليه وسلم يعجب محمدا ما راى من اصحابه والمؤمنين
ويغيظ الكفار ذلك من الغيظ وهو كقوله تعالى ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة الى قوله تعالى هل يذهبن
كيده ما يغيظ وقال بعضهم الزراع هو صاحب الزرع اذا كثر جوانبه والباته ونبت ليغيظ بهم الكفار اي
يغيظ ذلك سائر الزراع حين حسن زرعه حين استوى قائما على ساقه فكذلك يغيظ الكفار كثرة المؤمنين
واجتماعهم وقال بعضهم هم الزراع سمى الكفار لانهم يكفرون اي يسترون البذر في الارض والله اعلم وقوله
عز وجل وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات من بين غيرهم من الناس مغفرة واجرا عظيما والله اعلم وفيه
نقض قول الباطنية والروافض لعنهم الله لقولهم انهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا
وارتدوا عن الاسلام جميعا او كلام نحوه وفي الاية رد لقولهم لانه وعد لهم المغفرة وما ذكر من الاجر العظيم
فلا يحتمل ان يكونوا على ما ذكروا ولئن ثم يكون لهم المغفرة وما ذكر من الاجر العظيم فدل ما ذكر من الوعد لهم
بالمغفرة والاجر العظيم انهم ثبتوا على ما كانوا من قبل في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حيوته
والله اعلم وقوله والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله وصحبه الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال بعضهم ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما اختلفا في شيء
بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت اصواتهما فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
الى اخر ما ذكر من قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وذكر عن الحسن في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
اي لا تذبحوا قبل ذبح النبي يوم النحر وذلك ان ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلوة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر
وقال قتادة ذكر لنا ان رجالا كانوا يقولون لو انزل كذا وكذا او صنع كذا وكذا فنزلت هذه الاية وامرهم ان لا
يسبقوا نبيه صلى الله عليه وسلم بقول ولا عمل حتى يبين الله تعالى بيانه وامثال ذلك قد قالوا والله اعلم والاصل ذلك
عندنا من قوله يا ايها الذين امنوا الاية اي يا ايها الذين امنوا اعلموا ان الله الخلق والامر لا تقدموا امرا ولا قولا
ولا فعلا ولا حكما ولا نهيا سوى ما امر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم وغيره ما نهى عنه بل اتبعوا امره
ونهيه وراقبوه على ما انتم به واقروهم بانه له الخلق والامر فاحفظوا امره ونهيه ولا تتجاوزوه ولا رسوله في
شيء من الامر والنهي فهذا يدخل فيه كل شيء امر من القول والفعل والقضاء والحكم والذبح وغير ذلك على ما
ذكرنا من ايمانهم بان له الخلق والامر في الخلق اذ مثل هذا الخطاب لو كان واحدا خاصا لكان حكمه يلزم الكل و
كذلك لو كان في امر واحد وفعل واحد كان يدخل في ذلك جميع الاشياء فكيف والخطاب في ذلك عام مطلق فهو
للكل وفي كل الاشياء والله الموفق وعلى ذلك ما روي عن مسروق انه دخل على عائشة رضي الله عنها فامرت
الجارية ان تسقيه فقال اني صائم وهو اليوم الذي يشك فيه فقالت له قد نهي عن هذا وتلت قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله في صيام ولا غيره اعتبرت عائشة رضي الله عنها عموم
الاية في النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم في قول او فعل وكذلك روي عن ابي
عبيدة معمر بن المثنى قال في قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تعجلوا بالامر والنهي دونه وقوله عز وجل واتقوا
الله ان الله سميع عليم اي اتقوا مخالفة امر الله ونهيه قولا وفعلا واتقوا مخالفة رسوله فيما يامركم بامر الله ونهيه و
في كل ما دعاكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم واعمالكم ولا حول الا بالله ثم لم يفهموا مما ذكر في قوله بين يدي
الله ورسوله الجوارح ولا العدد في اليد كما فهموا من ذلك في الخلق فما لهم يفهمون ذلك من قوله خلقت بيدي
اي خلقته على علم مني بما يكون منه خلافا ومعصية لم اخلقه عن جهل بما يكون منه وهو ما ذكر في قوله تعالى
والله بما تعملون بصير وخبير اي عن علم باحوالهم وما يكون منهم انشاءهم لا عن جهل بذلك فعلى ذلك هذا كما فهموا
من قوله لا تقدموا بين يدي الله امر الله ونهيه دون الجوارح والعدد والله الموفق وقوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم الى قوله لبعض قال بعضهم ان الاية نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما اختلفا في شيء
بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت اصواتهما وقال بعضهم انها نزلت في قوم كانوا اذا سالوا النبي صلى الله عليه
وسلم عن شيء نادوه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم وعندنا لا يحتمل ان يكون ما ذكر من رفع الصوت فوق
صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهر بالقول له وما ذكر من التقديم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الامر والنهي ان يكون الخطاب لهؤلاء الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا امره ونهيه اذ لا يحتمل منهم ان يرفعوا اصواتهم فوق صوته ويجهروا له بالقول او تقدموا بين يديه في امر ولا نهي الا عن سهو وغفلة او اذن منه في المناظرة والمحاورة في العلم فعند ذلك يرفع اصواتهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اجل في قلوبهم واعظم قدرا من ان يتجاسروا التقدم بين يديه بامر او قول او رفع صوت او جهر القول لم يكون الاية في اهل الشرك في اهل النفاق والله اعلم ثم ان كان الخطاب بذلك للذين امنوا فهو على وجهين احدهما ان ذلك منه ابتداء محنة امتحنهم بذلك وامرهم به من غير ان كان منهم شيء من ذلك من التقدم بين يديه ورفع الصوت والجهر له بالقول ولله تعالى ان يمتحن ويامر وينهى من يشاء بما يشاء ابتداء امتحان منه لهم وهو ما ذكرنا من نهي الرسل عليهم الصلوة والسلام عن الشرك والمعاصي وان كانوا معصومين عن ذلك لان العصمة لا يمنع النهي لان العصمة انما يكون عصمة اذا كان هناك امر ونهي فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من النهي عن التقدم والرفع بالصوت والجهر بالقول وان لم يكن منهم شيء مما ذكر ابتداء محنة منه لهم والله اعلم ويحتمل انه خاطب هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم بذلك ليتعظ بذلك من يشهد مجلسه من المنافقين وغيرهم من الكافرين اذ كان يشهد مجلسه اهل النفاق وسائر الكفرة لئلا يعاملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معاملة بعضهم بعضا والله اعلم وقوله عز وجل ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ذكر هذا ليكونوا ابدا متيقظين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرين معظمين له في كل وقت لئلا يكون منهم في وقت من الاوقات ما يخرج مجرى الاستخفاف به والتهاون على السهو والغفلة فتحبط ذلك اعمالهم ان هذا الصنيع برسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر صاحبه ولا يكون معذورا في فعله على السهو والغفلة لانه قدر على الاحتراز وامكن التحذر وان كانوا معذورين فيما بينهم على غير التعمد والقصد ولا مواخذة لهم رفع الله تعالى المواخذة عنهم فيما بينهم ولم يرفع في حق النبي عليه افضل الصلوة واكمل التحيات مع ان الكل في حد جواز المواخذة والله اعلم وذكر الكرابيسي فقال ومن حكمة الاية عند قوم حبوط الاعمال بالكبائر على ما روي عن الحسن قال ما يشعر هؤلاء الناس ان عملا يحبط اعمالا والله يقول يا ايها الذين امنوا الاية وقيل لما دعت الاية تنادي بشوم تلك المعصية الى ان يهون عليه ارتكاب الكبيرة ثم يستحقرها حتى يخف عليه الكفر فيكون فيصير المعصية الاولى وان قلت سببا لحبوط ثواب اعماله فان اساس كل خطر حقير ونحن نقول ان المعصية لا تحبط الطاعة ولكن هو استخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك وقوله عز وجل ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى دلت هذه الاية ان الايتين اللتين تقدم ذكرهما من قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقوله عز وجل ولا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وقوله تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض في اهل النفاق فاما اصحابه الذين صحبوه وامنوا به عرفوا انه رسول رب العالمين فلا يحتمل ان يكون منهم ما ذكر رفع الصوت عنده وجهر القول به والنداء له باسمه من بعد انما ذلك يفعل من ذكرنا من اهل النفاق والشرك فاما الذين امنوا به وصدقوه وعرفوا انه رسول فلا يحتمل منهم سوى التعظيم له والتوقير والتشريف لما عرفوا ان نجاتهم وشرفهم وعزهم في الدنيا والاخرة بتعظيمه وتوقيره فكيف يحتمل منهم ذلك بل كانوا لا يتجاسرون التكلم بين يديه فضلا من ان ترفعوا اصواتهم او تقدموا بين يدي او النداء من بعد والله الموفق وقوله عز وجل اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى هذا وصف المؤمنين انه امتحن قلوبهم للتقوى فوجدها صافية خالصة بذلك والامتحان ها هنا هو التصفية والاخلاص يقال امتحن الذهب اذا اخلص وصفي الصافي منه والخالص من غيره وقوله عز وجل لهم مغفرة واجر عظيم ظاهر وقوله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون هذا وصف من ذكرنا من اهل الشرك والنفاق وقال بعضهم ان نفرا من الاعراب جاؤا وقالوا انطلق الى هذا الرجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فان يكن رسولا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعيش في جناحه فاتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات يا محمد فنزلت هذه الاية وقال بعضهم كان النبي صلى الله عليه وسلم سبا ذراري بني تميم ونساءهم فاتوا يطلبون منه تخلية سبي اولئك واعتاقهم وردهم اليهم فنادوه من وراء الحجرات فاعتق بعضهم وفدى بعضا فنزلت الاية وقوله اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم ذلك اعظم لقدره واجل لمنزلته واعز لحقه واحفظ لحرمته ثم قوله اكثرهم لا يعقلون يحتمل وجوها احدها لا يعرفون قدره ومنزلته وان كان قليل منهم يعرفون ذلك وهم المؤمنون والثاني اكثرهم لا ينتفعون بما يعقلون والثالث اكثرهم لا يعقلون انه رسول وهم الاتباع والسفلة من الكفرة وانما يعرف القليل منهم وهم الرؤساء المعاندون وفي هذه الاية وفي قوله تعالى ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون دلالة ان قد يلحق المرء حكم الكفر ويحبط العمل اذا خرج مخرج الاستخفاف وان لم يعلم به ولم يقصد والله اعلم وقوله يا ايها الذين

امنوا

امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا اجمع اهل التاويل وعامتهم على ان الاية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق والى قوم سواهم لجباية الصدقات وكان بينه وبين اولئك القوم عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه فخافهم لذلك فرجع فقال ان القوم قد منعوا الصدقات فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم بعد ذلك خالد بن الوليد لجباية الصدقات فوجدهم يصلون ويعملون الطاعات واجتمعوا وجمعوا له الصدقات وجبوها وسلموها اليه فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا لكن ان كان ما ذكروا فلم يكن في ذلك النبإ التثبت لان الاية نزلت بعد نبإ الرجل وفي الاية الامر بالتثبت في نبإ الفاسق فيما يحدث من الامور من بعد فدل ان الاية نزلت لبيان الحكم في نبإ الفاسق ابتداء والله اعلم ولانه يحتمل ان يكون ذلك الرجل منافقا ولم يامر الله تعالى بالتثبت في خبر المنافق ولم يشرع ذلك لان النفاق يكون في الضمير فلا يظهر ذلك فاما الفسق فانه يظهر فامرنا بالتثبت فيه فدل ان الاية لم تنزل في ذلك الرجل اذ لا يحتمل خبر المنافق ان يرد على مثل ما ذكر منه دل ان ما قاله اهل التاويل فيه وهم ثم في الاية دلالة قبول خبر الواحد اذا كان عدلا لانه لو لم يقبل خبره اذا كان عدلا لم يكن لذكر الفسق فائدة سوى الشتم والشتم سفه فلا يجوز ان يوصف الله تعالى به فدل ذكر الفسق على ان هذا الحكم وهو رد الشهادة مختص باسم الفسق وان العدل لا تشاركه فيه حتى ذكر الفسق سفها لما تعلق به بيان حكم شرعي يختص بالفاسق ولا يعرف ذلك دون ذكره فاما متى كان الحكم اما في الفاسق والعدل جميعا لا تفترق فكان ذكر الفاسق يبقى شتمه وانه لا يليق بالحكمة فدل لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ان تصيبوا قوما بجهالة ان تصيبوا قوما بجهالة في الظاهر بسبب تهمة الفسق فاما في الحقيقة فانه يجوز ان تصيب ذلك بخبر الواحد لكن الاحكام وقبول الاخبار فيما بين الخلق لم يوضع على الحقائق وانما وضعت على الظواهر وكذلك قبول الشهادات والحكم بها وجميع الشرائع التي جعلت في الناس انما هو على الظواهر من الاحوال والامور لا على الاصابة حقيقة ذلك فلا اذ قد يجوز ان الحكم الحاكم ويقضي بقتل انسان ويقطع يده بشهود عنده لما ظهرت عنده عدالتهم ولم يكن في الحقيقة كذلك وعلى ذلك قول يعقوب عليه السلام لبنيه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل لم يامن عليهم بما ظهر له منهم زلة وجناية حين طلبوا منه ارساله ولده يوسف عليه السلام في المرعى بل قال هنالك اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب انما اعتل عليهم واحتج باكل الذئب ولم يتهمهم فيه بما لم يكن ظهر له منهم زلة وجناية فلما ظهر ذلك منهم اتهمهم واخبر انه لا يامن عليهم بما ظهر له من ذلتهم فدل ان التهمة سبب الرد وانه يجب التثبت بدفع الجهالة من حيث الظاهر لا الحقيقة والله اعلم وقوله عز وجل فتصبحوا على ما فعلتم نادمين بما فعلوا على خلاف ما كان في الظاهر ويندمون ما تركوا التثبت في الخبر وقوله عز وجل واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم اي لاثمتم من الناس من احتج بهذه الاية على ان الاجتماع ليس بحجة وقالوا لو كان لاجماعهم لكان لا ياثمون لو اطاعهم في كثير من الامر لان الحق والصواب مما لا يوجب الاثم لصاحبه بمن تبعه في ذلك الصواب والحق اذ كان لا يوجب الثواب دل انه ليس بحجة يجب اتباعه ولكن هذا فاسد لان الحجج والبراهين لم تكن انتهت يومئذ غايتها دلالات على نهايتها فالاجماع الذي هو اجماع حجة عندنا ويجب اتباعه والانقياد له هو اجماع من استوعب الحجج والبراهين واتى على تمامها او على الجميع وكان الوقت وقت نزول الوحي وانما استقر الاحكام بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انقطع الوحي فيستدل على الاستيعاب بالحجج ونزول جميع ما يحتاج الناس اليه من حيث الابتداء في النصوص فمتى اجتمعوا على ذلك يكون حجة ولانه لا اجتماع يتحقق دون راي رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا وجد رايه استغني عن راي الغير لما كان ينطق عن الوحي فاذا لم يكن وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان انعقاد الاجماع حجة فبطل استدلالهم بالاية ثم وقوله عز وجل واعلموا ان فيكم رسول الله ارسل اليكم ليزيل عنكم اشكالكم وشبهاتكم فلا عذر لكم في الكفر واعتراض الشبه لكم لما تقدرون ان تسالوه ما اشكل عليكم واشتبه فيخبركم بذلك فيزيل الشبه عنكم والثاني يحتمل واعلموا ان فيكم رسول الله تعالى اياه على ما تضمرون في انفسكم وما تولدون من الاخبار التي لا اصل لها ولولا انه ما لو اظهر ذلك لافتضحتم وهو صلة ما ذكر من قوله ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا والله اعلم ويحتمل اي فيكم رسول الله تسالونه ما اشكل عليكم فيخبركم بالحق والامر على حقيقته كي لا تصيبوا قوما بجهالة والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله واعلموا ان فيكم رسول الله اي فيكم رسول الله فاليه الراي والتدبير في الامور ومن رايه وتدبيره يجب ان يصدر لا عن راي انفسكم وتدبيركم وعلى ذلك يخرج قوله وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله

وفيكم رسوله على الوجوه التي ذكرنا والله اعلم ثم وقوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم اي لو يطيعكم فيما
تدعوا اليه انفسكم من التمويهات والشبهات وهواها او يقول لو يطيعكم في السداد وعن الايكم وتدبيركم
في الامور لعنتم ثم قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
هذا في الظاهر كناية غير موصوله بقوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لانه لا يليق ذلك الا على الاضمار
كانه يقول لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم وان الله قد ارسله اليكم رسولا وحبب اليكم الايمان به وزينه
في قلوبكم حتى صار هو في قلوبكم احب من انفسكم ومن كل شيء فالواجب عليكم ان تصرفوا الامر الى رايه
وتدبيره وتصدروا عن رايه ولا تعتمدوا على راي انفسكم وتدبيركم والله اعلم ويحتمل اي لا تدعوه الى ان
يطيعكم فيما تهوى به انفسكم فانتبهت بعد ما حبب الايمان به اليكم وزينه في قلوبكم وكره اليكم وما ذكر
والله اعلم بحقيقة جهة وصل هذا بالاول ثم يحتمل وجهين ايضا احدهما لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
والله تعالى الزمكم طاعته في كل امر فاطيعوه ولا تطلبوا منه طاعته اياكم في الامور ولكن اطيعوا انتم في
الامور كلها وقد حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والخروج عن امره
والعصيان والثاني يشبه ان يكون موصولا بقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان ثم قال الله عز وجل اولئك هم الراشدون كانه يقول اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى وحبب اليهم وزينه في قلوبهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان اولئك
هم الراشدون اخبر وشهد لهم بالرشاد واخبر ان ذلك فضل منه اليهم ونعمة لا بشيء كان منهم
استوجبوا بذلك فذلك قوله فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ثم قالت المعتزلة في قوله تعالى
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر وما ذكر يقولون لم يحبب الايمان الى هؤلاء الا وقد
حببه الى جميع الكفار وكذلك لم يكره الكفر على هؤلاء الا وقد كرهه الى جميع الناس لكن المراد هو
تخصيص هؤلاء بما ذكر من التحبيب اليهم الايمان وتكريه الكفر هو اختصاصهم بما وعد من الثواب والجزاء
والجزيل على الايمان والمواعيد الشديدة تحبيبه وزينه في قلوبهم بما وعد لهم من الثواب وكره الكفر
والعصيان اليهم بما اوعد على ذلك من العذاب العظيم لكن هذا فاسد لانه ليس مؤمن به صار حب الايمان
في قلبه لما ذكروا من الثواب والجزاء ولا كافر اسلم حين اسلم بخطر ثواب الايمان في قلبه حتى يكون
اسلامه لذلك بل كان في قلبه بغض الايمان قبل الاسلام فاذا اسلم وجد حبه في قلبه وكراهة الكفر
ليعلم ان ذلك يكون بلطف من الله تعالى كان عنده فاذا الطاعة صار ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما قال بعضهم كان بين رجلين مدارة اي منازعة في
شيء فغضب قوم كل رجل حتى كان بينهم حقق بالنعال والايدي فنزلت الاية وقال بعضهم كان بين الاوس
والخزرج قتال بالعصي فنزلت هذه الاية بالامر بالصلح بينهم وقال بعضهم قتال لهم بالعصي والتناصي
ونحوها وقال الحسن ان قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والايدي فانزل الله
تعالى هذه الاية في ذلك وقال قتاده وكان بين رجلين حق فتدارا فيه فقال احدهما لاخذنه عنوة
لكثرة عشيرته وقال الاخر بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعا حتى كان بينهما ضرب
بالنعال والايدي وجايز ان تكون الاية فيما كان بين علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وبين الحرورية
واهل نهروان ذكر ان عليا رضي الله عنه لما قتلهم قال الناس هم مشركون فقال عليه السلام من
الشرك قد فروا فقالوا فمنافقون قال علي رضي الله عنه ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا
قالوا فما هم قال هم باس بغوا علينا فقاتلوا فقاتلناهم ويحتمل انه كان فيما كان بين علي رضي الله عنه ومعاوية
يوم الجمل ويوم صفين ذكر عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عليا رضي الله عنه سمع رجلا يقول يوم الجمل هم كفروا
فقال لا تقل ذلك ولكن هؤلاء قوم بغوا علينا وزعموا انا بغينا عليهم فقاتلناهم على ذلك لكن في الاية الامر
بالصلح اذا كان بينهم اعني المؤمنين اقتتال باي شيء كان بقوله تعالى فاصلحوا بينهما وكذلك امر في غيراي بالصلح
والاصلاح قال تعالى واصلحوا ذات بينكم اي بين المؤمنين وهذه الاية حجة على المعتزلة والخوارج فانه
ابقى انهم الايمان بعد ما كان منهم الاقتتال والبغي والقتال والبغي مع اهل الاسلام من الكباير دله
ان الكبيرة لا تخرج على الايمان ولا يوجب الكفر والله الموفق وقوله عز وجل فان بغت احداهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان ظلمت احدى الطائفتين وطلبت غير الحق فقاتلوا التي تبغي اي تظلم و
تجور حتى تفيء الى امر الله حتى ترجع الى امر الله والى الحق امر بمعونة الطائفة التي لم تبغ والانتصار لها من الباغية

الباغية وهو ما ذكر في اية اخرى ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله وعد عز وجل النصر لهم
فيحتمل ان يكون ذلك النصر الموعود في الدنيا ويحتمل في الاخرة وفي الاية الامر بقتال اهل البغي من غير قيد بين السيف
وغيره بقوله فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي لكن متى امكن دفع البغي وكسر منعتهم بغير السلاح
هو الحق وهو الواجب لكن اذا لم ينقلعوا عن البغي الا بالقتال مع السيف فلا باس به فان عليا رضي الله عنه قاتل
الفئة الباغية بالسيف ومعه كبراء الصحابة رضي الله عنهم واهل البدر وكان هو محقا في قتاله اياهم دل انه لا
باس بقتالهم بالسيف وبعضهم قالوا ان قتال البغاة لا يجوز بالسيف وقالوا ان سبب نزول الاية في القتال
بالعصي والنعال ولكن لا حجة لهم فيها لان القتال بين الفئتين وان كانوا بالنعال والعصي ولكن لم يصيروا بغاة
في تلك الحال وهو القتال الذي امر الله تعالى فيه ان تصلح بينهم وانما يصيروا بغاة بان لم يجيبوا الى الصلح ولم
يقبل احد من الطائفتين الصلح وحينئذ امر بالقتال معهم مطلقا من غير قيد والله اعلم وقوله عز وجل فان فاءت
فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ذكر انها وان فاءت ورجعت الى ما امر الله تعالى به لا يتركوها كذلك بغير صلح
ولكن اصلحوا بينهما والفوا حتى تتالفوا لان اهل الاسلام ندبوا الى التالف بينهم والجمع وشرط فيه الصلح
بالعدل فهو والله اعلم بقول انكم وان رايتم صلاحهم في الصلح فلا يحملنكم ذلك على الصلح الذي ليس فيه عدل
ولكن اصلحوا بينهم بالعدل ولا تجاوزوا الحد الذي واكد ذلك قوله واقسطوا اي اعدلوا في الصلح ان الله
يحب المقسطين اي العادلين وقوله عز وجل انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم امر الله عز وجل بالاصلاح
ذات البين بين المؤمنين بقوله فاصلحوا ذات بينكم وبالصلاح بين الطائفتين من المؤمنين اذا اقتتلوا وتنازعوا
بقوله وان طائفتان من المؤمنين اذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما وامر بالاصلاح بين الاحاد والافراد بقوله واصلحوا بين اخويكم لان الايمان يوجب التالف والتالف
ندبوا اليه ودعوا به من الله تعالى علينا حيث قال لما الفة بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال في اية اخرى ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم واصبحتم بنعمته اخوانا امرنا بالتاليف والاجتماع ونهاهم عن
التفرق والاختلاف وامر المؤمنين جملة ان يصلحوا ذات بينهم اذا وقع بينهم تنازع واختلاف واقتتال على ما ذكر
والله اعلم ثم من الناس من استدل بقوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم على ان اسم الطايفة يقع على الواحد فصاعدا
فقال انه ذكر في اول الاية وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما قال في اخره فاصلحوا بين اخويكم فدل
ان اسم الطائفة يقع على الواحد فصاعدا فقال فيستدل بهذا على ان في قوله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة ليتفقهوا في الدين يراد بها الواحد فيدل على لزوم خبر الواحد العدل لكن عندنا ما ذكرنا انه امر باصلاح
ذات البين بين جملتهم وامر بالصلاح بين فريقين وامر بذلك بين الاحاد والافراد وليس في قوله فاصلحوا بين اخويكم
دلالة انه اراد به الاخوين او ذكر بين اخويكم واراد به الاثنين الذين كان الاقتتال بينهما وفيهما هاج القتال بينهم
فاما ان يكون اسم الطائفة يقع على الواحد فلا بل هو في اللغة وعرف اللسان على الجماعة والله اعلم وقوله واتقوا
الله لعلكم ترحمون اي اتقوا مخالفة امر الله لكي يقع بكم الرحمة او لكي يلزمكم الرحمة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا يسخر قوم من قوم ظاهر الاية نهي الجماعة عن سخرية جماعة لان السخرية انما يقع ويكون في الاغلب بين قوم وقوم
وقل ما يقع بين الافراد والاحاد فعلى ذلك التخرج النهي ولكي يكون ذلك النهي الجماعة والافراد والاحاد جميعا
والله اعلم ثم يحتمل السخرية المذكورة في الاية على وجهين احدهما في الافعال بقول الا يسخر قوم من قوم في الاعمال
عسى ان يكونوا خيرا منهم في النية في تلك الافعال او خيرا منهم اي افعالهم اخلص عند الله من افعال اولئك واقرب
الى القبول والثاني سخرية في الخلقة وذلك راجع الى منشئها لا اليهم وهم قد رضوا بالخلقة التي انشؤا عليها وعسى
ان يكونوا لهم على تلك الخلقة عندهم خيرا منهم ثم وقوله عز وجل عسى ان يكونوا خيرا منهم يحتمل وجهين احدهما عسى
ان يصيروا من بعد منهم خيرا في تلك الاحوال والافعال التي هم عليها اليوم والثاني عسى ان يكونوا هم عند الله
خيرا منهم في الحال كقوله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقيكم اخبر ان الاكرم منهم عند الله تعالى هو اتقاهم لا ما
افتخروا وباهوا اسباب الفخار عندهم الله اعلم وقوله عز وجل ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ذكر سخرية
النساء من نساء لان النساء ليس لهن اختلاط مع الرجال حتى يكون السخرية بينهم وانما الاختلاط في الغالب بين الجنس
يكون فعلى ذلك التخرج النهي بالسخرية والله اعلم ويحتمل انه خص هؤلاء بهؤلاء كما خص القصاص في قوله كتب عليكم
القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد الاية ثم جمع بين الاحرار والعبيد والذكور والاناث بالمعنى الذي جمعهم
فيه وهو ما ذكر ولكم في القصاص حيوة ابان عن المعنى الذي به وجب القصاص فيما بينهم فاشتركوا جميعا في ذلك
الاحرار والعبيد والذكور والاناث فعلى ذلك المعنى الذي به نهاهم عن السخرية وهو ما ذكر عسى ان يكونوا خيرا
منهم فذلك المعنى يجمع سخرية الرجال من النساء وسخرية النساء من الرجال والله اعلم وقوله عز وجل ولا تلمزوا

انفسكم اى اللمز هو الطعن ثم منهم من يقول هو الطعن باللسان وهم يقول باللسان والشفة ومنهم من
يقول بالعين وحاصله هو الطعن فيه وقال القتبى اللمز هو العيب اى لا تعيبوا وقال ابو عوسجة هو شبه
العيب ثم وقوله عز وجل انفسكم يحتمل وجهين احدهما لا تلمزوا انفسكم اى يذكروا مساوى انفسكم عند الناس
وفيه الامر بالستر على انفسهم وان لا تهلكوا ستورهم والله اعلم وقوله عز وجل ولا تنابزوا بالالقاب اى لا تدعوا
بالالقاب والنبز اللقب يقال نبزت فلانا اى لقبته وفى الحديث قوم نبزهم الرافضة اى لقبهم ولو قال
لا تتنابزوا لكان كافيا لكنه قال ولا تظهروا القابهم فيسوؤهم ما اظهرتم من اللقب والله اعلم ثم قال
بعض اهل التاويل انما نهوا عن ذلك لانهم يسمونهم بعد اسلامهم بالافعال التى كانوا يفعلون فى حال الجاهلية
من الكفر والفسوق ويلقبونهم بذلك ويقولون يا كافر يا فاسق ونحو ذلك ودل على ذلك قوله تعالى بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان وجائز ان يلقبوا بذلك وبغيره من الالقاب فنهوا عن ان يسمونهم بغير اسمائهم التى كانت
لهم وان يعرفوا باسمائهم التى لهم ونهوا عن التعريف بالالقاب وتغير الاسباب والاسماء التى لهم اذا كان
التعريف بذلك يسوؤهم ويغيظهم والله اعلم ثم قال الله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون اى واضعون
الشىء فى غير موضعه والله اعلم ثم وقوله عز وجل بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا اى
بئس التسمية الى الفسق التى كانت والتسمية بها بعد الايمان الى الاسم والفعل الذى كان له ومنه قبل الايمان
كانه قال لا تسمونهم بتلك بعد الايمان والله اعلم والثانى بئس الاسم الفسق بعد الايمان اى تبين ما اختاروا
من اسم الفسق بعد ما كان اختيارا اسم الايمان وفعله فهذا يرجع الى اختيار الفسق بعد الايمان والله اعلم وقوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اى بعض الظن اسم ههنا اسماء ثلثة يجب ان يتعرف ما
تحتها وما قدرها وكيف اسبابها احدها الظن الثانى الشك والثالث العلم واليقين اما الظن فكانه هو الذى له
ظاهر الاسباب التى لها خوف الزوال والانتقال والشك هو الذى نقد ظاهر اسبابه اوله استواء الاسباب ومقابلة
بعضها بعضا فهو المتردد بين الحالين لا يقر قلبه على شىء واليقين هو الذى الاسباب الظاهرة التى ليس لها خوف الزوال
والانتقال والله اعلم ثم وقوله عز وجل اجتنبوا كثيرا من الظن كانه نهى اى يحقق والعمل فى صاحبه بسوء على ظاهر
الاسباب التى هى على شرف الزوال وطرف الانتقال يجوز ان يكون غير متحققه فى الاصل او زايله والله اعلم ثم فى الاية
دليل على انه ليس كل ظن يجتنب عنه ولا كل الظن يكون اثما لانه استثنى منه بعضه بقوله بعض الظن اثم جائز ان يكون
ما استثنى من الظن ولا يامن بالاجتناب عنه هو ما يغلب عليه الاسباب وغالب الاسباب ربما يعمل عمل العلم
واليقين نحو المكره على شىء يرخص له او يباح العمل اذا راى من ظاهر حال المكره انه فاعل به ما اوعده وان كان يجوز
ان لا يفعل به او لا يقدر على ما اوعد وعلى ذلك موضوع عامة الاحكام والشرايع بين الخلق انها على غالب الظن و
ضعة ليس على التحقيق والله اعلم ويحتمل ان يرجع ما استثنى من الظن القليل الذى لا اثم فيه الى الظن الحسن اى يجوز
ان يظن بالانسان الظن الحسن ولا اثم فيه انما الامر بالاجتناب الى الظن بالسوء على تحقق اسبابه او غير تحقق
عين ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولا تجسسوا التجسس هو تكلف طلب المساوى فى الناس من غير ان يظهر منهم
من اسبابها شىء فنهى عن تكلف طلب وذلك او من الاظهار وامر بالستر ومثل ذلك روى فى الاخبار عن النبى
صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قيل له هل لك فى فلان يقطر لحيته خمرا فقال عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه ان يظهر لنا شىء ناخذه والا فان الله تعالى قد نهانا عن التجسس والله اعلم وفرق بعضهم
بين التجسس والتحسس فقال بالجيم فى الشرور والمساوى وبالحاء فى الخير وفيما يباح طلبه والله اعلم وقوله عز وجل
ولا يغتب بعضكم بعضا الغيبة يرجع الى وجهين احدهما ان يذكر ما فيه من مساوى الافعال التى استتر كها عن
اعين الناس مما يكره اظهار ذلك عنه والثانى يذكر ما فيه من قبح الاحوال ولا يخلقه التى لا يكاد يذكر ذلك منه
او يظهر وعلى ذلك روى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يذكر الرجل اخاه بما فيه مما يكره فقيل انما كنا
نذكره بالشىء الذى فيه لا بما ليس فيه فقال ذلك البهتان وقوله عز وجل ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
فكرهتموه اى لا يحب احدكم ان ياكل لحم اخيه بعد موته فكانه يقول فانا لم يحب هذا وكرهه بل يستقذره كل استقذار
فالغيبة هى تناول من اخيك وهو حى فهو فى القبح يبلغ التناول منه بعد موته فانه كان لا احد يتناول من لحم اخيه
بعد موته لا فى حال اختيار ولا فى حال اضطراره فلا تغتابوا ولا تذكروا منه ما فيه فانه فى القبح ذلك وقوله عز
وجل واتقوا الله ان الله تواب رحيم اتقوا الله عما نهاكم عنه ان الله تواب لمن تاب اى قابل توبته رحيم اى يرحم
عليه ويعفو عنه اذا تاب والله الموفق وقوله عز وجل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يخرج تاويل الاية
على وجهين احدهما انا خلقناكم جميعا من اصل واحد وهو ادم وحوا عليهما السلام فيكونون جميعا اخوة واخوات وليس
لبعض الاخوة والاخوات الافتخار والفضيلة على بعض بالاباء والقبائل التى جعلت لهم انما القبائل وما ذكر للتعارف

والفضيلة

والفضيلة والكرامة فيما ذكر ان اكرمكم عند الله اتقاكم اعلم انه لا شك فى ذلك فضيلة وافتخارا فالكل فى النسبة اليهم
على السواء فلا معنى لانفراد البعض بالافتخار والثانى يحتمل انما خلقنا كل واحد منكم من الملوك والاتباع والحر
والعبد فالذكر والانثى من ماء الذكر والانثى فليس لاحد على احد من تلك الجنة التى يفتخرون بها الافتخار و
الفضيلة اذ كانوا جميعا من نطفة مذرة منتنة يستقذرها الطباع ذكر هذا ليتركوا التفاخر والتطاول والله
اعلم وقوله عز وجل وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا اختلف فى تاويل قوله شعوبا وقبائل قال بعضهم الشعوب
اكبر من القبائل فالشعوب هم الاصول والقبائل هى الافخاذ منهم فالشعوب للعرب والامم والقرون العجم وقال
بعضهم الشعوب العجم والقبائل العرب قال ابو عوسجة الشعوب الضروب هى القبائل والواحد شعب والشعب ع
الاجتماع يقال شعبت الاناء اذا انكسر جمعته واصلحته وسمى لمن يصلح الاناء شعابا والشعب التفريق ايضا والشعوب
المنية ونحو ذلك ثم وقوله عز وجل لتعارفوا اى جعل فيكم هذه القبائل ليعرف بعضكم بعضا بالنسبة الى القبائل
والاتحاد فيقال فلان التميمى والهاشمى اذ كل احد لا يعرف باسمه وحده ثم قال عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم
بين الله تعالى انه بكون الفضيلة والكرامة وهو التقوى لا بما يفتخرون به ويفتخرون بذلك وهو النسبة الى الاباء والقبائل
بل ذلك لما ذكرنا للتعارف وهذا لان التقوى فعله وهو اتيان الطاعات والاجتناب عن المعاصى وذلك مما
ياتيه تعظيما لامر الله تعالى ونهيه فجاز ان ينال به الفضيلة والكرامة بفضل الله وكرمه بناء على فعله فاما ما
لا فعل له فى التولد من اباء كرام فلا يستحق الفضل بذلك لو كان افتخارا بما يكون لاباء بما باشروا بهم اسباب حصول
الاولاد ليوحدوا الله تعالى ويتمسكوا بطاعته والله اعلم وقوله عز وجل ان الله عليم خبير على الوعيد وقوله عز وجل قالت
الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا هذه الاية وان خرجت على مخرج العموم ولكن اراد بها الخاص وهو بعض
الاعراب اذ فى الاجراء على العموم يؤدى الى الكذب فى خبر الله تعالى عن ذلك اذ كل الاعراب قالوا ذلك وكل الاعراب يجب
ان يقال لهم لم تؤمنوا ولكن فقال لهم قولوا اسلمنا فهو يرجع الى الخاص من الاعراب فكانه يرجع الى اهل النفاق منهم
فانهم اخبروا انهم امنوا ولما امنوا اطلع الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم انهم لم يؤمنوا ولكنهم استسلموا
وخضعوا للمؤمنين ظاهرا خوفا عن معرة السيف وطمعا فيما عند المسلمين من الخير فنهاهم ان يقولوا امنا اذا لم يكن فى
قلوبهم ذلك وامرهم ان يقولوا اسلمنا ومعناه ما ذكرنا اى خضعنا واستسلمنا ليرتفع عنهم السيف ولا يصح الاستدلال بالاية
على ان الاسلام والايمان مختلفان فانه غاير بينهما حيث نهاهم ان يقولوا امنا وامرهم ان يقولوا اسلمنا
ولو كان واحدا لم يصح هذا الايات فنقول لم يرد بهذا الاسلام هو الاسلام الذى هو الايمان ولكن اراد به الاستسلام والانقياد
الظاهر وهو كما يسمى اسلاما يسمى ايمانا ايضا انه حيث الظاهر فاما حقيقة الايمان والاسلام يرجع الى واحد لان الايمان
هو ان يصدق كل شىء فى شهادته على الربوبية والوحدانية لله تعالى والاسلام هو ان يجعل كل شىء لله سالما لا شركة لاحد فيه
فمتى اعتقد ان كل شىء فى العالم لله تعالى وهو الخالق له وكل مصنوع شاهد ودليل على صانعه صدقه فى شهادته على صانعه
والله الموفق وقوله عز وجل ولما يدخل الايمان فى قلوبكم الايمان ليس هو محسوس مركب يدخل فى القلب ولا ولكن معناه
نفى فعل القلب وهو التصديق كانه قال ولم يؤمن قلوبهم على ما ذكر فى اية اخرى قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
ثم ههنا ان الايمان ينقضان على الكرامية مذهبهم فى ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان والقول فان اهل
النفاق قد قالوا ذلك بالسنتهم ثم اخبر انهم لم يؤمنوا وهم يقولون بل قد امنوا فيقال لهم انتم اعلم ام الله قل الله اذن لكم
ام على الله تفترون وفى هذه الاية اية عظيمة على رسالته حيث قال له قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وقد قال لهم
عليه الصلوة والسلام ذلك ولم ينهيا لهم انكار ذلك القول فعرفوا انه بالله عرف ذلك او لم يظهروا ما فى نفسهم
خوف من السيف ليعرفوا النبى صلى الله عليه وسلم والله الموفق وقوله عز وجل وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم
شيئا جائز ان يكون الاية صلة ما ذكر فى سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عن امر الحديبية مع المؤمنين حيث قال ستدعون
الى قوم اولى باس شديد وما ذكر من امرهم فى غزاى اى من القران يقول ان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا
جائز ان يكون الاية صلة ما ذكر فى سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عن امر الحديبية مع المؤمنين حيث قال ستدعون
الى قوم اولى باس شديد وما ذكر من امرهم من غزاى من القران يقول ان تطيعوا الله ورسوله فيما يدعوكم الرسول عليه
الصلوة والسلام الى الخروج الى الجهاد والقتال بعد تخلفكم عن الحديبية لا ينقصكم من الاعمال التى كانت لكم شيئا
والله اعلم ويحتمل ان تطيعوا الله ورسوله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتكم من اعمالكم شيئا اى لم ينقصكم
من اعمالكم التى عملتموه من قبل ولم يبطلوا اعمالكم التى عملتم من بعد وان عصيتموه وتخلفتم عنه فى حيوته لانه قال
فان رجعك الله الى طائفة فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا قد كان نهاهم عن الخروج
معه للغزو ابدا فقول ان تطيعوا بعد وفاته وتجاهدوا فى سبيل الله لم يلتكم من اعمالكم شيئا بل يقبل ذلك منكم والله اعلم
ويحتمل ان يكون فى المنافقين فيكون منها وعد المغفرة للمنافقين اذا تابوا واطاعوا الله ورسوله كما وعد المغفرة بجميع الكفرة

اذا تابوا عن الكفر بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فعلى ذلك هذا وهو كقوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم والله اعلم قال بعضهم هذا في جميع المؤمنين ان من اطاع الله ورسوله لا
ينقصكم من اعمالكم شيئا اي لا يضيع اعمالكم بل يثيبكم كقوله تعالى يرجون تجارة لن تبور اي من عمل لله لا يضيع ومن عمل
لغيره قد يضيع فلا يظفر على ثوابه بشيء ويحتمل ان يكون الآية في المؤمنين الذين اسلموا يقول اذا اسلمتم فلم ينقصكم
من ثواب اعمالكم ما سبق منكم من الكفر وهو كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم وقوله عز وجل
ان الله غفور رحيم ظاهر وقوله عز وجل انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم و
انفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون كان هذا ذكر مقابل ما تقدم من قول المنافقين حيث قال قالت الاعراب آمنا
فقال لهم قل لم تؤمنوا انتم انما المؤمنون هؤلاء ثم نعتهم فقال الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون اخبر ان هؤلاء هم الصادقون في ايمانهم وانتم يا اهل النفاق بحيث اضمرتم
الخلاف فيه ولم تجاهدوا معه فلستم بصادقين في ايمانكم تحمل الجهاد دليل ظهور الصدق في الايمان لانه من شرايط الايمان
الذي لا يجوز الايمان الذي دونه ويحتمل انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله الى صدقوا الله ورسوله سرا وعلانية
على الحقيقة لا الذين اظهروا ولم تكن قلوبهم مصدقة لذلك كالمنافقين الا ترى انه قال ثم لم يرتابوا وجاهدوا اي لم يشكوا
في حادث بل جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اظهارا لتحقيق الايمان وصدقه وليسوا كالمنافقين الذين ارتابوا
وشكوا في ايمانهم وتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ثم قال الله عز وجل قل اتعلمون الله بدينكم
كانه صلة قوله تعالى قالت الاعراب آمنا حيث قالوا ذلك بالسنتهم وليس ذلك في قلوبهم فاخبر انه يعلم ما في قلوبهم من
الايمان والشك والخلاف كانهم حين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم لم تؤمنوا فلجوا في ذلك وقالوا بل آمنا فظنوا
انه انما قال ذلك من ذات نفسه فقال عند ذلك قل اتعلمون الله بدينكم مخبرا ان الذي انبأني واخبرني بذلك هو
الذي يعلم غيب ما في السماوات وما في الارض وهو بكل شيء مما في القلوب من الصدق وغيره عليم فكيف تعلمون الله
بانكم مؤمنون وهو يعلم انكم كاذبون وقوله عز وجل يمنون عليك ان اسلموا الذي حملهم وبعثهم على الامتنان على الايمان
الذي تولوه لانه قوم لا يؤمنون بالآخرة فيظنون انهم اذا اظهروا الموافقة له لم يلحقهم بسببه مؤنة الخروج الى القتال او
متى اظهروا نصر المسلمين اعوانا لهم ونحو ذلك هذا الذي ذكرنا ونحوه بعثهم وحملهم على الامتنان عليه ولو كانوا يؤمنون
بالآخرة ليعرفوا ان ايمانهم لانفسهم اذ به نجاتهم واليهم يرجع نفعه ليس في الايمان لله تعالى نفع ولا في تركه ضرر تعالى عن
الضرر والنفع فيكون لله تعالى عليهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ثم قوله عز وجل بل الله يمن
عليكم ان هداكم للايمان نقض قول المعتزلة انه يجب على الله تعالى ان يهديهم كقولهم بالاصلح فانه قال بل الله يمن عليكم ولو
كان هدايتهم واجبة عليه لا يكون له عليهم منة لانه مؤدي ما عليه لهم من الحق ومن ادى حقا عليه لآخر لا يكون له الامتنان
على صاحب الحق وكذلك في قوله تعالى فضلا من الله ونعمة لو كان الهداية عليه لا يكون في فعله فضل ولا منة بل يكون له
عليه الامتنان ومنهم الافضال والانعام لما اعطوه ويجعلونه لشيء كان عليه فعل ذلك حقا واجبا لهم فدل على فساد
مذهبهم وفيه دلالة ان الهداية ليست هي البيان فحسب لوجهين احدهما لان هداية البيان مما قد كان في حق الكافر
والمسلم جميعا فلا معنى ان تخصيص المسلمين بهذه المنة ومثلها موجود في حق غيرهم والثاني ان البيان قد عم الكافر والمؤمن
وقد اخبر الله تعالى بان له المنة عليهم ان كانوا صادقين في ايمانهم فلو كانت الهداية هي البيان لا غير لكان لا يشترط فيه
شرط صدقهم لان منة البيان تعم الصادقين دل ان المراد من الهداية الاسلام حتى يتحقق له المنة على الخصوص في
حق المسلمين والله الموفق ثم الهداية المذكورة ههنا يحتمل وجهين احدهما خلق فعل الاهتداء منهم والثاني التوفيق والعصمة
كانه يقول بل الله يمن عليكم ان خلق منكم الاهتداء او وفقكم للايمان وعصمكم عن ضده وكذلك يخرج قوله تعالى ولكن حبب اليكم
الايمان وزينه في قلوبكم على هذين الوجهين وفقكم له وعصمكم عن ضده او خلق حبه في قلوبكم وزينه والله اعلم وقوله
عز وجل والله بصير بما تعملون هذا يخرج على الوعيد اي هو بصير بما اسروا واعلنوا ليكونوا ابدا على يقظة وحذر ولا قوة الا بالله

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ق والقرآن المجيد يحتمل ان يكون قوله ق اسم هذه السورة ولله سبحانه وتعالى ان يسمي السور بما ذكر ق
كما سمى كتابه قرآنا وزبورا وتوراة وانجيلا بهذه السورة والقرآن جملة ويحتمل ان يذكر ق كناية عن جميع الحروف
المقطعة والقرآن هو اسم الحروف المجموعة المقطعة اقسم بالحروف المقطعة والمجموع جميعا ومن الناس من يقول
ان ق اسم الجبل المحيط بالارض وهي من ياقوتة خضراء او ياقوتة حمراء خضرة السماء من ذلك اقسم الله تعالى وبالقرآن
والاول اشبه واقرب لان العرب لم تعرف جبل قاف ولم تعرف عظمته والقسم في الاصل لتاكيد الخبر فانما يتحقق بما
يعرف من اريد القسم في حقه فاما اذا لم يعرف ولم يعظم ذلك في عينه يخرج القسم مخرج العبث تعالى الله عن ذلك

الا ان يقال ان يكون هذا القسم في حق اهل الكتاب فانه قد كان لهم كتاب يعرفون ذلك او كانت لهم رسل
قد بلغهم ذلك وكذا الظاهر ان القسم في حق العرب فدل ان الاول اشبه ثم هذه الحروف المقطعة لم يظهر
في الاخبار تفسيرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر والاشتهار ولم يثبت عن الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبيله الوقف فيها لانه معلوم ان لا
احد على المراد بالحروف المقطعة الا من جهة السمع فلم يظهر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
دل انهم تركوا ذلك وانما تركوا الوجوه اما لان هذه الحروف المقطعة كانت بيان احكام في نوازل عرفوها
وتركوا سؤالها لما عرفوا تلك الاحكام والنوازل واظنّ تركوا ذلك لما كان ذلك من السرائر التي لم يطلع
الله تعالى الخلق على ذلك وهو المتشابه الذي يجب الايمان به ولا يطلب له تفسير وكان ذلك مما اختص الرسول
صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى الا من ارتضى من رسول فلم يسألوا عن بيان ذلك واما ان كان ذلك عندهم
اسماء السور لتعريف السور واسماء الاعلام لا يطلب فيها المعاني لذلك لم يسألوا معانيها ولم يرد
التعليم من النبي عليه الصلاة والسلام كما ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تركوا سؤال التفسير
للآيات اما لان في وسعهم الوصول الى معرفة ما تضمنها الآيات وعرفوا المراد منها باللسان وعرفوا
مواقع النوازل ففهموا المراد فلم يحتاجوا الى السؤال واما ان تركوا لما انها تضمنت احكاما عرفوها وتركوا
السؤال فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم ذكر القسم ولم يبين موضع القسم واختلف فيه قال بعضهم موضع القسم
في آخر السورة ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الآية وقال بعضهم قوله ولقد خلقنا السماوات
والارض وقال بعضهم موضع القسم قوله تعالى فهم في امر مريج اقسم بقوله ق والقرآن المجيد الكفرة في امر مريج
ويحتمل ان يكون موضع القسم هو ما عجبوا كما قال بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا
ذلك رجع بعيد ذكر ههنا تعجبهم من شيئين احدهما ما ذكر ان جاءهم منذر منهم اي من البشر فقال الكافرون هذا شيء
عجيب وهو كقولهم رسولا وقولهم ما انت الا بشر مثلنا لا يزالون ينكرون الرسالة في البشر والثاني من الاخبار بعد
الموت لقولهم أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقد ذكر في غير آي من القرآن تعجبهم وانكارهم البعث بعد الموت
فجاز ان يكون موضع القسم ما عجبوا وانكروا من ان يكون البشر رسولا ويحيون بعد الموت اقسم بما ذكر من قوله عز وجل
ق والقرآن المجيد انه يكون ذلك ردا لانكارهم وتعجبهم والله اعلم ثم انكارهم الكفرة وتعجبهم ان كيف بعث من البشر
او كيف لا اختار بعث الرسول ممن عنده وهم الملائكة وانما اي انما يبعث الرسل من كان عند المرسل لا من كان هذا بعث
اليهم في الشاهد لا معنى ولا ينبغي لهم ان ينكروا بعث الرسول ممن هو عند المبعوث اليهم وان تعجبوا عن ذلك لان
بعث الرسول من جنس المرسل اليهم والمبعوث اليهم في معرفة صدقه وحقيقة دعواه اقرب من ان يكون من خلاف
جنسهم لانهم انما يعرفون رسالته بآيات ودلالات يقيمها على رسالته بحيث يخرج عن وسعهم اتيانها ولا يعرفون
صدق تلك الآيات وحقيقتها اذا كانت تلك من غير جنسهم بالعقل ان ما آتاهم به وزعم انها آيات ليست بآيات لما
في وسعه اتيان مثلها وليس في وسعهم ذلك لما ان القوى تختلف عند اختلاف الجنس فدل ان بعث الرسول من
جنس المرسل اليهم احق واقرب الى معرفة صدق الآيات والمعجزات والله الموفق ولان كل ذي نوع من نوعه وكل ذي
شكل من شكله اميل وبه آنس من خلاف جنسه ونوعه فكان الغرض وهو التأليف والاجتماع في هذا اقرب الى الحصول
والله اعلم ثم قولهم هلا بعث الينا الرسل ممن هو عنده فاسد لان الخلائق جميعا من حيث العبد لله تعالى واحد لا ليس
احد من الخلائق انه عنده الا من حيث القرب به بالطاعة له والايتمار بامره وترك الخلاف له فاما على ما يوصف المخلوق
عند مخلوق فلا اذ ذاك وصف المتمكن في المكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فاذا كان المراد من عنده من حيث القرب به
بالطاعة والقيام بامره مما يثبت اهلية الرسالة وصلاحها فذلك مما لا يوجب الفضل بين البشر والملائكة بل
من جهة البشر احق لما هم يفعلون عن غيب الدلائل الحجج دون العيان والله اعلم بحججهم انه لو اراد احيانا كيف
اماتنا ولا احد في الشاهد يبني بناء فيهدمه ويبني مثله فليس يبني لانه لو لم يكن اماته ثم احيا لكان الجزاء
بالاعمال يكون حضرة الافعال وذلك يوجب ان يكون ايمانهم ايمان اضطرار لا ايمان اختيار وايثار لان من عاين انه
يدخل النار ويعذب فيها ابد الآبدين لا يعمل ذلك العمل الذي اوعد به بل يتركه وكذا ان من عاين ان من آمن بالله تعالى
وعمل طاعة وعبادة يدخل الجنة ويكرم ابد الآبد لا يعمل غير ذلك العمل فيرتفع المحنة ويكون الايمان ايمان الاضطرار فاخر
ذلك ليكون الايمان ايمان الاختيار حتى يكون له قيمة ثم قوله والقرآن المجيد وصف القرآن مرة انه كريم ومرة بانه حكيم
ومرة بانه مجيد يحتمل انما سماه بهذه الاسماء على معنى ان من تمسك به يصير مجيدا كريما حكيما اي منزله مجيد كريم حكيم ويحتمل
ان يكون هذه صفات القرآن راجعة الى عينه كما يقال كلام حكمة وكلام سفه وانما يراد به عينه فعلى هذا يحتمل والله
اعلم قال ابو عوسجة المجيد الماجد والمجيد العظيم والمحدث الدابة من العلف اذا اكثر ذلك والمحدث الدابة من العلف

ذلك والجد لقوم اذاكثروا من الطعام والشراب وقوله عز وجل بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون
هذا شيء عجيب قد ذكرنا تاويله وقوله عز وجل ءاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد اي لا يكون كونوا هو
بالبعيد عما لا يكون عندهم كذلك قال القتبي وقال ابو عوسجة رجع بعيد اي رد يقال رجع رجعا اذا
رد ورجع رجوعا اذا انصرف وقوله عز وجل قد علمنا ما تنقص الارض منهم ظاهر هذا ان يكون هذا قول
اولئك الكفرة قالوا ذلك على سبيل الاحتجاج لما انكروا من البعث اي قد علمنا ما تنقص الارض من لحومنا و
ما كل من انفسنا فاني يحيي بعد ذلك وهو كقولهم من يحيي العظام وهي رميم ونحوه لكن اهل التاويل باجمعهم
صرفوا هذا القول الى الله تعالى انه قال ذلك نحجرا لقولهم ءاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فقال قد علمنا ما
تنقص الارض منهم اي عن علم منا بما كل منكم وتنقص قلنا انكم تبعثون وتحيون وعلى علم منا بذلك اخبركم
الرسل بالاحياء والبعث بعد الموت والله اعلم وقوله عز وجل وعندنا كتاب حفيظ اي عندنا كتاب يحفظ
احوالهم وافعالهم وجميع ما يكون منهم وقال بعضهم اي مع علمي فيهم هم عندنا في كتاب حفيظ وقال قتادة
ما اكلت الارض منهم وكانوا ترابا ونحن عالمون بهم مع علمنا في كتاب حفيظ وهو مثل الاول وقوله عز وجل
بل كذبوا بالحق لما جاءهم اي بالقران ويحتمل اي محمد صلى الله عليه وسلم وقد كذبوا بهما جميعا وقوله عز وجل فهم
قال القتبي وابو عوسجة في امر مريج اي مختلط يقال مرج امر الناس ومرج الدين واصل المرج اي يقلق الشيء
فلا يستقر يقال مرج الخاتم في يدي مرجا اذا قلق للهزال اي تحرك وقيل مضطرب مختلف وهكذا كان قولهم
مختلفا مضطربا مختلطا في القران والرسول جميعا قالوا في الرسول صلى الله عليه وسلم اقوالا مضطربة مختلفة
مرة نسبوا الى السحر ومرة الى الشعر ومرة الى الجنون ومرة الى الافتراء على الله تعالى وانه يتلقاه من فلان ونحو
ذلك من اقوال مختلفة مضطربة فيما يدفع كل واحد من ذلك الاخر وكذلك قالوا في القران مرة انه سحر ومرة انه
شعر وانه من اساطير الاولين وانه مفترى وانه اختلاق وكل ذلك مما يدفع بعضه بعضا وهذا هو الاضطراب
والاختلاف والاختلاط والله اعلم وقوله عز وجل في امر مريج اي في ضلال وقوله عز وجل افلم ينظروا الى السماء
فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج الاية يحتمل ان يكون هذه الايات صلة ما ذكر من عجبهم من بعث الرسل
من البشر والبعث بعد الموت بقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم كانه يقول افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف
بنيناها مرتفعة ملتصقة بعضها ببعض متسقة بلا فروج ولا عماد مع صلابتها وكثافتها وغلظها والم ينظروا الى
الارض كيف بسطناها والقينا فيها الجبال الرواسي وتادا لئلا تميد باهلها حتى عرفوا ان من قدر على رفع السماء
بلا عمد مع ارتفاعها وغلظها وصلابتها حتى لا ينتهي احد الى طرف من اطرافها ولا علم نهايتها وجعل منافع السماء
متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما لقادر على الاحياء بعد الموت وانه لا يعجزه شيء وان من فعل هذا لا يفعل
عبثا باطلا ولكن يفعله عن حكمة وتدبير ولو كان على ما قالوا ان لا بعث ولا جزاء كان خلق كله عبثا باطلا ويكون
فعل ذلك فعل سفه لا فعل حكمة فلما كان فعل ذلك كله على التدبير الذي ذكر وعلى الاتساق الذي يجري حكمه انشاء
ذلك من غير تفاوت دل انه لم ينشئ الخلق من المكلفين ليتركهم سدى لا يامر ولا ينهى ولا يمتحن فيكون عبثا بل
يمتحنهم بالامر والنهي ليكون فعله في العقلاء على نهج الحكمة كما في غيرهم من الخلائق واذا كان كذلك فلا بد
من رسول يخبرهم ويعلمهم ما لا يقف عليه العقل من كيفية شكر المنعم ومقداره ووقته ونحو ذلك ومؤكد ذلك
الامر والنهي بالوعد والوعيد ثم كان له وضع الرسالة فيمن شاء وفي اي جنس شاء لانه حكيم عليهم لا يكون
منه الخطاء في التدبير والجهل بالاصلح والاوفق بالحكمة فدل ذلك على اثبات الرسالة والبعث بعد الموت والله
اعلم به وقوله عز وجل اولم ينظروا يخرج على وجهين احدهما اي ابصروا الى ما ذكر والثاني قد نظروا بابصارهم لكن
لم ينظروا نظر معتبر بنظر القلب والله اعلم وقوله عز وجل وما لها من فروج قيل من صدوع وشقوق والمواحد
فرج وهو الموضع بين الموضعين والفرجة من الفرج ومنه يقال فرجت عند الغم اي كشفت وهو كقوله تعالى فارجع
البصر هل ترى من فطور اخبر انكم لم تروا في السماء شقوقا وفطورا او في انشاء هذا البناء وان عظم واحكم لا يخلو
من نقصان او شقوق يرد عليه فاذا لم يروا ذلك فهو يدلكم ذلك على ان خالقه قادر على الكمال ولا يعجزه شيء وقوله
عز وجل والارض مددناها والقينا فيها رواسي قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اسم
الزوج يقع على الشكل والضد وكل ذي شكل هو ذو ضد والبهيج ما يبهج به اهله ويسرون بذلك من الوان
النبات وجواهرها وقال القتبي من كل زوج بهيج ما يبهج به اهله اي من كل جنس يتبابهج يبهج بهجا فهو بهيج اي
حسن واما من السرور فقال بهج يبهج بهجا فهو بهيج اي مسرور وقوله عز وجل تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
اي يبصر ذلك كل عبد منيب اي منفعة ذلك يكون لمن ذكر وهو العبد المنيب الى الله تعالى والمقبل عن طاعته فاما
من اعتقد الخلاف له فلا وقوله عز وجل ونزلنا من السماء ماء مباركا سماه مباركا لانه يستعمل في امر الدين والدنيا

ويطهر به

ويطهر به كل شيء ويزين به ويحيوا كل شيء ونماؤه والمبارك كل خير يكون على النماء والزيادة في كل وقت والله اعلم
وقوله عز وجل فانبتنا به جنات وحب الحصيد يقول انبتنا بذلك الماء المبارك المنزل من السماء جنات اي بساتين
والمكان الذي جمع فيه كل انواع الشجر سمي بستانا وجنة وقوله وحب الحصيد اي انبت ذلك الماء كل حب حصيد
تدخل تحت قوله وحب الحصيد انواع الشجر والغرس والنبات ثم قوله تعالى وحب الحصيد الحب والحصيد وهو
الحب نفسه لكن اضاف الحب الى الحصيد ويجوز مثل هذا كما يقال صلوة الاولى والمسجد الجامع وقال هاغيرانه
الحب ما يخرج منه والحصيد ما يحصد من القصب الذي يصير تبنا لان الحب لا يحصد وانما يحصد الساق منه لذلك
اضاف الحب الى الحصيد وهو شجرة وقوامه به لذلك اضافه اليه كما يقال ثمر الشجر ونحو ذلك وقوله عز وجل و
النخل باسقات لها طلع نضيد قوله والنخل باسقات اي طوال تعالى بسق الشيء بسوقا اذا طال وقال ابو عوسجة
باسقات اي حوامل يخبر الله عز وجل عن بركة الماء انه بلطفه جعل الماء بحيث يظهر بركته ونماؤه واثره على راس
النخل وان طال يسقي الاصل لما جعل في سريته من البركة والمعنى ما يظهر ذلك ولا يعلم حقيقة ذلك المعنى
وقوله تعالى لها طلع نضيد اي منضود والطلع اول ما يخرج من النخل فيحمل والتنضيد هو التاليف والتركيب
اي يؤلف بعضه الى بعض ويركب ويسمى ذلك كفرى واذا نضج استوجب الطلع ويعرف رصا ورطبا و
قال ابو عوسجة نضيد اي متراكم بعضه على بعض والمثل المتراكم يقال له منضود والتنضيد هو جعل بعضه فوق
بعض ونضد الشيء بنفسه فهو نضيد وقيل نضيد اي كثير وقوله عز وجل للعباد اخبران ذلك كله انما انبته
واخرجه رزقا للعباد وقوله عز وجل واحيينا به بلدة اي بالماء بلدة ميتا اي احيي بالماء كل بلدة ميت وكل
بقعة ميتة وكل عرس فصار به حيوة كل حي ونما كل شيء ثم قال كذلك الخروج اي كما قدر على احياء ما ذكر من
الارض بعد موتها واحياء النبات والغرس بعد موته بذلك الماء فعلى ذلك قادر على احيائكم بعد موتكم وبعد
ما صرتم ترابا والاعجوبة في احياء ما ذكر كله من الارض والنبات والغرس ان لم يكن اكثر لم يكن دون ما في
احياء الناس من بعد موتهم فاذ قدر على قدرته في احياء ما ذكروا فربه كذلك لزمهم ان يقروا به في
احياء كل شيء والله الموفق وقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون و
اخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ذكر هذه الانباء لوجهين احدهما يصبر رسوله
صلى الله عليه وسلم على اذى قومه وتكذيبهم اياه كما صبروا وانك يقول انك لست باول رسول كذبه
قومه بل كان قبلك رسل كذبتهم قومهم فصبروا على ذلك فاصبر انت ايضا وهو كقوله فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل والثاني يحذر قومه ان ينزل بتكذيبهم اياه وسوء معاملتهم به كما نزل بمن ذكر من الاقوام
بتكذيبهم وسوء معاملتهم وعلى هذين المعنيين جميع ما ذكر في القران من الانباء والله اعلم ثم اصحاب الرس
اختلف في الرس هو البئر دون اليمامة وكان عندها اقوام كذبوا رسلهم فاهلكهم الله تعالى وقيل الرس هو
الوادي وقيل بعض الرس هو خد حذوه وجعلوا فيه النار واحرقوا فيها نبيهم عليه السلام وقال بعضهم
سموا لذلك لانهم رسوا نبيهم عليه السلام في البئر وقال بعضهم هم قوم الرسل الذي ذكرهم في سورة يس
بقوله تعالى فارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون وعن الاصم انه قال
الرس كل موضع حذيه ولذلك سمي خد لمجرى الدمع عليه والله اعلم وقوله واخوان لوط اي قوم لوط
وقوله وقوم تبع قيل انه كان رجلا مسلما صالحا مدحه الله تعالى وذم قومه سمي تبعا لكثرة اتباعه ولا حاجة بنا
الى تفسيره انه من كان وما اسمه كما ذكر بعض اهل لما لم يذكر في القران ولم يثبت بالتواتر فلا نزيد على ذلك
القدر احترازا عن الكذب والله اعلم وقوله عز وجل كل كذب الرسل فحق وعيد يخوف اهل مكة ان اولئك الذين ذكرهم
جميعا قد اهلكوا بتكذيبهم الرسل عليهم السلام فحق عليهم الوعيد بذلك فعلى ذلك يحق عليكم ذلك الوعيد بتكذيبهم
الرسول والله اعلم وقوله عز وجل افعيينا بالخلق الاول هو يخرج على وجهين احدهما افعيينا اي اعجزنا عن خلق
اي حيث لم يعجز عن الخلق الاول فكيف تنسبونا الى العجز عن الخلق الثاني والثاني افعيينا اي اجهلنا وخفي
علينا تدبير الخلق الاول وانشاؤه اشد عندكم اهون فاذا لم يعجز عن ابتداء انشائه ولم يجهل ولم يخف علينا
الابتداء فاني يعجز عن الاعادة ثم قال بعضهم الخلق الاول هو ادم عليه السلام وقال عامتهم هو ابتداء خلقهم
والله اعلم وقوله عز وجل بل هم في لبس من خلق جديد اي هم في شك واختلاط من خلق جديد لما تركوا النظر
في سبب المعرفة ليقع لهم العلم بذلك وقوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
وهو يخرج على وجهين احدهما يقول على علم منا بما يحدث به نفسه ويوسوس من انواع الحديث والوسوسة
لا عن جهل وخفاء عن ذلك فان هو كفها وحبسها عما يدعوا به اليه نفسه وهواه ويصرفها الى ما يدعوه
عقله وذهنه نجا وفاز لقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي واما من خاف مقام ربه ونهى

النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وان تركها حتى تمادى في هواها هلك قال الله تعالى واما من طغى وآثر
الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى وقال في اية اخرى من اتخذ الهه هواه ونحوه كثير في القران والثانى بذكر و
لقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اى نحن مطلعون على ذلك ليس علم الحفظة ولا هم يتولون
كتابته اى لم يجعل ذلك الى احد انما ذلك الى الله تعالى هو العالم بذلك وهو المطلع عليه دون الملايكة وانما
الى الملايكة ما يلفظه ويفعل بالجوارح لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال في اية اخرى وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما يفعلون اخبر ان الحفظة انما يعلمون ما تفعلون ظاهرا اما يسرون
في قلوبهم فالله هو مطلع على ذلك العالم ليكونوا ابدا على اليقظة والحذر والله اعلم وقوله عز وجل ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد يفهم من قرب الرب تعالى الى العبيد ما يفهم من قرب العبد الى الله تعالى وانما
يكون قرب العبد الى الله تعالى بالطاعة له والقيام بامره والانقياد والخضوع له هذا هو المفهوم من قرب
من قرب العبد الى الله تعالى لا قرب شيء اخر فعلى ذلك يفهم من قرب الله تعالى الى العبد الاجابة له والنصر والمعونة
والتوفيق على الطاعات وعلى ذلك ما يقال فلان قريب الى فلان لا يعنون قرب نفسه من نفسه في المكان
ولكن يعنون نصره له ومعونته اياه واجابته ويحتمل ان يذكر القرب منه كناية عن العلم باحواله ظاهرا و
باطنا والله اعلم واصله ان يعتبر الاحوال فيما ذكر من القرب فان كان في السؤال فالمراد انه قريب منه بالاجابة
له اى يجيبه كقوله تعالى واذا سالك عبادى عنى فانى قريب وان كان فيما يسرون ويضمرون فيفهم من القرب
في تلك الحالة العلم به كقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم الاية فعلى ذلك قوله ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وقوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون يفهم منه النصر والمعونة والعلم فيكون قوله ونحن
اقرب اليه اى اعلم به واحق من غيره في النصر والمعونة واولى به في الاجابة والله اعلم وعلى ذلك يخرج على ما روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم من تقرب الى شبرا تقربت منه شبرين على ما ذكرنا من قرب الطاعة وقرب الرب اليه بالنصر و
المعونة لا قرب المكان ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل حبل الوريد قال بعضهم عرق العنق والوريد العنق وقال بعضهم
هو عرق بين العليا والحلقوم وقال بعضهم هو عرق القلب معلق به فاذا قطع ذلك العرق يموت الانسان والله اعلم
وقوله عز وجل اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اى اذكر اذ يتلقى
المتلقيين واحفظ تلقي المتلقيين او احذر تلقي المتلقيين وهما الملكان المسلطان على اعمالك واقوالك اذ يتلقيان
منك اعمالك واقوالك ويحفظان عليك ويكتبان يذكر هذا ويخبرهم ان عليهم حافظا ورقيبا وان كان هو تعالى
حافظا لجميع اعمالهم واقوالهم عالما به يحفظ الملايكة وكتابتهم وعدم ذلك بمنزلة في حق الله تعالى لكن يخرج الامر
للملايكة بحفظ اعمالهم وكتابة ذلك على وجوه من الحكمة احدها ليكونوا على حذر ابدا ما يقولون ويفعلون على
ما يكون في الشاهد من علم ان عليه حافظا ورقيبا في امر يكون ابدا على حذر وخوف من ذلك الامر وذلك اذكر له
وادعى الى الانتهاء عن ذلك فعلى ذلك اذا علم العبد ان عليه حفيظا ويكتب ذلك عليه وانه يكلف تلاوة ذلك
المكتوب بين يدى الله تعالى ليستحيى من ذلك اشد الاستحياء يكون ذلك ازجر له وابلغ في المنع والا فكان احصاء
ذلك على الله تعالى مع الكتاب وغير الكتاب سواء اذ هو عالم بذاته لا بالاسباب وهو تاويل لا يضل ربى ولا
ينسى والله اعلم والثانى من الحكمة امتحان الملايكة لحفظ اعمال بنى ادم واقوالهم وكتابة ذلك فيمتحنهم
لذلك وامرهم به ولله ان يمتحن الملايكة من شاء منهم بالتسبيح والتعظيم ومن شاء منهم بالركوع ومن
شاء بالسجود ومن شاء بحمل العرش والكرسى وشاء بحفظ بنى ادم ومن شاء منهم بسوق السحاب وانزال
المطر مما في ذلك منافع بنى ادم ويكون ذلك كله بحق العبادة لتعلم ان من امتحن منهم بالركوع والسجود
والتسبيح والتكبير والتهليل لم يمتحنهم بذلك لمنافع يرجع اليه في ذلك ولكن يمتحنهم يمحن بما شاء وفيما
شاء ويكون ذلك كله عبادة وان اختلف انواعه فعلى ذلك امره اياهم بحفظ اعمالهم واقوالهم وكتابتها
والله اعلم والمحنة بحفظ تلك الاعمال والاصوات وكتابتها اشد من محنة غيرهم من الملايكة بالركوع والسجود
والقيام والتكبير والتهليل ونحو ذلك من محنة بنى ادم من اقامة العبادات والامتناع من المحرمات
ونحوها اذ لو اجتمع الخلايق على معرفة كيفيه عمل واحد ما قدروا عليه فدل ان هذا التاويل يحتمل والثالث
وهو ان الله تعالى اخبرهم بكتابة الملكين اعمالهم وبقعودهم عن اليمين والشمال من ان ياتى كتابتهم ولا يسمع
صوت كتابتهم وقد اقدرهم على العلم بما في ضمايرهم وكتابة ذلك كله واقدرهم على رؤيتنا ولم يقدرنا
على رؤيتهم وهم اجسام مرتبة ليعلموا بذلك قدرة الله تعالى على ما شاء من الفعل ان لا يقدروا قوة كل
خلق الله تعالى بقوة انفسهم ولا قدرة غيرهم برؤية انفسهم وان قوة الرؤية تختلف باختلاف الاوقات
والاشخاص فان الملايكة يروننا ولا نراهم في الدنيا وان كانوا اجساما مرئية حيث يرى بعضهم

لبعض

لبعض ثم اخبر وقال ويخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اخبر انه يرى ذلك الكتاب في الاخرة وان كان لا يراه في
الدنيا يرى الملايكة في الاخرة وهذا لان هذه البنية لا يحتمل اشياء لضعف فيها وحجاب يكون في ذلك في الدنيا
ثم يحتمل ان يكون في الاخرة اقوى في احتمال ذلك فيبصر في الاخرة وفي هذا رد قول المعتزلة في انكارهم رؤية الله تعالى
انه لو كان يرى في كل مكان على ما يرى الملايكة في الاخرة دون الدنيا ونحو ذلك فعلى ذلك رؤية الله ثم القراءة اذ يتلقى
المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد قراءة ابن مسعود رضى الله عنه اذ يتلقى المتلقيان عنه عن اليمين وعن الشمال
فعلى قراءته يخرج تاويل الاية على وجه واحد اى ياخذ الملكان عن ابن ادم ما فعلوا وقالوا على قراءة العامة يخرج على وجهين
احدهما ان ياخذ ملكان عنه ما ادى اليهما من قول او فعل والثانى ان يتلقى احد الملكين عن الاخر ما القى عليه ذلك الملك
على ما روى عن ابى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب اليمين على صاحب الشمال واذا عمل
العبد سيئة قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتبها وان لم يستغفر كتبها
واحدة ويجوز ان يكون احدهما كاتبا دون الاخر وان كانا يتلقيان وياخذان منه ذلك لما ذكر في اية اخرى حيث قال وقال
قرينه هذا ما لدى عتيد ولم يقرا قال قريناه ويجوز ان يكون المتلقيان جميعا يكتبان على ما روى عن ابن عباس
رضى الله عنه انه قال كاتبان كاتب عن يمينه وكاتب عن يساره فيكتبان الحسنات والسيئات ثم يرفعان الى من
فوقهما كل اثنين وخميس فيثبتون من ذلك من ثواب او عقاب ويلقون ما سوى ذلك روى ايضا وعن غيره
من اهل التاويل انهما يكتبان ما كان من خير او شر وما سوى ذلك فلا ولكن ظاهر يدل على انه يكتب كل شيء
وهو قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان يقال المراد هو قول هو سبب الثواب والعقاب ثم كما قال
في اية اخرى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اى لا يغادر صغيرة من العقاب ولا كبيرة منها الا مطلق صغاير
الاشياء وكبايرها فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم جعل المتلقيين اثنين يحتمل على ما جعل في الشهادة اثنين في ما بينهم
في الاحكام والحقوق ليشهدا عليه في الاخرة وقوله عز وجل ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد في ظاهر الاية ان
الملايكة انما يكتبون ظاهر الاقوال والافعال لا في الضماير لكنه غير مستنكر في العقول الا ان الله تعالى اقدرهم على العلم
بما في ضمايرهم فيعرفون ذلك ويكتبون ولكن ظاهر الاية يشير الى ما قلنا والله اعلم ثم وقوله عز وجل عن اليمين وعن الشمال
قعيد قال القتبى اراد قعيد من كل جانب منهما الا انه اكتفى بذكر الواحد اذ كان دليلا على الاخر وقعيد بمعنى قاعد كما قال
قدير وقادر ويكون بمنزلة اكيل وشريب اى مواكل ومشارب قعيد اى مقاعد وبه قال ابو عوسجة قعيد من المقاعد
كما يقال قعيد وجليسى والله اعلم وقوله عز وجل رقيب عتيد الرقيب الحفيظ والعتيد الحاضر اى ليس بغايب حتى
يغيب عنه شيء والله اعلم وقوله عز وجل وجاءت سكرة الموت اى شدته يخبر ان الابدان تنزل بالنفس عند الموت
وشدة ومشقة ثم الاية يخرج على وجهين ان يجرى على ظاهرها في الماضى اعنى لفظ جاءت اى جاءت سكرة الموت
على الذين كانوا من قبلكم فوجدتم غير متاهبين ولا مستعدين له والله اعلم والثانى ان يكون قوله وجاءت بمعنى
يجيء وكذلك وجاءت كل نفس معها سائق وذلك جائز في اللغة وقوله عز وجل بالحق اى من اهل الشقاوة او من
اهل السعادة كقول عند ذلك يبين له ويظهر انه من اهل السعادة او من اهل الشقاوة او من اهل الجنة او من اهل
النار واصله عندنا ان الحق هو ما وعد كل نفس من خير وما وعد كل نفس من الشر ان كان مؤمنا وقد وعد له الجنة
فيتحقق له ذلك وان كان كافرا وقد وعد له النار فيتحقق له ذلك ويحتمل ما ذكر من الحق هاهنا هو الموت نفسه
اخبر انه لا بد من الموت وانه كاين لا محالة وكقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يقول لم يخلق الخلق للخلود في
الدنيا ولكن للاخرة فلا بد من الموت والله اعلم وقوله عز وجل ذلك ما كنت منه تحيد يحتمل وجهين اى اياك ما
كنت تكره مجيئه وتنكر ولم تؤمن به وهو البعث ويوم القيمة الذى يكرهونه ويكرهونه والثانى يحتمل الموت نفسه
اى اياك مما كنت تكره وتفر منه اذ هم كانوا يكرهون الموت ويفرون منه فانه ملاقيكم اى ياتيكم من حيث لا تفر
كقوله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم اى ياتيكم من حيث لا مفر لكم عنه ثم الحذر هو الميل والكراهة
وقال ابو عوسجة الحيد الفرار يقال حاد يحيد حيدا فهو حايد وقوله عز وجل ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد يحتمل ان
يكون اراد النفخة الاولى وهي النفخة التى يفزع عندها اهل السموات والارض فيموتون ويحتمل يريد نفخة الثانية التى
عندها البعث وادخال الارواح في الاجساد ويحتمل ان يريد عند ما يوضع كل واحد في القبر وهو ان يسال على ما
جاءت الاخبار من سوال منكر ونكير وذلك ايضا هو يوم الوعيد في حق ذلك الرجل وهذا للكافر خاصة وقوله
عز وجل ذلك يوم الوعيد اى ذلك يوم وقوع الوعيد اذ يوم الوعيد الدنيا فاما القيمة فهو يوم وقوع الوعيد
وتحققه والله اعلم وقوله عز وجل وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال بعضهم السائق الذى يقبض
يقبض روحه والشهيد الذى يحفظ عمله وقال بعضهم السائق هو الملك الذى يكتب عليه سيئاته والشهيد
هو الذى يكتب حسناته وقيل السائق هو النار التى ياتى تسوق الكفرة الى المحشر والشهيد هو عمله في الدنيا وقيل

وقيل السابق الكاتب والشهيد جوارحه بقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم الاية واصله ما ذكر في قوله و
سيق الذين كفروا وسيق الذين اتقوا ذكر السوق في الفريقين وذكر في الكفرة احشروا الذين ظلموا وازواجهم و
قال عز وجل ويوم يحشر اعداء الله الى النار فالسابق هو ملك يسوق الى ما امر من الجنة والنار والشهيد هم الملائكة
الذين يكتبون علينا الاعمال فيشهدون في الاخرة ان كان شرا فشر وان كان خيرا فخير والله اعلم حقيقة ما اراد وانه
كان ما قالوا فيحتمل والله اعلم وقوله عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
يقول لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا تعاين وتشاهد وفي غفلة مما اوعدت من المواعيد والشدايد التي
عاينتها فكشفنا عنك غطاءك اي كشفنا عنك الشبه التي تمنع وقوع العلم به والتجلي له فبصرك اليوم حديد
اي ثاقب يبصر الحق كقوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وقيل حديد من الحدة اي نافذ لا يخفى عليه شيء
فكانه اراد والله اعلم انك كنت في الدنيا جاهلا عن هذا اليوم وعن هذا الحال والان قد عاينت ما كنت عنه في غفلة
واتقنت به وهو كقوله عز وجل لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين وقوله عز وجل قال قرينه هذا ما لدي عتيد اي
يقول الملك الذي كان عليه رقيبا اي كل ما عمل فهو عندي حاضر من تكذيب وعمل السوء فيشبه ان يكون شهادة
الحفظة عليه هذا القول ويحتمل ان يكون ذلك على السؤال للملائكة عما كتبوا وحفظوا فيقول كل ملك هذا ما لدي
عتيد اي هذا الذي عمل هذا عندي حاضر محفوظ اذا الكتاب الذي كتبت فيه اعماله حاضر ثم جايز ان الذي يكتب
الاعمال لكل واحد على هذا حيث قال وقال قرينه ولم يقل قريناه وان كان قال اذ يتلقى المتلقيان على ما ذكرنا انهما ملكان
لكن يجوز ان يتولى الكتابة واحد والاخر شاهد وجايز ان يكونا يكتبان جميعا يقول كراما كاتبين لكنه ذكر ههنا
بحرف التوحيد فقال وقال قرينه لما يقول كل واحد منهما ذلك على حدة وهو كما ذكرنا في قوله عن اليمين وعن الشمال
قعيد اي كل واحد منهما قعيد والله اعلم وقوله عز وجل القيا في جهنم كل كفار عنيد يحتمل ان يكون الخطاب بقوله
تعالى القيا الاثنين على ما هو ظاهر الصيغة الذي يسوقه والذي يشهد عليه حيث قال وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد كان الامر لذلك لهما ويحتمل ان يكون المراد بالخطاب هو القرين الذي سبق ذكره قال قرينه هذا ما
لدي عتيد لكن قال القياه لوجهين احدهما ما قيل ان العرب قد تذكر حرف التثنية على ارادة الواحد والجماعة
والثاني ما قال بعضهم ان المراد من قوله القيا اي الق الق على التاكيد كقوله تعالى هيهات هيهات على الوعيد في
الذم ويقال في المدح بخ بخ ونحو ذلك على التاكيد والله اعلم وقوله عز وجل كل كفار عنيد يحتمل كل كفار لنعم الله تعالى
حيث صرف شكرها الى غيره او كل كفار للتوحيد وتسمية غيره الها والعنيد معنى عاند وقيل هو الذي لا ينصف من نفسه
وقيل هو الذي يكابر ويعاند بعد ظهور الحق له والله اعلم وقوله عز وجل مناع للخير يحتمل وجهين احدهما مناع عن الخير
وهو منع غيره عن التوحيد وقبول الحق والثاني مناع للخير اي منع ما عنده من الحقوق التي وجبت في امواله و
نفسه وقال بعض اهل التاويل اراد به الوليد بن مغيرة المخزومي لكن هذا عادة كل كافر كقوله عز وجل ان الانسان
خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فلا معنى لتخصيص واحد به وقوله عز وجل معتد مريب
المعتدي من الاعتداء وهو المجاوز عن حدود الله تعالى والمريب من الريبة وهو الشك والعناد فكان المريب
هو الذي فيه الشك والفساد وجميعا نعت ذلك الانسان تعالى الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب
الشديد اي وصف وذكر مع الله الها اخر وهو كقوله تعالى ويجعلون لله البنات وقوله تعالى وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا اي قالوا وصفوا انهم اناث والا لا يملكون جعل ذلك حقيقة وقوله عز وجل و
القياه في العذاب الشديد وصف ما في جهنم بالشدة لما انه لا انقطاع لها وكل عذاب يرجى انقطاعه في
بعض الازمان ففيه بعض الراحة والله اعلم وقوله عز وجل قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال
بعيد اي قال شيطانه الذي اضله ودعاه الى ما دعا فصار قرينه في الاخرة لقوله تعالى ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ويحتمل قرينه اي رفيقه الذي كان معه يتبعه ويصدر
عن رايه ثم هذا القول من قرينه انما كان بعد ان كان منه انكار ما كان منه من الكفر والشرك عن اختيار وقال
هذا الذي اضلني واطغاني وهو الذي حملني عليه كقولهم هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا في النار فيقول رفيقه
ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد وكانت الكفرة لحيرتهم وقلة حيلتهم احيانا ينكرون الشرك كقوله
والله ربنا ما كنا مشركين وقوله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم قال الا انهم هم
الكاذبون واحيانا يقولون هؤلاء اضلونا واحيانا يلعن بعضهم بعضا وقوله عز وجل ربنا ما اطغيته اي ما اضطرته
على الضلال ولا الى وقوع ذلك ولكن اتبعني على ما كنت انا فيه واطاعني من غير ان يكون مني اكراه واجبار على
ذلك وهو ما ذكر ولكن في ضلال بعيد اي كان في ضلال لا يرجى الرجوع ولا الانقطاع وقال اهل التاويل ان
ذلك الكافر يكذب الحفظة بانهم كتبوا ما لم اعمل وهم كانوا يكذبون في ذلك اليوم لحيرتهم كقولهم والله

ربنا ما كنا مشركين فقال قرينه وهو الذي يكتب اعماله ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد لكن هذا فاسد
وهذا القول من الشيطان لا من الملائكة الاطغاء والاغواء اذ هم لا يدعون على الملائكة الاطغاء والاغواء
الا ترى انه قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد واختصامهم مع الشيطان كما اخبر عز وجل في غير
اي من القران قال الله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم
تكونوا مؤمنين وقوله عز وجل وقال الشيطان لما قضي الامر الى قوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي الاية هذه الخصومة بينهم وبين قرنائهم وهم الشياطين ومن يكن الشيطان له قرينا فساء
قرينا والله اعلم وقوله عز وجل لا تختصموا لدي تخصيص منهم ما ذكرنا قالت الاتباع ربنا هؤلاء اضلونا وما ذكر من
لعن بعضهم على بعض وهم تبري بعض عن بعض فقال تعالى عز وجل لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد اي قد
قدمت اليكم من الوعيد في الدنيا فالتفليج خصومتكم هذه اي بينت في الدنيا وما يحق بمن ضل بنفسه ومن ضل
بغيره كان هؤلاء الكفرة يطلبون وجه الاعتذار بما لا عذر لهم فلذلك يقال لهم لا تختصموا وقد قدمت اليكم
بالوعيد اي ارسلت اليكم الرسل ومعهم الكتب وفيها الوعيد فلم تقبلوا ذلك كله فان قيل قال ههنا لا
تختصموا لدي وقال في موضع اخر ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وبين الايتين مخالفة من حيث الظاهر
فما وجه التوفيق بينهما قيل من وجوه ثلاثة احدها قال بعضهم قوله لا تختصموا لدي في اهل الكفر خاصة و
قوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون في اهل القبلة وهو في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا والثاني ما
قال بعضهم بان احدى الايتين في موضع والاخرى في موضع فيؤذن لهم بالكلام فيه حتى يكون جمعا بين الايتين
وهو كقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقال في اية اخرى ولا يتساءلون وقال في اية اخرى
يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر فعلى ذلك والثالث جايز ان يكون قوله تعالى لا تختصموا لدي في الدنيا
فيما بينهم وبين ربهم في دفع عذاب الله عن انفسهم وذلك لا يملكون ولا ينتفعون به واما قوله تعالى ثم انكم
يوم القيمة عند ربكم تختصمون فيما بين انفسهم في المظالم والغرمات والله اعلم وقوله عز وجل ما يبدل القول
لدي هذا يحتمل وجوها احدها ما يبدل ما استحق كل واحد منكم من العذاب والثواب ما سبق مني من الوعد
والوعيد في الدنيا بان اجعل جزاء الكافر الجنة وجزاء المؤمن النار اذ قد سبق في وعدي ووعيدي
بان اجعل الجنة مثوى المؤمنين والنار مثوى الكافرين فلا يبدل ذلك الوعد والوعيد والثاني ما يبدل القول
لدي يحتمل انه اراد به قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين والثالث اي لا يبدل اليوم ما يستوجب به الجنة و
الخلود فيها وهو الايمان عن غيب كما اخبر تعالى عز وجل من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب الاية فاما الايمان بعد
العيان لا ينفع كما اخبر عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا الاية وقوله عز وجل وما انا بظلام للعبيد اي
في العقل والحكمة تعذيب من اتى بالكفر والشرك فيكون ترك تعذيبه سفها وقوله عز وجل يوم نقول لجهنم هل
امتلات وتقول هل من مزيد هذا يخرج على وجهين احدهما على تحقيق القول من الله تعالى لجهنم هل امتلات وعلى
تحقيق القول من جهنم والاجابة له هل من مزيد وذلك جايز ان ينطق الله تعالى جهنم حتى تجيب له بما ذكر هل من
مزيد على ما ذكرنا من شهادة الجوارح عليهم والنطق منها الكل حتى اجابة الجوارح لهم لما قالوا لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء وعلى ذلك ما ذكرنا في قوله جل وعلا يا جبال اوبي معه والطير ونحو ذلك
ومثل هذا غير مستنكر في العقول على تقدير احداث الحيوة فيها التي هي شرط النطق عن علم والله اعلم والثاني على
التمثيل لا على حقيقة القول لها هل امتلات وعلى تحقيق الاجابة منها هل من مزيد ولكن على التمثيل لوجهين احدهما
اي ان جهنم لو كانت بحيث ينطق ويسمع وتعلم لو قلت لها هل امتلات فيقول هل من مزيد يخبر عن انقياد
المخلوقات له والطاعة والاجابة وهو ما ذكر في قوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا لا يكون من الدنيا حقيقة
التغرير قولا ولا فعلا ولكن معناه انها بما فيها من التزين وما فيها من الشهوات لو كان لها تمييز وعقل لغرتهم والله
اعلم والثاني وصف لها بالعظم والسعة واخبار عن انها تحتمل المزيد وان جمع من الكفرة ما لا يحصى على التمثيل و
هو كقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وذلك قوله جل وعلا وغرتهم
الحيوة الدنيا وصف لها بالتزين والحسن لنظام ما هي بما سول للناظر فيها العاقبة لاغترتهما من حسنها وزينتها فعلى
ذلك هذا والله اعلم ثم وقوله عز وجل هل من مزيد يخرج على وجهين احدهما هل بقي من احد يزداد في فاني قد امتلات
وليس في سعة يحتمل غيرها والثاني هل من مزيد اي في سعة عظيمة فهل من زيادة خلق هل امتلات بهما الان الله
تعالى وعد ان تملا جهنم كما قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فتسال المزيد من ربها لتملئ والله اعلم بذلك
وقال بعض اهل التاويل بانها تسال الزيادة حتى يضع الرحمن قدمه فيها فتضيق باهلها حتى لا يبقى فيها
مدخل رجل واحد وروي خبرا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وانه فاسد وقوله

بالتشبيه وقد قامت الدلايل العقلية على ابطال التشبيه فكل خبر ورد مخالفا الدلايل العقلية يجب رده ومخالف
لنص التنزيل وهو قوله عز وجل ليس كمثله شي ثم هذا الخبر على قول المشبهة على ما توهموا مخالف للكتاب
لان الله عز وجل قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وعندهم لا يمتلي بهم ما لم يضع الرحمن قدمه فيها
ثم ذكر البلخي ان مدار ما ذكروا من الحديث على حماد بن سلمة وكان منحرفا مفندا في ذلك الوقت لم يجز ان يوخذ منه
ما روى في خبر انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يلقى الله تعالى بشر فيضع في
النار حتى يمتلي فهذا يحتمل ما ردوا والله الموفق وقوله عز وجل وازلفت الجنة للمتقين اي قرب وذكر في
اية اخرى وسيق الذين اتقوا الى الجنة زمرا ذكرها هنا بقريب الجنة الى اهلها وذكر ثم سوق اهل الجنة اليها
فبين الايتين مخالفة من حيث الظاهر ولكن يحتمل وجهين احدهما ان اهل الجنة اذا قربوا منها بالسوق اليها قربت
اليهم لان احد الشيئين اذا قرب الى الاخر قرب الاخر منه وبزوال البعيد بزوال المسافة وذلك معروف ويحتمل
ان يكون اخبارا عن وصف الجنة انها بحال بقرب الى اهلها وتزلف ذكر في الجنة التقريب وفي النار البروز والظهور
بقوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين فهو والله اعلم ان اهل النار كانوا يجحدون النار وينكرونها فبرزت الجحيم
ليروها ويطلعون عليها وهو كقوله عز وجل لترون الجحيم فاما اهل التاويل فانهم كانوا يغترون بالجنة ولكن
لا يرون انفسهم من اهلها لما بدرت منهم من الخطايا والزلات ويرونها بعيدة من انفسهم فذكر الله تعالى التقريب
لهم ووعدهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل غير بعيد اي غير بعيد منهم بل بحيث يرونها وقت وقوفهم في القيمة
والله اعلم والثاني اي غير بعيد منهم في الدنيا اي ياتونها ويكونون من اهلها عن قريب لان كل ما هو ات فكات
قريب والله اعلم ويحتمل اي غير بعيد منهم في الجنة اذا دخلوها من الثمار والفواكه بل قريب منهم ينالونها فكيف شاوا
والله اعلم وقوله عز وجل هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ الاواب الرجاع من الاوبة هي الرجوع فمعناه لكل رجاع الى الله
تعالى كل وقت او رجاع الى امره وطاعته وقوله عز وجل حفيظ اي يحفظ نفسه عن المعاصي والزلات سرا وعلانية والحافظ
لحدوده في اوامره ونواهيه وهو كقوله تعالى المتقين والمحسنين اذ التقوى هو الايتمار بما امر والامتناع عما نهى وخطي
والاحسان هو العمل بجميع ما يحسن في العقول وقوله عز وجل من خشي الرحمن بالغيب اي خاف وحذر بما اوعد ثم يخرج على وجهين
احدهما اي من خشي الرحمن بالغيب اي قبل ان يرى على ظاهر ما ذكروا والثاني اي من خشي الرحمن في الدنيا التي هي حال غيب
الذي لا يرى بالمواعيد التي اوعدها وحذر عنها قبل ان يعاينها اذ هو لم ير ذلك العذاب فيصدقه فيما اوعد وخافه وهو كقوله
تعالى ويحذركم الله نفسه اي عقوبته ونقمته والله اعلم وقوله عز وجل وجاء بقلب منيب والمنيب هو المقبل على الله
تعالى بجميع اوامره ونواهيه المطيع له في ذلك كله وقوله عز وجل ادخلوها بسلام كانه على الاضمار اي يقال لهم ادخلوها
بسلام الملائكة اي يسلم الملائكة عليهم وقت دخولهم الجنة كقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين والثاني
السلام هو اسم من اسماء الله تعالى فيقال لهم باسم الله على ما هو الاصل وفي كل خبر انه يبتداء باسم الله تعالى
امتثالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدا باسم الله فهو ابتر وقال بعضهم ادخلوها
بسلام اي سالمين عن الخوف والحزن لا انه تصيبكم فيها وهو قوله ادخلوها بسلام امنين عن الخوف والحزن
ويحتمل اي ادخلوها ولا كلفة عليكم ولا امر ولا محنة سوى الثناء على الله تعالى والحمد له وتسليم بعضكم على
بعض بل يسقط عنكم جميع المحن والاوامر التي عليكم في الدنيا وذلك قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
وكانه لا شي الذ في الدنيا على اهل الايمان من الثناء على الله تعالى وتسليم بعضهم على بعض فلذلك ابقى ذلك في الجنة
واسقط ما وراء ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ذلك يوم الخلود يحتمل اي ذلك يوم الخلود لاهل الجنة من السرور
والراحة ولاهل النار بالعقوبة والعذاب ويحتمل اي يوم لا انقطاع لذلك الذي وعدوا وهي الجنة والله اعلم
وقوله عز وجل لهم ما يشاؤن فيها اي لهم ما يختارون فيها لا يعثرون ولا يكرهون فيها على شي اذ المشية هي
صفة كل فاعل مختار وان كانت المشية مشية التمني والتشهي فكانه قال لهم ما يتمنون ويتخيرون كقوله لكم فيها
ما تشتهي انفسكم وقوله عز وجل ولهم ما يشتهون والله اعلم وقوله عز وجل ولدينا مزيد قال بعض اهل التاويل
بانه ياتيهم سحابة فيمطرهم كل ما يشاؤن وذلك هو المزيد لهم في الجنة وقال بعضهم بانه تنبت لهم شجرة تتساقط لهم
كل ما يشاؤن فذلك هو المزيد لكن يحتمل وجهين احدهما النظر الى رؤية الرب جل وعلا وهو كقوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة قيل الزيادة هو رؤية الله تعالى في الجنة ويشبه لدينا مزيد من نعيمها ما لا يبلغ تمنيهم وتشهيهم
كقوله عليه السلام في صفة نعيم الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان الاماني والشهوات
انما يكون لما سبق بجنسه من الذي يقع عليه الرؤية والنظر او الخبر فاما ما لا معرفة له فلا يتمنى ولا يشتهى والله اعلم
وقوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص هذا يخرج على وجهين احدهما
يقول كم اهلكنا قبلهم من قرن لم يملكوا دفع ذلك عن انفسهم ولا الانتصار عن ذلك فكيف يملك قومك دفع ما

لو اصروا على التكذيب والثاني يقول قد اهلكنا الذين كانوا قبل قومك الذين كذبوا رسلهم هلكوا اهلاك عقوبة
وتعذيب والذين صدقوا هلكوا باجالهم لا اهلاك عقوبة وقد كانوا جميعا المصدقين والمكذبين سواء في
هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما والله اعلم وقوله عز وجل فنقبوا في
البلاد قال ابو عوسجة فنقبوا في البلاد هل من محيص اي صاروا في البلاد هل من مفر وقال القتبي فنقبوا في
البلاد اي طافوا وتباعدوا هل من محيص اي هل يجدون من الموت محيصا اي مفرا ويحتمل اي تقلبوا في البلاد
في تجاراتهم فلا يجدون ملجاء يريد به هلاكهم يوعد بما ذكر اهل مكة انهم لم يجدوا محيصا فكيف تجدون انتم
وقوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يحتمل وجوها احدها ان في ذلك لذكرى اي عظة لمن كان له
قلب والثاني فيما ذكر من اهلاك الامم الخالية وذهاب اثارهم بتكذيبهم الرسل لذكرى لمن ذكر والثالث اي
فيما ذكروا من استواء المحسن والمفسد في هذه الدنيا الصالح والطالح لذكرى لمن كان له قلب ان هنالك دارا
يميز فيها بينهما وقوله لمن كان له قلب اي عقل وفهم اولمن كان له قلب ينتفع به في التامل والنظر وانما كنى
بالقلب عن العقل لان الناس اختلفوا بعضهم قالوا ان القلب محل العقل وقال بعضهم محله الراس لكن نوره يتصل
الى القلب فيبصر القلب الاشياء الغايبة بواسطة العقل فكذلك كنى بالقلب عن العقل لمجاورة بينهما وهو شايع
في اللغة وقوله عز وجل او القى السمع وهو شهيد اي يستمع وهو شاهد سمعه وقلبه واصله ان القلب جعل
للوعي والحفظ بعد الادراك والاصابة ثم اصل ما يقع به العلم والفهم سببان التامل والنظر في المحسوس
والثاني ان يلقى اليه الخبر وهو يستمع له فكانه يقول والله اعلم ان في ذلك لذكرى لمن كان قلب يطلب الرشد
والصواب وينظر ويعي ويحفظ او القى السمع بما القي اليه وهو شاهد السمع والقلب فيكون الذكرى لمن
اختص بهذين او ينتفع به هذان الصنفان بالتامل فيرى بالعقل محاسن الاشياء ومساويها او سمع
حقيقة ذلك فيتذكر والله اعلم وقوله عز وجل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما
مسنا من لغوب ثم ذكرنا فيما تقدم تاويل خلق السموات والارض في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي
من اعياء وتعب ونصب وفيه نقض قول اليهود لعنهم الله مراحا ونفي ايهام المشبهة في قولهم ثم استوى
على العرش ويتبين المراد من قوله عز وجل ثم استوى على العرش اما نقض قول اليهود لعنهم الله فانهم يقولون
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استراح في يوم السبت وهم يتركون العمل يوم السبت لهذا فالله
عز وجل اخبر انه لم يمسه بخلق ما ذكر اعياء ولا لغوب على ما زعمت اليهود لعنهم الله فيكون ردا لقولهم صريحا
واما نفي ايهام المشبهة فانهم توهموا ان قوله ثم استوى على العرش على اثر خلق السموات والارض وما بينهما
في اية اخرى ان ذلك للراحة فشبهوا الله تعالى بالخلق انهم اذا فرغوا من اعمال عملوها ثم استووا على شي انما
يستوون للراحة فقالوا بالاستواء على العرش حقيقة والله تعالى نفى التعب عن نفسه في خلق السموات
والارض على ان استواءه ليس للراحة حتى يراد به الاستقرار كما في الشاهد بين الخلق وبين تعاليه وبراءته
عما توهمت المشبهة وشبهوه بالخلق وتبين بذكر الاستواء على العرش بعد ذكر خلق السموات والارض على
ان المراد منه التمام اي ثم ملكه بعد خلق السموات والارض وما بينهما بخلق العرش ويذكر الاستواء ويراد به
التمام والله اعلم قال ابو عوسجة اللغوب الاعياء يقال لغب يلغب لغوبا فهو لاغب واصله ما ذكرنا ان خلق
الله تعالى الاشياء لا لمنفعة له او حاجة يقع له ولا بالالات والاسباب التي بها يقع التعب والاعياء
في الشاهد والاعياء انما يلحق من فعله الحركة والانتقال والسكون فاما الله تعالى انما يخلق الاشياء بقوله كن
ويتعالى عن ذلك وهو قادر بذاته فاعل لا بالة وسبب فاني يقع له الاعياء والتعب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وقوله عز وجل فاصبر على ما يقولون اي فاصبر على ما يقولون فيك انك ساحر وشاعر ومجنون ونحوه فامره بالصبر على ذلك وان لا
يدعو عليهم بالهلاك ويحتمل فاصبر على ما يقولون في الله من معاني الخلق فلا تحاربهم ولا تقاتلهم ولا تدعو عليهم بالهلاك ولكن
اصبر فان الله تعالى ينتقم منهم لك وانما امره بالصبر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سريع الغضب لله تعالى فيما عاين من
المناكير وسمع وكذلك جميع الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام لذلك امره بالصبر فيما يقولون في الله او فيه وقوله عز
وجل وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قيل بحمد ربك اي بالثناء على ربك اي اثن عليه بما هو اهله وما يليق به
واهل التاويل يفسرون التسبيح في هذا الموضع وفي غيره من المواضع بالصلوة فمعنى قوله تعالى فسبح بحمد ربك اي صل بامر ربك
وانما صرفوا التسبيح الى الصلوة لان الصلوة من اولها الى اخرها وصف الرب تعالى بالتعظيم والتنزيه والبراءة عن كل عيب
قولا وفعلا ولانه لما قام الى الصلوة فقد فارق جميع الخلايق بما هم فيه وكذلك اذا اجتنبا الركوع والسجود فارق جميع
الخلق فيما هم فيه من الامور واعتزلهم واشتغل بمناجات ربه جل وعلا فجاز ان يكون تسميتهم التسبيح صلوة لهذه و
يحتمل ان تسموا صلوة لما ان في الصلوة تسبيحا وقوله عز وجل قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قال بعضهم قبل صلوة

الفجر وقبل غروبها وقال بعضهم صلوة العصر والظهر لانهما جميعاً قبل غروب الشمس وقوله وادبار السجود قال
عامة اهل التأويل هما ركعتان بعد المغرب وذلك جائز محتمل ويحتمل ان يكون ادبار السجود ما ذكر في آية
اخرى حيث قال اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وتفيؤ
الظلال انما يكون بالنهار وهو تسبيح الظلال فمعناه وسبحه وقت ادبار سجود ذلك الظلال والذي اخبر انه
يتفيؤ اذ فيه هو تسبيحه وهو ما ذكر في قوله تعالى فسبحه وادبار النجوم هو ذهاب النجوم فعلى ذلك قوله تعالى
وادبار السجود اي سبحه بعد ذهاب سجود الظلال فذلك انما يكون بعد ذهاب الشمس وغيبوبتها والله
اعلم وقوله عز وجل واستمع يوم يناد المناد كان هذا صلة قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون وانتظر يوم يناد
ولا تكافئهم ولا تنتقم منهم ولكن اصبر وانتظر ذلك اليوم ثم وقوله يناد المناد يخرج على وجهين احدهما كقوله تعالى
يوم يدع الداع الى شيء نكر يوم يناد المناد اي يوم يدعوهم الداعي الى شيء انكروا والثاني ما ذكر من نداء بعض
لبعض كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار الآية وقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة وقوله عز وجل انظرونا
يوم ينادون ويدعون الى ما انكروا ويوم ينادي بعضهم بعضا وقوله عز وجل من مكان قريب اي من مكان يسمعون
ما ينادون ويدعون ويعرفون ما يراد بالدعاء ومن يراد به اي ينتهي ذلك الدعاء والنداء الى كل في نفسه
حتى يعرفه وذكر اهل التأويل ان المنادي هو جبرئيل عليه السلام ينادي عند بيت المقدس بنداء يسمعه كل احد
وبيت المقدس ارفع مكان في الارض وهو يقرب من السماء بكذا وكذا ذراعا فهو المكان القريب ولكن هذا لا
معنى له فانه يسمع صوته جميع الخلائق وان لم يقم في ذلك المكان وليس المراد من القرب ما ذكره ولكن على الاسماع
في اي موضع كانوا ومن يسمع شيئا فذلك منه قريب والله اعلم وقوله عز وجل يوم يسمعون الصيحة بالحق الصيحة
النفخة او النداء الذي ذكر ثم قوله تعالى بالحق يحتمل وجهين احدهما اي يسمعون الصيحة بما اوعدهم الرسل من
المواعيد فيتحقق لهم ذلك في ذلك اليوم ويحتمل بالحق اي يتحقق ذلك اليوم لان الرسل عليهم الصلوة
والسلام قد اخبروهم بذلك اليوم وهم انكروه او بالحق الذي لبعضهم على بعض اي يستوفي بعض من بعض ما لهم
من الحق في ذلك اليوم وامروا باداء الحقوق في ذلك اليوم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك يوم الخروج قبل يوم الخروج
من قبورهم وقبل يوم الخروج والبروز الى الله تعالى وقوله عز وجل انا نحن نحيي ونميت اي نحيي الموتى ونميت الاحياء
اي نحن نملك ذلك لا يملك احد ذلك غيرنا وقوله عز وجل والينا المصير خص ذلك اليوم بالمصير اليه وان كان في
الاوقات كلها صايرين اليه لما ذكرنا من الوجوه في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل تشقق الارض عنهم سراعا
يحتمل ان يكون ما ذكر من السراع وهو صفة تشقق الارض كانه يقول يوم تشقق الارض سراعا لا ينتظر طرفة عين
ولكن تتشقق اسرع ولمحة البصر ويحتمل ان يكون وصف سرعة خروجهم من الارض يقول يوم يسرعون الخروج
من الارض وقوله عز وجل ذلك حشر علينا يسير وغير الحشر يسير على الله تعالى ايضا ليس شيء ايسر عليه من شيء لكن خص
ذلك بالذكر لان اولئك الكفرة استبعدوا ذلك اليوم واستعظموا كونه فخص ذلك اليوم باليسير لهذا او ذو جود
الاشياء كلها بالتكوين الازلي وعبر عن ذلك بحرف كن لمعرفة العباد لان التكوين الذي به وجود المكونات
مما يوصف بالحرف وفي ذلك يستوي ابتداء الخلق واعادة والحشر وكل شيء ولا قوة الا بالله وهو كقوله وما
امر الساعة الا كلمح البصر والله الموفق وقوله عز وجل نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار يقول والله اعلم بما
يقولون فيكافيهم او يقول عن علم بذلك نتركهم على ذلك ونمهلهم يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك
ليتسلى به بعض ما يحزن عليه وقوله عز وجل وما انت عليهم بجبار قال بعضهم من الجبر والقهر اي ما انت بقاهرهم
عليهم بجبار يجبرهم على التوحيد وقال بعضهم من التجبر والتكبر والجبار هو الذي يقتل بلا ذنب ولا حق وقيل
اي وما انت بمسلط عليهم وهو كقوله عز وجل وما جعلناك عليهم حفيظا اي مسلطا وقوله عز وجل فذكر بالقرآن
من يخاف وعيد اي بلغ ما انزل اليك فعليك التبليغ وانا المجازي بهم والمكافي بما يفعلون ثم ليس يخص بالتذكير
من يخاف الوعيد لكن امر بتذكير الكل لان منفعة التذكير يكون لمن يخاف الوعيد لا لمن لا يخاف الوعيد فلذلك
خصه بالذكر لكن التخصيص بالذكر لا يكون تخصيصا بالحكم فنفيا عن غيره فيبطل بهذا مذهب من ادعى ذلك والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والذاريات ذروا سئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال والذاريات هي الرياح فالحاملات
وقرا هي السحاب فالجاريات يسرا هي السفن فالمقسمات امرا هي الملائكة وعلى هذا خرج اول قول عامة اهل
التأويل الا ابن مسعود رضي الله عنه فانه قال والذاريات ذروا هي الملائكة ثم يحتمل ان يصرف هذه الآي
كلها من الذاريات وغيرها الى الرياح خاصة فالذاريات هن تذرين الاشياء ذروا فالحاملات وقرا هو يحملن

السحاب وغيرها في الآفاق وجائز ان يصرف كل حرف من ذلك الى نوع وجنس على ما حمله اهل التأويل وصرفه
اليه قال القتبي ذرت الريح تذرو واذرت ومنه قوله تعالى فاصبح هشيما تذروه الرياح وشاة ذريت البرلان
التذرية لا يكون الا بالريح وتذريت اي شرفت من الذروة وذرى الرجل بذا زرى اي شمط وشاة ذرا
اذا كان في ذنبها بياض فالجاريات يسرا اي سهلا اي تجري السفن في الماء جريا سهلا وقال ابو عوسجة
اي هينا ثم المقسمات امرا هم الملائكة واختلفوا في التقسيم قال اربعة املاك يقتسمون الامور جبرئيل
عليه السلام ينزل في انزال العذاب والشدائد وميكائيل ينزل في انزال النعمة والرخاء والرحمة واسرافيل
نفخ الصور وملك الموت في قبض الارواح فكل واحد من هؤلاء موكل في امر على حدة وقال بعضهم الملائكة
الذين ينزلون بالوحي يأخذ هذا من هذا اذ الله تعالى ارسل الوحي على يدي من يشاء من ملائكته والله اعلم ثم اختلف
في ذكر هذه الاشياء من الرياح والسفن والملائكة لماذا قال عامة اهل التأويل انما ذكرها على القسم بها انما ذكرها
على سبيل تعداد النعم والمنافع التي جعلها الله تعالى لهم واحتج هؤلاء وقالوا ان الله تعالى نهانا عن القسم بغيره فكيف
يقسم بغيره فيكون هذه الاشياء على الامتنان لا على القسم اختلفوا فمنهم من يقول القسم باعيان هذه الاشياء
لعظم منافع الاشياء عند الخلق ومنهم من يقول ان القسم بالله تعالى لا بعين هذه الاشياء على الاضمار كانه قال والذي
ذرا والذاريات ذروا والذي خلق الحاملات وقرا والجاريات يسرا والمقسمات امرا وكقوله تعالى فورب السماء
والارض فيكون القسم بخالق هذه الاشياء لا بانفسها وكل واحد من الوجهين لان القسم خرج لرفع شبهة الكفرة
في البعث وارتيابهم فيه بعد ما اقام عليهم حجج البعث وبراهينه على انه كائن لا محالة ونظروا فيها لتزال ذلك الارتياب
والشبهة عنهم والقسم لتاكيد ما وقع عليه بما يكون عندهم له حرمة وقدر وعظمة فيدلهم ذلك على تاكيد
الخبر المقرون بالقسم فالقسم من الله تعالى بانه خالق هذه الاشياء المذكورة مما يحل ويعظم عند الكفرة لما كانوا
يقسمون بالله تعالى عند عظم الامور كما اخبر تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم فيصلح لتاكيد ما وقع عليه القسم و
كذلك القسم بهذه الاشياء يصلح مؤكدا لعظم خطر هذه الاشياء عندهم لما يحل منافع هذه الاشياء والرغب في المال
انهم انما يقسمون بالذي عظم خطره وجل قدره عنده فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما عرف عظم خطرها وجليل
قدرها عنده فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما عرف عظم خطرها وجليل قدرها عندهم فمنافع الرياح مما يكثر عدها
تداخلت بها اقواما ربما استاصلتهم وبها تلقح الاشجار المثمرة وغيرها وبها تساق السحاب في الآفاق للامطار
تجري السفن في البحار وغيرها من المنافع وبها تسيب الحيوانات بالسفن وبدخول الريح فيهم ونحوها في تذرية الغلات
بحيث لولاها لتخرج الناس في التذرية وفيها آيات فان الريح جسم لطيف يرى ولا تدرك ليعلم ان الرؤية لا يوجب
الاحاطة والادراك وغير ذلك من جهة الآيات على ما تقدم وكذلك اقسم بالحاملات وقرا وهي السحاب الذي
فيه منافع الخلق من حمل الامطار والتظليل في الحر ونحو ذلك مما فيه من الآيات اذ هو يمسكها في الهواء حيث لا
يقع بسوق الرياح مع ما فيه من الحمل والوقر ثم يرسل المطر حيث امر اذ قد يوجد السحاب ولا مطر دل انه لم يرسل
بنفسه بل بالامر يرفع ويمسك ويرسل وهو في نفسه مسخر لا مدبر مسخر اذ لو كان عمله بالطبع لم يختلف باختلاف
الاحوال وفيه آيات البعث اذ الخلق مثله لا يكون الا لعاقبة وكذلك اقسم بالجاريات يسرا وهي السفن لما فيها
من منافع الخلق اذ لولاها لا يقع بعض المنافع عن الخلق اذ ما يحتاج المرء من المنافع لا يوجد في المكان واحد بل خلقها
متفرقة في اماكن فلا يتحصل هذه المنافع والحوائج شأن الحمل على ظهور الدواب في البر وفي السفن في البحار مما فيها من الآيات
العظيمة بما جعلها بحيث لا تسفل في الماء مع ثقل الاحمال بل يجري بها الريح وحيث ما شاؤا بامر الله تعالى والملائكة
منافعهم عظيمة ظاهرة وعظم قدرهم وجلالة خطرهم واضح واذا كان كذلك فكان القسم بهذه الاشياء لتاكيد
الخبر المقسم عليه مما يعقل وهو متعارف ولا معنى لقول اولئك انه نهى عباده عن القسم بغيره فكيف يقسم
بنفسه اذ لا يجوز ان يقسم هو بشيء نهانا عن القسم به اذ القسم بشيء يحمل تلك الاشياء وتعظيمها وانها لا تستحق
التعظيم بانفسها بل بالله تعالى فامرنا بالقسم وتعظيمها وانها لا يستحق التعظيم بانفسها بل بالله تعالى فامرنا بالقسم
بالله تعالى اذ هو مستحق التعظيم بانفسها في الحقيقة اذ هو خالق الاشياء كلها فاما القسم من الله تعالى بشيء ليس لتعظيم
ذلك في نفسه بل بيان منه قدر منافعه التي للخلق فيه التي عظمت وجلت عندهم فيكون لذكرها خطر عندهم والله
اعلم ثم ذكر افعال هذه الاشياء التي اقسم بها ولم يذكر انفسها والقسم انما يكون بالانفس لا بالافعال فاما ان عرف
اولئك الكفرة انفس هذه الاشياء بذكر افعالها وتحت فزع بذكر هذه الافعال سمعهم او اذا لم يعرفوا ليسألوا
عنها وما اريد بها والله اعلم وقوله عز وجل انما توعدون لصادق وان الدين لواقع هذا موضع القسم والصدق انما يكون
يستعمل في الخبر فكانه قال ان ما اخبركم الرسول بالبعث او وعدكم به صادق في خبره ووعده اذ الوعد في الجملة مما قد يكون
صدقا وكذبا فاكد هذا الوعد من الرسول بالقسم انه لصادق فيما وعد من البعث وغيره وكذلك قوله تعالى وان الدين

لواقع موضع القسم اي الجزاء لواقع كاين وقيل ان المراد من الدين الحساب لكاين لا محالة والله اعلم وقوله عز وجل
والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف قسم ايضا بالسماء ذات الحبك وموضع القسم انكم لفي قول مختلف ثم
اختلف في تاويل قوله تعالى والسماء ذات الحبك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ذات الحبك قال لحسنها واستوائها
وقال بعضهم ذات حبك اي ذات بنيان متقنة محكم وكلا التاويلين يرجعان الى واحد فان حسن خلق السماء بالاتقان
والاحكام يقال للحايك اذا احسن النسج واحكمه حبك الثوب قال الحسن حبك بالنجوم وحبكت بحسن الخلق وقال
بعضهم ذات الشدة والاستواء يقال حبكت الحبل اذا شددت فتله كذلك قاله ابو عبيدة وقال القتبي ذات
الحبك اي ذات الطرايق وكذلك قاله ابو عوسجة ثم هو على ما ذكرنا من الوجهين ان القسم بخفي السماء او برب السماء
والله اعلم ثم وقوله عز وجل انكم لفي قول مختلف يخرج على وجوه احدها انكم لفي قول مختلف في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي قران ما لو كان ذلك القول منكم عن علم ومعرفة ثم يخرج مختلفا متناقضا لانهم قالوا في رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه مجنون وانه ساحر وانه شاعر وانه مفترى وهذا مختلف متناقض لان الساحر هو الذي يبلغ
في معرفة الاشياء غايتها وكذا الشاعر ولا يحتمل ان يبلغ المجنون ذلك المبلغ محال فيكون لنسبتهم اياه
الى هذا الجملة في حال واحدة يخرج على التناقض وكذلك قولهم في القران انه احاديث الاولين وانه مفترى
والافتراء خلاف الاساطير مع انهم عجزوا عن اتيان مثله فيكون هذا متناقض من القول فدل اختلافهم
في القول فيهما على انهم قالوا ذلك عن جهل لا عن علم اذ لو كان عن علم ذلك لكان لا يختلف ولا يتناقض و
هذا الخطاب على هذا التاويل للكفرة والثاني انما قال ذلك في الدلالة على البعث انكم لفي قوله مختلف اي في
عقولكم الاختلاف والافتراق بين المصلح والمفسد والمحسن والمسيء وقد عرفتم الاستواء بينهما في هذه الدنيا
دل ان هنالك دارا اخرى فيها يفرق بينهما ويميز وهذا التاويل لا يختص به الكافر بل يعم الكل والله اعلم
والثالث انكم لفي قول مختلف اي قول متفرق ومذهب متناقض فانهم كانوا يعبدون اشياء على هواهم
فاذا هووا اشياء اخر تركوا ذلك وعبدوا غيره وكذلك يقولون قولا بلا حجة ثم يرجعون الى قول اخر تركوا
ذلك وعبدوا غيره لا ثبات لهم على شيء وهو كقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما
جاءهم العلم والرابع انكم لفي قول مختلف اي في امر الاخرة لان منهم من يدعي ان الاخرة لهم لو كانت
ومنهم من يدعي الشركة مع المسلمين فرد الله تعالى عليهم بقوله يوفك عنه من افك وهو كقوله تعالى افنجعل
المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا و
عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون والخامس يحتمل اي مواعيدهم ومنازلهم مختلفة في الاخرة
والله اعلم وذكر بعض اهل التاويل ان الناس ياتون مكة من البلدان المختلفة ليفحصوا عن اخبار رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويسمعوا كلامه فكان كفار مكة ليصدونهم عنه ويقول بعضهم انه مجنون
وبعضهم انه كذاب وبعضهم شاعر وكذلك قوله تعالى انكم لفي قول مختلف وقوله عز وجل يوفك عنه
من افك يحتمل وجوها احدها اي يصرف عن الحق من صرف عن النظر والتفكر في العاقبة والثاني
صرفوا عما رجوا في الاخرة لما صرفوا عن الحق في الدنيا لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان يقربهم
عبادتها الى الله تعالى وانها شفعاؤهم عند الله تعالى فيحرم من رجاء في الاخرة لما صرف عن الحق في الدنيا
والله اعلم والثالث يصرف من طمع في الاخرة الشركة مع المسلمين او ادعى الخلوص بما صرف في الدنيا عن الايمان
الذي به نيل الاخرة والرابع يوفك عنه اي عن الحق من افك اي صرف عن الحق من صرف لقوله تعالى ثم انصرفوا
صرف الله قلوبهم الاية وقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقوله تعالى قتل الخراصون قال ابو بكر الاصم
الخراص الذي يكذب على العمد ولكن عندنا الخراص الذي يكذب ويقطع على الظن ومنه يقال للذي يقدر
الشيء ويفرقه بالظن خراص فعلى ذلك يحتمل قوله الخراصون ثم قوله قتل الخراصون يحتمل حقيقة القتل و
يرجع الى قوم خاص قتلوا والثاني قتل اي لعن واللعن هو الطرد اي طردوا عن رحمة الله وانما سمي
قتلا لان القتل سبب للتبعيد عن منافع الحيوة بالقتل خرج من ان يكون منتفعا به واللعن هو الطرد عن رحمة
الله التي بها يقع ويتحقق المنافع في الاخرة والله اعلم وقال اهل التاويل الخراصون الكاذبون وكذا قال اهل
الادب وقوله عز وجل الذين هم في غمرة ساهون اختلف في تاويله قال بعضهم اي في غفلة وقال بعضهم
اي في غفلة وقال بعضهم اي في اغطاء وغشاء كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة وقوله عز وجل بل قلوبهم
في غمرة من هذا الذي في اغطاء وغلف وقال بعضهم اي في غواية عن امر الاخرة ولكن الكل يرجع الى معنى
واحد وقوله ساهون اي ساهون عن الحق وعما دعوا اليه وقيل ساهون اي غافلون وقيل اي لاهون
عن التوحيد والايمان وقيل ساهون اي تاركون الايمان واصل السهو هو الترك وهو كقوله تعالى نسوا الله

فنسيهم اي تركوا والله اعلم وقوله عز وجل يسألون ايان يوم الدين الاية كانوا يسألون عن يوم القيمة سؤال
استهزاء وعناد لا سؤال استرشاد ولذلك قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون ولو كان سؤالهم سؤال
استرشاد لكان لا ياتيهم ذلك الوعيد الا ترى ان جبريل عليه الصلوة والسلام سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الايمان والاسلام في حديث طويل وساله عن الساعة فلم يات الوعيد فلا ذم في سؤاله ذلك لانه
سؤاله سؤال استرشاد وقوم موسى عليه السلام لما سالوا رؤية الرب تعالى بقولهم ارنا الله جهرة فاهلكوا لانهم
سالوا سؤال استهزاء وتعنت لا سؤال استرشاد واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سالوا الرؤية ايضا
ووعدوا في الاخرة لما انهم سالوا سؤال استرشاد لا سؤال استهزاء فعلى ذلك اولئك الكفرة سالوا عن القيمة
سؤال استهزاء متى يكون الساعة التي تعدنا بها واين وقت العذاب الذي تعدنا به لذلك قال جوابا لهم يوم هم على
النار يفتنون والله اعلم وفي الاية دلالة على ان الحكم لا يبنى على ظاهر المخرج فانه لا فرق بين سؤال الكفرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الساعة وبين سؤال جبريل عليه السلام اياه عن الساعة ثم اجاب لجبريل عليهما السلام ما
المسؤل بها باعلم من السايل ثم الجواب للكفرة يوم هم على النار يفتنون ثم من شهد التنزيل علم
المراد من التنزيل ان احد السؤالين خرج على الاستهزاء والاخر على الاسترشاد فحملوا احدى الجوابين على احدى
الحالتين والاخر على الحال الاخرى دل ان الحكم لا يبنى على ظاهر المخرج ولكن يجب النظر ليعرف المراد اما بالسؤال من شهد
النازلة او من حيث المعنى المودع فيه والله اعلم ثم وقوله يوم هم على النار يفتنون يخبرهم عن اليوم الذي يفتنون فيه
وقيل فيه بوجهين احدهما يفتنون اي يبتلون ويمتحنون بالشدة والعذاب والفتنة هي المحنة التي فيها الشدة
والبلاء فسمي العذاب فتنة لما فيه من الشدة وقال بعضهم يفتنون اي يحرقون وقوله عز وجل ذوقوا فتنتكم
اي ذوقوا العذاب فيه الشدة وقوله عز وجل هذا الذي كنتم به تستعجلون اي تستعجلون في الدنيا وتزعمون انه لا يكون
في الاخرة وقوله عز وجل ان المتقين في جنات وعيون والاشكال كيف ذكر ان المتقين في جنات وعيون وهم
يكونون في العيون بحيث يرونها ويقع عليها ابصارهم وينتفعون بها وهو كقوله تعالى يلبسون من سندس واستبرق
وانما هم يلبسون السندس فاما الاستبرق فهو البسط وغير ذلك من الانتفاع به فعلى ذلك ما ذكر كون المتقين
في جنات وعيون يكونون في الجنة وينتفعون بالعيون والله اعلم ثم وقوله عز وجل ان المتقين اي الذين اتقوا
الشرك والكفر ويحتمل الذين اتقوا مخالفة الله على الاطلاق عملا وقولا واعتقادا ويحتمل اي الذين اتقوا المهالك
وقوله عز وجل اخذين ما اتاهم ربهم يحتمل وجهين احدهما اي قابلين ما اتاهم ربهم في الدنيا من الصدق والقوة والمال
مما انعم الله تعالى والقيام بشكره والعبادة له والاستعمال في طاعته لذلك قال انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل
ذلك يحق الاحسان فاستعملوها في حق الله تعالى والقيام بطاعته وعلى هذا التاويل كانه على التقديم والتاخير ان المتقين
في جنات وعيون انهم كانوا قبل ذلك محسنين اخذين ما اتاهم ربهم اي انما نالوا الجنة لما انهم كانوا في الدنيا كذلك والثاني
ما قاله اهل التاويل اخذين ما اتاهم ربهم في الاخرة اي راضين بما اعطاهم الله من النعيم في الجنة وهو كقوله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه وعلى هذا يخرج تاويلهم وقوله عز وجل انهم كانوا قبل ذلك محسنين في الدنيا ثم نعت احسانهم
فقال عز وجل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون قال اهل التاويل جميعا اي يصلون وانما حملوا
عليها لان الاستغفار طلب المغفرة وذلك مرة بالصلوة ومرة باللسان ومرة بدفع المال ويحتمل حقيقة الاستغفار
ايضا وانما مدحهم بذلك لان احرى وقت الاستغفار وقت السحر لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال
لنافع اذا كان وقت السحر فاعلمني به فكان هو يصلي الى وقت السحر ثم يدعوا ويستغفر في ذلك الوقت وقوله عز وجل
وفي اموالهم حق للسائل والمحروم قال بعضهم ان الاية في الزكوة لكن هذا لا يحتمل لان السورة مكية ولم يكن
بمكة الصدقة المفروضة الا ان يقال ان السورة مكية الا هذه الايات ان ثبت وجاز ان يكون ذلك الحق ليس هو
المفروض ولكن حق سوى الفرض وقيل ان الاية نزلت في قوم خاص جعل على انفسهم ان لا يردوا سايلا ولا محروما ولا
يمنعوا اموالهم من احد فمدحهم بذلك الا ترى انه ذكر الحق للسائل والمحروم وقد بين مصارف الزكوة الاصناف
الثمانية بقوله تعالى انما الصدقات للفقراء الى قوله تعالى فريضة من الله ثم اختلف في تاويل المحروم والسايل قال عامة
اهل التاويل المحروم هو الذي لا سهم له في الغنيمة والفيء بان لا يحضر وقت قسمة الغنيمة فلا ينال شيئا منها ويحرم
عن ذلك وقال بعضهم المحروم الذي هلك زرعه وكرمه ببلاء اصابه فحرم عن ذلك كما وصفهم في سورة الواقعة
انا لمغرمون بل نحن محرومون فلما حرموا زرعهم وصفوا بذلك وقيل المحروم الذي لا يعلم حرفة وهو كسبا وهو محارف
ايضا وقيل المحروم المتعفف الذي به فقر لكنه لا يسال الناس والسايل الطواف وعندنا الفقراء ثلاثة السايل الذي يطوف
ويسال الناس والمعتر الذي يعتر الناس ويظهر حاجته للناس ويتعرض للسؤال ولا يسال صريحا والمحروم هو الذي يستر
فقره وحاجته عن الناس لا يسالهم ولا يعتر لذلك ثم جاز ان يكون سماه محروما لذي حرم المكاسب واسباب العيش

من التجارة والحرفة وغيرهما وجايز ان يكون له المكاسب والاسباب لكنه محروم عن نوال المكاسب والارباح فى
التجارة يكتسب ويجعل تمت الاسباب لكنه محارف لا يرزق منها شيء والله اعلم وقوله عز وجل وفى الارض ايات
للموقنين هذا يخرج على وجهين احدهما اى فى الارض ايات ينتفع بها الموقنون وهم المؤمنون الذين علموا الايات
بطريق الايقان ويحتمل فى الارض ايات يعلم الموقنون حقيقة انها ايات فاما غيرهم فلا والله اعلم ثم يحتمل ايات
الارض ايات التوحيد وايات البعث وايات القدرة وغير ذلك على ما ذكر انه خلق وجه الارض من الدواب
والاشجار والنبات وانواع الثمار من غير ان عرف الخلق كيفية وجودها وما بيانها وانه لم يخلق مثلها للفناء حاجة
فيكون ايات لما ذكرنا وقيل اى فى خلق الارض ايات وهو انه خلقها وكانت تميد باهلها ثم ارساها بالجبال حتى
استقرت والله اعلم وقوله عز وجل وفى انفسكم ايضا ايات افلا تبصرون اى ايات الوحدانية والربوبية وايات
وايات وجوب الشكر والعبادة والامتحان اما ايات الربوبية وهو ان الله تعالى انشاء هذا البشر من نطفة ثم قلب تلك
النطفة علقة ثم العلقة مضغة ثم المضغة عظاما ولحما ثم ركب فيها الجوارح فى ظلمات ثلاث وما راعى
المصالح له فى الابتداء والصحة سليمة عن الافات غير متفاوتة فدل انه فعل واحد لا عدد وان له القدرة الذاتية
والعلم الذاتى لا المستفاد وان ما تقلبهم من حال الى حال وما ركب فيهم الجوارح التى بها يقبضون وبها ياخذون
وبها يدفعون ويسلمون وبها يبصرون ويسمعون وبها يمشون لم يفعل بهم لتركهم سدى ويهملهم فلا
يمتحنهم ولا يامرهم ولا ينهاهم وانه حيث سخر جميع خلائق من السماء والارض وما بينهما ما سخر الا ليمتحنهم
وليستادى منهم شكر ذلك كله وفيه اية البعث لانه لا يحتمل ان يكون منه ما ذكرنا ثم لا يبعثهم لتبشارة
المحسن منهم ومعاقبة المسيء ومجازى كل بقدر عمله اذ لو لم يكن لكان خلقه اياهم عبثا باطلا على ما ذكرنا
فى غير موضع وقيل فى انفسكم اى فى خلق انفسكم افلا تبصرون انه كيف سوى انفسكم على احسن الصور واحسن
التقويم بعد ان كان اصلها وجوهرها من ماء وكذلك اصل جواهر الانعام والبهايم من نطفة ايضا ثم ركبهم
على صور صالحة المنافعكم وركبكم على احسن الصور ثم جعل فيكم من العقل والسمع والبصر ما يدرك بها حقايق
الاشياء المحسوسة والمعانى الحكمية تستاملون فى ذلك كله فيكون اية الوحدانية واية الزام الشكر والعبادة
والله الموفق وقوله عز وجل وفى السماء رزقكم وما توعدون قال ابو بكر الاصم وفى السماء رزقكم وما توعدون
من الخير والشر وقال الحسن وغيره وفى السماء رزقكم اى المطر الذى ينزل منها فى الارض فتنبت فيها بذلك المطر
من انواع الارزاق من الحبوب والثمار والفواكه وغيرها كل ذلك سببه من السماء لذلك اضاف اليها والله اعلم
وجايز ان يكون ما ذكر من رزقنا انها فى السماء المطر وجميع ما سخر لنا فيها من الشمس والقمر والملايكة حيث جعل
صلاح ما فى الارض جميعا من الارزاق والاغذية بتلك الاشياء التى فى السماء من الانضاج بالشمس والقمر
وحفظ الارزاق والامطار بالملايكة فانهم جعلوا موكلين ممتحنين لذلك حيث قال تعالى فالمقسمات امرا هى الملايكة
والله اعلم وقوله عز وجل وما توعدون من مرغوب ومرهوب من السماء والله اعلم وقوله عز وجل فورب السماء
والارض انه لحق يحتمل قوله انه لحق اى جميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل مثل ما انكم تنطقون يحتمل
ان يقول والله اعلم كما انكم لا تشكون فيما تنطقون فعلى ذلك لا تشكون فى امر الساعة وقيامها وكونها كما لا يقال
هذا الظاهر من كالنهار وقال الزجاج انه لحق اى لحق مثل حضوركم ونطقكم ومثل النهار وكلام نحوه ويحتمل ان
يقول ان من قدر على انطاق هذه الالسن وتكليمها حتى يفهم منها حاجتهم وهى قطعة وليس فيها شيء من
اثار النطق والكلام اذ يكون مثله للبهايم ثم لا يفهم منه ذلك ولا يكون منه النطق قدر على البعث والاعادة
وهذا فى الاعجوبة اكثر واعظم من ذلك والله الموفق وقوله عز وجل هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين
قد ذكرنا فيما تقدم فى غير موضع ان حرف الاستفهام من الله تعالى على الايجاب والالزام وقوله عز وجل هل اتيك
يخرج على وجهين احدهما اى قد اتاك حديث ضيف ابراهيم فحاج بها وتلك وخاصم والثانى لم ياتك بعد ولكن
سياتيك حديث ضيف ابراهيم فاذا اتاك فحاج على وتلك الكفرة به والله اعلم ثم وقوله حديث ضيف ابراهيم
دل ان اسم الضيف تقع على من يطعم تناول وعلى من لا يطعم ولا تناول لانه سمى الملايكة ضيف ابراهيم وانهم
لم يطعموا ولم يكن غداءهم الطعام وفيه ان الضيف اسم يقع على العدد والجماعة وقوله عز وجل المكرمين سماهم مكرمين
لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام كان يخدمهم ويقوم بين ايديهم وذلك هو الاكرام الذى صاروا به مكرمين ويحتمل
ان سماهم مكرمين لانهم كانوا اهل كرم وشرف عند الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما قال سلام قوم منكرون وقال فى اية اخرى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون وقال
فى اية اخرى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون ذكر ههنا سلام الملايكة عليهم السلام ولم يذكر
سلام ابراهيم صلوات الله عليه انما ذكر وجله عنهم وذكر فى الاول سلام الملايكة عليهم الصلوة والسلام وسلام

اى الساعة والقيمة ويحتمل انه لحق مع

ابراهيم

ابراهيم عليه السلام عليهم وذكر انهم قوم منكرون وقال فى اية اخرى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس
منهم خيفة قال بعضهم انما اوجس منهم الخيفة لما خشى ان يكونوا سراقا لانه كان بين ابراهيم عليه السلام و
بين الذين اتوا منه بصر فى بعيد ما يحتاج المناب الى طعام فاذا امتنعوا عنه خاف ان يكونوا اذ لا يمتنع عن
التناول الا السراق لكن هذا ليس بشيء لانه قد كان منهم السلام والسلام احد علامة الامان لكن يكون خوفه
بعد ما عرف انهم ملايكة لما علم ان الملايكة عليهم السلام لا ينزلون الا لامر عظيم لاهلاك قوم او لتعذيب امة
كقوله تعالى وما ننزل الملايكة الا بالحق وقوله عز وجل ولو انزلنا ملكا لقضى الامر هذا يحتمل والله اعلم ثم وقوله
قوم منكرون جايز ان يكون هذا اخبار من الله تعالى انهم قوم منكرون اى غير معروفين عندنا لم يعرفهم وقد ذكر
هذا فيما تقدم وقوله عز وجل فراغ الى اهله قيل راغ اى مال لكن قوله فراغ اى مال الى اهله على خفاء من اضيافه
وسر منهم ولذلك سمى الطريق المختفى رايغا وهو من روغان الثعلب وقيل زايغا بالزاى وقيل راغ اى رجع وذكر
محمد فى بعض كتبه فى زايغة مستطيلة وقيل رايغة والله اعلم وقوله عز وجل فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال
الا تاكلون وقال فى موضع اخر فجاء بعجل حنيذ والحنيذ هو المشوى وقيل هو الذى يشوى فى الارض بغير تنور
والله اعلم وقال بعضهم الحنيذ الذى انضج بالحجارة وقيل الحنيذ هو الصغير الذى كان غذاؤه اللبن لا غير والله اعلم
وما ذكر اهل التاويل فى قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام انه لما قرب اليهم العجل قالوا لا ناكله الا بثمن قال
كلوه وادوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال تسمون الله تعالى جل وعلا اذا اكلتم وتحمدونه اذا تركتم قال فنظر بعضهم
الى بعض وقالوا لهذا اتخذه الله خليلا وغير ذلك من الكلام نحن لا نذكر لانه ما ذكره فى الكتاب مخافة
ان تدخل الزيادة والنقصان عما فى كتبهم ويجد اهل الالحاد فى ذلك مقالا وهذه الانباء انما ذكرت حجة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثبات الرسالة فاذا قيل فى ذلك لا يخاف ان يكون فى ذلك زيادة او نقصان
عما فى كتبهم كان الامساك والكف عنه اولى وقوله عز وجل فاوجس منهم خيفة لما ذكرنا وقوله عز وجل
قالوا لا تخف لانك لنا رسلنا والله اعلم وقوله عز وجل وبشروه بغلام عليم يحتمل قوله عليم وجهين احدهما
اى بشروه بغلام يصير عليما اذا كبر والثانى بشروه بغلام يولد عليما يؤتيه الله تعالى علما فى بطن امه واذا
ولد فى صغره والله ان يؤتى العلم من يشاء فى حال الصغر والكبر الا ترى انه قال عز وجل فى عيسى عليه السلام و
اتيناه الحكم صبيا فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم ثم ذلك الغلام هو اسحق عليه السلام لانه فى اية اخرى
بين كانت البشارة حيث قال فبشرناها باسحق دل ان البشارة انما كانت باسحق ثم ذكر فى سورة هود
عليه السلام البشارة لامراته حيث قال فبشرناها باسحق وذكر فى هذه السورة البشارة لابراهيم عليه السلام
بقوله وبشروه بغلام عليم لكن جايز انه لما بشرها بالولد بشرها بالولد منه واذا بشر ابراهيم عليه السلام بالولد
منها فاذا بشر احدهما بالولد من الاخر فيكون البشارة لهما جميعا والله اعلم قال ابو بكر الاصم دل قوله تعالى
فبشرناها باسحق الى ان قال وهذا بعلى شيخا ان اسحق كان اكبر من اسمعيل لانها لما بشرت بالولد اخبرت انها عجوز
وانها عقيم وان بعلها شيخا ولو كان اسمعيل هو الاول وكان الاخر على قرب منه ليس بينهما زمان مديد لم يكن
يبلغ ابراهيم عليه السلام فى ذلك المقدار من الوقت ما يخبر عن اياس الولد منه دل ان اسحق هو المقدم وانه
كان اكبر من اسمعيل عليه السلام الا ان هذا خلاف ما عليه اهل التاويل ان اسماعيل عليه السلام كان اكبر من
اسحق عليه السلام وقوله عز وجل فاقبلت امراته فى صرة فصكت وجهها ذكر ههنا الاقبال وقال فى اية اخرى
فى سورة هود وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق فجايز ان لا يكون حقيقة الاقبال ولكن لما ذكر فعلها وهى
الصرة وصكت الوجه ذكر الاقبال من المكان اى اقبلت فصكت وجهها فى صرة كما قال عز وجل الم تر الى ربك كيف
مد الظل امر بالرؤية والنظر الى فعل الذى ذكر وهو مد الظل واذا ذكر النفس دون الفعل فالمراد منه النظر الى
نفسه لا غير والله اعلم فعلى ذلك هذا ثم قوله تعالى فى صرة اى فى صيحة وقوله عز وجل فصكت وجهها اى ضربت
وجهها بيدها تعجبا منها بتلك البشارة التى بشرت بالولادة وقوله عز وجل وقالت عجوز عقيم وكانت كما اخبرت
عجوزا عقيما وقوله عز وجل كذلك قال ربك اى على علم بالحال التى انت بشرت بذلك لا عن جهل وقوله عز وجل انه
هو الحكيم العليم اى حكيم وضع الولد فى موضعه العليم بمصالح الامور وعواقبها والله اعلم وقوله قال فما خطبكم
ايها المرسلون اى شانكم ولاى امر ارسلتم بالبشارة خاصة او لامر اخر او لهما جميعا فاجابوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين وقال فى اية اخرى انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين كان الاستثناء ههنا لم
يكن مذكورا فى خبر الملايكة وانما ذكر فى الخبر الذى قال ابراهيم عليه السلام حيث قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم
بمن فيها لننجينه واهله فدل ذكر الثنيا منهم بعد سؤال ابراهيم عليه السلام واخبارهم اياه ان فيها لوطا ان
تاخير البيان عن الكلام جايز والله اعلم وقوله عز وجل لنرسل عليهم حجارة من طين دل قوله تعالى حجارة من طين

يعني ما ذكر في اية اخرى حجارة من سجيل ان السجيل ليس هو اسم المكان على ما ذكر بعض اهل التاويل ولكن السجيل اسم
الطين على ما ذكر ههنا وهو طين مطبوخ كالاجر الا ان يقال هو طين حمل من مكان سمي سجيلا والله اعلم وقوله عز
وجل مسومة اي معلمة عند ربك للمسرفين ثم الاعلام يحتمل وجهين احدهما معلمة مسومة باسم من يقع عليه
ويهلك بها عليها اسمه والثاني معلمة في نفسها حتى يعلم كل احد انها للهلاك لا حجارة وانها ارسلت لذلك لا
لسائر الاحجار والله اعلم وقوله عز وجل فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
قوله فيها كناية عن قرية لوط وقوله غير بيت من المسلمين هو منزل لوط عليه السلام دل تسمية الملائكة عليهم
السلام اياهم مؤمنين ومسلمين على ان الاسلام والايمان واحد وقد بينا جهة الاتحاد بينهما في غير موضع
وقوله عز وجل وتركنا فيها اية اي تركنا في قريات لوط عليه السلام التي اهلكها اثرا وعبرا لمن بعدهم وهو ما ذكر
في اية اخرى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون اي انكم لتمرون على اولئك الذين اهلكوا وعذبوا
بالليل والنهار وتعلمون انهم انما اهلكوا وعذبوا بالتكذيب والعناد والذين نجوا انما نجوا بالتصديق والاسلام
وذلك انهم لم يعدهم ثم قال للذين يخافون العذاب الاليم اي يكون ذلك اية للذين يخافون العذاب الاليم وهم
المؤمنون اي هم المنتفعون والله اعلم وقوله عز وجل وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فيما ذكر
من قصة موسى ولوط وقصة ابراهيم وقصة هود وهذه الاشياء تفسير لقوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين ثم
الايات في الارض من وجهين احدهما فيما خلق في الارض من الخلائق والثاني فيما في الارض من انباء السلف و
اخبارهم من مكذب الرسل ومصدقهم اي في هلاك من هلك من مكذبيهم ونجاة من مصدقيهم ايات لمن ذكر
في هذه الانباء والقصص التي ذكرت ههنا تفسير قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وقوله عز وجل
فتولى بركنه هذا يخرج على وجهين احدهما اي فتولى هو وركنه وهم جنوده وقومه على اتباع موسى عليه
السلام وما يدعوهم اليه والثاني اي فتولى هو بقوة ركنه وهم قومه اي تولى عن الحق واتباع موسى
عليه السلام بقوة قومه ومعونتهم والله اعلم وقوله عز وجل وقال ساحر او مجنون سماه ساحرا بما اتى
من الايات المعجزة وقومه انما يعرف وصف السحر على هذا الوجه فسماه بذلك وان اتقن هو ان مثل ذلك
الفعل لا يكون سحرا اموه بها على قومه وسماه مجنونا لما خاطر بنفسه بمخالفته مع علمه ان همته القتل لمخالفه
في دينه وملكه وقوله عز وجل فاخذناه وجنوده هذا يدل على ان تاويل قوله تعالى فتولى بركنه اي تولى هو وقومه
وجنوده وقوله عز وجل فنبذناهم في اليم وهو مليم الاية قال بعضهم مليم اي يلام عليه وقال بعضهم مليم اي
هو مذموم وقال القتبي هو مذنب ثم دل قوله تعالى فنبذناهم على ان الله تعالى في افعال العباد صنعا حيث اضاف
ذلك الى نفسه وهم الذين دخلوا في اليم وقوله عز وجل وفي عاد اذ ارسلنا اي في امر عاد بينة واية وعبرة
للمؤمنين كقوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وقوله عز وجل اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم اي اهلكوا بالريح بعد ما بلغ
من عتوهم ان قالوا من اشد منا قوة فاذلهم الله تعالى حتى خضعوا لاضعف شيء واخافهم منه وهي الاصنام التي
عبدوها حتى خوفوا وقالوا ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وذلك غاية الذل والهوان انها قوام من
اضعف شيء واعجزه بعد ما بلغ من عتوهم وغرورهم ان قالوا من اشد منا قوة ثم وقوله عز وجل الريح العقيم قال
ابو عوسجة تفسيرها ما ذكر في الاية ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم وقال غيره العقيم هو الذي لا
خير فيه ولا بركة اي عقمت من الخيرات ولذلك يقال للمراة التي لا تلد والرجل الذي لا يولد له العقيم لما انه ليس
منهما منفعة الولد ولا بركته فعلى ذلك الريح العقيم اي لا منفعة فيها ولا بركة فاما للمؤمنين فهي نافعة ايضا
حيث اهلكت اعداءهم ولم يهلكهم وفي ذلك تطهير الارض عن نجاسة الكفر وفي الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقيل الريح العقيم هي الدبور وهي التي لا تلقح الاشجار
والسحاب والنبات وقوله عز وجل ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم اي ما تذر من شيء اتت عليه وامرت
هي باهلاكه واذن لها بذلك الا جعلته كالرميم الا ترى انها اتت على اشياء لم تهلكها وقد سلم هود عليه السلام
وقومه من المؤمنين والا انهم لما راوها من بعد قالوا هذا عارض ممطرنا فقال هود عليه السلام بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب اليم وما ذكر فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اخبر انها قد بقيت مساكنهم وهو ما ذكر في اية اخرى
تدمر كل شيء بامر ربها اي تدمر كل شيء امرت واذن لها بالتدمير ليعلم انها كانت تعمل بالامر والله اعلم وقوله عز
وجل وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين اي وفي امر ثمود عليه السلام واهلاكهم ايضا اية وحجة للمؤمنين ثم ذكر
عتوهم وتمردهم اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو ثلاثة ايام التي ذكرت في اية اخرى فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
ذلك وعد غير مكذوب يخبر ان كان قد بلغ عتوهم ان قد اجلوا ثلاثة ايام لنزول العذاب بهم فلم يمنعهم ذلك عن عتوهم
ولم ينجع فيهم وقومك يا محمد حيث لم يوقت لعذابهم وقتا ولا اجلا احق ان لا ينجع فيهم ما توعدهم به ولا ينفعهم

والله

والله اعلم وقوله عز وجل فعتوا عن امر ربهم اي عما امروا وبطاعة ربهم والعتو هو البلوغ في التلبس والفساد غايته
كقوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا اي يابسا وقوله عز وجل فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون اي الى الصاعقة
وقوله عز وجل فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين هذا يخرج على وجهين احدهما اي ما استطاعوا في الانتصاب
لخذلان الله والقيام له والثاني اي ما استطاعوا من دفع العذاب عن انفسهم لا بانفسهم ولا بغيرهم وما كانوا منتصرين
بالانصار والاعوان والله اعلم وقوله عز وجل وقوم نوح من قبل اي في امر نوح عليه السلام من قبل هؤلاء واهلاكهم
اية وبينة وحجة للمؤمنين على ما ذكرنا وقوله عز وجل انهم كانوا قوما فاسقين ظاهر وقوله عز وجل والسماء بنيناها
بايد اي خلقناها بقوة وانا لموسعون اي لقادرون وجائز ان يكون الموسع الواجد كقوله تعالى وعلى الموسع
قدره اي على الواجد الموسر قدره وقال بعضهم وانا لموسعون في التدبير تدبير جميع عليهم ارزاقهم وقوله عز وجل
والارض فرشناها فنعم الماهدون اي بسطناها ومددناها فنعم الماهدون لكم الارض حيث مهدها لكم بسطا
مفترشة تجدونها كذلك ما كانوا وانما كانوا من غير تكلف وليستعملونها كيف شاؤوا في اي منفعة شاؤوا والله اعلم
وقوله عز وجل ومن كل شيء خلقنا زوجين قال بعضهم صنفين غير الحيوان فانه خلقهم ذكرا وانثى وقال بعضهم ز
زوجين اي لونين نحو ابيض واسود واحمر واصفر والاول قول الزجاج والثاني قول القتبي واصله انه يخرج على وجهين
احدهما زوجين اي شكلين يشاكل بعضهم بعضا او ضدين ينافي بعضه بعضا والله سبحانه وتعالى ليس بذي شكل
ولا ذي ضد فيدل ما انشأ من الاضداد والاشكال على وحدانيته وربوبيته والثاني في خلق الاشياء مختلفين م
متضادين ليدل على ايجاب المحن عليهم من نحو عسر ويسر وغنى وحاجة وخير وشر ليمتحنهم على اختلاف الاحوال
وتضادها فرغبهم في كل مرغوب وحذرهم عن كل مرهوب والله اعلم وقوله عز وجل لعلكم تذكرون اي ايات وحدانيته
وربوبيته او تذكرون باختلافها لامتحان البعث والثواب والعقاب والله اعلم وقوله عز وجل ففروا الى الله يحتمل
وجوها قال بعضهم ففروا الى توحيد الله من الشرك به دليله قوله على اثره ولا تجعلوا مع الله الها اخر وهو ابو بكر
الاصم ويحتمل ففروا الى الله اي ففروا الى ما دعاكم الله تعالى اليه عما نهاكم عنه كقوله سبحانه والله يدعوا الى
دار السلام اي ففروا الى الاعمال الصالحات من الاعمال القبيحة ويحتمل ففروا الى ما وعدكم من الثواب عما
اوعدكم من العقاب اي فروا الى ثواب الله عن نقمته وعقابه ويحتمل ففروا اليه في جميع حوائجكم ولا يطلبوا شيئا
من ذلك من غيره فانه هو القادر عليها حقيقة فيكون في الاية ترغيب في الرجوع اليه في الحوائج وقطع عن غيره والله
اعلم وقوله عز وجل اني لكم منه نذير مبين يحتمل وجوها يحتمل اي نذير لمن عبد دونه او سمى دونه الها مبين ايات الوهيته و
وحدانيته ويحتمل اني لكم منه نذير مبين لما يبلغ لكم من النذارة والبشارة وقال ابو بكر الاصم اني لكم منه نذير مبين بما
يكذبي الرسل بتكذيبهم وقوله عز وجل ولا تجعلوا مع الله الها اخر اي لا تسموا مع الوهية الله تعالى لاحد دون الله
الوهية ولا تسموا دون الله الها او يقول لا تعبدوا دون الله الها اخر اي معبودا اخر فانه لا يستحق دون الله
احد العبادة والله اعلم وقوله عز وجل اني لكم نذير مبين قد ذكرنا وقوله عز وجل كذلك ما اتى الذين من قبلهم من
رسول الا قالوا ساحر او مجنون لم يذكر في هذا الموضع القول منهم انهم قالوا للرسول عليه الصلوة والسلام انك ساحر
او مجنون ولكن ان لم يكن مذكورا في ظاهره لكن ما ذكر انا واليهم كانوا يقولون لرسلهم ذلك دلالة انهم قد قالوا
انه ساحر وانه مجنون حيث قال كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون يصبر رسوله
صلى الله عليه وسلم على اذاهم ونسبتهم اياه الى السحر والجنون كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وغير
ذلك من الايات التي فيها الامر بالصبر عن اذاهم والله اعلم ثم وقوله عز وجل ساحر او مجنون قال ابو بكر الاصم
انما قالوا ساحر او مجنون لان السحر والجنون عندهم واحد كقول فرعون لموسى عليه السلام لما اتاه من الايات
اني لاظنك يا موسى مسحورا فلذلك قالوا مرة ساحر ومجنون ولكن هذا فاسد فانه لا يحتمل ان يكون الجنون
والسحر عندهم واحد لان الساحر هو الذي بلغ في العلم في كل شيء غايته والمجنون هو الذي بلغ في الجهل غايته فنسبوهم
الى السحر لما اتى لهم من الايات ما عجز الناس عن اتيان مثلها وقد عرفوا انها ايات اعني رؤساءهم والمتبعهم
لكن قالوا انها سحر على ارادة التلبيس على الاتباع والعامة لما عند الناس ان لا كل واحد يقدر على اتيان
السحر فقالوا انهم سحرة للرسل لهذا وانما نسبوهم الى الجنون لما انهم خالفوا الفراعنة والاكابر الذين كانت همتهم
القتل واهلاك من خالفهم في المذهب والامر والله اعلم وقوله عز وجل اتواصوا به بل هم قوم طاغون اي اوصى
اوائلهم اواخرهم في نسبتهم الرسل عليهم السلام سحرة ومجانين وان يوافق بعضهم بعضا في نسبتهم الرسل
عليهم السلام الى السحر والجنون اي لم يزل الكفرة يقولون لرسلهم عليهم السلام ذلك ويحتمل ان يكون ذلك
على التمثيل لا على حقيقة القول منهم لما كان اجتماعهم لاجل هذا القول في كل وقت فصار ذلك الاجتماع
منهم كالتواصي من بعضهم لبعض والله اعلم وقوله عز وجل بل هم قوم طاغون يخبر انهم لا عن جهل وشبهة

قالوا انه ساحر ولكن عن طغيان وتعدى حد الله عز وجل والمجاوزة له لان الطاغى هو المجاوز له عن الحد الذى جعل له و
المتعدى عنه وقوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم قال بعض اهل التاويل لما نزل هذا خاف رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم انه ينزل بهم العذاب حتى نزل قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين لكن عندنا
يخرج قوله فتول عنهم فما انت بملوم على وجهين احدهما اى تول عنهم فاعرض ولا تكافئهم باساءتهم اليك بقولهم
انه ساحر وانه مجنون فان الله تعالى سيكفيهم عنك ويجازيهم مجازاة اساءتهم والثانى يامره بالاعراض والتولى
عنهم من قوم علم الله تعالى انهم لا يومنون يؤيسه عن ايمانهم ويقول لا تشتغل بهم فانهم لا يؤمنون لك ولا
يصدقونك ولكن اشتغل بمن ترجوا منه الايمان والله اعلم وجايز ان يكون لا عن حقيقة الامر ولكن على التخيير
اى لك ان تتول عنهم وتعرض فانك قد بلغت واعذرت فى التبليغ والدعاء غايته والله اعلم وقوله عز وجل
وما انت بملوم جايز ان يكون المراد من نفى الشئ اثبات مقابل ذلك الشئ وضده كقوله تعالى فما ربحت
تجارتهم الربح والمراد اشارة الخسران كانه قال فما ربحت تجارتهم بل خسرت فعلى ذلك جايز قوله فما انت بملوم
بل محمود والله اعلم وقال ابو بكر الاصم فما انت بملوم لانه قد بلغ الرسالة وما امر بتبليغه الى الخلق وقام
بامره ونصح خلقه وخفض جناحه فكيف تلام اى ما انت بالذى تلام على صنيعك وعلى فعلك وان كان بعض
يلومك وهم الكفار وفيه دلالة الحفظ والعصمة له عن الزيغ والزلات اذ لو كان بالذى يحتمل الزيغ والزلة لكان
يحتمل الملامة فدل انه لا يحتمل الزيغ والعدول عن الحق وقوله عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المومنين جايز
ان يكون الامر بالتذكر للكل اخبر ان الذكرى تنفع المومنين لا الكل وجايز قد ذكرا لمومنين فان منفعة الذكرى
لهم ولمن انصف دون المكابرين للعاندين والله اعلم وقوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ان
كان المراد من ذكر العبادة حقيقة العبادة فيخرج تاويله على وجهين احدهما جوابا لمن لا يرى الجن والانس يؤمرون
بالعبادة ويمتحنون بها فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ما خلقتهم على معرفة المحاسن والمساوى
والتمييز بين ما يؤتى وما يتقى بما ركب فيهم من اسباب التمييز والمعرفة لاتركهم سدى مهملين بل لامتحنهم بالعبادة
والقيام بشكر ما انعمت عليهم من انواع النعم اذ الحكمة توجب ذلك ويدفع تركهم سدى هملا والله اعلم والثانى
يخرج جوابا لمن يرى العبادة دونه جايز القولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون لم اخلقهم لعبادة غيرى اولامرهم بعبادتى لا لامرهم بعبادة غيرى كما قاله بعض الكفرة بقولهم والله
امرنا بها وذا نقضا لاعتقادهم والله اعلم ثم وقوله عز وجل الا ليعبدون على حقيقة العبادة فعل العبادة
وعلى هذا الوجه لم يكن الاية معمولا بها على العموم بل على الخصوص وهم المومنون من الجن والانس دون الكفرة
منهم فانه لا يجوز ان يخلق الكفرة الذى علم منهم انهم لا يومنون للعبادة اذ خلقه عن اختيار وارادة فاذا خلقهم
واراد منهم العبادة لا بد ان يوجد منهم وقد علم منهم انه لا يوجد فيصير كانه اراد تجهيل نفسه وعدا لحاجة
فدل ان المراد منه الخصوص وقد خص منه البعض بلا خلاف فان الصغار والمجانين قد خصوا فانه لا يتحقق
منهم العبادة فجايز ان يخص منه الكفرة الذين علم منهم انهم لا يؤمنون والله اعلم ويحتمل ان المراد منه الامر
بالعبادة اى ما خلقتهم الا لامرهم بالعبادة اى ما خلقتهم الا للتوحيد وهذا التاويل اقرب الى العمل بالعموم
فانه يدخل فيه العقلاء من الجن والانس دون الصغار والمجانين ويكون ان يومر بشئ ولا يريد تحصيل
المامور به ويصير وقع المامور مطيعا له بل يريد ان يصير عاصيا فيخص لناد يخلق ما انا خلقته للعبادة واراد
منه لا يجوز ان لا يوجد وحقيقة هذا يعرف فى كتاب التوحيد انه خلق الايمان والعبادة من علم منه انه يعبد
ويختار العبادة له فاما من علم منه اختيار الضلال والغواية وصرفا لعبادة الى غيره فانه خلقه على ما علم منه
انه يختار ويفعل لقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس الاية وقال قايلون لم يرد بقوله تعالى ليعبدون
حقيقة العبادة التى فعل العبد على وجه الاختيار لكن معناه ما خلقت الجن والانس الا وقد جعلت فى كل احد
منهم دلالة وحدانيتى ودلالة صرفا لعبادة الى والقيام بالشكر لى فيما انعمت عليهم من انواع النعم ما لو
تاملوا فيها ونظروا بدا لهم على ما ذكرنا من العلم بالوحدانية لى والقيام بالعبادة والشكر والله اعلم وعلى
هذا التاويل يكون الاية عامة لا خصوص فيها لان خلقة كل احد منهم على اى وصف كان دلالة ما ذكرنا والله
الموفق ويحتمل ايضا وما خلقت الجن والانس الا على خلقة يصلح للمحنة بالامر والنهى والوعد والوعيد والتحقيق فعل
ذلك بما ركب فيهم العقل وجعل مفاصلهم لبنية قابلة لافعال يصلح للخدمة من الركوع والسجود والقيام و
القعود ونحوها على خلاف غير هؤلاء من المخلوقات فانها خلقت على خلقة يصلح المنافع الممتحنين لا على وجه يصلح
للمحنة والله اعلم ثم فى العبادة خصوصية معنى ليس ذلك فى الطاعة والخدمة وغير ذلك من الافعال كقوله
تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله حيث لم يجز العبادة لغيره واجاز الطاعة والخدمة والتعظيم وغير ذلك

من الافعال كقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله حيث لم يجز العبادة لغيره واجاز الطاعة والخدمة والتعظيم و
غير ذلك من الافعال كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله دل ان فى العبادة معنى ليس ذلك المعنى فى غيره لذلك وقعت
الخصوصية له ولذلك خص نفسه بتسمية الاله لم يجز التسمية به لغيره اذ الاله عندهم معبود وكل معبود عندهم
يسمونه الها وذلك كما خص نفسه بتسمية الرحمن لم يجعل ذلك لغيره وجاز تسمية غيره رحيما الا ان فى اسم الرحمن زيادة
معنى ليس فى الرحيم وكذا خص نفسه بتسمية الخالق لم يجز هذا الاسم لغيره لما ان فى الخالق معنى ليس ذلك المعنى فى
الفاعل وغيره فكذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون قال عامة اهل
التاويل ما اريد منهم ان يرزقوا انفسهم ولا ان يطعموا احدا من خلقى انما على رزقهم واطعامهم كقوله تعالى وما من
دابة فى الارض الا على الله رزقها ويحتمل ما اريد منهم ان يرزقوا من لا يقوم باسباب الرزق وان يطعموهم اذ ذلك
على وانما اريد منهم العبادة او الامر بالعبادة على الوجه التى ذكرنا لانهم لم ينشوا لا ولئك الذين يجعل لهم المكاسب
واسباب الرزق من الدواب بل هن انشيت لاجلهم رزقا ومنفعة والله اعلم ويحتمل ان يكون على الاضمار على ما قال
بعضهم اى قيل يا محمد ما اريد منكم فيما ادعوكم اليه من اجر وما اريد ان يطعمونى فيثقل عليكم الايمان ويحتمل ما اريد
منهم من الرزق وما اريد ان يطعمونى اخبار انه لم يخلقهم من الرزق والاطعام منهم لما اقام من دلالات تبريئه عن
الحوائج وعن الرزق والطعام وانما خلقهم للامر والنهى والامتحان وجمع منافع ذلك اليهم والله اعلم وقوله عز وجل
ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين هذا يخرج على وجهين احدهما ان الاسباب والمكاسب التى بها يرزقون
ويصلون الى الانتفاع بها هى جعل الله تعالى وله فيها صنع صار بذلك رازقا لولا ذلك لم يصلوا الى ذلك
وان كان الخلق هم الذين يكتسبون ويعملون تلك الاسباب والمكاسب فما اضيف اليه الرزق لما انشاء فعل تلك
الاسباب والمكاسب منهم والله اعلم فيكون فى هذا دليل على ان الله تعالى صنعا فى افعال العبد وهو الخلق والانشاء
حيث سمى نفسه رازقا وهم يرزقون تلك المكاسب والاسباب واكثرها اوعامتهم بافعالهم دل ان له فيها
صنعا حتى يصح اضافة ذلك اليه وتسميته رازقا ولا يجوز هذا الاسم لغيره والله اعلم والثانى يحتمل اضافة
الرزق اليه لانه يرزقهم بما جعل فى تلك الاسباب والمكاسب من اللطف لا بانفس الاسباب لانهم يزرعون
ويطرحون البذر فيها فيهلك ذلك فيها وكذلك يسقون الارض ويهلك ذلك الماء فيها ثم ان الله تعالى
جعل بلطفه ورحمته فى ذلك من اللطف ما يصير ذلك رزقا لهم بعد ذهاب عينه والقوة التى جعل فيه و
ما جعل فى ذلك من الصلاح والنضج والطبخ وما يرجع الى الاصلاح لذلك والاكل والمضغ والابتلاع ونحو ذلك
ليس فى ذلك الا امتلاء البطن وفى ذلك فساد يحمل فيه من القوة ما ينتشر فى البدن والاطراف قوة فيبقون
بتلك القوة والبقاء لا بنفس الرزق وهو ما وصف الله عز وجل ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين بتلك
القوة يحيون وبها يبقون ثم وقوله عز وجل المتين قيل المتين هو وصف ونعت لتلك القوة فيجوز وصف تلك
القوة بالمتانة فاما الله سبحانه وتعالى لا يوصف بها ولا يوصف انه متين وهو كقوله تعالى عز وجل ذو العرش المجيد
واصف العرش بالمجد والعرش غيره فعلى ذلك القوة التى جعل فيها ما ذكرنا غير يجوز ان يوصف بما ذكرنا من المتانة
وهى القوة التى لا يملكها الخلق ولا يدركون ذلك اللطف التى جعل فى ذلك والله اعلم وقال بعضهم ذو القوة
المتين اى ذو البطش الشديد فيما اهلك الامم الخالية والله اعلم وقوله عز وجل فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب
اصحابهم فلا يستعجلون فكانهم استعجلوا نزول العذاب فنزلت هذه الاية على اثر سؤال العذاب كقوله تعالى سال
سائل بعذاب واقع وقوله تعالى فامطر علينا حجارة من السماء فقال عند ذلك وان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب
اصحابهم اى لهم نصيبا من ذلك العذاب مثل نصيب اوليهم من العذاب فيكون على التمثيل كما يقال لحذو النعل
بالنعل وحذو القذة بالقذة ويقال صاع بصاع وكيل بكيل اى يكال عليه مثل ما كيل بغيره ونحو ذلك ومن
الامثال التى تضرب فعلى ذلك ما ذكرنا من الذنوب والله اعلم وكذلك ذكر عن الاصم قال ذكر الذنوب وهو
الدلو العظيم الذى كانوا يقتسمون به المياه وكان من عادة العرب انهم يجمعون فيرسلون دلاهم فى البئر فكان
كل احد منهم ياخذ حظه ونصيبه من الماء فيقول لاهل مكة لا يستعجلون فان لكم نصيبا من ذلك العذاب كما كان
لاولئك كالدلاء التى يكون فى البئر فياخذ كل احد منهم نصيبه وكذلك قال القتبى وابو عوسجة الذنوب الحظ
والنصيب وعن ابن عباس رضى الله عنهما سمى ذلك العذاب ذنوبا لما يتبع بعضهم بعضا والله اعلم فيقول
يتبع العذاب لهؤلاء كما يتبع اولئك كالدلاء يتبع بعضها بعضا والله اعلم وقوله عز وجل فلا تستعجلون اى
قد تبلغون وقته فلا تستعجلون العذاب وعن الوقت الذى تسئلون الرجوع كما اخبر عز وجل ربنا ارجعون
وقوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون يوم القيمة ولكن لم يبين ذلك اليوم ما هو فيحتمل
ما قالوا ويحتمل غيره والويل قد ذكرنا تاويله فيما تقدم فان قيل كيف خوف الله جل وعلا هذه الامة بما انزل على الامم

الحالية من الاستيصال والاهلاك وقد عفى هذه الامة عن هذا وامنهم منه قبل انما خوفهم بما ذكر لان المعنى الذى استوجب
اولئك الاستيصال والاهلاك وبه يحتمل ان يحقق ذلك فى هؤلاء وقد يحتمل ان لا يكون نا التخويف صحيح لهؤلاء به وانما
يكون مثل هذا التخويف فى اول الامر ثم ان الله بفضله ورحمته عفى عنهم بفضل النبى صلى الله عليه وسلم ورحمته كقوله
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويحتمل ان يكون العفو لهم عن ذلك بالتاخير عنهم الى وقت وهو وقت قبض ارواحهم
وخروجهم من الدنيا وفى ذلك الوقت يعاينون بانواع العذاب وينزل بهم ما نزل باولئك لا انهم عفوا عن ذلك
اصلا ويحتمل ان يكون ينزل بهم ذلك فى الاخرة وذلك كله فضل منه ورحمة والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والطور وكتاب مسطور فى رق منشور الاية ثم اختلف بالقسم بالطور وما ذكر قال قايلون القسم
انما هو بمنشئ هذه الاشياء التى ذكر لا بهذا الاشياء انفسها اذ الله تعالى نهى الخلق بان يقسموا بغيره فكيف يقسم بنفسها
وقال قايلون يجوز ان يقسم جل وعلا بما شاء وبمن شاء بالذى عظم قدره عندهم وقد ذكرنا ان الاقسام انما يكون
بالاشياء التى عظمت اقدارها ويحلها عند الخلق يقسم بها لرفع الشبه التى تمنع وقوع العلم لهم بذلك والمعرفة بالذى
اشتبه عليهم والتبس ليعرفوا ان ذلك كاين لا محالة وانه بالذى اشتبه عليهم والتبس وانه حق بما لو تفكروا فى ذلك
الاشياء وامعنوا النظر فيها على غير قسم لوقع لهم بذلك وتحقق والله اعلم ثم ان الله سبحانه وتعالى اقسم باشياء
سواه وليس للخلق ذلك لانهم قسم الخلق يخرج مخرج الفزع اليه والتضرع ولا يجوز الفزع الى من سواه والاستغاثة
به فاما القسم من الله تعالى حقيقة فهو على التذكير والتنبيه للخلق وتاكيد ما وعد لهم من الجزاء فيجوز له القسم بكل ما
يكون لهم التذكير والتنبيه والتاكيد وان كان لغيره وسواه مما ذلك يخطر ويحل عند الناس وعند الله تعالى والله اعلم
ولان القسم المذكور فى القران لاثبات صدق اخبار الرسل اليهم وانه رسله وانهم اذا فعلوا كذا ينزل عليهم من العذاب
وكذا الان اولئك الكفرة لم يكذبوا الله تعالى فى خبر حتى يكون قسمه لاثبات صدق خبره وانما يتحقق صدق خبرهم بما
اقاموا من المعجزات والبراهين لكن يتاكد بالقسم فيحصل ذلك بذكر ما له خطر ومحل عندهم فاما قسم الخلق لاثبات اصل
الصدق فيجب ان يقسموا بذكر ما هو النهاية فى العظمة والقدر فى القلوب وهو اسماء الله تعالى وصفاته والله اعلم ويحتمل
ان يكون القسم هذه الاشياء من الرسل عليهم الصلوة والسلام فان كان كذلك هو على الاضمار كانهم قالوا بمنشئ
الطور وكتاب مسطور وما ذكر الى اخره اذ القسم من البشر يكون بالله سبحانه وتعالى وصفاته والله اعلم ثم وقوله
عز وجل والطور وجايز ان يكون القسم واقعا بالجبال كلها لما ان الله عز وجل انشاء الارض خلقا تميد باهلها وارسى
فيها هو بالجبال ووتدها حتى استقرت وسكنت حتى وصل الخلايق الى الانتفاع بهذه الارض والقرار عليها وصارت
مهادا لهم وفراشا لهم على ما ذكر يتقلبون فيها ويتصرفون كيف شاؤا وان ارادوا وحيث احبوا اذا عرفوا ذلك
لزمهم ان يعرفوا ان عليهم شكر ما انعم عليهم فاذا تركوا ذلك لزمهم عقوبة الكفران وجزاؤه واوعدهم ذلك
فيكون ما ذكر من القسم وقوع ما ذكر من العذاب بهم حيث قال ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع ويحتمل ان
يكون المراد بالطور هو جبل خاص وهو الجبل الذى كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام وانزل عليه التورية وهو
طور سينا وذلك الجبل مما عظم قدره عند بنى اسرائل حتى عرفوا قدره وفضله فاقسم بذلك الجبل ان عذاب ربك
لواقع ويحتمل ان يكون المراد بالطور هو جبال خاص وهى الجبال التى اوحى عليها الى رسله عليهم الصلوة والسلام
على ما روى فى الخبر اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام والى عيسى عليه السلام فى جبل ساعور والى محمد عليه الصلوة
والسلام فى جبل فاران فاقسم بها ان ما وعد من العذاب واقع بهم والله اعلم وفى الاية دلالة اثبات الرسالة له
فانه اخبر عليه الصلوة والسلام عن امكنة الوحى وفضل تلك الجبال ومعرفة ذلك انما هو من الكتب المتقدمة وهم
قد احاطوا العلم بانه لم يكن اختلف الى احد ممن له معرفة بتلك الكتب حتى يعلم منه فدل انه بالله عز وجل عرف امكنة الوحى
وفضل تلك الجبال والله اعلم وقوله عز وجل وكتاب مسطور الاية يحتمل القسم بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم
الصلوة والسلام اذ بها يوصل الى معرفة ايات الرسل عليهم السلام والى معرفة ما يؤتى ويتقى والى اخبار الشرايع
ومعرفة الاحكام والحدود وغير ذلك من احكام من وجوه الحكمة اقسم بها ان العذاب واقع بهم والله اعلم ويحتمل
ان القسم يرجع الى عدد من الكتب التورية والانجيل والزبور والمعروفة التى عرفها اهل الايمان بها حقها ونزولها
من السماء ويحتمل انه يرجع الى خاص من الكتب وهو القران مما عظم قدره عندهم لما عجز البشر عن اتيان مثله
على ما ذكرنا فى الطور والله اعلم ويحتمل ما ذكره اهل التاويل انها الكتب التى يكتب فيها اعمال بنى ادم ولم يذكروا
جهة القسم بها وليست اعرف له وجها وقوله عز وجل فى رق منشور اى غير مطوى وقال ابو عبيدة الرق الورق
وقال ابو عوسجة الرق الكتاب وقوله عز وجل والبيت المعمور يحتمل البيوت كلها حوله وهى البيوت التى جعل الله

للخلق يسكنون فيها ويتقون فيها من الحر والبرد وما يؤمنون فيها وهو ما قال الله تعالى والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية ما عرف كل منافعها وعظم نعم الله تعالى عليهم فى ذلك هم
ليتادى بذلك شكره فاقسم بما ذكر ان لم يقم بوفاء الشكر استوجب العذاب والعقوبة والله اعلم ويحتمل ان
القسم بالبيت المعمور هو الكعبة وهو المعمور وقد عظم الله تعالى شانه وامره فى قلوب الناس كافة فى قلوب الكفار
والمؤمنين جميعا حتى كان قريش وساير العرب يحجونه ويزورونه ويعظمونه فاقسم به على ما ذكر والله اعلم وقال
ابو عبيدة البيت المعمور الكثير الاهل واهل التاويل يقولون البيت المعمور هو فى السماء يزوره اهل السماء
ويطوفونه لكن القسم به بعيد لما لم يسبق لهم المعرفة والمشاهدة به فكيف اقسم بشئ لم يعرفوه ولا وقع لهم
العلم بالمشاهدة الا ان يقال ان القسم به لاهل الكتاب وذلك فى كتبهم يعرفونه فاما من لم يسبق له الخبر به بلا
مشاهدة فبعيد والله اعلم وقوله عز وجل والسقف المرفوع هو السماء التى رفعها بلا عمد يرونه من اسفل ولا تليق
من الاعلى على بعدها من الارض وسعتها وعرضها وشدتها وليعلم ان من فعل هذا لا يفعله لغير شئ بل يمتحن ويامر
وينهى وليتادى شكره فمن خالف امره ونهيه وكفر نعمه وانتهك محارمه استوجب ما ذكر والله اعلم
وليعلم ان من قدر على ما ذكرنا قادر على كل شئ لا يعجزه شئ يذكر سلطانه وقدرته وعظمته والله اعلم وقوله
عز وجل والبحر المسجور قال اهل الادب هو البحر المملوء الحاد لانه جل وعلا منذ انشاه جارا ممتليا عميقا لم
يتغير فى وقت من الاوقات ولا فى حال من الاحوال بل كان على حالة جارا ممتليا عميقا ليس كساير
الانهار والتى ربما يتغير عن جهتها من قلة الماء وسكونه وغورها فى الارض والامتلاء بها من الطين وحاجتها
الى الحفر وغير ذلك من التغيير التى يكون بها فاما البحر على حالة واحدة فى الاحوال كلها فاقسم به ان عذاب ربك
لواقع والله اعلم وقوله عز وجل يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا بين الوقت الذى ينزل بهم العذاب
الموعود حين قال ان عذاب ربك لواقع دل ان وقت تعذيب هذه الامة يوم القيمة وهو ما قال عز وجل وانشقت السماء
فهى واهية والله اعلم وفيه وصف ذلك اليوم بالاهوال والشدة لانه تعالى ذكر ان السماء تمور مورا اى
تستدير استدارا وتتحرك تحركا وذكر سير الجبال وما ذكر هذه الاشياء من اشد الخلايق واصلبها فهو لذلك اليوم
وشدته يحل فيها ما ذكر من التحرك والسير والتحرك وغير ذلك وفيه ان هذا العالم كله انشاه بحيث يفنيه و
ينشئ عالما اخر لانه ذكر فيه التغيير من حال الى حال لانه ذكر مرة سيرها وتحركها حيث قال ويوم نسير الجبال
وذكر السماء تحركها ومورها وذكر للارض انشقاقها حيث قال وتشقق الارض وقال فى اية اخرى وتكون
الجبال كالعهن المنفوش وقال ينسفها ربى نسفا وقال ههنا وتسير الجبال سيرا وكذلك قال فى السماء والارض
اختلاف الاحوال فقال يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب فدل اثبات التغيير فى هذه الاشياء على هلاكها كما
كان من انواع الاعراض والتغيير من حال الى حال لذا اهلها على هلاكها والله اعلم وقوله عز وجل فويل يومئذ
للمكذبين الاية بين المكذبين لرسله عليهم السلام ويحتمل لتوحيده والحجج والبعث وقوله عز وجل الذين
هم فى خوض يلعبون نعتهم ووصفهم حيث قال الذين هم فى خوض يلعبون والخوض هو عن الشئ الا انه
الخوض المطلق ذكروا واستعملوا فى الباطل خاصة وقوله عز وجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون
فى النار دعا على وجوههم وقال ابو عبيدة يدفعون دفعا فى اقفائهم خاصة وقوله عز وجل هذه النار التى
كنتم بها تكذبون هو على الاضمار كانه يقال لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا والله اعلم وقوله
افسحر هذا ام انتم لا تبصرون يقال لهم فى الاخرة لما القوا فى النار اضمير هذا مقابل ما قالوا [illegible]
فى الدنيا انما هو سحر وقوله ام انتم لا تبصرون [illegible] على وجوههم احدهم [illegible] لهم لما ادخلوا النار لعل ما كانوا
فيه ليس بعذاب وانما هو [illegible] وانتم لا تبصرون ذلك كما اخبر عنهم فى الدنيا انهم يقولون [illegible] حيث قال
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا الاية فقال مقابل ذلك اسحر
هذا ام انتم لا تبصرون اى انكم لا تبصرون [illegible] هذا ام انتم لا تبصرون فى الدنيا ان هذا
ينزل بكم فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم هذا كما قال ابليس
علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فخرج ذلك قوله عز وجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اى سواء عليكم اصبرتم
واجزعتم لا ينفعكم ذلك وقوله عز وجل انما تجزون ما كنتم تعملون اى ذلك استوجبتم باعمالكم لا ان ذلك
عليكم شططا لم تستوجبوه وقوله عز وجل ان المتقين فى جنات ونعيم الاية يحتمل فى جنات وفى نعيم ويحتمل فى
جنات فيها نعيم فتكون الواو بمعنى مع اى فى جنات مع نعيم وقوله عز وجل فاكهين بما اتاهم ربهم اى
ناعمين متنعمين وقال بعضهم وهو واحد المعجبين والناعم سواء لانه [illegible] ان ناعما متنعما كان معجبا مسرورا وقال
بعضهم فاكهين ناعمين وفكهين معجبين من ذلك وهو قول القتبى ثم ذكر ههنا فاكهين بما اتاهم ربهم وذكر فى

اى اخذين بما اتاهم ربهم

سورة والذاريات اخذين بما اتاهم ربهم بالشكر لله والحمد لله وقوله عز وجل ووقاهم ربهم عذاب الجحيم هذا يخرج
على وجهين احدهما ووقاهم اى عصمهم فى الدنيا عن الاعمال التى يوبقهم ويهلكهم لو اتوبها وعموها فاذا عصمهم عن ذلك
وقاهم عن عذاب الجحيم والله اعلم والثانى وقاهم اى عفا عنهم فى الاخرة وصفح عما عملوا من الاعمال الموبقات فى الدنيا
ما لو لا عفوه اياهم لكانت توبقهم ويستوجبون ذلك والله اعلم وقوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون
كانه على الاضمار اى يقال لهم لما ادخلوا الجنة ونزلوا منازلهم كلوا واشربوا وقوله هنيئا اى ليس عليهم فى ذلك
خوف التبعة ولا خوف حدوث مكروه فى انفسهم ولا افة لان ذلك ينغص عليهم ذلك ليس كما يوكل فى الدنيا فيه
خوف التبعة وخوف التبعة وخوف حدوث المكروه والافات فى انفسهم والضرر فاخبر ان لا يكون لهم فى الجنة ذلك ليلا
ينغص عليهم نعيمها والله اعلم وقوله عز وجل متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ذكر لهم فى الجنة جميع ما يرغب
انفسهم فى الدنيا ويتمنون بها كقوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون وقوله كواعب اترابا وكاسا دهاقا و
قوله عز وجل فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة واشباه ذلك مما يكثر عدة مما تحدث
انفسهم فى الدنيا ورغبهم فيه ليرغبوا فى طلبها او يتركوا ما فى الدنيا من ذلك ليصفوا لهم ذلك فى الاخرة وهذا الاخبار
التى ذكر واخبر انه يكون لهم فى الاخرة من الاتكاء على السرر والمقابلة فى المجلس وغير ذلك من الاشياء التى
ذكرها فى الكتاب ثم وقوله عز وجل وزوجناهم بحور عين كما قال تزوجت بفلانة وخلوت فخلى ذلك هذا وقوله
عز وجل والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم قيل فيه بوجوه احدها ما قال ابو بكر الكيسانى
اى يلحق الاولاد بابائهم واعمالهم درجات الاباء والامهات وان قصرت اعمال الذرية عن اعمال الاباء والامهات لان
الدرجات انما يكون بالاعمال فهم وان لم يبلغوا فى الاعمال مبلغ ابائهم فانهم يلحقون بهم والله اعلم وقال بعضهم
ان الذرية المقيدوا الايمان من ابائهم وامهاتهم واخذوه منهم ولم يبحثوا عن حجته وبرهانه حتى يكون اخذهم وقبولهم
عن البحث عن الحجة والبرهان فهم وان كانوا مقلدين اباهم فى الايمان متلقفين منهم فانهم يلحقون بابائهم وان كانوا
الايمان عن الحجة افضل عن الايمان بالتقليد والاتقان وقال بعضهم ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم
الايمان فانهم يلحقون بابائهم وامهاتهم فى ايمانهم وان لم يكن منهم الايمان ولم يا[illegible] والله اعلم وقوله عز وجل وما
التناهم من عملهم من شىء على تاويل ابى بكر اى وما التناهم اعمال الذرية من شىء اى ما نقصنا من اعمال ابائهم فى الثواب
وان قصرت اعمالهم عن اعمالهم بل يبلغون درجات ابائهم ويوفرون كما يوفر على ابائهم وتاويله بعد هذه التاويلات
التى ذكرنا وعلى تاويل غيره اى ما نقصنا من اعمال ابائهم شيئا اى انهم وان بلغوا مبلغ الاباء فان الاباء لا ينقصون
من اعمالهم شيئا ذكر هذا حتى لا يظن انه ينقص من ثواب ابائهم ويعطى ذلك لهم والله اعلم وقوله عز وجل كل امرئ
بما كسب رهين قال بعضهم هذا صله قوله عز وجل اصلوه فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
كل نفس بما كسب رهين وهو رد قول من يقول بان الرهن لصاحبه له ان يحبسه وان يركبه وان ينتفع به
ثم يرد الى الراهن ولو كان له هذا لكان لا يكون رهنا انما اخبر انه رهين اى محبوس فالرهن هو الذى يحبس
فى كل وقت والله اعلم وقوله عز وجل وامددناهم بفاكهة ولحم اى فى الفاكهة انواع كما ذكرنا فى قوله تعالى
بحور عين ثم يحتمل ان يكون قوله وامددناهم اخبارا عن دوامها وكثرتها اى لا ينقطع ولا يقل وليست فواكه الدنيا
فيها لا توجد فى كل وقت وقوله عز وجل ولحم طير مما يشتهون اخبر انهم ياكلون جميع ما يشتهون ويجدون ما يتمنون
ليس كالدنيا ربما يشتهى شيئا لا يجده ويجد ما لا يشتهيه وهو كقوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى انفسكم وقوله عز وجل
يتنازعون فيها كاسا اى يتعاطون فيها كاسا ويا[illegible] بعضهم من بعض كما يكون فى الدنيا لا يكون لكل احد كاس على حدة
وهو كما روى فى الخبر ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يشرب مع بعض ازواجه وربما يتنازع ايديهما وقال ابو بكر
الكيسانى فى الكاس هو الخمر وقال غيره هو الاناء المملوء من الخمر واما الذى لا شراب فيها فهو الاناء وقوله عز وجل لا لغو
فيها ولا تاثيم قرئ لا لغو فيها ولا تاثيم بالرفع والتنوين قال ابو عبيدة انه اخبر بانه ليس فيها لغو ولا تاثيم كما قال لا لغو
فيها ولا هم عنها ينزفون وقرئ ايضا بالنصب فيها على التبرية وهو وجه غير مدفوع وتاويل الاية اى لا يكون منهم من اللغو
وما يوثم من القول كما يكون يقال فى شرب الدنيا من اللغو وقول الاثم وقيل لا لغو فيها ولا تاثيم لانها احلت لهم
والله اعلم وقوله عز وجل ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون يرغبهم بما يرغب اليهم انفسهم فى الدنيا
من الخدم والفواكه والبسط ليطلبوها والله اعلم وقوله عز وجل واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابو بكر الكيسانى
يتساءلون عن المعاصى التى كانت عنهم فى الدنيا واستدل بقوله على اثر هذه الاية انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين فحمل
قوله فى اهلنا مشفقين وجهين احدهما انا كنا قبل واهلنا مشفقين كقوله قوا انفسكم واهليكم نارا والثانى
اى انا كنا قبل على انفسنا واهلنا مشفقين اى خائفين على ما كان منا من الجنايات والمعاصى وقوله عز وجل انا كنا
من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم اى والله اعلم انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين على انفسنا الجنايات منا ورجين برحمته

بقوله تعالى انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وصفا الله تعالى عز اى من القران بالاشفاق والخشية والطمع والرجاء
كقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقوله يدعوننا رغبا ورهبا ونحو ذلك ثم وقوله انه هو البر الرحيم قرا انه هو
البر بنصب الالف وخفضه فمن كسره حمله على الابتداء اى ربنا كذلك على كل حال ومن نصبها اراد ندعوه ثانيا لانه
هو البر الرحيم اى ندعوه لاجل انه كذلك والله اعلم وقوله عز وجل فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم دل قوله فمن
الله علينا ووقانا عذاب السموم ان الله ان يعذبهم بعذاب السموم لكنه بمنه وفضله وقاهم ولو كان عليه ذلك
كما قالت المعتزلة لم يكن يذكر المنة معنى وقوله فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون اى بما انعم عليك من
النبوة والقران ليست بكاهن ولا مجنون ثم هذا يخرج على وجهين احدهما اى انك لم تقابل نعمة ربك عصيت و
عصمت عما ذكروا من الجنون والسحر وغير ذلك والله اعلم دل هذه الاية على انهم قالوا له انه كاهن ومجنون وكذا
كانت عادة اولئك انهم ينسبون الحجج عند عجزهم عن مقابلتها الى السحر والانباء المتقدمة الى الكهانة وخلاف
الرسل عليهم الصلوة والسلام لعادتهم وفرغتهم الى الجنون والكلام المستملح والمستلذ الى الشعر تلبيسا للامر
على اتباعهم هذه كانت عادتهم مع العلم منهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك لما لم يختلف الى احد من
الكهانة ولا السحر ولا كان القران على نظم الشعر او عجزوا عن اتيان مثله وهم عن الشعر غير عاجزين ثم لما عجزوا
عن مقابلة ما اتاهم من الحجج قالوا نتربص به ريب المنون عن قريب يرجعون الى ديننا والى ما نحن فيه وكانوا يقولون
للضعفاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا يموت ويصير الامر لنا ترجعون الينا فقال تعالى قل تربصوا
فانى معكم من المتربصين اى تربصوا ذلك فانى متربص ذلك بكم فكانوا جميعا ادعا منهم اعنى الذين قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انه شاعر نتربص به ريب المنون اهلكوا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحل بهم ما
ظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال القتبى ريب المنون حوادث الدهر واوجاعه ومصائبه والمنون
الدهر وقال ابو عوسجة ريب المنون اى المنية وريبها ما يا[illegible] وقوله ام تامرهم احلامهم بهذا قد ذكرنا فى
غير موضع ان حرف ام اى ليست لهم عقول يامرهم بذلك اى من يامر بهذا فليس بعاقل والثانى على تسفيه احلامهم
اى عقل يامر بعبادة الاصنام وينهى عن عبادة الله تعالى اى لا عقل يامر به وقوله بل هم قوم طاغون اى طاغوت
فى ذلك والطغيان هو المجاوزة عن الحد فى العدوان وقوله ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون اى لا يعلمون انك
ليست بمتقول ولكن ينسبونك الى التقول بتكذيبهم بايات الله تعالى وهو ما ذكر فى اية اخرى فانهم لا يكذبونك
بالتخفيف والتشديد ولكن الظالمين بايات الله يجحدون يقول انهم لا يقولون انك كاذب فيما تقول ولا ينسبونك
الى الكذب ولكن انما يكذبون الايات ويعتقدون كذبها فعلى ذلك تقوله على علم منهم انك لم تتقول ولكن اعتقادوا
تكذيب الايات والجحود لها فيقولون انك تتقول من قال فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين انه لو كانوا صادقين
بان محمدا تقول على الله فليأتوا بشئ ما اوتى به محمد ثم قوله عز وجل فليأتوا بحديث مثله وان خرج مخرج الامر فى الظاهر
فهو فى الحقيقة ليس بامر لانه لا يحتمل ان يامرهم ان يأتوا بالكذب والافتراء ثم هذا يخرج على وجهين احدهما على الاعجاز
عن ان يأتوا بمثله والثانى على التوبيخ والتوعيد على ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الافتراء والتقول والله اعلم
وقوله عز وجل ام خلقوا من غير شىء ام هم الخالقون قال عامة اهل التاويل اى ام خلقوا من غير اب ولكن ليس فيما
ذكروا كثير فائدة لو خلقوا من غير اب الا ان يريد وابن لتحتى لم يعرفوا من خلقهم وممن خلقوا بل كانوا لهم اباء
عودهم واعلمهم بان لهم خالقا وانهم مخلوقون وليسوا الخالقين او كلام نحوه فكيف يتكلمون بما هو سفه وكيف
يعرضون عليه وعندنا يخرج على وجهين احدهما ام خلقوا من غير شىء اى يعلمون انهم لم يخلقوا لغير شىء او خلقوا من تراب
ولغير معنى وحكمة لكان خلقهم عبثا باطلا وهم يعلمون انهم لم يخلقوا لعبا باطلا والثانى يقال لا يخلوا اما ان يكونوا
خلقوا من غير شىء او خلقوا من تراب وماء فكيف ما كان فدل ان قدرتهم ذاتية لا استفادة فلا يخلوا ان يعجزهم شىء وقوله
عز وجل ام هم الخالقون اى ليسوا هم الخالقين وقوله عز وجل ام خلقوا السموات والارض اى يعلمون انهم لم يخلقوهما وقوله
بل لا يوقنون يخرج على وجهين احدهما ان ما يقولون انما يقولون على الظن لا على اليقين والثانى بل لا يوقنون اى لا يصدقون
وذلك فى قوم علم الله تعالى بانهم لا يؤمنون فان كان التاويل هذا ففيه دلالة اثبات الرسالة حيث اخبر عن الغيب وان كانت
التاويل هو الاول ففيه ان جميع ما يقولون انما يقولون على الظن والجهل لا على اليقين والله اعلم وقوله عز وجل ام عندهم
خزائن ربك الاية اى عندهم خزائن ربك على ما ذكرنا فى قوله تعالى ام خلقوا السموات والارض اى لم يخلقوا فعلى ذلك
هذا ليس عندهم ربك ولا هم المسيطرون ثم الاية يحتمل وجوها ايضا يحتمل ام عندهم خزائن ربك اى الذى منعهم عن اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المنعة التى عندهم ليست ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكونون له لذلك
احق بالرسالة اى ليسوا باحق ويحتمل قوله تعالى ام عندهم خزائن ربك اى علم الغيب فاطلعوا على ذلك فعلموا انه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد تقول على الله تعالى اى ليس لهم علم الغيب ويحتمل ام عندهم خزائن ربك اى علم الغيب ليس ذلك

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو عند رسوله ما يخبره به عز وجل وعلا ليس عندهم شئ من ذلك وقوله
عز وجل ام هم المسيطرون اى ليس هم المسلطون على ارزاقهم ولا ارزاق غيرهم وقال بعضهم المسيطر الرب
تعالى يقال سيطر فلان اى صار ربا وهو قول القتبى وقال الزجاج المسيطر المسلط يقال سيطر اى
تسلط وقال ابو بكر المسيطر الغالب القاهر لكن الغلبة والقهر بالحجة عليهم وهذا يخرج على المقابلة برسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر ويحتمل على غير المقابلة والله اعلم وقوله ام لهم سلم يستمعون فيه هذا يخرج
على وجهين احدهما ام لهم سبب وقوة فيصعدون السماء فيستمعون من اخبارها فعلموا بذلك ان محمدا
عليه السلام تقول على الله تعالى والثانى ام لهم سلم اى لهم حجة وبرهان يستمعون فيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما ذكروا فان قالوا نعم لنا ذلك يقال لهم عند ذلك فليات مستمعهم بسلطان
مبين اى بحجة بينة اى ليس لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ام له البنات ولكم البنون الاية هذا
ليس من نوع ما سبق ذكره لان ما تقدم من الايات بينهم وبين رسول الله عليه السلام على المقابلة وهذا
راجع الى الله تعالى فى النظام على ما سبق منهم القول ان الملائكة بنات الله وهو ما قال واذا بشر احدهم
بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يذكر سفههم فى نسبتهم البنات الى الله عز وجل وهم يانفون من نسبتهن
اليهم فيسكن بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصبره على اذاهم اى انهم يقولون فيما قالوا فا
على ما يقولون فيك والله اعلم ويحتمل ان خرج على ما ذكرنا من المقابلة برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه ام
لرسول الله البنات ولكم البنون فتتركون اتباعه لذلك والله اعلم وقوله عز وجل ام تسألهم اجرا فهم من مغرم
مثقلون اى لست تسألهم اجرا على اتباعك فيمنعهم ذلك عن اتباعك بل نكران ليس لهم اسباب المنع وهذه اسباب
المنع وانما امتنعوا عن الاتباع تعنتا ومكابرة وقوله عز وجل ام عندهم الغيب فهم يكتبون اى عندهم علم الغيب فيعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوله بل ليس عندهم وقوله عز وجل ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون
اى اليهم يرجع ذلك الكيد والذين ارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يحتمل ذلك الكيد الذى اخبر عز وجل
انه غلبهم فى الدنيا على ما قاله اهل التاويل انهم قتلوا يوم بدر ويحتمل ذلك فى الاخرة وقوله عز وجل ام لهم
اله غير الله ام لهم اله يامرهم بالذى يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ام لهم اله غير الله يمنعهم
من عذاب الله تعالى اى ليس لهم ويحتمل ام لهم اله غير الله يامرهم بالذى يدعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من التقول على الله تعالى ويطلع على ذلك ويدفع عنهم ما ينزل من السماء من العذاب وهو ما قال ان عذاب ربك
لواقع ما له من دافع ثم نزه نفسه عما اشركوا منه من الاوثان فى تسمية الالوهية واستحقاق العبادة فقال
سبحان الله عما يشركون وقوله عز وجل وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم يخبر عن عناد اولئك
الرؤساء ومكابرتهم وانما قالوا ما قالوا على التعنت لا على الاسترشاد وان هذه الايات من قوله ام تامرهم احلامهم
بهذا الى قوله عز وجل ام لهم اله غير الله كلها محاجة مع اولئك الرؤساء المعاندين يبين ذلك قوله تعالى وان يروا كسفا
من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم يقول انهم وان يروا ما يوعدهم من عذاب نزل بهم يقولوا لتعنتهم ومكابرتهم انه
سحاب ليس بعذاب وهو كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا يخبر
عن عنادهم وكقوله عز وجل افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا من السماء لا يؤمنون ويقولون ما ذكر انه سحاب مركوم تعنتا ومكابرة ثم امر رسوله عليه السلام بان يعرض
عنهم وان لا يشتغل بهم لما علم الله تعالى انهم لا يؤمنون وهو ما قال عز وجل فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى
فيه يصعقون بل ليس رسوله صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم ويامره بالصبر على اذاهم وترك المكافات لهم ويخبر انهم لا يؤمنون
الا فى اليوم الذى فيه يصعقون اى يموتون ثم قرئ قوله يصعقون بفتح الياء وضمها فمن قال بالنصب احتج بقوله
فصعق من فى السموات ومن فى الارض ولم يقل فصعق ثم يحتمل الصعقة التى ذكر ما ذكرنا اى يموتون ويحتمل اى
ينزل بهم الشدائد والاوجاع ولكن لا ينفعهم الا فى ذلك الوقت لانه ايمان دفع العذاب عن انفسهم وقوله عز وجل
يوم لا يغنى عنهم كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم عما ينزل بهم يومئذ جزاء على كيدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما ينزل بهم يومئذ جزاء على كيدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان لا يغنيهم من عذاب الله تعالى الاصنام التى
عبدوها رجاء ان يشفع لهم او يقربهم الى الله زلفى كما اخبر عز وجل والله الموفق وقوله عز وجل وان للذين ظلموا عذابا
دون ذلك قال اهل التاويل اى المشركى اهل مكة عذابا دون عذاب النار وهو القتل بالسيف يوم بدر ويحتمل ان
يكون قوله وان للذين ظلموا اى للكفرة عذاب فى الدنيا دون الذى ذكر فى يوم القيمة حيث قال حتى يلاقوا يومهم
الذى فيه يصعقون ثم قال لهم عذاب دون الله ذلك وهم ما داموا كفارا فهم فى عذاب يكونون فى خوف وذل وحزن
فذلك كله عذاب والله اعلم وقوله عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون اى لا ينتفعون بعلمهم او لا يعلمون حقيقة المالم

ينظروا

ينظروا فى اسباب العلم ولم يتفكروا فيها حتى يمنعهم ويزجرهم عن صنيعهم وقوله عز وجل فاصبر لحكم ربك دل هذا الحرف
ان النبى صلى الله عليه وسلم قد كلف امرا اشد بدا شاقا عليه قال له فاصبر اذ الامر بالصبر لا يكون الا بامور شاقة شديدة و
لذلك قال له فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل امره بالصبر على ما كلفه كما صبر اخوانه على ما لحقهم من الامور الشاقة
وما قال واصبر وما صبرك الا بالله اخبر انه لو صبر انما يصبر بتوفيق الله تعالى اياه وفيه انه اذا صبر يكون نصره لله تعالى حتى
عليه احتمال ذلك والله اعلم ثم وقوله لحكم ربك يحتمل وجوها احدها ما امر من تبليغ الرسالة الى الفراعنة الذين
كانت همتهم القتل لمن خالفهم فذلك امر شديد فامره بالصبر على ذلك والتبليغ الى اولئك والثانى امره بالصبر على اذاهم
واستهزائهم به وترك المكافاة لهم ويحتمل ان يكون الامر بالصبر على الامور التى كانت عليه فى خالص نهيه من احتمال تعنت
التكذيب وحزنه على تركهم التوحيد والايمان وانما ذلك كله حكم الله تعالى وقوله عز وجل فانك باعيننا اى بمنظر وعلم
منا فان الامر بالصبر على القيام بتبليغ الرسالة الى من ذكر يخرج قوله فانك باعيننا مخرج وعد النصر والمعونة كقوله
تعالى والله يعصمك من الناس وان كان الامر بالصبر على ترك مكافاتهم او على القيام بالامور التى فيما بينه وبين ربه تعالى فيصير
كانه قال على علم منا بما يكون منهم من التكذيب والاستهزاء والاذى كلفناك لا عن جهل منا بذلك والله اعلم وقوله عز وجل و
سبح بحمد ربك اى نزهه عن معنا فى الخلق وعما لا يليق واذكر الثناء عليه بما هو اهله وقوله عز وجل حين تقوم يحتمل حين
تقوم من مجلسك او من منامك وحين تقوم للتعيش والانتشار فان كان المراد حين تقوم من مجلسك فيكون التسبيح
ما ذكر فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل ان تقوم من مجلسك
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان فى مجلسه ذلك ولم يذكر الاثم
وان كان المراد حين تقوم من منامك فجائز ان يكون المراد منه الصلوة وان حين تقوم الانتشار والتعيش فيصير
كانه امر بالتسبيح بالنهار فى وقت الانتشار وعلى قوله ومن الليل فسبحه بالليل فى وقت الراحة فيصير كانه قال وسبح
بحمد ربك فى الاوقات كلها بالليل والنهار فى وقت الراحة وفى وقت الانتشار وروى الضحاك عن عمر رضى الله عنه انه
قال فسبح بحمد ربك حين تقوم فى الصلوة المفروضة قبل ان تكبر سبحانك اللهم وبحمدك الى اخره وروى الضحاك ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل فى الصلوة قبل ذلك قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم وروى ابو سعيد وعائشة رضى
عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اذا افتتح الصلوة قال ذلك عن مجاهد انه قال حين تقوم من كل مجلس والله اعلم وقوله عز
وجل فسبحه وادبار النجوم قال اهل التاويل هو ركعتا الفجر روى عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين
وعن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا انه ادبار النجوم الركعتين قبل الفجر وادبار السجود الركعتين بعد المغرب
فان ثبت هو التاويل فان كان على هذا فهذا يدل على تاخير صلوة الفجر لان ادبار النجوم انما يكون ذهابها وانقضاؤها وذلك
لا يكون باول وقت طلوع الفجر وانما يكون وقت الاسفار فيكون حجة لنا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والنجم اذا هوى قيل المراد هو النجوم انفسها اقسم بها على ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى على ما قال
الكفرة وهو قول الاصم وقيل اراد بقوله والنجم نزول القرآن نجما نجما على التفاريق اقسم بالقرآن انه لم يضل ولم يغو وقال
مجاهد هو اقسم بالثريا اذا غاب والعرب تسمى الثريا نجما وهى ستة انجم ظاهرة نجما وقال ابو عبيدة اقسم بالنجم اذا سقط فى الغور
فكانه لم يخص الثريا دون غيرها فان كان التاويل هو الاول فهو لما جعل الله تعالى النجوم محلا فى قلوب الخلق واعلاما يستخرجون
بها جميع ما ينزل بالخلق وما يكون لهم من المنافع والمضار من كثرة الانزال والسعة والضيق وما ينزل بهم من المصائب
والشدائد وما يكون من تقلب الامور وما جعل فيها من المنافع من معرفة القبلة وطرق الامكنة النائية ومعرفة الاوقات
وغيرها مما يكثر عدها فاقسم بنفسها او بالذى انشأ النجوم وما جعل فيها من المنافع ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل
وما غوى وان كان النجم هو النجوم التى انزل القرآن فيها نجوما على التفاريق وقوله عز وجل اذا هوى اى سقطت كقوله
تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم اى بمساقطها والاشبه ان يكون قوله اذا هوى اى سقطت كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع
النجوم والاشبه ان يكون قوله اذا هوى اى اذا صارت سيرا دائما فى سيرها لانها ابدا يكون فى السير وفى سيرها منافع
الخلق من الاهتداء للطرق وغيرها واما ليس فى مساقط النجوم وغيبوبتها كثير حكمة حتى يقسم بذلك والله اعلم وقوله
عز وجل ما ضل صاحبكم وما غوى يخرج على وجهين احدهما اى ما ضل عما نزل به القرآن وعما امر به لانهم كانوا يدعون عليه الضلال
اى خالف دينهم ودين ابائهم فقال ما ضل هو عما امر به وما غوى والثانى ما ضل صاحبكم وما غوى اذ ليس بساحر ولا
شاعر لانهم كانوا يقولون انه شاعر وانه ساحر فقال ليس هو كذلك ما ضل بالسحر وما غوى بالشعر على ما قال والشعراء
يتبعهم الغاوون بل رشد واهتدى وهو ما قال تعالى وما ينطق عن الهوى اى ما ينطق عما يهوى به نفسه بل انما ينطق
عن الوحى بقوله ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى والاجابة ان يصرف قوله تعالى علمه شديد القوى

الى الله تعالى اذا الله تعالى اضاف تعليمه الى نفسه بقوله عز وجل الرحمن علم القران لكن ابان بقوله ذو مرة فاستوى
اى المراد غيره اذ هو لا يوصف بانه ذو مرة فاستوى وهو جبريل عليه الصلوة والسلام على ما قال اهل التاويل ثم اضاف
التعليم مرة الى جبريل عليه السلام ومرة الى نفسه فالاضافة الى جبريل صلوة الله عليه لما انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم
وتلقف والاضافة الى الله تعالى يخرج على وجهين احدهما اضاف الى نفسه لما انه هو الباعث بجبريل اليه والامر له بالتعليم
والخالق لفعل التعليم من جبريل عليه الصلوة والسلام والثانى لما يكون الله سبحانه وتعالى من اللطف الذى يحصل به
العلم عند التعليم ولهذا يختلفوا المتعلمون فى حصول العلم مع التساوى فى التعليم لاختلافهم فى اثار اللطف والله الموفق
وقوله عز وجل ذو مرة فاستوى الاية قال اهل التاويل ذو مرة اى ذو قوة وقيل ذو قوة اى ذو احكام واصله من
فوى الحبل وهى طاقته والواحدة قوة واصل المرة وقوله فاستوى يحتمل استوى اى محمد صلى الله عليه وسلم لنزول الوحى
اليه وقيل استوى اى جبريل عليه الصلوة والسلام على صورته لما ذكر انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يريه
جبريل عليه الصلوة والسلام اى صورته فاستوى جبريل على صورته فراه كذلك وقوله عز وجل وهو بالافق اى جبريل
بالافق الاعلى ثم يحتمل الافق الاعلى اى افق السماء ويحتمل ان يكون الافق الاعلى مكان الملائكة ومسكنهم فاخبر انه عليه الصلوة
والسلام على صورته فى مكانه وجائز ان يكون الافق ما ذكر فى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يرى جبريل عليه
الصلوة والسلام فى صورته فسأله ان يريه فقال ان الارض لا تسعنى ولكن انظر الى الافق الاعلى فنظر فراه وفى بعض
الاخبار انك لا تقدر ان ترانى فى صورتى ولكن انظر الى الافق الاعلى ثم جائز ان يكون ما ذكر من النظر الى الافق الاعلى كان لما
لا يحتمل النظر اليه من قرب ويحتمل ذلك من البعد وذلك معروف فيما بين الخلق ان الشئ اذا كان له شعاع او نور او
شديد ان البصر لا يحتمل النظر اليه من القرب فى اول ما لاقاه ويحتمل اذا كان بعيدا منه وعلى هذا وقوله عز وجل ثم
دنى فتدلى يحتمل دنى منه جبريل عليه الصلوة والسلام شيئا بعد شئ وقرب منه كذلك ليحتمله اذ جبل الانسان على
يحتمل الاشياء اذا انتهى اليه على التفاريق ما لو انه بدفعه واحدة فى وقت واحد لما احتملها الانفس كالحر يأتى الخلق
بعد شدة البرد شيئا فشيئا حتى يشتد ما لو اتاه بدفعة واحدة اذا كان قريبا منه ويحتمل البعد ثم يقرب ويدنو
قليلا حتى يحتمل من القرب والله اعلم ثم من الناس من يقول ان قوله تعالى ثم دنى فتدلى على التقديم والتاخير اى
تدلى قربا لانه يكون التدلى اولا ثم الدنو منه ومنهم من قال بل هو على ما قال وهما سواء اعنى التدلى والدنو بمعنى
القرب والدنو والله اعلم وقوله عز وجل فكان قاب قوسين او ادنى اختلف فيه قال بعضهم القاب هو صدر القوس
اى فكان صدر القوس من الوتر مرتين وقال بعضهم اى قدر قوسين حقيقة وقال القتبى قاب قدر قوسين عربيين
وقال ابو عوسجة القاب قدر الطول وقيل القوس الذراع هاهنا اى كان قدر ما بينهما ذراعين قال والاول اعجب
الى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقاب قوس احدكم اى موضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط
تنقول اى الوجوه كان ففيه دليل انه لم يكن جبريل عليه الصلوة والسلام يبعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحيث لا يحيط لان الشئ اذا بعد عن البصر لعرفه بالاجتهاد ولا يدركه حقيقة وكذلك اذا قرب منه حتى ماسه والتصق به
قصر البصر عن ادراكه واذا كان بين البعد والقرب احاط به وادركه فاخبر الله تعالى انه خاطبه عيانا وادركه حقيقة لا انه
عرفه اياه بطريق الاجتهاد والله اعلم وقوله عز وجل او ادنى قال اهل التاويل حرف او حرف شك وذلك غير محتمل من الله
الله تعالى ولكن معناه على الايجاب اى بل ادنى وقال بعضهم او ادنى فى اجتهادكم و وهمكم لو نظرتم اليهما لقلتم انهما بالقرب
والدنو قدر قوسين او ادنى وقوله عز وجل فاوحى الى عبده ما اوحى هذا يخرج على وجهين احدهما على التقديم والتاخير
اى فاوحى جبريل ما اوحى اليه الى محمد عبده ورسوله عليهما الصلوة والسلام والثانى فاوحى الله جل وعلا الى
عبده جبريل ما اوحى هو الى محمد عليهما الصلوة والسلام وقوله عز وجل ما كذب الفؤاد ما راى قرى كذب بخفف
الذال ومشددة فمن قراء بالتخفيف اى ما كذب بصره فيما راى اى ما راى حق وقال ابو عبيد ما كذب فى رؤيته اى
رؤيته بل صدقت ومن قراء بالتشديد اى لم يجعل الفؤاد رؤيته العين كذبا وعندنا اى ما رد الفؤاد وما راى
البصر واصله ان الفؤاد مما يوعى به يقول قد وعى ما راى لم يتركه ولم يضيعه وقيل ما كذب الفؤاد ما راى اى
علم والرؤية كناية عن العلم لكن لو كان المراد منه العلم فلا يحتمل ما ذكر ولقد راه نزلة اخرى ولا يتصور ان
يعلم مرتين وكذا ذكر انه راى ربه مرتين ولا يحتمل العلم مرتين فدل ان الحمل على العلم لا يصح واصله عندنا ما كذب
الفؤاد ما راى من الايات دليله ما ذكر فى اخره لقد راى من ايات ربه الكبرى ولقد وقال راه نزلة اخرى وعن
الحسن اى راى عظمة من عظمة الله وامرا من امره وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال راى جبريل عليه السلام
على صورته مرتين اى ما كذب الفؤاد ما راى البصر جبريل عليه الصلوة والسلام ولقد راه ايضا مرة اخرى عند سدرة
المنتهى ومنهم من قال انه راى ربه على العيان بينه فهو خلاف ما ثبت من وعد الرؤية فى الاخرة بالكتاب والسنة
المتواترة ولانه لو راى ربه تعالى على ما قالوا لكان لا يحتاج الى ان يرى اياته الكبرى لان رؤية الايات انما يحتاج اليها عندما

يعرف

يعرف الشئ بالاجتهاد فاما عند المشاهدة وارتفاع الموانع لا حاجة تقع اليها الا ان يقال برؤية القلب على ما
ذكر فى الخبر انه سئل ذلك فقيل هل رايت ربك فقال رايته مرتين بقلبى وفى بعض الاخبار قال اما بعينى فلا واما
بفؤادى فقد رايته مرتين ويفسرون رؤية القلب بالعلم ولكن الاشكال عليه ما ذكر فان ثبت الحديث فهو
على ما كان واذا لا يفسر ذلك وكذلك قول من يقول فى قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى انه
دنى من ربه قول وحش فيه اثبات المكان والتشبيه تعالى الله عن ذلك ولكن المراد ما ذكرنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دنى من جبريل عليه السلام على ما ذكرنا فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى وقوله تعالى
عز وجل ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى الى اخره ذكر خصوصية رسولنا صلى الله عليه وسلم
من بين غيره من الخلائق منها رؤيته جبريل عليه السلام على صورته ورؤية الرب تعالى بقلبه ان ثبت الحديث
عنه وبلوغه عند سدرة المنتهى اذ لم يذكر لاحد من رسل الله تعالى انه بلغ هذا المبلغ سواه وقوله عز
وجل افتمارونه على ما يرى عن ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس رضى الله عنهما انهما قرا مفتوحة
التاء بغير الف ومعناه افتجحدونه وعن الحسن بالالف مضمومة التاء وقال معناه افتجادلونه وعن شريح مثله
قال ابو عبيد بالاولى ان يقرا بمعنى الجحود وذلك ان المشركين انما كان شانهم الجحود فيما ياتيهم من الخبر السماوى
وهو اكبر من المماراة والمجادلة وقيل افتمرونه اى تشككونه على ما يرى وقال ابو بكر الاصم لا يصح القراءة
بغير الف ولا تاويله انما القراءة بالالف وتاويله افتجادلونه ونحن نقول بان تاويل من ذكر من الجحود و
القراءة صحيح وتاويل من قال افتجادلونه على ما يرى لا يحتمل لان مجادلتهم لا يكون فيما يرى لكن يجادلونه على
ما يخبر انه جرى اذ فى الخبر يقع التكذيب وبه يجادلونه والله اعلم وقوله عز وجل ولقد راه نزلة اخرى فهو
على ما ذكرنا من اختلاف الناس ان ما ايش هو والله اعلم وقوله عز وجل عند سدرة المنتهى قيل سمى ذلك المو
سدرة لما انتهى اليه علم الخلق فلا يجاوزه وقيل لما انتهى اليه كرامات الخلق لا يجاوز وذكر ما تهم عنها وقيل
السدرة الشجرة ويروون فى ذلك الخبر مرفوعا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى عليه كذا كذا من جناح وقيل سميت سدرة المنتهى لما
ينتهى اليها ارواح الشهداء ثم جائز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم راى جبريل عليه السلام اولا
عند سدرة المنتهى من الارض اما برفع الحجب عنه اما بزيادة قوة وضعت فى بصره ثم راه مرة اخرى هنالك
ايضا بعد ما رفع صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى والله اعلم وقوله عز وجل عندها جنة الماوى قرات بنصب
الجيم وخفضه روى انه قيل لسعد بن ابى وقاص رضى الله عنه فلانا يقرا بالخفض عندها جنه الماوى فقال سعد
ما له اجنه الله وقراه بالفتح عن الاعمش قال قالت من قرا جنه الماوى فاجنه الله وعن ابى العالية قال سئل
عنها ابن عباس رضى الله عنه فقال لى كيف يقراها يا ابا العالية فقلت جنة الماوى بفتح الجيم فقال صدقت وهى
مثل الاخرى لهم جنة الماوى وعن الحسن انه قرا جنة الماوى وقال انها من الجنان وتصديقها حديث الاسراء انه
انه ارى الجنة وادخلها قال وردت الاية ان الجنة التى ياوى اليها المؤمنون فى السماء وقوله عز وجل اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال عامة اهل التاويل يغشيها فراش من ذهب وكذا ذكر فى خبر مرفوع غشاها فراش من ذهب ولكن
لا يفسر بالذى يغشى السدرة بل يبهم كما ابهم الله تعالى الا بحديث ثبت عن تواتر والله اعلم وقال بعضهم فى قوله
تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى اى ما يغشى من امر الله تعالى ويروون خبرا عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهيت الى السدرة رايت ورقها امثال اذان الفيلة ورايت نبقها امثال القلال
فلما غشيها من امر الله ما غشيها تحولت فذكرا ليا قوت ان ثبت هذا الخبر ففيه دليل ان السدرة شجرة ذكر ورقها
وفيه ان الذى يغشاها امر الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذ يغشى السدرة ما يغشى الملائكة والله اعلم
وقوله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى قال ابو بكر اى ما قصر عن الحد الذى امر وحد له وما طغى وما جاوز عنه
وكلام نحوه ويحتمل ما زاغ اى ما مال وما عدل يمينا وشمالا وما طغى وما جاوز وقال ابو عوسجة ما زاغ البصر
اى ما مال وما طغى من الارتفاع طغى الماء اذا ارتفع يطغى طغيانا وقوله عز وجل لقد راى من ايات ربه الكبرى
جائز ان يكون ايات ربه التى ذكر انه راى عليه السلام حيث راه بصورته وكذلك ذكر عن عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه انه راه بصورته مرتين وتاويل الاية ويحتمل غيره من الايات ولكن لا نفسرها والله اعلم وقوله عز وجل
افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الاية يخرج تاويل هذه الاية على وجوه والاولى فى هذا الموضع نظام
قوله عز وجل ومناة الثالثة الاخرى جواب فلا لقوله الكم الذكر وله الانثى احدها يقول لهؤلاء الذين يعبدون
من اللات والعزى ومناة اخير وكم حالوا الكم انه اصطفى لنفسه البنات ولكم البنين وان الملائكة بنات الله
ونحو اخذتم ذلك منها ام حين اخذتم ذلك وانتم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب وقد عرفوا انها لم يحرجهم

بذلك فيذكر بذلك سفههم او يقول افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى التي سميتموها الهة و
عبدتموها دون الله ونسبتم البنات اليه والبنين الى انفسكم ثم لم يذكر جوابها انه من امرهم بذلك ومن اخاذهم
ذلك او ممن اخذوا ذلك ثم قال ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان الاية كانه
يقول والله اعلم انكم انما سميتموها الهة واخترتم لانفسكم البنين وله البنات بلا سلطان ولا حجة لكم
انما هي اسماء سميتموها انتم واباؤكم بلا حجة ولا سلطان انما هو هوى النفس والظن ويحتمل ان يقوله
افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى ايركم يصرف شكر ما انعم الله تعالى عليكم وقبول ما وهب لكم من
البنات على ما اخبر انها من مواهب الله بقوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ويرد مواهبه و
قباحات ودسها في التراب ويصرف العبادة الى غير المنعم او قسمة البنين لانفسكم والبنات له ثم اخبر وقال
تلك اذا قسمة ضيزى اي تلك قسمة جور وظلم اي صرف شكر النعم الى غير المنعم وتوجيه العبادة من لا يستحقه ورد
مواهبه على هذه الوجوه يشبه ان يخرج الاية والا فلا يدرك ظاهره ما قبلها وما جواب هذا الحرف والله اعلم ثم وقوله
اللات قراء مجاهد وغيره مشدد التاء فقالوا هو رجل كان يقوم على الهتهم ويلت لها السويق بالزيت فيطعمه
الناس وروي ابن الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان يلت السويق للحاج ومن قرا مخففة التاء جعلوه اسم
لصنم مثل العزى ومناة وهي الهة كانوا يعبدونها ذكر قتادة في تفسيره كان اللات بالطايف والعزى ببطن نخلة و
مناة بقديد وقوله عز وجل تلك اذا قسمة ضيزى قال القتبي هي في الاصل ضوزى وزنه فعلى بكسر الضاد والياء وليس
في النعوت فعلى اي قسمة جائرة وقال ابو عوسجة ضيزى اي غير منصفة والضيز في الاصل الجور وقال ابو عبيدة ناقصة
وقال بعض الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى القى
الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى ومثلهن لا تنسى ثم قال بعضهم الغرانيق العلى الملائكة وقال
بعضهم الاصنام التي يعبدونها على رجاء الشفاعة لهم بقولهم هؤلاء شفعاؤنا لكن لا يحتمل ان يقول النبي صلى الله
عليه وسلم او جرى على لسانه ذلك لان الله تعالى قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه
الوتين ولو جاز ان يجري على لسانه لتوهم منه التقول وذلك بعيد وقال في اية اخرى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ولو جاز ذلك لجاز ان يجري الله الكذب على لسانه فلا يكون هو
نفى وجد من الحرج في قضائه ما ذكر وهو الكفر دل انما ذكروه فاسد فان ثبت ما ذكر انه جرى على لسانه تلك
الكلمات القى الشيطان في فمه يريد بذلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى عندهم وفي زعمهم وهو كقول موسى عليه
السلام انظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي الى الهك الذي هو عندك اله والا لا يحتمل ان يكون موسى عليه السلام
يسمي العجل الها وكقوله تعالى فراغ الى الهتهم اي الى الهة عندهم وقوله عز وجل اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها شركاء في
فقد ذكرنا هذا على التمام في سورة الحج وقوله عز وجل وما ارسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
الاية والله اعلم وقوله عز وجل ما انزل الله بها من سلطان على تسميتكم الاصنام الهة وعبادتكم اياها ونسبتكم
البنين الى انفسكم والبنات الى الله تعالى من حجة وبرهان انما هو من هوى النفس والظن وذلك قوله تعالى ان يتبعون
الا الظن في قولهم الملائكة بنات الله او قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وتسميتهم الاصنام الهة وظنوا ان
اباءهم كانوا على الحق واستدلوا على حقيقة ما كانوا عليه من الدين حيث تركهم وما اختاروا ولم يهلكهم وقالوا لو كانوا
على باطل ما تركهم على ذلك واستدلوا بذلك ايضا على رضاه منهم بذلك وامره اياهم كما اخبر عنهم بقوله اذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها هذا ظنهم بالله تعالى وقوله وما تهوى الانفس ان يتبعون هوى الانفس في النفس
ما يوجد المنافع الحاضرة والمضار الحاضرة فاما ما غاب عنها فلا يعرف وانما يعرف ذلك بالتفكر والنظر وهي لا ترغب لما
يكره النظر والتفكر ولا ترغب في التبدد ولا فيما يثقل عليها والله اعلم وقوله عز وجل ولقد جاءهم من ربهم الهدى
اي جاءهم من ربهم ما لو تفكروا ونظروا لاهتدوا ولو اتبعوا الحق والهدى لعرفوه وقوله عز وجل ام للانسان ما تمنى
اي للانسان ما تمنى ثم يحتمل تمنيهم شفاعة من عبدوه او ما اختاروا من البنين لانفسهم والبنات لله تعالى او ما سموا واتخذوا
الاصنام الهة او ما ظنوا على الله وادعوا امره ورضاه في فعلهم وغير ذلك مما كانوا يتمنون يقول ليس للانسان ما تمنى
ان يكون له انما يكون ذلك لمن يجعل الله الذي له الدنيا والاخرة وذلك قوله تعالى فلله الاخرة والاولى وقوله عز وجل وكم
من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى يخرج على وجهين احدهما اي كم ملك له
شفاعة لا ينفع شفاعته وان يشفع الا لمن ذكر والثاني اي كم من ملك في السموات لا شفاعة له ولا يشفع الا لمن شاء
الله ويرضى ان يشفع وهو كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي ليست لهم شفاعة تنفع لهم وقال ابو بكر الاصم
انما يشفعون في الاخرة لمن يشفعوا في الدنيا واستغفروا لهم كقوله تعالى ويستغفرون لمن في الارض وقوله تعالى ويستغفرون
للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا الاية وقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن

فيما تقدم

فيما تقدم الموجبة في ذلك وقوله عز وجل ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وانما يسمي ذلك قوم
وقد اضاف ذلك الى الكل في الظاهر لان الذين يسمون الملائكة تسمية الانثى والله اعلم ويجوز ان يذكر الكل فيراد به
البعض في اللغة ومثله في القران كثير والله اعلم وقوله وما لهم به من علم اي ما لهم بما يسمون الملائكة تسمية الانثى
من علم لان العلم بمعرفة الانثى من الذكر بطريقين احدهما المشاهدة يشاهد ويعاين فيعرف الانثى من الذكر وهم لم
يشاهدوا الملائكة فكيف يعرفون ذلك والثاني خبر الرسول المؤيد بالمعجزة وهؤلاء قوم لا يؤمنون بالرسل ولا يعرف
بالاستدلال وطرق العلم الثلاثة التي ذكرنا فاذا كان حصل قولهم بلا علم ولكن على الظن وذلك قوله تعالى ان يتبعون
الا الظن اي ما يتبعون في قولهم الذي قالوا الا الظن ووجه ظنهم ما ذكرنا ثم اخبر ان ظنهم لا يغنيهم من الحق شيئا
فهو يخرج على وجهين احدهما ان الظن الذي ظنوا لا يدفع عنهم ما عليهم من اتباع الحق ولزومه والثاني ان ظنهم الذي في
الدنيا لا يدفع عنهم ما لزمهم من العذاب في الاخرة وقوله عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا هذا يخرج على وجهين احدهما على
ترك مكافاتهم اي لا تكافئهم لصنيعهم واذاهم والثاني يخرج على الاياس له من ايمانهم اي لا يشتغل بهم فانهم لا يؤمنون
ابدا فهو في قوم خاص علم الله عز وجل انهم لا يؤمنون وقوله عز وجل ولم يرد الا الحيوة الدنيا يحتمل انهم كانوا لا يؤمنون بالاخرة
فلم يريدوا باحسانهم التي فعلوا الا الحيوة الدنيا لانهم كانوا يتصدقون ويصلون الارحام لكن لم يريدوا بذلك الا ما كان
في الحيوة الدنيا وجائز ان يكون الارادة ههنا كناية عن العمل وقوله عز وجل لم يرد الا الحيوة الدنيا اي لم يعمل في الاخرة
راسا يخبر عنهم انهم يعملون للدنيا لا للاخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد و
قوله عز وجل ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن الاية ونحو ذلك وقوله عز وجل ذلك مبلغهم من العلم
بان لا يؤمنوا بالاخرة ولا يعملوا لها وقال بعضهم ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك مبلغ رايهم من العلم ان الملائكة
بنات الله وانها تشفع لهم وقوله عز وجل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى مثل هذا الكلام
انما يخرج على اثر خصومات كانت من اولئك الكفرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كان اولئك الكفرة
قالوا نحن على الهدى وانتم على الضلال فقال عند ذلك فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ثم قال ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله فيجزيه جزاء ضلاله في الاخرة وهو اعلم بمن اهتدى فيجزيه
جزاء الهدى والله اعلم وقوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى هذا يخرج على وجهين احدهما يقول لله ما في السموات وما في الارض وهو غني عن عبادتكم وانما يامركم
وينهاكم ليجزيكم باعمالكم لا لمنافع يرجع اليه والثاني لله ما في السموات وما في الارض اي انما انشا اهل السموات
والارض ليمتحنهم بالامر والنهي ثم يجزي الذين اساءوا جزاء الاساءة والذين احسنوا جزاء الاحسان ولو كان على ما قال
اولئك الكفرة ان لا بعث ولا جزاء لكان خلقهم وخلق ما ذكر عبثا باطلا وهي الحكمة التفرقة بين المسيء والمحسن وفي
تحقيقه التسوية بينهما لذلك والله اعلم ان يفرق بينهما في الاخرة فيجعل جزاء المسيء في الدنيا القهر والذل
والهزيمة في الاخرة النار وجزاء المحسن في الدنيا النصر والظفر في الاخرة الجنة ثم نعت الذين احسنوا بالحسنى
وهو التوحيد فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم يحتمل ان يكون الكبائر ما يعرف كل احد انها كبيرة
والفواحش ما يعرف كل احد انها فاحشة والله اعلم على هذا يحتمل ان يكون من تلك الكبائر والفواحش الا ان استثناء
اللمم يكون من جنسها لانه استثنى … وهو ما … عقله … شهوة وكونها وهو
الاشبه ان تكون … وقال اهل التاويل الكبائر والفواحش هي التي ذكر لها الحد في الدنيا والعقوبة في الاخرة و
اللمم الذي لم يذكر لها حد في الدنيا والعقوبة في الاخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال زنا العين النظر وزنا
الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك ويكذبه الفرج فان تقدم فهو زنا
والا فهو لمم وفي رواية ان تقدم كان زنا وان تاخر كان لمما وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما رايت اشبه باللمم
مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين
النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه وعن ابي هريرة ان النظرة
والغمزة والقبلة والمباشرة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اللمم النكاح وعن ابن عباس قال هو ما سلف في الجاهلية كقوله تعالى الا ما قد
سلف وحتى يجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وعن ابن عباس رضي الله عنه هو ان يلم المرة وقيل اللمم هو الخطرة من حديث
النفس فعفا من غير عزم وقيل اللمم مقارنة الشيء من غير دخول فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يقول ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما وقيل اللمم الصغير من الذنوب لقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
الاية وقال القتبي اللمم صغار الذنوب وهو من الم بالشيء اذا لم يتعمق فيه ولم يلزمه وقال بعضهم اللمم ما بين الحدين
حد الاخرة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وذلك يحتمل والاول اقرب وقال ابو بكر الاصم اللمم التي تتوب عنه فاعلم
ذلك وانما يتجاوز عنها فهو يحتمل اللمم من تلك الكبائر والفواحش لكنه يقول انما استثنيناه لما يتوب عنها لا لصغرها

فيها على السهو والغفلة او لغلبة شهوة على حسن الظن بربه فيغفر له او يتوب عليه فيعفو عنها وعلى تاويل
اهل التاويل اللمم ما دون الكبائر والفواحش وجائز ان يكون الكبائر والفواحش التي ذكر كبائر الشرك
وفواحشه كقوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا فيكون اللمم على هذا ما دون الشرك فهو في مشية الله تعالى ان شاء عفى
عنها وان شاء عذب عليها كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله عز وجل
ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض اي هو اعلم بكم وباحوالكم ووقوعكم فيها على السهو
والغفلة عفى عنكم اي عن اللمم وعلى قول ابوبكر ان ربك واسع المغفرة لمن تاب عنها وهو اعلم بكم انكم تتوبون
عنها وعندنا ما ذكر هو واسع المغفرة لمن شاء تاب عنها او لم يتب ثم ان كان المغفرة هي اليسر فهي نعم المؤمن و
والكافر في الدنيا وان كانت التجاوز فهي للمؤمنين خاصة والله الموفق وقوله عز وجل هو اعلم بكم عندنا هو اعلم
بكم وانكم تعملون وتعفون فيها على السهو والغفلة او هو اعلم باحوالكم وافعالكم وما يكون منكم وهو اعلم
بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم ما لو اجتمع حكماء البشر ما ادركوا معنى الانسان في
ذلك ولا ادركوا معنى تصويره اليدين والعينين وغيرهما من الجوارح فانت ما كنتم اجنة في بطون امهاتكم ثم
نسبتنا الى الارض بقوله تعالى من الارض يحتمل وجهين اما الخلق اصلنا من الارض كقوله تعالى خلقكم من تراب ونحوه
او يجعل اقواتنا منها كقوله تعالى وقدر فيها اقواتها اذ لا قوام لنا الا بذلك الغذاء والقوت الذي يخرج من الارض
والله اعلم وقوله عز وجل فلا تزكوا انفسكم في ظاهر الاية نهي عن التزكية وامر في اية اخرى بالتزكية ورغب فيها
حيث قال ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة لكن فيها امر بالتزكية امر باصلاح انفسهم في انفسهم وتزكيتها
تعالى وفيما نهي عن التزكية نهي عن ان يصفوا انفسهم بالتزكية والصلاح والتقى والبراءة لعل ذلك ليس بتزكية في
الحقيقة او ان يكون فيهم من الفساد ما لا يستحق التزكية والوصف بالبراءة والله اعلم فان قيل ان الله تعالى لما نهانا عن
التزكية فكيف جاز لنا ان نقول لانفسنا انا مؤمنون ومسلمون اذ ذلك مدح وتزكية قيل انا امرنا بقول الايمان
والاسلام ابتداء حيث قال قولوا امنا بالله الاية وقوله واسلموا ونحو ذلك ولم يؤمر مثله ابتداء في الصلاح
ونحوه بان يقول عن صلحاء انقياد فجاز ان لا يمتنع في الايمان ويمتنع في غيره من الطاعات والثاني ان ليس في نفسه
الايمان تزكية لان كل اهل الاديان مؤمنون بشيء كافرون بشيء بقوله ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وقوله
اولئك نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقولهم يؤمنون بالجبت والطاغوت وفي نفس التقى والصلاح تزكية وقيل
ولا تزكوا انفسكم اي لا تزكوا اهل دينكم ومذهبكم وذلك متعارف في الناس انهم يزكون اهل مذهبهم وان
كانوا لا يعرفون صلاحهم وتقواهم ويذمون اهل خلاف فيهم في مذهبهم وان لم يعرفوا من الشر وما يجب المذمة
وذلك محتمل ويحتمل ما ذكرنا انه نهي كل في نفسه ان يزكي والله اعلم وقوله عز وجل هو اعلم بمن اتقى اي اتقى محارم
الله ومناهيه ويحتمل اي اتقى كفر بالله والشرك به وقوله عز وجل افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى هذا
يخرج على وجهين احدهما افرايت الذي تولى واعطى قليلا من كبراء الكفرة وعظمائهم واعطى قليلا من المال لضعفه
اهل الايمان ليرجعوا عن الايمان بمحمد والتصديق له ويكذبوا عليه وقوله واكدى اي قطع عنهم في ذلك ايضا و
كذا قال القتبي اكدى اي قطع وهو من بدء الزكية وهو الصلاة ترفيها انما لمعها الحافر بيبس من حفرها قطع الحفر
وقيل لكل من طلب شيئا فلم يبلغ او اعطى فلم يتمم اكدى وقال ابو عوسجة اكدى بخل ورجل مكد بخيل وقوله اعنده
علم الغيب فهو يرى فهو والله اعلم اعنده علم الغيب فيامر بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويأذن له بالتولي عنه و
اعطاء المال على التكذيب له اي ليس عنده علم الغيب لانه قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب واسبابا لعلم هذا
وقوله عز وجل ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى كان هذا مقطوع من الاول كان اولئك الكفرة يقولون
لاتباعهم انا نحمل منكم الظلم والوزر فلو تابعوا محمدا ولا يصدق قوم كقوله تعالى حكاية عنهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
فقال عند ذلك ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى اي قد بينا في صحف هما
الا تزر وازرة وزر اخرى وقيل انما سمي وفيا لانه بلغ ما امر بتبليغه وقيل لانه كان يصلي اربع ركعات عند الضحى
وعلى ذلك يروون خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما وفى قالوا الله ورسوله اعلم
وفى اربع ركعات فان ثبت هذا اكتفي عن تاويل اخر واصله انه سماه وفيا لما قام بوفاء ما امر به وقوله عز وجل
الا تزر وازرة وزر اخرى خبر ان هذا في الكتب كلها في صحف ابراهيم وموسى وغيرهما من الكتب ان لا يحتمل احد وزر اخر
انما يحمل وزر نفسه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يؤخذ الرجل بذنب غيره وعن عمرو ابن اوس قال كان
الرجل يوخذ في الجاهلية بذنب غيره حتى نزلت الاية وقوله عز وجل وان ليس للانسان الا ما سعى يشبه ان يكون قوله
وان ليس للانسان الا ما سعى اي ليس على الانسان الا ما سعى لانه جعل على نبيه ويعطي الزيادة على ما سعى بفضله و

وكرمه كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ذكر الضعفاء والتي لا سعي لهم قد يعطيهم الثواب بفضله واما جزاء
الشر فانه لا يكون الا بالمثل كقوله تعالى ولا يجزى الا مثلها وجائز ان يكون له بمعنى عليه في اللغة كقوله عز وجل
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اي فعليها ويحتمل ان يكون الاية في اولئك الكافرين الذي نزل
فيهم قوله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى يقول ليس لذلك الانسان الا ما سعى وقوله عز وجل وان سعيه سوف
يرى وحرف سوف من الله سبحانه وتعالى على التحقيق والايجاب كحرف لعل وعسى فيكون قوله تعالى سوف يرى اي يرى
جزاء عمله لا محالة ثم وقوله عز وجل ثم يجزاه الجزاء الاوفى جزاء الاخرة على الوفاء لا نقصان فيه خيرا كان او شرا ويحتمل
ان يكون ذلك للكافرين يجزى جزاء الشرك وجميع ما يعمل من السوء فاما المؤمن فانه يكفر سيئاته ويجزى جزاء الخيرات
كقوله تعالى اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وقوله عز وجل وان الى ربك المنتهى سمى
الاخرة منتهى ومصيرا ورجوعا ويحتمل اي الى جزاء ذلك ينتهي وقوله عز وجل وانه هو اضحك وابكى بين الله جل وعلا
قدرته وسلطانه في انشاء انفسهم واحوالهم وافعالهم اما بيان قدرته في انفسهم حيث قال هو اعلم بكم اذ
من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم واما بيان قدرته في احوالهم ما ذكر في قوله تعالى وانه هو اغنى واقنى
وانه هو امات واحيا واما في افعالهم قوله وانه هو اضحك وابكى يذكر قدرته وسلطانه ما ذكر ليعلموا انه لا يعجزه
شيء ثم وقوله عز وجل وانه اضحك وابكى يخرج على وجهين احدهما على الكناية والاستقرار بجعل الضحك كناية عن
السرور والبكاء كناية عن الحزن وكذا العرف في الناس انه اذا استد بهم السرور ضحكوا واذا اشتد بهم الحزن بكوا
والثاني على حقيقة الضحك والبكاء فهو على وجهين احدهما اي انشاهم بحيث يضحكون ويبكون والثاني يخلق
فيهم فعل الضحك والبكاء وهو اشبه الثاني والمعنى عندنا وقوله عز وجل وانه هو امات واحيى قوله امات يحتمل
وجهين احدهما اي جعلهم بحيث يموتون والثاني امات باخراج روحهم واحيا بادخال الروح فيهم كقوله تعالى
خلق الموت والحيوة وقوله عز وجل خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فيحتمل اماتتهم في الدنيا واحياءهم في الاخرة واصل
انه يفعل بهم كل ما ذكرنا وقوله عز وجل وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اسم الزوج يحتمل الشكل ويحتمل المقابل دون
اي يجعل احدهما شكلا للاخر وان كانا ضدين يقول يجعلهم بحيث يتزاوجون ويتشاكلون او يتفاوتون ويتضادون
والله اعلم وقوله عز وجل من نطفة اذا تمنى اي تقذف قال الاسم دل قوله من نطفة اذا تمنى انها اذا لم تقذف
يصير مذيا وانما يقذف التي يخرج على شهوة فاما التي يخرج لا على شهوة فانه يكون مذيا ولا يوجب الاغتسال والله
اعلم وقوله عز وجل وان عليه النشاة الاخرى اي في الحكمة عليه النشاة الاخرى لانه لو لم يكن النشاة الاخرى
كانت النشاة الاولى باطلا وعبثا غير حكمة او نقول ان عليه النشاة الاخرى ليعلم ان له قدرة عليها كما له القدرة على
الاولى لان اولئك الكفرة كانوا مقرين بالاولى والقدرة عليها وينكرون الاخرى فيخبر ان له القدرة عليهما وبالله
التوفيق وقوله عز وجل وانه هو اغنى واقنى الاية يحتمل قوله اغنى واقنى اي وسع عليهم واقنى اي صبرهم ما يقتنون
من الخدم وغيرها فيكون الاغناء هو التوسيع بانواع الاموال والاقناء هو اعطاء القنية من الخادم وما يحتاج
اليه للمهنة فيكون في جعل الخدم له فضل حاجة الاغناء وذلك دليل على صحة مذهبنا في استحقاقهم دفع الزكوة الى
من له الخدم وقيل اغنى اي اعطى ما يغنيه ويستغني به واقنى اي قنعه وارضاه وقيل على العكس اغنى اي ارضى
واقنى اي اخدم وعن ابن عباس رضي الله عنه اغنى واقنى اي اكثر وقال اعطى يا ابن ادم هو اغناك واقناك اي اعطاك
الخدم على ما ذكرنا وقال القتبي هو من القنية والنسب يقال اقنيته كذا وقال ابو عوسجة هو لمن لا يقنوا فيه اعطاه
ما لا يفنى فنوا وقوله عز وجل وانه هو رب الشعرى قيل ان الشعرى اسم كوكب كان يعبده بعض العرب فكانهم
ظنوا ان ما في ذلك الكوكب من الحسن والجمال لقدر له عند الله ومنزلة وان تدبيرهم يرجع اليه فعبدوه
لذلك ويحتمل انهم عبدوه ما لم يروا لانفسهم اهلية لعبادة الرب تعالى فعبدوا من دونه رجاء التقرب اليه
على ما يخدم المرء المتصلين بملوك الارض ولكن هذا فاسد لان من خدم المتصلين بملوك الارض انما يخدمهم
لما لم يسبق لهم اليهم من خدمة متصلة ولا الاذن بعبادة انفسهم وخدمتهم فاما الله تعالى قد امرهم بعبادة
نفسه ونهاهم عن عبادة غيره فلم يسع لهم بعد الامر بعبادته والنهي عن عبادة غيره عبادة من دونه ذكر سفههم
في عبادتهم الشعرى وامثالها اي اعبدوا رب الشعرى فانما فيه من الحسن والجمال هو الذي فعل فالله اصرفوا
العبادة وقوله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى قرا عاد الاولى باظهار التنوين والهمزة وبغير الهمزة ولا اظهار
التنوين حتى يصير كانها لام صلة ثم هذا ليس نوع ما ذكر من قبل انما ذكر هذا لهم لينزجروا عن صنيعهم اي اذا
هلك عاد وهم اشد منكم قوة واكثر عددا واموالا فانما لم ينزجروا بمواعظ الرب تعالى اهلكهم فعلى ذلك نفعل بكم
يا اهل مكة ان لم تتعظوا اواتي اهلك عادا لم يتهيأ لهم القيام بدفع عذاب الله تعالى عز وجل مع قوتهم فكيف انتم
يا اهل مكة ثم اختلف في قوله تعالى عادا الاولى منهم من قال كانوا عادين احدهما قوم هود وهم اول فاهلكوا

ربع وكانت اخرى في زمن فارس الاول ومنهم من قال عادا الاولى الذين اهلكوا من قبل من الامم واهل مكة وهلاك
عاد اخرى وقوله عز وجل وثمود فما ابقى اى اهلك ثمود ايضا وقوله فما ابقى قال بعضهم اى استاصلهم لم يبق منهم
احدا اى ما ابقى لهم نسلا يذكرون بذلك بعد هلاكهم كما ابقى الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام من النسل
او ما لهم من اثار الخير شيئا كما ابقى للرسل واتباعهم عليهم السلام الى اخر الابد والله اعلم وقوله عز وجل وقوم نوح
من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى اى كانوا اكثر ظلما واكثر طغيانا لان نوحا عليه الصلوة والسلام دعاهم
الى توحيد الله الف سنة الا خمسين عاما فما زادهم الا نفورا واستكبارا على ما اخبر فلم يزدهم دعائى الا فرارا
وقوله عز وجل والمؤتفكة اهوى قيل قريات لوط عليه السلام اى اهلكها ايضا وقوله اهوى قيل اى
اهوى الى النار وقيل اى اهوى من السماء الى الارض على ما ذكر ان جبريل عليه الصلوة والسلام رفعها الى
السماء وارسلها الى الارض وقوله عز وجل فغشاها ما غشى قيل غشاها الحجارة بعد ذلك فسواها بالارض
وقيل غشى الحجارة مسافريهم ومن غاب عنهم وقيل المؤتفكة المكذبة من الافك وهو الكذب وقيل المنقلبة
ائتفكت اى انقلبت فغشاها اى غشى قريات لوط عليه السلام من العذاب ما غشى وتلك الذين ذكر من
قبل من عاد ومن قوم نوح وهو قول القتبى فقال ابو عبيدة المؤتفكة المخسوفة وقوله عز وجل فباى الاء ربك
تتمارى فظاهر هذا وظاهر قوله تعالى فباى الاء ربكما تكذبان مشكل لا ذكر الالاء ولو عرف انه الالاء لكان لا
يكذبه لكن يخرج على وجوه على التقديم والتاخير او الاضمار كانه يقول فباى الاء من الاء ربكم مشاهد تموه
وعاينتموه تتمارون وكذلك فباى الاء ربكما الذي قررتم به تكذبون او يقول فباى الائه واحسانه تعالى
تكفرون او كيف تكفرون احسانه بمحمد صلى الله عليه وسلم او كيف صرفتم شكر نعمه او يكون الالاء ههنا الحجج يقول فباى
حجة من حجج ربك تكذب رسالة محمد عليه افضل الصلوة او تتمارى فيها اى لا حجة لك في تكذيبك اياه او انكارك
رسالته وقوله عز وجل هذا نذير من النذر الاولى اى الذي يدعوكم وينبئكم محمد عليه السلام من النذر الاولى
التي انباها الرسل الاولون واوعدوا قومهم فيكون صلة قوله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى الى اخره وقيل هذا
نذير من النذر الاولى اى الرسل الاولى وتمام هذا التاويل اى هذا نذير من البشر كالذين كانوا من قبل وقيل
هذا الذي ينذركم محمد صلى الله عليه وسلم هو من النذر التي في اللوح المحفوظ اى مما ينذر به والله اعلم وقوله عز
وجل ازفت الازفة اى قربت القيمة سمى الله سبحانه وتعالى القيامة باسماء مختلفة منها الازفة ومنها الساعة
ومنها الازفة لقربها الى الخلق ووقوعها عليهم وكذلك الساعة وقوله عز وجل ليس لها من دون الله كاشفة
دلت الاية على ان الله تعالى لم يؤت علم قيام الساعة ووقوعها احدا وهو كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو
وللباطنية ادنى تعلق في هاتين الايتين لانهم قالوا ان الاخرة للحال كاينة لكنها مختفية مستترة تظهر وتكشف
عند فناء هذه الاجسام وذهاب هذه الابدان ويستدلون بقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو وبقوله تعالى
ليس لها من دون الله كاشفة ويقولون ان لفظ التجلي والكشف انما يستعملان فيما هو كاين ثابت يظهر
عند ارتفاع الستر وما يخفى الا في الانشاء ابتداء ابتداء ولكن عندنا ان حرف الكشف والتجلي يستعمل في ابتداء
الاحداث والانشاء وفي اظهار ما كان كامنا خفيا فاذا كان كذلك بطل استدلالهم بذلك وهو كقوله تعالى
عالم الغيب والشهادة هو عالم بما كان خفيا على الخلق وما هو شاهد ظاهر وعالم بما يكون وبما هو كاين للحال والله
الموفق وقوله عز وجل افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون كانوا يتعجبون من امرين احدهما من بعث الرسل كقوله تعالى
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم ومن البعث بعد ما يفنون ويبلون كقوله تعالى فان تعجب فعجب قولهم اذا كنا ترابا الاية
وقوله عز وجل وتضحكون الضحك ههنا كناية عن الاستهزاء ليس على حقيقة ويكون الضحك كناية عن السرور اى
تسرون على ما انتم عليه وقوله عز وجل ولا تبكون ايضا ليس على حقيقة البكاء ولكن كناية عن الحزن اى ولا تحزنون
على ما فرط منكم من الاعمال وسوء الصنيع والمعاملة وقوله عز وجل وانتم سامدون لاهون معرضون وعن سعيد
بن جبير سامدون غافلون وقيل سامدون حزنون على رسالة محمد صلوات الله عليه وغايظون على ما انزل
عليه وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى وانتم سامدون قال هو الغناء بلغة اليمن يقول اليماني
اسمد لنا اى غن لنا قال كانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا وقوله عز وجل فاسجدوا لله واعبدوا الاية اى اخضعوا
لله واستسلموا له اذ الامر بالسجود عند التلاوة في غير سجود الصلوة امر بالخشوع له والاستسلام والامر
بالسجود ههنا للتلاوة قد الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين
روى الاسود عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا سورة النجم فسجد فيها ولم يبق
معه احد الا سجد الا شيخ من قريش فانه اخذ كفا من حصى فرفعه الى جبهته وروى ابو هريرة والمطلب بن ابي
وداعة ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وروى عن عمر وعثمان رضى الله عنهما انهما سجدا فيها وعن على رضى

الله عنه انه قال عزايم السجود اربع تنزيل السجدة وحم السجدة والنجم واقرا باسم ربك وما روى عن زيد بن ثابت
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرءها فلم يسجد يحتمل ان يكون التلاوة واقعة بكره السجود والحديث حكاية فعل
لا عموم له والله اعلم بحقيقة ما اراد والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر قال بعضهم اى اقتربت الساعة واقترب انشقاق القمر وقيل على
التقديم والتاخير اقتربت الساعة وان يروا اية يعرضوا وان كان انشقاق القمر يعني هذين التاويلين لم يكن انشقاق
القمر بعد ولكن يكون في المستقبل وعند قيام الساعة وهو قول ابي بكر الاصم ويقول معنى قوله انشق القمر اى
سينشق القمر الساعة اذ لو كان قد انشق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما خفى على اهل الافاق ولو كان لظهر
عندهم لتواتر النقل به اى هو امر عجيب والطباع جبلت على نشر العجايب وعامة اهل التاويل على ان القمر قد انشق
فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم بمنى فانشق القمر فذهبت فرقة منه وراء الجبل فقال عليه السلام اشهدوا اشهدوا وروى عن
غيره ايضا عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم وانس بن مالك وحذيفة وجبير بن مطعم في جماعة
من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انهم رووا انشقاق القمر وابو بكر لو كان لم يخف وظهر فيقال له قد ظهر فانه روى
عن غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم وتواتر الحديث عن الخاص والعام وفشى الامر بينهم حتى قل من يخفى عليه سماع
هذا الحديث على انه قد ينطق به ظاهر الكتاب وانما يكلف حفظ ما لم ينطق به الكتاب والعمل بحقيقة اللفظ واجب
وما قال بعضهم يجوز ان يستره الله تعالى عن اهل الافاق بغيم او يشغلهم عن رؤيته ببعض الامور لضرب تدبير ولطف
منه لئلا يدعيه بعض المتنبئين في الافاق لنفسه وادعى الرسالة كاذبا بناء على دعواه انه فعل ذلك فيحتمل انه اخفى
على اهل الافاق الا في حين يظهر المعجز عليهم من الحاضرين والكفرة بمكة والصحابة الذين راوا وقد نقلوه والله اعلم
وقوله عز وجل اقتربت الساعة كانه يقول اقتربت الساعة التي تجزون فيها او الساعة التي تحشرون فيها او الساعة
التي تحاسبون فيها فان قيل ليس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا والساعة كهاتين واشار الى
السبابة والوسطى وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقم الساعة بعد قيل يحتمل ان مراده صلى الله عليه
وسلم انه ختم النبوة والرسالة وبقى احكامه وشريعته الى وقت قيام الساعة وبقاء شريعته كبقائه فصار كانه
شريعتي والساعة كهاتين ويحتمل انه لما كان به ختم النبوة والشريعة صار بعثه ومجيئه عليه السلام علامة
للساعة واشراطها وهو كقوله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها على تاويل من حمل بعث الرسول عليه السلام واية
للساعة والله اعلم وقوله عز وجل وان يروا اية يعرضوا ذكر تعنتهم وعنادهم انهم وان يروا اية سالوها يعرضوا
فلم يرهم تلك او من سنته ان كل اية جاءت على اثر السؤال فلم يقبلوها اهلكوا اذا كان من سنته هذا وقد
وعد تاخير هذه الامة الى الساعة وعفى عنهم التعجيل لم يرهم تلك الايات المقترحة والله اعلم ويحتمل وان
يروا اية حسية يعرضوا لان ايات رسول الله صلى الله عليه وسلم عامتها واكثرها كانت عقلية وسمعية فيخبر عن
سفههم وتعنتهم انهم وان يروا اية حسية يعرضوا عنها وهو كقوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا وكقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
لقالوا انما سكرت ابصارنا الاية وقوله تعالى عز وجل ويقولوا سحر مستمر اختلف فيه منهم من قال سحر مستمر
اى ماض لم يزل الرسل عليهم السلام كانوا ياتون بمثله من السحر ومنهم من قال مستمر اى قوى ماخوذ من المرة
وهى القوة واصل المرة الفتل ومنهم من قال مستمر اى ذاهب يذهب ويتلاشى ولا يبقى وقوله عز وجل وكذبوا
واتبعوا اهواءهم يحتمل كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما اتاهم من الايات على الرسالة ويحتمل كذبوا بالحق
واتبعوا اهواءهم يخبر انهم انما ما ذكر باتباع اهواءهم لا بحجة ولا برهان وقوله عز وجل وكل امر مستقر اى كل
امر مستقر باهله ان كان خيرا فالخير وان كان شرا فشر ويحتمل كل امر كاين فاذ يقر باهله وقال بعضهم كل امر وفعل
حقيقة ما كان فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الاخرة فستعرف وقوله عز وجل ولقد جاءهم من الانباء
ما فيه مزدجر حكمة بالغة يحتمل قوله ولقد جاءهم بالانباء ما فيه مزدجر وجاءتهم ايضا حكمة بالغة وهو القران
ويحتمل ان يكون معناه ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر وفي تلك الانباء حكمة بالغة ثم الانباء التي فيها مزدجر
حكمة بالغة وهي ما ذكر في هذه السورة من انباء عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح وموسى فقد جاءهم انباء هؤلاء
وعرفوا ما نزل بهم من العذاب والاهلاك وباى شئ نزل بهم وهو تكذيب الرسل عليهم السلام لم يرتدعوا عن مثل صنيعهم
فلا يلحقهم مثل ما لحق اولئك وفي ذلك حكمة بالغة والبالغة هي النهاية في الامر يقال فلان بالغ في العلم اذا انتهى

في ذلك نهايته وقال القتبي مزدجر امر متعظ وقال ابو عوسجة مزدجر اي زاجر وقوله عز وجل فما تغني النذر
يقول والله اعلم قد جاءهم ما ذكر من الانباء التي فيها مزدجر وانذار فلم يزجرهم ذلك ولم ينفعهم فاني
تغني النذر لهم ومن اين ينفعهم النذر اي لا يغنيهم ثم النذر يحتمل وجهين احدهما النذر عليهم
الصلوة جمع نذير والثاني ما يقع به النذارة وهو الانباء التي انذار الرسل بها وحذروا بذلك يقول
فما يغنيهم قول الرسل ولا خوف ما بلغهم من القصص التي فيها تعذيب للكفرة بتكذيب الرسل عليهم السلام
وترك اتباعهم والله اعلم وقوله عز وجل فتول عنهم يحتمل وجوها احدها قوله فتول عنهم اي اعرض عنهم ولا
تكافيهم باساءتهم والثاني فتول عنهم اي لا تقابلهم ولا تجاهدهم فان كان التاويل هو يحتمل النسخ على ما
قاله اهل التاويل وان كان للاول فهو لا يحتمل النسخ والثالث يحتمل فتول عنهم اي لا تشتغل بهم فانهم لا يومنون
فذلك في قوم علم الله تعالى انهم لا يومنون فيوئس رسوله صلى الله عليه وسلم عن الطمع في ايمانهم وقوله عز وجل يوم
يدع الداع الى شيء نكر اي الى شيء منكر فظيع هائل ويحتمل الى شيء انكروه في الدنيا وهو الساعة ينكرونها
في الاخرة وقوله عز وجل خشعا ابصارهم وقرا خاشعا بالالف روي عن ابن عباس رضي الله عنه ونصبها
في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خاشعة ابصارهم وصفهم بالخضوع في الاخرة مكان استكبارهم في
الدنيا وبالاقرار والتصديق بالساعة مكان انكارهم في الدنيا وبالاجابة للداعي مكان ردهم له في الدنيا حيث قال
مهطعين الى الداع وقوله عز وجل يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر هذا يخرج على وجهين احدهما شبههم بالجراد
لكثرتهم لا يدرون من اين ياتون والى اين يصيرون كالجراد الذي لا يدري من اين والى اين كقوله تعالى وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى والثاني شبههم بالجراد لكثرتهم وازدحامهم لما يحشر الكل بدفعة واحدة والله اعلم
وقوله عز وجل مهطعين الى الداع قال عامة اهل التاويل مهطعين اي مسرعين وقال قتادة اي عامدين وقال مجاهد
الاهطاع النسلان وهو بالفارسية بوية رفتن وقال بعضهم مهطعين ناظرين رافعي رؤسهم وهو قول الكلبي
وقال ابو عوسجة اي مسرعين مادين اعناقهم وقيل الاهطاع ادامة النظر الى الداعي وقوله عز وجل يقول الكافرون
هذا يوم عسر وهو ما قال في اية اخرى يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم
نوح يقول والله اعلم كذبت قبل قومك قوم نوح يقول والله اعلم كذبت قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام واذوه
فصبر على التكذيب وانواع الاذى ولم يدع عليهم بالهلاك ما لم يرد الاذن بالدعاء عليهم بالهلاك من الله تعالى فاصبر
انت على تكذيب القوم وانواع الاذى وهو كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فان قيل ما الحكمة في تكرار
هذه الانباء في القران ولم يكرر ما فيه اي الاحكام قيل ان هذه الانباء والقصص انما جاءت لمحاجة اهل مكة وامثالهم
من الكفرة في اثبات الرسالة والتوحيد والبعث اذ هم المنكرون لهذه الاشياء وهم كانوا اهل عناد ومكابرة وفيهم
ايضا مسترشدون ومن حق المحاجة مع من ذكرنا واشباههم ان يعاد الحجة مرة بعد مرة لعلهم يقبلونها في وقت و
ينجع في قلوبهم في وقت وان لم ينجع وقت ومن حق الموعظة للمسترشدين ايضا ان يكرر ليتعظ ان يختلف ذلك
باختلاف الاحوال وقد ذكرنا فوائد تكرارها واقتصار الاحكام فيما تقدم والله اعلم فان قيل ان نوحا عليه السلام
قد دعا على قومه بالهلاك قيل انما دعا على قومه بالهلاك بعد ما ايس من ايمانهم حيث قيل انه لن يومن من قومك الا من
قد امن اما رسول الله لم يوئسه عن ايمان قومه جملة انما يوئسه عن بعض بطريق التعيين وهو قوم علم الله تعالى
انهم لا يومنون لا عن الكل فلذلك لم يوذن بالدعاء عليهم والله اعلم وقوله عز وجل فكذبوا عبدنا يحتمل كذبوا فيما
ادعى لنفسه الرسالة او كذبوه فيما دعاهم اليه بالتوحيد وتوجيه الشكر الى الواحد القهار وقوله عز وجل و
قالوا مجنون اي قالوا لاتباعهم انه مجنون وقوله عز وجل وازدجر اي نوح عليه السلام حيث قالوا لقولهم وشتموه وزجروهم
عنه بقولهم انه مجنون فهذا منهم زجر لاتباعهم عن اتباعه فصار لذلك نوح عليه السلام مزدجرا عن القوم وصار القوم
مزدجرين عنه وقال بعضهم زجروا نوحا عليه السلام اي منعوه عن اظهار ما اتاهم من الايات على رسالته والله اعلم وقوله
عز وجل فدعا ربه اني مغلوب فانتصر اي مغلوب بالسفه والمكابرة وانواع الاذى اذ لا يحتمل ان يكون مغلوبا بالحجج فانتصر
عدوك عليهم وقوله عز وجل ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر يحتمل قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء اي من فوق لان ما كان فوقك
فهو سماء فيحتمل ان يكون ذلك من البحر المكفوف الذي ذكر انه بين السماء والارض وفجرنا الارض عيونا اي انبعنا الماء
من الارض كانه قال انزلنا الماء من فوق وانبعنا من اسفل ويحتمل ان يكون قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء هو حقيقة
فتح السماء وانزال الماء منها ولله تعالى ان يرسل الماء من حيث يشاء وكيف والله اعلم وقوله عز وجل بماء منهمر قيل منصب وقال
ابو عبيد منهمر اي كثير سريع الانصباب يقال همر الرسل اذا اكثر في الكلام فاسرع وقال ابو عوسجة انهمرت السماء وهمرت
اي امطرت فاكثرت وقوله عز وجل فالتقى الماء على امر قد قدر يذكر ان الماءين جميعا ما ارسل من الغرق وما اخرج من [illegible]
على تقدير وتدبير لا جزافا وهو كقوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى اي على تقدير وتدبير من الله تعالى لك في ذلك لا على غير

تقدير

تقدير منه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فالتقى الماءان على امر قد قدر وقال بعضهم على امر قد قدر اي
قد قدر لهم ان يغرقوا بالماء اذ كفروا وقال بعضهم قد قدر اي استوى الماء نصفه من عيون الارض ونصفه
من السماء واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وحملناه على ذات الواح ودسر وذكر في حرف حفصة رضي الله
عنها وحملناه وذريته على ذات الواح ودسر ذكرها هنا ذات الواح وذكر في اية اخرى السفينة بقوله تعالى انا حملنا
ذريتهم في الفلك المشحون ونحوه فيكون ذات الواح تفسير السفينة ولو لم يتقدم ذكر السفينة لم يفهم من ذات
الواح السفينة اذ ذات الواح قد يرجع الى الابواب وغيرها لكن كان تفسير السفينة بما ذكرنا والله اعلم ثم اختلف
في قوله تعالى ودسر قال عامة اهل التاويل الدسر المسامير التي يشد بها السفينة وقيل الدسر اضلاع السفينة
وقيل صدرها وقال الحسن هي السفينة لانها تدسر الماء بجؤجؤها قال ابو معاذ واحد الدسر دسار وجماع
الجؤجؤ الجاجي هي الصدور ثم في قوله تعالى وحملناه وتسمية هذا المصنوع سفينة دليل على ان افعال العباد
مخلوقة لله تعالى لانهم هم الذين ركبوا السفينة ثم اخبر انه هو الذي حملهم وكذا الخشب المجتمعة لا يسمى سفينة انما
يسمى بهذا الاسم الخاص بعد الايجاد والصنعة الموجودة من العباد دل ان الله تعالى في فعل العباد صنعا والله
الموفق وقوله عز وجل تجري باعيننا اي بتقديرنا وحفظنا وقوله جزاء لمن كان كفر اي حمل نوح عليه السلام واتباعهم
في السفينة ونجاهم من الغرق جزاء ما كفر به قومه كذا قال عامة اهل التاويل انه خبر لنوح عليه السلام حين
كفر به قومه فلم يومن به قومه وقال مجاهد جزاء لمن كان كفر بالله تعالى اي الغرق جزاؤهم لما كفروا بالله تعالى
وقال ابو معاذ وقراءة جزاء لمن كان كفر بنصب الكاف وتاويل هذه القراءة اي اهلاك من هلك من قومه جزاء
لما كفروا بالله تعالى او بنوح عليه السلام وقوله عز وجل ولقد تركناها اية يحتمل وجهين احدهما تركنا سفينة نوح
عليه السلام بعينه مدة طويلة حتى صارت اية لاولهم واخرهم ولمن بعدهم وبه يقول قتادة وقال ابقى الله تعالى
سفينة نوح عليه السلام من ارض الجزيرة حتى نظرت اليها اوائل هذه الامة وكم من سفينة كانت بعدها
فصارت رمادا والثاني في تركناها اية اي انا تركنا السفينة وانباءها اية لمن بعدهم لان انباءها في المتاخرين
حتى عرفوا ان من نجا لمن نجا ومن هلك لمن هلك والله اعلم وقوله عز وجل فهل من مدكر عن الاسود قال قلت لعبد
الله بن مسعود رضي الله عنه فهل من مدكر او مذكر فقال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم مدكر بالدال قال
ابو عبيد واصله في العربية مذتكر فانه من باب الافتعال على وزن مفتعل فثقل لاجتماع التاء فادغمت الحرفان الاول
وهو الدال في التاء فانقلب دالا فهو كقوله وادخر اصله اذتخر من الذخر لما قلنا والله اعلم ثم وقوله عز وجل
مدكر اي هل متذكر متعظ يتعظ بما نزل بهم ولذلك فيزجر عن مثل صنيعهم وقال قتادة فهل من طالب خير فيعان
وقوله عز وجل فكيف كان عذابي ونذر يخرج على وجهين احدهما اليس ما وعد لهم رسلي من العذاب بالتكذيب صدقا وحقا
وارين بقوله ونذر اي رسلي والثاني اليس وجدوا شديدا عذابي ونذر اي ما وقعت به النذارة وهو العذاب الذي
انذروا به والنذر على هذا التاويل المنذر به كقوله تعالى وكان وعد الله مفعولا اي موعودا والا وعد لا يكون
مفعولا اذ هو صفة ازلية وقوله عز وجل ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر هذا يحتمل وجوها احدها
يسرنا القران للذكر اي للحفظ اي صيرناه بحيث يحفظه كل احد من صغير وكبير وكافر ومؤمن وكل احد يتكلف حفظه
والثاني ولقد يسرنا القران للذكر اي الذكر ما نسوي من نعم الله تعالى عليهم ولذكر ما ابتلاهم فيه من اخبار الاوائل
من مصدقيهم ومكذبيهم والثالث جاز ان يكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة اي يسرناه عليه
حتى حفظه كله عن ظهر قلبه حتى اذا اراد ان يذكر شيئا منه يذكر في كل وقت وكل ساعة اراد كقوله تعالى لا تحرك
به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وقوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى
الا ما شاء الله اخبر عن انه يسره ومن عليه والتيسير وقوله فهل من مدكر فعلى التاويل الاول والله اعلم
وان يسر القران للحفظ ولكن لم ينزل للحفظ ولكن انما انزل ليتذكر ما فيه وللايقاظ به اي فهل من متعظ يتعظ به
وعلى التاويل الاخر فهل من مدكر خرج مخرج الامر اي اذكروا واتعظوا بما فيه من الانباء والله اعلم وقوله عز وجل
كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وذكر عذابي ونذر ذكرنا انباء الاوائل ما نزل بهم بالتكذيب والعناد وسوء
معاملتهم الرسول عليه الصلوة والسلام وهو صلة قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر وتاويل
الاية يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما وقوله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا قيل باردة وقيل شديدة
وقوله عز وجل في يوم نحس مستمر اي استمر بهم العذاب كما قال الله عز وجل سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقيل
مستمر اي ذاهب على الصغير والكبير فلم يبق منهم احد الا اهلكته وقوله عز وجل تنزع الناس كانهم اعجاز نخل
منقعر من الناس من قال اشتد بهم الريح فتنادوا فيما بينهم البيوت فدخلوها فدخلت الريح عليهم فاخرجتهم من
بيوتهم والقتهم في فنائهم فذلك النزع ومنهم من قال تنزع مفاصلهم فيلقيهم كاعجاز نخل منقعر لانهم كانوا اطول

الخلق فذكر ان كل رجل منهم كان طوله ستين ذراعا والنخل لا يبلغ ذلك المقدار الا بعد قطع المفاصل فجائز
التشبيه باعجاز كل منقعر بعد انتزاع مفاصلهم والانقعار هو الانقلاع قال ابو عوسجة منقعر اي منقطع ساقط
ومنهم من قال شبههم باعجاز النخل لعظم اعجازهم وقال بعضهم شبههم باعجاز النخل لطولهم ولكن ذلك بعد
نزع المفاصل لما ذكرنا وفي حرف حفصة رضي الله عنها تنزع على اعقابهم وقوله فكيف كان عذابي ونذر فهو يخرج
على ما ذكرنا من الوجهين وكذا قوله ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وقوله عز وجل كذبت ثمود بالنذر
يحتمل وجهين اللذين ذكرناهما احدهما بالنذر اي بالرسل التي دعتهم الى الايمان بالله تعالى والثاني كذبت بما وعدت
النذارة التي اخبرتهم الرسل انها نازلة واقعة بهم والله اعلم وقوله عز وجل فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه
لم يزل الاكابر من الكفرة والرؤساء منهم يلبسون على اتباعهم بهذه الحرف ابشرا منا واحدا نتبعه وقالوا ما
ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه وقوله تعالى وان اطعتم بشرا مثلكم ونحو ذلك وذلك تناقض القول
لانهم كانوا ينهون اتباعهم عن اتباع البشر مثلهم ويدعونهم الى اتباع ابائهم والاقتداء بهم وهم ايضا بشر وليس
مع ابائهم حجج وبراهين ومع الرسل حجج وايات فيكون تناقضا في القول ومعارضة فاسدة والله الموفق وقوله
عز وجل انا اذا لفي ضلال وسعر قال بعضهم السعر الجنون اي لو اتبعنا بشرا منا لكنا في ضلال وجنون وهو ماخوذ
من سعر النار واذا التهبت يقال ناقة مسعورة اي كانها مجنونة من النشاط وقيل الضلال والسعر واحد ويحتمل
اي انا اذا لفي ضلال في الدنيا وسعر في الاخرة والسعر السعير هو النار والله اعلم وقوله عز وجل االقي الذكر عليه
من بيننا فجائز ان يكون هذا القول من اهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى اخبارا عنهم ءانزل عليه
الذكر من بيننا والذكر هو القران على هذا التاويل وجائز ان يكون ذلك من ثمود لصالح عليه السلام والقصة
قصة صالح هو الاشبه بالتاويل ولم يزل الكفرة ينكرون تفضيل الرسل عليهم الصلوة والسلام على غيرهم من البشر
بالرسالة وانزال الذكر عليهم من بينهم ثم يرون لانفسهم الفضل على اولئك الرسل عليهم السلام اما بفضل مال
او بفضل نسب ورياسة وتفاوت بلا سابقة كانت منهم ولا تقدمه صنيع وما ينبغي لهم ان ينكروا تفضيل الله
بالرسالة والنبوة بلا سابقة كانت منهم ولا يتقدمه صنيع اذ هي فضل الله يؤتيه من يشاء والله اعلم وقوله
عز وجل بل هو كذاب اشر عن مجاهد انه قرا بفتح الشين وقرا العامة الاشر بكسر الشين قال بعضهم الاشر بفتح
الشين النشط في الشر قاله ابو عوسجة وقيل الاشر والاشر هو البطر كما يقال حذر وحذر وهو المرح المتكبر
وقوله عز وجل سيعلمون غدا من الكذاب الاشر قرا بالياء والتاء جميعا فمن قرا بالياء احتج بقوله فتنة لهم ولم يقل لكم ومن
قرا بالتاء جعل الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفرة اي ستعلمون غدا عند نزول العذاب بكم من الكذاب
انا او انتم وعيدا وعيد منه لهم وقوله عز وجل انا مرسلوا الناقة فتنة لهم يفتنهم بها ويمتحنهم لم يعطهم جوابا
جزافا كقوله عز وجل ونبلوهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله عز وجل فارتقب
واصطبر اي فارتقبهم بما يكون منهم من التكذيب للناقة والعقر لها ويحتمل ان يكون قوله عز وجل فارتقب
هو خطاب لرسوله عليه الصلوة والسلام في حق اهل مكة كقوله فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين
وقوله عز وجل واصطبر اي اصبر على اذاهم ولا تكافهم او اصبر على تبليغ الرسالة وقوله عز وجل ونبئهم ان
الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر وقال في اية اخرى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وفيه من الفوائد والدلا
والدلايل احدها ان تلك الناقة كانت عظيمة على خلاف ساير النوق حتى احتاجت هي الى الماء مثل الذي احتاج
اليه ساير النوق واهلها حتى قسم الماء بينها وبين ساير النوق وفيه انه لا باس بقسمة المشرب حيث ذكر في الاية
قسمة الماء وذكر في الاية الاخرى شرب يوم وهو قسمة بالايام وقوله عز وجل كل شرب محتضر اي كل شرب يحتضر
من له شرب ذلك لا يحضره غيره وفيه ان تلك الناقة وان كانت اية ومعجزة له فكانت تعتلف وتشرب كساير
النوق التي ليست هي بايات وان كانت تخالف ساير النوق في عظمها وقدر علفها وشربها ثم جعل الماء بينها وبين
اولئك القوم بالقسمة ولم يجعل العلف بينها وبينهم بالقسمة لاشتراكهم جميعا في الماء اعني البهايم والبشر
وحاجة كل منهم الى الماء فكذا لم يجعل النبات مشتركا بينها وبين ساير البهايم لان في ذلك كثرة فلا حاجة الى
القسمة فاما في الماء ففي ذلك عزة لما يستقون من الابار فلذلك جعلوا الماء بالقسمة والله اعلم وفيه ان
المياه اذا ضاقت قسمتها بالاجزاء القسم بالايام من حيث جعل لها شرب يوم معلوم ولهم شرب يوم معلوم
وفيه ان الماء وان عينا فهو كالمنفعة في جواز قسمتها بالايام ثم وقوله ونبئهم ان الماء قسمة بينهم جايز ان يكون
خطابا لصالح عليه السلام امره ان ينبئ قومه ان الماء قسمة بينهم وبين الناقة وجايز ان يكون الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يخبر قومه ان الماء كان قسمة بينهم وبين الناقة والله اعلم وقوله
عز وجل فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر اضاف العقر ههنا الى الواحد وفي اية اخرى اضاف الى الجماعة

وهو

وهو قوله فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقال في موضع اخر فعقروها فاصبحوا نادمين فيكون ظاهر هذه
الايات على التناقض من حيث ذكر الفرد والجماعة وفيه تناقض من وجه اخر فانه ذكر في اية وعتوا عن امر
ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا وقال في موضع فاصبحوا نادمين ذكر الندامة وهي خلاف العتو لكنا نقول
لا تناقض ولا اختلاف ثم عند اختلاف الاحوال والاوقات فقوله وعتوا عن امر ربهم قبل ان ينزل بهم العذاب
وقوله فاصبحوا نادمين اذا نزل بهم العذاب والتناقض في وقت واحد في حال واحد وكذلك العقر من واحد على
الحقيقة ولكن انما اضاف الى الجماعة لانه عقر بمعاونتهم او الواحد الذي عقرها ثم اجتمعوا فعقروا جميعا ونحو ذلك
فثبت انه لا تناقض وقال بعضهم فتعاطى فتناول فعقر اي ضرب عرقوبها اي ساقها وقيل العقر قد يكون جرحا وقد
يكون قتلا وقوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يخبر عن سرعة نزول العذاب ووقوعه عليهم ويحتمل ان يكون ارسل
عليهم الصيحة واهلكهم وصاروا كما ذكر من هشيم المحتظر وهو كقوله فجعلناهم كهشيم المحتظر العظام البالية وقيل
كالشيء المتناثر من الحايط واصل الهشيم الانكسار اي صاروا كالشيء المنكسر المجتمع في موضع وقوله تعالى المحتظر
بكسر الظاء ونصبه روي النصب عن الحسن وقال ابو عبيد بالكسر يقرا على تاويل الانسان المحتظر وقال ابو عوسجة
الهشيم البالي من الشجر والمحتظر الذي يتخذ حظيرة وقال القتبي الهشيم اليابس من النبات الذي يهشم اي ينكسر والمحتظر
بكسر الظاء صاحب الحظيرة ومن فتح الظاء اراد الحيطان وهي الحظيرة وقوله عز وجل ولقد يسرنا القران للذكر اي
يسرنا القران للذكر ما نسوا من نعم الله تعالى واغفلوا عنها او يسرنا القران للذكر ما اغفلوا من الحجج والايات او
ويسرنا القران للذكر ما نسوا من الانبا وما نزل بمكذبي الرسل عليهم السلام بالتكذيب والعناد وقوله عز وجل
فهل من مدكر قد تقدم ذكره وقوله عز وجل فكيف كان عذابي ونذر قال اهل التاويل [illegible]
حقا وقال بعضهم ليس وجدوا عذابي ونذري حقا وقد ذكرنا وقوله عز وجل كذبت قوم لوط بالنذر اي بالرسل
عليهم الصلوة والسلام او بما يقع به النذارة وقوله عز وجل انا ارسلنا عليهم حاصبا الا ال لوط قال بعضهم الحاصب
يا تلك القريات قلبت من فيها ظهرا لبطن على ما ظهر في اية اخرى فجعلنا عاليها سافلها ان الحاصب من كان
غاب عنها في البلدان فاهلكهم بها بالحجر على الاضمار كانه قال قلبناها بمن فيها وارسلنا على من غاب عنها حاصبا الا
ال لوط حتى يستقيم الثنيا الذي استثنى ويكون قوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد كانه
قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد والله اعلم على ان تاويل من يقول بانها قلبت
وارسل عليها الحاصب فالثنيا مستقيم فيكون هلاكهم بامرين واستثنا ال لوط عليهم السلام بالنجاة
منها جميعا والله اعلم وقوله عز وجل نجيناهم بسحر نعمة من عندنا اي صرفنا عنهم العذاب عند السحر فيكون ولا لم
انه يكون يمنع العذاب عنهم منجيا لهم والا لم يكن نجاتهم عند السحر وقوله عز وجل كذلك نجزي من شكر هذا يخرج
على وجهين احدهما يكون هلاك اولئك على لوط واله نعمة من الله تعالى عليهم فيكون على من شكر فهو جزا شكرهم
وهو كقوله تعالى جزاء لمن كان كفر ويحتمل ان يكون هلاك اولئك واغراقهم جزاء ما كفر بنوح وذلك نعمة منه على
على نوح عليه السلام والثاني ان يكون نجاة نوح ومن كان معه نعمة منه عليهم اذ لو انه اهلك الكل من كفر
ومن لم يكفر الا ترى انه يهلك الدواب والصغار وان لم يكن لهم ماثم فاذا كان كذلك كان ابقاء من ابقى
منهم تفضلا منه ونعمة عليهم والا لا كل كفر استوجب النجاة والله اعلم وقوله عز وجل ولقد انذرهم بطشتنا
فتماروا بالنذر يخرج على وجهين اللذين ذكرناهما احدهما تماروا بالواقع من النذارة والثاني بالنذر اي بالرسل
والله اعلم وقوله عز وجل ولقد راودوه عن ضيفه اي طلبوا منه التخلية بينهم وبين ضيفه وقوله عز وجل
فطمسنا اعينهم ذكر ان جبريل عليه الصلوة والسلام مسح جناحيه على اعينهم فعموا ثم قيل لهم فذوقوا عذابي ونذر
وقوله عز وجل ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر اي نزل بهم صباحا بالبكرة عذاب مستقر العذاب المستقر هو العذاب الذي
نزل بهم ودام عليهم واهلكهم واما الطمس الاعين فقد انقضى وقوله عذابي ونذر النذر ههنا وقع بها النذارة
وقوله عز وجل ولقد جاء ال فرعون النذر ويحتمل ما قال من النذر انه جاء ال فرعون موسى وهرون عليهم الصلوة والسلام
سماهما باسم الجمع وهو النذر ويحتمل ان يكون المراد من النذر التي جاءتهم هي ما نزل من انواع العذاب فيكون المراد بالنذر
ما وقع به النذارة وقوله عز وجل كذبوا باياتنا كلها يحتمل انهم كذبوا جميع الايات التي جاءهم بها موسى عليه السلام
من ايات الالوهية والوحدانية وايات الرسالة وجايز ان يكون هي جميع ما يدل على وحدانية الرب والوهيته
من الخلايق لان ذلك اللعين قد ادعى الالوهية لنفسه وجميع ما في العالم يدل على الوهية الله تعالى فهو حيث
ادعاها لنفسه وصدقه قومه كذبوا بذلك جميع الايات التي تشهد على الوهية الله تعالى ووحدانيته وقوله عز وجل
فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر اي اخذ عزيز ذليلا واخذ غالب مغلوبا واخذ قادر عاجزا واخذ قاهر مقهورا والله اعلم
وقوله عز وجل اكفاركم خير من اولئكم يقول الله تعالى والله اعلم اكفاركم يا اهل مكة اقوى في دفع العذاب عن

انفسهم والانتصار منه اذا نزل بهم العذاب من اولئك الذين كانوا من قبلكم اي ليس كفاركم اقدر منهم
بل اولئك اكثر منهم لم يقدروا القيام بدفع العذاب عن انفسهم ولا الانتصار منه اذا نزل بهم فانتم يا اهل مكة
اضعف واقل عددا احق ان لا تقدروا على دفع العذاب عنكم اذا نزل بكم او يقول ليس لكم براءة في الكتب انكم تقدرون
على القيام في دفع العذاب عن انفسكم اذا نزل بكم او يقول ليس لكم براءة في الكتب ان العذاب لن يصيبكم اذا نزل
وقوله عز وجل ام يقولون نحن جميع منتصر اي بل تقولون نحن جميع منتصر اي لا يضرون بجمعهم هذه الايات
الثلاث على النفي والدفع اي ليس لهم ما يدفعون العذاب عن انفسهم وليس لهم ما ينصرون به ولا كفارهم
خير من كفار اولئك في دفع العذاب والقدرة على الانتصار والله اعلم ثم قال على الابتداء سيهزم الجمع ويولون
الدبر فيه دلالة احدها اخبار ان لهم جميعا يهزم ويولون الدبر وقد كان ما اخبر رسول الله صلى الله عليه و
سلم دل انه علم بالله تعالى والثاني اخبار ان الساعة موعدهم واستيصالهم لا الدنيا بقوله تعالى بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر وكان كما اخبر وفيه ايضا دلالة اثبات الرسالة والله اعلم ثم وقوله ادهى وامر اي اعظم
واشد وقوله عز وجل ان المجرمين في ضلال وسعر جاز ان يكون قوله في ضلال في الدنيا وفي السعر في الاخرة
وهو السعير ويحتمل في ضلال في هلاك وسعر في حيرة وجنون وشبه كقوله تعالى انا اذا لفي ضلال وسعر وقوله
عز وجل يوم يسحبون في النار على وجوههم كانه يقول له قل لهم يوم يسحبون في النار على وجوههم ان اخنوا
على ما هم عليه ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا مس سقر اي ذوقوا عذاب سقر والسقر هو اسم النار ثم
فيصير كانه على الاضمار اي يقال ذوقوا عذاب النار والله اعلم وقوله انا كل شيء خلقناه بقدر يحتمل وجهين احدهما
على التقديم والتاخير اي انا خلقنا كل شيء فان كان على هذا فيكون قوله خالق كل شيء وفيه اثبات خلق كلية الاشياء
والثاني على ظاهر ما جرى ابر الخطاب انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا كل شيء بقدر فان كان على هذا فليس فيه
اثبات خلق كلية الاشياء ولكن فيه اثبات انما خلقه بقدر والى هذا التاويل تذهب المعتزلة والتاويل عندنا
هو الاول انا خلقنا كل شيء بقدر كقوله خالق كل شيء ويحتمل اي انا كل شيء خلقناه بقدر وحد ينتهي اليه ذلك
ويبلغ حده ليس كالمخلوق لا يعرف احد قدر فعله ولا حده الذي ينتهي اليه ولا يخرج فعل احد من المخلوق
على ما يقدر ويريد بل ربما يخرج على ما يقدر ويخرج فعله خلاف ما يقدر فالفعل غيره فيدل على انه هو الخالق والله اعلم وقوله
عز وجل وما امرنا الا واحدة الامر فيما بين الخلق على وجهين احدهما امر شان وفعل والاخر امر تكليف لغيره ثم
وقوله عز وجل وما امرنا الا واحدة انما هو امر فعل يخبر عن سهولة ذلك عليه اي شانه وفعله يسير عليه لا يعجزه شيء
ولا يشغله فعل ذلك امر الله وخلقه عليه والواحد ليس هو اسم العدد وان كان الحساب به يبتدئ انما هو
اسم التوحيد والتفرد كما يقال فلان واحد زمانه لا يريد وقت من جهة العدد ولكن انما يراد بانه المتوحد في شانه
وفعله ولا نظير له فعلى ذلك تسميته اياه واحدا لتفرده وتوحده في الوهيته وربوبيته وتسميته امره واحدا
ان فعله وشانه لا يشبه افعال غيره وانه لا نظير له في ذلك وانه يسير عليه لا حاجة له الى الوقت والالة وغير
ذلك الا ترى انه قال كلمح البصر يخبر عن خفة ذلك عليه وسهولته من حيث لا يثقل على احد ذا البصر ولا لمحه
هذا وجه والثاني فيه اخبار انه لا يشغله شيء لان الناس يشغلهم بعض امورهم عن بعض واهل التاويل
يصرفون الاية الى الساعة كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وهو محتمل يخبر ان الاخرة ليس
على تقدير امر الدنيا على اتباع بعض بعضا وعلى ارداف شيء على شيء وعلى الانتقال والتغير من حال الى حال ولكن
امر الاخرة على التكون مرة واحدة وقوله عز وجل ولقد اهلكنا اشياعكم على وجهين احدهما اخوانكم واهل دينكم
بتكذيبهم الرسل عليهم السلام واذكروا انتم يا اهل مكة لان لا تهلكوا بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم
والثاني اي ولقد اهلكنا اشياعكم وعرفتم ذلك فهل من مذكر يتذكر ويتعظ ويعتبر به وجائز ان يكون
معناه ولقد اهلكنا جنسكم والحكيم لا يخلق الخلق ففناه والهلاك فاعلموا انه انشاكم لعاقبة وفيه اثبات البعث
لانه لا بد وكذا قيام الكفرة وعقولهم والله اعلم وقوله عز وجل وكل شيء فعلوه في الزبر يخرج هذا ايضا على
وجهين احدهما كل شيء فعلوه من التكذيب والعناد كان في الكتب متقدمة اي عن علم بصنيعهم وفعلهم
انشاهم وبعث اليهم الرسل وهو رد على من يقول انه لا يعلم ما يكون منهم حتى يكون منهم ذلك لانه لو كان يعلم
ذلك لا يحتمل ان يبعث الرسل عليهم الصلوة والسلام اليهم ويامرهم وينهاهم وهو يعلم انهم يكذبون ويسلم
ويخالفون امره فرد عليهم وبين انه لم يزل عالما بما كان ويكون وقد بين قبل هذا انه تعالى بعث الرسل عليهم السلام الهم
وان علم منهم التكذيب والخلاف وذلك لان المنافع والمضار راجعة اليهم دونه والله اعلم وجائز ان يكون معناه
وكل شيء فعلوه في الزبر اي في الكتب التي يكتب عليهم الملائكة ويؤمرون بالقراءة في القيمة كقوله اقرا كتابك كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا وقوله عز وجل وكل صغير وكبير مستطر هذا ايضا يخرج على هذين الوجهين احدهما

مستطر في الكتب التي قبلهم او في الذين يملون على الحفظة كقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله
عز وجل ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار وقال في موضع اخر ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون
ثم اختلف في تاويل قوله نهر قيل نهر من النهار اي هم في ضياء ونور وسرور وهو قول الاصم وقال الفراء
النهر السعة يقال انهرت الطعنة اي وسعتها وقال اهل التاويل اي انهار وقوله عز وجل في مقعد صدق اي موعود
صدق كانه كناية عن راحة وسرور لهم كقوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا اخبر انهم يستريحون فيها ويسكنون
ويقرون لا يريدون التحول منها وهو مقابل ما ذكر للكفار يوم يسحبون في النار على وجوههم اي يجرون وقوله
عز وجل سارهقه صعودا وقوله تعالى ربنا اخرجنا منها يطلبون الخروج منها واخبر انهم يكونون ابدا في عناء وشدة
وبلاء حتى يقرون في مكان وعلى هذا يخرج قوله ان لهم قدم صدق عند ربهم اي لهم موعود صدق عند ربهم اي يقرار
اقدامهم في ذلك فيكون هو كناية عن الثبات وقوله عز وجل عند مليك مقتدر ان الرجل اذا كان في فضل وخير يضاف
بكونه فيه الى الله تعالى نحو ما يقال في سبيل الله ووفود الله وغير ذلك من الامكنة التي هي امكنة الفضل والخير يضاف
الى الله نحو بيت الله ومساجد الله لانها امكنة القرب وفضل فعلى ذلك قوله في مقعد صدق عند مليك مقتدر امتنانا
بكونهم في امكنة الفضل والخير والمنزلة عند الله تعالى لا انه يوصف بمكان او مقام بل هو ممسك الامكنة كلها و
ومنشئ الازمنة باسرها والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الرحمن علم القران قد عرفت الوجوه وعلمت ان الرحمن على ميزان فعلان مشتق من الرحمة لكن احد من الخلائق
لا يبلغ في الرحمة مبلغا يستحق التسمية به رحمانا لذلك خص الله تعالى نفسه بتسمية رحمانا وان كان مشتقا من الرحمة
كالرحيم وجاز تسمية غيره رحيما والله اعلم وقوله عز وجل علم القران ذكر ان الرحمن علم القران ولم يذكر لمن علمه فجائز ان
يكون المراد منه انه تبارك وتعالى علم القران رسولنا صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ذلك على وجوه احدها انه امر جبريل عليه
السلام حتى علمه شديد القوى ذو مرة لكن خرجها الاضافة الى الله تعالى لما انه علمه بامره والثاني اضافها التعليم
الى نفسه لما انه هو الذي اثبته في قلبه حتى لا ينساه كقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى وقوله عز وجل لا تحرك به
لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وقوله كذلك لنثبت به فؤادك والثالث اضاف الى نفسه وان علمه جبريل عليه
الصلوة والسلام لانه هو الخالق لفعل التعليم من جبريل عليه السلام وقوله عز وجل خلق الانسان علمه البيان قال
بعضهم خلق الانسان اي ادم عليه السلام وعلمه البيان اي الاسماء التي ذكر في اية اخرى وعلم ادم الاسماء كلها اذ
لا سبيل الى معرفة الاسماء الا بالتلقين ليس كالاشياء التي يعرف ويدرك بالاستدلال ويحتمل ان يكون المراد
بقوله تعالى خلق الانسان اي خلق كل انسان وعلمه البيان اي علمه بيان ما يمتحنهم به من الامر والنهي ليعلم انه لم يخلق
الانسان ليترك سدى ويحتمل علم كل انسان ما غاب عنهم حتى يعرفوا بما شاهدوا من اللون والطعم واللذة طعم ما غاب
عنهم من جنسه ولونه ولذته استدلالا بما شاهد ويحتمل الاستدلال بالشاهد على معرفة الله تعالى وهو انهم لما
شاهدوا الاشياء محتاجا عاجزا محاطا بالحوائج والحوادث عرفوا ان له خالقا عالما قادرا انشاه وكذلك ويحتمل ما
ذكر من تعليم البيان بيان القران وذلك راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه علم القران وعلمه البيان وهو
بيان القران حتى يبين للناس كل ما يحتاجون اليه وما لهم وما عليهم وجائز ان يصرف بعضها الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو قوله الرحمن علم القران وبعضها الى ادم عليه السلام وهو قوله خلق الانسان علمه البيان وتفسيره ما ذكرنا
وقال بعضهم خلق الانسان ادم وعلمه البيان الدنيا والاخرة وجائز ان يكون خلق الانسان كل انسان علم القران وعلمه
البيان اي علمه شيئا من بيان القران من الاحكام والشرائع ونحو ذلك وقال القتبي علمه البيان اي الكلام والله اعلم
وقوله عز وجل الشمس والقمر بحسبان قال اهل التاويل بوجهين احدهما اي يحسب بهما عدد الاوقات والازمنة و
يعرف بهما حساب ذلك والثاني يحسب بهما حساب منازلهما التي يطلعان منها ويغيبان فيها ومجاريهما
يجريان فيها لا يجاوزانها في شتاء ولا صيف وقال ابو عوسجة قوله بحسبان جمع الحساب وقال القتبي بحسبان
ومنازل لا يعدوانها وفيه زيادة معنى ان الله تعالى جعلهما بحيث يعرف بهما حقيقة اعين الاشياء لما جعل فيهما
من النور والضياء الذي بهما يتجلى الاشياء المستورة فيقال لمتكري الرسالة وتفضيل بعض البشر على بعض لما
شاهدتم وخصت بفضل ضياء وتجلي لم يكن ذلك لغيرها لم انكرتم فضل بعض البشر بفضل بيان وعلم ورسالة
والله اعلم وقوله عز وجل والنجم والشجر يسجدان النجم يحتمل وجهين احدهما الكواكب فان كان هو المراد فكانه يقول
يسجد له ما به زينة السماء وما به زينة الارض وهي الكواكب وهي الاشجار ويحتمل النجم كل نبت ينبت في الارض
لا ساق له والشجر هو الذي له ساق كانه يقول يسجد له كل ما ظهر من الارض ويخرج وارتفع ثم سجودهما

يحتمل وجوها احدها سجود خلقه قد جعل الله تعالى في خلقه كل شيء دلالة السجود له والشهادة له بالوحدانية والثاني سجود هذه الاشياء الموات طاعتها له عن اضطرار وتسخير نحو قوله تعالى ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين والثالث سجود حقيقة يجعل الله تعالى في سريته هذه الاشياء معنى يسجدون به الله تعالى يعلمه هو ولا يعلمه غيره كقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال بعض الناس سجودهما هو تميل الظلال كقوله تعالى يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله ثم لا يلزم السجود بتلاوة هذه الاية وانما لما فيه ذكر سجود الموات وطاعتها لانها موات ليست باهل السجود وانما سجودها عن اضطرار وكل مخلوق في معناه في الدلالة على السجود وانما يلزم السجود بتلاوة ايات ذكر فيها سجود من هو من اهل السجود والله اعلم وقوله عز وجل والسماء رفعها هذا يخرج على وجهين احدهما اراد حقيقة الرفع اي رفعها وابعدها من الاسفل ولا من الاعلى اي انشاها كذلك مرفوعة لا ان كانت موضوعة فرفعها وامسكها كذلك ليعلم ان قدرته خلاف قدرة الخلق وقوتهم والثاني رفعها اي رفع قدرها ومنزلتها في قلوب الخلق حتى يرفعوا اليهم ابصارهم اليها عند الحاجة لما جعل فيها لهم من الارزاق والبركات التي ينزل من السماء والله اعلم وقوله عز وجل ووضع الميزان يحتمل حقيقة الميزان الذي يزن الناس به الاشياء وبه يتحقق الايفاء والاستيفاء امتحنهم بذلك ليعرفوا بذلك التقصير فيما امروا به والمجاوزة عما نهوا عنه وذلك يحتمل في الاحكام والشرائع والتوحيد وصرفا لالوهية والعبادة الى غير الذي يستحقه فيعلموا التقصير في ذلك والله اعلم ويحتمل المراد بالميزان الاحكام التي وضعت بين الخلق و الشرائع التي جعل عليهم ليقوموا بوفائها وينتهوا عن التقصير فيها والتعدي عن حدودها وقيل الميزان العدل وهو ما ذكرنا والله اعلم وذكر ان الموازين ثلاثة احدها العقول وهي التي يعرف بها محاسن الاشياء ومساويها وقبح الاشياء وحسنها والثاني الميزان الذي جعل بين الخلق لايفاء الحقوق والاستيفاء والثالث الذي جعل في الاخرة ليوفي ثواب الاعمال وجزاؤها والله اعلم وقوله عز وجل ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قوله لا تطغوا في الميزان ولا تخسروا اي لا تنقصوا في الميزان وقوله واقيموا الوزن امر باقامة الوزن والاتمام في الوزن امر بالاتمام ونهى عن النقصان والامر بالشيء نهي عن ضده وههنا جمع بينهما صريحا تاكيدا في الباب الوزن والميزان ويحتمل الوجوه الثلاثة التي ذكرنا وعن قتادة كان ابن عباس رضي الله عنه يقول يا معشر الموالي انكم قد وليتم امرين هلك الناس قبلكم هو الكيال والميزان وقال مجاهد في قوله تعالى واقيموا الوزن بالقسط اي الميزان باللسان اي لسان الميزان وقيل لابن عمر رضي الله عنهما ان اهل المدينة لا يوفون الكيل قال وما يمنعهم وقد قال الله تعالى ويل للمطففين وقوله عز وجل والارض وضعها للانام قال بعضهم الانام هو كل ذي روح وقال بعضهم الانام هو جميع الخلق ولكن عندنا الانام كانه البشر الاية لانه اخبر ان الارض انشاها للبشر وصفها لهم وهو ما ذكر في مواضع خلق لكم ما في السموات والارض وسخر لكم ما في السموات والارض وقوله عز وجل فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام يذكرهم نعمه التي انشاها لهم في الارض من الفواكه وانواع الثمار والحبوب التي جعلها رزقا لهم وقوتا وقوله عز وجل ذات الاكمام الغلف والاغطية وقوله والحب ذو العصف والريحان قرئ الريحان برفع النون وكسرها فمن كسرها ذهب الى ان الريحان هو الورق الذي يرتزقون من الحبوب والثمار والعصف والورق فيكون المعنى والحب ذو الورق والرزق ومن رفعها فعلى الابتداء عطفا على الحب واختلفوا في تفسير العصف والريحان منهم من قال العصف ورق الزرع من الحنطة والشعير وغيرها وقيل هو التبن وقيل هو اول ما ينبت من الزرع وقيل العصف هو الزرع نفسه ولكن اضاف العصف الى الحب لانه منه ينشا الحب ومنه يخرج واما الريحان قال هو خضرة الزرع وقيل هو الذي يشم وقيل هو الذي يرتزقون الحبوب والثمار وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الريحان هو الحب وقال القتبي الريحان الرزق يقال اطلب ريحان الله اي رزقه والله اعلم وقوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان هذا خطاب للجن والانس وفيه دلالة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الانس والجن الا ترى انه قال في اية اخرى يا معشر الجن والانس وقيل ليس انه خاطبهما جملة لكن خاطب كل انسي وجني في نفسه كقوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ليس ان قال الفريقان جميعا كونوا هودا تهتدوا ولكن قال اليهود كونوا هودا تهتدوا وقال النصارى كونوا نصارى تهتدوا فعلى ذلك هذا ثم قوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان وعن جابر بن عبد الله قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها فسكتوا فقال لقد قراتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن ردا منكم كلما قرات عليهم فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من الائك ربنا نكذب فلك الحمد ثم فيما ذكر من قوله والارض وضعها للانام فيها فاكهة الى اخره يذكر نعمه وقدرته وتدبيره وعلمه ووحدانيته اما نعمه فانه بسط الارض لهم بما فيها من احيوا من انواع الحبوب والفواكه التي فيها قوامهم والعصف وانواع النبات التي بها قوام دوابهم واما بيان قدرته وسلطانه انشاء هذه الفواكه والحبوب في اكمامها ما يعجز الخلق عن احداث شيء مثله في الغلف والاغطية ليعلم ان

صنعه

ان صنعه وفعله خارج عن المماثلات والمماسات التي لا يتحقق مع الاغطية وان قدرته وفعله غير مقيسين بافعال الخلق وقدرتهم وكذلك الاولاد في البطون والفراخ في البيض وامثالها في الظلمات ليعلم انه لا يخفى عليه شيء ثم انشاء هذه الثمار والحبوب في الوقت الذي لا يحتمل البرد والحر في الاكمام من وراء الحجب وامسكها فيها في حال ضعفها فاذا استد وقوي اخرجها من الغلف وفي ذلك لطف منه ونعمة عظيمة على خلقه وفيه اثبات البعث من وجهين احدهما ان من قدر على ان انشا لقادر على اعادة الخلق والثاني انه لما انشا لهم ما ذكر ثم منهم من شكر هذه النعم ومنهم من كفر ثم استويا في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما فلا بد من دار اخرى فيها يفرق بينهما وفيه لزوم الامتحان اذ لا يحتمل ان ينشئ لهم هذه النعم ثم يتركهم سدى لا يستادي شكر ما انعم عليهم ثم معرفة الشاكر منهم والكافر لا يعرف الا بمعرفتهم لان مقدار الشكر وكيفية لا يعرف بمجرد العقل فيضطرهم الى رسول يخبرهم عن الله تعالى ذلك فيكون فيه اثبات الرسالة ثم في خروج هذه الحبوب والفواكه كلها في وقت واحد من المشرق والمغرب على سنن واحد في زمان واحد من غير تغاو وتت دليل انه علم وتدبير اذ ليس ذا بيان اولم يمنعه شيء عن شيء ثم اتساق ذلك واتصال ما ذكر من منافع الارض بمنافع السماء من غير من احد دليل على وحدانيته اذ لو كان ذلك فعل عدد ما جرى ذلك على سنن واحد على ما هو التدافع والتمانع في امر الفاعلين بين اثنين عند الاختلاف والله الموفق وقوله عز وجل خلق الانسان من صلصال كالفخار ذكر في خلق الانسان احوالا مختلفا مرة قال خلقه من تراب والتراب هو الذي لم يصبه الماء ومرة قال خلقه من طين والطين هو الذي اصابه الماء واعجن ومرة قال من طين لازب واللازب هو الذي يلتصق باليد ويلزقه وهو الحر الخالص وقال مرة من حما مسنون وهو الذي اسود وتغير لطول المكث ومرة قال من صلصال كالفخار والصلصال هو الذي له صوت اذا حرك وهو من صلصلة الحديد ويحتمل صلصال اي منتن يقال صل اللحم اذا انتن والفخار هو الذي تكسر اذا يبس وقال ابو عوسجة الفخار الذي طبخ بالنار ان يكون هذه الاحوال التي ذكرت على اختلافها في ذلك الانسان كان في الابتداء ترابا ثم صار طينا ثم صار لازبا لانه كان من جيد الطين وحره ثم صار مسنونا اسود لطول مكثه وصلصالا لكثرة تربيته ويجوز ثم يكون له صوت وتشبيه بالفخار يحتمل وجهين احدهما لكثرة ويبسه او لانه كان ذا جوف كالفخار او لطول المكث وكثرة التربية اذ طين الفخار له هذه الصفات والله اعلم وقوله عز وجل وخلق الجان من مارج من نار الاية ذكر انه ابو الجن وانه لفظ لواحد الجن وجماعته وكذا قال ابو عوسجة الجان الجن وقوله مارج من نار قال بعضهم المارج هو لهب النار صافي لا دخان فيه يقال مرجت النار اذا التهبت فالمارج على هذا هي النار التي فارقت الحطب والتهبت وارتفعت منه وكذا قال ابو عوسجة المارج ها هنا اللهب من قولك مرج الشيء اذا اضطرب ولم يستقر وعلى ما قال بعضهم في قوله مرج البحرين اي خلط وجمع بينهما يجيء ان يكون خلق الجان من نار غير منقطعة من الحطب وخالية من الدخان وكذا قال ابو عبيد من مارج اي من خلط من النار وعلى تاويل من قال في قوله مرج البحرين اي ارسل احدهما الى الاخر فهو يكون من نار منقطعة من الحطب وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انما الحاجة الى معرفة ما اودع من الحكمة فيما ذكر من خلق ادم عليه السلام من التراب وخلق الجان من النار والغاية في ذلك والله اعلم يخبر عن قدرته ان من قدر على خلق الانسان من ذلك التراب واخراج جميع ما في الدنيا من الناس من نفس واحدة لا يحتمل ان يعجزه شيء وكذلك ما ذكر من خلق الجان من النار واخراج ما اخرج منه من النسل حتى اخذ الدنيا باسرها لا يعجزه شيء ولا ما لو اجتمع حكماء البشر والجن ادركوا المعنى الذي به انشاء الانسان منه واخرج هذا الخلق منه وفي ذلك وجهان من الحكمة احدهما ما ذكرنا من القدرة على البعث والثاني ان كل ما ذكر من النقل والتغير من حال الى حال واخراج ما اخرج منه لا يحتمل ان يفعل ذلك عبثا باطلا ولو لم يكن بعث لكان انشاء هذا الخلق عبثا باطلا ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان يقول والله اعلم اذا لم تنكروا شيئا من الاية انه ليس منه فما لكم تنكرون قدرته في البعث وغيره وقوله عز وجل رب المشرقين ورب المغربين وقال في موضع اخر رب المشارق والمغارب وقد ذكرنا فيما تقدم ثم ذكر قوله رب المشرقين ورب المغربين ورب المغارب وذكر الحد لهما اعني الشمس والقمر في الشروق والغروب على انهما لطلعا بامره ويغربا حيث غربا بامره اذ لو كان ذلك لا بامر لكن بانفسهما لكانا يطلعان ويغربان في جميع الاوقات والاطراف ولا يرجعان الى مكانا ولا يزدادان ولا ينقصان في وقت من الاوقات ثم هذا كله منشأ للبشر مسخر لهم فيقول والله اعلم ما بال المجعول لكم اطوع الله تعالى منكم حيث لا يجاوز الحد الذي جعل لهم ولا يتعدون امره فهما وانتم تجاوزون امره ونهيه وتتعدون حدوده وفي الاية دليل على ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه الا ترى انه خص انه رب المشرقين ورب المغربين ولم يدل على انه ليس برب ما بينهما او ليس برب ما سوى المشارق والمغارب والله اعلم وقوله عز وجل مرج البحرين يلتقيان قيل جمع بينهما وخلط قيل احدهما العذب والاخر المالح وقيل يلتقيان اي يتقابلان وقوله عز وجل بينهما برزخ لا يبغيان اي بين البحرين حجاب وحاجز لا يبغيان قيل لا يختلطان ولا يمتزجان ولا يتغير طعم كل واحد منهما يخبر عن لطفه في منعهما عن الامتزاج وطبع الماء الامتزاج والاختلاط فمن قدر على هذا لا يعجزه شيء وقيل لا يبغيان اي لا يتجاوزان الحد الذي جعل لهما ثم اختلف في البحرين قال بعضهم احدهما بحر روم والاخر هند وبينهما برزخ اي سكان

لا يبغيان اى لا يختلطان وهو قول الاصم ومنهم من قال احدهما بحر روم والاخر بحر فارس بينهما برزخ اى جزيرة
العرب وقيل احدهما بحر السماء والاخر بحر الارض كقوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى
الماء على امر قد قدر وبينهما برزخ وهو الهواء والارض وسكان الارض وهذا ايضا لطف منه تعالى وقوله عز وجل
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان منهم من قال يخرج من العذب والمالح جميعا كما هو ظاهر الاية ومنهم من قال يخرجان من المالح
خاصة دون العذب وان كانت الاضافة اليهما وذلك جائز فى اللغة كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم ولم
يات من الجن رسل وذلك كثير فى القران ثم قرا يخرج بنصب الياء ورفع الراء وبرفع الياء ونصب الراء فالاول على جعل الفعل
لغيرها كقوله تعالى تستخرجون منه حلية تلبسونها ولم يقل يخرج منه حلية ثم اختلف فى اللؤلؤ والمرجان منهم من
قال اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان ما صغر من اللؤلؤ ومنهم من قال على العكس واكثرهم على الاول كذلك روى
عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وقال ابو عوسجة المرجان صغار اللؤلؤ والواحد مرجانة وقيل ان المرجان
المختلط من الجواهر من قولهم مرجت اى خلطت وقيل انه ضرب خاص من الجوهر يخرج من البحر وعن ابن عباس
رضى الله عنهما انه قال اذا جاء القطر من السماء انفتحت الاصداف فكان من ذلك اللؤلؤ وقيل انما قال تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج اللؤلؤ من العذب دون المالح لان العذب والمالح يلتقيان فيكون العذب
لقاحا للمالح كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى والله اعلم وقوله عز وجل وله الجوار المنشآت فى
البحر كالاعلام عن ابراهيم رحمه انه قرا المنشئات بكسر الشين وفسر بعض الناس المنشئات اى الظاهرات السير
وعن الحسن انه قراها بفتح الشين قال ابو عبيد وبها نقرا لان تفسيرها انها التى قد رفع قلعها فى البحر فهى
الان مفعول بها فقيل المنشآت وهى المرتفعات والتى لم يرتفع قلعها فليست بمنشآت وقيل المخلوقات
والجوارى هى السفن المنشآت وقوله عز وجل كالاعلام اى هى فى البحار كالجبال فى البر اذ قيل وهى الاعلام انفسها
ثم فى هذه الايات التى ذكر وجوه من الحكمة واثبات القدرة لله سبحانه وتعالى احدها ان من قدر على تسخير البحار و
وانشاء ما فيها وعلم اخراج ما فيها للادمى واتخاذ السفن واجرائها فى البحار للوصول الى المنافع التى فى البلدان
النائية لقادر على البعث وغيره والثانى ان لا سبيل الى معرفة ما فى البحار من الاموال والاتخاذ السفن واجرائها
فى البحار ومعرفة ما وراء البحار من البلدان النائية وما فيها الا بخبر الرسل فيقول والله اعلم ما بالكم صدقتم الرسل
فى الاوايل فيما يرجع الى منافعكم الدنيوية ولم تصدقوهم فيما يرجع الى الدين والاخرة من الوعد والوعيد فيقول
ما بالكم لا تنكرون شيئا من هذه النعم التى جعلها لكم انها من الله تعالى فكيف تنكرون ما انكرتم الرسل عليهم السلام
فى قوله وله الجوار المنشآت دلالة نقض قول المعتزلة فى انكارهم خلق افعال العباد فانه اضاف السفن الى قوله وله
الجوار المنشآت وقد اتخذها بنو ادم بافعالهم فلو لم يكن له فى افعالهم صنع لكانت السفن لهم لا له والله اعلم
وقوله عز وجل فباى الاء ربكما تكذبان اى لم يكذب شيئا من الاء ربكما انه من الله تعالى ولم يكذب بما اتاكم من
الاخبار فى منافع الدنيا فكيف تكذبان اخبار الرسل عليهم السلام بعد ما جاؤا بالايات والحجج وقوله عز وجل
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام يحتمل وجوها احدها اى هلك كل من الارض فان
ويبقى ملك ربك ابدا دائما والثانى يحتمل سلطان كل من عليها او قوة كلها من عليها وقدرته فان ويبقى سلطان
ربك وقدرته وربوبيته ليعلم ان ملك وسلطانه بذاته لا بالخلق حتى يكون فناؤهم وذهابهم يدخل نقصانا او
وهنا فى ملكه خلاف ملك ملوك الارض وسلطانهم وجائز ان يكون قال هذا على الاياس للكفرة وقطع الرجاء
عن عبادة من عبدوا دونه من الاصنام والملوك والرؤساء وما يخدمونهم كانه يقول كل من عبد دونه وخدم
او عمل لا لوجه الله فكله فان ذاهب الا ما عمل لوجه الله فانه باق والله اعلم والباطنية يقولون كل من عليها فان
اى النفس الجسدانية ويبقى النفس الروحانية ابدا لانهم يقولون اذا فنيت هذه الاجساد فبقيت الله تعالى
من اعمال الصالحات اعضاء روحانية يبقى ابدا ويحتمل وجه ربك اى كل ما يطلب من العمل وغيره رضاء الله تعالى
فكنى بالوجه عن الرضاء وقوله عز وجل يخرج على وجهين احدهما على الخلق اجلال لحق الله وامره وتعظيم ذلك والثانى
اى يجل الله تعالى من شاء من خلقه اى منه اجلال من جل فى الدنيا واكرام من اكرم فى الاخرة والله اعلم وقوله
عز وجل يسأله من فى السموات والارض يخبر الله عز وجل عن فزع اهل السماء واهل الارض اليه عند الاياس
عن الخلق وانقطاع الرجاء عنهم وهو يذكر ان المفزع فى الاحوال كلها والملاذ لهم كلهم ومنه يسالون الرزق والنجاة
وهو ما ذكر قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الاية وقوله عز وجل قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب وقوله واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وقوله تعالى اذا مسكم الضر هذا صلة قوله كل من عليها فان ويبقى وجه ربك يقول
والله اعلم شانه وامره باق دائم ابدا وذهاب الخلق لا يدخل نقصا فى شانه وامره ولا وهنا فى سلطانه وملكه
هو فى شانه وامر عند فنائهم وجائز ان يكون ما قال بعض اهل التاويل ان اليهود قالت ان الله تعالى استراح يوم السبت

لا يقضى بشىء ولا يحكم ولا يامر ولا يفعل فعلا فنزلت الاية عند ذلك كل يوم هو فى شان من احداث وافناء واحياء
واماتة واصله ان الله تعالى اذا وصف بشىء يوصف بالازل يقال عالم لم يزل قادر لم يزل رازق بذاته لم يزل واذا ذكر
بامر وتدبير مضاف الى الخلق يوصف على ما ذكر الوقت فيكون الوقت للخلق لا له نحو ان يقال ان الله تعالى لم يزل عالما
بجد ونسك شك ههنا او فى هذا الوقت اى لم يزل عالما ان يجلس الان او يجىء الان او فى هذا الوقت واذا وصفته
بالماضى قلت لم يزل عالما بما كان وبالمستقبل لم يزل عالما بما يكون انه فى وقت كذا وبالحال لم يزل عالما بكونه كائنا للحال
ونحو ذلك نفيا لوهم الخلق ان المخلوق كيف يكون فى الازل فعلى ذلك قوله عز وجل كل يوم هو فى شان ذكر اليوم والوقت
بلا وتوهم تجوز الخلق قد يماد الله اعلم وقوله عز وجل سنفرغ لكم ايها الثقلان الاية قرا سنفرغ بالنون والياء
برفع الراء فى الحالين قال ابو عبيد بالياء نقراها كقوله يساله من فى السموات والارض ذكر على الغائبة فلذلك
هو الذى نبنى عليه قال الزجاج قوله تعالى سنفرغ لكم ليس هو الفراغ عن الشغل لكن كما يقول الرجل لاخر سافرغ لك
وكذا اى ساجعل لك او كلام نحوه ومنهم من يقول هذا على الوعيد فى كلام العرب يقول الرجل سافرغ لك والك
لتفارغ على الوعيد وقال ابو بكر الكيسانى ان الفراغ ليس يستعمل عن الفراغ عن الشغل خاصة لكن يستعمل له ولغيره
من نحو انجاز ما وعد واوعد كانه قال سينجز لكم ما وعدكم ايها الثقلان وعندنا ان الفراغ هو اسم لانقضاء الفعل
وتمامه لا للفراغ عن الشغل يقال فلان فرغ من شغله اذا فرغ من بناء داره اذا اتمه وانقضى ذلك الامر انه وان
فرغ من شغل تلك الدار وذلك العمل فهو مشغول لغيره دل انه ليس باسم الفراغ من الشغل اذ لو كان اسما للفراغ من
الشغل لا يوصف به وهو مشغول لغيره دل انه اسم التمام والانقضاء لكن فهم الخلق بعضهم من بعض الفراغ من الشغل
لما ان فعلهم للشىء به لا يلتئم الا بالشغل فى ذلك فعنهم ذلك من فعلهم فاما الله سبحانه حيث لا يشغله فعل عن فعل
ولا شىء لم يجز ان يفهم من فراغه من الشغل وبالله العصمة والتوفيق وقوله عز وجل يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان له تاويلان احدهما كانه يقول لو يمكنكم
النفاذ من اقطار السموات والارض ونواحيها فتنفذون فتجدوا هنالك وترون من ايات من كذب الرسل عليهم
وما حل بهم بالتكذيب ثم قال لا تنفذون الا بسلطان اى لا تنفذون لو يمكن لكم من النفاذ الا وتجدون حجج من
اهلك من ظاهره انه تم اهلكهم وهو كقوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين امرهم بالسير
فى الارض والتدبر فى اثار من اهلك بما ذا اهلك من اهلك منهم وبماذا النجاء من نجا والله اعلم والثانى على الاعجاز اى لا
يستطيعون ان يخرجوا او ينفذوا من اقطار السموات والارض ولو يمكن لهم من النفاذ والخروج منها لوجدتم ثم سلطانى
وحمى وملكى هنالك قائما اى لا تقدرون الخروج من سلطانى وملكى حيث ما كنتم بل حيث ما سرتم وكنتم فى سلطانى
وملكى فلا تخلصون من الموت والهلاك وهو كقوله تعالى فان استطعتم ان تبتغوا نفقا فى الارض او سلما فى السماء الاية قال
الضحاك فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه يا معشر الجن والانس قد جاء اجلكم فانفذوا من اقطارها لا تنفذون الا
بسلطان يعنى انه لا يخبركم احد من الموت وانتم ميتون اى لا تاتون قطرا من اقطار السموات والارض الا وجدتم
هنالك سلطان الله وملوكيته يقول لا تستطيعون فرارا من الموت ولا محيصا وان تقدموا من اقطار السموات و
الارض فلم تخرجوا من سلطانى وانا اخذكم بالموت حيث كنتم وهو كقوله اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وقال
بعضهم يبعث الله تعالى ملائكة عند الحشر فيحيطون بالدنيا يكونون فى اقطارها فلا تستطيع شيطان ولا انس ولا جان
ان يخرج من الاقطار ولو خرجوا لكانوا فى سلطان الله وقيل الا بسلطان اى الحجة وقال قتادة الا بملك وقال الا بقدرة
الله تعالى والله اعلم ثم اوعدهم فقال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران قرا شواظ بضم الشين وكسرها
روى عن حسن بكسر وكذا عن مجاهد وقرئ نحاس بكسر السين وضمها فمن رفع نحاس عطفه على قوله شواظ ومن كسره عطفه
على قوله من نار ثم اختلف فى تاويل الشواظ والنحاس عن ابن عباس رضى الله عنه النحاس الدخان وقيل الشواظ هو لهب
النار الذى لا دخان فيه والنحاس هو النحاس وعن الكلبى الشواظ لهب النار والنحاس الصفر الذى يذاب فيعذبون به وقيل
الشواظ هو الذى فيه الدخان والنحاس هو النحاس المعروف فمن قرا بالخفض يقول لهب من نار ومن دخان ومن قرا بالرفع
اراد به الصفر يقول يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ذائب فى النار وقيل النحاس فى القراءتين يحتمل الدخان ويحتمل الصفر وقوله
عز وجل فلا تنتصران قيل لا تمتنعان من ذلك ويحتمل اى لا ناصر لكما كما يكون فى الدنيا فان قيل انه قد ذكر فى اول الاية الاول النعم
وقرن باحدها فباى الاء ربكما تكذبان وقد انقطع ذكر الالاء ههنا وذكر المواعيد فى هذه الايات فما فائدة قران قوله فباى
الاء ربكما تكذبان باخرها قيل ان فى الوعد ترغيبا وفى الوعيد ترهيبا يرغب فى الوعد ويخاف ويرهب من الوعيد فيرتدع
ويمتنع عما يوعد فيكون فى ذلك نعمة عظيمة اذ بالوعد والوعيد تتم المحنة والمحنة بها تتم النعمة لذلك ذكر على اثر الوعيد
فباى الاء ربكما تكذبان وقوله عز وجل فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان يذكر تغير هذا العالم يومئذ لهول ذلك
اليوم وهو كما ذكر من تبديل السماء والارض حيث قال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله يوم نطوى

نسيا كعلى السجل للكتب في غير ذلك من الايات وكذلك ما ذكر من تغير الجبال من قوله هباء منثورا وقوله كثيبا مهيلا وقوله كالعهن المنفوش ونحو ذلك ثم قوله تعالى فكانت وردة كالدهان منهم من قال شبه السماء لكثرة تلونها بفراش الورد يكون في الربيع بلون ثم تصير الى لون احمر الى اخر فعلى ذلك ما ذكر من تغير السماء وتلونها ومنهم من قال شبهها بالدهان وهو الدهن للينها وسقفها وهو كما ذكر في اية اخرى يوم تكون السماء كالمهل والمهل هو دردي الزيت لكن التشبيه بالمهل انما يكون لكثرة التلون لا للين فيكون في هذا التاويل نوع وهاء والله اعلم وقيل انها تحمر وتذوب كالدهن وروي ان سماء الدنيا فاذا كان يوم القيمة صارت من الخضرة الى الاحمرار من حر جهنم كالحديد اذا احمي بالنار ثم قال بعضهم الدهان جمع الدهن ويقال الدهان الاديم الاحمر والله اعلم وقوله عز وجل فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان اختلف في تاويله قال بعضهم اي لا يسال انسي ولا جني عن ذنب غيره انما يسال عن ذنب نفسه نحو ان لا يسال من اضل غيره عن ضلاله انما يسال الذي اضل عن اضلاله وليس الضال عن ضلاله كقوله تعالى ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا الاية ومنهم من قال لا يسال بعض عن بعض اي لا يسال الجني عن ذنب الانسي ولا الانسي عن ذنب جني ومنهم من قال لا يسال سوال استخبار واستفهام اي لماذا فعلتم ما فعلتم ولكن يسالون لم فعلتم يطلبون منه الحجة لا عن نفس الفعل لان كل ذي مذهب ودين انما يفعل لحجة يكون له ومنهم من قال لا يسالون عن ذنوبهم لما يكون في وجوههم من الاعلام من الاسواد وزرق العيون وغير ذلك مما ذكر في الكتاب انها يكون للكفار كقوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة وقوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم الاية وما ذكر من اعلام المؤمنين من قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله تعالى ابيضت وجوههم وقال بعضهم لا يسال الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم وقوله عز وجل يعرف المجرمون بسيماهم ذكر الله تعالى في كتاب للمجرمين اعلاما يعرفون في الاخرة بها على ما ذكر من اسوداد الوجوه وقال يومئذ واجفة ابصارها خاشعة وقوله نطمس وجوها فنردها على ادبارها اي على اعقابها فهو والله اعلم يكون في اول الاحوال خاشعة ثم غبرة ثم سودة ثم يطمس من نظر بالله فنعوذ بالله من هذه الاحوال التي ذكر وقوله عز وجل فيؤخذ بالنواصي والاقدام قيل يكسر اضلاعهم ويطوى ثم يجمع اقدامهم ونواصيهم فيرمي بهم في النار وقال بعضهم يغل ايديهم الى اعناقهم ثم يجمع بين نواصيهم واقدامهم ثم يدفعون الى النار ثم وقوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي اذا وقعوا على الوصف ذكر عند ذلك يقال له هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون بها في الدنيا وقوله عز وجل يطوفون بينها وبين حميم آن اي يصوفون بين جهنم وبين حميم فيجوز ان يكون كي نجهم عما ياكلون وهي النار وبالحميم عما يشربون كانه يقول والله اعلم يطوفون بين ما ياكلون وبين ما يشربون لا يشبعون عما ياكلون ولا يروون عما يشربون بل كلما اكلوا زادتهم جوعا وكلما شربوا زادتهم عطشا والحميم هو الشراب الذي جعل لهم والآن هو الذي قد انتهى حره غايته ونهايته وقوله فباي الاء ربكما تكذبان الاية ومن الناس من قال في قوله فباي الاء ربكما تكذبان على اثر الوعيد انما يقال لهم في الاخرة اي باي الاء ربكما تكذبان في الدنيا كقوله عز وجل وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى قوله وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الاية وقوله عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان ذكر الخوف عن المقام بين يدي ربه ولم يبين خوفه ماذا ولانه اذا خافه تركه اولا فجائز ان يكون ما ذكر من الخوف عن المقام بين يدي ربه ما بين في اية اخرى وهو قوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى يحتمل وجهين احدهما نهى النفس عما يهواه والثاني مع النفس عن ان تهوى ما نهيت عنه والله اعلم وجائز ان يكون في هذه الاية بيان ما ذكر في تلك الاية من الخوف من المقام بين يدي ربه اي خاف مقام ربه وترك ما هم من المعصية او ما هوت نفسه ثم لسنا نعرف ما فائدة ذكر الجنتين له لبس لك في تروث وارتع قال اهل التاويل انما ذكر جنتين لان الجنان اربعة جنة عدن وفردوس وجنة الماوى وجنة النعيم فجنة العدن وجنة الماوى وجنة النعيم للمقربين والشهداء والصديقين فالجنان الاخريان لمن دونهم من المؤمنين الذين هم لاصحاب اليمين وجائز ان يخرج على وجهين احدهما ان يكون بصره على ملكه بصره اذا نظر يمينا وشمالا لا يقع الا على جنة لا يقع على جنة غيره وكذلك اذا نظر من الاعلى ومن الاسفل يقع بصره على ملكه لا يقع على ملك غيره فليس ذلك على تحقيق اخبار عن حد الجنتين ولكن اخبار ان بصره حيث نظر لا يقع الا على ملكه وجنته والله اعلم والثاني يكون له جنات احد الجنتين لترك المساوي والاخرى لاتيان المحاسن وذكر القتبي عن الفراء قد يسمي ولمن خاف مقام ربه جنتان قال قد يسمى العرب الشيء الواحد باسم الاثنين اذا كان رؤوس الاية ومقاطعها لتحقيق الموافقة في المقاطع على ذلك جائز ان يكون ذكر جنتان لموافقة مقاطع والمراد منه جنة واحدة لكن القتبي انكر عليه ذلك وقال انما يقال ذلك اذا انقطع الكلام فاما اذا كان الكلام غير منقطع فانه لا يقال ذلك والله اعلم ثم سمي البعث مقاما بين يدي ربه وسماه رجوعا اليه ومصيرا وبروزا فهو على وجهين احدهما انه سماه بما ذكر وان البعث هو نهاية هذا العالم والثاني سماه بذلك لان كل احد يظهر في ذلك اليوم ان الامر لله تعالى وان التدبير له في الدنيا والاخرة وان لا تدبير لاحد سواه كقوله عز وجل لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم جائز ان يكون ما ذكر من الجنتين للسابقين والشهداء على ما ذكره بعض اهل التاويل وما ذكر من قوله ومن دونهما جنتان لاصحاب اليمين ثم نعت ووصف ما جعل لكل فريق فاما نعت ما جعل للسابقين والصديقين والشهداء

ماذكر حيث قال ذواتا افنان قال عامة اهل التاويل ذواتا اغصان ولكن ليس في هذا كثير حكمة لكن يحتمل ان قوله ذواتا افنان من العيون اي فيهما من كل فن وكل نوع قال مقاتل ذلك في الجنتين اللتين جعلهما لاصحاب اليمين مدهامتان والمدهم هو الذي يضرب خضرته لشدته الى السواد وهو والاول في الوصف ذاك لم يصفهما الا بصفة واحدة ووصف تينك الجنتين بالفنون وقال في تينك فيهما عينان تجريان وقال في اصحاب اليمين فيهما عينان نضاختان والناضح هو الذي لا يبين جريانه ووصف تينك بالجري والنضح دون الجريان وقال القتبي نضاختان اللتان يفوران بالماء والنضح دون النضخ وهو الرش وقال في جنتي السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان او لونان اي شيء كان وقال في اصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان ذكر اشياء معدودة دون الاشياء في تينك حيث قال من كل فاكهة زوجان للتفضيل اولئك على هؤلاء وجائز ان يذكر في كل واحدة منهما حكمة على حدة قوله ذواتا افنان اذكرنا ان فيهما من كل فن وكل نوع واحد الفنين هي العين المعروفة الموعودة والاخرى التي لا يعرفون ولا يوعدون وقوله عز وجل فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان ولونان على غير تغير الطعم والافساد يدخل في ذلك لان تغير اللون في الدنيا لا يكون للفواكه الا بعد دخول فساد فيها فيخبر ان تغير لونه لا لفساد يدخل في ذلك والله اعلم وقال بعضهم انما ذكر الزوجين من الفواكه لما ان قلوب البشر قد خطرت باحد الزوجين وتمنتهم انفسهم والزوج الاخر هو لطف الله تعالى علي عبادهم نفضلوا منه اليهم من غير ان يخطر على بالهم ولا وقعت عليه ابصارهم ولا انتهت اليه اما لهم اكراما لهم بها وامتنانا وقال بعضهم ليس المراد في هذه الايات تبيين ما لاهل الجنة ولكن فيه تبيان فضل السابقين على اصحاب اليمين اولئك يعطون من الفضل ضعفي ما اعطي هؤلاء والله اعلم وقوله عز وجل متكئين على فرش بطائنها من استبرق قال الفراء يجوز ان يكون البطائن والظهائر جميعا من شيء واحد ومن جهة واحدة لكن سمي الجهة التي تلي اجسادهم بطانة والاخرى ظهارة كالسماء ان الجهة التي تلي الملائكة هي بطانتهم وظهارتنا وما سالنا ظهارتهم وبطانتنا وكذلك كل شيء يلي انساننا فهو بطانة والجانب الذي لا يليه ظهارة يقال ظهر السماء للجانب الذي تراه والاخر بطن السماء والله اعلم وقال القتبي لا ولكن ذكر البطانة من استبرق ولم يذكر الظهارة والعرف في الناس ان الظهارة فرشهم انفس من البطانة والبطانة دون الظهارة فعلى ذلك في ذكر البطانة ووصفها بانها من استبرق دلالة ان ظهارتها ارفع وانفس من البطانة لكن ما قاله الفراء صحيح وما ذكره القتبي هو من صنيع الناس في الدنيا من اتخاذ الظهارة والبطانة لما لا يحتمل املاكهم التسوية بين ما بطن وما ظهر والنفاسة والرفعة فان الله سبحانه وتعالى لا تنفد الخزائنه يفعل ما يشاء كيف شاء وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قد اخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر ثم الاستبرق اختلف فيه قيل هو ما غلظ منه بلسان قوم وقال بعضهم هو ما دق ورق والله اعلم ولا نفسره نحن انه ما هو وكيف هو ولكن نعلم انه شيء وعد لهم ربهم وهو شيء يرغب فيه انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وجنى الجنتين دان جائز ان يكون ذكر هذا في حق السابقين الذين سارعوا في الخيرات واستبطؤا ما وعد لهم بما لم يروا الطاعاتهم فيه ويغلبه خوفهم في التقصير في العمل لله تعالى الواجب عليه وفي اوامره ونواهيه فقال وجنى الجنتين الذي وعد لكم دان وقال اهل التاويل الثمر دان منهم قريب حين يجتنا ولها الرجل كيف شاء لكن يذكر هذا والله اعلم ان الجنتين وان بعدتا فان الثمار منهم دانية قال ابو عوسجة الجنا الحمل واجتنيت الثمرة تجتني اذا حملت واد دان تحملها وقوله عز وجل فيهن قاصرات الطرف اي قصرت طرفهن على ازواجهن ولا ينظرن الى غيرهم ولا تشتهيهم وقال في اية اخرى حور مقصورات في الخيام ذكر هذا لان اهل الدنيا يكونون اهل غيرة ولا يريدون ان ينظر ازواجهم الى غيرهم ولا غيرهم ينظرون اليهن فاخبر بالايتين انهن لا ينظرن الى غيرهم ولا غيرهم اليهن حيث وصفهن بانهن قاصرات مقصورات في الخيام وقوله عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قرئ لم يطمثهن بضم الميم وكسره وقال الفراء لم يطمثهن اي لم يقبضهن والطمث النكاح بالتدمية وقال اهل التاويل لم يجامعهن انس قبلهم ولا جان وقال ابو عوسجة اي لم يمسسهن انس في التربية كما يربي الاولاد ولا الجان على ما تمس الجن الاولاد فيفسدهم ولكنهم كما وصف انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين وقوله عز وجل كانهن الياقوت والمرجان قال اهل التاويل شبههن بالياقوت لصفائهن وبالمرجان لبياضهن وهو كما قالوا والله اعلم وقوله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان قيل هل جزاء الاحسان في الدنيا الا الاحسان لهم في الاخرة اي هل جزاء فعل الحسن في الدنيا الا اعطاء الحسنى في الاخرة وهي الجنة ولكن غيره كانه اقرب اي هل جزاء احسان الله تعالى بما انعم عليهم في الدنيا الا الاحسان له بالشكر والقبول اي الاتيان فعل الحسن وهو الشكر له وحسن القبول لانه ليس يستوجب احد قبل الله تعالى باحسانه في الدنيا جزاء في الاخرة انما الجزاء لهم بحق الفضل والانعام لا بحق الاستحقاق ويحتمل ان يكون قوله تعالى هل جزاء الاحسان في الدنيا الا الاحسان له في الاخرة والله اعلم واستدل ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى بهذه الاية على ان للجن ثوابا كما للانس فانه جرى الخطاب من اول السورة الى اخرها للجن والانس من قوله يا معشر الجن والانس وقوله عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فعلى ذلك يشتركون في الوعد والوعيد لكن ابو حنيفة رحمه الله يقول لا ثواب للجن في ذلك من نحو الفواكه والسفر الجواري فعلى ذلك ما ذكر من الثواب لهم يجوز الثواب وللجن يجوز العين والله اعلم وقد ذكرناه في غير هذا الموضع وقوله عز وجل ومن دونهما جنتان قال كانت الجنتان اللتان سبق ذكرهما للسابقين والصديقين فهاتان اللتان ذكرهما هاهنا لاصحاب اليمين على ما ذكره بعض اهل

التاويل فجايز ان يكون قوله ومن دونهما اى في الفضل والقدر والمنزلة لفضل اولئك على اصحاب اليمين وان كان الجنتان جميعاً
لكل فريق منهم فجايز ان يكون قوله ومن دونهما جنتان في المكان والموضع لا في الفضل والقدر فكانه قال من اى جهة وقع
بصرهم يقع في جناتهم من فوق ومن تحت وعن يمين وشمال اى يكونون وسط الجنان لا يحتاجون الى التحول من مكان الى
مكان كقوله تعالى لا يبغون عنها حولا وعلى هذا يخرج قوله تعالى مدهامتان على ما ذكرنا هو شديد الخضرة الذي يضرب الى السواد
ثم وصف هاتين دون وصف تينك الجنتين بقوله تعالى ذواتا افنان على التاويل الاول وكذلك قوله تعالى عينان نضاختان
على ما ذكرنا انهما دون الجاريتين ولذلك روى عن الفراء قال العينان تجريان افضل من النضاختين وقيل نضاختان لانهما
ينضخان بالخير والبركة لاهل الجنة وقيل ينضخان بالماء وانواع الفواكه وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال ينضخان
بالمسك والعنبر كما ينضخ طش الماء على بيوت اهل الدنيا وقوله عز وجل فيهما فاكهة ونخل ورمان من الناس من احتج لابي حنيفة
رحمه الله فيمن حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا لا يحنث في يمينه لانه بهذه الاية في ان الرمان والرطب ليسا من الفواكه
لانه عطفهما على الفاكهة والشئ لا يعطف على نفسه انما يعطف على غيره هذا هو ظاهر الكلام الا ان تقوم الدلالة على ان
مراده بالذكر وان كان من جنسه لضرب من التعظيم او غيره كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال والله اعلم
وقوله عز وجل فيهن خيرات حسان قيل الحسان الخلق وحسان الوجوه يقال امرءة خيرة وخيرة ونسوة خيرات يقرا بالتثقيل
والتخفيف جميعا وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال لكل مؤمن خيرة ولكل خيرة خيمة وقوله عز وجل حور مقصورات في
الخيام قيل اى محبوسات في الخيام لا يخرجن عن الخيام واصله ما ذكرنا انهن يكن في الخيام لا يرين غير ازواجهن وقاصرات
الطرف اى لا يرفعن بصرهن الى غير ازواجهن ولا يبغين غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل متكئين على رفرف خضر وعبقري
حسان هو قراءة العامة بغير الف وعن عاصم الجحدري رفارف وعباقري قيل رفرف المجالس وقيل المجالس وقيل الرياض
الخضر وقيل الخيام وقيل هو فضول الفرش والبسط واما العبقري قيل هو الزرابي وهو بالفارسية … وقال ابو عبيدة
العبقري الطنافس الثخان وقيل لكل شئ من البسط عبقري وقال القتبي وابو عوسجة العبقري في غير القران ثياب تتخذ بعبقر
وهو بلدة فينسب اليها وقوله عز وجل تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام قال ابو بكر الاصم تعظم اسم ربك من ان يستحق غيره
اسمه وقوله ذو الجلال اى يستحق على الخلق ان يجلوه ويعظموه من ان يسموا غيره باسمه والاكرام هو ان يكرموه مما لا يليق به
من الولد والشريك وغيره ثم قيل في فايدة تكرار قوله عز وجل فباى الاء ربكما تكذبان فباى الاء ما في السموات والارض تكذبان
في الدلالة على وحدانية الله تعالى والشهادة له بانه خالقه وبرسله عليهم السلام وما جاءت به عنه وذلك ان جميع ما فيهما
من المال والطعام والشراب على ما ذكرنا وذلك كما يقول الرجل لآخر يلومه ويعاتبه الم تك جايعا فاطعمتك افتنكر هذا
الم تك ظمآنا فسقيتك افتنكر هذا ونحو ذلك وجايز ان يكون فائدة التكرار غير هذا وهو انه خرج مخرج العظة والتذكير ومن
ومن شان الموعظة والذكرى التكرار والاعادة ليكون انجع واحد للقلوب واقرب الى العقول والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل اذا وقعت الواقعة هذا مما لا ابتداء به الخطاب وانما هو جواب سؤال وخطاب لم يذكر فيحتمل ان يكون
المؤمنون ذكروا كراماتهم التي وعدوا في الاخرة فقال لهم اولئك الكفرة متى يكون ذلك لكم فقالوا اذا وقعت الواقعة
كما يسال الرجل متى يكون امر كذا فيقول اذا كان كذا فهو جواب لسؤاله وعلى هذا يخرج جميع ما ذكر في القران من هذا النوع
من نحو قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها ونحو ذلك وقوله الواقعة كناية عنها جايز ان يكون تاويله اذا وقعت المثوبة
والعقوبة فيكون الواقعة كناية عنها وجايز ان يكون الواقعة اسما من اسماء البعث كالقيامة والساعة وغير ذلك
والله اعلم وقوله عز وجل ليس لوقعتها كاذبة قال بعضهم اى ليس لوقعتها مثنوية ولا ترداد يقال حمل عليه فما كذب
اى ما رجع وقال بعضهم اى هي حق ليست بكذب وقال بعضهم اى لا يكذب بها احد اذا وقعت ليست بكذب وقال بعضهم
اى لا يكذب بها احد اذا وقعت ليست كالايات التي عاينوها في الدنيا مما عرفوا انها ايات كذبوا بها كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وغير ذلك يكذبونها مع العلم بانها ايات
يقول تعالى اذا عاينوا القيمة يقرون بها ويصدقونها ولا يكذبون بها كقوله فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ونحوه
ويحتمل ان يكون قوله ليس لوقعتها كاذبة اى ليست الانباء والاخبار التي جاءت على وقوعها وقيامها كاذبة بل هي صادقة
وقوله عز وجل خافضة رافعة قال بعضهم خافضة اسمع القريب رافعة اسمع البعيد قال صاحب هذا التاويل تفسير
الواقعة هو الصيحة وتلك خافضة رافعة وقال بعضهم خافضة اناسا في النار ورافعة اناسا في الجنة ويحتمل خافضة
لمن تكبر وتعظم على الخلق ورده ورافعة لمن تواضع للخلق وانقاد له وقبله وقيل خافضة لاهل النار في النار كقوله تعالى
يوم يسحبون في النار ورافعة لاهل الجنة كقوله في مقعد صدق وقوله لهم قدم صدق عند ربهم وقوله عز وجل اذا رجت
الارض يخرج على السؤال كانهم لما سمعوا وصف القيمة والواقعة من المؤمنين فقالوا عند ذلك متى يكون الواقعة فقيل

ذلك قال اذا رجت الارض رجا وهو كقوله عز وجل اذا زلزلت الارض زلزالها فزلزلت حتى يلقى ما في بطنها وقوله
عز وجل وبست الجبال بسا قيل فتت حتى يصير كالدقيق ومنه يقال للسويق المبسوس والبسيسة سويق يلت
بالزيت والخلط وقال الحسن بست الجبال اى سيرت تسييرا وقوله عز وجل فكانت هباء منبثا قيل الهباء الذي يكون
فوق النار اذا احدث لا يكون غيره منبثا اى متفرقا وقيل هباء منبثا اى ترابا منتشرا وقيل الهباء المبثوث هو ما يسطع
من سنابك الخيل وقيل الهباء الغبار الذي يراه في الشمس اذا دخلت من الكوة فيه اخبار عن شدة ذلك اليوم وهوله
انه يفعل بالجبال كذا مع صلابتها وطاعتها الله تعالى فكيف يفعل بكم يا بني ادم مع ضعفكم وكفركم ومعصيتكم واتقوا
وقوله عز وجل ازواجا ثلثة اى اصنافا ثلاثة والاصناف الثلاثة ما فيه عقيبه حيث قال فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة
واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون الاية وقيل الاصناف الثلاثة المكذبون والمحسنون و
السابقون وقوله عز وجل فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة يحتمل وجهين هو
احدها اصحاب الميمنة من اليمن واصحاب المشئمة من الشؤم والثاني سموا اصحاب الميمنة لانهم اصحاب الطيبات واليمين
هي التي يستعمل في الطيبات والكفرة اصحاب الشمال لانهم اصحاب الخبائث والشمال يستعمل في الخبائث وعلى ذلك قوله
فاما من اوتي كتابه بيمينه لان في كتبهم طيبات وخيرات وفي كتب الكفرة خبائث فيوتى بشماله لهم وقيل سموا اصحاب الميمنة
والمشئمة لما ذكر الله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وقوله فاما من اوتي كتابه وراء ظهره
فكذا كل من اوتي كتابه بيمينه فهو من اصحاب اليمين ومن اوتي كتابه بشماله فهو من اصحاب المشئمة وكذا قوله
تعالى والسابقون يحتمل وجهين ايضا احدها السابقون في الخيرات يسبقون الناس في كل خير والثاني السابقون
في الاجابة لله ورسوله الى ما دعاهم اليه ثم جايز ان يكون الخطاب به للناس كافة الاولين والاخرين فيكون الناس
كلهم اصنافا ثلاثة السابقون واصحاب اليمين واصحاب الشمال وجايز ان يكون الخطاب بهذه الاية لهذه الامة خاصة
ففيهم السابقون وفيهم اصحاب اليمين وهم اصحاب النظر في الحجج والايات والتامل فيها واصحاب الشمال وهم الكفرة
وقوله اصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة على التعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكرمهم او على التعظيم لاولئك
لعظم ما نعطيهم وكذلك قوله واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة يخرج على هذين الوجهين على التعجيب والتعظيم لما يحل بهم
وكذلك قوله والسابقون السابقون يخرج على هذا ايضا يقال فلان ما فلان ويقال فلان فلان على تعظيم امره
وشانه نعني ذلك هذا ثم قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة يقول اصحابنا رحمهم الله في جعلهم الكفر كله ملة واحدة لانه جعل الله
تعالى اهل الكفر على اختلاف مذاهبهم واديانهم زوجا واحدا واهل الاسلام زوجين حيث جعل الكل ازواجا ثلاثة والله اعلم
وقوله عز وجل اولئك المقربون يحتمل ان يكون وصفا لقرب لهم لمسابقتهم في الخيرات في الدنيا ويحتمل انهم مقربون
في الاخرة بالكرامات والمنزلة لسبقهم في الخيرات او في الاجابة والسبق فعلهم والتقريب بلطف من الله تعالى وفضل
منه والله اعلم وقوله عز وجل في جنات النعيم جميع الجنات نعيم لان فيها نعيما وله ان يسمي واحدة منها نعيما والاخرى
عدنا والفردوس والماوى ماله ان يسمي ما شاء بما شاء وكيف شاء وقوله عز وجل ثلة من الاولين
وقليل من الاخرين اختلف في ذلك قال بعضهم اى ثلة من الاولين ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربوا منه
وقليل من الاخرين من بعدهم من هذه الامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه وادركوا زمانه وقليل من المقربين
من الاخرين وهو ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وعلى ذلك قوله تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل على ما ذكر والله اعلم ومنهم من قال ثلة من الاولين اى جماعة من المؤمنين الذين
كانوا في الامم الماضية وقليل من الاخرين اى من هذه الامة وهكذا يكون لو اجتمع اهل الايمان من هذه الامة مع الامم
الماضية يكون هؤلاء اقل منهم ويحتمل ايضا ان السابقين المقربين من الامم الماضية اكثر من السابقين من هذه
الامة لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام كلهم من الامم السالفة وقال اهل التاويل لما نزل قوله تعالى ثلة من الاولين
وقليل من الاخرين وجد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا وقالوا لن يدخل الجنة منا الا قليل فنزل
قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لكن هذا لا يحتمل لانه خبر ولا يرد في الاخبار نسخ وما قالوه فهو نسخ
والوجه فيه ما ذكرنا ويحتمل قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين هم اصحاب اليمين من الاولين والاخرين
جميعا اى جماعة كثيرة من الاولين وجماعة كثيرة من الاخرين ثم يحتمل ان يكون الاولون والاخرون من هذه الامة و
يحتمل ان يكون الاولون من الامم الماضية والاخرون من هذه الامة وهم المؤمنون وقوله ثلة من الاولين وقليل
من الاخرين في المقربين خاصة والله اعلم وقوله عز وجل على سرر موضونة وقال في اية اخرى على سرر مصفوفة والسرر
قد يكون في الدنيا مصفوفة ولكن لا يكون موضونة اى منسوجة والوضن هو النسج يخبر انه لا يكون بين السرر في
الاخرة انفصال ولا فرج كما يكون في الدنيا لكن موصولة بعضها ببعض وقوله عز وجل متكئين عليها اى على السرر التي
ذكر انها مصفوفة وموضونة وقوله متقابلين اى يقابل بعضهم بعضا ولا ينظر بعضهم الى بعض بالقفا كما يفعل اهل

المجالس في الدنيا يعرض بعضهم عن بعض ويجفو بعضهم بعضا يخبر انهم يكونون في الاخرة خلاف ما في الدنيا بحيث لا ينأ
بعض من بعض بوجه ما وقوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون فيه انهم يعطون في الجنة على ما يستحبون في الدنيا
من الشرف وطواف الولدان وكذلك ما ذكر من السرر والفرش وغير ذلك من انواع ما يرغب انفسهم في الدنيا
ثم ذكر انهم ولدان وان لم يكن في الجنة ولادة فهو يخرج على وجهين احدهما ان يكون على هيئة الولدان وان لم يولدوا
وسموا وكونوا لو ولدوهم في الدنيا وان لم يولدوا في الجنة لان التوالد في الدنيا لحاجة البقاء واهل الجنة باقون وقوله
عز وجل مخلدون قال بعضهم اى المقرطون والخلد القرط وجمعه الخلدة وقال بعضهم هو من الخلود كقوله تعالى خالدين
اى باقون ويقال مسود من السواد وقوله باكواب واباريق هي الكيزان المدورة الرؤس التي لا عرى لها والاباريق
التي لها عرى وخراطيم ويجاز ان يكون الاكواب القداح التي يشربون بها لان في الدنيا يكون لاهل الشراب اباريق
والاقداح يصبون من الاباريق في القدح ويشربون منه لا يشربون من الاباريق فعلى ذلك وعدوا في الجنة وقوله
عز وجل وكاس من معين الكاس هو القدح المملوء من الشراب واما المعين قال بعضهم هو الظاهر من الماء الذي
يقع عليه البصر فوعد لاهل الجنة ذلك والله اعلم وقوله عز وجل لا يصدعون عنها ولا ينزفون قرئ بكسر الزاء ونصبه
اى لا يصدع رؤسهم في الجنة كما يصدع خمور الدنيا اهلها وقوله ولا ينزفون قيل بكسر الزاء لا ينفد شرابهم
وبالفتح لا يسكرون فيه انه ليس في خمورهم الافات التي تكون في خمور الدنيا من ذهاب العقل والصداع والنفاد
وقوله عز وجل وفاكهة مما يتخيرون جميع الجنة مختارة لكن يخرج على وجهين احدهما ان جميع فواكهها مما يتخير والثاني
المعروف في الفواكه ان يقدم من اجناس مختلفة والولدان لا من لون واحد ونوع واحد فيتخيرون من اى نوع اشتهوا
وشاؤا وقوله عز وجل ولحم طير مما يشتهون ان اهل الجنة انما يتناولون على الشهوة لا على الحاجة وسد الجوع وهو
كما ذكر وفيها ما يشتهي الانفس وتلذ الاعين وقوله عز وجل وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون يحتمل تشبيه الحور
العين باللؤلؤ وجهين احدهما لما لا شيء اصفى من اللؤلؤ والياقوت فضرب مثلهن لذلك لصفائه وبياضه و
والا ما حضر اللؤلؤ حتى شبه الموعود في الجنة من الجوارى به والثاني ان اللؤلؤ ومنزلته عند العرب وليس الخطر
لغيره من الاشياء فيشبه ضرب مثلهن به لفضل خطر ذلك عندهم ليس ذلك لغيره وهو كقوله تعالى ومن يشرك
بالله فكانما خر من السماء ضرب مثل من يشرك بالله بالذي خر من السماء والشرك بالله اعظم مما ذكر لكن ليس
شيء اعظم وابعد من المخر من فوق السماء السابع فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله جزاء بما كانوا يعملون ان
الله تعالى ذكر الاعمال جزاء كانهم عملوا له فضلا منه وكرما في حق عباده وان كانوا في الحقيقة عاملين لانفسهم
كقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وكذلك ما ذكر من شراء انفسهم واموالهم منهم وما ذكر من الاقراض
بقوله تعالى واقرضوا الله قرضا وان كانت انفسهم واموالهم له وان كان عامل عباده في انفسهم واموالهم كانها
ليست له فضلا وكرما فعلى ذلك ذكر لاعمالهم جزاء كان منهم الى الله تعالى صنيع واحسان وان كانوا عاملين لانفسهم
ومنافع اعمالهم يرجع اليهم بفضله وكرمه والله اعلم وقوله عز وجل لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما هذا يرجع الى
وصف خمور اهل الجنة اى ليس فيها الافات التي تكون في خمور الدنيا من ذهاب العقل وقول اللغو والحدثان شئل
ما يجرى على السنتهم في الدنيا حين شربوا الخمور وما ياثمون به وذكر لهم هذه الخمور في الجنة لان قوما يرغبون فيها في
الدنيا فوعد لهم ليرغبوا فيها ويطلبوها بالامتناع عن شبهها في الدنيا من الخمور المحرمة والله اعلم وقوله عز وجل الا
قيلا سلاما سلاما يخرج هذا على وجهين احدهما اى الا كلاما فيه سلامة عن جميع الافات التي ذكرها والثاني الا قيلا
سلاما سلاما اى يحيى بعضهم بعضا بالسلام كقوله تعالى تحيتهم فيها سلام وقوله عز وجل واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
في سدر مخضود وطلح منضود الاية اصحاب اليمين هم المؤمنون على ما ذكرنا ثم اختلف في ذكر شجر السدر لهم وما ذكر
من الطلح وغير ذلك منهم من قال انما ذكر هذا لهم لتفضيل المقربين على اصحاب اليمين لانه قال في المقربين السابقون
السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم الى اخر ما ذكر من عظيم الكرامات التي ذكر لهم ثم ذكر لاصحاب اليمين
دون ذلك ليعلم تفضيل المقربين على اصحاب اليمين ومنهم من قال ان قوما من العرب ينتفعون بذلك لان لها ثمرة لكن
ليست بمرغبة ولها شوك فاخبر تعالى انهم لهم في الجنة ذلك بلا شوك ولا اذى بل مرغب فيه وهو كما وعد لهم من الحور
ثم نفى عن خمورها الافات فعلى ذلك جائز ان يكون شجر السدر فيها بغير افات والله اعلم وقوله عز وجل وطلح منضود
منهم من قال هو طلح منضود متراكم كما ذكر في اية اخرى وطلع نضيد ذكر في احد الاثنين نخل وفي الاخرى مفعول
وذلك جائز في اللغة وقيل طلح بالحاء هو الموز وذكر ان عليا رضي الله عنه سمع قارئا يقرأ وطلح منضود فقال
على رضي الله عنه ما شان الطلح انما هو طلع فقيل له ان في المصحف وطلح الا تغيره فقال ان المصحف لا يغير اليوم وهذا
يؤيد التاويل الاول وقال ابو معاذ الطلح في كلام العرب شجر عظام كثير الاغصان واحدها طلحة وقوله وقال الحضود
اى مقطوع الشوك خلقت هنالك هكذا بلا شوك ومنه قوله عليه الصلوة والسلام في شجر الحرم لا يخضد شوكها

ولا ينفد شجرها وقوله عز وجل وظل ممدود وبصفاته ليس فيها شمس يؤذيها ولا برد ويؤذي بل ظل شيء لطيف لا اذى
فيه ولا شيء اثقل على الابدان بل هو شيء يوافق البدن ويخف عليه وقيل ممدود لان لا شمس فيها فينسخه بالشمس ويعرف
الظل ههنا وظل الاخرة ممدود دائما وقوله عز وجل وماء مسكوب قيل جار غير منقطع وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة
اى مصبوب والاول كانه اقرب اى جار لانه ليس كماء الدنيا الا ان يراد بالانصباب صبه من الاعلى الى الاسفل وذلك تعاد
اليه في الدنيا ثم وقوله وماء مسكوب جائز ان يكون ذكر هذا لاصحاب اليمين وما ذكر من قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله
وقوله ومزاجه من تسنيم فيكون للمقربين قوله عينا يشرب ولاصحاب اليمين ومزاجه من تسنيم وكذلك ما ذكر من جنات تجري
من تحتها الانهار للمقربين يكونون في العليين ويكون الانهار تحتهم ما ينسكب وينصب من الاعلى لاصحاب اليمين لانهم هم
يكونون دونهم في الدرجة والله اعلم وقوله عز وجل وفاكهة كثيرة لا مقطوعة كانقطاع فواكه الدنيا يخبر انها لا ينقطع
في الجنة في وقت من الاوقات وانها كلما قطعت مرة خرجت اخرى مكانها بهيئة الاكل من غير ان يحتاج فيه الى وقت النضج كما
في الدنيا ينقطع من وقت خروجها الى وقت نضجها وبعد النضج والادراك ينقطع الى وقت وجود حمل اخر وقوله عز وجل
ولا ممنوعة اى لا افة بها يصير ممنوعة كفواكه الدنيا اذ هي ربما يمنع بافة يصيبها وقال القتبي وابو عوسجة لا مقطوعة
اى لا تحبس كما يمنع في الدنيا بعضهم من بعض وقوله عز وجل وفرش مرفوعة اى مرفوعة القدر والمنزلة او مرفوعة بنفسها
في القيمة وهو ما ذكرنا في قوله تعالى والسماء رفعها وقيل وفرش مرفوعة النساء يقال للمرءة ولنساء فرش وقوله عز وجل
انا انشاناهن انشاء قال الاصم وغيره ان هذا صلة قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون كانه قال على اثره وقال القتبي
انه لما ذكر على اثره قوله وفرش مرفوعة انا انشاناهن دل ان الفرش كناية عن الازواج اذ هن اللواتي يفرش ويقال للفرش
فراش وقيل قد استفرشت الناقة اذا اشتهت الفحل والاشبه ان يكون هذا صلة قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ
المكنون اذ ذكر في قوله وحور عين على ذكر اثر المجالس والزوجات لا معنى لذكرهن في هذا الموضع ثم وقوله انا انشاناهن
انشاء اى انشاناهن في الابتداء على هيئة الاستمتاع ليس كنساء الدنيا وهو كما ذكرنا في قوله في صفة الفواكه انها غير
مقطوعة ولا ممنوعة اى انها تخرج اول ما تخرج على هيئة الاكل لا كثمار الدنيا وقوله عز وجل فجعلناهن ابكارا عربا اترابا
قيل اى خلقناهن كذلك ويكن ابدا كذلك كلما ذهبت عذرتهن عادت فيكن ابدا على تلك اللذة لانهن اسسن هذا والله اعلم
وقال عامة اهل التاويل في قوله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا اى خلقنا نساء الدنيا من الثياب والابكار خلقا
خلقا جديدا سوى الخلق الذي كان في الدنيا فجعلناهن ابكارا وكن في الدنيا عجائز وثيبات و روى ذلك الخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان ثبت انه قال في قوله انا انشاناهن انشاء الثيب والبكر وفي بعض الاخبار قال ان العجوز لا تدخل
الجنة ثم قوله انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا ومن قال هو صلة قوله وحور عين هن ليس نساء الدنيا والله اعلم
وقوله عز وجل عربا اترابا عرم الراء مخففة ومضمومة قال ابو عبيد يقرؤها بالضم لوجهين احدهما التفخيم والثاني
انها افيس في العربية لان واحدها عروب وهو مثل صبور وصبر وشكور وشكر واما في الوجه الاخر التخفيف
وقيل في تاويله عربا عاشقات لازواجهن وقال ابو عوسجة العروب المراحة وقال القتبي هي المتحببة الى زوجها وقيل
الغنجات لازواجهن وقيل ان اهل مكة يسمونها العربة واهل مدينة غنجة واهل العراق الشكلة وقال سعيد بن جبير
عربا شبعات وضبعات هي التي تعرض للزوج من الشهوة ويقال للناقة اذا اشتهت الفراب ضبعة وقوله عز وجل اترابا
اى مستويات الاسنان وقال القتبي الترب واللدة واحد وهو بالفارسية جزاء واصله انهن انشئن بلا ولاد فتقدم
وتباخر كما يكون في الدنيا يتفاضلن في الاسنان فصرن في الاخرة اترابا ثم قال وثلة من الاخرين قد ذكرنا تاويله انه
يخرج على الوجهين و روى عن ابن عباس رضي الله عنه عليه وسلم انه قال هما جميعا من امتي وكذلك تاويل قوله تعالى ثلة من
الاولين وقليل من الاخرين وقوله عز وجل واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال وذكر في اصحاب اليمين مثله من التعجيب واخبر
عما يكرمهم به ويعطيهم من انواع النعم وذكر اصحاب الشمال وذكر على اثره ما اوعد لهم من العذاب والهوان بقوله و
سموم وحميم الاية ثم ذكر في اول السورة اصحاب الميمنة والمشئمة ولم يذكر لهم الثواب ولا العذاب وذلك والله اعلم
لان في ذكر الميمنة والمشامة دلالة ما لهم لان الميمنة من اليمن والمشامة من الشوم ففي ذكر ذلك بيان ما لهم من الكرامات
وما لاولئك من العقوبات وليس في ذكر اليمين والشمال بيان العقاب فذكر على اثر ذلك ليعرف ما لكل فريق من الجزاء
والله اعلم وقوله عز وجل في سموم وحميم قيل السموم هو فيح جهنم والحميم هو الذي انتهى حره غايته وقيل السموم
هو حر النار وقيل هو ريح باردة وقيل ريح حارة واصله انه لما اصابهم السموم اشتد بهم العطش فعند ذلك يشربون
الحميم رجاء ان يسكن بهم عطشهم ويذهب ذلك عنهم فلا يزداد لهم بذلك الا شدة عطش على ما كان والله اعلم وقوله
وظل من يحموم قيل هو دخان اسود وقال بعضهم اليحموم هو من الحميم وقال ابو بكر اى ظل من نار يجعل اليحموم نجار الظل الذي
ذكر ههنا يحتمل ان يكون هو الظل الذي ذكر في قوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار وقيل
هو السرادق من النار وقوله عز وجل لا بارد ولا كريم لا بارد لانه من النار ولا كريم لانه لهوانهم ليس للكرامة وقال الحسن

وقتادة لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وقوله عز وجل انهم كانوا قبل ذلك مترفين اى هذا الجزاء لهم لانهم كانوا يقولون
في الدنيا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وانما قال ذلك مترفوهم دون السفلة والاتباع لقوله تعالى الا قال
مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقوله عز وجل وكانوا يصرون على الحنث العظيم اختلف فيه وقال بعضهم
كانوا يصرون على الحنث اى على الاثم العظيم وهو الشرك وقيل الحنث العظيم الكبائر والاصرار هو الادامة عليها
وقال بعضهم يصرون على انفسهم يقسمون ويحنثون فيه كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت اقسموا
انهم لا يبعثون فحنثوا في ذلك لانه تعالى اخبر انهم يبعثون حيث قال بلى وعدا عليه حقا ويحتمل ان يكون قسمهم ما ذكر واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها وقوله لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وقد جاءهم النذير فلم
يكونوا اهدى وجاءتهم اية ليؤمنن بها وقوله لئن جاءهم النذير فلم يكونوا اهدى وجاءتهم الايات فلم يؤمنوا بها
فحنثوا فيها فان كان قسمهم بانهم لا يبعثون حنثوا حين فراغهم من اليمين لانهم ايسوا عن ذلك وفيه دلالة لصحة مذهب
اصحابنا ان من حلف ليمسن السماء انه يحنث عند فراغه من اليمين وقوله عز وجل وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون اوآباؤنا قالوا ذلك على الاستهزاء والاستبعاد للبعث الاترى انه احاط بهم فقال قل ان الاولين والاخرين
لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم وقوله ان الاولين والاخرين يخرج على وجهين احدهما اى يجمع الاولين والاخرين
في التخليق اى جمع بين الاولين والاخرين في التخليق حيث خلق الاخرى على اثر الاولين والا لم يكونوا وقت ما قال
لمجموعون انا الاخرون لم يكونوا مخلوقين بعد والثاني مجموعون في الارض اى في القبور الى ميقات يوم معلوم وقوله
عز وجل ثم انكم ايها الضالون المكذبون بآيات الله الدالة على توحيده ورسله والبعث وقوله لآكلون من شجر من زقوم
اخبر ان المكذبين يكونون الآكلين من الشجر الزقوم فيكون كما اخبر ثم شجرة الزقوم هي التي ذكر انها تخرج في اصل الجحيم طلعها
كانه رؤوس الشياطين وقد ذكرنا تاويلها في موضعه وقوله فمالئون منها البطون يخبر ان ليس لهم مما ياكلون ويشربون
الا امتلاء البطون لا يدفع عنهم ما ياكلون من الزقوم وغيره الجوع ولا ما يشربون من الحميم العطش عنهم بل يزداد لهم
بذلك جوعا وعطشا على ما كان والله اعلم وقوله فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم قيل الهيم هو ابل
ياخذه الداء فيشرب حتى يملا البطن فلا يروى ابدا للداء الذي فيه فعلى ذلك اهل النار يشربون وياكلون
حتى تمتلئ بطونهم فلا يروون ولا يشبعون والله اعلم وقيل الهيم الابل الذي بهم في الارض ولا يرد الماء اياما ثم اذا ورد
الماء فيشرب فيمتلئ بطنه حتى يهلك لامتلاء البطن وهو قول الاصم وقوله عز وجل هذا نزلهم يوم الدين اى الذي
ذكر غذاؤهم ورزقهم يوم الدين وقوله عز وجل نحن خلقناكم فلولا تصدقون هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله
اعلم لما صدقتموني ورسلي بانا خلقناكم في الابتداء فهلا صدقتمونا ورسلنا بانا نعيدكم تارة اخرى اذ الاعجوبة في ابتداء
الاشياء اكبر منها في الاعادة وهو ما قال وهو اهون عليه والثاني انكم صدقتموه ورسله انه انشاكم في بطون امهاتكم
في ظلمات ثلاث ونقلكم من حال الى حال لا يحتمل ان يترككم سدى بلا عاقبة فيكون فيه اثبات البعث اذ لولا ذلك لكان
خلقهم وتحويلهم من حال الى حال عبثا كما قال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا والله اعلم وقوله عز وجل افرايتم ما تمنون ءانتم
تخلقونه ام نحن الخالقون قد علموا انهم لم يخلقوا ما تمنون ولا خلقوا انفسهم فيقول والله اعلم قد اقررتم انكم لم تخلقوا
ما تمنون ولا انفسكم ولا يملكون ذلك فقد عرفتم ان الله خالقكم وخالق ذلك كله وهو المالك لذلك فاذ عرفتم ذلك
وانتم اهل تمييز والعقل عقلاء من غيركم فاذ لم يملكوا خلق انفسكم فالذين هم دونكم احق ان لا يملكوا خلق انفسكم وخلق ما
ذكرتم ثم ان الله تعالى هو خالق ذلك كله فكيف عبدتم غيره وصرفتم الالوهية الى غيره وقوله عز وجل نحن قدرنا بينكم
الموت يحتمل وجوها احدها انه لما كان هو الذي خلقكم وما ذكرتم قدر بينكم الموت وفيكم الولي له والعدو وقد سوى
في الدنيا بين الولي والعدو وفي الحكمة التفريق بينهما دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما والثاني نحن قدرنا بينكم
الموت اى المعجل والمؤجل اى لم يجعل موت جميعكم في وقت واحد بل جعل معجلا ومؤجلا في الاصل وقدر ان يكون
مدة اجل هذا اكثر من مدة اجل الاخر وقيل نحن قدرنا بينكم الموت اى سوينا بينكم في الموت بين عزيزكم وذليلكم
ورفيعكم ووضيعكم لا يسلم احد عنه ويحتمل وجها اخر هو اولى وهو انه لما قدر بينكم الموت وكل واحد منكم يكره الموت
ثم لم يملكون دفع الموت عن انفسكم دل انه هناك قاهرا قادرا يجب القول بوجوده والانقياد لاوامره ونواهيه وقوله
وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اى وما نحن بمغلوبين في تبديل امثالكم او يقول وما نحن بعاجزين على ان نبدل
امثالكم وقوله وننشئكم فيما لا تعلمون قال ابو بكر الاصم فيما لا تعلمون من تبديلكم الى صورة
ذميمة قبيحة كصورة القردة والخنازير ونحوها وقيل ننشئكم فيما لا تعلمون في اي خلق شاء وهو قريب من الاول ويجوز ان
يكون معناه وننشئكم فيما لا تعلمون في ظلمات ثلاث الذي لا يبلغه علم البشر ولا تدبير الحكماء الى ان بلغوا فمن ملك ذلك
لا يحتمل ان يعجز عن بعث او غيره والله اعلم وقوله عز وجل ولقد علمتم النشاة الاولى فهو على ما ذكرنا انكم لما عرفتم انه هو الذي
انشاكم النشاة الاولى لا عن اصل سبق لا يحتمل ان يعجز عن النشاة الاخرة لانها مثل الاولى بل هو وهكم اسهل واهون

وقوله

وقوله عز وجل فلولا تذكرون يخرج على ما ذكرنا هلا تذكرون وحدانيته وربوبيته او هلا تذكرون انه قادر
على البعث او لا تذكرون انه هو المستوجب بشكر ما انعم عليكم او هلا تذكرون نعمه واحسانه ومن الناس من قال
النشاة الاولى ههنا نشاة ادم عليه السلام وخلقه اى علمتم نشاته لا من اصل ولا احتذاء لغيره فمن قدر على ذلك
فهو على النشاة الاخرى لقادر وعلى تقديره وحكمه اقدر والله الموفق وقوله عز وجل افرايتم ما تحرثون ءانتم
تزرعونه ام نحن الزارعون جائز ان يكون هذه الاية صلة ما تقدم من قوله افرايتم ما تمنون كانه يقول افرايتم ما تحرثون
وانتم تخلقون الزرع ام نحن الخالقون له فيكون فيه الذي ذكرنا في ذلك والله والثاني افرايتم ما تحرثون ءانتم
جعلتم الحراثة بحيث ينبت ام نحن الجاعلون بحيث ينبت ثم قال لو نشاء لجعلناه حطاما اى يابسا وقال ابو عوسجة اي
متكسرا ليذكرهم نعمه التي انعمها عليهم يقول هو الذي جعله بحيث ينتفع ويبقى ولو شاء لجعله بحيث لا ينتفع به ويخبر
عن قدرته انه قادر على الانبات وعلى الهلاك فعلى ذلك قادر على الانشاء والاعادة واهل التاويل يقولون
افرايتم ما تحرثون ءانتم فظلتم تفكهون قيل تعجبون وقيل تندمون وهي لغة عكل وقال ابو بكر الاصم اى صرتم
تفتخرون وتتلذذون كما يقول الرجل لآخر لو اخذت مالك وسلبته صرت غنيا او استغنيت ولكن لا تذكر
افعال ما ذكرنا لا كان فيقال ذلك بغير تقديره كانه يتلذذ لكثرة ما يذكره في كل وقت لان الرجل اذا ذهب ماله
لا يزال يذكره كالمتلذذ به والمتنعم وعن ابن عباس رضي الله عنه فظلتم تفكهون اي تلومون وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنه فصرتم تفكهون وقوله فظلتم يستعمل في زمان انها ردون الليل وقوله عز وجل انا لمغرمون بل
نحن محرومون اى فظلتم تقولون انا لمغرمون ثم اختلف فيه قيل انا لمعذبون يقول ان عذابها كان غراما قيل
انا لمذمومون الملعنون للشر ونحو ذلك لكنه من الغرم الظاهر لان من يحبه خسران في ماله او هلاك يجعله للغرامة
لما يحتاج الى غيره واصله كانه يقول والله اعلم لو جعله حطاما يابسا لا ينتفعون به ظلتم تقولون انا لمغرمون
وقوله عز وجل بل نحن محرومون قيل المحروم هو الذي يمنع عنه المال او ما ينتفع به وقال بعضهم محدودون
وقيل محارفون لكن المحروم ظاهر لا يحتاج الى التفسير والله اعلم وقوله عز وجل افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم
انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون يذكرهم نعمه عليهم بما انزل لهم من الماء العذب فيشربونه واخبر انه لو شاء
لجعله اجاجا مالحا مما يهلك الانفس ولا تقوم له وكذلك قوله لو نشاء لجعلناه حطاما حتى يخرج من ان يكون
غذاء فيه ولكن بفضله ورحمته ابقى لهم ذلك اغذية واشربة ولذلك قال في اخره فلولا تشكرون اى هلا تشكرون
ما انعم عليكم ثم في هذه الايات دلالة نقض قول المعتزلة في افعال العباد حيث قال افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه
ام نحن الخالقون والامناء هو فعل العبد اذ هو وفق المعنى ثم اخبر انه هو خالق ذلك حيث قال ءانتم تخلقونه وكذلك
الحراثة والزراعة فعل العباد واخبر انه خالق ذلك وفي قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما واجاجا نقض قولهم في
الاصلح فانه يقال لهم ان قوله لو نشاء لجعلناه كذا فلم يفعل ذلك فقد ترك الاصلح لهم في ابقاء ذلك فيصير كانه
قال لو نشاء لجعلنا ما هو حق وعدل جورا ولا يجوز ان يقال ان الله تعالى لو شاء انه يجور لجاز فعلى اى الوجهين حمل
كان في ذلك نقض مذهبهم وفي قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت نقض قولهم من ان المقتول لم يمت باجله لانه
تعالى اخبر انه قدر الموت بينهم وعندهم ان من قتل لم يمت بما قدر الله تعالى او لم يمت باجله وقد اخبر انه هو قدر ذلك
وانه لا يسبق في ذلك بقوله وما نحن بمسبوقين ولو كان على ما تقول المعتزلة ان المقتول يموت قبل اجله فقد كان
انه لم يقدر له الموت وان القاتل قد سبقه ومنعه عن وفاء ما جعل له من الاجل والبلوغ الى ذلك الاجل الذي
جعل له وكذب في خبره انه يبلغ الى ذلك الاجل والله الموفق ثم وقوله ءانتم انزلتموه من المزن اختلف في تاويل
المزن قال عامة اهل التاويل والادب المزن هو السحاب وقال ابو بكر الاصم المزن هو الماء العذب فعلى ذلك
لم يكون حرف من صلة كانه قال ءانتم انزلتم المزن والظاهر ما ذهب اليه اولئك انه ينزل من السحاب والله اعلم
وقوله عز وجل افرايتم النار التي تورون قال بعضهم توقدون وقال بعضهم تقدحون يقال قدحت النار واوريتها
اى اخرجتها يقال ورت النار ترى وريا فهو وار اى اضاءت وقوله عز وجل ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن
المنشئون قيل هي الشجرة التي تجعل حطبا وتوقد بها النار ويحرق وقيل هي الشجرة التي فيها النار وهي التي يتخذ منها
الزنود والاول اقرب والله اعلم وقوله عز وجل نحن جعلناها تذكرة قال بعض اهل التاويل اى جعلنا هذه النار
تذكرة للنار الكبرى وهي النار الاخرى ويحتمل ان يكون نحن جعلناها اى هذه النعم الحاضرة تذكرة للنعم الموعودة
او جعلنا هذه الشدائد والبلاء في الدنيا تذكرة لما اوعد في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل ومتاعا للمقوين
قال بعض اهل التاويل اى متاعا للمسافرين خص المسافرين لنزول بهم القوى وهو الفقر وهو قول القتبي وقيل
المقوين المستمتعين وقال ابو عوسجة المقوي الذي لا زاد له وقيل الذي يقع في الارض قواء لقول الكاتبة ما لك
وقال ابو عبيد اي ما الذي لا زاد معه اولى بالنار ولا خبز للبهائم الذي معه الزاد اليها احوج ويقال رجل

المقوي اذ كانت معه مطية قوية وقوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم عن ابن مسعود و
ابراهيم انهما قرا بموقع النجوم على الوحدان وعن الحسن انه قراها بمواقع على الجمع وبه اخذ ابو عبيد وقال ان بعض اهل
التاويل يتاولونها على منازل القران وبعضهم على مغايب الكواكب ومساقطها واي الوجهين كان فالجمع فيه اولى
من الوحدان ثم اختلف في قوله فلا اقسم منهم من قال ان حرف لا ههنا صلة كانه قال اقسم بمواقع النجوم وذلك
جائز في اللغة لقوله ما منعك ان لا تسجد ونحوه يكون على الصلة والزيادة على التوكيد ومنهم من قال على اثبات
حرف لا لكنه جعل ذكره لرد قول كان من اولئك الكفرة ولدفع منازعة كانت منهم لكن لم يذكر ذلك لما كانت هي
معروفة بينهم فرد ذلك فلا ثم ابتدا القسم بقوله اقسم كانه قال اقسم قسما بمواقع النجوم على الوجهين اللذين
ذكرناهما قال بعضهم بمواقع النجوم اي بمواقع نزول القران نجوما ليلة ما ذكر على اثره انه لقران كريم في كتاب مكنون
والثاني بمواقع النجوم النجوم المعروفة على ما قال بعضهم ثم ان كان المراد منه الكواكب فالقسم بها يكون على وجوه
احدها لعظم موقع النجوم ومحلها في القلوب وجليل القدر عند الناس حتى يجعلها بعض الملحدة مدبرة العالم
ولكثرة منافع الخلق بها من معرفة الطرق بها والسبل ومعرفة كثرة الانداء والمياه ومعرفة الاوقات والازمنة
وغيرها مما يكثر ذكرها وبمواقع النجوم اي بمساقطها وفي ذلك اخبار وانباء من شدة طاعة النجوم وتسخيره اياها
للخلق حيث يملك قطع مسيرة خمسمائة بيوم او ليلة واحدة مما لا يتوهم قطع ذلك من سواها من ذوي الازواج
والاجنحة التي هي اسرع لقطع المسافات والوصول الى مقاصدها والله اعلم ثم قال اهل التاويل باجمعهم بان القسم
بها من الله تعالى وجائز ان يكون القسم من الرسول صلى الله عليه وسلم لكن اضاف الى نفسه تعليما منه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقسم برب هذه الاشياء وكذلك تعليم لغيره من الرسل القسم برب هذه الاشياء اذ التنازع
بينهم وبين الله ليقسم وانما وضع القسم لتاكيد الخبر عند الانكار والتنازع ولكن التنازع فيما بينهم وبين الرسل عليهم
السلام وكذلك ما ذكر فلا اقسم برب المشارق والمغارب ليس من الله تعالى ولكن من الرسول اذ لا يحتمل ان يكون
الرب عز وجل هو المقسم ويقول برب المشارق بظاهره وان يكون الرسول هو المقسم بها فعلى ذلك الاول والله
اعلم ومن الناس من قال ان الاقسام التي جرى ذكرها في القران بالاشياء التي ذكرها لو لم يكن القسم بها لكانت
تلك الاشياء يؤكد ويوجب القسم ويؤكد ان لو وقع بها القسم لان الاقسام فيه انما جرى اكثرها في ايجاب
البعث والتوحيد واثبات الرسالة ونحوها وما جرى ذكرها لو لم يكن القسم بها لكان يوجب ما يوجب القسم
لان في هذه الاشياء دلالة على البعث والتوحيد والرسالة والله الموفق وقوله عز وجل انه لقران كريم على قول
من يجعل القسم بالقران فهو ظاهر يقول انه لقران كريم اي الذي اقسم به وانزله نجوما هو كريم وعلى التاويل الذي
يجعل القسم بالنجوم المعروفة يجعل قوله انه لقران كريم ابتداء ذكر منه له ثم تسمية القران كريما يخرج على وجوه
احدها وصفه بالكرم لما هو محل لقضاء حوائج الدنيوية والاخروية وفي العرف الكريم من نصب نفسه واعدها
لقضاء حوائج الخلق والقيام لانجاحها او وصفه بالكرم لان من اتبعه كرم وشرف او كريم عند الله عظيم لذلك
وصفه بالكرم والله اعلم وقوله عز وجل في كتاب مكنون قال اهل التاويل في اللوح المحفوظ سماه مكنونا لانه مستور
عن خلقه عند الله وقال عز وجل لا يمسه الا المطهرون يقول لا يمس ذلك الا المطهرون وقال بعضهم هم الملائكة
الذين يجري ذلك على ايديهم كقوله تعالى بايدي سفرة كرام بررة طهروا من الذنوب والاثام وكان ذكر هذا ليامنوا
عن تحريف هذا الكتاب وتبديله وهو ما قال على اثره تنزيل من رب العالمين اي انه مكنون عن تحريفه وتبديله وانه
لا يمسه الا المطهرون من الذنوب والتحريفات وذنب من رب العالمين وهو كما ذكر في اية اخرى نزل به الروح الامين
على قلبك وقال علمه شديد القوى اخبر ان الذي اخبر نزل به من السماء امين لا يكون منه التحريف ولا التبديل وانه قوي
لا يقدر احد من جني او انسي اخذه من يده ولا تحريفه ثم تمام الامن قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكل
حفظه الى نفسه لا الى احد من خلقه نصا ومحفوظا عن التبديل والتحريف والله اعلم وقوله افبهذا الحديث انتم
مدهنون قال بعضهم افبهذا القران انتم كافرون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون الله تعالى جعل هذا القران حياة
الدين وقواما والرزق حياة الابدان وما به قوامها فكذبوا الامرين جميعا ما به حياة الدين والابدان جميعا ثم
يخرج ما ذكر من تكذيب الرزق على وجوه احدها ما ذكر بعض اهل التاويل انهم كانوا يقولون رزقنا بنوء
كذا كانوا ينسبون الرزق الى ذلك النوء فهذا يخرج على قول الملحدة ان النجوم هي مدبرة العالم وارزاقهم لا يجعلون
لله في ذلك تدبيرا فاما من ينسب الرزق الى الله تعالى ويقول رزقنا الله بنوء كذا فليس في ذلك تكذيبه انما
يخرج ذكر النوء ذكر سبب من الاسباب التي يرزق الله تعالى بها وكذلك من راى الرزق من الاسباب
خاصة واما من يقول رزقنا الله تعالى بسبب كذا كذا فذلك جائز القول به وقال بعضهم وتجعلون رزقكم انكم
تكذبون اي تجعلون شكر الرزق التكذيب وبه قال ابو عبيد وجائز ان يكون تكذيبهم الرزق صرف تسمية الالوهية

الى غير الذي رزقهم والعبادة لغير المستحق لها والله اعلم وقال الحسن وتجعلون رزقكم انكم تكذبون بئسما اخذ القوم
لانفسهم حتى لم يرزقوا من كتاب الله تعالى الا التكذيب يقول صار حظكم من القران التكذيب ويجعل هذه الاية مع اية
الاولى افبهذا الحديث انتم مدهنون وقال ابو بكر الاصم في هذه الاية وتجعلون رزقكم وهو هذا القران الذي خصكم
به دون ابائكم ورزقتم به ما لم يرزق اباؤكم منه ثم جعلتم تكذبون ذلك الرزق الذي خصصتم به ورزقتم او كلام
من نحوه وهو كقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم وقال في قوله تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون هو الذي
يرى الموافقة ويحتال في دفع حجة ما يلزمه ويرد عليه او كلام يشبه معناه هذا والله اعلم قال ابو معاذ مدهن
ومداهن لغتان بمعنى واصل المداهنة من المجارعة يقال داهنته وادهنته ثم الفرق بين المداهنة والمداراة كان
المداهنة لطمع له فيه يخادعه حتى يحصل الى ما يطمع والمداراة الشفقة بما رايه اشفاقا عليه ليتحقق عنده الحق
ليسلم له دينه والاهما في الظاهر واحد وهما الملاينة وخفض الجناح لكن الفرق بينهما ما ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ليس هذا الكلام صلة ما تقدم من الكلام ثم يشبه ان يكون جواب
ما قال اولئك الكفرة لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا يكون والله اعلم لو كانوا عندكم لم يموتوا ولم يقتلوا على ما
زعمتم فهلا اذا كانوا عندكم فبلغت الارواح الحلقوم ان يرجعوها ويردها الى الاجساد التي كانت لو كنتم صادقين
في قولكم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا الاية على هذا جائز ان يخرج تاويل الاية والله اعلم وقوله تعالى وانتم حينئذ
تنظرون يخرج على وجهين احدهما ينظرون اي ينتظرون خروج الروح انها متى تخرج لا يملكون ردها الى حيث كانت
ولكن ينتظرون خروجها متى تخرج والثاني وانتم حينئذ تنظرون على حقيقة النظر اي ينظرون الى سلطانه في
وقد ذكر وقيل هو من الانتظار اي تنتظرون ان يحل بكم الموت وهو ما ذكرنا وجائز ان يكون قوله وانتم حينئذ تنظرون
لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان تشفع لهم في ضيق الحال وانما يضيق عليهم الامر عند حلول الموت اذ لا بعث عندهم
فيقول فلولا اذا بلغت الارواح الحلقوم فتنتفع لهم الاصنام التي يعبدونها وترد الارواح الى المكان الذي كانت
فاذا لم يملك ذلك فكيف عبدتموها والله اعلم وقوله عز وجل ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون قال بعض اهل الكلام
ونحن اقرب اليه منكم اي ملائكتي ورسلي في ذلك الوقت اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون الملائكة لكن اضاف الى
نفسه لما ان الملائكة بامره وتسليطه يعملون وقيل نحن اقرب منكم اي اولى به في ذلك الوقت لما يعلم هو خطاه
ويتبين له الحق في ذلك الوقت من الباطل ولكن لا تبصرون انتم اي لا تعلمون ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين قال بعضهم غير مدينين اي لو كنتم غير مملوكين لله تعالى
على ما زعمتم ترجعون الارواح وتردونها الى الاجساد التي كانت فيها ان كنتم صادقين انكم غير مملوكين فانه
كنتم عندكم غير مملوكين تكونون مالكين اذ ليس الا المملوك والمالك فاذا لم يكونوا مملوكين تكونون مالكين
فتملكون ردها الى ما فيها فاذا لم تملكوا كنتم مملوكين والله اعلم وقال بعضهم غير مدينين اي غير محاسبين ولا
مجزيين فردوا النشاة الاولى واجعلوها بانفسكم حتى يكون النشاة الاولى حكمة اذ لم تملكوا رد هذه الارواح
الى الانفس واجعلوا النشاة الاولى حكمة والله اعلم وقوله عز وجل فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم الى اخره اختلف في وقت ما ذكر لمن ذكر ذلك قال بعضهم ان ذلك يقال لهم عند الموت لبشارة لهم
بما يكون في الجنة ومنهم من يقول انما يقال ذلك اذا دخل هؤلاء الجنة واولئك النار اعني الكافرين وهو ما ذكر وان
ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وجائز ان يكون يقال ذلك لهم عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الجنة ووصف الرسول الله صلى الله عليه وسلم محلهم عنده في الجنة ومكانهم لديه على ما كانوا عنده
في الدنيا السابقون كانوا في الدنيا المقربون عنده ومكانهم لديه اقرب من مكان غيرهم من المؤمنين فعلى ذلك يخبر
ان السابقين في الاجابة يحويه في الاخرة عنده اقرب ويكون قوله فروح وريحان اي يستانس هو بهم ويستانسون
لا يفارقون ولا يفارقهم على ما كانوا في الدنيا وساير المؤمنين يسلمون عليه في اوقات وهو ما ذكر فسلام لك
من اصحاب اليمين على ما كانوا يفعلون في الدنيا وهو اقرب من الوجهين الذين ذكرناهما ويحتمل ما ذكر وامن البشارة عند
الموت على المؤمنين والكافرين في حق المؤمنين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فاما ان كان من اصحاب
اليمين كذا وفي حق الكفرة واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم الاية ويحتمل ذكر بعضهم ان ذلك
يقال لهم بعد ما دخل اهل الجنة واصحاب النار والله اعلم وقوله عز وجل فروح وريحان وجنة نعيم اختلف في
تلاوته اما تلاوته وروي عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا هذا الحرف
فروح وريحان يعني بضم الراء وعن الحسن انه قرءها بالضم ايضا ولكن لا اجد عليها فاستوحش من مفارقة الناس
ولا يجمع الله تعالى امة محمد عليه الصلوة والسلام على ضلالة واما تاويله فعلى قراءة الرفع عن الحسن قال الروح الرحمة
والريحان وحيا بناعن ابي عبيد قال بالرفع هو الحياة والبقاء وعن الضحاك بالفتح الروح الاستراحة والريحان الرزق

وقال بعضهم الروح كناية عن دوام النعمة والسعة يقال فلان في روح اذا كان في سعة ونعمة والريحان كناية عن الشرف والمنزلة يقال فلان ريحاني وذلك لشرفه ومنزلته عنده ومنهم من قال الروح الراحة والريحان الرزق في الجنة وقال بعضهم الروح بالرفع من الرحمة بالنصب الراحة ونحن نقول جايز ان يكون جميعا بالنصب والرفع من الرحمة لقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اي من رحمته وقال في موضع اخر وايدهم بروح منه اي برحمته منه يخبر ان الله تعالى ان المقربين يكونون في الجنة والرحمة الله ونعمة والله اعلم وقوله عز وجل واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين يحتمل ما وصفنا ان اصحاب اليمين يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم ويحيي بعضهم بعضا بالسلام ويحتمل فسلام لك اي السلامة لك منهم من جميع الآفات والاذى وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه فسلام انك من اصحاب اليمين فهذا ان ثبت فهو يخرج على البشارة له عند الموت والله اعلم وقيل يسلم عليهم الملايكة والله اعلم وقوله عز وجل ان هذا لهو حق اليقين يقول هذا الذي ذكرنا للمقربين ولاصحاب اليمين وللمكذبين هو حق اليقين اي كاين لا محالة لا شك فيه ثم هذا يقال على التاكيد وتحقيق ما سبق ذكره ووصفه وقوله عز وجل فسبح باسم ربك العظيم يقول والله اعلم فسبح باسم ربك لا يسمى به غيره اي نزهه عن جميع ما قالت الملحدة فيه من الولد والشريك وتسميته من دونه الها وغير ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض يجوز ان يقرا سبح لله وسبح الله كما يقال في الكلام شكر الله و شكر لله ونصح الله ونصح لله ويجوز ان يكون معناهما في الظاهر مختلفا ويتفق في الحقيقة والباطن لان التسبيح هو التخليص والتنزيه والتبرئة فمتى اضيف الفعل الى الله تعالى واوقع عليه فيقال سبح الله فمعناه انه نزهه وبراه عن جميع معاني الخلق وخلصه عن شبه المخلوقين واذا قيل سبح لله فقد وقع الفعل على الاشياء المخلوقة اي خلص الاشياء كلها له وبراها عن غيره واذا اضيف بان كل الاشياء له وهو المالك لها وهم عبيده ومماليكه خاضعون اذلاء فقد وصف بالغنا ونفي الحاجة عنه وانه متبرى عن مماليكه ومخلوقاته فهما جميعا من هذا الوجه ينتظمان معنى واحدا وان كانا مختلفان وفي الباطن موتلفان وان الاسلام هو ان يجعل كل شي من الخلق لله تعالى خالصا سالما له والايمان هو التصديق بالربوبية له في كل شي فمن صدق الله تعالى بالربوبية في الخلق والامر فقد جعل الخلق سالما له ومتى جعل سالما له فقد صدقه في الربوبية فقد اتفقا من حيث المعنى وان اختلفا من حيث الظاهر فعلى ذلك هذا والله الموفق ثم يحتمل ما ذكر من التسبيح هو تسبيح الخلقة يشهد له خلقه كل شي بالوحدانية والالوهية فهذا على خلقه كافرهم والمؤمن جميعا وغيرها من المخلوقات ويحتمل ان يكون اراد المميزين الذين في السموات والارض ويرجع التسبيح خاص وهو تسبيح النطق واللسان عن اختيار وجايز ان الى كل ذي روح يجعل الله في سريرة هذه الاشياء من التسبيح له ما يعلمه هو لا يعلمه غيره الا باعلام الله تعالى اياه ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الحكيم يخرج على وجوه احدها العزيز هو الذي افتقر الخلق واحوجهم اليه والحكيم هو المحكم للاشياء المتقن لها او العزيز القاهر الغالب الحكيم هو العالم بالاشياء على حقيقتها او العزيز هو المالك هو كل ملك كقوله مالك الملك الحكيم الواضع كل شي موضعه وقوله عز وجل له ملك السموات والارض جايز ان يكون له ملك السموات والارض تفسير لقوله العزيز الحكيم وقوله عز وجل يحيي ويميت اي يملك ان يحيي هذا ويميت غيره او يحيي من شاء ويميت من شاء ويملك احياء من شاء واماتة من شاء وهو على كل شي من الاحياء والاماتة وغيرها قدير وقوله عز وجل هو الاول والاخر والظاهر والباطن قالت الباطنية الاول معناه المبدع الاول والاخر هو المبدع الثاني والظاهر هو الناطق وهو الرسول صلى الله عليه وسلم والباطن هو صاحب التاويل يقولون ان المبدع الاول ثمة المبدع الثاني المعونة فيستعين بها المبدع والثاني على خلق هذا العالم وانشائهم لانهم يقولون ان المبدع الثاني هو الذي دبر هذا العالم وانشاهم باعانة المبدع الاول والناطق هو الذي دبر الشرايع والباطن وهو الصاحب التاويل هو الذي يبين الشرايع التي دبرها الناطق وهو الرسول عليه السلام ولا يصفون الله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن ويقولون لا يجوز ان يوصف بهذه الاشياء لان الاولية والاخرية والظاهر ينفي الباطن كل حرف من هذه الحروف يبطل الاخر في الشاهد وجوابنا ان ما قلتم من المبدع الاول والثاني والناطق والباطن ليس بشي له معنى على ما ذكرنا في موضعه واما عندنا فان قوله هو الاول والاخر الظاهر والباطن هو الحرف التوحيد هو الاول بذاته والاخر بذاته والظاهر بذاته والباطن بذاته فان هذا ليلا شعر ولا يفهم من وليته اوليته غيره ولا يفهم من اخريته غيره وكذلك لا يفهم من ظاهريته ظاهرية غيره ولا من باطنيته باطنية غيره لان في الشاهد من كان له اخرية لا يكون له اولية وكذلك من كان له ظاهرية لا يكون له باطنية ومن كان له باطنية لا يكون له ظاهرية فكل حرف من هذه الحروف مما ينقض الحرف الاخر وينفيه في الشاهد فانما ذكر هذه الاحرف لينفي

ليعلم ان لا يفهم من اوليته اولية الاشياء ولا يفهم من اخريته ما يفهم من اخرية الاشياء وكذلك ما ذكر من ظاهريته و باطنيته وهذا كما ذكر انه عظيم ولطيف وكل واحد منهما في الشاهد مما ينقض الاخر وينفيه ما عظم منه لم يلطف وما لطف لم يعظم فلا يفهم من عظمته ما يفهم من عظمة غيره ولا من لطافته من لطافة غيره والله الموفق وقال بعضهم هو الاول الذي لا ابتداء له والاخر الذي لا انتهاء له والاخر الذي لا انتهاء له والظاهر هو الغالب القاهر الذي لا يغلبه شي والباطن الذي لا يدركه الاوهام وقال بعضهم هو الاول الذي له اولية الاشياء والاخر الذي له اخرية الاشياء والظاهر بالحجج والايات والباطن الذي لا يدركه الاوهام والله الموفق وقوله عز وجل هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش فان كان خلق ما ذكر من السموات والارض وما بينهما في ستة ايام السنة ايام التي يدور عليها ايام الدنيا وهي ايام الجمعة فانما خلق في هذه الايام كيان الاشياء واصولها لا انه خلق كلية الاشياء فيها وما يكون ابدا الابدين فعلى هذا التاويل يكون قوله ثم استوى على العرش اي استوى امره بخلق الممتحنة وهم البشر اذ المقصود بخلق هذه الاشياء كلها ثم البشر ولهم انشاء هذه الاشياء وان كان المراد من قوله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ايام الدنيا الذي كل يوم مقداره الف سنة على ما ذكره في اية اخرى فيكون ما ذكر من خلق السموات والارض وما بينهما خلق اصول الاشياء وكيانها وما يتولد منها بل يقع ذلك على الكل فيكون على هذا التاويل قوله ثم استوى على العرش البعث اي استوى خلق ما خلق وانشاء ما انشاء من العالم بالبعث ما لولا ذلك البعث لم يكن انشاء هذا العالم الاول لحكمه فالمقصود من انشاء هذا العالم البعث الذي ذكرنا او لا نفسر انه ما اراد بقوله استوى على العرش لانه لا يعلم ما اراد به اذ قال في ذلك فسال الخبير ان ارات ليسال به خبيرا ولم يرد في ذلك انه يسال به الخبير عنه فلا يسع تفسيره والله اعلم وقوله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها اي كثرة ذلك وازدحامه لا يلبس عليه ولا يستتر عنه شي والثاني لحجاب السماء والارض مع ثقلهما وكثافتهما لا يستران ولا يحجبان عنه وان لا يخفى عليه شي ولا يعجزه شي والله اعلم وقوله عز وجل وهو معكم اينما كنتم هذا الحرف يخرج على وجهين احدهما هو معكم اي عالم بكم وبافعالكم ومحيط بكم وحافظ عليكم والثاني وهو معكم يتوجه المعنى فيه الاختلاف الاحوال يقول ان كنتم محبين له خاضعين مطيعين فهو معكم بالنصر لكم والمعونة على اعدايكم وان كنتم معرضين عنه معاندين فهو معكم بالسلطان عليكم والانتقام منكم والله اعلم وقوله والله بما تعملون بصير وقال بعض اهل التاويل اي علمه وسلطانه وقدرته معكم اينما كنتم واصله ما ذكرنا فيما تقدم انه اذا ذكر جل وعلا بالاول ذكر الخلق معه ولا يشتم احدا لبه سواه بوصف الاول فيقال لم يزل عالما قادرا خالقا بلا ذكر وقت ولا احد ولا شي من المكان وغيره واذا ذكر معه شي من الخلق يذكر على ما عليه احوال الخلق من الوقت والمكان وغير ذلك ويكون ذكر الوقت والمكان والاحوال للخلق دون الله تعالى فيقال لم يزل عالما للخلق وقت كونهم لم يزل خالقا للعالم وقت كونه حتى لا يتوهم قدم المخلوق وعلى ذلك قوله تعالى حتى يعلم المجاهدين منكم والصابرين الاية وقوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب وقوله وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وقوله ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع الاية وقوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا وليعلم المنافقين ونحوه مما يكثر ذكره كذلك على ما عليه احوال الخلق فعلى هذا قوله وهو معكم اينما كنتم ولا فرق الا بالله وقوله عز وجل له ملك السموات والارض الملك انما يثبت عن نفاذ المشيئة والامر والولاية فجايز ان يكون قوله له ملك السموات والارض اي له نفاذ المشيئة وله الولاية في السموات والارض وعلى اهلهما وله التسلط عليهم والله اعلم وجايز ان يكون قوله له ملك السموات والارض اي له خزاين السموات والارض يعطي من يشاء ويحرم من يشاء والله اعلم وقوله عز وجل والى الله ترجع الامور اي الى الله ترجع تدبير الامور من احداث وتكوين واعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك الى الخلق والله اعلم وجايز ان يكون قوله والى الله ترجع الامور اي الى الله ترجع تدبير الامور من احداث وتكوين واعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك الى الخلق والله اعلم وجايز ان يكون قوله والى الله ترجع الامور اي الى الله ترجع الامور الممتحنين في الاخرة من الحساب والسوال والثواب والعقاب وغير ذلك والله اعلم وقوله عز وجل يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل الايلاج الشي انما هو ادخاله فيه على المدخل فيه هذا هو لكن ما ذكر ههنا من الايلاج هنا في هذا وهذا في هذا انه جعل ما كان في حال الاستواء في حد الليل نهارا وجعل ما كان في حال الاستواء في حد النهار ليلا وعلى ايلاف كل واحد منهما بالاخر لا على الابقاء وفي ذلك دلالة وجوه من الدلالة احدها يدل على انه فعل واحد عليم له تدبير لا فعل عدد ولا تدبير له لانه لو كان فعل عدد لكان لا يجري على سنن واحد وتدبير واحد سنن كان الى الابدين بل تقع في ذلك تمانع وتغالب يمنع كل واحد منهما له مما لغيره ويغلبه عنه ولا يوافقه في تدبيره على ما يكون من عادة الملوك على ما قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض والله الموفق وفيه دلالة البعث هو اتيان الليل بعد ذهاب اثر النهار واتيان النهار بعد ذهاب اثر الليل و نحو ذلك على ما تقدم ذكره وقوله وهو عليم بذات الصدور وقال اهل التاويل اي عليم بما في الصدور وجايز ان يكون

او ولد وهو عليم بذات الصدور وارباب الصدور وهم البشر الذين لهم الصدور والتدبير لان الصدور
انما يقال للذين لهم تدبير وتمييز وهم البشر والله اعلم وقوله عز وجل فآمنوا بالله ورسوله الايمان بالله
هو ان يجعله رب كل شيء وان له الخلق والامر والايمان برسوله هو ان تصدقه في كل ما يخبر عن الله تعالى
وفي كل قول وفعل وانه صادق وانه محق ويعلم انه بامر الله تعالى ونهيه يامر وينهى ويحقق لا من ذات نفسه
هذا هو الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه يقول والله اعلم وانفقوا من المال الذي جعلكم فيه خلفاء من تقدمكم لان الناس يخلف بعضهم بعضا
في هذه الاموال كانه يقول انفقوا من المال الذي جعلكم خلفاء من تقدمكم قبل ان يخلفكم من بعدكم كما كان
الانفاق من تقدمكم اذ هي انما انشئت للانفاق والانتفاع بها لا للترك كما هي والله اعلم ثم اخبر تعالى
بقوله فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ان من كان امن به وانفق فله اجر كبير ما وعد لهم من الاجر على
جهة الانعام منه والافضال دون الاستحقاق اذ المال ماله وهم عبيده ولا يلزم للعبد اجر على سيده
والله الموفق وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم في الظاهر متناقض
لانه يقول لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم ولو كانوا لا يؤمنون بالله كيف تقرون بالله وبالرسول
ويصدقون انه رسول اذ التصديق بالرسول تصديق بالمرسل وهم لا يؤمنون بالله فكيف يصدقون
الرسول لكنه يخرج على وجهين احدهما اي ما لكم لا تؤمنون بالله اي بقدرة الله على بعثكم واحيائكم بعد موتكم
قد اتاكم ودعاكم واراكم بما تبين لكم من قدرته وسلطانه على البعث فما لكم لا تؤمنون بقدرته على هذا وقد
ان يخرج لان اهل مكة كانوا اصنافا فمنهم من يذهب مذهب الدهر ومنهم من يذهب مذهب الشرك ومنهم
من يقر بالتوحيد ويكفر بالبعث والله اعلم والثاني يقول اي عذر لكم في ترك الايمان بالله تعالى والرسول
دعاكم وقد اتاكم من ايات والحجج ما يدفع عنكم العذر وينزع عنكم الشبه فاي عذر لكم من ترككم الايمان
فما لكم لا تؤمنون وقوله عز وجل وقد اخذ ميثاقكم وقد ذكرنا فيما تقدم ان اخذ الميثاق من الله تعالى
يخرج على وجوه احدها على لسان الرسل عليهم السلام كقوله تعالى وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة
واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الى اخر ما ذكر وغير ذلك من امثاله والثاني اخذ الميثاق ما جعل في
خلقة كل احد من شهادة الوحدانية له والثالث عهد اليهم حيث ركب فيهم العقول والافهام و
جعلهم بحيث يميزون ما لهم مما عليهم فلا يحتمل اهمال مثلهم وتركهم سدى ويحتمل ما ذكر بعض
اهل التاويل من اخراجهم من صلب ادم عليه السلام والوجه الاول اقرب وجائز ان يكون قوله وما لكم
لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم من اهل الكتاب الذين كانوا مؤمنين بالله ورسوله
محمد عليه الصلوة والسلام قبل ان بعث فلما بعث كفروا به يقول والله اعلم ما لكم لا تؤمنون بالله و
والرسول الذي كنتم مؤمنين به ويحتمل ان يكون الاية في اهل النفاق الذين كانوا يظهرون الايمان به
ولا يحققونه يقول ما لكم لا تحققون الايمان بالله والرسول يدعوكم لتحققوا الايمان بربكم وهو
كقوله تعالى وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله اي لا عذر لكم في الكفر بالله ورسوله
وترك الايمان بهما فيخرج ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل ان كنتم مؤمنين بالايات والحجج او ذكر هذا
لا على الشرط بل على التاكيد كقوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم
الاخر لانهن ان كن اذا غير الايمان لم يحل لهن ايضا كتمان ما في ارحامهن وقوله عز وجل هو الذي ينزل على عبده ايات
بينات الايات في الحقيقة هي الاعلام لكن ضربت الايات بالحجج لان الايات تجيء عند الله تعالى جاءت لانها معتقدا بالخلق
وقوله بينات اي اضحاتها انها من عند الله جاءت لا من عند الخلق وبينات امره ونهيه وما لهم وما عليهم وما يؤتى وما
يتقى وقوله عز وجل ليخرجكم من الظلمات الى النور وما اضيف الى الله تعالى من الاخراج فهو على وجهين احدهما على حقيقة الاخراج
وهو ان يوفق لهم على الايمان ويعطيهم المعونة والعصمة فيخرجهم مما ذكر من الكفر الى الايمان والثاني يخرج على الامر به
والدعاء الى الايمان ليس على حقيقة الاخراج وهو كقوله يخرجكم من الظلمات الى النور في هذه الاية ونظير حقيقة الاخراج قوله الله
ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وعلى هذا يخرج الهداية انه على التوفيق والنشا ثم الهداية منهم
والثاني على الدعاء والبيان والله اعلم وقوله عز وجل وان الله بكم لرؤف رحيم وجائز ان يكون معناه وان الله بما يخرجكم من
الظلمات الى النور لرؤف رحيم وهو يرجع الى المؤمنين خاصة وجائز ان يوصف بالرحمة والرأفة على الكل اي بكم
يرحم بما ارسل اليكم الرسول وانزل عليكم الكتاب وان كان في انفسكم وعقولكم كفاية على معرفة وحدانيته تعالى
وربوبيته بدون انزال الكتاب وارسال الرسول لكن بفضله ورحمته ارسل الرسل وانزل الكتب ليكون ذلك ادل
لهم واوصل الى ادراك ما دعوا اليه واقرب الى دفع الشبه والعذر والله اعلم وقوله عز وجل وما لكم الا تنفقوا

في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض هذا يخرج على وجهين احدهما ما قال اهل التاويل ان الخلق يفنون كلهم
ويبقى الله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها فعلى هذا قوله وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله اي ما لكم لا تنفقوا في
سبيل الله قبل ان يزول ملككم ويصير ميراثا لله تعالى وجائز ان يكون قوله ولله ميراث السموات والارض اضافة
وراثة بعضهم من بعض اليه لما انهم عبيده واماؤه ومال العبد يكون لسيده فيصير كانه يقول ما لكم الا تنفقوا لانفسكم
وما يرجع الى منافعكم قبل ان يصير ذلك ميراثا لغيركم والله اعلم وقوله عز وجل لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل اولئك اعظم درجة الاية قال بعضهم لا يستوي منكم من انفق اي لا يستوي منكم من امن قبل الفتح لان قبل
الفتح كان من امن خوف الهلاك وانواع العقوبات لان الغلبة في ذلك الوقت كان لاهل الكفر لذلك لم يستو من
امن منهم من قبل الفتح ومن امن منهم بعد الفتح وعلى ذلك يخرج على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو وزن
ايمان ابي بكر بايمانهم لرجح لان ايمانه رضي الله عنه في وقت الخوف لا يستحي الاسلام او لما يكون بايمانه نفر كثير لانه
كان رئيسهم وكذلك الانفاق في ذلك الوقت افضل واعظم لما في الانفاق في ذلك الوقت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولمن تابعه او لما ان الانفاق من بعد الفتح يقع بطمع الوصول الى المنافع والابدال من الصدقات والمغانم
وقبل الفتح لم يكن ذلك المعنى فهو كله خالص بلا بدل ولا طمع كان منه والله اعلم وقيل لا يستوي من هاجر ولم يهاجر
ولا هجرة بعد فتح مكة لذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد اليوم ولكن جهاد ونية وقوله عز وجل وكلا
وعد الله الحسنى اي وعد الله لكل الفريقين من انفق قبل الفتح ومن بعد الجنة وثواب الحسنى قال بعض اهل التاويل
هذه الاية نزلت في فتح الحديبية فقيل يا رسول الله افتح هو قال نعم فتح عظيم وعن قتادة هو فتح مكة والله اعلم
وقوله عز وجل والله بما تعملون خبير فيه ترغيب وترهيب فيما رغب عنه وقوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم قد ذكرنا فيما تقدم انه جل وعلا عامل عباده بكرمه وجوده معاملة من لا حق
ولا ملك في انفسهم واموالهم لا معاملة من حقيقة املاكهم واموالهم وانفسهم له من نحو ما ذكر من الاقراض له
وما ذكر انفسهم منهم بان لهم الجنة وما ذكر لاعمالهم من الاجر وهم عبيده واعمالهم التي يعملون لا لانفسهم كانهم
عاملون له وما يمسكون لانفسهم ويدخرونها في وقت الحاجة لهم اسماء قرضا وما يكتسبون للحيوة الدائمة والنعم
الباقية فهم المنتفعون بها ولا احد في الشاهد يستقرض من مال نفسه من اخر يده ثم يعطي له الاجر على ذلك
على ان هذا كله خارج عن عادة الخلق وطبعهم وصنيعهم بعضهم مع بعض لكن عاملهم بما يليق بكرمه وجوده
عدلهم بما امسكوا لانفسهم اضعافا مضاعفة ثم جائز تسمية ما يمسكون لوقت حاجتهم قرضا لما لا يمنوا على
الفقراء واهل الحاجة بما اعطوهم منه لما عرف جل وعلا من طبعهم الامتنان عليهم او لما يدفع عنهم معونة حفظ ذلك
الى وقت حاجتهم من السرقة والغصب وغير ذلك من انواع ما يخاف التلف منها والله اعلم وقوله عز وجل وله اجر
كريم قال اهل التاويل اي اجر حسن والله اعلم وجائز تسمية كريما لما ان من ناله يصير كريما او لما يؤمل ويرجى
ان يكون لهم ذلك والكريم في الشاهد هو الذي يرجى منه كل خير ويؤمل والله اعلم وقوله عز وجل يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وجائز ان يكون قوله يسعى نورهم اي كتبهم التي يعطون في الاخرة
فانه يعطي كتابا المقربين والسابقين من امامهم كتاب سائر المؤمنين من ايمانهم وكتاب اهل الشرك من وراء ظهورهم
نور بين حرف حفصة رضي الله عنها نورهم يسعى بين ايديهم وفي ايمانهم كقوله واما من اوتي كتابه بيمينه الاوجائز
ان يكون نورهم ايمانهم وسعيهم الذي كانوا عليهم في الدنيا وجائز ان يكون نورهم الذي ذكر كناية عن الطريق الذي يسلكون فيه السابقون
يرون ما امامهم وسائر المؤمنين عن ايمانهم على ما سلكوا في الدنيا واهل الشرك شمالهم واهل النفاق من ورائهم وجائز
ان يكون قوله بايمانهم كناية عن اليمين والبركة فان بالايمان ينال اليمن والبركات فسماها بذلك ويحتمل ما ذكر اهل
التاويل انه يرفع لهم نور فيمشون بذلك وقوله عز وجل بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها انما
يقال ذلك قبل دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار وهذا يدل ان النور المذكور لهم يكون قبل دخول اهل الجنة الجنة و
اهل النار النار وقوله ذلك الفوز العظيم لانه لا هلاك بعده ولا تبعة ولا انقطاع ذلك لذلك ثم قوله يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات ليس ان يراه هو خاصة لا يرى غيره ذلك ولكن يرى ذلك جميع المؤمنين فيبطل به قول من جعل
التنصيص على الشيء دالا على التخصيص ونفي غيره وعن قتادة انه قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان
من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن والى صنعاء فدون ذلك حتى ان المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع
قدميه والمؤمنين منازل لاعمالهم وروي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نورهم يسعى بين
ايديهم ما فرطوا من اولادهم وقوله عز وجل يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم من
منهم من قرا الذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم ومنهم من قرا مقطوعة من انظرت قال ابو عبيد فالاتصال احب الينا
لان تاويلها والله اعلم انتظرونا يقال منه نظرت فلانا انظره واما القراءة الاخرى فانها من التاخير يقال منه انظر

ولا نا نتظره اذا اخرته ولا احرف لتاخيرهما موضع او قال ابو عوسجة انظرته ونظرته اى انظرته يقال منه نظر
نظرة ثم الاية دلت على ان اهل النفاق يكونون منبعدين عن المؤمنين وان لا ينتفعوا بنور المؤمنين ولكن يرون ذلك اليوم
من بعد حيث قالوا انظرونا نقتبس من نوركم ولو كان يقرب منهم او ينتفعون بنورهم لكانوا لا يطلبون منهم
الانتظار لهم والاقتباس من نورهم والله اعلم وقوله عز وجل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا من الناس من يقول ان
هو الاستهزاء الذى ذكر فى اية اخرى انه يستهزئ بهم حيث قال الله يستهزئ بهم بقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا
نورهم وذلك الاستهزاء وقلنا نحن فى قوله الله يستهزئ بهم اى يجزيهم جزاء استهزائهم الذين استهزؤا برسول الله
صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وجايز ان يكون قوله ارجعوا وراءكم ليس على الامر بالرجوع من وراء والتماس النور
ولكن على التوبيخ والتعيير اى النور انما يطلب من وراء هذا اليوم اى من قبل هذا اليوم لا يطلب فيه والله اعلم
وقوله عز وجل فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب الاية جايز ان يكون السور
الذى ذكر الذى ضرب بينهم ما ذكر فى سورة الاعراف حيث قال وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال السور هو الاعراف
رجال السور وهو الاعراف التى ذكر انها تكون حجاب بين اهل النار واهل الجنة يرفع ذلك السور بينهم لئلا ينتفعوا
بنور المؤمنين له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره فيه قبله العذاب جايز ان يكون قوله باب ليس على حقيقة
الباب ولكن الباب كناية عن الطريق والسبيل يقول هو طريق وسبيل من ياخذ ذلك السبيل افضاه الى الرحمة
ومن سلك ظاهره افضاه الى العذاب وجايز ان يفتح من النار الى الجنة باب فيرون ما حل بهم من العذاب ويرى
اهل النار اهل الجنة على ما هم عليه من النعيم ليزداد لهم حسرة وندامة او يكون اطلاعا لا من باب ولكن من السور
والاعراف الذى ذكر وهو ما قال فاطلع فراه فى سواء الجحيم والاطلاع فى الظاهر انما يكون مكانا عاليا مرتفع الموضع
مشرف والله اعلم وقوله عز وجل ينادونهم الم نكن معكم اى ينادى اهل النفاق المؤمنين الم نكن معكم اى ينادى
اهل النفاق الم نكن قالوا بلى جايز ان يكون هذا القول منهم الم نكن معكم تقربا منهم للمسلمين يومئذ كما كانوا
يتقربون لهم فى الدنيا وهو ما اخبر عنهم انهم يكذبون فى الاخرة كما كانوا فى الدنيا حيث قال يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم اخبر انهم هم الكاذبون فى حلفهم فعلى ذلك جايز ان يكون قولهم الم نكن معكم يخرج على
تقريرهم اياهم ثم الاشكال والكلام قول المؤمنين بلى وقد علموا انهم لم يكونوا معهم فكيف قالوا بلى فنقول جايز
ان يكون جوابهم خرج لاولئك على ما عرفوا من خطابهم ومرادهم فاجابوهم على ذلك اذ ان يكون قولهم بلى ان كنتم
تقولون بانا معكم ولكن لم يكونوا معنا او يخرج جوابهم على ظاهر ما يرون من انفسهم الموافقة دون الحقيقة
وقوله عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم يخرج على وجوه احدها اى فتنتم انفسكم فى الرجوع الى من جعل لكم المنافع
اى تمنيتم فجعلتموها حيث كانت المنافع والعاقبة كقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير
اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه اى شدة وقال القتبى فتنتم انفسكم اى اثمتموها وقوله وتربصتم
يخرج على وجهين يحتمل تربصتم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيموت عن قريب او انه يرجع عن الاسلام الى
دين اوليائكم الكفرة وقوله وارتبتم اى شككتم وان قام لكم ما يدفع الارتياب والشك عنكم والشبه وقوله عز
وجل وغرتكم الامانى يحتمل الامانى وجهين احدهما ما ذكرنا من اتباعهم المنافع التى كانوا يتوقعونها فكيف ما كانت
يتبعون غرضهم فى ذلك والثانى ما تمنت انفسهم من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهلاكه او عوده
الى دينهم وقوله حتى جاء امر الله اى الامر بالهلاك او يوم القيمة وقوله وغركم بالله الغرور اى غركم
عن دين الله الشيطان وقوله عز وجل فاليوم لا يوخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا قرا بالياء والتاء
واكثرهم على الياء ومعناهما واحد اى لا يكون لهم فدية يوخذ ليس ان يكون فدية ولا يوخذ وان يقول على التمثيل
اى لو كان لهم فدية لكان لا تقبل منهم يخبر ان الامر الاخرة على خلاف ما يكون فى الدنيا فى الدنيا يمال الجمال لدفع
البلاء بالفداء مرة بالشفعاء ثانيا وقوله عز وجل ماواكم النار اى بادون اليها وقوله عز وجل هى مولىكم اى اولى
بكم واحق وقوله وبئس المصير اى بئس ما يصيرون اليها ثم فى اية دلالة نقض قول المعتزلة فى تخليد اصحاب الكبائر
فى النار لانه تعالى جعل الناس على ثلاث فرق وانزلهم منازل ثلاثة المنافقين والكافرين كفرا بصريح والمؤمنين و
جعل النار لاهل الكفر واهل النفاق ولم يجعلها لغيرهما وصاحب الكبيرة ليس هو بمنافق ولا كافر عندهم وكذلك ما
قسم الله تعالى الناس اقساما ثلاثة السابقين واصحاب اليمين واصحاب الشمال هم المكذبون واصحاب الكبائر
ليسوا مكذبين عندهم وهو ما جعل النار الا للمكذبين الا ترى انه قال فى اخره واما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم جعل الجنة للمقربين واصحاب
اليمين والنار للمكذبين خاصة لم يجعلها لغيرهم فمن جعلها لغيرهم فهو مخالف لظاهر هذه الايات التى ذكرنا والله اعلم
وقوله عز وجل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق وما نزل قرئ مخففا ومثقلا فمن شدد

ما سبق من ذكر الله تعالى ومن خفف جعل الفعل للحق ثم الاية يحتمل وجوها احدها ما قال اهل التاويل انها نزلت فى المنافقين
الذين اظهروا الايمان واضمروا الكفر الم يان اى قد ان للذين امنوا ظاهرا واظهروا الموافقة للمؤمنين ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل بالحق اى القران اذا تلى عليهم اى يرق قلوبهم ويؤمن به لانهم كانوا يتربصون برسول الله
صلى الله عليه وسلم الدواير ويطمعون هلاكه امن الله تعالى المؤمنين من ذلك الخوف وايس اولئك عما تربصوا به
من نزول الدواير فقال الم يان للذين امنوا ظاهرا ان تخشع قلوبهم لذكر الله والقران ويرق لذلك ويؤمن به
والله اعلم ثم وقوله عز وجل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم على هذا
التاويل اى لا يكونوا كاولئك الذين تمادوا فى الضلال وقساوة القلوب لما طال عليهم الوقت وتركوا
النظر فى الكتب ويحتمل ان يكون الاية فى اهل الكتاب الذين كانوا مؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
ان يبعث فيقول الم يان للذين امنوا به من قبل ان يبعث ان تخشع قلوبهم اى كتابهم وما نزل من الحق وهو القران ان
يؤمنوا به كما كانوا امنوا به لما وجدوا نعته فى كتابهم ثم وقوله عز وجل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل الاية
اى لا يكونوا كالذين كانوا من قبلكم من اهل الكتاب فطال عليهم الامد ان طال عليهم ان ينظروا فى كتبهم فقست قلوبهم
بطول تركهم نظرهم فيها والله اعلم ويحتمل ان يكون الاية فى المؤمنين الذين حققوا الايمان بالله وبرسوله وهو يخرج
على وجهين احدهما الم يان اى قد ان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم عند ذكر الله بالنظر والتامل فى ذلك فيحملهم
ذلك على خشوع قلوبهم كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا
جعل وصف المؤمنين ان يوجل قلوبهم عند ذكر الله ويزداد لهم الايمان واليقين للنظر فيه والتفكر وفهم ما فيه
والله اعلم والثانى الم يان اى قد ان للذين امنوا ان يقطع شهواتهم وامانيهم فى الدنيا وتخشع قلوبهم لذكر الله
ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب اى لا يغفلوا عن كتاب الله وذكره ولا تتركوا النظر فيه والتفكر فيغفلوا عما فيه
فقست قلوبهم فلا تكونوا انتم كهم فتقسوا قلوبكم كما قست قلوبهم وقوله عز وجل وكثير منهم فاسقون اى كثير من
اولئك الذين اوتوا الكتاب فاسقون لتركهم النظر فى الكتاب وجايز وكثير منهم فاسقون اى المعاندون والقليل
منهم المقلدون وهو كقوله واكثرهم كارهون اى معاندون وهم الرؤساء والقادة الذين كابروا رسل الله وما
ندعوهم الا قليل منهم لا يتبعوهم وقلدوهم وقوله عز وجل اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها ذكر هذا ليس على انهم لم
يكونوا علموا ان الله هو يحيى الارض بعد موتها بل كانوا عالمين بذلك لكنه ذكر كما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال فاعلم انه لا اله الا الله اى اشعر قلبك فى كل وقت وساعة الربوبية لله تعالى والوحدانية لم ذلك يحتمل قلبه
اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها اى اشعروا قلوبكم فى كل وقت جعل الالوهية والربوبية لله تعالى وصرف العبادة
اليه والتنزيه والتبرئة له عما يليق به مما يوصف به الخلق اذ علمتم انه يحيى الارض بعد موتها فاعلموا انه يمتحنهم بانواع
المحن اذ لا يحتمل احياء ما ذكر بغير فائدة وتركهم سدى او يقول قد علمتم ان الله تعالى هو يحيى الارض بعد موتها ترغبون
فيها احياء وتصيبون منه تجهدون فى نيل ذلك واصابته فاجتهدوا فى اصابة البركات الدائمة فى الحيوة الباقية او
يقول لما علمتم انه قادر على احياء الارض بعد موتها فاعلم انه قادر على البعث والله اعلم وقوله عز وجل قد بينا لكم
الايات لعلكم تعقلون قد ذكرنا فيما تقدم ان حرف لعل من الله تعالى يخرج على الايجاب لكن يحتج ههنا على الترجيه
اطلاع العقل للايات والفهم لها اذا انظروا فيها وتاملوا اهلها ايات من الله تعالى او ان يرجع ذلك الى خاص من الناس
لو خرج حرف لعل للايجاب دون الترجى وهم الذين علم الله تعالى انهم يعقلون انها ايات ويومنون بها والله اعلم وقوله
عز وجل ان المصدقين والمصدقات قرئ مشددا الصاد والدال ومخففا الصاد فمن شدد جعله من التصدق اى المتصدقين
والمتصدقات فادغم التاء فى الصاد فيصير المصدقين مثل المزمل والمدثر يؤيد ذلك ما ذكر فى حرف ابى بن كعب رضى الله
عنه انه قرا بالتاء ان المتصدقين والمتصدقات ومن خففه جعلها من التصديق والايمان وقوله واقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون سمى المؤمنين صديقين والصديق لا يقال الا لمن يكثر منه التصديق وقد يكثر من كل مؤمن التصديق و
ان كان ما ياتى به انما هو شىء واحد نحو انه اذا صدق الله صدق رسوله فيما اخبر عن الله تعالى وفيما دعوهم الى ما دعوا وبلغوا
عن الله الى الناس وصدق الخلايق جميعا فيما شهدوا على وحدانية الله تعالى والوهيته من حيث شهادة الخلقة وشهادة
الاخبار فى حق المؤمنين فتصديقه يكثر وان كان الكلام فى نفسه يقل وهو كما قلنا لابى حنيفة رح فى جواز الخطبة
بتسبيحه او تهليله انما كلمة وجيزة لو فسرت وبسطت صارت خطبة طويلة والله اعلم فان قيل ان ابا بكر رضى الله عنه
فضل باسم الصديق على غيره من الامة فاذا استحق غيره من المؤمنين هذا الاسم لم يختص هو بتلك الفضيلة قيل ان
ابا بكر رضى الله سمى صديقا وخص به من بين ساير الصحابة والمؤمنين لمعنى اختص به من غيرهم وغيره من المؤمنين سموا
صديقين من بين ساير اهل الارض جميعا الا فى مقابلة كما اختص بهذا الاسم من بين سايرهم الا فى مقابلة النبى وساير

الانبياء عليهم السلام هذا هو معنى تفضيله والفضل عند المقابلة يكون ويحتمل ان يكون ذلك الاختصاص له للاعتقاد و المعاملة
جميعا وساير المؤمنين سموا صديقين للاعتقاد خاصة ومن فى الارض جميعا كان افضل ممن ولى امرا واحدا وقوله
والشهداء عند ربهم من الناس من جعل قوله والشهداء عند ربهم على الابتداء مقطوعا من قوله اولئك الصديقين ومنهم من
وصله به فمن قطع عنه فانه يقول الشهداء هم الرسل لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيد
ثم اخبر لهم اجرهم ونورهم ومن قال انه موصول ذهب الى ان المؤمنين شهيدا على الناس كقوله لتكونوا على الناس شهيدا
الاية سماهم شهيدا على غيرهم من الامم والله اعلم ولاهل الاعتزال ان فى تعلق بظاهر هذه الاية وذلك انهم يقولون
ان الله تعالى اذا ذكر المؤمنين على الاطلاق ذكر على اثر ذلك ما وعد لهم من الكرامات والثواب الجزيل واذا ذكرهم مع جرمهم
ذكر الوعيد لهم ليستدلون بذكر الوعيد على انه ذلك على انه قد خرج من الايمان لكن ليس لهم بذلك دليل لانه ذكر
مقابل ما ذكر للمؤمنين من الكرامات للكفار الجحيم والله اعلم وقوله اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد ففى ظاهر ما ذكر من هذه الاية ونحوها من الايات لاهل الالحاد طعن عظيم فانهم يقولون
ان كانت الحيوة الدنيا لعبا ولهوا ولا منشئ سواه فلهم موضع الطعن على هذا الوجه ولهم دعوى التناقض ايضا
فيه لما ذكر فى بعض الايات فقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وقال ما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا وقال فى هذه الاية وغيرها انما الحيوة الدنيا لعب ولهو فنقول ان الاية يخرج على وجوه احدها على التقديم و
التاخير مع الاضمار كانه قال اعلموا ان مثل الحيوة الدنيا وزينتها وتفاخرها وتكاثرها ولعبها ولهوها اى يتزينون بها
ويتفاخرون بالاولاد والاموال ويتلهون بها ويلعبون كمثل الغيث يعجب الكفار نباته ثم يصير ما ذكر حتى لا ينتفع به على
ذلك حيوة الدنيا والله اعلم والثانى انما الحيوة الدنيا على ما هى عندكم وعلى ما اتخذتموها وعلى ما ظننتم انه لا بعث ولا حيوة
بعد كان انشاؤها عبثا ولهوا اذ كان على ما ظننتم لم يكن انشاؤها الا للافناء والاهلاك خاصة وبناء البناء للحكم للافناء خاصة عبث
وسفه ليس بحكمة وهو ما ذكر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وكانوا يظنون ان لا بعث
ولا حيوة بعد فعلى ما كان ظنهم كان انشاؤها لعبا ولهوا فاما الحيوة الدنيا على ما هى عند اهل التوحيد حكمة وحق وصواب
لما كان عند اهل الالحاد هو سفه وباطل وقد رد الله تعالى عليهم بقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وجايز
ان يكون معنى قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اى لو قوبلت بحيوة الاخرة لكان لعبا ولهوا لان الدنيا بنيت على الفناء و
الانقطاع والزوال عن قريب والاخرة على الدوام والبقاء وهو ما هو ذكر قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى لانها باقية
والدنيا فانية او يقول انما الحيوة الدنيا للدنيا خاصة لعب ولهو اى من جعل الحيوة الدنيا للدنيا خاصة يكون لعبا ولهوا ومن
جعل الحيوة الدنيا دار للاخرة وبلغة اليها وهى ليست بلعب وهو ما قال تعالى مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح
فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم اخبر ان الانفاق للدنيا كمثل ريح فيها صر فى البقعة التى يكون فى الدنيا لحيوة الاخرة
مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل الاية والله اعلم وقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته
والاشكال انه كيف خص الكفار بتعجبهم ظاهر ذلك النبات وقد تعجب النبات لاهل الايمان فنقول لان الكفار تعجبهم ظاهر
ذلك النبات وما يرون من النزهة لا يرون الى ما ضمن فى ذلك النبات وجعل فيه من المنفعة فى العاقبة لكن ينظرون
الى ظاهره واما المؤمنون انما تعجبهم ما فى ذلك النبات من المنفعة فى العاقبة والى ذلك يكون نظرهم لا الى ظاهره و
كما شبه انفاق الكفرة بالريح التى فيها صر يصيب حرث قوم لما لا يقصدون بانفاقهم سوى نفس الانفاق وشبه نفقة
اهل الايمان بالحبة التى تنبت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة لما كان مقصدهم فى الانفاق عاقبة لا عين الا
ويحتمل ان يكون المراد من الكفار الزراع وبه فسر بعض اهل الادب وهو كقوله يعجب الزراع فعلى هذا التاويل يرجع
الى الكل والله اعلم وقوله عز وجل وفى الاخرة عذاب شديد اى لهؤلاء الذين اتخذوا الدنيا لعبا ولهوا وصيروها تفاخرا
وتكاثرا دون ان يتخذوها زادا وبلغة الى الاخرة وقوله عز وجل ومغفرة من الله ورضوان فهو للمؤمنين الذين اتخذوا
الحيوة الدنيا للاخرة وعقلوا الايات التى بينها لهم للنظر فيها والتفكر والتامل فتاملوا ووضعوها مواضعها والله اعلم وقوله
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وهو يخرج على الوجوه التى ذكرنا فى قوله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو قال الامام
الهدى رضى الله عنه فى قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ان الحيوة الدنيا وجهها لنفسه وعلى ما انشئت وجعلت له
حكمة وحق وسرور ليس بغرور واما اختيارها وجهها لغيره واستعمالها لغير الذى انشئت وجعلت غرور ولعب ولهو لان
من احب شيئا استكثر منه وحبسه لنفسه وحفظه عن تلفه وضياعه واستبقاه لوقت حاجته ويوم فقره فعلى هذا
من جمع الدنيا لنفسه واحبها واستعملها فيما اذن له وامر وجوه بجعلها دار للاخرة وبلغة اليها فاذا علم ذلك
استكثر منها عند الله ليوم فاقته فى احبها واختارها لهذا فهو ليس بغرور ولا لعب بل سرور وبهجة ومن طلبها
لغيره واستعملها فى غير ما انشئت كان غرورا ولعبا على ما ذكر تخرج قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور على ما يختاروهم
وعرفها وذلك ان الله تعالى انشا لنا هذه النعم حيث قال خلق لكم ما فى الارض جميعا وقال وسخر لكم ما فى السموات و

فى الارض جميعا منه يجب ان ينظر الى ذلك بالتعظيم لها والاجلال لا بعين الاستخفاف والهوان الا ترى ان ملكا من ملوك الارض
ولو اكرم واحدا بكرامة واهدى بهدية ثم علم منه الاستخفاف بهديته لسقط منه هديته ويستحقره فعلى ذلك يجب ان يتلقى
نعمة الله تعالى بالتعظيم والتبجيل والقول الحسن لا على الاستخفاف بها والاهانة ثم الناس بعد هذا رجلان رجل رغب فى نعمة
الدنيا وجمعها وجعلها عند الله ذخرا وزادا ليوم فقره وفاقته ورجل زهد فيها خوفا للتقصير فى عبادة الله تعالى فى حقوقه
ان يشتغل بها ويمنعه ذلك عن اداء ما عليه والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امره وله اسوة حسنة بنبيه صلى
الله عليه وسلم واما من ترك الدنيا وما انشاها الله تعالى فيها من النعم استخفافا بها وهوانا فهو الجاهل المستخف بنعم الله تعالى
الغافل عما انشئت له الدنيا وما فيها فهذا والذى طلب الدنيا للدنيا مذمومان والذى طلبها لنفسه زادا للاخرة والذى زهد فيها
محمودان والله اعلم وعلى ذلك يخرج ان حب الدنيا راس كل خطيئة ان من احبها لغيره ولغير الذى جعلت له يكون راس كل خطيئة ومن
احبها لنفسه ويتخذها زادا للاخرة فهى راس كل حسنة وطاعة والله اعلم وقوله عز وجل وسابقوا الى مغفرة من ربكم لقوله
اجعلوا المسابقة فيما بينكم فى مغفرة ربكم والى الجنة لا الى جمع الاموال والاولاد وكان اهل الكفر جعلوا المسابقة فى الدنيا
فى جمع الاموال والتفاخر والتكاثر بها فيقول لاهل الايمان اجعلوا انتم المسابقة فى طلب مغفرة الله وجنته والله اعلم ويحتمل
سابقوا اجالكم باعمالكم التى يوجب لكم المغفرة والله اعلم وقوله عز وجل وجنة عرضها كعرض السماء والارض الاية ذكر
سعة الجنة لان العرض انما يذكر لسعة يكون الشئ وقد ذكر سعة فيها حيث قال وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة
وقال ايضا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ونحو ذلك ذكر ما فيها من السعة وسعتها والله اعلم ثم ذكر عرضها
كعرض السماء والارض ليس يخرج على التحديد والتقدير ان عرضها مثل عرض السموات والارض لكن لما لا شئ اوسع فى
اوهام الخلق مما ذكر وهو كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض ذكر دوامها لا شئ ابقى وادوم منها فى
الاوهام والا كانتا تفنيان ويحتمل ان يكون عرضها كعرض السموات والارض اى يصير السماء والارض جميعا جنة لهم ثم وصف
الجنة بالسعة ووصف لنا بالضيق حيث قال اذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وذلك انه ليس
فى النار على قدر المجعول عذابا لم يصل الى المعذب بها فاية فضيقت وتفضل الجنة على قدر الحاجة لانه سرور ونعمة
فوسعت لذلك والله اعلم ثم اخبر انها اعدت للذين امنوا بالله ورسوله والايمان بالله تعالى هو ان يصدق كل شئ يشهد
على وحدانيته والوهيته والايمان برسله هو ان يصدقهم فيما اخبروا عن الله تعالى وكل صاحب كبيرة مصدق بالذى ذكرنا
فهو مؤمن وذلك على المعتزلة وقوله عز وجل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء دلت الاية ان ما يؤتى من الثواب لعبيده
فضل منه وان سماه خيرا واجرا لما سبق منه اليهم من الاحسان والنعم ما يصير تلك الافعال وان كثرت شكرا لادنى نعمة
وان طال عمره فانى يستوجب الجزاء والثواب على تلك الاعمال ثوابا وجزاء والله الموفق وقوله عز وجل ما اصابكم من مصيبة
فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبراها اى ذكرها فى كتاب كان ذلك الكتاب قبل ان نبرا تلك المصايب
اى نخلقها اذ لا يحتمل كون انفس تلك المصايب فى الكتاب قبل خلقها فدل انه على كون ذكر المصايب فيه وهو كقوله
والشجرة الملعونة فى القران ولكن ذكرها فيه وعلى ذلك ما روى فى الخبر انه نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو اى
نهى ان يسافر بالذى كتب فيه القران والا لم يكن عين القران فى ذلك المصحف فعلى ذلك ما ذكر من المصايب وذلك
يخرج على المجاز دون الحقيقة والله اعلم ثم اختلف فى قوله من قبل ان نبراها منهم من قال من قبل ان نخلق تلك المصايب
ومنهم من قال من قبل ان نبرا تلك الانفس والارض والاول اظهر وقوله عز وجل ان ذلك على الله يسير يخرج على وجهين
اى كثرة ما يصيب الخلق فى انفسهم واموالهم يسير على الله غير شديد عليه ليس كملوك الارض لان ما يصيب حشمهم
وخدمهم من المصايب يشتد عليهم لما ان قواهم بحشمهم وخدمهم ولهم منافع فيخبر الله تعالى بهذا انه ليس له فى بقاء
الخلق منفعة ولا فى ذهابهم وفنائهم ضرر فلذلك يكون عليه يسير والثانى ان كتابة ما لم يكن بعد ولم يخلق وعلمه قبل
كونه على الله يسير حين يخبر انه عالم فى الازل بكون الاشياء فى اوقاتها لا يصعب عليه ولا يشتد العلم بها قبل كونها وقبل
ظهورها كما يشتد على الخلق ويصعب عليهم والله اعلم وفى الاية دلالة خلق افعال العباد لان اسم المصايب يقع على ما
للخلق فيه صنع كما يقع على ما لا صنع لهم فيها ثم اضاف الله تعالى خلقها الى نفسه مطلقا بقوله من قبل ان نبراها دل ان
افعال العباد مخلوقة لله تعالى الا ترى ان الله تعالى سمى ما يصيب بايدى الخلق مصيبة فقال هل تربصون بنا الا احدى
الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله تعالى بعذاب من عنده او بايدينا وقال فى اية اخرى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
وقال فى اية اخرى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقالت المعتزلة يقال اصابنا كذا فيما لا صنع للخلق فى ذلك فاما فيما
صنع للخلق يقال اصبنا لكن هذا فاسد فانه جايز ان يقال فى كل ما اصابك اصبته وما اصبته اصابك لانه اذا اصابك
لانه اذا اصابك شئ فقد اصبته وذلك جايز فى اللغة والله اعلم وقوله عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم جعل الله تعالى فى طباع الخلق الحزن والاسى على ما فاتهم من النعمة وينزل بهم البلاء والشدة والسعة والفرح و
السرور وما ينالون من النعمة هذا هو المنشئ والمجعول فى طباعهم ثم يخرج تاويل الاية بالنهى على الاسى والحزن بفوت النعمة

وعن الفرح والسرور وعند اصابتها على وجع احدها يقول والله اعلم لكي لا تسكنوا من الانس والحزن على ما فاتكم فيحملكم
ذلك على الشكوى من الله تعا ولا تفرحوا بما آتاكم اى لا تسكنوا الفرح والسرور حتى يحملكم ذلك على الطغيان والعدوان
ومثله ذكر فى الخبر اعوذ بالله من الفقر المنسى والغناء المطغى والله اعلم والثانى يقول لكيلا يشغلكم الاسى والحزن
على ما فاتكم من النعمة حتى يفوتكم اضعاف ذلك وهو ما وعد لهم من الثواب اذا صبروا كقوله تعا ولنبلونكم بشىء من الخوف
والجوع وبشر الصابرين ثم قال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون يقول لا يشغلكم
الجزع وترك الصبر على ما وعد لكم من الصلوات والرحمة والاهتداء ولذلك قيل الجزع فى المصيبة اعظم المصيبتين
ويقول ايضا ولا يشغلكم شدة الفرح والسرور بما آتاكم عن الشكر حتى يفوتكم الزيادة على ذلك لان الله تعالى
وعد الزيادة على النعمة اذا شكر بقوله ان شكرتم لازيدنكم والله اعلم والثالث يقول لا تاسوا على ما فاتكم ولكن انظروا
الى ما كان منكم من الجريمة حتى فاتكم ذلك حيث قال ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يقول لا تاسوا على ما فاتكم
ولكن انظروا الى تفريطكم فى جنب الله وارجعوا عن ذلك ولذلك يقول لا تفرحوا بما آتاكم ولكن انظروا الى احسان
الله الذى كان اليكم والله اعلم ويحتمل ان يقول لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولكن انظروا اليهما امتحنكم
وابتلاكم اذ هو امتحن بعضا بالشدائد والبلايا وامرهم بالصبر على ذلك وبعضا بالسعة والرخاء وامرهم بالشكر على
ذلك فاصبروا ولا تجزعوا ان فاتكم النعم واصابتكم المصائب واشكروا له ولا تفرحوا عند النعم فرحا يكون بطرا واشرا
ويقول لا تاسوا على ما فاتكم فان الذى اخذ منكم لم يكن فى الحقيقة لكم انما هو لغيركم ومن كان عنده مال لاخر فياخذه لا يجب
ان يحزن على ذلك ولا تفرحوا بما آتاكم فان الذى آتاكم يجوز ان يكون لغيركم لا لكم والله اعلم وقوله ولا تفرحوا بما آتاكم قراء
ممدودا ومقصورا فمن مده رد الفعل الى الله تعا ومن قصر جعل الفعل لذلك الشىء لموافقة قوله على ما فاتكم ولم يقل
افاتكم وقوله عز وجل والله لا يحب كل مختال فخور ولكن يحب ضد ذلك وضد المختال المنكر فيحب المتواضع الخاضع و
والفخور هو الذى يفتخر بما انعم الله تعا عليه وعلى الناس فيجب ان يشكر والذى يشكر على نعمه بالتوسيع على عباده وجائز
ان يكون هذا كله وصف الكفار كانه يقول لا يحب كل كفار كقوله يحب كل صبار شكور اى يحب المؤمن لان المؤمن
يكون صبارا على المصائب شكورا للنعايم والله اعلم وقوله عز وجل الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل جائز ان
هذا صلة قوله لا يحب كل مختال فخور تفسيرا له وجائز ان يكون على الابتداء وهو كقوله كذلك حقت كلمة ربك على الذين
على الذين كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله كان قوله تعا الذين يحملون العرش مفصولا
من الاول وكذلك هذا ثم قوله يبخلون ويامرون الناس بالبخل يحتمل ما ذكر من بخلهم فى اية اخرى فقال واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه بخلوا بالانفاق على المؤمنين او بخلوا
بالانفاق على اتباعهم ليبقى الحكم والرياسة عليهم وجائز ان يكون ما ذكره بعض اهل التاويل ان ذلك نزل فى
من اهل الكتاب ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان فى كتبهم وامروا اتباعهم واشباههم بكتمان ذلك و
والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد اى ومن يعرض عن ذلك فان الله غنى الحميد [illegible]
[illegible] دعاكم اليه اذ لم يدعكم الى ما دعاكم لحاجة نفسه اذ هو الغنى بذاته الحميد بفعله له اى بما عمله منكم [illegible]
لرسالته لا يرجع نفعه الى [illegible] ان يكون محمودا ولا يصير بفعله الى اعدام ما صنع غير حميد والله اعلم ثم فى قوله
لكيلا تاسوا على ما فاتكم وجوه ايضا ان المصائب وما يجرى على ايدى الناس ويصيبهم منهم فقال كيلا تاسوا
على ما فاتكم ما جرى ذلك على ايدى الناس لان [illegible] ذلك على العداوة والبغضاء ولكن
ذلك مكتوبا عليكم من الله تعا وكذلك ما ذكر فيما يؤتيهم من النعم على ايدى الخلق فلا يزول ذلك عنهم فيشغلهم
عن القيام بشكر ربهم [illegible] من فضل الله تعا منه فيشكرونه والثانى يحتمل ان يكون النهى
الحزن امرا بالفرح اى لا تاسوا على ما فاتكم ولكن افرحوا بما اعطى الذى فاتكم لو لم يفتكم لكان يشغلكم عن [illegible]
تعا واداء ما عليكم من الفرايض والله اعلم وفى قوله تعا ولا تفرحوا امرا بالحزن وقد ذكرنا ان الشىء [illegible] اثبات
ضده كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم اى خسرت تجارتهم وينبغى ان يتعلق [illegible] على وجهين احدهما تحسين الفعل
لها والتعظيم والشكر للنعم اذا اعطاه بذلك [illegible] ايدى الناس ورفع الحاجة وذلك عن اعظم [illegible] والثانى
يخاف لما [illegible] عند ذلك [illegible] ما يكون فتنة [illegible] يشغله عن العبادات وكان ذلك
ان كان ذلك سبب [illegible] من العبادات
[illegible] ويحزن من وجهين ايضا احدهما لما يعلم [illegible] الى ايدى الناس وكان غنيا عنهم او لما يعلم ان ذلك
عقوبة لتفريط كان منه كقوله ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم والله اعلم ثم اذا اضاف ما لو اصاب
النعم الى نفسه حيث قال ولا تفرحوا بما آتاكم ولم يضف ما فاتكم الى نفسه وهو كما قال فى اية اخرى ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وهو ما ذكرنا انه جائز ان يكون ما يعطيهم من النعم باكتساب

وبسبب كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات يحتمل وجهين احدهما اى ارسلنا بما يبين
ويوضح انهم رسل الله وان تلك الايات التى اتوا بها من عند الله لا باختراع من عنده لما هى خارجة عن وسع البشر
والثانى ما يبين صدق الرسل فى خبرهم وعدلهم فى حكمهم او يبين ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل وانزلنا معهم
الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقال فى اية اخرى الله الذى نزل الكتاب بالحق والميزان ثم يحتمل والميزان
الموازين المعروفة التى بها يستوفى الحقوق فيما بين الناس وبها يوفى وبها يحفظ حقوق الاموال التى بينهم و
حدودها فان كان المراد هذا فكانه قال وانزلنا معهم الكتاب الذى به يحفظ الدين وحدوده والميزان الذى به يحفظ
حدود الاموال لا يزاد على الحق ولا ينقص منه والله اعلم وجائز ان يكون المراد بالميزان الحكمة اذ ذكره على اثر الكتاب
كقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة كانه يقول والله اعلم وانزلنا معهم الكتاب والحكمة كانه يقول والله اعلم وانزلنا
معهم الكتاب والحكمة فيكون الحكمة بها يحفظ حدود الافعال والاقوال ويكون الحكمة ما يقوم الناس بها بالقسط
وان يكون الحكمة ما اودع فى الكتاب من المعانى وقال الحسن فى قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة انهما واحد ثم وقوله
عز وجل ليقوم الناس بالقسط يخرج على وجهين احدهما انزل ما ذكر من الكتاب والميزان ليلزم الناس القيام بالعدل
وقد الزمهم ذلك بما انزل عليهم من الكتاب والميزان وبين الحدود والثانى انزل ما ذكر ليقوم الناس بالقسط على
وجود القيام بالعدل فان كان المراد منه الوجود فهو راجع الى خاص من الناس وان كان على الالزام فهو راجع الى الكل
وهو كقوله تعا وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان كان على وجود العبادة فهو يرجع الى خاص من الناس وان كان
المراد بقوله الا ليعبدون اى لامرهم او الزمهم فهو الكل فانه قد خلقهم ليامرهم ويلزمهم وقد امرهم والزمهم والله اعلم
وقوله عز وجل وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس خص الله تعا ذكر الحديد بما جعل فيه من الناس من بين غيره من الاشياء
وان كان لسائر ذكر غيره فى احتمال الاذى والضرر به ما يطعن به فينفذ ويضرب به ويستعمل فى الحروب والقتال لاحدهما انه صير
الناس فى القطع والنفاذ وجرح وان كان قد يتحقق من غيره ولذلك اعتاده الناس آلة القتال والحرب فيكون الناس فيه اشد
والثانى لما يتحصن به باتخاذ الدروع كقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم لهذا خص الحديد به والله اعلم وقوله
ومنافع للناس جعل الله تعالى الحديد منافع ليست تلك فى غيره وهو ما يتخذ منه ما يجز به ويخاط من الخفاف وغيرها ما لا يحتمل
هذا النوع لغيره وكذلك حوائج الخلق لا يقوم فى سائر انواع الحرف والاعمال من التجارة والزراعة والبناء وغيرها وفيه حصول
فى حق المحنة وهو ما يظهر عند فرض القتال صدق ايمان المحقق ونفاق فى المرتاب بقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق
منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وكذلك فظهر الصادق من الكاذب بالحروف وانما ذلك بالحديد فصار لحصول
فى حق المحنة وغيرها من المنافع حتى لا يلتئم امر من امور المعاش الا به فلذلك خص والله اعلم وقال اهل التاويل انزل من السماء
المطرقة والعلاة والكلبتين وعندنا ليس على حقيقة الانزال من السماء كذلك ومعناه قوله تعا وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج اى خلقها وقوله تعا وانزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم ومعلوم انه لم ينزل اللباس على ما هو ولكن معناه خلقه لباسا
كذلك هذا وقوله عز وجل وليعلم الله من ينصره ورسله يحتمل من ينصره اى دينه او اراد باضافة النظر الى نفسه نصر رسول
محمد وسائر رسله عليهم الصلوة والسلام ثم نصر الرسل يكون بتبليغ ما امروا الى قومهم ينصرونهم ويعينونهم على ذلك
ونصر دينه اظهاره فى الخلق والذب عن اهله والمعونة لهم هذا يحتمل وعلى هذا يخرج قوله تعا ان تنصروا الله ينصركم والله اعلم
وجائز ان يكون المراد من اضافة النصر اليه نصر انفسهم ودينهم اذ هم المنتفعون بذلك ولهم يحصل ذلك النفع وتلك المعونة
لكنه بفضله وكرمه سمى ذلك نصرا واضافه الى نفسه على ما جعل لاعمالهم التى يعملونها لانفسهم ثوابا وذكر لهم على ذلك اجرا كانهم
عاملون له وهم المنتفعون بها المحتاجون اليها فعلى ذلك جائز ان يكون ما عملوا لانفسهم سماه نصرا له وان كان ذلك النصر لهم
وانه ناصرهم وناصر الكل حيث قال ان ينصركم الله فلا غالب لكم اخبر انه اذا نصرهم لا غالب لهم سواه واذا اخذلهم لا ناصر لهم
دونه والله اعلم ثم وقوله عز وجل وليعلم الله من ينصره ورسله يخرج على وجهين احدهما ليعلم من قد علم انه ينصرنا نصرا وليعلم
من قد علم بالغيب انه يكون كائنا شاهدا والتغير على المعلوم لا على العلم والثانى يريد بالعلم المعلوم وهذا جائز فى اللغة ذكر
العلم والفعل على ارادة المعلوم والمفعول نحو ما يقال الصلوة امر الله اى بامر الله لان الصلوة لا يكون امره وقوله عز وجل ان
الله قوى عزيز ذكر هذا ليعلم انه لم يامر فيما امرهم من القتال والنصر لحاجة نفسه ولا استعملهم فيما استعمل من النصر و
لنفسه ولا ان يكتسب بذلك العز لنفسه حيث اخبر انه قوى بنفسه عزيز بذاته ولكن انما امرهم بما امروا استعملهم فيما استعمل
لنصر انفسهم ولمنوتهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب وانما
ذكر نوحا وابراهيم والله اعلم لما اخبر انه جعل فى ذريتهما النبوة والكتاب والا قد ذكر الرسل جملتهم فى قوله تعا لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات فدخل نوح وابراهيم عليهما الصلوة والسلام فى قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ثم ذكر ان منهم من
مهتدى اى من قومهم وكثير منهم فاسقون يقول فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون يخبر رسوله صلى الله عليه وسلم انه قد كان فى
قومهم من اتبعهم فصاروا مهتدين ومنهم من ترك اتباعهم وخرجوا من امر الله فصاروا فاسقين ليصبره ويسكن قلبه وعلمه [illegible]

فى قوم من تقدم من الرسل من المجيبين لرسله والتاركين للاجابة كقوم لوط اى لست انت باول من كذب وورد قوله تعلنا و
عنادا والله الهادى وقوله عز وجل ثم قفينا على اثارهم برسلنا اخبر انه جعل فى ذريتهما النبوة والكتاب منهم رسلا وذكر
فى الاية الاولى انه جعل فى ذريتهما النبوة والكتاب ولم يذكر الرسالة وذكر فى هذه الاية الرسالة فيهم وفى ذريتهم اى
ارسلنا رسولا على اثر رسول واتبعنا بعضهم بعضا من قفا يقفو ثم ذكر انه قفى بعيسى بن مريم لان عيسى عليه السلام
من اولاد اسحق عليهما السلام فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم ومن بعد وهو من ولد اسمعيل عليه السلام وقال بعض اهل
التاويل وقفينا اى اتبعنا وبقال قفيت فلانا اى عقبته وجئته وقفوته اقفوه قفوا وقفيا واقتفيت به اى لزمته وقوله
عز وجل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة وصف الله تعالى الذين اتبعوا الرسل وامنوا بهم بالرحمة والرحمة
والرافة فيما بينهم وهو كما ذكر فى اية اخرى اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقال فى اية اخرى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
ونحو ذلك وذلك لان السبب الذى جمعهم واحد وهو التوحيد والاسلام فان قيل كيف وقع بينهم من العداوة والبغضاء
وما وقع سبب الجمع قايم حتى استحل بعضهم قتال بعض من نحو الخوارج والمعتزلة قيل انما وقع ذلك فيما بينهم وان كان سبب الجمع
قايما لما كانت تلك الالفة والرافة بلطف من الله تعالى وقد زال ذلك اللطف وارتفع وحدث بينهم ما حدث او نقول ان
الخوارج قد احدثوا من انفسهم اشياء حتى سموا المسلمين كفرة بما ارتكبوا من الكباير حتى نصبوا القتال والحرب معهم وكذلك
المعتزلة سموا اصحاب الكباير فسقة وفجرة وانزلهم بين الكفر والايمان ومن سمى اخر كافرا او فاسقا فلا شك انه يحدث بينهم
عداوة وتباغض فما حدث بيننا وبينهم من العداوة بتسميتهم ايانا فسقة وفجرة وكفرة بارتكاب الكباير وان كان السبب
الذى جمعهم قايما عندنا والله الموفق وقوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الاية ذكر فى القصة ان فى الفترة
التى كانت بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام كان على بنى اسرائل ملوك غيروا التوراة والانجيل وبقى منهم اناس
مؤمنين بعيسى عليه الصلوة والسلام ويعملون بما فى الكتب فهم اولئك الملوك ان يقتلوهم لاباءهم اتباعهم والعود
الى مذهبهم فخرجوا من بينهم فترهبوا رجاء ان يتخلصوا منهم فذلك قوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم اى ما
فرضنا عليهم تلك الرهبانية ولم نامرهم بها ولكن فرض عليهم وكتب فى الجملة ابتغاء رضوان الله تعالى فابتدعوا تلك رجاء
ان يكون فيها رضوان الله تعالى والله اعلم قال فما رعوها حق رعايتها اخبر انهم ابتدعوا شيئا لم يكتب عليهم ثم ذكر
انهم لم يرعوا حق رعايته ذمهم كتركهم الرعاية لما ابتدعوه ففيه دلالة ان من افتتح قربة لم يفرض عليه من صلوة
او صوم او نحو ذلك ثم لم يتم يوفا ثم ترك اتمامه لحقه ذم كالحق هؤلاء وقوله عز وجل فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير
منهم فاسقون اخبر ان الذين امنوا وثبتوا على الايمان ان يؤتيهم اجرهم اى يوجب لهم اجرهم وكثير منهم فاسقون اى
كافرون كذلك ذكر فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وكثير منهم كافرون وذكر ان نقضا منهم بعد ما ترهبوا اشتد عليهم
الرهب فعادوا ورجعوا ودخلوا فى دين اولئك الملوك والله اعلم قال القتبى ورهبانية اى العبادة يعنى الخوف وابتدعوها
الابتداع ان يفعل شيئا لم يفعل قبلك يقال منه ابدعت وابتدعت وبدعت ايضا وقيل الرهبانية اسم مبنى من الرهبة
لما فرط فيه وهو ما نهى الله عنه بقوله لا تغلوا فى دينكم ويقال دين الله بين المقصر والغالى وقوله وما كتبناها عليهم
اى ما امرناهم بها والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يقول بعض اهل التاويل
يا ايها الذين امنوا بعيسى بن مريم امنوا بمحمد عليه الصلوة والسلام ولكن هذا ضعيف ان الايمان برسول من الرسل
ايمان بجميع الرسل عليهم السلام وتاويل الاية يا ايها الذين امنوا بالرسل جملة على غير الاشارة والتفسير امنوا برسول الله
محمد صلى الله عليه وسلم على الاشارة به لان الايمان بالرسل على غير الاشارة امر سهل وانما يصعب الايمان به ويشتد
بالاشارة الى واحد لانه لما امن بالمشار اليه لزمه اتباع امره ونهيه ويلزمه موالاة من والاه واتبعه ويلزمه
معاداة من عاداه وخالفه فى امره ونهيه وترك اتباعه وان كان له ابنا وابا وجدا وكان يجب ان يكون احب الناس
اليه واقرب واره فهذه معاملة الرسول الذى امن به على الاشارة اليه وانها يشتد ويصعب واما عند الاجمال و
الارسال فانه سهل انما فيه تصديق كل صادق وتكذيب كل كاذب وكل الناس قد اعتقدوا فى الاصل التصديق الصادق
وتكذيب الكاذب وليس فى الاجمال والارسال الاذلك واما عند التعيين يوجب الامتحان ويظهر نفاق المنافقين و تحقيق
المؤمنين المحققين وذلك قوله ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم ظهر
نفاقهم بما امروا بالجهاد والخروج ومعه على الاشارة اليه وكقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون وقد وعدوا فى الجملة انه لو اعطاهم كذا
من فضله لتودلك وامروا باخراجه ابوا اخراج ذلك عند الاشارة اليه فعلى ذلك جايز ان يكون قوله يا ايها الذين
امنوا بالرسل جملة امنوا بهذا الرسول المشار اليه لما يصعب الامر ولما يلزم فى ذلك معاداة من خالفه وترك اتباعه
وان كان اقرب الخلق اليه وكذلك عامل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقاربهم وارحامهم لما امنوا برسول

الله صلى الله عليه وسلم وصار عندهم رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اليهم من انفسهم واباءهم واولادهم وعادوا جميع
اقاربهم الذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا اتباعه وفى ذلك اية عظيمة ولذلك فضل ايمان من امن فى اول
خروجه عن ايمان من تاخر منهم عن ذلك الوقت ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل يؤتكم كفلين من رحمته قوله يؤتكم اى يوجب
لكم الكفلين من رحمته اى اجرين اجر الايمان بالرسل كلهم على الاجمال واجر الايمان بالرسول على الاشارة والتفسير ذكر
ههنا كفلين من رحمته وقال فى اية اخرى يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا والمحتمل قوله كفلين مرتين وقوله مرتين كفلين فيكون
احد التفسيرين للاخر ثم ذكر ههنا الاجر لهم من رحمته وذكر هنالك الاجر مطلقا ليعلم ان ما ذكر لا عمالهم من الاجر انما هو فضل
منه ورحمة لا استحقاقا على ما ذكرنا والله الموفق ثم يحتمل ما ذكر من الاجر مرتين يكون مرة فى الدنيا والاخرى فى الاخرة
كقوله تعالى للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير الاية وقوله لهم فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة والله
اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من الاجر مرتين يكون وعدا فى الاخرة ويكون قوله مرتين اى كفلين اى ضعفين كقوله يضاعف لهم
ولهم اجر كريم فى قوله كفلين قال اكثر اهل التاويل اى اجرين وقال بعضهم حظين ونصيبين وجايز ان يكون سماه كفلا لانه
كفيله الا ترى ان ما الكفل ذكر انما يسمى به لانه كان يكفل لفلان ففى ذلك جايز ان تسمية هذا كفلا لانه يكفل به والله اعلم
وقوله عز وجل ويجعل لكم نورا تمشون به هذا يخرج على وجهين احدهما النور كناية عما يبصر به ويتضح والمشى كناية عن الامور
والنور كناية عن البصر والله اعلم وهو كقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات
اى الاسواء وهو كناية عما ذكرنا ليس بتصريح والثانى على حقيقة ارادة المشى وحقيقة النور وذلك يكون فى الاخرة كقوله
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا الاية وقال اهل التاويل النور ههنا القران اى اعطاكم قرانا
يفضيكم الى سبيل الجنة والله اعلم وقوله ويغفر لكم الغفران من الستر انه يقول يستر عليكم مساويكم ومسكم لان ذكر المساوى
يبغضهم الخلق ويحملهم على الحيا من ربهم وقوله والله غفور رحيم اى يرحمهم ويخلدهم فى جنته لئلا يعلم اهل الكتاب اجمع اهل
التاويل واللغة ان حرف لا زيادة ههنا وصلة اى ليعلم اهل الكتاب وقد يزداد فى الكلام حرف لا ويسقط بحق الصلة
يعرف ذلك اهل الحكمة والفقه كقوله تعالى يبين الله ان تضلوا ليس يبين لنا لنضل ولكن يبين لنا لنعلم ونهتدى فعرف الحكماء
والفقهاء ان كلمة لا اسقطت ههنا فعلى ذلك عرفوا ان حرف لا ههنا فى قوله لئلا يعلم زيادة معناه ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون
على شئ من فضل الله ثم لا يحتمل ان يكون ذكر قوله لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شئ من فضل الله على غير تقدم قول
كان منهم حتى خرج هذا جوابا لهم عن ذلك ولكن يذكر شيئا يشبه ان يكون الذى ذكر هو جواب ذلك الذى كان منهم وهو انهم
كانوا اهل واهل علم بالكتاب يرون لانفسهم فضلا على غيرهم وخصوصية ليس لغيرهم عندهم فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم رسولا اليهم والى الناس كافة وانزل عليه كتابا وجوابين عندهم وذكر فى كتابه ما كان فى كتبهم وامرهم باتباعه
والانقياد له والطاعة واحوجهم جميعا اليه والى ما فى كتابه انكروا فضل الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك قال ليعلم
اهل الكتاب ان لا يقدرون على شئ من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ان يفضل من يشاء على من يشاء
ذلك اليهم ثم قوله تعالى ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شئ من فضل الله دلالة نقض قول المعتزلة فى ان الله تعالى
قد اعطى كل شئ ما يقدر على الوصول الى جميع تفضيله واحسانه وقد اخبر ليعلموا انهم لا يقدرون على شئ من فضل الله
والمعتزلة يقولون بل يقدرون فهذا خلاف ظاهر الاية والله اعلم وفى قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
ايضا دلالة نقض قول المعتزلة من جهة اخرى وهو انه ذكر المشية فيما هو حقه فضل وما هو حقه عدل حيث
قال وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولم يذكر المشية فيما هو حقه عدل وما هو ظلم وهو بل اطلق القول
فى ذلك فقال وما ربك بظلام للعبيد وقال وما الله يريد ظلما للعباد وقال لا يظلم مثقال ذرة وقال لا يظلم الناس
شيئا وغير ذلك من الايات نفى ان يلحق احد منه الظلم والجور ليعلم ان فعل الهدى منه يصل الى من هدى وارشد و
الاضلال منه عدل ولذلك قال يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء اى من نال الهدى والرشد انما ناله بفضله و
رحمته ومن ضل فذلك عدل عنه ولذلك قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان والهادى والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله قال الجماعة اهل التفسير انها نزلت فى اوس بن
الصامت اخى عبادة بن الصامت وامرته غير انهم اختلفوا فى اسم امرءة قال ابن عباس رضى الله عنه كان اسمها خولة
وعن عايشه رضى الله عنها انها كانت جميلة وقال بعضهم بانها كانت تسمى خويلة على تصغير خولة وروى فى بعض الروايات
بانه كان سبب هذا القول من اوس لزوجته لما دعاها ليلة الى فراشه وكانت امراته بحيث لا يحل له التمتع بها فابت
عليه واراده ان تخرج من البيت فقال لها ان خرجت من البيت فانت على كظهر امى فخرجت فلما اصبحت قال لها زوجها ما
اريك الا قد حرمت على قالت والله ما ذكرت لى طلاقا قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله فانى استحيى ان

اسا له عن هذا فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرته فنزلت فيها هذه الاية وروى فى بعض الاخبار ان اول من ظاهر
امرءته اوس قال وكان لم فقال فى بعض سجراته ذلك القول وهذا رويه محمد بن كعب القرظى لكنه لا يحتمل ان يكون اراد بالمم الجنون
لان المجنون لو طلق امرءته لا يقع الطلاق فضلا ان يكون ظهاره ظهارا وتاويل قوله كان به لمم اى فضل غضب وشدة فكان
لم يكن به علم ثم اختلف الروايات فى شانها وشان زوجها منهم من روى وهو محمد بن كعب انها اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالت ان اوسا ابا ولدى وابن عمى واحب الناس الى وقال كلمة والذى انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا
قال انت على كظهر امى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه قال يا رسول الله لا تقل ذلك
ما ذكر طلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه وتذكر وه المرءة ذلك ويرد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم قال اللهم انى اشكوا اليك شدة وجدى به وما يشق على من فراقه اللهم انزل على نبيك
فانزل الله تعالى قد سمع الله الى قوله تعالى فاطعام ستين مسكينا وفى بعض الاخبار رواها الكلبى انها اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان زوجى اوس بن الصامت تزوجنى يوم تزوجنى وانا شابة ذات اهل كثير ومال
كثير كل شبابى حتى اذا كبرت عنده سنى وذهب اهلى وتفرق مالى وضعفت جعلنى عليه كظهر امه ثم تركنى الى غير شئ و
قد ندم وندمت فهل من شئ يجمعنى واياه يا رسول الله فقال عليه السلام لها اطلقتك قالت لا قال ما امرت فى شانك
من شئ فان نزل على فى شانك شئ ابينه لك فرفعت يديها الى السماء تدعوه وتتضرع اليه ان ينزل اليه بيان امرها
ثم خرجت من عنده واتت زوجها فنزلت جبريل عليه الصلوة والسلام بهذه الاية وروى فى بعض الاخبار انها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى اوس بن الصامت تزوجنى وانى شابة ذات مال واهل حتى اذا اكل
مالى وافنى شبابى وبركت سنى ورق عظمى وباد اهلى جعلنى عليه كظهر امه ولى منه صبيان ان انا وكلتهم اليه ضاعوا
وان ضممتهم الى نفسى جاعوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اعربى فلعلك الظالمة لزوجك فقالت يا امين الله فى ارضه
لظالم لى فقال اذهبى فان فيك الضعف والعجز قال فجعلت تجادله فلما رات انه لا يرفع بها راسا ولا يجد عنده مخرجا
رفعت طرفها الى السماء تشكوا الى الله شغل زوجها بها وقالت اللهم انى اتيت امينك فى ارضك فلم يرفع بى راسا
فتول اليوم حاجتى وارحم ضعفى وقلة حيلتى فلم تصل الى منزلها حتى هبط جبريل صلوات الله عليه بالوحى قد سمع الله
قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله فدعا اوسا زوجها فقال ما الذى حملك على ما صنعت بحوله وقد انزل الله
فيه ما انزل وبعث اليها ورحب بها فقال يا رسول الله عمل الشيطان فهل من امر يجمعنى الله واياها قال نعم ثم
تلا عليهم اية الكفارة الى اخرها ثم بين هذه الروايات اختلاف ذكر فى رواية القرظى انه قال عليه السلام ما اراك
الا وقد حرمت وفى رواية قال لها ما امرت فى شانك من شئ لكنه يمكن التوفيق بين الخبرين وهو ان قول ما اراك
الا وقد حرمت عليه على ما كان اهل الجاهلية يرونه محرما وقال ما اوريك الا وقد حرمت عليه من ذا الوجه
لكنه لم ينزل على شئ فى بيان هذا ابينه لك والثانى ان ليس فى قوله ما اراك ثبات حرمة بل هو قول على الظن
بما قد كان الناس يعرفون بينهم ذلك حرمة فيجوز ان يراد التقرير على ذلك او يرد لها ده الحادثة الحرمة بالوحى
فتوقف فى الجواب مع الاشارة لها بالامتناع من الزوج احتياطا لباب الحرمة والله اعلم ثم ان بعض نقفها ذكر
الاختلاف بين السلف فى حكم الظهار قبل نزول الاية عن عكرمة انه قال كانت النساء تحرم بالظهار حتى انزل الله
تعالى هذه الاية وكان طلاقا قبل نزول الاية فجعله الله تعالى بهذه الاية ظهارا وعن ابى قلابة وغيره كان طلاقا فهم فى
الجاهلية الايلاء والظهار وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال انما كان طلاق اهل الجاهلية الظهار ثم جعل
لهذه الامة حرمة ترتفع وتزول بالكفارات وجب وعن الحسن انه قال كان الظهار اشد الطلاق واحرم الحرام
اذا ظاهر من امرءته لم يرجع اليه ابدا والاشبه انه لا يكون طلاقا فى الاسلام لو كان يكون فى الجاهلية وانه يكون
موجبا حرمة لا ترتفع ابدا كما قال الحسن فانه ذكر فى حديث خولة ان زوجها لما قال لها ما اراك الا وقد حرمت على قالت والله
ما ذكرت لى طلاقا ولو كان الظهار طلاقا لعرفته وكذلك لما اخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لى انت على
كظهر امى فقال عليه السلام ما اراك الا وقد حرمت عليه قالت يا رسول الله لا تقل ذلك ما ذكر طلاقا ولم يرد عليها
اعتقادها فى ان الظهار طلاق وكذلك ما روى فى رواية اخرى فى حديث طويل جعلنى عليه كظهر امه ثم تركنى الى غير شئ
فهل من شئ يجمعنى واياه رسول الله فقال عليه السلام اطلقك قالت لا قال ما امرت فى شانك من شئ ولو كان الظهار
طلاقا بعد الاسلام قبل نزول هذه الاية لما قال لها اطلقك بعد ما قالت جعلنى عليه كظهر امه ولما قال ما امرت فى
شانك من شئ وحكم شريعته انه طلاق فى مرتبة الملك دل ان الاشبه هذا تقرر ما قلنا انه ذكر فى حديثه خولة واوس
انه اول ظهار فى الاسلام فكيف يكون طلاقا قبل اليس النبى صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه والحرمة
التى لا ترفع النكاح بالظهار انما ثبت بعد نزول الاية نزلت بعد هذا القول فى اوس بن الصامت فدل ان مراده تحريم
الطلاق فهذا يدل على ان هذا الحكم كان ثابتا فى شريعته قبل نزول اية الظهار بوحى غير متلو وان كان قبل ذلك

فى حكم الجاهلية فكذلك ذلك الزوج قال للمرءة ايضا ما اراك الا قد حرمت عليه دل على انه كان طلاقا قبل نزول
الاية هذا حجة عليكم فانه لو كان المراد بقوله عليه السلام اراك الا وقد حرمت عليه اثبات الحرمة فيها بالظهار
لكونه طلاقا فكيف يحكم عليها بالحرمة بالظهار بعد حكمه بالطلاق بذلك بعينه فى شخص بعينه وقد صح فى الحديث
ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا اوسا وامرءته بالكفارة وابقى النكاح بينهما لو كان ذلك طلاقا واثبت حكمه
انما نسخ بالاية حكمه الى حكم اخر فظهر ذلك فى المستقبل لا فى الماضى فدل ان هذا حجة عليه و
انما قال ما اراك الا وقد حرمت عليه للوجهين الذين ذكرناهما والله اعلم فان قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم
لم يحكم بالطلاق فى حقها مع ان الظهار كان طلاقا بطريق القطع بل قال ما اراك الا وقد حرمت عليه على
طريق الظن لانه جائز ان يكون الله تعالى اعلمه انه سينسخ حكم هذا القول وينقله من الطلاق الى التحريم المنعقد
ثم ينقطع القول فيه حتى نزلت الاية قيل لو كان ذلك حكما ثابتا مقررا فى شريعته لم يمتنع النبى عليه السلام
عن العمل به والحكم بذلك ما لم ينزل عليه الناسخ وان اعلم انه سينسخ لانه يجب عليه العمل بما انزل عليه لقوله
وان احكم بينهم بما انزل الله وقوله بلغ ما انزل اليك واذا ورد الناسخ يجاز فيه يكون عمله فى المستقبل لا فيما
مضى وانما يستقيم هذا على ما قلنا ان الظهار قبل نزل الاية لا حكم له فى الاسلام وكان تحريما فى الجاهلية فمتى وجد
هذا السبب ووقعت هذه الحادثة امرها بالاجتناب عن الزوج احتياطا حتى ينزل الاية فيظهر ان حكمه ما هو
من حين وجوده اذ يجوز ان يرد الله تعالى بهذا هذا الحكم وان كان لا علم للمباشرة ان كان بحيث يمكنه الوصول
الى العلم به عند الحاجة الى العمل به والحكم كالنص الذى ورد مجملا فى ايجاب حكم ثم ورد البيان متاخرا والنص العام
الذى يتاخر بيانه على خلاف ظاهره فمعنى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل لقد سمع الله قول التى تجادلك فى
زوجها اى يحتج قولها وتجادلها فى زوجها وجادلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سؤالها اياه عما ابتليت بقول
زوجها لها انت على كظهر امى المجادلة هى المخاصمة وهى المحاورة وكان مجادلتها فى زوجها ان قالت والله ما ذكرت طلاقا حين
قال لها بعد ما قال لها ان خرجت من الدار فانت على كظهر امى وخرجت ما اراك الا قد حرمت على وانما جادلتها مع النبى عليه السلام
ومحاورتها هى قولها لا تقل ذلك وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه فرددت محاورتهما ومن الناس
من يقول المحاورة هى المراجعة فى الكلام ومراجعته وتكرره وهو ما ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم يكرر قوله ما اراك
الا قد حرمت عليه وهى تردد وتكرر قولها لا تقل ذلك يا رسول الله فانه ما ذكر طلاقا ولكن هذا قريب من الاول وقال
بعض اهل اللغة تحاوركما اى كلامكما والتحاور الكلام بين اثنين وقوله عز وجل وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما قيل
فيه بوجهين احدهما اى تشتكى الى رسول الله عليه السلام لكن الله تعالى اضاف الى نفسه لان المراد ما كان ان ينزل الرحمن
الله تعالى على رسوله عليه السلام بالفرج عنها والثانى ان شكرها الى الله تعالى وتضرعها فدكانت حيث لم تجد الفرج والمخرج
فيما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه فاشتكت الى الله تعالى ودعت وتضرعت حتى
انزل الله تعالى على رسوله الاية فيها وجاءت الرخصة لها بالاجتماع بعد التكفير على ما ذكر فى الخبر والله اعلم وقوله
عز وجل والله يسمع تحاوركما اى سمع لها بما اجاب واغاث بالفرج والمخرج عما اشتكت اليه وسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما ابان ما ظهر له من الحكم فى الحادثة التى اشتبهت عليه واشكل وجه الحكم فى ذلك ثم اختلفت الاخبار
فى امرهما ايضا حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بالاية التى نزلت فى امرها ذكر فى حديث القرظى لما نزلت
نزلت الاية دعا زوجها اوسا فقال لها اعتق رقبة قال ما عندى رقبة اعتقها قال فصم شهرين متتابعين قال ما
استطيع يا رسول الله انى لا اصوم يوما واحدا فيشق عليك فكيف صوم شهرين متتابعين قال فاطعم ستين مسكينا
قال اما هذا فنعم قال فاطعم ستين مسكينا فامسكها وفى رواية اخرى ذكرها الكلبى لما نزلت رخصتهما ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها اوس بن الصامت فاتاه فقال ويحك ما حملك على ما صنعت وقلت قال الشيطان يا رسول
الله فهل من رخصة يجمعنى واياها قال نعم وقرا عليه هذه الايات الاربع وقال له هل تستطيع ان تعتق رقبة قال
لا والله يا رسول الله ان المال لقليل وان العيال لكثير وان الرقاب لغالية قال فهل تستطيع ان تصوم شهرين
متتابعين قال لا والله يا رسول الله لو لا انى اكل فى اليوم مرة او مرتين لكل بصرى وظننت انى خمسة عشر صاعا فتصدق
به على ستين مسكينا فجمع الله بينه وبين اهله وذكر فى خبر اخر ان رجلا كان ظاهر من امرءته وكان هو يصوم عنه فواقع
امرءته فى وقت الصوم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على فعله
ثم امره بان يكفر بما وصفنا من الكفارات فقال لكل واحدة منها لا استطيع قال فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ياتى موضع كذا الى ابى زريق ويأخذ منه وسقا من التمر فيعطى ستين مسكينا لكل مسكين صاعا والباقى بنفقة على
عياله ذكر فى الاطعام فى خبر لا استطيع وفى خبر انه قال اما هذا فنعم فى حديث اخر لا الا ان يعيننى بصدقة فيشبه ان
يكون هذا القول منه اما هذا فنعم بعد ما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاعانة او باعطاء الكل فيخرج الاخبار

على الوفاق والله اعلم وفي هذه الاخبار دليل على ان الكفارة اذا لزم فيها طعام من الحنطة نصف صاع وفيه دليل
ان نصف صاع من الحنطة طعام مسكين وانه يجوز من صدقة الفطرة والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الله سميع بصير
اي بصير اي سميع لمقالتكما بصير في امركما وفي الحكم فيكما **وقوله** عز وجل الذين يظاهرون منكم من نسائهم قرا يظهرون
مشددة الظاء بغير الف وهو في الاصل يتظهرون فادغمت التاء في الظاء وشددت وقرا يظاهرون بفتح الياء وتشديد
الظاء بالف وهو في الاصل يتظاهرون فادغمت التاء في الظاء وشددت وقرئ ايضا يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء
بالف من ظاهر يظاهر مظاهرة والمعنى واحد فيما اختلف من قراءاتهم يقال ظاهر الرجل من امرأته وتظاهر منها وتظهر
وتظهر منها بمعنى واحد وهو ان يقول لها انت علي كظهر امي وقال القتبي يظاهرون اي يحرمون تحريم ظهور الامهات
وقال ابو عوسجة يظاهرون هذه يمين ان يقول الرجل لامرأته انت كظهر امي وانما يظاهرون من التظاهر وهو
التعاون يقال تظاهر القوم اي تعاون ولكن هو خلاف ما تضمنته الاية والله اعلم ثم الظهار كان عند ذلك القوم طلاقا
وعوما وروينا في الاخبار ان امرأة اوس لما حبست ان تخرج من الدار قال لها ان خرجت من الدار فانت علي كظهر امي وكذلك
هذه الدلالة في قوله والذين يظاهرون والظهار واخذ اسمه من الظهر وكذلك فيما عرفه المسلمون فيما بينهم هذا
اللفظ وهو قوله انت علي كظهر امي اما ظاهر الاية يوجب ان يكون الظهار فيما يقول انت علي كامي وهو قوله ما هن امهاتهم
ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم ذكر الامهات ولم يذكر ظهر الامهات فظاهر الاية يوجب هذا وبهذا احتج محمد
لمذهبه فيمن قال لامرأته انت علي كامي قال يكون ظهارا ان عنى به واما ابو حنيفة رحمه الله فانه قال لا يكون
ظهارا الا ان ينوي بذلك الحرمة فان نوى به كان يذهب في ذلك الى ما روي في الاخبار دليل الحرف اعني قوله انت
علي كظهر امي وانما نزلت الاية فيمن قال ذلك القول فلا يحل لنا ان يفرقه الى غيره الا بدليل ثم قوله تعالى والذين يظاهرون
من نسائهم ما هن امهاتهم اي ما هن لهم كامهاتهم لانه تعالى قال ما هن امهاتهم على سبيل الرد لما اخبر عنهم بقوله
والذين يظاهرون من نسائهم اي قالوا لنسائهم ابن علينا كظهور امهاتنا **وقوله** عز وجل ما هن امهاتهم في ظاهره
يكون ردا لقول من قالوا لنسائهم انهن امهاتنا لا لمن قالوا انهن كامهاتنا او كظهور امهاتنا فيحتمل ان ذلك القول
ان مراد الله تعالى بقوله ما هن امهاتهم اي كامهاتهم ولكن الاشكال انه اذا صار تقدير الاية ما هن كامهاتهن فما
معنى قوله ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم لانهم كانوا يدعون التشبيه بالامهات والله تعالى ما ادعوا من التشبيه فاي معنى
لبيان حقيقة امهات وهي اللائي ولدنهم وهم يعرفون ذلك ولا ينكرونه ولا يدعون في نسائهم انهم امهاتهم حقيقة
حتى يرد عليه دعواهم بقوله ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم واشكال اخر انه قال وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا
وظاهر هذا القول منهم ليس بقول الزور ولا المنكر اذ ليس في قولهم ظهرك كظهر امي وانت علي كظهر امي وكامي
الا التشبيه وهي لعلها فان ظهرها كظهر امها في الهيئة والخلقة والتشبيه لا يقتضي العموم فما معنى تسميتهم
تشبيه المرأة بالام منكرا وزورا واشكال اخر انه قد سمى الله تعالى غير الامهات اللائي ولدنهم امهات لهم فانه
قال في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن وازواجه امهاتهم وقال في نساء التي يرضعن اولادنا و
امهاتكم اللاتي ارضعنكم وان لم نكذبهم فنقول وبالله التوفيق انهم كانوا يريدون ان يوجبوا في نسائهم حقوقا
واحكاما ما كانت في امهاتهم لم يكن لهم ايجاب ذلك فانهم كانوا يشبهون النساء بالامهات ولم يريدوا بذلك هو
التشبيه من حيث الصورة او الخلقة ولكن يريدون بذلك التشبيه في الحرمة وحرمة النساء في الاصل غير حرمة
الامهات فان الام حرام الاستمتاع بها على التأبيد لكن يباح للرجل ان يدخل على امه ويخدمها ويسافر بها ويباح النظر
والمس والاركاب والانزال والخلوة بها والمقام معها والمرأة متى حرمت بالطلاق الثلاث او بالبينونة لا يثبت
شيء من هذه الحقوق والمشابهة بين الشيئين ان كان لا يقتضي التساوي بينهما من كل وجه ولكن يقتضي
المساواة بينهما في وجه من الوجوه على الكمال فان الذات في الشاهد اذا قام به العلم يسمى عالما والله تعالى يسمى عالما
ولا يوجب التشبيه لانعدام التماثل بين العلمين والتساوي من كل وجه فلم يجد تشابها تعالى الله عن ذلك فدل ان
هؤلاء تشبيههم النساء بامهاتهم ارادوا ان يجعلوا حرمة نسائهم كحرمة امهاتهم ويوجبون فيهن حقوقا واحكاما
كحقوقهن واحكامهن حتى يباح لهم المعاملة مع نسائهم ما يباح مع امهاتهم ويحرم ما يحرم معهن ويكون احترامهن
كاحترامهن والله تعالى لم يجعل ذلك ونهاهم عن ذلك فقال ما هن امهاتهم اي كامهاتهم في هذه الحرمة التي يريدون
اثباتها وانه لم يجعل نسائهم حرمة امهاتهم ثم قال ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم اي ان هذه الحرمة التي تريدون
اثباتها فيهن انما جعلنا لامهاتهم اللائي ولدنهم فما بالهم يخرعون من انفسهم شيئا لم اجعله ولم اشرعه فرد
صنيعهم بهذا وعلى هذا يخرج تأويل قوله تعالى وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا انما كذبهم بما قالوا من ايجاب
ذلك الحقوق والاحكام على انفسهم في نسائهم من غير ان جعل الله تعالى ذلك اي وانهم ليقولون منكرا وزورا
في ايجاب الحقوق فيهم كما في الامهات وتشبيههم اياهن بالامهات في الاحكام والحقوق والحرمة وان كان كلامهم وقولهم

من حيث ظاهر التشبيه ليس بمنكر ولا بزور وهذا كقوله تعالى في وصف المنافقين اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهؤلاء المنافقون فيما قالوا في الظاهر كانوا
صدقة ولكن لما كان قصدهم غير ذلك وكان في قلوبهم ايجاب شيء غير ما ظهر وا سماهم كذبة فكذلك هؤلاء الظاهر
لما ارادوا ايجاب حكم لم يجعل لهم ذلك سمى قولهم منكرا وزورا والمنكر هو الذي لا يعرف في الشريعة والزور هو الكذب
نزهاهم الله تعالى عن ذلك واما قولهم ان الله تعالى قد سمى غير التي تلدهم امهات من نساء النبي عليه الصلوة والسلام و
المرضعات منهم من قال جائز ان يكون هذه الاية مقدمة على قوله وامهاتكم اللائي ارضعنكم ومن قوله وازواجه امهاتهم
فلم يكن في ذلك الوقت امهات من رضاع ثم كانت من بعد فيكون الاخبار بهذا مقيدا بذلك الوقت وهو كقوله
تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه لم يجد في ذلك الوقت ثم وجد من بعد ذلك غيره محرما فعلى ذلك هذا
وقيل يحتمل ان يكون قال ذلك في قوم خاص وقبيلة خاص لم يكن لهم امهات من الرضاع فيكون الاخبار بان امهاتهم
ليست الا اللائي ولدنهم صدقا ولكن هذا تكلف لان قوله ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم اي ان هذه الحقوق والاحكام
التي يوجبون ليس يثبت الا في الامهات التي تلدنهم او من كانت في معناهن وضرب امثالهن شرعا بجعل الله تعالى كازواج
النبي صلى الله عليه وسلم والامهات بسبب الرضاع والله تعالى لم يجعل لنسائهم تلك الحقوق ولا الحقهن بالامهات فيكون
تشبيههم بهن في هذه الحقوق منكرا من القول وزورا والله اعلم **وقوله** عز وجل وان الله لعفو غفور وقوله تعالى
والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اختلف في حكم الظهار ما هو
وفي تأويل العود عن طاوس قولان في قوله ثم يعودون لما قالوا الوطء فاذا حنث فعليه الكفارة وهذا تأويل
بعيد مخالف للنص لان الله تعالى يقول من قبل ان يتماسا وانما ذهب الذي اليه حكم الايلاء انه اذا وطئ يجب الكفارة
فاما في الظهار يجب الكفارة قبل الوطء وفي قوله انه اذا تكلم بالظهار وجب عليه الكفارة ولم يشترط معه شيء اخر وعن
مالك انه اذا ظاهر من امرأته ثم اجمع وعزم على امساكها واصابتها وجبت عليه الكفارة حتى اذا طلقها المرأة بعد العزم
على الامساك والاصابة وبعد الاصابة بقي وجوب الكفارة عليه وان لم يجمع على امساكها حتى ماتت يسقط الكفارة
وكذلك اذا طلقها لكنه اذا تزوجها بعد ذلك لم يمسكها حتى يكفر فيكون العود هو امساكها ليطاها وعن الحسن ان
العود هو العزم على الجماع حتى اذا عزم على جماعها تجب الكفارة وان اراد تركها بعد ذلك وقال عثمان البتي فيمن ظاهر من
امرأته ثم طلقها قبل ان يطأها قال ارى عليه الكفارة راجعها او لم يراجعها وان ماتت لم تدفع العار والكفارة ولا
يرث حتى يكفر وقال الشافعي العود هو الامساك والكفارة تجب به وحكم الظهار هو تحريم المتعة حتى اذا امكنه ان
يطلقها بعد الظهار ولم يطلق وامسكها ساعة ليطاها فقد وجبت عليه الكفارة عاشت او ماتت واذا عاشت
طلقها او لم يطلقها راجعها او لا واذا طلقها عقيب الظهار بلا فصل بطل الظهار ولا يجب الكفارة بعزم امساك
المرأة وقال بعض المتأخرين في تأويل قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا اي يعودون الى القول الاول فيكررونه
ذلك القول وعندهم لا يكون الرجل مظاهرا حتى يقول انت علي كظهر امي مرتين واما عندنا فحكم الظهار هو تحريم
موقت بالكفارة ولا يرفعها الا الكفارة وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اذا قال انت علي كظهر
امي لم يحل له حتى يكفر وعندنا لا يجب الكفارة بنفس الظهار وانما الظهار يوجب الحرمة لا غير وانما يجب بالعود
حتى انها اذا ماتت لا يجب عليه الكفارة اذا ارتفع المعنى الذي يجب وهو استباحة الوطء وكذلك اذا طلقها بائنا
او ثلاثا لا يجب الكفارة لهذا حتى اذا عادت اليه بالتزوج واقدم على استباحة الوطء يجب الكفارة وهو عند بعض
اصحابنا ان يجعل المرأة على الحالة الاولى ويحللها على نفسه على ما كان ويستبيح وطأها فاذا اراد ان يحللها على نفسه
ويستبيحها وتقدم عليه يجب عليه ان يكفر ولا يزول تلك الحرمة عندنا الا بالكفارة فالتكفير بسبب الحل كذا ذكر
القمي في تأويل ثم يعودون لما قالوا اي يعودون نقض ما قالوا ونقض ذلك واستدل بما ذكر عن الاصمعي ان اعرابيا
تكلم بين يديه بانه كان سبي بنا ثم يعود اليه قال له الاصمعي ما اردت به فقال اي انقضه وافسخه فهذا يدل على
ان المراد من قوله ثم يعودون اي يعودون الى استحلال ما حرموا وينقضون ذلك ويردون الحل الى الحالة الاولى
الى ان ظاهر العود الى القول بقوله ثم يقولون لما قالوا ولكن اراد به المقول به والثابت به وهو الحرمة كانه قال ثم
يعودون لما حرموا بالقول فيستبيحون ويجوز ان يذكر الفعل ويراد به المفعول كقوله عليه الصلوة والسلام العائد
في هبته كالكلب يعود في قيئه وانما هو عائد في الموهوب وقال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموقن به
والله اعلم فان قيل العود الذي تجب به الكفارة هو العزم على استباحة الوطء والقصد على تحليلها على نفسه واعادة
الحل الى الحالة الاولى ام الاقدام على الوطء او مباشرة نفس الوطء فان كان المراد هو الاول يجب ان يقولوا بوجوب
الكفارة بنفس العزم على الاستباحة والتحليل كما قال مالك رحمه الله والحسن رحمه الله وان كان المراد ايقاع الوطء
يجب ان يقولوا انه لا يجب الكفارة الا بعد الوطء كما قاله قوم وهو خلاف ظاهر الاية وخلاف قولكم قيل معنى بذلك هو الاقدام

على استباحة الوطئ والاشتغال باقامته فيقدم التكفير ثم يفعله اما لا يجب بمجرد العزم ولا بعد تحقق الفعل و
هذا لانه اذا ظاهر حرمة المرأة عليه بسبب فعله يجب ثم تقرير حقها في الجماع ان كانت بكرا في الحكم حتى يجبر عليه وهذا
وان كانت ثيبا وقد وطئها مرة يجب عليه فيما بينه وبين الله تعالى ايصال ذلك اليها وعند بعض اصحابنا يجبر في الحكم
ايضا على ذلك يجب عليه تحصيل الكفارة ليتوسل الى اقامة ذلك الواجب عليه من الجماع اذ لا يحل ذلك بدون الكفارة
وهذا كالوضوء في باب الصلوة ليس بغرض مقصود بنفسه لكن يجب لاقامة الصلوة اذ لا يجوز الصلوة بدون الطهارة
فاذا اقدم على الصلوة يجب عليه تحصيل الوضوء ليتمكن من اداء عليه ولا يجب بنفس الارادة ولا يجب بنفس الحدث
حتى لا يجب الوضوء ما لم يدخل وقت الصلوة ويقوم اليها وكذلك المرأة اذا حاضت بعد الوقت حتى سقط عنها
الصلوة يسقط الوضوء فعلى ذلك هذا يجب عند الاقدام على اقامة هذا الواجب وهو الوطئ والظهار شرط ولهذا اذا
ماتت المرأة يسقط الكفارة لانعدام ما هو المقصود بالاقامة وهو الوطئ وكذلك اذا طلقها ثلاثا او بائنا لكن
اذا عادت اليه يلزمه الكفارة اذا اقدم على الوطئ ولم يبطل الظهار لاحتمال حصول العوض والله اعلم ويحتمل وجها
اخر وهو ان قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم الاية هذا خبر عن ظهار القوم الذين يظاهرون في جاهليتهم
اي ظاهروا في ذلك الوقت ثم يعودون لما قالوا اي لو قالوا ذلك القول بعد اسلامهم فعليهم ما ذكر اذا الظهار
كان ظاهرا في الجاهلية عاد الى ذلك القول ورجع اليه وقت اسلامه فعليه ما ذكر وهو كقوله تعالى ومن عاد فينتقم
الله منه فهذا يرجع الى فعل ذلك مرة والى استحلاله ما ذكر حرم الله ثانيا وان عاد الى الفعل الاول لا من وجه الا
فينتقم الله منه بالغرامة عليه وان عادوا الى الاستحلال فينتقم الله منه بالعذاب وكذلك مثل هذا في اية الربوا حيث قال
فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد الى عاد الى ما كان يفعله قبل الاسلام فكذلك هذا
العود الى الظهار على هذا التقرير يخرج تاويل الاية عندنا وهو كقوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما
نهوا عنه اي كانوا يتناجون في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن العود الى ما كانوا عليه فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم
لكن على هذا التاويل الاقدام على الوطئ سبب لوجوب الكفارة لم يثبت بهذا النص انما فيه ان الظهار يوجب تحريما
موقتا بالكفارة وكذلك الاحاديث التي ذكرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اوسا بالكفارة حين ظاهر من زوجها
انما يعرف من حيث الدلالة فانه لما كان التحريم موقتا بالكفارة ويكون رافعة له فانما يجب الرافع بالاقدام عليه لا
بسبب سابق موجب للتحريم لان رافع الحرمة لا يجب بما يوجب الحرمة كما ذكرنا في الوضوء انه لا يجب بما يحدث الذي
هو رافع الطهارة ولكن لما وجب على المكلف الصلوة بالطهارة يجب الوضوء بالاقدام على الصلوة التي لا يجوز بدونه
كذلك هذا والله اعلم وقول من جعل العود وهو العزم على امساك النكاح والبقاء عليه فاسد فان النبي عليه السلام
وجب الكفارة على اوس بن الصامت حين ظاهر من زوجها ولم يبين له الامساك والبقاء على النكاح ولا تفسير العود
بالامساك لا يستقيم لانه لم يعرف في الاصل امساك المرأة عودا عليها ولا امساك شيء من الاشياء يتكلم بالعود
فيكون هذا اختلافا للغة ولما ذكرنا الى الشيء هو الرجوع الى ما كان عليه فيقتضي انعدامه وزوالا له حتى يتحقق
العود اذا العود هو وجود ثاني وهذا انما يتحقق فيما قلنا من الجزاء لانه قد تبدل بالحرمة فاما العقد قائم لم يزل
فكيف يعود الى العقد فلا يكون البقاء على العقد وامساك المرأة بالنكاح عودا ولان الله تعالى قال ثم يعودون
وثم تقتضي التراخي ومن جعل العود هو الامساك والبقاء على النكاح فقد جعله عائدا عقيب القول بلا تراخي وذلك
خلاف ظاهر الاية وقول من جعل العود هو العزيمة على الوطئ لا معنى له لان موجب الظهار وهو تحريم الوطئ لا تحريم
العزم على الوطئ وان كان العزيمة على المحظور محظورة لكونه وسيلة الى المحظور فيكون العود هو الرجوع الى ما
يعني به مقصود الا وسيلة الى حسب الاول ولانه لا حظ للعزيمة في حق تعلق الاحكام في سائر الاصول الا ترى
ان سائر العقود والتحريم لا يتعلق بالعزيمة فلا اعتبار بها وقد قال النبي عليه السلام ان الله تعالى عفى عن امتي
ما حدثت به نفسها ما لم يتكلموا به او يعملوا وقول من جعل العود تكرار القول الاول فاسد ايضا وان كان ظاهر
اللفظ يحتمل وهو العود الى القول الاول لانه خلاف الاجماع وخلاف اصول الشرع اما خلاف الاجماع فلان السلف
والخلف اجمعوا ان هذا ليس بمراد عن الائمة فيكون قائله خارجا عن الاجماع واما المخالفة الاصول فلان الحل والحرمة
انما تعلق وجوبهما بابتداء القول لا بتكراره في جميع الاصول من البياعات والنكاح والطلاق والعتاق والاجارات
فلما كان الاصل هذا في سائر الاسباب والظهار موجب للحرمة بقوله دل ان الموجب هو القول الاول دون الثاني
فيكون تعليق الحرمة بتكرار السبب الموجب مخالفة لسائر الاصول وبهذا يبطل قول الشافعي في انه تعلق الحرمة
بتكرار الرضعات لا برضعة واحدة والله اعلم ولان النبي عليه السلام امر بالكفارة في حق اوس ولم يبين له عن
تكرار القول ولما لم يسال دل ان الحكم غير متعلق بالتكرار وقال الشافعي انه اذا طلقها بعد الظهار بلا فصل
فلا كفارة عليه وان لبث ساعة ثم طلقها كفر راجعها او لم يراجعها او ماتت قول تعز به لان ظاهر اوسا اوجب عليه

الكفارة طلقها او امسكها وسائر التابعين قالوا ان ماتت او طلقها ولم يراجعها فلا كفارة عليه ولم يفصلوا بين
ان يطلقها على اثر الظهار بلا فصل او بعد ذلك بساعة فيكون الشافعي بهذا القول مخالفا للسلف فلا يعتبر والله اعلم
وقوله عز وجل فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ظاهره يقتضي ان يكون الوطئ محظورا عليه قبل الكفارة لانه جعل الحرمة موقتة
بالكفارة واذا وطئ يسقط الظهار والكفارة لان كل ما تعلق بشرط او توقت بوقت فمتى فات الوقت او عدم الشرط
لم يجب لذلك النص واحتج الى دلالة اخرى في ايجاب مثله في الوقت الثاني الا انه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
ظاهر من امرأته فوطئها ثم سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال له استغفر الله ولا تعد حتى تكفر فصار التحريم الذي بعد
الوطئ عرفناه بالسنة والله اعلم ثم وقوله فتحرير رقبة يرجع الى وجهين مرة الى اسم الرقبة ومرة بما يستحق حكم الرقبة
فان كان المراد من ذكر الرقبة اسم الرقبة نفسها فيجب ان يجوز كل ما يقع عليه اسم الرقبة صغيرا كان او كبيرا كافرا او
مسلما مقطوع اليدين كان او مقطوع الرجلين او اعمى او كيف ما كان وبشر المريسي يذهب الى هذا ويجيز كيف ما كانت
الرقبة وان كان المراد من ذكر الرقبة ما يستحق حكم الرقبة فيجب ان لا يجوز اعتاق رقبة فيها ادنى نقصان اذ الاصل
في العبيد والاماء ان النقصان فيما دون النفس يوجب نقصانا في كل النفس فيجب ان لا يجوز اذ يصير معتقا بعض الرقبة
لا كلها ثم الدليل على ان النقصان الحال فيما دون النفس في الرقاب جعل كالنقصان الحال في النفس ان العبد اذا قطعت يده
وفقئت يشتري بنصف ما كان يشتري وقت الصحة فصار النقصان فيما دون النفس كتلف نصف القيمة على العبد وانه لم
يكن ذلك من نفسه النصف فيجب على هذا ان لا يجوز اذا كان فيه ادنى النقصان اذ الحكم في ما دون النفس في العبيد حكم الا
وحكم الجناية عليهم محمول على حكم كمال النفس لكن هذان التاويلان في الاية لا يصحان واما الجواب عن النقص الثاني ان
النقصان الحال في بعض الرقبة كالحال في كلها ان ذلك النقصان يرتفع بالعتق وانه كان وقت قيام الرق بحكم النقصان
لما يصير رقبته بحكم الكمال بالعتق اذ صار هو منتفعا بالعتق او بالعتق جبر النقصان الذي كان به فيسلم له الرقبة كاملة
من حيث المعنى فيجوز كما اذا اعتق الرقبة السليمة والدليل عليه انه لو جني عليه بعد ما عتق لم ينقص من ديته شيء وان كان
ذلك النقصان في نفسه وقت العبودة والرق وثبت بهذا انه في الحر بنفسه كامل النفس وانما كان ذلك النقص فيه
لحق المولى في قيمته وقت العبودة اذ هو لو كان منقوصا في حق نفسه لا يرتفع عنه ذلك النقصان ابدا فلما ارتفع النقصان
في حكم الرقبة دل ان اعتاقه جائز والاصل فيما اوجب الله تعالى من هذه الكفارة انما وجب ليكفر بها ما ارتكب من المأثم ولما
ارتكب من الشهوات التي حظر عليه ارتكابها ليتالم بها ليتالم بهذه الكفارة ليكون زجرا عن العود اليها فينبغي ان ينظر في
الكفارة فان كفر بشيء لا يتالم به نفسه ولا يفجع عندها فلا يجوز ذلك عن الكفارة وان كان بالذي يلحقه ويولمه يجوز ثم
ما يصل اليه من الالم في اعتاقه وجهان احدهما انه اذا تامل ذهاب منافع ذلك المملوك عنه بما كان هو يصل لخدمته يتالم بذلك
ويتفجع والثاني لما تامل منه النفع في العاقبة وان لم يكن للحال ينتفع به فيتالم ايضا بذهاب تلك المنفعة المولمة فكل من كان يتالم
من هذين الوجهين جاز عتقه عن الكفارة والاولى والله اعلم ثم لا يجوز اعتاق الاعمى والمقعد والمقطوع اليدين
ونحو ذلك عن الكفارة ويخرج على الكلامين اما على الاول انه وان ارتفع النقص الحاصل في نفسه بسبب العبودة عند
وجود الاعتاق قائما لا يجوز لا للنقصان ولكن لانه يصير معتقا ببدل والاعتاق ببدل لا يجوز عن الكفارة وان كانت
الرقبة نفسه الكمال ومعنى قولنا ان يصير معتقا ببدل انه ما دام في ملكه على تلك الحال فان مونته يلحقه وبالاعتاق
يسقط مونته عن نفسه وتلحق تلك المونة المسلمين فلم يجز عن الكفارة لهذا واما على الثاني فلا يلزم على الوجهين جميعا اما
على الاول فلانه لا يفجع ولا يتالم نفسه باعتاق مثله لما ليس له منفعة الخدمة ليتالم بفوتها وعلى الثاني لما ليس له منفعة
يرجى في المال فيتالم بذلك ايضا ولا يلزم الصغير على هذا القدر انه ليس له منفعة الخدمة ونفقته عليه ايضا ومع ذلك
يجوز اعتاقه عن التكفير لانا نقول انه انما ينفق على الصغير لما تامل منفعته في العاقبة والناس انما يربون الصغار
والضعاف وينفقون عليهم لينتفعوا بابدانها واعيانها في العواقب فلم يصر عتقه من هذا الوجه ببدل والتامل في عتقه
يوجد حسب ما كان في الكبير اكثر والاعور ومقطوع احدى اليدين واحد الرجلين يجوز عن الكفارة فانه قد يمكنه الاكتساب
فيتالم مولاه باعتاقه لما فيه ذهاب منفعته فيصلح ان يكون كفارة لما ارتكب من التشهي ولما وصفنا من جبر ذلك النقصان
وارتفاعه بالعتق والله اعلم وذكر عن الشافعي انه لا يجيز عتق الرقبة الكافرة عن الكفارة واحتج بما ذكر الله تعالى
في كفارة القتل الرقبة المومنة فكذلك في كفارة الظهار اذ هما كفارتان ولكن نحن نقول هذا على اصل مذهبه خطا
لان مذهبه العموم يعم كل رقبة في دار الدنيا والاصل في ذلك عندنا ان الله تعالى لم يذكر في كفارة الظهار الرقبة
المومنة فلا يجوز ان يوجب ما ذكره في كفارة القتل ها هنا والدليل عليه انه ذكر في تلك الاية الاشياء وهو قوله
تعالى ومن قتل مومنا خطاء فتحرير رقبة مومنة ودية مسلمة الى اهله فذكر الدية ثم ذكر الدية في اية القتل لم يوجب
على الظاهر اذ ترك ذكرها في اية الظهار ومثله في القرآن كثير وايضا انه احق ما يجوز في الكفارة اعتاق الرقبة الكافرة
وذلك لان المسلم قد يتالم باعتاق الرقبة الكافرة ما لا يتالم باعتاق المسلمة لما يأتي طمعه الاحسان الى الكافر ولا

يأتي بمثله الى المسلم وقد وصفنا ان الكفارة للتائب باخراج ما امر باخراجه عن ملكه ومما في القرآن دليل على جواز اصطناع المعروف اليهم وهو قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هديهم ثم قال ايضا بعد ذلك وما تنفقوا من خير يوف اليكم وذكر في القصة ان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قد امتنعوا عن الانفاق على اقربائهم لما ابوا الاسلام فنزلت هذه الاية فهذا تبين ذلك ان الاصطناع اليهم واعانتهم تكون تكفيرا لهم وقوله عز وجل من قبل ان يتماسا فتاويله عند ابو حنيفة رحمه الله اي عتقا لا مسيس فيه لان عند الاعتاق يحتمل التجزي فيحتمل ان يعتق نصفه ثم النصف الاخر فيشترط ان يعتق النصفين جميعا قبل المسيس حتى لو مسها فيما بين ذلك يلزمه استيناف العتق وعلى هذا تاويل قوله فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا اي صوم شهرين لا مسيس فيه حتى لو واقعها في وقت لم يتم صوم شهرين بعد يلزمه الاستيناف وكان معناه لا مسيس في خلال الكفارة فمتى وجد المسيس في وقت لم يتم الكفارة بعد يلزمه الاستيناف وتاويل قوله من قبل ان يتماسا عند ابي يوسف رحمه الله اي يعتق قبل وقت المسيس ويصوم كذلك ويقول بان الاية خرجت لبيان وقت التكفير فيه حتى اذا جامع امرءته في صوم الظهار انه لا يستانف الصوم بل يصوم الباقي اذ قد فات عن وقته فصار قاضيا فما عليه وليس بعد الجماع وقت لذلك الصوم بل يكون ذلك على القضاء فيجوز متفرقا ومتتابعا كصوم شهرين رمضان لما تعين له عين له وقت الاداء ثم فات الوقت لا يجب متتابعا بل يجوز متفرقا كذا هذا ولا يتصور المسئلة في الاعتاق لانه لا يتجزى عنه ولا خلاف فانه اذا جامع بعدما اطعم ثلثين مسكينا انه لا يلزمه استيناف الطعام ولا خلاف انه جامع قبل الكفارة لا يلزمه شيء سوى التوبة والاستغفار في قول عامة الفقهاء وعند بعضهم يلزمه كفارتان لابي يوسف رحمه الله عليه ما ذكرنا ولانه قد ادى بعضها في الوقت وبعضها في غير الوقت اولى من اداء الكل بعد الوقت ولهذا المعنى في الطعام كذلك ولابي حنيفة رحمه الله عليه ان الظهار ليس يوجب الكفارة ولكن يوجب حرمة لا يرتفع الا بالكفارة مقصودا لكن اذا اراد الاستمتاع بها يقال له ليس لك ذلك الا بالكفارة فاذا كان كذلك فاذا ادى بعضها ثم ماسها ثم ادى البقية لم يصر ما ادى بعد المماسة فاذا لم يصر قضاء فصار عن ذلك جعل كالنص انما جاء في هذه الحالة ان تحرر رقبة قبل ان يتماسا ثانيا وصوموا شهرين متتابعين اذا اردتم العود اليها ولذلك قال عليه السلام للظاهر الذي جامع امرءته استغفر الله ولا تعد حتى تكفر لكن يدخل على هذا امر الطعام انه اذا اطعم بعض الطعام ثم ماسها لم يلزمه الاستقبال والعبارة التي ذكرناها يوجب الاستيناف لكن نستحسن في الطعام لان الطعام وقع في الاصل متفرقا اذ لو اطعم بعضهم للحال وبعضهم بعد سنة فانه جائز من ذي الحجة لكن يدخل عليه الاعتاق عند ابي حنيفة رحمه فانه اذا اعتق بعضه للحال وبعضه بعد سنة يجوز ايضا ومع ذلك اذا وجد المسيس فيما بين ذلك يلزمه الاستيناف وما ذهب اليه ابو يوسف رحمه من حمل الاية على بيان الوقت لا يستقيم لانا لو حملنا تاويل الاية نفسها لا فائدة يقع في الاية لان معرفة وقت ذلك ثابتة بدلالة العقل وذلك ان قد علمنا ايجاب الحرمة بالظهار وعلمنا ان تلك الحرمة لا يرتفع بالكفارة فصار وقت الحل بذكر الحرمة معلوما ولذلك هنا في جميع الحرمات من الطلاق وغيره انه لا يرتفع الا بسبب رفعه فلو حملنا تاويل الاية على بيان الوقت لم يفد شيئا ولو حمل على بيان احلاء الكفارة عن المسيس وعلى نفي المسيس في خلال الكفارة يفيد فائدة جديدة فيكون هذا التاويل احق واولى ثم في الاية دلالة بان ليس ذلك على بيان الوقت وهو قوله تعالى فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ثم ذكر في العتق والصوم ترك المماسة ولم يذكر ذلك في الاطعام ولو كان ذلك على جعل الوقت له لكان يذكر فيه المماسة اذا الكفارة اذا كانت عن شيء واحد لا يختلف فيه اوقاتها بل يكون وقتها واحدا ولا يقال انما لم يذكر الوقت في الاطعام لان ذكره في العتق والصوم ذكره في الاطعام لانه من انواع هذه الكفارة فذكر الوقت في البعض يكون ذكرا في الباقي فاذا ادى بعضه في الوقت وبعضه في غير الوقت كان اولى من ان يؤدى الكل في غير الوقت لانا نقول ذكره في عتق والصوم لا يصلح ان يكون بيانا في الاطعام لان البيان على وجوه ثلاثة بيان نهاية وبيان كفاية وتفصيل فاما بيان الكفاية وهو ان يكتفى ببيان الواحد والتعليل عن الكل لتعرف ذلك بالاجتهاد والقياس على نظايره فيدل ذلك على معنى مودع فيه وانه محل الاجتهاد والتعليل واما بيان النهاية هو ان يبين الكل على مبالغة حتى لا يبقى للاجتهاد فيه موضع واما بيان التفصيل هو الذي يبين في اكثره ولا يبلغ به نهايته فهو فيما يبين لا يتعدى الى غيره اذ لو كان فيه معنى مودعا يجمع الكل لم يجيء لذكر الزايد عليه وترك بعضه معنى وههنا بيانا تفصيلا دون كفاية اذ لو لم يكتف بذكره في واحد ولا هو بيان نهاية اذ لم يبين البيان في الكل فهو بيان التفصيل الذي ذكرنا انه يقر في المذكور ولا يتعدى الى اخره ولو كان ذكر ذلك لبيان الوقت لاكتفى بذكره في الواحد عن الكل اذ ذكر في الكل على المبالغة فلما ذكر على بيان التفصيل دل انه ليس لبيان الوقت ولكن لنفي المسيس عن خلال الصوم والعتق المذكورين دون الطعام الذي لم يذكر فيه وتبين ان احلاء الصوم والعتق عن المسيس حكم عرفناه بالنص معقول المعنى فلا يتعدى عنه

لغيره ويكون مثاله ما ذكر في قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الاية على ما عرف في موضعه والناس في المثل طريقان احدهما بحق القياس والاخر بحق الاحتياط اما القياس ما ذكر ان قوله من قبل ان يتماسا لاخلاء الصوم عن المسيس ونفي المسيس عن خلال الكفارة لكن انما ذكر في الاعتاق والصوم دون الاطعام فدلنا ذلك على انه بيان تفصيل فيكون دليلا على قصر الحكم على المنصوص ومنع التعدية الى غيره لما هو علم ان المعقول يقصر عن ادراك ذلك المعنى فجعلنا نفي المسيس عن خلال الصوم والعتق واجبا بالنص حتى لا يكون كفارة بدونه ولم يجعل في باب الاطعام شرطا واما طريق الاحتياط وهو انه لما احتمل ان يكون ذلك بيان الوقت ولنفي المسيس عن خلال الصوم فاخذ فيه بالاحتياط وفي الاطعام اخذ بالقياس لما انه لم يذكر فيه المسيس وذكره في الصوم والعتق لم يكن بيان كفاية حتى يكون ذكره ذكرا في الاطعام بل هو بيان تفصيل وان حكمة القصر على المنصوص دون التعدي والله اعلم وفي الاية دلالة الصحة مذهب ابو حنيفة رحمه الله في ان العتق يحتمل التجزئة وهو ان يعتق بعضه ويبقى الباقي بحاله ثم يعتقه باوقات بعده قال فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي فتحرير رقبة لا مماسة في التكفير ولو كان بعض العتق يوجب عتق الكل لكان لا يفيد قوله من قبل ان يتماسا اذ لا يقع العتق الا قبل المماسة فلما قال دل انه اراد والله اعلم فان لا تمسوهن عندنا اعتقتم بعضه ولم تعتقوا الكل حتى يكمل ويتم فيه الاعتاق ولهذا قال بانه يلزمه الاستيناف في العتق كما في الصوم فدل ان الاعتاق يتجزى والله اعلم ثم جعل الكفارة فيه ما ذكرنا ولم يجعل الكفارة فيه التوبة والاستغفار لوجهين احدهما انه لو جعل توبته به لكان لا يظهر ذلك وان امر بينه وبين المرءة فلو يدري انه تاب ولم يتب وربما يظهر التوبة بالقول وان لم يتب حقيقة بقلبه فيتهمه المرءة فجعل التوبة فيه امرا ظاهرا يعرف توبته دفعا للتهمة عنه وتسكينا لقلب المرءة والله اعلم والثاني انه جعل الاستمتاع في النكاح نعمة عظيمة فتشبيهها بالمحرم الذي يتابد حرمته امر فظيع فلم يجعل له الخروج منه بشيء لا يثقل عليه فيتقدم ثانيا وثانيا لنا الحقه امره عليه بل جعل ما ثبت لم عليه ويشتد عليه زجرا له عن مثله في المستقبل ولغيره كما في الزنا وفي غيره من الاجرام ثم لم يجعل ملك اليمين الا استمتاع خاصة وان ابيح لهم ذلك ولا جعل لهن قبل السادات حق الاستمتاع فلم يصر تشبيههن عن ذكر كفرا ان نعمة عظيمة ولا ابطالا لحق لهن قبل مواليهن لذلك افترقا والله اعلم وقيل ان الظهار كان طلاق قوم فابدل الى تحريم المتعة ولم يكن للإماء حظ من الطلاق وهو الطلاق ولم تكن لهن من الذي صار ذا ينقل اليه ولكن ان ثبت هذا كان طلاقا يوجب حرمة يرتفع بالنكاح على ما تقدم ذكره والامة لم يكن لهن حظ من هذا التحريم لعدم نفوذ هذا النكاح مع ملك اليمين فاما لهن حظ من الحرمة المؤبدة بالمحرمية فان كان تلك الحرمة هي الاصل وهن اهل لها مع تمام ملك اليمين بكن اهلا لما ينتقل اليه من الحرمة المؤقتة دل ان الطريق ما قلنا والله اعلم وفي الاية دلالة جواز تاخير البيان لان ذلك الرجل لما ظهر من امرءته اشتد بهم الحاجة الى معرفة ما يجب فيه من الاحكام ثم تاخر نزول بيان ما يجب بعد طلبهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان الحكم فدل ان البيان قد يجوز ان يتاخر عن وقت قرع الخطاب السمع وهو اولى لان في الاول قد ظهرت الحاجة واشتدت لوقوع النازلة وفي نزول العام الذي اريد به الخصوص لا وكذلك على هذا ما نزل من احكام الايلاء والقاذف زوجته بعد وقوع النازلة باوقات دليل على ما ذكرنا والله اعلم ثم جعل صيام شهرين بدلا عن العتق في كفارة الظهار والقتل وكفارة الافطار في شهر رمضان وجعل في كفارة اليمين صوم ثلثة ايام بدلا عن العتق وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله قال اصحاب التاويل بان قوله ذلك اي ذلك امرتم ونهيتم لتؤمنوا بالله ولكن عندنا تاويل قوله ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية يقول اخبركم بما كان ذلك منكم في السر واطلعكم عن ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي لتصدقوا وتعلموا انه لا يخفى على الله من اعمالكم شيء ومنهم من قال ذلك راجع الى قوله والله يسمع تحاوركما اي الفرج والمخرج عما امتحنتم به من الحرمة وما اشتد عليكم لتؤمنوا بالله ورسوله لما فرج عنكم بالخروج بما ذكر والله اعلم ومنهم من قال ذلك قول المنكر الزور الذي قلتم واعلمكم انه منكر وزور لتؤمنوا بالله ورسوله فيخرج ذلك على الامر بالشكر له ما انعم عليهم وجعل لهم من الفرج والمخرج عما امتحنوا بادائها وهكذا العبارات التي امروا بها امروا لاحدى ثلاث خلال اما لحق الشكر بما انعم عليهم والتسليم الامر له والخضوع او لحق الاستغفار والتكفير بما سبق من التفريط والتقصير والله اعلم وجائز ان يكون قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله على غير هذا اي ذلك الذي انزل لتؤمنوا اي لتجددوا الايمان بالله تعالى ورسوله في كل وقت وكل ساعة يلزم الناس احداث الايمان وتجديد لاحداث الرخص والعزائم التي تحدث والله اعلم قيل اي الذي افترض الله عليكم من الاحكام وقال الزجاج حدود الله اي مواقع الله وحجبه ولذلك سمي الحاجب حدادا لانه يمنع الله منه وعندنا قوله تلك حدود الله اي زواجر الله وموانعه على معنى انه ان يمنع هذا عن الدخول في حد الاخر يمنع الباطل عن الدخول في حد الحق والاختلاط به وفي الاية دلالة خلق افعال العباد لانه اضاف الحدود وهي الطاعات الى نفسه بقوله وتلك حدود الله وانها افعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى وانما خص الطاعات بالاضافة الى نفسها بيان جميع الافعال بخلقه اياها تبجيلا وتعظيما لها

كما قال تعالى وان المساجد لله اضافها الى نفسه تبجيلا وتعظيما لها وعلى هذا يخرج ما قيل من قال فى قوله وان الساعة
آتية اكاد اخفيها من نفسى فكيف اظهرها لكم انه اراد بهذه الاضافة تبجيلا وتعظيما لامر الساعة فكانه يقول انا لم اظهر
امر الساعة لذلك الخلق الذى هو بهذه المنزلة فكيف اعلمها لكم اى لا افعل ذلك وقوله عز وجل وللكافرين عذاب اليم
اى للكافرين بالله وبحدوده عذاب اليم فى الآخرة عذابا دائما لا انقضاء له ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ان الذين
يحادون الله ورسوله قال بعض اهل الادب المحاد هو الذى يجعل نفسه فى حد غير الحد الذى امر الله ورسوله وكذلك
قوله يشاقون الله اى يكونون فى شق غير الشق الذى عليه رسول الله او كلام نحوه ومنهم من قال حد ذنبه عن طريق
اى عدله عنه وبعضه قريب من بعض واصله ما ذكرنا يحادون الله ورسوله اى يعادون الناس ويزجرونهم عن
الطريق ليلا يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم ويتبعوه وقوله عز وجل كبتوا كما كبت الذين من قبلهم قيل غلبوا وردوا
بغير حاجتهم كما غلب ورد الذين كانوا من قبلهم وقيل اهلكوا كما اهلك الذين من قبلهم وقيل اخزوا كما اخزى الذين كانوا
من قبلهم وكله قريب بعضه من بعض ثم يخرج تأويله على وجهين احدهما اى كبت هؤلاء الذين منعوا الناس عن اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كما كبت الذين من قبلهم او كبت هؤلاء الذين منعوا الناس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة كما كبت الذين منعوهم عنه بمكة لان هذه السورة مدنية والله اعلم وقوله عز وجل وقد انزلنا
آيات بينات اى ابانت حدود الله من غيره حدوده وما بين الحق من الباطل والرسول من غيره والمحاد من غير المحاد وقوله
وللكافرين عذاب مهين اى للكافرين كله عذاب بينهم كما اهانوا المؤمنين وقوله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا اى الاولين
والآخرين والمحادين والموافقين وقوله عز وجل فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه اى يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا من خير
وشر احصى الله ما عملوا وان طال ذلك او كثر ونسوهم تلك الاعمال تخرج هذا على الوعيد وفيه دلالة رسالته اذا اخبر انه تعالى
يحصى ذلك عليهم وانهم نسوا فلم ينبئهم لهم ان ينكروا عليهم انهم لم ينسوا دل انه بالله علم ذلك وقوله عز وجل والله
على كل شئ شهيد اى على كل شئ من الاحصاء والحفظ وغير ذلك شهيد وقوله عز وجل الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض
ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فان كان هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فيه دلالة رسالته انه اطلعه
على ما اسروا فيما بينهم من المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وتناجوا بينهم من الكيد والخداع اطلع الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم على ذلك ليعلم انه بالله علم ذلك والثانى بشارة له بالنصر والمعونة وهو كقوله تعالى لموسى وهرون عليهما
السلام لا تخافا اننى معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقول لكما وما يجيب وارى ما قصد بكما وادفع عنكما ما قصد بكما فعلى ذلك
ما ذكر له الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فيطلعك على ما هموا بك
واسروا فيك فينصرك ويدفع عنك كيدهم وجائز ان يكون الخطاب ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ولكن لكل
نفسه فيصير كانه قال الم تر الى عجائب ما انشأ من السموات والارض قبل انشاء اهلها فيهما فاذا رأيت عجائب ما انشأ
من السموات والارض واهلهما وعلمت ذلك فاعلم انه بما يكون من نجواهم فيما ذكرنا لم يخرج على التنبيه والزجر عن الاسرار و
النجوى ثم وقوله رابعهم او سادسهم ومعهم ونحوه يجب ان ينظر الى المتقدم من الكلام فيصرف قوله هو معهم الى
ذلك فهو قوله ان الله مع الذين اتقوا وان الله لمع المحسنين ونحوه يكون معهم فى التوفيق والمعونة لهم والنصر فعلى
ذلك ما ذكر قوله هو معهم فى النجوى وما اسروا فيما بينهم اى ساعد معهم حافظ عليهم يدفع عنكم كيدهم ومكرهم
وينقض مكرهم والله اعلم وقوله عز وجل ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شئ عليم اى ينبئهم بما تناجوا واسروا
من الكيد يوم القيمة وقوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه هذا الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ان الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه الآية وفيه دلالة اثبات الرسالة
لانه اخبر انهم عادوا الى ما نهوا عنه وهو النجوى ومعلوم انهم لا يعودون الى ما نهوا عنه بحضرة اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند غيبة منهم دل انه بالله علم ثم اختلف فى سبب ذلك النجوى قال بعضهم انه كان بين اليهود
وبين النبى صلى الله عليه وسلم موادعة فاذا رأوا رجلا من المسلمين وحده يتناجون بقتله بينهم فيظن المسلم انهم يتناجون
بقتله او بما يكره فيترك الطريق من المخافة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا و
عادوا الى النجوى فنزل ما ذكر ومنهم من قال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرجوا من عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاما اناس من اليهود واناس من المنافقين يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون
نحو واحد منهم فاذا رآهم ينظرون نحوه قال اما اظن هؤلاء الا قد بلغهم خبر اقربائى الذين بعثهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى السرايا من قبل موت فيقع فى قلبه من ذلك ما يحزنه فلا يزال كذلك حتى يقدم حميمه من تلك
السرية لكن الاولى عندنا السكوت من ذكر هذا وامثاله لانه خرج مخرج الاحتجاج وحمله انه عليهم فيجوز ان يكون
على خلاف ما ذكر فيوجب الكذب فى الخبر فالامساك عنه احق وقوله عز وجل واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به
الله ذكر انهم كانوا اذا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون السام عليك يا محمد فيجيبهم النبى عليه السلام

ويرد عليهم ويقول عليكم ففيه دلالة رسالته لانهم حيوه سرا منه فاطلعه الله تعالى على ما اسروه وكذلك
ما قال ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله اى هلا يعذبنا الله بما نقول فى السر دلالة الرسالة لانه معلوم
انهم قالوا ذلك سرا فى انفسهم فاطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ما فى انفسهم ففيه انه بالله تعالى عرف ذلك
ثم وقوله عز وجل خبرا عنهم لولا يعذبنا الله بما نقول جائز ان يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وعيد بالتعذيب
لاجل التناجى الذى منهم فلما تأخر ذلك عنهم قالوا عند ذلك انه لو كان رسولا على ما يقوله لعذبنا على ما قال ووعد
لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان وعد لهم العذاب لم يبين متى يعذبون فعذابهم ما ذكر حيث قال حسبهم جهنم
يصلونها وبئس المصير والله اعلم ويحتمل ان يكون قولهم لولا يعذبنا بما نقول انما قالوا ذلك عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما حيوه حين قال وعليكم يقولون انه دعا علينا بقوله وعليكم فان كان رسولا لاجيب دعاؤه الذى
دعا علينا لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدع عليهم انما رد قولهم عليهم ردا والله اعلم وقوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى ان اهل
التأويل صرفوا الآية الى المنافقين وعندنا يحتمل صرفها الى المؤمنين عن التناجى بمثل ما تناجوا ولمثل اى لا تتناجوا
انتم يا اهل الايمان بينهم بالاثم والعدوان كما تتناجوا فيكم يقول لا تجاوزهم بالذى فعلوهم بكم ولكن تناجوا بينهم
بالبر والتقوى وهو كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا نهى المؤمنين ان يجاوزوهم جزاء
الاعتداء الذى كان منهم من صدهم عن المسجد الحرام بل امرهم على البر والتقوى قال وتعاونوا على البر والتقوى فعلى ذلك يحتمل هذا
والله اعلم وجائز ان يكون فى المؤمنين حقيقة على الابتداء وابتداء نهى منه لهم يقول اذا تناجيتم فلا تتناجوا فيما بينكم ومجالسكم
على العدوان على المجاوزة عن الحد ومعصية الرسول فيما يأمركم وينهاكم وتناجوا بالبر والتقوى البر يحتمل كل انواع الخير واما التقوى
هو كل ما يتقون به انفسهم عن النار وقد تقدم ذكره وقوله عز وجل واتقوا الله الذى اليه تحشرون جائز ان يكون هذا الخطاب لهم
اعنى المؤمنين والكافرين الذين يقرون بالحشر لان اهل الكتاب وبعض المشركين يقرون بالبعث وبعض المشركين ينكرون مع الدهرية
وقوله عز وجل انما النجوى من الشيطان اى النجوى الذى كانوا يتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ليس كل النجوى على
ظاهر ما يخرج الخطاب عاما ولكن يرجع الى النجوى الذى ذكرنا وهو الذى نهوا عنه ثم وقوله انما النجوى من الشيطان جائز
ان يكون معناه ان ابتداء النجوى فى الشر من الشيطان وهو ما ذكر فى بعض القصة ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام
قال ابليس للملائكة ارأيتم ان فضل هو عليكم ما تصنعون فاجابوه بما اجابوا نطيع ربنا قال هو ان فضلت عليه لاهلكنه وان فضل هو على
لاعادينه فقد ناجاهم فى امر آدم عليه السلام بالشر فكان اول النجوى فى الشر من الشيطان وقوله عز وجل ليحزن الذين آمنوا لولا ان
الشيطان فى حال الحزن يكون املك على افسادهم ولخرجهم الله تعالى وادخالهم فى نهيه والا لم يكن لقوله انما النجوى من الشيطان
ليحزن الذين آمنوا معنى فدل انه لعنه الله فى حال الحزن والغضب املك واقدر من حال السرور والسعة لكنه بما يدعوه الى
اللذات ويمنيه اشياء كان قصده من ذلك ان يوقعه فى الضيق والشدة لما هو عليه اقدر فى تلك الحال ولذلك قال لآدم
وحوا عليهما السلام هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى تغير بهما بالغرور بالذى ذكر ومناهم ما ذكر وكان قصده من ذلك
ابتداء عورتهما وايقاعهما فى الضيق والبلاء حيث قال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما الآية مكن الله تعالى ابليس من التسلط
بالذى ذكرنا ولم يكن له من افساد الطعام واللباس والاشربة ونحو ذلك وهو دون الاول وذلك اكثر لكن هذا فى
الفقر والدنياوى اكثر فلم يمكنه من افساد هذه الاشياء تفضلا منه واحسانا عليهم والله اعلم وقوله عز وجل وليس
بضارهم شيئا الا باذن الله اى ليسوا بضارين لهم فيما يتناجون من الكيد بهم والمكر والله اعلم ثم قال وعلى الله فليتوكل
المؤمنون اى فى دفع من قصدهم من الكيد بهم والمكر والهلاك وعليه يتوكلون فى النصر لهم والمعونة على اعدائهم والتوفيق لهم
فى كل خير وكل هذا وصف المؤمنين واما المعتزلة فهم بمعزل عن هذه الآية وكذلك المؤمنون على قولهم غير متوكلين على الله لانهم يقولون
ان الله تعالى قد اعطى كلهم من النصر والمعونة ما ينتصر على اعدائه وينتقم منهم حتى لا يبقى عنده مزيد ما ينصرهم ويعينهم على شئ
فعلى قولهم لا ينفع المؤمن فى التوكل على الله تعالى فى شئ لانه ليس عنده ما ينصرهم ولا ما يعينهم فعلى ماذا يتوكلون عليه على
قولهم اذ لم يملك ما ذكرنا ومن قولهم ان على الله تعالى ان يعطى من المعونة والتوفيق حتى لا يبقى عنده مزيد حتى لو منع شيئا
من ذلك لم يعطهم يكون جائرا ثم اذا اعطاهم ما ذكروا ولا يهتدون ولا ينتصرون والله تعالى قال ان ينصركم الله فلا غالب لكم
وقال ومن يهد الله فهو المهتدى فدل انه ما قالوا خالف الكتاب ثم اختلف فى اشتقاق النجوى منهم من قال هو من النجوة
وهو المكان العالى المرتفع وذلك انهم كانوا يقومون فى مكان مرتفع فيتحدثون فيه ليروا من قصدهم فيتفرقوا وكلام هذا
معناه ومنهم من التناجى التعالى بما ذكروا فيكون معنى قوله اذا تناجيتم اذا تعاليتم فلا تتعالوا بما ذكر وقال القتبى التناجى من
التسار والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم الآية يخرج على وجهين
احدهما اذا قيل لكم تفسحوا اى وان قيل لكم تأخروا فى المجلس فتأخروا واذا قيل لكم انشزوا فانشزوا اى ارتفعوا وتقدموا فيكون قوله
تفسحوا اذا كان الحضور ولا لم الذين همهم السماع والعمل به دون اخذه والتفقه فيه فقيل لهم تأخروا حتى يقرب من يصير اماما

الناس وفقها لهم واذا كان الحضور هم الذين همتهم التفقه وهم لا يهمهم ثم جاء بعد ذلك من كانت همتهم السماع والعمل به قيل
الذين تقدموا اولا ارتفعوا وتقدموا حتى يسمع من حضر بعدكم قول النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم والثاني انه اذا كان
في المجلس اذ في سعة وفسحة ما يمكن تمكين غيره بالتحرك والتفسح دون القيام فقال لهم تفسحوا واذا لم يكن ذلك الا بالقيام
قيل لهم قوموا وارتفعوا وتقدموا وقوله يفسح الله لكم يحتمل وجوها احدها يفسح الله لكم في القبر او في الاخرة في الجنة
او يفسح الله لكم في المجلس وهو فسحة القلب وتوسعة للعلم والحكمة والله اعلم وقال الحسن اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس اي
في القتال والحرب واذا قيل انشزوا فانشزوا اي اذا قيل انهضوا الى العدو فانهضوا وقال قتادة اي اذا دعيتم الى خير او صلوة
فاجيبوا وقال غيره الى كل خير من قتال عدو وامر بمعروف او نهي عن منكر او حق كائنا ما كان والله اعلم وقوله عز وجل يرفع
الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات اخبر انه يرفع الله الذين اوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم
درجات لفضل العلم على سائر العبادات من الجهاد وغيره الا ترى انه قال في اية الجهاد فضل الله المجاهدين على القاعدين
درجة جعل للمجاهدين على القاعدين فضل درجة وللذين اوتوا العلم على الذين لم يؤتوا درجات ليعلم فضيلة العلم على غيره
وكذلك قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم قال بعضهم ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبس قوما عند نفسه ليتفقهوا في الدين ويبعث قوما سرايا حتى اذا رجع السرايا انذرهم الذين
تفقهوا في الدين وتعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان التأويل هذا ففيه دلالة فضيلة العلم على الجهاد حتى يجوع
اولئك اليهم وقال بعضهم كان ينفر من كل قوم طائفة ليتفقهوا في الدين فاذا رجعوا الى قومهم انذروا قومهم وقال قتادة
ان بالعلم لاهله فضيلة وان له على اهله حقا ولعمري الحق عليك ايها العالم افضل والله يعطي كلا من فضله و
في قوله تعالى واذا قيل لكم تفسحوا انهم كانوا اذا رأوا لهم مقبلا يضنون بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر الله تعالى ان يفسح بعضهم لبعض وقال مقاتل اقبل نفر من الانصار ممن شهد بدرا فسلموا على نبي الله صلى الله عليه
ومن حوله فردوا السلام وضنوا بمجالسهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يوسعوا لهم فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قم يا فلان ويا فلان لنفر منهم عن الذين لم يشهدوا بدرا فثقل عليهم في ذلك المنافقون فنزلت هذه الاية والله اعلم
وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة يشبه ان يكون ما ذكر من مناجات
الرسول عليه السلام على وجوه والناس في مناجاته طبقات احدهم يناجيه مسترشدا في امر الدين وما ينزل به من
النوازل والاخر يناجيه افتخارا به على غيره من الناس ومباهاة منه ليعلم ان له خصوصية عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفضلا له عنده وهو صنيع المنافقين والثالث يناجونه ليسمعوا الناس الكذب وليسمعونهم غير الذي
سمعوا كقوله تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين وهم اليهود وصنيعهم ما ذكر فجائز ان يخرج المناجاة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي ذكرنا ثم ما ذكر من تقديم الصدقة على المناجات يخرج على وجوه احدها امر بتقديم
الصدقة لعظم قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخصوصية له ليظهر بتلك الصدقة ويصيروا اهلا لمناجاته بها وهو
كالطهارة التي جعلها سببا للوصول الى مناجاة الرب سبحانه وتعالى والثاني لما خصهم بمناجات الرسول صلى الله عليه وسلم
وجعلهم اهلا لها امرهم بتقديم الصدقة شكرا له منه بذلك والثالث جائز ان يكون امرهم بتقديم الصدقة امتحانا
منه اياهم ليظهر حقيقة امرهم وهو ما جعل الامر بالجهاد سببا لظهور نفاقهم وارتيابهم في الامر فكذلك الاول والله
اعلم وجائز ان يكون الامر بالصدقة لاهل المناجات على الذين كانت لهم حوائج عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمنعوه
عن قضاء حاجاتهم لاشتغاله بالمناجاة وامرهم بالصلة لاولئك تطييبا لقلوبهم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك خير لكم
واطهر اي ان تقديم الصدقة اطهر لقلوبكم من ترك الصدقة وقوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم جائز ان يكون هذا
الامر لاهل الغناء دون الفقر وقوله حتى قال فان لم تجدوا ما تتصدقون به فان الله غفور رحيم وقوله عز وجل ءاشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات قال عامة اهل التأويل اي ابخلتم بها يا اهل الميسرة ان تقدموا بين نجواكم صدقات
وقوله عز وجل فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم اذ لم تفعلوا فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي اذا لم تتصدقوا
تلك الصدقة فاتوا الزكوة اموالكم قال اهل التأويل نسخ ما امروا به من الصدقة عند المناجاة بما ذكر من اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة وقوله واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون هذا وعيد ثم في قوله اذا ناجيتم الرسول دلالة قبول
خبر الواحد لانه يناجيه ولا يعلم به غيره ثم انه يقبل اذا اخبر به غيره وفيه ان لا كل مناجاة يكون من الشيطان ان النبي صلى الله عليه
وسلم ناجى من ذكر من ذكر فدل ان قوله انما النجوى من الشيطان مصروف الى ما سبق ذكره وفيه انه لا يفهم من ذكر اليد الجارحة
لا محالة فانه قال بين يدي نجواكم وليس للنجوى يد وكذلك قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولم يشكل على احد انه لم يرد
باليد الجارحة هاهنا فكيف فهم فيما اضيف الى الله تعالى في قوله بل يداه مبسوطتان وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصدقة تقع في يد الرحمن الجارحة لولا فساد اعتقادهم في الله تعالى وتشبيههم اياه بالخلق وقال قتادة اكثروا النجوى
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم الله تعالى عنه فقال اذا ناجيتم فقدموا بين نجواكم صدقة الاية وعن علي رضي الله عنه

انه قال انا اول من عمل بها تصدقت بكذا ثم نزلت الرخصة وقوله عز وجل الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا
يذكر صفة المنافقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتوليهم قوما غضب الله عليهم على ما علم منهم ان الله تعالى قد غضب عليهم لكنهم
تولوهم طمعا منهم في اموالهم وفيما كان عندهم من السعة وفضل الدنيا ثم اخبر انهم ليسوا منكم اي ليسوا على دينكم و
لا انتم منهم اي على دينهم اي اولئك اليهود ولكنهم يتولونهم طمعا فيما عندهم من فضل الدنيا ويحلفون على الكذب وهم
يعلمون كانه قيل لهم لم تتولونهم قوما غضب الله عليهم فحلفوا انهم لم يتولوهم فاخبر انهم كاذبون في حلفهم وفيه دلالة
اثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم تولوا اليهود سرا من المؤمنين وحلفوا كذبا فاخبرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتوليهم وكذبهم في الحلف دل انه عليه الصلوة والسلام عرف ذلك بالوحي ثم اخبر ما اعد لهم في الاخرة بتوليهم
اولئك وحلفهم بالكذب فقال اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اي قد ساء الى انفسهم بعملهم الذي
عملوا في الدنيا وقوله عز وجل اتخذوا ايمانهم جنة اي حلفهم الذي حلفوا انهم لم يتولوا اولئك اليهود جنة فصدوا عن سبيل
الله يحتمل صدوا انفسهم عن سبيل الله او صدوا الناس عن سبيله بما ذكر فلهم عذاب مهين اي يهانون في ذلك العذاب
وقوله عز وجل لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا يخبر ان اموالهم التي لاجلها تولوا اليهود وعاندوا
المؤمنين لا يغنيهم تلك الاموال من عذاب الله شيئا اذا نزل بهم ثم اخبر عن شدة سفههم انهم يحلفون في الاخرة
كما يحلفون لكم في الدنيا بقوله ثم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم فيه ان الاية لا يضطر اهلها الى الايمان
به والتوحيد لانه لا اية اعظم من قيام الساعة ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب والكفر به ولا اضطرهم الى الايمان
وكذلك قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين في الدنيا فاذا كان ما ذكرنا كان تأويل قوله ان
نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله انهم يؤمنون اذا شاء الله ولا يؤمنون وان نزلنا عليهم
الايات التي ذكر ولا اية اعظم مما ذكر من انزال الملائكة واحياء الموتى وتكليمهم انهم على الباطل وان الحق هو الذي
دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه دل هذا كله ان الاية لا يضطر اهلها الى الايمان والله اعلم وقوله عز وجل
استحوذ عليهم الشيطان قال ابن عباس رضي الله عنهما استحوذ اي عليهم الشيطان وقال مقاتل اي احاط بهم وقال
الزجاج والقتبي اي استولى عليهم وذلك كله يرجع الى معنى واحد وفيه ان الشيطان قد سلط عليهم حتى غلب عليهم ثم
باجابتهم بما دعاهم اليه من معادات الله ورسوله والمؤمنين ولكن سلطانه على ما ذكر وهو قوله انما سلطانه
على الذين يتولونه فغلبهم اذا عملوا بما اراد واجابوه الى ما دعا وقوله عز وجل فانساهم ذكر الله يحتمل اي انساهم
عظمة الله اي نعم الله واحسانه او شكر نعمه وقوله عز وجل اولئك حزب الشيطان الحزب هو جمع الفرق تحزبوا اي تفرقوا
فحزبه هو جنده كما قال اهل التأويل لانهم يصيرون فرقا ثم يجتمعون فيكون جندا له وجند الرجل هم الذين يستعملهم فيما شاء
من القتال وغيره ويصدرون لرايه فعلى ذلك اولئك الكفرة هم جنده وقوله عز وجل الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
لانه مناهم في الدنيا امورا واملهم امالا فيما اتبعوه فلم يصلوا الى شيء من ذلك وفي الاخرة بقوله ان لا بعث ولا جنة
ولا نار ولهم فيها عذاب فخسروا الدارين جميعا وقوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين قيل
في الاسفلين وقيل في المهزومين وقيل في الاخرين وقيل هو في الاخرة كقوله تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
واما في الدنيا وربما يكونون هم الغالبين ومنهم من يقول ذلك في الدارين جميعا هم الاذلاء والله اعلم وقوله
عز وجل كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضاء الله لاغلبن ثم قال بعضهم لنغلبن محمد صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين وعلى ذلك وجائز ان يكون المراد منه جميع رسله
كقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى انا لننصر
رسلنا والذين امنوا ثم الغلبة قد يكون من وجهين احدهما بالحجج والبراهين وما من رسول الا وقد غلب على خصمائه بالحجة
والثاني بالقتال والحرب وكانت العاقبة للرسل عليهم السلام لما لم يذكر انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم و
اضافة الغلبة الى نفسه على ارادة الرسل واوليائه على ما ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل ان الله قوي عزيز قوي بذاته لا ان
قوته من دونه وكذلك كل من دونه بتكوينه او يكون فيه بشارة لاوليائه انه قوي عزيز بذاته ان ينصرهم على اعدائهم ويقهرهم
وقوله عز وجل لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله الاية قال عامة اهل التأويل نزلت في حاطب
ابن ابي بلتعة لانه كان كتب الى اهل مكة ان رسول الله يقصد اليكم فخذوا حذركم وكان له بمكة اهل فاراد ان يكون له عندهم
يد فسير بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حملك على هذا فقال ما ذكرنا فنزلت الاية فان كان فيه ما ذكروا ففي
براءته من وجهين احدهما انه لم يرجع عن الايمان والتصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا يعود الى مثله بذلك ابدا والثاني
انه لم يقصد بصنيعه موادتهم ولكن قصد القاء المودة اليهم ليقع عندهم انه وادهم وهو في الحقيقة يلقي المودة وقد يكون
يكون ذلك كقوله تعالى يلقون اليهم بالمودة والله اعلم وان كانت الاية في غير حاطب فهي في المؤمنين الذين حققوا الايمان

بالله تعالى وتبتوا الا ان اهل الايمان كانوا اصنافا ثلاثة صنف منهم يحققون الايمان يظهرون القتال مع اعدائهم ور[illegible]
وصنف منهم لا يقدرون على اظهار ذلك والمناسبة معهم ولكن يتبعون الا قربا منهم والصنف الثالث مترددون
يوادون الكفرة في السر ويظهرون الموافقة للمؤمنين فجائز ان يكون قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله اي الذين
يحققون الايمان بالله تعالى واليوم الاخر يوادون من حاد الله ولكن انما يوادهم من لم يحقق الايمان فيكون فيه اخبار
عن اثبات الايمان في قلوبهم كقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت في قلوبهم الايمان فلا يرجعون عنه
وفيه ان الايمان موضعه القلب وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ما كان لقوم يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يوادوا
من حاد الله وقوله عز وجل وايدهم بروح منه قيل ايدهم بنور الايمان الذي اثبت في قلوبهم واخبر عز وجل انه اثبت
المؤمنين على الايمان فقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وقال كلمة طيبة كشجرة طيبة وقيل وايدهم بروح
منه اي برحمة منه ثم وصف حالهم وثوابهم في الاخرة فقال ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي
الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله اي جند الله على ما ذكرنا انهم يأتمرون بامره ويقاتلون اعداءه ويوالون اولياءه فهم
جند الله وقوله عز وجل الا ان حزب الله هم المفلحون قيل هم الناجون وقيل الباقون في نعم الله تعالى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم قد سبق تاويل التسبيح وبيان وجوهه وقوله
وهو العزيز الحكيم العزيز هو الغالب القاهر وقيل هو العزيز حيث جعل في كل شيء من خلقه اثر الذل والحاجة وقوله الحكيم
الحكيم له معنيين معنى الحكم فاما معنى الاحكام فهو انه احكم الاشياء على اختلافها وتضادها حيث يشهد له بالوحدانية
وحكيم حيث وضع الاشياء مواضعها وخلق الاشياء مواضع ثم الاصول التي يتولد منها هذه الاشياء والافعال ثلاثة
الكتابات والطبايع والعقول اما الكتابات فنحو النطفة انها بحيث يصلح ان يكون منها البشر اذا اتصلت بها مواد
ونحو الماء انه جعله بحيث يحيى به كل شيء وبحيث يصلح به كل شيء والطبايع حيث خلق في البشر وهي ما يميلون بها الى المحاسن
والمنافع ويحذرون من المساوي والمضار والعقول ليدركوا به العواقب ثم انه عليهم الوجوه الذي يتولد من هذه الاشياء
فهو حكيم حيث خلق الاصول التي وصفنا وعلم عباده الاسباب التي بها يتولدون والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي اخرج
الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر بني قريظة وقال غيره من المفسرين هم بنو النضير وهو الاقرب ثم المعنى
في اضافة الاخراج اليه يخرج على وجهين احدهما انه اضطرهم الى الخروج فنسب الاخراج اليه كما قال الله عز وجل اذ اخرجه الذين كفروا الاية
والثاني انه خلق الخروج من ديارهم منهم فاضيف اليه بحكم الخلق ثم الاصل في اضافة الفعل الى الله تعالى انه يجوز ان يضاف اليه على التحقيق
وعلى التسبيب ولما الخلق فلما يضاف الفعل اليهم على جهة التسبيب لا على التمكين والله اعلم وقوله عز وجل لاول الحشر اختلفوا فيه
قال بعضهم اول الحشر الجلاء الى الشام والحشر الثاني حشر القيامة وقال بعضهم اول الحشر هو حشر اهل الكتاب وجلاؤهم من جزيرة
العرب والحشر الثاني حين اجلاهم عمر رضي الله عنه الى الشام وقوله عز وجل ما ظننتم ان يخرجوا اي ما ظننتم ايها المؤمنون ان
تنصروا منهم فضلا من ان يخرجوا من ديارهم ولكن ذلك من لطف الله ومنه عليكم وقوله عز وجل وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله ولا يحتمل ان يتوهم احد هذا والمعنى في ذلك عندنا وجهان والله اعلم احدهما انهم ظنوا ان الله تعالى
حيث اتاهم القوة والحصون لا يبلغ بهم حكم المبلغ الذي يخرجون من ديارهم لانهم كانوا اهل كتاب وكانوا يزعمون انهم
اولى بالله من غيرهم كقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ويكون قوله من الله اي بالله وبامره كقوله تعالى له معقبات من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اي بامر الله [illegible] الاول والثاني انهم ظنوا ان
حصونهم وقوتهم يمنعهم من اولياء الله ان يظهروا عليهم [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل واتاهم الله
من حيث لم يحتسبوا يعني انه قذف في قلوبهم الرعب من حيث لم يحتسب المؤمنون ولا الكافرون لان المسلمين لم يظنوا ان يظهروا
ويغلبوهم مع قلة عددهم وكثرة عدد اولئك وكذا لم يحتسب الكفرة انهم مع قوتهم وقوة حصونهم يقهرون ويغلبون حتى من الله
تعالى على المؤمنين بان قذف الرعب في قلوب الكفرة ذلك لطف علمهم من الله تعالى المؤمنين والله اعلم ثم الاصل هاهنا
[illegible] هذا المخرج من نحو قوله عز وجل فاتى الله بنيانهم من القواعد ومن نحو قوله وجاء ربك والملك صفا صفا ومن نحو
قوله عز وجل الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام وما يشاكل ذلك انه يحمل على احدى معاني ثلث احدها ان يقول المراد اتيان
الله [illegible] ان يضاف اليه سبيل اضافة حقيقة الفعل [illegible] امر الله [illegible] لكنها
امر الله [illegible]
جائز ان يضاف اليه اضافة حقيقة الفعل والله اعلم والثاني ان يقال [illegible]
ان يراد منه تلك وانما نشكل اضافة هذا الفعل اليه مجازا على ما اعتاد الناس من اضافتهم اذا ارادوا [illegible] ان يأتوا بانفسهم
شرح ذلك وبيانه انه قال فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم فكان المقصود من هذا تلك الصلة وهو

قوله

قوله عز وجل فخر عليهم السقف من فوقهم وكذلك قوله تعالى فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب
وكذلك ما اشبهه من نحو قوله عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا ومن قوله تعالى ثم استوى الى السماء اي استوى
تدبيره من حيث وصل منافع الارض بمنافع السماء وكذلك ما اشبهه هذا والله اعلم والثالث يقول بان هذه الاسماء مشتركة
المعنى وما كان سبيله هذا السبيل جائز ان يضاف الى الله تعالى على معنى الظهور ونحوه وقوله عز وجل يخربون بيوتهم
بايديهم وايدي المؤمنين هذا يدل على ان الملك مسلين في اموال اهل الحرب ليس يقع بمجرد الغلبة ما لم يكن ثم امر لانه
اخبر ان المؤمنين كانوا يخربون بيوتهم اضاف الملك الى الكفرة مع ان الغلبة للمسلمين فدل ذلك على ما وصفنا والله اعلم
وقوله عز وجل فاعتبروا يا اولي الابصار يحتمل تاويلين احدهما ان يصرفه الى المسلمين اي اعتبروا يا اولي الابصار من المسلمين
فانكم اذا اعتبرتم علمتم ان الله تعالى من عليكم حيث اخرج الكفار من ديارهم فانه لم يكن ذلك بقوتكم ويحتمل ان يكون المعنى فيه فاعتبروا
يا اولي الابصار من اهل الكفار فان ذلك بيدكم ويعرفكم ان نفاقكم على النصرة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يغنيكم كما لم يغن
هؤلاء الذين خرجوا الى مكة وانفقوا مع المشركين ثم لم يغنهم والله اعلم وقوله عز وجل ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء
لعذبهم في الدنيا يعني لولا ان كتب الله عليهم الجلاء في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالقتل وقوله ولهم في الاخرة عذاب
النار قال هذا في قوم علم انهم يموتون على الكفرة الى المسلمين اي اعتبروا يا اولي الابصار من المسلمين فانكم اذا اعتبرتم علمتم
ان الله تعالى من عليكم حيث اخرج الكفار من ديارهم فانه لم يكن ذلك بقوتكم ويحتمل ان يكون المعنى فيه فاعتبروا يا اولي الابصار
من اهل الكفار فان ذلك بيدكم ويعرفكم ان اتفاقكم على النبي صلى الله عليه وسلم لا يغنيكم كما لم يغن هؤلاء الذين خرجوا الى
مكة واتفقوا مع المشركين ثم لم يغنهم والله اعلم وقوله عز وجل ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا يعني لولا
ان كتب الله عليهم الجلاء في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالقتل وقوله ولهم في الاخرة عذاب النار قال هذا في قوم علم
انهم يموتون على الكفر وما روي ان احدا منهم مات على الاسلام فيكون فيه دلالة ان رسول الله عليه السلام كان يخبر
ذلك بالوحي والتنزيل لا من تلقاء نفسه والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله يحتمل وجوها ثلاثة احدها
ان يقول ذلك يعني ذلك العذاب في الاخرة بسبب انهم شاقوا الله ورسوله ثم المشاقة والمعادات والمحادة والمضادة
بمنزلة واحدة وذلك كله بمعنى المعادات وقوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب يحتمل ان يكون على التقديم والتأخير
ووجهه ان يقول ان الله شديد العقاب لمن يشاق الله ورسوله ويكون فيه اضمار كانه يقول ان عقوبته لمن يشاق
الله ورسوله شديد وقوله عز وجل ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وما ذكر ان اليهود
نادوا المسلمين انكم تزعمون ان الله لا يحب الفساد وانتم تفسدون بقطع النخيل لا يحتمل هذا قال تعالى قيل هذا فانهم [illegible]
بيوتهم بايديهم وبايدي المؤمنين فاذا كانت انفسهم تسخو بتخريب البيوت فبالها لا تسخو بقطع الاشجار ومعلوم انه لا يبقى
في البيوت منفعة بعد تخريبها وقد يوصل في النخيل منافع بعد قطعها ولكن ان كان يصح ذلك الخبر فتاويله عندنا انهم رأوا ان
المسلمين خرجوا بالقتل فقالوا على اثر ذلك انكم اذا قتلتمونا سادت هذه النخيل لكم فكيف تفسدون اموالكم ثم في
اذن الله بقطع النخيل وجهان من التاويل احدهما ان يكون فيه بيان ان مقاتلة المسلمين اياهم لم يكن لرغبة في اموالهم
بل ليستسلموا لله ولرسوله ويخضعوا للدين والوجه الثاني ان حرمة هذه الاموال انما هي لحرمة اربابها فاذا اسقطت
حرمة اربابها وابيح قتلهم واتلافهم فما ظنك باموالهم والوجه الثالث ان الله عز وجل كتب عليهم الجلاء ومعلوم ان
انفسهم بالجلاء اذا خربت بيوتهم وقطعت اشجارهم اسخى منه اذا بقيت ليقطع طمع من اجلي عن المقام فاذن الله تعالى
في قطع النخل تماما لما كتب عليهم من الجلاء والله اعلم والرابع ان هؤلاء كانوا ائمة اليهود والتحريف والتبديل للتوراة انما وقع منهم رغبة في
الدنيا وسفهها فاذن الله تعالى في قطع النخيل عقوبة لهم وجزاء من الوجه الذي وقع له التبديل منهم والله اعلم وقوله عز وجل فباذن
الله ان كان المراد منه العلم فتوجيهه ان الله تعالى علم منهم ذلك ولو كان فسادا لنهاهم عن ذلك وان كان المراد منه
الامر فهو ان الله تعالى امر بالقطع والترك جميعا وان كان المراد منه المشية فهو ان الله تعالى قد شاء الامرين جميعا والله اعلم
واللينة النوع من النخيل كما يقول [illegible] وقوله عز وجل وليخزي الفاسقين اي ليكون ذلك كبتا وغيظا للفاسقين
والله اعلم وقوله عز وجل وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب قال هذه الاية ان يكون مؤخرة
وان يكون قوله عز وجل ما افاء الله على رسوله من اهل القرى متقدمة لوجهين احدهما انه ذكر فيه الواو فالواو لا يبتدأ
بها الا في القسم والثاني انه قوله وما افاء الله على رسوله منهم حرف كناية والكناية لا بد لها من معرفة يعطف عليها فيرجع
اليها فلذلك قلنا انه حقه التاخير وخولف التاليف التقديم وعلى ذلك قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه واذا كان
كذلك فتوجيهه ان الذي وجب صرفه الى الاصناف التي ذكرنا انما هو الخمس واوجب هاهنا من كل الغنيمة فبان بقوله وما
افاء الله على رسوله منهم انه انما يعرف منه الاربعة الاخماس الى النبي صلى الله عليه وسلم دونهم لهذا المعنى انهم لم يوجفوا
عليه من خيل ولا ركاب اشار الى ان استحقاقهم الاربعة الاخماس بسبب ايجاف الخيل والركاب والله اعلم وان كانت القراءة
على ما تلي لا يلتبس على التقديم والتأخير فانه يحتمل ان يكون قوله وما افاء الله على رسوله منهم صلة قوله يخربون بيوتهم

بايديهم وايدي المؤمنين وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب واذا كان بناء على ذلك استقام
ان يذكر بحرف الواو وحرف الكناية قال رضي الله عنه ان المنافقين واهل الضعف من المؤمنين الذين بالتقليد يعتقدون هذا
الموضع انه كيف خص هذه الغنيمة قرابته والمهاجرين الذين هاجروا اليه وكيف اثرها نفسه والجواب عن هذا ان هؤلاء
الاصناف قوم على عامة المسلمين تحمل مؤنتهم لولا هذه الغنيمة ومعلوم ان انفس المسلمين تبذل ما عليهم من تلك الامانة
سيحى بنه لو صرف الى كل واحد منهم على الاشاعة الى من ملكه الخاص وعلى هذا العبادة تجري مسائل لنا احدى هامارو
عن عمر رضي الله عنه انه جعل العقل على اهل الديوان لان ذلك يخرج مخرج المعونة ومعلوم ان المعونة على عامتهم فبذل
ما رجع من هذا الحق الى تلك العامة اسهل عليهم لو صرف الى خاصتهم وكذلك قوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار
فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ومعلوم ان منع تلك الزوجة عن ان يذهب الى دار الحرب يتبنى من مال
زوجها كان واجبا على العامة وكذلك المسلمون اذا اصابوا غنيمة وفيها مال مسلم قد غلب عليها المشركون انه ما دام الملك
للعامة ولم يقسم يرد عليه من غير بدل واذا اقتسموا واختص كل واحد بملكه لم ياخذه الا ببدل فكذلك الاول والله اعلم قال
الفقيه رحمه الله والذي يجب من جهة العرف والشريعة ان يكون تحمل مؤنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على امته اما من جهة
العرف فهو ان من عمل لغيره كان مؤنته على ذلك المعمول له وكذلك من جهة الشريعة ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقوم بامور امته في امور دنياهم واخرتهم واذا كان الامر على ما ذكرنا كان اولى ما يجعل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لنفسه فكيف وقد قسمه بين الفقراء واهل الحاجة ولم يوفره لنفسه ووجه اخر في هذا ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال احلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وقال نصرت بالرعب مسيرة شهرين فلو اختص ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم لنفسه لجاز له بما قال ولكن الله جعل الفيء له بين من كان تحمل مؤنتهم على المسلمين لولا هذا الفيء لكي يكون المنة
على امته ولئلا يكون لاحد من امته عنده عليه الصلوة والسلام يد ولا صنيعة والله اعلم ووجه اخر انه لم يؤذن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في كسب شيء من الدنيا فيقتنيها حتى يصطنع من فضولها بالمعروف فجعل الله له الفيء ليكتسب به الفضائل
والمعروف والله اعلم وفي قوله نصرت بالرعب مسيرة شهرين دلالة انما افاء الله على رسوله واعطاه فهو له خاصة يصنع
ما شاء ويفرق فيمن شاء والقول عند اصحابنا في الامام اذا اعطاه اهل الحرب ان يشترك فيه قومه لان هيبة الائمة انما هي
بقومهم لكان هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نصر بالرعب فجاز ان يختص لنفسه والله اعلم ثم قوله وما افاء الله على رسوله
من اهل القرى يعني رد الله على رسوله من ملك الكفرة او لما اعطى الله ورسوله من ملك الكفرة وقوله من اهل القرى يجوز
ان يكون قرى قد اعطوه او يكون هذه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح القرى وقوله عز وجل ولذي القربى يجوز
ان يقال ان الظاهر من هذه الاية ان يكون المراد منها قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما في قوله واعلموا انما غنمتم من
شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى فقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يدخل في هذه الاية بالتاويل وذلك
ان المفهوم من ذكر القرابة انما هو قرابة المخاطبين في الاية ومعلوم ان الخطاب في القسمة انما هو للمغتنمين وفي قوله عز وجل
ما افاء الله على رسوله انما يفهم منه قرابة الرسول عليه السلام واما سهم ذوي القربى فان اصحابنا يسلكون في ذلك مذهبين
منهم من يقول ان هذا الحق في الاصل للمحتاجين من القرابة لوجهين احدهما قوله واليتامى والمساكين وابن السبيل وكان المراد
منه مصروفا الى المحتاجين فكذلك في القرابة ومنهم من قال ان الخمس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصل به الى قرابته
فلما قبض عليه السلام انقطع ذلك الحق لوجهين احدهما قوله عليه السلام انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة والثاني
انهم انما كانوا يستوجبونه برسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قبض انقطع ذلك الحق على سبيل انقطاع الحقوق
عن اصحابها عند وفاتهم ثم للعابرة في منع ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الورثة وجهان احدهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يشتغل نفسه في شيء من لذات الدنيا وشهواتها وكان قائما لله تعالى خالصا
فاذا كان كذلك جاز ان يكون حقيقة الملك فيه لمولاه وان كان والظاهر له والله اعلم فان قيل ليست الاملاك
كلها لله تعالى قيل لهم نعم غير ان الاضافة قد تكون خصوصية فان كقوله تعالى ناقة الله وبيت الله ووجه اخر انما كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبوس عليه الى يوم القيمة الا ترى ان زوجاته محبوسات عليه لا يحللن لاحد بعده
ونبوته عليه لم يتحول بعده الى غيره جاز ايضا ان يوقف عليه ملكه عليه الصلوة والسلام ومعلوم ان ما كان موقوفا
نسبته التصدق والله اعلم وقوله عز وجل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم له معنيان احدهما انه لو لم يبين هذه
المواضع لكان ذلك الخمس الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يخلفه فيه الخلفاء من بعده فيتداوله الاغنياء
بينهم ومعنى اخر لو فرق هذا بين الفقير والغني لكان الغني حين يقع هذا في يده كان يكتسب به فضول الدنيا واما الفقير
فاول ما يقع في يده يستمتع به في منافع نفسه فلذلك فرق في الفقراء والله اعلم وقال بعضهم الدولة هي اسم
للذي يدور بين الناس والدولة واحد وهي فعله وقوله عز وجل وما اتاكم يعني منع وما منع منكم من هذا الفيء ثم
فانتهوا عنه وعلى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما اتاكم الرسول فخذوه يحمل معنى الامر ومعنى الاعطاء اي ما اتاكم

من الدنيا فخذوه وما نهاكم من الدنيا عنه يعني زجركم عنه فانتهوا عنه قال رحمه الله ويرى عامة الفقهاء يحتجون بهذه الاية
في موضع الامر بلفظ الايتاء وليس يوجب ظاهره هذا اذ الايتاء هو الاعطاء والتمليك كقوله واتوا الزكوة ولكن وجه الاحتجاج
ان الله تعالى لما امرنا بالاخذ من معروفه عليه السلام وان كان في اخذ المعروف من غيره صلى الله عليه وسلم خيار فلان يلزمنا
الاخذ بامره والاتباع له احرى واولى والله اعلم وقوله عز وجل واتقوا الله ان الله شديد العقاب هذا يؤكد ما ذكرنا من
اتباع امره والله اعلم وقوله عز وجل للفقراء المهاجرين الاية وما ينسق عليه من قوله والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم
وقوله والذين جاءوا من بعدهم الايات ظاهر هذا يقتضي ايجاب حق لهم لانه اذا قيل لفلان لم يكن بد من ان يقال كذا وكذا
واذا كان كذلك لم يكن بد من حق يذكر لهم ولا يحتمل ايضا ان يخفي الله تعالى علم ذلك الحق الذي اوجب لهذه الاصناف عن خلقه
فالسبيل في ذلك من جهة التاويل عندنا والله اعلم ثم يحتمل ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن جوابه لمن قال الفقراء
المهاجرين ويحتمل ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سئل ربه جل وعلا عن جوابه لمن قال للفقراء المهاجرين ثم انه يجوز ان يكون
ذلك الحق ما وصف من الخراج على اهل القرية اذا فتحت وهو ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لعلي وابن مسعود
رضي الله عنهما حين سواد الكوفة اني استشيركم في امر قد اغنانا الله تعالى عن مشورتكم حين تموت هذه الاية ثم تلا قوله للفقراء
المهاجرين ثم قال لهؤلاء خاصة وتلا قوله والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ثم قال ليس لهؤلاء خاصة وتلا قوله والذين
جاءوا من بعدهم وروي ان بلالا قال له اقسم بيننا كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بين اهل العسكر فقال اللهم اكفني
بلالا واصحابه ثم قال عمر رضي الله عنه لو قسمتها بينكم لتركت اخر عصابة في الاسلام لا يصيب من هذا واخبر الله بقوله والذين
جاءوا من بعدهم انهم شركاء هؤلاء فجائز ان يكون عمر رضي الله عنه حين تلا هذه الايات تذكر خبر الخيرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيعلم ان الحق الذي اوجب الله تعالى لهؤلاء ذلك ويجوز ان يكون الله تعالى اطلع لهم عليا وابن مسعود رضي الله عنهم
لانه روي انهما اشارا عليه بذلك ولذلك قال اصحابنا ان الامام اذا افتتح قرية من قرى اهل الحرب فهو فيها بالخيار
ان شاء قسمها ووظف عليهم الخراج وان شاء قسمها بين اهل العسكر وانما كان كذلك لان المقصود من المقاتلة احد معنيين
اما توسيع امكنة الاسلام ان يضيق وتضييق المكان بهم ليستسلموا لدين الله وينقادوا الامر وينظروا في حججه ليست
مقابلتهم عقوبة كفرهم بما وصفنا من المعنى وهذا المعنى قد يستفاد اذا وظف عليهم الخراج فلذلك كان للامام الخيار والله
اعلم ولو فهم بلال رضي الله عنه المعنى الذي لاجله قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بينهم لم يقسم سواد الكوفة
عليه والمعنى من قسمته عليه الصلوة والسلام خيبر بينهم عندنا والله اعلم هو ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية
بشرهم الله تعالى بفتح قريب عوضا عما نالهم فيما اصابهم واما سواد الكوفة فلم يكن فيها شيء من هذا المعنى فلم يجز ان يكون امره
مبنيا عليه والله اعلم ثم وقوله للفقراء المهاجرين يحتمل ان يكون المراد منه المجاهدين المقاطعين لاسباب عيشهم من الاموال
والديار اي لهم هذا الحق الذي سبق وصفه وقوله عز وجل الذين اخرجوا من ديارهم لم يخرجوهم من ديارهم في الحقيقة
ولكنهم ضيقوا عليهم حتى خرجوا فاضيف الاخراج اليهم اذا كانوا اسبابا لخروجهم وهذا كقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه
وابليس عليه لم يتول اخراجهما من الجنة ارضهما على سببا تيانه فلم يستقرا بعد في ذلك المكان فاضيفا الفعل اليه وقد وصفنا
ان هذه الافعال اذا اضيفت الى العباد فانما المعنى ذلك اسباب يكون منهم لا حقيقة تلك الافعال وما اضيفا الى الله تعالى
من ذلك فهو يحتمل الامرين جميعا الحقيقة والسبب في ذلك لاجل ان العبد لا يمكنه ان يقدر اخر على فعل عن وقت فعله
الا على السبب فاما رب العالمين فانه قادر على اقدار العبد على فعل وقت فعله ولذلك قلنا انه يجوز ان يراد حقيقة الفعل
فيما يضاف الى الله تعالى وهو الموفق وقوله عز وجل من ديارهم واموالهم يدل على انها كانت بمكة ديار واموال ثم مع هذا
لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شيء من ديارهم عليهم بعد فتح مكة ولا تضمين اولئك شيئا من اموالهم فيعلم
ان اهل الحرب اذا غلبوا على اموال المسلمين ملكوها والله اعلم وقوله عز وجل يبتغون فضلا من الله يعني انهم هاجروا والذين
وانقطعوا عن اسباب عيشهم من الاموال يبتغون الرزق من الله تعالى وقوله عز وجل وينصرون الله ورسوله ذلك
ان هذا الحق للمجاهدين منهم ثم وقوله وينصرون الله يحتمل وجهين احدهما ينصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
الله صلة والثاني ينصرون دين الله ويطيعون رسوله عليه السلام وقوله اولئك هم الصادقون يعني في دين الله
صدق الايمان من قلوبهم لهجرتهم لدينهم وسعيهم الى ما يزلفهم الى الله تعالى ويقرب اليه وقوله عز وجل والذين تبوءوا
الدار يعني الذين اتخذوا دارا واسعة يسعهم والمهاجرين وهم الانصار وقوله والايمان اي انهم امنوا قبل هجرة
هؤلاء ولكن يا من هؤلاء المهاجرين من اخيهم ولا يخافوا شرهم وقوله من قبلهم يعني من قبل الهجرة وقوله عز وجل يحبون
من هاجر اليهم يعني ان الله تعالى القى محبة حتى انزلوا المهاجرين ديارهم وانفقوا عليهم اموالهم وقوله عز وجل ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم خيبر بين المهاجرين وترك الانصار لم يقسم منها
لم يجد الانصار في قلوبهم حاجة مما اعطي المهاجرين يعني ان الله تعالى اغنى قلوبهم حتى لا تفكروا عن حاجة ولا البتة و
يحتمل ان يكون المعنى من الحاجة هاهنا الغل والحسد يعني ان الله تعالى طهر قلوبهم حتى لا يجدوا في صدورهم حاجة وقوله

عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اى يؤثرون على انفسهم فى املاكهم انهم لا يجدون بما يبذلون من
حاجة مما يملكون ويؤثرون المهاجرين على انفسهم ولو كان بهم حاجة وقوله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون ان الله تعالى خلق فى طبع البشر محبة المحاسن والمنافع وتشتهيها وبغض المساوى والمضار والهرب عنها ثم امتحنهم
بالانفاق مما يحبون وحمل النفس على ما يكرهون طلبا لنجاتهم وتوصلا الى ثوابهم ثم يكون وقاية الانفس من الشح يكون
بوجهين احدهما ان يمن الله على عبده ليبصر ما هو غايب عنه من الثواب فى الاجل كالشاهد فيخف عليه الانفاق مما يحب
ويصير ذلك كالطبع له والثانى يوفقه الله تعالى ويعصمه ويلهمه تعظيم امره ونهيه حتى يقهر نفسه ويحملها على الايتمار
بامر الله تعالى والانتهاء عما نهى عنه وان كان طبعها على خلاف ذلك ثم اضافة الوقاية الى نفسه يدل على انه قد بقى فى
خزانته شئ لم يؤته عبده حتى يصف نفسه بانه بقى عنده شح نفسه ولولا ذلك لم يكن لوعده بوقاية نفسه عن شحها
معنى والله اعلم وقوله عز وجل فاولئك هم المفلحون يعنى الباقون فى النعيم الدايم والفلاح فى الحقيقة هو البقاء فى النعيم
وقوله عز وجل والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا الاية قد علم الله تعالى انه قد يكون فى امة محمد صلى الله عليه وسلم
من يلعن سلفه حتى امرهم بالاستغفار لهم وفيه دلالة على فساد قول الروافض والخوارج والمعتزلة لان الروافض
من قولهم ان القوم لما ولوا الخلافة ابا بكر الصديق رضى الله عنه كفروا ومن قول الخوارج ان عليا رضى الله عنه كفر
بقتاله معاوية واصحابه وقالت المعتزلة بان من عدل عن الحق فى القتال خرج عن الايمان ولو كان ما ارتكبوا من القتال يكفرهم
او يخرجهم عن الايمان لم يكن للاستغفار معنى لان الله تعالى نهى عن الاستغفار للمشركين فاذا اذن ههنا بالاستغفار لهم
تبين بهذا ان ما ارتكبوا من الذنوب لم يخرجهم من الايمان ولا ابقى الاخوة فيما بينهم مع علمنا انه لم يكن بين الاخوة
والاولين اخوة الا فى الدين فلولا انهم كانوا مؤمنين لم يكن لابقاء الاخوة معنى والله اعلم ولانه قال تعالى ولا
تجعل فى قلوبنا غلا للذين امنوا ولو كان ذلك يخرجهم من الايمان لم يكن لهذا الدعاء معنى لان الواجب ان يكون
فى قلوب المؤمنين عداوة الكفار ومقتهم فلما ندب جل ثناؤه فى هذه الاية الى نفى الغل والحسد عن قلوبهم بتلك الدعوة
ثبت انهم كانوا مؤمنين ثم فى الامر بالاستغفار لهم دلالة انه قد كانت منهم ذنوب يستوجبون بها العقوبة لا فضل الله
ومغفرته وان كانوا فيما يتعاطون مجتهدين لنعلم انه ليس كل مجتهد مصيب ثم وقوله عز وجل ولا تجعل فى قلوبنا غلا
للذين امنوا يعنى عداوة يحتمل ان يكون المراد منه المؤمنين الذين سبقوهم ويحتمل ان يكون هذا فى كل المؤمنين
وقوله عز وجل ربنا انك رؤف رحيم الرحمة من الله تعالى فضل منه على عباده واحسانه اليهم الا ترى الى قوله
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب فاخبر ان رحمته هبة منه واحسان
الى عبده والله اعلم ثم الاستغفار فى حال الحيوة له معنيان احدهما طلب السبب الذى اذا جاء استوجب المغفرة والثانى فى
حقيقة المغفرة وفى حال الوفاة الا ليس الا طلب عين المغفرة فلما ندب جل وعلا الى الاستغفار لهم بعد وفاتهم وحال
الاستغفار بعد الوفاة على ما وصفنا لا يتوجه الا على حقيقة المغفرة ثبت ان ذنوبهم لم تخرجهم لانه لو كان من حكمه جل ثناؤه
ان لا يغفر لهم اذا ارتكبوا الكبيرة لم يكن فى الامر بالاستغفار لهم حكمة والله اعلم وقال جعفر بن حرب انه ليس فى قوله ولا
تجعل فى قلوبنا غلا ما يدل على انه يجعل فى قلوبهم لانه اذا قيل لا تفعل فلانا شيئا لم يفهم انه يفعله اذا احب ولكن يجاب عن
هذا انه ذكر الله تعالى نصا فى اية اخرى ما يدل على جعل العداوة الا ترى انه قال واغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
فان قالوا معناه انجلى منهم وبينها لا انه جعلها قلنا غير محتمل ان يخلق الله تعالى العداوة فى قلوبهم من غير فعل يكون منهم بها
وان كان كذلك ثبت انه يخلق هذه الاشياء وقت فعل العبد لها والله اعلم وقوله عز وجل الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب هذه الاية يدل ان الله تعالى جعل حجة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على المنافقين
فى انفسهم لانهم قالوا هذا القول سرا منهم الى اهل الكتاب لانه لا يحتمل ان يظهروا مثل هذا القول بين يدى المؤمنين
ولا كان الكفار يخبرون بهذا احدا من المؤمنين فلما اخبر بما قال المنافقون ثبت انه ما علمه الا عن الوحى والتنزيل وذلك
علم نبوته عليهم والله اعلم وقوله عز وجل لئن اخرجتم لنخرجن معكم يحتمل وجهين احدهما انه يجوز ان يكونوا قالوا لهم هذا
على ان يكثروا اتباعهم فى القتال والثانى انهم قالوا ذلك لاهل الكتاب على حسبان منهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم
اذا علم بحال هؤلاء لم يخرجهم من المدينة خوفا ان يقال انه اخرج اصحابه واذا لم يخرج اولئك لم يخرج اهل الكتاب ولم يقاتلوا وقوله
ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعنى لا ننصر احدا فيكم ابدا وقوله عز وجل وان قوتلتم لننصرنكم يجوز ان يكونوا وعدوا نصرهم فى
قرى محصنة ثم اخبر انهم وان نصروهم ثم انهزموا هربا ونصروا وتولوا ولم ينصروهم بعد ذلك ابدا وقوله عز وجل والله
يشهد انهم لكاذبون وللقايل ان يقول كيف يشهد عليهم بالكذب والكذب انما يدخل فى الاخبار وقولهم الذى قالوه انما
هو وعد منهم فحققه ان يقال انهم لما خلفوا الوعد ومثل هذه الاية يحتج الخوارج فى تكفيرهم من اذنب ذنبا وذلك انهم يقولون
ان من امن بالله تعالى فقد اعتقد ان لا يعصيه فاذا عصاه تبين بعصيانه كذب فى اعتقاده فكفر لهذا المعنى ومن جوابنا
عن هذا ان قول المنافقين لاهل الكتاب اخبار منهم عن ضميرهم لانهم ابا هم فاخبر الله تعالى انهم كاذبون فيما اخبروا عن الموالاة

والله اعلم

والله اعلم وقوله عز وجل لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون فى هذه
الاية حجة رسالته عن الفريقين جميعا وذلك ان هذا خبر عن الغايب وذلك لا يوصل اليه الا بالتعليم ولم يكن النبى صلى
الله عليه وسلم اختلف الى احد يخبره ولا تلقن شيئا من احد من البشر فاذا اخبر عما يحدث وعما هو غايب ثبت انه ما قال الا عن
الرسالة والوحى والله اعلم قال ويجوز ان يكون الله تعالى ذكر المؤمنين بهذه الايات على ما لقى الرسول عليه السلام ممن كان
الواجب على ما عليه كان عادتهم الاحسان اليه وذلك انه كان من عادة العرب المعونة والنصرة لمن قاربهم فى النسب والقبيلة
وان كانوا ظالمين ثم ان الله سبحانه وتعالى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم من بين اظهرهم من قريش فاظهروا معه من العداوة ما اظهروا
حتى هموا بقتله وجعل محمدا صلى الله عليه وسلم حين ارسله حجة يظهر لليهود والنصارى وجميع اهل ما ذكر فى كتابهم من نعته
وصفته فقابلوه بذلك ما قابلوا من سوء الصنيع واظهار العداوة وكان هذا كله والله اعلم حجة وعلامة يعلم بها ان رسالته عليه
السلام لم يظهر بمعاونة احد بل بنصر الله وفضله وتاييده والله المستعان وقوله عز وجل لانتم اشد رهبة فى قلوبهم من الله
يحتمل ان يكون رهبة هؤلاء فى صدورهم على التحقيق ويجوز ان يكون على التمثيل واما وجه التمثيل هو ما قال يحلفون بالله انهم
لمنكم وما هم منكم ولكنهم تقربون فاخبر انهم يتقربون اليهم بالحلف فيجوز ان يكون معاملتهم هذه فى التمثيل معاملة من رهبهم
نسمى ذلك رهبة فى قلوبهم وهذا نحو قوله تعالى جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده يعنى جمع ماله جمع من يحسب ان ماله اخلده
فكذلك الاول ويجوز ان يكون على التحقيق وذلك ان وجهان من التاويل احدهما انهم كانوا يظهرون الموالاة لكل فريق وكان عندهم
ان الله تعالى ولى احد الفريقين لا محالة واذا غلب احد الفريقين يجزيهم ايضا فكانهم على هذا التاويل كانوا يرهبون الخلق جميعا
لا يختص به المؤمنون وكانوا لا يرهبون الله لانهم امنوا ناحيته من الوجه الذى وصفنا ويجوز ان يكون رهبتهم من المؤمنين
خاصة وذلك ان اهل النفاق انما كانوا احد الصنفين اما اذا كانوا دهرية فنافقوا او كانوا اهل كتاب فنافقوا فان
كانوا دهرية فكانوا لا يرهبون الله تعالى لما كانوا غير مقرين بالصانع وان كانوا اهل كتاب فانهم قد امنوا ايضا لما كانوا يصفون
من قولهم نحن ابناء الله واحباؤه واذا سقطت الرهبة من كلا الجانبين من الله تعالى خصلت الرهبة من المؤمنين خاصة والله
اعلم ويجوز ان يكون تفسير قوله تعالى لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله فى قوله ذلك بانهم قوم لا يفقهون وذلك
وجهين احدهما انهم لا يفقهون ان البلايا التى فى الدنيا ونعيمها تذكير البلايا الاخرة ونعيمها وكانوا يرون انها جعلت لا نفسها
واذا كان هذا وهمهم وحسبانهم لم يرهبوا من الله تعالى والثانى انهم قوم لا يفقهون من الوعد والوعيد بل كانت رهبتهم ممن
كانوا يأملون منهم المنافع ويحذرون مضارهم فلا يرهبون من الله تعالى وللقايل ان يقول انه لا احد من اهل الاسلام الا وهو
من الناس اشد من رهبته من الله تعالى الا ترى الرجل يمتنع عن الزلة عند اطلاع الناس عليه ما لا يمتنع عن كثير من الزلات
فيما بينه وبين الله تعالى والجواب عند هذا وجهان احدهما انه ليس بازاء الخوف من الانسان رجاء يرجوه وقوله وبازاء رهبته
من الله تعالى رجاء يرجون من رحمته وفضله واحسانه فيجوز ان يكون الرجاء من رحمة الله ورحمته وفضله يغلب عليه
فيقترف الذنب ويرتكبه والوجه الثانى اذا كان فيما يرتكبه من الذنب شركا فليس يرائيهم وانما خوفه من قوم فيهم
الصلاح واما اراءة النصر لدين الله تعالى ليس من نفس المخلوقين والله اعلم وقوله عز وجل لا يقاتلونكم جميعا الا فى
قرى محصنة قوله جميعا اى لا يقاتلكم اهل النفاق واهل الكتاب جميعا مادام انهم ليسوا بفاعلين ما وعدوا الاهل الكتاب
من النصر والقتال واحتمل ان يكون استثناء عن الوعد الذى وعدوا لاهل الكتاب فان كان عن القتال فهو يحتمل وجهين
احدهما انهم لا يقاتلون الا ان يكونوا فى قرى ادحصون او من وراء جدر ولا يعلم بهم اهل الاسلام والله اعلم وان كان على
الوجه الثانى فهو يحتمل وجهين ايضا احدهما انهم لا يوفون ما وعدوا من النصر فى القتال لاهل الكتاب ولكنهم يلحقون الى قرى
محصنة الا ترى الى ما اخبر تعالى منهم فى ناحية المسلمين وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون فى الاعراب يسئلون عن انبائكم
فاخبر انهم قد اظهروا الموالاة للمسلمين كما اظهروا لاهل الكتاب الى ان جاء القتال التجؤا الى مكان يستمعون من اخبارهم
فعلى ذلك النحو يجوز ان يكون فى اهل الكتاب والوجه الثانى انهم لا يقاتلون ولكنهم يدخلون فى قرى محصنة يتربصون
لمن يكون الظفر والعاقبة كما اخبر عنهم فى اية اخرى وهو قوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم
نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم فاخبر تعالى انهم يتربصون العاقبة فالتجاؤهم الى قرى محصنة
يجوز ان يكون بهذا التاويل والله اعلم وقوله عز وجل باسهم بينهم شديد يحتمل وجهين احدهما ان يقول باسهم يعنى
قوتهم بينهم شديد ما لم يروا اعداء ظاهرة او يقول باسهم بينهم شديد ما دام القتال بينهم لانه ليس فيهم من اكرم بالرعب
مسيرة شهرين فاذا اكرم بالرعب هذا المقدار من المسير فلم يحرم ذلك فى اهل قريته واذا كان كذلك ثبت ان التاويل
ما وصفنا والله اعلم وقوله عز وجل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى لان همة المنافقين سلامة الانفس وراحة الابدان وهمة
اهل الكتاب الدين المذهب والسعى فى اقامته فاذا اختلف هممهم ومقاصدهم تشتت قلوبهم وذلك معنى قوله مذبذبين
بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يعنى فى الهمم والقلوب وقوله عز وجل ذلك بانهم قوم لا يعقلون يحتمل ثلاثة اوجه احدها
انهم لا يعقلون حتى الوعد والوعيد والثانى انهم لا ينتفعون بما يعقلون والثالث انهم لا يعقلون لم يكون لهم العاقبة وقد

وصفنا ان عادتهم التربص لمن يكون الظفر والعاقبة فاذا استبهت عليهم العاقبة ولم يعلموها لم يوالوا واحدا من الفريقين
في الظاهر والباطن جميعا والله اعلم وقوله عز وجل كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم الاية يجوز ان يكون في هذا
في هذا اضمار ومثل اخر كانه يقول مثل هؤلاء الكفار كمثل الذين كانوا من قبلهم وكذلك في قوله مثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء يعني مثل محمد صلى الله عليه وسلم مثل هؤلاء الكفار على اضمار مثل اخر ثم التمثيل وكيفيته
يحتمل وجهان اوله احدهما ان يقول مثل هؤلاء الكفار الذين اساؤا رسوله كمثل الكفار الذين اساؤا الرسل من قبله كانوا
قريبا ان ذاقوا وبال امرهم والوجه الثاني ان يقول مثل اهل المدينة من الكفار حين هموا باخراج الرسول من المدينة كمثل
اهل مكة حين اخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة وكان قريبا حتى ذاقوا وبال امرهم من الاسر والقتل والدليل
على ان كفار المدينة هموا باخراج الرسول صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها
الاية ويحتمل ان يكون تخصيصا لقرية او قبيلة ووجه ذلك ان يقول مثل بني قريظة كمثل الذين من قبلهم وهم بني النضير
وكانوا قريبا ان ذاقوا وبال امرهم والله اعلم وقوله ولهم عذاب اليم هذا اخبار انهم يموتون على الكفر وفيه دلالة
رسالته صلى الله عليه وسلم حيث اخبر عن الغيب وقوله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء
منك فكذلك المنافقون يظهرون المولاة والنصر فاذا جاء القتال امتنعوا وتبرؤا عنهم ثم قوله اني بريء منك يجوز
ان يكون في الاخرة حيث يقول ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتموني من قبل ويجوز ان يكون في الدنيا وهو قوله
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون الاية وقوله عز وجل فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء
الظالمين ظاهر وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله الاصل اذا
ذكرت حال بين العبد وبين سيده لم يكن بد من اضمار يدخل في ذلك مثاله قوله ان الله مع الذين اتقوا يعني انه
معهم في النصر والمعونة وقوله مع المحسنين في التوفيق والولاية وكذلك قوله عز وجل اتقوا الله لانه لا يحتمل
ان يتقي الله حتى يكون معهم في التقوى ادماج للفظ يقتضي هذا كقوله كونوا مع الصادقين اي في الصدق وانه
انت فيه الاضمار كان الوجه في ذلك احد معاني اما يقول اتقوا حق الله تعالى ان تضيعوه او اتقوه حذر ان تتعدوه
وتبطلوه او اتقوا سخطه واتقوا نقمته او اتقوا الاسباب التي يستوجبون بها مقت الله تعالى ويحتمل ان يراد من
التقوى في هذه الاية اوامره ونواهيه على ما وصفنا ان التقوى اذا اطلق جاز ان يراد به الاوامر والنواهي واذا ذكر
مقابلة امر كان المعنى منه محارمه ونواهيه والله اعلم وقوله عز وجل ولتنظر نفس ما قدمت لغد قال من عمل بما
امر في هذه الاية سلم من تبعات الاخرة لانه اذا اشعر قلبه وقت فعله ان الذي يفعله تقدمه لغد امتنع عن ارتكاب
ما يجب انه يستحيي عنده او يخرب عليه في ذلك الوقت واني بما يصبر عليه والله اعلم ويحتمل ان يكون معنى الاية على النظر
بما قدمته نفسه للغد وذلك انه اذا تفكر فنظر فيما تقدم نفسه للغد وذلك انه دعاه الى احد امرين اما الى التوبة
عن السيئة التي قدمها او الى الشكر على الحسنة التي تعاطاها وكل ذلك منه زيادة في الخير فكان الواجب ان لا يغفل
المرء عن ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا على الاستيناف من الافعال انه ينظر فيما يريد ان تقدمه لغد فان كانت
عاقبة الهلاك انتهى عنه وان كانت عاقبة النجاة مضى عليه واتى به والله اعلم ويحتمل قوله اتقوا الله ولتنظر نفس ما
قدمت لغد ان يكون المراد منه الاتقاء عن ترك النظر لما تقدمه نفس لغد والله اعلم وقوله عز وجل واتقوا الله ذكر قوله
واتقوا الله مرة اخرى والاية واحدة تحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد من الاول ان اتقوا مخافة الله في اوامره و
نواهيه وفي الثاني اتقوا سخطه وعقوبته وانما [...] على التكرار على ما جرت العادة في الكلام في التكرير عند الوعيد
على التاكيد كقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون وكقوله اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى والله اعلم وقوله عز وجل
والله خبير بما تعملون فيه تحريض على المراقبة والتيقظ وقت فعله لان من علم وقت فعله ان الله تعالى مطلع على ما يرتكبه
من الذنوب ويقترفه من الشرور امتنع عنها وازدجر وقد يحتمل ان يكون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت
لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد ووعيد [...] اوجه احدها في قوله اتقوا الله والثاني في قوله ولتنظر نفس ما قدمت
لغد والثالث في قوله واتقوا الله والرابع في قوله ان الله خبير بما تعملون ثم ذكر هذه الوعيد خرج بعد ما خاطب المؤمنين
كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا [...] الوعيد في المؤمنين اكثر من الوعيد في الكفرة لكن المؤمنين [...] للكافرين
ليعلموا [...] ليستوجبوا بذلك ما اعد للكافرين وهو كقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين ان الله عز وجل سمى
الاخرة ما سمي لغد لسرعة مجيئه وسمى الدنيا باسم الامس لسرعة فنائها وهو كقوله فجعلناها حصيدا كان لم تغن
بالامس فذكرهم ووعظهم بهذه الاية ليتفكر كل احد في نفسه ما به يخلص [...] على ما ذكر الله تعالى وقوله
عز وجل ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم قال بعض المفسرين نسوا الله اي نسوا العمل لله و
النسيان هو الترك اي تركوا العمل الواجب لله تعالى فانساهم انفسهم اي [...] لهم الله تعالى بما نسوا ثم الوجه عندنا

في الاية ان ليس احد من البشر يجعل عمله الا وهو يا مل بذلك نفعا لنفسه اذ من لا يجعل لمنفع فهو عابث في الشاهد وترك
العمل فهو لا الكفرة لما لم يا تمروا بامر الله تعالى ولم يطيعوه وتركوا العمل له صار تركهم العمل لله والعمل له عمل لانفسهم
فصار وتاركين العمل لانفسهم فكانه قال نسوا انفسهم فكانه قال نسوا انفسهم فصاروا منسيين وقوله عز وجل فانساهم
انفسهم اي خلق فعل النسيان والترك فيهم اضاف اختيار النسيان اليهم ثم اضاف الانسان الى نفسه واثبت فعله فيه
وليس هذا على ان تقدم منهم فعل النسيان ثم هو انساهم بعد ذلك لكن على خلق ذلك فيهم وقت ما اختاروا ذلك الفعل
وهو كقولهم هداه الله تعالى فاهتدى واهتدى فهداه الله فذلك كله في وقت واحد فكذلك هذا في الخذلان والنسيان
لما اختاروا فعل النسيان خلق الله تعالى ذلك النسيان فيه كما خلق الهداية والكفر عند اختياره ولا يجوز ان يحمل ذلك على
تقدم بعض على البعض وقوله عز وجل وانساهم انفسهم كقوله نسوا الله اذ قوله تعالى انفسهم في قوله نسوا الله اذ
قوله تعالى انفسهم في قوله نسوا الله اذ العمل لله هو العمل لانفسهم هو العمل للذين ابد به وجه الله فلذلك قلنا بان
كل واحد منهما لا في الاخرة ويحتمل وجها اخر وهو انهم لما تركوا طاعة الله تعالى خذلهم الله تعالى بتركهم امر الله تركهم انفسهم
لهم ولم يوفقهم للخيرات والطاعات وهو من اشد العقوبات ويحتمل ان يكون معناه اي يجازيهم في الاخرة في العذاب
الدائم فيكون ذلك جزاء لهم بما عملوا في الدنيا وبما تركوا من الايمان بالله تعالى وهذا ان التاويلان يرجعان الى ما ذكر من
الخذلان فيما فعلوا والله اعلم وقوله عز وجل اولئك هم الفاسقون فالفسق هو الخروج عن امر الله تعالى وقوله عز وجل لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون اي الناجون والفوز هو الظفر بالحاجة ثم قوله عز وجل لا يستوي اصحاب
النار واصحاب الجنة يحتمل وجهين احدهما ان لا يستوي في الدنيا او لا يستوي في الاخرة فان كان على الاول فمعناه لا
يستوي عمل اهل الجنة في الدنيا في العقول بعمل اهل النار وعمل اهل النار بالذي يستقبحه العقول واما افعال اهل
الجنة الداعية اليها بالتي يستحسنها العقول لان عمل هؤلاء بالذي ظهر بالبراهين والحجج وليس بعمل وتلك براهم
وما اقيم بالبراهين والحجج فهو في العقول احسن من الذي لا برهان عليه وكذلك كل عمل يستحق صاحبه عليه الثواب
فهو في العقول مستحسن وما يستحق صاحبه عليه العقاب فهو في العقول مستقبح فلم يستويا واما الوجه الثاني لا
يستوي جزاء اهل النار وجزاء اهل الجنة النعيم الدائم وفي النار الشدة والنقمة الدائمة فلم يستويا يذكرهم الله تعالى
هذا لينتبهوا عن غفلتهم ويعملوا لله تعالى حتى يستوجبوا بها الثواب في الاخرة وقوله عز وجل لو انزلنا هذا القران على
جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله الاية اختلف الناس في تاويل هذه الاية على التمثيل وهي على التنبيه
والتذكير وذهبوا في ذلك ان العرب اذا استقبلهم امر وارادوا ان يصفوه بالعظم والشدة كانوا يضربون
الامثال بما يعظم ذلك عندهم وصفه لم يكن يريدون به الحقيقة في ذلك وهو كقولهم عند شدة الامر اظلم على ما
بين السماء والارض وكقولهم ضاقت على الارض بوجهها وكما وصف الله تعالى من امر لوط عليه السلام وضاق بهم
ذرعا فهذا القول من العرب انما كان على التمثيل فيما يريدون ان يصفوا الشيء بغايته لا على الحقيقة لانه معلوم ان الدنيا
على ما كانت لم يتغير وكذلك لم يظلم عليه ذلك لكنهم تكلموا على التمثيل من شدة ما نزل بهم من الامر وكذلك قوله
تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله يقول لو كانت هذه الحجج التي على جبل مع
صلابته وشدته لخضع لله تعالى وانصدع من خشيته على وجه التمثيل لكن قلوب هؤلاء اقسى منه حيث لم يخضع ولم
يخشع وهو كقوله كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة قد يكون فيها منافع نحو خروج الماء وغيره فاما قلوب هؤلاء الكفرة
فليس فيها شيء من المنافع بل هي قاسية لا تخشع ولا تتصدع وعلى ذلك حملوا تاويل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
على التمثيل ليس على حقيقة ذلك وقال قائلون لو انزلنا هذا القران على جبل انه على حقيقة ذلك الفعل منه وهو الانصداع
والخشوع وكذلك تاويل قوله تكاد السموات يتفطرن منه فمعناه لو كان نزول هذا القران وما فيه من الاحكام والامانات
التي اوجب على البشر على الجبل وكان هو بحيث يملك قبول ذلك باختياره لقيام شرايطه لكان هو يفزع ويخضع ويتصدع
من خشية الله تعالى وكان لا يقبل مخافة ان لا يمكنه اداء ما لزمه بلزوله وهو كقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال الاية فيقول معناه لو انزلنا هذه الامانات التي في هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا او الامانات
التي في هذا القران مما قد يلزم المرء لا يمكن اداؤها كلها لان الامانات ما يكثر عددها فضلا من ان يمكن اداؤها على
التاويل يخرج على حقيقة التصدع ان لو انزل عليه مع عظمه وصلابته لانصدع فعلى هذا تاويل المحلين وتذكير لهم
بعضهم ان في هذه الاية تذكر الرسول صلى الله عليه وسلم منته عليهم وعلى جميع الرسل لولا فضل الله ومنته على
الرسل لكان لا يطيق احد من الرسل حمل ما في الكتب ولا اداء ما افترض عليهم من اداء الرسالة ولكنه من عليهم ذلك
حتى قاموا بذلك كله وهو كقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقال في موضع اخر ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر فيسر عليهم وقبل العمل بما فيه فيقولون كذلك وقوله ولو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله لتغير ما فيها لكنه من عليك ويسر ذكره عليك ووفقك تبليغ ما فيه الى اهله وقال قائلون فيه انه

الله تعالى لما اراد ان ينزل التورية على موسى عليه السلام وكانت فى لوح من زبرجد خضراء امر الملائكة ان يحملوها
فلم يطيقوا حملها فامرهم ان يحملوا على كل حرف منها فلم يطيقوا ذلك فخففها الله تعالى على موسى عليه السلام حتى حمل
ذلك فكذلك ذكر ذلك فى عيسى وداود عليهما السلام ثم خفف ذلك على الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكان تخفيف ذلك
لرسوله عليه الصلوة والسلام لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته كما لكنه خفف ذلك عليك كما خفف على
الانبياء من قبلك واليه يذهب الكلبى لكن انصح هذا الخبر فان ذلك الثقل لم يكن فى ذلك الكتابة التى فى الالواح
لكن ذلك فيما يلزمهم من العمل بذلك من اداء الامانات وغيرها لانه تعالى اخبر انه لو كان انزال هذا القرآن على
الجبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال فى موضع اخر انا عرضنا الامانة الاية ثم كانت تلك الالواح قد
احتملها الارض وامكنه لموسى عليه السلام حملها فكذلك هذا القرآن كله والتورية والانجيل والزبور وما قد
حقيقة ويمكن كتابته فى قلبك الا لواح ثبت ان المراد من ذكره ليس هو الحروف ان كان على ما فيه من الامر والنهى
واداء الامانة وانقاء الله من نقاته لا على نفسه تلك الالواح وهذا الذى ذكرنا هو تاويل القوم فى نزول هذه
الاية فاما انى لا علم لى بحقيقة تاويل هذه ولولا ان فى الاية تذكيرا وتنبيها لكنا نقول هى من المتشابه المكتوم
الذى لا يفسر لكنه لما خرج مخرج التذكير واسند اشكر ما سهل علينا قراته احتجنا الى تاويله **وقوله** عز وجل و
تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو ظاهر **وقوله** عز وجل هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم فمن الناس من يقول ان قوله هو من ارفع اسماء الله تعالى وذكر عن بعض اهل بيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه كان يدعو بقوله يا هو يا من لا اله الا هو وتاويل هذا الكلام ان كل شئ به هويته كان **وقوله** عز
وجل عالم الغيب والشهادة قيل فيه بوجوه ثلاثة احدها انه عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه والثانى بما قد كان
وبما يكون والثالث انه عليم بما قد كان ويكفيه ان كيف يكون اذا كان **وقوله** عز وجل هو الرحمن الرحيم فهما اسمان
مشتقان من الرحمة وهى هذه الرحمة وفى هذه الاية بيان وجوه اربعة احدها فيه بيان التوحيد وهو قوله هو
الله لا اله الا هو اذ لا اله هو اسم المعبود ان كل معبود دونه باطل والثانى ان فيه تنبيها وتحذيرا بان يتذكر الا
فى جميع احواله اطلاع الله تعالى عليه وعلمه فيه وذلك من قوله عالم الغيب والشهادة والثالث فيه ترغيب فى رحمته
واختيار لهم ان كل نعمة لهم فى الدنيا والاخرة من الله تعالى اذ فى قوله عز وجل الرحمن الرحيم والرابع ما ذكرنا فى قوله هو الله الذى
لا اله الا هو الملك القدوس الاية والاية الملك والملك اى ملك كل شئ له ليس لاحد سواه حقيقة الملك القدوس قيل
فيه بوجهين قال بعضهم القدوس هو المبارك والبركة اسم كل خير اى منه جميع الخيرات لكن لا يجوز ان يقال
لله تعالى يا مبارك وان كان المعنى منه يؤدى الى انه يأتى منه كل خير لانه لا يعرف فى اسمائه هذا بالنقل وعلينا ان
نسكت عن تسميته بما لم يسمه نفسه بذلك لذلك قلنا بانه لا يجوز التسمى بالمبارك والله الموفق والثانى
القدوس هو الطاهر يعنى هو مقدس عما قالت الملحدة والكفرة فيه من الولد والشريك **وقوله** عز وجل السلام
اختلف فى تاويله منهم من قال سمى نفسه سلاما لما هو سالم عن الافات وغيره من المخلوقين لا يسلمون من
حلول الافات بهم وقال اخرون سمى نفسه سلاما لما سلم المؤمنون من عذابه والتاويل الاول اقرب **وقوله** عز وجل
المؤمن اختلف الناس فى تاويله قال قايلون هو الامان اى يؤمن المؤمنين من العذاب ولا يمكن لاحد ان يؤمن
احدا من عذابه وقال قايلون اصله من الايمان وهو التصديق ثم ذلك يتوجه الى وجهين احدهما اى مصدق القول
بما وعد للمؤمنين الجنة والثانى المؤمن هو المصدق لما قال المؤمنون المصدقون من تصديقهم فيصدقهم
بما قالوا ومن الناس من قال سمى نفسه بما اخبر ان هذا القرآن لما بين يديه مصدق **وقوله** عز وجل المهيمن اختلف
فيه ايضا قال قايلون المهيمن هو الامين او قال قايلون المهيمن هو المسلط وقال قايلون المهيمن هو الشاهد
فمن قال بالاول فانه يذهب الى ان اصل ذلك من المؤتمن وهو من الامانة والى هذا التاويل يذهب القتبى
اى امينا فى كل ما يقول وفى كل ما يفعل ان لا يجوز ومن قال فانه هو المسلط اصله من هيمن يهيمن اسلط يسلط
سئل عن تاويل المسلط فقال هو كالقاهر اذ قهر العباد كلهم وهم ملك له ومن فسره بالشاهد فانه يحتمل تاويلين
احدهما اى شاهد على اعمال العباد وعلى العباد من حيث لا يغيب عنه شئ والثانى اى بما انزل على رسوله بالصدق
وهو كقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه اى شاهدا عليه **وقوله**
العزيز اى ما من عزيز دونه الا هو ذليل **وقوله** عز وجل الجبار قيل فيه بوجهين احدهما سمى نفسه الجبار لانه هو الجبر
لكل كسير فقال قايلون سمى نفسه لجبروته وعظمته ولا يجوز لاحد ان يسمى بذلك الاسم الا هو اى والله تعالى يجبر عن ان
يكون له امثال واشكال **وقوله** عز وجل المتكبر من الكبرياء والعظمة هذا الاسم لا يليق بغيره لان الخلق بعضهم لبعض اكفاء
فى الخلقة فلا فضل لاحد على اخر فلما استووا لم يجز لاحد على اخر التكبر فصار الحق فى ذلك لله تعالى والتكبر على الاخر هو الارتفاع
والانفة واحد وهو ان لا يرى لنفسه شكلا والله اعلم انما سمى نفسه متكبرا اذ هو متكبر لذاته لم يكن تكبره بغيره فلذلك قلنا

انه لا يستحق احد من المخلوقين التكبر الا الله تعالى اذ لم يكن احد شكله ولا ضدا ولا ندا واما غيره من المخلوقين فكل واحد منهم بالذكاء
له شكل **وقوله** سبحان الله عما يشركون فيه تنزيه الله تعالى عما قالت فيه الملحدة فهذا اسم سمى به نفسه وامر الملائكة و
الانبياء والمؤمنين ان يقولوا ذلك ومعنى قوله سبحان الله اى معاذ الله ان يكون ذلك على ما قالت الكفرة وسمى نفسه
جبارا لما انه يجبر الاشياء فيجعلها على ما يشاء وهو كقوله يصوركم فى الارحام كيف يشاء على ما يريد الاشياء لا على ما يريد
غيره قال رحمه الله ان الله تعالى يتعالى بمعانى اربعة احدها تعاليه عن الظلم والجور وجميع ما لا يليق والثانى تعاليه على
الاشياء كلها بقهره لها وتصريفه اياها على ما يشاء اى ليس احد يقهره بل هو يقهر الخلايق والثالث تعاليه عن مشابهة الخلق
والآفة وكل من هو دونه لا يخلوا عن ذلك والرابع تعاليه عما قال الظالمون فيه من الولد والاضداد والاشكال والانداد
وتعاليه عن جميع الشوائب الذى يصيب الخلق والله المستعان **وقوله** عز وجل هو الله الخالق البارى المصور فالخالق
والبارى واحد ويقال براه اى خلق والبرية هو الخلق ويقال سميت البرية برية لانه خلق من التراب اذ البرى هو التراب
وقوله المصور والمصور هو الذى يعطى كل شئ صورته فيصوره على ما هو فالتصوير هو بيان الحدود وقول الناس صور
الامر عندى اى بينه **وقوله** له الاسماء الحسنى اى الامثال العلى وهو الصفات اذ الصفة يرجع الى وجهين الى الصفة
فانه يرجع الى حقيقة ذلك وان رجع الى التشبيه فانه لا يرجع الى حقيقة ذلك ثم **وقوله** له الاسماء الحسنى الصفات
العلى اى لا يسمى بذلك الا هو اذ لا يقال لغيره الرب ولا الرحمن ولا المالك الا ان يضاف ذلك الى شئ فاما التعريف مطلق فلا
ذلك الا له عز وعلا ويحتمل وجها اخر اى لا شبيه له فى اسمائه وان يشركه احد فى تلك الاسماء بل هى خاصة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة هذه الاية واما اشبهها من نحو قوله
يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم وفى كل ما ذكر يا ايها الذين امنوا دلالة واضحة ان الايمان وحد فى نفسه وانه ليس كما
قالت الحشوية والمعتزلة واصحاب الحديث ان الطاعات كلها ايمان ووجه ذلك انه لو فى نفسه قد فهم من هذه الاية انه
يحتمل لهذا الخطاب وانه لازم له فثبت انه وحد فى نفسه وهو التصديق بالقلب وغيره من الطاعات شرايعه والله اعلم
وفيما ذكر من قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم وما اشبهها من الاى دلالة على ان الانسان ما يشاء هذه وليس كما
النظام ان الانسان انما هو جسم اخر لطيف فى هذا الانسان والاكال الناس شئ ان الانسان انما هو جوهر بسيط هذه
الانسان ووجه ذلك انه ليس كل احد يعلم ان فى نفسه جوهرا بسيطا او جسما اخر فيه لطيف وقد فهم الكل من هذه الايات
انه محتمل للخطاب بها فثبت بما وصفنا ان الانسان هو ما يشاهد والله اعلم وفيه دلالة ان ما يفهم من هذه الايات من
عموم او خصوص ليس يفهم بظاهر الخطاب ولكن بما يوجبه الحكمة فان اوجبت عمومها اجروها على عمومها وان اوجبت
تخصيصها اجروها على ذلك والذى يدل على ما وصفنا انه قال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وهذا
مخرجه فى الظاهر على العموم ولكنه لما قال تلقون اليهم بالمودة ومعلوم ان الذى كان يلقى بالمودة خاصا لا كل المؤمنين
فكان يجب ان يكون مجراها على الخصوص لتبين فى سياق هذه الاية ولكن الحكمة يوجب تعميم هذه الاية لانه لو قال لواحد لا تتخذ
عدوى وعدوكم اولياء كان هذا الخطاب لازما للكل ما يوجبه الحكمة انه اذا علم من احد عداوته ان لا تتخذه وليا وكذلك
قوله وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم خرج مخرج العموم فى الظاهر ولكن الذين اخرجوه انما كان اهل مكة
خاصة دون سائر الكفرة فهذا تبين ان ما اجرى مجرى العموم لم يجر الظاهر اللفظ ولكن ما يوجبه الحكمة والدليل ولكن
قوله تعالى اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله الاية ليس ان السعى انما فرض يوم الجمعة لتخصيصه
بالذكر ولكن لما ان النداء فى يوم الجمعة الى ذكرين وفى غيره من الايام الى ذكر واحد ولاجل ان النداء المضيق فى يوم الجمعة
هو النداء الاول وفى غيره من الايام هو نداء الثانى فاذا جاز ان يكون فرض السعى فى يوم الجمعة انما هو لهذين المعنيين ثبت ان
التخصيص ليس لظاهر اللفظ والله اعلم وفى هذه الاية دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم وذلك ان قوله تسرون اليهم
بالمودة ان ذلك الرجل لم يطلع على سره احدا وقد اطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بالكتاب فثبت
انه علمه بالوحى والله اعلم ثم اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقال الحسن انها نزلت فى اهل النفاق وقال غيره من
عامة المفسرين انها نزلت فى حاطب بن بلتعة وهذا اشبه التاويل بالصواب واقرب الى الحق وذلك ان الله تعالى
قال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم فاخبر ان الكفرة عدو لهم ولو كانت الاية فى اهل النفاق لم يكن الكفرة
عدوا لهم بل كانوا اولياء فثبت ان المراد منه المؤمنون والله اعلم وفى هذه الاية دلالة ان ذلك الذنب الذى ارتكبه
ذلك الرجل لم يخرجه من الولاية لانه قال لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء ولو كان ذلك الذنب يكفره ويخرجه عن
الايمان لم يكن ذلك الكافر عدوا له ويكون وليا له بقوله وان الظالمين اولياء بعض ولاجل انه قال يا ايها الذين
امنوا سماه مؤمنا والدليل على ان ذلك الذنب كان كبيرة انه اخبرهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهزهم للقتال

وفيما اخبار بان يبتعدوا القتال النبي صلى الله عليه وسلم وحربه ولا يشكل ان من امر بقتال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان مرتكب كبيرة واذا كان كذلك وقد ادخل الله تعالى في جملة المؤمنين بقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى
وبما وصفناه من الدليل ثبت ان الكبيرة لا تكفره ولا تغير اسم الايمان عنه والله الموفق ثم فيما نهانا ان نتخذ عدونا و
عدوه اولياء دلالة ان ليس في الحكمة اتخاذ الولاية مع الاعداء ثم من قول المعتزلة ان الله تعالى اراد من جميع عباده ان
يؤمنوا واذا اراد ان يؤمنوا فقد اراد ان يواليهم مع علمه انهم عداوته فكانهم وصفوا الله تعالى بما يخرجه من الحكمة و
يدخله في السفه والجهل بالعواقب وذلك كله منفي عن الله سبحانه وتعالى والمعتزلة فيما وصفوه فجرة فسقة ويخشى ان
يكونوا كفرة والله المستعان وقوله عز وجل تلقون اليهم بالمودة اى بما كتب في الكتاب وقوله عز وجل وقد كفروا بما جاءكم
من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم وقوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
يحتمل ان يكون ذلك فيمن هاجر من مكة الى المدينة وهو اقرب التاويلين لان خاطبا انما كان هاجر من مكة الى المدينة و
وفيه نزلت الاية ويحتمل ان يكون ذلك حين ارادوا الجهاد الى مكة والله اعلم اى ذلك كان وقوله تسرون اليهم بالمو[دة]
وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اى هو اعلم بما اخفيتم من كتبه الكتاب الى اهل مكة وما اعلنتم بما اظهرتم من العذر ذلك
وقوله عز وجل ومن يفعله منكم اى من اتخاذ الولاية مع اعدائه فقد ضل سواء السبيل في الاعتقاد ان من اعتقد
وفي الفعل ان لم يعتقده والله اعلم ثم وقوله عز وجل تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ه
لالتزام مراقبة الله تعالى في السر والعلانية وتحذير لهم ليجمعوا بين السر والعلانية وتخويف لهم عن ان يطلع رسو[له]
صلى الله عليه وسلم على سرايرهم كما اطلعه على امر الكتاب الى اهل مكة ثم في هذه الاية اعظم شيء وزجرهم ونهيهم عن
المعاصي وذلك انه لما اطلعه على جميع ما يتعاطونه من الذنوب سرا وعلانية فاذا علموا ان الرسول صلى الله عليه وسلم
يعلم من سرهم ما يعلم من علانيتهم بما يطلعه الله عليه يحملهم ذلك على الانتهاء عن المعاصي في السر والعلانية وعلى
الاجابة الى ما يدعوهم اليه والله اعلم وقوله عز وجل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا ايديهم نوجه خوف فيما دله عندنا
والله اعلم انه لما اراهم رغبوا في اموالهم ومودتهم رغبة منهم في الكفرة ان يحفظوا اولادهم واموالهم اخبرهم ان كيف يعنون
في حفظهم ذلك وهم لو قدروا عليكم وظفروا بكم قتلوكم واذوكم بالسنتهم فكانه يقول كيف توالوهم من حيث تسرون
اليهم بالمودة وهم لو ظفروا بكم قتلوكم وكانوا لكم اعداء وقوله عز وجل وودوا لو تكفرون يعني انهم يودون ان تكفروا
ومتابودون لو يكفروا ولو قدروا عليكم قتلوكم فمن كانت حالهم معكم مثل هذا فكيف تطمعون ان يحفظوا اولادكم
واموالكم وقوله عز وجل لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم له وجهان احدهما ان كيف توالون
الكفرة لمكان اولادكم وارحامكم وهم لا ينفعونكم يوم القيمة والثاني ان ارحامكم لا تنفعكم ولا تشفع لكم يوم القيمة
وقوله يفصل بينكم اى بينكم وبين ارحامكم لقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه والثاني ان يفصل بينكم
وبين ارحامكم لاختلاف اعمالكم فينزل كل واحد منكم منزلة عمله وقوله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين
معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله الاية الاصل في انباء المتقدمين انها غير هذه الامة
فما ذكر منها في المؤمنين منهم فهو تذكير للمؤمنين من هذه الامة وتعليم لهم معاملة الكفرة ومنابذتهم على مثل ما فعل هو
المؤمنين منهم بكفرهم من ساير الامم وقد ذكر منها في الكفرة من الامم الماضية فهو تخويف لكفرة هذه الامة لئلا يصنعوا
مثل صنيعهم فيستوجبوا من النقمة مثل ما استوجب اولئك وما كان منها في حق الرسل عليهم السلام فهو في حق المتبع
لرسولنا وسيدنا صلى الله عليه وسلم عن بعض ما مسه واصل اخر ان الخطاب قد يلزم المخاطب مرة بما يخاطب في نفسه ومرة
بما يؤمر بالاقتداء بغيره اذا كان ذلك الغير لم يفعل الا عن امره ثم ان الله تعالى امر المؤمنين من هذه الامة الاقتداء بابراهيم
عليه السلام ومن معه من المؤمنين واخبرهم عن معاملتهم اياهم وترك موالاتهم فكانه قال اتركوا موالاة
الكفرة والاسرار اليهم بالمودة ما داموا على كفرهم كما فعله ابراهيم عليه السلام والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء
منكم فنابذوهم ولم يوالوهم فافعلوا كفعلهم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فكانه قال اقتدوا بهم الا بما
قال ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني لا تستغفروا للمشركين مثل ما استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه المشرك
لانكم لا تعلمون المعنى الذي له استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه ثم اختلفوا في المعنى الذي له استغفر ابراهيم لابيه
فقال ابو بكر انه كان صلوات عليه وعدا ان يستغفر لابيه وراى ان ايجاب الوعد لازم عليه فاستغفر لهذا المعنى و
قال الحسن انه انما استغفر له لوقت توبته لا في حال الشرك لانه لا يتوهم انه لم يعلم انه لا يحل له ان يستغفر للمشرك ومن
علم انه لم يكن مسلما مؤمنا ثبت انما يستغفر لوقت اسلامه وعندنا الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة من الله تعالى
على وجهين احدهما مغفرة رحمة وفضل وكرم والثاني ان يوفقه للسبب الذي اذا جاء به غفر له الا ترى الى قوله استغفروا
ربكم انه كان غفارا اى للسبب الذي اذا جئتم به غفر لكم واذا كان كذلك جاز ان يكون استغفار ابراهيم لابيه على هذا
الوجه ان يكون طلب من الله تعالى التوفيق له بالسبب الذي اذا جاء به غفر له وذلك مستقيم ولكنه لما تبين انه لا يؤ[من]

لذلك السبب والله اعلم وقوله وما املك لك من الله من شيء اى لا املك ان ادفع عنك عذاب الله من شيء ولا املك انا هدايتك
دون ان يهديك الله فكانه قال سوى ان ادعوك بالتوفيق للهداية لا املك لك من عذاب الله من شيء وقوله عز وجل
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا يجوز ان يكون هذا عند المنابذة واظهار العداوة مع الكفرة يعني معتمدنا في النصر على
اعدائنا عند قلة عددنا وكثرة عددهم واليك مرجعنا ومفزعنا واليك المصير اذا قبضنا وقوله عز وجل ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا ذكر اهل التفسير ان تاويل هذه الاية يخرج على ثلثة اوجه احدها اى لا تسلط علينا اعدائنا فيظنوا انهم على
حق ونحن على باطل او لا تنزل علينا العذاب دونهم فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل او لا توسع عليهم الدنيا وتضيق
علينا فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل ولو كان التاويل هو الثاني لكان يجيء على هذا ان يكون الواجب عدول من هذه
الامة ان يسال الله تعالى العاقبة لئلا يتوهم فساقهم انهم على الحق ولكن الجواب عن هذا ان الفساق من هذه الامة قد علموا
ان الذي هم فيه من الفسق محظور واما الكفرة فان عندهم ان ما يدينون به من الكفر حق فاذا سلطوا على المؤمنين توهموا
ان الذي حسبوه حقا حق واما الفسقة من هذه الامة او علموا ان الفسق منهي عنه محظور ولا يقع لهم هذا الحسبان والله اعلم
ويحتمل ان يكون المعنى من قوله لا تجعلنا فتنة يعني عذابا اى سببا يعذب به الكفرة كما قال ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
وكان تاويله ان اتنا السبب الذي نستوجب به ما وعدتنا على رسلك فكذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل انك
انت العزيز الحكيم العزيز يعني المنتقم من اعدائه وقوله عز وجل لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم
يعني لقد كانت في ابراهيم والذين معه قدوة حسنة تحسبون بها اذا اقتديتم بهم واطعتموهم وقوله لمن كان يرجوا الله
واليوم الاخر يحتمل معنيين احدهما اى لمن كان يرجوا ثواب الله تعالى والثاني ان يؤمن بالبعث وذلك ان الله تعالى وصف امر
البعث في كتابه بصفات مختلفة مرة اضافه الى نفسه بقوله من كان يرجوا لقاء ربه المعنى منه البعث ومرة وصفه
بصفة اخرى وان كان المراد الثواب فيفيد اخبارا ان الراجي في الحقيقة هو الطالب لما يرجوه بالاسباب التي يرجوا الوصول
بها الى ما يرجى والخايف في الحقيقة هو الهارب عما حذر والمنتهي عما نهي عنه وخطر فان من اعتمد على مجرد الرجاء والخوف
دون التمسك بسببهما هو متمني على الله تعالى والدليل على ما بينا ما تقوله قوله عز وجل ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله الا تراه كيف حقق معنى الرجاء والمجاهدة في سبيل الله والعمل بطاعته والله اعلم وان
كان على البعث فكذلك ايضا لانه اذا هرب عما نهي عنه وطلب لما امر به فقد تبين انه يوالي من يفضي موالاته الى ثواب الله
ورحمته وانه يعادي من يفضي عاقبة موالاته الى نقمة الله وعذابه ومعلوم انه لا يفعل ذلك الا من يؤمن بالبعث لانه
من لم يؤمن بالبعث فانما يوالي من رجا منه منفعة الدنيا ويهرب عمن يضره في هذه الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتول
يعني من يتول عن طاعة الله فيما امره من الاقتداء بهم فان الله غني حميد يعني عن طاعة الخلق يعلم انه امرهم به لم يامرهم لحاجة له
في طاعتهم او المنفعة ترجع اليه بل هو غني عن كل ذلك وانما امرهم لحاجتهم الى ذلك ولما علم ان منافع طاعتهم ترجع اليهم
خاصة وقوله عز وجل حميد له معنيان معنى الحامد ومعنى المحمود فان كان المراد منه المحمود فمعناه ان الله تعالى يستحق الحمد
من خلقه بما انعم عليهم وان كان المراد الحامد فمعناه ان الله تعالى يحمد الخلق ويشكرهم حتى يجزيهم بالكثير من الثواب عن القليل
من الاعمال اذ يثني عليهم باعمالهم فهو الحميد من هذين المعنيين وقوله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ان الله امر المؤمنين بمعاداة الكفرة ومنابذتهم وترك موالاتهم ما داموا
كفارا ثم وعد ان يجعل بيننا وبينهم مودة اذا امنوا فكان في هذا من اعظم الدليل على ان الخلق عند الله تعالى في كل حال على ما
عليه في احوالهم وليس كما قال بعض الجهال انه يؤمن في وقت من الاوقات فهو عند الله مؤمن وهذا خلاف ما وصف الله
تعالى في هذه الاية والله اعلم ثم المعتزلة قد خالفوا هذه الايات وعاندوها على قولهم وذلك ان الله تعالى قال لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء من قولهم ان من كان على خلاف مذهبهم فهو عدو لهم ولا شك انهم يوالونه ويصافونه وقد
نهى الله تعالى عن هذا فهذا احدى الخلافين والثاني ان الله تعالى وعد ان يجعل بيننا وبينهم مودة ومن قولهم ان لا يقدر على
شيء افعال الخلق فكان الله تعالى على قولهم وعد ما لا يقدر عليه وهذا لا يليق بسفه خلق الله فكيف برب العالمين ثبت
انهم عاندوا هذه الايات والله اعلم وخلاف ثلث ان الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالقدرة والله قدير ومن قولهم
انه ليس بقادر على شيء من افعال الخلق فاي خلاف اشهر من هذا واظهر والله الموفق وقوله عز وجل لا ينهيكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم لا يحتمل ان يكون النهي وغيره في الاقساط لان
الاقساط هو العدل وليس ينهى عن العدل الى ما كان وليا او عدوا الا ترى الى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا
تعدلوا اعدلوا فقد اخبر انه لا يحل له ترك العدل لمكان العداوة واذا كان كذلك ثبت ان المراد واذا كان كذلك ثبت المراد
من هذا النهي وغيره وهو قوله ان تبروهم ثم الذي لم ينه عنه خلاف ما نهي في الظاهر لانه قال لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وقال فيما نهى انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم
من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومعلوم انه قد يجوز ان يبر من لا يجوز ان يتولاه الا ترى الى قوله وصاحبهما

فى الدنيا مامور وانما نهى عن تولى الكفار بقوله لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء ولكنه لما جاز ان يجتمع فى نفس واحد
البر وترك التولى فكذلك جايز ان يجتمع فى نفس واحد البر وترك التولى فكذلك جاز ان يؤمر بالبر ممن ينهى عن التولى
معه والله اعلم ثم قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين يحتمل ان يكون المراد منه لا ينهاكم بل يامركم ويحتمل
ان يكون معناه يرخص لكم كقوله فما ربحت تجارتهم ومعناه بل خسرت وان كان قد يجوز ان يكون التجارة اذا لم يربح لا يخسر
فكذلك قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين بل يامركم ان تبروهم ويحتمل ان يكون المراد بل يرخص لكم
ان تبروهم والله ثم اختلفوا فيمن امر ببرهم ونهى توليتهم فقال بعضهم هم المستضعفون من اهل مكة الذين امنوا
فى السر وخشوا اظهاره من المشركين فامر الله تعالى المؤمنين بالمدينة ان تبروهم بالكتب اليهم ليجتنبوا فى انقياد انفسهم
لان المشركين من اهل مكة اذا علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لهم كان يجوز ان تخشى على اولئك
المؤمنين المستضعفين فامر هؤلاء ان تبروهم بالكتاب اليهم ليتاهبوا فى انفسهم ويحيوا لو كان يخشى عليهم من المشركين والله
اعلم وقال بعضهم هذا فى الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذمة فامر المؤمنين ان تبروا ولهم فى
وفاء عهودهم الى مدتهم ونهاهم عن ان يتولوا من قاتلهم ونقض عهودهم وقال بعضهم فى النساء والولدان من المشركين
امر المؤمنين ان تبروهم بترك القتال وان لا يتولوا من قاتلهم من جملة الرجال من المشركين من الرجال بل يقاتلوهم ثم قال
ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون اى من يتولهم فى اعتقاد فاولئك هم الظالمون فى حق الاعتقاد ومن يتولهم فى الافعال
فاولئك هم الظالمون فى حق الافعال كما وصفنا فى قوله فقد ضل سواء السبيل وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا
جاءكم المؤمنات مهاجرات المعنى عندنا والله اعلم اذا جاءكم المؤمنات يعنى فيالوث بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان وكان المعنى منه من تكلم بالكفر وقلبه مطمئن بالايمان فكذلك يجوز ان يكون المعنى من الاول ماسبق
ذكره والله اعلم ثم ان المفسرين ذكروا وصف امتحانهن انهن يحلفن بالله ما اخرجهن من دارهن بغض ازواجهن او يحلفن
انهن ما اردن بخروجهن ارضا سوى ارضهن وانما اردن بذلك الاسلام وهذا تاويل فاسد وذلك انها اذا اسلمت
كان الحق عليها فى دينها ان تبغض زوجها الكافر كقوله تعالى وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله
وحده فكيف يجوز ان يكون صفة امتحانهن ماذكروا وحكم الشريعة والدين يوجب ما كن يفعلنه فلذلك قلنا ان هذا
التاويل الذى ذكره بعض المفسرين فى وصف الامتحان غير مستقيم ويجوز ان يكون تاويل امتحانهن على وجهين احدهما ان
يسترضعن عن الايمان ماهو فاذا اخبرن عن حقيقة الايمان علم انهن مؤمنات والثانى يعرضن عليهن ما على المؤمنات
فى ايمانهن كما قال تعالى لا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن فاذا قبلن ذلك كله كان ذلك امتحانهن والله اعلم وقوله
عز وجل والله اعلم بايمانهن هذا يدل على ان الذى كلف به المؤمنون من امتحانهن انما هو لما يعلموا من ايمانهن فى الظاهر
فيعملون به وعلم الشهادة ما يجوز ان يشهد على الله به وذلك انما يوصل اليه وذلك بما يطلعهم الله عليه نصا اما
بكتاب اوبسنة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم العمل هو الذى يتساغ فيه الاجتهاد وخبر الاحاد
وجهة القياس وغير ذلك وقوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ذكر فى القصة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صالح عام الحديبية مشركى اهل مكة على ان من اتاه من اهل مكة فهو عليهم رد ومن اتى مكة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لهم وغير ذلك وكتب بذلك كتابا وهو بالحديبية فلما فرغ من الكتاب اذا انت سبيعة
مسلمة فجاء زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رد على امرأتى فانك قد شرطت لنا ذلك وهذه
لم يجف بعد فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن الى الكفار يقول لا تردوهن الى ازواجهن الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن يقول لا يحل نكاح مؤمنة
لكافر ولا نكاح كافر لمؤمنة وقوله عز وجل واتوهم ما انفقوا يعنى اعطوا ازواجها الكافر ما انفق عليها من ماكان جرى
من الصلح بينهم وبين المسلمين ان ماخرج من نساء اهل مكة الى المدينة مؤمنات لم ترجعوهن الى الكفار واعطوا ازواجهن
ما انفقوا من المهور وماخرج من نساء المسلمين مرتدا ولم يرد الى المدينة واعطوا ازواجهن ما انفقوا ثم معلوم انه لا
يوخذ باعطاء الصداق واتيانه ما انفق غير الذى اخذ الصداق ولكن كان يوخذ به من كان من جنسه على ماذكرنا نظائره
فيما تقدم وكذلك قال اصحابنا ان اهل الاسلام ياخذون من تجار اهل الحرب مجازاة لما ياخذه اهل الحرب من تجار المسلمين
وانما يوخذ ذلك ممن كان من جنسه وان كان ذلك غير الذى اخذ منه وعلى ذلك يقول ان المحنة قد يجوز ان يستوى على
البر والفاجر واما يتنزل بالادنى من يمتحن يجوز ان لا يكون حاله مما تعالى من الذنوب والسيات لان الله تعالى يمتحن عبده فى هذه
الدنيا ابتداء واما فى الاخرة فلا يوخذ فيها احد بذنب الاخر يجزى كل بعمله ان شرا فشر وان خيرا فخير والله اعلم وقوله عز وجل
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن يقول لا اثم عليكم يعنى المسلمين ان تتزوجوهن اذا اتيتموهن مهورهن
وقوله عز وجل ولا تمسكوا بعصم الكوافر عن ابن عباس رضى الله عنه ان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت
قبل زوجها ثم اسلم بعد ذلك زوجها فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول قبل ان ينزل ولا تمسكوا بعصم

الكوافر فلما نزلت كان اذا اسلم الزوج وخرج الى دار الاسلام انقطعت العصمة بينه وبين امراته وكذلك المرأة اذا خرجت
وبقى الزوج ثم وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر قال بعضهم اى بعقد الكوافر فمن كانت له امرأة بمكة كافرة فلا يعتدن
بالمرأة الكافرة فانها ليست بامرأة له وقد انقطعت العصمة بينهما وقال بعضهم ولا تمسكوا بعصم الكوافر خطر علينا
الامتناع والكف والامساك من نكاح المهاجرة لاهل ذوجها الحربى والعصمة والعصمة المنع والكوافر يجوز ان
يتناول الرجال وظاهره فى هذا الموضع للرجال لانه فى ذكر المهاجرات والله اعلم وقوله عز وجل واسئلوا ما انفقتم
وليسئلوا ما انفقوا يقول اذا لحقت امرأة المسلم بكفار مكة فاسئلوا مهرها من اهل مكة وردوا الى زوجها وليسئلوا
ما انفقوا يقول ان جاءت امرأة من اهل مكة مهاجرة اليكم فردوا الى زوجها المشرك ما اعطاها من المهر وذلك
من اجل العهد الذى كان بين اهل مكة وبين النبى صلى الله عليه وسلم وقوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم يقول هذا هو حكم
الله يحكم بينكم يقول هذا هو حكم الله بين المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة فى ان يرد بعضهم على بعض
النفقة اى المهر وقوله والله عليم حكيم اى فيما حكم بين المسلمين واهل العهد ماذكرنا من الحكم وقوله فان فاتكم شئ
من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم يقول ان لحقت امرأة مؤمنة بكفار مكة من اهل الحرب من ليس بينكم وبينهم عهد
ولها زوج عندكم مسلم فعاقبتم اى اعقبكم مالا من الغنيمة فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من المهر مما
غنمتم من الغنيمة قبل القسمة واتقوا الله فيما فرض عليكم من هذا الذى انتم به مؤمنون اى مصدقون فلا تنقضوا
والله اعلم وهكذا روى عن مسروق رحمة الله عليه وعن الزهرى انه قال من حكم الله تعالى ان يسئلوا المسلمون من
الكفار مهر المرأة المسلمة اذا صارت اليهم ويسئل الكفار من المسلمين مهر من صارت الينا من نسائهم مسلمة فاقر
المؤمنون بحكم الله تعالى وابى المشركون ان يقروا بذلك فانزل الله تعالى قوله فان فاتكم شئ من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم
فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا فامر الله تعالى المسلمين اذا ذهبت امرأة مسلمة ولها زوج الى الكفار ان يردوا
الى زوجها ما اعطاها من المهر من صداق كان فى ايديهم مما يردون الى المشركين بمهاجرة امرأة منهم مسلمة الينا وان لم
يكن فى ايديهم صداق وجب رد ذلك على اهل الحرب فعوضوهم من غنيمة اصبتموها واصل هذا والله اعلم وان فاتكم شئ
مما انفقتم على ازواجكم ثم ظفرتم على اعدائكم وغنمتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مما فات عنهم مما نفقوا فكانه
يقول واسئلوا او ائت الذين ذهبت نساؤكم اليهم ما انفقتم فان سالتم ولم يعطوكم شيئا وفاتكم ذلك من ذلك الوجه
ثم قاتلتموهم وغنمتم فاعطوا الذين فات عنا ازواجهم ما انفقوا قال رحمه الله اعلم ان هذه الاية ينتظم احكاما احدها
جواز الاجتهاد والعلم بالعلم الظاهر فانه قال فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات اى بالاجتهاد والا
فلا ترجعوهن الى الكفار وهذا الحكم مبنى على العلم الظاهر دل ان العمل به جايز والثانى ان احد الزوجين اذا اسلم فى دار
واحد ما دار الاسلام او دار الحرب هل تقع الفرقة بنفس الاسلام او بانضمام شئ اليه قال بشر المريسى بان الفرقة تقع للحال
من غير انضمام شئ اخر اليه وقال الشافعى ان كانت المرأة مدخولا بها لم تقع الفرقة حتى تحيض ثلاث حيض وان كانت غير
مدخول بها وقعت الفرقة للحال وقال اصحابنا اذا كانا فى دار الحرب فاسلم احدهما لم تقع الفرقة حتى تحيض ثلاث حيض واذا
كانا فى دار الاسلام ذميين فاسلم احدهما لم تقع الفرقة حتى يعرض السلطان الاسلام على الاخر فاذا عرض عليه الاسلام و
ابى فرق بينهما فاما بشر احتج بظاهر قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن
حل لهم ولا هم يحلون لهن فقد اخبر انه لا يحل واحد منهما لصاحبه ولم يذكر شيئا اخر واما اصحابنا رحمهم الله فانهم احتجوا
وقالوا ان الفرقة لا تقع بنفس الاسلام بقوله اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فلو كانت الفرقة واقعة
بمجرد الايمان لم يكن للامتحان معنى فلما لم يذكر الحرمة الا بالامتحان ثبت ان الفرقة لا تقع الا بمجرد الايمان ويجوز ان
مثال هذا قوله تعالى الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة وحرم ذلك على المؤمنين ثم قال والذين يرمون ازواجهم فلو كان
الزنا يوجب الحرمة لم يكن هو راميا الزوجة اذا قال لها زنيت فكانه قال لم يكن بينى وبينك نكاح فلما اثبت رمى الزوجات
بقوله والذين يرمون ثبت ان الزنا لا يوجب حرمتها عليه فكذلك الايمان بمجرده لو كان يحرمها على الازواج لم يكن
للامر بالامتحان معنى فلما امر بالامتحان على ايمانها بعد ان اظهرت فى نفسها الايمان ثبت ان الحرمة لا تقع بنفس الايمان
حتى ينضم اليه شئ اخر وتبين ان العمل بظاهر الاية غير ممكن اذ لا يجرى على اطلاقها والله اعلم ودليل ثان فى ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث اسلموا انهم اسلم نساؤهم من بعدهم ثم لم يرد عن احد منهم انه جدد النكاح ولو كانت الفرقة تقع
بنفس الاسلام من احد الزوجين لكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بتجديد النكاح ثبت ان الفرقة لا
تقع بمجرد الاسلام والله اعلم والوجه الثالث ما روى عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين على اختلاف فالاتباع
باختلافهما لاد دين ونحوه روى عن ابن عباس رضى الله عنه انهما على النكاح حتى تحيض المرأة ثلاث حيض اذا كانا فى دار
الحرب وعن على رضى الله عنهما انهما على النكاح ما داما فى الهجرة وعن عمر رضى الله عنه انهما اذا كانا فى دار الاسلام كان
احدهما فهما على النكاح حين يعرض السلطان الاسلام على الاخر فهو لاء قد ثبت عنهم ان الفرقة لا تقع بنفس الاسلام

ان ينضاف اليه شئ اخر ولم يتبعض غيرهم خلافه فذلك يكون اجماعا فلذلك اخذ اصحابنا رحمهم الله تعالى بقوله والله اعلم والثالث
احد الزوجين اذا خرج الى دار الاسلام مهاجرا وبقي الاخر في دار الحرب تقع الفرقة بينهما عندنا وعند الشافعي لا تقع الفرقة
بتباين الدارين قال لان المسلم اذا دخل بامان لم يبطل نكاح امراته وكذلك لو دخل حربي الينا بامان لم تقع الفرقة بينه وبين
زوجته وكذلك لو اسلم الزوجان في دار الحرب ثم خرج احدهما الى دار الاسلام لم تقع الفرقة فعلمنا ان لا يعتبر باختلاف
الدارين في ايجاب الفرقة ولكن عندنا ليس معنى اختلاف الدارين ما ذكر انما معناه ان يكون احدهما من اهل دار الاسلام
اما بالاسلام او بالذمة والاخر من اهل دار الحرب فيكون حربيا كافرا فاما اذا كانا مسلمين فهما من اهل دار واحدة
وان كان احدهما مقيما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام وفي هذه الاية دلالة على ما قلنا من وجوه احدها انه
قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولو كانت الزوجية باقية بعد التباين لكان الزوج اولى
بها وبان يكون معه فلا معنى للنهي عن الرجوع الى الزوج الكافر وكذا قال عز وجل لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
اثبت الحرمة بين المهاجرات وازواجهن ولا يتصور بقاء النكاح في غير محل الحل او كان معناه تحريم الاستمتاع ولكن
النكاح لما لم يكن المقصود به الا الاستمتاع وما هذا من اثاره كان في تحريم الاستمتاع تحريم النكاح وكذا قوله تعالى
وآتوهم ما انفقوا دليل عليه ايضا فانه امر برد مهورهن الى الزوج ولو كانت الزوجية باقية لما استحق الزوج استرداد
المهر لانه لا يجوز ان يستحق البضع وبدله وكذلك قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن
ولو كان نكاح الاول باقيا لما جاز للمسلم في دار الاسلام ان يتزوجها وكذا قال تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر نهانا
عن الامساك والامتناع من تزوجها لاجل عصمة الزوج الكافر وحرمة دل ان الحرمة تقع بالتباين ودليل اخر من
جهة المعقول على ما ذكرنا وهو انهم اجمعوا انها اذا سبيت وقعت الفرقة حتى يحل للسابي وطء المسبية بعد
الاستبراء فاما ان تقع الفرقة باسلامها وقد اتفق الجمهور من الفقهاء رحمهم الله على انه لا تقع الفرقة بنفس الاسلام
اذا كان بعد الدخول ما لم ينضم اليه شئ اخر او يحدث الملك للسابي ومعلوم ان الملك لا يمنع النكاح الا ترى انه يجوز
ابتداء العقد على المملوكة ولهذا لو بيعت الجارية لم تقع الفرقة وان وجدت الملك فيها للمشتري وكذلك اذا مات
رجل وخلف امة منكوحة ثبت الملك فيها للوارث ولا يبطل النكاح واذا لم تثبت الفرقة بهذين الوجهين لم يبق
الا تباين الدارين فدل ان سبب الفرقة هو تباين الدارين في المسبية والتباين موجود في المهاجرة والله اعلم فان
احتجوا بما روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال رد النبي صلى الله عليه وسلم بنته زينب على ابي العاص بن
الربيع بالنكاح الاول بعد سنين وقد كانت زينب هاجرت الى المدينة وبقي زوجها مشركا بمكة ثم ردها عليه بالنكاح
الاول فدل ان اختلاف الدارين لا يوجب الفرقة فنقول له لا يصح الاحتجاج به من وجوه احدها انه ردها بعد ست سنين
بالنكاح الاول ولا خلاف بين الفقهاء انها لا ترد الى الزوج بالعقد الاول بعد انقضاء ثلاث حيض ومعلوم انه ليس في
العادة ان لا يكون ثلاث حيض في ست سنين فسقط الاحتجاج به والثاني انه روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال في اليهودية تسلم قبل زوجها انها املك بنفسها فكان من مذهبه ان الفرقة وقعت باسلامها والراوي متى عمل بخلاف
ما روى دل على انتساخه اذ لا يظن به انه خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالث ان عمرو بن شعيب روى عن ابيه
عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم رد بنته زينب رضي الله عنها على ابي العاص بنكاح ثان فوقع التعارض بين الحديثين
فبطل احتجاجه بالحديث ثم الترجيح لما روينا لان فيما رواه اخبار عن كونها زوجة له بعد ما اسلم الزوج ولم يعلم حدوث
عقد ثان وفي حديث عمرو بن شعيب اخبار عن حدوث عقد ثان بعد اسلامه والثاني اخبار عن معنى حادث علمه وهذا كما
رجحنا حديث ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم على حديث يزيد بن الاصم انه تزوجها
وهو حلال لان في حديث ابن عباس رضي الله عنه اخبارا عن حالة حادثة والخبر الاخر عن ظاهر الامر الاول والحديث بريرة
انه كان زوجها حرا حتى اعتقت ورواية من روى انه كان عبدا يكون الاول اولى لاخباره عن حال الحادثة في اخبار عن
ظاهر الحال فكان الاول اولى فكذلك هذا والرابع ان المهاجرة لا عدة عليها عند ابي حنيفة رحمه الله وعلى قولهما عليها
العدة وهذه الاية دليل ابي حنيفة رحمه الله من وجوه فانه عز وجل قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار نهى
عن الرد الى الزوج الاول ولو كانت عليها العدة لكان للزوج ان يردها الى مسكنه ليعيد الا ترى الى قوله تعالى اسكنوهن من
حيث سكنتم كيف امر الازواج باسكانهن في بيوتهم ما دمن في عدتهن فلما قال هاهنا فلا ترجعوهن الى الكفار دل على لا عدة
عليها وكذا قال ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فاباح نكاحها مطلقا من غير ذكر العدة وكذا قال ولا تمسكوا بعصم الكوافر
ولو كانت العدة عليها واجبة لكانت العصمة باقية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها الا ترى كيف جعل العدة في
حقه وان كان للزوج عليها حق كانت هي في عصمته وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر يوجب قطع العصمة فلما كانت
في ايجاب العدة ابقاء العصمة منهما ونهى الله تعالى عن ذلك فقطعناها واسقطنا العدة عنها والله اعلم ولانهم اجمعوا
انها اذا سبيت وقعت الفرقة وسقطت العدة والملك ليس بسبب لاسقاط العدة ولكنه بسبب لنقض العدة عند

السبي والمهاجرة والسبي لا يوجب لاسقاط دل سقوط العدة لاختلاف الدارين والله اعلم والخامس فيه
دليل على ان الكتاب يجوز ان ينسخ حكمه بترك الناس العمل فان في قوله واتوهم ما انفقوا وقوله واسالوا ما انفقتم
وليسالوا ما انفقوا الحكم متروك من غير ان يكون في تركه كتاب وسنة ولكن الناس لما اجمعوا على تركه وهذا امثاله في
حكم عرف ثبوته على الخصوص لمعنى ثم ينعدم المعنى فاما ما لا يعقل معناه يجب العمل بالكتاب ولا يترك الناس ولا يجوز لهم
الاجماع على تركه ولا يتحقق الاجماع على ذلك وبعض اصحابنا قالوا انه صار منسوخا بقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وبقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرء مسلم الا من طيبة من نفسه والله اعلم والسادس
في قوله تعالى واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا دلالة على انه سوى في الحكم بين اموالنا واموالهم ثم الاجماع
جرى على انا اذا غلبنا على اموال اهل الحرب ملكناها كذلك اذا غلبوا على اموالنا يجب ان يملكوها وفيما اوجب من
الحرمة اذا جاءتكم النسوة الينا مؤمنات مهاجرات دلالة على ان الاحكام في الانفس مختلفة وعلى هذا ما خلف كل واحد
منهما من المال في الدار التي هاجر منها الى الاخرى انه فيما لم يرو عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما فتح مكة
ان يكون تخصص عن شئ من تلك الاموال التي كانت مختلفة حين هاجروا الى المدينة فلا بد ان ذلك التوارث او لما
ذكرنا انما يكون فيما لم ومعلوم ان التوارث بين اهل الاسلام واهل الكفر منقطع واذا بطل وجه التوارث ثبت الوجه
الاخر والله اعلم والسابع في قوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم دلالة على وجوب العدل بين الاعداء وهو كقوله تعالى
ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقال ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وقال
هاهنا واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا سوى بين اموالنا واموالهم وهو العدل فكانه يقول ذلك امر في العدل
بينكم وبين اعدائكم حكم الله يحكم بينكم لكي اذا علموا ان العداوة لا يحملكم على ترك العدل حملهم على التالف وانعطف وعلموا
انكم اذا تركتم شهواتكم وانفقتم العدل والتسوية فليس ذلك من عندكم ولكن من عند الله تعالى فرغبهم ذلك في الاسلام
فكانه قال ذلك الذي امر من العدل وجعله سببا رغبا عداكم في الاسلام ويحملهم على التالف حكم الله يحكم بينكم
والله عليم حكيم يعني بما امر من العدل والتسوية حكيم لا يلحقه الخطاء في التدبير فدل ان العدل واجب بينهم والله
الموفق والثامن في الاية دلالة على ان النساء اذا ارتددن لم يقتلن فانه قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار فثبت انهم اذا لم تعلموهن مؤمنات رجعوهن الى الكفار لما كان تجري بينهم من الصلح ومعلوم انه اذا
رجعن الى الكفار بعد ما اظهرن الايمان كن مرتدات ولو كانت المرتدة يقتل لكان اذا اظهر ذلك عندهم فقتلوها
ولم يرجعوها الى الكفار فلما ثبت بما وصفنا انهم كانوا يصرفون النساء اليهم مع علمهم انهن مرتدات ثبت ان
المرتدة لا يقتل والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات يبايعنك الاية البايعة والهجرة
كانتا واجبتين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومعناهما اليوم واجب ايضا ذلك ان الهجرة انما كانت من مكة الى
المدينة احدهم اذا اسلم يخاف على نفسه من فساد الدين بالكفرة ان لو اقام بين اظهرهم وكان ايضا يحتاج الى علم
الشرايع والاحكام وانما انقطعت الهجرة اليوم من مكة الى المدينة فاما واحد من اهل الحرب اذا اسلم وخشي على
نفسه فساد الدين بالكفرة ان لو اقام بين اظهرهم فالواجب عليه ان يهاجر منها الى دار الاسلام ليامن فساد دينه
ويحصل على علم الشرايع واما المبايعة فان معناها في النساء ترغيبا الكفرة في الاسلام وفي الرجال لحمل الكفرة الى الاسلام
وذلك ان الذي امر به النساء من المبايعة من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال والكفرة اذا علموا ان هذا دينا يامر
فيه بامر فيه بمحاسن الامور رغبهم ذلك في الاسلام والذي امر به الرجال انما هو من جهة النصر والمجاهدة مع النبي
صلى الله عليه وسلم وذلك يظهر الاسلام ويبين وهذان المعنيان على كل نفسه في ازماننا هذا والله اعلم وقوله عز
وجل يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا يتوجه الى الاعتقاد والمعاملة جميعا ولا يسرقن يتضمن النهي عن الخيانة
في الاموال كافة والنقصان عن العبادة جملة لانه يقال اسرق السارق من سرق من صلوته وقوله عز وجل ولا
يزنين يحتمل ان يكون على حقيقة الزنا ويحتمل ان يكون على حقيقة الزنا وعلى دواعيه على ما روي من قوله عليه السلام
اليدان تزنيان والعينان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك او يكذبه وقوله عز وجل ولا ياتين ببهتان
يفترينه بين ايديهن وارجلهن يحتمل ان يكون نهيا عن النميمة عن الحاق الولد بازواجهن وهن يعلمن انه من الزنا و
هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه وقوله عز وجل ولا يعصينك في معروف فكانه امرهن ان ينتهين عن هذه
المناهي وان يتبعن امره الا ترى الى قوله يامرون بمعروف يجوز ان يكون هذا كناية عن الامر لانه بين النواهي والمناهي
ثم قال تعالى ولا يعصينك في معروف فكانه امرهن ان ينتهين عن هذه المناهي وان يتبعن امره الا ترى الى قوله تعالى يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله عز وجل فبايعهن واستغفر لهن الله ولم يقل هاهنا امتحنوهن كما قال في المهاجرات
ومعنى ذلك عندنا وجهان احدهما انه قد بين هاهنا وجه الامتحان بقوله ولا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين

فاستغنى عن ذكر الامتحان والوجه الثاني ان المهاجرات انما كن ياتين من دار الحرب ولم يكن علمن الشرايع فامتحن الى
الامتحان واما هؤلاء كن في دار الاسلام وقد علمن شرايعه فلم يذكر الامتحان لذلك والله اعلم وقوله عز وجل فبايعهن وا
ستغفر لهن الله هذا يدل على ان الكباير لا يخرجن عن الايمان لانه يعلم ان الاستغفار لما يجيء منهن من تضييع هذه الحدود
ولو خرجن بتضييعها من الايمان لم يامر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهن لان الاستغفار طلب المغفرة ويستحيل
ان يطلب منه مغفرة من ليس له غفران فدل على ما وصفنا ان ارتكاب الكباير لا يخرج صاحبه من الايمان والله اعلم وقوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم فكان الله عز وجل امرنا ان نغضب على من غضب هو عليه
وان نعادي من عاداه ونوالي من والاه وقوله عز وجل قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور الاية له
تاويلان احدهما ان اليهود غيروا نعت نبينا صلى الله عليه وسلم وحرفوه من التوراة فكان في التوراة ان الله تعالى
ايسهم من ثوابه في الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا ويجوز ان يكون معناه يا يئس هؤلاء من رحمة
الله كما يئس الكفار الذين هم في القبور من رحمة الله تعالى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض قال ههنا سبح وقال في موضع اخر يسبح ليعلم ان تسبيح غير منقطع
وانه قد سبح حين كان ويسبح الى ان يكون وفيه تسفيه اولئك الكفرة المتمردة وذلك ان التسبيح والثناء في الشاهد انما يرجع
الى المسبح والمثني لانه لا يثني الا على من يستحق الثناء ولا يسبح الا من يستحقه فاما تسبيح المسبح وثناء وخضوع له وتقرب
اليه وذلك يزيده شرفا ونبلا فكان لله عز وجل اخبر انه قد خضع لله تعالى واستسلم له واتى بما فيه شرف له وزين وتقرب
الى ربه الا الكفرة فانهم تركوا التسبيح لله تعالى مع ما فيه من نبلهم وشرفهم وزينهم والله الموفق ويجوز ان يكون ذكر
تسبيحهم ايضا من وجه اخر وهو انه لو كان لله تعالى بتسبيح شيء من الخلايق حاجة لكان في تسبيح من ذكر كفاية وغنا عن تسبيح
الكفرة ولكنهم تركوا التسبيح والله تعالى غني عنهم وعن تسبيحهم فما تركوه الا لانفسهم والله اعلم وقوله وهو العزيز
يدل على انه عزيز بذاته وان ترك التسبيح من الكفرة اياه ولا بد له بل هو عزيز منيع وقوله الحكيم يعني حكيم حيث جعل في
الاشياء المتضادة علم ربوبيته واية وحدانيته وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال بعضهم
هذه الاية في اهل النفاق في القتال لانهم تمنوا القتال فلما امرهم الله تعالى به قالوا لم كتبت علينا القتال فانزل الله
تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون اي لم تعدون ما لا تفون به منهم من قال انها في بعض المؤمنين
في القتال ايضا وانها على التقدم والتاخير ووجه ذلك انهم احبوا ان يعملوا باحب الاعمال الى الله تعالى يا ايها الذين
امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم الاية وقوله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فلم يفوا بما وعدوا
فانزل الله تعالى يا ايها لم تقولون ما لا تفعلون ويجوز ان يكون هذه الاية في كل مؤمن لانه قد اعتقد كل من امر بايمانه
الوفاء بما وعد من الطاعة لله تعالى والاستسلام والخضوع فاذا لم يف بما وعد خيف عليه في كل فعله ان يدخل تحت
هذه الاية وليس احد من المؤمنين قد وفى بما وعد كله والواجب عليه ان يتوب من ذلك توبة بليغة وقوله عز وجل
كبر مقتا عند الله المقت اشد البغض ومن استوجب مقت الله لزمه العقاب ولا محالة ولكنه يحتمل ان يكون هذا فيمن
اعتقد ترك الوفاء بما وعد واستحل ما نهاه الله تعالى فيستوجب مقت الله تعالى ونقمته لا محالة وان فيمن ثبت على اعتقا
ده في افعاله فالواجب ان يقسم الذنوب فيلزمه الخوف على مراتبها ودرجاتها والله اعلم وقوله عز وجل ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ليس فيه ان الله تعالى لا يحب المبارز لان الجهاد والقتال على المبارز
اشد وذلك انه اذا كان في الصف اعانه على القتال غيره فكان امنه على نفسه في الصف اكثر واما المبارز فانه وحده بنيل
مبين فان ظفر على صاحبه والا هلك والخوف عليه في ذلك اشد فيجب ان يكون المحنة فيه اكثر ولكنه يجوز ان يكون الله
تعالى عليهم بهذه الاية كيفية القتال ليستعين بعضهم ببعض وليكون كلهم واحدة لانهم اذا تفرقوا اختلفت اراؤهم
فيخشى عليهم الهزيمة والادبار واذا كانت اراؤهم متفقة وكلمتهم واحدة وشوكتهم واحدة وذلك قوة في القتال
وزيادة والله اعلم وقوله كانهم بنيان مرصوص قال بعضهم ضرب هذا المثل للثبات يعني اذا اصطفوا ثبتوا كالبنيان
المرصوص التي يكون ثابتة مستقرة لا ينتقض باد في شيء ومنهم من قال ضرب هذا المثل لان يكون كلمتهم واحدة ويعين
بعضهم بعضا ويشبه ان يكون للامرين جميعا لانهم اذا ثبتوا اعان بعضهم بعضا وكانت كلمتهم واحدة واذا كانت كلمتهم
واحدة كان ذلك ادعى الى الثبات واقرب اليه فلذلك قلنا انه يجوز ان يكون للامرين جميعا والله اعلم ثم المحبة يحتمل
وجهين احدهما عن الحلق والثاني الثناء عليهم بما يفعلون وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد
تعلمون اني رسول الله اليكم يحتمل وجهين احدهما تنبيه لهم واعلام عن معاملة اعتاروها فيما بينهم من غير ان تعلموا فيها

اذى موسى عليه السلام ثم ان قال في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط
اعمالكم وانتم لا تشعرون فيجوز ان يكونوا لا يعدون ذلك المعاملة اذى لموسى عليه السلام ولا يعلمونها فاخبرهم انها
يؤذيه لينتهوا عن ذلك والثاني انه يجوز ان يكونوا علموا ان ذلك والثاني انه يجوز ان يكونوا علموا ان ذلك يؤذي و
لكنهم عاندوه وكابروه فيخبرهم انكم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم وقد علمتم ان حق رسل الملوك
التعظيم والتبجيل فكيف رسول رب العالمين فاخبرهم انهم يؤذونه شكاية منهم اليهم ثم اختلفوا في الاذى فقال بعضهم
ان موسى عليه السلام كان لا يكشف عن نفسه فاذوه بان قالوا ان في بدنه افة ومكروه وقال بعضهم ان موسى عليه
السلام ذهب مع هارون عليه السلام الى جبل فقبض هرون في ذلك الجبل فاذوه بان قالوا انت قتلت اخاه ومنهم
من قال كانوا يؤذونه بالسنتهم حيث قالوا ارنا الله جهرة وبقولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وبقولهم لن نصبر على
طعام واحد ولكن الوجه ان يشار الى شيء بعينه فان كان التاويل هو الوجه الاول انهم اذوه من غير ان يعلموا
ان ذلك يؤذيه ان لا يعرف ابدا شيء من هذه الاوجه الثلاثة وان كان على الوجه الثاني فكذلك وان كان على الوجه الثالث جاز ان
يعرف له الوجوه منها والله اعلم ثم حق هذه في رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج على وجهين احدهما انه يجوز ان يكون بنو اسرائيل
اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكره الله امر موسى عليه السلام وايذايهم اياه ليكون فيه تصبير الرسول الله صلى الله عليه وسلم و
تسكينا لقلبه او يجوز ان يكون هذا تحذيرا لاصحابه عن ان يكونوا يرتكبوا ما يخاف ان يكون فيه اذاه عليه السلام والله اعلم وقوله
عز وجل فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم له معنيان احدهما اي بقول زاغ الله قلوبهم يعني خلق فعل الزيغ في قلوبهم يعني خذلهم الله
ووكلهم الى انفسهم قالت المعتزلة محتجين علينا ان الله تعالى قال وما يضل به الا الفاسقين ذكر انه انما يضله بعدما فسق وانتم
تقولون انه يضله وهو يهدي قلنا ان هذا عويز علينا وذلك انا نقول ان الله تعالى يضله لوقت اختيار الضلال ويزيغه
لوقت اختيار الزيغ واذا كان كذلك لم يلزم ما قالت المعتزلة مع انهم يقولون ان الله تعالى يضله بعد ضلاله بنفسه عقوبة
له ويريد له هدى بعد اهتدايه ثوابا له ولا يستقيم ذلك لانا قد نراه في الشاهد يكفر بعد ايمانه ويؤمن بعد كفره واذا كفر بعد
ما كان مؤمنا وذلك وقت يريد الله تعالى هدى ثوابا بالايمان المتقدم فاذا كفر فكان هداية الله تعالى سببا لكفره واذا
امن بعد ما كان كافرا وقت عقوبة الله تعالى بالكفر على الكفر المتقدم كان سببا للايمان وهذا كلام مستبشع وقوله عز وجل
والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الذين علم الله منهم انهم يختارون الظلم والكفر فلا يتولون منه ولا ينقلبون
فلا يهدي اولئك واما من علم منهم انه يتوب ويسلم فانه يهديه والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال عيسى ابن مريم يا بني
اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية قوله مصدقا يحتمل وجوها احدها اني يقول جئتكم بالبعث الذي
وصفت في التوراة ومصدقا بالتورية ويكتب الله تعالى ليعلم ان الرسول كان يلزمهم بالكتب المتقدمة والرسل جميعا كما
يلزم ذلك منهم او يقول مصدقا يعني امركم بعبادة الله عز وجل وتوحيده كما امرتم به في التورية ليعلم ان الرسل كان
دينهم واحدا وان كلهم يدعون الى التوحيد وعبادة الرحمن واما الشرايع فقد يجوز اختلافها ولا يدل ذلك على اختلاف
في الدين لان الشرايع قد تختلف في رسول واحد ولا يختلف دينه فكذلك الرسل والله الموفق وقوله عز وجل ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد يعني مبشرا برسول يصدق بالتورية على مثل تصديقي فكانه قيل له اسمه فقال احمد وقوله عز
وجل فلما جاءهم بالبينات قال بعضهم الذي جاءهم عيسى عليه السلام وقد جاءا جميعا وقوله بالبينات اي بالبينات
التي تبين ان الذي جاء به انما جاء من عند الله وقوله هذا سحر مبين او ساحر مبين واختلفوا فيمن قيل له هذا قال بعضهم
هو عيسى عليه السلام وقال بعضهم هو محمد عليه السلام وقد قالوا لهما جميعا ويحتمل ان يكون هذا قول اكابر الكفرة
للضعفاء منهم وذلك انهم لم يجدوا سببا للتمويه سوى ان ينسبوا الى السحر وهذا لان انه جاءهم بالايات المعجزة حيث
ينسبوه الى السحر وقالوا هذا سحر وانا لا نعلم السحر ولو كان الذي جاءهم به سحرا كانت حجة عليهم لانهم قد علموا ان الرسل
لم يختلفوا الى السحرة ولم يتعلموا منهم وكان لا يتهيا لهم اختراعه من تلقاء انفسهم فلو كان سحرا كانت حجة عليهم لانهم
قد علموا ما ذكرنا ولكن الله تعالى براه ونزهه من السحر والله الموفق وقوله عز وجل يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم
والله متم نوره يعني دين الله او كتاب الله او رسل الله وقوله بافواههم اي ليست عندهم حجة ولا معنى يدفعون به
هذا النور سوى ان يقولوا بالسنتهم هذا سحر وقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي ومن اوحش ظلما و
اقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه المبلغ يفتري على الله تعالى الكذب لانهم قد علموا ان ما قالوا من نعمه وكرامته فانما نالوه بالله ثم
كفروا به وكذبوا على الله وعلى رسوله او يقول لا احد اظلم ممن يفتري على الكذب وذلك ان قوله ومن اظلم كلام استفهام
ومعلوم ان الله تعالى لا يستفهم احدا واذا كان كذلك كان الحق كل ما خرج مخرج الاستفهام ان ينظر الى الجواب لو كان يستفهم
فيفهم منه معنى قول رب العالمين وانما المفهوم من جواب من يستفهم عن مثل هذا ان يقول لا احد اظلم ممن افترى
على الله الكذب والله يدعوه الى الاسلام وهو ان يجعل الاشياء كلها سالمة له فهو اذ علم ان ما ناله من نعمة فانما ناله
بالله تعالى وعلم الاشياء كلها لله تعالى فكيف افترى على الله الكذب وهو يعلم فاذ علم هذا فلا احد اظلم منه حين افترى

على الله الكذب والله الموفق وقوله والله متم نوره له اوجه احدها بالحجج والبراهين والثاني بنصر اهله وغلبته والثالث
باظهاره في الاماكن كلها فان كان على النصر والغلبة فقد كان حتى كان المشركون في خوف والمسلمون في امن الا ترى
الى قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله والى ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهرين وان كان بالحجج فقد كان ايضا لانهم عجزوا عن ان ياتوا بما يشبه ان يكون مثلا له
فضلا من ان ياتوا بمثله فدل انه قد اتم نوره بالنصر والغلبة والبراهين والحجج وان كان المراد منه اظهاره فانه يرجى
ان يظهره على ما روي انه اذا نزل عيسى صلوات الله عليه لم يبق على وجه الارض دين الا الاسلام ثم قوله تعالى والله
متم نوره ليس فيه انه كان بشيء من الكدر فصفاه ولكن على ما ذكرناه من التاويل فكذلك لا يجب ان يفهم من قوله
اليوم اكملت لكم دينكم انه كان ناقصا فاكمله بالشرايع ولكنه على هذه الوجوه يعني اظهر الدين بالشرايع التي وصفنا
في قوله والله متم نوره والله اعلم وقوله عز وجل ولو كره الكافرون وقال حين ذكر الاظهار ولو كره المشركون لان
هؤلاء كفروا بالرسول والكتاب وذلك نعم الله تعالى فقال ولو كره الكافرون واولئك اشركوا في التوحيد فقال ولو
كره المشركون والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى يعني بما لو اتبعوه اهتدوا وقوله ودين الحق
له اوجه ثلاثة احدها ان يجعل الحق كناية عن الله تعالى فكانه قال ودين الله والثاني ان يجعل الحق نعتا للدين فكانه قال والدين
الذي هو الحق من بين ساير الاديان والثالث ان يقول والذي يحق على كل احد قبوله والانقياد له والله اعلم
وقوله ليظهره على الدين كله له وجهان احدها ان يقول ليظهره يعني يظهر رسوله عليه السلام على كل ما
يحتاج في هذا الدين من النوازل فيكون فيه بيان ان ما جاء عنه عليه الصلوة والسلام في هذه النوازل انما
هو بالوحي وبما اظهره الله تعالى عليه ويحتمل اظهاره هذا الدين في الاماكن حال والدين هو الخضوع والاستسلام
لله تعالى فحقيقته ان يجعل الاشياء كلها مسلمة له وقوله ولو كره الكافرون قال الشيخ رحمه الله وتقتضي هذه
ولو كره المعتزلة لان اتمام نوره ان كان بالحجج او بالنصر والغلبة او باظهاره في الاماكن كلها فانما يكون
ذلك بافعال العباد ثم اضاف الله تعالى الى نفسه فثبت ان لله تعالى في افعال العباد صنعا وتدبيرا وان افعالهم
كلها مخلوقة لله تعالى لا يخرج عن تدبيره ومشيته والله المستعان وقوله عز وجل يا ايها الذين هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله الايمان بالله ان تؤمن بانه الواحد الاحد الصمد الفرد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وتؤمن بان له الخلق والامر وانه قادر ولا يعجزه شيء
وعليم لا يخفى عليه شيء وحكيم لا يخرج خلقه الاشياء المختلفة من السراء والضراء والظلمة والنور والمرض
والصحة عن حكمة وانه ليس كما قالت الثنوية ان خالق الظلمة والشر والقبيح غير خالق النور بل نعلمه انه خالق
كل شيء سواه من ظلمة ونور وشر وضر وسقم وصحة ولا على شبه ما قالت المجوس ان الله تعالى غفل غفلة فتولد
منه الشيطان بل هو لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء ولا على ما قالت النصارى حيث شبهوه بالخلق حتى اجازوا
ان يكون له ولد ولا على ما قالت القدرية انه لا يقدر شيئا من الشر ولا السقم ولا الوجع ولا على ما قالت المعتزلة
انه ليس له في افعال العباد صنع وتدبير بل نعلمه عليما بكل شيء قديرا على كل شيء متعاليا عن كل شيء من معاني الخلق
متنزها عن كل افة وحاجة وعيب فهذا هو الايمان بالله تعالى عندنا والله تعالى اعلم والايمان بالرسول ان تؤمن انه حقا
نبي صلى الله عليه وسلم فهو حق وصدق وقوله وتجاهدون في سبيل الله هذا على وجهين احدهما ان تقاتلوا اعداء الله
والثاني ان تجاهدوا في طاعة الله وفيما دعا اليه من عادته والجهاد ينصرف الى انواع اربعة جهاد في سبيل الله
بمقاتلة اعدائه والاستقصاء في طاعته وجهاد فيما بينه وبين نفسه ان يجاهد في قهرها ومنعها عن لذاتها
وشهواتها وعما يعلم انه يهلكها ويرديها وجهاد فيما بينه وبين الخلق وهو ان يدع الطمع فيهم وان يشفق عليهم
ويرحمهم وان لا يرجوهم ولا يخافهم وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو ان تتخذ زادا للمعاد او يرتبه لمعاشه ولا
ياخذ منها ما يضره في عقباه وكل هذه الانواع يستقيم ان يسميها جهادا في سبيل الله ثم ان هذه الاية تنتظم مسائل
ثلاث احداها ان كيف امرهم بالايمان بعد قوله تعالى يا ايها الذين امنوا والثاني ان كيف يرجى له النجاة اذا
امن بالله ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله وقد علق بالكل والثالث كيف يخاف عليه العذاب اذا امن بالله و
رسوله وجاهد في سبيل الله وان اتى بالكبيرة مع قوله تنجيكم من عذاب اليم اما الجواب عن المسالة الاولى انه يحتمل
ان يكون المراد من هذه الاية اهل النفاق فيكون المعنى قوله يا ايها الذين امنوا في الظاهر هل ادلكم على تجارة
من عذاب اليم تؤمنون بالله اي تصدقون بقلوبكم ويجوز ان يكون في اهل الكتاب ايضا فكانه قال عز وجل يا ايها
امنوا بالكتب المتقدمة امنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا الكتاب هذا اذا كان في الكفار فاما اذا كان في المؤمنين
يجوز ان يكون امرا بالايمان من بعد ما امنوا بمعنى الثبات عليه او الزيادة او بحق التجدد لان الايمان في حادث الاوقات له
اسماء ثلاثة الزيادة والثبات والتجدد ودليلنا ان الله تعالى ذكر هذا النوع في كتابه مرة باسم الزيادة حيث قال فزادتهم

ايمانا مع ايمانهم ومرة باسم الثبات بقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا ومرة بالايمان بقوله يا ايها الذين
امنوا امنوا بالله فان كان على الزيادة والثبات فذلك لطف من الله تعالى وذلك ان الزيادة والثبات هما اسمان يطلقان على نيل ذلك
وفعل الايمان متقضي ولكنه يجوز ان يكون الله تعالى بلطفه جعل المتقضي كالدايم فيخرج هذا الفعل مخرج الزيادة والثبات والله اعلم
وان كان على التجدد في الاوقات الحادثة فذلك مستقيم وذلك لان المرء منهي عن الكفر في كل وقت ياتي عليه فهو اذا اتى با
الايمان في ذلك الوقت انتهى عن الكفر فصار لايمانه حكم التجدد والله اعلم وجايز ان يكون المراد بقوله يؤمنون بالله ورسوله
ويجاهدون في سبيل الله الاعتقاد واذا كان المراد منه ذلك واتى بما امر من الاعتقاد بهذا الامر ولكنه لم يقف بالفعل
فهو في رجاء من النجاة والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم خير لكم يعني ذلك الذي امركم من الايمان بالله تعالى ورسوله والجهاد
في سبيله خير لكم من ان يتبعوا اهواءكم ان كنتم تعلمون عيانا بعلمهم ان ذلك خير لكم وقوله تعالى يغفر لكم ذنوبكم يعني يغفر
لكم بتلك التجارة وقوله عز وجل يدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة يجوز ان يكون رغبهم في هذه الاية
بما امرهم بتركها وكذلك انهم امرهم بمفارقة مساكنهم وانفاق اموالهم بالجهاد بانفسهم ثم اخبر انهم اذا فعلوا ذلك
انا لهم مكان كل ما فات عنهم خيرا منها مكان ما فارقوا من المساكن نؤتيهم مساكن طيبة ومكان ما انفقوا من اموالهم
نؤتيهم النعيم الدايم ومكان ما افنوا من حيوتهم وانفسهم نؤتيهم حيوة دايمة باقية والله اعلم وقوله عز وجل ذلك
الفوز العظيم يعني ذلك الثواب الدايم هو الفوز العظيم وقوله عز وجل واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب فكانه يقول
يعطيكم الله بتلك التجارة ذلك عليها ما ذكر من الثواب في الاجل واخرى في تلك تحبونها نصر من الله تعالى على اعدائكم في الدنيا
وفتح البلاد وبشر المؤمنين بهما وقد فعل الله تعالى ذلك بهم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله هذا كلام
يورث شبهة في القلب ان كيف قال كونوا انصار الله والله تعالى لا يخاف من ينتصر عليه عزه ولكن السبيل في
كشف هذه الشبهة من القلب وهو ان المعنى في هذا وفي قوله اقرضوا الله قرضا حسنا وقد وصفنا في ذلك ان الله
جعل ما يصلون به ارحامهم ويتصدقون على فقرايهم كانهم اقرضوه لله كرما منه وفضلا ولطفا فكذلك يحتمل ان يكون
جعل ما ينصرون به دينه او رسوله نصرا له تعالى وكذلك قوله ان تنصروا الله ينصركم والمعنى في هذا ان ينصروا دين
الله ينصركم او ان ينصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنصروا الحق والله اعلم اي ذلك كان ويحتمل ان يكون المراد
من ذلك اي اجعلوا ما تنصرون به دينكم لله تعالى والوجه وكذلك قوله واقرضوا الله تعالى اجعلوا ذلك لله والوجه هو
الكريم ولا بد من ان يكون في هذه الاية اضمار اما في الابتداء او في الانتهاء حتى يستقيم عليه وقوله عز وجل كما قال عيسى بن
مريم للحواريين فكانه يقول قل للذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله او يكون
معناه اضماره في حق الاجابة اي اجيبوا الله ورسوله وكونوا انصارا لله كما اجاب قوم عيسى بقولهم نحن انصار الله والحواريون هم
المخصوصون المنقون دينهم عن الشبهة وهم قوم كانوا اخرج عيسى عليه السلام وخاصة حيث دعاهم الى دينه فاجابوه وامنوا
ونقوا دينهم عن كل شبهة وافة وعيب وقوله عز وجل فامنت طايفة من بني اسرائيل وكفرت طايفة هذا يحتمل ان يكون
في حين عيسى عليه السلام حين اتبعه الحواريون ثم دعا بعد ذلك قومه الى دينه فامنت طايفة وكفرت فايدنا الذين امنوا
بالبراهين والحجج على الطايفة الذين كفروا فاصبحوا ظاهرين على اعدائهم بالحجج والبراهين ويجوز ان يكون بعد وفات عيسى
عليه السلام حين اختلفوا فيه ما بينهم فمنهم من قال هو الله ومنهم من قال هو ابن الله فكفرت به فهذه الطايفة الاخرى
فايدنا الذين امنوا على عدوهم حين وقع لهم قتال فنصروا عليهم وظفروا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض قال يسبح لله ولم يقل يسبح الله وقد جرت العادة في الناس التسبيح
بالالف كقولهم سبحان الله وسبحان ربي العظيم فكان حق هذا القول على ما جرت به العادة في الثنا ان يقول يسبح الله
ما في السموات وما في الارض ولكنه يجوز ان يكون هذا من نوع ما يجري فيه اللفظان جميعا كما يقال شكره وشكر له ونصحه
ونصح له والتسبيح يحتمل اوجها ثلاثة احدها تسبيح الخلقة لانا اذا نظرنا الى كل شيء على الاشارة اليه والتعيين ذلك
جوهره وخلقته على وحدانية الله تعالى وعلى تعاليه على الاشباه وبراءته عن جميع العيوب والافات وذلك من كل شيء هو
تسبيحه والثاني تسبيح المعرفة ووجه ذلك ان يجعل الله تعالى بلطفه في كل شيء حقيقة المعرفة ليعرف الله تعالى وينزهه
وان كان لا يبلغه عقولنا الا ترى الى قوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولكن عندنا بواسطة
احداث نوع حيوة فيه اذ المعرفة بدون الحيوة لا تمكن والوجه الثالث هو ان يكون التسبيح تسبيح ضرورة وتلقين ووجهه
ان الله تعالى يجري التسبيح على ذلك الجوهر من غير ان يكون له حقيقة المعرفة كما ظهر من اياته واعلامه على عصى موسى وكما اجرى
السفينة على وجه الماء وان لم يكن لها حقيقة المعرفة وذلك تسبيح كل شيء والله اعلم وقوله الملك يعني الملك الذي له ملك
الملوك او الذي له الملك في الحقيقة وقوله عز وجل القدوس له تاويلان احدهما الطاهر من كل عيب وافة وحاجة او الطاهر

مما يحمل غيره والثاني المبارك يعني به يأتي كل بركة وخير ويجوز ان يجمع في المبارك معنى التنزيه من العيوب ومعنى البركة
لان الملك اذا وصفته بالبراءة من كل عيب واضفت اليه كل بركة ويمن كما روي في الخبر ان قوله سبحان الله تصف الميزان والحمد
لله يملأ الميزان وكان معناها عندنا ان قوله سبحان الله يختص بتبرئته من العيوب والحمد لله ينتظم معنى التنزيه من العيوب
ومعنى اضافة النعم كلها اليه فاذا كان فيه هذان المعنيان جميعا جاز ان يملئ به الميزان ولما اختص سبحان الله بتطهيره
من العيوب ولم يتعد الى غيره احد نصف الميزان والله وكذلك هذا الاختلاف في تاويل قوله في الارض المقدسة
وقوله عز وجل العزيز الحكيم يعني الغالب القاهر لا يعجزه شيء ويجوز ان يكون العزيز مقابل الذليل والذليل ينتظم كل
حاجة وضعف فالواجب ان ينتظم العزيز اذا كان ضدا له ومقابلا كل شرف ومكرمة وغناء وقوة والله الموفق والحكيم
هو الذي يضع الاشياء مواضعها فالله تعالى حكيم حيث وضع الاشياء مواضعها التي جعلها الله تعالى مواضع لها او الحكيم هو
الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير وهو المعنى المصيب ايضا والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم احتج
اهل الكتاب علينا ان الله تعالى انما بعث محمدا رسولا الى الاميين خاصة بهذه الاية فهموا منها تخصيص الاميين بارسال الرسول
اليهم فيقتضي نفيه عن غيرهم ولكن يقول لا يجب ان يفهم من الاية نفي ما ذكر في ظاهرها بل يفهم منها ظاهرها دون النفي و
تخصيص بالذكر لا يحمل على النفي لانه اذا حمل التخصيص بالذكر على نفي غيره ادى الى ما لا يستقيم ولا يحمل الا ترى الى قوله وما
كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك حيث لم يفهم انه [illegible] بيمينه اذا كان تخطه بشماله ولا من قوله وما كنت
تتلوا انه كان يتلى عليه ولكن المعنى من ذلك كله والله اعلم ان الله بعث رسوله اميا في قوم اميين لا يعلمون الحكمة وما فيها
وجعل ذلك اية رسالته وحجة لنبوته لانه اذا كان اميا لا يكتب ولا يقرا الكتب ثم اتاهم الكتاب مؤلف منظوم يوافق كتب اهل
الكتاب دل انه انما علم ذلك بالوحي وانه لم يختلقه من عند نفسه والله اعلم ثم الدليل على انه كان رسولا اليهم جميعا قوله كافة
للناس بشيرا ونذيرا وما روي عنه عليه السلام انه قال بعثت الى الاحمر والاسود يعني الى الانس والجن ولا حجة انه لما بعث
الى طائفة ليدعوهم الى طاعة الله تعالى وعبادته علم انه رسول الى غيرهم اذ لم يكن لهم رسول اخر لان الطائفة الاخرى
اذا لم يكن لهم اخر واحتاجوا الى معرفة الامر والنهي والى طاعة الرحمن حاجة الطائفة التي بعث اليهم دل انه رسول
اليهم جميعا والله اعلم وقوله بعث في الاميين رسولا منهم معناه انه بعث صلى الله عليه وسلم في قوم اميين لا
يعرفون عبادة الله ولا يقرؤن الكتاب بل كانت عادتهم عبادة الاصنام وقيل في تاويل الاميين هم الذين لم يؤتوا
الكتب ولكن هذا فاسد لان الله تعالى سمى نبيه عليه السلام بقوله النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في
التورية والانجيل وقيل سماهم اميين لانهم لا يقرؤن من الكتاب ولا يكتبون على الاعم الاغلب وان كان فيهم
القليل ممن يقرا ويكتب ومن هذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم اميا لانه كان لا يكتب ولا يقرا عن كتاب ولم يتعلم
لذلك قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وعلى ذلك روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم الشهر هكذا واشار باصبعه وقال انا امة امية لا نحسب ولا نكتب وقال الزجاج الامي هو الذي لا يحسن
القران والكتابة ولم يتعلم ويكون على ما سقط من امه فنسبا الى حاله ولادة امه التي سقط من امه لان ذلك انما يكون
بالتعليم دون الحال التي يجري عليها المولود ثم وجه الحكمة في جعل النبوة في الامي ان يكون سببا لمعرفة نبوته
وعلامة رسالته بحيث يعلم ما اخترع من ذات نفسه اذ لم يعرف الكتابة والقراءة ولا اختلف الى احد ليتعلم منه ثم
حوج جميع الحكماء الحكمة وجميع اهل الكتاب الى معرفة كتابه لحسن نظمه وتاليفه ليعلم انه انما ناله بالوحي والرسالة
والله اعلم وقوله يتلوا عليهم اياته الايات الاعلام فكانه يقول يتلو عليهم في كتابه اعلاما تبين رسالته وتظهر نبوته
او يجوز ان يكون الايات الحلال والحرام وما اشبهه او الايات الحجج التي يستظهر بها الحق والله اعلم وقوله ويعلمهم الكتاب
والحكمة اختلفوا فيه قال الحسن هذا كلام شيء الكتاب والحكمة واحد وقال ابو بكر الكتاب ما يتلى من الايات والحكمة هي الفرائض
وقال بعضهم الحكمة هي السنة لانه كان يتلو عليهم اياته ويعلمهم سنته اما بلطف من الله تعالى والهامه اياه او بالوحي ومنهم
من قال الحكمة قول الصواب يعمل به ومنهم من قال الكتاب ما يتلى من ايات نصا والحكمة ما اودع فيها من المعاني اي ذلك كان
وقوله عز وجل وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اي انهم كانوا عن الكتاب والحكمة لفي ضلال بين ظاهر لانهم كانوا من
عبدة الاصنام ليس عندهم كتاب ولا يعرفون الحكمة ويحتمل ان يكون معنى وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اي في الشرك
وعبادة الاصنام فدعاهم الرسول عليه السلام الى توحيده وترك ما هم فيه من عبادة الاصنام قال الفقيه رحمه الله
وفي قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة ان الله تعالى اذ جعلهم انبياء ازكياء علماء بعد ما كانوا اميين جهالا سفهاء اية ودلالة
على حقية دينه عليه السلام على سائر الاديان حيث لم يكن اهلها كذلك ويكون فيه ترغيبا للاخرين ليصيروا علماء حكماء
وقوله ويزكيهم يجوز ان يكون هذا تعليما من الله تعالى انه جعلهم علماء بعد ما كانوا جهالا وحكماء بعد ما كانوا سفهاء وازكياء
بعد ما كانوا انجاسا واقذارا بعبادة الاوثان وذلك من لطف الله تعالى ثم الاصل انما اضيف من هذه الافعال الى الله تعالى
فهو على حقيقة الوجود وما اضيف الى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو على الاسباب وذلك انه لا يجوز ان يعلم الله

تعالى احدا الا يصير عالما لان تعليمه خلق العلم في المحل الذي اراد وما اراد وخلق يكون لا محالة فاما يجوز ان يعلمه البشر
فلا يتعلم لان تعليمه بسبب لانه ليس له قدرة الخلق والايجاد فيثبت انه على جهة السبب والله الموفق وقوله عز وجل
واخرين منهم لما يلحقوا بهم فان كان معناه الخفض فهو منسوق على قوله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وفي الاخرين
لما يلحقوا بهم فيكون فيه اخبار ان رسالته تبقى الى اخر الدهر وان كان معناه النصب فهو منسوق على قوله ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم فيكون فيه بشارة انه يكون في الاخرين علماء اتقياء حكماء كما كان في هؤلاء وقال بعضهم يحتمل
ان يكون هذا في اهل النفاق فيكون معناه فهو الذي بعث في الاميين رسولا فيصيرون علماء حكماء مؤمنين على الحقيقة
في الظاهر والباطن واخرين من هؤلاء الاميين في الظاهر لما يلحقوا بهم في الباطن والتاويل الاول اصح واقرب وهو العزيز
حيث جعل في كل احد من البشر اثر الذل به والفقر اليه وقوله الحكيم في امره حيث امرهم بالحكمة او الحكيم في تدبيره حيث
جعل في كل مخلوق ما يشهد بوحدانيته وتدبيره فيه او هو الحكيم في تقديره حيث خلق الاشياء المتضادة من نحو النور
والظلمة والليل والنهار لانه وضع كل شيء موضعه لم يخلط الظلمة بنور ولا نورا بظلمة ولا ليلا بنهار ولا نهارا بليل
وقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني ذلك الفضل النبوة والرسالة يؤتيه من يشاء يعني يخلق من البشر من
يصلح للنبوة والرسالة او ذلك الفضل من تعليم الكتاب والحكمة فضل الله يؤتيه من يشاء وفيه دلالة على كذب
قول المعتزلة لان من قولهم ان الله لا يؤتي احدا شيئا بفضله بل حق عليه ان يفعل ذلك فاذا كان هذا على الله فعله كان
ذلك حقا يقضيه ومن قضى حقا فليس يوصف بالفضل ووصف الله تعالى نفسه بالفضل ثبت هذا كذب قولهم والله
الموفق وقوله عز وجل والله ذو الفضل العظيم في الدنيا حيث تفضل عليهم بالكتاب والحكمة بعد ما كانوا جهالا ويجوز
ان يكون هذا في الاخرة يجزيهم عن اعمالهم الجنة منة عليهم والعظيم هو الدائم الباقي والله اعلم وقوله عز وجل مثل الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها له اوجه من التاويل احدها يحتمل ان يكون هذا كناية عن العمل يعني حملوا العمل بما في التورية
فلم يعملوا بها والثاني ان يقول لم يحملوها يعني لم يحملوا الى من امروا بحملها اليهم على ما امروا لانهم حرفوا وبدلوا ويجوز
ان يكون تاويله والله اعلم انهم كذبوا بالتورية وتلقوها بالعناد والتكذيب فلم ينتفعوا بها فمثلهم كمثل الحمار يحمل كتبا
لا يعلم قدرها وخطرها كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارا لانهم وان عرفوا التورية فحين لم يعظموها حتى تعظيمها وكذبوا
بما فيها كانهم لا يعرفوا قدرها وخطرها فصار مثلهم كمثل الحمار يحمل كتب لا يعلم ما قدرها وخطرها وهذا التاويل
اقرب لانه قال في سياق هذه الاية بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله فثبت ان المعنى من الاول التكذيب والله
اعلم قال ثم معلوم ان هذا التكذيب والتحريف انما كان من عمل كبرائهم والرؤساء فاخبر انهم كذبوا ولم يعرفوا قدرها
حين كذبوا ليزجر متبعهم عن اتباعهم ويبين ان رؤساءهم ليسوا ممن يستحقون الاتباع وفيه ايضا زجر للمسلمين
ان يستخفوا كتاب الله والعمل بما فيه والله اعلم ثم وقوله بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات يحتمل وجهين احدهما ان
يقول بئس النعت والصفة صفة الذين بلغ كذبهم مبلغا كذبوا على الله لان الكاذب في الميعاد موصوف بالشر فاذا
بلغ كذبه مبلغا يكذب على الله تعالى علم انه في النهاية ثم الشر فكانه يقول صفة الذين كذبوا على الله في الغاية من الشر
والقبح او يقول بئس مثل الذين كذبوا بايات الله لان الله تعالى ضرب امثال المشركين بكل ما يستخبث ويستقبح وضرب
امثال المؤمنين بكل حسن وطيب فكان المثل هي السنة التي سنة الله تعالى به المكذبين باياته سنة قبيحة ثم في
هذه الاية دلالة ان الله تعالى يخلق القبيح والحسن والخبيث والطيب جميعا لان قوله بئس مثل القوم وكذلك المثل
الذي شبههم به مما خلقه وقد سماه بئسا فثبت ان الله تعالى قد خلق الخبيث والطيب والقبيح والحسن وعند المعتزلة
لم يخلق الا الحسن فيكون الاية حجة عليهم وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين له تاويلان احدهما انه لا يهدي القوم
الظالمين لوقت اختيارهم الظلم والفسق او لا يهديهم بظلمهم الايات وتكذيبهم وعنادهم اياها فهؤلاء لا يهدي
هؤلاء واما من ظلم عن جهل او فسق عن جهل ثم استرشد فانه يهديه ويرشده والله اعلم وقوله عز وجل قل يا ايها الذين
هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقال في موضع اخر قل ان كانت لكم
الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فكان في هذا بيان انه من كان من اولياء
الله فالدار الاخرة عند الله خالصة ومن كانت له الدار الاخرة فهو من اوليائه ويجوز ان يكون بالها جميعا والله اعلم
ثم المباهلة في التعارف انما هي المحاجة في بلوغ العناد والتمرد غايته فكانه لما قررت عندهم جميع الحجج فلم يقبلوها
امر بالمباهلة فلم يباهله اليهود والنصارى لانه يجوز ان قد كان في كتابهم هذا ان المباهلة من غاية المحاجة وان
من باهل يرد عليه العذاب واللعنة ان لم يكن محقا فلذلك امتنعوا من المباهلة واما العرب من المشركين فلم يكن لهم
كتاب يعرفون به حكم المباهلة فباهلوا وذلك انه روي ان ابا جهل كان يقول اللهم انصر احبنا اليك وارضى
واوصلنا للرحم فنصر الله تعالى نبيه عليه السلام فابو جهل باهله لانه لم يكن له كتاب ولم يباهله اليهود والنصارى
لما كانت لهم كتب عرفوا فيها حكم المباهلة والله اعلم وقوله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم هذه الاية تدل على رسالته

رسولنا صلى الله عليه وسلم لانه لو كان يقوله من نفسه لكانوا يبادرون فيتمنون الموت ليظهر كذبه فيه فلما
اخبر انه لا يتمنونه ابدا ولم يتمنوا انه قال من الوحي وانهم علموا ذلك حتى امتنعوا عن التمني خوفا الهلاك على انفسهم لعلمهم
انهم لو تمنوا الماتوا والله اعلم وقوله بما قدمت ايديهم اي من تحريفا التورية والانجيل لان قول النصارى نحن ابناء الله
واحباؤه لم يكن في الانجيل وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا لم يكن في التورية لكنهم غيروا وبدلوا فلا
يتمنون الموت بما قدمت ايديهم من تحريف هذه الايات وتبديلها وتغيير نعت محمد عليه السلام وقوله عز وجل والله عليم
بالظالمين يعني بظلمهم للايات وعنادهم لها ومكابرتهم اياها وقوله قل ان الموت الذي تفرون منه اي الموت الذي
تفرون منه بما قدمت ايديكم من تحريفا التورية والانجيل يلقاكم لا محالة وان فررتم منه فيكون فيه تذكيرهم ان رجعوا
عما يهربون منه يعني الموت وقوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة يعني الى عالم ما اشهدتم الخلق من التورية والانجيل
وما غيبتم عن الخلق من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك او الى عالم ما غيبتم في انفسكم واسررتم من تكذيبكم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وما اشهدتم عليه ضعفتكم واتباعكم من نهيكم اياهم عن اتباعه وقوله عز وجل فينبئكم بما كنتم تعملون اما عيانا
تقرؤنه في كتابكم يوم القيمة او ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر والله المستعان وقوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله هو السعي يحتمل وجهين احدهما ان اقبلوا على العمل الذي
امرتم به وامضوا فيه والثاني واسعوا في المشي واسرعوا لان السعي في المشي هو السرعة فيه والسعي في الاعمال هو الاقبال عليها
والمبادرة اليها فان كان المراد من هذا السعي في المشي تخرج الاية مخرج الترهيب والتضييق الا ترى الى قوله وذروا البيع كيف
امر بترك البيع وقد يمكن البيع في حال المشي والى قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض كيف امر بالانتشار في
الارض بعد الفراغ من الفريضة دون ان يذكر هنا لك شيئا في ادائها ولو كان المراد منه الترغيب لكان يامره بالعدو اليها
فدل هذه المعاني ان تخرج الاية على الترهيب والتضييق وان كان السعي في ساير الصلوة المفروضة غير مندوب اليه على ما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اتيتم الصلوة فاتوها وانتم تمشون ولا تاتوها وانتم تسعون عليكم بالسكينة
والوقار وما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا فاختص الجمعة بما ذكرنا من التضييق هاهنا والتوسيع في ساير الصلوة ولكن
لا شبه ان المراد من السعي هو الاقبال على ادائها والتاهب والمبادرة اليها والسعي مستعمل في هذا قال الله تعالى ومن اراد الاخرة
وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وانما اراد العمل وكذلك روي
عن عمر وابن مسعود وابي وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤا فامضوا الى ذكر الله حتى قال عبد الله لو كانت القراءة فاسعوا
لسعيت ولو سقط ردائي لم التفت اليه خوفا من تضييع حقها فذلك يدل على ان تاويل الاول عندهم على الاقبال والمبادرة
اليها دون السرعة والمشي ولان هذا موافق لساير الصلوة في ان العدو غير مستحب والحديث الوارد في السكينة والوقار
مطلقا ليس فيه فصل بين الجمعة وغيرها وعليه اجماع الفقهاء انه يمشي الى الجمعة على هيبة والله اعلم وقوله عز وجل وذروا
البيع قال بعض الناس بانه اذا باع في وقت الجمعة لم يجز بيعه لهذه الاية وعندنا ان البيع جائز لكنه مكروه والذي يدل
على جوازه ان النهي عن البيع في هذه الاية ليس لمكان البيع ولكن لمكان الجمعة فالفساد اذا ورد فانما يرد في الجمعة لا في
البيع لانه اذا باع في الصلوة فالبيع يفسد الصلوة لانها الصلوة بغير البيع ولانه الاصل عندنا ان كل عقد نهي لاجل غيره
فالنقصان اذا ورد من النهي فانما يرد في ذات الغير لا في العقد وعلى هذا ما روي عليه السلام انه قال المحرم لا ينكح
ولا ينكح ان النهي عن النكاح انما هو لمكان الاحرام ليس لمكان النكاح ولذلك يقول بجواز نكاح المحرم ويفسد الحج اذا جامع
بذلك النكاح لان النهي اذا لم يكن لنفس العقد لم يستقم افساد العقد والنهي ليس من اجله والله اعلم ثم لما قال فاسعوا
الى ذكر الله ولم يقل الى الجمعة ولا الى الصلوة دل انه قبل الجمعة ذكر يجب الاستماع اليه والسعي اليه فدل هذا على فرضية الخطبة
ولا ثبت ان المعنى من قوله الى ذكر الله ان المراد الذكر الخطبة ثم امر بترك البيع عند السعي الى هذا الذكر الاستماع له ثبت
ان الكلام في وقت خطبة مكروه وفي وقت خروج الامام للخطبة ايضا لان البيع في ذلك الوقت مكروه والبيع كلام
فيدل على كراهة كل كلام فيدل على صحة مذهب ابي حنيفة رح في ان يلزم السكوت اذا خرج الامام حتى يفرغ من الصلوة وعلى
ذلك ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من اتى الجمعة ثم صلى ما شاء ان يصلي ثم اذا خرج سكت الى
ان صلى كان ذلك كفارة له من الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلثة ايام بعدها فلما لزمه السكوت من حين يخرج الامام
الى ان يفرغ من الصلوة ثبت ان الكلام في ذلك الوقت مكروه والله اعلم قال وفي هذه الاية دلالة على كذب من قال
ان الصلوة في اخر الوقت وان من ادى فرضا في اول الوقت فانما يؤدي تطوعا لانه امره بالسعي وفرض عليه اذا نودي
ومعلوم انه اذا تهيا الامام تاخر الصلوة في ذلك الوقت وقد فرض عليه مع ذلك فدل هذا على كذب مقالتهم والله
اعلم وابين من هذا انهم قالوا ان الصلوة مفروضات على الكفرة في حال كفرهم وعلى المسلمين تطوع مع انه يجئ على
على قولهم انه ليس لاحد من الائمة ادى فرضا البتة لانه لم يذكر عن احد منهم انه فرط في اداء الصلوة حتى خرج
وقتها فهذا قول قبيح يجب ان يستتاب عنه صاحبه وعن امثاله والله اعلم وفي هذه الاية دلالة على ان الجمعة لا تجب

على من بعد من الامام بفرسخين لانه امره بالسعي بعد النداء فرسخين وقد يخرج وقت الجمعة ولا بد ركعتها فثبت انه على ما دونه
ان يكون في حد الامصار والله اعلم ثم الوقت الذي نهي عن البيع فيه يوم الجمعة عن مسروق وجماعة هو وقت الزوال الى
ان يفرغ الامام من الجمعة وعن مجاهد والزهري انه ينهى عن البيع بعد النداء على ظاهر الاية اذا نودي للصلوة من يوم
الجمعة والاول اشبه لانه انما يجب الحضور الى يوم الجمعة عند دخول الوقت وهو زوال الشمس وان تاخر النداء ولان
النداء قبل الزوال غير معتبر فكان وجوده وعدمه سواء وقوله عز وجل فاذا قضيت الصلوة فانتشروا وابتغوا من
فضل الله قال رحمه الله خرج هذا في الظاهر مخرج الامر ولكنه في حكم الاباحة عندنا لان هذا امر خرج على اثر الحظر والاصل المجمع
عليه عندهم ان كل امر خرج على اثر الحظر فهو في حكم الاباحة وما خرج مخرج الاباحة فان الحكم فيه ينصرف على تصرف الاحوال فان
كانت الحالة توجب فرضيته كان فرضا وان كانت توجب واجبا فواجب وان ادبا فادب والدليل على ان كل امر خرج على اثر الحظر
فهو في حق الاباحة قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وقوله فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ولم يكن ذلك محمولا
على الامر الحتم الذي لا يجوز تركه ولكن على اباحة الاصطياد اي اصطادوا ان شئتم واتوهن ان اردتم فكذلك يجوز ان
يكون من قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض على ذلك الوجه واذا كان الامر على هذا السبيل صار كانه قال
فاذا قضيت الصلوة التي نودي لها فانتشروا في الارض ان اردتم او ان شئتم والله المستعان وقوله عز وجل وابتغوا
من فضل يعني التجارة والكسب قال البيع كانه ينتظم ابتغاء فضل الله لكن قال فيما خرج الاذن والاطلاق وابتغوا من فضل
الله وقال فيما نهي عن ذلك وذروا البيع وان كان المراد منهما جميعا البيع لانه كان يقبح ان يقول وذروا ابتغاء فضل الله
ولان ابتغاء الفضل يتضمن البيع وغيره فلا يستقيم ان يقال وذروا ابتغاء فضل الله تعالى وذروا البيع ليلحقه النهي
خاصة واما الاطلاق والاذن فانه يستقيم في البيع وغيره فقال وابتغوا من فضل الله والله المستعان وقوله
واذكروا الله كثيرا يحتمل وجهين احدهما اذكروا الله كثيرا بالسنتكم وقلوبكم والثاني اذكروا الله بالاقبال على
الطاعات التي فيها تحقق ذكر الله وقوله لعلكم تفلحون له اوجه احدها على رجاء الفلاح والثاني اي لكي تفلحوا
والثالث على قطع وجوب الفلاح اذا فعل ذلك بما قالوا ان لعل عسى من الله تعالى واجب وقوله واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما التجارة واللهو لا يريان في الحقيقة وانما يرى الملاهي والتاجر ولكنه ذكر
فيه الرؤية لقرب اللهو من الملاهي والتجارة من التاجر كما قال تعالى حتى يسمع كلام الله وكما يقال سمعت كلام فلان والكلام
ليس بمسموع في الحقيقة وانما المسموع في ذلك الصوت الذي به يفهم كلامه ولكن اطلق لفظ في ذلك لتقارب
والله اعلم وبعد فان المعنى من هذا والله اعلم ليس الرؤية وانما المعنى منه عندنا فكانه قال واذا علموا وذلك انهم كانوا
لا يرون التجارة ولكن اليهم خبرها فيعلمون بها والله اعلم وقوله عز وجل انفضوا اليها ولم يقل اليهما وقد ذكر شيئين
ولم يلحق بعدهما من الكناية بهما بل باحدهما ويجوز مثل ذلك كقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
ولم يقل ولا ينفقونهما لترجع الكناية الى جميع ما سبق ذكره وكما قال واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا
على الخاشعين وقد رجعت الكناية الى احد المذكورين لا اليهما وكذلك هذا وهذا لان المقصود من خروجهم انما
كان هو التجارة دون اللهو ولكنهم انما يحملون ما يجلب اليهم بذلك اللهو فجاز ان يكون ذكر اللهو لهذا المعنى و
المقصود من ذلك التجارة وكذلك قوله ولا ينفقونها وذكر حق الانفاق فيما كان الانفاق منه ايسر واسهل في
المتعارف وذلك الفضة وان كان الحق واجبا فيهما جميعا لما ان المقصود هو الصرف الى الفقراء فعلى ذلك هاهنا
واما المعنى منه عندنا انما خص الصلوة برجوع الكناية اليها لانها ثقلت على اليهود لان القبلة كانت اولا الى بيت
المقدس فلما حولت الى الكعبة على الكفار فقال وانها لكبيرة يعني الصلوة الى الكعبة والله اعلم فان قيل كيف جاز
ان يترك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الخطبة الى اللهو والتجارة مع جلالة قدرهم وتعظيمهم للنبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك السؤال عن ضحكهم حين دخل الاعمى المسجد فوقع في بئر والجواب عن هذا ان القوم كانوا
حديث عهد بالاسلام وكانوا من سوقة القوم ومن سفلتها ولم يكونوا عرفوا قواحش الخاطب وحق الخطبة عليهم وكانت
تلك تجارة يا ملون منها منافع لو لم يبادروا اليها ذهبت عنهم فانما خرجوا من المسجد جهلا منهم بحق الخطبة والخاطب
وبعد فانهم لم يكونوا من اجلة القوم ولا من اصحاب اجلتهم ليعرفوا حق الخطبة والخاطب فانقلبت منهم الزلة ومن مثلهم
لا يبعد واشباه هذه فاما الذين كانوا من اجلة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ومن علمائهم فلم يخرج احد منهم وكذلك
امر الضحك ايضا يجوز ان يكون من ضحك من اتباع القوم وسفلتهم ولم يكونوا من الاجلة والنجباء ولا يستنكر
من مثلهم ذلك هذا الصنيع والله اعلم قال والمعنى من ترك النبي صلى الله عليه وسلم نهيهم عن الخروج وجهان احدهما
ان الكلام كان محرما وقت الخطبة فلم ينههم للنهي عن الكلام في ذلك الوقت والثاني يجوز انهم اسرعوا
الخروج فلم يبلغهم نهيه او لم ينههم لما علم انهم لم يسمعوا والله اعلم وفي الخبر انه وعد الذين ثبتوا معه بعد ما فرغ
من الصلوة فوجدهم اثنا عشر رجلا فقال لو لحق اخركم باولكم لاضطرم الوادي نارا الى المدينة ففي هذا دلالة

على ان الجمعة تقام بدون الاربعين لانه عليه الصلوة والسلام جمع باثني عشر رجلا والله اعلم وقوله وتركوك قائما هذا يدل
على الخطبة انما يكون قائما وقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ولكن المعنى من ذلك والله اعلم ان الدنيا كلها
متجر وان اهلها فيها تجار اما تجارة الدنيا وتجارة الاخرة لان الطاعة والعبادة في الاعتبار كانها تجارة لانه يكتسب بها منافع
الاخرة وتجارة الدنيا يكتسب بها منافع الدنيا فقال التجارة التي عند الله في طاعته واكتساب منافع الاخرة خير من اللهو
ومن التجارة التي يكتسب بها منافع الدنيا والله اعلم وجائز ان يكون معناه كانه قال اتقوا الله اذا ابتغيتموه اكتسبتم
به المنافع في الرزق وغيره والتجارة الدنيوية لا يكتسب بها الا منافع الدنيا الا ترى الى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب ويكفر عنه سيئاته فاذا كان التقوى يستفاد به الرزق والتيسير في الامور وكفارة الذنوب
والتجارة لا يكتسب بها الا منافع الدنيا فرغبهم فيما فيه جملة المنافع وهو التقوى لتحصل عند النبي صلى الله عليه وسلم فيقول عنكم
فيما يكتسبكم جملة المنافع او ابقيتم ومكثتم عند النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة التي يكتسبكم منفعة واحدة
والله اعلم وقوله عز وجل والله خير الرازقين ليس يقتضي ذكر هذا ان هنالك رازقا اخر ليكون هو خيرهم ولكن المعنى منه ما
في قوله واحسن الخالقين واحكم الحاكمين لانه لو كان هو خير الرازقين واحسن الخالقين واحكم الحاكمين لانه لا يحكم الا بما فيه
حكمة فكذلك قوله والله خير الرازقين وجائز ان يضاف الرزق والخلق والحكم الى العبيد مجازا فقال والله خير الرازقين
ممن يرزقكم لان غيره من الخلق انما يرزق غيره من رزقه ويعد ليحكم ويفعل بتوفيقه وتسديده فقال والله خير الرازقين
الذين يرزقون من رزقه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله اختلفوا في تاويل قوله تعالى نشهد قال بعضهم نشهد يعني
نقسم ونحلف وقال بعضهم نشهد على ابتداء الشهادة فمن حمله على القسم قرا اتخذوا ايمانهم جنة يعني حلفهم ومن حمله
على الشهادة ابتداء قرا اتخذوا ايمانهم يعني تصديقهم بلسانهما قراءة واحدة فقرأت بلفظين ولكنهما كانا جميعا فخرجت بالمعنيين
جميعا والله اعلم وقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون والاشكال انه كيف قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهم انما
قالوا نشهد انك لرسول الله ومعلوم ان هذا القول منهم صدق ولكن المعنى من هذا والله اعلم انهم طلعوا فيما اظهروا من الخلاف و
تكذيب عند غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسبوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلع على صنيعهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون
اليه ويقولون نشهد انك لرسول الله وان ما بلغك عنا من القول كذب وما قلناه فاخبر الله تعالى انهم كاذبون فيما اخبروا
انهم ما قالوه الا ترى الى قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ويحتمل ان يكون معناه انا نشهد انك
انك لرسول الله كما نظهره بالسنتنا فاخبر تعالى ان المنافقين لكاذبون فيما يشهدون ان الايمان في قلوبهم ويحتمل
ان يكون المعنى من قوله نشهد اي نعلم برسالتك في قلوبنا والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فيما اخبروا انهم يعلمون رسالتك
في قلوبهم وقد كان لزمهم العلم برسالته من جهة الايات والحجج ولكن تعاموا عن ذلك العلم استخفافا منهم وتعنتا وصار
وصار ذلك العلم كالجهل الحقيقي ثم اخبر عن انفسهم وضمائرهم انهم يعلمون واخبر الله تعالى انهم كاذبون انهم يعلمون
برسالته والله اعلم ثم الواجب ان يعلم ما الذي احوجهم الى ان قالوا نشهد انك لرسول الله وقد كان كثير من المؤمنين
يلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقولون ذلك فكيف قال المنافقون ذلك فمعناه عندنا والله اعلم انهم حسبوا
اعتادوا المخادعة لله ولرسوله استخفهم الله تعالى بهذه المقالة ويحتمل ان يكونوا جروا على عادتهم وكان من عادتهم انهم
اذا لقوا المسلمين قالوا امنا بمثل ما امنتم واذا لقوا المشركين قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون فاذا لقوا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انا نشهد انك لرسول الله على عادتهم في كل جنس بما يليق به وبمذهبه والله اعلم
ويجوز ان يكونوا ان قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم وتكذيبهم فكانوا اذا لقوه قالوا نشهد انك
لرسول الله اعتذارا من ذلك الخلاف لو بلغه الا ترى الى قوله يحسبون كل صيحة عليهم كانوا يحسبون من سوء ما يضمر
في قلوبهم من النفاق ان كل من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما يكلمه بسببهم فدل ذلك على الاول والله اعلم ثم
قال ههنا نشهد ولم يقل نشهد بالله لان المعنى من هذا الحلف والحلف من المؤمن في المتعارف انما يكون بالله تعالى
الذي انما جرى بقوله نشهد عن قوله بالله فيكون هذا دليلا لقول اصحابنا ان قوله نشهد يكون يمينا حيث ذكرها بطريق
القسم والمعنى ما اشير اليه والله اعلم وقوله فصدوا عن سبيل الله لذا ويلون امرهما اي اعرضوا انفسهم عن طاعة الله
والايمان برسوله والثاني ان صدوا الضعفة عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وقوله انهم
ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا من الاعراض عن الايات والحجج حيث اثروا الكفر عن الايمان ويحتمل بئس ما كانوا
يمنعون من صد الضعفة والاتباع من الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا والتاويل [?]
احدهما ذلك بانهم امنوا بالسنتهم ثم كفروا بقلوبهم والثاني على حقيقة الايمان والكفر وذلك انهم لما راوا قلة المسلمين

وضعفهم في انفسهم يوم بدر ثم راوهم مع هذه القلة والضعف غلبوا على الكفار مع كثرتهم امنوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم وراوا انهم لا يغلبون ابدا ثم ان المسلمين لما غلبوا يوم احد واصابهم ما اصابهم اضطربوا في ايمانهم وشكوا و
كفروا وذلك يعني قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه
فذلك تاويل قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا وقوله ذلك اشارة الى ان السبب الذي تولد منه نفاقهم وحلفهم نشهد
انك لرسول الله بانهم ثم امنوا ثم كفروا وجائز انه لم يكن منهم حقيقة ايمان ولا كفر ولكنهم كانوا قوما همتهم الدنيا وسعتها
وكانوا يكونون مع من يكون معه الدنيا ان راوا مع المؤمنين اظهروا من انفسهم انهم مؤمنون وان راوا مع الكفار
اظهروا انهم لا ان يكون منهم حقيقة ايمان وكفر والله المستعان وقوله وطبع على قلوبهم الطبع يجوز ان يكون كناية
عن ستر وظلمة على قلوبهم فلا يرون به الحق وحججه قال ويجوز ان يجعل الله تعالى الكفر ظلمة في القلب لا يبصرون به الحجج والايات
او يجوز ان يجعل الكفر كنا في قلبه ليضيق فلا يرى من بعد ذلك منافعه ومعناه الا من ذلك الوجه فيكفروا اتكالا على ذلك [?]
معنى الطبع يعني ان اشتغالهم بالكفر وكسبهم اياه غطى قلوبهم وسترها عن ان يبصروا الحق وحججه والله اعلم قال الفقيه
عنه في قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ان المنافقين لم يجيئوا باجمعهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانما جاءه بعضهم وكذلك في قوله نشهد ان المعنى من قوله نشهد في بعض ما تاولنا يقسم والقسم ليس
من فعل الاتباع والسفلة وانما ذلك من فعل الاجلة والرؤساء فدل انه انما تعالى اضاف القول بعض المنافقين ثم ذكر الله
تعالى ذلك البعض بلفظ الكل فعلم انه ليس كل ما خرج في الظاهر مخرج العموم تناول كل من دخل تحت ذلك الاسم ولكنه ينظر
في معنى اللفظ وحقيقته فان كان الدليل يوجب تعميمه اجري على عمومه وان كان يوجب تخصيصه اجري على خصوصه
والله اعلم وقوله عز وجل فهم لا يفقهون يحتمل ان يكون المعنى اي لا يفقهون لانه طبع على قلوبهم والا لم يعرضوا عن الحجج
والايات وذلك انهم كانوا يظنون انهم على الحق فاخبر انهم لا يفقهون انه طبع على قلوبهم حتى ظنوا انهم على الحق وجعلوا
جميع همتهم في المنافع والمضار الدنيوية والا لو فقهوا ان الله تعالى دار الاخرى يجازون فيها باعمالهم لعلموا انه لا بد من
دين يدينون به ولم ينظروا الى منافعهم ومضارهم والله المستعان ويحتمل ان لا يفقهون من الله تعالى وانه تعبدهم وامرهم
بطاعة رسوله واتباعه ويحتمل اي لا يفقهون انهم يتعبدون وان لله دارا اخرى ليثيبهم عما فعلوا ويجازيهم عن جميع ذلك
ثم قال ههنا لا يفقهون ولم يقل لا يعلمون لان الفقه انما هو الذي يعرفه بالشيء فاخبر انهم لا يعرفون الاخرة بالدنيا
وقال ابن شرع الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره وعندنا ان الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال
على غيره كان ذلك نظيرا له او لم يكن لان من عرف الخلق بمعناه دله ذلك على معرفة الصانع ومن عرف الدنيا دله ذلك على معرفة الاخرة
وليسا بنظيرين ثم بين الفقه والعلم فصل من وجه وان كانا جميعا في الحقيقة يرجعان الى معنى واحد لان العلم انما تجلي الشيء له
وظهوره بنفسه والفقه بغيره واستدلالا ولذلك جاز ان يقال الله تعالى عالم لتجلي الاشياء له ولم يجز ان يقال ان
الله فقيه لانه لا يعرف الاشياء بالاستدلال والله الموفق والحكمة وضع الاشياء مواضعها والايقان انما هو يتولد
عن ظهور الاسباب وان للمجاز ان يقال ان الله تعالى حكيم ولم يجز ان يقال انه موقن والله المستعان وقوله عز وجل واذا
رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم في هذا بيان ان الله تعالى قد كان اتاهم حسن الصورة وحسن البيان وانه
قد اتاهم العلم لان حسن البيان لا يكاد يكون الا عن علم فكان الله تعالى ذكر نعمه التي اتاهم فانهم لم يشكروا نعمه واساؤا صحبتها فكانه
يقول كيف يرجوا منهم حسن الصحبة لك وانهم لم يحسنوا صحبة نعمة رب العالمين فيكون بعض التسلي لما اهتم رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سوء صنيعهم به واعراضهم عن اتباعه وطاعته وقوله عز وجل وان يقولوا تسمع لقولهم يعني وان يقولوا تحب
قولهم حقا فتسمع قولهم لتقبله ويحتمل وتسمع لقولهم لما يعجبك قولهم او تسمع لقولهم على ما كانت عادته عليه السلام
في كل من كلمه انه لا يغير عليه ولا يقطع عليه كلامه حتى يفرغ منه ثم قبله ان كان مما يجب قبوله وعنف صاحبه ورده ان كان
مستحقا للتغيير عليه والله اعلم وقوله عز وجل كانهم خشب مسندة يقول انهم فيما يكون من جمالهم وبلاغتهم من حسن الصورة و
البيان بحيث تعجبك وفيما يلقي اليهم من الحق والدين والحكمة كانهم خشب مسندة لا ينجع فيهم الحق ولا يقبلونه كالخشب المسندة
ويحتمل هذا التمثيل بالخشب من حيث ان الخشب المسندة في الظاهر هي الخشب اليابسة التي لا اجواف لها فيوضع فيها شيء فكذلك
المنافقون كانهم لا اجواف لها يوضع فيهم الحكمة والدين والحق والله اعلم وقوله وجائز ان يكون معناه كانهم خشب مسندة
من حيث ان الخشب المسندة ليس لها اسماع ولا ابصار ولا قلوب فكذلك المنافقون كانهم صم بكم عمي في ناحية الحق وقبوله
والله المستعان وقوله عز وجل يحسبون كل صيحة عليهم يحتمل وجهين احدهما يحسبون صيحة سمعوها كلمة يهتك عليهم سترهم و
يفضحهم الا ترى الى قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فاخبر انهم كانوا يحسبون تفضيحهم
وهتك استارهم والاطلاع على ما في قلوبهم فكذلك يحسبون ان من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما كلم بما يهتك
عليهم استارهم ويفضحهم والله المستعان والثاني يحتمل ان يكون ذلك في الحرب انهم كلما سمعوا صيحة في الحرب خافوا ان
يكون فيه هلاكهم وذلك انهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق على حدة واذا وافقوا هذا الفريق صاروا حربا للفريق

لاخر واذا وقفوا الاخر صار واخرنا بالهؤلاء فاخبر الله تعالى انهم يحسبون من كل صيحة سمعوها ان يكون ذلك سببا لهلوكهم
ويحتمل ان يكون الله تعالى عاقبهم بالخوف الدايم لتاميلهم لامن وجه لم يوذنوا فيه وذلك لما وصفنا انهم كانوا يظهرون
الموافقة لكل فريق رجاء امنهم وكان جميع مقاصدهم في ذلك تحصيل منافع الدنيا دون الديانة من الاديان وذلك غير
فيه فلما اثروا ذلك واختاروه من غير ان يوذن لهم عاقبهم بالخوف الدايم اما عن الافتضاح والاطلاع على ما في قلوبهم
او عن الهلوك والله اعلم وقوله هم العدو فاحذرهم له اوجه من التاويل احدها ان يقول هم العدو يعني انهم ادنى
عدوكم فاحذرهم في جميع احوالهم في المطعم والمشرب وغير لان الحذر عمن قرب من الاعداء ودنا اوجب ممن بعد ونأى
واحذرهم ان تطلعهم على سر خيانة ومنه وتضره من الجهاد والحرب فيحتالون به على هلاكك او يطلعون الكفرة على سرك
واحذرهم ان يقبل منهم قولا يقولونه عن اصحابك لانهم يقرون اصحابك عليك فاحذرهم ان يقبل قولهم على اصحابك
وقوله عز وجل قاتلهم الله يعني لعنهم وقوله انى يؤفكون له تاويلان احدهما ان يقول اي سبب يمنعهم عن الايمان
احدهما ان يقول اي سبب يمنعهم عن الايمان بك وطاعتك واتباعك وقد اتيتهم بالايات والحجج في الطلوع عن سرايرهم
وذلك لا يكون الا عن الوحي او يقول انى يؤفكون يعني ان يكذبون تقليدا باولئك الكفرة من غير ان اظهر لهم في ذلك
اية وحجة ولا تقلدون البرهان والحجة فيتبعونك والله اعلم وقوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رؤسهم ظاهر هذه الاية ان هذا القول منه انما كان لجملة المنافقين وكذلك قوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل ثم
روي في الخبر ان هذه الاية نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق لانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان كلما كان يوم الجمعة قام عبد الله بن سلول في ناحية المسجد وقال هذا رسول الله فوقروه وعظموه حتى نزلت
هذه السورة فقال بمثل مقالته فقال له عمر رضي الله عنه اجلس يا كافر فان الله تعالى قد فضحك قال فخرج من المسجد
قبل ان يصلي الجمعة فاستقبله بعض القوم فسالوه عن خروجه من المسجد قبل اداء الجمعة فاخبرهم عن القصة
فقالوا ارجع الى رسول الله ورسوله ان يستغفر لك فلوى راسه وقال ما لي الى استغفاره حاجة وروي انه
لما قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اراد دخول المدينة وقال لا ادعك تدخلها ما لم تقر انك الاذل
وان رسول الله هو الاعز فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره ان يخلي عن ابيه ثم قال له انك اولى ان يسمى
عبد الله بن ابيك فسمي من بعد ذلك عبد الله وكان يسمى حبابا فهذا الخبر يدل على ان هذه الاية انما نزلت في واحد
منهم وظاهر هاهنا يدل على ذلك كان في جملة المنافقين ولكن الوجه في ذلك عندنا والله اعلم انه يجوز ان يكون اعتقاد جملتهم
على ذلك فذكر الله تعالى لاعتقادهم عنه وذلك انهم كانوا اقواما لا يؤمنون بالاخرة واستغفار انما هو طلب المغفرة
وذلك انما يتحقق في الاخرة فاذا كان على هذا اصل اعتقادهم جملة ذكرهم الله تعالى على ذلك وكذلك قوله ليخرجن الاعز
منها الاذل كان عندهم ان الله تعالى انما اتاهم العز والغنا والشرف لفضيلة لهم على محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا ينكرون
عليه من ذلك الوجه ثم ان الله تعالى بما ذكر في هذه الاية ابان انه قد كان اتاهم جميع ما به العز والشرف في الدنيا
ليمتحنهم بحقوق هذه النعم وتعظيمها وشكرها وانهم بلغوا في كل ذلك غاية ما عليه عمل الكفر في سوء الصحبة بالنعم
وذلك انه لما قال واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم دل انه كان اتاهم حسن الصورة وحسن البيان
ولما قال هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا دل انه قد كان اتاهم الغنا ولما قال ليخرجن الاعز منها
الاذل دل انه قد كان اتاهم العز والشرف ومعلوم ان هذه الاسباب التي وصفنا هي اسباب العز والشرف في الظاهر ثم اخبرهم
تركوا شكر ما انعم عليهم في تعظيم الحق وادا شكره وانهم بلغوا في الباطن في كل شيء من ذلك غايته في سوء الصنيع لانه دل بقوله
تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على غاية البخل حيث امتنع عن الانفاق بنفسه وامر غيره ان لا ينفق ايضا وذلك في غاية البخل
ولما قال كانهم خشب مسندة دل انهم كانوا في الغفلة عن ذكر الله وقبول الموعظة غايته ولما قال واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لووا رؤسهم دل انهم كانوا في الاستخفاف بحيث تركوا الانصاف راحة واسبيل الاعتساف والاستكبار
عليه غايته ولما قال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم دل انهم كانوا في سوء السريرة غايته
فان ويجوز ان يقع كل ذلك منهم لوجهين احدهما انهم راوا ذلك حقا لهم على الله تعالى اتاهم او راوا ان الله تعالى اتاهم ذلك
تفضلا لهم على غيرهم كما بينوا بكونوا ويستعظموا ويشكروا غيرهم ويشقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك لقي
ولم يتاملوا ولم يتفكروا ولم ينتبهوا لهم انه الله تعالى اتاهم جميع ذلك النعم بمحنة عليهم ليعبدهم باداء شكرها وتعظيم
حقها وذلك معنى قوله ولكن المنافقين لا يفقهون اي لا يتاملون النظر في هذه النعم وذلك انه لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يلوحهم ان يتاملوا فيها او تواعي النعم ويتفكروا فاذا تفكروا في ذلك ولم يجدوا لهم عند الله صنعا استوجبوا به
مكافات لذلك ولا لهم فضل يفضلهم الله بها على غيرهم فكانه يتبين لهم ان الله تعالى انما اعطاهم هذه النعم محنة بتمحيصهم
باداء الشكر وذلك وضع الفضل فهو من العلم والفقه ان ما كان حقه التامل والنظر لحق اللفظ فيه ان يقال لا يفقهون
ولا يفقهون وما كان حق العلم به السماع والخبر اطلق فيه لفظ العلم ولذلك قال عند العزة والغلبة والنصر لا يعلمون

لانهم

لانهم لم يكونوا يعاينون النصر والغلبة لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل وانهم يصدون
وهم مستكبرون له وجهان احدهما انهم يصدون عن طاعتك واتباعك والثاني انهم يصدون ضعفتهم عن اتباعك وقوله
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لانهم لم يعبدوا ذلك له وذنبا انه لو كان عندهم انهم على الحق لقالوا
ما قلنا انهم كانوا لا يؤمنون بالاخرة والمغفرة انما يطلب من الله ويتحقق وذلك في الاخرة وقوله عز وجل لن يغفر الله لهم
على ذلك ايضا انه لا يعفو استغفرت ام لم تستغفر قال رحمه الله ورسول الله عليه السلام كان لا يستغفر للمنافقين
بعد ما ظهر عنده نفاقهم ولكنه يجوز ان يكون هذا قبل ظهور نفاقهم له والله اعلم ثم قوله تعالى لن يغفر الله لهم يحتمل وجهين
احدهما ان يقول لن يغفر الله لهم ما داموا على النفاق ولم يتوبوا عنه والثاني ان يقول لن يغفر لهم في قوم علم الله منهم
انهم لا يؤمنون ابدا فقال في اولئك لن يغفر الله لهم وكذلك هذا في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا
يؤمنون وقوله عز وجل ان الله لا يهدي القوم الفاسقين معناه ان الله تعالى يملك هداية ورداء هداية بيان لان
من يملك شيئا لم يستقم ان يوصف بالتعظيم انه لا يفعل لانه يفعل انا لم يقدر ولم يملك لا يفعل وانما يوصف بهذا
من يملك ذلك ولكن لا يفعل فلو لم يملك ولم يقدر خلق فعل الاهتداء فمن اراد لم يوصف بانه لا يهدي الفاسقين فدل انه
يملك هداية وراء هداية البيان وهو خلق الاهتداء فيمن علم منه ذلك والله الموفق وقال ابو بكر معنى قوله والله لا
يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم لفسقهم وقالت المعتزلة اي لا يسميهم مهتدين اذا فسقوا وضلوا وايهما
كان فهو محال لان من هدى ضالا لضلالته فهو سفيه فكانه يقول لا يسفه ومن سمى الضال مهتديا فهو كاذب
فكانه قال لا يكذب وهاجيعا غير مستقيم لانا نعلم انه لا يسفه ولا يكذب فثبت ان في ملكه هداية يهدي من يشاء من
عباده سوى هداية البيان واذا ثبت بما وصفنا ان في ملكه هداية البيان ثبت ان له فيها مشيئة لان من ملك شيئا
لم يجز ان يقطع عنه مشيئته فلذلك قلنا ان الله تعالى يضل من يشاء من عباده لمن علم انه يؤثر الكفر ويختاره على الهدى
ويهدي من يشاء لمن علم انه يؤثر الهدى على الضلال له فيهديه لذلك ويوفقه ويسدده والله المستعان وقوله
عز وجل هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا قد وصفنا ان هذا من غاية بخلهم وقوله
حتى ينفضوا دلالة انهم ارادوا اطفاء هذا النور واخفاه فابى الله تعالى الا اظهاره وقوله عز وجل ولله خزاين السموات و
الارض يبسطها على المنافقين ليمتحنهم بالانفاق على المؤمنين او لله خزاين السموات والارض يضيقها على المؤمنين
ليمتحنهم بالصبر في حال الضيق او يجوز ان يكون هذا بشارة للمؤمنين بان الله تعالى يوسع عليهم الدنيا بعد ما ضاقت وقد جعل
حيث فتح لهم الفتوح واتاهم النصر والغلبة على اعدايهم والله اعلم وقوله عز وجل يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل الاعز قد يحتمل معاني احدها الاغلب وكلا الامرين على مثال قوله وعزني في الخطاب اي غلبني في الخصومة
والثاني الاقوى والاشد على مثال قوله عز وجل اعزة على الكافرين يعني اقويا واشداء والثالث الاعلى والاجل وكذلك
قوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فان كان على الاعلى والاجل فذلك ان المؤمنين على واجل لانهم اتبعوا الحكم
بالحجج والكفار اتبعوا اهواءهم وان كان على الاغلب والاقهر فذلك للمؤمنين بالغلبة والنصرة على اعدايهم وان كان
على القوة والشدة فقد كان للمؤمنين لانه لو لم يوجد ذلك للمؤمنين لم يكن اهل النفاق يظهرون الوفاق للمؤمنين
ولكنهم لما راوا القوة والشدة للمؤمنين مرة وللكفار اخرى اظهروا الموافقة للفريقين جميعا ولذلك قال ذلك
المنافق ليخرجن الاعز منها الاذل لانه لما راى على الغزو والشدة للكافرين يوم احد فزعم انهم يغلبونهم فاظهر النفاق
وقال عند ذلك ليخرجن الاعز منها الاذل والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله اختلف فيه فمنهم من قال هذه الاية في المنافقين ومنهم من قال في المؤمنين فان كانت في المنافقين
فكانه يقول يا ايها الذين اظهرتم بلسانكم الايمان لا تلهكم اموالكم عن ذكر الله وان كان في المؤمنين فكانه قال
يا ايها الذين حققوا الايمان لا تلهكم ولا اولادكم عن ذكر الله ثم اختلفوا في معنى الذكر فمنهم من قال معناه فمعناه القران
على مثال قوله انزل الله اليكم رسولا يعني قرانا ورسولا ومنهم من قال معنى الذكر للتوحيد فان كان تاويله القران
فهو متوجه الى المنافقين والمؤمنين جميعا فان كان في المنافقين فكانه قال لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن النظر
والتامل في القران لان الله تعالى بين امورا تظهر سرايرهم وما يظهر عندهم ان الرسول لا يختلقه من تلقاء نفسه
وانما يقوله بالوحي فكانه يقول اذا تاملتم النظر في القران حملكم ذلك على التحقيق في الايمان فلا يحملكم حب المال
والولد على ترك التامل في القران لانكم اذا نظرتم فيه وتاملتم حصلتم منه على تحقيق الايمان والله اعلم وان كان
في المؤمنين فمعناه ان لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن النظر في القران فانكم اذا نظرتم فيه صرتم من اهله وجعل تدركم وان كان
المراد من الذكر التوحيد فهو راجع الى الناس كافة فاما المؤمنون فكانه حذرهم عن حب المال والولدان يحملهم غاية حبها
على ان يلبسوا وحدانية الله والايمان بالرسل والبعث فكانه يقول لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم كما الهى الكفرة فيحذركم
عن ان تقعوا في الهلاك من حبه كما قال اتقوا النار اعدت الكافرين يعني اتقوا الذي تفضي بكم الى النار المعدة للكافرين

يعني انفقوا الذي يفضي بكم الى الثناء المدح للكافرين فكذلك الاول وان كان في المنافقين فكانه قال لا يحملكم حب المال والولد
ان تتركوا حقيقة الايمان والتوحيد له والطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك فاولئك هم
الخاسرون فعلى ما ذكر من التاويلين في انكار البعث والتوحيد ظاهر وان كان في المؤمنين فمعنى الخسار الخوف من ان يقع
به الوعيد وقوله وانفقوا مما رزقناكم يجوز ان يكون صلة قوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله فيمنعكم ذلك
عن الانفاق فانكم اذا امتنعتم عن الانفاق ارداكم فيثبتون وحدانية الله تعالى وطاعة رسوله عليه السلام وقوله
عز وجل لولا اخرتني الى اجل قريب قال بعضهم تمنى الرجعة لما روى من الهلاك والعذاب حيث تركوا الحقوق وروي عن
ابن عباس رضي الله عنه انه قال لو كان عمر خير لم يتمن الكفرة ولكن المعنى في ذلك عندنا والله اعلم انه يتمنى الرجوع ليتصدق
ليس الانفاق خاصة ولكن ليتصدق ولنكون من الصالحين اي الموحدين وذلك مستقيم ان يقال اذا تراءى التوحيد فحضره
الموت انه يتمنى الرجوع لما يرى من الهلاك والعقوبة ويجوز ان يكون المعنى في هذا ان كانت الاية في المؤمنين الموحدين
انهم يتمنون الرجوع حامدين ربهم لما ارتكبوا من الزلات وتركوا ما يستوجب به الحسنات وقصروا فيما افترض الله تعالى
عليهم من العبادات وحق على كل مؤمن ان يستحيي من ربه اذا القيه بما ترك من حقوق التي لزمها عليه والاسباب
الواجبة ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها الاية ليس يحتمل تاخير الله تعالى اجله اذا جاء لانه لو اخره دل انه
بدا له في اجله ومن بدا له في امر فذلك دليل الجهل بالعواقب والى يوصف رب العالمين بذلك والله خبير بما
تعملون اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم من شكركم وعداوتكم والله اعلم بحقيقة ما اراد

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات الاية والتسبيح يحتمل وجها ثلاثة وقد سبق ذكره وقوله له الملك وله الحمد
يحتمل وجهين الملك الولاية والسلطان والثاني يقول له الملك يعني ملك كل الملوك كما قال في اية اخرى قل اللهم مالك
الملك الاية فاخبر ان الملك للملوك كلها له وان من استفاد الملك انما يستفيد بالله تعالى وباستنانه عليه والله اعلم وقوله
وله الحمد يحتمل اوجها ثلاثة من التاويل احدها ان يقول له الحمد يعني له الثناء الحسن بصفاته العلى واسمائه الحسنى
والوجه الثاني ان يقول له الحمد يعني حمد كل من يحمد بحقيقته ذلك الحمد بما احسن الى عباده وانعم عليهم وذلك معنى
قوله الحمد لله اي الحمد والثناء الحسن لله تعالى على احسانه الينا وانعامه علينا والثالث ان يحمل معنى الحمد معنى الشكر
لان الحمد قد يستعمل في موضع الشكر وقوله عز وجل وهو على كل شيء قدير يحتمل ان يكون معناه وهو على كل شيء اراده
قدير وهو حجة على المعتزلة لان الله تعالى لا يزال يمدح نفسه بانه بصير عليهم وانه على كل شيء قدير واقرت المعتزلة بانه
بصير عليهم وابت عن الاقرار بانه قدير على فعل العباد او على اصلاح احد من العباد وهذا خلاف ما مدح الله تعالى
نفسه به والله الموفق وقوله عز وجل هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يحتمل ان يكون تاويله فمنكم من يدين بدين
الكفر ومنكم من يدين بدين الايمان ودل هذا على ان المعصية والطاعة يجتمعان في دين واحد وان المعصية لا تخرج
لان المعصية لم يرتكبها تدينا بها ولكن لغلبة شهوة او غضب عليه واما الكفر والايمان فانه ياتي بهما المرء اختيارا
وتدينا بالكفر والايمان لما عنده انه حق وفي هذه الاية دلالة ان ليس بين الكفر والايمان منزلة ثالثة وليس كما
قالت المعتزلة ان صاحب الكبيرة بين منزلتين بين الكفر والايمان والله تعالى قسم الناس صنفين فمنهم من خلقه كافرا
ومنهم من خلقه مؤمنا ولم يجعل فيما بينهما منزلة ثالثة فلا يجب ان يجعل والله الموفق وفيه ايضا وجه لطيف سوى
ما ذكرنا وهو ان كل احد في الدنيا مؤمن وكافر في الحقيقة لان من كان مؤمنا بالله فهو كافر بالطاغوت ومن كان كافرا
بالله فهو مؤمن بالطاغات فاذا كان كذلك وجب ان يستبحث عن معنى قوله ومنكم كافر ومنكم مؤمن ومعناه عندنا انه
حقيقة وان كانت لذلك فالايمان اذا ذكر مطلقا لم يفهم منه الا الايمان بالله تعالى والكفر اذا اطلق ايضا لم يفهم منه الا
الكفر بالله تعالى واذا كان كذلك جاز ان يكون لفظ الكتاب جاريا على ما عليه المعهود من المتعارف المعتاد والله اعلم
وقوله والله بما تعملون بصير في الازل بما يعمله العباد وانه ليس كما قال بعض الناس انه لا يعلم فعل العبد الا وقت فعله
واحتجوا في ذلك انا لو قلنا ان الله تعالى بصير في الازل بما يفعله لكان قولا مما لا يستقيم في المعقول الا ترى انما الامر
في الشاهد من بني بناء يعلم انه يصيره او يشتري عبدا يعلم انه يعاديه فكذا لا يستقيم ان لا يقال ان الله تعالى خلق عبدا كان
يعلم من قبل انه اذا خلقه اعاداه والجواب عن هذا الذي وصفه غير مستقيم في الشاهد لان منافع ما يفعله العباد
ومضارهم يرجع الى انفسهم وليس من العقل ان يفعل المرء فعلا يعلم انه يضره واما رب العالمين فانه لا يرجع شيء من
المنافع والمضار اليه فجاز ان يخلق خلقا يعلم انه يختار عداوته ليظهر عند الخلق انه لا يرجع شيء من المنافع والمضار اليه
بل ان يكون في الحكمة ذلك والله اعلم ثم في قوله والله بما تعملون بصير وعليهم وكيل وحفيظ الزام المراقبة والتحفظ و
والتيقظ وبيان الترغيب والترهيب لانه اذا علم المرء ان عليه في كل ما يفعله رقيبا تيقظ ولم يغفل الامام رضي بمدنه

والله المستعان وقوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق قد وصفنا ان الحق اذا جرى ذكره تصرف في كل شيء الى ما هو
اولى به فاذا ذكر في الاخبار اريد به الصدق واذا ذكر في الاحكام اريد به العدل واذا ذكر في الاقوال اريد به الاصابة فلما قال بالحق
ههنا فكانه اراد به الحكمة كانه يقول خلق السموات والارض بالحكمة وقال بعضهم بالحق يعني للحق وهو البعث فكانهم
عنوا به ان الله تعالى لم يخلقها عبثا بل خلق للعباد وقوله عز وجل وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير يحتمل هذا وجهين
احدها احسن اي اتقن واحكم ومعنى ذلك ان الله تعالى احسن صور بني ادم في الاستدلال بوحدانيته وربوبيته في ان جعل
في انفسهم حقيقة المعرفة والاستدلال بانفسهم على وحدانيته تعالى واما غيرهم من الصور فانما يقع الاستدلال لغيرها
بها ليس لتلك الصور حقيقة المعرفة والاستدلال بوحدانية الله تعالى ولذلك كان خلق صور بني ادم اتقن واحكم و
الله اعلم والثاني ان يصرف الحسن الى حسن المنظر ومعنى ذلك ان الله تعالى خلق بني ادم على صورة لا يريدوا ان يكون
صورتهم مثل صورة غيرهم من الخلائق فثبت ان صورتهم في المنظر احسن صورة فذلك معنى قوله تعالى وصوركم فاحسن
صوركم والله اعلم وقوله واليه المصير يعني البعث واضاف ذلك الى نفسه لانه هو المقصود في خلقهم
ولما لم يفهم احد من قوله واليه المصير معنى الانتقال والتحول من مكان الى مكان من حيث انه يضاف الى الله تعالى لان
هذا فعل يكون باثنين فان من صار الى شيء صار ذلك اليه مثل الملاقات والاتيان ونحو ذلك فلما لم يفهم منه الانتقال
لم ينبغي ان يفهم من قوله وجاء ربك والملك صفا صفا معنى الانتقال والله اعلم وقوله عز وجل يعلم ما في السموات
وما في الارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون في اخباره عن علمه بذلك كله ايجاب المراقبة والتيقظ والمحافظة على ما
امره الله تعالى ونهاه وفي هذا اخبار ان الله تعالى مطلع على ما يضمرون ولا يخفى عليكم جميع ما يظهرون فاحذروا ان يتركوا
ما فيه سخطه في الحالين جميعا والله المستعان وقوله عز وجل عليم بذات الصدور قال اهل التفسير اي بما في الصدور و
يحتمل ان يكون المراد منه بالانفس التي لها الصدور وكل من كان ذا فكرة وتدبير فانه يسمى ذات الصدور ومعناه ان
التدبير انما يصدر عن ذلك الموضع ويرجع اليه وكل بنوا ادم خصوا بهذا المعنى فكذلك ذكر هذا فيهم والله اعلم وقوله
عز وجل الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل فتاويله عندنا والله اعلم اي قد اتاكم نبا الذين كفروا من قبل وما انزل بهم
حين كفروا وعاندوا ومعنى ذلك ان الله تعالى قد حذرهم بما يكون في الاخرة من الوان العذاب فلم يتعظوا بما لم يكون
يؤمنون بالبعث فلما لم ينجع ذلك حذرهم بعقوبات ينزل بهم لو لم ينتهوا عما هم فيه من الطغيان وقوله عز وجل فذاقوا
وبال امرهم اي سوء امرهم ويحتمل ان يكون عاقبة امرهم وقوله ولهم عذاب اليم فيه اخبار انما نزل بهم من العذاب في
الدنيا لم يكفر عنهم ذنب الكفر وان عذاب الدنيا انما كان بجزاء شرهم في الكفر وان لعذابهم في الاخرة عذاب الكفر والشرك
والله اعلم وقوله ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكانه يريد بقوله ذلك اي تلك
العقوبات التي نزلت بالامم الماضية انما كان سببها ان رسلهم كانت تاتيهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا
وكان قولهم ابشر يهدوننا تلقين ابليس حيث لقنهم مخالفة الرسول وتكذيبه وانكم لو احتجتم الى طاعتهم فكيف
من هو اعظم منه درجة واكثر منزلة فاذا لم يطيعوه فكيف تطيعون بشرا مثلكم وهذا كله عناد وخطا وذلك
انهم قد كانوا يعبدون الاصنام تقليدا منهم البشر الا ترى الى قوله انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
ومعلوم ان جعل الاصنام معبودا يعبدونه بقول البشر تقليدا له اكثر واعظم من تصديق البشر انه رسول
من عند الله عند قيام الدليل المعجز فاذا استجازوا تقليد البشر في ذلك كيف لا استجازوا تصديق الرسول فيما
يدعوهم الى توحيد الله وطاعته فيما يرجع اليهم من المنافع والمضار ولكنهم كانوا قوما سفهاء فاتبعوا سفههم
وعنادهم والله اعلم وكذلك قولهم ان هذا الا سحر مبين وكيف يكون سحرا وقد اتاهم بايات اعجزت السحرة ان ياتوا
بمثلها ولكنهم عاندوا ولم يجدوا حيلة سوى ان قالوا ان هذا الا سحر مبين وقوله فكفروا وتولوا واستغنى الله اي
كفروا بالرسل وتولوا اعرضوا عن طاعته وطاعة رسوله وقوله واستغنى الله لم يسمع من احد من المتكلمين يقول
استغنى الله على الابتداء الا ما ذكر في ظاهر هذه الاية والقول في الاستغناء فيما يريد به الاخبار جار نحو قولنا الله
مستغني فاما ان يبتدئ فيقول استغنى الله فيما فيه شك وريب انه لا يجوز الابتداء به وقد غلط بعض المفسرين
حيث قالوا استغنى الله بطاعة من الطاعة عن معصية عن عصاه لان الله تعالى لم يمتحن عباده بالطاعة والمعصية
لمنافع يأملها او مضرة يخشيها ويخافها بل هو مستغني بذاته عن ذلك في الازل والله اعلم ويجوز ان يكون في هذا
اضمار يعني استغنى الرسول عن طاعتهم بالله تعالى او يصرف الاستغناء الى الاخبار عن ذاته انه مستغني بذاته في
الازل لا يمسه حاجة وانه لا يضره كفر من كفر ولا ينفعه ايمان من امن بل انما يحصل ذلك كله للمتحلي بهما والله اعلم
وقوله عز وجل والله غني حميد قد وصفنا معنى الغني واما الحميد يحتمل وجهين احدهما يعني اي المستحق الحمد بذاته اذ يستحق
كل اصل الحمد على المحسن اليه او يحتمل معنى الحميد على معنى الحامد ووجه ذلك ان الله تعالى يحمد محاسن الخلق واما افعالهم وان
حقيقة تلك الافعال من جهة التوفيق والتسديد انما كانت به وذلك غاية وقوله عز وجل زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا

والله

قيل بلى وربي لتبعثن قوله قل بلى وربي يحتمل وجهين احدهما انه يجوز ان يكون هذا تعليما لرسول الله عليه السلام انه
يحلف القسم تاكيدا لما كان يخبر عن البعث ويكون التحجيج ما ذكر من القسم في القران يجوز ان يكون على هذا المعنى
لان القسم انما هو لنفي تهمة تمكنت والله تعالى لا يتهم في خبره والرسول هو الذي كانوا يتهمونه فيما يخبر لما لم يثبت
عندهم رسالته لعدم تاملهم في دلايله فجعله القسم تاكيدا لما يخبر ونفيا للتهمة عما يقوله والله اعلم ويجوز
ان يكون هذا قسما مقابلا لما اقسم به الكفرة في امر البعث الا ترى الى قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
من يموت بلى وعدا عليه حقا **وقوله** عز وجل وذلك على الله يسير يحتمل وجهين احدهما ان امر البعث على الله يسير
هين لانهم انكروا البعث بعد ما صاروا ترابا واختبار بعثهم واعادتهم بعد ان صاروا ترابا فاخبر جل وعلا ان ذلك
على الله يسير والوجه الثاني من التاويل ان يذكر ما عملوا من خير وشر واحصاه عليهم كل سر وعلانية وكل صغير وكبير
اما نيوا ذلك في كتبهم ويعلموا تحقيقها على الله يسير **وقوله** عز وجل فامنوا بالله ورسوله يجوز ان يكون هذا صلة
ما تقدم وذلك ان الله تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية وان ذلك ما انزل بهم لكفرهم بالله تعالى
وتكذيبهم الرسل فامنوا انتم بالله ورسوله لان لا ينزل بكم ما نزل بهم من الباس والعقوبة والله اعلم **وقوله**
عز وجل والنور الذي انزلنا النور هو القران ويجوز ان يكون سماه نورا لانه يبصر به حقيقة المذاهب في الطاعة و
المعصية والاحسان والاساءة والايمان والكفر كما يبصر بنور النهار حقيقة الاشياء من جيدها ورديها كذلك
يبصر بهذا منافع الطاعة ومضار المعصية فسمي نورا من هذا الوجه والله اعلم **وقوله** والله بما تعملون خبير بما
تسرون وما تعلنون فراقبوه وحافظوه في الحالين جميعا وفي هذا بيان ان الله تعالى عالم بما يعمل العباد في الازل
وبما يكون منهم وانه ليس كما وصفه بعض الجهال والله المستعان **وقوله** يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن في
الحقيقة يوم جمع وتفريق وهو ايضا في الحقيقة يوم تغابن وتزايغ وان ذكر احدهما دليل ذلك ما ذكر في غير من الايات
الا ترى الى قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير والى ما ذكر في عقيب قوله ذلك يوم التغابن من قوله ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار وهذا هو معنى التراجي ولكنه جل
ثناؤه يجوز ان يكون اكتفى بذكر احدهما عن الاخر ثم الغبن يذكر في التجارات والاصل في ذلك عندنا ان كل سليم الطبع
لا يخلو من عمل وشغل لا يخلو من احدى ثلاثة اوجه اما ان يكون في مباح او امر او نهي ومعلوم ان من استعمل المباح فهو يستعين
في اقامة الامر اذ لا بد من البقاء لاقامة الامر وذلك باستعمال المباح والاشتغال باسبابه فكانه في اقامة ذلك الامر
فحقيقته يرجع الى ان الاعمال في الحقيقة ينصرف الى نوعين الى امر ونهي ومعلوم ان من كان في امر فهو تارك لما نهي عنه ومن
كان في نهي فهو تارك لما امر به والتجارة في الحقيقة هو ان ياخذ شيئا ويترك شيئا اخر واذا تحقق معنى التجارة في اعمال بني ادم
اطلق لها لفظ التجارة قال والدنيا لها ثلاثة اسماء المتجر والمزرع والمسلك وقد وصفنا معنى التجارة واما معنى المزرع
ولا حل ان كل من يعمل في الدنيا فانما يعمل لعاقبة ولا بد ان يكون عاقبته خيرا او شرا فكل من كانت عاقبة الخير فهو زارع
للخير ومن كانت عاقبته الشر فهو زارع للشر والله اعلم واما معنى المسلك والطريق فلاجل ان الخلق لم يخلقوا في
هذه الدنيا ليقروا فيها وانما خلقوا لاحد امرين اما للثواب او للعقاب فكل من عمل عملا يقضي به الى الثواب والجنة فكانه
يسلك طريق الجنة وكل من عمل عملا يقضي به الى النار فكانه يسلك طريق النار فلذلك سمي مسلكا وطريقا والله اعلم ثم **وقوله**
التغابن عندنا يجوز ان يكون معناه ان اهل الكفر يغبنون في اهلهم واموالهم في الاخرة لانهم كانوا يتمنون بهم في الدنيا
تحسبوا انهم يجدون كذلك في الاخرة فاذا لم يجدوا وصاروا بعضهم يلعن بعضا غبنوا ما كانوا يا ملونه منهم وقال بعضهم
ان يجعل الكافر في الجنة قصرا وبيتا واهلا فاذا صاروا الى النار ورث المؤمن اهله وقصره الذي كان له في الجنة فهذا هو التغابن
ولكن هذا غير صحيح عندنا لانه لا يحتمل ان يبني الله تعالى للكافر في الجنة بيتا مع علمه انه لا ياتيه لان هذا فعل من لا يعلم العواقب وهو
عابث في فعله جل الله تعالى عن مثل هذا الوصف الا ان يحمل على الوعد ان ثبت الخبر اي ان اسلم الكافر كان له ذلك المنزل في الجنة
وان ارتد المسلم عن الاسلام كان له ذلك المنزل في النار وهو عالم ان عاقبة امره ماذا الكفر او الاسلام وان ماواه النار
او الجنة وحكمه على ما علم واراد لكن الله تعالى عالم بما كان وما يكون وبما لا يكون ان لو كان كيف يكون واخبر على ذلك والا لم يصح لما
ذكرنا من المعنى والله الموفق ويحتمل انه انما سماه يوم التغابن لان الدنيا جعلت اسواقا والاحوال التي يكون لهم دون الاحوال
في الاعمال التي يعملون فيها ويكتسبون تجارة قال الله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ثم قال تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله الاية وقال في اية اخرى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية وقال اشتروا الضلالة
بالهدى وقال اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فاذا كانت الدنيا متجرة والاخرة التي يقتسم فيها الارباح في ذلك
يقع الربح والخسران ويظهر الغبن والغصب والنقصان والزيادة والله اعلم وسماه يوم التغابن لما يظهر لهم في ذلك
انهم خسروا او ربحوا ولا يظهر لهم ذلك في الدنيا ثم بين العمل الذي يربح عليه والعمل الذي يخسر به والتجارة التي
يوصل بها الارباح والتي يلحق بها الخسران وهو ما قال ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري

من

من تحتها الانهار الاية وقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا الاية ثم **وقوله** عز وجل ومن يؤمن بالله يعمل صالحا يعني و
يؤمن بالله على ما جاءت به الرسل جملة وان له الخلق والامر ويؤمن بالرسل والبعث فذلك هو الايمان بالله تعالى **وقوله**
ويعمل صالحا يعني ومن يؤمن بالله ويعمل في ايمانه صالحا الى ان يموت **وقوله** والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني كفروا بتوحيد
الله تعالى وبقدرته وكذبوا باياته اي الحجج او كذبوا بالبعث اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير **وقوله** عز وجل
ما اصاب من مصيبة الا باذن الله قال بعضهم باذن الله يعني بامر الله وهو قول الحسن وقال بعضهم باذن الله
يعني بعلم الله وقال بعضهم باذن الله يعني بمشية الله ولكل من ذلك وجه فاما من قال بامر الله فمعناه وتحقيقه ان
هذه المصايب كلها عقوبات الا ترى الى قوله وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم ومعلوم ان جزاء ما كسبت
يجري عقوبة له والتعذيب والعقوبة انما يكون بامر الله فلذلك قال معنى قوله باذن الله اي بامر الله ولكن عندنا
هذا يرجع الى ما يصيبهم من ايدي الخلق كقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقوله تربصون الى قوله ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده او بايدينا ونحو ذلك وهذه المصايب لا يحتمل الامر من الله تعالى ومن قال بعلم الله فوجه ذلك
ان هذه المصايب فيها اهلاك العبيد وفي الشاهد انه لا يجب احد ان يعلم بما فيه هلاك عبيده وخدمه فاخبر
عز وجل ان هذه المصايب وان كان فيه هلاك عبيده فانما يكون ذلك بعلمه وان هلاكهم لا يعجزه ولا ينقص ملكه لان
الله سبحانه وتعالى انشا ما انشا من الخلايق لحاجة لهم والمنفعة يرجع اليهم ومضرة تلحقهم فحلول ما يحل بهم من
المصايب لا يعجزه ولا ينفعه لذلك كان على ما ذكر ومن قال بمشية الله واما دته فوجه ذلك ان الله تعالى وعد واوعد ولا
محالة يريد من عبيده ما يكون به وعيده عادلا وان يضع وعده موضعه واذا كان ذلك ثبت انه يريد من كل احد ما يعلم انه يريد
من كل احد ما يعلم انه يكون منه لانه اذا خلق النار واوعد عليها فلو اراد من كل منهم الطاعة لكان اذا احرق بالنار احرق
من اراد منه الطاعة فدخل في حد الجور ولو كان يريد من كل منهم المعصية لكان اذا انجز وعده ووعد وادخله الجنة كان
يضع ثوابه غير موضعه ويخرج به عن حد الحكمة واذا كان كذلك فثبت انه اراد من كل ما علم انه يختاره ويكون منه ليخرج
فعله عن الحكمة والله الموفق ونحن نقول قد ذكر الله تعالى الاذن في مواضع مختلفة ولكل من ذلك وجه غير وجهه
صاحبه فالواجب ان يعرف في كل موضع الى ما يليق به والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال ابو بكر
اي من امن بما شاهد من التدبير يهده الله تعالى ليعلم ان من دبر هذا التدبير هو الذي ابتلاه بهذه المصيبة ويجوز ان يكون
تاويله على وجه اخر وهو ان يقول من يؤمن بالله ان له الخلق والامر يهد قلبه ليسكن ويعلم ان الله اولى به فيسترجع
عند ذلك وذلك تاويل من قرا يهد قلبه اي يسكن من الهدو وهو السكون والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون هذه
الاية وان خرجت على لفظ الاحداث فليس على الاحداث ولكن معناه ان ايمانه بالله تعالى انما كان لهدايته منه لانه لا يجوز ان
يكون الايمان متقدما والهداية متاخرة ولكن هداه امن بما هداه وهذا على ما قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجكم
من الظلمات الى النور فهذا في الظاهر على لفظ الاحداث ولكنه في الحقيقة عليه ليس ولكن على معنى انهم لما امنوا اخرجهم
بالايمان عن الظلمات الى النور بعد الايمان فكذلك الاول والله اعلم ويجوز ان يكون تاويله ان الله يهد قلبه اوينقض
على قلبه عن الزلات عند الموت على ما قال الله تعالى ويثبت الله على المؤمنين والمؤمنات وقيل فيه لغات اربع يهد قلبه
الياء والباء جميعا ويهد قلبه برفع الباء والياء ويهد قلبه بفتح الياء وضم الباء يهتدي ويهدي قلبه من السكون
وقوله عز وجل والله بكل شيء عليم الاصل في الاسماء المشتركة اذا اضيف شيء منها الى الله تعالى نحو التخصيص في الاضافة
اليه ان يضاف بنحو الكليات ليكون فرقا بينه وبين العباد فيقال والله بكل شيء عليم ويقال في الخلق فلان عليم و
في الخلق فلان عليم بكذا على الخصوص وليعلم ان العبيد ان ما يعملون ما يعملون بعلمه وكذلك هذا في قوله والله على كل
شيء قدير وهذا على المعتزلة لانهم يقولون ان الله عز وجل ليس بقدير على كثير من الاشياء فانهم اشركوا في اسم القدرة
غير انه لا احد من الخلق الا وله جزء من القدرة فلو قلنا ان الله تعالى يقدر على بعض ولا يقدر على بعض لسوينا بينه وبين
خلقه وشبهناه بهم وجل الله سبحانه وتعالى عن مثل هذا الوصف والله المستعان **وقوله** عز وجل واطيعوا الله و
اطيعوا الرسول يعني اطيعوا الله فيما يعبدكم واسمعوا الرسول فيما اخبر عنه واطيعوا الله فيما امركم واطيعوا الرسول
فيما دعاكم اليه وهذا كله واحد الا التعبيد فانه لا يجوز ان يضاف الى رسول وما سواه الالفاظ من الامر والدعاء و
الاخبار فهو جائز ان يضاف اليه سبحانه وتعالى والى الرسول عليه السلام **وقوله** عز وجل فان توليتم يعني توليتم عن اجابة
الرسول الى ما دعاكم اليه وعن طاعته **وقوله** فانما على رسولنا البلاغ المبين فيه بيان ان توليتم عن اجابته وكفرهم به
لا يوجب تقصيرا في التبليغ **وقوله** عز وجل الله لا اله الا هو يجوز ان يكون هذا صلة ما تقدم من الايات من قوله له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير وعليم ويعلم ما يسرون وما يعلنون ثم قال الله الذي له الاوصاف التي تقدمت هو
لا اله الا هو اي لا معبود الا هو وان معبودهم ليس يجوز ان يكون معبودا لتعريه عن هذه الاوصاف التي تقدمت
ذكرها والله اعلم **وقوله** عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيه بيان ان معتمد المؤمنين على الله تعالى وان تداعوا

وانصارهم وانهم ليسوا كالمنافقين والكفرة حيث تركوا اتباع المؤمنين لما راوا من القلة الاتباع والاعوان لهم و
ان المؤمنين بخلاف تلك الصفة وان ثقتهم واعتمادهم على الله تعالى ليس على كثرة الانصار والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ويحتمل ان يكون على تحقيق العداوة فهو يحتمل وجهين احدهما
عداوة ظاهرة وهي عداوة الكفر والشرك وذلك انه كان في ذلك الزمان يسلم الرجل ويبقى ولده وزوجته على الكفر
والشرك وذلك انه كان في ذلك الزمان يسلم الرجل ويبقى ولده وزوجته على الكفر فعلمهم الله تعالى صحبة الاولاد و
الزوجات انه اذا دعوكم الى الكفر والشرك فاحذروهم ان يطيعوهم وان تعفوا عن عقوبتهم على ما دعوكم اليه وتغفروا
فان الله غفور رحيم ثم ذكر الله عز وجل في صحبة الاولاد والزوجات اذا كانوا كفارا ذا العفو والصفح ولم يذكر ذلك في الآباء
المشركين ولكنه امره ان يصاحبهما في الدنيا معروفا بقوله وصاحبهما في الدنيا معروفا فوجد ذلك عندنا والله اعلم
انه يجري سلطانه وغلبته وقهره على زوجته وولده فامره ههنا بالعفو والصفح واما في الوالدين فليس يجري له عليهما
السلطان والقهر والغلبة فلا معنى بالعفو والصفح عنهما لكنه امر ان يصاحبهما في الدنيا معروفا وان لا يطيعهما
فيما امراه من المنكر والله اعلم ويحتمل ان يكون هذه العداوة عداوة مستورة وهو عداوة النفاق فكانه قال ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم وانتم لا تشعرون وان تعفوا عن جناياتهم ولم تؤذوهم عليها وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم
الا ترى الى ما حذر الله المؤمنين واهل النفاق مع انهم من الضعف والفشل كما اخبر عز وجل عنهم بقوله يحسبون كل صيحة
عليهم هم العدو فاحذرهم فكذلك الازواج والاولاد وان كانوا تحت قهره وغلبته امره بالحذر عنهم والله اعلم ويحتمل ان
يكون على فعل العداوة ليس انهم اعداء في الحقيقة وذلك انهم في المتعارف والمتعاد يدعون الآباء الى البخل والمنع
عن الانفاق على غيرهم ويستقبح ايهم من الاحسان والبر في حق الناس ويكرهون ذلك وهذا في الظاهر فعل العدو فيجوز
ان يكون الله تعالى علم صحبة هؤلاء ان من ازواجكم واولادكم من يظهر فعل العداوة فاحذروهم ان تمتنعوا عن وجوه
الاحسان والبر بقولهم وان تعفوا عن منعهم لكم وتغفروا فان الله غفور رحيم وقوله انما اموالكم واولادكم فتنة
المفتون هو المولع بالشيء العاشق له فكانه قال انما اموالكم واولادكم معشوقكم فلا يحمل حبهم على ان يتركوا ابتغاء
الاجر العظيم عند الله تعالى ويحتمل ان يكون معناه ان الله تعالى لم يخلق الازواج والاولاد لكم محابا بل انما خلقهم ليبتليكم
ويمتحنكم كيف تعاملون الله تعالى فيما امركم به ونهاكم عن حبهم ثم اخبر ان الله تعالى عنده اجر عظيم ليسهلوا المؤنة
العظيمة في اوامره ونواهيه عند حبهم الاولاد والاموال وهذا معنى ما قال بعضهم ان الازواج والاولاد كانوا تعلقوا
بهم ويقولون ننشدك بالله ان تذرنا وتضيعنا اذا اراد الرجل ان يهاجر الى المدينة والاشبه ان لا يكون هذا
لان هذه الاية نزلت بالمدينة وانما لهم هذه انما كانت بمكة الا ان يكونوا كتبوا اليهم بها والله اعلم وقوله عز وجل
فاتقوا الله ما استطعتم قال بعضهم نسخت هذه الاية قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته حيث امر ههنا بالاتقاء على قدر
الاستطاعة وثمة بخلافه ولكن هذا لا يستقيم لان قوله اتقوا الله حق تقاته لا يراد به الاتقاء مما لا يستطيعون لانه
الطاقة والاستطاعة لكنه ان كان فوجهه ان اتقوا الله حق تقاته وان هلكت فيه طاقتكم لو الزمهم بالتقوى تهلك
طاقتهم على ما قال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ولو كتب عليهم ان يقتلوا انفسهم جاز
ولكنه تهلك طاقتهم فيه فكذلك الاول ثم قال فاتقوا الله ما استطعتم تخفيفا عليهم وتيسيرا والله اعلم ولكن الكلام
في ان كيف قال فاتقوا الله ما استطعتم ولم يكن يبقى لولا هذه الاية الا ما استطعنا ولكن معناه والله اعلم على
جهة البشارة انكم اذا قصدتم قصدا للتقوى اتاكم الله الاستطاعة في تقواه وهو كقوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقوله عز وجل فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وهذه الاية على المعتزلة لانهم
يقولون ان الاستطاعة تتقدم الفعل وهي تزول عند الفعل وتتقدم عند الفعل ولو كان كذلك كان يجعل قوله فاتقوا
ما استطعتم استطاعة زالت عنهم وكذلك قوله خذ بقوة وكذلك قوله خذوا ما اتيناكم بقوة زالت عنهم هذا
مستحيل والذي يؤيد قولنا قوله جل ثناؤه فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا والحاجة الى هذه الاستطاعة
يقع عند اداء البدل لتعذر الاصل فاما قبل ذلك ان كان مستطيعا او غير مستطيع فهو سواء قوله تعالى واسمعوا اي اسمعوا
الى ما امركم الله تعالى به ورسوله او يكون قوله اسمعوا بمعنى اجيبوا الى ما امركم الله به والى ما دعاكم الله ورسوله كقوله
سمع الله لمن حمده اي اجابه وقوله وانفقوا خيرا لانفسكم اي وانفقوا مما رزقتم خيرا لكم من ان تدعوا الاجابة
لما امركم والانفاق مما رزقكم وقوله عز وجل ومن يوق شح نفسه قال سفيان بن عيينة اي ومن يوق ظلم
نفسه والشح الظلم اضاف الوقاية الى نفسه ليعلم ان من اتقاه فانما اتقاه بما وقاه الله تعالى بلطفه وكرمه
الا ترى الى قوله قوا انفسكم واهليكم نارا كيف علمهم ذلك التقوى بقوله وقنا عذاب النار ليعلم ان جميع الا
فعال العباد انما يقوم ويصح بتدبير الله تعالى وتوفيقه وتسديده وتقديره والله اعلم ثم قوله ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون فيه اوجه من الدلالة احدها ان قوله ومن يوق شح نفسه لم يبين فاعله ففيه

بيان ان في سلطان الله وملكه ما يقي به شح عبده وانه اذا وقاه شح نفسه افلح وكذلك في قوله ان ينصركم الله
فلا غالب لكم اخبار ان من ينصره الله فلا يغلب وقد يرى في الشاهد من لا يوق شح نفسه البتة ومن قد يوق شح
نفسه ولا يفلح وقد نرى من يجاهد اعداءه ويغلب مع ما وعد واخبر انه هو الغالب وانه لا يغلب فلا بد ذلك من احد وجهين
اما ان لم يكن لله تعالى النصرة في ملكه وسلطانه كما ادعى فهو كاذب فيما ادعى واما اتاه من القوة ما يقي به شح نفسه
فلم يفلح فصار كاذبا في خبره واما ان كانت المعتزلة فيما زعموا ان الله تعالى قد اتى عبده جميع ما يقي به شح نفسه حتى
لم يبق في خزائنه شيء يؤتيه ليقي به شح نفسه كذبته واذا لم يكن بد من نسبة الكذب الى الله تعالى او الى المعتزلة كانت
المعتزلة اولى ان ينسبوا الى الكذب من رب العالمين فيما اخبر وان الله تعالى فيما اخبر صادق وان في ملكه وسلطانه ما لم
يؤت عبده ليقي به شح نفسه والله المستعان وفيه دلالة على ابطال قول من قال ان على الكفرة اداء هذه العبادات
والحقوق واجبة وذلك ان الله تعالى وعد في هذه الاية ان من وقي شح نفسه وادى ما وجب عليه من هذه الحقوق
فقد افلح وقد نرى الكافر في الشاهد يوق شح نفسه ويؤدي حقوق امواله ويسخو بماله على الناس ولا يفلح و
لو كان عليه هذه الحقوق واجبة لكان يحصل له الفلاح ثبت انه ليس عليه اداؤها وانما عليه قبولها والله اعلم
وفيه ان صاحب الكبيرة قد يرجى له الفلاح وان لم يتب على الكبيرة حتى مات لانا قد نرى صاحب الكبيرة قد يوق شح
نفسه فقد ثبت انه يرجى له الفلاح والله اعلم وقوله عز وجل ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم تولد
من هذه الايات ظنون فاسدة احدها ظن اليهود حيث قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وذلك انهم لما سمعوا ان الله تعالى
يقول اقرضوا الله قرضا حسنا والاستقراض في الشاهد يدل على الحاجة الى ما يستقرض وكذلك قوله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم والشراء يدل على حاجة في المشتري وحيث استعمل عبيده في الاعمال ثم قال لكم اجر عظيم ورأوا
ان من يستعمل اجيرا انما يستعمله في عمل يرجع منفعته عليه ويحتاج الى عمله ظنوا بذلك ان الله فقير وانه يحتاج وظنت المعتزلة
ان انفس العبيد واملاكهم ملك لهم حقيقة ليس لله من ذلك ملك ولا تدبير فلولا ذلك ان الله تعالى استقرض
من عبيده والمرء في الشاهد لا يستقرض ملك نفسه فلما استقرض واشترى دل ان هذه الاشياء كانت ملكا لهم حقيقة
والذي يدل على ان قول المعتزلة على ما وصفنا ان من قولهم ان ليس لله تعالى ان يمرض احدا ولا يؤلم دابة الا بعوض ومن
لم يكن فعل شيء لا بعوض وبدل بعوض ثبت انه لا يملكه فثبت على ان عندهم ان لا يملك حقيقته وان حقيقة الملك
فيه للعبيد ويشبه ان يكون ظن اليهود والمعتزلة جميعا انما تولد من قولهم ان ليس لله تعالى ان يفعل بعبيده الا ما هو
اصلح لهم في دينهم فذهبت اليهود الى ان هذا لما كان حقا على الله تعالى ان يفعله لا محالة حتى اذا لم يفعله يكون جائرا ومن
كان ما يجوز الجور او الشيء يفعله تقصد بيان ان حقيقة ذلك الفعل لغيره حتى اخذ به لا محالة لذلك قلنا ان ظنونهم تولد
عن القول بالاصلح والله المستعان واما الحكماء واهل العقل ومن انتفع بعقله حمل هذه الايات من الله تعالى على نهاية
الكرم وغاية الغناء لان الله تعالى اعطى عبيده ثم استقرض منه ذلك الذي اعطاه ليصيره ذلك الاعطاء دائما وهو النعيم
في الاخرة ومعلوم ان من اراد واما اعطاه من اعطاه فهو في غاية الكرم وكذا اشترى منه حيوة فانية ليعطي له حيوة
دائمة وهذا من غاية الجود ومن استعمل عبيده في عمل يوصف بانه جواد سخي ويشرب به ويكرم ثم وعد له على ما فيه شرفه
اجرا دائما دل على غناه فثبت انه اراد بهذه الايات ان يعلمنا غاية كرمه وغاية جوده ونهاية غناه وانجوده وكرمه مما
لا يدركه فهو لنا والله المستعان والذي يدل على غاية كرمه وغاية جوده ان حمل ما يتصدق به على فقرائنا وما نفعل
ارحامنا قرضا على نفسه ووعد الاجر فعل يحمل العبد لنفسه وعلى عمل على العبد فعله لا محالة ولا شك ان ذلك من
غاية الجود والكرم والله المستعان وقوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا قال بعضهم القرض هو القطع كانه قال اقطعوا شيئا
من اموالكم لله تعالى قطعا حسنا وقال بعضهم اقرضوا اي اجعلوا ما تتصدقون به مما فضل من حاجاتكم عن فقرائكم قرضا على الله
تعالى يؤتيكم اجره عند حاجتكم اليه وقوله يضاعفه لكم يعني يضاعف ما يعطيكم في الاخرة من الثواب الذي يكرمون به
بما شرفتم به وتزينتم في الدنيا بالتصديق وقوله والله شكور حيث شكر لكم على ما اعطيتموه شيئا هو اعطاكم وقوله
حليم وصف نفسه بالحلم وعلى قول المعتزلة لا يتحقق هذا الوصف لانهم يقولون انه اذا وجبت العقوبة فليس لله
تعالى ان يؤخرها تفضلا منه وانه فيما اخرها كان ذلك حقا عليه حيث راى الاصلح في تاخيرها ومعلوم ان من ارتكب
حقا عليه لم يوصف بالحلم ولكنه يقال انه يتقي الجور والحليم من يحلم عن عقوبته لزمت فتوخرها ويتركها ويعفو عنها
عنها فيوصف بالحلم عند ذلك وانما يكون عليه تاخيرها فلا يوصف بالحلم في هذا الموضع وقوله عز وجل عالم الغيب
والشهادة يعني عالم بما غاب من اعمال الخلق عن الملائكة وعالم بما شهدوا من اعمالهم وعالم بما غاب عن العباد وبما
شهده العباد وقوله عز وجل العزيز الذي لا يعجزه شيء والحكيم الذي لا يلحقه الخطاء في تدبيره ثم المعتاد في القرآن
انه يذكر العزيز الحكيم بعد ذكره خلق الكفرة ليعلم ان فسادهم لا يوجب وهنا في حكمته وتدبيره ولا يبطل عزه وسلطانه
لان من صنع الاخر شيئا يعلم انه يفسد دل ذلك على جهله بالتدبير واذا استعمل عبده بما يهلكه دل على ذله فاخبر بعد

خلق الكفرة انه عز وجل لعلمه ان كفرهم لا يوجب نقصا في عزه ولا يدخل ذلا عليه وان فسادهم لا يخرجه عن الحكمة والتدبير والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فانه يخرج على الاضمار والله اعلم كانه يقول يا ايها النبي قل لامتك اذا اردتم ان تطلقوهن لعدتهن والدليل على انه هكذا فانه يخرج الخطاب بعده للجماعة حيث قال اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن او خاطب به النبي والمراد امته وذلك كثير في القران ثم قوله فطلقوهن لعدتهن امر بالطلاق للعدة ولم يبين ان الطلاق للعدة كيف يكون وذكر في بعض القراءات فطلقوهن بقبل عدتهن ثم ترك بيان ذلك لا يخلو اما ان يكون الرسول عليه السلام قد بين ذلك لهم فتواترا ذلك فلم يبين ذلك في الاية او جعل بيان معرفة ذلك اليهم ليعرفوا بالاجتهاد ثم قوله لقبل عدتهن يحتمل اول عدتهن ويحتمل ما يقابل عدتهن وهو الحيض و من المقابلة فمن يقول الاعتداد بالاطهار يجعل القبل كنايه عن اول الطهر ومن يقولها بالحيض يجعل القبل ما يقابل العدة وهو الحيض ثم لنا ان ننظر اي التاويلين اقرب وقد اجمعوا ان له ان يطلقها في اخر الطهر اذا لم يجامعها فيه دل ان تاويل القبل بما يقابل العدة احق وهو الحيض والاعتداد به اولى والله اعلم وقوله عز وجل واحصوا العدة يخرج على هذين الوجهين احدهما احفظوا الحقوق والاحكام التي تجب في العدة فادوها والثاني احفظوا النفس ما تعتدون وهو العدد الحيض التي بها تعتدون لان لا تزاد ولا ينقص ثم جعل الاحصاء الى الازواج يحتمل وجهين احدهما انهم هم الذين يلزمهم الحقوق والمؤن والثاني لهم نفع تحصين الاولاد في العدة والله اعلم وقوله عز وجل واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة دل قوله من بيوتهن على صحة مسئلة لاصحابنا رحمهم الله فيمن حلف لا يدخل بيت فلان فدخل بيتا هو فيه باعارة او اجارة انه يحنث ووجه ذلك ان الله تعالى اضاف البيوت اليهن وان كانت حقيقة الملك للازواج الا ترى الى قوله اسكنوهن من حيث سكنتم ثم قال لا تخرجوهن من بيوتهن انه اراد به البيوت التي اسكنهن الازواج فيها واذا صحت هذه الاضافة دل على صحة المذهب وقال الشافعي فيمن حلف لا يدخل مسكن فلان فدخل مسكنا فيه بالاعارة انه يحنث وقال فيمن حلف لا يدخل بيت فلان انه لا يحنث واحتج في المسكن انه انما حنث لانه وجد حقيقة السكنى المحلوف عليه فان كان هذا هو الدليل على الحنث فالواجب عليه ان يحنثه في البيت لوجود البيتوتة على ما حنثه في المسكن لوجود السكنى وعندنا ان في الحنث اقرب في البيت لان الله تعالى اضاف البيوت اليهن في كتابه وان كن يبتن فيها باعارة ولم يوجد في السكنى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل الا ان ياتين بفاحشة مبينة ومبينة قرئ جميعا فمنهم من حمل الاستثناء وهو قوله الا على قوله لا تخرجوهن من بيوتهن و منهم من صرفه الى قوله ولا يخرجن ولكل من ذلك وجهان فاما من حمله على قوله لا تخرجوهن فانه جعله استثناء ولا استثناء وجهان احدهما لا تخرجوهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة اي ترتكبن فتخرجوهن لاقامة الحد عليهن او لا تخرجوهن الا ان يظهر منهن بذاء في اللسان على اهل ازواجهن فتخرجوهن لمكان البذاءة التي في لسانهن ومن حمله على قوله يخرجن فانه يجعل معنى قوله الا على معنى لكن كما قيل في قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اي لا يسمعون فيها لغوا ولكن سلاما اذ لا يحتمل استثناء السلام من اللغو لما ليس في جملة اللغو سلام فيستثنى منه فكذلك قوله عز وجل لا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة فكانه قال لا يخرجن ولكن اذا خرجن فخروجهن فاحشة ويدل هذا على ان النهي لنفس الخروج لا للانتقال ووجه اخر في ذلك وهو ان لا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة فانهن اذا خرجن يخشى عليهن ان ياتين بفاحشة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما عبد تزوج بغير اذن مولاه فهو عاهر وكان المعنى من ذلك انه اذا تزوج فوطئ فهو عاهر ولكن نهى عن النكاح لانه يخشى عليه في النكاح ان يطاها فيصير عاهرا الا ان يكون نفس التزوج منه زنا فكذلك لا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة فيكون النهي لا عن نفس الخروج ولكن لكونه سببا للفاحشة في الجملة وطريقا اليه ثم وقوله عز وجل مبينة فمن قرا مبينة بالخفض فمعناه ان نفس الفاحشة اذا تفكر فيها المرء ونظر تبين له انها فاحشة ومن قرا مبينة بالفتح عنى به انها مبينة بالبراهين والحجج وقوله عز وجل وتلك حدود الله الحدود الموانع والنواهي لا يحل مجاوزتها ومن ذلك سمي الحداد حدادا لانه يمنع تحديده كل انواع الاشتعة ان تجاوز حدها الذي جعل لها والحد في الحقيقة هو النهاية التي ينتهي اليها فلا يجاوز اذا كانت كذلك الحد راجعا الى صاحب التاويل فان شاء حمله على الحدين الطاعة والمعصية او ما احل والحرام حيث ذكر في هذه الاية انواعا من النهي فسمي ذلك كله حدودا وقوله عز وجل ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه ويجوز ان يكون المعنى منه اي تجاوز هذا الحد الذي جعل الله تعالى فقد وضع نفسه مكانا لم يضعه فيه ربه والظلم في الحقيقة وضع الشيء في غير موضعه والتاويل الاخر ان من جاوز موانع الله ونواهيه فقد ظلم نفسه دل بهذا على ان منافع هذه النواهي ومضادها لا يرجع الى الله بل يرجع نفس الممتحنين وقوله عز وجل لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي لا تطلق فانه اذا طلق لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك ندامة على ما سبق من فعله او رغبة فيها فيكون فيه دلالة النهي عن نفس الطلاق وقد بينا كراهة نفس الطلاق في الحكمة في انه ليس من نوع ما يتقرب به فيكون فيه زيادة في القربة ولا يستمتع به فيكون فيه زيادة في الاستمتاع بل المقصود منه التاديب والتخلص وفي الواحدة كفاية عما زاد عليها فكان في هذه الاية دلالة النهي عن نفس الطلاق وعن الزيادة على الواحدة والله اعلم قال كان تاويل قوله عز وجل لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا هو الرغبة فيها او الندامة على ما سبق فانه دلالة على ابطال قول المعتزلة لان الرغبة والندامة جميعا من فعل العباد والله تعالى قد اضاف ذلك الى نفسه بقوله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا واذا كان كذلك ثبت ان الله تعالى في احداث افعال العباد صنعا وتدبيرا والله اعلم وقال اصحاب الشافعي ان قوله فطلقوهن يدل على تعليم الوقت في الطلاق دون العدد فله ان يطلقها في الوقت اي عدد كان ولا يستقيم ذلك لان التاويل انما يستقيم على احد وجهين اما على ما جرى به التفاهم في العادات بين العباد واما على ما جرى به التفاهم في حق الحكمة وليس من قوله فطلقوهن العدد والثلاث على واحد من الوجهين اللذين وصفنا هما الا ترى ان من قال لاخر طلق امراتي لم يجز ان يطلقها ثلاثا الا ان يكون نوى ثلاثا فثبت انه لا يفهم به في عادة اللفظ الثلث واما وجه الحكمة فلما ذكرنا ان الطلاق ليس مما يتقرب فيرغب في الاستكثار زيادة في القربة ولا مما يستمتع فيستكثر منه زيادة في الاستمتاع وانما المراد منه التاديب والتخلص وما كان مخرجه هذا المخرج كان في حد الرخصة وما خرج مخرج الرخص لا يجد به عما وقعت به الرخصة واذا ثبت ما وصفنا ثبت ان لا يجوز ان يفهم من قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن الثلاث والتعليم في العدد الذي به من الوقت لانه لا ضرر يلحقه في تعديه عن الوقت المجعول له فيه الطلاق ولا شك انه يلحقه الضرر في تعديه في العدد والزيادة منه والله اعلم ومما يدل على ان المراد من قوله فطلقوهن ليس عدد الثلاث قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ولا شك انه اذا وقع ثلاثا لم يملك امساكها ومعلوم ان قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف الطلاق في المتقدمة من قوله فطلقوهن ولو كان المراد عدد الثلاث لم يكن لقوله فامسكوهن بمعروف معنى والله اعلم وقوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف فيه فوائد شتى وادلة متفرقة من الفقه والاحكام احدها ان الله تعالى قال فامسكوهن بمعروف ليها في المتعارف من نوع الفعل اظهر من نوع القول لانه انما يحسن اليها استمتاعا وانفاقا ونحو ذلك ذلك نوعه نوع الفعل فثبت ان حقيقة الامساك بالمعروف في الافعال فلذلك قلنا اذا راجعها بالفعل يكون مراجعا فان قيل اليس قال الله تعالى فاشهدوا ذوي عدل منكم والاشهاد على الفعل غير صحيح قيل له ان يقال ان الله تعالى قال واشهدوا ومعلوم ان هذا لو كان بحضرة الشهود لم يكن للاشهاد معنى بل اذا سمعوا ذلك صاروا شهودا اشهدوا او لم يشهدوا واذا كان كذلك ثبت ان المعنى من هذا الاشهاد على الامساك المتقدم وذلك في الافعال مستقيم والله اعلم ووجه اخر وهو ان كل عقد استقام بغير شهود جرى فيه الامر بالاشهاد نحو قوله واشهدوا اذا تبايعتم وكل ما جعل الشهود فيه شرطا لقوام العقد جرى الذكر فيه لا الا بشهود نحو قوله لا نكاح الا بشهود فلما جرى الذكر في هذه الاية بالامر بالاشهاد بقوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم ثبت انه يستقيم من غير شهود والله اعلم ثم في قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف دليل على ان المراد من الاقراء هي الحيض فانه ذكر نوع هذا في كتاب الله في مواضع قال الله تعالى في موضع فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وقال في اية اخرى فاذا بلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وقال في هذا الموضع فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ومعلوم ان معاني هذه الالفاظ مختلفة وان اتفقت مخارجها واختلافها ان يكون المراد ببلوغ الاجل في احد النوعين على التمام وانقضاء الاجل والثاني على الاشراف عليه و احق ما يكون من حق الاشراف عليه واحق ما يكون في حق الاشراف على البلوغ هو ما يرجع الى الازواج لانه قد كان لهم حق الامساك قبل انقضاء الاجل وهم احق بهم ما لم يتم بلوغ الاجل لا محالة واذا ثبت ان المعنى من قوله فاذا بلغن اجلهن في هذا الموضع هو الاشراف على البلوغ والقرب من انقضاء الاجل دون التمام ثبت ان الاقراء هي الحيض لانه لو كان المراد منه الاطهار لم يعرف اشراف الاجل على البلوغ لانه لا نهاية لاكثر الطهر واما الحيض فانه له غاية معلومة لان ايامها لا تخلو اما ان يكون عشرا او دون العشر فان كان عشرا فيعرف بالعدد وان كان دون العشر فان دمها انقطع راجعها قبل ان تغتسل وذلك وقت اشرافها على البلوغ والاطهار ليس يتحقق فيها المعنى الذي وصفنا والله اعلم ثم قال ههنا فامسكوهن بمعروف فدل الامر بالامساك في الظاهر انها ما دامت في العدة فهي على ملكه وقال في موضع اخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك فدل على انه قد وقع شيء من الزوال حتى امره بردها فيكون حجة الشافعي لان الطلاق الرجعي يحرم الوطء ولكن المعنى عندنا في هذا والله اعلم انا ادعينا بقوله او فارقوهن بعد وجود الطلاق المتقدم انه لم يرد به الفرقة للحال ولكن معناه اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيفارقوهن فثبت انه قد وقع شيء من شبهة الفراق بالطلاق وهو ان صار الفراق مستحقا لا زما حال انقضاء العدة فيكون له عرض الوجود للحال تعالى امسكوهن على ابقائهن على اصل الملك وقال وبعولتهن احق بردهن في ذلك لرفع تلك الشبهة الواقعة بالطلاق وهذا على مثل ما قال تعالى الذين يؤلون من نسائهم تربص

اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم وكان الفيء هو الرجوع ومعلوم
انه لم يقع شيء بالايلاء شيء من الفرقة ولكن لما كان الايلاء موجبا للبينونة في العقبى اوجب في الحال شبهة بالفرقة
وهو استحقاق الزوال فذكر الفيء لرفع تلك الشبهة فكان تركها منه لا يفيء اليها عزم منه على الطلاق فكذلك والمعروف
اذا امتنع ايلاء انسان منعه فرقتها واستحسنها فهو معروف وما دفعه وانكره فليس بمعروف وهو الذي عرفنا
الله تعالى من المراجعة والمفارقة ثم المعروف في الحقيقة ما تطمئن اليه القلوب ويسكن عنده الانفس وقوله عز وجل
واشهدوا ذوي عدل منكم دل قوله تعالى ذوي عدل منكم انه قد يكون منا فساق وان الفسق لا يخرجه من الايمان
وكذلك قوله ممن ترضون من الشهداء فثبت انه قد يكون منا من لا يرضى وان خروجه ممن يرضى لا يخرجه من
الايمان وقوله عز وجل واقيموا الشهادة لله حيث اضافها الى نفسه هو انه لا بد في الشهادة من نفع يقع لاحد الخصمين
وضرر الى الاخر فكانه قال لا ينظر الى رضاء من ينفعه الشهادة والى سخط من يضره ولكن اجعلوها لله تعالى وقوله
عز وجل ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر الموعظة وان كانت لمن يؤمن ولمن لا يؤمن فالمعنى
في هذا ذلكم يتعظ بما يوعظ من كان يؤمن بالله واليوم الاخر كما كان المعنى من قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر اي
انما ينتفع بالانذار من يتبع الذكر وكما كان في قوله يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به اي ينتفعون بتلاوته فكذلك
الاول والله اعلم وقوله يوعظ به اي بما امر فيما تقدم من الايات من الطلاق في العدة والنهي عن اخراجهن من
البيوت والانفاق ونحوه انما يوعظ به اي يأخذ بما امر به وينهى عنه في هذه الايات من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قد بينا ان التقوى اذا ذكر مفردا
انتظم الاوامر والنواهي واذا ذكر معه البر والاحسان صرفنا التقوى الى معنى والبر الى معنى وذكر في هذا الموضع
مفردا فجاز ان ينتظم الاوامر والنواهي ثم جاز ان يكون المعنى من قوله ومن يتق الله فيما بين له من الحدود فلم يضيعه
يجعل له مخرجا فيما لم يبين له وفيما اشتبه من الحد ويجوز ان يكون المعنى من قوله ومن يتق الله اي المجاهد فيما امره
ونهاه يجعل له مخارجا في ان يهديه يبين له السبيل الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال ويجوز
ان ينال من يلزم التقوى خير الدنيا والاخرة لان الله تعالى ذكر التقوى وما يليه بالفاظ مختلفة فقال في موضع
اخر يجعل له من امره يسرا وفي موضع اخر يكفر عنه سيئاته وفي موضع ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اي
ان الله مع الذين اتقوا في النصرة والمعونة والتوفيق والعصمة ومن نصره الله تعالى لا يغلبه احد ومن يعصمه الله تعالى
لا يضله احد واذا قال ها ابين المتصدقين فقال نال الخير الدنيا والاخرة ويجوز ان يكون قوله ومن يتق الله يعني يتقي عقابه
يجعل له مخرجا من الشدة في الدنيا وعن سكرات الموت وغمراته وعن شدائد الاخرة واهوالها ويجوز ان يكون قوله ومن
يتق الله في مكاسبه يجعل له مخرجا من الشبه والحرامات فيسلم منها او يجوز ان يكون قوله ومن يتق الله فيما بين له من
الحدود في هذه الايات المتقدمة فحفظها من صحبة النساء على ما امر به يجعل له مخرجا مما اهم من ناحيتهن ويرزقه من حيث
لا يحتسب ويجوز ان يكون هذا فيما بين له من الحدود اذا حفظها ان يرزقه ما وصفنا من المرأة والمال ويجوز ان
يكون هذا في جميع الامور من المكاسب والتجارات لان التجار يظنون انهم انما يرزقون الفضل والربح لما يخلطون
فيها من الشبه والحرمات وانها اذا نفيت من تجاراتهم تلك الشبه والحرمات رزقهم من حيث لم يحتسبوا او يجوز ان
يكون نزل هذا خطابا للكفرة وذلك انهم كانوا يخافون انهم اذا امنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم حرموا من الرزق
وابتلوا بالضيق الا ترى الى قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا الاية فكان الله تعالى امنهم عما يخافون بسبب
الاسلام واخبرهم انهم اذا وحدوا الله تعالى وامنوا برسوله رزقهم من حيث لم يحتسبوا ووسع عليهم الرزق
والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه يجوز ان يكون معناه اي من يعتمده في كل نائبة ويفوض
اليه كل نازلة والوكيل هو الموكول اليه الامور وقيل الوكيل هو الحافظ فكانه قال ومن يعتمد على الله فيما نابه كفي به
وكيلا وموكولا اليه امره وكفى به حافظا وناصرا ومعينا وقوله عز وجل ان الله بالغ امره اي فيما اخبر من حكمه ووعده
ان ينزل بهم ويجوز ان يكون بالغ امره اي مبلغ ما امر رسوله بتبليغه الى اخر عصيانه بكون امره منه في تسخيرهم لبعضهم
كان الرسول بلغهم وقوله عز وجل قد جعل الله لكل شيء قدرا قال الحسن لكل شيء من اعمال العباد قدرا وقتا في
الاخرة والوجه عندنا قد جعل الله لكل شيء مما كان ويكون الى يوم القيمة من حسن وقبيح في الحكمة قدرا الا ترى
الى افعال العباد انها كيف تخرج عن تدبيرهم من زمان ومكان ونحو ذلك ليعلم ان الله تعالى هو الذي قدر ذلك
المكان والزمان والفعل حتى خرج فعل هذا العبد عن تقديره الذي قدره والله اعلم وفي قوله تعالى ويرزقه
من حيث لا يحتسب وجه اخر وهو انه لو حمل جميع الرزق من حيث لا يحتسب جاز لان الرزق في الحقيقة هو الذي
يتقوى به بدن الانسان ويتغذى به وليس ذلك في عين الاكل والشرب ولكن فيما يتفرق من قوة الطعام
والشراب في الاعضاء وذلك باللطف من الله تعالى ثبت ان العروق الاكل والشرب انما تصل الى الاعضاء

من حيث لا يحتسبه الانسان والله اعلم ثم ليس في قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا تخصيص ان من لا يتقيه لا يرزقه من
حيث لا يحتسب لانا قد نرى في الشاهد من يرزقه من حيث لا يحتسب اتقاه او لم يتقه فثبت ان فائدة التخصيص ليس
نفي غير المقصود ولكن فائدة تخصيص المتقي بالذكر هو انه يرزقه من حيث يطيب له ولا يلام عليه وليس ذلك في غير
المتقي والله المستعان ثم ليس في قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ما يدل على ترك الاسباب ولكن لما راى الناس
يفزع بعضهم الى بعض ويستغيث بعضهم ببعض امرهم ان يجعلوا المقصد والمفزع الى الله تعالى وان يصيروا هذه الا
كلها محنة عليهم لا ان يروا ارزاقهم مقصودة متعلقة بها الا ترى الى قوله تعالى وابتغوا من فضل الله كيف امر
بادراك فضله من خلال التجارة فثبت ان هذه المكاسب كلها اسباب للخلق بها يتوصلون الى فضل الله تعالى وان
المقصد والمفزع فيها الى الله تعالى والله اعلم ثم اختلفوا في العدة فمنهم من قال هي استبراء الرحم ومنهم من قال هي عبادة
يتبع النكاح الذي استوفى فيه المقصود بالنكاح وهذا القول عندنا اصوب لاوجه احدها ان الاستبراء واجب في حق السنة
والادب قبل الطلاق فان من اراد ان يطلق امرأته فالواجب عليه ان يستبرئها بحيضة ثم يطلقها واما العدة
فانها لا تجب الا بعد الطلاق فثبت انها على ما ذكرنا عن العبادة التي يتبع النكاح الذي استوفى فيه المقصود ولان
الاستبراء واجب والله اعلم ومعنى اخر ان العدة لو كانت استبراء لكانت يكتفى بالحيضة الواحدة فلما قرنت بالعدد
وفي الواحدة مندوحة عما سواها في حق الاستبراء فثبت انها على الوجه الاول والله اعلم وقوله عز وجل واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم هذا يدل على ان المراد من الاقراء الحيض وذلك لان الاصل عندنا في الاصول ان
الشيء متى ذكر باسم مشترك باسم جرى البيان له عند ذكر البدل باسم خاص دل على ان المراد من الاسم المشترك
هذا الاسم الخاص المذكور عند البدل الا ترى الى قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وكان الاسم الغسل مشتركا بينا ول
الماء وكل مائع فلما قال عند ذكر البدل فلم تجدوا ماء بين ان المراد من ذلك الاسم المشترك هو هذا الاسم المذكور
عند البدل فكذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر اختلفوا في قوله ان ارتبتم انه
في حيضهن او في عدتهن وعندنا الارتياب في عدتهن لانه لو كان المراد منه الارتياب في حيضهن لكان من حق
الكلام ان يقول ان ارتبن او يقول واللائي ارتبن ليكون منسوقا على قوله واللائي يئسن فلما قال ارتبتم ان المراد
ارتبتم في عدة الايسات والصغار فهي ثلاثة اشهر والله اعلم ولان المرتابة اذا رأت الحيض ارتفع ريبها وصار
وعدتها بالحيض وخرجت من العدة بالشهور واما الايسة والصغيرة فانه لا يتوهم عليها ارتفاع الاياس و
الصغر فانه لا يتوهم عليها فتكون عدتهما بالاشهر فلذلك قلنا ان هذا الارتياب في عدة الايسات والصغار
ثم من قول اصحابنا ان الرجل اذا طلق امرأة الايسة والصغيرة او الحامل للسنة طلقها متى شاء وليس له وقت معين
في طلاقها للسنة وانما كان كذلك لانا قد وصفنا في قوله وطلقوهن لعدتهن ان المراد منه لقبل عدتهن ومعلوم
ان عدة التي ترى الحيض احد شيئين اما العدد ولم يعتبر ما يقابلها وهو الطهر من العدة وكذلك من جعل عدتها م
بالاطهار لم يعتبر ما يقابلها وهو الحيض من العدة واذا كان كذلك لم يجد بدا من ان يكون ههنا شيء يقابل عدتها فثبت
فيه معنى قبل عدتها فيجعل ذلك الطهر واما الايسة والصغيرة والحامل فجميع ايامها من عدتها وهو ثلاثة اشهر وليس
في ايامها شيء يقابل عدتها فلذلك قلنا ان له ان يطلقها في اي وقت شاء وكذا له ان يطلق الحامل التي من ذوات
الاقراء وذلك لانه انما نهي عندنا عن الطلاق على اثر الجماع في التي تحيض لتوهم ان يكون الجماع احبل لها فاذا طلقها ثم
اراد نفي الحبل في العدة لم يتهيأ له ذلك واما الايسة والصغيرة والحامل فليس فيهن هذا التوهم والله اعلم ثم هذه العدة
وان ذكره في هذه السورة على اثر الطلاق الواحد فكانها في المطلقات الثلاث لان هذه العدة مكان العدة التي ذكر الله
تعالى في سورة البقرة من قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء لانه ذكرها ههنا واحصوا العدة على الاجمال وذكرها
ثم على التفسير واذا التحق التفسير بالمجمل يصير في المعنى والحكم كانه واحد ومعلوم ان تلك في الواحد والثلاث الا ترى الى
قوله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان هي التطليقة الثالثة واذا كان الامر على ما وصفنا ثبت
ان المرء ان يطلق امرأته الحامل للسنة ثلاثا والله اعلم قال رحمه الله ثم في قوله ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن اوجه
من الفقه احدها انه لما قال في بيوتهن دل انه ارادهن السكون في بيوتهن التي كن فيها في حال قيام النكاح فيكون دليلا
في قول اصحابنا انه ليس للزوج ان يسكنها معه في بيته الذي هو فيه بل يتركها في ذلك المسكن ويتحول هو بنفسه
ان كان يريد الانتقال ويصح هذا قوله اسكنوهن من حيث سكنتم فلما دخل حرف من هذه الاية دل ان الواجب على الزوج
ان يسكنها في بيت من بيوته ولا يدخل عليها في ذلك البيت الى ان تنقضي العدة والله اعلم ثم المعنى عندنا في قوله لا تخرجوهن
من بيوتهن ليحصن ماءكم ولا يخرجن خوفا من وطء غير الازواج واشتباه النسب ان لو حبلن واذا كان النهي عن اخراجها و
خروجها من البيت لهذا المعنى لم يكن بد من ايجاب النفقة عليه لانها انما تكتسب نفقتها بالخروج فاذا نهيت عن الخروج ثم
تحصين مائه لم يحتمل ان تكون النفقة على غيره والله اعلم ثم قوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن روي عن ابن مسعود رضي الله عنه

انه قال من شاء باهلته ان قوله واولات الاحمال اجلهن نزل بعد قوله فى سورة البقرة والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وجعل عدة الحامل بوضع الحمل ولا يعتبر بعد الاجلين لكن ان كان ابن
مسعود رضى الله عنه يباهل فعلى رضى الله عنه لا يباهل ويقول بان قوله والذين يتوفون منكم لا يجوز ان يدخل
فى قوله واولات الاحمال اجلهن انما ذكر فى عدة الطلاق وعدة الطلاق لا يتضمن عدة الوفاة اذا كانت بالحيض لم يدخل
فى عدة الاقراء ان مطلق امرأة انه وهى حامل ممن تحيض ثم مات عنها زوجها قبل انقضاء عدتها لم يدخل عدة الوفاة فى
الحيض الثلاث بل الحيض التى يدخل فى عدة الوفاة ونوم بان يعتد ما بعد الاجلين فكذلك امر الحامل واذا اشتبه الحال
امرنا فيه بالاحتياط ان يعتد ما بعد الاجلين ولان عدة الوفاة لم يلزم لوطى متقدم الا ترى انها قد يلزم من لم يكن
زوجها من اهل الوطى واما عدة الحبل والحيض وانما لزمت لوطى متقدم واذا يكن عدة الوفات من جنس العدة
بالحبل لم يدخل فى عدة الحبل فلا يوجب فيه الاحتياط وذلك فى الاعتداد بابعد الاجلين ثم التخصيص بذكر الانفاق
على الحوامل يحتمل ان يكون بمعنى انها فى الحقيقة لا يدخل فى قوله لا تخرجوهن لانا قد وصفنا انها انما نهيت لتحصين ماء الزوج
واذا مضت تسعة اشهر فقد خرجت عن التحصين فكان الوجه ان يسقط النفقة بعد التسعة لكن الله حث
الانفاق فى جميع المدة لانها لا محالة انما بقيت فى هذه المدة لوطى المتقدم فذلك حث الله فى الانفاق على الحوامل فيما
يقع عندنا والله اعلم واما ابن مسعود رضى الله عنه فانه لا يجوز ان يكون قوله واولات الاحمال اجلهن عنده مبتدأ
خطاب ليس بمعطوف على قوله يائسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم لانا نعلم انه لا يجوز ان يقع الارتياب فيمن يحتمله
للقرء وذلك لان الاشهر فى الآيسات انما اقيمت مقام الاقراء فى ذوات الحيض واذا كانت الحامل ممن يحتمل القرء لم يجز
ان يقع لهم شك فى عدتها يسألوا عن عدتها واذا كان كذلك ثبت انه خطاب مبتدأ واذا كان خطابا مبتدأ تناول العدة
كلها ومما يدل على مبتدأ خطاب ما روى فى خبر سبيعة بنت الحارث الاسلمية انها وضعت بعد وفات زوجها بخمسة
عشر ليلة فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتزوج فدل باحتها النكاح قبل مضى اربعة اشهر وعشرا على ان عدة
الحامل تنقضى بوضع الحمل فى جميع الاحوال وقال الحسن اى الحامل اذا وضعت احد الولدين انقضت عدتها واحتج بقوله
ان يضعن حملهن ولم يقل احمالهن ولكن لا يستقيم ما قاله لوجهين احدهما انه قرئ فى بعض القراءات ان يضعن احمالهن والثانى
انه قال اجلهن ان يضعن حملهن ولم يقل بالولد بل علق بوضع حملهن والحمل اسم لجميل ما فى بطنهن ولو كان كما قاله لكانت
عدتهن بوضع بعض حملهن والله تعالى جعل اجلهن ان يضعن حملهن والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتق الله يجعل له من امره
يسرا فقد وصفنا ان التقوى اذا ذكر مطلقا مفردا تناول الاوامر والنواهى فكانه قال ومن يتق الله فى اموره ان
يضيعها او فى نواهيه ان يرتكبها يجعل له فى امره يسرا ثم قوله يجعل له من امره يسرا له وجهان احدهما يجعل له من امره
يسرا فى نفس التقوى ان ييسره عليه كما قال فى قوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى يعنى ييسر عليه
فعل التقوى والطاعة فكذلك الاول ويحتمل ان يكون فى جميع الامور فى المكاسب والتجارات وغيرها ان من اتقى الله من الحرام
يسر الله عليه الحلال ومن اتقى الله فى الشبه يسر عليه فى المباح ومن يتق الله فى تجارته رزقه ما يرجوا من الربح وبامثاله و
كذلك جميع الامور على هذا السبيل والله اعلم وقوله عز وجل ذلك امر الله انزله اليكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون معنى قوله
ذلك امر الله اى ذلك التقوى امر الله انزله اليكم ويحتمل ان يكون اراد بقوله ذلك ما تقدم من الآيات فى المراجعة و
الاشهاد والطلاق والعدة وغير ذلك انها وان خرجت فى الظاهر مخرج الخبر فانها كلها امر الله انزله اليكم فاتبعوها
وحد وامره فيها والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتق يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا هذا يدل على ما وصفنا ان التقوى
اذا ذكر مفردا انتظم الامر والنهى جميعا الا ترى الى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات قال هاهنا ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته
ويجعل التقوى مكفرا للسيئات فلولا ان فى التقوى اعم الحسنات لم يكن لقوله يكفر عنه سيئاته معنى والله اعلم وقوله
عز وجل اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم فى القراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اسكنوهن من حيث
سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم ويجوز ان يكون قراءة عمر رضى الله عنه هذه ايضا الا ترى انه قال لا ندع كتاب ربنا
وسنة نبينا بقول امرأة لا ندرى اصدقت ام كذبت فالكتاب هذا والسنة يجوز ان يكون سمعها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى ذلك او يجوز ان يكون عند عمر رضى الله عنه فى هذا آية ورفع عينها وبقى حكمها الا ترى انه قال لا ندع
كتاب ربنا الا ترى الى ما قاله عمر رضى الله عنه فى امر قرآنا سيأتى على الناس زمان يقولون لا نجد الرجم فى كتاب الله وانا كنا
نقرأ فى سورة الاحزاب ان الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله والله عزيز حكيم فقد رفعنا التلاوة وبقى
حكمها فكذلك فى امر النفقة يجوز ان يكون التلاوة مرفوعة وحكمها باقيا والله اعلم ثم قوله لا ندع كتاب [illegible]
الكتاب قد نسخ السنة لان عمر رضى الله عنه انما احتج فى امتناعه عن ترك كتاب ربه بقول امرأة لم تدر اصدقت ام كذبت
ولولا ان الكتاب قد نسخ بالسنة لان عمر رضى الله عنه والا لم يكن احتجاجه بقوله لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة معنى
بل كان يقول لا ندع كتاب ربنا بالسنة فلما قال لا ندع كتاب ربنا السنة قال لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة لا ندرى اصدقت

ام كذبت فدل ان السنة قد ينسخ بالكتاب والله اعلم وروى ابو بكر الاصم ان فاطمة بنت قيس لما انكر عليها رضى الله عنه حديثها
تركت روايتها الى زمن مروان فلما استخلف مروان جعلت تروى حديثها فاخبر بذلك مروان فدعاها فروت هذا الحديث فقال لها
مروان على ما كان يقول لها عمر رضى الله عنه فقالت له ابن كتاب ربنا فتلو عليها قوله اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن
من وجدكم فقالت كيف يحتمل ان يكون هذا فى المطلقة ثلاثا والله يقول فى هذه امسكوهن بمعروف ومعنى الامساك
فى المطلقة ثلاثا معدوم فالحم مروان ولو فهم مروان ما فهم غيره ولم يفحم وذلك ان هذه العدة المذكورة فى هذه
الآيات كان المذكور فى هذه العدة مكان تلك فالمذكور فى النفقة فى هذه المذكورة فى تلك وليس فى تلك الا بذ فرقت بين
الثلاث والواحدة فلذلك قلنا فى كتاب الله تعالى دلالة ايجاب النفقة فى المبتوتة والمطلقة ثلاثا والله اعلم فيكون حجة
على الشافعى ومما يدل عليه وهو انه لما استدل بذكر الانفاق فى قوله وانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن على وجوب الاسكان
والنهى عن الاخراج مع توهم الانفاق دون الاسكان فلان يستدل بذكر الاسكان على الانفاق لاتصاله به اخرى فصار قوله
واسكنوهن دليلا وجوب الانفاق وانما قلنا ان الانفاق متصل بالاسكان لانه نهى عن اخراجها عن بيته وامر باسكانها فلا
يحتمل ان لا يومر بالانفاق لان فى ذلك تضييق عليها وتغييره الا ترى انها انما يكتسب النفقة بالخروج فاذا نهى الزوج عن اخراجها
ونهيت هى عن الخروج لم يصل الى نفقتها الا بالزوج ضرورة والله اعلم والاصل انا نظرنا ان النفقة فى الحامل للحمل او العدة فوجدنا انها
لو كانت واجبة للحمل لم يجب اذا كان حملها بحيث لو وضعته لم يلزم نفقته عليه وقد وجدنا هذا الحكم نحو من يتزوج امة رجل باذن
سيدها فولدت ولدا ان نفقة الولد على السيد وكان يجب عليه ما دام فى بطن امه قبل استقام وجوب النفقة على الزوج ما دامت
حاملا وان كان بحيث لو وضعته لم يلزمه نفقته ثبت ان النفقة فى الحامل لكان العدة لا للحمل والعدة فى الحامل والحائل واحدة
فكذلك كان حكمها واحدا والله اعلم ثم الاصل عندنا ما وصفنا ان النفقة انما وجبت لاستمتاعه المتقدم فاذا كانت محبوسة
لاستمتاعه السابق وجبت النفقة عليه واذا كانت محبوسة لا لهذا الحق لم يكن عليه النفقة والله اعلم ولان فى قوله اسكنوهن
من حيث سكنتم من وجدكم اضمار النفقة كانه يقول اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم لانه لولا هذا
الاضمار لم يكن لقوله من وجدكم على الظاهر معنى لانه لما قال اسكنوهن علم انه جعل الاسكان عليهم ومن كان عليه الاسكان
فانما يكون من وجده فلم يكن فى قوله من وجدكم الا اعلام ما قد علمناه وان كان لذلك ثبت ان فى قوله من وجدكم اضمار يستقيم
عليه قوله من وجدكم وليس بين القراءتين اختلاف ولكن احدهما خرجت على الاجمال والثانية على التفسير ما قرأ فى قوله و
السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ولم ذلك على الاختلاف بل حملت احديهما على الاجمال والتفسير فكذلك الاول والله اعلم
مع ان لم يثبت اللفظ فى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فاقله ان يكون فى خبر الآحاد ومعلوم ان خبر ابن مسعود
رضى الله عنه وان كان من خبر الآحاد فيما يسنده الى الرسول صلى الله عليه وسلم مقبول اولى واوجب قبولا خبر ابى هريرة رضى الله عنه
مع ما قيل فيه من الضعف فلان يقبل خبر ابن مسعود رضى الله عنه مع فضله وورعه وكثرة صحبته مع النبى صلى الله عليه
وسلم وتبحره فى الفقه اولى ومن هجر قراءة ابن مسعود رضى الله عنه خيف عليه الزلة الا ترى الى ما روى عن ابن عباس
رضى الله انه سأل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون آخر القراءة قالوا قراءة زيد بن ثابت رضى الله عنه فقال
كلا كان يعرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام مرة وعرض عليه فى العام الذى قبض فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرتين وقد شهدهما جميعا ابن مسعود رضى الله عنه قرأه آخر القراءات وهو الذى شهد قراءة القرآن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الآخرة لم ينبغ ان نعرض عن قراءته ونهجر والله اعلم وفى قوله اسكنوهن من حيث سكنتم دلالة انه انما يسكنها فى جزء من
اجزاء مسكنه لا فى الموضع الذى يسكنه هو لان حرف من التجزية والتبعيض وقوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن يحتمل التأويل
وجهين احدهما اى لا تضاروهن فى الانفاق عليهن فتضيقوا عليهن النفقة فيخرجن او لا تضاروهن فى المسكن فتدخلوا
عليهن من غير استئذان فيضيق عليهن المسكن فيخرجن والله اعلم وقوله عز وجل وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن دل الامر بالانفاق على النهى عن الاخراج كما دل النهى عن الاخراج على وجوب الانفاق ثم التخصيص بذكر الانفاق على الحوامل
يحتمل ان يكون لمعنى انها فى الحقيقة لم يدخل فى قوله لا تخرجوهن لانا قد وصفنا انها انما نهيت لتحصين ماء الزوج واذا وضعت
لتسعة اشهر فقد خرجت عن التحصين فكان الواجب ان تسقط النفقة بعد التسعة وقد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم ويحتمل ان
يكون الفائدة فى تخصيص الحوامل بالانفاق عندنا والله اعلم لولا هذه الآية لكانت الحوامل يخرجن على قوله لا تخرجوهن من
بيوتهن ومن قوله ولا يخرجن لان الازواج لهم ان يحتجوا عليهن ان حرمة النكاح فى ذوات الاحمال ليس بحق الازواج ولكن لحق
ما فى بطنها من الولد الا ترى انه يحرم عليها النكاح وان كان الولد من غيره وقد قلنا ان النفقة انما وجبت فى غير الحوامل
لانهن يحبسن عن نكاح الاجانب بحق الازواج فان كان الحبس فى الحوامل لا لحق الازواج جاز ان يكون حجة فى اسقاط النفقة
عنهم واذا كان كذلك حث الله لهم فى الانفاق على الحوامل ما لم يضعن حملهن لان ذلك الحمل من اثر استمتاعهم المتقدم
ففائدة تخصيص ذكر الحوامل هذا والله اعلم وقوله عز وجل فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن هذا يتضمن وجها من ادلة الفقه احدها
انه قال فآتوهن اجورهن ثبت ان الارضاع كان باجارة وانه استأجرها لترضع ولده منها بعد المفارقة جازت الاجارة و

لها اخذ الاجر وانه اذا استاجر امراته في صلب النكاح على الرضاع ولده منها لم يجز ولم يكن لها اخذ الاجر لان الله تعالى ذكر بدل الرضاع في صلب النكاح بلفظ الرزق بقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف فاذا سمى ما ذكره الله تعالى رزقا اجرا لم يكن اجرا وكان تحت الرزق والكسوة فلذلك لم يجز الاجارة في صلب النكاح والله اعلم ثم قوله فآتوهن اجورهن دليل على ان اللبن وان خلق لمكان الولد فهو ملك لها ولولا ذلك لم يكن لها ان تاخذ الاجر على لبن ليس لها فيه ملك وفيه دليل على ان حق الارضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد الامساك والحضانة والكفالة على الزوجات ولولا ذلك لكان لها بعض الاجر دون الكل فلما اتيا بكل الاجر ثبت ان حق الارضاع على الازواج وعلى الزوجات الكفالة والامساك والله اعلم ولاجل انا لو جعلنا اللبن ملكا للولد لجعلوا له وجعلنا النفقة على الام من مال نفسها لكانت نفقتها تفنى ولا يتهيا لها كسب النفقة لاشتغالها بالارضاع فتجوع وتهلك ويذهب لبنها فيبطل الارضاع واذا كان ايجاب الارضاع عليها لا يسقط من حيث برا وجعل النفقة فاسقطنا عنها وجعلنا ملك اللبن لتاخذ الاجر عليه والله اعلم وفي هذه الاية دلالة على ان الاجر انما يجب بعد استيفاء المنافع فانه قال فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن انما اوجب الايتاء بعد الارضاع وفي قوله اجورهن دلالة على ان الارضاع انما هو باجارة قد سبقت لذلك قال اصحابنا ان الاجرة انما تجب ان استيفاء العمل وقوله عز وجل وأتمروا بينكم بمعروف له وجهان احدهما ان يقول وأتمروا يعني تشاوروا في ارضاعه اذا تعاسرت هي والثاني وأتمروا اي اعلموا بأمر جعل الله تعالى اليه الامر بالمعروف وقوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى يعني اذا تنازعتم في الرضاع وابت الام ان ترضعه فاطلبوا اخرى ترضعه عندها وقوله لينفق ذو سعة من سعته اي من وسع عليه في الرزق فلينفق نفقة واسعة ومن قدر عليه يعني ضيق عليه وقدر ها هنا بمعنى ضيق عليه وهو كما قال فظن ان لن نضيق عليه وكذلك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يعني ويضيق عليه اي من ضيق عليه فلينفق نفقة ضيقة لذلك قوله فلينفق مما آتاه الله والله اعلم وقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فهو يدل على ان العبادة اكتسبوا من الاموال فهي كلها مما آتاهم الله تعالى وان الله تعالى في افعال العباد وفيما يكتسبونه من الاموال صنعا وتدبيرا لانه لولا ذلك لكان يجوز ان يكلفه الله تعالى وان لم يؤتها لهم اذا كان في قدرته ان يكتسب ما لم يؤته الله تعالى وقوله عز وجل سيجعل الله بعد عسر يسرا هذا دليل على انه اذا عجز عن نفقة امراته يفرق بينها وبينه لانه اذا فرق بينهما لم تصل الى زوج ينفق عليها لا محالة بل يحتاج فيه الى انقضاء العدة وقد يتوهم في خلال ذلك ان يوسر الزوج لانه تعالى وعد الله تعالى في اليسار بعد العسر اقرب من قدرتها على زوج ينفق عليها وليس هذه كالامة لانه اذا باع الامة دخلت في ملك اخر ينفق عليها والله اعلم ثم يجوز ان يكون قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا وعدا لجميع الامة ان من ابتلي بالعسر يتبعه اليسر ويجوز ان يكون خطابا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانوا في عسر وضيق عيش فوعدهم الله بعد ذلك العسر الذي كانوا فيه يسرا وقد انجز الوعد حيث فتح لهم الفتوح ونصرهم على اعدائهم فغنموا اموالهم والله اعلم وقوله عز وجل وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله وصف الله تعالى القرية بالعتو ومعلوم انها لا تعتو ولكن المراد منه اي عتى اهلها عن امر ربهم وقد يجوز ان يكنى بالمكان عن الاهل كما قال في اية اخرى واسأل القرية التي كنا فيها يعني واسأل اهل القرية وفي هذا دلالة ان ما خرج مخرج الكناية في الحقيقة لم يكن كذبا وان كان في ظاهره انه كذب الا ترى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ومعلوم انه لم يكن هنالك نعجة ولكن كناية عن النساء تخرج على الصدق في الحقيقة كناية قال ان هذا اخي لو كان له تسع وتسعون امراة فكذلك الاول والله اعلم والعتو النهاية في الاستكبار الا ترى الى قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقوله عز وجل فحاسبناها حسابا شديدا له وجهان احدهما يقول فحاسبناها اي بلغوا في الكفر والعتو والاستكبار مبلغا صاروا من اهل الحساب الشديد والعذاب المنكر ويحتمل ما ذكر الله تعالى من نزول النقمة بالامم الماضية لعتوهم واستكبارهم حسابا شديدا لهذه الامة ليتذكروا ويتعظوا او يكون معناه فحاسبناها اي سنحاسب حسابا شديدا في الاخرة كما كان معنى قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس يعني واذ يقول الله فكذلك الاول والله اعلم ووجه نزول هذه الاية ان يكون له معنيان احدهما تخويف امة محمد صلى الله عليه وسلم والكفرة من اهل مكة بما نزل الامم الخالية حين تركوا اتباع رسلهم والايمان بهم واستكبروا في انفسهم وعتوا لكي ينتهي اهل قرينه عليه السلام عما هم فيه من الكفر والعتو ويحذروا الوقوع فيه في حادثات الاوقات ويحتمل ان يكون تسكينا لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا عليه فيما يلقى من امر قومه وعصيانهم وعتوهم وليعلم ما لقيت الرسل المتقدمة من اممهم حتى بلغ كفرهم واستكبارهم المبلغ الذي وقع الياس عن ايمانهم حتى انزل الله تعالى بهم ما انزل من النقم والعقوبة ويجوز ان يكون هذه محنة امتحن بها رسوله ليعلم شفقته على امته في ترك الدعاء عليهم بالاهلاك والله اعلم وقوله فذاقت وبال امرها اي شدة امرها او نقمة امرها وعقوبة كفرها وقوله وكان عاقبة امرها خسرا اي عاقبة عتوها خسرانا في الاخرة وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوا الله يا من يدعون ان لهم [illegible] فاتقوا عن ان يكفروا به وبرسوله

وفيه

وفيه دلالة ان خطاب الله انما يتناول العقلاء منهم وان من لا عقل له فلا خطاب عليه وقوله قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا له وجهان احدهما ان يجعل الذكر والرسول كله واحدا فيقول انزل الله اليكم ذكرا وهو الرسول وانما سماه ذكرا لوجهين احدهما ان من اتبعه شرف وصار مذكورا او سماه ذكرا لانه يذكرهم المصالح والمصار وما يرجع الى دينهم وعقباهم ويجوز ان يكون فيه اضمار وهو ان يقول انزل الله اليكم رسولا وقوله عز وجل يتلوا عليكم آيات الله مبينات الخفض فمعناه انها بين الحلال والحرام والنهي والنصب للآيات الاعلوم فمن قراه مبينات بالخفض فمعناه انها بين الحلال والحرام والامر والنهي ومن قراه بالنصب فكانه يريد به ان الله تعالى اوضح آياته وبينها حتى ان من تفكر فيها وفي حججها علم انها من عند الله وقوله عز وجل ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور واذا كان هذا هكذا فحق هذا الكلام ان يقول ليخرج الذين كفروا من الظلمات الى النور ولكن يحتمل ان يكون معناه ليخرج الذين يؤمنون على ما جاء ان من الماضي المستقبل وقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اي واذ يقول الله يا عيسى ابن مريم جاز ان يراد ومن المستقبل الماضي وهذا سائغ في اللغة ويحتمل ان يقول ليخرج الذين من ظلمات تحدث لهم بعد ايمانهم الى النور والله اعلم وقيل قوله الذين آمنوا يعني الذين وحدوا الله تعالى وعظموه وجانبوه من معاني التشبيه ووصفوه بالتعالي عن العيوب والآفات وعملوا في ايمانهم صالحا انا خافوه ورجوه بايمانهم وذلك عملهم الصالح في الايمان وذلك معنى قوله او كسبت في ايمانها خيرا ومعنى ذلك الكسب ما وصفنا من التعظيم والتبجيل والرجاء والخوف في نفس الايمان والله اعلم ويجوز ان يكون معنى قوله وعملوا الصالحات في اداء الفرائض التي افترض الله عليهم وقوله عز وجل قد احسن الله له رزقا اي طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة وذلك معنى قوله عز وجل ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وفي هذه الاية دلالة ان من نال الايمان فانما ناله بفضل الله ورحمته لانه لولا هكذا لم يكن ليمن الله تعالى عليه بذلك وقوله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اختلفوا في قوله ومن الارض مثلهن منهم من قال مثلهن اي طباقا مثل السموات بعضها ملتصقا فوق بعض ومنهم من قال مثلهن يعني سبع جزائر على مثل ما قال سبعة ابحر فكذلك خلق سبع جزائر ومنهم من قال خلق هذه الارض التي نشاهدها على حد السماء ومقدارها والست من وراء هذا السماء والله اعلم وليس بنا الى معرفة مائيتها وكيفيتها وحدودها حاجة لانه ليس في معرفتها حكم يتعلق به والله اعلم وقوله تعالى يتنزل الامر بينهن له تأويلان احدهما يتنزل الوحي بينهن وما ينزل الله تعالى من الكتب والرسل بينهن ومعناه ان الله تعالى ذكر امته عليه السلام انهم لم يخصوا بمحنة الرسل والكتب والوحي بل كل من في السموات والارض ممتحن بذلك والثاني يتنزل الامر بينهن يعني التكوين ووجه ذلك انه لا يخلو مكان في السموات والارض في كل وقت من مكون يكونه الله تعالى ومحدث يحدثه وذلك قوله انما امره لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فيجوز ان يكون المراد في قوله يتنزل الامر الامر التكوين ومعناه ما وصفنا والله اعلم وقوله عز وجل لتعلموا ان الله على كل شيء قدير اي لكي تعلموا اذا تفكرتم في خلق السموات والارض وما جرى من التدبير فيهما ان من بلغت قدرته هذا المبلغ كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شيء عما اراده او يدل هذا التدبير انه خرج عن عالم لا يخفى عليه شيء والله اعلم ثم قوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير يحتمل وجهين احدهما ان الله تعالى على خلق فعل كل فاعل من خلقه قدير ووجه ذلك ان الله تعالى قد كان اعلمهم بخلق السموات والارضين بقوله الله الذي خلق سبع سموات فلما قال لتعلموا ان الله على كل شيء قدير لم يكن بد من ان يكون هذا في غير خلق السموات والارضين فثبت انه فيه دلالة قدرته على خلق فعل كل مخلوق ولانه لما بلغ قدرته وتدبيره في السموات والارضين مع عظم امرهما وشانهما ومع عجز البشر عن تدبير مثلهما فلان يبلغ قدرته وتدبيره فيما يقع فيه تدبير البشر وعوافقهم احق والله المستعان ووجه اخر ان يقول لتعلموا ان الله على ان الله على كل شيء بالوجود والعدم قديرا وعلى كل شيء من منافع العباد ومضارهم قدير وعلى قول ان الله تعالى لا يقدر على اصلح بعوضة مما فوقها ولا يقدر على اصلاح احد من خلقه وان نفد جميع خزائنه وان من صلح فانما يصلح بنفسه ومن فسد فانما يفسد بنفسه وهذا خلاف ما وصف الله تعالى به نفسه من انه على كل شيء قدير وقوله عز وجل وان الله قد احاط بكل شيء علما يعني ان علمه لا يشذ عن شيء ولا يخفى عليه شيء من الفعل والامر وغيره والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك هذا في الظاهر تقطيع بانه حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله له ومن قال بانه حرم ما احل الله فقد قال امرا منكرا ولو اعتقد ذلك كان كفرا ومنه من حرم ما احل الله تعالى كان كافرا ومن اعتقاده في رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فهو كافر وقال ابو بكر الاصم دلت هذه الاية على ان ليس لاحد ان يحرم ما احل الله تعالى لان الله تعالى منع رسوله عن ذلك لكن الامر عندنا ليس على ما ظنه ابو بكر لاجل ما يسبق اليه وهم بعض الجهال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم شيئا احله الله تعالى ومن توهم هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر وتأويله عندنا والله اعلم على وجهين احدهما التحريم

تحريم ما احل الله تعالى هو ان يعتقد تحريم المحل وتحليل المحرم فيما حرم الله تعالى مطلقا فمن اعتقد تحريمه حكم عليه بالكفر ورسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يعتقد تحريم ما احل الله اذ لم يوجبا عرها عليه محرما بل امتنع عن الانتفاع بها باليمين والحرمة التي
يثبت بسبب اليمين لم يكن من فعل الادمي وان ثبت بمباشرة السبب منه كالتحريم بالطلاق وبغيره من الاسباب فانما يثبت
الله تعالى عقيب مباشرتنا الاسباب من العباد كسائر الاحكام كيف وانه باليمين لا يثبت حرمة نفس الفعل وانما الثم ومن ترك
تعظيم الله تعالى الواجب بسبب اليمين وهذا لا يعد تحريم الحلال وتحليل الحرام او اريد بالتحريم منع النفس عن ذلك مع اعتقاده
بكونه حلالا لا ان يكون قصده به قصد تحريم عينه وقد يمتنع المرء عن تناول الحلال لعوض له في ذلك وهو كقوله تعالى وحرمنا
عليه المراضع من قبل ولم تحرم عينه ولا التحريم الشرعي اذ الصبي ليس من اهله وانما اريد به امتناعه من الارتضاع
من ثدي امه فعلى ذلك ههنا والله اعلم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب الى حسن العشرة مع ازواجه
الى الشفقة عليهن والرحمة بهن فبلغ في حسن العشرة والصحبة معهن مبلغا امتنع عن الانتفاع بما احل له واباح له
التلذذ به ينبغي به حسن عشرتهن ويطلب به مرضاتهن فقال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي لا يبلغن بك الشفقة
عليهن وحسن العشرة معهن مبلغا يمتنع عن الانتفاع بما احل الله لك فيخرج هذا تخفيف المؤنة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حسن العشرة معهن لا يخرج النهي والعتاب عن الزلة وهو كقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بلغ من شفقته على اولئك الذين تخلفوا عن الايمان مبلغا كادت نفسه يهلك فيها
كان في قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات تخفيف الامر عليه وكذلك قال ولا تبسطها كل البسط ليس في الحقيقة نهي
عن السخاء على النهاية لكن تخفيف الامر عليه ان ليس عليك الاسراف في السخاء والنهاية في ذلك بحيث لم يبق لنفسك
وعيالك شيئا وتؤثر غيرك فعلى ذلك قوله لم تحرم ما احل الله لك خارج مخرج تخفيف المؤنة عليه في حسن العشرة
لا مخرج النهي والله اعلم ثم اختلف في سبب التحريم فمنهم من ذكر ان حفصة رضي الله عنها زارت اهلها وبني عليه السلام
في بيت حفصة فجاءت ام ابراهيم مارية القبطية حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فواقعها فجاءت حفصة
وهما نائمان فرجعت الى بيت اهلها فمكثت عامة الليل القصة وقالت حفصة في اخر هذا الخبر ما رايت الي وما عرفت لي
حقا فقال لها عليه السلام اكتمي علي حرام فنزلت هذه الاية ومنهم من يذكر كان يوم عايشة رضي الله عنها فاطلعت حفصة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاريته مارية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم عليه فاخبرت
حفصة بما دارت عايشة رضي الله عنها فغضبت عايشة فلم تزل بنبي الله حتى حرمها فنزلت هذه الاية وقال بعضهم
نزلت الاية في امرءة يقال لها ام شريك وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم طلبا لمرضات ازواجه فنزلت الاية
والله اعلم ومنهم من قال ان الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم كان عسلا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرابه عند بعض
النساء فقالت امرءة من نسائه لصاحبتها اذا جاءك النبي صلى الله عليه وسلم فقولي له ما ريح المغافير منك فقالت للنبي
فحرمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وليس لنا الى تعرف السبب الذي وقع التحريم ولا الى تعيين الشيء الذي
حرمه النبي صلى الله عليه وسلم حاجة ولكنا نعلم ان الامر الذي كان جرى بينه وبين زوجته وقوله عز وجل والله
غفور رحيم اي غفور لما تقدم من ذنبك وما تاخر لو كان او يكون رحيم حيث لم يعاتبك بما اجرت من الاقدام على
اليمين لا يترك سبق من الله تعالى لك فيه او غفور رحيم عليك وعلى زوجتك ان تابا ولم يعودا الى صنيعهما او غفور
رحيم بما خفف عليك من مؤنة العشرة ولم يحمل عليك ما حملت على نفسك وقوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فمنهم
من يحمل هذا على ابتداء الخطاب وينصرف المراد الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد كان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلم يكن يحتاج الى التكفير لازالة المأثم ولكن نحن نقول ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان كان هذا محله فهو وامته في احكام الشرائع سواء يؤاخذون ويكون على هذا مغفرة زلاته ما تقدم وما تاخر
بمباشرة اسبابها من التوبة والكفارة ونحو ذلك فيكون قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم منصرفا الى النبي عليه السلام
وامته ثم يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد الى تحريم اعني منع نفسه عن الانتفاع بهذا مع اعتقاد الحل
لا الى اليمين فجعل الله تعالى ذلك منه يمينا فيكون فيه دلالة على ان التحريم يمين ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان من قال
لامرأته انت علي حرام ولا نية له فهو يمين وجايز ان يكون اقسم بالحلف فكنى عنه باليمين ثم قوله قد فرض الله لكم تحلة
ايمانكم على القراءة العامة وفي بعض القراءات قد فرض الله كفارة ايمانكم ووجه الفرض فيه ان الامم من قبل ان لو دنت
لهم بالحنث في اليمين ولا ان يحلوا منها بالكفارة الا ترى الى قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فلم ياذن له
بالحنث واباح له الضرب ثم اباح لهذه الامة حلا لليمين بالحنث والكفارة فنسب الحل الى الكفارة ومرة الى التحلة لانها تفتتحها
من جهة الحنث ثم قوله قد فرض الله لكم اي وسع عليكم واحل لكم تحلة اليمين ففي هذا ان كل ما ذكر فيه كتب لكم او
فرض لكم فهو في موضع الاباحة والتوسيع وما ذكر فيه عليكم فهو على الايجاب والالزام قال الله تعالى كتب عليكم الصيام
وقال كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت وذلك كله في موضع الوجوب وقال تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم

معناه اباح لكم الدخول فيها وقوله تعالى والله مولاكم اي اولاكم فيما امتحنكم من الكفارة وغيرها واولى بكم فيما امتحنكم من الكفارة
وغيرها اولى بكم في نصركم والدفع عنكم وقوله تعالى والله مولاكم اي اولاكم فيما امتحنكم من الكفارة وغيرها واولى بكم في
نصركم والدفع عنكم وقوله عز وجل وهو العليم الحكيم اي العليم بمصالحكم او مقاصدكم او بما تسرون وما تعلنون او بما كان
ويكون والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير او حكيم بما حكم عليكم من تحلة الايمان والله اعلم ثم في قوله العليم الزام المراقبة
والمحافظة ودعا الى التبصر والتيقظ في كل ما يتعاطاه المرء من الافعال ويأتي به من الاقوال وفي قوله الحكيم دعا الى
التسليم لحكم الله تعالى اذ الحكيم لا يحكم على احد الا ما فيه حكمة وغاية فلزمه تسليم النفس لحكمه على وجه الحكمة فيه او
جهله ثم الاصل بعد هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيح له نكاح التسع وامر بان يحسن صحبتهن ويبتغي مرضاتهن
والمرء يعسر عليه صحبة الاربع بحسن العشرة ويتعذر عليه القيام بمرضاتهن جميعا فكيف اذا امتحن بصحبة التسع فكانت
المحنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر النساء اعسر منه على غيره وامر مع هذا ايضا معاملة الخلق مع اختلاف هممهم
واطوارهم باحسن المعاملة ولكن الله تعالى لما امتحنه بما ذكرنا اتاه من الاخلاق والشمايل الرضية ما خف بها عليه
المحنة وسهل عليه المعاملة مع الجملة واتاه من القوة ما يطلب بها حفظ حقوقهن وارضاء جدتهن حتى بلغ في حسن العشرة
وابتغاء المرضاة ما عوتب عليه وبلغ من جهده في الاسلام الى ان قيل عبس وتولى وبلغ في الشفقة والرحمة على الامة
الى ان قيل له فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال وانك لعلى خلق عظيم وكان من عظيم خلقه بما جاد خلقه قوة نفسه
كادت نفسه يهلك فيه ثم في قيامه عليه السلام بوفاء حقوق التسع وارضاهن دلالة نبوته ورسالته لان الناس انما
يقدرون على الجماع بما يصيبوا من الاطعمة والاغذية ثم هم مع اصابتهم فضول الاطعمة والاشباع الذين يقدرون عن ايفاء حقوق
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر الزهد في الدنيا وقلت رغبته في مطاعمها ومشاربها وكان مع ذلك يفي بحقوقهن
فعلم بهذا انه انما وصل ما ذكرنا بقواه الله تعالى عليه واقدره لا بالحيل والاسباب ثم ازواج رسول الله صلى الله عليه
وسلم امتحن بالقيام بوفاء حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وان ينظرن اليه بعين التبجيل والتعظيم كانت المحنة عليهن
اشد من المحنة على غيرهن من النساء مع ازواجهن لان المرأة قد ما تسلم عن رفع اصواتها على صوت زوجها اذا لم يكن
امرءة سواها فكيف اذا كانت معها اخرى ثم هن لو رفعن اصواتهن على صوت رسول الله اوجب ذلك احباط عملهن
على ما قال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فلا يجوز ان يمتحن بهذه الكلفة
الشديدة والمحنة العظيمة الا بما شرح الله تعالى صدورهن ويفتح قلوبهن لاحتمال ذلك ثم المحنة علينا بعد هذا اشد
من المحنتين اللتين ذكرناهما لانا امتحنا بمعرفة ما ضمنته هذه الاية والاعتقاد لذلك وهي قوله يا ايها النبي لم تحرم
ما احل الله لك فالذي علينا من المحنة اي نصرف الامر الى وجه لا يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم منقص فيسلم من
المواخذة فجايز ان يصرف الى ما ذكرنا من تخفيف الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الاية في موضع تخفيف
الامر عليه ليس في موضع النهي وان خرجت مخرج النهي في الظاهر وجايز ان يكون العتاب لمكان مارية ان كانت قصة التحريم
من اجلها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اذن له بامساك مارية ولم يندب الى تزويجها لتصل الى قضاء
شهوتها من قبل الازواج فانما يتوصل الى تسكين شهوتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بتحريمها على نفسه
لم يبق عنها الحق اذ الامة لا حظ لها في القسم فيلحقه العتاب من هذه الجهة ولكن لما كان مطيع وهو بالتحريم قطع
طمعها فقيل لها لم تحرم ما احل الله لك اي لم يمنع نفسك عن قضاء شهوة اباح الله لها قضاء تلك الشهوة فيكون
في العتاب دعا له الى ان يحل باخير الوجهين واخيرها اوصلها الى ما طمعت منه لا ان يقطع طمعها عنه وان لم يكن
لها فيما طمعت حق والله اعلم والمحنة الثانية علينا ان لا تنسب الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكره لـ
انفسنا نسبة مثله الى الامهات لان لازواجه علينا حق الامهات فان امكننا ان يخرج من امرهن وجها لنسلم
عن تنقصهن فعلنا والا اسكتنا عن ذكره خشية التنقص وترك التبجيل والتعظيم الا ترى الى قوله تعالى لولا اذ
سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وهكذا الواجب على كل مؤمن ان لا يظن بازواج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورضي عنهن الا خيرا وان لا يتفوه فيهن الا بعين التعظيم وقال ايضا سبحانك هذا بهتان عظيم وان
كان هذا حقهن علينا فلا يجب ان يذكر ذلتهن كانت كتب وكتب لما يتوهم ان يكون ذلتهن دون الذي خطر على بال
فيكون قد اعظمنا القول فيهن فيصيبنا من ذلك عذاب عظيم كما قال لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما افضتم
عذاب عظيم ولقائل ان يقول في قوله هذا بهتان عظيم من اي وجه صار بهتانا عظيما ونساء رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن معصومات بل كان يتوهم منهن الصنيع الذي رمين به فجوابه ان ازواجه كن بالمحل الذي اذا
ابتلين به سرا وجهرا اطلع الله تعالى ذلك نبيه عليه السلام الا ترى ان احداهن لما افشت سر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اخرى اطلع الله تعالى نبيه على ذلك واذا كان لا يستر عليهن هذا القدر من الزلة فكيف
يستر عليهن فعل الزنا لو وجد منهن فلم وجد من التي رميت فعل الزنا فكان ليس الاطلاع من الله تعالى لرسوله

عليه السلام قبل ان يجري به التحادث على السن الخلق فاذا لم يستوا وجب ذلك المعنى ترا ساحتها عما رميت به
وسار الى خابيه قالوا الا ما لبهتان والزور ورد في هذه الاية دلالة جواز العمل بالاجتهاد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لا باذن سبق من الله تعالى اذ لو كان الاذن سابقا لما عوتب عليه ثم قد ذكرنا لم يعاتب لزلة ارتكبها حتى يكون
فيه منع عن العمل بالاجتهاد وانما عوتب لمكان ما حمل على نفسه من فضل المؤنة في القسم ثم الاصل ان الاماء لا حظ
لهن في القسم وليس لهن من الاوقات ما يكون شبه للحرائر حتى كان يقسم لها فيوذي فيه حقها وقد اذن له في
امساكها وان لا يزوجها فلو يجوز ان لا يؤمر بتزويجها ثم هولاء يسكن شهوتها فلم انما يصل الى قضاء وطرها
وتسكين شهوتها في نوم ذلك اليوم لزوجة من زوجاته فجايز ان يكون الله تعالى اكرمه ان يسكن شهوتها وسائر نسائه
من حيث لا يعلمها ازواجه بذلك ثم اطلع بعض نسائه على فعله ليعلمن ان المحنة عليهن بعد العلم وقبل العلم واحد
وان عليهن ان يعظمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا يحملن العفوة على الاستقبال له بالمكروه والنظر اليه
بالنقص اذ لم يكن عليهن نيابا في تلك الامة في ايامهن تقصير في حقهن اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطي من القوة في
الجماع ما يطوف على جميع نسائه في ليلة واحدة واما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كف نفسه عن شرب العسل فذلك
يحتمل ايضا ولكن ما ذكر في تحريم مارية امكن لانه لا يحتمل ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في شرب العسل من الرغبة ما
يدخل على نسائه المكروه لاجله وجايز ان يحثهن في استمتاعه بامته مكروه فيحملهن ذلك على ما ذكر فقد صغت قلوبكما
وقوله عز وجل واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات به ذل قوله فلما نبات به الى طلب منها اسرار ذلك الحديث
الذي اسر اليها وليس بنا حاجة الى تعريف الحديث الذي اسر اليها وفيه دلالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما علم
بافشائها سره الى صاحبتها بالله تعالى وهو قوله واظهره الله عليه وقوله عز وجل عرف بعضه واعرض عن بعض فقوله
عرف قرئ بالتخفيف والتشديد فمن قراه بالتشديد فهو على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبرها بذلك النبا
الذي اسرت اليها وانما كانت المقصود منه تنبيها بما اظهرت من السر وافشائها الى صاحبتها لينزجرا الى المعاودة الى مثله
والبعض من ذلك يعلمها ما علم الكل فلم يكن الى اظهارا لكل حاجة وذكر في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لها الم اقل لك وسكت عليه وفي هذا اية رسالته ومنعهن عن اسرار ما يحتسين عن ابتداء مثله رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانهن ان فعلن ذلك اظهر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ذلك فيعلم ما اسروا ومن قرا عرف
بالتخفيف فهو يحمله على الجزاء فيقول عرف بعضا اي يجزي عن بعض ما استوجبه بافشاء السر واعرض عن بعض الجزاء
يقول الرجل لاخر عرف حتى تعرف له حقه او عرفت حتى فساعرف حقك اي اقوم بجزاء ذلك وذكر في الاخبار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة تطليقه ثم نزل جبريل عليه السلام فقال له راجعها فانها صوامة
قوامة وانها لزوجتك في الجنة فجايز ان يكون طلاقه اياها جزاء لبعض صنيعها ثم من الناس من يختار احدى القراءتين
على الاخرى فيقرا احديهما ويرغب عن الاخرى وذلك مما لا يحل لان الامرين جميعا قد وجد وهو الجزاء والتوبيخ فجمع الله
تعالى الامرين جميعا في اية واحدة وفصل بين الامرين بالاعراب فليس لاحد ان يوثر احدى القراءتين على الاخرى وهذا كقوله
تعالى في قصة موسى عليه السلام لقد علمت وعلمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض وقد علم موسى عليه السلام
وعلم فرعون فقد كان الامران جميعا فجمع الله تعالى بين الامرين في اية واحدة فلا يحل لاحد ان يقرا باحدى الوجهين ويمتنع
عن الوجه الاخر وكذلك هذا في قوله تعالى ربنا باعد بين اسفارنا وربنا باعد بين اسفارنا فمن قرئ باعد بين اسفارنا
جمله على الدعاء ومن قراء باعد حمله على الاخبار وقد كان الامران جميعا الدعاء والاخبار فليس لاحد ان يوثر احدهما
على الاخر فعلى ذلك الحكم في قوله عرف بعضه وعرف بعضه والله اعلم وقد وصفنا تاويل قوله العليم الخبير ثم فيهما
ما يدعو الانسان الى المراقبة والتيقظ وقوله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما في هذه الاية دلالة ان الحديث
الذي افشاه كان زوجين لقوله تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما كان اسر النبي صلى الله عليه وسلم عند احديهما ونقلها
ان يخشى الى الاخرى فافشت لكنا لا نعلم ان ذلك الحديث كان ماذا لكنه كان منهما ما يجوز ان تعاتبان وتدعيان الى التوبة
لقوله ان تتوبا الى الله وان خفى ذلك علينا ثم اذ عرفنا ان الله جعل عقوبتهن وثوابهن اشد من العقوبة على غيرهن بقوله
من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فيجوز ان يدعين الى التوبة بادي ذلة حققها النجار عن غيرهن
ثم وقوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فجايز ان يكون قوله ان زيادة في الكلام وحقه الحذف فيكون معناه توبا الى
الله فقد صغت قلوبكما ويوقف عليه ثم يبتداء بقوله وان تظاهرا عليه وجايز ان يكون حقه الاثبات فلا يكون حرف
زيادة ويكون معناه ان تتوبا الى الله والا فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين فيكون الجزاء فيه مضمرا وجايز ان يكون
جزاء صنيعهن ان يطلقن فكانه قال ان تتوبا الى الله والا طلقكن فيكون في هذا انه حبب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهن حتى
اشتد عليهن الطلاق وخرج الطلاق مخرج العقوبة لهن على صنيعهن والله اعلم وقوله فقد صغت قلوبكما اي مالت عن الحق
الحق الذي لرسول الله عليكما وحق الرسول صلى الله عليه وسلم حق عظيم برد ته العتاب بادني تقصير وقوله عز وجل وان

وان تظاهرا عليه هذا في الظاهر مغايبة فينبغي ان يذكر على المخاطبة فيقال وان تظاهرتما عليه كما قال تعالى ان
تتوبا الى الله قيل جايز ان يكون معنى قوله ان تتوبا الى الله تائبا ويحمل على ارادة المغايبة وان كان اللفظ المخاطبة
ولكن الصحيح ان قوله وان تظاهرا على المخاطبة معناه وان تظاهرا والله اعلم وقوله عز وجل فان الله هو مولاه حق هذا
ان يقف عليه ثم يقول جبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير حتى لا يتوهم ان غير الله تعالى مولاه ثم ذكر
هذا الابلوغ في التهويل والا فالواحد من هولاء المذكورين يكفي لازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ذكر
عقوبتهن اذا وجد منهن الخلاف بقوله يضاعف لها العذاب ضعفين والاصل ان المبالغة في التاديب مما يبين المؤدب على
حفظ الحدود وكذلك المجاوزة في حد العقوبة معونة له في تاديب النفس حتى يملك حفظ نفسه عما يدعوا اليه نفسه
عما يدعو اليه وقوله عز وجل وصالح المومنين قيل صالح المومنين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما طلق حفصة دخل عليها عمر رضي الله عنه فقال له لو علم الله تعالى في ال عمر خيرا ما طلقك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه بامره بمراجعتها وذكر انها صوامة قوامة فجايز
ان يكون حفصة رضي الله عنها تصوم النهار وتقوم الليل في غير نوبتها فلو يعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاطلعه جبريل عليه السلام على ذلك وروى عن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
قال صالح المومنين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل هم الانبياء والرسل عليهم السلام وذكر الحسن انه قال صالح المومنين
من لم يسر نفاقا ولا اظهر فسقا ثم خص من المومنين الصالحين منهم ولم يعم جملة المومنين فهذا والله اعلم لانه لو ذكر
المومنين على الاجمال لدخلت فيه الزوجان اللتان تظاهرتا لان اصغاء القلب لا يخرجهما عن ان يكونا من جملة المومنين
ولانه ذكر هذا في موضع المعونة في امر الدين وصالح المومنين هم الذين يقومون بالمعونات في امر الدين وقوله عز وجل
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وعلى قول المعتزلة لا يملك ان يبدل خيرا منهن اذ لا يقدر على ان
يجعل في اخر خيرا على قولهم ولا يملك ان يبدله ازواجا لانه لا يقدر على زعمهم على ان يجعل احدا من النسوان زوجة
لاحد وانما المشية والاختيار الى المتزوج والفعل منهما وعلى قولنا ان يجعل الخير لمن شاء فيما شاء وله ان يجعل
من النسوان زوجة لمن شاء من الرجال فهذه الاية تشهد بالصدق لمقالتنا وترد على المعتزلة قولهم لانه جعل الابدال
الى نفسه بقوله يبدله وعلى قولهم لا يملك ان يفي بما وعد ثم في هذه الاية اباحة الابدال واباحة الطلاق لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي قوله لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج حظر الابدال فجايز ان يكون قوله لا
يحل لك النساء من بعد متقدما وقوله عسى ربه ان طلقكن متاخرا فيصير ما تقدم منسوخا بهذه الاية الذي يدل على
صحة هذا ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما خرج رسول الله عليه السلام من الدنيا حتى احلت له النساء
فثبت ان الحظر كان متقدما ثم ورد الاباحة من بعد فيحمل الايتان على التناسخ ليرتفع التناقض من بينهما وجايز ان
يكون حظر عليه الابدال اذا قصد بالطلاق قصد الابدال ما اعجبه من الحسن كما قال ولو اعجبك حسنهن لانه
اذا كان قصده من الطلاق الابدال كان ذلك محظورا عليه واذا لم يقصد بالطلاق قصد الابدال ولكن يقصد
قصد المجازاة للخلاف الذي ظهر ابيح له ذلك ثم الله تعالى يبدله خيرا من المطلقة وهو ليس يقصد بالطلاق في قوله
عسى ربه ان طلقكن قصد الابدال واذا كان كذلك سلمت الايتان عن التناقض وذكر عن ابي بن كعب رضي الله عنه
انه سئل فقيل اكان يحل لرسول الله ابدال امراة بامراة فقال لي فسئل عن قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان
يبدل بهن من ازواج فقال هذا منصرف الى منهن من وراء المسميات وهو كقوله تعالى وبنات عمك وبنات خالك وبنات
خالاتك الى قوله وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي تذكر بنات العم وبنات الخال والاجنبيات وحظر عليه من
سواهن من المحارم فيكون فيه ابانة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان حظر عليه تزوج محارمه من ذوي الرحم كما
حظر على غيره اذ هو موضع الاشكال انه لما حل له الزيادة على الاربع يحل له ذوات الارحام من المحارم فازال الاشكال به
وقوله عز وجل منكن فجايز ان يكون خيرا منهن للرسول عليه السلام لا ان يكن خيرا في انفسهن لانه قال مسلمات مومنات
قانتات الا ترى الى ما ذكر ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم راجع حفصة فانها صوامة قوامة
والذي يدل على هذا ايضا قوله تعالى في اخر هذه الاية ثيبات وابكارا وقد وجدتها ان الصفتان في ازواجه فثبت
ان معناه ما ذكرنا وجايز ان يكن خيرا منهن ايضا في انفسهن من حيث الجمال والنسب ونحو ذلك او يصرن خيرا منهن لما لم يكن
الخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتظاهرن عليه ويكن هولاء دونهن اذا التزمن من الخلاف ودمن على التظاهر
فاما اذا امسكن عن الخلاف وتبن عما سبق من الخلاف فهن وغيرهن بمحل واحد وقوله عز وجل مسلمات مومنات قانتات
ان كل مسلم مومن في المتحصل لان معنى الاسلام والايمان واحد اذ الاسلام هو ان يجعل الله الاشياء كلها لله تعالى
خالصة سالمة لا يشرك فيها غيره والايمان التصديق وهو ان يصدق الله تعالى رب كل شيء واذا صدقت انه رب كل شيء
فقد جعلت الاشياء كلها له سالمة اي يصدق كل ما شهد لله تعالى بالربوبية بجوهره ثبت ان كل يقتضي ما يقتضيه

الاخر من المعنى فاذا ذكر احدهما بالانفراد نفى ذكره ذكر الاخر واذا جمعا في الذكر صرف هذا الى وجه وهذا الى وجه وهكذا ذكرنا
في التقوى انه يقتضي معنى الاحسان اذا ذكر مفردا لان التقوى هو ان يتقي من المهالك والاتقاء عن المهالك يقع باكتساب المحاسن
واذا ذكرا معا صرف التقوى الى اتقاء الكفر والاحسان الى فعل الخيرات وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يؤمن من لم يامن جاره
بوايقه وقال المسلم من سلم الناس من لسانه ويده فصرف هذا الى وجه وهذا الى وجه وهما في التحصيل واحد لانهم اذا امنوا
بوايقه فقد سلموا من لسانه ويده وقوله عز وجل قانتات قيل مطيعات وقيل القائمات بالليالي للتصدق وهذا اشبه لانه
ذكر السائحات بعد هذا والسائحات الصايمات وذكر الصيام بالنهار فيكون تاويل القانتات راجعا الى قيام الليل ليكون
فيه احياء الليل والنهار بالعبادة ولذلك قال جبريل صلوات الله عليه في وصف حفصة رضي الله عنها انها صوامة قوامة
اي صوامة بالنهار وقوامة بالليل وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن افضل الاعمال فقال طول القنوت
وهو القيام بالليل وقوله عز وجل تائبات هن اللاتي لا يصررن على الذنب بل يفزعن الى الله تعالى بالتوبة والتضرع اذا ابتلين
بالخطيئة وقوله عابدات ذكر ابو بكر ان العابد لا يسمى عابدا حتى يتطوع فان كان على هذا ففيه انهن يقمن باداء الفرايض و
يتطوعن مع ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كل عبادة في القرآن فهو توحيد والعابدات الموحدات فالموحد
هو الذي يصدق ان خالق الخلق كله واحد لا شريك له فجايز ان يكون العابد موحدا لانه جعل لله تعالى خالصا لا يشرك في عبادته
احدا فيكون فيهما معنى التوحيد لكن من حيث الفعل فيكون احد التوحيدين بالقبول والثاني بالمعاملة والفعل وقيل العابد
هو الذي يؤدي الفرايض وقوله عز وجل سايحات هو الذي يسيح في الارض بغير زاد وسمي الصايم سايحا لما كف نفسه عن
التناول من الزاد فقيل له سايحات اي صايمات وقوله عز وجل ثيبات وابكارا لم يرد بهذا انه يبتني نسوة ابكارا وثيبات ولكن
معناه انه يبدل له من كن بهذا الوصف ثم جمع بين الثيبات والابكار لان الثيبات مما يقل رغبة الخلق وينفر عنه الطبع فجمع
بينهما في موضع الامتنان على الرسول صلى الله عليه وسلم لان لا ينصرف كل الرغبة الى الابكار بل تزوجوا الثيبات كما تزوجون
الابكار والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا يحتمل ان يكون معناه قوا انفسكم فيما يدعوا
اليه انفسكم لان الانفس يامرهم بالسوء ويدعوهم اليه كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم وجايز ان يكون قوله تعالى قوا انفسكم اي نحوها عن الطريق الذي اذا سلكتموه افضى بكم الى النار وقوا
اهليكم ايضا عن ذلك الطريق وذلك يكون بالعمل لان العمل على ضربين عمل يفضي بصاحبه الى الجنة وعمل يفضي به الى النار
فيكون التقوى في هذا الوجه راجعا الى الاعمال وفي وجه الاول الى الانفس ويحتمل قوا انفسكم باكتساب الاسباب التي هي
اسباب النجاة عن العطب والهلاك واهليكم في ان تعلموهم الاسباب التي هي اسباب الخلاص عن النار وقال مجاهد تاويله قوا
انفسكم وقوا اهليكم النار ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال
هنا التضرع اليه والفزع لديه ليكون هو بفضله يقينا النار لما علم انا لا نصل اليه بتقوى انفسنا وحيلنا وقوله عز وجل
وقودها الناس والحجارة فهذا على المبالغة في وصف شدتها والاخبار ان شدتها تنتهي الى هذا حتى تصير الناس وقودا وكذلك
الحجارة والناس والحجارة ولا ينفدان في النار لان النار اذا علقت في الانسان تحرقه ولم ينفد حتى يصير وقودا وكذلك
في اسباب الحجارة وهنها ولاستيها فيكون فيه تبيين شدتها الموعظا في الزجر وجايز ان يكون اريد بالحجارة التي اتخذوها
اصناما يعبدونها لينصرهم ويدفع عنهم العذاب كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون وقال واتخذوا
من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا اي يصير عذابا عليهم وهم رجوا ان يكون سببا
لخلاصهم فصارت عليهم ضدا وقوله عز وجل عليها ملايكة غلاظ شداد فجايز ان يكون هذا وصفهم انهم خلقوا غلاظا
شدادا وجايز ان يكون اشداء على الكفار واعداء الله تعالى رحماء على اوليائه الا ترى الى قوله تعالى ويفعلون ما يؤمرون
فتبين ان اشتدادهم بمكان الامر وهو كقوله تعالى والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة على
الكفر وبالرحمة على المومنين فجايز ان يكون الملايكة كذلك في الاخرة وفي هذا دلالة ان الملايكة امتحنوا بالامر
والنهي في الاخرة لان ملايكة الرحمة امتحنوا باتيان التحف والكرامات الى اهل الجنة وملايكة العذاب امتحنوا بتعذيب
اهل النار وبالغلظة عليهم والشدة واذا امر كل من الفريقين بما ذكر فقد نهي عن تركه قال ابو بكر الاصم في قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وفي قوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الاية الزام
الوعيد باهل الصلوة لانه الزمهم الاتقاء من النار والزمهم التوبة ليكفر عنهم سيئاتهم ولو لم يكن الوعيد لازما
عليهم لم يكونوا يحتاجون الى الاتقاء وهذا منه ومن جملة اهل الاعتزال تحريف الكلام عن مواضعه لان الله تعالى ذكر
هذا الوعيد في اهل الايمان يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
ولم يذكر الله تعالى اهل الصلوة ولا الحق بهم الوعيد فهم يقطعون الوعيد عمن الحق الله تعالى بهم الوعيد وهم المومنون ويلزمون
على من لم يجر ذكره في القرآن ولا الحق بالوعيد وهذا تحريف الكتاب وقلب القصة ولانه صار من اهل الصلوة بايمانه اذ
لولا ايمانه لما كان هو من اهل الصلوة فاذا الحقوا الوعيد باهل الصلوة فقد الحقوه باهل الايمان فلم يبق بيننا وبينهم

الا سوء الخلق والا فلا معنى لسلبه عن اهل الايمان والحاقه باهل الصلوة هم اهل الايمان ثم الوعيد على قولهم انما يلزمهم
اهل الايمان في وقت خروجهم من الايمان ونحن نقول في الوعيد المذكور في اهل الايمان انه يجوز ان يلحقهم ويشا بهم و
يعذبهم الله تعالى باجرامهم ويحتمل ان يقع لهم الوعيد اذا خرجوا من الايمان وهم يقطعون الوعيد من احد الوجهين ويجعلونه
ونحن نلزمهم الوعيد اذا خرجوا من الايمان ولا يبقى الوعيد عمن لم يخرج بعد من ايمانه فصرنا نحن اشد استعمالا لما يقتضيه ظاهر
الايات منهم فصار العموم حجة عليهم لا علينا والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ليس في هذا
قبول العذر ولو كان لهم عذر ولكن اعتذارهم هو الندم عما كانوا فيه والانابة الى الله تعالى والتوبة اليه وليس ذلك وقت قبول
التوبة لان ذلك الوقت هو وقت خروج ملك انفسهم عن انفسهم فلا يقبل في ذلك الوقت ايمان ولا عمل وقوله عز وجل انما
تجزون ما كنتم تعملون يبين ان عملكم السوء هو الذي الزمكم العذاب في الحكمة فتجزون بعملكم ولستم تجزون
لمنفعة ترجع الينا او بما حملتم من اوزار الغير ولكن باعمالكم الخبيثة التي في الحكمة التعذيب عليها وفي هذا دلالة نفي العذاب
عن اطفال المشركين لانه لم يوجد منهم عمل فيجزون بجملتهم ولا يجوز ان يعذبوا بعد ذنوب ابائهم لانه اخبر ان كلا يجزى بعمله
لا بعمل غيره والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ففي هذه الايات الزام التوبة على بقاء اسم الايمان
لانه الزمهم التوبة بعد ان سماهم مؤمنين واخبر انه يكفر عنهم سيئاتهم بالتوبة ومن مذهب الاعتزال ان الصغاير مغفورة
لاربابها اذا اجتنبوا الكباير فلا يحتاجون الى التوبة عنها واذا كان كذلك فالاية في الكباير عندهم والكباير يخرج اهلها
على قولهم من الايمان والله اعلم فما بقي لهم اسم الايمان فمن ازال عنهم الاسم فقد خالف نص القرآن وان زعموا ان الاية
في الصغاير ففيه دلالة على ان الله تعالى ان يعذب على الصغاير وانها غير مغفورة حتى وقعت لهم الحاجة الى التوبة وطلب
المغفرة وقال ايضا في اية اخرى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون فاما ان يكونوا امروا بالتوبة عن الصغاير
فيكون فيه دلالة بقائهم على الايمان وكذلك قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وان كان استغفاره على الصغاير ففيه دلالة
انها غير مغفورة لحاجته الى طلب المغفرة ولو كان الامر على ما قالته المعتزلة لكان سؤاله المغفرة يخرج مخرج الاستهزاء بربه لانه
لانه يطلب منه ما لا يملك وذلك في الشاهد هزوء واستخفاف بالمسؤول وان كان في الكباير ففيه دلالة بقائهم وثباتهم على الايمان
لانه قال وللمومنين والمومنات ثم قوله تعالى توبة نصوحا قرئ بنصب النون وضمها نصوحا والضم يخرج مخرج المصدر والنصوح هو
بالفتح يخرج مخرج نعت التوبة والفعول من الاخبار هو اسم للمبالغة في الامر فكانه يقول توبوا توبة تناهت في نصحها ومبالغة
ان يكون صادقا في توبته وعلامة الصدق ان يكون نادما بقلبه عما فعل عازما على ان لا يرجع اليه وان يقلع بدنه عما كان فيه
من المعاصي وان يستغفر الله بلسانه فيستعمل كل جسده في الندم والانقلاع كما استعمل سايره في التلذذ بالمأثم فذلك
هو المبالغة في النصح وقوله عز وجل يكفر عنكم سيئاتكم بالتوبة ففي هذا ابانة ان من السيئات سيئات لا يكفر الا بالتوبة
ومنها لا يكفر باجتناب الكباير بقوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم لا ان يكفر كلها بالاجتناب عن
الكباير كما زعمت المعتزلة وقوله عز وجل ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وقد مر بيانه هذا وقوله يوم لا يخزي الله النبي
والذين امنوا معه والمعتزلة بهذه الاية تعلق وهو انه قالوا بان الله تعالى اخبر انه لا يخزي النبي والمؤمنين والاخزاء يقع بالعذاب
فقد وعد انه لا يعذب الذين امنوا ولو كان اصحاب الكباير مؤمنين لم يخف عليهم العذاب اذ قد وعد ان لا يخزي المؤمنين
ومن قولكم انه يخاف عليهم العقاب فثبت انهم ليسوا بمؤمنين ولكن نقول ان هذا السؤال يلزمهم من الوجه الذي
ارادوا الزام خصومهم لان في الاية وعد بان لا يخزي الذين امنوا وهم مقرون ان اهل الكباير ممن قد امنوا ولكنهم بعد
ارتكابهم الكباير ليسوا بمؤمنين والاية لم ينطق بنفي الاخزاء عن المؤمنين وانما قال والذين امنوا وهم يقطعون القول باخراج من
قد امن فصار وهم المحجوجين بهذه الاية ثم حق هذه الاية عندنا ان نقف على قوله النبي اي لا يخزيه الله تعالى في ان يرد شفاعته
او يعذبه وقوله والذين امنوا معه ابتداء كلام وخبره ويسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وهو كقوله تعالى والراسخون في
العلم يقولون امنا به او لا يخزي الذين امنوا بعد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان الاخزاء هو الفضيحة اي لا يفضحهم
يوم القيمة بين يدي الكفار ويجوز ان يعذبهم على وجه لا يقف عليهم الغير والخزي هو الفضيحة وهذا الستر ولا يفعل
ذلك بالمومنين بفضله والله اعلم وقوله عز وجل يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي بين ايديهم اذا مشوا وبايمانهم
عند الحساب لانهم لا يؤتون الكتاب بايمانهم وفيه نور وخير ويسعى النور بين ايديهم في موضع وضع الاقدام وبايمانهم
لان ذلك طريقهم وسبيلهم طريق الكرامة وقوله عز وجل يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فجايز ان يقولوا هذا عند انطفاء نور
المنافقين فيخافون انقطاع ذلك النور عنهم ايضا يقولون هذا عند ضعف فيشا لونه الايمان والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها
الذين جاهد الكفار والمنافقين قيل جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باقامة الحدود عليهم وذلك ان المنافقين هم الذين
كانوا يرتكبون المآثم التي اوجب لها الحدود ففيهم نزلت الحدود واما اصحاب رسول صلى الله عليه وسلم فقد عصموا عن المآثم
التي لها الحدود وقالت الباطنية في قوله جاهد الكفار والمنافقين اي هذا الكفار والمنافقين بالقتال فكان مأمورا بالقتال
مع الفريقين جميعا ولكنه اشتغل بقتال اهل الكفر ولم يتفرغ لقتال اهل النفاق فولي قتالهم علي ابن ابي طالب رضي الله عنه

وما ذكران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه حين راى عليا رضى الله عنه يخصف نعله يقاتل على التاويل كانقا
تلت عن التاويل وقاتلهم عن التاويل قتال اهل النفاق فان كان الامر على ما ذكروا من القتال فابو بكر رضى الله عنه
هو الذى تولى قتال اهل النفاق لا على رضى الله عنه لانه ذكران العرب ارتدت ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقاتلهم ابو بكر رضى الله عنه وارتدادهم يدل على انهم لم يكونوا المحققين فى ايمانهم اذ لو كانوا كذلك لم يرجعوا بل كانوا
منافقين واما الذين قاتلهم على رضى الله عنه فلم يكونوا منافقين بل كانوا يدعون عليا رضى الله الى ان يحكم بكتاب
الله تعالى والمنافق هو الذى يظهر من نفسه انه يحكم بحكم الله تعالى ثم يسر خلاف حكمه لا ان يدعوا الى الحكم بحكم الله
ثم يسر خلاف حكمه لا ان يدعوا الى الحكم بحكم الله تعالى وهذه السمة ظهرت فى الذين قاتلهم ابو بكر رضى الله عنه دون الذين
قاتلهم على رضى الله عنه ثم يجاهدته صلى الله عليه وسلم فى تقدير الحجة فى قلوب الكفرة والمنافقين والزامها عليهم
وذلك يكون مرة بالسيف ومرة بالزامها باللسان ووجه الزام الحجة بالسيف ما ذكرنا ان غلبته على الاعداء مع كثرة
شوكتهم وقلة انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر لهم نصر الله اياه وكونه على الحق فيحملهم ذلك على الايمان
بالله تعالى واذا كان كذلك فقوله جاهد الكفار والمنافقين فى الزام الحجة فان كانوا فى موضع امن فجاهدتم فى الزام الحجة
عليهم من جهة الشهود وان كانوا فى موضع المحاربة والقتال فجاهدتم فى قتالهم وقد كان من المنافقين من قد لحق بالكفرة
وذهب عنهم الى قوله فما لكم فى المنافقين فئتين فمن لحق بهم قاتلهم مع الكفرة ومن لم يلحق بهم الزمهم الحجة والله اعلم وقوله
عز وجل واغلظ عليهم اى اشدد عليهم والتشديد عليهم ان تسفه احلامهم وتهتك استارهم وهو ان يبين لهم ما هم
عليه من النفاق وقوله عز وجل وماواهم جهنم وبئس المصير قد تقدم ذكره وفى قوله يا ايها النبى جاهد الكفار دلالة
فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على من تقدمه من الانبياء والرسل عليهم السلام لانه ذكر موسى عليه السلام فى التورية
يا موسى وفى الانجيل يا عيسى وفى مخاطبات ادم يا ادم فسمى كل نبى باسمه سوى نبينا صلى الله عليه وسلم فانه ذكره
وخاطبه بقوله يا ايها النبى يا ايها الرسول وبالنبوة والرسالة استحقا لفضيلته فذكره باسم فضله وخاطبه به وذكر
غيره من الانبياء عليهم باسم شخصه وقوله عز وجل ضرب الله مثلا للذين كفروا امرءه نوح وامرءة لوط كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين فجايز ان هذا المثل لكان الكفرة الذين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصال من حرمة القرابة فكانوا
يطمعون منه الشفاعة فى الاخرة اذ كان الامر على ما ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لانهم عرفوه بالشفقة والرحمة على الخلق
جملة فكيف بنوع شفقته ورحمته على قرابته وهو رحم يتردد فى الحلاق فبين لهم شان امرءه نوح وامرءة لوط
وما كان بينهما وبين نوح ولوط عليهما السلام من الاتصال لان لا يغتروا باتصالهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجايز
ان يكون هذا فى بدء الاسلام فى الوقت الذى يتفرد الاباء بالاسلام دون الابناء والابناء دون الاباء فيكون
المثل لمكان اولئك الذين التزموا وداموا عليه ولم يتبعوا اباهم وابناءهم فيقول لا ينفع من دام على الكفر اسلام من
اسلم منهم وان كان بينهما قرب من جهة الابوة والبنوة لان رحمة الانسان وشفقته على زوجته اكثر من شفقته
على ما ذكرنا وكذلك الاتصال فاذا لم ينفعهما اسلام زوجيهما فكذلك لا ينفع اولئك الذين داموا على الكفر اسلام من اسلم
من ابائهم وابنائهم وجايز ان يكون هذا المثل لمكان اهل النفاق فيما اظهروا موافقة المؤمنين واسروا الخلاف فلم يخبر
لا ينفعهم اظهار موافقتهم فى الدين اذا كانوا على خلافه فى التحقيق كما لم ينفع زوجتى نوح ولوط عليهما السلام
اظهارهما الموافقة منهما لزوجيهما اذا كانتا على خلافهما فى السر والله اعلم قال ابو بكر الاصم فى هذه الاية دلالة ان صلاح
الصالح لا ينفع الطالح كما لم ينفع صلاح نوح ولوط عليهما السلام الزوجتين اذا كانتا فى انفسهما فاسدتين واراد بهذا
الشفاعة لاهل الكباير وليس كما ذكر لان هذا المثل للكافرين لا للعصاة اذ لم يقل ضرب الله مثلا للذين عصوا فلم يصح التعلق
متعلق فى هذه الاية ثم قد يجد صلاح الصالح فى الشاهد ينفع الطالح وان لم ينفع الكافر لان المراد قد يكون له
زوجة صالحة يمتنع عن كثير من الشرور لمكان زوجها من اهل الصلاح والشر وكذلك الولد ينفعه صلاح والده
فى الدنيا اذ تحشيتهما ينهى عن كثير من المناهى لصلاحهما فقد نفعه صلاح والديه ونفعها صلاح زوجها فجايز ان ينفع
الطالح ايضا فى الاخرة صلاح الصالحين واما الكافر فهو لم ينتفع عن الخلاف بمكان ابويه ولا لمكان احد من الخلق فلم ينفعه
اسلام ابويه ولا صلاحهما فى الدنيا فكذلك لا ينفعه فى الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله
شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين اى خانتاهما فى الدين ومنهم من يذكر ان خيانة امرءة نوح هو ان اخبرت قومه بجنون
زوجها وكانت خيانة امرءة لوط هو ان اخبرت قوم لوط بشان اضيافه ولكن ان كان هذا صحيحا فهو يرجع الى
الاول لان الذى حمل كل واحدة منهما على الاخبار بما اخبرت موافقتهما اولئك القوم وخلافهما لزوجيهما فى الدين فلا
ان يشهد بهذا الا لمتوترجاه وذكر بعضهم انهما سافجيانتهما زناهما وهذا غير ثابت لان الانبياء عليهم السلام عصموا
عما يرجع الى العار والشين والزوج يعير بزناء زوجته وفرشه وفيه التهمة فى اولادهم فدل ان صلاح التاويل
غير صحيح وحاجتنا الى وجوب الخيانة منهما دون التفسير ولا يجب ان يشهد بهذا الا بمتواتر جاء من يدعى الحجة وقوله عز وجل

ضرب الله مثلا للذين امنوا امرءة فرعون وجه صرف المثل بها هو ان له يعلم المقهور تحت ايدى الكفرة ان لا عذر له
فى التخلف عن الايمان بالله تعالى اذ كانت امرءة فرعون مقهورة تحت يديه وكانت بين ظهرانى الظلمة ولم يمنعها ذلك عن الايمان
بالله تعالى وعن التصديق برسوله موسى عليه السلام والثانى انها لم يشاهد زوجها من القوم بين ظهرانيهم سوى الكفر
بالله تعالى ثم الله تعالى بلطفه الهمها الايمان فامنت وكانت امرءة نوح تحت نوح ولم تشاهد منه سوى الطاعة والعبادة
لربه جل وعلا ثم لم ينفعها ايمانه وعبادته لتعلم انه لا ينفع احدا اسلام احد ولا يضر احدا كفر غيره انما يصير مومنا بفعل
نفسه كافرا بفعل نفسه وقوله عز وجل اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة الوجه الذى عرفت بناء زوجها وغيره من
الخلايق وانما ارادت بقوله ابن لى اى اخلق لى بيتا فى الجنة ولذلك لم يفهم احد بقوله نفخنا فيه من روحنا ما فهم الخلق
من النفخ فى الاشياء وانما فهموا منه الخلق والانشاء فاما المشبهة فهموا من قوله تعالى ثم استوى الى السماء ومن قوله ثم
استوى على العرش ما فهموا من الاستواء المضاف الى الخلق لولا ضعف اعتقادهم وجهلهم نقصانهم فى التحقيق ثم الا
ان ينظر الى الاسماء التى هى اسماء الافعال المشتركة فيما بين الخلق اذا اضيف شئ منها الى الله تعالى فيوضعها على الاسماء التى
هى اسماء الافعال المخصوصة لله تعالى فما اريد بالاسم المخصوص من ذلك فذلك المعنى هو المراد بالاسم المشتركة فالاسم المخصوص
لفعل الله تعالى هو الخلق اذ لا احد يسمى احدا من الخلايق خالقا فيفهم بقوله ابن لى عندك بيتا اى اخلق لى ويفهم من قوله
نفخنا فيه من روحنا الخلق والانشاء والذى تبين ان الاسماء المخصوصة ويفهم بها ما يفهم بالاخرى قوله تعالى يسيركم
فى البر والبحر ومعناه هو الذى يخلق سيركم فى البر والبحر وقال هو الذى يحيى ويميت اى يخلق الموت والحيوة قال يضل من يشاء
اى يخلق الضلال ويهدى من يشاء اى يخلق هدايته ومن حمل الامر على ما ذكرنا سلم من الشبه كلها ووساوس الشيطان
وسلم من التشبيه والله الموفق وفى هذا دلالة ايمانها بالبعث والحساب ثم من الجايز ان يكون وصلت الى علم البعث والحساب
بالتقلين او بنظرها وتفكرها فى الحجج والبراهين وذكر اهل التفسير انها قالت ذلك عندما عذبها فرعون واختلفوا فى
صفة العذاب من اوجه وحق مثله الامساك عنه ولا نشتغل بتفسيرها لما يتوهم من وقوع زيادة فيها او نقصان
على القدر الذى بين فى الكتب المتقدمة وهذه الانباء جعلت حججا لرسالة نبينا عليه السلام على اهل الكتاب لما وجدوها
موافقة للانبياء الذى ذكرت فى كتبهم واذا وقع فيها زيادة او نقصان وجدوا فيه موضع الطعن فى رسالته فلهذا
المعنى ما يجب ترك الخوض فيها والاعراض عن ذكرها وذكر عن الحسن وغيره انه ما من مؤمن ولا كافر الا يبنى فى الجنة قال
مات على الاسلام سكن البيت وان قبض كافرا ورثه غيره وهذا لا يحتمل لان الله تعالى اذا علم انه يموت على الكفر فهو
يبنى له ذلك كيلا يسكنه ومن بنى لنفسه فى الشاهد وهو يعلم انه لا يسكنه صار عابثا فى فعله وجل الله تعالى عن ان
بالبعث وقوله عز وجل ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين اى نجنى من شر فرعون وجوره ومن عمله اى من كفره
فيكون قولها نجنى من فرعون راجعا الى نفسه والاخر راجعا الى عمله ونجنى من قوم راجعا الى قومه فسألت النجاة عنهم حيث
لما كانوا يمنعون بها عن عبادة الله تعالى فكانت تخاف ناحيتهم ولا يأمن وتخاف منهم فسألت النجاة منهم لتصل الى عبادة ربها
وقوله عز وجل ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها فاخبر عنها باحصانها فرجها وذلك بالاسباب وهى ما اتخذت بين
نفسها وبين الناس حجابا لئلا يقع بصر الناس عليها ولا يقع بصرها عليهم فيصل به الى تحصين فرجها قال الله تعالى قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وهم اذا غضوا الابصار وصلوا الى حفظ الفروج ففى الحجاب غض البصر
وصول الى حفظ الفروج واحصانه وقال فى اية اخرى يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك وتطهيره اياها فى
ان طهرها من الفواحش والزنا فاضاف الاحصان اليها فى الاية الاولى واضاف التطهير ههنا الى نفسه فوجه اضافة
الاحصان اليها ما ذكرنا انها تكلفت الاسباب التى هى اسباب الموانع للزنا الدواعى الى الاحصان واضاف الى نفسه التطهير
لان وقوع ذلك محصولة كان به تعالى وفيه دلالة ان كل فعل من افعال العباد لا يخلو من ان يكون لله تعالى فيه صنع وتدبير وقوله
فنفخنا فيه من روحنا اى خلقنا فيه وما به يحيى الصور والابدان وقوله فيه اى فى عيسى وقال فى اية اخرى فنفخنا فيها
اى فى نفس عيسى عليه السلام والنفس مؤنث ثم تشبيهه بالنفخ ان الروح اذا خلق فيه انتشر فى الجسد كالريح اذا
نفخت فى شئ انتشر فيها والتشبيه بالنفخ لسرعة دخوله فيما نفخ فيه كالريح والله اعلم وقوله وصدقت بكلمات ربها
فجايز ان يكون الكلمات هى بشر بها مريم بقوله ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح وقوله يا مريم ان الله اصطفاك
وقوله وهزى اليك بجذع النخلة فصدقت بجملتها من عند الله لا شئ القى اليها الشيطان او صدقت بكلمات ربها اى
بحجج ربها وبراهينه ويحق الله الحق بكلماته اى بحججه وادلته ثم يكون الحجج حجج البعث وحجج الرسالة والوحدانية اى ويكون
قوله وصدقت بكلمات ربها اى الكلمات التى يستعاذ بها من الشرور فصدقت انها تعيذ من تعوذ بها والله اعلم وقوله
وكتابه وقرئ وكتبه وفى تصديقها بالكتاب تصديق منها بالكتب لان من امن بكتاب من كتب الله تعالى فقد امن بسائر
كتبه لانها يوافق بعضها بعضا ومن امن بكتبه فقد امن بكل كتاب له على الاشارة اليه فثبت ان فى الايمان بكتاب ايمان
بسائر الكتب وكل واحدة من القرائتين تقتضى معنى القراءة الاخرى فان قوله بكتابه اى بالانجيل وقوله بكتبه اى بالانجيل

وساير الكتب المتقدمة المنزلة من عند الله تعالى وقوله عز وجل وكانت من القانتين قيل من المصلين لانه قال
في اية اخرى يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين واذا وصف وصفا للصلوة فالتزمت هذا الامر فصارت
من القانتين وقيل اي من المطيعين لربها والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل تبارك الذي بيده الملك قيل تعالى وتعاظم وتبارك تفاعل من البركة والبركة كناية عن نفي كل عيب قال
الله عز وجل وانزلنا من السماء ماء مباركا اي ماء كدر فيه ولا قذر بل هو ماء مطهر من كل افة وغير فمعنى قولنا تبارك
اي تعالى ان يكون له شبيه وعديل وتعاظم عما قالت فيه الملحدة ومن ان يلحقه المعايب والافات وقوله بيده الملك
اي الذي له ملك الملك لانه قال في موضع اخر قل اللهم مالك الملك اي الذي له الملك فذكر الملك ههنا مكان
المالك هناك فامتدح جل وعلا بملك الملك وكونه مالكا له والمعتزلة يقولون بان ملك ملوك الكفرة ليس له لانه
لا تولى الملك الكافر ويقولون في قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان اتاه الله الملك ان الذي اتاه الله الملك و
هو ابراهيم عليه السلام والهاء منصرف اليه لا الى الذي حاجه واذا لم يجعلوا ملك ملك الكفر في يده لم يصر ممتدحا باذكرنا
لانه يكون في يده بعض الملك لا كله وقال في اية اخرى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وعلى قولهم يصير الملك في
يد من لا يشاء لانه لا يشاء والملك للكافر ومع ذلك يوجد فيهم الملك ثم ما ينبغي لهم ان يقطعوا القول بان الله تعالى
لا يؤتي الملك الكافر بل عليهم ان كان ايتاء الملك اصلح لهم اتاه وان كان شرا لهم لم يؤتهم اذ من مذهبهم ان الملك
اصلح لهم لا يفعل لعبده الا ما هو اصلح له في الدين والدنيا في حقه فهذا حله اعتقادهم ثم هم لا يعرفون الوجه الذي له
صار اصلح في كل شي على الاشارة اليه لانهم يقولون في ابقاء ابليس اللعين الى اليوم المعلوم صلاح وان كنا لا نعرف
الوجه الذي له صار اصلح وافناء الانبياء والرسل عليهم السلام كان اصلح وان لم نعرف من اي وجه صار اصلح فليقولوا
ههنا بان ايتاء الملك اذ كان اصلح لهم لم يكن له ان لا يؤتيهم وان كان شرا فعليه ان لا يؤتيهم لا ان يحملوا الامر على النفي
ثم الملك اسم عام وهو عبارة عن نفاذ التدبير والسلطان والولاية والملك هو ان يكون المالك خاصة في الشي لا
يتناول من ذلك الشي الا باذنه وقد يكون ملكا ليس بمالك فكل واحد من الوجهين يقتضي معنى غير ما يقتضيه الاخر
وجايز ان يكون تاويل قوله بيده الملك اي ملك كل ملك من اهل الارض بيده لا انه ان شاء ابقى له الملك وان شاء نزعه
فما من ملك في دار الدنيا الا وملكه في الحقيقة والله اعلم وقوله عز وجل وهو على كل شي قدير فامتدح نفسه تعالى بانه على
ما يشاء قدير وذلك من اوصاف ربوبيته ايضا ومن قول المعتزلة انه على اكثر الاشياء غير قدير لانهم يجعلوا المعدوم
شيا فتسمية الاشياء لا انشاء الله تعالى ويجعلون ظهورها بالله تعالى فقط واذا كان كذلك فهو لم يصر قادرا على شية
الاشياء وكذلك ينفون الخلق والقدرة عن افعال العباد ومن قولهم ايضا ان اقتدار العبد بيد الله واذا اقدر
عبدا من عبيده على الهداية خرجت القدرة من يده فيصير هذا القدرة مستفادة لا ذاتية واذا كان كذلك فقد نفوا
عنه القدرة عن اكثر الاشياء فلا يصير هو قادرا على كل شي وانما هو قادر على البعض تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وقوله عز وجل الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ابو بكر الاصم الذي خلق الموت
والحيوة اي خلقكم امواتا نطفة وعلقة ومضغة ثم احياكم ليبلوكم وقال غيره الذي خلق الموت ليجزيكم بعده والحيوة
ليبتليكم بها واستدل بقوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فصرف المحنة الى الحالة التي انشاهم
على وجه الارض وهي حالة الحيوة ثم اخبر بعد ذلك انه يجعلهم صعيدا جرزا بعد الابتلاء بقوله وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا وعندنا انه خلقهما جميعا للابتلاء لان الله تعالى خلق الموت على غاية ما تكرهه الانفس وينفر عنه
وخلق الحيوة على غاية ما تلذ به الانفس ويرغب فيها المحنة في الترغيب والترهيب فثبت انه خلق الموت محنة فكون
قوله تعالى خلق الموت والحيوة كانه يقول خلق الموت رهبا وخلق الحيوة رغبة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ليبلوكم ايكم
ارهب من الشر وارغب في الخير ثم الموت صار لا[...] منه لا ولا مخلص لمخلوق وكذلك الحيوة وان كانت من ارغب الاشياء
الى الانفس فليست هي بحيث يتهيا للمرء ان يزيد منها بالطلب ولا ما يوجد بالكسب والسعي فصارت هي رغبة في الحيوة
الدايم وهي نعيم الاخرة وصار الموت رهبا عن الموت الدايم والموت الدايم هو العذاب الذي لا ينقطع كما قال تعالى
ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اي لا ينقضي عنه الالام والاوجاع بل يبقى فيها ابدا واذا ثبت ان الموت صار رهبا
عن العذاب الدايم والحيوة صارت رغبة في مثلها فيقوم بطلبه وجب القول بالبعث ايضا اذ الراغب انما يصل بما يرغب
فيه بالبعث والاخر انما يصير الى العذاب الدايم بالبعث وفيه ايجاب القول بالرسالة لانه اذا ثبت الرغبة في الموعود من
الثواب والرهبة عن العذاب وهما جميعا غايبان فاحتيج الى من يظهرها ويخبر عنهما فلم يكن بد من رسول يخبرهم ويحض عليهم
ثم الاصل في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا انه انما يحسن عمله بحسن رغبته ويسوء عمله بسوء رغبته ورهبته فخلق

الحيوة والموت ليبلوكم فيهما المرء ويعتبر بهما لمن حسنت رغبته ورهبته حسن عمله ومن لم يتفكر فيهما ولم يعتبر بهما ساء
عمله فالموت والحيوة انشيا مرغبين ومرهبين وكذلك الدنيا وما فيها انشئت دالة على طريق الاخرة فالسمع يدل
على السمع والبصر على البصر والالام ههنا تدل على الام الاخرة ونعيمها دليل على نعيم الاخرة والله اعلم ثم قوله ليبلوكم
ايكم احسن عملا فيه دليل على اضمار قوله وايكم اسوء عملا على مقابلة الاول الا انه اكتفى بذكر احد المتقابلين
على الاخر والله اعلم فان قال قايل كيف اضاف الابتلاء الى نفسه بقوله ليبلوكم والابتلاء في الشاهد يكون
لاستظهار ما خفي ولاستحضار ما غاب والله تعالى لا يغيب عنه شي ولا يخفى عليه امر فكيف اضيف اليه الابتلاء
فجوابه ان نقول ان الابتلاء في الحقيقة كناية عن ما يظهر الشي ويبرزه فاستعمل الابتلاء في كل ما فيه ظهور
الامر وان كان الذي ظهر من الامر عنده ظاهرا وهذا كما اضيف الاستدراج والمكر الى الله تعالى لوجود معنى المكر
والاستدراج فيه وان المقصود من ذلك المكر والاستدراج وفي الشاهد المكر ان يحسن الى عدو ليقع عنده
انك تركت عداوته فيعتبر احسانك اليه ثم يأخذه من وجه امنه ومن حيث لا يشعر به هذا هو معنى المكر في
الشاهد وقد وجد الاحسان من الله تعالى الى اعدايه ووجد منهم الاغترار بالنعم ووقع عندهم انهم من جملة اوليايه
ثم اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فوجد معنى المكر وان لم يقصد باحسانه اليهم المكر بهم والثاني
من امر في الشاهد فانما يأمره لمنفعة يصل اليه واذا نهاه عن شي فانما ينهى لنفي مضرة تصل اليه والله تعالى لم
يخلق الخلق ولم ينههم لجلب نفع بها الى نفسه او لمضرة يدفعها عن نفسه وانما امرهم ونهاهم لمنافع يرجع اليهم
ومضار تلحقهم ثم اضيف اليه الامر والنهي وان كان لا منفعة له ولا مضرة عليه فكذلك ابتلى خلقه ليظهر المبتلي
عداوته وولايته واضاف الابتلاء الى نفسه وان كان هو مستغنيا عن الابتلاء والله اعلم وقوله عز وجل وهو
العزيز الغفور وفيه انه لم يبتليهم لامر يرجع اليه او لسبب يدفع عنه ولكن ليجزيه المحسن والمحسن العفو وذنب
يغفر له ويستر عليه وهو عزيز بذاته وجائز ان يكون قوله وهو العزيز اي القوي على الانتقام ممن ساء عمله واختار عداوته
الغفور الستور على من حسن عمله يستر عليه ذنبه ويجزيه بحسن عمله والله اعلم وقوله عز وجل الذي خلق سبع سموات طباقا
في ذكر السموات السبع ايجاب القول بتصديق ما يأتي به الرسل من الخبر ومن ثبت وجود هذا القول على لسان الرسل
القول في السموات انها سبع وان لم يشاهد ثم يحتمل قوله الذي خلق سبع سموات طباقا ليبلوا اهلها ايهم احسن عملا لانه
بين انه لم يخلق السموات والارضين بالطلاسم السموات بانفسها وانما يمتحن اهلها لكنه اقتضى ذكر السموات ذكر اهلها و
اقتضى ذكر الارضين ذكر اهلها فاخبر بذكر الارض عن ذكر اهلها وبذكر السموات عن ذكر اهلها والله اعلم وقوله عز وجل
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي انظر في خلق الرحمن هل ترى فيه من تفاوت او فطور فانك ان رايت فيه فطورا
ظننت في مدبره عددا وان رايت فيه تفاوتا ظننت في صنيعه سفها فانك اذا رايت فيه فطورا وشقوقا رايت فيه
تفاوتا وتراقعا في حصول التمانع والتدافع حصولا للعدد لان الدافع والمتناقض انما يقع عند ثبات العدد لان ما يبنى احد
يهدمه الاخر وينقضه يبنيه الاخر فعند ذلك تقع التدافع واذا لم تر فيه فطورا وشقوقا بل رايته متسقا مجتمعا دل
على وحدانيته وقدرته وسلطانه ولذلك التفاوت يدل على السفه ونفي الحكمة وارتفاع التفاوت يدل على حكمته و
عجيب تدبيره فيكون في ارتفاع الفطور والتفاوت اثباتا للقول بالوحدانية وايجابا للقول بالبعث من حيث يثبت حكمته
وفي نفي القول بالبعث زوال الحكمة وفيه ايجاب المحنة والابتلاء لان العدد اذا ثبت كان للممتحن ان لا يعمل حتى يتبين له الغالب
من المغلوب فلا يمتنع عليه او يشتغل كل باقامة سلطانه ونفاذ تدبيره فلا يتفرغ للامر بالمحنة الا ترى الى قوله وما كان معه
من اله اذا لذهب كل اله بما خلق قيل يذهب كل واحد منهم بالجزء الذي خلقه فيظهر عند ذلك فطور وشقوق لان ما خلق
هذا يمتاز من الذي خلقه الاخر فارتفاع الفطور يدل على وحدانية الصانع جل جلاله وقيل في قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
اي من حيث الدلالة على وحدانية الرب تعالى او من حيث الحكمة والمصلحة فالخلايق كلها في المعاني التي ذكرناها غير متفاوتة
في انفسها الا ان بين السموات والارضين تفاوت وكذلك بين الحيوة والموت تفاوت ولكن منافع السماء متصلة بمنافع
الارض ومنافع اهل الارض متصلة بالارض وقوامهم ومعاشهم بما يخرج منها فكل ذلك يدل على وحدانيته وعلى حكمته و
لطايف تدبيره وقوله عز وجل فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب فجايز ان يكون هذا على رجوع البصر
الوجه وجايز ان يكون على رجوع البصر القلب ويكون احدهما على بصر الوجه والثاني على بصر القلب والاشبه ان يكون
على بصر القلب لانه قد سبق منه النظر الى السموات والارضين ببصر الوجه وسبق منه العلم من حيث النظر انه لا تفاوت
فيها ولا فطور فدعاه الى ان ينظر ببصر القلب ليدله ذلك على المعاني التي ذكرناها وهو كقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين وقال اولم يسيروا في الارض ولم يرد به السير بالاقدام اذ قد سبق منهم السير فيها ولكن معناه اولم
يتفكروا في عواقب من تقدمهم من مكذبي الرسل انهم باي سبب هلكوا ولاي معنى عوقبوا واستوصلوا ثم قوله فارجع البصر
هل ترى من فطور ثم ارجع كرتين ينقلب لانه منهم من قال ان الكرتين ههنا كناية عن مرة بعد مرة ليس على تثبيت العدد

فكانه ان يكون ابدا معتبرا ناظرا فى خلق الرحمن والى هذا يذهب الحسن والاصم وجايز ان يكون قوله كرتين مرتين ولكن
على اختلاف الوقتين فيكون احد النظرين بالليل والثانى بالنهار لانه يرى بالليل ايات وبالنهار ايات سواها ثم
كل شى يدل على وحدانيته وعجيب حكمته ونفاذ قدرته وسلطانه او ان يكون النظرة الاولى ببصر الوجه والنظرة الثانية
ببصر القلب لانه اذا نظر النظرة الاولى ببصر وجهه فراى ما فيه من العجايب اشتغل قلبه بما راى فينظر فيه مرة اخرى ببصر
القلب ليتاكد ذلك ويتقرر ويجوز ان يكون النظر بهما جميعا ببصر الوجه لانه لا يستوعب النظر بالجملة فى المرة الاولى فينظر
مرة اخرى ليدرك ما غاب عنه فى المرة الاولى وقوله عز وجل خاسئا اى صاغرا مستذلا معترفا بالقصور عن درك كنه
سلطانه والاحاطة بعظمته وجلاله وهو حسير اى منقطع عن درك بلوغ حكمته وبعضا دامرهم الاشبه ان يكون المراد
بهذا الخطاب المكذبين بالبعث لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان الخطاب متوجها اليه فى الظاهر لانه انما اراد بالنظر
فى خلق الله تعالى ليتقرر عنده عظمة الله تعالى وسلطانه وعجيب حكمته ونفاذ تدبيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان
تقرر عنده علم ذلك كله فلم يكن يحتاج الى النظر فيما ذكر ليتقرر وصرف انه انصرف الى المكذبين فامروا بالنظر فيما ذكر ليتقرر عندهم
سلطانه ونفاذ تدبيره وانه ليس بالذى يعجزه امر وان قدرته ليست بمقدرة بقوى البشر وهم كانوا ينكرون البعث و
الاحياء على تقريرا لامور بقوى انفسهم فاذا نظروا فى هذه الاشياء وعرفوا فيها لطايف وحكما لا يدركها عقولهم وقوة
لا يبلغها حيلهم ادى ذلك الى دفع الاشكال عنهم وازاحة الريب الذى اعترام فى امر البعث فيحملهم على الايمان وقوله عز وجل
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح سماها سماء الدنيا لدنوها الى الخاطبين الممتحنين لا ان يكون السماء الثانية سماء الاخرة
والذى يدل على صحة ما ذكرنا ان مقابل الدنيا ليست هى الاخرة بل مقابلها الاولى ومقابل الدنيا القصوى فيثبت ان ليس
فيها اثبات ان السماء الثانية هى سماء الاخرة والمصابيح هى النجوم فذكر عباده عظيم ما اودع من النعم فى النجوم عليهم فجعل فيها
ثلاثة اوجه من النعم احداها انه جعلها زينة للناظرين كما قال تعالى وزيناها للناظرين ثم هذه الزينة انما يظهر عندما
يخفى على الناظرين زينة الارض وذلك فى الظلم الليالى فابدى الله لهم زينة فى السماء مكان الزينة التى انشاها فى الارض
وفضل هذه الزينة بحيث على سايرها لان سايرها لا يظهر الا بالدنو لها والقرب منها ثم جعل هذه الزينة بحيث يظهر
فيرى من البعد فثبت ان لها فضلا وشرفا على زينة الارض والنعمة الثانية ما ذكر فى قوله وهو الذى جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فجعلها هدى من ظلمات احوال تقع فيسلم بها المرء عن الوقوع فى المهالك والنعمة
الثالثة ما ذكر من قوله وجعلناها رجوما للشياطين ومن جعلها رجوما للشياطين دفع الاشتباه عن الخلق واخراجهم
من ظلمات الاشكال الى النور وذلك ان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فيستمعون الى الاخبار التى تتحادث بها
اهل السماء فيما بينهم مما يراد باهل الارض فيسترقون السمع منهم فياتون بها اهل الارض ويلقونها الى اهل الارض
بعد ما يخلطونها بالكذب من عند انفسهم فيشبهون على الخلايق ويضلونهم بذلك عن سبيل الله تعالى فلو دام السماء
بالحرس والشهب ليدفع الشياطين عن استراق السمع ليكون تبليغ الاخبار الى اهل الارض بمن يؤمن عليه الكذب وهى
الرسول عليه السلام فيسلم تلك الاخبار عن التخاليط والشبه فيسلم الناس عن الوقوع فى الظلمات ثم يكون فى جعل
النجوم زينة السماء ان اهل السماء ابتلوا ايهم احسن عملا كما ابتلى به اهل الارض الا ترى الى ما ذكر فى اهل الارض
فى قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فاخبر ان الزينة للامتحان وقوله عز وجل واعتدنا لهم
عذاب السعير ففيه انهم وان عذبوا بالنيران التى جعلت فى النجوم للرجوم لا يدفع عنهم ما استوجبوا من العذاب العظيم
بل قد اعد لهم عذاب السعير كما اعد لغيرهم من الشيطان واهل الكفر وقوله عز وجل وبئس المصير هو الطريق اى فبئس
الطريق من مسلكه اتصاله الى عذاب السعير وقوله اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا والشهيق الصوت المنكر ثم من
الناس من يقول سمعوا لها اى لجهنم ومنهم من جعل الشهيق من اهلها وقد يجوز ان يذكر المكان والمراد منه الاهل كما قال
وكاين من قرية عتت عن امر ربها وكلا الامرين يحتمل عندنا ولا يحتاج الى معرفة ذلك لان الصوت المنكر ظاهر من لا
يحتمل الصوت كهو من الذى يحتمل فليس الذى يحتمل الصوت اولى ان يجعل الفعل له من الذى لا يحتمل وقوله عز وجل
وهى تفور تكاد تميز من الغيظ اى تتغاظى ثم النار بنفسها لا تغلى وانما تغلى بالذى يجعل فيها ففيه ان طعامهم وشرابهم
فى النار فيغلى النار بطعامهم وشرابهم وقوله عز وجل تكاد تميز من الغيظ فجايز ان يكون هذا كناية عن الحزن وجايز ان
يكون هذا وصفا للنار بانه تعالى ان يجعل فى جهنم وفيما شاء من الاموات ما يعرف به وجلاله فيغضب له على اعدائه
غضبا يكاد ان ينقطع فى نفسه ويسلم من اوليائه ثم فى ذكر غضبها تذكير ان من حق الله تعالى على اوليائه ان يغضبوا له
على اعدائه غضب جهنم عليهم بل جهنم ابعد عن ان يمتحن بذلك مما هى بلغت من الغضب على اعداء الله تعالى مبلغا
كادت تنقطع بنفسها فالاولياء احق ان يوجد منهم هذا الوصف وقد مدح الله تعالى الذين مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما وجد فيهم من التشدد على الاعداء وذلك قوله تعالى محمد الرسول والذين معه اشداء على الكفار وقال
اذلة على المومنين وهكذا الحق على كل مؤمن ان يكون على هذا الوصف وفيه حكمة اخرى وهو انه ذكر شدة النار

على اهلها الان لا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وقوله عز وجل كلما القى فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير
ينذركم لقاء يومكم هذا قالوا بلى قد جاءنا نذير وهذا هو اخبار عن نهاية امرهم واخر شانهم وذلك انهم فزعوا فى الاخرة
الى اليمين بالكذب فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان ينفعهم ذلك فى الاخرة كما كانت تنفعهم فى الدنيا فى دفع القتل
ان ايمانهم لا يدفع عنهم العذاب فزعوا الى الاعتراف والصدق رجاء ان يتخلصوا من العذاب فقالوا بلى قد جاءنا نذير ينذرنا
عن لقاء هذا اليوم فكذبنا بالذى كان ينذر النذر وقلنا ما نزل الله من شى مما تنذر وتنابه وقوله عز وجل ان انتم الا فى
ضلال مبين فجايز ان يكون القايل لهم لهذا هم الخزنة او هذا خطاب فى الدنيا ان انتم الا فى ضلال كبير وقوله عز وجل وقالوا لو كنا
نسمع او نعقل فمعنى قوله بلى قد جاءنا نذير اعتراف منهم بانهم قد سمعوا وعقلوا فقوله لو كنا نسمع او نعقل ليس هو على نفى
السمع والعقل اذ قد اقروا انهم سمعوا وعقلوا وانما هو على نفى الانتفاع بما سمعوا وعقلوا لان الانتفاع بالمسموع هو الاجابة
للسامع والانتفاع ان يقوم بوفاء ما عقل وهم لم يجيبوا لما سمعوا ولم يقوموا بوفاء ما عقلوا وقال بعضهم لو كنا نسمع
الان او كنا نعقل كما نعقل الان ما كنا فى اصحاب السعير وهذا غير مستقيم لان تلك الدار ليست بدار اسماع وافهام وانما
المعنى ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فسحقا لاصحاب السعير اى بعدا على معنى الدعاء عليهم وقيل السحق واد فى جهنم
وقوله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يحتمل ان الذين يخشون عذاب ربهم والعذاب عنهم غايب فاهل الاسلام
يخشون عذاب الله وهو غايب عنهم والكفرة لا يخشونه الا ان يعاينوا وجايز ان يكون قوله عز وجل يخشون ربهم بالغيب
اى يخشون الله تعالى ان يعذبهم وان يخشوه فيما اوعدهم ثم الاصل ان ما من مؤمن بالبعث سوى المعتزلة الا وهو
يخشى الله تعالى لكنهم يتفاوتون فى الخشية ثم الخشية يقتضى الرجاء والخوف ليس كالامن والاياس الذى لا يقتضى كل واحد منهما
الا وجها واحدا واذا كانت الخشية يقتضى ما ذكرنا فكل مؤمن يخاف عذاب الله تعالى لما راى من كثرة نعم الله تعالى وغفلته عن
حقوق تلك النعم لان من حقها ان يشكر الله تعالى عليها وقد عرف كل مؤمن تقصيره فى اداء الشكر وتفريطه فى قضاء الحقوق
فيرجوا رحمته لما عرف من سعة رحمته وعرفه متفضلا عفوا غفورا لكن فيهم تفاوت فى الخشية والرهبة فمن كان اذكر
لغفلته فهو لعقوبته اكثر خشية ومن كان اقل ذكرا لغفلته فهو اقل خشية فيتفاوتون على تفاوتهم فى الذكر وهو كالموت
الذى يرهبه الناس جميعا ويتيقنون بحلوله لكنهم يتفاوتون فى ذلك فمن كان له اكثر ذكرا كان ابلغ فى التيقظ واكثر
رهبة ومن كان اغفل عن ذكره فهو اقل رهبة وللقايل ان يقول كيف جعلتم كل مؤمن خايفا راجيا والراجى هو الذى يطلب
والخايف هو الذى يهرب فكل من رجى شيئا يعلم انه لا وصول اليه الا باعمال واسباب فهو يتكلف بقوم الاعمال بغاية ما
تحمله وسعه ليصل الى ما موله واذا لم يقم بها لم يكن راجيا فى الحقيقة بل كان متمنيا وكذلك من خاف حقيقة الخوف وعلم ان
المخوف نازل به ان لم يهرب مما يخافه اشتد الهرب ثم كثير من المومنين نراهم مقصرين فى الاعمال التى يتوصل بها الى بلوغ الامال
ولا يهربون مما يخافون غاية اشتد الهرب وغاية الخوف فكيف وصفتم كل مؤمن بالخوف والرجاء وكثير منهم لا يتحقق فيهم هذا الوصف
واستدل على صحة ما ذكر بقوله ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فالراجى
لرحمة الله من دأب فى طاعته وقال تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فقيل يا رسول الله اهم الذين يزنون
ويسرقون فقال بل هم الذين يصومون ويصلون وقلوبهم وجلة وقال تعالى الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون فجوابه
ان المؤمن ليس يرى كل خلاصه من العذاب وامنه من العقاب بعمله حتى اذا وجد التقصير فى العمل اظهر ذلك المعنى فساد
الرجاء والخوف وانما يتوقع خلاصه بعفو الله تعالى ويرجوا رحمته بكرمه وجوده لذلك لم يوجب التقصير فى العمل ابطال الرجاء
والخوف وهذا اذا كان غير معتزلى المذهب ولم يكن من الخوارج فاما اذا كان الراجى والخايف احد هذين فيقصره فى العمل
يدل على فساد الرجاء والخوف لان كل واحد منهما ليس يرى لنفسه شفيعا الا عمله به نجاة او به يهلك فاذا لم يبالغ فى
الطلب من جهة العمل ولم يبالغ فى الهرب من الخوف بالعمل ظهر انه ليس براجى ولكنه متمنى وتبين انه غير خايف
فى الحقيقة ثم المعتزلة لا يخافون الله تعالى ولا يرجون رحمته فى الحقيقة لانهم يزعمون ان العبد اذا ارتكب الكبيرة فليس
لله تعالى ان لا يعذبه عليها وان يغفرها له واذا اجتنب الكبيرة استوجب المغفرة وان ارتكب الصغاير وليس لله تعالى ان يعذبه
عليها والقايل بهذا غير راجى رحمة الله تعالى ولا خايف من عذابه وانما يقع الخوف والرجاء من عند نفسه لان الزلة التى اكتسب
بها العذاب فهو الذى اكتسبها ولو لم يعملها لم يعذب وفاز النجاة فصار رجاؤه وخلاصه بعمله لا برحمة الله تعالى
وفضله ولا سيما لك وصف الله تعالى فى كتابه ولان الله تعالى اثنى على الذين يدعونه خوفا وطمعا ورغبا ورهبا وعلى قوله
اهل الاعتزال لا يدعوا ربه على الرغبة والرهبة والخوف والطمع لان الداعى ان كان صاحب كبيرة فهو فيما يدعو الله تعالى ليغفر له
ليغفر له انما يدعو ليجور عليه اذ لا يسعه ان يغفر له ولا يعذب عليه فدعاؤه بالمغفرة معناه يقتضى ان جر على ولذلك
عظيم وان كان صاحب صغيرة فهو فيما يطلب المغفرة منه تعالى يساله ان لا يجور عليه لانه ليس له ان يعذب على مذهبه
ولو عذب صار به جايرا فاذا خاف عذابه حتى اذا فزع الى الدعاء خاف جوره ومن لم يامن من ربه الجور بل خاف ذلك منه
فهو لم يعرف ربه حقيقة معرفة وكذلك من دعا الله تعالى لا يجور عليه فقد دعا الى ان يسفه والسفيه لا يصلح ان يكون

انه ثبت ان الداعي على الرغبة والرهبة غير ممدوح عندهم ولا هو ممن يستحق الثناء عليه وقوله عز وجل لهم مغفرة واجر كبير
اي من يرجوا الله تعالى ويخافه فله مغفرة لذنوبه واجر كبير وهو الجنة وقوله عز وجل واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات
الصدور فهذه الاية كانها في الزام الوعيد يقول انه عالم بالانفس التي فيها الصدور وبما يضمرون فيها ويوزعون عما او دعوا
فيها ويظهرون والصدر هو ساحة القلب سمي صدرا لان الاراء يصدر عنها فهو عالم بالانفس التي لها الصدور وبما يصدر عن
اراءهم وعالم بما يضمر فيها من الاسرار وقوله عز وجل الا يعلم من خلق تاويله عند اهل الاسلام الا يعلم من خلق مما اسروا وجهروا
ومن راجع الى الله تعالى دون الخلق كانه يقول الا يعلم الخالق وهو اللطيف الخبير وفيه اثبات خلق الافعال والاقوال وخلق
السر فيكون حجة لنا على المعتزلة في خلق افعال العباد وقال جعفر بن حرب وابو بكر الاصم انحرف من لا يرجع الى الله تعالى وانما
يرجع الى الخلق فكانه يقول الا يعلم الله من خلق على اضمار اسم الله تعالى فاختار الا بهذه الحيلة لنفي الخلق عن الافعال لان تحرف
يرجع الى الانفس دون الافعال وذلك فاسد لان الاية في موضع الوعيد ولو كان قوله خلق راجعا الى الانفس لزال موضع
الوعيد اذ ليس في خلق الانفس وعلم الله بها اثبات العلم بافعال وجدت منهم ولا في خلق الانفس ايجاب الوعيد بالافعال
ولانه لو لم يكن الله تعالى خالقا لما يجهر به العبد وما يخفيه لم يكن ليحتج به على علمه اذ يتحقق جواز الجهل من غير الذي يفعله
فلا يجوز ان يحتج عليهم بفعل غيره ولانه ليس في اثبات العلم بخلق الانفس اثبات العلم بما اسروا وجهروا كما لم يكن عند المعتزلة
في ايجاب خلق الانفس الا اثبات ايجاب الخلق لافعالهم ومعلوم بان الاية في تحقيق العلم بما اسروا وجهروا لان قوله الا يعلم من خلق
مذكور على اثر قوله واسروا قولكم او اجهروا به وهو قوله انه عليم بذات الصدور اي يعلم بما يسرون وما يجهرون فثبت ان الخلق
راجع الى ما اسروا وجهروا ثم ان الناس على اختلافهم اتفقوا ان كل واقع بالطبع والضرورة مخلوق لله تعالى وانما اختلفوا في
في تواقع العبد فمنهم من اثبت فيه الخلق وهو قولنا اهل الهدى ومنهم من ابى القول بخلقه ثم المرء لا يتهيأ له استعمال اليد الا
للوجه الذي جعل في طبع اليد احتمال الحل لنا العمل ولا يتهيأ له ان يستعمله في الوجه الذي لم يجعل في طبعها احتمال ذلك لانه لو اراد
ان يرى بيده او يسمع بها لم يملك ذلك فثبت انه ملك استعمالها في القبض والاخذ والتسليم بما جعل في طبعها احتمال ذلك و
واذا كان كذلك فعند ثبت الخلق فيما يعمل بيده وفيما يرى بعينيه ويسمع باذنيه والله الموفق وقوله وهو اللطيف الخبير في
تدبيره اذ دبر لسان الانسان على انه اذا استعمله يخرج منه الكلام ولو اراد ان يتعرف المعنى الذي به صلح للنطق لم يقف عليه ودبر
قلبه على ان يتصور ما وقع فيه من الخيال فيودعه بلسانه ودبره على وجه يصلح ان يودعه الاسرار والودائع من وجه لو اراد
الخلايق ان يتعرفوا الوجه الذي صلح القلب ان يكون مستورا وحافظا ومعدنا للاسرار لم يقفوا عليه وقيل اللطيف هو الذي لا
يعزب عنه علم ما دق وجل وقيل اللطيف بعباده في الاحسان اليهم والانعام عليهم الخبير بما فيه مصالحهم وقوله عز وجل هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا فامشوا في مناكبها الاية واذا ذلل لكم الارض لتمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فلا يجوز ان يكون خلقها عبثا باطلا
فلا بد من الرجوع اليه ليسالكم عما له خلق او فيم خلق او لم تقول لو ذلك ان المرء في الشاهد اذا اعطى انسانا مالا استعمله في
جهة من الجهات فلا بد من ان يرجع اليه فيساله هل استعمله في الذي اذن له فيه ام لا واذا ثبت انه لم يخلقها عبثا باطلا وانما
خلقت للمحنة فلا بد من ان يبعثهم اليه ليجزيهم بما عملوا هم به وامتحنهم ثم احتمل ان يكون هذا صلة قوله هو الذي خلق الموت والحيوة
ليبلوكم وقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا فخلق ذلك كلها ليمتحن اهلها بها فعلى ذلك خلق الارض ذلولا ليبلو
بها ويحتمل ان يكون هذا صلة قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فامرهنا لك بالنظر مرة بعد مرة هل ترى فيه تفاوتا
او فطورا ليتبين عندهم اذا لم ير فيه تفاوتا ولا فطورا وحدانية الرب وقدرته وسلطانه وحكمته فامرهم ايضا بالمسير في
الارض والمشي في مناكبها وفي اطرافها هل يرون فيها فطورا وتفاوتا فاذا لم يروا فيها شيئا من ذلك تقرر عندهم بجميع
ما ذكرنا من الحكمة هناك فهو في قوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا موجود ولانه ذكرهم لطيف تدبيره في خلق الارض
وما له على الخلق من عظيم النعمة في خلقه وهو انه قدر لهم فيها ارزاقهم الى حيث يمشون فيها وجعل لهم الرزق هنالك ولا
يحتمل ان يذلل لهم الارض فيضربون فيها حيث شاؤا ويستخرجون منها اقواتها انما تصير خلقها عبثا باطلا بل لابد ان يستاذنكم
بشكر ما انعم عليكم وقوله عز وجل ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور هذه الاية في موضع المحاجة على
منكري البعث فكانه يقول والله اعلم اذا انكرتم البعث وقد عرفتم الفرق بين العدو والولي وبين المطيع والعاصي فكيف امنتم عذابه
في الدنيا ان ينزل بكم من فوق رؤسكم او من تحت ارجلكم او قد عصيتموه وعاديتموه بتكذيبكم رسوله واختياركم عبادة غيره
فكيف امنتم نزول عذابه عليكم في حالكم هذه وانتم لا تقرون بالاخرة ليتاخر عنكم العذاب ثم قوله ءامنتم اي قد امنتم والثاني
انكم كيف امنتم عذاب الله تعالى وانتم تنكرون البعث ليكون المحنة في الدنيا للجزاء في الاخرة وهم يرون المحنة في الدنيا لانهم
كانوا يزعمون ان من وسع عليه النعيم في الدنيا فانما وسع جزاء لعمله ومن ضيق عليه العيش فانما ضيق عقوبة له بما اساء من عمله
كما قال الله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي
اهانن فكانوا يعدون التضييق والتوسيع في الدنيا جزاء لصنيعهم وكانوا يقرون بالمحنة في الدنيا والمحنة تكون من الرجاء والخوف
وقد رجوتم انزال الرزق عليكم من السماء ورجوتم ان يخرج لكم من الارض ما يتعيشون به ويرزقون منه فكيف لا تحذرون نزوله

العذاب

العذاب عليكم من السماء او اتيانه من الارض كما رجوتم النفع منهما جميعا والثالث انكم اذا انكرتم الرسول وجحدتموه ونابذتموه
فيكم حال من سبقكم من مكذبي الرسل كيف عذبوا واستوصلوا فمنهم من اهلك بامطار الحجارة عليه من السماء ومنهم من اهلك
بالخسف بالارض فكيف امنتم ان ينزل عليكم ما نزل بهم وقد وجد فيكم وتعاطيتم ما تعاطاه الذين اهلكوا من التكذيب
ثم قوله من في السماء اراد به نفسه اخبر انه اله السماء لا على تثبيت انه في الارض سواه وعلى النفي ان يكون اله الارض بل هو في
السماء اله وفي الارض وهذا كقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ليس فيه ان النجوى اذا كان بين اثنين فهو لا يكون
ثالثهم وجائز ان يكون قوله ءامنتم من في السماء ملكه وسلطانه ولم يروا احدا انتهى ملكه الى السماء فكيف يامنون ممن بلغ
ملكه السماء في معاداتكم اياه وانتم لا تجترؤن على معادات ملك من ملوك الارض الذي لا يجاوز ملكه الارض تنبيه منه
وخوفا من سلطانه فكيف يامنون عذاب من بلغ ملكه ما ذكرنا وقوله عز وجل فاذا هي تمور قيل تهوي في الارض ابدا
الى اسفل السافلين وقيل تمور باهلها في قعرها على ما كانت من قبل تمور على ظهرها قبل ان يوتد بالجبال والحاصب الحجارة
وقوله عز وجل فستعلمون كيف نذير اي سيعلمون حال نذري الذين انذروكم بالعذاب انهم كانوا محقين فيه ولم يكونوا
كاذبين كما زعمتم او ستعلمون ما اريد لكم به اذا يوقع العذاب وقوله ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير يذكرهم حال
من تقدمهم من المكذبين وما حل بهم ليرتدعوا عن التكذيب فلا يحل بهم ما حل باولئك ثم قوله فكيف كان نكير اي كيف كان
انكاري عليهم اليس وجدوه شديدا او حقا وقوله عز وجل اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا
الرحمن قيل صافات باجنحتها لا يتحرك منها شيء ويقبضن فما يمسكهن الا الله تعالى في الحالين جميعا اعني القبض والبسط وقال
في اية اخرى اولم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون اي لايات للمؤمنين
على الكفرة وهكذا شان الايات انها جعلت ايات للمؤمنين والاولياء على الكفرة والاعداء لان الكفرة انهم نصل اليهم الايات
على لسن الرسل والانبياء والاولياء فجعلنا الايات ايات للمؤمنين ليحتجوا بها على اهل الكفر ثم الهواء ليس بمكان يمسك
ما عليه من الاشياء مثل السماء والارض فيما انشئتا على حد يمسكان الاشياء ويقر عليهما الخلائق واذا كان كذلك كان
الله تعالى بلطفه امسك الطير وقت طيرانها ووقت قبضها في الهواء ومن قدر على امساك الطير مع خفته وتقريره
في مكان لا يقر فيه الاشياء لقادر على ما يشاء ثم في هذه الاية ان الله تعالى في افعال الطير صنعا وتدبيرا على ما يشاء
لان الفعل الذي يوجد من الطائر الطيران اذا طار والوقوف اذا قبض ثم اضاف فعل الامساك وكل ذلك الى نفسه و
ذكر عن جعفر بن حرب في قوله ما يمسكهن الا الله ان الامساك كناية عن التعليم وعبارة عنه لانه قد يعبر بالامساك عن
التعليم يقول الرجل لاخر فيما يعلم الرماية امسكت على يده وان كان هو الذي علمه الرمي الا ترى ان من علم اخر الخياطة حتى
اهتدى الخياطة اذا خاط ثوبا لم يستجز استاذه ان يقول ان الذي خطته وان كان هو الذي علمه الخياطة وكذلك من
بنى بناء ولم يستقم من استاذه ان يضيف فعل البناء الى نفسه فيقول انا الذي بنيته وان يريد به انا الذي علمته واذا
لم يستقم هذا بطل ان يضاف فعل الامساك الى الله تعالى ولا فعل له في ذلك سوى التعليم فلو كانت الاضافة اليه
من حيث التعليم لجاز ان ينسب اليه فعل الخياطة وفعل البناء والحياكة فيقال الخائط والباني والحائك لانه هو الذي
علم فاذا بطل ان ينسب اليه فعل الامساك من حيث التعليم والله الموفق واحتج جعفر بن حرب ايضا في نفي الفعل عن
الله تعالى فقال ان الله تعالى لم يقل ما خلق طيرانهن الا الله ولا خلق القبض الا الله وانما قال ما يمسكهن الا الله فثبت انه
لا صنع له في الامساك وبان ان الذي اضيف اليه من الامساك هو على وجه الذي ذكرنا فالجواب عن هذا ان الامة فهمت
من قوله ما يمسكهن الا الله ما يفهم من قوله ما خلق طيرانهن وقبضهن الا الله اذ هو يقتضي ما يقتضيه ذكر الخلق
واذا كان كذلك فلا فرق بين ان يضيف الخلق نفسه وبين ان يضيف فعل الامساك ثم لو ذكر الخلق مكان الامساك لـ
امكن جعفرا ان يتاول في الخلق ما تاول في الامساك فيقول معنى قوله خلق طيرانهن اي علم طيرانهن وقواهن على الاسباب
التي يطير فلان ينبئنا الله تعالى على قوله ان ينسب لخلقه وتقرر عندهم خلق شيء من الاشياء ثم الاصل ان الايات المذكورة
في القران انما ذكرت لاثبات اوجه خمسة احدها في تثبيت القدرة على البعث وهي لا تثبت القدرة ولا توجب القول
بالبعث على قول المعتزلة وذلك ان الله تعالى احتج في تثبيت القدرة على البعث وهي لا تثبت القدرة ولا يوجب القول على قول
المعتزلة وذلك ان الله تعالى احتج في تثبيت القدرة على البعث بقدرته على ابتداء الخلق فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
وقال وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه فاحتج بامر الابتداء على الاعادة عندهم لانهم نفوا خلق الافعال عن الله تعالى
مع اقرارهم ان الله تعالى هو الذي ابتدا الخلائق وهو الذي انشاكم ولم يكن في اثبات القدرة على خلق الاعيان اثبات قدرة منه
على خلق الافعال وان كان لا خلق الافعال دون خلق الانفس فكيف ذكر قدرته على ابتداء الخلق على تثبيت القدرة على الاعادة
وان كان امر الاعادة ايسر من الابتداء مع ان اثار الخلق في افعال العباد واثبات التدبير فيها اوجد منه في امر البعث وذلك
انك تجد من الافعال افعالا هي مؤذية لاهلها متعبة مولمة ومعلوم بان قصد اربابها ان يتلذذوا بها ويتمتعوا بها
ثبت ان لغيرهم تدبيرا وصنعا حتى صارت كذلك ولانه يوجد في افعالهم احوال لا يبلغها اوهامهم ولا يقدرها عقولهم

اءامنتم من في السماء صح

لان الفعل باخذ من الجو والمكان والوقت ما لا يقدره الاوهام ولا يبلغها العقول ثبت ان لغيره فيه متعاد
تدبيرا ولان فعله يخرج على قبيح وحسن لا يبلغ علم فاعله انه يبلغ في الحسن والقبح ذلك المبلغ وينتهي في الحسن مبلغا لو اراد
ان يخرج على ذلك الحد في المرة الثانية لم يخرج كذلك فكلي ما ذكرنا تبين ان جميع افعالهم على ما هي عليها ليست لهم ثم مع ذلك
انكروا ان يكون الافعال من جهة الخلق لله تعالى لم يظهر شئ من امارات البعث ولا وحدانيته لتدبير فصارت الكرة في انكارهم
امر البعث عند من المعتزلة في انكارهم خلق الافعال ولم يوجب القول بالقدرة على ابتداء الخلق قولا بالقدرة على انشاء البعث و
الاعادة بعد الافناء فثبت ان ليس في الايات التي جعلها الله تعالى دلالة اثبات البعث والوجه الثاني تثبيت الوحدانية وجعل
دليل وحدانيته توحده بخلق الاشياء وتفرده بانشائها الا ترى الى قوله تعالى ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه وقال وما كان
معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق وعلى قول المعتزله هو غير متوحد بخلق الاشياء بل اكثر خلق الاشياء كان بالعباد ولا
بالله تعالى واذا لم يوجد منه التوحد والتفرد بخلق الاشياء ارتفع وجه الاستدلال من هذا الوجه على معرفة الصانع
ووحدانية الرب واذا كان كذلك لم يثبت وحدانية الله تعالى على قولهم من الوجه الذي جعله دليل الاثبات والوجه الثالث
وهو ان الايات ذكرت في اثبات حكمة الله تعالى وجعل دليل حكمته خلق السموات والارضين بما شاهدنا وغيرها من الاشيا
ونحن انما عرفنا خلق السموات والارضين بما شاهدنا هما مجتمعين والاجتماع حادث فيهما وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث
والحادث لابد له من محدث ولولا ذلك لم نعرفه ولا يثبت لنا خلقهما وعلى قول المعتزله الجمع والتفريق لا يدل على الخلق لان
كل من له القوة يقدر على جمع الاشياء وتفريقها والاجتماع والتفريق فعل الجامع والمفرق لقولهم بالمتولدات فمن استحكمت
قوته امكنه جمع الاشياء القوية ومن ضعفت قوته جمع على قدر ما ينتهي اليه قوته واذا كان كذلك لم يتبين عند الخلائق حجج
على قولهم ان الله تعالى هو الذي خلق السموات والارضين اذ خلقهما لا يعرف الا من الوجه الذي ذكرنا وذلك مما يجوز لا بالله
وجائز ان يكون الله تعالى اقدر ملكا من الملائكة وقواه على خلق السموات والارض واذا كان كذلك لم يظهر بما ذكرنا ان الله
تعالى هو الخالق لهما فبطل ان يكون في خلق السموات والارضين وفي خلق سائر الاشياء دلالة حكمته وقدرته ووحدانيته وقد جعل
الله تعالى خلقهما دلالة لهذه الاوجه التي ذكرناها والثاني انه جعل اتقان الاشياء واحكامها علما للحكمة وقد يقع الاتقان
والاحكام للاشياء لا به ثم لا يجعل الله لشئ مما اتقن واحكم علما يتميز من بين ما اتقنه غيره واحكمه فصار الاتقان والاحكام
غير دال على حكمة بل صار دليلا على عجزه وضعفه حيث لم يتهيأ له تمييز ما صار به متقنا وما بغيره صار كذلك ولان الحكمة
هي وضع الشئ في موضعه وتبيين ماله مما ليس له ومن قولهم ان الله تعالى اعطى الكافر قوة الايمان ولم يبق في خزائنه ما
جعل سببا يتوصل به الى الايمان الا وقد اعطاه مع علمه انه لا يؤمن به وهذا من اعظم الجهل وابين السفه في الشاهد
لان المرء اذا قام يسقي ارضا وعمارتها بالكراب والتشيا والقاء البذر فيها مع علمه انها لا تنبت شيئا عند ذلك منه سفها و
جهلا والسفيه لا يصلح ان يكون الها حكيما وقال تعالى هو الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وعلى قول المعتزلة
قد خلق غيره الحيوة والموت جميعا لان القتل ميت بالاتفاق ثم لا يجعل اهل الاعتزال الله تعالى في موته صنعا ويزعمون انه مات
قبل اجله فاذا قدر غيره على الاماتة ويقدر ايضا على الاحياء بالاسباب لانه يسقي الارض والزرع ويكون في سقيه احياؤها
فلم يتفرد هو بخلق الموت ولا بالحيوة على قولهم بل يشركه غيره في خلق الاشياء فيبطل امتداحه على قولهم نفسه بانه خالق
الاشياء والوجه الرابع انه احتج بعلمه بافعال الخلق بخلقه لها الافعال وذلك قوله الا يعلم من خلق وهم قد نفوا الخلق عن الافعال
فاذا انتفى لم يقع له بها علم فصارت الايات التي فيها اثبات العلم لا يثبت علما على قولهم ويكون فيه كذبا في الخبر تعالى الله عن ذلك
والوجه الخامس انه سمى نفسه محسنا منعما واثبت احسانه وانعامه بايات احتج بها على خلقه وما من نعمة انعم بها العباد
الا وقد كانوا لها مستوجبين على الله تعالى فيصير الله تعالى باعطائهم ذلك قاضيا ما عليه من الحق بالنعمة ومن قضى حقا كان لم يصر
منعما مفضلا وانما صار قاضي حق فصارت الايات التي فيها اثبات النعم غير مبينة على قولهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وقوله عز وجل انه بكل شئ بصير اي بكل شئ لطف او جل او استتر او ظهر او اختلط بغيره او تميز فهو بصير يبلغه الى اجله الذي
ضرب له وباتيه بالرزق الذي قدر له او بصير بافعال الخلق ما كان وما يكون لانه ذكر على اثر ذكر الافعال وهو قوله واسروا
قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق ثم في قوله انه بكل شئ بصير ترهيب وترغيب والزام المراقبة و
التيقظ والتبصر وكذلك في قوله انه بكل شئ حفيظ وبكل شئ عليم لان من علم ان عليه حافظا ورقيبا يعلم بكل شئ يتعاطاه
فهو لا يتعاطى الا المحمود من الفعال والمرضي منها وقوله عز وجل امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فهذا صلة
قوله أأمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ثم قال امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن اذا خسف بكم
بكم الارض وارسل عليكم حاصبا من السماء وجائز ان يكون على التقديم والتاخير فيكون معناه امن هذا الذي هو جند لكم
من دون الرحمن ينصركم من عذاب الله ان حل بكم او يكون قوله ام من هذا الذي هو جند لكم يدفع عنكم العذاب من دون الله ان حل
بكم وجائز ان يكون اريد بالجند الهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فكانوا يعبدونها لينصرهم ويعزوا بها قال الله تعالى
واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وقال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون ثم هم قد علموا انها لا تقوم بنفسها

ولا يدفع الذل عنهم فيعزوا بها لانهم كانوا يفزعون الى الله تعالى عند ما يحل بهم الشدايد والذل كما قال الله تعالى واذا مس الانسان
ضر دعا ربه منيبا اليه ويتركون الفزع الى الهتهم لعلمهم انها لا يعزهم ولا ينصرهم فذكرهم في حالة الامن ما قد عرفوا وعد
في حال الخوف لينقلعوا عن عبادة الاصنام ويقبلوا على عبادة رب الانام ليدفع عنهم الشدايد والاهوال والالام
اذا حلت بهم من خاص وعام ويقوم بنصرهم اذا لحقهم الذل وقوله عز وجل ان الكافرون الا في غرور اي اغتروا في عبادتهم
الهتهم ليتقووا بنصرهم وعزهم مع ما علموا انها لا يدفع عنهم شدة ولا تحصل لهم عزا وقوله عز وجل ان امسك رزقه هم
كانوا يرجون رزقهم من السماء والارض فيقول من ذا الذي يرزقكم ان لم يرسل عليكم من السماء مطرا ولا ذلل لكم الارض
للنبات وقد علموا ايضا ان الارزاق لهم غير الله تعالى لانهم يفزعون اليه بالسؤال للرزق عند ما يبلون بالقحط والجدوبة
تذكرهم في حال السعة ما له عليهم من عظيم النعمة في توسيع الرزق عليهم ليشكروه ولا يكفروه ثم وقوله عز وجل بل
لجوا في عتو ونفور نا الملاني هو المارد السفه فكانه يقول لجوا وعتوا في قبول الحق وتمادوا في طغيانهم ولم يتذكروا ولم
يراقبوا الله تعالى ولم يشكروا له بل بعدوا عن قبول ذلك كله فقوله امن هذا الذي هو جند لكم وقوله امن هذا الذي يرزقكم يخرج على
اوجه ثلاثة احدها على التخويف والتهويل والثاني على التنبيه والتذكير وتسفيه احلامهم والثالث على البشارة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وباجابة دعوته على اهل الكفر فوجه التنبيه والتذكير وتسفيه الاحلام ما ذكرنا انهم قوم
كانوا يعبدون الاصنام لينصرهم ويعزهم في الدنيا وليبتغوا به الرزق من عندها اذ هم كانوا لا يؤمنون بالبعث ليطلبوا عبادتها
عز الاخرة والنصر فيها وانما كانوا يطمعون ذلك منها في الدنيا ثم هم في الدنيا واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه في
يكونوا يفزعون الى اصنامهم اتخذوها جندا ينصرهم عند النوائب وقد احاط علمهم انها لا ينصرهم ولا يغني عنهم من عذاب الله شيئا
فيكون فيه تسفيه احلامهم وتنبيه من عذاب الله ليمنعهم ذلك عن عبادة غير الله تعالى ويدعوهم الى عبادة من يملك دفع الشدائد
عنهم اذا حلت بهم واما وجه التخويف فهو انه يجوز ان يكون قيل لهم هذا عند ما ابتلوا بالشدايد وضيق العيش فيقول لهم
استنصروا من الهتكم واسئلوا الرزق من عندها هل يملكون لكم رزقا او يدفعون عنكم ذلا وهل يعرون على نصركم وجائز
ان يكون فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وباجابة دعوته وقد وجد النصر لانه غلب عليهم يوم فتح
مكة ولم يتهيأ لاصحابها ان ينتصروا بل غلبوا وقهروا واوفاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة والقهر حتى استكانوا
ولانوا وتضرعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى دعاهم وابتلوا ايضا بالقحط والسنين بدعاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالسعة حتى رفع الله عنهم القحط وقوله عز وجل افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على
صراط مستقيم في هذه الاية تذكير وتنبيه وتخويف وتهويل وتعريف حال هي على خلاف ما هم عليها في الحال ثم ذكر الصراط في الذي
يمشي مكبا فهو على الاضمار كانه يقول افمن يمشي مكبا على غير الصراط اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فيكون هذا تذكيرا
وتنبيه وتسفيه لاحلامهم لان الذين اثروا الايمان وسلكوا الطريقة فانما سلكوا بالحجج والبراهين والذين اثروا الكفر اثروه
من غير حجة بل بخبرتهم وسفههم هاهنا الذين دعواهم الى التزام الكفر والتدبير ومن اثر الحيوة والعمى على الهدى والرشاد فهو
سفيه وجائز ان يكون قوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى اي اهدى طريقا ام الذي يمشي سويا على صراط مستقيم وحق
هذا الكلام ان يقال بل الذي يمشي على صراط مستقيم هو الاهدى منا الذي يمشيا الطريق المعوج الزائغ عن الرشاد فيكون
في الوجه الاول معنى التخويف والتنبيه جميعا وفي الوجه الثاني تذكير وتنبيه قولنا بان فيه تعريف حال الخلاف الحال
التي هم عليها ان كل واحد من الفريقين اعني به اهل الاسلام واهل الكفر يزعم انهم على الهدى والفريق الاخر على الضلال لم
واذا اتفقت الدعاوى على تضليل احد الفريقين ثم لابد ان يكون جزاء الضال غير جزاء المهتدي وجزاء الولي غير جزاء
العدو ثم الدنيا ثم على الفريقين على جهة واحدة فلا بد من تثبيت دار اخرى والقول بها للجزاء فيكون فيما ذكروا ايجاب
القول بالبعث والاقرار به فهذا الذي ذكرنا هو بين فهما خلاف الحالة التي هم عليها ولان الذي يمشي مكبا على غير
تثبيت دار اخرى والقول بها للجزاء فيكون فيما ذكروا ايجاب القول بالبعث والاقرار به فهذا الذي ذكرنا هو بين فيهما
خلاف الحالة التي هم عليها ولان الذي يمشي مكبا على غير الطريق هو الاعمى الذي لا يبصر والمقعد الذي لا يقوى على
المشي والذي يمشي سويا على صراط مستقيم هو الذي ليست به زمانة ولا به عمى يمنعه عن الصراط فيكون قوله يمشي
مكبا على وجهه هو الاعمى والذي يمشي على صراط مستقيم هو السميع البصير فيكون معناه ما قال في سورة هود
مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا وقوله عز وجل قل هو الذي انشاكم وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون هذه الاية صلة قوله هو الذي خلق الموت والحيوة وصلة قوله
الذي خلق سبع سموات طباقا وقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا ثم ذكر الانشاء وجعل السمع والابصار و
الافئدة تذكير قوته وسلطانه وعلمه وحكمته والايه وتعاليه عن الاشباه والامثال فوجه تذكير القوة والسلطان
والعلم والحكمة ما يوصف بعد هذا ويذكر في سورة المرسلات وفي سورة والسماء والطارق وسنذكر طرقا من ذلك
هاهنا بعون الله تعالى وتوفيقه فنقول بان الله تعالى انشانا في اظلم مكان واضيق موضع بحيث لا ينتهي اليه تدبير

لبشر وعلومهم وحكمتهم وقواهم لان علم الخلق لايجد نفاذا فى الظلمات وكذلك حكمتهم ثم ان الله تعالى انشاه فى
تلك الظلمات كيف شاء واجرى سلطانه وتدبيره على ذلك الشئ ليعلم به ان علمه بالخفيات من الامور كعلمه بالظاهر
منها وليعرف الخلايق انه لايخفى عليه شئ فيدعوهم لذلك الى المراقبة فى كل مايسرون ومايعلنون ويوجب
ماذكرنا فى تقدير قوته وعلمه وسلطانه تقوى لبشر وعلومهم وسلطانهم فيكون فيه انفتاح عن الشبه التى اعترت
منكرا البعث فى امر البعث ويحملهم على الايمان به اذا امعنوا النظر فيه وليعلموا ان من بلغت حكمته ماذكرنا لايجوز
ان يخلقهم سدى لايخاطبهم ولاينهاهم بل يتركهم هملا واما وجه تعاليه عن الاشباه والاشكال هو انه انشاء الخلق
فى اظلم مكان واضيقه كان فيه ابانة انه لايوصف مايكون فى ذلك المكان الذى ظهر فيه اثار فعله لانه فى وقت
ماخلق عمرا فى بطن امه فقد خلق زيدا فى ذلك البطن فى بطن امه وخلق خلايق فى بطون الانعام والسباع
وبطون بنات ادم وانشاء النبات فى الارضين فى ذلك الوقت ولوكان يوصف بالكون فى مكان الفعل لكان اذا اخذ
فى خلق هذا لايخلق فى ذلك الوقت فى اقطار الارض امثاله من الخلايق فدل ان الفعل ليس يتحصل منه بشهوده
المكان الذى ظهر فيه فعله وانما يكون بما ذكر من قوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون واما سائر
الفعلة فهم لايتمكنون من الفعل الا بشهودهم مكان الفعل فهذا الذى ذكرناه ينفى عنه شبه الخلق وتوجب تعاليه عن
الاشكال وفيه تذكير نعمه ومنته على خلقه الاترى انه قال الحمد لله على اثر هذا قليلا ماتشكرون ولو لم يكن منعما متفضلا لم يكن
يستاذى منهم الشكر ووجه النعمة هو انه قدره فى تلك الظلمات وصانه عن الافات وعن كل انواع الاذى وغذاه
فى ذلك الموضع بما شاء من الاغذية وستره على ابصار الناظرين وغيبه عن اعينهم لانه فى تلك الحال بالمحل الذى يستقذر
ويستقذر رؤيته ولايمكن ان يدفع عنه المعنى الذى نعت به الاستعانة والاستقذار بالتطهير والانشاء له السمع
والبصر والفؤاد ليصل بها الى انواع العلوم والمصالح فلزمهم ان يقوموا بشكر ذلك وفيما ذكرنا نقض قول المعتزلة لانهم يزعمون
ان الله تعالى لو جعلهم على غير الوجه الذى ظهر لكان جائرا لان من مذهبهم انه لايفعل الا ماهو اصلح لهم واذا كان خلقهم هو الاصلح
ومن شرطه فعل الاصلح فاذا هو صار قاضيا حقا وليس لقاضى الحق على المقتضى موضع منة ولامنة بمكانه ولانعمة يلزمها شكرها
ثم وقوله عز وجل جعل لكم السمع والابصار والافئدة اى جعل لكم لتسمعوا ماغاب عنكم وتاى تعرفونه بالسمع وانشاء لكم
الابصار لتبصروا بها ماحضر من الاشياء وتعرفوا بها ماينفعكم ومايضركم وماخبث منها وماطاب وانشا لكم الافئدة لتدركوا بها
حقايق الاشياء ومبادى الامور ومالها وماحل منها وماحرم ثم خص هذه الاشياء الثلاثة بالذكر لما بها يتوصل الى العلوم
ومعرفة الاشياء قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم
تشكرون اذا انشا لكم هذه الاشياء لتهتدوا بها وتصلوا بها الى انواع العلوم فثبت ان هذه الاشياء هى التى يتوصل بها
الى العلم والحكمة والى باب المصلحة والمنفعة ولذلك قال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فلم يقع بها
الوصول الى علم الاشياء لكن لايخص بالسؤال عنها وقوله عز وجل هو الذى ذراكم فى الارض واليه تحشرون ونجمع فى هذه
الاية بين خبرين احدهما مما قد نوزع فيه وهو قوله واليه تحشرون فان بعض الكفرة ينكرون الحشر والبعث والثانى
مالم يقع فيه التنازع وهو قوله هو الذى ذراكم فى الارض ثم ان الله تعالى جعل ابتداء الخلق دلالة القدرة على الاعادة
بقوله قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة وقال وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه
فاذا جعل الابتداء دليل الاعادة لزمهم ان يستدلوا به فهو وان ذكر على وجه الاحتجاج ففيه موضع الاحتجاج عليهم وقوله عز
وجل فى الارض فيه اخبار انه خلقهم فى الارض ليشاهد بعضهم خلق بعض فى الابتداء فيعلموا انهم لم يكونوا على الحالة
التى هم عليها الحال بل كانوا نطفا وعلقا واطفالا الى ان انتهوا على الحالة التى عليها فاذا تقرر عندهم امر الابتداء وجب لهم ذلك
علما بالقدرة على الاعادة اويكون قوله فى الارض اى انشاكم وجعل لكم مساكن فى الارض وبسطها لكم لتنتفعوا بها و
جعلها لكم كفاتا فيكون فيه تذكير النعمة والقدرة والسلطان وقوله عز وجل ذراكم اى كثركم من اصل واحد كما قال
تعالى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء ومعلوم بان الخلق على كثرتهم لم يكونوا
فى نفس واحدة ومن قدر على خلق الانفس من نفس واحدة لقادر على اعادة ما قد سبق كونه وقوله عز وجل ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقولهم هذا خارج مخرج الاستهزاء والاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم فامر
الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام ان يجيبهم بالجواب الذى يليق من الحكماء ولم ياذن له ان يجازيهم باستخفافهم اياه
استخفافا مثله فقال قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين يبين لهم انه لاينذرهم الا بالذى امر به ولايبلغ اليهم الا ماقد
نزل اليه وامر بتبليغه وفى هذه الاية دلالة نبوته واثبات رسالته لانه لو لم يكن رسولا كما زعموا وكان مختلقا من تلقاء
نفسه لكان يمكنه ان يحيل ذلك الى وقت لايظهر غلطه فيه ولا كذبه لديهم وهو ان يحيله الى وقت لايعيش الى
مثل ذلك الوقت فاذا لم يفعل بل قال انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين دلهم ذلك على رسالته وانه اذا كان
رسولا لم يكن له ان يزيد فى الرسالة ولا ان يتكلف من عنده فيها زيادة كما ذكر فى قوله تعالى عبس وتولى ان فيه

مايبعد رسالته عندهم من الوجه الذى يذكر فى تلك السورة ان شاء الله تعالى وقوله عز وجل وانما انا نذير مبين اى لا ازيد
فى الانذار على القدر الذى امرت به وقوله عز وجل فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا جايز ان يكون قوله تعالى راوه زلفة
اى راوا الذى وعدوا وقوله عز وجل زلفة اى قريبة ثم انث الزلفة لما اريد بها الاحوال التى يكون فى ذلك اليوم من
الاهوال والشدايد ويكون قوله راوه كناية عن ذلك اليوم فذكر لان اليوم مذكر وجعل الزلفة بلفظ التانيث لانه كناية
عن الاهوال التى يكون فى ذلك اليوم وجايز ان يكون قوله زلفة اى راوا تلك الاحوال والشدايد قريبة عن الاوقات التى
وعد وفيها فعلموا انها كانت قريبة منهم وان كانوا يستبعدونها فى هذا اليوم وهو كقوله كانهم يوم يرونها لم
يلبثوا الا عشية او ضحيها وقال ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا ولذلك اذا راوا شدايد ذلك اليوم واهواله
علموا ان القوة الذى كان يوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قريبا منهم وقوله عز وجل سيئت وجوه الذين
كفروا فسيئت من ساءت اى ساءت وجوههم او قبحت وجوههم بتغير الوانها وقوله عز وجل وقيل هذا الذى كنتم به
تدعون قال ابو بكر الاصم معناه يمنعون ويدفعون كقوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم وقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا
اى دفعا وليس الامر كما ذكره لانه لوكان من الدفع والمنع لكان يحقه ان يشدد العين لا الدال كما شددت فى قوله يدع
اليتيم فاذا شددت الدال دون العين ثبت ان اشتقاقه ليس من الدع ولكنه من الادعاء اذ الدال هى المشددة فتاويله
والله اعلم هذا الذى كنتم به تدعون اى هذا الوقت الذى كنتم تكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعون عليه انه
كاذب فى الاخبار وجايز ان يكون قوله تدعون اى تدعون وقد يستعمل الادعاء مكان الدعوة كما يقال ادكر واذكر وحبر
خبر وقوله عز وجل قل ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ففى هذه الاية دلالة ان
فى حكمة الله مشية المغفرة والعقاب لمن ارتكب غير الكفر من الزلات وايجاب العقاب على من اعتقد الكفر والتزمه
وان ليس فى الحكمة عفو مثله من العقوبة لانه قال ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا فاثبت فيه خيار الاهلاك
ومشية الرحمة والمغفرة ومعلوم انه يهلك ومن معه او يرحم عندما يبتلى بالزلات وكذلك قال ان الله لايغفر ان يشرك به
ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فجعل لنفسه مشية المغفرة لمن توقى الكفر وحكم بايجاب العقاب على من اشرك به والذى يدل
على ان الحكمة توجب ماذكرنا ان الكفر لنفسه قبيح لايحتمل الاطلاق ولا رفع الحرمة لما فيه من السفه لان من رضى بشتم نفسه
فهو سفيه فعلى ذلك عقوبته لايحتمل فى الحكمة رفعها والعفو عنها ولما كان الكفر لايحتمل الاباحة ورفع العقوبة والا
فضلان المغفرة يخرج مخرج الاباحة كذلك لم يجز القول فيه بالمغفرة والعفو وسائر الماثم جائز رفع الحرمة عنها ولان الكافر
اختار عداوة الله تعالى وكفران نعمه والذى اعتقد الاسلام اختار ولايته والحكمة توجب التفرقة بين العدو والولى
وفى العفو عنه واكرامه بالاحسان تسوية بين الولى والعدو وفى ذلك تضييع الحكمة ولان الكافر فى نفسه انه يظن
على الحق والصواب وغيره على الباطل والضلال وانه غير مستوجب العذاب بل ذلك على ذلك الحكاية عن اهل الكفر وقالوا
نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فالله تعالى اذا انعم عليه بالاحسان لم يقع ذلك عنده موقع النعم
بل يقع عنده انه انما احسن اليه لاستحقاقه الاحسان وعفى عنه لما ليس فيه ما يستوجب به العقاب واذا كان كذلك
ادى ذلك الى تضييع الاحسان وتضييع العفو وابطال لنعمه فثبت ان الحكمة لاتوجب العفو عن الكافر اذ يحصل
العفو فى غير موضعه واما اهل الاسلام الذى سبقت منهم الاجرام فقد علموا ان الذى سبق منهم زلات وماثم وان
العذاب قد لزمهم وانهم مستوجبون العقاب فاذا عفى عنهم علموا انهم انما نالوا العفو بفضل الله تعالى فيقع الاحسان
موقعه ولان من احسن الى عدوه فى الشاهد ولم يقصد باحسانه اليه قصدا استدراجه والمكر به فهو انما يحسن اليه
لما يخاف ناحيته ويخرج فعله ذلك مخرج التذلل له فلولا يواخذ الله الكافر بما تعاطا من الكفر بل احسن اليه من غير تبعة
عليه خرج عفوه واحسانه اليه مخرج الخوف واظهار التذلل تعالى عن هذين الوجهين فثبت ان الحكمة توجب القول
بالتخليد ويمنع القول بالعفو والله اعلم وفى قوله قل ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا دلالة ان الله تعالى ان يعذب
على الصغاير لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من سبقه من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد عصموا عن ارتكاب
الكباير فلا يجوز ان يرتكبوا الكباير فيهلكوا لاجلها فثبت انهم لو اهلكوا الا هلكوا بالصغاير ولو لم يكن لله تعالى ان يعذب
اهل الصغاير لصار هو باهلاكه اياه بمن معه جائرا ظالما وجل الله تعالى عن الوصف بالجور وقال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر ولو لم يكن لله تعالى ان يعذب على الصغاير احدا لم يكن له على رسوله عليه السلام موضع الامتنان بما
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ثم الحق ان يقال ان جميع الخوارج والمعتزلة لايجوزون ان يغفر الله تعالى لهم بارتكابهم
الكباير ذكرنا لغيرهم من منتحلى الاسلام لانهم يقولون لايجوز ان يغفر الله تعالى لاهل الكباير ولا ان يتطول
عليهم بالعفو بل حق امثالهم ان يخلدوا فى النار ابد الابدين واذا كان هذا هو الحكم فيهم والله تعالى ان غفر لهم ومن عليهم
بالعفو وقع عندهم انه انما عفى عنهم لان الذين ارتكبوا من المآثم لم يكن كباير بل كانت صغاير اذ لايجوز المغفرة عن الكباير
فيحصل العفو فى غير موضعه والاحسان فى غير موقعه واما غيرهم من منتحلى الاسلام فهم يرجون عفوه وسعة رحمته فى

كل ايامهم فاذا انفضل عليهم بالمغفرة وقع العفو عندهم موقعه فلا يكون فيه تضييع الاحسان تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا ثم وقوله عز وجل قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي اي قل ان اهلكني الله ومن معي بما سبق من الاجرام والزلات او
رحمنا بما سبق منا من الايمان به والانقياد لامره والخضوع لطاعته فمن يجير الكافرين اي شيء يجير الكافرين من عذابه ولم
يسبق منهم الى ربهم حسنة يرجون لاجلها ولا طاعة يستوجبون الغفران بها فمن يجيرهم من عذاب الله تعالى
ان حل بهم فكانه قيل له قل لهم هذا لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان ينصرهم من العذاب الاليم فيقول لا يجيرهم
تلك الاصنام من العذاب الاليم والله اعلم وقوله عز وجل قل هو الرحمن امنا به فجايز ان يكون معناه ان الذي خلق
الموت والحيوة وخلق سبع سموات طباقا وجعل الارض ذلولا ويعلم السر والجهر هو الرحمن فيكون فيه انه خلق
السموات والارض خالق الموت والحيوة وخالق افعال العباد وافعال الطير هو الرحمن جل جلاله وقوله عز وجل
امنا به اي امنا انه خالق ما ذكرنا وانه متعال عن الاشياء والامثال والبرى من كل عيوب وجايز ان يكون هو اسم
من اسماء الله تعالى على ما ذكر في سورة الاخلاص فيكون هو والرحمن اسمين من اسمايه وقوله عز وجل وعليه توكلنا
فجايز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفه المشركون بانواع من المخاوف فقيل له قل عليه توكلنا اي
اعتمدنا هو الذي يدفع عنا شركم وينصرنا كم وقوله عز وجل فستعلمون من هو في ضلال مبين فجايز ان يكون النسبة
ايضا الى الضلال وادعوا انهم على الهدى ولم ينظروا في ايات الله تعالى ليتيقنوا بها من الضلال فقال فستعلمون
من هو في ضلال مبين اذا جاءكم باس الله تعالى وذلك عند الموت او في الاخرة وقوله عز وجل قل ارايتم ان اصبح
ماؤكم غورا فهذا صلة قوله امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه فيقول ايضا من الذي ياتيكم بماء معين
اذا اصبح ماؤكم غورا والمعين هو الماء الذي يقع عليه العين ويراه المبصر والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ن اختلف في تاويل نون فمنهم من يقول هو الحوت كقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فنسبه
الى النون هو الحوت الا ترى الى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم ومنهم من يقول النون هو الدواة فتاويله هنا
على وجه الموافقة لانه ذكر القلم وما يسطرون فلم يبق هاهنا سوى الدواة فحمله على الدواة على الموافقة لان يجوز فيه
معنى يدل على ارادة الدواة منه والله اعلم ومنهم من يقول هي فارسية معربة النون كن اي اصنع ما شئت يقال هذا عند
لا باس ان المرء اذا ايس عن اخر قال له اصنع ما شئت اذا ومنهم من يقول هو من الحروف المقطعة ويشبه ان يكون هو
المراد لانه ذكر القلم وما يسطر على اثره وانما يكتب بالقلم ويسطر والحروف المعجمة فاخبر تعالى عظيم صنعه ولطفه بانشائه
هذه الحروف وخلق القلم وما يسطر عليه حيث يتوصل بها الى تعرف الحكمة وكل ما يكون به المصلحة من الدين والدنيا بل جعل
قوام الدين والدنيا ومنهم من يجعل كل حرف من الحروف المعجمة اسما من اسماء الله تعالى او افتتاح اسم من اسمائه وكذلك
روى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال ذلك فان كان النون اسما من اسماء الله تعالى فالقسم به قسم بالله تعالى و
ان كان على غيره من الوجوه التي ذكرناها فالقسم جاري بما به قوام ساير الخلق ومصالحهم وقد ذكرنا ان القسم لتاكيد
ما يقصد من الامر والله اعلم وقوله عز وجل ما انت بنعمة ربك بمجنون فموضع القسم هذا اقسم بما ذكر ما انت بنعمة ربك
بمجنون يحتمل وجها احدها اي نعمة ربك حفظتك عن الجنون فنفى عنه الجنون بقوله ما انت بما انعم الله عليك بمجنون
وهذا كما يقال ما انت بحمد الله بمجنون يراد به نفي الجنون والثاني انك لست ممن حدعته النعمة واغتر بها حتى شغلته
عن العمل بما له وعليه والمجنون في النعمة هو الذي غرته النعم والهته عن التزود للمعاد او ما انت بغافل عن نعمة ربك
بل تذكرها وتشكر الله تعالى عليها والمجنون من غفل عن النعمة واعرض عن شكرها ثم الكفرة كانوا ينسبونها الى الجنون
اما لما كان يغشى لثقل الوحي فكانوا ينسبونه لهذا واما لما راوا انه خاطر بنفسه وروحه حيث خالف اهل الارض وفيها
الجبابرة والفراعنة وانتصب لمعاداتهم ومن قال بخلاف من لا طاقة له معه وانتصب لمعاداته فذلك منه في الشاهد
جنون فاجاب الله تعالى الفريقين جميعا اما الاول بقوله قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا
ما بصاحبكم من جنة اي كيف ينسبونه الى الجنون وعند الافاقة من تلك الغشية ياتيهم بحكمه وموعظته يعجز حكماء الجن
والانس عن اتيان مثله وليس ذلك من علم المجانين ولا مما يمكن تحصيله في حال الجنون لان المجنون اذا افاق من غشيته
تكلم بكلام لا يعبأ بمثله ولا يكترث واجاب لمن كان نسبه الى الجنون لما خاطر بروحه ونفسه بقوله ان هو الا نذير لكم بين
يدي عذاب شديد فاخبر ان الذي حمله على المخاطرة بروحه وجسده هو انه مامور بالتبليغ والنذارة فهو يقوم بما امر
وان ادى ذلك الى اتلاف النفس ثم بحمد الله تعالى لم يتهيا للفراعنة ان يقتلوه ولا تمكنوا من المكر به بل اظفره الله تعالى
عليهم حتى قتلهم ورد كيدهم في نحورهم فصار الوجه الذي استدلوا به على جنونه اية رسالته ودلالة نبوته والله
الهادي وقوله عز وجل وان لك لاجرا غير ممنون وقال الحسن اي لا يمن عليك المنة التي تؤذيك ولكن يمن عليك منة رحمة

وكرامة والمن المؤذي كما ذكر عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فليس لاحد عليك منة موذيك وقال بعضهم غير
ممنون اي غير مقطوع اي ان اجرك غير مقدر بالاعمال حتى يجري بعدد الاعمال فاذا انقطعت الاعمال انقطع الاجر
بل تبقى عليك ويقال في الكلام منت الحبل اي قطعته وقال بعضهم اي غير ممنون اي غير محسوب اي لا تحسب عليك
فيها الحساب وقوله عز وجل وانك لعلى خلق عظيم اي خلقه العظيم القران ومعناه ما ادبه القران وذلك كقوله خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وكقوله ادفع بالتي هي احسن وكقوله واخفض جناحك للمؤمنين فاخذ بالعفو والامر بالعرف والاعراض عن
الجاهلين ودفع السيئة بالتي هي احسن وخفض الجناح للمؤمنين من اعظم الخلق وتخلق بهذا كله بما ادبه القران والاخلاق
وقال بعضهم الخلق العظيم هو الاسلام والاسلام هو الاستسلام والانقياد لامر الله تعالى وقد استسلم لذلك وسلم
الناس من لسانه ويده وغير ذلك من انواع الاذى وذلك من اعظم الخلق والاصل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل
اعداء الله تعالى ومعاملة اعدائه ومعاملة اولياء الله وانصاره وكلف بان يرفض الدنيا ويتزهد فيها وكلف معاملة
الصغير والكبير والعالم والجاهل والجن والانس وكلف معاملة نسائه ومن كانت المعاملة مع هؤلاء لم يبق لها الا خلق عظيم
فوهبه الله تعالى خلقا عظيما حتى احتمل المعاملة وقام معهم بحسن العشرة وحتى عوتب على عظيم خلقه بقوله عفا الله
عنك لم اذنت لهم وبقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك وقال فلعلك باخع نفسك
على اثارهم وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فالذي حمله على هذه المشقة وكلفه العظيمة حسن خلقه وفضل شفقته
ورحمة خلقه انه تخلقه حاز وقوى نفسه حتى ضعفت نفسه عما احتمله وكادت تهلك فيه وغيره من الخلق لو بعض
الخلق يهم من قوى انفسهم وانفسهم بمحمل ما صار ما عليه من الخلق وانه في ذلك فيهم عن ذلك قال قوم هو الذي ذكرناه هو
النهاية في العظم وبالله التوفيق وقوله عز وجل فستبصر ويبصرون بايكم المفتون قال بعضهم من حرف الفتون
في هذا الموضع هو المفتون هو فتونه للمجهول المسعوف بجهله وقال الحسن المفتون هو الذي مسه الشيطان
وقيل المفتون من به الفتنة كما يقال فلان لا معقول له اي ليس له عقل وقيل المفتون المعذب كقوله عز وجل يوم
هم على النار يفتنون اي يعذبون فكانه يقول سيعلمون ايكم المعذب وايكم الضال على ما ذكر الحسن وايكم هو
المفتون وان كان معناه على ما ذكرنا ان المفتون وجائز ان يكون نسبوه الى الاعتراف بما كان يدعي من الرسالة وترغيب
انه مفترى ويقول بما عرفه كان المنافقون ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ومن هذا عندنا انه لا ينبغي تفسير
لانه قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فذكر حجاجهم وقعت فيه الخصومة فكانوا يزعمون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو المفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر انهم هم المفتون فيخرج هذا حجاجا بين تلك الخصومة
انهم وانت ستبصرون وقد وقعت الخصومات من اوجه فمرة ادعوا انه مجنون ومرة بانه شاعر ومرة انه مفتر ونحوها
من الوجوه فاذا ثبت انه لا يتوثبت فحق الجواب قام بما يعلم بان الخصومة ثم كانت لم يعلم انه ما اشرف الجواب والله اعلم
فيشبه ان يكون خصومة المواقعة في الضلال والهدى فكانوا يدعون انهم على الهدى وانهم بالله احق واليه اقرب من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعي انهم على الضلال وانه على دين الحق والهدى يدل على ذلك
ذكر الضلال والهدى بعد ذكر المفتون وهو قوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ثم هذه الاية كانت
نزلت جوابا من الله تعالى عن المحاجة بمثله الجواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى اسمعهم رسوله صلى الله
عليه وسلم العفو والاعراض عن المكافات بالجواب ثم تولى الله تعالى الجواب عنه بقوله تعالى ان ربك هو اعلم اي قد تعلمون
ان ربكم اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وسيبين لكم ذلك وقوله عز وجل فلا تطع المكذبين قال في قوله
لا تطع نهي عن طاعة المكذبين وفي قوله فلا تطع المكذبين امر من الله تعالى بان يطيع المصدقين من صدقه وامن به
لا يجوز ان يتقدم بين يديه بامره او ينهاه عن امره ويدعوه الى الطاعة بل ينظر الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهيه فيأتمر بامره ويطيعه فيما يدعوه اليه واما من كذبه فقد يدعوه الى الطاعة فخص ذكر المكذبين عند ما نهاه عن
طاعته لان الدعاء الى الطاعة يوجد لا من المصدق ودون ان يتضمن قوله فلا تطع المكذبين امرا بطاعة المصدق
وهو كقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق فليس فيه انهم اذا لم يخشوا الاملاق يسعهم قتله ولكنه خص
تلك الحالة لان تلك الحالة هي التي كانت تحملهم على القتل ولم يكونوا يقدمون على القتل عند الامن من الاملاق
وفي هذه دلالة ابطال قول من قال بان تخصيص الشيء بالذكر يدل على ان الحكم فيما عداه بخلافه والله اعلم وقوله
المكذبين هم المكذبون بايات الله تعالى او بوحدانيته او برسله او بالبعث ثم يجوز ان يكون هذا الامر منهم في اول
الاحوال فكانوا يطمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجابة لهم فيما يدعون اليه اذ كانوا يرجون منه
الموافقة لهم بما يبذلونه له من المال فيكون النهي راجعا الى ذلك الوقت فاما بعد ما ظهرت منه الصلابة في
الدين والتشمير لامر الله تعالى فلا يحتمل ان يطيعهم او يخاف منه ذلك فينهى عنه وجائز ان يكون دعاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم مما ذكر من قولهم ودوا لو تدهن فيدهنون ودوا المداهنة هي الملاطفة والملاينة في القول

في رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الهتهم بسوء ويسفههم بعبادتهم اياها ويسفه احلامهم في
تجهيلهم وهم لم يكونوا يجدون في رسول الله صلى الله عليه وسلم مطعنا فكانوا ينسبونه الى الكذب مرة والى الجنون
ثانيا والى السحر [illegible] وكانوا يتخذونه هزوا اذا راوه يطعنون فيه من هذه الاوجه بازاء ما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسفههم ويذكر الهتهم بسوء مع علمهم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن الا ترى الى قوله تعالى
قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك فاخبر تعالى انهم ليسوا يكذبونه لما وقفوا منه على الكذب بل
لما كانوا عرفوه بالامانة والصدق ولم يكونوا وقفوا منه على كذب قط وانما الذي حملهم على التكذيب واتخاذهم
اياه هزوا ذكر الهتهم بسوء وكذلك قال واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم فكانت هم
معاملتهم هذه مجازاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ودوا لو تدهن فيدهنون يخرج على هذا
ان شاء الله تعالى هو انك لو تركت ذكر الهتهم بسوء ولم تسفه احلامهم لامتنعوا ايضا عما هم عليه من
نسبتهم اياك الى الجنون والسحر والكذب وغير ذلك ولكنه كان يذكرهم وهو في ذلك محق وهم كانوا يذكرونه
بما كانوا بالباطل فالزم فيكون قوله لا تطع المكذبين فيما يدعونك الى المداهنة ثم هم لو داهنوا كانوا في مداهنتهم
محققين فاذا تركوا ذلك فقد تركوا الحق الذي كان عليهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم لو داهنهم لم يكن
في مداهنتهم محقا فلذلك نهى عن المداهنة وقال بعض المفسرين ودوا لو تدهن فيدهنون اي لو ترخص فيرخصون
بما انت عليه من الدين وهذا لا يستقيم لانه اذا رخص ما هو عليه من الدين كفر وهم لو تركوا ما هم عليه صاروا مسلمين
فيبقى منهم الاختلاف فالذي لاجله ما دعوا الى المداهنة ما ذكرنا وقوله ولا تطع كل حلاف مهين قيل بان هذه الايات نزلت
في واحد يشار اليه وهو الوليد بن المغيرة المخزومي وفيما يشار الى واحد لا يطلق فيه لفظة كل فيقال ولا تطع كل حلاف
مهين والحلاف المهين ليس الا الواحد ولكن معناه لا تطع هذا وكل من يوجد فيه ثم ذكر المرء بقوله حلاف مهين
هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم يخرج مخرج الهجاء والشتم في الشاهد لان ذكر المرء بما هو عليه من ارتكاب الفواحش
والمساوي الجبن له وشتم وحاش الله ورسوله ان يقصدوا الى الشتم انسان فالاية ليست في تثبيت فواحشه ولكن
هي في موضع التوبيخ والزجر عن اتباع مثله وذلك انه كان من رؤساء الكفرة وممن بسطت عليه الدنيا فكان القوم
يتبعونه وينقادون له فيما يدعوهم الى الصد عن سبيل الله فذكر الله تعالى فيه هذه الاشياء واظهرها للخلق ليزهدهم
عن اتباعه اذ كل من كانت فيه هذه الاحوال لم تسخ نفس عاقل لاتباعه ولا احتمل طبعه طاعة مثله فلو تمكن من صد
الناس عن سبيل الله تعالى فكان في ذكره بالعيوب التي ذكرها زجر الناس عن طاعته فذكرها لاثبات هذا الوجه لا
ان يكون فائدتها على تحصيل الشتم والهجاء وكذلك ذكر ابا لهب بالتب والخسار وما هو عليه من الفواحش ليزجر
الناس عن اتباعه وفي هذه دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الوجه الذي ذكره في سورة تبت ان شاء الله تعالى ثم قيل
المهين من المهانة من الوهن وهو الضعف ثم قوله هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم جائز ان يكون استوجب
المهانة لكونه هماز مشاء بالنميم ومنعه الخير واعتدائه فيكون هذا كله تفسير المهين فان كان هكذا فقوله
المهين من المهانة ههنا ثم لا يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى عليه طاعة ومن هذا وصفه
وان يميل قلبه اليه ولكن النهي لمكان غيره وان كان هو مشارا اليه بالذكر وجائز ان يكون قوله كل حلاف
مهين تمام الكلام ويكون قوله هماز مشاء بنميم على الابتداء فكانه يقول لا تطع كل حلاف مهين وكل هماز مشاء
بنميم وكل معتد اثيم وكل عتل زنيم وتفسير الهمز يذكر في تفسير سورة الهمزة ان شاء الله تعالى والمشاء بالنميم
هو الذي يسعى في الفرقة من الاخوان ويقوم فيما بينهم بالقطيعة والمناع للخير قال بعضهم انه كان يمنع اهل
الافاق من كان يحضره عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انه ضال مضل فقيل مناع لهذا ومنهم من
ذكر انه كان يمنع ولده من الاختلاف الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجائز ان يكون منعه للخير هو
امتناعه عن اداء حقوق الله تعالى الواجبة في ماله وقوله عز وجل معتد اي معتد حدود الله تعالى او ظالم لنفسه
وقوله عز وجل اثيم الاثيم هو مرتكب لما يأثم به وقوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم العتل الفظ الغليظ والشديد
الظلوم وقيل هو الفاحش اللئيم الضريبة وقال مجاهد العتل الشديد الاشر الخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم فقال رجل من المسلمين يا رسول الله وما الجواظ
والجعظري والعتل الزنيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الجواظ والذي جمع ومنع تدعوه لظى نزاعة
للشوى واما الجعظري والفظ الغليظ قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
واما العتل الزنيم هو الشديد الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس واما
الزنيم هو الداعي الملصق بالقوم الملحق في النسب واستدلوا على ذلك بقول الشاعر زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام
ذو حسب لئيم ويقول اخر زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع ومنهم من قال انه كانت به زنمة

في الاصل اذنه يعرف بها ومنهم من يقول الزنيم هو المعلم في الشر ولقائل ان يقول اذا كان تاويل ما ذكر في
الخبر ومعنى الزنيم الدعي وما ذكر من العلامة فكيف عير بهذه الاشياء ولم يكن له في ذلك صنع والمرء انما يعير بما له
فيه صنع لا بما لا صنع له فيه فيجاب عن هذا من وجهين احدهما ما ذكرنا ان ذكره بما فيه من العيوب لم يكن المذكور نفسه
ولكن الزجر عن اتباعه لان من اشتمل على العيوب التي ذكرها وكان مع ذلك [illegible] فانفس الخلق تابى عن اتباعه
[illegible] بغيره بما انشئ عليها ما ذكرنا من الحكمة لا لتعييره والثاني ان ذكر اصله كناية عن سوء فعله ليعلم ان خبث الاصل
يدعو الانسان الى تعاطي الافعال الذميمة وصحة الاصل وحسبه وتفاوته يدعو صاحبه الى محاسن الاخلاق والى
الافعال المرضية وقوله عز وجل ان كان ذا مال وبنين فيحتمل ان من يتبعه لكثرة امواله وبنيه وذلك ان كثرة المال
للانسان من اعظم ما يستدعي قلوب الخلق الى تعظيمه فذكر ما فيه من العيوب والمساوي لئلا يشتمل تلك الصفة
الى نفسه بماله فيقول كيف يتبعونه وهو بهذا الوصف الذي وصفه الله تعالى ثم اخبر عن معاملته رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وان كان عاما بظاهره لكن لم يرد به العموم لان
هذا الاساطير الاولين ليس في كل الايات وانما هو في الايات التي هو في حق الاخبار عن الامم السالفة واما اذا
تليت عليه الايات التي فيها دلالة اثبات الرسالة ودلالة التوحيد ودلالة البعث فقوله فيها ما قال في سورة
المدثر ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر وهذا دليل على انه لا يجب اعتقاد ظاهر العموم ما لم يعلم يقين
والله اعلم وقوله عز وجل سنسمه على الخرطوم فيحتمل شينا لا يفارقه فجائز ان يكون جعل هذا في الدنيا لكي يعلمه ويذكره
من راه فيجتنب صحبته فهو شينا من هذا الوجه فيخرج هذا مخرج العقوبة لشنيع تعنته على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعظيم اذاه له وجائز ان يكون هذا في الاخرة فيجعل الله تعالى علما في انفه علما يتبين به ويمتاز من غيره يوم القيمة
زيادة له في العقوبة كما جعل لاكلي الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وجائز ان يكون
يشتم خرطومه خصوصا من بين الكفرة فيحشر ولا انف له لانه ذكر ان سائر الكفرة يحشرون يوم القيمة بكما وعميا
وصما ولم يذكر في انوفهم شينا فجائز ان يكون يحشر ولا انف وذلك هو النهاية في القبح والله اعلم وقوله عز وجل
انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون اهل مكة ابتلوا بالاحسان الى اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما ابتلي اصحاب الجنة بالاحسان الى المساكين فحل بهم من البلاء ما ذكر لامتناعهم عن الايثار فذكر
اهل مكة انهم ان امتنعوا عن الاحسان الى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم حل بهم ما حل باولئك وقد وجد منهم الامتناع
فابتلوا بسنين كسني يوسف حتى اضطروا الى اكل الجيف والاقذار ثم ان اصحاب الجنة لما مسهم العذاب وايقنوا به
انابوا الى الله وانقلعوا عن مساويهم فتاب الله عليهم ورفع الله البلاء عنهم واهل مكة تمادوا في غيهم و
لم يتوبوا فانتقم الله منهم بالقتل يوم بدر في الدنيا ويسيرهم الى العذاب في الاخرة وجائز ان يكون الله تعالى
لما اعزهم وشرفهم وصرف وجوه الخلق اليهم امتحنهم بتبجيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فيما
[illegible] صحبته عليهم بما ذكرنا ووسع على اصحاب الجنة فامتحنهم بما وسع عليهم بان يوسعوا على غيرهم فلما
امتنعوا عن ذلك عوقبوا بزوال النعمة عنهم وعوقب هؤلاء بزوال العز عنهم واذاقهم الله تعالى لباس الجوع و
الخوف والله اعلم وقوله عز وجل اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين فقوله مصبحين اي لاول وقت ينسب الى الصباح
وذلك يكون في اخر الليل كما يقال ممسين لاول وقت ينسب الى المساء واذا كان كذلك فالانصرام يقع بالليل
الا ترى الى قوله ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وهم لا يملكون بعد مضي الليل منع المساكين عن الدخول وقوله
عز وجل ولا يستثنون قيل اي لا يقولون ان شاء الله وقيل لا يقولون سبحان الله فان كان على هذا ففيه ان التسبيح
كان مستعملا في موضع الاستثناء وقد يجوز ان يؤدي معنى الاستثناء لان في تنزيه الرب تعالى وفي الاستثناء معنى التنزيه
لان فيه اقرارا ان الله تعالى هو المعين للاشياء والمحدث لها ثم اصحاب الجنة بقسمهم قصدوا واقصدوا بحقهم العصيان فيه
وكان عهدهم الذي عاهدوا عليه معصية وعوتبوا بتركهم الاستثناء ففيه دلالة ان الله تعالى يوصف بالمشيئة
لفعل المعاصي ممن يعلم انه يختارها لانه لو لا يوصف به لم يكن لمعاتبته اياهم بتركهم الاستثناء معنى اذ لا يكون
استعمال الاستثناء فيما لا يجوز ان يوصف به الرب جل وعز الا ترى انه لا يستقيم ان يقال ان شاء الله جاز وان
لم يشأ لم يفعل وان يشأ لم ياكل فلو لم يوصف ايضا بالاضلال من يعلم منه انه يؤثر الضلال لم يجز ان يلزموا
على تركه الاستثناء فيه والذي فيه يدل على صحة ما ذكرنا قوله من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط
مستقيم فتبين انه يشاء اضلال من ذكرنا وفيه ان الخلق للشيء غير ذلك الشيء لانه يستقيم ان يوصف الله
تعالى بالاضلال ولا يجوز ان يوصف بالضلال وان كان الاضلال خلقا له ويوصف انه المحيي والمميت فلا يستقيم
ان يقال ان شاء حي وان شاء مات وان كان هو الذي خلقهما ثم ليس في قوله اذ اقسموا ليصرمنها ان قسمهم كان
بالله فان كان بغير الله تعالى ففيه ابانة ان القسم قد يكون بغير الله تعالى وان كان قسمهم بالله تعالى ففيه حجة

لابی یوسف علی ابی حنیفة رحمهما الله ان الیمین اذا کانت موقتة فان هلاک الشیء المحلوف بها قبل مضی وقتها لا
یسقط الیمین بل یبقی بحیلها ویلزم علی صاحبها حکم الحنث اذا مضی وقتها لان الثمر الذی حلفوا علی صرمه قد هلک
قبل الوقت الذی اوجب فیه الصرم فلو کانت الیمین یسقط عنهم بهلاک الثمر لم یکونوا یحتاجون الی الاستثناء
لان الحاجة الی الاستثناء لاسقاط المؤنة التی یلزم بالحنث فی الیمین فلو کان هلاک الثمر مسقطا للیمین
ومؤنة الحنث لاستغنوا عن الاستثناء فلما الحقتهم اللائمة بترکهم الاستثناء دل ان المؤنة تبقی علیهم اذ لم یرث
عن الاستثناء وان کانت موقتة ولکن ابو حنیفة رحمه الله یسقط عنه الیمین بهلاک الشیء المحلوف علیه
اذا کانت یمینه بالله تعالی ولا یسقطها اذا کانت بشیء من القرب والطاعات اعنی النذر ولیس فی الایة
انا نزان یمینهم کانت بالله تعالی فانه یجوز ان یکون یمینهم بشیء من القرب فبقیت علیهم ولانه عاتبهم علی ترک الاستثناء
تسقط اللزمة لان من عزم علی المعصیة وقال فیه ان شاء الله لم یصر اثما بما قال الله ولا صار عازما علی المعصیة
وابو حنیفة لیس یخرجه عن المعصیة فی الیمین موقتة اذا عقدت من امور المعصیة والذی یدل علی ان
العتاب فی ترک الاستثناء للوجه الذی ذکرنا انه لم یذکر فی شیء من الاخبار ولا انه ذکر فی الکتاب ان
احدا منهم امر بالتکفیر ولو کان الحنث لازما لکانوا یلومون علی ترک التکفیر ایضا کما الحقتهم الملامة بترک الاستثناء
والله اعلم وقوله عز وجل فطاف علیها طائف من ربک وهم نائمون طائف من ربک قیل عذاب ربک وسمی طائفا
لانه اتاهم باللیل فهو طائف وقوله عز وجل فاصبحت کالصریم قیل ای الجنة کانها صرمت وهم اصبحوا لیصرموها
وقوله عز وجل فانطلقوا وهم یتخافتون قیل یتسارون فیما بینهم فیجوز ان یکون مسارتهم کانت فی الامر بالاسراع
فی المشی لان لا یشعر بهم المساکین او یتعجلوا فی الخروج والمشی قبل الوقت الذی یصبح فیه المساکین
وقوله عز وجل وغدوا علی حرد قادرین فمنهم من ذکر ان اسم جنتهم کان حردا وقیل غدوا علی امر قد اسسوا
فیما بینهم وقال الزجاج الحرد له اوجه ثلاثة احدها القصد واستدل علیه بقول الشاعر اقبل سیل کان
من امر الله یحرد حرد الجنة المغلة ای یقصد قصدها والثانی هو المنع یقال احردت السنة اذا منعت و
رکتها والثالث الغضب فغدوا علی حرد قادرین ای علی غضب علی الفقراء وقوله قادرین علیها فی انفسهم
ولقائل ان یقول بان هذه الایة دلالة تقدم القدرة علی الفعل لانه اثبت لهم القدرة قبل الفعل ولکن هذه
القدرة لیست هی قدرة الافعال وانما هی قدرة الاسباب والاحوال وقوله عز وجل فلما راوها قالوا انا لضالون
ای قد ضللنا الطریق فکان عندهم انهم قد ضلوا الی ثمارها ظهر لهم انهم لم یضلوا الطریق بل حرموا برکة ثمارها بجنایتهم
التی جنوها فتذکروا صنیعهم وندموا علی ذلک فاقبلوا بالاستکانة والتضرع الی الله تعالی فتاب علیهم فعلی الذی قال
انا بلوناهم کما بلونا اصحاب الجنة یخرج علی هذا وهو انا بلونا اصحاب الجنة فتذکروا فرفع عنهم العذاب ولم یتذکر اهل
مکة فحل بهم العذاب یوم بدر فقال استکانوا لربهم وما یتضرعون وقوله عز وجل قال اوسطهم ای اعدلهم
وقوله عز وجل الم اقل لکم لولا تسبحون جائز ان یکون معناه لولا هم یصلون الخمر یخرجون وجائز ان یکون معناه
معناه لولا تستثنون وقد ذکرنا ان فی الاستثناء معنی التسبیح لانه اقرار بان الامور کلها تنفذ بمشیئة الله تعالی
وانه هو المغیر والمبدل دون احد سواه وقوله عز وجل قالوا سبحان ربنا فهذا منهم توحید وتبرئة وفی قوله انا کنا ظالمین
اعتراف بما ارتکبوا من الذنوب وانابة الی الله وتمام التوبة منهم فی قوله فاقبل بعضهم علی بعض یتلاومون قالوا یا ویلنا
انا کنا طاغین وذکر المفسرون فی قوله فاقبل بعضهم علی بعض یتلاومون ای اقبل بعضهم علی بعض باللوم تقول انت امرتنا
ان نصرمها لیلا وقال هذا لهذا بل هو عملت انت وهذا لا معنی له لان هذا یوجب تبرئة کل احد منهم عن ارتکاب الذنوب
وقد سبق منهم الاقرار بالذنب بقوله قالوا سبحان ربنا انا کنا ظالمین وبقولهم قالوا یا ویلنا انا کنا طاغین فکیف
یبرئون انفسهم عن الذنوب وقد اعترفوا بها فهذا تاویل لا معنی له بل معناه والله اعلم فاقبل بعضهم علی بعض یتلاومون
علی ادخال کل منهم بنفسه فی ذلک القوم او اقبل کل واحد منهم بالاویة علی نفسه حتی یکون هذا موافقا لقوله انا
کنا طاغین ففی هذا تمام التوبة فقیه انهم اظهروا الندامة علی ما سبق منهم من اوجه ثلاثة مرة بما وصفوا انفسهم بالظلم
ومرة بالاسوال انفسهم ومرة بما وصفوا انفسهم بالطغیان وقوله عز وجل عسی ربنا ان یبدلنا خیرا منها ای یبدلنا
خیرا منها اذ انبنا الی ربنا لانه لا یجوز ان یتوقعوا خیرا منها وهم مصرون علی ذنوبهم اذ قد عرفوا انهم انما حرموا برکة ثمارها
بما ارتکبوا من الذنوب فثبت ان معناه ما ذکرنا ویحتمل ان یکون هذا فی الاخرة یقولون عسی ربنا ان یبدلنا خیرا منها
فی الاخرة اذا تبنا وانبنا الیه والله اعلم وقوله عز وجل انا الی ربنا راغبون الی ما عند ربنا من العطایا والمنن راغبون
والی ما وعد ربنا للتائبین من الذنوب لراغبون وقوله عز وجل کذلک العذاب کانه یخاطب اهل مکة ان فی الدنیا فات
باخذ اهلها کما کانوا اغفل ما کانوا کما اخذ اصحاب الجنة عند الامن اذ کان عندهم انهم یغدون علی صرم ثمارها و
لا یفوتهم وقوله عز وجل ولعذاب الاخرة اکبر لو کانوا یعلمون ففی هذا الکتاب العذاب علی من لم یعلم بالعذاب ولم یؤمن به

لانهم لم یؤمنوا بعذاب الاخرة ولا علموا به ثم اوجب لهم العذاب وان لم یعلموا ولم یعذروا بالجهل لانهم قد وقفوا علی
السبب الذی لو تفکروا لعلموا بالعذاب ولایقنوا به وفی هذا حجة ان لا عذر لمن تخلف عن التوحید والایمان بالله تعالی
وان جهل الا ان یکون جهله جهل خلقة لان الذی به الی الجهل هو التقصیر فی الطلب والا لو لم یقصر فی الطلب لوجد
من یدله علی معرفة الصانع ووحدانیة الرب تعالی وقوله عز وجل ان للمتقین عند ربهم جنات النعیم وفیه ترغیب لمن
لزم التقوی وهو الاسلام وقوله عز وجل افنجعل المسلمین کالمجرمین افنجعل من جعل کل شیء سوی الله تعالی سالما
لا یشرک فیه احدا کالذی احرم فجعل فی کل شیء سالم له شرکا فی العبادة والتسمیة او بین الله تعالی انه ولی المؤمنین وعدو
المجرمین فتقول ایمن عمر اعدائی ان اسوی بینهم وبین الاحباء والجمع بینهم لا یحتمل ذلک لان فیه تضییع الحکمة لان الحکمة
توجب التفرقة بین العدو والولی وفی الجمع بینهما تضییعها وقوله عز وجل ما لکم کیف تحکمون فی ان اجعل عدوی بمنزلة
ولی او ولی بمنزلة عدوی او ای شیء حملکم علی حکمکم هذا ودلکم بانکم بهذا الحکم کتاب ولا معقول یوجب ذلک فکیف
تحکمون ذلک او کیف تحکمون بالجور علی زعمکم لان من الجور ان یجمع بین الولی والعدو فی دار الکرامة ثم قوله افنجعل
المسلمین کالمجرمین یستقیم ان یجعل هذا جوابا للفریقین لم ینکر البعث انه شریک اهل الاسلام فی الاخرة فیما یکرمون
من النعیم فمن انکر البعث فالاحتجاج علیه بهذه الایة هو ان العقل یوجب التفرقة بین الولی وبین العدو والشکور فانتم اذا
انکرتم البعث فقد زعمتم علی الله تعالی انه یجعل المسلمین کالمجرمین والکفور کالشکور والعدو کالولی ومن فعل هذا فهو
سفیه لا یصلح ان یکون حکیما ففی انکار البعث تحقیق السفه واثبات الجور لان من الجور ان یجمع بین الولی وبین العدو فی
الجزاء ومن ادعی الوجه الاخر وهو التسویة بین الفریقین لما تساویا فی منافع الدنیا ومضارها وفی لذاتها وشدائدها
وبلیاتها فعلی ذلک یکون امرهم فی الاخرة فجوابهم فی ذلک ان الدنیا هی دار یظهر فیها العدو من الولی والشکور من
الکفور والاخرة دار جزاء العداوة والولایة فجائز ان یقع فیما فیه ظهور الولایة والعداوة اتفاق ولا یجوز وقوع الاتفاق
فیما فیه الجزاء لان الجزاء العداوة سبقت والولایة سبقت والحکمة توجب التفرقة بین الجزاءین فلا یجوز ان یجعل المسلم
فیه کالمجرم لما فیه من تضییع الحکمة ولیس فی المحنة معنی یوجب التفرقة بینهما فی المحنة فجاز ان یقع بینهما الاتفاق فی
ذلک ولانه لو کان تفرق بینهما فی الدنیا لکانت المحنة تخرج عن حدها فالدنیا هی دار المحنة وانما قلنا ان فیه اخراج المحنة
عن حدها لان المحنة تکون علی الرجاء والخوف والرغبة والرهبة فلو فرق بین العدو والولی فی الدنیا فوسع
علی الاولیاء وضیق علی الاعداء لوقع اختیار وجه الولایة علی الضرورة لان من علم انه یضیق علیه اذا اختار وجه
العداوة ویحل علیه العذاب ترک ذلک الوجه ومال الی الولایة فیرتفع وجه المحنة فلذلک جاز ان یجمع بین الولی
والعدو فی دار المحنة فیبقی وجه الحکمة بحاله ولم یجز ان یجمع بینهما فی الاخرة لانها دار جزاء والعقل یوجب تفرقة جزائهما
والله الموفق وقوله عز وجل ما لکم کیف تحکمون فی حکم الحکماء بالسفه حیث تزعمون انه یجمع بین الولی والعدو فی الجزاء
وذلک من اعلام السفه او کیف تحکمون فی احکام الحاکمین واعدل العادلین بالجور اذ تزعمون انه یجمع بین الفریقین فی دار
الکرامة ومن الجور ان یجمع بینهما وهم کانوا یقرون ان الله تعالی احکم الحاکمین وقوله عز وجل ام لکم کتاب فیه تدرسون
فی جهنم اولا بما یوجبه الحکمة وهو انکم تعلمون ان الحکم یوجب التفرقة بینهما فان کنتم تدعون الجمع فیما بینهما بالحکمة فانتم
تعلمون ان الحکمة توجب التفرقة بینهما وان کنتم تدعونها ذلک من کتاب فای کتاب من عند الله جاءکم فیوجب التسویة
بینکم وبین الاولیاء وای رسول اخبرکم انکم تساوون الاولیاء فی نعیم الاخرة ثم وجه المحاجة بالکتاب هو ان مشرکی العرب
لم یکونوا یؤمنون بالکتاب ولا بالرسل ولو کانوا یؤمنون بهما لکانوا یقدرون ان یقولون ان لنا کتابا درسناه فوجدنا فیه
ما نذکر وندعی ورسول قد اخبرنا بذلک ولکنهم اذا کانوا لا یؤمنون بهما صار هذا الوجه الذی ذکره الله تعالی حجة لازمة
علیهم والله اعلم وقوله ان لکم فیه لما تخیرون ای وفی ذلک الکتاب تجدون ان لکم فیه لما تخیرون وقوله ام لکم ایمان علینا
بالغة الی یوم القیمة ان لکم فیه لما تحکمون وهذا ایضا صلة الاول ای هل شهدتم الله تعالی اقسم لکم انه هکذا کما تحکمون
وهذا کقوله تعالی ام کنتم شهداء اذ وصاکم الله بهذا فاخذهم بالمقایسة اولا وهو کقوله تعالی قل الذکرین حرم ام الانثیین
فلما لم یتهیأ لهم تثبیت ذلک بالقیاس والمعقول احتج علیهم بقوله ام کنتم شهداء اذ وصاکم الله بهذا وقد عرفوا انهم
لم یشهدوا وما ادعوه لا ثبات له الا من الوجوه التی ذکرها واذا لم یثبتوا بشیء من ذلک تبین عندهم فساد دعواهم
فهذا ایضا مثله وهو انه سالهم عن ایراد الحجة اما من جهة الحکمة او من جهة الکتاب او من جهة الشهادة فاذا لم یثبت
لهم واحد من هذه الاوجه فبای وجه یشهدون علی الله تعالی انه یفعل ذلک وقوله عز وجل بالغة ای وکیدة او بلغت
الیکم عن الله تعالی وقوله عز وجل سلهم ایهم بذلک زعیم بقوله فانهم تعنتوا مع هذا کله فی ان یدوموا علی دعواهم من
غیر حجة تشهد لهم فسلهم ای اطلبهم بالزعیم ای من یکفل لهم ان الامر کما یزعمون وقوله عز وجل ام لهم شرکاء فلیاتوا
بشرکائهم ان کانوا صادقین ای شرکاء تشفعون لهم یوم القیمة وقال بعضهم ام لهم شهداء من عندهم کتاب یشهد
لهم بما یذکرون وقوله عز وجل یوم یکشف عن ساق ای یکشف عن موضع الوعید بالشدائد والاهوال والشدة

وسمى الساق ساقا هذا لان الناس شدتهم فى سوقهم اذ بها يحملون الاحمال فكنى بالساق عن الشدة وقيل ايضا بانهم
كانوا اذا ابتلوا بشدة وبلاء كشفوا عن سوقهم فكنى بذكره عن الشدة لا ان يراد بذكر الساق تحقيق الساق والله اعلم وقوله
عز وجل ويدعون الى السجود فلا يستطيعون يحتمل ان يكون هذا على دعاء الحال ويحتمل ان يكون على دعاء الامر واما دعاء الحال
فهو ان من عادات الخلق انه اذا اشتد بهم الامر وضاق فزعوا الى السجود فجايز ان يكون ما حل بهم من الاحوال والشدايد يدعوهم
الى السجود فيهمون بذلك فلا يستطيعون فيكون قوله ويدعون الى السجود اى يدعوهم الحالة الى السجود فهذا دعاء الحال و
جايز ان يومروا بالسجود فيمتحنوا به ثم ان كان التاويل على الامر فيحتمل ان يكون ذلك يوم القيمة وجايز ان يكون وقت الموت
وان كان على دعاء الحال فذلك يكون عند الموت ثم الامر بالسجود يحتمل وجهين احدهما ان يكون على حقيقة الفعل ويحتمل
ان يكون على الاستسلام والخضوع اذ السجود فى الحقيقة هو الخضوع والاستسلام وكل سجود ذكر فى القران واريد به عين
السجود فليس يجب تلاوة تلك السجود وكل ما اريد منه الاستسلام والخضوع فهو الذى يجب تلاوته السجود ثم ان ذلك
فى اهل الكفر فانما يراد منهم الاستسلام بالاعتقاد ليس بعين واهل الاسلام قد وجد منهم الاستسلام بالاعتقاد فلزمهم
ان يستسلموا من جهة الفعل فجايز ان يكون هذا لما عاين الشدايد والافزاع استسلم لله تعالى وخضع له فلم يقبل ذلك منه
لان تلك الدار دار جزاء وليست بدار محنة والثانى ان السجود هو بذل النفس لما طلب منه طايعا واذا اشرف المرء على
الموت طلب منه فى ذلك الوقت بذل روحه لما يعلم انحصره اذا قبض الى العذاب فكره اشد الكراهة كما قال عليه الصلوة
والسلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال ذلك عند الموت فهو لما يرى من المكروه يحل به بعد الموت يكره قبض روحه فيكون قوله فلا يستطيعون ان كان
المراد من قوله ويدعون الى السجود عند الموت على ذلك والمؤمن اذا راى ما اعد له من الكرامات ود ان يقبض روحه ليصل
الى الكرامات وان كان هذا بعد البعث واريد من السجود حقيقته ففيه تذكير لهم انهم لم يكونوا يمتحنون فى الدنيا
بالسجود لمنفعة تصل الى الله تعالى او لحاجة له الى ذلك وانما امتحنوا بالسجود لمكان انفسهم اذ لو كان الامتحان
لمنفعة ينال الله تعالى لما كانوا يمتنعون عنه فى القيامة والله اعلم وقال كثير من اهل الكلام لا يجوز ان يمتحنهم الله تعالى بعد البعث
بالسجود اذ تلك الدار ليست بدار محنة وانما الامر بالسجود يخرج مخرج التوبيخ وكذلك زعم جعفر بن حرب ان هذا على التوبيخ
يقال للرجل اذا كان مكثرا فذهب ماله ولم يؤد الزكوة فى حال يسره حج وذلك لان ليس يراد به ان ادخل الفعل
ولكن يريد به تذكره وتوبيخه فهذا الذى قالوه محتمل ويحتمل ان يمتحنوا بالسجود للوجوه التى وهو ان يظهر عند
الممتحنين ان منافع سجودهم راجعة اليهم لا الى الله تعالى وقوله عز وجل فلا يستطيعون للاشتغال التى حلت بهم في
الافزاع التى ابتلى بها وقوله عز وجل وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون ففيه ان الفرايض انما تجب عند سلامة
الاسباب والله اعلم وقوله عز وجل فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث فجايز ان يكون الحديث هو القران وجايز ان يكون
ما بين البعث وهو الغالب ان يكون هو المراد وقوله عز وجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال القتبى الاستدراج هو
الادنى من المهلكة درجة فدرجة حتى يهلك وقيل سنستدرجهم اى ننعم عليهم وننسيهم شكرها بالاملاء وبتركهم
العذاب والهلاك امرهم كما كانوا وقوله عز وجل واملى لهم ان كيدى متين والاصل ان الكيد والمكر والاستدراج يقتضى
معنى واحدا وهو ان ياخذ من وجه امنه ويراقب وجوه هلاكه وهو يستعمل فى الخلق على وجه يذم اهله فهو فيما
الى الله تعالى ليس على جعل ذلك اسما له اذ لا يجوز له ان يسمى ماكرا كايدا مستدرجا وانما يضاف اليه فى حق الجزاء بالاسم
ما له الجزاء السيئة سيئة وان لم يكن الجزاء سيئة وكما يسمى جزاء الاعتداء كذلك سمى جزاء الكيد كيدا على هذا المعنى
لا ان يكون ذلك منه كيد فى الحقيقة او يقول بان الذم انما يلحق الماكر والكايد اذا استعمله فى وليه وصفيه
فاما اذا اكر بعدوه وكاده فذلك مما لا باس به ولا يذم عليه فاعله وما اضيف من الكيد الى الله تعالى فذلك حال باعدائه
ليس باوليائه فلم يكن فيه الحاق معنى مكروه بالله تعالى ثم الاصل ان ينظر فى الفعل لما اذا اضيف الى الله تعالى بحقيقة
ام بمجاز فان كانت الاضافة بحق المجاز فلا يجعل ذلك اسما له لانه لا يجوز ان يقال هو كاتب نافخ روح ولا كايد و
لا ماكر اذ لا يتحقق ذلك منه وما كانت اضافته لاجل التحقيق فانه يستقيم ان يسمى به لانه يستقيم ان يسميه منعما
متفضلا خالقا رحمانا اذ الانعام والافضال والخلق موجود منه وقوله عز وجل متين اى قوى ثابت فقوله تعالى ان كيدى
متين اى كيدى لاوليائى على اعدائى ثابت ليس ككيد الاعداء لان كيد الاعداء بكيد الشيطان وكيد الشيطان كان
ضعيفا والاصل ان الكيدى الذى اضيف الى الله تعالى حق والحق قوى ثابت لا مدفع له وكيد الشيطان باطل وليس
للباطل قرار بل هو كما قال الله تعالى اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقوله عز وجل ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم
مثقلون الاصل ان الرسل عليهم السلام لم يكونوا يدعون الخلق الى ما يستثقله عقل او طبع بل كانوا يدعونهم الى
ما يخف ويسهل على الطبع والعقل الاجابة له لانهم يدعونهم الى التوحيد وهم كانوا يعبدون غير واحد من الالهة وعبادة
الواحد ايسر من عبادة وكانوا يدعونهم الى الصدق والى مكارم الاخلاق والاجابة لمثله امر يسير فثقل اعلت عليهم

اجرا فثقل عليهم ذلك حتى تركوا الاجابة لك مع تيسيره عليهم فيخرج ذكره هذا مخرج تسفيه احلامهم وقوله عز وجل ام عندهم
الغيب فهم يكتبون فهذا يحتمل وجها احدها ان عندهم علم الغيب بالذى ادعوا انا نجعل المسلمين كالمجرمين وذلك مكتوب
عندهم او عند سلفهم على الغيب فوجدوه فى كتبهم ويعلم به خلفهم فيحاجونك به ثم هم قوم لم يكونوا يؤمنون بالكتب
ولا بالرسل فكيف يحاجونك ويكذبونك فيما تخبرهم وانما يوصل الى التكذيب بما يثبت من العلم بخلافه ويناقد باحد الوجهين
الذين ذكرناهما او يكون هذا فى موضع الاحتجاج عليهم حين زعموا انا نعبد الاصنام ليقربونا الى الله زلفى ويكونوا لنا شفعاء
فما الذى حملهم على هذا الدعوى اما عندهم علم الغيب فهم يكتبون او ان يكون القوم قد الزموا انفسهم الربوبية بدين الله
واقروا له بالالوهية وذلك يلزمهم العمل بما فيه تبجيل الله تعالى وما به يشكر الخلايق وذلك لا يعرف الا بالرسل عليهم السلام
مع حاجتهم اليه ان ما عندهم علم الغيب فيستغنون به عن الرسول عليه السلام وقوله عز وجل فاصبر لحكم ربك ان حكم الله
تعالى فى الرسل ثلوث احدها ان لا يدعوا على قومهم بالهلاك وان اشتد اذاهم من ناحيتهم حتى يؤذن لهم والثانى يتضرعوا
الى الله تعالى والثالث ان لا يحزنوا لمكان انفسهم اذا اذاهم قومهم بل يحزنوا لمكان اولئك القوم اشفاقا عليهم منه ورحمة بما
يحل عليهم من العذاب بتكذيبهم الرسل فهذا هو حكم ربه ويحتمل ان يكون قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اى لا تجازهم بصنيعهم
واستعجل عليهم بل اصبر لحكم ربك بما حكم عليهم من العذاب وقوله عز وجل ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم قيل
نادى على قومه بالدعاء عليهم بالهلاك لكنه يظهر دعاؤه على قومه عندنا وانما ظهرت منه المفارقة والمغاضبة على قومه
بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا ولم يكن له ان يفارقهم فيقول اصبر بما حكم عليك ربك من ترك المفارقة عن قومك
ولا تكن كصاحب الحوت الذى فارق قومه قبل مجى الاذن له من الله تعالى والثانى ان يونس عليه السلام لم يصبر على اذى
من قومه بل فارقهم حتى ابتلى ببطن الحوت ثم فزع بالدعاء الى الله تعالى لخلصه من بطنه فيقول عليك الصبر مع قومك
ولا تكن كصاحب الحوت حيث لم يصبر مع قومه فابتلى بما ذكر حتى احتاج الى ان ينادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين فتبتلى انت ايضا بمثل ما ابتلى هو به ثم لا يجوز الملامة ويعاتب على ما دعا فى بطن الحوت لان
ذلك عذاب ابتلى به ولا ينبغى للمرء ان يصبر على العذاب بل عليه ان يبتهل الى الله تعالى ليكشف عنه وانما لحقه الملامة
بمفارقته قومه ولتركه الصبر معهم وقوله عز وجل لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم نعمة ربك هو
ما وفقه للتوبة والانابة ما قبل منه توبته وكان له ان لا يقبلها اذ هو انما اتى به بالتوبة بعد ان صار الى تلك المضايق
وابتلى بالشدايد وجاءه باس الله ومن حكمه انه لا يقبل التوبة بعد نزول العذاب والشدة الا ترى الى قوله تعالى
فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فاذا قبل توبته كان فيه عظيم نعمة
من الله تعالى عليه وقوله عز وجل لنبذ بالعراء هو المكان الخالى فلولم يتب الله تعالى عليه لكان يلبث ببطنه الى يوم يبعثون
ثم يبذ بعد ذلك بالعراء وهو مذموم لكن الله تعالى تفضل عليه بقبول توبته فنبذ بالعراء وهو سقيم محموم فقوله
لنبذ بالعراء وهو مذموم لو عاقبه بالنبذ ولكن انما نبذ بالعراء بعد قبول التوبة فلم يصر مذموما وقوله عز وجل
لولا ان تداركه نعمة من ربه فنعمته عليه كانت من ثلوثة اوجه احدها فى تذكيرا لزلته وذلك كان بالتقام الحوت اياه
وكان عنده ان مفارقته قومه لم يكن زلة لانه انما فارقهم لان قومه كانوا له اعداء فى الدين ففارقهم لينجو منهم وليسلم
له دينه ولا يسلم المكروه فى الله تعالى والثانى ان فى مفارقته اياهم تخويف منه لهم وتهويل لان القوم كان لا يفارقهم
نبيهم من بين اظهرهم الا عند ما يريد ان ينزل بهم العذاب وذلك مما يدعوهم الى الاقلاع عما هم فيه ويدعوهم الى
الفزع الى الله تعالى ومن خوف الخراب فيكون فيه دعاؤهم الى الهدى فكان محمودا مصيبا ولان مفارقته اياهم هى التى
دعتهم الى الاسلام فاسلموا لقوله فامنوا فمتعناهم الى حين ومن كانت مفارقته لهذه الاوجه التى ذكرنا فى لم يعد فى
ذلة بل عدت من افضل شمائله ولكن لحقته الملامة مع هذا كله لما ذكرنا ان الرسل لا يسعهم ان يفارقوا قومهم
وان اشتد عليهم الاذى من جهتهم الا بعد وجود الاذن من الله تعالى وكانت مفارقته تلك بغير اذن والله اعلم ثم
كانت فى ظنه ان ليست تلك المفارقة ذلة الا ترى الى قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه قيل فى التاويل اى لن نضيق
عليه وقيل اى لن نعاقبه فلولا ان عنده ان تلك المفارقة ليست بزلة والا كان لا يظن فتبين عنده بالتقام اياه
وبما افضى اليه من الشدايد ان تلك ذلة منه وتذكير الزلة من اجل النعم والثانية والثالثة ما ذكرنا فهو
من توفيق الله تعالى اياه بالتوبة واكرامه عليه بقبولها ومن حكمه ان لا يقبل التوبة ممن جاءه باس الله واحاط به
العذاب وهو انما فزع الى التوبة بعد ما عاين العذاب وجاءه باس الله تعالى وجايز ان يكون حكمه هذا فى الكفرة ليس
فى المؤمنين لانه قال فى اية اخرى يوم ياتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت
فى ايمانها خيرا ففيه اشارة الى ان من سبق منه الايمان قبل ان ياتيه ايات ربه او سبق منه كسب الخير من بعد
الايمان فان ايمانه فى ذلك الوقت ينفعه وقال فى اهل الكفر فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به
مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم هذا حكمه فى اهل الشر وقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم

حدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار وقال فى المؤمنين انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب فثبت ان ما ذكرنا من الحكم هو حكم فى اهل الكفر ليس فى اهل الايمان والعقل يدل على هذا وذلك
ان المؤمن قد علم ان الذى سبق منه زلة وارتكاب معصية فهو ليس يحتاج الى اثبات ايات فيتنبه على ان الذى
فعله زلة فجايز ان تقبل منه التوبة فى ذلك الوقت كما تقبل منه قبل تلك الحالة واما الكافر فمنعه ابن ما سبق منه
لم يكن زلة ومعصية فيحتاج الى ايات تنبهه عن غفلته وتذكر ان الذى فعله معصية فاذا انزل به الباسا والشدة
فذلك يمنعه عن النظر والتدبر فلا يكون ايمانه عن تحقق ويقين فلا ينفعه والثانى انه يفزع الى التوبة والايمان ليدفع
عن نفسه الباساء لا ليدوم عليه لو كشف عنه العذاب كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فلهذا لا ينفعه ايمانه فان
قيل ان قوم يونس عليه السلام قد نفعهم ايمانهم وهم امنوا بعد ما ايقنوا بالعذاب فجوابه من وجهين احدهما انه يجوز ان يكون
عذابهم ولم يكن مشاهدا مرئيا وجايز ان يكون الله اعلم صدقهم فى ايمانهم لو مكنوا لكشف عنهم العذاب لما كانوا متحققين
وغيرهم كان يفزع الى الايمان ليكشف عنه العذاب ثم يعوده الى الكفر فلم يقبل منه وجايز ان يكون من حكم الله تعالى
ان لا يقبل من احد التوبة اذا حل به العذاب ولكنه يقبلها من المؤمنين افضالا وانعاما ولاحد يتفضل على الكافرين
الذين اثروا الدنيا على الدين وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى عليه نعمة ولا على احد من اهل الاسلام لان من قولهم ان الله
تعالى اذا علم من كافر انه يسلم يوما من الدهر وان كان بعد الف سنة فليس له ان يميته قبل ان يسلم وعليه ان يوفقه
للتوبة وعليه ان يقبل منه التوبة فاذا كان هذا كله حقا عليه للعبد لم يكن له موضع نعمة عليه فى قبول التوبة لانه من
قضى حقا عليه واوصله الى مستحقه لم يعد ذلك منه انعاما فلا يكون لقوله لولا ان تداركه نعمة من ربه معنى وقد قال
الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ولو كانت الهداية واجبة عليه
لم يكن له عليهم موضع امتنان وقوله عز وجل فاجتباه ربه اى اختاره واصطفاه للرسالة الا ترى الى قوله وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون وقوله تعالى فجعله من الصالحين فهذا وصف كل نبى مرسل فى الاخرة وقوله عز وجل وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم فمنهم من يتاول هذا على التحقيق وصرف ذلك الى قوم باعيانهم قد عرفوا بالاعين وحلول
الافات بمن يعينونه من اهل الشرف والتبجيل ثم الله تعالى بفضله عصم رسوله عليه السلام فلم يتهيا لهم ان يعينوه
فكان فيه تقرير رسالته واية نبوته عندا ولئك الكفرة فان قال قايل انهم كانوا يعدون رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المجانين ويقولون انه لمجنون والمجنون لا يعان انما اهل الشرف والحجى وذوا الاحلام والنهى فانكرت انه سلم من الافة حتى
يقصد اليه بالعين بخواطرهم وان كانوا يعدونه من جملة المجانين فانهم سمعوا منه ذكرا عجبا وهو القران ولمن اعطى مثل ذلك
الذكر والشرف فهو مما يقصد اليه بالمسر فكانوا يعينونه لذلك المعنى ثم لم يضره كيدهم ولا نفذ فيه حيلهم فاوجب ذلك
بينهم انه رسول من الله تعالى ومنهم من حمله على التمثيل ليس على التحقيق فانه يقول وان سمعنا الدين كفروا لشدة بغضهم و
عداوتهم اياك ليزلقونك بابصارهم كما يقال نظر الى فلان نظرا كاد ان يقتلنى فيقوله على التمثيل ثم قوله ليزلقونك
اى يستقطونك ويصرعونك وقوله تعالى لما سمعوا الذكر هو القران وقوله عز وجل ويقولون انه لمجنون قد وصفنا
انهم لاى معنى كانوا ينسبونه الى الجنون وذكر ما يرد عليهم مقالتهم وينفى عنهم الريب والاشكال وقوله تعالى وما هو
الا ذكر للعالمين فجايز ان يكون الذكر هو القران وجايز ان يكون اريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قد تقدم ذكرهما
جميعا اذ كل واحد منهما ذكر يذكر ما للخالق وما على الخلق وما ينتهى اليه عواقبهم وتذكر ما يؤتى وما يتقى والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحاقة ما الحاقة قد ذكرنا ان يوم القيمة سمى باسماء النوازل التى تكون من البلايا والشدايد ليقع بها
التخويف والتهويل وليس فى تبيين وقته ولا فى ذكر عينه ترهيب ولا ترغيب فذكر ذلك اليوم بالاسباب هى اسباب
والزوع فقوله الحاقة اى حقت لكل عامل عمله وحق لكل ذى حق حقه فان كان من اهل الجنة دخلها وقال بعضهم الحاقة
هى النازلة التى لا ترتفع ابدا وهو ما ينزل بالخلق من الجزاء وانواع ما وعدوا به يوم القيمة وقيل هى الواجبة مثل قولهم و
حاق بهم اى وجب ونزل بهم والاصل ان القيمة سميت بالاحوال التى تبلى الخلق بها فيها من نحو القارعة والواقعة
والتناد والصاخة ونحو ذلك مما جاء فى القران من اسمائها من احوال ما تبلى الخلق والله اعلم وقوله عز وجل ما الحاقة
فهو على تعظيم امر ذلك اليوم ايضا وما ادريك ما الحاقة اى لم تكن تدرى فادريك الله تعالى لانه لم يكن خبر القيمة علمك
ولا علم قومك لكن الله تعالى اطلعك عليه لان قومه كانوا منكرى البعث ولم يكن عندهم من خبره شئ وذلك ان الله عز
وجل لما ذكرهم من دلايل البعث التى جهته ذكرها العقول والحكمة من احالة التسوية بين الفاجر والبر والمطيع و
انه لا يجوز خروج كون هذا العالم عبثا باطلا والدلايل الاخر التى لا ياتى عليها الاحصاء فلما لم يقنعهم ذلك ولم يتفكروا
فى خلق السموات والارض ولا اعتبروا بالايات لحتج عليهم بما لقى من سلفهم من مكذبى البعث ومنكرى الرسل حيث استاصلهم

فلم يبق لهم سلف ولا خلف عنهم خلف ليكون ذلك ابلغ فى الانذار وذلك قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة
ذكرهم ما حل بثمود وعاد وما اصابهم بتكذيبهم الرسل بقوله سيصيبكم مثل ما اصابهم وحملنا عليه الصلوة والسلام فيما يخبركم من
الانباء عن الله تعالى كما يصيبهم ما اصاب ثمودا وعادا بتكذيبهم رسلهم لينتهوا عن تكذيبه او يخبرهم ان ثمودا
وعادا كذبوا رسلهم حتى صاروا الى الهلاك ندموا على ما سبق من تكذيبهم فستندمون ايضا ان دمتم على تكذيبكم محمدا
صلى الله عليه وسلم فيما ياتيكم من الانباء بعد موتكم ثم ذكرهم نبأ عاد وثمود وان كانوا مكذبين بتلك الانباء لان لا يبقى لهم
يوم القيمة حجة فيقولوا انا كنا عن هذا غافلين ولانهم لم يجتنبوا عن علم ذلك لكانت هذه الايات والانباء تحقق لهم ذلك
فقد وقعت هذه الايات موقع الحجاج لو لا اغفالهم واعراضهم عنها فانقطع عذرهم ولزمتهم الحجة وان تركوا الايمان
بها ثم قوله عز وجل الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة وقوله القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يحتمل
ان يكون هذا مخاطبة كل مكذب بالبعث لا مخاطبة الرسول كقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
انه خطاب لمن يغتر بالدنيا لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجايز ان يخاطب به رسوله عليه السلام فان صرف
الخطاب الى الرسول عليه الصلوة والسلام اقتضى معنى غير ما يقتضيه لو اريد بالخطاب المكذبون والاصل ان قول
القايل تدرون وما تدرون يوجب اجتذاب الاسماع ويستدعى السامع الى البحث فى الشاهد لانه انما يذكر فلان بهذا الا
عجوبة فيه او يعظم امره فيستحث عن ذلك ليتوقف على تلك الاعجوبة التى فيه فان كان الخطاب للمكذبين دعاهم
ذلك الى تعرف ما فيه من الاعجوبة والتعظيم وفى قوله وما ادريك ما الحاقة مبالغة فى التعجب واذا نظروا فيه دفهموه
دعاهم الى الايمان به فصارت الاية فى موضع الاغراء واجتذاب الاسماع وان كان الخطاب فى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتاويله ان المكذبين بنبوته وبه ويمكرون به فيتاذى بهم ويشتد ذلك عليه فذكر ما نزل بهم من العذاب ويحل عليهم فيكون
فيه بعض التسلى عما اصابه من الاذى من ناحيتهم او ذكره ان العذاب يحل عليهم فلا تحزن بصنيعهم بل يحمله ذلك على الشفقة
عليهم والرحمة لهم وقيل ان كان الخطاب فيه تخويف لاهل مكة وتهويل انهم ان كذبوا رسولهم فيما اخبرهم من امر البعث
نزل بهم من العذاب ما نزل بعاد وثمود بتكذيبهم الرسل وقد عرف اهل مكة ما نزل باولئك وان كان الخطاب فى رسول الله
ففيه ذكرنبا عاد وثمود ما يدعوه الى الصبر على اذاهم ويكون له بعض التسلى لانه يخوانك لست باول رسول كذب بل
قد كذبت الرسل من قبل وابتلى بالتكذيب ثم بين ما نزل بعاد وثمود بالتكذيب بالقارعة وهو قوله فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية فالطاغية والعاتية والرابية يمكن ان يجعل هذا كله صفة للعذاب الذى نزل بهم وجايز ان يكون صفة الاحوال
التى سبقت منهم وكانوا عليها فان كان هذا صفة العذاب فالطغيان عبارة عن الشدة والطاغى هو العاتى الشديد
لا يراقب ولا يتقى فوصف العذاب الذى ارسله عليهم انه لم يبق منهم احدا بل استاصلهم واهلكهم بجملتهم وقيل تلك
العذاب هو الصاعقة وقيل الصيحة وسمى طاغية ولم يقل طاغى لهذا وقيل اسبق هذا الاسم للعذاب من افعال من
عذب به ليس انها طاغية لكن اخذ اسمه من فعل القوم كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم وانما ذكر كله جزاء سيئاتهم واعتدائهم وقيل بالطاغية اى بطغيانهم وذنوبهم الذى سلف منهم كقوله
تعالى كذبت ثمود بطغواها ويحتمل ان يكون هذا صفة لاحوالهم التى كانوا عليها من شدة التمرد والعتو ومن طغيانهم التكذيب
الحاقة والقارعة ففيه تخويف لاهل مكة ان سيهلكهم ان لم ينتهوا عن التكذيب كما اهلك اولئك وقوله عز وجل
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية قال الحسن الريح الصرصر الصيته وهى التى لها صوت وقال بعضهم هى الريح البارد
الشديدة البرد كقوله ريح فيها صر اصابت الاية والصر البارد الصرصر المكرومة فوصفها لدوامها وجورها وقوله
عز وجل عاتية تاويلها على ما ذكرنا فى الطاغية وذكر الكلبى وغيره انها سميت عاتية لانها عتت على الخزان فلم يطيقوها
وهذا لا يستقيم لانه لا يجوز ان يوكل الخزان على حفظها ثم لا يمكنون من الحفظ حتى تعتوا عليهم الا ان يقال انهم لم يوكلوا
بحفظها فى ذلك الوقت فاما اذا وكلوا بحفظها ثم لا يجعل لهم الى حفظها سبيل فهذا مستحيل والله الموفق وقوله
عز وجل سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقوله سخرها قيل ارسلها قيل ادامها عليهم وقيل التسخير التذليل
اى ذللها فصيرها بحيث لا يمتنع عن المرور عليهم فى الوجه الذى جعلها عليهم والطاعة فى الوجه الذى ارسلها وانما
ارسل الريح على ابدانهم خاصة لم يهلك شيئا من مساكنهم كقوله تدمر كل شئ بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم ثم
ثمانية اذا عملت على الابدان فهو على البنيان اكثر لكن الله تعالى لم يامرها بذلك والله اعلم ثم وقوله عز وجل سبع ليال
وثمانية ايام حسوما فيه تبيين ان الايام لم يكن على عدد الليالى ولو كانا على عدد واحد لكان فى ذكر احد العددين
ذكر العدد الاخر لان تسمية الليالى تسمية للايام وتسمية الايام لليالى الا يرى انه قال فى قصة ذكريا ايتك ان
لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا وقال فى موضع اخر ثلاث ليال سويا والله اعلم وقوله عز وجل حسوما قيل متتابعة
دائمة وقيل قطعا من الحسم يقال لحسمت الريح كل شئ مرت به حسما اى قطعته وقيل مشؤمات حيث انقطعت بركتها
عنهم وقوله فترى القوم فيها صرعى اى انك لو ادركتهم وشهدتهم وعاينتهم لرايتهم صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية وقال

بعضهم اى ترى الاعضاء المتفرقة كل قطعة منها كانها عجز نخلة اذ كانوا اعظم فى انفسهم من اعجاز النخل فيصرف تاويله الى
الاعضاء المتباينة ثم ذكر النخل هاهنا بالتانيث فقال اعجاز نخل خاوية ووصف فى سورة اقترب بصفة التذكير فقال
كانهم اعجاز نخل منقعر لان النخل يذكر ويؤنث كذا قاله الزجاج وقيل النخل يذكر على كل حال لكن قوله خاوية صفة للاعجاز
لا صفة النخل والاعجاز جماعة والجماعة مؤنثة والنخل واحد فيذكر وليس كذلك لان الخاوية صفة النخل الا ترى
ان عند الوصل يذكر بالخفض لا بالرفع ولان النخل اسم جمع يقال نخلة ونخل كما يقال شجرة وشجر وتمرة وتمر ونحو ذلك وقوله
عز وجل خاوية قال بعضهم اى بالية وقيل خاوية اى ساقطة كقوله تعالى وهى خاوية على عروشها اى ساقطة على قوائمها
وقيل خالية فوصفها بالخلاء لانها انقلعت من اصلها حتى خلا ذلك المكان عنها واعجاز النخل اصوله وقوله عز وجل
فهل ترى لهم من باقية فيه انه لم يبق لهم نسل يذكرون به بل اهلكوا باجمعهم وانقطع عنهم الذكر الا بالسوء و
الا كان يرى لهم باقية ففيه انهم استوصلوا وعم العذاب الكبير والصغير تخويف اهل مكة بما اخبرهم عما فعل باولئك
وفيه اخبار انهم عذبوا بعذاب لا رحمة فيه وهذا سنة الله تعالى فى مكذبى الرسل من قبل وجعل تعذيب هذه
الامة ان يجاهدوا ويقاتلون والنساء لا يقاتلن بل يسبين رجاء ان يسلم فخرج هذا مخرج قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
والله اعلم ويشبه ان يكون هذا جواب قولهم ان محمدا ابتر اى ليس له ولد يبقى نسله او ذكره واخبر تعالى ان كثرة الاولاد
لا يغنى من الله شيئا اذ قد كانت لهم اهالى واولاد فاهلكوا عن اخرهم وانقطع التناسل منهم ليعلموا انه يبقى ذكر من
اطاع الله ورسوله كان له ثم اولاد او لم يكن والله اعلم وقوله عز وجل وجاء فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف و
فتح الباء وقرئ بنصب القاف وجزم الباء فتاويل القراءة الاولى اى جاء فرعون ومن معه من جنده واتباعه او من قبله
من كان من اهل القرى التى تقرب المصر وقد روى فى الشاذ فى بعض الحروف وجاء فرعون ومن دونه وجايز ان يكون
من اتباع فرعون وجايز ان يكونوا دونا وتاويل القراءة الثانية اى جاء فرعون ومن كان متقدما عليه من الامم الماضية
وقوله تعالى والمؤتفكات قيل قريات لوط ائتفكت على اهلها اى انقلبت عليهم بما عصت رسلها وقيل المؤتفكات
الذى يأتفك من الصدق الى الكذب ومن الحق الى الباطل ومن العدل الى الجور فمن قرأ ومن قبله بخفض القاف كان قوله
جاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم راجعا كله على العصيان لموسى عم والمراد من
المؤتفكات كل من الحق الى الباطل دون اهل قريات لوط لانهم كانوا قبل زمان موسى بكثير ومن قرأ ومن قبله بنصب
القاف كان قوله فعصوا رسول ربهم واقعا على رسول كل فريق كانه قال اى عصى كل امة رسولها وعلى هذا يجوز
ان يكون المراد من المؤتفكات قوم لوط ثم وقوله بالخاطئة اى بالخطايا او الشرك وذكر ابو معاذ عن مجاهد فى تفسير
الخاطئة الشرك والكفر وانكر ذلك واحتج بان الله تعالى لم يذكر من قوم لوط كفرا وشركا فى كتابه انما ذكر ركوبهم
للفاحشة وبها اهلكوا اذا لم يبرؤوا ولم يتوبوا قال ولو كانوا مشركين لم يقل لهم لوط ان هؤلاء بناتى هن
اطهر لكم اراد بذلك الانكاح والكافر لا يصح منه نكاح المسلمة وليس كما ذكر بل كانوا اهل شرك وكفر بالله تعالى الا ترى
الى قوله فيما حكى عن قوم لوط من قوله لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين فاخراج الرسل من اماكنها من صنيع اهل
الكفر وقال فى موضع اخر اخرجوا ال لوط من قريتكم فطابت انفسهم باخراج لوط عليه السلام من قراهم ومن فعل هذا لم
يشك فى كفره وقال فى قصة لوط ايضا فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فثبت
انهم كانوا كفارا ثم لقائل ان يقول فى قوله وجاء فرعون ومن قبله فعصوا رسول ربهم اخبر انه جاء فرعون الى موسى وعصاه
كيف ذكر مجئ فرعون الى موسى ولم يوجد منه المجئ الى الرسول بل الرسول هو الذى جاءه فعصاه فرعون لان فرعون
اتاه فاستقبله بالعصيان قيل ان كل من اتى اخر وجاءه فقد اتاه الاخر ومن قرب الاخر اليه لان المجئ فعل مشترك لانه
اسم الانتقاء بهما جميعا ليس باحدهما فلذلك استقام من اضافة المجئ الى فرعون وعلى هذا تاويل قوله تعالى وازلفت الجنة
للمتقين اى قربت واهلها هم الذين يتقربون اليها فى الحقيقة ولكنهم اذا قربوا اليها فقد قربت هى اليهم فاضيف اليها التقرب
لهذا فعلى هذه العبارة يمكن ان يتاول قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله عز وجل هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى
ظلل من الغمام اى اتاه الخلق الا ان يكون هو الذى ياتيهم لانه قال ويوم يرجعون اليه وقال الى الله المصير والى الله ترجع
الامور فاخبر ان الخلق هم الذين ياتونه ويرجعون اليه ولكن بسبب المجئ والاتيان الى الله تعالى لانهم اذا اتوه فكانه قد اتاهم من
الوجه الذى ذكر دون ان يكون فيه اثبات الانتقال فى الله تعالى والثانى ان اسم المجئ وان اطلق واستعمل فى المجئ الى مكان
من مكان فقد يستعمل ايضا فى موضع الذى ليس فيه حركة ولا انتقال قال الله تعالى جاء الحق ومعناه ظهر الحق ليس ان الحق
كان فى موضع فانتقل عنه الى غيره فامكن ان يكون قوله وجاء فرعون اى كذب بما انزل على موسى عم وجايز ان يكون
قوله وجاء فرعون اى جاء بالخاطئة فيكون المجئ مصروفا الى الخطايا وهذا التاويل املك بنظام الاية لانه قال وجاء فرعون
ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة اى جاؤا بالخطايا وقوله عز وجل فاخذهم اخذة رابية اى عالية حيث علت اذانهم و
جايز ان يكون المراد منه ان عقوبتهم ربت على الاخذ اى زادت على الاخذ لانها اخذت ابدانهم واهلكتها ثم ربت ودلتهم

الى جهنم فيعرض عليها غدوا وعشيا فذلك هو الزيادة على الاخذ والله اعلم وقوله عز وجل انا لما طغى الماء قال بعضهم اى
طغى على الخزان يرسلون القطر بالكيل والوزن والقدر المعلوم ثم ذكر فى موضع اخر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر اى
اى منصب فيكون تاويله ان الله تعالى لم يكلهم حفظ القطر فى ذلك الوقت فطغى هذا المعنى والا لو لزموا حفظه فى ذلك
الوقت لكان المعنى لا يطغى عليهم على ما ذكرنا انه لا يجوز ان تؤمر بالحفظه ولا يملكون حفظه وجايز ان يكون طغى اى طغى
على الذين اهلكوا من مكذبى نوح عم وقد وصفنا تاويل الطاغى وقوله عز وجل حملناكم فى الجارية قد ذكرنا انه حملنا ولم
نكن نحن يومئذ فنحمل والخطاب للذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وانما كان نجاه اولئك المحمولين نجاة ذريتهم
وهلاك اولئك فيما ذريتهم فكانه قد حملهم بحمل اولئك لما حصل لهم النجاة بحملهم واضاف اليهم لانه قد ركونهم من
ابائهم فكانهم حملوا تقديرا وهو كقوله يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سواتكم ومعناه انزلنا عليكم ما قد
كون اللباس منه وهو المطر فاذا انزل المطر الذى قد ركون اللباس منه وهو المطر فاذا انزل المطر الذى قد ركون اللباس
منه فكانه انزل اللباس وقال عز وجل انا خلقناكم من تراب ونحن لم نخلق من التراب ولكن لما قد خلقنا من التراب الذى
اصلنا منه فكانا خلقنا منه فعلى ذلك وان لم نكن محمولين فى السفينة فقد حمل اصلنا ليكون نحن من ذلك الاصل
فكانا قد حملنا منها اذ كنا فى ارادة الله تعالى من الكائنين والله اعلم اذ ذكر ربك منة منه على الابناء بصنيعه بالاباء
ليعلم ان على الابناء شكر ما احسن الى اباهم واجدادهم والله اعلم وقوله عز وجل لنجعلها لكم تذكرة فوجه التذكرة
فيه ان اهل مكة ابوا اجابة الرسول وقالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فذكرهم انهم اولاد من
حملوا مع نوح فى السفينة وهم انما استوجبوا النجاة وشرفوا فى الدارين جميعا باتباعهم الرسل فما لكم لا تتبعونكم فى تصديق
الرسل دون ان تتبعوا المكذبين للرسل او يذكرهم كذبهم فى قولهم انا وجدنا اباءنا على امة بل قد وجدتم اباءكم
على خلاف ما انتم عليه وقد تعلمون ان اباءكم هم الذين اتبعوا نوحا فنجوا وهم المؤمنون دون الكفرة ووجه اخر انه ذكرهم
احوال المكذبين والى ماذا ال امرهم من الغرق والهلاك فيكون فيه تخويف من كذب من اهل مكة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصارت تلك الجارية وهى السفينة موعظة وتذكرة يذكرهم عواقب المصدقين بالرسل والمكذبين بهم او ذكرهم عظيم
نعمه على ابائهم الذين حملوا فى السفينة ليتادى منهم شكر ذلك وقال بعضهم كم من سفينة قد هلكت منذ ذلك الوقت
وهى باقية فى موضع كذا عبرة وتذكرة ثم التذكرة يخرج على وجهين احدهما ان يراد بها الاية والعبرة اى جعلنا لكم ذلك
ليعتبروا ويكون اية لكم على وحدانية الله تعالى وقد ذكر تعالى كقوله فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين والثانى
اى جعلنا تلك الانباء تذكرة لكم اى جعلناها قرانا يقرؤونها ويتذكرونها الى اخر الابد فيشكرون الله تعالى على ما صنع الى
والله اعلم وقوله عز وجل وتعيها اذن واعية يقال وعى الشئ اذا حفظه واوعاه اذا حفظه باناء او غيره اى يحفظها اذن
حافظة فاضاف الوعى والحفظ الى الاذن والاذن لا تعى بل تسمع ثم تعيه القلب ولكن نسب الوعى الى الاذن لانه يوصل
الى الوعى من جهة الاذن اذ ما تسمع توعى والسمع من عمل الاذن ثم يقع المسموع فيما فيه يوعى وهو القلب فنسب الوعى
الى السمع لما يتطرق به الى الوعى كما ذكرنا من اضافة اللباس الى ما منه قدر اللباس وهو المطر واضيف خلقنا الى التراب
لان اصل ما منه قد خلقنا هو التراب وجايز ان يكون الله تعالى يجعل للقلوب اذانا بها تعى وابصارا بها تبصر فتضيف
الوعى اذان القلوب ليس الى اذان الراس والله وقيل اذن واعية اى عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من
كتابه وهى اذن المؤمن فاما اذن الكافر فانها تسمع وتنفذ ولا تعى لما لم يحصل لهم الانتفاع به الا ترى انه وصفهم
بالصمم لما لم ينتفعوا بالمسموع وكذلك قال فنبذوه وراء ظهورهم جعل تركهم الانتفاع به نبذا فعلى ذلك جعل الانتفاع
وعيا وكذلك المتعارف فى الخلق انهم اذا ارادوا الانتفاع به نبذا فعلى ذلك جعل الانتفاع به وعيا وكذلك المتعارف
فى الخلق انهم اذا ارادوا الانتفاع بعلم او شئ اجتهدوا فى وعيها وحفظها وقوله عز وجل فاذا نفخ فى الصور نفخة
واحدة فكانهم سالوا متى يكون الواقعة والحاقة والقارعة فاخبر عن ذلك بقوله فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة فجوابهم فى قوله فيومئذ وقعت الواقعة
ثم قد بينا ان الاسولة كلها خرجت عن الاحوال التى يكون فى ذلك الوقت لما لا فائدة لهم فى تبيين وقته ولا حاجة الى
معرفة وانما الفايدة فى تبيين احواله لما يقع بها الترغيب والترهيب والله اعلم وقوله عز وجل نفخة واحدة فجايز ان يكون
على حقيقة النفخ واحتمل ان يكون على نفخة واحدة فيكون فائدته ذكر سهولة امر البعث على الله تعالى لان قدر النفخة
مما يسهل على المرء فى الشاهد ولا يتعذر وجايز ان يكون ذكر النفخ لما ان الروح يدخل فى اجسادهم ويتسبب فيها
وذلك عمل النفخ لان الريح اذا نفخت فى وعاء سرت فيه وانتشرت فكنى عن دخول الروح فى الجسد بالنفخ اذ ذلك
عمله وكنى بالنفخ عن خروج الروح من الاجساد لهذا وعلى هذا تاويل قوله فنفخنا فيه من روحنا ليس على حقيقة
النفخ ولكن عمل الروح فيها عمل النفخ فتقبل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فى الصور قيل الصور هو القرن ينفخ
فيه النفخة الاولى فيصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من يشاء الله ثم نفخ فيه مرة فاذا هم قيام ينظرون

ومنهم من يقول اى نفخ الروح فى الصور للخلق لكن جميع الصور بنصب لوا و فلا يحتمل ان يكون المراد
منه جميع الصور لكن يجوز ان يكون ان الله تعالى جعل نفخ الصور سببا لافنائهم واحيائهم لانه لا يعجزه شىء عن الافناء
والاحياء ما لم ينفخ فى الصور لكنه جعله سببا لنوع الحكمة والمصلحة او لمحنة ذلك الملك والابتلاء على ما عرف من
المحن فى الملائكة من انزال الامطار وتسيير السحاب وجعلهم لموكلين على اعمال بنى ادم وغير ذلك وقوله وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة كسرة واحدة وقيل هدمتا هدمة واحدة وقال بعضهم زلزلتا زلزلة واحدة فكانه يقول
والله اعلم بزلزل الارض فيقذف ما فى بطنها من الفضول ويخرج ما فيها من الجواهر التى ليست منها بتلك الدكة اصول
الجبال منها ثم يجعله الله تعالى كثيبا مهيلا مثل الرمل ثم يحمل عليه الريح فيجعله هباء منثورا ويصير من لينه كالعهن
المنفوش ثم يسير مثل السحاب فيقع فى شعاب الارض والاودية والاماكن المختلفة فيصير الارض كما قال تعالى فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهكذا الريح اذا حملت على شىء ويقع عليه تفرقة فى النواحى ويستوى به المتفرق
ويبسطه على وجه الارض وقوله عز وجل وحملت الارض ليس انها تحمل من مكان ولكن يدخل هذه فى هذه ويضرب
هذه على هذه بالدكة فيصير كانها حملت لذلك واذا كان كذلك فقد وقعت الواقعة يومئذ وهذا على اختلاف فلان
يكون معنى الايات التى جاءت فى الجبال على السواء والله اعلم وقيل فى ايات اخر بان اخر بان تقديم فناء الجبال قبل
الارض بقوله فينسفها ربى نسفا فيذرها اى يذر الارض قاعا صفصفا وغيرها من الايات مما يدل على تقديم فناء
الجبال قبلها فاما ان المعنى تبديل الارض تغيرها عن الحالة التى هى عليها اليوم من انهدام البنيان والاستواء الاودية
وازالة الجبال على ما جاء فى الاخبار فسمى لذلك تبديلا كما يقال لمن تغير عن الحالة الحسنة الى غيرها تبدلت يراد اى تغيرت
عن حالتك على ذلك معنى الاية اى تكسرت الجبال وتغير حالة الارض فى دفعة واحدة او يكون فى الاية اخبار عن شدة الفزع
فى ذلك اليوم ان يدكه واحدة يعنى الجبال وان كان افناء الجبال قبل افناء الارض ليس انهما يفنيان جميعا بدفعة واحدة
لكن بالدكة الواحدة يهلك الجبال والارض فيكون المراد بيان شدة اليوم وهوله لا بيان ترتيب فناء الارض على البعض
والله اعلم وقوله عز وجل وانشقت السماء فهى يومئذ واهية قال بعضهم تفرقة وهكذا الشىء اذا انشق يفرق و
تناثر وبه يظهر الشق ويحتمل ان يكون الشق كناية عن اللين اى يلين بعد صعوبتها ذليله وقوله عز وجل فهى يومئذ
واهية اى ضعيفة بعد ما كانت تنسب الى الصلابة ويدل على ذلك قوله يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وانما
يطوى الشىء فى الشاهد بعد ما كان يلين فى نفسه وجائز ان ينشق السماء لنزول اهلها فلا يبقى فيها لا الملائكة الذى
على اطرافها ثم ينضم فتبين للطى والله اعلم وجائز ان يكون ذكر انشقاقها وانفطارها وانفطاحها تهويل الخلق من
الوجه الذى ذكرنا فيما قبل وجائز ان يكون للسموات ابوابا فينفتح ابوابها فيكون انشقاقها وانفطارها فتح ابوابها
وجائز ان يكون الشق ليس فتح الابواب وجائز ان يكون الشق ليس فتح الابواب وجائز ان يكون الشق ليس فتح الابواب
لانه ذكر هذا فى موضع التهويل وليس فى فتح ابوابها كثير تهويل وقوله فهى يومئذ واهية اى ضعيفة مسترخية و
تبن الوهى الخرق وهو يحتمل لانها اذا انشقت الخرقت وقوله عز وجل والملك على ارجائها الارجاء النواحى والاطراف
وهى اطراف السموات ونواحيها واحدها الارجاء رجاء مقصور والملك الذين بها الملائكة اخبر انهم على اطراف السموات
ونواحيها فيحتمل انهم وكلوا ليحفظوا لحفظها بعد الشق لئلا يسقط على اهل الارض وجائز ان يجعل اطرافها وجوانبها
لبعض الملائكة فيفتح ابواب السماء فينزل الملائكة الذين سكنهم عندها الى الارض كما قال تعالى ونزل الملائكة تنزيلا و
يبقى الملائكة الذين كان سكنهم فى ارجائها ينتظرون امر ربهم ثم الملك ليس يحتاج الى مكان يقر فيه وان جعلت السما
مسكنا لهم لان الملائكة ينزلون من السماء الى الارض ويقرون على الهواء من غير ان يكون فى الهواء مقر والثالث تبين انها
لا تفرق كل التفرق ولكن وسطها ينشق لما ذكرنا والباقى بحاله ويحتمل والملك على ارجائها على بر به فى السماء والله اعلم
وقوله عز وجل ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية فيحتمل ان يكون الملائكة بالنفخة الاولى يصعقون الى الثمانية التى يحملون
العرش كما قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فيكون هؤلاء الثمانية و
هو قوله والملك على ارجائها وقوله عز وجل ثمانية جائز ان يكون اراد به ثمانية املاك وجائز ان يكونوا ثمانية
اصناف من الملائكة كما ذكر فى تفسير وجائز ان يكون هؤلاء الثمانية يهلكون ثم يحيون قبل ان يحيا سائر الخلق
فيحملون عرش ربها على اكتافهم وانما بعث الله تعالى الخلايق راوا العرش على اكتافهم والعرش هو سرير الملك وجائز
ان يكون ذلك من نور كما ذكر فى الخبر ان حين الشمس اذا ارادت ان تطلع فان جبريل عليه السلام ياتى العرش فياخذ
كفا من ضيائه ثم يلبس الشمس كما يلبس احدكم قميصه واذا اراد القمر يطلع اخذ جبريل عليه السلام كفا من نور
العرش فيلبس القمر كما يلبس احدكم قميصه فجائز ان يكون العرش من الضياء والنور ثم اجل الاشياء واعظمها
فى اعين الخلق الضياء والنور واليها ينتهى الرغب فيكون فى ذكر العرش ذكر عظيم ملك الرب جل جلاله ثم ان
ملك فى الشاهد يتخذ لنفسه عرشا يتفاوت ذلك على معنا ملكهم وسلطانهم لا ليجعل ذلك مسكنا لنفسه

فاذا لم يبرهم من الخلق انهم يجدون ذلك لمقاعدهم ومجالسهم فلان لا يبرهم ذلك من الله اولى وقوله عز وجل يومئذ
يعرضون لا يخفى منكم خافية اى يعرضون على اعمالكم فلا يخفى عليكم خافية اى يظهر لكم فى ذلك اليوم ويصير بارزا فى
فى ذلك اليوم كما قال تعالى يوم تبلى السرائر اى يظهر لهم سرائرهم حتى يعرفوها ولا يخفى عليهم شىء منها وجائز ان يكون
قوله لا يخفى منكم خافية اى على الله ولكن كل من ادعى اخفاء شىء من امره على الله تعالى وظن ان الله تعالى لا يطلع عليه فيعلم
فى ذلك اليوم انه لا يخفى عليه خافية وهو كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليس فيه ان الملك كان لغيره
ولكن بعض الناس يدعون كانوا الاشراك فى الملك فى الدنيا فيتركون فى ذلك اليوم دعواهم ويتيقنون انه هو المتفرد
بالملك وعلى ذلك قوله تعالى وبرزوا لله جميعا ولم يكونوا محتجبين عنه قبل ذلك بل كانوا له فى كل وقت بارزين ولكن من كان
دعاء الاخفاء فى الدنيا فى ذلك اليوم ويقربا برزوا لله المستعان ثم روى فى الخبر ان العرضات ثلاث عرضتان فيهما
خصومات ومعاذير اى يختصمون ويتنازعون فاذا ظهر ذلك جعلوا يعتذرون ربهم العفو والصفح عن خصومهم
والعرضة الثالثة عند تطاير الصحف ومعنى قوله تعرضون اى يعرض الخلق بعضهم على بعض حتى لا يخفى على احد خصم
او يعرض اعمالهم حتى يذكر احد صنيعه خصم خصومته فكانهم قد نسوا ذلك من كثرة الفزع والشدة الاهوال لكن
الله تعالى يطلعهم على ذلك حتى يذكروا ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فاما من اوتى كتابه بيمينه ظاهر ما جرى به الخطاب
فى القران يوجب ان يرحم المؤمنون جميعا فلا يعذبون فى الاخرة يعذب الكافرون ولا يرحمون لانه قسم الخلق يوم
القيمة صنفين فجعل صنفا منهم اهل اليمين وصنفا اهل الشمال ثم وصف كل واحد من الصنفين بالاعلام ثلاثة
فذكر مرة انه يخف ميزانهم بقوله ومن خفت موازينه وذكر مرة ان وجوههم يسود وذكر مرة انهم يعطون كتابهم
بشمالهم فهذه الاعلام ذكرها فى احد الصنفين وذكر فى الصنف الثانى وصفهم باعلام ثلثة ببياض الوجوه وبثقل
الميزان وباعطاء الكتاب بايمانهم ثم فيما فيه سواد الوجوه ذكر فيه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون وذلك حين ذكر خفة الميزان ذكر فى اخره ما بين ان الذين خفت موازينهم هم الكفرة لانه قال
الم تكن اياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون وذكر فى اعطاء الكتاب بشماله وذكر اعطاء الكتاب بشماله وذكر فيه ما بين
انه من اهل الكفر لانه قال انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فثبت ان الوعيد المطلق ذكر فى
اهل الكفر وكذلك قال فاتقوا النار التى اعدت للكافرين ولم يقل اعدت للخلق وقال وجنة عرضها كعرض السموات والارض
اعدت للمتقين فثبت ان اهل النار هم الكفار فالمؤمنون قد يعرض منهم ذلات وما اثم فى هذه الدنيا والكفار يوخذ منهم
المحاسن فيها ولكن اهل الكفر يجزون جزاء حسناتهم فى دنياهم لانهم لا يؤمنون بالاخرة واذا لم يؤمنوا بها لم ينفع سعيهم لها
واكن ان يكون المؤمن يجعل له العقاب بالسيئات فى الدنيا فيخلص له الحسنات فى الاخرة فيجزى بها وجائز ان يكفر
سيئاته بالحسنات التى يوجد منه لان المحاسن جعل سببا لتكفير المساوى قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات واذا
كفرت سيئاته فى الدنيا لم يعذب بها فى الاخرة وجائز ان يكون الله تعالى يعذبهم بقدر ذنوبهم ثم يعفوا عنهم بحسناتهم
التى سبقت منهم من الايمان وغير ذلك فكل مؤمن فى الحقيقة اخره الجنة ويثقل ميزانه ويبيض وجهه ويعطى كتابه
بيمينه ثم يجوز ان يكون الذى يعاقب بذنوبه من اهل الايمان يعاقب بذنوبه من اهل الايمان يعاقب به قبل ان يعطى كتابه
بيمينه وقبل ان يبيض وجهه ويثقل ميزانه وقبل تبيض وجهه لم يكن مسود الوجوه ولكن على ما عليه فى الدنيا ثم يعفى
عنه فى الخبر ان الناس يعرضون يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان ففيهما خصومات ومعاذير واما العرضة الثالثة
فتطاير الصحف فى الايدى فيجوز ان يكون تعذيبه قبل العرضة الثالثة ثم يعطى كتابه فى العرضة الثالثة بيمينه فيظهر له
اعلام السعادة اذ ذاك فاذا ثبت ان الوعيد المطلق انما جاء فى اهل الكفر لم يلحق اهل الكبائر من اهل الايمان بهم فى الحكم
بل وجب التوقف فى حالهم كما قال اصحابنا والله الموفق وقوله عز وجل هاؤم اقرؤا كتابيه قال بعضهم هاؤم اى تعالوا وقال
بعضهم هو يعنى هاكم اى خذوا فابدلت الهمزة مكان الكاف فنظام الاية ان المعطى له الكتاب يقول هذا يدعو الخلق ويناديهم
الكتاب استبشارا وسرورهم فيبشرهم بعفو الله تعالى عنه ورحمته عليه ولكن اهل التاويل صرفوا التاويل الى المعطى فقالوا
بان المعطى هو الذى يقول هذا فكان الذى يقول كتبا لكتاب فى الدنيا من الملك هو الذى يعطى الكتاب الى المكتوب عليه
ويقول هاؤم اقرؤا كتابيه اى خذوا واقرؤا ما كتب لكم وعليكم والله اعلم وقوله عز وجل انى ظننت انى ملاق حسابيه قالت
جملته على حقيقة الظن فهو يخرج على ثلاثة اوجه احدها انى ظننت فى الدنيا انى لاقى الحساب الشديد فيما سبق من سياتى
واذا اخذ بها واجازى عليها وظننت الساعة ان لا يجوز ذنوبى لفزع هذا اليوم فوجدت سيئاتى قد غفرت وخطاياى
كفرت عنى فيكون قوله منه هذا شكر الله تعالى واظهار المنه والثانى انى تركت فى دار الدنيا اذا عرضت لى الحوادث
من الذلات والهفوات ظننت انى لاقى الله تعالى بها فامسكت عنها وانزجرت عن اتيانها صونا اخبارا عن بيان سبب
نيل ذلك والثالث انى تفكرت فى امرى فظننت ان مثلى لا يترك سدى هملا فادى ظنى الى اليقين فامنت وصدقت
الرسل فانما انجيت باول ظنى وفكرتى ومنهم من طرف الظن الى اليقين والعلم فقال معنى قوله ظننت اى ايقنت وعلمت

والاصل ان كل يقين حدث في الامور المستترة والعلوم الخفية فانما يتولد ذلك عن ظن يسبق فيحمله ذلك الظن على النظر
فيه والبحث عن حاله حتى يفضي به الى الوقوف على ما استتر منه ويصير الخفي له جليا فيكون سبب بلوغه الى اليقين
والاحاطة الذي سبق منه فجاز ان يسمى ذلك بمباشرة على الحقيقة وظنا ثانيا على المجاز على ما ذكرنا في قوله وتعيها
اذن واعية ان الاذن لا تعي شيئا ولا تسمع ولكنه انما يوصل الى الوعي بالاذن فصارت الاذن سببا للاتصال
الى الوعي فاضاف الوعي اليها فعلى ذلك ظنونهم في الابتداء اذا بلغهم الى اليقين والعلم سموا يقينهم وعلمهم ظنا مرة
ويقينا ثانيا الا ترى ان الله تعالى قال الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقال في موضع اخر وبالاخرة هم يوقنون فجعلهم
مرة ظانين ومرة موقنين فيما كان طريقه البحث واعمال الفكر وبهذا ما لا يجوز ان يوصف الله تعالى بالايقان في امر من الامور
لان الاشياء له بارزة ظاهرة اذ هو منشئها وخالقها فلا يخفى عليه شيء منها فيحتاج الى البحث عنها والنظر فيها والله
الموفق او يقول بان الامور التي سبيل دركها الاجتهاد لا يخلو شيء منها من اعتراض وساوس وخواطر يفضي بصاحبها
الى الجنون فاستجازوا اطلاق الظن فيها لما لا يخلو عنه واستجازوا اطلاق اليقين لما غلب عليها دلالات النفس و
الاحاطة الا ترى ان من هدد بالوعيد الشديد او بالقتل على ان يكفر بالله تعالى ابيح له ان يجري كلمة الكفر على لسانه
وجعل كالموقن بحلول العذاب من المكره لو امتنع عن الاجابة الى ما دعاه وان لم يتيقن بانه يفعل به لا محالة ما
اوعد به لانه يجوز ان لا يمكن من ذلك ويجوز ان لا يبقى الى ذلك ثم وسع له فعل ذلك باكبر الراي وغلبة الظن
وجعل ذلك محل الاحاطة واليقين فعلى ذلك هاهنا لما غلب دلالات اليقين والصدق جاز اطلاق لفظة اليقين
عليه فاما الاشياء التي يدرك بالحواس والمشاهدات فلا سبيل الى تسمية مثله ظنا لما لا يحتمل اعتراض الشبه فيها
والله الموفق وقوله عز وجل فهو في عيشة راضية في جنة راضية تعالى عاش وحيي بمعنى واحد وقوله عز وجل راضية
بمعنى مرضية معناه ان نفسه في جنة يرضى بها كقوله من ماء دافق اي مدفوق ومثله في الكلام كثير ويجوز ان
يكون المراد نفس الجنة قد رضيت باهلها واظهرت رضاها بهم كما وصف الجحيم بالسخط والتغيظ على اهلها
فجاز مثله في الجنة رضاء واستبشارا وعلى معنى ان الجنة يظهر لهم من انواع الكرامات والخيرات ما لو كان ذلك من
ذي العقل يكون ذلك دليل الرضا كما يضاف الغرور الى الدنيا وهي انها تظهر من نفسها لو كان ذلك ممن يملك
التغرير يكون ذلك التغرير من نفسها وقوله عز وجل في جنة عالية قال بعضهم مرتفعة على ما تسمى من
الجنان في ربوة من الارض مرتفعة وقال بعضهم الجنة اسم لروضة ذات اشجار فكانه يصف اشجارها بالارتفاع
في الطول والمنظر وذلك انتهى الى اربابها والجنة اما قال قطوفها دانية من غير ذكر الاشجار لان ذكر الجنة هو
اقتضى ذكر الاشجار والثالث يكون معنى العالية اي عظيم القدر والخطر رفيعه وقد يوصف الشيء الرفيع هو
بالعلو والله اعلم وقوله تعالى قطوفها دانية اي القطوف متدانية من اهلها لمن يريد قطفها وبعيدة لمن لا
يريد قطفها وقيل دانية بنا لها القواعد كما بنا لها القيام وقيل ثمارها دانية اي لا ترد ايديهم بعد ولا
شوك وقوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية تاويله ان يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
في ايام الخالية انما جعلتم ايامكم الخالية سلفا في ايام الاخرة وسلفا لرجل لاجر هو ان يعطيه قرضا ليأخذ مثله
والحاجة اليه او يسلم الرجل راس ماله في الاشياء التي يامل منها الربح فكانه يسمى نفسه يجعلها سلفا و
راس مال ليأخذ ربح ما باع في الاخرة فذلك هو الاسلاف ويجعل عمله للاخرة راس ماله وما رزق من الاموال
ينفقها في سبيل ويجعل ذلك راس ماله وذكر عن وكيع انه قال بلغنا ان الذين اسلفوا الصوم اي انهم صاموا
في الدنيا وتركوا الطعام والشراب فاطعمهم الله في الاخرة فقال لهم كلوا واشربوا هنيئا وقوله عز وجل واما من اوتي كتابه
بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه والايتاء بالشمال احد علامات الشقاء فتمنى ان لا يؤتى بما فيه علم شقائه وقوله
عز وجل ولم ادر ما حسابيه يقول هذا في الوقت الذي فرغ ورأى فيه حلول ما كان يظن في الدنيا وحسب لانه
كان يحسب انه في الدنيا احسن صنعا من الذين امنوا واقرب منزلة الى الله تعالى كما قال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
فظهر له بقراءة الكتاب انه لم يكن على ما حسب بل قد اساء صنعه فود عند ذلك ان لا يوقف ما حسابه لئلا يظهر
مساويه ويحتمل انه تمنى انه ترك ميتا ولم يحيى حتى كان لا يرى الحساب ولا يعرفه وقوله عز وجل يا ليتها كانت القاضية
اي يا ليت الميتة الاولى كانت دائمة علي وقال بعضهم يا ليت النفخة الاخرة كانت تقضي بالموت والهلاك لم يكن
بعده باعثة والله اعلم وقال قتادة تمنوا الموت ولم يكن شيء في الدنيا اكره اليهم منه ثم الموت عليهم تقضي وليس
تقاضي تحقيقه ان يقول يا ليتها كانت مقضية ولكن هذه اللفظة يذكرها الناس في كل مكروه من الامور الا
ترى ان الناس يدعون الله تعالى ان يصرف عنهم قضاء السوء وليس بقضاء الله بل هو مقضيه فخرج القول
على ما تعارفوا وهذا كما يقال للصلوة امر الله وليست هي بامره ولكن تاويله انها بامره ما تقام فسمى بهذا
قضاء الله وهو في الحقيقة مقضية والله اعلم وقوله عز وجل ما اغنى عني ماليه في الاصل ان الكفرة كانوا يتحرزون

بكثرة اموالهم فيقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فيزعمون ان الله تعالى بما اتاهم من الاموال يدفعون
عن انفسهم العذاب باموالهم ان حل بهم فيتبين لهم في ذلك الوقت انها لا تغني عنهم شيئا فيقول كل واحد منهم ما
اغنى عني ماليه وقوله عز وجل هلك عني سلطانيه ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كل سلطان في القران فهو
حجة والاصل ان الكافر كان يحتج في الدنيا لنفسه بحجج باطلة فمرة يقول ما انت الا بشر مثلنا ويقول مرة ما هذا الا اساطير
الاولين ومرة يقول هذا سحر ومرة يقول هو مجنون وغير ذلك فيعبر بقوله هلك عني سلطانيه اي هلك عني الحجج التي
كنت اتشبث بها واضمحلت وظننتها انها حجج ومنهم من يقول السلطان هو القدرة والشرف اي ذهب ذلك كله وقيل اي
هلك عني تكبري وسلطاني على الانبياء في الدنيا وتركي الاكتراث اليهم وجائز ان يكون اراد به السلطان الذي
كان لي على نفسي في الدنيا قد انقطع لانه كان يملك استعمالها في مرضات الله تعالى فيقول قد انقطع ذلك السلطان
لاني لا املك استعمالها فيما استوجب به مرضاة الرب لانه ليس يقبل منه اسلامه ثم يجوز ان يكون الهاء
في هذه الكلمات على معنى الاشارات الى الانفس وعلى تاكيد الامر والمبالغة كالمتشابه او كانهم ينادون انفسهم بذلك
وقد يدخل الهاء في النداء كقولك يا رباه ويا سيداه وجائز ان يكون للوقف واحكام الكلام واهل النحو يسمونه هاء
الاستراحة وقوله عز وجل خذوه فغلوه وقال في موضع اخر خذوه فاعتلوه وهو السوق على العنف وقال في موضع
اخر ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكانهم والله اعلم يغلون وبدا بالامر بالاغلال لان الناس في الدنيا يجتهدون بكل الجهد
في منع العذاب بايديهم فاخبر انه ايديهم تغل في الاخرة فلا يتهيأ لهم دفع ما يحل من العذاب فيكون ذلك اشد عليهم
ويكون حالهم كما قال الله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة فيغل يداه كي لا يتقي النار بوجهه ثم يغل في السلاسل
فيجرون ويسحبون ويساقون على وجوههم على احتمال فاحوال القيمة وقوله عز وجل ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه يقال صلي
اي شوي فجائز ان يؤمر بان يشوى في الجحيم وقوله في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فذكر اولا انهم يغلون
ثم يصلون الجحيم ثم يسلسلون اذ ذاك وحق مثله ان يسلسل ثم يمد الى جهنم ولكنه يشبه ان يكونوا اولا يحشرون
ثم يساقون الى نار جهنم بقوله وسيق الذين كفروا زمرا وازدردوها فهموا ان يخرجوا منها فيسلسلون اذ ذاك و
يسحبون في النار حينئذ فلا يتهيأ لهم وقوله عز وجل انه كان لا يؤمن بالله العظيم ففيه بيان السبب الذي لاجله استوجبوا
هذا العقاب وهو انهم كانوا يؤمنون بالله العظيم ثم قوله لا يؤمن بالله جائز ان يكون لا يؤمن بوحدانيته ولا يؤمن
بارسال الرسل وكان لا يؤمن بالبعث والا فانهم يؤمنون بالله ولكن لم بالرسل والبعث فهو غير مؤمن في الحقيقة
لان الاله الحق هو الذي ارسل الرسل ويقدر على البعث والكافر لا يثبت له قدرة البعث لا يراه ارسل الرسل فصار لا يؤمن
بالله العظيم في الحقيقة وقوله عز وجل ولا يحض على طعام المسكين اخبار انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس ليسوا يطلبون
من المساكين الجزاء لما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الاخرة والكافر غير مؤمن بالجزاء فيحمله ذلك
على الاطعام وليس هو يكسب يرغب فيه من مكاسب الدنيا فكانه يقول ان الذي افضى به الى النار تركه الايمان بالله تعالى
او بالبعث ويجوز ان يكون قوله ولا يحض على طعام المسكين اثبات السحر من الذي ترك الحض على اهله بالاطعام كقوله
انطعم من لو يشاء الله اطعمه يقول كيف اطعم ومن بيده خزائن السموات والارض لا يطعم فلو كان اهلا للاطعام لكان
الاولى من يطعمه هو الله تعالى وقوله عز وجل فليس له اليوم هاهنا حميم اي قريب يرحمه وهو كقوله فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون فليس له قريب يرجوه او ينفعه ذلك الحميم وقد كان في الدنيا حميم ينتفع به وجوه منه وقوله
تعالى ولا طعام الا من غسلين وقال في موضع اخر ليس لهم طعام الا من ضريع وقال في موضع اخر ثم انكم ايها الضالون
المكذبون لاكلون من شجر من زقوم والزقوم غير الضريع جهادا والله اعلم ان في جهنم دركات فاهل دركة منها لا يجدون
غير الغسلين واهل دركة منها طعامهم الزقوم ليس لهم غيره ولا لو لم يحمل الامر على هذا اوجب ما ذكرناه اختلافا فيجب
ان يكون من عند الله بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ثم يجوز ان يكون في كل اهل دركة
ما يوجبه الحكمة ان يكون طعامهم على ما كانوا يفتخرون في هذه الدنيا بالاطعمة على من دونهم ويهينون من لم يكن
عنده ذلك الطعام جعل الله تعالى لهم من ذلك الوجه طعاما بالجحيم يهانون به وقال الحسن ان القران كله كسورة
واحدة والسورة كانها اية واحدة فكانه يجمع بين هذه الاشياء كلها في اية واحدة فقال ليس لهم طعام الا من غسلين
وليس لهم طعام الا من ضريع ومن زقوم واذا حمل على ما ذكرنا ارتفع توهم التناقض والله اعلم وقوله عز وجل الا من
غسلين فجائز ان يكون هذه اسما لشيء من الاشياء التي يعذب بها لم يطلع الله تعالى الخلق على علم ذلك ومعرفته
وقد ذكر اسامي في الاخرة ليس للخلق معرفتها عهد الا ترى ان الزقوم ليس باسم لشيء يستقبح ويستفظع في الدنيا
ثم جعله الله تعالى اسما للشيء المستبشع المكروه في الاخرة وقال عينا فيها تسمى سلسبيلا والسلسبيل غير معروف
عند اهل اللسان وقال بعضهم الغسلين ما يسيل من جلود اهل النار اذا عذبوا وذلك هو الصديد والقيح
وجائز ان يكون اذا اشتد حرهم استغاثوا الى الله تعالى وطلبوا منه برجاء ان يرفع عنهم الحر فيصب عليهم ما يزيد في عذابهم

تسبيح ما نزل عنهم غسلينا والله اعلم وقوله عز وجل لا ياكله الا الخاطئون وهم الذين قال انه كان لا يومن بالله
العظيم ولا يحض على طعام المسكين ثم وقوله عز وجل في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا لا يجوز ان السلسلة يفضل عن
ابدانهم فياخذ فضل مكان من جهنم لانه تعالى وعد ان يملاء جهنم من الجنة والناس اجمعين ولو كانت تلك السلسلة
اخذه فضل مكان لكان لا يقع الامتلاء بالجنة والناس اجمعين فيؤدى الى خلف الوعد والله عز وجل لا يخلف
الميعاد ولكن ان كانت تلك السلسلة اطول من ابدانهم فهي تدخل على اهلها ليقع لهم بها فضل تضييق وعرفنا ما
ان تفضل عن ابدانهم فلا يحتمل وذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فانه
اهون او قال ايسر عليكم وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا وتجهزوا للعرض الاكبر يوم القيمة يومئذ تعرضون لا تخفى
منكم خافية وعن الحسن انه قال ان المومن قوام لنفسه يحاسب نفسه لله تعالى انما خف الحساب يوم القيامة
على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ان
المومن يفجاء الشيء فيقول والله اني لاشتهيك وانك لمن حاجتي ولكن والله ما لي من صلة اليك هيهات حيل بيني
وبينك ويفرط منه الشيء فرجع الى نفسه فيقول ما اردت هذا ما لي ولهذا والله ما اعذر والله لا اعود لهذا ان
شاء الله تعالى ان المومنين قوم اوثقهم القران وحال بينهم وبين هلكتهم ان المومن اسير في الدنيا يسعى في فكاك
نفسه لا يامن شيئا حتى يلقى الله علم انه ماخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها فمحاسبة النفس ان
ينظر في كل فعل يريد ان يقدم عليه الى عاقبته فان كان رشدا امضاه وانفذه وان كان غيا انتهى عنه كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال في خبر
اخر ان المومن وقاف وذا ان دونه ما ذكر في الخبر الاول من النظر في العواقب فاذ نظر في العاقبة في انفاذه نفذه
ونبه واذا راى خلافا للرشد انتهوا عنه ولم يقدم فذلك وقفه وهذا الذي ذكرنا محاسبة المرء نفسه فيما يرد
من الامور ومحاسبة نفسه في الافعال التي ارتكبها وامضاها ان ينظر فان كان ارتكب محرما تاب عنه واستغفر
الله تعالى لعله يتفضل عليه بالمغفرة وان كان ذلك فعلا مرضيا رجاه الله تعالى وسال له التوفيق بمثله فهذه
هي محاسبة العبد لنفسه فيما ارتكب من الافعال وقوله عز وجل فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون قد وصفنا
ان تاويل قوله فلا اقسم اي فلا اقسم بما تبصرون من خلق السموات والارض وانفسكم وما لا تبصرون
في انفسكم من الاسماع والابصار والقلوب والعقول او ما تبصرون من الخلائق ممن حضركم وما لا تبصرون
من الخلائق ممن غاب عنكم فيكون القسم بما تبصر وما لا تبصر قسم بالخلائق اجمع لان جملة الخلائق على هذين
الوجهين فصنف منهم يرى وصنف لا يرى وقد ذكرنا ان القسم من الله عز وجل لتاكيد ما يقصد اليه مما
يعرف بالتدبر والتامل وقوله عز وجل انه لقول رسول اي الذي تسمعونه منه تسمعونه من رسول كريم
ثم ذكر ههنا انه قول رسول كريم وقال في موضع اخر وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام
الله فذكرها هنا كلامه وذكر في الاية الاولى انه قول رسول كريم فاما ما اضيف الى الرسول فهو من حيث
من بلوغنا اليه من جهة الرسول لا بامر غيره وصلنا اليه واضيف الى الله تعالى لان محمدا وبرده واضيف
الى الرسول لان ظهوره في حقنا كان به وهذا كما اضيف ما دعاه العقل الى الاذن بقوله وتعيها اذن واعية
لانه انما يوصل الى الوعي بالاذن فعلى ذلك اضيف القول الى الرسول من حيث كان سماع الخلق من جهة الرسول
عليه الصلوة والسلام ثم الاصل ان الكلام والقول لا يسمعان وانما المسموع منهما الصوت الذي يدل على الكلام
والقول ويدل عليه لا ان يكون كلاما في الحقيقة صوته فينسب ايضا هذا القران الى كلام الله تعالى لما يدل عليه لا
لان يكون المسموع في الحقيقة هو كلامه من النبي صلى الله عليه وسلم ايا كرمه لقول تلقاه من عند الله الرسول
الكريم فيذكرهم هل لهم منهم من تخليط يقع فيه من الشيطان وغيرهم من الاعداء ثم جائز ان يكون الرسول
الكريم هو جبريل عليه السلام كما قال تعالى في سورة اذا الشمس كورت انه لقول رسول كريم ذي قوة عند
ذي العرش مكين ويحتمل ان يكون الرسول الكريم هو محمد صلى الله عليه وسلم والاشبه ان يكون هو المراد
لانهم كانوا ينكرون رسالته ولم يكونوا يقولون في جبريل عليه السلام شيئا وقوله عز وجل وما هو
بقول شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون اي ان هذا القران لقول رسول كريم
ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن ثم قوله قليلا ما تذكرون وقليلا ما تومنون يحتمل ان يكون تاويله فقليلا ما
تومنون وبقليل ما تذكرون ما جاء به الرسول والقليل الذي امنوا به وتذكروا فيه هو الذي كان راجعا الى منافعهم
فاما الذي كان عليهم فهم لم يومنوا به ولا تذكروا فيه واذا كان تاويله ما ذكرنا فانتصاب القليل لانتزاع حرف
الخافض وفي الحقيقة انتصابه لكونه وهو المفعول المطلق وجائز ان يكون اضافة القليل الى قول الكاهن والشاعر
تاويله ان الامر لو كان على ما يزعمون بانه قول كاهن وقول ساحر فانكم لا تصدقون بالقليل منه وقد تعلمون

ان الساحر وان كان الغالب عليه الكذب فيما ياتي فقد يصدق في القليل منه وكذلك الكاهن فما لكم لا تصدقون
بالقليل منه وانتم تعلمون انه صادق فان كان على هذا فهو في موضع الايجاب الحق عليهم ان يصدقوه وان كان على
التاويل الاول ففيه اضمار انهم لا يومنون الا بالقليل منه والله اعلم وقوله عز وجل تنزيل من رب العالمين فالتنزيل
في الحقيقة لا يحتمل ان يسمع لانه اخبار عن فعله وانما الذي يسمع منه هو المنزل على رسول الله عليه السلام ثم اضافه
الى نفسه التنزيل ليعلم هذه الاخبار وهو قوله انه لقول رسول كريم وقوله عز وجل تنزيل خرجت على المجاز ليس على
التحقيق لان التنزيل هو انزاله فسمي تنزيلا لانه هو الذي كلفه الانزال لا ان يكون هو الذي تولى الانزال
وان كان هو خالقه وقوله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل فهذا عطف على ما تقدم من قوله انه لقول رسول
كريم وما هو بقول شاعر عليه وقوع القسم وهو موضعه فكانه يقول ان الذي تلقاه من عنده رسول كريم وما هو بقول
تلقاه من كاهن وساحر ولا بقول تقوله علينا ولو تقول لاخذنا منه باليمين ويحتمل وجها اخر وهو ان الذي تسمعون
منه رسول كريم وليس بشاعر ولا كاهن ولا متقول لانهم كانوا مرة ينسبونه الى الكهانة ومرة الى السحر ومرة انه تقول
على الله ولو تقول لاخذنا منه باليمين يبين ان عذاب الله باخص عباده اسرع وقوعا اذا هم خالفوا وزلوا منه باعدائه
الا ترى الى قوله عز وجل لاخذنا منه باليمين فبين انه لو وجد منه شيء مما قالوا لاخذ على المكان الا ترى الى ادم عليه
السلام وما حل به عند ما ابتلى بالزلة والخلاف وكذلك يونس عليه السلام وما عوتب على اثر الزلة وهذا لان عذاب
الاولياء يخرج مخرج التنبيه والتذكيره والاستدعاء الى ما كانوا عليه من الطاعة والانقياد قبل ارتكابهم الزلة
ولا كذلك عذاب الاعداء فاخر عذابهم الى اليوم الذي يدوم عليهم فيه العذاب وفيه وجه اخر وهو ان الذي سمعتم
منه لو كان سحرا او شعرا او كهانة او تقوله لكان لا يمهله الله تعالى بل يواخذ على المكان من غير ان عجزوا كما قال
فما منكم من احد عنه حاجزين فاما انه دل على ان الامر ليس كما قالوا بل هو تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل لاخذنا
منه باليمين فاخذ الله تعالى عذابه وعقوبته كقوله تعالى فاخذناهم بالباساء والضراء وقوله عز وجل فاخذناهم بغتة وقوله
باليمين اي بالقوة لا ينجو منه شيء ولا يعوقنا عذابه كقوله عز وجل وما هم بمعجزين وهو كقوله عز وجل وما هم
بمعجزين وكقوله عز وجل وما نحن بمسبوقين اي لا ينجو منا ما عندهم من الشرف والقوة من ان نواخذهم ونحل عليهم النقمة
وجائز ان يكون اليمين صلة القول لا على تحقيق فذكر اليمين لان التاديب في الشاهد والاخذ يقع بها وهو كقوله
عز وجل ذلك بما قدمت يداك فاضاف التقديم الى اليد لا على تحقيق اليد اذ يجوز ان لا يكون ليديه مما قدم صنع لكن
لما كان التقديم في الشاهد يقع بالايدي فذكر اليدان على ذلك لا على تحقيق الفعل بهما فكذلك يجوز ان يكون
اليمين ذكرت لما بها يقع الاخذ والتاديب في الشاهد وان لم يكن هنا شيء والله اعلم القوة وسمي اليمين يمينا لان
قوة الرجل يكون فيها وسمي بدنا لرقاب ملك يمين يكتسب بالقهر والغلبة وانما يصل المرء الى القهر والغلبة فسمي
بالقوة فسمي بذلك لهذا الا انه اراد بذكر اليمين تحقيق اليد لا يملك شيئا حتى يقبضه اليها فكذلك فيما اضيف من اليمين الى
الله تعالى فالمراد منه القوة وقوله عز وجل ثم لقطعنا منه الوتين قيل الوتين عرق في القلب وقيل حبل في القلب وقيل
هو العرق الذي اذا قطع مات صاحبه وهو عرق متصل بالظهر فكانه قال نعذبه عذابا لا ابقاء له مع ذلك العذاب
وهو هذا من اعظم ايات الرسالة في انهم متى زلوا اخذوا على المكان ويكون فيه امان الخلق عن احداث التغيير والتبديل وسقاط
من الرسل لانهم لو غيروا او بدلوا لاخذوا ثم قوله عز وجل منه باليمين فجائز ان يكون قوله منه زيادة في الكلام وحقه الا
ويكون معناه لاخذناه باليمين وجائز ان يكون معناه لاخذنا من تقوله وسحره وكهانته باليمين فان كان على هذا
فحقه الاثبات وليس بصلة زائدة وقوله عز وجل فما منكم من احد عنه حاجزين ففي هذا باس منه لاولئك الكفرة
لانهم كانوا يطمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباعهم وموافقتهم على ملتهم فاخبر انه لو اجابوه فقطع
منه وتينه واخذه اخذا لا يمكنون مع ذلك عنه ولا دفعه ولم يكن احد ينصره عند ذلك ايجيره عنها وهو كقوله
عز وجل وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا
نصيرا وقوله عز وجل وانه لتذكرة للمتقين فالمتقون هم الموحدون ضمائرهم مرة متقين ومرة صابرين شاكرين كقوله ان
في ذلك لايات لكل صبار شكور وهو تذكرة لانه يذكرهم الوعد والوعيد وما يتقى وما يوتى وغير ذلك وهو تذكرة بغير
القران وقوله عز وجل وانا لنعلم ان منكم مكذبين اي باياتي ورسلي ثم يمهلكم فهو صلة قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
فبين انه مع كذبهم باياته ورسله يمهلهم ولا يعجل عليهم بالعقوبة ولو وجد التقول من الرسول لما ان يسامحه وحتى تقطع
وتينه فهو على ما ذكرنا ان عذابه على خواص عباده اسرع وقوعا اذا خالفوا مقامه باعادته وجائز ان يكون قوله وانا لنعلم
ان منكم مكذبين هم المنافقون لانهم كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنتهم ويخالفونه و
يكذبونه بقلوبهم فيكون هذا التاويل راجعا الى اهل النفاق والتاويل الاول الى اهل الكفر الذين اظهروا التكذيب وقوله
عز وجل وانه لحسرة على الكافرين اي العذاب حسرة عليهم يوم القيمة لانه شافع مشفع لمن اتبعه وعمل بما فيه وماحل

مصدق لما بين يديه وما اظهره ولم يعمل به فهو حسرة عليهم لانه يخاصمهم فيخصمهم ويشهد عليهم فيصدق في شهادته او يذكرون
يوم القيمة ملتهم بالقران فيندمون عليه ويزيدهم حسرة لانهم كانوا اذا تلي عليهم القران في الدنيا ازدادوا تكذيبا به وضلالة
وكفرا وازدادوا به رجسا الى رجسهم كما قال واما الذين في قلوبهم مرض فزادهم الله رجسا الى رجسهم فهو ليس بسبب
لازدياد الرجس ولكنهم كانوا يحدثون زيادة تكذيب وضلال عند التلاوة فاضيفت الزيادة الى القران هو الذي يحملهم على زيادة
التكذيب فهذه المعاملة تزيدهم حسرة يوم القيمة فاضيف الى القران اذ كان القران هو الذي عنده وقعوا فيه كما اضيف
الرجس اليه والله اعلم وقوله عز وجل وانه لحق اليقين والاصل ان الحق اسم لما يحمد عليه فحقه ان ينظر فان استعمل في اللفظ
فيصرف فيها الى احد الوجوه فاذا استعملت في الاخبار اريد بها الصدق فتقول يقال هذا خبر حق اي صدق واذا استعمل في
الحكم اريد العدل واذا استعملت في الاقوال والافعال اريد بها الاصابة فقوله انه لحق اي صدق ويقين انه من رب العالمين
فهو صلة قوله عز وجل تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل فسبح باسم ربك العظيم قيل صل وقيل اذكره باسم الذي
اذا سميت كان تسبيحا اي تنزيها عن كل ما قالت فيه الملاحدة وما نسبت اليه مما لا يليق به والله الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سأل سائل بعذاب واقع للكافرين قرئ بتسكين الالف ومعناه سال واد بعذاب واقع اي يجري واد
بعذاب واجب والقراءة العامة بالهمز من السؤال وتاويل على سؤال القوم العذاب بقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء وقولهم ربنا عجل لنا قطنا وقيل هو النضر بن حارث سال ذلك فقتل يوم بدر صبرا بعد ما اسر وكذلك
قال بعض اهل التاويل ولكن عندنا ان هذا وان كان في الظاهر خارجا مخرج السؤال لكن لم يكن سؤاله هذا ليتنزل به العذاب
في التحقيق وانما هذا منه على جهة الاستبعاد بالعذاب والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والذي حملهم
على الاستبعاد والانكار هو انه كان عند اهل مكة انه لو كان فيهم نبي لكانوا هم احق بالنبوة من رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانهم هم الذين بسطت لهم الدنيا وهم الذين لهم نفاذ الكلام في البلاد ورسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يبسط له الدنيا ولا كان لكلامه فيما بينهم نفاذ فيظنون بهذا انهم اقرب منزلة عند الله تعالى من النبي صلى الله عليه
وسلم لا يستقيم في العقل ان يصل الولي الى عدوه ويحسن اليه ووليه ويجفوه فهذا الظن الذي ذكرنا هو الذي
حملهم على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبرهم من حلول العذاب بالتكذيب وعلى الاستهزاء به فكان
سؤال السائل على جهة الاستبعاد والانكار للعذاب لا ان كانوا مقرين به ثم استعجلوه وذكر ان ابا جهل قال
يوم بدر اللهم انصر افضلنا دينا واوصلنا رحما واقرانا للضيف فكان يدعو بهذا لما عنده انه افضلهم او اعلى منزلة
عند الله عز وجل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلولم يكن عندهم
انهم اقرب منزلة واحق ان يكونوا اولياء والا لم يكونوا يجترؤون ان يسالوا بهذا فهذه الشبهة التي ذكرناها هي التي اورثت
لهم ما ذكرنا من الظن حتى زعموا انهم احق بالرسالة وظنهم هذا يتولد من ابليس وذلك ان ابليس قال انا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين فظن ان امر الفاضل للمفضول بالسجود في الخضوع له خارج عن حد الحكمة فصار الى
ما صار اليه من الخزي واللعن فكذلك هؤلاء لما راوا من نفاذ كلمتهم وسعتهم في الدنيا انهم اقرب الى الله تعالى
اذ التوسع عندهم دلالة الولاية والقرب ثم سفههم هو الذي حملهم على التكبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وترك الخضوع والا لو اعطوا النصفة من انفسهم لكان يجب ان يكونوا هم اطوع خلق الله تعالى لان الواجب على من كثرت
عليه النعم من غيره ان يكون هو اشكر للنعم واطوع له فيما يدعوه اليه من الذي تلك نعمه عليه فاذا كانوا مقرين ان نعم الله
عليهم اكثر واحسانه اليهم اوفر اوجب ما ذكروا ان يكونوا هم الزم لطاعته واحد لما يامر به وكذلك ابليس اللعين
اذ راى لنفسه فضلا وانما استوجب ذلك بما انعم الله عز وجل عليه كان الحق عليه ان يتسارع الى طاعته وينقاد لما امر
به لا ان يظهر الخلاف من نفسه ويترك الايتمار بامره وقوله عز وجل بعذاب واقع اي هو واقع بهم لا محالة في علم الله تعالى
او واقع بمعنى سيقع لا يقال قابل اي سيقبل وقوله عز وجل للكافرين ليس له دافع فان كان قوله للكافرين صلة قوله بعذاب
واقع فحقه ان يقول على الكافرين ولكن اللام من حروف الاضافة والخفض وحروف الاضافة مما يستبدل بعضها ببعض
فجعل اللام عن على وان كان قوله للكافرين صلة قوله ليس له دافع فمعناه انه ليس على الكافرين دافع العذاب الله عز وجل
بل واقع بهم لا محالة فلا بد لنا اللام مكان عن لانهما جميعا من حروف الخفض وقد يدفع العذاب عن المسلمين من وجوه
اما برحمة الله تعالى او شفاعة الرسول والاخيار واما الحسنات سبقت منهم فوجب تكفير سيئاتهم فاما الكفار فلا
تنالهم رحمته ولا شفاعة احد من الخلائق وليست لهم حسنات يكفر سيئاتهم فليس لهم ما يدفع عنهم العذاب و
جائز ان يكون معناه ان الذين ظنوا انهم ينصرهم عند النوائب وحلول الشدائد لا يقومون بنصرهم ولا يشفعون لهم لانهم
كانوا يعبدون الاصنام ويعبدون الملائكة على رجاء ان يشفعوا لهم ويقربوا الى الله تعالى وقوله عز وجل من الله

ذي المعارج اي ذلك العذاب لهم من الله ذي المعارج اي من له المعارج كقوله عز وجل ذو العرش المجيد اي الذي
له العرش واختلفوا في المعارج قال بعضهم هو المصاعد وهي السموات وسماهن مصاعد لان بعضها اصعد من بعض
وارفع ولو قال ذي المسافل كان مستقيما ويقتضي ما يقتضي قوله ذي المعارج لان بعضها اذا كان اصعد والذي
تحتها اهبط واسفل ولكن ذكر المصاعد لان هذا احق في الوصف ثم في ذكر هذا عظم نعمه واحسانه الى خلقه حيث خلق السموات
مسكنا لاهلها وبسط الارض مسكنا لاهلها حتى اذا عرفوا ان له ان يفضل بعضا على بعض وله ان يصطفي من يشاء من
الناس للرسالة ويختص بها وذكرهم ايضا حكمته وعلمه وقدرته وسلطانه اي حيث وضع سماء على سماء وخلقهن طباقا
من غير عمد تحتها يمسكها ولا علائق من فوقها يربطها فتبين انه يمسكها بحكمته وقدرته فيكون في ذكر كل وجه مما ذكرنا ازالة
الشبهة التي اعترضت لهم في امر البعث والرسالة والايضاح بان من قدر على ما ذكرنا لقادر على الاعادة بعد الافناء وقيل
المعارج المعالي اي الذي له العلو والرفعة كما قلنا في قوله الحمد لله اي لا احد يستحق الحمد في الحقيقة وما حمد احد الا
وذلك في الحقيقة لله تعالى لانه به استفاده فعلى ذلك قوله العلو والرفعة اي ليس احد يستفيد العلو والكرامة الا وحقيقة
ذلك لله تعالى لانه استفاده به والثاني اي هو الموصوف بالعلو والجلال لعما يقع عليه اوهام الخلق وقوله عز وجل تعرج
الملائكة والروح اليه يحتمل ان يكون معنى قوله يعرج ليس عن هبوط يصعد ويعرج لكن انشاهم كذلك من وجهين كقوله
وانزل لكم من الانعام اي انشاهم كذلك وقوله عز وجل والسماء رفعها ليس انه كان في موضع منخفض فرفعها لكنه كذلك
خلقها مرتفعة فعلى ذلك قوله عز وجل تعرج الملائكة اي انشاهم كذلك استعلهم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
ووجه اخر وهو الاشبه بالاية وهو ما قالوا ان الملائكة تعرج اليه اي الى موضع الذي عنه ارسلهم الى انواع الامور
في يوم لو قدر ذلك العروج بعروج البشر وغيرهم لكان مقداره خمسين الف سنة وقوله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة وقال في موضع اخر الف سنة مما تعدون فيحتمل ان يكون هذا الوقت وقت خروج الملائكة وصعودهم وهو
ان البعض ينزل منهم ثم يعرج في يوم واحد مقدار ذلك المسير الف عام والبعض منهم ينزل ويعرج في يوم واحد مسيرة خمسين
الف سنة فيكون في هذا ابانة ان ليس اهل سماء احق ان يدبر عليهم تدبير اهل الارض من اهل سماء بل ينزل اهل سماء
الى الارض مرة لما اراد من التدبير وينزل اهل سماء اخرى بتدبير اخر ثم ان سماء يرسل فهو يصعد الى تلك السماء بيوم
واحد ان رسل من السماء السابعة او السادسة او الاولى فهو يصعد اليها في ذلك اليوم ويكون في هذا تبيين
فوق بعض الملائكة على بعض ان فيهم من يسير مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد وفيهم من يسير مسيرة الف سنة و
من قدر على ان يخلق في خلق من خلائقه من قوة ما يقطع هذه المسافة في يوم واحد لا يحتمل ان يعجزه شيء فيكون في ذكر
هذا تحقيق كون ما به هولوا من القيمة والبعث وجائز ان يكون قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة راجعا الى
يوم القيمة فذكر في موضع ان مقداره الف سنة وذكر هاهنا ان مقداره خمسين الف سنة فالاصل ان ذلك اليوم ليس
بذي حد ولا له غاية ينتهي اليه فما يخبر من الحد فيه فهو يخرج مخرج تعظيم ذلك اليوم يقع به التهويل والترهيب فاي شيء
يعظم ذكره في القلوب يذكره فمرة ذكره بالخلود وهو قوله عز وجل ذلك يوم الخلود ومرة قال لابثين فيها احقابا ومرة
خمسين الف سنة ومرة قال الف سنة اذ هذه الاشياء مما يعظم في القلوب وكذلك الالف هي غاية في القلوب فاذا
كانت هذه الاشياء يعظم ذكرها في القلوب فذكر الشيء الواحد من الجملة او ذكر الاشياء يقتضي معنى واحدا ومنهم من
يصرف الالف الى تقدير عروج الخلائق السماء في ذلك اليوم ويصرف قوله خمسين الف سنة الى تقدير المقام
للحساب قبل ان يدخل النار وجائز ان يكون تاويله على ما ذكره بعض اهل التفسير وهو ان الله تعالى لو خلى حساب الخلق
من منذ الى الخلق فتكلفوا ان يفرغوا من حسابهم لم يفرغوا منه الا في مقدار خمسين الف سنة لكن الله عز وجل بلطفه
يحاسبهم حسابا يفرغون عنه في ادنى وقت حتى يصير اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار على ما جاء في الاخبار وذلك
قوله والله سريع الحساب فان قيل في قوله عز وجل الف سنة مما تعدون انكيف تقدر ذلك بصعودنا ونحن لم نكن
من الصعود ولم ننشأ على ما في طبعنا انشاء الصعود حتى نبصر انه الف سنة او اقل او اكثر وجوابه ان يقال ان اوله
والله اعلم انه لو بسط ما بين السماء والارض وصار بحيث يمكن السير عليه لم يقطع ذلك المسير اذا اجتهدنا في قطعه الا
بالف سنة مما تعدون وجائز ان يكون تاويله ان لو جعل الى السماء بابا وفتح وظللنا نعرج اليها لم نتوصل اليها الا في
الف عام وقوله عز وجل فاصبر صبرا جميلا قيل الصبر الجميل هو صبر لا جزع فيه والصبر الذي لا جزع فيه هو ان يصبر صبرا
لا يرى عليه اثر الصبر بان لا يظهر في وجهه كراهة وعبوسة وهو ان ينظر الى من اذاه بعين الرضاء والشفقة ليس
بعين السخط والكراهة او الصبر الجميل ان لا يكافئهم ولا يدع شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كذلك مشفقا بهم رحيما حتى بلغت شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كذلك مشفقا بهم رحيما حتى بلغت شفقته ورحمته وحزنه على كفار قومه مبلغا كادت نفسه تهلك
فيها كما قال الله عز وجل فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لعلك باخع نفسك على آثارهم فالرسل عليهم السلام

كانوا اذا اوردوا لم يكونوا يتحرزون لمكان انفسهم بما اوردوا بل كانوا يحترزون لمكان من دونهم خوفا من ان يحل بهم
الهلاك والبوار بايديهم رسل الله تعالى واشفاقهم على قومهم هو الذى كان يحزنهم لسوء صنيعهم ومعاملتهم معهم
وقوله عز وجل انهم يرونه بعيدا ان يكون فيكون على النفي والانكار وقد يستعمل هذا الحرف في موضع النفي يقول الرجل في
مناظرة لصاحبه ابعدت في القول اذا اجاب بشيء لا ثبات له ولا صحة فيريد بقوله ابعدت النفي اي ليس كما تقول وقال
الله عز وجل اولئك ينادون من مكان بعيد ومعناه على نفي النداء اي لا ينادون وان يكون قوله بعيدا اي يستبعد
كونه فيعدونه بعيدا وعادتهم حتما نكرهه ونراه قريبا كونه ان كان معنى قوله بعيدا اي بعيدا كونه ونراه قريبا اي كاينا وقد قرب
وقت وقوع ذلك بهم وكل ما هو كاين فهو قريب وقوله عز وجل يوم تكون السماء كالمهل فكانهم سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الوقت الذى وعدوا ان يقع بهم العذاب متى وقت فنزلت هذه الاية يوم تكون السماء كالمهل
وقيل المهل عكر الزيت ودرديه وقوله فجايز ان يكون هذا على التحقيق وهو انها تتغير في ذلك اليوم من لون الى لون فتحمر
مرة وتصفر اخرى لشدة هول ذلك اليوم فيكون كدردى الزيت لينا ولونا متغيرا من حال الى حال وجايز ان يكون
لا يحل بها التغير ولكن يشتد ما ينزل بالمرء من الهول والفزع فيضعف بصره حتى يرى السماء على خلاف اللون الذى هى
عليه وهو كما يرى المرء اذا حل به الضعف والمرض في المشاهد وجه طعم الاشياء على خلاف ما هى عليها فيكون في ذكر هذا
تاويل وترويع ان هول ذلك اليوم شديد لا تقوم لهولها السموات والارضون مع صلابتها وغلظها في انفسها فكيف
يقوم لهولها الادمى الموصوف بالضعف واللين وجايز على ما ذكرنا انه يصير شبيها بالمهل لينها ورخاوتها انها تلين
وترخو من هول ذلك اليوم حتى يصير السماء كالمهل والجبال كالعهن فيكون في هذا ايضا تهويل ليرجعوا عما هم فيه ويقبلوا
على عبادة الله تعالى ويسارعون الى طاعته وتاويل العهن ووجه تشبيه الجبال بها يذكر بعد هذا في قوله عز وجل
وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقوله عز وجل ولا يسئل حميم حميما قرا برفع الياء ونصبها فمن رفع الياء فتاويله اي
لا يطلب حميم من حميم لا يوخذ بمكانه كما يفعل مثله في الدنيا لان ذلك اليوم وهو يوم العدل وليس من العدل ان
يوخذ المرء بذنب الغير ومن قرءه بالنصب فتاويله ان لا يسال الحميم حميما من شدة ذلك اليوم وهوله النصرة والشفاعة
ولا يسال عن حاله بما حل به من الشغل في نفسه وقوله عز وجل يبصرونهم يحتمل ان يعرف بعضهم عن بعض ان هذا ابوك
وابنك وحميمك اذ لا يعرفه الا بالتعريف لما حل به من شدة الهول والفزع ثم اذا عرفوا لا يسالونهم بل يفر بعضهم عن
بعض كما قال تعالى يوم يفر المرء من اخيه الاية ويحتمل معناه او يبصروا ما سبق منهم من الذنوب والاجرام فيعرفونها
ويبصرونها حاضرة وقوله عز وجل يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التى تؤويه
ومن في الارض جميعا ففي هذا انه يستقبلهم في ذلك هول وفزع لم يكن لهم بمثله عهد في الدنيا ولا كان يخطر ببالهم
ذلك لان المرء لا يبلغ به الهول في الدنيا مبلغا يود ان يفتدي به بنيه وصاحبته واخيه واقرباءه وجميع من في الارض
فيكون فيه اخبار عن شدة هول ذلك اليوم ليحمل الناس على الانابة الى الله تعالى والانتهاء عما هو عليه ثم بدا بذكر
البنين والاقربين بالابعد وحق هذا ان يبدا بالابعدين وحق هذا ان يختم بذكر الابعدين لان المرء قد يسمح بنفسه
بفداء الابعدين ويظن بفداء الاقربين فاذا سخت انفسهم في ذلك اليوم بفداء البنين والاقربين فلان تسمح
بفداء الابعدين احق واذا كان كذلك فغاية التهويل والتفزيع ان يبدا بذكر الاباعد ويختم بذكر الاقارب فكيف ابتداء
بذكر الاقربين فجوابه من وجهين احدهما انه انما يتوسل الى فداء اهل الارض واذا كان له عليهم سلطان وكانوا باجمعهم له
واذا كانوا جميعا له ملكا كانت شفقته على ملكه واولاده ولحمه واكثر فكان يظن ببذل اولاده وان يكونوا عنه فدا
فذلك يفتن بالاباعد اذا كانوا جميعا ملكا له فلذلك استقام ان يبدا بذكر الاقربين قبل الابعدين اذ كل ذلك يستوى
التهويل والتفزيع والله اعلم وجايز ان يكون ذكر الاقربين وذكر اهل الارض ليس على جهة الاولى ولكنه ذكر الاحاد
ولاتم ذكر الجماعة ثم ذكر جماعة الجماعة ليعلموا ان لا ينفعهم الفداء في ذلك اليوم وان الدين وذووا الفداء لا يتخلصوا
من عذاب الله تعالى ما يشتد عليهم ما فدوا وان كان ذلك ملء ما في الارض والله اعلم وقوله عز وجل ثم ينجيه كلا ودرنينه
انه لا ينجيه ذلك اليوم وقوله عز وجل انها لظى نزاعة للشوى الاية فاللظى اسم من اسماء النار والشوى قيل هي مكارم
خلقه وقيل هي القوايم والاطراف هي الجلود والاصل ان نار جهنم يحل على اصحابها قبح كل قبيح وكل مستشنع مستقبح
فان شئت صرفت ذلك الى الارجل وان شئت الى الجلود وان شئت الى مكارم خلقه الاخلاق لان التقبيح في كل ذلك
موجود وهو كقوله عز وجل لهم فيها ازواج مطهرة فعبر في تاويل المطهرة وجوه احدها انهن مطهرات من العيوب و
الافات وجملته انه ما من شيء يستحسن ويستقبح من خلق ونفس ومعاملة الا وهن مطهرات من ذلك وما من
شيء يستشنع الا وذلك في اهل النار موجود وقوله عز وجل تدعو من ادبر وتولى فجايز ان يكون الدعاء منها على
التحقيق وهو ان يجعل الله تعالى باللطف لسانا تدعو به ويخلق فيها الكلام من غير لسان فيقول الى الى وجايز ان يكون
هذا على التمثيل وهو انها لا تدع احدا يفر عنها ويتخلص من عذابها فكانها دعته الى نفسها ثم وقوله عز وجل من ادبر

وتولى

وتولى جايز ان يكون قوله من ادبر اى من كان ادبر في الدنيا من طاعة الله تعالى وتولى عن الاجابة لرسله كقوله تعالى تولى عن
ذكرنا اى اعرض او ادبر عن توحيده وتولى عن النظر في حجته وقبيا ما من عنده ويحتمل قوله ادبر اى ادبر عن طاعة الله عز وجل
وتولى اى تولى الشيطان من الولاية وجايز ان يكون ادبر في جهنم فتدبر رجاءه ان يفر عنها ويتولى كذلك فلا يدعه
النار ولم يجنه عن الاعراض كقوله عز وجل انما سلطانه على الذين يتولونه ولكن هذا قريب من الاول لان من تولى
عن ذكر الله فقد تولى الشيطان وقوله عز وجل وجمع فاوعى يحتمل بخل وجمع على ما جبل عليه من شدة الحرص على الدنيا فيكون
الجمع كناية عن الحرص فيبلغ به هذا الحرص مبلغا انساه ذكر الاخرة وقوله عز وجل فاوعى فيه بيان صفته فيما عليه من النهاية
في البخل فيكون الايعاء كناية عن البخل حتى لم يود حق الله تعالى في ماله ولم يقم بشكر ما انعم الله تعالى من النعم او يبلغ به البخل مبلغا
منعه ذلك عن قبول حق الله تعالى في ماله وقوله عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اختلف في تاويل الهلوع من وجوه كلها يرجع
الى معنى واحد فقال بعضهم الطامع في اللذات الطالب لها والكاره الاثقال الهارب منها وقيل خلق هلوعا اى على حب
ما يتلذذ به والقيام بطلبه وبغض ما يتالم به والهرب عنه ومنهم من يقول الهلوع الضجور وهذا موافق للتاويل الاول
لان الذى يحمله على الضجر هو ما يصيبه من الالم فيضجر عن حق الله تعالى ومنهم من يقول تفسيره ما ذكر ذلك على اثره من قوله
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وهذا ايضا مثل الاول لان الذى حمله على المنع شدة حبه اياه والذى حمله
على الجزع ما مسه من الضر والشر فجزعت نفسه لذلك لانها انشيت نافرة عن الضر ومبغضة له وقال الله عز وجل
وخلق الانسان عجولا وقال في موضع اخر وكان الانسان قتورا اى لا يسخو على اخراج ما في يديه ففي هذه الايات
انباء ان الانسان خلق على هذه الاحوال فتشرح عجولا هلوعا فلما انشاء على حب ما ينفعه وبغض ما يكرهه وتبا لمن
علم انها خلق على هذه المحنة فمن تذكر فيما وعد الله تعالى من النعم لمن قام بوفاء ما امره به حمله ذلك على التسارع في الخيرات
وترك ما يحبه في الدنيا لينال المرغوب في الاخرة اذ هو في الاصل لشيء محبا لما يتلذذ به ومن تذكر ما اوعد من العذاب
بما يعطي نفسه من الشهوات من معاصي الله تعالى وما يمنع من حقوق الله تعالى الواجبة في ماله سهل عليه ترك الشهوات وخف
عليه بذل ما طلب منه لئلا يحل به ما ينغص بعيشه من الالام والمكاره والاصل ان الانسان وان كان مطبوعا على هذه
الاخلاق الذميمة من البخل والاقتار والعجلة والجبر عليها فقد ملك رياضة نفسها ويمكنه ان يستخرجها من تلك الطباع
الذميمة الى اضدادها من الاخلاق الحميدة والشمايل المرضية فلزمه القيام بذلك الا ترى انه يتهيا له ان يقوم برياضة
الدواب والسباع فيخرجها بالرياضة عن طباعها التى انشيت عليها من النفاد عن الخلق والامتناع عن الانقياد حتى تصير
منقادة للخلق ذليلة لهم فيتهيا لهم الاستمتاع والتوصل الى منافعها فكذلك الانسان اذا قام برياضة نفسه امكنه
ان يستخرجها عن خلقتها فتصير مطيعة له فيخف عليها بذل ما يطلب منها ويسهل عليها عمل ما كان يشتد عليها ثم الاصل ان
المرء وان جبل على حب ما يتلذذ به وبغض ما يتالم به فيحمله حبه لذلك على ترك ما هو فيه من اللذة هي اعظم منها وعلى الصبر
لاحتمال الاذى والمكروه ليتخلص عما هو اعظم من ذلك المكروه والامر اذا كان كذلك فهو اذا قابل نعيم الدنيا بنعيم الاخرة
وارتب التبين بابعدهما فراى ان الاخرة اعظم واتى خف عليه تركه في بهما واقلهما لاكثرهما واذا قابل مكروه الاخرة و
عذابها بعذاب الاخرة فراى عذاب الاخرة اشد واتى خف عليه تحمل المكاره في الدنيا فهذا السبب الذى ذكرنا مما يتصل به الى
رياضة النفس والذى يدل على ان المرء قد يخف عليه عمل الشدايد وترك اللذة الحاضرة لما يامل من اللذات الاجلة
انك ترى المرء قد يهون عليه الضرب في الارض وقطع الاسفار وتحمل المؤن وركوب الاهوال والمقاطع والانقطاع
عن اللذات كالذى يخرج للتجارة من بلده الى بلد نائية لما يرجو من النفع والربح في ذلك فيتحمل ما يمسه من المكاره والمؤن
لما يطمع من نيل اللذات التى هي اعظم من اللذات التى يتركها فنعوذ ذلك اذا تفكر في نعيم الاخرة وتفكر في عقابها يسهل عليه
ترك اللذات الحاضرة وخف عليه تحمل المكاره في الدنيا ووجه اخر انه لما جبل على حب اللذات وبغض المكاره امر ان يجعل ما يحب
من العاجل اجلا فيكون شغله ابدا فيما يوصله الى نعيم الاجل وامر ان يجعل هربه عن الالام فيجتهد فيما فيه التخلص والنجاة
عن تلك الالام والله اعلم وقوله عز وجل الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون معناه والله اعلم لان المصلين يقومون
برياضة انفسهم حتى يصرفوها عن خلقتها التى انشيت عليها ثم بين ان الذين يقومون برياضة انفسهم هم الذين يقومون
على صلوتهم دون الذين يقومون الى الصلوة كسالى ولا يدومون عليها ولا ينفقون من اموالهم الا عن كراهة ثم قوله
عز وجل على صلوتهم دائمون دوامهم عليها في لزوم ما عرفوها وهو ان يقيموها في اوقاتها ويحافظون عليها ودوامها ان
يكون دوامهم ان يكونوا فيها ابدا الا ترى الى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احب الاعمال الى الله تعالى
ادومها وان قل واذا دتقوله ادومها الزموها في الوقت الذى اوجب حتى ذلك على انفسهم لا ان يكونوا ابدا فيها لانهم
اذا بقوا فيها ابدا اكثر ذلك منهم فلا يكون لقوله وان قل معنى فثبت ان معنى الدوام ما وصفنا والله اعلم وجايز ان يكون المراد
من المداومة هو ان يدوم على الاحوال التى يليق بالصلوة عند كونه فيها من الاقبال على المناجات وترك الالتفات وتفريغ
القلب عن الاشتغال والوساوس وقال بعضهم على صلوتهم دائمون هو التطوع وعلى صلوتهم يحافظون الفريضة قال

وتصديقه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا صلوا داموا عليها وكا[ن] احب الاعمال اليه ادومه
وان كل واصله ان الله تعالى قال واقاموا والاقامة على الشيء هو الدوام عليه لانه اذا فعل الشيء مرة ثم تركه
لم يوصف بالاقامة عليه فقوله دايمون ومقيمون يقتضي معنى واحدا فيكون فيه ابانة ان الصلوة يلزم فعلها
مرة بعد مرة ليست كالفرايض التي اذا اديت مرة سقطت من نحو الجهاد والحج وقوله عز وجل والذين في اموالهم حق
معلوم قيل هو الزكوة ذكر ذلك عن قتادة وغيره وقال ابو بكر هذا غير محتمل لانه محتمل لان هذه الايات مكية انما
فرضت الزكوة عليهم بعد هجرتهم الى المدينة ولكن ليس فيما ذكر دفع هذا التاويل لانه يجوز ان يكون الزكوة لم يفرض
عليهم لما لم يكونوا اصحاب الاموال لان الزكوة لم يكن مفروضة في الجملة وبين الوجوب اذا استفادوا الاموال
الا ترى ان الفقير قد يعلم ايتاء الزكوة من المال وان لم يكن له مال ليقوم باداءها اذا صار من اهلها فقوله حق
معلوم اي علمه الله تعالى في اموالهم فلزمهم اخراجه ثم بين ان خروجهم مما لزمهم من حق الله تعالى في اموالهم بالدفع
الى السايل والمحروم وجايز ان يكون ذلك الحق المعلوم هو حق القرابة وغيره ومن ذكر ان هذا الحق غير الزكوة قال لانا
انهم كانوا اعلموا في اموالهم حقا فجعله لطايفة منها للسايل وطايفة للمحروم لذلك سماه حقا معلوما ويحتمل ان
يكون في ذلك الوقت شيئا معلوما مفروضا عليهم في اموالهم نسختها اية الزكوة ولم يذكر لنا ذلك لعدم حاجتنا
الى معرفته ثم السايل معروف وهو الذي يسال واما المحروم فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
سئل عن المحروم فقال المحروم هو الذي لا ينتحل ويتحمل الناس ولا يزكو ذرعه ويركو ذرع الناس ولا يلتبث
بنانه وقيل شاة الناس فعنوا بالمحروم هذا انه حرم بركة ماله وفي هذا الخبر دليل على ان المرء لا يصير غنيا بملك
النخيل والارض وجايز ان يكون المحروم هو الذي حيل بينه وبين وجوه المكاسب فمن كان حاله هكذا كان علينا
ان نساعده ونقوم بكفايته وقال الحسن المحروم هو الذي يتعفف عن السؤال وان هلك والله اعلم وقوله عز وجل
والذين يصدقون بيوم الدين فيوم الدين هو يوم الجزاء ويوم الحساب فكل عرف الجزاء وامن به لم يجزع بما يصيبه
ولا يمنع الحق الذي طلب منه ولم يوصف بانه هلوع وانما الهلوع هو الذي يكذب بيوم الدين كما قال ارايت الذي
يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم فاخبر ان الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذي لا
يؤمن بالاخرة وقوله عز وجل والذين هم بعذاب ربهم مشفقون اي خايفون وجلون وهم الذين قال عز وجل
في اية اخرى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وسئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل له اهم الذين يسرقون ويزنون ويعملون بالمعاصي فقال لا بل هم الذين يقومون ويصلون
ويؤتون الزكوة او كما قال بلفظه صلى الله عليه وسلم ووجلهم هو انهم يخافون ان لا يقبل منهم حسناتهم
او يخافون ان يكونوا قصروا عن الوفاء بشكر النعم او غفلوا عن شكر كثير منها وقوله عز وجل ان عذاب
ربهم غير مامون فهذا هو الحق ان لا يامن احد من عذابه وان دأب في عبادته وجهد في طاعته لما لا يدري
على ماذا يختم امره او يخاف ان لا يقبل منه ويرد عليه او يخاف ان يكون قد قصر عن شكر كثير من النعم وغفل عنها و
الاصل انه ما من احد ينظر في امره وحاله الا وهو يرى على نفسه من الله تعالى انعاما لو اجهد نفسه ليقوم بشكر واحد
منها لقصر عن ذلك ولم يتهيا له القيام بوفائها فمن كان هذا وصفه فانى ينفع له الامن من عذابه ويؤخذ منه الوفاء
بالاسباب التي يؤمن بها الا ان يكون من الخاسرين وقوله عز وجل والذين هم لفروجهم حافظون ذكر حفظ الفرج
ولم يذكر بم يحفظ وحفظه يكون بخصال احدها ان يسكن في قلبه جلال الله وهيبته ويخشى عقابه في المعاد والثاني
بما جعله الله عز وجل سببا للتعفف من النكاح وملك اليمين فيمنعه ذلك عن الزنا وحفظ الفرج والثالث بحبس
بطنه بالصيام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يقدر على الباءة فليصم فان الصوم له وجاء والرابع بما ترك
النظر الى النساء ولا يخلوا بهن ويدع مجالسة الفجار واهل الريبة وقوله عز وجل الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين ولو لم يقل غير ملومين لكنا نعلم بقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم انهم لا يلامون
لانهم قد اباح لهم الاستمتاع بمن ملكت ايمانهم ومن كان تحتهم بملك النكاح ولا يجوز ان يلحق اللايمة باستعمال
المباح المطلق ولكن فيه فوايد احدها ان من الناس من يحرم الاستمتاع بملك النكاح وملك اليمين فيخبر انهم عند
من اعتقد الايمان بالرسل غير ملومين وانما يلومهم من انكر الرسالة وهم الثنوية والبراهمة وجايز ان يكون
معناه انهم وان منع النساء عن الجماع بما هو خير لهم من الصيام وانواع القرب لم يلحقهم اللايمة كما لا يلام من
يمنع اخر عن طاعة الله تعالى وانما استمتعوا بملك النكاح وملك اليمين لم يميلوا الى الزنا فيلحقهم اللايمة بذلك
وقوله عز وجل فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون العادي هو الظالم في الحقيقة يقال عدا فلان على فلان
اذا ظلمه فهم عادون حيث ظلموا انفسهم فوضعوها في موضع لم يؤذن لهم بالوضع فيها وقال الحسن هم العادون
حيث عدوا من الحلال الى الحرام وفي الاية دلالة تحريم المتعة لانه اخبر ان من ابتغى وراء ملك اليمين وملك النكاح

فهم اذن من العادين وقوله عز وجل والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فالامانات لها وجهان احدهما ما ائتمن
الله عز وجل عباده على ما له من الحقوق عليهم والثاني ما ائتمن بعضهم بعضا على الحقوق والعهود التي يجري بين الخلق
من الذمم والنذور وغير ذلك فيدخل فيه كل امانة بين العبد وبين ربه وبينهم وبين الخلق وكل اخذ عليهم
من نحو قوله اوفوا بالعقود وقيل في التاويل العهود ثم بين ذلك فقال الذين اتمم الصلوة الاية والعهد الذي اعطينا
المعاهدين فكل ذلك داخل تحت الاية وقد يدخل معنى الامانة وقد يجوز ان يقع بينهما فرق والله اعلم وقوله عز وجل
والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقيمونها لله تعالى كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وقائمون بالوفاء بما عليهم
من الشهادة فيقومون لها احبوا او كرهوا اضرهم ذلك او نفعهم وقوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون محافظة الصلوة
اقامتها في اوقاتها بشرايطها والذي يحملهم على المحافظة ما يخشون الله تعالى والحملات تكفر السياتهم فيرغبون في اقامتها
لتكفر عنهم سيئاتهم وقوله عز وجل اولئك في جنات مكرمون في الاية ابانة ان من يكرم بالجنان هؤلاء وذكر عن ابي بكر الاصم
انه قال في هذه دلالة ان من وفى بهذه الاشياء التي ذكرها في هذه السورة من الادامة على الصلوة وايتاء الحق المعلوم والتصديق
بيوم الدين الى اخر ما ذكر فهو الذي يكرم بالجنة والخاطي الذي يرجع عن خطيئته ويستغفر منها فاما غير هذين وهؤلاء لا يستوجب
الاكرام بالجنة فما ذكر من الاكرام بالجنة الصنفين الذين ذكرهما فهو كما ذكر واما الصنف الثالث فهم الذين بلوا بالخطيات من
اهل الايمان ولم يتوبوا عنها فقد يرجى لهم هذه الكرامة بعفو الله سبحانه وتعالى وكرمه وجوده ومن كان هذا وصفه
لم يؤيس من احسانه بل كان العفو منه مامولا والاحسان منه مرجوا وقوله عز وجل فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن
اليمين وعن الشمال عزين اختلف في تاويل الاهطاع فمنهم من يقول هو الاسراع في الشيء ومنهم من يقول هو ادامة النظر فمن
حمله على الاسراع فمعناه ان ايمة الكفر كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون القران منه ثم يسرعون الى اتباعهم
ويجلسون خلقا خلقا ويحرفون ما يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبسون على ضعفائهم واتباعهم ليصدوهم عن
الايمان بالله عز وجل ورسوله عليه السلام فان كان الامر على هذا فتاويله ما لهم يسرعون اليك ليسمعوا كلامك ثم يتفرقون
عن اليمين وعن الشمال ويكذبونك نحو ان يقول بعضهم ما هذا الا سحر مبين وما هذا الا اساطير الاولين ان هو الا رجل افترى
على الله ونحو ذلك وما النفعة لهم في طعنهم عليك استحبابهم المقت والطرد بذلك من الله تعالى وما يرجون باعراضهم عن
تصديقك بعد ما ظهرت الايات ومن حمله على النظر فمعناه انهم كانوا يجلسون بعيد وينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ويطعنون عليه بالسحر والافتراء وانه من اساطير الاولين فيمكرون من يقتضي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
تبعه من الكفرة فان كان على هذا فتاويله كانه يقول لهم ما لهم يجلسون من البعيد ناظرين اليك ولا يدنون منك ليسمعوا ما
انزل اليك فينتفعوا به لكنهم متفرقون عن اليمين وعن الشمال يبعدون الناس عن مجلسك وقد علموا ان لهم الى من
يعلمهم الكتاب والحكمة حاجة اذ ليس عندهم كتاب ولا علم بالاسباب المتقدمة ليعلموا انك تحتج بالعلم والحكمة دون السحر
والكهانة فاما كان على هذا الوجه فالعتاب لمكان التحريف والتبديل والله اعلم وقوله عز وجل ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة
نعيم قوله ايطمع حرف استفهام وقد ذكرنا ان حرف الاستفهام ممن لا يفهم ايجاب ثم اختلف في وجه الايجاب فمنهم من يقول
معنى قوله ايطمع اي لا يطمع كل امرئ بعبادتهم الاصنام والاوثان ان يدخلوا جنة نعيم اذ هم منكرون للبعث والجنة والنار
ثم مع هذا ينصرون الاصنام ويعبدون ويخضعون لها وان كان لا طمع لهم في نصرها الى شيء في العاقبة ولا يرجون منها
العواقب فيكون في هذا ترغيب للمؤمنين على القيام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعبادتهم الله تعالى كانه يقول انهم لا
يطمعون بنيل شيء ولا يخافون عن شيء في العاقبة ثم يقولون بنصر الاصنام فانتم احق بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتطمعون بنيل الجنة والدخول فيها بنصركم اياه والله اعلم ومنهم من حمله على ايجاب الطمع وهو انهم كانوا يطمعون وخول
الجنة ونيل نعيمها ان رجعوا الى ربهم لظنهم انهم اذا ساووا المسلمين في نعيم الدنيا وسعتها فكذلك يساوونهم
في نعيم الاخرة كما قال الله عز وجل خبرا عنهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية هكذا ظن الكفرة انهم ان رجعوا الى ربهم فيجدون عنده خير منقلب فقال تعالى
كلا انا خلقناهم مما يعلمون فقوله كلا على هذا التاويل رد لاعتقادهم وقطع الاطماعهم فقال كلا اي لا يدخلونها قط ثم استانف
الكلام فقال عز وجل انا خلقناهم مما يعلمون وعلى التاويل الاول كلا بمعنى حقا انهم لا يطمعون ثم استانف بقوله انا خلقناهم
مما يعلمون اي من تلك النطفة فتذهم بهذا عظيم نعمه واحسانه اليهم بما اخرجهم منها ونقلهم من حال الى حال حتى صار وابشرا سويا
ليعلموا انهم لا يتركهم سدى بل يمتحنهم ويستادي منهم شكر ما انعم عليهم فيوجب ذلك تصديق الرسل وفيه تذكير قدرته
وسلطانه وبيان ضعف ابتدائهم ليعلموا ان من قدر على انشائهم لقادر على ان يحييهم بعد ما افناهم والله اعلم وقوله عز وجل
فلا اقسم برب المشارق والمغارب الاية ذكر المشارق والمغارب دون السموات والارض وفي ذكرها ذكر اهل السموات والارض
فيكون فلا اقسم برب الخلايق اجمع ويكون حرف لا زايدا في الكلام تاكيدا للقسم على ما ذكر فيكون معناه فلا اقسم ثم حق
هذا القسم ان يقول مكان قوله رب المشارق والمغارب فلا اقسم بي اذا كان القسم من الله تعالى هو ظاهر الكلام في

متعارف اللسان ولكن يحتمل هذا وجوها احدها ان يكون هذا القسم من النبي صلى الله عليه وسلم كانه عليه ان يقسم به
ويقول له قل يا محمد فلا اقسم برب المشارق والمغارب وان كان هذا قسما من الله تعالى فهو مستقيم ايضا من
وجهين احدهما على الاضمار كانه قال فلا اقسم بي يا رب المشارق والمغارب والثاني وان كان هذا القسم من الله
تعالى يستقيم بلفظ المغايبة كما يستقيم بلفظ الخاص لان الخلق كله لله معهود وليس هو مشاهد للخلق فيخرج الكلام
بينهم على ما يخاطب الغائب ومرة على الوجه الذي يخاطب به الشاهد ومثل هذا مستعمل في متعارف اللسان والله
اعلم وفي الاية دلالة على ان ملك السموات والارضين ومدبرهما واحد اذ لو لم يكن كذلك لكان لملك السماء ان
يمنع الشمس والقمر والكواكب من ايصال النفع الى اهل الارض ويكون لملك الارض ان يمنع ملك السماء عن الاثر
في الارض ثم الذي تشرق وتغرب منذ خلق تجري على ما جرى عليه التدبير جريا واحدا لم يقع فيه تغيير ولا تبديل
ولو كان لله تعالى فيه شريك لكان لابد من وقوع التغيير فيها فثبت ان تدبير السموات والارضين وتدبير سلطانها
راجع الى الواحد وقوله عز وجل انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم هذا موضع القسم فجائز ان يكون ان يكون ربه
اي نبدل الخير منهم فيجعل مكان ما كانوا من الشر خيرا كقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا وقد
فعل ذلك لانهم اسلموا ويحتمل ان يكون اراد به ان نبدل قوما خيرا منهم ثم هذا يخرج على وجهين احدهما على تحقيق القدرة
والثاني ان يكون معنى القدرة ارادة الفعل اما الاول فعلى وجهين احدهما على معنى تخويف اهل مكة انهم لم ينتهوا عن ذلك
انزل الله تعالى مكانهم من هو خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبدل لا يكون الا بعد المبدل عنه وقد فعل الله تعالى
ذلك بهم اهل المعاندين منهم وابدل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولادهم والمهاجرين منهم والانصار الذين آووا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونصروه والثاني ان كنا قادرين على ان نجعل الرسل اليهم خيرا اذ قد علموا من قدرة الله عز وجل ان
هو الذي خلقهم وانشاهم لكن انما ارسل اليهم وامرهم لحاجات انفسهم لا لنفع يرجع اليه ليس على ما عليه ملوك الدنيا لكنه
انما امتحنهم بالامر ليسعوا في نجاة انفسهم وبهلاكهم لكفرا رتابهم عن النار فيكون فيه تسكين قلب النبي صلى الله عليه وسلم
عند وجده عليهم حيث لم يؤمنوا واما الوجه الثاني ان يكون معنى القدرة ارادة الفعل خاصة اذ قد يكنى بالقدرة اذ هو
سبب الفعل كالامر المعتاد بين الخلق بامر رجل آخر بفعل فيقول لا استطيع ولا اقدر اي لا افعل وعلى هذا تأويل قوله
عز وجل انا لقادرون اي لفاعلون من هو خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدلا عن هؤلاء فان كان على هذا فيكون
فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجعل له اصحابا يرضاهم ويكون فيه اخبار ان الله عز وجل له بالنصر والغلبة
على المكذبين منهم ويكون فيه انباء لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا ينفذ فيه مكرهم وان اجتهدوا ويكون فيه اعلام
انه ينتقم منهم له ويعذبهم وقد فعل ذلك كله بحمد الله عز وجل والله المستعان فحيث بدل عن اهل مكة اهل المدينة وكانوا
خيرا منهم لان اهل مكة كانوا عليه واهل المدينة كانوا له فكانوا هم خيرا وقوله عز وجل وما نحن بمسبوقين والمسبوق
المغلوب فكانه قال لا يسبقنا احد ولا يعجزنا احد عن ذلك ولا يفوتنا ما نريد وقوله عز وجل فذرهم يخوضوا ويلعبوا
قال ابو بكر الخائض المخير والاعيا الخاطي فقوله فذرهم اي دعهم فيما هم من خطاياهم وتحيرهم في دينهم فكل من
اشتغل بما لا يحتاج له فهو خائض لاعب واصله ان كل امر لا عاقبة له يحمد فيه لاعب لاهي كقوله انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو اي من يعمل في الحيوة الدنيا للدنيا لا للآخرة فهو لاعب لاهي وكان هذه الاية صلة قوله تعالى فما للذين كفروا
مهطعين الاية امره بان لا يشتغل باولئك ويقبل على من يرجو منهم الايمان او امره بان لا يشتغل بمكافاتهم لسوء
صنيعهم وان الله سينصره عليهم ويكافيهم عنهم وقوله عز وجل حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فهو لاقوا ذلك اليوم هو
يوم بدر وسيلاقون اليوم الثاني وهو يوم الآخرة وقوله عز وجل يوم يخرجون من الاجداث سراعا يخبر انهم يخرجون
من الاجداث وهي القبور سراعا الى الداعي والذي يحملهم على الاسراع هو انفسهم ان اجابت الداعي في الدنيا فينزل بهم المهلك
بتركهم الاجابة فتسارعوا في ذلك اليوم الى اجابة الداعي رجاء ان يتخلصوا من العذاب الذي حق عليهم بترك الاجابة وذلك
لا ينفعهم وان وجدت منهم التوبة والرجوع عن تلك الاجابة لان ذلك اليوم ليس بيوم ينفع فيه الندامة والتوبة وانما
هو يوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت وهذا كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فاخبر انهم
يفزعون الى الايمان بالله تعالى لما ايقنوا انهم اغافل بهم الناس باعراضهم عن الايمان فجرعوا عند ايقانهم العذاب الى الايمان
رجاء ان يتخلصوا من العذاب فلم ينفعهم ذلك ولم يغنهم عن عذاب الله شيء اذ ذلك الوقت قبول التوبة فيكون هذا تحريضا
بالاسراع الى اجابة الداعي والايمان بما يدعوا اليه قبل ان يؤمنوا ايمانا لا ينفعهم والله اعلم وقوله عز وجل كانهم الى
نصب يوفضون قرئ بنصب النون وجزم الصاد وهو اسم العلامة كالوضح واشباهه وقرئ بضم النون وهم
اسم لصنم فان كان على العلامة فمعناه انهم يسارعون في ذلك الوقت الى اجابة الداعي مسارعة من يسرع في هذه
الدنيا الى الغرض والعلامة المنصوبة كذا قال اهل التاويل ذكر عن الحلبي الى نصب يوفضون الى علم يسعون وقال
قتادة الى علم يستبقون وعن مجاهد الى علم ينطلقون فان كان على الثاني فمعناه انهم يسرعون الى اجابة الداعي في ذلك

كثر عنهم الى عبادة النصب عند خوفهم فوت عبادتها وعند خيفة فوت عبادتها عندهم لو يعبدون نصبهم حتى يستلموها
ومنهم من ذكر ان النصب برفع النون والصاد هي الاعراض التي يسعون اليها ومن تاول هذا فهو يجعل النصب ها هنا جمع
النصب وقوله يوفضون اي يسرعون وقال الحسن اي يوملون وهما واحد لان الاسراع في الوصل موجود وقوله عز وجل
خاشعة ابصارهم فيحتمل ان يكون هذا على نصر الوجوه وصفة خشوعها ما قال في اية اخرى لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء
فيحتمل خشوعا لا يملك طرف مرفه من الداعي فيفيد ان الذلة قد احاطت بهم حتى اثرت في الاعين والوجوه وفي كل
عضو وجائز ان يكون هذا على نصر القلوب وهوان قلوبهم يشتغل باجابة الداعي عن ان يبصر لنفسه حيلة يتخلص من
اهوال ذلك اليوم وشدائدها وقوله عز وجل ترهقهم ذلة اي تعلوهم والذلة الحالة في النفس بيد وظهوره بالابصار
وقوله عز وجل ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون وحققه او يقول هذا اليوم الذي كانوا يوعدون لانه اضافه الى اليوم الذي
كانوا يوعدون في الدنيا ولكن معناه كانوا يوعدون ذلك اليوم في الدنيا وذلك اليوم في الوقت الذي كان يوعدون
غير موجود فيعبر بما يعبر الغائب والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم
في ذكر نبإ نوح عليه السلام دلالة رسالته واثبات نبوته انما ذكرنا ان هذا لم يكن من علمه ولا علم قومه ولم يختلف النبي صلى
الله عليه وسلم الى من عنده علم به فتعلمه منه فعلم انه بالله تعالى علمه لا باحد من خلقه فيكون فيه الزام الحجة عليهم وفيه اعلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقي نوح عليه السلام من قومه ليصبره بذلك على اذى قومه ان السورة مكية ثم امره بالانذار
ولم يذكر معه البشارة فكذلك قال نوح عليه السلام اني لكم نذير مبين ولم يقل بشير وقد كان هو بشيرا ونذيرا فجائز ان
يكون اقتصر على ذكر النذارة لان في ذكرها البشارة وذلك انهم اذا استوجبوا العذاب اذا داموا على ما هم فيه من
الضلال وعبادة غير الله تعالى بهم اذا انتهوا عن ذلك استوجبوا العفو واستجابوا العفو ووقوع البشارة فاذا كان
ذكر احد الوجهين يقتضي ذكر الاخر اكتفى بذكر احدهما عن ذكر الاخر وجائز ان يكون خص النذارة بالذكر لان الحالة
كانت حال الانذار لانهم كانوا معرضين عن طاعة الله تعالى ومقبلين على عبادة غيره فكانوا مستوجبين للنذارة ولم يكونوا
من اهل البشارة وانما يصيرون من اهلها اذا انتهوا عما هم عليه فيكون قوله انذر قومك ان داموا على ما هم عليه
وفي هذا دلالة على ان المرء اذا اخذ غير طريق السبيل فيه ان يبدا بفساد عليه مذهبه ثم اذا ظهر فساده عنده
امره باتباع سبيل الهدى وبين له الحجج والدلائل فيسمع فيه ذلك لسان يحتج عليه بالحجج التي هي حجج مذهب الحق قبل ان
يبين له فساد ما هو فيه فان ذلك لا ينجع فيه ولا يدعوه الى قبول الحق والتزامه ما يبين له قبح ما هو فيه وفساد ما اعتقده
فاذا بان له ذلك يحتاج الى ان يسال عن سبيل الهدى فيه ليرغبه بالتعليم ثم الاصل ان الدنيا هي سبيل الاخرة والضلال
سبيل يفضي بمن سلكه الى العذاب الدائم والهدى سبيل يفضي الى الثواب الدائم فالنذارة هي تبيين ما ينتهي اليه عاقبة
من يلزم الضلال والبشارة هي تبيين عاقبة من يلزم الهدى وان شئت قلت ان النذارة هي ان يبين عسر ما يحل
في العاقبة والبشارة هي ان يبين بما يصير اليه في العاقبة من اليسر ثم في قوله عز وجل ان انذر قومك من قبل
ان ياتيهم عذاب اليم دلالة ان حجة الاله يلزم الخلق قبل ان ياتيهم النذر فلا يخوفون بنزول العذاب بهم قبل ان
ياتيهم النذر فلا يخوفون بنزول العذاب بهم قبل ان ينذروا فلما خوفوا نزول العذاب بهم قبل ان ياتيهم النذر
دل ان الحجة لازمة عليهم وان الله تعالى ان يعذبهم لتركهم التوحيد وان لم يرسل اليهم الرسل فيكون تاويل قوله
عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا على عذاب الاستيصال في الدنيا ليس على عذاب الاخرة والله اعلم وقوله
عز وجل قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي مبين بما يقع به الانذار والتخويف فيكون الابانة منصرفة الى النذارة
ويحتمل ان يكون هذا الوصف راجعا الى نفسه خاصة كانه قال نذير لكم مبين اي اني لم اقم في دعائي اياكم الى عبادة
الله تعالى وانذاركم من عند نفسي ولكن بما اختصني الله تعالى وولاني ذلك ثم الاصل في الانذار نهيا وفي النهي امرا
لكن الانذار يقتضي نهيا وكيدا والنهي يقتضي الامر بالخلاف امرا وكيدا واما البشارة فهي يقتضي الامر الوكيد
لانه يستوجب البشارة بكل خير يفعله وان كان المرء ترك ذلك الخير لخير آخر يأتي به فلا يفهم بنفس البشارة الامر
الوكيد ويفهم بتصريح النذارة تاكيد الوجهين الذين ذكرناهما واذا كان كذلك فطلق البشارة لا يدل على تحقيق
النذارة فهي تدل على البشارة لان النذارة على ما هو فيه الفعل يلزم النهي وانما انتهى عنه فقد حصل العفو وفي
حصول العفو ارتفاع ما خوف وذهابه وقوله عز وجل ان اعبدوا الله واتقوه فكانه قال انذرهم على عبادة غير الله
وامرهم بعبادة من يستحق العبادة وهو الله تعالى الامر بالانذار يقتضي النهي عما هم عليه ويدعوا الى خلافه وبين لهم
الخلاف الذي دعى اليه لقوله عز وجل اعبدوا الله والقوة وقيل اعبدوا الله اي وحدوه وقال لكل عبادة جرى
بها الامر في القرآن على الارسال فهي منصرفة الى التوحيد فكان الذي حملهم على هذا التاويل هو ان الآيات التي
فيها امر بالعبادة نزلت في اهل الكفر لانه خاطب بقوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم ولم يخاطب بقوله عز وجل

يا ايها الذين امنوا اعبدوا ربكم واذا ابتدأ بها في اهل الكفر والكافر اول ما يؤمر بالتوحيد لم يقبل منه شيء من العبادة
فجعلوا تاويل العبادة لهذا لا انما يكون العبادة عن التوحيد خاصة بل العبادة يراد بها التوحيد مرة اذا ذكرت عقيب الكفر
واذا ذكرت في اهل الايمان فالعبادة منهم ان يفوا بمعاملة ما اعتقدوا بالقول وان ينجزوا ما وعدوا من انفسهم وهذا
كما ذكرنا في اقامة الصلوة وايتاء الزكوة انهما اذا ذكرنا في اهل الكفر انصرف المراد من ذلك الى الاعتقاد لا الى الفعل
لانهم ليسوا من اهل الفعل واذا ذكرنا في اهل الاسلام اريد بالاقامة والايتاء ايجاد الفعل فكذلك الحكم في العبادة
بقوله اعبدوا الله اي وحدوه واتقوه اي اتقوا الاشراك في عبادته واطيعون فيما امركم به من توحيد الله تعالى وان
لا تشركوا به شيئا وجائز ان يكون قوله واتقوه اي اتقوا المهالك كلها واتقوا النار كما قال الله عز وجل واتقوا النار
كما قال الله عز وجل واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا واتقوا اذا ذكر على الانفراد
مرسلا اقتضى الانتهاء عما فيه الهلاك واقتضى الامر بالعبادة والطاعة ولجمع بين العبادة والتقوى كانت العبادة
انصرفت الى اتيان الافعال وانصرف التقوى الى اتقاء المهالك وهو كما قلنا في البر والتقوى ان كل واحد منهما اذا ذكر
منفردا اقتضى ما يقتضيه الاخر واذا جمعا في الذكر صرف احدهما الى جهة والاخر الى جهة اخرى وكذلك الاسلام والايمان
اذا افرد بذكر احدهما يكون معنى كل واحد منهما هو معنى الاخر واذا جمعا في الذكر صرف كل واحد منهما على حدة الى جهة و
قال الحسن في قوله عز وجل واتقوه اي اتقوا الله في حقه ان تضيعوه فهو يجمع ما تؤدي وما تتقي ثم الاصل ان الطاعة قد تكون
لمن سوى الله والعبادة لا تكون الا لله تعالى فلذلك قال عند الامر بالعبادة اعبدوا الله فاضافها الى الله تعالى واضاف
الطاعة الى نفسه بقوله واطيعون ففيه دلالة ان ليس في الطاعة لاحد اشراك بالله تعالى في الطاعة بل الله تعالى جعل
الاشراك في الطاعة بقوله فقد اطاع ومن يعدل بالله تعالى في العبادة بقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون لعباده كما
كما انها يقتضي الخضوع والتضرع على الرجاء والخوف ولله تعالى هو الذي يرجى منه ويخاف من نقمته فاما بطاعته وقوله عز وجل
فهو يقتضي فعلا على الامر لا غير وعلى ذلك لما صرفت الكفرة الرجاء والخوف الى الاصنام بقوله ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله سموا عبادا للاصنام فكل من يفعل الفعل على الخوف والرجاء فكذلك منه
عبادة له وقوله عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم ان صرفت قوله اتقوه الى اتقاء الشرك يرجع قوله يغفر لكم ذنوبكم الى
ما سلف من الذنوب في حالة الشرك كقوله عز وجل ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان صرفته الى ساير وجوه المهالك
رجع الى السالف والى الآتي جميعا وهو كقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكون قوله من صلة على ما ذكره اهل
التفسير ومعناه يغفر لكم ذنوبكم وجائز ان يكون قوله من على التخصيص ليس على حق الصلة لانه قد يكون من الذنوب ذنوب
لا يؤاخذ بها بعد الاسلام وهي التي تكون بينه وبين الخلق من القصاص وغيره فالماثم بالقتل وان زال عنه بالتوبة فان
القصاص لا يرتفع عنه وقوله عز وجل ويؤخركم الى اجل مسمى فجائز ان يكون اولئك القوم كانوا يخافون على انفسهم
الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فيخرج قوله ويؤخركم الى اجل مسمى مخرج الامان لهم انهم بايمانهم
يبقون الى الاجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا او يكون معناه انكم ان اسلمتم يفسح الى انقضاء اجالكم المسمى سالمين
امنين لا تهابون عدوكم ان يمكروا بكم وقوله عز وجل ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون وقال في موضع اخر فاذا جاء اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وجائز ان يكون قوله لا يستاخرون اي يتاخرون عن اجالهم او لا يؤخرون عما يطلبون
من التاخير فيكون نفي هذا اياس لهم انهم لا يؤخرون اذا طلبوا التاخير لان الله تعالى قال وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم
الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين فاخبر جل جلاله ان الموت اذا اتاه طلب التاخير
ليبدل ما طلب منه البدل قبل ذلك من التصدق والايمان به فقطع عنهم طمعهم بقوله ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء
اجلها وبقوله لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وهذه الاية نقض على المعتزلة قولهم لانهم
يقولون بان رجلا لو جاء وقتل اخر فانما قتله قبل انقضاء اجله والله تعالى يقول ولا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
والاصل ان الله تعالى اذا علم انه يقتل فانما يجعل انقضاء اجله بالقتل ليس بغيره لانه لا يجوز ان يجعل انقضاء اجله
بموته حتف انفه ثم ينقض اصله بغير ذلك لانه لو جاز هذا لادى ذلك الى الجهل وقوله عز وجل لو كنتم تعلمون اي لو كنتم
تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء اجالكم لكنتم تبدلون الحال ما ارتدعتم لئلا يحل بكم العذاب او يكون معنى
قوله ان اجل الله اذا جاء اي اجل العذاب اذا حل ووقع لا محالة لا يرتدعوا عنه وقوله عز وجل قال رب اني دعوت قومي ليلا
ونهارا يحتمل ان يكون هذا من نوح عليه السلام بعدما اخبر انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فيكون القول منه قول
معتذر وانه لم يقصر في دعوة قومه الى الاسلام وانه قد دعاهم الى الاسلام في كل وقت وحال وانه قد ابلى عذره في ذلك
وانما جاء التفريط والتعدي من جهة قومه ويحتمل ان يكون هذا منه على الاشفاق والرحمة والتعرض لاستنزال اللين
والرحمة لعل الله تعالى بلطفه يلين قلوبهم فينقادوا للحق ويرغبوا الى الاجابة ليتخلصوا من العذاب ويستوجبوا المغفرة
من ربهم فهو يخرج على احد هذين الوجهين ان كان قبل الاخبار فهو على التعرض منه لاستنزال اللين والرحمة وان

كان بعده فهو على ابلاء العذر لا على الدعاء والرجاء بان يلين قلوبهم بلطفه فينقادوا للحق اذ لا يجوز ان يخبر الله تعالى
انهم لا يؤمنون وهو يطمع منهم ان يؤمنوا ثم قوله اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دعوت في كل وقت ساعة من الليل
والنهار امكنني فيه الدعاء وقوله عز وجل فلم يزدهم دعائي الا فرارا واصل هذا ان دعاءه اياهم كانت قد اشتدت لنوع عم
وكان قد استثقلوه وابغضوا كلامه فحدث لهم ببغضهم كلامه واستثقالهم اياه معنى حملهم على الفرار فنسب ذلك
الى الدعاء لان حدوث ذلك المعنى كان عند وجود الدعاء على معنى المجاورة والقرب لا ان يكون الدعاء في الحقيقة سببا
لزيادة الفرار وهو كقوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والقران لم يجعل سببا لزيادة
الرجس ولكنهم لما احدثوا رجسا عندما اتى عليهم القران فحدث لهم معنى حملهم على ذلك الرجس فاضيفت تلك الزيادة
الى القران اذ عند ذلك حدث ذلك لا بسبب الزائد في الرجس فنسب اليه على معنى المجاورة وقال الله تعالى فاتخذتموهم
سخريا حتى انسوكم ذكري وهم لم يكونوا منسيين بل كانوا مذكرين يذكرونهم مرة بعد مرة لكن بعضهم اتاهم على اتخاذهم
سخريا اوقع لهم السيئات فنسب اليهم الاشياء فعلى ذلك لما ابغضوا واستثقلوا كلامه ودعاءه احدث لهم ذلك
البغض زيادة نفار وجحود فصير سبب النفار الى الدعاء للوجه الذي ذكرنا الا ان يكون الدعاء في الحقيقة منفرا وقوله
عز وجل واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم وقال في موضع اخر الم ياتكم نبؤا الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود الى قوله فردوا ايديهم في افواههم فيجوز ان يكون هذه الاية فيما يدعون رؤساءهم واشرافهم
والاجلة منهم فاذا دعاهم ردوا ايديهم في افواه الانبياء عليهم السلام وضربوهم على ما ذكر في الاخبار واما الاتباع
منهم والمقلدون لهم كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم ويغطوا وجوههم ورؤسهم كي لا يسمعوا كلامه فيقع شيء
منها في قلوبهم لما احذرهم رؤساؤهم عن ذلك ويكون هذا في طائفة منهم وهذا في طائفة اذ كان ليس من قوم واحد
على اخرين فاختلفت معاملتهم معه على ما كان من امر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم هذا يحتمل وجهين احدهما على التحقيق
ما ذكر ليبين بهم من الاجابة والثاني جائز ان يكون على التمثيل فضرب مثلهم في تركهم الاجابة مثل من جعل اصبعه في اذنيه
واستغشى ثيابه لئلا يسمع ولا يجيب وكقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم ولم يوجد منهم نبذ ولكنهم اعرضوا عنه اعراض
من نبذه وراء ظهره وكذلك في قوله عز وجل فردوا ايديهم في افواههم على التمثيل وهو انهم تركوا الاجابة الى ما دعوا اليه
ترك الاجابة من الذي يرد يده في فيه لئلا يتكلم والله اعلم وقوله عز وجل واصروا اي داموا على ما هم عليه وثبتوا على كفرهم
وقال قتادة واصروا اي صاحوا في وجوه الانبياء عليهم السلام ردا عليهم ومغالبة في الدعاء كقوله والغوا فيه لعلكم
تغلبون وقوله عز وجل واستكبروا استكبارا اي استكبروا عن طاعة الله تعالى وامتنعوا عن الاجابة لرسوله عليه السلام
وقوله عز وجل اني دعوتهم جهارا اي اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ففي هذا اخبار انه دعاهم الى عبادة الله تعالى في كل وقت
نهارا له من ليل ونهار ولم يقصر فيها فدعاهم في كل وقت رجاء الاجابة منهم ويحتمل اني دعوتهم جهارا اي اذا بعدوا
مني وازدحموا وكثروا فدعاهم جهارا ليسمعهم الدعوة وقوله عز وجل واسررت لهم اسرارا اذا قربوا منه وقلوا وخلا
اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم اعلن في الدعاء ثم جائز ان يكون الجهر والاسرار منصرفا الى الدعوة ويكون
الاعلان اعلانا بالحجج واظهارا للبينات والى هذا يذهب ابو بكر الاصم وقوله عز وجل فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا فالاستغفار وصلة المغفرة بما ذكر من قوله عز وجل اعبدوا الله واتقوه واطيعون فيكون هذا منه امرا لهم
الايمان الذي هو سبب المغفرة لا امر بسؤال المغفرة نفسه من الله تعالى اذ استغفار كل قوم يرجع الى احوالهم فاذا كانوا
كفرة فهو ايمان بالله تعالى وان كانوا اصحاب ذنوب فالتوبة الى الله عز وجل وان كانوا مخلصين فما سلف من ذنوبهم
ما يعملوها ونحو ذلك وقوله عز وجل يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل
انهارا فيحتمل انما قال هذا لانهم كانوا في شدة عيش وضيق حال فوعدهم انهم ان انتهوا عن الكفر واجابوا الى ما دعاهم
اليه غفر الله لهم ذنوبهم وارسل السماء عليهم مدرارا فيشبعوا به على ما قال به بعض اهل التاويل ان الله تعالى قد
حبس عنهم المطر وعقمت ارحام نسائهم وهلكت مواشيهم وجنانهم لتمام اربعين سنة ثم اهلكوا بعد ذلك وكانوا
كلهم كفارا ليس فيهم صغير فلذلك كان نوح عليه السلام بعدهم ومن الناس من يترك الايمان خشية هذا فاخبر
عز وجل ان الذي هم فيه من رغد العيش لا ينقطع عنهم بالاسلام بل يرسل عليهم المطر من السماء مدرارا
ويمددهم باموال وبنين مما يجعل لهم من الجنات والانهار لكن ذوي الالباب والعقلاء ينظر الى الحسن لعاقبة وما
اليه مودة دون الحال فلذلك الذي رغبه فيه ولذلك اختلفت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لامته فمنهم من
يسره بكثرة امواله وبنيه ومنهم من رغبه في اخرته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقال هل انبئكم بخير من
ذلكم للذين اتقوا عند ربهم الاية ونظير الاول كقوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض والاصل ان الرسل عليهم السلام بعثوا مبشرين منذرين واعين زاجرين محتجين
فيما بشروا عليهم من انباء الاولين دخل فيهم جميع الاوجه الثلاثة فالنذارة والبشارة مرة تقع بالاشياء ومرة

تذكرا بما نزل بالمتقدمين من المصدقين منهم والمكذبين ان كيف كان عواقب هؤلاء وهؤلاء وكذلك الدعاء والرحمة
يكون مرة بابتداء الدعاء والزجر بذكر الامم السالفة وان الرسل كيف كانوا يدعونهم ثانيا والله اعلم وقوله عز وجل
ما لكم لا ترجون لله وقارا وقال ابو بكر الاصم تاويله كيف لا ترجون لله ثوابا فتعبدوه فيثيبكم بها وقد علمتم ان الخير كله
في يده وان الذي تعبدون من دون الله لا يملكون لكم نفعا ولا يدفعون عنكم ضرا فجعل قوله وقارا مكان عبادة والله
اعلم وقال غيره ما لكم لا ترجون لانفسكم عند الله منزلة وشرفا وقدرا وقال بعضهم اي ما لكم لا تخافون عظمة الله و
قدرته عليكم فتنتهون عما نهاكم وتاتون ما امركم به وحمل الرجاء على الخوف لما قد ذكرنا ان الرجاء المطلق يقتضي الخوف
والرجاء جميعا وكذلك الخوف المطلق يقتضي رجاء والله اعلم والاشبه بالتاويل عندنا ان الرجاء لله تعالى على ما له هو
الغضب لله والحب لله والبغض لله اي ما لكم لا تسعون سعي من يرجوا ما عند الله على التوقير والهيبة بعد ان شاهدتم
من نعم الله تعالى واحسانه اليكم من خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر وما ذكر من منته في الايات التي
تتلوها وذلك ان المرء اذا سعى لاخر على غير رجاء او لم يرجوا منه استخف به فالزمهم نوح عليه السلام سعي من يرجو
على التوقير والهيبة على ما عليه في الشاهد ان الساعي للملك والكبراء على الرجاء كيف يكون منهم توقيرهم اياهم
وهيبتهم عنهم والله اعلم وقوله عز وجل وقد خلقكم اطوارا فيحتمل قوله لا ترجون لله وقارا على حقيقة الرجاء فتاويله
كيف لا ترجون ان يعظم قدركم عند الله عز وجل اذا اجبتم الى ما دعاكم اليه وفيما ذكر من خلقه اياهم اطوارا تذكير لهم
حسن صنيعهم فيما قلبهم من حال الى حال من اول ما انشاهم الى الحالة التي هم فيها وكيف لا ترجون احسانه في
حادث الاوقات اذا اقبلوا على طاعته واشتغلوا بعبادته وان كان قوله عز وجل لا ترجون لله وقارا على الخوف ففيما ذكر
من قوله عز وجل وقد خلقكم اطوارا تذكير العظمة والسلطان والقدرة وهو انه دبركم في تلك الظلمات الثلاث ولم يخف
عليه احوالكم فيها بل قلبكم من حال الى حال كيف شاء فكيف يخفى عليه افعالكم في حال بروزكم وظهوركم
فيكون في ذكر هذا تنبيه ان الله تعالى لا يخفى شيء من اعمال الخلق فيدعوا ذلك الى المراقبة ويلزم التيقظ والتحفظ
في كل حال لئلا يتعدى حدود الله ولا يضيع حقوقه فتحل به البوار والهلاك فاذا احتمل التاويل على الرجاء كان فيه
تذكير عظيم نعمه عليهم من اول ما انشاهم الى الوقت انتهوا اليه فيحملهم ذلك على طلب ما يشرف قدرهم عند الله تعالى
ويحمد عاقبتهم وان حملته على الخوف كان فيه تذكير القدرة والسلطان فيحملهم على المراقبة والاتقاء في حادث الاوقات
ومن حمل قوله عز وجل وقارا على العبادة فهو يخرج على هذين الوجهين الذين ذكرناهما في الخوف والرجاء انا صرف الكلام
التاويل كانه يقول ان الذي خلقكم اطوارا قد تعلمون انه حكيم ومن هو حكيم لا يسفه وتركه سدى لا يامركم
ولا ينهاكم ولا يستادي منكم شكر النعيم سفه فيكون في ذكر هذا ترغيب في العبادة واخلاص الطاعة ويكون
في ذكر هذا ايضا تثبيتا للربوبية والزام القول بالوحدانية لانه انشاهم نطفة ثم علقة ثم مضغة الى ان
خلقهم بشرا سويا فلو لم يكن المدبر والمنشئ واحدا لكان يعجز عن تقليبه من حال الى حال لانه اذا اراد ان ينشئ
من النطفة علقة ومن العلقة مضغة كان للاخر ان يمنعه عن تدبيره فلا يتهيا له انشاء علقة ولا مضغة ف
ارتفاع المانع دليل على ان ليس يدبر سواه ولا خالق غيره فاذا ثبت انفراده بما ذكرنا ثبت انه هو المستحق للعبادة من الخلائق
وقال بعضهم معنى قوله وقد خلقكم اطوارا اي تختلف الاخلاق والصور والالوان والالفاظ والاصوات والنغم
حتى لا يرى احدا تشبه اخر بجميع خلقته وهذا من عظيم ما يستدل به على قدرته وحكمته والله الموفق وقوله عز وجل
الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا قد ذكرنا ان قوله الم تروا يقتضي تدارك امر قد غفلوا عنه فقد يقتضي
تذكير اعجوبة لم يسبق من الخلائق العلم بها فيقول تدبروا انه خلق سبع سموات طباقا بغير علائق فوقها ولا اعمدة تحتها
ومن قدر على خلق مثله لقادر على خلق كل ما يريد فيكون فيه ايجاب القول بالبعث اذا عاد ثم ليس باهون من خلق
السموات في تقدير عقولكم ومن قدر على خلقهن لقادر على البعث والله الموفق وقوله عز وجل وجعل القمر فيهن
نورا ثم من تذكر انه جعله نورا في السماء الدنيا واضافه الى جملة السموات وقد يجوز ايضا اي اضاف الشيء
الى العدد وان لم يوجد ذلك الا في البعض يقال في سبع قبائل مسجد واحد والمسجد اذا كان واحدا لا يكون
في سبع قبائل وانما يكون في قبيلة واحدة ويقال فلان يتوارى في دور قوم وهو لا يكون متواريا في دورهم
وانما يكون متواريا في واحد منهن ثم اضيف التواري الى الجملة فكذلك اضاف نور القمر الى السموات السبع
وان كان القمر في سماء واحدة ومنهم من ذكر الى ان نور القمر قد اختلط بجميع السموات وزعم ان وجهه الى السموات
وظهره الى اهل الارض ولهذا ما يحمل عليه التواتر من السحاب وغيره فاما نور وجهه فانه لا يستره شيء
من السواتر لكن هذا انما يعرف بالخبر فان صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر فذلك هو والا فالامساك
عن مثله احق وقوله عز وجل وجعل الشمس سراجا تذكر السراج هاهنا مكان الضوء في موضع اخر وهو قوله
عز وجل وجعل الشمس ضياء تذكر في القمر النور وفي الشمس الضياء لان القمر يكون في وقت الحاجة الى النور

وذلك في ظلمة الليل ثم انزل الله تعالى انشاء الليل ليسكن فيه لكن قد يبدو للخلائق بالليل حوائج يحتاجون الى قضائها
فمن الله تعالى عليهم بنور القمر ليتوصلوا بنوره الى قضاء حوائجهم وجعل الشمس ضياء ليختطف ضوءها نور الليل
ويغلب عليه ولا يختطف نور النهار نور الشمس والله اعلم وقوله عز وجل والله انبتكم من الارض نباتا فجائز ان يكون
اضاف الانبات الى الارض ويرد ذلك الى الاصل الذي خلق من التراب لحدوثه منه لا ان يكون خلق الجملة من
التراب وهو كقوله عز وجل وفي السماء رزقكم والذي لنا في السماء هو المطر لا الذي يرزق به ولكن الذي يرزق
به اصله المطر فنسب الى المطر لانه هو الاصل الذي يتوصل به الى الارزاق فكذلك الخلائق لما كانوا من نسل ادم
عليه السلام وكان هو اصلهم ثم اضيف النسل الى الذي حدث منه الاصل ويحتمل ان يكون يرجع هذا الى كل في نفسه
وذلك لانه جعل الابدان وقوامها بما ينبت منها فكانما انبتنا منها فاستقام ان يضاف الانبات اليها كما يستقيم
ان يضاف خروج الثمار الى الارضين وان كان نحدوثها من الاشجار اذ قوام الاشجار وبقاؤها بما تنبت ما
يخرج منها الى الارض على التقدير الذي ذكرنا ففي قوله والله انبتكم من الارض نباتا على التاويل الاول اثبات
على البعث والزام الحجة على من يجحد كونه لانه يذكرهم قدرته انه انشاهم من الارض ولم يكونوا شيئا فمن قدر
على انشائهم من الارض بعد ان كانوا ترابا لقادر على ان يعيدهم الى الحالة كانوا عليها من كونهم بشرا سويا
وان صاروا عظاما ورفاتا لانهم كانوا يزعمون انه كيف يعادوا خلقا جديدا بعد ان صاروا ترابا فاحتج عليهم بامر
الابتداء من الوجه الذي ذكرنا وان كان على التاويل الثاني ففيه تذكير نعمه انه قد اخرج لهم من الارض ما يتعيشون
ويقيمون به ابدانهم ليستاديهم الشكر وفيه تذكير قوته وسلطانه ليخوفهم عقابه فيتقوه سخطه ويطلبون مرضاته
وقوله عز وجل ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا جمع بين الاعادة والاخراج بحرف الجمع وحمل قوله عز وجل ويخرجكم في موضع ثم
لان هذا الاخراج يكون بعد الاعادة الى الارض فيكون في هذا دليل ان احد الحرفين وهو الواو قد يستعمل مكان ثم وقوله
عز وجل والله جعل لكم الارض بساطا اي جعلها كالشيء المبسوط الذي ينتفع ببسطه ولو لم يجعلها كذلك لم تتصل
الى حوائجهم ولا الانتفاع بها ففي ذكر هذا تذكير ما انعم الله تعالى عليهم من عظيم المنة وقوله عز وجل لتسلكوا منها سبلا
فجاجا قيل الفجاج هي الطرق الواسعة وقيل السبل في السهل والفجاج الطرق في الجبال وهذا ايضا من عظيم نعم
الله تعالى على عباده لان الله تعالى قدر ارزاق الخلق في البلاد فلو لم يجعل لهم في الارض سبلا لم تجد والطريقا
يسلكون فيتوصلون به الى ما به قوام ابدانهم فصارت الطرق المتخذ للمسالك فيها تتصل الى حوائجنا والى معايشنا
كالدواب التي سخرت لنا فنتوصل بها الى حوائجنا وهذا تبيين لك ان ملك اقطار الارض وتدبيرها يرجع الى الواحد
القهار لانه اخرج الخلق في الانتساب الى البلاد لاقامة ابدانهم وجعل لهم سبلا يتوصلون الى ذلك فثبت ان مالك
الاقطار الارض وتدبيرها يرجع الى الواحد القهار لانه اخرج الخلق في الانتساب الى البلاد لاقامة ابدانهم وجعل لهم
سبلا يتوصلون الى ذلك فثبت ان مالك الاقطار واحد وقوله عز وجل قال نوح رب انهم عصوني اي عصوني فيما
امرتهم به او فيما دعوتهم اليه وقوله عز وجل واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا فيه ان يكون المتبوعون
هم الذين كثرت اموالهم وحواشيهم استتبعوا من دونهم فيتبعوهم ولم يتبعوا نوحا عليه السلام وقد كان نوح
يدعوهم الى اتباعه فاخبر انهم لم يتبعوه وانما اتبعوا من كثرت امواله واولاده وحواشيه فيكون هذه الاية في
الاتباع انهم اتبعوا اجلتهم ورؤساءهم وتقدم من الايات في اجلتهم من دعاء نوح عليه السلام اياهم الى التوحيد
وغيره ويحتمل ان يكون هذه الاية في الاجلة والضعفة جميعا فيكون قوله تعالى واتبعوا اي اتبعوا من تقدمهم من
اهل الثروة والغنى والذين وسعت عليهم الدنيا وبسطت لهم ظنا منهم انهم احق بالله تعالى واقرب اليه في المنزلة
والذي حملهم على هذا هو انهم لا يرون احدا في الشاهد يترك صلة وليه ويصل عدوه فيرون انه اذا بسطت على
رؤسائهم ووسع الله تعالى عليهم وضيق على هؤلاء ان اولئك اقرب منزلة واعلى حالا وانهم الاولياء وهم لا يؤمنون
بالاخرة وثوابها لكانوا يزعمون انه يوفر الجزاء على الاولياء والمحسنين في الدنيا وعموا ان من وسع عليه الدنيا فهو
احق ان يكون وليا لله تعالى حيث وصل اليه الجزاء فيها فهذا الظن هو الذي حملهم على الاتباع عز وجل لا خسارا
اي بورا وطارا وكان ذلك المتبوع فكانت تلك النعم التي ظنوا انهم اكرموا بها بسببهم سببا لخسارهم ثم وقوله عز
وجل واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا كقوله فلا يعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم
بها في الدنيا ثم قد بينا تاويل شكايته الى الله تعالى من قومه هذه الاية وتلك الايات في معنى تاويل الشكاية الى الله
تعالى واحد وقوله عز وجل ومكروا مكرا كبارا قال بعضهم انهم كانوا يمكرون ما يمكرون بالسنتهم حيث كانوا يدعونهم
الى الكفر والصد عن سبيل الله فكنى بالمكر عما قالوه بالسنتهم فكان ذلك مكرا كبارا اي قولا عظيما ويجوز ان يكون
على حقيقة المكر وهو ان رؤساءهم مكروا باتباعهم حيث قالوا ان هؤلاء لو كانوا احق بالله تعالى منا لكانوا هم الذين
يوسع عليهم ويضيق علينا فاذ وسع علينا وضيق عليهم ثبت انا نحن الاولياء والاصفياء دون غيرنا وهذا منهم

مكر عظيم لانه باخذ قلوبا وذلك ليصدهم عن سبيل الله تعالى وجايز ان يكون مكرهم ما ذكر انهم كانوا ياتون باولادهم
الصغار الى نوح عليه السلام ويقولون لهم اياك واتباع هذا فانه ضال مضل فكان هذا مكرهم بصغارهم وقوله
عز وجل وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية هذه المقالة منهم كانت بعد ان تمادت لهم الاتباع
واتبعتهم الى ما دعوهم اليه من الاصنام فقالوا بعد ذلك لا تذرن الهتكم اى لا تذرن عبادتها وقوله عز وجل ولا
تذرن ودا ولا سواعا ويغوث ويعوق هي اسماء الاصنام التي كانوا يعبدونها ثم يحتمل ان يكون الذي بعثهم على عبادة
الاصنام ما ذكره اهل التفسير ان قوم نوح اتخذوا هذه الاصنام اول ما اتخذوها على صورة رجال عباد كانت هذه الاسماء
اسماءهم فسموا الاصنام باسماء العباد ليعتبروا بها ويجتهدوا في العبادة اذا نظروا اليها فلما مضى ذلك القرن الذي
اتخذوها عبرة وخلفهم قرن بعدهم قال لهم الشيطان ان الذين من قبلكم كانوا يعبدون الاصنام فعبدوها ومنهم من ذكر
ان جسد ادم عليه السلام كان عند نوح عليه السلام يترك كل مؤمن في زمانه ان يدخل فينظر الى جسد ادم عليه السلام ومن
لم يكن مؤمنا لم يدعه ان ينظر اليه فجاء ابليس الى الكفار فقال ان يفخر نوح ومن امن به عليكم بجسد ادم وانتم كلكم
ولده فصنع لكل قوم صنما على صورة ادم فكانوا يعبدون تلك الصورة ويحتمل ان يكون الذي بعثهم على ذلك هو انهم
لم يروا انفسهم يصلح لعبادة رب العالمين كما يرى هؤلاء الذين يخدمون الاجلة في الشاهد لا يطمع كل واحد منهم
خدمة الملوك ولا يرى لنفسه اهلا لخدمتهم بل يشتغل بخدمة من دونه او لا على رجاء ان يقربه الى الملك فلذلك هؤلاء
حسبوا انهم لا يصلحون لخدمة رب العالمين فكانوا اتخذوا وشيئا حسنا كانوا يظنون انه حسنة لمنزلة له عند الله تعالى
لا غير فكانوا يقبلون على عبادته رجاء ان يقربهم الى الله تعالى فجعلوا الاصنام على احسن ما قدروا عليه ثم اشتغلوا
بخدمتها وعبادتها رجاء ان يقربهم الى الله تعالى كما قال عز وجل حكاية عنهم والذين اتخذوا من دونه اولياء ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فجايز ان يكون هذا الحسبان هو الذي
حملهم على عبادتها وتعظيم شانها والله اعلم اى ذلك كان وقوله عز وجل وقد اضلوا كثيرا فجايز ان يكون اريد به
الكبراء انهم اضلوا كثيرا اى دعوا الى الضلال وزينوه في قلوبهم ما اضلوا سفهاءهم بذلك وجايز ان يكون اريد به
الاصنام ولكن حقيقة ان كان على الاصنام ان يقول وقد اضللن كثيرا كما قال ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن
كثيرا من الناس ولكن الاضلال من فعل المنتحلين والاصنام ليست لها افعال فلما نسب اليها نسبة من يوجد
منه الفعل اخرج الخطاب على الوزن الذي يخاطب به من يوجد منه هذا الفعل وهو كقوله تعالى وكاين من قرية عتت عن
امر ربها فاضافها الى القرية فعل اهلها والفعل اذا اضيف الى الاهل اضيف بلفظ التذكير ثم انث ها هنا الاضافة فجعل
الاهل الى القرية ولو كانت القرية بحيث يكون منها الفعل لكان الخطاب يرتفع عنها بلفظ التانيث لا بلفظ التذكير فتحقق
اضيف اليها فعل اهلها انث كما يوجب لو كان الفعل متحققا منها ثم الاصنام لا يتحقق منها الاضلال ولكن بمعنى الاضافة
ههنا هو انها الشيء على هيئة لو كانت تلك الهيئة من يتصل لاضل وهو كما قلنا في تاويله قوله عز وجل وغرتهم الحيوة
الدنيا وقوله عز وجل ولا تزد الظالمين الا ضلالا لا يشبه ان يكون بعد ما بين له انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن
فاذا علم انهم لا يؤمنون لم يدع لهم بالهدى ولكن دعاء الله تعالى ليزيد في اضلالهم ويكون الاضلال عبارة عن الهلاك
والضلال الهلاك قال الله تعالى وقالوا اذا ضللنا في الارض اى هلكنا وقوله عز وجل مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا
نارا والمذ ما ههنا صلة في الكلام ومعناه بخطيئاتهم ومن خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا في الاخرة اذا اغرقت ابدانهم و
اجسادهم وردت ارواحهم الى النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اى لا يجدوا لانفسهم بعبادتهم من عبدوا
من دون الله ليقربهم الى الله ويكونوا لهم شفعاء وعوا فلم يجدوا الامر على ما قدروه عند انفسهم وقوله عز وجل وقال
نوح لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قيل تاويله لا تذر على الارض من الكافرين ساكن دار واذا لم يبق منهم ساكن
دار فقد ما تراحيما فيهلكوا فكانه يقول لا تذر منهم احدا وقوله عز وجل انك ان تذرهم يضلوا عبادك هذا
كلام شنيع في الظاهر من نوح عليه السلام لانه خارج مخرج الانكار على الله تعالى لو تركهم وهذا يشبه بقول من
قال اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وهذا ايضا خارج مخرج التكبر لله تعالى انه لو ابقاهم ادى
ذلك الى اضلال العباد وفيه تقدم بين يدي الله تعالى وذلك عظيم ولانه ليس في شرط الالوهية اهلاك من
من علمه الاضلال الا ترى ان ابليس اللعين واتباعه جل سعيه في اضلال بني ادم ثم لم يتساصلوا ولم يهلكوا
بل بقوا الى الوقت المعلوم ولكنه يجوز ان يكون دعاءه عليهم بعد ان اذن له بالدعاء عليهم بالهلاك والنواد
فيكون الدعاء بالهلاك على تقدم الادب والاصل ان الرسل عليهم السلام بعثوا لدعاء الخلق الى الاسلام فكانوا
في دعائهم راجين للاسلام منهم خائفين عليهم بدوامهم على الكفر فيما قيل لنوح عليه السلام انه لن يؤمن
من قومك الا من قد امن فقد ايس وقع له الاياس عن اسلام من تخلف عن الايمان فارتفع معنى الدعاء الى الاسلام
فجايز ان يرد له الاذن بعد ذلك بالدعاء عليهم بالهلاك فيدعوا بذلك ثم يكونوا قوله انك ان تذرهم يضلوا عبادك

حارجا

حارجا مخرج الاشفاق والرحمة على من معه من المؤمنين وهو انه الذين داموا على الكفر لو بقوا خيف على الكفران
يضلوا المؤمنين ويغيروهم الى ما بهم فيكون شفقته على المسلمين داعية له الى الدعاء على الهلاك على الكفرة لئلا
يتوصلوا الى الاضلال وقوله عز وجل ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقت بلوغهم المحنة والابتلاء فحينئذ يوجد منهم الفجور
لان يلد فاجرا كفارا او لا صنع لهم في ذلك الوقت وهو كقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه
لوقت بلوغه المحنة والابتلاء لا ان يبتلى وقت ما ينشا وفي هذه الاية دلالة ان الكفر قد يقع عليه اسم الفجور
لانه لو خرج قوله كفارا مخرج التفسير لقوله فاجرا استقام ان يحمل تاويل قوله تعالى وان الفجار لفي جحيم على الكفرة وقوله
عز وجل رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا هكذا الواجب على المرء في الدعاء والاستغفار ان يبدا بنفسه
ثم بالدين ثم بالمؤمنين ثم قوله في بيتي قال بعضهم اى في سفينتي وقال بعضهم في بيتي اى في ديني فيكون البيت كناية
عن الدين وقال بعضهم انما هو بيته الذي يسكن فيه لما اطلعه الله تعالى ان من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر قال
الشيخ رحمه الله ثم ان ارجى الامور للمؤمنين في الاخرة دعاء الانبياء والملائكة عليهم السلام في الدنيا لانهم انما يدعون
بعد الاذن لهم بالدعاء ولا يحتمل ان ياذن الله تعالى لهم بالدعاء ثم لا يجيب دعوتهم وذكر عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال ان نوحا عليه السلام دعا بدعوتين احدهما للمؤمنين بالاستغفار والتوبة والثانية على الكفار بالبوار
والتبار وقد اجيبت دعوته فيما دعا على الكفرة فلا يجوز ان يجاب في شر الدعوتين ثم لا يجيب في خير الدعوتين وقوله عز
وجل ولا تزد الظالمين الا تبارا قيل كسرا وذلا وصغارا فانه مشتق من التبر وكل مكسر يقال له تبر فكانه يقول اكسر
شقصة الظالمين وشوكتهم فان كان التاويل هذا فهو يقع على جميع الظلمة من كان في وقته ومن بعده وقيل التبار الهلاك
فان كان هذا معناه فهو على ظالمي زمانه اذ لا يجوز للانبياء عليهم السلام ان يدعوا على قوم الا ان يؤذن لهم بالدعاء عليهم
واعلامه الاذن في حق قومه ناما في حق غيرهم فلا يجوز القول حتى الاعما نوا به عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن اختلف في السبب الذي
كان به مجيء الجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من ذكر ان ابليس صعد الى السماء فوجدها قد ملئت حرسا
شديدا وشهبا فتيقن ان قد حدث في الارض حادث ففرق جنوده ليعلم علم ذلك ومنهم من يقول بان الاصنام
خرت لوجهها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم ابليس انه حدث في الارض خبر حادث حتى خرت له
الاصنام ففرق جنوده ليصل الى علم ذلك ثم من الناس من يزعم ان قصة هذه السورة وقصة قوله عز وجل واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران واحد وقال بعضهم بان هؤلاء النفر الذين ذكروا في هذه السورة الاحقاف
كانوا سوى اليهود الجن دليله انه قال في هذه السورة فيما حكى عن الجن وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا
واليهود يقرون بالبعث ولا ينكرون فثبت انهم كانوا من جنس المشركين وقال في سورة الاحقاف قالوا يا قومنا
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه فثبت انه قد كان عندهم علم بالكتاب المنزل على رسول
الله موسى صلى الله عليه وسلم وكانوا به مقرين واليهود هم الذين يؤمنون بكتاب موسى لا غير ثم فيما حكى الله
تعالى عن الجن من تصديقهم هذا الكتاب واستماعهم ما جرى من المخاطبات فيما بينهم فوايد احدها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس حتى صرف الجن الى الاستماع اليه وفيه انهم لما اخذوا القران
لسانه قالوا فيما بين القوم بانذارهم واعانوا في التبليغ على ما اجر عز وجل فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين وفيه
انه ولذلك النفر تسارعوا الى الاجابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نشا بين اظهرهم لانهم عرفوا رسول الله
فيما بينهم بالصيانة والعدالة ولم يقفوا منه على كذب قط وحق من يعرف بالصدق ان لم يصدق ان لا يسارع
الى تكذيبه فيما ياتي من الانباء بل يوقف في حاله الى ان يتبين منه ما يظهر كذبه وقومه استقبلوه بالتكذيب
ولم يعاملوا معاملة من كان معروفا بالصدق والصيانة والجن الذين صدقوه لم يكونوا عارفين باحواله فيما
قبل انه صدوق او ممن يرتاب في خبره ثم تسارعوا الى تصديقه بالاحث لهم الجنة وثبت انهم ابر الرسالة
وعاملوا معه معاملة من عرف بالصدق فدل انهم كانوا في غاية من السفه وفيه ايضا دلالة رسالته
صلى الله عليه وسلم لان قوله تعالى فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد الى اخر القصة فيما بينهم اخبار عن علم
الغيب فثبت انه بان الله تعالى علم ثم يجوز ان يكون الذي حملهم على الايمان به ما عرفوا انه اتى بالمعجز الذي يعجز
الخلق عن اتيان مثله وبما وقفوا على احكام معاينة وحسن تاليفه ونظمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يشعر بحضورهم حتى اوحي اليه انه قد اتاه نفر من الجن واستمعوا اليه ما اوحي اليه فيكون فيه دلالة على قول ضاد
الباطنية حيث يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوحي بالجسد الروحاني لانه لو كان كما وصفوا لراى الجن عند
ما حضروا اليه اذ الجسد الروحاني ما يبصر الخلق ولم يكن يوحى اليه فيعرف ان قد حضره نفر من الجن وروي عن رسول

صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه الصلوة والسلام ان يريه على صورته فقال له جبريل انك لا تطيقه لان
الارض لا يسعني ولكن انظر الى افق السماء ولو كان ياخذ الوحي بالجسد الروحاني لكان قد راى جبريل عم
على صورته فيبطل فائدة هذا السؤال فثبت ان الامر ليس كما زعموا بل كان يقبله بالصورة الجسدانية وانه
كما وصفه الله تعالى بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية وقال القتبي النفر ما بين الثلاثة الى التسع وقوله
عز وجل انا سمعنا قرانا عجبا قال بعضهم العجب الغريب وانما استغربوا ذلك منه لانهم سمعوا من امي لا يعرف
الكتابة ولا يقرأ الكتب ومنهم من قال بان حسن تاليفه ونظمه ووصفه هو الذي حملهم على التعجب ومنهم
من قال انما تعجبوا من اياته وحججه لانه جاء في تثبيت التوحيد واثبات الرسالة واثبات البعث ولم يكن لهم معرفة
بالوحدانية بل كانوا اهل شرك ولم يكونوا اهل معرفة بالبعث والرسالة فكانت الايات عجيبة حيث قررت
عندهم هذه الاوجه والله اعلم ثم في هذه وفي قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن اخبار انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يكن يشعر بمجيئهم وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما تلا على اصحابه
سورة الرحمن قال لاصحابه ان الجن كانوا احسن اجابة منكم اني تلوت عليكم هذه السورة فكانوا يقولون
ما شيء من الائك يكذب ربنا فلك الحمد ففي هذا الخبر دلالة انه قد راهم وشعر بمجيئهم فيكون فيه اثبات
الوجهين جميعا انه قد شعر مرة ولم يشعر اخرى فيجوز ان يكون راهم بما قوى عز وجل بصره حتى احتمل ادراك
الجن وضعف ابصار غيره عن رؤيتهم الا ترى ان اهل الجنة دون الملائكة عند ما ياتيهم بالتحف من ربهم فيقوي
الله عز وجل بصرهم حتى يعاينوا الملائكة بجوهرهم وان ضعف ابصارهم عن الرؤية في الدنيا ففي ذلك يجوز ان
يكون الله قوى بصر نبيه صلى الله عليه وسلم حتى راى الجن على صورتهم وجائز ان يكون الله تعالى صور الجن على صور
الانس حتى راهم وشعر بمجيئهم والله اعلم ثم ما ذكرنا من السندين في امر مجيء الجن الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في اول السورة من قول اهل التاويل لا يقطع القول بذلك وان كان في حد الامكان والجواز لانهم تكلفوا
استخراج ذلك بالتدبر والاجتهاد وما كان سبيل معرفته الاجتهاد لم يجز ان يقطع القول فيه بالشهادة وقد
يجوز ان يكون الذي حملهم على المجيء غير ذينك الوجهين وهو ان يكون النفر من منذري الجن لانه ذكر ان من
ان تر وان الرسل من الانس دون الجن فتفرقوا على رجاء ان يظفروا برسول فيتلقفوا منه ما يقوموا به
بالنذارة فيما بين قومهم اذا كانوا يصعدون الى السماء فيستمعون الاخبار وتنذروا قومهم بها ثم انقطع
عنهم ذلك حيث لم يجدوا مسلكا الى الصعود لانها قد ملئت حرسا وعلموا ان الله عز وجل لا يمنعهم خبر السماء
ولا ينقطع عنهم وجه المعرفة فتفرقوا في الارض رجاء ان يظفروا بمن يزيل عنهم الشبه ويوضح لهم الحجج والبراهين
فوصلوا الى مقصودهم من جهة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الا يجوز ان يكون عندهم ان لا احد في الارض من جني
او انسي يكذب على الله كذبا فلما تحقق عندهم الكذب خافوا على انفسهم ان يبتلوا بها وان يشتبه عليهم الصراط السوي
فتفرقوا في الارض على رجاء ان يظفروا بمن يدلهم على الطريقة المثلى حتى وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز
ان يكونوا لما صعدوا الى السماء فراوها مملوة من الحرس والشهب علموا ان ذلك لحادث حدث وخافوا حلول نقمة باهل
الارض فتفرقوا في البلاد لعلهم يصلون الى علم ذلك ثم الذي تحقق كون هذا الخبر وهو ان السماء ملئت حرسا
شديدا وشهبا في حق الكفرة انقطاع الكهنة بعد ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا لكانوا لا ينقطعون لان
الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فياتون الكهنة بما يسمعوه من الاخبار ويلقونها اليهم فيضلوا بها الخلق فلو لم
يمنعوا عن السماء لكانوا ينقطعون ومن ادعى كهانة اليوم فلا يجد عنده خبرا صادقا سوى ما تلقفوه من السن
الرسل عليهم السلام وكان امر الشهاب امرا ظاهرا عرفته الكفرة فيما بينهم فكانت هذه حجة سماوية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم مقررة عند الكفرة رسالته اذ لم يدع احد منهم بكون الشهاب قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم
فصار انقطاع الكهنة دليلا على صدقه في مقالته والله المستعان وقوله عز وجل يهدي الى الرشد فامنا به
اي الى الحق على ما ذكرنا بيانه في سورة الاحقاف في قوله عز وجل يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وقوله عز وجل
ولن نشرك بربنا احدا قال ابو بكر الاصم انهم كانوا من مشركي العرب فتبرؤوا من الشرك بما استمعوا وسمعوا القران
بقولهم لن نشرك بربنا احدا وقد يحتمل هذا الذي قالوا ويحتمل انه لم يسبق منهم الاشراك بل كانوا من جملة المؤمنين
ولكنهم احدثوا ايمانا بما سمعوا من القران واحدثوا تبريا من الشرك وقد يتبرأ المرء من الشرك عند ما يحدث
له زيادة ايقان وان لم يسبق منه الاشراك كما قال موسى عليه السلام قال سبحانك تبت اليك وانا اول
المؤمنين وقوله عز وجل وانه تعالى جد ربنا اختلف في تاويل الجد فمنهم من يقول بان هذه الكلمة يتكلم بها فيمن
يظفر بكل ما يريده فيوصف بانه ذو جد فجائز ان يكونوا ارادوا بهذا ان ربنا هو الظافر بكل ما يريده لا يستقبله
خلاف ولا يمسه حاجة وعلى هذا التاويل قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي من كان له الجد في الدنيا فاذا كان في

في تقدير الله تعالى خلاف ذلك لم ينجه ذلك من عذاب الله شيئا وان كان هذا هو المراد فمعناه انا من هذا وصفه
تعالى عن ان يكون له شريك او يحتاج الى صاحبة او الى اتخاذ ولد لان هذه الاشياء كلها امارات الحاجة ومن ظفر
بكل ما يريده لم يقع له حاجة وجائز ان يكون الجد صلة ومعناه تعالى ربنا وجائز ان يكون الجد عبارة عن العظمة
والرفعة يقال فلان جد في قومه اذا عظم وشرف فيهم وقال الحسن تعالى جد ربنا اي غنى ربنا الا ترى كيف ذكر
الله تعالى عنده ما نزه نفسه عن اتخاذ الاولاد بقوله قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني وقد ذكر اتخاذ الولد
هاهنا على اثر قوله عز وجل جد ربنا ومنهم من يقول تاويله ملك ربنا وجائز ان يكون اريد به قوة ربنا فتعالى تبرأه
عن كل ما نسب كان نسبه الى فعل الله والسفه ثم الحق ان يتكلف تفسير قوله جد ربنا هاهنا لانه حكاية عن مقال
الجن فمرادهم هذه الكلمة انما يعرف باخبار الجن ثم الشرك فيما جرى به الخطاب على وجه اربعة مرة على العبادة بقوله
عز وجل ولا يشرك بعبادة ربه احدا او شرك في الخلق بقوله عز وجل ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه وشرك في الحكم
بقوله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا وشرك في الملك بقوله ولم يكن له شريك في الملك فثبت ان الشرك يقع مرة في
العبادة ومرة في الخلق ومرة في الملك ومرة في الحكم فهم بقولهم لن نشرك بربنا احدا تبرؤوا عن الشرك من هذه الاوجه
الاربعة ثم اذا كان الجد عبارة عن الذي يظفر بكل ما يريده ففيه ما ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يزعمون ان الله تعالى
اراد من كل كافر الايمان فاذا لم يؤمنوا فهو غير ظافر بما يريد على قولهم ويدخل عليهم النقض من وجه اخر وهو انا
قد بينا ان الشرك قد يقع مرة في الخلق وهم يضيفون خلق الافعال عن الله تعالى واذا نفوا ذلك فقد جعلوا له في الخلق شركاء و
قد اخبر عز وجل انه هو المتفرد بخلق الخلائق فثبت ان الافعال من حيث الخلق والانشاء من الله تعالى ومن جهة الكسب والفعل
للخلق فمن الوجه الذي يضاف الى الله تعالى لا يجوز ان يضاف من ذلك الوجه الى الخلق عندنا فلا يقع في الخلق تشابه لانه لا يتحقق
من العباد الفعل من الوجه الذي يتحقق من الله تعالى الا ترى انه يضاف الملك الى الله تعالى والى الخلق ثم لا يقع في ذلك اشراك
لانه من الوجه الذي يضاف الى الله تعالى لا يتحقق ذلك الوجه في الخلق لان الاضافة للخلق على جهة المجاز والاضافة الى الله
تعالى على جهة التحقيق فكذلك اضافة الافعال الى الله تعالى والى الخلق لا يوجب الشرك لاختلاف الجهتين والله الموفق
وقوله عز وجل لم يتخذ صاحبة ولا ولدا لان اتخاذ الصاحبة من الخلق لغلبة الشهوة فلا يجوز ان تغلبه ما هو خلقه فيبعثه
ذلك على اتخاذ الصاحبة وبهذا نرد على من زعم ان الملائكة بنات الله والبنات تحدث من الصاحبة وهو تعالى لم يتخذ
صاحبة فانى يكون له بنات وقوله عز وجل ولا ولدا فالاصل ان الاولاد يرغب فيهم المرء لاحد خصال اما لما نال لعز الوحشة
فيطلب الولد ليستانس به او يرغب فيهم لما حل بهم من الضعف فيريد ان يستنصر بهم او لما يخاف زوال ملكه فيطلب الولد
ليا من زواله وجل الله سبحانه وتعالى عن ان تلحقه وحشة او يصيبه ضعف او يخاف زوال الملك فاذا كانت المعاني
التي بها يرغب في اكتساب الولد منقطعة في حقه لزم تنزيهه عن اتخاذ الاولاد ولهذا ما ذكر عندما ينبه الملحدة الا
ولاد عناه بقوله سبحانه هو الغني اي غني عن كل الوجوه التي يتوجه الى اتخاذ الاولاد وبالله التوفيق وقوله عز وجل وانه
كان يقول سفيهنا على الله شططا فمنهم من ذكر ان سفيههم ابليس وليس هذا يرجع الى الواحد على الاشارة بل هو راجع
الى كل من يوجد منه فعل السفه الا ترى انه اذا قيل كان يقول مسيئنا كذا او كان يقول فاسقنا كذا لم يعن به فاسق ولا
مسيئ واحد على الاشارة بل يراد به كل معروف بالاشارة والفسق فمعنى ذلك قوله وانه كان يقول سفيهنا ليس بمقتضى
على الواحد بل هو راجع الى كل من يوجد منه ذلك ثم في هذه الاية دلالة ان النفر الذين استمعوا كانوا مؤمنين ولم يكونوا
من اهل الكفر لانهم لو كانوا اهل شرك لكانوا لا يضيفون فعل السفه الى غيرهم ويخرجون انفسهم منه وقد وجد منهم
فعل السفه ولو كانوا مشركين ايضا لكانوا يقولون مكان هذه الكلمة وانا كنا نقول على الله شططا ليكون ذلك منهم
رجوعا عما كانوا فيه من الشرك والكفر وشكرا بما انعم الله عليهم من عظيم النعمة بان هداهم للايمان لا ان يضيفوا ذلك
الى سفيههم فثبت انهم كانوا مؤمنين والشطط لا يجوز وقال بعضهم الكذب وقال بعضهم الظلم والشطط هاهنا
الجور والجور ما انزابه من القول الفواحش وهو الشرك بالله تعالى وهذا تبيين ان الجور يقبح في كل الالسن وفيما بين اهل الاديان
الا ترى كيف سفهوا من قال على الله تعالى بالجور وقوله عز وجل وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ذكر ابو بكر الاصم
انهم كانوا اعتقدوا ان الله تعالى صاحبة وولدا بما سمعوا الجن والانس يقولون ذلك وكان عندهم انهم في ذلك صادقون
فذلك المعنى هو الذي حملهم على القول بان له ولدا وصاحبة فلما ظهر عندهم كذب من يدعي اتخاذ الولد والصاحبة تبرؤوا
عن يقول ذلك فثبت بهذا انهم كانوا اهل شرك الى ذلك فلما استمعوا الى قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ولاحت لهم
لهم الحجج وانقشعت عنهم الشبهة اسلموا وتبرؤوا من مقالتهم المتقدمة ويحتمل غير ما ذكره ابو بكر منا التاويل وهو ان
القوم كانوا انشؤوا على الهدى والايمان فكانوا يظنون ان الجن والانس على الهدى وانهم لا يكذبون على الله تعالى
حتى ظهر عندهم كذب الانس والجن بقولهم ان الله ولد وصاحبة وجائز ان يكون معناه انا كنا نظن ان لا يستجيز نفس
احد من المتمسكين بالكذب على الله تعالى بما ادعوا الله تعالى قبح الكذب وفي رعنه بالحجج والادلة تنزيهه عن اتخاذ الاولاد

والصاحبة حتى ظهر عندهم ذلك لما ظهر وما بالسنتهم ثم الذي يدل على ان التاويل ذكره ابو بكر ليس بحكم انه قد كان في الجن
والانس من قد يصف الله تعالى بالتنزيه وقد كان فيهم من يقول بالولد والصاحبة الى قوله حكاية عنهم وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون والى قوله وانا منا دون ذلك ولا يحتمل ان يقع عندهم ان الفريقين جميعا على الصواب ولكن كان
من ظنهم ان القوم جميعا على الهدى على ما هم عليه فلما تبين عندهم الكذب من اولئك قالوا هذا القول والله اعلم
وقوله عز وجل وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ذكر ان الانس وهم قوم من
العرب كانت اذا نزلت بوادي استجارت بسيد الوادي وقالت نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ثم اختلف
بعد هذا فمنهم من ذكر انهم كانوا يجيرونهم ومنهم من زعم انهم كانوا يخيفونهم ومنهم من زعم انهم كانوا لا يجيرون
وكان ذلك يزيد في الرهق الانس من الجن قالوا الرهق الخوف والفرق كذلك روي عن ابي روق ومنهم من يقول
هو الذلة او الضعف فكانوا ازدادوا الضعف والذلة والخوف والفرق باستعاذتهم عن الاعاذة ومنهم من
يقول بانهم كانوا يجيرون من استجارهم ولكن مع هذا كانوا يفرقون منهم ومن كيدهم في الاماكن التي لم يستجيروا
فيها اليهم وفي غير الاوقات التي وقعت فيها الاجارة وعلى اختلافهم اتفقوا ان الجن هي التي كانت تزيد الانس
رهقا وقيل بان هذا الفعل من الانس وهو الاستجارة بهم شرك لان الله تعالى هو المجير فكان الحق عليهم ان
يستجيروا بالله تعالى ليدفع عنهم مكايد الجن وان لا يروا لانفسهم ناصرا غير الله جل جلاله فلما فزعوا في الاستجارة
الى الجن فقد ادوا غير الله تعالى القوم حقهم بالذب والنصر فكانا ذلك منهم اشراكا ولان الجن اضعف من الانس
الا ترى انها تختفي من الانس وتتصور بغير صورتها فرقا لان لا يتبرز بها الانس ويبلغ في ضعفها انها لا تقدر
على اهلاك واحد من البشر ولا تقدر على سلب اموالهم ولا افساد طعامهم وشرابهم واستبصار القوي
الى الذلة فخرجتا وقيل من قال بان الرهق هو الذلة والضعف على هذا ومنهم من يقول بان الانس هي التي
كانت ترهق الجن رهقا وقالوا التجبر والتكبر وقيل هو السفه والجهل وقيل هو الماثم وقال القتبي هو العبث والظلم
يقال فلان مرهق في دينه اذا كان مفسدا ووجه زيادة الرهق هو ان الرؤساء من الجن كانوا يرون لانفسهم
الفضل على اتباعهم من الجن وعلى الانس جميعا بما راوا من افتقار الانس اليهم حتى احتاجوا الى الاستعاذة بهم فكان
مثل اهل الكفر من ذلك ويزدادون به تجبرا وتعظما فكان ذلك يمنعهم عن النظر في حجج الرسل وكذلك اكابر الكفرة
من الانس كانوا يمتنعون عن الاجابة للرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون لانفسهم من الفضل على من سواهم الا ترى
الى قوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها الاية فمن زعم ان الرهق هو الاثم او السفه او الجهل
والظلم والعبث يرجع كله الى هذا المعنى الذي ذكرنا لان سفههم هو الذي كان يحملهم على التجبر والتكبر لانه كان
لا يستعيذ بهم الا الجاهل السفيه وليس في اجابة الجاهل سفهه ما يتكبر لاجلها وهم بتكبرهم ازدادوا اثما بعدا
من رحمة الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا فجائز ان يكونوا نفوا البعث
عن الله تعالى لما لم يشاهدوا البعث وراوه امرا خارجا عن طوقهم وجواهم فظنوا ان القدرة لا تنتهي الى
هذا لا ان يكونوا نفوا خروج البعث عن الحكمة لانهم لو ارادوا به نفي البعث لكانوا يقتصرون على قولهم لن يبعث الله
تعالى فلما وصلوا به الكلام الذي يتكلم به للتاكيد وهو قوله احدا دل انهم نفوا القدرة وجائز ان يكونوا ظنوا ان
لا بعث لانه امر خارج من الحكمة اذ ليس من الحكمة ان يهلك ثم يعاد بل انما اريد الابقاء لمن يفنى حتى لا يحتاج
الى الاعادة ثم هذا الكلام يحكى عن الجن بل الله تعالى ان الجن ظنت ان لا بعث كما ظننتم انتم وقوله عز وجل ظننتم
في الظاهر انصرف الى الانس جملة مسلمهم وكافرهم ومعلوم بان المسلمين لم يكونوا يظنون ذلك بل قد ايقنوا
بالبعث ولكن معناه ان الكفرة من الجن ظنت ان لا بعث كما ظننت الكفرة منكم ايها الانس ثم في هذه الاية ابانة
انهم كانوا يقولون لا بعث بالظن ليس بالعلم والذي حملهم على الظن اعراضهم عن السبب الذي يوجب القول
بالبعث وكل يانف بالطبع ان يلزم المظنون ففيه دعاء وترغيب الى النظر في حجج البعث وترك الاعتماد على
الظنون ثم ذكر النحويون ان ما كان ابتداؤه بالكسر في هذه السورة اعني ان كان فهو حكاية عن الجن نحو
قوله فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا وما كان فيه من الحكاية عن الجن فحقه ان يقرا بالنصب فاختاروا النصب
في قوله عز وجل وانهم ظنوا كما ظننتم لما ليس هو بحكاية عن قول الجن والله اعلم وقوله عز وجل وانا لمسنا السماء
فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا فجائز ان يكون لمسهم السماء ليجدوا ابوابها فيدخلوا فيها للاستماع
اذ اخبارها ليست في جملة افاق السماء ولا ابوابها مختلطة بجملة السماء فكانوا يلمسونها ليظفروا بابوابها فيدخلوا
فيها وجائز ان يكون اريد من لمس ابوابها ليفتحوها فيدخلوا منها فيستمعون الى الاخبار وقوله عز وجل فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا فجائز ان يكون بعض الابواب ملئت من الحرس وبعضها من الشهب فان اتوا الى الابواب
التي ملئت من الحرس دفعهم الحرس وطردهم وان اتوا الى الابواب التي فيها الشهب تبعتهم الشهب كما قال عز وجل

ويقذفون من كل جانب دحورا وجائز ان يكون الابواب كلها مملوءة من الحرس والشهب جميعا لان الحرس لم
يمتحنوا بالحراسة خاصة بل امتحنوا بها وبغيرها من الاعمال فجائز ان يكون اشتغالهم بتلك الاعمال يمنعهم عن الحرس فاذا ارادوا
استراقة السمع في وقت شغلهم تبعتهم الشهاب الثاقب وقذفهم عن مرادهم وجائز ان يصعد الجن الى المكان الذي
لا يراهم الملائكة ويسمع الجن كلامهم لان المرء قد يتكلم بكلام فينتهي صوته الى حيث لا يراه البصر فيكون الشهب تحت
الحرس فيقذفون عنها بالشهب والله اعلم وقوله عز وجل وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا
رصدا قيل الشهاب من الكواكب والرصد من الملائكة الاصل في ذلك ان الجن قد حبسوا وقت مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن خبر السماء وكانوا يسترقون السمع قبل ذلك حتى انتفع من الكهنة اذ لا يجوز الا باتوا بخبر السماء
وقت مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان لا يختلط امر الكهنة بامره صلى الله عليه وسلم فحبسوا عن الصعود الى السماء
وابانة الخبر عنها حتى انقطع امر الكهنة فجاءهم الرسول بعد ذلك ليعلموا ان ذلك ليس بكهانة وانما هو وحي نازلة
من السماء اذ لو كانت كهانة كان نظيره لا يمتنع عن مثله كما في سائر الزمان فهذه الاية كانه حكاية عن قول الجن لما رجعوا
الى قومهم منذرين قالوا هذا كله لقومهم وقوله عز وجل وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا فهو
يحتمل وجهين احدهما لا ندري بما قطعت بالحرس والشهب اخبار السماء عن اهل الارض وحبس الذي يصعد الى
السماء عن اخبار السماء ويقذفون من كل جانب دحورا باهل الارض الشر وهو انزال العذاب عليهم او اريد بهم ان يرسل
رسول يرشدهم وجائز ان يكونوا ايقنوا ان اخبار السماء انما انقطعت عن اهل الارض بما يرسل اليهم من الرسول
فيكون الرسول هو الذي يخبر عما لهم اليه من حاجة ولكنهم لم يدروا انهم ايريدهم الرشد بارسال الرسول او الشر
لانهم كانوا علموا ان من امن بالرسول المبعوث ونظر اليه بعين الاستهداء والارشاد فقد رشد ومن نظر اليه
بعين الاستخفاف والاستهزاء استوصلوا فلم يدروا ايكذبون الرسول فيحل بهم الهلاك في العاقبة او يصدقون
فيرشدوا وفي هذا تبيين ان العواقب في الاشياء هي المقصودة وان الحكيم ما يفعل من الامر يفعله للعواقب في الاشياء
هي المقصودة وان الحكيم ما يفعل من الامر يفعله العواقب ففي هذا ابانة ان الجن من المسلمين لم يكونوا معتزلة اذ من قول
المعتزلة ان الله تعالى لا يفعل بعبادة الا ما هو اصلح لهم في الدين والدنيا في حقهم والجن قد ايقنوا ان الله تعالى قد يريد الشر
بمن يعلم انه يؤثر فعل الشر على فعل الخير ويريد الخير بمن يعلم بانه يؤثر على فعل الشر وقوله عز وجل وانا منا الصالحون و
منا دون ذلك قال بعضهم الصالحون هم المومنون ودون ذلك هم الكافرون وينبغي ان يكون الصالحون ودون
ذلك ليس على الايمان والكفر لان هذا قد ذكرنا فيما تقدم من الايات بقوله وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
ولو كان التاويل على ما ذكروا لكان يقع موقع التكرار ولكن تاويله عندنا وانا منا الصالحون اي منا من عرف بالصلاح
والخير ومنا دون ذلك وهم الفسقة فيكون فيه ابانة ان كل اهل دين فيهم الصالح المرضي وفيهم الفاسق المفسد
في دينه قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم ولو لم يكن منا غير صالح لم يكن لاشتراط الصالحين
معنى وقوله عز وجل واشهدوا ذوي عدل منكم فلو لم يكن منا اهل فسق لم يقل هذا وقوله عز وجل كنا طرائق
قددا اي اهواء متفرقة ولم يذكروا في الاهواء المتفرقة في الاصلح والادون ذكروا ذلك عند ذكر الفاسق والصالح
لان اهل الاهواء كل في نفسه انه هو المحق وغيره على الباطل واما الفاسق فهو يعرف انه يتعاطى بفسقه ما لا يحل له
ويرتكب ما نهي عنه وكذلك كل من شاهد فسقه يعرف انه على الباطل واذا كان كذلك ظهر الدون فيه وظهر الصالح
ولم يظهر ذلك في اعتقاد المذاهب فلم يتكلم فيه بالدون والصالح ثم الطرائق هي المذاهب والاهواء والقدد القطع
يقال قداي قطعه فمعناه انا كنا على مذاهب متفرقة واهواء مستبينة ففي الاية ان في الجن اهواء متفرقة كما ذكر
في الانس والاصل فيه ان طريق معرفة المذاهب والدين الفكر والاجتهاد ليتوصل به الى الحق والمجتهد قد يصيب الطريق
مرة ويزيغ عنه اخرى فلهذا ما اصاب البعض من الخلائق الطريق المستقيم ومنهم من زاغ عنه ويعلم بهذا ان سبيل
الجن في التوحيد وسبيل الانس واحد هو الفكر وله اجتهاد وان فيهم ايات متشابهة كما في الانس اذ عن المتشابه
يتولد الزيغ لذلك تفرقوا على اهواء متفرقة مختلفة واما اسباب الفسق مجتمعة فيعرف بالمعاينة فيظهر الادون
والارفع في الدين وقوله عز وجل وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا ذكر ابو بكر الاصم انه على كفرهم
ظنوا ان لا يعجزون الله تعالى ولكن اكثر اهل التاويل ذكر ان الظن ههنا في موضع العلم وبه ياتي تاويلهم قراءة حفصة
رضي الله عنه فانها كانت تقرأ وانا علمنا ان لن نعجز الله في الارض فرعه ولن نسبقه هربا فقوله لن نعجز الله في الارض
اي لن نفوته ولن يتهيا لنا ان نعجز الله باهل الارض عن ايصال نقمته وعذابه الينا ويخرج قوله فرعه على ذلك اي لو فررنا
من عذابه لن نعجزه ان لا يعذبنا والفرار قد يكون بدون الطلب قال الله تعالى عز وجل ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين
ولم يرد به الفرار من الطلب واما الهرب فانه لا يكون الا عن طلب فكانهم قالوا لا يتهيا لنا الفرار عن عذاب الله تعالى لكثرة
الاعوان والانصار ولا نعجزه هربا عن طلب وان يكون قوله عز وجل لن نعجز الله في الارض وان دخلنا تحت تخوم الارضين ولن

نجزه بالهرب على وجه الارض فيكون فيه اقرار بانا لا نقدر بالحيل والاسباب ان نحترز من عذاب الله تعالى كما يمكننا
الاحتراز عن ملوك الارض بالحيل والاسباب ثم مثل هذا الكلام يصدر عن اهل الاسلام لان مثل هذا الكلام انما يتكلم به من
يخاف حلول النقمة الله تعالى عليه والذى تيقن بالبعث ويذكر مقامه بين يدى ربه واما اهل الكفر فلم يؤمنوا بالبعث حتى
يحملهم خوف العاقبة على النظر فى مثل هذا فثبت ان هذه المقالة صدرت عن اهل الاسلام ليس عن اهل الكفر كما ذكره ابو بكر
الاصم ان هذه المقالة تحتمل ما ذكرت والله اعلم وقوله عز وجل وانا لما سمعنا الهدى امنا به فالهدى هو الدعاء الى الحق فيحتمل
ان يكون لما دعينا الى الحق وهو القران امنا به الا ترى الى قوله تعالى عز وجل يهدى الى الحق اى يدعوا اليه وقال الله فى اول
السورة يهدى الى الرشد ويجوز ان يكون الهدى هو الاهتداء اى لما سمعنا ما به اهتدينا وظن ابو بكر الاصم انهم كانوا
كفرة الى ان سمعوا الهدى فامنوا به لانه لو كانوا على الهدى من قبل لكان الايمان منهم سابقا فلا يكون للقول فامنا به
وقد امنوا من قبل معنى وليس ثبت كفرهم بما ذكر لانه قد يجوز ان يكونوا على الايمان فلما سمعوا الهدى على ما سبق من الايمان
بالجملة الا ترى الى قوله عز وجل فزادتهم ايمانا وقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى زادوا ايمانا بالتفسير على ما سبق منهم
من الايمان بالجملة لا انهم لم يكونوا من قبل مؤمنين فاحدثوه تحالى وكذلك قال اهدنا الصراط المستقيم وقد هدوا الصراط
المستقيم ولكنهم يريدون بهذا الدعاء ان اهدنا بالاشارة اليه والتعيين الصراط المستقيم على ما هديتنا فى الجملة
فكذلك احداثهم الايمان بما سمعوا من الهدى لا ينفى عنهم الايمان فيما سبق من الاوقات بل يجوز ان يكونوا مؤمنين
من قبل ثم يحدثون الايمان بكل امر يجيئهم من عند الله عز وجل ولا يدل ايمانهم به على انهم لم يكونوا من قبل مسلمين
والله اعلم وقوله عز وجل فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال رحمه الله انه لا احد من اهل الايمان من يخشى الا
يخاف البخس والرهق من الله تعالى الا المعتزلة فانهم لا يخافون ذلك لانهم ليسوا يخرجون مرتكبى الكباير ثم يطلقون القول
فيهم انهم يخلدون فى النار وفى التخليد خوف البخس والرهق بل فيه ما يزيد على البخس هو النقصان وفى التخلية ذهاب
منفعة الايمان ومنفعة الخيرات التى سبقت منهم وقال تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا والمعتزلة يزعم انه لو اخذهم
بالخطا والنسيان لكان جائرا وقال ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهم يزعمون انه لو ازاغ قلوبهم بعد الهدى كان
ذلك منه ابغاما واخفنا لا نخشى ندعو الله تعالى ونتضرع اليه ان لا يعاملنا بعدله فيهلك بل يعاملنا بالافضال
والانعام وعلى قول المعتزلة اذا ارتكب كبيرة ردت عليه حسناته وصار رهقا والله تعالى يخلد فى النار ابدا الابدين
والله يقول ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها واولى الحسنات التى يستوجب عليها المضاعفة
هو الايمان بالله تعالى فلا يجوز ان يخلد فى النار ويذهب عنه منفعة الايمان تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم
قوله بخسا ولا رهقا يحتمل وجهين احدهما البخس النقصان اى لا ينقص من حسناته والرهق الظلم كقوله تعالى
فلا يخاف ظلما ولا هضما وان يحمل عليه من سيئات ارتكبها غيره والثانى لا يخاف بخسا اى لا يقبل حسناته اذا تاب و
لا رهقا اى نظلم فلا يحسب لمحسناته شيئا وقوله عز وجل وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فالقاسط الجائر
والمقسط العادل ثم فى العدل ثلاث لغات يقال عدل عنه اذا مال وجار وعدل به اذا جعل شريكا وعدل
فيه اذا حكم بالعدل وقوله عز وجل فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا التحرى والتوخى هو القصد فكانه يقول قصدوا الرشد
بالاسلام وقوله عز وجل واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا قال ابو بكر الاصم دلت الاية على ان الجن لحم ودم كما للانس
لانه قال فى الانس وقودها الناس والحجارة فلو لم يكونوا لحما ودما لم يصيروا لجهنم حطبا ولكن هذا لا يدل لان اللحم
من شانه ان يحترق فينضج ولا يصلح ان يكونوا وقودا ولكن الله تعالى باللطف صيرهما الانس وقودا ليس ان صار
حطبا بما كان لحما فليس فى الاية دلالة ما ذكر بل فيه ان الجن قد امتحنوا بالعبادة كما امتحن بها الانس وانهم اذا عصوا ربهم
استوجبوا العقاب مثل ما يستوجبه الانس ثم ذكر عن ابى حنيفة رح انه قال ليس للجن ثواب وعليهم العقاب اذا عصوا
ومعنى قوله ليس لهم ثواب عندنا ليس يريد به ان الله تعالى لا يرضى عنهم اذا عبدوه ولا يعظم منزلتهم عنده ولكنه
يريد به ان وعد الانس من الماكل والمشارب والازواج الحسان والحور فى الجنة على الخلود ليس لهم لان الوعد من الله تعالى
بما جرى للانس ولم يجر الوعد للجن ولا ذكر ذلك فى شئ من القران والذى وعد به الانس طريقة الافضال والانعام
لا ان يكون ذلك حقا للانس قبله فاذا لم يجر لهم وعد بذلك لم يجب القول لهم بالموعود واما العقاب فان الحكمة
توجب التعذيب لمن كفر به فلا يجوز ان يكون الحكمة توجب تعذيب الكفرة ثم لا يعذب الجن اذا كفروا ولذلك وجب
القول بالثواب والله الموفق وقوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا اختلف فيه فمنهم من
قال طريقة الهدى ومنهم من طريقة الكفر فمن قال المراد هو طريقة الهدى قالوا ان الطريقة المعرفة المعهودة هى
طريق الله تعالى عند الاطلاق ينصرف اليه كالدين متى ذكر مطلقا ينصرف الى دين الحق وكذلك السبيل المطلق
قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وهو الاسلام ثم يخرج هذا على وجوه احدها ينصرف الى الكفرة انهم لو استقاموا
على الطريقة اى لو اجابوا الى ما دعوتهم اليه من الهدى لاسقيناهم ماء غدقا اى وسعنا عليهم وكثرنا اموالهم و

ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة لان سعة الدنيا كلها يتصل بالماء والماء اصلها قال الله عز وجل وفى السماء رزقكم وما
توعدون فاخبر ان رزق الخلق من السماء والذى ينزل من السماء هو المطر وجعل ذلك رزقا اذ هو اصل رزق
الخلق فكذلك ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة من الوجه الذى ذكرنا فان كان على هذا فيكون الخطاب راجعا الى
الوقت الذى كانوا ابتلوا فيه بالقحط والسنين فوعد لهم انهم لو اجابوا الى ما دعوا اليه يرفع عنهم القحط والسنين
ويوسع عليهم فى الرزق وهو كقول نوح وهود وغيرهما وعدهم قومهم بارسال الاعين وتكثير الامطار والاموال والاولاد
ونحوه ويجوز ان يكون هذا فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا فى اول الاسلام فى ضيق الحال وشدة من
العيش وكانوا يتفرقون فى الشعاب والاودية لشدة ما حل بهم من الجوع ليصيبوا من عشبها وضعا اشتد الحال بحال النفير
من اهلها الى التبديل فوعد السعة فى العيش ان لو استقاموا على الطريقة التى كانوا هم عليها اى داموا عليها ولم يبدلوا
الدين الحق والهدى بالباطل كما وعد لهم النصر والظفر على الاعداء مع قلة انصارهم ان داموا على الاسلام ويحتمل ما قال
بعضهم ان تاويل قوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة اى لو اسلم اهل الارض كلهم جميعا لوسعنا عليهم الدنيا
وكثرنا اموالهم واولادهم حتى يفتتنوا فيها ويمتحنوا بمحن شديدة فيحتمل البعض منهم فيبقوا مؤمنين ولا يحتمل البعض
فيبغوا ويعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر حتى لا يقع التخلف فى وعد ان يملا جهنم من الجنة والناس اجمعين ولا يجوز
ان يقع فى وعيده خلف وهم لو استقاموا على الطريقة ولم يبغوا ادى ذلك الى اخلاف الوعيد لانه لا يملاء اذا داموا
على الطريقة ولم يبغوا ويكون الحكمة فى بغيهم ان يعرف الخلق ان الله لم يخلقهم لمنافع يحصل له ولكن خلقهم لانفسهم
ان احسنوا لانفسهم وان اساوا فعليهم ولو ابقاهم على الطريقة المستقيمة وتطهرت الولايات فى الجملة لكان يسبق الى الاوهام
انه خلقهم لمنافع نفسه وهذا من الله تعالى بيان علمه بما لا يكون انه لو كان كيف يكون اذ الله تعالى علم الايمان من البعض للحكمة
التى ذكرنا وغيرها مما يقف على بعضها الخلق دون البعض وحكم كذلك ثم اخبر انه لو حكم بان يستقيم الكل على طريق
الحق ويؤمنوا لم يحكم على طريق الابد فى حق من حكمه ان يستقيم عليها البعض الى مدة ثم يترك ويبدل الحق بالباطل
ويدوم البعض عليها تحقيقا لما ذكر من الحكمة وهو كقوله تعالى لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لو
فرض عليهم الجهاد والخروج الى القتال لبرز الذين كتب عليهم القتل منتهى اجالهم القتل الى جوانح انفسهم فيقتلوا
بيانا منه للحكمة الذى يحكم انه لو حكم كيف كان يكون هذا واما من قال معناه طريقة الكفر فهو ان يكون المراد من
الاستقامة هاهنا الاقامة ولفظة الاقامة يعتبر بها عن الاقامة على الكفر والاسلام جميعا ويكون الطريقة هاهنا
اشارة الى الطريقة التى كانوا عرفوها قبل الاسلام وهى الكفر وان كانت الطريقة اذا اطلق ذكرها اريد بها
طريقة الهدى لان طريقة الكفر هى التى كانت معروفة فيما بينهم وكذلك ذكر اهل التاويل ان الطريقة هاهنا
طريقة الكفر فمعنى لاسقيناهم ماء غدقا اى وسعنا عليهم وكثرنا اموالهم ليعطوا اجود ما بهم حيث تبسط عليهم
الرزق مع اختيارهم عداوته كما بسط الرزق على اوليائه وليعلموا اهله حيث لم يؤاخذهم بذنوبهم ولم يعجل ولم يعجل
بانزال النقمة والله اعلم وقوله عز وجل لنفتنهم فيه فالفتنة المحنة اى المحنة التى فيها الشدة فان كان هذا فى اهل
الكفر ففى بسط الرزق عليهم محنة شديدة لان ذلك يمنعهم عن الخضوع والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لما يرى من الفضل على من دونهم فى المال والسعة الا ترى الى قوله وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا
بما ارسلتم به كافرون وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وان كان كان التاويل منصرفا الى الاسلام
ففى التوسيع عليهم محنة شديدة وكذلك جميع ما امتحنا به فتنة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فامتحان الغنى
الاشياء الاولة بها اشد وقوله عز وجل ومن يعرض عن ذكر ربه يخاف ان يكون ومن يعرض عن طاعة ربه وعبادته
ومن يعرض عن توحيده او يعرض عن القران اذ هو ذكر والاعراض هاهنا عبارة عن الاباء والاختيار اى من يختار ذكر
غير الله تعالى على ما ذكره او طاعة غيره على طاعته وقوله عز وجل يسلكه عذابا صعدا على التحقيق كما ذكره اهل التفسير انهم
يكلفون الصعود على جبل من نار لا يقدرون الا بمشقة عظيمة ثم اذا بلغوا علوها يهوون فيها فذلك دابهم ويجوز
ان يكون على التمثيل وذلك لان الصعود اشد من الهبوط فيكون الصعود عبارة عن المشقة هاهنا انه يستقبل ما يشق
عليه وقيل المشقة التى عليه هو ما يحل به من العذاب متتابعا عذابا بعد عذاب وقال القتبى الصعود المشقة
يقال تصعد على هذا الامر اى يشق على وروى عن عمر رضى انه قال ما يصعد فى خطبة النكاح اى ما يشق على والله
اعلم وقوله عز وجل وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا اى ما يسجد فيه وما يسجد به فما يسجد فيه هو
البقاع وما يسجد به هو الجوارح فكانه يقول بان البقاع التى يسجد فيها والاعضاء التى يسجد بها لله تعالى
لانه هو الذى خلقها والمساجد التى بنيت فانما بنيت لعبادة الله تعالى وليدعا فيها فلا يشركوا غيره فى العبادة لله
وقال بعضهم اراد بالمساجد مسجد الحرام روى ذلك عن الضحاك وغيره فكانه اضاف التاويل الى المسجد الحرام
لان هذه السورة مكية ولم يكن فى غيرها من البقاع مساجد وقال بعضهم المساجد هاهنا البيع والكنايس لانه

البيع والكنايس بنيت ليعبد والله تعالى فيها اهم ان يعبدوا فيها فهام ان يعبدوا فيها غير الله فيخرج هذا مخرج الاحتجاج
انكم قد علمتم ان المساجد بنيت ليعبد الله فيها فلا يعبدوا فيها غيره واذا كان الله منشيها وخالقها دون غيره فكيف
يكون معه غيره في العبادة والدعاء وليس هو ينشي لها وقوله عز وجل فلا تدعوا مع الله احدا فجايز ان يكون على
الدعاء نفسه فيكون معناه ان لا يدعوا مع الله احدا لان الاله اسم المعبود كان القوم اذا عبدوا شيئا سموه الها
فيقول لا تدعوا معه احدا الها فانه هو الاله وهو المستحق العبادة من كل احد وجايز ان يكون اريد بالدعاء العبادة قال
عليه السلام مخ العبادة وقال تعالى ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فجعل
دعاهم اياه عبادة منهم له فيكون قوله فلا تدعوا مع الله احدا اي لا تشركوا غيره معه في العبادة والله اعلم وقوله
عز وجل وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا فمنهم من يقول انهم كادوا يكونون عليه لبدا على جهة
الرغبة فيه وهوا لانهم له فقوله كادوا يكونون عليه لبدا اي كادوا يلتصق بعضهم الى بعض ليتصلوا برسول
صلى الله عليه وسلم كادوا يلتصقوا به حبا لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصا على حفظ ما سمعوا
وتعجبوا مما سمعوا فكانوا يحرصون على حفظ ما سمعوا لانهم كانوا امنوا منذ زمن الجن يحرصوا على حفظه ووعيه ليبلغوا
قومهم اذا رجعوا اليهم وتعجبوا مما سمعوا لانهم سمعوه من كان لم يكن بمكان قراءة الكتب وسمعوا من الامي الذي
لم يقرء كتابا قط ولا عرف المكتوب فتعجبوا منه اشد التعجب واللبد التصاق الشي بالشي التصاقا لا ينفصل بعضه من
بعض وسمي اللبد لبدا من هذا لان الصوف يلتصق بعضه من بعض حتى لا ينفصل ومنهم من زعم انهم فعلوا هذا للشدة
معاداتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا منصرفا الى الكفرة فقوله لما قام عبد الله يدعوه معناه اي
لما قام محمد صلى الله عليه وسلم يوحد الله تعالى ويدعوا الخلق على عبادته وطاعته فهم المشركون من الانس والجن و
على هذا الامر ان يطفئوه قال الله تعالى الا ان يتمه ويمضيه وان كان هذا من اهل الاسلام من الجن والدعاء راجع
الى العبادة فكانه يقول لما قام عبد الله لله تعالى وهي الصلوة كادوا يكونون عليه لبدا للشدة حرصهم في حفظ
ما سمعوا وشدة حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا وقوله عز وجل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا
فهذا اخبار عن دينه ان دينه التوحيد لا الاشراك بالله تعالى واخبار عما يدعو الخلق اليه وذلك توحيد الله تعالى
والقيام بطاعته وجايز ان يكون هذا على اثر سؤال منهم ودعوتهم الى عبادة الاصنام على ما ذكر في الاخبار انهم
قالوا نعبد الهك يوما ونعبد الهتنا يوما وهو كقوله عز وجل يا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى
النار لا كفر بالله الاوجاين ويكون كلام ما ابتدا يؤيسهم ويقنطهم ويقطع طمعهم على عودة الى ما هم عليه
وقوله عز وجل قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي ضرا في الدين ورشدا في الدين والاصل في اسماء المشتركة اي
ينظر الى مقابلها فيظهر مرادها بما يقابلها قال الله تعالى وانا منا المسلمون ومنا القاسطون والقاسط الجائر
وقد يكون غيرا لكافر جايرا انه صرف الجور الى الكفر فظهر مراده بمقابله وهو قوله وانا منا المسلمون والضر قد
يكون في الدين وفي المال والنفس ولكنه لما ذكر قوله رشدا والرشد يتكلم به في الدين علم ان قوله ضرا راجع اليه
ايضا فكانه يقول لا املك اضلالكم ولا رشدكم انما ذلك الى الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء الا
والمعتزلة يزعم ان الله تعالى لا يملك رشد احد ولا غيه بل رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر ملكا لانه يملك
ان يدعوا الخلق الى الهدى بنفسه والله تعالى لا يملك ذلك الا برسوله وقال عز وجل ليس عليك هداهم و
لكن الله يهدي من يشاء وقال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ولو كان المراد من الهداية
المضافة الى الله تعالى الدعوة والبيان لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهديهم لانه داعي ومبين فثبت
ان في الهداية من الله تعالى لطفا لا يبلغه تدبير البشر وقوله عز وجل قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من
دونه ملتحدا فكانهم طلبوا منه ترك تبليغ الرسالة الى قوم او كتمان شي مما امر باظهاره او محاباة احد من اجله فامر
ان يخبرهم انه لا يجيره احد من الله تعالى ولا يجد لنفسه ملجا ان فعل ذلك سوى ان يبلغ رسالات ربه فيجير من عذابه
فيكون له عنده ملجا وقوله عز وجل الا بلاغا من الله ورسالاته استثناء من قوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
الا بلاغا من الله اي اني لا املك هدايتكم ولا اضلالكم الا ما كلفت لاجلكم من تبليغ الرسالة ومنهم من جعل
هذا استثناء من قوله قل اني لن يجيرني من الله احد ان عدلت عن امره ولم ابلغ الرسالة فلا يجيرني من عذابه
الا ان ابلغ الرسالة فقال الله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته
وقال فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم لانه لا يجوز ان يقع له الحاجة الى الاجارة من عذاب الله تعالى
ولم يقع منه تقصير ولا تضييع يستوجب به العقاب فلا بد من ان يمكن فيه ما ذكرنا من التقصير في التبليغ و
العدول عما كلف حتى يستقيم ذكر الاجارة فيه وذكر ابو معاذ صاحب التفسير ان الاستثناء راجع الى قوله
قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ليس الى قوله قل اني لن يجيرني من الله احد واستدل على ذلك بقراءة عبد الله

ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقرأ قل اني لا املك لكم غيا ولا رشدا الا بلاغا من الله وليس فيما ذكرنا قطع
الاستثناء على قوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا للوجه الذي ذكرنا ولان اكثر اهل التاويل اجمعوا على صرف الاستثناء
الى قوله قل اني لن يجيرني من الله احد فلا يجوز ان يحمل قولهم على الخطاء بما ذكره ابو معاذ ولما ذهبوا اليه وجه الصحة
والسداد وجايز ان يكون البلاغ والرسالة واحدا فيكون الذي يبلغ بلاغ من الله ورسالاته ويكون ذلك
على التكرار وهو كقوله ويعلمه الكتاب والحكمة قيل انهما واحد وجايز ان يكون الرسالة نفس ما انزل وهو الكتاب
والبلاغ ما اودع فيه الحكمة والمعاني وكذلك قيل في قوله ويعلمه الكتاب والحكمة ان الكتاب هو المنزل هو
نفسه والحكمة ما تضمن فيه من المعاني وجايز ان يكون البلاغ من الله تعالى منصرفا الى حكمه ورسالته الى غيره
ويكون رسالاته حكمه والبلاغ خبره وهو كقوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا اخباره وعدلا احكامه او بلاغا من الله
حق الله عليهم ورسالاته بما به مصالحهم والله اعلم وقوله عز وجل ولن اجد من دونه ملتحدا مال الا لتجاء ومال الاي
موضعا يمال اليه والالتجاء الا ما له سمي اللحد لحدا من هذا لانه يمال عن سنيه وقوله عز وجل ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقال في موضع اخر ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وقال
ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وكل من ارتكب الماثم فقد دخل في هذا العصيان وايذاء الرسول
ولكن المراد منهما من يعتقد عصيان الرسول وايذاه لان الله تعالى اضاف الاذى والعصيان الى نفسه ولا احد يقصد
قصد اذى الله تعالى والله عز وجل لا يؤذي ولكن اضاف اذى الرسول وعصيانه الى نفسه وقد كانوا يعتقدون
عصيانه واذاه فجعل عصيانهم واذاهم لرسوله اذى منهم لله تعالى وعصيانا له فثبت ان هذا في الاعتقاد وقال عز
وجل ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فجعل طاعة
الرسول طاعة له وعصيان رسوله عصيانا له ولانه ذكر العصيان على اثر تبليغ الرسالة فثبت ان العصيان
ههنا في ترك القبول بما انزل على الرسول وفي اعتقاد العصيان له وروي عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال
من امن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله فهو ليس بمؤمن لانه لا يحله بالله تعالى هو الذي يحمله على تكذيب الرسول
لان الرسول ليس يدعوه الا الى ما يقربه الى الله تعالى والى ما ينجيه من عذابه فلو كان يحب الله تعالى ويؤمن به لكان يدعو
ذلك الى حب الرسول والى طاعته فثبت ان المكذب للرسول جاهل بربه والمطيع له الله عز وجل وقوله تعالى حتى اذا راوا
ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال في موضع اخر فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا ويحتمل ان
يكون هذا في الدنيا والاخرة جميعا ويكون ذلك راجعا الى يوم بدر كما ذكره اهل التاويل اذ قد ظهر في ذلك اليوم
انهم شر مكانا واضعف جندا ويشبه ان يكون هذا في الاخرة لانهم يعلمون انهم اقل عددا في الاخرة لان كل واحد
منهم يتبرأ عن صاحبه وناصره ومعينه في الدنيا ويصير عدوا له فيقل عددهم واما في يوم بدر فقد كانوا اكثر عددا
من المسلمين فلم يتبين لهم انهم اقل في العدد ويجوز ان يكون يوم بدر ويكون المسلمون اكثر عددا لان الله تعالى اعز المسلمين
بملائكته فصار عددهم اكثر في التحقيق وان كانت الكفرة في راي العين اكثر منهم عددا ثم يشبه ان يكون هذه
الاية نزلت على اثر تخويف الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وقوتهم في انفسهم وقلة عدد المسلمين
فوعد الله تعالى نبيه عليه السلام بالنصر وكثرة عدد وقوع الحاجة اليها وبالله التوفيق وقوله عز وجل قل ان
ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فهذا ذكره عند ذكر الوعيد وهو قوله فسيعلمون من اضعف
ناصرا واقل عددا فكانهم سالوه متى وقت هذا الوعيد فامر ان يقول قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له
ربي امدا قد ذكرنا فيما تقدم من الايات انه ليس في بيان وقت الوعيد فضل يقع في الوعيد بل اذا لم يبين وقت
الوعيد كان فيه فضل تخويف وتحذير لا يوجد فيما يبين لانه اذا بين فان كان فيه امد سوف الناس والحزم التوبة
الى حلول النقمة بهم الى مجيء ذلك اليوم واذا لم يبين اصاروا الى الاياس فيرتفع الخوف والرجاء وفيه ارتفاع المحنة لان
المحنة في الاصل بالعمل على الرجاء والخوف ولانه اذا لم يبين كانوا على الحذر والخوف ويحكم ذلك على التسارع في الخيرات
والانقلاع عن المساوي فامر ان يقول هذا والاوجه الذي بان يقول هذا عالم بالوقت الذي يقع فيه الوعيد وقوله عز وجل
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الاصل فيما غيب الله تعالى عن الخلق انه منازل ثلاث احدها
ما قد يعجز الخلق عن احاطة الوقوف عليه بالحلقة نحو الكتابات التي هي اصول الاشياء لو اراد احد ان يعرف المعنى الذي
به صلح ان يكون كتابا لم يقف عليه ونحو ما جعل حيوة لكل شي ولو اراد احد ان يعرف المعنى الذي به صلح ان يجعل
حيوة لم يقف عليه وكذلك هذا في كل ما جعل كتابا موجودا والثاني ما يمكن الخلق معرفته وبلوغه اليه بالتامل و
النظر بدون معرفة السمع والاثم نحو معرفة الصانع ومعرفة وحدانيته والثالث هو الذي لم يعجزهم عنه تاكما
ولا يمكنهم من الوقوف عليه دون خبر يرد فقوله فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول في هذا والذي
مكنوا فيه لكنهم لا يبلغونه الا بمعونة الخبر وذلك نحو الاشياء التي ترجع الى مصالح الخلق والذي يوصل الى مصالح

الاخبار تما ظهر بين الخلق ولكنها لا يعرف الا بالسماع ممن له علم من الخلق والتشاوره فيهم وهو بحيث لا يحتمل ذلك مم
بالنظر فتبين ان ذلك بالرسول ومتى وجد ذلك من شخص مشار اليه ذلك على الاختصاص له بالرسالة ثم ذكر
بعضهم ان هذه الاية دلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك لان فيهم من يصدق خبره ويعرف المطالع والمغارب
والمشارق والكواكب التى بها يتولد الخلق والتى يقع عندها التغير والتبدل وذلك مما لا يوقف على علمه
بالتامل والتدبر وكذلك المتطببة منهم من يعرف طباع النبات انها يصلح لكذا وهذا يصلح لكذا فيقع به المصالح
للخلق ومعلوم ان هذا من نوع ما لا يدرك بالتامل والنظر فعلم انهم وقفوا على علمه من جهة رسول القطع اثره
وبقى علمه فى الخلق والله اعلم وقوله عز وجل الا من ارتضى من رسول اى اختاره واصطفاه واصل ان الرسالة يلزم
الخلق الشهادة له بالصدق فى كل خبر وبالعدل فى كل حكم بقوله تعالى وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم و
بالاصابة فى كل امر فما لم يبلغ مبلغا يوجب الامر فهو لا يختصه للرسالة وفى الاختصاص نعمة عظيمة على الخلق اذ به
وصل الخلق الى تعرف ما يبلغهم اليه الحاجة فى امر معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم وقوله عز وجل فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رصدا قيل رصدا من بين يدى الرسول ومن خلفه من الملايكة ليمنع الا لتبين على الرسل
فى منعهم الرسل عن التبليغ حتى يبلغوا ذكر هذا عن الحسن البصرى رحمه الله وكذلك قال فى قوله ان ربك احاط بالناس
ان احاطته هو ان يعصمه من الناس من ان يصل اليه منع الناس اياه عن تبليغ الرسالة ويحتمل ان يكون الملايكة جعلوا رصدا
عن الجن عن استراق ما يوحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعن تلقفه حتى يكون الرسول هو الذى يبلغ الى الخلق و
يشتهر ذلك فيما بين الخلق ان الرسول هو الذى قام بتبليغه الى الخلق لانهم اذا لم يجعلوا رصدا امكن الجن ان يسترقوه ويبلغوه
قبلهم الى قوم لم يتيسر عندهم علم ذلك من جهة الرسول فيخفوا ذلك من عند الجن قبل ان يبلغهم الرسول فاذا بلغ الرسول
من بعد التبس الامر على الذين ظهر فيهم العلم من جهة الجن فجعل عليهم رصدا حتى ينتشر علم ذلك من جهة الرسول فيرتفع
الشبهة او تكون الرصد تمنع الجن الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغوا قومهم من الجن حتى ينتهى الى
لهم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم من بين يديه ومن خلفه رصدا ان الملايكة [illegible]
الله عليه وسلم فاذا جاءه الملك قالوا هذا وحى من الله تعالى واذا جاءه الشيطان اخبروه [illegible]
يحكى عليه وحى الشيطان من وحى جبريل عليه الصلوة والسلام وقال بعضهم من بين يديه ومن خلفه رصدا اى [illegible]
من يبلغ الرسالة الى الرسول وهو الملك الذى ينزل بالوحى جعل بين يديه ومن خلفه ملايكة يرصدونه كى لا يستمع
الشيطان عنه ويحدث منه حدثا من التغيير والتبديل ليعلم رسول الله انما يبلغ اليه رسالة ربه وهذا بعيد
ايضا لان المبلغ بالقوة ما يدفع اذى الشيطان عن نفسه وهو امين لا يخاف منه التغيير والتبديل حتى يجعل عليه الرصد
الا ترى انه وصفه بالقوة بقوله تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين فوصفه الله تعالى بالقوة و
بالامانة جميعا لكنها جايزان يكون المبلغ محفوظا بالتبليغ والرسل من قبل رصدا [illegible]
الجن وجايز ان يكون ارسلوا المكان تعظيم الوحى وتشريفا للرسالة والله اعلم وقوله عز وجل ليعلم ان قد ابلغوا
رسالات ربهم قال قتادة ليعلم محمد ان الرسل قد بلغت رسالات ربها [illegible]
ان يعلم كل نفسه ان قد ابلغ رسالات ربه او ليعلم الاعداء ان قد بلغ محمد عليه السلام رسالات ربه على الوجه الذى امر لم
يقع فيه تغيير من شيطان ولا جنى ولا عدو وقوله عز وجل واحاط بما لديهم اى ما عند الرسل او بما عند الملايكة وبما
عند الخلق وقوله عز وجل واحصى كل شئ عددا اى احاط العلم بالذى هو معدود لا بالعدد وهو كقوله عز وجل وانبتنا فيها من كل
زوج موزون اى ما يوزن عند الخلق او اطلق العلم بما لديهم لا بالرصد وان فى نصب الرصد لا لان يقع بهم الحفظ
وهو كقوله عز وجل يمددكم ربكم بثلاثة الاف من الملايكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به
وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فبين ان النصر من عنده وان الملايكة انما ارسلت لتطمئن بها قلوب المؤمنين
ثم رجع الى ما تقدم واحصى كل شئ عددا اى كل شئ عنده معدود ومحصى لا يعزب جل جلاله عن معرفة عدده ولا يغيب
احوال تعزب عنها فيما علم وذلك خلافما عليه امر الخلق والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها المزمل فالمزمل والمدثر يقتضيان معنى واحدا على ما ذكر فى سورة المدثر قوله عز وجل قم الليل
الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فجايز ان يكون هذا الامر كله منصرفا الى وقت واحد فاما ان يكون
قوله عز وجل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه منصرفا الى قوله قم الليل او الى قوله الا قليلا فان
صرفت النقصان الى قوله الا قليلا ردت فى الامر بالقيام وان صرفت النقصان الى قوله الا قليلا زدت فى الامر بالقيام
وان صرفت النقصان الى قوله قم الليل فقد زدت فى قوله نصفه او انقص منه قليلا فالى ايهما صرفت اقتضى الزيادة

فى احدهما والنقصان فى الاخر فيتفق معناها وهذا نظير قوله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فمنهم من جعل الكلالة
اسما للميت المورث عنه ومنهم من وقع هذا الاسم على الحى الذى يرث الميت وايهما كان فهو يقتضى معنى واحدا لان
منزلة الحى مورثه ومنزلة المورث من الحى واحد لا يختلف وجايز ان يكون هذا على اختلاف الاوقات على ما ذكره اهل التفسير
فيكون قوله قم الليل الا قليلا امرا ايجاب اكثر الليل ثم يكون قوله او انقص منه قليلا تخفيفا للامر عليه فيكون فيه اذن
ان ينقص عن الاكثر وقوله او زد عليه اى على المقدار الذى ابيح له الانتقاص واذا ارتفع النقاص عاد الامر الى ما كان
مامورا به فى الابتداء ثم القليل ليس باسم الاعين الاشياء ولكنه من الاسماء المضافة فاذا قيل قليل اقتضى ذكره
تثبت ما هو اكثر منه حتى هذا قليلا اذا قوبل بما هو اكثر منه فلذلك قالوا بان قوله قم الليل الا قليلا يقتضى امر القيام اكثر الليل
ولهذا قال اصحابنا فيمن اقر ان لفلان عليه الف درهم الا قليلا انه يلزمه اكثر من نصف الالف لانه استثنى القليل فلا بد
من ان يكون المستثنى منه اكثر من الاستثناء منه ويكون المستثنى قليلا كما استثنى والله اعلم وقوله عز وجل ورتل
القران ترتيلا فالترتيل هو التبيين فى اللغة اى بينه تبيينا وقيل اقراه حرفا على التقطيع لما ذكر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقطع القراءة ولكن جايز ان يكون قراءته على التقطيع لان التبيين كان فى تقطيعه وانما امر
بالتبيين لان القران لم ينزل لمجرد قراءته فقط لكنه لمعان ثلاثة احدها ان يقرا للحفظ والبقاء الى يوم القيمة
فلا يذهب ولا ينسى والثانى ان يقرا ليتذكر ما فيه ويفهم ما اودع من الاحكام وما لله عليهم من الحقوق وما
لبعضهم على بعض والثالث يقرا ليعلم ما فيه ويتحفظوا ما امر فعله ويعملوا بما امروا به وينتهون عما نهى
عنه فتعد قرائته فى الصلوة يلزمنا هذا كله ولا يدرك ذلك الا بالتامل وذلك عند قرائته على الترتيل وهذا الذى
ذكرناه يوجب اختيار من يرى الوقوف فى القران لان ذلك اراد على المعنى واقرب الى الافهام وفيه دلالة ان
المستحب فيه ترك الادغام وترك الهذ الفاحش لان ذلك ابلغ فى التبيين والاصل ان السامع فى القران مامور بالاستماع
اليه واذا لزمه الاستماع وفى الاستماع الوقوف على حسن نظمه وتعجب حكمته والوقوف على معانيه فلزم القارى
تبيينه ليصل السامع فى القران مامور بالاستماع اليه معانيه ويقف على حسن نظمه ويعجب تاليفه وذلك يكون
اقرب فى افهام السامع والقارى لما فيه من لطايف المعانى ثم الترتيل منصرف الى القراءة قرانا على جهة المصدر لانما
هو كلام الله تعالى لا يوصف بالترتيل والله الموفق وقوله عز وجل انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ولم يقل ثقيلا على من
فجايز ان يكون الثقل راجعا الى الكفرة والمنافقين ويكون الثقل الامر بالجهاد لانه اشد على الفريقين جميعا فانه
الكفار عن المسلمين ان يعودوا الى ملتهم قال الله تعالى اليوم يئس الذين كفروا وتخلف المنافقون عن القتال مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجايز ان يكون قوله ثقيلا اى على الكفرة والمنافقين وكذا على اهل الكتاب ثقيل ايضا لانهم لم
يتمنوا ان ينزل عليه الكتاب واما على المسلمين فليس بثقيل بل هو كما قال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وجايز ان يصرف
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه امر بتبليغ الرسالة الى الفراعنة والخلق كافة وفى القيام بالتبليغ الى الفراعنة
مخاطرة بالروح والجسد امر ثقيل صعب جدا او يكون ذلك منصرفا الى قيام الليل فيكون معناه قولا ثقيلا اى الوفاء بما
يوجبه ذلك القول وجايز ان يكون هذا منصرفا الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصاره فيكون قوله من الوجه
الذى كلفوا القيام بفرايضه وحفظ حدوده وتحليل حلاله واجتناب حرامه وزعمت الباطنية ان القول الثقيل
هو ان كلف الناطق وهو الرسول عليه السلام تفويض الامر الى الاساس وهو الباب وكذلك الاساس والباب
هو على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه عندهم وهم يسمون الرسل عليهم الصلوة والسلام نطقا ويقولون بان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ التنزيل الى الخلق فلما بلغ التنزيل اليهم واستغنوا عنه احتاجوا الى من يعلمهم
التاويل فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يسند امر التاويل الى على بن ابى طالب رضى الله عنه ليكون هو الذى يتولى
تعليم الخلق تاويله فكذلك هو القول الثقيل اذ امر ان يسند الى غيره فاشتد عليه اذا صار غيره ولى الامر ويقى هو ساكنا
لا ينطق فيقال لهم ان فى الامر باسناد الامر الى من ذكر ثم تخفيف الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعمكم
لان من مذهبكم انه اذا فوض الامر الى على رضى الله عنه قبض هو عليه السلام وصورة القبض عندكم ان تميز
الصورة الروحانية من الصورة الجسدانية التى كانت محتبسة فى الصورة الجسدانية ثم تتلف الصورة الجسدانية
وتبعث الصورة الروحانية النورانية الى دار الكرامة والحبور والاخلاص من الحبس لم يشتد ذلك عليه و
لم يثقل بل كانت فيه بل رغبة الى التفويض وتدعوه اليه من ذهب الباطنية انهم لا يعلون احد مذهبهم الا بعد
ان تحلفوه بالايمان الغليظة بان لا يخبر به احدا اشفاقا على انفسهم ولو كان الامر على ما قدروا ان التلف يرد
على الصورة الجسدانية التى هى بعيب لحبس الصورة الروحانية واذا تلفت ردت الروحانية الى دار فيها
كل انواع السرور فما الذى يحوجهم الى الاستخراق ولا بالهم يشفقون على انفسهم وليس فى اتلاف
انفسهم الا الخلاص من الحبس والوصول الى الكرامات ومن هذا وصفه حق عليه الموت ليعلم انهم يا ملون

الخلق على خلاف ما يوجبه اعتقادهم ولو كان ما اعتقدوه حقا لما استجازوا مخالفته ولكن الذي دعاهم الى ذلك
تسويل الشيطان وتزيينه في قلوبهم وما مثلهم الا مثل اليهود الذين ادعوا ان الدار الدار الاخرة لهم خالصة من
من دون الناس فقيل لهم تمنوا الموت ان كنتم صادقين لانكم لا تصلون الى الاخرة الا بالموت فان كنتم محقين في
دعواكم فتمنوا الموت لتصلوا اليها فكان في امتناعهم عن التمني ما يظهر كذبهم ويبطل مقالتهم وتبيين تمويههم فكذلك
في اشفاق هؤلاء على انفسهم من الهلاك اظهار وانباء انهم قصدوا به قصد التمويه على الضعفة ليصلوا الى
المأكلة وهو سعوا به في امر دنياهم من غير حجة لهم في ذلك وبهذا ذكرنا يحتج على الثنوية فان من مذهبهم تحريم
القتل والذبح واحق من يرى القتل والذبح مباحين لان من مذهبهم ان العالم انما هو بامتزاج النور والظلمة فما من جزء
من اجزاء النور الا وهو مشوب بجزء واحد من اجزاء الظلمة وكان امتناعهم تغلبت الظلمة على النور فما تمتزجت به
فصار الظلمة حابسة للنور ومعلوم ان في القتل تخليص اجزاء النور التي من جنس الظلمات لان في القتل ازالة السمع
والبصر والعقل ومعلوم بان النور والبصر في هذه الاشياء اذ بها دون الانوار فاذا امتازت هذه الاشياء من
الجسد وبقي الجسد الظلماني لا يبصر شيئا فقد وصل جوهر النور الى حرصه ومقصوده بالقتل وصار الى مقره فاذا كان
القتل يوصله الى غرضه ويخلصه عن وثاق الظلمة وحبسها فينبغي احسن اليه بالقتل والذبح فلا يجب ان يحرم القتل
على مذهبهم بل يجب ان يمدح المرء على ذلك الفعل ويستصوب ذلك منه وقال القتبي القول الثقيل كلام الله تعالى
وثقله هو تبجيله وتعظيم حرمته ليس كلام السفهاء الذي لا يكترث به ولا يؤبه به وقال الزجاج الثقيل الموزون اي الذي
له وزن وقدر في القلوب الذي يجب ان يعظم ويوقر ليس بالقول الذي يستخف وجائز ان يكون القول الثقيل اي الحق
على ما روي في بعض الاخبار ان الحق ثقيل مر والباطل خفيف وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال حق
لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وحق لميزان لا يوزن فيه الا الباطل ان يخف فيكون ثقله العمل بما فيه وجائز
ان يكون القول الثقيل هو تكليف القيام عامة الليل وقوله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا قرئ
وطاء ووطأ فمن قرأ وطاء بالمد فتأويله من المواطأة وهي الموافقة اي موافق للسمع والبصر والفؤاد لان
القلب يكون افرغ بالليل عن الاشغال التي تحول المرء عن الوصول الحقيقة درك معاني الاشياء وكذلك السمع
والبصر يكون احفظ للقرآن واشد استدراكا لمعانيه ومن قرأ وطأ فهو من الوطء بالاقدام فتأويله انه
اشد على البدن واصعب لان المرء قد اعتاد التقلب والانتشار في الارض بالنهار ولم يعتد ذلك بالليل بل اعتاد
الراحة فيه فاذا كلف القيام والانتصاب برجليه في الوقت الذي لم يعتد فيه بالقيام كان ذلك اشد عليه و
اصعب على بدنه ولان المرء بالنهار ليس ينتصب قائما في مكان واحد فيمكث فيه كذلك بل ينتقل من موضع الى موضع
ولو كلف الانتصاب في مكان اشتد عليه ولحقه الكلال والعناء من ذلك ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتصب
قائما يصلي الى نصف الليل او اكثر فكان في ذلك محنة شديدة وكلفة شاقة والله اعلم ثم الاصل ان المرء يتيسر بالنهار
وطلب ما يعيش وليصل الى ما يتمتع في امر دنياه وقيام الليل طالبا للراحة وايثارا للتخفيف وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ممنوعا عن اكتساب الاشياء التي يتوصل بها الى سعة الدنيا الا القدر الذي تقيم به مهجته
وكذلك منع عن الراحة بالليالي وامر باحياء الليل الا الذي لا بد منه والله اعلم وجائز ان يكون في الامر بقيام
الليل نوع من الراحة والتخفيف وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الزم بتبليغ الرسالة الى الناس
كافة فحمل تبليغها اليهم بالنهار ورفعت عنه الكلفة بالليل وامر بان يتفرغ لعبادة ربه وكان الامر
بالتفرغ للعبادة ايسر من الامر بتبليغ الرسالة لان في الامر بالتبليغ امرا فيه المحاضرة بالروح والجسد و
ليس في الامر بالانتصاب قائما اكثر الليل ذلك وانما فيه ايصال الوجع الى بعض اعضائه فيكون فيه بعض التخفيف
فان قيل على التأويل الاول كيف خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب النكاح حتى ابيح له فضل العدد ولم
يبح لامته وفي ذلك زيادة تمتع شهوات الدنيا وجوابه ان يقال بالمعنى الذي به حظر على غيره الزيادة على الاربع
وقصر الامر على الاربع هو خوف الجور الا ترى الى قوله عز وجل فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع
فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة واذا كان التحريم للوجه الذي ذكرنا ارتفع الحظر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان الله عز وجل عصمه عن الجور ومكنه من العدل بين نسائه ثم ليس في اباحة زيادة العدد سوى فضل
محنة وكلفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه اذا تزوج ان يقوم فيما بينهن بالعدل وان يبتغي مرضاتهن بحسن
العشرة معهن وانما يصل المرء الى الارضاء بالاموال ولم يتمتع هو من الدنيا مقدار ما يصل الى رضاهن بالاموال
لم يتهيأ له الا ان يصيبهن بسعة الاخلاق وان يلين لهن لئلا يغترن عليهن ولا يخرجن فثبت انه ليس في اباحة العدد
نفس تمتع بل فيه زيادة محنة وابتلاء وفيه ايضا ما يحقق رسالته ويثبت نبوته لان المرء انما يصل الى توفير
الحقوق الواجبة عليه بالنكاح اذا تناول من فضول الدنيا وطعم لذاتها واعطى النفس شهواتها

فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا واعطاء الغنى بشهوتها ومع ذلك قام بايفاء حقوق الازواج
فثبت انه باللطف من الله تعالى وصل الى ايفاء حقوقهن ليس باسباب البشرية وفي هذه الاية دلالة ان الصلوة تشتمل
على الذكر والفعل جميعا لانه قال اشد على البدن وشدته يكون بالفعل وقال واقوم قيلا وذلك يرجع الى الذكر
ثم يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلف تبليغ الرسالة بالليالي لان اعداءه من الفراعنة وغيرهم كانت
همتهم ان يقتلوه ولم يكن يتهيأ لهم ايصال الاذى به لمكان اتباعه والليالي هي اوقات غفلة الاتباع فلو كلف التبليغ
وامتحن بالقيام لعبادة ربه وقوله عز وجل ان ناشئة الليل اي ساعة الليل وقيل هو من نشأ ينشأ اي نما فسميت
ناشئة لان الاوقات تحدث وتترادف وجائز ان يكون المراد من ناشئة الليل اي ما يحدث من الاحوال في الليل من
القيام للصلوة والاشتغال بعبادة الرب جل جلاله وقوله واقوم قيلا اي اصوب كلاما والاقوم هو المبالغة في الوصف
مما اريد بالقيام فان اريد به الكلام فحقه ان يصرفه الى الصدق الاقوم من الاخبار اصدقها وان اريد به القيام بوفاء
ما يقتضيه ذلك الكلام فمعنى قوله اقوم اي ابلغ في وفاء ما يوجبه القول وان اريد به القراءة نفسها فهو
اقوم قراءة وقوله عز وجل ان لك في النهار سبحا طويلا قال ابو بكر والزجاج السبح السعة كانه قال ان لك في النهار
سعة طويلا في تبليغ الرسالة والقيام به فتفرغ بالليالي لعبادة ربك وقيل ان لك في النهار سبحا طويلا اي
فراغا وسعة ومنقلبا فالسبح يذكر ويراد به الفراغ ويذكر ويراد به المشي والتقلب وهذا الذي قالوه محتمل ولكن لا يجوز
ان يصرف تأويل الاية الى الفراغ والتقلب لحوائج نفسه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ينال من الدنيا
الا قدر ما يقيم به مهجته فلا يحتاج الى فضل ولا الى كثير فراغ ليتوسع في امر دنياه ولكن حقه ان يصرف بتقلبه الى
تبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى توحيد الله تعالى والى ما يحق عليهم فيكون في قوله ان لك في النهار سبحا طويلا من
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ان ينتصب بالليالي للقيام بين يدي واجتزاء منه بتبليغ الرسالة بالنهار وقوله
عز وجل واذكر اسم ربك اي اذكر ربك دليله قوله على اثره وتبتل اليه تبتيلا والتبتل يقع اليه لا الى اسمه
ثم ذكر الرب جل جلاله هو ان ينظر الى احوال نفسه ما الذي يلزمه من العبادة في تلك الحال فيكون ذكر ربه
باقامة تلك العبادة لا بان يذكر الله تعالى بلسانه فقط وهو كقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا و
استغفارهم اي يأتمروا بما امروا وينتهوا عما نهوا لا ان يقولوا بالسنتهم نستغفر الله وان قالوا نستغفر الله لم يقبل
ذلك منهم اذا كانوا كفرة فثبت ان استغفارهم ان يجيبوا الى ما دعاهم اليه نوح فكذلك ذكر الله تعالى يقع بوفاء
ما يلزمهم حالة القيام به وذلك يكون بالافعال مرة وبالاقوال ثانيا ومنهم من صرف الامر الى الاسم على ما
يؤديه ظاهر اللفظ فامر بذكر اسم الرب لما يحصل له من الفوائد بذكرها لان من اسمائه اسماء ترغبه في اكتساب
الخيرات والاقبال على عبادة ومنها ما يدعو الذكر الى الخوف والرهبة ومنها ما يوقف على عجائب حكمته ولطيف
تدبيره وتقرير سلطانه وعظمته في قلبه ومنها ما يحدث له زيادة علم وبصيرة وهي الاسماء المشتقة من الا
فعال واذا تأمل فيها عرف الوجه الذي منه اشتق تلك الاسماء فذكر اسمائه يحدث له ما ذكرنا من الفوائد
والعلوم وقوله عز وجل وتبتل اليه تبتيلا فالتبتيل هو الانقطاع الى الله تعالى وان يقطع نفسه من شهواتها
وتصرفها عن لذاتها فكانه قال وتبتل له وتبتل نفسك تبتيلا من الشهوات واللذات ولذلك سميت مريم
رضي الله عنها البتول لانها قطعت نفسها عن منافع الدنيا واقبلت الى الاخرة وانقطعت اليه وقوله عز وجل
رب المشرق والمغرب قال ابو بكر الاصم تأويله ملك المشرق والمغرب وحقه ان يقال مالك المشرق والمغرب
لانه هو المالك على الحقيقة وقال بعضهم هو الرب هو المصلح ثم خص المشرق والمغرب بالذكر وان كان هو
مالكهما ومالك الخلائق اجمع لان ذكر المشرق يقتضي ذكر السموات والارضين وفي ذكر السموات والارضين
ذكر اعلى العليين واسفل السافلين لانه اذا نظر الى المشرق ورأى ما يطلع في المشرق من عين الشمس ثم
تجري في اقطار السماء وتقطع كل يوم مسيرة الف عام ثم تغرب في عين حمئة فتصير الى اسفل السافلين
وتجري كذلك حتى تصل الى مطلعها ثم تطلع هنالك فدل ذلك على ان مدبر السموات والارضين ومنشئهما واحد
وان سلطانه في السماء ويعلم ان بلغت قدرته هذا المبلغ في ان يسير عين الشمس في يوم واحد مسيرة الف عام
ما يشتد على الخلق قطع هذه المسافة في مدد كثيرة لا يجوز ان يعجزه شيء ودل على ان ملكه دائم لا ينقطع لان
عين الشمس تجري في كل يوم على سنن لا يتبدل ولا يتغير باختلاف الازمنة والاوقات وجعل منافع اهل
الارض متصلة بمنافع ولو لم يكن مدبرهما واحدا لارتفع الاتصال وانقطعت منافع السماء ولو لم يكن مدبرهما
واحدا لارتفع الاتصال وانقطعت منافع السماء عن اهل الارض فكان في ذكر المشرق والمغرب دلالة وحدانيته
واظهار قوته وسلطانه والوقوف على عجائب حكمته ولطائف تدبيره ثم تخصيص ذكر المشرق والمغرب دون ذكر
السماء والارض هو والله اعلم لان هذا اوصل الى معرفة التوحيد واسرع الى الادراك من ذكر السموات

والارض وان كان في التدبير فأمر السماء والارض بتحقيق ذلك وفي قوله عز وجل رب المشرق والمغرب اي الذي
يذكره هو رب المشرق والمغرب وفيه تعريفنا الوجه الذي نصل الى معرفة ربوبيته وقوله عز وجل لا اله الا هو اي
لا معبود يستحق العبادة الا هو لان الذي يحمل الانسان على عبادة المعبود الخوف والرجاء واعرفهم بذكر المشرق
والمغرب اي تدبير الخلائق كلها راجعة اليه وانه هو القاهر عليهم والقادر عليهم وبيده الخزائن والمنافع ليجمع علموا
انه هو الاله الحق والرب القاهر وان من سواه مربوب مقهور لا يملك نفعا ولا ضرا فكيف يستوجب العبادة
والالهية وقوله عز وجل فاتخذه وكيلا يجاز ان يكون اراد ان امورك كلها الى الله تعالى حتى يكون هو الذي يدبر
ويحكم ولا تر لنفسك فيها تدبيرا والوكيل في الشاهد هو الذي يدخل في امر آخر على جهة التبرع لينصره فيه ويعينه
فيكون قوله فاتخذه وكيلا اي اطلب من عنده النصر والمعونة والمرء في الشاهد انما يفزع الى الوكيل ليرفع عنه
علل ويقضي عنه حوائجه ويقوم عنه في النوائب فكأنه يقول افزع الى الله تعالى في نوائبك فيكون هو الذي يرفع عنك
العلل ويقضي عنك الحوائج ويكون معتمدك في النوائب والله اعلم وقوله عز وجل واصبر على ما يقولون قال اهل التفسير
تأويله اصبر على تكذيبهم اياك الا ترى الى قوله في سياق الآية وذرني والمكذبين اولي النعمة فثبت انه دعي الى الصبر
على التكذيب وجائز ان يكون منصرفا الى هذا والى غيره لانهم كانوا لا يقتصرون على تكذيبه بل كانوا ينسبونه
الى الكذب مرة والى السحر ثانيا والى الجنون ثالثا والى انه يتيم رابعا فكانوا يؤذونه بانواع الاذى فجائز ان يكون
قوله واصبر على ما يقولون منصرفا الى كل ذلك ثم الامر بالصبر يقع بخصال ثلاث احدها ان لا تجازهم على تكذيبهم
اياك بتكذيبك اياهم ولا تجزع عليه وفي الجزع بعض التسلي والتشفي او لا يدع عليهم بالهلاك والثبار بل اصبر
لذلك وللقائل ان يقول كيف كان يشتد عليهم تكذيبهم اياه حتى كاد يحزن لذلك والذين نسبوه الى الكذب كانوا
من اعدائه وليس يستثقل التكذيب من العدو ولا يستنكر منه لانه بما يعاديه يعتقد ان لا شيء لديه بجميع ما يمكنه
سعة وانما يستثقل الكذب من اهل الصفوة والمودة فكيف استثقله وكيف بلغ به التكذيب مبلغا يحزن
به حتى يدعى الى الصبر بقوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون الآية وبقوله واصبر على ما يقولون والجواب عن
هذا ان الكذب والجهل ما يستثقلهما العقل والطبع جميعا وكذلك التكذيب والتجهيل امر يثقل على الطبع والعقل
جميعا حتى ان الكذاب اذا نسب الى الكذب اشتد عليه ذلك ولم يتحامل وكذلك المجهول اذا عرف بالجهل ثقل ذلك عليه فاذا كان
التكذيب مستقبحا في عقول الخلق وطبائعهم وان كانت طبائعهم مشوبة بالآفات وفي عقولهم فرسول الله صلى الله عليه
وسلم مع صفاء عقله وسلامة طبعه عن الآفات احق ان يثقل عليه ويحزن لذلك ثم ما من انسان ينسب الى الكذب
فيما يحدث عن نفسه او عمن سواه الا وهو يجد لذلك ثقلا فكيف اذا اخبر عن الله
تعالى وكذب فيه اليس هذا احق ان يثقل على القلب ويحزنون له ويجوز ان يكون حمله على الحزن شدة اشفاقه على
المكذبين لان تكذيبهم الى العطب والهلاك فاشفق عليهم باشفاقهم مما به هلاكهم وحزن لذلك او يكون حزنه
غضبا لله تعالى اذ الرسل كانوا يغضبون لله تعالى ويشتدون على اعدائه والجواب عن قوله ان المكذبين كانوا من
اعدائه فكيف اشتد عليه تكذيبهم وذلك امر غير مستبدع من الاعداء فنقول ان رسول الله كان يعاملهم معاملة
الولي مع وليه الشفيق ولم يكن يعاملهم بما يعامل به الاعداء لانه كان يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وشرفهم
في امر دنياهم وآخرتهم ومن عامل مع آخر معاملة اقرب الاصفياء معه كان الحق عليهم ان يجاوزوه بالاحسان
فاذا تركوا ذلك وقابلوه بالتكذيب اشتد وحزن لذلك ثم في قوله واصبر على ما يقولون وفي قوله ولا تستعجل لهم
ابطال قول من قال ان الله تعالى لا يفعل بعبده الا ما هو اصلح له لانا نعلم انه اذن النبي من الانبياء بالدعاء على
استعجال الهلاك واستجيب فما دعا كان فيه ما يحمل القوم على الايمان ويردعهم عن التكذيب لانهم يخافون
حلول نقمه عليهم فيتركون التكذيب ويقبلون على الاجابة فيكون فيه صلاحهم وشرفهم في امر دنياهم وآخرتهم
فاذ لم يؤذن دل انه ليس من شرط الله تعالى ان يفعل بعباده ما هو اصلح لهم فان قيل كيف لم يؤذن بالدعاء عليهم ليحملهم
ذلك على الاسلام ويمنعهم عن التكذيب قيل لان فيما ذكرنا رفع المحنة والابتلاء لان المحنة اذا كان يقع من جهة
الضرورة لان اذا علموا انهم يستأصلون بالتكذيب امتنعوا عنه واجابوا الى الاسلام كرها فيصير الحجج اضطرارية
تمييزية واختيارية وحجج الرسل عليهم السلام اختيارية لا ضرورية لما ذكرنا انها لو جعلت اضطرارية لارتفعت
المحنة فجعلت حججهم من وجه تقع بها الشبهة ليوصل الى معرفتها بالتكلف لئلا ترتفع المحنة فان قال قائل ان
ابا حنيفة رح ذكر في كتاب العالم والمتعلم ان ايمان الملائكة وايمان الرسل وايماننا واحد ثم قال فاذا استوينا نحن
والرسل في الايمان فكيف صار الثواب لهم اكثر وخوفهم من الله اشد فاجاب عن هذا السؤال باجوبة وقال في جملة
ما اجاب انهم لو ارتكبوا الزلات يحل بهم العقاب عقيب الزلة فصار خوفهم بالله تعالى الزم في هذه الجهة وللسائل ان يسأل
على هذا فنقول فاذا ايمانهم بالله تعالى وتركهم المعاصي ضروري لا اختياري فيجاب عنه بان يقال بان الانبياء عليهم السلام

لم يبين لهم العصمة بل كانوا على خوف من وقوعهم في المهالك الا ترى الى قول ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان
نعبد الاصنام ولو كانت العصمة ظاهرة لكان يستغني عن السؤال وقال في قصة شعيب عليه السلام وما يكون لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما فثبت انه لم يبين لهم العصمة ونحن انما شهدنا لهم
بالعصمة بالوجود لان الحكمة توجب العصمة والرسل عليهم السلام امروا بتبليغ الرسالة ولم يؤذن لهم بالتغافل
في امر من تقدمهم من الرسل ليظهر لهم العصمة بالتدبر والتفكر فثبت انهم كانوا على الخوف والرجاء في تحكم
انفسهم وخوف وقوعها في المهالك وان ايمانهم بالله تعالى لم يكن ضروريا بل وصلوا الى معرفته بالتمييز لدلالة
عقلية وحاجتهم والثاني ان الانبياء عليهم السلام قد كان تفرد في قلوبهم هيبة الله تعالى وعظمته فكانت
المعرفة هي التي دعتهم الى الايمان به لا خوف حلول العقوبة بهم لو ارتكبوا الزلات واما الكفرة فلم يعرفوا
عظمة الله تعالى ولا قدرته وسلطانه حتى يحملهم ذلك على الايمان به فلو حلت العقوبة بهم بالتكذيب لكانت
الخوف هو الذي يحملهم على الايمان لا غير فيصير ايمانهم ضروريا فلهذا لم يعاقبوا بالتكذيب لان لا يرتفع المحنة
وخولف بينهم وبين غيرهم وهذا كما يقول بان انباء ما تقدم من الرسل حجة لرسولنا صلى الله عليه وسلم في اثبات
نبوته وان كان تلك الانباء قد عرفها اهل الكتاب واخبروا بها لان اهل الكتاب عرفوا تلك الانباء بالتعلم والتلقين
ولم يختلف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من عنده علم تلك الانباء فعلم انه بالله تعالى علم لا بتعليم احد فصار الانباء
حجة لذلك ولم يصر حجة والله اعلم وقوله عز وجل واهجرهم هجرا جميلا فجائز ان يكون تأويله اهجرهم وتنبههم وتنسبهم الى
الى ما يليق بك ولا يعبأ بهم ولا يكترث اليهم والى ما يقولون عليك لان ذلك بعض ما زجر المنقول والشتائم عما هو فيه
وهو كقوله عز وجل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ويحتمل ان يكون تأويله ان انقطع عنهم انقطاعا جميلا والانقطاع
الجميل ان لا يترك شفقته عليهم ولا يدعو عليهم بالهلاك ولا يمتنع عن دعائهم الى ما فيه رشدهم وصلاحهم ولذلك قال
في وقت اذاهم اياه اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ويحتمل ان يكون هجره اياهم هجرا جميلا هو ان لا يكافئهم بالسيئة
بل يدفع السيئة بالحسنة كقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة اذ ذلك ادعى للخلق الى الاجابة من يفعل ذلك بهم
عند الجاهلية والله اعلم ثم من الناس من يقول بان هذه الآية نسختها آية السيف ومنهم من قال بانها لم ينسخ وصرف
تأويل الآية الى جهة لا يصير عليها النسخ وذلك ان في قوله واهجرهم هجرا جميلا منع المكافآت لاجل ما اذوه ولم يفرض عليه
القتال ليكافئهم باذاهم وينتقم منهم بذلك بل يرجع قتاله الى نصرة الدين وليكون كلمة الله تعالى هي العليا لذلك لم يكن في
آية السيف ما يوجب نسخ هذا ولا نسخ على قوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره الى انه ليس في قتالهم انتقام منهم
بل فيه ما يدعوهم الى الايمان بالله تعالى ورسوله واذا آمنوا بذلك نجوا من العقاب وفازوا بعظيم الثواب فيصير القتال
رحمة لهم لا عقوبة ووجه جعله رحمة هو انهم اذا راوا غلبة المسلمين عليهم مع قلة عددهم والضعفاء الذين حل بهم
باسائهم لاشتغالهم بعبادتهم ربهم وكثرة عدد المشركين مع قوة ابدانهم ايقنوا انهم لم ينالوا الغلبة بالجلد و
الاسباب بل الله تعالى هو الذي قواهم عليهم وقام بنصرهم فيتقرر عندهم كون اهل الاسلام على الحق لنزلوه فيحرزوا به
جزيل الثواب وكريم المآب فصار القتال رحمة لهم لا ان يكون عليهم عقوبة عليهم لسوء صنيعهم واذا كان كذلك نفى العمل
بقوله عز وجل واهجرهم هجرا جميلا ثابتا باقيا وبهذا اجاب من سأل فقال ان الله تعالى يقول لنبيه عليه السلام وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وفي القتال ترك الرحمة فكيف فرض عليه فيقال ان ليس في القتال ترك الرحمة بل هو من ابلغ الرحمة
وتمامها اذ يحملهم على الايمان وترك التكذيب فيعلوا منزلتهم ويشرف قدرهم في الدنيا والآخرة والله اعلم وجواب
آخر ان يقال بان الرحمة في القتال ليس في القتل لانهم اذا خافوا القتال تركوا التكذيب واقبلوا على الداعي
الا ترى انه ذكر ان القوم قبل ان يفرض عليهم القتال كان يدخل الواحد منهم بعد الواحد في هذا الدين فلما شرع القتال
جعلوا يدخلون فيه فوجا فوجا وقبيلة قبيلة ثم اباحة القتل يكون بالضرورة لانهم اذا علموا انهم لا يقبلون ثم يقع
لهم الخوف بالقتال واذا لم يخافوا تركوا الاجابة وشرع القتل فيه لتحقيق الخوف فلم يكن ترك الرحمة وهو كقوله
ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب وفي اقامة القصاص تلف النفس وليس فيه احياء ولكن وجه الاحياء فيه
هو ان القاتل اذا تفكر قبل ان يقتل صاحبه ردعه ذلك عن القتل فيكون فيه احياء النفس جميعا فيصير
ايجاب القصاص سببا للاحياء في الحقيقة واذا كان في الظاهر سبب الاتلاف فكذلك هؤلاء اذا ايقنوا بالقتل
بامتناعهم عن الاجابة تركوا الامتناع واقبلوا على الاجابة فيكون موضع القتل للرحمة في التحقيق وان كان
في الظاهر خارجا مخرج ترك الرحمة والله اعلم وقوله عز وجل وذرني والمكذبين اولي النعمة وهذا ان اهل الحسب
والدعة هم الذين اشتغلوا بالتكذيب وهم الذين كانوا يصدون الناس عن سبيل الله كما قال وكذلك جعلنا
في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وقال وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها فخص اولي النعمة
بالذكر لهذا ثم في قوله ذرني والمكذبين ايهام بان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق منه المنع ولم يخل

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيلولة ومنع ولكن مثل هذا الخطاب موجود في كتاب الله تعالى في غير اى من كتابه
وهو ان يخرج مخرج التوهم ان هناك متقدمة وان لم يكن فيها متقدمة في التحقيق قال الله تعالى والسماء رفعها ولم يكن فيه
تحقيق الوضع وان كان الرفع يستعمل في الشيء الموضوع وكان تاويل الدفع ههنا بانها خلقت مرفوعة وقال والارض
وضعها وكان معناه انها خلقت موضوعة وقال يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يسبق منه
دخول في دين اولئك فيكون تاركا له بعدما دخل فيه وقال الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ولم يقتض قوله عز وجل يخرجهم من الظلمات الى النور كونهم
في ظلمة ولا اقتضى قوله يخرجهم من النور الى الظلمات كونهم في النور فيخرجهم منه وان كان في الظاهر يقتضي حيلولة
ومنعا فليس في الحقيقة اثبات منع ويذكر غير هذا في سورة المدثر ثم قوله وذرني والمكذبين معناه لا تجازهم بتسيبهم
لا تستعجل عليهم بالدعاء بل امهلهم قليلا فسيكفيكهم الله وقيل في الفرق بين النعمة والنعمة ان النعمة ما يعطي العبد
ارادة استدراجه فيها وهلاكه كقوله عز وجل ونعمة كانوا فيها فاكهين والنعمة هو منة الله تعالى على عباده تفضلا
عليهم كقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة والله اعلم وقوله عز وجل ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما
قال ابن عباس رضي الله عنه الانكال هو السلاسل والقيود وقال ابو بكر الاصم الانكال ما ينكل به ويعتبر به غيره
قال الله تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة تاويله ما بين يديها من القرى وما خلفها من
القرى ايضا فان كان على ما ذكره ابو بكر الاصم فقد يكون في الدنيا ويكون منصرفا الى يوم بدر والله اعلم وكان
الاول اشبه والجحيم هو معظم النار ثم في هذه الاية دلالة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واثبات رسالته لان
قوله انكالا وجحيما راجع الى قوله وذرني والمكذبين اولي النعمة فان لهم لدينا انكالا وجحيما وانما ينكلون ويعذبون
بالجحيم اذا ماتوا على الكفر ففيه ابانة انهم يموتون وهم كفار وعلى ذلك ماتوا وختم امرهم ولم يسلم منهم احد
فيخرج ما اخبر عن غيب كما اخبر وذلك لا يعلم الا بالله تعالى فثبت انه لم يخترعه من تلقاء نفسه بل علم بالله تعالى وعلم
الغيب من اعظم ايات رسالته وقوله عز وجل وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فالذي يغص ولا يقدر على ابتلاعه ليس
بطعام في الحقيقة وقال لهم شراب من حميم فالحميم ليس بشراب في الحقيقة ولكن سمي الاول طعاما لانه بمنزلة مضغ الطعام
والتشديد والحميم بسبيل سبيل الشراب فذكر في الاول صمما وثانيا شرابا لهذا لان الطعام اسم لما يطعم فهو
مطعوم وان كان كرها والحميم مشروب وان كان في نفسه ثم الاصل ان الكفرة بكفرهم تركوا شكر نعم الله تعالى
ذكره وقابلوها بالكفران فابدل الله تعالى في الاخرة مكان كل نعمة نقمة الا ترى الى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وبكما وصما فابدل لهم مكان البصر عمى ومكان السمع صمما لتركهم شكر ما ابتغوا من البصر والسمع
واللسان وابدل لهم مكان اللباس قطرانا ومكان المراكب الى النار على اقدامهم ووجوههم فكذلك ابدل لهم مكان
الطعام زقوما وحميما لتركهم شكر نعم الله تعالى وقوله عز وجل يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا
مهيلا قد ذكر الرجفة في غير موضع وقوله كثيبا مهيلا قد ذكرنا الرجفة في غير موضع وقوله كثيبا مهيلا اي
رملا سائلا ففيه اخبار عن شدة هول ذلك اليوم لان الجبال من اصلب الاشياء واشدها في انفسها ثم يبلغ
هول ذلك اليوم مبلغا يجعله الجبال مع شدتها وصلابتها فان الانسان الضعيف المهين اني يقوم لشدته
وهوله فذكرهم حال ذلك اليوم ليرتدعوا وينتهوا عما هم عليه في التكذيب والضلال وقوله عز وجل انا ارسلنا اليكم
رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا قوله شاهدا عليكم قال ابو بكر الاصم تاويله مبينا عليكم
ما لله تعالى عليكم من الحق وجائز ان يكون شاهدا عليكم اي لكم وعليكم جميعا فيكون على الكفرة شاهدا بقوله
وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ويكون للمؤمنين شاهدا وقد يذكر عليهم ويراد به لكم كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب
لانهم كانوا يذبحون لها لا عليها وخص ذكر موسى عليه السلام وفرعون من بين الجملة فجائز ذكر التخصيص هو
والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نشوؤه بين ظهراني الذين كذبوه ولم يكن وقفوا منه على كذب
قط بل كانوا عرفوه بالصيانة والعدالة وكان محل رؤيته اهلا للشهادة فكيف ينسبونه الى الكذب ولم يعهدوا ذلك
منه وكذلك موسى عليه السلام كان نشا بين ظهراني اولئك الذين ارسل اليهم وكانوا عرفوه بالصيانة و
العدالة وعرفوا انه يصلح للشهادة ومنهم من يقول بانهم ازدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم واستصغروه
اعتبارا بما شهدوا من حاله عند الصغر اذ كان نشوؤه فيهم وكذلك ازدروا بموسى عليه السلام حين بعث
اليهم واستخفوا به استخفافهم به في حالة الصغر حتى قالوا الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين فنزل بهم ما نزل باولئك من الاستئصال بتكذيبهم اياه وازدرائهم به ليعتبروا به فينقلعوا
عن ازدرائه فلا يحل بهم ما حل باولئك ولان لا يغتروا بقواهم وكثرة عددهم واموالهم فان مكذبي موسى
عليه السلام كانوا اكثر اموالا واولادا واعز دارا واشد بطشا فلم يغنهم ذلك من الله تعالى شيئا وجائز

ان يكون خص ذكر موسى عليه السلام وفرعون ونباهما لان خبره كان منتشرا فيما بين اهل مكة لانهم كانوا خبروا اليهود
الذين عندهم نبا موسى عليه السلام وفرعون فكانوا الخبرونهم بما حل بفرعون وقومه بتكذيبهم الرسول فذكرهم بنبا
بنا موسى عليه السلام لينتهوا عما هم عليه من التكذيب ولان الله تعالى احتج عليهم بما حل فعصى فرعون الرسول
فاخذناه اخذا وبيلا اي شديدا ومنه المطر الشديد يسمى الوابل وقال ابو بكر اسم لكل معضلة وقوله عز وجل
فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا فهو يحتمل اوجها احدها اي كيف تتقون النار في الاخرة اذا
سلكتم في الدنيا سبيلها وهو الكفر وانتم تعلمون ان من سلك طريقا لشيء ولا منفذ لذلك الطريق الا الى ذلك
الشيء فانه يرد عليه لا محالة او كيف تتقون النار في الاخرة وقد تركتم القيام بما عليكم من شكر النعم او كيف
تتقون العذاب في الاخرة وانتم تدفعون اليها وتضطرون بقوله عز وجل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ وبقوله
يوم يسحبون في النار على وجوههم وبقوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم وقد مكنتم في الدنيا من الايمان
بالله تعالى ومكنتم الانتهاء عن الكفر ثم لم تنقلعوا عنه فاني ينهيا لكم المخلص من عذابه وانتم تدفعون اليه
او كيف ينفعون بانكم في الاخرة ولم تؤمنوا في الدنيا وقد مكنتم منه والاصل ان دار الاخرة ليست بدار
الاستحداث الاسباب وانما هي دار وقوع المسببات فهم اذا لم يستحدثوا الاسباب التي جعلت لدفع
العذاب في الدنيا لم يمكنوا من استحداثها في الاخرة فينتفعوا بها ولم يكونوا اهلا لوقوع المسببات لما لم يستحدثوا
الاسباب في الدنيا وانما قلنا انها ليست بدار محنة وابتلاء لان المحنة لا تستقيم الا بالخفيات والثواب والعقاب
قد شوهد وعوين فاذا قيل اذا فعلت كذا دخلت النار وهو يعاين النار ويراها فهو يمتنع عن الاقدام على ذلك
الفعل واذا قيل له اذا امنت بالله تعالى اكرمت بالجنة وهو يشاهد الجنة ويراها فهو يؤمن لا محالة فلا وجه للمحنة
في الاخرة بل هي دار وقوع مستاب يعني الثواب والعقاب والذي يدل على هذا قوله يوما يجعل الولدان شيبا
فاخبر انهم يشيبون لا بسبب المشيب والمشيب في الدنيا لا يوجد الا بعد وجود سببه وهو الكبر ليعلم ان دار
الاخرة ليست بدار استحداث الاسباب فيما يستحدثون من الايمان بالله تعالى لا ينفعهم في ذلك اليوم ولا
يقيهم عذاب الله تعالى وقوله عز وجل يجعل الولدان شيبا فجائز ان يكون هذا على التحقيق فيشيب الولدان لهول ذلك
اليوم ويصير الشيب سكارى لشدة هوله كما قال وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وجائز ان يكون على
التمثيل لا على حقيقة الشيب فمثله به لعظم ذلك اليوم وشدة هوله وقد يجوز ان يمثل الشيء بما يبعد عن
الاوهام تحقيقه على تعظيم ذلك الشيء كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان
دعوا للرحمن ولدا فذكر هذا على التمثيل لعظم ما قيل فيه لا على تحقيق الانفطار والانشقاق وجائز ان يكون معناه
انه لولا ان الله تعالى بعثهم للابقاء وان لا يتغيروا ولا يتفانوا والا كان هول ذلك اليوم يبلغ مبلغا يشيب به الولدان
وقوله عز وجل السماء منفطر به اي بما يجعل الولدان شيبا وهو هول ذلك اليوم وشدة فزعه او منفطر بالغمام
وقيل منفطر بالله اي بقضائه وحكمه والله اعلم ثم قال منفطر به ولم يقل منفطرة والسماء مؤنث فذكر الزجاج
ان معنى قوله منفطر به اي ذات انفطار فعبر بها كما يعبر عن المذكور كما يقال امرأة مرضع اي ذات ارضاع وقوله عز وجل
كان وعده مفعولا اي الذي وقع به الوعد هو المفعول وكذا قوله انه كان وعده ماتيا والوعد لا يؤتى
بل الموعود هو الذي يؤتى ولكن نسب الموعود الى الوعد لانه من اثاره وهذا كما يقال المطر رحمة الله اي
برحمة الله ما امطر والا ان يكون المطر برحمته ويقال الصلاة امر الله اي بامر الله ما يقال الا ان يكون امره
الذي يوصف به فكذلك الموعود نسب الى الوعد اذ بالوعد ما استوجبوا لا ان يكون الوعد هو المفعول
وهو الماتي وقوله عز وجل ان هذه تذكرة فجائز ان يكون قوله هذه منصرفا الى الاهوال التي ذكرها تذكرة
ويحتمل ان ينصرف الى الرسالة اي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تذكرة ويحتمل اي هذه السورة
اي الايات كلها تذكرة وقوله عز وجل فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا الى ما دعاه اليه ربه وذلك يكون
بالاجابة فيما دعاه اليه او من شاء اتخذ الى ما وعد له ربه في الاخرة سبيلا فجائز ان يقبل على طاعته و
يشغل نفسه بعبادته وقوله عز وجل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه قال
ابو عبيد الصواب ان يقرأ ونصفه وثلثه بالخفض على معنى اضافة ادنى اليهما فكانه يقول ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل وادنى من نصفه وادنى من ثلثه وادنى يكون على الزيادة والنقصان جميعا لان فضل ما بين
الثلث الى النصف هو السدس فاذا زاد على الثلث اقل من نصف السدس فهو الى الثلث ادنى وكذلك اذا نقص من
الثلث شيئا قليلا فهو الى الثلث قريب فيكون اليه ادنى وكذلك النقص فيما بين النصف الى الثلثين هو السدس
فاذا زاد على النصف اكثر من نصف السدس فهو الى الثلثين ادنى واذا نقص من نصف السدس فهو الى النصف
ادنى واقرب ومنهم اختار النصب فيهما والوجهان جميعا محتملان لان قوله انك تقوم ادنى من

من ثلثي الليل ونصفه ليس فيه ايجاب حكم مبتدا وانما فيه اخبار عن القيام الذي وجد من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجائز ان يكون وجد منه ذلك كله وهو ان يكون قريبا من الثلثين وقريبا من النصف وادنى من ثلث على ما
ذكره اهل المقالة الاولى ويكون قد قام ادنى من ثلثي الليل وقام نصفه وثلثه وادنى من نصفه وادنى من ثلثه
قد ذكر في الثلثين الادنى لما وجد منه الادنى من جهة الزيادة والنقصان ولم يوجد موافقة الثلثين واجرى النصف
والثلث بالامرين جميعا لوجود الموافقة وهو ان يكون قد قام نصف الليل وقام ثلثه وقام ادنى من النصف وادنى من
الثلث واذا كان هذا كله محتملا لم يجز ان يدفع احد الوجهين ويتمسك بالوجه الاخر وهذا كقوله تعالى لقد علمت ما
انزل هؤلاء قد قرئ برفع التاء ونصبه جميعا لا لاحد الامرين جميعا وهو ان يكون موسى عليه السلام وفرعون علما بها
اي بالايات جميعا كذلك قال في سورة سبا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد لوجود الامرين جميعا وهو الدعاء
والاجابة فقوله عز وجل ربنا باعد دعاء وقوله ربنا باعد على الاجابة ففرق بينهما بالاعراب فكذلك ههنا لما استقام
وجود الوجهين من رسول الله صلى الله عليه وسلم استقام ان يقرئ بالنصب والخفض جميعا ويفرق بينهما بالاعراب
والله اعلم ثم يجوز ان يكون المفروض من القيام قدر ثلث الليل ويكون الزيادة بحكم النافلة ويجوز ان يكون كله
مفروضا ان طال وزاد والنصف والثلثين فان كان يجوز له الاقتصار على ثلث الليل الا ترى ان فرض الركوع
والسجود يتقضي بادنى الجزء منه وكذلك فرض القيام بالجزء منه ثم ان الركوع وان طال فهو فرض اوله الى اخره فرض
حتى لو ان داخلا شاركه في اول الركوع ثم رفع راسه وشاركه ثالث في اخر ركوعه ثم رفع راسه مع الامام صار
كل واحد منهم مدركا لفرض الركوع وان كان الامام لو اقتصر على جزء منه كفاه ذلك عن فرضه فكذلك الفرض لما
انصرف الى قيام الليل صار جميع ما يؤتى من القيام في الليل وان طال فرضا وان كان قد يجوز الاجتزاء بنقصه
وقوله عز وجل وطائفة من الذين معك في هذه الاية وفي قوله عز وجل فتاب عليكم دليل على ان فرض القيام كان
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى من تبعه من المؤمنين وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخصوص بالخطاب
بقوله يا ايها المزمل لانه لو لم يكن الفرض شاملا عليهم لم يكن لقوله فتاب عليكم معنى لانه انما لم يفرض علينا قيام
الليل في يومنا هذا لم يحتج ترك القيام الى ان يتوب الله علينا ثم ان الله ذكر في التوبة وفيما فيه النسخ خطابا للجميع
بقوله تاب الله عليكم وبقوله فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فيما فيه الامر خطابا يقتضي الاحاد وهو قوله قم الليل
الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ففي هذا انه قد يكون ان يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم على حال غيره فيه
له ولا يجوز ان يخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم ويراد به اشراك النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر الخطاب لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو المتبوع فجائز الحاق غيره به وغيره لا يكون متبوعا حتى يلحق به رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقوله عز وجل والله يقدر الليل والنهار وجهه ان الليل والنهار ليسا بمضيين على الجزاف ولكن بتقدير سابق
من الله عز وجل وانه ذو انتظام لانهما يجريان مذ خلقا على تقدير واحد لم يتقدما ولم يتاخرا ولم ينتقصا ولم يزدادا فكون
ذلك ابدا انه ان مدبرهما واحد وان الذي قدرهما هكذا من لا يبيد ملكه ولا ينفذ سلطانه وقوله عز وجل علم ان لن
تحصوه قال بعضهم علم ان لن تطيقوه قال ابو بكر الاصم هذا لا يستقيم لانه جائز ان يكلفهم الله تعالى ما لا يطيقونه
الا ترى الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وليس فيما ذكره ابو بكر ما يدفع هذا التاويل لانه يقال للامر اذا اشتد
وتعسر لا يطاق هذا الامر وان لم يكن ذلك خارجا عن الوسع الا ترى الى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وتاويله
لا تحملنا امرا يشتد علينا عمله ليس انهم خافوا ان يحملهم امرا لا يحتمله وسعهم فيكون قوله علم ان لن تحصوه ان كان
تاويله ان لن تطيقوه على ذلك والله اعلم وجائز ان يكون قوله ما لا طاقة لنا به اي لا تحملنا امرا تهلك فيه طاقتنا
لا ان تحملوا امرا لا يطيقونه الا ترى الانسان يحتمل القتل ولكن قتله يهلك طاقته وجائز ان يكون قوله لا تحملنا
ما لا طاقة لنا به اي اعصمنا من الشهوات واللذات لان لا نؤثرها فنكون مضيعين بارتكابها قوة العقل الذي
نتعبد به فلا نصل الى تحصيله وهذه هي القوة التي لا بد منها للفعل بل يطابقه وانما الفعل الذي هو خارج عن احتمال
الوسع والطاقة فذلك هو الذي لا يقع بمثله التكليف وجائز ان يكون تاويل قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا
احد ما امركم به لو اخذ عليكم في امر بتقدير الثلث والنصف لم يمكنكم ذلك الا بعد جهد ففرض عليكم قيام الثلث من الليل
ورجع بكم الامكان في ان تزيدوا عليه ليحيط علمكم بقيام الثلث ولو كان على حد واحد لم يمكنكم حفظه الا بعد مشقة و
جهد وفي ذلك كلفة عسرة ويؤيد هذا التاويل من قال علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوه ويكون الطاقة عبارة عن
اشتداد الامر ثم في هذه الاية دلالة على اباحة تعليق الحكم بالاستحسان لانه قد فرض عليهم قيام ثلث الليل ولا
يمكنهم تدارك الثلث بتقدير الاباحة وانما يمكنهم بالتقدير الذي يغلب على القلب فثبت انه قد يجوز ان يكون الحكم
معتبرا بما يقع في القلوب ويغلب على الظنون والاستحسان ليس الا تعليق الحكم بما يغلب على القلوب والذي يدل
على ان الحكم لازم بما ذكرنا ان الله تعالى الزم الحد على القاذف وعلى الزاني ولم يبين مبلغ وقوع الضرب فيه ولا ما يضرب

تقدير ذلك بما يقع في القلوب ان من صفة الضرب فيه ولا ما يضرب به فقدر ذلك بما يقع في القلوب ان مثل هذا الضرب
يصلح لمثل هذه الجناية وكذلك قيم الاشياء والاروش والنفقات وتسوية المكاييل والموازين يعتبر ذلك كله بغلبة
الظنون من غير ان كان بشيء من ذلك اصل يقدر النوازل به ويتفرع منه فثبت انه يجوز ان يحكم بالذي يغلب على القلوب
وان المجتهد يرجع الى وجهين مرة ينظر في نظيره فيمثل به فيسمى ذلك قياسا ومرة يحكم فيها بما يغلب على الظن فيسمى
ذلك استحسانا وفي هذه الاية دلالة ان سؤال من سال ابا حنيفة رحمه الله ان الوتر لو كان له مشابه في الفرض لكان
لا يختلف في عدده سؤال غير مستقيم لانه قد فرض على القوم ان يقوموا ثلث الليل وقد اخبر عز وجل انهم لا يحصون
عدد ما امرهم به وانهم لم يحصوا فلا بد ان يقع هناك زيادة او نقصان فكذلك الوتر وان كان حد عدده غير معروف
وهو لا يخرجه عن حكم الفرائض والله اعلم ثم في قوله عز وجل علم ان لن تحصوه فتاب عليكم هو ان الله وقت ما فرض
عليهم علم انهم لا يحصونه ولكن بين هذا ليعلموا ان الله تعالى ان يكلفهم اقامة العبادة الى وقت لا يتهيا لهم الا
بلوغ ذلك الوقت الا بعد جهد ليعرفوا منة الله تعالى عليهم اذا اسقط عنهم ذلك التكليف وهو كقوله عز وجل
الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ولكن ذكر هذا ليعلموا انهم يكلفون القيام للعسرة وان كان بهم ضعف
لكي اذا خفف عنهم عرفوا ما لله عليهم من عظيم المنة وقوله عز وجل فتاب عليكم فيحتمل ان يكون طائفة منهم اشتغل
عن القيام فيكون التوبة راجعة اليهم الا ترى الى قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
وطائفة من الذين معك فهذا يبين انهم جميعا لم يقوموا معه وانما قامت معه طائفة فيكون التوبة راجعة الى
الطائفة التي امتنعت عن القيام وجائز ان يكون راجعة اليهم والى الذين قاموا معه فيكون الذين قاموا معه قصروا
القيام عن الذي شرط عليهم فافتقروا الى التوبة ايضا كما افتقر اليها من تخلف عن القيام فتاب الله عليهم جميعا والله
اعلم وقوله فاقرءوا ما تيسر من القران فمنهم من ذكر ان قيام الليل صار منسوخا بهذه الاية ومنهم من يقول بان
النسخ وقع بقوله تعالى واقيموا الصلوة وهي الصلوة المفروضة وليس بينهما فرق عندنا وانما النسخ بهما جميعا و
وجه النسخ هو ان فرض القيام لو كان باقيا لكان لا يجوز لهم ان يكتفوا من القراءة بما تيسر عليهم لانهم اذا قاموا الى
ثلث الليل لزمهم تبليغ القراءة الى حد يتعسر عليهم ويشتد فاذا اذن بالاقتصار على القدر الذي تيسر علم انه قد
سقط عنهم ان يقوموا ثلث ثم هو اذا اقام صلوة المغرب والعشاء فقد اقرا من القران ما تيسر عليه فصار قاضيا
لما اقتضاه قوله فاقرءوا ما تيسر من القران فمن هذا الوجه استدلوا بهذه الاية على نسخ حكم القيام بالليل ثم حكم
القراءة بقيتها في الصلوة فيكون النسخ واقعا بهما ثم من الناس من يزعم ان فرض القيام سقط عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن امته واستدل بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وان كان الفرض عليه قائما لم يكن
التهجد به نافلة ومنهم من زعم انه لم يسقط عنه فرض القيام بل دام عليه الى ان قبض عليه السلام واحتج بما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كتب علي قيام الليل ولم يكتب عليكم ومعناه بقي علي مكتوبا ورفع عنكم
اذ قد دللنا ان القيام في الابتداء كان عليه وعليهم جميعا وقد قال بعض الناس ان الصلوة بالليل لم يكن فرضا
على امته بهذا الحديث وما ذكرناه حجة عليهم ثم الجواب عن التعلق فتهجد به نافلة لك معناه فضيلة لك لان
يكون القيام منه تطوعا ووجه صرفه الى الفضيلة وهو ان العبادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج مخرج
الشكر لله تعالى فيصير بها مكتسبا للفضيلة وليس يقع ذلك موقع التكفير للسيئات لانه تعالى قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر فلم يكن يحتاج الى اتيان الحسنات ليكفر عنه السيئات فثبت ان الفعل منه يقع موقع
اكتساب الفضيلة فيدوم له ذلك الفضيلة ويستوجب بها جزيل الثواب وذلك من اعظم الغنائم والذي
يدل على ان فعله يخرج مخرج الشكر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت قدماه فقيل له
يا رسول الله لم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا واما غيره
فان الحسنات منهم مكفرة للسيئات ومطهرة لزلاتهم قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فهم بحسناتهم
لم يصيروا مكتسبين الفضيلة في مستانف الاوقات فيصيروا بها مغتنمين بل رفعوا زلاتهم وطهروا
انفسهم من المآثم فلم يصر القربة منهم نافلة والله اعلم فههنا ما سمي تهجدا نافلة لان يكون قيامه نفلا
وقوله عز وجل علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون
في سبيل الله فمنهم من زعم ان هذه السورة كلها مكية ومنهم من زعم ان اولها مكية واخرها مدنية ويحتج
بقوله تعالى واخرون يضربون في الارض وبقوله يجاهدون في سبيل وذلك ان الجهاد فرض على المسلمين بعد
الهجرة الى المدينة ولم يوجد منهم الضرب في الارض في حال كونهم بمكة وفي هذا الخبار عن جهاد طائفة وعن ضرب
بعض في الارض فثبت ان نزول هذه الايات كانت بالمدينة واحتجوا ايضا بقوله فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة
قالوا ان الزكوة انما فرضت عليهم بعد ما هاجروا الى المدينة وفي هذا امر باتيان الزكوة فثبت ان الاية ولما كانت

بالمدينة واما اول السورة فهي في موضع المحاجة على اهل الشرك ولم يكن بالمدينة مشرك بل كانوا اهل كتاب ومن
ذكر انها كلها مكية فهو يحمل قوله واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله
على الوعد والبشارة ليس على الايجاب والوجوب الا ترى الى قوله عز وجل علم ان سيكون منكم مرضى فاخبرانه سيكون
منكم مرضى في ذلك الوقت فلم يكن فيما ذكر دلالة كونها مدنية ثم الاية ان كانت على الوعد ففيه انهم كانوا في ضيق من
العيش وكانوا من القوم في خوف فيكون فيه بشارة انه يرفع عنهم الضيق بما يضربون في الارض ويوسع عليهم العيش
وانه يفتح لهم الفتوح ويكثر انصارهم حتى يقهروا العدو ويفتح لهم من ناحيتهم الامن وقد ال الامر الى ما بشر وبه
ففيه اية رسالته عليه الصلوة والسلام اذ اخبرهم عن علم الغيب وكان الامر على اخبرهم **وقوله** عز وجل علم ان سيكون
منكم مرضى في موضع الاعتلال انه انما خفف عليهم الامر بما ذكر من الاعتذار من المرض والضرب في الارض والمجاهدة
في سبيل الله والتخفيف اذا وجب العذر فما لم يات العذر فحالة الفعل لم يخفف عنهم قبل وقوع الاعتذار وانه
هي لا في الفعل بل متقدمة لان المجاهدة تكون بالنهار لا بالليل وكذلك الضرب في الارض وقته النهار لا الليل
والقيام كان بالليل ليس بالنهار ثم قد وضع عنهم قيام الليل وان لم يكن العذر ملاقيا للقيام فعلى ذلك
جائز ان يرفع عنهم القيام بالليل وان لم يات بعد وقت المجاهدة ولا اوقات الضرب فمراد ليس في ذلك كله الاعتذار
ملاقاة العذر حالة القيام ثم وجه دفع قيام الليل عنهم بالمجاهدة والضرب في الارض وان كانا يحصلان بالنهار لا بالليل
هو ان المجاهدة بالنهار يضعفهم ويوهن قواهم فيتعذر عليهم قيام الليل وكذلك الضرب في الارض فمن الله تعالى
عليهم بان رفع عنهم قيام الليل وان لم يوجد منهم الاشتغال بالنهار وبالليالي والله اعلم ثم الضرب في الارض يكون للتجارة
ولغيرها من الوجوه الطلب وغيره من الاسباب فلا يحصل الضرب على التجارة خاصة **وقوله** عز وجل فاقيموا الصلوة
واتوا الزكوة قال ابو بكر في قوله واتوا الزكوة دلالة ان هذا الاية مدنية لان الزكوة انما فرضت عليهم بالمدينة فان كان
الامر على ما ذكر ان فرضيتها نزلت بالمدينة فذلك عندنا مصروف الى ذكوة المواشي خاصة لان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن لهم بمكة سوائم لانهم كانوا يخافون العدو فلم يتهيا لهم اسامة المواشي واما ما حج من الزكوة الى
غيرها من الاموال فيشبه ان يكون واجبة عليهم في حال كونهم بمكة وبعد مفارقتهم منها ولا يكون في الامر بايتاء الزكوة
دلالة نزولها بالمدينة والله اعلم **وقوله** عز وجل واقرضوا الله قرضا حسنا فالقرض في لغة العرب يقال قرض الفار الجراب
اي قطعه فسمي القرض لما لانه يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذلك هو بالتصدق يقطع ذلك القدر فيجعله
لله تعالى خالصا فسمي اقراضا لهذا ويجوز ان يكون اضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق عليه اذ الامر من جعل فيما
بينه وبين ربه فيصير الفقير معارنا في تلك القربة ولان المرء في الشاهد انما يقرض في الشاهد ما يفضل من حاجته فيدفع الى
من يتيسر منه عند حاجته فكذلك الصدقة اوجبت في المال الذي يفضل عن حاجات فيقرضها الله تعالى فيجدها
مهياة عند ما يمسه الحاجة ثم المال الذي يدفع الى الفقير على جهة التصدق هو مال الله عز وجل ثم جعل الله تعالى ذلك منه
اقراضا جل جلاله واضافه الى نفسه فيكون الفائدة في الاضافة الى نفسه هو تفضيل عليه لترغيبه في ذلك
الفعل على جهة التكرم منه وهو كما سمي الثواب الذي يتفضل بعباده اجرا بقوله فمن عمل صالحا فلنفسه ومن عمل
لم يستوجب الاجر على غيره وسمي الذي يقتل شهيدا بايعا نفسه لله تعالى تفضلا وترغيب العباد في مثله لقوله ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم **وقوله** عز وجل وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله معناه
تجدوه محاسا لكم والا فكل شي تقدمونه من خير او شر تجدوه حاضرا في ذلك اليوم ولكن الشر يكون عليهم قال الله
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقال عز وجل لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **وقوله** عز وجل هو خيرا واعظم اجرا وفي حق الكلام ان يقول هو خير لان هو يرفع ما
بعده ولكن هو كالفصل ههنا وحقه الحذف واذا حذف انتصب الكلام لان معناه ان الذي تجدونه عند الله خيرا
لكم مما خلفتم فيكون خيرا مفعولا ثم قوله عز وجل هو خير واعظم اجرا ويحتمل وجهين احدهما انه خير لكم واعظم اجرا
مما خلفتم لورثتكم فيكون فيه ان الذي يخلفه لورثته له فيه خير ولكن ما تقدم لاخرته خير له والذي يدل على
ان له فيما يخلفه لورثته خيرا قوله عليه السلام انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس
والثاني ان المرء في الشاهد قد يسخو نفسه ببذل الاجله لما يامل منهم من المال الثواب لعامل فيكون في قوله هو
خيرا واعظم اجرا ترغيب للعباد في تقديم الاموال لوجه الله تعالى لو انه اذا رغبت انفسهم في بذل الاموال للاجلة
طمعا للنافع التي يحصل لهم فكان بذل المال لوجه الله تعالى اعظم في الاجر هو ان يقع فيه الرغبة ولان النفس
قد تحمل المكروه في الشاهد لمنافع يا ملها في ياتي الحال فاذا طمعت لما يبذل لوجه الله تعالى الثواب الجزيل والاجر العظيم
خف عليها تحمل المكروه بما له بالبذل ويجوز ان يكون قوله عز وجل واعظم ان قد يستعمل حرف افعل في موضع
فعل كما يقال الله اكبر بمعنى والله اعلم **وقوله** عز وجل واستغفروا الله فالاستغفار هو طلب المغفرة وذلك يكون

باللسان مرة وبالافعال ثانيا فطلب المغفرة من جهة الفعل ان ينزع عن الفعل الذي يستحق عليه العقاب ويجيب الى
ما دعي اليه فالسبب مغفرتهم وقال الله عز وجل استغفروا ربكم انه كان غفارا وليس استغفارهم ان يقولوا باللسان
اللهم اغفر لنا ولكن معناه ان انتهوا عما انتم عليه من الكفر واجيبوا ربكم فيما دعاكم اليه فهذا هو الاستغفار من جهة
الافعال واما الاستغفار باللسان وهو طلب المغفرة يكون على وجهين احدهما ان تسال ربك بالتجاوز عن سيآتك و
الثاني ان يسال حتى يوفقه السبب الذي اذ جاء به استوجب وعلى هذا التاويل يخرج استغفار ابراهيم عليه السلام
لابيه وهو انه طلب من ربه ان يوفقه لما فيه نجاته وهو الاسلام لا ان يسال ربه ان يغفر له مع دوامه على الكفر
الا ترى انه امتنع عن الاستغفار له حيث تقررت عنده عداوته لله تعالى وعلم انه لم يوفق السبب الذي يستوجب به
المغفرة قال الله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فثبت انه لم يطلب منه المغفرة مع دوامه على الكفر ولكن الوجه
الذي ذكرنا والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها المدثر قيل الذي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على التدثر انه كان في بعض طرق مكة اذ سمع
صوتا من السماء والارض فنظر عن يمينه وعن يساره وامامه وخلفه فلم ير شيئا فرفع راسه فراى شيئا ففزع منه فاتى
بيته وقال زملوني فدثروه فان صح ما قالوا اي لا لم يسعهم ان يشهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي حمله على
على التدثر ما ذكروا من الفزع ولان التدثر ليس مما يسكن به الروع الذي يحل بصاحبه من الصياح وذكروا ان اول ما نزل
من الوحي قوله يا ايها المدثر فان صح ما ذكروا فاول ما اوحي اليه هو الصياح الذي سمعه اذ كان ذلك متقدما على قوله
يا ايها المدثر قم فانذر وقيل ان كفار مكة قذفوه بالسحر واجمعوا رايهم على ان ينسبوه اليه وفشا هذا القول فيهم له
احزنه ذلك فدخل بيته وتدثر بثيابه فامره الله عز وجل ان يقوم فينذرهم بقوله يا ايها المدثر قم فانذر وعلى هذا التاويل
يكون نازلا قبل نزول هذه السورة حتى سموه ساحرا لما راوا منه من الايات والله اعلم وذكروا ان موسى صلوات الله عليه
قال اتاني ربي من طور سينا وسياتي من طور ساعورا ويستطلع من جبل فاران فان صح هذا الخبر فمعنى قوله اتاني اي
اوحى الي وقوله وسياتي من طور ساعورا هو الوحي الى عيسى عليه السلام وقوله ويستطلع من جبل فاران هو القران
الذي انزل على نبينا محمد عليه السلام ففي هذا الخبر دلالة ان الاخبار التي فيها ذكر نزول الرب في كل ليلة الى سماء
الدنيا هو على نزول امره الى ملائكته ان قولوا هل من داع فيجاب هل من مستغفر فيغفر له فجائز ان يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اول ما اوحي اليه كان بجبل فاران وهو جبل من جبال مكة او كان ذلك الجبل منسوبا الى ذلك
المكان ثم في قوله عز وجل يا ايها المدثر تثبيت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واثبات رسالته وذلك ان تعريف المرء بما
عليه من الثياب ونسبته اليه لا يخرجه مخرج التعظيم والتبجيل وانما التبجيل فيما يدعى باسمه او بكنيته فلو كان الامر
الى دعوة الكفرة ان هذا القران ليس من عند الله وان رسول عليه السلام هو الذي اخترعه من ذات نفسه لكان لا يعرف
نفسه بثيابه بل يعرفها بما فيه تبجيلها وتعظيمها فاذ لم يفعل ثبت انه كان رسولا حقا بلغ الرسالة على ما اوحي اليه
وادى كما امر على ما ذكرنا في الايات التي خرجت مخرج المعاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيها تثبيت رسالته نحو قوله
عبس وتولى وغير ذلك من الايات وجائز ان يكون نسبته الى ثيابه ليعلم الخلق ان لا باس للمرء ان يرضاه بثيابه
وجائز ان يكون نسبته الى الثياب الذي يدثر به يخرج مخرج التعظيم لذلك الثوب لموافقته حال نزول الوحي وهذا
كما ذكرنا ان اضافة الاشياء الى الله تعالى نحو الجزئيات يخرج مخرج تعظيم ذلك الاشياء كقوله ناقة الله ومسجد الله
ورب العرش وتعظيم امر الناقة وتشريف المسجد واضافة الاشياء اليه نحو الكليات يخرج مخرج تعظيم الله تعالى كقوله
رب العالمين رب السموات والارض وما بينهما ثم اذن للمرء ان يسبح في ركوعه فيقول سبحان ربي العظيم فيجعل
نفسه بقوله ربي والحق في مثله ان يقول سبحان ربنا لئلا يخرج ذلك مخرج تعظيم النفس كقوله رب العالمين ورب
السموات والارض وما بينهما اذ الاضافة من الجانبين على السوال فيما ذكرنا لكن ذلك اذا اتى الحالة التي فيها
تعظيم الرب ووصفه بالعلو وهي الركوع والسجود اذن له بان ياتي بهذا الذكر وان خرج ذلك مخرج تعظيم النفس لكن ذلك
ذلك الثوب الذي تدثر به النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى حال نزول الوحي عظم شانه من ذلك الوجه فنسب الى ذلك
الثوب ثم المرء انما يتدثر عند ما يريد ان ينام او عند طلب الراحة وليست تلك الحالة يستحب المرء مصاحبة الكبراء
العظماء في مثل تلك الحال فضلا من ان يصحب الملك في مثل تلك الحال فيكون في هذا دلالة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يطلع على الاوقات التي كان ياتي فيها الوحي واذا لم يعلم كان الامر عليه اصعب واشد منه اذا بين له
لانه اذا لم يبين له لزمه ان يصون نفسه في الحالات كلها عن اشياء يستحي مع مثلها الخلوة بالملائكة ولهذا لم يبين
لاحد منتهى عمره ليكون ابدا مستعدا للموت فرقا ان يحل به ساعة ويكون ابدا على خوف ووجل من ذلك والله اعلم

قوله عز وجل قم فانذر خص النذارة دون البشارة وقد كان هو نذيرا وبشيرا فلم ذكر النذارة ذكر البشارة الا
اسكت عنها لان النذارة ليست ترجع الى نفس الملاومة وانما النذارة هي تبيين عواقب ما ينتهي اليه حال من لزم
الفعل المذموم فاذا استوجب النذارة بالتزامه ذلك الفعل فقد استوجب البشارة في تركه فتبشاره في النذارة
بشارة وفي البشارة نذارة ايضا فاقتصر بذكر احدهما عن ذكر الاخرى وليس في قوله قم الزام قيام ذلك
بمثابة قم في انذار الخلق وتبشيرهم بما ينتهي اليه وسعهم وقوله عز وجل وربك فكبر اي عظم وتعظيمه ان
تجيبه فيما دعاه اليه وتطيعه فيما امره وان تتحمل ما الزمه من تحمله فذلك تعظيمه لا ان يقول بلسانه ما اعظم
فقط وجائز ان يكون تاويله اي عظمه عن المعاني التي قالت فيه الملحدة من ان الله تعالى ولدا وان له شريك
ونزهه عنها او عظم حقه وادّ شكر نعمه وهذا كما يقول ان محبة الله تعالى طاعته وائتمار امره لا ان يكون هي
التي يعتري في القلب فيعشق منه المرء ويغشى عليه فكذلك تعظيم الله تعالى يكون بالمعاني التي ذكرنا لا ان
يكون بالقول خاصة وقوله عز وجل وثيابك فطهر وجائز ان يكون اريد بالثياب نفسه ويجعل الثياب كناية
عنها كما ذكر ان العرب كان اذا كان الرجل ينكث العهد ويلبس بذي وغادر انه لدنس الثياب واذا كان له
وفاء قالوا انه لطاهر الثياب فان كان الخطاب متوجها الى النفس فتاويله والله اعلم ان طهر خلقك وافعالك
واخلاقك مما يذم عليه وجائز ان يكون اريد بها الثياب فيكون قوله وثيابك فطهر متوجها الى التطهير من
النجاسات والى التطهير من الادناس فاما التطهير من الانجاس فقد امتحنا جميعا نحن ورسول الله صلى الله عليه
وسلم واما التطهير من الادناس فجائز ان يؤمر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه كان مامورا بتبليغ الرسالة
الى الخلق فندب الى تطهير ثيابه من الدنس لان لا يستقذر من ينظر اليه بعين التبجيل والعظمة وليس هذا
على تطهير الثياب خاصة بل امر ان يطهر جميع ما يقع له به التمتع من الماكول والمشرب والملبس وغيرها والله اعلم
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اي لا يلبس الثوب على فجر ولا غدر وقيل وكان الرجل اذا كان غادرا فاجرا قيل
يقال انه دنس الثياب وقال الحسن خلقك فحسنه وقال بعضهم اي قصر ثيابك ولا تطولها فيقع اطرافها على
الارض فيصيبه النجاسة والله اعلم وقوله عز وجل والرجز فاهجر فالرجز المأثم واسم لما يعذب عليه فيكون
منصرفا الى ما يتاذى به النفس وتتالم به النفس كالسبب في انها اسم لما يتاذى به ولم يتالم عليه النفس قال
الله تعالى لهم عذاب من رجز اليم فالمأثم اسم لما يتاذى به النفس فهو اسم للامرين والعذاب مما لم يتالم به جميع
وصرف اهل التاويل الرجز الى المأثم هاهنا وذكر قتادة انه كان بمكة صنمان اساف ونائلة كان من اتى عليهما
من المشركين مسح وجوههما فامر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعيرهما بقوله والرجز فاهجر وقيل ايضا
بان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو مسحت وجوههما لكان ان نؤمن لك ونتبعك فانزل الله تعالى
والرجز فاهجر اي فاهجر عبادة الاوثان وقيل الرجز العذاب فحمله يرجع الى ما ذكر انه اسم للعذاب ولما يعذب
عليه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تمنن تستكثر قال مجاهد والحسن تاويله ان لا تستكثر عملك فتمن به على
ربك على التقديم والتاخير فان كان التاويل هذا فالمراد من الخطاب غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان كان هو المذكور في الخطاب لانه لا يتوهم ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يمن على ربه ولا ان يستكثر
عمله لله تعالى لان هذا النوع من الصنيع لا يفعله واحد من العوام الذي خص بادنى خير كيف يتوهم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولان الامتنان على الله تعالى من فعل المنافقين قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا علي اسلامكم ويجوز ان يكون الخطاب له وان كان هو معصوما من ذلك لقوله ولا تدع مع الله
الها اخر ونحوه وهذا كما ذكرنا ان العصمة لا تمنع ورود النهي اذا العصمة تنتفع بها مع ثبات النهي فان لم
يكن فائدة في العصمة وقال بعضهم ولا تمنن تستكثر اي لا تعطيه عطيه تلتمس بها افضل منها في الدنيا
من الثواب نهي عن اكتساب الاسباب التي يتوصل بها الى استكثار المال في الدنيا من التجارة وغيرها الا
القدر الذي لابد له ويقع اليه الحاجة الاخرى في قوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم فاذا
نهي عن مد عينيه الى ما تمتعوا نفي اكتساب المال احق ثبت ان الله تعالى نهاه عن اكتساب ذلك وجه لولا ذلك
وحمل ذلك عليه السلام من الوجه الذي لا يبلغه حبل البشر وهي الغنى والعفة ثم نهي عن امساكه و
ادخاره لنفسه بل امر ان يصرفه في امته بقوله عليه السلام مالي من هذا المال الا الخمس والخمس مردود
فيكم وقال الله عز وجل ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى الاية
وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر لغد وقال الله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
متاع قليل فثبت انه كان منهيا عن اكتساب الاسباب التي يتوصل بها الى اكتساب الاموال والى الجميع
فنهي عن العطايا التي يلتمس بها افضل منها في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ولربك فاصبر ففي هذا

دعاه الى اخلاص الصبر لله تعالى لان الصدق فيه وفي قوله عز وجل فاصبر لحكم ربك دعا الى نفس الصبر وجائز ان يكون
هذا ايضا على الامر بالصبر فيكون على التقديم والتاخير كانه يقول فاصبر لربك اي اصبر على ما يؤذى ولا تجازهم
بصنيعهم فان الله تعالى يكفيهم فيكون في هذا ابانة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتحن بالامور التي
يكرهها نفسه ويشتد عليها فدعاه الله تعالى الى الصبر على تحمل المكاره والله اعلم وقوله عز وجل فاذا نقر في
الناقور ونقر اي نفخ والناقور الصور وهي كلمة كتب الاول ذكر هاهنا فاذا نقر في الناقور وقال في موضع اخر
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وقال في موضع ان كانت الا صيحة واحدة فجائز ان يحمل هذا كله على التحقيق فتحقيق
صيحة والزجرة والنقرة ثم يعقبها الساعة وجائز ان يكون هذا على التمثيل فيكون فيه اخبار عن سهولة ذلك الامر
وهونه على الله تعالى لان النفخة والزجرة والنفخة والنقرة امر سهل لا يشتد على احد ان يكون على تقصير الوقت على الذي
ينفخ فيه الروح اي الارواح ترد عليهم في قدر النفخة والزجر والصيحة خلاف الامر النشاءة الاولى انما نفخ فيه
الروح بعد كونه نطفة في بطن امه اربعين يوما ثم علقة ثم مضغة لذلك القدر من المدة ثم نفخ فيه الروح بعد
مدد واوقات وفي النشاءة الاخرى ينفخ الروح بالقصر من المدة وذلك قدر النفخة والزجرة والصيحة والله
والله اعلم وانما قلنا بان التاويل قد يتوجه الى التمثيل دون التحقيق وان ذكر في بعض الاحاديث تثبيت الصور
والناقور لانها من اخبار الاحاد وخبر الواحد يوجب علم العمل الشهادة وفي تحقيق الصور والناقور ليس الى الشهادة
لذلك لم يحمل الامر على التحقيق والقطع لئلا يقطع الحكم على الشهادة ثم قد ذكر ان قوله اذا جواب سؤال واقع عن
وقت كانه قيل له فاصبر الى ان ينقر في الناقور او يكون رجوعا بالقول ثم قال فذلك اي انذرهم عما يحل باهل النار من
العذاب بنقر الناقور او يكون جوابا سارعه صعودا اذا نقر في الناقور او كان بالسؤال واقعا عن امهال الكفار
الى ذلك الامر والله اعلم وقوله عز وجل فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذلك اليوم يوم رحمة للمؤمنين
اذ في ذلك اليوم يكرمون وينالون عظيم الدرجات من ربهم ولكن الله عز وجل ذكر ذلك اليوم في غير اي من كتابه
والاحوال التي يكون فيها وان كان تلك الاحوال تنزع غير المؤمنين فمرة سماه واقعة ومرة قال قارعة ومرة
حاقة انما يقع العذاب على الكفرة ويحق عليهم فلذلك سماه عسيرا او ان كان هو عسيرا على فريق يسيرا على
وجائز ان يكون عسيرا على الخلائق لحق بعض هول ذلك اليوم يشمل الفرق كلها كما قال وترى الناس سكارى
ثم ان المؤمنين يفرج عنهم الاهوال بما ياتيهم من البشارات والكرامات من الله تعالى ويبقى عسرة على اصحاب النار
وقوله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا ذكر هذه الاية نزلت في شان الوليد بن المغيرة والاصل ان الانباء التي ذكرت
عن الانبياء المتقدمة في المخاطبات التي جرت بينهم وبين الفراعنة فيها ابانة انها جرت بينهم وبين الاحاد منهم و
ذلك ان فرعون كل نبي كان واحدا وكان من سواه يصدر عن رايه وينتهي الى تدبيره فكان يستغني عن مخاطبة من
سواه وقد كثرت فراعنة نبينا صلى الله عليه وسلم فكان كل واحد منهم يدعي الرياسة لنفسه ويمتنع عن متابعة غيره
والصدر عن رايه والانقياد له منهم ابو جهل ومنهم الوليد بن المغيرة ومنهم ابو لهب وغيرهم فكان رغم
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج الى ان يخاطب كلا في نفسه ومن احتاج الى مخاطبة اقوام واجابة كل واحد
محاله كان الامر عليه اصعب من الذي احتاج الى مخاطبة واحد وهذا ان المحنة على رسولنا عليه السلام كانت اكثر
مما امتحن بها من تقدمه من الرسل عليهم السلام ثم وقوله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا فيه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يمنعه عن شيء حتى يقول له ذرني ولكن هذا الكلام مما يتكلم به على الابتداء على جهة اظهار القوم
يقول الرجل لاخر خل بيني وبين فلان ودعني واياه من غير ان يكون سبق منه المنع فيريد اظهار القوة من نفسه
والقادر على رفع شره فيكون في قوله ذرني ومن خلقت وحيدا دعا من الله تعالى اياه الى ان يتعرض له ولا يكافيه
بصنيعه فان الله تعالى يكفيك ويدفع عنك شره او يكون فيه نهي عن ان يدعو عليه بالهلاك والثبور ويصبر
الى ان ياتيه امر الله تعالى فيكون في هذا مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان المتنازعين اذا تنازعا
في شيء وحدث بينهما شر فانتصب ثالث في نصر احدهما خف الامر على المنصور ويفرح بذلك ويتسلى به فاذا كان
الله تعالى الذي يقوم بنصر المصطفى عليه الصلوة والسلام ويكفيه عن عدوه كان ذلك اكثر في التسلي والتفرح
فيكون في هذا تمكين من الصبر الذي دعاه اليه بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وبقوله فاصبر لحكم
ربك الاية ثم في قوله عز وجل خلقت وحيدا يحتمل وجهين احدهما اي خلقته وحدي ولم يكن لي في الخلق ناصر
ومعين ولا مستشير وجائز ان يكون معناه اي خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد فيكون في هذا وعيد وتخويف
لذلك اللعين اي كيف لا يخاف ان يعاد الى الحالة التي كانت عليها يوم خلق بلا مال ولا ناصر كقوله ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وقوله عز وجل وجعلت له مالا ممدودا اي مالا لا ينقطع بل يكون له مدد وذكر عن
مجاهد انه قال كان ذلك الف دينار وقال السدي مالا ممدودا ثلاثة عشر الفا وقيل اراد به ما جعل له بعث

الضياع بالطايف ثم في السنة مرتين ولكن عندنا المال الممدود هو المتتابع لا ينقطع مدده لا يقع تحت الا
وقوله عز وجل وبنين شهودا اي حضورا لا يغيبون ويكون فيه وجهان من الحكمة احدهما ان ماله قد كثر حتى لم يحتج
الى تفريق اولاده في الجمع والاكتساب بل كانت ثابتة معه لا يحتاج الى تكلف اسباب الجمع والثاني ان غاية ما يراد ويتمنى
ويلتمس من البنين هو ان يستانس بالنظر اليهم ويستعين بهم ويستنصر اذا احتاجوا الى ذلك ففيه انه قد نال
مناه ووصل الى ما يرغب اليه النفوس من كثرة الاموال والاولاد وقوله عز وجل ومهدت له تمهيدا اي بسطة له
من الدنيا بسطا وقيل التمهيد هو التمكين وقوله عز وجل ثم يطمع ان ازيد كلا فجايز ان يكون طمعه مصروفا الى
الزيادة في الاخرة كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات فحسبوا
انهم اذا ساووا اهل الايمان في الدنيا ان يساووهم في الاخرة لو كان الاخرة حقا فكذلك هذا اللعين حسب انه يبسط
عليه نعيم الاخرة كما بسط عليه نعيم الدنيا فكان قوله كلا ردا عليه فان كان على هذا ففيه اعظم الدلالة على
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه ليس له نصيب في الاخرة وانما يحرم النصيب اذا ختم على الكفر
كما اذا قال فكان وهذا اخبار منه عن امر الغيب فصدق خبره وخرج الامر حقا فان قال ثبت انه بالله تعالى علمه وجايز
ان يكون طمعه الزيادة في الدنيا فقطع عليه طمعه بقوله كلا وذكر ان ماله بعد نزول هذه الاية اخذ في الانتقاص
الى ان اهلكه الله تعالى ولم يزد شيئا فيكون في هذا ايضا ما في الاول من اثبات الرسالة وقوله عز وجل انه كان
لاياتنا عنيدا في هذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اكثر نعمه عليه ثم ذلك الملعون مع كثرة
نعم الله عليه واحسانه اليه عاند ولم يطعه في اوامره فكيف يرجوا منه في معاملته اياك مع معاملته
اياه بما يخالف مراده وهواه فيكون فيه ما يدعوه الى الصبر والعناد هو مخالفة الحق عن علم فظهور
الحق فيكون قوله انه كان لاياتنا عنيدا انه بعد علم واحاطة وتيقن عاند ايات الله وخالف امر رسول الله
واستكبر والمكابر هو الذي يكابر عقله فيخالف ما يثبته عقله بالاقوال او بالافعال ثم في قوله عز وجل
ثم يطمع ان ازيد كلا ابطال قول من قال ان الله تعالى لا يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم لان قول ان ازيد لا يخلوا
اما ان يكون الزيادة التي كان يطمعها خيرا له وفي شرط الله تعالى عندهم انه يريد وفي قوله كلا قطع طمعه للزيادة
فيصير بحرمان الزيادة عنه جايرا فكيف جعل انه الرسالة من الوجه الذي هو جور عندكم وان كان حرمان الزيادة
خيرا له واصلح فكيف جعل الحرمان ايضا علما لنبوته وكانت عليه ان يحرمه على زعمكم وفي قراءة عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ثم يطمع ان يزيدهم وقوله عز وجل سارهقه صعودا فجايز ان يكون على تحقيق الصعود وهو العقبة
التي يشتد الصعود عليها ذكره بعض اهل التاويل فيكلف الصعود عليها وجايز ان يكون على التمثيل وذلك
ان الصعود في الشاهد مما يشق على المرء الصعود والهبوط مما يسهل على المرء انحداره عنه فكان
على هذا فيه انه يصيبه في الاخرة مما يشتد ويشق على نفسه تحمل ذلك ثم يقال للمعتزلة في هذه الاية وفي
قوله ساصليه سقر ان في هذا وعيدا من الله تعالى بان يصليه سقر وسيرهقه صعودا فاراد الله تعالى ان
يصدق خبره وينجز وعده او اراد ان يكذب خبره ويخالف وعده فان بالثاني فقد نسبتموه الى الكذب والى
خلف الوعد ومن هذا وصفه فهو سفيه جاهل لا يصلح ان يكون الها وان قلتم بلى اراد ان يصدق خبره وينجز
وعده قلنا لكم اراد ان ينجز وعده مع دوامهم على الكفر او وعدا نقلاعهم عنه فان زعمتم انه انما اراد ان يصليهم سقر
على الخروج من الكفر فهذا منه جور لانه يصليه سقر بشيء لا ارادة له فيه وان سلمتم انه اراد اصلاءهم سقر
اذا داموا على الكفر واستقروا عليه فقد لزمكم ان يقولوا ان الله تعالى اراد من كل احد ما علم انه يختاره ويكون
منه ويقال لهم ان الله تعالى يقول ولم يكن له ولي من الذل ولو كان الامر على زعمتم انه يريد من كل كافر ان يسلم
ويؤمن به ويريد الكافر ان يكفر به ويعاديه فانا قد اراد ان يكون ولي من الذل لانه يريد ان يواليه مع الخيال
الكافر في معاداته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل انه فكر وقدر قال الفقيه رحمه الله ان
الفراعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقدوا معاندة الحق واعتقدوا صد الناس عن سبيل الله وان يطفئوا نوره
فارادوا ان يجمعوا على امر ينسبونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه ينفون عن انفسهم سمة الجهل و
ونهمة الكذب في ذلك على ما ذكروا ان الوليد جمع اصحابه فقال ان هذا ايام الموسم وان الناس سايلوكم عن
هذا الرجل فماذا تقولون فقال بعضهم نقول هو شاعر قال انهم قد سمعوا الشعر وما قوله بقول شعر وقال
بعضهم نقول هو كاهن فقال ان الكهانة معروفة عند العرب واذا سمعوا قوله عرفوا انه ليس بكاهن فيكذبونكم
وقال بعضهم نقول هو كذاب فقال انا قد اخترناه فما اخذنا عليه كذبا قط فقال بعضهم نقول هو مجنون فقال
اذا نظروا اليه علموا انه ليس بمجنون فاعيا عليهم ففكر في نفسه وقدر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ما هذا الذي
اتى به الا سحر ياثره عن غيره اي يرويه فاتفقت كلمتهم على تسميته ساحرا وقالوا الساحر يفرق بين اثنين وجد

منه التفريق بين الاباء والاولاد وبين ذوي الارحام رجاء ان يصلوا الى مرادهم من صد الناس عن سبيل الله
تعالى واطفاء نوره مكرا منهم وهو كقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم
ووجه رجوع المكر الى انفسهم ذكروا فيه وجها احدها رجوع المكر الى انفسهم ان الله تعالى اظهر سوء صنيعهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعله اية تتلى الى يوم القيمة فيكون فيه ظهور كذبهم والحاق العار بهم الى يوم التناد وتوارث اللعن
والثاني ان الكبراء اذا اجتمعوا في مكان للتدبير اتصل بهم اوساطهم واختلط بهم صغارهم فيقع تحملهم العلم الذي عليه
التدبير واتفقت عليه الكلمة واذا وقفوا على تدبيرهم جملة انتشر علم ذلك في الافاق فيقف الناس على كذبهم وانتفا
فيتحقق عند ذلك جهلهم بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصير كذبهم شايعا في الخلق ظاهرا من الوجه الذي
اراد وانفي سمة الجهل عن انفسهم ويتحقق عند الناس كذبهم فلا يركنوا الى قولهم ولا يلتفتون الى اخبارهم عن
حاله اذ قد تبين جهلهم بحاله فيكون ذلك سببا لترغيب الناس الى الاسلام ودعايهم اليه لا ان يكون سببا
للصد عن سبيل الله فصار المكر راجعا اليهم ثم قوله انه فكر اي فكر في الامر الذي اراد احكامه او فكر في الكلمات التي
القوها فيما بينهم ايها اليق برسول الله صلى الله عليه وسلم فينسب اليهم وقوله عز وجل وقد يخرج على هذا ايضا
وقوله فقتل كيف قدر وقيل لعن واللعن هو الابعاد عن رحمة الله تعالى وقد ظهر الابعاد لان ماده له قد انقطعت
في الدنيا واحد ما كان اجتمع عنده في الانتقاص الى ان اهلكه الله تعالى ثم ساقه الى النار خالدا فيها وقوله عز وجل كيف
قدر اي كيف لم يستحي عن تقدير الذي قدر من تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحر وقد علم انه في انشاء
ذلك الاسم كاذبا وكيف اجترى على الله تعالى وتجاسر وهو يعلم انه رسول حق فعاندنا بانه واجترى على ذلك
ولم يخف نقمة الله تعالى وقوله عز وجل ثم قتل كيف قدر فلعنه مرتين وقد ظهر اثر اللعن فيه في الدنيا والاخرة
جميعا لان الله تعالى فضحه بما اظهر كذبه للخلايق فبقي ذلك له عارا الى اخر الابد وابعده من رحمته حيث اخذ ماله
في الانتقاص وانقطعت مادة ماله فهذا اثر اللعنة في الدنيا وان يصليه سقر وان سيرهقه صعودا ذلك
جزيه ولعنة في الاخرة فظهرت احدا اللعنتين في الدنيا وتحققت الثانية في الاخرة وقوله عز وجل ثم عبس وبسر فجايز
ان يكون حمله على العبوس والبسور هو القوا ليه المختلف من الكلمات فعبس وجهه عليهم لما في اختلافهم ظهور
كذبهم او يكون الذي دخل عليه من شدة الغيظ في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اهمه واحزنه حتى اثر ذلك في
وجهه فعبس كذلك وجهه وقوله عز وجل ثم ادبر واستكبر يحتمل ان يكون ادبر عنا ولئك القوم الذين اجتمعوا
للتدبير واستكبر عليهم او ادبر عن طاعة الله واستكبر على رسوله حيث اعرض عنه ولم يجبه الى ما دعاه اليه وقوله
عز وجل فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي هذا الذي اتى به محمد مما يؤثر من فعال السحرة وهذا الذي يخبرنا انه اتى به من
عند الله هو يؤثر عمن تقدمه ولكن قال هذا على علم منه ليس بسحر قال الفقيه رحمه الله لو كان الذي اتى به محمد صلى الله
عليه وسلم سحرا كما قرفوه به فهو لا يخرج من ان يكون حجة له في صدق مقالته واثبات رسالته لانه لا وجه لمعرفة
السحر من طريق الراي والتدبير وانما سبيل الوصول اليه الاتقان والتلقف عن الغير وقد علموا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يلتقفه احدا ولا وجد منه الاختلاف الى من عنده علم ذلك فوقع لهم الاتقان انه بالله تعالى علم
لا باحد من الخلايق فيصير الذي قرفوه به من اعظم الحجة ولكن الله تعالى طهره عن السحر ونزهه عن ذلك وامره بمعاداة
السحرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوا كل ساحر وساحرة وقال توبة الساحر ضربه بالسيف ثم الاصل
ان السحر يفرق بين الاثنين ويعمل سحره في التفريق على وجه لا يوقف لاسباب التفريق وكان سبب تفريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهرا لانه ياتيهم بالحجج فيعلم من امعن النظر فيها صدقه فيما يدعي من الرسالة فيؤمن به ومن ترك
النظر فيها ولم يعط من نفسه النصفة ترك الايمان به فبطل ان يكون تفريقه كتفريق السحر ولان كلا منهم لو
تفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وامعن النظر فيه حمله ذلك على الايمان به والتصديق لرسالته فيصير الذي جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم سبب الاجتماع والالفة لا ان يكون سبب التفريق بين الاحبة ثم الاصل ان الساحر بغيته و
قصده من سحره نيل الجاه عند العظماء والرؤساء واستفادة السعة في الدنيا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
يطلب بما اتى به الجاه عند الرؤساء بل عاداهم واظهر الخلاف فدعا الخلق الى الزهادة في الدنيا الا الى الاستكثار منها فكيف
يجوز ان ينسب الى السحر وقد اتى بما يضاد فعل السحرة وقوله عز وجل ان هذا الا قول البشر قد علم انه ليس بقول البشر
لما عجز البشر عن اتيان مثله وقال انه كان لاياتنا عنيدا فثبت انه على العلم منه بانها ايات عاند وقوله عز وجل ساصليه
سقر فالسقر لون من العذاب وقيل السقر هي الدركة الخامسة وقيل السقر من ابواب ومعناه سادخله جهنم من باب
السقر والله اعلم وقوله عز وجل لا تبقي ولا تذر يحتمل اي لا تبقي حيوة يتلذذ بها ولا يذره يهلك ويستريح بل يبقى ابدا
في الهوان كما قال تعالى فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ويحتمل لا يبقي له جلدا ولا لحما ولا عظما بل ينضج جلده وياكل لحمه
ويكسر عظمه ولا يذره على تلك الحال كسرا للعظم واكل اللحم ونضج الجلد بل يعاد جلده ولحمه وعظمه فيعمل فيها كذلك

ابدا ولا يبقى روحا ولا يذره فيهرب منها فيتخلص من عذابها **وقوله** عز وجل لواحة للبشر قيل فيه بوجوه قيل لواحة
للبشر اي محرقة للجلد لان البشر الجلد فجاز انه خص الجلد بالتلويح لان الجلد من الانسان هو الظاهر فيكون الظاهر من
الاحراق منزجرة مختصة بالذكر لهذا كما سمي الانسان انسانا لظهوره لكل من هو من اهل الرؤية وسمي الجن جنا لاستتاره
عن اعين جنسه وهو كقوله عز وجل كلما نضجت جلودهم وقيل لواحة اي ظاهرة للبشر كقوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين
وقوله وبرزت الجحيم لمن يرى اي اظهرت لهم وتلوح فينظرون اليها ويتيقنون بالعذاب ويحتمل ان يكون قوله لواحة لا تأكل
باكل جلودهم ولحومهم فيظهر عظامهم ويلوح عن ذلك ثم يبدل جلودا ولحوما ابدا على هذا مدارهم **وقوله** عز
وجل عليها تسعة عشر روي عن ابن عباس رضي الله عنه انهم خزنة جهنم مع كل واحد من الاعوان ما لا يحصى وذكر
ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والنيران والاخر هو الخازن
الاكبر وهو مالك يامرهم بما امر به ويحتمل ان يكون في السقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وذلك
ان جهنم ذات حد في نفسها لان الله تعالى وعد ان يملأها من الجنة والناس ولو لم يرجع الحد لكان لا يتحقق امتلاؤها
بالقدر الذي ذكروا ويحتمل اي يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب فوكل كل واحد منهم ان يعذب بنوع من ذلك
والاصل ان الله تعالى حكيم يعلم ان في كل فعل من افعاله حكمة عجيبة ولكن لا كل حكمة يوصل اليها بالعقل ومنتهى
الى معرفتها بالتدبير الا ترى ان الله تعالى جعل في الماء معنى يحيى به كل شيء ولو اراد احد ان يتكلف استخراج المعنى الذي
به صلح ان يكون طبعه موافقا لاحياء كل شيء لا يمكنه ذلك وجعل في الطعام ما يغذي وينمي ولو اراد احد ان يتعرف
المعنى الذي يقع به الاغتذاء والانماء لم يتداركه وكذلك جعل في القدر الذين سماهم حكمة ولكنا لا نصل الى تعرفها
بعقولنا وتدبيرنا وزعمت الباطنية ان في ذكر الاعداد التي عليها تركيب العالم يعرف الاعداد المجعولة في الروحانيات
فيقال لهم من جعل الاعداد التي عليها تركيب العالم اولى بان يتعرف بها الاعداد المجعولة في الروحانيات من
ان يجعل الاعداد التي في الروحانيات علما لاستدراك المجعولة في الجسدانية ثم يسألون عن الاعداد المجعولة
في الروحانيات لاي معنى جعلت وان حكمة فيها فليت جوابهم بعد هذا الا العجز والاعتراف بالجهل فليعترفوا هم
بالجهل من الابتداء من غير ان يتكلفوا استخراج ما يوجب عن حقيقة كان فيه ظهور عجزهم والله اعلم والاصل عندنا
ما ذكرنا ان اهل التوحيد اعتقدوا ان الله تعالى حكيم وانه لا يجوز ان يخرج فعله عن حد الحكمة لان الذي يحمل
الانسان على الخروج عن حد الحكمة في الشاهد احد معان ثلاثة اما الجهل واما العجز واما الحاجة والله تعالى عالم لا يجهل
وقوي لا يلحقه عجز عن وفاء ما وعد وغني لا يمسه حاجة فانتفت عنه الاسباب التي بها يقع الخروج عن حد الحكمة
فثبت انه لا يجوز ان يخرج فعله عن حد الحكمة لكنهم اذا لم يعرفوا الحكمة بعقولهم ولم يتداركوها بتدبيرهم ظنوا انه
لا حكمة فيه وانكروا ان يضاف ذلك الى الله تعالى فاهل الدهر انكروا البعث وانكروا الصانع لما راوا اشياء في
الشاهد هي في الظاهر خارجة مخرج العبث وفعل الحكمة لا يخرج مخرج العبث فنفوا بهذا ان يكون للاشياء صانع ومن
بنى بناء ثم نقضه ثم اعاده الى الحالة التي كان عليه قبل النقض لم يكن حكيما بل كان جاهلا سفيها فقاسوا امر البعث
على ذلك وظنوا انه خارج مخرج العبث اذ ليس فيه الا الاعادة الى الحالة التي كان عليها قبل الموت وما ذكرنا من الاعتبار
هو الذي حمل الثنوية على القول بالهين اثنين لانهم راوا في الشاهد خيرا وشرا وصلاحا وفسادا وظلمة ونورا فقالوا
لا يجوز ان يكون جوهر الظلمة والنور واحدا ولا يجوز ايضا ان يكون فعل الحكيم يخرج على الاختلاف والتناقض فقالوا
بهذا ان خالق الشر والخير مختلف فبهذا انكرت المعتزلة خلق افعال العباد لان الفعل يكون مرة خيرا ومرة شرا و
مرة صلاحا ومرة فسادا ولا يجوز ان يكون الشر مضافا الى الله تعالى ولا ان يكون الفساد منسوبا اليه فانكروا
ان يكون لله تعالى في افعال العباد صنعا واهل التوحيد سلموا الامر الى الله تعالى وفوضوا العلم اليه في كل ما جاء
عنه عز وجل وان لم يتداركوا ما فيه من الحكمة بعقولهم لوجودهم اشياء هي خارجة ان يتداركوها بعقولهم
ويقفوا عليها بعلومهم كما ذكرنا من امر الماء انه قد جعل فيه معنى ذلك المعنى يحيي الاشياء ولو ارادوا ان يعرفوا
ذلك المعنى بعقولهم والاراء لم يمكنهم ذلك ولذلك هذا في الطعام وفي الاشياء المشروبة موجود ثم لم يجب بهذا
انكار المياه وسائر الاطعمة والاشربة ولذلك لا يجب انكار العدد الذي سماهم الله تعالى من الملائكة ولا انكار
البعث ولا انكار كل شيء لا يقفوا على حكمته بعقولهم والله اعلم **وقوله** عز وجل وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة فلقائل
ان يقول في هذا اذا لم يجعل اصحاب النار الا ملائكة لم يوجد فيها انسي ولا جني فكيف قال لاملأن جهنم من الجنة والناس
وهو لم يجعل اصحاب النار الا ملائكة يعذبون اهلها بها الا ان يكون الملائكة تمسهم النار ويتاذون بها وفي هذا
دلالة على ان من قرأ مكان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة اصحاب النار في صلوته لا يفسد صلوته لانه ليس في نسبة
اصحاب الجنة ايجاب عذاب عليهم كما لم يكن في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ايجاب عذاب على الملائكة واستخفافهم
والله اعلم وانما خصهم لذلك والله اعلم لانهم خلقوا يستعملون ويغضبون لله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون

ما يؤمرون لم يميلوا الى احد ولم يرحموا بما راوا عليه من العذاب في معصية الله وخلافه ليس على طباع الجن
والانس ان قلوبهم تميل ويرحم من لا يستحق الرحمة وذكر اهل التاويل وقوله وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة ذكر على اولئك الكفرة الذين قالوا انا لنكفي هذه العدة حين سمعوا عليها تسعة عشر فتغلب عليهم
ونخرج من النار فاخبر انهم ليسوا برجال امثالكم انما هم ملائكة ووصف الملائكة وقد روي في الاخبار من هول
خلقهم وعظمهم وشدة باسهم وبطشهم وان لهب النيران يخرج من افواههم وان بنيتهم لا تحتمل الحرق والالم
على ما عليه بنية البشر والله اعلم **وقوله** عز وجل وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الفتنة قد يتكلم بها على
وجهين فيذكر الفتنة ويراد بها المحنة التي فيها المشقة ويذكر ويراد بها العذاب فمعناه انه جعل العدد الذي ذكر لهؤلاء
الكفرة وهو كقوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وان كان يراد بها المحنة فيخرج على وجوه احدها اي ما جعلنا ذكر
عددهم الا امتحانا للذين كفروا اي لمن علم الله تعالى منهم انه يكفر بايات الله تعالى جعل ذلك سببا للفتنة اذ كان في علم
الله تعالى انه ممن يبغي الفتنة فاما من علم انه ينظر في ايات الله مسترشدا فلم يرده ذلك الا ايمانا وتصديقا اذ علم الله
تعالى ان يمتحنهم بانواع المحن فامنوا به وسلموا ذلك الله تعالى فيكون في جعل عدتهم تسعة عشر شرع على الكفرة اذا كان سبب
كفرهم فلذلك سمي المحنة على هذا الوجه فتنة **وقوله** عز وجل فتنة للذين كفروا بمعنى على الذين كفروا ثم جاز ان
يكون ذلك على حدث الكفر وهو في قوم قد امنوا به فلما سمعوا هذا زعموا ان لا حكمة في هذا العدد بل لو انه يجعلون
اصحاب النار في العشرين او من الثمانية عشر فكفروا به وهو كقول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من
تشاء وذلك على حدث اصلا لم يكن من السامري موجودا لان الاضلال لا يتعقد ما نفرها وجائز ان يكون
فتنتهم هو انهم ازدادوا بذكر هذا العدد كفرا الى كفرهم لانهم نظروا اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء ولم ينظروا
اليه بعين التبجيل والتعظيم فازدادوا بذلك كفرا والله اعلم **وقوله** عز وجل ليستيقن الذين اوتوا الكتاب الذين
امنوا وجه استيقانهم انهم يجدون هذا العدد الذي في كتابهم فيحملهم ذلك على الاستيقان انه من عند الله تعالى
ويحتمل ان يريد به اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا اذا وجدوا ذلك موافقا لما في كتبهم فيستيقنوا انه انما يخبر عن الله
عز وجل ويرتفع عنهم الارتياب ليكون ادعى لهم الى الايمان به ان اراد منهم الايمان واقرب الى الزام الحجة عليهم ان لم يرد
منهم الايمان والله اعلم **وقوله** عز وجل ويزداد الذين امنوا ايمانا وتصديقا على ما سبق منهم من التصديق بالجملة
وكذلك روي عن ابي حنيفة رحمه الله في قوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وفي كل موضع ذكر فيه الزيادة في
الايمان ان معنى الزيادة فيه انهم ازدادوا بالتفسير تصديقا على تصديقهم بالجملة لانهم اذا وجدوا الله تعالى وامنوا به فقد
اقروا بان له الخلق والامر كله وفي الاقرار بان له الخلق ايمان بالرسل وتصديق منه اياهم بجميع ما انزل عليهم من الكتب
عن الله تعالى فصار بايمانه معتقدا للتصديق بكل رسول على الاشارة اليه فاذا امن بالرسول والكتاب المنزل اليه
فقد ازداد تصديقا على ما وجد منه من التصديق بالجملة وجائز ان يكون الزيادة منصرفة الى الثبات والاستقامة
لان الايمان له حكم التجدد في كل وقت اذ المؤمن في كل وقت مامور باجتناب الكفر فقد اتى بضده وهو الايمان فله
حكم التجدد في كل وقت واذا كان كذلك استقام صرفها الزيادة الى الثبات والقرار عليه فان شئت فسم الدوام على
الايمان زيادة وان شئت فسمه ايمانا وان شئت فسمه ثباتا وفي الكتاب ما يطلق جواز هذا كله قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله فندبهم الى الايمان بعد ما امنوا وما ذلك الا الثبات على ما هم عليه وقال
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وهو الايمان وقال في اية اخرى ليثبت الذين امنوا فجعل
دوامهم على الايمان واستقامتهم عليه ايمانا اسم الزيادة واسم الثبات واسم الايمان وان كانت الزيادة منصرفة
الى الاعمال فهو عندنا على الزيادة من جهة الفضيلة والكمال لا الى الزيادة في عينه لان الشيء اذا استحق الزيادة
بغيره فاستحقاقه يقع من جهة الفضيلة والكمال الا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي
هذا يعدل الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ومعلوم انه لم يرد به التفاضل من جهة العدد اذ هو
باق في اعين الاعمال التي يلزمه اتيانها في غيره ذلك كانت الزيادة منصرفة الى الكمال والفضل لا الى الزيادة من جهة
العدد وكذلك قال صلوة في جماعة يفضل على صلوة المرء وحده بخمس وعشرين درجة ولم يرد به الزيادة من
جهة العدد انما اريد به الزيادة من جهة الفضل والكمال وكذلك الزيادة التي تقع للايمان من الاعمال الفاضلة
انما هي من جهة الفضيلة والشرف اذ الاعمال ليست من جنس الايمان اذ الايمان هو التصديق وذلك غير
موجود في الافعال ثبت ان زيادة من الوجه الذي ذكرنا دون غيره وقوله تعالى ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا في هذا الفصل كلام بيننا وبين
المعتزلة فهم يزعمون ان ذلك العدد وهي عدة الملائكة جعلت محنة لاهل الاسلام واهل الكتاب واهل الكفر
والذين في قلوبهم مرض ليؤمنوا بها وليتساءلوا الما لا يكفروا بها من كفر ويقولوا ماذا اراد الله بهذا مثلا ولكن

ما وجد منهم ذلك فالقول نسب الجعل اليه لا ان خلقوا لذلك الوجه وهو كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا نسب اليهما الالتقاط وان كان الالتقاط لغير ذلك الوجه وكذلك قال ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا
اثما ومعلوم ان الاملاء لم يكن لازدياد الاثم ولكنهم لما ازدادوا نسب الاملاء اليه وان لم يكن الاملاء لذلك الوجه
وكذلك يقال في الكلام السائر لدوا للموت وابنوا للخراب ولا يبنى البناء للخراب ولكن مصيره لما كان الى الخراب نسب البناء
اليه وان لم يكن البناء لذلك الوجه ويقال ليسرق السارق ليقطع يده ومعلوم بانه ليس يسرق للقطع ولكن
بسرقته اذا لزمه القطع ولاجلها ما قطع نسب الفعل اليه وان كانت السرقة لغير ذلك الوجه فكذلك العدة
التي ذكرت في الاية جعلت فتنة بجهة واحدة وهي التي ذكرناها لكنه لما وجد من الكفرة ما ذكرنا نسب الخلق الى ذلك
الوجه لا ان كان الجعل لذلك ولكنا نقول لو كان الامر على ما زعموا ادى ذلك الى اسقاط الربوبية اذ في الحكمة من
عمل عملا يريد غير الذي يكون اوجب ذلك تجهيله بالعواقب او جعل عابثا في فعله ومن هذا وصفه لم يصلح ان يكون الها
بل يكون جاهلا سفيها الا ترى ان من بنى لشيء يعلم انه لا يكون كان ذلك منه عبثا واذا كان غير الذي يريده كان جاهلا
بما ذكرنا فاذا ثبت هذا فنقول لو اراد الله من الكافر غير الذي كان منه لكان فعله خارجا مخرج الخطأ او العبث وثبت
ان الله عز وجل شاء لكل فريق ما علم ان يكون منهم فاذا علم من عبده انه يؤثر الضلال على الهدى فقد شاء له
الضلال واذا علم انه يؤثر فعل الخير شاء له ذلك ووفقه له وهداه اليه والجواب عن قوله عز وجل فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فمعناه ليكون لهم في علم الله عدوا وحزنا لا ان كان الالتقاط منه لذلك الوجه
بل لو علموا انه يصير لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه ولكنهم جهلوا ما ينتهي اليه العاقبة فالتقطوه رجاء ان ينتفعوا به
ولا يجوز ان يخفى على الله تعالى عواقب الاشياء فيكون فعله في الابتداء لغير ذلك الوجه لقولهم لدوا للموت و
ابنوا للخراب فهذا يتكلم به في موضع التذكير والدعاء لان لا يحرص المرء في بناء الابنية بل يزهد عنه ولا يجوز
ان يخفى على الله تعالى امر فيخرج الامر مخرج التذكير فثبت انه على التحقيق والله اعلم ثم قوله عز وجل وليقول الذين
في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا والمثل يذكر بمعنى البيان كقول القائل اي شيء مثل ذلك صورته
كذا يريد بيان ذلك وقوله عز وجل كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء فهذا كله تفسير قوله تعالى
وما جعلنا عدتهم الا فتنة الاية ان يضل به من كان في علمه انه يختار الضلال واختيار الضلال هو ان ينظر
في آيات الله تعالى بعين الاستهزاء والاستخفاف ومن كان نظره في آيات ما ذكرنا اضله الله تعالى واراد غوايته
ومن نظر في آيات الله بعين لا استهزاء والاسترشاد واستقبلها بالتبجيل والتعظيم لها وفقه الله تعالى ومن
عليه بالهداية وهو كقوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو
عليهم عمى وغير ذلك والله الموفق وقالت المعتزلة قوله كذلك يضل الله من يشاء اي يسميه ضالا او يحكم عليه
بالضلال اذا ضل لا ان يكون الله تعالى يضله ويقضي ضلالته فيقال لهم اذا كان الله يريد ان يؤمن به وذلك
زيادة في كل عندكم فتسميته اياه ضالا وحكمه بالضلال وهو يريد ان يهتدي جور منه وفيه تحقيق كذب جل الله
تعالى عن ان يلحقه وصف الجور في فعله او ينسب الى الكذب وقال ابو بكر الاصم تأويله ان الله ينصب طريقا من سلكه
فضى به الى الهداية ومن زاغ عنه صار الى الضلال والانبياء لا احد من الخلائق ان ينصب مثله فنقول لو كان
التأويل على ما زعم لكان حقه ان يقال كذلك يضل الله من يشاء ويهدي ما يشاء فلما قال من يشاء ومن يعبر به
عن الاشخاص العقلاء لا عن الطريق التي لا تعقل ثبت ان الذي قاله ليس بشيء يعتمد عليه ثم الاصل ان قوله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء من صفات الربوبية وفيه امتداح الرب تعالى بالفعل لم يريد فلو لم يكن
مريدا منهم ما قد كان ولم يرد كون ما علم انه يكون سقط الامتداح وخرج عن ان يكون من صفات الربوبية
فثبت ان الله تعالى شاء لكل فريق ما علم ان يكون منهم وقوله عز وجل وما يعلم جنود ربك الا هو فالجند هو
اسم للجماعة التي ينتقم بها وينتصر بها وجائز ان يكون قوله تعالى وما يعلم جنود ربك منصرفا الى الملائكة التي
هم اصحاب النار ليس ما جعله من خزنة النار عددا قليلا لقلة جنوده وما يعلم جنود ربك الا هو اي مقدار قوتهم
واحوالهم الا الله فمعناه لا يعلم جنود ربك اي لا يعلم قوة هؤلاء الجنود وبطشهم وهيبتهم الا هو ثم يجوز ان
يكون سلطها على تعذيب اهل النار على جهة الامتحان للملائكة كما امتحن بعضهم باتصال التحف والكرامات الى
اهل الجنة وكما امتحن بعضهم في الدنيا بقبض الارواح وبعضهم بانزال الامطار وغير ذلك وجائز ان يكون تسليطهم
على اهل النار على جهة الثواب والجزاء لهم لانهم يتلذذون بما يعذبون اهل النار وينتقمون من اعداء الله لان المرء
اذا وصل الى الانتقام من عدوه تلذذ به وتنعم ويحتمل ان يكون قوله عز وجل وما يعلم جنود ربك اي ما يعلم كثرة جنود
ربك الا هو ويحتمل وما يعلم السبب الذي يجعل به الجنود ويسلطون للانتقام الا هو اذ هو القادر على ان يجعل اضعف
شيء من خلقه جندا ينتقم به من اعدائه كما في قصة البعوض في زمن نمرود وغير ذلك من ارسال الطير الى اصحاب

وامطار

وامطار الحجارة على قوم لوط ونحو ذلك ويحتمل ان يكون قوله عز وجل وما يعلم جنود ربك اي لا يعلم ما الذي يتخذ الله
تعالى جندا للانتقام من الاعداء الا هو الا ترى ان الله عز وجل انتقم من بعض الاعداء بالغرق وهم قوم فرعون وقوم نوح
عليه السلام واهلك بعضا منهم بالرياح واتخذها جنودا عليهم واهلك بعضهم منهم بالخسف فيكون في هذا ايجاب
المراقبة من حلول النقمة والتخويف وقوله عز وجل وما هي الا ذكرى للبشر وجائز ان يكون منصرفا الى العبرة انها ذكرى
للبشر اي موعظة وتذكير لهم ما اليه مرجع امورهم وجائز ان يكون منصرفا الى عدة الملائكة وقوله عز وجل كلا قيل
حقا وقيل هو على الردع والتنبيه وقوله عز وجل والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر فهذا في موضع القسم وقد
ذكرنا ان القسم لتأكيد ما قصد اليه بالذكر وادبار الليل مجيء النهار فجائز ان يكون ذكر آخر الليل يقتضي ذكر اوله
وذكر اول النهار يقتضي ذكر النهار كله فيكون القسم بهما قسما بالليل كله والنهار كله ثم الليل اذا اقبل عمت الظلمة في
كلها بساعة لطيفة وكذلك النهار اذا اقبل عمل دفع الظلمة عن الخلائق بجملته بساعة لطيفة ما لو اجتهد المرء في جمع
وان طال على عدد تلك الاشياء ليحيط علما بجملتها ما لم يتمكن منه واذا كان لليل من السلطان ما ذكرنا ولاقبال النهار من
الامر ما ذكرنا وكان الذي ذكرنا امرا مشاهدا عاينا ولو اريد معرفة ما فيهما من الحكمة انه لاي معنى ما صلح ان يكون
الليل ساترا عن درك اعين الاشياء واستقام ان يكون النهار مزيلا للستر لم يقدر عليه فيكون فيه ابانة انه لا يجب انكار
كل ما لا يوصل الى درك الحكمة فيه بالعقول والآراء فيكون فيه ايجاب التصديق بالانباء التي يأتي بها الرسل وان
كان فيها ما لا يوقف على الحكمة المجعولة فيها بالآراء وفيه ان منشئ الليل والنهار واحد وان الخلائق يجمعهم تحت
سلطانه وتدبيره يحكم فيهم ما يشاء ويفعل ما يريد وجائز ان يكون القسم منصرفا الى الوقتين اللذين وقع عليهما
الذكر وهما ادبار الليل واسفار الصبح فيكون فيهما ما قلنا الاول وقوله عز وجل سفرا عاضا والنشر وقوله اذا ادبر اي
ذهب وحكي عن الكسائي انه قال ان دبر لغة قريشية يقولون دبر كالامس لدابر اي الذاهب فيقولون دبر في
الايام والشهور والسنين ولا يقولون في غير ذلك لا يقولون دبر الرجل ودبر الامر ولكن يقال ادبر وفي حرف ابن
مسعود اذا ادبر وفي الحروف اذا ادبر والمعروف اذا دبر كما قلنا وقوله عز وجل انها لاحدى الكبر قيل يعني السقر ثم عد
اهل النار الوان وفي جهنم دركات والسقر احدى دركاتها اذ هي لون من الوان العذاب فصارت هي من احدى الكبر وقوله
عز وجل نذيرا للبشر فمنهم من صرف النذارة الى السقر ومنهم من صرفها الى الرسول عليه السلام وهو كقوله تعالى وهذا كتاب
مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا فمنهم من قرأ بالياء وصرفها الى القرآن ثم الاصل ان ما خرج مخرج الافعال مضافا
الى الاشياء اللاتي ليست لهن افعال فهو يقتضي امرين احدهما ذكر الاحوال التي تقع لديها وما لو لم يكن ذلك الاشياء
لم يحدث تلك الاحوال من غير ان يكون عليه لها فنسبت اليها اذا صارت سببا لحدوث تلك الاحوال وهو كقوله عز وجل وغرتهم
الحيوة الدنيا لا ان الدنيا تتولى الغرور ولكنهم اغتروا بزينتها فنسب اليها الغرور ولما كانت سببا لتغريرهم والثاني انها انشئت على هيئة لو
كانت من اهل التغرير لكانت تغر فنسب اليها الغرور لذلك وقال في قصة ابراهيم صلوات الله عليه وعلى نبينا رب انهن اضللن
كثيرا من الناس والاصنام ليست ممن ينسب اليها الاضلال لانه لا فعل لها ولكن عبادها لما ضلوا بها نسب الاضلال اليها
وهي ايضا على صورة لو كانت لها افعال لكان يقع منها الاضلال فنسب اليها الاضلال للوجهين اللذين ذكرناهما فكذلك النذارة
اضيفت الى النذر ههنا لانه يقع النذارة فاضيفت اليها كذلك او خلقتهن على هيئة لو كانت من اهل النذارة لكانت تنذر
والله اعلم وقوله عز وجل لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر فهو على التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر و
ذلك انما يكون عند اثر المبالغة في العظات وتذكير عواقب الامور وقد بلغ ذلك في هذه السورة وبين عواقب امور
العباد ثم قوله عز وجل ان يتقدم او يتأخر قيل ان يتقدم الى طاعة او يتأخر الى معصيته تعالى والاصل ان المرء جبل على حب
المنافع لنفسه والخيرات وعلى بغض الشر والمضار ومن احب شيئا طلبه ومن ابغض شيئا اجتنبه وهرب منه واذا
طلب تقدم اليه واذا هرب من شيء تأخر عنه فكنى عن الطلب بالتقدم وعن الهرب بالتأخر فيكون تأويل قوله عز وجل
ان يتقدم اي الى طاعة الله لتجري اليه المنافع في الآخرة ويجلب اليه المحاسن او يتأخر عن طاعته اذ في الاعراض عن طاعته
ايقاع النفس في المهالك وانواع الشرور وجائز ان يكون قوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر معناه يتقدم ويتأخر
بتخليق الله تعالى فعل التقدم والتأخر منه فيكون فعلا له وكسبا لوجوده في حيز قدرته وخلقا لله تعالى فيكون منه رد قولنا
لا حجة علينا في اضافة التقدم والتأخر الينا والله الموفق وقوله عز وجل الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون اصحاب
اليمين هم الذين وصفهم الله تعالى في موضع آخر في كتابه وهو قوله عز وجل فاما من اوتي كتابه بيمينه فاستثنى اصحاب اليمين
من جملة المرتهنين لانه ذكر المرهون بلفظ يعبر به عن الجمع وهو قوله كل نفس فاستقام استثناء الجماعة من تلك الجملة
فاصحاب اليمين قد سبقت منهم الاعمال التي يستوجبون بها الاطلاق عن الحبس لان المجرمين صاروا مرهونين باجرامهم واصحاب
اليمين قد اكتسبوا الخيرات وعملوا الصالحات والاعمال الصالحة يجعلها الله تعالى مكفرة للمساوي والاجرام كقوله تعالى
ليكفر عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن ما كانوا يعملون وقوله عز وجل في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر

فظاهر هذا يوري الى ان التساءل كان من اهل الجنة بعضهم بعضا . واذا صدر السؤال عن بعضهم بعضا فحقه
ان يقال ما سلككهم في سقر لان اهل السقر لم يتساءلوا بل سئل عنهم غيرهم الا ترى انه قال عن المجرمين ولم يقل يتساءلون
المجرمون ثبت ان الظاهر يقتضي ان يكون السائلون غير المجرمين لذلك فلما ان حق مثله ان يقال ما سلككم في سقر
لكنه يحتمل ان يكون حوله عن زيادة في الكلام وحقه الحذف والاسقاط واذا حذف ارتفع الريب والاشكال لكانه
قال في جنات يتساءلون المجرمين فيكون فيه ثبت ان اهل السقر هم الذين خوطبوا بالسؤال وجاز ان يكون
اهل الجنة يسأل بعضهم بعضا عن مكان المجرمين اين مكانهم واين هم فيطلعون عليهم فيسألونهم ما سلككم
في سقر فيقولون اذ ذاك لم نك من المصلين الى اخر الاية الا ترى الى قوله عز وجل فاطلع فرآه في سواء الجحيم
ثبت انهم يطلعون على اماكنهم فاذا رأوا سألوهم عن ذلك بقوله ما سلككم في سقر فاجابوا
بما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لم نك من المصلين الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين الاصل ان الافعال التي يتعلق
جوازها بالايمان اذا اضيف الى من ليس من اهل الايمان اريد بها القبول واذا اضيفت الى اهل الايمان
اريد بها اعيان تلك الافعال والذي يدل على هذا هو ان الكافر لو سلك به الى سقر انما كان مكذبا بيوم الدين
واذا اقام الصلوة واطعم المسكين لم ينفعه ذلك حتى يوجد منه الايمان فثبت انه لم يرد بذكر هذه الافعال
اتيان اعينها وانما اريد بها القبول والاقرار بها والذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا
مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه فثبت انهم جحدوا ان يكون عليهم
اطعام فدل انه اريد بذكر الاقامة قبولها لا وجود عينها وعليهم ان يقبلوا اقامة الصلوة ويقروا بايتاء الزكوة
وقد يجوز ان يذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة ويراد به القبول قال الله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ولم يكن ايجاب الاقامة وايجاد الايتاء من شرائط التخلية بل كان معناه على
قبول فاذا اقروا بالصلوة وقبلوا اقامتها واقروا بالزكوة لزم تخلية سبيلهم وان لم يوجد منهم الفعل
بعد فلذلك صلح عندنا ان يحمل على القبول ولم يحمل على وجود حقيقة الفعل لما ذكرنا هذا اذا ثبت ان تاويل قوله
لم نك من المصلين منصرفا الى الصلوة المعروفة فكيف وقد يجوز ان يكون اريد بالمصلين الموحدين هاهنا
لان اهل الصلوة هم المسلمون يقال اجمع اهل الصلوة على هذا ويعني به المسلمون ثم الله عز وجل جمع في الذكر
بين التكذيب بيوم الدين وبين ترك الصلوة وترك الاطعام وهذا والله اعلم يحتمل وجهين احدهما ان الذي يقر بالصلوة
والاطعام وايتاء الزكوة هو الذي يقر بيوم الدين لان المرء انما يرغب في فعل هذه الاشياء لما يطمع من المنافع في العواقب
ويتقي بتركها مخافة التبعة في العواقب فاذا لم يقر بيوم الدين لم يرجو المنافع ولا خاف المضار فيحمله ذلك على ترك
الاطعام وتضييع الصلوة وعلى ترك ايتاء الزكوة وعلى جحودها كلها وعدم قبولها وهو كقوله عز وجل ارايت الذي يكذب
بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين لعدم رجاء العواقب فاذا لم يفعله عاقبة لم يقم بالانفاق
لليتيم ولا قام باحسان المسكين بل تكذيبه بيوم الدين يحمله على الجور على اليتيم وترك الاحسان الى المسكين فكذلك
جمع في الذكر تكذيب يوم الدين وهذه الوظائف التي وظفت عليهم بالاسلام لانهم اذا امنوا بيوم الدين لزمهم تحمل هذه
الاحمال من اقامة الافعال والصلوة وايتاء الزكوة واطعام المساكين وصيام شهر رمضان وغير ذلك مما [illegible]
فاشتد عليهم فتركوا الايمان بها لان لا يلزمهم تحمل هذه الافعال التي تحملها اهل الايمان وقوله عز وجل وكنا نخوض مع
الخائضين فالخائض هو الذي يخوض في الباطل وقوله عز وجل حتى اتانا اليقين اي حتى ايقنا انا كنا على باطل فيما كنا نخوض
فيه وقوله عز وجل فما تنفعهم شفاعة الشافعين معناه ان لا شفيع لهم والاصل ان الشفاعة اذا اضيفت الى اهل الكفر
فقيل ليس لهم شفعاء او لا ينفعهم شفاعة الشافعين اقتضى نفي الشفاعة اي لا شفيع لهم واذا اضيف الى اهل
الايمان اقتضى نفي الانتفاع بشفاعة الشفعاء ولم يقتض نفي الشفاعة كما ذكرنا ان الافعال التي يكون قوامها بالايمان
اذا اضيفت الى الكفار فهي تقتضي نفي القبول واذا اضيف الى اهل الايمان فهي تقتضي نفي الفعل وقولنا بانه اذا قيل
لا شفيع له واريد به اهل الاسلام فهو يقتضي نفي الانتفاع ولا يقتضي نفي الشفاعة فذلك ينصرف عندنا الى اهل الاعتزال
والخوارج لانهم لا يرون اصحاب الكبائر من اهل الاسلام مستوجبين للشفاعة وهم يقولون لا يجوز في حكم الله تعالى ان يعفو عن
اصحاب الكبائر بل يخلدهم في النار لان الله تعالى اوعد النار لمن ارتكب الكبائر واخبر انهم يخلدون فيها فلا يجوز ان يقع في
وعده خلف ويحقق في خبره كذب ولو استوجبوا الشفاعة ونالوا بها المغفرة من رب العزة لصار فيما وعد خلفا وفيما
اخبر كذبا فلذلك هؤلاء اذا ارتكبوا الكبائر لا يرجى لهم الخلاص بالشفاعة ابدا بل يحكم عليهم بالخلود في النار فيرتفع ما
يثبت الكذب وينتفي ما يوجب خلف الوعد ولانهم لما اعتقدوا التخليد في النار لمن ارتكب الكبائر وجب ان يكون
نفيهم الشفاعة ترغمهم عن ذلك لان الله تعالى يقول كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فلا يجوز
ان يحق عليهم العذاب ثم لا ينالهم العذاب اذا بعثوا انهم اختصوا فريق منهم بنفي الشفاعة في الاخرة بقوله فما لنا من شافعين

ويقول انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ويقول واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة وزعموا ان تشفيع كل امرء منهم عمله يومئذ فمن حسن عمله
نجا به ومن ساء عمله حق عليه العذاب ولم يكن له شافع ولو وجب نفي الشفاعة بما ذكر من هذه الايات الظاهرة لوجب
تحقيقها بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وبقوله يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن ورضي له قولا اذ في هاتين الايتين ان الله تعالى قد ياذن بالشفاعة يومئذ للبعض فثبت ان ما ذكروه من نفي الشفاعة
لم يقتض نفيا على الاطلاق بل النفي انصرف الى بعض الخلائق دون بعض فوجب القول بثبوتها لبعضهم ثم جاءت الاخبار مفسرة
على ايجاب القول بالشفاعة لاهل الكبائر فثبت ان ما ذكر من قوله عز وجل فما لهم من شافعين وقوله ولا خلة ولا شفاعة
منصرف الى الكفرة ثم نقول ومن المعتزلة من يحقق الشفاعة ولكنه يراها للذين يستوجبون استغفار الملائكة في الدنيا
وهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك فاما اصحاب الكبائر فانهم لا يرون لهم شفاعة احد بل يخلدون في النار فيقال لهم اية منفعة تحصل للذين تابوا واتبعوا
سبيله في الشفاعة وهم قد استوجبوا الخلاص بتوبتهم واتباعهم سبيل الرشاد فان قالوا ننفعهم بها انه تعظم قدرهم
عند الله تعالى ويستوجبون بها فضل الدرجات كما ترى المرء في الشاهد يذكر اخاه عند الملوك بحسن السيرة ويذكره بما فيه
من المناقب الجميلة والمحاسن ويبتغي بذلك اعلاء منزلته واعظام قدره عندهم ليحظوه ويجلوه فكذلك الشفعاء في
الاخرة يثنون عند الله تعالى على اوليائه ليزيد في درجاتهم وتعظم منزلتهم عند الله تعالى والجواب ان هذه الزيادة في
الدرجات ليست الا الى الوصول الى فضول الشهوات وفضول الشهوات والزيادة في اللذات لا يدرك في المنافع اذ الحاجة
لهم الى ما هو فوق الفضول من الشهوات فيكون في منالها دفع الحاجة والوصول الى المنفعة ومعلوم بانهم انما طمعوا
في الشفاعة لما يحصل لهم بها من المنفعة وانما يحصل لهم بها المنفعة اذا رفعت اليها الحاجة واهل الكبائر الذين
يمسهم الحاجة اليها فاما الذين تابوا فقد استغنوا عن الشفاعة لذلك وجب القول بتحقيق الشفاعة في اهل الكبائر
وانما استدلالهم بما ذكروا من امر الشهود فليس بحكم من القول لان المرء انما يذكر اخاه بالجميل ويظهر ما اشتمل عليه
من خلال الخير لجهل الملوك بحاله فيما هو عليه من جميل الخصال ومحمود الفعال الا ترى ان الملك اذا كان عالما بحاله لم يقدم
الانسان على نشر الجميل منه فثبت بخروجه الى الثناء عليه عند الملوك بحاله ولا يجوز ان يكون الله تعالى يخفى عليه حال احد
وما هو عليه من ظواهر اموره وبواطنها حتى يحتاج الى معرفة بوصف فبطل ان يكون الشفاعة للوجه الذي ذكروه وثبت
انها للوجه الذي ذكرناها ثم العفو والصفح عن اهل العقوبة بمن هو ان يعاقبوه بجريمة سبقت منهم ثم الشفاعة فيما بين
الخلق امر معهود وانها يكون عند زلات يستوجب بها العقوبة والمغفرة عن مرتكبها بشفاعة الاخيار واهل الرضا
فلم ينكر ان يكون الله تعالى يعفو عمن استوجب العقاب بشفاعة الاخيار واهل الرضا والامر والله الموفق وقوله عز وجل
فما لهم عن التذكرة معرضين فجائز ان يكون تاويله ما لهم معرضين عن ذكر ما لهم وعليهم وعما اليه مآبهم ومنقلبهم وذلك
يكون في الرسول وفي القرآن لان كل واحد منهما يذكر المرء ما له وعليه والله اعلم وجائز ان يكون تاويله فما لهم عما به شرف
قدرهم ويصيروا به مذكورين في الملأ الاعلى معرضين وذلك يكون في طاعته والاقبال على عبادته وهو كقوله تعالى لقد
انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم معناه انكم تصيرون به مذكورين ويعظم قدركم لو اتبعتموه ولم تضيعوا حرمته وقوله
عز وجل كانهم حمر مستنفرة بنصب الفاء وخفضه فمن قراه بخفض الفاء صرف الفعل اليها كانه يقول حمر نافرة ونفر واستنفر
واحد كما يقال استرقد القوم اي رقدوا ومن قراه بنصب الفاء فتاويله انه نفرها ما حملها على النفار وذلك يكون
بالرمي وبالقانص من الاسد كما ذكره اهل التفسير في تاويل القسورة هي الاسد والرماة الصائدون ويقال هي النفرة و
كان هذا تشبيها بالحمر الوحشية التي في طبعها النفار ووجه التقريب هو ان هؤلاء اعرضوا عما في الاقبال عليه نجاتهم
وتخلصهم من العطب والهلاك وفي هذه الاية تبيين شدة سفههم وقلة تجهدهم لان الحمير تنفر عن القانص
والرامي والاسد لتسلم من الهلاك والعطب وهؤلاء الكفرة نفروا عما فيه نجاتهم الى ما فيه هلاكهم فهم اشر
من الحمير واضل وقوله عز وجل بل يريد كل امرء منهم ان يؤتى صحفا منشرة قال بعض اهل التاويل ان المشركين قالوا يا محمد
بلغنا ان الرجل في بني اسرائيل كان اذا اذنب ذنبا فيصبح فوجد صحيفة معلقة على باب داره ومكتوبا عند راسه
انك اذنبت كذا وزاد بعضهم انك اذنبت كذا وتوبتك كذا وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعلهم كذلك فاخبر الله
تعالى كذلك عنهم ثم ايسهم عن ذلك فقال كلا اي لا يؤتون ما ياملون وقال قتادة قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك
فأت كل واحد منا بصحيفة خاصة الى فلان بن فلان تامرنا فيها باتباعك وقيل سألوا ان يؤتوا براءة بغير عمل ولكن
لا يجب قطع الامر على واحد من هذه التاويلات بل يقال بها على جهة الامكان والاحتمال لان هؤلاء المفسرين لم يشاهدوا
اولئك القوم الذين صدرت منهم هذه الارادة ليخبروهم ماذا ارادوا به حتى يثبت ما ذكروا من القصة والاخبار ولا
تواترة الاخبار من عند ذي الحجة النبي صلى الله عليه وسلم انهم سألوه ذلك لذلك لم يستقم قطع الامر على ما ذكروا و

جايز ان يكون هذه الارادة تحققت في بعض الكفرة وهم الرؤساء منهم والاكابر لا ان اراد كل فرد منهم ان
يؤتى صحفا منشرة والارادة ههنا عبارة عن الطلب ثم طلبهم ما ذكر يتوجه الى وجه ثلاثة احدها ان يكون كل واحد
من عظمائهم و ان يكون هو المخصوص بانزال الكتاب عليه كما قال في اية اخرى واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى
نؤتى مثل ما اوتى رسل الله فيكون في هذه اظهار استكبارهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة التعنت والعناد
لتصير ذلك اية لهم في تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل حكاية عنهم قالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ففي هذه الاية
ابانة انهم كانوا يطلبون انزال الكتاب عليهم ليتعرفوا به رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكان ذلك على جهة
التعنت والعناد والانكار في حالة اذا هم ذلك الى العلم برسالته من غير ان يحتاجوا الى تثبيت رسالته لكتاب
ينزل عليهم والله اعلم وجايز ان يكونوا رأوا اكابرهم احق بالرسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى بان ينزل
الكتاب عليهم لما رأوا انهم اخص من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترى الى قوله وقالوا لولا انزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم وقال في اية اخرى أأنزل عليه الذكر من بيننا فارادوا ان يأتوا صحفا منشرة لهذا المعنى
اذ هم اولى ان يخصوا بهذه الفضيلة وانما ذكرنا هذه التأويلات في هذه الاية لان هذه المعاني التي ذكرناها قد
ظهرت منهم بمثلوا القران والتأويلات التي ذكرها اهل التفسير لا ينبهاء تثبيتها من جهة الكتاب ولا من جهة
الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت هذه التأويلات احق واملك بالاية من غيرها والله اعلم
وقوله عز وجل كلا بل لا يخافون الاخرة ان الذي حملهم على الطلب بان يؤتى كل منهم صحفا منشرة اعراضهم عن الايمان
بالاخرة ولو امنوا بها لبان ايمانهم بها يحملهم على ترك العناد والتعنت على نزول التفسير على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويدعوهم الى الاذعان للحق عبس وتولى وسنذكر معنى قوله وما يذكرون الا ان يشاء الله في سورة اذا
الشمس كورت وقوله هو اهل التقوى واهل المغفرة فاهل التأويل صرفوا قوله هو اهل التقوى الى الله تعالى وجايز ان يصرف
الى البشر فان كان المراد من قوله عز وجل هو اهل التقوى البشر فيكون معنى قوله هو اهل التقوى اي الذي يقوم
بالذكر الا ترى الى قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها فجعل الذين الزمهم كلمة التقوى من اهل
التقوى وان كان المراد من قوله هو اهل التقوى اي الله سبحانه وتعالى فتأويله انه اهل ان يتقى الزلة والعثرة
في حقوقه تعالى والوجه فيه ان المرء في الشاهد انما يتقي الزلة والعثرة الى اخر لاحدى خصال ثلاث احدها
لما يرى من افتقار حاجته اليه فيتقي العثرة اليه تبجيلا وتعظيما او يتقي زلته ذلك لما يرى من قدرته و
سلطانه على الانتقام منه اي يتقي زلته لكثرة نعمه وايا ديه استحياء منه واذا كانت هذه الاشياء هي الداعية
الى الاتقاء ثم الخلايق باجمعهم مفتقرون ومحتاجون الى الله تعالى وله القدرة والسلطان عليهم وهو المنعم المفضل
على كل احد فهو اهل ان يعظم ويوقروا ان يخاف نقمته ويستحيى منه ومن اتقى صار اهلا لان يتقى وجايز ان يكون
معنى قوله عز وجل هو اهل التقوى اي هو اهل بان يسال عنه ما يتقى من النار بقوله تعالى واتقوا النار التي اعدت
للكافرين وقوله قوا انفسكم واهليكم نارا ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار فمن الاتقاء ان يفزع الى الله تعالى ويتضرع اليه ويتقي بفضله ورحمته قال ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا فامرنا ان نجعله عدوا بالمناسبة مع الشيطان لمحاربته واخبر ان محاربته ان نفزع الى الله بالاستعاذة
بقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال في اية اخرى وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين الاية فهو اهل ان يطلب منه ما يتقى به واهل ان يستعاذ به لدفع كيد العدو واهل المغفرة اي اهل ان تطلب
منه المغفرة جعلنا الله تعالى من اهل التقوى والذين من عليهم بالمغفرة وقال بعضهم هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو اهل
اهل ان يتقى عنه واهل ان يغفر لمن اتقاه والله المستعان والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد واله اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة اختلف في تأويله فمنهم من ذكر انه اقسم الله تعالى بيوم القيمة
ولم يقسم بالنفس اللوامة ذكر ذلك عن الحسن ويكون معناه لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة لكن ذكر
عنه انه يقول في قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد ان القسم يقع على البلد ووالد المولود
ما ولد ان القسم يقع على البلد والوالد وهو ادم عليه السلام وما ولد جملة اولاده فاذا كان القسم جايزا بالوالد و
جميعا كانت النفس اللوامة داخلة في جملة المولود فقد اقسم بالنفس اللوامة عنده فلا معنى بالرد ههنا ثم يوقع
لا في قوله لا اقسم وتأويله يذكر في قوله لا اقسم بهذا البلد في سورة يذكر فيها البلد ومنهم من ذكر ان القسم وقع
بهما جميعا ولله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه ثم صرف بعض اهل التأويل معنى القسم الى قوله تعالى ايحسب الانسان

ان نجمع عظامه وجعله موضع القسم فان كان على هذا فالاشكال عليه ان يقول قايل كيف اكد امر البعث وجمع العظام
بالقسم بيوم القيمة وقد جرى من القوم الذين احتج عليهم بهذه الاية الانكار بيوم القيمة فكانه اكد القسم بشيء جرى به
الانكار والجواب عن هذا من وجهين احدهما ان يكون القسم منصرفا الى الحكمة التي توجب القول بالبعث اذ قد بينا في
غير موضع انه بالبعث ما خرج خلق هذا العالم مخرج الحكمة ولولا البعث لكان خلقه عبثا باطلا كقوله عز وجل افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كانه قال لا اقسم بحكمة الداعية الى كون القيمة كذا ان يكون كذا وجايز ان يكون
القسم في الحقيقة بالدلايل والبراهين التي من تفكر وامعن النظر فيها حمله ذلك على القول بالبعث واذا كان محتملا وضع
القسم بيوم القيمة وبالنفس اللوامة لان التفكر في النفس اللوامة والاعتبار بها يدعو الى القول بالبعث ثم العادة
جرت على القسم بالاشياء عظم خطرها وجل قدرها في القلوب وجلالة خطرها يكون باحد وجهين اما بكثرة منها
فيكون خطرها مشاهدا معروفا او يعظم خطرها بالدلايل والاخبار والاثار فيكون قد عرف الخلق جلالة اقدارها بالعيان
بما كثرت منافع الخلق بها وعظم يوم القيمة بما جل خطره في القلوب واثبت القول بكونه بالدلالات والبراهين ثم قد وصفنا
ان الله تعالى اقسم باشياء لتاكيد ما يعرف بيانه ويجب القول به لولا القسم لو امعن النظر فيه ما علمت فيه الروية لدلالة
استقام القسم بها والله اعلم واختلف في النفس اللوامة هي النفس الكافرة يلوم ربها في الدنيا ابدا في تضييق العيش
عليها وتشكوا دينها من الفقر والافتقار عليها مع كثرة نعم الله عليها واحسانه اليها ومنهم من صرف التأويل الى كل نفس
مؤمنة كانت او كافرة فهي تلوم غيرها لتعاطيها اشياء قد تعاطت نفسه مثلها وامتحنت بها والحق على كل احد ان لا يلوم
على اخاه بما تعاطى فعله قد اتى هو ذلك وفعل بعينه او مثلها انشئت كذلك لوامة كما قال ان الانسان خلق هلوعا
اذا مسه الشر جزوعا ومنهم من ذكر ان هذا يكون في الاخرة والكافر دائما يلوم بالعذاب وما حل به من نقمة الله تعالى
يندم على ما فرط في جنب الله واد ركته حسرة فعند ذلك يلوم نفسه والمؤمن اذا عاين الثواب يلوم نفسه لما امسك
عن المعصية وتاب واطال المقام في المحراب وابصر العاملين بالطاعة حسن المآب والعاصين نفسه بما شد منه و غاب
عند كمال القوة وعنفوان الشباب وقال كيف لم ازدد في العمل لازداد في الثواب ومنهم من خص الكافر في الاخرة
باللوم على نفسه وهذا اظهر لان المسلم اذا اكرم بالثواب شكره كذلك ليشغله عن اللوم على نفسه فلا يتفرغ له ولان
الله تعالى يضاعف له من الحسنات ويعطيه من الدرجات زيادة على ما استوجبه بعمله فضلا وانعاما فكيف يلوم
نفسه بتقصيرها في العمل وهو يعلم ان ما وصل اليه من الكرامات لم ينل جملتها بعمله بل بفضل الله تعالى وكرمه
والله اعلم وقوله عز وجل ايحسب الانسان ان نجمع عظامه فقوله ايحسب الانسان وان خرج مخرج الاستفهام في الظاهر
فليس هو باستفهام ولكنه تحقيق حسبانا من الانسان فجايز ان يكون حمله على الحسبان هو ان القدرة لا تنتهي الى هذا
في ان نجمع العظام ويؤلف تفرقها وتلاشيها فيدفع حسبانه هذا بقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة فمن تفكر
في النشأة الاولى علم ان القدرة تنتهي الى جمع العظام بعد ان صارت رميما وان الذي قدر على انشائها لقادر على
جمعها بعد تفريقها وجايز ان يكون حسب ان العظام لا تجمع بعد تفريقها لانها لو جمعت بعد التفريق وجاز ان
يكون حسب ان العظام لا تجمع بعد تفريقها لانها لو جمعت بعد التفريق لم يكن يوجد بعد ان وجدت مجموعة الا ترى
ان المرء في الشاهد لا يقصد الى نقض ما بنى ليعيده مرة اخرى الجهة المتقدمة ومن فعل ذلك كان عابثا في
هدمه ولم يكن حكيما فان كان هذا المعنى هو الذي حمله على الحسبان فجوابه ان يقال بان الجمع الاول وقع لمكان المحنة
والابتلاء والجمع بعد التفريق لمكان الجزاء فاذا كان الجمع الثاني لغير الوجه الذي وقع الجمع في الابتداء كان صحيحا مستقيما
وانما يخرج عن حد الحكمة اذا لم يكن الاعادة الا للوجه الذي وقع الابتداء الا ترى ان الذي نقض بناءه ان اعاده
لا للوجه الذي كان بنى اول مرة لم ينكر عليه وفيما ذكر رد قول الباطنية لانهم زعموا ان هذه الانفس تبلى وتفنى
وتتلف فلا يبعث وان البعث يقع على الانفس الروحانية ولو كان كما زعموا لم يكن لقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه
معنى لان العظام لا تجمع على قولهم بعد ما صارت رميما فيكون الامر دالا على وقع في حسبان هذا الانسان فلا معنى للرد عليه
بقوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه الا ترى ان الذي حمله على الانكار بجمع العظام بعد تفريقها هو انه لم يرها موجودا
في الشاهد ولو كان الامر على ما زعمت الباطنية لكان الانكار مدفوعا اذ وجد الانفس الروحانية مبحوثة في الشاهد
بعد نومها وقال الله عز وجل قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاخبر ان الانفس التي انشئت اول مرة هي التي تحيى
لا غير وقوله عز وجل قادرين على ان نسوي بنانه فمنهم من حمل هذه الاية على الابتداء وزعم انه ليس فيه جواب لما تضمن
قوله عز وجل ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ومنهم من ذكر ان قوله بلى جواب لقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع
عظامه فاكتفى بقوله بلى بما سبق منه من الدلالات على القول بالبعث فاقتصر على قوله بلى على الوصل بما تقدم من
الدلالات ومنهم من جعل جوابه في قوله قادرين على ان نسوي بنانه معنى تسوية البنان هو الجمل من عظم واحد مجموعا
غير متفرق مثل خف البعير وحافر الدواب ووجه الاستدلال انهم اقروا بالله ان الله تعالى قادر على ان تسوى البنان لما ارادوا

التسوية موجودة في الدواب ثم الجمع بعد التفريق اظهر وجودا وايسر فعلا من تسوية البنان الا ترى ان المرء
في الشاهد قد يقدر على التاليف والجمع بين اشياء متفرقة ويعجز عن تسوية البنان فاذا كانت التسوية اعسر وجودا
من الجمع بعد التفريق ثم وصفوا الله تعالى بالقدرة على تسوية البنان فكيف انكروا قدرته على جمع العظام بعد تفريقها
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومنهم من يقول بان الله تعالى لم يسو بين بنان الانسان وسوى بين بنان
الدواب ليصل الى الاخذ والاعطاء والى التقديم والتاخير والقبض والبسط وانواع المنافع التي خص بها من
نحو ما يملكون بالبنان تسخير الدواب والانعام فعلم بالتفريق بين الدواب وبينهم على ان البشر هم المقصودون بالمحنة
وان لا يتركهم سدى لا يامرهم على ان البشر هم المقصودون بالمحنة وان لا يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا
يستاديهم شكر ما انعم عليهم وقد ائتمر البعض وعصى البعض لابد من دار اخرى للمجازاة فالنظر في هذا يحمله على القول بالبعث
والجزاء ولان الاستواء يقع في الابتداء والجمع بعد التفريق يكون عند الاعادة والعقول تشهد على ان الامر في الاعادة ايسر
من امر الابتداء فاذا لم يتعذر عليه الاستواء في الابتداء فانى يعسر عليه اعادة الجمع مع قدرته على الجمع في الابتداء
ولانهم لما لم يخلقوا مستوية البنان فليعلموا ان في ترك الاستواء حكمة ولو كان الامر على ما قدروا ان لا بعث لكان ذلك
يخرج على حد الحكمة فيكون فيما ذكر تثبيت البعث والقول بالقدرة على جمع العظام بعد تفرقها ونفتتها والله اعلم وقوله
عز وجل بل يريد الانسان ليفجر امامه قال اهل التفسير يؤخر التوبة ويقدم المعصية ويقول سوف اتوب فياتيه
الموت على شر حاله وعندنا يخرج على وجهين احدهما جائز ان يكون ذكر الارادة لا على تحقيقها ولكن من فعل شيئا
فعله على الارادة والاختيار فكنى بالارادة عن الفعل لانها تقترن بالفعل فيكون في ذكرها ذكر الفعل و
هو كقوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ولكن خلقهما خرج على الحكمة بالبعث والجزاء ففي
ترك القول بالبعث وصف بان خلقهما للعبث والباطل ويؤدي الى هذا فيصير كانهم قالوا ذلك وظنوا كذلك
فعلى هذا يحمل الامر على الظن لا ان وجد منهم الظن في الحقيقة فكذلك اذا فعلوا فعل الفجور وكان فعلهم
على الارادة والاختيار فكانهم ارادوا ان يفجروا امامهم لا ان كانت الارادة منهم متحققة لذلك مقصودة و
جائز ان يكون ذلك على تحقيق الارادة وذلك ان للشر والفجور سبلا من سلكها افضت الى ان يستحق اسم
الفجور وللخير والهدى سبلا من سلكها افضى به الامر الى ان يستحق اسم البر والتقوى وانما صار الى الفجور والى
انواع الشرور بسلوكه ذلك السبيل وصار مريدا من هذه الجهة ثم قوله امامه يحتمل وجهين احدهما فيما مضى
من عمره بترك الاهتداء والاسترشاد ومضى على العادة التي عود نفسه على ذلك من الشرور والضلال
ويحتمل ان يكون الامام هو يوم القيمة ثم قال في موضع ويذرون وراءهم يوما ثقيلا بعد ذكر ذلك اليوم
بالامام والوراء جميعا فيكون قوله وراءه الاوقات التي حلت ومضت فعلى اعتبار الاضافة الى الاوقات
الماضية يكون يوم القيمة وراءها وعلى اعتبار الاضافة الى ذلك الفاجر يكون امامه ما هنا الفاجر فلذلك
الاستقام الوصف بالامام والوراء جميعا ثم ذكر الفجور ولم يذكر الكفر وان كان الانسان الذي اراد ان
يفجر امامه كافرا لان في ذكر الفجور تعيير وتشنيع اذ هو اسم للتعيير خاصة وليس في نفس الكفر تعيير اذ كل
احد مؤمنا كان او كافرا مؤمن بشيء والكافر من حيث لم يصر قبيحا بل معناه ما قبح فكان الفجور ابلغ في التعيير من
الكفر فسمي به والله اعلم وقال ابو بكر معنى قوله بل يريد ان يفجر امامه اي يريد ان يعاين يوم القيمة ويعلم بانه
متى هو تفسيره على اثره وقوله عز وجل يسأل ايان يوم القيمة اي يريد ان يعجله سؤاله متى هو فاخبر انها تقوم
اذا برق البصر وخسف القمر والله اعلم وقوله عز وجل يسأل ايان يوم القيمة سؤاله هذا سؤال تعنت واستهزاء
لما ذكرنا انه ليس في تعرف وقت كونه زجرا ولا ترغيبا وانما يقع الزجر والرغبة بتذكير الاحوال التي تكون في ذلك
اليوم فلذلك ذكر الاحوال التي تكون في ذلك اليوم ولم يوقفهم على ذلك الوقت متى يكون اذ ليس في معرفته
وقت كونه حكمة فيجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواب الحكماء لا يجيبهم بجواب مثلهم وقوله عز وجل
فاذا برق البصر قيل دهش وتحير ثم اختلف بعد هذا فمنهم من صرف هذا الى حال الموت ومنهم من ذكر ان هذه
الاحوال تكون يوم القيمة والى اي الحالين صرف التاويل فهو المستقيم لان المنكر بالبعث اذا جاءه باس الله تعالى
وراى ما حل به من الاهوال ايقن بالبعث وعلم به ثم ان كان المراد به حال الموت فقوله عز وجل فاذا برق البصر وخسف
القمر وجمع الشمس والقمر يخرج على التمثيل ليس على التحقيق لان بصره اذا دهش وتحير صار بحيث لا ينتفع ببصر
وجهه ولا ببصر قلبه لا يرى ضوء القمر فيصير القمر كالمنخسف ويصير الشمس والقمر كالمجموعين ولا يرى ضوء الشمس
ولا نور القمر فيصير النهار عليه ليلا والليل نهارا لاشتغاله بما حل به من البلايا والاهوال وهو كما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والاخرة جنة المؤمن وسجن الكافر وقال النبي عليه السلام
من كره لقاء الله كره الله لقاءه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فصرفوا تاويل هذين الخبرين الى حال الموت

وذلك ان الكافر يعاين في ذلك الوقت ما اوعد من الاهوال والشدائد فيكره مفارقة روحه من جسده لانه
لا يقع في تلك الاحوال والشدائد ويصير الدنيا له في ذلك الوقت كالجنة لا يحب مفارقتها والمؤمن اذا عاين ما وعد له
من البشارات وانواع الكرامات ود الخروج من الدنيا ليصل الى ما اعد له فيصير الدنيا عليه كالسجن في ذلك الوقت
فيكون هذا كله على التمثيل من الوجه الذي ذكرنا وان كان ذلك على يوم القيمة فهو على تحقيق الخسف وجمع الشمس
والقمر وقوله عز وجل يقول الانسان يومئذ اين المفر يحتمل ان يكون قوله اين المفر اي ليس لي موضع فر عما حل بي
او يقولوا الى اين المفر والى من الملجا لا يخلص من العذاب والله اعلم ثم قوله عز وجل فاذا برق البصر قال بعضهم انما
شخص البصر نحو الداعي يوم القيمة وهو كقوله عز وجل ليوم تشخص فيه الابصار فتشخص ببصره الى الداعي لانه قد علم
ان الذي حل به من باس الله تعالى هو لامتناعه عن الاجابة للداعي في هذه الدنيا فيتسارع يوم القيمة في اشخاص بصره
الى الداعي ابتدارا منه اجابة الداعي وقوله عز وجل وخسف القمر اي ذهب ضوءه ونوره وفيه ان العالم في ذلك
اليوم يتغير ويتبدل كقوله تعالى يوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقال فينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
وقوله وجمع الشمس والقمر فيه ان سلطانهما يذهب فلا يعلوان عملهما بعد ذلك ثم من الناس من زعم انهما يجعلان
يوم القيمة كالبعيرين القرينين فيلقيان في النار ويعذبان بها وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه انكر هذا وقال
انهما خلقان لله تعالى طائعان له عز وجل الا ترى الى قوله تعالى وسخر الشمس والقمر دائبين يدابان في طاعة الله ومن كان هذا
نعته فلا يجوز ان يعذب وعندنا ان القاءهما ان ثبت فيهما يلقيان في النار ويعذب بهما غيرهما وهم الذين عبدوهما
من دون الله تعالى وذلك كقوله عز وجل وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية ومعلوم بان الاصنام التي
عبدت من دون الله لا تعذب بالنار ولكنها تجعل حصبا ونارا يعذب بها من عبدها وقال الله تعالى وما جعلنا
اصحاب النار ولكنها تجعل حصبا ونارا يعذب بها من عبدها وقال الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ولا
يجوز ان يكون الملائكة يمسهم اذى النار وهم الذين يعذبون فعلى ذلك الشمس والقمر ان ثبت انهما يلقيان في النار فانهما
يلقيان ليعذب بهما من عبدهما لا ان يعذبا بانفسهما والله اعلم وقوله عز وجل يقول الانسان يومئذ اين المفر فجائز
ان يكون قوله اين المفر على طلب الحيلة اي كيف احتال الى ان افر والى من الجا لاتخلص من باس الله وعذابه ويحتمل
ان يكون قوله اين المفر اي ليس في موضع فرار عما حل بي لايقاعه ان ليس له مفر وجائز ان يكون هذا كله عند الموت
على ما ذكر وقوله عز وجل كلا لا وزر ذكر اهل التاويل ان الوزر هو الجبل بلغة حمير وذكر عن الحسن قال كانت
العرب يخيف بعضها بعضا ويغير بعضها على بعض فكان يكون الرجلان في ماشيتهما فلا يشعران حتى يريا نواصي الخيل
فيقول احدهما لصاحبه الوزر الوزر يعني الجبل فكانه يقول ليس لهما اذ ذاك مفزع ولا منجى من الاحزان كما يتسلى
من ياوي الى الجبل في الدنيا عن بعض ما يحل به من الافزاع وقيل الوزر الملجا وقوله عز وجل ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم
واخر فتاويله انه ينبأ من اول ما عمل الى اخر ما انتهى اليه عمله كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال
بعض اهل التاويل بما قدم من انواع الطاعة وما اخر من حق الله تعالى من اللوازم التي كانت عليه وقال بعضهم بما
اعلن واسر وقال بعضهم بما قدم في حيوته من اعمال وما اخر اي ما سن من سنة فاستن بها بعد موته وقد ذكرنا انه
باللطف من الله تعالى ما علم بالذي قدم من الاعمال واخرها فيتذكر بها حتى يصير ما كتب في الكتاب حجة عليه والا فالمرء في
هذه الدنيا اذا كتب كتابا ثم اتت عليه مدة لم يتذكر جميع ما كتب فيه ولا وقف على وقوله بل الانسان على نفسه بصيرة
ولو القى معاذيره هذا يخرج على وجهين احدهما جائز ان يكون اراد بهذا في الدنيا ان الانسان بصير بعمل نفسه وان جادل
عنها انه لم يفعل ذلك واستر ذلك عن الناس وان القى معاذيره اي ارخى الستور بما كسبت نفسه والمعاذير هو
الستر والوجه الثاني ان يكون في الاخرة وهو يحتمل وجهين احدهما ان الانسان وان كان يجتهد يوم القيمة
بقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين وقال بعضهم يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم فيقدمون على الحلف اعتذارا
منهم انهم مبطلون في جدالهم والثاني ان يكون معنى البصيرة الشاهد اي ان الانسان على نفسه شهدت عليه
جوارحه وذلك نحو قوله عز وجل اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله
عز وجل شهد عليهم سمعهم وابصارهم الاية فان قيل ان الانسان مذكر كيف وصف بالمؤنث بلفظة التانيث
بقوله بل الانسان على نفسه بصيرة ولم يقل بصير فجوابه من وجوه احدها ما قيل ان الانسان تسمية جنس
فيه الجماعة لا ان يكون تسمية للشخص الواحد فقط الا ترى الى قوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
استثنى الذين امنوا من قوله ان الانسان لفي خسر ولا تستثنى الجماعة من الواحد وكذلك قوله عز وجل لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا فاستثنى الذين امنوا من الانسان
فثبت ان الانسان تسمية الجنس والجنس جماعة ويكون الجماعة مضمرة فيه كانه قال الجماعة الناس على انفسهم
بصيرة فيكون قوله بصيرة راجعا الى الجماعة والله اعلم وجواب ثان ان قوله بصيرة وصف للانسان بالغاية من

من البصر يكون ما عمل حتى لا يعزب عنه شيء والهاء قد يدخل في خطاب المذكر عند الوصف بالمبالغة كقولك فلان علامة
ونسابة وراوية للشعر وبالغة في النحو والثالث ان الانسان يستنبئه ما يراه بجوارحه كلها من الايدي والارجل
والسمع والبصر والراس وغير ذلك ونفس امارة بالسوء فيصير جوارحه كلها بصيرة اي شاهدة عليه بما قدم و
اخر وجائز ان يكون هذا على الاضمار فيكون قوله بل الانسان على نفسه بصيرة اي نفس الانسان بصيرة بما عملت
ثم من الناس من يثبت للجوارح العلم بما اكتسبت لنفسه حتى تصير شاهدة عليه يوم القيمة لقوله يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو لم يكن لها العلم بما قدمت لنفسه لكانت لا تشهد بما لا تعلم وليس
الامر عندنا على ما زعموا لانها لو علمت بذلك لكان صاحبها يصل الى العلم من جهتها الا ترى ان القلب لما ثبت له المعرفة
وقع لصاحبه العلم من جهته وكذلك السمع لما جعل فيه السمع وقع لصاحبه علم المسموع به ولما كانت بعينه يبصر
الاشياء كان علم البصر واقعا من جهتها فلما لم يقع له العلم بيديه ولا برجليه ولا بشيء من جوارحه سوى القلب
علم انه لا حظ لها في المعرفة ولكن جعلت هي شاهدة وحجة يوم القيمة تشهد على صاحبها بما يحدث الله تعالى فيها علامة و ربما
بذ بذ لان كان لها علم بالذي شهدت قبل ذلك كما جعلت نطوقة في ذلك الوجه لا انه كان النطق فيها موجودا
من قبل والله اعلم وقوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به هذا كلام مبتدا منفصل عما الاول وذكر اهل التاويل ان
جبريل عليه السلام كان اذا اتى نبي الله عليه الصلوة والسلام بالوحي فكان لا يفرغ من اخر الاية حتى يقول نبي الله عليه
السلام في اولها مخافة النسيان على ما عليه عرف الخلق انهم اذا ارادوا وعي الكلام وحفظه كرروها بالسنتهم كي يضبطوها
ولا ينسوها فكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك خشية النسيان فنهي عن ذلك بقوله لا تحرك به لسانك
لتعجل به وهو كقوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا عندنا مما لا يجوز ان يشهد على رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه كان يحرك لسانه قبل مجيء هذه الاية ويتذكره مخافة النسيان الا باخبار متواترة لان هذا في حق
الشهادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يفعل كذلك الا بتواتر الاخبار فاما ان يثبت بخبر واحد فلا ولا يقال
بانه لو لم يتقدم من التحريك لكان لا معنى للنهي فانه ليس فيه ما يثبت مقالتهم ويصح تاويلهم ويسوغ لهم الشهادة
لانهم يستقيم في الابتداء ان ينهى فيقال لا تحرك به لسانك ولا تفعل كذا وان لم يسبق منه ارتكاب ذلك الفعل
ولا يتقدم منه تحريك لسان ثبت انه ليس في ضمن هذه الاية بيان ما ادعوا عليه اذا ثبت ان قوله لا تحرك به لسانك
وقوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه على النهي فكيف وهو يحتمل معنى الخبر الا النهي وهو ان يكون
هذا على البشارة له بالكفاية ان قد كفيت مؤنة استذكاره وتحفظه وهذا من عظيم ايات الرسالة ان السور كان يلقى عليه
فيحفظها كما هي مما يشتد على الناس حفظه وقراءته الا ان يتكلفوا ويجتهدوا في ذلك فيعلم بهذا ان الله عز وجل هو الذي
قدره على ذلك وجعله اية من اياته والله اعلم ثم الاصل ان من القي اليه كلام متتابعا نظر في ذلك الكلام فان كان
القصد منه تحفظ عين الكلام فان المخاطب به لا ينتظر فراغ المتكلم عن ذلك الكلام بل يشتغل بالتلقن ويحفظ ساعة
ما يلقى اليه كما ينشد بين يدي احد شعر واراد الاخر ان يحفظ ذلك الشعر بعينه فهو لا ينتظر فراغ المنشد عن شعره
بل هو ياخذ بالتلقن في اول ما يسمع منه اذ الغرض من الاشعار حفظ اعينها دون معانيها الا ترى ان الالفاظ اذا
حذفت منها خرجت عن ان يكون شعرا واما اذا لم يكن القصد من الكلام ضبط عينه وانما اريد به تفهم ما اودع
فيه من المعنى فالعادة في مثله الاستماع الى اخر الكلام ليفهم معناه وما يراد به الا ترى ان من كتب الى اخر كتابا فان
المكتوب اليه يقرا الكتاب من اوله الى اخره ليعرف مراد الكاتب لا ان يشتغل بضبط ما اودع فيه من الالفاظ اذ ليس
يقصد بالكتابة الى حفظ الالفاظ فاذا كان المراد بتوجيه من الكلام الى ما ذكرنا ثم القران قصد به الوجهان جميعا ضبط
حروفه ونظمه وتعرف ما اودع فيه من المعاني اذ صار حجة بنظمه ولفظه بالمعاني المودعة فيه فقيل لا تعجل بتحريك
اللسان كما يفعل لتلقن الكلام الذي يلقى اليه فانك وان احتجت الى حفظ نظمه وحروفه فقد كفيت حفظه
بدون تحريك اللسان وجائز ان يكون نهي عن تحريك اللسان والمبادرة الى حفظه قبل ان يقضى اليه بالوحي لما فيه
من زلة التعظيم عن ياتيه بالوحي فامر ان يصغي اليه سمعه ويستمع الى اخره تعظيما للذي اتاها بالوحي وتوقيرا له
ثم هذه الاية تنقض على الباطنية قولهم لان من قولهم ان القران لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤلفا
منظوما بل انزل على قلبه كالخيال فصوره بقلبه والفه بلسانه فاتى بهذا التاليف معجزا للاخرين عن ان ياتوا بمثله ونحن
نقول بل انزل هذا القران مؤلفا منظوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن التاليف من فعله والذي
يدل على صحة مقالتنا قوله تعالى لا تحرك به لسانك لان التاليف لو كان من فعله عليه السلام لكان لا يوجد منه
تحريك اللسان وقت ما نزل عليه لانه اذا كان كالخيال فهو يحتاج الى ان يصوره في قلبه ثم يصل الى التاليف بعد
التصوير وبنا في الا العبارة باللسان وانما يقع التحريك من مؤلف منظوم ثبت انه انزل هذا مؤلفا منظوما و
لنا في انه قال ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فهذه الاية

نعوت طعن اولئك الكفرة الذي زعموا ان هذا بقران بل انما علمه فلان وكان لسان ذلك البشر اعجميا وهذا القران عربي فكيف
يستقيم ان يعلمه ذلك البشر ولسانه غير هذا اللسان ولو كان هذا القران وقت ما انزل كالخيال لكان ذلك الطعن قائما
لانه كان يؤلف ويجمعه باللسان العربي وان علم بالاعجمية لما قدر ان يؤلفه وينظمه بعد ان كان خيالا باللسان العربي
وقوله عز وجل ان علينا جمعه وقرانه لانه قد سبق منا الوعد في الكتب المتقدمة بانزال هذا القران وارسال هذا الرسول
فعلينا الانجاز لذلك الوعد والوفاء او علينا في حق الحكمة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بتبليغ الرسالة ولا يتهيا
له ذلك الا بعد ان يجمع له فيؤديه الى الخلق ولان الله تعالى حكيم في فعله موصوف بالحكمة وان لم يعرف نحن وجه الحكمة
في فعله وجائز ان يكون قوله ان علينا جمعه في حق الرحمة والرافة على الخلق لان يكون ذلك حفظا لهم قبله تعالى وهو
كقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الى قوله الا رحمة من ربك فاخبر انه ابقى القران ولم يذهب به رحمة منه
على عباده وفضلا وقوله عز وجل وقرانه اي قراءته وتسميته قرانا كما قيل في تاويل قوله وقرانا فرقناه اي جعلناه
فرقانا وقوله عز وجل فاذا قراناه فاتبع قرانه اي جمعناه في قلبك او جمعنا حدوده ما اودع فيه من المعاني او جمعناه بعد
ان فرقناه في التنزيل وقوله فاتبع قرانه اتباعه يكون باوجه في ان يبلغه الى الخلق ويعلم امته ويشرع حلاله ويجتنب حرامه
وغير ذلك وقوله ثم ان علينا بيانه جائز ان يكون قوله علينا بيانه اي بيان ما انزلناه اليك مجملا فيكون بيانه في تعريف
ما هو بحق الاتمام وما هو في حق الجواز وما هو في حق التحسين والتزيين لان الفرائض لها شعب واركان وحواشي او
تعود فيها فرايض ولوازم واداب واركان على هذا ففيه منع تعليق الحكم بظاهر المخرج لانه لو كان متعلقا به لكان البيان
مقتضيا بنفس المنزل فلا يحتاج الى ان يبين وفيه دلالة تاخير البيان عن وقت وقوع الخطاب للسمع ويحتمل ان يكون قوله
عز وجل علينا بيانه اي بيان ما هو بحق الكنايات والنتايج منها وما هو بحق الاصول والفروع وما هو بحق المقصود فتبين
لرسوله عليه السلام معنى الوصول والكنايات ليتعرف به فروعها ونتايجها وتبين لمن يريد ممن جاهد في الله حق جهاده و
يهديه لذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويكون قوله ثم ان علينا بيانه في ان يحفظك ويعصمك من
الناس ليمكن من تبليغ ما انزل اليك الى الخلق وتبين لهم والله اعلم ووجه اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى
كل من كان شاهدا من الخلايق الى يوم التناد ثم لم يكن من تبليغ الرسالة الى كل احد مما ذكرنا بنفسه فكانه ضمن
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبليغ الى الخلايق كافة بما جل جلاله اما تسخير الرواة والحفاظ والعلماء
التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادى اليهم ويكون قوله ثم ان علينا بيانه اي بيان المحق من المبطل و
الولي من العدو وذلك يكون يوم القيمة فيعرف الاولياء مما يحبون من الكرامات ويتبين الاعداء والمبطلون بما
يحل بهم من الحساب وانواع العذاب وقوله عز وجل كلا بل تحبون العاجلة فقوله كلا ردع ومنع عما سبق منهم وفي
قوله بل تحبون العاجلة ابانة ان الذي حملهم على ما هم فيه من الحسبان ان العظام لا تجمع وان البعث ليس بشيء حبهم
العاجلة واحبوها حبا الشام عن الايمان بالاخرة او عن النظر في الحجج والبراهين التي لو امعنوا النظر فيها ادتهم
الى القول بالبعث وحتى صاروا الى ان لا يرجوا الاخرة كقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا الاية وقوله عز وجل وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة ففيه بيان ما ينتهي اليه عواقب من التزم طاعة الله تعالى وامن بالبعث و
الحساب والبيان ما ينتهي اليه عواقب من تولى عن طاعته فقوله وجوه يومئذ ناضرة جائز ان يكون اريد بها نفس
الوجوه وجائز ان يكون اريد بها الانفس ويكون الوجوه كناية عنها والذي يدل على انه اريد بها الانفس ويكون الوجوه
وجائز ان يكون اريد بها الانفس ويكون الوجوه كناية عنها والذي يدل على انه اريد بها الانفس اعينها قوله ووجوه
يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة والوجوه لا تظن ذلك ولا يعلم به فثبت ان ذكر الوجوه على الكناية لا ان اريد
اعينها فهذا التاويل اوفق بما يقتضيه ظاهر اللفظ وانما صلح ان يكون الوجوه كناية عن الانفس وذلك ان النفس انما
تلذذت بامر نالت شهوتها ظهر سرور ذلك في وجهه واذا تالمت بامر واعتراها تحزن ظهر اثر الحزن في وجهه فيكون
في قوله وجوه يومئذ ناضرة وصف لهم بما هم عليه من غاية السرور بالكرامات التي اكرموا بها حتى نضرت وجوههم بها
واذا ثبت انهم قد نالوا الكرامات ووصلوا الى انواع اللذات لم يبق لقوله الى ربها ناظرة موضع الا ان يصرف الى حقيقة
النظر فيكون في هذه اثباتا للقول بالرؤية والثاني ان الملوك الذين من عادتهم الاحتجاب عن الخلق اذا قربوا انسانا
لم يحتجبوا عنه ويكون بركة الاحتجاب اثر الى ذلك الذي اكرم بالتقرب من ساير ما يكرمه به فجائز ان يكون الله تعالى
يكرم اولياءه بالنظر اليه ويتفضل عليهم بذلك وجائز ان يكون قوله الى ربها ناظرة منصرفا الى انتظار الثواب
كما قاله بعض اهل التاويل فينتظر ما ياتيها من التحف والكرامات حتى وصفوا بنضارة الوجوه فجائز ان يكون
بعد تلك الكرامات وتحف اخر لم يأتهم بعد الا ترى الى قوله ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة والبسور
من ادنى احوال التغير وغاية التغيرات سواد الوجوه وكلح فاذا لم يحل بهؤلاء بعد غاية ما اوعدوا من العذاب فجائز
ان يكون الذين وعد لهم الكرامات بعد لم ينتهوا الى اقصاها ولم ينالوا بعد ارفعها وانما اكرموا ببعضها وهم منتظرون

لما يأتيهم من بعد وجائز ان يكون قوله الى ربها ناظرة اى بجمعن نظرها فيما اكرمت الى الله تعالى ولا يرى ذلك الفضل
مستوجبا من جهتها كما قد يرى المرء فى الشاهد بعض ما حوله من المال بحيله وسعيه والله اعلم وجائز ان يكون قوله
الى ربها ناظرة اسما ان ليس كل الكرامات فى نفسه خاصة والى ما ينتهى اليه نظره بل يكون فيه ذلك الكرامات اخر ينتهى
قوله الى ربها ناظرة الى ذلك ويحتمل اى الى امر ربها ناظرة واذا كان قوله الى ربها ناظرة محتملا ان يصرف الى حقيقة
النظر ويصرف الى الكرامات من الوجوه التى بيناها لم يكن لاحد ان يجعل الامر على الكرامات فينفى عنه حقيقة الرؤية
الا بدلائل ظاهرة يحمل القول بالرؤية فيندفع هذا التاويل بتلك الدلائل فاما اذا لم يمكنه اقام الدلائل على ما له الرؤية
فليس له قطع هذا التاويل وطرحا للتاويل الى انتظار الكرامات فيكون الاية حجة فى جواز الرؤية ان لم يكن حجة فى الوجوب
والخلاف فيما واحد واتبع من طرفا للتاويل الحقيقة الرؤية ان قوله وجوه يومئذ باسرة هو مقابل قوله وجوه
يومئذ ناضرة وقوله تظن ان يفعل بها فاقرة على فقد الرؤية ولكن على العقاب نفسه فكذلك قوله الى ربها ناظرة
ليس هو على حقيقة الرؤية وجودها ولكن واقع على الثواب على نفسه وجواب هذا الفصل من وجهين احدهما ان اهل
العقاب بعد لم ينزل بهم جميع ما اوعدوا فى هذه الدنيا من العقاب لما ذكرنا ان نهاية العذاب فى بسور الوجوه وبكلمتها
ليس فى بسورها فلذلك لا استقام ان يكون قوله تظن ان يفعل بها فاقرة على نفس العذاب واهل الجنة قد وصلوا الى
رفيع الدرجات وعظم الكرامات مما وصفوا بنظارة الوجوه فاستقام ان يكون قوله الى ربها ناظرة منصرفا الى حقيقة النظر
لا الى غيره من الكرامات ولان الرؤية من اعلى الكرامات وارفعها واهل العقاب لم ينالوا ادنى الكرامات فكيف يتوقعون
ارفعها اما اهل الجنة فهم قد نالوا من النعم والكرامات ما لا يحصى فجاز ان يكرموا بالرؤية ايضا والاصل ان القول
بالرؤية عندنا واجب والنظر اليه كما قال عز وجل [illegible] فى غير خبر النظر الى الله تعالى وقد قال عليه السلام انكم سترون
ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون فى رؤيته واهل التوحيد لم يختلفوا فى صحة الاخبار التى جاءت
فى اثبات الرؤية ولكن من نفى الرؤية بالبصر صرفا الاخبار الى العلم وذلك غير مستقيم لوجهين احدهما ان البشارة
بالرؤية تختص بها اهل الجنة ولو كان المراد من الرؤية العلم لا دفع الاختصاص لان العلم لما يقع به الاشتراك بين
الفريقين ولان كلا يجمع على العلم بالله تعالى فى الاخرة العلم الذى لا يعتريه الوسواس ولا الريب والعلم الذى لا يعتريه
الوسواس والريب هو علم العيان والمشاهدة على علم الاستدلال لان الايات لا يضطر اهلها الى الحقيقى الا ترى
الى قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شئ فاذا ثبت ما ذكرنا فقد صاروا مثبتين
للرؤية من الوجه الذى ارادوا نفيها فتبينا الرؤية على نفى جميع معانى التشبيه عن الله تعالى ولا نصف الرؤية بالكيفية
او الكيفية الذى يكون لذى صورة وهو يرى بلا كيف والله الموفق وقوله عز وجل تظن ان يفعل بها فاقرة فجائز
ان يكون الظن فى موضع العلم هاهنا وجائز ان يكون على حقيقة الظن وذلك ان الظن يتولد من ظواهر الاشياء
فالاسباب اذا كثرت وازدحمت وقع بها العلم واذا قلت وخفيت لم يقع بها علم فجائز ان يكون اسباب الشر قد احاطت
من كل جانب حتى وقع الياس من النجاة وايقن انه يفعل به الشر وجائز ان يكون الامر بعد لم يبلغ فيتوقع النجاة
ولا يتيقن ان يفعل بها فاقرة بل يكون بها على ظن والله اعلم والفاقرة قيل الشر المنكر والداهية وقيل الفقير
هى كسر الظهر والفقر والفقار عظم فى الظهر يكسر فكان عظم الظهر يكسر فى الاخرة وتسحب فى النار على وجهه قال
رحمه الله كان هذه السورة من اولها الى اخرها ايات منها وهو قوله بل يحبون العاجلة ويذرون الاخرة وجوه يومئذ
ناظرة نزلت فى تبيين معاملة احد من الكفرة على الاشارة اليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشترك فى حكم من شاد
فى معاملته فامر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يعامله ويستقبله بالذى يحق على الحكماء معاملة السفهاء ولم
يأمره ان يعامله مثله من السفهاء وبين معاملته فى هذه السورة ليعلم امته ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الجهد والبلاء فى اظهار دين الله تعالى فيعلموا قدره ومنزلته ويحفظوا دين الله تعالى بما نالوه سمحا سهلا وامره
ان يعامل معه معاملة من يرجو المنفعة والشكر بقوله اولى لك فاولى والله اعلم وقوله عز وجل كلا اذا بلغت
التراقى فقوله كلا يحتمل وجهين احدهما ان يكون اريد به حقا ويحتمل ان يكون على الردع والرد اى تفعل مثل هذا فانك ستندم
فى الوقت الذى قال اذا بلغت التراقى كانهم يقولون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت ندمه فبين لهم ذلك
بقوله تعالى اذا بلغت التراقى والتراقى هى عروق العنق كانه يقول حين تزول النفس اى الروح عن مكانها وينتهى
الى التراقى وقوله عز وجل وقيل من راق فجائز ان يكون الملائكة هم الذين يقولون هذا فيقول بعضهم من يرقى بروحه
الملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب من رقى يرقى اى صعد اى من يقبض روحه ويحتمل ان يكون يقول اهل من الذين
برقيته رقية فيشفى فيكون فيه اخبار عما حل به من الضعف والشدة انه يمتنع عن ان يقول ادعوا الى راقيا لعلى
اشفى فيكون اهله من الذين يقولون هذا فيما بينهم وقوله عز وجل وظن انه الفراق فجائز ان يكون الظن على الايقان

هاهنا

هاهنا لما وقع له الياس من الحيوة وكذلك روى فى قراءة ابن عباس رضى الله عنه وايقن انه الفراق وجائز ان
يكون على حقيقة الظن لما لم يقع له الاياس من حيوته بعد فهو يأملها بعد وقوله عز وجل والتفت الساق بالساق
اختلفوا فى تاويله قيل لفت ساقاه احدهما على الاخرى فلا يفترقان كالالتفاف الاشجار حتى لا يجد نفاذا فيها ولا ممرا
وقيل ان ساقيه فى القيامة ليضعف عز وجل من شدة الفزع وقيل اريد بالساق الشدة يقال قامت الحرب على ساق
اى على شدة اى وصلت شدة الموت بشدة الاخرة واجتمعت شدة الدنيا مع شدة الاخرة عليه لانه يدخل به سكرات الموت
ونزلت به شدائد الاخرة وذلك اخر يومه من الدنيا واول يومه من الاخرة وقيل ما من ميت يموت الا التفت ساقاه
من شدة ما يقاسى من الموت وقال بعضهم والتفت الساق بالساق معناه ان الملائكة يجهزون روحه وبنو ادم
يجهزون بدنه فذلك التفاف الساق بالساق وقوله عز وجل الى ربك يومئذ المساق اى الى ما وعد ذلك يومئذ
يساق الى خير واما الى شر وقوله عز وجل فلا صدق اى فلا صدق بما جاء من عند الله تعالى من الاخبار ولا صدق رسوله
صلى الله عليه وسلم ولا صلى يحتمل ان يكون اريد به نفس الصلوة وذلك ان الصلوة حببت الى الانفس كلها حتى
لا ترى اهل دين الا وقد حببت الصلوة اليهم فيكون فى قوله ولا صدق ولا صلى انه سفهه وجهله او يكون
قوله ولا صلى اى ولا اتى بالمعنى الذى له الصلوة وهو الاستسلام والانقياد لله تعالى وقوله عز وجل ولكن كذب و
تولى بالاخبار التى جاء بها وتولى اعرض اى عن طاعة الله تعالى وقوله عز وجل ثم ذهب الى اهله يتمطى اى يتبختر ويتكبر وذلك
ان الاختيال والتكبر انما يليق بمن اتى بفعل عظيم يعجز غيره عن اتيان مثله فحق ان يهتز عند فعله ويفتخر بكونه حصينه
وهذا الذى تمطى لم يفعل سوى ان يكذب بايات الله تعالى واعرض عن طاعته وما هذا الا فعل السفهاء الحمقى فلا يليق
بمثله التمطى وقوله عز وجل اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فجائز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له قل
اولى لك فاولى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اولى لك فاولى وبين الله تعالى ذلك فى كتابه وقال اهل
التاويل هذا وعيد على وعيد كانه قال ويل لك فويل ثم ويل لك فويل وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بمجامع
ثيابه وقال له هذا فلم يتهيأ لذلك المسكين ان يدفع رسول الله عن نفسه وكان يفتخر بكثرة انصاره واتباعه من عشيرته
من الجن فاراه الله تعالى بلطفه اذله واهانه حتى لم يتهيأ له الحراك عما نزل به ولا نفعه حزبه وكثرة اتباعه وجائز ان
يكون قوله اولى لك فاولى اى الاحرى لك ان تنظر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وفى الذى كان عليه اباؤك هو
لتظهر لك الصدق من الخطاء والحق من الباطل فتتبع الصواب من ذلك فتجتمع به شرف الدنيا والاخرة اذا كان تفتخر
بشرفه وعزه فان اردت ان يدوم لك الشرف فالاولى لك ان تنظر الى ما ذكرنا فتتبع الصواب من ذلك والثانى
ان العرب كانت عادتها ان تقوم بنصر قبيلتها والذب عنها كانت ظالمة فى ذلك او لم تكن ظالمة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم كان من قبيلة ابى جهل فلو كان على غير حق عنده كان الاولى ان ينصره ويعينه على ما عليه عادة العرب
العرب وان كان محقا فهو اولى ان يترك ظلمه اولى به من النصر والحماية وقوله عز وجل ايحسب الانسان ان يترك سدى
فجائز ان يكون هذا الانسان دهرى المذهب فيكون قوله ايحسب الانسان على حقيقة الحسبان لانه يحسب انه لا بعث
ولا حساب وقد كان فى اهل مكة من هو دهرى المذهب وان كان الخطاب فى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى لمن ليس
على تحقيق الحسبان ولكن معناه انفعل فعل من يوقن عن امره كان فعله موافقا لفعل من يحسب انه يترك سدى
كما ذكرنا فى قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه وهو لا يريد ان يكون فاجرا فى الحقيقة ولكن من يعقب فعله
الفجور وهو كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وليس على حقيقة الظن
ولكن اذا لم يقل بالبعث ولم يؤمن به فقد وصف ان خلقهما على باطل وذلك الفعل الذى ذكرنا يكون فى ترك
الايمان بالبعث وفى جحد الرسالة لان المحاسن لا بد من ان يكون لها عواقب كذلك المساوى ثم ثمر هذه الدار على المسئ
والمحسن مرا واحدا فلا بد من ان يكون بعده دار اخرى فيها تبيين مرتبة المحسن ومعاد المسئ فمن لم يؤمن بالبعث
فهو لا يجعل للمحاسن والمساوى عواقب وسوى بين مرتبة المسئ ومرتبة المحسن وذلك عبث والثانى ان من عرف
انه لم يخلق عبثا ولا يترك سدى فلا بد لمثله من ان يرغب ويرهب ويؤمر وينهى ولا يعرف ذلك الا بالرسل فالفرد
احوجت الى رسول تبين لهم ما ياتون وما يتقون وما يرغبون فيه وعما يحذرون فمن انكر الرسالة فقد اهمل
نفسه عن المرغوب والمرهوب وعن الامر والنهى وذلك حال من خلق سدى وقوله عز وجل الم يك نطفة من منى
يمنى والوجه فيه ان كل احد يعلم نشوه كان من نطفة وتلك النطفة لو روئيت موضوعة على طبق ثم اجتمع حكماء
الارض بعد ما عرفوها ان يصوروا منها بشرا سويا كما قدره الله تعالى فى تلك الظلمات لم يصلوا اليه ابدا وان استفرغوا مجهودهم
وانفذوا حيلهم وقواهم ولو ارادوا ان يتعرفوا المعنى الذى لذلك المعنى صلحت النطفة من ان ينشئ منها العلقة
والمضغة الى ان انشئ بشرا سويا عليه فيعلموا ان من بلغت قدرته هذا هو احكم الحاكمين ولو كان الامر على ما زعموا
ان لا بعث لم يكن هو احكم الحاكمين بل كان واحدا من اللاهين ونحن مما ذكرنا ان الذى بلغت قدرته لا يوصف

بالعجز ومن زعم ان قدرته لا تنتهي الى البعث فقد وصف ربه بالعجز تعالى الله عما يشركون وقوله عز وجل اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى فقوله اليس في موضع التحقيق والتقرير وان كان خارجا مخرج الاستفهام على ما ذكرنا انما يخرج
مخرج الاستفهام من الله تعالى لتحققه ان يصرفه الى الوجه الذي يقتضيه ذلك الخطاب ان لو كان من يستفهم ممن قال الآخر
في الشاهد اليس الله تعالى بقادر على احياء الموتى تحققه ان يقول بلى هو قادر على ذلك وذلك ذكر ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان حين تلا هذه الآية سبحانك فبلى فقوله اليس ذلك بقادر اي هو قادر على ان احيا الموتى والله الموفق
واليه المستعان وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فهل ومن ولعل من الله تعالى واجب وحقه ان ينظر ان
لو كان مثل هذا الكلام من يستفهم ما الذي كان يقتضي من الجواب فاذا قال الانسان لآخر من اظلم ممن افترى على الله كذبا
فجوابه ان يقول لا احد اظلم واذا قال لآخر هل اتاك حديث فلان فحق المجيب ان يقول ان كان قد اتاه حديث فلان
قد اتاني وان كان لم ياته فحقه اي نسيا له كيف ما نحدثه ليعرفه فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتاه
خبر الانسان بمعنى قوله هل اتى على الانسان اي قد اتى على الانسان وان لم يكن اتاه فحقه ان يسال حتى تبين له وقيل
الانسان آدم عليه السلام ثم لقائل ان يقول انه كيف قال قد اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
فهو ان لم يكن شيئا في ذلك الوقت لم يكن انسانا وان لم يكن انسانا لم يات عليه حين من الدهر وهو انسان
وان كان في ذلك الوقت مخلوقا فقد صار مذكورا وان صار مذكورا فقد اتى عليه حين من الدهر وهو مذكور
فما معنى قيل فيه من اوجه احدها ان يكون قوله عز وجل هل اتى على الانسان اي ما منه الانسان وهو الاصل
الذي خلق منه آدم عليه السلام وهو التراب فقال لم يكن شيئا مذكورا على الاستيصاف لذلك لان الاصل انا
التراب لا يذكر في الاشياء المذكورة والى هذا يذهب ابو بكر الاصم والوجه الثاني قيل قد اتى على الخلق حين
من الدهر لم يكن الانسان فيه شيئا مذكورا في تلك الخلايق والوجه الثالث قد اتى عليه حين من الدهر
ولم يكن مذكورا في الممتحنين وهذا في كل انسان لانه ما لم يبلغ لم يجز عليه الخطاب ولم يكن مذكورا في الممتحنين
لان الله تعالى خلق الخلايق ليعبدوه بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فقوله اذا صاروا من اهل
المحنة فالى ان يبلغ قد اتى عليه حين من الدهر لم يكن مذكورا في جملة من خلقوا للعبادة والله اعلم وقوله
عز وجل انا خلقنا الانسان من نطفة والانسان لم يكن انسانا في النطفة ولا في العلقة ولا في المضغة
ولكن المقصود من انشاء النطفة والعلقة هذا الانسان والعواقب في الافعال هي الاوايل في القصد
والمراد فاستقام اضافته الى ما ذكرنا كما رجع اليه القصد من انشائها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته فالزم النظر في العواقب فثبت ان
المقصود من فعل اهل التمييز العاقبة واذا كانت العاقبة مقصودا اليها في الابتداء صارت العاقبة كالموجود
في الابتداء لذلك استقام اضافة الانسان الى النطفة والعلقة والمضغة ثم قوله عز وجل انا خلقنا الانسان
من نطفة منصرف الى اولاد آدم فيكون المعنى من الانسان اولاده ثم ذكر لهم ابتداء احوالهم وما ينتهي اليهم
عاقبتهم وهو الموت ليتعظوا به ويتذكروا وجه الايقاظ هو انهم اذا علموا ابتداء احوالهم وعلموا ما ينتهي
اليه عاقبتهم علموا ان الحال التي هم فيها ان انفسهم في ابدانهم ليست لهم بل عارية في ابدانهم اذ لم
يكن منهم صنع في الابتداء وامانة والحق على الامين ان يقوم بحفظ الامانة ورعايتها وان لا يخون صاحبها
فيها فان هو خانها ولم يتول حفظها لحقته المسبة والمذمة وان حفظها ورعاها حق رعايتها استوجب الحمد
والثناء من صاحبها والحق على المستعير ان يتمتع بالعارية وينتفع بها الى الوقت الذي اذن له وان لا يضيعها
فان ضيعها لحقته الغرامة والضمان بتضييعه اياها وكذلك اذا علموا انها في ابدانهم عارية وامانة علموا ان
عليهم رعايتها واستعمالها في الوجه الذي اذن لهم فيها لا يلحقهم التبعة في العاقبة ولا يلزمهم المسبة والملامة
في ذلك في الدنيا والآخرة والله اعلم والثاني ان النظر في ابتداء الخلقة والى ما يصير عند انقضاء الامر يدعو
الى ايجاب القول بالبعث والى التصديق بكل ما ياتي به الرسل من الاخبار وذلك ان التاويل في ابتداء الخلقة
يظهر عجيب قدرة الله تعالى ولطيف حكمته ويعلم ان الذي بلغت حكمته هذا المبلغ لا يجوز ان يقع قصده من
انشاء الخلق للافناء خاصة لخروجه عن حد الحكمة فيحملهم ذلك على القول بالبعث ولان النظر في ابتداء
الخلقة والنظر الى ما يرجع اليه بعد الوفاة مما يمنع الافتخار والتكبر لان انشاءه كان من نطفة يستقذرها
الخلايق ومن علقة ومضغة يستخبثها كل احد وبعد الممات يصير جيفة قذرة ومن كان هذا شانه لم يحسن

التكبر في شيء فكان في تذكير اوايل الاحوال واواخرها موعظة لهم ليتعظوا ويتبصروا وتعريف لهم ان
التكبر لا يحسن من امثالهم فيحملهم ذلك على التواضع وترك الافتخار والتجبر والله اعلم وقوله عز وجل امشاج
نبتليه والامشاج الاخلاط ثم الاخلاط يقع بوجهين احدهما في اختلاط ماء الرجل بماء المرأة والثاني يقع في الاحوال
وهو ان النطفة اذا تحولت علقة لم تحول بدفعة واحدة بل هي تغلظ شيئا فشيئا حتى اذا تم غلظها صارت علقة
وكذلك العلقة يدخل فيها التغير شيئا فشيئا حتى اذا تم التغير فيها صارت مضغة فهذا هو الاختلاط في الاحوال
ومنهم من قال الاختلاط الطبايع الاربع التي عليها جبل الانسان ومنهم من صرف الخلط الى الالوان فذكر
ان ماء الرجل ابيض ثخين وفيه حمرة وماء المرأة اصفر رقيق فخلطه صفرة وقوله عز وجل نبتليه اي بالخير والشر وبالامر
والنهي ثم الابتلاء هو الاستظهار لما خفي من امور والله اعلم لا يخفى عليه امر فيحتاج الى استظهاره ولكنه يبتلي
ليظهر للمبتلى ما كان خفيا عليه بفعله وتركه واما الخلق فهم يمتحنون ويبتلون ليظهر لهم ما كان خفيا عليهم
فيكون الابتلاء منصرفا اليهم لا الى المبتلي والممتحن والثاني ان الابتلاء لما كان الاستظهار ما خفي من الامور
وذلك يكون بالامر والنهي فسمي الامر من الله تعالى والنهي لعباده ابتلاء لمكان الامر والنهي على تحقيق معنى
الابتلاء منه وقال الحسن لا يصلح ان يضاف الابتلاء الى الله تعالى وان كان هو خبيرا عما استخبر فجائز ان يضاف
اليه الابتلاء ايضا وان كان هو بالذي ابتلاه عالما بصيرا ولان الذي يظهر من العبد الابتلاء من الفعل كان
فالله تعالى يعرفه شاهدا بفعله وقبل ذلك كان يعرفه غايبا لان معرفة ما يكون ان يعرف مثل كونه غايبا وبعد
كونه شاهدا والله اعلم وقوله عز وجل فجعلناه سميعا بصيرا اي جعلنا له سمعا يميز بين ما يؤدي اليه سمعه
وجعلنا له بصرا يبصر به ما ادى بصر الوجه ليضع كل شيء موضعه وذلك هو بصر القلب وسمع القلب لانه
قد خص البشر بالابتلاء لمكان بصر الباطن والسمع الباطن الا ترى ان البهائم لها بصر الظاهر وكذلك السمع
ويحتمل ان جعلناه سميعا بصيرا يبصر ما له وما عليه ينفعه وما يضره ثم انشاء فيه السمع والبصر ولا يعرف
كيفية السمع والبصر الذي جعل فيه ولا ماهيته ولا لم هو لطفا منه ليعلم انه منشئ الكيفيات والماهيات
وانه يتعالى عن الوصف له بالكيفية والماهية ثم قال تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا يحتمل قوله
عز وجل انا هديناه السبيل وجهين احدهما هديناه السبيل لاصلاح بدنه ومعاشه وهديناه السبيل
الذي يصلون الى استبقاء النسل والتوالد الى يوم التنا او هديناه السبيل الذي يرجع الى اصلاح دينهم
وامر آخرتهم باكتساب المحامد والمحاسن ثم قوله اما شاكرا واما كفورا انه قد بين لهم السبيل وهداهم
اليه ثم منهم من يختار الشكر له ومنهم من يختار الكفران له ثم بين ما اعد للكفور منهم وما اعد للشكور وهو
ما قال انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ثم قوله انا هديناه السبيل ان كان المراد منه الطريق
فكانه قال انا بينا لكل الطريق فان سلك طريق كذا واختاره يكون شاكرا وان سلك طريق كذا واختاره
يكون كفورا ثم بين لكل طريق الذي سلكه جزاء وثوابا ثم قوله عز وجل انا اعتدنا للكافرين سلاسل و
اغلالا وسعيرا ففيه انباء ان ايديهم تغل ويشدون بالسلاسل فلا يتهيا لهم ان يتقوا العذاب عن وجوههم
ثم قرا سلاسل لانها منصرفة وقرا سلاسلا وصرفوه بناء على ان الاسماء كلها منصرفة الا نوع واحد
وقال الزجاج سلاسل لا ينصرف لانه لا نظير لها لكن صرفها هاهنا لانها من رؤوس الآيات وقيل لاجل ذكر
الآية وقوله عز وجل ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا فمنهم من ذكر ان الكافور شيء اعده الله
تعالى لاهل كرامته لم يطلع عباده على ذلك في الدنيا ومنهم من ذكر ان الكافور شيء جرى ذكره في الكتب المتقدمة
فذكر ذلك في القرآن ومنهم من قال انه عين من عيون الجنة ومنهم من صرفه الى الكافور المعروف لكن قيل انه
كناية عن طيب الشراب وقيل كناية عن برودة الشراب لانه ذكر ان ذلك الشراب في طبعه كالكافور لان
الذ الشراب عند الناس البارد منه لا ان يكون في نفسه باردا وذكروا ان الكاس لا تسمى كاسا حتى يكون فيها خمر
وقوله عز وجل عينا يشرب بها عباد الله ومعناه منها الا ان يقع شربهم بها وسميت العين عينا لوقوع العين
وقوله عز وجل يفجرونها تفجيرا ففيه اخبار ان ماء العيون جارية يجري ونهاها من حيث شاؤوا والمراد من ذكر العباد
هاهنا هم الذين اطاعوا الله وقاموا بوفاء ما عليهم وهم الذين قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين وقوله عز وجل يوفون بالنذر والنذر هو العهد فجائز ان يكون اراد به الوفاء
بكل ما اوجب الله من الفرايض والحقوق فيكون فرايضه عهده كقوله عز وجل اوفوا بعهدي وجائز ان يكون
اراد بالنذر ما اوجبوا على انفسهم من القرب سوى ما اوجبها الله تعالى عليهم فيكون فيه اخبار انهم قاموا
باداء الفرايض وتقربوا الى الله تعالى مع ذلك بقرب اخر فاستوجبوا المدح لوفائهم بما اوجبوا على انفسهم
وقال ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فلحقهم الذم لما لم يقوموا

بر عابر حقه ليس بالحجاب بهم على انفسهم ما لم يوجبه الله تعالى عليهم وقوله عز وجل ويخافون يوما كان شره مستطيرا
قيل استطار شر ذلك اليوم تملوا السموات والارضين كل شئ حتى انشقت السموات وتناثرت النجوم وبست الجبال
ومعناه ان هول ذلك اليوم قد عم وفشى فى اهل السموات والارض حتى خافوا على انفسهم وقيل سمى مستطيرا
اى طويلا ويقال استطار الرجل اذا اشتد غضبه واستطار الامر اى اشتد فسمى مستطيرا اى شديدا وقوله
تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فالحب يتوجه الى معانى يتوجه الى الايثار مرة والى
ميل النفس وركون القلب اخرى ومرة يعبر به عن الشهوة فالمراد من الحب هاهنا الشهوة فيكون قوله
عز وجل على حبه اى على شهوتهم وحاجتهم اليه وقيل يطعمون فى حال عزة الطعام وقيل اى يطعمون الطعام
على حبهم لها وحرصهم عليها ليس ان يطعموا عند الاياس من حيوة على ما روى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال افضل الصدقة ان يتصدق وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقوله عز وجل انما نطعمكم
لوجه الله قيل انهم لم يتكلموا بهذا اللفظ اعنى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا الاية و
لكن علم الله تعالى ذلك من قلوبهم فاثنى عليهم بذلك ليرغب فى ذلك الراغبون الا ترى انهم كانوا يطعمون
الاسارى ولا يطمع من الاسارى المجازات والشكر ليعلم انهم لم يقصدوا به الا وجه الله تعالى والتقرب اليه
والمجازاة هى المكافات لما اسدى اليه والشكر هو الثناء والبر عنه وقوله عز وجل انا نخاف من ربنا يوما
عبوسا قمطريرا فمنهم من جعل هذا نعتا لذلك اليوم فيكون معناه ان هذا اليوم وهو يوم القيمة من بين
ساير الايام كالانسان العبوس من بين غيره ومنهم من صرفه الى الخلايق فيكون معنى قوله تعالى يوما عبوسا
اى يوما يعبس فيه وجوه الخلايق لا ان يكون اليوم بنفسه عبوسا وهو كقوله تعالى والنهار مبصرا اى
يبصر فيه وتقول العرب مازال الطريق يمر فنسبوا اليوم على معنى يمر الناس فيه فيرجع هذا الى وصف ما
يكون عليه ذلك اليوم على ما ذكرنا ان الله تعالى ذكر اليوم بالاحوال التى يكون عليها حال ذلك اليوم
ثمرة قال وترى الناس سكارى ومرة قال يوم يكون الناس كالفراش المبثوث الى غير ذلك من الايات
وقوله عز وجل قمطريرا قيل شديدا وقيل القمطرير الذى يقبض الوجه بالبسور والعبوسة ويروى
ما بين العينين وقيل القمطرير المشرة على اهل النار وقيل القمطرير هى كلمة من كتب الاولين وقوله
عز وجل فوقاهم الله شر ذلك اليوم فجايز ان يكون الوقاية منصرفة الى الموعود فى ذلك من العقوبة
والنكال لا ان يكونوا في امن هول ذلك اليوم فلا يرون الجحيم ولا اهوالها وجايز ان يكون وقاهم عما
كانوا يخافون من التبعة لدى الحساب كقوله انى ظننت انى ملاق حسابيه فكانهم يخافون على انفسهم
المناقشة فى الحساب فاراهم سيئاتهم مغفورة وحسناتهم متقبلة سروا بذلك و وقوا شره وجايز
ان يكونوا امنوا من احوال القيمة وافزاعها حين شروا من القبور وتلقتهم الملائكة بالبشارة كما
قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقوله عز وجل ولقيهم نضرة وسرورا
فالسرور عبارة عن انتفاء الغم عنهم والنضرة اثر كل نعيم وقيل نضرة فى وجوههم وسرورا فى قلوبهم
وقوله عز وجل وجزاهم بما صبروا اى على الطاعات وصبروا عن معاصى الله جنة وحريرا وجزاهم حريرا
فذكر الحرير لان الجنة انما يذكر فى موضع التطيب والتنعم بالماكل والمشارب دون التنعم باللباس
فوعدلهم اللباس من اللباس الحرير معاهم جزاهم الجنة وقوله عز وجل متكئين على الارائك يذكر تفسيرها
بعد هذا ان شاء الله وقوله عز وجل لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا لانه لا شمس فيه ولا زمهرير بل يكون
ظلها دايما ممدودا وجايز ان يكون المراد منه ان ضياء الجنة ليس بالشمس ولكن بما خلقت مضيئة لان
الشمس فى الدنيا يقع بها الضياء فيكون ضياء النهار بالشمس وذكر انهم لا يرون فيها الزمهرير ليعلم
ان لذاذة شراب الجنة وبرودته بالخلقة لا ان يكون برودتها بتغير يقع فى الاحوال على ما يكون عليه شراب
اهل الدنيا ويكون ذكر هذا ليعلم انهم لا يؤذون بحر ولا برد وقوله عز وجل ودانية عليهم ظلالها
فجايز ان يكون يراد به انها دانية من هو الذين سبق نعتهم وهم الابرار كقوله عز وجل ان رحمة الله قريب من
المحسنين او ذكر ان ظلالها دانية لانها لو لم يكن دانية لكان لا يقع لهم بها انتفاع وقيل هى ظلال عنقود
الاشجار قريب منهم لان الجنة نور لا ظلمة فيه فينتفع بالاشجار ظلال على ما جاء فى الخبر انه لو القى سوار من
الجنة فى الدنيا لاضاءت الدنيا وذهب ضوءها ضوء الشمس ويجوز ذلك فيقع الاشجار فيها ظلال كما
يشتهون فى الدنيا ليس على ذلك شمس ولا قمر وقوله عز وجل وذللت قطوفها تذليلا فجايز ان يكون اريد بالتذليل
التليين اى لينت فلا يرد ايديهم عنها شوك وقيل ان اشجارها ليست بطوال لا ينال ثمارها الا بعد عناء ولكن
بل قريبة من اربابها بقال لحائط ذليل اذا لم يكن عاليا فى السماء وقيل ذلك اى سويت الاشجار لا يتفاوت

بعضها بعضا يقول اهل المدينة اذا استوت عذوق النخلة ذللت النخلة وقيل ذللت اى سخرت والتذليل التسخير
فيتناولون منها كيف شاؤا ان شاؤا تناولوها وهم قيام وان شاؤا تناولوها وهم جلوس او نيام على الفرش و
جايز ان يكون تسخيرها على ما ذكر عن بعض المتقدمين ان شجر الجنة عروقها من فوق فروعها من اسفل والثمار
بين ذلك وقوله ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب فتاويل الاكواب يذكر فى سورة هل اتيك حديث
الغاشية ثم اخبر ان تلك الاكواب قوارير من فضة قيل هى من فضة ولها صفاء القوارير يرى ما فيها من
الشراب من خارجها لصفائها ثم الانية من الفضة فى اعين اهلها ارفع واشرف من الانية المتخذة من
الزجاج فكذلك الصفاء الذى يكون بالفضة ابلغ وارفع فى اعين اهلها من الصفاء الذى يقع بالقوارير
قوارير قوارير من فضة على الاصل المعهود انه لا ينصرف وقرى قوله قواريرا على الوقف عليه موافقا لاخر
ساير الايات وقرى قواريرا بالتنوين عند الوصل ايضا لانه راس الاية وقوله تعالى قدروها تقديرا اى جعلت على
قدر ريهم وقيل يسقون على القدر الذى قدروه فى انفسهم وحدثت به انفسهم فلا يقدرون فى قلوبهم مقدارا
الا اتوا بها على ذلك وقوله تعالى ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا فمنهم من زعم ان العرب كانوا اذا
اعجبهم شراب نعتوه وقالوا كالزنجبيل فخرجت البشارة من الوجه الذى يرغب فى مثله الانفس ومنهم من ذكر
ان الزنجبيل والسلسبيل واحد وهما اسم العين ومنهم من ذكر فى السلسبيل اى سل سبيلا الى تلك العين و قال
قتادة اى سلسلة السبيل مستعذب ماؤها وقيل سلسبيلا مستعذب ماؤها وقيل سلسبيلا شديد الجرية
وقوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون ذكر الولدان لان يكون فيها اولاد ولكنهم انشؤا ولدانا فيخلدون ولكن
يكبرون ولا يهرمون وجايز ان يكون الولدان ولدان الكفرة الذين ماتوا فى الدنيا صغارا فلا يكون لهم فى
الجنة اباء ترفعوا الى درجة الاباء فيجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة وقوله تعالى واذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا فمنهم من يقول ان الله تعالى شبه حسنهم بحسن اللؤلؤ المنثور اذ احسن ما يكون اللؤلؤ اذا كان منثورا فجايز
ان يكون هؤلاء الولدان فضلوا فى الحسن على ساير الجواهر التى تكون فى الجنة كما فضل الدر فى الدنيا على ساير الجواهر
ومنهم من يقول انهم ما لم يطوفوا فمن راهم حسبهم لؤلؤا منثورا واذا طافوا وتحركوا فحينئذ يعلمون انهم ولدان
وقوله واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا قيل هما اللذان لا نعت لهما ولا وصف وقيل الملك استيذان الملائكة
عليهم وملوك الدنيا وان علت رتبتهم لم يملكوا الاحتجاب من دخول الملائكة عليهم بغير استيذان والملك هو الذى
الامور وجايز ان يكون ذكر النعيم والملك الكبير على معنى انه لا ينقطع عنهم بل اذا رايتهم ابدا رايتهم فى نعيم وملك
كبير وقوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق فجايز ان يكون اراد بالعالى ما علا من المكان الذى هم
فيه فيخبر ان فى اعلاه اماكنهم ثياب خضر من سندس كما هو فى المكان الذى اسفل موضع جلوسهم لانهم يكونون
على الارائك والاحجال فيكون ما تحت الاحجال والارائك من الاماكن زرابى مبثوثة ونمارق مصفوفة
ويكون عاليها كذلك فان كان على هذا فلا فرق بين ان يكون فرش ذلك المكان من حرير ودبياج غليظ
ان اريد بالاستبرق الدبياج الغليظ وبين ان يكون من دبياج رقيق اذ كل ذلك مما يرغب فى مثله
والله اعلم وقيل عاليهم اى اعلى ثيابهم سندس واستبرق وقال بعضهم عالى انفسهم ثياب سندس
ومنهم من صرف السندس الى اللباس والاستبرق الى ما يبسط لان الدبياج الغليظ مما لا يرغب
الا نفس الى لبس مثله فجمع بين ما يلبس وبين ما يفرش وبين الفصل فى احدهما ولم يذكر فى الاخر
ومنهم من قال عاليهم هو الولدان ان يطوفون من اعاليهم والله اعلم وقوله تعالى وحلوا اساور من
فضة فبشرهم بالاساور من الفضة لان الفضة مستحسنة بنفسها لبياضها والذهب مستحسن لعزته
وعزته ليس لنفسه لانه اصفر والاعين لا يستحسن هذا اللون فجرت البشارة بالفضة لا بالذهب و
قال بعضهم يحلى الرجال باسورة من الفضة لا بالذهب وقال بعضهم يحلى الرجال باسورة من فضة
على ما ابيح لهم التحلى بها فى الدنيا ويحلى النساء باساور الذهب على ما ابيح لهن التحلى بها فى الدنيا وقوله
وسقاهم ربهم شرابا طهورا قيل هو الخمر يطهر من الافات ومن كل مكروه ويطهر قلوبهم من الغل فيعمل ذلك
الشراب فى تطهير الظاهر والباطن وشراب الدنيا يطهر ظاهر البدن بغسل التراب وروى عن النبى عم انه
قال ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب والجماع فقال يهودى ان الذى ياكل
ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة احدهم عرق يفيض من بدنه فيضمر لذلك
بطنه والاصل انك تدرى ان الطعام الذى يطعمه الانسان فى الدنيا يبقى قوته فى البدن حتى يظهر ذلك فى كل
جارحة وكذلك شهوته يبقى فيها ثم يخرج الثقل منها والفضل فجايز ان يرفع الله تعالى عن ذلك الطعام الفضل
الذى يزايل البدن ويكون طعامهم ذلك اللطيف الذى يبقى فى النفس وقوله عز وجل ان هذا كان لكم جزاء

فجايز ان يكون هذه البشارة خرجت لاهلها في الدنيا وجايز ان يكون لهم في الاخرة ان هذا الذي اكرمتم به من الكرامات جزاء لعملكم وسعيكم في الدنيا وقوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا قيل فرقنا عليك القران تنزيلا والحكمة في التنزيل ما ذكر في اية اخرى في القران وهو قوله قالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فوادك فاخبر ان في التفريق تثبيت فيكون للناس له اوعى واعرف بمواقع النوازل منه من ان ينزل جملة واحدة ثم اضاف التنزيل الى نفسه ههنا واضاف الى جبريل عليه السلام في قوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك وقوله عز وجل انه لقول رسول كريم وقال في اية اخرى حتى يسمع كلام الله فاضافه الى نفسه وقال في لوح محفوظ فهذا كله على مجاز الكلام ليس على الحقيقة نحو كل ذلك ان يصرف الى ما اليه اوجه والى ما يستجيز الناس من التعامل فيما بينهم بذلك الكلام فاذا قيل هذا في اللوح فهم به وارادوا منه انه مكتوب فيه وقوله تعالى حتى يسمع كلام الله معناه انه حتى يسمع كلاما يدله على كلام الله تعالى لا ان يكون ذلك كلامه واضافه الى جبريل عم لانه من قبله بلغه لا ان يكون ذلك كلام جبريل عم ثم قد ذكر الحكمة في انزال القران متفرقا قبل هذا الفصل لكافي منه ثم جايز ان يكون التفريق لمكان اتباع رسول الله عم ليس لكالية لان الله تعالى يسر على نبيه حفظا حتى كان يبقى جميع ما نزل اليه جبريل عم بما يقرئه عليه مرة واحدة وقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به الاية فضمن له الحفظ والامن النسيان فاما غيره فانه ليشتد عليه ان لو كلفه حفظه بدفعة واحدة فانزل متفرقا ليكونوا اقدر على حفظه ولهذا ما كثر حفاظ القران في هذه الا وكثر قراؤها وكثر فقهاء هذه الامة لان القران انزل متفرقا على اثر النوازل فعرفوا مواقع النوازل توقفوا على معرفة ما اودع في الايات لمعرفتهم مواقع النوازل والمنسوخ ولو نزل جملة واحدة اشتبه عليهم الناسخ والمنسوخ فانزل تعالى مفرقا ليكونوا بعلم الناسخ والمنسوخ والله اعلم ولانه اذا انزل مفرقا كانوا اليه اسوق وارغب منه اذا انزل جملة واحدة الا ترى الى قوله تعالى ويقول الذين امنوا لولا انزلت سورة فاذا انزلت محكمة الاية فاخبرانهم يرغبون اتيان ينزل عليهم سورة وان كان قد انزلت اليهم سورة من قبل وفيه ايضا تخويف للمنافقين ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فكان في انزاله مفرقا ما ذكرنا من الفوايد والمنافع للمؤمنين والله اعلم وقوله تعالى فاصبر لحكم ربك فيه انه ابتلاه بما يكرهه نفسه ويشتد عليها حتى دعاه الى الصبر لان المراء لا يدعى الى الصبر على النعم واللذات وانما تدعى اليه اذا ابتلى بالمكاره والبليات وقد صبر عم على المكاره لانه اخبر بمضادة الجن والانس فانتصب لهم حتى اذوه كل الاذى وهموا بقتله قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا كانه قال ولا تطع من دعاك الى ما دعاك الى ما فيه اثم او يكون كفورا ولا تجيبا لاثم او الكفور الى ما يدعون اليه وقوله واذكر اسم ربك يحتمل باسم ربك ارض باسم ربك كقوله واذكر اسم ربه فصلى او يقول اذكر اسم ربك اي كن ذاكرا له في كل وقت وقوله تعالى بكرة واصيلا البكرة يحتمل صلوة الصبح والاصيل يحتمل صلوة الظهر والعصر وقوله تعالى ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا يحتمل صلوة الليل للنوافل ان كان قوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا في صلوة الفرايض وان لم يكن في ذلك فيكون كانه قال واذكر ربك في كل وقت بالليل والنهار ويقول لا يكن اسم ربك مذكورا حتى لا يخلو ساعة من هذه الساعات الا هو مذكور فيها والله اعلم وقوله تعالى ان هولاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وحيث العاجلة مما طبع الخلايق لان كل طبع على حب الانتفاع والتمتع بالشيء فلا يلحقهم الذم بما طبعوا عليه وانشؤا ولكن انما يلحق الذم من لحب الدنيا والتلذذ واثرها على غير الذي جعلت الدنيا واسست فالدنيا انما اسست وجعلت ليكتسب بها نعيم الاخرة والحيوة الدايمة اللذيذة فمن احب لهذا فهولاء يلحقه بذلك ذم ولا تعيير ومن احبها واثرها لها واكتسبها لها فهو المذموم واولئك كانوا مختلفين في ذلك لم يكونوا على فن واحد منهم من حمل حبه الدنيا على انكار وحدانية الله تعالى والوصية ومنهم من حمل حبه اياها على تكذيب الرسل والتعاوي لهم ومكابرة الحق ومنهم من حمل حبه اياها على انكار البعث والجزاء لما علموا ومنهم من حمل حبه الدنيا على التفريق بين الرسل انكروا بعضا وصدقوا بعضا ويولد من حبهم اياها ما ذكرنا فلحقهم الذم لذلك ولذلك ما ذكر من الانفاق في الدنيا حيث قال مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت الاية فمن انفق في هذه الدنيا لها فيكون نفقة ما ذكر لانه انفق لغيرها جعلت له النفقة فكان ما ذكر فعلى ذلك من احب الدنيا واختارها لها لا لاكتساب ما ذكرنا من النعم اللذيذة الدايمة والحيوة الباقية التي لا انقطاع لها كان على ما ذكر ثم اذا ذكرا الدنيا ذكرت الاخرة وراءها واذا ذكرت الاخرة على اثر ذكر الانسان قيل امامه لان الانسان يقبل اليها فيكون ذلك امامه وقدامه واما عند ذكر الدنيا قيل وراءها لانها تخلفها وكل من خلف اخر يكون بعده ووراءه لانه يكون عند فوت الاخر لذلك كان ما ذكر وقوله تعالى نحن خلقناهم وشددنا اسرهم

رجع الى الاحتجاج عليهم لما انكروا يقول يعلمون انا خلقناهم بديا ونحن شددنا اسرهم اي قوتهم او نحن شددنا خلقتهم ونحن وصلنا اجزاءهم المتفرقة ومفاصلهم المنتشرة بعضها الى بعض ونحن تبدل امثالهم ان شئنا مما بالهم ينكرون قدرتنا على البعث والاعادة بعد الموت يقول من قدر على ما ذكر لا يعجزه شيء وهو على البعث اقدر وقوله تعالى واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ثم ذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى وقوله تعالى ان هذه تذكرة ويحتمل هذه اي هذه السورة لانه ذكر في اولها ابتداء انشاءهم وخلقهم واخرها اعادتهم في خلال جزاء صنيعهم الذي صنعوا فيكون في ذلك تذكرة لهم ويحتمل قوله ان هذه تذكرة اي الانباء التي ذكرت في القران او هذه المواعظ تذكرة لما لهم وما عليهم وتذكرة لما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وقوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا هذا يخرج على وجهين احدهما يقول قد مكن كل ان يتخذ سبيلا الى ربه اي لا شيء يمنعه عن اتخاذ السبيل الى ربه اذا شاء لكن من لم يتخذ انما لم يتخذ لانه لم يشاء ان يتخذ سبيلا والا قد مكن له ذلك والثاني يقول من شاء اتخاذ السبيل فليتخذ السبيل الى ربه على ما يذكر على الاستقصاء بعد هذا ان شاء الله تعالى ثم قوله تعالى الا ان يشاء الله يقول والله اعلم من شاء اتخاذ السبيل الى ربه لا يتخذ الا ان يشاء الله ان يتخذ السبيل الى ربه وعند ذلك يتخذ وهذا على المعتزلة لانهم يقولون ان الله تعالى قد شاء لجميع الخلايق ان يتخذوا الى ربهم سبيلا لكنهم شاؤا ان لا يتخذوا الى ربهم سبيلا لكنهم شاؤا ان لا يتخذوا فلم يتخذوا وقد اخبر انهم لا يشاؤن اتخاذ السبيل اليه ولا يتخذ الا ان يشاء الله لهم اتخاذ السبيل فعند ذلك يتخذون ما ذكر ويشاؤن وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما ان الله تعالى لم يزل عالما بما يصنع خلقه من التكذيب له والتصديق من الطاعة له والمعصية اي على علم منه بصنعهم انشاءهم وخلقهم حكيما في فعله ذلك وخلقه اياهم على ما علم منهم ان يكون الاية انما خلقهم وانشاءهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم لا لمنافع يرجع اليه او لمضار يدفع عن نفسه فخلقه اياهم وبعثه الرسل اليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد لا يخرج فعله عن الحكمة والحق بل يكون حكيما في ذلك واما من يبعث الرسول في الشاهد الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته ويهينه ويستخف به سفه ليس بحكمة لانه انما يرسل الرسول ويبعث هديته المنافع يكون للمرسل فعلمه بما يكون منه سفه ليس بحكمة لذلك افترقا وقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته هذا على المعتزلة ايضا لانه ذكر انه يدخل من يشاء في رحمته وهم يقولون قد شاء ان يدخل كلا في رحمته لانه شاء ايمان كل منهم والله تعالى اخبر انه يدخل من يشاء في رحمته دل ذلك على انه لم يشاء ان يدخل في رحمته من علم منه انه يختار الضلال ولكن انما شاء ان يدخل في رحمته من علم منه انه يختار الهدى فاما من علم منه اختيار غيره فلا ويحتمل ان يشاء ذلك له والله اعلم وقوله تعالى والظالمين اعد لهم عذابا اليما اي ونشاء ايضا من علم منه الضلال ان يعذبه عذابا اليما وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة رضي الله عنهم يختص برحمته من يشاء وهذا الحرف تفسير تاويل الاية وان يكون رحمته ههنا هو الهدى ورسل الله ويحتمل ان يكون رحمته هو جنته سميت رحمة لانه برحمته ما يدخلها

ما دخلها اهل الايمان والله اعلم بحقيقته

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اختلفوا في تاويلها فمنهم من حمل تاويل هذا كله على الملائكة ومنهم من صرفها الى الرياح ومنهم من صرف البعض الى الرياح والبعض الى الملائكة وجايز ان يحمل هذا كله في الرياح ويستقيم ان يصرف كله الى الملائكة ويستقيم ان يحمل البعض الى الملائكة والبعض في الرياح فان كان في الرياح استقام القسم بها لان من الرياح رياحا هي مبشرات برحمته سائقات للنعم المعتادة كقوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ومن الرياح رياح هي منجيات قال الله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فجعل الله تعالى لتسيير السفن في البحار كما جعل الماء سببا لذلك وجعل منها مهلكات مذكرات لقوتها وسلطانها كما قال عز وجل ويرسل عليكما شواظ من النار وقال الريح العقيم فحكم الاية فهي تمسهم وتهلكهم من غير ان يدركوه بابصارهم فان كانت الابصار هي ادل ما وقع بها درك الاشياء ولو اراد احد ان يعرف الوجه الذي له صارت المنجيات منجيات او يعرف الوجه له صارت الرياح مهلكات او مبشرات لم يقف عليه فصارت الرياح مذكورات النعم وفي تذكير النعم ايجاب القول بالبعث وتحمل ما يخبرهم بالرسل لانهم كانوا ينكرون البعث وايضا فيها من لطائف الحكمة وعجائب التدبير ما لا يبلغها تدبيرهم وحكمتهم علم ان الامر عن مقدر بعقولهم ولا لحكمتهم فيكون

في ذكر ما ذكرنا ازاحة ما اعترض له من الشك والشبهة في امر البعث فاقسم بها جل جلاله على ما ذكرنا ان
القسم جعل للتاكيد بما يقصد اليه باليمين فرجعنا الى قوله والمرسلات عرفا قيل هي الرياح المبشرات سميت عرفا
لانه ما ياتي به من النعم معروفة وقيل العرف المتتابع وسمي عرف الفرس عرفا لتتابع بعض الشعر على بعض فجائز
ان يكون يحمل على الرياح لكن على الرياح المبشرات وهي الرياح السهلة الخفيفة لان النشر مذكور في الرياح التي هي رحمة
بقوله وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته في بعض القراءة وقوله تعالى فالعاصفات عصفا هي الرياح
الشديدة التي تكسر الاشياء او تقصفها وهي التي ترسل للاهلاك كقوله تعالى ويرسل عليكم قاصفا من الريح وجائز
ان يكون قوله والمرسلات عرفا هي اسم الرياح التي لم يظهر انها ارسلت للاهلاك او للتبشير لان الرياح التي تبشر
برحمة يظهر اثر رحمتها من ساعتها من ارسال السحاب وغير ذلك قبل ان تتتابع وكذلك الرياح التي هي رياح
الهلاك يظهر علم الاهلاك من ساعتها وهو ان يكون قاصفة شديدة قبل ان تتتابع وقوله تعالى عز وجل فا
لفارقات فرقا يحتمل الرياح ايضا وانما سميت فارقات لانها تفرق السحاب فتصير البعض في افق والبعض
في افق اخرى وقوله عز وجل فالملقيات ذكرا فجائز ان يصرف الى الرياح والقاء ذكرها ما ذكرنا انه يظهر بها النعم
او يتذكر ويبين بها النجاة ويقع ببعضها الهلاك فذلك القاء ذكرها والله اعلم وان صرف الكل الى الملائكة
فيحتمل ايضا فقوله عز وجل والمرسلات عرفا اي الملائكة الذين ارسلوا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله
تعالى فالعاصفات عصفا اي الملائكة الذين يعصفون ارواح الكفار اي ياخذونها على شدة وغضب وقوله
تعالى والناشرات نشرا جائز ان يكون اريد بها السفرة من الملائكة سموا ناشرات لانهم ينشرون الصحف وقيل هم
وجائز ان يراد بها الملائكة الذين ياخذون ارواح المؤمنين على لين ورفق وقوله تعالى فالفارقات فرقا جائز
ان يكون يراد بها الملائكة وسميت فارقات لانهم يفرقون بين الحق والباطل وقوله تعالى فالملقيات ذكرا هم
الملائكة الذين يلقون الذكر على السنة الرسل عليهم وان صرف البعض الى الملائكة والبعض الى الرياح فيستقيم
ايضا فيكون المرسلات الذين ارسلوا بالمعروف والخير والعاصفات الريح الشديدة والناشرات الرياح الخفيفة
السهلة والفارقات فرقا والملقيات ذكرا هم الملائكة ويحتمل وجها اخر ان يراد بقوله والمرسلات هم الرسل
من البشر الذين بعثوا الى الخلق فما من رسول بعث الا وهو مرسل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك جائز
ان يراد بقوله تعالى فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا هم الرسل لانهم يفرقون بين الحق والباطل ويلقون الذكر
في مسامع الخلق وجائز ان يكون قوله والمرسلات عرفا هي الكتب المنزلة من السماء لانها ارسلت بالمعروف
وكل انواع الخير وكذا قوله والناشرات نشرا اي ناشرات للحق والهدى وكذا قوله عز وجل فالفارقات فرقا لانها
يفرق بين الحق والباطل ايضا وكذلك فالملقيات ذكرا فانها سبب لذلك والله اعلم وقوله تعالى عذرا او نذرا
اي عذرا من الله تعالى ارسل الرسل وانزل الكتب وبين الحجج حتى لم يبق لاحد على الله حجة بعد ذلك وهذا
هو الاعذار وقوله عز وجل او نذرا اي انذرهم ولم يجمل في اهلاكهم بل بين لهم ما يتقى ويجتنب وما يندب اليه
ويؤتى فهذا هو الانذار على ما وصل الرياح ما ذكرنا انها مذكرات نعم الله تعالى ونقمه فيكون في ذلك ايجاب ذكر
المنعم والمنتقم فيكون في ذلك اعذار وانذار والله اعلم وقوله تعالى انما توعدون لواقع فهذا موضع القسم مما ذكر
من المرسلات الى اخرها ثم ان كان الموعود يوم البعث فمعناه ان الذي توعدون به من البعث لكائن وان كان
على الجزاء والعقاب فتاويله ان ما يدعون به من العذاب لنازل بكم فيكون الاية في قوم علم الله تعالى انهم لا
يؤمنون وقوله تعالى فاذا النجوم طمست فكانه والله اعلم لما نزل قوله تعالى انما توعدون لواقع سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن وقت وقوعه حتى يكون فنزل فاذا النجوم طمست فاشار الى الاحوال التي يومئذ لا الى نفس الوقت
فقوله طمست اي ذهب ضوؤها ونورها ثم تناثرت وقوله تعالى واذا السماء فرجت اي انشقت واذا الجبال نسفت
اي قلعت من اصلها فسويت بالارض وقال الزجاج نسفت الشيء اذا اخذته على سرعة وقوله عز وجل واذا الرسل
اقتت ووقتت وكذلك اصله لان الهمزة ابدلت مكان الواو طلبا للتخفيف وهو من التوقيت اي
جمعت لوقت وقيل احضرت الرسل ليشهد كل واحد منهم على قومه الذين بعث اليهم كما قال الله تعالى ويوم نبعث
من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وقيل اقتت اي وعد لهم بيان حقيقة ما
اليه دعوا من وقوع ما اوعدوا قومهم الذين تركوا اجابتهم من العذاب ووعد لهم الوصول الى من امن
امن بالله تعالى واجاب الرسل فيما دعوهم اليه من الثواب وقوله تعالى لاي يوم اجلت فاجلت واقتت واحد
لان في التاجيل توقيتا وفي التوقيت تاجيلا ثم بين وقت حلول الاجل اهل العذاب بقوله عز وجل ليوم
الفصل او ليوم الحكم والقضاء قال الله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى وقال
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فجائز ان يكون الاجل التي سبقت منه هو تاخير الجزاء الى يوم البعث

فجعل ذلك يوم الجزاء وذلك يكون بالمعاينة وجعل هذه الدار دار محنة وابتلاء وذلك يكون بالحجج والبينات
فكانه قال لولا سبق من كلمة الله تعالى من تاخير الجزاء والعذاب والا كان العذاب واقعا بهم في هذه الدنيا بالتكذيب
ويحتمل وجها اخر وهو ان الله تعالى اخر الجزاء والعقاب الذي يجمع فيه الاولين والاخرين وقدر في هذه الدنيا
خلق هذا البشر على التتابع الى ذلك اليوم اذ ذلك اليوم هو الذي يوجد فيه الجمع والله اعلم وسمي يوم الفصل
لهذا انه يوم القضاء والحكم ولانه اليوم الذي يظهر فيه مثوى اهل الشقاء واهل السعادة ويفصل بين الاولياء
والاعداء ويفصل بين الاولياء والاعداء ويفصل بين الخصماء والله اعلم وقوله وما ادريك ما يوم الفصل
اي لم تكن تدري قدر ذلك الله تعالى ذكر هذا اما على التعظيم والتهويل لذلك اليوم او على الامتنان على رسول
صلى الله عليه وسلم باطلاعه عليه والله اعلم وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين وفي هذا دليل على ان الوعيد
المذكور على الاطلاق منصرف الى اهل التكذيب ثم لم يذكر ما للمصدقين وحقه ان يقال طوبى للمصدقين
وحقه ان يقال طوبى للمصدقين لان حرف الويل يتكلم به عند الوقوع في المهلكة وحرف طوبى يتكلم به
في موضع السرور والغبطة فاذا ذكر في اهل التكذيب حرف الهلاك كان من كان بخلافهم فحالهم مستوجبا
للسرور ولكنه ان لم يذكرها ههنا فقد ذكرها في موضع اخر بقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب
حسابا يسيرا وقال عز وجل فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون بتقديم وتاخير وقوله تعالى الم نخلقكم
من ماء مهين فجائز ان يكون من ماء مهين فجائز ان يكون ذكر هذا ليدفع عنهم الاشكال والريب الذي اعترض
لهم في امر البعث لان الاعجوبة في الاعادة ليست باكثر من الاعجوبة في الانشاء والابتداء فذكر
ابتداء خلقهم لينتفي عنهم الريب في الاعادة وجائز ان يكون ذكر خلقهم من الماء المهين وهو الماء
المستعاف المستقذر ليدعو تكبرهم وتجبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقادون ويجيبوا الى
ما دعاهم اليه واخبر انه خلقهم في الظلمات التي لا ينتهي اليها تدبير البشر ليعلموا انه قادر على ما يشاء
ويعرفوا انه لا يخفى عليه شيء فيحملهم ذلك على المراقبة وعلى التيقظ والتبصر وقوله تعالى فجعلناه في
قرار مكين فالقرار المكين هو الرحم جعله الله تعالى قرارا مكينا يتمكن فيه الماء المهين فيخلق منه علقة
ومضغة ويقر فيه الى الوقت الذي قدر الله تعالى الخروج منه وقوله تعالى فقدرنا فنعم القادرون اي
خلقنا كل شيء منه بقدر وقدرنا اي سويناه على ما يوجب الحكمة على الوجه التي في قوله عز وجل
والذي قدر فهدى وقوله تعالى فنعم القادرون اي نعم من قادر فيخرج مخرج ذكر الالاء والنعم اي انا الذي
فعل بكم هذا هو الله تعالى لم يقدر احد ان يفعل بكم هذا الفعل وقوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء
وامواتا فجائز ان يكون هذا صلة قوله عز وجل الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين ولم نجعل الارض
كفاتا احياء وامواتا فيكون في ذكر هذا كله تذكير الالاء والنعم وتذكير القدرة والسلطان والحكمة فوجه
التذكير للنعم ان الله تعالى في اول ما انشاء نطفة قذرة وجعل لها مكانا يغيب عن ابصار الخلق ولم يفوض
تدبيرها الى البشر وكذلك في الوقت الذي انشاء علقة ومضغة لم يفوض تدبيره الى احد من خلقه لا
لانه في ذلك الوقت بحيث يستعاف ويستقذر ولا يدفع عنه المعنى الذي وقعت به الاستعافة والاستقذار
بالتطهير فجعل له قرارا مكينا يستتر عن ابصار الخلائق ثم لما انشاء فتممه وسوى خلقه من بطن امه
والقى في قلب ابويه الرقة والعطف ليقوما بتربيته وامساكه الى ان يبلغ مبلغا يقوم بتدبير نفسه
ومصالحه ثم جعل له بعد مماته ارضا يكفته ويضمه الى نفسها فيستر بها عن ابصار الناظرين اذ رجع بعد
موته الى حالة يستعاف ويستقذر ولا يقبل التطهير فكان في ذكره اول الاحوال والى ما ينتهي اليه تذكير
النعم ليصل على اداء شكره او جعل الرحم قرارا له في وقت كونه نطفة وعلقة ومضغة لما لا يرضى الخلائق انه بما
يغذى حتى ينمو ويزيد فرفع عنهم مؤنة التربية في ذلك الوقت ثم اذا صار بحيث يعرف وجه غذائه وعرف
الخلق المعنى الذي به في دفع حاجته اخرجه من بطن الام وفوض تدبيره الى ابويه فهذا وجه تذكير النعم
وفي ذكره ذكر القوة والسلطان والحكمة وهو ان الله تعالى جعل النطفة التي انشاء منها النسمة بحيث
يصلح ان ينشاء منها علقة ومضغة ولو اراد الخلق ان يعرفوا المعنى الذي له صلحت النطفة بان ينشاء منها
العلقة والمضغة والعظام واللحم ثم يكون منها نسمة سوية لم يصلوا الى معرفته واذا تفكروا في هذا
علموا ان حكمته ليست على ما ينتهي اليه علم البشر ولا تقع القصر على الحد الذي ينتهي اليه قوى البشر و
الذي كان يحملهم على انكار البعث بعد الاماتة تقديرهم الامور على قوى انفسهم وتسويتها بعقولهم
فاذا تدبروا في ابتداء احوالهم وراوا من لطائف التدبير وعجائب الحكمة علموا ان الامر ليس كما قالوا وقدروا
فدعاهم ذلك الى التصديق بكل ما ياتي به الرسل ويخبرهم من امر البعث وغيره وجائز ان يكون ذكرهم ابتداء

احوالهم وللتنوهم الى ما يصيروا اليه ليدعو التكبر على دين الله تعالى وتنقادوا له بالاجابة ولا يستكبروا
على احد من خلق لانهم في ابتداء احوالهم كانوا نطفة يستقذرها الخلق ثم علقة ثم مضغة ويصيروا
في منتهى الامر جيفة قذرة ومن كان هذا وصفه فانى يليق التكبر على احد ثم قوله عز وجل الم نجعل الارض
كفاتا يكفتهم اي يضمهم ويجمعهم فحسابهم وبعد مماتهم فالانضمام اليها في حال حيوتهم ما جعل لهم
من المساكن فيها والبيوت وجعل لهم بعد مماتهم مقابر يدفنون فيها وجعل منقلبهم في ظهرها
في حيوتهم وجعل بطنها ماوى لهم بعد وفاتهم وجعل بساطا لهم لتسلكوا فيها سبلا فجاجا وقدر لهم
فيها اقواتهم فذكرهم وجوه النعم في خلقه الارض ليستادى منهم الشكر والله اعلم وقوله تعالى وجعلنا
فيها رواسي شامخات فالرواسي هي الجبال الثابتات في الارض اثبتها في الارض ليقربها ولا تميد باهلها
ولو مادت لم يصل اهلها الى ما قدر لهم من المنافع فذكرهم بذكره الجبال الرواسي عظيم نعمه عليهم
ليستادى منهم الشكر والشامخات هي الطوال وقوله تعالى واسقيناكم ماء فراتا ولولا انزاله عليهم لم يكونوا
يصلون اليه بقواكم وحيلكم ثم انزله من السماء الى الارض ولم يخرج من حد العذوبة ولا حل به التغير
مما سنده الارض واختلطت به وهذا منصرف الى الشرب خاصة ثم لغير العذب من المنافع للعذب
الا الشراب خاصة وقوله تعالى الم نهلك الاولين وهم قوم نوح وقوم عاد وثمود ثم نتبعهم الاخرين
قوم فرعون وقوم لوط وغيرهم كذلك نفعل بالمجرمين قيل يجرى هذه الامة ثم اختلف في وقت فعله
فمنهم من يقول بان هذا الاهلاك في الاخرة كقوله عز وجل بل الساعة موعدهم والساعة ادهى
وامر ومنهم من ذكر انه فعل بهم يوم بدر ومنهم من ذكر ان فعله يجرى في امة محمد صلى الله عليه وسلم
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهر من القى الله تعالى في قلوبهم
الرعب حتى تركوا الاسباب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه للمحاربة مع شدة شوكتهم
وقلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا فعله بالمجرمين وفي القاء الرعب لطف ايات
رسالته وابين حجة عليها اذ كان فيه ما سنهم ان الذي اقعدهم عن القتال وقذف في قلوبهم
الرعب امر سماوي لا غير والله اعلم وقوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون معناه والله
اعلم الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى وهم كانوا يكذبون بالبعث وبالعذاب لكن
لهم هذا بعد البعث فهو منصرف الى ما ذكرنا من العذاب وقوله عز وجل انطلقوا الى ظل ذي
ثلث شعب ذكر ان ذلك الظل دخان يخرج من جهنم فيظنون انه ظل فيستظلون اليه رجاء ان ينفعهم
به وقوله عز وجل ذي ثلث شعب يحتمل وجهين احدهما ان يكون اصله واحدا ثم ينشعب منه شعب
ثلث وجائز ان يكون في الاصل ذا شعب ثلث بالسم كل شعبة من ناحية ثم يجتمع فيصير شيئا واحدا
وقوله عز وجل لا ظليل ولا يغني من اللهب اي لا ينتفعون به ما ينتفع بالظل في الدنيا لان ظل الدنيا
يهرب اليه الحار ليكن فيه لان ظل البيت مما يسكن فيه وظل الشجر والحيطان ليسوق اليه ليتبرد
وذلك الظل لا يغني عنهم في الاخرة في دفع الحرارة ولا في غيرها وقوله عز وجل ولا يغني من اللهب
فجائز ان يكونوا اهربوا الى ذلك الظل من اللهب فيخبر ان ذلك الظل لا يدفع عنهم اذى اللهب
وجائز ان يكون اللهب في ذلك الظل ويكون كناية الظل ساترة عما فيها من اللهب فيخبر انه ساترها
لا يمنع اللهب عن ان يمسهم اذا انضموا الى الظل وقوله عز وجل انها ترمي بشرر كالقصر مفتوحة
الصاد فالقراءة المعروفة قيل يراد بالقصر المعروف المبني باللبن والخشب وقيل يراد بها قصور
اهل البادية وهي الخيام ومن قرأ بالنصب اختلفوا في تاويله عن ابن عباس رضي الله عنه كالقصر قصر
النخل الواحدة وقصره وذلك ان النخلة يقطع قدر ثلثة اذرع واقصر واطول يستوقد
بها في الشتاء وقال بعضهم هو اصل النخل المقطوع المنقعر من الارض وقيل هو اعناق النخيل وقيل
القصرة اسم الخشبة التي يقطع عليها اللحوم ويكسر العظام يكون للقصابين وعن الحسن انه قرأ بخفض
كالقصر غير انه فسرها اي الحول من الخشب الواحد قصرة كقولك تمرة وتمر والله اعلم وفيه اخبار عن عظم
شررها وقدرها خلاف ما عليها الشرر في الدنيا لانه لا ياخذ مكانا بل يتبين ثم ينطفي ثم جائز ان يكون
بعض شررها في العظم كالخيام وبعضها كالقصور وبعضها كالاصول الاشجار وقوله تعالى
كانه جمالة صفر قرئ جمالة صفر جماعة الجمل وقرئ جمالات جمع جمالة الصفر قيل السود والنهاية
السود صفر لان السود يعلوها الصفرة في الابل فيسمى بها بذلك قول القائل تلك خيلي
منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب شبه الشرر بالقصر والقصر بالجمالة وهي

الابل الاسود وقرئ جمالات برفع الجيم وهي حبال السفن يمد ثم اذا ضمت يكون كاوساط الرجال فشبه الشرر
بالحبال الممدودة الصفر عند الامتداد وعند الانضمام كاوساط الرجال فيكون كالقصر وقوله عز وجل هذا
يوم لا ينطقون فجائز ان يكون معناه انهم لا ينطقون نطقا ينتفعون به كما لم يكونوا ينطقون في الدنيا
كلاما يقربهم الى الله تعالى فعاملهم في الاخرة حسب معاملتهم الله تعالى وهو كقوله تعالى نسوا الله فانسيهم انفسهم
وقوله تعالى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا الاية ومنهم من يقول لا ينطقون في بعض المواضع و
ينطقون في بعضها ويحتمل اي لا ينطقون بحجة بل يكذبون كقوله والله ربنا ما كنا مشركين وقوله عز وجل و
لا يؤذن لهم فيعتذرون ليس انه لا يقبل العذر منهم اذا اتوا به ولكن معناه انه لا عذر لهم ليقبل منهم
وهو كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين معناه انه لا تشفع لهم لانهم اذا اتوا بشفعاء لم تنفع
لهم واذا لم يكن عذرهم لا يعتذرون بعذر وقوله عز وجل هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ففيه
اخبار انه لا يخص بالبعث فريقا دون فريق بل يجمع الخلايق كلهم ثم يفصل بينهم فينزل كلا منزلته
التي استوجبها فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل يوم الحكم فجائز ان يكون سمي به لا يختصم فيه
اهل المذاهب فيحكم فيه بين المحق وبين الذي كان على الباطل والله اعلم وقوله عز وجل وان كان لكم
كيد فكيدون فجائز ان يكون يقال لهم هذا في الاخرة ان كيدوا حتى تنجوا انفسهم مما نزل بكم اي ان كان
لكم به مبلغ تحتالون بها ما فعلوا وهو حرف التقريع والتوبيخ على نفي نفاذ المكر والحيلة ليس ما عليه
امر الدنيا انهم يحتالون ويمكرون بانواع الخداع والتمويهات ويحتمل ان قيل لكم هذا في الدنيا امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقاومهم بهذا فيقول لهم فان كان لكم كيد فكيدون في قتلي واخراجي
من بين اظهركم كما قال هود عليه السلام لقومه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فعجزهم عن ذلك
يظهر لهم انه رسالته وحجة نبوته اذ خرج الاعداء من غير اعوان كانوا له ولا جنود محدقة بل كان
وحيدا فريدا بين ظهرانى قوم مشركين ليست همتهم الا اطفاء هذا النور وقوله عز وجل ان المتقين في جنات و
عيون فالمتقون هم الذين اتقوا عذاب الله قال الله تعالى اتقوا النار التي اعدت للكافرين قال في اخرى يا ايها
الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقال ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار
فهذا هو التقوى ثم ان اهل التوحيد خافوا العذاب فاجتهدوا في اتقائه فقيل لهم انطلقوا الى ظلال وعيون
واهل النار كانوا مكذبين بالعذاب فقيل لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب ثم اخبرنا بالوجه
الذي يقع به الاتقاء فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وامرنا بالانتصاب لمحاربته ثم علمنا وجه
المحاربة بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال الله وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين وقال ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فالزمنا الفزع اليه وبين انا
لا نقوى على محاربته الا بالابتهال اليه والفزع ثم يحتمل ان يكون الاتقاء ههنا منصرفا الى التصديق خاصة
لانه ذكر الاتقاء ههنا مقابل التكذيب في الاولين وجائز ان يكون منصرفا الى المصدقين بالاقوال والموفين
بالاعمال فالمتقي هو الذي اتقى اشياء صحبته نعم الله تعالى فوقاه الله تعالى شر يوم القيمة مجازاة له والمحسن
هو الذي احسن صحبته نعمه فاحسن الله منقلبه واحله بدار كرامته في ظلال وعيون وفواكه والمتقي هو
الذي وقى نفسه عن المهالك فوقاه الله تعالى يوم القيمة والمحسن هو الذي احسن الى نفسه وهو الذي استعملها
في طاعة الله اليه بما انعم عليه من الظلال والعيون ثم اخبر انهم في ظلال لان الظلال مما يرغب اليه الانفس في
الدنيا لانها يدفع عنهم اذى الحر والبرد والمطر وهي لا تحول ايضا واذى المطر والرياح وغير ذلك وظلال الاشجار
والحيطان يدفع اذى الحر وظلال البنيان يدفع اذى الحر والبرد والمطر وهي لا تحول ايضا بين المرء والاشياء
عن ايد ركت حقايقها وعظمت النعم في الظلال ووقعت لها الرغبة في الدنيا فقال ان المتقين في ظلال وعيون
وقال تعالى في ظل ممدود وماء مسكوب ثم الانفس اذا اوت الى الظلال اشتهت ما يمتنع به الابصار و
اعظم ما تتلذذ به الابصار ان يكون نظرها الى المياه الجارية فاخبر انهم في ظلال وعيون وقوله عز وجل وفواكه
مما يشتهون اي فواكه ايضا فاخبر ان لهم فيها ما تتلذذ به الابصار ويتمتع به وفيها ما يشتهي انفسهم و
فيها ما يدفع عن بعضهم الاذى وقوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا لا تبعة لكم من جهة السؤال ولا تنغيص
اي لا تؤذيهم ما ياكلون ويشربون فالمعنى الذي لا تبعة على صاحبه ولا تنغيص فيه وقوله عز وجل انا كذلك
نجزي المحسنين سمي المتقي محسنا لانه ابتداء بذكر المتقين وذكر ما اعد لهم ثم اخبر انهم فيكون باحسانهم وفيه
دلالة على ان الاتقاء متى ذكر على الانفراد يقتضي اتيان المحاسن والاتقاء عن المهالك ثم رجع الى المكذبين
فقال كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون فهذا في الظاهر بالاكل والشرب وهو في الحقيقة وعيد وهوان تمتعكم

بالاكل وغيره الذي يمنعكم عن النظر في الايات فليل عن سريع تفارقونه وتصيرون الى العذاب الله تعالى وقوله انكم مجرمون قد ذكرنا ان المجرم هو الوثاب في المعاصي وقوله عز وجل واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قال لهم الرسول عليه السلام اركعوا اي اخضعوا واستسلموا لله تعالى امتنعوا عن ذلك استكبارا منهم على الرسل واعراضا عن النظر في حجج الله تعالى وقوله عز وجل فباي حديث بعده يؤمنون اي فباي حديث تصدقون بعد حديث الله تعالى الذي لا حديث اصدق منه واقوى في الدلالة وجايز ان يكون هذا على تسفيه عقولهم واحلامهم وهواهم يمتنعون عن التصديق لحديث الله تعالى اذ لا حديث اصدق منه ثم يصدقون الاحاديث الكاذبة والاباطيل المزخرفة والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل عم يتساءلون عن النبا العظيم اختلف في التساؤل فمنهم من ذكر ان التساؤل كان عن امر النبي صلى الله عليه وسلم سالوا من حاله اهو نبي او ليس بنبي ومن ذكر ان التساؤل كان عن القران انه من الله تعالى او يتساءلون فيما بينهم هل تقدرون على اتيان مثله ام لا وجايز ان يكون التساؤل عن امر البعث او عن التوحيد كما قال الله تعالى اخبارا عنهم اجعل الالهة الها واحدا ثم جايز ان يكون هذا السؤال من اهل الكفر سال بعضهم بعضا فاختلفوا فيه ولم يحصلوا من اختلافهم على اصابة الحق الا ترى الى قوله تعالى كلا سيعلمون ولو كان فيهم مسترشد لكان وقع له العلم في ذلك الوقت فلا يحتاج الى ان يعلم ويبينه عليه فان كان السؤال عن حال الرسول صلى الله عليه وسلم فوجه اختلافهم ان بعضهم يزعم انه شاعر وقال بعضهم هو ساحر وقال بعضهم مفترى كذاب و ادعى بعضهم انه مجنون ومحال ان يكون السؤال منهما لكفرة للمؤمنين وان كان على هذا فما ذكره اهل التفسير فهم بين مصدق ومكذب يراد بالمكذب الذين صدر عنهم السؤال ويراد بالمصدق اهل الاسلام الذين سئلوا ثم لا يجوز لاحد تحصيل السؤال على جهة واحدة والقطع عليه بالتوفيق الموجب للعلم ثم في قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا جواب عما سبق من السايل فان كان السايل عن امر الرسالة فمخفه ان يحمل على جهة غير الجهة التي يحمل عليها اذا صرف التساؤل الى امر البعث والى امر التوحيد والقران والاصل فيه ان الله تعالى عاد ذكر منها والارض وخلق الازواج ذكر عباده عظيم نعمه وكثرة احسانه اليهم ليستادي منهم الشكر وانا وقعت لهم الحاجة الى الشكر احتاجوا الى من يعرفهم عما به يشكر الله تعالى وكيف يؤدى شكره اذ لا يعرف في كل نعمة وجه شكرها الا بالتوفيق فيضطرهم ذلك الى من يبين لهم واحتاجوا الى من يعرفهم الوعد والوعيد محل الشكور ومحل الكفور ومحل الموالي ومحل المعادي اذ وجد واهل الدنيا تمن على وليائه وعلى الاعداء على حالة واحدة فاحتاجوا الى من يعرفهم الوعد والوعيد واوجب ما ذكرنا القول بالبعث ليظهر به منزلة الشكور والكفور وفي ذكر هذه النعم ايضا دلالة الوحدانية لان الله تعالى مهد الارض فجعلها متمتعا للخلق ومنقلبا لهم ولتخرج منها ما يتعيشون به وجعل سببا لاخراج ما ينزل من السماء من القطر فجعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء فلو لم يكن مدبرهما واحدا لانقطع الاتصال ثم لو اراد واحد ان يعرف المعنى الذي له يقع احياء الاشياء بالماء لم يصل اليه ولو ارادوا ان يدركوا الوجه الذي صلح هذا الطعام ان يكون سببا لدفع الحاجات وقطع الشهوات لم يقفوا عليه فيكون فيما ذكرنا ازالة الشبه والشكوك التي يعترض لهم في الامور الخارجة عن تدبيرهم واوهامهم وقوله عز وجل كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون فمنهم من ذكر هذا وعيد على وعيد وقد ذكرنا ان حرف الوعيد مما يكرره العرب فيما بينهم للتاكيد كما يقال هيهات هيهات واولى لك فاولى وجايز ان يكون قوله كلا سيعلمون على علم دلالة وقوله تعالى كلا سيعلمون على علم المشاهدة والعيان ثم قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا اي بساطا والجبال اوتادا ذكر ان الارض لما خلقت مادت لاهلها فارساها الله تعالى بالجبال لطفا منه لا ان جعلها سببا للارساء الا ترى الى قوله تعالى يسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فقد جعلنا في ذلك الوقت مستمسكة ثابتة مستقرة بدون الجبال فثبت انها ليست بسبب للارساء في التحقيق ويكون فيه تعريف الخلق وجوه الحيل في الامور اذا تعذر عليهم الوصول اليها وقوله عز وجل وخلقناكم ازواجا اصل لوانا فيكون في هذا ابطال الحكم بقول القايف لانهم يستدلون بالتشابه في الالوان ويحكمون بها فلو كان الامر على ما قدروا الارتفع الاختلاف في الالوان فيكون الخلق كلهم على لون واحد وقيل ازواجا فرقا شتى ليعرف عنصره ومنتهى اصله وقيل ازواجا اي جعل لكل احد شكلا من جنسه فجعل الذكر انثى زوجا من جنسه وقوله تعالى

وجعلنا

وجعلنا نومكم سباتا قيل السبات التمدد وقيل السبات النوم الذي لا حركة فيه ولهذا قيل للذي شبيه بالميت مسبوت وقيل السبات الراحة ولذلك سمي السبت لانه يوم راحة وترك العمل في بني اسرائيل ثم انشاء النوم دليل سلطانه ودخول الخلق باجمعهم تحت تدبيره اذ لا يتهيا لاحد الاحتراز من النوم حتى لا يعتريه بل يقهر الجبابرة فيذلهم ولا يمكنهم الخلاص عنه بالحيل والاسباب ثم النوم كانه من اثقل الاحمال واشدها ثم اذا ذبل الانسان وعاد المرء الى حال اليقظة وجد في نفسه خفة وراحة ومن شان هذا الانسان انه اذا حمل الحمل الثقيل مسه من ذلك فتور وكلال لا يزول عنه ساعة ما يضع الحمل عن نفسه بل يبقى ذلك الكلال فيه الى مدة فمن تدبر في امر النوم دله على عظم شانه وعجايب تدبيره وقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فهذا اللباس لباس لا يعين لا غيرا لا ترى انه لا يستغنى بلباس الليل عما اخذ عليه من اللباس للصلوة ولا يعمل لباس الليل عمل اللباس المعروف في دفع اذى البرد والحر وقال بعضهم اللباس السكن كما قال في اية اخرى جعل لكم الليل سكنا فكان الذي حملهم على هذا التاويل ان تمام السكون والراحة يقع بالنوم فصرفوه اليه وقوله عز وجل وجعلنا النهار معاشا اي يتعيش فيه لا ان يكون نفسه معاشا كما سماه مبصرا لما يبصر به لا انه في نفسه مبصر وقوله عز وجل وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي السموات فذكرهم هذا لينبههم على قدرته وسلطانه فعرفوا انه فعال لما يريد قادر على ما يشاء وقوله عز وجل وجعلنا سراجا وهاجا فكان السراج هو الشمس جعلها متوهجة وتلالا ما بين السماء والارض وقوله عز وجل وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا فمنهم من ذكر ان المعصرات هي السحاب التي تنشئ فيها القطر يقال للجارية التي قد دنت حيضها معصرة فتشبه السحاب معصرا لانه يعطر المطر وقيل هي ذوات الاعاصير يعني الرياح كقوله فاصابها اعصار اي ريح وعن الحسن اهل السموات وقال الزجاج المعصر هو الذي قد اتى وقت ارسال القطر منه كما يقال محرز لما اتى وقت جوازه ثم في انزال الماء من المعصرات تذكير النعم والقدرة والحكمة وكل وجه من هذه الاوجه الثلاث يوجب القول بالبعث فاما وجه تذكير النعم وهو ان القطر يرد من السماء متتابعا ثم الله تعالى بلطفه يمنع ايصال بعضه ببعض واتصاله ويرسل كل قطرة الى الارض بحيالها وينزل بعضها على اثر بعض لينتفع بها ولو التصق بعضها بالبعض لم يبق لها شي وكانت يصير سببا للتعذيب والاهلاك فبفضله ورحمته انزلها متتابعة لينتفع بها الخلق ويتمتعوا بها وفيه تذكير القوة والحكمة لانه انشاء السحاب الثقال وساقه الى الموضع الذي قدر ان يرسل القطر هنالك ومعلوم ان تلك الارسال ليس من فعل السحاب لان السحاب يمتنع عن ارسال ليس من فعل السحاب لان السحاب القطر حتى ينتهي الموضع الذي امر بارسال القطر فيه ولو كان ذلك السحاب بنفسه لكان اين ما مر يعمل في الارسال ولو كان ذا ثقب لكانت الريح متى دخلت في الثقب ارسل السحاب ما اشتد فيه من القطر فاذا لم يوجد ذلك بان ان الله تعالى بحكمته وقدرته ولطفه هو الذي انشاء فيه ذلك ودبر ارساله لا ان يكون ذلك بفعل السحاب ولو اراد واحد من حكماء الارض ان يعرف المعنى الذي له صلح ذلك السحاب ان يستمسك فيه القطر ولا يستمسك في مكان اخر لم يقف عليه فذكرهم ليعلموا ان حكمته ليست على الوجه الذي ينتهي اليه حكم البشر ولا قدرته مقدرة بقوى البشر بل هو قادر على ما يشاء فعال لما يريد وفيه ان تدبير السماء والارض والهواء يرجع الى الواحد القهار ولا يتهيا لاحد ان يمنع القطر المرسل من السماء عن الوصول الى الموضع الذي امر ان ينتهي اليه والثجاج القطر المتتابع بعضه على اثر بعض والثج الصب والاراقة وقوله عز وجل لنخرج به حبا ونباتا فجايز ان يكون ذكر الحب لانه المقصود من زراعة ما يكون له الحب فذكره لما اليه ينتهي القصد ويكون ذكر النبات منصرفا الى ما لا حب له لان القصد من زراعة النبات لا غير وجايز ان يكون منصرفا الى شي واحد لان الذي فيه الحب نبات ايضا وقوله عز وجل وجنات الفافا قد ذكرنا ان الجنة هي اسم المكان الملتف بالاشجار وهي التي اجتمعت فيه الاشجار وقوله عز وجل ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم فالميقات الميعاد اي وعد فيها جميع الاولين والاخرين صالحهم وطالحهم صغيرهم وكبيرهم وسمي يوم الفصل لما يفصل فيه بين الاولياء وبين الاعداء ويتبين فيها مثوى الفريقين جميعا واليوم ليس بيوم فصل في الظاهر لان الدنيا امر على الفريقين على حالة واحدة وان كان قد فصل بينهما بالتوفيق والخذلان وقيل يوم الفصل يوم الحكم وقوله عز وجل يوم ينفخ في الصور وقد ذكرناه وقوله عز وجل فتاتون افواجا قيل امة فامة تاتي امة كل رسول بحيالها وقيل يقرن كل احد بشيعته على ما يذكره في قوله تعالى واذا النفوس زوجت وقوله عز وجل وفتحت السماء فكانت ابوابا فمنهم من ذكر انها تفتح لانزال من شاء الله تعالى من الملائكة وتنشق وتنفطر لشدة هول القيمة ومنهم من قال

ان الشق والفتح والانفطار كل واحد فذكر الفتح لتشنيع هول ذلك اليوم وجايز ان يكون الكل تقتضي معنى
واحدا الا انه فيما ذكر فيه الانشقاق قد ذكر فيه نزول الملائكة بقوله يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلا وقوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا فجايز ان يكون شبهها بالسراب لما انها اذا سيرت لم يوجد في المكان
الذي راها فيه الناظر كالسراب الذي يرى من بعد فاذا اتاه الناظر لم يجده شيئا الا ان يكون الجبال في الحقيقة
سرابا لان السراب هو الذي يرى من البعد انه شيء ولا شيء في الحقيقة واما الجبال وان سيرت فهي في نفسها
شيء وقوله عز وجل ان جهنم كانت مرصادا منهم من ذكر انها كانت في علم الله تعالى انها ترصد على من حقت عليه
كلمة العذاب فيعذبه ولا يمكنه الفرار عنها وقيل ترصد على من حقت عليه كلمة العذاب فيعذبه ولا يمكنه الفرار
عنها وقيل ترصد بتشهيقها وزفيرها من استوجب العذاب فيعذبه وتقرب بها بطول غيظها له وتخليها
على من سخط الله عليه وقيل معناه المرصاد وان يكون ممر كل كافر ومؤمن عليها لكن الكافر يقع فيها والمؤمن
ينجو عنها وقوله عز وجل للطاغين مابا اي مرجعا والطاغي هو الذي من تعدى حد الله تعالى وضيع حقوقه
وكفر بانعمه وقوله عز وجل لابثين فيها احقابا ذكر الاحقاب ولم يبين منتهى العدد ولو كان اللبث فيها
يرجع الى امد في حق الكفرة لكان يأتي عليه البيان كما اتى البيان على منتهى يوم القيمة بقوله في يوم كان
مقداره الف سنة مما تعدون وقال تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
فلما لم يتبين ثبت انه لا يرجع الى حد والى هذا الحسن ومنهم من ذكر ان معناه انهم يلبثون ثلاثة احقاب و
الحقب ثمانون سنة يعذبون بلون من العذاب ثم يعذبون بلون اخر من العذاب بعد ذلك لا ان ينقطع عنهم
العذاب بعد مضي الاحقاب والاحقاب هي النهاية في الاوقات فذكر النهاية في الاوقات وما يكبر منها كما قال
خالدين فيها ما دامت السموات والارض لانهما هما اللذان عرفا بالدوام فاقتضى ذلك معنى الدوام فكذلك
ذكر ما هو النهاية من الاوقات ليعرف انهم ابدا فيها مقيمون وقوله عز وجل لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
فذكر بعضهم ان البرد هو النوم ومنهم من ذكر ان معناه الروح والراحة وقال بعضهم لا يذوقون
فيها بردا يقع عنهم الحر ولا شرابا يقطع عطشهم الا حميما وغساقا فالحميم هو الماء الذي قد انتهى في الحر
نهايته والغساق الزمهرير وقال بعضهم هو ما يتفصل عن ابدانهم من الصديد والزهومة وهو [illegible]
فمعناه والله اعلم ان الذي يتطعم به اهل النار لا يغذيهم ولا يجدون به مستمتعا بل يصير ذلك سبب اهلاكهم
لا ان يقع لهم بذلك البرد راحة وشرابهم كما وصفهم الله تعالى فان له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى فيبقون
ابدا في الهلاك لا يقضى عليهم فيستريحوا ولا ينقطع عنهم العذاب فيلتذون بالحيوة وقيل الغساق لون من
العذاب لم يطلع الله عليه عباده وقوله عز وجل جزاء وفاقا اي وافق جزاؤهم اعمالهم لا ينقصون ولا يزادون على
قدر ما استوجبوا بل يجزون مثل اعمالهم وجايز ان يكون معناه ان جزاؤهم وافق اعمالهم في الخبث وقوله عز وجل
انهم كانوا لا يرجون حسابا فمنهم من ذكر انهم لا يخافون ومنهم من حمله على حقيقة الرجاء اي لم يكونوا يرجون
الثواب والوجه انهم كانوا قوما لا يؤمنون بالبعث ولا بالجزاء والعذاب حتى يخافوا العقاب ويرجوا الثواب
فان حملته على الخوف فهم لم يخافوه لما لم يؤمنوا به وكذلك ان حملته على حقيقة الرجاء فهم لم يكونوا يرجون بما كذبوا
وقوله عز وجل وكذبوا باياتنا كذابا فالكذاب والتكذيب في لغة العرب واحد والايات جايز ان يراد بالايات ايات
البعث ويراد بها ايات الوحدانية وايات الرسالة ونحوها وقوله عز وجل وكل شيء احصيناه كتابا فجايز ان يكون
الاحصاء والكتاب واحد وجايز ان يكون اريد بالاحصاء ما اثبت في الكتاب كقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
احصاها وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فالزيادة في العذاب هو دوامه وبقاؤه لا ان يزادوا على القدر
الذي كان اعد لهم من العذاب لانه اخبر انهم لا يجزون الا مثلها فاذا كان الذي عذبوا قبله جزاء لم يجز ان يزاد
عليه فثبت ان الزيادة انصرفت على الدوام والبقاء وبهذا قال اصحابنا في تاويل قوله فزادتهم ايمانا وفي كل
ما ذكرت من الزيادة انه على الثبات والدوام عليه لا انه يزيد وينقص وقوله ان للمتقين مفازا حدائق اي
مفازا عن انواع العذاب التي ذكرت في الطاغين وقوله عز وجل حدائق واعنابا فالحدائق هي الاماكن التي
احاطت الاشجار باطرافها وقوله عز وجل واعنابا ظاهر قد ذكر انهم وعدوا في الاخرة كل ما يقع لهم الرغبة
في الدنيا ثم الاصل ان هذه السورة نزلت على اثر التساؤل بقوله تعالى عم يتساءلون عن النبإ العظيم فجايز
ان يكون الذي حملهم على السؤال ما اعترض لهم من الشبه او خطر ببالهم فنشأ لو اتى لهم ذلك عنهم
الشبه فذكرهم عظم نعمه وعجايب تدبيره وقوته وسلطانه وعدله من امعن النظر فيها ولم يعط النفس
من نفسه ووضعها [illegible] الى ما ذكر من قوله ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مابا وسيعلم ذلك بقوله كلا
سيعلمون ان حمل هذا على الوعيد وقوله عز وجل وكواعب اترابا قيل الكاعب هي التي تكعبت ثديها وذلك

حين تبلغ ان تحيض وهي ناهد وهي اشهى ما يكون الى الرجال والاتراب المستويات في السن ففي هذا انباء انهن يكن
ابدا على سن واحد لا يتغيرن عن تلك الحال ولا يهرمن وقوله عز وجل وكاسا دهاقا قيل ملأى وقيل صافيا وقيل
متتابعا فوصفه بالملأ ليعلم ان ذلك الشراب لا ينقص ما داموا يشربون خلاف ما عليه شراب اهل الدنيا ومن
حمله على الصفا فمعناه انه صاف عن الافات والمكروه التي تكون في شراب اهل الدنيا من التصديع واذهاب العقل
وغير ذلك ومن حمله على التتابع فمعناه ان ذلك الشراب لا ينقطع ولا ينفد ما داموا في شربه بل يتتابع عليهم
ولا يحدث فيهم حال يمنعهم عن الشرب من السكر وغيره فيمتنعوا عن شربه خلاف الشراب اهل الدنيا وروي
عن العباس ابن عبد المطلب انه قال كنا اذا استخشنا الساقي في الجاهلية قلنا دهاقا لنا اي تابع لنا وقوله عز
وجل لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا اي لا يسمعون فيها ما يحق ان يلغى بل يسمعون كل خير والذي يحق ان
يلغى ما ذكروا من الحلف والباطل والكذب فلا يسمعون شيئا من ذلك كما يسمع من اهلها في الدنيا [illegible]
وقوله عز وجل كذابا اي قرئ بالتخفيف فهو من الكذب اي لا يكذبون وان قرئ بالتشديد فهو من التكذيب اي
لا يكذب بعضهم بعضا كما يوجد في شراب اهل الدنيا وقوله عز وجل فيها في الجنة ثم قوله كذابا قرأ بعضهم بالتخفيف
في الموضعين ههنا وفي كذبوا باياتنا كذابا بالتشديد في الموضعين وقرأ بعض القراء بالتشديد في الاول
وفي الثاني وعن الكسائي انه قال بالتخفيف لغة مصر وبالتشديد لغة يمانية يقولون كذبته تكذيبا
وكذابا وخرقته تخريقا وخراقا ونحو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل من ربك عطاء حسابا قوله جزاء جزاهم
وعطاهم حسابا بما حاسبهم وقال الحسن جزاء باعمالهم اي زادهم على القدر الذي استوجبوا وقال بعضهم عطاهم
عطاء كثيرا حتى قال واحد منهم حسبي حسبي والذي يؤيد هذا التاويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
كان يقرأ جزاء من ربك عطاء حسانا وقال بعضهم جزاء باعمالهم التي كتب الحفظة واحصوها عليهم واعطى
عطاء حسابا اي كثيرا لما اخفوا من اعمالهم التي لم يطلع عليها ملائكة فاعطاهم عطاء بما [illegible]
وجايز ان يكون الجزاء عطاء من ربه لانه يستوجب الخير لما ذكرنا انه لا احد من هذا البشر الا وقد سبقت له
من الله تعالى نعم لو انفد جميع عمره في اداء شكره منها لم يصل الى كنه ما عليه من الشكر ومن قام بالشكر و
نوى عليه زيد له ايضا في النعم لمكان الشكر فاذا وصل الجزاء عليه في الدنيا لم يستوجب به المزيد فثبت ان
الجزاء في الاخرة يجيء الا افضال من الله تعالى والانعام لا يجيء الا استيجاب الا ترى الى قوله تعالى ومن يطع الله
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية فسمى الكرامة انعاما وقال في اية اخرى
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للمتقين الذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء فجعل ما اتاهم من النعيم فضلا منه فثبت ان الذي جزاهم به عطاء من ربه حسابا اي كثيرا
وقوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما فالرب المالك فذكر انه مالك السموات والارض
وما بينهما ليعلموا انه لم يمتحن احدا بعبادته لحاجة تقع له او لمنفعة تصل اليه بل هو الغني له ما في السموات
وما في الارض وان منفعة ما امتحنوا به من العبادات راجعة الى انفسهم ثوابا [illegible]
كان الضرر راجعا اليهم وقوله عز وجل الرحمن بين انه رحمن ليرغبوا في رحمته ويتسارعوا الى مغفرته وقوله
عز وجل ولا يملكون منه خطابا من الله تعالى [illegible] فلا يملكون من جهته بالشفاعة او بالخصومة
باي شيء كان وقوله عز وجل يوم يقوم الروح والملائكة صفا اختلف في الروح فمنهم من قال هو جبريل عليه السلام
ومنهم من صرف الى ارواح المسلمين ومنهم من ذكر انهم الحفظة على الملائكة يرون الملائكة ولا يراهم
الملائكة وجايز ان يكون الروح الكتب المنزلة من السماء كما قال تنزل الملائكة والروح من امره فيكون
الكتب خاصمة من ضيع حقها او نبذها وراء ظهره وشافعة لمن ادى حقها او عمل بما فيها ومنهم من ذكر
انه من المكتوم الذي لا يفسر قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وقوله عز وجل
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا جايز ان يكون هذا منصرفا الى الشافع اي الشافع لا يقول
فيما يشفع غير الصواب وما حل به من الرهبة والخوف من هيبة الله تعالى لا يزيله عن التكلم بالحق بل
يلقنه على الحق ويجري على لسانه الصواب وقال بعضهم معناه لا يشفع الا من قال في الدنيا صوابا وهو الحق
وقيل معناه انه لا ينال من الشفاعة شيئا الا من قال في الدنيا الصواب والصواب ان يكون [illegible]
وان يبين التوحيد وذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه [illegible] فتقول اللهم اجعلني
من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال لها قولي اللهم اجعلني من رفقاء محمد صلى الله عليه وسلم
في الجنة فان شفاعته لاهل الكباير من امته قال رضي الله عنه وبهذا الفصل يبطل قول المعتزلة [illegible]
اذا قلتم اللهم اجعلنا من شفاعة محمد نصيبا فقد قلتم اللهم اجعلنا من مرتكبي الكباير اذ شفاعته في

زعمكم لاهل الكبائر فالجواب عن هذا ان الذي ابتلاه بارتكاب الكبائر دون الشرك انما ينال الشفاعة بما سبق
منه الخيرات من التوحيد وتعظيمه لربه عز وجل فمحاسنه التي سبقت منه هي التي تجعله محلا للشفاعة ولولا
هاتان لما نالها فاذا قال اللهم اجعلني من شفاعة نبيك نصيبها فهو يقول اللهم وفقني على فعل الخيرات واجعلني
ممن يعظمك ويتقرب اليك بالطاعة حتى انال بها الشفاعة لا ان تقصد بدعائه جعله من اهل الكبائر و
الذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فاخبر الله تعالى
ان تسبيحه ما انقذه من بطن الحوت ولو لم يكن مسبحا لم يستوجب الخلاص وكذلك صاحب الكبيرة يستوجب الشفاعة
ويرجى له الخلاص بما سبق منه من الحسنات دون ان يستوجبها لارتكاب الكبيرة ثم من قول المعتزلة انهم يرون
الصغائر مغفورة لاربابها اذا اجتنبوا الكبائر فقال له بان من ادعى الله تعالى وسال المغفرة لكان يدعو بغفوره
اللهم ابتلني بالصغائر حتى تغفرها لي فان قلتم بان دعاءه بالمغفرة لا يقتضي ما عارضناكم به فقولوا كذلك فيمن
يقول اللهم اجعلني من شفاعة محمد نصيبا انه لا يقتضي ان يجعله من اهل الكبائر وقوله عز وجل ذلك اليوم الحق
فمن شاء قيل معناه ان لا يقال في ذلك اليوم غير الحق وجائز ان يكون منصرفا الى اليوم نفسه فيكون معناه
انه كونه حقا يكون لا محالة وقوله فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اي مرجعا وتاويله ان الله بين للخلق سبيل الضلال
والهدى ولم يصد احدا عن سبيل الضلال والهدى وبين ان من سلك سبيل الضلال فمآبه الى النار
ومن سلك سبيل الرشد والهدى فمآبه الى الجنة وذلك مآبه الى الله تعالى واتخاذ السبيل اليه تعالى وقوله
عز وجل انا انذرناكم عذابا قريبا اي العذاب الذي اوعدتم به قريب وان استبعدتموه في اوهامكم قال الله
تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وقوله عز وجل يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فجائز ان يكون منصرفا الى الخلائق
اجمع مؤمنهم وكافرهم ثم تخصيص الايدي بالذكر هو ان التقدم والتاخر في الشاهد يقع
بالايدي فاضيف اليها وان احتمل ان لا يكون للايدي صنع فيما ارتكب من الاثام او فيما فعل من الخيرات
وهو كالمطر يسمى رحمة الله وان لم يكن ذلك من اوصافه لانه برحمة الله ما نزل من السماء ويسمى الكلام
لسانا وان لم يكن هو لسانا لانه باللسان ما يتكلم فكذلك التقدم اضيف الى الايدي لما بها يقع التقدم
في الشاهد وان لم يكن للايدي صنع وقوله عز وجل ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ذكر هذا التمني
في الكافر دون المؤمن لان المؤمن يرى حسنات متصلة وسيئات مغفورة فيامن من عقوبات الله
تعالى والكافر يرى نفسه مؤاخذا بالسيئات ولا يرى لها حسنات مقبولة فيتمنى ان يكون ترابا ليتخلص
من عذاب الله تعالى وقال بعضهم ان الوحوش تحشر والطيور كلها ثم يقول الله تعالى كوني ترابا فيتمنى الكافر في ذلك
الوقت ان يكون ترابا والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل والنازعات غرقا والناشطات نشطا اختلف في تاويله فمنهم من حمل ذلك كله على الملائكة
فقال والنازعات غرقا هم الملائكة الذين ينزعون ارواح الكفرة ويغرقون اغراقا اي يشددون في
النزع كما يغرق النازع في القوس اي يشد عليه شدة الامر على الغريق او ينزع ارواح الكفرة فتغرق في النار
وقوله عز وجل والناشطات نشطا قيل اي ينشط ارواح الكفرة نشطا عنيفا اي ينزع ملائكة العذاب
ارواح الكفرة من اجوافهم نزعا شديدا وقيل هذا في حق المؤمنين ان الملائكة تنشط ارواح المؤمنين اي تحلها
حلا رفيقا سهلا كما ينشط من العقال فيخبر بهذا خفة ذلك على المؤمنين ويخبر بالاول تشديد على الكافر
وقوله عز وجل والسابحات سبحا قيل ان الملائكة يسلون ارواح المسلمين سلا رفيقا وقيل الملائكة يسبحون بين
السماء والارض وقوله عز وجل فالسابقات سبقا اي سبق الملائكة الى ارواح المؤمنين وقيل فالسابقات
سبقا الملائكة الذين يسبقون بالوحي الى الانبياء عليهم السلام وقيل هم الكروبيون الذين لا يفترون
عن تسبيح رب العالمين وقوله عز وجل فالمدبرات امرا هم الملائكة الموكلون بامور الخلائق وارزاقهم
ومنهم من صرف تاويله الى الايات التي في النجوم انهن النجوم التي يطلعن [illegible] بحوائج الخلق ولامور
جعلت لها ويغربن من مغاربهن ثم ينشطن الى مطالعهن فيطلعن منها التي لا يطلعن
[illegible] بل ناشطات لامر الله تعالى الى ما سخرن له والسابحات سبحا النجوم ايضا يسبحهن
دوراتهن في الافق لامور جعل ذلك على الخلق لقوله كل في فلك يسبحون وقوله فالسابقات
سبقا اي يسبق بعضها بعضا او يسبقن الشياطين بالرجم والطرد لا يدعهن يقربون
الى السماء وبه قال الحسن والله اعلم ومنهم من صرف تاويل الايات الى مختلف الاشيا

تعالى والنازعات غرقا هي القسي ينزعها الانسان فيغرق في نزعها والناشطات نشطا هي الاوهاق
تنشط بها الدابة يكون منه في جهة والسابحات سبحا هي السفن والسابقات سبقا هي الخيل فالمدبرات
امرا هي الملائكة وبه قال عطا ومنهم من صرفها الى انفس المؤمنين وارواحهم فقال والنازعات هي الانفس
التي تغرق في الصدر والناشطات نشطا حين ينشط من القدمين وقيل ان انفس المؤمنين تنشط الى
الخروج عن الابدان اذا عاينوا ما اعد لهم في الجنة والسابحات سبحا هي ارواح المؤمنين سميت سابحات
لسهولة الامر عليها كما يسهل الخروج من الماء ممن يعلم السباحة وقوله فالسابقات ايضا هي ارواح المؤمنين
ايضا سميت سابقات لانها تكاد تسبق فتخرج قبل وقتها لما يعاين من كرامات الله تعالى من المنزل يدل هذا
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقيل ذلك عند
موت المؤمن اذا حضره الموت صار في ذلك الوقت كالمسجون الذي يتمنى الراحة والخلاص منه لانه
ما اعد له من الثواب فتتوق نفسه يود لو خرجت حتى يصل الى ما اعد لها من الكرامة والكافر اذا راى
عند ما حضر جعل تبليغ نفسه كراهة ان تخرج فيصير الدنيا في ذلك الوقت كالجنة له فيما لا يحب مفارقتها
من شدة ما يرى من عذاب الله تعالى وعلى هذا قيل في تاويل قوله عم من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه انه ذلك عند الموت ان المؤمن اذا حضره الموت واري ثوابه من الجنة
ود ان تخرج نفسه فيحب لقاء الله تعالى ويحب الله لقاءه والكافر يكره في ذلك الوقت ان تخرج نفسه
فذلك حين كره لقاء الله وكره الله لقاءه والله اعلم وقوله عز وجل فالمدبرات امرا فالراجح فيما المراد منها
الملائكة الموكلون بامور الخلق وارزاقهم ونحو ذلك والله اعلم ثم اختلف في الذي قصد اليه بالايمان
والقسم فمنهم من ذكر ان الذي وقع عليه القسم قوله عز وجل ائنا لمردودون في الحافرة على معنى انكم
مبعوثون وان القسم حق فكانه اقسم بهذه الاشياء انهم لمبعوثون واضمر الجواب ههنا لما دل عليه
المعنى فاكتفى به ومنهم من ذكر ان القصد من اليمين قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فقسم
بما ذكر ان النفختين كائنتان فالنفخة الاولى يموت بها الخلق والنفخة الثانية لاحياء الاموات والحكم
في النفخة جائز ان يكون على حقيقة النفخ فيكون النفخة علامة الموت والحياة لا ان يكون عليه
الاماتة ثم اختلفوا بعد هذا فمنهم من يحمله على التحقيق فيزعم ان النفخة الاولى يهلك بها الخلق والنفخة الثانية يحيي
بها الخلق ومنهم من ذكر ان النفخات ثلاث فالنفخة الاولى للتفزيع والتهويل قال الله تعالى ان زلزلة الساعة
شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية والنفخة الثانية يهلك بها الخلائق بقوله
يوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الاية والنفخة الثالثة يحيى بها الخلق بقوله
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ومنهم من ذكر ان هذا ليس على التحقيق النفخ بل على التمثيل فمثل به
اما النفخة البعث والاحياء على الله تعالى وسهولته بخفة النفخ على النافخ او مثل به بسرعته كما قال الله
تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقال الرجفة هي الزلزلة والتحرك يتبعها الرادفة وهي
الزلزلة الاخرى ثم ان كان القسم على اثبات البعث ففيها ذكر اشارة الى احوال البعث وافعالها
وان كان موجها على قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فكانهم سالوا
كيف يكون القلوب في ذلك اليوم فقال يكون واجفة والواجفة الخائفة الوجلة وقوله عز وجل ابصارها
خاشعة اي ذليلة ووجه تخصيص الابصار والقلوب والله اعلم هو انه لا اشياء لاحد استعمال قلبه
وبصره بل يحدث للقلوب فكر وتداركات لا يمكنه ان يدفع عنها الفكر وكذلك هذا في البصر فيخبر
ان ما نزل بهم من الخوف والهيبة يمنع القلوب والابصار عن عملها فلا ينظر الا الى الداعي ولا يحدث
القلوب فكر بل يكون الافئدة هواء لا يقر لشدة ما حل بهم من الخوف ان المرء اذا اخبر بامر فهو يعمل
انواعا من الحيل ويتوقع بصره على شيء فشيء رجاء ان يتدارك ما فيه خلاصه وسلامته من ذلك
الامر ثم ينقطع عنهم التدبير في ذلك اليوم فيكون القلوب هواء لا يقر في موضع ولا يقف على
تدبير لشدة ما حل بهم ويكون الابصار خاشعة ذليلة الى ما يدعو الداعي وقوله عز وجل يقولون
ائنا لمردودون في الحافرة اي يقولون انا نرد الى ما كنا عليه في الدنيا في ابتداء الامر خلقا جديدا
يقال اتى فلان الى فلان فرجع على حافرته يقول على جهته الاولى ويقال النقد عند الحافرة اي عند
البيع والكلام فقالوا هذا على جهة الانكار للبعث والاستهزاء به قال ابو بكر هذا ماخوذ من حافر
الدابة وهو ان الفارس يمكنه ان يصرفها بحافرها الى الموضع الذي ابتداء السير منه من ورائه وقوله
عز وجل ائذا كنا عظاما نخرة وناخرة فالناخرة البالية التي لم تفت بعد والنخرة هي التي صارت رفاتا

ودرست حتى ينسفها الريح وقوله عز وجل قالوا تلك اذا كرة خاسرة قال الحسن وابو بكر هذا منهم م
تكذيب للبعث اى لا يكون ابدا وقال غيرهما معناه ان لو كانت كرة كما يزعمها المسلمون فهى كرة خاسرة
على المسلمين لانهم ظنوا انهم اذا كانوا فى الدنيا انعم حالا وارغد عيشا وكان المسلمون فى ضيق من العيش
ورثة من الحال ان يكونوا كذلك فى الاخرة الا ترى الى قوله تعالى ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها
منقلبا فكانوا يظنون انهم بما انعم الله تعالى عليهم انما انعم لانهم اقرب منزلة واعظم درجة من المؤمنين
اذ لا يجوز ان تضيق على اوليائه ويوسع على اعدائه فاذا وسع عليهم ظنوا انهم هم المفضلون فى الدنيا
والاخرة وان من خالفهم هم الاخسرون ومنهم من قطع هذا الكلام عن مقالة الكفرة وزعم ان
هذا الوصف راجع الى الكفرة وقيل خاسرة لما خسروا انفسهم واموالهم واهليهم وخاسرة اى مخسرة
وقوله عز وجل فانما هى زجرة واحدة ففيه اخبار عن سرعة كون ذلك الوقت وسهولته على الله تعالى
وقوله عز وجل فاذا هم بالساهرة قيل الساهرة هى وجه الارض وجايز ان يكون اريد بهذا ان
العيون تسهر فى ذلك اليوم ولا يعتريها النوم بل يكون مهطعة الى الداعى ذليلة وقوله عز
وجل هل اتيك حديث موسى فمنهم من يقول قد اتاك فخوضهم وقال الحسن لم يكن اتاه فاتاه
بهذا فيعلمه مع علمه انه لم يكن علمه من قبل وقد ذكرنا ما فى ذكر الانبياء من الفوائد من تثبيت الرسل
والتخويف لمن اساء صحبة الرسل عليهم السلام لان لا ينزل بهم ما نزل بفرعون واتباعه حيث
اساؤا صحبة الرسول موسى عليه السلام وقوله عز وجل اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى
قيل طوى اسم ذلك الوادى وقيل سمى طوى لانه بورك مرتين فى اتاه ابراهيم عليه السلام ومرة
باتيان موسى عليه السلام ذكر عن الزجاج ان طوى بكسر الطاء الذى بورك مرتين ثم اضاف ذلك
الحديث مرة الى موسى ومرة الى نفسه اذ ناداه فظاهره ان الله تعالى هو الذى كلمه فاضيف الى الله تعالى
لان اصله من الله تعالى كما ذكرنا فى قوله تعالى حتى يسمع كلام الله فى قوله انه لقول رسول كريم وقوله عز وجل
اذهب الى فرعون انه طغى اى عتا وطغا فى نعمه فاستعملها فى كفران نعمه فلم يشكر الله تعالى بها وقوله
عز وجل فقل هل لك الى ان تزكى اى هل لك فى اجابة من اذا احببت تزكيت او هل لك رغبة الى ما تزكوا
به نفسك وتنموا ثم فى هذه الاية دلالة ان من اراد ان يدعو احدا الى ما فيه رشده وصلاحه م
فالواجب عليه ان يدعوه اولا بالرفق واللين كما امر موسى وهرون عليهما السلام بقوله
فقولا له قولا لينا ويقول له هل لك الى ان تزكى ثم اذا ترك الاجابة ختم كلامه بالتعنيف كما قال
موسى عليه السلام بقوله وانى لاظنك يا فرعون مثبورا بعد قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض وقوله عز وجل واهديك الى ربك فتخشى اى اهديك الى ربك فتهتدى ثم تخشاه اذا اهتديت
اى عرفت عظمته وجلاله فتخشى عقوبته فيكون العلم مثمرا للخشية الا ترى الى قوله انما يخشى الله من
عباده العلماء او اهديك الى طاعة ربك وانذرك عقابه اذا عصيته فلا تعصيه وقوله عز وجل
فاراه الاية الكبرى فمنهم من ذكر ان الاية الكبرى هى اليد سميت كبرى لان سحرهم عمل فى الحبال والعصى
ولم يعمل فى اليد فكانت هذه الاية خارجة من نوع سحرهم فسميت كبرى لهذا المعنى ومنهم من ذكر ان الاية
الكبرى هى العصا لان غلبة موسى عم على السحرة كانت بالعصا حيث تلقفت ما توالم من السحر ولكن كل
اية كانت كبرى كما قال فى اية اخرى وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها فكانت احداهما اكبر من الاخرى
عند ذوى الاحلام والنهى لمن تامل فيها وتدبر والله الموفق وقوله فكذب وعصى اى كذب بايات الله
وعصى نبيه موسى فلم يطعه وقوله عز وجل ثم ادبر يسعى قال الحسن كان خفيفا طياشا والا فالملوك انما
اذا دعى الى امر يتدبرون فيه ويتفكرون اما يجيب الداعى الى دعاهم اولم يردوا عليه فاما الادبار والسعى فليس
الا من الخفة والطيش وقال غيره ادبر عن طاعة الله تعالى وتولى عنه وسعى فى جمع السحرة او سعى فى
جمع من قال لموسى عليه السلام فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه وقوله عز وجل فحشر فنادى فقال
انا ربكم الاعلى وذلك اللعين قد علم انه ليس برب السموات والارض ولكن قد اتخذ لقومه اصناما امر العوام
منهم ان يعبدوها ليقربهم ذلك اليه لكونه اذا صار وامر خاصته اذن لهم بان يعبدوه وامر الخواص
منهم بعبادته فسمى نفسه اعلى الارباب لهذا وقوله فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فمنهم من يقول
اخذه بعقوبة الكلمتين جميعا الكلمة الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيرى والكلمة الثانية قوله انا
ربكم الاعلى ومنهم من يقول اخذه بعقوبة ما تقدم من الاجرام وما تاخر الى ان غرق ومنهم من يقول اخذه
بالعقوبة فى الدنيا والاخرة فغرقه فى الدنيا وعذب روحه بعد مماته بقوله النار يعرضون عليها غدوا

وعشيا ويدخل فى النار مع اتباعه بقوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب فاتصلت عقوبة
الدنيا بعقوبة الاخرة وقوله ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى وفى ذلك كله عبرة لكن الذين يعتبر بها من يخشى
العواقب ويخاف عقوبة الله تعالى وقوله عز وجل انتم اشد خلقا ام السماء فجايز ان يكون صلة قوله يوم ترجف
الراجفة وفى قوله انتم اشد خلقا تقرير له ايضا ثم قوله عز وجل انتم اشد خلقا ام السماء يحتمل اوجها
احدها ان اعادتهم خلقا جديدا وبعثهم ليس فى عقول منكرى البعث من خلق السموات وقد
اقروا انه خالق السماء فاذا لم يتعذر عليه خلق السماء وان كان خلقه اشد فى عقولهم من خلق امثالهم فما لهم
ينكرون بعثهم واعادتهم الى ما كانوا عليه وذلك اهون فى عقولهم ويحتمل وجها اخر وهو ان السماء مع
شدة خلقها اشفقت على نفسها فابت حمل ما عرض عليها من الامانة وخافت نقمة الله تعالى فما بال
هذا الانسان مع ضعفه يمتنع عن الاجابة الى ما دعى اليه افلا يشفق على نفسه ولا يخاف نقمة الله تعالى
وما خلقت النار والجنة الا لاجل الانس فيذكرهم بهذا النحو فهم ويرتدعوا عما هم فيه من الغفلات
ويجيبوا الى ما دعاهم اليه الرسول وجايز ان يكون صلة قوله اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت
فيخبر ان السماء مع شدتها وطواعيتها لا تقوم بذلك اليوم فكيف يقوم طول ذلك اليوم مع ضعفه
فيرجع هذا ايضا الى التخويف وقوله عز وجل بناها رفع سمكها فسويها بناها اى خلقها رفع سمكها سقفها
فسواها بالارض وسواها على ما توجبه الحكمة ويدل على الوحدانية قال امام الهدى ابو منصور رضى
الله ثم لم يفهم احد من قوله بناها ما يفهم من البناء المضاف الى الخلق ولا فهم الرفع ما يفهم من الرفع
المضاف اليهم ولا فهم من قوله والارض بعد ذلك دحاها ما يفهم من البسط المعروف المنسوب الى
الخلق فما بال بعض الناس فهموا من المجئ الذى اضيف الى الله تعالى ما فهموا من المجئ الذى يضاف
الخلق فلولا انه حلت بهم حملتهم على ان يفهموا منه المعنى المكروه والا لم ينصرف اوهامهم الى مثل ذلك
وقوله عز وجل اغطش ليلها اى اظلم واخرج ضحاها نفى اظلام الليل واخراج الضحى ما ينفى عن منكرى
البعث الشبه التى يعترض لهم وذلك انه يغطش فى ساعة لطيفة ويغشى ظلمتها كل شى ثم يتلفها
فى وهلة ويفنيها كانها لم يكن ثم يعيدها بعد ما يلفها حتى لو اراد احد ان يميز بين الاولى والثانية
لم يقدر عليه بل وقع عنده ان الاولى هى الثانية والثانية هى الاولى وهذا بعد ما تلفت الظلمة م
الاولى وذهبت كليتها حتى لم يبق منهما اثر فلان يكون قادرا على اعادتهم خلقا جديدا بعد ما فناهم
وقد بقى من انا الخلق الاول بعضه اولى ثم اضاف ذلك الى السماء لان بدوها يظهر من عندها وقوله
عز وجل والارض بعد ذلك دحاها قالوا بسطها فمنهم من يقول خلقها مجتمعة ثم بسطها بعد خلق السموات
والارض الا ترى انه قوله دحاها ولم يقل خلقها ومنهم من ذكر انه خلق سماء الدنيا اولا ثم خلق الارضين
بعد ذلك ثم خلق السموات الست من بعد ومنهم من ذكر انها كانت قبل ان يبسط تحت البيت م
المقدس ثم بسطها بعد ذلك قال ابو بكر هذا لا يحتمل لانه لا يجوز ان يكون بجملتها وسعتها تحت بيت
المقدس والله اعلم ولكن معناه عندنا ان كان على ما قالوا منصرف الى الجوهر اى الجوهر الذى خلق
منه الارض كان هنالك لا ان كانت بجملتها تحته كما خلق هذا الانسان من النطفة وان لم يكن بكليته
فى النطفة وخلق من التراب وان لم يكن بكليته على ما هو عليه فى التراب وكان معناه انه خلق من
ذلك الجوهر على ذلك الحكم فيما ذكره ومنهم من زعم ان خلقهما كان معا وذكر عن الحسن ان الارض
خلقت قبل السماء بقوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن وقال
فى موضع اخر ثم استوى الى السماء وهى دخان وقال اسم السماء ما ارتفع من الشئ كما يقال للسقف
سماء لارتفاعه عن الانسان وقوله عز وجل اخرج منها ماءها ومرعاها تذكر ما انشاء لنا لنحمد
وما اخرج منها للانعام لتذكر النعم ايضا ليشكروه ويحمدوه عليه اذ الدواب خلقت لنا فما رجع الى
منافعها فهى راجعة الينا اذ بها ما يصل الى الانتفاع بالدواب وقوله عز وجل والجبال ارسيها اثبتها
لئلا تميد باهلها وقوله عز وجل متاعا لكم ولانعامكم ففيه ان ما جعله متاعا لنا قد جعل شيئا من
ذلك للدواب والذى جعله للانعام لم يجعل لنا فيه شركا وذلك لان الذى انشاه لمتاع البشر
منه ما يستخبث ويستقذر ومنه ما يستطاب ويدخر فجعل ما طاب منه للبشر وما خبث منه لمنافع
الدواب والذى انشاه لمنافع الدواب مما يستخبثه الطباع ويستقذره ففضل اغذية من خير
منازلهم ففيما ذكرنا دلالة اباحة التناول من الطيبات ان الله تعالى من على عباده ان جعل اغذيتهم
بما طاب من الاشياء وفضلهم على الانعام فمن كره ذلك فقد كره انتفاعا بما انشئ للانتفاع واسم

على وقوله عز وجل فاذا جاءت الطامة الكبرى قال الطامة هي الصيحة سميت طامة لانها تطم الاشياء
ونعيمها وسميت كبرى لانها ان طمت بالعذاب فهو يدوم ولا ينقطع وان احاطت بالثواب والكرامة فهو
يدوم ولا ينقطع فسميت كبرى لدوامها وقوله يوم يتذكر الانسان ما سعى ما عمل وتذكره يكون بوجهين
احدهما بقراءة كتابه كقوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا والتذكر الثاني يكون بالجزاء فالذي
لا يكون بالطف من الله تعالى والا فالمرء قد يكتسب اشياء ثم ينساه اذا طالت المدة ولا يتذكر بالقراءة
فيما لم يتولى كتابه احق ان لا يتذكر لكن الله تعالى بلطفه يذكره لكن الله تعالى بلطفه يذكره بالقراءة
فيعرف صدق ما كتبته الملائكة ويعرف انه اذ عوقب عوقب جزاء ما كسبت يداه ويكون الجزاء ابلغ
في التذكر فيتذكر في ذلك الوقت وقوله عز وجل وبرزت الجحيم لمن يرى وقرئ لمن ترى فتضيف
الرؤية الى الجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله لمن يرى جائز ان يكون
الرؤية كناية عن الحضور والدخول فيكون قوله لمن يرى اي لم يدخلها ويحضرها وهو كقوله ان رحمة
قريب من المحسنين ومعناه ان رحمة الله للمحسنين وقال تعالى ولا تقربا هذه الشجرة واريد بالقرب التناول
واريد بالقرب التناول فكني عنه بالقرب فجائز ان يكون الرؤية ههنا كناية عن الدخول والحضور فيكون
فيه اخبار عن احاطة العذاب بجميع ابدانهم وجائز ان يكون اهل الرؤية هم اهل الجنة فيرونها مشاهدة
فيتلذذون بذلك لما نجوا ونالوا النعيم كما تألموا بذكرها عند ما كانت غائبة لا يرونها قال الله تعالى
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
فمن الله علينا الاية وقوله عز وجل فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا اي عصى وتمرد وطغى بانعم الله تعالى
فاستعملها في معاصيه او جاوز حدود الله وقوله عز وجل وآثر الحيوة الدنيا فجائز ان يكون ايثاره
ان يشتغل بمحاسن الحيوة الدنيا حتى انساه ذلك عن الآخرة واذا ابتغى بها الحيوة الدنيا لم يبق له
في الآخرة نصيب لانه قد وفي له عمله الا ترى الى قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وقوله عز وجل فان الجحيم هي المأوى اي يأوي اليها وقوله واما من خاف مقام ربه
فجائز ان يكون اريد بالمقام حساب ربه او مقامه عند ربه فاضيف الى الله تعالى لان البعث مضاف
اليه فكل احوالها اضيف اليه ايضا وجائز ان يكون الخوف راجعا الى الحالة هو فيها فيخاف ان يكون
مقامه في موضع نهى الله تعالى عن المقام فيه وقوله عز وجل ونهى النفس عن الهوى فليس هذا نهي
قول وانما نهيه اياها ان يكفها عن شهواتها ولذاتها ويكفها ان يشعرها عذاب الآخرة ويخوفها
آلامها وعقابها فاذا فعل ذلك سهل عليها ترك الشهوات الحاضرة وسهل عليها العمل للآخرة و
الناس في نهي النفس عن هواها على ضربين فمنهم من يقهرها فلا يعطيها شهواتها فهو ابدا في
جهد وعناء ومنهم من يذكرها العواقب ويريها ما اعد لاهل الطاعة ويعلمها ما يحل بالظلمة
فيصير ذلك لها كالعيان فتختار لذات الآخرة على لذات الدنيا اذ ذلك ادوم والذي سهل عليه
العمل للآخرة والهوى هو ميل النفس الى شهواتها ولذاتها فقيده ان الانفس جبلت على حب
الشهوات والميل اليها ولا تنتهي عن ذلك الا بما ذكرنا وقوله عز وجل يسئلونك عن الساعة وقيل
لقيامه سميت ساعة اما لخفاء امرها على من اليه تدبيرها او سميت ساعة لسرعة كونها اذا
اتى وقتها او سميت لقربها الى الحالة التي كانوا عليها كقوله تعالى اتى امر الله ثم كان هذا
السؤال من المؤمنين فهو سؤال استهداء كانه لما قيل لهم اذا السماء انفطرت واذا السماء
انشقت قالوا متى يكون الساعة فنزلت هذه الاية وجائز ان يكون السؤال من الكفرة انه
ليس في تبيين وقتها كثيرة منفعة حتى يقع الحاجة للمسلمين الى تبيينه بالسؤال وحسابهم
لو دسوال استهزاء واستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم ونبينا لونه استعجالها
بقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فكانوا يسألونه عن شيء يعلمون انهم متعنتون
في السؤال قصدا منهم والتلبيس على الضعفة والاتباع لانهم كانوا يعلمون ان ذلك
ليس هو وقت مجيء الساعة فاذا طلبوا الاستعجال علموا انه لا يبينها لان بينهم في ذلك
الوقت اذ ذلك الوقت يخرج مخرج خلف الوعد فيحتجون على الضعفة انه لو كان صادقا
في مقالته ان الساعة تكون لكانوا متى طلبوا مجيئها يأتيهم بها وقوله عز وجل فيم انت من
من ذكراها اي لست انت من علمها في شيء هذا ان ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يطلع عليها وقوله عز وجل الى ربك منتهاها اي ينتهي اليها علمها فيكون هنا نهى هو

للسائلين

للسائلين عن عودا الى السؤال وقوله عز وجل انما انت منذر من يخشيها فهو صلى الله عليه وسلم كان منذرا
للعالمين جملة بقوله ليكون للعالمين نذيرا لكنه ينتفع بانذاره من يخشى الانذار وقوله عز وجل كانهم
يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها قال اهل التأويل هذه الاية انهم اذا رأوا الساعة استقصر
هذه الايام وقلت الدنيا في قلوبهم حتى عاينوا الآخرة وجائز ان يكون تأويله لو ارادوا الساعة للحالة
التي هم فيها لم يلبثوا فيها الا عشية او ضحيها فلا يقع ذلك موقع التهويل والتخويف والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل عبس وتولى ان جاءه الاعمى ذكر الحسن ان تعبيس الوجه والتولي كانا بنفس النبي على ظاهر
الاية فانه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده من عظماء المشركين يعظهم ويدعوهم الى الا
سلام فلما جاءه ابن مكتوم يسأله اعرض عنه لمكان اولئك القوم وعبس وجهه لرجاء اسلامهم وذكر
غيره من اهل التفسير انه عبس وتولى لما سأله ابن مكتوم عما فيه رشده وهداه فعبس وجهه بقطع
الحديث عليه ثم هذا التعبيس من عليه الصلوة والسلام كان في امر لو تام ثم وزن ذلك بخيرات
اهل الارض لرجح على خيراتهم ومحاسنهم لانه ذكر انه كان مقبلا على رؤساء الكفرة يعظهم ويحرضهم على
الاسلام رجاء ان يسلموا فيكون في اسلامهم رجاء اسلام كثير من القوم لانهم كانوا من علية القوم
وعظمائهم فكان في اسلامهم رجاء اسلام من يتبعهم من قومهم فيستوجب باسلامهم من جزيل الثواب
وعظيم المنزلة ما لا يبلغه احد بجميع محاسنه فكانه في سؤاله اياه منع ما قصد اليه من احراز جزيل الثواب
وكريم الخصال واذا كان هكذا فتعبيس الوجه مثل هذا الحال امر سهل لا يستبعد ولا يستنكر والثاني
ان تعبيس الوجه على الاعمى والاعراض عنه لا يظهر الاعمى لانه لا يراه فلا يعد جفاء وكان في اقباله على
اولئك القوم وحسن صحبته اياهم رجاء الاسلام منهم اذا قبل له وحسن صحبته يظهر لهم وفي
الاعراض عنهم ذهاب ذلك الرجاء وابداء الجفاء منه اياهم ومن الامر الوجه الذي فيه اتقاء الجفاء
والدعاء من الردى الى الهدى وصلاح الدين فهو محمود عند ذوي الاحلام والنهى ولان اقباله
على القوم اذ كان لمكان دعائهم الى الاسلام وقد امرنا بدعاء الكفرة الى الاسلام وان كان في
دعائهم اتلاف انفسنا واموالنا فلان يسوغ الدعاء من وجه ليس فيه الا تعبيس الوجه على واحد
من المسلمين اولى ولكن النبي صلى الله عليه وسلم وجد منه هذا النوع من الاثار احبتها واوليا والانبيا
عليهم الصلوة والسلام فدخل معهم العتاب من الله تعالى بتعاطيهم امورا لم يسبق من الله تعالى لهم الاذن
في ذلك وان كان الذي تعاطوه من الامور امورا محمودة في تدبير الخلق نحو ما عوقب يونس عليه و
عوقب بمفارقة قومه بغير اذن وان كان ذلك المفارقة لو وجد من واحد من اهل الارض استوجب
بها الحمد وحسن الثناء لان تلك المفارقة لا تخلو من احدى الامور الثلاثة احدها ان قومه كانوا اهل
كفر وكانوا له اعداء في الدين ففارقهم لينجو منهم ويسلم دينه ومثل هذا لو وجد من غير الانبياء
عليهم الصلوة والسلام عد ذلك من افضل شمائله والثاني ان في مفارقته من بين اظهرهم تخويف لهم
وتهويل لان القوم من قبيل كان لا يفارقهم نبيهم من بين اظهرهم الا وقت ما يريد ان ينزل بهم العذاب
فكان في مفارقته اياهم تخويفهم وتهويلهم فيدعوهم ذلك الى الانقلاع عما هم عليه من الضلال
والفزع الى الله تعالى ومن خوف اخر بامر يكون فيه دعاؤه الى الهدى وردعه عن الضلال فقد ابلغ
في النصيحة واستقام على الطريقة والثالث انه يفارقهم ليستنصر بغيره فينصره دونه عليهم ويتقوى
بهم ليكون على دعائهم الى الاسلام اكمل واقدر ومن كانت مفارقته من قومه على هذه النية
فليعم المفارق هو ثم عوتب مع هذا كله وذكر الله تعالى في الكتاب قصته للوجه الذي ذكرنا فكذلك
الوجه في معاتبته نبينا محمد عليه افضل الصلوة واكمل التحيات وفيهم من ذكر ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يقصد الى تعبيس الوجه على ابن مكتوم ولا تولى عنه عمدا لذلك لكن لما قطع عليه حديثه
وكان فيه قطع رجاء اسلام اولئك القوم شق ذلك عليه واعتراه من ذلك هم شديد اثر ذلك
في وجهه لا انه كان منه ذلك على القصد ووجه اخر ان يقال ان الله تعالى جعل في قلبه صلى الله عليه
وسلم من الشفقة والرحمة على العالمين حتى بلغ من شفقته ان كادت نفسه تذهب على من اعرض
عن دين الله تعالى والايمان به حسرات عليه حتى قيل له لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقال
ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دما وليه ان لا

تحزن مما نهم كل هذا الحزن فيكون فيه تخفيف الامر عليه لا ان يكون فيه نهي عن الحزن وعن الحسرة ولذلك
قال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك ومعناه والله اعلم ان لا تحمل نفسك كل هذا
التحمل حتى يمتنع عن الانتفاع مما احل الله لك للانتفاع به طلبا لمرضاتهن لا انه نهاه عن ابتغاء مرضاتهن
بل قد ندب الى ابتغاء مرضاتهن بقوله ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن
الاية فجايز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد عليه اعراض اولئك القوم عن الايمان وكبر
ذلك عليه حتى تغير لون وجهه فنزل قوله تعالى عبس وتولى تبين شدة ما اعتراه من الهم حتى اثر ذلك
في وجهه لا ان يكون فيه مذمة ومنقصة له ثم في هذه الاية ضوا بدا من احد بها جواز العمل بالاجتهاد
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا النوع من العمل اجتهادا لا ايضا اذ لو كان الاذن
بالتولي والتعبيس سابقا لم يكن يعاتب بفعل ما قدام به فان قيل كيف لا يدل المعاتبة على النهي على
اقدامه مثله فيحرم عليه الاجتهاد وقيل له لو كان نهيا لم يكن يعود الى العمل بالاجتهاد بعد ذلك و
قد وجد منه عليه السلام العود لقوله عفى الله عنك لم اذنت لهم بقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل
لك فثبت انه ليس فيه نهي وفيه ان الكافر وان كان مبجلا معظما في قومه فليس على المومنين
ان يعظموه ويبجلوه بل يستر زل ويستخف به وان المسلم ينبغي ان يعظم ويكرم وان كان حقيرا
في اعين الخلق وفيه اية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ودلالة نبوته وانه لم يختلق هذا الكتاب من
عند نفسه لان من يتعاطى فعلا وحقه الستر فهو يستره على نفسه ولا يهتك عليها الستر لئلا
يلزم عليه فلو لم يكن مامورا بتبليغ الرسالة لكان يجتهد في الستر على نفسه ولا ينبذ به للخلايق
ولكنه كان رسولا لم يجد من تبليغه الى الخلق بدا فبلغه كما امر وقوله وما يدريك لعله يزكى
ولعل من الله تعالى واجب وقوله يزكى اي يتزكى بعلم ونيته وفي هذه الاية قضاء بابطال قول
من زعم ان جميع ما في القران وما يدريك فهو مما لم يدره ويروى ذلك عن سفيان عيينة رضي
الله عنه وغيره لانه قد ادراه ههنا بقوله لعله يزكى ولعل من الله واجب واذا جعلته واجبا فقد
زكاه واذا زكاه فقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل او يذكر فتنفعه الذكرى يحتمل و
جهين احدهما ان يكون يتزكى بتذكرك اياه فينتفع بتذكرك والثاني ان يتذكر فيما ذكرته من الفوايد
وما نحن عليه في حالة فينتفع به فيكون المنفعة في التاويل الاول بالتذكر بنفس تذكير الرسول
صلى الله عليه وسلم وفي تاويل الثاني بتذكره فيما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل اما من استغنى
اي بما اختاره هو عاجلته به من الدين او استغنى بالذي زين له الشيطان عاجلته به ولا يكون على الغناء
المعروف لان الدين اقبل عليهم بوجهه كانوا اهل ثروة وغناء فاقبل عليهم رجاء ان يسلموا فيتبعهم
في الاسلام اذ كانوا من رؤسائهم واجلتهم وقوله عز وجل فانت له تصدى اي مقبل عليه بوجهه
وقوله وما عليك ان لا يزكى اي ليس عليك غرم التذكرة اعرض عنك وعاداك لم يكن من الحاق
ضر ربك بل الله يعصمك ويدفع عنك شره وقوله عز وجل واما من جاءك يسعى وهو يخشى اي يعمل
لله تعالى ويخشاه فجايز ان يكون الخشية علة للسعي فيكون معناه ان خشيته هي التي حملته الى السعي و
قد يجوز ان يخرج الكلام مخرج العطف على جعل احدهما علة للاخر ودليلا له قال الله تعالى كيف تكفرون بالله
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكان الاحياء الاول دليلا للاحياء الثاني في موضع العطف
والترتيب على الكلام الاول او ان يكون ابتداء فقوله جاءك يسعى وهو يخشى الله تعالى ويخاف التبعة
وحلول النقمة وقوله كلا قال الحسن معناه ان الذي فعلته من التولي عن المومنين والاقبال على
الكفرة ليس من حكمي وذكر ابو بكر الاصم لما نزل قوله عبس وتولى الى قوله فانت عنه تلهى تغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف زوال الرسالة وان يمحى اسمه عنها فلما نزل قوله كلا
علم انه لم يودعه ربه حيث نهاه عن العود الى مثله وقال المفسرون كلا اي لا تعد الى مثل هذا وقوله
عز وجل انها تذكرة فجايز ان يكون هذا منصرفا الى السور كلها وجايز ان يكون منصرفا الى هذه
السورة لان فيها اثبات هذه التوحيد واثبات الرسالة من الذي ذكرنا دلالة البعث واياته
ان خلق البشر ليس على العبث فهي تذكرة لمن يذكر بها او جايز ان يكون منصرفا الى الايات التي قبل
هذا في السورة وهو ان فيما تقدم في هذه السورة من الايات تثبيت رسالته بما تقدم ذكرناه
وجايز ان يقال ان هذه تذكرة اي هذه المعاتبة تذكرة للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع المومنين
ليعرفوا من يستوجب التعظيم والتبجيل ومن يستوجب اهانته والاستخفاف وقوله عز وجل

فمن

فمن شاء ذكره جايز ان يكون معناه من شاء الله ان يذكره او ما شاء ذكره اي قد مكن من التذكر وانه
ليس احد بممنوع ولا مجبور على الفعل فمن ترك التذكر فهو الذي ضيع ذلك حيث اثر واختار ضده واشتغل
بغيره واعرض وجايز ان يكون على تحقيق الفعل اي من تذكر به فهو ذكره فكنى بالمشية عن الفعل
لما ذكرنا انها يقترن بالفعل ولا تزايله فيكون في ذكرها الفعل او يكون على ارادة الفعل قبل وجوده
وقوله عز وجل في صحف مكرمة قيل هو الصحف المتقدمة كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم
وموسى وقوله في صحف اي في ايدي الملائكة وقوله مكرمة اي مكرمة بما يكرمها اهل الكرامة وهم
السفرة البررة او مكرمة على الله تعالى وقوله عز وجل مرفوعة اي مرفوعة القدر مطهرة من التناقض
والاختلاف او مطهرة من ان ينالها ايدي العصاة او مطهرة من الاقذار والادناس وقوله عز وجل
بايدي سفرة فالسفرة الكتبة وقوله عز وجل كرام بررة اي كرام على الله تعالى بررة في اعمالهم كما و
صفهم الله تعالى بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله عز وجل قتل الانسان قال اهل
التاويل لعن الانسان وذكر الحسن والمعتزلة ان هذا من الله تعالى على الشتم والتسمية له بذلك واستجاب
الشتم منه والاصل انه ليس في الشتم الا ظهور سفه الشاتم وعيبه اذ لا ضرر يلحق بالمشتوم من جهة
الشتم وانما ضرر ذلك الشتم على الشاتم خاصة واما المشتوم فانما يصير مشتوما بفعله لا بشتم الشاتم
وجل الله تعالى من ان ينسب اليه فعل السفه فلذلك قلنا انه لا يتحقق معنى الشتم في الكلمة التي عرفت
شتما فيما بين الخلق اذا جاءت من الله تعالى كما يتحقق من الكلمة التي عرفت اغتيابا فيما بين الخلق اذا جاءت
من الله تعالى معنى الاغتياب بل يحمل ذلك على الردع والتنبيه فيكون في ذكرها تخويف من خوطب بها
وتذكير للخلق سفهه وجهله الا ترى ان المرء في الشاهد قد يتكلم بما فيه هتك الستر على المخاطب فذ
لا يعد بعد ذلك منه اغتيابا اذا قصد به وعظه وزجره عما هو ورشده الى ما فيه صلاح اخرته واولاه
فكذلك الله تعالى اذا جاء منه ما يعد شتما من غيره واغتيابا لم يلحقه وصف الشتم والغيبة اذ ذلك منه
على التذكير والتنبيه للخلق وعلى التخويف والتهويل لمن نسب اليه ذلك وقوله عز وجل ما اكفره اي
اقبح كفره واوحشه واشنعه لانه علم ان جميع ما انعم به من النعم فمن الله تعالى ثم هو لم يشكر نعمه
ولا الطاعة فيما دعاه اليه بل وجه شكر نعمه الى من لا ينفعه ولا يضره وعبد من لا يسمع ولا يبصر ولا
يغني عنه شيئا ما هو الا غاية الفحش ونهاية القبح او ما اوحش كفره وافحشه بما سوى بين الشكور و
الكفور وبين المفسد والمصلح وبين الولي والعدو والعقل يوجب التفرقة بينهما فهو بانكاره
البعث كابر عقله وعانده فما اشد كفره من هذا وصفه ثم قوله تعالى ما اكفره اي اي شيء اكفره فيكون
في ذكره تعجيب لمن امن من الخلايق وتذكير لهم عن سوء من هذا فعله وسوء معاملته مع ربه
وقوله عز وجل من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فكانه قال ان الذي كفر قد علم انه خلق من نطفة
وتلك النطفة موات لا سمع فيها ولا عقل ولا شيء من الجوارح ثم الله تعالى بلطفه وعجيب حكمته
ركب فيها بصرا يرى بفتحة واحدة وفؤادا في وهلة مسيرة خمس مائة عام وقد ركب فيها عقلا يرى
ملكوت السموات والارض وقد ركب فيها السمع والبصر وغيرهما من الجوارح افترى ان من بلغت
قدرته هذا يعجز عن احياء من اماته وعن بعثه باقل من لحظة او يكون قوله من نطفة خلقه
تعريف منه انه خلقه من نطفة ويكون في ذكره ما ذكرنا من الفوايد وقوله عز وجل فقدره
اي سواه على وجه يكون فيه دلالة ربوبيته وشهادة وحدانيته او قدره على ما فيه
صلاحه ومنفعته او قدره على ما يشاء من القصر والطول والدمامة والملاحة وغير ذلك
وقوله عز وجل ثم السبيل يسره يحتمل ان يكون المراد من السبيل الدين فكانه يقول يسر له سبيل
الدين وذلك السبيل الى الله تعالى على ما ذكرنا ان الدين اذا اطلق اريد به دين الله تعالى وكذلك
الكتاب المطلق يراد به كتاب الله تعالى فعلى ذلك السبيل اذا ذكر مطلقا كان منصرفا الى سبيل الله
تعالى او يسر له السبيل سبيل الهدى وسبيل الضلال والسبيل الذي لو سلكه نفعه والسبيل
الذي يضره او يسر له السبيل الذي علم الله انه يختاره كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى او يسر عليه
سبيل الخروج من بطن امه على ضيق ذلك الموضع وكبر جثته ليعلم ان من بلغت قوته هذا فهو
قادر على ما اراد لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه امر وقوله عز وجل ثم اماته فاقبره ففي ذكر هذا ذكر
النعم وهو ان الله تعالى جعل لما يجيف ويتغير كما يكون فيه قبره عن الخلق لئلا يعافوه ويستقذره

ولم يجعل ذلك لغيرهم وجعل لانفسهم اذا هم تغيرت بالموت وصارت بحيث يستخبث ويستقذر كما يستر عيبها
ليغيب عن الخلق فلا يتاذوا بها فذكرهم هذا ليشكروا وقوله عز وجل ثم اذا شاء انشره معناه والله اعلم
كذلك اذا شاء انشره لان هذا كله احياء في موضع الاحتجاج فكانه قال ان الذي خلقه من نطفة وقدره
ثم اماته فاقبره فهو كذلك ينشره اذا شاء وكذلك هذا في قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه الاية اي ان الذي احياكم ثم اماتكم فكذلك هو الذي يحييكم وقوله تعالى كلا
لما يقض ما امره فمنهم من ذكر ان هذا الخطاب في كل احد لا ترى انسانا قضى جميع ما عليه من الامر
على حد ما امر حتى لا يفضل عنه ولا يقتصر فيه بل من الله تعالى على كل احد في كل طرفة عين نعمة لا يتهيأ
لاحد ان يقوم بكنه شكرها حتى لا يقع منه في ذلك جفاء ولا تقصير ومنهم من يقول هذا في
الكفار خاصة لا يقضون ما امروا به من التوحيد فان كان على هذا فهو منصرف الى ابتداء الامر
وان كان على الوجه الذي فهو منصرف الى كنه الامر ويستقيم توجيهه على الكافر على ما ذكروا لان
ايمان المومن لزمه حكم التجدد في كل وقت اذ هو في كل وقت مامور باجتناب الكفر فهو يجتنبه
فذلك يكون واذا كان كذلك ثبت انه في كل وقت مومن لما امر به هو يجتنب عما نهي عنه فهو
بايمانه راجع عن الزلات في كل حال معتقد للوفاء بما امر به لذلك كان صرفه الى الكافر وجه
وقوله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه كيف قدره حيث استعمل فيه السموات والارضين
والهواء والشمس والقمر والليل والنهار فاستعمل السماء في المطر فيها واستعمل الهواء في جعلها
مسلكا للمطر واستعمل الارض في جعلها قرارا للمطر واخرج منها ما فيه قوامهم ومنافعهم فيكون
في ذكر هذا فوايد احدها في موضع التعريف للخلايق ان منشئ السموات والارضين ومنشئ
الخلق والشمس والقمر واحد لاتصال منافع بعض ببعض اذ لو لم يكن كذلك لكان لمنشئ السماء
ان يمنع منافع السماء عن خلق منشئ الارض وفيه تذكير قوته وعجيب حكمته ليعلموا انه قادر
على كل ما يريد فعله لا يضعف عن ذلك ولا يعجزه شيء لانه جمع بين منافع ما ذكرنا مع تنافيها فيما بينها
واختلافها في نفسها فجعلها من حيث المنافع كنسمة متفقة وجعل كل واحدة منهن كالمتصلة
بالاخرى المقترنة بها مع بعد ما بينها فمن قدر على الاتساق بين وقدر على الوصل بين الاشياء
المتباعدة بعضها عن بعض لقادر على احياء الاموات والبعث وذكرهم هذا التبيين لهم
حكمته وعلمه ليعلموا انه لا يخلق عبثا ولا يتركهم سدى لا يستاديه منهم الشكر ولا يبعثهم
بل ينشئهم ويميتهم فقط فيخرج خلقه على ما فيه خروج عن الحكمة ولا انه خلق البشر على وجه
يمسهم الحاجات ويمسه الشهوات وقدر الطعام على وجه اذا اتاه وله منه دفع حاجته وسكن
شهوته ولو اراد احد ان يتدارك المعنى الذي يحل في دفع الحاجات وتسكين الشهوة ما هو
لم يصل الى معرفته فيؤدي الى تفكروا الى دفع الشبه والاعتراضات التي تعترضهم في امر البعث وعلموا
اذ كانوا يقدرون الامور على قواهم ويشرعونها على ما ينتهي اليه تدبيرهم فاذا وجدوا في
الطعام معاني هي خارجة من تدبيرهم وقواهم علموا ان ليس الامر على ما قدروا فيرتفع عنهم
الريب والاشكال وكذلك لو ارادوا ان يستخرجوا من الماء المعنى الذي به صلح ان يكون به حياة
الاشياء كلها مع اختلاف الاشياء وتفاوتها واختلاف طعومها والوانها لم يمكنهم ذلك حتى
يعلموا ان الذي بلغت حكمته هذا المبلغ قادر على ما يشاء فعال لما يريد ويكون في النظر فيما ذكرنا
وافتقاره الى غيره وتبين ان الله تعالى لم ينشئ الخلق لحاجة نفسه وانما خلق لحاجة غيره
البشر اليه وقوله عز وجل انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ليقر الماء في شقوقها فيصل
الخلق الى الانتفاع بها او شققناها للنبات فانبتنا فيها حبا وعنبا فذكر الحب والعنب
واخبر انه انبتهما في الارض وهما في الحقيقة غير نابتين في الارض ولكن اخرجهما من اصل هو نابت
في الارض فاضافهما اليها ليرجع لما يرجع الابتداء اليها وهو كقوله تعالى وفي السماء رزقكم
ورزقنا من السماء المطر لكن الذي هو رزقنا من الطعام وغيره انما ينبت في الارض ويخرج
منها بالمطر من السماء فاضيف اليه فعلى ذلك اضيف الحب والعنب الى ما ذكرنا للمعنى الذي
وصفنا وقوله عز وجل وقضبا والقضب هي الرطبة سميت قضبا لانها تقضب ويقطع مرة
بعد مرة وزيتونا فعنى ذكر الزيتون ما ذكرنا من المنافع وهو ان الزيتون الين الاشياء ينبت
اصله في الجبال التي هي اصلب الارض فمن قدر على اخراج الالين من الاشياء من اصلب الاشياء

لقادر على الانشاء والبعث اذ من قدر على ان يخرج الين الاشياء من اصلب الاشياء لقادر على ان
يلين القلوب القاسية حتى تلين بذكر الله تعالى وقوله عز وجل وحدايق غلبا فالحدايق هي البساتين
التي احدقت بالاشجار واحاطت بها والغلب الغلاظ يقال رجل اغلب اذا كان غليظ الرقبة و
وقوم غلب الرقاب اي غلاظ وقالوا ايضا الغلب الاشجار الكثيفة الطويلة وقوله عز وجل و
فاكهة وابا والاب الكلاء فيخبر انه انشاء هذه الاشياء ليكون متاعا للخلق وللانعام لا لمنافع
نفسه وقوله عز وجل فاذا جاءت الصاخة قال الحسن هي اسم القيمة يصيخ لها كل شيء وبه
يقول ابو بكر ان يصيخ لمجيئها كل شيء اي يخشع لها ويطاطئ راسه للداعي كما قال الله تعالى مهطعين
الى الداعي وقال القتبي الصاخة هي الداهية فذكر القيمة باحوال التي يكون فيها وبالافعال
التي توجد فيها على ما ذكرنا وقال الزجاج الصاخة المصمة يصم لها الاسماع عن كل شيء الا الى ما يدعى
اليها وقوله عز وجل يوم يفر المرء من اخيه فجايز ان يكون هذا على تحقيق الفرار وجايز ان لا يكون على
التحقيق ولكن وصف بالفرار لما يوجد منه المعنى الذي يوجد من الفار قال الله تعالى فاذا نفخ في
الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون والوجه فيه ان الاقرباء من شانهم اذا اجتمعوا ان
يستبشروا بعضهم ببعض ويانسوا بالاجتماع واذا غابوا سالوا عن احوالهم واهتموا لذلك ثم هم
في ذلك اليوم يدعون السوال عند الغيبة والاستبشار عند الحضرة حتى كانه لا انساب بينهم
لا ان يكون بينهم في الحقيقة نسب ولكن ما يحل بكل واحد من الاهتمام يشغله عن السوال بحاله
والاستبشار برويته حتى يصير كالفرار لوقوع المعنى الذي يوجد من الفار لا على تحقيق الفرار لانه
قال لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فما يحل من الشان يمنعه عن الفرار عن نفسه وعن اقربائه
او ان يكون على حقيقة الفرار وذلك ان الاقرباء لا يوجد منهم القيام بوفاء جملة ما عليهم من
الحقوق حتى لا يوجد منهم التقصير فيخافون في ذلك اليوم ان يواخذوا بذلك فيحملهم على الفرار
ويفر كل منهم على تحمل ثقل الاقرباء كما قال وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا
قربى وقد كانوا يتبعون في الدنيا في بعض الاتباع فيخبر انهم لا يتبعون في ذلك اليوم بل
يفرون ثم جايز ان يكون هذا في الكفرة واما اهل الاسلام فانه يجوز ان يبقى بينهم حقوق القرابة
كما بقيت المودة فيما بين الاخلاء بقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وان
كان في المسلمين والكفرة جميعا فجايز الفرار في بعض الاحوال وذلك في الوقت الذي لم يتفرغ عن
شغل نفسه فاما اذا امن وجاوزته البشارة فهو يقوم بشفاعته ويسال عن احواله ولا يفر منه
وقوله عز وجل لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قالوا افضى الى كل انسان ما يشغله عن غيره وقوله عز وجل
وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة او ناضرة ناعمة مشرقة فيكون فيه اخبار عما هم فيه من النعيم
حتى يظهر ذلك في وجوههم وقوله عز وجل ضاحكة مستبشرة اي مسرورة بنعيم الله تعالى الذي
انعم عليهم مستبشرة برضاء الله عنها وقوله عز وجل ووجوه يومئذ عليها غبرة قال اهل التاويل تغير تظهر
في وجوههم كانما علاها الغبار ثم يسود فيطمس ويرد على ادبارهم كما قال من قبل ان نطمس وجوها
فنردها على ادبارها وقوله عز وجل ترهقها قترة قال ابو بكر ترهقها قترة اي تغشيها الذلة او
يعلوها ثم يتلون بعد بعد ذلك فيكون كانما علاها الغبار ثم يسود على ما ذكرنا وقوله عز وجل اولئك
هم الكفرة الفجرة اي الكفرة بانعم الله تعالى الفجرة المائلة عن الحقوق والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله عز وجل اذا الشمس كورت هذا ليس بابتداء خطاب ولكنه جواب عن سوال تقدم فيشبه ان
يكون السوال عن وقت لقاء الانفس الاعمال فنزل قوله اذا الشمس كورت اشارة الى احوال ذلك الوقت
واثارها على ما يذكر المعنى الذي له وضع لتبيين الاحوال دون تبيين الوقت في سورة اذا السماء انفطرت
واختلف في قوله تعالى كورت قال بعضهم هي فارسية معربة وهي بالعربية عورة وقال بعضهم كورت
اي ذهب ضوءها يقال كور الليل على النهار اي اذهب نوره وضياءه فالتكوير يغطي لون الشيء
عن الابصار وقيل كورت الشمس اي حبس ضوءها على الابصار بالتطمس فيكون فيه اثبات انه يطمس
ظاهرها ثم يرد التغير في نفسها فيلتف ويتلاشى ومنه يقال كور العمامة اذا لفها على الراس
فيغطيه وقوله عز وجل واذا النجوم انكدرت تناثرت وتساقطت وهو كقوله واذا الكواكب انتثرت

وقيل ذهب ضوءها كأنه يذهب نورها او لا تتناثر بعد ذلك وقوله عز وجل واذا الجبال سيرت اي قلعت عن اماكنها
وسيرت كما قال في اية اخرى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وهي اذا قلعت تحركت حتى لا تبين للناظر سيرها
لكثرتها فتحسبها جامدة وهي تسير فهذا اول تغير يظهر فيها ثم تصير كثيبا مهيلا ثم كالعهن المنفوش ثم هباء
منثورا الى ان يتلاشى وتتلف وقوله عز وجل واذا العشار عطلت فالعشار هي النوق الحوامل التي اتى على حملها
عشرة اشهر وهي من انفس الاموال عند اهلها فيخبر ان اربابها يعطلونها في ذلك اليوم ولا يلتفتون اليها
لشغلهم بانفسهم في ذلك وهو كما قال يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت الى قوله وترى الناس سكارى
الاية وقوله عز وجل واذا الوحوش حشرت قيل جمعت وهو يحتمل وجهين احدهما ان يجمع كلها فتتلف وتهلك والثاني
ان تحشر في ان يحييها بعد موتها فيقضي الله تعالى فيها ما شاء فيكون في هذا اخبار عن عظم ذلك اليوم حتى يؤثر الهول
في الوحوش والشمس والقمر والسموات وقوله واذا البحار سجرت قيل فجرت فستذكر تاويل تفجر فيما بعد ان شاء الله
تعالى وقوله عز وجل واذا النفوس زوجت قيل قرنت ثم اختلف في معنى القران فقال بعضهم تقرن زوجها اليها
وقال بعضهم يقرن كل باهل شيعته فيقرن الكفرة بالشياطين واهل الشراب باهل الشراب واهل الزنا باهل
الزنا وقال الله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الى قوله يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين فبئس القرين ففي هذا اخبار ان المعذب منهم اذا راى عدوه يعذب عذابه ويكون في العذاب الذي
هو فيه لم يتسل بذلك شيئا ولم ينل به راحة وان كان المرء في الدنيا اذا راى عدوه يعذب عذابه يتسلى
بذلك وقوله عز وجل واذا الموؤدة سئلت وقرا بعضهم اذا الموؤدة سالت وهذا هو الظاهر ان يكون هي
السائلة اي تسال اياهم باي ذنب قتلت وتقول باي ذنب قتلتموني وكانت العرب يدفنون بناتها ويقال
وادها اي دفنه ثم القراءة المعروفة سئلت وهي يحتمل اوجها ثلاثة احدها ذكره ابو عبيد وقال ان قتلتها
تسال باي ذنب قتلت ويحتمل ان يسئل الموؤدة عند حضرة الذين وادوها باي ذنب قتلت يراد بالسؤال
تخويف وتهويل للذين وادوها لا سؤال استخبار واستفهام وهو كقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وليس يسال عن هذا سؤال استخبار واستفهام
ولكن سؤال تخويف وتهويل لمن ادعى ان عيسى عليه السلام امرهم ان يتخذوه وامه الهين من دون الله ويحتمل
ان يسال الموؤدة انها ادعي او لا ندعي وما الذي ندعي عليهم فيبدا بها بالسؤال كما يرى المدعي في الشاهد هو
الذي يبدا بالسؤال فيقال له ما تدعي على هذا فتقول له باي ذنب قتلت وادها وسئلت عن الذي
ادعت وقالت باي ذنب قتلت والله اعلم وقوله عز وجل واذا الصحف نشرت للحساب وهي التي
فيها اعمال ابن ادم وقت ما يدفع اليها بايمانهم وشمائلهم وقوله عز وجل واذا السماء كشطت
اي قلعت كما يقلع السقف وقوله عز وجل واذا النجوم سجرت تحتمل وجهين احدهما قيل تسجرت
وذلك ان تتناثر النجوم وتطمس الشمس فتطوى كطي السجل للكتب وقيل كشفت بكسفة
السماء كما يكسف الغطاء عن الشيء ويقال كشطت اي قلعت كما تقلع السقف وقوله عز
وجل واذا النجوم سجرت يحتمل وجهين احدهما ان تحدث تسعيرها فيكون فيه علم الحدثية
وكذلك في قوله تعالى واذا البحار سجرت يحتمل ان تبدا تسجيرها ولم تسجر من قبل وجائز يراد
التسجير والتسعير على ما كان من قبل لقوله تعالى وقودها الناس والحجارة وقد كان وقودها
بغير هذين ثم يراد في وقودها بالناس والحجارة وقوله عز وجل واذا الجنة ازلفت قيل قربت
فاضيف اليها التقريب لان اهلها اذا قربوا اليها فقد قربت هي اليهم وقوله عز وجل علمت
نفس ما احضرت اي ما احضرت من خير او شر كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
الاية او يعلم ما احضر بها الملائكة الذين كتبوا عليها وقوله عز وجل فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس الاشياء التي وقع بها القسم يقتضي احكاما ثلاثة احدها ما من شيء خلقه الله تعالى
الا وفيه دليل وحدانيته واثبات ربوبيته اذا انعم النظر فيه ويثبت علمه وحكمته ويدل على تدبيره
وسلطانه وفي تثبيت القدرة والسلطان ايجاب القول بالبعث وايجاب القول بالرسل ونهى
عن عبادة غير الله فلو نعموا النظر فيها وتفكروا في امرها لاداهم ذلك الى القول بالبعث و
دعاهم الى وحدانية الرب والاقرار بالرسل فلا يدعون ان معه الهة اخرى ولا كانوا ينكرون
البعث ولا يكذبون الرسول فاقسم بهذه الاشياء على التاكيد بحجة ليعلموا انه رسول من عنده
وان القران من عنده وان الاوامر من عنده وان الرسول من عنده او يكون القسم تلقينا من الله
لرسوله بان يقسم لهم بهذه الاشياء ليزيل عنهم الشبهة والشكوك التي اعترضت الكفرة

في امره صلى الله عليه وسلم ويدعوهم الى النظر في حججه واياته ثم القسم بما لطف من الاشياء ودق وبما كثف وغلظ
وبما كبر وصغر وبما ظهر وخفي يتفق كلها في ازالة الشبهة واثبات التوحيد والرسالة والبعث بل لا تخرج
فيما لطف من الاشياء او عظم منها او كثف وغلظ فاقسم مرة بالكواكب ومرة بظلمة الليل وما يغشي وبما شاء
من خلقه ان الخلائق كلها في الشهادة على وحدانية الله واثبات ربوبيته واثبات علمه وقدرته وسلطانه متفقة
ولكن ما لطف من الاشياء وخفي منها يتصل بما ظهر منها فيتضمن ذكر ما خفي منها واستتر ذكر ما ظهر منها
او في ذكر ما ظهر منها ذكر منشئها فيكون القسم في الحقيقة بالله تعالى ثم اختلف في الخنس والكنس قال ابو بكر
ان الخنس هي النجوم التي يطلعن في مطالعها وتغيبن في مغاربها والكنس هو النجوم التي يطلعن في مطالعها
ثم يكنس ويختفين الى ان يعدن الى مطالعهن فيطلعن وقيل الخنس الجوار الكنس هي خنس كواكب لهن
مجاري في السماء يظهرن بالليل ويسترن بالنهار وسائر الكواكب ثوابت ثم قيل الخنوس والكنوس
واحد وهو الاختفاء والغروب في مغاربها والدخول فيها وقيل الكنوس الاختفاء والخنوس التاخر
وكذا قال الفراء هي النجوم الخمسة تخنس في مجاريها وترجع وفي حديث كعب فتخنس بهم النار كما تخنس
النجوم الخنس اي تحيد بهم وتتاخر والله اعلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الوحوش
التي تخنس من الانس وتكنس في مكانهن وانما كان فهي كلها دالة على الوجوه التي ذكرنا وقوله
عز وجل والليل اذا عسعس قيل اذا اقبل وقيل اذا اقبل واذا ادبر وفي قوله والصبح اذا تنفس
اذا انفجر واذا ارتفع وفي اقبال الليل واقبال النهار تثبيت القدرة والسلطان وذلك ان ظلمة الليل
اذا غشيت سترت عن وجوه الاشياء وكشف عنها الستر ولو اراد احد ان يغطي الاشياء كلها بالحيل
والاسباب لم يتمكن منها ولو اراد نزع الغطاء عنهم لم يملك فذكر هذا ليعلموا ان بلغت قدرته هذا لا يعجزه
امر ولا يتعذر عليه البعث بل هو قادر على احيائهم وبعثهم وقوله عز وجل انه لقول رسول كريم فموضع
القسم على هذا وعلى قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ثم تاويل قوله انه لقول رسول كريم اي هذا الذي
اتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن رسول كريم على وهو جبرائيل عليه الصلوة والسلام ثم ذهب
هاهنا الى الرسول ما سمع منه ولم يكن من قبله وقال في اية اخرى حتى يسمع كلام الله فسماه كلام الله
تعالى على الموافقة او لما ان ابتداءه يرجع اليه لا ان يكون المسموع كلامه كما يقال هذا كلام ابي
حنيفة رحمه الله وهذا قول فلان الشاعر وليس الذي سمعته قول من نسب اليه لان ابتداءه
يرجع اليه فكذلك سمي كلامه لانه يدل على كلامه ولما يرجع اليه ابتداؤه لا ان يكون نفس
كلامه قوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين وفي وصفه بالقوة فائدتان احداهما
ما ذكرنا ان فيه بيان الامن عن تغيير يقع فيه من الاعداء من الجن والانس والشياطين
والانس يحجزهم عنهم بقوته فلا يتمكنون منه حتى يغيروه ويبدلوه ووصفه بالامانة
في نفسه ليس من الخلق ناحية او وصفه بالامانة في نفسه ليس من الخلق ناحية او وصفه
بالقوة على التخويف والتحذير للذين عادوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيخبرهم ان معه من يدفع
عنهم شرهم وكيدهم ان هموا ذلك به وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبرئيل عليه السلام
ان الله تعالى وصفك بالقوة فما اثر ذلك فقال لما امرني الله تعالى باهلاك قوم لوط فقلعت قرياتهم
ورفعتها بجناح واحد الى السماء وليس بنا الى ان نعرف قوته حاجة وانما بنا الحاجة الى ان نعرف ما المعنى
وما الحكمة في ذكر قوته وقوله عز وجل عند ذي العرش مكين فان كان المراد من العرش الملك فالمكين
ذو قدر ومنزلة وقيل العرش السرير فان كان كذلك فتاويله انه مكين عند من له سرير الملك
وقوله عز وجل مطاع ثم امين قيل ان جبرئيل عليه السلام رسول الى الملائكة كما هو رسول الى الناس
فان كان كذلك ففيه اخبار ان الملائكة الذين يعبدها بعض الكفرة يطيعون جبريل عليه السلام فيما
يامرهم وينهاهم فما بالهم يتركون طاعته والائتمار بامره وقوله عز وجل ثم امين اي هم يامنونه
ولا يتهمونه في شيء مما يجيء به اليهم فكيف يتهمه هؤلاء فيما ياتي الى الرسول من الوحي وقوله
وما صاحبكم بمجنون فمنهم من يقول بان الكفرة نسبوه الى الجنون حين راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم جبرئيل على صورته فغشي عليه وكان يتغير في كل مرة ياتي به جبريل عليه السلام الوحي
لونه وجهه فينسبونه الى الجنون لهذا ومنهم من يقول انما نسبوه الى الجنون لانه اظهر المخالفة
لاهل الارض وكان في اهل الارض الجبابرة والفراعنة الذين من عادتهم القتل والتعذيب لمن
اظهر الخلاف لهم فكان ذلك منه مخاطرة بنفسه وروحه انتصب لمعادات من لا طاقة له

بهم ومن قام بجلادة من لا طاقة له وانتصب لمعاداته فذلك منه حمق وجنون فى الشاهد لنسبوه الى
الجنون لهذا ومنهم من ذكر انهم لم ينسبوه الى الجنون لما ذكرنا ولكن شدة سفههم هو الذى حملهم على
هذا فنسبوه الى الجنون مرة والى انه ساحر اخرى ومرة قالوا علمه بشر ومرة قالوا ان هذا الا اختلاق فكانوا
ينسبونه الى كل ما ذكرنا لا عن بحث منهم فى حاله ولكن على السفه والعناد الا ترى انهم ينسبونه الى الجنون
مرة والى السحر ثانيا وهما امران متناقضان لان الساحر هو الذى بلغ فى العلم غايته والمجنون هو النهاية
فى الجهل ولو كانوا يقولون عن بحث وتدبر لكانوا لا ياتون بالمختلف من القول فيظهر جهلهم لمن
يريدون صده عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم بل كانوا يتفقون على كلمة واحدة فيقصد دواعيها
حتى يقع التلبيس منهم موقعه فيصلون الى مرادهم من صد الناس عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم
وكذلك فيما زعموا انه علمه بشر وانه افك افتراه اتوا بالمختلف من القول لان اختلافهم وافتراءه
تثبيت انه عالم بنفسه مستغن عنه تعليم غيره وحاجته الى ان يتعلم تحقيره وجهله عن الاختلاف بنفسه
فهذا كله يدل على انهم لم ينسبوه الى الجنون لاعلام ظهرت لهم ولكنهم قذفوه بكل ما حضرهم سفها
منهم وعنادا ثم ان كانوا نسبوه الى الجنون لما غشى عليه عندما راى جبرائيل عم على صورته فقد اتاهم
بما لو تفكروا فيه لعلموا انه ليس بصاحبهم جنة كما قال الله تعالى قل انما اعظكم ان تقوموا لله مثنى
وفرادى ثم تتفكروا ان ما صاحبكم من جنة وذلك انهم اتاهم بحكمة الحجج حكماء الانس والجن اتيان
مثله واتاهم بكتاب يعجز اهل الكتاب عن اتيان مثله فلو تفكروا فيه لعلموا انه ليس من فعل مجانين ولا من
علومهم ولكنه من عند الله اكرمه وان كانوا انما نسبوه الى الجنون لما خاطره وجه فهم بحمد الله تعالى لم يتهيا لهم
ان يكروا به ولا ان يقتلوه بل اظفره الله عليهم واظهره على الدين كله فصار ذلك الوجه الذى به نسبوه
الى الجنون امرا رسالته وعلم نبوته وقوله عز وجل ولقد راه بالافق المبين قال الحسن انه صلى الله تعالى عليه
وسلم راى ربه بقلبه اى عظمته وسلطانه من وجه لا يقع به تشابه وخص بالافق لانه ينزل من الافق
البركات ومنزل الملائكة وانواع الخير كلها والمراد من ذلك الاماكن كلها وغيره من اهل التفسير صرف الرؤية
الى جبرائيل عليه السلام وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل عليه السلام ان يريه على
صورته فقال له جبرائيل عليه السلام ان الارض لا تسعى ولكن اذا صليت الفجر فانظر الى افق السماء
فهنالك تراني فنفضل فراه على صورته ثم دنا منه فكان قاب قوسين او ادنى فذكر الافق لان الشى
من البعيد لا يتهيا ان يرى من اقطار الارض لذلك خصت الافق لان الشى اذا كان بقع دونه
ما بعد والله اعلم وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين وقرئ بظنين قال ابو عبيد والظنين اولى
لان هو المتهم والضنين البخيل ولم يتهم احد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البخل بهذه الاية و
قد كانوا يتهمونه على الغيب وهو القران فكانوا يقولون علمه بشر وليس من عند الله ويقولون ايضا
ان هذا الا افك افتراه فبرأه الله تعالى مما قالوا بقوله وما هو على الغيب بضنين ومن قرأه بالضاد
فهو يحتمل وجها ما ذكره ابو بكر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يضن بشى علمه الله
تعالى عن احد من اصحابه كما يفعله غيره من العلماء لان العلماء لا يريدون ان يعلموا من اختلف اليهم كل ما
عندهم من العلوم حتى يستغنى عنهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يود ان يعلمهم جميع ما علم
من العلوم اصحابه فكان يقوم على تعليم كل منهم بقدر طاقته ولم يكن يمتنع عن التعليم بخلا منه وضنا و
وجائز ان يكون براءه الله تعالى من هذا لما علم انه يكون فى امة محمد من زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خص بعض اصحابه بتعليم اشياء لم يطلع عليها غيرهم وتخصيص بعض دون بعض بتعليم ما عنده يحمل
فى الشاهد فكان فى قوله وما هو على الغيب بضنين تكذيب اولئك الذين يدعون هذا وهذا كما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فكانه قال هذا لما علم انه يكون فى امته
من يتقدم الشهر بالصيام فقال هذا ليتعرف خطاء من يتقدم من الشهر بالصيام على الخطا والجهالة
ليس على اصابة الحق فعلى ذلك فيما ذكرنا ثم صرفوا تاويل الغيب الى القران وهو عندنا فى القران وفى
غيره من الاشياء التى اطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عليه وجائز ان يكون الضن منصرفا الى
الشفاعة التى اكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فهو لا يخص بعض امته دون بعض بالشفاعة
بل يعمهم جميعا فيكون فى هذا تحريضا على الاتباع له والانقياد لطاعته وجها اخر وهو انه ليس بضنين
فى اداء شكر ما انعم الله تعالى عليه حيث غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر بل اجتهد فى اداء شكره حتى
حتى ذكر انه تورمت قدماه من طول القيام فقيل له الم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال

افلا اكون عبدا شكورا وقوله عز وجل وما هو بقول شيطان رجيم يحتمل وجهين احدهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم ليس من شياطين الانس ولا بمجنون كما ذكرتم بل هو رسول كريم او الذى اتاكم به من القران
لم يتلق من الشياطين ولا هو من قبلهم كما تلقته الكهنة والسحرة من اوليائهم بل ذكر من الله تعالى
للعالمين انزل اليه الروح الامين القوى الذى لا يصل اليه الشيطان فيغيره ويبدله وقوله عز
وجل فاين تذهبون اى فاين تذهبون من طاعته واتباعه والانقياد له وقد اتاكم ما يلزمكم
طاعته واتباعه وقوله ان هو الا ذكر للعالمين اى عظة يذكرهم بما يحق عليهم فى حالهم ويتبين
لهم ما يؤتى وما يتقى وما يصير اليه عواقبهم اذ ان يكون قوله ذكر للعالمين اى شرف يذكرهم به ائمة
يقتدى بهم ويختلف اليهم ليتعلم منهم والله اعلم ثم قوله عز وجل فاين تذهبون يحتمل اوجها غير ما
ذكرنا احدها ان هذا القران الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه من رسول كريم على الله
فان لم تؤمنوا به ولم يقبلوه فما ذهبتم الا الى قول شيطان رجيم ويحتمل فاين تذهبون والى من تذهبون
والى من تفزعون اذا اتاكم باس الله عز وجل ونقمته اذا لم تؤمنوا بالله تعالى وانكرتم البعث ولم تصدقوا
الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبركم به فاذا حل بكم ما انذركم به فالى من تلجؤن وهو كقوله تعالى
قل ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم او اذا لم يؤمنوا بالله
تعالى ولم يتبعوا ما اتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقرر عندكم صدقه انما اتاكم من الايات
المعجزة فباى حديث تصدقونه بعد ذلك وتذعنون اليه وهو كقوله تعالى فباى حديث بعده
يؤمنون وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم معناه والله اعلم ان
هذا القران ذكر لمن شاء ان يستقيم من العالمين فهو فى نفسه ذكر ايات وهدى ولكن ينتفع بهذا
الذكر من شاء الاستقامة ويهتدى به من طلب الهداية قال تعالى هدى للمتقين
وهو فى نفسه هدى ولكن يهتدى بهداه المتقون ومن ليس يتقى فهو عمى عليه ورجس وقال
انما تنذر من اتبع الذكر وهو كان تنذر من اتبع ومن لم يتبع ولكن معناه انه ينتفع بالذى ينذرك
من اتبع الذكر قال ايات لاولى الابصار وهى فى نفسها ايات ولكن ينتفع بالايات اولوا الا
بصار وقوله عز وجل لمن شاء منكم ان يستقيم فهو يحتمل وجهين احدهما ان يحمل على تحقيق المشية
ويكون تاويله ان من اراد الاستقامة على امر الله تعالى وعلى الحق فهذا الذكر وهو القران يقيمه
على الحق وعلى الامر ويهديه الى ذلك او ان هذا على تحقيق الفعل فيكون معناه من استقام منكم
على الحق والامر فهو ذكر له والاصل ان المشية وصف كل مختار واذا كان هكذا صارت المشية مقترنة
باذا فعل فعل فعل بشاء فكان فى اثبات الفعل اثبات المشية فلذلك استقام حمله على ما ذكرنا وهو ان يجعل
احدهما كناية عن الاخر وقوله عز وجل وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فان كان قوله لمن شاء
منكم على تحقيق المشية فمعناه انكم لا تشاؤن الاستقامة على ما ذكرنا الا ان يشاء الله وان كان على تحقيق
الفعل فتاويله انكم ما استقمتم على الطريقة الا بمشية الله تعالى وقال بعضهم تاويل وما تشاؤن اى لم تكونوا
تشاؤن انزال هذا الكتاب فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بغير مشيتكم وهذا غير محتمل
عندنا لانه قد سبق من القوم الارادة والسؤال بارسال الرسول اليهم بقوله واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن من احدى الامم فثبت منهم بارسال الرسول وانزال الكتاب
عليه ولكنه تاويله ما ذكرنا ثم فى هذه الاية دلالة ابطال من شاء الله تعالى منه الاستقامة
لم يوجد منه الاستقامة ولا يجوز ان يشاء من احد استقامة ولا يستقيم كما قالت المعتزلة لان الله
من على من استقام بالمشية استقامته فلو لم يوجد الاستقامة من كل شاء منه الاستقامة لم
يكن لامتنان معنى لان الاستقامة يكون به الا بالله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا السماء انفطرت قد ذكرنا ان هذا جواب عن سؤال تقدم لم يبين السؤال عند ذكر الجواب
لان اذا جواب عن سؤال الحتى فجائز ان يكون سؤالهم ما ذكر فى اتمام الجواب وهو قوله علمت نفس ما
قدمت واخرت تنزل قوله اذا السماء انفطرت الاية الى اخرها ثم ذكر الانفطار ههنا وهو الشق
وذكر الفتح فى موضع اخر وهو قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا وقال فى موضع اخر واذا السماء
فرجت واذا السماء انشقت فمنهم من ذكر ان شقها وانفطارها ان يفتح ابوابها ومنهم من حمله

على الشقاق الذي يعرف من شق الاشياء وهذا اقرب لان الاية في موضع التخويف والتهويل وليس لم
نقح ابوابها تخويف وانما التخويف في انشقاقها بنفسها ثم السؤال عن ملوحات الاعمال وعن علم الانفس
بها فسؤال عن الساعة وفي ذكر انفطار السماء وانتشار الكواكب وتفجير البحار وتسير الجبال
وحمل الارض قاعا صفصفا وصفا احوال الساعة واثارها وليس فيه اشارة الى وقت كونها
لانه ليس في التوقف على حقيقة وقتها تخويف وتهويل في ذكر اثارها تخويف وهو انه اعظم هول
ذلك اليوم واشد حتى لا تقوم له الاشياء القوية العلية في انفسها وهي الجبال والسموات والارض
بل تؤثر فيها هذا التاثير حتى تصير الجبال كالعهن المنفوش وتصير كثيبا مهيلا وينشق السماء وتصير الجبال قاعا
صفصفا فكيف لهذا الانسان الضعيف المهين واذا كانت السموات والارضون والجبال مع طواعيتها لم
لا تقوم لها ولا تواعها بل تنقطع فكيف يقوم لها الادمي الضعيف مع خبث عمله وكثرة مساويه مع [illegible] فيه
هذه الاحوال ليخافوه ويهابوه فيستعدوا له فلهذا والله اعلم ذكرت الاحوال التي عليها حال ذلك اليوم ولم
يبين متى وقته ولهذا ما لم يبين منتهى عمر الانسان ليكون ابدا على خوف ووجل من حلول الموت به فيتاهب حسبه
ويتشمر له ولو بين له كان يقع له الامر بذلك فيترك التزود الى دنو ذلك الوقت ثم تتاهب له اذا دنا ه
انقضاء عمره ثم ان الله تعالى ذكر احوال القيمة في موضع وجعل ذلك مرارا متتابعا في القران فيكون في
ذلك معنيان احدهما ان القلوب تتغير وتتقلب في اوقات قرب قلب لا يلين الحادثة اول مرة حتى يعاد عليه
ذكره مرة بعد مرة وحالا بعد حال ثم تلين فيكون في تتابع ذكر البعث والقيمة مرة بعد مرة ابلغ في النذارة
وقطع عذر المعذور من يوم القيمة والثاني ان القوم كانوا حديث العهد بالاسلام وقد وقع الاسلام
في قلوبهم موقعا فيكون في تكرار المواعظ تلقيح لعقولهم وتليين لقلوبهم على ما اكرمهم الله تعالى به
من الايمان ونصرة رسول رب العالمين كقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقوله واذا الكواكب
انتثرت فاما ان يكون انتثارها لانها تجعل لمنافع الخلق فاذا استغني عنها الخلق فلا معنى لبقائها
او لما جعلت زينة للسماء فاذا انفطرت السماء لم تحتج الى زينة بعدها وقوله عز وجل واذا البحار فجرت
قال قايلون اي تجري ماؤها في بحر واحد ثم يغور ماء ذلك البحر الذي اجتمع فيه المياه اما ان تنشفها
الارض او يجعل في بطن الحوت التي ذكر ان الارضين قرارها على ظهره او في بطن الثور ثم يسوي
الله تعالى الارض كلها حتى لا يبقى فيها عوج ولا امت فيتيسر للعباد بما شاء اما بالجبال او بغير وقال
بعضهم بل يغور ماء كل بحر في مكانه لا ان يجمع المياه كلها في مكان واحد وبحر واحد وقال بعضهم بل يخرج
بعضها ببعض فيصير نارا معذب بها اهلها وكذلك قوله عز وجل واذا البحار سجرت وقال والبحر المسجور
والله اعلم اي ذلك يكون وقوله عز وجل واذا القبور بعثرت اي بعث من فيها وتقذف القبور من
فيها وقوله عز وجل علمت نفس ما قدمت واخرت اي تعلم النفس ما عملت الى اخر ما انتهى عملها فلا يخفى
عليها شيء من امره ومنهم من يقول ما قدمت من خير واخرت من شر فتعرفه في ذلك اليوم ومنهم من
يقول علمت ما قدمت من العمل اي بما عملت بنفسها وما اخرت اي ما سنت من السنة فعمل بها احد
وهو الذي ذكره داخل في تفسير الجملة ذكرنا التي انها تعلم من اول ما عملت الى اخر ما انتهى اليها وقوله
عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم يحتمل على وجهين فيكون تاويله اي شيء غرك بربك الكريم
حتى اغترت به واغتراره عن ربه الاعراض عن طاعته وعبادته وقد يستعمل الباء في موضع عن قال
الله تعالى عينا يشرب بها عباد الله ومعناها يشرب عنها لا ان يشربوا فيها كرعا ويجعل العين انية
لهم ثم وجه الجواب للمغتر بالله تعالى في قوله عز وجل ربك الكريم وهو ان كرمه دعا الانسان الى ركوب
المعاصي لانه لم ياخذه بالعقوبة وقت جرمه فتجاوز عنه او تاخير العقوبة حمله على الاغترار ولو
انه يعفو عنه ابدا كذلك فاقدم عليها ولا لو عجلت له العقوبة وقت ارتكابه المعصية لكان لا يتعاطى
المعاصي ولا يرتكبها فعذره ان يقول الذي حملني على الاغفال والاغترار كرمك او حمقي كما قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه حين قرا هذه الاية الحمق يا رب او يكون قوله ما غرك بربك الكريم اي اي شيء
غرك حتى ادعيت على الله تعالى انه امرك باتباع اباءك او تشهد عليه اذا ارتكبت الفحشا ان الله امركم
على ما قال واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا الم ابعث اليك الرسول الم انزل
اليك الكتاب فتبين لك ما امرت به عما نهيت عنه وقيل نزلت الاية في شان كلدة حيث ضرب النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فاسلم حمزة حمية لقومه فهو كلدة ان يضربه ثانيا فنزلت
الاية يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث لم يهلك عند تناول رسول الله لكن لو كانت الاية

فيه فكل الناس في معنى الخطاب على السؤال والله اعلم وقوله الذي خلقك فسواك فعدلك ففي ذكر هذه
التعريف المنة ليستادي منه الشكر وفيه ذكر قوته وسلطانه حيث قدر على تسويته في تلك الظلمات الثلث
الذي لا ينتهي اليها تدبير البشر ولا يجري عليها سلطانهم ليهابوه ويحذرون مخالفته وفيه ذكر حكمته وعلمه
ليعلموا انهم لم يخلقوا عبثا ولا سدى لان الذي بلغت حكمته ما ذكر من انشائه في تلك الظلمات الثلث
من وجه لا يعرفها الخلق لا يجوز ان يخرج خلقه عبثا باطلا بل خلقهم لياًمرهم وينهاهم ويرسل اليهم الرسل
وينزل عليهم الكتب فيلزمهم الاتباعها ويعاقبهم اذا اعرضوا عنها وتركوا اتباعها وسنذكر وجه التسوية
به في قوله الذي خلق فسوى انه سواه على ما يوجبه الحكمة او سواه بما به مصالحه او سواه من وجه
الدلالة على معرفة الصانع او سواه فيما خلق له من اليدين والرجلين والسمع والبصر وقوله عز وجل
فعدلك اي سواك ووجه التسوية ان جعل يدين مستويين لم يجعل احديهما اطول من الاخرى و
كذلك سوى بين رجليه وقرئ بالتخفيف والتشديد قال ابو عبيد معنى قوله فعدلك بالتخفيف
اي امالك وليس في ذكر كثير حكمة واختار التشديد فيه وليس كما ذكر بل في ذكر هذا من الاعجوبة ما في
ذكر الاخر فقوله عدلك اي صرفك من حال الى حال ووجه صرفه والله اعلم انه كان في الاصل ماء مهينا في
صلب الاب فضرب ذلك الماء الى رحم الام ثم انشاءه نطفة ثم صرفها الى العلقة والى المضغة الى انشا
خلقا سويا او صرفه على ما عليه من الحال من الصحة الى السقم الى الحال فيكون في ذكر هذا التعريف المنة
والقدرة والحكمة كما في الاول نقيد اعظم الفوايد وقوله عز وجل في اي صورة ما شاء ركبك يحتمل
ان يكون هذا عبارة عما تقدم من الاوقات وهو انه انشاء تركيبا على الصورة التي انت عليها
لا على صورة البهايم وغيرها فيكون في ذكره تذكير المنن والنعم ليستاد وامنه الشكر ووجه التذكير
انه انشاءكم على صورة ترضاها ولا تتمنى ان تكون بغير هذه الصورة من الجواهر وانشاءه على
على صورة يعرفها المحاسن والمساوي ويعرف الحكمة والسفه ويميز بينهما ويميز بين المضار من
المنافع وانشاءه على صورة سخر له السموات والارضين والانعام كما قال الله تعالى وسخر لكم
ما في السموات وما في الارض الاية وقال عز وجل ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر
والبحر الاية ولم يسخره لغيره فثبت ان فيه تذكيرا النعم ليشكروه ويقوموا بحمده وجايز ان يكون
هذا على الاستيناف في ان ركبه على ما هي عليه اي على ان صورة تشاء من الصور التي يستقذرها
ويمسخه قردا او خنزيرا مكان ما يتعاطى من المعاصي فيكون في ذكر تذكير القدرة والقوة ليراقب
الله تعالى ويهابه فيترك معاصيه ويتسارع الى طاعته وقوله عز وجل كلا بل تكذبون بالدين قالت
جماعة قوله كلا على التنبيه والردع فيمكن ان يعطف على ما قبله وعلى ما بعده وكذلك اذا حملته على
القسم بمعنى حقا فانه يستقيم عطفه على الامرين جميعا وقوله عز وجل بالدين يحتمل ان يكون اريد به
دين الاسلام والاصل ان الدين اذا اطلق اريد به الدين الحق وهو الاسلام وكذلك الكتاب المطلق
كتاب الله تعالى ويجوز ان يكون اريد به البعث والجزاء وسمي يوم الدين لما ذكرنا ان الناس يدانون
باعمالهم والحكمة فيه والله اعلم انهم قد اقروا بان الله احكم الحاكمين وتكذيبهم بيوم الدين ان
يكون يوجب اسفه السفهاء لا ان يكون احكم الحاكمين لان الدنيا عواقبها الفناء والهلاك
فهم اذا كذبوا بالبعث فقد زعموا انهم انشا الا للهلاك والفناء ومن بنى بناء ولم يقصد بنائه
سوى ان ينقضه ويهدمه فهو سفيه عابث في الفعل فلم يحصلوا من تكذيبهم الا على نفي
الحكمة من الصانع وتثبيت السفه لله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهو قوله وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وهم لم يكونوا يدعون انهما خلقتا
باطلا ولا كانوا يظنون ذلك ولكن الانكار الذي وجد منهم بالبعث والجزاء يقتضي خلقهما
باطلا فعلى ذلك انكارهم بالبعث يزيل عنه القول بانه احكم الحاكمين ويثبت ما ذكرنا من
السفه سبحانه وتعالى عما يصفون وقوله عز وجل وان عليكم لحافظين وهم لم يكونوا يقبلون
الاخبار ولا كانوا يؤمنون بها ثم اخبرهم ان عليهم حفاظا لان الذي حملهم على الجهل تركهم
الانصاف من انفسهم ولا لو انصفوا من انفسهم لكانت اعطاؤهم النصفة توصلهم الى
ادراك الحق ومعرفة ما عليهم من الواجب ثم قد ذكرنا ان المرء اذا كان عليه حافظا
اداه ذلك الى المراقبة فيرتدع عن تعاطي ما يوجد عليه فنبهنا ان علينا حفاظا يحفظون
علينا ولا نتاتى من الامور ما يسوءهم ووصف انهم اكرام ليحملهم صحبة الاكرام ومن

ومن صحبة الكرام ان يحترم لهم ويتقي مخالفتهم ولا يتعاطى ما يسوؤهم وذلك قوله كراما كاتبين وفي
ذكر الكرام فائدة اخرى وذلك ان قوله كراما كاتبين اي كرام على الله تعالى هو المتقي قال الله تعالى ان
اكرمكم عند الله اتقيكم فيكون فيه ايمان لهم انهم لا يزيدون ولا ينقصون في الكتابة وانما يكتبون
قدر عملهم كما ذكر من الفائدة في وصف جبرائيل عليه السلام بالقوة والامانة وقوله عز وجل يعلمون
ما تفعلون فهو يحتمل وجهين احدهما انهم يعلمونه ما تفعله قبل ان نفعل بما عرفهم الله تعالى فيكون
في تعريفه اياهم الزام الحجة ويكون الذي يكتبون امتحانا امتحنوا به اذ قد فوض الى بعضهم امر
كتابة الاعمال والى بعض ارسال الامطار ونحو ذلك او يعلمون ما تفعلون وقت فعلكم جهة
الفعل من خير او شر فيكون لفعل الخير اثار اثرها يعرفون ان الفاعل به قصد به جهة الخير ويكون
لفعل الشر اثار اثرها يعرفون ذلك ايضا ثم عذر المسلمين في ترك المراقبة اشد من عذر المكذبين بالدين
لان المسلمين علموا ان عليهم حفاظا يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها عليهم ثم مع ذلك يغفلون
ولا يستحيون منهم صحبة الكرام ويتركون التيقظ والتبصر والكفرة ينكرون ان يكون عليهم حفاظ ومن
كان هذا حاله والاغفال عن مثله غير مستبعد وقوله عز وجل ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي
جحيم قد ذكر ان البر اعطى ما طلب منه والذي طلب منه ما ذكر في قوله ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله الى قوله واولئك هم المتقون وفي هذه الاية دلالة
على ما ذكرنا ان البر اذا ذكر دون التقوى اقتضى المعنى الذي يراد بالتقوى لانه اخبر ان البر هو
الايمان بالله تعالى واليوم ثم ذكر ان الذي جمع بين هذه الاشياء فهو المتقي ثم احتجت المعتزلة
بقولهم بالتخليد في النار لمن ارتكب الكبيرة بقوله وان الفجار لفي جحيم الى قوله وما هم عنها بغائبين
لان من ارتكب الكبيرة فاجر وقد وصف الله تعالى ان الفجار لفي جحيم ولا يغيب عنها وزعموا
ان ما لم يات بالبر ايضا الذي ذكر في قوله ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر فهو غير داخل
في قوله ان الابرار لفي نعيم والاصل عندنا ما ذكرنا ان كل وعيد مذكور مقابل الوعد فهو في
اهل التكذيب لما ذكر من التكذيب عند التفسير بقوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين الى قوله
ويل يومئذ للمكذبين وقال تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون الى قوله فكنتم بها تكذبون واذا كان كذلك
لم يجب قطع القول بالتخليد لمن ارتكب الكبيرة بل وجب القول بالوقف فيهم ثم ان الله تعالى جعل لاهل النار
يوم البعث اعلاما تعرفون بها يعرفون وتبين انهم من اهل النار لم يجعل شيئا من تلك الاعلام في اهل
السعادة احدها اسوداد الوجوه بقوله وتسود وجوه والثاني بما يدفع اليهم كتابهم بشمالهم ومن وراء
ظهورهم ويدفع الى اهل الجنة كتبهم بايمانهم والثالث في ان يخف موازينهم ويثقل موازين اهل الحق
فهذه اعلام اهل الشقاء وفيما ذكر اسوداد الوجوه قرن به التكذيب بقوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وفيما ذكر دفع الكتاب بالشمال ومن وراء الظهور قال فيه
خذوه فغلوه الى ان قال انه كان لا يؤمن بالله العظيم وقال واما من اوتي كتابه وراء ظهره الى قوله عز وجل انه ظن ان لن يحور بلى
الاية وقال تعالى عنه ما ذكر خفة الميزان الم تكن اياتي تتلى عليكم وكنتم بها تكذبون ولم يذكر شيئا من هذه
الاعلام غير المكذبين فثبت ان الوعيد في المكذبين لا في غيرهم لذلك لم يسع لنا ان نشرك اهل الكبائر
مع اهل التكذيب في استعمال العقاب وقطع القول بالتخليد بل وجبنا الوقف في حالهم والارجاء في امرهم
وان الله ذكر في مواضع الايمان بالله تعالى ادنى مراتب اهل الايمان ووعد عليه الجنة فقال والذين امنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون وقال في موضع اخر وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين
امنوا بالله ورسوله ولم يشترط [illegible] الاية فذكر في هذه الايات التي تلونا ادنى مراتب اهل
الايمان وذكر في موضع اخر اعلى مراتب اهل الايمان ووعد عليها الجنة بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق [illegible] ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر الاية فجاز ان يكون الجميع على المبالغة
الا على جملة شرطها [illegible] القول استيجاب الوعد بادنى مرتبة على ما ذكر في الايات الاخر وجائز ان يكون
للجميع فيما ذكر فيه ورسله الايمان بالله ورسله مضمرا ويكون ذكر طرف منه على الايجاب الاخرى انه ذكر
الكفر في بعض المواضع ووعد عليه النار وذكر في بعض المواضع الكفر مع اسباب اخر ووعد عليه النار
نحو ذلك بقوله ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق الاية وقال في موضع اخر قالوا
لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الاية ثم لم يشترط جميع ما ذكر من السيئات مع الكفر شرطا بل
وجبنا القول بالتخليد لمن اقتصر على الكفر خاصة فثبت انه ليس في ذكر المبالغة دلالة جعل المبالغة شرطا

برجاء ان يستوجب الوعيد بذنوبه فكذلك لم يقطع القول في اصحاب الكبائر بالتخليد في النار ولا بانهم هم
مستوجبون للوعد بل قيل فيهم بالارجاء وقوله عز وجل يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين قال بعضهم تاويله
منصرف الى اهل النار واهل الجنة واهل الجنة لا يغيبون ولا اهل النار عن النار وقال بعضهم اريد بها اهل
النار خاصة انهم لا يغيبون عنها وانكر بعض الناس الخلود لاهل النار في النار واهل الجنة في الجنة وقالوا
ولم يكن لنعيم الجنة انقضاء ولا لعذاب الاخرة انتهاء لكان يرتفع عن الله تعالى الوصف بانه اول واخر لانهما
يبقيان ابدا فلا يكون هو اخر وقد قال هو الاول والاخر فلا بد من ان يكون لهما انتهاء حتى يستقيم الوصف
بانه اخر ولانهما لو لم يوصفا بالانتهاء لكان علم الله تعالى غير محيط بنهايتهما فيكون النهاية مجاوزة لعلمه والله
سبحانه وتعالى محيط بالاشياء وعالم مباديها ومنتهاها فلا بد من القول بفنائهما حتى يكون علمه محيطا بهما
ولانهم انما استوجبوا الجزاء باعمالهم واهل النار استوجبوا العقاب بسيئاتهم فاذا كانت لسيئاتهم نهاية
وللخيرات اولئك نهاية فكذلك يجب ان يكون للجزاء نهاية ايضا والاصل عندنا ان كل من اعتقد مذهبا فهو
يعتقد التدين به ابدا ما بقي لا يتركه ثم العقاب جعل جزاء للاعتقاد عن المهالك بقوله واتقوا النار التي
اعدت للكافرين وقال وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين واذا ثبت ان كل واحد منهما جزاء
للمذهب وكان الاعتقاد للابد فكذلك الجزاء يقع للابد والدوام لا للزوال والانقطاع والثاني ان العلم
بزوال النعيم مما ينقص النعيم على اربابها ويمر عليهم لذاتها ويكدر عليهم ما صفا منها فاذا كان كذلك لم
يتم لهم النعيم واهل النار اذا تذكروا الخلاص من العذاب تلذذوا بها وهان عليهم العذاب فوجب القول
بالخلود ليتم النعيم على اهله والعذاب على اهله والجواب عن قوله انه يرتفع عنه الوصف بانه اول وليس
واخر بذاته لا لغيره وغيره يصير اولا واخرا بغيره ثم ما من شيء الا وله اول واخر ثم لا يوجب كان اشتراكا
الاولية والاخرية وقوله بان الله عز وجل لا يوصف بالاحاطة بالاشياء لو وجب القول بالخلود دوم
فنقول بان العلم بما لا نهاية له هو ان يعلمه غير متناه والعلم بالتناهي بما لا نهاية له يوجب الجهل
لا العلم والجواب عن الفصل الثالث ما ذكرنا انه يعتقد المذهب للابد فكذلك الجزاء يتابد ولا ينقطع
وقوله عز وجل وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين قال بعضهم انك لم تكن تدري
قدره الا الله تعالى وقال بعضهم هذا على التعظيم لذلك اليوم والتهويل عنه وقوله عز وجل يوم لا تملك نفس
لنفس شيئا وذلك اليوم يوم تجري فيه الشفاعات فيشفع الانبياء لكثير من الخلق فيشفع بهم واذا
كان كذلك فقد ملكت نفس لنفس شيئا ولكن تاويله يخرج على اوجه ثلاثة احدها ان الكفرة كانوا اتخذوا دون
فيما بينهم ليتناصر بعضهم بعضا في النوائب فقال لا تملك نفس لنفس شيئا قال الله تعالى انما تعبدون من
دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
وماويكم النار وما لكم من ناصرين او لا تملك نفس لنفس شيئا الا بعد ان يؤذن لها كما قال عز وجل
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقد يجري التشفع في الدنيا لا بالاستئذان من احد ويكون
معناه ان كل نفس مستيقن لها في ذلك اليوم اهوال لم تكن تملك الاشياء الا بالتمليك وقوله عز وجل والامر
يومئذ لله اي لا ينازع فيه وهو في كل وقت لله تعالى لكن الظلمة ينازعون في هذه الدنيا والامر يومئذ
لله اي يتبين لكل احد في ذلك اليوم بان الامر لله عز وجل في ذلك اليوم وفي ذلك اليوم والله المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ويل للمطففين فوجه تخصيصهم بالتطفيف والحاقا الوعيد لهم وان كانوا مستوجبين للوعيد وان
وفوا الكيل ولم يطففوا فيه اذ كانوا جاحدين بالله تعالى ومكذبين بالبعث هو ان الكفرة لم يكونوا اعتقدوا
الكفر بالله تعالى لتلذذ يقع لهم بنفس الكفر ولا التزموه على التحسين لهم اياه وانما عرضوا عن الايمان لحبهم
الرياسة والمأكلة كانت لهم خافوا زوالها عنهم بالاسلام او زهدوا عما يلزمهم بالايمان من مؤن
واختاروا الكفر لئلا يلزمهم بالايمان مخففها فكان الذي يحملهم على الصد عن الايمان وتركوا النظر
في ايات الله تعالى وحججه ما ذكرنا فعيروا بالافعال الدنيئة التي كانوا يتعاطونها فيما بينهم من التطفيف
والهمز وتركهم ايتاء الزكوة بقوله عز وجل لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة كافرون لينقلعوا عنها
فيحملهم ذلك على النظر في القران والتدبر فيه وهو كما ذكرنا في القتال ان فيه ما يحملهم على الايمان
لانهم كانوا يتذهدون عنه لحبهم الدنيا فاذا قوتلوا ضاقت عليهم الدنيا فيحملهم ذلك على الايمان بالله
تعالى وعلى النظر في اياته وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية على اهل مكة [illegible]

تركوا التطفيف فلم يطففوا بعد ذلك قال اهل اللغة التطفيف النقصان يقال اناطفان اذا كان غير مملو
وقال الزجاج يقال شئ طفيف اى يسير فسمي مطففا لما يسرق منه شيئا فشيئا فى كل مكيال وفى هذه دلالة
ان حرمة الربوا عامة على اهل الاديان وفيه دلالة ان حرمة الربوا ليست لمكان العاقلين وانما هي حق
للعاقدين لله تعالى وذلك ان الذى يكال له كان ياخذ ما يكال له على علم منه بتطفيفا للبايع ثم كان يرضى به
ويتجاوز عن ذلك ومع ذلك الحقهم التغيير بالتطفيف فدل ان حرمته ليست لمكان العاقدين ولكنها من حق الله
تعالى وقوله عز وجل واذا اكتالوا على الناس يستوفون فمنهم من ذكر ان هذا على التقديم والتاخير ومعناه ويل
للمطففين على الناس اذا اكتالوا او وزنوا واذا اكتالوا استوفون ومنهم من قال بان على ههنا بمعنى
عن فكانه يقول ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون وقوله عز وجل واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون فمنهم من قولهم بعد ذكر الكيل والوزن على التاكيد والمبالغة فان كان هذا على هذا فحقه الوقف
على قوله كالوا او على قوله وزنوهم ومنهم من قال معناه واذا كالوا لهم او وزنوا لهم لان الالف بينهما ليست
بمثبتة فى المصاحف وهو مستعمل كلمته وكلت له كقوله وعدته ووعدت له فان كان هذا معناه لم يستقم
الوقف على قوله كالوا او وزنوا لان قوله لهم تفسير لقوله كالوا او وزنوا ولا يجوز قطع التفسير عما له التفسير
وقوله عز وجل الا يظن انهم مبعوثون الاية قال اكثر اهل التفسير الا يعلم والا يتيقن وقال ابو بكر الاصم الا
يظن بمعنى الا يشك او يظن فى البعث وهو محتمل لما ذكرنا لان الشك يوجب الرهبة وارتفاعه يوجب
الامن الا ترى ان المرء اذا اراد ان يسافر الى مكان فاخبره انسان ان فى الطريق الذى يريد لان يسلك
سراقا وقطاع الطريق فانه يترهب لذلك فيستعد له ما يدفع عن نفسه ضرر قطاع الطريق وضرر
السارق وان لم يتيقن ان المخبر الصادق فى مقالته ولا يتيقن السراق يتمكنون من الاضرار فكيف
لا يشك هؤلاء يكون البعث بما يخبرهم النبي عليه الصلوة والسلام وبعد ما قيل الحجج وهذا اقل منازل
الاخبار ان يورث شكا ثم الاصل ان حرف الشك عند استواء طرفى الداعيين والظن يستعمل عند
اختلاف طرفى الداعيين وهو ان يغلب احدى الدلالتين على الاخرى لذلك يستقيم الحكم والقول باكثر
الظن ولا يستقيم باكثر الشك ثم الظن يتزيد لدى البحث عن الامر والنظر فيه واذا تدبر فيه فهو
لا يزال يرتقى فى الظن درجة فدرجة حتى ينتهى نهايته ببلوغ اليقين ودرك الصواب فلذلك حمل اهل
التفسير اول الظن ههنا على اليقين والعلم اذ ذلك نهاية الظن وحمل ابو بكر على الشك لما لا يرتفع الشبه
كلها فيما كان طريق معرفته الاجتهاد ومثال الظن منا الخوف الذى ذكرنا انه قد يستعمل فى موضع العلم
لان الخوف اذا بلغ غايته صار علما كالذى يهدد بالقتل او بقطع عضو لشرب الخمر انه يباح له الشرب
ويجعل كالمتيقن انه يفعل به لا محالة لو امتنع عن الشرب لبلوغ الخوف نهايته وان لم يكن فى الحقيقة
متيقنا لما يجوز ان يحصل به ما يمنعه عن القتل فعلى ذلك الحكم فى الظن وقوله عز وجل اولئك انهم
مبعوثون للحساب الذى يحصل عليهم فلا يجدون منه مخرجا فيتخلصون من العذاب ليس على ما يحصل عليه
الحساب فى الدنيا يجد فى نفسه الخلاص ووجه المخرج عنه وقوله عز وجل ليوم عظيم سماه عظيما لما ذكرنا
من دوام غذابه ودوام عقابه وقوله عز وجل يوم يقوم الناس لرب العالمين اى لحكمه او لحسابه او
لوعده ووعيده او يقومون له مستسلمين خاضعين لجلاله وان كان البعض منهم وجد منه الامتناع
عن الاستسلام فى الدنيا فان الظلمة يتنازعونه ويدعونه لانفسهم اشياء فينكرون له فاما يوم
القيمة فانهم جميعا يقرون له وينقادون لحكمه وقضائه لذلك خصه بقيام الناس له وقوله عز وجل
كلا قال الحسن وابو جعفر اى بعثهم حق فيبعثون وقال الزجاج كلا حرف ردع وتنبيه اى ليس الامر
على ظنوا انهم لا يبعثون ويجازون باعمالهم فيكون فى هذا ايجاب القول بالبعث من طريق الاستدلال
وقوله عز وجل ان كتاب الفجار لفى سجين اختلف فى السجين فمنهم من جعله اسم موضع واشار اليه فقال
هو صخرة تحت الارض السابعة يوضع كتاب الكافر تحته الى يوم القيمة ولكن ليس بنا معرفة ذلك
الموضع حاجة لان الذى امتحنوا بحفظه فى ذلك الموضع قد عرفوه وهم الملائكة ومنهم من زعم انه
حرف مذكور فى كتب الاولين فذكر ذلك فى القران فجاز ان يكون المقصود بتحقيق تدوين الاشياء
اليه وجائز ان يكون السجين الموضع الذى اعد للكافر فى الاخرة للعذاب لكن اول ما يرد اليه علم
الذى اثبت فى كتابه ثم يلحق به الروح ثم يتبعهما جسده فى الاخرة على ما روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والاخرة سجن الكافر وجنة المؤمن فيرد كتابه الى ذلك
السجن ويرد كتاب الابرار الى الجنة التى اعدت له ثم يتبعه روحه ثم جسده فذلك قوله ان

كتاب

كتاب الابرار لفى عليين ومنهم من قال على التمثيل ليس على تحقيق المكان فى العليين وذلك ان السجين هو
مكان اهل الخبث فى الدنيا فلذلك اعمالهم بذلك لخبثها وقبحها ومثلت اعمال الابرار بما ذكر من العليين
وذلك مكان اهل الشرف واولى القدر فيكون ذلك كناية عن طيب اعمالهم وقال الكسائى السجين مشتق
من السجن كقولك رجل فسيق وشريب وسكيت ثم ذكر كتاب الفجار والفجور يكون بالكفر وغيره فهو
اسم يقع به الاشتراك بين اهل الكفر واهل الاسلام لكنه الحق عند التفسير بما يوجب صرف الوعيد الى
الكفار بقوله ويل يومئذ للمكذبين وكذلك نجد هذا الشرط ملحقا فى التفسير فى جميع ما جرى به الوعيد
بالاسم الذى يقع به الاشتراك من نحو الفسق وترك الصلوة بقوله تعالى قالوا لم نك من المصلين وفى
ما جرى من الوعيد فى الذى لا يؤتى الزكوة فكان فى ذكر التفسير على تقييده بالتكذيب قطع الشهادة
وايجاب العذاب على المكذبين وفى ذكر الاسم الذى يقع به الاشتراك ايجاب الخوف على المسلمين الذين
شركوا فى ذلك الاسم فترك قطع الشهادة عليهم بالوعيد بما لم يذكروا عند التفسير وقوله عز وجل
وما ادريك ما سجين فهو تعظيم ذلك اليوم ووصفه بنهاية الشدة او على الامتنان على نبيه
صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يعلم ذلك حين اطلعه الله عليه وهكذا تاويل قوله وما ادريك ما
عليون وقوله كتاب مرقوم اى الكتاب الذى فى السجين مرقوم والمرقوم قالوا مكتوب ومثبت
والرقم عندنا الاعلام يقال رقم الثوب اذا اعلم فجائز ان يكون علم هو ان يختم فيكون فيه اخبار
انه لا يزاد على قدر ما عمل ولا ينقص منها وهو كما ذكرنا من الفائدة فيما وصف جبريل عليه الصلوة والسلام
بالقوة والامانة بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فوصف بالامانة ليؤمن الخلق
عن خيانته فى الكتاب وتغييره ووصفه بالقوة ليعلم ان غيره لا يتهيأ له ان ينتزع منه ما ارسل
على يده فيغيره فكذلك وصف بالختم والاعلام ليؤمن من الزيادة فيه والنقصان وقوله عز وجل
ويل يومئذ للمكذبين اى للمكذبين بجميع ما يحق عليهم تصديقه وذلك يكون بالايمان بالله تعالى وباياته
ورسله وبالبعث وقوله عز وجل الذين يكذبون بيوم الدين فالدين اسم لشيئين اسم للجزاء واسم
للاستسلام والخضوع فيسمى يوم الدين لما يدانون باعمالهم او لما يستسلمون لله تعالى فى ذلك اليوم
ويخضعون له وفى تكذيبهم بيوم الدين تكذيب لقدرة الله تعالى وتكذيب رسله لان الرسل كانوا
يدعونهم الى الايمان بيوم الدين فكانوا يكذبونهم بتكذيبهم فى ذلك اليوم فيكون تاويله منصرفا
الى ما ذكرنا من تكذيبهم بجميع ما يستحق التصديق به وقوله عز وجل وما يكذب به الا كل معتد اثيم فالمعتدى
هو الذى يتعدى حدود الله تعالى والاثيم الذى يتاثم بربه فيكون محاد ربه عن الحدود والاثم برتبة هو
الذى يحمله على التكذيب وان لو قام بحفظ حدوده لم ياثم بربه لكان لا يكذب بيوم الدين او يكون فيه
اخبار ان المكذبين به معتد اثيم وقوله عز وجل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اى اباطيل
الاولين وقال ابو عبيدة الاساطير هى التى لا اصل لها ومعناه عندنا ما سطره الاولون اى كتبه فا
لسطر الكتابة فيخبرون انها ليست من عند الله تعالى بل مما كتبها الاولون الذين لا انتظام لها ولم يكن
يقولون هذا فى كل ما يتلو عليهم من انباء الاولين وكانوا ينسبونه الى السحر اذا اتاهم بالايات المعجزات
وقوله عز وجل بل ران على قلوبهم قيل الرين الستر والغطا وقيل الدين الصداء فالله تعالى سمى الايمان
الذى هو فى النهاية من الخيرات نورا وسمى الكفر الذى هو فى النهاية من الشر ظلمة فاذا كان الايمان
منورا للقلب والكفر مظلما فاذا اشتغل بالاسباب الداعية الى الكفر شيئا بعد شئ من الاثام فكل سبب
من ذلك يعمل فى اظلام القلب حتى يتم الظلمة على ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان الرسول صلى
الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال هو العبد يذنب الذنب فينكت فى قلبه نكتة سوداء فان
تاب منها صقل قلبه وان لم يتب وعاد فاذنب نكتت فى قلبه نكتة سوداء وان عاد نكتت فى قلبه
حتى يسود القلب اجمع فذلك الرين ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره شيئا فشيئا باسباب تتقدم
الايمان حتى يحمله ذلك على الايمان فذلك تمام الانشراح وعلى هذا يخرج تاويل ما روى عن على بن ابى
طالب رضى الله عنه ان الايمان يبدو لمظة بيضاء فى القلب كلما ازداد عظما ازداد ذلك البياض فا
ذا استكمل الايمان ابيض القلب كله ومعنى قوله يبدو لمظة فى القلب بيضاء الى قوله حتى يستكمل الايمان
عندنا بالاسباب الداعية الى الايمان فلا يزال ينشرح منه شئ فشئ حتى يؤمن لان يكون الايمان
ذا اجزاء ولكن للايمان مقدمات فينشرح شئ فشئ بكل مقدمة منه حتى يفضى به الى الايمان ثم ان
الله تعالى سمى الستر عن الايمان باسامى مرة قال طبع الله على قلوبهم ومرة قال فجعلنا على قلوبهم

كثرة الاثام على قلوب اقفالها فكان الذين وصفوا بالقفل على قلوبهم هم الذين انتهوا في الكفر غايته
حتى لا يطمع منهم الايمان وهم المتمردون المعتقدون للتكذيب وهم الرؤساء منهم والائمة ومنهم من
هو مطبوع على قلبه وهم الذين اعتقدوا الكفر لا عن تمرد وعناد ولكن لما بلغ لهم الاسباب الداعية الى
الايمان وذكر الزجاج ان اول منازل الشر الغين وهو الشر الرقيق كالسحاب الرقيق في السماء تعمل في
غشاء القلب غشاء السحاب الرقيق بلون السماء ثم ازداد سمي رينا ثم يرتقي الى الطبع الى ان يصير كالقفل
على القلب وفي هذا دليل على ان الله تعالى تدبيرا وصنعا في افعال العباد لانه انشاء الكفر ظلمة في القلب حتى
يمنعه تلك الظلمة عن درك الخيرات ونور الايمان اذ كل من اعتقد الكفر ليس يعتقد ليمنعه عن درك
الانوار واذا لم يوجد منه هذا ثبت انه صار كذلك بتدبير الله تعالى وصنعه اذ لا يجوز ان يحدث الظلمة
في القلب فيحدث لها واذا انتفع الصنيع من الكلام ثبت انه بتدبير الله تعالى صار كذلك وانه انشاء
مظلما والله الموفق وقوله عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اختلف في قوله يومئذ فذكر
ابو بكر الاصم ان هذا في الدنيا يقول انهم حجبوا عن عبادة ربهم بما عبدوا غير الله تعالى فصارت
عبادتهم غير الله حجابا من عبادته وذكر اهل التفسير ان هذا في الاخرة ثم منهم من يقول انهم حجبوا عن لقاء
ربهم واحتجوا بهذا القول بالرؤية للمؤمنين ومنهم من يقول هم محجوبون اي عن ذكر الله التي اعدها
لاوليائه وعن رحمته فعوقبوا بالحجب عن ذلك الجزاء لصنيعهم لانهم في الدنيا صنعوا نعم الله تعالى
فلم يقابلوها بالشكر ولم يؤمنوا برسوله الذي بعثه رحمة للعالمين فابلسوا من رحمته وكرامته
في الاخرة عقوبة لهم ومجازاة وهو كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي جعلهم كالشيء المنسي
الذي لا يعبأ به فعلى ما وجدت من المعاملة لا بانه وجههم بتركهم الالتفات اليها عاملوا بمثله في
الاخرة وقال في اية اخرى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقوله عز وجل ثم انهم لصالوا
الجحيم فمن صرف الحجب الى الدنيا فهو يقول ثم انهم يصلون الجحيم بعد ما عبدوا غير الله تعالى وحجبوا
عن عبادته ومن صرف التاويل الى امر الاخرة فهو يقول انهم يصلون الجحيم بعد ما يظهر فيهم
من اثر الحجاب من سواد الوجوه واعطاء الكتاب بشمالهم ومن وراء ظهورهم وقوله عز وجل
ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تاويله انهم يعرفون صليها بتكذيبهم بها وحجبوا عن الله
تعالى بتكذيبهم بذلك اليوم والا لو امنوا واقروا ان النار حق والبعث حق لم يكونوا يصلوا
فيعرفون حتى يقروا بذلك بقوله فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير وقوله عز وجل
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين بذكر الابرار ههنا مقابل الفجار في الاول ثم بين الفجار
انهم المكذبون بيوم الدين بذلك اول ما نزل الكفرة فاذا اريد بالفجار الكافر اريد بالابرار
الذين امنوا لذلك قيل ان الابرار هم المؤمنون والبر هو الذي يكثر منه تعاطي فعل البر فيسمى
بارا اذا كثر منه البر والفاجر هو الذي يكثر منه فعل الفجور فجائز ان يكون الوعيد في الذين بلغوا
في الفجور غايته ويكون حكم من دونهم متروكا ذكره فيوصل الى معرفته بالاستدلال ويكون
الوعد في الذين اكثروا افعال البر ويكون حكم من دونهم معروفا بغيره من الادلة وقوله عز وجل
يشهده المقربون فذكر شهود المقربين في ذكر كتاب الابرار ولم يذكر شهودهم عند ذكر
كتاب الفجار فجائز ان يكون شهودهم على التعظيم لهم والدعاء له وغير ذلك وقيل المقربون
هم مقربو اهل كل السماء وقوله عز وجل ان الابرار لفي نعيم فالبر هو الذي يبذل ما سئل عنه
ويجيب الى ما دعي اليه فاذا اجاب الله تعالى فيما دعاه اليه من التوحيد ووفى باوامره
وانتهى عن مناهيه فهو من الابرار ثم ما ذكرنا يكون بوجهين احدهما بالاعتقاد وتحقيقه
بالفعل والمعاملة فهذا قد وفى بما طلب منه قولا وفعلا فيكون هذا ممن يقطع فيه القول باستيجاب
الوعد المذكور للابرار والثاني ان يقوم بوفاء ما طلب منه اعتقادا ولم يف بما اعتقده بفعله فالحكم
في مثله التوقف ولا يقطع فيه القول باستيجاب الموعود بل الله تعالى ان يجازيه بما ضيع من حفظ
حدوده بقدر ما وجد من التضييع ثم يلحق باهل كرامته وله ان يعفو عنه بفضله وسعته
والفجور هو الميل والميل يكون بوجهين احدهما بترك الاعتقاد والفعل جميعا وميل في المعاملة
وهو ان يخالف فعله معتقده فالذي وجد منه الميل عن الوجهين جميعا يحل به ما اوعد لا محالة واما
الذي خالف فعله عقده فانه يتوقف فيه ولا يشهد انه من جهة من يلحقهم الوعيد لا محالة ثم
قد ذكرنا ان البر اذا ذكر على الانفراد اريد به ما يراد بالتقوى اذا اجتمعا وكذلك التقوى

اذا انفرد اقتضى معنى البر فاذا اقترنا جميعا اريد بالتقوى جهة وبالبر جهة وذلك ان التقوى هو ان يتقي
المهالك وذلك يكون بالاجابة الى ما دعي اليه قولا وفعلا والانتهاء عما نهي عنه قولا وفعلا وهذا
معنى البر ايضا فاذا ذكرا معا اريد بالتقوى الاجتناب عن المحارم واريد بالبر اتيان المحاسن وكذلك
الايمان اذا بالانفراد اريد به ما يقتضي الاسلام من المعنى والايمان جميعا وكذلك الاسلام يقتضي
معنى الايمان اذا ذكر بالانفراد لان الاسلام هو ان يرى الاشياء كلها سالمة لله تعالى لا يجعل لاحد
فيها شركا والايمان ان يصدق الله تعالى بانه رب كل شيء واذا صدقت انه رب كل شيء فقد جعلت الا
كلها سالمة له فهذا معنى قولنا انه يراد بالايمان اذا ذكر بالانفراد ما يراد بالاسلام بما يقتضيه
ظاهره كقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاية وكذلك الحكم في الخوف و
الرجاء اذا ذكر كل واحد من الحرفين منفردا اقتضى كل واحد منهما معنى الاخر واذا ذكرا معا اريد بكل واحد
منهما ما يقتضيه ظاهره ولم يصرف الى ما يراد بالاخر وقوله عز وجل لفي نعيم فجائز ان يكون في الاخرة
يصفهم انهم ابدا في نعيم وجائز ان يكونوا في نعيم الدنيا والاخرة فيكونون في الدنيا في نعيم العقول
دون نعيم الابدان وذلك انهم يطيعون العقل فيما يدعوهم اليه فيتنعمون بعقولهم لكن الذي
يدعوهم اليه عقولهم لكن الذي يدعوهم اليه عقولهم ما تاتي انفسهم الاجابة له ويشتد عليها ذلك
فهم في نعيم العقول لا في نعيم الابدان ونعيم الاخرة نعيم البدن والعقل جميعا فيتنعم انفسهم وعقولهم
ولا يحملون ما تاتي انفسهم احتمالها قال الله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم
في الدنيا حسنة وقال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة الاية فثبت انهم في الدنيا وفي الاخرة لفي نعيم
وقوله على الارائك ينظرون قد ذكرنا ان كل ما تشتهي الانفس وتستلذ في الدنيا فعلى مثله
جرت البشارة لاهل الجنة في الدنيا وذكر ان اهل اليمن كان اذا شرف قدر احدهم وعلت رتبته
في الدنيا اتخذ لنفسه اريكة تنسب اليه فيقال هذه اريكة فلان فجرت البشارة لاهلها بالارا
لما رغب الى مثلها في الدنيا لان ارائكها تشبه بالارائك التي تتخذ في الدنيا لان ارائك الجنة
مطهرة من الافات التي هي اناء الفناء لكنها ذكرت بهذا الاسم لما لا وجه بالوصول الى تعرفها
بغير اسم المعتاد فيما بين الخلق والاريكة هي السرير في الحجال وقوله عز وجل ينظرون يحتمل ان يكون
احدهما ان يقع النظر في الحجل وذلك عند تلاقي الاخوان واجتماعهم على الشراب والنظر الثاني يكون
الى مملكته فيكون ذلك وفيما رجاء من الجمال على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل
من اهل الجنة ليرى جميع ماله بنظرة واحدة وادنى ما يعطى الرجل مثل سعة الدنيا وعرضها فذلك النظر هو
فيما وزعها في الجمال فيقع خارجا منها وقوله عز وجل تعرف في وجوههم نضرة النعيم فجائز ان يكون النضرة
منفرقة الى نفس الخلقة وهو انهم انشئوا على خلقة لا يتغير ولا يخفى بالجهة نضرة او يكون نضارتهم بما
انعموا من النعيم ثم خصت الوجوه لان النظر من بعض الى بعض يكون الى الوجوه لا الى غيرها من الاعضاء
فخصت الوجوه بالذكر لهذا لا ان يكون النضرة لها خاصة بل النضرة يشتمل سائر البدن والثاني ان السرور
اذا اشتد في القلب اثر في الوجوه وكذلك الحزن يباشر في الوجه اثار اعترى القلب فيكون في ذكره نضرة
اخبار عن غاية ما هم عليه من السرور وقوله يسقون من رحيق قال بعضهم الرحيق هو الخمر الذي
لا غش فيه ان يكون مطهرا من الافات وقال بعضهم هو شيء اعده لاوليائه لم يطلعهم على ما تهيأ
في الدنيا على ما قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فهو شراب تقر بهم اعينهم مما اخفي لهم
الى الوقت الذي يشربونه وقوله عز وجل مختوم ختامه مسك فجائز ان يكون راجعا الى حال الاناء
الذي فيه الرحيق وهو انه مختوم لم تتناوله الايدي وكذلك ترى المرء في الدنيا يختم نفيس شرابه
الذي في الاناء بالغدام في الدنيا فيخبر ان ذلك الشراب في الاناء على الوجه الذي كانوا يؤثرونه
في الدنيا واخبر ان ختامه بانفس شيء عرفوه في الدنيا وهو المسك ليس كالختام في الدنيا لانهم
يختمون اوانيهم بالشيء الوزك بما لا قدره عندهم وجائز ان يكون منصرفا الى الشاربين انهم
لا يشربون ابدا بل يكون له ختم ولكن لا ينقطع لذة الشراب عنهم بل ابدا يجدون من ذلك ريح
المسك وقوله عز وجل وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فجائز ان يكون اراد به الشراب الذي وصفه
في قوله رحيق مختوم الاية والتنافس حرف يستعمل في الخيرات كانه يقول فليرغبوا في الشراب
الذي هذا وصفه الذي لا غول فيه ولا هم عنها ينزفون لا في الشراب بالعقول ويضعف الابدان
تتلف الابدان وفي ذلك فليتنافسوا في النعيم الذي وصف ههنا لا في النعيم الذي ينقطع ولا يدوم

فكانه يقول فليرغبوا فيما تعقب لهم النعيم الدايم والشراب الذي لا ينقطع لذته وقيل ختامه مسك ما بقي في الكاس
من البقية يكون ذلك مسكا التنافس انما يكون في المسارعة في الخيرات وترك الاتباع للشهوات والانتهاء
عن المعاصي وهو كقوله لمثل هذا فليعمل العاملون اي فليكون عملهم بما يتم لهم ما ذكر من النعيم لا في الذي
ينقطع ويكون عقابه النار وقوله عز وجل ومزاجه من تسنيم قيل التسنيم شي اعداه الله تعالى لاوليائه
لم يطلعهم عليه في الدنيا وهو من قرة الاعين التي لا يعلمها الا نفس فوصف مرة بالمزاج المسك ومرة بالكافور
بقوله كان مزاجها كافورا ومرة اخبر انه ممزوج بالتسنيم ولم يبين ما التسنيم والسنام ما ارتفع من الشي
فيجوز ان يكون سمي تسنيما لانه يجري اليهم من الاعلى واخبر انه ممزوج لما الى مثله ترغيب الانفس في الدنيا
وتشتاق اليه الا ترى ان الشراب في الدنيا اذا كان ممزوجا فهو في القلوب ارفع منه ويكون الانفس
اليها ارغب منه اذا كان غير ممزوج فرغبوا لخلله في الاخرة وذكر بعض اهل التفسير ان المقربين يسقون
من ذلك الشراب صرفا ويخرج لغيرهم وقال الحسن المزاج يكون للمقربين وغيرهم وجعل الممزوج منه اشرف على ما
ذكرنا وقوله عز وجل عينا يشرب بها المقربون والمقربون هم الذين يسارعون في الخيرات في الدنيا فتركوا مني
الانفس واتقوا المهالك والزلات فهم المقربون واضاف التقريب الى الغير لانهم بغيرهم ما وفقوا الاكتساب
الخيرات وعصموا عن ارتكاب المهالك والزلات لا بانفسهم فنالوا فضل التقريب بما اجهدوا انفسهم في
الدنيا للامور التي ذكرنا وقوله عز وجل ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون فوجه ذكر ضحك الكفرة
بالمؤمنين في القران وجعله اية سلي وان كان المؤمنين بذلك عارفين يخرج على ثلاثة اوجه احدها في بيان
موضع الحجج في قلوب المؤمنين وعملها بهم وذلك ان المؤمنين لما سخت انفسهم باحتمال الاذى والمكروه
من الكافرين انتصبوا لمعادات ابائهم واجدادهم واهاليهم ورفضوا شهواتهم وتركوا اموالهم واختاروا
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ومعلوم انهم لم يحملوا انفسهم كل هذه المؤن طمعا ورغبة في
الدنيا لما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرغب في مثله من نعيم الدنيا فثبت ان الحجج هي
التي حملتهم ودعتهم الى متابعته لا غير فيكون فيما ذكرنا تثبيت رسالته وان لم يكن في الاية انشاء
الى الحجج التي اضطرتهم الى تصديقه والانقياد له فيكون في ذكره تقرير لمن تاخر عنهم من المؤمنين
لرسالته عليه السلام والثاني اولئك المؤمنين صبروا على ما نالهم من المكاره ويستقبلهم من انواع
الاذى في قيامهم بامر الله تعالى ليكون في ذكره تذكير لمن تاخرهم من المؤمنين ان عليهم الامر بالمعروف و
النهي عن المنكر وانه لا عذر لهم في الامتناع عن القيام بما ذكرنا وان نالهم من ذلك اذى ومكروه بل الواجب
عليهم الصبر على ما يصيبهم والقيام بما يحق عليهم او ذكر ما لقي الاوايل من السلف من المعاداة والشدايد
من الكفرة باظهارهم دين الاسلام ثم نلنا نحن هذه الرتبة واكرمنا بالهدى بلا مشقة وعناء فنشكر الله
تعالى بذلك ونحمد عليه لعظمة ثنائه لدينا وجزيل منته علينا وقوله عز وجل من الذين امنوا يضحكون
فضحكهم يكون لاحد الوجهين اما على التعجب منهم ان كيف اختاروا متابعة محمد صلى الله عليه وسلم
وحملوا انفسهم في الشدايد ورضوا بزوال النعيم عنهم من غير منفعة لهم في ذلك وهم قوم كانوا لا
يومنون بالبعث فكانوا يكذبون بما وعد المؤمنين من النعيم في الاخرة فكان يحملهم ذلك على التعجب
فيضحكون متعجبين منهم او كانوا يضحكون على استهزائهم بالمؤمنين يقولون ان هولاء امنوا
محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما اخبرهم من نعيم الاخرة ولا يعرفون انه كذلك فكانوا يجهلون المو
على ما جهلوا بانفسهم وظنوا ان لا بعث ولا جنة ولا نار وقال ابو بكر المجرم هو الوثاب في المعاصي
وذكروا ابو بكر ان في ذكر تشنيع الكفار بالمؤمنين ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا
يضحكون عن المؤمنين ويتغامزون بهم وينسبونهم الى الضلال لشرائهم من المسلمين فاطلع الله تعالى
نبيه عليه الصلوة والسلام على ما اسروا من الافعال ليجعل لهم حجة عليهم لنبوته ورسالته عليه السلام
وقوله عز وجل واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين قال بعضهم لاهين او معجبين بحال المؤمنين
ومسرورين كما قال تعالى انه كان في اهله مسرورا وقوله عز وجل واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون
فيجوز ان يكونوا نسبوهم الى الضلال لتركهم دين ابائهم وراوا ما اختاروه من تحمل الشدايد ورضوا من
العيش ضلالا منهم وقوله عز وجل وما ارسلوا عليهم حافظين اي لم يرسلوا لحفظ اعمال المسلمين فيكون في ذكر
هذا تسفيه احلامهم وهو انهم تركوا النظر في احوال انفسهم وجعلوا يعدون على المسلمين عيوبهم ارسلوا
عليهم حفاظا وما ارسلوا او يكون هذا الاخبار عن الكفار انهم يقولون ما ارسل على احد يحفظ عليه اعماله
فيكون هذا على الانكار منهم بكرام الكاتبين وقوله عز وجل فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون

ويكون ضحكهم على المجازات للكفرة بما كانوا يضحكون منهم في الدنيا وقوله عز وجل على الارائك ينظرون فمنهم
من وقف على قوله على الارائك ومنهم من راى موضع الوقف على قوله ينظرون فاذا وقف على قوله على الارائك
كان معناه انهم ينظرون هل جوزي الكفار ما او عدهم الرسل في الدنيا او لا بعد واذا وقفت على قوله تعالى هل ثوب
الكفار اي قد جوزي الكفار ما كانوا يفعلون فهم ينظرون هل يعاقبون ثم القول ان كيف احتملت انفسهم
النظر الى الكفار بما هم فيه من التعذيب والمرء اذا راى احدا في شدة العذاب لم يحتمل طبعه ذلك ويغص
عليه العيش فجايز ان يكون الله تعالى انشاهم على خلقه لا يقبل المكاره ولا يجدها بل ينال اللذات كلها
والمسار وارتفع عنهم المكروه لبلوغ العداوة بينهم وبين اهل النار غايتها وكذلك نرى المرء في
المشاهد اذا عادى انسانا واشتدت العداوة فيما بينهما ثم راه يعذب بالوان العذاب لم يثقل عليه
ذلك بل احب ان يزاد منه ثم جايز ان يرفع اليهم النار اذا اشتاقوا النظر اليهم فيرونهم او يجعل في بصرهم
من القوة ما ينتهي الى ذلك المكان ثم ذكر بعضهم ان هذه السورة مكية ومنهم من ذكر انها نزلت بين المكة
والمدينة ومنهم من ذكر ان اولها مدنية واخرها مكية والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله تعالى اذا السماء انشقت هو جواب سوال تقدم لما ذكرنا ان حرف اذا جواب وليس بحرف ابتداء فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ميقات الاعمال متى وقتها فقال تعالى اذا السماء انشقت واذنت
لربها وحقت فكذلك وقت ميقات الاعمال وقيل ذكر في الخبر ان اخوين احدهما مسلم والاخر كافر فقال
للمسلم انرا بعد الموت مبعوثون فقال له بلى والذي خلقك والجبلة الاولين فنزلت هذه السورة
تبين لهم وقت بعثهم انه عند انشقاق السماء ومد الارض ونحوه ثم ذكر الجواب في ابتداء السورة هو
ليكون المراد ذكرها لانه يكون ادعى لها واذا ذكر في وسط السورة لم يتحفظ الا بالتلاوة ولهذا المعنى
والله اعلم جعلت الم والر وكهيعص وطه رؤس السور لان الكفرة كانت من عادتهم الاعراض عن القران
وترك الاستماع ليفهموه فابتدئت السورة بما ذكرت من الرموز والاشارة ليحملهم ذلك على الكف فيه
والنظر اذا لم يكن سبق منه العلم بمعرفة ما يراد من قوله الم والر ثم انشقاق السماء ومد الارض والقائها
ما جعل فيها ليعرفوا شدة ذلك اليوم فيخافوه ويستعدوا له وقوله عز وجل واذنت لربها وحقت قيل
سمعت لربها واطاعت واجابت الى ما دعيت اليه ثم المراد من الاذن مختلف فحقيقته ان يصرف كل شي الى
ما هو الاولى به الا ترى ان ذلك اذا قلت اذن الرجل لعبده في التجارة فلست تريد بقولك اذن ما
تريد به اذا اذنت لغيرك ان يتناول من طعامك بل تريد للعبد بالاذن الامر بان يتجر حتى لو لم يفعل تلوم
على ذلك وتريد بالاخر اباحة التناول قال الله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وقال في موضع
اخر وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله فكان المراد من الاذنين مختلفا فثبت ان حقيقته ان يحمله الى
ما دعاه اليه اوجد وهو الى الطاعة والاجابة ههنا اوجه لذلك حملوه عليه وقوله عز وجل وحقت اي حق
لها ان تسمع وتطيع وجايز ان يكون الاجابة منصرفة الى اهلها ثم نسب اليها ذلك وان كان المراد منه
الاهل كقوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ولا يوجد من القرية عتو وانما يوجد من اهلها
فان كان كذلك فيفيد انه لا يختلف احد من الاجابة الى ما دعاه اليه الرب تعالى خلاف ما كانوا عليه
من الدنيا فان كثيرا من اهل الدنيا اعرضوا عن طاعته واشتغلوا بمعصية ثم الاجابة والطاعة والطوع
والكره ومثل هذه الاوصاف اذا اضيفت الى من هو من اهل الاختيار فهو على الطوع المعروف و
الاجابة المعروفة واذا اضيف الى من ليس هو من اهل الاختيار فهو على تبيين الهيئة على ما عليه الخلقة
نحو الارض يوصف بالحيوة اذا انبتت ويوصف بالموت اذا يبس عليها وصارت متهشمة فرادهما
انهما صارت بهيئة لو وجدت تلك الهيئة في الروحانيين لصار احدهما علما للحيوة والاخر علما للوفاة
وقال تعالى ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات قوله تعالى وقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين وهما لا يوصفان بطوع ولا كره خلقتا على هيئة لو وجدت تلك الهيئة فيمن
وصف بالطوع والاكراه كان ذلك منه طوعا وقال ابراهيم عليه الصلوة والسلام رب انهن اضللن
كثيرا من الناس في الحقيقة لا تضل ولكنها ان نشئت على هيئة لو كانت تلك الاضلال بعد ذلك
منها اضلالا وقوله عز وجل واذا الارض مدت قيل بسطت وسويت بكل الشعاب والاودية بالجبال
او تماسا فصارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقوله عز وجل والقت ما فيها وتخلت اي

لقت ما وضع فيها من الموتى والكنوز فتخلت عنها فثبت التخلي اليها وان كان من فيها هو الذي خلا
عنها وكانت هي الحابسة لانها اذا خلا عنها خلت هي عنه وقوله عز وجل يا ايها الانسان انك كادح الكادح
هو الساعي وهو الذي اعتاد ذلك وهذا في كل الانسان تراه ابدا ساعيا اما في عمل الخير او عمل الشر او فيما
ينفعه او فيما يضره حتى لو وهم بترك السعي لم يقدر لان تركه السعي نوع من السعي وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال حين نزلت هذه الاية اما ذلك الانسان فهذا ليس انه هو المخصوص بالخطاب لانه
بين الناس فقال فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله ولا يجوز ان يكون هو المراد
بهذا كله فكل احد على الاشارة مراد بقوله تعالى يا ايها الانسان فذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم انا
ذلك الانسان وقوله عز وجل الى ربك كدحا فملاقيه يجوز ان يكون معناه انك عامل كدحك الى ربك فان تسعى
في طاعته وطلب مرضاته فانك ملاقيه لا محالة اي تلاقي جزاء عملك ان خيرا فخير وان شرا فشر وجائز
ان يكون الملاقات كناية عن البعث اذ البعث قد يكنى عنه بلقاء الرب قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء
ربه وسمي ذلك اليوم يوم المصير الى الله تعالى ويوم البروز بقوله تعالى وبرزوا لله جميعا ووجه التسمية
بهذه الاسامي ما ذكرنا ان المقصود من خلق العالم العاقبة فسمي بروزا لما للبروز انتهى وسمي مصيرا
الى الله تعالى لمصيرهم الى ما له خلقوا وان كان الخلق كلهم بارزين له قبل ذلك ولم يكونوا عنه غائبين
فيصيروا اليه خصوصا لذلك اليوم وقوله عز وجل فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا
يسيرا فسماه حسابا يسيرا لوجوه احدها ان المؤمن اعتقد تصديق الرب في كل ما دعاه اليه واذا كان على
التصديق سهل عليه تذكر ما قدمه بتفكر الجمله ووجه اخر انه اذا نظر في كتابه راى حسناته مقبولة
وسيئاته مغفورة فسمى ذلك اليوم يسيرا له لما اثبت فيه من الخيرات عنه من السيئات كما سميت الجنة
بشرى وسمي ما يجري عليها يسيرا ايضا فكذلك الذي اوتي كتابه بيمينه يجري عليه الخير فيسمى حسابا يسيرا
وجائز ان يكون المسلم يحاسب في الدنيا بذكر ما انعم عليه في الدنيا ولا يحاسب حساب توبيخ وتهويل بان
يقال له لم فعلت كذا والكافر يسأل سؤال التوبيخ فيقال له فعلت كذا على الانكار عليه فعل ذلك تفسير عليه
وروي عن عايشة رضي الله عنها انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نوقش في الحساب
فهو معذب وفي بعضها من حوسب عذب قالت يا رسول الله الم يقل الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا
وينقلب الى اهله مسرورا قال يا عايشة ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك قال الفقيه رح
في ظاهر قوله عليه الصلوة والسلام من نوقش الحساب عذب دفع لما قالته عايشة رضي الله عنها لانه
لفهم من قوله عليه السلام من نوقش الحساب غير الفهم من قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا
فليس في قوله ظاهر جواب لها وكان الظاهر من الكلام الاول على ما فهمته العايشة رضي الله عنها ولكن
وجه الجواب فيه ان قوله عليه السلام من حوسب عذب وقوله عز وجل فسوف يحاسب ليس على كل الحساب
وانما هو على الحساب الذي لا يناقش فيه فاما الذي هو عرض فليس مما يعذب عليه فيكون فيه ابانة انه
لا يفهم بالخطاب العام عموم المراد كما فهمته عايشة رضي الله عنها بل يجوز ان يكون الخطاب عاما والمراد
منه خاصا وقوله عز وجل وينقلب الى اهله مسرورا وقال في شان الذي اوتي كتابه وراء ظهره ويصلى
سعيرا انه كان في اهله مسرورا فهذا لان المسلم انما تاهل على قصد تحصيل النفع لنفسه في العاقبة و
يكون معينة له على امور الاخرة فحصل له ذلك النفع واجرانه السرور الدائم بذلك والكافر تاهل
للمنافع الحاضرة وسرته سرورا انشاه السرور امرا لعاقبة فحق عليه العذاب لتركه السعي للاخرة
لا لسروره باهله وهو كقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الاية والكل منا
يريد العاجلة ولا بد له منها لكن الذي يصلى جهنم هو الذي ابتغى العاجلة ابتغاء انشاه ذلك على الاخرة
فكذلك المسرور باهله انما حلت به النقمة لما منعه السرور عن النظر للعاقبة لا لنفس السرور اذ كل
متاهل لا يخلو عن السرور باهله والله اعلم وقوله عز وجل واما من اوتي كتابه وراء ظهره فالاوتيان
من وراء الظهر يحتمل وجهين احدها ان استقذر منه لخبث منظره فاوتي من وراء ظهره مخافة له عما
سبق من صنعه وصنعة انه نبذ كتاب الله تعالى وراء ظهره وترك اوامره ونواهيه كذلك وراء ظهره
فجوزي ايضا بدفع كتابه وراء ظهره ودفع الى المؤمن كتابه بيمينه لما في كتابه من المحاسن والبركات
واليمين انشئت ليستعمل في البركات وانواع الخير وسميت ايضا باسم مشتق من اليمن والبركة والشمال
جعلت ليستعمل في الاقذار والانجاس فدفع كتابه من حيث عمله اليه بشماله ايضا او من وراء ظهره
لان اهل الايمان حملوا امر الله تعالى ونواهيه واستقبلوها بالتعظيم والتبجيل ومن وراء تعظيم الاخرة

في الشاهد تبجيلا اخذه بيمينه فجوزوا في الاخرة بالتعظيم لهم بان اوتي كتبهم بايمانهم واما الكافر فانه
استخف بامر الله تعالى وطاعته فجوزي في الاخرة بان اوتي كتابه بشماله التي يستعمل في الاقذار اهانة و
تحقيرا وقوله عز وجل فسوف يدعوا ثبورا الثبور والويل حرفان يتكلم بهما عند الوقوع في المهالك
فيكون في ذكر الثبور ذكر وقوعه في المهلكة التي يحق له دعاء الثبور والويل على نفسه دعا به او لم
يدع على سبيل الكناية عن الوقوع في المهالك وهو كقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا فالضحك
كناية عن السرور والبكاء كناية عن الحزن فمعناه انه يستقبله ما يحزن له طويلا كان هناك بكاء او لم يكن
وقوله عز وجل انه ظن ان لن يحور بلى فيه دلالة انه انما حل به ما ذكر من العذاب لانه كان للبعث ظانا
ولم يكن به متيقنا وكذلك الله سبحانه وتعالى حيث قسم الوعد والوعيد للفريقين ذكر في اخره
ما بين ان الذي اوعد بالعذاب هو الكذب وذكر الوعيد ههنا وبين ان الذي يحل به هذا الوعيد
هو الذي كان ظانا بالميعاد ولم يكن متحققا وقال الله عز وجل فاما الذين فسقوا فماويهم النار الى
قوله وذوقوا عذاب النار التي كنتم به تكذبون فتبين ان الوعيد في المكذبين وقال تعالى تلفح وجوههم
الى قوله فكنتم بها تكذبون ليعلم ان الوعيد الدائم في المكذبين خاصة فيكون فيه دفع المعتزلة
ان اهل الكباير يخلدون في النار وقوله عز وجل ان ربه كان به بصيرا اي كان بصيرا بما سبق من
اعماله الخبيثة فيحاسب على علم منه بما كسبت يداه ويعذبه على علم منه باكتساب ما استوجب من
العذاب خلاف ما الامر ملوك الدنيا انهم يحاسبون في تذكير الغير لهم ما عليه من الحساب ويعذبون
على تعريف الغير لهم ما استوجب به التعذيب لا على علم منهم بذلك او يكون معناه انه كان به بصيرا
في الازل انه ماذا ينقلب امره الى النار او الى الجنة فخلقه على علم انه يعادي اولياءه ويعمل اعمالا
وللقايل ان يقول بان المرء في الشاهد لا يشرع بالامر الذي يعلم انه في العاقبة يضره ولا ينفعه
ولو شرع فيه واتمه كان مذموما عند الناس ولم يكن محمودا فاي حكمة في انشاء عدوه وهو
عالم انه يسعى في معاداته وخذلانه والله اعلم ان الذي يشرع في الامر الذي علم ان اتمامه يضره لذلك
ولا ينفعه انما لحقته المذمة بما سعى في اضرار نفسه فاما الذي اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر به
فانما اكتسب الضرر على نفسه خاصة بان اوقعها في المهالك ولم يضر غيره لذلك لم يلحقه المذمة
في خلقه وانشائه وفي هذا دلالة ان الله حيث خلق الخلق لم يخلقهم لمنفعة له ولا لمضرة تلحقه
من جهتهم بل منافعهم ومضارهم راجعة الى انفسهم والله اعلم وقوله فلا اقسم بالشفق فمنهم
من حمل قوله فلا على دفع منازعة وقعت فيما بين القوم على ما نذكر في سورة لا اقسم ان
شاء الله وانما القسم قوله عز وجل اقسم ومنهم من جعل لا بحق الصلة فان كان على الوجه
الاول لم يجر حذف لا من الكلام بل حقه ان يقرء فلا اقسم وان كان بحق الصلة استقام من حذفه
كما قرا بعض القراء فلا اقسم بالشفق ثم الشفق هو اثر النهار فجايز ان يكون القسم واقعا
على النهار كله وان كان ذكر طرفا منه والثاني ان الشفق يجتمع فيه اثر النهار وهو النور الذي فيه
واثر الشمس وهي الحمرة التي يكون فيه فيكون القسم واقعا على النهار بما فيه كما كان واقعا على
الليل بما فيه لقوله والليل وما وسق فيكون فيه حجة لقول ابي حنيفة رضي الله عنه ان وقت
العشاء لا يدخل حتى تغيب الشفق لان وقتها يدخل بغيبوبة الشفق والشفق وجدناه مشتملا
على البياض والحمرة فما لم يتم الغيبوبة لم يهجم وقتها الا ترى ان الصلوة التي تلي المغرب لا يدخل
وقتها حتى يتم غروب الشمس فعلى ذلك الصلوة التي تلي المغرب الشفق لا يدخل وقتها حتى يتم
الغيبوبة وقوله عز وجل انه ظن ان لن يحور بلى فيه دلالة انه انما حل به ما ذكر من العذاب لانه كان
للبعث ظانا ولم يكن به متيقنا وكذلك الله سبحانه وتعالى حيث قسم الوعد للفريقين ذكر في اخره ما
بين ان الذي اوعد بالعذاب هو الكذب وذكر الوعيد ههنا وبين ان الذي يحل به هذا الوعيد
هو الذي كان ظانا بالميعاد ولم يكن متحققا وقال الله عز وجل فاما الذين فسقوا فماويهم النار
الى قوله وذوقوا عذاب النار التي كنتم به تكذبون فتبين ان الوعيد في المكذبين وقال تعالى تلفح
وجوههم الى قوله فكنتم بها تكذبون ليعلم ان الوعيد الدائم في المكذبين خاصة فيكون فيه
دفع المعتزلة ان اهل الكباير يخلدون في النار وقوله عز وجل ان ربه كان به بصيرا اي كان
بصيرا بما سبق من اعماله الخبيثة فيحاسبه على علم منه بما كسبت يداه ويعذبه على علم منه باكتساب
ما استوجب من العذاب خلاف ما الامر في ملوك الدنيا انهم يحاسبون على تذكير الغير لهم ما عليه من الحساب

وقوله والليل وما وسق قال بعضهم وسق اي وما وسق وحمل معه الظلمة والنجم والدابة وغيرذلك
والوثق الحمل يقال وسق بعيرا اي حمل بعيرا وقال بعضهم وسق اي جمع وساق كل شيء الى ماواه من الظلمة
والسباع فذكر النهار والليل لما فيهما من المنافع وقوله والقمر اذا اتسق قال الاتساق الاجتماع
ومعناه استوى ويحمل اذ ذلك اجتماعه وذلك في ليالي البيض وقال ابو بكر الاصم معناه انه رجع
وسوى بعد ان كان كالعرجون القديم فتذكرهم قوته ليعلموا انه قادر على بعثه وقوله عز وجل
لتركبن طبقا عن طبق قرئ بنصب الباء ورفعها وكلا القرائتين في المعنى واحد وان كان في الظاهر
احدهما للجمع والاخرى للوحدان واحدى القرائتين بحرف الجمع لتذكر بالرفع فان قوله لتركبن منصرف
الى كل انسان في نفسه خاصة لا على الاقتصار على شخص واحد لما ليس في قوله عز وجل يا ايها
الانسان انك كادح اشارة الى شخص بعينه ولكن المراد منه الجملة ثبت ان الخطاب منصرف الى
الجملة ثم قوله لتركبن طبقا عن طبق قيل حالا بعد حال ثم جائز ان يصرف الى دار الاخرة فكانه قال
لتركبن حال الاخرة بعد حال الدنيا فيكون فيه تصريح القول على ايجاب البعث ويحتمل ان يكون ذلك
في الدنيا فينتقل الى حال المضغة بعد كونه نطفة الى حال العلقة والى حال الطفولة الى ان يبلغ
اشده فلا يزال يركب حالة بعد حالة فيكون في نقله من حال الى حال الاية انه لم يرد من انشائه ان يتغير
عليه الاحوال فقط بل يريد به العاقبة التي صار انشاء الخلق حكمة لا عبثا فيكون قوله لتركبن منصرفا الى
كل انسان في نفسه خاصة لا على الاقتصار على شخص واحد لما ذكرنا ومنهم من قال انما اراد بهذا الخطاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه نحو قال ابن
مسعود رضي الله عنه لتركبن يا محمد وقال ابن عباس رضي الله عنه نحو قال ابن مسعود رضي الله عنه
لتركبن يا محمد وقال ابن عباس رضي الله عنه لتركبن السماء حالا بعد حال فان كان التاويل على ما ذكره
ابن مسعود رضي الله عنه ففيه بشارة له باسلام قومه واجابتهم له فيقول انهم سيطيعونك و
يصيرون لك انصارا بعد صدهم الناس عن الايمان وجفوتهم اياك ومن قال لتركبن سماء بعد سماء
فيقول ذلك ليلة اسري به والتاويل الاول اقرب لان موقع القسم في قوله لتركبن والاسراء لم
يكن يعرفه قومه حتى يكون في ذكره رفع الاشتباه عنهم ولكن القوم فاما ظهور الاسلام وعلوا
النبي على اعدائه فيما يشاهده الناس فيتحقق في الاخرة ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيب
فيكون تاكيدا لرسالته فلذلك قلنا ان الحمل على المعنى الاول احق والله اعلم وقوله عز وجل فما لهم
لا يؤمنون الاصل ان كل من اعتقد مذهبا فانما يعتقده بحجة تقررت عنده او شبهة اعترضت له فظنها
حجة واما ان يعتقد حراما فليس يفعله فقال الله تعالى في هؤلاء فما لهم لا يؤمنون اي اي حجة لهم
تمنعهم عن الايمان بالله تعالى ورسوله ويدعوهم الى الشرك والتزيين به ثم قد ذكرنا ان ما خرج مخرج
الاستفهام من الله تعالى فحقه ان ينظر ما يقتضي ذلك الكلام من الجواب ان لو كان من مستفهم فيحمل
الامر عليه وحق جواب هذا الكلام ان يقول لا شيء يمنعه عن ذلك فقوله فما لهم لا يؤمنون اي لا حجة لهم
فيما اختاروا من الشرك وانما يتدينون به تشهيا وتمنيا فيكون هذا على النفي فان لا حجة لهم او كان
يخاطب رسوله عليه الصلوة والسلام فيقول سلهم لما لا يؤمنون واذا سالهم لم يجدوا لانفسهم
حجة في الاعراض عن الايمان فيرجع الامر الى انتفاء الحجة ايضا ثم المعتزلة احتجت علينا بهذه الاية في
تثبيتهم القدرة قبل الفعل وزعمت انه لو لم يكن اعطى قوة الايمان لم يكن يعاتب على تركه لانه لا عذر
للعبد اعظم من ان يقول اذا قيل له لم لا تؤمنون فيقول لاني لم اقدر عليه ولان قوله تعالى فما لهم
لا يؤمنون حرف تعجيب ولو كانت القوة ممنوعة قبل الفعل لكان له ان يقول انما لم او من لاني منعت عنه
لم يتعجب عنه التعجيب فدل انه اعطي القوة فلم يبق له في التخلف عن الايمان عذر والجواب عن الفصل الاول
ان الكافر اذا حققته كلفة الايمان لانه هو الذي ضيع القوة باختياره فعل الكفر وانما ترتفع الكلفة اذا
منعت عنه الطاقة فاما اذا كان هو الذي ضيعه فالكلفة عليه قائمة والاصل ان القدرة في الصحيح
السليم تحدث ساعة فساعة عند حرصه على العبادة وميله اليها ثم العبد متى اشتغل بفعل صار مضيعا لضده
من الافعال لا ان كان ممنوعا عن الفعل الذي هو ضده فلذلك اذا اثر الكفر واتى به فقد صار باختيار
الكفر مضيعا لقوة الايمان لا ان صار ممنوعا عنها لذلك لحقيقة كلفة الايمان واما ما ذكر من امر التعجيب
فقد وصفنا وجه التعجيب في ذلك وهو انهم لم يلزموا الكفر بحجة دعتهم الى القول به والمرء اذا قلد شيئا
فلا يلزم لا عن حجة وبرهان فعجب الخلق باختيارهم الكفر لا عن حجة ثم لو كان الامر على ما ظنت المعتزلة

ان الله تعالى قد اعطاهم جميع اسباب الهداية فلم يبق في خزائنه شيئا منعه عنهم لكان التعجيب راجعا اليه لا
الى الذين لم يؤمنوا فيقول ما لي لا اصل الى هدايتهم ولم يبق عندي شيء به هدايتهم الا وقد اعطيتهم لان
يعجب الخلق عن صنعهم فليس الذي اختاروه في القول سوى وصفهم رب العالمين بالعجز والتعاجز لا يصلح
ان يكون ربا والله الموفق وقوله عز وجل واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون فمنهم من صرف التاويل الى
سجود الصلوة والمراد منه عندنا سجود التلاوة وهو سجود الاستسلام والخضوع على الشكر لما
اكرم المرء من الايمان وهداه لان سجود الصلوة يكون عند فعل الصلوة لا عند ذكر التلاوة ثم في الاية
دلالة وجوب السجود على السامع لانهم عوتبوا بتركهم السجود عندما يتلى عليهم وقرعوا به والتقريع يجري
في ترك اللزوم لا في ما ليس عليه ولان المعنى الذي له وجب السجود على التالي قائم في السامع لان التالي
انما لزمه السجود لما ذكرنا من ايات الله تعالى وقامت عليه الحجج فيلزمه ان يخضع لها وقوله عز وجل بل الذين
كفروا يكذبون فهو يحتمل وجهين احدهما انهم يكذبون رسوله محمدا عليه السلام فيحملهم ذلك على التكذيب بالقران
لانهم اذا كذبوا رسالته لم يصدقوه فيما ياتي من الاخبار ولا ان يكون في الاخبار معنى يحملهم على
التكذيب بالقران بل يحملهم على التصديق والايمان لو انعموا النظر فيه وبذلوا من انفسهم الانصاف
او يكون معناه ان الذين كفروا هم المكذبون فيكون الكفر منهم تكذيبا والتكذيب منهم كفرا وقوله
والله اعلم بما يوعون يحتمل وجهين احدهما ما يضمرون من الكيد والمكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فالله
اعلم بكيدهم لانبيائه لهم ان ينفذوا كيدهم فيه الا ما كتب الله عليه فيكون فيه بشارة بالنصر و
التاييد والثاني والله اعلم بما يوعون في قلوبهم من التصديق ويظهرون من التكذيب بالسنتهم
وربما يجمعون من التكذيب بالسنتهم وقلوبهم معا ذلك ان البعض منهم قد ايقن برسالته فكان
يصدقه بقلبه ويكذبه بلسانه على العناد منه والبعض منهم من لم يكن عرف صدقه بقلبه لما ترك
الانصاف من نفسه باعراضه عن النظر في حجج الله تعالى فكان يكذبه بقلبه ولسانه جميعا وقوله
عز وجل فبشرهم بعذاب اليم فالبشارة اذا فسرت استقام حملها على الحزن والسرور جميعا و
اما البشارة المطلقة انما يستعمل في موضع ادخال الفرح والسرور في القلب وقوله الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات فجائز ان يكون منصرفا الى كل من امن وجائز ان يصرف الى من امن من الذين
كانوا يوعدون ما ذكرنا وقوله عز وجل لهم اجر غير ممنون تذكره في سورة والتين والزيتون ان شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله تعالى والسماء ذات البروج فقوله ذات البروج علم القسم وكذلك ما ذكر عقيبه ثم اختلف في
موضع القسم في هذه السورة فمنهم من ذكر ان القسم لمكان قوله قتل اصحاب الاخدود ومنهم من يقول
القسم موضعه على قوله ان بطش ربك لشديد وهو اشبه لانه في موضع الاحتجاج على الكفرة ولو حمل
القسم على قوله قتل اصحاب الاخدود وكان ذلك منصرفا الى المؤمنين والمسلمون قد تيقنوا بصدق
ما ياتي به الرسول من الانباء والقسم يذكر على تاكيد ما يقصد اليه ليزال عنه الريب واذا كان المسلمون
غير مرتابين في نبائه استغنوا عن تاكيده بالقسم فلذلك قلنا ان صرفه الى قوله تعالى ان بطش ربك
لشديد فيكون فيه تحذير لمن كذب رسوله صلى الله عليه وسلم ان بطشه لمن كذب رسوله لشديد قد
علموا ذلك مما وصل اليهم من نبا عاد وثمود وفرعون وغيرهم وجائز ان يكون موضع القسم على قوله
قتل اصحاب الاخدود وذلك ان اهل مكة كانوا اهل تعذيب لمن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان
في ذكر ما نزل بالمتقدمين من الفراعنة من العذاب وصبروا ولذلك المعذبين على دينهم وظفرهم به
حسن ثناء الله عليهم تصبيرا لهم وتهوين على ما يلقون من العذاب لينالوا من حسن ثناء الله تعالى
لهم ما نال من صبر من تقدمهم من السلف وذلك سحرة فرعون واحسن الثناء عليهم بصبرهم على
تعذيب فرعون فقالوا اقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا ليكون عونا لهم على الصبر
بما يلقون من الكفرة من التعذيب ثم اكد الامر بالقسم لانه لا كل مسلم يبتلى بتعذيبهم يبلغ يقينه
مبلغا لا يعتريه الشك ولا يتخالجه شبهة في ذلك فاكد الامر بالقسم لرفع الريب والاشكال و
قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير وفي بعض القراات قتل معه ربيون كثير وقوله فما وهنوا
لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا فذكر المؤمنين ما لقي السلف من الكفرة
وابتلوا بقتل الرسل وثباتهم على الدين ليستمسكوا به على ما اصابهم في سبيل الله ولا ينقلبون على

الرسول

اعقابهم اذا اخبر بقتل النبى وفى ذكر هذه الانباء دلالة ان قول الرسول عليه السلام لعمار رضى
الله عنه ان عادوا فعد حين اكره على اجراء كلمة الكفر على لسانه فاجرى وقلبه مطمئن بالايمان
ليس على الامر به والايجاب عليه والتحصيل بطريق الحزم بل معناه ان عادوا فلنا لعود على سبيل
الرخصة لانه لو كان على الامر لم يكن فى ذكر انباء اصحاب الاخدود وسحرة فرعون فائدة سوى
ان يترك العمل بهما ومعلوم بان تلك الانباء انما ذكرت ليعمل بها لا ليترك بها العمل لذلك حمل
قوله فعد على الرخصة لا على الامر به ويكون المراد من قوله عليه السلام ايضا من لم يقبل رخصنا
كا يقبل عزائمنا فليس منا اى لم يرا العمل به موسعا بل استكره وابى قبوله لا ان يكون امر بترك العزيمة
والايجاب بالرخصة والله اعلم ثم رجع الى قوله تعالى والسماء ذات البروج فقال بعضهم هى البروج
المعروفة وهى اطراف البناء واذا بنا بناء اتخذ على طرفه برجا ليشتد بناؤه به ومنهم من قال البروج
القصور ومنهم من قال البروج النجوم لقوله وجعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وزينة
السماء هى الكواكب بقوله بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد ومنهم من قال هى مجارى
الشمس والقمر والكواكب فمنازلها هى البروج ليعرف حدثها ودخولها تحت تدبير الغير اذ ذكرها
بالمنافع المجعول فيها ليعلم الخلق انها سخرت للمنافع فيعرفوا بها حدثها اذا المسخر لمنافع الغير
داخل تحت قدرة من سخره والمقدر محدث وهم لم يشهدوا بدؤها ليعرفوا بها حدثها ولا كل
احد يعرف حديثه الشئ لكونه محدودا فى نفسه اذا لم يشاهد ابتداؤه فذكرها حيث ذكرها
بما فيها من المنافع المجعولة للخلق اذ ذلك اظهر وجوه الدلالة على الحدثية ليعلموا بها حدثها
الا ترى ان ابرهيم صلوات الله عليه احتج على قومه بنفى الالهية عن الكواكب بافولها اذ ذلك
اظهر وجوه الحدثية ولم يحتج عليهم بانتقالها من موضع الى موضع ولا بكونها محدودة فى نفسها
بل احتج عليهم بما ذكرنا ليتحقق عندهم حدوثها ودخولها تحت سلطان الغير وقوله واليوم الموعود
قيل هى يوم القيمة يسمى موعودا لما وعد من جميع الاولين والاخرين وذلك اليوم ثم اقسم بذلك
اليوم وان كانوا منكرين له لما قرره عليهم بالحجج والزمهم القول به وقيل اليوم الموعود هو كل
يوم يأتى فيما فى مما وعد فيه من الرزق وغيره والله اعلم وقوله عز وجل وشاهد ومشهود اختلف
فى تاويله فمنهم من قال الشاهد هو الله تعالى والمشهود هو الخلق واستدل على ذلك بقوله
كنت انت الرقيب وانت على كل شئ شهيد وقيل الشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم والمشهود
امته قال الله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء
ومنهم من يقول الشاهد هو الكاتبان اللذان يكتبان على بنى ادم اعمالهم والمشهود هو الانسان
الذى يكتب عليهم ومنهم من يقول الشاهد والمشهود هو الانسان نفسه اى يجعل عليه من
نفسه شهودا بقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ومنهم من يقول
الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة سمى يوم الجمعة شاهدا لانه هو الذى يشهدهم ويأتيهم
وسمى يوم عرفة مشهودا لان عرفة اسم مكان والناس يأتونها ويشهدونها ولا يأتيهم فعظم شأن
عرفة لما يعظمها اهل الاديان كلها وعظم يوم الجمعة لانه يوم عيد المسلمين ولكل اهل دين يوم
يعظمونه واكرم الله تعالى المؤمنين بهذا اليوم ليعظموه فكان اليوم الذى يعظمونه غيرهم من اهل
الاديان فاقسم بها وقوله عز وجل قتل اصحاب الاخدود واختلف فى تاويله فمنهم من صرفه الى المعذبين
ومنهم من صرفه الى المعذبين فمن صرف الى المعذبين حمل قوله قتل على اللعن اى لعنوا كقوله تعالى
قتل الخراصون اى لعنوا ومن صرفه الى الذين عذبوا حمله على القتل المعروف ثم اختلف فى قصته او لعله
الذين عذبوا فان كان القسم فى الكفرة فانبغى ان يفسر على وجه من ذلك ما لم يتواتر فيه الخبر
من المصطفى صلى الله عليه وسلم لانهم وجدوا موافقة للانبياء المذكورة فى كتبهم وقد علموا انه لم
يصل الى تعرفها الى الله تعالى اذ لم يره يختلف الى من عنده علم الانباء ليصل الى معرفتها بهم فاذا
فسرت على وجه امكن ان يقع فيها زيادة او نقصان على ما ذكروا فى الكتاب فيجدوا به موضع الطعن
والقدح لذلك لم يسع ان يزاد على القدر الذى جرى ذكره فى الكتاب الا من الوجه الذى ذكرنا و
ان كان القسم فى المؤمنين وسع القول بما تأويلات التى ذكرها اصحاب التفسير لارتفاع المعنى
الذى ذكرنا فى الكفرة والله اعلم ثم ذكر هذه الانباء تقرير رسالته ونبوته عليه الصلوة والسلام
لما ذكرنا انه لم يختلف الى من عنده علم هذه الانباء ليعلم به فاذا انباءهم على وجهها تيقنوا انه بالله

الى الله

الى الله تعالى اذ لم يرده ليختلف الى من عنده علم الانباء ليصل الى معرفتها بهم فاذا فسرت على وجه امكن
ان يقع فيها زيادة او نقصان على ما ذكروا فى الكتاب فيجدوا به موضع الطعن والقدح لذلك لم يسع
ان يزاد على القدر الذى جرى ذكره فى الكتاب الا من الوجه الذى ذكرنا وان كان القسم فى
المؤمنين وسع القول بما التأويلات التى ذكرها اصحاب التفسير لارتفاع المعنى الذى ذكرنا فى الكفرة
والله اعلم ثم ذكر هذه الانباء بتقرير رسالته ونبوته عليه الصلوة والسلام لما ذكرنا انه لم يختلف
الى من عنده علم هذه الانباء ليعلم به فاذا انباءهم على وجهها تيقنوا انه بالله وفيه تبصير لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتخفيف الامر عليه لانه يخبره ان قومك ليسوا باول من اذوك وعاندوك بل لم يزل سلفهم
تلك عادتهم باهل الاسلام وفائدة اخرى ما ذكرنا ان فى ذكره بعض ما يستعين به من ابتلى باذى
الكفرة وفيه ان اولئك الكفرة بلغ من تعنتهم بدينهم ما يقاتلون عليه من اظهر مخالفتهم فى الدين
ليعلموا ان القتال لمكان الدين ليس بامر شاق خارج من الطباع جعلت على القتال مع من عادهم
فى الدين فيكون فيه ترغيب المسلمين على القتال مع الكفرة اذا امتحنوا والله اعلم وقوله النار ذات
الوقود فمنهم من جعل الوقود من التى فيها من المؤمنين ومنهم من جعل الوقود صفة تلك النار
التى عذبوا بها وقوله عز وجل اذ هم عليها قعود اى عظماؤهم وكبراؤهم جلوس عند الاخدود و
يحتمل ان اتباعهم هم الذين كانوا يتولون القاء المؤمنين فى النار وكبراؤهم جلوس هنالك وقوله
عز وجل وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يحتمل وجهين احدهما ان يكون الشهود هم العظماء
والكبراء عنه او يكون منصرفا الى الاتباع كانوا يلقون المؤمنين فى النار ويشهدون انهم على
الضلال وانهم ورؤساءهم على الهدى والحق وهو كما قال فى موضع اخر ويقولون للذين كفروا
هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وقوله عز وجل وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز
الحميد الذى ذكر الحميد ليعلم انه لا يلحقهم ذل بما يحل من الذل باوليائه واهل طاعته ولا فى
جرح تصور بقهر اوليائه خلل فاما عليه ملوك الدنيا وذلك ان الملوك الدنيا اذا حل
باوليائه واحد منهم ذل كان الذل حالا فيه ايضا واذا قهر بعض اتباعه فترك نصرهم و
هو قادر على نصرهم واستعبادهم لم يحمدوا ذلك منه ولحقته المذمة وذلك لان الملك
انما استفاد العز باتباعه وانصاره فاذا استبذل اتباعه زال ما به نال العز فلحقه الذل
ونال الحمد ايضا بالاحسان الى مملكته فاذا ترك نصرهم وهو ممكن من ذلك فقد ترك
احسانه اليهم فصار به غير ممدوح ومحمود والله تعالى استحق العز والحمد بذاته لا باحد من خلقه
فلم يكن فى اذلال اوليائه ما يوجب النقص فى وصف الحمد ولا ما يوجب قصورا فى العز والثانى ان الدنيا
وما فيها انشئت للاهلاك ولم تنشأ للاهلاك لا للاحل انما ذكرنا ايسر عليهم من هلاكهم حتف انفسهم وكان فى ذلك
النوع من الهلاك نيل درجة الشهداء وهى التى ذكرها الله تعالى فى قوله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم الاية ولا ينالون تلك الدرجة بموتهم حتف انفسهم فهذا ابلغ نظرا منه اياهم
ثم للجزاء والعقاب دار اخرى فيها يظهر سر الاولياء وقمع الاولياء فلم يكن فى ترك النصر فى الدنيا
ما يوجب وهنا ولا ذلا واما ملوك الدنيا اذا تركوا نصرهم وذهبت ملكهم لا وليائهم لم يتوقع
منهم النصر بعد ذلك اذ ليست فى ايديهم الا المنافع الحاضرة لذلك لحقتهم المذمة بترك النصر
والله اعلم ثم ليس فى اهلاك اولئك القوم الذين امنوا واقتدارهم عليهم ايهام انهم كانوا
على الحق والصواب وان المؤمنين كانوا على الخطاء لان الاهلاك انما يصير اية اذا كان على خلاف
المعتاد واهلاكهم لم يكن كذلك لان عددهم كان كثيرا وكان فى المؤمنين قلة واهلاك الكثير
للقليل غير مستبعد بل هو امر معتاد وغلبة الفئة القليلة الفئة الكثيرة هى التى تخرج من حد الاعتياد
فتكون فيها اية ان الفئة القليلة على الحق والاخرى على الباطل وذلك نحو عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر ومن معه من المسلمين مع قلة اعدادهم وضعفهم فى انفسهم وكثرة اتباع الكفرة وقوتهم وجلادتهم
فى انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وما نقموا منهم اى لم يكن من المؤمنين بمكانهم جرم من ينتقم منهم بالاحراق
سوى ان امنوا بالله تعالى وقيل ما عابوا عليهم وما انكروا منهم سوى ان امنوا بالله تعالى وفى هذا تبيين سفههم
وعتوهم لانهم علموا ان ما لهم من النعم كلها من الله تعالى فكان الله الذى يحق عليهم ان يؤمنوا بالله تعالى ويشكروه
بما خولهم من النعم ويرجعوا اليه الى الايمان به الا ان يقتلوا او يعذبوا من امن انه ثم قوله عز وجل العزيز الحميد
فالعزيز هو الذى لا وجود له وهو عزيز لا يلحقه ذل فيكون العز مقابلا وقال اهل التفسير العزيز المنيع

والعزيز هو الذي لا يعجزه شيء وهو المستوجب للحمد من كل احد لذاته وقوله عز وجل الذي له ملك السموات
والارض الاية فذكر هذا ليعلم انه لا يدخل في ملكه قصور بقتل اوليائه وانتصار دينه لان الخلق
كلهم عبيد الله تعالى واماؤه والسيد اذا قتل بعض ماليكه بعضا لم يلحق السيد بذلك ذل ولا نقص وانما
عليه الذل اذا قتلهم غير ماليكه فاذا كان الخلق باجمعهم عبيد الله تعالى لم يكن في قتل بعض بعضا نقص يدخل
في ملكه وقوله والله على كل شيء شهيد اي يحفظ عليهم اعمالهم فيجازيهم بها لا يعزب عنه شيء وقوله عز وجل
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات الفتنة وهي ماخوذة من فتن الذهب اذا اذابه لانه يذيبه
ليبين ما خبث منه وبين ما صفا وبين الذهب وبين ما ليس بذهب فاستعمل في موضع الفتنة لان
المحنة هو الابتلاء ليبين بها الصادق من الكاذب والمحق من المبطل وذلك يكون بالامر والنهي
فسمي الامر والنهي من الله تعالى امتحانا لهذا وان كان الله تعالى لا يخفى عليه شيء ثم فتنتهم انهم اخذوا الاخاديد
واوقدوا فيها النيران ليلقوا فيها من ثبت على الايمان ودام عليه وتركوا العذاب من رجع عن دينه
فقيل فتنوا لهذا وقوله عز وجل ثم لم يتوبوا فيه انهم لو تابوا لكان يعفو عنهم ولا يعاقبهم مع
عظم جرمهم بربهم في ذات الله تعالى فيكون فيه اظهار كرمه وعطفه على خلقه وقوله عز وجل فلهم عذاب
جهنم ولهم عذاب الحريق الى الدنيا فقال بان تلك النار التي عذبوا بها المؤمنين سلط عليهم حتى
احرقتهم وجائز ان يكون ذلك في جهنم ايضا فيكون فيه اخبار بان نار جهنم تدوم عليهم بالاحراق
ولا يفتر عنهم وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات فمنهم من صرف هذا الخطاب الى الذين
عذبوا المؤمنين ومنهم من صرفه الى المعذبين وهو انهم لو امنوا مع عظم جرمهم واساءتهم باولياء
الله تعالى لكان يعفوا عنهم ويسعهم رحمته وقوله عز وجل جنات تجري من تحتها الانهار فقوله من
تحتها الانهار يحتمل وجهين احدهما من تحت اهلها والثاني من تحت اشجارها والجنة اسم للمكان
التي فيها الاشجار الملتفة فيخبر ان الماء يجري من تحت ما به صار جنة وهي الاشجار وليس يراد
بقوله تحت الجنة اي تحت تربها لان تحتها يكون قناة او بئرا وليس بهما كثير نزهة وقوله ذلك الفوز الكبير
والفائز هو الذي يظفر بما يامل وينجو عما يخاف ويحذر ووصف انه كبير لانه ليس لما اتاهم زوال ولا
انقطاع وقوله عز وجل ان بطش ربك لشديد اي اخذه للانتقام شديد يشتد على الذي يعذب كقوله
تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله عز وجل انه هو يبدئ
ويعيد قال بعضهم يبدئ العذاب ثم يعيده وقال بعضهم يبدئ الخلق ثم يعيده بعد ما اماته
وقوله وهو الغفور الودود والغفور هو الستور الذي يستر على المذنب ذنبه اذا تاب حتى لا يذكر به و
لولا ذلك لم يكن يصفوا له نعيم الاخرة عن التنغيص وقوله الودود الذي يتودد الى خلقه فيما ينعم
عليهم ويحسن اليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم على اله جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض
من اساء اليها فجعل الاحسان سبب التودد والثاني ان كل من وادّ اخر فالحق عليه ان يوده في الله تعالى لانه
به قال ما به يتودد قال الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فكانه يقول
المستوجب للمودة من الخلق وقوله عز وجل ذو العرش المجيد فمنهم من حمل المجيد نعتا للعرش ومنهم من حمله
نعتا للعرش فهو مستقيم لانه وصفه في مكان اخر بالكريم بقوله لا اله الا هو رب العرش الكريم و
يقرب معناه من الكريم لان الكريم هو الذي عظم قدره وشرفه والمجيد كذلك هو الشريف المعظم و
عظم قدر العرش في قلوب الخلق وعلا حتى زعم بعض الناس انه مكان الرب تعالى والكريم في الشاهد
هو الذي يطيع عنده وجود ما يرجى ويومل ويؤمن منه ما يتقى ويحذر وسمى الله تعالى النبات كريما
بقوله فانبتنا فيها من كل زوج كريم لما فيه من عظم المنافع والكريم هو النافع للخلق وقوله عز وجل
فعال لما يريد اي ما يريد تكوينه فيكون فيه ايجاب القول الى العباد وانه شاء لكل بعد ما علم انه يكون
منه لانه امتدح جل وعلا بالفعل لما يريد ولو لم يثبت له مسع في افعال العباد لكان لا يختص هذا
بل يكون كل واحد مستوجبا لهذا المدح فثبت ان كون حقائق الاشياء بالله تعالى ممتنع فيه والثاني
ان احداث شيء في سلطان اخر وفي مملكته من حيث لا يشاؤه ولا يريده اية الضعف والقهر ومن
ذلك وصفه لم يجز ان يكون ربا لذلك لزم وصف الله تعالى بذلك وجائز ان يكون قوله تعالى فعال لما يريد اي البعث
وهو انه انشاء هذا الخلق للعاقبة وهكذا فعل كل مختار انه يقصد بفعله العاقبة الا ان يكون جاهلا
بها وقوله عز وجل هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود الاية فقد وصفناها في ذكر الانباء من
الفوائد وقد ذكرنا ان فيها اثبات رسالته على ما تقدم ذكره غير مرة وقوله عز وجل بل الذين كفروا

في تكذيب اي كفروا انعم الله تعالى فهم في تكذيب بانعم الله تعالى او لما جحدوا انعم الله تعالى لم يوفقهم للايمان به
فخذلوا على التكذيب وقوله عز وجل والله من ورائهم محيط اي من وراء تكذيبهم محيط بما ينزل بهم من العذاب
ليس يوعدهم عن غفلة وخيال كما يفعله ملوك الدنيا قد يوعدون بالعذاب ولا يدرون انهم يتمكنون من
ذلك ام لا والله تعالى ينزل عليهم عذابه كما اوعد ويكون قوله من ورائهم محيط اي عالم بما يسرون ويخفون
عن الخلق لا يعزب عنه شيء وقوله عز وجل بل هو قران مجيد فسماه مجيدا وكريما وحكيما وهذه اوصاف من
وصف بها في الشاهد فانما استحق الوصف بفعل وجد منه ولا يوجد من القران فعل يستحق به الوصف
فالوصف به يحتمل وجهين احدهما مجيدا اي يصير من يتبعه ويعمل بما فيه مجيدا حكيما كريما كقوله تعالى والنهار
مبصرا اي يبصر به ويكون قوله مجيد كريم اي على الله تعالى وسماه كريما حكيما مجيدا لعظم قدره حكيما مجيدا
لما يوجد منه ما يوجد من الكرماء والامجاد وقوله في لوح محفوظ فمنهم من حقق اللوح والقلم وقد وقف
اهل التفسير ومنهم من جعل اللوح عبارة عما يلوح اي يظهر بذلك من الامر لا على تحقيق اللوح وسمت
الباطنية القلم المبدع الاول واللوح المبدع الثاني وجعلوا المبدع الاول علة كون المبدع الثاني وزعموا
ان المبدع الاول بدل له انشاء الثاني فهو المنشئ له وسمت المبدع الاول بارئا والمبدع الثاني
خالقا ورحمانا وسمت الفلاسفة المبدع الاول عقلا والثاني نفسا ثم حدث التوالد من الانفس
فما جعلهم الاول اصلا وعلة ليس ما ذكروا فذلك يحتمل ان يجعل الاول علة للثاني كما استقام ان
يجعل النطفة اصلا لخلق البشر ولكنه لا يجوز ان يسمى بواحد من الاسمين اللذين ذكرتهما الباطنية
والفلاسفة لانه لا يجوز انشاء الاسماء بهذه الاشياء اختراعا بل تسميتها جاءت بها التسمية
من عند الحجة وانما جاءت التسمية من عند الحجة باللوح والقلم فلا نسميها بغيرهما وقوله عز وجل
محفوظ اي عن اعدائه فلا يتمكنون من تغييره وتبديله واخبر انه انزله اليه على يدي رسول قوي
فلا يقدر احد ان يغلبه فيحترق ما فيه ووصفه بالامانة في نفسه بقوله ذي قوة الى قوله عز وجل
امين ليؤمن تغييره بنفسه والله الهادي للعباد والموفق للرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والسماء والطارق ان الله جل وعلا عظم قدر السماء في اعين الخلق لما جعلها معدن رزقهم
ومسكن اولي القدر من خلقه وهم الملائكة وفيها خلق الجنة وخلقها بغير عمد يرى فاقسم بها لما عظم
من شانها وجعل مصالح الاغذية بزينتها وهي الشمس والقمر واقسم بالنجوم الثاقب وهو الملاوي
من النجوم المضيء والذي يثقب الشيطان او يحرقه ولما فيها ايضا من عظم البركات وبركاتها انها
جعلت بحيث يهتدى بها في البر والبحر ويوصل بها الى لطائف التدبير الى ان ظن بعض الناس ان
الانجم السبعة هي المدبرات وبها مانع الشيطان عن الصعود الى السماء ليتسمع بها التلبيس
عن الوحي لانهم لو لم يحفظوا عنها لكانوا اذا وقفوا على اخبارها اسرعوا لحملها الى الكهنة فيؤدي
ذلك الى التلبيس ومن عظم قدرها انها يقطع في الليلة الواحدة مسيرة الف شهر فاقسم بها لما
ويجوز ان يكون هذا من الله تعالى تعليما لرسوله عليه الصلوة والسلام بان يقسم به دون ان
يكون ذلك قسما منه تعالى لم يكونوا يرتابون في الوحية وربوبية وصدق اخباره فزال عنهم
الريب بالقسم وانما كانوا يرتابون في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فعلم العلم بما ذكر ليراكد
امره فيحملهم ذلك على النظر في امره ويجوز ان يكون القسم بعين هذه الاشياء لكونها معظمة عند
الكفرة وليس للمسلمين ان يقسموا بها فيما بينهم ان يكون القسم بهذه الاشياء هو القسم لخالقها
فكانه امره بالقسم بخالق هذه الاشياء على الاضمار والله اعلم واختلف في تاويل الطارق فقال
بعضهم ما يجيء بالليل يقال طرقته بالليل اذا اتيته وقال الزجاج الطارق هو الساكن يقال
اطرق في الكلام مليا اذا وقف وسكن وقال بعضهم هو النجم يطرق بالليل ويخفى بالنهار وهو
النجم الثاقب ذكره تفسيرا للطارق وقوله عز وجل ان كل نفس لما عليها حافظ اختلف في
قوله ان قال بعضهم اريد به ههنا ما وقوله لما صلة في الكلام فمعناه ما من نفس عليها
حافظ وانما الحافظ على بعض دون بعض والثاني ان يكون الحافظ على بعض ما في النفس دون
بعض وذلك البعض هو الذي يظهره فاما الذي يخفيه فانه لا يشهده كاتباه ومنهم من حمل
قوله تعالى لما على الاستثناء فقال معناه ما من نفس الا عليها حافظ قال الزجاج حرف لما استعمل

في موضع الاستثناء يقال في اللغة اقسمت عليك لما فعلت كذا فان كان معناه ما ذكروا ففيه الزام التيقظ والتبصر والنفس من طبعها اذا اسلط عليه وحفظها احتشمت عليه الملكات ايضا مراقبها دها فيه ويكون متيقظة ولا يرتكب من الامور الا ما يعلم انه لا يلحقه التبعة من الحافظ فسلط عليه الملكات ايضا فيكون متيقظا في كل قول وفعل فلا يقبل الا على ما فيه نفع العاجل والاجل وسمى الله تعالى الملكين كراما كاتبين ومن صحب المكرم من الملاوين احتشم منه وتوقى من اتيان ما يستحيا من مثله ومن اراد ان يكتب لاحد كتابا لم يثبت في كتابه شيئا يوخذ عليه ويندم به بل يحكم الامر ويصلحه غاية ما يحتمله الوسع فكان في ذكر الحافظ على الانفس الزام التيقظ والتبصر من الوجوه التي ذكرنا وقوله عز وجل قال بعضهم يحفظ عليها رزقها حتى يستوفي به فان كان على هذا فالحفظ يكون لها لا عليها وقال بعضهم يحفظ عليها عملها خيرها وشرها وقوله عز وجل فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب فالاصل ان امعان النظر فيما خلق به الانسان مما يوصل المنكرين للبعث والمنكرين للرسالة الى القول بهما وذلك ان النطفة التي خلق منها الانسان لو رؤيت موضوعة على طبق ثم رام احد ان يعرف وان ينتزع منها المعنى الذي به صلح ان ينشأ منها العلقة والمضغة وخلق منها الانسان لم يدرك ولو اجتمع الانس والجن على ان يتركوا عليها خارجة من جوارح الانسان لم يتهيأ لهم تركيبها او يعرف المعنى الذي صلح ان ينشأ منه السمع والبصر لم يوقفوا عليه فتبين ان الذي بلغت قدرته هذا لا يخفى عليه ولا يعجزه شيء وتبين لهم حكمته اداهم ذلك الى القول بالبعث لانه لولا البعث والا كان يخرج انشاء الخلق عبثا باطلا فيخرج عن ان يكون حكيما ولزمهم ان يصدقوا الرسل بجميع ما اخبرتهم به وفيه دلالة خلق الشيء لا من شيء اذ لا يجوز ان يكون الانسان بكليته من النطفة مستحسنا فظهر انه لا يسع في الشيء الواحد ما لا يحصى ذلك من الاضعاف ولا يجوز ان يكون ذلك عمل النطفة وانها اموات لا يحتمل ان يصير كذلك الا بتدبير مدبر عليهم فيكون فيما ذكرنا ايجاب القول بحدوث العالم ولانها لو صارت مضغة وعلقة وخلقا سويا بطبعها لكانت لا يخلو نطفة الا وهي تنقل الى ما ذكرنا الا ترى ان النار لما كانت من طبعها الاحراق والثلج اذا كان من طبعه التبريد لم يجز ان ينتقل واحد منهما عن طبعه الذي نشئ عليه ثم قد وجدنا نطفا تخلو من هذه المعاني التي ذكرنا فثبت انها نقلت الى ما ذكرنا بتدبير حكيم مدبر لا بطبعها ثم الاعجوبة فيما فيه خلق الانسان ليست مما قبل من الاعجوبة مما فيه خلق وذكر ان الانسان خلق في ظلمات على ما اراد الله تعالى وصوره كيف شاء ولو اراد احد ان يعلم علم ذلك او يتصور مثله في حالة العيان لم يملك وجعل ذلك المكان فيما ينمو فيه الولد ويغذ وفيه خصوصا من بين سائر الاماكن ولو اراد حكماء الانس والجن ان يعرفوا الوجه الذي به صلح ذلك المكان للنماء والغذاء والعلوق فيه فنون العلم لم يعرفوا فمن يحفظ فيما ذكرنا علم ان قدرته لا يعجمها فناء ولا يعجزه علم ان علمه ذاتي ليس بمكتسب فيتوهم خفاء الامور عليه وقوله عز وجل من ماء دافق يعني النطفة التي يدفقها الرجل في الرحم والدافق مدفوق اي يدفق به كقولك ليل نائم اي ينام فيه وهو ناصب اي ينصب به وقال الزجاج ماء دافق اي ذي اندفاق وقوله عز وجل يخرج من بين الصلب والترائب اختلف في تاويله فمنهم من يقول بين صلب الرجال ترائب المرأة وهي الاضلاع الثمانية اربع عن يمينها واربع عن يسارها وقال بعضهم الترائب هي الاطراف قال بعضهم الترائب ما دون التراقي وفوق الصدر ثم من الناس من صرف تاويلها الى الرجل خاصة فقال قوله من بين الصلب والترائب اريد به صلب الرجل وترائبه وزعم ان الماء الذي يكون منه الولد ليس معدنه الصلب خاصة بل يجتمع من اطرافه كله ومن حمله على المعاني الاخر صرف الامر اليهما جميعا وهو ان الماء الذي يخلق منه الولد يكون منهما جميعا وذلك ذكر ابو بكر الاصم ان الصلب كناية عن الرجل والترائب كناية عن المرأة فيكون هذا اسما لهما ماخوذا عن اصل ما يكون منهما الا ترى الى قوله تعالى وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم الاية فاضاف الابناء الى الاصلاب وفي اخراج الماء من بين الصلب والترائب لطف من الله تعالى لانه لو اجتهد الخلائق باستخراجه من بين ما ذكر بحيلهم وقواهم ووضعه في الرحم لم يقدروا عليه ثم الله بلطفه وضع هذه الشهوة فيما بين الخلق واستخرج بها الماء من بين الصلب والترائب لا ان يكون يملك اخراجها بالاسباب والحيل كما وضع فيهم شهوة الاكل والشرب في كل جارحة من جوارح الاكل باللطف لان ذلك العمل بالاكل والشرب خاصة وكذلك يرى الانسان اذا سقى اصل شجرة ظهرت منفعة السقي في اغصانها واوراقها واثمارها ولو اراد احد ان يعرف انه لاي معنى صلح

ان يكون الماء بالمحل الذي ذكرنا واراد ان يستخرج المعنى المجعول في الطعام من القوة التي ذكرنا لم يتدارك ذلك فيكون فيما ذكرنا ابلغ حجة على الثنوية لانهم ينكرون خلق الاشياء لا من اشياء وزعموا انا لم نشاهد كون الشيء لا من شيء والشاهد دليل الغائب ذلك في الذي غاب عنا فمن قدر على تصوير الولد في تلك الظلمات وفي الاماكن الضيقة وقدر ان يجعل في الماء والطعام المعاني التي يعجز الخلق عن استدراكها القادر على انشاء الخلق لا من شيء اذ الاعجوبة فيما ذكرنا ليست بدون الاعجوبة عن انشاء لا من شيء قوله عز وجل انه على رجعه لقادر وقال بعضهم انه على رده الى صلب ابيه لقادر وقال بعضهم انه على بعثه لقادر هذا اشبه التاويلين لان الاية في موضع الاحتجاج على الكفرة ولم يذكر عن احد التنازع في نفي الرد الى الصلب وانكاره حتى يدفع المنازعة بهذا وكانوا اهل انكار البعث فاحتج عليهم بابتداء الخلقة وكذلك اكثر ما جرى به الاحتجاج في اثبات البعث في القرآن انما احتج عليهم بالابتداء ان كان التاويل على رده الى صلب ابيه لا ان يوصف الله تعالى بالقدرة على رده وهو على حاله نسمة عظيمة الى صلب ابيه مع ضيق ذلك المكان ولا هذا محال والله تعالى لا يوصف بالقدرة على محال وليس فيما لا يوصف القدرة على المحال نفي القدرة عنه في الازل وهذا الجواب من سأل فقال اتقدر الله تعالى على ادخال الدنيا في بيضة فيقال له ان اردت ادخالها في البيضة في ان تصغر الدنيا وتضيقها حتى تجعلها اضيق من البيضة حتى تتسع فيه الدنيا فهو على ذلك قادر وان اردت انه قادر على ادخالها فيها على ابقاء البيضة بحالها وبقاء الدنيا بحالها فهذا محال لما فيه من انقلاب البعض كلا والكل بعضا فكذلك يوصف الله تعالى على رد النسمة الى الصلب بالوجه الذي ذكر لا ان يردها على ما هي عليها الى الصلب لما في ذلك من الاحالة وكذلك اذا سئلنا عن حركات اهل الجنة والسكون هل لهما غاية فنقول لا فان قالوا هل يعلم الله تعالى غايتها وعددها فنقول له يعلمها غير منقطعة لان يعلمها منقطعة ولم يكن في قولنا انه لم يعلمه منقطعا اثبات جهل ولا نفي العلم عنه بل الجهل انما يتحقق اذا وصف بالعلم بالانقطاع فيما لا ينقطع فكذلك ليس في نفي الوصف بالقدرة على المحال اثبات عجزه والله اعلم وقوله عز وجل يوم تبلى السرائر اي يظهر ما كان اخفى منها فيجازي ان يكون الاظهار منصرفا الى التي لم يطلع عليها الملائكة فيكتبها عليه فيذكره الله تعالى تلك السرائر كيف شاء فيقر بها عليه او ينطق جوارحه بها كقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم الاية ويكون اظهارها بالصراة ما عليه فيظهر ذلك للخلق وان كان قد استرها عنهم في الدنيا ثم سمى ذلك ابتلاء لان الابتلاء هو الاختبار وانما يكون الابتلاء بالسؤال وبالامر والنهي فسمى ما يسال عنه في الاخرة ابتلاء وقوله عز وجل فما له من قوة ولا ناصر يحتمل وجهين احدهما ان ليست له قوة في كتمان ذلك على نفسه دلالة قوة نفي العذاب عن نفسه او لو كتم او ما له من قوة يمتنع بها ولا ناصر يمنعه عن نزول العذاب به ووجه ان الكفار كانوا يفتخرون بقواهم وكثرة انصارهم في الدنيا لا ينفعهم في الاخرة فكانوا يظنون انهم لو اريدوا التعذيب دفعوا بانصارهم وبما لهم من القوى فيخبر الله ان قواهم وكثرة انصارهم لا ينفعهم في الاخرة ولا يدفع عنهم باس الله تعالى وكانوا يعبدون الاصنام ليقربهم الى الله تعالى وينصرهم من العذاب كما قال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون فتبين انها لا تغني عنهم من الله تعالى شيئا وقوله عز وجل والسماء ذات الرجع قال ابو عبيدة الرجع هو الماء اي السماء ذات المطر وقال غيره ذات الرجع اي تعود في كل عام الى ما كانت عليه في العام الذي قبله بالمطر والرجع هو العود ويحتمل ذات الرجع اي تتكرر الى دار ركبها على الخلق استوفوا منها وقوله عز وجل والارض ذات الصدع بالنبات وذات الصدع اي ذات اودية وانها تجتمع فيها الماء فينتفع بها الخلق لسقي اراضيهم وزروعهم فعظم امر السماء والارض فاقسم بهما وقوله عز وجل انه لقول فصل يعني القرآن وليس بالهزل وفي اخراج النبات من الارض حكمة عجيبة ولطف تدبير وذلك ان النبات شيء لين باد في مشر ثم ان الله بلطفه صدع له الارض لينا بسه الصلبة واخرج غير شيء ولا متكسر ليعلموا ان مدبره حكيم فيلزمهم به التوحيد وجعل منافع بمنافع السماء متصلة اذ الارض انما تتصدع للنبات اذا اصابها المطر من السماء فيكون في ذلك انباء ايضا ان مدبرهما واحد ولولا ذلك فالا لم يتصل منفعة احدهما بالاخرى وقوله عز وجل انه لقول فصل اي بين فيه الحرام والحلال وما يتقى عنه وما يؤتى وبين فيه الصواب من الخطاء وبين فيه الوعد والوعيد ويكون معنى الفصل التفريق وهو انه فرق الوعد من الوعيد والحلال من الحرام والحق من الباطل فوضع كل شيء موضعه ولم يخلط احدهما بالاخر وقوله عز وجل

انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا يحتمل وجهين احدهما اجزيهم جزاء فسمي الجزاء باسم ما له الجزاء وان لم يكن
ذلك كيدا كما سمي الجزاء للسيئة سيئة مثلها وان لم يكن الجزاء سيئة كما سمي جزاء الاعتداء وان لم يكن الجزاء
اعتداء بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فقال نسوا الله فنسيهم اي جزاهم
جزاء النسيان وجعلهم كالشيء المنسي الذي لا يعبأ به ولا ان يكون منه في الحقيقة نسيان
فكذا سمي جزاء الكيد كيدا لا ان يكون الجزاء كيدا ووجه اخر ان الكيد في الحقيقة والمكر هو ان ياخذ
من وجه امنه فيلحق الكائد اسم الذم لانه اخذه من وجه لم يشعر به وهذا المعنى في الكيد الذي اضيف
الى الله تعالى غير موجود لان الله تعالى قد بين له الطريق الذي اذا سلكه وقع ارتدا الا من الطريق
الذي اذا سلكه حل به البوار والهلاك فاذا سلك هذا الطريق كان سلوكه عن عناد منه و
عن ترك الانصاف من نفسه فوجد ما يكره من الكيد لا من قبل لم يلحقه بذلك الوصف المعنى
المكروه ثم كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ما ذكر في اية اخرى وهو قوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله وقوله عز وجل
فمهل الكافرين امهلهم رويدا فكانه يقول امهلهم رويدا ولا تجازهم بصنيعهم فان الله
تعالى يجازيهم بصنيعهم عن قريب وقد فعل ذلك بما سلط رسوله صلى الله عليه وسلم بقتلهم و
سبيهم فيكون في هذا بشارة منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر عليهم وبغلبته اياهم
وفي ذلك اية رسالة الله لانه قال لهم هذا عند قلة اعوانه وضعفه ثم ان الله تعالى كثر انصاره
واظهره عليهم كما قال لهم ليعلموا انه علم ذلك بالوحي والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله تعالى سبح اسم ربك قيل فيه من اوجه احدها ان سبح ربك وقيل سبح اسمه وقيل سبح ربك
باسمائه فمن قال سبح ربك فمعناه ان نزه عن جميع المعاني التي يحتملها غيره من الافات والحاجات
والاضداد والانداد فيكون القول به توحيدا وروي عن مقاتل بن سليمان انه قال تاويله وحد ربك
وتوحيده ما ذكرنا وقال المفسرين تاويله ان صل لربك وهذا يحتمل لان الصلوة بنفسها تسبيح
بالافتتاح بقطع وجوه المعاملات بينه وبين الخلق وتنزيه نفسه عن حوائجها فيجعلها لله تعالى وهذا هو التوحيد
والايمان لانه بالايمان يجعل الاشياء كلها لله تعالى فسماه الله فصارت الصلوة تسبيحا لعينها لا التسبيح المجعول فيها
ومن حمل التسبيح على الاسم فقال نزه اسمه فذلك يرجع الى الاسماء الذاتية هو انه لا يشرك تسميته بها او
الاسماء الذاتية قوله الله الذي لا اله غيره الرحمن وما اشبهه من الاسماء الصفاتية ان ينزهها عن
المعاني التي استوجب الخلق الوصف به عالم حكيم رحيم مجيد فمن وصف بالعلم من الخلائق وانما استحق
الوصف به باعيان دخلن واستوجب الوصف بالحكمة والوصف بالمدح بالاغيار والله تعالى استحق
الوصف لا بالاغيار فينصرف التنزيه الى الاغيار وصفاته ليست باغيار للذات وهي لا يفارق الذات
فالامتداح الواقع بالصفات امتداح بالذات الموصوف بها والله الموفق وقال بعضهم معناه سبح
بالحمد والثناء وهو يرجع الى ما ذكرنا من التاويل الاول وهو ان تحمده بالثناء الذي يتضمن التوحيد
والتنزيه عن معاني الخلق ومن قال سبح ربك باسمائه فهذا ظاهر وهو ان يقول لا اله الا الله وحده
لا شريك له واسماؤه معروفة لا يحتاج الى اظهارها وقوله عز وجل الاعلى فظاهره يقتضي ان يكون هناك
ادون واسفل وكذلك قوله الله اكبر فظاهره يقتضي الاصغر ولكن معنى قوله الاعلى اي هو اعلى من ان
تمسه حاجة او يمنعه وكذلك هذا في الاكبر ويكون الاكبر والاعلى في النهاية عن تنزيه المعاني التي ذكرنا
وهو كقولك هو احسن واجمل اردت به النهاية في الحسن والجمال او يكون الاعلى بمعنى العلي والاكبر بمعنى الكبير
وذلك جائز في اللغة وقوله عز وجل الذي خلق فسوى يحتمل وجهين احدهما ان يكون سواه على ما قدره
خلاف الاعمال الخلق لان الفعل من الخلق يخرج مرة سويا على قدر ومرة مجاوزة ويكون سوى الخلق
كله في دلالة وحدانيته وشهادته وربوبيته فما من خلق خلقه الا اذا تفكر فيه العاقل دلته خلقته
على معرفة الصانع ووحدانية الرب او سواه على ما فيه مصلحة ومنفعة او سواه على ما له خلق
الا ترى ان الانسان اذا امر بالركوع والسجود فهذا معنى قولنا انه سواه على ما له خلق والله اعلم وقوله
عز وجل والذي قدر فهدى يحتمل وجهين احدهما هداه الى ما احوجه اليه فهدى العبد معيشته من ابن
ياخذ ما هدى كل دابة الى رزقها ومعيشتها فعرفت كل دابة رزقها او يكون قوله فهدى اي هدى به او يكون

الهداية منصرفة الى امر الدين وذلك يرجع الى الخصوص من الخلق الذين لهم عقول مميزة فيكون معناه هدى فيمن
هدي وطعنت المعتزلة علينا بهذه الاية فقالت ان الله تعالى يقول قدر فهدى وانتم تقولون قدر واضل ولكن هذا
تحقيق راجع اليهم لانهم يحملون تاويل الهداية على البيان واذا كان كذلك وقد بين الله تعالى سبيل الهدى و
سبيل الضلال جميعا فاذا فاضله حيث بين لهم سبيل الضلال على قولهم ثم ليس في قوله قدر فهدى نفي الاضلال
اذ التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ذلك عما عداه فلم يجب قطع الحكم على ما ذكره وقد ذكر في موضع اخر المكرمين بالهدى
فقال الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الاية فثبت ان الهدى راجع الى الخصوص فقوله قدر اي لخلقه
معايشهم وهداهم وجه اخذ المعيشة وقوله عز وجل والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى ففي هذه الاية نعت
الاعلى كانه يقول الرب الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى ثم ذكر هذه الاشياء
التي يعرف انقضاءها وبدوها وانشاؤها واهلاكها من المرعى وغيره لان وجه الدلالة بمعرفة الصانع
بالاشياء التي يعرف بدوها وانقضاؤها وحدوثها وفناؤها اقرب منه بالاشياء التي لم يشهد الخلق بدو
ولا انقضاءها وهي السموات والارضون اذ المرء يصل الى وحدانية الرب ومعرفة الصانع بالاشياء التي
يحدث وتتغير بادنى نظر وتامل ولا يصل الى ذلك فيما يدوم الا بلطائف الفكر وفضل بصر وزيادة تامل
وجائز ان يكون خص المرعى بالذكر لما بالمرعى قوام هذا الخلق لانه لابد للبشر من الدواب والانعام للتعيش
والدواب حيوتها بالمرعى فكان قوام الخلق في التحصيل باخراج المراعي فذكرهم هذا ليستادي منهم الشكر و
اذا كانت الدواب لم ينشاء لانفسها وانما انشئت للخلق ليتمتعوا بها فالله تعالى بفضله انشا للدواب
مراعي وقدر لها اقواتها ولم يضيعها فكيف يضيع هذا الخلق وهم الذين قصد اليهم من خلق هذا العالم
فلا يرزقهم ويخرجهم من تدبيره وقوله تعالى غثاء احوى قيل الغثاء اليابس الذي يحمله السيول والاحوى
اي اسود من قدمه وقيل الاحوى هو الاخضر الذي يضرب الى السواد وهو على التقديم و
التاخير اي جعله غثاء بعد ما كان احوى وقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى اي سنحفظ عليك ما
اوحينا اليك من القران فلا تنسى وفي حفظه عليه السلام ما يوحى اليه دلالة رسالته لانه لم يكن
يعرف الكتابة ولا ان كان يتلوا الكتب ثم كان يقرء جميع ما يلقى اليه بمرة واحدة مما كان مامورا ان لا
يحرك لسانه بشيء مما يوحى اليه الى ان يقضى اليه الوحي ومن كانت حالته تعذر عليه حفظ ما يلقى
اليه بمرات وان كانت ذلك لسان فكيف يضبطه بمرة واحدة فكان حفظه بالمرة الواحدة نوعا من
ايات نبوته وقوله عز وجل الا ما شاء الله قال بعضهم تاويله الا ما شاء الله من ذلك فانه ينسيك
ما اراد ان ينسيك ولكن ما ادري هذا التاويل صحيحا وذلك ان الذي اوحي اليه اية نبوته فرسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قراء ثم انسي فلمن طعن في رسالته ان يستقريه تلك الاية ولا يتهيا له
ان يقراها اذا كان قد انسي فيجد موضع الطعن عليه وقد روي في بعض الاخبار انه انسي ولكنها
من اخبار الاحاد ولا يجوز الحكم بها لان خبر الاحاد يوجب علم العمل لا يوجب علم الشهادة وهي في موضع
الشهادة هاهنا ولكن تاويله عندنا والله اعلم يخرج على اوجه ثلثة احدها ان الانبياء عليهم الصلوة
والسلام لم يكونوا امنين على انفسهم بالعصمة عن الزلات التي لديها يخاف زوال ما انعم به وان ظهر
عصمتهم اليوم عندنا الا ترى الى قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام عند محاجة قومه قال اتحاجوني
في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء الله وقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
فخاف زوال ما اكرم به واخشى ان يبتلى به اهل المعاصي حتى فزع الى الدعاء وقال في قصة شعيب عم وما
يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وقال في قصة يوسف عليه السلام ما كان لياخذ اخاه في دين
الملك الا ان يشاء الله ربنا فثبت انه لم يتبين لهم حقيقة العصمة عن الوقوع في الزلات التي تزيل
النعم فكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمن عما تحتمل الانسان قيل له سنقرئك فلا تنسى
الا ما شاء الله الا ترى الى قوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك فثبت
انهم كانوا على خوف ووجل عن ارتكاب ما يسلب به الوحي وينسى او يكون الاستثناء راجعا الى انساء
حكمه وهو ان ينسخ حكمه حتى يترك وينسى ويصير كالمنسي كقوله نسوا الله فنسيهم اي جعلهم كالشيء
المنسي بما انساهم من رحمته لا ان يكون تبارك حقيقة نسيان فكذلك اذا ترك حكمه وترك صار كالمنسي
وان لم يكن فيه حقيقة نسيان فيكون نسيانا منصرفا الى حكم التلاوة لا الى اعينها او يكون عليه السلام
يذهب خاطره عن وجه كانه نسيه وان كان يعود ذلك اليه عند احضار ذهنه كما ترى المرء في التشاهد
يذهب عن وهمه جميع ما في الفاتحة الكتاب من الحروف اذا اعمل رويته في اشياء اخر حتى يصير كالناسي لها

ذا كان يعود الى تذكرها اذا رام ان يقراها فعلى هذه التاويلات يستقيم ان يوجه اليه الاستثناء والله اعلم
انه يعلم الجهر وما يخفى اى ما يجهر بعض لبعض من الملائكة وما يسر بعض عن بعض ويعلم ما يطلع عليه الملائكة من
اعمالهم ويعلم ما يعزب عنهم فعلمه فيما اسر العبد كعلمه فيما اظهر وجهر به فذكرهم هذا ليكونوا متيقظين فلا
يخافون ولا يجهرون الا الذى يحق عليهم اذ الله تعالى حفيظ عليهم **وقوله** عز وجل ونيسرك لليسرى قالوا ونيسرك
للخير ولعمل اهل الجنة فسميت اعمال الخير يسرى لانها يعقب ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل فذكر ان نفعت الذكرى
فظاهر هذا يقتضى ان لا يذكر الا من نفعته الذكرى ولكن تخصيص الحكم فى حال الوصف لا يوجب قطع الحكم
فيما كان الحال بخلاف ذلك الوصف بل يلزمه ان يذكر من نفعه ومن لا ينفعه قال الله تعالى فذكر انما انت
الاية امرنا التذكر على الاطلاق ثم قوله تعالى ان نفعت الذكرى يحتمل وجهين احدهما ان ذكر فقد نفعت الذكرى
وهو كقوله تعالى ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ومعناه قد كان وعد ربنا لمفعولا وقد نفعت
الذكرى لانه بتذكيره اسلم من اسلم منهم وبه فازوا وبه نالوا الدرجات العلى وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين او يكون قوله عز وجل فذكر ما نفعت الذكرى فيما فى على اقوام لا ينفعهم الذكرى لديها فى تلك حالهم
المعاندة لبأس الله وعذابه **وقوله** عز وجل سيذكر من يخشى اى سيتعظ بها من يخشى الله تعالى او المعاد قال الله
تعالى والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اى بالقرآن وذلك ان الذى يحملهم على الايمان بالاخرة ايمانهم بهذا الكتاب
لان فى القرآن تذكيرا للاخرة وامرا بالاستعداد لها فذلك الخشية يحمله على الاتعاظ بالذكرى والانتفاع بها والخشية
هى الخوف اللازم فى القلب **وقوله** عز وجل ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى واضافت التجنب الى نفسه
تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى فيكون فى هذا دلالة الاذن باضافة الخيرات الى الله تعالى
وفى الاول دلالة منع اضافة الشرور اليه وهذا لان اضافة الخيرات الى الله تعالى يخرج مخرج الشكر له وهو
حقيق بان يشكر نعمه وليس فى اضافة الشرور المخرج شكر له فلم يصلح ان يضاف اليه والله اعلم **وقوله** عز
وجل لا يموت فيها ولا يحيى ان لا ينقضى عنه افعال الموت وهى الاهوال والاوجاع بل يبقى فى اهوالها ابدا قال
الله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اى لا ينقضى عليه حتى يتخلص من اوجاعها ولا يحيى فقوله لا
يحيى اى لا يرتفع عنه الم الموت ويكون قوله لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة يتلذذ بها **وقوله** عز وجل
قد افلح من تزكى اى من اتى بما تزكو به نفسه او اتى بما يطهر نفسه به وسيذكر فى سورة والشمس
وضحيها مع تاويل الفلاح ان شاء الله تعالى **وقوله** وذكر اسم ربه فصلى يحتمل ان يكون اريد به انواع
العبادات لا الصلوة المعروفة وحدها لان الصلوة اسم للدعاء والثناء ولانواع من الكرامات
ثم يقول تذكر الرب ما يصل الى العبادات ومن اعرض عن ذكره حرم من العبادات او يكون منصرفا الى
الصلوة المعروفة فيكون قوله وذكر اسم ربه فصلى اى يصلى بتقديمه اسم الرب فيكون منصرفا
الى الافتتاح فيكون ذلك حجة لابى حنيفة ان المصلى له ان يفتتح صلوته باى اسماء الله تعالى احب ثم ذكر
اسم الرب يقتضى المعانى التى ذكرناها فى قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى **وقوله** عز وجل بل تؤثرون
الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى اى يؤثرون حيوتها على حيوة الاخرة ويكون الخطاب منصرفا الى
المنافقين والكفرة لا الى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم كانوا فى ايثارهم مختلفين فمنهم من اثرها فى
ان نظر فى الدنيا واعرض عن النظر فى الاخرة وجحدها ومنهم من كان اغلب سعيه لامر الدنيا ومنهم من
كان يؤثرها على الاخرة **وقوله** عز وجل والاخرة خير وابقى اى ايثار الحيوة الاخرة خير وابقى من ايثار
الحيوة الدنيا **وقوله** عز وجل ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قال بعضهم الايات الاربع
فى صحف موسى وابراهيم او من قد افلح من تزكى الى قوله خير وابقى وقال بعضهم السورة كلها انزلت
فى صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام فان كانت السورة كلها فى الصحف الاولى فجميع ما فى السورة ذكر
فيها بحق الحاجة لهم الى تعرفها ويكون قوله سنقرئك فلا تنسى مذكورا والحق الثناء على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجه الثناء ما ذكر فى قوله تجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى اخر الاية وهو يستحق الثناء بهذا لما فى حفظه عليه السلام جميع
ما يوحى اليه بمرة واحدة اكرام له وتفضيل فصلح ان يثنى عليه بهذا وفى قوله تعالى ان هذا لفى الصحف
صحف ابراهيم وموسى دلالة ان اختلاف الالسن لا يغير الاشياء عن حقائقها لان الله تعالى شهد بكون
هذا فى الصحف الاولى بهذا اللسان فيكون فيه حجة لابى حنيفة فى تجويز القراءة بالفارسية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى هل اتيك حديث الغاشية قيل معناه قد اتاك حديث الغاشية فاما ان يكون الاتيان سابقا او اتاه حديث
الغاشية بنفس هذه السورة ثم فى هذه الايات ترغيب فيما يحمد عاقبته وتحذير عما فى العاقبة وتبيين ان العاقبة المحمودة
متصلة باكتسابه وكدحه وكذلك العاقبة المذمومة بينا لها ونصبه ثم اختلف فى تاويل الغاشية النار يغشاهم
كما قال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال فى اية اخرى وتغشى وجوههم النار ومنهم من يقول
الغاشية هى الساعة سميت غاشية لانها تغشى الصغير والكبير والمحمود والمذموم والشقى والسعيد فيعمهم
جميعا وهذا التاويل اقرب لانه ذكر الغاشية اولا ثم ذكر الجزاء بعد ذلك بقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة
ناصبة **وقوله** عز وجل وجوه يومئذ ناعمة ثم قوله وجوه يومئذ خاشعة اى ذليلة وانما خص الوجه بالذكر
لان الحزن والسرور اذا استحكما فى القلب اثرا فى الوجه فيكون فى ذكر الوجه وصف للغاية التى هم عليها من الذل
وقوله عز وجل عاملة ناصبة قال بعضهم الى عباد الكفر وهو انهم يعملوا ابدا فى النصب والعمل فى الدنيا والاخرة وجائز
ان يكون نصبها وعملها فى النار وهو انها لم تعمل فى الدنيا بل تكبرت عن طاعة الله تعالى فاعملها وانصبها فى الاخرة
بمعالجة الاغلال والسلاسل النار الحامية او عملت فى الدنيا بالمعاصى ونصبت فى الاخرة فيكون فيه تبيين
الجزاء **وقوله** عز وجل تصلى نارا حامية اى حارة قد احماها الله تعالى من يوم خلقها الى الوقت الذى يبقى منها
وقوله تسقى من عين انية قيل الآنى الذى قد انتهى فى الحر غايته حتى لا احر منه **وقوله** عز وجل ليس لهم طعام الا من
ضريع اختلف فى الضريع فمنهم من يقول سمى ضريعا لانهم يتضرعون عنه ويخرجون اذا اطعموا ومنهم من جعل الضريع
لونا من الوان العذاب لم يبينه الله تعالى للخلق ومنهم من قال الضريع اسم ليبيس قد عرفته العرب فيما بينهم تاكله
الابل والدواب مادام رطبا فاذا هاج ويبس تركتها الدواب اكله وعاقبة لحية وكثرت ما عليه من الشوك و
يسمونه فى الربيع واذا هاج وخف سموه ضريعا فذلك النبت فى الدنيا يعمل فى اسمان الدابة وتغنيها من الجوع فنفى الله
تعالى وجه الاسمان والاغناء وحصل امره على الخبث بقوله لا يسمن ولا يغنى من جوع وهو كقوله فى سدر مخضود و
طلح منضود فالسدر اسم شجرة ذات شوك فى الدنيا فاثبتت فى الاخرة بلا شوك ووصف خمر الجنة فقال
لا يصدعون عنها ولا ينزفون والخمر فى الدنيا يعمل فى التصديع وهى تنزف فنفى هذه الافات وجعلها شرابا لذة
للشاربين فكذلك الضريع نفى عنه ما يقع به الاسمان والاغناء وحصل امره على الخبث والله اعلم **وقوله** عز
وجل وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية اى ناعمة بما عاينت من عاقبة عملها الصالح فى الدنيا ورضيت بما
اوتيت جزاء عن سعيها فى الدنيا جعل الله تعالى فى وجوه الخلق يوم القيمة اثار رضاء بعملهم فى الدنيا فى طاعة جعل
على طاعته فى وجهه يوم القيمة ومن عصاه جعل اثره فى وجهه يعرف به **وقوله** عز وجل فى جنة عالية يحتمل
وجهين احدهما ان يكون قد علا قدرها واعظم شانها فتكون عالية بعلو الجنة فوصفها بالعلو من هذا
الوجه والثانى يحتمل العلو من حيث الدرجات والمكان والله اعلم **وقوله** عز وجل لا تسمع فيها لاغية اى الحق
الا يلقى فيها الشتم ومن كل ما يؤلم صاحبه بل هم كما وصفهم الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على
سرر متقابلين ثم الذى يحمل المرء على شتم المرء [illegible] فى صدره الخصومة حدثت بينهما او افة يدخل
فى عقله فيشكو وما اشبهه والله تعالى نفى عن الشراب الافات بقوله لا يصدعون عنها ولا ينزفون ونزع
الغل عن صدورهم ثم ارتفعت دواعى السفه كلها فلا يسمع فيها ما يلحق بهم **وقوله** عز وجل فيها عين جارية
اى عيونها جارية باخذها العين وتجرى على وجهها ليست كحياة الدنيا فان بعضها تجرى على وجه الارض
وبعضها تحتها كما هو ماء القنوات وماء الابار **وقوله** عز وجل فيها سرر مرفوعة قال بعضهم مرفوعة بعضها فوق
بعض يرتفع ما شاء الله فاذا جاء ولى الله تعالى ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت حيث شاء
الله تعالى وقال بعضهم معنى المرفوعة هاهنا انها انشئت مرفوعة القدر عند اهلها فوعدوا فى الاخرة على ما هى
عليه رغبتهم فى الدنيا [illegible] الوجهين الذين ذكرناها فى الدنيا فعلى مثله جرى الوعد
فى الاخرة وكذلك الشرب فى الاكواب والنمارق المصفوفة والزرابى المبثوثة فوعدهم مثلها فى الاخرة وقال
فى موضع وفرش مرفوعة وفيها يكون من الوجهين الذين ذكرناها فى السرر فوعدوا بها ايضا فى الاخرة
لترغيبهم فى الدنيا **وقوله** عز وجل واكواب موضوعة فالاكواب هى الكيزان التى لا عرى لها [illegible]
[illegible]
[illegible] **وقوله** عز وجل ونمارق مصفوفة فهى الوسائد
وضعت على البسط [illegible] **وقوله** عز وجل افلا ينظرون
الى الابل كيف خلقت الى قوله والى الارض كيف سطحت تخصيص الابل بالذكر من بين جميع الدواب وخص السماء و
الجبال والارض بالذكر وتخصيصها بالذكر يكون لاحد وجهين احدهما ان الابل كانت من انفس دوابهم [illegible]

عنها كانوا يسافرون وعليها كانوا ينقلون ما احتاجوا اليها وهي ايضا اعني مكة منشاؤه بين الجبال فكانت لا تغا
الجبال من فوقهم والارض من تحتهم فخصت هذه الاشياء بالذكر ليعتبروا بها ويتدبروا ويحتمل وجوها اخر
وهو ان المنافع المجعولة في الدواب كلها تجتمع في الابل لان منافع الدواب ان ينتفع بظهرها وبضرعها
وبصوفها ولحمها ونسلها فكل ذلك في الابل فصارت في الابل كالانعام للمنافع المتخذة في الدواب
والبركات المعقودة فيها وكذلك اعظم المنافع والبركات المعقودة فيها متصلة بالسماء ففيها جعلت
ومنها عن الشمس التي بها مصالح الاغذية وبها مزينة بزينة الكواكب فهي ايضا كالام في المنافع و
وكذلك الارض كالام في المنافع اذ فيها ماوى الخلق وقد رفها اقوات الخلق وارزاقهم ومنها يخرج ما
يتخذون من اللباس ثم بالجبال قوام الارض ولولاها لكانت الارض تميد باهلها فخصت هذه الاشياء
بالذكر لما ذكرنا ثم قوله افلا ينظرون يحتمل وجهين احدهما على الامر اي فلينظروا والثاني ان يكون
على سؤال تقدم منهم لامر اشتبه عليهم فنزلت هذه الاية افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الى اخر الاية
اي لو نظروا الى هذه الاشياء لكان نظرهم فيها وتفكرهم بها نزع عنهم الاشكال ويوضح لهم ما اشتبه
عليهم وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما ذكر الله تعالى ما ذكر من نعيم الجنة عجبت قريش وقالت
يا محمد ائتنا باية ان ما تقول له حق فانزل الله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ثم النظر في رفع
السموات والتفكر في خلقها بغير عمد ترونها والنظر والاعتبار في خلق الابل ونصب الجبال و
سطح الارض وهو البسط مما يوجب القول بالبعث ويدعو الى وحدانية الرب تعالى والى القول
باثبات الرسالة وذلك ان الذي كان يحمل على انكار البعث هو انهم كانوا يقدرون الاشياء بقوى
انفسهم فكانوا يظنون ان القوة لا يبلغ هذا اذ احياء الموتى خارج عن وسعهم فلو نظروا وتفكروا
في خلق السموات والارض يعلموا ان قوة الله غير مقدرة بقوى الخلق وذلك ان السموات خلقت
ورفعت في الهواء بغير عمد واقرت كذلك لا تنحدر عن موضعها ولا تتصعد ولو اراد احدهم
ان يقر في الهواء ريشة حتى لا تسقط ولا تصعد لم يقدر عليه فيكون في ذلك تنبيه ان قدرته
ذاتية ليس بمستفادة وكذلك الجبال ترونها مع شموخها وارتفاعها وصلابتها ثبتت بالماء
والاشجار الملتفة من وجه لو تفكروا فيه الخلائق واستفرغوا مجهودهم ليعلموا من اي موضع
يجيء الماء وكيف نبع وكيف نبتت الاشجار من بين الاحجار لم يصلوا الى معرفته فيعلموا ان علمه
ليس بالذي يحاط به فيكون في ذكر ذلك انباء انه لا يخفى عليه امر ولا يعجزه شيء بل العالم كله تحت تدبيره
يفعل بهم ما يشاء ويحكم ما يريد وان الذي قدر على خلق هذا لقادر على احيائهم وبعثهم للجزاء وفي
خلق هذه الاشياء ما يدعوهم الى الوحدانية لان الله تعالى جعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء
فالقطر ينزل من السماء الى الارض الغبراء المتهشمة فينبت لهم من الوان النبات رزقا لهم ولا
نعامهم فلو كان مدبر السماء غير مدبر الارض لكان منع منافع السماء عن خلق مدبر الارض فلو
تفكروا فيها لكان يزول عنهم الاشكال فلا يدعون مع الله الها اخر ولا يقولون اجعل الالهة
الها واحدا وقولنا ان فيه اثبات الرسالة وذلك انهم انما انعموا من النعم التي ذكرناها لا بد ان يستادى
منهم الشكر ولا يعرف شكر كل شيء على الاشارة اليه ثم يكون فلا بد من رسول يطلعهم على ذلك
فان قيل كيف امروا بالنظر في كيفية خلق هذه الاشياء وهم لو نظروا اخر الابد ليعرفوا كيف خلقت هذه
الاشياء لم يهتدوا الى ذلك الوجه فجوابه انهم لو تدبروا ذلك الوجه وفهموه لكان النظر فيها لا يرفع
عنهم الاشكال اذ يقدرونه بافعال الخلق التي يهتدى اليها فارتفاع التدارك وخروجه عن وهمها
هو الذي يوضح لهم الشكل ويزيل عنهم الشبه اذ يعرفوا انه حاصل بقدرة من لا يقدر قوته بقدرتهم
وانه خالفهم من جميع الوجوه والله الموفق وقوله عز وجل فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر
ففي هذه الاية والله اعلم امر من الله تعالى لرسوله عليه السلام ان لا يكافئهم بصنيعهم اذا استقبلوه
بما يكره من اذى يوجد منهم واستخفاف يجيء منهم فيقول ذكر الله تعالى وذكرهم عظيم نعمه وذكرهم
كيف هلك مكذبوا الرسل وكيف نجا من صدقهم وعظم امرهم ولا يكافئهم بصنيعهم وكل ذلك الى الله
تعالى وقوله لست عليهم بمسيطر قال بعضهم بمسلط وقال بعضهم بجبار فان اريد به الوجه الاول فهو
مما يحتمل ويجوز ان يسلط عليهم في ان يؤذن بقتالهم واسرهم وقهرهم ببذل الجزية ولهذا قيل
ان هذا كان قبل نزول سورة براءة وان كان تاويله لست بجبار عليهم على ما روي عن مجاهد فهو
الوجه مما يرد عليه النسخ فلا يجوز ان يصير جبارا عليهم ولا يكون قوله الا من تولى وكفر استثناء

ويكون معناه لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر اي من اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر بوحدانية الله
تعالى وبكتبه ورسله فيعذبه الله العذاب الاكبر وعلى التاويل الذي قيل ان المسيطر هو المسلط بالسيف والاسر
والقهر بالجزية التي هي صغار عليهم يكون قوله تعالى تولى وكفر على الاستثناء اي من اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر
بوحدانية الله فسلط عليهم بالسيف والاسر واخذ الجزية وقيل الا من تولى وكفر اي اعرض ولزم الاعراض
فيكون مسيطرا عليهم اذ تولى وقت التذكير فيستبصر عليه وبالله النجاة وفي هذه الاية بشارة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بالظفر على الذين تولوا عن طاعة الله تعالى وكفروا به وفيه اية رسالته لانه قال في وقت
وقلة انصاره وكان الامر كما قال اذ نصره الله تعالى بالرعب مسيرة شهرين وفتحت له الفتوح ليعلم انه بالله
تعالى علم وقوله عز وجل ان الينا ايابهم اي مرجعهم وقوله ثم ان علينا حسابهم اي من الحكمة ان نحاسبهم
واذا كانت الحكمة يوجب حسابهم وتعذيبهم كان عليه ان يحاسبهم في تركه لما في تركه ترك الحكمة وفي
تركه سفه تعالى الله عن ذلك وبالله النجاة ومنه التوفيق والصلوة والسلام على رسوله محمد واله الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والفجر وليال عشر كانت العرب من عادتهم انهم اذا استحسنوا شيئا عظموه واذا عظموه تسموا
قران الله تعالى جعل في الحج واوقاته لطائف من الحكمة وعجائب من التدبير من لطيف حكمته وعجائب تدبيره
انه جعل المكان الذي يحج فيه امنا للخلق من وجه لا يعرف الخلائق المعنى الذي به وقع الامن والالف
بين الخلق حتى يرغبوا جميعا في الاجتماع هنالك مع تباغضهم وتعاديهم فيما بينهم من وجه لا يدرك
معناه وجعل اهلها يتقلبون في البلاد امنين بين اهل الافاق فجعل ما يقع لاهل مكة اليه حاجة
من السير وغيرها وجعلهم بحيث يرغبون في الاتيان اليها مع عظم ما يلزمهم من المؤن الى اسباب الى مكة
لحج فثبت ان فيها معاني ولطائف هي خارجة عن قواهم وتدبيرهم فكان في ذكرها ما يوجب القول بالقدرة
على البعث ويزيل عنهم الشبهة في امرهم فاقسم لما عظم من شانها لكان انها اوقات الحج فغاية اركان الحج
يؤدى فيها وعادة العرب انهم يقسمون باباءهم واجدادهم واصنامهم لما هي معظمة عندهم فجرى القسم
بها جريا على عادتهم ويدخل في اوقاتها الشفع والوتر والفجر فقالوا الشفع يوم النحر لانه اليوم العاشر
من الشهر والوتر يوم عرفة لانه اليوم التاسع وجائز ان يكون اريد بالشفع والوتر والليل اذا يسر العبادات
جملة اذ ما من عبادة الا وانها شفع ووتر وقوله عز وجل والليل اذا يسر اي يسرى بها وفي ذلك كناية عن الجهاد
والاغارة بالليل كما يذكر في قوله والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فيكون هذا كله اشارة
الى جملة العبادات ووجه القسم بالعبادات ان الله تعالى عظم امر العبادات في قلب الخلق حتى تراهم جميعا
يستحسنونها ويعظمون امرها وانما يقع الاعتراض فيها باشياء لا يقع التنافر بينهم في انفسها فاقسم بها
وجائز ان يكون اريد بالوتر هو الله تعالى وبالشفع الخلائق لانه خلقهم ازواجا والله تعالى هو الواحد
فيكون القسم به وبجميع الخلق ويحتمل ان اريد بالشفع والوتر وقوله عز وجل هل في ذلك قسم لذي
حجر يحتمل ان يكون تاويله ان في وجه ان القسم بهذه الاشياء يؤكد ذوي الالباب والحجر كالذي
يعرف الجهلة قالوا وموضع القسم في قوله ان ربك لبالمرصاد وجائز ان يكون وقع القسم على ما كانوا يحجبون
ان اوقات الحج هي الليالي العشر والشفع والوتر ليس يقسم بها فعل هو هل في ذلك قسم لذي حجر لعلم
التدبير فيعلم بما عرف ان هذه الاوقات بالذي تدلهم على القول بالبعث فيقال اقسم بهذه الايام وخص
عندهم لما فيها من صلاح معاشهم ويكون لهم فيها سعة العيش بالفقراء بالهدايات والبدن واليها
غيرهم بانواع المكاسب والتجارات فانهم كانوا يستعدون الاشياء وينفقون من السنة الى السنة القابلة
في هذه الايام الحج لها منفعة عظيمة عندهم وقيل ان موضع القسم غير مذكور في هذه السورة لان ذكر علاماته
عندهم معروفة فاستغنى عن ذكرها لشهرتها عندهم فاقسم انها الحق والله اعلم وقوله عز وجل الم تر كيف فعل
ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وفي ذكر عاد وثمود وفرعون ثلثة احدها
في موضع التخويف لاهل الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان المثلا لقوم كانوا اكثر منكم
اموالا واعزا واكثر في القوة من هؤلاء الذين كذبوا محمدا عليه افضل الصلوة فلم يغنهم ذلك كله
من الله تعالى شيئا انتقم منهم لرسله عليهم الصلوة والسلام بما كذبوهم فانها هؤلاء
الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخافوا مثل حلول النقمة بكم بما كذبتم رسوله وقيسوا الا كثير
او لئك في العدد والمال والقوة والثاني اخرى انا و لئك كانوا عتوا انهم بالله تعالى وفي

من محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه لما يبسط لهم من النعيم وضيق على الرسول واتباعه فتبين ان الذين تقدمهم
من مكذب الرسل كانوا ارفع منهم فى القوى والاموال والاولاد والاعداد وكانت رسلهم فى ضيق من العيش ثم
كانوا هم اولى بالله تعالى من المكذبين المفتخرين بكثرة الاعداد والقوى فتبين لهم هذا الحلم ان ليس الامر على ما
ظنوا وحسبوا والثالث انهم كانوا يمتنعون عن الايمان بالله تعالى ورسله وكانوا يقولون انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على اثارهم مقتدون فيكون فى ذكر هذا نهى التقليد لاولئك لانه كان فى اباءهم من اهلك
تكذيبهم الرسل وهم الفراعنة واتباعهم ومنهم من نجاهم الرسل واتباعهم المصدقون بما لهم قلدوا
المهلكين منهم دون الذى نجوا ثم الاية لم يبق ليعرف نسب عاد وثمود وفرعون حتى يشتغل بمعرفته وانما سبقت
الا وجه الذى ذكرنا فالاشتغال بمعرفة انسابهم واحوالهم نوع من التكلف وقوله تعالى الم تر كيف فعل
ربك فقوله الم تر يحتمل وجهين احدهما اى قد رايت اى علمت كما يقال فى الشاهد الم تر الى ما فعل فلان اى
قد رايت وعلمت بخبره بصنيعه على جهة التشكى منه ويحتمل انه يكون هذا ابتداء اعلام منه فيقول له
اعلم ان ربك فعل بعاد كذا واختلفوا فى قوله ارم فقال بعضهم هو ابو عاد وقال بعضهم ابو القبيلة تنسب
اليه عاد كما يقال هو من بكر بن وائل وان لم يكن ابنه وقال بعضهم ارم مساكين عاد وقيل هو اسم الذى
بنى تلك الاماكن وقوله عز وجل ذات العماد فقال بعضهم ذات الاجساد الطوال اى عاد ذات الاجساد الطوال
كما ذكر فى القصة وقال بعضهم ذات البنيان المشيد المرفوع فى السماء كالعمد الطوال فيرجع الى الارم على
تاويل من جعله عبارة عن المساكين وقال بعضهم ذات العماد هى الخيام لها اطناب وعمد كانوا اصحاب خيام
وقباب وكانت مساكنهم مرفوعة بالعماد وقوله عز وجل لم يخلق مثلها فى البلاد وقال بعضهم هذا وصف
القوم بالشدة والقوة وعظم القوة والخلقة وفضل البصر فى الامور كقوله لهم وزادكم فى الخلق
بسطة وقال حكاية عنهم وقالوا من اشد منا قوة وقال تعالى وكانوا مستبصرين فوصفهم بفضل البصر
وجائز ان يكون ادى بها المساكين الذين بنوها ان ليس مثلها فى البلاد وقوله عز وجل وثمود
الذين جابوا الصخر بالواد وقال بعضهم اتخذوا من الصخر جوابى اى قصاعا كما قال تعالى وجفان
كالجواب وقال بعضهم فى الصخر بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا امنين فيكون فى هذا اخبار
عن قواهم وشدتهم وقوله عز وجل وفرعون ذى الاوتاد وقال بعضهم سماه ذا الاوتاد والجنود
الجيش وقال بعضهم سمى ذا الاوتاد لانه كانت له اوتاد ينصبها للتعذيب من غضب عليه وقال
بعضهم انه كان ينصب على الطريق اناسا على كل طريق اناسا راصدا وحافظا وقيل اى ذو قصور
وبنيان مشيدة مرفوعة تشبه الجبال التى هى اوتاد الارض قوله عز وجل الذين طغوا فى البلاد
فاكثروا فيها الفساد وطغيانهم فى البلاد وتمردهم وعتوهم فيها وقوله تعالى فصب عليهم ربك
سوط عذاب قال بعضهم عذبهم بسوطهم الذين كانوا يعذبون الخلق ويضربونهم وقال ابو بكر
الاصم ان السوط لون من العذاب فعذب عادا بلون منه وعذب ثمود بلون منه وفرعون
واتباعه بلون منه وقوله عز وجل ان ربك لبالمرصاد وقال ابو بكر الاصم يرصد عذابه باعدائه
ينتظر بهم اجالهم ثم يوقع بهم العذاب اذا اتى الاجل وعندنا انه يرصد عليهم ما عملوا فلا يشذ
عليه ولا يعزب عنه شيء من عملهم بل يحفظ عليهم ما استتر منها وما ظهر وقيل اى لا يجاوزه
ظلم ظالم ولا يفوته هارب ثم لا ينصرف وهم احد فى قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد الى اثبات مكان
كما لا ينصرف بعض الناس وهمهم فى قوله الرحمن على العرش استوى على جعل العرش مكانا له وقوله
فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه
فيقول ربى اهانن كلا والاشكال ان يقول قائل قول ذلك الانسان ربى اكرمنى وربى اهانن خرج
موافقا لما قاله الرب تعالى لانه قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فخرج قوله
ربى اكرمن على الموافقة لما قال وكذا قول هذا الانسان حيث ابتلى بتقتير ربى اهانن خرج موافقا
لما قال فاما اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فاذا كان الاول اكراما كان الثانى بضاده اهانة الا
ترى ان الله تعالى سمى المال خيرا والفقر شرا وسمى المطيع محسنا والعاصى مسيئا فكذا اذا استقام
القول بالاكرام عند ما نعم عليه ويكون استقام القول بالاهانة اذا ضيق عليه الرزق ولم يكرم
واذا كان هكذا فكيف رد عليه تعالى بقوله كلا وهو فى ذلك صادق ولكن نحن نقول ان الرد
لحق لكلا لم يقع على نفس ولا انصرف اليه وانما انصرف الى ما اراده بقوله لان القائل بهذا كافر
بالله تعالى وباليوم الاخر فكان يقول لا بعث ولا جزاء وانما يجازون باعمالهم فى هذه الدنيا فمن

احسن احسن اليه ومن اساء ابتلى به فيكون قوله كلا اى ليس الامر كما ظنه فى نفسه بل الدنيا دار عمل وتجارة بالكفر
والايمان ودار الاخرة وهذا كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهم لم يكونوا كاذبين فى شهادتهم ومقالتهم كاذبين بل كانوا
صادقين انه رسول الله والله تعالى يعلم انه رسوله ولكنهم ارادوا تكذيبه فى قلوبهم فكانوا يبطنون خلاف
ما اظهروا فى انفسهم قال ما اضمروا انصرف التكذيب لا الى نفس القول كذا هذا ولان اهل الكفر كانوا
اصنافا فمنهم من كان يرى اذا بسط عليه النعيم فى الدنيا واكرم فانما بسط عليه لاستوجبه بفعله واذا
ضيق عليه وابتلى بالشدة فانما ضيق عليه باساءته وبما كسبت يداه ومنهم من كان يظن انه من الله تعالى
بمنزلة انه استوجب الانعام وانه اذا بلى بضيق العيش واصابته شدة اصابه ذلك من عند محمد عليه السلام
فيتشاءمون به الا ترى الى قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك وعلى هذا كان ظن فرعون قال الله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه فقوله ربه فاكرمه ونعمه اى اكرمه فى نفسه بان اصح جسمه او جعله رئيس
قومه ونعمه اى بسط الدنيا عليه فيقول ربى اكرمن فكان يفتخر بذلك وقوله عز وجل واما اذا ما ابتلاه
اى اذا افتقر به فضيق عليه رزقه فيقول ربى اهانن فكان يظهر بذلك الجزع والله تعالى اختبره بالنعم
ليتاذى بما انعم وابتلاه بضيق العيش ليصبر لا ليجزع فلا شكر هذا النعم وبل بطر ولا صبر هذا على
الشدائد بل جزع فجائز ان يكون قوله كلا منصرفا الى هذا وهذا الاعتقاد هم وسيئتهم وهو انه لم يكرم ولم
ينعم ليفتخر به ولا ضيق عليه رزقه ليجزع بل انما انعم ليشكر وقدر عليه رزقه ليصبر والله اعلم وقوله عز
وجل بل لا تكرمون اليتيم فجائز انهم كانوا لا يكرمون ويهينونه مع ذلك لان اكرام اليتيم ليس بواجب ما
اهانته حرام وجائز ان لا يثبت الاهانة منهم مع نفى الاكرام لان الايجاب اذا ذكر فى مضادة الايجاب
اقتضى ذلك اثبات المقابلة واذا ذكر الايجاب فى مضادة النفى امكن ان يثبت فيه المقابلة وامكن
ان لا يثبت الا ترى انه اذا قيل فلان جائر كان اثبات المقابلة وهو نفى العدل لان قوله جائر اثبات هو
الجور فكان فى ذكره نفى العدل وفيه اثبات المقابلة واذا قلت ليس بعدل لم يكن فيه تحقيق
الاثبات المقابلة ايضا قال الله تعالى فما ربحت تجارتهم فكان فى نفى الربح اثبات المقابلة فى انها
خسرت ثم اكرام اليتيم ههنا يحتمل وجوها ثلثة احدها ان يكرمه فى ان يحفظ عليه ماله حتى لا
يضيعه ويكرمه فى نفسه وهو ان يتعاهد احواله عن ان يدخل فيها خلل والوجه الثانى ان يكرمه
فيعطيه ابان البشرية ثم شرع اليها والوجه الثالث ان يكرمه فيبذل له ان تدعو حاجته
[illegible]
ماله فيكون تضييعا له [illegible] وقوله عز وجل ولا تحاضون على طعام المسكين اى لا يحثون غيرهم على
طعام المسكين وجائز ان يحضوا ويلوا بانفسهم الاطعام ويحتمل انهم لا يلوا بانفسهم ويحضون غيرهم ففى
هذه الاية ترغيب للمسلمين باكرام اليتيم وتعاهد ماله ويبين ان عليهم ان يطعموا بانفسهم
وان يحثوا الاغنياء باطعام المسكين والله اعلم وقوله عز وجل وتاكلون التراث اكلا لما [illegible]
[illegible]
فيأكلون جميعا وقال بعضهم تاكلون التراث اكلا لما اى شديدا وقوله عز وجل وتحبون المال حبا
جما [illegible]
[illegible] على التقديم والتاخير [illegible]
وقوله كلا ردع وتعنيف [illegible]
[illegible]
[illegible]
ترك اطعام المسكين والحض عليه اذا دكت الارض دكا دكا اى دقت وكسرت وذلك يوم الحساب و
البعث وقوله عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا ويحتمل وجوها احدها ان يكون معناه وجاء ملك
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فى ظلل من الغمام [illegible] والله اعلم [illegible]

في موضع آخر ويوم تشقق السماء بالغمام فثبت أن معناه ما ذكرنا وإذا ثبت هذا ارتفع الريب والإ
شكال ومنهم من ذكر أن معنى قوله وجاء ربك وقوله إلا أن يأتيهم الله أي أمر الله ودليله ما ذكر في سورة
النحل قوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك فذكر مكان قوله وجاء ربك أمر ربك
ويحتمل أن يكون قوله وجاء ربك أي جاء وعده ووعيده فنسب المجيء إلى الله تعالى وإن لم يكن ذلك وصفا
له لأنه لا يجوز أن ينسب آثار الأفعال إلى الله تعالى نسبة حقيقة الفعل وإن لم يوصف به كما قال الله
تعالى ونفخت فيه من روحنا فأضيف النفخ إليه وإن لم يوصف بأنه نافخ وقال وكتبنا عليهم فيها أن النفس
بالنفس فأضيفت الكتابة إليه وإن لم يوصف بأنه كاتب لما أن ما ظهر من آثار فعله ويقال
المطر رحمة الله أي آثار رحمته لا أن يكون المطر صفة له ويقال الصلاة أمر الله والزكاة أمر الله أي
بأمر الله يصلي وبأمره يزكي لا أن يكونا وصفين له ووجه آخر أن يكون معنى قوله تعالى وجاء ربك
أي جاء الوقت الذي به صار إنشاء هذا العالم حكمة إذ لولا البعث للجزاء لكان إنشاء هذا العالم
ثم الإهلاك خارجا مخرج العبث لما وصفناه من قبل لقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا
لا ترجعون فثبت أنه خلقه إنما صار حكمة بالبعث وقال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد
كان الملك وقبل ذلك اليوم ولكن ملكه لكل أحد تبين ذلك الوقت وقال وبرزوا لله جميعا وقد كانت
كل شيء له بأذن ولكن معناه أنه أتى الوقت الذي له برز الخلائق ثم الأصل في كل ما أضيف إلى الله تعالى
أن ينظر إلى ما يليق به فيوصل بالمعنى خالية فيتصل به ويحمله [illegible] قال الله تعالى ما يكون من نجوى
ثلاثة إلا هو رابعهم ولم يفهم إثبات المعنى وكان معناه أن علمه محيط بهم وهو مطلع عليهم وقال
فأتاهم من حيث لم يحتسبوا لم يفهم به الانتقال بل كان معناه أنه جاءهم بأسه وجاء الأولياء نصره
قال قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم ولم
يفهم بهذا الإتيان ما فهم من الإتيان الذي يضاف إلى الخلق وقال الله تعالى إن تنصروا الله ينصركم
وكان معناه أن تنصروا دين الله لأن الله تعالى لا يلحقه ضعف يحتاج إلى من ينصره وقال الله تعالى ويحذركم الله
نفسه وكان معناه أنه يحذركم عذابه لا أن أريد به تحقيق النفس ومثل هذا في القرآن كثير من أن تحصى فثبت
أن محل الإضافات ما ذكرنا فلذلك حمل على الوعد والوعيد وعلى الوقت الذي صار خلق العالم حكمة
وعلى ما يصلح فيه من الإضمار ومما يدل على أنه لا يفهم بالمجيء معنى واحد بل يقتضي أن المجيء إذا أضيف
إلى الأعراض فهم به غير الذي يفهم به إذا أضيف إلى الأجسام فإنه إذا أضيف إلى الأعراض أريد به
الظهور قال الله تعالى إذا جاء نصر الله ومعناه إذا ظهر نصره ولم يرد به الانتقال ولو كان مضافا
إلى الجسم فهم منه الانتقال من موضع إلى موضع وقال الله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ومعناه
ظهر الحق واضمحل الباطل لا أن يكون الحق في مكان فينتقل عنه إلى غيره فثبت أن المجيء إذا أضيف إلى شيء
وجب أن يوصل به ما يليق به لا أن يفهم به كله معنى واحدا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حكاية
عن الله تعالى من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني ساعيا
أتيته هرولة لم يفهم من هذا التقريب ما يفهم به إذا أضيف إلى الخلق وكان معناه من تقرب إلي
بالطاعة والعبادة تقربت إليه بالتوفيق والنصر والإحسان والإنعام وقال موسى على نبينا وعليه
الصلاة والسلام أقريب أنت فأناجيك أو بعيد فأناديك ولم يرد به المكان وإنما أراد بقوله أقريب
أنت مني فأناجيك أو ساخط علي فأناديك في أن أعلن بالبكاء والتضرع ثم الأصل في المجيء المضاف
إلى الله تعالى أن يتوقف فيه لا يقطع الحكم على شيء لما ذكرنا أن المجيء ليس يراد به وجها واحدا لأنه إذا أضيف
إلى الأعراض أريد به غير الذي يراد به إذا أضيف إلى الأجسام والأشخاص والله أعلم والله لا يوصف
بالجسمية حتى يفهم من مجيئه ما يفهم من مجيء الأجسام ولا يوصف بالعرض ليراد به ما يراد من مجيء
الأعراض فحقه الوقف في تفسيره وما اعتقاد ما ثبت بالتنزيل من غير تشبيه والله أعلم وقوله عز
وجل وجيء يومئذ بجهنم قيل فيه من أوجه أحدها أنها أظهرت وبرزت لأهلها على ما قال في آية
أخرى وبرزت الجحيم للغاوين لا أنها كانت في مكان فنقلت عنه وتحيرا والمجيء الظهور قال الله
تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم ومعناه ظهر لكم لا أن كان في مكان آخر فجيء به إليهم وقال بعضهم جيء
بأهلها إليها أي إلى جهنم فيكون حقيقة المجيء من الأهل ثم نسب إليها لأنهم إذا أتوها فقد أتتهم هي
وهو كقوله إنه كان وعده مأتيا فنسب الإتيان إلى الذي يأتيه الوعد فيكون الوعد هو الذي يأتي أهله
وقال بعضهم وجيء يومئذ بجهنم أي يجيء زفيرها وشهيقها وتغيظها على أهلها لا أن يعبر من

مكانا إليها ومنهم من حمله على حقيقة المجيء وذكر أنه يؤتى بها ولها سبعون ألف زمام على كل زمام سبعون ألف
ملك والله أعلم بذلك وقوله عز وجل يتذكر الإنسان يحتمل أن يتذكر إشفاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
ونصيحتهم لهم فيعلم أنه كان فيما توهم بهم من الظنون الفاسدة مبطلا فيكون بذكره ذلك تصديقا من
الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنى له الذكرى أي لا ينفعه تصديقه إياهم ولم يصدقهم في الدنيا أو
يتذكر أن يتلهف على ما فرط في جنب الله من التقصير في حقوقه والتضييع الذي سبق منه حيث لم يشكر نعم
ولم يوجه إليه العبادة فيكون تلهفه ذلك إيمانا ولكن لا ينفعه تلهفه في ذلك الوقت لأن تلك الدار
ليست بدار امتحان بل دار جزاء والذي يحمله على التصديق مشاهدته الجزاء والحساب وعند المشاهدة
ترتفع المحنة ويكون إيمانه ذلك ضروريا لا حقيقة فذلك لا ينفعه وإنما ينفعه الطاعة وقت ملكه
نفسه فأما إذا خرج ملك نفسه من يده لم ينفع له بالإيمان أحد وقال بعضهم يتذكر الإنسان أي يتعظ
وأنى له الذكرى أي أنى له الانتفاع بالموعظة ثم في هذا التذكير بيان لطف من الله تعالى بعبيده حتى
يتذكروا لأن الإنسان يذهب عليه ما قد كتبه في وقت إذا أتى عليه حين حتى لو أراد أن يتذكر وقت
كتابته لم يقدر عليه ثم الله تعالى يذكره في الآخرة جميع ما سبق منه في الدنيا فيتذكر ذلك فيقول يا ليتني
قدمت لحياتي أي يا ليتني قدمت لنفسي حياة يسلم لي أو حياة يبقى له لذتها فهذا هو تلهفه وندمه
في ذلك اليوم يتلهف على ما فاته من الخيرات ويندم على ارتكابه المعاصي وكفرانه نعم الله تعالى ويحتمل
قوله لحياتي حياة يسلم في التلذذ بها وأن الكافر وإن تلذذ وكانت له حياة في الظاهر فإن حياته
للتعذيب فتلك له في الحقيقة ليست بحياة بل هي إهلاك ألا ترى أن الإنسان إذا أخذ في النزع فهو حي
ذلك الوقت حتى بعد لكن حياته للإهلاك فليست هي في الحقيقة حياة لكنها فعلى ذلك حياة المخلد
في النار وقوله عز وجل فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد قرئت هذه الآية على
نصب الذال والثاء وعلى الخفض منهما فمن قرأهما على الخفض فهو يحتمل وجهين أحدهما أن العذاب في
الدنيا وإن اشتد من الملوك على الإنسان فهو لا يبلغ عذاب الله تعالى لأعدائه في الآخرة وإن خف أو
لا يعذب عذابه أحدا أي لا ينبغي لأحد في الدنيا أن يعذب أحدا بعذاب الله تعالى وهو النار كما روي عن النبي
عليه السلام أنه قال لا يعذب أحد بعذاب الله فإن كان على النصب فهو يحتمل وجهين أيضا أحدهما أن يكون
التأويل منصرفا إلى صنف من الكفرة وهم الذين بلغوا في الكفر على مراتبه فلا يعذب من دونهم بعذابهم
والثاني لا يعذب أحد بمكان أحد كما يفعله ملوك الدنيا في الغهم يعذبون الوالد بمكان الولد والولد بمكان
متصلي الذين استوجبوا العذاب وقوله عز وجل يا أيتها النفس المطمئنة فالمطمئنة هي الساكنة التي
لا ترتاب ولا تضطرب بوعد الله ووعيده وأمره ونهيه وجميع [illegible] ثم يجوز أن يكون هذا في
أمر الدنيا فيكون قوله عز وجل ارجعي إلى ربك أي ارجعي إلى ما أمرك ربك أي ارجعي إلى أمر ربك راضية
بوعد الله ووعيده فيكون راضية بالذي وعدها في الآخرة جزاء لكدمها وسعيها في الدنيا مرضية
عند الله تعالى فادخلي في عبادي أي عباد الصالحين وادخلي جنتي أي ادخلي فيما يستوجب به الجنة
وجائز أن يكون هذا في الآخرة وهو يقال للنفس التي اطمأنت في الدنيا بوعد الله تعالى ووعيده
وعملت بطاعته ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل يا أيتها النفس
المطمئنة بالدنيا ارجعي إلى طلب الآخرة وما أعد الله لأوليائه فيها وقيل المطمئنة على عبادة ارجعي
إلى طاعة الله فإنك إذا فعلت ذلك ورضيت بعطاء الله وثوابه ما لك في الآخرة والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لا أقسم بهذا البلد اختلف في قوله لا قال بعضهم لا ها صلة في موضع الدفع والرد لمنازعة كانت
بين قوم فدفع الله تعالى المنازعة من بينهم بقوله لا وكانت تلك المنازعة معروفة فيما بينهم فترك ذكرها
لذلك كما ذكر الجواب في بعض السور لما أن السؤال عندهم معروفا فترك ذكره وهو كقوله تعالى إذا زلزلت الأرض
زلزالها وغير ذلك ومنهم من يقول بأنه حرف لا مرة يستعمل في حق الصلة والتأكيد ومرة في موضع النفي
فيظهر مراده بما يعقبه من الكلام فإن كان الذي يعقبه إثباتا فهو يحمل التأكيد وإن كان الذي يعقبه من الكلام
نفيا فهو في موضع النفي ثم الذي عقيبه من الكلام إثبات وليس بنفي فدل أنه في موضع التأكيد فكأنه قال
لا أقسم بهذا البلد ثم كان حقه أن يقرأ لأقسمن بهذا البلد بإثبات النون كما يقال لأفعلن في اليمين لكن
نون التأكيد قد يذكر في موضع وقد لا يذكر قال تعالى إن ربك يحكم بينهم والله أعلم وقوله عز وجل بهذا البلد قال لو

اريد بهذا البلد مكة فاقسم بها لما عظم شانها بما سبق ذكرنا له وخاصة هي معظمة في اعين اهلها ثم كانت
من عادة الكفرة القسم بكل ما يعظمونه فعاملهم الله تعالى من الوجه الذي جرت به العادة فيما بينهم ليوكد
ما قصد اليه بالقسم فيزيل عنهم الشبهة التي اعترضت **وقوله** وانت حل بهذا البلد قال بعضهم وانت نازلها
من الحلول وقال بعضهم وانت حلال بهذا البلد والحل والحلال لغتان فان كان على هذا فالحل غير منصرف
الى نفسه وانما انصرف الى ما احل له لانه لا يجوز ان يكون بنفسه حلالا او حراما فالحل والحرمة اذا اضيفا
الى من له الحلال والحرمة فانما يراد بالحل والحرمة الشيء الذي احل له والشيء الذي حرم عليه لا ان يكون
الوصف راجعا الى المضاف اليه فاذا قيل هذا محرم اريد به ان الاشياء محرمة عليه واذا قيل هذا حلال
ليس محرما اريد به ان الاشياء له حلال واذا اضفنا الى من لا يخاطب بالحل والحرمة اريد بهما عين ذلك الشيء
كقوله هذا اللحم حلال وصيد حلال وهذا اللحم حرام فيريد ان ذلك اللحم حلال وكذلك الصيد حرام او حلال له
في الذي احل له غنيمتهم من صرفه الى القتال فقال بانه احل له القتال فيها وذلك يوم فتح مكة ومنهم من قال بانه
احل له الدخول فيها اذا جاء من الافاق بغير احرام ولا يحل ذلك لغيره وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان مكة حرام حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والارض والشمس
والقمر ووضع هذين الجبلين لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار وهي ساعتي هذه
هي حرام بحرام الله تعالى الى يوم القيمة لا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها ولا ترفع لقطتها الا لمنشدها
فقال عباس رضي الله عنه الا الاذخر يا رسول الله فانه لا غناء لاهل مكة عنه للقبر والبنيان فقال
عليه السلام الا الاذخر فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قد احلت له ساعة من نهار والحل يحتمل الوجهين
الذين ذكرناهما وذكر ابو بكر الاصم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤذيه اهل مكة فيتاذى بهم فيخرج من
بين اظهرهم فيحل له التصيد في ذلك الوقت ولكن لا يسع صرف التاويل الى هذا اذ لا يعرف هذا الا بالخبر والنقل
ثم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان العباس رضي الله عنه الا الاذخر دلالة ان التحريم لم يكن منصرفا
اليه ولا يحتمل ان يكون التحريم شاملا له ثم استثناه بما ذكر العباس رضي الله عنه من حاجة اهل مكة اليه
لما لم يكن بين ذكر التحريم والتحليل كثير منه يجري في مثلها النسخ ولكن ترك بيان الحل الى ان ساله العباس
رضي الله عنه ثم بين وهو دليل قول اصحابنا رحمهم الله تعالى ان تاخير البيان جائز ثم **قوله** عز وجل وانت
حل بهذا البلد يحتمل وجهين احدهما ان يكون القسم منصرفا الى نفسه فاقسم به لما عظم من امره وشانه
كانه قال عز وجل لا اقسم بهذا البلد وبالذي هو حل بهذا البلد ويكون منصرفا الى مكة ويكون قوله
وانت حل بهذا البلد خرج مخرج التعريف لمكة لكونها فيها اي الذي انت نازل به وحال به او حلال فيه
وقوله عز وجل ووالد وما ولد قال بعضهم الوالد هو ادم عليه السلام وما ولد اولاده وذريته ولكن
ادم واولاده عليه السلام ليسوا مخصوصين بالدخول تحت اسم الوالد او الولد فذلك فيهم وفي
جملة الروحانيين فيكون القسم بالخلائق اجمع فيكون ما على هذا التاويل بمعنى الذي ومنهم من جعل
ما جحدا فقال وما ولد اي الذي لا يلد وهو العاقر اقسم بالبشر جملة من يلد منهم ومن لا يلد فاقسم بهم اذا
لما جعلهم مفضلين على كثير من الخلائق **وقوله** عز وجل لقد خلقنا الانسان في كبد فقال بعضهم الكبد الانتصاب
اخبر خلق الانسان منتصبا وخلق كل دابة منكبا وقال بعضهم الكبد الشدة والعناء وقال بعضهم خلقه
منتصبا في بطن امه ثم ينقلب وقت الانفصال والقائل ان يقول اي حكمة في ذكر هذا او في تاكيده بالقسم
وكل يعلم انه خلق كذلك فيجوز ان في ذكر هذا ابانة انهم لم يخلقوا عبثا باطلا بل خلقهم الله تعالى ليمتحنهم ويامرهم
بالعبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان التاويل منصرفا الى الشدة والمعاناة فتاويله
انه خلقهم ليكابدوا المعاش والمعاد جميعا وخلقهم الشدة ليعتبروا ويتذكروا وان كان منصرفا الى الانتصاب
فيه تعريف لعظم نعم الله تعالى عليهم من غير ان كانوا مستوجبين لذلك ليتادى منهم الشكر بذلك وان كان
التاويل على ما ذكر انه خلقه منتصبا في بطن امه ثم ينقلب وقت الانفصال ففيه ان الله تعالى قادر على ما
يشاء وانه لا يعجزه شيء لانه ليس يتهيا لاحد ان يقلب احدا فيجعل اعلاه اسفله الا ان يجد مثله في المكان سعة ثم
ان الله تعالى قلبه فجعل اعلاه اسفله في ذلك المكان الضيق فتبين لهم انه لا يعجزه شيء فيحملهم ذلك على الايمان
بالبعث والنشور والله اعلم ومعنى قوله لقد خلقنا الانسان في كبد عندنا لقد خلقنا الانسان مما له مكابد
فان كانت مكابدته في طاعة الله تعالى كان مؤثرا لها فقد خلق الجنة وان كانت مكابدته في امر الشيطان فهو
للنار خلق وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ذرا من يعلم انه يؤثر طاعة الشيطان
وعصيان الرحمن لجهنم وذرا من يعلم انه يعبد الله ويوحده للعبادة بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

والاصل ان الحكيم ابدا يقصد العاقبة الا الذي ليست له معرفة بالعاقبة فاما من عرف العاقبة فابتداء
فعله يقع لتلك العاقبة فان كان عاقبته النار فابتداء الخلق من الله تعالى يقع لذلك الوجه وان كانت عاقبته
الجنة فهو لذلك الوجه ما خلق فعلى ذلك يخرج تاويل قوله عليه السلام السعيد سعيد في بطن امه والشقي
شقي في بطن امه وهؤلاء يوصف بالسعادة والشقاوة في ذلك الوقت ولكن معناه انه اذا اثر الشقاوة
في حاله لا محالة انه خلق لذلك واذا اثر السعادة فلذلك ايضا وقال نوح عليه السلام ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وهم في
وقت ما ولدوا غير موصوفين بواحد من الوصفين بل يصيروا كذلك فتبين انهم خلقوا لذلك ثم وقع القسم
على ما له يكابد بل لسعي على المكابدة نفسها لان المكابدة من الانسان ظاهرة لا يحتاج الى تاكيدها بالقسم وقولنا ان
المقصود من ابتداء الفعل قول النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان رشدا فامض
وان كانت غيا فانته وزعمت المعتزلة ان الله تعالى لم يخلق احدا من الا ليعبده ولو كان الامر على ما زعموا وظنوا
لادى ذلك الى الجهل بالعواقب او وجب ان يكون الفعل خارجا مخرج الخطا لان كل من صنع امرا يريد غير الذي
يكون جاهلا بالعواقب او عابثا بالفعل او من انشا لشيء يعلم انه لا يكون عن ذلك منه عبثا ولو كان غير
الذي يريده وهو ان بنى ليسكن فيه ثم ينقض قبل ان يسكن كان الذي حمله على انشائه جهله بالعواقب وجل
الله تعالى من ان يلحقه خطاء في التدبير او جهل في بالعواقب فثبت بما ذكرنا ان الله تعالى انشا لكل فريق ما علم الذي
يكون منهم وخلقهم لذلك الوجه دون ان يكون خلق الجملة للعبادة والله اعلم **وقوله** عز وجل ايحسب ان لن يقدر
عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لن يره احد فالاية تحتمل وجهين احدهما ان يكون حسب ان الله تعالى
لا يقدر على بعثه فيكون قوله احد هو الله تعالى يقول اهلكت مالا لبدا اي مالا كثيرا ايحسب ان لم يره او لم يره احد انفقت
منه مقدارا ما يخرج عن الاحصاء **وقوله** لم يره احد اي لم يعلم احد مبلغ ما انفق من ذلك او يكون قوله ايحسب
ان لم يره احد اي لم يعلم اتباعه الذي انفق عليهم مقدار ما انفق عليهم فيكون في قوله تعالى اهلكت مالا لبدا
اظهار منه السخاوة وجوده على الافتخار منه بذلك وامتنانا منه على اتباعه فان كان على هذا فهو في امر الدنيا
وقد علم الله القدر الذي انفق عليهم وعلم الخلق سخاوته لا بقوله فليس اشتغاله في اظهار الجود والامتنان
الا نوع من السفه وكان الذي يحق عليه الاشتغال بالشكر لله تعالى وتوجيه الحمد اليه لما علم ان الذي انعم به
من المال الكثير من الله وان تلك المنقبة وهي السخاوة نالها بالله تعالى وهذا كقوله تعالى فاذكروا الله كذكركم اباءكم
لانهم كانوا يذكرون من الشرف والمناقب الحميدة الا بالله تعالى فاذكروه كذكركم اباءكم وهذا النوع من
الافتخار راجع الى الخصائص من القوة لا الى الجملة اذ كل احد يقول مثل ذلك انه اهلك مالا لبدا او فعل كذا
وقوله عز وجل الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين فان كان قوله ايحسب ان لن يقدر عليه احد على نفي القدرة
على البعث ففي ذكر العينين نفي تلك الشبهة وهو ان الله تعالى انشا له بصرا يرى بفتحة واحدة ما بين
السماء والارض فمن بلغت قدرته هذا لا يعجزه شيء او يخفى عليه امر فقوله الم نجعل له عينين يدرك بهما
المحسوس بالنظر وجعلنا لهما جفونا واشفارا يدفع القذى عن عينيه ويغضهما عن النظر اليه
الى ما لا يعنيه **وقوله** عز وجل ولسانا اي خلقنا له لسانا يحضر به ما غاب وما سيتر **وقوله** عز وجل وشفتين
ففي خلق الشفتين وجهان من الحكمة احدهما انه جعلهما طبقا يستر ان قبح ما في فمه ولولاهما لكان النظر
اليه وقت مضغة الطعام اي شيء من الاشياء استقذر ذلك منه وجعلهما طبقا للسانه عن ان يستعمل
فيما لا يعنيه فذكر عظم نعمه في خلق العينين واللسان والشفتين ليتادى منهم الشكر وليعلموا ان
الذي بلغت قدرته هذا ليس مما الذي يعجزه شيء **وقوله** وهديناه النجدين اي بينا له ما عليه وما له وما
يحمد عليه ويذم وما يقبح ويجمل والنجد الطريق فبين للخلق الطريق الطريقين جميعا طريق الخير والشر
ومكنهم من الفعلين جميعا وقال بعضهم النجدان الثديان اي هديناه الثديين في حالة الارضاع ولكن
السنن والهداية لم ينصرف الى هذا خصوصا بل هذا من بعض ما هداه وبينه فقد بين له غيره من الامور
ولا قيد في اللفظ فيحمل على الاطلاق والعموم **وقوله** عز وجل فلا اقتحم العقبة قيل فيه من وجهين
احدهما فهلا اقتحم العقبة والثاني انه لم يقتحم فان كان على الاول فمعناه ان الذي قال انفقت مالا
لبدا كيف لا كان انفاقه في فك الرقبة وفي الانفاق على اليتيم والمسكين الذي بلغ به الجهد الى
ان الصق بالتراب ويكون من جملة امن بالله تعالى وتواصوا بالصبر والمرحمة يكون من اصحاب الميمنة ويكتب
بذلك الحيوة الطيبة في الاخرة دون ان يكون العاقبة في الملاهي وشهوات النفس فلم يحصل لنفسه حمدا ولا
اجرا في العقبى بل صار من اصحاب المشامة فيكون ما بعد قوله اهلكت مالا لبدا صلة له وتفسيرا وان كان التاويل
على النفي ففيه تكذيب فيما زعم انه انفق مالا لبدا فنقول لو كان على ما يقول لظهر على ذلك فعل الرقاب و

والمواساة على اليتيم وعلى المسكين الذي هو ذو متربة فيكون هذا كله صلة قوله عز وجل اهلكت مالا لبدا
ايضا ثم قيل في العقبة في وجهين احدهما على تحقيق العقبة وهو ان يكون في النار عقبة لا يتجاوز ولا
يقطع الا بما ذكر من فك الرقبة والاطعام في يوم ذي مسغبة كقوله تعالى سارهقه صعودا وقوله
عز وجل وما ادريك ما العقبة على تحقيق العقبة معناه وما يدريك بما يقطع تلك العقبة ثم بين
انها يقطع بما ذكر من فك الرقبة ونحوه وجائز ان يكون على التمثيل لا على التحقيق ووجهه انه
يشتد عليه تحمل المؤن التي ذكر من فك الرقبة واطعام المساكين ومواساة اليتيم فيكون العقبة
كناية عن تحمل المؤن لا على العقبة نفسها وهو كقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما
يصعد في السماء ان يصير الايمان عليه في الشدة والثقل كانه تكلف الصعود الى السماء ويشتد على الاول
تحمل المؤن ليصير من اهل الميمنة وان كان على الرجى في المهالك لم يحتمل هذه المؤن ليصير من اهل الميمنة
فكانه يقول قد اهلك نفسه بتركه الانفاق في الوجوه التي ذكرنا لاعراض عن الايمان بالله تعالى
فتركه فك الرقبة وروي ابو بكر الاصم في تفسيره خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا
سأله فقال يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فامره بعتق النسمة وفك الرقبة فقال
السائل اليسا هما واحد فقال النبي عليه السلام لا عتق النسمة ان تعتقها وفك الرقبة ان تعين
على فكاكها ففكاك الرقبة ان تخلصها من وجوه المهالك وذلك بالتخلص عن ذل الرق وان ترى
انسانا هم بقتل اخر بغير حق فيدفع عن المظلوم شر الظالم فتراه يعرف فتخلصه عن ذلك فيكون في
ذلك كله فكاك الرقبة عن المهالك ليكتسب بها الحيوة الطيبة في الاخرة فاختلف القراءة في هذا
الحرف فمنهم من قرأ فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة على النصب ومنهم من قرأ فك رقبة او اطعام
على الرفع فاذا قرأته بالنصب فمعناه هلا فك رقبة او اطعم فيكون راجعا الى التفسير لا اقتحام واذا قرأ
بالرفع انصرف التأويل الى تفسير العقبة فكانه قال قطع العقبة يكون بالفك وبما ذكرنا وذكر عن
سفين بن عيينة رضي انه قال كل ما في القرآن وما ادريك فقد اعلمه وروراه وكل ما فيه وما يدريك
فهو لم يعلم والله اعلم والمسغبة المجاعة **وقوله** عز وجل ذا مقربة اي ذا قرابة منه **وقوله** عز وجل
ذا متربة اي لصق بطنه بالتراب وقيل ليس له شيء يحجبه عن التراب ثم في قوله يتيما ذا مقربة دلالة
وجوب حق اليتيم على القريب اذا كان محتاجا فيكون فيه حجة لقول اصحابنا ان اليتيم اذا كان محتاجا
فرضت نفقته على اقربائه وفي قوله او مسكينا ذا متربة دلالة ان المسكين الذي وصفه وهو
ان لا يكون بينه وبين التراب حايل فكفايته تلزم الخلق جملة **وقوله** عز وجل ثم كان من الذين امنوا
فدل قوله انه لا ينفعه فك الرقبة ولا الاطعام حتى يكون مؤمنا مع ذلك متواصيا بالصبر والمرحمة
فاذا كان كذلك فحينئذ يكون قاطعا للعقبة وجائز ان يكون الصبر اريد به الايمان كقوله الا الذين صبروا
وعملوا الصالحات اي امنوا والتواصي بالصبر وبالمرحمة هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي
ماخوذ من الوصية وهذا يوجب ان يكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في اعتقاد الايمان **وقوله**
تعالى اولئك اصحاب الميمنة اي اصحاب وهم اهل اليمين **وقوله** عز وجل والذين كفروا باياتنا هم اصحاب
المشأمة اي اصحاب الشوم على انفسهم حيث عملوا بالمعاصي واستوجبوا به النار موصدة وهي الموصدة
المطبقة المبهمة وصفه الاطباق ما ذكر في اية اخرى وذلك قوله عز وجل لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل وقال الله تعالى سرادقها الاية والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والشمس وضحيها قالوا وبله والشمس وضوءها وقيل وحرها وقيل ونهارها وهذا في موضع
القسم وذلك لان الله تعالى جعل في الشمس معاني يدل على لطائف حكمته وعجايب تدبيره وجعل في النهار
من البركات وفي النهار رتبة من الايات فمن عجيب تدبيره انه جعل نورها بحيث يهلك نور الظل حتى اذا
في مكان ذاهب نور الظل ونور السراج ونور القمر وستر نورها الكواكب عن ان يري وجعلها
بحيث يظهر بها هباء الهواء فتبين ان الهواء اذا هبا الا ترى انك اذا نظرت في المشكوة حين سقط الشمس
فيها تبين لك بها هباء الهواء ولو اراد احد من الخلايق ان يتدارك المعنى الذي به استنار وهذا الشمس كل
لم يقف عليه ثم من بركتها انه يجري ادتها مصالح الاغذية وبها مصالح النبات وبها تكيس الحب وبها ينضج الفواكه
ومن عجيب تدبيره انه جعلها بالنار عن كل شي له بها صلاح اذ لو دنت منها لكانت تحرق الاشياء كلها

ومن اياتها ان جعلت بحيث تسير وتقطع كل يوم مسيرة الف عام ما يشهد على الذي خلق والمنشي قطع تلك
المسافة بعين كثير وهي ايضا تظهر جود الرب جل جلاله لان منافعها تعم الخلق كلهم برهم وفاجرهم
والولي منهم والعدو فاقسم الله تعالى بها ليزيل عنا الكوزة الشبهة التي تعترض لهم من امر الدين اما في
التوحيد وفي الرسالة او في البعث والله اعلم **وقوله** عز وجل والقمر اذا تلاها فجائز ان يتلوها في كل ما
ذكرنا في الشمس من المنافع والمعاني فيكون تاليها في العمل فانه ينتفع به صلاح الاغذية ايضا وهو يدبر ايضا
الا انه لا ينتهي منتهاها ولا يبلغ مبلغها والله اعلم وقال بعضهم اذا تلاها اي تبتلوها في اول ما يهل
فانه اذا وجبت الشمس في اخر اليوم من الشهر بدا غروبها طلوع الهلال وقال بعضهم انه يتلوها اذا صار
بدرا وفي هذا دلالة ان منشاها واحد لان منافعهما يعم الخلق جميعا ولو لم يكن مدبرها واحدا لكان
لا يعم بل يمنع كل واحد منهما منشيه عن ايصال النفع الى قوم عدوه **وقوله** عز وجل والنهار اذا جليها
يحتمل وجها يحتمل ان يكون النهار جلى الدنيا ويحتمل ان يكون جلى الارض ويحتمل ان يكون جلى الشمس
ويحتمل ان يجلي الابصار بنورها عن ظلمة الليل التي يغشاها **وقوله** عز وجل والليل اذا يغشيها ينصرف الى
الاوجه التي ذكرنا ايضا ان يغشي الدنيا او الارض او الشمس ويغشي الابصار بظلمتها عن الخلايق و
والله اعلم ثم الليل والنهار زيادة سلطان ليست للشمس ولا للقمر لان من سلطان الليل والنهار
انهما يفنيان الاجال ويقطعان الاعمال ولا تهيا لاحد الامتناع والتحرز من سلطانهما وتهيأ للخلق
دفع اذى الشمس والقمر عن انفسهم بالحيل والاسباب فكان في ذكر الليل والنهار زيادة معنى ليس
ذلك في ذكر الشمس والقمر وقوله عز وجل والسماء وما بناها قال الزجاج ما بمعنى الذي وقد تستعمل
في مثله كقول العرب سبحن ما سبحت له السموات والارض وقال بعضهم ما هاهنا بمعنى من كانه يقول
والسماء ومن بناها وقال بعضهم ما هاهنا يجعل الفعل الماضي بمعنى المصدر كقول اعجبني ما صنعت اي
اعجبني صنعتك فيكون معناه والسماء وبناءها فان كان التأويل على الوجهين الاولين يرجع القسم
الى الله تعالى والسماء والى ما تقدم من الشمس والقمر والنهار والليل وان كان على التأويل الاخير رجع القسم
الى ما خلق وهو السماء فان بناء السماء عينها وقال ابو بكر الاصم ان هذه الايات في قوله والسماء وما بناها
والارض وما طحيها وما سواها تخرج على التعجيب على شرط التقديم وان كانت موخرة في اللفظ كانه يقول الله
تعالى وما السماء ثم [illegible] بناها بان رفع سمكها وسواها ورفعها بغير عمد ترونها والله اعلم **وقوله** عز وجل
والارض وما طحيها اي بسطها **وقوله** عز وجل ونفس وما سويها قالوا التسوية في الخلقة باليدين والرجلين
والعينين ونحوها فان كان على هذا فالتسوية يرجع الى الاغلب لا الى الجملة اذ ليس لكل نفس هذه الجوارح جملة
فيكون معناه انه سوى اكثر النفوس بما ذكر من اليدين والرجلين وذلك جائز في الكلام وهو كقوله تعالى وجعل
الليل سكنا وجعلنا النهار معاشا ومعناه انه جعلها سكنا ومقرا لاكثر الخلايق لا لجملته والله اعلم وقيل سوى
جوارحها واطرافها ما لو لم يكن له جارحة من ذلك الجوارح يوصف بالنقصان وهذا عمن الاول ويحتمل
سواها على غير ما عليه يصلحها وعلمها التقلب والتعيش لبس ما عليه ساير الحيوان ويحتمل وجها اخر وهو ان
يكون قوله سواها اي جعلها بحيث احتمال الكلفة والمحنة كقوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى وميز بين
القبيح والحسن وبين عواقب الامور من الخير والشر **وقوله** عز وجل فالهمها فجورها وتقويها وهذا يحتمل
وجها احدها اي بين لها فجورها وتقويها وعلمها فمن زعم ان المعارف ضرورية خلقة يحتج بهذه الاية فيقول
اخبر تعالى انه علمها فجورها وتقواها فانه وضع في نفسه ما يعرف به قبح كل قبيح وحسن كل حسن والاصل فيه
عندنا انه يعرف حسن الاشياء وقبحها جملة ببداية العقول ولكن العقول لا تعرف حسن كل شي على الاشارة
اليه ولا قبح كل قبيح على الاشارة اليه وانما يعرف ذلك اما بخبر يرد على السن الرسل عليهم الرسل وباستعمال
الفكر الا ترى انك تجد النفس من طبعها انها تالف الملاذ والمنافع وتتقي عن المكاره والالام ولكنها لا
يعرف معرفته كل منتفع على الاشارة اليه ولا ضارة اعين الاشياء وانما يعرف ذلك بالذوق وكذلك
وكذلك العين يدرك الالوان لكنها لا تعرف حسنه وقبحه بل العقل هو الذي يفصل بينهما فعلى ذلك
قد جعل في طبع العقل قبح القبايح جملة وحسن الحسن ولكن لا يفصل بينهما على الاشارة الى كل في نفسه الا
بما ذكرنا فيكون قوله فالهمها فجورها وتقواها اي جعل في نفسها ما يبين القبيح من الحسن والخبيث من
الطيب ويبين قبح الفجور وحسن التقوى ويلزمه المحنة والكلفة بذلك ثم يصل الى معرفة ذلك
اما بالرسل واما باستعمال الفكر ويحتمل وجها اخر وهو ان يلهمها تقواها اذا وفي بما الله تعالى عليه من
الاستقامة على الطريقة والمجاهدة الا ترى الى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ه

نوعدا لهداية بالجهاد وقال تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان ثم كانت
الاجابة مضمنة بشريطة وهو ان يستجيبوا له الداع فيما دعاه اليه الا ترى الى قوله تعالى فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي وقال تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة الاية
فثبت ان الذي يلهم التقوى هو الذي يقوم بوفاء ما عليه فاذا قام به الهمه التقوى ومن لم يسبل
الفجور وقال ابو بكر الاصم في قوله فالهمها فجورها وتقواها اي الزمها فجورها ونفعها فيكون تقواها
لها وفجورها عليها لا يواخذ احد بفجور واحد وفي هذا دليل على ان التقوى اذا ذكر مفردا انصرف الى الخيرات
اجمع واذا قرن به البر والاعطاء انصرف الى الاتقاء عن المحارم كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى واذا قيل بر واتقى
اريد به انه بر بكل ما يحمد عليه واتقى عن كل ما يذم فاعله **وقوله** عز وجل قد افلح من زكاها وقد خاب من دسّاها
فوقع ما تقدم من القسم بالشمس والقمر والليل والنهار على هذا فقوله قد افلح من زكاها في الاخرة على
ما يذكر في قوله ان سعيكم لشتى فيكون في هذا ايجاب القول بالبعث من الوجه الذي نذكره ان شاء الله تعالى
ثم اختلفوا في تاويل الفلاح قال بعضهم افلح اي سعد ومنهم من يقول اي بقي في الخيرات والفلاح هو
البقاء ومنهم من يقول افلح اي فاز والمفلح في الجملة هو الذي يظفر بما يامل وينجو عما يحذر فيدخل في ذلك السعادة
والبقاء والفوز **وقوله** عز وجل من زكاها فجائز ان يكون منصرفا الى الله تعالى وجائز ان ينصرف الى العبد قال الله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال تعالى قل بفضل الله و
برحمته فبين الله تعالى انه هو الذي يتفضل بتزكية من زكى وجائز ان يكون ينصرف الى العبد قوله زكاها اي
صاحبها وكذلك قوله وقد خاب من دساها يحتمل هذين الوجهين فيكون الله تعالى هو الذي انشا فعل
المضلل فيكون الفعل من حيث الانشاء عن الله تعالى ومن حيث الفعل من العبد ثم قوله من دساها اي
اخفاها واخفاؤها انه سترها بحيث لا يذكر في المحافل الا بالذم وزكى الاخر اظهرها حتى ينظر اليها الناس بعين
التبجيل والتعظيم وهكذا شان المتقي ان يكون مبجلا معظما فيما بين الخلق والفاجر يعيش مذموما مهانا
فيما بين الخلق او يرجع الاظهار والاخفاء الى الاخرة فيجعل قدر المتقي لمن زكى ويجعل ذكر الفاجر **وقوله** عز وجل
دساها من دسيت فاسقط السين واوقع مكانها الياء ثم الاضافة في قوله دساها الى الله تعالى
على خلق ذلك الفعل منه وفي قوله من زكاها على التوفيق **وقوله** عز وجل كذبت ثمود بطغواها ولم يبين
لمن كذبوا وقد بينه في اية اخرى فقال كذبت ثمود المرسلين **وقوله** عز وجل بطغواها يحتمل وجهين اي لاجل
معصيتها وطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم وتركهم التفكر في امره والا لو تفكروا فيما جاءهم
به رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجدوا موضع التكذيب والثاني باهل طغواها اي كذبت ثمود بسبب اهل
الطغيان فيكون في هذه الاية انباء انهم لم يكذبوا رسولهم بشبهة اعترضت لهم او بحجة كانت لهم تكذيبه
عن عناد منهم وتعنت منهم برسالته وذلك ان نبيهم صالح عليه السلام جاوزت الحجج لانهم اوتوا الناقة على
سؤال سبق منهم وعلى تعدي منهم في السؤال اذ كان لهم ان يطالبوه بالحجة على دعوى الرسالة ولم يكن لهم ان يتعنتوا
بالسؤال على شيء يبيروننا ليدفعهم باشارة هم الى سؤال الناقة كانوا معتقدين فيه ثم من حكمة الله ان الحجة
اذا كانت على اثر السؤال ثم ظهر التكذيب من السائلين هو الاستيصال في الدنيا وقد وجد من اولئك القوم
السؤال والتكذيب فعوقبوا بالاستيصال قال الله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها
الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فبين الله تعالى المعنى الذي لم يرسل الايات التي سالت الكفرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو انهم لو اوتوا ثم عندوا استوصلوا فقد اراد والله تعالى ابقاء امته الا انه تقوم
الساعة وارسله رحمة للعالمين وهي القتال ووجه الرحمة انهم كانوا يمتنعون عن الدنيا ويشتهونها فكان
يمنعهم ذلك عن النظر في حججه وايات رسالته وكان في الجهاد وما يضيق عليهم المعاش ويضطرهم الى
النظر في الحجج فيحملهم ذلك على تصديقه والايمان به فثبت ان في القتال رحمة عليهم **وقوله** عز وجل اذ انبعث
اشقاها اي قام اشقاها وصار اشقاها بما احدث من الكفر بعقر الناقة وروي عن عمار بن ياسر رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه الا اخبرك باشقى الناس رجلين قال بلى يا رسول
الله فقال احيمر ثمود عاقر الناقة والذي يضرب على هذه واشار الى هامته حتى يبتل منها هذه واشار الى
لحيته فصار عاقر الناقة اشقى الناس بما ذكرنا وجائز ان يكون قاتل علي رضي الله عنه اشقى الناس لانه استحل قتله **وقوله**
عز وجل فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فهو يحتمل وجهين احدهما اي احذروا ناقة الله وهو كقوله
ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم والثاني قال لهم ذروا ناقة الله تاكل في ارض الله و ذروا بين الناقة
وسقياها او شربها ثم اضيفت الناقة الى الله تعالى لوجهين احدهما ان الله تعالى لم ياذن لاحد بالتملك عليها

حتى ينسب اليه الملك بل بقيت غير مملوكة لاحد فاضيفت الى الله تعالى كما اضيفت الى الله تعالى على معنى التفضيل والاصل
ان اضافة الاشياء الى الله تعالى بحق الحرمات على تفضيل تلك الاجزاء ومن بين غيرها فاضافة الاشياء الى الله تعالى
بحق الجمليات يخرج مخرج تعظيم الله تعالى فاذا قيل رب المساجد اريد به تفضيل المساجد من بين سائر البقاع واذا قيل
رب العرش اريد به تعظيم العرش وكذلك اذا قيل رب الناقة اريد به تعظيم امرها واما قيل رب العالمين ورب
كل شيء اريد به تعظيم الرب جل جلاله **وقوله** عز وجل فكذبوه فعقروها فدمدم يحتمل ان يكونوا كذبوا صالحا عليه
السلام في رسالته او كذبوه فيما اخبرهم من حلول العذاب فيهم ان عقروا الناقة فعقروها مع ذلك **وقوله**
عز وجل فدمدم عليهم ربهم قال بعضهم اي اطبق عليهم العذاب على الصغير والكبير ومنه يقال مدموم اذا
كان سمينا اطبق شحمه على لحمه وقال بعضهم دمدم عليهم اي دمر عليهم بذنبهم وذنبهم ما تعدوا من تكذيبهم
الرسول وعقرهم الناقة **وقوله** عز وجل فسواها يحتمل وجهين احدهما انه سواهم بالارض كقوله عز وجل
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض او سوى بين الصغير والكبير في الاهلاك
فالصغار منهم يومئذ ماتوا باجالهم والكبار منهم استوصلوا بذنوبهم **وقوله** ولا يخاف عقبيها فجائز ان يكون
الاضافة منصرفة الى الله تعالى وهو ان يكون الله لما اهلكهم بما اوجبت الحكمة اهلاكهم ولم يخفه تعقب في
الحكمة ولا وجدا لغائب في ذلك مقالا وهكذا قال الحسن ذاك ربنا لم يخف مما انزل عليهم العذاب ويكون
منصرفا الى العاقر فيكون معناه انه عقرها ولم يخف العاقبة التي حذرهم بها صالح عليه السلام من قوله و
لا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقال بعضهم ولا يخاف عقبيها اي لم يعلم ما يحل به من عقر تلك الناقة
ولو علم لم يفعل ويجوز استعمال الخوف في موضع العلم لان الخوف لم يوجد منه الاختلاف الامن عنده
علم الانباء كالاخبار وكان يعرف الكتابة ليقع له المعرفة بهما فثبت انه بالوحي علم والثاني ان في ذكره تحذير
الكفرة في الرسل يحذرون لئلا يتعنتوا عن تكذيبه فلا يحل بهم كما حل بمكذبي صالح عليه السلام من ماته وعذابه والله

الهادي وعليه اعتمادي

بسم الله الرحمن الرحيم **وقوله تعالى** والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى جعل الله تعالى
الليل والنهار ايتين ظاهرتين الكرتين على الملاويق ما يعرف كل كافر ومؤمن وجميع اهل التنازع الذين
تنازعوا اهل الايمان والتوحيد الجبابرة والفراعنة والقسم بقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى
واحد وقد ذكرنا ان القسم انما يذكر في تاكيد ما يقع به القسم ما لولا القسم كان توجب دون
القسم وذلك لعظم ما بينهما حتى تراجع الفراعنة والجبابرة وغلبا عليهم في اتيانهما وذهابهما
حتى من اراد منهم وقع هذا ويجي هذا ما قدر الله عليه ومنهما دلالة وحدانية الله والوهيته
وقدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره وحكمته اما دلالة وحدانيته والوهيته انهما وجريانهما
على واحد وسنن واحد منذ كانا وانشاء من الظلمة والنور والزيادة والنقصان فدل جريانهما
على ما ذكرنا ان منشئهما واحد اذ لو كان فعل عدد لكان اذا جاء هذا وغلبا الاخر دامت غلبته عليه
وكذلك الاخر يكون مغلوبا ابدا والاخر غالبا فاذا لم يكن ذلك دل انه فعل واحد ويدل ايضا على
ان ليس ذلك عمل النور والظلمة على ما تقوله الثنوية ويدل ايضا منافع احدهما الاخر على ان ذلك
عمل واحد لا عدد ويدل اتساق ما ذكرنا ودوامها على حد واحد على الاستواء ان منشئهما مدبر
عليهم عن تدبير وعلم خرج ذلك لا على الجزاف بلا تدبير ويدل مجي كل واحد منهما بطرفة عين على ان
منشئهما قادر لا يعجزه شيء ان بعث ولا عزة ويدل ما ذكرنا ان فاعل ذلك حكيم على حكمة خرج فعله لا
يحتمل ان يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم باموره وكذلك جعل فيما ذكر من الذكر والانثى من
الدلالات والايات من الازدواج والتوالد والتناسل وغير ذلك **وقوله** عز وجل وما خلق الذكر والانثى
وقال بعضهم ان حرف ما متى قرن بالفعل الماضي صار بمعنى المصدر كانه قال وخلق الذكر والانثى فيكون
قسما بجميع الخلائق ان لا يخلو شيء من ان يكون ذكرا وانثى وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه
والذكر وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرأ كذلك وقال بعضهم ما هاهنا بمعنى الذي
كانه قال والذي خلق الذكر والانثى فيكون على هذا الوجه القسم بالله تعالى وعلى التاويل الاول بالذكر والانثى **وقوله** عز وجل ان سعيكم لشتى دلوا على هذا وقع القسم فان قيل ان كان نعلم من كافر
ومؤمن ان سعيهم لمختلف فالحكمة والفائدة من ذكر القسم على ما يعلم كل ذلك فالوجه فيه والله اعلم
ان يقع لهم بالسعي وما يستوجبون به لمختلف في الاخرة وهو جزاء السعي كانه قال ان جزاء سعيكم وثوابه
لمختلف وذلك انهم كانوا يقولون ان كانت دار اخرى على ما يقوله محمد عليه الصلوة والسلام نحن احق بها

من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بقوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا او يكون قوله ان سعيكم لشتى
لان المعطي في الشاهد ينفع غيره ويضر نفسه في الظاهر والممسك ينفع نفسه ثم المعطي محمود عند الناس فلو لم
يكن عاقبة ينتفع المعطي بما اعطى ويضر البخيل المنع لكان الناس بما حمدوا اهدوا وذموا الاخرة سفهاء فدل ان
العاقبة هي التي تصير هذا محمودا ولان الخلق جميعا من مسلم وكافر ومحسن ومسيء قد استووا في نعم هذه الدنيا
ولذاتها بما ذكرنا من ممر الليل والنهار وبما تخلق فيهما من النبات والثمار والعيون والاشجار فاذا وقع الاستواء
في هذه الدار وبه وردت الاخبار عن النبي المختار ان الناس شركاء في الماء والكلاء والنار لابد من دار اخرى
للاشقياء والابرار ليقع بها التفاوت بين الابرار والاشرار والنافع منهم نفسه والضار واذا جمعتهما استووا
في منافع الليل والنهار وجميع ما في الدنيا من الانزال وغيرها واذا وقع الاستواء بينهم في الدنيا لابد من دار اخرى
فيها يقع التفاوت والتفاضل بينهم وفيها تمييز ما ذكرنا ثم بين ان السعي الذي يقع الجزاء له مختلفة ما ذكر بقوله فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وهو يخرج على وجوه يحتمل فاما من اعطى واتقى اي اعطى ما امر به واتقى
عصيانه وكفران نعمه واتقى المنع او من اعطى التوحيد لله تعالى من نفسه واتقى الشرك والكفران لنعمه وصدق
بموعود الله تعالى فسنيسره لليسرى للاعمال والشرايع او انشرح في صدره للتوحيد والاسلام وتيسره عليه
واما من بخل ولم يات بالتوحيد واستغنى عن الله تعالى بما عنده وكذب بموعود الله فسنيسره للعسرى لما
يحرم من الاعمال والله اعلم والثاني في حق القبول والعزم على وفاء ذلك بقوله فاما من اعطى اي قبل الاعطاء
وعزم على وفاء ذلك واتقى اي عزم اتقاء معاصي الله تعالى ونجازيه وصدق بالحسنى اي بموعوده فسنيسره
لليسرى اي سنيسره الوفاء ما عزم واما من بخل اي على البخل والمنع بذلك واستغنى بالذي له وعنده وكذب
بموعود الله تعالى فسنيسره لوفاء ما عزم من الخلاف لله تعالى والمعصية له وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول
صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال كل ميسر لما خلق له او قال كل ميسر لما عمل والثالث يخرج على حقيقة
اعطاء ما وجب من الحق في المال وحقيقة المنع بقول فاما من اعطى ما اوجب من حق الله تعالى في ماله
واتقى نقمة الله ومقته وعذابه وصدق بالحسنى اي بموعود الله تعالى فسنيسره لليسرى في الخيرات والطاعات
واما من بخل اي منع حق الله تعالى الذي في ماله وكذب بالذي وعد على ذلك فسنيسره للعسرى
في الافضاء الى ما وعد وقوله عز وجل وما يغني عنه ماله اذا تردى قيل اذا هلك ومات او تردى
في النار وفي ظاهر قوله تعالى وما يغني عنه ماله دلالة على ان الاية في حقيقة الاعطاء من المال والمنع وقوله عز وجل
وصدق بالحسنى قال بعضهم بالجنة وقيل شهادة ان لا اله الا الله وقيل بالخلف على ما انفق وجائز ان يكون البشرى اسم
للجنة وكذلك الحسنى والعسرى والسوءى النار ويحتمل ان يكون اليسرى اسما لكل ما طاب وحسن من الفعل والعسرى
ما خبث وقبح من الفعل ومنهم من قال ان الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه اشترى بلالا وامية بن خلف
وابي بن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه لله تعالى فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي
ابي بكر وامية وابي وذكر الى اخر السورة فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ابو بكر رضي الله
عنه فاما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى امية بن خلف يروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه وقوله عز وجل ان علينا للهدى هذا يخرج على وجوه احدها جائز ان يكون علينا اي لنا وذلك جائز في اللغة
جاري كقوله تعالى وما ذبح على النصب اي للنصب وكقوله تعالى وعلينا الحساب وعلينا حسابهم اي لنا الى سبيهم و
قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل كقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي لربهم كما قال يوم يقوم الناس لرب الناس
ونحو ذلك كثير ان يكون علينا بمعنى لنا فيصير كانه قال ان لنا الهدى كقوله الا لله الدين الخالص وكقوله وله
الدين واصبا يكون فيه اخبار ان الهدى والدين الخالص والدين ما سائر الاديان فانما هي سبيل الشيطان ليس
على هذا جائز ان يخرج تاويل الاية والوجهان الاخران يخرجان على حقيقة على لكن احدهما يخرج ذكر الهدى على ارادة
البيان في تعيين الطريق والاخر على ارادة حقيقة الهدى هو ضد الكفر ومقابله فاما على ارادة البيان فكانه قال
ان علينا غاية البيان في حق الحكمة والعدل فيما يمتحنون حتى ان كان التقصير والتفريط فانما يكون من قبل انفسهم لا من
قبل الله تعالى او يبين لهم كل شيء غاية البيان ونهايته ليزول الشبهة عنهم والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول
ان علينا هداية من استهدى واجتهد في طلبها كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ووجه اخر ان علينا
انجاز ما وعدنا على الهدى فمن اهتدى واختاره يخرج تاويل الاية على ارادة البيان من الوجوه التي ذكرنا واما على
ارادة حقيقة الهدى الذي هو مقابل الكفر فكانه قال ان علينا التوفيق والمعونة والعصمة في حق الاحسان و
الافضال لا على ان ذلك عليه لهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ان علينا بيان ما للاخرة والاولى كيلا
يزدد عن قصد الطريق فيهلك نفسه في كل مضيق وقوله عز وجل وان لنا للاخرة والاولى فهو يخرج على وجهين احدهما

يقول والله اعلم انكم تعلمون ان لنا للاخرة والاولى وليس لما تعبدون من الاصنام والاوثان الاخرة والاولى
فكيف صرفتم عبادتكم عمن له الاخرة والاولى الى من ليس له الاخرة والاولى علم منكم سفههم في اختيارهم
عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى والثاني يقول والله اعلم ان لنا للاخرة والاولى فما بالكم تبخلون بالانفاق
على انفسكم وما يرجع منفعته اليكم بما ليس لكم في الحقيقة وانما هو الله وهذا التاويل صلة قوله تعالى واما
من بخل واستغنى الاية والاول يكون صلة قوله ان علينا للهدى وقوله عز وجل فانذرتكم نارا تلظى اي
نارا تتوقد وتلهب او تتشعب على ما ذكر من صفتها ثم ذلك الانذار يكون للفريقين لاجل التوحيد ولا
جل الشرك جميعا والله اعلم وقوله عز وجل لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى قالت المعتزلة هذا ليس
على حقيقة التكذيب ولكن على التقصير والتفريط في امر الله تعالى والوقوع في مناهيه فيصرفون الاية
الى اصحاب الكبائر بارتكابهم الكبيرة يصيرون مكذبين ومتولين لانهم في ابتداء اعتقادهم التوحيد والايمان اعتقدوا
وفاء كل ما وقع به الامر ووفاء كل ما يليق به والانتهاء عن جميع ما لا يليق به فاذا تركوا ذلك صار كانهم ما
اعتقدوا في الاصل وفاء ذلك لكن عندنا لا يصير بترك الوفاء مكذبا لكن يصير مخالفا لما وعدوا واعتقدوا
واستدلت المرجئة الذين لا يرون العذاب الا لاهل الشرك والكفر بهذه الاية يقولون انه لا يصليها الا
الاشقى الذي كذب وتولى والمسلم وان ارتكب الكبيرة والصغيرة فهو ليس بمكذب ولا متول ولكن تاويل
دون درك وباب فان لكل فريق دركا قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذا كما قال
ليس لهم طعام الا من ضريع وقال في اخرى الا من غسلين فيكون الضريع الذي ذكر في باب ودرك منها
والغسلين في باب اخر فجائز على هذا ان لا يصلى ذلك الدرك الا الاشقى فاما يجوز ان يكون لصاحب
الكبيرة درك خاص واما ما ذكروا ان اصحاب الكبائر قد اوعدوا وخوفوا مواعيد لهم وانهم يعذبون
ولكن يقول لا يعذبون في الدركات التي فيها الكفار ان ادخلوا في النار وجائز ايضا ان يعذبوا بعذاب
سوى العذاب الذي ذكر بالنار والتلظي وعندنا هم في مشية الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء تجاوز عنهم
وخلى عنها سبيلهم واما النار التي ذكر بصفة التلظي فهي للكفار والله الموفق وقوله عز وجل وسيجنبها
الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى اخبر انه يجنب النار عن الاتقى ويبعده عنها ثم فيه دلالة انه انما يجنبها
ويبعدها بالاعمال التي يعملها فدل ان الله تعالى في فعالهم صنعا حيث اضاف الوقاية اليه والتجنب عنها وهو
كقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وقوله عز وجل وما لاحد عنده من نعمة
تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اي ما لاحد عند الله تعالى من نعمة تجزى بها ولا يد يستحق الثواب بها لكن
اذا نعمة من نعم الله تعالى التي اعطاها اياه لغيره ابتغاء وجهه وطلب رضاه يجزيه بفضله كانه كانت له
عنده نعمة يجزى بها والثاني يحتمل ان هذا صلة قوله يؤتي ماله يتزكى اي يتصدق ويتزكى لابتغاء و
جه الله تعالى على من ليس عنده نعمة ويد يجازيه بها وينفق عليه جزاء لصنيع قد سبق منه في حقه كانه يقول
لا يعطي الزكوة احدا عن مجازاة سبق منه اليه من نعمة اعطاه له لا لمجازاة ولكن لله تعالى خالصا وفيه دليل
ان لا يعطي الرجل زكوة ماله من عنده له نعمة او منة لانه يخرج ذلك مخرج الاعطاء ببدل وقوله عز وجل
ولسوف يرضى اي يرضى بالذي يجزى له ويساق اليه من الثواب وحرف السوف والعسى من الله تعالى واجب
كانه يقول يعطيه حتى يرضى وقال بعضهم نزلت هذه الاية وهو قوله عز وجل وما لاحد عنده من نعمة
تجزى في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال بعضهم هذه الاية نزلت في ابي الدحداح رضي الله عنه طلب
النبي صلى الله عليه وسلم منه نخلة الى اخر القصة وقال بعض اهل الادب تردى في النار اي سقط ويقال
تردى تفعل من الردى وهو الهلاك اذا تعمر ادى والبشرى من التبشير والعسرى من التعسير والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والضحى والليل اذا سجى قال بعضهم الضحى هو ضوء النهار كقوله وضحيها اي ضوءها وقال
هو ساعة من النهار وهي من اول النهار ويقال صلوة الضحى وهي عند ضحوة النهار ومنهم من يقول
هو كناية عن الحر كقوله لا تظمؤ فيها ولا تضحى اي لا يصيبك الحر والله اعلم ومنهم
من يقول هو كناية عن النهار كله اقسم به وبالليل الذي ذكر فان كان المراد من الضحى هو ضوء النهار
ومن الليل اذا سجى ظلمته فيخرج القسم به على ان ظلمة الليل تستر الخلايق كلهم في طرفة عين وكذلك
ضوء النهار يكشف الستر ويجلي بطرفة جميع الخلايق من غير ان يعلم احد ثقل ذلك الستر وحقيقة
ذلك الضوء فاقسم بذلك لعظم ما فيهما من الايات وان كان المراد منه نفس الليل والنهار فاقسم

بها الى اجل فيهما من المنافع الكثير وقوله عز وجل اذا سجى اختلف فيه قال بعضهم اذا استوى وقال بعضهم اذا سكن
وركد وقال بعضهم اذا سجى اذا غشي واظلم وغطى كل شيء وستر وهو من التسجي والتسجية يقال تسجى فلان بثوبه
اذا تستر وتغطى وقوله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى على هذا وقع القسم ثم اختلف في السبب نزل هذه
قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سئل عن شيء اذا طلبوا منه شيئا فقال افعل ذلك غدا او اخبركم
عنه غدا ولم يستثن فاحتبس عنه الوحي اياما لذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه اي تركه و
ابغضه ومنهم من قال انه لما ابطأ عليه الوحي فجزع جزعا شديدا فقالت له خديجة رضي الله عنها اني لارى قد
قلاك ربك وودعك مما نرى من جزعه فنزل قوله ما ودعك ربك وما قلى ولسنا ندري كيف كان الامر فان
كان نزل ذلك لقول قريش فالقسم يحتمل ذلك لرد قولهم والقول الثاني انها نزلت لقول خديجة رضي الله عنها
فهو غير محتمل لان خديجة تعلم ان الله تعالى لم يودعه ولا قلاه وكذا كل مؤمن معتقد ان الله تعالى لا يودع
احدا من رسله ولانها تصدق الرسول عليه الصلوة والسلام انه لم يودعه ولا قلاه اذا اخبرها بعين
نسيم فلا معنى للقسم دل هذا الوجه غير محتمل ثم صرفنا تاويل الاية الى غير ما قالوا اشبه عندنا واقرب
مما قالوا وهو انه عليه الصلوة والسلام بعث الى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم قتل من خالفهم
واهلاك من استقبلهم بالخلاف ولم يكن معه فضل مال وسعة ليشتمل به قلوب الناس فيقول اولئك الكفرة
النادبة فيقول اولئك الكفرة النادبة قد خذله وتركه وقلاه حيث بعثه الى من ذكرنا من الفراعنة والجبابرة
الذين كانت همتهم القتل وعادتهم اهلاك من خالفهم بلا انصار ولا اعوان من الملوكة ومال وسعة
يشتمل به القلوب والانفس لان من سلم انسانا الى اعدائه الذين يعلم انهم اعداؤه ويخلي بينه وبين الاعداء
بلا انصار واعوان ولا مال وسعة من الدنيا فيقال انه قد خذله وقلاه اذ لا يفعل ذلك في الاصل الا لما
يغضه ذلك قالوا انه ودعه وقلاه وهو ما قالوا لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ويلقى اليه كنز
او تكون له جنة ياكل منها وقولهم لولا نزل عليه القران على رجل من القريتين عظيم ونحو ذلك مما قالوا
فلو لا صرف اهل التاويل الاية الى ما ذكروا والا صرفها الى ما ذكرنا اشبه وفي قولهم قد ودعه
ربه دلالة انهم قد عرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم واقروا بذلك حتى قالوا انزل قوله ما ودعك
ربك والثاني انه لو كان يخترع على ما كانوا يقولون اولئك لكان لا يحتبس عن الاختراع ويكون يخترع ابدا
حتى لا يقولوا انه ودعه فدل تاخر الوحي واحتباسه انه عن امره يخبر وانه مامور بذلك ثم اخبر انه لم يبعث
الى هؤلاء الفراعنة والجبابرة لما ذكر اولئك الكفرة انه خذله وتركه وقلاه ولكن بعثه وهو ينصره
ويعينه على تبليغ ما امره بتبليغه الى من امر بتبليغه ولم يقل ولكنه اصطفاه واختاره حتى يعلموا امره
ويكثر ذكره وفي ذلك لاية عظيمة على اثبات الرسالة وهو ما ذكرنا انه بعث الى من همتهم القتل والاهلاك
لمن خالفهم فقهرهم جميعا وغلب على الكل حتى ظهر الاسلام فيمن قرب منه ومن بعد وقوله عز وجل وللاخرة
خير لك من الاولى يقول ما اعطيت في الدنيا من الشرف والذكر والغلبة على الفراعنة فالاخرة خير لك
من الاولى يرغبه في الاخرة ويزهده في الدنيا ويقول ان اولى لك ان يكون سعيك للاخرة فهو خير لك من
الاولى وهو كقوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقوله عز وجل ولسوف يعطيك
ربك فترضى اي لتعطى في الاخرة ما ترضى من الكرامة والشرف وقال بعضهم اي ولسوف يعطيك ربك
فترضى في الدنيا من الذكر والشرف والمنزلة والغلبة على الاعداء ويحتمل يعطيك في امتك ما ترجو وتامل
من الشفاعة لهم وترضى ويقول بعض الناس ان ارجى الاية حيث وعد له انه يعطيه ما يرضى ولا يرضى ان
يكون امته في النار ومنهم من قال ارجى الاية قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وعندنا ارجى الايات هي التي امر الله رسله بالاستغفار
للمؤمنين وكذلك امر الملائكة بالاستغفار لهم واستغفروا لهم وقوله عز وجل الم يجدك يتيما فاوى الاية
ذكر الاحوال التي ذكر فيه من قوله الم يجدك يتيما فاوى ووجدك عائلا فاغنى الاية وقوله عز وجل الم
يجدك يتيما فاوى ووجد عائلا فاغنى الاية وقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
ونحو ذلك من الاحوال التي ذكر فيه في الظاهر احوال يذكر للتشين فيمن يقال فيه لكن في ذكر ما ذكر فيه
من الاحوال ذكر لبشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له والعون وانه له على رسالته ونبوته لان نفاذ
القول وعلو الامر في الاحوال التي ذكر اعظم في الاعجوبة من نفاذه في احوال السعة وحال قوة الاسباب
وتاكيدها او ان يكون قوله الم يجدك يتيما فاوى ووجدك عائلا فاغنى وهو لان اولئك الكفرة ينسبونه الى الافتراء
والاختراع من ذات نفسه فاخبر ان اليتيم والفقر ليس يبلغ في العلم والمعرفة المبلغ الذي يقدر على الاختراع و

والانشاء الشيء من نفسه على وجه يعجز مبلغ الاختراع عن مثله جميع الخلق لما لا يجد ما ينفق في ذلك ويحمل المؤمن حتى
يبلغ مبلغ الاختراع وكذلك ما ذكر حيث قال ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك لانهم قالوا انما يعلمه
بشر فالبشر انما يتعلمون بالكتابة والخط فاذا لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك دل انه بالله عرف وحده
وقوله عز وجل الم يجدك يتيما فاوى اي وجدك يتيما فاواك ثم يحتمل قوله فاواك وجوها احدها وجدك يتيما فاواك
الى عمك حتى رباك ودفع عليك كل اذى وافة وساق اليك كل خير والى ان بلغت المبلغ الذي بلغت والثاني يقول
قد وجدك يتيما فاواك الى عدو من اعدائك حتى تولى تربيتك وبرك وعطف عليك وتولى عنك دفع المكروه و
الاذى بذكر منه وعظيم نعمه عليك فانه كان ما ذكر ثم صير عدوا يدفع المكروه من اعدائه اشفق الناس عليه واعطف
والله اعلم والثالث قد وجدك فاواك الى نفسه وعطف عليك حتى اختصك واصطفاك للرسالة والنبوة حتى صرت
مذكورا في الدنيا والاخرة وحتى احوج جميع الملوك اليك ليس ذلك من امر اليتيم انه يبلغ شانه وامره الى ما بلغ من
امرك وشانك حتى صرت مخصوصا من بين الناس جميعا فيما ذكرنا من اختصاصه اياك برسالته وتحوج جميع الناس
اليك بذكر عظم منه ونعمه عليه وقوله عز وجل ووجدك ضالا فهدى هذا يخرج على وجوه احدها يقول والله اعلم
لولا ان الله تعالى هداك لدينه ووفقك له والا وجدك ضالا اذ كان نشوءه بين قوم ضلال لم يكن احد يهديهم
ويدعوهم الى الله تعالى ولكنه هداك وارشدك فلم يجدك ضالا وهو كقوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذ
كم منها اي لولا انه انقذكم منها والا صرتم على شفا حفرة من النار لو لم ينقذكم منها وكقوله لولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا لان البشر انشئ مطبوع على الركون والميل الى النعم العاجلة والخيبات الا الله ولكنه بفضله و
لطفه ثبتك وعصمك ولم يكلك على طبعك والنشأة في اصل الخلقة فعلى ذلك يقول في قوله فوجدك فهدى اي
لولا انه هداك والا وجدك ضالا لو لم يهدك ففيه انه هداه ولم يجده ضالا والثاني يقول ووجدك ضالا الا ضلال
كسب واختيار ولكن ضلال الخلقة التي انشأ عليها الخلق والضلال بمعنى الجهل لان الخلق في ابتداء احوالهم
يكونون جهالا لا جهل كسب يذمون عليه او ان يكون لهم علم يجحدون عنه ولكن جهل خلقة وضلال خلقة لا
ليس معهم الة درك العلم فلا صنع له في كسب الجهل فاما بعد النظر بالة العلم يكون الجهل مكتسبا فيذم عليه وكذا
العلم تترتب عليه الحمد والذم فعلى هذا يكون قوله تعالى فوجدك ضالا فهدى اي وجدك جاهلا على ما يكون في
اصل الخلقة وحالة الصغر فهداك اي علمك وهو كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نورا وقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب يذكر انه لم يكن يدري شيئا حتى ادراه وعلمه والثالث يقول
ووجدك ضالا اي غافلا عن الانباء المتقدمة واخبارهم حتى اطلعك الله تعالى على ذلك كقوله نحن نقص عليك
احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين ويقول ووجدك في امر القران
وما فيه جاهلا غافلا عن علم ما علمك وقال بعضهم ووجدك ضالا اي وجدك بين قوم ضلال فهداك اي
اخرجك من بين اظهرهم يدعونك الى ما هم عليه ويجبرونك على ذلك ولم يرضوا منك الا ذلك والله اعلم
وقال بعضهم ووجدك ضالا من طريق مكة فهداك الطريق وقال بعضهم ووجدك ضالا لا نهداك للتوحيد
لكن هذا وحش من القول اذ لا يليق به ان ينسب الى ذلك وقال بعضهم ووجدك ضالا عن النبوة اي جاهلا
فهداك للنبوة وهو قريب مما ذكرناه وقوله عز وجل ووجدك عائلا فاغنى اي فقيرا فاغناك بما اراك من
امر الاخرة وما يسوق اليك من نعيمها اي بما اعد له في الاخرة وما وعد له من النعيم والكرامات فهانت
عليه الدنيا حتى ذكر ان الدنيا لم يكن تعدل عنده صلى الله عليه وسلم جناح بعوضة ولذلك روي ان الغنى
غنى القلب ويحتمل انه جعل فيه حالا لا يطعمه اعطاه كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال
فقيل تواصل انت يا رسول الله فقال عليه السلام انا لست كاحدكم ان ربي يطعمني ويسقيني فجائز ان الله عز وجل جعل فيه
لطفا اغنى به وان لم يطلعنا عليه والله اعلم وقال بعضهم اغناه بمال خديجة رضي الله عنها وقال بعضهم فاغناك
اي فارضاك بما اعطاك من الرزق واقنعك وقوله عز وجل فاما اليتيم فلا تقهر وفي حرف ابن مسعود رضي
الله عنه واما اليتيم فلا تكهر فالكهر الزجر كانه قال فلا تزجر وجائز ان يكون قوله فلا تقهر اي لا تمنع حقه
وادفع اليه حقه وماله ويكون ذكر هذا تقول كنت يتيما وانت حالا اليتيم فلا تقهر اليتيم فيكون على
الصلة لقوله الم يجدك يتيما فاوى فلا تقهر اليتيم بعد ذلك واما السائل فلا تنهر اي كنت محتاجا حقيرا
فعرفت محل الفقر والحاجة وشدة حاله ولا تنهر السائل اي لا تزجره ولكن اعطيه وجائز ان يكون الامر على
النهي ويكون على الامر بالبر لهؤلاء والاعظام لهم وجائز ان يراد في نفي شيء اثبات ضده كقوله تعالى فما ربحت
تجارتهم اي خسرت وعلى هذا الحديث وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اتاكم السائل
فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه برفق ولين اما ببذل يسير او برد جميل فانه قد ياتيكم

من لبس بالشى ولاجن برى كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى وقال قوم تزويج اليتيم قهره لما فيه من الاستذلال
والاضرار فلم يجوزوا من غير الاب والجد واجازوا بيع ماله من وصية الثالث او وصى الاب او الجد وصى امه فى تركها
عدل ان تزويج اليتيم ليس من قهره فى شى وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه زوج بنت حمزة سلمة بن ابى
سلمة وهو صغيرهم يتيم وزوج ابن عمر بنت اخيه وهى صغيرة وزوج عروة ابنة من مصعب وهى صغيرة واما
بنعمة ربك فحدث وقهر اليتيم فى ظلمه والاعتداء عليه وليس فى التزويج ذلك وقوله عز وجل واما بنعمة ربك
فحدث يحتمل وجهين احدهما يقول لحدثهم بنعمة الله تعالى التى انعم عليهم يعرفوا ويعقلوا بما فيه شكرها او تقول
حدثهم بما انعم الله عليك وهو هذا القرآن ان القرآن من اعظم ما انعم الله عليه فاما من يتحدث ما عليه من النعم
الله عليه من الاختصاص لهم حيث جعلهم من امته ومن قومه او امر بان يقراءه ويحدث بما فيه وقد روى
عن ابى رجاء العطارى قال خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف خز لم تزد عليه قبل ولا بعد فقال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا انعم على عبيد نعمة يحب ان ترى اثر نعمته عليه وعن عطية عن
عن ابى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر نعمته على
عبيده ويبغض البوس والتبوس وعن ابى الاحوص عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اعطاه الله تعالى خيرا فلير عليه وابدا بمن تعول وارضخ من الفضل ولا تلام على كفاف
ولا تعجز عن نفسك وعن يحيى بن عبد الله عن ابيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
اذا بسط الله تعالى على عبد نعمة فلير عليه يعنى به الصدقة والمعروف وقول ابن مسعود رضى الله عنه وابدأ
بمن تعول دليل عليه قال اهل الادب عن افتقروا عال اى اكثر عياله ويقال استغنيته اسكنته وقال الازهرى

والكلام الوحش والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم نشرح لك صدرك المخاطبة فى هذه السورة من الله تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم خاطبه اياه كان جبريل حيث قال الم نشرح لك صدرك الى ما ذكروا المخاطبة فى سورة
اذا كانت من غير الله تعالى اياه كان جبريل عليه السلام خاطبه فى ذكر من الله تعالى اياه وذكر نعمه

او سميت ليلة القدر لانها ليلة لها قدر ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف الشئ العظيم بالقدر والمنزلة وسميت ليلة
مباركة لانها تنزل فيها البركات والرحمة من الله تعالى على خلقه او سميت مباركة لكثرة ما يعمل فيها من العبادات وقوله
عز وجل تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام قال بعضهم الروح ههنا جبرائيل كقوله تعالى نزل به
الروح الامين وقال بعضهم خلق موكلون بالملائكة كما ان الملائكة موكلون ببنى ادم وجائز ان يكون الروح هنا
هو الرحمة اى ينزل الملائكة بالرحمة فيها من البركات ثم اختلفوا فى قوله فيها قال بعضهم اى تلك الليلة هو
تنزل الملائكة والروح وقيل فيها اى فى الملائكة وقوله عز وجل باذن ربهم اى ينزلون باذن ربهم وقوله

عز وجل من كل امر قال بعضهم اي بكل امر يقدر في تلك السنة على الارض وكذا قال القتيبي من كل امر سلام وقيل
من كل امر يدبره الله تعالى اي الملايكة لا علم لهم فيما يقدره الله تعالى الا ان يطلعهم عليه فكانهم يطلعون
على ما يقدر في تلك السنة من الامور فينزلون بها بامر الله تعالى وقوله عز وجل سلام هي تنزل الملايكة
تحفف باجنحتها بالسلام من الله والرحمة والمغفرة وقال اي هي ليلة سالمة لا يحدث فيها شر ولا يرسل
فيها شيطان الى مطلع الفجر وقال بعضهم هو سلام الملايكة اي يسلم الملايكة على كل مؤمن ومؤمنة وقال
بعضهم من كل امر سلام اي من كل افة وبلاء سلام وكذلك ذكر في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من امر الله قال بعضهم يحفظونه بامر الله تعالى فكذلك يحتمل قوله من كل امر سلام هذين الوجهين وقوله عز
وجل هي حتى مطلع الفجر يحتمل اي تلك البركات التي ذكرت الى مطلع الفجر ويحتمل ذلك السلام الذي ذكر الى مطلع
الفجر ويحتمل الملايكة يكونون في الارض الى مطلع الفجر وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قرا من كل
امرئ سلام وقال يعني الملايكة قال بعضهم اختلفت الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر متى
يكون واختلف الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فيها يروي عبد الله بن انيس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال التمسوها في العشر الاواخر واطلبوا في وتر وروي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة تسع عشرين رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وروي ابن عمر رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحروا ليلة القدر في السبع الاواخر وروي انها في سبع وعشرين
وعبد الله بن عمر انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع قال هي في كل رمضان وعن زر
قال قلت لابي بن كعب اخبرني عن ليلة القدر يا ابا المنذر فان صاحبه عبد الله بن مسعود وسئل عنها
فقال من يقم الحول يصبها فقال نعم الله ابا عبد الرحمن والله لقد علم انها في رمضان ليلة سبع وعشرين
لكن ليس لنا ولا لاحد ان يشير الى تلك الليلة فيقول هي ليلة كذا ليلة سبع وعشرين الا ان يثبت بالتواتر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر بالاشارة اليها فعند ذلك تسع والا كانت مطلوبة في الليالي وعلى
تخرج الاخبار المروية على التوافق دون المناقضة ويكون كلها صحيحة فيكون في سنة اخرى في غيرها وفي سبع
في العشر الاواخر من رمضان وفي سنة العشر الاوسط من رمضان وفي سنة في العشر الاول من رمضان
وفي سنة في غير رمضان والله اعلم بذلك

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى
تاتيهم البينة ذكر في حق اهل الكتاب لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بحرف من وهو للتبعيض ولم يقل اهل
والمشركين لان اهل الكتاب كانوا فرقا منهم من كان امن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان بعث امن به فلزم
الايمان به ومنهم من كان كافرا به فلما بعث وارسل لزم الكفر به ولم يؤمن فلما كانوا اصنافا وفرقا لذلك قال
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بحرف من واما المشركون فانهم كانوا صنفا واحدا لم يسبق بانهم اذا اتاهم
البينة منفكون اولا وجاز ان يكون قوله عز وجل لم يكن الى قوله حتى تاتيهم البينة اي لم يكن بعض اهل الكتاب
وبعض المشركين من الكفرة لانه عطف المشركين على اهل الكتاب كانه قال من اهل الكتاب ومن المشركين ولذلك
خفض المشركين ولم يقل والمشركون بل كانوا اهل كفر وترك الى اخر عمرهم وان اتتهم البينة والبينة هي ما
في خلقه كل احد مما يدل على الوهيته ووحدانيته ويحتمل ان بعضا من الفريقين على الشرك حتى ياتيهم البينة
وهي معاينة العذاب عند الموت كقوله تعالى فلما راوا باسنا ونحو ذلك وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه
لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وفي حرف ابي ما كان الذين اشركوا من اهل الكتاب والمشركين ثم اختلف
في قوله عز وجل منفكين قال بعضهم لم يكن الذين من اهل الكتاب والمشركين منتهين زايلين عن الكفر والشرك
حتى ياتيهم الملايكة قال بعضهم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين خارجين من الدنيا حتى تاتيهم
البينة ثم اختلفوا في البينة التي ذكر انها تاتيهم قال بعضهم البينة رسول صلى الله عليه وسلم حيث قال على اثره رسول
من الله يتلو صحفا وقال بعضهم ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجج فمن جعل قوله منفكين منتهين تاركين
يجعل البينة رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى بينة لانه يعرف كل خبر وكل احسان وبه يبين الحق والباطل وكل خبر
من امر المعاد والمعاش وكذلك القران جاء به ومن قال منفكين خارجين من الدنيا يجعل البينة ذكرانها تاتيهم
العذاب معاينة جهارا كقوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي خارجين من الدنيا حتى يعلموا
العذاب فعند ذلك يؤمنون وقوله عز وجل رسول من الله يتلو صحفا مطهرة على التاويل الاول في البينة يكون
ما ذكر من قوله رسول من الله تفسيرا للبينة وعلى الثاني يخرج على الابتداء يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتلو صحفا مطهرة ثم جاز ان يكون سمى القران وحده صحفا على المبالغة اذ قد يسمى الواحد باسم الجميع على المبا

اذ قد يسمى الواحد باسم الجميع على المبالغة وجاز ان يكون قوله يتلو صحفا القران وسائر الصحف لان سائر
الصحف فيه وكذلك قوله فيها كتب قيمة جاز ان يكون سمى كتابه المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبا على الابدال
والتاكيد على ذكرنا وجاز ان يكون يتلو صحفا وكتبا عليهم وهي التورية والانجيل والزبور وكان هذا القران في
تلك الكتب وان كتب لاول فيه فيصير تلاوة هذا عليهم كانه تلاوة تلك الكتب عليهم وعلى هذا قوله تعالى هذا
من معى وذكر من قبلي قوله تعالى مصدقا لما بين يديه وقوله عز وجل مصدقا لما معهم فهي هذا ما في تلك الكتب
وقال بعضهم صحفا مطهرة الى كانت في ايدي السفرة البررة وقوله تعالى مطهرة يحتمل مطهرة من ان يكون
للباطل فيه حجة او مدخل او مطهرة من الافتعال والافتراء ومطهرة من ان يحتمل ما ذكره اولئك الكفرة
وقال قتادة يعني كتاب احسن الاسماء واثنى باحسن الثناء سماه نورا وهدى ورحمة وبركة وابنه شفاء
ونحوه وقوله عز وجل فيها كتب قيمة اختلف فيه قال بعضهم فيها كتب صادقة وقال بعضهم عادلة قال غيرهم مستقيمة على
ما توجبه الحكمة وجاز ان يكون قوله فيها كتب قيمة اي احكام كثيرة مستقيمة على ما يوجبه الشريعة والحكمة
وقوله عز وجل وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقول اهل التاويل انهم قد آمنوا به
ما جاءتهم البينة وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر هذا التاويل خطأ لانهم كانوا متفرقين قبل ذلك فلا
معنى كذلك وعندنا انه ليس كما توهم هو وهو يخرج على وجهين احدهما وما تفرقوا في محمد عليه السلام الا من بعد ما
جاءتهم العلم به عند بعثه ذلك تفرقوا فيه فاما قبل ذلك كانوا مجتمعين في نعته كلهم وما تفرقوا في الدين والثاني
الا من بعد ما جاءتهم البينة اي عن بيان وعلم تفرقوا في الدين وتفرقوا فيه وهو ما جعل في خلقه كل احد
دلالة التوحيد والربوبية ما لو تفكروا لعرفوا ان الله تعالى واحد ولبينه رسله ما يحتمل من هذا الوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم والقران وفي نفس الخلقة على ما ذكرنا وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين في ما امروا وابلهم والاخر هم في تلك الكتب الا ليعبدوا الله ولا يعبدوا من دونه وما امروا
الا يجعلوا الالوهية لله والوحدانية له وقد وما امروا الا ليعبدو والله على ان اولى قوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون على اضرار الامرار اي الا لآمرهم بالعبادة على ان خلقهم للعبادة ما قد رواه غيره او ان
يكون قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على الخصوص خلق من علم انه يعبده للعبادة وقوله عز وجل مخلصين
له الدين لا يخرج على وجهين احدهما ان تخلص له الدين ويصفى ولا يترك فيه غيره ويكون من خلوص وصفاء و
الثاني الدين الخالص وهو لاهم كقوله وله الدين واصبا وكذلك يحتمل قوله الا لله الدين الخالص وقوله
تعالى حنفاء قال اهل التاويل مسلمين وقال بعضهم حنفاء متبعين والحنف الميل كانه قال مائلين الى الاسلام وقيل
حنفا الحجاج وقيل الحنف المستقيم وقوله عز وجل ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة يحتمل القول اي قبلوا اقامة
الصلوة وايتاء الزكوة اي تابوا وقبلوا ذلك ليس على حقيقة الاقامة ويحتمل ان يكون حقيقة الاقامة
الايتاء وايتاهما كان فيه انهم والايلهم كانوا مامورين بالصلوة والزكوة ويحتمل المعنى الذي في الصلوة والزكوة
ثم المعنى الذي في الصلوة والزكوة لا يحتمل النسخ في وقت من الاوقات لان الصلوة معناها هو الاستسلام والخضوع
له والزكوة هي تزكية النفس وطهارتها وذلك لا يحتمل النسخ وقال وذلك دين القيمة والدين ذكروا
القيمة مؤنث فجاز ان يكون الذي ذكروا الملة القيمة ويحتمل دين الامة القيمة وهو قول الزجاج وقيل ذلك
الدين قوبه الحجج والبراهين اصنافا الحجج وجاز ان يكون ذكروا القيمة على التسوية بين ما سبق وما تقدم من
والاخر الاية من قوله عز وجل حتى تاتيهم البينة ومطهرة وكتب قيمة تسوية بين ما تقدم وما تاخر من قوله
خير البرية وشر البرية في حرف الى ذلك الدين بغيرها وفي قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
البينة وجهان احدهما التحذير لهذه الامة لان لا يتفرقوا كما تفرقوا ولذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاءه
والثاني يكونون ابدا فترعين الى الله تعالى في كل وقت خائفين منه والى لا يكلوا الى البيان الذي جاءهم فتفرقوا كما
تفرقوا ولذلك وقوله عز وجل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم ظاهر هذا ان يكون تاويله قوله
ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين اي بعض المشركين في النار لا كل المشركين ولكن من المشركين كان كفر كفر
من اهل الكتاب في نار جهنم لكن الكفر هو الشرك والشرك هو الكفر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء فدل ان الكفر والشرك واحد وكل كافر مشرك فكانه قال عز وجل ان الذين اشركوا من اهل الكتاب
والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ثم جاء كل هذا التشديد لهؤلاء لان اهل الكتاب ادعوا
انهم من نسل الانبياء ثم تركوا اتباعهم والمشركون قد اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
من اهدى الامم ثم نقضوا ذلك العهد واهل الكتاب قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
فتركوا اتباع الصالحين من اباءهم والعرب ايضا كانوا اقربا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم فحقه عليهم

لزم واوجب فسد على هولاء لهذا المعنى فان كان البرية ماخوذا مقصورا من البر وهو التراب ويرجع تاويل
الاية الى البشر كانه قال اولئك هم شر ما انشوا من الارض وان كان ماخوذا مقصورا من البر وهو الخلق فيصير
كانه كان اولئك شر ما خلقوا فيدخل في ذلك الملوبكة والجن والبشر وفي الاول لا يدخل الا البشر خاصة و
كذلك ما ذكر من اهل الايمان حيث قال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية فان كان البرية
ماخوذا من البراء فهو يرجع الى الاصناف جميعا وان كان من البر وهو التراب فهو يرجع الى البشر خاصة فيصير
كانه قال شر اهل البشر من جنسهم وخير اهل الخير من جنسهم لانهم صاروا قادة في الهدى والخير وقوله عز وجل
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن فان العدن هو المقام بجميع الجنان نعيم ثم قد قسم الخلق صنفين جعله شر البرية
وجعله خير البرية ثم يكون من كل صنف شر من شر وخير من خير وسوى بين من نشاء على الكفر ودوام عليه في
التابيد والتخليد وبين من احدث الكفر في اخر عمره وكذلك من دام على الايمان ومن احدث سوى بينهما و
لم يجعل لما مضى من الكفر جزاء ولا عقابا وذلك والله اعلم هو ان من اعتقد ايمانا يعتقد للابد وكذلك من
يعتقد الكفر انما يعتقد للابد فاذا احدث الايمان بعد الكفر اعتقد قبح ما عمل في حال كفره وشره وحسن ما احدث
من الايمان والتوحيد وكذلك من احدث الكفر بعد الايمان اعتقد فسادها عمل في حال ايمانه لذلك بين من
احدث وبين من ادام عليه وليس كمن يذهب في وقت ويسوت في وقت لانه يعتقد حسن ذلك ولا قبحه
في الابد والله الموفق وقوله عز وجل رضي الله عنهم ورضوا عنه احدها يقول رضي الله عنهم بعملهم الذي
عملوا لانفسهم وسعيهم الذي سعوا في الدنيا لهم رضي الله بسعيهم لهم ورضوا عنه بما اكرمهم ووفقهم
الاعمال التي عملوا لانفسكم في الدنيا وهو كقوله تعالى وان تشكروا يرضه لكم اي ان قبلوا ما احسن
اليهم واحسنوا صحبة احسانه اليهم رضي ذلك لهم وقال وهذا يدل ان ما يعملون من خير او شر انما يعملون
لانفسهم والمنفعة يرجع اليهم او مضرة يندفع عنهم والثاني رضي الله عنهم بما اكرمهم من الثواب لاعمالهم
التي عملوا لانفسهم ورضوا عنه بكرامته التي اكرمهم وقوله عز وجل رضي الله عنهم هذا امنه افضا
وانعام حيث ذكر رضاه عنهم وان ذكر العفو والتجاوز كان حقا ولكن هذا كما ذكر من لطيف معاملته
عباده حيث سمى ما ادخروا في وقت حاجتهم اليه قرضا حيث قال واقرضوا الله قرضا حسنا وسمى بذلهم
نفسهم واموالهم شرا وما يعملون لانفسهم جزاء وشكروا اموالهم وانفسهم في الحقيقة له ولكن سمى بالذي ذكرنا
لطفا منه وفضلا فعلى ذلك ما ذكر من رضاه عنهم به وكذلك قوله ورضوا عنه ذكر رضاهم عنه بفضله ولطفه و
الا منهم الرضا عن الله تعالى ثم هو يخرج على وجهين سوى ما ذكر احدهما ورضوا عنه بما امتحنهم في الدنيا بالمحن
الشديدة العظيمة وان اشتدت ذلك وثقلت على انفسهم اذا راوا احسان الله وفضله في الاخرة والثاني رضوا
عنه بالنعم التي اكرمهم في الجنة لا يبغون عنها حولا ولا يريدون غيرها ولا يملون في الدنيا قال ابو عوسجة منفكين
اي لا يزالون على هذه الحال يقول الرجل ما انفككت افعل كذا وكذا اي افعل كذا وكذا وقال القتبي وابو عبيد
وغيرهما المنفكين زائلين وقوله عز وجل ذلك لمن خشي ربه اي الذكرى ذكر من الجزاء لمن خشي نقمته او خشي
سو صنيعه نعوه واصله ان من اجتنب المعاصي وعمل بالطاعات فانما يفعل ذلك لخشية ربه سبحانه وتعالى
فكل من اعلم بربه فهو اخشى لربه تعالى ومن اجهل به فهو اجرا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال
الحسن الخشية هو الخوف اللازم في القلب الدائم فيه او خشي خالقه والله الموفق والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها قد ذكرنا ان حرف اذا انما يذكر عن سؤال سبق منهم كانهم سالوا عن
الوقت كانوا يوعدون فيه وان لم يذكر السؤال لانه قد يكون في الجواب بيان السؤال وفي السؤال بيان الجواب
وان لم يذكر فعند ذلك قال اذا زلزلت الارض زلزالها اخبرهم عن احوال القيامة والحساب ولم يخبرهم عن وقتها
وقد ذكر في غير موضع ثم قوله عز وجل اذا زلزلت الارض زلزالها اي حركت الارض تحركا شديدا لهول ذلك
اليوم وهو يخرج على وجهين احدهما جايز ان يكون يتزلزل ويتحرك حتى يلقى ما ارتفع منها من الجبال
الرواسي في الاودية حتى يستوي الارض لا يبقى فيها هبوط ولا صعود كقوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وجايز
ان يكون قوله زلزلت الارض اي تزلزلت وتحركت ليغير الجبال الرواسي حتى تصير كما ذكر يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقوله عز وجل فجعلناه هباء منثورا فاذا فنيت وتلاشت بقيت
الارض مستوية على ما ذكره ويحتمل ان يكون يتزلزل ويتحرك حتى تصير غير تلك كقوله تعالى يوم تبدل الارض الاية
ويحتمل ان يكون تبديلها وتحركها وهدها هو تغير صفاتها على ما ذكرنا في الوجهين الاولين قال الزجاج لا يسمع

هذه القراءة لان الزلزال من المضاعف والمضاعف انما يكون بالخفض مصادرها ما من الاسماء قد يكون كفتح له
مما من صلصال ونحوه والزلزال مصدر فيكون في الاصل المطرد فيه هو الكسر والنصب يكون نادرا والله اعلم
وقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اي اخرجت ما فيها من الموتى من اول ما دفن فيها من كل شيء من الحيوان وغيرها الى اخر ما يحمل فيها
من الكنوز وغيرها ما يحتمل الحساب وما لا يحتمل من البشر وجميع الممتحنين وغيرهم ويحتمل اخرجت اثقالها اي
الممتحنين خاصة من محاسبون ويثابون ويجزون وقوله عز وجل وقال الانسان ما لها قال الكل في ما لها
يتحرك فقال بعضهم اي في الدنيا والحق في الاخرة حيث يشاهدها تتزلزل وتتحرك يظن انها تنقلب
يفعل ذلك لا يرجعه ما ترى من اهوال ذلك اليوم وتغير احوالها على ما لم يظن في الدنيا والحق حتى تقيلها وتخضع
لها وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه يقول يومئذ تحدث اخبارها وقال الانسان ما لها تشهد وتخبر
على ظهرها ثم اخبارها يخرج على وجوه احدها ما قاله اهل التاويل يخبر انها وتحدث بما عمل على ظهرها من
خير او شر وطاعة ومعصية من اهل الجنة فانهم يكون مقرونين بالخيرات والله اعلم
الكفر والمعصية واما اهل الجنة فانهم لا يحتمل اخبارها الخير لانها انما تشهد عليهم لانكار اهل الكفر ما كان منهم من عمل
ما ذكر من شهادة الجوارح انما تشهد عليهم على ما يكون من الكفر والترك ونحو ذلك من المعاصي فخرج ذلك القول
يكون اخبارها على حقيقة النطق والكلام وقال بعضهم اخبارها ما ذكر من تزلزلها وتحركها والاحوال التي تكون
فيها هو تحدثها واخبارها التي يكون وقال بعضهم يومئذ تبين وتقع اخبارها التي اخبر ما في الدنيا
تكذيبهم يومئذ تبين لهم ذلك ويقع لهم مشاهدة عيانا من الحساب والثواب والعقاب وفي الخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما اخبرها قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها ان تشهد
على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها وقوله عز وجل بان ربك اوحى لها من بان اخبارها من شهادتها بما عملوا على
ظهرها يكون تاويله قوله تعالى اوحى لها من شهادتها بما عملوا على ظهرها قوله تعالى اوحى لها اي اذن لها
بالشهادة فتشهد ومن قال اخبارها هو تزلزلها وتحركها والاحوال التي تكون منها يقول على اسقاط
لها يقول بان ربك اوحى اي فعل ذلك بها والوحي قد يكون الوحي والهام والامر ويستعمل فيما يليق
وقوله عز وجل يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يحتمل صدور الناس من وجهين احدهما يصدرون
من قبورهم الى الحساب ليروا كتاب اعمالهم اي ليروا ما كتب من اعمالهم التي عملوا في الدنيا ويحتمل صدورهم على
ما اعد لهم في الاخرة من الثواب والعقاب فعلى هذا التاويل ليروا جزاء اعمالهم التي عملوا في الدنيا كقوله تعالى
فريق في الجنة وفريق في السعير وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا هذا تفسير قوله اشتاتا وقوله
عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال بعضهم يرى الكافر ما عمل من خير
في الدنيا واما في الاخرة فلا يرى لانه لا يؤمن بها ولا يعمل لها كقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له ما نشاء
لمن نريد والمؤمن يرى ما عمل من شر في الدنيا وما عمل في الاخرة وعلى ذلك روي في الخبر ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه كان يتغدى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فقال ابو بكر يا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل من عمل من شر يراه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون في الدنيا مما تكرهون
فهو من ذلك ويؤخر الخير لاهله في الاخرة وجايز ان يكون قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وشرا يره
على الاحصاء والحفظ كقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي لا يذهب عنه شيء قليل ولا كثير حتى
الذرة ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي من يعمل من المؤمنين مثقال ذرة
خيرا يره في الاخرة ومن يعمل من الكفار مثقال ذرة شرا يره في الاخرة لان الله تعالى قد اخبر في غير اي من
القرآن انه يتقبل حسنات المؤمنين ويتجاوز عن سيئاتهم كقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ونحو ذلك من الايات وقوله مثقال ذرة ليس يراد به حقيقة
الذرة ولكن على التمثيل ثم قيل من اخبار الارض وما ذكر من شهادة الجوارح اذ كيف يحتمل ذلك وهي اموات
والموت لا علم لها فجايز ان يكون الله تعالى يجعل لها علما وينطقها بذلك علما في جميعها اي ثم في قوله تعالى ليروا اعمالهم
دلالة ان قوله تعالى حتى يسمع كلام الله وقوله لا تسافروا بالقرآن ارض العدو وقول الناس يقرأ كلام رب العالمين
وفي المصاحف قرآن اذ لا يراد به حقيقة كون كلام الله تعالى في المصاحف ولا حقيقة كون القرآن فيها
فيها والسفر به ولا حقيقة سماع كلامه ويكون على ما اراد من سماع ما به يفهم كلامه ويسمع ما يعبر به عن
كلامه وكذلك يكون في المصاحف ما يفهم به كلامه او ما يعبر به عن كلامه على ما ذكرنا من رؤية الاعمال واعين
الاعمال لا ترى ولكن يرى ما يدل عليها وهو المكتوب من اعمالهم في الكتب التي فيها اعمالهم فعلى ذلك هذا

والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

وقوله تعالى والعاديات ضبحا الى اخره قال علي كرم الله وجهه وعبد الله رضي الله عنهما هي الابل وقال ابن عباس رضي الله عنه وغيره من اهل التاويل هي الخيل غير ان عليا رضي الله عنه قال ذلك يوم بدر وقال ابن مسعود رضي الله عنه ذلك في الحج ومن قال هي الخيل قال ذلك في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فابطا عليه خبرها فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبرائيل عليه السلام يخبرها على ما ذكر ووصف فسر بذلك المومنون فان كان في امر السرية والخيل على ما قاله ابن عباس رضي الله عنه فجهة القسم بذلك يحتمل وجوها احدها انه من علم الغيب اذ لا علم بحالهم وما وصف من امر الخيل لا يكون الا بالوحي من السماء او ممن شهد ذلك فاذ لم يحضرهم احد ممن اشهدها ثم اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ظهر عندهم على ما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ان ذلك انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انما عرف بالوحي من الله تعالى وذلك من اعظم ايات الرسالة او ان يكون لما ذكر من شدة الخيل وقوتها وحدة بصرها حيث عدت في ليل مظلم لا قمر فيه ولا نور وعدا فخرج النار من شدة عدوها من الحجارة التي تصربت بحوافرها ما لا يقدر الانسان العدو في مكان مستوى فضلا ان يقدر على ذلك من الصعود والهبوط وما ذكر من اثاره النقع من شدة عدوها وتوسطها في العدو او لما ذكر موافقة مرادهم وحصول غرضهم في الاغارة على عدوهم في اغفل ما يكون العدو وهو وقت الصبح ثم القسم يقول والعاديات وما ذكر من الموريات وغيره هو صفة العاديات ونعوتها وفيه بشارة بثلثه احدها انه لم يحدث لهم حادثة والثاني الاغارة على العدو والثالث انهم قد توسطوا العدو ومن قال هي الابل وذلك في امر الحج يذكر سرعة سيرها وسرعة عدوها في الليل المظلمة التي فيها الاودية والهبوط والصعود ثم قوله فالموريات قدحا على هذا التاويل اى يضرب الحجر فتخرج منه النار من شدة سيرها وعدوها وفي الخيل شدة ضرب الحوافر على ما ذكرنا وقوله عز وجل فالمغيرات صبحا على هذا التاويل يقول بعضهم في تلك الغارات والادونة وفي وقت الصبح والاشبه ان يكون خروجهم من تلك الغارات في الادونة في ذلك الوقت لان ذلك الوقت وقت الخروج منها والدفع لا وقت المقام او يكون قد استقبلهم العدد هنالك ومن اراد بهم الشر فيكون المغيرات على الاغارة عليهم ان كان ثم عدد فوسطن به جمعا على هذا التاويل الجمع في الحج وهو الجمع المعروف ومن قال ذلك في الخيل يكون توسطهن في جمع ثم للذي وقع به القسم قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اى الانسان لنعم ربه لكنود لا يشكرها وهو ان الانسان يذكر مصائبه وما يصيبه من الشدة في عمره ابدا وينسى جميع ما انعم الله عليه وان لا يفارقه طرفة عين ولذلك قال الحسن الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل الكنود والقنود البخيل الشحيح في الانفاق ويجب ان يكون نعت كل انسان ما ذكر لكن المومن يتكلف شكر نعم الله تعالى ويجتهد في ذلك ويصبر على المصائب وهو كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا وخلق عجولا وهو كل انسان لم يستثنى المصلين منهم وهم المومنون اى كذلك خلق وطبع كل انسان لكن المومن يتكلف اخراج نفسه من ذلك الطبع الذي طبع عليه ومنع الى غيرها من الطبايع كالبهايم والسباع التي طبعها النفور من الناس بالانخناس عنهم ثم يصير بالرياضة ما يستقر عندهم ويحبسهم عند دعوتهم وقوله عز وجل وانه على ذلك لشهيد قال بعضهم ان ذلك الانسان على ما فعله في الدنيا لشهيد في الاخرة على ما جمعه اى يشهد ذلك ويعلمه كقوله بل الانسان على نفسه بصيرة وقال بعضهم وانه اى ذلك الانسان لبخله واستناعه عن الانفاق لشهيد اى يتولى حفظ ما له واحصاءه بنفسه لا يثق بغيره وقال بعضهم وانه يعنى الله تعالى على ذلك لشهيد اى عالم بحبسه ويحفظه كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله عز وجل وانه لحب الخير لشديد اى ذلك الانسان لشديد الحب للمال فذكر بخله واشحه في المال في ترك الانفاق والبذل وعلى ذلك طبع كل انسان على ما ذكرنا لكن المومن يتكلف اخراج نفسه عما طبع بالرياضة ويجتهد بالانفاق والحب ها هنا حب المال لنفسه وقوله عز وجل افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فهو يعلم قدرة ربه وسلطانه وحكمته في انشائه ابتداء [illegible] القبور ويحيهم ويكون افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وقوله عز وجل ان ربهم بهم يومئذ لخبير ان ربهم بهم يومئذ لخبير بما كان منهم في الدنيا وحصل ما في الصدور ويقول فهلا يعلم ايضا انه عز [illegible] الصدور ويبين ويظهر ما فيها [illegible] ولا يبين بل يظهر ويميز كقوله يوم تبلى السرائر ان ربهم بهم يومئذ لخبير اى عن علمه بذلك باحدهم ويجزيهم بما يجزيهم وفي قوله تعالى وحصل ما في الصدور دلالة ان [illegible] الاعمال وتخلوها وما يثاب عليها ويعاقب بالقلوب قال اهل اللغة والعاديات ضبحا الضبح صوت في الصدر

ضبح يضبح ضبحا فهو ضابح فاثرن به نقعا اى هيجن بالعدو بحوافرهن والنقع الغبار والنقع جماعة فوسطن من التوسط اى تحرف في الوسط وكنود وكفور وحصل اى اختبر بعثر اى حصلت اى اخبرت وقال نقبتهم والنقى والعاديات الخيل والضبح صوت حلوقها اذا عدت وقيل الضبح والضبح واحد في السير يقال ضبحت الناقة وضبعت فالموريات اوريت النار بحوافرها والارض الكنود التي لا تنبت شيئا وقال بعثرت اى قلبت فجعل اسفلها اعلاها وحصل ما في الصدور اى اختبر ما فيها من الخير والشر والبقين والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى القارعة ما القارعة قال القارعة عندهم هي الداهية الشديدة من الامور وهي في هذا الموضع وصف لشدة هول يوم القيمة وهو من الله تعالى تذكير لعباده وتعجيب لهم عما يكون في ذلك اليوم من الاحوال والافعال وسمى الله تعالى في كتابه ذلك اليوم بما يكون فيه من اختلاف الاحوال نحو قوله الحاقة والواقعة وما اشبه ذلك فكذلك قوله عز وجل القارعة تذكير لهم بما وصف من حال ذلك اليوم وشدته ليتفكروا في العواقب ويتدبروا ما يستقبلهم في الاخرة من العذاب فيمتنعوا بذلك عما نهاهم الله تعالى عنه ثم ان الله تعالى خلق في بني آدم نفسا يدرك بها الشهوات واللذات في الدنيا وعقلا يتذكر به عواقب الامور واخرها ويزيده ذلك تيقظا وتبصرا ثم العقل مرة يدعوها الى نفسه حتى يميل الى ما يدعوه في اخر ما اطمع في العاقبة والنفس مرة يدعو اليه فيصير هواه وميله فيما يتلذذ من الشهوات في دنياه و على ذلك تاويل قوله ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اى رحمه ويعصمه عن اختيار السوء او رحمة حتى جعل هواه فيما يوجبه العواقب من الجزاء والثواب فكذلك ذكر الله تعالى عباده بما يستقبلهم من الاحوال في ذلك اليوم ليعملوا عقولهم في افكارهم والتذكر عنه فيزدجروا عما زجرهم عنه او يتذكروا عما وعدهم من الجزاء في ذلك اليوم فيزدادوا بذلك حرصا في الخيرات وقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث المبثث اختلفوا في تاويله من وجوه ولكنه في الحاصل يرجع الى معنى واحد منهم من قال اى كالجراد والمنتشرين اذا دنا الطيران ومنهم من قال كالجراد الذي يموج بعضهم في بعض ومنهم من قال كالفراش المبثوث الذي يتهافت في النار فيحترق وكل ذلك يؤدي معنى الحيرة والاضطراب من هول ذلك اليوم واصل ذلك قوله تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فكان الله تعالى قال انهم يصيرون في الحيرة من هول ذلك اليوم وشدته كالطائر الذي لا يدري اين يطير والى اين يحيث واين ينزل وقوله عز وجل وتكون الجبال كالعهن المنفوش قال بعضهم كالصوف المصبوغ وقال بعضهم كالمندوف من الصوف فان كان على التاويل الاول فمعناه والله اعلم ان الجبال في ذلك اليوم تتلون الوانا من شدة ذلك اليوم تكون كالعهن الا ترى يقول وترى الجبال تحسبها جامدة ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فكذلك هذا على ذلك المعنى وان كان على التاويل الاخر فمعناه ان الجبال مع شدتها وصلابتها تصير في الرخاوة والضعف من هول ذلك اليوم كالصوف المندوف فكذلك اضعف احواله وقال قتادة شبههم بغنم الى داعيها اذا ذكر العهن عن الغنم وقوله عز وجل فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية اختلفوا في تاويل الميزان من وجوه ولكن اقربها عندنا وجهان احدهما ان يكون المراد من قوله ثقلت موازينه من حمله المومنين وقوله عز وجل واما من خفت موازينه حمله الكفار ويكون الوجه في ذلك ان المومن بما عظم حق الله تعالى واقام حدوده كان له ميزان وقيمة وخطر عند الله تعالى في ذلك اليوم والكافر لما ترك ذلك خف وزنه وقيمته وخطره وقد يطلق والله اعلم هذا الكلام على الجاه والمنزلة يقال لفلان عند فلان وزن وقيمة وليس عنده ذلك الوزن فكذلك هذا والوجه الثاني من وزن الشرائع التي لم يطلع الله تعالى ملائكته الذين يكتبون اعمال بني ادم ذلك ومعلوم ان ذلك انما يحصل من المومنين دون الكفرة وقد وصفنا مسئلة الميزان وبيناها فلذلك اختصرنا الكلام في ذا الموضع والله اعلم وقوله عز وجل فهو في عيشة راضية منهم من قال مرضية يرضى اهل الجنة بذلك العيشة فهي مرضية ومنهم من قال ذات رضا كقوله ماء دافق اى ذات اندفاق ومنهم من قال انه اضاف ايضا الى العيش لانه يرضى وقوله عز وجل فامه هاوية منهم من قال فامه هاوية منهم من قال سمي النار اما للكافر لانه اليها ياوى ومنهم من قال المراد من الام ام راسه اى يلقى في جهنم على ام راسه منكوسا وقوله عز وجل هاوية اى يهوي به بحيث لا يكون له ثبات والاقرار وقوله عز وجل نار حامية اى محمية ومنضجة ومنهم من قال نار حامية اى شديدة الحر والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر اى شغلكم التفاخر بالتكاثر ثم لم يقل عماذا شغلتم فيجوز ان يكون الهاكم اى شغلكم التكاثر عن توحيد الله تعالى او عن التفكر في حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن ذكر البعث

في قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر يحتمل وجهين احدهما ان يكون الغرض بالخطاب بهذه الاية اباءهم في
وسفلهم الذين تقدموا بالاخبار عن قبح صنيعهم واشتغالهم ثم بالسفه فيكون هذا مثله ايات اخر من نحو قوله
تعالى انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وغير ذلك فكان الله تعالى يخبرهم باباءهم وينهاهم عن
الاقتداء اباءهم لانهم تعاطوا افعالا لا يخرج عن الحكمة حتى ماتوا وذلك يقع من وجهين احدهما ان من انعم عليه نعمة فجحدها
ولم يؤد شكرها استوجبنا العفو والعقوبة يقول كيف باباءكم وانهم كفروا بنعمة الله وجحدوها بل الواجب عليكم
ان يتبعوا النبي الذي جاء بهدى فيما وجدتم عليه اباءكم والثاني ان يكون فيه علامة ودلالة للبعث ان اباءهم
لما فعلوا ما يستوجب به المقت والعقوبة وماتوا من غير ان تصيبهم ذلك في دنياهم ان لهم دارا اخرى يعاقبون
فيها بما فعلوا وان كان الخطاب انما انصرف فيه اخبارهم عن سفههم انه شغلهم التفاخر بالتكاثر حتى
جحدوا ايات رسول الله عليه السلام الا ان يكون فيه اخبار عن سفههم من وجه اخر وهو ان الافتخار كيف
وقع بالاموات غير مستقيمة او يكون فيه وجه ثالث انما تفاخروا بما لا صنيع لهم فيه انما فخروا بالاموال
والاولاد وذلك من لطف الله تعالى وجميل صنعه فيكون في هذا كله ذكرهم بما فيه من السفه والحرف
ثم التغيير بذكر هذه الاسباب انما وقع والله اعلم دون ما هم فيه من الكفر لان هذه الاسباب مما
يبتلى به المؤمن في بعض الاحوال فعرفهم الله تعالى بذلك ليكون فيه تذكر وموعظة للمؤمنين ولو خرج
ذكر الكفار في هذا لكان لا يجتنب المؤمن عسى من هذه الكفار وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا الهيكم التكاثر فكان قال يقول ابن ادم مالي مالي وما لك من مالك الا ما اكلت فافنيت [illegible] فهذا يدل
على ان الوعيد على الاطلاق من غير تصريح باهل الكفر لموعظة المسلمين والله اعلم وقوله عز وجل حتى زرتم المقابر
يحتمل حقيقة زيارة الموتى وذلك ما يذكرهم ان التكاثر ما ينفعهم اذا كان عاقبتهم هذا ويحتمل اي صرتم الى المقابر
بعد الموت فحينئذ تذكرون حق الله تعالى ثم لا ينفعكم والله اعلم وقوله عز وجل كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف
تعلمون قال بعضهم كلا بمعنى النفي والتعطيل وقال بعضهم معنى قوله كلا اي حقا فان كان على الاول فكانه قال
ليس كما حسبتم وتوهمتم وقدرتم عند انفسكم وتعلمون ذلك اذا نزل بكم العذاب وهو على الابتداء وان على
معنى حقا فكانه قال ستعلمون ام ليس كما قدرتم عند انفسكم وكل ذلك الى الوجوه التي وصفنا انكم ستعلمون
غدا حقا يقينا ان الذي الهاكم وشغلكم عن توحيد الله تعالى او التفكر في حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم او الايمان
بالبعث كان عبثا باطلا وانه كان من الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله ورسوله وتنظروا في حجج رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتؤمنوا بالبعث وفائدة التكرار بما جرى من العادة في تكرار الكلام عند الوعيد وعند الاياس
والرجاء نحو قولهم الويل الويل وقولهم بخ بخ وغير ذلك فكذلك هذا ومنهم من حمل كل لفظة من ذلك على
تاويل على حدة ان قوله عز وجل كلا سوف تعلمون عند الموت عند ما يرون العذاب ان الامر ليس كما حسبتم وتعلمون
في يوم البعث انه حق يقين وقوله عز وجل لو تعلمون علم اليقين يعني بهذا والله اعلم بتقال ما كانوا عليه من الظنون
والحسبان في هذه الدنيا الا ترى الى قوله تعالى ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا فاذا نزل بهم العذاب تحقق
عندهم وعلموا علما يقينا فقال بعضهم كلا سوف تعلمون حين نزل بكم الموت
ثم كلا سوف تعلمون في القبر وكذلك روي عن علي رضي الله عنه انه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه
السورة وجدنا وهوانهم كانوا عند انفسهم علماء وانهم على حق ولكن الله تعالى بين لهم ان علمهم كان
حسبانا الا ترى الى قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فيظهر لهم عند ذلك ان اليقين ما نزل بهم وان الذي
علموا لم يكن علم يقين بل كان شكا وحسبانا وقوله تعالى لترون الجحيم يحتمل وجهين احدهما ترونها عند الموت
والثاني اي ترونها بالتفكر والنظر في ايات الله وحججه في الدنيا وقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين له معنيان
احدهما عيانا ومشاهدة والثاني ان يكون رؤيتهم بعين اليقين ليس ما كان عندهم انهم لو فتح لهم بابا
من السماء وعرجوا اليها فقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون يقول الله تعالى ترتفع عنهم
الشبه عن ابصارهم فيرونها عين اليقين وقوله عز وجل ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ظاهر هذا يقتضي ان يكون
سؤالهم بعد ما دخلوا النار لانه قال ثم لتسئلن بعد ما وصف انهم يدخلون النار فبان انه في ذلك الوقت
فان كان على ذلك فهو في موضع التقرير عندهم انهم استوجبوا المقت والعقوبة لانه كان عندهم ان من انعم عليه
بنعمة فلم يشكرها استوجب المقت والعقوبة فان الله تعالى يسالهم في ذلك الوقت عن شكر ما انعم عليهم تقرير
وعندهم استيجاب العقوبة ويجوز هذا عند الحساب لانه قال يومئذ ولم يقل قبل ذلك او بعده بل قال على الاطلاق
فيحمل به واذا احتمل ذلك الوجه الى المؤمنين والكافرين وكان الوجه في سؤال المؤمنين تذكيرهم ان اعمالهم
لم يبلغ ما يستوفى بها شكر النعمة التي انعمها عليهم وليعلموا ان الله تعالى يتفضل عليهم ويتجاوز عنهم لا ان بلغت

حسناتهم فاستوجبوا رحمته بها بل بكرمه وفضله وان كان في الكافر فهو تقرير ما استوجبوا من نقمته حيث تركوا
بشكر نعمه ثم قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وان كان السؤال من الكفرة فانهم يسالون عما تركوا من الايمان
بالله تعالى وبما اتى اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من النعيم وان كان في المؤمنين فهو في ساير النعم من
الماكول والمشروب والملبوس ونحوها والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر خرج قوله والعصر مخرج القسم موضوع في الشاهد لتاكيد ما ظهر من الحق
الخفي والنفي شبهة اعترضت ودعوى ادعيت فكذلك في الغائب ثم الاصل بعد هذا انه ليس في جميع القران شيء
مما وقع عليه القسم الا اذا تامله المراد استقصى فيه المعنى الذي اوجبه القسم لولا القسم ثم اختلفوا في تاويل
قوله والعصر فمنهم من قال هو الدهر والزمان ومنهم من قال هو اخر النهار فذلك وقت يشتمل على طرفي
النهار وهو اخر النهار واول الليل فكانه اراد به الليل والنهار وقال ابو معاذ يقول العرب لا اكلمك العصر
ان يريدون الليل والنهار وفي مرور الليل والنهار مرور الدهور والازمنة لانهما ياتيان على الدهور
والازمنة وما فيهما فكان في ذكر الليل والنهار كل شيء والقسم بكل شيء اقسم بمنشئه لان كل شيء في ذلك
نظرت فيه ذلك على صانعه ومنشئه وقوله تعالى ان الانسان لفي خسر ان الدنيا وما فيها كانها خلقت و
انشات متمحنين كالخلق والثاني فيها عاد كما ذكره في غير اي من القران قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقال هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم اي ان الانسان لفي خسر من
تجارته ومبايعته الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية ولقايل ان يقول كيف استثنى اهل الربح من اهل
الخسران ولم يستثن اهل الخسر من اهل الربح فيقول ان الانسان لفي ربح الا الذين كفروا واستثناء هذه
الفرقة من تلك الاولى في العقول من تلك والجواب عن هذا ان هذه الاية انما نزلت بقرب من مبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم والقوم باجمعهم كانوا اهل كفر وخسار فلذلك وقع الاستثناء على ما ذكر ولان استثناء
القليل من الكثير هو المستحسن عند اهل اللغة وان كان القسم الثاني في حد الجواز والقران في اعلى طبقات
الكلام في الفصاحة ثم قوله عز وجل ان الانسان اسم جنس فكانه اراد جميع الناس الا ترى انه قال الا الذين
امنوا ولا يستثنى الجماعة من الفرد فكانه يقول على هذا ان الناس في احوالهم واختياراتهم في خسر الا من كانت
تجارته في تلك الحالة ما ذكر وقوله عز وجل وعملوا الصالحات يحتمل ان يكون تاويله الصالحات التي كانت معروفة
في الكفر والاسلام من حسن الاخلاق وغيره الا ترى انه قال كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر فعلى المعروف هو المعروف الذي هو معروف في الطبع والعقل والمنكر الذي ينكره العقل وينفر عنه الطبع
وان كان المراد منه الكفر فكانه قال ان الكافرين في هلاك وخسار الا من امن بالله تعالى ورسله وعمل صالحا
ثم في هذه السورة ذكر الذين امنوا وعملوا الصالحات وكذلك ذكر الصالحات في سورة التين وترك ذكر الصالحات
في سورة البلد فكان الله تعالى ذكر الصالحات في تلك السورة قد كان ذكرها قبل ذلك الا ترى الى قوله تعالى
او اطعام في يوم ذي مسغبة وغير ذلك وقوله عز وجل وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر الحق في الاصل كل
ما يحمد عليه فاعله والصبر هو الكف عن كل ما يذم عليه فاعله فكان التواصي بالحق تواصي بكل ما يحمد عليه
والتواصي بالصبر تواصي عن كل ما يذم عليه ظاهر قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
الاية ما يوجب ان من لم يجمع بين هذه الاشياء التي ذكرها لفي خسر فيكون ظاهره حجة للخوارج المعتزلة الا
ان الانفصال عن هذا والله اعلم ان الله تعالى وعد الجنة لمن جمع هذه الاشياء التي ذكر في هذه الاية وذكر
الايمان مفردا في اية اخرى ووعد عليه الجنة فلو خلوا وعن الجنة عن الايمان المفرد في تلك الاية من احد
وجهين اما ان يكون ذكر الايمان مفردا اراد به الاكتفاء عن ذكر الجملة فيكون في ذكر طرف منه ذكر الجملة
او يكون في ايجاب الجنة له على مفرد الايمان فالحال فيه موقوفة ولان الله تعالى اوجب الجنة ولم ينف
ايمانه عمن ينقص عن ذلك فالحال فيه موقوفة على دليله واذا كان كذلك لم يقطع القول على ايجاب
الجنة لمن اتى بالايمان مفردا على ايجاب النار فيكون السبيل فيه على الرجاء لانه لو لم يذكر كان يقع به الياس
واصل كل عبادة في الدين انما بنيت على الرجاء والخوف كذلك كان الامر على ما وصفنا او نقول بان الله
تعالى اوجب النار على من اتى بجميع السيئات ولم يكن فيه دليل على من اتى بالكفر وحده لا يستوجب به نارا
فكذلك الله سبحانه وتعالى وان اوجب الجنة لمن جمع بين هذه الاعمال فلا يدل على ان من اتى بالايمان وحده
لا يستوجب الجنة وعلى انه يجوز ان يكون استثناء كل من اتى بشيء من هذه الاعمال بالانفراد فيكون فيه

استثناء كل طائفة من ذلك على حدة كانه قال الا الذين عملوا الصالحات والا الذين تواصوا بالحق واذا كان كذلك
لا يكون حجة لهم وان اريد به الجمع يكون حجة عليهم للتعارض والاحتمال يوجب التوقف ويحتمل ان يراد به الاعتقاد
اي ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا من امن واعتقد هذه الاعمال الصالحة كقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم الاية والله اعلم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام واله اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ويل لكل همزة لمزة اختلفوا في معنى الهمزة واللمزة فقال بعضهم معناهما واحد وهو الدفع والطعن
وقال بعضهم الهمزة هو الذي يؤذي بعينه وغير ذلك وقال بعضهم الهمزة الذي يطعنه عند غيبته وهذا
انما يسمى به من يعتاد ذلك الفعل واهل اللغة وصفوا هذا المثال وهو فعل لمن يعتاد ذلك الفعل ويحترفه
قال اهل التاويل ان الاية في الكفار لكن بعضهم قالوا نزلت في اخنس بن شريق وقيل نزلت في الوليد بن
المغيرة وللقائل ان يقول ان الاية نزلت في الكفار وكذلك كثير من الاي من قوله تعالى ويل للمطففين
ونحوها ومعلوم انه وجد منهم هذا الفعل وعدمه استوجبوا ما ذكر من العقوبات واشد مع ان الذي
فيه من الكفر اقبح من هذين الفعلين فكيف وقع بعيرهم بذلك والجواب عن هذا وامثاله من نحو قوله تعالى
ويل للمطففين وقوله لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نكذب بيوم الدين فهم وان اقاموا الصلوة
واعطوا الزكوة لم يزل عنهم عقوبة النار والجواب عنه ان الايمان لم يحسن لاسمه ولا قبح الكفر نفس اسم الكفر
لانه ليس احد ممن يذهب مذهبا ويدين دينا الا وهو يكفر بشي ويؤمن بشي لان المسلم مؤمن بالله تعالى كافر
بالطاغوت والكافر يكفر بالرحمن ويؤمن بالطاغوت وبعيده فثبت ان الايمان ليس يحسن نفس اسم الايمان ولا
قبح الكفر لعين اسم الكفر ولكن الايمان بالله تعالى انما احسن يحسن من حيث اوجبت الحكمة الايمان به وقبح الكفر
لان الحكمة اوجبت ترك الكفر بالله تعالى فالايمان حسن لما فيه من المعنى والكفر قبيح لما فيه من معنى الكفر
فهذان الفعلان قبيحان في انفسهما لا بغيرهما فكان التعيير الذي يقع بهذين الفعلين اكثر وابلغ فيه
في تعييرهم بالكفر لذلك عيرهم تعالى بهذين الفعلين ووجه اخر ان هذا خرج مخرج الموعظة لامة محمد صلى الله
عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهمزه ويلمزه لما يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ولا يحمله ما كانوا يتعاطونه على ترك امرهم بالمعروف والنهي عن المنكر لما يخشى ان يستهزا به او يشنع والثالث
ان يكون هذا على وجه المكافات والانتقام لما كانوا يفعلون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الزجر والردع عن
ذلك اذ العقلاء يمتنعون عن الافعال القبيحة فعلى هذه الوجوه يحمل معنى تعييرهم وقوله عز وجل الذي جمع
مالا وعدده قرئ على التخفيف جمع من الجمع اي جمع ماله عنده ولم يفرقه وعدده وذكر على الدوام للتلو
بنقصه ومنعه بالبخل والشح ومن قرا بالتشديد فمعناه انه جمعه وادخره عمر الزمان لم يجمع ذلك في ايام قصيرة
والاصل جملة بالتخفيف لكن لما فيه من زيادة الجمع وقوله عز وجل يحسب ان ماله اخلده يتوجه وجهين
احدهما ان يكون على الحقيقة انه قدر عند نفسه انه يبقى لبقاء الاموال له لما يرى بقاه من حيث الظاهر
فتقرر عنده ان ما اتاه الله تعالى من الاموال هو رزقه فتعيش الى ان يستوفي جميع رزقه ويدخره لكن
يزيد في عمره والوجه الثاني ان يكون على الظن والحسبان كانه يقول جمع مالا وعدده جمع من يظن ان ماله
يزيد في عمره فان كان على التاويل الاول فقوله كلا رد عليه اي ليس كما قدره عند نفسه وان كان على
التاويل الثاني فعلى ايجاب عقوبته مبتداه وقيل عدده وقال الحسن عدد الى صنفه فجعل ماله اصنافا
وجعل انواعا من الابل والغنم والذود والبقر والعقار والمنقول وغيرها وقيل عدده استعده واعده
وهياه وقوله عز وجل لينبذن في الحطمة قيل باب من ابواب النار وقيل هي صفة النار والحطم هو الكسر
فكانه قال النار التي يعذب بها الكفر يكسر عظامهم ويحطمهم وقوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة
قيل النار تاتي على جلودهم وعروقهم ولحومهم وعظامهم حتى تاكلها وتكسر العظام فتطلع على افئدتهم فتجدد
يبدلون جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وقيل انما تحرق النار منهم كل شي سوى الفؤاد لان الفؤاد اذا
احترق لم يتالم بعد ذلك ولم يشعر بالعذاب والمراد من الاحراق الحاق الالم والضرر بهم وقوله عز وجل انها
عليهم مؤصدة في عمد ممددة قرئ عمد برفع العين والميم وقرئ بالنصب فيهما وذكر عن الفراء انه قال
العمد والعمد جماعات للعمود والعماد وقال بعضهم العمد جمع العمد نحو بقرة وبقر وقال الكلبي انها عليهم مؤصدة
في عمد اي النار عليهم مطبقة تقول طبقها بعمد ممددة في عمد من نار ممددة عليهم من فوقهم بالعمد كعمد اهل
الدنيا غير انها من نار ممددة عليهم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل اختلفوا في السبب الذي وقع القصد من اصحاب الفيل الى تهديم
البيت وتخريبه فمنهم من قال انهم اتخذوا بيتا في بلادهم وسموه كعبة لينتاب الناس اليه كما ينتابون الى
الكعبة فابى الناس الى اتيان ذلك البيت فغاظهم ذلك حتى قصدوا تهديم هذا البيت ومنهم من
قال ان العرب خربوا بيعة كانت لهم وخربوها فغاظهم ذلك حتى ارادوا تهديم هذا البيت جزاء لما فعلت
العرب بهم ومنهم من قال انهم كانوا ملوكا وفراعنة ومن عادتهم انهم يعادون من ضادهم في ملكهم وسلطانهم
واي ذلك كان فلا حاجة الى معرفته وانما حاجتنا الى تعريف المعنى الذي به انزلت السورة وبيت وتاويل
ذلك يخرج على وجه احدها ان الله تعالى ذكرهم نبا النعم التي انعمها عليهم في حرف من اراد اهلاكهم فانهم
قصدوا اساس اهل مكة وسبي نسائهم وذراريهم واحد اموالهم فذكرهم الله تعالى جميل صنعه بهم ليشكروا لهم
ويعبدوه حق عبادته ويزجروا عن عبادة غيره والوجه الثاني ان الله تعالى خوف اهل مكة ووجه ذلك ان الله
تعالى لما اهلك اصحاب الفيل بما ضيعوا حرمة بيته فلا يامن اهل مكة من اهلاك اياهم وتعذيبهم بما ضيعوا حق
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم من حرمة فلما نزل باولئك ما نزل
لما جاء منهم من تضييع حرمة بيته فلان تخشى عذابه ونقمته من تضييع حرمة رسوله اولى والوجه الثالث
ان الله تعالى بما اهلك اولئك لما اراهم من اياته فلم ينصرفوا لانه ذكر انهم كانوا اذا وجهوا الفيل نحو البيت امتنع
ووقف واذا وجهوا نحو ارضهم هرول وتسارع فلما راوا ذلك ولم ينصرفوا اهلكهم فلا يؤمن على اهل
مكة ايضا انهم لما راوا الايات المعجزة من الرسول صلى الله عليه وسلم على الاشارة انه لم يكن فلم يؤمنوا ان
يهلكهم الله سبحانه وتعالى وينتقم منهم بعقوبته فعلى تخرج معنى نزول السورة وقيل انه على البشارة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على الاشارة انه لم يكن للبيت ناصر في ذلك الوقت ولا معين بل كان وحده نصره
الله تعالى حتى لم يكن اعداؤه من هدمه فعلى ذلك ينصرك ويعينك ويهلك عدوك وان كنت انت و
حدك اذا كان وقت نزول هذه السورة لم يكن له كثير اعوان وقد فعل ذلك يوم بدر ثم قوله الم تر حرف
استعمل في تذكر اعجوبة قد كانت وعرفوها ثم غفلوا عنها او نسوا لم يكن فيتعجبهم بما فعل باعدائه ليحملهم على الزجر
والانتهاء عما حرم الله تعالى فكانه قال رايت ربك كيف فعل باصحاب الفيل ويجوز ان يكون الخطاب منه للنبي
عليه الصلوة والسلام والمراد غيره ويجوز ان يكون هذا خطابا لكل واحد منهم تسميتهم اصحاب الفيل ونسبة
الفيل اليهم يحتمل وجهين احدهما اي الذين صحبوا الفيل والثاني اصحاب الفيل اي ارباب الفيل كما يقال رب الدار
وصاحب الدار وقوله عز وجل الم يجعل كيدهم في تضليل اي ابطل ما قدره عند انفسهم من تخريب البيت وتهديمه
والتكيد ما ذكرنا بدينا وقوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات متفرقة جماعة جماعة وهكذا السنة
في الخروج المحاربة اعداء الله تعالى ان يخرجوا جماعة جماعة وقيل هي طير لم قبلها ولا بعدها مثلها لها رؤس كالسباع
وقيل الشبيهة برجال الهند وقوله تعالى ترميهم بحجارة من سجيل اختلفوا في السجيل قال بعضهم هو اسم موضع خلقت
حجارته تعذيب الفراعنة واهلاكهم وقال بعضهم فارسية معربة وهي سنك وكل وهو الاجر في التقدير وقال بعضهم
هذا عبارة عن شدة الحجارة وقوته وقوله عز وجل فجعلهم كعصف ماكول قالوا العصف هو دقاق الزرع او ورق
كل نابت وقوله عز وجل ماكول يخرج على وجهين يتوجه وجهين الى ما قد اكل والى ما لم يؤكل اذ ما كان معدا
للاكل فكانه قال جعلهم في الضعف والحقارة مع قوتهم وسلطانهم كعلف الدواب حتى لا يخاف منهم بعد ذلك
ابدا وان كان على الماكول فهو انه تعالى جعلهم كالماكول التي اكلتها الدود فيكون فيها ثقب والله تعالى اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف هذا يخرج على وجوه احدها ما قال الفراء من اللام لام
الاعتدال لان السورة صلة الم تر فقال فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش كانه يقول اهلكت اصحاب الفيل و
فعلت بهم ما فعلت لتاليف قريش بذلك المكان كالقوام الرحلتين اللتين جعلنا لهم في الشتاء والصيف والثاني
يحتمل ان يقول الزمت الخلق عبادة رب هذا البيت حتى الفوا ذلك البيت وحملوا ما يحتاج اليه قريش واهل ذلك
المكان من الطعام وما يتعيشون به لتالف قريش بعبارة رب ذلك البيت ما لولا ذلك لم يتهيا لهم
المقام بذلك المكان لانه لا زرع فيه ولا نبات ولا ما يتعيش به وهو كما قال ابراهيم عليه السلام بواد غير ذي
زرع وانما تعيشهم في ذلك المكان بما يحمل اليهم من الافاق والامكنة النائية كقوله اولم نمكن لهم حرما
امنا يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا من لدنا الاية وقال بعضهم افرت قريش ان يالفوا عبادة رب هذا البيت كما يالفهم

رحلة الشتاء والصيف تقول كما اطعمهم هاتين الرحلتين فاليعبدوا رب هذا البيت وقال بعضهم ان اهل مكة
كانوا يرحلون تجارا امنين في البلدان لا يخافون شيئا لحرمتهم لان الناس يحرمون لهم لمكان الحرم حتى لا يتعرض لشيء
ولا يؤذيهم احد حتى اذا كان الرجل منهم يصاب في حي من الاحياء يقال هذا حرمي فيخلى عنه وعن ماله تعظيما لذلك
المكان وهو ما قال وامنهم من خوف وقيل ان العرب كانت تغير بعضهم على بعض ويسبي بعضهم بعضا واهل مكة
كانوا امنين في حرم الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم فذكر عظيم نعمه عليهم ومنه
يعلم ذلك ان رحمته وحاصله ان الله تعالى لما كان من حكمته واراد ان جعل العرب تولي قريش وابقاءها الى الوقت
الذي اراد ان يبقي جعل لهم من الامن في ذلك المكان والارزاق الذي يحيا اليهم وما يتعيشون في ذلك ليبقوا
الى الوقت الذي بقاءهم اليه فيكون ما اراد على ما اراد فلما انشاء هذا العالم للبقاء الى الوقت الذي اراد
ان يبقوا فيها جعل لهم من الارزاق ما يبقون الى الوقت الذي اراد ليكون ما اراد فعلى ذلك الاول قال القتبي
الايلاف مصدر الفت خلافا كذلك الافا كما تقول الزمت الزاما وقال الكسائي الفت المكان والفته لغتان
وعن ابن عباس رضي الله عنه لايلاف قريش اي كنعمي قريش الافهم اي ضيعهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا
رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع السنين الذي اصابهم وامنهم من خوف العدو والله اعلم تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين اختلف في نزوله قال ابن عباس رضي الله عنهما هي مدنية وقال مقاتل و
مجاهد وجماعة هي مكية وجائز ان يكون اولها نزلت بمكة لان الذي ذكر انها نزلت في شانه كان مكيا وهو
العاص ابن وائل السهمي معا انهم هم الذين يكذبون بيوم الدين واخرها نزلت بمدينة لان في اخرها وصف المنافقين
وهو ما ذكر من المرايات في الصلوة ومنع ما ذكر ان كان نزولها في الكفرة فالجهة فيه والمعاغر الجهة والسبب
لو كانت نزلت في المنافقين ثم **وقوله** عز وجل ارايت حرف يستعمل في موضع السؤال والاستفهام ويجوز ان يكون
استعماله على وجه التقرير خلال المسائل ما يراد به اعلامه على سبيل ما روي في الخبر ارايت لو كان على ابيك
دين فقضيته اما قبل منك وكان ذلك في موضع التقرير فكذلك قوله ارايت معناه والله اعلم ان اعلم ان الذي
يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذي يكذب بالدين قال اهل التاويل جميعا يكذب بالدين اي
بالحساب والبعث وجائز ان يكون يكذب بالدين يظهر اي يكذب بالدين الذي اظهر لك ولا يحقق ان كان
في المنافقين لان اهل النفاق كانوا يكذبون ما يظهر من الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وان كان في اهل الكفر فهو على الرؤساء منهم فتكذيبهم بالدين هو ما كانوا يظهرون لاتباعهم من الجهد
والشرع يموهون بذلك على اتباعهم ليقع عندهم ان الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باطل فيكذبون
بالدين الذي يرونه من انفسهم ويظهرون بالتمويهات التي يموهون بها عليهم فكيف ما كان ان كانت نزلت
في المنافقين وفي اهل الكفر وفي الذي كذب بالحساب والبعث وبالذي ذكرنا انه يظهر خلاف ما يضمر ففيه
عظة وتنبيه للمؤمنين وزجر لهم عن مثل صنيعهم لانه نعت الذي كذب بالدين اذا كان المراد به الحساب او
والدين نفسه حيث قال فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين كانه قال الذي يكذب بالدين
هو الذي يدع اليتيم اي يظلم اليتيم وحقه يمنع ولا يحض على طعام المسكين يقول الله اعلم للمؤمنين لا
تظلموا اليتيم ولا تمنعوا حقه ولا تسيؤا صحبة اليتيم كما فعل من كذب بالدين وحضوا على طعام المسكين بخلاف
بخلهم واشباها انهم لليتيم والمساكين وسوء معاملتهم التي فعلوهم بعظ المؤمنين ويزجرهم عن ذلك وجائز
ان يكون قوله ولا يحض على طعام المسكين الا عندهم بان من اعطي المال ووسع عليه الدنيا انما اعطي ذلك
الكرامة له عند الله تعالى ومن ضيق عليه ومنع ذلك عنه لهوان له عنده وخفانه كقوله عز وجل فاما الانسان
اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن وقوله
انطعم من لو يشاء الله اطعمه لانهم يظنون ان الله تعالى منع من منع ذلك لهوان له عنده ومن وسع عليه لكرامة
وعزه فيقول كيف اكرم من اهانه الله تعالى فيحتمل ان يكون ما ذكر انه لا يحض لا طعام المسكين ويحتمل ان يكون
الذي حمله على ظلم اليتيم وتركه اطعامه تكذيبه بالبعث لانه ليس لليتيم من ينصره ويقوم بدفع من يقصده
ظلمه ويمنع حقه وكان لا يخاف عقوبة البعث اذ لا يؤمن به ثم يحتمل قوله ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع
اليتيم ولا يحض على طعام المسكين الاية ان يكون في الاعتقاد والروية ويحتمل ان يكون في حق العمل نفسه
فان كان في الاعتقاد والروية فاهل الاسلام لا يعتقدون وان كان في حق العمل فانهم ربما يفعلون ذلك
وحمله عندنا الاعتقاد اوجب واقرب لما وصفنا ان اليتيم لا ناصر له وليس لكافر خوف العاقبة عما لا يؤمن

بذلك وانما يمتنع المرء في الغالب من سوء الصحبة لهذين اما رغبة في جزاء الاخرة او خوف المكافات في الدنيا والمساكين
ليس لهم في الدنيا ما يكافئهم ويجازيهم وليس اليتيم ناصر ليخاف منه ولم يكن الكافر رغبة في ثواب الدنيا والاخرة
ولا خوف عن العقاب لعدم تصديقه بذلك ثم **وقوله** عز وجل ولا يحض على طعام المسكين هو النهاية في وصف
بالبخل لان الحث على الصدقة ان يرجيه ويطمعه في ثوابه فاذا لم يرج هو بنفسه فكيف يرجي غيره مع ان الحكمة
عند هؤلاء الكفرة من جوابي بنفسه نفعا فهو الحكيم ومن ضر نفسه فهو جائر غير حكيم وهو اذا منع الصدقة
نفع نفسه واذا اوى اليتيم خفه ضرها فلذلك لا يرغب فيها فهذا المعنى الذي وصفناه دعانا الى توجيه ما
الى الاعتقاد **وقوله** عز وجل فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ان كان هذا في اهل النفاق كذلك كانوا
لا يفعلون شيئا من الطاعات الا وكانوا عنها لاهين ساهين واذا فعلوا شيئا منها فعلوا مرايات كقوله تعالى
يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله ولا يأتون الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
تذكر كسلهم وبخلهم فعلى ذلك جائز ان يكون قوله فويل للمصلين الى اخر ما ذكر في المنافقين على ما ذكرنا
من نعتهم وجائز ان يكون في اهل الكفر كانوا يصلون كقوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
اخبر ان صلوتهم في الحقيقة ليست بصلوة مجاز ان يكون على صورة الحقيقة وقد ذكر انهم كانوا يصلون
مستقبلين نحو اصنامهم يرون الناس كثرة اجتهادهم في طاعتهم للاصنام حتى اذا راوهم من نائي عنهم ظن
انهم حق فيكون في ذلك صد عن اجابة الرسول ودفع وجوه القوم عنه فذلك قوله الا مكاء وتصدية و
يحتمل ان يكون كناية عن الخضوع والتذلل فيكون معناه ويل للذين لا يخضعون ولا يخشعون **وقوله** عز وجل
الذين هم عن صلوتهم ساهون يحتمل وجهين احدهما اي سهوا عن صلوتهم لانفسهم وصلوتهم التي هم لانفسهم هي
ان يكون الصلوة لله تعالى ويجعلونها له ولا يصلون بغير الله تعالى من الاصنام وغيرها لان من صلى لله تعالى رجع
يرجع منفعته في الحقيقة اليه لما تعلق بها من الجزاء الجميل فهم بالسهو عن تلك الصلوة وتركها يلحقون
الضرر بانفسهم وجعلوها للاصنام التي لا يضر ولا ينفع والثاني سهوتهم الصلوة حين اضاعوها
وهو ما ذكر من حرف ابن مسعود في قوله عز وجل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر سهم الصلوة فلم
يمنعهم عما ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا هم الذين يوخرون عن وقتها وقال مجاهد الساهي
الذي لا يبالي صلى ام لا الا ترى انه قال الذين هم يراؤن وقال الحسن هم المنافقون يوخرون عن وقتها
ويراؤن اذا صلوا وقال السعد التركة عن الوقت وقال ابو العالية الساهي هو الذي لا يدري على
انصرف او على وتر وروي عن سليمان انه قال الحمد لله حيث لم يقل في صلوتهم ساهون ولكنه قال
عن صلوتهم ساهون **وقوله** عز وجل ويمنعون الماعون قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الزكوة رواه ابن
الزبير وعكرمة ومجاهد عنه وروي عن علي رضي الله عنه هو الزكوة وعن ابن عباس رضي الله عنه
في رواية اخرى هو العارية وعن ابي عمر قال وهو الذي لا يعطي حقه وهو الزكوة وروي عن علي
وفي رواية الماعون منع القدر والدلو والفاس وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وكذا عن ابن
عباس وفي رواية اخرى وقال ابو عبيدة كل ما فيه منفعة فهو الماعون وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ما جاء اهلها بعد فان كان ذلك على الغوادي فالمعنى منها ذم البخل والشرة منع العرض وجائز
ان يكون الماعون كل معروف وكل ما يعان به في ذلك الزكوة وغيرها فيفيد ذكر بخلهم وشحهم
ومنع الحق من المستحق قال ابو عوسجة يدع اليتيم اي يضرب ويدفع في قفاه قال دع يدع دعا فهو
داع وقال القتبي يدع اليتيم اي يدفع وكذلك في قوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون
وقال ابو عوسجة لا يحض لا يحوض ولا يحث ساهون غافلون وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
لاهون ورايت بالكاف وكذلك في حرف ابي رضي الله عنه والله اعلم بالصواب تمت السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر هذا يخرج مخرج الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والانعام عليه
والافضال ليستأدي بذلك شكره والخضوع له ثم اختلفوا في الكوثر هو الخير الكثير ما اعطي من النبوة
والرسالة وما لا ينجوا احد من سخط الله تعالى الا به وهو الايمان والتصديق له وما صيره معروفا
ومذكورا في الملائكة وما قرن ذكره بذكره ورفع قدره ومنزلته في جميع الخلائق وغير ذلك من لا
وهو ما قال ورفعنا لك ذكرك وقال بعضهم نهر في الجنة وعلى ذلك جاءت الاخبار عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سئل عن الكوثر فقال نهر في الجنة لو قال ذلك من غير سؤال فان ثبت الاخبار فهو ذاك

كفينا عن ذكره وان لم يثبت الاخبار فالوجه الاول اقرب عندنا لانه ليس في اعطاء ما النهر تخصيص في
التشريف والعطية لان الله تعالى وعد لاشه ما هو اكثر من هذا لما روى في الاخبار عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان لاهل الجنة في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونحن نعلم
ان هذا في الانعام اكثر من النهر الذي وصف وقال بعضهم الكوثر شيء اعطاه الله تعالى رسوله لا يعلم
واصله انه شيء خاطب به رسوله وهو قد عرفه فلا يجب ان يتكلف معرفته وتفسيره لا ترى ان الخطاب
لحقه الضرر وان اصابه لم ينفع كثير نفع وقيل الكوثر هو حرف اخذ من الكتب المتقدمة وقوله
عز وجل فصل لربك وانحر اختلف فيه قال بعضهم حقيقة الصلوة هي الخضوع والخشوع والدعاء
امره بجميع ما يعبده في نفسه وامره ان ياتي بما تعبده من القرابين والذبائح والضحايا التي فيها نفاد
الطبائع حتى ان من الكفرة من يحرم الذبائح والنحر للاصنام التي فيها والطبائع بنفر عن ذلك فتعبده بالذي
فيه منافقة طبعه ونفاره عنه وجائز ان يكون لا على رأي الامر بالصلوة والنحر ولكن معناه انما
نعات ذلك فافعل فيه لان اولئك الكفرة كانوا يصلون للاصنام ويذبحون لها كقوله وما ذبح على النصب
اي النصب فامره ان يجعل ذلك لله تعالى وقال الحسن صل لربك صلوة العيد وانحر البدن بعدها وقال مجاهد
وعطا النضيع بجمع وانحر بمنى وقال بعضهم صل لربك حقيقة الصلوة وهي الصلوة المعروفة المفروضة
وهو العبادة على ما ذكر في الخبر وكذلك ما ذكر ان المصلي مناجي الرب تعالى وهو الله اعلم لانه ما من عبادة
الا وفيها شيء من اللذة وقضاء الشهوة النفس وما بينها من السير والركوب والاكل والشرب والكلام
والانتقال من موضع الى موضع وغير ذلك من الطاعات مما فيه شيء من اللذة للنفس وقضاء شهوتها وان
قل من الحج والزكوة والجهاد وغير ذلك ان الصلوة نفسها فان فيها قطع النفس عن جميع شهواتها و
ما فيها وعن جميع ما يتلذذ به من انواع اللذات وغير ذلك ما سمي موسى عليه السلام كليم الله ونجيه
لانه فارق قومه وجميع ما للنفس فيه لذة وراحة وفي جبلا ليس فيه احد وكلمه ربه في ذلك فسمي
نجي الله وعلى ذلك سمي المصلي مناجيا ربه وخص بذلك الاسم بما ذكرنا وقوله عز وجل وانحر هو ما ذكرنا من
نحر البدن الذي يوجبه للحل لما فيه من نفار النفس بالتالم الذي يحصل لغيره بفعل غيره فالتالم به بفعل
نفسه اكثر من التالم بفعل غيره وهو مجاهدة النفس وبغير ما امتحنه عليه الصلوة والسلام بتحمل المشقة
لوجهه تعالى مرة بالتبليغ الى الكفرة مع الخطر على نفسه ومرة بمجاهدة نفسه بالقيام بالليل ومرة
بانيا نحار في الطبع وهو ذبح البدن اذ الطبائع تنفر عن اراقة الدماء مع انه من اشفق الناس و
ارحمهم على خلقه فبلغ من حسن اجابته له وطاعة له ان ساق مائة بدنة نحر ستين منها بيده وولى عليا
رضي الله عنه نحر اربعين على ما ذكر في الخبر وروى ابو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فصل لربك
وانحر وضع اليمين على الشمال في الصلوة وكذا روى عن علي رضي الله عنه وعن عاصم الجحدري قال هو
وضع اليمين على الشمال في الصلوة ومن قول الثنوية انهم لا يرون ذبح شيء من الاشياء لما فيه من الالم و
الاذى وقولهم هذا ليس بصحيح لانا نعلم ان اقامة الروح بالذبح اهون على المذبوح من موته حتف انفه
فان جاز في الحكمة ان يزهق روحه بغير الذبح احق واصله ما ذكرنا ان هذه السورة نزلت في مخاطبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المقصود به من بين الناس وهو يعلم بالذي خاطبه به من الصلوة والنحر
والكوثر وغير ذلك فلا نتكلف نحن تفسيره ومخافة الكذب على الله تعالى سوى ان نذكر اقاويل اهل التاويل
وكذلك وقوله عز وجل ان شانئك هو الابتر ذكر اهل التاويل ان فلانا سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابتر فقيل ان الذي سماك ابتر هو الابتر لا يعرف حقيقة لانه لم يذكر ان احدا من اولاد الفراعنة واعدائه
الرسل عليهم السلام [illegible] او احدا من اوليائهم والمتقين وافتخر باولاد اولياء رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الناس [illegible] ان شانئك هو الابتر دونك ويقول اعدا
هم الذين يبتر ذكرهم [illegible] ما قلنا واصله ما ذكرنا انه خاطبه به رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد عرف ذلك [illegible] نزلت الاية والله ورسوله اعلم
قال ابو عوسجة الابتر [illegible] الابتر هو الذي لا ولد له [illegible] في قوله عز وجل
ان شانئك هو الابتر بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة عليهم والقهر لهم والنصرة عليهم والاظهار
دين الله تعالى في البلاد والافاق اذ اخبر ان الذي عاداه [illegible] هو المنقطع [illegible] والله المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل يا ايها الكافرون الى اخرها ذكر انها نزلت في منابذة المتمردين الذين علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون
ابدا ولا يرجعون عما هم عليه من عبادة الاوثان الى التوحيد والاسلام لانه لا كل كافر يكون على وصف انه لا
يعبد الله تعالى في وقت من الاوقات اذ قد يجوز ان يكون في وقت ثم يسلم في وقت اخر فدل ما ذكرنا انها نزلت
في المتمردين المعاندين الذين علم الله تعالى انهم يثبتون على الكفر ولا يؤمنون ابدا وكان كما اخبر ففيه دلالة اثبات الرسالة
اذ اخبر انهم لا يؤمنون فلم يؤمنوا وماتوا على الكفر وقوله عز وجل لا اعبد ما تعبدون انتم الان ولا انتم عابدون
اليوم ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم فيما بعد اليوم وقال بعضهم الاول فيما مضى من الوقت والثاني اخبار
عن الحال والاخر فيما بقي من الوقت ولكن لا يجيء ان يكون هكذا بل يجيء ان يكون قوله لا اعبد ما تعبدون
في حادث الوقت ولان قوله ما انما يستعمل في حادث الاوقات يقول الرجل لا افعل كذا يريد به حادث الوقت
وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد كذلك ايضا في حادث الاوقات واخبار عن الحال وقوله عز وجل ولا انا عابد
ما عبدتم انما هو اخبار عن الماضي من الاوقات كانه يقول لم اكن انا عابدا قط في وقت من الاوقات وهذا يدل
على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن عبد غير الله قط وفي هذه السورة وجهان من الدلالة احدهما ما ذكرنا
من اثبات الرسالة والثاني اخبار عن الاياس لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يرجع الى دينهم ابدا
وقطع رجائهم وطمعهم في ذلك وفيه ايضا ان من اشرك غيره في عبادة الله سبحانه وتعالى او عبد غيره دونه
على رجاء القربة الى الله تعالى فهو ليس بعابد لله تعالى ولا موحد له لان اولئك انما عبدوا الاصنام رجاء ان
تشفع لهم ورجاء ان يقربهم الى الله تعالى زلفى اخبر انها لا تقرب لهم زلفى وانهم ليسوا بموحدين ولا
عابدين لله تعالى قوله عز وجل لكم دينكم ولي دين يحتمل وجهان احدهما لكم جزاء دينكم الذي دنتم ولي جزاء
ديني الذي دنت والثاني على المنابذة والاياس لكم ما اخترتم من الدين ولي ما اخترت لا يعود واحد
منا الى دين الاخر وكان قبل ذلك يطمع كل فريق عود الفريق الاخر الى دينهم الذي هم عليه وقوله
قل يا ايها الكافرون ليس على الامر على ما ذكرنا في سورة الاخلاص والمعوذتين اذ لو كان على الامر فهو
يلزم ان يقول كل واحد منا لكل كافر ذلك فاذا لم يلزم دل انه ليس على الامر وفي حرف ابن مسعود رضي
الله عنه قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين وعنه انه قال من قرا
هذه السورة فقد اكثر واطنب وفي حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل اذا اتيت الى
فراشك فاقرا قل يا ايها الكافرون فانه براءة من الشرك واهل التاويل يقولون ان سبب نزول هذه ومنا
يا ما هم ان رهطا من قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك تعبد ما نعبد ونعبد انت ما نعبد نحن
فيكون امرنا امرا واحدا فنزلت هذه السورة قال ابو عوسجة السدين العادة تقول هذا ديني اي عادتي ثم المعنى
الذي وقع عليه التكرار لهذه الاحرف عندنا ان التكرار حرف جرى الاستعمال به في موضع المبالغة والتاكيد
لما قصد به من الكلام في اي كلام كان رجاء او وعيدا وغيره لقولهم بخ بخ والويل ويحها تحيتها وغير ذلك
كذلك في هذا الموضع لما وقع الاياس عن ايمانهم بالله تعالى بما علم النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي انهم
لا يؤمنون كرر هذا الكلام تاكيدا للاياس والمبالغة والله اعلم والحمد لله رب العالمين تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح قال عامة اهل التاويل ان قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح هو مكة والنصر الذي
نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل مكة قال ابو بكر الاصم هذا لا يحتمل لان فتح مكة كان بعد الهجرة بثمانِ
سنين ونزول هذه السورة كان بعد الهجرة بعشر سنين ولا يقال للذي مضى اذا جاء نصر الله والفتح ولكن اراد
سائر الفتوح التي فتحها له او كلام نحو هذا ولكن يحتمل ان يكون قوله اذا جاء نصر الله بمعنى اذ جاء وجائز ذلك
في اللغة وفي القران كثير اذا كان اذ فان كان على هذا فيستقيم حمله على مكة على ما قاله اولئك او يكون قوله
تعالى اذا جاء نصر الله اي قد جاء نصر الله ويكون اراد بما ذكر من النصر والفتح الفتوح التي كانت له من بعد
حين دخل الناس في دين الله افواجا على ما ذكرنا وقوله عز وجل نصر الله اي عون الله وخذلانه لاعدائه او ان يكون قوله
تعالى اذا جاء نصر الله والفتح هي فتوح الامور التي فتحها الله عز وجل عليه من تبليغ الرسالة التي من امر تبليغها
اليهم والقيام بالامور التي امره ان يقوم بها فتح تلك الامور عليه واتمها فان كان على هذا يصير فتوح تلك
الامور له تعيا له بالدلالة على ما قاله اهل التاويل انه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعيه وجهة الاستدلال
الوجوه التي ذكرنا وقوله عز وجل ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ذكر اهل التاويل انه كان قبل
ذلك يدخل واحد فلما كان فتح مكة جعلوا يدخلون دينه افواجا قبيلة قبيلة ويحتمل ما ذكرنا من الفتوح

بذنبهم

ل

افواجا

اي فتوح الامور التي ذكرنا على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهر
شهرا امامي وشهرا ورائي ثم في قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا الاية
نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه وقد ذكر في الاخبار انه نعي اليه نفسه بهذه السورة احدها
ما ذكرنا من جهة الاستدلال عرف انه قد دنا اجله حيث اتم ما امر به وفرغ منه من التبليغ والدعاء و
الثاني عرف ذلك اطلاعا من الله تعالى اطلعه عليه بعلامات جعلها له ففهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما لا يدركه احد منا ذلك والثالث لما كفي مؤنة القيام بالتبليغ بنفسه عرف بذلك حضور اجله
وهو نوع من الدلالة له ان القوم لما دخلوا في دين الله فوجا فوجا دل ذلك على ظهور الاسلام وكثرة اهله
فكانت الغلبة والنصر دليل الامن من الزوال عما هم عليه من الدين اذا نال الرسول وقوله عز وجل
فسبح بحمد ربك قال بعض اهل التاويل بامر ربك واصله ما ذكرنا فيما تقدم ان التسبيح هو التنزيه
والتنزيه عن جميع معاني الخلق والوصف بما يليق به قال نزهه وبرئه بالثناء وصفه بالصفات
العلى وسمه بالاسماء الحسنى التي علمك ربك ويحتمل ان يكون معنى قوله فسبح بحمد ربك اي قل سبحان
الله وبحمده على ما جاء في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه سبحان الله وبحمده واستغفر
الله واتوب اليه وهذا لان سبحان الله حرف جامع يجمع جميع ما يستحق من الثناء عليه والوصف له
بالعلو والعظمة والجلال والتنزيه عن جميع العيوب والافات وعن جميع معاني الخلق جعل لهم ذلك
لما عرف عن عجزهم وقلة شكر ما انعم عليهم واحدا بعد واحد وعلى ذلك يخرج قوله اللهم صل على محمد امرهم
ان يجعلوا الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما ولما لم يجعل في وسعهم القيام بما يستحقه امرهم ان يقولوا اللهم صل على محمد ليكون هو المتولي
ذلك بنفسه والله اعلم وقوله عز وجل واستغفره قال ابو بكر الاصم دل قوله عز وجل واستغفره على
انه كان منه تقصير وتفريط في امره حتى امره بالاستغفار عن ذلك لكن هذا كلام وحش لا يوصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقصير في شيء ولا بالتفريط في امر قط ولكن قد جعل الله تعالى على كل احد
من نعمه وفضله واحسانه في طرفة عين ولحظة بصر ما ليس في وسعه وطاقته القيام بشكر واحد
منها وان تلطف وان طال عمره فامره بالاستغفار لما يتوهم منه التقصير في اداء شكر نعمه عن القيام
بذلك او ان يكون لامته لا لنفسه فان قال قائل ما معنى امره بالاستغفار وقد ذكر انه غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر فالجواب عنه من وجهين احدهما انه يجوز ان يكون امر بالاستغفار لامته كقوله تعالى
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والثاني ان يكون الله تعالى وعد له المغفرة اذا لزم الاستغفار وداوم عليه
وقوله انه كان توابا اي كان لم يزل توابا ليس انه صار بامر اكتسبه واحدث على ما تقول المعتزلة انه صار توابا
ثم قوله توابا على التكثير ان يقبل توبته بعد توبته اي اذا تاب مرة ثم ارتكب الجرم وعصاه ثم تاب ثانيا وثالثا و
ان كثر فانه يقبل توبته والثاني توابا اي رجاعا يرجعهم ويردهم عن المعاصي الى ان يتوبوا اي هو الذي
يوفقهم على التوبة ثم قال توابا ولم يقل غفارا وحق مثله من الكلام ان يقال انه كان غفارا كما قال في اية
اخرى استغفروا ربكم انه كان غفارا ولكن المعنى فيه عندنا ان المراد من الاستغفار ليس قوله استغفر
الله ولكن ان يتوب اليه ويطلب منه المغفرة بالتوبة انه كان توابا ويجوز ان يكون فيه اضمار كانه قال و
استغفره وتب اليه انه كان توابا ويجوز بذكر الاستغفار في السؤال عن ذكره في الجواب واخرى بذكر
التوبة في الجواب عن ذكرها في السؤال ويجوز مثل هذا في الكلام ثم الدين اسم يقع على ما يدين به الا
حقا كان او باطلا وعلى ذلك اضاف النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يدين به الى نفسه وما لت به الكفرة
اليهم حيث قال لكم دينكم ولي دين واما اضافته الى الله تعالى حيث قال يدخلون في دين الله افواجا لانه
الدين الذي امرهم به ودعاهم اليه لذلك خرجت الاضافة والنسبة اليه والحمد لله رب العالمين تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت وخابت كذلك قال ابو عوسجة يقال تب يتب تبا وتبابا ثم ما
ذكر من قوله يدا ابي لهب يحتمل حقيقة اليد ويحتمل ان يكون ذكر اليد على الصلة فان كانت على ارادة حقيقة
اليد فهو يخرج على وجوه احدها ما ذكر انه كثيرا الاحسان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفاق عليه
والصنائع اليه وكان يقول ان كان الامر لمحمد يومئذ فيكون لي عنده يد وان كان لقريش فلي عندها يد
فاخبر الله تعالى انه خسر فيما طمع ورجا من اليد الذي له عنده والاحسان الذي احسن اليه اذ لم يصدقه

ولم يؤمن به وخسر ايضا ما ادعى من اليد له عند قريش والثاني يحتمل ان تكون من ابي لهب تخويف لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بالبطش والاخذ باليد فامن الله تعالى رسوله عما خوفه به حيث قال تبت يدا ابي
لهب اي خسرت يداه ولا يقدر على البطش والثالث يحتمل ان تكون اليد كناية عن القوة في نفسه وما له
في دفع العذاب عن نفسه وكذلك كانوا يدعون دفع العذاب عن انفسهم لقولهم نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين وذكر بعض اهل التاويل انه لما نزل قوله عز وجل وانذر عشيرتك الاقربين جمع عشايره الادنى
فالاقرب منهم وقال اني لا املك لكم من الله نفعا في الدنيا والاخرة الا ان تقولوا شهادة ان لا اله الا الله
واني رسول الله فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك يا محمد الهذا دعوتنا فنزل عند ذلك تبت يدا ابي لهب و
تب مجازاة له فهذا وان لم يكن في فعل في القصة استعمال اليدين فيجوز انه كان يصرف الناس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده او حين دعي الى الايمان بالله تعالى مد يده على التعجب عن ذلك وقال
الهذا دعوتنا فرد الله تعالى ذلك وعيره به وقد يجوز ان يظهر في الجواب معنى من السؤال الا ترى الى قوله تعالى
يسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض فعلم بذلك ان السؤال انما كان عن قربانهن
في المحيض فكذلك الاول وان كان ذلك ذكر اليد على الصلة فهو على وجهين احدهما ذكر اليد كناية
عن العمل والفعل لانه ذكر اليد لما باليد يقوم ويعمل كقوله تعالى بما قدمت ايديكم وما كسبت ايديكم و
ذلك على الكناية عما كان منه من الصنيع او خسرت اعماله وبطلت والثاني يذكر اليد على ارادة قدام وامام
كقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي امامه وخلفه فيكون معناه ما قدم من الاعمال
والله اعلم ثم تخصيص ابي لهب بالذكر من بين ساير الكفرة يحتمل وجوها احدها خصه بالاسم لانه كان من
الفراعنة والاكابر وهو المقصود به والفراعنة قد يذكرون باسمائهم لما هم المقصود دونه به وان كان من دونهم
يشاركون في ذلك كذكر فرعون وعاد وثمود وغيرهم والثاني كان شديد الهيبة والخوف فذكره باسمه وخصه به
ليعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يهابه ولا يخافه والله اعلم والثالث انه كثير الايادي والصنايع عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلو كان الخطاب يعم الكفرة لكان يظن بما سبق منه من الايادي انه غير داخل تحت الخطاب فخصه
بالذكر ليعلم انه لا يغنيه من الله تعالى شيء ثم ذكره بالكنية يخرج على وجوه احدها يحتمل ان يكون بالكنية عرف عند الناس
وبها كان معروفا دون اسمه فذكره بالذي كان معروفا به والثاني ما ذكر ان اسمه كان عبد العزى فلم
يرد ان ينسبه الى غيره وهو العزى فذكره بالكنية لهذا والثالث انه غيره باشياء وخوفه بمواعيد فلو ذكره باسمه
فلعله يصرف ذلك الخطاب والوعيد الذي كان له الى غيره ولا يشركه غيره في الاسم اذ كانوا يسمون اولادهم
وينسبونهم الى اصنامهم ولم يكن احد شركه في كنيته فلا يمكنه التحويل الى غيره وقيل ذكره بالكنية يخرج مخرج
الوعيد له اي يصير الى النار كالابن لها وذلك لان هذه الكنى ان يذكر في المتعارف على وجه التفال كما يقال
ابو منصور على رجاء ان يولد له ابن يسمى منصور ثم ان الله تعالى سمى النار في بعض الايات اما للكافر كقوله
فامه هاوية وفي بعضها مولى حيث قال مولاكم وبئس المصير فجاز ايضا ان تكون النار اذا قربت منه وانضمت الى
الجوف ان يصير في التمثيل كالولد ويصير هو بالحال تعالى ابا لهب على هذا الوجه من التاويل ووجه اخر وهو ان ذكر
الكنية وان كان يراد بها التعظيم فعند ذكر المواعيد والعقوبات يراد بها الاستحقاق والاهانة وهو على
ما ذكر في البشارة انها وان كانت تذكر عند ما يسر ويبهج في الاغلب فعند ذكر العقوبة نذارة كقوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم فعلى ذلك الكنية والله اعلم وقوله ما اغنى عنه ماله وما كسب هذا يخرج على وجهين احدهما اي لم
يغن ماله وقوته وما كسب من عذاب الله شيئا على ما يقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين والثاني
اي شيء اغنى ماله وما كسب ثم وقوله عز وجل وما كسب يحتمل الولد اي ما اغنى عنه ما جمع من ماله وما كسب من
الولد على ما ذكر في الخبر روى ابو الاسود عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل
الرجل من كسبه وولده من كسبه وقيل عن ابن عباس رضي الله عنهما اي اخذ الرجل من مال ولده قال يهب
لمن يشاء اناثا الاية فهو مما وهب الله لنا فهم واموالهم لنا والله اعلم ما اغنى عنه ما جمع من المال وما كسب
من العمل والانفاق الذي انفق على الطمع الذي ذكر اي لم يغنه شيئا او ما كسب من صد الناس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والدخول في دينه والاتباع له وسوء المقال الذي قال فيه وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنه تبت يدا ابي لهب قد تب ما اغنى عنه وما كسب وقوله عز وجل سيصلى نارا ذات لهب اي ذات التهاب وفيه
دلالة اثبات رسالته حيث اخبر انه سيصلى نارا ولا يصلى النار الا بعد ما يختم بالكفر ثم كان كما اخبر دل انه علم ذلك
بالله تعالى وفي هذه السورة دلالتان اخريان تدلان على نبوته احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قرا
هذه السورة عليهم بمكة حين لم يكن له ناصر في الدين وكانت المنعة والقوة للكفرة وكانوا جميعا اولياء ابي لهب

وانصارك عن اخراجهم ولا يحتمل ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم يقرا هذه السورة عليه وقد سب له ويعير
الى يوم القيمة مع قلة اوليائه وكثرة اعدائه اذ فيه خوف هلاكه لا برب العالمين وسعى اخوانه عليه الصلوة و
السلام كان موصوفا بحسن العشرة واجمال الصحبة مع الاجانب فما ظنك بالعشيرة والاقارب مع انه كان متنزها
عن الفحش في جميع اوقاته فما جاز له هذا الامر من الله تعالى فدل ذلك على نبوته ورسالته **وقوله** عز وجل وامراته
حمالة الحطب قال بعضهم اى كانت حمالة النميمة والحديث بين الناس فاوعدها الله تعالى لذلك في الاخرة
ما ذكر في جيدها حبل من مسد وهي السلسلة ومنه يقال دلو نحطب ما اعرى وقال بعضهم كانت حمالة
الحطب الذى فيه الشوك وتطرح في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فاوعدها الله تعالى
بما ذكر من حبل من مسد في الاخرة ومنهم من قال انها كانت كذلك في الدنيا كانت تحمل الحطب الى منزلها و
وكان في جيدها حبل من ليف فعيرها بذلك لانها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر والحاجة
وذكر انها كانت تمسك في عنقها جلوا من ليف شرا من زوجها وذلك مما لا يتحلى بها النساء وليس هو من
اسباب الزينة فاخبر الله تعالى عن سفهها وجهلها ليكون ذلك سبا وتعييرا مجازاة لما كانت تقول في
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قالت لابى بكر الصديق رضى الله عنه اما رضى محمد ان يهجوا عمه حتى
هجاني وقالت تحجى هجانى ربكم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل هو الله احد ذكر ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسبة الله تعالى وقيل عن صفته
وقيل عن الله تعالى ما هو فنزلت هذه السورة معلمة بجميع من يسال عنه جوابه ولذلك اثبت قل ليكون لمخاطب
كل مسؤل عن ذلك ان قل لا على تخصيص الرسول عليه السلام بهذا الامر اذ ليس في حق الايتمار بالامر اعادة
حرف الامر في الايتمار فتبين بذلك انه ليس على تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعليم بل هو بموافق
من سبق له الخناس تعليم الاجابة لهذا عند حضرة هذا السؤال كما سبقت منه الدعوة الى الله تعالى
تحقيقه ما يقتضى ما جرى به السؤال وكما اثبت كذلك بقراءة يداحق المخصوص بالامر ان يأتمر ولا
يحمل ذلك مثلوا كذلك في الوقت الذى يحتمل المامور الامر به والوقت الذى لا يحتمل ثبت ان ذلك
على ما شاء ودل قوله قل انه على امر سبق عنه السؤال فيكون في ذلك اجابة لما سبق عنه السؤال وكذلك
جميع ما في القرآن قل ما فيه احد امرين اما اجابة عن امر سبق عنه السؤال فينزل بحق تعريف كل مسؤل
عن مثله او يكون الله تعالى اذ علم انه عليه السلام او من يتبعه يسال عما يقتضى ذلك الجواب فانزل ما به
يبقى في اهل التاويل التوحيد منا منه وفضلا ثم لم يجب تحقيق الحرف الذى وقع عنه السؤال لمن
شهد وسمع وقد يتوجه ذلك الحرف الذى وقع عنه الى ما ذكر من الاسباب وغيرها وفي ما نزل
يصلح جواب ذلك كله ويليق به وان كنا لا نشهد على حقيقة ما كان انه اراد دون ذا ونجيب بذلك
لو سئلنا عما ذكرنا عن كل حرف يصح في العقل والحكمة الجواب بمثل ما تضمن هذه السورة **وقوله**
عز وجل هو اختلف في تاويله من الناس من قال هو اضافة الى الذى عنه كان او يكون السؤال المقتضى
ما جرى به اللسان من الجواب الذى يسالون عنه الله احد الله الصمد الى اخر السورة ومنهم من قال
هو اسم الله الاكبر يروى ذلك عن بعض اولاد على بن ابى طالب رضى الله عنهم انه كان يقول في دعائه
يا هو يا من لا هو الا هو يا من به كانت هوية كل هو وذلك يخرج على وجهين احدهما انه هو لذاته
وهوية كل من سواه لما هو يكون محتاجا للذات شيء والوجود الا هو سبحانه لم يزل ولا يزال هو ليس كمثله
شيء على ما اقتضى بيان وحدانية في هذه السورة وعلى ذلك قيل هو الاحد بذاته المتنزه احدية
كل الاحاد المتعالى عن كل معانى احدية من سواه والثانى ان يكون اضافة الى اسمه الذى لا يحتمل
اللسان وهو الذى لم يطلع عليه الخلق وهو الذى يراد في الدعاء باسمك الذى من سالك به
اعطيته ومن دعاك به اجبته فيكون السؤال ما يكنى عنه من الوجه الذى ذكرت لا ان يسعه اللسان
ويحتمل النطق التفوه به تعالى والتاويل الاول هو اقرب الى الافهام واحق ان يكون على ذكر من يقتضى
عنه السؤال ثم التفسير على ما جرى **وقوله** عز وجل الله اختلف في المعنى الذى جرى هذا في حق اهل
اللسان انه مما اشتق من امر عرفوه او لا عن امر عرفوه اذ في كل لسان بما اريد به عند المذكور بلسان اللغة
اسم يدعى به ويسمى وان تختلف وزن كل من ذلك على اختلاف الالسن ليعلم ان الاحرف والتقطيع
في التكلم انما هو ليفهم المقصود لا على توهم حقيقة الاسم بتلك الحروف والتقطيع وذلك كما يعبر

عن تكوينه الخلائق كن لا على تحقيق كاف ونون في التكوين فعلى ذلك جميع ما يسمى الله تعالى لا على تحقيق
الحروف الذى يجرى بها التسمية ثم لا يحتمل طوقه الا بها لكن على ما يقرب الى الافهام المراد في التفوه
وقال قوم الله هو المعبود في لسان العرب لا على الاستحقاق لكن على وضع ذلك كذلك ولاجله تسميتهم
كل من يعبدوه وكل شيء عبدوه الها وذلك بجميع ما سوى الاله الحق ممن عبد لا يحتمل شيئا من تلك المعانى
التى زعمه من ادعى الاشتقاق عنها من الاحتجاب او الالتجاء اليه ونحو ذلك فثبت انه اسم موضوع
للمعبود وعلى ذلك قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه اى معبوده ما يهوى به لان للهوى شيئا من ذلك
فيكون المعبود الحق هو الله تعالى لما له في كل شيء انه معبوده ذلك الشيء ودلالة الربوبية له عليه
سبحانه هو المعبود بذاته بمعنى المستحق بذاته العبادة من جميع خلقه والاستسلام له والخضوع
بما ذكرت من الموضوع في كل اية ذلك ولا قوة الا بالله وهذا تحقيق ما ذهبنا اليه انه خالق بذاته
رحمن رحيم بذاته موصوف به في الازل وان كان الذى وصل اليه اثر رحمته وفيه ظهور دلالة تدبيره
حدث بعد ان لم يكن على ما ثبت العبادة والاستحقاق كان ممن حدث وممن كان بعد ان لم يكن وهو
له لم يزل ولا يزال وعلى ذلك قوله عز وجل مالك يوم الدين ورب كل شيء وان كان من الاشياء
ما سيكون لانها كانت كائنة وكذلك يوم الدين فعلى ذلك امر خالق ونحو ذلك ومن هذا الوجه انكر
قوم ان يكون الاله اسم معبود في الحقيقة او اسم مشتق عن لسان اذ هو لم يزل الها ومن به العبادة وعنه
الاشتقاق حادث والاصل عندنا ما ذكرنا انه بجميع ما وصف به وصف بذاته اذ لا يحتمل التغير والاستحالة
ولا يمدح بمعنى مدح وانما مدح به لذاته لانه استحق من كل ذلك لوقت كون ذلك وعلى ذلك القول بالعالم
والقادر انه كذلك وان كان الذى علمه ممن سواه وكل مقدور عليه حادث بعد ان لم يكن ولا قوة الا بالله
وقال المتفلسفة اسمه الاكبر لانه يبتدئ به في كل موضع ثم اختلف في معنى الاشتقاق فمنهم من يقول اصله
الله من اله الرجل الى اخر اذا لجا اليه واستجار فاله بمعنى اجاره وامنه فسمى الها على وزن الفعال كما سمى
اماما لما يؤتم به وتخفيفا ادخال الالف واللام ثم لين وحذف الهمزة كما هو لغة قريش ثم ادغم احدى اللامين
في الاخرى فشدد فصار الله وعلى ذلك تاويل الصمد ان يصمد اليه في الحوائج ويستغاث به ويلتجى اليه
وقيل ان اشتقاقه من وله يله ولها اذا فزع اليه فسمى به لانه المفزع اليه وهو قريب من الاول
ولكن حق ذلك في الاسم ان يكون ولاه فابدل الواو الفا كما يقال في وكاف اكاف وكذلك اهل
الحجاز يجعلون الواو الفا قال الشاعر فبلت الها يكى على عجل وقيل سمى به لانه اله كل شيء اى ذلله وعبده
يا له له اى عبده قال قائلهم وله الملك واحد متفردا ساد الملوك بعزه ومجدا وقال اخرون سمى به
لاستتاره ومنه يقال لهت فلو يرى وقال الشاعر لاه ربى عن الخلائق طرا خالق الخلق لا يرى ويرانا
وقيل سمى به لتحير القلوب عن التفكر في عظمته كقوله الا هى الشيء حتى لهت ومنه مفازة مليهة
يعنى العقل يحار عند النظر الى عظمته ومنه اله يا له فهو اله وقال الشاعر وبهمائية ما له العين وسطها
مخفة الاعلام ببيد ضربها سملق قال رضى الله عنه والاصل عندنا الاغناء عن هذا لما ان الحاجة الى
تعرف الاشتقاق والوضع لتعرف محل الامر وموضع الحكم ومن جميع ما اشتقوا به الاسم يحتمل تسمية لعين
كل ذلك وتحقيق الاضافة الى ذلك وتسمية الهاء واضافة ما تعرف الحقيقة لا يحتمل غيره سبحانه و
تعالى ولا يجوز التسمية به ثبت الغناء في معرفته عن جميع الوجوه التى اريد الاستخراج اذ هى طريق يوصل
بهم الى العلم بالمقصود والوقوف على المراد وقد عرف دون الذى ذكروا والله اعلم والاصل عندنا
ان الله سبحانه وتعالى بلطفه منع الخلق عن تسمية احد الها الا من جهة احوال يعترض فسموا به على معنى
جعل الاسم الذى جرت التسمية به حقيقة له فسموا ظنا منهم ان بذلك التوسل والتقرب لا ان به وبالشيء
من ذلك حقيقة ذلك بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وقالوا والله ما امرنا بها ليعلم انهم عرفوا الله بما دعوا لانفسهم في ذلك معانى يردهم الى الله سبحانه وتعالى
تذكروا المجاز من احد لسانين والله اعلم اما لسان الرسل في ذكر الله في امور تقربهم الى الله تعالى لقوله فردوه
الى الله والرسول وقال ان تنصروا الله ينصركم وقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون وصف مبايعة العبد ونصره
ان نصر دينه نصر الله ومبايعه بما توجب ذلك اليه فعلى ذلك تسميتهم من عبدوها لانهم راوا الحق في الحقيقة
وعند لسن الفلاسفة ان ليس لله اسم ذاتى وانما هو سمى بذكر كل ذى شرف ومنزلة عنده فعلى ذلك اذ كل
من يعبدون عندهم ما ذكرنا من القول عنهم فسموا به لا ان حققوا كما ذكروا حقيقة ذلك الاسم الى من ترجوه
انه المعبود وامرهم في ذلك وذلك من لطف الله تعالى فيما يمنعهم عليه كتسمية الخالق والرحمن انهم لا يسمون

احدابهما وان كثرت افعاله وعظمت رحمته في الخلق ليعلم انهما اسماء الله تعالى اسع الخلق عن التسمي بهما باللطف
من حيث لا يعرف سببه ثم قوله عز وجل قل هو الله احد اي الامر هو الله احد كما تقول انه قائم جواب من يسالك بالامر
والشان فان قمت هاهنا فتقول الامر زيد قائم اي قمت لاجله الى هذا يذهب الزجاج فكانه تذهب الى
لما قال قل هو الله احد فقيل له ما الامر والشان فقال الامر الله احد اي ليعرفوا انه كذلك قوله عز وجل احد يرجع
الى واحد ثم واحد اسم ينفي المثل في الاضافة كما يقال هو واحد الزمان و واحد الخلق على نفي التشبيه له عما
اضيف اليه ويكون واحد من حيث العدد بما عن مثله يبتدئ الحساب ولا يبتدا من احد فيصير احد من ذا الوجه
وان كان الله تعالى باي حرفين ذكر فضد ذلك وهو الواحد الذي يستحيل ان يكون وحدانيته من وجه يحتمل ثانيا
ومن وجه تعديل هو الواحد لا له الخلق المتعالي عن معنى الاعداد والانداد وهو على ما ذكر الحكيم في الاحاد انه
اربع واحد هو كل لا يحتمل التضعيف لاحاطته كونه وراء الكل و واحد هو الاقل وهو الذي لا يحتمل التضعيف و
التجزي لانه اقل الاشياء واذا تنصف يكون نصفا لنصف اقل منه و واحد هو اوسط وهو الذي يحتمل التنصيف
جميعا والرابع هو الذي تام به الاحاد وهو لا هو اخفى من هو الذي اخرس عنه اللسان وانقطع دونه البيان
والخرت عنه الاوهام وحارت فيه الافهام فذلك الله رب العالمين والاصل في ذلك انه لا سبيل الى العبادة عنه
بغير هذا اللسان ولا وجه للتقريب الى الافهام بهذا اللسان الا بما جرى به الاعتياد وظهرت به المعارف فلما ذكر
من الضرورة جعل التوحيد في الحقيقه بالادلة والبراهين في ضمن التسمية في عبادة اللسان وحقه مما الخرت من
الضرورات لاحوال في ارادة التقريب الى الافهام الى عبارات اللسان الموشح على الاعتياد في اظهار المعارف فعلى
ذلك القول بواحد وباحد لا على احديته غيره من جهة التوسط او من جهة القلة او من جهة الكثرة معا كل من هو في
معنى واحد فهو واحد الاحاد المجتمعة الا الواحد الذي يقال الجزء لا يتجزى وهو من يتجزى في الجملة متجزي عن توهم ذلك
الجزء غير متجزي في الوهم وهو الاقل منه وهو جزء في الحقيقة والله تعالى في الوصف بالكل والبعض والقليل
والكثير والواحد مما له حق الاحاطة واصل او رتبة القليل والكثير من سواه بل هو الذي جميع ما وصف به
هو الذي خلق جميع ما وصف وجعل لكل من ذلك مقابلا بما ذكر ليصير كل من ذلك ذوجا فيكون الوحدانية
الحق له ولا اله الا الله وقوله عز وجل الله الصمد فذكر انه احد وذكر انه الصمد في تحقيق ما وصف من الاحدية
وهو والله اعلم ان يخرج جميع من سواه حتى تحقق قصد جميع من سواه بالحاجات اليه بالكون في الخلقة وفي
الصلاح بعد الكون وفي الذي به الدوام بعد الوجود بعد العدم ما احتمل الوجود دونه ولا البقاء الا به لما
الحاجات لكل ليكون له الغناء عن الكل في الوجود والبقاء ليتحقق انه الموجود بذاته والمتعالي عن معنى وجود
غيره سبحانه وهو على ما ذكر من عجز الالسن عن البيان عنه بالعبادة الاعلى التقريب الى الافهام بالمعقول من اثار
هويته في جميع الانام ثم قيل في الصمد بوجوه يرجع جميع ذلك الى ما بينا احدها السيد الذي قد انتهى سؤدده
ومعنى ذلك في المفهوم من السؤدد في صرف الحوائج اليه ورجاء كل المحتاج له والثاني في ان لا جوف له وذلك
في وصف الوحدانية والتعالي عن معنى احد يترغد من اجتماع اجزاء ممكن فيها الروح والنقب التي كالاجواف وفي
ما فسر قوم بالذي هو في ظاهر العبادة يخرج الكتاب وهو الذي ذكر على اثره وهو قوله تعالى لم يلد لان كل ذي
ذو جوف عنه يتولد الاولاد ويكون في ذلك احالة قول من نسب اليه الولد فيقول كيف يكون له ولد
وقد تعلمون انه ليس بذي جوف كما قال بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة في قوم
نزهوه عن الصاحبة وهم لم يشهدوا الولادة الا بها كما لم يشهدوا الولادة الا عن ذي جوف فيكون في هذا
نقض قول هذا الذي قيل فيه بالولاء بما نزهوه عن الجوف كما في الاولى بما نزهوه وعن الصاحبة وقيل بالذي
لا اجواف من الحاجات ترجع الى التاويل الاول ان المقصود اليه بالحوائج وظن قوم انه اذا نفى عنه الجوف ثبت
انه مصمت وذلك معنى اجتماع الاجزاء متداخل فيتكاثر كثرة الجوف هو اجتماع اجزاء تتفق فاذا تحقق التنزيه
عن احد الوجهين تحقق التنزيه عن الوجه الاخر في الوجهين معنى الوحدانية وتحقيق ازدواج الاجساد ومعاند
ينفي عن اسماء امور لا تحقق لها المقابلة كما ينفي عن الاعراض السمع والبصر والعلم لا على اثبات معانيها
على ان الاعراض لا تحتمل الاعراضات فعلى ذلك العلم بوحدانية الله تعالى والتنزيه عن احتمال الازدواج ثم
تحقق القول الذي ذكرت وقد قيل في الصمد انه الدائم وذلك ايضا يرجع الى ما ذكرت انه لا يحتمل التغير و ثم
الاستحالة واصابة الحاجة وهو المقصود اليه بالحوائج وقد قال قائل في التاويل الاول لقد بكر الناعي بخير
بني اسد بعمرو بن مسعود بالسيد الصمد ويقال صمدت الى فلان اي قصدت اليه وهذا يوضح معنى الصمد
مصمدا اليه في الحوائج وتوقع في ذلك ان الصمد تاويله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد قال الشيخ ابو منصور
رضي الله عنه الاصل انه تعالى اعظم القول بالولاد ما عظم بجعل الشركاء وذلك ان معنى الولاد ان يكون

من له ولد فيكون بذلك شريكا وذلك ينفي التوحيد فعلى ذلك القول بالولاد ولذلك اعظم القول به والزم
على من عرفه بالادلة القول بنزاهته عن الولاد كما يثبت الاشتراك من الوجه الذي بينا وقد شهد العالم
بكليته بحق الخلقة على الله تعالى بنزاهته عن الشركاء والاشياء جميعا فيبطل القول بالذي ذكرنا مما كان جميع
المخلوق على الاشارة الى منه يحتمل الازدواج ومنه يكون التوالد والله تعالى عن ذلك وبعد فان كلام العالم
على الاشارة الى احاد متولد عن غيره ويتولد منه غيرها امران راجعان الى ما عليه حق هذا العالم وعليه صنعهم
وقد ثبت تعاليه عن جميع معاني غيره اذ كل غيره بجميع معانيه حدث بعد ان لم يكن اتى عليه تدبير غيره وجرى
عليه تقدير سلطان غيره والله تعالى لو كان يتوهم شيء من ذلك فيه ليسقط له الالوهية وتحقق له الحاجة
الى غيره ويوجب جرى به سلطان غيره عليه وذلك يوجب غيرا خارجا هذه المعاني حتى تسلم الادلة له على
حد الموضوع ويصفوا له الشهادة على ما قامت وانطقت بالخلقة وعاينه من الحكمة ولا قوة الا بالله وعلى ذلك
ختم السورة ان ليس له احد كفوا لانه من ذلك يوجب المماثلة وفي المماثلة اشتراك وقد ثبت فساد العالم بتوهم
الاشتراك في تدبيره وقد لزم التعالي عن المعاني التي للازدواج بها يقوم التدبير ويجري سلطان التقدير و
جائز ان يكون يخرج السورة في تحقيق نعت من تدعى نوعه باحدى خصال ثلاث اما بالتلقين عن كل الى ان ينتهي
ذلك الى علام الغيوب فسمعوهم بذلك وانشاءهم على ذلك حتى ايقن من جحد ذلك انه بعد تلقين متوارث ظاهر
لا يحتمل مثله الخطاء في حق توارث الامور مما يبطل المعارف كلها باسرها اذ نشئوا وبها تعاملوا وذلك كان في
علوم الخلق وكالشيء المطبوع الذي لا يستطاع جحوده الا بما به لعل الطباع المخلوقة على جهة الرياضة وانواع الحيل
واما بالتاويل فيها في كل جزء من اجزاء العالم من الادلة عليه والشهادة له فيبين بالايمان الذين عرفوه بالوجوه
الوجوه التي ذكرنا نعته كذا ليقطع به توهم المثل له اذ العدد في امر ليس فيه ان القول بغير خارج من الوجوه
التي ذكرنا وانه يرجع الى ضرب التلقين ليس له حق الطباع ولا حق التلقين الذي له صفة الكافية والكلية
في التلقين ولا في حق شهادة الكل بالخلقة تدرك بالتامل والتفكر فيمتنع عن ذلك ويرجع الى حقيقة ما
جرى النعت دون غيره ومما اتفقوا فيه يرجع الى التلقين من دون تلبيس بلا حجة لذلك لا يضاف شيا مما ذكرت
حتى في كل ذلك جميع ما في غير ذلك من شهادة الخلقة والحاجة منها الى غيره من الايجاد والابقاء وهو
الاحد بما لا دليل لغيره بل في ذلك احالة الالوهية من كل الوجوه الثلثة وهو الصمد بمعنى المصمود اليه
في الحوائج الثالث لقضائها وهو الذي لم يلد ولم يولد وهو المتعالي عن احتمال الولاد فيه ومنه بما ذكرت
من فساد الالوهية الثابت بما ذكر من الوجوه وقوله عز وجل ولم يكن له كفوا احد لما في كل احد سواه الوجوه
التي منها يعرف سلطان غيره عليه وانه دليل لمن ذل له كل شيء على السواء ولا قوة الا بالله ومنه الاستهداء
ولما ذكرت سميت بهذه التسمية سورة الاخلاص انها في اخلاص التوحيد لله ونفي الاشباه والشركاء
في الالهية والربوبية وان كل شيء سواه مربوبه ومملوك له ولا قوة الا بالله والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل اعوذ برب الفلق قال الفقيه رحمه الله الامر بالتعوذ به يحتمل وجوها ثلاثة احدها على التعليم
الى النازلة كانت في ذلك الوقت لكن ما علم الله تعالى من عظيم شر من ذكر بما يفعل بالاغتياب شرها ذكر ليتصل بالذي
ذكر في علم الله تعالى فامرهم بالتعوذ به كما اخبر في امر الشيطان انه عدو لهم وانه يراهم من حيث لا يرونه ليكونوا ابدا معدين
متيقظين ويفزعوا الى الله تعالى معتصمين وهذا الحق في التعليم من الذي ذكر في سورة الناس لانه اضر من ذلك العدو
ولا ان ضرره انما يتصل به بانيا ثم ما دعاه الشيطان وما يوسوس في صدوره الوسواس وذلك فعله تمكنه الانس
عنه وهذا الضرر يقع بفعل غيره من وجه لا يعلم ما تاه اعني شر النفاثات ونحو ذلك فهو الحق في تعليم العباد فيه
والامر بالفزع الى من بلطفه جعل دفع الفعل ممن ذكرنا مما لا مؤثرا والثاني ما قيل ان جبريل عليه السلام اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن يكيدك فتعوذ باعوذ برب الفلق وبرب الناس من شره اذا اوى
الى الفراش والثالث قيل ان واحدا من اليهود سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل هذا فان يوكل الاصم ذكر
في هذه حديثا ما لا يجوز ذكره قال الفقيه رحمه الله عليه ولكن عندنا فيما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سحر وجهان في اثبات رسالته ونبوته احدهما ما علمه بالوحي انه سحر وذلك فعل فعلوه سرا منه ولا وقوف له
على الغيب الا بالوحي والثاني بما ابطل عمل السحر بتلاوة القران فيصير تلاوته في ابطال عمل السحر كالعصا موسى
عليه السلام وان حل في كونه ابلغ لعظم ما فعل موسى عليه السلام لان ذلك نوع ماله الفعل والعمل من حيث
الجوهر والطبع من حيث مرأى العين فانه ثعبانا تلقف ما صنعوا ما ابطال السحر وعمله بتلاوة القران لا يكون

الا باللطف من الله تعالى والله اعلم ثم الاصل في هذا عندنا قد ثبت الامر بالتعوذ بقوله قل اعوذ برب الفلق
وقد بينا حق الاشتراك فيمن يتضمن هذا الامر ان كان على تأويله في واحد وعلى ابتداء التعليم فهو امر فيه دلالة
الفرج والمخرج من الامور الضارة بما يعتصم فيها بالله تعالى مما عنده من اللطائف مجازا تمكينه من امور ضارة
باللطف من حيث لا يعلم البشر ما تأتاه ونعمل الذي يعمل به لا يعلم حقيقة ذلك العمل الذي جعل الله لذلك العمل
الا بما يسبق من وقوع ذلك وقد يجوز الامر والنهي باشياء ادعيتها من الافعال المكان ما يتولد عنها من المنافع
والمضار باللطف من الاصل في حقيقة ذلك للخلق واعماد ان لطف من الله تعالى نحو ما نهى عن كل الاشياء او امر بها
الاعتداء او القتل من غير ان نعلم حقيقة وصول ذلك الى ما تعدوا ونقتل واي حكمة في ذلك ومعنى له وكذلك
الموضوع من المناكح يطلب الولد وسقي الاشجار والزرع مما احدث الله فيها وان كان وجد العمل بالمامور به و
المنهي عنه وحقيقته لغير الذي له ذلك وعلى ذلك الامر بالاستماع والنظر لما يلقى اليه ويراه وان لم يكن حقيقة
لا دراك فعله وعلى ذلك التقدير جائز ان يكون الله تعالى يجعل النفث بالعزائم او بانواع السحر وبانواع الرقى
عملا لا في المقصود بها من النفع والضر لا يعلم حقيقة الوقوع والمعنى الموضع فيه له من منه ذلك الفعل
وهو مامور وعنه منهي بما له من حقيقة الفعل وان لم يكن النافع به في حقيقة فعله ثم وقوله عز وجل
الفلق اختلفوا فيه قال بعضهم الصبح وقيل كل شيء ينفلق من جميع ما خلق نحو الارحام لتبترف ما فيها و
الحب والنوى والهوام وكل شيء فمن ذهب الى تخصيص الصبح فهو لانه اخر الليل واول النهار وقد جرى
تدبير الله تعالى في انشاء هذين الوقتين على جميع العالم بحيث لا يملك احد الامتناع عن حكمها فيما جعل لهما
وهما النهاية في العلم بعلم الله تعالى الغيبا تجري من تدبيره في اخر الاوقات في الليل والنهار على حد واحد
وقل عام بما فيهما من الرحمة للخلق وانواع المحنة ومن عليهما بما باتيان الخلق وبذهابان فكانما ذكر جميع الخلق
على ما ذكر في تأويل قوله تعالى رب الناس فيكون فيه لو قصد بالذكر ما في الكل ذلك ولا قوة الا بالله وقوله
عز وجل من شر ما خلق له وجهان احدهما من شر خلقه لما اضاف الى فعله كما يقال من شر فعل فلان تا عمن
شر بفعله ويحتمل من شر يكون من خلقه لكن الاضافة اليه بما هو خالق كل شيء من فعل خلقه ومن خلقه مما
الفعل ولا فعل والاول كان اقرب لما ذكر في بقية السورة الواقع بخلقه المكتسب من جهتهم واضيف
اليه لما بينا ولان كل شر اكتسبه الخلق فذلك منسوب الى الله تعالى خلقا وهو فعل المكتسب وكسبه فمتى
كان المراد من قوله تعالى من شر ما خلق هذا النوع فكان ذكر ما بعده يكون تكريرا وانما حمل الاول على محض
التحقيق مما لا صنع للخلق فيه من الشرور وكان ذكر ما لهم صنع فيه وانه كان يخلق الله تعالى عز وجل لا يكون
تكريرا فيكون هذا التأويل احق مما قد بينا انه يمنع في فعل غيره بلطفه والايجاز وفي الايجاز لا يحتمل التعوذ
من شر لا يقدر على فعل يتصل به الشر وفي ذلك اثبات التمكين لما يقع به الشر فيجوز التعوذ من الذي
منه اذ به يكون من غيره على ما بينا من جواز الامر والنهي عن افعال لمكان ما يقع بها وان لم يكن الواقع
في الحقيقة لهم فعلى ذلك التعوذ من شر خلقه وهو التمكين والمستعان وفي هذا التعلق بعض من
بالقوة يسبق الفعل انه لو لم يكن له قوة على الشر كيف كان يتعوذ من شر من لا يقوى عليه والجواب
من وجهين احدهما ان التعوذ يكون مما سيفعل بما يملك هو ما يقع لو به الفعل وهو الالات السليمة
والقدر يحدث تباعا على حدوث الافعال ويحدث لما يختار هو فصارت القدرة في كونها لاختياره
تكون ما يختار من الفعل بالاختيار بحدوث القدرة حالة الفعل فيتعوذ منه لعلمه ان الذي به كان
في يده والثاني ان قد جرت العادة بالعلم بما يقع في المتعارف كالعلم بما هو واقع في الرغبة والرهبة
الا ترى انه يتعوذ من ظلم الجبابرة والظلمة على ما يأتيهم من بعد الامكنة وطول المدة ولامكان الوصول
بما اعتقدناهم بلوغ امثال ذلك وان كانت القدرة على الظلم في حقه للحال معدومة لا يبقى في مثل
هذه المدة فعلى ذلك الامر الاول وقوله عز وجل ومن شر غاسق اذا وقب اختلف فيه قيل الغاسق
هو الليل المظلم والغسق الظلمة وقيل سمي الليل غاسقا لان الغاسق البارد وقال الله تعالى لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا اجزاء وفاقا والليل ابرد من النهار ولذلك سمي غاسقا والاصل
في هذا ان الذي ذكر لا يكون منه ضرر يتعوذ منه لكنه يرجع الى من كان في ظلم الليل او في نور النهار
من الذي يأتي منه المضار ومعلوم ان من الشرور ما لا يمكن منها الا في ظلم الليل ومنها في الليالي لا
يكن الا بنور القمر فامر بالتعوذ مما يمكن فيها الا ان يكون منها وهو كقوله تعالى والنهار مبصرا يقع به الابصار
لا ان يقع منه ذلك وهذا والله اعلم ليس على تخصيص الليل بذلك لانه ليس له فعل الضر لكن قد يعرض
به الامكان من الشر الى المعلوم ان من الشرور ما لا يمكن منها الا في ظلم الليل ومنها في الليل لا يمكن
الا بنور القمر فامر بالتعوذ منه مما يتحقق فيه فعلى ذلك يجوز التعوذ من شر الليل وعلى تأويل ما يقع به من
التمكن من الشر ويوجد فيه والله اعلم وقوله عز وجل اذا وقب اختلفوا في معناه قيل اذا جاء وقيل دخل
وقيل معناه القمر اذا خسف امر بالاستعاذة من ذلك اذ هو علم من اعلام الساعة لهذا قال اذا وقب اذا
القمر لا يخسف الا في الليل وقوله عز وجل ومن شر النفاثات في العقد فهذا التعوذ من شرهم بحسب نسبه
لكنه في الحقيقة فعل لهم وفي الاول يقع بسبب بلا صنع لهم فكانه في الجملة امر بالتعوذ من كل اسباب
خفية تولد الشر منه فعلى كان ذلك له او لم يكن الا ترى الى قوله تعالى عز وجل فلا يغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور وقد يكون الشيطان فعل في الحقيقة ولا يكون للحيوة الدنيا فعلى فوقع النهي عن
الاغترار بهما فعلى ذلك التعوذ من شر الامرين وان لم يكن لاحدهما فعل بما يقع فيه وجائز ان من
هذا الوجه في الملائكة في الدفع والحفظ لقوله تعالى عز وجل له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله قيل فيه اي بامر الله يقع حفظه فجائز ان يكون في هذه الامور الخفية وانواع المضار من حيث
لا يعلم الا بعد جهد يقع الحفظ بالله تعالى على استعمال الملائكة وعلى ذلك يجوز ان يكون امر سلامة
الملاعم والمشارب والمنافع التي للبشر عن افساد الجن يحفظ من ذكر ليكون فيها محنة للملائكة على ما
كان بمكان وسواس الشيطان ايقاض الملائكة ومعونتهم ويحتمل ان الله يكون الله لم يمكنهم افساد
ما ذكرنا وان مكنهم الوسواس اذ باللطف يمنع من حيث لا يعلم وقيل ايضا من امن الله عذابه وانواع البلاء
الى وقت ارادة الله تعالى الوقوع وقوله عز وجل ومن شر حاسد اذا حسد يخرج على وجهين احدهما اذا كانت
الحاسد دون المحسود ولا يقوى على الشر ليفعل به والشر المتوهم منه يكون من شر عينيه وعمل الحسد
ارادة زوال نعم المحسود ذهاب دولته وانه جائز ان يكون الله عز وجل بلطفه يجعل في بعض الاعيان
عملا يتأدى بالنظر الى ما يستحسنه من النعم الى الزوال ويؤثرون ذهاب الدولة عنه فامر بالتعوذ
لهذا وقد بينا تلك المتولدات من الافعال بما جعل الله تعالى فيها من المضار والمنافع ما لا يبلغها علوم
الخلق بل لو اراد الخلق ان يعرفوا ما في البصر في الحكمة التي تدرك بفتح البصر ما بين السماء والارض
من غير كثير مهلة لم يقدروا عليه وروى عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الا رقية الا من عين او حمة وعن ابن عباس رضي الله عنه العين حق فان كان شيء يسبق القدر لسبقه
العين وفي خبر اخرى لا شيء في الهام العين حق ويدل عليه في قصة اخوة يوسف عليه السلام قال لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وقد فسر قوم وجهه وجه عمل العين وكيفيته لكنه امر كعمل
الشمس في العين نفسها فيما يبصر الشمس وينظر اليها فانها تفره وتغلبه عن النظر على بعدها من العين
بما جعل الله تعالى وذلك من اللطف والحكمة وكذلك عمل العين في المعيون والثاني ان يكون بما حسد ان
حسد على الحيل وانواع ما به العين من السعي في الامور التي بها الفساد وعلى ضعفه في نفسه قال
الله تعالى في صفة المنافقين يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم فيما بين من فشلهم وضعفهم امرهم بالحذر
عنهم وقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا ثم امر بالتعوذ من شره فكذلك الحاسد والله اعلم تمت

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل اعوذ برب الناس فظاهره امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشيء مشار اليه وهو التعوذ وهو
حق الاجابة في مثله ان يقول قل اعوذ لكنه والله اعلم يخرج على وجهين احدهما ان يكون ذلك انزل
يحق ان يصير ذلك امرا لكل من بلغه وتعليما بالذي عليه بالاعتصام بالله تعالى والالتجاء اليه من
شر الذي ذكره ليعينه ويكون الاعاذة بوجهين احدهما في تذكير ما عرف من الحجج في دفع ما يخطر
بباله من المكروه والثاني باللطف الذي لا يبلغه علم الخلق ولا يدركه عقولهم مما لديه يقع الامن
من الزيغ مما حقه الافعال والذي ذلك تحقه فلله تعالى ان يكرم به العبد مبتداء وله ان يقدم فيه
محنة السؤال والاعتصام به على الاكرام ايضا ويلزم على من عصم به على الزلة او هدي الى الحسنة الشكر لله تعالى
فيما ابتداه واكرمه به عند السؤال والوجه الثاني من وجهي الخطاب ان يكون الخطاب لغيره وان كان راجعا
مشارا اليه فهو مما يشترك في معناه غيره فانبئ وانبت ما به يصير مخاطبا من بلغ ذلك وهو قوله تعالى قل حتى
يدوم هذا الى اخر الدهر وعلى جميع ما فيه حرفا الكلفة والمحنة اعني صيغة الامر والله الموفق ثم في قوله
تعالى قل اعوذ برب الناس الى اخر السورة وجهان من الحكمة فيهما نقض قول اهل الاعتزال احدهما ان المحنة
قد ثبتت بالامتناع من طاعة الشيطان والمخالفة له فاما ان كان الله تعالى اعطى جميع ما يقع به الامتناع

حتى لا يبقى عنده مزيدا ولا يعطيه جميع ذلك بل بقي عنده بشئ منه فان كان قد اعطاه فهو يطلب ذلك بالتعوذ
والاعتصام بالله تعالى كانهم لما اعطاه طالب ما ليس عند الله تعالى فيكون الامر بالتعوذ محنة وامرا بما به كتمان
ذلك وذلك حين استوفاه يكون انكاره ستر نعم الله تعالى وقد تبرأ عن با الفحشاء والمنكر و بين ان ذلك عمل
الشيطان ثم في المحنة بهذا المحنة بالاستهزاء بالله تعالى لانه يطلب منه ما يعلم انه لا يملكه ولا يجده عند نفسه
وذلك من علم الهزؤ وعند ذي العقول فمن ظن ان الله تعالى يمتحن عباده ويامرهم بشئ مما ذكرنا فهو جاهل بالله
تعالى وبحكمته وان لم يكن الله تعالى اعطاه وعنده بعد ذلك ثم كان من مذهبهم انه ليس لله تعالى ان يمتحنهم بفعل الا
بعد ايتاء جميع ما عنده مما به قوامه وجوده ففي ذلك اعتراف بلزوم المحنة وتوجه التكليف قبل ايتاء جميع
ما عنده مما به الوصول الى ما امر به وذلك ترك مذهبهم مما كان عندهم انه لو كان عند الله امر ومعنى لا تقع
فعل المختار لاجل لانه لا يعطيه ذلك لم يكن له ان يمتحنه وهو بالامتحان جائر فاما ان سالوه يفعل قد امر به و
ان لم يكن اعطاه ذلك وهم ما وصفوا الله تعالى بمثل ذلك او يفعل تبلوا وقتا لامر ذلك ويكون اعطاء
ذلك وقتا لامر فكانه ظن ان يامروا ولا يعطي حتى يبتال و ذلك حرف الجور ثم الاصل لدى اطمان به قلب
الذين يعرفون الله تعالى انه متى هدى الهداية التي تسئل وعصم العصمة التي تطلب وفق لما يرجوا من الفعل
واعانه عند ما يخاف انه كان ذلك لا محالة ويحقق بلا شبهة ويامن لديه من الزيغ والضلال وعلى ذلك
جبلوا مما يجد غير معتزلي الا وقد اطمان قلبه به حتى يعلم ان هذا منه وقع المجبول عليه بالتقليد ولا قوة الا
بالله وقوله عز وجل برب الناس ملك الناس اله الناس ولم يقل اعوذ برب الخلق وهذا اعم من الاول واضافة
كلية الاشياء اليه او اضافته الى الكل بالربوبية من باب التعظيم لله تعالى فما كان اعم فهو اقرب في التعظيم
فهذا والله اعلم يخرج على الوجه احدها اراد التعريف وبهذا يقع الكفاية في معرفة من يفزع اليه ممن يملك
ليعوذ منه لكنه ذكر رب الفلق في موضع ورب الله في موضع ورب في موضع كقوله تعالى وقل اعوذ بك من
همزات الشياطين وقال فاستعذ بالله ليعلم به من سعة الامر وتحقيق الفزع والرجوع الى الله تعالى عند نزول
ما ينزل بالمرء مما يخاف على نفسه ويشغل قلبه ان له ذكر ما يحضره من اسماء الله تعالى اي اسم كان ان ما من
اسم الا وفيه دلالة على عزه وسلطانه وقدرته وعظمته ليكون في ذلك توجيه الملك اليه واخلاص الحمد
له باضافة النعم فيكون ذلك من بعض ما به التشفع الى الله تعالى من ذكر قدرته واحسانه وارفع ذلك في ذكر
الناس بالاضافة اليه والثاني ان الذين عرف فيهم الارباب والملوك والعبادات لمن دون الله تعالى هم
الانس دون غيرهم فامر اهل الكرامة بمعرفة الله تعالى والعصمة عن عبادة غيره والاعتراف بالملك والربوبية
له ان يفزعوا اليه عن ذكر ذاكرين لذلك واصفين بانه الرب لهم والملك عليهم والمستحق للعبادة لا غيره
ولما كان للوجوه التي ذكرنا ضل القوم من اتخاذهم اربابا دون الله تعالى وتنزيلهم على زي ملوكهم في الحل
والحرمة وفي البسط والقبض وعبادتهم غير الله تعالى وفزعهم اليه فامر الله تعالى اهل الكرامة بما ذكر
الفزع الى الذي يذكر بهذه الاوصاف على الحقيقة على نحو فزع الضالين الى اربابهم وملوكهم الذين عبدوا
دونهم الى الله مفزع الكفرة ايضا عند الاياس عمن اتخذوهم دون الله تعالى لنصرتهم ومعونتهم والله اعلم
والثالث ان المقصود من خلق هذا العالم هم الذين نزلت فيهم هذه السورة وغيرهم كالمجعول المسخر لهم قال
الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال هو الذي سخر لكم الاية وقال الله تعالى الذي جعل لكم الارض
فراشا الاية فاذا قيل برب الناس ملك الناس فكانه قيل برب كل شئ لان ما سواهم جعل لهم وذكر الخلق
والتوجيه اليه في الاستعاذة والاستعانة هو اعتراف بانه لا يملك غيره ذلك فاستوى الامران والله اعلم
وقيل في رب الناس مصلح الناس وذلك يرجع الى انه بصلاحهم في الدين فوق النفس وقيل ملك الناس
على الاخبار بان الملك له فيهم جميعا وفي الخلق ما لم يذكر فيه جهة فيه جهة الملك فبين ان ذلك كله في
التحقيق لله تعالى وملكه ولغيره يكون من جهة على ما اعطى لهم بقدر ما احتاجوا اليه وقيل سيدهم لكن لفظ
السيد لا يذكر لما لمتغير الناس ويوصف بالرب والملك والمالك على الاضافة لا مطلقا فيقال رب الدار ومالك
الدابة والملك المصر ونحو ذلك فكانه اقرب وقوله عز وجل من شر الوسواس الخناس فسمي الذي يوسوس بانه
وسواس وخناس وقيل في تاويله من وجهين احدها انه يوسوس لذي الغفلة ويخنس عند ذكر الله تعالى اي
يخرج ويذهب وقيل يخنس لا يرى ولا يظهر كقوله تعالى انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ولهذا قيل
في الجوار الخنس انهن يطلعن من مطالعهن ويخنس بالنهار اي يختفين وقيل وجائز ان يكون قوله عز وجل الذي
يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس الاية صيرا الموسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل
ايضا على التقديم والتاخير معناه قل اعوذ برب الناس من الجنة والجنة والناس من الذين يوسوس في

الامر

صدور الناس اما الوسوسة فهي امر معروف وذلك مما يلقى من الكلمات التي يشتغل القلب ويتحير لما في
امر الدين بما لا يعرف الذي يلقى اليه المخرج من ذلك وعلى ذلك امر اهل الاهواء واصناف الكفرة كقوله تعالى
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقوله عز وجل وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم واما شياطين
الجن فهو امر ظاهر عند جميع اهل الاديان ومن امن بالرسل عليهم الصلوة والسلام لكن الدهرية ومنكري
يقولون ليس في الجنة شياطين واغا هو امر يخوف به مدعوا الرسالة ليلزموا الخلق الاستماع اليهم في
نزع الجهل وما عندهم في دعويهم من العلوم والمعارف وهذا لسفههم ما لو انهم لو انهم تاملوا في
ذلك لعرفوا انهم على غير بحث عما الزمهم ضرورة الفعل الطلب ودعوتهم الى البحث عنه ما مسهم من
الحاجة وهي الخواطر التي تقع في القلوب والخيالات التي تعرض في الصدور ومنها اذا صورت وجد قبيحا
ومنهم ما اذا صورت وجدت حسانا ولا يجوز وقوع امر وكون شئ بعد ان لم يكن من قبل نفسه للاحالة
في ان يصير لا شئ بنفسه شيئا قبيحا او حسانا بلا مدبر وقد علم جميع الانسان بالذي ذكرت من الانواع
بر ما يعلم انه ان لم يكن من نفسه معنى يحدث له ذلك ثبت ان قد كانت الضرورة يلزم البحث
عن ذلك ثم لا يعلم من حيث طب الابدان الموجبة لها ولا في العقول دركها فيجب بها امران منعا هم
عن العلم بهما التفوت بالجهل وحب الراحة احدها العقول بالصانع ودخول العالم تحت تدبير حكيم
عليم قدير والاخر القول بالرسل ليأتيهم من عند علام الغيوب واذا كانت ذلك بحيث لا يبلغه علم
البشر فيعرف حقيقة ذلك ليعلم عند النظر والبحث امرين عظيمين احدها الرسل بما معهم من المعجزات
فيقولون بهم وبالتوحيد بدارا ومن الايات الصدق اذ قد علموا ان في الاخبار صدقا لولا ذلك لكانوا
لا يدعون شيئا اذ هو خير له والثاني يلزمهم بما يباينوا من خروج الامر من غير الحكماء انها تقع متفانة
مضطربة والعالم بما خرج متسقا على الحكمة والمصلحة فعلموا انه كان عن مدبر حكيم يعلم ما به المصالح فيلزمهم
امران ايضا التوحيد والرسالة ولا قوة الا بالله تعالى والاصل عندنا بتمكين الشيطان ما ذكرنا من الوسوسة
ان الشيطان والملك خلقهما الله تعالى فنا ها بالرسل عليهم الصلوة والسلام ونبينا من ضرورة الحاجة
الى العلم بمن بالقائه يصير عند التصوير قبيحا وحسنا فيانان جميعا بما مكنهما الله تعالى من الامرين جميعا امر
الملائكة الخير والحكمة فيسهل عليه سبيله تيسير الله تعالى وفضله وامر الشيطان الضلال والشر فيتيسر
عليه حتى صار الخير للاول كالطبع والشر للثاني كذلك فاذا كان كل واحد ممكنا من الامرين قال الله تعالى فاما
من اعطى واتقى وصدق الى قوله عز وجل للعسرى وقال عز وجل ومن يرد الله ان يهديه الى قوله تعالى كانما يصعد
في السماء ثم الاصل في الانس انهم امتحنوا بحقوق بينهم وبين الله تعالى وبحقوق فيما بينهم وكلفوا تثبيت
الملائكة اياهم عز وجل اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وامروا برفض ما يوسوس
اليهم الشيطان بقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وغير ذلك وعلى ذلك خلقت الملائكة ممتحنين
بالكتابة على البشر بقوله كراما كاتبين فيكون الحكمة في تكليف التمكين وما وصف من محنة الله تعالى اياهم طاعتهم
في انفسهم وفيما مكنوا من غيرهم على ما ذكرت من امر الانس وحكمة ذلك للانس لزوم التيقظ والنظر فيما
يقع في قلبه من الخواطر ليعلم الذي له من الذي عليه وكذلك في تكليف الملائكة كتابة قوله وفعله ليكون
متيقظا ومتنبها في كل افعاله واحواله كيتيقظ فيما كان من الاولياء والاعداء من الكاتبين الطاهرين عليه انه
يحذر كل الحذر عما يؤذي وليه ويقبل على كل امر فيه يقع بما امل ويحذر عدوه اشد الحذر لئلا يؤذيه من حيث
لا يعلم فيتهمه كل تهمة ثم معلوم ان لا يعمل الكتبة الا بعد احكامه واصلاحه غاية ما يحتمل الوسع فعلى ذلك
فيما يخفى اذ هم في العقول في درك ما لهم وما عليهم كالذين ظهر لهم ممن ظهروا لابصارهم والله الموفق و
كذلك صحة المحنة والامر في صحبة الاولياء والاعداء بحق الولاية والعداوة فيما لا يرون صلاحها وفيما
يرون او من الوجه الذي فيه الولاية والعداوة حزينة لابصار القلوب والعقول فيمكن الحذر والمعاملة
جميعا وعلى هذا التقدير لم يكن الله اعداوه ولا يرون من معاداتهم وافعال من ابدانهم واموالهم بالسلب
والتخبيس والافساد وقد مكن اعداءهم من الانس ذلك لتمكنهم الدفع عن ذلك والحذر عنه بما دفع
الوقوف لبعض على حيل بعض والتحرز عن ذلك وما هذا الا دركه الحواس بما فعالها واسبابها بالحس
وكذلك امر الملائكة لكن من لا يحتمل عقله معرفة الصانع والتوحيد مع شهادة العقل وكل شئ فجهله
بالشيطان غير مستبعد ولا مستنكر والله اعلم قال رضي الله عنه ثم اختلف في وجه تمكن الشيطان من
الانس فيما يوسوس اليه قد روي في بعض الاخبار انه يجري فيه مجرى الدم فانكر ذلك قوم وليس ذلك
مما ينكر بعد العلم باحتمال مجرى الدم فيه وجرى قوة الطعام والشراب وما به حيوة الابدان والحواس مما لطف

مجراه في جميع العروق والاعصاب وكل شي بلطافة ذلك الشيطان وعلى ما روي في امر الملك مما يكتب
ما لا يعلم موضع نعوده ولا يسمع صرير قلمه ولا ما يكتبه علينا من ذلك امر الذي ذكرت ثم قد ثبت القول
بامر الله تعالى نبيه ان يتعوذ به عن همزه ونزغه وحضوره بقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية
وقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا وقال
الذي يتخبطه الشيطان من المس الاية فثبت ان امره على ما يشاء ثم القول في اي موضع لوقت ما له من
الوحي والمس والنزغ امر لا يحتاج اليه بحق لان الله تعالى اخبرنا انا لا نراه بقوله انه يراكم هو وقبيله
من حيث لا ترونهم ولكن الذي رجعنا المحنة الى افعاله التي يقع لها اثار في الصدور وقد مكنا بحمد الله
تعالى ومنه لتدارك منه وانما علينا التيقظ لما يقع في الصدور من افعاله ووساوسه ليدفع مما امكنا
الله تعالى من الاسباب وعرفنا من الحجج نقض الباطل والتمسك بالحق كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طايفة من الشيطان تذكروا ورجعوا الى الله تعالى بالتعوذ في طلب اللطف الذي جعله الله تعالى للدفاع
كقول يوسف عليه السلام والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن الاية على العلم فيه بلطايف الاشياء من
المجعول لدفع كيدهن وكذلك قول الراسخين في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من
لدنك رحمة الاية لكن من الناس من يقول هو يعلم النفس فيما تهوى فيزين لها ذلك والعقل فيما يدعو
عن ذلك فيمنعه عن ذلك ومنهم من يقول لكن في ذلك اثار من الظلمة والنور والطيب والخبيث فيعرف
بالاثار دخولها موقع وسواسه حتى يصل الى الفعل وقد يكون عمل الهوى والعقل جميعا في الجسد وخارج
منه ونجاسة اثار الاعمال كرمنهم من يقول ليس له شيء من ذلك علم لكن يكل ما يرجوا لعل من التعزز
وفي التمويه والتلبيس كالاعمى فيما يمس ويطلب المضار من المنافع ونحو ذلك لكن ذلك كله طريق عمل
الشيطان وطريق امكانه وحيله وذلك امر لم نؤمن بمعرفة وانما علينا مجاهدته في منع ذلك بالتيقظ
او يدفعه بما يتذكر هكذا ذكرت في الايات او بالفزع الى الله سبحانه وتعالى في دفعه ومنعه ان نحض بما عنده
من اللطايف التي لديها يقع الامن عن الزيغ والظفر بالرشد ويقول كثير منهم انه يوسوس في صدور
الجن كما يوسوس في صدور الناس وذلك ممكن لما قد يكون من كل جنس ضلال وغواة واخيار وابرار
فاما حق تاويل السورة على ما وصفنا في ذكر وسواس الجن والانس ثم القول في المعوذتين انهما من
القران او ليستا من القران قال الفقيه رحمه الله لنا من امرهما انهما بما انهيت الى اهل هذا
العصر معرفة القران في الجميع بين الوجهين بتوارث الامة ولسنا نحن ممن يعرف بالمحنة والسبر عامة
نعلم انهما معجزتان ادلا وانما حق ذلك الاخذ عن ذلك والشهادة بعد الثبات انه من القران وانه معجز
حق امتثالنا فيه الايقاع وقد تقع بما يجري التعارف في جميع الشرايع التي بها يشهد انها عن الله
تعالى وانها حق فعلى ذلك هذا لكن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لم يكتبهما في مصحفه وذلك
عندنا يخرج على وجهين احدهما انه لم يكن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما شيئا انهما من القران
ام لا ولم يكن ايضا راى على نفسه السؤال عن ذلك حقا واجبا لان القران وما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم فيما يلزم علم الشهادة والعمل به واحدا اذا المقصود من كل ذلك القيام بالمقصود
ومن حق الكلفة لا التسمية ولم النجباء يمتحنون انفسهم بالتحري في الوجوه التي بها يعرفون المعجز
من غيره للنا تر قران او غيره وانما ذلك من عمل المرتابين الشاكين في خبر الرسول صلى الله عليه وسلم
ليعرفوا انه مبعوث مرسل فاما من يقد رعنه والطمان به قلب وزال عنه الحرج فيما اتاهم فقد كفوا
ذلك وكذلك يجوز تركنا البحث عن ذلك لما ذكرت لا ان عنده انهما ليستا من القران وفي خبر عقبة الجهني
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه نزل اليوم ايات لم ير مثلهن قط قيل ما هن يا رسول الله
فقال المعوذتان دل انهما من القران وايد ايضا ما ذكرت في ترك الكتابة ما روي عن ابي بن كعب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا قولوا فنحن نقول لم نشهد في تلك بانهما منه
ولا لسنا منه عما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره بهما فعلى ذلك امر عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه ويؤيد ذلك ايضا امر استعاذة القران انها مقدمة على القراءة وحق هاتين المعوذتين لو كانا
منه يتعين ان يكون في افتتاح المصحف كالاستعاذة للقران فهذا ايضا بعض الذي يمنع بحقيقة ذلك
وقد بينا جواز وجه الاشكال مما كان لانزال لحاجة العباد وعلى ذلك يجري العمل بهما من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وغيره فهو امر لا يضر الجهل الذي ذكر وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لو
علمنا ان احدا اعلم بالقران مني وحملتني مطيتي لاتيته وقد روي ممن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه



ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض على جبرائيل عليه السلام كل عام مرة الا في العام الذي قبض عرض
عليه مرتين وقد شهدها جميعا عند الله فعله لم يعرض ما نسأه الله واذا كان كذلك لم يكن هو ممن يسال
في هذا الباب بغيره يثبت عنده السماع بانهما اثبتنا في المصحف فبقي قوله بحيث لا شرف حقيقته ووجه اخر
ان يكون راهما منه لكن لم يكتب لوجهين احدهما لم يكن موضع الكتاب والتدبير على ما ذكرنا ان يكون في اول
المصاحف فكره ان يكتب بتدبيره ويتحرى له موضعا للكتابة فلم يكتب كذلك
والثاني انه يكتب لتحفظ ولا ينسى وقد امن عليهما النسيان لانهما بحيث
تلاوتهما في اوايل النهار ومبادي الليل وعند النوازل ينفع التعوذ
بهما عن كل شر وكيد على نحو الاستعاذة وانواع الدعوات
المدعوة فلما امن خفاها لم يكتب وعلى ذلك ترك
كتابة فاتحة الكتاب والله اعلم والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على نبينا
محمد وعلى اله وصحبه اجمعين
تمت التاويلات
القران
العظيم

